ŞEHZADE TEVSİRİ

﴿ هذا فهرس الجزء الثالث من حاشية شيخ زاده على تفسير القاضي البيضاوى ﴾

﴿ هذا فهرس الجزء الثالث من حاشية شيخ زاده على تفسير القاضي البيضاوي ﴾

﴿ هذا فهرس الجزء الثالث من حاشية شيخ زاده على تفسير القاضي البيضاوى ﴾

(تم فهرس الجزء الثالث)



معارف نظارت جلیله‌سنك ١٠٧ نومرولی وفی ٢٣ ذی القعده سنه ١٣١٥
وفی ٢ نیسان سنه ١٣١٤ تاریخلی رخصتنامه‌سنی حائزدر

هذا الجزء الثالث من حاشية شيخ زاده على التفسير القاضي البيضاوى

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله دليل على استقلاله بنفسه — بان يكون حروفا مسرودة على وجه التعداد لاحظ لها من الاعراب لكونها جارية مجرى الاصوات المنبهة فان الحكيم اذا خاطب من هو فى محل الغفلة او من هو مشغول البال بهم من المهمات فانه يقدم على الكلام المقصود شيأ غيره ليلتفت اليه المخاطب بسببه ويقبل بقلبه عليه وذلك الشئ المقدم على المقصود قد يكون كلاما له معنى مفهوم كقول القائل اسمع منى واجعل بالك الى والتزل وقد يكون شيأ هو فى معنى الكلام المفهوم كقولك ازيد و يازيد والا يازيد وقد يكون ذلك المقدم على المقصود صوتا غير مفهوم كمن يصفر خلف انسان ليلتفت اليه وقد يكون ذلك الصوت بغير الفم كما يصفق الانسان بيديه ليقبل السامع عليه ثم ان توقع الغفلة كلما كان اتم والكلام المقصود كان اهم كان المقدم على المقصود اكثر ولهذا ينادى القريب بالهمزة فيقال ازيد والبعيد بيا فيقال يا زيد والغافل بالا فيقال الا يا زيد ثم ان النبى عليه الصلاة والسلام وان كان يقظان الجنان لكنه انسان يشغله شان عن شان فكان يحسن من الحكيم تلك الحروف اذا لم يكن بحيث يفهم معناها فانها حينئذ تكون اتم فى افادة المقصود الذى هو التنبيه من تقديم الحروف التى لها معنى لان تقديم الحروف اذا كان لاقبال السامع نحو المتكلم لسماع مابعد ذلك فاذا كان ذلك المقدم كلاما مفهوم المعنى فربما يظن السامع ان مدلوله هو كل المقصود ولا كلام له بعد ذلك فيقطع الالتفات عنه واما اذا سمع منه صوتا بلا معنى فانه حينئذ يقبل عليه ولم يقطع نظره عنه مالم يسمع غيره لجزمه بان ما سمعه ليس هو المقصود فتقرر ان تقديم الحروف التى لا معنى لها فى الموضع الذى ذكرت على الكلام المقصود فيه حكمة بالغة ثم اعلم ان حروف التهجى التى ذكرت فى اوآئل اكثر السور ذكر بعدها الكتاب او التنزيل او القرآن كقوله تعالى الم ذلك الكتاب الم الله لا اله الا هو الحى القيوم نزل عليك الكتاب المص كتاب انزل اليك يس والقرآن الحكيم ص والقرآن ذى الذكر ق والقرآن الم تنزيل الكتاب حم تنزيل الكتاب ولم يذكر بعدها شئ من ذلك فى ثلاث سور كهيعص الم احسب الناس الم غلبت الروم والحكمة فى افتتاح السور التى ذكر فيها بعد حروف التهجى القرآن او التنزيل او الكتاب بتلك الحروف المنبهة هى ان القرآن عظيم الشان وكذا الانزال والكتاب وانزال الوحى له ثقل عظيم لا تطيق القوة الحيوانية تلقيه قال الله تعالى انا سنلقى عليك قولا ثقيلا فكل سورة فى اوآئلها ذكر القرآن او الكتاب او التنزيل قدم عليها منبه يوجب ثبات المخاطب لاستماعه ثم ان ازمان التنبيه قد يحصل

سورة العنكبوت مكية وهى تسع وستون آية

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الم) سبق القول فيه ووقوع الاستفهام بعده دليل على استقلاله بنفسه

فى القرآن بغير الحروف التى لا نفهم معناها كما فى قوله تعالى يا ايها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شئ عظيم
وقوله يا ايها النبى اتق الله و يا ايها النبى لم تحرم لانها اشياء هائلة عظيمة فان تقوى الله حق تقاته امر عظيم فقدم
عليها النداء الذى للبعيد الغافل عنها و اما هذه السورة فافتتحت بالحروف وليس فيها الابتداء بالكتاب و القرآن
لان القرآن ثقله بما فيه من التكاليف و المعانى و هذه السورة فيها ذكر جميع التكاليف لكونها مصدرة بقوله
احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا آمنا يعنى لا يتركون بمجرد ذلك بل يؤمرون بانواع التكاليف فوجد فيها
المعنى الذى وجد فى السور التى فيها ذكر القرآن المشتمل على الاوامر والنواهى ﴿ قوله او بما يضم معه ﴾
اما بان تجعل هذه الالفاظ المفردة اسماء للحروف التى يتركب منها الكلام افتتحت السور بطائفة منها ايقاظا لمن
تحدى بالقرآن و تنبيها على ان المتلو عليهم كلام منظوم مما ينظمون منه كلامهم فلو كان من عند غير الله تعالى لما
عجزوا عن آخرهم مع تظاهرهم وقوة فصاحتهم عن الاتيان بما يدانيه والمعنى هذا المتحدى به مؤلف من جنس هذه
الحروف او المؤلف منها هو الذى تحديتم به و عجزتم عن الاتيان بما يدانيه و اما بان تجعل اسماء القرآن او السور
ويكون المعنى هذه الم و اما ما كان تكون هذه الالفاظ كلاما مستقلا منقطعا عما بعدها كما هو مقتضى الاستفهام
الواقع بعدها فانه يقتضى صدر الكلام ﴿ قوله الحسبان مما يتعلق بمضامين الجمل ﴾ لما كان افعال القلوب
من جملة نواسخ الابتداء وجب ان تدخل على الجمل التامة للدلالة على ان جهة ثبوت مضمونها ظن هى ظن او علم
ويقين والواقع بعد فعل الحسبان ههنا هو الفعل المضارع المصدر بان المصدرية و هذا الفعل مع ما فى حيزه مؤول
بمفرد لا بجملة مؤلفة من المبتدأ و الخبر حتى يستوفى فعل الحسبان مفعوليه لكن الجملة الفعلية المؤولة بالمفرد فى محل
النصب على انها مفعول اول و قوله ان يقولوا ثانى المفعولين فان قوله مع كونه علة لتركهم غير مفتونين لكونه
فى تقدير لان يقولوا فهو يصح ان يكون خبرا له كما فى قولك ضربه للتأديب و خروجه مخافة الشر فاذا اردت
ان تبين ان ثبوت مضمون هذه الجملة عنده على وجه الظن دون اليقين قلت حسبت ضربه للتأديب فكذا قوله
ان يقولوا آمنا خبر فى الاصل ثم جعل مفعولا ثانيا لفعل الحسبان و قوله وهم لا يفتنون من تمام قوله ان يتركوا
لكونه حالا من المرفوع المستتر فيه ﴿ قوله او انفسهم متروكين غير مفتونين ﴾ عطف على قوله تركهم غير
مفتونين و الفرق بين الوجهين ان فعل الحسبان على الوجه الاول استوفى مفعوليه المتلازمين بمعنى انه لا يجوز
الاقتصار على احدهما و على الثانى حذف كلاهما اكتفاء بذكر ما يسد مسدهما ﴿ قوله جزعوا ﴾ بالجاء
المنقوطة من فوق بمعنى ضعفوا و روى جزعوا ﴿ قوله متصل باحسب ﴾ بان يكون حالا من فاعله لبيان علة
انكار الحسبان و تحرير جهة اشكاله و المعنى احسبوا ذلك و قد علموا انه خلاف سنة الله تعالى و لن تجد لسنة الله
تبديلا و المقصود التنبيه على خطائهم فى الحسبان ﴿ قوله او بلا يفتنون ﴾ بان يكون حالا من فاعله لبيان
ان لا وجه لتخصيصهم انفسهم بعدم الافتتان و المعنى احسبوا ان لا يكونوا كغيرهم و لا يسلك بهم مسلك الامم
السابقة فيكون داخلا فى حيز متعلق الحسبان المنكر تخطئة لهم ﴿ قوله فليتعلق علمه بالامتحان ﴾ اى فليمتحنهم بعد
بمشاق التكاليف وبانواع السراء و الضراء ليلوح بذلك صبرهم و ثبات اقدامهم و صحة عقائدهم و نصوع نياتهم ليتميز
المخلص من غير المخلص و الراسخ فى الدين من المضطرب و المتمكن فى العبادة من العابد على حرف فيتعلق علمه
بوجود كل طائفة على ما هى عليه من الحال كما علم قبل ذلك بانه سيوجد موصوفا بتلك الحال و مقصود المصنف
بهذا الكلام ان يجيب عما يقال انه تعالى عالم بجميع الكائنات فيما لم يزل فكيف قيل فليعلمن الله و هو بظاهره
يقتضى ان يكون علمه تعالى حادثا متجددا عن الامتحان لا قبله و قال الامام الآية محمولة على ظاهرها و ذلك ان
علم الله تعالى صفة يظهر فيها كل ما هو واقع كما هو واقع فقبل التكليف كان الله سبحانه و تعالى يعلم ان زيدا مثلا
سيطيع و عمرا سيعصى ثم وقت التكليف و الاتيان يعلم انه مطيع و الآخر عاص و بعد الاتيان يعلم انه اطاع و الآخر
عصى و لا يتغير علمه فى شئ من الاحوال و انما المتغير المعلوم و يتبين هذا بمثال من الحسيات و هو ان المرآة الصافية
الصقيلة اذا علقت بموضع و قوبل بوجهها جهة ثم عبر عليها زيد لابسا ثوبا ابيض فتظهر فيها زيد فى ثوب
ابيض ثم عبر عليها عمرو فى لباس اصفر فتظهر فيها كذلك فهل يقع فى ذهن احد ان المرآة فى كونها حديدا
تغيرت او كونها صافية صقيلة مدورة مقابلة الى جهة فلانية تحولت و تبدلت لا يقع فى ذهن احد تغيرها
فى شئ من هذه الاوصاف بل يقطع كل احد بان المتغير الامور الخارجة عنها فعلم الله تعالى فى حكم تغيره

او بما يضم معه (احسب الناس) الحسبان
مما يتعلق بمضامين الجمل للدلالة على جهة
ثبوتها ولذلك اقتضى مفعولين متلازمين
او ما يسد مسدهما كقوله (ان يتركوا ان
يقولوا آمنا وهم لا يفتنون) فان معناه
احسبوا تركهم غير مفتونين لقولهم آمنا فالترك
اول مفعوليه وغير مفتونين من تمامه
ولقولهم هو الثانى كقولك حسبت ضربه
للتأديب او انفسهم متروكين غير مفتونين
لقولهم آمنا بل يمتحنهم الله بمشاق التكاليف
كالمهاجرة والمجاهدة ورفض الشهوات
ووظائف الطاعات وانواع المصائب
فى الانفس والاموال ليتميز المخلص من المنافق
والثابت فى الدين من المضطرب فيه ولينالوا
بالصبر عليها عوالى الدرجات فان مجرد الايمان
وان كان من خلوص لا يقتضى غير الخلاص
من الخلود فى العذاب روى انها نزلت فى ناس
من الصحابة جزعوا من اذى المشركين
وقيل فى عمار وقد عذب فى الله وقيل فى
مهجع مولى عمر بن الخطاب رضى الله عنه
رماه عامر بن الحضرمى بسهم يوم بدر فقتله
فجزع عليه ابواه وامرأته (ولقد فتنا الذين
من قبلهم) متصل باحسب او بلا يفتنون
والمعنى ان ذلك سنة قديمة جارية فى الامم
كلها فلا ينبغى ان يتوقع خلافه (فليعلمن الله
الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين) فليتعلق
علمه بالامتحان تعلقا حاليا يتميز به الذين
صدقوا فى الايمان

وتجدده من هذا القبيل بل علمه تعالى اعلى واجل فان المرآة مخلوقة وعلمه تعالى ازلى قديم لكن يتجدد تعلقه على حسب تجدد المعلوم فقوله فليعلمن الله الذين صدقوا معناه انه يتعلق بمن يعلم الله تعالى انه سيطيع الطاعة فيعلم انه مطيع بذلك العلم وقوله تعالى وليعلمن الكاذبين يعنى من قال انا مؤمن وكان كاذبا فيفرض العبادات يظهر منه ذلك لانه يتعلق بمن علم الله تعالى منه انه سيعصى ولايطيع المخالفة والعصيان ليعلم انه كاذب فى دعوى الايمان والطاعة لقيام شواهد كذبه فيها فان اللسان ترجمان القلب والاعضاء شهود على ماادعيه المرء باللسان فمن ادعى بلسانه الايمان واستعمل الاركان على حسب مايقتضيه الايمان فقد صدقه شهوده فى دعواه وتحقق مافى علمه تعالى من انه سيطيع فعلمه بانه قداطاع ومن لم يستعمل اركانه حسب مايقتضيه ايمانه فقد كذبه شهوده وتحقق مافى علمه من انه لايطيع وعلمه تعالى بانه من العصاة الكاذبين وفى قوله الذين صدقوا بصيغة الفعل وقوله الكاذبين بلفظ اسم الفاعل فائدة مع الاختلاف فى اللفظ ادل على الفصاحة وهى ان اسم الفاعل يدل فى كثير من المواضع على ثبوت المصدر فى الفاعل ورسوخه فيه والفعل الماضى لايدل عليه كما يقال فلان شرب الخمر وفلان شارب الخمر وفلان نفذ امره وفلان نافذ الامر لايفهم من صيغة الفعل التكرار والرسوخ ويفهم ذلك من اسم الفاعل اذا ثبت هذا فنقول وقت نزول الاية كانت الحكاية عن قوم قريبى العهد بالاسلام فى اوائل ايجاب التكاليف وعن قوم مستديمين للكفر مستمرين عليه فقال فى حق المؤمنين صدقوا بلفظ الفعل اى وجد منهم الصدق وقال فى حق الكافرين الكاذبين بالصيغة المنبئة عن الثبات والدوام ﴿قوله لذلك﴾ اى لكون المراد بالعلم تعلقه الحالى الذى هو سبب التمييز والمجازاة فسر العلم بهما على طريق اطلاق اسم السبب وارادة المسبب وقيل المعنى فليميزن او ليجازين فان التمييز بين الشيئين والمجازاة على الشئ مسبب عن تعلق العلم به فاقيم قوله ليعلمن الله مقام ليميزن او ليجازين ﴿قوله ليعرفهم الناس﴾ على ان يكون اعلم من علمت بمعنى عرفت نقل الى باب الافعال فتعدى الى مفعولين احدهما الذين والآخر محذوف وهو الناس والمعنى ليعرفن الله الناس الذين صدقوا من الكاذبين ﴿قوله او ليسمنهم﴾ على ان يكون اعلم من اعلم القصار الثوب فهو معلم بالكسر والثوب معلم بالفتح يقال وسمه وسما اذا اثر فيه بسمة وعلامة يعرف بها والضمير فى ليعرفهم وليسمنهم للصادقين والكاذبين ﴿قوله الكفر والمعاصى﴾ ذكر اولا ان الاية الاولى نزلت فى ناس من الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين ثم اشار الى ان هذه الاية نزلت فى حق الكافرين كانه قيل احسب الذين قالوا آمنا ان نكتفى منهم بالايمان بدون الامتحان ام حسب الكفار ان يعجزونا فتركوا لاجل ذلك الايمان فالكفار وان لم يطمعوا فى الفوت لانكارهم البعث والجزاء اصلا ورأسا لكنهم نزلوا منزلة من عرف وصدق به وطمع فى السبق اى الفوت وذلك لغفلتهم واصرارهم على المعاصى مع ظهور الدليل القائم على انه لابد من البعث والجزاء فانكر عليهم ذلك الطمع والحسبان فكان حاصل المعنى ان الجزاء يلحقهم البتة لانه لما انكر حسبانهم السبق اى الفوت تبين انهم لايفوتون فلا محالة يلحقهم العذاب لاجل ثباتهم على الكفر والمعاصى فكيف لايحترزون عنه ﴿قوله تعالى ان يسبقونا﴾ لما اشتمل على المسند والمسند اليه سد مسد مفعولى حسب والمعنى أظن المسيئون انهم يفوتوننا فلانقدر على الانتقام منهم وهو فى قوة قولنا احسبوا انفسهم فائتين وأم منقطعة مقدرة ببل والهمزة والاضراب لاجل الانتقال لا الابطال السابق لان انكار الحسبان الاول ليس بباطل الا ان الحسبان الثانى ابطل واولى بالانكار وذلك لان صاحب الحسبان الاول يجوز انه لايمتحن لايمانه وهذا يظن انه لايجازى بمساويه والثانى ابطل لانه خلاف مايقتضيه العقل والنقل والاول انما يخالف النقل فقط ولم تجعل ام هذه متصلة معادلة لهمزة الاستفهام فى قوله احسب الناس لوجهين احدهما ان مابعدها ليس مفردا ولا فى قوة المفرد والثانى انه لم يكن هنا مايجاب به عن احد الشيئين او الاشياء ﴿قوله اى بئس الذى يحكمونه﴾ يريد ان ساء بمعنى بئس وان ما يجوز ان تكون موصولة بمعنى الذى ويحكمون صلتها والعائد محذوف والموصول مع صلته فى محل الرفع على انه فاعل بئس فيكون فاعل بئس كالمعرف باللام ويكون المخصوص بالذم محذوفا اى بئس الحكم الذى يحكمونه حكمهم هذا ويجوز ان يكون الفاعل مضمرا مفسرا بما وهى فى محل النصب على التمييز ويحكمون صفتها بحذف العائد والمخصوص ايضا محذوف والتقدير بئس الحكم حكما يحكمونه حكمهم هذا حين ظنوا ذلك قال الامام لمابين حسن التكليف بقوله احسب الناس ان يتركوا بين ان من كلف بشئ ولم يأت به يعذب وان لم يعذب فى الحال فسيعذب فى الاستقبال ولايفوت

والذين كذبوا فيه ويثوط به ثوابهم وعقابهم لذلك وقيل المعنى وليميزن او ليجازين وقرئ وليعلمن من الاعلام اى وليعرفهم الناس او وليسمنهم بسمة يعرفون بها يوم القيامة كبياض الوجوه وسوادها (ام حسب الذين يعملون السيئات) الكفر والمعاصى فان العمل يعم افعال القلوب والجوارح (ان يسبقونا) ان يفوتونا فلا نقدر ان نجازيهم على مساويهم وهو سادّ مسدّ مفعولى حسب وام منقطعة والاضراب فيها لان هذا الحسبان ابطل من الاول ولهذا عقبه بقوله (ساء مايحكمون) اى بئس الذى يحكمونه او حكما يحكمونه حكمهم هذا فحذف المخصوص بالذم (من كان يرجو لقاء الله) فى الجنة

(الله)

الشيء في الحال ولا في المآل ﴿ قوله وقيل المراد بلقاء الله تعالى ﴾ اى قال من ذهب الى ان لقاء الله تعالى بمعنى ابصاره غير ممكن ان المراد بلقاء الله عز وجل الوصول الى ثوابه او الى العاقبة بان استعير اللقاء للوصول المذكور حيث شبه الوصول باللقاء ثم ذكر اللقاء واريد ذلك الوصول على الاستعارة التصريحية ووجه الشبه بين الوصول واللقاء من وصل الى ثواب الله تعالى او الى عاقبة مكثه في الدنيا من الموت والبعث والحساب والجزاء على حسب ما وعده في الدنيا وقد انكشف له الامر وتبين ما اعتقد في الدنيا من امور الآخرة وصفات الله تعالى ووحدانيته ووعده ووعيده فصار كأنه لقي الله تعالى وكلمه بهذه الاشياء ويخبرها له فان وصول الآثار المختصة بالشيء تقوم مقام الوصول الى ذات الشيء ورؤيته او صار حاله في وصوله الى عاقبة مكثه في الدنيا كحال من لقيه سيده بالبشر وطلاقة الوجه او بالسخط والعبوسة ﴿ قوله فليبادر ما يحقق امله ﴾ مبني على ما اختاره من ان المراد بلقاء الله تعالى النظر الى وجهه الكريم في الجنة ﴿ قوله او ما يستوجب به القربة ﴾ مبني على ما قيل من ان المراد بلقاء الله تعالى الوصول الى العاقبة على تمثيل حال الواصل اليه بحال من لقي سيده المطلع على احواله ﴿ قوله واذا كانت وقت اللقاء آتيا كان اللقاء كائنا لا محالة ﴾ اشارة الى جواب ما يقال وهو ان قوله من كان يرجو شرط وجزاؤه فان اجل الله لآت والمعلق بالشرط عدم عند عدم الشرط فيلزم منه ان من لا يرجو لقاء الله تعالى لا يكون اجل الله تعالى آتيا له والاجل آت لكل احد لا محالة فما وجه جعل رجاء اللقاء شرطا لاتيان الاجل والشرط لا بد ان يكون سببا للجزاء او الاخبار به ولا تظهر السببية باحد المعنيين ههنا ، ومحصول الجواب ان قوله فان اجل الله لآت ليس بجزاء بل هو قائم مقام الجزاء فان اصل الكلام من كان يرجو لقاء الله فليبادر للعمل الصالح الذي يحقق امله او الذي يستحق به القربة والرضى فان اجل الله لآت عن قريب الا انه اقيم ما هو السبب لاجل الجزاء وهو كون اجل الله آتيا عن قريب مقام ذلك الجزاء المسبب ثم علل الامر بمبادرة الاعمال الصالحة بقوله وهو السميع العليم اى وهو المجازي لجميع صالحات اعماله فان العمل الصالح لا يخرج عن ثلاثة اقسام احدها عمل القلب كالتصديق والنية الخالصة وغيرهما وهو لا يرى ولا يسمع ولا يتعلق به الا العلم وثانيها عمل اللسان وهو يسمع وثالثها عمل الاعضاء والجوارح وهو وان كان من قبيل المبصرات الا ان علمه تعالى بذلك لما لم يكن باستعانة الآلة جعل من قبيل عمل القلب واشار الى احاطة علمه به بقوله العليم وههنا لطيفة وهي ان من اتى بهذه الاعمال الصالحة جعل الله تعالى لمجموعه ما لا اذن سمعت ولم يره ما لا عين رأت ولم يخطر على قلب احد كما ذكر في الخبر الوارد في وصف الجنة ﴿ قوله على مضض الطاعة ﴾ اى على تعبها وفي الصحاح المضض وجع المصيبة يقال امضني الجرح امضاضا اذا وجعك وفيه لغة اخرى مضني الجرح لما بين الله تعالى ان التكليف والامتحان حسن واقع بين ان نفعه يعود على المكلف وانه تعالى غني عن العالمين والحصر المذكور في الآية اضافي معناه ان جهاده لا يصل منه الى الله نفع فلا يرد ان يقال كيف يستقيم الحصر المذكور مع ان جهاد المرء قد ينتفع به غيره كما ينتفع الآباء بصلاح الاولاد وينتفع من سن سنة حسنة بعمل من اتى بها ثم انه تعالى لما بين اجمالا ان من عمل صالحا فانما يعمل لنفسه فصل ذلك النفع بعض التفصيل فقال والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن والذين مبتدأ خبره جملة القسم المحذوف وجوابه اى والله لنكفرن والتكفير اذهاب السيئة بالحسنة والمعنى لنذهبن سيئاتهم حتى تصير بمنزلة ما لم تعمل والعمل الصالح عندنا كل ما امر الله تعالى فانه صار صالحا بامره ولو نهى عنه لما كان صالحا فليس الصلاح والفساد من لوازم الفعل في نفسه وقالت المعتزلة ذلك من صفات الفعل ويترتب عليه الامر والنهي فالصدق عمل صالح في نفسه ويأمر الله تعالى به كذلك فعندنا الصلاح والفساد والحسن والقبح يترتب على الامر والنهي وعندهم الامر والنهي يترتب على الحسن والقبح ﴿ قوله احسن جزاء اعمالهم ﴾ يريد ان المضاف محذوف اى احسن جزاء الذي كانوا يعملونه يعني ان العمل جزاء حسنا وجزاء احسن فهو تعالى يجزيهم الجزاء الاحسن ﴿ قوله بايتائه ﴾ اى بايتاء والديه يعني ان الباء صلة وصينا او حذف المضاف الذي هو المأمور به واقيم المضاف اليه مقامه وان حسنا منصوب على انه صفة لمفعول المصدر المحذوف اما بتقدير ذا او بجعل نفس ذلك الفعل حسنا للمبالغة لما بين الله تعالى حسن التكليف وحرض المكلف على طاعة مولاه فيما كلفه بقوله انما يجاهد لنفسه وانه يجزي باحسن جزاء اعماله حرضه على طاعة والديه لكونهما سببا بحسب الظاهر لوجوده وتربيته فقال ووصينا الانسان الى آخره ﴿ قوله وقيل هو بمعنى قال ﴾ فيكون

وقيل المراد بلقاء الله الوصول الى ثوابه او الى العاقبة من الموت والبعث والحساب والجزاء على تمثيل حاله بحال عبد قدم على سيده بعد زمان مديد وقد اطلع السيد على احواله فاما ان يلقاه ببشر لما رضي من افعاله او بسخط لما سخط منها (فان اجل الله) فان الوقت المضروب لقائه (لآت) لجاء واذا كان وقت اللقاء آتيا كان اللقاء كائنا لا محالة فليبادر ما يحقق امله ويصدق رجاءه او ما يستوجب به القربة والرضى (وهو السميع) لاقوال العباد (العليم) بعقائدهم وافعالهم (ومن جاهد) نفسه بالصبر على مضض الطاعة والكف عن الشهوات (فانما يجاهد لنفسه) لان منفعته لها (ان الله لغني عن العالمين) فلا حاجة به الى طاعتهم وانما كلف عباده رحمة عليهم ومراعاة لصلاحهم (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم) الكفر بالايمان والمعاصي بما يتبعها من الطاعات (ولنجزينهم احسن الذي كانوا يعملون) اى احسن جزاء اعمالهم والجزاء الحسن ان يجازى بحسنة حسنة واحسن الجزاء هو ان يجازى الحسنة الواحدة بالعشر وزيادة (ووصينا الانسان بوالديه حسنا) بايتائه فعلا ذا حسن او كأنه في ذاته حسن لفرط حسنه ووصى يجري مجرى امر معنى وتصرفا وقيل هو بمعنى قال

حسنا منصوبا لوقوعه موقع المصدر للفعل المحذوف الذي تعلق به قوله بوالديه او بكونه مصدرا له بحذف الزوائد على ان يكون وصينا بمعنى قلنا ﴿ قوله حسنا ﴾ منصوب على انه مفعول به لفعل مضمر هو مقول قول مقدر مفسر للتوصية ﴿ قوله اولهما ﴾ امر المخاطب من قولك اوليته معروفا اى اعطيته اياه وقال اوليته الشئ قوليه ﴿ قوله وهو اوفق لما بعده ﴾ اى تقدير فعل الامر اوفق لقوله ولا تطعهما لانه اذا كان التقدير اولهما حسنا ولا تطعهما فى الشرك اذا حملاك عليه يكون عطف الانشاء على الانشاء بخلاف ما اذا جعل وصينا بمعنى امرنا فعلى هذا يكون جملة قلنا اولهما كلاما مستأنفا كانه لما قيل وصينا الانسان بوالديه قيل ماتلك الوصية فاجيب قلنا اولهما ولا تطعهما فلذلك حسن الوقف على قوله بوالديه ﴿ قوله وقرئ حسنا ﴾ بفتحتين وهما لغتان كالبخل والبخل وقرئ احسانا كما فى قوله وبالوالدين احسانا قيل نزلت الآية فى سعد بن ابى وقاص رضى الله عنهما وامه حمنة فانه لما اسلم وكان من السابقين الاولين قالت امه ماهذا الدين الذى احدثته والله لآكل ولا اشرب حتى ترجع الى ما كنت عليه او اموت فتعير ابد الدهر ويقال لك ياقاتل امه ثم انها مكثت يوما وليلة لم تأكل ولم تشرب فجاء سعد اليها وقال لها يااماه لو كانت لك مائة نفس فخرجت نفسا نفسا ماتركت دينى فكلى واشربى وان شئت فلا تأكلى فلما ايست منه اكلت وشربت فانزل الله تعالى هذه الآية وامره بالبر لوالديه والاحسان اليهما وان لايطيعهما فى الشرك * امر الله تعالى بالاحسان الى الوالدين لكونهما سببا ظاهرا لوجود الولد بالولادة ولبقائه بالتربية المعتادة كما انه تعالى سبب حقيقى لوجوده بالارادة ولبقائه بالاعادة للسعادة الدائمة فاول مايجب على العبد ان يحسن حاله مع مولاه ثم مع من ولده ورباه فلذلك وصاه الله تعالى بعدما بين حسن التكليف ووقوعه ليتبين به صدق العبد من كذبه وان نفع المجاهدة انما يرجع اليه وانه يجزى المحسن باحسن جزاء اعماله تحريضا له على طاعة مولاه فهذا وجه اتصال الآية بما قبلها والله اعلم ﴿ قوله ولابد من اضمار القول ﴾ بعد قوله حسنا على تقدير ان يكون وصيناه بمعنى امرناه اى امرناه بكذا وقلنا ان جاهداك ليكون المعطوف جملة خبرية كالمعطوف عليه ولا يلزم عطف الانشاء على الاخبار ومن هذا يعلم ان الجملة الشرطية انما تكون خبرية اذا لم يكن جزاؤها انشاء وقوله ان لم يضمر قيل يدل على انه لابد من اضمار القول على تقدير ان يكون وصى بمعنى قال وليس كذلك لان الجملة الشرطية الانشائية حينئذ تكون معطوفة على الانشائية المقدرة الناصبة لقوله حسنا ﴿ قوله من الضحى ﴾ وهو الموضع الذى يقع عليه ضوء الشمس وفى الحديث * لايقعد احدكم بين الضحى والظل فانه مقعد الشيطان ﴿ قوله تعالى والذين امنوا ﴾ يجوز ان يكون فى محل الرفع على الابتداء او فى محل النصب على الاشتغال قيل الفائدة فى اعادة الذين آمنوا وعملوا الصالحات ان ذكرهم اولا لبيان حال المهتدين وثانيا لبيان حال الهادين ويدل عليه انه تعالى قال اولا لنكفرن عنهم سيئاتهم وقال ثانيا لندخلنهم فى الصالحين والمراد بهم الهداة لكون الصلاح الحسن منصب الانبياء عليهم السلام ولهذا قال ابراهيم عليه السلام والحقنى فى الصالحين هذا ماقيل والظاهر ان الاول ذكر لتقرير قوله فانما يجاهد لنفسه والثانى ذكر تحريضا للانسان على قبول ماوصى به وحاصل الاول وعد وتحريض على طاعة المولى فيما كلف به والثانى وعد وتحريض على طاعة الوالدين فى غير المعصية * ثم ان المكلفين ثلاثة اقسام مؤمن ظاهر بحسن اعتقاده * وكافر مجاهر بكفره وعناده * ومذبذب بينهما يظهر الايمان بلسانه ويضمر الكفر فى فؤاده * فالله تعالى لما ذكر القسمين بقوله فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين وبين احوالهما بقوله ام حسب الذين يعملون السيئات الى قوله والذين آمنوا وعملوا الصالحات ذكر القسم الثالث فقال ومن الناس من يقول آمنا بالله ﴿ قوله ليقولن ﴾ قراءة العامة بضم اللام على اسناد الفعل الى ضمير الجمع حملا على معنى من بعد ان حمل على لفظها فى ثلاثة الفاظ وتؤيد هذه القراءة قوله انا كنا وقرئ ليقولن بفتح اللام حملا على لفظ من كما عليه حمل سابقا فى مواضع فالله حكى الله تعالى قولهم وكذبهم بقوله اوليس الله باعلم بما فى صدور العالمين ذكر مايكون وعدا فى حق احد الفريقين ووعيدا فى حق الآخر فقال وليعلمن الله الذين آمنوا الى آخره ﴿ قوله وانما امروا انفسهم بالحمل ﴾ والحال ان الآمر غير المأمور وامر الشخص نفسه غير معقول والحاصل ان قوله ولنحمل وان كان على لفظ الامر الا ان مراد الكفار تعليق حمل خطايا المؤمنين باتباعهم سبيل الكفر فكان الاصل ان يقال اتبعوا سبيلنا نحمل خطاياكم على معنى ان اتبعتم سبيلنا نحمل خطاياكم الا انه عدل عنه الى ماعليه النظم ليفيد المبالغة فى تعليق حمل الخطايا بالاتباع وفى الوعد

(بتخفيف)

اى وقلناله احسن بوالديك حسنا وقيل حسنا منتصب بفعل مضمر على تقدير قول مفسر للتوصية اى قلنا اولهما او افعل بهما حسنا وهو اوفق لما بعده وعليه يحسن الوقف على بوالديه وقرئ حسنا واحسانا (وان جاهداك لتشرك بى ماليس لك به علم) بالهيته عبر عن نفيها بنفى العلم بها اشعارا بان ما لايعلم صحته لايجوز اتباعه وان لم يعلم بطلانه فضلا عما علم بطلانه (فلا تطعهما) فى ذلك فانه لاطاعة لمخلوق فى معصية الخالق ولابد من اضمار القول ان لم يضمر قبل (الى مرجعكم) مرجع من آمن منكم ومن اشرك ومن بر بوالديه ومن عق (فانبئكم بما كنتم تعملون) بالجزاء عليه والآية نزلت فى سعد بن ابى وقاص وامه حمنة فانها لما سمعت باسلامه حلفت ان لاتنتقل من الضحى ولا تطعم ولا تشرب حتى يرتد ولبثت ثلاثة ايام كذلك وكذا التى فى لقمان والاحقاف (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم فى الصالحين) فى جملتهم والكمال فى الصلاح منتهى درجات المؤمنين ومتمنى انبياء الله المرسلين او فى مدخلهم وهى الجنة (ومن الناس من يقول آمنا بالله فاذا اوذى فى الله) بان عذبهم الكفرة على الايمان (جعل فتنة الناس) مايصيبهم من اذيتهم فى الصرف عن الايمان (كعذاب الله) فى الصرف عن الكفر (ولئن جاء نصر من ربك) فتح وغنيمة (ليقولن انا كنا معكم) فى الدين فاشركونا فيه والمراد المنافقون او قوم ضعف ايمانهم فارتدوا من اذى المشركين ويؤيد الاول (اوليس الله باعلم بما فى صدور العالمين) من الاخلاص والنفاق (وليعلمن الله الذين آمنوا) بقلوبهم (وليعلمن المنافقين) فيجازى الفريقين (وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا) الذى نسلكه فى ديننا (ولنحمل خطاياكم) ان كان ذلك خطيئة او ان كان بعث ومؤاخذة وانما امروا انفسهم بالحمل عاطفين على امرهم بالاتباع مبالغة فى تعليق الحمل بالاتباع والوعد بتخفيف الاوزار عنهم ان كانت ثمة تشجيعا لهم عليه

وبهذا الاعتبار ردّ عليهم وكذبهم بقوله ﴿ ٧ ﴾ (وماهم بحاملين من خطاياهم من شئ انهم لكاذبون) من الاولى للتبيين والثانية مزيدة والتقدير وماهم بحاملين شيأ من خطاياهم (وليحملن اثقالهم) اثقال مااقترفته انفسهم (واثقالا مع اثقالهم) واثقالا اخر معها لما تسببوا له بالاضلال والحمل على المعاصى من غيران ينقص من اثقال من تبعهم شئ (وليسألن يوم القيامة) سؤال تقريع وتبكيت (عما كانوا يفترون) من الاباطيل التى اضلوابها (ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فلبث فيهم الف سنة الا خمسين عاما) بعد المبعث اذ روى انه بعث على رأس اربعين ودعاقومه تسعمائة وخمسين وعاش بعد الطوفان ستين ولعل اختيار هذه العبارة للدلالة على كمال العدد فان تسعمائة وخمسين قد يطلق على مايقرب منه ولما فى ذكر الالف من تخييل طول المدة الى السامع فان المقصود من القصة تسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم وتثبيته على مايكابده من الكفرة واختلاف المميزين لما فى التكرار من البشاعة (فاخذهم الطوفان) طوفان الماء وهو لما طاف بكثرة من سيل او ظلام او نحوهما (وهم ظالمون) بالكفر (فانجيناه) اى نوحا (واصحاب السفينة) ومن اركبه معه من اولاده واتباعه وكانوا ثمانين وقيل ثمانية وسبعين وقيل عشرة نصفهم ذكور ونصفهم اناث (وجعلناها) اى السفينة او الحادثة (آية للعالمين) يتعظون ويستدلون بها (وابراهيم) عطف على نوحا او نصب باضمار اذكر وقرئ بالرفع على تقدير ومن المرسلين ابراهيم (اذ قال لقومه اعبدوا الله) ظرف لارسلنا اى ارسلناه حين كمل عقله وتم نظره بحيث عرف الحق وامر الناس به اوبدل منه بدل الاشتمال ان قدر باذكر (واتقوه ذلكم خيرلكم) مما انتم عليه (ان كنتم تعلمون) الخير والشر وتميزون ماهو شر عماهو خير او كنتم تنظرون فى الامور بنظر العلم دون نظر الجهل (انما تعبدون من دون الله اوثانا وتخلقون افكا) وتكذبون كذبا فى تسميتها آلهة وادعاء شفاعتها عندالله اوتعملونها وتنحتونها وهو استدلال على شرارة ماهم عليه من حيث انه زور وباطل وقرئ تخلقون من خلق للتكثير وتخلقون من تخلق للتكلف وافكا على انه مصدر

بتخفيف الاوزار عنهم حيث ابرز الكلام فى صورة امر انفسهم ولاشك انه يدل على المبالغة فى الالتزام ﴿قوله وبهذا الاعتبار﴾ اى وباعتبار كون المراد تعليق الحمل بالاتباع توجه عليهم الرد والتكذيب اذلو كان المراد حقيقة الامر لما توجه عليهم ذلك لان التصديق والتكذيب انما يتوجهان على الخبر دون الانشاء وقد كذبهم الله تعالى بقوله وماهم بحاملين من خطاياهم الى آخره مع ان الخبر عن الاخفاء بالمضمون لايوجب الكذب على تشبيه حالهم بحال الكاذبين من حيث انهم ضمنوا بمالايصح الضمان به كما ان الكاذب اخبر بمالايصح الاخبار به ﴿قوله من الاولى للتبيين والثانية زآئدة﴾ يعنى ان قوله من شئ مفعول لقوله حاملين ومن خطاياهم حال من شئ لانه لما تقدم عليه انتصب حالا والتقدير وماهم بحاملين شيأ من خطاياهم وهو المراد بقوله من الاولى للتبيين ﴿قوله من غيران ينقص من اثقال من تبعهم شئ﴾ اشارة الى جواب مايقال انه تعالى نفى الحمل اوّلا حيث قال وماهم بحاملين من خطاياهم من شئ ثم انه اثبته ثانيا حيث قال وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم فما وجه الجمع بينهما وتلخيص الجواب انه ليس فيه اثبات مانفى اوّلا لانهم لايحملون من اوزار اتباعهم شيأ لانه اذاحمل احدعن آخر شيأ لزم ان يخف حمل الآخر فاذا لم يخف حمله فلايكون قد حمل عنه شيأ بل يحملون اثقال مااقترفوه بانفسهم واثقالا اخر بسبب اثقال غيرهم لقوله عليه الصلاة والسلام من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة من غير ان ينقص من وزره شئ ونظيره قوله تعالى ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيامة ومن اوزار الذين يضلونهم بغير علم ﴿قوله من الاباطيل التى اضلوا بها﴾ قيل تلك الاباطيل التى افتروابها يحتمل ثلاثة اوجه احدها ان قوله ولنحمل خطاياكم مبنى على اعتقادهم ان لاخطيئة فى الكفر والارتداد ثم يوم القيامة يظهر لهم خلاف ذلك فيسألون عن ذلك الافتراء وثانيها ان قولهم ولنحمل خطاياكم مبنى على اعتقادهم ان لاحشر فاذا جاء يوم القيامة ظهر خلاف ذلك فيسألون ويقال لهم اماقلتم ان لاحشر وثالثها انهم لما قالوا ولنحمل خطاياكم يوم القيامة يقال لهم فاحملوا خطاياهم فلايحملون فيسألون بان يقال لهم لم افتريتم ﴿قوله بعد البعث﴾ اى وقبل الطوفان ﴿قوله ولعل اختيار هذه العبارة﴾ مع ان الظاهر ان يقال فلبث فيهم تسعمائة وخمسين سنة للدلالة على كمال القدرة فانه لوقال تسعمائة وخمسين لاحتمل ان يكون الكلام على المجاز بان يراد بالعدد المذكور مايقرب منه تنزيلا وبجعل الاكثر بمنزلة الاقل فلما عدل الى ماعليه النظم لم يتوهم ذلك لان الاستثناء انما يذكر فى العدد لتكميل العدد وبيان ان المراد كله ﴿قوله واختلاف المميزين﴾ حيث ميز العدد اوّلا بالسنة وثانيا بالعام ثم انه خص لفظ العام بالخمسين ايذانا بان نبى الله عليه الصلاة والسلام لما استراح من قومه بالاغراق طاب زمانه وصفاعيشه فان العرب تعبر عن الخصب بالعام وعن الجدب بالسنة ﴿قوله اى السفينة او الحادثة﴾ قيل كانت السفينة آية من وجوه احدها انها اتخذت قبل ظهور الماء ولولا ان الله تعالى انبأ نوحا بانه سيكون وبطريق النجاة بفضل الله تعالى منه لما اشتغل باتخاذها فلاتحصل لهم النجاة وثانيها ان نوحا امر باخذ قوم معه ورفع قدر من القوت والبحر العظيم لايتوقع احد نضوبه ثم ان الماء غيض قبل نفاد الزاد فلولا ذلك لما حصلت النجاة فهو بفضل الله تعالى لابمجرد السفينة وثالثها ان الله تعالى كتب سلامة السفينة من الرياح المزعجة والحيوانات المؤذية ولولا ذلك لما حصلت النجاة ﴿قوله اى ارسلناه حين كمل عقله﴾ كأنه جواب عمايقال كيف يكون ظرفا لارسلنا والارسال يكون قبل الدعوة فكيف يجوز ان يقال ارسلنا ابراهيم حين دعاقومه الى عبادة الله تعالى وهو مرسل قبله وحاصل الجواب ليس المراد بالامر بعبادة الله تعالى مايكون نتيجة الارسال بل مايكون نتيجة لكمال العقل وهو معرفة الحق ولم يكن الارسال قبل ذلك ﴿قوله ان قدر باذكر﴾ ولايجوز ان يكون بدلا منه على تقدير كونه معمول ارسلنا والالزم ان يكون الوقت مرسلا ﴿قوله او كنتم تنظرون فى الامور بنظر العلم﴾ اى بنظر البصيرة المؤدى الى العلم فقوله تعالى تعلمون على هذا الوجه بمعنى تنظرون وتتفكرون فان النظر سبب للعلم مستلزم له فاطلق اللازم واريد الملزوم على سبيل الكناية وجواب الشرط محذوف على الوجهين اى علمتم انه خيرلكم ﴿قوله وتكذبون كذبا﴾ لان خلق الكلام اختلاقه من عندنفسه من غيران يقصد الحكاية عن الواقع فيكون تخلقون بمعنى تكذبون فيكون انتصاب افكا على المصدرية وان كان الخلق بمعنى العمل والانشاء بمعنى وتعملون الاوثان يكون افكا مفعولا له وقرأ العامة تخلقون بضم التاء وكسر اللام المشددة مضارع خلق بالتضعيف للتكثير وقرئ تخلقون بفتح التاء والخاء واللام المشددة مضارع تخلق للتكلف والاصل تتخلقون بتاءين فحذفت احداهما يقال تخلق وتكذب اذا افتعل الكذب بالتكلف وقرئ

كالكذب او نعت بمعنى خلقا ذا افك (ان الذين تعبدون من دون الله لايملكون لكم رزقا) دليل ثان على شرارة ذلك من حيث انه لايجدى بطائل ورزقا يحتمل المصدر بمعنى لايستطيعون ان يرزقوكم وان يراد المرزوق وتنكيره للتعميم (فابتغوا عندالله الرزق) كله فانه المالك له (واعبدوه واشكروا له) متوسلين الى مطالبكم بعبادته مقيدين لما حفكم من النعم بشكره او مستعدين للقائه بهما فانه (اليه ترجعون) وقرئ بفتح التاء (وان تكذبوا) وان تكذبونى (فقد كذب امم من قبلكم) من قبلى من الرسل فلم يضرهم تكذيبهم وانما ضر انفسهم حيث تسبب لما حل بهم من العذاب فكذا تكذيبكم (وما على الرسول الا البلاغ المبين) الذى زال معه الشك وما عليه ان يصدق ولا يكذب فالآية وما بعدها من جملة قصة ابراهيم الى قوله فما كان جواب قومه ويحتمل ان يكون اعتراضا بذكر شأن النبى صلى الله عليه وسلم وقريش وهدم مذهبهم والوعيد على سوء صنيعهم توسط بين طرفى قصته من حيث ان مساقها لتسلية الرسول عليه الصلاة والسلام والتنفيس عنه بان اباه خليل الله كان ممنوا بنحو ما منى به من شرك القوم وتكذيبهم وتشبيه حاله فيهم بحال ابراهيم فى قومه (اولم يروا كيف يبدئ الله الخلق) من مادة وغيرها وقرأ حمزة والكسائى وابوبكر بالتاء على تقدير القول وقرئ يبدأ (ثم يعيده) اخبار بالاعادة بعد بالموت معطوف على اولم يروا لاعلى يبدئ فان الرؤية غير واقعة عليه ويجوز ان يأول الاعادة بان ينشئ فى كل سنة مثل ما كان فى السنة السابقة من النبات والثمار ونحوهما ويعطف على يبدئ (ان ذلك) الاشارة الى الاعادة او الى ماذكر من الامرين (على الله يسير) اذ لايفتقر فى فعله الى شئ (قل سيروا فى الارض) حكاية كلام الله لابراهيم او محمد عليهما السلام (فانظروا كيف بدأ الخلق) على اختلاف الاجناس والاحوال (ثم الله ينشئ النشأة الآخرة) بعد النشأة الاولى التى هى الابداء فانه والاعادة نشأتان من حيث ان كلا اختراع واخراج من العدم

افكا بفتح الهمزة وكسر الفاء وهو اما مصدر كالكذب لفظا ومعنى اى تكذبون كذبا او صفة لمصدر محذوف اى خلقا وعملا ذا افك ﴿ قوله وتنكيره للتعميم ﴾ فان النكرة فى سياق النفى تفيد العموم اى لايملكون شيأ من الرزق ثم عرف باللام الاستغراقية لتفيد ان الرزق كله لله تعالى ﴿ قوله وان تكذبونى ﴾ اشارة الى ان المخاطب بقوله وان تكذبوا هو قوم ابراهيم عليه السلام فان هذه الآية الى قوله فما كان جواب قومه من جملة ماقاله ابراهيم عليه السلام لقومه ثم جوز ان يكون خطابا لقوم محمد عليه الصلاة والسلام والمعنى ان تكذبوه يامعشر قريش فقد كذب قبلكم اقوام هلكوا بسبب التكذيب فكيف لاتخافون ان يقع بكم ماوقع بمن قبلكم من المكذبين فتكون هذه الجملة معترضة فى اثناء قصة ابراهيم عليه السلام والجملة الاعتراضية لابدلها ان تتصل بطرفيها فبين وجه الاتصال ههنا بقوله من حيث ان سياق قصة ابراهيم لتسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى ابراهيم خليله وعلى آلهما اجمعين كأنه قيل انكم يامعشر قريش ان كذبتم محمدا فقد كذب ابراهيم قومه وكذا سائر الانبياء كذبهم اممهم ولم يضر تكذيب احدمنهم نبيه لان الرسل انما ارسلوا لازاحة عذر قومهم ولايجب عليهم ان يصدقوا اممهم لانهم لايكلفون بفعل غيرهم ﴿ قوله كان ممنوا ﴾ اى مبتلى يقال منوته ومنيته اذا ابتليته • فان قيل كيف تكون هذه الآية من جملة ماقاله ابراهيم لقومه مع ان قوله فقد كذب امم من قبلكم يأبى ان يكون من قصة ابراهيم عليه السلام لان قوم ابراهيم لم يسبقهم الاقوم نوح وهم امة واحدة • قلنا ان نوحا عليه السلام بعث الى جميع بنى آدم ولاشك انهم طوائف شتى وايضا كان قبل نوح اقوام اخر كقوم ادريس وقوم شيث وآدم عليه السلام ولا يبعد ان يكون فى اقوامهم من كذب نبيه ولقد عاش ادريس عليه السلام فى قومه الف سنة الى ان رفع الى السماء وآمن به الف انسان بعدد سنيه واعقابهم على التكذيب ﴿ قوله وقرأ حمزة والكسائى وابوبكر بالتاء ﴾ على الخطاب لقوم ابراهيم بتقدير القول اى قال ابراهيم لقومه اولم تروا ولم يتعرض لاحتمال ان يكون خطابا من الله لاهل مكة ولايكون محكيا بتقدير القول وقرأ الباقون بياء الغيبة ردا على الامم المكذبة وقرأ الجمهور يبدئ بضم الياء من ابدى وقرئ يبدأ مضارع بدأ ﴿ قوله معطوف على اولم يروا ﴾ فان قلت اوليس هذا من عطف الخبر على الانشاء • اجيب بان الاستفهام فيه لما كان للانكار وتقدير الرؤية كان اخبارا من حيث المعنى اى قد رأوا ذلك وعلموه فان الرؤية غير واقعة عليه • فان قلت الابداء كذلك لانه كان قبل وجود الامم • قلنا اللام فى الخلق للجنس وابدآء بعض الخلق مرئى وذلك يكفى فى صحة رؤية ابداء الجنس • فان قيل علق الرؤية بالكيفية لابنفس الخلق حيث قال اولم يروا كيف يبدئ ولم يقل اولم يروا كيف خلق او بدأ الخلق والكيفية غير معلومة • والجواب ان هذا القدر من الكيفية معلوم وهو انه خلقه ولم يكن شيأ مذكورا وانه خلقه من نطفة هى مخلوقة من غذاء متكون من ماء وتراب وهذا القدر كاف فى حصول العلم بامكان الاعادة استدلالا بالابدآء وقد تقرر ان امهات علوم القرآن ثلاثة التوحيد والرسالة والحشر ولما بين الاصل الاول وهو التوحيد واشار الى الاصل الثانى وهو الرسالة بقوله وما على الرسول الا البلاغ المبين شرع فى بيان الاصل الثالث وهو الحشر وقد جرت العادة الالهية فى كلامه المجيد على ان لايفصل بعض هذه الاصول عن بعض وفى اى موضع جرى ذكر اثنين منها يذكر الثالث معهما فلذلك ذكر الاعادة استدلالا عليها بالابدآء فقال اولم يروا كيف يبدئ الله الخلق الآية ﴿ قوله حكاية كلام الله تعالى ﴾ وليس من مقالة ابراهيم عليه السلام لقومه من عند نفسه على تقدير ان تكون الآيات المذكورة من قوله وان تكذبوا الى قوله فما كان جواب قومه من قصة ابراهيم عليه السلام ولا من مقالة سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم من عند نفسه على تقدير كونها معترضة واقعة فى اثنات قصة ابراهيم عليه السلام تذكيرا وانذارا لقريش اذ لاوجه لهما ان يقولا من انفسهما قل سيروا فى الارض بل الظاهر انه كلام احدهما لقومه على حكاية كلام الله تعالى لهم ومقصود المصنف من هذا الكلام ان يجيب عما يقال كيف يكون هذا من كلام احدهما ولايصح لواحد منهما ان يقول ذلك محصول الجواب انه لايصح ان يقوله من عند نفسه الا انه يصح ان يقوله على حكاية كلام الله تعالى حكاه ابراهيم او محمد عليهما الصلاة والسلام لقومه اى قال الله قل لهم وقد يحكى رسولنا كلام الله تعالى على هذا المنهاج والمعنى قل لمنكرى البعث سيروا فى الارض شاهدوا كيف انشأ الله تعالى جميع الكائنات بدءا ومن قدر على انشائها بدءا اما يقدر على اعادتها كما قال ابراهيم لقومه اليه ترجعون ثم قال لهم وان تكذبونى فيما اخبرتكم به من البعث والجزآء فلا على فى تكذيبكم ثم التفت عن خطابهم وقال على طريق

التعجب من جهالة منكرى البعث اولم يروا منكروا البعث ما يدل على صحته وهو انه تعالى انشأ الكائنات بامرها على وجه الابتداء ثم اخبر بانه يعيدهم لامحالة امره الله بان يحتج على هؤلاء المنكرين بما ذكره من الدليل فقال له قل سيروا هذا على تقدير كون الآيات المذكورة من قصة ابراهيم عليه السلام وقس عليه كونها معترضة فى اثناء قصته ﴿قوله والقياس الاقتصار عليه﴾ اى على الاضمار لانه ابرز اسم الله تعالى فى قوله كيف يبدئ الله الخلق كان المناسب ان يضمر بعده اعادة كما اضمر فى قوله ثم يعيده وفى قوله كيف بدأ الخلق ﴿قوله الدلالة على ان المقصود بيان الاعادة﴾ ووجه دلالة الافصاح عليه انه اذا ابرز اسم الله تعالى وجعل مبتدأ يكون الكلام جملة اسمية مفيدة للثبوت والتأكيد بخلاف ما اذا اضمر وقيل ثم ينشئ مع ان ابراز الاسم الجامع يدل على اعادة جميع الاوصاف المعتبرة فى الابتداء من العلم والقدرة والحكمة والارادة فهو كاسم الاشارة فى افادة هذا المعنى فكان بناء الحكم على الاسم الظاهر بمنزلة بنائه عليه ﴿قوله والكلام فى العطف ما مر﴾ فكما ان قوله ثم يعيده ليس بمعطوف على قوله يبدئ الله لكون الرؤية غير واقعة على الاعادة كما وقعت على الابتداء بل هو معطوف على جملة قوله اولم يروا كيف يبدئ الله الخلق فكذا قوله تعالى ثم الله ينشئ ليس بمعطوف على قوله بدأ الخلق لكون النظر غير واقع على الانشاء الثانى بل هو معطوف على جملة سيروا فى الارض فانظروا كيف بدأ الخلق وكل واحد من المعطوف والمعطوف عليه داخل فى حيز القول ﴿قوله وقرئ النشاءة﴾ بالمد قرأها ابن كثير وابو عمرو والباقون بالقصر وسكون الشين وهما لغتان كالرأفة والرآفة وانتصاب النشأة على انه مصدر محذوف الزوائد والاصل الانشاء او على حذف العامل اى ينشئ فتنشؤن النشأة وفى الصحاح انشأه الله اى خلقه والاسم النشأة والنشاءة بالمد ثم انه تعالى لما ذكر النشأة الآخرة الواقعة بعد الموت ذكر ما يكون فيها وهو تعذيب اهل التكذيب والمعصية عدلا وحكمة واثابة اهل الانابة فضلا ورحمة فقال يعذب من يشاء ويرحم من يشاء ثم قال واليه تقلبون مع ان هذه المسئلة قد سبق اثباتها وتقريرها تقريرا لامر المجازاة كأنه قيل ان تأخر عنكم جزاء اعمالكم فلا تظنوا انه فات فان اليه ايابكم وعليه حسابكم وعنده مدخر ثوابكم وعقابكم ثم قال وما انتم بمعجزين من اراد تعذيبكم وتنفيذ قضائه فيكم بالهرب منه فى الارض ولا فى السماء والخطاب لبنى آدم وهم من اهل الارض وليس فى وسعهم الهرب فى السماء والمقصود بيان امتناع الفوات على جميع التقادير ممكنا كان او مستحيلا هذا ان حمل الارض على الغبراء والسماء على الخضراء ويجوز ان يراد بهما جهة السفل وجهة العلو والمهاوى جمع مهوى وهو ما بين الجبلين ونحو ذلك وقيل هو ما بين الشيئين المتنصبين حتى يقال لبعد ما بين المنكبين مهوى والقلاع جمع قلعة بسكون اللام وهى الحصن على الجبل ﴿قوله وقيل ولا من فى السماء﴾ ان عصوا فالكلام على هذا محمول على حذف الموصول الاسمى وبقاء صلته فيكون الموصول المحذوف معطوفا على انتم اى ما انتم بمعجزين فى الارض ولا من فى السماء بمعجزين ان عصوا كقول حسان بن ثابت رضى الله عنه شعر

◦ أمن يهجو رسول الله منكم ◦ ويمدحه وينصره سواء ◦

اراد ومن يمدحه وينصره مساو لمن يهجوه فاضمر من لانه لولا ذلك لكان يمدحه عطفا على يهجو فكان داخلا فى حيز صلة من يهجو فكان الهاجى والمادح شخصا واحدا فيختل المعنى ولا يصح قوله سواء لان الاستواء انما يكون بين اثنين قيل ان ابا سفيان بن حرب هجا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجاب عنه حسان بن ثابت رضى الله عنه بقصيدة هذا البيت فيها ولما انتهى الى قوله

◦ هجوت محمدا فاجبت عنه ◦ وعند الله فى ذاك الجزاء ◦

قال له النبى صلى الله عليه وسلم جزاك الله الجنة ۰ ولما بلغ الى قوله

◦ فان ابى ووالدتى وعرضى ◦ لعرض محمد منكم وقاء ◦

قال له النبى صلى الله عليه وسلم وقاك الله حر النار ۰ ثم لما بلغ الى قوله

◦ اتهجوه ولست له بكفؤ ◦ فشركما لخيركما فداء ◦

قال من حضر هذا انصف بيت قالته العرب ۰ وفيها

◦ هجوت مطهرا برا حنيفا ◦ امين الله شيمته الوفاء ◦

﴿قوله اى ييئسون منها يوم القيامة﴾ جواب عما يقال اليأس من الشئ مسبوق برجائه وتصوره ومن كفر

والافصاح باسم الله مع ايقاعه مبتدأ بعد اضماره فى بدأ والقياس الاقتصار عليه للدلالة على ان المقصود بيان الاعادة وان من عرف بالقدرة على الابداء ينبغى ان يحكم له بالقدرة على الاعادة لانها اهون والكلام فى العطف ما مر وقرئ النشاءة كالرآفة (ان الله على كل شئ قدير) لان قدرته لذاته ونسبة ذاته الى كل الممكنات على سواء فيقدر على النشأة الاخرى كما قدر على النشأة الاولى (يعذب من يشاء) تعذيبه (ويرحم من يشاء) رحمته (واليه تقلبون) تردون (وما انتم بمعجزين) ربكم عن ادراككم (فى الارض ولا فى السماء) ان فررتم من قضائه بالتوارى فى الارض او الهبوط فى مهاويها والتحصن فى السماء او القلاع الذاهبة فيها وقيل ولا من فى السماء كقول حسان ۰ امن يهجو رسول الله منكم ۰ ويمدحه وينصره سواء ۰ (وما لكم من دون الله من ولى ولا نصير) يحرسكم من بلاء يظهر من الارض او ينزل من السماء ويدفعه عنكم (والذين كفروا بآيات الله) بدلائل وحدانيته او بكتبه (ولقائه) بالبعث (اولئك يئسوا من رحمتى) اى ييئسون منها يوم القيامة فعبر عنه بالماضى للتحقق والمبالغة او ايسوا فى الدنيا لانكار البعث والجزاء (واولئك لهم عذاب اليم) بكفرهم

بالله تعالى وبالبعث والجزآء لا يرجو ولا يتصور رحمة الله لانه لا يتصور يوم البعث واللقاء فضلا عن ان يتصور رحمته تعالى عند لقائه فكيف يصح الحكم عليه بانه يئس من رحمته * وتقرير الجواب الاول انه ليس المراد انهم يئسوا في الدنيا ليلزم ما قلت بل هو كناية عن الوعيد والمعنى انه يحصل اليأس من رحمة الله تعالى يوم القيامة والتعبير بلفظ الماضي لتحقق وقوعه * وتقرير الجواب الثاني ان اليأس من رحمته تعالى عبارة عن عدم رجائها على طريق ذكر الملزوم وارادة اللازم والكفار آيسون من رحمته تعالى في الدنيا بمعنى انهم لا يرجونها لانهم لما انكروا البعث والجزآء امتنع منهم ان يرجوا الرحمة الواقعة يوم البعث ﴿ قوله وقرئ بالرفع ﴾ لان جواب قومه معرفة فيصح كونه اسم كان الا ان الجمهور نصبوه على انه خبر كان قدم على اسمها لان قوله ان قالوا في تأويل المصدر المضاف الى الضمير فيكون اعرف من جواب قومه لان المضاف الى الضمير اعرف من المضاف الى المضاف الى الضمير واعرف الاسمين اولى ان يكون اسم كان ﴿ قوله وكان ذلك قول بعضهم ﴾ جواب عما يقال قوله الا ان قالوا اقتلوه يستلزم ان يكون الآمر نفس المأمور لان ضمير قالوا عبارة عن قوم ابراهيم وكذا الضمير المرفوع في اقتلوه ولا وجه لكون القوم آمرين لانفسهم بقتله * وتقرير الجواب ان الآمرين هم الاكابر والرؤساء والمأمورين هم الاتباع والاعوان فليس هنا اتحاد الآمر والمأمور الا انه اسند امر الاكابر الى الكل تنزيلا لرضى الاتباع بذلك منزلة الامر فقيل فما كان جواب قومه الا ان قالوا موضع ان يقال فما كان جواب الاكابر الا ان قالوا وكلمة او في قولهم او حرقوه ليست للعناد لانه لا يصح ان يقال وان لم تقتلوه فحرقوه لكون التحريق مشتملا على القتل غير مناف له فيكون قولهم اقتلوه او حرقوه مثل ان يقال هذا حيوان او انسان ولا معنى له بل هي بمعنى بل كما في قولك اعطه دينارا او دينارين كأنه قيل اقتلوه بل زيدوا على القتل وحرقوه والفاء في قوله فانجاه الله من النار فصيحة اشار اليه المصنف بقوله اى فقذفوه في النار فانجاه الله منها وبين كيفية الانجاء بقوله بان جعلها عليه بردا وسلاما * فان قيل الحرارة للنار صفة لازمة ذاتية كالزوجية للاربعة فكيف يمكن ان تفارقها * فالجواب انا لا نسلم ان الحرارة مقتضى ذات النار بل انما هي بارادة الفاعل المختار فجاز ان يزيل عنها تلك الكيفية فيبقى نورا محضا لا احراق لها كما ان الماء له كيفية البرودة لكن قد تزول عنه البرودة ويبقى ماء بلا برودة فكذلك النار يجوز ان يزول عنها الاحراق وتبقى نورا غير محرق وقيل كيفية انجائه منها انه تعالى خلق في ابراهيم كيفية استبرد معها النار وقال بعضهم ترك ابراهيم على ما هو عليه وترك النار على ما كانت عليه ومنع اذى النار عنه والكل ممكن والله تعالى قادر عليه والبعد بحسب العادة لا ينافي الوقوع لانه معجز والمعجز لا بد ان يكون خارقا للعادة الا ان قوله تعالى قلنا يا نار كوني بردا وسلاما يؤيد ما ذكره المصنف حتى روى انه لم ينتفع بالنار احد يوم القى ابراهيم في النار لذهاب حرها ثم انه تعالى قال في حق سفينة نوح عليه السلام وجعلناها آية وقال في انجاء ابراهيم عليه السلام ان في ذلك لآيات لان الانجاء بالسفينة شئ تسع له العقول ولم يكن فيها من الآيات الا انه تعالى اعلمه باتخاذها لوقت الحاجة فانه لولاه لما اتخذها لعدم علمه بالغيب واما الانجاء من النار ففيه آيات ذكرها المصنف وقال تعالى في حق السفينة آية للعالمين وقال ههنا آيات لقوم يؤمنون لان السفينة بقيت اعواما ومر عليها طوآئف الناس ورأوها فحصل العلم بها لكل احد بخلاف تبريد النار فانه لم يبق فلم يظهر لمن بعده الا بطريق الايمان به بالفحص عنه والتأمل فيه ﴿ قوله اى لتتوادوا بينكم ﴾ اشارة الى ان مودة منصوب على انه مفعول له للاتخاذ فتكون ما كافة واوثانا مفعول اول لاتخذتم ومفعول الثاني محذوف ومن دون الله حال من فاعل اتخذتم والمعنى انما اتخذتم اوثانا آلهة من دون الله لتكون سبب التوادّ بينكم لاجتماعكم على عبادتها واتفاقكم عليها كما يتفق الناس على مذهب ويجعلون ذلك سبب تحابهم وتصادقهم ﴿ قوله ويجوز ان يكون مودة المفعول الثاني ﴾ معطوف من حيث المعنى على قوله اى لتتوادوا فانه في معنى انها مفعول له والمعنى انما اتخذتم اوثانا سبب المودة بينكم او مودودة بينكم من دون الله عز وجل ﴿ قوله والوجه ما سبق ﴾ اى وجه انتصاب مودة كونها مفعولا له او مفعولا ثانيا بتقدير المضاف او بتأويلها بمودودة وبينكم حينئذ يكون منصوبا على الظرفية فان من اضاف مودة جعل بينكم اسما لا ظرفا ومن نوّن مودة منصوبة او مرفوعة جعل بينكم ظرفا للمودة ومن قرأ مودة بالرفع فلا يخلو اما ان يجعل ما كافة اولا فان جعلها كافة رفع مودة على انه خبر مبتدأ محذوف اى هي مودة بينكم او سبب مودة بينكم وان جعلها موصولة بمعنى الذى منصوبة المحل على

(فما كان جواب قومه) قوم ابراهيم له وقرئ بالرفع على انه الاسم والخبر (الا ان قالوا اقتلوه او حرقوه) وكان ذلك قول بعضهم لكن لما قيل فيهم اورضي به الباقون اسند الى كلهم (فانجاه الله من النار) اى فقذفوه في النار فانجاه الله منها بان جعلها عليه بردا وسلاما (ان في ذلك) في انجائه منها (لآيات) هي حفظه من اذى النار واخمادها مع عظمها في زمان يسير وانشاء روض مكانها (لقوم يؤمنون) لانهم المنتفعون بالفحص عنها والتأمل فيها (وقال انما اتخذتم من دون الله اوثانا مودة بينكم في الحيوة الدنيا) اى لتتوادوا بينكم وتتواصلوا لاجتماعكم على عبادتها وثاني مفعولي اتخذتم محذوف ويجوز ان يكون مودة المفعول الثاني بتقدير مضاف او بتأويلها بالمودودة اى اتخذتم اوثانا سبب المودة بينكم وقرأها نافع وابن عامر وابو بكر منوّنة ناصبة بينكم والوجه ما سبق وابن كثير وابو عمرو والكسائي ورويس مرفوعة مضافة على انه خبر مبتدأ محذوف اى هي مودودة او سبب مودة بينكم والجملة صفة اوثانا او خبر ان على ان ما مصدرية او موصولة والعائد محذوف وهو المفعول الاول

(انها)

انها اسم ان و اتخذتم صلتها بحذف العائد الذى هو مفعول اوّل لاتخذتم و اوثانا مفعوله الثانى جعل مودّة خبر ان والتقدير ان الذى اتخذتموه اوثانا مودّة او سبب مودّة بينكم او جعل نفس المودّة مبالغة وكذا ان جعلها مصدرية وحينئذ يجوز ان يقدر المضاف قبل اسم ان او قبل خبرها والتقدير ان سبب اتخاذكم اوثانا مودّة بينكم او ان اتخاذكم اوثانا سبب مودّة او مودود وجاز ان لا يقدر شئ ولا يؤوّل بل يجعل الاتخاذ نفس المودّة ﴿قوله ومضافة بفتح بينكم﴾ الاضافة للاتساع فى الظرف كقولهم ياسارق الليلة اهل الدار وفتح بينكم لكونه مبنيا بالاضافة الى غير متمكن كما فى قرآءة من قرأ لقد تقطع بينكم بالفتح مع جعل بينكم فاعلا وقرأ ابن مسعود رضى الله عنه اوثانا انما مودّة بينكم فى الحيوة الدنيا اى انما تتوادّون على عبادتها او تودّونها فى الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يحدث بينكم التباغض والتعادى ﴿قوله فى الحيوة﴾ يجوز ان يتعلق باتخذتم وبمودّة وبنفس بينكم لانه بمعنى الفعل اذ التقدير اجتماعكم ووصلكم ﴿قوله تعالى فآمن له لوط﴾ عطف على قوله وقال انما اتخذتم اى صدقه لوط بعد هذه الدعوة بعد هذا التنبيه واقامة الحجج من جملة من دعاهم الى عبادة الله تعالى ويلزم الوقف على لوط لان قائل ما بعده ابراهيم عليهما السلام فلو وصل توهم ان يكون الفعل الثانى للوط فيفسد المعنى ﴿قوله الى حيث امرنى ربى﴾ بالهجرة اليه فان قيل اذا كان المراد هذا المعنى فلم اختير ما ورد عليه التنزيل مع انه يوهم الجهة فالجواب انه اختير ذلك لكونه ادل على الاخلاص من ان يقال انى مهاجر الى حيث امرنى ربى فانه لو هاجر اليه لغرض نفسه يصدق ان يقول انى مهاجر الى حيث امرنى ربى ولا يصدق ان يقول انى مهاجر الى ربى لانه لم يهاجر اليه خالصا لوجهه وطلبا لمرضاته وانما امره الله تعالى بالمهاجرة من قومه لان المقصود الكلى من بعثته اليهم الزام الحجة عليهم وقطع معذرتهم وقد حصل ذلك بان بالغ ابراهيم عليه السلام فى ارشادهم بتقرير الدلائل القاطعة وازاحة شبههم الباطلة فلما حصل اليأس الكلى من ايمانهم وجبت المهاجرة من بينهم لانه لو بقى فيهم ودام على الارشاد والدعوة لكان مشتغلا بما لا طائل تحته وان سكت عن دعوتهم فربما قالوا انه رضى بافعالنا واقرنا على ما نحن عليه فلما كان بقاؤه فيهم لا يخلو عن مفسدة وجبت المهاجرة من بينهم فهاجر من كوثى سواد الكوفة مع لوط وامرأته سارة فنزل فلسطين وهى قرية من قرى الشام ونزل لوط بسدوم ويقال لها المؤتفكة وهى على مسيرة يوم وليلة من فلسطين ﴿قوله ولدا ونافلة﴾ فالمعنى وهبنا له اسحق ولدا بعد اسمعيل ويعقوب نافلة حيث ولد من اسحق ﴿قوله ولذلك﴾ اى ولكون المقصود الامتنان عليه بهبة الولد والنافلة فى كبر سنه لم يذكر اسمعيل مع انه من اولاده لان ابراهيم عليه السلام كان ابن ست وثمانين سنة اذ ولدت هاجر له اسمعيل وكان ابن مائة سنة اذ ولدت له سارة اسحق عليه السلام وقد اتى عليها تسعون سنة وكان اسمعيل حينئذ ابن اربع عشرة سنة ﴿قوله فكثر منهم الانبياء﴾ عليهم الصلاة والسلام قيل ان الله تعالى لم يبعث نبيا بعد ابراهيم الا من نسله فان قيل كيف جاءت النبوّة فى اولاد اسحق اكثر من النبوّة فى اولاد اسمعيل مع استوآئهما فى الانتساب الى شيخ الانبياء وكون اسمعيل اكبرهما سنا فقال الامام فى جوابه قسم الله تعالى الزمان من وقت ابراهيم عليه السلام الى يوم القيامة قسمين فالقسم الاوّل من الزمان بعث الله تعالى فيه انبياء فيهم فضائل جمة وجاؤا تترى واحدا بعد واحد ومجتمعين فى عصر واحد كلهم من نسل اسحق ثم فى القسم الثانى من الزمان اخرج من ذرية ولده الآخر وهو اسمعيل واحدا جمع فيه جميع ما كان فيهم وارسله الى كافة الخلق وهو محمد المصطفى عليه افضل الصلاة والسلام وجعله خاتم النبيين وامام المرسلين وقد دام الخلق على دين اولاد اسحق اكثر من اربعة آلاف سنة ولا يبعد ان يبقى الخلق على دين ذرية اسمعيل عليه السلام مثل ذلك المقدار وعد فى جملة ما آتاه الله من الاجر فى الدنيا انه كان اوّلا لا جاه له ولا مال وهما غاية اللذة الدنيوية ثم آتاه الله تعالى اجره من المال والجاه فكثر ماله حتى كان له من المواشى ما علم الله تعالى عدده حتى قيل انه كان له اثنا عشر الف كلب حارس باطواق ذهب واما الجاه فانه صار بحيث تقرن الصلاة عليه بالصلاة على سائر الانبياء الى يوم القيامة وصار معروفا بشيخ المرسلين بعد ان كان خاملا حتى قال قائلهم سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم وهذا الكلام لا يقال الا فيمن كان مجهولا بين الناس ﴿قوله عطف على ابراهيم او على ما عطف عليه﴾ يجوز عطفه على ابراهيم سوآء كان ابراهيم معطوفا على نوحا او منصوبا باذكر واما كون قوله ولوطا معطوفا على نوحا فانما يجوز على تقدير ان لا يكون وابراهيم منصوبا باذكر لانه لو كان منصوبا باذكر لزم ان يكون اذكر مع ما فى حيزه فاصلا بين المعطوف والمعطوف عليه ويحتمل ان يكون قول

وقرئت مرفوعة منوّنة ومضافة بفتح بينكم كما قرئ لقد تقطع بينكم وقرئ انما مودّة بينكم (ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا) اى يقوم التناكر والتلاعن بينكم او بينكم وبين الاوثان على تغليب المخاطبين كقوله ويكونون عليهم ضدّا (ومأويكم النار وما لكم من ناصرين) يخلصونكم منها (فآمن له لوط) هو ابن اخته واوّل من آمن به وقيل انه آمن به حين رأى النار لم تحرقه (وقال انى مهاجر) من قومى (الى ربى) الى حيث امرنى ربى (انه هو العزيز) الذى يمنعنى من اعدآئى (الحكيم) الذى لا يأمرنى الا بما فيه صلاحى • روى انه هاجر من كوثى سواد الكوفة مع لوط وامرأته سارة ابنة عمه الى حرّان ثم منها الى الشام فنزل فلسطين ونزل لوط سدوم (ووهبنا له اسحق ويعقوب) ولدا ونافلة حين أيس من الولادة من عجوز عاقر ولذلك لم يذكر اسمعيل (وجعلنا فى ذرّيته النبوّة) فكثر منهم الانبياء (والكتاب) يريد به الجنس ليتناول الكتب الاربعة (وآتيناه اجره) على هجرته الينا (فى الدنيا) باعطاء الولد فى غير اوانه والذرية الطيبة واستمرار النبوّة فيهم وانتماء اهل الملل اليه والثناء والصلاة عليه آخر الدهر (وانه فى الآخرة لمن الصالحين) لفى عداد الكاملين فى الصلاح (ولوطا) عطف على ابراهيم ما عطف عليه (اذ قال لقومه انكم لتأتون الفاحشة)

الفعلة البالغة فى القبح وقرأ الحرميان وابن عامر وحفص بهمزة مكسورة على الخبر والباقون على الاستفهام واجمعوا على الاستفهام فى الثانية (ماسبقكم بها من احد من العالمين) استئناف مقرّر لفاحشتها من حيث انها مما اشمأزت منه الطباع وتحاشت عنه النفوس حتى اقدموا عليها لخبث طينتهم (ائنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل) وتتعرضون للسابلة بالقتل واخذ المال او بالفاحشة حتى انقطعت الطرق او تقطعون سبيل النسل بالاعراض عن الحرث واتيان ماليس بحرث (وتأتون فى ناديكم المنكر) فى مجالسكم الغاصة ولا يقال النادى الا لما فيه اهله المنكر كالجماع والضراط وحل الازار وغيرها من القبائح عدم مبالاة بهاوقيل الخذف ورمى البنادق (فما كان جواب قومه الا ان قالوا ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين) فى استقباح ذلك او فى دعوة النبوة المفهومة من التوبيخ (قال رب انصرنى) بانزال العذاب (على القوم المفسدين) بابتداع الفاحشة وسنهافيمن بعدهم وصفهم بذلك مبالغة فى استنزال العذاب واشعارا بانهم احقاء بان يعجل لهم العذاب (ولما جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى) بالبشارة بالولد والنافلة (قالوا انا مهلكوا اهل هذه القرية) قرية سدوم والاضافة لفظية لان المعنى على الاستقبال (ان اهلها كانوا ظالمين) تعليل لاهلاكهم باصرارهم وتماديهم فى ظلمهم الذى هو الكفر وانواع المعاصى (قال ان فيها لوطا) اعتراض عليهم بان فيها من لم يظلم او معارضة للموجب بالمانع وهو كون النبى بين اظهرهم (قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله) تسليم لقوله مع ادعاء مزيد العلم به وانهم ماكانوا غافلين عنه وجواب عنه بتخصيص الاهلاك بمن عداه واهله او تأقيت الاهلاك باخراجهم منها وفيه تأخير البيان عن الخطاب (الا امرأته كانت من الغابرين) الباقين فى العذاب او القرية (ولما ان جاءت رسلنا لوطا سيئ بهم) جاءته المساءة والغم بسببهم مخافة ان يقصدهم قومه بسوء وان صلة لتأكيد الفعلين واتصالهما (وضاق بهم ذرعا) وضاق بشأنهم وتدبير امرهم ذرعه اى طاقته كقولهم ضاقت يده وبازائه رحب ذرعه بكذا اذا كان مطيقاله وذلك لان طويل الذراع ينال مالاينال قصير الذراع (وقالوا) لما رأوا فيه اثر الضجرة (لاتخف ولاتحزن) على تمكنهم منا (انا منجوك واهلك الا امرأتك كانت من الغابرين) وقرأ حمزة وابن كثير والكسائى ويعقوب لننجينه ومنجوك بالتخفيف ووافقهم ابو بكر فى الثانى وموضع الكاف على المختار الجر ونصب اهلك باضمار فعل او بالعطف على محلها باعتبار الاصل (انا منزلون على اهل هذه القرية رجزا من السماء) عذابا منها سمى بذلك لانه يقلق المعذب من قولهم ارتجز اذا ارتجس اى اضطرب وقرأ ابن عامر منزلون بالتشديد (بما كانوا يفسقون) بسبب فسقهم (ولقد تركنا منها آية بينة) هى حكايتها الشائعة او آثار الديار الخربة وقيل الحجارة الممطورة فانها كانت باقية بعد وقيل بقية انهارها المسودة (لقوم يعقلون) يستعملون عقولهم فى الاستبصار والاعتبار وهو متعلق بتركنا او آية (والى مدين اخاهم شعيبا فقال ياقوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر) وافعلوا ماترجون به ثوابه فاقيم المسبب مقام السبب وقيل انه من الرجاء بمعنى الخوف (اى لاتفسدوا)

المصنف هذا اشارة الى الاختلاف فى المعطوف الثانى انه هل هو معطوف على المعطوف الاوّل او على ماعطف عليه المعطوف الاوّل وجه الاوّل قرب المعطوف من المعطوف عليه ووجه الثانى قرب المعطوف عليه من العامل ﴿قوله الفعلة البالغة فى القبح﴾ وذلك لان كل واحد من الشهوة والغضب صفتان قبيحتان لولا المصلحة الداعية الى خلقهما لما خلقهما الله تعالى فى الانسان والمصلحة فى خلق الشهوة الفرجية هى بقاء النوع بتعاقب الاشخاص وذلك انما يكون بوجود الولد وبقائه بعد الاب فظهر به ان كل واحد من الزنى واللواطة فاحشة فان الزنى وان كان مؤديا الى وجود الولد لكنه لايؤدى الى بقائه لان المياه اذا اشتبهت لايقرب الوالد ولده فلا يقوم بتربيته والانفاق عليه فيضيع الولد ويهلك فتبين ان الزنى ليس فيه مصلحة البقاء فلذلك قال الله تعالى ولاتقربوا الزنى انه كان فاحشة فاذا كان الزنى شهوة قبيحة خالية عن المصلحة مع انه يفضى الى وجود الولد تبين كون اللواطة فاحشة بطريق الاولى ﴿قوله فى مجالسكم الغاصة﴾ اى الممتلئة باهلها فان النادى انما يطلق على المجلس مادام فيه القوم فاذا قاموا عنه لايسمى ناديا وكل ماكان امراره معصية فابداؤه افحش واقبح فلذلك قيل من الق جلباب الحياء فلاغيبة له والخذف بالخاء المعجمة رمى الحصاة بين الاصابع روى عنه عليه الصلاة والسلام انهم كانوا يخذفون اهل الارض ويسخرون منهم وقيل كانوا يجلسون على الطرق وعند كل واحد قصعة فيها حصى فمن مرّبهم خذفوه فمن اصابه منهم فهو احق به فيأخذ مامعه وينكحه ويغرمه ثلاثة دراهم ولهم قاض يقضى بينهم بذلك ومنه قولهم هو اجور من قاضى سدوم ﴿قوله لان المعنى على الاستقبال﴾ واسم الفاعل يعمل اذا كان للاستقبال فيكون مهلكوا مضافا الى معموله فتكون اضافته لفظية ناديا على قومه بقوله رب انصرنى استجاب الله دعاءه وارسل ملائكة لاهلاك قومه وجعلهم مبشرين ومنذرين حيث جاؤا ابراهيم وبشروه بذرية طيبة ثم قالوا انا مهلكوا اهل هذه القرية وقدموا البشارة على الانذار لكون البشارة اثر الرحمة والانذار اثر الغضب ورحمة الله تعالى سابقة على غضبه ثم ان ابراهيم لما سمع قول الملائكة انا مهلكوا اظهر الاشفاق على لوط ونسى نفسه وما بشروه به ولم يظهر له فرحا وقال ان فيها لوطا ثم ان الملائكة لما رأوا ذلك منه زادوا عليه وقالوا انك ذكرت لوطا وحده ونحن ننجيه وننجى معه اهله فانظر الى شفقة كل واحد منهم فى حق اهل الخير ﴿قوله اعتراض عليهم﴾ يعنى ليس مقصوده عليه الصلاة والسلام من القاء هذه الجملة الخبرية الى الملائكة افادة مضمونها لهم ولا افادة كونه عالما بمضمونها لان كل واحد منهما معلوم عند الرسل بل الفائدة فى القائها اليهم مااقتضاه المقام من الاعتراض واظهار الشفقة عليه ولما كان منشأ اعتراضه قول الملائكة انا مهلكوا اهل هذه القرية اجاب الملائكة عنه بما يحتمل ان يكون بيان تخصيص او بيان توقيت الاوّل مبنى على كون قوله عليه الصلاة والسلام ان فيها لوطا اعتراضا والثانى مبنى على كونه معارضة ﴿قوله صلة لتأكيد الفعلين واتصالهما﴾ فانه لولم يذكر كلمة ان لكان معنى الكلام وجود الفعلين اى مجيئ الرسل ومساءة لوط عليه السلام بسببهم مرتبا احدهما على الآخر فزيادة ان اكدت هذا المعنى بحيث صارا كانهما وجدا فى جزء واحد من الزمان ﴿قوله لان طويل الذراع﴾ بيان لوجه كون طول الذراع وضيقه عبارتين عن القدرة والعجز وهو انه من قبيل اطلاق السبب وارادة المسبب والذرع والذراع من المرفق الى اطراف الاصابع فان لوطا عليه السلام لم يعلم انهم ملائكة بل ظن انهم غرباء ضافوه وخاف عليهم من قومه وما كان منهم بالغرباء من الفاحشة لانهم جاؤا على صورة البشر فى احسن صورة ﴿قوله وموضع الكاف على المختار الجر﴾ باضافة اسم الفاعل اليه فلم يجز ان يعطف الاسم الظاهر على الضمير المجرور من غير اعادة الخافض قيل فى نصب واهلك وجهان احدهما كونه منصوبا بعامل مضمر اى ومنجون اهلك وثانيهما بالعطف على المحل هذا عند سيبويه وذهب الاخفش الى ان الكاف فى موضع النصب وان اهلك منصوب بالعطف على محل الكاف لان الاضافة فى حكم الانفصال لكون اسم الفاعل للاستقبال كما لو كان المضاف اليه اسما ظاهرا نحو منجوا لوط وسيبويه يفرق بين المضمر والمظهر فى الاضافة ويقول الاضافة الى المضمر فى حكم الاتصال لشدة اتصال الضمير بخلاف الاضافة الى المظهر فانها فى حكم الانفصال فيجعل المضمر فى محل الجر والمظهر فى محل النصب ﴿قوله تعالى والى مدين﴾ اى وارسلنا الى مدين عطفا على قوله ولقد ارسلنا نوحا فاقيم المسبب مقام السبب فان الايمان والطاعة سبب لرجاء ثواب اليوم الآخر فامر بالمسبب واريد الامر بالسبب ﴿قوله تعالى ولاتعثوا فى الارض﴾

(ولا تعثوا في الارض مفسدين فكذبوه فاخذتهم الرجفة) الزلزلة الشديدة وقيل صيحة جبرآئيل لان القلوب ترجف بها (فاصبحوا في دارهم) في بلدهم او دورهم ولم يجمع لامن اللبس (جاثمين) باركين على الركب ميتين (وعادا وثمودا) منصوبان باضمار اذكر او فعل دل عليه ماقبله مثل اهلكنا وقرأ حمزة وحفص ويعقوب وثمود غير مصروف على ﴿ ١٣ ﴾ تأويل القبيلة (وقد تبين لكم من مساكنهم) اى تبين لكم بعض مساكنهم او اهلاكهم من جهة مساكنهم اذا نظرتم اليها عند مروركم بها (وزين لهم الشيطان اعمالهم) من الكفر والمعاصي (فصدهم عن السبيل) السوي الذي بين الرسل لهم (وكانوا مستبصرين) متمكنين من النظر والاستبصار ولكنهم لم يفعلوا او متبينين ان العذاب لاحق بهم باخبار الرسل لهم ولكنهم لجوا حتى هلكوا (وقارون وفرعون وهامان) معطوفون على عادا وتقديم قارون لشرف نسبه (ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا في الارض وماكانوا سابقين) فائتين بل ادركهم امر الله من سبق طالبه اذا فاته (فكلا) من المذكورين (اخذنا بذنبه) عاقبنا بذنبه (فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا) ريحا عاصفا فيها حصباء اوملكا رماهم بها كقوم لوط (ومنهم من اخذته الصيحة) كمدين وثمود (ومنهم من خسفنا به الارض) كقارون (ومنهم من اغرقنا) كقوم نوح وفرعون وقومه (وماكان الله ليظلمهم) ليعاملهم معاملة الظالم فيعاقبهم بغير جرم اذليس ذلك من عادته (ولكن كانوا انفسهم يظلمون) بالتعريض للعذاب (مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء) فيما اتخذوه معتمدا ومتكلا (كمثل العنكبوت اتخذت بيتا) مما نسجته في الوهن والخور بل ذلك اوهن فان لهذا حقيقة وانتفاعا ما او مثلهم بالاضافة الى الموحد كمثله بالاضافة الى رجل بنى بيتا من حجر وجص والعنكبوت يقع على الواحد والجمع والمذكر والمؤنث والتاء فيه كتاء طاغوت ويجمع على عناكيب وعناكب وعكاب وعكبة واعكب (وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت) لا بيت اوهن او اقل وقاية للحر والبرد منه (لو كانوا يعلمون) يرجعون الى علم لعلموا ان هذا مثلهم او ان دينهم اوهن من ذلك ويجوز ان يكون المراد ببيت العنكبوت دينهم سماه به تحقيقا للتمثيل فيكون المعنى وان اوهن ما يعتمد به في الدين دينهم (ان الله يعلم ماتدعون من دونه من شئ) على اضمار القول اى قل للكفرة ان الله يعلم وقرأ البصريان ويعقوب بالياء حملا على ماقبله وما استفهامية منصوبة بتدعون ويعلم معلقة عنها ومن للتبيين او نافية ومن مزيدة وشئ مفعول تدعون او مصدرية وشئ مصدرا وموصولة مفعول ليعلم ومفعول تدعون عائده المحذوف والكلام على الاولين تجهيل لهم وتوكيد للمثل وعلى الآخرين وعيد لهم (وهو العزيز الحكيم) تعليل على المعنيين فان من فرط الغباوة اشراك مالا يعد شيأ بمن هذا شأنه وان الجماد بالاضافة الى القادر القاهر على كل شئ البالغ في العلم واتقان الفعل الغاية كالمعدوم وان من هذا صفته قدر على مجازاتهم

اى لاتفسدوا ما اوجده الله في الارض بقصد افساد التعبد والطاعة كالقتل بغير حق بخلاف قتل اهل الحرب والمرتد والقتل قصاصا ﴿ قوله تعالى فكذبوه ﴾ فان قيل كيف يكذب شعيب في قوله اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر ولاتعثوا ولايكذب الآمر والناهي ، قلنا ماذكره من الامر والنهي يتضمن جملا اخبارية فكأنه قال الله واحد فاعبدوه والحشر كائن فارجوه والفساد محرم فلاتقربوه فالتكذيب يرجع الى الاخبارات الضمنية فان قيل قال هنا وفي الاعراف فاخذتهم الرجفة وقال في هود فاخذتهم الصيحة والحكاية واحدة ، قلنا يجوز ان يجتمع على اهلاكهم سببان كل واحد منهما يصح ان يسند اليه هلاكهم وقيل ان جبريل عليه السلام صاح فتزلزلت الارض من صيحته فرجفت قلوبهم والاضافة الى السبب لاتنافي الاضافة الى سبب السبب ﴿ قوله في بلدهم ﴾ اى ارضهم اى لما لم يكن جثومهم في دار واحدة بين لافراد الدار وجهين الاول انه ليس المراد بالدار البيت بل هي بمعنى البلد والارض وهي واحدة والثاني ان المراد بالدار الديار وعبر عنها بلفظ الواحد للامن من الالتباس ﴿ قوله او فعل دل عليه ماقبل ﴾ اى وهو منصوب بفعل مضمر دل عليه قوله فاخذتهم الرجفة فانه في معنى اهلكناهم فذكر اهلاكهم يدل على اضمار اهلكنا اى واهلكنا عادا ﴿ قوله اى تبين لكم بعض مساكنهم او اهلاكهم ﴾ يعني ان كلمة من للتبعيض ان كان تبين مسندا الى المساكن وللابتداء ان كان تبين مسندا الى مصدر اهلكنا المضمر ﴿ قوله فيما اتخذوه معتمدا ﴾ يعني ان الآية من قبيل تشبيه الهيئة بالهيئة شبه حال من اتخذ الاصنام اولياء وعبدها واعتمد عليها راجيا نفعها وشفاعتها بحال العنكبوت التي اتخذت بيتا لايغني عنها في حر ولا برد ولامطر ولا اذى فان البيت انما يكون بيتا بحائط يحول عن تطرق الشرور الى مافيه وسقف مظل يدفع عنه الحر والبرد والذي لايكون له ذلك فهو كالبيداء من حيث انه لم يحصل للعنكبوت باتخاذه شئ من معاني البيت فكذلك الكافر لم يحصل له باتخاذه الاوثان آلهة شئ من معاني الاله وانما قلنا انه من تشبيه المركب بالمركب لان في كل واحد من الطرفين اتخاذا ومتخذا واتكالا عليه وعدم ترتب شئ من المعاني المطلوبة من المعتمد عليه على اتخاذه فان العنكبوت وان انتفع بنسجه لكن تلك المنفعة ليست من المنافع المطلوبة من البيت ﴿ قوله او مثلهم بالاضافة الى الموحد الى آخره ﴾ فعلى هذا تكون الآية من قبيل التشبيه المفرد والغرض ابراز تفاوت المتخذين والمتخذ مع تصوير توهين امر احدهما او ادماج تقوية الآخر ﴿ قوله والتاء فيه كتاء طاغوت ﴾ في انها زائدة لا لاجل التأنيث ﴿ قوله يرجعون الى علم لعلموا ان هذا مثلهم ﴾ يعني انه لايجوز ان يكون متعلق العلم في قوله لو كانوا يعلمون مضمون قوله وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت لان كل واحد يعلم وهن بيته فلايصح نفي العلم عنه بالنسبة الى احد ما فلذلك نزل يعلمون منزلة اللازم وان جواب لو محذوف وهو قوله لعلموا ان هذا مثلهم وان دينهم اوهن من ذلك ثم اشار الى جواب ان يكون تعلق العلم بمفعوله مرادا ويكون متعلقه مضمون قوله وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت بان يراد جعل بيت العنكبوت معنى مجازيا هو مااتخذوه معتمدا في دينهم على طريق اطلاق اسم المشبه به على المشبه فان المقصد منه تشبيه حال المشرك بحال العنكبوت فاطلق اسم المشبه به على المشبه تحقيقا للتشبيه المذكور فانه قد تقرر ان الاستعارة لابتنائها على التشبيه تحقق التشبيه لامحالة ﴿ قوله وقرأ البصريان ﴾ اراد بهما ابا عمرو وعاصما على التغليب فان المشهور ان عاصما كوفي لابصري وهما قد قرآ بياء الغيبة حملا على ماقبله من لفظ الغيبة وهو قوله مثل الذين اتخذوا والباقون بتاء الخطاب على اضمار القول ﴿ قوله وشئ مفعول تدعون ﴾ كأنه قيل مايدعون من دون الله ما يستحق ان يطلق عليه شئ فيكون تأكيدا للتشبيه السابق وزيادة عليه لانه بين بالتشبيه السابق وهن دين المشرك وضعفه وجعله ههنا عدما صرفا لايستحق لان يسمى شيأ ﴿ قوله وشئ مصدر ﴾ قيل فيه نظر اذ يصير التقدير يعلم دعاء من شئ من الدعاء ﴿ قوله تعليل على المعنيين ﴾ اى سوآء كان ماسبق تجهيلا لهم او وعيدا ﴿ قوله يعني هذا المثل ونظائره ﴾ المثل الشبه وضرب المثل عبارة عن بيان الشبه بين المعاني المختفية عن الافهام والامور الجلية لذوي العقول والحواس تصويرا لتلك المعاني وتقريبا لفهمها كما شبه الله تعالى حال من اتخذ الشركاء معتمدا ومتكلا بحال العنكبوت فيما نسجه وذلك لان التشبيه يؤثر في النفس تأثيرا مثل تأثير الدليل فانك اذا قلت لمن يغتاب الناس بالغيبة كأنك تأكل لحم ميت لانك وقعت في هذا الرجل وهو غائب لايفهم ماتقول ولايسمعه حتى يجيبك كمن يقع في ميت يأكل منه وهو لايعلم مايفعله فلايقدر على دفعه فقد كشفت قبح الغيبة بتصويرها بصورة ماجلا

(وتلك الامثال) يعني هذا المثل ونظائره (نضربها للناس) تقريبا لما بعد من افهامهم (ومايعقلها) ولا يعقل حسنها وفائدتها (الا العالمون) الذين يتدبرون الاشياء على ماينبغي وعنه عليه الصلاة والسلام انه تلا هذه الآية فقال العالم من عقل عن الله فعمل بطاعته واجتنب سخطه (خلق الله السموات والارض بالحق) محقا غير قاصد به باطلا فان المقصود بالذات من خلقهما افاضة الخير والدلالة على ذاته وصفاته كما اشار اليه بقوله (ان في ذلك لآية للمؤمنين) لانهم المنتفعون بها (اتل ما اوحى اليك من الكتاب) تقربا الى الله بقراءته وتحفظا لالفاظه واستكشافا لمعانيه فان القارئ المتأمل قد ينكشف له بالتكرار مالم ينكشف له اول ماقرع سمعه (واقم الصلاة ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) بان تكون سببا للانتهاء عن المعاصي حال الاشتغال بها وغيرها من حيث انها تذكر الله وتورث النفس خشية منه روى ان فتى من الانصار كان يصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلوات ولا يدع شيأ من الفواحش الا ركبه فوصف له فقال ان صلاته ستنهاه فلم يلبث الا ان تاب (ولذكر الله اكبر) ولا الصلاة اكبر من سائر الطاعات وانما عبر عنها به للتعليل بان اشتمالها على ذكره هو العمدة في كونها مفضلة على الحسنات ناهية عن السيئات او لذكر الله اياكم برحمته اكبر من ذكركم اياه بطاعته (والله يعلم ما تصنعون) منه ومن سائر الطاعات فيجازيكم به احسن المجازاة (ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن) الا بالخصلة التي هي احسن كمعارضة الخشونة باللين والغضب بالكظم والمشاغبة بالنصح وقيل هو منسوخ بآية السيف اذ لا مجادلة اشد منه وجوابه انه آخر الدواء وقيل المراد به ذوو العهد منهم (الا الذين ظلموا منهم) بالافراط في الاعتداء والعناد او باثبات الولد وقولهم يد الله مغلولة او بنبذ العهد ومنع الجزية (وقولوا آمنا بالذي انزل الينا وانزل اليكم) هو من المجادلة بالتي هي احسن وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا تصدقوا اهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وملائكته وبكتبه ورسله فان قالوا باطلا لم تصدقوهم وان قالوا حقا لم تكذبوهم (والهنا والهكم واحد ونحن له مسلمون) مطيعون له خاصة وفيه تعريض باتخاذهم احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله (وكذلك) ومثل ذلك الانزال (انزلنا اليك الكتاب) وحيا مصدقا لسائر الكتب الالهية وهو تحقيق لقوله (فالذين آتيناهم الكتاب) (الكتب) يؤمنون به) هم عبد الله بن سلام واضرابه او من تقدم عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من اهل الكتاب

قصد لما ضرب الله تعالى بالذباب وبيت العنكبوت مثلا لحال المشركين قالت الجهلة منهم ان الله لا يستحيي ان يضرب المثل بالذباب والبعوضة والعنكبوت ولم يعرفوا حسن التمثيل وفائدته فرد الله تعالى عليهم وجهلهم فقال وتلك الامثال المضروبة في القرآن بكل شئ نضربها للناس تقريبا لما بعد من افهامهم فان لم تكونوا كالانعام تعقلوا حسنها وفائدتها والا فلا تهتدون الى حسنها ﴿قوله نضربها﴾ يجوز ان يكون خبر تلك والامثال صفة او بدل او عطف بيان وان يكون الامثال خبرا ونضربها حالا او خبرا ثانيا ثم انه تعالى لما بين اصرار الامم السالفة على الكفر والضلال بين ان اصرارهم ذلك ليس لانعدام الآيات الدالة على وحدانية الاله وكمال علمه وقدرته وحكمته لان خلق السموات والارض ملتبسا بالحق والحكمة البالغة آية دالة على ماذكر آية آية الا ان هذه الآيات العظمى لا يجعلها مسرح النظر ومطرح الفكر ليستدل على وجود صانع حكيم يستحق لان يعبد ويطاع في جميع ما امر به ونهى عنه الا من علم الله تعالى انه يؤمن ويتقي فانه هو المنتفع بها دون من اعرض عنها وابى واستكبر واتبع هواه وآثر اللذات العاجلة على السعادة الابدية ثم انه تعالى لما بين ان من خالف الحق انما يخالفه عنادا واستكبارا لا لقصور في البيان والبرهان امر رسوله عليه الصلاة والسلام بالمواظبة على تلاوة ما اوحى اليه واقامة الصلاة وخصهما من بين سائر العبادات بالامر بهما لان العبادات المختصة بالعبد ثلاث قلبية وهي اعتقاد الحق ، ولسانية وهي الذكر الحسن ، وبدنية خارجية وهي العمل الصالح ، لكن الاعتقاد لا يتكرر فان من اعتقد شيأ لا يمكنه ان يعتقده مرة اخرى بل يدوم ذلك الاعتقاد ويستمر الى ان يطرأ عليه ضده فلم يمكن تكرير العبادة القلبية امر بتكرير التلاوة الجامعة لجميع الاذكار وبتكرير اقامة الصلاة التي هي معظم العبادات البدنية ﴿قوله بان تكون سببا للانتهاء الى آخره﴾ جواب عما يقال كم من مصل يرتكب الفحشاء وهي الفعلة القبيحة والمنكر وهو ماينكره الشرع والعقل ولا تنهاه صلاته عنهما وتقرير الجواب ان الصلاة التي يصليها المرء بلا رياء ولا سمعة بان يصليها خالصا لوجهه الكريم مناجيا له بانواع التذلل والتواضع لا جرم تذكر الله تعالى وتورث النفس خشية منه تعالى فتكون سببا للانتهاء عن المعاصي حال الاشتغال بها وبعد الفراغ منها ايضا الى ان يطرأ عليه شئ من الغفلة ثم ان الصلاة متكررة واحدة بعد واحدة فيدوم ذلك التذكر والخشية وبدوامه يدوم الامتناع عن المعاصي فجعل الصلاة ناهية على طريق اسناد الحكم الى سبب سببه فان الصلاة سبب للتذكر والخشية وهما سببان لانتهاء العبد عن المعاصي ﴿قوله للتعليل﴾ اي للاشارة الى ان علة كونها افضل من سائر الطاعات اشتمالها على ذكر الله تعالى بحيث تصير كأنها نفس الذكر ، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا صلاة لمن لم يطع الصلاة وطاعة الصلاة ان ينتهي عن الفحشاء والمنكر ، قال الحسن وقتادة من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر فليست صلاته بصلاة وهي وبال عليه وقد قيل من كان مراعيا للصلاة جره ذلك الى ان ينتهي عن السيئات يوما وقد روى انه قيل للنبي صلى الله عليه وسلم ان فلانا يصلي بالنهار ويسرق بالليل فقال ، صلاته تردعه ، ثم انه تعالى لما بين طريق ارشاد المشركين وانهم يحق ابداؤهم وتنسب الى الضلالة آباؤهم عند المناظرة معهم ودعوتهم الى الاسلام بين بعده طريق ارشاد اهل الكتاب فقال ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن فانهم لما وحدوا وآمنوا بانزال الكتب وارسال الرسل والحشر والحساب والجزاء وجاؤا بكل حسن سوى الاعتراف برسول الله صلى الله عليه وسلم اي لا تخاشن معهم في المناظرة بتجهيلهم وتجهيل آبائهم الاقدمين واستركاك عقولهم واكتفائهم بمجرد تقليد السفهاء ونحو ذلك فلا تجادل معهم في امر الدين الا باحسن المجادلة وهو ان تبحث معهم بازالة شبههم وتبيين الحق لهم باقامة الحجة والبرهان وتلاوة القرآن ﴿قوله بالافراط في الاعتداء والعناد﴾ فسر الظلم بالافراط لان الكافر انما وصف بالظلم اذا اريد به ذلك ﴿قوله وجوابه انه آخر الدواء﴾ يعني انها لا تعارض هذه الآية لان المجاملة في المجادلة انما هي في حق من لم يظلم منهم بالافراط في الاعتداء وآية السيف في حق من غلا وافرط بمنع الجزية والاقدام على المحاربة ﴿قوله عليه الصلاة والسلام لا تصدقوا اهل الكتاب﴾ اي فيما يحدثونكم من الكتاب وهو من تمام الحديث في بعض الروايات نهى عن تصديقهم لان الله تعالى اخبر انهم كتبوه بايديهم وقالوا هذا من عند الله ووجه النهي عن تكذيبهم ظاهر ﴿قوله ومثل ذلك الانزال انزلنا﴾ يريد ان ذلك اشارة الى ما بعد اسم الاشارة وهو الانزال الذي يدل عليه انزلنا والمراد به انزال قوله وقولوا آمنا بالذي انزل الينا وانزل اليكم والكاف في كذلك كلفظ المثل في قولك مثلك لا يبخل اي مثل ذلك الانزال العجيب الشان الداعي الى الايمان بجميع

الكتب المنزلة والى التوحيد ازلناه ولما كان من شأن الكتاب الكامل العجيب الانزال ان يكون موصوفا بما يفيده فضيلة ومزيد شرف بالنسبة الى سائر الكتب الالهية بين كونه عجيب الانزال فى كل مقام بما يناسبه وبين ههنا بقوله وحيا مصدقا لسائر الكتب الالهية لسبق قوله وقولوا آمنا بالذى انزل الينا وانزل اليكم فظهر بما ذكرنا وجه قوله وهو تحقيق لقوله فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به فانه لما كان كتابا كاملا عجيب الانزال لكونه وحيا مصدقا لسائر الكتب الالهية لزم ان يؤمن به اهل الكتاب لما شاهدوا فيه من دلائل تدل على انه كتاب سماوى ووحى الهى والفاء فى قوله فالذين آتيناهم لتفريع ايمانهم على كونه كتابا كاملا عجيب الانزال * واختلف المفسرون فى ان المراد بقوله فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به ومن هؤلاء فقال بعضهم هم الذين سبقوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من اهل الكتاب فيكون المراد بقوله ومن هؤلاء الذين هم فى زمان رسول الله عليه الصلاة والسلام كعبد الله بن سلام واصحابه قيل هذا اقرب بعنى ان صرف قوله ومن هؤلاء الى اهل الكتاب اولى لان الكلام فيهم ولا ذكر للمشركين ههنا لان الكلام بعد الفراغ من ذكرهم والاعراض عنهم لاصرارهم على كفرهم وقال آخرون المراد بالاول مؤمنوا اهل الكتاب وبقوله ومن هؤلاء العرب او اهل مكة ثم انه تعالى لما وصف القرآن بكونه كتابا كاملا عجيب الانزال وبين من آمن به ذكر ان من لم يؤمن به انما لا يؤمن لتوغله فى الكفر من حيث ان توغله فى الكفر يمنعه عن التأمل فى دلائل حقيته واعجازه ثم بين كونه معجزة بالاضافة اليه عليه الصلاة والسلام بقوله وما كنت تتلو من قبله من كتاب اى من قبل انزال القرآن عليك من كتاب وهو مفعول تتلو ومن زائدة فى المفعول اى ما كنت قارئا كتابا قبل ذلك ولا تخطه بيمينك اى ولا تكتب الآن بيمينك كتابا وكذا كان صفته فى التوراة والانجيل انه امى لا يقرأ ولا يكتب ﴿قوله وذكر اليمين﴾ جواب عما يقال ما فائدة ذكر اليمين مع ان الكتابة انما تزاول باليمين فذكرها فائدتين الاولى زيادة تصوير كونه كاتبا كما وصف الطائر بقوله يطير بجناحيه لذلك والثانية دفع التجوز فى الاسناد فان الفعل كثيرا ما يسند الى سبب الامر فلما قيل بيمينك اندفع ذلك الاحتمال ﴿قوله وانما سماهم مبطلين﴾ مع انه عليه الصلاة والسلام لو كان قارئا كاتبا وقال مشركوا مكة لعله تعلمه او التقطه من كتب الاقدمين لكانوا صادقين محقين فى الذهاب الى هذا الاحتمال وحاصل الجواب الاول انهم مبطلون الآن لكفرهم به عليه الصلاة والسلام مع كونه اميا وليس المراد انهم مبطلون على تقدير كونه عليه الصلاة والسلام قارئا كاتبا وحاصل الجواب الثانى انه ليس المراد انهم مبطلون فى الذهاب الى هذا الاحتمال على تقدير كونه قارئا كاتبا بل المراد انهم مبطلون فى الارتياب فى كون القرآن وحيا الهيا مع كثرة وجوه اعجازه سوى كون الموحى اليه اميا ﴿قوله فيكون ابطالهم باعتبار الواقع دون المقدر﴾ لانهم لا يكونون مبطلين فى ارتيابهم على تقدير كونه عليه الصلاة والسلام قارئا كاتبا لان ارتيابهم حينئذ يكون من دليل الا انه سماهم مبطلين وان لم يكونوا مبطلين على ذلك التقدير لكونهم مبطلين فى الواقع حيث ارتابوا مع وجدانهم نعته عليه الصلاة والسلام على وفق ما فى كتبهم وهو كونه اميا ﴿قوله بل القرآن﴾ بل فيه للاضراب عن بيان كونه منزلا انزالا عجيبا الى بيان ما هو اهم منه وهو كونه آيات بينات الاعجاز محفوظة فى صدور العلماء بحيث لا يقدر احد على تحريفه وبينات صفة آيات وفى صدور صفة ثانية اى هو آيات بينات الاعجاز محفوظات فى صدور العلماء وكل واحد من كونه آيات بينات الاعجاز وكونه محفوظا فى صدور حفاظه بحيث يتلوه كثير من الامة عن ظهر القلب من خصائص القرآن فان سائر الكتب لم تكن الفاظها معجزات وما كانت تقرأ الا من المصاحف نظرا فيها فاذا طبقت لم تعرف الامة من كتابهم شيأ وقد ورد فى صفة هذه الامة قرابينهم دماؤهم واناجيلهم صدورهم والاناجيل جمع انجيل وهو اسم كتاب عيسى عليه الصلاة والسلام والمعنى انهم يقرؤن كتاب الله عن ظهر قلوبهم وهو مثبت محفوظ فى صدورهم كما كان كتاب النصارى مثبتا فى اناجيلهم قال الله تعالى قبل بيان كون الآيات القرآنية معجزة بالاضافة اليه عليه الصلاة والسلام ببيان كونه اميا وما يجحد بآياتنا الا الكافرون وقال بعد بيان ذلك الا الظالمون مع انه لا تنافى بين الكلامين لان الكافر ظالم الا ان المناسب فى مقام ارشاد اهل الكتاب وتنفيرهم عن تكذيب القرآن لفظ الكافرين لان اهل الكتاب تميزوا عن المشركين بان آمنوا بجميع ما يجب الايمان به من التوحيد وارسال الرسل وانزال الكتب والحشر والجزاء سوى الايمان برسالة سيد المرسلين وحقية كتابه فهم يدعون الايمان ويستنكفون من الكفر فالمناسب فى دعوتهم الى الايمان ان يقال انهم انكم قد حصل لكم مزايا الايمان فلا تبطلوها بانكار آيات الله تعالى مع ظهور حقيتها بقيام الحجة

(ومن هؤلاء) ومن العرب او اهل مكة اوممن فى عهد الرسول من الكتابيين (من يؤمن به) بالقرآن (وما يجحد بآياتنا) مع ظهورها وقيام الحجة عليها (الا الكافرون) الا المتوغلون فى الكفر فان جزمهم به يمنعهم عن التأمل فيما يفيد لهم صدقها لكونها معجزة بالاضافة الى الرسول صلى الله عليه وسلم كما اشار اليه بقوله (وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك) فان ظهور هذا الكتاب الجامع لانواع العلوم الشريفة على امى لم يعرف بالقراءة والتعلم خارق للعادة وذكر اليمين زيادة تصوير للنفى ونفى للتجوز فى الاسناد (اذا لارتاب المبطلون) اى لو كنت ممن يخط ويقرأ لقالوا لعله تعلمه او التقطه من كتب الاقدمين وانما سماهم مبطلين لكفرهم او لارتيابهم بانتفاء وجه واحد من وجوه الاعجاز المتكاثرة وقيل لارتاب اهل الكتاب لوجدانهم نعتك على خلاف ما فى كتبهم فيكون ابطالهم باعتبار الواقع دون المقدر (بل هو) بل القرآن (آيات بينات فى صدور الذين اوتوا العلم) يحفظونه لا يقدر احد على تحريفه (وما يجحد بآياتنا الا الظالمون) الا المتوغلون فى الظلم بالمكابرة بعد وضوح دلائل اعجازها حتى لم يعتدوا بها (وقالوا لولا انزل عليه آيات من ربه) مثل ناقة صالح وعصا موسى ومائدة عيسى وقرأ نافع وابن عامر والبصريان وحفص آيات (قل انما الآيات عند الله) ينزلها كيف يشاء لست املكها فآتيكم بما تقترحونه (وانما انا نذير مبين) ليس من شأنى الا الانذار وابانته بما اعطيت من الآيات (اولم يكفهم) آية مغنية عما اقترحوه

(انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم) تدوم تلاوته عليهم متحدين به فلا يزال معهم آية ثابتة لا تضمحل بخلاف سائر الآيات او يتلى عليهم يعنى اليهود بتحقيق ما فى ايديهم من نعتك ونعت دينك (ان فى ذلك) فى ذلك الكتاب الذى هو آية مستمرة وحجة مبينة (لرحمة) لنعمة عظيمة (وذكرى لقوم يؤمنون) وتذكرة لمن همه الايمان دون التعنت وقيل ان ناسا من المسلمين اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتف كتب فيها بعض مايقول اليهود فقال كفى بها ضلالة لقوم ان يرغبوا عما جاءهم به نبيهم الى ما جاء به غير نبيهم فنزلت (قل كفى بالله بينى وبينكم شهيدا) بصدق وقد صدقنى بالمعجزات او بتبليغى ما ارسلت به اليكم ونصحى ومقابلتكم اياى بالتكذيب والتعنت (يعلم ما فى السموات والارض) فلا يخفى عليه حالى وحالكم (والذين آمنوا بالباطل) وهو ما يعبد من دون الله (وكفروا بالله) منكم (اولئك هم الخاسرون) فى صفقتهم حيث اشتروا الكفر بالايمان (ويستعجلونك بالعذاب) بقولهم امطر علينا حجارة من السماء (ولولا اجل مسمى) لكل عذاب او قوم (لجاءهم العذاب) عاجلا (وليأتينهم بغتة) فجأة فى الدنيا كوقعة بدر او الآخرة عند نزول الموت بهم (وهم لايشعرون) باتيانه (يستعجلونك بالعذاب وان جهنم لمحيطة بالكافرين) ستحيط بهم يوم يأتيهم العذاب او هى كالمحيطة بهم الآن لاحاطة الكفر والمعاصى التى توجبها بهم واللام للعهد على وضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على موجب الاحاطة او للجنس فيكون استدلالا بحكم الجنس على حكمهم (يوم يغشاهم العذاب) ظرف لمحيطة او مقدر مثل كان كيت وكيت (من فوقهم ومن تحت ارجلهم) من جميع جوانبهم (ويقول) الله او بعض الملائكة بامره لقراءة ابن كثير وابن عامر والبصريين بالنون (ذوقوا ما كنتم تعملون) اى جزاءه (ياعبادى الذين آمنوا ان ارضى واسعة فاياى فاعبدون) اى اذا لم يتسهل لكم العبادة فى بلدة ولم يتيسر لكم اظهار دينكم فهاجروا الى حيث يتمشى لكم ذلك وعنه عليه السلام من فر بدينه من ارض الى ارض ولو كان شبرا استوجب الجنة وكان رفيق ابراهيم ومحمد عليهما السلام والفاء جواب شرط محذوف اذ المعنى ان ارضى واسعة ان لم تخلصوا العبادة لى فى ارض فاخلصوها فى غيرها

عليها فكونوا كافرين بخلاف مقام التقريع عليهم باصرارهم على التكذيب بعد ما تبين كونها معجزة بالاضافة اليه عليه الصلاة والسلام فان المناسب بذلك المقام لفظ نفى من الشرك لقوله تعالى ان الشرك لظلم عظيم فكانه قيل ان يحدثم بالآيات القرآنية بعد ما تبين كونها معجزة لبلغها لزمكم انكار الرسالة والكتب المنزلة بامرها اذ لا طريق الى الاقرار بها سوى الاعتداد بالمعجزة فمن لم يعتد بالمعجزة لزمه ان يلتحق بالمشركين ويكون من جملة القائلين بالاشراك ثم انه تعالى لما بين طريق المجادلة مع اهل الكتاب فى دعوتهم الى الايمان عاد الى حكاية ما تعنت به كفار مكة باقتراح آيات كما جاءت بها الانبياء عليهم الصلاة والسلام الى اممهم فقال وقالوا يعنى كفار مكة لولا انزل عليه آية من ربه فارشد نبيه عليه الصلاة والسلام الى ان يقول فى جوابهم اولا انما الآيات عند الله وليس من شأنى الا انذار اهل المعصية بالنار بما اعطيت من الآيات ثم انكر عليهم ذلك الاقتراح ببيان ان القرآن آية فوق الكفاية واتم من كل معجزة تقدمتها فان تلك المعجزات وجدت ما دامت فان قلب العصا حية واحياء الموتى واخراج الناقة من الحجر الصلد لم يبق لنا منه اثر فلو انكر احد شيأ من ذلك لم يكن اثباته له الا بالكتاب واما القرآن فانه آية باقية فى كل مكان وزمان لا تزول ولا تضمحل كسائر آيات الانبياء التى اضمحلت بعد ما اختصت بمكان دون مكان فلو انكره واحد يقال له فأت بآية مثله ﴿ قوله متحدين ﴾ حال من ضمير عليهم والتحدى ان تعارض فعل الغير وتفعل مثل فعله على وجه المنازعة فى الغلبة وقيل فى تفسير الآية اولم يكفهم يعنى اليهود انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم بتحقيق ما فى ايديهم من نعتك ونعت دينك فعلى هذا يكون القائلون لولا انزل عليه آية من ربه اليهود وتكون هذه ايضا متعلقة بحال اهل الكتاب ﴿ قوله وقيل ان ناسا من المسلمين ﴾ وفى التيسير روى ان بعض الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين كان فى يده رق فيه شئ مكتوب من كتبهم فقال النبى صلى الله عليه وسلم ما هذا قال كتبته من كتابهم لازداد علما الى علمى فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال امتهوكون كما تهوكت اليهود والنصارى كفى بقوم حمقا وضلالا ان يرغبوا عما اتاهم به نبيهم الى غيره فانزل الله تعالى هذه الآية ولم يرض المصنف بهذا القول واختار ان يكون المعنى اولم يكفهم آية مغنية عما اقترحوه من الآيات وذلك لان الظاهر من النظم انه جواب لقولهم لولا انزل وعلى ذلك القول يكون تصديقا له عليه الصلاة والسلام وانكارا لهم فى التفاتهم الى غير ما اتى به نبيهم فلذلك عبر عنه بقوله وقيل ﴿ قوله شهيدا بصدق ﴾ على ان تكون الآية جوابا لكعب بن الاشرف واصحابه حين قالوا يا محمد من يشهد لك بانك رسول الله وقوله او بتبليغى ما ارسلت به على ان تكون المقصود من الآيات تهديد المعاندين من اهل الكتاب كما يقول الصادق اذا كذب وقد اتى بكل ما يدل على صدقه ولم يصدق الله يعلم صدقى وتكذيبك ايها المعاند وهو على ما اقول شهيد يحكم بينى وبينك ثم بين كونه كافيا ببيان كونه عالما بجميع الاشياء فقال يعلم ما فى السموات والارض الى آخره ﴿ قوله هم الخاسرون فى صفقتهم ﴾ اشارة الى ان قوله والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله استعارة بالكناية بان شبه ما فعلوه من اختيار الضلالة على الهدى بعقد المبايعة وقوله اولئك هم الخاسرون استعارة تخييلية قرينة للمكنية ولما هددهم الله تعالى بقوله اولئك هم الخاسرون قال نضر بن الحارث اللهم امطر علينا حجارة من السماء كما قال اصحاب الايكة فاسقط علينا كسفا من السماء اظهارا لقطعهم بعدم العذاب واستهزاء منهم وتكذيبا لمن هددهم به ﴿ قوله ستحيط بهم ﴾ يعنى ان اسم الفاعل بمعنى الاستقبال لكن جئ بالجملة الاسمية مؤكدة بان ولام الابتداء للايذان بان وعد الله تعالى ووعيده كالمتحقق فى الحال لتحقق وقوعه البتة ويحتمل ان يكون اسم الفاعل بمعنى الحال ويكون المعنى ان جهنم لمحيطة بهم فى الدنيا باعتبار ان اسباب احاطتها من الكفر والمعاصى محيطة بهم فى الحال فنزل المسبب ايضا منزلة الواقع فى الحال ﴿ قوله وكان رفيق ابراهيم ومحمد عليهما الصلاة والسلام ﴾ خص ابراهيم عليه الصلاة والسلام لكونه هاجر من كوثى الى الشام فرارا بدينه حيث قال انى مهاجر الى ربى ومحمد سيد المرسلين هاجر الى المدينة حيث تعذر عليه رعاية ما امر به فى امر الدين وامر المؤمنين بالهجرة من الموضع الذى لا يمكنهم فيه عبادة الله وكذلك يجب على كل من كان فى بلدة تعمل فيها المعاصى ولا يمكنه تغيير ذلك ان يهاجر الى حيث يمكنه ان يعبد الله فيه حق عبادته ﴿ قوله فاياى ﴾ منصوب بفعل مضمر يفسره الظاهر وهو فاعبدون تقديره فاعبدوا اياى فاعبدون فاستغنى بالثانى عن اظهار الاول ولا يجوز انتصابه بالفعل الظاهر لاشتغاله عنه بالضمير الذى بعده ذهب صاحب الكشاف الى ان قوله تعالى

(فاياى)

فاياى فاعبدون جواب شرط محذوف وجعل تقديم المفعول عوضا عن الشرط المحذوف مع افادة تقديمه معنى الاختصاص ثم انه تعالى لما امر المؤمنين بالمهاجرة الى ارض يمكنهم فيها رعاية وظائف العبادة صعب عليهم ترك الاوطان ومفارقة الاخوان فخوفهم الله تعالى بالموت ليهون عليهم الهجرة والمعنى لامحيص لاحد من الموت والمعاد بعده فلابد من التزود لذلك وذلك باخلاص العبادة لله تعالى بعد توحيده على رجاء ان يثاب عليه فان لم يتيسر ذلك فى مكان فلابد من المهاجرة منه الى مكان يتيسر ذلك ثم ذكر ثواب من هاجر فقال والذين آمنوا وعملوا الصالحات يعنى المهاجرين والذين يجوز ان يكون فى محل الرفع على الابتدآء او فى محل النصب على الاشتغال وعلالى جمع علية وهى الغرفة ووزنها فعيلة مثل صديقة واصلها عليوة فابدلت الواو ياء وادغمت ﴿ قوله وقرئ لنثوينهم ﴾ بثاء مثلثة ساكنة بعد النون وياء مفتوحة بعد الواو من الثوآء وهو الاقامة يقال ثوى الرجل اذا اقام واثويته اذا انزلته منزلا يقيم فيه وهذه قرآءة حمزة والكسائى وقرأ الباقون لنبوئنهم بباء موحدة مفتوحة بعد النون وهمزة مفتوحة بعد الواو من المباءة وهى الانزال اى لننزلنهم من الجنة غرفا وانتصاب غرفا على قرآءة الاخوين اما على انه مفعول به على تضمين اثوى معنى انزل لان ثوى لازم فيعدى بالهمزة الى واحد ويتعدى الى اثنين باعتبار التضمين واما على الظرفية بتشبيه الظرف المحدود بالمبهم كما فى قوله لاقعدن لهم صراطك المستقيم اى باسقاط الخافض اتساعا اى فى غرف واما على قرآءة الباقين فهو منصوب على انه مفعول ثان لان بوأ يتعدى الى اثنين قال تعالى تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال وقوله تجرى صفة لغرفا ﴿ قوله وقرئ فنعم ﴾ زيادة الفاء على ان الفاء لعطف الجملة على الجملة التى قبلها لالتفيد ان مضمون الجملة التى بعدها واقع عقيب مضمون الجملة التى قبلها من غير ان يتخلل بينهما زمان فاصل كما فى نحو قام زيد فقعد عمرو بل هى للدلالة على ان المذكور بعدها كلام مرتب على ماقبلها فى الذكر لان مضمونها عقيب مضمون ماقبلها فى الزمان كما فى قوله تعالى ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين فان ذكر ذم الشئ او مدحه بعد جرى ذكره والمخصوص بالمدح محذوف والتقدير نعم اجر العاملين خالصا لوجه الله الغرف الموصوفة حذف لدلالة ماقبله عليه ﴿ قوله تعالى وكأين من دابة ﴾ كأين كلمة مركبة من كاف التشبيه واى التى تستعمل استعمال من ولما ركبتا جعل المركب بمعنى كم الخبرية وكأين مبتدأ ولاتحمل صفتها والله يرزقها خبره ومن دابة تمييز اى وكم من نفس دبت على وجه الارض عقلت او لم تعقل لاتطيق ان تحمل رزقها لضعفها عن حمله مع احتياجها الى الغذآء مثلكم اى لاتدخر شيأ من الرزق لغد انما تصبح فيرزقها الله من حيث لاتحتسب قيل لايدخر شئ من الحيوان قوتا الا ابن آدم والفارة والنملة ويقال ان العقعق يخابئ الا انه ينسى خبيئته ﴿ قوله لايرزقها واياكم الا الله ﴾ استفاد الحصر من تقديم الجلالة وبناء الفعل عليه فان مثل هذا التركيب يفيد الاختصاص كما ذكره الزمخشرى فى سورة الرعد فى قوله الله يبسط الرزق عن ابن عمر رضى الله عنهما قال خرجنا مع النبى عليه الصلاة والسلام حتى دخلنا بعض حيطان الانصار فجعل يلتقط من التمر ويأكل فقال يا ابن عمر مالك لاتأكل فقلت لااشتهيه يارسول الله قال لكنى اشتهيه وهذا صبح رابعة لم اطعم طعاما ولم اجده فقلت انا لله والله المستعان قال يا ابن عمر لو سألت ربى لاعطانى مثل ملك كسرى وقيصر اضعافا مضاعفة ولكنى اجوع يوما واشبع يوما فكيف بك يا ابن عمر اذا عمرت وبقيت فى حثالة من الناس يخبئون رزق سنة ويضعف منهم اليقين فوالله ما برحنا حتى نزلت وكأين من دابة لاتحمل رزقها الآية وقال عليه السلام لو انكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا ﴿ قوله لان رزق الكل باسباب ﴾ فانه تعالى لو لم يخلق النبات لم يكن للبهائم رزق وايضا ليس الغذآء مجرد الابتلاع بل لابد فى صيرورة الغذآء اجزآء من المتغذى بحوله لحما وعظما وشحما من ان يخلق الله تعالى فيه قوة جاذبة وماسكة وهاضمة ودافعة وغيرها من القوى التى لاتحصل الا بمحض قدرة الله تعالى وارادته فاذا تقرر ان رزق الكل باسباب هو المسبب لها وحده ثبت انه تعالى هو الذى يرزق الدواب كلها ومباشرة الاسباب وسلوك طريق الاكتساب لاينافى التوكل وكذا جمع ما اكتسبه واعداده لوقت الحاجة لايقدح فى التوكل بل الذى يقدح فيه ان يكون اعتماده على مافى يده وعلى ماتيسرله من طرق اكتسابه واما من تمسك بالاسباب وسلك سبيل الاكتساب اتباعا لسنة الله تعالى فى رزق العباد حيث جرت عادته فى افاضة الخيرات على الاستفاضة والطلب من قاضى الحاجات بالتسبب فاجعله سببا لنيل المرادات مع الاعتقاد بانه تعالى قادر على ان يرزقه من غير كد واهتمام وعلى ان يجعل سعيه فى تمسك الاسباب ضائعا غير مؤد الى المراد

(كل نفس ذآئقة الموت) نائلة لامحالة (ثم الينا ترجعون) للجزآء ومن هذا عاقبته ينبغى ان يجتهد فى الاستعداد له وقرأ ابوبكر بالياء (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم) لننزلنهم (من الجنة غرفا) علالى وقرئ لنثوينهم اى لنقيمنهم من الثوآء فيكون انتصابه غرفا لاجرآئه مجرى لننزلنهم او بنزع الخافض او تشبيه الظرف الموقت بالمبهم (تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها نعم اجر العاملين) وقرئ فنعم والمخصوص بالمدح محذوف دل عليه ماقبله (الذين صبروا) على اذية المشركين والهجرة للدين الى غير ذلك من المحن والمشاق (وعلى ربهم يتوكلون) ولايتوكلون الا على الله (وكأين من دابة لاتحمل رزقها) لاتطيق حمله لضعفها اولاتدخره وانما تصبح ولامعيشة عندها (الله يرزقها واياكم) ثم انها مع ضعفها وتوكلها واياكم مع قوتكم واجتهادكم سوآء فى انه لايرزقها واياكم الا الله لان رزق الكل باسباب هو المسبب لها وحده فلاتخافوا على معاشكم بالهجرة فانهم لما امروا بالهجرة قال بعضهم كيف نقدم بلدة ليس لنا فيها معيشة فنزلت (وهو السميع) لقولكم هذا (العليم) بضميركم (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر) المسئول عنهم اهل مكة (ليقولن الله) لما تقرر فى العقول من وجوب انتهاء الممكنات الى واحد واجب الوجود (فانى يؤفكون) يصرفون عن توحيده بعد اقرارهم بذلك

(الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له) يحتمل ان يكون الموسع له والمضيق عليه واحدا على ان البسط والقبض على التعاقب وان لا يكون على وضع الضمير موضع من يشاء وابهامه لان من يشاء مبهم (ان الله بكل شئ عليم) يعلم مصالحهم ومفاسدهم (ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فاحيى به الارض من بعد موتها ليقولن الله) معترفين بانه الموجد للممكنات بأسرها اصولها وفروعها ثم انهم يشركون به بعض مخلوقاته الذي لا يقدر على شئ من ذلك (قل الحمد لله) على ما عصمك من مثل هذه الضلالة او على تصديقك واظهار حجتك (بل اكثرهم لا يعقلون) فيتناقضون حيث يقرون بانه المبدئ لكل ما عداه ثم يشركون به الصنم وقيل لا يعقلون ما تريد بتحميدك عند مقالهم (وما هذه الحيوة الدنيا) اشارة تحقير وكيف لا وهي لا تزن عند الله جناح بعوضة (الا لهو ولعب) الا كما يلهى ويلعب به الصبيان ويجتمعون عليه ويبتهجون به ساعة ثم يتفرقون متعبين (وان الدار الآخرة لهي الحيوان) لهي دار الحياة الحقيقية لامتناع طريان الموت عليها او جعلت في ذاتها حياة للمبالغة والحيوان مصدر حيي سمي به ذو الحياة واصله حييان فقلبت الياء الثانية واوا وهو ابلغ من الحياة لما في بناء فعلان من الحركة والاضطراب اللازم للحياة ولذلك اختير عليها ههنا (لو كانوا يعلمون) لم يؤثروا عليها الدنيا التي اصلها عدم الحياة والحياة فيها عارضة سريعة الزوال (فاذا ركبوا في الفلك) متصل بما دل عليه شرح حالهم اي هم على ما وصفوا به من الشرك فاذا ركبوا البحر (دعوا الله مخلصين له الدين) كائنين في صورة من اخلص دينه من المؤمنين حيث لا يذكرون الا الله ولا يدعون سواه لعلمهم بانه لا يكشف الشدائد الا هو (فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون) فاجأوا المعاودة الى الشرك

فهو متوكل على العزيز العلام حيث كذا وسعى معتمدا عليه لا على عمله واجتهاده ثم انه تعالى لما خاطب المؤمنين وامرهم بالمهاجرة الى ارض يتسهل لهم فيها عبادة الله قال على سبيل التعجب من كفار مكة ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ذكر في السموات والارض خلقهما وفي الشمس والقمر تسخيرهما لان الحكمة لا تتم بمجرد خلق الشمس فان الشمس لو كانت مخلوقة بحيث تستقر في موضع واحد لما حصل الليل والنهار ولا الصيف والشتاء فاذن الحكمة في تحريكهما وتسخيرهما ثم انه تعالى لما بين ايجاد الذوات بقوله خلق السموات والارض وبين ايجاد الصفات بقوله وسخر الشمس والقمر ذكر الرزق لان كمال الخلق ببقائه وبقاء الانسان بالرزق كأنه قيل المعبود اما ان يعبد لاستحقاقه العبادة فالاصنام ليست كذلك بل المستحق لها هو الله تعالى واما لكونه عظيم الشأن فالله تعالى خالق السموات والارض هو المنفرد بعظم الشأن فله العبادة واما لكونه ولي الاحسان فالله الذي يرزق الخلق هو المنفرد بالفضل والاحسان فله العبادة فانى يشركون ﴿قوله ويقدر له﴾ اي يضيق فان القدر والقتر بمعنى واحد وهو التضييق ﴿قوله يحتمل ان يكون الموسع له والمضيق عليه واحدا﴾ هذا الاحتمال هو الظاهر لان من في قوله من يشاء موصولة اريد بها من افراد الانسان من تعين بكونه شاء الله التوسيع له ولو غايره لما رجع ضمير يقدر له عليه ولما كان التوسيع والتضييق متضادين لا يجتمعان في محل واحد في زمان واحد وجب ان يكون اجتماعهما فيه على سبيل التعاقب واما اختلافهما ذاتا مع وجوب كون الضمير راجعا الى عين ما ذكر اولا وهو من تعلق به مشيئة التوسيع فبعيد لان مفهوم من يشاء المبسط له وان كان مبهما من حيث تناوله الافراد المندرجة تحته لا ابهام فيه من حيث تناوله الموسع له والمضيق عليه المختلفين ذاتا حتى يكون الضمير الراجع اليه مبهما مثله متناولا للمضيق عليه الا ان يقال المراد بقوله لان من يشاء مبهم ان مفهوم من يشاء مع قطع النظر عن تعلقه بالمفعول المحذوف يتناول الموسع له والمضيق عليه فان ذاتا تعلق به المشيئة كما يصدق على من تعلقت المشيئة بالتوسيع له يصدق ايضا على من تعلقت بالتضييق عليه فيكون الضمير الراجع اليه مبهما مثله فيختلف الموسع له والمضيق عليه ذاتا مع رجوع الضمير الى من يشاء كما اذا قيل يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر لمن يشاء فانه اذا قيل ويقدر لمن يشاء لا يشتبه عند احد ان المبسوط له غير المقدور عليه فكذا اذا قيل ويقدر له لانه في قوة ذلك لان من يشاء مبهم بالتوجيه الذي ذكرنا فيكون ضميره ايضا كذلك فصلح لابهامه ان يراد به غير الاول ثم انه تعالى لما قال الله يبسط الرزق ذكر اعترافهم بذلك فقال ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء الآية لان تنزيل الماء سبب لوجود الرزق فالاعتراف بان موجد السبب هو الله تعالى اعتراف بان موجد المسبب ايضا هو الله فهو اعتراف بان الرازق هو الله تعالى ﴿قوله على ما عصمك من مثل هذه الضلالة﴾ وهي ضلالة المناقضة بين اعترافهم بان موجد الممكنات بأسرها اصولها وفروعها هو الله عز وجل وبين اشراكهم به تعالى ما لا يقدر على شئ ﴿قوله او على تصديقك﴾ من اضافة المصدر الى مفعوله اي او على تصديق الله تعالى اياك بحملهم على الاقرار بما هو حجة عليه المستلزم لتكذيبك اياهم بالحجة ﴿قوله فيتناقضون﴾ يعني ان كلمة بل للاضراب عن الاول والاخذ فيما هو اهم فانه تعالى ذكر اولا انهم اقروا بما يدل على التوحيد ويناقض سلوكهم طريق الشرك ثم انتقل الى ما هو اهم وهو بيان انهم مسلوبوا العقول فلا يبعد عنهم مثل هذه الجهالة والمناقضة فهو اضراب عن اظهار جهلهم الخاص الى بيان ان شأنهم الجهل مطلقا فعلى هذا يكون قوله قل الحمد لله اعتراضا بين المنتقل منه والمنتقل اليه وعلى الثاني يكون جملة الاضراب من تتمة قوله الحمد لله ومعنى الاضراب انهم اذا لم يفطنوا بتلك المناقضة الظاهرة فاولى ان لا يفطنوا الى لم حمدت الله تعالى عند اعترافهم بذلك ﴿قوله اشارة تحقير﴾ فانه قد ينزل قرب الدرجة ودناءة المنزلة منزلة قرب المسافة فيشار اليه بلفظ القريب كقول الكفرة في حق ابراهيم عليه الصلاة والسلام اهذا الذي يذكر آلهتكم واللهو ما يتلذذ به الانسان ويجعله مشتغلا به معرضا بسببه عما يهمه ويلهيه ساعة ثم ينقضي ﴿قوله لهي دار الحياة﴾ جواب عما يقال كيف اطلق الحيوان بمعنى الحياة او بمعنى النامي الحساس على الدار الآخرة مع انها ليست عبارة عن الحياة ولا نام حساس وتقرير الجواب ان الحيوان مصدر بمعنى الحياة والكلام على تقدير مضاف او جعلت هي في ذاتها حياة للمبالغة فان ما فيها من الحياة لما كانت حياة مستمرة دائمة لا موت فيها صارت كأنها في ذاتها حياة ﴿قوله متصل بما دل عليه الى آخره﴾ يعني الفاء عاطفة لدخولها على الجملة المدلول عليها بما ذكر قبلها ﴿قوله كائنين في صورة من اخلص دينه لله﴾ يعني ان تسميتهم مخلصين تهكم بهم من حيث انهم ليسوا مخلصين حقيقة حيث ان الذي الجأهم الى ان ذكروا الله تعالى خاصة وتركوا ما سواه

(ليكفروا بما آتيناهم) اللام فيه لام كي اى يشركون ليكونوا كافرين بشركهم نعمة النجاة (وليتمتعوا) باجتماعهم على عبادة الاصنام وتوادّهم عليها او لام الامر على التهديد ويؤيده قرآءة ابن كثير وحمزة والكسائى وقالون عن نافع وليتمتعوا بالسكون (فسوف يعلمون) عاقبة ذلك حين يعاقبون (أولم يروا) يعنى اهل مكة (انا جعلنا حرما آمنا) اى جعلنا بلدهم مصونا من النهب والتعدى آمنا اهله من القتل والسبى (ويتخطف الناس من حولهم) يختلسون قتلا وسبيا اذ كانت العرب حولهم فى تغاور وتناهب (أفبالباطل) أبعد هذه النعمة المكشوفة وغيرها مما لا يقدر عليه الا الله بالصنم او الشيطان (يؤمنون وبنعمة الله يكفرون) حيث اشركوا به غيره وتقديم الصلتين للاهتمام او الاختصاص على طريق المبالغة (ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا) بان زعم ان له شريكا (او كذب بالحق لما جاءه) يعنى الرسول او الكتاب وفى لما تسفيه لهم بان لم يتوقفوا ولم يتأملوا قط حين جاءهم بل سارعوا الى التكذيب اوّل ما سمعوه (أليس فى جهنم مثوى للكافرين) تقرير لثوآئهم كقوله * ألستم خير من ركب المطايا * اى ألا يستوجبون الثوآء فيها وقد افتروا مثل هذا الكذب على الله وكذبوا بالحق مثل هذا التكذيب او لاجترآئهم اى ألم يعلموا ان فى جهنم مثوى للكافرين حتى اجترؤا هذه الجرأة (والذين جاهدوا فينا) فى حقنا واطلاق المجاهدة ليعم جهاد الاعادى الظاهرة والباطنة بانواعه (لنهدينهم سبلنا) سبل السير الينا والوصول الى جنابنا او لنزيدنهم هداية الى سبيل الخير وتوفيقا لسلوكها كقوله والذين اهتدوا زادهم هدى وفى الحديث من عمل بما علم ورّثه الله علم ما لم يعلم (وان الله لمع المحسنين) بالنصر والاعانة قال عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة العنكبوت كان له من الاجر عشر حسنات بعدد كل المؤمنين والمنافقين

سورة الروم

مكية الا قوله فسبحان الله حين تمسون الآية

ستون او تسع وخمسون آية

(بسم الله الرحمن الرحيم الم غلبت الروم فى ادنى الارض) ارض العرب منهم لانها الارض المعهودة عندهم او فى ادنى ارضهم من العرب واللام بدل من الاضافة

خوف الغرق والهلاك وفى الآية مضمر وتقدير الكلام فاذا ركبوا فى الفلك وهاجت الرياح واضطربت الامواج وكادت تغرقهم دعوا الله ودل على هذا المحذوف ذكر التنجية بعده ﴿قوله اللام فيه لام كى﴾ اى يشركون ليكونوا اشراكهم كفرا بنعمة الانجاء والمعنى انه لا فائدة لهم فى الاشراك الا الكفر والتمتع بما يستمتعون به فى العاجلة من غير ان يترتب عليه نصيب فى الآخرة ثم انه تعالى لما ذكر ان المشركين يخصون ربهم بالدعاء والتضرع عندما وقعوا فى الخوف الشديد من امواج البحر ثم يعودون الى الشرك القديم وقت الخلاص منه بالخروج الى البر ذكر حالهم عند غاية الامن وهو اشراكهم بالله الذى جعل لهم حرما آمنا يأمنون فيه على نفوسهم واموالهم فان اخوف احوال الانسان حال كونه فى بحر متلاطم الامواج فيضطر حينئذ الى التوحيد واخلاص الدين له فعاده الى الشرك بعدما نجاه الله تعالى الى البر اذا كان قبيحا فشركه فى حرم الله تعالى الذى ليس فى بلاد الله تعالى ما يدانيه فى كونه مأمنا فى غاية القبح فلذلك انكر عليهم بقوله أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله يكفرون ثم بالغ فى وجه الانكار بان بين ان مجرد الشرك نهاية الظلم ولا احد اظلم من المشرك فكيف اذا كان الاشراك فى مقام يجب ان يكون العبد فيه احسن حالا منه فى سائر البلاد وانما قلنا الشرك نهاية الظلم لان الظلم وضع الشئ فى غير موضعه سوآء امكن وضعه فيه او امتنع فمن وضع شيأ فى موضع لا يمكن ان يكون ذلك موضعه يكون اظلم لان عدم الامكان اقوى من عدم اللياقة وكذا تكذيب الحق ظلم ومن كذبه اوّل ما سمعه من غير توقف وتأمل يكون اظلم ﴿قوله ألستم خير من ركب المطايا﴾ واندى العالمين بطون راح * الندى الجود يقال رجل ندى اى جواد وفلان اندى من فلان اذا كان اكثر خيرا منه قيل لما بلغ الشاعر هذا البيت من قصيدته وكان الخليفة متكئا استوى جالسا فرحا وقال من مدحنا فليمدحنا هكذا واعطاه مائة من الابل ولو كان مقصود الشاعر بقوله ألستم الاستفهام لما اعطاه الخليفة مائة من الابل بل الهمزة فيه للانكار دخلت على النفى فافادت اثبات الخيرية وتقريرها فكذا فى الآية كانت لاقرار ثوآئهم فيها وكان المعنى ألا يثوون فى جهنم وألا يستحقون الثوآء فيها وقد افتروا مثل هذا التكذيب على الله تعالى ﴿قوله او لاجترآئهم﴾ عطف على قوله لثوآئهم اى وهو تقرير لاجترآئهم ثم انه تعالى لما فرغ من اقامة دلائل التوحيد وبطلان الشرك وتقريع المشركين وتهديدهم بتقرير ثوآئهم فى جهنم شرع فى تثبيت المؤمنين على ما هم عليه من المجاهدة مع كل ما يجب مجاهدته من النفس الامارة بالسوء والشيطان واعدآء الدين فقال والذين جاهدوا فينا اى جدّوا وبذلوا وسعهم فى حقنا ولاجلنا ووجهنا خالصا لنهدينهم سبيل السير الينا والوصول الى جنابنا فان من جاهد فى الله حق جهاده وهو صرف الافتقار الى الله تعالى بالانفصال عن كل شئ سوى الله انكشف عنه الحجب الظلمانية وحجب عالم الاكوان كلها وتجلى له اسرار الملكوت وانوار عالم الغيب ومن اجتهد برفض العادات البشرية ومخالفة الاهوآء الطبيعية وتهذيب ظاهره عن المخالفات المنهية بملازمة الاعمال السنية وباطنه من الاخلاق الردية بالتحلى بالاخلاق المرضية انفتح له سبيل السير الى الله بالقوة القدسية والقابلية الملكية واللطافة الروحانية فانه بقدر الجد تكتسب المعالى * والى الله ابتهل فى ان يخلصنى من طريقة الذين يقولون ما لا يفعلون ويوفقنى للسعى والاجتهاد فى تهذيب الاخلاق واصلاح الاعمال انه قريب مجيب وقيل معنى الهداية ههنا التثبيت عليها والزيادة منها فانه تعالى يزيد المجاهدين هداية كما انه يزيد الكافرين ضلالة * تم ما يتعلق بسورة العنكبوت والحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبى بعده وعلى آله واصحابه الحائزين فضله * وهذا اوان الشروع فى ايراد ما يتعلق بسورة الروم

سورة الروم وهى مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

افتتحت هذه السورة الكريمة بحروف التهجى مع انه لا يفهم منها معنى يقصد تبليغه لتنبيه السامع وايقاظه حتى يقبل على استماع ما يلقى اليه بقلب حاضر فانه لما ذكر فى اوّل هذه السورة ما هو معجزة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو اخباره من الغيب الذى هو غلبة الروم على فارس فى بضع سنين افتتحت بهذه الحروف لينتبه السامع فيقبل بقلبه على استماع ما يلقى اليه بعدها ﴿قوله لانها﴾ اى لان ارض العرب هى الارض المعهودة عندهم يعنى ان اللام فى لفظ الارض ان كانت للعهد فالمراد بها ارض العرب لان ارضهم هى المعهودة عندهم والمعنى غلبت فارس الروم فى اقرب ارض العرب الى الروم فقوله ارض العرب منهم اى من الروم وقرين فى منهم صلة ادنى يقال

(وهم من بعد غلبهم) من اضافة المصدر الى المفعول وقرئ غلبهم وهو لغة كالحلب والحلب (سيغلبون فى بضع سنين) روى ان الفرس غزوا الروم فوافوهم باذرعات وبصرى وقيل بالجزيرة وهى ادنى ارض الروم من الفرس فغلبوا عليهم وبلغ الخبر مكة ففرح المشركون وشمتوا بالمسلمين وقالوا انتم والنصارى اهل كتاب ونحن وفارس اميون وقد ظهر اخواننا على اخوانكم ولنظهرن عليكم فنزلت فقال لهم ابو بكر لا يقرن الله اعينكم فوالله ليظهرن الروم على فارس بعد بضع سنين فقال له ابى بن خلف كذبت اجعل بيننا اجلا اناحبك عليه فناحبه على عشر قلائص من كل واحد منهما وجعلا الاجل ثلاث سنين فاخبر ابو بكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال البضع ما بين الثلاث الى التسع فزايده فى الخطر ومادّه فى الاجل فجعلاها مائة قلوص الى تسع سنين ومات ابى من جرح رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد قفوله من احد وظهرت الروم على فارس يوم الحديبية فاخذ ابو بكر الخطر من ورثة ابى وجاء به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تصدق به واستدل به الحنفية على جواز العقود الفاسدة فى دار الحرب واجيب بانه كان قبل تحريم القمار والآية من دلائل النبوة لانها اخبار عن الغيب وقرئ غلبت بالفتح وسيغلبون بالضم ومعناه ان الروم غلبوا على ريف الشام والمسلمون سيغلبونهم وفى السنة التاسعة من نزوله غزاهم المسلمون وفتحوا بعض بلادهم وعلى هذا يكون اضافة الغلب الى الفاعل (لله الامر من قبل ومن بعد) من قبل كونهم غالبين وهو وقت كونهم مغلوبين ومن بعد كونهم مغلوبين وهو وقت كونهم غالبين اى له الامر حين غلبوا وحين يغلبون ليس شئ منهما الا بقضائه وقرئ من قبل ومن بعد من غير تقدير مضاف اليه كأنه قيل قبلا وبعدا اى اولا وآخرا (ويومئذ) ويوم يغلب الروم (يفرح المؤمنون بنصر الله) من له كتاب على من لا كتاب له لما فيه من انقلاب التفاؤل وظهور صدقهم فيما اخبروا به المشركين وغلبتهم فى رهانهم وازدياد يقينهم وثباتهم فى دينهم وقيل بنصر الله المؤمنين باظهار صدقهم او بان ولى بعض اعدائهم بعضا حتى تفانوا (ينصر من يشاء) فينصر هؤلاء تارة وهؤلاء اخرى (وهو العزيز الرحيم) ينتقم من عباده بالنصر عليهم تارة ويتفضل عليهم بنصرهم اخرى (وعد الله) مصدر مؤكد لنفسه لان ماقبله فى معنى الوعد (لا يخلف الله وعده) لامتناع الكذب عليه (ولكن اكثر الناس لا يعلمون) وعده ولا صحة وعده لجهلهم وعدم تفكرهم (يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا) ما يشاهدونه منها والتمتع بزخارفها (وهم عن الآخرة) التى هى غايتها والمقصود منها (هم غافلون) لا تخطر ببالهم وهم الثانية تكرير للاولى او مبتدأ وغافلون خبره والجملة خبر الاولى (اهم)
وهو على الوجهين مناد على تمكن غفلتهم عن الآخرة المحققة لمقتضى الجملة المتقدمة المبدلة من قوله لا يعلمون تقريرا لجهالتهم وتشبيها لهم بالحيوانات المقصور ادراكها من الدنيا على بعض ظاهرها فان من العلم بظاهرها معرفة حقائقها وصفاتها وخصائصها وافعالها واسبابها وكيفية صدورها منها وكيفية التصرف فيها ولذلك نكر ظاهرا

دنا منه اى قرب منه والمراد بادنى ارض العرب من الروم اطراف الشام وان كانت اللام فيه بدلا من المضاف اليه يكون المعنى غلبت الروم فى ادنى ارض الروم من العرب وضمير ارضهم يعود الى الروم • فان قلت جعلت الارض التى غلبت الروم فيها العرب تارة والروم اخرى فما وجهه • قلت يجوز ان تكون تلك الارض مسكنهم جميعا بان يسكن فيها البعض من كل فريق فجاز اضافتها تارة الى العرب واخرى الى الروم ﴿قوله من اضافة المصدر الى المفعول﴾ والمعنى وهم اى الروم من بعد مغلوبيتهم سيغلبون فارس فى بضع سنين واذرعات موضع بالشام وبصرى ايضا موضع بالشام والجزيرة موضع بعينه وهى ما بين دجلة والفرات وليس المراد بها جزيرة العرب وحدها على ما روى عن الاصمعى انها من اقصى عدن الى ريف العراق طولا ومن جدة وما والاها الى اطراف الشام عرضا وسبب تسميتها جزيرة احاطة البحار والانهار العظام بها كبحر الحبشة وبحر فارس ودجلة والفرات ﴿قوله وقيل بالجزيرة وهى ادنى ارض الروم من فارس﴾ فعلى هذا يكون قوله فى ادنى الارض يعنى فى ادنى ارض الروم من فارس كما روى عن مجاهد انه قال هى ارض الجزيرة وهى ادنى ارض الروم الى فارس فتكون اللام فى الارض عوضا عن المضاف اليه ﴿قوله وشمتوا بالمسلمين﴾ اى فرحوا بانفعال المسلمين وتحزنهم فان الشماتة عبارة عن الفرح ببلية العدو وهى من باب علم وسبب نزول هذه الآية على ما ذكره المفسرون انه كان بين فارس والروم قتال وكان المشركون يودون ان يغلب فارس الروم لان اهل فارس كانوا مجوسا اميين والمسلمون يودون غلبة الروم على فارس لكونهم اهل كتاب فبعث كسرى جيشا الى الروم واستعمل عليهم رجلا يقال له شهربراز وبعث قيصر جيشا واستعمل عليهم رجلا يدعى بحنس فالتقيا باذرعات وبصرى وهى ادنى ارض الشام الى ارض العرب والعجم فغلبت فارس الروم فبلغ ذلك المسلمين بمكة فشق ذلك عليهم وفرح به كفار مكة وقالوا للمسلمين انكم اهل كتاب والنصارى اهل كتاب ونحن اميون كاهل فارس وقد ظهر اخواننا من اهل فارس على اخوانكم من الروم وانكم ان قاتلتمونا لنظهرن عليكم فانزل الله تعالى هذه الآيات لبيان ان الغلبة لا تدل على الحق بل الله تعالى قد يريد ان يزيد فى ثواب المحق فيبتليه ويسلط عليه الاعادى وقد يختار تعجيل العذاب الادنى دون العذاب الاكبر قبل يوم المعاد والمناحبة المراهنة والقلائص جمع قلوص وهى من النوق الشابة وهذه المناحبة كانت قبل تحريم القمار وهو الظاهر لان السورة مكية وتحريم الخمر والميسر من آخر الآى نزولا ﴿قوله من قبل كونهم غالبين الى آخره﴾ يعنى ان جمهور القراء قرؤا من قبل ومن بعد مبنيان على الضم من حيث انهما لما قطعا عن الاضافة مع كونها منوية مرادة صارا كبعض الاسم فى عدم استحقاق الاعراب فلابد من تقدير المضاف اليه فقدره بقوله من قبل كونهم غالبين ومن بعد كونهم مغلوبين بناء على ان كلا من الوقتين اعنى وقت كونهم مغلوبين ووقت كونهم غالبين بالنسبة الى الآخر له اعتبار القبلية والبعدية فان الروم كانوا فى اول الامر مغلوبين وفى ثانى الحال صاروا غالبين فكونهم مغلوبين قبل كونهم غالبين وكونهم غالبين بعد كونهم مغلوبين وقد كان لله الامر فى اول الوقتين وفى آخرهما اى حين غلبوا وحين يغلبون وعبر عن اول الوقتين بقوله من قبل كونهم غالبين لكون وقت مغلوبيتهم قبل كونهم غالبين وعبر عن ثانى الوقتين بقوله ومن بعد كونهم مغلوبين لكون وقت غلبتهم بعد ذلك ﴿قوله وقرئ من قبل ومن بعد﴾ مجرورين منونين لانه اذا لم يكن المضاف اليه المحذوف منويا يكون اعتبار اسمه فيعرب على حسب اقتضاء العامل كقول الشاعر

فساغ لى الشراب وكنت قبلا • اكاد اغص بماء الفرات

﴿قوله فى رهانهم﴾ هو مصدر بمعنى المراهنة والمناحبة والغالب فيه يستحق السبق وهو بفتحتين الخطر الذى يتراهن عليه ويوضع بين اهل السباق ويقال الخطر المال اذا جعله خطرا بين المتراهنين ﴿قوله وقيل بنصر الله المؤمنين﴾ عطف على قوله بنصر الله من له كتاب وهو الروم على من لا كتاب له وهو فارس ﴿قوله لان ماقبله فى معنى الوعد﴾ فان قوله تعالى سيغلبون ويومئذ يفرح المؤمنون وعد من الله تعالى بالنصرة فاكده بقوله وعد الله وعامله مضمر اى وعد الله ذلك وعدا ثم قرر معنى هذا المصدر بقوله لا يخلف الله وعده اى فيظهر الروم على فارس ولكن اكثر الناس يعنى كفار مكة لا يعلمون وعده حيث ينكرون الرسالة والوحى ﴿قوله وهو على الوجهين مناد على تمكن غفلتهم من الآخرة﴾ يعنى ان هذا الكلام سواء كانت هم الثانية تكريرا للاولى وكان غافلون خبرا للاولى او كانت مبتدأ ما بعدها خبرها وكانت الجملة خبر الاولى يدل على اختصاص الغفلة من الآخرة

بهم وان الغفلة لاتثبت ولاتستقر الافيهم وهو معنى تمكنها فيهم وقوله المحققة صفة غفلتهم والمراد بالجملة المتقدمة قوله يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا واشار الى ان هذه الجملة بدل من قوله لايعلمون وكل واحد من قوله تقريرا وتشبيها واشعارا منصوب على انه مفعول له لقوله المبدلة علل ابدال قوله يعلمون من قوله لايعلمون بثلاث علل الاولى تقرير جهالتهم المدلول عليها بالمبدل منه فان من لايتجاوز علمه عن بعض ظاهر الدنيا ولايتعلق بالبعض الآخر فضلا عن ان يتعلق بامر الدين واحوال الآخرة لايكون الاجاهلا وقوله تشبيها وان كان فى صورة العلة الثانية الاان المقصود منه بيان وجه كون جملة البدل تقريرا لجهالتهم ووجه كون الابدال مشعرا بما ذكره ان قوله يعلمون لما اقيم مقام قوله لايعلمون وجعل سادّا مسدّه علم منه انه لافرق بين عدم العلم وبين علمهم ﴿ قوله اولم يحدثوا التفكر فيها ﴾ على ان يكون قوله فى انفسهم ظرفا للتفكر والمعنى اولم يشغلوا قلوبهم الفارغة عن الفكر بالفكرة الصالحة والتفكر وان لم يكن الا فى القلوب الاانه زيد قوله فى انفسهم لزيادة تصوير حال المتفكرين كما قيل ولاتخطه بيمينك وابصره بعينه واضمره فى نفسه ونحو ذلك وتكون جملة ماخلق الله السموات الى آخره متصلة بما قبلها فى محل النصب بقوله اولم يتفكروا والمعنى اولم يتفكروا فى قلوبهم ان ماخلق الله السموات والارض الابالحق باضمار ان الخفيفة ويكون التفكر واقعا فى خلقهما بالحق واضمار ان الموصل جائز كما فى قوله تعالى فى هذه السورة ومن آياته يريكم البرق اى ان يريكم البرق كذا فى التيسير وحينئذ يحتاج الى اضمار فى ايضا والاظهر ماذكره المصنف من كونه متعلقا بقول او علم محذوف والتقدير اولم يتفكروا فيقولوا او فيعلموا ان ماخلق الله السموات الخ فعلى هذا لايكون المتفكر فيه مذكورا بخلاف الاحتمال الثانى الذى ذكره بقوله اولم يتفكروا فى امر انفسهم على ان يكون قوله فى انفسهم مفعولا به غير صريح ليتفكروا لاظرفا له كقوله اولم ينظروا فى ملكوت السموات والمعنى هلا تفكروا فى امر انفسهم التى هى اقرب اليهم من سائر المخلوقات وهم اعلم باحوالها وهى كلمة استبطاء كانه قيل ينبغى لهم ان يتفكروا فيها ليتضح لهم كمال قدرة الله تعالى فان من تفكر فى تشريح بدن الانسان وما اودع فيه من غرائب التدبير الالهى حصل له العلم القطعى بانه تعالى فاعل مختار كامل العلم والقدرة وان من يكون كذلك يكون منزها عن الشركاء والانداد والا لكان عاجزا عند ارادة شريكه ضد ما اراده وايضا حصل له العلم بحقيقة الحشر والجزاء لانه اذا تفكر فى نفسه يرى قواه صائرة الى الزوال واجزاءه مائلة الى الانحلال فيقطع بانه سيفنى عن قريب فلو لم يكن له حياة اخرى لكان خلقه على هذا الوجه عبثا كما اشير اليه بقوله تعالى افحسبتم انما خلقناكم عبثا وهذا ظاهر لانه من بالغ فى تدبير شئ سيفنى عن قريب بالكلية وصوّره احسن تصوير واعتنى فى انتظام احواله ابلغ ماءمكن من الاعتناء مع علمه بانه عن قريب يصير كأن لم يكن شيأ مذكورا يضحك منه ويتعجب من سفاهته فمن تفكر فى شأن نفسه على هذا الوجه علم انه تعالى خلقه للبقاء ولابقاء الابالحشر والاحياء فظهر ان تفكر الانسان فى امر نفسه يؤديه الى القطع بان العالم له اله واحد قادر على الابداء والاعادة فيكون قوله ماخلق الله السموات والارض ومابينهما الابالحق جملة مستأنفة لاتعلق لها بما قبلها ذكرت بعد اقامة دليل الانفس استدلالا بدليل الآفاق فمعنى الآية على هذا الوجه اولم يتفكروا فى خلق السموات والارض فيعلموا ان الله تعالى لم يخلقها عبثا ولاجزافا ولكن ليعتبر بها عباده وليستدلوا بها على وحدانيته وكمال قدرته وانه انما خلقها لمنافع عباده بلاغا لهم فى دار التكليف وعونا لاكتساب مايسعدهم فى دار الجزاء وهو معنى قوله بالحق والباء فيه اما سببية او حالية اى ماخلقها الا للحق او ملتبسة بالحق مقرونة به لاباطلا ولاعبثا خاليا عن حكمة بالغة ولاتبقى خالدة وانما خلقها مؤجلة باجل مسمى وتقوس البشر مندرجة فى مفهوم قوله ومابينهما ثم انه تعالى لما ارشد الى مايؤدى الى العلم بحقية الآخرة وان السموات والارض ومابينهما جميعا مخلوقة للانتهاء الى اجل مسمى عدّد الغافلين عن الآخرة المصرّين على الكفر وتكذيب الانبياء بقوله او لم يسيروا فى الارض وهو استفهام تقرير لسيرهم ونظرهم الى آثار المدمّرين قبلهم وبعد تقرير ذلك ذكر ان اهل مكة اولى بالهلاك لان من تقدم من عاد وثمود كانوا اشدّ من اهل مكة قوة واكثر مالا وعمارة ولم ينفعهم قواهم ولم يمنعهم من الهلاك اموالهم وحصونهم ﴿ قوله او الآيات الواضحات ﴾ اى دلائل الحق وبراهينه وعن ابن عباس رضى الله عنهما بالحلال والحرام والحدود والاحكام ﴿ قوله تعالى فما كان الله ليظلمهم ﴾ قبله مضمر تقديره فلم يؤمنوا فاهلكوا فما ظلمهم الله بتعذيبهم من غير ذنب وثم فى قوله ثم كان لترتيب الاخبار * قرأنافع وابن كثير وابوعمرو عاقبة الذين مرفوعا

واما باطنها فانها مجاز الى الآخرة ووصلة الى نيلها وانموذج لاحوالها واشعارا بانه لافرق بين عدم العلم والعلم الذى يختص بظاهر الدنيا (اولم يتفكروا فى انفسهم) اولم يحدثوا التفكر فيها او اولم يتفكروا فى امر انفسهم فانها اقرب اليهم من غيرها ومرآة يجتلى فيها للمستبصر ما يجتلى له فى الممكنات بأسرها ليتحقق له قدرة مبدعها على اعادتها من قدرته على ابدائها (ماخلق الله السموات والارض ومابينهما الابالحق) متعلق بقول او علم محذوف يدل عليه الكلام (واجل مسمى) تنتهى عنده ولاتبقى بعده (وان كثيرا من الناس بلقاء ربهم) بلقاء جزائه عند انقضاء الاجل المسمى اوقيام الساعة (لكافرون) جاحدون يحسبون ان الدنيا ابدية وان الآخرة لاتكون (اولم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) تقرير لسيرهم فى اقطار الارض ونظرهم الى آثار المدمّرين قبلهم (كانوا اشدّ منهم قوة) كعاد وثمود (واثاروا الارض) وقلبوا وجهها لاستنباط المياه واستخراج المعادن وزرع البذور وغيرها (وعمروها) وعمروا الارض (اكثر مما عمروها) من عمارة اهل مكة اياها فانهم اهل واد غير ذى زرع لاتبسط لهم فى غيرها وفيه تهكم بهم من حيث انهم مغترون بالدنيا مفتخرون بها وهم اضعف حالا فيها اذمدار امرها على التبسط فى البلاد والتسلط على العباد والتصرف فى اقطار الارض بانواع العمارة وهم ضعفاء ملجؤن الى واد لانفع له (وجاءتهم رسلهم بالبينات) بالمعجزات او الآيات الواضحات (فما كان الله ليظلمهم) ليفعل بهم مايفعل الظلمة فيدمرهم من غير جرم ولاتذكير (ولكن كانوا انفسهم يظلمون) حيث عملوا ماادّى الى تدميرهم

(ثم كان عاقبة الذين اساؤا السوأى) اى ثم كان عاقبتهم العقوبة السوأى او الخصلة السوأى فوضع الظاهر موضع الضمير دلالة على ما اقتضى ان يكون تلك عاقبتهم وانهم جوزوا بمثل افعالهم والسوأى تأنيث الاسوء كالحسنى او مصدر كبشرى نعت بها (ان كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزؤن) علة او بدل او عطف بيان للسوأى او خبر كان والسوأى مصدر اساؤا او مفعوله بمعنى ثم كان عاقبة الذين اقترفوا الخطيئة ان طبع الله على قلوبهم حتى كذبوا الآيات واستهزؤا بها ويجوز ان تكون السوأى صلة الفعل وان كذبوا تابعها والخبر محذوفة للابهام والتهويل وان يكون ان مفسرة لان الاساءة اذا كانت مفسرة بالتكذيب والاستهزآء كانت متضمنة معنى القول وقرأ ابن عامر والكوفيون عاقبة بالنصب على ان الاسم السوأى وان كذبوا على الوجوه المذكورة (الله يبدأ الخلق) ينشئهم (ثم يعيده) يبعثهم (ثم اليه ترجعون) للجزآء والعدول الى الخطاب للمبالغة فى المقصود وقرأ ابو عمرو وابو بكر وروح بالياء على الاصل (ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون) يسكتون متحيرين آيسين يقال ناظرته فابلس اذا سكت وايس من ان يحتج ومنه الناقة المبلاس التى لاترغو وقرئ بفتح اللام من ابلسه اذا اسكته (ولم يكن لهم من شركائهم) ممن اشركوهم بالله (شفعاء) يجيرونهم من عذاب الله ومجيئه بلفظ الماضى لتحققه (وكانوا بشركائهم كافرين) يكفرون بآلهتهم حين يئسوا منهم وقيل كانوا فى الدنيا كافرين بسببهم وكتب فى المصحف شفعوآء وعلموآء بنى اسرآئيل بالواو والسوأى بالالف قبل الياء اثباتا للهمزة على صورة الحرف الذى منه حركتها (ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون) اى المؤمنون والكافرون لقوله (فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم فى روضة) ارض ذات ازهار وانهار (يحبرون) يسرون سرورا تهللت له وجوههم (واما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة فاولئك فى العذاب محضرون) مدخلون لايغيبون عنه (فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد فى السموات والارض وعشيا وحين تظهرون) اخبار فى معنى الامر بتنزيه الله تعالى والثناء عليه فى هذه الاوقات التى تظهر فيها قدرته وتتجدد فيها نعمته او دلالة على ان ما يحدث فيها من الشواهد الناطقة بتنزيهه واستحقاقه الحمد ممن له تمييز من اهل السموات والارض

على انه اسم كان وتذكير كان مبنى على ان تأنيث عاقبة غير حقيقى والسوأى خبر كان واختار المصنف هذه القرآءة حيث قال ثم كان عاقبتهم العقوبة او الخصلة السوأى وقوله ان كذبوا امّا علة بتقدير لام العلة اى لان كذبوا او باء السببية اى بان كذبوا واما بدل او عطف بيان للسوأى ولاشك ان التكذيب خصلة سوأى وعقوبة سوأى فيصح ان يكون بدلا او عطف بيان لعقوبة السوأى والخصلة السوأى فمعنى الآية ثم كان التكذيب آخر امرهم اى ماتوا على ذلك بجازاهم الله تعالى بذلك على اساءتهم حيث طبع على قلوبهم حتى ماتوا على التكذيب ويحتمل ان يكون قوله ان كذبوا خبر كان وحينئذ يكون السوأى مصدرا بمعنى الاساءة منصوبا باساؤا او يكون مفعول اساؤا لتضمينه معنى اقترفوا والمعنى ثم كان عاقبة الذين اقترفوا الخطيئة التى هى اسوأ الخطايا ان طبع الله على قلوبهم حتى كذبوا الآيات واستهزؤا بها فان السوأى تأنيث الاسوء بمعنى الاقبح ثم ذكر احتمالا آخر وهو ان يكون السوأى مفعول اساؤا ايضا وان كذبوا عطف بيان له او بدلا منه ويكون الخبر محذوفا للابهام والتهويل والمعنى ثم كان عاقبة الذين اقترفوا الخطيئة السوأى وهى التكذيب والاستهزآء مالا يكتنه كنهه ولا يغادر قدره فى الشدة والفظاعة ثم انه تعالى لما ذكر ان عاقبة المسيء العقوبة السوأى قرر ذلك ببيان ان المخلوقات بأسرها يحشرون بعد الموت ثم اليه يرجعون للجزاء ثم بين ما يكون وقت الرجوع اليه بقوله ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون اى ينقطع كلامهم وحجتهم ويبقون آيسين من كل خير ساكتين متحيرين ﴿ قوله التى لاترغو ﴾ من الرغاء وهو صوت ذات الخف يقال رغا البعير يرغو رغاء اذا صوّت وابلست الناقة اذا لم ترغ من شدة الضبعة وهى شدة شهوة الناقة للفحل ﴿ قوله يكفرون بآلهتهم ﴾ على ان الباء فى قوله بشركائهم صلة كافرين وما قيل بعده على ان الباء للسببية ﴿ قوله وكتب فى المصحف شفعوآء وعلموآء بنى اسرآئيل بالواو ﴾ قبل الالف على لغة من يميل الالف الى الواو وعلى هذه اللغة كتب الصلوة والزكوة والربوا ثم ان الالف المكتوبة على صورة الواو ان كانت فى الآخر جمع بينها وبين الواو فى الرسم كما فى الربوا وعلموا بخلاف الالف المتوسطة كما فى الصلوة والزكوة ﴿ قوله لقوله فاما الذين ﴾ وجه الاستدلال ان الفاء فيه لتفصيل ما اجمل بقوله يتفرقون ﴿ قوله تهللت ﴾ اى تلالأت ولمعت قال الراغب الحبر الاثر المستحسن ومنه ما روى انه يخرج من النار رجل ذهب حبره وسبره اى جماله وبهاؤه والحبير التحسين والفاء فى قوله تعالى فاما الذين آمنوا لتفصيل ما اجمل فى قوله يومئذ يتفرقون اسند التفرق الى فريق المؤمنين والكافرين على الاجمال ثم فصل حالهما وبين مصيرهما بما هو وعد فى حق احدهما ووعيد فى حق الآخر ثم فرع على هذا الوعد والوعيد قوله فسبحان الله الآية فان الفاء فيه فاء الجزآء لشرط محذوف والا لم يكن للكلام وجه ارتباط بما قبله كانه قيل اذا تقرر عندكم مصير كل واحد من الفريقين واتضح عاقبة المؤمنين من اهل طاعته المقبلين اليها فسبحوا الله تعالى تسبيحا فى هذه الاوقات وهذا معنى قول المصنف ان قوله تعالى فسبحان الله فى معنى الامر بتنزيه الله تعالى ولم يجعله امرا حقيقة بان يكون المصدر منصوبا بفعل الامر لكونه مصدرا بفاء الجزآء والامر بل الجمل الانشائية مطلقا لا يصح تعليقها بالشرط لان الانشاء ايقاع المعنى بلفظ يقارنه ولو جاز تعليقه لزم تأخره عن زمان التلفظ وانه غير جائز وانما المعلق بالشرط هو الاخبار عن انشاء التمنى والترجى وانشاء المدح والذم والاستفهام ونحوها فاذا قلت ان فعلت فعل كذا غفر الله لك او نعم ما فعلت كان المعنى فقد فعلت ما تستحق بسببه ان يغفر لك او ان تمدح بسببه الا ان الجملة الانشائية اقيمت مقامه للمبالغة فى الدلالة على الاستحقاق فمعنى الآية اذا كان الامر كما تقرر فانتم تسبحون الله تعالى فى الاوقات المذكورة وهو فى معنى الامر بالتسبيح فيها وكذا قوله تعالى وله الحمد اخبار فى معنى الامر بالثناء عليه فكأنه قيل اذا تقرر ذلك فعليكم بتسبيح الله تعالى وتحميده الذين يوصلان الى الوعد ويخلصان من الوعيد ه وقوله التى تظهر فيها قدرته اشارة الى وجه تخصيص هذه الآية بالتنزيه وقوله وتتجدد فيها نعمته اشارة الى وجه تخصيصها بالثناء ﴿ قوله او دلالة ﴾ عطف على قوله اخبار فى معنى الامر لا على مجرد كونه اخبارا لما بينا ان كونه جواب الشرط يستلزم كونه اخبارا البتة وانما الاحتمال فى كونه فى معنى الامر او لمجرد الدلالة على ان ما يحدث فيها من الدلائل الدالة على تنزيهه تعالى عن سمات العجز والامكان واستحقاقه الحمد والثناء بكل لسان من السن الملائكة والانس والجان ﴿ قوله لان آثار القدرة والعظمة فيهما اظهر ﴾ من حيث انه يتبدل فيهما احد الضدين بالآخر كتبدل الظلمة بالنور وبالعكس وكتبدل ما يشبه الحياة بما يشبه الموت وبالعكس واصبح وامسى من الافعال الناقصة الا ان قوله تمسون وتصبحون فى الآية من الافعال التامة بمعنى تدخلون فى المساجد وتدخلون فى الصباح

(وكذا)

وكذا تظهرون اى تدخلون فى الظهيرة ﴿ قوله وتخصيص التسبيح بالمساء والصباح ﴾ وتخصيص الحمد بالعشى والظهيرة مبنى على كون قوله وعشيا معطوفا على قوله فى السموات والارض لانه لو كان معطوفا على قوله تمسون كما ذهب اليه عامة المفسرين لكانت الاوقات المذكورة باسرها اوقات التسبيح ولكان المعنى سبحوه حين تمسون وحين تصبحون وعشيا وحين تظهرون وحينئذ يكون قوله وله الحمد اعتراضا بين المعطوف والمعطوف عليه وفائدة الاعتراض التنبيه على انهم انما يسبحون فى هذه الاوقات بتمكين الله تعالى اياهم وتوفيقه لهم فعليهم ان يحمدوا الله تعالى اذا سبحوه كما قال تعالى يمنون عليك ان اسلموا قل لا تمنوا على اسلامكم بل الله يمن عليكم ان هداكم ﴿ قوله وعن ابن عباس رضى الله عنهما ﴾ عطف من حيث المعنى على قوله فى معنى الامر بتنزيه الله تعالى فانه بمنزلة ان يقال المراد بالتسبيح التنزيه وهذا المعطوف بمنزلة ان يقال المراد به الصلاة بطريق تسمية الشئ باسم ما فيه وما بعده من الاحاديث تؤيد كون التسبيح على اصل معناه فانه اذا قيل سبح فلا يكون الا انه قال سبحان الله وكذا كبر وحوقل معناهما قال الله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله ﴿ قوله وقرئ حينا ﴾ بالتنوين فتكون الجملة بعده صفة له بحذف العائد كما فى قوله تعالى واخشوا يوما لا يجزى والدهن ولده اى لا يجزى فيه ثم انه تعالى بين استحقاقه التحميد والتسبيح ببيان انه يخرج احد الضدين من الآخر وبيان ان الابداء والاعادة متساويان بالنسبة الى قدرته فقال يخرج الحى من الميت الى آخره فهذه الآية كالدليل على قوله الله يبدئ الخلق ثم يعيده ﴿ قوله تعالى ومن آياته ﴾ خبر مقدم لقوله ان خلقكم اى ومن آياته الدالة على كمال قدرته المستلزم لوحدانيته وتفرده فى الالوهية خلق اصلكم من تراب ثم بشكم ونشركم على وجه الارض وثم للتراخى الزمانى بين بثهم وانتشارهم فى الارض وبين كونهم مخلوقين من اصل واحد واذا الفجائية للدلالة على ان ذلك البث والانتشار لم يكن بعد انقضاء زمان مديد منذ زمان خلق اصلكم ﴿ قوله تنتشرون ﴾ صفة البشر لان المراد به الجنس ﴿ قوله لان حواء خلقت من ضلع آدم عليه الصلاة والسلام ﴾ اى من عظم جنبه جعل ضميرلكم وانفسكم متناولا لآدم عليه الصلاة والسلام ولمن بعده من آباء النساء فهم اموات لا يصلحون للخطاب بطريق تغليب الاحياء على الاموات اذ مقابلة الجمع بالجمع تقتضى انقسام الآحاد على الآحاد غير مرعى فى هذا التوجيه والظاهر انه جعل ذلك الاصل اكثريا لا كليا ﴿ قوله او لانهن من جنسهم ﴾ يعنى ان قوله من انفسكم بمعنى من جنسكم كما فى قوله تعالى لقد جاءكم رسول من انفسكم ويدل عليه قوله لتسكنوا اليها فان سكون النفس وميل القلب لا يتوقف على كون المسكون اليه منفصلا منه وانما يتوقف على الاتحاد فى الجنس فان الجنسين المختلفين لا يسكن احدهما الى الآخر ﴿ قوله حالة الشبق وغيرها ﴾ لف ونشر على ترتيب قوله مودة ورحمة فان كل واحد من الزوجين يود صاحبه حال شبابهما وغلبة شهوتهما ويعطف عليه ويرحمه حال كبرهما ونهاية خلق قدم المصاحبة وان انقطعت حاجة نفسه اليه فان العطف الواقع فى تلك الحال ليس بسبب المحبة والتاهو بسبب الرحمة ﴿ قوله او بان تعيش الانسان الى آخره ﴾ ناظر الى قوله او بين افراد الجنس مع قطع النظر عن علاقة الازواج ﴿ قوله لقوله ورحمتنا ﴾ قال تعالى فى حق عيسى عليه السلام ولنجعله آية للناس ورحمة منا والمراد بها عيسى عليه السلام جعله الله تعالى آية ورحمة ﴿ قوله تعالى ان فى ذلك ﴾ اى فيما ذكر من خلق الازواج وجعل المودة والرحمة بين الزوجين لآيات لقوم يتفكرون فى عظمة الله تعالى وقدرته فانه تدبير عجيب فى بقاء نوع الانسان بتعاقب اشخاصه وفى ضمن هذا التدبير خلق البشر السوى من شئ يسير من المنى وتربيته فى بطن امه تسعة اشهر من غير خادم يخدمه ويقوم بمصالحه ثم اخراجه من بطن امه مع سلامة نفسه وامه آيات عجيبة تدل على كمال عظمة الله تعالى وقدرته فان ذلك لو كان من عند غير الله لافضى الى هلاك الام وهلاك الولد ايضا فان الولد لو سل من موضع ضيق بغير اعانة الله تعالى لمات ﴿ قوله تعالى ومن آياته ﴾ الدالة على وحدانيته وقدرته على البعث والاحياء خلق السموات ورفعها فى الهواء واقرارها فيه من غير عمد وخلق الارض وبسطها واقرارها على الماء او على الريح وكانت العرب مقرين بان الله تعالى هو المنفرد بخلقهما فبكتهم الله تعالى بان من قدر على خلقهما وعلى ما فيهما من عجائب الصنعة وبدائع الخلقة فلا يكون الا منفردا بالالوهية والربوبية قادرا على احياء الموتى ومجازاتهم على الاحسان والاساءة وفسر اختلاف الالسنة باختلاف اللغات لان نفس الالسنة ليست مختلفة بل هى على هيئة واحدة ﴿ قوله بان علم كل صنف لغة ﴾ على ان تكون اللغات باسرها توقيفية لا اصطلاحية كما ذهب اليه الجمهور وقوله او الهمه وضعها على ان تكون اصطلاحية ثم ان التعليم لا يتوقف على تقدم العقد وجريان

وتخصيص التسبيح بالمساء والصباح لان آثار القدرة والعظمة فيهما اظهر وتخصيص الحمد بالعشى الذى هو آخر النهار من عشيت العين اذا نقص نورها والظهيرة التى هى وسطه لان تجدد النعم فيهما اكثر ويجوز ان يكون عشيا معطوفا على حين تمسون وقوله وله الحمد فى السموات والارض اعتراضا وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان الآية جامعة للصلوات الخمس تمسون صلاة المغرب والعشاء وتصبحون صلاة الفجر وعشيا صلاة العصر وتظهرون صلاة الظهر ولذلك زعم الحسن انها مدنية لانه كان يقول كان الواجب بمكة ركعتين فى اى وقت اتفقت وانما فرضت الخمس بالمدينة والاكثر على انها فرضت بمكة وعنه عليه الصلاة والسلام من سره ان يكال له بالقفيز الاوفى فليقل فسبحان الله حين تمسون الآية وعنه عليه الصلاة والسلام من قال حين يصبح فسبحان الله حين تمسون الى قوله وكذلك تخرجون ادرك ما فاته فى ليلته ومن قال حين يمسى ادرك ما فاته فى يومه وقرئ حينا تمسون وحينا تصبحون اى تمسون فيه وتصبحون فيه (يخرج الحى من الميت) كالانسان من النطفة والطائر من البيضة (ويخرج الميت من الحى) النطفة والبيضة او يعقب الحياة بالموت وبالعكس (ويحيى الارض) بالنبات (بعد موتها) يبسها (وكذلك) ومثل ذلك الاخراج (تخرجون) من قبوركم فانه ايضا تعقيب الحياة بالموت وقرأ حمزة والكسائى بفتح التاء (ومن آياته ان خلقكم من تراب) اى فى اصل الانشاء لانه خلق اصلهم منه (ثم اذا انتم بشر تنتشرون) ثم فاجأتم وقت كونكم بشرا منتشرين فى الارض (ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا) لان حواء خلقت من ضلع آدم وسائر النساء خلقن من نطف الرجال او لانهن من جنسهم لا من جنس آخر (لتسكنوا اليها) لتميلوا اليها وتألفوا بها فان الجنسية علة للضم والاختلاف سبب للتنافر (وجعل بينكم) اى بين الرجال والنساء او بين افراد الجنس (مودة ورحمة) بواسطة الزواج حالة الشبق وغيرها بخلاف سائر الحيوانات نظما لامر المعاش او بان تعيش الانسان متوقف على التعارف والتعاون المحوج الى التواد والتراحم وقيل المودة كناية عن الجماع والرحمة عن الولد لقوله ورحمتنا (ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون) فيعلمون ما فى ذلك من الحكم

الاصطلاح عليها و الا توقف ذلك الاصطلاح على لغة متقدمة و اصطلاح سابق و هلم جرا فاما ان يدور او يتسلسل بل طريق التعليم ان يخلق الله تعالى فى كل صنف علما ضروريا بتلك الالفاظ و بتلك المعانى و باختصاص كل لفظ من تلك الالفاظ بواحد من تلك المعانى و الضرورى ههنا بمعنى الاول الحاصل بمجرد التفات العقل من غير ان يتوقف على شئ آخر من حدس او تجربة او الهام و هو القاء المعنى فى القلب سواء القاه الله بالذات او بواسطة الملك فالعلم الضرورى بان لفظ موضوع لاى معنى مقابل لما يحصل بالالهام ﴿قوله او اجناس نطقكم﴾ اى و يحتمل ان يكون المراد باختلاف الالسنة اختلاف الكيفيات العارضة للاصوات و الالفاظ المنطوقة مع اتحاد اللغة فانك لا تكاد تسمع منطقين متفقين فى همس واحد و لا فى جهارة و لا فى حدة و لا لين و لا فصاحة و لا لكنة و لا نظم و لا اسلوب و لا غير ذلك من صفات النطق و احواله و كذا اختلاف الوانهم و صورهم و هيئاتهم مع انهم ولد رجل واحد و امرأة واحدة و ان اصل الكل واحد و هو الماء و التراب فاختلاف النغمات و اللغات و تفاوت الالوان و الكيفيات بحيث لا يشبه وجه وجها على اتحاد الصورة و لا تشبه نغمة نغمة على اتحاد الآلة دليل واضح على كمال قدرته و نفاذ مشيئته و لطف حكمته فان تمايز الاقارب و الاجانب و تعارف اصحاب المعاملات بعضها مع بعض يتوقف على ما ذكر من الاختلاف فانه لو اتفقت الافراد الانسانية بحسب العوارض و المشخصات لوقع الاشتباه و الالتباس بينهم و لادى الى تعطيل الامور الجمة و المصالح الكثيرة ﴿قوله و حلاها﴾ جمع حلية بمعنى الصفة ﴿قوله لاستراحة القوى النفسانية﴾ وهى بحسب القسمة الاول قوتان محركة و مدركة و المحركة اثنتان شهوية تجذب بها النفس ما يلائمها و غضبية تدفع بها ما لا يلائمها و المدركة عشر خمس منها الحواس الظاهرة و خمس منها الباطنة الحس المشترك الذى يجتمع فيه صور جميع المحسوسات و الخيال الذى هو خزانة الحس المشترك و الوهم الذى به تدرك النفس المعانى الجزئية و المتصرفة التى هى مناط التركيبات و التحليلات و تتعلق بها استنباط الصنائع العجيبة و الافكار الغريبة و الذاكرة و هى خزانة الصور الوهمية كما ان الخيال خزانة الصور الحسية * و للنفس قوى اخر لا مدركة و لا محركة و تسمى القوى الطبيعية و هى سبع الغاذية التى تتصرف فى مادة الغذاء و توصل الاغذية الى اعضاء المتغذى و النامية و المولدة و الجاذبة و الهاضمة و الماسكة و الدافعة و للنفس ثلاث قوى سوى هذه القوى المذكورة و هى روح حيوانى و روح طبيعى و روح نفسانى و الروح الحيوانى هو البخار اللطيف الحاصل من غليان الدم الكائن فى تجويف الصنوبرى و ذلك البخار منبت فى الجانب الايسر من اللحم الصنوبرى و الذى انفصل منه و اتصل بالكبد يسمى روحا طبيعيا و يتعلق به احوال المعدة و الطبخ و الافعال النباتية و الذى يتصاعد منه الى جانب الدماغ بواسطة الشرايين يسمى روحا نفسانيا و تنوط به الافعال الحيوانية و هو لغاية لطافته يسرى و ينفذ فى جميع العروق و الاعضاء و الله اعلم * و لا شئ من القوى الطبيعية تتعطل بالنوم حتى يكون النوم استراحة لها لكنها تتقوى بسببه بخلاف القوى النفسانية فان اكثرها يتعطل بالنوم فيكون النوم سببا لاستراحتها و لما لم يكن النوم مختصا بالليل لكون القيلولة وقت الظهيرة عادة اكثر الناس و كذا لم يكن طلب المعاش مختصا بالنهار لو قوعه فى الليل ايضا قدم احتمال ان لا تكون الآية من قبيل اللف و النشر حيث قال منامكم فى الزمانين و طلب معاشكم فيهما ثم ذكر احتمال كون الآية من باب اللف حيث ذكر فى تفسيرها ما يدل على اختصاص كل واحد من الزمانين بواحد من الفعلين فقال او منامكم بالليل و ابتغاؤكم بالنهار فخص كل واحد من الفعلين بزمان على حدة و اقتصر على عطف احد الفعلين على الآخر و لم يعطف احد الزمانين على الآخر بل خص كل زمان بما وقع فيه من الفعل ليظهر ان النظم وارد على طريق اللف ثم قال فلف اى ذكر الزمانين ثم ذكر ما وقع فى كل واحد منهما من غير تعيين ان ما وقع فى كل واحد منهما اى فعل من الفعلين المذكورين اعتمادا على كون التعيين معلوما للسامع فان اللف عبارة عن ذكر متعدد مع ذكر ما لكل من آحاد ذلك المتعدد من غير تعيين اعتمادا على ان السامع يرد ما لكل من آحاد المتعدد المذكور الى ما هو له ثم قال و يؤيد الاحتمال الثانى قوله تعالى و جعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم و قوله تعالى و جعلنا الليل لباسا و جعلنا النهار معاشا ﴿قوله فان الحكمة فيه﴾ اى فى جعل الزمانين محلا للفعلين ظاهرة اشار به الى وجه تخصيص هذه الآية بقوله لقوم يسمعون و الآية السابقة بقوله لقوم يتفكرون ﴿قوله مقدر بان﴾ المصدرية حتى تكون مع ما فى حيزها مبتدأ و ما قبلها خبره على وفق نظائره و لما حذفت ان بطل عملها و عاد الفعل مرفوعا كما فى قوله * الا ايهذا الزاجرى احضر الوغى * و روى

(ومن آياته خلق السموات والارض واختلاف السنتكم) لغاتكم بان علم كل صنف لغة او الهمه وضعها و اقدره عليها او اجناس نطقكم و اشكاله فانك لا تكاد تسمع منطقين متساويين فى الكيفية (والوانكم) بياض الجلد و سواده او تخطيطات الاعضاء و هيئاتها و الوانها و حلاها بحيث وقع التمايز و التعارف حتى ان التوأمين مع توافق موادهما و اسبابهما و الامور الملاقية لهما فى التخليق يختلفان فى شئ من ذلك لا محالة (ان فى ذلك لآيات للعالمين) لا تكاد تخفى على عاقل من ملك او انس او جن وقرأ حفص بكسر اللام و يؤيده قوله و ما يعقلها الا العالمون (ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله) منامكم فى الزمانين لاستراحة القوى النفسانية و تقوية القوى الطبيعية و طلب معاشكم فيهما او منامكم بالليل و ابتغاؤكم بالنهار فلف و ضم بين الزمانين و الفعلين بعاطفين اشعارا بان كلا من الزمانين و ان اختص باحدهما فهو صالح للآخر عند الحاجة و يؤيده سائر الآيات الواردة فيه (ان فى ذلك لآيات لقوم يسمعون) سماع تفهم و استبصار فان الحكمة فيه ظاهرة (ومن آياته يريكم البرق) مقدر بان كقوله شعر

الا ايهذا الزاجرى احضر الوغى *

و ان اشهد اللذات هل انت مخلدى *

او الفعل فيه منزل منزلة المصدر كقوله تسمع بالمعيدى خير من ان تراه اوصفة لمحذوف تقديره آية يريكم بها البرق كقوله

فما الدهر الا تارتان فمنهما *
اموت واخرى ابتغى العيش اكدح *

(خوفا) من الصاعقة للمسافر (وطمعا) فى الغيث للمقيم ونصبهما على العلة لفعل يلزم المذكور فان اراءتهم تستلزم رؤيتهم اوله على تقدير مضاف نحو اراءة خوف وطمع اوتأويل الخوف والطمع بالاخافة والاطماع كقولك فعلته رغما للشيطان او على الحال مثل كلمته شفاها (وينزل من السماء ماء) وقرأ ابن كثير وابو عمرو بالتخفيف (فيحيى به الارض) بالنبات (بعد موتها) يبسها (ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون) يستعملون عقولهم فى استنباط اسبابها وكيفية تكونها ليظهر لهم كمال قدرة الصانع وحكمته (ومن آياته ان تقوم السماء والارض بامره) قيامهما باقامته لهما وارادته لقيامهما فى حيزيهما المعين من غير مقيم محسوس والتعبير بالامر للمبالغة فى كمال القدرة والغنى عن الآلة (ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا انتم تخرجون) عطف على ان تقوم على تأويل المفرد كأنه قيل ومن آياته قيام السموات والارض بامره ثم خروجكم من القبور اذا دعاكم دعوة واحدة فيقول ايها الموتى اخرجوا والمراد تشبيه سرعة ترتب حصول ذلك على تعلق ارادته بلا توقف واحتياج الى تجشم عمل بسرعة ترتب اجابة الداعى المطاع على دعائه وثم اما لتراخى زمانه او لعظم ما فيه ومن الارض متعلق بدعا كقوله دعوته من اسفل الوادى فطلع الى لا بتخرجون لان ما بعد اذا لا يعمل فيما قبلها واذا الثانية للمفاجأة ولذلك نابت مناب الفاء فى جواب الاول (وله من فى السموات والارض كل له قانتون) منقادون لفعله فيهم لا يمتنعون عليه (وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده) بعد هلاكهم (وهو اهون عليه) والاعادة اسهل عليه من الاصل بالاضافة الى قدركم والقياس على اصولكم والا فهما عليه سوآء ولذلك قيل الهاء للخلق وقيل اهون بمعنى هين وتذكير هو لاهون او لان الاعادة بمعنى ان يعيد (وله المثل) الوصف العجيب الشأن كالقدرة العامة والحكمة التامة ومن فسره بقول لا اله الا الله اراد به الوصف بالوحدانية (الاعلى) الذى ليس لغيره ما يساويه او يدانيه (فى السموات والارض) يصف به ما فيهما دلالة ونطقا (وهو العزيز) القادر الذى لا يعجز عن ابدآء ممكن واعادته (الحكيم) الذى يجرى الافعال على مقتضى حكمته

رفع احضر ونصبها وحسن حذف ان فيه لدلالة ما بعده عليه وهو قوله * وان اشهد اللذات هل انت مخلدى * وقد ينزل الفعل بنفسه منزلة المصدر كما فى قوله * تسمع بالمعيدى خير من ان تراه * اى سماعك به وهو مثل يضرب لرجل الذى له صيت فى الناس فاذا رأيته ازدريته قيل المعيدى تصغير معدّى منسوب الى معد خففت الدال استثقالا للجمع بين التشديد وبين ياء التصغير فتقدير الآية على تقدير ان ينزل الفعل منزلة المصدر اى ومن آياته اراءتكم البرق ووجه كونها آية ان السحاب ليس فيه الا الماء والهوآء وخروج النار منهما بحيث تحرق الجبال فى غاية البعد فلا بد له من خالق قادر على جميع ما يشاء ثم ذكر لارتفاع يريكم وجها ثالثا وهو كونه صفة لمحذوف والتقدير ومن آياته آية يريكم الله تعالى بها البرق فحذف الموصوف وعائده كما فى قول الشاعر

فما الدهر الا تارتان فمنهما * اموت واخرى ابتغى العيش اكدح *

اى فمنهما تارة اموت فيها ﴿ قوله على العلة لفعل يلزم المذكور ﴾ لا لنفس الفعل المذكور لان شرط انتصاب المفعول له ان يكون فعلا لفاعل الفعل المعلل والله تعالى منزه عن الخوف والطمع فاحتيج الى ان يقال فى تأويل الآية يريكم البرق فترونه خوفا وطمعا على طريقة اقامة لازمة الفعل مقام علته ﴿ قوله قيامهما باقامته لهما وارادته لقيامهما فى حيزيهما ﴾ فان السماء وان كانت تتحرك حركة وضعية الا انها ثابتة فى حيزها لا تخرج عنه ولا تميل بعض جوانبها بل تثبت على الهيئة التى خلقت عليها من غير عمد ترونها وكذا الارض مع غاية ثقلها تثبت فى مكانها ولا تنزل ولا تتسفل وما يمسكهما الا الله القادر على ما يشاء ولم يقدر قوله تعالى بامره بان يقول اى بقوله لهما قوما فى حيزكما مع انه هو الاوفق لقوله انما امره اذا اراد شيأ ان يقول له كن فيكون لان كون الامر سببا لقيام الجمادات او تكونها لا يخلو عن بعد فجعل الامر بالقيام مجازا عن الاقامة وارادة القيام بان شبه تكون الكائنات عند تعلق الارادة بتكونها بامتثال المأمور المطيع لامر الآمر المطاع فعبر عن تعلق الارادة بالامر للمبالغة فى الدلالة على كمال القدرة والاستغناء عن مزاولة الآلة وليس هناك امر اصلا حتى يقال الامر الذى للتكوين مستلزم للارادة بالاتفاق بيننا وبين المعتزلة بخلاف الامر الذى للتكليف فانه مستلزم للارادة عندهم ﴿ قوله عطف على ان تقوم على تأويل المفرد ﴾ يعنى ان ما بعد كلمة ثم جملة شرطية عطفت على المفرد اقامتها مقام المفرد لافادتها فائدة المفرد على اسلوب قوله تعالى فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا فانه فى معنى وأمن داخله وفائدة هذا الاسلوب الاشعار بانه مع كونه آية مستقلة خارجة من عداد ما سبق من الآيات حكم مقصود بذاته مع قطع النظر عن كونه آية ﴿ قوله ولذلك نابت مناب الفاء فى جواب الاول ﴾ لاشتراكهما فى الدلالة على التعقيب ﴿ قوله منقادون لفعله فيهم ﴾ يعنى ان المراد بالقنوت الانقياد فيدل على جميع ما اراد الله تعالى فى حقهم وما فعل بهم من الاحياء والاماتة والصحة والسقم والحركة والسكون وغير ذلك لا الانقياد برعاية ما كلفوا به من امتثال الاوامر والاجتناب عن المعاصى وهو دليل على وحدانيته لان جميع الكائنات لما كانوا منقادين لارادته ومشيئته ثبت انه لا شريك له اصلا لان الشريك يكون منازعا للشريك الآخر فى مقتضى ارادته ثم استدل على الاصل الآخر وهو القدرة على الحشر والاعادة بقوله وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده ﴿ قوله ولذلك ﴾ اى ولعدم كون شئ اسهل من شئ بالنسبة الى قدرة الله تعالى وان كل واحد من الابدآء والاعادة مساو للآخر بالنسبة اليه تعالى قيل ضمير عليه للخلق اى والعود اهون على الخلق وهذا على تقدير ان يكون اهون للتفضيل فانه يدل على كون الاعادة اهون عليه من الابدآء وليس كذلك واما اذا كان صفة بمعنى هين كقوله الله اكبر فحينئذ لا حاجة الى التوجيه لانه لا يدل على كون بعض الممكنات اهون من بعض بالنسبة الى قدرته تعالى ﴿ قوله اى الوصف العجيب الشأن ﴾ استعير لفظ المثل من معناه العرفى وهو القول السائر المشبه مضربه بمورده للوصف العجيب تشبيها له بالمثل السائر لانه لا يضرب الا ما فيه غرابة وامر عجيب وقوله فى السموات متعلق بما تعلق به قوله وله او بمحذوف على انه حال من الاعلى او من المثل ومعنى ثبوته له تعالى فى السموات والارض انه تعالى عرف ووصف به فيهما على ألسنة الخلائق وألسنة الدلائل ثم انه تعالى لما استدل على وحدانيته بقوله وله من فى السموات والارض شرع فى بيانها بالمثل فقال عز من قائل ضرب لكم مثلا من انفسكم اى بين الله لكم ايها المشركون مثلا اى شبها لحالكم التى هى اثبات الشريك لله تعالى وذلك الشبه منتزع من احوال انفسكم ومن الاحوال التى لا ترضونها فى حقكم ضربه لتقريب الامر من الافهام المشركين ثم بين ذلك المثل

فقال هل لكم مما ملكت ايمانكم ومن فى قوله من انفسكم لابتدآء الغاية وهو فى موضع الصفة لمثلا اى مثلا مأخوذا منها ومن فى قوله مما ملكت للتبعيض والجار والمجرور فى محل النصب على انه حال من شركاء لانه فى الاصل نعت نكرة هى شركاء والتقدير هل لكم شركاء كائنون مما ملكته ايمانكم فلما قدم عليها انتصب على الحال ومن فى قوله من شركاء مزيدة لتأكيد الاستفهام الجارى مجرى النفى فانها لاتزاد فى الاثبات الا عند الاخفش والجار مع المجرور فى محل الرفع على انه مبتدأ ولكم خبره قدم عليه وقوله فانتم فيه سوآء جملة من مبتدأ وخبر فى موضع فعل وفاعل وهما فتستووا وقوله فيه متعلق بسوآء ومحلها النصب على جواب الاستفهام الذى بمعنى النفى كأنه قيل هل لكم من كيت وكيت فتستووا والمعنى انهم لايملكون فيساووكم هذا ما ذكره ابو البقاء بقوله فانتم فيه سوآء جملة اسمية فى موضع نصب جواب الاستفهام اى هل لكم فتستووا انتهى كلامه بعبارته وفيه نظر لانه كيف يجوز ان تجعل الجملة الاسمية حالة محل الجملة الفعلية وتحكم على موضع الاسمية بالنصب باضمار ناصب وهذا لايجوز الا ان يقال ان الحكم بهذه الجملة الاسمية جواب الاستفهام المذكور قبله وهذا كلام حق ﴿ قوله تعالى فانتم فيه سوآء ﴾ اى هل انتم ومماليككم فى شئ مملكونه انتم سوآء وليس كذلك ولما لم يكن لله تعالى شريك فى شئ كان لايملك الذى تدعون الهيته شيأ اصلا فلا يعبد لعظمته ولا لنعمة تصل اليكم منه وقوله تعالى تخافونهم فيه وجهان احدهما انه خبر ثان لانتم تقديره فانتم مستوون معهم فيما رزقناكم خائفون كخوف بعضكم بعضا ايها الاحرار السادات والمراد نفى الاشياء الثلاثة اعنى الشركة والاستوآء مع العبيد وخوفهم اياهم وليس المراد نفى ثبوت الشركة ونفى الاستوآء والخوف كما هو احد الوجهين فى قولك ماتأتينا فتحدثنا بمعنى ماتأتينا محدثا بل تأتينا ولاتحدثنا بل المراد نفى الجميع كما تقدم والوجه الثانى ان تخافونهم فى محل النصب على انه حال من ضمير الفاعل فى سوآء اى فانتم فيه مستوون خائفين عبيدكم خيفة مثل خيفتكم الاحرار الذين هم امثالكم اذا كان بينكم وبينهم شركة فاذا لم ترضوا ان يشارككم عبيدكم فى المال فكيف تشركون بالله من هو مصنوع له * واعلم ان المثل لابد ان يشابه الممثل به من وجه ويخالفه من وجه آخر ووجه المشابهة ههنا ظاهر واما وجه المخالفة فقد اشير اليه فى الآية بوجوه الاول اشير اليه بقوله من انفسكم اى من نسلكم مع حقارة انفسكم ونقصانها وعجزها وجلالته تعالى وعظمته وقدرته وكما هو اشير الى الثانى بقوله مما ملكت ايمانكم اى من عبيد لكم عليهم ملك اليد الطارى القابل للنقل والزوال اما النقل فبالبيع وغيره واما الزوال فبالعتق * ومملوكه تعالى لاخروج له عن الملك بوجه من الوجوه فاذا لم يجز ان يكون مملوك يمينكم شريكا لكم مع انه يجوز ان يصير مثلكم من جميع الوجوه بل هو فى الحال مثلكم فى الآدمية حتى انكم ليس لكم تصرف فى روحه وآدميته بقتل وقطع وليس لكم منعهم من العبادة وقضاء الحاجة فكيف يجوز ان يكون مملوك الله تعالى الذى لايتصور خروجه عن ملك الله تعالى وهو مملوك له من جميع الوجوه شريكا له كما هو اشير الى الثالث بقوله من شركاء فيما رزقناكم يعنى فى الذى هو فى الحقيقة ليس لكم بل هو لله ومن رزقه حقيقة فاذا لم يجز ان يكون لكم شريك فيما هو لكم من حيث الاسم وفى ظاهر الامر فكيف يجوز ان يكون له تعالى شريك فيما هو له حقيقة بل كل شئ فهو لله تعالى وما تدعون الهيته لايملك شيأ اصلا فلا يعبد لعظمته ولا لنعمة تصل اليكم منه واما قولكم هؤلاء شفعاؤنا فليس كذلك لانه اذا لم يكن لما ملكت ايمانكم مع مساواته اياكم فى الحقيقة والصفة حرمة عندكم كحرمة الاحرار فكيف يكون حال المماليك الذين لامساواة بينهم وبين المالك الحق بوجه من الوجوه هل يتصور أن يكون لهم حرمة عند المالك المطلق والى هذا اشير بقوله تعالى تخافونهم كخيفتكم ثم انه تعالى لما بين بطلان الشرك بما ضرب به من المثل بعد بيان دلائل الوحدانية وبعد ما بين حسن ذلك التمثيل بقوله وكذلك نفصل اى مثل ذلك التفصيل العجيب والبيان الغريب نبين الآيات قال بل اتبع الذين ظلموا اهوآءهم اى لكن الذين اشركوا اتبعوا اهوآءهم فيما ذهبوا اليه من الشرك من غير دليل جهلا بما يجب عليهم ثم بين ان ذلك بارادة الله تعالى حيث قال فمن يهدى من اضل الله اى هؤلاء اضلهم الله فلاهادى لهم فلا يحزنك شأنهم ثم قال اذا بان لك بطلان الشرك بما اوضحناك من الآيات فاقم وجهك للدين حنيفا اى غير ملتفت يمينا وشمالا هذا على ان يكون حنيفا حالا من فاعل اقم او غير ملتفت عنه على ان يكون حالا من الدين والحنف من الحنف وهو الاعوجاج فى الرجل بان تقبل احدى ابهامى رجليه على الاخرى والرجل احنف وقد سمى المسلم المستقيم فى امر الدين حنيفا بطريق تسمية احد الضدين باسم الآخر تلميحا كما يسمى الغراب اعور او لكونه مائلا

(ضرب لكم مثلا من انفسكم) منتزعا من احوالها التى هى اقرب الامور اليكم (هل لكم مما ملكت ايمانكم) من مماليككم (من شركاء فيما رزقناكم) من الاموال وغيرها (فانتم فيه سوآء) فتكونون انتم وهم فيه شرع يتصرفون فيه كتصرفكم مع انهم بشر مثلكم وانها معارة لكم ومن الاولى للابتدآء والثانية للتبعيض والثالثة مزيدة لتأكيد الاستفهام الجارى مجرى النفى (تخافونهم) ان يستبدوا بتصرف فيه (كخيفتكم انفسكم) كما تخاف الاحرار بعضهم من بعض (كذلك) مثل ذلك التفصيل (نفصل الآيات) نبينها فان التمثيل مما يكشف المعانى ويوضحها (لقوم يعقلون) يستعملون عقولهم فى تدبر الامثال (بل اتبع الذين ظلموا) بالاشراك (اهوآءهم بغير علم) جاهلين لايكفهم شئ فان العالم اذا اتبع هواه ربما رده علمه (فمن يهدى من اضل الله) فمن يقدر على هدايته (وما لهم من ناصرين) يخلصونهم من الضلالة ويحفظونهم من آفاتها

الى الدين الحق فى كل حال وكل وقت ﴿قوله وهو تمثيل﴾ لان الدين هو الاقبال على طاعة الله تعالى بالجنان واللسان والاركان وهو ليس من قبيل الاعيان الخارجية حتى يتصور تقويم الوجه اليه حقيقة فلذلك جعله من قبيل التمثيل بمعنى انه شبه اقبال القلب على الدين وثباته عليه واهتمامه برعاية حدوده واركانه باقبال الشخص الى موضع معين وقصده اياه وتقويم وجهه الى سمته معتقدا بانه لو انحرف عنه ضل عن مقصده فعبر عن المشبه باسم المشبه به وهو التقويم ثم اشتق منه اقم ﴿قوله نصب على الاغراء﴾ اى الزموا فطرة الله او عليكم فطرة الله او على المصدر اى المصدر المؤكد لمضمون الجملة كقوله صبغة الله وصنع الله اى فطركم الله فطرة فسر الفطرة بالخلقة ثم بين ان المراد بها احد ثلاثة اوجه فتكون الخلقة على جميع تلك الوجوه بمعنى ما خلق عليه المكلف * الوجه الاول ان تكون الفطرة عبارة عن قبولهم الحق وتمكنهم من ادراكه فانه تعالى خلق المكلفين على الجبلة السليمة والطبع المتهيئ لقبول الدين الحق وهو التوحيد والطاعة فلو تركوا عليها لاستمروا على لزومها لان هذا الدين موجود حسنه فى العقول ويقتضيه النظر الصحيح ولا يعدل عنه احد الا لآفة عارضة كالتقليد واغواء شياطين الانس والجن فمن سلم من تلك الآفات لم يعتقد غيره ويؤيده قوله عليه الصلاة والسلام * كل من يولد يولد على الفطرة فابواه يهودانه وينصرانه كما تنتجون البهيمة هل تجدون فيها من جدعاء حتى تكونوا انتم تجدعونها * قالوا يا رسول الله افرأيت من يموت وهو صغير قال * الله اعلم بما كانوا يعملون * قال الامام القاشانى فى تأويلاته قوله تعالى ولله المثل الاعلى اى الوصف الاعلى بالفردانية فى الوجود والوحدة الذاتية وما احسن قول مجاهد فى معناه هو لا اله الا الله فاقم وجهك للدين التوحيد والوجه هو الذات الموجودة مع جميع لوازمها وعوارضها واقامته للدين تجريده عن كل ما سوى الحق قائما بالحق والوقوف مع الحق غير ملتفت الى نفسه ولا الى غيره حنيفا مائلا منحرفا عن الاديان الباطلة التى هى طريق الاغيار والانداد لمن اثبت غيره باشراكه بالله فطرة الله اى الزموا فطرة الله وهى الحال التى فطرت الانسانية عليها من الصفاء والتجرد فى الازل وهى الدين القيم ازلا وابدا لا يتغير ولا يتبدل عن الصفاء الازلى ومحض التوحيد الفطرى وتلك الفطرة الازلية ليست الا من الفيض الاقدس الذى هو عين الذات من وقع عليها لم يمكن انحرافه عن التوحيد واحتجابه عن الحق وانما يقع الانحراف والاحتجاب من غواشى النشأة وعوارض الطبيعة عند الخلق والتربية والعادة اما الاول فلقوله عليه الصلاة والسلام فى الحديث القدسى * كل عبادى خلقت حنفاء فاجتالتهم الشياطين عن دينهم وامروهم ان يشركوا بى غيرى * واما الثانى فلقوله عليه الصلاة والسلام * كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون ابواه يهودانه وينصرانه * لان تغير تلك الحقيقة فى نفسها عن الحالة الذاتية فانه محال وذلك معنى قوله لا تبديل لخلق الله ولكن اكثر الناس لا يعلمون تلك الحقيقة انتهى كلامه قدس سره * والوجه الثانى ان تكون الفطرة عبارة عن الدين الذى هو ملة الاسلام فان الدين والملة متحدان بالذات مختلفان بالاعتبار فان كل واحد منهما عبارة عما شرعه الله تعالى لعباده وسنه لهم على لسان انبيائه ليتوصلوا به الى اجل ثوابه الا ان ذلك يسمى ملة باعتبار انه تعالى انزل فى حقه ما يمليه العباد ويكتبونه ويتدارسونه فيما بينهم لان الملة من املت الكتاب اى املبت ويسمى دينا باعتبار طاعة العباد لمن سنه وانقيادهم لامره من قولهم دان له اى ذل واطاع والناس مفطورون على ملة الاسلام ضرورة انهم مخلوقون على قبول ما انطابقت الادلة العقلية على حقيته وصدقه والاتصاف به فكانوا مخلوقين على الاسلام الى ان صرفهم عنه صارف فالظاهر على هذا الوجه ان يكون فطرة الله منصوبا على الاغراء اذ ليس لقولنا فطرهم الله فطرة هى الاسلام وجه ظاهر * والوجه الثالث ان يراد بالفطرة العهد المأخوذ عليهم بقوله تعالى ألست بربكم قالوا بلى وكل مولود فى العالم على ذلك الاقرار وهى الحنيفية التى وقعت الخلقة عليها وان عبد غيره قال الله تعالى ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله وقالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله ولكن لا عبرة بالايمان الفطرى فى احكام الدنيا وانما يعتبر الايمان الشرعى المأمور به المكتسب بالارادة والعقل الا ترى انه عليه الصلاة والسلام بقوله * يهودانه وينصرانه * جعله فى حكم ابويه مع وجود هذا الايمان الفطرى فيه ﴿قوله لا يقدر احد ان يغيره﴾ على تقدير ان يراد بفطرة الله خلقهم قابلين للتوحيد ودين الاسلام فان خلقهم على هذه القابلية امر تعلق به قضاء الله تعالى وارادته فمن يقدر على تغييره ﴿قوله او ما ينبغى ان يغير﴾ على تقدير ان يراد بها الاسلام او الاقرار الفطرى فيكون لا تبديل نفيا فى معنى النهى ﴿قوله اذا رجع مرة بعد اخرى﴾ مبنى على ان همزة اناب للصيرورة

(فاقم وجهك للدين حنيفا) فقومه له غير ملتفت او ملتفت عنه وهو تمثيل للاقبال والاستقامة عليه والاهتمام به (فطرة الله) خلقته نصب على الاغراء او المصدر لما دل عليه ما بعده (التى فطر الناس عليها) خلقهم عليها وهو قبولهم للحق وتمكنهم من ادراكه او ملة الاسلام فانهم لو خلوا وما خلقوا عليه ادى بهم اليها وقيل العهد المأخوذ من آدم وذريته (لا تبديل لخلق الله) لا يقدر احد ان يغيره او ما ينبغى ان يغير (ذلك) اشارة الى الدين المأمور باقامة الوجه له او الفطرة ان فسرت بالملة (الدين القيم) المستوى الذى لا عوج فيه (ولكن اكثر الناس لا يعلمون) استقامته لعدم تدبرهم (منيبين اليه) راجعين اليه من اناب اذا رجع مرة بعد اخرى

وقيل منقطعين اليه من التاب وهو حال من الضمير في الناصب المقدر لفطرة الله او في الزموا لان الآية خطاب للرسول والامة لقوله (واتقوه واقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين) غير انها صدرت بخطاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تعظيما له (من الذين فرقوا دينهم) بدل من المشركين وتفريقهم اختلافهم فيما يعبدونه على اختلاف اهوآئهم وقرأ حمزة والكسائي فارقوا بمعنى تركوا دينهم الذي امروا به (وكانوا شيعا) فرقا تشايع كل امامها الذي اضل دينها (كل حزب بما لديهم فرحون) مسرورون ظنا بانه الحق ويجوز ان يجعل فرحون صفة كل على ان الخبر من الذين فرقوا (واذا مس الناس ضر) شدة (دعوا ربهم منيبين اليه) راجعين اليه من دعاء غيره (ثم اذا اذاقهم منه رحمة) خلاصا من تلك الشدة (اذا فريق منهم بربهم يشركون) فاجأ فريق منهم الاشراك بربهم الذي عافاهم (ليكفروا بما آتيناهم) اللام فيه للعاقبة وقيل للامر بمعنى التهديد لقوله (فتمتعوا) غير انه التفت فيه مبالغة وقرئ وليتمتعوا (فسوف تعلمون) عاقبة تمتعكم وقرئ بالياء على ان تمتعوا ماض (ام انزلنا عليهم سلطانا) حجة وقيل ذا سلطان اى ملكا معه برهان (فهو يتكلم) تكلم دلالة كقوله هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق اونطق (بما كانوا به يشركون) باشراكهم وصحته او بالامر الذي بسببه يشركون به والوهيته (واذا اذقنا الناس رحمة) نعمة من صحة وسعة (فرحوا بها) بطروا بسببها (وان تصبهم سيئة) شدة (بما قدمت ايديهم) بشؤم معاصيهم (اذا هم يقنطون) فاجأوا القنوط من رحمته وقرأ ابو عمرو والكسائي بكسر النون (اولم يروا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) فما لهم لم يشكروا ولم يحتسبوا في السرآء والضرآء كالمؤمنين (ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون) فيستدلون بها على كمال القدرة والحكمة (فآت ذا القربى حقه) كصلة الرحم

بمعنى صار ذا اوب افعل من التوبة ﴿قوله من التاب﴾ وهو السن فكان القائل جعل همزة آب للصيرورة بمعنى صار ذا اوب وجعله كناية عن التقوى بالانقطاع اليه تعالى ﴿قوله تعالى ولا تكونوا من المشركين﴾ قيل انه متصل بما قبله والمعنى فاقيموا الصلاة ولا تتركوها فشؤم تركها قد يفضي الى الكفر قال محمد بن اسلم الطوسي بلغني عن النبي عليه الصلاة والسلام انه قال من ترك صلاة متعمدا فقد كفر وقد كان بلغني عنه عليه الصلاة والسلام انه قال اذا روي لكم عني حديث فاعرضوه على كتاب الله تعالى فان وافق كتاب الله تعالى فاقبلوه وان خالفه فردوه فطلبت صحة الحديث الاول في القرآن ثلاثين سنة حتى وجدته في هذه الآية كذا في التيسير ﴿قوله ويجوز ان يجعل فرحون صفة كل﴾ والتقدير كل حزب فرحون بما لديهم كائنون من الذين فرقوا دينهم وجعلوه اديانا مختلفة على حسب اختلاف ارائهم وانما رفع فرحون على انه صفة كل وان كان الشائع في مثله ان يكون تابعا للمضاف اليه لان كلا كاسماء العدد في ان الوصف الذي يجيء بعدها ينبغي ان يكون للمضاف اليه فانك تقول جاءني ثلاثة رجال كاملين ولا تقول كاملون ثم انه تعالى وبخ هذه الفرق المختلفة الاديان بقوله واذا مس الناس ضر اى شدة كالمرض والقحط ونحوهما يعني انهم يتفقون عند اصابة الضر في دعاء رب العالمين راجعين اليه من دعاء غيره ﴿قوله اللام فيه للعاقبة﴾ اى لم يترتب على اشراكهم سوى الكفر بنعمة الانجاء من تلك الشدة ثم انه تعالى اضرب عن تقريعهم على اشراكهم حال الرخاء والتجائهم اليه حال الشدة الى تقريعهم بوجه آخر وهو اتخاذهم الدين من غير حجة تدل على صحته فقال ام انزلنا عليهم سلطانا فان ام فيه منقطعة والهمزة التي في ضمنها للانكار اى انزلنا عليهم حجة تتكلم اى تدل وتشهد باشراكهم به اى بالله تعالى وصحته ويحتمل ان تكون ام متصلة ويقدر عديلها قبلها والتقدير ايشركون بمجرد التشهي واتباع الهوى ام انزلنا عليهم سلطانا فهم لذلك معذورون في الشرك في الرخاء مع اضلالهم في الشدة ﴿قوله او بالامر الذي﴾ على ان تكون ما في قوله بما كانوا موصولة وان يكون المراد بالسلطان ملك معه برهان لان نفس الحجة لا تتكلم بالامر الذي بسببه يشركون فان المراد بالامر دليلهم الذي اشركوا بسببه ثم ذكر من جملة قبائحهم بطرهم عند النعمة ويأسهم عند الشدة فقال واذا اذقنا الناس يعني الكفرة رحمة فرحوا بها فرح البطر وتركوا الشكر وان تصبهم سيئة اى امر يسوءهم من قحط ومجاعة بما قدمت ايديهم اى بسبب معاصيهم سوآء كسبوها بايديهم ام لا وقيدها باليد اقامة للاكثر مقام الكل وايذانا للاقل بالاكثر لان اكثر المعاصي يقع باليدين لم يذكر الله تعالى ما يكون سببا لاذاقة الرحمة وذكر سبب اصابة السيئة اياهم لان الاول تفضل من الله تعالى ورحمة محض لا يقتضيه شيء من اعمال العبد بخلاف الثاني فانه مقتضى العدل فانه تعالى يجازى العصية باعمالها من العقوبة فان قيل الفرح بالنعمة مأمور به لقوله تعالى قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا فكيف ذمهم ههنا على الفرح بالرحمة اجيب بان المأمور به الفرح برحمة الله تعالى من حيث انها مضافة اليه والمذموم ههنا هو الفرح بنفس الرحمة حتى لو كان المطر مثلا من عند غير الله تعالى لكان فرحهم به مثل فرحهم اذا كان من الله ولا شك ان قصر النظر على نفس النعمة مقتضى البهيمية بخلاف الفرح الناشيء من تذكر المنعم اياها وملاحظة ان المنعم نظر اليه بعين الرأفة ونظر الرضى وفرق بين الفرحين ثم انه تعالى انكر على فرحهم حال الرخاء وقنوطهم حال البلاء فقال اولم يروا ان الله يبسط اى كيف يفرحون ويقنطون حال السرآء والضرآء اولا يعلمون ان ضر المرء ليس لهوانه على الله تعالى ولا سعته لكرامته عليه لكنه تعالى يمتحن عباده بما يشاء من العسر واليسر فعلى العبد ان يشكر حال السرآء ويصبر على الضرآء ويشتغل بالافتقار اليه في الحالين لا ان ينقطع عنه ويتعلق بالنعمة ولا ان ييأس من رحمته حال النقمة ﴿قوله كصلة الرحم﴾ يعني انه ليس المراد بحق ذي القربى حقا كان له عليك بل المراد به حاجته عندك من المواصلة بالبر كما في قوله تعالى ما لنا في بناتك من حق اى حاجة قال قتادة اذا كان لك ذو قرابة فلم تصله من مالك ولم تمش اليه برجلك فقد قطعته وقال الزجاج وكأن فرآئض المواريث نسخت هذا واحتج ابو حنيفة رحمه الله بهذه في وجوب النفقة للمحارم من ذوي القرابة اذا كانوا محتاجين عاجزين عن الكسب وعن الامام الشافعي رضي الله عنه لا نفقة بالقرابة الا على الولد والوالدين والمسكين اذا وقع في ورطة الحاجة حتى بلغ الشدة يجب على من له مقدرة دفع حاجته وان لم يكن ممن تجب عليه الزكاة وكذلك من انقطع في مفازة ومع آخر دابة يمكنه ان يوصله بها الى من يلزمه ذلك واختلف في ابن السبيل فقيل المراد به المنقطع عن ماله فيعان

حتى يصل الى ماله وقيل المراد به الضيف الذي ينزل به فيحسن اليه الى ان يرجع و يرتحل و قيل اراد بحق المسكين وابن السبيل نصيبهما من الصدقة المسماة لهما فى آية الصدقة ﴿ قوله و وجوب النفقة للمحارم ﴾ اراد به المحارم بسبب القرابة فان مجرد المحرمية لا توجب النفقة بالاجماع كالمحرمية بسبب الرضاع والمصاهرة كما لا يوجبها مجرد القرابة بدون المحرمية فان من كان ذا رحم و لم يكن محرما كاولاد العم والخال لا تجب النفقة لهم ﴿ قوله وهو غير مشعر به ﴾ لان الظاهر انه امر بتوفير حقهم من الصلة فان صلة الرحم من الواجبات المؤكدة وحمله على الامر بالانفاق مع ان الظاهر كونه امرا بتوفير حقهم من الصلة لا وجه له و لاسيما ان المراد بايتاء المساكين وابن السبيل التصدق عليهما بالانفاق مع ان تخصيص ذوى القربى بذى الرحم المحرم تخصيص بلا مخصص ﴿ قوله و لذلك ﴾ اى ولكون الخطاب لما ذكر رتب قوله فآت على ماقبله بالفاء فان الخطاب على تقدير كونه للنبى صلى الله عليه وسلم يدخل فيه امته اذا لم يكن الحكم المخاطب به من خصائصه عليه الصلاة و السلام ويكون تخصيصه عليه الصلاة والسلام بالخطاب تعظيما له فكأنه قيل اذا علمتم ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر لا ينبغى لكم التوقف فى الاحسان الى المحتاجين فانه تعالى اذا شاء ان يبسط لكم الرزق فالظاهر انه لا ينتقص بالانفاق وان شاء ان يضيق عليكم فلا يزداد بالامساك فلا يحصل لكم بالامساك الا دناءة البخل ﴿ قوله او عطية يتوقع بها مزيد مكافاة ﴾ فان حمل الربا على هذه العطية لا يخلو عن بعد لان نفس تلك العطية ليست زيادة وانما الزيادة ما يتوقع بها فلا يكون معطيها مؤتيا للربا فضلا عن ان يكون اعطاؤه ليربو فى اموال الغير بل يكون آخذا بخلاف من اعطى آكلة الربا فضلا خاليا من العوض فانه معط للربا ليربو اى ليزيد فى اموال من اخذه شيأ فحمل الربا المذكور فى الآية على الزيادة المحرمة ظاهر الا انه لما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما وغيره ومن عامة اهل التأويل ان المراد بالربا هنا هدية الرجل يهديها ليثاب اكثر منها اقتفى المصنف اثرهم فسمى مهديها مؤتيا للربا ولعل اطلاق اسم الربا عليها لكونها سببا لاخذ الربا كما ورد فى الحديث «المستغزر يثاب من هبته» وهو الذى يطلب اكثر مما يهدى فان الغزارة الكثرة قوله يثاب اى يعوض ويجازى فعلى هذا يكون قوله ليربو مسندا الى ضمير الربا بمعنى العطية والمعنى ليزيد ذلك الربا فى جذب اموال الناس وجلبها وقوله فلا يربو عند الله اى ليس له اجر ثابت عند الله قال اهل التأويل هذا ربا حلال لا وزر فيه الا انه انما يباح فى حق عامة الناس واما فى حق النبى عليه الصلاة والسلام فلا يربو لقوله تعالى فى حقه عليه الصلاة والسلام ولا تمنن تستكثر اى لا تعط لتعطى اكثر منه ابتغاء لثواب الدنيا ولكن اعط ابتغاء لثواب الآخرة وقرأ عامة القراء آتيتم بالمد بمعنى اعطيتم وقرأ ابن كثير اتيتم مقصورا وهو يؤول من حيث المعنى الى القراءة المشهورة لانه يقال آتى معروفا واتى قبيحا اذا فعلهما وقرأ نافع ويعقوب لتربوا بضم التاء الفوقانية وسكون الواو على الخطاب اى لتزيدوا او تصيروا ذوى زيادة من اموال الناس وقرأ الآخرون بفتح الياء التحتانية ونصب الواو وجعلوا الفعل مسندا الى ضمير الربا اى ليزداد ﴿ قوله تريدون وجه الله ﴾ صفة زكاة فلا بد فيه من ضمير يعود الى الموصوف اى تريدون بها او حال من فاعل آتيتم والمقصود من التقييد الاشارة الى ان الاعتبار بالقصد والنية لا بنفس الفعل والظاهر ان يقال فانتم المضعفون ليوافق قوله وما آتيتم الا انه التفت الى الغيبة فقيل فاولئك هم المضعفون لكونه امدح لهم من ان يقال انتم المضعفون لما فيه من تشهير امرهم بين خواص خلقه واظهار الرضى عنهم بحسن صنيعهم فكأنه قال لملائكته وخواص خلقه فاولئك الذين يريدون وجه الله بصدقاتهم المضعفون ولو قيل فانتم المضعفون لما حصل التشهير المذكور لكونه كلاما جاريا بينهم وبين الله تعالى ﴿ قوله ذووا الاضعاف ﴾ فيكون بناء افعل لصيرورة الفاعل ذا اضعف كما فى اعقر بمعنى صار ذا عقر واقوى وايسر بمعنى صار ذا قوة ويسار وعلى الثانى للتعدية كما فى نحو اخرجته ﴿ قوله وتغييره عن سنن المقابلة ﴾ فان مقابلته بقوله وما آتيتم من ربا تستدعى ان يقال فى خبره فيربو ويزداد عند الله فعدل عن عبارة الزيادة الى عبارة الضعف وعن نظم الفعلية الى نظم الاسمية المفيدة للحصر للمبالغة فى بيان ثوابه ﴿ قوله او التعميم ﴾ فانه لو قيل فانتم المضعفون لم يكن الحكم الا على ذوات المخاطبين ولو اورد بدل انتم اسم الاشارة لكان المشار اليه المخاطبين لا من حيث ذواتهم بل من حيث كونهم مؤتين للزكاة فيكون المعنى من فعل ذلك فاولئك هم المضعفون ﴿ قوله ان جعلت ما موصولة ﴾ فانه يجوز ان تكون شرطية وموصولة ويصح دخول الفاء فى الجواب على الوجهين فان كانت شرطية كان محلها النصب بآتيتم وان كانت موصولة كانت فى موضع رفع بالابتداء وعائدها محذوف

واحتج به الحنفية على وجوب النفقة للمحارم وهو غير مشعر به (والمسكين وابن السبيل) ما وظف لهما من الزكوة والخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم او لمن بسط له ولذلك رتب على ماقبله بالفاء (ذلك خير للذين يريدون وجه الله) ذاته او جهته اى يقصدون اياه بمعروفهم خالصا او جهة التقرب اليه لا جهة اخرى (واولئك هم المفلحون) حيث حصلوا بما بسط لهم النعيم المقيم (وما آتيتم من ربوا) زيادة محرمة فى المعاملة او عطية يتوقع بها مزيد مكافاة وقرأ ابن كثير بالقصر بمعنى ما جئتم به من اعطاء ربوا (ليربو فى اموال الناس) ليزيد ويزكو فى اموالهم (فلا يربو عند الله) فلا يزكو عنده ولا يبارك فيه وقرأ نافع ويعقوب لتربوا اى لتزيدوا او لتصيروا ذوى ربوا (وما آتيتم من زكوة تريدون وجه الله) تبتغون به وجهه خالصا (فاولئك هم المضعفون) ذووا الاضعاف من الثواب ونظير المضعف المقوى والموسر لذى القوة واليسار او الذين ضعفوا ثوابهم او اموالهم ببركة الزكوة وقرئ بفتح العين وتغييره عن سنن المقابلة عبارة ونظما للمبالغة والالتفات فيه للتعظيم كأنه خاطب به الملائكة وخواص الخلق تعريفا لحالهم او للتعميم كأنه قال فمن فعل ذلك فاولئك هم المضعفون والراجع منه محذوف ان جعلت ما موصولة تقديره المضعفون به او فمؤتوه اولئك هم المضعفون

اى والذى اتخذوه ويكون قوله فاولئك هم المضعفون خبرا اى جملة خبرية وهذه الجملة لابد فيها من العائد الى المبتدأ فان كان الالتفات فيه للتعظيم يكون تقدير الكلام فاولئك هم المضعفون به وان كان للتعميم يكون التقدير فمؤتوه اولئك هم المضعفون على ان مؤتوه مبتدأ ثان واولئك ثالث وهم المضعفون خبر الثالث والجملة خبر الثانى والثانى مع خبره خبر الموصول * ثم انه تعالى ذكر دليل القدرة وفرع عليه صحة الحشر واستدل بذلك على تفرده بالالوهية فقال الله الذى خلقكم الآية فقوله الله مبتدأ خبره الذى خلقكم مع ماعطف عليه والمعنى الله فاعل هذه الافعال الخاصة التى لايقدر احد على شئ منها غيره ومن المعلوم ان من قدر على الابداء قدر على الحشر والاعادة ومن قدر على جميع ذلك يكون منزها عن الشركاء والانداد كما دل عليه بقوله هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شئ وقوله من شركائكم خبر مقدم ومن فيه للتبعيض ومن يفعل هو المبتدأ ومن ذلكم متعلق بمحذوف لانه حال من شئ بعده فانه فى الاصل صفته فلما قدم عليه انتصب حالا ومن الثالثة مزيدة فى المفعول به لانه فى حيز النفى المستفاد من الاستفهام والمعنى ليس من شركائكم من يفعل شيأ من ذلكم على مادل عليه البرهان والعيان ووقع عليه الوفاق ﴿ قوله ويجوز ان يكون الموصول ﴾ اى ويجوز ان يكون قوله الذى خلقكم صفة للمبتدأ ويكون الخبر قوله هل من شركائكم والرابط لهذه الجملة بالمبتدأ قوله من ذلكم لان معناه من افعالكم المختصة به لان المشار اليه بذلكم هو الخلق والرزق والاماتة والاحياء ومن المعلوم انها من افعال الله تعالى ﴿ قوله تفيدان شيوع الحكم فى جنس الشركاء والافعال ﴾ وذلك لان الاستفهام فيه فى معنى النفى ومن المعلوم ان كلمة من الواقعة فى سياق النفى تفيد الشيوع والعموم فالاولى تفيد شيوع الحكم فى جنس الشركاء والثانية تفيد شيوعه فى جنس الافعال فالمعنى ليس شئ من جنس الشركاء من يفعل شيأ من جنس الافعال المختصة به تعالى ﴿ قوله والموتان ﴾ وهو بضم الميم موت عام يقع فى المواشى وقيل فى الناس والدواب * والحرق والغرق كل واحد منهما بفتحتين على وزن الشفق اسم بمعنى الاحراق والاغراق * والاخفاق الخيبة يقال اخفق الرجل اذا غزا ولم يغنم واخفق الصائد اذا رجع ولم يصد شيأ وطلب حاجة فاخفق * والغاصة جمع غائص وهو من ينزل فى البحر على اللؤلؤ وكثرة الغرق واخفاق الغاصة مثالان لما ظهر فى البحر من الفساد على ان المراد بالبحر البحر المعهود قيل فساد البحر يكون بقلة المطر فانه اذا قل المطر قل الغوص لان الاصداف تفتح افواهها اذا مطر فما وقع فيها من ماء السماء فهو اللؤلؤ فظهر بهذا ان قلة المطر كما تفسد البر تفسد البحر وقيل المراد به ههنا المدائن والقرى التى كانت على شاطئ نهر او بحر وبالبر البرية التى ليست عند نهر او بحر قال السدى البر كل قرية من قرى العرب بائنة من البحار كمكة والمدينة والبحر كالكوفة والشام والبصرة وقيل كانت العرب تسمى الامصار بحرا قيل من اذنب ذنبا يكون جميع الخلائق من الانس والدواب والوحوش والطيور والذر خصماءه يوم القيامة لانه تعالى يمنع المطر بشؤم المعصية فيتضرر بذلك اهل البحر والبر جميعا روى عن شقيق الزاهد انه قال من اكل الحرام فقد خان جميع الناس قيل اول فساد البر كان من قابيل حيث قتل اخاه هابيل واول فساد البحر كان من جلندى الملك حيث كان يأخذ كل سفينة غصبا قال الضحاك كانت الارض خضرة مونقة لايأتى ابن آدم شجرة الاوجد عليها ثمرة وكان ماء البحر عذبا وكان لايقصد الاسد البقر والغنم فلما قتل قابيل هابيل اقشعر مافى الارض وشاكت الاشجار وصار ماء البحر ملحا زعاقا وقصد الحيوان بعضه بعضا ﴿ قوله او الضلالة والظلم ﴾ عطف على قوله كالجدب والموتان اى ويجوز ان يراد بالفساد الظاهر فى البر والبحر فساد الافعال والاخلاق كالظلم والضلالة كما جاز ان يراد به فساد اسباب المعاش كالجدب ونحوه مما فعله الله بهم بشؤم معاصيهم فكلمة ما فى قوله بما كسبت ايدى الناس على الثانى موصولة والباء سببية اشار المصنف اليه بقوله بشؤم معاصيهم وعلى الاول مصدرية اشار اليه بقوله بكسبهم اياه واللام فى قوله تعالى ليذيقهم على الثانى للتعليل والمعنى فعل الله بهم ماظهر من فساد اسباب المعاش كالجدب ونحوه ليذيقهم بهذا الفساد ومحق البركات بعض جزاء ماعملوا وعلى الاول للعاقبة فان ماظهر من الفساد فى افعالهم واخلاقهم ليس غرضهم من كسبه ان يذيقهم الله تعالى وبال ماكسبوا لكن لما ترتب ذلك على كسبهم اياه ترتب العلة الغائية على معلولها دخل عليه لام العلة كما فى قوله تعالى فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا ثم انه تعالى لما هدد المفسدين ببيان ان المعصية سبب لتعجيل بعض العقوبة فى الدنيا عقبه بقوله قل سيروا فى الارض لتشاهدوا مصداق ذلك فان اهل مكة لو سافروا منها

(الله الذى خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شئ) اثبت له لوازم الالوهية ونفاها رأسا عما اتخذوه شركاءه من الاصنام وغيرها مؤكدا بالانكار على مادل عليه البرهان والعيان ووقع عليه الوفاق ثم استنتج من ذلك تقدسه عن ان يكون له شركاء فقال (سبحانه وتعالى عما يشركون) ويجوز ان يكون الموصول صفة والخبر هل من شركائكم والرابط من ذلكم لانه بمعنى من افعاله ومن الاولى والثانية تفيد ان شيوع الحكم فى جنس الشركاء والافعال والثالثة مزيدة لتعميم النفى وكل منها مستقلة بالتأكيد لتعجيز الشركاء (ظهر الفساد فى البر والبحر) كالجدب والموتان وكثرة الحرق والغرق واخفاق الغاصة ومحق البركات وكثرة المضار او الضلالة والظلم وقيل المراد بالبحر قرى السواحل وقرى الجزر (بما كسبت ايدى الناس) بشؤم معاصيهم او بكسبهم اياه وقيل ظهر الفساد فى البر بقتل قابيل اخاه وفى البحر بان جلندى كان يأخذ كل سفينة غصبا (ليذيقهم بعض الذى عملوا) بعض جزائه فان تمامه فى الآخرة واللام للعلة او للعاقبة وعن ابن كثير ويعقوب لنذيقهم بالنون (لعلهم يرجعون) عما هم عليه

(قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل) ليشاهدوا مصداق ذلك وليتحققوا صدقه (كان اكثرهم مشركين) استئناف للدلالة على ان سوء عاقبتهم كان لفشوّ الشرك وغلبته فيهم اوكان الشرك في اكثرهم وما دونه من المعاصي في قليل منهم (فاقم وجهك للدين القيم) البليغ الاستقامة (من قبل ان يأتي يوم لا مردّ له) لايقدر ان يردّه احد وقوله (من الله) متعلق بيأتي ويجوز ان يتعلق بمردّ لانه مصدر على معنى لا يردّه الله لتعلق ارادته القديمة بمجيئه (يومئذ يصدّعون) يتصدّعون اى يتفرّقون فريق في الجنة وفريق في السعير كما قال (من كفر فعليه كفره) اى وباله وهو النار المؤبدة (ومن عمل صالحا فلانفسهم يمهدون) يسوّون منزلا في الجنة وتقديم الظرف في الموضعين للدلالة على الاختصاص (ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله) علة ليمهدون اوليصدّعون والاقتصار على جزآء المؤمنين للاشعار بانه المقصود بالذات والاكتفاء على فحوى قوله (انه لايحب الكافرين) فان فيه اثبات البغض لهم والمحبة للمؤمنين وتأكيد اختصاص الصلاح بهم المفهوم من ترك ضميرهم الى التصريح بهم تعليل له وقوله من فضله دال على ان الاثابة تفضل محض وتأويله بالعطاء او الزيادة على الثواب عدول عن الظاهر (ومن آياته ان يرسل الرياح) الشمال والصبا والجنوب فانها رياح الرحمة واما الدبور فريح العذاب ومنه قوله عليه الصلاة السلام اللهم اجعلها رياحا ولاتجعلها ريحا وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي الريح على ارادة الجنس (مبشرات) بالمطر (وليذيقكم من رحمته) يعني المنافع التابعة لها وقيل الخصب التابع لنزول المطر المسبب عنها او الروح الذي هو مع هبوبها والعطف على علة محذوفة دل عليها مبشرات او عليها باعتبار المعنى او على يرسل باضمار فعل معلل دل عليه (ولتجرى الفلك بامره ولتبتغوا من فضله) يعني تجارة البحر (ولعلكم تشكرون) ولتشكروا نعمة الله فيها (ولقد ارسلنا من قبلك رسلا الى قومهم فجاؤهم بالبينات فانتقمنا من الذين اجرموا) بالتدمير (وكان حقا علينا نصر المؤمنين) اشعارا بان الانتقام لهم واظهارا لكرامتهم حيث جعلهم مستحقين على الله ان ينصرهم

وعنه عليه الصلاة والسلام مامن امرئ مسلم يردّ عن عرض اخيه الاكان حقا على الله ان يردّ عنه نار جهنم ثم تلا ذلك

الى الشام ليشاهدوا بلاد عاد وثمود وقوم لوط ونحوها ويعلموا انه تعالى اهلكهم بما كسبت ايديهم وخرب ديارهم واذاقهم بعض جزآء اعمالهم القبيحة في الدنيا وهو اعلم بما يفعل بهم في العقبى ﴿ قوله استئناف للدلالة على ان سوء عاقبتهم كان لفشوّ الشرك وغلبته فيهم ﴾ يعني الاستئناف على هذا انه تعالى اهلكهم جميعا لفشوّ الشرك فيما بينهم وانه تعالى اهلك العامة بسبب الشرك وحده وان لم يتفق الكل عليه الا انه لما شاع وغلب فيهم جعل الكل في حكم المشرك وهلكوا جميعا بسببه كما قال تعالى واتقوا فتنة لاتصيبن الذين ظلموا منكم خاصة ﴿ قوله اوكان الشرك في اكثرهم الى آخره ﴾ يعني الاستئناف على هذا انهم اهلكوا جميعا بما كسبت ايديهم ولم يهلك احد من غير معصية الا ان سبب هلاك اكثرهم هو الشرك الظاهر وسبب هلاك الباقين مادون الشرك من المعاصي كاعتداء اصحاب السبت ونحوهم ثم انه تعالى لما بين ان المعاصي سبب لسخط الله تعالى في الدنيا امر رسوله عليه الصلاة والسلام بان يستقيم على الدين القويم تثبيتا للمؤمنين على ماهم عليه الا انه تعالى خاطب به سيدهم تعظيما له ولكونه عليه الصلاة والسلام واسطة بينه تعالى وبين الامة ﴿ قوله كما قال من كفر فعليه كفره ﴾ يعني انه بيان لوجه التفرق ببيان انه تعالى غنيّ عنهم وعن اعمالهم ﴿ قوله والاقتصار ﴾ جواب عما يقال اذا كان علة ليصدّعون كان ينبغي ان يذكر جزآء الكافرين ايضا ﴿ قوله فان فيه اثبات البغض لهم والمحبة للمؤمنين ﴾ فان عدم محبة الكافر كما يتضمن محبة ضدّه وارادة اللطف والاكرام به يتضمن ايضا بغض الكافر وارادة الانتقام منه ولاشك ان بغضه تعالى لاحد وارادته الانتقام منه كال العقوبة ومؤدّ الى اسوأ الجزآء والعياذ بالله فاكتفى بهذه الدلالة الضمنية عن التصريح بجزآء الكافرين ﴿ قوله وتأكيد اختصاص الصلاح بهم ﴾ اصل الاختصاص بهم من تقييد من بقوله عمل صالحا وتأكيده بهم من وضع الظاهر موضع الضمير في قوله ليجزى الذين آمنوا فان مقتضى الظاهر ان يقال ليجزيهم فلما وضع الموصول موضع الضمير وجعل الصلاح صلة له اكد به اختصاص الصلاح بهم وتمييزهم به عن اضدادهم فقصد بهذا التأكيد تعليل اثبات البغض للكافرين واثبات المحبة للمؤمنين وكونه علة لمجازاة المؤمنين من فضله ظاهر واما كونه علة لبغض الكافرين فلكون اختصاص الصلاح بالمؤمنين يتضمن فساد الكافرين وهو علة لبغضهم والانتقام منهم ﴿ قوله وتأويله بالعطاء او الزيادة على الثواب عدول عن الظاهر ﴾ طعن لصاحب الكشاف ووجه الطعن ان الفضل اسم لمايتفضل به من غير استحقاق واستيجاب والاثابة كذلك عند اهل السنة فانه تعالى لايجب عليه شيء وان المكلف لايستحق ان يثاب بعمله مع انه سبق من نعم الله تعالى عليه مالم يتهيأ له القيام بشكر واحدة منها فضلا عن ان يقوم بشكر كلها ويستحق بعد ذلك اجرا زآئدا عليها بخلاف العقوبات فانها انما تصل الى العبد بحسب استحقاقه لها عدلا والمعتزلة ذهبوا الى وجوب اثابة المطيع على حسب الاستحقاق ولم يتأت لهم القول بان اصل الاثابة تفضل فلذلك فسر صاحب الكشاف بما يتفضل به عليهم بعد توفية الواجب من الثواب او اراد من عطائه ﴿ قوله الشمال والصبا ﴾ الرياح اربع الجنوب والشمال والصبا والدبور فريح الشمال تجيئ من ناحية القطب والجنوب تقابلها والصبا تخرج من جانب المشرق والدبور تقابلها والنكباء مابين الريحين ﴿ قوله يعني المنافع التابعة لها ﴾ اى لبشارتها بالمطر اولنفس الرياح فتكون من قبيل التعميم بعد التخصيص ثم التخصيص بعد التعميم والاوّل اظهر واولى ﴿ قوله والعطف على علة محذوفة ﴾ اى يرسل الرياح مبشرات ليبشركم بها وليذيقكم او على مبشرات باعتبار المعنى فان تقييد الفعل بالحال يدل على كونها علة له كانه قيل ليبشركم وليذيقكم وعلى التقديرين يكون حرف الجرّ متعلقا بقوله ان يرسل فان جعل من قبيل عطف الجملة على الجملة وكان تقدير الكلام ويرسلها ليذيقكم ولكذا وكذا كان الجار متعلقا بالفعل المضمر المعلل لتجرى ووجد دلالة قوله ولتجرى الفلك على اضمار الفعل ان جريان الفلك وابتغاء الفضل ليسا مرتبين على ارسال الرياح حال كونها مبشرات بل على ارسالها مطلقا فلما لم يتعلق بالفعل المقيد قدّر فعل آخر تعلق به ليذيقكم وقوله تعالى بامره اشارة الى ان الفلك لاتجرى بطبع الريح بناء على انها قد تكون عاصفة وقد لاتكون ملائمة للقصد فحينئذ لابدّ من ارسال السفن والاحسان بعينها وعلى التقديرين لاتجرى الفلك بنفسها ولابالرياح بل انما تجرى بارادة الله تعالى وجعله الريح موافقة للقصد ثم انه تعالى لما بالغ في تعديد دلائل الوحدانية والقدرة التامة على البعث والجزآء ثم اصرّ من اصرّ على الشرك والتكذيب سلى رسوله عليه الصلاة والسلام على وجه يتضمن التهديد والوعيد للمكذبين فقال ولقد

ارسلنا من قبلك رسلا الى قومهم والفاء فى قوله فانتقمنا من الذين اجرموا فصيحة تفصح ان فى الكلام مطويا وتقدير الكلام فجاؤهم بالبينات اى بالدلائل الواضحة على صدقهم فى دعوى الرسالة فصدقت طائفة منهم رسولها وآمنت به وكذبه الآخرون واجرموا فانتقمنا من الذين اجرموا بان اهلكناهم وانجينا من آمن منهم بالرسل ولاشك ان اهلاك اعدائهم وانجاءهم من شر اعدائهم وعما اصابهم من العذاب نصر عزيز لهم فلذلك قال تعالى وكان حقا علينا نصر المؤمنين حيث انجاهم مع الرسل واهلك المكذبين وقيل فى تفسيره وكان حقا علينا نصر المؤمنين حيث جعل العاقبة للمؤمنين كقوله والعاقبة للمتقين وقيل معناه وكان حقا علينا نصر المؤمنين بالحجج التى اعطاهم اياها اى كان حقا علينا اعطاء الحجج لهم ونصرهم ومعونتهم بالحجج واورد الحديث لتأكيد ان اسم كان هو نصر المؤمنين وان المعنى دمرنا المجرمين نصرة للمؤمنين واظهارا لكرامتهم وعلى تقدير ان يوقف على حقا يكون اسم كان ضمير الانتقام وهو خلاف مادل عليه الحديث لانه عليه الصلاة والسلام ذكر انه كان حقا على الله تعالى ان يرد عنه نار جهنم واستدل عليه بقوله تعالى وكان حقا علينا نصر المؤمنين ﴿ قوله فى سمتها ﴾ اى فى جهة السماء وجوها لا فى نفسها كقوله وفرعها فى السماء ﴿ قوله مطبقا ﴾ من قولهم طبق الغيم تطبيقا اذا اصاب مطره جميع الارض ومطر طبق اى عام والكسفة القطعة من الشئ ويجمع على كسف بفتح السين مثل حكمة وحكم والكسف بالسكون يجوز ان يكون مخففا منه ويجوز ان يكون صيغة اخرى لجمع كسفة قال الجوهرى يقال الكسف والكسفة واحد وقال الاخفش من قرأ كسفا من السماء جعله واحدا ومن قرأ كسفا جعله جمعا والكسف بالفتح مصدر كسفت البعير اذا قطعت عرقوبه وكذلك كسفت الثوب اذا قطعته ولم يذكر كون الكسف بالكسر مصدرا ﴿ قوله تكرير للتأكيد والدلالة على تطاول عهدهم بالمطر ﴾ لاخفاء فى دلالة التكرير على التأكيد ووجه دلالته على بعد عهدهم بالمطر انه لما صرفت العناية الى بيان قبلية الابلاس وتقدمه على نزول المطر بتكرير مايدل على القبلية دل ذلك على طول عهدهم بالمطر واستحكام شدتهم وحيرتهم من فقدان المطر فيكون استبشارهم بنزول المطر على قدر اغتمامهم بفقده انه حكى ان آدم عليه السلام ناجى ربه يوما فقال الهى اشهد انك عدل تحب العدل لاتظلم فى حكم تحكم به على خلقك اصلا ولاتجور فيما تقضى فما الحكمة فيما قضيت على من الهوان بعد ان اكرمتنى بكرامة لم تكرم بها احدا قبلى فاوحى الله تعالى اليه من لم يذق الم البعد لم يجد طعم القرب ومن لم يجد طعم القرب استخف به ومن استخف بقربى ووصلى فقد استوجب الحرمان ﴿ قوله وقيل الضمير للمطر ﴾ عطف على قوله تكرير للتأكيد فان الضمير حينئذ يكون للتنزيل ومن لم يجعله تكريرا جعل القول الثانى مضافا الى ضمير المطر وقد كان الاول مضافا الى تنزيله فلاتكرير لان تنزيل المطر قبل نزوله والمعنى كانوا مبلسين قبل تنزيل المطر الواقع قبل نزوله وقيل الضمير للسحاب لانه اسم جنس يجوز تذكيره وتأنيثه او لارسال الريح اى كانوا مبلسين من قبل ان ينزل عليهم المطر من قبل ارسال الريح او من قبل نشر السحاب لان بعد الارسال وبعد السحاب يعرف الخبير ان الريح فيها مطر وان لم ينزل بعد فقبل تنزيل المطر انما يكون الخلق مبلسين قبل ارسال الريح وبسط السحاب ثم انه تعالى لما ذكر ان الودق يصيب بلاد المبلسين واراضيهم فيستبشرون به ويفرحون فرحا يظهر اثره فى بشرات وجوههم طمعا فى الخصب قال فانظر الى آثر رحمة الله اى فانظر يامن انكر البعث وشاهد حياة الارض لسبب نزول الغيث من خلال السحاب الى اثر الغيث النازل والى انه تعالى كيف يحيى الارض بانواع النبات بعد موتها اى بعد يبسها وجفافها فالمراد برحمة الله ههنا المطر سمى المطر رحمة تسمية للسبب باسم مسببه لانه انما يكون ويصل الى الخلق بسبب رحمة الله تعالى اياهم والمراد بآثار الرحمة مايترتب على نزول المطر من النبات والاشجار وانواع الثمار وقرأ العامة كيف يحيى بياء الغيبة على اسناد الفعل الى الله تعالى او الى اثر الرحمة عند من قرأ اثر بالافراد ومن قرأ بلفظ الجمع جعل يحيى مسندا اليه تعالى وقرئ تحيى بتاء التأنيث على اسناده الى ضمير الرحمة ﴿ قوله ومن المحتمل ﴾ عطف على قوله كما ان احياء الارض احداث لمثل ماكان فيها من القوى يعنى انه قول حقيق بالاخذ والقبول فان احياء الارض عبارة عن اعادة مثل ماكان فيها من القوى الا انه لاينافى ذلك ان يكون من الكائنات الراهنة اى الثابتة المتجددة مايكون من مواد الاشياء المتفتتة فى بعض الاعوام السالفة التى من جنس الكائنات الراهنة بان يحدث الله تعالى فى تلك المواد مثل ماكان فيها من القوى والصور الزائلة منها ثم انه تعالى لما بين انهم عند تأخير المطر يكونون مبلسين وعند ظهوره

وقد وقف على حقا على انه متعلق بالانتقام (الله الذى يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه) متصلا تارة (فى السماء) فى سمتها (كيف يشاء) سائرا وواقفا مطبقا وغير مطبق من جانب دون جانب الى غير ذلك (ويجعله كسفا) قطعا تارة اخرى وقرأ ابن عامر بالسكون على انه مخفف او جمع كسفة او مصدر وصف به (فترى الودق) المطر (يخرج من خلاله) فى التارتين (فاذا اصاب به من يشاء من عباده) يعنى بلادهم واراضيهم (اذاهم يستبشرون) لمجئ الخصب (وان كانوا من قبل ان ينزل عليهم) المطر (من قبله) تكرير للتأكيد والدلالة على تطاول عهدهم بالمطر واستحكام يأسهم وقيل الضمير للمطر او السحاب او الارسال (لمبلسين) لآيسين (فانظر الى أثر رحمة الله) اثر الغيث من النبات والاشجار وانواع الثمار ولذلك جمعه ابن عامر وحمزة والكسائى وحفص (كيف يحيى الارض بعد موتها) وقرئ بالتاء على اسناده الى ضمير الرحمة (ان ذلك) يعنى الذى قدر على احياء الارض بعد موتها (لمحيى الموتى) لقادر على احيائهم فانه احداث لمثل ماكان فى مواد ابدانهم من القوى كما ان احياء الارض احداث لمثل ماكان فيها من القوى النباتية هذا ومن المحتمل ان يكون من الكائنات الراهنة مايكون من مواد ما تفتتت وتبددت من جنسها فى بعض الاعوام السالفة (وهو على كل شئ قدير) لان نسبة قدرته الى جميع الممكنات على سواء (ولئن ارسلنا ريحا فرأوه مصفرا) فرأوا الاثر او الزرع فانه مدلول عليه بما تقدم وقيل السحاب لانه اذا كان مصفرا لم يمطر واللام موطئة للقسم دخلت على حرف الشرط وقوله (لظلوا من بعده يكفرون) جواب سد مسد الجزاء

(يكونون)

ولذلك فسر بالاستقبال وهذه الآيات ناعية على الكفار بقلة تثبتهم وعدم تدبرهم وسرعة تزلزلهم لعدم تفكرهم وسوء رأيهم فان النظر السوي يقتضي ان يتوكلوا على الله ويلتجئوا اليه ﴿ ٣٣ ﴾ بالاستغفار اذا احتبس القطر عنهم ولم ييأسوا من رحمته وان يبادروا الى الشكر والاستدامة بالطاعة اذا اصابهم برحمته ولم يفرطوا في الاستبشار وان يصبروا على بلائه اذا ضرب زروعهم بالاصفرار ولم يكفروا نعمه (فانك لا تسمع الموتى) وهم مثلهم لما سدوا عن الحق مشاعرهم (ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين) قيد الحكم به ليكون اشد استحالة فان الاصم المقبل وان لم يسمع الكلام تفطن منه بواسطة الحركات شيأ (وما انت بهادي العمي عن ضلالتهم) سماهم عميا لفقدهم المقصود الحقيق من الابصار او لعمى قلوبهم (ان تسمع الا من يؤمن بآياتنا) فان ايمانهم يدعوهم الى تلقي اللفظ وتدبر المعنى ويجوز ان يراد بالمؤمن المشارف للايمان (فهم مسلمون) لما تأمرهم به (الله الذي خلقكم من ضعف) اي ابتدأكم ضعفاء وجعل الضعف اساس امركم كقوله خلق الانسان ضعيفا او خلقكم من اصل ضعيف وهو النطفة (ثم جعل من بعد ضعف قوة) وذلك اذا بلغتم الحلم او تعلق بابدانكم الروح (ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة) اذا اخذ منكم السن وفتح عاصم وحمزة الضاد في جميعها والضم اقوى لقول ابن عمر رضي الله عنه قرأتها على رسول الله صلى الله عليه وسلم من ضعف فاقرأني من ضعف وهما لغتان كالفقر والفقر والتنكير مع التكرير لان المتأخر ليس عين المتقدم (يخلق ما يشاء) من ضعف وقوة وشيب وشيبة (وهو العليم القدير) فان الترديد في الاحوال المختلفة مع امكان غيره دليل العلم والقدرة (ويوم تقوم الساعة) القيامة سميت بها لانها تقوم في آخر ساعة من ساعات الدنيا او لانها تقع بغتة وصارت علما لها بالغلبة كالكوكب للزهرة (يقسم المجرمون ما لبثوا) في الدنيا او في القبور او فيما بين فناء الدنيا والبعث وانقطاع عذابهم وفي الحديث ما بين فناء الدنيا والبعث اربعون وهو محتمل الساعات والايام والاعوام (غير ساعة) استقلوا مدة لبثهم اضافة الى مدة عذابهم في الآخرة او نسيانا (كذلك) مثل ذلك الصرف عن الصدق والتحقيق (كانوا يؤفكون) يصرفون في الدنيا (وقال الذين اوتوا العلم والايمان) من الملائكة او الانس (لقد لبثتم في كتاب الله) في علمه او قضائه او ما كتبه لكم اي اوجبه او اللوح او القرآن

يكونون مستبشرين ذكر بعده انهم لو اصابت زروعهم ريح مفسدة لكفروا النعمة السابقة وجحدوها ولم يعطوا شيأ من الاموال حقه فقال ولئن ارسلنا ريحا الآية قال تعالى اولا الله الذي يرسل الرياح على طريق الاخبار وقال ههنا ولئن ارسلنا ريحا بطريق الفرض والتقدير لان الرياح النافعة من رحمته وهي متواترة وهو تعالى رؤف بالعباد ليس من شأنه الافراط في التعذيب فلذلك ترى الرياح النافعة تهب في الليالي والايام وفي البراري والآكام وريح السموم لا تهب الا في بعض الازمنة وفي بعض الامكنة وعبر عن الريح النافعة بلفظ الجمع وعن الضارة بلفظ الواحد ومنه قوله عليه الصلاة والسلام «اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا» وذلك لان النافعة كثيرة الانواع والافراد والضارة لا تهب الا نادرا ﴿ قوله ولذلك ﴾ اي ولكونه سادا مسد الجزاء فسر بالاستقبال لان كل واحد من الشرط والجزاء لا بد ان يكون مستقبلا وان كان على لفظ الماضي ﴿ قوله ناعية على الكفار ﴾ اي شاهدة عليهم مفتضحة اياهم بما ذكر من الفضائح يقال نعى عليه هفواته اذا شهره بها ثم انه تعالى لما اورد من دلائل الآفاق قوله وهو الذي يرسل الرياح الآية اورد دليلا من دلائل الانفس ايضا وهو خلق الآدمي فقال الله الذي خلقكم من ضعف ﴿ قوله اي ابتدأكم ضعفاء ﴾ اي خلقكم اول ما خلقتم في حال كونكم اجنة واطفالا ضعفاء لا تقوون على شيء ولا يقوى شيء منكم على شيء فصار كأن الضعف مبدأ تكونكم ومادة خلقكم فكلمة من لابتداء الغاية جعل حالة الضعف اساس امرهم ومبدأ جبلتهم والضعف على حقيقته وكون الانسان مخلوقا منه مجاز فانه لما كان في بدء امره ضعيفا جعل كأنه خلق من الضعف وعلى التقدير ان يكون المعنى خلقكم من اصل ذي ضعف وهو النطفة يكون الضعف مجازا وكون الانسان مخلوقا منه حقيقة فعلى تقدير كون قوله خلقكم من ضعف بمعنى ابتدأكم ضعفاء يكون قوله ثم جعل من بعد ضعف قوة بمعنى ثم جعلكم من بعد الضعف اقوياء تقوون على اشياء كثيرة ثم جعلكم من بعد تلك القوة والقدرة ضعفاء شيوخا لا تقدرون على شيء مما تقدرون عليه قبل وعلى تقدير كونه بمعنى خلقكم من اصل ذي ضعف يكون معنى ما بعده ثم خلق من بعد الضعف الكائن في ذلك الاصل قوة بتعلق الروح به وصيرورته انسانا يقوى على ما لا يقوى عليه ذلك الاصل ثم جعله شيخا فانيا كما قال ومنكم من يرد الى ارذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيأ ﴿ قوله والتنكير ﴾ اي تنكير ما ذكر ثانيا وهو الذي دفع به تكرير الاول لاجل ان المتأخر ليس عين المتقدم فان النكرة اذا اعيدت معرفة تكون الثانية عين الاولى وههنا لما لم تكن الثانية عين الاولى اعيدت نكرة وهذا ظاهر على تقدير ان يكون الضعف الاول بمعنى الضعيف او بتقدير المضاف والثاني على اصل معناه وليس بظاهر على الاول الا ان يكون المراد بالضعف المخلوق منه ضعف المخاطبين كما يشعر به قوله ابتدأكم ضعفاء وتنظيره بقوله تعالى خلق الانسان ضعيفا وبالضعف الثاني جنس الضعف وحقيقته ﴿ قوله فان الترديد في الاحوال المختلفة الخ ﴾ اشارة الى وجه مناسبة قوله وهو العليم القدير بتقديم العليم على القدير بعد تخصيصهما بالذكر ثم في الآية دلالة على صحة البعث من حيث ان من قدر على ان يرد الحي في آخر حياته الى اول حاله فغير بعيد ان يرده بعد موته الى ما كان عليه في اول امره ﴿ قوله لانها تقوم في آخر ساعة من ساعات الدنيا ﴾ يعني ان ساعات الدنيا اجزاء من اجزاء الزمان وسمي ما وقع في آخر ساعة من ساعات الدنيا ساعة بطريق تسمية الحال باسم المحل مجازا او لان الساعة بمعنى السرعة والبغتة كما يقول المستعجل اهله في ساعة والقيامة لما كانت بحيث تقع بغتة وفجأة سميت ساعة ولما ذكر الله دلائل قدرته التامة واستدل بذلك على صحة البعث وقال ان ذلك لمحيي الموتى ذكر حال المشركين الذين ينكرون البعث كما اخبر الله تعالى بقوله واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت فقال ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون اي يحلفون ﴿ قوله وهو محتمل الساعات ﴾ روى عن ابي هريرة رضي الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ما بين النفختين اربعون» فقيل اربعون يوما قال ابو هريرة رضي الله عنه ابيت وقيل اربعون شهرا قال ابيت وقيل اربعون سنة قال ابيت قال صاحب الكشاف وهذا الوقت الذي ذكر في الحديث وقت يفنون فيه وينقطع عذابهم ﴿ قوله استقلوا مدة لبثهم الخ ﴾ قيل انهم حلفوا بذلك كاذبين بدليل قوله تعالى كذلك كانوا يؤفكون قال الكلبي كذبوا في قولهم غير ساعة كما كذبوا في الدنيا بان قالوا لا بعث ولا حساب ولا جزاء يقال افك فلان اذا صرف عن الصدق وعن الخير ايضا فيكون المعنى كما صرفوا عن الصدق في حلفهم صرفوا عن الايمان في الدنيا ﴿ قوله في علمه او قضائه ﴾ الجوهري الكتاب الفرض والحكم والقدر

وهو قوله ومن ورآئهم برزخ (الى يوم البعث) ردّوا بذلك ماقالوه وحلفوا عليه (فهذا يوم البعث) الذى انكرتموه (ولكنكم كنتم لاتعلمون) انه حق لتفريطكم فى النظر والفاء لجواب شرط محذوف تقديره ان كنتم منكرين البعث فهذا يومه اى فقد تبين بطلان انكاركم (فيومئذ لاتنفع الذين ظلموا معذرتهم) وقرأ الكوفيون بالياء لان المعذرة بمعنى العذر اولان تأنيثها غير حقيقى وقد فصل بينهما (ولاهم يستعتبون) لايدعون الى مايقتضى اعتابهم اى ازالة عتبهم من التوبة والطاعة كما دعوا اليه فى الدنيا من قولهم استعتبنى فلان فاعتبته اى استرضانى فارضيته (ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل) ولقد وصفناهم فيه بانواع الصفات التى هى فى الغرابة كالامثال مثل صفة المبعوثين يوم القيامة ومايقولون ومايقال لهم ومالايكون لهم من الانتفاع بالمعذرة والاستعتاب اوبيّناالهم من كل مثل ينبئهم عن التوحيد والبعث وصدق الرسول (ولئن جئتهم بآية) من آيات القرآن (ليقولن الذين كفروا) من فرط عنادهم وقساوة قلوبهم (ان انتم) يعنون الرسول والمؤمنين (الا مبطلون) مزوّرون (كذلك) مثل ذلك الطبع (يطبع الله على قلوب الذين لايعلمون) لا يطلبون العلم ويصرّون على خرافات اعتقدوها فان الجهل المركب يمنع ادراك الحق ويوجب تكذيب المحق (فاصبر) يامحمد على اذاهم (ان وعدالله) بنصرتك واظهار دينك على الدين كله (حق) لابدّ من انجازه (ولا يستخفنك) ولا يحملنك على الخفة والقلق (الذين لايوقنون) بتكذيبهم وايذآئهم فانهم شاكّون ضالون لايستبدع منهم ذلك وعن يعقوب تخفيف النون وقرئ ولايستحقنك اى لايزيغنك فيكونوا احق بك من المؤمنين*عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الروم كان له من الاجر عشر حسنات بعدد كل ملك سبح الله بين السماء والارض وادرك ماضيع فى يومه وليلته

﴿سورة لقمان مكية وقيل الاآية﴾
﴿وهى الذين يقيمون الصلاة﴾
﴿ويؤتون الزكاة فان وجوبهما﴾
﴿بالمدينة وهى ضعيف لانه لاينافى﴾
﴿شرعيتهما بمكة وقيل الاثلاثا من﴾
﴿قوله ولو ان مافى الارض من﴾
﴿شجرة اقلام وهى اربع وثلاثون﴾
﴿آية وقيل ثلاث وثلاثون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الم تلك آيات الكتاب الحكيم) سبق بيانه فى يونس (هدى ورحمة للمحسنين) حالان من الآيات والعامل فيهما معنى الاشارة ورفعهما حمزة على الخبر بعد الخبر او الخبر لمحذوف (الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون) بيان لاحسانهم او تخصيص لهذه الثلاثة من شعبه لفضل اعتداد بها وتكرير الضمير للتوكيد ولما حيل بينه وبين خبره (اولئك على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون) لاستجماعهم العقيدة الحقة والعمل الصالح (لان)

وقيل الكتاب عندهم العالم قال تعالى ام عندهم الغيب فهم يكتبون والكتب الجمع وجواب اولى العلم والايمان للكفار بقولهم لقدلبثتم فى كتاب الله الى يوم البعث يدل على ان مراد الكفرة مالبثوا فى القبور غير ساعة لان لبثهم فى الدنيا لم يكن منتهيا الى يوم البعث واللبث لايوصف به الفانى وهم فيما بين النفختين فقد تقاولا رد المؤمنون بالبعث العالمون به ماقاله المشركون وحلفوا عليه بان قالوا لهم لقدلبثتم مدة طويلة الى ان حضر يوم البعث وانقضت ايام الدنيا والمدة التى بين النفختين ثم وصلوا ذلك الرد بتقريعهم على انكار البعث فقالوا فهذا يوم البعث وهو جواب شرط محذوف يدل عليه الكلام كأنه قيل ان كنتم منكرين البعث فهذا يوم البعث اى فقد تبين بطلان قولكم ومثل هذه الفاء مافى قول الشاعر

قالوا خراسان اقصى مارادبنا ۞ من البلاد فقد جئنا خراسانا ۞

والمعنى ان صح ماقلتم من ان خراسان اقصى المراد بنا فقد جئناها فان المخاطبين وعدوا الشاعر واتباعه انهم مكلفون بالسير للغزو الى خراسان ولايكلفون ابعد من ذلك فاذا بلغتم خراسان فليس عليكم مجاوزته للغزو بل ان اردتم القفول فلا نمنعكم فلكم ذلك فيقول الشاعر ان صح قولكم ذلك فنخبركم انا قدبلغنا خراسان ونطلب منكم ان لاتكلفونا مجاوزة ذلك ﴿قوله لايدعون الى مايقتضى اعتابهم﴾ اى لايقال لهم ارضوا ربكم بتوبة يقال عتب عليه يعتب ويعتب عتبا اى وجد عليه وغضب ويقال عتبته اذا ازلت عتبه وغضبه واستعتبنى فلان فاعتبته اى استرضانى فارضيته ﴿قوله مثل صفة المبعوثين﴾ كاقال ثم كان عاقبة الذين اساؤا السوأى وقال ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون ولم يكن لهم من شركائهم شفعاء وكانوا بشركائهم كافرين وقال من كفر فعليه كفره ويقولون حالفين مالبثوا غير ساعة ويقال لهم لقد لبثتم فى كتاب الله الى يوم البعث فيومئذ لاينفع الذين ظلموا معذرتهم ولاهم يستعتبون فهذه هى الصفات العجيبة الثابتة لهم يوم القيامة ويحتمل ان يكون المراد بقوله تعالى من كل مثل الدلائل العجيبة الدالة على التوحيد والبعث وصدق الرسول صلى الله عليه وسلم تم هنا مايتعلق بسورة الروم وهذا اوان الشروع فيما يتعلق بسورة لقمان وهى مكية

﴿سورة لقمان عليه السلام﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿قوله سبق بيانه فى يونس﴾ اى قد سبق بيان اوّل هذه السورة فى سورة يونس هكذا الرتلك آيات الكتاب الحكيم قال المصنف فى تفسيرها تلك اشارة الى ماتضمنته السورة او القرآن من الآى والمراد من الكتاب احدهما ووصفه بالحكيم لاشتماله على الحكم اولانه كلام حكيم او محكم آياته لم ينسخ شئ منها انتهى كلامه هناك فالظاهر على هذا ان يكون الراسما لهذه السورة او القرآن ويكون مبتدأ بتقدير المضاف اى آيات الم ويكون تلك مبتدأ ثانيا اشيربه الى المضاف المقدّر وآيات الكتاب خبر للمبتدأ الثانى والجملة خبر الاوّل والتقدير آيات الم آيات الكتاب الحكيم واحتيج الى تقدير المضاف ليصح الاخبار بقوله تلك آيات الكتاب الحكيم ﴿قوله الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون﴾ صفة كاشفة للمحسنين كما ان الموصول مع صلته صفة كاشفة للالمعى فى قوله

۞ الالمعى الذى يظن بك الظن كأن قد رأى وقد سمعا ۞

فتكون اللام فى المحسنين لتعريف الجنس اى للذين يعملون الحسنات ليكون مابعده موضحا له وعلى قوله او تخصيص لهذه الثلاثة من شعب الاحسان يكون تعريف المحسنين للاستغراق والمعنى هدى للذين يعملون جميع مايحسن اعتقادا وعملا ثم خص منهم القائمين بهذه الثلاث من بين شعب لفضل اعتداد بها ويرى من هذا التعبير ان يكون الموصول مع صلته صفة مخصصة مميزة للموصوف وليس كذلك لان الصفة المخصصة ماتدل على بعض الاحوال الخارجة عن مفهوم الموصوف كما فى قولك زيد التاجر حضر والصفة ههنا ليست بخارجة عن مفهوم المحسنين بالمعنى المذكور فينبغى ان تكون صفة مادحة وهى ماتدل على الشرف المعانى الفاضلة الداخلة فى مفهوم الموصوف كالصفات الجارية على اسم الله تعالى المختار ان يكون هم الاولى مبتدأ ويوقنون خبره وبالآخرة متعلقا به وهم الثانية تكرير للاولى لفائدتين الاولى التأكيد اللفظى والثانية جبر النقصان الحاصل بتخلل الفاصل بين المبتدأ وخبره ثم انه تعالى لمابين ان القرآن كتاب حكيم يشتمل على آيات حكمية بين حال من يكفربه ويتركه يشتغل باللهو من الحديث واللهو كل باطل ألهى عن الخير فيكون اعم من الحديث

(ومن الناس من يشترى لهو الحديث) مايلهى عما يعنى كالاحاديث التى لا اصل لها و الاساطير التى لا اعتبار فيها و المضاحك وفضول الكلام والاضافة بمعنى من وهى تبيينية ان اراد بالحديث المنكر وتبعيضية ان اراد به الاعم منه وقيل نزلت فى النضر بن الحارث اشترى كتب الاعاجم وكان يحدث بها قريشا و يقول ان كان محمد يحدثكم بحديث عاد و ثمود فانا احدثكم بحديث رستم واسفنديار و الاكاسرة وقيل كان يشترى القيان و يحملهن على معاشرة من اراد الاسلام ومنعه عنه (ليضل عن سبيل الله) دينه او قرآءة كتابه وقرأ ابن كثير وابو عمرو بفتح الياء بمعنى ليثبت على ضلاله و يزيد فيه (بغير علم) بحال ما يشتريه او بالتجارة حيث استبدل اللهو بقرآءة القرآن (ويتخذها هزؤا) ويتخذ السبيل سخرية وقد نصبه حمزة والكسائى ويعقوب وحفص عطفا على ليضل (اولئك لهم عذاب مهين) لاهانتهم الحق باستئثار الباطل عليه (واذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا) متكبرا لا يعبأ بها (كأن لم يسمعها) مشابها حاله حال من لم يسمعها (كأن فى اذنيه وقرا) مشابها من فى اذنيه ثقل لا يقدر ان يسمع و الاولى حال من المستكن فى ولى او مستكبرا و الثانية بدل منها او حال من المستكن فى لم يسمعها و يجوز ان يكونا استئنافين وقرأ نافع فى اذنيه (فبشره بعذاب اليم) اعلمه بان العذاب يحيقه لا محالة وذكر البشارة على التهكم (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم) اى لهم نعيم جنات فعكس للمبالغة (خالدين فيها) حال من الضمير فى لهم او من جنات و العامل ما تعلق به اللام (وعد الله حقا) مصدران مؤكدان الاول لنفسه و الثانى لغيره لان قوله لهم جنات وعد وليس كل وعد حقا (وهو العزيز) الذى لا يغلبه شئ فيمنعه عن انجاز وعده ووعيده (الحكيم) الذى لا يفعل الا ماتستدعيه حكمته (خلق السموات بغير عمد ترونها) استئناف وقد سبق فى الرعد (والقى فى الارض رواسى) جبالا شوامخ (ان تميد بكم) كراهة ان تميل بكم فان بساطة اجزائها تقتضى تبدل احيازها و اوضاعها لامتناع اختصاص كل منها لذاته او لشئ من لوازمه بحيز ووضع معينين (وبث فيها من كل دابة وانزلنا من السماء ماء فانبتنا فيها من كل زوج كريم) من كل صنف كثير المنفعة وكأنه استدل بذلك على عزته التى هى كمال القدرة وحكمته التى هى كمال العلم ومهد به قاعدة التوحيد وقررها بقوله (هذا خلق الله فأرونى ماذا خلق الذين من دونه) هذا الذى ذكر مخلوقه فماذا خلق آلهتكم حتى استحقوا مشاركته وماذا نصب بخلق او ما مرتفع بالابتداء وخبره ذا بصلته وأرونى معلق عنه (بل الظالمون فى ضلال مبين) اضراب عن تبكيتهم الى التسجيل عليهم بالضلال الذى لا يخفى على ناظر ووضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على انهم ظالمون باشراكهم (ولقد آتينا لقمان الحكمة) يعنى لقمان بن باعورا من اولاد آزر بن اخت ايوب او خالته وعاش حتى ادرك داود واخذ منه العلم وكان يفتى قبل مبعثه والجمهور على انه كان حكيما ولم يكن نبيا والحكمة فى عرف العلماء استكمال

لان الباطل الذى يلهى عن الخير قد يكون حديثا وقد يكون غير حديث فاضافته الى الحديث من اضافة العام الى الخاص لبيان فقوله من يشترى لهو الحديث معناه من يشترى اللهو الذى هو الحديث فلما كانت الاضافة لبيان ان المراد باللهو الحديث وجب ان يقيد الحديث بالمنكر لان غير المنكر منه لا يكون لهوا وان كانت الاضافة بمعنى من التبعيضية لا يحتاج الى تقييد الحديث بالمنكر منه لان اللهو القول الباطل بعض من مطلق الحديث فيصح ان تجعل من تبعيضية مع بقاء الحديث على اطلاقه بخلاف جعلها بيانية فانه مستلزم ان يراد بالحديث المنكر لان مدخول من البيانية يجب ان يكون اخص من المبين فلابد ان يصدق المبين على كل فرد من مدخولها ولا يكون الا بان يكون الحديث منكرا والحاصل انه لما كان كل واحد من اللهو والحديث اعم من الآخر من وجه جاز ان يكون اضافة اللهو الى الحديث بمعنى من التبعيضية او البيانية فباعتبار عموم اللهو تكون من البيان وباعتبار عموم الحديث تكون التبعيض والاكاسرة جمع كسرى على خلاف القياس وكسرى لقب ملوك الفرس والقيان جمع قينة وهى الامة مغنية كانت او غير مغنية من قرأ ليضل عن سبيل الله بضم حرف المضارعة جعل المعنى ليضل غيره ولا شك ان من اضل غيره فقد ضل هو بنفسه ومن قرأ بفتح الياء جعل معناه ليثبت على ضلاله الذى كان عليه ولا يصد عنه ويزيد فيه فان المخذول كان شديد الشكيمة فى عداوة الدين وصد الناس عنه ﴿قوله تعالى بغير علم﴾ حال من فاعل يشترى ومن قرأ ويتخذها بنصب الذال عطفا على ليضل جعله علة كالذى قبله ومن قرأ مرفوعا بالعطف على يشترى جعله صلة ولما كانت كلمة من تفرد اللفظ مجموع المعنى حمل قوله اولئك لهم على معناه بالجمع وقوله واذا تتلى عليه على لفظه فافرد واصل كأن المخففة كأنه والضمير ضمير الشان ﴿قوله لهم جنات وعد﴾ وقوله وعد الله اكد مضمون هذه الجملة التى لا يحتمل لها من جميع المصادر الا كونه وعدا فكان تأكيدا لنفسه كما فى قولك له على الف درهم اعترافا وقوله حقا اكد مضمون تلك الجملة ايضا الا ان مضمونها له محتمل غير الحقيقة لان كل وعد من حيث هو وعد ليس بحق فكان تأكيدا لغيره ثم انه تعالى لما وصف نفسه بانه هو العزيز الحكيم بين ذلك بقوله خلق السموات بغير عمد ترونها فالعمد جمع عماد وهو الاسطوانة سميت عمادا لكون مافوقها يعتمد عليها ﴿قوله بغير عمد﴾ حال من السموات وقوله ترونها صفة العمد والضمير الذى فيه راجع الى العمد اى بغير عمد مرئية وان كان هناك عمد غير مرئية هى قدرة الله تعالى وارادته ويحتمل ان يكون ترونها جملة مستأنفة لا محل لها من الاعراب جئ بها لبيان ان السموات خلقت بغير عمد فيكون الضمير المنصوب فيها راجعا الى السموات كأنه لما قيل خلق السموات بغير عمد قيل وما الدليل عليه فاجيب ترونها غير معمودة كما تقول لصاحبك انا بلا سيف ولا رمح ترانى ﴿قوله شوامخ﴾ اى شواهق مرتفعات والرواسى من الجبال الثوابت الرواسخ واحدتها راسية من رسا الشئ يرسو اى ثبت ﴿قوله وماذا نصب بخلق﴾ على ان يكون ماذا بمنزلة اسم واحد وهو اى شئ فحكم على موضعه بحسب ما يقتضيه العامل وهو ههنا محله النصب وعلى الثانى تكون ذا بمعنى الذى وما للاستفهام والتقدير ارونى ما الذى خلقوا فما مبتدأ والموصول مع صلته خبره والعائد محذوف اى ما الذى خلقه الذين من دونه ﴿قوله ومن حكمته﴾ قيل اول ما سمع من حكمته ان مولاه دخل الكنيف وما فاطال فيه المكث فلما خرج قال له لا تطل المكث فى الخلاء فان طول المكث فيه يورث الباسور واتفق العلماء على انه كان حكيما ولم يكن نبيا الا عكرمة فانه قال انه كان نبيا وقد تفرد بهذا القول فعلى قوله يكون المراد بالحكمة ههنا النبوة وروى عن النبى عليه الصلاة والسلام انه لم يكن نبيا ولكن كان عبدا كثير التفكر حسن اليقين أحب الله فاحبه ﴿قوله لان اشكر﴾ على ان تكون ان مصدرية موصولة بفعل الامر كقولك امرتك ان قم اى بالقيام فكذا ههنا آتيناه الحكمة لان اشكر اى للشكر والظاهر انها مفسرة لان ايتاء الحكمة لكونه فى معنى التعليم والتلقين يتضمن معنى القول والمعنى اشكر لله تعالى فيما اعطاك من الحكمة بالتوحيد والطاعة له وقد نبه الله تعالى على ان الحكمة الاصلية والعلم الحقيق فى حق المخلوقين هو عبادة الله تعالى وشكر نعمه حيث فسر ايتاء الحكمة بالبعث على الشكر ثم قال ومن يشكر انعام الله تعالى عليه بالطاعة له فنفع شكره يرجع اليه ومن كفر نعم الله عليه بترك التوحيد والطاعة له فان الله غنى عن شكر خلقه وعبادتهم ﴿قوله تعالى واذ قال لقمان﴾ اى واذكر حين قال لقمان لابنه وهو يعظه الجملة حال من لقمان اى قال واعظا له ﴿قوله يابنى تصغير اشفاق وقرأ ابن كثير يابنى لا تشرك باسكان الياء وقنبل يابنى اقم الصلاة باسكان الياء وحفص فيهما وفى يابنى انها ان تك بفتح الياء

النفس الانسانية باقتباس العلوم النظرية واكتساب الملكة التامة على الافعال الفاضلة على قدر طاقتها ومن حكمته انه صحب داود شهورا وكان يسرد الدرع فلم يسأله عنها فلما اتمها لبسها وقال نعم لبوس الحرب انت فقال الصمت حكم وقليل فاعله وان داود قال له يوما كيف اصبحت فقال اصبحت فى يدى غيرى فتفكر داود فيه فصعق صعقة وانه امره مولاه بان يذبح شاة ويأتى باطيب مضغتين منها فاتى باللسان والقلب ثم بعد ايام امره بان يأتى باخبث مضغتين منها فاتى بهما ايضا فسأله عن ذلك فقال هما اطيب شئ اذا طابا واخبث شئ اذا خبثا (ان اشكر لله) لان اشكر او اى اشكر فان ايتاء الحكمة فى معنى القول (ومن يشكر فانما يشكر لنفسه) لان نفعه عائد اليها وهو دوام النعمة واستحقاق مزيدها (ومن كفر فان الله غنى) لايحتاج الى الشكر (حميد) حقيق بالحمد وان لم يحمد او محمود فنطق بحمده جميع مخلوقاته بلسان الحال (واذ قال لقمان لابنه) انعم او اشكم او ماثان (وهو يعظه يابنىّ) تصغير اشفاق وقرأ ابن كثير يابنى باسكان الياء وقنبل يابنى اقم الصلاة باسكان الياء وحفص فيهما وفى يابنى انها ان تك بفتح الياء والبزى مثله فى الاخير وقرأ الباقون فى الثلاثة بكسر الياء (لاتشرك بالله) قيل كان كافرا فلم يزل به حتى اسلم ومن وقف على لاتشرك جعل بالله قسما (ان الشرك لظلم عظيم) لانه تسوية بين من لانعمة الا منه ومن لانعمة منه (ووصينا الانسان بوالديه حملته امه وهنا) ذات وهن او تهن وهنا (على وهن) اى تضعف ضعفا فوق ضعف فانها لاتزال يتضاعف ضعفها والجملة فى موضع الحال وقرئ بالتحريك يقال وهن يهن وهنا ووهن يوهن وهنا (وفصاله فى عامين) وفطامه فى انقضاء عامين وكانت ترضعه فى تلك المدة وقرئ وفصله وفيه دليل على ان اقصى مدة الرضاع حولان (ان اشكر لى ولوالديك) تفسير لوصينا او علة له او بدل من والديه بدل الاشتمال وذكر الحمل والفصال فى البين اعتراض مؤكد للتوصية فى حقها خصوصا ومن ثمة قال عليه الصلاة والسلام لمن قال له من ابرّ قال امك ثم امك ثم امك ثم قال بعد ذلك ثم اباك (الىّ المصير) فاحاسبك على شكرك وكفرك

والبزى مثله فى الاخير وقرأ الباقون فى الثلاثة بكسر الياء ﴾ اعلم ان قوله تعالى يابنىّ مذكور فى القرآن فى ستة مواضع يابنىّ اركب معنا فى هود يابنىّ لاتقصص فى يوسف يابنىّ لاتشرك يابنىّ انها يابنىّ اقم الصلاة فى لقمان يابنىّ انى ارى فى الصافات قرأ حفص بفتح الياء فى المواضع الستة وقرأ شعبة بفتح الاول وكسر الخمسة الباقية وقرأ البزى باسكان اول لقمان وكسر الخمسة الباقية وقرأ قنبل باسكان اول لقمان وآخرها وكسر الاربعة الباقية وقرأ نافع وابو عمرو وابن عامر وحمزة والكسائى بكسر الياء مشددة فى الجميع ﴿ **قوله** تعالى ووصينا الانسان ﴾ قيل هذا كلام معترض فى قصة لقمان الى قوله بما كنتم تعملون كما قال المصنف والآيتان معترضتان الخ ثم عاد الكلام الى قصته وقيل هو متصل كله باضمار القول اى وقلنا له اى لقمان ووصينا الانسان بوالديه اى ببرّ والديه ثم نبه على المعنى الموجب لبرّهما فقال حملته امه وهنا فلا محل لهذه الجملة من الاعراب لانها جملة مستأنفة لبيان علة التوصية وقوله وهنا مصدر منصوب على انه حال من امه بتقدير ذات وهن ويحتمل ان يكون منصوبا بالفعل المقدر اى تهن وهنا وهذه الجملة المركبة من الفعل المقدر وما فى حيزه حال من فاعل الفعل السابق وقوله تعالى على وهن صفة لوهنا اى فوق وهن آخر وهى يتزايد ضعفها ويتضاعف بحسب تزايد ثقل الحمل وليس المراد بقوله وهنا على وهن وهنين اثنين بل المراد التكرار والكثرة ﴿ **قوله** وقرئ بالتحريك ﴾ اى بفتح الهاء فيهما فاحتمل ان يكونا لغتين كالشعر والشعر وان يكون مفتوح الهاء مصدر وهن بكسر الهاء فانه يقال وهن يهن وهنا مثل وعد يعد وعدا ووهن يوهن وهنا مثل وجل يوجل وجلا ﴿ **قوله** وفطامه ﴾ وهو ان يفصل الولد عن الامّ كيلا يرضع الجوهرى فطام الصبى فصاله عن امه ويطلق الفطم على القطع فيقال فطمت الحبل وفطمت الرجل عن عادته اى قطعته ولما كان قوله وفصاله مبتدأ وقوله فى عامين خبره كان المعنى وفصاله يقع فى عامين وليس فيه تعيين مدة الرضاع فلذلك فسره بقوله وفطامه فى انقضاء عامين على معنى ان انقضاءهما هو الغاية التى لايتجاوز عنها الارضاع والامر فيما بين العامين موكول الى اجتهاد الام ان علمت انه يقوى على الفطام فلها ان تفطمه ويدل عليه قوله تعالى والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة وبه استشهد الامام الشافعى على ان مدة الرضاع سنتان لاتثبت حرمة الرضاع بعد انقضائها من وقت الولادة وهو مذهب ابى يوسف ومحمد رحمهما الله واما عند ابى حنيفة فمدة الرضاع ثلاثون شهرا استدلالا بقوله تعالى وحمله وفصاله ثلاثون شهرا حيث جعل المدة المذكورة مدة لكل واحد من الحمل والفصال لكن قول عائشة رضى الله عنها لايبقى الولد فى رحم امه اكثر من سنتين ولو بفلكة مغزل يبين ان اكثر مدة الحمل سنتان لان مثله لايعرف قياسا بل سماعا من الشارع وبه يثبت النسخ ويثبت المدة المذكورة فى حق الفصال فلما كانت مدة الرضاع عنده ثلاثين شهرا قيل ان هذه الآية عنده لبيان الرضاع المستحق على الامّ لا لبيان المدة التى ينتهى حكم الرضاع عندها ﴿ **قوله** تفسير لوصينا ﴾ لان التوصية فى معنى القول الا ان الموصى به هو برّ الوالدين فالظاهر ان تفسير التوصية ببرّهما بالترغيب فى شكرهما بان يقال ان اشكر لوالديك لكونهما سببا ظاهريا لوجودك وتربيتك الا انه تعالى لما كان سببا حقيقيا لوجود الكائنات وتربيتها وكان شكر الوالدين والاعتراف بحقهما عليه من حيث ان نعمة الله تعالى ظهرت من جهتهما كانت الوصية ببرّ الوالدين فى الحقيقة عبارة عن البعث على شكره تعالى بالتوحيد والعبادة له وشكر الوالدين ببرّهما لمقابلة احسانهما اليه فلذلك فسرت الوصية ببرّ الوالدين بقوله ان اشكر لى ولوالديك ﴿ **قوله** او علة له ﴾ اى وصيناه ببرّ الوالدين لشكرنا ولشكر والديه قال سفيان بن عيينة فى هذه الآية من صلى صلاة الخمس فقد شكر الله تعالى ومن دعا لوالديه فى ادبار الصلوات الخمس فقد شكر والديه فان كان بدلا من والديه يكون التقدير ووصينا الانسان بان اشكر لى وعلى التقادير الثلاثة يكون قوله حملته امه وهنا على وهن وفصاله فى عامين جملة معترضة بين المفسر والمفسر او بين العلة والمعلول او بين البدل والمبدل منه تأكيدا للتوصية فى حقها خاصة فظهر بهذا جواب مايقال وهو انه تعالى اوصى ببرّ الوالدين ثم بين مايوجب برّ الامّ ولم يتعرض لبيان مايوجب برّ الاب وتقرير الجواب ان الاب وان حمل الولد فى صلبه سنين ورباه بكسبه سنين الا ان ماتحملته الام من المشقة اشد وابلغ فلذلك اكد التوصية فى حقها خصوصا بعد التوصية ببرّهما معا روى ان صحابيا قال قلت يارسول الله من ابرّ قال امك قال قلت ثم من قال امك قال قلت ثم من قال امك قال قلت ثم من قال اباك ثم الاقرب فالاقرب ثم اشار الى ان خدمتهما وطاعتهما انما تكون واجبة مالم يكن فيهما ترك طاعة الله تعالى وان افضت

اليه فلا تجوز طاعتهما حيث قال وان جاهداك الآية ﴿ قوله اراد بنفي العلم به نفيه ﴾ والمعنى على ان تشرك بي ماليس لك به علم بشيء عبر عن هذا المعنى بنفي العلم به لان العلم بوجود الشيء لازم في وجوده من حيث ان مالا يكون موجودا في نفسه لايعلم بكونه موجودا فعبر بنفي اللازم عن نفي الملزوم ولم يرض المصنف به لان علم المخلوق بوجود الشيء ليس بلازم لوجوده في نفسه بل اللازم له هو العلم الفعلي ﴿ قوله مكثت لاسلامه ثلاثا ﴾ فان سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه لما اسلم وكان من السابقين الاولين وكان بارا بامه قالت له امه ماهذا الدين الذي احدثته والله لا آكل ولا اشرب حتى ترجع الى ما كنت عليه او اموت فتعير بذلك ابد الدهر ويقال لك قاتل امه ثم انها مكثت ثلاثا لاتطعم ولا تشرب حتى فتحوا فاها بعود وروي ان سعدا قال لو كان لها سبعون نفسا فخرجت واحدة فواحدة لما ارتددت الى الكفر فلما علمت انه لا يرتد عن دينه حذرا من هلاكها رضيت بان تأكل وتشرب ﴿ قوله ولذلك ﴾ اي ولكونهما نزلتا في سعد قيل المراد بقوله تعالى من اناب الي ابو بكر الصديق رضي الله عنه فان ابا بكر حين اسلم اتاه عثمان وطلحة والزبير وسعد بن ابي وقاص وعبد الرحمن بن عوف فقالوا له قد صدقت هذا الرجل وآمنت به قال نعم هو صادق فآمنوا به ثم جاء بهم الى النبي صلى الله عليه وسلم حين اسلموا فهؤلاء لهم سابقة الاسلام اسلموا بارشاد ابي بكر رضي الله عنه فلما كان سبيله الثبات على التوحيد والايمان ودعاء من كان خارجا عن تلك السبيل اليهما قال تعالى واتبع سبيل من اناب الي ﴿ قوله اي ان الخصلة ﴾ يعني ضمير انها عبارة عن الخصلة او الفعلة التي يأتي بها المكلف واسم تك مستتر فيه راجع الى ما يرجع اليه ضمير انها ومثقال منصوب على انه خبر كان والفاء في قوله فتكن لافادة اجتماع الشرطين في التحقق على سبيل التعاقب كأن لقمان لما نهى ابنه عن الشرك قال له ابنه يا ابت ازعم انه تعالى مطلع على ما يفعله الانسان من الخير والشر فيجازيه جزاء وفاقا ان خيرا فخير وان شرا فشر فان فعلت ما فعلته من الفعلة حيث لا يراني احد كيف يعلمه الله تعالى فقال له ابوه يا بني ان الفعلة ان تك في الصغر كحبة الخردل مثلا ومع صغرها تكون خفية في موضع حصين كالصخرة لاتخفى على الله تعالى ومن قرأ مثقال مرفوعا جعل ضمير انها للقصة وجعل قوله ان تك تامة لاتحتاج الى الخبر ورفع مثقال على انه فاعل كان التامة وانث فعله مع ان المثقال مذكر من حيث انه اكتسب التأنيث باضافته الى حبة كما انث الصدر لاضافته الى القناة في قول الشاعر

* وتشرق بالقول الذي قد اذعته * كما شرقت صدر القناة من الدم *

الشرق الشجى والغصة يقال شرق بريقه اي غص به واشتد حلقه بحيث لا ينزل ولا يخرج وذاع الخبر يذيع ذيعا وذيوعا اي انتشر وأذاعه نشره عبر بذم شخص اذاع خبرا وكان من حقه ان يخفيه نقل الامام محيي السنة عن بعض الكتب ان قوله يا بني انها ان تك مثقال حبة الآية آخر كلمة تكلم بها لقمان فلما تكلم بها لقمان انشقت مرارته من هيبتها فمات روّح الله تعالى روحه ﴿ قوله بجوف صخرة او اعلاه الى آخره ﴾ اشارة الى دفع ما يقال من ان الصخرة لابد ان تكون في السموات او في الارض فما يكون في الصخرة لابد ان يكون في احدهما لامحالة فاوجه عطفهما بكلمة او وتقدير الجواب ان المراد بالصخرة ما يكون على وجه الارض وبما في السموات ما يكون في محدبها وبما في الارض ما يكون في مقرها فيتحقق الانفصال وقيل هذه الصخرة ليست في السموات ولا في الارض بل هي تحت سبع ارضين عليها ملك قائم وقيل عليها الثور قيل خلق الله تعالى الارض على حوت وهو النون الذي ذكره الله تعالى في قوله ن والقلم وما يسطرون والحوت في الماء والماء على ظهر صفاة والصفاة على ظهر ملك والملك على صخرة وهي الصخرة التي ذكرها لقمان وهي ليست في السموات ولا في الارض والصخرة على الريح ثم انه لما نهى ابنه عن الشرك وخوفه بعلم الله تعالى وقدرته امره بما يتفرع على الايمان بالله وحده وابتدأ بالامر باقام الصلاة وعلم منه ان الصلاة كانت في سائر الملل غير ان هيئاتها اختلفت ﴿ قوله مصدر اطلق للمفعول ﴾ فيكون العزم بمعنى المعزوم اي المقطوع الذي قطعه الله واوجبه ثم اضيف الى الامور اضافة بمعنى من التبعيضية اي المقطوع من الامور وان جعل العزم بمعنى العازم اي الموجب القاطع يكون اسناد العزم الى الامر مع ان العازم هو الشارع لا الامر المشروع للمبالغة في وجوبه والاشارة الى انه لكونه متضمنا الحكم والمصالح الجمة كأنه اوجب نفسه وذكر لانتصاب مرحا ثلاثة اوجه * الاول انه مصدر واقع موقع الحال اي لاتمش مرحا فرحا * والثاني انه مفعول مطلق لفعله المحذوف اي لاتمش تمرح مرحا والجملة حال من فاعل تمش * والثالث انه مفعول له والمعنى

(وان جاهداك على ان تشرك بي ماليس لك به علم) باستحقاقه الاشراك تقليدا لهما وقيل اراد بنفي العلم به نفيه (فلا تطعهما) في ذلك (وصاحبهما في الدنيا معروفا) صحابا معروفا يرتضيه الشرع ويقتضيه الكرم (واتبع) في الدين (سبيل من اناب الي) بالتوحيد والاخلاص في الطاعة (ثم الي مرجعكم) مرجعك ومرجعهما (فانبئكم بما كنتم تعملون) بان اجازيك على ايمانك واجازيهما على كفرهما والآيتان معترضتان في تضاعيف وصية لقمان تأكيدا لما فيها من النهي عن الشرك كأنه قال وقد وصينا بمثل ما وصى به وذكر الوالدين للمبالغة في ذلك فانهما مع انهما تلو الباري في استحقاق التعظيم والطاعة لايجوز ان يستحقا في الاشراك فما ظنك بغيرهما ونزولهما في سعد بن ابي وقاص وامه مكثت لاسلامه ثلاثا لم تطعم فيها شيئا ولذلك قيل من اناب اليه ابو بكر رضي الله عنه فانه اسلم بدعوته (يا بني انها ان تك مثقال حبة من خردل) اي ان الخصلة من الاساءة او الاحسان ان تك مثلا في الصغر كحبة الخردل ورفع نافع مثقال على ان الهاء ضمير القصة وكان تامة وتأنيثها لاضافة المثقال الى الحبة كقوله * كما شرقت صدر القناة من الدم * او لان المراد به الحسنة او السيئة (فتكن في صخرة او في السموات او في الارض) في اخفى مكان واحرزه كجوف صخرة او اعلاه كمحدب السموات او اسفله كمقعر الارض وقرئ بكسر الكاف من وكن الطائر اذا استقر في وكنته (يأت بها الله) يحضرها فيحاسب عليها (ان الله لطيف) يصل علمه الى كل خفي (خبير) عالم بكنهه (يا بني اقم الصلاة) تكميلا لنفسك (وأمر بالمعروف وانه عن المنكر) تكميلا لغيرك (واصبر على ما اصابك) من الشدائد سيما في ذلك (ان ذلك) الاشارة الى الصبر او الى كل ما امر به (من عزم الامور) مما عزمه الله من الامور اي قطعه قطع ايجاب مصدر اطلق للمفعول ويجوز ان يكون بمعنى الفاعل من قوله فاذا عزم الامر اي جد

لايكن غرضك فى المشى البطالة والفرح كما يمشى كثير من الناس كذلك لالكفاية مهم دينى او دنيوى كقول عمر رضى الله عنه

یا فارغا مهملا مالى ارىك لا ◦ فى امر دنيا ولا فى امر آخرة ◦

و يشهد لصحة هذا التوجيه قوله تعالى ولاتكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس اى ورؤية الناس اياهم ﴿ قوله علة النهى ﴾ يعنى ان الآية من قبيل اللف والنشر فان عدم محبته تعالى المختال علة لقوله لاتمش فى الارض مرحا وعدم محبته الفخور علة لقوله ولاتصعر خدك الا انه لم يراع فى النشر ترتيب اللف رعاية لفواصل الآى والاختيال مشية التكبر والفخر ذكر المناقب للتطاول بها على السامع ﴿ قوله وقول عائشة رضى الله عنها ﴾ جواب عما يقال كل واحد من قوله تعالى حكاية عن لقمان واقصد فى مشيك ومن الحديث المروى يدل على ان سرعة المشى ليس من دأب المؤمنين وقد روى عن عائشة رضى الله عنها انها نظرت الى رجل كاد يموت تهافتا وتضاعفا فقالت مالهذا فقيل انه من القراء فقالت كان عمر رضى الله عنه سيد القراء وكان اذا مشى اسرع واذا قال اسمع واذا ضرب اوجع فقد اسندت سرعة المشى الى عمر رضى الله عنهما فظاهرهما متنافيان ٭ وتقرير الجواب ان الاسراع المذموم هو مايكون متجاوزا حد القصد فى المشى وهو الاسراع المفرط والذى اسند الى عمر رضى الله عنه ليس كذلك بل المراد به مافوق دبيب المتماوت وهو الذى يرى من نفسه الموت وليس بميت كالمتمارض الذى يظهر من نفسه المرض وليس بمريض ﴿ قوله وانقص منه ﴾ اى انقص شيأ منه فان الظاهر ان مفعول اغضض محذوف ومن صوتك صفته ومن للتبعيض ويجوز ان يكون من صوتك مفعول اغضض على ان تكون من زائدة على مذهب الاخفش ويؤيده قوله تعالى يغضون اصواتهم ﴿ قوله والحمار مثل فى الذم ﴾ يعنى انه اذا اطلق على غير مسماه الحقيقى انما يطلق عليه على طريق الذم البليغ والشتيمة تشبيها له باصل مسماه فى اخس اوصافه وهى البلادة والعراة من خواص الآدمية فكان جاريا مجرى المثل السائر الذى يضرب فى مقام الذم والتهجين وكذا نهاقه فانه ايضا غاية فى ذم ما اطلق عليه من الصوت ﴿ قوله ولذلك ﴾ اى ولكون مسماه فى غاية الدناءة والحقارة يحترزون عن التصريح باسمه بل يكنون عنه بقولهم طويل الاذنين كما يكنون عن الاشياء المستقذرة ﴿ قوله وفى تمثيل الصوت المرتفع بصوته الخ ﴾ اشارة الى ان قوله ان انكر الاصوات لصوت الحمير جملة مستأنفة جئ بها لتعليل الامر بغض الصوت كأنه قيل له لم اغض الصوت فاجيب بانك اذا رفعت صوتك كنت بمنزلة الحمار فى اخس احواله اى كان صوتك بمنزلة النهاق فى نفرة الطباع عنه مع خلوه عن الفائدة ثم ترك المشبه واداة التشبيه واقتصر على ذكر المشبه به على طريق الاستعارة التصريحية للمبالغة فى ذم المشبه وتهجينه وفى حث المخاطب على غض صوته والاحتراز عن رفعه ﴿ قوله وتوحيد الصوت ﴾ يعنى ان الحمير جمع حمار فينبغى ان يعبر عن الصوت المضاف اليها بلفظ الجمع ايضا لان صوت الجماعة لايكون واحدا الا انه وحد المضاف اما لانه مصدر فى الاصل فواحده يفيد لفظ الجمع منه او لانه ليس المراد ان يذكر صوت كل واحد من آحاد هذا الجنس ويقصد تفضيله على اصوات سائر الاجناس التى لها صوت حتى يجمع بل المراد تفضيل صوت هذا الجنس على اصوات غيره فيكون المراد من المضاف الجنس فلا وجه لجمعه فوجب توحيده ٭ فان قيل اذا كان المراد تفضيل جنس الصوت المقيد بالاضافة الى جنس الحمير كان ينبغى ان يوحد المضاف اليه ايضا ٭ قلنا الجمع المحلى بالالف يضمحل عنه معنى الجمعية ويراد به الجنس فانه اذا قيل العصبة كل من يأخذ بقية القرآئن يكون المعنى من يأخذ مابقى من جنس الفريضة وهى السهم المقدر ضرورة ان اجتماع الفروض فى المسئلة ليس شرطا فى العصوبة فكذا لفظ الحمير يراد به الجنس لا الآحاد ثم انه تعالى لما استدل على عزته وحكمته بقوله خلق السموات بغير عمد ترونها الآية ومهد به قاعدة التوحيد ثم بكت المشركين بقوله هذا خلق الله فأرونى ماذا خلق الذين من دونه ثم اضرب عن تبكيتهم الى التسجيل عليهم بالضلال المبين ثم اورد قصة لقمان للدلالة على ماامر به ونهى عنه وليس مما يتوقف معرفته على الوحى والنبوة بل كل ذلك على وفق الحكمة وقضية الفكرة فوجب على العاقل ان يهتدى بمجرد فكره الصحيح ونظره الصائب وان لم يهتد بذلك فبارشاد النبى المؤيد بالمعجزات الباهرة ومن لم يهتد بشئ من ذلك فهو ملحق بالحيوانات العجم واضل سبيلا انتقل بعد ذلك الى الاستدلال على وحدانيته تعالى بوجه آخر وهو كونه موليا النعمة كلها ظاهرة وباطنة فان الملك كما يخدم لعظمته وان لم يعم يخدم لنعمته ايضا فلما بين انه المعبود

(ولا تصعر خدك للناس) لاتمله عنهم ولاتولهم صفحة وجهك كما يفعله المتكبرون من الصعر وهو داء يعترى البعير فيلوى منه عنقه وقرأ نافع وابو عمرو وحمزة والكسائى ولاتصاعر وقرئ ولاتصعر والكل واحد مثل علاه واعلاه وعالاه (ولاتمش فى الارض مرحا) اى فرحا مصدر وقع موقع الحال او تمرح مرحا او لاجل المرح وهو البطر (ان الله لايحب كل مختال فخور) علة للنهى وتأخير الفخور وهو مقابل للصعر خده والمختال للماشى مرحا ليوافق رؤس الآى (واقصد فى مشيك) توسط فيه بين الدبيب والاسراع وعنه عليه الصلاة والسلام سرعة المشى تذهب بهاء المؤمن وقول عائشة رضى الله عنها كان اذا مشى اسرع ٭ فالمراد مافوق دبيب المتماوت وقرئ بقطع الهمزة من اقصد الرامى اذا سدد سهمه نحو الرمية (واغضض من صوتك) وانقص منه واقصر (ان انكر الاصوات) اوحشها (لصوت الحمير) والحمار مثل فى الذم سيما نهاقه ولذلك يكنى عنه فيقال طويل الاذنين وفى تمثيل الصوت المرتفع بصوته ثم اخراجه مخرج الاستعارة مبالغة شديدة وتوحيد الصوت لان المراد تفضيل الجنس فى النكير دون الآحاد او لانه مصدر فى الاصل

لعظمته بخلقه السموات بلا عمد والقائه فى الارض رواسى وذكر بعض النعم بقوله وانزلنا من السماء ماء ذكر بعده عامة النعم فقال الم تروا ان الله سخر لكم مافى السموات ومافى الارض الآية اى ألم تعلموا العلم الذى يقوم مقام رؤية العين انه سخر لاجلكم وذلل مافى السموات بان جعله اسبابا لحصول ماتحتاجون اليه من المهمات وسهل لكم الانتفاع بتلك الاسباب على حسب مشيئته وارادته وسخر مافى الارض ايضا بان مكنكم من الانتفاع به بوسط اوبغير وسط والنعمة فى الاصل الحالة الطيبة ونعم الله تعالى وان كانت لاتحصى اشخاصها لكنها تنحصر فى جنسين دنيوى واخروى * والاول قسمان موهبى وكسبى والموهبى قسمان روحانى كنفخ الروح فيه واشراقه بالعقل ومايتبعه من القوى كالفهم والفكر والنطق وجسمانى كتخليق البدن والقوى الحالة فيه والهيئات العارضة من الصحة وكمال الاعضاء والكسبى هو تزكية النفس عن الرذائل وتحليتها بالاخلاق والملكات الفاضلة وتزيين البدن بالهيئات المطبوعة والحلى المستحسنة وحصول الجاه والمال * والثانى ان يغفر مافرط منه ويرضيه فى اعلى عليين مع الملائكة المقربين ابد الآبدين هذا ماذكره المصنف فى سورة الفاتحة واسباغ النعم توسيعها واتمامها يقال سبغت النعمة سبوغا اذا تمت روى عن ابن عباس رضى الله عنه انه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله ماهذه النعمة الظاهرة والباطنة فقال ياابن عباس اما ماظهر فالاسلام وماسوى الله تعالى من خلقك وما افاض عليك من الرزق واما مابطن فستره مساوى عملك ولم يفضحك بها ياابن عباس ان الله تعالى يقول ثلاثة جعلتهن للمؤمن ولم تكن له صلاة المؤمنين عليه من بعد انقطاع عمله وجعلت له ثلث ماله اكفر عنه خطاياه والثالث سترت عليه مساوى عمله فلم افضحه بشئ منها ولو ابديتها عليه لنبذه اهله فمن سواهم * وقيل الظاهرة شهادة ان لا اله الا الله باللسان والباطنة الاعتقاد بالفردانية بالجنان وقيل الظاهرة اتباع الرسول والباطنة محبته روى ان موسى عليه الصلاة والسلام قال يارب دلنى على اخفى نعمتك على عبادك قال اخفى نعمتى عليهم النفس وروى ان ايسر مايعذب به اهل النار الاخذ بالانفاس ﴿ قوله وقرأ نافع وابو عمرو وحفص نعمه ﴾ بفتح العين على انه جمع نعمة مضاف الى هاء الضمير فقوله ظاهرة حال منها وقرأ الباقون نعمة بسكون العين وتنوين تاء التأنيث على انه اسم جنس فى معنى الجمع كقوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لاتحصوها فقوله ظاهرة بعده نعت لها ثم انه تعالى لمابين ماتفضل به على عباده واسبغ عليهم نعمه ظاهرة وباطنة ذكر بعده ان منهم من يجادل فى توحيده واخلاص طاعته فقال ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم قيل نزلت فى النضر بن الحارث وابى بن خلف واشباههما الذين كانوا يجادلون النبى عليه الصلاة والسلام فى وحدانيته تعالى وصفاته من غير علم مستفاد من دليل العقل ومن غير هداية حاصلة من قبل صاحب الوحى ومن غير منزل من رب العالمين ثم اذا قيل لهؤلاء المجادلين الذين لاتمسك لهم اصلا هلموا الى كتاب الله تعالى واتبعوه تهتدوا اعرضوا عن كلام الله تعالى وقالوا بل نتبع كلام آبائنا ومن المعلوم ان بين كلام الله تعالى وكلام العلماء بونا عظيما فكيف مابين كلام الله وكلام الجهال ﴿ قوله من التقليد او الاشراك ﴾ من قبيل اللف والنشر الاول على ان يكون الضمير لهم والثانى على ان يكون لآبائهم ﴿ قوله من اسلمت المتاع الى الزبون ﴾ اى اسلمه الى الحريف اى العامل الذى يشاركك فى الحرفة والعمل يعنى ان اسلم اذا عدى بالى كان بمعنى سلم وان عدى باللام كما فى قوله تعالى بلى من اسلم وجهه لله فذلك باعتبار تضمنه معنى الاخلاص فمعنى الآية ومن اسلم وجهه لله من جعل ذاته ونفسه سالما لله تعالى خالصا له ﴿ قوله وهو تمثيل للتوكل ﴾ اراد التشبيه لا الاستعارة التمثيلية لذكر كل واحد من طرفى التشبيه غايته انه لم يذكر اداة التشبيه للمبالغة فيه * والوثقى تأنيث الاوثق واوثق العرى جانب الله تعالى لان كل ماعداه هالك منقطع وهو باق لا انقطاع له ذكر مايدل على وجوب اسلام الوجه الى الله تعالى فقال والى الله عاقبة الامور فان من تعين لتدبير عاقبة الامور كيف لايسلم المرء نفسه اليه ﴿ قوله وليس بمستفيض ﴾ فان اللغة الشائعة هى الثلاثى * الجوهرى حزن الرجل بالكسر فهو حزن وحزين واحزنه غيره وحزنه ايضا مثل اسلكه وسلكه ومحزون بنى عليه قال اليزدوى حزنه لغة قريش واحزنه لغة تميم وقد قرئ بهما انتهى كلامه ﴿ قوله تعالى ثم نضطرهم الى عذاب غليظ ﴾ بان نسلط عليهم ملائكة غلاظا شدادا يعذبونهم اغلظ عذاب فيختارون دخول النار عن اضطرار فرارا من عذاب هؤلاء الملائكة الذين يعذبونهم بمقارع من نار فان الاكراه انما ينافى الرضى دون الاختيار فان المضطر يعرف الشرين ويختار اهونهما قيل وفيه وجه آخر لطيف وهو انهم لما كذبوا الرسول ثم تبين لهم الامر وقع عليهم

(الم تروا ان الله سخر لكم مافى السموات) بان جعله اسبابا محصلة لمنافعكم (ومافى الارض) بان مكنكم من الانتفاع به بوسط اوبغير وسط (واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة) محسوسة ومعقولة ماتعرفونه ومالاتعرفونه وقد مر شرح النعمة وتفصيلها فى الفاتحة وقرئ واصبغ بالابدال وهو جار فى كل سين اجتمع مع الغين اوالخاء اوالقاف كصلخ وصقر وقرأ نافع وابو عمرو وحفص نعمه بالجمع والاضافة (ومن الناس من يجادل فى الله) فى توحيده وصفاته (بغير علم) مستفاد من دليل (ولاهدى) راجع الى رسول (ولاكتاب منير) انزله الله بل بالتقليد كما قال (واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ماوجدنا عليه آباءنا) وهو منع صريح من التقليد فى الاصول (اولو كان الشيطان يدعوهم) يحتمل ان يكون الضمير لهم ولآبائهم (الى عذاب السعير) الى مايؤول اليه من التقليد او الاشراك وجواب لو محذوف مثل لاتبعوه والاستفهام للانكار والتعجب (ومن يسلم وجهه الى الله) بان فوض امره اليه واقبل بشراشره عليه من اسلمت المتاع الى الزبون ويؤيده القراءة بالتشديد وحيث عدى باللام فلتضمن معنى الاخلاص (وهو محسن) فى عمله (فقد استمسك بالعروة الوثقى) تعلق باوثق مايتعلق به وهو تمثيل للمتوكل المشتغل بالطاعة بمن اراد ان يترقى شاهق جبل فتمسك باوثق عرى الحبل المتدلى (والى الله عاقبة الامور) اذ الكل صائر اليه (ومن كفر فلايحزنك كفره) فانه لايضرك فى الدنيا والآخرة وقرئ فلايحزنك من احزنه وليس بمستفيض (الينا مرجعهم) فى الدارين (فننبئهم بما عملوا) بالاهلاك والتعذيب (ان الله عليم بذات الصدور) فمجاز عليه فضلا عما فى الظاهر (نمتعهم قليلا) تمتيعا قليلا اوزمانا قليلا فان مايزول بالنسبة الى مايدوم قليل (ثم نضطرهم الى عذاب غليظ)

من الخجالة مايكون دخول النار اهون عليهم من الوقوف بين يدى ربهم بمحضر الانبياء مع تلك الخجالة فيختارون دخولها عن اضطرار ﴿ قوله يثقل عليهم ثقل الاجرام ﴾ يعني ان الغليظ صفة مشبهة تنبئ عن الثقل والكثافة او عن التراكم والانضمام وعلى التقديرين لايوصف به العذاب حقيقة وانما يوصف به الاجرام والاجسام فتوصيف العذاب به تخييل لتشبيه العذاب الواقع عليهم بالجرم الثقيل او بالاجرام المتلاصقة المتطابقة الواقعة بعضها على بعض استعارة بالكناية وعلى التقديرين يكون اثبات الغلظة له سوآء كانت بمعنى الثقل او الانضمام تخييلا لتلك الاستعارة المكنية ثم انه تعالى بين استحقاق المشركين لعذاب الغليظ ببيان ان كفرهم اقبح الكفر من حيث انهم يكرون مااضطروا الى الاقرار به فان اعترافهم بان خلق السموات والارض وما فيهما وما بينهما هو الله تعالى يستلزم الاعتراف بان لايستحق العبادة الا الله ومع هذا يناقضون انفسهم بالاشراك ثم امر رسوله صلى الله عليه وسلم بان يحمد الله تعالى على ظهور صدقه وكذب مكذبيه باعترافهم على انفسهم بالكذب والضلال ثم قرر ماقرروا به من تفرده تعالى بالخالقية بتقرير ان مافيهما من الجواهر والاعراض لله تعالى ملكا وملكا فكيف يكون شئ منها شريكا له فقال لله ما فى السموات والارض ثم لما بين ان انفس السموات والارض وجميع مافيهما محتاج الى الله تعالى من جميع الوجوه ثبت انه تعالى هو الغنيّ المطلق والحميد المطلق فان كل محتاج يحمد من يدفع حاجته بلسان الحال او المقال فمن كان غنيا مطلقا يكون حميدا مطلقا ﴿ قوله ولو ثبت كون الاشجار اقلاما ﴾ اشارة الى ان مابعد لو واقع موقع المفرد لكونه فاعلا لفعل مقدر لان لو تطلب الفعل لفظا او تقديرا فقولك لو انك قائم تقديره لو وقع قيامك والفاعل يجب ان يكون مفردا فلذلك فتحت كلمة ان الواقعة بعد لو وما فى قوله تعالى ولو ان ما فى الارض موصولة فى محل النصب على انها اسم ان واقلام خبرها ومن شجرة فى محل النصب على انه حال من المنوى فى قوله فى الارض ﴿ قوله وتوحيد شجرة ﴾ مع ان الظاهر ان يقال من شجر بلفظ اسم الجنس الدال على العموم لان المراد بما فى قوله ما فى الارض العموم بدليل الاخبار عنه بالاقلام فالوجه ان يبين باسم الجنس الا انه بين بلفظ شجرة الدال على الوحدة لان المراد تفصيل الآحاد شجرة شجرة الى ان لايبقى من جنس الشجر آحاد كثيرة بل ولا شجرة واحدة الا وقد بريت اقلاما وهذا المعنى انما يستفاد من ايراد الشجرة ولو قيل من شجر لدل على انه لايبقى جنس من اجناس الشجر الا برى اقلاما فلا يدل على ان يتناول الحكم لكل فرد وهذا قريب مما قيل ان استغراق المفرد اشمل من استغراق الجمع ﴿ قوله ممدودا بسبعة ابحر ﴾ بان يكون سبعة ابحر مدادا للبحر المحيط الذى فرض كونه بسعته مدادا وهو النفس الذى يكتب به ويقال له المركب ﴿ قوله يمده ﴾ معناه يصير مدادا له يزيده وينصب فيه من بعده اى من خلفه والمقصود كما يتوقف على ان يفرض كون اشجار الارض اقلاما يتوقف ايضا على ان يفرض كون البحر المحيط ممدودا بسبعة ابحر مدادا فعلى هذا كان الظاهر ان يقال والبحر مدادا يمده من خلفه سبعة ابحر لكن لم يذكر المداد اكتفاء بذكر مايدل عليه وهو قوله يمده فانه من مد الدواة وامدها اذا صب فيها المداد فيكون البحر الاعظم بمنزلة الدواة والابحر التى خلفه بمنزلة المداد له وفى الآية اقتصار يسمى حذف الايجاز لدلالة السياق على المحذوف وتقدير الكلام ولو ان اشجار الارض اقلام والبحر يمد بسبعة ابحر وكتبت بتلك الاقلام وبذلك المداد كلمات الله لما نفدت كلماته ونفدت الاقلام والمداد ونظير هذه الآية فى اشتمالها على حذف الايجاز قوله تعالى او به اذى من رأسه ففدية اى فحلق رأسه لدفع مابه من الاذى ففدية * قال الامام قوله سبعة ابحر ليس لحصر الابحر فى سبعة بل المراد الاشارة الى كثرة المدد ولو كان الف بحر وخصت السبعة بالذكر من بين اسماء الاعداد لكونها عددا يحصر اكثر المعدودات الا ترى ان كل احد لايخرج عن زمان ومكان والزمان منحصر فى سبعة ايام والمكان منحصر فى سبعة اقاليم وان الكواكب السيارة سبعة وكانت السموات سبعا والارضون سبعا وابواب جهنم سبعا وكانت ابواب الجنة ثمانية لانها الحسنى وزيادة فالزيادة هى الثامن ولما كانت السبعة عددا يحصر معظم الموجودات واكثرها عبر بها عن مجرد الكثرة من غير اعتبار انحصار المعدود فى مرتبتها حتى ان العرب يجعلون السبعة نهاية العدد ويزيدون عند الثامن واوا يقول القرآء لها واو الثمانية ويزعمون ان العدد تم بالسبعة وان الواو المذكورة بعدها للاستئناف والمراد بالكلمات عند المفسرين معلومات الله تعالى ولما كان معلومه لايتناهى كانت الكلمات التى يعبر بها عنه لاتتناهى ايضا ﴿ قوله ورفعه للعطف ﴾ يعنى ان قوله تعالى والبحر قرأ ابو عمرو ويعقوب بالنصب والباقون بالرفع وفى الرفع وجهان الاول كونه معطوفا على محل ان ومعموليها

يثقل عليهم ثقل الاجرام الغلاظ او تضم الى الاحراق الضغط (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله) لوضوح الدليل المانع من اسناد الخلق الى غيره بحيث اضطروا الى اذعانه (قل الحمد لله) على الزامهم والجائهم الى الاعتراف بما يوجب بطلان معتقدهم (بل اكثرهم لايعلمون) ان ذلك يلزمهم (لله ما فى السموات والارض) لايستحق العبادة فيهما غيره (ان الله هو الغنى) عن حمد الحامدين (الحميد) المستحق للحمد وان لم يحمد (ولو ان ما فى الارض من شجرة اقلام) ولو ثبت كون الاشجار اقلاما وتوحيد شجرة لان المراد تفصيل الآحاد (والبحر يمده من بعده سبعة ابحر) والبحر المحيط بسعته مداد ممدودا بسبعة ابحر فاغنى عن ذكر المداد يمده لانه من مد الدواة وامدها ورفعه للعطف على محل ان ومعموليها ويمده حال او للاستئناف على انه مستأنف او الواو للحال ونصبه البصريان بالعطف على اسم ان او اضمار فعل يفسره يمده

وقرئ تمده و يمده بالتاء والياء (ما نفدت كلمات الله) بكتبها بتلك الاقلام بذلك المداد وايثار جمع القلة للاشعار بان ذلك لايفي بالقليل فكيف بالكثير (ان الله عزيز) لايعجزه شيء (حكيم) لايخرج عن علمه وحكمته امر ﴿ ٤١ ﴾ والآية جواب لليهود سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم او امروا وفد قريش ان يسألوه عن قوله وما اوتيتم من العلم الاقليلا وقد انزل التوراة وفيها علم كل شيء (ما خلقكم ولابعثكم الا كنفس واحدة) الا كخلقها وبعثها اذلايشغله شان عن شان لانه يكفي لوجود الكل تعلق ارادته الواجبة مع قدرته الذاتية كما قال انما امرنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون (ان الله سميع) يسمع كل مسموع (بصير) يبصر كل مبصر لايشغله ادراك بعضها عن بعض فكذلك الخلق (الم تر ان الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري) كل من النيرين يجري في فلكه (الى اجل مسمى) الى منتهى معلوم الشمس الى آخر السنة والقمر الى آخر الشهر وقيل الى يوم القيامة والفرق بينه وبين قوله لاجل مسمى ان الاجل ههنا منتهى الجري وثمة غرض حقيقة او مجازا وكلا المعنيين حاصل في الغايات (وان الله بما تعملون خبير) عالم بكنهه (ذلك) اشارة الى الذي ذكر من سعة العلم وشمول القدرة وعجائب الصنع واختصاص الباري بها (بان الله هو الحق) بسبب انه الثابت في ذاته الواجب من جميع جهاته او الثابت الهيته (وان ما تدعون من دونه الباطل) المعدوم في حد ذاته لايوجد ولايتصف الا بجعله او الباطل الهيته وقرأ البصريان والكوفيون غير ابي بكر بالياء (وان الله هو العلي الكبير) مترفع على كل شيء ومتسلط عليه (الم تر ان الفلك تجري في البحر بنعمة الله) باحسانه في تهيئة اسبابه وهو استشهاد آخر على باهر قدرته وكمال حكمته وشمول انعامه والباء للصلة او الحال وقرئ الفلك بالتثقيل وبنعمات الله بسكون العين وقد جوز في مثله الكسر والفتح والسكون (ليريكم من آياته) دلائله (ان في ذلك لآيات لكل صبار) على المشاق فيتعب نفسه في التفكر في الآفاق والانفس (شكور) يعرف النعم ويتعرف مانحها او للمؤمنين فان الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر (واذا غشيهم) علاهم وغطاهم (موج كالظلل) كما يظل من جبل او سحاب اوغيرهما وقرئ كالظلال جمع ظلة كقلة وقلال (دعوا الله مخلصين له الدين) لزوال ما ينازع الفطرة من الهوى والتقليد بما دهاهم من الخوف الشديد (فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد) مقيم على الطريق القصد الذي هو التوحيد او متوسط في الكفر لانزجاره بعض الانزجار

لث (٦)

قال أن مع اسمها وخبرها في محل الرفع على انه فاعل فعل مقدر يقتضيه ويدل عليه كلمة لو فيجوز ان يرفع البحر ايضا بالعطف عليه وقوله يمده جملة حالية من البحر وتقدير الكلام ولو ثبت كون الاشجار اقلاما وثبت كون البحر مدادا ممدودا بسبعة ابحر والثاني ان يكون البحر مبتدأ ويمده الخبر والظاهر ان الواو حينئذ حالية والمعنى ولو ان الاشجار اقلام في حال كون البحر ممدودا ولم تحتج الى ضمير رابط بين الحال وصاحبها استغناء عنه بالواو كما في قولك خرجت والجيش قادم وجوز المصنف كونها استئنافية وفي النصب ايضا وجهان الاول ان يكون معطوفا على اسم ان وهو ما وخبره يمده والتقدير ولو ان البحر يمده على معنى ولو وقع هذان والثاني ان يكون من باب ما اضمر عامله على شريطة التفسير ﴿ قوله وقرئ تمده ويمده ﴾ اي قرئ بتاء التأنيث لاسناد الفعل الى سبعة وقرئ بالياء من تحت مضمومة وكسر الميم من أمده وهما لغتان بمعنى ﴿ قوله والآية جواب ﴾ قال المفسرون نزل بمكة قوله تعالى ويسألونك عن الروح الى قوله وما اوتيتم من العلم الا قليلا فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه احبار اليهود فقالوا يامحمد بلغنا انك تقول وما اوتيتم من العلم الا قليلا أفعنيتنا ام قومك قال عليه الصلاة والسلام كلا قد عنيت قالوا ألست تتلو فيما جاءك انا اوتينا التوراة وفيها علم كل شيء فقال عليه الصلاة والسلام هي في علم الله قليل وقد آتاكم ما ان عملتم به انتفعتم قالوا يامحمد كيف تزعم هذا وانت تقول ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا فكيف يجتمع هذا علم قليل وخير كثير فانزل الله تعالى هذه الآية جوابا لهم فعلى هذا تكون الآية مدنية وقيل انما امر اليهود وفد قريش ان يسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بعد بمكة فسأله الوفد بمكة فنزلت في مكة ﴿ قوله تعالى ما خلقكم ولابعثكم ﴾ جواب لكفار قريش حين قالوا ان الله تعالى خلقنا اطوارا نطفة علقة مضغة لحما فكيف يبعثنا خلقا جديدا في ساعة واحدة ﴿ قوله وثمة غرض حقيقة او مجازا ﴾ اي ان قيل يجري لاجل مسمى يكون ادراك الاجل غرضا مطلوبا من الجري حقيقة ان قلنا ان كل واحد من الكواكب السيارة والافلاك له شعور وحركة ارادية او مجازا مبنيا على تشبيه عاقبة الشيء بالعلة الحاملة ان قلنا انها جمادات لاشعور لها ولاغرض ﴿ قوله تعالى وان الله بما تعملون خبير ﴾ قرأ ابو عمرو في رواية بياء الغيبة والباقون بتاء الخطاب والظاهر ان الخطاب للمشركين وان الآية احتجاج عليهم وتهديد ووعيد لهم وقوله الم تر خطاب عام والمراد من الرؤية العلم الجلي المنزل منزلة الرؤية والمشركون وان لم يعلموا احاطة علم الله تعالى بتفاصيل اعمال عباده الا انهم نزلوا منزلة من يعلمها لتمكنهم من العلم بها بادنى التفات لكثرة دلائل العلم بها ووضوحها ﴿ قوله اشارة الى الذي ذكر ﴾ اي ذكره الله تعالى من عجائب صنعه واعتراف المشركين باختصاصه تعالى بخلقها ووصف نفسه بانه عزيز كامل القدرة لانهاية لمقدوراته وانه حكيم كامل العلم لانهاية لمعلوماته وانه هو الغني الحميد وانه سميع بصير وانه بما تعملون خبير وانه عليم بذات الصدور وبعد اجراء تلك الصفات على الذات المخبرة بها اشار اليها من حيث ثبوتها لموصوفها بقوله ذلك وحكم بانها ثابتة له لانه هو الاله الثابت الهيته لما تقرر في العقول ان هذه الصفات لوازم الالوهية المساوية لها وان تحقق الملزوم يستلزم تحقق لوازمه فاستدل في الآية بتحقق لوازم الالوهية على كونه تعالى ثابتا في ذاته او ثابتا الهيته ﴿ قوله وقد جوز في مثله ﴾ اي في كل ما كان على فعلة يجوز في جمعه ثلاث لغات فعلات بسكون العين وفعلات بفتحها وفعلات بكسرها نحو سدرة وسدرات وسدرات وسدرات ﴿ قوله لكل صبار ﴾ اي على مشاق التفكر في اصابة الحق شكور بصرف القوى الفكرية الى ما خلقت هي لاجله مع قطع النظر عن كونه مؤمنا اولا ﴿ قوله فان الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر ﴾ وذلك ان التكاليف نصفان افعال وتروك والتروك صبر عن المألوف والافعال شكر على المعروف ذكر الله تعالى اولا آية سماوية حيث قال الم تر ان الله يولج الليل في النهار ثم ذكر آية ارضية فقال الم تر ان الفلك تجري في البحر بنعمة الله التي هي الريح اللاغة تجري بها ليريكم باجرائها بنعمته بعض آياته ثم قال ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور يستدلون بها على كمال علمه وقدرته ووحدانيته ويعترفون بها من غير ان يلجئوا في شدة تلجئهم الى الاعتراف بها ثم وصف الكفار بقوله واذا غشيهم موج كالظلل حين ركبوا البحر لجأوا الى الله تعالى ودعوه مخلصين له الدين حين علموا انه لامنجي لهم غيره والظلل جمع ظلة وكذا الظلال كقلة وقلل وقلال وحد الموج وشبهه بالظلل اي بالامور التي تظلل كالجبال والسحب المتراكمة وغيرهما للدلالة على عظم الموج وكثرته وارتفاعه بحيث يتصل منه وقت انحداره الى جانب السفل امثال الظلل ﴿ قوله مقيم على الطريق القصد ﴾ اي العدل السوي فقوله تعالى فمنهم مقتصد اي عدل في الوفاء في البر بما عاهد الله عليه

في البحر من التوحيد له فالمعنى فمنهم من ثبت على ايمانه وههنا مضمر وهو قوله ومنهم من نقض العهد اكتفى عنه بقوله وما يجحد بآياتنا الا كل ختار كفور والختار الكفور مو ازن لصبار الشكور لفظا ومقابل له معنى فان الصبار الشكور يتذكر ما فيه من الآيات حالة الرخاء من غير ان يلجئه اليه شيء من الشدآئد والختار الكفور وان اضطر الى الاعتراف بالحق حالة الضرورة الا انه اذا انجاه الله تعالى من الغرق وانتهى الى البر ينقض العهد ويعود الى ضلاله القديم وروى عن مصعب بن سعد عن ابيه انه قال لما كان يوم فتح مكة امن رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس الا اربعة نفر وقال اقتلوهم وان وجدتموهم متعلقين باستار الكعبة عكرمة ابن ابي جهل وعبدالله بن خطل ومقيس بن ضبابة وعبدالله بن سعيد بن ابي سرح فاما عكرمة فركب البحر فاصابتهم ريح عاصف فقال اهل السفينة اخلصوا فان آلهتكم لاتغني عنكم شيأ ههنا فقال عكرمة لئن لم ينجني في البحر الا الاخلاص فلا ينجيني في البر ايضا غيره ثم قال اللهم ان لك عهدا ان انت عافيتني مما انا فيه ان آتي محمدا حتى اضع يدي في يده فلاجدنه عفوا كريما فسكنت الريح فجاء واسلم وحسن اسلامه ثم انه تعالى لما ذكر الدلائل من اول السورة الى هنا ختم السورة بما يحملهم على التفكر في تلك الدلائل والاهتدآء بها الى ما يؤديهم الى حسن العاقبة وينجيهم من شدآئد يوم القيامة فقال يا ايها الناس اتقوا ربكم ولا تخالفوا شيأ مما امر به ونهى عنه واكد الامر بتقواه بقوله تعالى واخشوا يوما اى عقاب يوم وقوله لا يجزى والد عن ولده صفة لقوله يوما والعائد محذوف اى فيه ومعناه لا يقضى عنه شيأ من الحقوق الثابتة عليه ولا ينفعه بشيء لما كان بعض الاقرباء يتحمل عن البعض الآخر ما يتوجه اليه من المكاره والشدآئد بالوصلة التي كانت بينهم في الدنيا والمنافع التي كان ينفع بعضهم بعضا بها في الدنيا اخبر الله تعالى ان ذلك كله ينقطع في الآخرة لهول ذلك اليوم واشتغال كل امرء بنفسه ولا ينفع احد صاحبه وخاصة ما ذكر من الوالد لولده والوالد لوالده فان ما بينهما من القرابة القريبة تستدعي ان يجتهد كل واحد منهما ويبذل وسعه وطاقته في دفع ما يلحق الآخر من المكاره للشفقة والمحبة التي جعلت فيما بينهم ومع ذلك فقد اخبر الله تعالى انه لا ينفع احدهما صاحبه لاشتغاله بنفسه كما روى عنه عليه الصلاة والسلام انه قال كل نسب وسبب فهو منقطع الا نسبي وسببي ونسبه دينه الذي دعانا اليه وعملناه وسببه شفاعته يوم القيامة فاخبر ان ذلك كله منقطع الا هذين فانه من تمسك بدينه فانه يشفع له يوم القيامة فيجاوز ما قصر واما من لم يقبل دينه ولم يجبه الى ما دعاه فانه ليس له شيء من هذين وقد انقطع عنه باقي الانساب والاسباب ايضا وقال بعضهم هذه الآية في الكفار واما المؤمنون فينفع الوالد ولده والولد والده في الآخرة يدفع الاب الى ابنه فضل عمله وكذلك الولد الى ابيه لقوله تعالى آباؤكم وابناؤكم لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا وقال تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين وقد روى في احاديث الشفاعة للاخبار وبعد ان يستشفع الاجانب دون الاقارب والله اعلم ﴿ قوله وقرئ لا يجزئ من اجزأ اذا اغنى ﴾ على بناء افعل من المهموز اللام يقال اجزأت عنك مجزى فلان ومجزأ فلان ومجزاة فلان اى اغنيت عنك مغناه واجزأت عنك شاة لغة في جزت اى قضت وادت فان جزى غير مهموز بمعنى قضى ﴿ قوله ولا مولود عطف على والد ﴾ فيه بحث لان المولود حينئذ يكون فاعل قوله لا يجزى ويكون قوله هو جاز عن والده صفة للمولود فيلزم ان يكون المولود جازيا عن والده في الدنيا وغير جاز عنه فكيف يجتمع فيه المتنافيان والجواب ان اللازم من التوصيف كون المولود جازيا عن والده في الدنيا والنفي كونه جازيا عنه يوم القيامة ولا منافاة بينهما لاختلاف الزمان ﴿ قوله او مبتدأ ﴾ ويجوز الابتدآء بالنكرة الواقعة في سياق النفي كقولك ما احد خير منك والمبتدأ مع خبره جملة معطوفة على قوله لا يجزى والد عن ولده ﴿ قوله وتغيير النظم ﴾ فان قوله ولا مولود ان كان معطوفا على والد كان الظاهر ان يقال ولا ولد عن والده فغير لفظ الولد الى المولود ووصف بكونه جازيا عن والده في الدنيا للدلالة على ان الولد الصلبي الذي شأنه ان يقضي حقوق ابيه في الدنيا لا يقضي عنه شيأ من الحقوق يوم القيامة فضلا عن سائر الاولاد فان الولد يقع على الولد الصلبي وولد الولد بخلاف المولود فانه لا يطلق الا على الولد الصلبي فتخصيص المولود بالذكر لقوة قرابته يدل على انه اولى بان لا يجزى اى اولى بان يبين انه لا يجزى وان كان قوله ولا مولود مبتدأ وما بعده خبره فقد غيرت الجملة المعطوفة الى ما هو آكد من المعطوف عليه فان الاسمية آكد من الفعلية لا سيما اذا توسطت كلمة هو بين المبتدأ والخبر ومع ذلك فقد غير لفظ الولد الى لفظ المولود ووجه التغيير ما ذكر من ان الدلالة على انه اولى ببيان

(وما يجحد بآياتنا الا كل ختار) غدار فانه نقض العهد الفطرى او لما كان في البحر والختر اشد الغدر (كفور) لنعم الله (يا ايها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزى والد عن ولده) لا يقضي عنه وقرئ لا يجزئ من اجزأ اذا اغنى والراجع الى الموصوف محذوف اى لا يجزى فيه (ولا مولود) عطف على والد او مبتدأ خبره (هو جاز عن والده شيأ) وتغيير النظم للدلالة على ان المولود اولى بان لا يجزى وقطع طمع من توقع من المؤمنين ان ينفع اباه الكافر في الآخرة

(حكمه)

(ان وعد الله) بالثواب والعقاب (حق) لا يمكن خلفه (فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور) الشيطان بان يرجيكم التوبة والمغفرة فيجسركم على المعاصى (ان الله عنده علم الساعة) علم وقت قيامها لما روى ان الحارث ابن عمرو اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال متى قيام الساعة وانى قد القيت حباتى فى الارض فمتى السماء تمطر وحمل امرأتى ذكر ام انثى وما اعمل غدا واين اموت فنزلت وعنه عليه الصلاة والسلام مفاتح الغيب خمس وتلا هذه الآية (وينزل الغيث) فى ابانه المقدر له والمحل المعين له فى علمه وقرأ نافع وابن عامر وعاصم بالتشديد (ويعلم ما فى الارحام) أذكر ام انثى أتام ام ناقص (وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا) من خير او شر وربما تعزم على شئ وتفعل خلافه (وما تدرى نفس باى ارض تموت) كما لا تدرى فى اى وقت تموت روى ان ملك الموت مر على سليمان فجعل ينظر الى رجل من جلسائه يديم النظر اليه فقال الرجل من هذا قال ملك الموت فقال كأنه يريدنى فمر الريح ان تحملنى وتلقينى بالهند ففعل فقال الملك كان دوام نظرى اليه تعجبا منه اذ امرت ان اقبض روحه بالهند وهو عندك وانما جعل العلم لله والدراية للعبد لان فيها معنى الحيلة فيشعر بالفرق بين العلمين ويدل على انه ان عمل حيلة وانفد فيها وسعه لم يعرف ما هو الحق به من كسبه وعاقبته فكيف بغيره مما لم ينصب له دليلا عليه وقرئ باية ارض وشبه سيبويه تأنيثها بتأنيث كل فى كلتهن (ان الله عليم) يعلم الاشياء كلها (خبير) يعلم بواطنها كما يعلم ظواهرها وعنه عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة لقمان كان له لقمان رفيقا يوم القيامة واعطى من الحسنات عشرا عشرا بعدد من عمل بالمعروف ونهى عن المنكر

﴿ سورة السجدة مكية وهى ثلاثون ﴾

﴿ آية وقيل تسع وعشرون آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الم) ان جعل اسما للسورة او القرآن فمبتدأ خبره (تنزيل الكتاب) على ان التنزيل بمعنى المنزل وان جعل تعديدا للحروف كان تنزيل خبر مبتدأ محذوف او مبتدأ خبره (لا ريب فيه) فيكون (من رب العالمين) حالا من الضمير فى فيه لان المصدر لا يعمل فيما بعد الخبر ويجوز ان يكون خبرا ثانيا ولا ريب فيه حال من الكتاب او اعتراض والضمير فى فيه لمضمون الجملة ويؤيده قوله (ام يقولون افتراه) فانه انكار لكونه من رب العالمين وقوله (بل هو الحق من ربك) فانه تقرير له ونظم الكلام على هذا انه اشار اولا الى اعجازه ثم رتب عليه ان تنزيله من رب العالمين وقرر ذلك بنفى الريب عنه ثم اضرب عن ذلك الى ما يقولون فيه على خلاف ذلك انكارا له وتعجيبا منه فان ام منقطعة ثم اضرب عنه الى

حكمه وقطع طمع من توقع ان ينفع اباه الكافر ﴿ قوله بالثواب والعقاب ﴾ على ان يكون قوله تعالى ان وعد الله حق تحقيق اليوم المذكور على معنى اخشوا يوما هذا شأنه وهو كائن لا محالة لو عد الله تعالى بمجيئه ووعده حق ويحتمل ان يكون تحقيقا لعدم ان يجزى احد عن احد على معنى انه لا يجزى والد عن ولده لان الله تعالى قد وعد بان لا تزر وازرة وزر اخرى ووعد الله حق فلا يجزى احد عن احد ولما كان الموعود حقا واقعا لا محالة وكان الاغترار بزخارف الدنيا وزينتها والاغترار بحلم الله تعالى وامهاله صارفا عن التزود لذلك اليوم نهى الله تعالى عن الاغترار بهما فقال تعالى لا يغرنكم شئ منهما واجتهدوا فيما يسعدكم والغرة بالله عبارة عن ان يتمادى الرجل على المعصية ويتمنى المغفرة والغرور بالضم مصدر وبالفتح صيغة مبالغة كشكور ويسمى الشيطان غرورا اذ من شأنه وحرفته ان يغر ﴿ قوله لان فيها معنى الحيلة ﴾ فان الدراية هى العلم مع تكلف وحيلة ولهذا لم يجوزوا اطلاق اسم الدارى على الله تعالى ولما قال تعالى واخشوا يوما لا يجزى والد عن ولده وذكر انه كائن لا محالة حيث قال ان وعد الله حق كان قائلا قال فمتى يكون اليوم فاجيب بان العلم بوقت قيام الساعة مما لم يحصل لغير الله تعالى فحقكم ان تعتقدوا بقيامها وتزودوا لها ﴿ قوله وشبه سيبويه تأنيثها بتأنيث كل فى قولهم كلتهن ﴾ يعنى ان تأنيث اى لغة ضعيفة كتأنيث كل لان اى اسم مبهم لازم الاضافة والجمع بين التاء والاضافة لا يخلو عن بشاعة لما فيه من الفصل بين المضاف والمضاف اليه باجنبى وهو تاء التأنيث فاللغة الشائعة ان يقال ايهن وكلهن فان التاء كان حقها ان تقطع من الاضافة نحو ايه فسلكوا الا انه قرئ باية ارض بالاضافة تشبيها لها بكل فى قولهم كلتهن * تم ما يتعلق بسورة لقمان بحمد الله تعالى وحسن توفيقه وهذا اوان الشروع فى توضيح سورة الم السجدة

﴿ سورة الم السجدة وهى مكية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ قوله وان جعل تعديدا للحرف ﴾ ليتنبه السامع ويقبل نحو المتكلم ويسمع ما يلقى اليه بقلب حاضر والسامع ههنا وان كان يقظان الجنان لكنه انسان يشغله شان عن شان فكان يحسن من الحكيم ان يقدم على الكلام المقصود حروفا كالمنبهات ليلتفت المخاطب بسببها اليه ويقبل بقلبه عليه ثم يشرع فى المقصود فلا يكون لتلك الحروف محل من الاعراب لعدم تركبها مع العامل فحينئذ يكون تنزيل الكتاب خبر مبتدأ محذوف تقديره الذى يتلى عليك منزل الكتاب اى كتاب منزل ثم حذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه ثم اضيف لبيان كما فى جرد قطيفة ونحوه مما اضيفت الصفة فيه الى موصوفها ولا ريب فيه خبر ثان او حال من الكتاب ومن رب متعلق بتنزيل ﴿ قوله حالا من الضمير فى فيه ﴾ فيتعلق بمحذوف ولا يجوز حينئذ ان يتعلق بتنزيل لان المصدر قد اخبر عنه فلا يعمل فيما بعد الخبر ﴿ قوله والضمير فى فيه لمضمون الجملة ﴾ يعنى على تقدير كونه اعتراضا بين المبتدأ والخبر تأكيدا لمضمون الجملة يكون الضمير لمضمونها كأنه قيل لا ريب فى ذلك اى فى كونه منزلا من رب العالمين واما على تقدير ان يكون تنزيل مبتدأ ولا ريب فيه خبره فالضمير حينئذ يكون راجعا الى تنزيل الكتاب وايد كونه اعتراضا بامرين الاول قوله ام يقولون والثانى قوله بل هو الحق ثم بين وجه انتظام الكلام على تقدير كون لا ريب فيه اعتراضا بانه تعالى اشار الى اعجاز الكتاب المنزل بافتتاح السورة بالم على سبيل التعديد قال المصنف فى اول سورة البقرة ثم ان مسمياتها لما كانت عنصر الكلام وبسائطه التى يتركب منها افتتحت السورة بطائفة منها ايقاظا لمن تحدى بالقرآن وتنبيها على ان المتلو عليهم كلام منظوم مما ينظمون منه كلامهم فلو كان من عند غير الله لما عجزوا عن آخرهم مع تظاهرهم وقوة فصاحتهم عن الاتيان بما يدانيه وليكون اول ما يقرع الاسماع مستقلا بنوع من الاعجاز فان النطق باسماء الحروف مختص بمن خط ودرس فاما من الامى الذى لم يخالط الكتاب فمستبعد مستغرب خارق للعادة كالكتابة والتلاوة الى هنا كلامه ﴿ قوله فان ام منقطعة ﴾ علة لكون الاضراب الى ما يقولون فيه انكارا له فان ام المنقطعة متضمنة لهمزة الاستفهام الذى لا محل له فى هذا الموضع سوى الانكار اثبت اولا ان تنزيله من رب العالمين وقرر ذلك بنفى الريب عنه ثم اضرب عن اثبات ان تنزيله من رب العالمين وليس الاضراب لابطال الكلام السابق بل بمعنى ترك الاول والاخذ فيما هو أهم فكأنه قيل اترك هذا الذى ذكرنا من كونه من رب العالمين وانظر فى قولهم الخطاء وتعجب منها ثم اضرب عن ذلك ايضا فكأنه قال بل لا تلتفت الى قولهم وانظر الى كونه حقا واستغرق اوقاتك فى التفكر فيه وتبليغه والعمل بما فيه وقوله من ربك حال من الحق وعامله محذوف وهو العامل فى لتنذر ايضا

ويجوز ان يتعلق لتنذر بعامل آخر اى انزله لتنذر كما يشعر به قول المصنف وبين المقصود من تنزيله فقال لتنذر وقوله قوما مفعول اول للانذار وقوله ما اتاهم جملة منفية فى محل النصب على انها صفة قوما والمفعول الثانى للانذار محذوف اى لتنذرهم العذاب ان أصروا على كفرهم ولم يؤمنوا بك وبكتابك فان أنذر يتعدى الى اثنين قال تعالى فقل انذرتكم صاعقة ويحتمل ان تكون كلمة ما فى قوله ما اتاهم موصولة فى محل النصب على انها المفعول الثانى للانذار والتقدير لتنذر قوما العقاب الذى اتاهم من نذير من قبلك على ان من نذير متعلق بأتاهم اى اتاهم العقاب على لسان نذير من قبلك وكذا الحال فى قوله تعالى لتنذر قوما ما انذر آباؤهم اى لتنذر قوما العقاب الذى انذره آباؤهم فا مفعوله فى الموضعين والمراد بالقوم اهل الفترة وهم الذين كانوا بين عيسى عليه الصلاة والسلام ومحمد عليه الصلاة والسلام ومعنى عدم اتيان النذير اليهم انهم ضيعوا شريعة عيسى عليه الصلاة والسلام وضلوا بالكلية باتباع الاهواء الفاسدة فاقتضت الحكمة الالهية ان يرسل اليهم رسولا يدعوهم الى التوحيد والطاعة وينذرهم عذاب الله تعالى ان أصروا على الضلالة وما اتاهم من نذير مع احتياجهم الى اتيانه حيث لم يبق على وجه الارض عالم يهديهم وينتفع بهدايته فبقوا على ذلك سنين متطاولة قريبا من ستمائة سنة لم يأتهم رسول قبل بعثة رسول الله عليه الصلاة والسلام فكانوا قوما ما اتاهم من نذير بعد الضلال الذى حدث بانطماس الشريعة المتقدمة وقيل المراد بالقوم العرب فانهم امة امية لم يأتهم نذير قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا بعيد فانهم كانوا من اولاد ابراهيم عليه الصلاة والسلام وجميع انبياء بنى اسرائيل اولاد اعمامهم وكيف يتجاسر على ان يقال انه تعالى ترك قوما من ابتداء نشأتهم الى زمان نبينا صلى الله عليه وسلم بلا دين ولا شرع وان اريد بالعرب طائفة مخصوصة منهم وهى اهل العصر الواقع قبل عصر النبوة لزم تخصيص العام بلا مخصص لان القوم الموصوفين بانه ما اتاهم من نذير من قبلك يعم جميع اهل العصر الواقع قبل بعثة النبى صلى الله عليه وسلم سواء كان من مشركى العرب او من اهل الكتاب فحمله على العرب خاصة تخصيص بلا دليل والترجى المستفاد من قوله تعالى لعلهم يهتدون من جهة رسول الله صلى الله عليه وسلم كما كان ذلك من جهة موسى وهرون عليهما الصلاة والسلام فى قوله تعالى فقولا له قولا لينا لعله يتذكر فالمعنى لتنذرهم راجيا انت اهتداءهم ثم انه تعالى لما بين حقيقة الرسالة والتنزيل وبين ما على الرسول من الدعاء الى التوحيد واقامة البرهان عليه قال الله الذى خلق السموات فقوله الله مبتدأ والموصول مع صلته خبره وقد اتفق المشركون على انه تعالى لا شريك له فى خلقها فكذا لا شريك له فى الالوهية ﴿قوله مر بيانه فى الاعراف﴾ وهو قوله فى ستة ايام اى فى ستة اوقات كقوله ومن يولهم يومئذ دبره او مقدار ستة ايام فان المتعارف فى اليوم زمان من طلوع الشمس الى غروبها ولم يكن حينئذ وفى خلق الاشياء مدرجا مع القدرة على ايجادها دفعة دليل الاختيار واعتبار للنظار وحث على التأنى فى الامور فلما كان تعالى منزها عن الاستقرار والتمكن جعل الاستواء على العرش كناية عن نفاذ قدرته وتصرفه فى مخلوقاته لان الجلوس على العرش من لوازم الملك والاستيلاء فاطلق اللازم واريد به الملزوم والاستواء على العرش من جملة المتشابهات التى لا يعلم تأويلها الا الله عند بعض العلماء حتى قيل تأويله الايمان به وان يفوض العلم بان المراد منه ما هو الى الله قال

• ورب العرش فوق العرش لكن • بلا وصف التمكن واتصال •

﴿قوله مالكم اذا جاوزتم رضى الله تعالى﴾ لما كان ظاهر اللفظ يدل على انه ليس لنا ولى ولا شفيع غير الله فان ولينا وشفيعنا هو الله تعالى وحده والله تعالى منزه عن ان يكون شفيعا يستشفع به الى احد ولذلك رد النبى صلى الله عليه وسلم على اعرابى قال استشفع بالله اليك اشار المصنف الى ان ذلك المعنى انما يفهم اذا كان قوله من دون الله بمعنى من غير الله وليس كذلك بل المعنى مالكم مجاوزين الله اى مجاوزين رضاه وامتثال امره وطاعته ولى ولا شفيع فيكون من دونه حالا من كم فى لكم والعامل معنى الاستقرار الذى تعلق به لكم اى ما استقر لكم مجاوزين رضى الله وامتثال امره شفيع يشفع لكم وناصر ينصركم وفى الكلام حذف مضاف اى من دون رضاه ومن استعمال دونه فى معنى التجاوز قول الشاعر • يا نفس مالك دون الله من واق • اى مالك اذا جاوزت وقاية الله احد يقيك ثم اشار الى توجيه آخر بقوله او مالكم سواه ولى ولا شفيع وتقريره هنا ان معنى من دون الله من غير الله لكن انما يفهم ذلك المعنى المهروب منه ان لو كان الشفيع على اصل معناه وليس كذلك بل هو بمعنى الناصر لان الشفاعة تستلزم النصرة فاطلق الملزوم واريد اللازم فيكون من دونه حالا من ولى ولا شفيع قدم على ذى الحال

اثبات انه الحق المنزل من الله وبين المقصود من تنزيله فقال (لتنذر قوما ما اتاهم من نذير من قبلك) اذ كانوا اهل الفترة (لعلهم يهتدون) بانذارك اياهم (الله الذى خلق السموات والارض وما بينهما فى ستة ايام ثم استوى على العرش) مر بيانه فى الاعراف (مالكم من دونه من ولى ولا شفيع) مالكم اذا جاوزتم رضى الله احد ينصركم ويشفع لكم او مالكم سواه ولى ولا شفيع بل هو الذى يتولى مصالحكم وينصركم فى مواطن نصركم على ان الشفيع متجوز به للناصر فاذا خذلكم لم يبق لكم ولى ولا ناصر (افلا تتذكرون) بمواعظ الله

لكونه نكرة • فان قيل كيف قدم على ذى الحال المجرور وقد صرح ابن الحاجب فى الكافية بان الحال لا يتقدم على ذى الحال المجرور فى الاصح • فالجواب ان حرف الجر ههنا زآئد لا اعتداد به ووجه اتصال قوله تعالى مالكم من دونه من ولى بما قبله انه لما نزل قوله تعالى الله الذى خلق السموات والارض وما بينهما فى ستة ايام الآية قال بعض المشركين نحن معترفون بان خالق السموات والارض واحد هو الله تعالى الا ان هذه الاصنام صور ملائكة مكرمين عند الله نرجو منهم انهم شفعاؤنا فقال الله تعالى اذا علمتم انه لا اله غيره فاعلموا انه لا نصرة من غير الله ولا شفاعة الا باذن الله فعبادتكم لهذه الاصنام باطلة ضائعة لانهم ليسوا بخالقيكم ولا ناصريكم ولا شفعائكم لان من بلغ فى القدرة وعلو الشان الى ان تمكن من خلق هذه الاجسام العظام والتصرف فيها كيف شاء هل يكون عند هذا الملك العظيم الشان لهؤلاء الاصنام المكونة قدر وحرمة حتى ترجوا منها نصرة وشفاعة وتدبير الامر النظر فى ادباره وعاقبته والتفكر فيه ﴿قوله يدبر امر الدنيا﴾ اى شأنها وحالها والامور التى تقع فيها والمراد بتدبير امرها القضاء السابق الذى هو الارادة الازلية المقتضية لنظام الموجودات على ترتيب خاص جعل القضاء مبتدأ من جانب السماء لكون المقضى منوطا باسباب سماوية منتهيا الى الارض لانتهاء آثار تلك الاسباب الى الارض وعروج امر الدنيا اليه تعالى مجاز من ثبوته فى علمه تعالى موجودا وعطف عروج الامر على تدبيره بكلمة ثم وقدر زمان العروج بالف سنة من سنى الدنيا استطالة لما بين التدبير والوقوع لا للتعيين والتوقيت ﴿قوله فى برهة من الزمان﴾ اى فى مدة متطاولة منه ﴿قوله وقيل يدبر الامر باظهاره فى اللوح﴾ على ان يكون المراد بالامر امر الوحى وتدبيره اظهاره فى اللوح وان يكون قوله من السماء متعلقا بمحذوف اى فينزل به بعض ملائكته من السماء الى الارض فيلقى ذلك الى الذى امر بالقائه اليه من الرسل ثم يعرج ذلك الملك اليه اى الى الموضع الذى امر بالعروج اليه من السماء فى يوم كان مقداره فى نزول الملك الى الارض وعروجه منها الى السماء الف سنة مما تعدون من ايامكم فى الدنيا واستطالة نفس اليوم عبارة عن امتداد مسافة نزول الملك وعروجه بكونها مسيرة الف سنة فانه لو سار احد من بنى آدم فيها لم يقطعها الا فى الف سنة والملائكة يقطعونها فى يوم واحد من ايام الدنيا بل فى الطف ساعة منها فالتدبير عبارة عن كتبه الوحى فى اللوح المحفوظ واظهاره فيه للملائكة الموكلين به حتى اذا رأوا انه قد وجد ذلك فى اللوح عرفوا انه تعالى اراد ان ينزلوا به الى نبيه فى الارض فيفعلون ذلك ثم يرجعون الى مكانهم الذى كانوا فيه والعروج بحسب الظاهر وان كان مسندا الى ضمير الامر الا انه عروج الملك المأمور بتبليغ ذلك الامر وكذا ضمير اليه يرجع بحسب الظاهر اليه تعالى الا ان المراد عروج الملك الى مكانه الذى فى السماء وقيل ضمير اليه يرجع الى السماء المذكور قبله وهو يذكر ويؤنث قال تعالى السماء منفطر به ﴿قوله وقيل يقضى قضاء الف سنة﴾ على ان يدبر بمعنى يقضى وان الامر امر الدنيا واحوالها الواقعة فى يوم واحد من ايام الله تعالى وهو الف سنة كما قال تعالى وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون وان قوله تعالى من السماء متعلق بمحذوف اى فينزل به الملك من السماء الى الارض ثم يعرج بعد الالف لانزال قضاء الف آخر وقوله فى يوم تنازع فيه الفعلان فاعمل فيه الفعل الثانى وهو يعرج وحذف ظرف الفعل الاول لدلالة الثانى عليه والمصنف اشار اليه بقوله يقضى قضاء الف سنة اى يقضى ماقضى وقوعه الف سنة وعبر عن الفعلين بلفظ المضارع الدال على الاستمرار التجددى لدلالة على ان شأنه تعالى الاستمرار على ان يقضى ماقضى وقوعه فى يوم واحد مقداره الف سنة فينزل به الملك فيوقعه فى الاوقات المقدرة له ثم يعرج فى انقضاء ذلك اليوم ليوم آخر وهلم جرا الى ان تقوم الساعة ﴿قوله وقيل يدبر الامر﴾ اى يقضى شأن الدنيا وماقضى وقدر فيها من الامور وقوله من السماء الى الارض بيان الامر اى يدبر الامر الذى مبدأه من السماء ومنتهاه الى الارض وهذا كما تقول من السماء الى الارض فى قبضة قدرة الله تعالى ومن المشرق الى المغرب كله لله تعالى واشار بقوله الى قيام الساعة الى ان قوله فى يوم غير متعلق بالتدبير وانه غير مقيد بالظرف المذكور بعده بل هو قيد للعروج والمعنى ثم يرجع اليه جميع ماقضى وقدر يوم القيامة ليحكم فيه ويميز ما هو الحق منه من الباطل ويثيب المحق ويعاقب المبطل ووصف يوم القيامة بان مقداره الف سنة لان يوما من ايام الآخرة كالف سنة من ايام الدنيا ﴿قوله وقيل يدبر المأمور به من الطاعات منزلا﴾ يعنى قيل ان المراد بالامر المأمور به من الطاعات والاعمال الصالحة وتدبيرها الامر بها والترغيب فيها بالوحى وتعديته بمن والى لتضمنه معنى ينزل وان قوله ثم يعرج اليه

(يدبر الامر من السماء الى الارض) يدبر امر الدنيا باسباب سماوية كالملائكة وغيرها نازلة آثارها الى الارض (ثم يعرج اليه) ثم يصعد اليه ويثبت فى علمه موجودا (فى يوم كان مقداره الف سنة مما تعدون) فى برهة من الزمان متطاولة يعنى بذلك استطالة مابين التدبير والوقوع وقيل يدبر الامر باظهاره فى اللوح فينزل به الملك ثم يعرج اليه فى زمان هو كالف سنة لان مسافة نزوله وعروجه مسيرة الف سنة فان مابين السماء والارض مسيرة خمسمائة سنة وقيل يقضى قضاء الف سنة فينزل به الملك ثم يعرج بعد الالف لالف آخر وقيل يدبر الامر الى قيام الساعة ثم يرجع اليه الامر كله يوم القيامة وقيل يدبر المأمور به من الطاعات منزلا من السماء الى الارض بالوحى ثم لا يعرج اليه خالصا كما يرتضيه الا فى مدة متطاولة لقلة المخلصين والاعمال الخلص

في يوم كان مقداره الف سنة ليس المراد به تعيين مدة العروج بذلك الوقت بل المراد به تقليل الاعمال الصالحة والعاملين بها المرتضى المصنف بشئ من هذه الاقوال المذكورة لكثرة ما فيها من التكلف بالنسبة الى ما ارتضاه قيل في التلفيق بين قوله تعالى في هذه السورة في يوم كان مقداره الف سنة وبين قوله في سورة اخرى تعرج الملائكة والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين الف سنة ان الاول في وصف عروج الملائكة من الارض الى السماء والثاني في وصف عروجهم من الارض الى سدرة المنتهى التي هي مقام جبريل عليه الصلاة والسلام فان مسافة ما بينهما وبين الارض خمسون الف سنة بسير بني آدم ثم ان جبريل والملائكة الذين معه من اهل مقامه يقطعونها في يوم واحد من ايام الدنيا وقيل الف سنة وخمسون الف سنة كلها في القيامة يكون على بعضهم اطول كخمسين الف سنة وعلى بعضهم اقصر منها كالف سنة حتى جاء في الحديث انه يكون على المؤمن كقدر صلاة مكتوبة صلاها في الدنيا وقيل لا يكون على المؤمن الا كما بين الظهر والعصر ويحتمل ان يكون هذا عبارة عن بيان ما فيه من الشدائد والاهوال لا تحديده بذلك وروى ان ابن عباس رضي الله عنهما سئل عن هذه الآية وعن قوله خمسين الف سنة فقال ابن عباس ايام سماها الله تعالى لا ادري ما هي واكره ان اقول في كتاب الله تعالى ما لا اعلم ﴿قوله وقرئ يعرج﴾ على البناء للمفعول والاصل يعرج به ثم حذف الجار فارتفع الضمير واستتر وقرئ تعدون بتاء الخطاب وياء الغيبة ﴿قوله وفيه ايماء الى انه تعالى يراعي المصالح تفضلا﴾ اتفق المسلمون على انه تعالى لا يفعل فعلا خاليا من حكمة ومصلحة الا ان تلك الحكمة لازمة للفعل وليست باعثة له على الفعل عندنا خلافا للمعتزلة ﴿قوله وخلقه بدل من كل﴾ يعني ان ابن كثير وابا عمرو وابن عامر قرؤا خلقه بسكون اللام على انه بدل الاشتمال من كل شئ والضمير عائد على كل شئ ﴿قوله وقيل علم كيف يخلقه﴾ عطف على قوله خلقه موفرا عليه ما يستعد فان المعنى حينئذ حسن هيئة كل شئ وصورته بان خلقه مشتملا على جميع ما يليق به فيكون كل شئ مفعولا به وخلقه بدلا منه بمعنى احسن خلق كل شئ وان كان احسن الشئ بمعنى علمه يكون المعنى علم كل شئ قبل ان يخلقه انه كيف يخلقه وكيف يكون اذا خلقه فيكون كل شئ مفعولا اولا وخلقه مفعولا ثانيا ومن كون الاحسان بمعنى العلم قول من قال

وقيمة المرء ما قد كان يحسنه ۞ والجاهلون لاهل العلم اعداء

اي ما قد كان يعلمه ويحسن علمه بان يعرفه معرفة حسنة بتحقيق واتقان لا لمطلق العلم وقيل معناه ان من زاد علمه زاد في صدور الناس قدره وقيمته وكل من نقص علمه نقص عند الناس جاهه وحشمته ﴿قوله فالشئ على الاول﴾ يعني ان خلقه سواء جعل بدلا او مفعولا ثانيا لا بد من تخصيص الشئ لانه تعالى لم يخلق كل شئ فضلا عن ان يحسن خلقه او يحسنه ويتم زينته والمخصص على الاول الدليل المنفصل وهو العقل فانه يدل على ان المراد الموجودات الممكنة وعلى الثاني الدليل المتصل وهو الوصف اعني خلقه ﴿قوله لانها تسل منه اي تنفصل﴾ يقال نسل الطائر ريشه ينسل وينسل نسلا اي اسقطه ونسل الوبر وريش الطائر بنفسه يتعدى ولا يتعدى ﴿قوله تعالى وجعل لكم﴾ التفات من ضمير الغائب المفرد في قوله ثم جعل نسله الخ الى الخطاب ولم يخاطبهم قبل ذلك لان الخطاب انما يكون مع الحي فلما قال ونفخ فيه من روحه خاطبه بعد ذلك وقال وجعل لكم ﴿قوله تشكرون شكرا قليلا﴾ اشارة الى ان قوله قليلا صفة مصدر محذوف للفعل المذكور بعده وما زائدة لتأكيد القلة ﴿قوله تعالى وقالوا ائذا ضللنا﴾ معطوف على ما سبق منهم فان المشركين كانوا ينكرون الوحدانية والرسالة وقد اشير الى الثاني بقوله تعالى ام يقولون افتراه والى الاول بقوله الله الذي خلق السموات وقد تقرر ان معظم مقاصد القرآن العظيم تمهيد اصول ثلاثة وتقرير دلائلها التوحيد والرسالة والحشر وانه تعالى كلما ذكر اصلين من هذه الاصول الثلاثة يذكر الاصل الثالث معهما وههنا قد ذكر الرسالة بقوله تنزيل الكتاب الى قوله لتنذر قوما ما اتاهم من نذير من قبلك وذكر الوحدانية بقوله الله الذي خلق السموات الى قوله وجعل لكم السمع والابصار ثم ذكر الاصل الثالث وهو الحشر بقوله وقالوا ائذا ضللنا اي ضعنا وهلكنا بان صرنا ضائعين وهالكين بان صرنا ترابا مخلوطا بتراب الارض لا نتميز منه كما يضيع اللبن في الماء يقال ضل الشئ يضل ضلالا اي ضاع وهلك واضله غيره اي اضاعه واهلكه ويقال ايضا ضل الشئ اذا غاب وخفي مكانه وتقول ضلت بعيري اذا ذهب منك وضللت المسجد والدار اذا لم تعرف موضعهما وكذلك كل شئ مقيم لا يهتدى له فقولهم ائذا ضللنا في الارض اي غبنا فيها بسبب الدفن وقرأ العامة ضللنا بضاد

وقرئ يعرج ويعدون (ذلك عالم الغيب والشهادة) فيدبر امرهما على وفق الحكمة (العزيز) الغالب على امره (الرحيم) على العباد في تدبيره وفيه ايماء الى انه تعالى يراعي المصالح تفضلا واحسانا (الذي احسن كل شئ خلقه) خلقه موفرا عليه ما يستعده ويليق به على وفق الحكمة والمصلحة وخلقه بدل من كل بدل الاشتمال وقيل علم كيف يخلقه من قوله قيمة المرء ما يحسنه اي يحسن معرفته او خلقه مفعول ثان وقرأ نافع والكوفيون بفتح اللام على الوصف فالشئ على الاول مخصوص بمنفصل وعلى الثاني بمتصل (وبدأ خلق الانسان) يعني آدم (من طين ثم جعل نسله) ذريته سميت به لانها تسل منه اي تنفصل (من سلالة من ماء مهين) ممتهن (ثم سواه) قومه بتصوير اعضائه على ما ينبغي (ونفخ فيه من روحه) اضافه الى نفسه تشريفا واشعارا بانه خلق عجيب وان له شأنا له مناسبة ما الى الحضرة الربوبية ولاجله من عرف نفسه عرف ربه (وجعل لكم السمع والابصار والافئدة) خصوصا لتسمعوا وتبصروا وتعقلوا (قليلا ما تشكرون) تشكرون شكرا قليلا (وقالوا ائذا ضللنا في الارض) اي صرنا ترابا مخلوطا بتراب الارض لا نتميز منه او غبنا فيها وقرئ ضللنا بالكسر من ضل يضل وصللنا من صل اللحم اذا انتن

معجمة ولام مفتوحة والمضارع منه بكسر العين وهى اللغة الشائعة وقرئ ضللنا بكسر اللام والمضارع منه يضل بفتح العين وهى ايضا لغة وقرئ صللنا بصاد مهملة ولام مفتوحة وبكسر اللام ايضا وهما لغتان يقال صل اللحم يصل ويصل بفتح الصاد وكسرها بمعنى انتن وتغيرت رائحته وقرأ عاصم وحمزة ائذا ضللنا فى الارض ائنا بالجمع بين الاستفهامين بهمزتين للمبالغة فى انكارهم البعث وقرأ ابن عامر اذا ضللنا بهمزة مكسورة على الخبر ائنا بهمزتين قال لانهم كانوا يقرون بالموت ويشاهدونه وانما انكروا البعث فيكون الاستفهام فى البعث دون الموت وقرأ نافع والكسائى ويعقوب ائذا ضللنا انا بجعل اول الكلمتين استفهاما والثانية خبرا اكتفاء بالهمزة الاولى عن الثانية ﴿قوله والعامل فيه﴾ اى فى اذا المحذوف ولا يجوز ان يعمل فيه قوله خلق جديد لان مابعد ان وهمزة الاستفهام لايعمل فيما قبلهما ﴿قوله بالبعث﴾ متعلق بقوله بلقاء ربهم وليس بيان له والالائق للاضراب وجه لان كفرهم بالبعث قد ذكر فى اول الآية ووجه الاضراب انه تعالى ذكر انكارهم البعث بناء على استبعادهم دخوله تحت قدرة الله تعالى كما دل عليه قولهم ائذا ضللنا فى الارض ثم اضرب عنه بما معناه ليس انكارهم البعث مبنيا على استبعادهم قدرة الله تعالى عليه لما اقيم عليهم من الدلائل الدالة على قدرة الله تعالى عليه وانما انكروه لكفرهم بلقاء الله تعالى اى بلقاء ماوعد الله تعالى من اجتماع الخلائق فى موقف الحساب وتفرقهم على حسب اعمالهم الى دار الثواب او العقاب فانكروا ما يفضى اليه من البعث والاحياء فعلى هذا كان الظاهر ان يكون قوله او بتلقى ملك الموت معطوفا على قوله بالبعث ويكون كل واحد منهما بيانا لطريق لقاء الرب ولقاء موعده الا ان عطف قوله وما بعده على تلقى ملك الموت يأبى ذلك لان لقاء مايلقونه بعد تلقى الملك هو نفس لقاء ماوعده الرب لا طريق لقائه فينبغى ان يجعل قوله بالبعث وما عطف عليه بيانا او بدلا من قوله تعالى بلقاء ربهم تفسيرا له ويجعل الكفر بالبعث مغايرا لانكار البعث المدلول عليه بقوله أنبعث او نجدد خلقا اذا ضللنا فان انكار الشئ يكفى فيه مجرد استبعاده والكفر به انما يكون بالقطع بعدمه وقوعه فترتيب النظم انه تعالى ذكر اولا انهم قالوا ذلك استبعادا للبعث ثم اضرب عنه بقوله بل هم كافرون بالبعث قاطعون بعدمه وقوعه او بقوله بل هم كافرون بتلقى ملك الموت ومايكون بعده من امور الآخرة بامرها لا بالبعث وحده ويؤيد هذا المعنى انهم خوطبوا بقوله تعالى قل يتوفاكم ملك الموت وتوفى الحق واستيفاؤه اخذه وافيا تاما من غير نقصان واستيفاء النفس وهى الروح ان تقبض كلها ولايترك منها شئ او لايبقى من اصحاب الارواح احد كتب عليه الموت * روى ان ملك الموت جعلت له الدنيا مثل راحة اليد يأخذ منها صاحبها ما احب من غير مشقة فهو يقبض انفس الخلق من مشارق الارض ومغاربها وله اعوان من ملائكة الرحمة واعوان من ملائكة العذاب فاذا قبض ارواح المؤمنين دفعها الى ملائكة الرحمة واذا قبض ارواح الكافرين دفعها الى ملائكة العذاب ﴿قوله ويجوز ان يكون للتمنى﴾ لان كلمة لو للتقدير والتمنى فيه معنى التقدير لان التمنى لايخلو من تقديره وطلب حصوله ولما كان فى التمنى معنى التقدير استعملت كلمة لو للتمنى كما فى قوله عليه الصلاة والسلام للمغيرة حين خطب امرأة لو نظرت اليها فانه احرى ان يؤدم بينكما اى يكون بينكما المحبة والاتفاق والادم الالفة والاتفاق يقال ادم الله بينكما ادما اى الف واصلح وعلى تقدير كون لو للتمنى لاتقتضى جوابا كما هو المشهور ثم ان التمنى يستحيل ان يكون منه تعالى فلابد ان يكون لرسول الله صلى الله عليه وسلم كما ان الترجى له عليه الصلاة والسلام فى قوله تعالى لعلهم يهتدون بين الله تعالى انه صلى الله عليه وسلم ان تمنى رؤيتهم على تلك الصفة الفظيعة لما تجرع منهم انواع الاذية والخلاف فكان عليه الصلاة والسلام حقيقا بان يتمنى ذلك ﴿قوله والمضى فيها وفى اذ﴾ يعنى ان كلمة لو اذا لم تكن للتمنى بل كانت لوقوع الشئ لوقوع غيره فيما مضى اذا دخلت على المضارع تصرفه الى الماضى وكذا كلمة اذ ظرف للماضى فمدلول الكلام ان يكون نكس المجرمين رؤسهم واقعا فيما مضى وان يفرض وقوع رؤية المخاطب اياهم على تلك الحالة الفظيعة فيما مضى ولاشك ان النكس امر استقبالى لم يقع بعد فلا وجه لدخول اذ عليه كما لاوجه لفرض وقوع الرؤية المتعلقة بالنكس المترقب فيما مضى الا ان الثابت فى علم الله تعالى لما كان بمنزلة الواقع كان نكس رؤسهم بمنزلة الواقع فيما مضى فصح دخول كلمة اذ عليه وصح فرض كون المخاطب رآئيا فى ذلك الوقت ان لم يقدر لترى مفعول او فرض وقوع الرؤية المتعلقة به اى بالنكس فيما مضى ان قدر لترى مفعول يدل عليه صلة اذ ثم ان المجرمين لما قالوا حين شاهدوا ماوعده الله تعالى من البعث والحساب ربنا ابصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا قال تعالى فى جوابهم ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها اى رشدها وتوفيقها للايمان والعمل الصالح فان كل فعل من افعال

وقرأ ابن عامر اذا على الخبر والعامل فيه مادل عليه (ائنا لفى خلق جديد) وهو أنبعث او نجدد خلقا وقرأ نافع والكسائى ويعقوب انا على الخبر والقائل ابى بن خلف واسناده الى جميعهم لرضاهم به (بل هم بلقاء ربهم) بالبعث او بتلقى ملك الموت ومابعده (كافرون) جاحدون (قل يتوفاكم) يستوفى نفوسكم لايترك منها شيأ او لايبقى منكم احدا والتفعل والاستفعال يلتقيان كثيرا كتقصيته واستقصيته وتعجلته واستعجلته (ملك الموت الذى وكل بكم) بقبض ارواحكم واحصاء آجالكم (ثم الى ربكم ترجعون) للحساب والجزاء (ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم) من الحياء والخزى (ربنا) قائلين ربنا (ابصرنا) ماوعدتنا (وسمعنا) منك تصديق رسلك (فارجعنا) الى الدنيا (نعمل صالحا انا موقنون) اذ لم يبق لنا شك بما شاهدنا وجواب لو محذوف وتقديره رأيت امرا فظيعا ويجوز ان يكون للتمنى والمضى فيها وفى اذ لان الثابت فى علم الله بمنزلة الواقع ولا يقدر لترى مفعول لان المعنى لو يكون منك رؤية فى هذا الوقت او يقدر مادل عليه صلة اذ والخطاب لرسول صلى الله عليه وسلم او لكل احد

العباد يقع بسبب يرجحه ويقتضى عليه من عند الله تعالى وذلك السبب ان كان نحو طاعة يسمى توفيقا ولطفا وان كان نحو معصية يسمى خذلانا وطبعا وتقرير الجواب ان الرجوع الى الدنيا انما ينفعكم ان لو شئت توفيقكم للايمان والعمل الصالح ولو شئت ذلك فيكم لهديتكم وانتم فى الدنيا ولما لم اهدكم فيها تبين انى ما اردت ايمانكم وصلاحكم فلا فائدة لكم فى الرجوع الى الدنيا وهو قوله تعالى ولو شاء ربك لآمن من فى الارض كلهم جميعا وكقوله ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فانه تعالى انما يوفق للايمان والطاعة من علم منه اختيار ذلك واما من علم منه اختيار الكفر والمعصية فانه تعالى يخذله ويطبع على قلبه وهذا صريح فى الدلالة على صحة مذهب اهل السنة فانهم يقولون ان الله تعالى ما اراد ايمان الكافر وماشاء منه الا الكفر والمعتزلة يقولون شاء الله تعالى ان يهدى كل نفس وآتى كل نفس ماتهتدى به لكنها لم تهتد فهذه الآية حجة عليهم ويقولون فى الجواب عنها فى توجيهها المراد بالآية ولو شئنا اتيان كل نفس هداها على طريق القهر والجبر لفعلنا ذلك لكنا بنينا الامر على الاختيار دون الاضطرار فاستحبوا الكفر على الايمان فحقت كلمة العذاب على الكافرين ونحن نقول هذا التأويل فاسد لانهم زعموا انه تعالى شاء من الكافر ان يهتدى وآتاه مابه يهتدى الا انه لم يهتد ولم تنفذ فيه مشيئة الله تعالى فكيف يقدر وعلك ان يشاء مشيئة تقهرهم وتجبرهم على الاهتداء وايضا يقال لهم ان الايمان والتوحيد فى حال الجبر والقهر لايكون ايمانا لان الاكراه يرفع الفعل عن فاعله ويحوله عنه الى المكره روى عن الحسن انه قال خطبنا ابو هريرة رضى الله عنه على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ليعتذرن الله تعالى الى آدم عليه الصلاة والسلام ثلاث معاذير يقول الله تعالى يا آدم لولا انى لعنت الكذابين وابغضت الكذب والخلف واعذب عليه لرحمت اليوم ولدك اجمعين من شدة مااعددت لهم من العذاب ولكن حق القول منى لئن كذبت رسلى وعصى امرى لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين ويقول الله تعالى يا آدم اعلم انى لاادخل من ذريتك النار احدا ولااعذب منهم بالنار احدا الا من قد علمت بعلمى انى لو رددته الى الدنيا لعاد الى شر ماكان فيه ولم يرجع ولم يعتب ويقول الله تعالى يا آدم قد جعلتك حكما بينى وبين ذريتك قم عند الميزان فانظر مايرفع اليك من اعمالهم فمن رجح منهم خيره على شره مثقال ذرة فله الجنة حتى تعلم انى لاادخل منهم النار الا من كان ظالما فقوله تعالى ولكن حق القول منى تقديره ولكن لم اشأ ايتاء توفيق الايمان لكل نفس فبقى بعض منهم غير موفق للايمان والطاعة فاختار الكفر والعصيان فسبق قضائى وسبق وعيدى فى حقهم وهو قوله تعالى لابليس لاملأن جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين من كفار الفريقين لاختيارهم الكفر والتكذيب وفى قوله تعالى من الجنة والناس دلالة على انه تعالى قد عصم ملائكته من عمل يستحقون به جهنم وانهم مبرأون من دخول النار وهذا يقتضى ان لايكون ابليس من الملائكة وهو الصحيح وقوله تعالى اجمعين تأكيد لاجتماع الفريقين فى كونهما مالئين لجهنم المدلول عليه بعطف الناس على الجنة بواو الجمع ولايلزم منه دخول كل احد من آحاد الفريقين النار لان المراد اجتماع الجنسين فى ان يملأ بهما جهنم لاستغراق آحادهما فى ذلك كما اذا قلت ملأت الكيس من الدراهم والدنانير جميعا فانه لايقتضى ان لايبقى درهم خارج عن الكيس ﴿قوله وذلك تصريح بعدم ايمانهم لعدم المشيئة﴾ لان لو لانتفاء الثانى لانتفاء الاول الذى هو المشيئة وكون عدم المشيئة مسببا عن سبق الحكم بانهم من اهل النار مبنى على ان قوله تعالى ولكن حق القول منى جيء به تعليلا لعدم المشيئة كأنه قيل لو شئنا ايتاء كل نفس هداها لآتيناها ذلك لكن لم نؤتها ذلك لعدم مشيئتنا اياه ولم نشأ ذلك لثبوت الحكم وسبق الوعيد بان من اهل الفريقين من هو اهل النار وهم الذين ثبت فى علمه تعالى انهم يختارون الحظوظ العاجلة على السعادات الباقية ويتركون التفكر فى العاقبة ترك الشئ المنسى ﴿قوله ولابد فمعد جعل ذوق العذاب الخ﴾ جواب عما يقال ان الآية تدل على ان جميع ماهم عليه من سوء الحال مستند الى القضاء السابق المتعلق بشقاوتهم لانه يفهم منه ان عدم ايمانهم يستند الى سبق الحكم بانهم من اهل النار فيلزم منه ان يكون ذوق العذاب مستندا الى الحكم المذكور فكيف جعل مستندا الى نسيانهم العاقبة أليس هما متدافعين وتقرير الجواب انه لاتدافع بينهما لان نسيان العاقبة من العلل المتوسطة لذوق العذاب واستناده الى النسيان لاينافى استناده بالآخرة الى الحكم المذكور فانه تعالى اتناقضى وحكم بذلك لعلمه بانه يترك تفكر العاقبة ترك الشئ المنسى فان قيل النسيان معفو عنه لقوله عليه الصلاة والسلام رفع عن امتى الخطأ والنسيان فكيف يؤاخذهم الله تعالى بسبب نسيانهم فالجواب

(ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها) ماتهتدى به الى الايمان والعمل الصالح بالتوفيق له (ولكن حق القول منى) ثبت قضائى وسبق وعيدى وهو (لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين) وذلك تصريح بعدم ايمانهم لعدم المشيئة المسبب عن سبق الحكم بانهم من اهل النار ولابد فمعد جعل ذوق العذاب مسببا عن نسيانهم العاقبة وعدم تفكرهم فيها بقوله (فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا) فانه من الوسائط والاسباب المقتضية له (انا نسيناكم) تركناكم من الرحمة وفى العذاب ترك المنسى وفى استئنافه وبناء الفعل على ان واسمها تشديد فى الانتقام منهم (وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون) كرر الامر للتأكيد ولمانيط به من التصريح بمفعوله وتعليله بافعالهم السيئة من التكذيب والمعاصى كما علله بتركهم تدبر امر العاقبة والتفكر فيه دلالة على ان كلا منهما يقتضى ذلك

(انما يؤمن بآياتنا الذين اذا ذكروا بها) وعظوا بها (خروا سجدا) خوفا من عذاب الله (وسبحوا) نزهوه عما لا يليق به كالعجز عن البعث (بحمد ربهم) حامدين له خوفا من عذاب الله وشكرا على ما وفقهم للاسلام ﴿ ٤٩ ﴾ وآتاهم الهدى (وهم لا يستكبرون) عن الايمان والطاعة كما يفعل من يصر مستكبرا (تتجافى جنوبهم) ترتفع وتتنحى (عن المضاجع) الفرش ومواضع النوم (يدعون ربهم) داعين اياه (خوفا) من سخطه (وطمعا) فى رحمته وعن النبى صلى الله عليه وسلم فى تفسيرها قيام العبد من الليل وعنه عليه الصلاة والسلام اذا جمع الله الاولين والآخرين جاء مناد ينادى بصوت يسمع الخلائق كلهم سيعلم اهل الجمع اليوم من اولى بالكرم ثم يرجع فينادى ليقم الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع فيقومون وهم قليل ثم يرجع فينادى ليقم الذين كانوا يحمدون الله فى البأساء والضراء فيقومون وهم قليل فيسرحون جميعا الى الجنة ثم يحاسب سائر الناس وقيل كان ناس من الصحابة يصلون من المغرب الى العشاء فنزلت فيهم (ومما رزقناهم ينفقون) فى وجوه الخير (فلا تعلم نفس ما اخفى لهم) لا ملك مقرب ولا نبى مرسل (من قرة اعين) مما تقر به عيونهم وعنه عليه الصلاة والسلام يقول الله اعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بله ما اطلعتهم عليه اقرؤا ان شئتم فلا تعلم نفس ما اخفى لهم من قرة اعين وقرأ حمزة ويعقوب اخفى على انه مضارع اخفيت وقرئ نخفى واخفى والفاعل فى الكل هو الله تعالى وقرات اعين لاختلاف انواعها والعلم بمعنى المعرفة وما موصولة او استفهامية معلق عنها الفعل (جزاء بما كانوا يعملون) اى جزوا جزاء او اخفى للجزاء فان اخفاءه لعلو شأنه وقيل هذا القوم اخفوا اعمالهم فاخفى الله ثوابهم (أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا) خارجا من الايمان (لا يستوون) فى الشرف والمثوبة تأكيد وتصريح والجمع للحمل على المعنى (اما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى) فانها المأوى الحقيق والدنيا منزل مرتحل عنه لا محالة وقيل المأوى جنة من الجنان (نزلا) سبق فى آل عمران (بما كانوا يعملون) بسبب اعمالهم او على اعمالهم (واما الذين فسقوا فمأواهم النار) مكان جنة المأوى للمؤمنين (كلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها) عبارة عن خلودهم فيها (وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذى كنتم به تكذبون) اهانة لهم وزيادة فى غيظهم

انه ليس المراد بالنسيان المذكور بقوله بما نسيتم نسيان السهو والغفلة اذ لا تبعة بما فعل فى حال السهو والغفلة ولان النسيان انما يكون بطريان الجهل على ما علم سابقا والمشركون لم يعتقدوا حقيقة البعث حتى يلحقهم نسيان بل المراد به عدم التذكر به مع ظهور براهينه فان من انهمك فى اتباع الشهوات واعرض عن التفكر فى العاقبة والتزود لها بالايمان والطاعة مع وضوح دلائلها ووفور دواعى التهيؤ لها بمنزلة من علمها ثم نسيها فلذلك عبر عن تذكرها والتفكر فيها بلفظ النسيان اشارة الى كونهم منكرين لامر ظاهر وقوله انا نسيناكم بمعنى جازيناكم جزاء نسيانكم وسمى جزاء النسيان نسيانا على طريق المشاكلة كما يسمى جزاء السيئة سيئة فى قوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها او بمعنى تركناكم ترك الشئ المنسى فيكون استعارة تبعية ثم انه تعالى لما ذكر ان المشركين ينكرون البعث ويقولون أئذا ضللنا فى الارض أئنا لفى خلق جديد وانهم لا يؤمنون بآيات الله تعالى اى بالقرآن ثم اجابهم بان ذلك كائن لا محالة ثم وصف حالهم الفظيعة فى موقف الحساب ذكر المؤمنين بعد ذكر ذلك فقال انما يؤمن بآياتنا اى بالقرآن المتدبرون لها المستمعون الى مواعظها بحيث اذا قرئ عليهم القرآن ووعظوا به خروا سجدا لله على وجوههم تذللا له وتعظيما لآياته ﴿ قوله تعالى تتجافى جنوبهم ﴾ يجوز ان يكون مستأنفا وان يكون حالا وكذلك يدعون وان جعل يدعون حالا احتمل ان يكون حالا ثانية وان يكون حالا من الضمير فى جنوبهم ﴿ قوله سيعلم اهل الجمع ﴾ مقول قول مقدر اى ينادى قائلا سيعلم ﴿ قوله فيسرحون ﴾ اى يرسلون يقال سرحت فلانا الى موضع كذا اى ارسلته اليه قيل نزلت الآية فى الذين لا ينامون حتى يصلوا العشاء الاخيرة والفجر فى جماعة قال عليه الصلاة والسلام «من صلى العشاء فى جماعة كان كقيام نصف ليلة ومن صلى الفجر فى جماعة كان كقيام ليلة» والمشهور منه صلاة الليل لقوله عليه الصلاة والسلام «افضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله المحرم وافضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل» وقال عليه الصلاة والسلام «ان فى الجنة غرفا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها اعدها الله تعالى لمن ألان الكلام واطعم الطعام وتابع الصيام وصلى بالليل والناس نيام» ﴿ قوله مما تقر به عيونهم ﴾ على ان القرة مصدر وصف به الثواب الذى تقر بسببه عيونهم ولا تلتفت الى غيره من القرار فان القلب اذا اطمأن بالشئ ورضى به لا يبقى للعين طموح والتفات الى غيره فتقر قال الجوهرى القرار فى المكان الاستقرار فيه تقول منه قررت بالمكان بالكسر اقر قرارا وقررت ايضا بالفتح اقر قرارا وقرورا وقررت به عينا قرة وقرورا فيهما ورجل قرير العين وقد قرت عينه تقر وتقر نقيض سخنت واقر الله عينه اى اعطاه حتى تقر فلا تطمح الى من هو فوقه ويقال تبرد دمعة عينه ولا تسخن فان السرور له دمعة باردة وللحزن دمعة حارة والقرة بالضم البرودة والقر بالضم البرد ويوم قر وليلة قرة اى باردة والقرتان الغداة والعشى ﴿ قوله عليه الصلاة والسلام بله ما اطلعتهم عليه ﴾ من جملة قوله عليه الصلاة والسلام حكاية عن الله تعالى وبله اسم فعل بمعنى دع واترك ﴿ قوله وقرأ حمزة ويعقوب اخفى ﴾ بضم الهمزة وسكون الياء على لفظ المضارع المرفوع المسند الى ضمير المتكلم وحده وقرئ نخفى بضم نون العظمة وقرئ اخفى ماضيا مبنيا للفاعل وهو الله تعالى وقرأ العامة اخفى على لفظ الماضى المبنى للمفعول ومن ثمة فتحت ياؤه وقرأ الجمهور قرة اعين بافراد قرة لكونها مصدرا والمصدر اسم جنس والاصل فيه ان لا يجمع وقرئ قرات اعين على لفظ الجمع بالالف والتاء على ان يراد بالقرة نوع من القرار وما موصولة والمعنى فلا تعلم نفس الشئ الذى اخفى لهم ومن قرة حال من ما او استفهامية فعلى قرآءة من قرأ ما بعدها فعلا ماضيا تكون ما فى محل الرفع بالابتداء والفعل الذى بعدها الخبر وعلى قرآءة من قرأه مضارعا تكون مفعولا مقدما ﴿ قوله جزوا جزاء ﴾ يعنى ان جزاء منصوب اما على انه مصدر لفعله المحذوف او على انه مفعول له لقوله اخفى فان اخفاء الجزاء عن الاعين والاسماع والقلوب لعلو شأنه فكأنه قيل فلا تعلم نفس اى ثواب عظيم اعدلهم جزاء بقى الكلام فى ان الثواب كيف يكون جزاء لعمل العبد مع ان اخلاص العمل لله عز وجل نعم الواصلة منه تعالى اليه قبل العمل كالتخليق والترزيق وغيرهما والثواب الواصل منه تعالى اليه بعد العمل انما هو تفضل محض وعطية مبتدأة وليس جزاء العمل السابق الا انه تعالى سماه جزاء تشبيها بالجزاء فى وقوعه بعد العمل واظهارا لكرمه ومزيد جوده حيث لم يعتد بما انعم به عليه سابقا ولم يطلب من العبد ان يشكره بمقابلة ذلك وجعله تفضلا محضا بل وعد الجزاء والثواب بمقابلة احسان العبد وقال له كلما عملت حسنة ضاعفت لك اجرا وثوابا ثم اذا عرف ان هذا من فضل الله تعالى وكرمه فالواجب من جانب العبد ان يقول فعلى جزاء نعم الله السابقة ولا استحق به جزاء

(ولنذيقنهم من العذاب الادنى) عذاب الدنيا يريد ما محنوا به من السنة سبع سنين والقتل والاسر (دون العذاب الاكبر) عذاب الآخرة (لعلهم) لعل من بقى منهم (يرجعون) يتوبون من الكفر روى ان الوليد بن عقبة فاخر عليا يوم بدر فنزلت هذه الآيات (ومن اظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم اعرض عنها) فلم يتفكر فيها

وثم لاستبعاد الاعراض عنها مع فرط وضوحها وارشادها الى اسباب السعادة بعد التذكير بها عقلا كما في بيت الحماسة

ولا يكشف الغماء الا ابن حرة * يرى غمرات الموت ثم يزورها (انا من المجرمين منتقمون) فكيف بمن كان اظلم من كل ظالم (ولقد آتينا موسى الكتاب) كما آتيناك (فلا تكن في مرية) في شك (من لقائه) من لقائك الكتاب لقوله وانك لتلقى القرآن فانا آتيناك من الكتاب مثل ما آتيناه منه فليس ذلك ببدع يكن قط حتى ترتاب فيه او من لقاء موسى الكتاب او من لقائك موسى وعنه عليه السلام رأيت ليلة اسرى بي موسى عليه السلام رجلا آدم طوالا جعدا كأنه من رجال شنوءة (وجعلناه) اى المنزل على موسى (هدى لبنى اسرائيل وجعلنا منهم ائمة يهدون) الناس الى ما فيه من الحكم والاحكام (بامرنا) اياهم به او بتوفيقنا لهم (لما صبروا) وقرأ حمزة والكسائى ورويس لما صبروا اى لصبرهم على الطاعة او عن الدنيا (وكانوا بآياتنا يوقنون) لامعانهم فيها النظر (ان ربك هو يفصل بينهم يوم القيامة) فيقضى فيميز الحق من الباطل بتمييز المحق من المبطل (فيما كانوا فيه يختلفون) من امر الدين (اولم يهدلهم) الواو للعطف على منوى من جنس المعطوف والفاعل ضمير ما دل عليه (كم اهلكنا من قبلهم من القرون) اى كثرة من اهلكناهم من القرون الماضية او ضمير الله بدلالة القرآن عليه وقرئ بالنون (يمشون فى مساكنهم) يعنى اهل مكة يمرون فى متاجرهم على ديارهم وقرئ يمشون بالتشديد (ان فى ذلك لآيات افلا يسمعون) سماع تدبر واتعاظ (اولم يروا انا نسوق الماء الى الارض الجرز) التى جرز نباتها اى قطع وازيل لا التى لا تنبت لقوله (فنخرج به زرعا) وقيل اسم موضع باليمن (تأكل منه) من الزرع (انعامهم) كالتبن والورق (وانفسهم) كالحب والثمر (افلا يبصرون) فيستدلون به على كمال قدرته وفضله (ويقولون متى هذا الفتح) النصر او الفصل بالحكم من قوله ربنا افتح بيننا (ان كنتم صادقين) فى الوعد به

فاذا اثابه الله تعالى بقول الذى اثيب به كان جزاء وهذا ابتداء احسان من الله تعالى يستحق بذلك ثناء وشكرا فيأتى بمقابلته حسنة وطاعة فيقول الله تعالى بمقتضى كرمه وفضله انى احسنت اليه جزاء فعله الاول وما فعلته اولا انما فعلته تفضلا لا اطلب شكره فجازيه ثالثا فيشكر العبد ثالثا فجازيه رابعا وعلى هذا لا تنقطع المعاملة بين الرب والعبد ثم انه تعالى لما بين فظاعة المجرمين ونكس رؤسهم فى موقف الحساب ووصف ثواب المؤمنين وما اخفى لهم من قرة اعين قال افمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا ثم صرح بانهما لا يستويان ثم فصل طريق امتياز احدهما من الآخر بقوله اما الذين آمنوا الآية والنزل ما اعد للنازل من طعام وشراب وصلة وانتصابه على الحال من جنات والعامل فيها الظرف قال الشاعر

* وكنا اذا الجبار بالجيش ضافنا * جعلنا القنا والمرهفات له نزلا *

وقوله تعالى فى حق المؤمنين لهم بلام التمليك زيادة اكرام لهم لان من قال لغيره اسكن هذه الدار يكون محمولا على العارية وله استردادها واذا قال له هذه الدار لك يكون محمولا على نسبة الملكية اليه وليس له استردادها الا ترى انه تعالى لما قال لآدم اسكن انت وزوجك الجنة اخرجهما منها ولو قال لكما الجنة لما اخرجهما ولما لم يكن للمؤمنين الخروج من الجنة فى الآخرة قال لكم الجنة ولهم جنات ثم انه تعالى لما هددهم بالعذاب الاكبر الذى هو عذاب النار وعدهم بعذاب الدنيا ايضا فقال ولنذيقنهم من العذاب الادنى اى الاقرب فان عذاب الدنيا قريب دون العذاب الاكبر يعنى به عذاب الآخرة الذى هو اكبر من عذاب الدنيا لكونه شديدا مديدا بخلاف عذاب الدنيا

﴿قوله فنزلت هذه الآيات﴾ اى من قوله تعالى افمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا قال الوليد بن عقبة لعلى رضى الله تعالى عنه الى كم تهددنى فوالله انى لاحد منك سنانا واشجع منك جنانا وابسط منك لسانا واملأ منك حشوا فى الكتيبة فقال له على اسكت يا فاسق فانزل الله تعالى هذه الآيات تصديقا لعلى رضى الله عنه * فان قيل ما وجه الترجى المستفاد من قوله تعالى لعلهم يرجعون والترجى محال على الله تعالى * فالجواب ان المعنى ولنذيقنهم اذاقة من يرجى رجوعهم الى الايمان كما ان قوله انا نسيناكم معناه تركناكم كما يترك الناسى حيث لا يلتفت اليه اصلا ويجوز ان يكون المعنى ولنذيقنهم العذاب اذاقة من رآه لعلهم يرجعون بسببه ثم انه تعالى لما هدد الفاسقين واوعدهم بعذاب الدارين بين استحقاقهم لذلك بقوله ومن اظلم ممن ذكر بآيات ربه فان مجرمى مكة قد ذكروا بمواعظ القرآن ولم يتفكروا فيها ولم يؤمنوا بها فلا احد اظلم منهم فاستحقوا بذلك لان ينتقم منهم ﴿قوله بعد التذكير بها﴾ ظرف الاعراض وقوله عقلا متعلق بالاستبعاد تمييز له والغماء الكربة الشديدة التى تغطى اهلها والمراد بها ههنا شدة اقتحام الحرب اى لا يكشف الامر العظيم الا رجل كريم يرى غمرات الموت ثم يتوسطها وانما قال ابن حرة ليحثه ويحرضه على الزيارة والمعنى ان زيارة غمرات الموت بعد رؤيتها مستبعدة مستنكرة فى العقل والعادة وهو مع ذلك يزورها بعد استيقانه بانها غمرات الموت والزيارة بعد اليقين مما يستبعد وفى ايثار لفظ الزيارة واشعاره بانه يلاقيها لقاء معظم محبوبه مبالغة على مبالغة جعل ثم للاستبعاد لا للتراخى الزمانى فظاهر لانه لا وجه لان يقال فى مقام المدح انه يرى غمرات الموت ثم يمكث زمانا طويلا متفكرا ثم يزورها لانه ذم له وامارتبة فلانه لا يستقيم ان يقال ان الاعراض ارفع درجة من التذكير وكذا لا يصح ان يقال فى البيت ان الزيارة ارفع رتبة من رؤية غمرات الموت ﴿قوله من لقائك الكتاب﴾ على ان اللقاء مصدر اضيف الى مفعوله والمقصود تقرير رسالته عليه الصلاة والسلام وتحقيق ان ما معه من الكتاب وحى سماوى وكتاب الهى لا كما زعمه المشركون من ان البشر لا يوحى اليه ولا يتلقى الكتاب من لدن حكيم عليم كأنه قيل لست بدعا من رسول اوتى الكتاب الا ترى الى موسى عليه الصلاة والسلام قد بعث رسولا واوتى الكتاب وهو بشر مثلك فلا تشك فى كونك رسولا مؤيدا بالكتاب السماوى فانه تعالى لما قرر الاصول الثلاثة الرسالة والتوحيد والحشر عاد الى الاصل الذى بدأ به وهو الرسالة المذكورة فى قوله لتنذر قوما ما اتاهم من نذير والآدم من الناس الاسمر والطوال بالضم الطويل ويقال رجل جعد اذا لم يكن شعره مسترسلا وشعر سبط وسبط اى مسترسل غير جعد وشنوءة حى من احياء اليمن وكانت الجعودة غالبة فيهم روى ان التوراة انما جعلت هدى لبنى اسرائيل خاصة دون بنى اسماعيل ولما اشار بقوله وجعلنا منهم ائمة يهدون الى ان منهم من لم يهتد به فضلا عن ان يهدى الناس الى ما فيه قال ان ربك هو يفصل بينهم ثم انه تعالى لما اعاد ذكر الرسالة بقوله ولقد آتينا موسى الكتاب اعاد ذكر التوحيد بقوله اولم يهد لهم الآية اى

(الم)

(قل يوم الفتح لاينفع الذين كفروا ايمانهم ولاهم ينظرون) وهو يوم القيامة فانه يوم نصر المؤمنين على الكفرة والفصل بينهم وقيل يوم بدر او يوم فتح مكة والمراد بالذين كفروا المقتولون منهم فيه فانه لاينفعهم ايمانهم حال القتل ولا يمهلون والطباقه جوابا عن سؤالهم من حيث المعنى باعتبار ماعرف من غرضهم فانهم لما ارادوا به الاستعجال تكذيبا واستهزاء اجيبوا بما يمنع الاستعجال (فاعرض عنهم) ولاتبال بتكذيبهم وقيل هو منسوخ بآية السيف (وانتظر) النصرة عليهم (انهم منتظرون) الغلبة عليك وقرئ بالفتح على معنى انهم احقاء بان ينتظر هلاكهم او ان الملائكة ينتظرونه * عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ الم تنزيل وتبارك الذي بيده الملك اعطى من الاجر كانما احيى ليلة القدر * وعنه عليه السلام من قرأ الم تنزيل في بيته لم يدخل الشيطان بيته ثلاثة ايام

﴿ سورة الاحزاب مدنية وهى ﴾
﴿ ثلاث وسبعون آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يا ايها النبي اتق الله) ناداه بالنبي وامره بالتقوى تعظيما له وتفخيما لشأن التقوى والمراد به الامر بالثبات عليه ليكون مانعا له عما نهى عنه بقوله (ولاتطع الكافرين والمنافقين) اى فيما يعود بوهن في الدين روى ان اباسفيان وعكرمة بن ابى جهل وابا الاعور السلمي قدموا عليه في الموادعة التي كانت بينه وبينهم وقام معهم ابن ابي ومعتب بن قشير وجد بن قيس فقالوا له ارفض ذكر آلهتنا وقل ان لهما شفاعة وندعك وربك فنزلت (ان الله كان عليما) بالمصالح والمفاسد (حكيما) لايحكم الا بما تقتضيه الحكمة (واتبع مايوحى اليك من ربك) كالنهي عن طاعتهم (ان الله كان بما تعملون خبيرا) فموح اليك مايصلحه ويغني عن الاستماع الى الكفرة وقرأ ابو عمرو بالياء على ان الواو ضمير الكفرة والمنافقين اى ان الله خبير بمكايدهم فيدفعها عنك (وتوكل على الله) وكل امرك الى تدبيره (وكفى بالله وكيلا) موكولا اليه الامور كلها (ماجعل الله لرجل من قلبين في جوفه) اى ماجمع قلبين في جوف لان القلب معدن الروح الحيواني المتعلق بالنفس الانساني اولا

المرئية ولم يهد لاهل مكة كثرة من اهلكناهم من القرون الماضية الى ان مخالفة الرسول تؤدي الى الهلاك العاجل وان اتباعه فيما دعا اليه من التوحيد والطاعة واجب على الامة وقوله يمشون في مساكنهم حال من ضمير لهم ثم انه تعالى لما بين الرسالة والتوحيد بين الحشر بقوله ويقولون متى هذا الفتح والمراد بالفتح اما القضاء والفصل بالحكومة بين المحق والمبطل واما نصر المؤمنين واظهارهم على الكفار لان المؤمنين كانوا يقولون يبعث الله تعالى الخلائق اجمعين ويحكم بين المطيع والعاصي فيثيب المطيع ويعاقب العاصي فيقولون متى هذا الفتح والحكم وكذا كان المؤمنون يقولون ان الله تعالى سيفتح لنا على المشركين ويظهر دين الاسلام وينصرنا الله ويظهرنا عليكم فقالوا متى هذا الفتح والنصرة وقيل المراد به يوم فتح مكة وقيل يوم بدر وقد قتل بعض من كنانة يوم فتح مكة على يد خالد بن الوليد وقوله لاينفع الذين كفروا ايمانهم ظاهر على تقدير ان يراد بيوم الفتح يوم القيامة لان الايمان المقبول هو الذي يكون في دار الدنيا ولايقبل بعد خروجهم منها ولاهم ينظرون اى يمهلون بالاعادة الى الدنيا ليؤمنوا فيقبل ايمانهم ومن حمل يوم الفتح على يوم بدر او يوم فتح مكة قال معناه لاينفع الذين كفروا ايمانهم اذا جاءهم العذاب وقتلوا الآن ايمانهم حال القتل ايمان اضطرار وقد قال تعالى فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا ولاهم ينظرون اى يمهلون بتأخير العذاب عنهم ولما فتحت مكة هرب قوم من بني كنانة فلحقهم خالد بن الوليد فاظهروا الاسلام فلم يقبل منهم خالد وقتلهم فذلك قوله تعالى لاينفع الذين كفروا ايمانهم والله اعلم ﴿ قوله والطباقه جوابا ﴾ مبتدأ ومن حيث المعنى خبر يعني انهم سألوا عن وقت الفتح وقوله تعالى قل يوم الفتح لاينفع الذين كفروا ايمانهم ولاهم ينظرون لايطابق ظاهر السؤال لكنه مطابق لمعنى سؤالهم وماارادوا منه فانهم ارادوا به استعجال الفتح تكذيبا له واستهزاء واجيبوا بان قيل لهم لاتستعجلوا به ولاتستهزؤا فان في وقوعه مايسوءكم ويجعلكم نادمين على استعجاله والاستهزاء به وقوله تعالى فاعرض عنهم معطوف على قوله قل يوم الفتح فانهم لما كذبوا مااخبروا به من نصرة المؤمنين عليهم ومن حشر الخلائق اجمعين والحكم بينهم بتمييز المحق من المبطل ومجازاة كل واحد منهما على حسب حاله واستعجلوه على سبيل الاستهزاء قال تعالى له عليه الصلاة والسلام اجبهم بان تقول لهم لاتستعجلوا فان في وقوعه ضررا عظيما لكم ثم اعرض عنهم وانتظر وقوع مااخبروا به من النصر والفصل بالحكومة وقرأ العامة انهم منتظرون بكسر الظاء على لفظ اسم الفاعل وقرئ منتظرون بفتح الظاء فعلى هذا التفسير لاوجه لان يقال انه منسوخ بآية السيف اذ لامنافاة بينهما * روى عن ابي هريرة رضي الله عنه انه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في صلاة الفجر يوم الجمعة الم تنزيل وهل اتى على الانسان * تم هنا مايتعلق بسورة الم تنزيل السجدة والآن اوان الشروع فيما يتعلق بسورة الاحزاب وهى مدنية

﴿ سورة الاحزاب ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ قوله وتفخيما لشأن التقوى ﴾ فان تعظيم المنادى ذريعة الى تعظيم شأن المنادى له ﴿ قوله والمراد به الامر بالثبات عليه ﴾ جواب عما يقال المشتغل بالشيء لايؤمر به فلا يقال للجالس مثلا اجلس فكيف امر عليه الصلاة والسلام بالتقوى وهو مشتغل بها وتقرير الجواب المشتغل بالشيء اذا امر به لايكون المطلوب احداث اصل الفعل لانه طلب تحصيل الحاصل بل يكون المطلوب الثبات عليه بالجد والاهتمام وعدم الميل الى ماينافيه والموادعة المصالحة وترك الحرب روى في نزول هذه الآية ان اباسفيان بن حرب وعكرمة بن ابي جهل وابا الاعور السلمي واحمد عمرو بن سفيان قدموا المدينة بعد قتال احد فنزلوا على عبدالله بن ابي رأس المنافقين وجد بن قيس وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اعطاهم الامان على ان يكلموه فكلموه بما شق عليه فقال عمر رضي الله عنه ائذن لي يارسول الله في قتلهم فقال عليه الصلاة والسلام قد اعطيتهم الامان فاخرجهم من المدينة فقال لهم عمر اخرجوا في لعنة الله تعالى وغضبه فانزل الله تعالى يا ايها النبي اتق الله ولاتطع الكافرين اى من اهل مكة والمنافقين من اهل المدينة ﴿ قوله وقرأ ابو عمرو بالياء ﴾ اى بياء الغيبة والباقون بتاء الخطاب كقوله يا ايها النبي لان المراد هو وامته او خوطب بلفظ الجمع تعظيما له كما في قوله * فان شئت حرمت النساء سواكم * ﴿ قوله لان القلب معدن الروح الحيواني المتعلق بالنفس الانساني ﴾ الروح الحيواني هو البخار اللطيف المتكون من غليان الدم الحاصل في جوف اللحم الصنوبري المثبت في الجانب الايسر منه وينفصل من هذا البخار قسم ويتوجه الى جانب الكبد وذلك القسم

يسمى روحا طبيعيا ويتعلق به احوال المعدة وطبخ الاغذية والافعال النباتية وقسم آخر يتصاعد الى الدماغ بواسطة الشرايين ويسمى روحا نفسانيا ويتعلق به الافعال الحيوانية وهذا القسم لغاية لطافته يسرى الى جميع اطراف البدن وعروقه واعضائه ويتعلق به النفس الناطقة الانسانية اولا وبواسطته تتعلق بالبدن ﴿ قوله وذلك يمنع التعدد ﴾ اى وكون القلب معدنا للروح الحيوانى ومنبع القوى باسرها يمنع تعدد القلب من حيث ان تعدده يستلزم التناقض وهو ان يكون كل واحد منهما محتاجا اليه ومستغنى عنه فان كون كل واحد منهما قلبا يستلزم كونه اصلا لسائر القوى وكون الاخر قلبا يستلزم ان لا يكون الاول اصلا له كما ان يكون احدى العلتين علة تامة تستلزم كونها محتاجا اليها وكون الاخرى كذلك يستلزم كون الاولى مستغنى عنها هذا على تقدير ان يفعل بكل واحد منهما مثل ما يفعله بالاخر واما ان فعل باحد منهما غير ما يفعله بالاخر فحينئذ يلزم ان يكون الانسان راضيا كارها موقنا شاكا فى حالة واحدة وهو محال ﴿ قوله ولا الدعوة والبنوّة ﴾ الدعوة بفتح الدال مصدر رادبه الدياء الى الطعام وبكسرها يستعمل فى التبنى وادعاء النسب والادعياء جمع دعىّ بمعنى مدعوّ فعيل بمعنى مفعول واصله دعيو فادغم وجمع على ادعياء على خلاف الاصل لان افعلاء انما يكون جمعا لفعيل المعتل اللام اذا كان بمعنى فاعل نحو تقىّ واتقياء وغنىّ واغنياء واما ان كان فعيلا معتل اللام بمعنى مفعول فكان القياس ان يجمع على فعلى كقتيل وقتلى وجريح وجرحى ونظير هذا فى الشذوذ قولهم اسير واسرى والقياس اسرآء وقد سمع فيه الاصل فقوله تعالى وما جعل ادعياءكم ابناءكم معناه ماجعل من تبنيتموه ابناءكم نسخ الله تعالى التبنى وكان الرجل فى الجاهلية يتبنى رجلا فيدعوه الناس اليه ويرث ميراثه وكان النبى عليه الصلاة والسلام اعتق زيد بن حارثة وتبناه فلما تزوج النبى صلى الله عليه وسلم ام المؤمنين زينب بنت جحش وكانت تحت زيد بن حارثة قال المنافقون تزوج محمد امرأة ابنه وهو ينهى الناس عن ذلك فانزل الله تعالى هذه الآية ونسخ التبنى بها واللب العقل واللبيب العاقل وكذا الاريب من الارب وهو الدهاء وجودة الرأى وكان كل واحد من ابى معمر وجميل رجلا لبيبا حافظا لما يسمعه من الوقائع مكثرا رواية الحوادث الماضية وكان لا يمرّ فى طريق من طرق البلدان الا ويعرفه بعد سنين متطاولة وكانت قريش تقول فى حقهما انهما ما يحفظان هذه الاشياء الا ولهما قلبان وكانا يدعيان بذلك وكان ابو معمر يقول لى قلبان اعقل بكل منهما افضل من عقل محمد صلى الله عليه وسلم وروى انه انهزم يوم بدر فمرّ بابى سفيان وهو معلق احدى نعليه بيده والاخرى فى رجله فقال له ابو سفيان ما فعل الناس فقال هم ما بين مقتول وهارب فقال له مالى ارى احدى نعليك فى رجلك والاخرى فى يدك فقال ما ظننت الا انهما فى رجلىّ فعلم الناس يومئذ انه لو كان له قلبان لما نسى نعله فى يده ﴿ قوله والزوجة المظاهر منها ﴾ منصوب بالعطف على اللبيب اى ومن ان الزوجة المظاهر منها كالام وان دعىّ الرجل ابنه وكان الظهار طلاقا فى الجاهلية وكانوا يتجنبون المرأة المظاهر منها تجنب المطلقة فردّ الله تعالى ما زعمته العرب من كونه مزيلا للنكاح الا انه قرر كونه موجبا لاصل الحرمة وجعل تلك الحرمة موقتة الى اداء الكفارة كما يجيء فى سورة المجادلة من انه تعالى نهى عن الظهار وجعله منكرا من القول وزورا واوجب الكفارة على من ظاهر من امرأته ﴿ قوله او المراد نفى الامومة الخ ﴾ عطف على قوله والمراد ردّ ما كانت العرب يعنى ان المراد من الآية اما نفى كل واحد من الامور الثلاثة التى زعمتها العرب او نفى الاخيرين منها ونفى الاول انما هو ليقاس عليه انتفاؤهما من حيث اشتراك الجميع فى كونه تقوّلا محضا لا حقيقة له ﴿ قوله وقرأ ابو عمرو واللاى ﴾ يعنى ان جمع قولنا التى فيه ثلاث لغات قرئ بهن فقرأ الكوفيون وابن عامر اللائى ههنا وفى سورة الطلاق بياء ساكنة بعد همزة مكسورة وهو الاصل فى هذه اللفظة وقرأ ابو عمرو اللاى بياء ساكنة بعد الف محضة اصله اللائى فحذفت الهمزة تخفيفا فبقيت الياء الساكنة ومن قرأ بهمزة مكسورة بدون الياء حذف الياء اكتفاء عنها بالكسرة ﴿ قوله واصل تظهرون ﴾ بفتح التاء والظاء والهاء وتشديد الظاء والهاء بغير الف بينهما فانها قرآءة الجمهور اصله تتظهرون بتاءين فادغمت الثانية فى الظاء كما فى تذكرون وقرأ ابن عامر تظاهرون بفتح التاء والهاء وتشديد الظاء والف بعدها مضارع تظاهر واصله تتظاهرون بتاءين فادغمت الثانية وكذا فى الماضى الا انه اتى بهمزة الوصل بعد الادغام فيه ليمكن الابتداء فصار اظاهر وحمزة والكسائى تظاهرون بتخفيف الظاء والاصل ايضا تتظاهرون بتاءين حذفت احداهما وعاصم تظاهرون بضم التاء وكسر الهاء وتخفيف الظاء والف بعدها مضارع ظاهر وقرئ تظهرون بضم التاء وفتح الظاء المخففة

ومنبع القوى باسرها وذلك يمنع التعدد (وماجعل ازواجكم اللائى تظاهرون منهن امهاتكم وماجعل ادعياءكم ابناءكم) ومايجمع الزوجية والامومة فى امرأة ولا الدعوة والبنوّة فى رجل والمراد بذلك ردّ ماكانت العرب تزعم من ان اللبيب الاريب له قلبان ولذلك قيل لابى معمر وقيل لجميل بن اسد الفهرى ذو القلبين والزوجة المظاهر منها كالام ودعىّ الرجل ابنه ولذلك كانوا يقولون زيد بن حارثة الكلبى عتيق رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن محمد او المراد نفى الامومة والبنوّة عن المظاهر منها والمتبنى ونفى القلبين لتمهيد اصل يحملان عليه والمعنى كما لم يجعل الله قلبين فى جوف لادائه الى التناقض وهو ان يكون كل منهما اصلا لكل القوى وغير اصل لم يجعل الزوجة والدعىّ اللذين لاولادة بينهما وبينه امه وابنه اللذين بينهما وبينه ولادة وقرأ ابو عمرو واللاى بالياء وحده على ان اصله اللاء بهمزة فخففت وعن الحجازيين مثله وعنهما وعن يعقوب بالهمز وحده واصل تظهرون تتظهرون فادغمت التاء الثانية فى الظاء وقرأ ابن عامر تظاهرون بالادغام وحمزة والكسائى بالحذف وعاصم تظاهرون من ظاهر وقرئ تظهرون من ظهر بمعنى ظاهر كعقد بمعنى عقد وتظهرون من الظهور

(وتشديد)

ومعنى الظهار ان يقول لزوجته انت علىّ كظهر امى مأخوذ من الظهر باعتبار اللفظ كالتلبية من لبيك وتعديته بمن لتضمنه معنى التجنب لانه كان طلاقا في الجاهلية وهو في الاسلام يقتضي الطلاق او الحرمة الى اداء الكفارة كما عدى آلى بها وهو بمعنى حلف وذكر الظهر للكناية عن البطن الذى هو عموده فان ذكره يقارب ذكر الفرج او للتغليظ في التحريم فانهم كانوا يحرمون اتيان المرأة وظهرها الى السماء والادعياء جمع دعىّ على الشذوذ وكأنه شبه بفعيل بمعنى فاعل فجمع جمعه (ذلكم) اشارة الى كل ماذكر او الى الاخير (قولكم بافواهكم) لا حقيقة له في الاعيان كقول الهاذى (والله يقول الحق) ماله حقيقة عينية مطابقة له (وهو يهدى السبيل) سبيل الحق (ادعوهم لآبائهم) انسبوهم اليهم وهو افراد للمقصود من اقواله الحقة وقوله (هو اقسط عند الله) تعليل له والضمير لمصدر ادعوا واقسط افعل تفضيل قصد به الزيادة مطلقا من القسط بمعنى العدل ومعناه البالغ في الصدق (فان لم تعلموا آباءهم) فتنسبوهم اليهم (فاخوانكم في الدين) فهم اخوانكم في الدين (ومواليكم) واولياؤكم فيه فقولوا هذا اخى ومولاى بهذا التأويل (وليس عليكم جناح فيما اخطأتم به) ولا اثم عليكم فيما فعلتموه من ذلك مخطئين قبل النهى او بعده على النسيان او سبق اللسان (ولكن ما تعمدت قلوبكم) ولكن الجناح فيما تعمدت قلوبكم او ولكن ما تعمدت قلوبكم فيه الجناح (وكان الله غفورا رحيما) لعفوه عن المخطئ واعلم ان التبنى لا عبرة له عندنا وعند ابى حنيفة يوجب عتق مملوكه ويثبت النسب لمجهوله الذى يمكن الحاقه به (النبى اولى بالمؤمنين من انفسهم) في الامور كلها فانه لا يأمرهم ولا يرضى منهم الا بما فيه صلاحهم ونجاحهم بخلاف النفس فلذلك اطلق فيجب عليهم ان يكون احب اليهم من انفسهم وامره انفذ فيهم من امرها وشفقتهم عليه اتم من شفقتهم عليها روى انه عليه الصلاة والسلام اراد غزوة تبوك فأمر الناس بالخروج فقال ناس نستأذن آباءنا وامهاتنا فنزلت وقرئ وهو اب لهم اى في الدين فان كل نبىّ اب لامته من حيث انه اصل فيما به الحياة الابدية ولذلك صار المؤمنون اخوة (وازواجه امهاتهم) منزلات منزلتهن في التحريم واستحقاق التعظيم وفيما عدا ذلك فكالاجنبيات ولذلك قالت عائشة لسنا امهات النساء (واولوا الارحام) وذووا القرابات (بعضهم اولى ببعض) في التوارث وهو نسخ لما كان في صدر الاسلام من التوارث بالهجرة والموالاة في الدين

وتشديد الهاء المكسورة مضارع ظهر بتضعيف العين وقرئ تظهرون بفتح التاء والهاء وسكون الظاء مضارع ظهر مخففا ثلاثيا وقوله من الظهور بيان لكون البناء مأخوذا من الفعل الثلاثى ببيان مصدره وليس المقصود ان من قرأ تظاهرون منهن بجعله مأخوذا من الظهور لتصريحه بان الافعال المستعملة في الظهار كلها مأخوذة من الظهر على طريق اخذ اللفظ من لفظ آخر كما يقال لبى المحرم بمعنى قال لبيك وامّن بمعنى قال آمين وسبح اى قال سبحان الله وان كان الاصل والاكثر في الاستعمال ان يعبر بالالفاظ عن المعانى لاعن اللفظ ومدلول نحو قولك الظهر والظاهر وظهر وظهر كلها الفاظ فان معنى الجميع انه قال لزوجته انت علىّ كظهر امى ﴿ قوله كما عدى آلى بها وهو بمعنى حلف ﴾ وحلف لا يتعدى بمن الا انه لما تضمن معنى التجنب من قربان زوجته مدة الايلاء عدى بمن ﴿ قوله وذكر الظهر للكناية عن البطن ﴾ يعنى ان قصد المظاهر ان يحرم عليه قربان امرأته بتشبيه قربانها بقربان امه والمرأة انما يؤتى لها من قبل بطنها فكان الظاهر ان يقول المظاهر انت علىّ كبطن امى في الحرمة الا انه كنى عن البطن بالظهر احترازا عن ذكر البطن الذى ذكره قريب من ذكر الفرج ووجه الكناية التى هى ذكر اللازم وارادة الملزوم كون الظهر عمود البطن ولازما له في قيامه واستمساكه ﴿ قوله او للتغليظ في التحريم ﴾ فان قربان الام من جانب ظهرها لما كان اغلظ في الحرمة كان تشبيه الزوجة بظهر الام اغلظ في تحريمها عليه وكان اهل المدينة يقولون اذا اتيت المرأة ووجهها الى الارض جاء الولد احول ﴿ قوله اشارة الى كل ماذكر الخ ﴾ اذ يصدق على كل واحد منها انه قول بالفم فحسب اذ ليس شئ منها اخبارا عن الواقع والله يقول الحق اى يقول القول المطابق للواقع ويهدى سبيل الحق اى افرد من جملة اقواله الحقة ماهو المناسب لهذا المقام فقال ادعوهم لآبائهم وكانت الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين يدعون زيد بن محمد الى ان نزلت هذه الآية فلما نزلت قالوا زيد بن حارثة ﴿ قوله ولكن الجناح فيما تعمدت ﴾ يعنى ان كلمة ما يجوز فيها وجهان احدهما ان تكون مجرورة المحل عطفا على ما المجرورة قبلها بفى والتقدير ولكن الجناح فيما تعمدت والثانى ان تكون مرفوعة المحل على الابتداء وخبرها محذوفا ﴿ قوله لعفوه عن المخطئ ﴾ علة لكونه تعالى رحيما للمخطئ بمغفرته فان المغفرة هى ان يستر القادر قبيح من تحت قدرته حتى ان العبد اذا ستر عيب سيده مخافة عقابه لا يقال انه غفر لسيده والرحمة ان يميل الى المرحوم بالاحسان اليه بمجرد عجز المرحوم من غير توقع عوض من قبله فاذا ذكرت المغفرة قبل الرحمة يكون المعنى انه ستر عيبه ثم رآه مفلسا عاجزا فرحمه واعطاه ما كفاه ولما كان هذا المعنى غير مناسب في هذا المقام الا وجه لان يحمل الكلام على انه تعالى غفور للمخطئ متفضل عليه بعد ستر خطائه بالاحسان الزائد على المغفرة فلذلك جعل ذكر الرحمة للاشارة الى علة عفوه عن المخطئ وهو الاحسان اليه بناء على عجزه من الاحتراز عما ارتكبه لنسيانه او لسبق لسانه ﴿ قوله وعند ابى حنيفة يوجب عتق مملوكه ﴾ سواء كان المملوك معروف النسب او مجهوله وسواء كان اصغر سنا من المتبنى بحيث يولد مثله لمثله اولا وعند صاحبيه لا يعتق اذا كان المملوك اكبر سنا من المتبنى ووافقهما الامام الشافعى في هذه المسئلة ﴿ قوله منزلات منزلتهن ﴾ يعنى انه من باب التشبيه البليغ حذفت فيه اداة التشبيه للمبالغة ووجه الشبه وجوب تعظيمهن وحرمة نكاحهن قال تعالى ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا وهن فيما وراء ذلك كالاجانب وليس المراد التشبيه في جميع احكام الامهات الا ترى ان النظر اليهن والخلوة بهن حرام كما في الاجانب قال تعالى واذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب ولا يقال لبناتهن هن اخوات المؤمنين الا ترى انه عليه الصلاة والسلام زوج بناته لعلىّ وذى النورين رضى الله عنهم اجمعين ولا يقال ايضا لاخوتهن واخواتهن اخوال المؤمنين وخالاتهم حتى تزوج الزبير اسماء بنت ابى بكر وهى اخت ام المؤمنين عائشة رضى الله عنها وهذا معنى ما روى مسروق ان امرأة قالت لعائشة رضى الله عنها يا امه فقالت لست لك بام انما انا ام رجالكم فتبين ان معنى الآية التشبيه في بعض الاحكام وهو كونهن محرمات على الرجال كحرمة امهاتهم ﴿ قوله وهو نسخ لما كان في صدر الاسلام ﴾ وهو ان يكون التوارث مبنيا على كون المتوارثين متوافقين في الهجرة او في التعاون والتناصر في الدين فمن وجد فيه هذه الصفة وان كان من الاجانب يرجح على القريب المؤمن الذى لم توجد فيه هذه الصفة ويقصد بذلك تألف قلوبهم على التناصر في الدين وتحمل مشاق الهجرة كما تألف قلوب قوم باعطائهم سهما من الصدقات ثم نسخ ذلك بقوة الاسلام وكثرة اهله كان الناس في اول الاسلام يتوارثون بالهجرة لكونها من آكد اسباب الديانة والمواخاة اذ هى اجتماع على نصرة دين الله تعالى ثم بعد

ذلك توارثوا بالايمان مع القرابة لكون ذلك اجتماعا على نصرة الدين بجمع الله تعالى ﴿ قوله او فيما فرض الله تعالى ﴾ على ان الكتاب مصدر بمعنى المكتوب وهو المفروض من كتب اذا فرض واوجب * الجوهرى الكتاب الفرض والحكم والقدر قال تعالى كتاب الله عليكم اى فرض الله تعالى عليكم فرضا وقوله فى كتاب الله يجوز ان يتعلق باولى لان افعل التفضيل يعمل فى الظرف ويجوز ان يتعلق بمحذوف على انه حال من الضمير فى اولى والعامل فيه معنى اولى وقوله من المؤمنين يجوز فيه وجهان احدهما ان تكون كلمة من بيانية جئ بها بيانا لاولى الارحام والمعنى واولوا الارحام الذين هم المؤمنون والمهاجرون اولى بالميراث من الاجانب فتكون صلة افعل محذوفة وثانيهما ان من فيه هى التى تجر المفضول كالتى فى قولك زيد افضل من عمرو والمعنى واولوا الارحام اولى بالميراث من المؤمنين والمهاجرين الاجانب وقوله الا ان تفعلوا يجوز ان يكون استثناء متصلا بان يكون استثناء من اعم ما يقدر الاولوية فيه من النفع كانه قيل القريب اولى فى كل نفع من ميراث وهبة وصدقة وهدية ونحو ذلك الا فى الوصية فان المراد بالمعروف هنا الوصية فالاجنبى احق بالوصية من القريب فان القريب لا يستحق شيأ من تركة الميت بجهة الوصية وانما يستحقه بجهة الارث وذلك ان الله تعالى لما نسخ التوارث بالولاية فى الدين والهجرة اباح ان يوصى لمن يتولونه ما احب من الثلث ويجوز ان يكون استثناء منقطعا بناء على ان المراد بما فيه من الاولوية هو التوارث فيكون الاستثناء من خلاف الجنس المدلول عليه بفحوى الكلام ومعناه كانه قيل لا تورثوا غير اولى الارحام لكن فعلكم الى اوليائكم معروفا جائز وهو ان توصوا لمن احببتم من هؤلاء بشئ فيكون له ذلك بالوصية لا بالميراث وعدى تفعلوا بالى لانه فى معنى تسدوا وتزلوا اى تفعلوا وتسوقوا وفى الحديث من ازلت اليه نعمة فليشكرها ﴿ قوله كان ما ذكر فى الآيتين ﴾ جعل ذلك اشارة الى ما ذكر فى قوله تعالى ادعوهم لآبائهم وفى قوله النبى اولى بالمؤمنين تحقيقا وتقريرا لمضمونهما ولو جعل اشارة الى نسخ التوارث بالهجرة والولاية وجعل منوطا بالرحم والقرابة لكان له وجه ظاهر ثم انه تعالى لما اكد ما ذكره فى الآيتين ذكر ان المقصود من بعثة الانبياء واخذ عهودهم بتبليغ الرسالة والدعاء الى الدين القويم ان يسأل الصادقين عن صدقهم والكاذبين عن كذبهم فيجازى كل فريق بما يستحقه تحريضا للمكلفين على قبول احكامه فقال واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم والمراد بالميثاق المأخوذ منهم ارسالهم وامرهم بتبليغ ما اوحى اليهم اخذ من كل واحد منهم عهده بذلك حين ارسله فسر الصادقين اولا بالانبياء الذين صدقوا الله فى عهدهم وجعل المسئول عنه ما قالوه لقومهم او تصديق القوم اياهم ﴿ قوله لانهم مشاهير ارباب الشرائع ﴾ وآدم عليه الصلاة والسلام وان كان اقدم الانبياء الا ان المقصود الاولى من خلقه عمارة الدنيا ببث الاولاد فيها ونبوته كانت من قبيل ارشاد الآباء الاولاد الى التوحيد وحسن المعاشرة ولهذا لم يكن فى زمانه اهلاك قوم ولا تعذيب بخلاف الانبياء المذكورين فى الآية فانهم اصحاب الكتب والشرائع واولوا العزم من الرسل وقدم النبى صلى الله عليه وسلم لقوله كنت اول النبيين فى الخلق وآخرهم فى البعث وقوله تبكيتا لهم مفعول له لقوله ليسأل الله الانبياء يعنى ان الحكمة فى السؤال مع انه تعالى عالم بانهم صدقوا الله تعالى فيما عاهدوا عليه وبالذى اجاب به قومهم تبكيت قومهم وفسره ثانيا بالمصدقين لهم وبين انهم انما سموا صادقين لان من قال للصادق صدقت كان صادقا فى قوله وفسره ثالثا بالمؤمنين وبين انهم سموا صادقين لانهم صدقوا عهدهم اى صدقوا الله فى عهدهم فحذف الجار كما فى قوله تعالى لقد صدق الله رسوله الرؤيا اى فى الرؤيا وجعل المسئول عنه صدقهم فى عهدهم وشهادتهم التى صدرت عنهم حين اشهدهم على انفسهم فان قولهم بلى شهادة منهم على ربوبية الله تعالى وعهد على الثبات عليها يسألهم الله تعالى عن صدقهم ليدعوا انهم صادقون فتشهد لهم الانبياء بانهم صدقوا عهدهم وشهادتهم فيتبين صدقهم على رؤس الاشهاد فيفوزون بسعادة الابد ولما كان اخذ ميثاق الانبياء مؤديا الى سؤال المؤمنين عن صدقهم فى عهدهم وكان ذلك السؤال مؤديا الى تبين صدقهم بين اهل الموقف وكان تبين ذلك مستلزما بحكم الوعد الالهى لاثابتهم بما لا عين رأت ولا اذن سمعت كان خلاصة الكلام ومدلوله اخذنا منهم ميثاقهم ليسأل الله عن صدق المؤمنين فيتبين صدقهم واذا تبين ذلك اثاب المؤمنين واعد للكافرين فهذا معنى قول المصنف قوله تعالى واعد عطف على ما دل عليه ليسأل وكان اصل الكلام اخذنا ميثاقهم ليسأل المؤمنين عن صدقهم والكافرين عن تكذيبهم فاستغنى عن الثانى بذكر مسببه وهو قوله واعد فان سؤال كل واحد من الفريقين سبب لتبين حاله على رؤس الاشهاد المستلزم لاثابة احدهما وتعذيب الآخر

(فى كتاب الله) فى اللوح او فيما انزل وهو هذه الآية او آية المواريث او فيما فرض الله تعالى (من المؤمنين والمهاجرين) بيان لاولى الارحام او صلة لاولى اى اولوا الارحام بحق القرابة اولى بالميراث من المؤمنين بحق الدين والمهاجرين بحق الهجرة (الا ان تفعلوا الى اوليائكم معروفا) استثناء من اعم ما يقدر الاولوية فيه من النفع والمراد بفعل المعروف التوصية او منقطع (كان ذلك فى الكتاب مسطورا) كان ما ذكر فى الآيتين ثابتا فى اللوح او القرآن وقيل فى التوراة (واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم) مقدر باذكر وميثاقهم عهودهم بتبليغ الرسالة والدعاء الى الدين القويم (ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم) خصهم بالذكر لانهم مشاهير ارباب الشرائع وقدم نبينا تعظيما له (واخذنا منهم ميثاقا غليظا) عظيم الشان او مؤكدا باليمين والتكرار لبيان هذا الوصف (ليسأل الصادقين عن صدقهم) اى فعلنا ذلك ليسأل الله يوم القيامة الانبياء الذين صدقوا عهدهم عما قالوه لقومهم او تصديقهم اياهم تبكيتا لهم او المصدقين لهم عن تصديقهم فان مصدق الصادق صادق او المؤمنين الذين صدقوا عهدهم حين اشهدهم على انفسهم عن صدقهم عهدهم

«قوله عطف على اخذنا» اى مادل عليه اخذنا فان بعثة الرسل واخذ الميثاق منهم بتبليغ الرسالة الى الامم ودعوتهم الى الدين القويم انما هو لاثابة المؤمنين فكأنه قيل ان الله تعالى اكد على الانبياء الدعوة الى دينه لاثابة المؤمنين واعد للكافرين «قوله وكانوا زهاء اثنى عشر الفا» اى قدرها لما ذكر الله تعالى فى اول السورة قوله ولا تطع الكافرين والمنافقين وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا ذكر شأن الكفار والمنافقين مع اهل الاسلام وما يدل على وجوب التوكل على الله وكفايته فى الامور كلها فقال يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله الآية وذكر النعمة شكرها ، وغطفان ابو قبيلة وهو غطفان بن سعد بن قيس عيلان وقيس ابو قبيلة من مضر وهو قيس عيلان والصبا ريح تجيئ من قبل المشرق والدبور من قبل المغرب والشمال السهام العربية وهى مؤنثة لا واحد لها من لفظها «قوله فاخصرتهم» اى ابردتهم والخصر بالتحريك البرد وقد خصر الرجل اذا آلمه البرد فى اطرافه وسفت التراب سفيا اى ذرته وطيرته والذاريات الرياح «قوله فانجاء» اى ازموا النجاء من قولك نجوت نجاء اى اسرعت والهمزة فيه منقلبة عن واو كما فى كساء ، اقبلت قريش فى ايام الخندق فى عشرة آلاف من الاحابيش وهم الجماعات المتفرقة اجتمعوا على امر من بنى كنانة واهل تهامة وقائدهم ابو سفيان وخرج غطفان معهم فى الف ومن تبعهم من اهل نجد وقائدهم عيينة بن حصن وعامر بن الطفيل من هوازن ومعهم يهود قريظة والنضير وحين سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم باقبالهم اشار عليه سلمان رضى الله عنه بحفر الخندق على المدينة ثم خرج فى ثلاثة آلاف من المسلمين وضرب معسكره والخندق بينه وبين العدو وامر بالذرارى والنساء فرفعوا فى الآطام واشتد الخوف ومضى على الفريقين قريب من شهر لا حرب بينهم الا الترامى بالنبل والحجارة حتى انزل الله النصر روى ان شابا قال لحذيفة بن اليمان يا ابا عبد الله هل رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اى والله لقد رأيت قال والله لو رأيناه لحملناه على رقابنا وما تركناه يمشى على الارض وقال له حذيفة يا ابن اخى افلا احدثك عنى وعنه قال بلى قال والله لو رأيتنا يوم الخندق وما بنا من الجهد والجوع والخوف ما لا يعلمه الا الله لما قلت ذلك قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى ما شاء الله من الليل فقال الا رجل يأتينا بخبر القوم يجعله الله رفيقا لى فى الجنة فوالله ما قام منا احد مما بنا من الخوف والجهد والجوع ثم صلى ما شاء الله ثم قال الا رجل يأتينا بخبر القوم يجعله الله رفيقا لى فى الجنة فقال حذيفة فوالله ما قام منا احد مما بنا من الخوف والجهد والجوع فلما لم يقم احد دعانى فلم اجد بدا من اجابته قلت لبيك فقال اذهب فجئنى بخبر القوم ولا تحدثن شيأ حتى ترجع قال فاتيت القوم واذا ريح الله وجنوده تفعل بهم ما تفعل ما تستمسك لهم بناء ولا تثبت لهم نار ولا تطمئن لهم قدر وانى كذلك اذ خرج ابو سفيان من رحله ثم قال يا معشر قريش لينظر احدكم من جليسه قال الراوى يخوفهم ان يكون عليهم عيون من المسلمين قال حذيفة فبدأت بالذى الى جنبى فقلت من انت قال انا فلان ثم دعا ابو سفيان براحلته فقال يا معاشر قريش فوالله ما انتم بدار مقام لقد هلك الخف والحافر واخلفتنا بنو قريظة وهذه الريح لا تستمسك لنا معها شئ ولا تثبت لنا نار ولا تطمئن قدر فارتحلوا فانى مرتحل ثم عمد فركب راحلته وانها لمعقولة ما حل عقالها الا بعد ما ركبها قال فقلت فى نفسى لو رميت عدو الله فقتلته كنت صنعت شيأ فوترت قوسى ثم وضعت السهم فى كبد القوس وانا اريد ان ارميه فاقتله فذكرت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحدثن شيأ حتى ترجع قال فحططت القوس ثم رجعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلى فلما سمع حسى فرج بين رجليه فدخلت تحته وارسل على طائفة من مرطه فركع وسجد ثم قال ما الخبر فاخبرته فقال عليه الصلاة والسلام ، نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور ، فانهزموا بغير قتال كفى الله المؤمنين القتال والحمد لله رب العالمين «قوله الانواع من الظن» يعنى جمع الظن مع انه مصدر حقه ان لا يجمع من حيث انه قصد به ظنون مختلفة ظن كل فريق على حسب اختلاف حالهم قوة وضعفا وتعريف الظنون يحتمل ان يكون للاستغراق مبالغة بمعنى تظنون كل ظن لان كل احد يظن شيأ عند اشتداد الامر ويحتمل ان يكون للعهد اى ظنونهم المعهودة لان المعهود من المؤمن ظن الخير بالله كما قال عليه الصلاة والسلام ، ظنوا بالله خيرا ، ومن الكافر الظن السوء قال تعالى ذلك ظن الذين كفروا «قوله والالف مزيدة فى امثاله» كقوله واطعنا الرسولا وقوله فاضلونا السبيلا قرأ نافع وابن عامر وابو بكر باثبات الالف فيها وصلا ووقفا موافقة للرسم لانهن رسمن فى المصحف بالالف وايضا فان هذه الالف تشبه هاء السكت فى كونها مزيدة لبيان الحركة وهاء السكت تثبت وقفا لحاجة اليها وقد تثبت وصلا اجراء للوصل مجرى

(واعد للكافرين عذابا اليما) عطف على اخذنا من جهة ان بعثة الرسل واخذ الميثاق منهم لاثابة المؤمنين او على مادل عليه ليسأل كأنه قال فاثاب المؤمنين واعد للكافرين (يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود) يعنى الاحزاب وهم قريش وغطفان ويهود قريظة والنضير وكانوا زهاء اثنى عشر الفا (فارسلنا عليهم ريحا) ريح الصبا (وجنودا لم تروها) الملائكة روى انه لما سمع باقبالهم ضرب الخندق على المدينة ثم خرج اليهم فى ثلاثة آلاف والخندق بينه وبينهم ومضى على الفريقين قريب شهر لا حرب بينهم الا الترامى بالنبل والحجارة حتى بعث الله عليهم صبا باردة فى ليلة شاتية فاخصرتهم وسفت التراب فى وجوههم واطفأت نيرانهم وقلعت خيامهم وماجت الخيل بعضها فى بعض وكبرت الملائكة فى جوانب المعسكر فقال طلحة بن خويلد الاسدى اما محمد فقد بدأكم بالسحر فالنجاء النجاء فانهزموا من غير قتال (وكان الله بما تعملون) من حفر الخندق وقرأ البصريان بالياء اى بما يعمل المشركون من التحزب والمحاربة (بصيرا) رائيا (اذ جاؤكم) بدل من اذ جاءتكم (من فوقكم) من اعلى الوادى من قبل المشرق بنو غطفان (ومن اسفل منكم) من اسفل الوادى من قبل المغرب قريش (واذ زاغت الابصار) مالت عن مستوى نظرها حيرة وشخوصا (وبلغت القلوب الحناجر) رعبا فان الرئة تنتفخ من شدة الروع فيرتفع بارتفاعها الى رأس الحنجرة وهى منتهى الحلقوم مدخل الطعام والشراب (وتظنون بالله الظنونا) الانواع من الظن فظن المخلصون الثبت القلوب ان الله منجز وعده فى اعلاء دينه او ممتحنهم فخافوا الزلل وضعف الاحتمال والضعاف القلوب والمنافقون ما حكى عنهم والالف مزيدة فى امثاله تشبيها للفواصل بالقوافى وقد اجرى نافع وابن عامر وابو بكر فيها الوصل مجرى الوقف ولم يزدها ابو عمرو وحمزة ويعقوب مطلقا وهو القياس

(هنالك ابتلي المؤمنون) اختبروا فظهر المخلص من المنافق والثابت من المتزلزل (وزلزلوا زلزالا شديدا) من شدة الفزع وقرئ زلزالا بالفتح (واذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض) ضعف اعتقاد (ما وعدنا الله ورسوله) من الظفر واعلاء الدين (الا غرورا) وعدا باطلا قيل قائله معتب بن قشير قال يعدنا محمد فتح فارس والروم واحدنا لا يقدر ان يتبرز فرقا ما هذا الا وعد غرور (واذ قالت طائفة منهم) يعني اوس بن قيظي واتباعه (يا اهل يثرب) اهل المدينة وقيل هو اسم ارض وقعت المدينة في ناحية منها (لا مقام لكم) لا موضع قيام لكم ههنا وقرأ حفص بالضم على انه مكان او مصدر من اقام (فارجعوا) الى منازلكم هاربين وقيل المعنى لا مقام لكم على دين محمد صلى الله عليه وسلم فارجعوا الى الشرك واسلموه لتسلموا او لا مقام لكم بيثرب فارجعوا كفارا ليمكنكم المقام بها (ويستأذن فريق منهم النبي) الرجوع (يقولون ان بيوتنا عورة) غير حصينة واصلها الخلل ويجوز ان يكون تخفيف العورة من عورت الدار اذا اختلت وقد قرئ بها (وما هي بعورة) بل هي حصينة (ان يريدون الا فرارا) اي ما يريدون بذلك الا الفرار من القتال (ولو دخلت عليهم) دخلت المدينة او بيوتهم (من اقطارها) من جوانبها وحذف الفاعل للايماء بان دخول هؤلاء المتحزبين عليهم ودخول غيرهم من العساكر سيان في اقتضاء الحكم المرتب عليه (ثم سئلوا الفتنة) الردة ومقاتلة المسلمين (لآتوها) لاعطوها وقرأ الحجازيان بالقصر بمعنى لجاؤها وفعلوها (وما تلبثوا بها) بالفتنة او باعطائها (الا يسيرا) ريثما يكون السؤال والجواب وقيل وما لبثوا بالمدينة بعد الارتداد الا يسيرا (ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الادبار) يعني بني حارثة عاهدوا رسول الله يوم احد حين فشلوا ثم تابوا ان لا يعودوا لمثله (وكان عهد الله مسئولا) عن الوفاء به مجازى عليه (قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت او القتل) فانه لا بد لكل شخص من حتف انف او قتل في وقت معين سبق به القضاء وجرى عليه القلم

الوقف فكذلك هذه الالف وقرأ ابو عمرو وحمزة بحذفها في الحالتين لانها لا اصل لها والباقون باثباتها وقفا وحذفها وصلا اجراء للفواصل مجرى القوافي في ثبوت الف الاطلاق كما في قوله

اقلي اللوم عاذل والعتابا ❊ وقولي ان اصبت لقد اصابا

فكما زادوا الالف في القافية زادوها في الفاصلة ايضا تشبيها رؤس الآيات بأواخر الابيات من حيث ان كل واحدة منهما مقطع الكلام ولان هذه الالف كهاء السكت وهي تثبت وقفا وتحذف وصلا فكذا الالف وقوله تعالى هنالك منصوب بابتلي اي في ذلك المكان البعيد وهو الخندق وبعده لكونه موضع الشدة والبلاء او في تلك الحال والزمان على ان يكون هنالك ظرف زمان اختبر المؤمنون اي الذين اظهروا الايمان ليتبين المخلص من المنافق والابتلاء من الله تعالى ليس لابانة الامر له بل لاظهاره لغيره من الملائكة والانبياء كما ان السيد اذا علم من عبده المخالفة وعزم على معاقبته على تمرده وعصيانه وعنده غيره فانه يأمر ذلك العبد بامر بمحضر من عنده عالما بانه يخالفه لكي يتبين الامر عند الغير فتقع المعاقبة على احسن الوجوه حيث لا يذهب وهم احد انه ظلم عبده ﴿ قوله ما هذا الا وعد غرور ﴾ وهو الاطماع فيما لا مطمع فيه وهذا تفسير للظنون وبيان لظن من يرى كثرة العدو وضيق الامر بالمسلمين فيقول لو كان الله يريد ان ينصرهم لما بلغ الامر هذا المبلغ بل الظاهر انه يستأصلهم في هذا الموضع وما وعده الله ورسوله من نصرة المؤمنين واعلاء الدين وفتح مدائن كسرى وقيصر ليس الا وعد غرور وكيف لا ونحن لا نأمن ان نذهب الخلاء روي انه عليه الصلاة والسلام ضرب بالمعول في الخندق ضربات اضاءت له منها قصور الشام واليمن والعراق فبشر بانها ستفتح عليهم وهم حينئذ في جهد شديد وخوف عظيم فقال بعض من المنافقين يعدنا محمد بهذا ونحن لا نستطيع ان نبرز للخلاء ﴿ قوله ضعف اعتقاد ﴾ اشارة الى ان الذي مرض غير المنافقين لان المنافق كافر لا اعتقاد له بخلاف الذين في قلوبهم مرض فانهم مؤمنون معتقدون الا انهم ضعاف القلوب واليقين لا بصيرة لهم في الدين فالمؤمنون الذين اظهروا الايمان ثلاثة اقسام المخلصون الثبت القلوب وضعاف القلوب والمنافقون ﴿ قوله فارجعوا الى منازلكم هاربين ﴾ وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج مع اصحابه يوم الخندق حتى جعلوا ظهورهم الى سلع جبل بالمدينة والخندق بينهم وبين القوم فقال هؤلاء المنافقون الذين يئسوا من نصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس لكم ههنا موضع قيام لكثرة العدو وغلبتهم فارجعوا الى منازلكم ولا مقام لكم على دين الاسلام فارجعوا الى الشرك واسلموا الرسول عليه الصلاة والسلام اي اجعلوه مخذولا يقال اسلمه اي خذله ولا مقام لكم بيثرب ما دمتم على الاسلام ﴿ قوله واصلها الخلل ﴾ الجوهري العورة كل خلل يتخوف منه في ثغر او حرب وعورات الجبال شقوقها والعورة بكسر الواو صفة مشبهة يقال عور المنزل يعور عورا وعورة وجعله تخفيف عورة ﴿ قوله دخلت المدينة او بيوتهم ﴾ وهم فيها من قولك دخلت على فلان داره فالرجل مدخول عليه والدار مدخولة وهي في الحقيقة مدخول فيها لان الدار ونحوها من الظروف المحدودة لا تقبل النصب بتقدير في بل لا بد من التصريح بكلمة في الا ان ما بعد دخلت حمل على المكان المبهم توسعا والمقصود ان دخلت فعل ماض مبني للمفعول والقائم مقام الفاعل المنوي فيه راجع الى المدينة او الى البيوت والاصل ولو دخل الاحزاب المدينة او البيوت عليهم اي وهم فيها الا انه حذف الفاعل وبني الفعل للمفعول للايماء بانه ليس المقصود بيان خصوص الفاعل بل المقصود بيان الحكم المرتب على الدخول من الفتنة وهي الشرك والكفر في قول الجميع كما في قوله تعالى حتى لا تكون فتنة والمعنى فلو دخلت البيوت او المدينة من جميع نواحيها ثم سئل اهلها الفتنة لم يمتنعوا من اعطائها ولو كانوا على معاندة المشركين وموافقة المؤمنين اعتقادا واخلاصا وكان استئذانهم في الرجوع لمجرد حفظ البيوت لأبوا من المسارعة الى اجابة المشركين في سؤال الارتداد والكفر بعدما فات عنهم حفظ البيوت لان من فعل فعلا لغرض لا يفعله بعد فوت ذلك الغرض ولو كانوا صادقين في قولهم ان رجوعنا عنك لحفظ بيوتنا لما رجعوا عنه بعدما سقطت الاحزاب على بيوتهم واخذوها وليس كذلك فانها لو دخلوها الاحزاب واخذوها منهم لرجعوا عنك ايضا فليس رجوعهم عنك الا بسبب كفرهم وحبهم الفتنة ﴿ قوله ريثما يكون السؤال ﴾ تفسير ليسيرا اي مقدارا من الزمان يقع فيه السؤال والجواب وهو مصدر راث على خبرك يريث ريثا اي ابطأ وما مصدرية وكان تامة فالمعنى زمان حصول السؤال والجواب ﴿ قوله من حتف انف ﴾ الحتف الموت يقال مات فلان حتف انفه اذا مات من غير قتل ولا ضرب ولا غرق منه

(فعل)

قيل ثم انه تعالى لما هددهم بقوله وكان عهد الله مسئولا اى مسئولا عنه اخبران الفرار لايزيد فى آجالهم وان الامور مقدرة لايمكن الفرار مما قدره الله تعالى لانه كائن لامحالة وان فررتم فغنم بتأخر الاجل فليس ذلك لنفع الفرار فى تأخيره بل ذلك لعدم تمام المدة المقدرة للحياة فلا تمتعون بعد الفرار الا لاستيفاء مدة آجالكم لان ماهو آت قليل وماهو آت قريب ﴿قوله اى وان نفعكم الفرار﴾ اشارة الى ان فى الكلام حذفا وان اذا جواب وجزاء لذلك المحذوف ثم لما بين ان الفرار من قدرة الله تعالى لاينفع الفار علله بانه تعالى ينفذ ارادته لامحالة فلا يوجد من ينازعه فى نفاذ ارادته فكيف ينفع الفرار فقال قل من ذا الذى يعصمكم من الله اى من عذاب الله تعالى والمعنى من ذا الذى يمنعكم من الله ان ارادبكم سوءا كالهزيمة والمغلوبية او ارادبكم رحمة كالنصرة والغلبة ولما وردان يقال عطف قوله او ارادبكم رحمة على قوله ان ارادبكم سوءا يستلزم ان يكون المعنى من ذا الذى يعصمكم من رحمة الله ان ارادبكم رحمة والعصمة لاتكون من الرحمة ولاتكون الامن السوء اشار الى الجواب عنه بقوله او يصيبكم بسوء ان ارادبكم رحمة يعنى ان الكلام من قبيل ماحذف فيه المعطوف مع ابقاء العاطف كما فى قوله

ياليت زوجك فى الوغى ۞ متقلدا سيفا ورمحا

اى وحاملا رمحا لان الرمح لايتقلده المرء واجاب ثانيا بانا سلمنا ان قوله او اراد بكم رحمة معطوف على المذكور قبله لكن لانسلم انه باطل لان المعنى من ذا الذى يمنعكم من الله ان اراد بكم سوءا او رحمة وقوله تعالى ولايجدون لهم من دون الله وليا ولانصيرا تقرير لقوله من ذا الذى يعصمكم من الله اى ليس لكم قريب ينفعكم ولانصير ينصركم ويدفع عنكم السوء اذا اتاكم ثم انه تعالى هدد المعوقين الذين يخوفون من كان فى معسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقولون مامحمد واصحابه الا أكلة رأس يبتلعهم ابوسفيان وحزبه برمة فخلوه وتعالوا الينا يقال عاقه اذا صرفه عن الوجه الذى يريده ونقل الى بناء التفعيل للتكرير والتكثير وثبطه عن الامر اى شغله عنه قال مقاتل المعوقون هم المنافقون والقائلون هم اليهود ارسلوا الى اخوانهم من المنافقين ايام الخندق يخوفونهم بابى سفيان ومن معه ويقولون لهم تعالوا الينا وماالذى يحملكم على قتل انفسكم بيدى ابى سفيان ومن معه فانهم ان قدروا عليكم هذه المرة لم يستبقوا منكم احدا وقيل المعوقون طائفة من المنافقين والقائلون لاخوانهم طائفة اخرى منهم تخوف كل واحدة منهما المؤمنين من حرب ابى سفيان واصحابه لكثرتهم وقلة المؤمنين وفى تقرير المصنف نوع اشارة الى ان المراد منهما طائفة من المنافقين وان عطف احدهما على الآخر من قبيل عطف الصفات كما فى قوله

الى الملك القرم وابن الهمام ۞ وليث الكتيبة فى المزدحم

وقوله من ساكنى المدينة بيان لقوله لاخوانهم نبه به للدلالة على ان المراد بالاخوة الاشتراك فى سكنى المدينة والا فالمعوقون هم المنافقون والمراد باخوانهم جماعة الانصار الذين هم بمعزل عن النفاق فانه قد روى ان عبدالله ابن ابى واصحابه اقبلوا على المؤمنين يعوقونهم ويخوفونهم بابى سفيان وبمن معه قالوا لئن قدروا عليكم لم يستبقوا منكم احدا ماترجون من محمد ماعنده خير ماشأنه الا ان يقتلنا ههنا انطلقوا بنا الى اخواننا يعنى اليهود فلم يزدد المؤمنون بقول المنافقين الا ايمانا واحتسابا ﴿قوله وقد ذكر اصله فى الانعام﴾ فى تفسير قوله قل هلم شهداءكم اى احضروهم وهو اسم فعل لايتصرف عند اهل الحجاز وفعل يؤنث ويجمع عند بنى تميم فيقال للجماعة هلموا وللنساء هلممن واصله عند البصريين هالم من لم اى قصد حذفت الالف لتقدير السكون فى اللام فانه الاصل فيها وعند الكوفيين هل ام فحذفت الهمزة بالقاء حركتها على اللام وهو بعيد لان هل لاتدخل الامر ويكون متعديا كما فى هذه الآية ولازما كما فى قوله هلم الينا هذا ماذكره المصنف فى سورة الانعام الا ان كلامه فى هذه السورة يدل على انه متعد فى هذه السورة ايضا وحذف مفعوله وهو انفسكم ﴿قوله فانهم يعتذرون ويثبطون﴾ يعنى ان هؤلاء القائلين لاخوانهم لايخرجون مع المؤمنين ولايأتون موضع الحرب الا قليلا ويجمعون بين الوصفين ما امكن لهم فهم مثبطون لغيرهم ومتخلفون فى اكثر الاحوال بانفسهم يتعللون فى الاشتغال عن القتال وقت حضورهم مع المؤمنين ﴿قوله جمع شحيح﴾ على غير القياس لان قياس الذى عينه ولامه من جنس واحد ان يجمع على افعلاء نحو خليل واخلاء وعزيز واعزاء وشحيح واشحاء وقد سمع اشحاء وهو القياس لما وصفهم الله تعالى بالبخل وصفهم بالجبن ايضا فقال فاذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون اليك فقوله ينظرون حال من مفعول رأيتهم

(واذا لاتمتعون الا قليلا) اى وان نفعكم الفرار مثلا فمتعتم بالتأخير لم يكن ذلك التمتع الا تمتعا او زمانا قليلا (قل من ذا الذى يعصمكم من الله ان ارادبكم سوءا او اراد بكم رحمة) اى او يصيبكم بسوء ان ارادبكم رحمة فاختصر الكلام كما فى قوله متقلدا سيفا ورمحا او حمل الثانى على الاول لمافى العصمة من معنى المنع (ولايجدون لهم من دون الله وليا) ينفعهم (ولانصيرا) يدفع الضر عنهم (قديعلم الله المعوقين منكم) المثبطين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم المنافقون (والقائلين لاخوانهم) من ساكنى المدينة (هلم الينا) قربوا انفسكم الينا وقد ذكر اصله فى الانعام (ولا يأتون البأس الا قليلا) الا اتيانا او زمانا او بأسا قليلا فانهم يعتذرون ويثبطون ماامكن لهم او يخرجون مع المؤمنين ولكن لايقاتلون الا قليلا لقوله وماقاتلوا الا قليلا وقيل انه من تتمة كلامهم ومعناه ولايأتى اصحاب محمد حرب الاحزاب ولايقاومونهم الا قليلا (اشحة عليكم) بخلاء عليكم بالمعاونة او النفقة فى سبيل الله او الظفر والغنيمة جمع شحيح ونصبها على الحال من فاعل يأتون او المعوقين او على الذم (فاذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون اليك تدور اعينهم) فى احداقهم (كالذى يغشى عليه) كنظر المغشى عليه او كدوران عينه او مشبهين به او مشبهة بعينه (من الموت) من معالجة سكرات الموت خوفا ولو اذا بك

لان الرؤية بصرية و تدور اما حال ثانية و اما حال من فاعل ينظرون و قوله كالذى اما صفة بتقدير المضاف اما المصدر ينظرون او لمصدر تدور المحذوفين اى ينظرون اليك نظرا كنظر الذى او تدور اعينهم كدوران عين الذى و اما حال من فاعل ينظرون او من اعينهم مشبهين بالذى او مشبهة بعين الذى قرب من حالة الموت و غشيته سكراته فذهب عقله و شخص بصره فلا تطرف كذلك هؤلاء تشخص ابصارهم و تحار اعينهم لما لحقهم من الخوف و ينظرون اليك بهذه الهيئة لو اذا لك اى التجاء اليك و عياذا يقال لاذ به اى لجأ اليه و عاذ به ﴿قوله ضربوكم﴾ اى آذوكم و رموكم فى حالة الامن و الحداد جمع حديد يقال سلقه بالكلام سلقا اذا آذاه و هو شدة القول باللسان و الذرب الحادة من كل شئ عن قتادة قال بسطوا السنتهم فيكم وقت قسمة الغنيمة يقولون اعطونا فانا شهدنا معكم القتال و بمكاننا غلبتم عدوكم و بنا نصرتم عليه و لستم احق بالغنيمة منا فاهم عند قسمة الغنيمة اشح قوم و عند البأس اجبن قوم ﴿قوله لان كلا منهما مفيد من وجه﴾ فان المراد بالاول الشح بمعاونة المؤمنين و نصرتهم او الشح بالانفاق فى سبيل الله او بنفقة المؤمنين و بالثانى الشح على الخير اى المال و الغنيمة و الثانى حال من فاعل سلقوكم و لما كان الاحباط يتعلق بالعمل المعتبر شرعا و من لم يكن مخلصا فى ايمانه لا تعتبر اعماله شرعا لابطانه الكفر فى قلبه فلا يلحقها الاحباط و الابطال اوّل قوله تعالى فاحبط الله اعمالهم بوجهين * مبنى الاول ان يراد بالاعمال ما يكون على صورة الطاعة و القربة و احباطه اظهار بطلانه و بيان انه لا حكم له و لا اثر فان الاحباط عبارة عن الاعدام و الاهدار و الاعمال لكونها من قبيل الاعراض معدومة فى انفسها و بقاؤها انما هو ببقاء حكمها و آثارها و ما كان منها مقرونا بالكفر و النفاق لا يكون له فائدة و اعتبار فهو معدوم حقيقة و حكما فقوله تعالى فاحبط الله اعمالهم معناه فاظهر الله تعالى كونها ضائعة لا فائدة لها * و مبنى الثانى ان لا يكون المراد باعمالهم ما عملوه تصنعا و نفاقا حتى يقال انه لا اعتبار لها و لا فائدة فى اصل حدوثها فكيف يلحقها الاحباط بل المراد بها نفس تصنعهم و نفاقهم فانهم ارادوا به ان يحصل لهم بذلك قدر و جاه عند المؤمنين فاحبط الله ذلك التصنع حيث لم يترتب عليه ما ارادوا به ﴿قوله ففروا الى داخل المدينة﴾ عطف على يظنون و لفظ الماضى للبالغة فى بيان جبنهم فكان طائفة منهم فروا عقيب انهزام الاحزاب بناء على ظن انهم لم يذهبوا او لم ينهزموا ﴿قوله تعالى بادون﴾ جمع باد و هو المقيم بالبادية يقال بدا يبدو بداوة اذا خرج الى البادية و قوله يسألون يجوز ان يكون مستأنفا و ان يكون حالا من فاعل يحسبون و العامة على سكون السين بعدها همزة و نقل عن ابى عمرو و عاصم نقل حركة الهمزة الى السين و حذفها كقوله سل بنى اسرائيل و قرئ يساءلون بتشديد السين و الاصل يتساءلون فادغم اى يسأل بعضهم بعضا عن الخبار اى عن اخبار محمد و اصحابه و ما فعل بهم فيعرفون حالكم لا بالمشاهدة ﴿قوله خصلة حسنة من حقها ان يؤتسى بها﴾ اشارة الى ان الاسوة بكسر الهمزة و ضمها و ان كان اسما موضوعا موضع المصدر و هو الائتساء بمعنى الاقتداء الا انه استعمل ههنا بمعنى ما من حقه ان يؤتسى به قرأ عاصم اسوة بضم الهمزة حيث وقعت هذه اللفظة و الباقون بكسرها و هما لغتان كالقدوة و القدوة لفظا و معنى يقال ائتسى فلان بفلان اى اقتدى به و ظاهر المفهوم لقد كان لكم فيه قدوة اى اقتداء و المراد لقد كان لكم فيه ما من حقه ان يقتدى به و اسوة اسم كان و فى الخبر وجهان احدهما هو لكم و فى رسول الله متعلق بما تعلق به لكم او بمحذوف على انه حال من اسوة اذ لو تأخر لكان صفة و ثانيهما ان الخبر هو فى رسول الله و لكم على ما تقدم فى رسول الله صلى الله عليه و سلم ﴿قوله او هو فى نفسه قدوة﴾ على ان تكون كلمة فى تجريدية و تجرد من نفسه الزاكية ما هو قدوة كما فى قوله تعالى لكم فيها دار الخلد مع ان الجنة فى نفسها دار الخلد جرد منها اخرى مثلها فى كونها دار الخلد و المراد بالاسوة الحسنة الثابتة فى رسول الله عليه الصلاة و السلام الثبات فى الحرب و نصرة دين الله و الصبر على ما يصيبه من الشدآئد و المكاره كما فعل عليه الصلاة و السلام اذ كسرت رباعيته و جرح وجهه الكريم و قتل عمه و اوذى بضروب من الاذى فواساكم مع ذلك كله بنفسه فافعلوا انتم كذلك فى نصرة دينه و اظهار شرعه و استنوا بسنته ﴿قوله اى ثواب الله﴾ احتيج الى تقدير المضاف لان الذات من حيث انه ذات لا يؤمل و لا يخاف فلا يتعلق به الرجاء سوآء بمعنى الامل او الخوف فان كان المقدر ثوابه او لقاءه او ما عنده للمتقين من نعيم الآخرة يكون الرجاء بمعنى الامل و ان كان التقدير يرجو ايام الله اى شدآئده يكون عطف اليوم الآخر عليه من قبيل عطف الخاص على العام و يكون الرجاء بمعنى الخوف ﴿قوله و قيل هو كقولك﴾ فى ان عطف اليوم الآخر على الجلالة و ان ذكر الجلالة تمهيد لما ذكر الله بعده من تفسير المبهم و تفصيل المجمل فان الذات من حيث انها ذات لا

(فاذا ذهب الخوف) و حيزت الغنائم (سلقوكم) ضربوكم (بالسنة حداد) ذربة يطلبون الغنيمة و السلق البسط بقهر باليد او باللسان (اشحة على الخير) نصب على الحال او الذم و يؤيده قرآءة الرفع و ليس بتكرير لان كلا منهما مفيد من وجه (اولئك لم يؤمنوا) اخلاصا (فاحبط الله اعمالهم) فاظهر بطلانها اذ لم يثبت لهم اعمال فتبطل او ابطل تصنعهم و نفاقهم (و كان ذلك) الاحباط (على الله يسيرا) هينا لتعلق الارادة به و عدم ما يمنعه عنه (يحسبون الاحزاب لم يذهبوا) اى هؤلاء لجبنهم يظنون ان الاحزاب لم ينهزموا و قد انهزموا ففروا الى داخل المدينة (و ان يأت الاحزاب) كرة ثانية (يودوا لو انهم بادون فى الاعراب) تمنوا انهم خارجون الى البدو و حاصلون بين الاعراب (يسألون) كل قادم من جانب المدينة (عن انبائكم) عما جرى عليكم (و لو كانوا فيكم) هذه الكرة و لم يرجعوا الى المدينة و كان قتال (ما قاتلوا الا قليلا) رياء و خوفا من التعيير (لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة) خصلة حسنة من حقها ان يؤتسى بها كالثبات فى الحرب و مقاساة الشدآئد او هو فى نفسه قدوة يحسن التأسى به كقولك فى البيضة عشرون منا حديدا اى هى فى نفسها هذا القدر من الحديد و قرأ عاصم بضم الهمزة و هو لغة فيه (لمن كان يرجو الله و اليوم الآخر) اى ثواب الله او لقاءه و نعيم الآخرة او ايام الله و اليوم الآخر خصوصا و قيل هو كقولك ارجو زيدا و فضله فان اليوم الآخر داخل فيها بحسب الحكم و الرجاء يحتمل الامل و الخوف و لمن كان صلة لحسنة او صفة لها و قيل بدل من لكم

(تعلق)

يتعلق بها الرجاء كان كقولك رجوت زيدا مشتملا على نوع من الاجمال والابهام فى الدلالة على المعنى المراد فازيل ذلك الابهام بالعطف فكان معنى الآية لمن كان يرجو ثواب الله الا انه وضع اليوم الآخر موضع ثوابه لان ثواب الله تعالى يقع فيه فعبر به عن الثواب الواقع فيه على طريق اطلاق اسم المحل على الحال وعليه قوله تعالى واما الذين ابيضت وجوههم ففى رحمة الله اى فى الجنة وقوله لمن كان متعلق بنفس حسنة او بمحذوف على انه صفة لحسنة اى حسنة كائنة لمن كان ﴿ قوله والاكثر على ان ضمير المخاطب لايبدل منه ﴾ اى لايبدل منه الظاهر بدل الكل قال ابن الحاجب ولايبدل ظاهر من مضمر بدل الكل الامن ضمير الغائب نحو ضربته زيدا وهو مذهب جمهور البصريين واجازه الكوفيون والاخفش تمسكا بقوله

* بكم قريش كفينا كل معضلة * وأم نهج الهدى من كان ضليلا *

والظاهر ان مقصود المصنف الاعتراض على صاحب الكشاف حيث جعله بدلا من ضمير المخاطب باعادة الجار الا انه انما يتجه على تقدير ان يجعل بدل الكل من الكل وليس بلازم لجواز ان يكون المراد انه بدل بعض من كل لان المخاطب بقوله لكم اعم مما كان يرجو الله وغيره وخصص ذلك العموم بابدال قوله لمن كان يرجو الله من لكم كقوله تعالى للذين استضعفوا لمن آمن منهم ولايلزم ان يكون مراده التشبيه فى كونه بدل الكل من الكل لجواز ان يكون مراده تشبيهه فى ان الظاهر بدل من المجرور باعادة الجار فلا يتوجه عليه اعتراض المصنف ﴿ قوله كثيرا ﴾ صفة مصدر محذوف اى ذكرا كثيرا ثم انه تعالى لما ذكر احوال المنافقين والذين فى قلوبهم مرض ضعف اليقين وصف حال المؤمنين الخلص حين لقاء الاحزاب فقال ولما رأى المؤمنون الاحزاب قالوا هذا الخطب او هذا البلاء ما وعدنا الله تعالى فى سورة البقرة بقوله ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله الا ان نصر الله قريب وعد الله المؤمنين بهذه الآية ان يزلوا الكفار ويخوفهم تخويفا شديدا ووعد ايضا ان يكونوا منصورين عليهم فلما رأوهم قالوا هذا ما وعدنا الله على لسان رسوله وكذا وعدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بمضمون هذه الآية فقال ان الاحزاب سائرون اليكم تسعا او عشرا اى آخر تسع ليال او عشر فلما رأوهم قد اقبلوا للميعاد قالوا ذلك وما زادهم ما رأوه او مجيئهم الا ايمانا اى تصديقا بوعد الله وتسليما لامره وقضائه ﴿ قوله كحمزة ومصعب ﴾ روى ان الآية نزلت فى عثمان بن عفان وطلحة بن عبد الله وحمزة ومصعب بن عمير وغيرهم رضوان الله عليهم اجمعين فمن قضى منهم نحبه حمزة ومصعب وانس بن النضر ومن ينتظر عثمان وطلحة وفى الحديث من احب ان ينظر الى شهيد يمشى على وجه الارض فلينظر الى طلحة لانه طعن كثيرا ﴿ قوله فقال عليه الصلاة والسلام اوجب طلحة ﴾ اى اوجب لنفسه الجنة لانه وقى النبى صلى الله عليه وسلم فصارت يده شلاء بذلك فاستحق الجنة بسببه ﴿ قوله من صدقنى اذا قال لك الصدق ﴾ اعلم ان صدق يتعدى الى اثنين الى احدهما بنفسه والى الثانى بحرف الجر ويجوز حذفه ومنه المثل صدقنى سن بكره اى فى سن بكره وقوله تعالى صدقوا ما عاهدوا الله عليه يجوز ان يكون من هذا القبيل والمعنى صدقوا الله فيما عاهدوا الله عليه واليه اشار المصنف بقوله وان المعاهد اذا وفى بعهده فقد صدق فيه ويحتمل ان يكون قوله ما عاهدوا الله عليه هو الذى عدى اليه الفعل بنفسه كالذى فى قولك صدقنى زيد وكذبنى عمرو اى قال لى الصدق وقال لى الكذب ويكون المعاهد عليه مصدوقا مجازا كأنهم قالوا للمتمنى المعاهد عليه لنوفين بك وقد فعلوا فيكون ما بمعنى الذى فلذلك عاد اليه الضمير فى عليه وقوله تعالى وصدق الله ورسوله من تكرير الظاهر تعظيما ولانهما لو اعادهما مضمرين وقال وقد صدقا لزم ان يجمع بين اسم البارى واسم رسوله فى لفظة واحدة وقد شنع عليه الصلاة والسلام على من قال من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى فقال له بئس لخطيب القوم انت قل ومن يعص الله ورسوله فقد غوى قصدا الى تعظيم الله تعالى ﴿ قوله وظهر صدق خبر الله ﴾ لما كان الصدق من اوصاف الخبر وان صدق المتكلم عبارة عن صدقه فيما اخبر به وجب ان تأول الآية اما بتقدير المضاف او بتقدير ما يعدى اليه صدق المتكلم بكلمة فى ﴿ قوله تعليل للمنطوق ﴾ وهو عدم تبديل المؤمنين الذين صدقوا فيما عاهدوا الله عليه والمعرض به وهو تبديل اهل النفاق ومرض القلب وهذا القول منه اشارة الى جواب ما يقال كون عدم تبديل العهد مؤديا الى جزائهم بصدقهم ظاهر فيصح تعليله بقوله ليجزى الله الصادقين ولايصح ان يكون سببا مؤديا الى عذاب المنافقين

والاكثر على ان ضمير المخاطب لايبدل منه (وذكر الله كثيرا) وقرن بالرجاء كثرة الذكر المؤدية الى ملازمة الطاعة فان المؤتسى بالرسول من كان كذلك (ولما رأى المؤمنون الاحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله) بقوله تعالى ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم الآية وقوله عليه الصلاة والسلام سيشتد الامر باجتماع الاحزاب عليكم والعاقبة لكم عليهم وقوله عليه الصلاة والسلام انهم سائرون اليكم بعد تسع او عشر (وصدق الله ورسوله) وظهر صدق خبر الله ورسوله او صدقا فى النصرة والثواب كما صدقا فى البلاء واظهار الاسم للتعظيم (وما زادهم) فيه ضمير لما رأوا او الخطب او البلاء (الا ايمانا) بالله ومواعيده (وتسليما) لاوامره ومقاديره (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه) من الثبات مع الرسول والمقاتلة لاعلاء الدين من صدقنى اذا قال لك الصدق فان المعاهد اذا وفى بعهده فقد صدق فيه (فمنهم من قضى نحبه) نذره بان قاتل حتى استشهد كحمزة ومصعب بن عمير وانس ابن النضر والنحب النذر استعير للموت لانه كنذر لازم فى رقبة كل حيوان (ومنهم من ينتظر) الشهادة كعثمان وطلحة (وما بدلوا) العهد ولا غيروه (تبديلا) شيأ من التبديل روى ان طلحة ثبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد حتى اصيبت يده فقال عليه الصلاة والسلام اوجب طلحة وفيه تعريض لاهل النفاق ومرض القلب بالتبديل وقوله (ليجزى الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين ان شاء او يتوب عليهم) تعليل للمنطوق والمعرض به

فكأن المنافقين قصدوا بالتبديل عاقبة السوء كما قصد المخلصون بالثبات والوفاء العاقبة الحسنى والتوبة عليهم مشروطة بتوبتهم او المراد به التوفيق للتوبة (ان الله كان غفورا رحيما) لمن تاب (ورد الله الذين كفروا) يعني الاحزاب (بغيظهم) متغيظين (لم ينالوا خيرا) غير ظافرين وهما حالان بتداخل او بتعاقب (وكفى الله المؤمنين القتال) بالريح والملائكة (وكان الله قويا) على احداث ما يريده (عزيزا) غالبا على كل شئ (وانزل الذين ظاهروهم) ظاهروا الاحزاب (من اهل الكتاب) يعني قريظة (من صياصيهم) من حصونهم جمع صيصة وهي ما يتحصن به ولذلك يقال لقرن الثور والظبي وشوكة الديك (وقذف في قلوبهم الرعب) الخوف وقرئ بالضم (فريقا تقتلون وتأسرون فريقا) وقرئ بضم السين روى ان جبرائيل اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم صبيحة الليلة التي انهزم فيها الاحزاب فقال أتنزع لامتك والملائكة لم يضعوا السلاح ان الله يأمرك بالمسير الى بني قريظة وانا عامد اليهم فاذن في الناس ان لا يصلوا العصر الا ببني قريظة فحاصرهم احدى وعشرين او خمسا وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار فقال لهم تنزلون على حكمي فابوا فقال على حكم سعد بن معاذ فرضوا به فحكم سعد بقتل مقاتليهم وسبي ذراريهم ونسائهم فكبر النبي صلى الله عليه وسلم وقال حكمت بحكم الله فوق سبعة ارقعة فقتل منهم ستمائة او اكثر واسر منهم سبعمائة (واورثكم ارضهم) مزارعهم (وديارهم) حصونهم (واموالهم) نقودهم ومواشيهم واثاثهم روى انه عليه الصلاة والسلام جعل عقارهم للمهاجرين فتكلم فيه الانصار فقال انكم في منازلكم فقال عمر اما تخمس كما خمست يوم بدر فقال لا انما جعلت هذه لي طعمة (وارضا لم تطؤها) كفارس والروم وقيل خيبر وقيل كل ارض تفتح الى يوم القيامة (وكان الله على كل شئ قديرا) فيقدر على ذلك (يا ايها النبي قل لازواجك ان كنتن تردن الحيوة الدنيا) السعة والتنعم فيها (وزينتها) وزخارفها (فتعالين امتعكن) اعطكن المتعة

فكيف قيل ويعذب المنافقين عطفا على يجزي فلا اعتبر في الكلام منطوقا ومعرضا به وجعل الاول علة للمنطوق والثاني للمعرض به اندفع الاشكال فان تبديل اهل النفاق مذكور بطريق التعريض من حيث ان الكلام في قوة ان يقال وما بدلوا كتبديل اهل النفاق ﴿ قوله فكأن المنافقين الخ ﴾ اشارة الى جواب ما يقال تعذيب اهل النفاق كيف يكون علة حاملة لهم على التبديل ومن المعلوم انهم ما قصدوا بالتبديل ان يعذبوا وتقرير الجواب ان العاقبة المترتبة على التبديل شبهت بالغرض والعلة الحاملة فاستعملت لها لام العلة مجازا واللام الداخلة على علة المنطوق وان صح كونها لام العلة الحاملة بناء على ان المخلصين قصدوا بالثبات والوفاء العاقبة الحسنى الا انه يجب جعلها لام العاقبة لئلا يلزم استعمال اللفظ الواحد في معنيين مختلفين وهذا التقرير مبني على ان يكون قوله تعالى ليجزي الله متعلقا بقوله وما بدلوا منطوقا ومفهوما اي وما بدلوا كتبديل اهل النفاق ليجزي اهل الصدق بصدقهم واهل النفاق بنفاقهم ويحتمل ان يكون متعلقا بقوله من المؤمنين رجال صدقوا فانه يدل على ان بعضا ممن اظهر الايمان لم يصدقوا ولم يوفوا بالعهد فيكون تعليلا للمنطوق والمعرض به ايضا ومفعول قوله ان شاء محذوف وكذا جواب الشرط وهو تعذيبهم والمعنى يعذب المنافقين ان شاء تعذيبهم بان يميتهم على النفاق فيعذبهم او يقبل توبتهم ان تابوا واخلصوا فان توبة الله تعالى على العبد عبارة عن رجوعه عن تعذيب من تاب ورجع عن المعصية فتكون التوبة عليهم مشروطة بتوبتهم كما ان تحتم تعذيبهم مشروط بموتهم على النفاق من غير توبة فان قيل من مات على النفاق يتحتم تعذيبه بالنصوص القاطعة فكيف يصح تعليق تعذيبه على المشيئة قلنا المعلق على المشيئة حقيقة هو ما يستلزم ذلك التعذيب وهو الموت على النفاق وبذلك الاعتبار يظهر كون قوله او يتوب عليهم مقابلا لما قبله كأنه قيل يعذبهم ان لم يتوبوا او يقبل توبتهم ان تابوا فان عطفه على يعذب يوهم ان تكون التوبة عليهم لاجل نفاقهم كما ان تعذيبهم لذلك ولما كان قوله تعالى او يتوب عليهم مشعرا بانه تعالى يقبل توبتهم ما داموا منافقين كما انه تعالى يعذبهم على نفاقهم ما داموا عليه لئلا يضيع اعتبار وصف النفاق في التوبة عليهم وفي العذاب لهم ومن المعلوم انه تعالى لا يتوب على المنافق ما دام منافقا اجاب عنه اولا بان الكلام من قبيل قولك المحدث يجب عليه الوضوء اي بشرط ارادته اداء الصلاة وثانيا بان المعنى او يوفقهم للتوبة ان شاء الله تعالى ﴿ قوله تعالى ورد الله الذين ﴾ معطوف من حيث المعنى على قوله ليجزي الله الصادقين فان اللام فيه لام العاقبة فكأنه قيل فكان عاقبة الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه ان جزاهم الله بصدقهم ورد اعداءهم متغيظين وهذا الرد من جملة جزائهم على صدقهم والباء في قوله تعالى بغيظهم للمصاحبة فيكون حالا بمعنى متغيظين كالتي في قوله تعالى تنبت بالدهن اي ملتبسة والغيظ غضب كامن للعاجز يقال غاظه فهو مغيظ ولا يقال اغاظه وتداخل الحالين ان تحمل الحال الاولى في الثانية فيكون الحالان لشيئين مختلفين وتعاقبهما ان يكونا لشئ واحد ﴿ قوله تعالى وكفى الله المؤمنين القتال ﴾ اي لم يحوجهم الى قتال في دفع عدوهم وكفى يتعدى الى مفعولين يقال كفاه مؤنته كفاية ﴿ قوله يعني قريظة ﴾ وكانوا ذمة رسول الله صلى الله عليه وسلم فنقضوا العهد وصاروا يدا واحدة مع المشركين على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما هزم الله المشركين يوم الخندق بالريح والملائكة ولم تقاتل الملائكة يومئذ الا انه تعالى لما ارسل الريح عليهم كثر تكبير الملائكة في جوانب عسكرهم فخافوا وانهزموا فامر الله تعالى رسوله بالمسير الى قريظة فجاء جبريل عليه الصلاة والسلام وقد وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم لامته اي درعه واغتسل واستحم فقال قد وضعت اللامة وما وضعناها بعد ثم قال له ان الله يأمرك ان لا تصلي العصر الا ببني قريظة فنادى رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك في المسلمين فخرجوا اليه وقوله عليه الصلاة والسلام تنزلون على حكمي يجوز ان يكون بمعنى الاستفهام حذف منه حرف الاستفهام ويجوز ان يكون خبرا بمعنى الامر اي انزلوا ﴿ قوله فوق سبعة ارقعة ﴾ اي سبع سموات يقال لكل سماء رقيع والجمع ارقعة ويقال ايضا الرقيع اسم سماء الدنيا سمي كل سماء باسماء والمعنى ان هذا الحكم مكتوب في اللوح المحفوظ الذي هو فوق السموات وكان السبب في رضى بني قريظة بحكم سعد بن معاذ انه كان من الاوس وكان بنو قريظة موالي الاوس وحلفاءهم فظنوا منه ان يسعى لهم بخير ويحكم بما لا يكرهون ﴿ قوله اعطكن المتعة ﴾ وهي درع وخمار وملحفة على حسب حال الزوج من السعة والاقتار الا ان يكون لها نصف مهر اقل من ذلك فيجب لها الاقل منهما وتجب المتعة لمطلقة لم توطأ ولم يسم لها مهر

(ونصف)

وتستحب لمن طلقت بعد وطئ سمى لها مهر او لم يسم لا لمن سمى لها مهر وطلقت قبل وطئ فان نصف المسمى انما وجب لها على سبيل المتعة * قال الامام وجه تعلق الآية بما قبلها ان مكارم الاخلاق منحصرة فى شيئين التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله واليه اشار عليه الصلاة والسلام بقوله * الصلاة وما ملكت ايمانكم * فالله تعالى لما ارشد نبيه الى ما يتعلق بجانب التعظيم وبدأ بالزوجات لكونهن اولى الناس بالشفقة ولهذا قدمهن فى النفقة روى انه عليه الصلاة والسلام قسم غنائم بنى قريظة بين اصحابه وعائشة رضى الله تعالى عنها تنظر وكان له عليه الصلاة والسلام الخمس فى كل غنيمة فقالت عائشة فى نفسها اليوم يوم جارى ويفتنى وصرف النبى صلى الله عليه وسلم الخمس ايضا الى الناس فلم يحصل لعائشة شئ فجادلت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك وابو بكر رضى الله عنه حاضر فرفع يده اليها ليلطمها فنعه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال دعها فانها صبية ثم وضع يده على كتفها وقال اخرج يا شيطان منها * وقيل قال * اخرج يا خبيث من هذه الطاهرة * فقامت وقالت والذى بعثك بالحق لقد خرج ونزلت هذه الآية فى عتابهن وفيها تخييرهن وهو انتظام حسن وقيل انتظامها بما قبلها انه نوع اذى كان منهن فى حقه عليه الصلاة والسلام والاول كان اذى فى حقه عليه الصلاة والسلام من الكفار والمنافقين وقيل سبب نزولها ان نساء النبى عليه الصلاة والسلام سألنه شيأ من عرض الدنيا وطلبن منه زيادة فى النفقة وآذينه بغيرة بعضهن على بعض فامر عليه الصلاة والسلام باعتزالهن وآلى ان لا يدخل عليهن شهرا فصعد الى غرفة له فمكث فيها ولم يخرج الى اصحابه ثم لما مضى شهر انزل الله هذه الآية وامره بتخيير نسائه وكان تحته عليه الصلاة والسلام يومئذ تسع نسوة خمس من قريش عائشة بنت ابى بكر وحفصة بنت عمر وام حبيبة بنت ابى سفيان وام سلمة بنت ابى امية وسودة بنت زمعة وغير القرشيات زينب بنت جحش الاسدية وميمونة بنت الحارث الهلالية وصفية بنت حيى بن اخطب الخيبرية وجويرية بنت الحارث المصطلقية فلما نزلت آية التخيير بدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بعائشة وكانت احبهن اليه فخيرها وقرأ عليها القرآن فاختارت الله تعالى ورسوله والدار الآخرة وتابعها سائر نسوته * ظاهر الآية يدل على انه عليه الصلاة والسلام خيرهن بين ان يخترن الدنيا وبين ان يخترن الله ورسوله الا انهن ان اخترن الدنيا وزينتها فارقهن وليست بصريحة فى ان ذلك كان تفويض الطلاق اليهن حتى يقع بنفس اختيارهن انفسهن فلذلك اختلف العلماء فى هذا الخيار هل كان ذلك تفويض الطلاق اليهن حتى يقع بنفس اختيارهن من غير تطليق الزوج اياهن اولا فذهب الاكثرون الى انه لم يكن تفويض الطلاق وانما خيرهن على انهن اذا اخترن الدنيا فارقهن لقوله تعالى فتعالين امتعكن واسرحكن ويدل عليه انه لم يكن جوابهن على الفور فانه عليه الصلاة والسلام قال لعائشة لا تعجلى حتى تستشيرى ابويك وفى تفويض الطلاق يكون الجواب على الفور وذهب آخرون الى انه كان تفويض طلاق ولو اخترن انفسهن كان طلاقا فان الرجل اذا خير امرأته فاختارت زوجها لا يقع شئ ولو اختارت نفسها يقع طلقة واحدة بائنة عندنا ورجعية عند الشافعية وقال زيد بن ثابت اذا اختارت زوجها يقع طلقة واحدة وان اختارت نفسها فثلاث وهو قول الحسن وبه قال الامام مالك وروى عن على ايضا انها اذا اختارت زوجها يقع طلقة واحدة رجعية وان اختارت نفسها فطلقة بائنة واكثر العلماء على انها اذا اختارت زوجها لا يقع شئ ﴿ قوله وقيل لان الفرقة ﴾ اى قيل فى جواب ما يقال ان حق التمتيع ان يؤخر عن التسريح لكونه مسببا عن التسريح وحق المسبب ان يتأخر من سببه ان الفرقة لم تقع بتسريحه عليه الصلاة والسلام اياهن حتى يقال التسريح سبب التمتيع فكان حقه ان يقدم بل الفرقة وقعت بارادتهن الدنيا بدل ارادة الله ورسوله وتلك الارادة هى سبب التمتيع فهو مذكور فى موقعه واصل تعال ان يقوله من فى المكان المرتفع لمن فى المكان المنخفض يطلب بذلك ان يرتفع الى مكانه ثم كثر حتى استوت الامكنة واستعماله فى طلب الاقبال مطلقا حتى يقوله من فى المكان المنخفض لمن فى المكان المرتفع يريد ان يقول انزل الى ﴿ قوله وقرئ امتعكن ﴾ قرأ العامة امتعكن واسرحكن بجزمهما على ان قوله فتعالين جواب الشرط وقوله امتعكن جواب لهذا الامر وقرئ برفعهما على الاستئناف وقوله سراحا اسم اقيم مقام التسريح كما اقيم نباتا موضع انباتا فى قوله وانبتها نباتا حسنا ﴿ قوله وان كنتن تردن الله ورسوله ﴾ اى تردن ما امر الله به ورضيه رسوله والدار الآخرة اى الجنة وثوابها فان الله اعد للمحسنات منكن ولم يقل لكن مع ان المقام موضع الضمير ايذانا بان كل الاحسان فى ايثار مرضاة الله تعالى ورسوله على مرضاة

(واسرحكن سراحا جميلا) طلاقا من غير ضرار وبدعة روى انهن سألنه ثياب الزينة وزيادة النفقة فنزلت فبدأ بعائشة فخيرها فاختارت الله ورسوله ثم اختارت الباقيات اختيارها فشكر لهن الله ذلك فانزل لا يحل لك النساء من بعد وتعليق التسريح بارادتهن الدنيا وجعلها قسيما لارادتهن الرسول يدل على ان المخيرة اذا اختارت زوجها لم تطلق خلافا لزيد والحسن ومالك واحدى الروايتين عن على ويؤيده قول عائشة خيرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخترناه فلم يعده طلاقا وتقديم التمتيع على التسريح المسبب عنه من الكرم وحسن الخلق وقيل لان الفرقة كانت بارادتهن كاختيار المخيرة نفسها فانه طلقة رجعية عندنا وبائنة عند الحنفية واختلف فى وجوبه للمدخول بها وليس فيه ما يدل عليه وقرئ امتعكن واسرحكن بالرفع على الاستئناف (وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فان الله اعد للمحسنات منكن اجرا عظيما) يستحقر دونه الدنيا وزينتها ومن للتبيين لانهن كلهن كن محسنات

انفسهن ومن للتبيين لا للتبعيض لان كلهن محسنات والعظيم فى الاجسام ما امتدت ابعاده فى جهة الطول والعرض والعمق جميعا حتى لو امتد بعده الكائن فى جهة الطول فقط يقال له طويل ولو امتد ما فى جهة عرضه يقال له عريض ولو امتد ما فى جهة عمقه يقال له عميق ولا يقال للجسم عظيم الا اذا امتدت ابعاده الكائنة فى جميع جهاته الثلاث وتنبه اجر الآخرة به فى ارتفاع شأنه فى الجهات الثلاث فى لطافة ذاته وصفاء جوهره وفى خلوه عن وجوه المشقة والتعب فى تحصيله وعن وجوه الضرر فى تناوله وفى دوامه وعدم انقطاعه فهو اجر عظيم بخلاف اجر الدنيا قال المفسرون لما اخترن الله ورسوله رفع الله محلهن واجل قدرهن بتميزهن عن سائر النسوة فى العقوبة على المعصية والاجر على الطاعة حيث قال يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب فان زيادة قبح المعصية تتبع زيادة الفضل والرتبة وزيادة النعمة على العاصى من المعصى وليس لاحد من النساء مثل فضل نساء النبي ولا لاحد منهن مثل ما لله عليهن من النعمة فان الله تعالى جعلهن زوجات نبيه فى الدنيا والآخرة وشاهدن افعاله واقواله واحواله بالليل والنهار فتكون المعصية منهن اقبح منها فى غيرهن ولما كانت المعصية اقبح كان عذابها اشد وازيد ولذلك فضل حد الاحرار على حد العبيد اظهارا لشرف الحرية عن ابن عباس رضى الله عنه قال المراد بالفاحشة ههنا النشوز وسوء الخلق وقيل هو كقوله لئن اشركت ليحبطن عملك وقيل المراد به العصيان ﴿قوله وقرأ البصرى بان يضعف﴾ بضم الياء وفتح الضاد والعين المشددة ورفع العذاب لقيامه مقام الفاعل وابن كثير وابن عامر نضعف بنون العظمة وتشديد العين مكسورة على بناء الفاعل ونصب العذاب لانه مفعول به وقرأ الباقون يضاعف على بناء المفعول من المفاعلة ورفع العذاب لقيامه مقام الفاعل ولما بين الله تعالى تضاعف عذابهن على تقدير المعصية وتضاعف ثوابهن على تقدير القنوت وهو الطاعة وليس المراد احداثها وهو ظاهر قال المصنف ومن يدم على الطاعة ﴿قوله للتعظيم او لقوله وتعمل صالحا﴾ لا معنى لكلمة او ههنا فلذلك لم توجد فى بعض النسخ لان المقصود الاستدلال على ان ذكر الله للتعظيم ببيان ان طاعة الله تعالى تفهم من قوله وتعمل صالحا فينبغى ان يكون ذكر الله تعالى لفائدة اخرى حذرا من التكرار فحمله على التعظيم لكونه هو المناسب للمقام واللام فى قوله مرة على الطاعة للعهد والمعهود طاعة الله تعالى وقرأ الجمهور يا نساء النبي من يأت ومن يقنت بالياء من تحت حملا على لفظ من وتعمل بالتاء من فوق حملا على معنى من لان المراد بها مؤنث ونؤتها بنون العظمة على طريق الالتفات من الغيبة الى التكلم وفيه لطيفة وهى انه عند ذكر ايتاء الاجر صرح بذكر المؤتى وهو الله عز وجل وعند ذكر العذاب لم يصرح بالمعذب فقال يضاعف اشارة الى كمال الرحمة والكرم وقرأ حمزة والكسائى ويعمل ويؤت بالياء من تحت فيهما لما ذكره المصنف ﴿قوله والمعنى لستن كجماعة﴾ جعل احدا على الجماعة ليطابق من قصد تفضيلهن بالفضل عليهن فان نساء النبي صلى الله عليه وسلم جماعة فجعل المشبه بهن جماعة لتطابقه المذكورة فى الجمع ﴿قوله مثل قول المريبات﴾ من اللاتى يوقعن الرجال فى الريبة والتهمة من جمالهن وصف قولهن بكونه خاضعا لينا للاشارة الى ان الباء فى قوله تعالى فلا تخضعن بالقول للتعدية ﴿قوله تعالى ان اتقيتن﴾ فى جوابه وجهان احدهما انه محذوف لدلالة ما تقدم عليه اى ان اتقيتن مخالفة حكم الله ورضى رسول فلستن كاحد قال صاحب التيسير فى تفسيره اى هذه الفضيلة لكن ان اتقيتن المعاصى ومخالفة الله ورسوله والرغبة فى الدنيا وزينتها فلا يكن الكلام اذا كلمتن الرجال من وراء الحجاب كما يكلم الانسان من يخضع له بالطاعة وينقاد له فيجاريه والوجه الثانى ان يكون جوابه قوله فلا تخضعن واغلاظ القول لغير زوجها معدود فى جملة محاسن خصال النساء فى الجاهلية والاسلام كما عد منها بخلهن بالمال وجبنهن وفيه دليل على انه ينبغى للمرأة اغلاظ القول اذا خاطبت محرما لها بالمصاهرة الا ترى ان الله تعالى اوصى امهات المؤمنين به وهن عليهم محرمات على التأبيد وقرأ العامة فيطمع بالنصب على انه جواب النهى بالفاء وقرئ بالجزم وكسر العين لالتقاء الساكنين عطفا على محل النهى لانه ليس بمجزوم بل هو مبنى لاتصال النون به فجزم المعطوف عليه ليس الا بالنظر الى محله والمعنى لا تخضعن بالقول فلا يطمع اهل الفجور فى مواقعتكن له ﴿قوله من وقر يقر وقارا﴾ اذا سكن وثبت واستقر اصله اوقرن حذفت الواو تبعا لمضارع فاستغنى عن همزة الوصل فصار قرن بكسر القاف على وزن علن والمعنى كن اهل وقار وسكون واطمئنان وهى قراءة العامة او من قر بالمكان يقر بفتح العين فى الماضى وكسرها فى المضارع وهى اللغة الفصيحة فاصله اقررن ولما احتيج الى التخفيف لاجتماع حرفين من جنس

(يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة) كبيرة (مبينة) ظاهر قبحها على قراءة ابن كثير وابى بكر والباقون بكسر الياء (يضاعف لها العذاب ضعفين) ضعفى عذاب غيرهن اى مثليه لان الذنب منهن اقبح فان زيادة قبحه تتبع زيادة فضل المذنب والنعمة عليه ولذلك جعل حد الحر ضعفى حد العبد وعوتب الانبياء بما لا يعاتب به غيرهم وقرأ البصرى يضعف على البناء للمفعول ورفع العذاب وابن كثير وابن عامر نضعف بالنون وبناء الفاعل ونصب العذاب (وكان ذلك على الله يسيرا) لا يمنعه عن التضعيف كونهن نساء النبي وكيف وهو سببه (ومن يقنت منكن) ومن يدم على الطاعة (لله ورسوله) ولعل ذكر الله للتعظيم او لقوله (وتعمل صالحا نؤتها اجرها مرتين) مرة على الطاعة ومرة على طلبهن رضى النبي صلى الله عليه وسلم بالقناعة وحسن المعاشرة وقرأ حمزة والكسائى ويعمل بالياء ايضا حملا على لفظ من ويؤتها بالياء ايضا على ان فيه ضمير اسم الله (واعتدنا لها رزقا كريما) فى الجنة زيادة على اجرها (يا نساء النبي لستن كاحد من النساء) اصل احد وحد بمعنى الواحد ثم وضع فى النفى العام مستويا فيه المذكر والمؤنث والواحد والكثير والمعنى لستن كجماعة واحدة من جماعات النساء فى الفضل (ان اتقيتن) مخالفة حكم الله ورضى رسوله (فلا تخضعن بالقول) فلا تجئن بقولكن خاضعا لينا مثل قول المريبات (فيطمع الذى فى قلبه مرض) فجور وقرئ بالجزم عطفا على محل فعل النهى على انه نهى مريض القلب عن الطمع عقيب نهيهن عن الخضوع بالقول (وقلن قولا معروفا) حسنا بعيدا عن الريبة (وقرن فى بيوتكن) من وقر يقر وقارا او من قر يقر حذفت الاولى من راءى اقررن ونقلت كسرتها الى القاف فاستغنى بها عن همزة الوصل ويؤيده قراءة نافع وعاصم بالفتح من قررت اقر وهو لغة فيه ويحتمل ان يكون من قار يقار اذا اجتمع

(واحد)

(ولا تبرجن) ولا تتبخترن في مشيكن (تبرج الجاهلية الاولى) تبرجا مثل تبرج النساء في ايام الجاهلية القديمة قيل هي مابين آدم ونوح وقيل الزمان الذي ولد فيه ابراهيم كانت المرأة تلبس درعا من اللؤلؤ فتمشي وسط الطريق تعرض نفسها على الرجال والجاهلية الاخرى مابين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام وقيل الجاهلية الاولى جاهلية الكفر قبل الاسلام والجاهلية الاخرى جاهلية الفسوق في الاسلام ويعضده قوله عليه السلام لابي الدرداء ان فيك جاهلية قال جاهلية كفر او اسلام قال جاهلية كفر (واقمن الصلاة وآتين الزكاة واطعن الله ورسوله) في سائر ما امركن به ونهاكن عنه (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس) الذنب المدنس لعرضكم وهو تعليل لامرهن ونهيهن على الاستئناف ولذلك عمم الحكم (اهل البيت) نصب على النداء او المدح (ويطهركم) من المعاصي (تطهيرا) واستعارة الرجس للمعصية والترشيح بالتطهير للتنفير عنها وتخصيص الشيعة اهل البيت بفاطمة وعلي وابنيهما رضي الله عنهم لما روي انه عليه الصلاة والسلام خرج ذات غدوة وعليه مرط مرحل من شعر اسود فجلس فاتت فاطمة فادخلها فيه ثم جاء علي فادخله فيه ثم جاء الحسن والحسين فادخلهما فيه ثم قال انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت والاحتجاج بذلك على عصمتهم وكون اجماعهم حجة ضعيف لان التخصيص بهم لايناسب ماقبل الآية ومابعدها والحديث يقتضي انهم اهل البيت لا انه ليس غيرهم (واذكرن مايتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة) من الكتاب الجامع بين الامرين وهو تذكير بما انعم عليهن من حيث جعلهن اهل بيت النبوة ومهبط الوحي وما شاهدن من برحاء الوحي مما يوجب قوة الايمان والحرص على الطاعة حثا على الانتهاء والائتمار فيما كلفن به (ان الله كان لطيفا خبيرا) يعلم ويدبر مايصلح في الدين ولذلك خيركن ووعظكن او يعلم من يصلح لنبوته ومن يصلح ان يكون اهل بيته (ان المسلمين والمسلمات) الداخلين في السلم المنقادين لحكم الله (والمؤمنين والمؤمنات) المصدقين بما يجب ان يصدق (والقانتين والقانتات) المداومين على الطاعة (والصادقين والصادقات) في القول والعمل (والصابرين والصابرات) على الطاعات وعن المعاصي (والخاشعين والخاشعات) المتواضعين لله بقلوبهم وجوارحهم (والمتصدقين والمتصدقات) بما وجب في مالهم (والصائمين والصائمات) الصوم المفروض (والحافظين فروجهم والحافظات) عن الحرام (والذاكرين الله كثيرا والذاكرات) بقلوبهم والسنتهم (اعد الله لهم مغفرة) لما اقترفوا من الصغائر لانهن مكفرات (واجرا عظيما) على طاعتهم والآية وعدلهن ولامثالهن على الطاعة والتدرع بهذه الخصال

واحد نقلت حركة الراء الاولى الى القاف فاجتمع ساكنان فحذفت احداهما ثم حذفت همزة الوصل للاستغناء عنها فصار قرن على وزن فعن اوفلن ومن قرأ بفتح القاف يحتمل ان يجعله من قررت في المكان اقر فيه بكسر العين في الماضي وفتحها في الغابر اصله اقررن فاعل كما سبق ويحتمل ان يجعله امرا من قار يقار كخاف يخاف اذا اجتمع ومنه القارة وهي اسم قبيلة سموا قارة لاجتماعهم والتفافهم فقيل في الامر منه قرن كخفن على وزن فلن وهذا وجه ظاهر الا ان المقام مقام الامر بالوقار والسكون او بالاستقرار في البيوت والامر بالاجتماع فيها لايناسب المقام ﴿ قوله ولا تتبخترن ﴾ اختار ان يكون التبرج التبختر وهو المشي المبني عن الغنج والدلال وقيل التبرج اظهار الزينة وابراز المحاسن للرجال وعن الزجاج قال التبرج اظهار المرأة زينتها وما تستدعي به شهوة الرجال وعن قتادة هو مشية فيها تغنج وتكسر ﴿ قوله ويعضده ﴾ اي يعضد ان الجاهلية تطلق على جاهلية الفجور والفسوق في الاسلام كما تطلق على جاهلية الكفر ووجه التقوية ان ابا الدرداء رضي الله عنه سأل فقال الجاهلية كفر ام جاهلية اسلام فقال عليه الصلاة والسلام بل جاهلية كفر فعلم بذلك ان الجاهلية تتحقق فيهما والمعنى ولاتحدثن بالتبرج جاهلية في الاسلام تتشبهن بها باهل جاهلية الكفر قيل وهذا القول اشبه لانهم كانوا يتخذون البغايا فيفعلن لهم ذلك ﴿ قوله واطعن الله ورسوله ﴾ تعميم بعد التخصيص وخص الاولين اي اعتناهما بالذكر لكونهما اصل الطاعات البدنية والمالية ومن اعتنى بهما جرتاه الى كل طاعة ﴿ قوله الذنب المدنس لعرضكم ﴾ اشارة الى ان الرجس مستعار للذنب وان وجه الشبه بينهما كون كل واحد منهما سببا للتدنس فان الرجس يدنس نحو الثوب والبدن والذنب يدنس العرض وجعل التطهير ترشيحا للاستعارة من حيث انه ملائم للمستعار منه ﴿ قوله وهو تعليل لامرهن ونهيهن ﴾ بيان وجه العدول عن خطاب المؤمنات اللاتي هن ازواج النبي صلى الله عليه وسلم الى خطاب الذكور حيث قال ليذهب عنكم ويطهركم كأنه قيل انما امركن ونهيكن لان ارادتي الازلية قد تعلقت بتطهير اهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم من الذنوب والمعاصي ﴿ قوله ولذلك ﴾ اي ولكونه تعليلا على طريق الاستئناف عم الحكم باذهاب الرجس والتطهير من المعاصي من عدا ازواجه عليه الصلاة والسلام حيث عبر عن جميع اهل بيته عليه الصلاة والسلام من الذكور والاناث بطريق التعبير عن الذكور خاصة على تغليب الذكور على الاناث حيث قيل عليكم اهل البيت فان اهل البيت يتناول اولاده وازواجه والحسن والحسين منهم وكذا علي رضوان الله عليهم اجمعين لانه كان من اهل بيته بسبب معاشرته اهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم وقرابته اياه وقيل المراد باهل البيت ههنا ازواج النبي صلى الله عليه وسلم لانهن في بيته ولما تقدم وما تأخر من خطابهن وانما ذكر الخطاب في قوله عنكم ويطهركم لان النبي صلى الله عليه وسلم كان فيهن فغلب المذكور وقال آخرون ومنهم الشيعة ازواجه عليه الصلاة والسلام ليست من اهل بيته بل المراد باهل بيته علي وفاطمة والحسن والحسين رضوان الله عليهم اجمعين ﴿ قوله وتخصيص الشيعة ﴾ مبتدأ وقوله والاحتجاج عطف عليه وضعيف خبره ﴿ قوله والمرط المرحل ﴾ المرط الخز فيه علم ﴿ قوله من الكتاب الجامع بين الامرين ﴾ يعني ان عطف الحكمة على آيات الله من قبيل عطف الصفات فان الكتاب كما انه آيات دالة على صدق مدعي النبوة من حيث انه معجز بنظمه العجيب الشأن فانه ايضا حكمة من حيث كونه مشتملا على العلوم النظرية وطريق الاصابة في القول والعمل ﴿ قوله وهو تذكير ﴾ اشارة الى ان المراد بقوله واذكرن مايتلى تلاوة القرآن وذكره باللسان وقيل المراد ذكره بالقلب بتدبر اسراره ولطائفه واللفظ صالح للكل وبرحاء الوحي شدة الاذى ﴿ قوله يعلم ويدبر مايصلح في الدين ﴾ على ان يكون المقصود تقدير آية التخيير وما بعدها وقوله او يعلم من يصلح لنبوته على ان يكون تقديرا لما ذكر من اول السورة الى هنا ﴿ قوله المتواضعين لله بقلوبهم وجوارحهم ﴾ وقيل المراد به الخشوع في الصلاة ومن الخشوع ان لايلتفت ﴿ قوله والحافظات ﴾ اي والحافظات لها ترك مفعول الثاني لدلالة الاول عليه وكذا في قوله الذاكرات * عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ايقظ الرجل اهله من الليل فتوضئا وصليا كتبا من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات * وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال جاء جبريل عليه السلام الى النبي عليه الصلاة والسلام وقال يا محمد قل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم عدد ماعلم وزنة ماعلم وملء ماعلم فانه من قالها كتب الله له بها ست خصال كتب من الذاكرين الله كثيرا وكان افضل من ذكره بالليل والنهار وكن له غرسا

روى ان ازواج النبى عليه الصلاة والسلام قلن يارسول الله ذكر الله الرجال فى القرآن بخير فما فينا خير نذكر به فنزلت وقيل لما
نزل فيهن ما نزل قال نساء المسلمين فما نزل فينا شئ فنزلت وعطف الاناث على الذكور لاختلاف الجنسين وهو ضرورى وعطف الزوجين على الزوجين لتغاير الوصفين فليس بضرورى ولذلك ترك فى قوله مسلمات مؤمنات وفائدته الدلالة على ان اعداد المعد لهم للجمع بين هذه الصفات (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة) وما صح له (اذا قضى الله ورسوله امرا) اى قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر الله لتعظيم امره والاشعار بان قضاءه قضاء الله لانه نزل فى زينب بنت جحش بنت عمته اميمة بنت عبد المطلب خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم لزيد بن حارثة فابت هى واخوها عبد الله وقيل فى ام كلثوم بنت عقبة وهبت نفسها للنبى صلى الله عليه وسلم فزوجها من زيد (ان تكون لهم الخيرة من امرهم) ان يختاروا من امرهم شيأ بل يجب عليهم ان يجعلوا اختيارهم تبعا لاختيار الله ورسوله والخيرة ما يتخير وجمع الضمير الاول لعموم مؤمن ومؤمنة من حيث انهما فى سياق النفى وجمع الثانى للتعظيم وقرأ الكوفيون وهشام يكون بالياء (ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا) بين الانحراف عن الصواب (واذ تقول للذى انعم الله عليه) بتوفيقه للاسلام وتوفيقك لعتقه واختصاصه (وانعمت عليه) بما وفقك الله فيه وهو زيد بن حارثة (امسك عليك زوجك) زينب وذلك انه عليه الصلاة والسلام ابصرها بعدما انكحها اياه فوقعت فى نفسه فقال سبحان الله مقلب القلوب وسمعت زينب بالتسبيحة فذكرت لزيد ففطن ذلك ووقع فى نفسه كراهة صحبتها فاتى النبى صلى الله عليه وسلم وقال اريد ان افارق صاحبتى فقال مالك أرابك منها شئ قال لا والله ما رأيت منها الا خيرا ولكنها لشرفها تتعظم على فقال له امسك عليك زوجك (واتق الله) فى امرها فلا تطلقها ضرارا او تعللا بتكبرها (وتخفى فى نفسك ما الله مبديه) وهو نكاحها ان طلقها او ارادة طلاقها (وتخشى الناس) تعييرهم اياك به (والله احق ان تخشاه) ان كان فيه ما يخشى والواو للحال

﴿قوله﴾ فى الجنة ونحاتت عنه خطاياه كما تحات ورق الشجرة اليابسة ومن نظر الله اليه لم يعذبه ﴿قوله روى ان ازواج النبى صلى الله عليه وسلم﴾ هذا على تقدير ان يكون قوله تعالى ان المسلمين والمسلمات الآية متقدما فى النزول على قوله يا نساء النبى لستن كاحد من النساء وقوله لما نزل فيهن ما نزل مبنى على ان يكون مؤخرا عنه فيه ﴿قوله وعطف الاناث على الذكور الخ﴾ يعنى انه تعالى ذكر عشرة اوصاف وجعل كل من اتصف بكل واحد منها زوجين باعتبار الذكورة والانوثة فصار اصناف من اتصف بها عشرين صنفا باعتبارهما وعطف اناث كل صنف ممن اتصف بتلك الخصال العشر على ذكورها كعطف المسلمات على المسلمين والمؤمنات على المؤمنين وعلى هذا عطف ايضا كل صنف من الزوجين المتعاطفين على الصنف الآخر منهما كعطف مجموع المؤمنين والمؤمنات على مجموع المسلمين والمسلمات والفرق بين العطفين المذكورين ان عطف الاناث على الذكور من قبيل عطف الذوات المختلفة بالذكورة والانوثة بعضها على بعض بعد اشتراكها فى الاتصاف بوصف واحد وفى مثل هذا العطف يجب توسيط العاطف واما عطف مجموع الزوجين من صنف على المجموع من صنف آخر فهو من قبيل عطف الصفة على الصفة بحرف الجمع فكان المعنى ان الجامعين والجامعات لهذه الطاعات العشر اعد الله لهم ونظيره فى دعاء صلاة الجنازة اللهم اغفر لحينا وميتنا وشاهدنا وغائبنا الى آخر المزدوجات الاربع ولا يجب تخلل العاطف بين المختلفين وصفا كما فى قوله تعالى مسلمات مؤمنات لكنه تخلل فى هذه الآية للدلالة على ان اعداد المعد لهم للجمع بين هذه الصفات كانه قيل ان الجامعين والجامعات لهذه الطاعات العشر اعد الله لهم ﴿قوله بنت عمته﴾ بدل من بنت جحش واميمة عطف بيان لعمته فابت زينب من قبول كون زيد بن حارثة زوجا لها لكونها قرشية وبنت عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو معتق من الموالى ولعل زيدا امتنع ايضا من تزويجها لاباء اخيها منه فانزل الله تعالى قوله وما كان لمؤمن ولا مؤمنة الآية والمراد بالمؤمن عبد الله بن جحش وبكون فى ارتباط الآية بما قبلها انه تعالى قال اولا واطعن الله ورسوله ومدح بعد ذلك المطيعين والمطيعات لله ورسوله فبين فى هذه الآية وجوب طاعة الله تعالى وطاعة رسوله ووعيد من عصى الله ورسوله ﴿قوله وقيل فى ام كلثوم﴾ وهى اول من هاجرت من النساء وهبت نفسها للنبى عليه الصلاة والسلام فقال عليه الصلاة والسلام قد قبلت وزوجها زيدا فسخطت هى واخوها وقالا انا اردنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فزوجنا عبده فعلى هذا القول المراد بقوله تعالى وما كان لمؤمن ولا مؤمنة ام كلثوم واخوها وعلى الاول زينب واخوها ﴿قوله اذا قضى الله ورسوله امرا﴾ اى حكما او الفتيا امرا من امور انفسهم والخيرة اسم من الاختيار ويدل عليه قوله ان يختاروا من امرهم شيأ لان ان مع الفعل فى معنى المصدر وقوله والخيرة ما يتخير يدل على ان الخيرة بمعنى المختار كما فى قوله محمد خيرة الله اى مختاره والمقصود بيان انه قد يكون بمعنى المختار الا انه فى الآية بمعنى الاختيار وجمع ضمير لهم مع كونه راجعا الى المؤمن بتنوين الوحدة لانه لما وقع فى سياق النفى صار بمعنى كل مؤمن ومؤمنة فى الدنيا وجمع الثانى اى جمع ضمير امرهم مع كونه راجعا الى الله ورسوله لتعظيم المرجع اليه والمعنى ليس لواحد منهم ان يريد غير ما اراده الله تعالى ورسوله ويمتنع عما اراده الله ورسوله ﴿قوله وقرأ الكوفيون﴾ ان يكون بالياء من اسفل لكون تأنيث الخيرة غير حقيقى وللفصل ايضا والباقون بالتاء من فوق اعتبارا للفظ الخيرة ﴿قوله وانعمت عليه بما وفقك الله فيه﴾ من الاعتاق والتبنى والاختصاص فان ذلك مسند اليه عليه الصلاة والسلام من حيث صدوره منه ومسند اليه تعالى من حيث كون ذلك الصدور بتوفيق الله تعالى اياه لذلك روى انه عليه الصلاة والسلام اتى زيدا لحاجة فابصر زينب قائمة وكانت بيضاء جميلة جسيمة من اتم نساء قريش فوقع فى قلبه منها شئ فقال سبحان الله مقلب القلوب وانصرف فسمعت زينب الخ ﴿قوله أرابك﴾ يجوز ان تكون الهمزة فيه للاستفهام وان تكون همزة افعل كما كرم واخرج يقال رابه الدهر وارابه اى افلقه ﴿قوله والواو للحال﴾ اى الواو فى قوله وتخفى للحال وكذا الواو فى كل واحد من قوله وتخشى الناس ومن قوله والله احق ان تخشاه الاول حال من فاعل تقول وقوله وتخشى الناس حال من الضمير فى تخفى وقوله والله احق حال من الضمير فى تخشى وهذه الاحوال متداخلة الا ان كل واحد من تخفى وتخشى مضارع مثبت والواو فى المضارع المثبت انما تكون للحال بتقدير المبتدأ اى وانت تخفى وانت تخشى كما فى قولك قمت واصك وجهك والمعنى على هذا تقول لزيد امسك عليك زوجك مخفيا فى نفسك ارادة ان لا يمسكها وتخفى ذلك خاشيا قالة الناس وتخشى الناس حقيقا فى ذلك بان تخشى الله ويحتمل ان تكون الواو وان الاول لان العطف على

(تقول)

٦

تقول كأنه قيل واذكر اذ كنت تجمع بين قولك أمسك عليك زوجك واخفاء خلافه وخشيت الناس والله احق ان تخشاه حتى لاتفعل مثل ذلك وليس المعنى انه عليه الصلاة والسلام خشى الناس ولم يخش الله تعالى بل المعنى انه تعالى احق ان تخشاه وحده ولاتخشى احدا معه وانت تخشاه وتخشى الناس ايضا فاقصر خشيتك على الله تعالى كما قال تعالى الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولايخشون احدا الا الله قال عمر وابن مسعود وعائشة رضى الله عنهم مانزل على رسول الله آية اشد من هذه الآية وقالت عائشة رضى الله عنها لو كتم النبي صلى الله عليه وسلم شيأ من الوحى لكتم هذه الآية ارادت من شدتها عليه وروى عن على بن الحسين زين العابدين رضى الله عنهم اجمعين انه قال فى هذه الآية كان الله تعالى قد اعلم نبيه عليه الصلاة والسلام ان زينب ستكون من ازواجه وان زيدا سيطلقها فلما جاء زيد وقال انى اريد ان اطلقها قال له أمسك عليك زوجك فعاتبه الله تعالى وقال له لم قلت امسك عليك زوجك وقد اعلمتك انها ستكون من ازواجك وهذا هو الاولى والاليق بحال الانبياء ولعل الحكمة فى ذلك انه كان من حكم العرب ان من تبنى ولدا كان كولده من صلبه فى التوريث وحرمة نكاح امرأته على الاب المتبنى فاراد الله تعالى ان يبطل حكمهم بقول النبي عليه الصلاة والسلام وفعله ليكون انجع فى قلوبهم واقطع لعادتهم واخبر الله رسوله ان زينب ستكون من ازواجك فزوجها زيد ثم انهما يتفرقان بعد مدة فزوجها انت لنفسك ليتقرر عندهم بطلان حكم العرب وكان عليه الصلاة والسلام يخفيه فى نفسه الى ان يظهره الله تعالى فى وقته ولما وقع هذا النكاح ومضت مدة ووقعت بينهما خشونة فجاء زيد يشكوها الى النبي عليه الصلاة والسلام ويذكر رفعتها عليه وسوء خلقها معه فقال له امسك عليك زوجك اى جاملها وبالخلق الحسن عاملها ولا تطلقها واتق الله يازيد فى رعاية حقوق النكاح عاتبه الله على ذلك بقوله وتخفى فى نفسك يامحمد ماالله مبديه اى مظهره وهو مااعلمك الله من انك تتزوجها اذا طلقها زيد برضاها واختياره وانقضت عدتها وتخشى الناس اى تكره مقالة الناس انه تزوج امرأة ابنه والله احق ان تخشاه فتفعل ما اباحه لك واذن لك فيه ﴿ قوله فانه وحده حسن ﴾ اى اخفاء الميل الى نكاحها ان طلقها زوجها واخفاء ارادة طلاقها حسن لظهور قبح ان يقول له طلقها فانى اريد نكاحها فان الاولى له ان يصمت عند ذلك او يقول له انت اعلم بشانك حتى لايخالف ظاهره باطنه فان اللائق للانبياء موافقة الظاهر الباطن ﴿ قوله بحيث ملها ﴾ الملال السآمة وانقطاع الرغبة وقوله ولم يبق له فيها حاجة عطف تفسير لملاله منها عن الزجاج قال معنى قضاء الوطر فى اللغة بلوغ منتهى مافى النفس من الشئ يقال قضى وطرا منها اذا بلغ ماأراد من حاجته فيها من الوطاء واعتبر فى قضاء وطره منها تطليقه اياها وانقضاء عدتها لان الزوجة مادامت فى نكاح الزوج لايكون الزوج قاضيا الوطر بالكلية لبقاء التمكن من استيفاء حاجته منها وكذا اذا كانت فى العدة يكون له بها تعلق لكونه فى صدد تعوق رأيه رجعها من الشغل فلايكون قاضيا وطره منها بعد فاذا طلقت وانقضت عدتها استغنى عنها ولم يبق له تعلق بها فحينئذ قد قضى منها الوطر ﴿ قوله او جعلها زوجته بلاواسطة عقد ﴾ روى انه عليه الصلاة والسلام ارسل رسولا يخطبها لنفسه فقالت ماانا بصانعة شيأ حتى أوآمر ربى فقامت الى مسجدها فنزل القرآن ودخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير اذن وقال الشعبى كانت زينب تقول للنبى صلى الله عليه وسلم انى لادل عليك بثلاث مامن نسائك امرأة تدل بهن جدى وجدك واحد وانى انكحنيك الله فى السماء وان السفير جبريل ﴿ قوله وقيل كان السفير فى خطبتها ﴾ بكسر الخاء والمنوى فى كان ضمير زيد ذكر فى الكشاف انها لما اعتدت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماأجد احدا اوثق فى نفسى منك اخطب لى زينب قال زيد فانطلقت فاذا هى تخمر عجينها فلما رأيتها عظمت فى صدرى حتى مااستطيع ان انظر اليها حين علمت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرها فوليت لها ظهرى وقلت يازينب أبشرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطبك ففرحت وقالت ماانا بصانعة شيأ حتى أوآمر ربى فقامت الى مسجدها ونزل القرآن زوجناكها وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى دخل عليها بغير اذن ولما بين الله تعالى ان الامر الذى اراده من تزويج زينب من رسول الله صلى الله عليه الصلاة والسلام كائن لامحالة بين انه لاحرج عليه فى هذا الانكاح فقال ما كان على النبي من حرج اى من اثم وضيق ﴿ قوله سنة الله ﴾ مصدر مؤكد لفعله المحذوف اى سن الله ذلك سنة كصنع الله ووعد الله بين به ان انتفاء الحرج عن هذا النبي فيما فرض الله له سنة قديمة له تعالى فى جميع

بالمعاتبة موضعه

وليست المعاتبة على الاخفاء وحده فانه وحده حسن بل على الاخفاء مخافة قالة الناس واظهار ماينافى اضماره فان الاولى فى امثال ذلك ان يصمت او يفوض الامر الى ربه (فلما قضى زيد منها وطرا) حاجة بحيث ملها ولم يبق له فيها حاجة وطلقها وانقضت عدتها (زوجناكها) وقيل قضاء الوطر كناية عن الطلاق مثل لاحاجة لى فيك وقرئ زوجتكها والمعنى انه امر بتزوجها منه او جعلها زوجته بلاواسطة عقد ويؤيده انها كانت تقول لسائر نساء النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تولى انكاحى وانتن زوجكن اولياؤكن وقيل كان السفير فى خطبتها وذلك ابتلاء عظيم وشاهد بين على قوة ايمانه (لكى لايكون على المؤمنين حرج فى ازواج ادعيائهم اذا قضوا منهن وطرا) علة للتزويج وهو دليل على ان حكمه وحكم الامة واحد الا ماخصه الدليل (وكان امر الله) امره الذى يريده (مفعولا) مكونا لامحالة كما كان تزويج زينب (ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله) قسم له وقدر من قولهم فرض له فى الديوان ومنه فروض العسكر لارزاقهم (سنة الله) سن ذلك سنة (فى الذين خلوا من قبل) من الانبياء وهو نفى الحرج عنهم فيما اباح لهم (وكان امر الله قدرا مقدورا) قضاء مقضيا وحكما مبتوتا

من مضى من الذين يبلغون رسالات الله وقرر هذا الحكم بانه امر واراده الله وكان امر الله قضاء مقضيا يقع لا محالة كما قرر تزويج زوجة دعيه عليه الصلاة والسلام اياه بقوله وكان امر الله مفعولا وقوله الذين يبلغون يحتمل ان يكون مجرور المحل على انه صفة لقوله الذين خلوا وان يكون في محل الرفع بتقدير المبتدأ او في محل النصب بتقدير اعني او امدح ﴿ قوله تعريض بعد تصريح ﴾ فانه تعالى صرح بقوله وتخشى الناس والله احق ان تخشاه اى انه عليه الصلاة والسلام يخشى الله تعالى ويخشى الناس ايضا ثم قال والله احق ان تخشاه وحده ولا تخشى احدا معه وتوصيف الرسل المتقدمة بانهم يخشون الله ولا يخشون احدا الا الله تعريض له عليه الصلاة والسلام بانه يخشى الناس ايضا ﴿ قوله كافيا للمخاوف او محاسبا ﴾ الاول على ان يكون حسيبا من قولك حسبك درهم اى كفاك حتى صيرك قائلا حسبي والثاني على ان يكون من قولك حسبته احسبه بالضم حسبا وحسابا اذا عددته اى وكفى بالله حافظا لاعمال خلقه مجازيا بها فهو الاحق ان يخشى دون خلقه ثم انه عليه الصلاة والسلام لما تزوج زينب قال الناس ان محمدا تزوج امرأة ابنه فانزل الله تعالى قوله ما كان محمد ابا احد من رجالكم يعني انه ليس باب زيد فتحرم عليه امرأته وعبر عن هذا النفي بما دل عليه كناية حيث قيل من رجالكم للمبالغة فيه وهو عليه الصلاة والسلام وان كان ابا الحسن والحسين رضي الله عنهما الا انهما لم يبلغا مبلغ الرجال حينئذ كما لم يبلغه ابناؤه الصلبية ولئن بلغاه لكانا من رجاله عليه الصلاة والسلام لا من رجالهم وايضا المنفي كونه عليه الصلاة والسلام ابا صلبيا لرجال وليس ابا صلبيا لولدي ولده وتأمل وجه الاستدراك في قوله تعالى ولكن رسول الله انه تعالى لما نفى كونه عليه الصلاة والسلام اباهم على الحقيقة كان ذلك مظنة ان يتوهم ان ليس بينه عليه الصلاة والسلام وبينهم ما يوجب تعظيمهم اياه وانقيادهم وعدم اعتراضهم عليه في شيء مما فعله فدفعه ببيان ان حقه آكد من حق الاب الحقيقي وكان قوله من رجالكم مظنة ان يتوهم كونه عليه السلام ابا احد من رجال نفسه الذين ولدوا منه فدفعه بعطف قوله وخاتم النبيين على قوله رسول الله فانه يدل على انه عليه الصلاة والسلام لا يكون ابا الواحد من رجال نفسه ايضا لانه لو بقي له ابن بالغ بعده لكان اللائق به ان يكون نبيا بعده فلا يكون هو عليه الصلاة والسلام خاتم النبيين روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال يريد لو لم يختم به النبيون لجعلت له ولدا يكون نبيا بعده على ما روي انه عليه الصلاة والسلام قال مثلي ومثل الانبياء قبلي كمثل قصر احسن بنيانه وترك منه موضع لبنة فطاف به النظار يتعجبون من حسن بنيانه الا موضع تلك اللبنة لا يعيبون منه سوى خلو موضعها فكنت انا موضع تلك اللبنة ختم بي البنيان وختم بي الرسل ﴿ قوله وآخرهم الذي ختمهم ﴾ على ان خاتم بكسر التاء وهي قراءة من عدا عاصما من القراء وقرأ عاصم بفتح التاء وهو اسم لما به يختم ويطبع ويقال له الطابع ايضا وفي الصحاح الطبع الختم وهو التأثير في الطين ونحوه والطابع بالفتح الخاتم والطابع بالكسر لغة فيه فمن قرأ خاتم بكسر التاء اراد انه عليه الصلاة والسلام فاعل الختم حيث ختم النبيين ومن قرأ بفتحها اراد انه عليه الصلاة والسلام آخر النبيين لا نبي بعده حيث ختموا به وتم به بنيان النبوة واعتبر به كما يعتبر الكتاب بالخاتم ولما كان عليه الصلاة والسلام آخر النبيين صار بمنزلة الخاتم بالنسبة اليهم حيث ختموا به فسمي خاتم النبيين ﴿ قوله وقرئ رسول الله بالرفع ﴾ والعامة على تخفيف لكن ونصب رسول ونصبه اما على اضمار كان لدلالة كان السابقة عليها اي ولكن كان واما بالعطف على ابا احد والاول اولى لان لكن ههنا ليست بعاطفة لاجل الواو فالاليق بها ان تكون هي التي تدخل على الجمل كلكن التي ليست بعاطفة وقرئ لكن بتشديد النون على ان رسول الله اسمها وخبرها محذوف ﴿ قوله يغلب الاوقات ﴾ كما قال مجاهد رضي الله عنه الذكر الكثير هو ان لا تنساه ابدا وقال مقاتل هو التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير على كل حال بان يقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر فان هذه الكلمات يتكلم بهن صاحب الجنابة والغائط والحدث والحيض والنفاس ﴿ قوله وتخصيصهما بالذكر ﴾ مع ان المقصود الامر بتسبيحه على الدوام بقرينة قوله وسبحوه بعد قوله اذكروا الله ذكرا كثيرا من قبيل التخصيص بعد التعميم اظهارا لشرف الخاص واعلاما لغاية فضله وزيادة شرفه لم يتناوله العام المذكور قبله فاحتيج الى ذكره على حدته وهي النكتة في كل ما هو من هذا القبيل ولما كان المراد بالذكر الكثير الذكر على الدوام من غير تخصيصه بوقت دون وقت كان المراد بالتسبيح المندرج تحته التسبيح في كافة الاوقات ايضا الا انه خص طرفي النهار بالذكر دلالة على فضلهما او تمحيصا لما يجري بينهما يقال محصت الذهب بالنار اذا خلصته مما يشوبه ﴿ قوله وقيل الفعلان ﴾ اعني اذكروه وسبحوه وهو عطف

(الذين يبلغون رسالات الله) صفة للذين خلوا او مدح لهم منصوب او مرفوع وقرئ رسالة الله (ويخشونه ولا يخشون احدا الا الله) تعريض بعد تصريح (وكفى بالله حسيبا) كافيا للمخاوف او محاسبا فينبغي ان لا يخشى الا منه (ما كان محمد ابا احد من رجالكم) على الحقيقة فيثبت بينه وبينه ما بين الوالد وولده من حرمة المصاهرة وغيرها ولا ينتقض عمومه بكونه ابا للطاهر والطيب والقاسم وابراهيم لانهم لم يبلغوا مبلغ الرجال ولو بلغوا كانوا رجاله لا رجالهم (ولكن رسول الله) وكل رسول ابو امته لا مطلقا بل من حيث انه شفيق ناصح لهم واجب التوقير والطاعة عليهم وزيد منهم وليس بينه وبينه ولادة وقرئ رسول الله بالرفع على انه خبر محذوف ولكن بالتشديد على حذف الخبر اي ولكن رسول الله من عرفتموه لم يعش له ولد ذكر (وخاتم النبيين) وآخرهم الذي ختمهم او ختموا به على قراءة عاصم بالفتح ولو كان له ابن بالغ لاق منصبه ان يكون نبيا كما قال عليه الصلاة والسلام في ابراهيم حين توفي لو عاش لكان نبيا ولا يقدح فيه نزول عيسى بعده لانه اذا نزل كان على دينه مع ان المراد انه آخر من نبئ (وكان الله بكل شيء عليما) فيعلم من يليق بان يختم به النبوة وكيف ينبغي شأنه (يا ايها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا) يغلب الاوقات ويعم انواع ما هو اهله من التقديس والتمجيد والتهليل والتحميد (وسبحوه بكرة واصيلا) اول النهار وآخره خصوصا وتخصيصهما بالذكر للدلالة على فضلهما على سائر الاوقات لكونهما مشهودين كافراد التسبيح من جملة الاذكار لانه العمدة فيها وقيل الفعلان موجهان اليهما

على ماقبله من حيث المعنى فانه فسر الفعل الاول بما معناه اذكروه فى عموم الاوقات والاحوال بما يعم انواع ماهو اهله ثم جعل قوله بكرة واصيلا ظرفا لقوله سبحوه فمعناه قال الزمخشرى انه من قبيل صم وصل يوم الجمعة ولم يرض به لان حمل الذكر على مايعم انواعه وحمل كثرته على وقوعه فى كافة الاوقات والاحوال ثم ذكر التسبيح وطرفى النهار بخصوصهما اظهار لمزيد فائدة بليغة لاتوجد فيما قاله الزمخشرى ﴿ قوله وقيل المراد بالتسبيح الصلاة ﴾ فالمعنى صلّ لله بالغداة والعشىّ قال الكلبى امابكرة فصلاة الفجر واما اصيلا فصلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء كما قال تعالى واقم الصلاة طرفى النهار وزلفا من الليل وكقوله تعالى فسبحان الله حين تمسون الآيتين ﴿ قوله مستعار من الصلا ﴾ لما فسر الصلاة المسندة اليه تعالى بالرحمة والى الملائكة بالاستغفار وورد عليه ان يقال كيف يصح ارادة معنيين مختلفين بلفظ واحد اشار الى جوابه بان الصلاة المدلول عليها بقوله تعالى يصلى عبارة عن معنى مجازىّ هو القدر المشترك بين المعنيين المذكورين وهو العناية بصلاح امر الانسان وظهور شرفه وهذا المعنى المشترك يصح ان يسند اليه تعالى والى الملائكة الا ان العناية المسندة اليه تعالى هى الرحمة وماسند الى الملائكة هو الاستغفار فليس هنا ارادة معنيين مختلفين بلفظ واحد ووجه كون هذا القدر المشترك معنى مجازيا للصلاة ان الصلاة اسم موضوع موضع المصدر وهو التصلية فان القياس ان يقال صلى تصلية ولايقال كذا بل صلى صلاة وتصلية العصا تلاعبارة عن اصلاحها وتقويمها يقال صليت العصا بالنار اذا لينتها وقومتها فشبهت العناية بصلاح امر الانسان وظهور شرفه بتصلية العصا فسميت باسم المشبه به على سبيل الاستعارة ﴿ قوله وقيل الترحم ﴾ معطوف على قوله وهو العناية اى وقيل الامر المشترك بين رحمة الله تعالى واستغفار الملائكة هو الترحم والانعطاف المعنوىّ اطلق لفظ الصلاة على هذا المعنى المشترك بينهما تشبيهاله بالصلاة التى هى الانعطاف الصورىّ بالركوع والسجود ولفظ الصلاة مجاز فى الانعطاف الصورىّ ايضا لكونه مأخوذا من الصلا وهو العظم الذى عليه الاليتان يقال صلى صلاة اى حرك صلويه ثم نقل لفظ الصلاة الى الاذكار المعهودة والاركان المخصوصة لان المصلى ينعطف ويتحرك فى ركوعه وسجوده ويحرك صلويه فيهما فلما كان لفظ الصلاة مجازا مرسلا فى الاذكار المعهودة كان مجازا فى الانعطاف المعنوى فى المرتبة الثانية والانعطاف قدر مشترك بين الرحمة والاستغفار يطلق على كل واحد منهما على سبيل الحقيقة وهو قوله واستغفار الملائكة ودعاؤهم للمؤمنين ترحم عليهم ثم اشار بقوله سيما وهو سبب الرحمة الى جواز ان يكون الترحم والانعطاف المعنوى حقيقة فى الرحمة مجازا فى الاستغفار سمى استغفار الملائكة ترحما لكونه سببا للرحمة من حيث انهم مجابوا الدعوة فيكون لفظ الصلاة مجازا فى الترحم بالمعنى الاعم المتناول لرحمة الله تعالى حقيقة ولدعاء المؤمنين بالرحمة فى حقهم فان الملائكة لماقالوا اللهم صلّ على المؤمنين جعلوا كأنهم فاعلوا الرحمة فى حقهم لكونهم مستجابى الدعوة فليس لفظ الصلاة مستعملا فيما هو رحمة الله تعالى حقيقة وفيما هو رحمة مجازا وهو استغفار الملائكة ودعاؤهم بل هو مستعمل فى الترحم المتناول لهما على طريق عموم المجاز فلفظ الصلاة ليس فيه جمع بين الحقيقة والمجاز بل هو مستعمل فى الترحم الذى هو معنى مجازى له وذلك الترحم متناول لماهو رحمة الله تعالى حقيقة ولماهو رحمة مجازا على طريق عموم المجاز ﴿ قوله يحيون ﴾ يجوز ان يعظمهم الله تعالى بسلامه عليهم كما يفعل بهم سائر انواع التعظيم فقد ورد فى الخبر ان الله تعالى يقول السلام عليكم مرحبا بعبادى المؤمنين الذين ارضونى فى دار الدنيا باتباع امرى وروى ايضا ان الله تعالى يقول سلام عليكم عبادى انا عنكم راض فهل انتم عنى راضون فيقولون باجمعهم ياربنا كل الرضى كل الرضى وقيل تحييهم الملائكة على ابواب الجنة بالسلام اذا دخلوها من كل باب وقيل تحييهم بذلك ملك الموت عند قبض ارواحهم لايقبض روح مؤمن الاسلم عليه وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال اذا جاء ملك الموت لقبض ارواح المؤمنين قال ربك يقرئك السلام وقيل تسلم عليهم الملائكة حين يخرجون من قبورهم تبشرهم بالجنة ويجوز ان يكون من اضافة المصدر الى فاعله على معنى يحيى بعضهم بعضا فى الجنة ويقول امن لنا ولكم من كل مكروه ﴿ قوله يوم لقائه عند الموت او الخروج من القبر او دخول الجنة ﴾ جعل لقاء احد هذه الثلاثة لقاء الله تعالى لان الانسان فى حال حياته غير مقبل بكليته على الله تعالى وكيف وهو حال نومه غافل عنه وفى اكثر اوقات يقظته مشغول عنه بتحصيل امور دنياه بخلاف هذه الاحوال فانه لاشغل لاحد فيها يلهيه عن ذكر الله تعالى فهى فى حكم لقاء الله تعالى حقيقة ﴿ قوله ولعل اختلاف النظم ﴾ حيث عطف الجملة الفعلية

وقيل المراد بالتسبيح الصلاة (هو الذى يصلى عليكم) بالرحمة (وملائكته) بالاستغفار لكم والاهتمام بما يصلحكم والمراد بالصلاة المشترك وهو العناية بصلاح امركم وظهور شرفكم مستعار من الصلا وقيل الترحم والانعطاف المعنوىّ مأخوذ من الصلاة المشتملة على الانعطاف الصورىّ الذى هو الركوع والسجود واستغفار الملائكة ودعاؤهم للمؤمنين ترحم عليهم سيما وهو سبب الرحمة من حيث انهم مجابوا الدعوة (ليخرجكم من الظلمات الى النور) من ظلمات الكفر والمعصية الى نور الايمان والطاعة (وكان بالمؤمنين رحيما) حتى اعتنى بصلاح امرهم وانافة قدرهم واستعمل فى ذلك ملائكة المقربين (تحيتهم) من اضافة المصدر الى المفعول اى يحيون (يوم يلقونه) يوم لقائه عند الموت او الخروج من القبر او دخول الجنة (سلام) اخبار بالسلامة من كل مكروه وآفة (واعدلهم اجرا كريما) هى الجنة ولعل اختلاف النظم لمحافظة الفواصل والمبالغة فيما هو اهمّ

(يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا) على من بعثت اليهم بتصديقهم وتكذيبهم ونجاتهم وضلالهم وهو حال مقدرة (ومبشرا ونذيرا

وداعيا الى الله) الى الاقرار به وبتوحيده وما يجب الايمان به من صفاته (باذنه) بتيسيره واطلق له من حيث انه من اسبابه وقيد به الدعوة ايذانا بانه امر صعب لا يتأتى الا بمعونة من جانب قدسه (وسراجا منيرا) يستضاء به في ظلمات الجهالة ويقتبس من نوره انوار البصائر (وبشر المؤمنين بان لهم من الله فضلا كبيرا) على سائر الامم او على اجر اعمالهم ولعله معطوف على محذوف مثل فراقب احوال امتك (ولا تطع الكافرين والمنافقين) تهييج له على ما هو عليه من مخالفتهم (ودع اذاهم) ايذاءهم اياك ولا تحتفل به او ايذاءك اياهم مجازاة او مؤاخذة على كفرهم ولهذا قيل انه منسوخ (وتوكل على الله) فانه يكفيكهم (وكفى بالله وكيلا) موكولا اليه الامر في الاحوال كلها ولعله تعالى لما وصفه بخمس صفات قابل كلا منها بخطاب يناسبه فحذف مقابل الشاهد وهو الامر بالمراقبة لان ما بعده كالتفصيل له وقابل المبشر بالامر ببشارة المؤمنين والنذير بالنهي عن مراقبة الكفار والمبالاة باذاهم والداعي الى الله بتيسيره بالامر بالتوكل عليه والسراج المنير بالاكتفاء به فان من انار الله تعالى برهانا على جميع خلقه كان حقيقا بان يكتفى به عن غيره (يا ايها الذين آمنوا اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل ان تمسوهن) تجامعوهن (فما لكم عليهن من عدة) ايام يتربصن فيها بانفسهن (تعتدونها) تستوفون عددها من عددت الدراهم فاعتدها كقولك كلته فاكتاله او تعدونها والاسناد الى الرجال للدلالة على ان العدة حق الازواج كما اشعر به فما لكم وعن ابن كثير تعتدونها مخففا على ابدال احدى الدالين بالتاء او على انه من الاعتداء بمعنى تعتدون فيها وظاهره يقتضي عدم وجوب العدة بمجرد الخلوة وتخصيص المؤمنات دون الكتابيات والحكم عام للتنبيه على ان من شان المؤمن ان لا ينكح الا مؤمنة تخيرا لنطفه وفائدة ثم ازاحة ما عسى يتوهم ان تراخي الطلاق ريثما تمكن الاصابة كما يؤثر في النسب يؤثر في العدة (فمتعوهن) اي ان لم تكن مفروضا لها فان الواجب للمفروض لها نصف المفروض دون المتعة وهي سنة

(مفروضا)

على الاسمية فان التعبير عن مضمون الجملة الفعلية التي يكون فيها ماضيا مثبتا ابلغ في بيان ثبوتها من الاسمية الدالة على مجرد الثبوت ثم انه تعالى لما بين انه اخرج المؤمنين من ظلمات الكفر والمعصية الى انوار الايمان والطاعة برحمته وبسبب دعاء الملائكة واستغفارهم وقرر ذلك بقوله وكان بالمؤمنين رحيما اشار الى ان معظم رحمته في حقهم ارسال رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم فقال انا ارسلناك شاهدا على امتك وعلى جميع الامم بتبليغ الرسالة والتصديق منهم والتكذيب مقبولا قولك عند الله لهم وعليهم كما يقبل قول الشاهد العدل ومبشرا بالجنة لمن صدقك ونذيرا اي منذرا لمن كذبك بالنار ﴿قوله واطلق له﴾ اي اطلق لفظ الاذن واريد التيسير والتسهيل بطريق اطلاق اسم السبب على المسبب فان الدخول في حق الغير متعذر فاذا صودف الاذن تسهل وتيسر فلما كان الاذن سببا لتيسر ما تعذر صح ان يراد به التيسير مجازا وانما صرف عن ظاهره وحمل على المجاز لانه قد فهم من قوله انا ارسلناك انه عليه افضل الصلاة والسلام مأذون له في الدعاء الى الله وتوحيده وطاعته فلو لم يحمل على المجاز لما بقي له فائدة ﴿قوله وقيد به الدعوة﴾ فان قوله باذنه حال من المنوي في داعيا اي متلبسا باذنه او صفة مقيدة له وقوله تعالى وسراجا منيرا من قبيل التشبيه البليغ وقول المصنف يستضاء به ويقتبس من نوره بيان لوجه الشبه ﴿قوله او على اجر اعمالهم﴾ على ان المراد بالفضل ما يتفضل به عليهم زيادة على الثواب الموعود لهم بمقابلة اعمالهم ﴿قوله ولعله معطوف على محذوف﴾ حذف اعتمادا على دلالة المقام لانه تعالى وصفه بخمس صفات وكلفه بمقابلة كل واحدة منها بتكليف على حدة ولما لم يذكر ما يقابل قوله شاهدا مع انه قد ذكر ما يقابل سائر الصفات علم انه ملحوظ في الكلام وان لم يذكر لنكتة فصح العطف عليه وان العطف من جملة ما يدل على كونه ملحوظا معتبرا في الكلام فكأنه قيل ارسلناك شاهدا ومبشرا فراقب وبشر الخ عن عطاء بن يسار قال لقيت عبد الله ابن عمرو وقلت له اخبرني عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة قال والله انه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للمؤمنين انت عبدي ورسولي سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الاسواق ولا يدفع بالسيئة السيئة بل يعفو ويصفح ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء ويفتح به اعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا ثم انه تعالى لما ذكر في ارشاد رسوله عليه الصلاة والسلام وتأديبه ما يتعلق بجانبه تعالى فقال يا ايها النبي اتق الله ثم ذكر ما يتعلق بجانب من تحت يده من ازواجه بقوله يا ايها النبي قل لازواجك ذكر في ارشاد المؤمنين ما يتعلق بجانبه تعالى فقال يا ايها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا ثم ذكر ما يتعلق بجانب من تحت ايديهم فقال تعالى يا ايها الذين آمنوا اذا نكحتم المؤمنات ﴿قوله تجامعوهن﴾ والخلوة الصحيحة بها تقوم مقام المساس عند الحنفية وهي ان يخلو بها من غير ان يكون في احد الزوجين مانع شرعي كالاحرام والصوم الفرض والحيض او مانع حسي كالمرض او مانع عقلي بان يكون هناك شخص يستحيي منه الزوج فلو خلا بها على هذا الوجه ثم طلقها قبل الدخول بها يجب على الزوج المهر كاملا وعليها العدة احتياطا واما اذا خلا بها مع احد الموانع المذكورة ثم طلقها قبل الدخول فعليه نصف المهر وعليها العدة احتياطا ﴿قوله من عددت الدراهم فاعتدها﴾ اي استوفى عدتها فقوله تعتدونها تفتعلونها من العدد على ان بناء افتعل للاتخاذ بنفسه والمعنى فما لكم عليهن من ايام يتربصن فيها بانفسهن تستوفون انتم عددها بالاقراء او الاشهر فقوله تعتدونها صفة لعدة ﴿قوله او تعدونها﴾ على ان يكون افتعل بمعنى فعل كما يقال صبر واصطبر وكذا عد واعتد ﴿قوله على ابدال احدى الدالين بالتاء﴾ كراهة اجتماع حرفي التضعيف كما في تقضى البازي فتكون القراءتان بمعنى واحد لكونهما من الاعتداد وان كان من الاعتداء بمعنى الظلم يكون التقدير فما لكم عليهن من عدة تعتدون فيها فان الزوج المطلق ان الزمها العدة ومنعها من ان تنكح زوجا آخر فقد ظلمها بغير حق فضمير تعتدونها للعدة اجري الظرف مجرى المفعول به حيث لم يقدر كلمة في اتساعا كما في قولك الذي سرته اي سرت فيه يوم الجمعة وفي قوله ويوم شهدناه سليما وعامرا ﴿قوله والحكم عام﴾ فان من نكح كتابية ثم طلقها قبل المسيس فليس له عليها من عدة كما في المؤمنة فلا وجه بحسب الظاهر لتخصيص المؤمنات بالذكر وحاصل الجواب ان مفهوم المخالفة انما يثبت ان لو لم يكن للتخصيص فائدة سواه وههنا فائدة سواه وهي التنبيه على ما ذكر ﴿قوله تخيرا لنطفه﴾ اي اختيارا واصطفاء لها ﴿قوله وفائدة ثم الخ﴾ جواب عما يقال ما الفائدة في الاتيان بكلمة ثم مع ان حكم من طلقت على الفور بعد العقد كذلك ﴿قوله اي ان لم تكن

مطلب في بيان ان المطلقات من الساع

مفروضا لها﴾ يعني ان الامر للوجوب ولا تجب المتعة الا لمن لم يسم لها مهر وقد روى عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال هذا اذا لم يكن سمى لها صداق فانه تجب لها المتعة ان طلقت قبل المسيس وان كان قد فرض لها صداق فلها نصف الصداق ولا متعة لها ﴿قوله ويجوز ان يأول﴾ بان لا يكون الامر بالتمتيع مشروطا بان لا تكون مفروضا لها بل يكون في حق من طلقت قبل دخول مطلقا سواء سمى لها او لم يسم بان يأول قوله فمتعوهن باعطاء ما يستمتعن به وهو يتناول المتعة المتعارفة ونصف المفروض او بان يحمل الامر على ما يعم الايجاب والندب فان من سمى لها مهر حين العقد ان طلقت قبل وطئ يستحب تمتيعها بشئ زائد على نصف المسمى والمذكور في كتب الحنفية ان المطلقات اربع مطلقة لم توطأ ولم يسم لها مهر فتجب لها المتعة وهي درع وخمار وملحفة ومطلقة لم توطأ وقد سمى لها فهي التي لم تستحب لها المتعة بل يجب لها نصف المسمى ومطلقة قد وطئت ولم يسم لها مهر ومطلقة قد وطئت وسمى لها مهر فهاتان يستحب لهما المتعة فالحاصل انه اذا وطئها يستحب لها المتعة سواء سمى لها مهر او لم يسم لانه اوحشها بالطلاق بعد ما سلمت اليه المعقود عليه وهو البضع فيستحب ان يعطيها شيأ زائدا على الواجب وهو المسمى في صورة التسمية ومهر المثل في صورة عدم التسمية وان لم يطأها ففي صورة التسمية تأخذ نصف المسمى من غير تسليم البضع فلا يستحب لها شئ آخر وفي صورة عدم التسمية تجب المتعة لانها لم تأخذ شيأ ﴿قوله ولا يجوز تفسيره﴾ اى تفسير السراح الجميل بالطلاق السني وهو ان يطلق غير الموطوءة طلقة واحدة ولو في زمان حيض وان يفرق طلقات الموطوءة في ثلاثة اطهار لا وطئ فيها ان كانت ممن تحيض او في ثلاثة اشهر ان كانت آيسة او صغيرة او حاملا فان الاشهر في حقهن قائمة مقام الحيض ﴿قوله لانه مرتب على الطلاق﴾ من حيث كونه معطوفا على ما هو مرتب على الطلاق وهو قوله فمتعوهن وغير المدخول بها بعد ما طلقت لا تكون محلا للطلاق لزوال علقة النكاح بالكلية بطلاقها قبل الدخول فامتنع تفسيره بالطلاق ثم انه تعالى قال على سبيل الامتنان لنبيه صلى الله عليه وسلم يا ايها النبي انا احللنا لك ازواجك اى نساءك اللاتي اعطيت مهورهن والمراد بالايتاء وهو الاعطاء حقيقة الاداء وقد يطلق على مجرد القبول والالتزام كما في قوله تعالى حتى يعطوا الجزية اى يلتزموها وغيره عليه الصلاة والسلام ممن له اكثر من اربع نسوة امره ان يترك ما زاد على الاربع وقد احل الله تعالى للنبي صلى الله عليه وسلم امساك التسع ولم يأمره بالفرقة عما زاد على الاربع وايضا فما اختاره له عليه الصلاة والسلام ما هو الافضل والاولى من المحللات كما اختار للمؤمنين نكاح المؤمنات لكونه الاولى لهم الا ترى انه تعالى وصف الازواج المحللة له عليه الصلاة والسلام بقوله اللاتي آتيت اجورهن وبكونهن مهاجرات معه وبكونهن من اقاربه من جهة ابيه او امه ووصف المملوكات منهن بقوله مما افاء الله عليك فان تسمية المهر واداءه افضل من تركها وكذا الجارية اذا كانت مسبية مالكها وخطبة سيفه ورمحه ومما غنمه الله من دار الحرب تكون احل واطيب ممن تشترى من اهل الجلب لانها لو لم تكن مما غنمه الله من دار الحرب احتمل ان تكون من سبي خبثه بان سبيت من اهل العهد والذمة وكذا المهاجرة افضل من غيرها لان الهجرة حينئذ كانت من فروض الاعيان وكذا قرائب النبي عليه الصلاة والسلام من جهة ابيه او امه اقرب منه في الكفاءة من غيرها فتوصيف المحللات بهذه الصفات ليس لبيان انحصارها فيما وجد فيه احدى الصفات بل للامتنان بان المسوق اليه عليه الصلاة والسلام منها ما هو اولاها وافضلها ﴿قوله فاعتذرت اليه﴾ قيل اعتذرت اليه عليه الصلاة والسلام بان قالت اني مُصْبِيَة اي ذات صبية والطلقاء جمع طليق وهو فعيل بمعنى مفعول وهو الاسير اذا أطلق عنه اساره اي قيده وخلى سبيله ولما فتح عليه الصلاة والسلام مكة عنوة صار اهلها غنيمة وتملكا فاعتقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فسموا الطلقاء ﴿قوله نصب بفعل يفسره ما قبله﴾ اى ويحل لك امرأة مؤمنة او عطف على مفعول احللنا اى واحللنا لك امرأة موصوفة بهذين الشرطين قال ابو البقاء وقد اورد هنا قوم وقالوا احللنا ماض وان وهبت وهو صفة المرأة مستقبل فاحللنا في موضع جوابه وجواب الشرط يكون ماضيا في المعنى ثم قال وهذا ليس بصحيح لان معنى الاحلال ههنا الاعلام بالحل اذا وقع الفعل على ذلك كما تقول أبحت لك ان تكلم فلانا ان سلم عليك انتهى يعني ليس المعنى ان وهبت لك نفسها في المستقبل احللناك اياها فيما مضى بل المعنى ان وهبت فاعلم انا احللناها لك ﴿قوله ولذلك نكرها﴾ اى ولاجل ان الاحلال كان على تقدير ان تتفق الهبة نكّر امرأة اذ لو كانت الواهبة مخصصة لكانت متعينة فكان المناسب

ويجوز ان يأول التمتيع بما يعمهما او الامر بالمشترك بين الوجوب والندب فان المتعة سنة للمفروض لها (وسرحوهن) اخرجوهن من منازلكم اذ ليس لكم عليهن عدة (سراحا جميلا) من غير ضرار ولا منع حق ولا يجوز تفسيره بالطلاق السني لانه مرتب على الطلاق والضمير لغير المدخول بهن (يا ايها النبي انا احللنا لك ازواجك اللاتي آتيت اجورهن) مهورهن لان المهر اجر على البضع وتقييد الاحلال له باعطائها معجلة لا لتوقف الحل عليه بل لايثار الافضل له كتقييد احلال المملوكة بكونها مسبية بقوله (وما ملكت يمينك مما افاء الله عليك) فان المشتراة لا يتحقق بدء امرها وما جرى عليها وتقييد القرائب بكونها مهاجرات معه في قوله (وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك) ويحتمل تقييد الحل بذلك في حقه خاصة ويعضده قول ام هانئ بنت ابي طالب خطبني رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتذرت اليه فعذرني ثم انزل الله هذه الآية فلم احل له لاني لم اهاجر معه وكنت من الطلقاء (وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبي) نصب بفعل يفسره ما قبله او عطف على ما سبق ولا يدفعه التقييد بان التي للاستقبال فان المعنى بالاحلال الاعلام بالحل اى اعلمناك حل امرأة مؤمنة تهب لك نفسها ولا تطلب مهرا ان اتفق ولذلك نكرها

التعريف ﴿قوله واختلف في اتفاق ذلك﴾ اى اختلف في انه عليه الصلاة والسلام هل كانت عنده امرأة من التي وهبت نفسها له فقال عبدالله بن مسعود ومجاهد لم يكن عنده عليه الصلاة والسلام امرأة وهبت نفسها له ولم يكن عنده امرأة الا بعقد نكاح او ملك يمين وقوله تعالى ان وهبت نفسها على طريق الشرط والجزاء وقال آخرون بل كانت عنده موهوبة فقيل هي زينب بنت خزيمة الانصارية وقيل هي ميمونة بنت الحارث وقيل هي ام شريك بنت جابر من بنى اسد وقيل هي خولة بنت حكيم من بنى سليم ﴿قوله اومدة ان وهبت﴾ على أن تكون أن مع الفعل في حكم المصدر الذى حذف معه الزمان المضاف كما في قولك ترحل صياح الديك ونظيره في كون المصدر الأوّل محذوفا معه المصدر قولك اجلس مادام زيد جالسا بمعنى مدة دوامه جالسا ﴿قوله شرط للشرط الاوّل﴾ اى قيد له ولذلك يقال في اعرابه انه حال من الاوّل لان الحال قيد لعامله ولهذا اشترط الفقهاء ان يتقدم الشرط الثانى على الاوّل في الوجود فلو قال ان اكلت ان ركبت فانت طالق فلابد ان يتقدم الركوب على الاكل لتحقق الحالية والتقييد اذ لو لم يتقدم لخلا جزء من الاكل غير مقيد بركوب جعل الاكل شرطا لطلاقها وجعل ركوب نفسه شرطا لكون الاكل مستلزما لطلاقها فلما كان الشرط الاوّل بمنزلة جزاء الشرط الثانى وجب ان يكون الشرط الثانى متقدما في الوجود على الاوّل لان الشرط مقدم على الجزاء في الوجود حتى لو وجد الشرطان على الترتيب الذى تلفظ به لا ينحل اليمين مالم يوجد الاوّل بعده ثانيا فكانه قيل واحللنا لك امرأة مؤمنة ان وهبت نفسها لك اى ان ملكت نفسها اياك بالنكاح بلفظ الهبة من غير مهر حال ارادتك وتمنيك ان تنكحها على ان يكون استنكح بمعنى نكح كما يقال نكر واستنكر وعجل واستعجل وعجب واستعجب كما اشار اليه بقوله الا بارادته نكاحها فينبغي ان يكون قوله بعد هذا والاستنكاح طلب النكاح والرغبة فيه بيانا لمعنى بناء الاستنكاح لغة لا بيانا لما اريد به في نظم الآية الجليل لان يقال ان اراد النبيّ ان يطلب نكاحها وان رغب فيه معنى ظاهر فلذلك فسر الامام النسفى قوله تعالى ان اراد النبيّ ان يستنكحها بقوله ان أحب ان ينكحها كما يقال نكر واستنكر ﴿قوله واحتج به اصحابنا﴾ يعنى ان قوله تعالى خالصة لك لما دل على ان حصول التزوّج وحل ماتفرّع عليه من الاستمتاع بلفظ الهبة من خصائصه عليه الصلاة والسلام لان اختصاصه بمعنى الهبة وحكمها يستلزم اختصاصه باللفظ ايضا ❊ قال الامام قوله خالصة لك من دون المؤمنين قال الامام الشافعى رحمه الله معناه اباحة الوطئ بالهبة وحصول التزوّج بلفظها من خصائصك وقال ابو حنيفة معناه تلك المرأة صارت خالصة لك زوجة ومن امّهات المؤمنين لاتحل لغيرك ابدا بالتزوّج ثم قال ويمكن ان يقال على هذا يكون التخصيص بالواهبة لافائدة فيه لان ازواجه عليه الصلاة والسلام كلهنّ خالصات له بهذا المعنى انتهى كلامه ❊ وقال علماؤنا رحمهم الله ان النكاح ينعقد بلفظ الهبة اذا طلب الزوج منها النكاح حتى لو طلب منها التمكين من الوطئ فقالت وهبت نفسى منك وقبل الزوج يكون نكاحا واستدلوا عليه بان الآية قد دلت على احلال الواهبة وصحة نكاحها بلفظ الهبة وقد تقرّر انه عليه الصلاة والسلام وامّته سوآء في الاحكام الا ماخصه الدليل ولادلالة لقوله تعالى خالصة لك على كون صحة النكاح بلفظ الهبة من خصائصه عليه الصلاة والسلام لما مرّ من ان معناه من كون الواهبة من امّهات المؤمنين لاتحل لاحد بعده ابدا فلو وهبت نفسها من احد بغير مهر وقبل الآخر بحضر الشهود يصح النكاح ولها مهر مثلها ﴿قوله اى خلص احلالها﴾ اى احلال من وهبت نفسها بلامهر على ان يكون الخلوص من صفة المرأة الواهبة نفسها فقط ﴿قوله او احلال ما احللنا لك على القيود المذكورة﴾ وهى الاصناف الاربعة المذكورة بعد قوله تعالى انا احللنا لك والمراد بالقيود المذكورة كون الازواج اعطيت مهورهنّ معجلة وكون المماليك مسبيات وكون الاقارب مهاجرات وكون المرأة المؤمنة واهبة نفسها له عليه الصلاة والسلام فعلى هذا تكون صفة الخلوص متعلقة بالاصناف الاربعة المتقدمة ❊ فان قيل ما وجه كون المسبيات والمهاجرات ومن عجلت مهورهنّ خالصة له عليه الصلاة والسلام مع كونهنّ محللات لغيره عليه الصلاة والسلام ❊ قلنا ليس المراد بالخلوص خلوص احلالهنّ مطلقا بل المراد خلوص احلالهنّ على القيود المذكورة كما اشار اليه المصنف بقوله على القيود المذكورة فانه متعلق بقوله او احلال فانهنّ احللت في حقه عليه الصلاة والسلام بهذه القيود وهى ايتاء الاجور والافاء والهجرة والهبة واما في حق غيره عليه الصلاة والسلام فانهنّ احللت غير مقيدات بهذه القيود والمصدر قد يجيئ على وزن فاعلة نحو عاقبة وكاذبة قال تعالى ليس لوقعتها

(كاذبة)

واختلف في اتفاق ذلك والقائل به ذكر اربعا ميمونة بنت الحارث وزينب بنت خزيمة الانصارية وام شريك بنت جابر وخولة بنت حكيم وقرئ أن بالفتح اى لان وهبت اومدة أن وهبت كقولك اجلس مادام زيد جالسا (ان اراد النبيّ ان يستنكحها) شرط للشرط الاوّل في استيجاب الحل فان هبتها نفسها منه لاتوجب له حلها الا بارادته نكاحها فانها جارية مجرى القبول والعدول عن الخطاب الى الغيبة بلفظ النبي مكرّرا ثم الرجوع اليه في قوله (خالصة لك من دون المؤمنين) ايذان بانه مما خص به لشرف نبوّته وتقرير لاستحقاقه الكرامة لاجله واحتج به اصحابنا على ان النكاح لاينعقد بلفظ الهبة لان اللفظ تابع للمعنى وقد خص عليه الصلاة والسلام بالمعنى فيختص باللفظ والاستنكاح طلب النكاح والرغبة فيه وخالصة مصدر مؤكد اى خلص احلالها او احلال ما احللنا لك على القيود المذكورة خلوصا لك او حال من الضمير في وهبت او صفة لمصدر محذوف اى هبة خالصة (قد علمنا ما فرضنا عليهم في ازواجهم) من شرائط العقد ووجوب المهر بالوطئ حيث لم يسم والقسم (وما ملكت ايمانهم) من توسيع الامر فيها انه كيف ينبغى ان يفرض عليهم والجملة اعتراض بين قوله (لكيلا يكون عليك حرج) ومتعلقه وهو خالصة للدلالة على ان الفرق بينه وبين المؤمنين في نحو ذلك لا لمجرّد قصد التوسيع عليه بل لمعان تقتضى التوسيع عليه والتضييق عليهم تارة وبالعكس اخرى (وكان الله غفورا) لما يعسر التحرّز عنه (رحيما) بالتوسعة في مظانّ الحرج

كاذبة اى كذب وقد يجيء على وزن فاعل نحو قاعد فى قوله * أقاعدا والركب قد سارا * وكذا خالصة فى الآية فانه يجوز ان يكون مصدرا مؤكدا لفعله المحذوف كوعد الله والتقدير خلص خلوصا ويحتمل ان يكون انتصابه على انه حال من فاعل وهبت اى ان وهبت نفسها حال كونها خالصة لك لا تحل لاحد غيرك فى الدنيا والآخرة او على انه حال من امرأة لانها وصفت فتخصصت وهى بمعنى الاول واليه ذهب الزجاج ثم انه تعالى لما بين انه احل له عليه الصلاة والسلام الاصناف الاربعة الموسومة بما فيهن من القيود المخصوصة قال بعده قد علمنا ما فرضنا عليهم اى على المؤمنين والمعنى انه تعالى قد علم ما يجب فرضه على المؤمنين فى الازواج والاماء وعلى اى وجه وصفة يجب ان يفرض عليهم ففرضه كذلك حيث فرض عليهم ان يقتصروا على الاربع وحرم عليهم الزيادة عليها وان ينكحوا الحرة على الامة وجوز ان يزيدوا عليها فى الجوارى المملوكة وان كثرن وفرض عليهم ان لا يتزوج الرجل امرأة الا بولى وشهود ومهر بخلاف النبى عليه الصلاة والسلام فانه تعالى احل له الواهبة نفسها منه بغير مهر وبغير ولى ولم يوجب عليه ان يقتصر على الاربع بناء على انه تعالى علم الحكمة فى اختصاصه عليه الصلاة والسلام بما خصه الله تعالى به ففعل ذلك وقوله تعالى لكيلا يكون عليك حرج متصل بقوله خالصة لك من دون المؤمنين والمعنى خلص احلال ما احللنا لك على القيود المذكورة خلوصا لك لينتفى الحرج عنك فى دينك ودنياك اما الاول فلانه تعالى اختار له عليه الصلاة والسلام ما هو افضل واولى للاختيار وهى من سمى لها مهر وعجل مهرها ومن كانت مهاجرة ومن المماليك من كانت مسبية واما الثانى فلانه تعالى احل له اجناس المنكوحات وزاد له الواهبة نفسها من غير مهر وفى توسيعه عليه الصلاة والسلام بهذه الملاك المباحة عونه على القيام بما امر به ﴿ قوله وقرأ نافع وحمزة والكسائى وحفص ترجى بالياء ﴾ على ان ارجى الفعل من الناقص وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر وابو بكر ترجئ بالهمزة وفى الصحاح ارجيت الامر اخرته يهمز ولا يهمز فيقال ارجأت الامر وارجيته بمعنى اخرته نزلت الآية فى انه تعالى اباح النبى عليه الصلاة والسلام مضاجعة نسائه ومعاشرتهن كيف شاء من غير حرج عليه تخفيفا له وتفضلا واباح له ان يجعل لمن احب منهن يوما او اكثر او يعطل من يشاء منهن فلا يأتيها وقد كان القسم والتسوية بينهن واجبا عليه فلما نزلت هذه الآية سقط عنه ذلك وصار الاختيار اليه فيهن فارجأ عليه الصلاة والسلام بعضهن وآوى اليه بعضهن وكان ممن آوى اليه عائشة رضى الله عنها وحفصة وزينب وام سلمة فكان يقسم بينهن سواء وارجأ منهن خمسا ام حبيبة وميمونة وسودة وصفية وجويرية فكان يقسم لهن ما يشاء وقيل ما اخرج واحدة منهن عن القسم مع انه تعالى فوض امر القسم اليه بل كان يسوى بينهن فى القسم الا سودة فانها تركت حقها فى القسم وجعلت يومها لعائشة رضى الله عنها ومن فى قوله تعالى ومن ابتغيت يجوز ان تكون شرطية فى محل النصب لما بعدها وقوله فلا جناح عليك جوابها والمعنى ومن طلبتها من النسوة اللاتى عزلتهن فليس عليك فى ذلك جناح ويجوز ان تكون فى محل الرفع على الابتداء وحذف العائد وعلى هذا يجوز ان تكون من موصولة وان تكون شرطية وقوله فلا جناح عليك اما خبر او جواب ولا بد حينئذ من ضمير راجع الى اسم الشرط والتقدير والتى ابتغيتها فلا جناح عليك فى ابتغائها وطلبها ﴿ قوله اقرب الى قرة عيونهن ﴾ اختار المصنف قرآءة الجمهور وهى ان تقر بالحضات الثلاث على بناء الفاعل وهو اعينهن من قرت عينه تقر قرة وقرورا بكسر العين فى الماضى وفتحها فى الغابر نقيض سخنت تسخن فان السرور له دمعة باردة والحزن له دمعة حارة او نقيض طمحت وارتفعت الى ما هو فوقه ولم تستقر فالمعنى على الاول ذلك اقرب الى ان تبرد اعينهن اى الى ان يصرن مسرورات وان تطيب انفسهن لانهن اذا علمن ان هذا جاء من الله كان اطيب لانفسهن واقل لحزنهن وعلى الثانى ذلك اقرب الى ان تستقر اعينهن فلا تطمح الى ما هو فوقه وقرئ ادنى ان تقر اعينهن بضم التاء وكسر القاف واسناد الفعل الى ضمير المخاطب ونصب اعينهن على المفعولية من اقر الله عينه اى اعطاه حتى استقرت عينه او بردت وقرئ ايضا ان تقر على بناء المفعولية ورفع اعينهن لقيامه مقام الفاعل وقرأ العامة كلهن بالرفع على انه تأكيد لنون يرضين التى هى ضمير الفاعل وقرئ بالنصب على انه تأكيد لمفعول آتيتهن ﴿ قوله من بعد التسع ﴾ لما بنى بعد على الضم علم انه قطع عن الاضافة وان المضاف اليه محذوف منوى وذكر المصنف فى تعيين المضاف اليه احتمالين الاول انه التسع اللاتى اخترن الله ورسوله والثانى انه يوم نزول الآية واشار الى ان الفرق بين الاحتمالين ان يكون المقصود من الآية على الاحتمال الاول بيان ان التسع فى حقه عليه الصلاة والسلام نصابه من الازواج

(ترجى من تشاء منهن) تؤخرها وتترك مضاجعتها (وتؤوى اليك من تشاء) وتضم اليك وتضاجعها او تطلق من تشاء وتمسك من تشاء وقرأ نافع وحمزة والكسائى وحفص ترجى بالياء والمعنى واحد (ومن ابتغيت) طلبت (ممن عزلت) طلقت بالرجعة (فلا جناح عليك) فى شئ من ذلك (ذلك ادنى ان تقر اعينهن ولا يحزن ويرضين بما آتيتهن كلهن) ذلك التفويض الى مشيئتك اقرب الى قرة عيونهن وقلة حزنهن ورضاهن جميعا لانه حكم كلهن فيه سواء ثم ان سويت بينهن وجدن ذلك تفضلا منك وان رجحت بعضهن علمن انه بحكم الله فتطمئن نفوسهن وقرئ تقر بضم التاء واعينهن بالنصب وتقر على البناء للمفعول وكلهن توكيد نون يرضين وقرئ بالنصب تأكيدا لهن (والله يعلم ما فى قلوبكم) فاجتهدوا فى احسانه (وكان الله عليما) بذات الصدور (حليما) لا يعاجل بالعقوبة فهو حقيق بان يتقى (لا يحل لك النساء) بالياء لان تأنيث الجمع غير حقيقى وقرأ البصريان بالتاء (من بعد) من بعد التسع وهو فى حقه كالاربع فى حقنا او من بعد اليوم حتى لو ماتت واحدة لم يحل له نكاح اخرى

فلا يحل له ان يتجاوز النصاب وان جازله نكاح امرأة اخرى على تقدير ان يموت واحدة من التسع وعلى الاحتمال الثانى يكون المقصود قصره عليه الصلاة والسلام على هؤلاء التسع اللاتى اخترن الله ورسوله والدار الآخرة بدل الحياة الدنيا وزينتها حين خيرهن رسول الله صلى الله عليه وسلم بحيث لو ماتت واحدة منهن لم يحل له نكاح اخرى وقال الامام والاولى ان يقال لاتحل لك النساء من بعد اختيارهن الله ورسوله ورضاهن بما تؤتيهن من الوصول والهجران والنقص والحرمان انتهى كلامه يريد ان الآية لما نزلت بعد ما خيرهن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخترن الله ورسوله كان المناسب ان يكون المضاف اليه المقدر ما ذكره لكونه ادل على انه تعالى انما حرم عليه النساء سواهن ونهاه عن تطليقهن وعن الاستبدال بهن شكرا لهن على حسن صنيعهن وقول المصنف او من بعد اليوم خلاصة ما ذكره الامام وقوله تعالى ولا ان تبدل اصله ولا ان تتبدل بهن بمعنى تستبدل يقال استبدل الشئ بغيره وتبدل به اذا اخذه به كأنه قيل ولا ان تأخذ بمقابلتهن احدا من الازواج بان تطلق واحدة منهن وتنكح مكانها اخرى فحرم عليه طلاق النساء اللواتى كن عنده اذ جعلهن امهات المؤمنين وحرمهن على غيره حين اخترنه وقيل كانت العرب فى الجاهلية يتبادلون بازواجهم يقول الرجل للرجل بادلنى بامرأتك وابادلك بامرأتى تنزل لى عن امرأتك وانزل لك عن امرأتى فانزل الله عز وجل ولا ان تبدل بهن من الازواج يعنى ان تبادل بازواجك غيرك بان تعطيه زوجتك وتأخذ زوجته ثم استثنى من هذا الحكم الا ما ملكت يمينك اى لابأس فى ان تبادل بجاريتك ما شئت واما الحرائر فلا ويؤيد هذا القول ما روى عن ابى هريرة رضى الله عنه انه قال دخل عيينة بن حصين على النبى صلى الله عليه وسلم بغير اذن وعنده عائشة رضى الله عنها فقال له النبى صلى الله عليه وسلم يا عيينة اين الاستئذان قال يا رسول الله ما استأذنت على رجل قط ممن مضى منذ ادركت ثم قال من هذه الحميراء التى الى جنبك فقال هذه عائشة ام المؤمنين فقال عيينة أفلا انزل لك عن احسن الخلق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله قد حرم ذلك فلما خرج قالت عائشة من هذا يا رسول الله قال هذا احمق مطاع وانه على ما ترين لسيد قومه ﴿ قوله تعالى ولو اعجبك حسنهن ﴾ كقوله عليه الصلاة والسلام اعطوا السائل ولو على فرس اى اعطوه فى كل حال ولو على هذه الحال المنافية تعنى الآية ليس لك ان تطلق احدا من نسائك وتنكح بدلها اخرى فى كل حال ولو فى حال اعجبك حالها ﴿ قوله لتوغله فى التنكير ﴾ والحال من النكرة لا يجوز تأخيرها من ذى الحال قيل فيه نظر لانه اذا كان فى الحال واو جاز تأخيرها عن ذى الحال النكرة لان الواو ترفع التباسها بالصفة بناء على انه لا يجوز توسيط الواو بين الصفة والموصوف واختلفوا فى انه عليه الصلاة والسلام هل ابيح له النساء من بعد بان نسخت هذه او هى محكمة قالت عائشة رضى الله عنها ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى احل له النساء وقال انس مات على التحريم ثم قال الزهرى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وما نعلمه يتزوج النساء قال ابن عباس رضى الله عنهما انه عليه الصلاة والسلام مات بعد هؤلاء مارية فكان الامر موسعا عليه فيهن كما هو موسع على امته ﴿ قوله وقيل المعنى ﴾ عطف على قوله من بعد التسع قيل لابى بن كعب لو مات نساء النبى عليه الصلاة والسلام أكان يحل له ان يتزوج قال وما يمنعه من ذلك قيل اما يمنعه قوله تعالى لا تحل لك النساء من بعد قال انما احل الله ضربا من النساء فقوله يا ايها النبى انا احللنا لك ازواجك الآية ثم قال لا يحل لك من بعد اى من بعد هؤلاء الاصناف المذكورة فله ان يتزوج من نساء قومه المهاجرات ما شاء ولو ثلاثمائة والفرق بين القولين ان الآية على القول الاول فيها حكمان تحريم الزيادة على التسع وتحريم التبديل وعلى الثانى فيها حكم واحد وهو تحريم غير ما نص عليه من الاجناس الاربعة المذكورة فى قوله تعالى انا احللنا لك الخ وقوله ولا ان تبدل بهن تأكيد لذلك فيجوز له ان يزيد على العدد المذكور وان يبدل بكلهن او بعضهن ازواجا اخر من جنس ما نص عليه ولم يرض به المصنف لان تخلل العاطف بين التأكيد والمؤكد غير معهود ﴿ قوله استثناء من النساء ﴾ فيجوز ان يكون فى محل النصب على اصل الاستثناء او فى محل الرفع على البدلية وهو المختار ولم يرض بكون الاستثناء منقطعا لابتنائه على ان يحمل النساء على الازواج حتى يكون استثناء الاماء من خلاف الجنس وهو خلاف الظاهر ﴿ قوله الا وقت ان يؤذن لكم ﴾ على ان يكون ان مع الفعل فى معنى الظرف قائما مقامه على خلاف ما اشتهر عند النحاة من ان أن المصدرية لا تقع موقع الظرف فلا يقال آتيك ان يصيح الديك وانما يجوز ذلك فى المصدر الصريح نحو آتيك صياح الديك اى وقت صياحه ﴿ قوله او الا مأذونا لكم ﴾ على ان يكون ان مع الفعل فى موضع النصب على الحال

(ولا ان تبدل بهن من ازواج) تطلق واحدة وتنكح مكانها اخرى ومن مزيدة لتأكيد الاستغراق (ولو اعجبك حسنهن) حسن الازواج المستبدلة وهو حال من فاعل تبدل دون مفعوله وهو من ازواج لتوغله فى التنكير وتقديره مفروضا اعجابك بهن واختلف فى ان الآية محكمة او منسوخة بقوله ترجى من تشاء منهن وتؤوى اليك من تشاء على المعنى الثانى فانه وان تقدمها قراءة فهو مسبوق بها نزولا وقيل المعنى لا يحل لك النساء من بعد الاجناس الاربعة اللاتى نص على احلالهن لك ولا ان تبدل بهن ازواجا من اجناس اخر (الا ما ملكت يمينك) استثناء من النساء لانه يتناول الازواج والاماء وقيل منقطع (وكان الله على كل شئ رقيبا) فتحفظوا امركم ولا تتخطوا ما حد لكم (يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبى الا ان يؤذن لكم) الا وقت ان يؤذن لكم او الا مأذونا لكم

(والمعنى)

والمعنى على الأوّل لاتدخلوا منازله التي فيها نساؤه في وقت من الاوقات الاوقت كذا وعلى الثاني لاتدخلوا منازله على اي حال من الاحوال الاحال كذا ﴿ قوله غير منتظرين وقته ﴾ على ان يكون الانى اسما بمعنى الوقت فيجمع على آناء قال تعالى ومن آناء الليل اي ساعاته فحينئذ يحتاج الى تقدير المضاف اي انى اكله او تقديمه اليكم لان الزمان لايضاف الى العين بل يضاف الى الحدث ﴿ قوله او ادراكه ﴾ على ان يكون الانى مصدرا تقول انى يانى انى مثل قلى يقلى قلى يقال انى الطعام انى بمعنى ادرك ادراكا والنظر قد يكون بمعنى الانتظار قال تعالى انظرونا نقتبس من نوركم اي انتظرونا ووجه كون قوله تعالى غير ناظرين اناه مشعرا بماذكره انه لما نهى عن الدخول في جميع الاحوال الافى حال عدم انتظار الداخل وقت تناول الطعام دل ذلك على ان الدخول على الطعام من غير دعوة لايحسن وان اذن فان الداخل بالاذن اذا نهى عن الانتظار لادراك الطعام كيف يحسن للمستأذن في الدخول على الطعام ان يستأذن ويدخل عليه من غير دعوة ﴿ قوله وهو حال من فاعل لاتدخلوا ﴾ ووقع الاستثناء على الوقت والحال معا كأنه قيل لاتدخلوا بيوت النبيّ عليه الصلاة والسلام في وقت من الاوقات كانهوا عن الدخول من غير دعوة واذن نهوا ايضا عن انتظار وقت الطعام وتحينه ليدعوا اليه فيدخلوا الاوقت الاذن اي لاتدخلوها في حال من الاحوال الاغير ناظرين او من المجرور في لكم والعامل على هذا ان يؤذن ﴿ قوله وقرئ بالجر ﴾ يعني ان العامّة قرأوا غير ناظرين بالنصب على الحال وفي ذي الحال وجهان كما تقدم وقرئ بالجر على انه صفة لطعام على رأى الكوفيين فانهم يجوّزون ان يستتر الضمير في اسم الفاعل الجارى صفة على غير من هي له كما جاز في الفعل نحو مررت برجل تضربه ولايجب ان يقال تضربه انت لعدم اللبس فيجيزون ايضا ان يقال دعينا الى طعام غير منتظرين تقديمه الينا لعدم اللبس وعند البصريين لايجوز ذلك بل يجب ان يقال غير منتظرين نحن فانهم يقولون يجب اظهار الضمير الذي في ناظرين بان يقال الى طعام غير ناظرين اناه انتم ﴿ قوله لقوم كانوا يتحينون طعام رسول الله ﴾ اي ينتظرون وقت تناول الطعام يقال تحين الوارش اذا انتظر وقت الاكل ليدخل والوارش الداخل على القوم وهم يأكلون ولم يدع مثل الواغل في الشراب ولما كان مدلول الآية تحريم الدخول في جميع الاوقات الاوقت الاذن الى الطعام وتحريم لبث من دخل بالاذن الى الطعام بعد الطعام لاجل قضاء مهم فيلزم ان لايجوز الدخول لمن اذن له لاستفتاء امر ديني واستماع حديث نبوى ولااللبث بعد الطعام لمهم شرعي دفع هذا الاشكال بجعل الخطاب لطائفة مخصوصة كأنه قيل ياايها المتحينون لاتفعلوا ماانتم عليه من تحين الطعام والدخول بغير اذن والقعود منتظرين لادراكه وليس لكم الاالدخول بالدعوة والاذن والانتشار بعدما طعمتم من غير لبث وكان قوم منهم اذا طعموا جلسوا يستأنس بعضهم ببعض للحديث اي لاجله او لحديث اهل البيت بتسمعه فنهوا عن ذلك بقوله تعالى ولامستأنسين لحديث اي ولاطالبين الانس بعضكم ببعض لاجل حديث يحدثه على ان يكون اللام في قوله لحديث لام العلة او ولاطالبين الانس لحديث لاهل البيت او غيرهم على ان تكون اللام لتقوية العامل لانه فرع روى في سبب نزول الآية ايضا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اولم على زينب بتمر وسويق وشاة وامر انسا رضي الله عنه ان يدعو الناس فترادفوا أفواجا يأكل فوج فيخرج ثم يدخل فوج الى ان قال يارسول الله دعوت حتى ماأجد احدا ادعوه فقال ارفعوا طعامكم وتفرّق الناس وبقي ثلاثة نفر يتحدثون فاطالوا فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخرجوا فانطلق الى حجرة عائشة رضي الله عنها فقال السلام عليكم يااهل البيت فقالوا وعليك السلام يارسول الله كيف وجدت اهلك فطاف بالحجرات فسلم عليهنّ ودعونه ورجع فاذا الثلاثة جلوس يتحدثون وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم شديد الحياء فتمنعه حياؤه من امرهم بالخروج فتولى فلما رأوه متوليا خرجوا فرجع فلما دخل الحجر ارخى الستر فنزل قوله تعالى ياايها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوت النبي الاان يؤذن لكم الى آخر آية الحجاب والذي سيق من الآية خطاب لقوم كانوا يتحينون طعام رسول الله صلى الله عليه وسلم فيدخلون عليه قبل الطعام فينتظرون الى ان يدرك ثم يأكلون ولايخرجون وكان عليه الصلاة السلام يتأذى بهم لتضييق المنزل عليه وعلى اهله واشتغاله فيما لايعنيه فذلك مروى عن ابن عباس رضي الله عنهما ﴿ قوله من اخراجكم لقوله الخ ﴾ استدل بقوله تعالى والله لايستحيي من الحق على انه لابدّ من تقدير المضاف في قوله منكم ووجه الاستدلال انه لولم يقدر لكان الظاهر ان يقال والله لايستحيي منكم ليكون متعلق النفي والاثبات شيأ واحدا فلما قيل والله لايستحيي من الحق ولم يمكن حمل الثاني على الأوّل اذلامعنى

(الى طعام) متعلق بيؤذن لانه متضمن معنى يدعى للاشعار بانه لايحسن الدخول على الطعام من غير دعوة وان اذن كما اشعر به قوله (غير ناظرين اناه) غير منتظرين وقته او ادراكه وهو حال من فاعل لاتدخلوا او المجرور في لكم وقرئ بالجر صفة لطعام فيكون جاريا على غير من هوله بلا ابراز الضمير وهو غير جائز عند البصريين وقد امال حمزة والكسائي اناه لانه مصدر انى الطعام اذا ادرك (ولكن اذا دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم فانتشروا) تفرّقوا ولاتمكثوا والآية خطاب لقوم كانوا يتحينون طعام رسول الله صلى الله عليه وسلم فيدخلون ويقعدون منتظرين لادراكه مخصوصة بهم وبامثالهم والالماجاز لاحد ان يدخل بيوته بالاذن لغير الطعام ولا اللبث بعد الطعام لمهم (ولامستأنسين لحديث) لحديث بعضكم بعضا او لحديث اهل البيت بالتسمع له عطف على ناظرين او مقدر بفعل محذوف اي ولاتدخلوا ولاتمكثوا مستأنسين (ان ذلكم) اللبث (كان يؤذى النبيّ) لتضييق المنزل عليه وعلى اهله واشتغاله فيما لايعنيه (فيستحيى منكم) من اخراجكم لقوله (والله لايستحيى من الحق) يعني ان اخراجكم حق فينبغي ان لايترك حياء كما لم يتركه الله ترك الحيي فامركم بالخروج وقرئ لايستحي بحذف الياء الاولى والقاء حركتها على الحاء (واذا سألتموهنّ متاعا) شيأ ينتفع به (فاسألوهنّ) المتاع (من وراء حجاب) ستر روى ان عمر رضي الله عنه قال يارسول الله يدخل عليك البرّ والفاجر فلو امرت امهات المؤمنين بالحجاب فنزلت وقيل انه عليه الصلاة والسلام كان يطعم ومعه بعض اصحابه فاصابت يد رجل يد عائشة فكره النبي عليه الصلاة والسلام ذلك فنزلت (ذلكم اطهر لقلوبكم وقلوبهنّ) من الخواطر الشيطانية

(وماكان لكم) وماصح لكم (ان تؤذوا رسول الله) ان تفعلوا مايكرهه (ولان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا) من بعد وفاته

او فراقه وخص التي لم يدخل بها لما روى ان اشعث بن قيس تزوج المستعيذة في ايام عمر رضي الله عنه فهم برجمها فاخبر بانه عليه الصلاة والسلام فارقها قبل ان يمسها فترك من غير نكير (ان ذلكم) يعنى ايذاءه ونكاح نسائه (كان عند الله عظيما) ذنبا عظيما وفيه تعظيم من الله لرسوله وايجاب لحرمته حيا وميتا ولذلك بالغ في الوعيد عليه فقال (ان تبدوا شيأ) كنكاحهن على السنتكم (او تخفوه) في صدوركم (فان الله كان بكل شئ عليما) فيعلم ذلك فيجازيكم به وفي هذا التعميم مع البرهان على المقصود مزيد تهويل ومبالغة في الوعيد (لاجناح عليهن في آبائهن ولا ابنائهن ولا اخوانهن ولا ابناء اخوانهن ولا ابناء اخواتهن) استثناء لمن لايجب الاحتجاب عنهم روى انه لما نزلت آية الحجاب قال الآباء والابناء والاقارب يارسول الله او نكلمهن ايضا من وراء حجاب فنزلت وانما لم يذكر العم والخال لانهما بمنزلة الوالدين ولذلك سمى العم ابا في قوله واله آبائك ابراهيم واسماعيل واسحق اولانه كره ترك الاحتجاب عنهما مخافة ان يصفا لابنائهما (ولا نسائهن) يعنى النساء المؤمنات (ولا ماملكت ايمانهن) من العبيد والاماء وقيل من الاماء خاصة وقدمر في سورة النور (واتقين الله) فيما امرتن به (ان الله كان على كل شئ شهيدا) لايخفى عليه خافية (ان الله وملائكته يصلون على النبي) يعتنون باظهار شرفه وتعظيم شأنه (ياايها الذين آمنوا صلوا عليه) اعتنوا انتم ايضا فانكم اولى بذلك وقولوا اللهم صل على محمد (وسلموا تسليما) وقولوا السلام عليك ايها النبي وقيل وانقادوا لاوامره والآية تدل على وجوب الصلاة والسلام عليه في الجملة وقيل تجب الصلاة كلما جرى ذكره لقوله عليه الصلاة والسلام رغم انف رجل ذكرت عنده فلم يصل على وقوله من ذكرت عنده فلم يصل على فدخل النار فابعده الله وتجوز الصلاة على غيره تبعا له وتكره استقلالا لانه في العرف صار شعارا لذكر الرسل ولذلك كره ان يقال محمد عز وجل وان كان عزيزا جليلا

لان يقال والله لايستحيي من الحق لان استحياء الله تعالى من شئ معناه الامتناع منه فان امثال ذلك يراد منها الغاية في حقه تعالى وامكن حمل الاول على الثاني بتقدير المضاف فيه فعل ذلك فكان المعنى فيستحيي من اخراجكم والله لايستحيي منه لكونه حقا روى انه لما نزلت آية الحجاب قال رجل من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لو توفي رسول الله لتزوجت بعائشة رضي الله عنها فنزل قوله تعالى وماكان لكم ان تؤذوا رسول الله بوجه من الوجوه ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا اي من بعد موته او فراقه اهله في حياته ﴿ قوله تزوج المستعيذة ﴾ وهي اسماء بنت النعمان الكندية وكانت من احسن النساء الا انها لم تكن من اقربائه عليه الصلاة والسلام بل كانت من الغرائب ولما تزوج عليه الصلاة والسلام اياها ودخل عليها قالت اعوذ بالله منك فقال عليه الصلاة والسلام لقد عذت بعظيم الحق باهلك ولما كانت كل واحدة من امهات المؤمنين خالصة له عليه الصلاة والسلام في الدنيا والآخرة نهى المؤمنون عن تزوجهن من بعده عليه الصلاة والسلام تعظيما من الله تعالى لرسوله وايجابا لحرمته حيا وميتا روى عن حذيفة انه قال لامرأته ان اردت ان تكوني زوجتي في الجنة فلا تتزوجي بعدي فان المرأة لآخر ازواجها فلذلك حرم الله تعالى على ازواج النبي عليه الصلاة والسلام ان يتزوجن بعده ﴿ قوله وفي هذا التعميم ﴾ اي تعميم متعلق الابداء والاخفاء حيث قيل ان تبدوا شيأ او تخفوه وتعميم متعلق علمه تعالى حيث قيل فان الله كان بكل شئ عليما مع ان الظاهر ان يقال وان تبدوا ماذكر من ايذائه ونكاح نسائه او تخفوه فان الله تعالى يعلمه ذلك فوضع موضعها شيأ ليدخل تحت هذا العام ذلك دخولا اوليا لان المقصود ذكر الوعيد على خصوص ايذائه عليه الصلاة والسلام ونكاح نسائه والمراد بالمقصود بيان حرمة الايذاء ونكاح النساء وبيبينه قوله تعالى ان ذلكم كان عند الله عظيما وفي كل واحد من اقامة البرهان على المقصود المذكور والتعميم المعتبر في الوعيد زيادة تهويل لمن تصدى لما بين تحريمه ﴿ قوله مخافة ان يصفا لابنائهما ﴾ وابناؤهما ليسوا بمحارم الا انهن لولم يحتجبن من الاعمام والاخوال لربما يحكى العم محاسن بنت اخيه لابنه وكذا الخال ربما يحكي محاسن بنت اخته لابنه فيكون سماع المحاسن والاوصاف منزلا منزلة المشاهدة عيانا في كونه مؤديا الى الفتنة ﴿ قوله يعني النساء المؤمنات ﴾ فيجوز للمسلمة النظر الى المرأة المسلمة سوى مابين السرة والركبة ولايجوز للمسلمة ان تنكشف للكافرة لانها ليست من النساء المؤمنات روى ان عمر رضي الله عنه كتب الى ابي عبيدة ان يمنع الكتابيات من دخول الحمامات مع المسلمات فلا يجوز للمسلمة كشف بدنها للمشركة الا ان تكون امة لها فان المسلمة يجوز لها كشف بدنها عند امتها مسلمة كانت الامة او كافرة فلا في كشف مواضع الزينة الباطنة عند امتها الكافرة في احوال استخدامها من الضرورة التي لاتخفى فارقت الحرة المشركة ﴿ قوله من العبيد والاماء ﴾ يعني ان قوله تعالى ماملكت ايمانهن يدخل فيه العبيد ايضا اذا كانوا اعفة لما روي عن ام المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت للذكوان انك اذا وضعتني في القبر وخرجت فانت حر وهو قول ابن المسيب اولا ثم رجع عنه وقال لاتغرنكم آية النور فانها نزلت في الاناث دون الذكور ومثله روي عن سمرة بن جندب وعليه عامة العلماء ومن الائمة من قال المراد من كان دون البلوغ . قال الامام وقوله تعالى واتقين الله عند ذكر المماليك دليل على ان التكشف لهم مشروط بشرط السلامة والعلم بعدم المحذور ﴿ قوله لايخفى عليه خافية ﴾ من ابن عطاء الشهيد من يعلم خطرات القلوب كما يعلم حركات الجوارح ﴿ قوله يعتنون باظهار شرفه ﴾ يعني ان المراد بالصلاة القدر المشترك بين ما اسند الى الله تعالى من الرحمة والى الملائكة من الاستغفار للمؤمنين والاهتمام بما يصلحهم والى المؤمنين من التضرع والابتهال الى الله تعالى في ان يعظم شأنه ويرفع درجته ابد الآباد وهو العناية بصلاح امرهم وظهور شرفهم مستعار من صلاة العصا اي تصليتها بالنار وتليينها وتقويمها بها كما مر عن قريب فصح ان يكون قوله تعالى وملائكته منصوبا بالعطف على اسم ان وان يكون يصلون خبرا عن الله وملائكته وقيل هو خبر عن الملائكة فقط وخبر الجلالة محذوف لتغاير الصلاتين . لما امر الله تعالى المؤمنين بالاستئذان وعدم النظر الى نسائه احتراما له كل بان حرمته في جميع حالاته وذلك لان حالاته منحصرة في اثنين حالة كونه في بيته وحالة كونه في ملأ والملأ اما الملأ الاعلى واما الملأ الادنى فبين الله تعالى احترامه وهو في بيته بقوله تعالى لاتدخلوا بيوت النبي وبين احترامه في الملأ الاعلى بقوله ان الله وملائكته يصلون على النبي ثم ذكر كونه واجب الاحترام في الملأ الاسفل بقوله ياايها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما اي ادعوا الله تعالى بان يرحم ويسلم مثل عليه الصلاة والسلام

كيف نصلى عليك يا رسول الله فقال قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد وكيفية السلام عليه ان يقال السلام عليك ايها النبى ورحمة الله وبركاته وروى انه عليه الصلاة والسلام قال اخبرنى جبريل عليه السلام عن الله تعالى قال من صلى عليك صلاة صليت بها عشر صلوات ومحوت عنه عشر سيئآت وكتب له عشر حسنات وروى انه عليه الصلاة والسلام قال ان الله عز وجل وكل بى ملكين فلا اذكر عند عبد مسلم فيصلى على الا قال ذانك الملكان غفر الله لك وقال الله تعالى وملائكته جوابا لذينك الملكين آمين ولا اذكر عند عبد مسلم فلا يصلى على الا قال ذانك الملكان لا غفر الله لك وقال الله تعالى وملائكته لذينك الملكين آمين والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم واجبة وقد اختلفوا فى حال وجوبها فمنهم من اوجبها كلما جرى ذكره وان ذكر فى مجلس واحد الف مرة وهو المختار عند الجمهور ومنهم من قال تجب فى كل مجلس مرة وان تكرر ذكره فيه كما قيل فى آية السجدة وتشميت العاطس وكذلك فى كل دعاء فى اوله وآخره ومنهم من اوجبها فى العمر مرة وكذا قيل فى اظهار الشهادتين والذى يقتضيه الاحتياط ان يصلى عليه كلما جرى ذكره عليه السلام عملا بما ورد فى الاخبار ثم انه تعالى لما امر بالصلاة والسلام على النبى عليه الصلاة والسلام بين حال من يؤذيه ويؤذى رسوله ليتبين فضيلة من امتثل امره تعالى وفضيلة من يصلى ويسلم على النبى عليه الصلاة والسلام لان فضيلة الاشياء تتبين بانحطاط شأن اضدادها وايذاء الرسل حقيقة ممكن بحسب العقل الا ان ايذاءه تعالى حقيقة ممتنع غير متصور لانه تعالى لا يتأذى بشئ بل هو منزه عن ان يلحقه اذى فلو حمل ايذاء الله تعالى على المجاز وايذاء الرسول على الحقيقة لزم الجمع بين الحقيقة والمجاز فوجب ان يحمل الايذاء على معنى مجازى يعمهما ويصح اسناده اليهما وهو ارتكاب مايكرهانه ولا يرضيان به قولا كان او فعلا او اعتقادا كأنه قيل ان الذين يرتكبون ما لا يرضى الله ورسوله فان مخالفة الامر وفعل ما لا يرضى سبب الايذاء فى الجملة فانا نتأذى به فاطلق السبب واريد المسبب ثم اشار الى توجيه آخر وهو ان المراد ايذاء رسوله صلى الله عليه وسلم وذكر الله تعالى تمهيد لذكره عليه الصلاة والسلام واشارة الى انه عليه الصلاة والسلام عند الله تعالى بمكانة حتى ان ايذاءه ايذاؤه ﴿قوله فسره بالمعنيين باعتبار المعمولين﴾ اى فسر الايذاء باعتبار تعلقه بمعموله اصالة بمعنى يتصور فيه وهو ارتكاب مايكرهه ولا يرضاه وهو سبب للايذاء فى الجملة فاطلق عليه اسم المسبب مجازا وباعتبار تعلقه بما عطف على معموله اصالة فسر بالايذاء حقيقة لكونه متصورا فى حقه عليه الصلاة والسلام فلا وجه لحمله على المعنى المجازى فى حقه ﴿قوله بغير جناية استحقوا بها الايذاء﴾ اطلق اذى الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم وقيد ايذاء المؤمنين بكونه بغير جناية استحقوا بها ذلك لان اذى الله تعالى ورسوله يكون بغير حق بوجه البتة واما اذى المؤمنين والمؤمنات فمنه يكون بحق ومنه ما لا يكون كذلك والموجب للعقوبة هو الثانى روى عن عبد الرحمن بن سمرة قال خرج النبى صلى الله عليه وسلم على اصحابه ذات يوم فقال رأيت الليلة عجبا رأيت رجالا يعلقون بألسنتهم فقلت من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء الذين يرمون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا ﴿قوله وقيل فى زناة كانوا يتبعون النساء﴾ اذا برزن بالليل لقضاء حوآئجهن فيغمزون المرأة فان سكتت اتبعوها وان زجرتهم انتهوا عنها ولم يكونوا يطلبون الا الاماء ولكن كانوا لا يعرفون الحرة من الامة لان زى الكل كان واحدا يخرجن فى درع وخمار فشكون ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات الآية ثم نهى الحرآئر عن ان يتشبهن بالاماء بقوله تعالى يا ايها النبى قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن وهو جمع جلباب وهو الملحفة التى تشتمل بها المرأة فوق الدرع والخمار ليعلم انهن حرآئر ﴿قوله وتلفع بعض﴾ اى تلتحف يقال لفع رأسه تلفيعا اى غطاه وتلفعت المرأة بمرطها اى تلحفت به ﴿قوله عن تزلزلهم فى الدين﴾ متعلق بقوله لئن لم ينته ومبنى على ان يكون المراد بمرض القلب ضعف الايمان وقلة الثبات عليه وقوله او فجورهم مبنى على ان يكون المراد بالذين فى قلوبهم مرض الزناة الذين يتعرضون للنساء بالليل كما فى قوله تعالى فيطمع الذى فى قلبه مرض والارجاف ايقاع الخبر على غير حقيقة من الرجفة وهى الزلزلة فالمرجف هو المخبر بخبر متزلزل غير ثابت ﴿قوله عن ارجافهم﴾ متعلق ايضا بقوله لئن لم ينته ﴿قوله تعالى لنغرينك بهم﴾ جواب قسم مضمر اى والله لئن لم ينته هؤلاء لنسلطنك عليهم بان نأمرك بقتالهم حتى تقتلهم وتخلى منهم المدينة

(ان الذين يؤذون الله ورسوله) يرتكبون مايكرهانه من الكفر والمعاصى او يؤذون رسول الله بكسر رباعيته وقولهم شاعر مجنون ونحو ذلك وذكر الله للتعظيم له ومن جوز اطلاق اللفظ الواحد على معنيين فسره بالمعنيين باعتبار المعمولين (لعنهم الله) ابعدهم من رحمته (فى الدنيا والآخرة واعد لهم عذابا مهينا) يهينهم مع الايلام (والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا) بغير جناية استحقوا بها الايذاء (فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا) ظاهرا روى انها نزلت فى منافقين يؤذون عليا رضى الله عنه وقيل فى اهل الافك وقيل فى زناة كانوا يتبعون النساء وهن كارهات (يا ايها النبى قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن) يغطين وجوههن وابدانهن بملاحفهن اذا برزن لحاجة ومن للتبعيض فان المرأة ترخى بعض جلبابها وتتلفع ببعض (ذلك ادنى ان يعرفن) يميزن من الاماء والقينات (فلا يؤذين) فلا يؤذيهن اهل الريبة بالتعرض لهن (وكان الله غفورا) لما سلف (رحيما) بعباده حيث راعى مصالحهم حتى الجزئيات منها (لئن لم ينته المنافقون) عن نفاقهم (والذين فى قلوبهم مرض) ضعف ايمان وقلة ثبات عليه او فجور عن تزلزلهم فى الدين او فجورهم (والمرجفون فى المدينة) يرجفون اخبار السوء عن سرايا المسلمين ونحوها من ارجافهم واصله التحريك من الرجفة وهى الزلزلة سمى به الاخبار الكاذب لكونه متزلزلا غير ثابت (لنغرينك بهم) لنأمرنك بقتالهم واجلائهم او مايضطرهم الى طلب الجلاء

والاغرآء هو التحريش وتهييج شخص على آخر ﴿قوله والاستثناء شامل له ايضا اى لايجاورونك﴾ وقتا من الاوقات او شيأ من الجوار او على كل من الاحوال الا وقتا قليلا او جوارا قليلا الا على حال كونهم ملعونين ولا يجوز ان ينتصب على انه حال من فاعل اخذوا الذى هو جواب الشرط لان معمول الجواب لا يتقدم على اداة الشرط فلا يقال خيرا ان تأتنى تصب كما لا يتقدم معمول فعل الشرط على اداته فلا يقال زيدا ان تضرب اهنك وقول المصنف ما بعد كلمة الشرط يتناول فعل الشرط وجواب الشرط واجاز الكسائى تقديم معمول كل واحد من فعل الشرط وجوابه على اداته واجاز الفرآء تقديم معمول الجواب عليها ولم يجوز تقديم معمول فعل الشرط فظهر ان المسئلة فيها ثلاثة مذاهب المنع مطلقا والتجويز مطلقا والتفصيل ثم انه تعالى لما بين حالهم فى الدنيا وهو انهم يلعنون ويهانون ويقتلون اراد ان يبين حالهم فى الآخرة فذكرهم اولا بالقيامة وما يكون لهم فيها وهو انه لعنهم واعد لهم سعيرا خالدين فيها ابدا واخفى وقت قيامها لحكمة وهى امتناع المكلف عن الاجترآء وخوفهم منها فى كل وقت والآية نزلت حين سئل رسول الله عليه الصلاة والسلام عن الساعة وعن وقت قيامها لما نزل قوله تعالى فى وعيد المؤذين لعنهم الله فى الدنيا والآخرة قالوا متى الآخرة انكارا للبعث والجزآء واستهزآء ﴿قوله شيأ قريبا﴾ يعنى ان فعيلا بمعنى الفاعل حقه ان يميز فيه بين المذكر والمؤنث وقريبا فى الآية خبر تكون المسندة الى ضمير الساعة فحقه ان يقال قريبة الا انه ذكر لكونه صفة لموصوف مذكر هو خبر كان اى لعلها تكون شيأ قريبا ثم اشار الى وجه آخر لتذكيره وهو ان قريبا ههنا ليس خبر كان بل هو ظرف فى موضع الخبر اى لعلها تكون فى زمان قريب فان قريبا كثيرا استعماله استعمال الظروف والمعنى اى شئ يعلمك امر الساعة ومتى يكون قيامها اى انت لا تعلمه ثم خوفهم فقال لعل الساعة تكون شيأ قريبا وقوله تعالى لا يجدون حال ثانية او حال من ضمير خالدين والمعنى لا صديق يشفع لهم ولا ناصر يدفع عنهم وقرأ العامة تقلب بضم التاء وفتح القاف على بناء المفعول ورفع وجوههم على النيابة وتقلب بفتح التاء والقاف واللام المشددة ورفع وجوههم على الفاعلية واصله تتقلب وقرئ تقلب بضم التاء وكسر اللام مشددة على بناء الفاعل ونصب وجوههم على المفعولية اى تقلب السعير او الملائكة وجوههم ﴿قوله ومتعلق الظرف﴾ اى عامله يعنى ان يوم معمول ليقولون بعده ويحتمل ان يكون معمولا لخالدين او لاذكر مقدرا فقوله يقولون حينئذ يكون حالا من الوجوه لان المراد بها اصحابها او من الضمير المجرور بالاضافة فان الحال قد ينتصب عن المضاف اليه ثم انهم لما علموا انه لا يتخلص مما هم فيه من العذاب الا من اطاع الله ورسوله فى الدنيا وندموا على عصيانهم فيها حيث لا ينفعهم الندامة قالوا ياليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا والرسولا اشبعت فتحة اللام لاطلاق الصوت ورعاية الفواصل ثم انهم لما رأوا ان اضلالهم عن الطريق كان باضلال قادتهم اياهم سألوا الله تعالى ان يضاعف عذاب سادتهم والسادة يجوز ان يكون جمع سيد على خلاف القياس لان فعيلا لا يجمع على فعلة وسادة فعلة لان اصله سودة ويجوز ان يكون لسائد نحو فاجر وفجرة وكافر وكفرة وابن عامر جمع هذا الجمع بالالف والتاء للدلالة على الكثرة كجدرات وطرقات وبيوتات وجمالات فى جمع جدر وطرق وبيوت وجمالة ﴿قوله مثلى ما اوتيناه منه﴾ اشارة الى ان ضعف الشئ مثله وضعفاه مثلاه واضعافه امثاله كما ذكره الجوهرى فى صحاح اللغة حيث قال ذكر الخليل ان التضعيف ان يزاد على اصل الشئ فيجعل مثلين او اكثر وكذلك الاضعاف والمضاعفة يقال ضعفت الشئ واضعفته وضاعفته بمعنى وضعف الشئ مثله وضعفاه مثلاه واضعافه امثاله هذا كلامه بعبارته روى عن ابى عبيدة فى قوله تعالى يضاعف لها العذاب ضعفين انه قال معناه يجعل الواحد ثلاثة اى تعذب ثلاثة اعذبة وانكره الازهرى وقال هذا الذى يستعمله الناس فى مجاز كلامهم وتعارفهم وانما الذى قال حذاق النحويين انها تعذب مثلى عذاب غيرها لان الضعف فى كلام العرب المثل ﴿قوله كثير العدد﴾ يعنى ان جمهور القرآء قرأوا كثيرا بالثاء المثلثة وقرأ عاصم بالباء الموحدة ليدل على اشد اللعن واعظمه والاول يدل على كثرة اعداد اللعن ثم انه تعالى لما بين ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله فى الدنيا والآخرة وعظ المؤمنين ونهاهم عن ايذآء رسول الله صلى الله عليه وسلم بارتكاب شئ مما يكرهه كمقالة الناس فى تزوجه عليه الصلاة والسلام زينب بنت جحش وقول من قال حين قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم قسمة ان هذه القسمة ما اريد بها وجه الله تعالى روى انه عليه الصلاة والسلام لما اخبر بهذا القول غضب حتى ظهر اثر الغضب فى وجهه الكريم ثم قال يرحم الله موسى لقد اوذى باكثر من هذا فصبر كانه قيل يا ايها الذين آمنوا اذا امركم الرسول بشئ فأتوا منه ما استطعتم باطمئنان قلب وصدق

(ثم لايجاورونك) عطف على لنغرينك وثم للدلالة على ان الجلاء ومفارقة جوار رسول الله صلى الله عليه وسلم اعظم ما يصيبهم (فيها) فى المدينة (الا قليلا) زمانا او جوارا قليلا (ملعونين) نصب على الشتم او الحال والاستثناء شامل له ايضا اى لايجاورونك الا ملعونين ولا يجوز ان ينتصب عن قوله (اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا) لان ما بعد كلمة الشرط لا يعمل فيما قبلها (سنة الله فى الذين خلوا من قبل) مصدر مؤكد اى سن الله ذلك فى الامم الماضية وهو ان يقتل الذين نافقوا الانبياء وسعوا فى وهنهم بالارجاف ونحوه اينما ثقفوا (ولن تجد لسنة الله تبديلا) لانه لا يبدلها او لا يقدر احد ان يبدلها (يسألك الناس عن الساعة) عن وقت قيامها استهزآء او تعنتا او امتحانا (قل انما علمها عند الله) لم يطلع عليه ملكا ولا نبيا (وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا) شيأ قريبا او تكون الساعة عن قريب وانتصابه على الظرف ويجوز ان يكون التذكير لان الساعة فى معنى اليوم وفيه تهديد للمستعجلين واسكات للمتعنتين (ان الله لعن الكافرين واعد لهم سعيرا) نارا شديدة الاتقاد (خالدين فيها ابدا لا يجدون وليا) يحفظهم (ولا نصيرا) يدفع العذاب عنهم (يوم تقلب وجوههم فى النار) تصرف من جهة الى جهة كاللحم يشوى بالنار او من حال الى حال وقرئ تقلب بمعنى تتقلب وتقلب ومتعلق الظرف (يقولون ياليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا) فلن يخلى عنا العذاب (وقالوا ربنا انا اطعنا سادتنا وكبرآءنا) يعنون قادتهم الذين لقنوهم الكفر وقرأ ابن عامر ويعقوب ساداتنا على جمع الجمع للدلالة على الكثرة (فاضلونا السبيلا) بما زينوا لنا (ربنا آتهم ضعفين من العذاب) مثلى ما اوتيناه منه لانهم ضلوا واضلوا (والعنهم لعنا كثيرا) كثير العدد وقرأ عاصم بالباء اى لعنا هو اشد اللعن واعظمه

رغبة فيما دعاكم اليه ولا تجدوا فى انفسكم حرجا مما قضى به عليكم وسلموا تسليما « قوله فاظهر براءته من مقولهم » يعنى ان بناء فعل للنسبة كما فى قولك فسقه وبدعه لا للتعدية وما يقال من ان كلمة ما فى قوله تعالى مما قالوا اما مصدرية او موصولة فعلى الاول يكون المعنى فاظهر براءته من تكلمهم وعلى الثانى من كلامهم ولا معنى لبراءته من تكلمهم لان البراءة انما تكون من نحو الدين والعيب لا من التكلم والكلام فالجواب ان الكلام وان كان مجردا منهما بحسب الظاهر الا انه ينبغى ان تجعل كلمة ما موصولة ويكون معنى البراءة من كلامهم البراءة من مؤداه ومضمونه « قوله فاطلعهم الله تعالى على انه برئ منه » روى ان موسى عليه الصلاة والسلام خلا يوما فى موضع ليغتسل فيه فوضع ثيابه على حجر ثم اغتسل فلما فرغ اقبل على ثيابه ليأخذها ففر الحجر بثوبه فاخذ موسى عصاه وطلب الحجر فجعل يقول ثوبى حجر ثوبى حجر حتى انتهى الى ملأ من بنى اسرائيل فرأوه عريانا احسن الرجال خلقا واظهر الله براءته مما كانوا يقولون فوقف الحجر فاخذ ثوبه فلبسه وطفق بالحجر ضربا بالعصا فوالله ان بالحجر لندبا من اثر ضربه ثلاثا او اربعا او خمسا والادرة نفخة تكون فى الخصية « قوله عند الله وجيها » بيان لوجه تبرئة الله تعالى اياه كأنه قيل ولوجاهته عنده اماط عنه ما نسب اليه من العيب والنقصان كما يفعل الملك بمن له عنده قربة وقدر والوجيه فعيل من وجه الرجل وجاهة بضم العين وعطف قوله فبرأه الله مما قالوا بالفاء على قوله آذوا صريح فى ان المشبه به من اتصف بامرين ترتب ثانيهما على الاول وهما ايذاء من له وجاهة عند الله وانتقام الله من المؤذى باظهار براءة الوجيه وتفضيح المؤذى وتخجيله فكان مدلول الآية ايها المؤمنون لا تؤذوا نبيكم فانكم ان اذيتموه تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله تعالى مما قالوا فتفتضحون باظهار شرفه وتنكيس رؤسكم « قوله قاصدا الى الحق » اى عدلا مستويا فى تأدية الحق والوصول اليه من القصد بمعنى العدل يقال سد قوله يسد بالكسر اى صار سديدا اى ذا سداد وهى الاستقامة والصواب وسدد السهم نحو الرمية اذا لم يعدل به عن سمتها واصاب والامر بالشئ نهى عن ضده « قوله باستقامتكم فى القول والعمل » متعلق بمجموع قوله يصلح ويغفر واشارة الى ان كل واحد منهما مسبب عما سبق وهو استقامة القول المدلول عليه بقوله وقولوا قولا سديدا واستقامة العمل المدلول عليه بقوله اتقوا الله « قوله يعش فى الدنيا حميدا » اى يعيش عيشا محمودا « قوله تقرير للوعد السابق » اى وعد الفوز العظيم لمن اطاع الله ورسوله بتعظيم الطاعة وهى الطاعة الاختيارية التى كلف الانسان بها وتعلق باداءها الثواب وبتضييعها العقاب عظمها الله تعالى وسماها امانة بيان انها فى صعوبتها وعظم شأنها وثقل تحملها بحيث عرض على اعظم ما خلق الله تعالى من الاجرام واشده واقواه ان يحملها ويرعاها حق رعايتها فابى حملها واشفق منها اى خاف منها ان لا يؤدى بها ويراعى حقها فلما فخم الله تعالى شأنها وعظم امرها بقوله انا عرضنا الامانة الآية ظهر ان من تحملها وراعى حقها فقد استحق بفضل الله تعالى ورحمته لان يفوز فوزا عظيما فكان تعظيم شأنها تقريرا للوعد السابق « قوله والمعنى انها لعظمة شأنها بحيث لو عرضت » يريد ان الآية من قبيل الاستعارة التمثيلية شبهت الحالة المحققة فى الطاعة التى عبر عنها بالامانة من عظم امرها وثقل رعاية حقها بالحالة المفروضة فيها وهى انها لو عرضت على السموات والارض والجبال لأبين ان يحملنها فكما يصح تشبيه الحال المحققة بالحال المحققة كما فى قولك لمن لا يثبت على رأى واحد اراك تقدم رجلا وتؤخر اخرى فانه شبهت حاله المحققة فى تردده واضطرابه بين الرأيين وترك المضى على احدهما بحال اخرى محققة ايضا وهى حال من يتردد فى ذهابه فلا يجمع رجليه للمضى على الذهاب فكذا يصح تشبيه الحال المحققة بالحال المفروضة كما فى الآية فان المفروضات تتخيل فى الذهن فيصح جعلها مشبها فان عرض الامانة على الجماد وآباءه واشفاقه وان كان امرا مستحيلا فى نفسه الا انه يصح فرضه وجعله مشبها به والغرض من التشبيه تصوير عظم شان الامانة والعرض والاشفاق والاباء على حقائقها والحمل بمعنى الاحتمال والالتزام لرعاية حقها « قوله وهذا وصف الجنس » يعنى ان التعريف فى قوله تعالى وحملها الانسان تعريف الجنس وصح توصيف الجنس بوصف باعتبار وجوده فى بعض افراده فكيف اذا وجد فى اكثر افراده واحتيج الى هذا التوجيه لان الصديقين والابرار من بنى آدم حاشاهم ان يكونوا ظلوما جهولا « قوله وقيل الخ » اى قيل المراد بالامانة الطاعة المجازية المتناولة لما يليق بالجمادات والمكلفين من الحيوانات فينبغى ان يحمل العرض على معنى مجازى يصح تعلقه بالفاعل المختار وغيره وهو مجرد الاستدعاء وارادة صدوره من غيره ومعنى قوله فأبين ان يحملنها وحملها الانسان فأبين الخيانة فيها بان لا يؤدينها اى ولم يؤدها الى صاحبها ولم يخلص

(ياايها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا) فاظهر براءته من مقولهم يعنى مؤداه ومضمونه وذلك ان قارون حرض امرأة على قذفه بنفسها فعصمه الله كما مر فى القصص او اتهمه ناس بقتل هرون لما خرج معه الى الطور فمات هناك فحملته الملائكة ومروا بهم حتى رأوه غير مقتول وقيل احياه الله فاخبرهم ببراءته او قذفوه بعيب فى بدنه من برص او ادرة لفرط تستره حياء فاطلعهم الله على انه برئ منه (وكان عند الله وجيها) ذا قربة ووجاهة منه وقرئ وكان عبدا لله وجيها (ياايها الذين آمنوا اتقوا الله) فى ارتكاب ما يكرهه فضلا عما يؤذى رسوله (وقولوا قولا سديدا) قاصدا الى الحق من سد يسد سدادا والمراد النهى عن ضده كحديث زينب من غير قصد (يصلح لكم اعمالكم) يوفقكم للاعمال الصالحة او يصلحها بالقبول والاثابة عليها (ويغفر لكم ذنوبكم) ويجعلها مكفرة باستقامتكم فى القول والعمل (ومن يطع الله ورسوله) فى الاوامر والنواهى (فقد فاز فوزا عظيما) يعش فى الدنيا حميدا وفى الآخرة سعيدا (انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فأبين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان) تقرير للوعد السابق بتعظيم الطاعة وسماها امانة من حيث انها واجبة الاداء والمعنى انها لعظمة شأنها بحيث لو عرضت على هذه الاجرام العظام وكانت ذات شعور وادراك لأبين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان مع ضعف بنيته ورخاوة قوته لا جرم فاز الراعى لها والقائم بحقوقها بخير الدارين (انه كان ظلوما) حيث لم يف ولم يراع حقها (جهولا) بكنه عاقبتها وهذا وصف للجنس باعتبار الاغلب وقيل المراد بالامانة الطاعة التى تعم الطبيعية والاختيارية وبعرضها استدعاؤها الذى يعم طلب الفعل من المختار وارادة صدوره من غيره وبحملها الخيانة فيها والامتناع عن ادائها ومنه قولهم حامل الامانة ومحتملها لمن لا يؤديها فتبرأ ذمته فيكون الاباء عنه اتيانا بما يمكن ان يتأتى منه والظلم والجهالة للخيانة والتقصير

وقيل انه تعالى لما خلق هذه الاجرام خلق فيها فهما وقال لها انى فرضت فريضة وخلقت جنة لمن اطاعنى فيها ونارا لمن عصانى فقلن نحن مسخرات على ما خلقتنا لا نحتمل فريضة ولا نبغى ثوابا ولا عقابا ولما خلق آدم عرض عليه مثل ذلك فحمله وكان ظلوما لنفسه بتحمله ما يشق عليها جهولا بوخامة عاقبته

ولعل المراد بالامانة العقل والتكليف وبعرضها عليهن اعتبارها بالاضافة الى استعدادهن وباباهن الاباء الطبيعى الذى هو عدم القابلية والاستعداد وبحمل الانسان قابليته واستعداده لها وكونه ظلوما جهولا لما غلب عليه من القوة الغضبية والشهوية وعلى هذا يحسن ان يكون علة للحمل عليه فان من فوائد العقل ان يكون مهيمنا على القوتين حافظا لهما عن التعدى ومجاوزة الحد ومعظم مقصود التكليف تعديلهما وكسر سورتهما (ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات) تعليل للحمل من حيث انه نتيجته كالتأديب للضرب فى ضربته تأديبا وذكر التوبة فى الوعد اشعار بان كونهم ظلوما جهولا فى جبلتهم لا يخليهم عن فرطات (وكان الله غفورا رحيما) حيث تاب على فرطاتهم واثاب بالفوز على طاعاتهم قال عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة الاحزاب وعلمها اهله وما ملكت يمينه اعطى الامان من عذاب القبر

﴿ سورة سبأ مكية وقيل الا قوله ﴾
﴿ الذين اوتوا العلم الآية وآيها ﴾
﴿ خمس واربعون ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الحمد لله الذى له ما فى السموات وما فى الارض) خلقا ونعمة فله الحمد فى الدنيا لكمال قدرته وعلى تمام نعمته (وله الحمد فى الآخرة) لان ما فى الآخرة ايضا كذلك وليس هذا من عطف المقيد على المطلق فان الوصف الذى يدل على انه المنعم بالنعم الدنيوية قيد الحمد بها وتقديم الصلة للاختصاص فان النعم الدنيوية قد تكون بواسطة من يستحق الحمد لاجلها ولا كذلك نعم الآخرة (وهو الحكيم) الذى احكم امور الدارين (الخبير) ببواطن الاشياء (يعلم ما يلج فى الارض) كالغيث ينفذ فى موضع وينبع فى آخر وكالكنوز والدفائن والاموات (وما يخرج منها) كالحيوان والنبات والفلزات وماء العيون (وما ينزل من السماء) كالملائكة والكتب والمقادير والارزاق والانداء والصواعق (وما يعرج فيها) كالملائكة واعمال العباد والابخرة والادخنة (وهو الرحيم الغفور) للمفرطين فى شكر نعمته مع كثرتها او فى الآخرة مع ما له من سوابق هذه النعم الفائتة للحصر (لان كل)

ذمته من عهدتها روى عن الحسن انه قال الكافر والمنافق حملها اى الامانة اى خاناها ولم يطيعا ومن اطاع من النبيين والصديقين والمؤمنين فلا يقال فيه كان ظلوما جهولا وتصديق ذلك ما بعده من قوله تعالى ليعذب الله المنافقين والمنافقات الآية ﴿قوله وقيل انه تعالى لما خلق هذه الاجرام الخ﴾ فعلى هذا القول يكون العرض تخييرا لا الزاما والاباء لاختيار احد الامرين مخافة وخشية لا لمخالفة ومعصية قالوا ان كان هذا عرض تخيير فقد تركنا الثواب مخافة العقاب فنطيعك ولا نعصيك طرفة عين طاعة طبيعية على حسب ما خلقتنا عليه ولا تلزم ما يشق علينا رعاية حقه قال الحسن ومقاتل قال الله تعالى لآدم أتحمل هذه الامانة وترعاها حق رعايتها فقال آدم وما لى عندك ان حملتها قال ان احسنت واطعت ورعيت الامانة فلك الكرامة وحسن الثواب فى الجنة وان عصيت وأسأت فانى معذبك ومعاقبك قال قد رضيت وحملتها فقال الله تعالى قد حملتها فذلك قوله تعالى وحملها الانسان وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما فما كان بين ان تحملها وبين ان اخرج من الجنة الاقدر ما بين الظهر والعصر وكان ظلوما لنفسه حين خالف امر ربه جهولا لا يدرى ما العقاب عليه فيها ﴿قوله وعلى هذا يحسن ان يكون﴾ اى ان يكون ظلوما جهولا علة للحمل عليه فان الظاهر ان يكون قوله انه كان ظلوما جهولا استئنافا لتعليل حمل الامانة على الانسان لا لبيان ما يتفرع على حمله * تم ما يتعلق بسورة الاحزاب والحمد لله وحده وصلى الله على من لا نبى بعده والآن نشرع فيما يتعلق بسورة سبأ

﴿ سورة سبأ ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم وبه نثق ﴾

﴿قوله فله الحمد فى الدنيا لكمال قدرته وعلى تمام نعمته﴾ يعنى ان الحمد يقع بازاء الفضائل اللازمة لذات المحمود والفواضل المتعدية منه الى الحامد وان اختصاص ما فى السموات وما فى الارض به تعالى خلقا دليل على قدرته الباهرة وان اختصاص جميع ذلك به تعالى نعمة وصلة الينا دليل على كثرة موائد افضاله وانعامه علينا فظهر به انه تعالى يستحق حمد جميع الحامدين استحقاقا ذاتيا ووصفيا من جهة فضله الذاتى وافضاله المتعدى وتعريف الحمد سواء جعل للحقيقة او للاستغراق ثم الحكم باختصاصه به تعالى يفيد اختصاص جميع افراد الحمد به تعالى اذ لو ثبت شئ من افراد الحمد لغيره تعالى لزم ثبوت جنس الحمد لذلك الغير فى ضمن ذلك الفرد وجميع افراد الحمد مختص به تعالى فى الحقيقة اذ ما من خير الا وهو تعالى موليه بوسط او بغير وسط كما قال تعالى وما بكم من نعمة فمن الله وحاصل قوله وليس هذا من عطف المقيد على المطلق انه من عطف المقيد على المقيد وذلك لانه تعالى لما عقب الحمد بما يدل على كمال قدرته وافضاله علينا بالنعم الدنيوية عرف انه المحمود على نعم الدنيا ثم لما عطف عليه الحمد فى الآخرة علم انه ايضا على النعمة ليتلائم الكلام ولما قيد الحمد هناك بان محله الآخرة علم ان الاول محله الدنيا كذلك ايضا فصار المعنى انه المحمود على نعم الدنيا فيها وانه المحمود على نعم الآخرة فيها وقدم الحمد اولا على الاصل فان حق المبتدأ التقديم واخره ثانيا ليفيد الحصر فان الحمد فى الآخرة ليس الا له واما فى الدنيا فقد يحمد غيره تعالى لوصول نعمة الله تعالى اليه من يد ذلك الغير بخلاف الآخرة فان الملك والنعمة فيها ليس الا لله تعالى فدل على هذا المعنى تقديم الخبر والمعتزلة فرقوا بين الحمد الواقع فى الدنيا والواقع فى الآخرة بان الحمد فى الدنيا واجب لانه على نعمة متفضل بها بخلاف الحمد فى الآخرة فانه ليس بواجب لكونه بمقابلة نعمة واجبة الايصال الى مستحقها بناء على ما زعموا من ان ثواب المطيع واجب عليه تعالى والجميل الذى يجب صدوره من الفاعل لا يجب الحمد عليه لان الحمد لا يكون الا على الجميل الاختيارى وعند اهل السنة لا يجب عليه تعالى شئ لا فى الدنيا ولا فى الآخرة ويجب الحمد على المكلف فى الدنيا لكون الدنيا دار التكليف ولا يجب فى الآخرة لانقطاع التكليف فيها ومع ذلك فاهل الجنة يذكرون الله تعالى ويشكرونه ويعبدونه اكثر مما يعبدونه فى الدنيا تلذذا وابتهاجا بذكره وكيف لا وقد صار حالهم كحال الملائكة الذين قال تعالى فى حقهم يسبحون الليل والنهار لا يفترون غاية ما فى الباب ان العبادة ليست عليهم بتكليف بل هى حال مجبية بمقتضى الطبع ﴿قوله والفلزات﴾ الفلز اسم جامع لجميع جواهر الارض ﴿قوله تعالى يعلم ما يلج﴾ مستأنف لبيان كونه خبيرا فان الخبير هو الذى يعلم عواقب الامور وبواطنها والحكيم هو العالم الذى يفعل ما يناسب علمه ويكون فعله على وفق علمه وقدم ما يلج فى الارض على ما ينزل من السماء لان الحبة تبذر اولا ثم تسقى ولرحل وما يعرج اليها بدل قوله وما يعرج فيها

لان كل واحد من الملائكة والاعمال ليس منتهى عروجه نفس السماء بل ينفذ فيها ويصعد الى ان يصل الى منتهى صعوده فالملك يصعد الى ان يصل الى مقامه المعلوم والعمل يصعد الى محل الاعمال المقبولة ولو قيل ما يعرج اليها لفهم الوقوف عند السموات فقال وما يعرج فيها ليفهم نفوذه فيها وصعوده منها ولهذا قيل فى الكلم الطيب اليه يصعد الكلم الطيب لانه تعالى هو المنتهى ولا مرتبة فوق الوصول اليه ثم قال وهو الرحيم الغفور رحيم بعباده بانزال ما ينزل من السماء من الملائكة والكتب والارزاق وانواع الخيرات والبركات مما يلج فى الارض وما يخرج منها والغفور للمفرطين فى شكر نعمته مع كثرتها حيث لايعاجلهم بالعذاب بل يغفر لمن تاب منهم واناب فهو المستحق للحمد بذلك ايضا فعلى هذا يكون المراد بالرحمة والمغفرة ما يكون فى الدنيا منهما ويحتمل ان يكون المراد بالرحمة سوابق النعمة ايضا وبالمغفرة ما يكون فى الآخرة ثم انه تعالى لما اثبت الدار الآخرة وحكم بان الحمد فيها مختص به لاختصاص ما فيهامن النعم به تعالى خلقا ونعمة حكى مقالة منكرى البعث والقيامة وهى ما روى عن مقاتل انه قال قال ابو سفيان لكفار مكة واللات والعزى لاتأتينا الساعة ابدا فلا حلف قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم قل بلى وربى لتأتينكم امره بان يقسم باغلظ الايمان وهو الحلف بالله ﴿ قوله تعالى بلى ﴾ جواب لقولهم لاتأتينا ومابعده قسم على ذلك الايجاب وقوله لتأتينكم تكرير لذلك الايجاب حال كون ذلك الايجاب مؤكدا بالقسم وهو ظاهر ومقررا باتباع المقسم به بذكر اوصافه الدالة على امكان ما نفوه فان من كان عالما بجميع الاشياء يعلم اجزآء الاحياء ويقدر على جمعها فتلك الاوصاف تدل على كون الساعة ممكنة القيام واخبر عنه الصادق فتكون واقعة لامحالة فقوله تعالى لايعزب عنه مثقال ذرة فى السموات ولا فى الارض فيه لطيفة وهو ان الانسان له جسم وروح والاجسام اجزآؤها فى الارض والارواح فى السماء فقوله لايعزب عنه مثقال ذرة فى السموات اشارة الى احاطة علمه بالارواح وقوله ولا فى الارض اشارة الى احاطة علمه بالاجزآء الجسمية فاذا علم الارواح والاشباح وقدر على جمعها انتفى استبعاد ما نفوه من البعث واتيان الساعة وايضا من جملة الوجوه الداعية لهم الى استبعاد ذلك انهم زعموا ان احاطة العلم بتفاصيل اشخاص المكلفين عسير فكيف بتفاصيل اعمالهم من الخير والشر واذا كان العلم بتفاصيل الاعمال بعيدا يكون اتيان الساعة ايضا بعيدا لان اتيانها انما يكون للمجازاة على حسب الاعمال فازيل هذا الاستبعاد ايضا بوصف المقسم به بقوله تعالى عالم الغيب الى قوله ليجزى الذين الآية فان المقسم به انما يوصف بما يدل على حقيقة المقسم عليه ويزيل استبعاده * فان قيل كيف يصح التأكيد بقوله وربى مع انهم ينكرون وجود الرب وان كانوا يقولون به فان المسئلة الاصولية لاتثبت باليمين * اجيب بانه لم يقتصر على اليمين بل ذكر الدليل وهو قوله ليجزى الذين آمنوا الخ وبيان كونه دليلا هو ان المسيء قد يبقى فى الدنيا مدة مديدة فى سعة العيش ومسرور البال ويموت عليها والمحسن قد يعيش فى الدنيا فى الآلام الشديدة وضيق الحال الى ان يموت فاقتضى ذلك ان تكون الدنيا دار التكليف وان يكون بعدها دار اخرى للجزآء والانجاز ان يكون المسيء احسن حالا من المحسن والتسوية بينهما خلاف مقتضى الحكمة فضلا عن ان يكون العاصى احسن حالا ﴿ قوله جملة مؤكدة لنفى العزوب ﴾ فان ما هو اصغر من مثقال ذرة وما هو اكبر منه اذا كان معلوما ومكتوبا فى اللوح يعلم منه ان ما هو مثقال ذرة معلوم ايضا وجمهور القرآء على رفع اصغر واكبر على اصل الابتدآء فان اسم لا مبتدأ فى الاصل فيجوز ابقاؤه على اصل حاله بعد دخول لا عليه والخبر قوله الا فى كتاب وقرآءة الرفع وان جاز كونها مبنية على كونهما معطوفين على فاعل يعزب بحسب الظاهر الا ان قرآءة الفتح تؤيد كونهما مرفوعين على الابتدآء مستقلين عما قبلهما ليتحد مؤدى القرآءتين ﴿ قوله ولا يجوز الخ ﴾ جواب عما يقال لا نسلم ان القرآءة بالفتح تؤيد ذلك لجواز كون المرفوع معطوفا على مثقال والمفتوح على ذرة فيتحد مؤدى القرآءتين ايضا ﴿ قوله لان الاستثناء يمنعه ﴾ وذلك لان المعنى يصير حينئذ عالم الغيب لايعزب عنه اى عن علمه مثقال ذرة فى الارض ولا فى السماء ولا اصغر من ذلك ولا اكبر او ولا مثقال اصغر من ذلك ولا مثقال اكبر منه على ان يعطف على ذرة الا فى كتاب مبين فانه يعزب عنه فيه وفساده ظاهر وهذا الفساد انما يلزم على تقدير ان يكون الضمير فى عنه لعالم الغيب كما هو الظاهر واما اذا جعل للغيب وجعل الغيب عبارة عما خفى على جميع الخلائق حتى على الملائكة وذلك انما يكون قبل ان يكتب الامر الخفى فى اللوح لانه اذا كتب فيه يكون له نوع بروز حيث يظهر لمن نظر من الملائكة فحينئذ لايلزم الفساد المذكور لانه يصير المعنى لايعزب عن الغيب اى لاينفصل عنه شيء ولا يزول عنه

(وقال الذين كفروا لاتأتينا الساعة) انكار لمجيئها او استبطاء استهزآء بالوعد به (قل بلى) رد لكلامهم واثبات لما نفوه (وربى لتأتينكم عالم الغيب) تكرير لايجابه مؤكدا بالقسم مقررا لوصف المقسم به بصفات تقرر امكانه وتنفى استبعاده على مامر غير مرة وقرأ حمزة والكسائى علام الغيب للمبالغة ونافع وابن عامر ورويس عالم الغيب بالرفع على انه خبر محذوف او مبتدأ خبره (لايعزب عنه مثقال ذرة فى السموات ولا فى الارض) وقرأ الكسائى لايعزب بالكسر (ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا فى كتاب مبين) جملة مؤكدة لنفى العزوب ورفعهما بالابتدآء ويؤيده القرآءة بالفتح على نفى الجنس ولا يجوز عطف المرفوع على مثقال والمفتوح على ذرة بانه فتح فى موضع الجر لامتناع الصرف لان الاستثناء يمنعه اللهم الا اذا جعل الضمير فى عنه للغيب وجعل المثبت فى اللوح خارجا عنه لظهوره على المطالعين له فيكون المعنى لاينفصل عن الغيب شيء الا مسطورا فى اللوح (ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات) علة لقوله لتأتينكم وبيان لما يقتضى اتيانها

الاسطورا في اللوح ولا افساد فيه لان المثبت في اللوح ما يزب خارج عما خلق لان ما ثبت فيه يظهر لمن نظر فيه ﴿ قوله تعالى اولئك لهم مغفرة ورزق كريم ﴾ استئناف لبيان الجزآء المدلول عليه بقوله ليجزى الذين لما وصف من يستحق الجزآء بالايمان والعمل الصالح بين ان جزآءهم امران المغفرة والرزق الكريم فالمغفرة جزآء الايمان لانه كفارة لما قبله والرزق الكريم جزآء العمل الصالح فان من عمل للسيد كريم عملا فعند فراغه من العمل يتم عليه السيد بمقتضى كرمه ووصف الرزق بكونه كريما لانه حسن خطير والكريم من كل شئ ما يكون جامعا لمحاسن ذلك الشئ ولانه يأتي من غير طلب وتعب في حصوله بخلاف الدنيا ﴿ قوله بالابطال وتزهيد الناس فيها ﴾ المذكور مطلق السعي المتناول للسعي في اصلاح آيات الله تعالى وافسادها بان يقال في حقها انها سحر او شعر واساطير وصرف الناس عن التفكر فيها وقبول احكامها الا ان حمله على السعي بالابطال والافساد لان سعيهم حال كونهم مسابقين معاجزين لا يكون الا بان يكون مقصودهم الابطال والتزهيد واطلق المعاجزة على المسابقة لكون كل واحد من المسابقين في طلب اعجاز الآخر عن اللحوق به والمسابقة مع الله تعالى وان كانت مما لا يتصور الا ان المكذبين بآيات الله تعالى لما قدروا في انفسهم وطمعوا ان كيدهم في الاسلام يتم لهم وان معاندتهم للحق تنفعهم شبهوا بمن يسابق الله تعالى بحسب زعمهم والفرق بين قرآءة معاجزين ومعجزين ان المعاجزة والمسابقة متقدمة على التعجيز والسبق يقال عاجزه اى سابقه فاذا سبقه قيل عجزه ﴿ قوله من سيئ العذاب ﴾ على ان الرجز سوء العذاب فتكون كلمة من لبيان جنس العذاب المذكور سابقا كما في قولك خاتم من فضة والبم في قرآءة الجمهور مجرور على انه صفة رجز اكد به ما في الرجز من الشدة والفظاعة ومن رفعه جعله صفة لقوله عذاب بين الله تعالى اولا حال الذين آمنوا وعملوا الصالحات يوم تقوم الساعة ثم بين حال من كذب بآيات الله تعالى وسعى في ابطالها ثم بين جهالة المكذبين وفظاعتهم في الدنيا بقوله ويرى الذين اوتوا العلم وقوله الذي انزل والحق هما مفعولان ليرى لانها من رؤية القلب وقوله هو فصل ويسميه الكوفيون عمادا ومن رفع الحق جعل هو مبتدأ والحق خبره والجملة في محل النصب على انها مفعول ثان ليرى ومن ربك حال على القرآءتين ﴿ قوله وهو مرفوع مستأنف ﴾ يعني ان قوله تعالى ويرى مرفوع لكونه مجردا من الناصب والجازم وهو كلام مستأنف غير معطوف على ما قبله اخبر بذلك عنهم انهم يعلمون ان القرآن حق وانه يهدي الى الصراط المستقيم فيقطعون بان الساعة آتية لا ريب فيها ثم عطف عليه قوله تعالى وقال الذين كفروا الآية فمحصول الآية انه عليه الصلاة والسلام لما قال بلى وربي لتأتينكم اعتقد المؤمنون باتيانها وقالوا القرآن هو الحق وهو يهدي وقال الكافر المنكر لاتيانها متعجبا هل ندلكم على رجل يخبركم بحشر الاموات بعد ما تفرقت اجسادهم كل التفرق ﴿ قوله وعامله محذوف ﴾ يعني اذا منصوب بمقدر اى تبعثون وتحشرون وقت تمزيقكم حذف لدلالة قوله انكم لفي خلق جديد عليه ولا يجوز ان يعمل فيه ينبئكم لانه عليه الصلاة والسلام لم يخبرهم في ذلك الوقت ولا مزقتم لانه مضاف اليه والمضاف اليه لا يعمل في المضاف ولا خلق جديد لان ما بعد ان لا يعمل فيما قبلها والممزق كما يحتمل ان يكون مصدرا ميميا بمعنى التمزيق والتقطيع يحتمل ايضا ان يكون اسم مكان فان القياس فيما زاد على الثلاثي ان يجيء مصدره وزمانه ومكانه على وزن اسم المفعول ﴿ قوله وجديد بمعنى فاعل ﴾ وهو قول البصريين من جد الشئ يجد بالكسر جدة اى صار جديدا وهو ضد الخلق وقيل بمعنى مفعول من جد الشئ يجده جدا اى قطعه وثوب جديد اى مجدود قال الكوفيون اى قطعه الحائك او الخياط الساعة وهذا القائل يقول كان لفظ الجديد في الاصل لا يستعمل الا في الثوب المقطوع عن قريب ثم عم في كل شئ ظهر عن قريب وان لم يتأت فيه القطع كبناء جديد وفرس جديد واستدل على مذهبهم بقولهم ملحفة جديد بغير تاء التأنيث قالوا ولولا انه بمعنى مفعول لوجب ان يقال جديدة لان الفعيل بمعنى الفاعل يفرق فيه بين المذكر والمؤنث بخلاف ما هو بمعنى المفعول واجابهم البصريون بان ما هو بمعنى الفاعل قد يستوي فيه المذكر والمؤنث حملا على ما هو بمعنى المفعول او بتقدير موصوف مذكر كقوله تعالى ان رحمة الله قريب من المحسنين ﴿ قوله واستدل ﴾ يعني ان الجاحظ استدل على ان الخبر غير منحصر في الصادق والكاذب بل بينهما واسطة بان منكري البعث حصروا قول النبي صلى الله عليه وسلم انكم اذا مزقتم تبعثون في الافترآء والاخبار حال الجنة على سبيل منع الخلو فظهر منه ان الاخبار حال الجنة ليس بكذب لانهم جعلوه قسيما للافترآء الذي هو الكذب وليس بصدق ايضا لانهم غير معتقدين صدقه عليه الصلاة والسلام

(في هذا)

(اولئك لهم مغفرة ورزق كريم) لا تعب فيه ولا من عليه (والذين سعوا في آياتنا) بالابطال وتزهيد الناس فيها (معاجزين) مسابقين كي يفوتونا وقرأ ابن كثير وابو عمرو معجزين اى مثبطين عن الايمان من اراده (اولئك لهم عذاب من رجز) من سيئ العذاب (اليم) مؤلم ورفعه ابن كثير ويعقوب وحفص (ويرى الذين اوتوا العلم) ويعلم اولوا العلم من الصحابة ومن شايعهم من الامة او من مسلمي اهل الكتاب (الذي انزل اليك من ربك) القرآن (هو الحق) ومن رفع الحق جعل هو ضميرا مبتدأ والحق خبره والجملة ثاني مفعولي يرى وهو مرفوع مستأنف للاستشهاد باولي العلم على الجهلة الساعين في الآيات وقيل منصوب معطوف على ليجزي اى وليعلم اولوا العلم عند مجيئ الساعة انه الحق عيانا كما علموه الآن برهانا (ويهدي الى صراط العزيز الحميد) الذي هو التوحيد والتدرع بلباس التقوى (وقال الذين كفروا) قال بعضهم لبعض (هل ندلكم على رجل) يعنون محمدا عليه الصلاة والسلام (ينبئكم) يحدثكم باعجب الاعاجيب (اذا مزقتم كل ممزق انكم لفي خلق جديد) انكم تنشأون خلقا جديدا بعد ان تمزق اجسادكم كل تمزيق وتفريق بحيث تصير ترابا وتقديم الظرف للدلالة على البعد والمبالغة فيه وعامله محذوف دل عليه ما بعده فان ما قبله لم يقارنه وما بعده مضاف اليه او محجوب بينه وبينه بان وممزق يحتمل ان يكون مكانا بمعنى اذا مزقتم وذهبت بكم السيول كل مذهب وطرحتكم كل مطرح وجديد بمعنى فاعل من جد فهو جديد كحد فهو حديد وقيل بمعنى مفعول من جد النساج الثوب اذا قطعه (أفترى على الله كذبا ام به جنة) جنون يوهمه ذلك ويلقيه على لسانه واستدل بجعلهم اياه قسيم الافترآء غير معتقدين صدقه على ان بين الصدق والكذب واسطة

فى هذا الاخبار فيكون واسطة بينهما و المصنف اجاب عنه بان كون الاخبار حال الجنة قسيما للافتراء لايستلزم كونه قسيما مباينا للكذب وانما يلزم ذلك ان لو كان الافتراء بمعنى الكذب مطلقا وليس كذلك بل الافتراء اخص من الكذب لان الافتراء هو الكذب عن عمد و قسيم الخاص لايلزم ان يكون قسيما للعام فان الخبر الكاذب و هو الذى لايطابق الواقع قد يكون عن عمد وهو الافتراء و قد يكون عن غير عمد و هو الخبر المجنون فالذين انكروا البعث بعد ماقطعوا بكذب خبر البعث حصروه فى نوعى الخبر الكاذب وجعلوا احد نوعيه قسيما للآخر فدليل الجاحظ لايثبت دعواه وفسر الجاحظ الخبر الصادق بما يكون مطابقا للواقع مع اعتقاد انه مطابق وفسر الكاذب بما لايكون مطابقا مع اعتقاد انه غير مطابق و جعل الخبر المطابق مع اعتقاد عدم المطابقة او بدون الاعتقاد اصلا و الخبر الغير المطابق مع اعتقاد المطابقة او بدون الاعتقاد اصلا واسطة بين الصادق و الكاذب و قوله أفترى على الله كذبا يحتمل ان يكون من كلام السامع المجيب لمن قال هل ندلكم و همزة أفترى مفتوحة لكونها همزة الاستفهام وحذفت لاجلها همزة الوصل ﴿قوله ردة من الله تعالى عليهم ترديدهم﴾ والمعنى ليس الامر على مازعموا من ان يكون مفتريا او يكون به جنون بل الذين لايؤمنون بالآخرة اى بالبعث و الثواب و العقاب فى العذاب اى واقعون فى عذاب النار و فيما يؤديهم اليه من الضلال عن الحق وهم غافلون عن ذلك و ذلك نهاية الجنون و الحماقة ﴿قوله وجعله رسيلاله﴾ اى جعل العذاب تابعا مقارنا للضلال حيث عطف احدهما على الآخر بالواو المؤذنة بالاجتماع فى الوقوع مع ان ضلالهم كائن فى الدنيا والعذاب فى الآخرة و مع ذلك قدمه على الضلال فى اللفظ للمبالغة فى استحقاقهم له و رسيل الرجل الذى يراسله مراسلة فى نضال او غيره و المراد هنا مطلق الاتصال و المقارنة والبعد عن الحق فى الاصل صفة الضال اسند الى ضلاله للملابسة بينهما و لما كان الضلال بعيدا عن الحق كان الضال ابعد ثم انه تعالى لما ذكر مايدل على اثبات الساعة من كونه عالم الغيب و من اقتضاء حكمته ان ينهي المكلفين دار المجازاة ليجزى كل واحد من المحسن و المسيء على حسب عمله ذكر دليلا آخر يتضمن التهديد و التوحيد فقال أفلم يروا الى مابين ايديهم وماخلفهم اى الى ماهو محيط بهم من جميع جوانبهم وهو السماء و الارض فان الانسان اينما توجه وحيث مانظر رأى السماء و الارض قدامه و خلفه و عن يمينه و شماله و هما يدلان على وحدانية الصانع و على كمال قدرته و من قدر على خلقهما قدر على الحشر و الاعادة لامحالة قال تعالى أوليس الذى خلق السموات و الارض بقادر على ان يخلق مثلهم ثم هددهم بقوله ان نشأ نخسف بهم الارض او نسقط عليهم كسفا من السماء كأنه قيل انهم حيث كانوا فان ارضى وسمائى محيطة بهم و انى قادر عليهم ان شئت خسفت بهم ارضى و ان شئت اسقطت عليهم قطعة من سمائى ثم قال ان فى ذلك اى فيما يرون من السماء والارض لآية تدل على قدرة الله تعالى على البعث و على مايشاء من الخسف بهم و نحوه من وجوه القهر و الاهلاك ﴿قوله والمعنى أعموا فلم ينظروا﴾ يريد ان الفاء فى أفلم يروا للعطف على مقدر بعد الهمزة و ان قوله فلم يروا معطوف على ذلك المقدر و التقدير كما ذكره فصح بذلك وجه الجمع بين الهمزة المقتضية لصدر الكلام و الفاء المقتضية لتقدم المعطوف عليه ثم انه تعالى لما ذكر من ينيب من عباده ذكر منهم من اناب و اصاب و من جملتهم داود عليه الصلاة و السلام قال تعالى فاستغفر ربه وخر راكعا واناب فبين ما آتاه على الانابة فقال ولقد آتينا داود منا فضلا وتنكير فضلا للتعظيم كما فى قوله تعالى و لقد آتينا داود وسليمان علما و اكد تعظيم الفضل بقوله منا فانه حال من قوله فضلا قدم عليه لكونه نكرة و الفضل الذى آتاه الله اذا كان مما يختص به تعالى و يكون من عنده خاصة يكون فضلا عظيما و هو ماذكر بعده من تسخير الجبال و الطير و الانة الحديد او مايعم النبوة و الكتاب والملك و حسن الصوت و نحوه و قوله ياجبال محكى بقول مضمر ثم ان شئت قدرت ذلك القول مصدرا و يكون بدلا من فضلا على جهة تفسيره به كأنه قيل آتيناه فضلا قولنا ياجبال و ان شئت قدرته فعلا وحينئذ جاز لك ان تجعله بدلا من آتينا اى آتينا قلنا ياجبال و ان تجعله مستأنفا و قوله تعالى أوّبى معه قرأ العامة بفتح الهمزة وتشديد الواو على انه امر من التأويب وهو الترجيع و الترجيع ترديد الصوت و الرجوع الى الصوت الاوّل ومنه الترجيع فى الاذان و التضعيف فى أوّبى و رجعى يحتمل ان يكون للتعدية و ان يكون للتكثير والمعنى رجعى معه مايأتى به من ذكر الله و تسبيحه وكان داود عليه السلام اذا سبح سمع تسبيح الجبال وكان يمثل معناه معجزة له كما سمع الخطاب من الشجرة و عقل معناه او كان ينوح على ذنبه بترجيع و تحزين و تسعده الجبال باصدآئها و قرئ اوبى بضم الهمزة على انه امر من آب يؤب اذا رجع اى ارجعى معه بالتسبيح كما رجع فيه و مآل

وهو كل خبر لايكون عن بصيرة بالمخبر عنه وضعفه بين لان الافتراء اخص من الكذب (بل الذين لايؤمنون بالآخرة فى العذاب و الضلال البعيد) ردّ من الله تعالى عليهم ترديدهم و اثبات لهم ماهو افظع من القسمين وهو الضلال البعيد عن الصواب بحيث لايرجى الخلاص منه وماهو مؤداه من العذاب وجعله رسيلاله فى الوقوع ومقدما عليه فى اللفظ للمبالغة فى استحقاقهم له و البعيد فى الاصل صفة الضال و وصف الضلال به على الاسناد المجازى (أفلم يروا الى مابين ايديهم و ماخلفهم من السماء والارض ان نشأ نخسف بهم الارض او نسقط عليهم كسفا من السماء) تذكير بمايعاينونه ممايدل على كمال قدرة الله و مايحتمل فيه ازاحة لاستحالتهم الاحياء حتى جعلوه افتراء وهزؤا و تهديدا عليها والمعنى أعموا فلم ينظروا الى ما احاط بجوانبهم من السماء و الارض ولم يتفكروا أهم اشد خلقا امهى وانا ان نشأ نخسف بهم او نسقط عليهم كسفا لتكذيبهم بالآيات بعد ظهور البينات وقرأ حمزة و الكسائى يشأ ويخسف ويسقط بالياء لقوله أفترى على الله وحفص كسفا بالتحريك (ان فى ذلك) النظر والتفكر فيهما ومايدلان عليه (لآية) لدلالة (لكل عبد منيب) راجع الى ربه فانه يكون كثير التأمل فى امره (ولقد آتينا داود منا فضلا) اى على سائر الانبياء وهو ماذكر بعدا وعلى سائر الناس فيندرج فيه النبوّة و الكتاب و الملك و الصوت الحسن (ياجبال اوّبى معه) رجعى معه التسبيح او النوحة على الذنب وذلك اما بخلق صوت مثل صوته فيها او بحملها اياه على التسبيح اذا تأمل مافيها

القرآتين واحد لان الجبال اذا رجعت معه ما يأتي به من التسبيح فقد رجع فيه ومعنى تسبيح الجبال اما ان يخلق فيها صوت مثل صوته عليه الصلاة والسلام او يكون اسناد التسبيح اليها من قبيل اسناد الفعل الى السبب الحامل ﴿ قوله او سيرى معه ﴾ عطف على قوله رجعي قيل قوله اوّبي من التأويب في السير وهو ان يسير النهار كله وينزل ليلا فالمعنى سيرى معه حيث شاء وفي التيسير كانت الجبال تسير مع داود عليه الصلاة والسلام حيث شاء ﴿ قوله والطير عطف على محل الجبال ﴾ فان عامة القرآء نصبوا والطير عطفا على محل ياجبال لان كل منادى في موضع النصب او على فضلا بمعنى وسخرنا له الطير حكاه ابو عبيدة عن ابي عمرو بن العلاء وهو كقوله علفتها تبنا وماء باردا بتقدير وسقيتها ماء باردا ورد على جعله منصوبا على انه مفعول معه انه كيف يجوز ذلك وقد ذكر قبله لفظة معه والعامل الواحد لا يقتضى اكثر من مفعول معه واحد الا بالبدل او بالعطف فلا يقال جاء زيد مع بكر مع عمرو ﴿ قوله وعلى هذا ﴾ اى على جواز كونه مفعولا معه يجوز ان يكون ارتفاع والطير بناء على عطفه على ضمير اوّبي والتقدير اوّبي معه انت والطير كقوله تعالى اذهب انت وربك الا ان المرفوع المتصل في اوّبي لم يؤكد بمنفصل استغناء عنه بالفصل بينه وبين المعطوف بالظرف ﴿ قوله وكان الاصل ﴾ يعني لما كان قوله تعالى ياجبال اوّبي معه بدلا من فضلا او من آتينا باضمار القول كان الظاهر ان يقال لا يؤتى بصورة النداء او لا يحتاج الى الاضمار الا انه اوثر هذا النظم لما فيه من فخامة امر التأويب فان التصدير بالنداء يدل على ان ما يذكر بعده امر مهم يعتنى بشأنه ومن الدلالة على عظمة شأنه تعالى قوله تعالى وألنا عطف على آتينا وجوز ان يكون كلمة ان في قوله تعالى ان اعمل مفسرة ومصدرية ولما كان من شرط المفسرة ان يتقدمها ما هو بمعنى القول ولم يتقدم هنا الا قوله ألنا قدر ما هو بمعنى القول اى وامرناه ان اعمل وان كانت مصدرية كان الكلام مبنيا على حذف حرف الجر المتعلق بألنا وكان المعنى ألناه ذلك لان اعمل دروعا سابغات واسند الفعل الى المخاطب نظرا الى جانب المعنى ﴿ قوله وهو اوّل من اتخذها ﴾ وكانت قبله الصفائح فحصل بصنعتها شيئان لين الكسر وخفة الحمل قيل كان داود عليه الصلاة والسلام يفرغ من صنعة درع في نصف يوم او نصف ليلة ويبيعها بالف درهم وقيل باربعة آلاف فينفق منها على نفسه وعلى عياله قدر ما يكفيهم ويتصدق بالفضل ﴿ قوله وقدر في نسجها ﴾ يعني ان السرد نسج الدرع وهو في الاصل متابعة الشئ الشئ ومنه سرد الحديث اذا تابعه ولما بين تعالى ما آتاه داود على الآية بين ما آتاه سليمان عليه الصلاة والسلام على الآية فانه ايضا من جملة من اناب لقوله تعالى والقينا على كرسيه جسدا ثم اناب ﴿ قوله اى ولسليمان الريح مسخرة ﴾ فان قيل فعلى هذا يلزم عطف الجملة الاسمية على الفعلية وهو لا يجوز او لا يحسن ولسليمان الريح عطف على قوله وألنا له الحديد والانة الريح عبارة عن تسخيرها قلنا لا يلزم كونها معطوفة على الفعلية المذكورة قبلها لجواز كونها معطوفة على اسمية مقدرة دلت عليها تلك الفعلية فانه لما بين حال داود فكأنه قيل ما ذكرنا لداود ولسليمان الريح فانها كانت له كالمملوك المختص بالمالك يأمرها بما يريد ويسير عليها الى حيث يريد ولما سخرت الجبال وشرفت بذكر الله تعالى لم يضفها الى داود بلام الملك بل جعلها معه كالمصاحب فقال ياجبال اوّبي معه والريح لما لم يذكر فيها انها سخرت جعلها كالمملوك له فقال ولسليمان الريح وايضا كان داود عليه السلام اصلا في التأويب وكانت الجبال تابعة له في التأويب فقيل اوّبي معه والريح لما لم تكن حركتها تابعة لحركة سليمان بل كانت تتحرك بنفسها بل تحمل سليمان وجنوده على تحريكهم بحركة نفسها لم يكن وجه لان يقال والريح مع سليمان لانه عليه الصلاة والسلام كان مع الريح ﴿ قوله جريها بالغداة مسيرة شهر ﴾ يعني ان الغدوّ مصدر قولك غدا زيد يفعل كذا يغدو غدوّا اذا فعله وقت الغداة وهي اسم الوقت من طلوع الصبح الى زوال الشمس وفعل الريح في هذا الوقت جريها لسليمان وجنوده على البساط فصار قوله تعالى غدوّها بمعنى جريها بالغداة وهو مبتدأ وشهر خبره ولما لم يصح حمل الوقت على الجرى احتيج الى تقدير المضاف في جانب الخبر فقيل مسيرة شهر وهي مصدر ميمي بمعنى السير ليصح حملها على الجرى لانها لو جعلت مكانا او زمانا لما صح الحمل وكذا الرواح مصدر قولك راح يروح رواحا اى فعل وقت العشى وهو من زوال الشمس الى الليل والمعنى وجريها لسليمان وجنوده مسيرة شهر والجملة الاسمية اما مستأنفة لبيان وجه التسخير او حال من الريح كانت الريح تسير به في يوم واحد مسيرة شهرين عن الحسن انه قال كان سليمان عليه الصلاة والسلام يغدو من دمشق فيقيل باصطخر وبينهما مسيرة شهر للراكب المسرع ثم يروح من اصطخر فيبيت بكابل الهند وبينهما

او سيرى معه حيث سار وقرئ اوبي من الاوب اى ارجعى في التسبيح كلما رجع فيه وهو بدل من فضلا او من آتينا باضمار قولنا او قلنا (والطير) عطف على محل الجبال ويؤيده القرآءة بالرفع عطفا على لفظها تشبيها للحركة البنائية العارضة بحركة الاعراب او على فضلا او مفعول معه لاوّبي وعلى هذا يجوز ان يكون الرفع بالعطف على ضميره وكان الاصل ولقد آتينا داود منا فضلا تأويب الجبال والطير فبدل به هذا النظم لما فيه من الفخامة والدلالة على عظمة شأنه وكبرياء سلطانه حيث جعل الجبال والطيور كالعقلاء المنقادين لامره في نفاذ مشيئته فيها (وألنا له الحديد) وجعلناه في يده كالشمع يصرفه كيف يشاء من غير احماء وطرق بآلاته او بقوّته (ان اعمل) امرناه ان اعمل وان مفسرة او مصدرية (سابغات) دروعا واسعات وقرئ صابغات وهو اوّل من اتخذها (وقدر في السرد) وقدر في نسجها بحيث يتناسب حلقها او قدر مساميرها فلا تجعلها دقاقا فتقلق ولا غلاظا فتخرق ورد بان دروعه لم تكن مسمرة ويؤيده قوله وألنا له الحديد (واعملوا صالحا) الضمير فيه لداود عليه السلام واهله (اني بما تعملون بصير) فاجازيكم عليه (ولسليمان الريح) اى وسخرنا له الريح وقرأ ابو بكر الريح بالرفع اى ولسليمان الريح مسخرة وقرئ الارياح (غدوّها شهر ورواحها شهر) جريها بالغداة مسيرة شهر وبالعشي كذلك وقرئ غدوتها وروحتها

ايضا مسيرة شهر وقيل كان يتغدى بالرى ويتعشى بسمرقند ويحكى انه وجد مكتوبا فى منزل بناحية دجلة كتبه بعض اصحاب سليمان عليه الصلاة والسلام نحن نزلناه وما بنيناه وجدناه مبنيا غدونا من اصطخر فقلناه ونحن رائحون منه فبائتون بالشام ان شاء الله ﴿ قوله النحاس المذاب ﴾ يعنى ان القطر النحاس المذاب من القطران واراد بعين القطر معدن النحاس ولو اريد به العين السائلة لما صح ان يتعلق به الاسالة لانها لا تتعلق بالسائل فوجب ان يراد بعين القطر معدن النحاس ولما كان مآل المعدن الى السيلان وان كان فى نفسه جامدا قبل الاسالة سماه عينا باعتبار مآل اليه امره وهذا معنى قوله ولذلك سماه اى سمى المعدن عينا وهو جامد لكون ينبوعه كينبوع الماء متفرعا على اسالة الله تعالى اياه واسال الله تعالى له معدن النحاس من غير معالجة بالنار كما الان الحديد لداود معجزة لهما قيل اجريت له ثلاثة ايام ولياليهن تجرى الماء ولذا لم يعمل الناس اليوم مما اعطى سليمان وقيل كانت تسيل من كل شهر ثلاثة ايام ﴿ قوله بامره ﴾ اى بان سخرها له وامرها بطاعته فهذا الامر مصدر مضاف الى فاعله وفى قوله عن امرنا بمعنى المأمور به وهو طاعة سليمان ﴿ قوله وقرئ يزغ ﴾ اى بضم الياء وكسر الزاى على بناء الفاعل من ازاغه بمعنى اماله فيكون مفعوله محذوفا اى ومن يزغ نفسه هذا هو المفهوم من تعبير المصنف ووجدت فى بعض التفاسير وقرئ يزغ على بناء المفعول من ازاغه والله اعلم ومن فى قوله تعالى من عذاب السعير لابتداء الغاية او للتبعيض وفسر عذاب السعير بعذاب الآخرة لانه هو المتبادر من العبارة والجن مكلفون كبنى آدم وقيل هو عذاب الدنيا وروى عن السدى انه قال ان الله تعالى وكل بهم ملكا بيده سوط من نار فمن زاغ عن طاعة سليمان ضربه ضربة احرقته ﴿ قوله قصور حصينة ﴾ وكان مما عملوا له بيت المقدس ابتدأه داود ورفعه قامة رجل فاوحى الله تعالى اليه انى لم اقض اتمام ذلك على يديك ولكن ابن لك اسمه سليمان اقضى اتمامه على يده فلما توفاه الله تعالى واستخلف سليمان امه بايدى الجن والشياطين ﴿ قوله على ما اعتادوا ﴾ متعلق بمحذوف منصوب على انه حال من الملائكة والانبياء ﴿ قوله وصحاف ﴾ جمع صحفة وهى الاناء من جنس القصعة قال الكسائى اعظم القصاع الجفنة ثم القصعة تليها تشبع العشرة ثم الصحفة تشبع الخمسة ثم المكيلة تشبع الرجلين والثلاثة ثم الصحيفة تشبع الرجل والجواب جمع جابية كضاربة وضوارب والجابية الحوض العظيم من جبى الماء اذا جمعه سميت بذلك لانها يجبى اليها الماء اى يجمع واسناد الفعل اليها مجاز لانه يجبى فيها فقوله وجفان اى وقصاع فى العظم كحياض الابل يجتمع على القصعة الواحدة الف رجل يأكلون منها ﴿ قوله لا تنزل عنها لعظمها ﴾ قيل كان يطبخ فى كل قدر الف شاة وكان يصعد اليها بنصب السلالم وكان ذلك باليمن ﴿ قوله حكاية لما قيل لهم ﴾ اى محمول على اضمار القول اى قلنا لهم اعملوا بطاعة الله تعالى شكرا على نعمه وذلك لان امر هؤلاء ليس فى زمان نزول الوحى لرسول الله عليه الصلاة والسلام وذكر لانتصاب شكرا خمسة اوجه الاول انه مفعول له لاعملوا والثانى انه مصدر على غير لفظ الفعل من حيث ان العمل هو الشكر له والثالث انه صفة لمصدر اعملوا تقديره اعملوا عملا شكرا اى ذا شكر والرابع انه مصدر واقع موقع الحال اى اعملوا شاكرين والخامس انه مفعول به لقوله اعملوا اى اعملوا الشكر الذى هو الطاعة لله تعالى فيما امر به ونهى عنه ويجوز ان يكون منصوبا بفعل مقدر من لفظه اى واشكروا شكرا ﴿ قوله تعالى وقليل ﴾ خبر مقدم ومن عبادى صفته والشكور مبتدأ والمعنى ان العامل بطاعتى شكرا لنعمتى قليل من عبادى والشكور صيغة مبالغة وقوله المتوفر الى قوله اكثر اوقاته صفة كاشفة له واكثر اوقاته ظرف المتوفر وبعدما كشف مفهومه وفضله قال ومع ذلك لا يوفى حقه ﴿ قوله وقيل آله ﴾ يعنى ضمير دلهم قيل انه لآل سليمان روى ان داود عليه السلام اسس بناء بيت المقدس فى موضع فسطاط موسى عليه الصلاة والسلام فمات قبل ان يتمه فامر سليمان باتمامه فشرع فيه بعدما مضى من ملكه اربع سنين وامر الشياطين بذلك فلما بقى من عمارته سنة دنا اجله فدعا الله تعالى ان يعمى عليهم موته حتى يفرغوا من بنائه وكان عمره ثلاثا وخمسين سنة مات وهو ابن ثلاث عشرة سنة وعاش فى ملكه اربعين سنة وقيل كانت الشياطين تدعى انهم يعلمون الغيب وكانوا يسترقون السمع وزعم بعض الناس من الجهلة انهم يعلمون الغيب كما يدعون فاحق الله تعالى بدعاء سليمان موته على الشياطين ليعلموا انهم ليسوا فى شئ من علم الغيب فجاء ملك الموت وكان قائما فى محرابه متكئا على عصا فقال امهلنى حتى اوصى الى اهلى فقال لا زمان فقال اتركنى حتى اجلس قال وكذلك امرت فقبض روحه على حاله فلما مات مكث قائما على عصاه حولا ميتا والجن تعمل

(واسلنا له عين القطر) النحاس المذاب اسال له من معدنه فنبع منه نبوع الماء من الينبوع ولذلك سماه عينا وكان ذلك باليمن (ومن الجن من يعمل بين يديه) عطف على الريح ومن الجن حال مقدمة او جملة من مبتدأ وخبر (باذن ربه) بامره (ومن يزغ منهم) ومن يعدل منهم (عن امرنا) عما امرناه من طاعة سليمان وقرئ يزغ من ازاغه (نذقه من عذاب السعير) عذاب الآخرة (يعملون له ما يشاء من محاريب) قصورا حصينة ومساكن شريفة سميت بها لانها يذب عنها ويحارب عليها (وتماثيل) وصورا وتماثيل للملائكة والانبياء على ما اعتادوا من العبادات ليراها الناس فيعبدوا نحو عبادتهم وحرمة التصاوير شرع مجدد روى انهم عملوا اسدين فى اسفل كرسيه ونسرين فوقه فاذا اراد ان يصعد بسط الاسدان له ذراعيهما واذا قعد اظله النسران باجنحتهما (وجفان) وصحاف (كالجواب) كالحياض الكبار جمع جابية من الجباية وهى من الصفات الغالبة كالدابة (وقدور راسيات) ثابتات على الاثافى لا تنزل عنها لعظمها (اعملوا آل داود شكرا) حكاية لما قيل لهم وشكرا نصب على العلة اى اعملوا له واعبدوه شكرا او المصدر لان العمل له شكر او الوصف له او الحال او المفعول به (وقليل من عبادى الشكور) المتوفر على اداء الشكر بقلبه ولسانه وجوارحه فى اكثر اوقاته ومع ذلك لا يوفى حقه لان توفيقه للشكر نعمة تستدعى شكرا آخر لا الى نهاية ولذلك قيل الشكور من يرى عجزه عن الشكر (فلما قضينا عليه الموت) اى على سليمان (ما دلهم على موته) ما دل الجن وقيل آله (الا دابة الارض) اى الارضة اضيفت الى فعلها وقرئ بفتح الراء وهو تأثر الخشبة من فعلها

يقال أرضت الارضة الخشبة ارضا فارضت ارضا مثل اكلت القوادح الاسنان اكلا فأكلت أكلا (تأكل منسأته) عصاه من
نسأت البعير اذا طردته لانها يطرد بها وقرئ بفتح الميم وبتخفيف الهمزة قلبا وحذفا على غير قياس اذ القياس اخراجها بين بين وقرأ نافع وابو عمرو منساته على مفعالة كيضاءة في ميضأة ومن سأته اي طرف عصاه مشتقا من سأة القوس وفيه لغتان كما في قحة وقحة (فلما خر تبينت الجن) علمت الجن بعد التباس الامر عليهم (ان لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين) انهم لو كانوا يعلمون الغيب كما يزعمون لعلموا موته حينما وقع فلم يلبثوا بعده حولا في تسخيره الى ان خر او ظهرت الجن وان بما في حيزه بدل منه اي ظهر ان الجن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب وذلك ان داود اسس بيت المقدس في موضع فسطاط موسى عليه الصلاة والسلام فمات قبل تمامه فوصى به الى سليمان فاستعمل الجن فيه فلم يتم بعد اذ دنا اجله فاعلم به فاراد ان يعمي عليهم موته ليتموه فدعاهم فبنوا عليه صرحا من قوارير ليس فيه باب فقام يصلي متكئا على عصاه فقبض روحه وهو متكئ عليها فبقي كذلك حتى اكلتها الارضة فخر ثم فتحوا عنه وارادوا ان يعرفوا وقت موته فوضعوا الارضة على العصا فاكلت يوما وليلة مقدارا فحسبوا على ذلك فوجدوه قد مات منذ سنة وكان عمره ثلاثا وخمسين سنة وملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة وابتدأ عمارة بيت المقدس لاربع مضين من ملكه (لقد كان لسبأ) لاولاد سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ومنع الصرف عنه ابن كثير وابو عمرو لانه صار اسم القبيلة وعن ابن كثير قلب همزته الفا ولعله اخرجه بين بين فلم يؤده الراوي كما وجب (في مساكنهم) في مواضع سكناهم وهي باليمن يقال لها مأرب بينها وبين صنعاء مسيرة ثلاث وقرأ حمزة وحفص بالافراد والفتح والكسائي بالكسر حملا على ما شذ من القياس كالمسجد والمطلع (آية) علامة دالة على وجود الصانع المختار وانه قادر على ما يشاء من الامور العجيبة مجاز المحسن والمسيء معاضدة للبرهان السابق كما في قصتي داود وسليمان (جنتان) بدل من آية او خبر محذوف وتقديره الآية جنتان

تلك الاعمال الشاقة التي كانوا يعملونها في حياته لا يشعرون بموته حتى اكلت الارضة عصاه فخر ميتا فعلموا بموته فارادوا ان يشعروا وقت موته فوضعوا الارضة على عصاه فاكلت منها مقدارا في يوم وليلة فحسبوا على ذلك النحو فعلموا بموته منذ سنة فذلك قوله تعالى ما دلهم على موته الا دابة الارض وهي السرفة التي تأكل الخشب والارض فعلها اعني اكلها الخشبة فاضيفت الى فعلها يقال ارضت الارضة اي السرفة الخشب ارضا فهو مأروض اي مأكول وقرئ الارض بفتح الراء من ارضت الخشبة بالكسر ارضا فهو من باب فعلته ففعل كقولك اكلت القوادح الاسنان اكلا فاكلت اكلا ﴿ قوله وقرئ بفتح الميم ﴾ قرأ نافع وابو عمرو منساته بالف ساكنة بدل من الهمزة والجمهور بهمزة مفتوحة كالمكنسة والمكنسة وقرئ منساته بفتح الميم مع تخفيف الهمزة وابدالها الفا وحذفها تخفيفا وقرئ منساته على وزن مفعالة كما يقال في ميضأة ميضاءة وهي المطهرة التي يتوضأ بها وكلها لغات وانشد على الابدال والحذف

اذا دببت على المنساة من كبر ۞ فقد تباعد عنك اللهو والغزل

﴿ قوله ومن سأته ﴾ بفصل كلمة من على انها حرف جر وان سأته مجرورة بها والسأة والسئة العصا وهما في الاصل ما عطف من طرفي القوس سميت العصا سأة على وجه الاستعارة ووجه ذلك كما جاء في التفسير انه عليه الصلاة والسلام اتكأ على عصا خضراء من خروب والعصا الخضراء متى اتكئ عليها تصير كالقوس في الاعوجاج غالبا وفي سئة القوس لغتان كسر الفاء وفتحها نحو قحة وقحة يقال وقح الرجل بضم القاف اذا صار قليل الحياء قحة بفتح القاف وكسرها والهاء عوض عن الواو المحذوفة من سئة القوس وزنها فعة والهاء عوض عن اللام واختلف فيها أهي واو ام ياء وقيل كان رؤبة يهمز سية القوس وسائر العرب لا تهمز ﴿ قوله او ظهرت الجن ﴾ عطف على قوله علمت الجن يعني ان تبين يحتمل ان يكون متعديا من تبينت الشيء اذا عرفته معرفة جلية بعد التباس الامر وان يكون لازما من تبين الشيء اذا ظهر والمعنى ظهرت حال الجن انهم لو كانوا يعلمون الغيب لعلموا بموته عليه الصلاة والسلام حين وقع وما تكلفوا تلك المشاق وان هذه مع صلتها بدل اشتمال من الجن كقولك تبين زيد جهله والظهور للجهل في المعنى ثم انه تعالى لما بين حال الشاكرين لنعمه بذكر داود وسليمان عليهما الصلاة والسلام بين حال الكافرين لها بحكاية قصة اهل سبأ فقال لقد كان لسبأ صرفه الجمهور اي قرأوه بالجر والتنوين على انه اسم حي او رجل وهو عبد شمس بن يشجب بن يعرب بن قحطان وقرأ البزي وابو عمرو لسبأ بفتح الهمزة من غير تنوين على انه اسم القبيلة سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سبأ ما هو أكان رجلا ام امرأة ام ارضا قال بل هو رجل من العرب ولد عشرة من الولد فسكن اليمن منهم ستة والشام منهم اربعة فاما الذين تيامنوا فالازد وكندة ومذحج على وزن مسجد والاشعرون وحمير وانمار ومنهم خثعم وبجيلة واما الذين تشاءموا فعاملة وغسان ولخم وجذام ولما هلكت اموالهم وخربت بلادهم تفرقوا في غور البلاد ونجدها ايدي سبأ شذر مذر ولذلك قيل للكل متفرقين بعد الاجتماع تفرقوا ايدي سبأ فنزلت طوائف منهم الحجاز فمنهم خزاعة نزلوا بظاهر مكة ومنهم الاوس والخزرج نزلوا بيثرب فكانوا اول من سكنها ثم نزل عندهم ثلاث قبائل من اليهود بنو قينقاع وبنو قريظة والنضير فحالفوا الاوس والخزرج واقاموا عندهم ونزلت طوائف اخر منهم الشام وهم الذين تنصروا فيها بعد وهم غسان وعاملة ولخم وجذام وتنوخ وتغلب وغيرهم وسبأ يجمع هذه القبائل كلها ﴿ قوله ولعله اخرجه بين بين ﴾ فانه هو الاصل في تليين الهمزة التي تحرك ما قبلها ﴿ قوله وقرأ حمزة وحفص ﴾ في مسكنهم بفتح الكاف مفردا والكسائي كذلك الا انه كسر الكاف والباقون مساكنهم على لفظ الجمع اما الافراد فلعدم اللبس في ان المراد الجمع كقوله فكلوا من بعض بطنكم تعفوا والقياس فتح الكاف لان الفعل متى ضمت عين مضارعه او فتحت يجيء الزمان والمكان والمصدر منه على مفعل بفتح العين والكسر مسموع على غير القياس والمسكن ههنا موضع السكون واما الجمع فهو الظاهر لان كل واحد منهم له مسكن على حدة ورسم مسكنهم في المصاحف بدون الف بعد الكاف فلذلك احتمل القراآت المذكورة ﴿ قوله بدل من آية ﴾ وهي اسم كان قدم عليه خبره ابدل المثنى من المفرد باعتبار وتفسيرا بناء على ان البدل على تقدير المضاف اي لقد كان لهم آية قصة جنتين والا لكان الظاهر ان يقال آيتان جنتان ونظيره قوله تعالى وجعلنا ابن مريم وامه آية فان الظاهر ان يقال آيتين الا انه افرد آية لكون المعنى وجعلنا امرهما وحالهما آية وهي ولادتها اياه من غير ان يمسها بشر على ان الجنتين

(الجنتين)

المحيطتين بمسكنهم آية واحدة في نفسها دالة على وجود الصانع وعلى كونه قادرا على مايشاء من الامور العجيبة الخارجة عن وسع البشر فلما كان المفرد المذكور صادقا على هذا الشئ صح ابدالهما منه على سبيل البيان والتفسير وقوله معاضدة صفة ثانية لقوله علامة اشار به الى وجه مناسبة قصة سبأ لقصتى داود وسليمان عليهما الصلاة والسلام وهو ان في قصتهما دلالة على وجود الصانع وكمال قدرته وانه مجازي المحسن والمسيء حيث جازى كل واحد منهما بما خصه من الفضل العظيم وقال فمن يزغ منهم عما امره الله تعالى من طاعة سليمان نذقه من عذاب السعير وكذا في قصة سبأ دلالة على وجود الصانع وكمال قدرته لان ما اعطاهم من انواع الشجر والوان الثمر خارج عن وسع البشر وفيها ايضا دلالة على انه تعالى مجازي المحسن والمسيء حيث كلفهم شكر ما انعم عليهم من جلائل النعم ليزيد عليهم من فضله ثم قال فاعرضوا عما كلفوا به من الشكر فارسلنا عليهم سيل العرم فالعلامة التي اشتملت عليها هذه القصة معاضدة للبرهان السابق المدلول عليه بقصتهما ذكر الله تعالى هذه القصة لمشركي العرب تحذيرا لهم من ان ينزل بهم بشؤم شركهم وسوء افعالهم ما نزل باولئك على كفرهم وفسقهم ﴿ قوله والمراد جماعتان ﴾ جواب عما يقال كيف عظم الله تعالى جنتي اهل سبأ وجعلهما آية دالة على ما ذكر مع ان المسكن المتوسط بين جنتين كثير في الدنيا وتقرير الجواب ان ما ذكرت انما يرد ان لو كان المراد بستانين اثنين فحسب وليس كذلك بل المراد جماعتان من البساتين جماعة عن يمين بلدهم واخرى عن شماله بحيث كل جماعة منها جنة لكونها في تقاربها وتضامها كأنها جنة واحدة ﴿ قوله او بستانا كل رجل ﴾ عطف على قوله جماعتان ويجوز ان يكون المراد بستانين اثنين وتعظيمهما من حيث ان مسكن كل رجل متوسط بينهما وكون جميع المساكن هكذا حالة عظيمة ﴿ قوله او دلالة بانهم كانوا احقاء بان يقال لهم ذلك ﴾ عطف على قوله حكاية فلما لم يكن الامر المذكور واقعا في زمان نزول الوحي على نبينا عليه الصلاة والسلام وجب جعله محكيا بقول مضمر ومقولا بلسان من بعث اليهم من الانبياء او بلسان الحال او جعله منزلا منزلة الوحي المحكي المقول لهم من حيث كونهم احقاء بان يقال لهم ذلك فكأنه قيل لهم ذلك فجيء بالجملة كانها بعد القول ﴿ قوله استئناف ﴾ فكأنه قيل واشكروا له فان بلدتكم بلدة طيبة وربكم ان شكرتموه فيما رزقكم رب غفور فارتفاع كل واحد من بلدة ورب على انه خبر محذوف كانت بلدتهم اخصب البلاد واطيبها حيث كانت المرأة تخرج فتحمل مكتلها على رأسها وتمر بين تلك الاشجار فيمتلئ مكتلها من الوان الفاكهة من غير ان تمس شيأ بيدها واطيبها انه لم يكن فيها عاهة كالوباء والحمى وغيرهما من الامراض المتفرعة على وخامة الهواء ولا هامة وهي واحدة الهوام المؤذية قيل لم ير ببلدتهم بعوضة ولا ذباب ولا برغوث ولا حية ولا عقرب وكان الرجل الغريب يمر ببلدتهم وفي ثيابه القمل فيموت القمل كله من طيب الهواء فذلك قوله تعالى بلدة طيبة اى طيبة الهواء ﴿ قوله تعالى فاعرضوا ﴾ اى عن القيام بما وجب عليهم من شكر نعم الله تعالى وكذبوا رسلهم قال وهب ارسل الله تعالى الى سبأ ثلاثة عشر نبيا فدعوهم الى الله تعالى وذكروهم نعم الله تعالى عليهم وانذروهم عقابه فقالوا ما نعرف لله عز وجل علينا نعمة فقولوا لربكم فليحبس هذه النعم عنا ان استطاع فانتقم الله تعالى منهم بان ارسل عليهم سيلا غرق اموالهم وخرب ديارهم ﴿ قوله سيل الامر العرم ﴾ على ان يكون العرم صفة مشبهة من العرام وهي الشدة والصعوبة يقال عرم فلان فهو عارم وعرم اذا ساء خلقه وصعب ولما كان اضافة السيل الى العرم من قبيل اضافة الموصوف الى صفته اذ الاصل السيل العرم احتيج الى التأويل المعتبر في هذا الباب وهو ان يحمل الكلام على حذف الموصوف واقامة صفته مقامه فقولهم مسجد الجامع مثلا تقديره مسجد الوقت الجامع فكذا سيل العرم اصله سيل المطر العرم او الامر العرم وجعل قوله المطر الشديد وجها آخر بناء على انه لم يعتبر فيه كون السيل موصوفا بكونه عرما وان اضافته اليه من قبيل اضافة الموصوف الى صفته ليحتاج الى التأويل بل جعلها مثلا مبتدأ من باب حذف الموصوف واقامة صفته مقامه ﴿ قوله او الجرذ ﴾ اى قيل العرم اسم الجرذ وهو بضم الجيم وفتح الراء والذال ضرب من الفأر اعمى والجمع الجرذان ويقال له الخلد ايضا لاقامته عند جحره لعماه واضافة السيل اليه من قبيل اضافة المسبب الى سببه فانه كان سببا لخراب السكر وانقلاب الماء المحتبس وراء السكر عليهم وذلك ان اهل سبأ كانوا يقتتلون على واديهم عند احتياجهم الى سقي بساتينهم فسدت لهم بلقيس الملكة ما بين الجبلين بالصخور والقير فحبست بذلك السماء والعيون والامطار وجعلت لهم ابوابا ثلاثة بعضها فوق بعض وبنت من دونه بركة عظيمة وجعلت فيها اثني عشر

وقرئ بالنصب على المدح والمراد جماعتان من البساتين (عن يمين وشمال) جماعة عن يمين بلدهم وجماعة عن شماله كل واحدة منهما في تقاربها وتضامها كأنها جنة واحدة او بستانا كل رجل منهم عن يمين مسكنه وعن شماله (كلوا من رزق ربكم واشكروا له) حكاية لما قال لهم نبيهم او لسان الحال او دلالة بانهم كانوا احقاء بان يقال لهم ذلك (بلدة طيبة ورب غفور) استئناف للدلالة على موجب الشكر اى هذه البلدة التي فيها رزقكم بلدة طيبة وربكم الذي رزقكم وطلب شكركم رب غفور فرطات من يشكره وقرئ الكل بالنصب على المدح قيل كانت اخصب البلاد واطيبها لم يكن فيها عاهة ولا هامة (فاعرضوا) عن الشكر (فارسلنا عليهم سيل العرم) سيل الامر العرم اى الصعب من عرم الرجل فهو عارم وعرم اذا شرس خلقه وصعب او المطر الشديد او الجرذ اضاف اليه السيل لانه نقب عليهم سكرا

مخرجا على عدد انهارهم الى اراضيهم و بساتينهم يفتحونها اذا احتاجوا الى الماء و اذا استغنوا سدوها فاذا جاء المطر اجتمع اليه ماء اودية اليمن فاحتبس السيل من وراء السد فاجتمع فيه الى ان صار كالبحر فامرت بالباب الاعلى ففتح يجرى ماؤه فى البركة فكانوا يسقون من الباب الاعلى الى ان يستفل الماء منه ثم من الباب الثانى ثم من الثالث الاسفل فلا ينفد الماء الى ان ينقطع احتياجهم الى سقى الاراضى ثم يجتمع فيه الماء اوان الشتاء فيصير كالبحر ايضا فيسقون منه فى السنة المقبلة كما سقوا فى السنة الماضية فكانت تقسم الماء بينهم على هذا الوجه فى كل سنة فبقوا على ذلك بعدها مدة فلما طغوا نقب الجرذ السكر بسببه و انقلب البحر عليهم فغرق بلادهم و دفن الرمل بيوتهم ومنازلهم و تفرقوا فى البلدان ايدى سبا ﴿قوله فخنقت به﴾ اى منعت من ان يسيل ماء الشحر و هو ساحل البحر بين عمان و عدن ﴿قوله او المسناة﴾ اى و يحتمل ان يكون المراد بالعرم نفس البناء الذى يجعل سدا قال البغوى العرم جمع عرمة وهى السكر الذى يحبس الماء اضيف السيل الى العرم لملابسة بينهما من حيث ان السيل انما انبسط وغلب على اراضيهم وخرب ديارهم بخراب العرم و فسر الجوهرى كل واحد من المسناة و العرم بالآخر ثم انه تعالى بين دوام خراب بلادهم بعطف قوله وبدلناهم بجنتيهم جنتين على قوله فارسلنا عليهم سيل العرم فان الرمل اذا دفن بيوت الناس و بساتينهم و ايس اصحابها من عمارتها و تركوها على حالها نبتت فيها الاشجار الخبيثة بدل ما كان فيها من الفواكه الطيبة الحاصلة بسبب العمارة وقد تقرر ان المجرور بالباء الواقعة بعد فعل التبديل هو الخارج من اليد و المنصوب هو الداخل وسمى ما كان بدلا من الخارج جنة على طريق المشاكلة تهكما بهم ﴿قوله مر بشع﴾ اى كريه الطعم يأخذ بالحلق فلا يمكن اكله فسر الخمط بثلاثة اوجه الاول ما ذكره الزجاج وهو انه كل نبت اخذ طعما من مرارة حتى لا يمكن اكله و الثانى انه شجر الاراك والاكل ثمره ويقال له البرير والثالث كل شجرة له شوك وما وجد فى نسخ القاضى كل شجر لا شوك له يخالف رواية سائر الكتب قال الامام فى الكبير الخمط كل شجرة لها شوك او كل شجرة ثمرتها مرة لا تؤكل و الاثل نوع من الطرفاء ولا يكون عليه ثمرة الا فى بعض الاوقات يكون عليه شئ كالعفص امر منه فى طعمه و طبعه الى هنا كلامه قرأ ابو عمرو ذواتى اكل خمط بضم الكاف مضافا الى خمط من غير تنوين وقرأ نافع و ابن كثير اكل خمط بسكون كاف اكل و تنوينه و الباقون بضم كافه و تنوينه و فى الصحاح الاكلة بالضم اللقمة يقال هذا الشئ اكلة لك اى طعمة لك والاكل ايضا ما اكل ويقال ايضا فلان ذو اكل اذا كان ذا حظ فى الدنيا ورزق واسع ثم قال وكل ما يؤكل فهو اكل ومنه قوله تعالى اكلها دائم فظهر منه ان المراد بالاكل فى الآية هو الثمر و الجنى وهو ما يجتنى من الشجر و الجناة واحدته وان وجه اضافته الى الخمط ظاهر فان قولك اكل خمط حينئذ مثل قولك اعناب كرم وثوب خز واما وجه التنوين فهو ان يحمل تقدير الكلام ذواتى اكل اكل خمط على ان المضاف المقدر بدل او عطف بيان للمذكور وليبان ان الاكل من اى شجرة هو ﴿قوله النبق عما يطيب اكله﴾ يعنى ان السدر شجر النبق وجناه ينتفع به اكلا وكذا ينتفع بورقه لغسل اليد ولما كان التبديل مجازاة لهم على كفران النعمة ناسب ان يقلل من البدل ما هو اكرم مما بدلوا ومنه السدر فلذلك قلله الله تعالى وقيل السدر سدران سدر له ثمرة عفصة لا تؤكل ولا ينتفع بورقه فى الاغتسال وهو الضال وسدر له ثمرة تؤكل وهو النبق و يغتسل بورقه و المراد بما فى الآية الاول وحاصل الآية انه كانت اشجارهم خير الاشجار فصيرها الله تعالى من شر الاشجار بسوء اعمالهم ﴿قوله بكفرانهم﴾ يعنى ان ما فى قوله بما كفروا مصدرية ومحل ذلك النصب على انه مفعول ثان لجزيناهم اى جزيناهم ذلك التبديل بسبب كفرانهم النعمة او بسبب كفرهم بالرسل ولو كان تقديم المفعول للتخصيص لزم ان ينحصر عقابهم فى التبديل المذكور وليس كذلك لان الكافر لا ينحصر عقابه فى نوع من العقاب العاجل فلذلك جعله للاهتمام به و تعظيم شأنه لان الاصرار على ترك الوطن المألوف لاسيما اذا كان فى اخصب البلاد و اطيبها فى غاية الصعوبة ﴿قوله تعالى وهل يجازى﴾ قرآءة الجمهور بضم الياء وفتح الزاى على بناء المفعول ورفع الا الكفور لقيامه مقام الفاعل ومن قرأه بنون العظمة وكسر الزاى اعتبر موافقته لقوله جزيناهم فيكون قوله الا الكفور منصوبا على انه مفعول به ﴿قوله وهل يجازى بمثل ما فعلنا بهم﴾ يعنى ان المراد بالجزآء هو الجزآء المعهود فى قوله جزيناهم بما كفروا فان المراد به العقاب العاجل فكذا فى قوله و هل يجازى فكأنه قيل ذلك عاقبناهم بسبب كفرهم و هل يعاقب بمثله الا البليغ فى الكفر او الكفران وليس المراد به مطلق الجزآء والا لما صح قصره على الكافر فان مطلق الجزآء يعم المؤمن

(والكافر)

ضربت لهم بلقيس فخنقت به ماء الشحر وتركت فيه ثقبا على مقدار ما يحتاجون اليه او المسناة التى عقدت سكرا على انه جمع عرمة وهى الحجارة المركومة وقيل اسم واد جاء السيل من قبله وكان ذلك بين عيسى و محمد عليهما الصلاة و السلام (وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتى اكل خمط) مر بشع فان الخمط كل نبت اخذ طعما من مرارة وقيل الاراك او كل شجر لا شوك له والتقدير اكل اكل خمط فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فى كونه بدلا او عطف بيان وقرأ ابو عمرو اكل خمط بالاضافة (واثل وشئ من سدر قليل) معطوفان على اكل لا على خمط فان الاثل هو الطرفاء ولا ثمر له وقرئا بالنصب عطفا على جنتين ووصف السدر بالقلة فان جناه وهو النبق مما يطيب اكله ولذلك يغرس فى البساتين وتسمية البدل جنتين للمشاكلة والتهكم (ذلك جزيناهم بما كفروا) بكفرانهم النعمة او بكفرهم بالرسل اذ روى انه بعث اليهم ثلاثة عشر نبيا فكذبوهم وتقديم المفعول للتعظيم لا للتخصيص (وهل يجازى الا الكفور) وهل يجازى بمثل ما فعلنا بهم الا البليغ فى الكفران او الكفر وقرأ حمزة والكسائى ويعقوب وحفص نجازى بالنون والكفور بالنصب

والكافر ﴿قوله بالتوسعة على اهلها﴾ اى بالمياه والاشجار والثمار والخصب لكونها مهاجر الانبياء ومقرهم والمعنى جعلنا بين اهل سبأ وهم باليمن وبين الشام قرى ظاهرة اى متواصلة يظهر بعضها لبعض و يرى سواد القرية من القرية الاخرى لقربها منها كانوا يسافرون من اليمن الى الشام فيبيتون بقرية ويقيلون باخرى حتى رجعوا ولا يحتاجون الى حمل زاد ولاماء من وادى سبأ الى الشام او ظاهرة لسابلة غير بعيدة عن مسالكهم حتى تخفى عليهم بل يرونها من متن الطريق وهذا بيان لما انعم الله تعالى به على سبأ بعدما ارسل الله تعالى عليهم سيل العرم فانه لما هلكت مالهم قالوا نحن نتوب و رد علينا خيرنا فتابوا فرد الله عليهم خيرا اكثر مما هم عليه قبل ان يرسل عليهم سيل العرم * روى الامام ابو الليث عن الكلبي انهم قالوا للرسل الا عرفنا نعمة الله تعالى فو الله لئن رد الله تعالى فو الله لئن رد لنا و جاعتنا والذى كنا عليه لنعبدنه عبادة لم يعبدها اياه قوم قط فدعت لهم الرسل ربهم فرد الله تعالى اليهم ما كانوا عليه فاكانهم نعمة وجعل لهم من ارضهم الى ارض الشام قرى متصلة بعضها الى بعض فذلك قوله تعالى وجعلنا بينهم وبين القرى التى باركنا فيها قرى ظاهرة ثم انهم عادوا الى كفرهم فاتاهم الرسل وذكروهم فكذبوهم فمزقهم الله كل ممزق وقال غيره قوله تعالى وجعلنا بينهم وبين القرى التى باركنا فيها حكاية ما كانوا عليه قبل ان يرسل الله تعالى عليهم سيل العرم بين الله تعالى حال بلدهم انها بلدة طيبة وان لهم فيها جنات غزيرة البركات مكنهم منها وامرهم ان يأكلوا من رزقه وان يشكروا الله ثم انهم كفروا النعمة واعرضوا عما وجب عليهم من الشكر فبدل ما بهم من النعمة نقمة ثم ذكر حال خارج بلدهم وذكر عمارتهم بكثرة القرى من اليمن الى الشام فبطروا النعمة وملوا العافية فطلبوا الكد والتعب كما ملت بنو اسرآئيل المن والسلوى وسألوا الثوم والبصل فتمنوا ان يجعل الله بينهم وبين الشام مفاوز وبوادى ليحتاجوا الى ان يحملوا معهم ازوادهم وقالوا لو كان جنى الجنات ابعد مما هو عليه اليوم لكان اجدر ان نشتهيه فقالوا ربنا باعد بين اسفارنا واجعل بيننا وبين الشام فلوات ومفاوز لنركب فيها الرواحل ونتزود الازواد فجعل الله تعالى لهم الاجابة ومعنى تقدير السير فيها جعل بعد ما بين كل واحدة منها فى نصف يوم بحيث يقيل الغادى فى قرية ويبيت الرائح فى قرية الى ان يبلغ الشام لا يخاف جوعا ولا عطشا ولا عدوا ولا يحتاج الى حمل زاد ولا ماء خص الليالى والايام بالذكر مع ان السير لا يكون الا فيهما للاشعار بان الامر لا يتفاوت باختلاف الاوقات او للاشعار بان الامر يتيسر وان تطاولت مدة السفر على ان يراد بالايام والليالى الكثرة والمواظبة على السير وعلى الثالث يكون المقصود من ذكر الايام والليالى الاشعار باستمرار الامن وان استغرق السفر ليالى الخاطين واياهم مدة اعمارهم بان يكون معنى قوله ليالى واياما لياليكم واياكم فتركت الاضافة اعتمادا على دلالة المقام على كون الجمع المضاف مستغرقا ﴿قوله أشروا النعمة﴾ الاشر البطر يقال أشر بالكسر يأشر اشرا فهو اشر واشران كما يقال بطر يبطر بطرا والاشر والبطر الطغيان الحاصل بسبب كثرة النعمة ويحتمل ان يكون قولهم هذا لفساد اعتقادهم وشدة اعتقادهم على ان ذلك لا يعدم كما يقول القائل لغيره اضربنى اشارة الى انه لا يقدر عليه ويحتمل ان يكون قولهم ربنا باعد مقولا بلسان الحال فانهم لما كفروا صاروا كانهم طلبوا ان يبعد بين اسفارهم ويخرب المعمور من ديارهم قرأ العامة بنصب ربنا على النداء وباعد على لفظ الامر من باب المفاعلة وقرأ ابن كثير وابو عمرو وهشام بعد بتشديد العين على لفظ الامر من باب التفعيل وقرأ يعقوب ربنا باعد برفع ربنا على الابتداء وباعد على لفظ الفعل الماضى وقرئ ربنا بالنصب على النداء وبعد على لفظ الماضى المبنى للفاعل وبعد على لفظ الماضى المبنى للمفعول واسناد الفعل فيهما الى بين ورفعه كقرآءة تقطع بينكم برفع بين ﴿قوله تعالى فجعلناهم احاديث﴾ جمع حديث على غير القياس اى اهلكناهم كل اهلاك فصاروا احاديث وعبرة لمن بعدهم فجعلناهم به مثلا للناس يتحدثون بما فعلوا وما فعل بهم ويتعجبون من احوالهم فى المجالس وقوله ومزقناهم كل ممزق بيان لجعلهم احاديث فان الناس ضربوا المثل بتفرقهم فقالوا ذهبوا ايدى سبأ وايادى سبا اى تفرقوا فى طرق شتى واليد فى كلام العرب تطلق على الطريق يقال اخذ يد البحر اى طريقه وقيل ايادى سبأ اولاده لان الاولاد اعضاد الرجل لتقويه بهم والمعنى تفرقوا مثل تفرق اولاد سبأ وفى المفصل الايادى الانفس كناية او مجازا وهو احسن من تفسيره بالطرق وبالاولاد وسبأ مهموز فى الاصل غير انه التزم التخفيف فى هذا المثل ولابد من اضمار لفظ المثل فى هذا المثل لان ايدى سبا وقع حالا من فاعل ذهبوا وهو معرفة لان اضافته حقيقية ومن حق الحال ان تكون نكرة والتقدير ذهبوا متفرقين ﴿قوله صبار عن المعاصى شكور على النعم﴾ وهما من صفة المؤمن كأنه قيل ان فى ذلك التفريق او فيما ذكر من حال

(وجعلنا بينهم وبين القرى التى باركنا فيها) بالتوسعة على اهلها وهى قرى الشام (قرى ظاهرة) متواصلة يظهر بعضها لبعض او راكبة متن الطريق ظاهرة لابناء السبيل (وقدرنا فيها السير) بحيث يقيل الغادى فى قرية ويبيت الرائح فى قرية الى ان يبلغ الشام (سيروا فيها) على ارادة القول بلسان القال او الحال (ليالى واياما) متى شئتم من ليل ونهار (آمنين) لا يختلف الامن فيها باختلاف الاوقات او سيروا آمنين وان طالت مدة سيركم فيها او سيروا فيها ليالى اعماركم واياما لا تلقون فيها الا الامن (فقالوا ربنا باعد بين اسفارنا) أشروا النعمة وملوا العافية كبنى اسرآئيل فسألوا الله ان يجعل بينهم وبين الشام مفاوز ليتطاولوا فيها على الفقرآء بركوب الرواحل وتزود الازواد فاجابهم الله بتخريب القرى المتوسطة وقرأ ابن كثير وابو عمرو وهشام بعد ويعقوب ربنا بالرفع باعد بلفظ الخبر على انه شكوى منهم لبعد سفرهم افراطا فى الترفه وعدم الاعتداد بما انعم الله عليهم فيه ومثله قرآءة من قرأ ربنا بعد وبعد على النداء واسناد الفعل الى بين (وظلموا انفسهم) حيث بطروا النعمة ولم يعتدوا بها (فجعلناهم احاديث) يتحدث الناس بهم تعجبا وضرب مثل فيقولون تفرقوا ايدى سبا (ومزقناهم كل ممزق) وفرقناهم غاية التفريق حتى لحق غسان منهم بالشام وانمار بيثرب وجذام بتهامة والازد بعمان (ان فى ذلك) فيما ذكر (لآيات لكل صبار) عن المعاصى (شكور) على النعم

الشاكرين المثيبين ووبال الكافرين المعاندين لعبرا ولآيات لكل مؤمن ﴿قوله اى صدق فى ظنه﴾ يعنى ان ماعدا الكوفيين قرأوا بتخفيف دال صدق وظنه نصب امابنزع الخافض اى فى ظنه اوبانه مفعول مطلق لفعل مقدر من لفظه اى صدق ابليس يظن ظنا والجملة حالية من فاعل صدق كقولك فعلته جهدك اى فعلته تجهد جهدك وتتعب تعبك ويجوز ان ينتصب على انه مفعول به فان الصدق يعدى الى ماهو فى معنى القول بنفسه فيقال صدق وعده اى جعل وعده صادقا والظن كالوعد فى انه نوع من القول ومن قرأ صدّق بتشديد الدال ونصب ظنه جعله مفعولا به وقال معناه حقق عليهم ظنه اى صار فيما ظنه على يقين لانه ظن اولا ان يغويهم حيث قال فى حق بنى آدم لاغوينهم ولاضلنهم ولاحتنكن ذريته ولاقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم من بين ايديهم الى غير ذلك الا انه لم يكن على ثقة ويقين فى انه يتأتى له ذلك لانه لم يجربه ولا كان عالما بالغيب وانما قاله استدلالا بنفاذ حيلته فى ابيهم آدم وبعلمه بما ركب فيهم من الشهوة والغضب وظن ذلك ايضا فى اولاد سبأ بما رأى من انهماكهم فى الشهوات ثم انهم لما اتبعوه وقبلوا وسوسته صار مظنونه معلوما له وحقق عليهم ظنه فيهم حقا ﴿قوله يعنى وجده ظنه صادقا﴾ فكأن ابليس قال لظنه انى اغويهم فيتبعون اغوآئى ثم انه لما اغواهم فقبلوا منه وجده ظنه صادقا وان قرئ بنصب ابليس ورفع الظن مع تخفيف الدال يكون المعنى قال له ظنه الصدق حين خيله اغوآءهم اى حين خيل الظن لابليس اغوآءهم يقال صدق ظنك اذا ظهر المظنون كما خيل اليه وان قرئ بتخفيف الدال ورفع الاسمين يكون المعنى صدق عليهم ظن ابليس ويكون الثانى بدلا من الاول بدل الاشتمال ﴿قوله وذلك اماظنه بسبأ او ببنى آدم﴾ الاول على ان يكون الضمير فى عليهم واتبعوه لاهل سبأ والثانى على ان يكون لبنى آدم جميعا الا المؤمنين منهم فانهم لم يتبعوه فى اصل الدين وان استزلهم الشيطان عن بعض الفروع ﴿قوله الافريقا هم المؤمنون﴾ اشارة الى ان كلمة من للبيان لا للتبعيض لانه يستلزم ان يكون بعض من آمن اتبع ابليس فى اصل الدين عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال فى قوله تعالى الافريقا من المؤمنين يعنى المؤمنين كلهم لانهم لم يتبعوه فى اصل الدين وقد قال الله تعالى ان عبادى ليس لك عليهم سلطان يعنى المؤمنين وقيل هو خاص بالمؤمنين الذين يطيعون الله تعالى ولا يعصونه وهم المخلصون كما قال تعالى حكاية عنه لاغوينهم اجمعين الاعبادك منهم المخلصين ﴿قوله تعالى وما كان له عليهم من سلطان الالنعلم﴾ استثناء مفرغ من العلل العامة تقديره وما كان له عليهم استيلاء لشئ من الاشياء الالهذا وهو ان يتعلق علمنا بالذى يؤمن بالآخرة مميزا من الشاك فيها والمعنى الالنعلم ايمان المؤمن بالآخرة ظاهرا موجودا ونعلم كفر الكافر الذى هو فى شك منها ايضا كذلك لان العلم بهما موجودين هو الذى يتعلق به الجزآء علق التسلط بالعلم والمراد ماتعلق به العلم وهو الايمان والكفر فانه تعالى لايجازى بما لم يخرجه ولم يكتسبه فى دار التكليف وانما يثيب من اطاع الحق وخالف الهوى والشيطان باختياره وسعيه ويعاقب من اطاع نفسه واتبع هواه وآثره على طاعة الرحمن بحمقه وغوايته فقوله الاليتعلق علمنا بذلك تعلقا يترتب عليه الجزآء معناه ليتعلق العلم بكل واحد من ايمان المكلف وكفره حال كونه موجودا واقعا وقد كان معلوما له تعالى فى الازل بانه سيقع ويترتب عليه الجزآء قال الامام علم الله تعالى من الازل الى الابد محيط بكل معلوم وعلمه لايتغير ولكن يتغير تعلق علمه فان العلم صفة كاشفة يظهر فيها كل ما فى نفس الامر فعلم الله تعالى فى الازل ان العالم سيوجد فاذا وجد علمه موجودا بذلك العلم واذا عدم علمه معدوما كذلك مثاله المرآة المصقولة الصافية يظهر فيها زيد ان قابلها ثم اذا قابلها عمرو تظهر فيها صورته والمرآة لاتتغير فى ذاتها ولا تبدلت فى صفاتها وانما التغير فى الخارجيات فكذلك ههنا فالمراد من العلم مايترتب عليه من التمييز والانكشاف فى الوجود العينى فانه مرتب على الثبوت العينى الكائن قبل الوجود فقوله لنعلم اى لنعلمه موجودا حال وجوده كما علمناه قبل وجوده انه يوجد ﴿قوله او ليتميز المؤمن من الشاك﴾ اى ليتميز فى الخارج من هو مؤمن فى علمه تعالى ممن هو شاك فيه فان المكلف اذا كان له داعيان يدعوه احدهما الى الحق والآخر الى الباطل وتمكن من الانقياد والمتابعة لكل واحد منهما فان اتبع داعى الحق يكون مؤمنا مطيعا وان اتبع داعى الباطل يكون ضالا عاصيا فيكون ما فى علم الله تعالى من حاله ظاهر التميز بتحققه فى الخارج ويحتمل ان يكون المراد من التميز تميز ذلك بالنسبة الينا لاتميزه باعتبار خروجه من العلم الى العيان ﴿قوله او ليؤمن من قدر ايمانه﴾ فيكون العلم مجازا مرسلا من قبيل ذكر المتعلق وارادة المتعلق والنكتة فى ايثار طريق التجوز المبالغة فى تحقق المتعلق فان العلم به متفرع على تحققه فكان بمنزلة ذكر الشئ بدليله

(ولقد صدق عليهم ابليس ظنه) اى صدق فى ظنه او صدق يظن ظنه مثل فعلته جهدك ويجوز ان يعدى الفعل اليه بنفسه كما فى صدق وعده لانه نوع من القول وشدده الكوفيون بمعنى حقق ظنه او وجده صادقا وقرئ بنصب ابليس ورفع الظن مع التشديد بمعنى وجده ظنه صادقا والتخفيف بمعنى قال له ظنه الصدق حين خيله اغوآءهم وبرفعهما والتخفيف على الابدال وذلك اماظنه بسبأ حين رأى انهماكهم فى الشهوات او بنى آدم حين رأى اباهم النبى صلى الله عليه وسلم ضعيف العزم او ما ركب فيهم من الشهوة والغضب او سمع من الملائكة أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء فقال لاضلنهم ولاغوينهم (فاتبعوه الافريقا من المؤمنين) الافريقا هم المؤمنون لم يتبعوه وتقليلهم بالاضافة الى الكفار او الافريقا من فرق المؤمنين لم يتبعوه فى العصيان وهم المخلصون (وما كان له عليهم) على المتبعين (من سلطان) تسلط واستيلاء بوسوسة واستغوآء (الالنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها فى شك) الاليتعلق علمنا بذلك تعلقا يترتب عليه الجزآء او ليتميز المؤمن من الشاك او ليؤمن من قدر ايمانه ويشك من قدر ضلاله

والمراد من حصول العلم حصول متعلقه مبالغة وفي نظم الصلتين نكتة لا تخفى (وربك على كل شيء حفيظ) محافظ والزنتان متآخيتان (قل) للمشركين (ادعوا الذين زعمتم) اي زعمتموهم آلهة وهما مفعولا زعم حذف الاول لطول الموصول بصلته والثاني لقيام صفته وهي من دون الله مقامه ولا يجوز ان يكون هو مفعوله الثاني لانه لا يلتئم مع الضمير كلاما ولا لا يملكون لانهم لا يزعمونه (من دون الله) والمعنى ادعوهم فيما يهمكم من جلب نفع او دفع ضر لعلهم يستجيبون لكم ان صح دعواكم ثم اجاب عنهم اشعارا بتعين الجواب وانه لا يقبل المكابرة فقال (لا يملكون مثقال ذرة) من خير او شر (في السموات ولا في الارض) في امر ما وذكرهما للعموم العرفي او لان آلهتهم بعضها سماوية كالملائكة والكواكب وبعضها ارضية كالاصنام او لان الاسباب القريبة للشر والخير سماوية وارضية والجملة استئناف لبيان حالهم (وما لهم فيهما من شرك) من شركة لا خلقا ولا ملكا (وما له منهم من ظهير) يعينه على تدبير امرهما (ولا تنفع الشفاعة عنده) فلا تنفعهم شفاعة ايضا كما يزعمون اذ لا تنفع الشفاعة عند الله (الا لمن اذن له) اذن له ان يشفع او اذن ان يشفع له لعلو شأنه ولم يثبت ذلك واللام على الاول كاللام في قولك الكرم لزيد وعلى الثاني كاللام في جئتك لزيد وقرأ ابو عمرو وحمزة والكسائي بضم الهمزة وكسر الذال (حتى اذا فزع عن قلوبهم) غاية لمفهوم الكلام من ان ثمة توقفا وانتظارا للاذن اي يتربصون فزعين حتى اذا كشف الفزع عن قلوب الشافعين والمشفوع لهم بالاذن وقيل الضمير للملائكة وقد تقدم ذكرهم ضمنا وقرأ ابن عامر ويعقوب فزع على البناء للفاعل وقرئ فرغ اي نفى الوجل من فرغ الزاد اذا فنى (قالوا) قال بعضهم لبعض (ماذا قال ربكم) في الشفاعة (قالوا الحق) قالوا قال القول الحق وهو الاذن بالشفاعة لمن ارتضى وهم المؤمنون وقرئ بالرفع اي مقوله الحق (وهو العلي الكبير) ذو العلو والكبرياء ليس لملك ولا نبي ان يتكلم ذلك اليوم الا باذنه

﴿قوله وفي نظم الصلتين نكتة لا تخفى﴾ فان كلا من الموضعين موصولة جعلت صلة احداهما فعلية استقبالية وصلة الاخرى اسمية للدلالة على ان الايمان يحدث بالنظر في الدليل والكفر حالة اصلية ثابتة ﴿قوله والزنتان﴾ اي زنة فعيل ومفاعل كثيرا ما تجيئان بمعنى واحد كشريك ومشارك وعشير ومعاشر فسره بالمحافظ وهو المراقب المطلع على جميع الاحوال لان الحفظ لا يتعدى بعلى فلا يقال حفظ عليه بل حفظه ولان معنى الحفظ الحراسة والاستظهار وكل واحد منهما غير ملائم لهذا المقام بل الملائم هنا معنى المراقبة وفي الصحاح حفظت الشيء حفظا اي حرسته وحفظته ايضا استظهرته والمحافظة المراقبة والحفيظ المحافظ ومنه قوله تعالى وما انا عليكم بحفيظ ثم انه تعالى لما ذكر لمشركي العرب قصة سبأ وحذرهم بذكرها من ان ينزل بهم بكفرهم ما نزل باولاد سبأ بين لهم ان ما اتخذوه آلهة من دون الله ليس له شيء من آثار القدرة في زعم الوهيته واستحقاقه العبادة فقد ضل ضلالا مبينا فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم قل للمشركين توبيخا لهم وتجهيلا ادعوا الذين زعمتموهم آلهة من دون الله لجلب نفع او كشف ضر كما تدعون الله تعالى او ليكشفوا عنكم الضر الذي نزل بكم في سني المجاعة فانظروا هل يقدرون على قضاء شيء من حوائجكم ثم اخبر عن عجزهم فقال لا يملكون حذف اول مفعولي زعم وهو عائد الموصول طلبا للتخفيف لطول الموصول بصلته ثم حذف ثانيهما وهو الآلهة اكتفاء عنه بالصفة وهي قوله من دون الله ولا يجوز ان يكون قوله من دون الله هو المفعول الثاني لانه لا يلتئم مع الضمير كلاما فلا يقال هم من دون الله الا مع تقدير الموصوف ولا يجوز ايضا ان يكون لا يملكون هو الثاني لان المعنى يكون حينئذ زعمتموهم لا يملكونه ولا يزعمونه ﴿قوله وذكرهما﴾ مع ان المقصود بيان انهم لا يملكون مثقال ذرة في امر ما اما للتأكيد بحسب العرف لجميع الامور او لان الآلهة السماوية اذا لم تملك شيئا من ملك السموات لزم ان لا تملك شيئا ما اصلا وكذا الآلهة الارضية او لان ما لا يملك شيئا من الاسباب القريبة لزم ان لا يملك شيئا اصلا ﴿قوله وما له منهم﴾ اي ما لله تعالى من ظهير يعاونه على خلق شيء منهما او منهما حال كونه منهم اي مما زعموه آلهة ثم ان المشركين لما قالوا انا لا نعبد الاصنام لاستقلالهم في خلق الكائنات وتدبير امرها ولا لان لهم شركة في الخلق والملك ولا لكونهم اعوانا لله تعالى في الخلق والتدبير وانما نعبدهم ليشفعوا لنا فان الاصنام صور الملائكة المقربين فلا بد ان تنفع شفاعتهم عند الله تعالى قال الله تعالى في ابطال قولهم ولا تنفع الشفاعة عنده ﴿قوله اذن له ان يشفع﴾ على ان تكون اللام داخلة في الشافع والمعنى لا تنفع شفاعة شافع في حال من الاحوال الا في حال كونها كائنة لمن اذن الله له ان يشفع فكلمة من عبارة عن الشافع ودخلت اللام عليه كما دخلت في قولك الكرم لزيد ﴿قوله او اذن ان يشفع له﴾ على ان تكون كلمة من عبارة عن المشفوع لاجله وتكون اللام لام الاجل كما في قولك جئتك لزيد اي لاجله فكأنه قيل الا لمن وقع الاذن للشفيع لاجله ﴿قوله ولم يثبت ذلك﴾ فانه تعالى لا يأذن للاصنام ان تشفع لعابديها وقدم الوجه الاول لان ابطال قول من قال هؤلاء شفعاؤنا عند الله انما يظهر على هذا الوجه ﴿قوله غاية لمفهوم الكلام﴾ يحتمل ان يكون المراد من الكلام مجموع قوله ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له فانه يفهم منه ان ثمة انتظارا للاذن وتوقفا وفزعا من الراجين للشفاعة والشفعاء هل يؤذن لهم او لا يؤذن وانه لا يطلق الاذن الا بعد بعد من الزمان وطول من التربص ويحتمل ان يكون المراد منه قوله حتى اذا فزع عن قلوبهم الآية على ان الكلام بمعنى التكلم لان التفزيع عن القلوب يدل على ان ثمة فزعا وانتظارا وكذا كلمة حتى لكونها للغاية تؤذن ان ثمة توقفا وانتظارا كأنه قيل لا تنفع الشفاعة يوم القيامة الا لمن اذن له فيتربصون ويتوقفون مليا فزعين حتى اذا فزع عن قلوبهم اي كشف الفزع عن قلوب الشافعين والمشفوع لهم بكلمة يتكلم بها رب العزة في اطلاق الاذن تباشروا بذلك وسأل بعضهم بعضا ماذا قال ربكم قالوا الحق اي قالوا قال الله تعالى القول الحق وهو الاذن بالشفاعة لمن ارتضى والتفزيع ازالة الفزع كالتمريض ازالة المرض والتقريد ازالة القراد يقال قرد بعيرك اي ازل عنه القردان روي عنه عليه الصلاة والسلام انه قال فاذا اذن لمن اذن له ان يشفع فزعته الشفاعة اي ازالت الشفاعة الفزع عنه فعلى هذا يكون الضمير في قوله من قلوبهم للشافعين والمشفوع لهم وقيل الضمير فيه للملائكة وقد تقدم ذكرهم ضمنا لان الآية نزلت ردا لقول من قال انا نعبد الاصنام لكونها صور الملائكة الذين هم شفعاؤنا عند الله فان الملائكة يفزعون حين يرد عليهم كلام الله بالاذن لهم بالشفاعة من هيبة ما يؤمرون به من الامر الهائل او لما يخافون من وقوع التقصير منهم في شفاعة الذين يشفعون

لهم حتى اذا كشف عنهم الفزع قالوا الملائكة الذين فوقهم وهم الذين بلغوا ذلك اليهم ماذا قال ربكم اى ماذا امر به وهو كلام الخاضع المتذلل والمعنى انهم مع منزلتهم هذه يفزعون ويشفعون فى شفاعة من لهم يشفعون وهم بامر الله يعلمون كيف يشفعون للكفار وقيل انما يفزعون من غشية تصيبهم عند سماع كلام الله تعالى لما روى ابو هريرة عنه عليه الصلاة والسلام انه قال « اذا قضى الله الامر فى السماء ضربت الملائكة باجنحتها خضعانا لقوله تعالى كأنه سلسلة على صفوان فاذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق » وقال عليه الصلاة والسلام « اذا اراد الله ان يوحى بالامر ويتكلم بالوحى سمع اهل السموات صلصلة اخذت السموات منها رجفة او قال رعدة شديدة خوفا من الله تعالى فاذا سمع بذلك اهل السموات صعقوا وخرّوا لله سجدا فيكون اوّل من يرفع رأسه جبريل عليه الصلاة والسلام فيكلمه من وحيه بما اراده ثم يمرّ جبريل عليه الصلاة والسلام على الملائكة كلما مرّ بسماء سأله ملائكتها ماذا قال ربنا يا جبريل فيقول جبريل قال الحق وهو العلىّ الكبير فيقول الملائكة كلهم مثل ما قال جبريل فينتهى جبريل بالوحى حيث امره الله تعالى » وقيل انما يفزعون حذرا من قيام الساعة وذلك انه كانت الفترة بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام خمسمائة وخمسين سنة وقيل ستمائة سنة لم تسمع الملائكة فيها وحيا فلما بعث الله تعالى محمدا عليه الصلاة والسلام كلّم جبريل بالرسالة الى محمد عليه الصلاة والسلام فلما سمعت الملائكة ذلك ظنوا انها الساعة لان بعثه عليه الصلاة والسلام كانت من اشراط الساعة عند اهل السموات فصعقوا مما سمعوا خوفا من قيام الساعة فلما انحدر جبريل جعل يمرّ باهل كل سماء فيكشف عنهم الفزع فيرفعون رؤسهم ويقول بعضهم لبعض ماذا قال ربكم قالوا قال الحق يعنى الوحى وهو العلىّ الكبير قرأ الجمهور فزع بضم الفاء وكسر الزاى وقرأ ابن عامر بفتحهما معا على بناء الفاعل وهو الله تعالى وقرئ فرغ بالغين المعجمة من فرغ الماء بكسر الراء يفرغ بفتحها فراغا اى فنى والنصب والحق منصوب بقال مضمرة اى قالوا قال ربنا الحق اى القول الحق ومن رفعه جعله خبر مبتدأ محذوف اى مقوله الحق ﴿ قوله الا الجواب سواء ﴾ علة لامره تعالى اياه عليه الصلاة والسلام بان يتولى الجواب بنفسه بعدما امره عليه الصلاة والسلام بان يحملهم على الاقرار بان من رزقهم المطر من السموات ومن رزقهم النبات من الارض هو الله تعالى فان قوله من يرزقكم استفهام تقرير وكون السؤال والجواب من واحد يشعر بتعين الجواب فانهم لو اجابوا لايمكنهم ان يجيبوا الا به فانه اذا اتضح الامر وتعين الجواب لايحتاج الى ان ينطقوا به بالسنتهم والتلعثم فى الامر التمكث فيه والتأنى والذى حملهم على السكوت عن الجواب او التلعثم فيه مخافة الالزام انهم لو اجابوا وقالوا رازقنا هو الله وحده توجه اليهم ان يقال لهم فالكم لاتعبدون الذى تفرّد فى رزقكم وتؤثرون عليه من لايقدر على ان يرزقكم ﴿ قوله تعالى وانا واياكم لعلى هدى او فى ضلال ﴾ داخل تحت الامر بالقول والمعنى وقل ان احد الفريقين منا ومنكم لعلى احد الامرين من الهدى والضلال المبين ﴿ قوله وهو بعد ماتقدم من التقرير البليغ ﴾ جملة اسمية فانه تعالى امر نبيه صلى الله عليه وسلم اوّلا بأن يكلفهم ويوبخهم بقوله قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله ثم بأن يسألهم سؤال تقرير عن تعيين رازقهم ثم بأن يتولى الجواب بنفسه ايذانا بانهم مع كونهم معتقدين للحق يتمنعون عن الاقرار به بالسنتهم عنادا او خوفا من الزام الحجة عليهم وتنزّل من هذه الدرجة ثانيا وامره بان يرخى العنان معهم ويقول لهم انا واياكم الآية لينادى على تماديهم فى الضلال على وجه هو ادخل فى اثبات الغرض والغلبة على الخصم واوجب لسد طريق الشغب والجدال عليه وقوله تعالى او اياكم عطف على اسم ان وماذكر بعده خبر الاوّل وحذف خبر الثانى لدلالة عليه اى وانا لعلى هدى او فى ضلال او انكم لعلى هدى او فى ضلال ويحتمل ان يكون ماذكر بعده خبر الثانى ويكون خبر الاوّل محذوفا كما فى قوله نحن بما عندنا وانت بما عندك راض والرأى مختلف حذف خبر الاوّل اى نحن راضون وهذان الوجهان لاينبغى ان يحملا على ظاهرهما قطعا لانه عليه الصلاة والسلام لم يشك فى انه على هدى ويقين وفى ان الكافرين على ضلال مبين وانما هذا الكلام جار على ماتخاطب به العرب من استعمال الانصاف فى محاوراتهم على سبيل الفرض والتقدير ﴿ قوله وقيل انه على اللف ﴾ اى واللف والتقدير وانا لعلى هدى وانكم لفى ضلال مبين وفيه نظر لانه لو كان من قبيل اللف لوجب ان يكون كل واحد من المعطوفين معطوفا بالواو وكون كلمة او بمعنى الواو ليس بشائع ﴿ قوله واختلاف الحرفين ﴾ وهما كلمة على الداخلة على الهدى وكلمة فى الداخلة على الضلال والمنار علم الطريق وسمى ملك من ملوك اليمن ذا المنار لانه اوّل من وضع

(قل من يرزقكم من السموات والارض) يريد به تقرير قوله لايملكون (قل الله) اذ لاجواب سواه وفيه اشعار بانهم ان سكتوا او تلعثموا فى الجواب مخافة الالزام فهم مقرّون به بقلوبهم (وانا واياكم لعلى هدى او فى ضلال مبين) اى وان احد الفريقين من الموحدين المتوحد بالرزق والقدرة الذاتية بالعبادة والمشركين به الجماد النازل فى ادنى المراتب الامكانية لعلى احد الامرين من الهدى والضلال الواضح وهو بعد ماتقدّم من التقرير البليغ الدال على من هو على الهدى ومن هو فى الضلال ابلغ من التصريح لانه فى صورة الانصاف المسكت للخصم المشاغب ونظيره قول حسان

أتهجوه ولست له بكفو ٭ فشرّ كما لخير كما الفداء ٭

وقيل انه على اللف وفيه نظر واختلاف الحرفين لان الهادى كمن صعد منارا ينظر الاشياء ويتطلع عليها او ركب جوادا يركضه حيث يشاء والضال كأنه منغمس فى ظلام مرتبك من قبل انه لايرى شيأ او محبوس فى مطمورة لايستطيع ان يتفصى منها (قل لاتسألون عما اجرمنا ولانسأل عما تعملون) هذا ادخل فى الانصاف وابلغ فى الاخبات حيث اسند الاجرام الى انفسهم والعمل الى المخاطبين (قل يجمع بيننا ربنا) يوم القيامة (ثم يفتح بيننا بالحق) يحكم ويفصل بان يدخل المحقين الجنة والمبطلين النار (وهو الفتاح) الحاكم الفيصل فى القضايا المنغلقة (العليم) بما ينبغى ان يقضى به

(المنار)

المنار على طريقه فى مفازته ليهتدى به اذا رجع و الارتباك الاختلاط و الدخول فى الامر الصعب الذى لم يكد يتخلص منه و المطمورة الحفرة التى يطمرفيها الطعام الذى يخبأ ﴿ قوله تعالى قل اروني ﴾ يحتمل ان يكون من الرؤية بمعنى العلم المتعدية قبل النقل الى اثنين فالجى بهمزة النقل عديت الى ثلاثة اولها ياء المتكلم و ثانيهما الموصول و ثالثها شركاء و عائد الموصول محذوف اى الحقتموهم و يحتمل ان يكون من الرؤية البصرية المتعدية قبل النقل الى واحد و عديت بالنقل الى اثنين اولهما ياء المتكلم و ثانيهما الموصول فشركاء فصب على الحال من عائد الموصول اى ابصرونى الملحقين به حال كونهم شركاءه ﴿ قوله و الضمير لله او للشان ﴾ يعنى ان هو فى قوله تعالى بل هو الله يحتمل ان يكون ضميرا راجعا الى الله تعالى و المعنى ليس الامر على ما انتم عليه من الحاق الشركاء به فى العبادة بل هو الله وحده فقوله هو مبتدأ و الله خبره و العزيز الحكيم صفتان فيكون هو من قبيل الضمير المبهم المفسر بما بعده تفخيما لشأن المرجع اليه و تمكينا له فى الذهن فانك اذا قصدت الابهام للتفخيم تعلقت المرجع فى ذهنك ثم تعبر عنه بالضمير الغائب لتشوق نفس السامع الى المعبر عنه ثم تذكر المرجع و يحتمل ان يكون ضمير الشأن فلفظ الجلالة حينئذ مبتدأ و العزيز الحكيم خبران و الجملة خبر هو و الفرق بين الاحتمالين ان الجملة التى بعد ضمير الشان هى المبينة له بخلاف ما اذا كان ضمير الجلالة فان خبره اسم مفرد مفسر له ﴿ قوله الا ارسالة عامة لهم ﴾ على ان كافة صفة مصدر محذوف و ان تعليل تفسير الكافة بالعامة المحيطة فكأنه قيل ارسالة الكافة العامة لان الشمول و العموم مستلزم الكف فيكون كناية او مجازا بمعنى عامة لهم محيطة بهم لان الارسالة اذا شملتهم فقد كفتهم ان يخرج منها احد منهم من الكف و هو المنع يقال كف يكف اى منع ﴿ قوله او الا جامعا ﴾ على ان يكون كافة بمعنى جامعا و يكون حالا من كاف ارسلناك و تكون الهاء فيه للمبالغة كما فى علامة و راوية و نسابة و من استعمال كف بمعنى جمع قول الفقهاء و كره للمصلى كف ثوبه اى جمع ما تفرق من اطرافه و لا يجوز كونها حالا من المجرور متقدمة عليه لان تقدم حال المجرور عليه بمنزلة تقدم المجرور على الجار من حيث ان حال المجرور تكون معمولة بحرف الجر ايضا و تقدم المجرور على الجار ممتنع فكذا ماهو بمنزلته عند الجمهور و ان جوزه بعض النحاة استشهادا بقول الشاعر

اذا المرء اعيته المروءة ناشئا ۞ فمطلبها كهلا عليه شديد

و وجه ارتباط الآية بما قبلها انه تعالى حقق مسائل التوحيد اولا ثم شرع فى تحقيق الرسالة فقال و ما ارسلناك الا كافة للناس اى الا ارسالة تكف ان يخرج منها احد منهم او الا جامعا لهم فى الابلاغ روى عنه عليه الصلاة و السلام انه قال كان النبى يبعث الى قومه خاصة و بعثت الى الناس كافة عامة ثم انه تعالى لما ذكر الرسالة بين الحشر على وجه يتضمن تجهيل منكريه فقال و يقولون متى هذا الوعد ﴿ قوله لكم ميعاد ﴾ جملة اسمية و الميعاد زمان الوعد او مكانه لغة و هو ههنا الزمان الذى هو القيامة او وقت موتهم و يدل عليه قوله لا تستأخرون عنه ساعة و لا تستقدمون اى لا تتأخرون عنه و لا تتقدمون و زاد المصنف احتمال ان يكون الميعاد مصدرا مضافا الى زمانه حيث قال وعد يوم و الميعاد يطلق على الوعد و الوعيد قال ابو عبيدة الوعد و الوعيد و الميعاد بمعنى و الاضافة الى اليوم سواء جعل مصدرا او زمانا بيانية لانها من اضافة العام الى الخاص كما فى سحق عمامة و ثوب خز و بعير سانية فان السحق الثوب البالى اضيف الى العمامة للبيان و كذا الثوب و البعير و السانية الناضحة و هى الناقة التى يستقى عليها يقال سنت الناقة تسنو اذا سقت الارض و فى المثل سير السوانى سفر لا ينقطع ﴿ قوله و يؤيده انه قرئ يوم ﴾ اى قرئ ميعاد يوم منونين على ابدال يوم من ميعاد اى و يؤيد كون الميعاد عبارة عن زمان الوعد ابدال اليوم منه و قرئ ميعاد يوما على تعظيم اليوم بتقدير اعنى فيكون منصوبا على المدح و التعظيم اى يوما من صفته كيت و كيت ﴿ قوله و هو جواب تهديد ﴾ جواب عما يقال كيف انطبق هذا جوابا لسؤالهم مع انهم سألوا عن تعيين وقت الوعد من حيث ان متى سؤال عن الوقت المعين و لا تعرض فى الجواب لتعيين الوقت و تقرير الجواب ان سؤالهم و ان كان على صورة استعلام الوقت الا ان مرادهم الانكار و التعنت و الجواب المطابق لمثل هذا السؤال ان يجاب بطريق التهديد على تعنتهم فلذلك اجيبوا بانكم ترصدون بيوم يفاجئكم فلا تستطيعون تأخرا عنه و لا تقدما عليه ثم انه تعالى لما بين الاصول الثلاثة التى هى التوحيد و الرسالة و الحشر و كان المشركون كافرين بكل

(قل ارونى الذين الحقتم به شركاء) لارى باى صفة الحقتموهم بالله فى استحقاق العبادة و هو استفسار عن شبههم بعد الزام الحجة عليهم زيادة فى تبكيتهم (كلا) ردع لهم عن المشاركة بعد ابطال المقايسة (بل هو الله العزيز الحكيم) الموصوف بالغلبة و كمال القدرة و الحكمة و هؤلاء الملحقون به متسمة بالذلة متأبية عن قبول العلم و القدرة رأسا و الضمير لله او للشان (و ما ارسلناك الا كافة للناس) الا ارسالة عامة لهم من الكف فانها اذا عمتهم فقد كفتهم ان يخرج منها احد منهم او الا جامعا لهم فى الابلاغ فهى حال من الكاف و التاء للمبالغة و لا يجوز جعلها حالا من الناس على المختار (بشيرا و نذيرا و لكن اكثر الناس لا يعلمون) فيحملهم جهلهم على مخالفتك (و يقولون) من فرط جهلهم (متى هذا الوعد) يعنون المبشر به و المنذر عنه او الموعود بقوله يجمع بيننا ربنا (ان كنتم صادقين) يخاطبون به رسول الله صلى الله عليه و سلم و المؤمنين (قل لكم ميعاد يوم) وعد يوم او زمان وعد و اضافته الى اليوم للتبيين و يؤيده انه قرئ يوم على البدل و قرئ يوما باضمار اعنى (لا تستأخرون عنه ساعة و لا تستقدمون) اذا فاجأكم و هو جواب تهديد جاء مطابقا لما قصدوه بسؤالهم من التعنت و الانكار

واحد منها بين كفرهم العام بقوله وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن فان الكفر بالقرآن يتناول الكفر بجميع ماتعلق به القرآن ثم انه تعالى لما حكى عنهم الكفر المذكور بين عاقبة امرهم ومآل حالهم في الآخرة فقال ولو ترى يا محمد او يامن يتصوّر منه الرؤية اياهم على اذل حال محبوسين للسؤال يردّ بعضهم الى بعض القول في الجدال كما يكون عليه حال جماعة اخطأوا في امر لرأيت امرا عجيبا وحالا فظيعا والعياذ بالله لحذف جواب لو للتهويل ﴿ قوله ولذلك ﴾ اى ولكون المقصود انكار كونهم صادّين للاتباع عن الايمان واثبات انهم هم الذين صدّوا انفسهم بنوا الانكار على الاسم فقالوا أنحن فان وقوع المسند اليه بعد حرف الانكار بلا فصل يفيد نفي الفعل عن المسند اليه المذكور وثبوته لغيره ومثل هذا الكلام انما يقال اذا اتفق المتكلم والمخاطب على تحقق الفعل وصدوره من فاعله وزعم المخاطب انه صدر من المتكلم فيقول المتكلم في ردّه أأنا فعلت ذلك بتقديم المسند اليه وايلائه حرف الانكار يريد بذلك انكار كونه الفاعل له واثبات كونه مفعولا لغيره كما في هذه الآية اى أنحن منعناكم عن قبول الهدى وهو الايمان بعد اذ جاءكم اسبابه من دعوة الرسول وقيام المعجزة بل كنتم مجرمين بترك الايمان اختيارا والجرم الذنب تقول منه جرم واجرم واجترم بمعنى فقال لهم المستضعفون مجيبين لهم بل مكر الليل والنهار اى بل الذى صدّنا هو مكركم لنا دائبا ليلا ونهارا والعاطف في قوله تعالى وقال الذين استضعفوا بعطفه على كلامهم الاوّل والمقصود بيان الفرق بين قوله تعالى قال الذين استكبروا وبين قوله وقال الذين استضعفوا حيث صدر الثاني بحرف العطف دون الاوّل ووجه الفرق ان الاوّل كلام مستأنف ذكر جوابا لمن قال ماذا قال المستكبرون في جواب المستضعفين فلا وجه لتخلل العاطف بخلاف كلام المستضعفين فانه لم يقصد به جواب لسؤال مقدّر بل سيق منهم لكلام المستكبرين فعطف كلامهم الثاني على كلامهم الاوّل ﴿ قوله بل مكركم لنا دائبا ﴾ اى دائما اى بل صدّنا مكركم لنا في هذين الوقتين على ان مكر الليل مرفوع على انه فاعل فعل مقدّر ويحتمل ان يكون مرفوعا على انه مبتدأ حذف خبره على معنى بل مكركم لنا في الليل والنهار وحملكم ايانا على الشرك دائبا هو الذى اوقعنا في الكفر والضلال او على انه خبر مبتدأ محذوف اى سبب كفرنا مكركم ﴿ قوله حتى اغرتم ﴾ من قولك أغار على العدوّ يغير اغارة اى غلب عليه واستلب ماعنده ونهبه ﴿ قوله واضافة المكر الى الظرف ﴾ يعني ان قوله بل مكر الليل والنهار معناه مكركم في الليل والنهار فاتسع في الظرف باجرائه مجرى المفعول به واضافة المكر اليه على طريق اضافة المصدر الى مفعوله كما اتسع في قوله * ياسارق الليلة اهل الدار * او جعل ليلهم ونهارهم ماكرين على الاسناد المجازى كما في قول جرير

﴿ لقد لمتنا يا ام غيلان في السرى ﴾ ﴿ ونمت وماليل المطىّ بنائم ﴾

فيكون من اضافة المصدر الى فاعله وكل واحد من الوجهين احسن من قول من قال ان الاضافة فيه بمعنى في اى مكر في الليل لان ذلك لم يثبت في غير محل النزاع ﴿ قوله ومكرّ الليل من الكرور ﴾ اى قرئ مكرّ بفتح الكاف وتشديد الراء مرفوعا ومنصوبا اما الرفع فعلى ماذكر في القرآءة بسكون الكاف اى بل صدّنا كرورهما علينا واختلافهما من كرّ اذا جاء وذهب على معنى صدّنا طول السلامة وطول الأمل فيهما كقوله تعالى فطال عليهم الأمل فقست قلوبهم والظهر منه أن يكون ارتفاعه على انه مبتدأ حذف خبره او خبر مبتدأ محذوف اى بل مكرّكم اى كروركم بالاغوآء في الليل والنهار دائبا سبب كفرنا وصدودنا عن الهدى او سبب ذلك مكركم وخلاصة المعنى انا انما اشركنا بسببكم واما النصب فعلى انه مصدر فعل محذوف اى بل تكرّون الاغوآء مكرّ الليل والنهار اى وقت كرورهما مثل آتيك خفوق النجم والمعنى بل تكرّون الاغوآء مكرّا دائما لاتفترون عنه ﴿ قوله في اشكيته ﴾ فانه يجيء بمعنى ابثثته الشكاية وازلت عنه الشكاية وقد جمعهما من قال

﴿ شكوت الى الايام سوء صنيعها ﴾ ﴿ ومن عجب باك تشكى الى المبكى ﴾
﴿ فما زادني الايام الاشكاية ﴾ ﴿ ومازالت الايام تشكى ولاتشكى ﴾

اى تزيد شكايتي ولاتزيلها ﴿ قوله تنويها بذمهم ﴾ اى تصريحا به من ناه الشيء ينوه اذا ارتفع ونوّهته تنويها اذا رفعته ونوّهت باسمه اذا رفعت ذكره وقوله تعالى هل يجزون الاما كانوا يعملون اى الاجزآء اعمالهم من الكفر والمعاصي اشارة الى ان ذلك حقهم عدلا وهو استفهام تقرير وعدّى يجزون الى اعمالهم مع ان جزى لايتعدّى بنفسه الى مفعولين بل يقال جزيته بما صنع اما على طريق الحذف والايصال وهو ظاهر او لتضمين جزى معنى اقضى وهو يتعدّى الى اثنين يقال اقضيته سرى ﴿ قوله عما منى به ﴾ اى ابتلى يقال منوته ومنيته اى

(وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن ولابالذى بين يديه) ولا بما تقدّمه من الكتب الدالة على البعث قيل ان كفار مكة سألوا اهل الكتاب عن الرسول صلى الله عليه وسلم فاخبروهم انهم يجدون نعته في كتبهم فغضبوا وقالوا ذلك وقيل الذى بين يديه يوم القيامة (ولو ترى اذ الظالمون موقوفون عند ربهم) اى في موضع المحاسبة (يرجع بعضهم الى بعض القول) يتحاورون ويتراجعون القول (يقول الذين استضعفوا) يقول الاتباع (للذين استكبروا) للرؤساء (لولا انتم) لولا اضلالكم وصدّكم ايانا عن الايمان (لكنا مؤمنين) باتباع الرسول صلى الله عليه وسلم (قال الذين استكبروا للذين استضعفوا أنحن صددناكم عن الهدى بعد اذ جاءكم بل كنتم مجرمين) انكروا انهم كانوا صادّين لهم عن الايمان واثبتوا انهم هم الذين صدّوا انفسهم حيث اعرضوا عن الهدى وآثروا التقليد عليه ولذلك بنوا الانكار على الاسم (وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار) اضراب عن اضرابهم اى لم يكن اجرامنا الصادّ بل مكركم لنا دائبا ليلا ونهارا حتى اغرتم علينا رأينا (اذ تأمروننا ان نكفر بالله ونجعل له اندادا) والعاطف يعطفه على كلامهم الاوّل واضافة المكر الى الظرف على الاتساع وقرئ مكر الليل بالنصب على المصدر ومكر الليل بالتنوين ونصب الظرف ومكرّ الليل من الكرور (واسرّوا الندامة لما رأوا العذاب) واضمر الفريقان الندامة على الضلال والاضلال واخفاها كل عن صاحبه مخافة التعيير او اظهروها فانه من الاضداد اذ الهمزة تصلح للاثبات والسلب كما في اشكيته (وجعلنا الاغلال في اعناق الذين كفروا) اى في اعناقهم فجاء بالظاهر تنويها بذمهم واشعارا بموجب اغلالهم (هل يجزون الا ما كانوا يعملون) اى لايفعل بهم مايفعل الاجزآء على اعمالهم وتعدية يجزى اما لتضمين معنى يقضى او لنزع الخافض (وما ارسلنا في قرية من نذير الاقال مترفوها) تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما منى به من قومه

ابتليته كأنه تعالى قال له عليه الصلاة والسلام يا ايها النبي لا تحزن على تكذيب الكفرة اياك فان ايذاء الكفار للانبياء ليس بدعا بل ذلك عادة قديمة لهم ﴿قوله ولذلك﴾ اى ولكون المفاخرة بزخارف الدنيا والاستهانة بمن لم يحظ منها معظم الدواعى الى التكذيب ضموا التهكم والمفاخرة الى التكذيب حيث تهكموا بقولهم بما ارسلتم به فانهم انما قالوا ذلك تهكما بالمرسلين ضرورة انهم غير معتقدين بالارسال وتفاخروا بقولهم نحن اكثر اموالا ﴿قوله بما ارسلتم به﴾ متعلق بخبر ان وبه متعلق بقوله بما ارسلتم والتقدير انا كافرون بالذى ارسلتم به من الايمان والتوحيد ﴿قوله فنحن اولى بما تدعونه﴾ اى من الرسالة جعل المترفون قولهم نحن اكثر اموالا واولادا بالنسبة الى الرسل وسيلة الى تكذيبهم وزعموا انهم اكرم على الله من الانبياء ومن المؤمنين قائلين انهم لو لم يكرموا عليه تعالى لما رزقهم ذلك وان المؤمنين لو لم يهونوا عليه تعالى لما حرمهم فابطل الله تعالى ظنهم ذلك بهاتين الآيتين وهما قوله تعالى قل ان ربى يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر وليس البسط والقبض للكرامة والهوان فكم من مؤمن مرزوق ومعسر رقق وانما يوسع ويضيق بمشيئته لما رأى من الحكمة والمصلحة يبسط لمن يشاء لا لفضل ومنزلة له عنده ويقدر على من يشاء لا لجناية كانت منه اليه بل له ان يبتلى عباده بما شاء ﴿قوله قربة﴾ يعنى ان زلفى مصدر قوله تقربكم من غير لفظه او اسم لمصدره كقوله انبتها الله نباتا لما استدل المترفون بكثرة اموالهم واولادهم على كونهم احسن حالا عند الله ابطل الله تعالى استدلالهم ذلك بان البسط والقبض لا يدلان على الكرامة والهوان ثم اكد ذلك بقوله وما اموالكم ولا اولادكم الآية فكأنه قيل استدلالكم بكثرة الاموال والاولاد على كونكم احسن حالا عند الله ليس استدلالا صحيحا فانهما لم يدلا على قربة العبد من الله تعالى كيف وكل واحد من المال والولد يشغل عن الله فكيف يقرب منه بل الذى يقرب اليه تعالى هو العمل الصالح لانه اقبال على الله تعالى واشتغال بطاعته ومن توجه الى الله تعالى وصل ومن التجأ اليه ظفر بالامل ﴿قوله والتى﴾ يعنى ان الظاهر ان يقال باللاتى لان التى اسم مفرد فلا وجه لتوصيف الاموال والاولاد به ووجه علمها الا انه حمل عليها لتأويلها بالجماعة كأنه قيل وما جماعة اولادكم واموالكم بالجماعة التى تقربكم او لكون التى صفة لموصوف محذوف اى وما هى بالتقوى التى او بالخصلة التى تقربكم ﴿قوله استثناء من مفعول تقربكم﴾ وهو ضمير الخطاب المتناول لجملة بنى آدم فتكون الآية اشارة الى ان العمل الصالح بالنظر الى الاموال ان ينفقها اصحابها فى سبيل الله وبالنظر الى الاولاد ان يعلمهم آباؤهم الخير ويربوهم على الصلاح ويجوز ان يكون استثناء من اموالكم واولادكم على حذف المضاف اى الا اموال من آمن واولاده ﴿قوله وقرئ بالاعمال﴾ اى وقرئ جزاء مرفوعا منونا والضعف منصوبا فان الاصل ان يجازوا الضعف ثم جزاء الضعف بالاضافة ومن نصب جزاء ونونه ورفع الضعف جعل جزاء تمييزا او حالا اى فاولئك لهم الضعف جزاء والعامل فى الحال الاستقرار كما فى قوله تعالى فله جزاء الحسنى فيمن قرأ بنصب جزاء فى الكهف ويحتمل ان يكون انتصاب جزاء على انه مصدر لفعله الذى دل عليه لهم جزاء وذلك لان فاولئك مبتدأ والضعف مبتدأ ثان ولهم خبر الثانى والجملة خبر اولئك فكأنه قيل فاولئك الضعف لهم يجزون جزاء ﴿قوله على ارادة الجنس﴾ فانهم جميعا لا يشتركون فى غرفة واحدة بل لكل واحد غرفة تخصه وفى الصحاح الغرفة العلية والجمع غرفات وغرفات وغرف بين الله تعالى اولا ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات تضاعف حسناتهم ثم زاد وقال وهم فى الغرفات آمنون اشارة الى دوام النعم وتأبيدها ثم بين حال المسئ فقال والذين يسعون فى آياتنا معاجزين الآية اى مقدرين فى انفسهم ان يسبقوا الانبياء الذين شأنهم اظهار الآيات واثبات الحق المبين او ان يفوتونا فان المعاجز الهارب يهرب لكى يعجز يقال عاجز فلان اذا ذهب فلم يوصل اليه ﴿قوله فهذا فى شخص واحد باعتبار وقتين وما سبق فى شخصين﴾ فان ما سبق رد لحسبانهم انه تعالى اكرمهم بكثرة الاموال والاولاد فلا يهينهم بالتعذيب وانما يهين ويعذب من ضيق عليه فى الدنيا فرد عليهم بان اختلاف الاشخاص فى السعة والضيق لا ينبئ على كرامة الموسع عليه وهوان المضيق عليه وانما ينبئ على مجرد مشيئته تعالى وههنا لما بين ان الايمان والعمل الصالح هو الذى يقرب العبد الى ربه ويكون مؤديا الى تضعيف حسناته بين ان نعيم الآخرة وتضاعف الحسنات فيها لا ينافى سعة الرزق فى الدنيا بل الصالحون قد يبسط لهم الرزق فى الدنيا مع ما لهم فى الآخرة من الجزاء الاوفى والمثوبة الحسنى بمقتضى الوعد الالهى وان كانوا فى بعض الاوقات يضيق عليهم وكلمة ما فى قوله تعالى وما انفقتم شرطية فى محل النصب على انه مفعول مقدم لانفقتم ومن شئ بيانه وقوله فهو يخلفه جواب الشرط او موصولة

وتخصيص المتنعمين بالتكذيب لان الداعى المعظم الى التكبر المفاخرة بزخارف الدنيا والانهماك فى الشهوات والاستهانة بمن لم يحظ منها ولذلك ضموا التهكم والمفاخرة الى التكذيب فقالوا (انا بما ارسلتم به كافرون) على مقابلة الجمع بالجمع (وقالوا نحن اكثر اموالا واولادا) فنحن اولى بما تدعونه ان امكن (وما نحن بمعذبين) اما لان العذاب لا يكون او لانه اكرمنا بذلك فلا يهيننا بالعذاب (قل) ردا لحسبانهم (ان ربى يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) ولذلك يختلف فيه الاشخاص المتماثلة فى الخصائص والصفات ولو كان ذلك لكرامة وهوان يوجبانه لم يكن بمشيئته (ولكن اكثر الناس لا يعلمون) فيظنون ان كثرة الاموال والاولاد للشرف والكرامة وكثيرا ما يكون للاستدراج كما قال (وما اموالكم ولا اولادكم بالتى تقربكم عندنا زلفى) قربة والتى اما لان المراد وما جماعة اموالكم والاولاد او لانها صفة محذوف كالتقوى والخصلة وقرئ بالذى اى بالشئ الذى يقربكم (الا من آمن وعمل صالحا) استثناء من مفعول تقربكم اى الاموال والاولاد لا تقرب احدا الا المؤمن الصالح الذى ينفق ماله فى سبيل الله ويعلم ولده الخير ويربيه على الصلاح او من اموالكم واولادكم على حذف المضاف (فاولئك لهم جزاء الضعف) ان يجازوا الضعف الى عشر فما فوقه والاضافة اضافة المصدر الى المفعول وقرئ بالاعمال على الاصل وعن يعقوب رفعهما على ابدال الضعف ونصب الجزاء على التمييز او المصدر لفعله الذى دل عليه لهم (فاولئك وهم فى الغرفات آمنون) من المكاره وقرئ بفتح الراء وسكونها وقرأ حمزة فى الغرفة على ارادة الجنس (والذين يسعون فى آياتنا) بالرد والطعن فيها (معاجزين) مسابقين لانبيائنا او ظانين انهم يفوتوننا (اولئك فى العذاب محضرون قل ان ربى يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له) يوسع عليه تارة ويضيق عليه اخرى فهذا فى شخص واحد باعتبار وقتين وما سبق فى شخصين فلا تكرير

مرفوعة المحل على الابتداء وفهو يخلفه خبره ودخلت الفاء لتضمن المبتدأ معنى الشرط اى ما تصدقتم وانفقتم
فى الخير من نفقة فهو يعطى خلفه للمنفق امابان يعجل له فى الدنيا وامابان يؤخر له فى الآخرة وعن مجاهد من كان
عنده من هذا المال ما يقيمه ويصلحه فليقتصد فى الانفاق فان الرزق مقسوم ولعل ماقسم له قليل وهو ينفق
نفقة الموسع عليه فينفق جميع ما فى يده ثم يبقى طول عمره فى فقر وقوله تعالى وما انفقتم من شئ فهو يخلفه
فان هذا فى الآخرة وفى الحديث «الرفق فى المعيشة من بعض التجارة» ومارُوى عن ابى هريرة رضى الله عنه
ان النبى صلى الله عليه وسلم قال «مامن يوم يصبح العباد فيه الاوملكان ينزلان فيقول احدهما اللهم أعط منفقا
خلفا ويقول الآخر اللهم أعط ممسكا تلفا» يؤيد ماذكره المصنف ﴿قوله تعالى ويوم نحشرهم﴾ قرأ يعقوب
وحفص بالياء والباقون بالنون ﴿قوله اياكم﴾ منصوب بخبر كان قدم لاجل الفواصل والاهتمام والكلام
وان كان فى صورة الخطاب للملائكة الا ان المقصود تقريع المشركين فانهم لما اجابوا بتنزيه الله تعالى عن
ان يعبد احد معه وبانه لايستحق العبادة سواه اشتد خزى المشركين وخجالتهم ﴿قوله ولان عبادتهم مبدأ
الشرك واصله﴾ لان عابديهم يزعمون انهم بنات الله تعالى من مصاهرة الجن قال تعالى وجعلوا بينه وبين الجنة
نسبا والاولاد تكون من جنس الاباء والقول بتعدد الاله اصل الشرك بخلاف العبادة بناء على طمع الشفاعة فتبرأ
الملائكة منهم ومن الرضى بعبادتهم اياهم بقولهم سبحانك اى تنزيها لك من ان يكون لك شريك فى الالوهية واستحقاق
العبادة والولى فعيل من الموالاة وهى ضد المعاداة ويقع على الموالى والموالى وهو ههنا بمعنى الموالى يعنون انما
نواليك بالعبودية لك ولانواليهم بعبادتهم لنا والظاهر فى جواب قوله تعالى أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون ان يقال
لا اونعم الا انهم اجابوا باثبات موالاة الله تعالى ومعاداة الكفار بناء على برآءتهم من الرضى بعبادتهم لهم بطريق ذكر
الملزوم وارادة اللازم لان اختصاصهم بموالاة الله تعالى ومعاداة الكفار يستلزم عدم الرضى بعبادة الاعداء اياهم
﴿قوله حيث اطاعوهم﴾ جواب عما يقال ان المشركين كانوا يقصدون بعبادة الاصنام عبادة الملائكة
ولا يخطر الشياطين ببالهم حين عبادتهم الاصنام فضلا عن ان يعبدوا الشياطين فما وجه قولهم كانوا يعبدون
الجن واجاب عنه بوجهين الاول ان الشياطين زينوا لهم عبادة الملائكة فاطاعوا الشياطين فى عبادة الملائكة
فالمراد بقولهم يعبدون الجن انهم يطيعون الجن فى عبادة غير الله تعالى وان العبادة هى الطاعة وانهم لما اطاعوهم
فكأنهم عبدوهم والثانى انهم عبدوا الجن حقيقة بناء على ان الجن مثلوا لهم صورة قوم منهم وقالوا هذه صور
الملائكة فاعبدوها فما عبدها المشركون فقد عبدوا الجن حقيقة ﴿قوله الضمير الاول للانس﴾ جواب
عما يقال الظاهر ان ضمير اكثرهم عبارة عما رجع اليه ضمير كانوا يعبدون الجن وهم المشركون والمعنى اكثر
المشركين مؤمنون بالشياطين اى مصدقون قولهم ومطيعون لهم وجميع المشركين كانوا عابدين الشياطين
مطيعين فما وجه قوله اكثرهم بهم مؤمنون فانه يدل على ان بعضهم لم يؤمن بهم ولم يطعهم واجاب عنه بوجهين
الاول انا لانسلم ان ضمير اكثرهم يرجع الى المشركين بل يرجع الى الانس المذكور حكما واكثر الانس كفار
مؤمنون بالجن والثانى سلمنا ان ضمير اكثرهم للمشركين الا ان الاكثر بمعنى الكل كما فى قوله تعالى واكثرهم كاذبون
وهو من ترفيق الكلام ثم انه تعالى بين ان ما كانوا يعبدونه لا ينفعهم فقال فاليوم لا يملك بعضكم لبعض والخطاب
لمجموع العابدين والمعبودين والمراد بالبعض الاول الملائكة وبالثانى عابدوهم والمعنى ويوم القيامة لا يملك الملائكة
لعابديهم نفعا بالشفاعة ولاضرا بالتعذيب فالكلام تنكيل للكافرين حيث بين لهم ان معبودهم لا ينفع ولا يضر
كقوله تعالى لا يملكون الشفاعة الالمن ارتضى ويحتمل ان يكون الخطاب متناولا للجن ايضا ﴿قوله وفى تكرير
الفعل﴾ فانه لما ذكر قوله قالوا فى جواب قوله واذا تتلى عليهم آياتنا كان الظاهر ان يذكر مقول الكفرة بان يعطف
بعضه على بعض بان يقال قالوا كذا وكذا من غير ان يعاد فعل القول مع كل مقول وقد اعيد ذلك ههنا حيث قيل
واذا تتلى عليهم آياتنا قالوا كذا وقالوا كذا ثم قيل وقال الذين كفروا باعادة الفعل مرة ثالثة وتصريح فاعله والمقام
مقام الاضمار كما فى الاولين ﴿قوله وما فى اللامين﴾ اراد بهما اسم الموصول المذكور فى قوله وقال الذين
كفروا ولام التعريف فى قوله للحق على سبيل التغليب وتعريف الموصول اشارة الى القائلين بانهم الكفرة
المعاندون الذين حملهم كفرهم على الجرآءة على الله تعالى وان يقولوا فى حق نبيه وكتابه ودينه مالا يتفوه به
من له ادنى تمييز والتعريف اللامى اشارة الى المقول فيه بانه الحق المبين الذى لا يطعن فيه الا المكابر المعاند والبت

(وما انفقتم من شئ فهو يخلفه) عوضا اما
عاجلا او آجلا (وهو خير الرازقين) فان
غيره وسط فى ايصال رزقه لاحقيقة لرازقيته
(ويوم نحشرهم جميعا) المستكبرين
والمستضعفين (ثم نقول للملائكة أهؤلاء
اياكم كانوا يعبدون) تقريعا للمشركين
وتبكيتا لهم واقناطا لهم عما يتوقعون من شفاعتهم
وتخصيص الملائكة لانهم اشرف شركائهم
والصالحون للخطاب منهم ولان عبادتهم
مبدأ الشرك واصله وقرأ حفص ويعقوب
يحشرهم ويقول بالياء فيهما (قالوا سبحانك
انت ولينا من دونهم) انت الذى نواليه من
دونهم لاموالاة بيننا وبينهم كأنهم بينوا بذلك
برآءتهم من الرضى بعبادتهم ثم اضربوا عن
ذلك ونفوا انهم عبدوهم على الحقيقة بقولهم
(بل كانوا يعبدون الجن) اى الشياطين حيث
اطاعوهم فى عبادة غير الله وقيل كانوا يتمثلون
لهم ويخيلون اليهم انهم الملائكة فيعبدونهم
(اكثرهم بهم مؤمنون) الضمير الاول
للانس او للمشركين والاكثر بمعنى الكل
والثانى للجن (فاليوم لا يملك بعضكم لبعض
نفعا ولا ضرا) اذ الامر فيه كله له لان
الدار دار جزآء وهو المجازى وحده
(ونقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار التى
كنتم بها تكذبون) عطف على لا يملك مبين
للمقصود من تمهيده (واذا تتلى عليهم آياتنا
بينات قالوا ماهذا) يعنون محمدا عليه الصلاة
والسلام (الا رجل يريد ان يصدكم عما كان
يعبد آباؤكم) فيستتبعكم بما يستبدعه (وقالوا
ماهذا) يعنون القرآن (الا افك) لعدم
مطابقة مافيه الواقع (مفترى) باضافته
الى الله سبحانه (وقال الذين كفروا للحق
لما جاءهم) لامر النبوة او للاسلام او للقرآن
والاول باعتبار معناه وهذا باعتبار لفظه
واعجازه (ان هذا الا سحر مبين) ظاهر
سحريته وفى تكرير الفعل والتصريح بذكر
الكفرة وما فى اللامين من الاشارة الى القائلين
والمقول فيه وما فى لما من المبادهة الى البت
بهذا القول انكار عظيم له وتعجيب بليغ منه

بهذا القول من مثل ذلك القائل فى مثل هذا القول فى غاية القباحة و الفضاحة لاسيما اذا كان البت المذكور على سبيل المبادهة من غير تأمل يقال بادهه امر اى فاجأه وسلوك هذه الطريقة لايكون الالايذان بان الامر عظيم وان ارتكابه عجيب غريب ثم انه تعالى بين ان جوابهم على هذه الاقوال الباطلة عند ماتلى عليهم الآيات البينات غاية الضلالة ونهاية الجهالة فان الآيات البينات لاتعارض الا بالبراهين العقلية او الكتب السماوية اوبتبيان الرسول المؤيد بالمعجزات الباهرة وليس عندهم شئ من ذلك فى قولهم هذا رجل كاذب وان ماقرؤه افك مفترى وان ماجاءبه سحر مبين وهذا معنى مانقل عن الفرآء انه قال فى تفسير هذه الآية من اين كذبوك ولم يأت لهم كتاب ولانبى بين لهم صحة شركهم و كذلك قوله فدعوتهم اليه و قوله تعالى و ماارسلنا اليهم اى الى اهل مكة ومن حولهم من العرب الذين بعثت اليهم ولايراد من تقدمه عليه الصلاة والسلام من العرب لان اسمعيل عليه الصلاة والسلام كان مبعوثا قبله الى العرب ﴿ قوله وما بلغ هؤلاء ﴾ حال من الموصول اى هؤلاء المشركون عشر ماآتينا المتقدمين كعاد وثمود او مابلغ المتقدمون عشر ماآتينا مشركى مكة و المعشار العشر كالمرباع الربع والمعنى على الاول كيف أمن مشركوا مكة مع ضعفهم ان يلحقهم بسبب التكذيب مالحق من قبلهم من الاقوياء وعلى الثانى كيف امنوا ان يلحقهم بتكذيب البينات القاطعة المتكاثرة مالحق من قبلهم بتكذيب ماهو اقل من عشر ماكذب به المشركون ﴿ قوله ولاتكرر فى كذب ﴾ جواب عما يقال ماوجه قوله فكذبوا رسلى بعد قوله وكذب الذين من قبلهم وماالفائدة فى هذا التكرير ماجاب عنه اولا بان الاول لتكثير الفعل لاللتعدية و الثانى للتعدية فلا تكرير وثانيا بان الاول مطلق حيث لم يقدرله مفعول به اجرى مجرى اللازم فكأنه قيل فعلوا التكذيب مطلقا واقدموا عليه و الثانى مقيد بتعلقه بالمفعول وجعل تكذيبهم الرسل مسببا من كونهم اهل التكذيب فعطف عليه عطف المسبب على السبب والمعنى فعلوا التكذيب فكذبوا الرسل بسببه ﴿ قوله وهو القيام من مجلس الخ ﴾ يعنى ان القيام يحتمل ان يراد به التقول على الرجلين من مجلسه عليه الصلاة والسلام لاجله تعالى وطلب وجهه ورضاه لالحمية وعصبية او القيام لامر والتشمير له لاجله تعالى بالجد والاهتمام من قولك قمت لامر كذا اذا هيأت نفسك لاجله وتشمرت له ﴿ قوله فان الازدحام ﴾ علة لتقييد القيام لله تعالى بكونهم متفرقين مثنى وفرادى يعنى ان الاجتماع ممايشوش الخواطر ويعمى البصائر ويقل معه الانصاف ويكثر فيه الاعتساف بخلاف الاثنين فانهما اذا جرى بينهما امر يتفكران فيه ويعرض كل واحد منهما محصول فكره على صاحبه سالكا مسلك العدل و الانصاف متجانبا عن التعصب و الاعتساف فيؤدى فكرهما الصحيح الى الحق الصريح وكذلك الواحد فانه يفكر فى نفسه طالبا لاصابة الحق باتباع عقله السليم مجانبا عن معارضة المجادلين واقوآء المبطلين فيصيب الحق المؤيد بالبرهان وقوله ثم تتفكروا عطف على قوله ان تقوموا ومحل ان تقوموا الجر على انه بدل من واحدة على سبيل التفسير والبيان او عطف بيان لها او الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف اى هى ان تقوموا او النصب باضمار اعنى ومثنى وفرادى حال من فاعل تقوموا ﴿ قوله فتعلموا مابه جنون الخ ﴾ يعنى ان قوله تعالى مابصاحبكم من جنة يجوز ان يكون متعلقا بفعل مقدر معطوف على تتفكروا معلق عنه بحرف النفى وهى كلمة ما وان يكون مستأنفا للتنبيه على طريقة النظر المؤدى الى العلم بصدقه عليه الصلاة والسلام فى دعوى الرسالة فان امر الرسالة امر عظيم تحته ملك الدنيا والآخرة ومن اتياها لابد له ان يدعو الفراعنة الذين كانوا يقتلون من خالفهم فى ادنى شئ الى قبول ماجاءبه من الدين وترك ماالفوه منه ولاشك فى انه امر عظيم لايدعيه الامؤيد من عندالله فاضطلع بتحمله لامره بما عنده من حجة وبرهان اومجنون لايبالى بافتضاحه على رؤس الاشهاد وهلاكه فى الدنيا ويوم التناد ومن المعلوم عندهم انه عليه الصلاة والسلام ارجح قريش عقلا واصدقهم قولا واجمعهم لماتحمد عليه الرجال فكان علمهم هذا كافيا لهم فى ترجيح جانب صدقه عليه الصلاة والسلام ﴿ قوله وقيل مااستفهامية ﴾ لكن ليس المراد حقيقة الاستفهام بل هو بمعنى النفى والانكار فلهذا لم يرض به لان الاستفهام لماكان بمعنى الانكار الذى مآله النفى كان الاولى ان يحمل كلمة ما من اول الامر على النفى قصرا للمسافة وحملا للكلام على المعنى المتعارف ﴿ قوله اى شئ سألتكم ﴾ يعنى ان كلمة ماشرطية منصوبة المحل على انها مفعول سألتكم قدم عليه وقوله فهو لكم جوابها قال عليه الصلاة والسلام بعثت فى نسم الساعة اى حين ابتدأت واقبل اوائلها واصله من نسم الريح وهو اول هبوبها حين يقبل بلين قبل ان يشتد ﴿ قوله واياما كان يلزم احدهما ﴾

(وما آتيناهم من كتب يدرسونها) فيها دليل على صحة الاشراك (وما ارسلنا اليهم قبلك من نذير) يدعوهم اليه وينذرهم على تركه فقد بان من قبل ان لاوجه له فمن اين وقع لهم هذه الشبهة وهذا فى غاية التجهيل لهم والتسفيه لرأيهم ثم هددهم فقال (وكذب الذين من قبلهم) كما كذبوا (وما بلغوا معشار ما آتيناهم) ومابلغ هؤلاء عشر ما آتينا اولئك من القوة وطول العمر وكثرة المال اوما بلغ اولئك عشر ما آتينا هؤلاء من البينات والهدى (فكذبوا رسلى فكيف كان نكير) فحين كذبوا رسلى جاءهم انكارى بالتدمير فكيف كان نكيرى لهم فليحذر هؤلاء من مثله ولاتكرر فى كذب لان الاول للتكثير والثانى للتكذيب او الاول مطلق والثانى مقيد ولذلك عطف عليه بالفاء (قل انما اعظكم بواحدة) ارشدكم وانصح لكم بخصلة واحدة هى مادل عليه (ان تقوموا لله) وهو القيام من مجلس رسول الله او الانتصاب فى الامر خالصا لوجه الله معرضا عن المرآء والتقليد (مثنى وفرادى) متفرقين اثنين اثنين وواحدا واحدا فان الازدحام يشوش الخاطر ويخلط القول (ثم تتفكروا) فى امر محمد صلى الله عليه وسلم وماجاءبه لتعلموا حقيته ومحله الجر على البدل او البيان او الرفع او النصب باضمار هو او أعنى (مابصاحبكم من جنة) فتعلموا مابه جنون يحمله على ذلك او استئناف منبه لهم على ان ماعرفوا من رجاحة كمال عقله كاف فى ترجيح صدقه فانه لايدعه ان يتصدى لادعاء امر خطير وخطب عظيم من غير تحقيق ووثوق ببرهان فيفتضح على رؤس الاشهاد ويسلم ويلقى نفسه الى الهلاك فكيف وقد انضم اليه معجزات كثيرة وقيل مااستفهامية والمعنى ثم تتفكروا اى شئ به من آثار الجنون (ان هو الانذير لكم بين يدى عذاب شديد) قدامه لانه مبعوث فى نسم الساعة (قل ماسألتكم من اجر) اى شئ سألتكم من اجر على الرسالة (فهو لكم) والمراد نفى السؤال فانه جعل التنبى مستلزما لاحد الامرين اما الجنون واما توقع نفع دنيوى عليه لانه اماان يكون لغرض اولغيره واياما كان يلزم احدهما ثم نفى كلا منهما

يعني ان النبي وهو ادعاء النبوة كاذبا سواء لغرض او لغيره يستلزم احد الامرين اى اما ان يكون لغرض او لغير غرض وذلك يستلزم ان يكون مجنونا او متوقعا لنفع دنيوى ولما نفى كل واحد منهما لزم ان لايكون متنبئا بل صادقا فى دعواه ﴿قوله ما اسألكم عليه من اجر الامن شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا﴾ بان يتقرب اليه بالايمان والطاعة ربما أى ارضى بتقربه اليه واعتده كما يرضى المثاب بالثواب فالاجر المذكور فى هذه السورة ان حمل على اتخاذ السبيل بمعنى كونه لهم ان يكون نفعه عائدا اليهم وكذا المودة فى قرباه عليه الصلاة والسلام يعود نفعها اليهم من حيث ان قرباه قرباهم ثم ذكر ان اجره على الله تعالى وانه على كل شئ شهيد فعلم انه عليه الصلاة والسلام لايطلب الاجر على نصحهم وتبليغ الرسالة اليهم الا منه تعالى ﴿قوله يلقيه وينزله﴾ يعني ان القذف فى الاصل هو الطرح والالقاء مع الدفع والاعتماد واطلق ههنا على مجرد الالقاء فهو مجاز مرسل بطريق استعمال المقيد فى المطلق والحق القرآن او الوحى والباء فيه زائدة كما فى قوله تعالى ولا تلقوا بايديكم ﴿قوله او يرمى به الباطل﴾ اى يدفع الباطل بالقذف اى بالقاء الشئ ويزيله بايراد الحق عليه كما يدفع الشبح بان يقذف عليه مايدفعه شبه ايراد الحق على الباطل لاذهاب الباطل بالقذف بالقاء الشئ على الشئ بدفع واعتماد ثم ذكر القذف واريد ايراد الحق على الباطل لاذهابه به فيكون قوله يقذف استعارة تصريحية تبعية وكذا على قوله او يرمى به الى اقطار الآفاق حيث شبه نشر الاسلام واظهاره فى الآفاق بالقاء الشئ على وجه الدفع والاعتماد ﴿قوله صفة محمولة على محل ان واسمها﴾ فان محلها الرفع على الابتداء قرأ الجمهور علام الغيوب بالرفع على انه صفة تابعة لمحلها ومن نصبه جعله نعتا لاسم ان او منصوبا على المدح وقرئ الغيوب بالحركات الثلاث فى الغين بالضم والكسر كما فى البيوت وبالفتح على انه صيغة مبالغة كالشكور والصبور وهو الامر الذى غاب جدا وخفى والكلب الصيود هو الماهر فى امر الصيد ﴿قوله اى الشرك بحيث لم يبق له اثر﴾ يعني ان قولهم لايبدئ فلان ولايعيد عبارة يعبر بها عن هلاكه وموته كقولهم لاياكل فلان ولايشرب ولايقبل ولايدبر فان انقطاع آثار الشئ وتوابع وجوده من لوازم هلاكه وانتفائه فصح جعله كناية عنه روى ان المنذر بن ماء السماء كان ملكا وكان له يوم فى السنة يذبح فيه اول من يلق فبينا هو يسير فى ذلك اليوم اذا شرف له عبيد بن الابرص فقال عبيد لرجل ممن كان معه من هذا الشقى فقال له انه المنذر بن ماء السما وافنائه يوم بؤسه فلما رأه المنذر امر بقتله فقيل له امدحه فقال حال الجريض دون القريض فقال المنذر انشدنا قولك

اقفر من اهله ملحوب ۞ فالقطبيات فالذنوب ۞

فقال

اقفر من اهل له عبيد ۞ فاليوم لايبدى ولايعيد ۞

قوله اقفر اى صار الى القفر وهو مفازة لانبات بها ولاماء وملحوب موضع وكذلك القطبيات والذنوب والجريض الغصة من الجرض بالتحريك وهو الريق يغص به يقال جرض بريقه يجرض على مثال كسر يكسر وهو أن يبتلع ريقه على هم وحزن بالجهد والقريض الشعر فكلمة ما فى قوله تعالى وما يبدئ الباطل وما يعيد نافية ولامفعول ليبدئ ولايعيد اذ المراد لايوقع الباطل هذين الفعلين وقيل مفعوله محذوف اى مايبدئ الشيطان لاهله خيرا ولايعيده كان كفار مكة يقولون لرسول الله عليه الصلاة والسلام انك ضللت حتى تركت دين آبائك فنزل قوله تعالى قل ان ضللت فانما اضل على نفسى قرأ العامة بفتح اللام فى الماضى وكسرها فى المضارع وقرئ بكسر اللام فى الماضى وفتحها فى الغابر وقرئ اضل بكسر الهمزة وفتح الضاد على لغة من يقول اعلم ﴿قوله فانه﴾ اى ضلال الشخص بسبب نفسه الجاهلة الامارة بالسوء وهو علة لكون وبال الضلال راجعا الى نفسه ﴿قوله وبهذا الاعتبار﴾ اى باعتبار ان النفس كل ماهو وبال عليها وضار لها فهو بها وبسببها وقع التقابل بين قوله فانما اضل على نفسى وبين قوله فبما يوحى الى ربى والا فلا تقابل بينهما ظاهرا لانه انما يظهر التقابل بينهما ان اورد فيهما كلمة على او كلمة الباء بان يقال ان ضللت فانما اضل على نفسى وان اهتديت فانما اهتدى لنفسى او بان يقال ان ضللت فانما اضل بنفسى وان اهتديت فبما يوحى الى ربى فيكون مدلول الآية على الاول بيان مآل الضلالة والهداية وعلى الثانى بيان سببهما فالمجئ بعلى فى الاول دلت على ان الضلال وبال على النفس والمجئ بالباء فى الثانى دلت على ان سبب الاهتداء هو هداية الله تعالى وتوفيقه وما يوحى الى القلب من الحكمة والبيان ولاتقابل بينهما ظاهرا الا انهما متقابلان من جهة المعنى لان قوله فانما اضل على نفسى فى قوة ان يقال

وقيل ماموصولة مراد بها ما سألهم بقوله ما اسألكم عليه من اجر الامن شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا لا اسألكم عليه اجرا الا المودة فى القربى واتخاذ السبيل نفعهم وقرباه قرباهم (ان اجرى الا على الله وهو على كل شئ شهيد) مطلع يعلم صدقى وخلوص نيتى وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائى باسكان الياء (قل ان ربى يقذف بالحق) يلقيه وينزله على من يجتبيه من عباده او يرمى به الباطل فيدمغه او يرمى به الى اقطار الآفاق فيكون وعدا باظهار الاسلام وافشائه (علام الغيوب) صفة محمولة على محل ان واسمها او بدل من المستكن فى يقذف او خبر ثان او خبر محذوف وقرئ بالنصب صفة لربى او مقدرا باعنى وقرأ ابن كثير وابن ذكوان وابو بكر وحمزة والكسائى الغيوب بالكسر كالبيوت والباقى بالضم كالشعور وقرئ بالفتح كالصبور على انه مبالغة غائب (قل جاء الحق) اى الاسلام (وما يبدئ الباطل وما يعيد) وزهق الباطل اى الشرك بحيث لم يبق له اثر مأخوذ من هلاك الحى فانه اذا هلك لم يبق له ابداء ولا اعادة قال

اقفر من اهل له عبيد ۞

فاليوم لايبدى ولايعيد ۞

وقيل الباطل ابليس او الصنم والمعنى لاينشئ خلقا ولايعيده او لايبدئ خيرا لاهله ولايعيده وقيل ما استفهامية منتصبة بما بعدها (قل ان ضللت) عن الحق (فانما اضل على نفسى) اى وبال ضلالى عليها فانه بسببها اذهى الجاهلة بالذات والامارة بالسوء وبهذا الاعتبار قابل الشرطية بقوله (وان اهتديت فبما يوحى الى ربى) فان الاهتداء بهدايته وتوفيقه (انه سميع قريب) يدرك قول كل ضال ومهتد وفعله وان اخفاه

فانما اضل بنفسي فالوضعان مشتملا على بيان السبب وان اشتمل الاول على بيان مآل الضلال ايضا ﴿ قوله تعالى ولو ترى اذ فزعوا ﴾ تتمة لتهديدهم هددهم الله تعالى اولا بقوله وكذب الذين من قبلهم وما بلغوا معشار ما آتيناهم وساق الكلام الى هنا ثم بين ان قدامهم امرا هائلا يفزعهم وهو انهم حيث ما كانوا فهم من الله تعالى قريب لا يفوتونه بل يأخذهم من ظهر الارض الى بطنها عند الموت او من الموقف الى النار عند البعث او من صحرآء بدر الى القليب يوم بدر او من تحت اقدامهم اذا خسف بهم على ماروى عن ابن عباس رضى الله عنهما من ان الآية نزلت في خسف البيدآء وذلك ان ثمانين الفا يأتون من قبل المشرق يقال لهم السفيانية يقصدون الكعبة ليخربوها فاذا دخلوا بيدآء المدينة خسف بهم وقصتهم مذكورة في تيسير الامام النسفي وقرأ العامة فلا فوت مبنيا على الفتح واخذوا فعلا ماضيا مبنيا للمفعول معطوفا على فزعوا وقيل على معنى فلا فوت اى لم يفوتوا واخذوا وقرئ فلا فوت واخذ مرفوعين منونين وقرئ بفتح فوت ورفع اخذ على الابتدآء من حيث كونه معطوفا على محل فلا فوت ومحله الرفع على الابتدآء وخبره محذوف اى واخذ هناك او على انه خبر مبتدأ محذوف اى وحالهم اخذ فيكون من عطف الجملة المثبتة على المنفية ولما تعين في هذه القرآءة كونه معطوفا على قوله فلا فوت ابد ذلك كونه معطوفا عليه في قرآءة اخذوا ايضا ﴿ قوله تعالى وقالوا آمنا به ﴾ اى قالوا ذلك وقت فزعهم وهو وقت نزول العذاب بهم عند الموت كقوله تعالى فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا او عند البعث فان الكفار كلهم يؤمنون حينئذ نفى الله تعالى نفع الايمان عنهم بقوله وانى لهم التناوش والتناوش مبتدأ وانى خبره بمعنى من اين ولهم حال وهو تناول ما قرب منك بسهولة ولما انقضى وقت تناول الايمان وان كان انقضاؤه عن قريب صار ابعد ما يكون لامتناع الوصول اليه ابدا بخلاف يوم القيامة بالنسبة الى اهل الدنيا فانه قريب لكونه في صدد القرب والدنو شيأ فشيأ والغلوة مقدار رمية سهم وهو تمثيل حالهم في الاستخلاص بالايمان اى ارادة الاتصاف به خالصا بعد فوات وقته ومضيه وبعده عنهم او انه جعله تمثيلا اذ ليس في قوله آمنا به تناول الشئ من المكان بل ليس فيه الا ارادة الاتصاف بالايمان بعد فوات وقته وكونه ابعد ما يكون لامتناع الوصول اليه فتعين حمله على التمثيل وقرأ ابو عمرو وحمزة والكسائي وابو بكر التناؤش بهمزة مضمومة بعد الالف وقرأ الباقون بواو مضمومة فاحتملا ان يكونا مادتين مستقلتين مع اتحاد معناهما روى عن ابي عمرو انه قال التناؤش بالهمزة التناول من بعد من قولهم نأشت اى ابطأت وتأخرت وفي الصحاح التناؤش بالهمزة التأخر والتباعد وقد نأشت الامر انأشه نأشا اخرته فانتأش ويقال فعله نئيشا اى اخيرا قال الشاعر

◎ تمنى نئيشا ان يكون اطاعني ◎ وقد حدثت بعد الامور امور ◎

اى انه تمنى اخيرا وان يكونا مادة واحدة وتكون الهمزة مبدلة من الواو لزوم ضمة الواو كما في ادؤر وأجوه في ادور ووجوه قال الزجاج كل واو مضمومة ضمة لازمة فانت فيها بالخيار يقال ناشه ينوشه نوشا اى تناوله قال الشاعر

◎ فهى تنوش الحوض نوشا من علا ◎ نوشا به تقطع اجواز الفلا ◎

اى تتناول ماء الحوض من فوق وتشرب شربا كثيرا وتقطع بذلك الشرب فلوات فلا تحتاج الى ماء آخر والاجواز جمع جوز وجوز كل شئ وسطه ويحتمل ان يكون التناؤش بالهمز من النأش بمعنى التطلب كما في قوله

◎ اقحمني جار ابي الجاموش ◎ اليك نأش القدر النؤوش ◎

اى كتطلب القدر الطالب المجد اى كلفه واوقعه في الامر الشديد من القحمة بالضم وهى المهلكة وقحم الطريق مصاعبه والجاموش لغة في الجاموس ﴿ قوله ويتكلمون بما لم يظهر لهم ﴾ يعنى ان القذف بمعنى رمى المقلة باللسان والتكلم من غير روية والغيب الشئ المغيب عنهم غير المعلوم لهم فان قولهم في حقه عليه الصلاة والسلام انه شاعر ساحر مفتر كذاب ونحو ذلك تكلم بالغيب لانهم لم يشاهدوا منه عليه الصلاة والسلام شيأ من ذلك والرواية من جهة بعيدة من حاله عليه الصلاة والسلام لان ابعد شئ مما جاء به السحر والشعر وابعد شئ من عادته التي عرفت بينهم الكذب والزور وكذا انكارهم احوال الآخرة رأسا وقولهم ان كان الامر كما تصفون من قيام الساعة والحساب والميزان والثواب والعقاب فانحن بمعذبين لانه تعالى اكرمنا بالاموال والاولاد فلا يهيننا بالتعذيب في دار اخرى فانه ايضا تكلم بالغيب يقذفون به من جهة بعيدة حيث قاسوا امر

(ولو ترى اذ فزعوا) عند الموت او البعث او يوم بدر وجواب لو محذوف مثل رأيت فظيعا (فلا فوت) فلا يفوتون الله بهرب او تحصن (واخذوا من مكان قريب) من ظهر الارض الى بطنها او من الموقف الى النار او من صحرآء بدر الى القليب والعطف على فزعوا او لا فوت ويؤيده انه قرئ واخذ عطفا على محله اى فلا فوت هناك وهناك اخذ (وقالوا آمنا به) بمحمد صلى الله عليه وسلم وقد مر ذكره في قوله ما بصاحبكم (وانى لهم التناوش) ومن اين لهم ان يتناولوا الايمان تناولا سهلا (من مكان بعيد) فانه في حيز التكليف وقد بعد عنهم وهو تمثيل حالهم في الاستخلاص بالايمان بعد ما فات عنهم وبعد عنهم بحال من يريد ان يتناول الشئ من غلوة تناوله من ذراع في الاستحالة وقرأ ابو عمرو والكوفيون غير حفص بالهمز على قلب الواو لضمها او لانه من نأشت الشئ اذا طلبته قال رؤبة شعر

اقحمني جار ابي الجاموش ◎
اليك نأش القدر النؤوش ◎

او من نأشت اذا تأخرت ومنه قوله شعر

تمنى نئيشا ان يكون اطاعني ◎
وقد حدثت بعد الامور امور ◎

فيكون بمعنى التناول من بعد (وقد كفروا به) بمحمد عليه الصلاة والسلام او بالعذاب (من قبل) من قبل ذلك اوان التكليف (ويقذفون بالغيب) ويرجمون بالظن ويتكلمون بما لم يظهر لهم في الرسول عليه الصلاة والسلام من المطاعن او في العذاب من البت على نفيه

(من مكان بعيد) من جانب بعيد من امره وهو الشبه التي تمحلوها في امر الرسول صلى الله

عليه وسلم وحال الآخرة كما حكاه من قبل ولعله

تمثيل لحالهم في ذلك بحال من يرمي شيأ لايراه من مكان بعيد لامجال للظن في لحوقه وقرئ ويقذفون على ان الشيطان يلقي اليهم ويلقنهم ذلك والعطف على وقد كفروا على حكاية الحال الماضية او على قالوا فيكون تمثيلا لحالهم بحال القاذف في تحصيل ماضيعوه من الايمان في الدنيا (وحيل بينهم وبين مايشتهون) من نفع الايمان والنجاة به من النار وقرأ ابن عامر والكسائي باشمام الضم للحاء (كما فعل باشياعهم من قبل) باشباههم من كفرة الامم الدارجة (انهم كانوا في شك مريب) موقع في الريبة او ذي ريبة منقول من المشكك او الشاك نعت به الشك للمبالغة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة سبأ لم يبق رسول ولا نبي الا كان له يوم القيامة رفيقا ومصافحا

﴿ سورة الملائكة مكية وآيها ﴾
﴿ خمس واربعون آية ﴾
(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الحمد لله فاطر السموات والارض) مبدعهما من الفطر بمعنى الشق كأنه شق العدم باخراجهما منه والاضافة محضة لانه بمعنى الماضي (جاعل الملائكة رسلا) وسائط بين الله وبين انبيائه والصالحين من عباده يبلغون اليهم رسالاته بالوحي والالهام والرؤيا الصادقة او بينه وبين خلقه يوصلون اليهم آثار صنعه (اولي اجنحة مثنى وثلاث ورباع) ذوي اجنحة متعددة متفاوتة بتفاوت مالهم من المراتب ينزلون بها ويعرجون او يسرعون بها نحو ما وكلهم الله عليه ويتصرفون فيه على ما امرهم به ولعله لم يرد خصوصية الاعداد ونفي ما زاد عليها لما روي انه عليه الصلاة والسلام رأى جبرآئيل ليلة المعراج وله ستمائة جناح (يزيد في الخلق مايشاء) استئناف للدلالة على ان تفاوتهم في ذلك مقتضى مشيئته ومؤدى حكمته لا امر يستدعيه ذواتهم لان اختلاف الاصناف والانواع بالخواص والفصول ان كان لذواتهم المشتركة لزم تنافي لوازم الامور المتفقة وهو محال والآية متناولة زيادات الصور والمعاني كملاحة الوجه وحسن الصوت وحصافة العقل وسماحة النفس (ان الله على كل شيء قدير) وتخصيص بعض الاشياء بالتحصيل دون بعض انما هو من جهة الارادة

الآخرة على امر الدنيا ومعلوم ان دار الجزاء لا تقاس بدار التكليف ﴿قوله ولعله تمثيل لحالهم﴾ وهي التكلم بما لم يظهر لهم من المطاعن في حقه عليه الصلاة والسلام ومن البت في نفي العذاب على وجه بعيد الاول من حاله عليه الصلاة والسلام والثاني من حكمة الله تعالى وعدله شبه حالهم هذه بحال من يرمي شيأ يكرهه من مكان بعيد ﴿قوله والعطف على وقد كفروا﴾ وهو جملة حالية فيكون ما عطف عليه ايضا حالا فكان الظاهر ان يقال وقذفوا بالغيب الا انه جيء بلفظ المضارع على حكاية الحال الماضية بان قدر ان ذلك الفعل الماضي واقع في حال التكلم كأنك تحضره للمخاطب ليتعجب منه ﴿قوله او على قالوا﴾ كأنه قيل ولو ترى اذ قالوا آمنا به ويقذفون بالغيب اي ماغاب وفات عنهم وهو الايمان في الدنيا ومعنى قذفهم اياه طلب تحصيله والاتصاف به بعد فوات وقته وعبر عنه برمي المطلب الغائب من مكان بعيد تشبيها له به في كون المطلب مستبعدا بحيث لا يطمع في حصوله ﴿قوله موقع في الريبة او ذي ريبة﴾ فالمريب على الاول اسم فاعل من ارابه المتعدي وعلى الثاني من اراب الرجل اذا صار ذا ريبة ووقع فيها وعلى التقديرين اسناد الارابة الى الشك مجاز اسند فعل صاحب التشكيك الى الشك على الاول وفعل صاحب الشك الى نفس الشك على الثاني حيث جعل الشك ذا شك كما جعل الشعر شاعرا فان المريب بالمعنى الاول هو المشكك وبالمعنى الثاني هو الشاك اطلق كل واحد منهما على نفس الشك للمبالغة * تمت سورة سبأ والحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده في اواسط آخر الجماديين من شهور سنة خمس وثلاثين وتسعمائة

﴿ سورة الملائكة عليهم الصلاة والسلام ﴾
﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿قوله مبدعهما﴾ اي موجدهما على غير مثال ﴿قوله والاضافة محضة﴾ اي معنوية وهي ما لا يكون المضاف فيها صفة مضافة الى معمولها اما بان لا يكون صفة نحو غلام زيد او يكون صفة ولكن لا تكون مضافة الى معمولها كفاطر السموات لان اسم الفاعل لا يعمل اذا كان بمعنى الماضي واذا لم يكن له معمول فكيف يضاف الى معموله فتكون اضافته معنوية تكتسب تعريفا مما اضيف اليه فيصح كونه نعتا لله وفسر الفطر بالابداع وهو ايجاد الشيء لا على مثال سبق والفطر بهذا المعنى غير شائع الاستعمال بل المشهور ان الفطر بمعنى الشق ومنه فطر ناب البعير اي طلع وفطر العجين الاستعجال في خبزه قبل وقده واختماره ولما كان هذان المعنيان غير مناسبين لمقام فسر الفطر بالايجاد الابداعي وجعله مأخوذا من الفطر بمعنى الشق لوجود معنى الشق فيه وهذا التفسير منقول عن ابن عباس رضي الله عنهما وجاعل يجوز ان يكون بمعنى مصير وبمعنى خالق فعلى الثاني يكون رسلا حالا مقدرة مثل فادخلوها خالدين وعلى الاول لا يخلو اما ان يكون بمعنى الماضي او الحال والاستقبال فعلى الاول تكون اضافته محضة ويكون انتصاب رسلا بفعل مقدر اي وجعلهم رسلا لان اسم الفاعل اذا كان بمعنى الماضي لا يعمل وعلى الثاني تكون اضافته لفظية مفيدة للتخفيف بحذف التنوين ويكون رسلا مفعولا ثانيا لجاعل بمعنى مصير واذا لم يتعرف بالاضافة لم يصلح صفة لله تعالى فيكون بدلا منه وكون لفظ المشتق بدلا جائز على قلة ﴿قوله اولي﴾ صفة لرسلا ومثنى وثلاث ورباع صفة لاجنحة وتعليق الحكم بمجرد العدد لا يدل على حكم الزائد والناقص لا نفيا ولا اثباتا الا اذا علق الحكم على عدد هو علة لذلك كقوله عليه الصلاة والسلام اذا بلغ الماء قلتين لم يحمل خبثا فانه يدل على ثبوت ذلك الحكم في الزائد على ذلك العدد لا في الناقص عنه فتوصيف الاجنحة بما ذكر من مثنى وثلاث ورباع لا ينفي ان تكون اجنحة بعض الملائكة زائدة عليها ﴿قوله بالخواص والفصول﴾ لف ونشر مرتب اي ان اختلاف الاصناف بالخواص واختلاف الانواع بالفصول لما امتنع ان يكون لذواتهم المشتركة تعين ان يكون مقتضى المشيئة الالهية ﴿قوله والآية متناولة﴾ اي ليس المعنى انه تعالى يزيد في خلق الاجنحة فقط مايشاء على ان يكون الاصل المزيد عليه الجناحين او الاعداد المذكورة في الآية بل المعنى انه تعالى يزيد على اصل المخلوق مايشاء من الاعضاء والجوارح الظاهرة ومن المعاني والفضائل السنية فالمعنى على هذا يزيد في اصل المخلوق من الملائكة وغيرهم كما قاله ابن عباس رضي الله عنهما وعنه عليه الصلاة والسلام ان مايشاء زيادته على اصل المخلوق هو الوجه الحسن والصوت الحسن والشعر الحسن وعن قتادة هو الملاحة في العينين وقيل هو متانة العقل وقوة التمييز وقيل السخاء وقيل الرضى بالتقدير وقيل علو الهمة وقيل التواضع في الشرف وقيل القناعة في الفقر وقيل غير ذلك

بما تناوله كلاهما بعمومها و الحصافة بالحاء المهملة متانة العقل واحكامه فى الصحاح الحصيف الرجل المحكم العقل وحصف بالضم حصافة اى استحكم و احصاف الامر احكامه ﴿قوله من تجوز السبب للمسبب﴾ لما كان الفتح والاغلاق من لوازم الباب جعل الفتح مجازا عن الاطلاق والارسال على طريق اطلاق اسم المسبب و ارادة السبب ﴿قوله من رحمة﴾ تبيين او حال من ما الشرطية ولا يجوز كونه صفة لها لان اسم الشرط لا يوصف فان ما شرطية منصوبة المحل بيفتح ويفتح مجزوم بها فلذلك قرئ ما يفتح الله بكسر الحاء لالتقاء الساكنين ولو كانت موصولة لقرئ بضم الحاء سماها المصنف موصولا حيث قال لان الموصول الاول مفسر بالرحمة باعتبار ان الثانية موصولة بالاولى بحرف العطف فتكون الاولى موصولة بالثانية ايضا لان الوصلة تكون من الجانبين ﴿قوله واختلاف الضميرين﴾ اى ضمير لها وله بالتذكير والتأنيث مع كونهما راجعين الى ما اعتبارا لجانب المعنى اولا حيث فسر الاول بالرحمة ولما فسر الثانى اعتبر فيه اصل التذكير وذكر ما يرجع اليه ﴿قوله وفى ذلك﴾ اى فى تفسير المرسل بالرحمة وعدم ابقائه على عمومه دليل الرحمة والعذاب وابقاء الممسك على عمومه اشعار بذلك حيث لم يتعرض لارسال العذاب وتعرض لامساكه وفى الآية اشعار بذلك ايضا من حيث انه قدم التعرض لارسال الرحمة فى الذكر ومن حيث انه نفى من يمسك الرحمة التى ارسلها الله تعالى نفيا مطلقا بان قال فلا ممسك لها ولم يقل لا ممسك لها غير الله وفى جانب ارسال ما امسكه الله نفى المرسل غيره ولم ينفه نفيا مطلقا بل استثنى فقال وما يمسك فلا مرسل له من بعده اى غيره على ما وقع فى بعض التفاسير وما فى ما يفتح الله شرطية منصوبة المحل بيفتح ويفتح مجزوم بها ومثلها وما يمسك ومن رحمة تبيين او حال من اسم الشرط وقوله من بعده اى من بعد امساكه فحذف المضاف لدلالة معناه وذكر ثانيا حملا على لفظه حيث لم يفسر بمؤنث فبقى على اصل التذكير ﴿قوله ثم انكر الخ﴾ اشارة الى ان هل استفهام قصد به الانكار كأنه قال لا خالق غير الله يرزقكم من السماء بالمطر والارض بالنبات فكيف تشركون المنعوت بنعت الملك والملكوت والافك بفتح الهمزة مصدر قولك افكه يأفكه افكا اى قلبه وصرفه عن الشئ قال تعالى اجئتنا لتأفكنا عما وجدنا عليه آباءنا قرئ غير الله بالحركات الثلاث وقوله وعلى الاخير وهو ان يكون يرزقكم كلاما مبتدأ يكون اطلاق هل من خالق وهو عدم تقييده بكونه رازقا من السماء والارض مانعا من اطلاق لفظ الخالق على غير الله تعالى لانه تم الكلام حينئذ عند قوله ليس خالق سوى الله موجودا فلا يصح اطلاقه على غيره تعالى وانتفاء القيد لا يستلزم انتفاء المطلق فيجوز ان يكون هنا خالق سوى الله ليس برازق وقرأ حمزة والكسائى بجر غير الله على انه صفة لخالق محمول على اللفظ والباقون بالرفع محمول على محله لانه مبتدأ محذوف الخبر ومن زائدة تقديره هل خالق غير الله فى الوجود ويرزقكم صفة خالق او هو خبر خالق ويحتمل ان يكون خالق مرفوع المحل باضمار يرزقكم ويرزقكم المذكور تفسيرا له اى هل يرزق خالق غير الله يرزقكم من السماء والارض ﴿قوله فان الاستفهام بمعنى النفى﴾ تعليل لصحة البدل مع ان حكم غير حكم الاسم الواقع بعد الا يجب نصبه فى كلام موجب نحو جاءنى القوم الا زيدا لانك لو ابدلت منه كان المبدل منه فى حكم الساقط فيؤدى الى التفريغ فى الموجب فى الواقع بعد الا وهو لا يجوز فلا يقال جاءنى الا زيد لفساد المعنى فلم يبق الا النصب فلولا ان الاستفهام بمعنى النفى لوجب ان لا يجوز الابدال فى غير ﴿قوله او لانه فاعل خالق﴾ لان اسم الفاعل قد اعتمد على اداة الاستفهام فوجد شرط عمله ﴿قوله وقد نصب على الاستثناء﴾ كأنه قيل هل يرزقكم خالق الا الله وقد تقرر انه يجوز النصب ويختار البدل فيما بعد الا فى كلام غير موجب والمستثنى منه مذكور ﴿قوله او كلام مبتدأ﴾ فانه لما نفى ان يكون فى الوجود خالق سوى الله بقوله هل من خالق غير الله توجه ان يقال ما سبب انتفائه فقيل لان الخالق ينبغى ان يكون رازقا لما خلقه ولا تتم الخالقية الا بالرازقية والرازق من السماء بالامطار ومن الارض بالانبات ليس الا هو فعلى هذا الوجه يكون فى الآية دليل على ان الخالق لا يطلق على غير الله عز وجل واما على الوجهين الاولين فلا دلالة فيهما على ذلك لان المعنى على ذينك الوجهين ليس خالق سوى الله صفته ان يرزقكم ونفى الخالق المقيد لا يدل على نفى الخالق مطلقا غير الله وتقييد الخالق على تقدير ان يكون يرزقكم صفة ظاهر واما تقييده على تقدير كون يرزقكم مفسرا للرافع وهو خالق محلا فلان المعنى حينئذ نفى رازقية خالق غير الله فيؤول المعنى الى نفى الخالق المقيد وهو ظاهر ﴿قوله فوضع فقد كذبت موضعه﴾ يعنى لا يصلح جزاء الشرط لان المعلق بالشرط حقه ان يكون بعده فى الوقوع وتكذيب الرسل واقع قبل تكذيب

(ما يفتح الله للناس) ما يطلق لهم ويرسل وهو من تجوز السبب للمسبب (من رحمة) كنعمة وامن وصحة وعلم ونبوة (فلا ممسك لها) يحبسها (وما يمسك فلا مرسل له) يطلقه واختلاف الضميرين لان الموصول الاول مفسر بالرحمة والثانى مطلق يتناولها والغضب وفى ذلك اشعار بان رحمته سبقت غضبه (من بعده) من بعد امساكه (وهو العزيز) الغالب على ما يشاء ليس لاحد ان ينازعه فيه (الحكيم) لا يفعل الا بعلم واتقان ثم لما بين انه الموجد للملك والملكوت والمتصرف فيهما على الاطلاق امر الناس بشكر انعامه فقال (يا ايها الناس اذكروا نعمة الله عليكم) احفظوها بمعرفة حقها والاعتراف بها وطاعة موليها ثم انكر ان يكون لغيره فى ذلك مدخل فيستحق ان يشرك به بقوله (هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والارض لا اله الا هو فانى تؤفكون) فمن اى وجه تصرفون عن التوحيد الى الكفر باشراك غيره به ورفع غير للحمل على محل من خالق بانه وصف او بدل فان الاستفهام بمعنى النفى او لانه فاعل خالق وجره حمزة والكسائى حملا على لفظه وقد نصب على الاستثناء ويرزقكم صفة لخالق او استئناف مفسر له او كلام مبتدأ وعلى الاخير يكون اطلاق هل من خالق مانعا من اطلاقه على غير الله (وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك) اى فتأس بهم فى الصبر على تكذيبهم فوضع فقد كذبت موضعه استغناء بالسبب عن المسبب وتنكير رسل للتعظيم المقتضى زيادة التسلية والحث على المصابرة (والى الله ترجع الامور) فيجازيك واياهم على الصبر والتكذيب

قريش فلابد ان يكون الجزاء حقيقة ماهو المسبب عن تكذيب الرسل وهو التأسى استغنى بذكر سببه عنه وحقيقة قولك ان اكرمتنى الآن فقد اكرمتك امس ان اكرامك اياى الآن بعد اكرامى اياك امس فنفس اكرام المتكلم وان كان سابقا على اكرام المخاطب لكن عد المخاطب اياه متفرع على عد اكرامه للمتكلم فصلح جزاء بهذا التأويل والغرور بالفتح صيغة المبالغة كالصبور والشكور وبالضم اما جمع غار كقاعد وقعود واما مصدر كالجلوس ﴿ قوله عداوة عامة قديمة ﴾ كأنه حمل تنكير عدو على التعظيم كتنكير رسل ويحتمل انه حمله على النوعية كما فى قوله تعالى وعلى ابصارهم غشاوة لما نهى الله تعالى عن الاغترار بتسويل الشيطان الاصرار على المعاصى اعتمادا على عفو الله تعالى وسعة رحمته بقوله لا يغرنكم بالله الغرور وابعد ما يمنع العاقل من الاغترار به وقال ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا فلا تسمعوا قوله واشتغلوا بما ينجيكم من العمل الصالح الذى هو طريق محاربته وقهره لانكم ان زكيتم معاداته وسلكتم سبيل ارضاته باتباعكم اياه فانه لا يؤديكم الا الى السعير ﴿ قوله تقرير له ﴾ حيث انكر مساواة الفريقين فى الجزاء ﴿ قوله فحذف الجواب لدلالة فان الله يضل من يشاء الآية ﴾ وفى بعض النسخ فحذف الجواب وكلاهما صحيح فان من فى قوله تعالى أفمن زين له سوء عمله يجوز ان تكون موصولة وان تكون شرطية ومحلها على كلا التقديرين الرفع بالابتداء والخبر والجواب محذوف واختلف فى تقديره فاختار المصنف انه كمن لم يزين له ذلك واستدل عليه بقوله فان الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء وجه دلالته على ذلك انه يقتضى ان يكون الكلام السابق مشتملا على ذكر من يهديه وهو من لم يزين له لان معنى تزيين سوء العمل والاضلال واحد فكأنه قيل فان الله يزين سوء العمل لمن يشاء ولا يزينه لمن يشاء واختار الزجاج ان المعنى أفمن زين له سوء عمله ذهبت نفسك عليهم حسرة فحذف الخبر والجواب لدلالة فلا تذهب نفسك عليهم فانه يقتضى سبق معنى ان نفسه تذهب عليهم حسرة ﴿ قوله ومعناه فلا تهلك نفسك عليهم ﴾ اشارة الى ان قوله فلا تذهب نفسك بفتح التاء والهاء ورفع نفسك كما هو قراءة العامة من باب لا ارينك ههنا من حيث ان النهى فى الظاهر متعلق بنفسه صلى الله عليه وسلم فنهاها عن ان تهلك عليهم حسرة واغتماما على غيهم واصرارهم على التكذيب والمراد نهى المخاطب عن اهلاك نفسه كما ان قولك لا ارينك ههنا فى الظاهر نهى المتكلم نفسه من رؤية المخاطب والمراد نهى المخاطب ان يحضر هناك اى عن ان يتعاطى اسباب ذلك وقوله تعالى فلا تذهب نفسك من قولهم ذهب فلان اذا هلك والحسرة شدة الحزن على مافات من الامر وقوله للحسرات اشارة الى انتصاب حسرات على انه مفعول له وجوز صاحب الكواشى انتصابها على الحالية على معنى لا تهلك نفسك حال صيرورة كلها حسرات بفرط التحسر او على معنى متحسرات كأنه قيل متحسرة الا انها جمعت للدلالة على تعدد حسراتها وتكررها ﴿ قوله غير ان الاولين دخلتا على السبب ﴾ فكأنه قال بعد تباين اختلاف جزاء الفريقين واوعد لاحدهما ووعد الآخر وذلك لسبب ان المسئ ليس كالمحسن فى الجزاء ثم هذه الجملة متضمنة لاختلاف افراد الانسان بالاساءة والاحسان وان بعضا منها تميز عنده الاساءة من الاحسان والخير من الشر والبعض الآخر منها انتكس رأيه فرأى الباطل حقا والقبيح حسنا مع تساوى تلك الافراد بحسب الحقيقة فلا يكون ذلك باستقلال منهم بل هو مستند الى ارادة الفاعل المختار وبين ذلك بان قال فان الله يضل من يشاء الآية فكأنه قال وذلك بسبب ارادة الفاعل المختار له فان من علم منه اختيار الضلال يضله ومن علم منه اختيار الاهتداء يهديه كل ذلك على حسب مشيئته وقوله فلا تذهب نفسك عليهم حسرات جواب شرط محذوف اى اذا علمت ان الامر كله بيد الله متوقف على ارادته ومشيئته فلا تهلك نفسك اغتماما على عدم اهتدائهم بهدايتك والجزاء مسبب على الشرط ﴿ قوله وجمع الحسرات للدلالة ﴾ اى على كثرة افراد نفس اغتمامه او للدلالة على كثرة افراد ما يكون سببا لاغتمامه من احوالهم القبيحة فعلى الاول تكون حسرات حقيقة وعلى الثانى تكون مجازا مرسلا على طريق اطلاق اللازم وارادة الملزوم ﴿ قوله بل صلة تذهب ﴾ كأنه اراد به صلته باعتبار تضمينه معنى الشرط ومعنى التحسر فكأنه قيل فلا تتحسر عليهم فيجوز حينئذ ان يكون انتصاب حسرات على انه مفعول مطلق له ﴿ قوله او بيان للمتحسر عليه ﴾ كأنه لما قيل له عليه الصلاة والسلام فلا تذهب نفسك حسرات فكأنه قال على من فقيل عليهم على ان عليهم متعلق بمحذوف يفسره هذا الظاهر ولا يجوز ان يتعلق بالظاهر لما ذكرناه وقوله والفاآت الثلاث هى التى فى قوله أفمن زين له سوء عمله وفى قوله فان الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء وفى قوله فلا تذهب نفسك الخ للسببية فان الفاء التى لغير العطف لا تخلو من افادة

(يا ايها الناس ان وعد الله) بالحشر والجزاء (حق) لا خلف فيه (فلا تغرنكم الحيوة الدنيا) فيذهلكم التمتع بها عن طلب الآخرة والسعى لها (ولا يغرنكم بالله الغرور) الشيطان بان يمنيكم المغفرة مع الاصرار على المعصية فانها وان امكنت لكن الذنب بهذا التوقع كتناول السم اعتمادا على دفع الطبيعة وقرئ بالضم وهو مصدر او جمع كقعود (ان الشيطان لكم عدو) عداوة عامة قديمة (فاتخذوه عدوا) فى عقائدكم وافعالكم وكونوا على حذر منه فى مجامع احوالكم (انما يدعو حزبه ليكونوا من اصحاب السعير) تقرير لعداوته وبيان لغرضه فى دعوة شيعته الى اتباع الهوى والركون الى الدنيا (الذين كفروا لهم عذاب شديد والذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة واجر كبير) وعيد لمن اجاب دعاءه ووعد لمن خالفه وقطع للامانى الفارغة وبناء الامر كله على الايمان والعمل الصالح وقوله (أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا) تقرير له اى أفمن زين له سوء عمله بان غلب وهمه وهواه على عقله حتى انتكس رأيه فرأى الباطل حقا والقبيح حسنا كمن لم يزين له بل وفق حتى عرف الحق واستحسن الاعمال واستقبحها على ما هى عليه فحذف الجواب لدلالة (فان الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء) وقيل تقديره أفمن زين له سوء عمله ذهبت نفسك عليهم حسرة فحذف الجواب لدلالة (فلا تذهب نفسك عليهم حسرات) عليه ومعناه فلا تهلك نفسك عليهم للحسرات على غيهم واصرارهم على التكذيب والفاآت الثلاث للسببية غير ان الاولين دخلتا على السبب والثالثة دخلت على المسبب وجمع الحسرات للدلالة على تضاعف اغتمامه على احوالهم وكثرة مساوى افعالهم المقتضية للتأسف وعليهم ليست صلة لها لان صلة المصدر لا تتقدمه بل صلة تذهب او بيان للمتحسر عليه (ان الله عليم بما يصنعون) فيجازيهم عليه

معنى الترتيب وهى التى تسمى فاء السببية وتختص بالجمل وتدخل على ماهو جزاء الشرط نحو ان لقيته فاكرمه ومن جاءك فأعطه ويرون تقدمها نحو زيد فاضل فاكرمه ويعرف دخولها على الجزاء بان يصح تقدير اداة الشرط قبل الفاء وجعل مضمون الكلام شرطا لما بعدها كما فى مثالنا هذا فان المعنى فيه ان كان كذا فاكرمه قال تعالى ام لهم ملك السموات والارض ومابينهما فليرتقوا فى الاسباب وقال تعالى حكاية عن ابليس انا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين قال فاخرج منها اى اذا كان عندك هذا الكبر فاخرج وقال رب فانظرنى اى اذا كنت لعنتنى فأنظرنى وقال فانك من المنظرين اى اذا اخترت الدنيا على الآخرة فانك من المنظرين والفاء الداخلة على السبب اكثر من ان تحصى وكثيرا ماتكون الفاء السببية بمعنى اللام السببية وذلك اذا كان مابعدها سببا لما قبلها كقوله تعالى فانك رجيم وتقول اكرم زيدا فانه فاضل وهذه الفاء تدخل على ماهو شرط فى المعنى كما ان الاولى دخلت على ماهو الجزاء فى المعنى فانك تقول زيد فاضل فاكرمه وتعكس وتقول اكرمه فانه فاضل والتى فى الآيتين الاوليين دخلت على السبب وكانت بمعنى اللام السببية ﴿ قوله على حكاية الحال الماضية ﴾ بيان لوجه مجيئ قوله فتثير بلفظ المضارع مخالفا لأرسل مع انه عطف عليه ومعنى حكاية الحال ان يقدر ان ذلك الفعل الماضى واقع فى حال التكلم وانما يفعل هذا فى الفعل المشتمل على نوع غرابة كأنك تحضره للمخاطب وتصوره له ليتعجب منه ويفعل هذا ايضا فى الفعل المبهم للمخاطب فيستحضر ليحصل له الوثوق بحصوله فكذا يفعل فى الفعل السار او الحزن ليقوى السرور او الحزن كما ان مشاهدة الامر الغريب ادخل فى افادة التعجب من سماع خبره ﴿ قوله ولان المراد بيان احداثها بهذه الخاصية ﴾ وجه ثان لوجه مجيئ فتثير بلفظ المضارع وتقريره ان المراد بقوله فتثير الاخبار بان الرياح فى حال احداثها وارسالها تثير السحاب وان اثارتها مقارنة لحال ارسالها وهذا المعنى لايفهم من لفظ الماضى وليس معنى تثيراتها تثير السحاب حال التكلم كما هو المعنى على كونه حكاية الحال الماضية بل معناه انها تثير حال احداثها بحيث كأن الاثارة من لوازم ذاتها وللتنبيه على هذا المعنى اسندت الاثارة الى الرياح والا فهى فى الحقيقة مسندة الى الفاعل المختار كسوق السحاب الى البلد الميت وقوله ويجوز ان يكون الخ وجه ثالث للاختلاف بين المعطوف والمعطوف عليه بحسب اقتران مدلول احدهما بالماضى والآخر بالحال فانه لما كان الامر مستمرا فى جميع الازمنة وان كل واحد من التعبيرين مطابق للواقع عبر عن الماضى والحال بالاحوال تغليبا والمراد بلفظ الجمع فى قوله اختلاف الافعال وفى بعض النسخ اختلاف الاحوال مافوق الواحد ﴿ قوله وذكر السحاب كذكره ﴾ يعنى ان المطر كأنه من معانى لفظ السحاب من حيث انه يصح اطلاق السحاب عليه مجازا بطريق اطلاق اسم السبب المادى على المسبب فيكون ارجاع ضميره الى المطر المدلول عليه بلفظ السحاب من قبيل الاستخدام بهذا الوجه وهو ان يراد بلفظ له معنيان احدهما ثم يراد بالضمير العائد الى ذلك اللفظ معناه الآخر ﴿ قوله او بالسحاب ﴾ عطف على قوله بالمطر فيكون المراد بضمير السحاب وباسمه الظاهر معنى واحد وهو حقيقة السحاب وجعله سببا لاحياء الارض اما لكونه سببا ماديا لما هو سبب الاحياء اولكونه سببا بنفسه عند تبدل حاله الى المطرية ومبنى الوجهين تغاير السحاب والمطر بالذات ان كان احدهما سببا للآخر واتحادهما بالذات ان كان تغايرهما لسبب الاحوال والاوصاف كأنه باعتبار تخلخله وانبثاثه يسمى سحابا وباعتبار تكاثفه وتقاطره يسمى مطرا فقوله او الصائر مطرا عطف على قوله سبب السبب ﴿ قوله بعد يبسها ﴾ لما كانت رطوبة الارض مبدأ الآثار المترتبة عليها من الانبات والتربية وصارت شبيهة للحياة التى هى مبدأ الحس والحركة الارادية وكان زوال تلك الرطوبة عن الارض شبيها بزوال الحياة عن الحيوانات استعير حياة الارض لرطوبتها وموت الارض ليبسها استعارة تصريحية ﴿ قوله والعدول فيهما من الغيبة ﴾ فى الآية اربعة مسانيد متعاطفة عدل فى كل واحد من الثلاثة الاخيرة عن سنن المعطوف عليه الاول وهو ارسل اما قوله فتثير فهو معدول عن سننه من وجهين من حيث مضارعته ومن حيث اسناده الى ضمير الرياح وارسل مسند الى ضمير اسم الله تعالى وقد ذكر العدول بالوجه الاول ثلاثة اوجه وفرع على الوجه الثانى منها وجه اسناده الى ضمير الرياح واما قوله فسقناه مع قوله فاحيينا به فان كل واحد منهما معدول عن سننه من حيث انه مسند الى ضمير الغائب وهما مسندان الى ضمير المتكلم وذكر وجه عدولهما بهذا الوجه بقوله والعدول فيهما الخ وتقريره موقوف على بيان كون الاسناد الى ضمير اسم الله الذى هو علم الذات المتعينة فى نفسها والى بيان اشتمالها

(الله الذى ارسل الرياح) وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائى الريح (فتثير سحابا) على حكاية الحال الماضية استحضارا لتلك الصورة البديعة الدالة على كمال الحكمة ولان المراد بيان احداثها بهذه الخاصية ولذلك اسنده اليها ويجوز ان يكون اختلاف الافعال للدلالة على استمرار الامر (فسقناه الى بلد ميت) قرأ نافع وحمزة والكسائى بتشديد الياء (فاحيينا به الارض) بالمطر النازل منه وذكر السحاب كذكره او بالسحاب فانه سبب السبب او الصائر مطرا (بعد موتها) بعد يبسها والعدول فيهما من الغيبة الى ماهو ادخل فى الاختصاص لما فيهما من مزيد الصنع

على مزيد الصنع اما الاول فلان اسناد ارسل الى ضمير اسم الله وان افاد اختصاص الارسال به تعالى الا ان الاسناد الى ضمير المتكلم ادخل فى افادة الاختصاص المذكور وادل عليه من حيث ان ضمير المتكلم اعرف المعارف والمسند اليه كلما كان اكشف واوضح كان الاسناد اليه ادخل فى افادة اختصاص المسند واما بيان اشتمالها على مزيد الصنع فلان احداث الرياح واثارتها السحاب لايتوقفان على سوق السحاب الى البلد الميت واحياء الارض به بخلافهما وان الاولين وسيلة محضة اليهما وانهما مقصودان اصليان يترتب عليهما مصالح شتى اذا تقرر هذا فنقول لما كانت الآية الكريمة مسوقة لبيان قدرة الله تعالى على الحشر والجزاء واثبات قوله ان وعد الله حق باثبات ماهو من دلائل القدرة الباهرة لله تعالى على وجه يخصه ولايشاركه احد سواه فى شئ من ذلك ناسب ان يسلك فى اسناده ماهو ادل على كمال القدرة اليه تعالى الى طريقة تكون ادخل فى افادة الاختصاص فلذلك عدل من الغيبة الى التكلم فى اسناد السوق والاحياء اليه تعالى ﴿ قوله اى مثل احياء الموات نشور الاموات ﴾ اى من القبور اشارة الى ان النشور مبتدأ والكاف فى محل الرفع على انه خبره ووجه المماثلة من وجوه احدها ان الارض الميتة كما قبلت الحياة اللائقة بها كذلك الاجساد الميتة تقبل الحياة وثانيها كما انا نسوق السحاب الى البلد الميت كذلك نسوق الروح الى الجسد الميت فمن قدر على احياء الموات بالطريق المذكور يقدر على احياء الاموات وبعثها من القبور ولا فرق بينهما الا باحتمال اختلاف المادة فى المقيس عليه ولا احتمال لذلك فى المقيس فان النشور الموعود هو احياء كل واحد من الاموات المخصوصة باعادة الروح الذى فارقه بعينه اليه بخلاف المقيس عليه فانه يحتمل ان يكون احياء الارض الميتة بان يساق اليها من الامطار والرطوبات غير الذى فارقها فليس لقائل ان يقول بناء على هذا الفرق القياس المذكور لايثبت صحة مقدورية احياء الاموات لانه قياس مع الفارق فانه لايلزم من مقدورية احياء الاموات بالحياة المبتدأة مقدورية احياء الاموات بحياتها الاولى لانا نقول هذا الفرق لايضر لصحة القياس لانه لامدخل لاحتمال اختلاف المادة فى صحة مقدورية احياء الاموات ﴿ قوله فليطلبها من عنده ﴾ يعنى ان قوله تعالى من كان يريد شرط وجوابه مقدر وقوله فلله العزة جميعا دليل الجواب المقدر اقيم مقام المدلول واستغنى عنه وليس جوابا له لوجهين احدهما ان العزة لله تعالى مطلقا وليست مشروطة بارادة احد اياها وثانيهما انه لابد فى الجواب من ضمير يعود على اسم الشرط ولم يوجد ضمير وجميعا حال والعامل فيها الاستقرار فمعنى الآية من كان يريد العزة فليتعزز بطاعة الله وهذا دعاء الى طاعة من له العزة كما يقال من اراد المال فالمال لفلان فليطلبه من عنده ويدل على صحة هذا التأويل ماروى انه قال عليه الصلاة والسلام ان ربكم يقول كل يوم انا العزيز فمن اراد عزة الدارين فليطع العزيز ثم بين طريق الطاعة وطريق طلب العزة عنده فقال اليه يصعد الكلم الطيب والكلم جمع كلمة وذكر صفتها حملا على اللفظ كما فى قوله اعجاز نخل منقعر ﴿ قوله وصعودهما اليه مجاز ﴾ لان انتقال الاعراض عن موضوعاتها مع بقائها على هوياتها المخصوصة مستحيل لان موضوعاتها من جملة مشخصاتها فاذا تعذرت الحقيقة تعين المصير الى المجاز وفى قوله وصعودهما اشارة الى ارتفاع قوله والعمل الصالح بالعطف على الكلم الطيب فيكون كل واحد من الكلم الطيب والعمل الصالح صاعدا اليه تعالى بصعود صحيفته اليه تعالى او بكونه مقبولا فيكون قوله يرفعه كلاما مستأنفا لبيان مايصعد العمل على ان يكون المستكن فى يرفعه للكلم والبارز للعمل ويكون المعنى الكلم الطيب يرفع العمل الصالح بان يقبل بسببه لان طاعة الكافر مردودة ويؤيده نصب العمل الصالح على الاشتغال فان الضمير المرفوع حينئذ يكون للكلم اولبيان مايصعد الكلم الطيب وهو العمل على ان يكون المستكن فى يرفعه للعمل والبارز للكلم ويكون المعنى ان العمل الصالح يرفع الكلم الطيب ولما كان الكلم الطيب مقبولا عند اهل السنة وان كان صاحبه عاصيا بين ان المراد بكون العمل رافعا للكلم الطيب كونه محققا للايمان ومقويا له ويرفعه كلام مستأنف اولبيان من يصعدهما فالمستتر المرفوع فى يرفعه يرجع الى الله تعالى والبارز المنصوب الى كل واحد من الكلم الطيب والعمل الصالح وقيل وحد الضمير المنصوب مع رجوعه الى شيئين ذهابا به مذهب اسم الاشارة فى نحو قوله تعالى عوان بين ذلك بعد قوله لافارض ولا بكر وقيل لاشتراكهما فى صفة واحدة وهى الصعود وقيل العمل الصالح مبتدأ ويرفعه خبره والمستتر فيه لله والبارز للعمل اى والعمل الصالح يرفعه الله اليه

(وقيل)

(كذلك النشور) اى مثل احياء الموات نشور الاموات فى صحة المقدورية اذ ليس بينهما الا احتمال اختلاف المادة فى المقيس عليه وذلك لامدخل له فيها وقيل فى كيفية الاحياء انه تعالى يرسل ماءمن تحت العرش فتنبت منه اجساد الخلق (من كان يريد العزة) الشرف والمنعة (فلله العزة جميعا) اى فليطلبها من عنده فانها كلها له فاستغنى بالدليل عن المدلول (اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) بيان لمايطلب به العزة وهو التوحيد والعمل الصالح وصعودهما اليه مجاز عن قبوله اياهما او صعود الكتبة بصحيفتهما والمستكن فى يرفعه للكلم فان العمل لايقبل الابالتوحيد ويؤيده انه نصب العمل او للعمل فانه يحقق الايمان ويقويه او لله وتخصيص العمل بهذا الشرف لمافيه من الكلفة وقرئ يصعد على البناءين والمصعد هو الله تعالى او المتكلم به او الملك

وقيل المستتر ضمير العمل والبارز للكلم بمعنى ان العمل الصالح يرفع الكلم الطيب اليه تعالى ومثل هذا فسر اكثر المفسرين وقيل عليه انه لا يصح على مذهب اهل السنة لان الكلم الطيب مقبول عندهم بدون العمل الصالح اشار المصنف الى جوابه بان الرفع حينئذ بمعنى التقوية والتصديق اى العمل الصالح يزيده تمرة ﴿ **قوله** تحيي بها وجه الرحمن ﴾ يقال حياك الله اى ابقاك على انه من الحياة وقيل هو من استقبال المحيا وهو الوجه وهذا هو الملائم ههنا فمعنى حيي بها استقبل بها وجه الرحمن على سبيل الاستعارة التمثيلية روى عن الحسن وقتادة ان الكلم الطيب ذكر الله والعمل الصالح اداء فرائضه فمن ذكر الله ولم يؤد فرائضه رد كلامه على عمله وليس الايمان الا ما قرّ فى القلوب وصدقه الاعمال فمن قال حسنا وعمل غير صالح رد الله عليه قوله ومن قال حسنا وعمل صالحا رفعه العمل لقوله تعالى اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه ﴿ **قوله** تعالى والذين يمكرون السيئات ﴾ فى انتصاب السيئات وجهان احدهما انها نعت لمصدر محذوف او لما فى حكمه وتقديره يمكرون المكرات السيئات او اصناف المكر السيئات لان ما اضيف الى المصدر مما هو وصف له فى المعنى بمنزلة المصدر فى انه يصح انتصابه بالفعل اللازم كالمصدر او هو مصدر من معنى يمكرون لا من لفظه والمعنى يسيئون السيئات لان المكر اساءة وثانيهما انها مفعول به على تضمين يمكرون معنى يكسبون ويعملون لان المكر كسب وعمل ودار الندوة هى التى بناها قصى بمكة كانوا يجتمعون فيها للمشاورة لان يتفقوا على رأى فى شان رسول الله صلى الله عليه وسلم ويمكروا به كما حكى الله تعالى عنهم ذلك بقوله واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك والاثبات الحبس وقيل جرح موهن لا يقدر المجروح معه على الحركة لما بين الله تعالى ان العزة انما تطلب بالطاعة وهى التوحيد والعمل الصالح بين ان العمل السيئ يذل صاحبه ويؤديه الى عذاب شديد فى الدنيا والآخرة ﴿ **قوله** لا يؤبه دونه ﴾ يقال فلان لا يؤبه به اى لا يبالى به ويقال بار عمله بورا اذا بطل وفسد ﴿ **قوله** كما دل عليه بقوله ﴾ فانه تعالى بين اولا كمال قدرته بقوله خلقكم من تراب ثم بين كمال علمه بقوله وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه فان ما فى الارحام قبل ان يكتسى صورة البشر بل بعده ما دام فى البطن لا يعلم احد حاله كيف والام الحاملة لا تعلم منه شيأ فكيف يعلمه غيرها ثم بين ان الاشياء كلها مقدرة فى كتاب وان القلم فرغ من كتبه مقاديرها واحوالها فلا يعتريها التبدل والتغير بالمكر والحيلة وهذه الآية اشارة الى دلائل الانفس بعد الفراغ من ذكر دلائل الآفاق من السموات وما يرسل منها من الرياح فان دلائل القدرة الكاملة والعلم المحيط مع كثرتها منحصرة فى قسمين دلائل الآفاق ودلائل الانفس كما قال تعالى سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى انفسهم فالله تعالى خاطب كفار قريش بان اصلكم ومبدأ خلقكم هو التراب بسبب انكم فروع آدم المخلوق من التراب فاذا كان التراب مبدأ اصلكم آدم عليه الصلاة والسلام يكون مبدأ لكم ايضا بواسطته ويمكن ان يقال ان اولاد آدم كلهم مخلوق من تراب ومن نطفة والنطفة من غذاء والغذاء ينتهى بالآخرة الى الماء والتراب فهو من تراب صار نطفة ﴿ **قوله** من مصيره الى الكبر ﴾ اشارة الى ان معنى الآية وما يعمر احد وعبر عنه بالمعمر باعتبار ان مصيره اليه ومن شأنه ان يعمر واحتيج الى هذا التأويل لان تعمير المعمر بمعنى مدود العمر غير مستقيم لانه تحصيل للحاصل بمعنى ان المراد من التعمير المد فى العمر ومن المعمر من مصيره الى الكبر ويؤول امره اليه اذ لا معنى لتعمير المعمر بمعنى ممدود العمر بالفعل لانه تحصيل الحاصل ولما كان المعمر بمعنى ما من شأنه ان يعمر وانه سمى معمرا باعتبار ما يؤول اليه كان ضمير عمره فى قوله ولا ينقص من عمره راجعا الى المعمر بالمعنى المذكور اذ لو كان المراد بالمعمر هو طويل العمر حقيقة وضمير عمره راجعا الى المعمر بهذا المعنى لزم ان يجتمع طوله ونقصانه فى شخص واحد وهو محال فمعنى الآية ولا ينقص من عمر من شأنه ان يعمر بان يعطى له عمر ناقص من عمر غيره فقد نسب الى شخص واحد من شأنه ان يصير الى الكبر ان يكون ممدود العمر بوصوله الى حد الكبر وان يكون منقوص العمر بالنسبة الى غيره اى الى من هو اطول عمرا منه ولا استحالة فيه فقوله لغيره متعلق بقوله ينقص ولما كان المتبادر من قوله ينقص من عمر المعمر لاجل غيره ان يعمر الغير بما نقص من عمر المعمر وهو باطل فسره بقوله بان يعطى له عمر ناقص من عمر المعمر لغيره ذكر فى ضمير عمره ثلاثة اوجه الاول ان يرجع الى ما اريد بالمعمر المذكور اولا ولما ورد عليه ان الشخص كيف يكون ممدود العمر ومنقوصه معا اجاب بان مد عمره بالنسبة الى من هو اقصر عمرا منه ونقص عمره بالنسبة الى من هو اطول منه عمرا والمتحصل ان يكون شخص واحد بعينه ممدود العمر ومنقوصه فى نفسه لا بالنظر الى غيره وقوله لغيره متعلق بينقص اى لا ينقص نقصا معتبرا بالنسبة الى غيره

وقيل الكلم الطيب يتناول الذكر والدعاء وقرآءة القرآن وعنه عليه الصلاة والسلام هو سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر اذا قالها العبد عرج بها الملك الى السماء فحيى بها وجه الرحمن فاذا لم يكن عمل صالح لم يقبل (والذين يمكرون السيئات) المكرات السيئات يعنى مكرات قريش للنبى صلى الله عليه وسلم فى دار الندوة وتداورهم الرأى فى احدى ثلاث حبسه وقتله واجلائه (لهم عذاب شديد) لا يؤبه دونه بما يمكرون به (ومكر اولئك هو يبور) يفسد ولا ينفذ لان الامور مقدرة لا تتغير به كما دل عليه بقوله (والله خلقكم من تراب) بخلق آدم منه (ثم من نطفة) بخلق ذريته منها (ثم جعلكم ازواجا) ذكرانا واناثا (وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه) الا معلومة له (وما يعمر من معمر) وما يمد فى عمر من مصيره الى الكبر

بمن هو اطول منه عمرا كان المد ايضا معتبر بالنسبة الى غيره الذى هو انقص عمرا والثانى ان يرجع الى المنقوص عمره المدلول عليه بذكر مقابله والثالث ان يرجع الى العمر لا باعتبار تعلق الفعل السابق به ﴿ قوله او لا ينقص من عمر المنقوص عمره ﴾ اى ويحتمل ان لا يرجع ضمير عمره الى المعمر بل يرجع الى المنقوص عمره المدلول عليه بذكر مقابله ويحتمل ان يرجع الى المعمر لا بمعنى من مصيره الى الكبر بل بان يكون كل واحد من الاسم الظاهر والضمير بمعنى من اعطى له العمر فكأنه قيل وما يعمر من احد ولا ينقص من عمره واعيد الضمير الى الاحد ﴿ قوله ثقة بفهم السامع ﴾ وامنا من الالتباس اذ لا يذهب الوهم الى ان يكون المراد من الاحد الذى رجع اليه الضمير عين الاحد الذى نسب اليه طول العمر لاستحالة ان ينقص عمر طويل العمر فيعلم كل احد ان المراد بالعمر الثانى معمر آخر كما فى المثال المذكور فكأنه قيل وما يعمر معمر ولا ينقص من عمر معمر ولا محذور فيه لان المعمر الثانى غير الاول بالذات وان اطلق على كل واحد لفظ المعمر بمعنى ما من شأنه ان يعمر فان مفهوم المعمر تحته افراد كثيرة والفرق بين الوجه الاول وبين قوله وقيل الزيادة الخ وبين قوله وقيل المراد الخ مع ان ضمير عمره فى الكل للمعمر المذكور اولا ان الزيادة والنقصان فى الوجه الاول باعتبار النسب كما مر وفى الوجه الثانى باعتبار الشروط والاسباب وفى الوجه الثالث باعتبار ان من قدر له اجل وكتب فى صحيفة عمره كذا وكذا مدة والمراد بما ينقص من عمره ما مر من عمره فينقص شيأ فشيأ اذ اتصاف الشخص الواحد بالاوصاف المتضادة لاجل اختلاف النسب فى الاول ولاجل اختلاف الشروط والاسباب فى الثانى ولاجل اختلاف المحمول فى الثالث لان المعنى ما يعمر ينقص من عمره ما قدر له اصل العمر ويمضى من عمره شيأ فشيأ كما روى عن سعيد بن جبير انه يكتب فى ام الكتاب ان عمر فلان كذا وكذا سنة ثم يكتب اسفل من ذلك ذهب يوم ذهب يومان ذهب ثلاثة ايام حتى ينقطع عمره ﴿ قوله وعن يعقوب ولا ينقص على بناء الفاعل ﴾ ونقص يستعمل متعديا ولازما يقال نقصت الشئ نقصا ونقص الشئ نقصانا فهو فى قرآءة الجمهور متعد ليس لازما واما على هذه القرآءة فيجوز ان يكون لازما على معنى ولا ينقص شئ من عمره وان يكون متعديا على معنى ولا ينقص الله شيأ من عمره كما هو معنى قرآءة الجمهور ﴿ قوله ضرب مثل للمؤمن والكافر ﴾ اى بيان مماثلة لهما بالبحر العذب والملح اى تشبيه المؤمن بالبحر العذب من حيث ان المؤمن باق على الفطرة الاصلية والوصف المقصود من حقيقة الانسان كما ان البحر العذب باق على الحالة الاصلية والوصف المقصود من حقيقة الماء وان الكافر مغير عن الفطرة الاصلية والكمال المطلوب منه كما ان البحر الملح كذلك فذكر البحران واريد المؤمن والكافر ونفى الاستوآء لتفاوت ما فيهما من الوصفين كتفاوت ما بين البحرين واذا لم يستو المصدق والمكذب فى الثبات على اصل الفطرة فلابد بينهما فى المجازاة واذا لم تقع بينهما التفرقة فى الدنيا فمن ضرورية البعث والقيامة ولما استعير لفظ البحرين للمؤمن والكافر كان قوله تعالى هذا عذب فرات وهذا ملح اجاج مستعارا لبقاء على الحالة الاصلية والتغيير عنها اورد تعليلا لانتفاء استوآء البحرين مستعارا لانتفاء الوصف المقصود من كل واحد منهما بتشبيه عدم تساوى المؤمن والكافر بعدم تساوى البحرين واذا لم تقع بينهما تفرقة فى الدنيا فمن ضرورية البعث والنشور تشبيها تمثيليا وهو التشبيه الذى يكون وجه الشبه فيه هيئة منتزعة من امور متعددة ﴿ قوله تعالى هذا عذب فرات الخ ﴾ فى موقع التعليل لانتفاء استوآء البحرين وشرابه يجوز ان يكون مبتدأ وسائغ خبره والجملة خبر ثان وان يكون سائغ خبرا وشرابه فاعلا له لاعتماده على المبتدأ يقال ساغ الشراب يسوغ سوغا اى سهل دخوله فى الحلق لعذوبته لا ينفر منه شاربه بل يجذبه طبعه فلا اعتداد به وسوغته انا يتعدى ولا يتعدى والفرات المتناهى فى العذوبة والاجاج الماء الذى كان فى غاية الملوحة والمرارة بحيث يحرق ما اصابه لملوحته من اجت النار توجج اججا اى التهبت والاجة شدة الحر وتوهجه والشئ الذى له ملوحة فى اصل خلقته يقال له ملح ماء كان او غيره وما كان فيه ملوحة بعارضة يقال له مالح فلا يقال للبحر اذا كان فيه ملوحة مالح لانه ليس ماء جاوره ملح بل هو فى اصل خلقته كذلك وقول من قال ان ملح على فعل فى قرآءة من قرأ مقصور من مالح لانه ضعيف لان اطلاق المالح على ماء البحر لغة شاذة والاصل ان يقال ان ملحا بالفتح والكسر لغة فى ملح بالكسر والسكون ﴿ قوله استطراد فى صفة البحرين ﴾ لانه لا دخل له فى التمثيل ولا فى بيان عدم التسوية ليكون من تتمة قوله هذا عذب فرات وهذا ملح اجاج بل ظاهره افادة التسوية بينهما فاذا لم يكن له مدخل فيما سيق له الآية تعين كونه استطرادا ﴿ قوله كما انهما وان اشتركا فى بعض الفوآئد لا يستويان ﴾

(ولا ينقص من عمره) من عمر المعمر لغيره بان يعطى له عمر ناقص من عمره او لا ينقص من عمر المنقوص عمره بجعله ناقصا والضمير له وان لم يذكر لدلالة مقابله عليه او للمعمر على التسامح فيه ثقة بفهم السامع كقولهم لا يثيب الله عبدا ولا يعاقبه الا بالحق وقيل الزيادة والنقصان فى عمر واحد باعتبار اسباب مختلفة اثبتت فى اللوح مثل ان يكون فيه ان حج عمرو فعمره ستون سنة والا فاربعون وقيل المراد بالنقصان ما يمر من عمره وينقص فانه يكتب فى صحيفة عمره يوما فيوما وعن يعقوب ولا ينقص على بناء الفاعل (الا فى كتاب) هو علم الله او اللوح او الصحيفة (ان ذلك على الله يسير) اشارة الى الحفظ او الزيادة والنقصان (وما يستوى البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح اجاج) ضرب مثل للمؤمن والكافر والفرات الذى يكسر العطش والسائغ الذى يسهل انحداره والاجاج الذى يحرق بملوحته وقرئ سيغ بالتشديد والتخفيف وملح على فعل (ومن كل تأكلون لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها) استطراد فى صفة البحرين وما فيهما من النعم او تمام التمثيل والمعنى كما انهما وان اشتركا فى بعض الفوآئد لا يستويان من حيث انهما لا يتساويان فيما هو المقصود بالذات من الماء فانه خالط احدهما ما افسده وغيره عن كمال فطرته لا يتساوى المؤمن والكافر وان اتفق اشتراكهما فى بعض الصفات كالشجاعة والسخاوة لاختلافهما فيما هو الخاصية العظمى وبقاء احدهما على الفطرة الاصلية دون الآخر

(متعلق)

متعلق بقوله لا يتساوى المؤمن والكافر ﴿ قوله او تفضيل للاجاج على الكافر ﴾ من حيث ان الاجاج يشارك
الفرات فى منافع كثيرة فان اللحم الطرى يوجد فيهما او الحلية تؤخذ منهما والفلك تجرى فيهما ولا منفعة للكافر فالآية
على هذا التوجيه مثل قوله اولئك كالانعام بل هم اضل وقوله ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهى كالحجارة او اشد قسوة
وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار قيل نسب الحلية الى كل واحد من البحرين مع انها انما تستخرج من الملح دون
العذب وذكر فى توجيه الآية انه قد يكون فى البحر الاجاج عيون عذبة تمتزج بالملح وتغلب عليه فى بعض المواضع
فيتفق ان اللؤلؤ يستخرج من ذلك الموضع الذى عذب ماؤه وهو من مواضع الاجاج حقيقة ولفظ فيه فى قوله تعالى
وترى الفلك فيه مواخر يجوز ان يكون صلة مواخر وترى بصرية تتعدى الى واحد وهو الفلك ومواخر حال من
الفلك وهو جمع ماخرة يقال مخرت السفينة الماء اى شقته اى ترى الفلك فى كل واحد منهما تشق الماء بجريها فيه
مقبلة ومدبرة بريح واحدة ﴿ قوله وحرف الترجى باعتبار ما تقتضيه ظاهر الحال ﴾ اى ظاهر حال المخاطبين المنعم
عليهم بهذه النعم فانه يدل على انه تعالى انما انعم عليهم بالبحرين وما فيهما من جلائل النعم ليستدلوا بها على وجوده
ووحدانيته وانما قلنا باعتبار ما تقتضيه ظاهر الحال لعدم استقامتها نظرا الى حقيقة الحال لان الله تعالى يحيط علمه
بانفس الامور وعواقبها فيستحيل عليه الترجى لانه لا يتأتى ممن يعلم عاقبة الامر وتحقيق كلامه ان الآية الكريمة
من قبيل الاستعارة التمثيلية شبه معاملته تعالى مع المكلفين بان منحهم عظائم احسانه واظهرهم على دلائل
قدرته وارادته منهم ان يعرفوا حق احسانه ويشكروه بصورة معاملة من يرجو ويؤمل فعبر عن معاملته تعالى معهم
بعاملة اهل الرجاء ولما ضرب الله تعالى مثلا للمؤمن والكافر ثم ذكر على سبيل الاستطراد صفات البحرين وما فيهما
من النعم ليستدلوا بها على وجوده تعالى ووحدانيته وكمال قدرته كما اشار اليه بقوله ولعلكم تشكرون اشار الى
الاستدلال عليه بوجه آخر وهو الاستدلال باختلاف الازمنة وما يؤدى اليه من تسخير الشمس والقمر فقال يولج
الليل فى النهار اى يدخله فيه ويأخذ من هذا ويزيد فى الآخر ويولج النهار فى الليل كذلك وتسخير الشمس والقمر
جعلهما منقادين لما امر ابه من الطلوع والغروب على النسق المأمور به وعلى الوجه الذى يتعلق به مصالح
العباد ومعايشهم وعدم امتناعهما عن شئ من ذلك ﴿ قوله هى مدة دوره ﴾ فالمعنى كل من الشمس والقمر
يجرى فى مدته التى جعلها الله لهما فالقمر يقطع السماء فى كل شهر مرة والشمس فى كل سنة مرة وكل منهما
يجرى الى ان يبلغ منتهى منازله فى دوره او كل من الليل والنهار والشمس والقمر يجرى فى الدنيا على العادة المعروفة
الى ان يجئ الاجل المسمى عند الله تعالى فى نقض هذه العادة بقيام الساعة وانشقاق السماء وانتثار الكواكب
﴿ قوله الاشارة الى الفاعل لهذه الاشياء ﴾ من فطر السموات والارض وجعل الملائكة رسلا وارسال الرياح
واحياء الموات وخلق الانسان من التراب وغير ذلك ﴿ قوله وفيها اشعار الخ ﴾ وجه الاشعار او تعليق الحكم
بما هو متميز باوصاف معدودة يفيد علية تلك الاوصاف لذلك الحكم اى ذلك الذى فعل هذه الاشياء هو المتصف
بالالوهية وانه مالككم ومربيكم بما يصلحكم وله الملك كله فله العبادة كلها وما تدعونه لا يفعل شيأ من ذلك
فلا يثبت له شئ من هذه الاخبار المترادفة والقران ما يقترن به شيئان وعلى هذا الاحتمال يكون والذين تدعون
معطوفا على قوله له الملك وعلى الاول يكون معطوفا على مجموع قوله ذلكم الله ربكم له الملك ﴿ قوله لعدم قدرتهم
على الانفاع ﴾ اشارة الى ان معنى الآية وان تدعوهم لا ينفعوكم ولم يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا فرضا ما اجابوا لكم
فيما تطلبونه منهم اما لعجزهم عن ذلك واما لتبرئهم منكم او لمنع الخلق والفرق بين الدليلين ان الاول لا ينافى اصل
الاجابة وانما ينافى ما يترتب عليها بخلاف الثانى فانه ينافيهما معا ولما بين الله تعالى عدم نفعهم فى الدنيا بين انهم
فى الآخرة يتضررون بهم بقوله تعالى ويوم القيامة يكفرون بشرككم اى باشراككم بالله غيره على ان الشرك مصدر
مضاف الى الفاعل وكفر اشراكهم اياهم مع الله بمعنى الانكار حقيقة وجحده والشهادة على بطلانه او بمعنى انكار
ان يكون من اشركوه بالله تعالى هو انفسهم بقولهم ما كنتم ايانا تعبدون بل كنتم تعبدون من سوّل لكم ذلك من
الشياطين ﴿ قوله والمراد تحقيق ما اخبر به ﴾ لانه لا يمكن اخبار احد من المخبرين مثل اخبار من احاط علمه بجميع
المعلومات وعلم بما كان وما يكون قبل ان يكون وهو الله تعالى يكون ما اخبر به حقا واقعا لانه اذا نفى المماثل لمن
يحيط علمه بجميع المعلومات فى كون علمه بالاشياء واخباره بها كما هى فى انفسها وعلى حقيقتها لزم ان يكون
ما اخبر به حقا واقعا ﴿ قوله وتعريف الفقراء للمبالغة فى فقرهم ﴾ يعنى ان الاصل ان يكون المبتدأ معرفة

او تفضيل للاجاج على الكافر بما يشاركه فيه
العذب من المنافع والمراد بالحلية اللآلئ
واليواقيت (وترى الفلك فيه) فى كل
(مواخر) تشق الماء بجريها (لتبتغوا من
فضله) من فضل الله بالنقلة فيها واللام متعلقة
بمواخر ويجوز ان تتعلق بما دل عليه الافعال
المذكورة (ولعلكم تشكرون) على ذلك
وحرف الترجى باعتبار ما تقتضيه ظاهر الحال
(يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل
وسخر الشمس والقمر كل يجرى لاجل مسمى)
هى مدة دوره او منتهاه او يوم القيامة (ذلكم
الله ربكم له الملك) الاشارة الى الفاعل لهذه
الاشياء وفيها اشعار بان فاعليته لها موجبة
ثبوت الاخبار المترادفة ويحتمل ان يكون له
الملك كلاما مبتدأ فى قران (والذين تدعون
من دونه ما يملكون من قطمير) لدلالة على
تفرده بالالوهية والربوبية والقطمير لفافة
النواة (ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم) لانهم
جماد (ولو سمعوا) على سبيل الفرض
(ما استجابوا لكم) لعدم قدرتهم على الانفاع
او لتبرئهم منكم مما تدعون لهم (ويوم القيامة
يكفرون بشرككم) باشراككم لهم يقرون
ببطلانه او يقولون ما كنتم ايانا تعبدون
(ولا ينبئك مثل خبير) ولا يخبرك بالامر مخبر
مثل خبير به اخبرك وهو الله تعالى فانه الخبير
به على الحقيقة دون سائر المخبرين والمراد
تحقيق ما اخبر به عن حال آلهتهم ونفى
ما تدعون لهم (يا ايها الناس انتم الفقراء الى
الله) فى انفسكم وما يعن لكم وتعريف الفقراء
للمبالغة فى فقرهم كأنهم لشدة افتقارهم وكثرة
احتياجهم هم الفقراء وان افتقار سائر الخلائق
بالاضافة الى فقرهم غير معتد به ولذلك قال
(وخلق الانسان ضعيفا

والخبر نكرة ويكون المعنى الشئ الفلانى الذى تعرفه ثبت له الحكم الفلانى الذى لا تعلمه وقد يعرف الخبر ليفيد كونه مقصورا على المبتدأ مخصوصا به وههنا ليس الفقر مقصورا على المخاطبين لان الممكنات باسرها مفتقرة اليه تعالى فى اصل وجودها وتوابعه واجاب عنه بان التعريف هنا يفيد القصر الا ان المقصود ليس قصر اصل الافتقار بل المقصود قصر الكمال كما فى مثل ذلك الكتاب وحاتم الجواد فان افتقار الانسان اشد واكمل من افتقار سائر الممكنات مع اشتراك الجميع فى الامكان الذى هو مناط الافتقار وذلك لان الانسان هو المكلف بالاستكمال بحسب قوته النظرية والعملية والاجتناب عن مطاوعة نفسه الامارة بالسوء واتباع قوته الشهوية والغضبية وسائر ماهو مغمور فيه من الشواغل الانفسية والآفاقية فلاجرم احتاج فى صلاح احواله ورعاية ما كلف به الى امور كثيرة لا يحتاج الى شئ منها سائر الممكنات وذلك كثير لكثرة ما يختص به مما يتفرع على قوته النظرية والعملية مع كونه مغمورا بالشواغل والعوائق الانفسية والآفاقية ﴿ قوله المنعم على سائر الموجودات ﴾ اشارة الى ان الحميد كناية عن اللزوم وهو المنعم وانه تكميل لقوله هو الغنى لانه تم به فائدة المقابلة وتعريض بانه مع استغنائه على الاطلاق جواد منعم على الاطلاق ومثله فى كونه من قبيل التكميل

۞ حليم اذا ما الحلم زين اهله ۞ مع الحلم فى عين العدو مهيب ۞

قيل فى سبب نزول هذه الآية ان النبى صلى الله عليه وسلم لما اكثر دعوة الكفار ازدادوا اصرارا وقالوا ان الله تعالى محتاج الى عبادتنا حتى يأمرنا بها امرا بالغا ويهددنا على تركها مبالغا فنزل يا ايها الناس انتم الفقراء الى الله والله هو الغنى فلا يأمركم بالعبادة لاحتياجه اليكم وانما هو لاشفاقه عليكم وهو مع استغنائه يدعوكم الى مافيه سعادتكم وفوزكم وانتم مع احتياجكم لا تجيبونه ثم قال تعالى على طريق الغضب والتهديد ان يشأ يذهبكم يعنى ان استحقاقكم للهلاك قد تحقق ولا يتوقف الاهلاك الا على مشيئته فان يشأ يذهبكم ويأت بقوم اطوع منكم يطيعونه فيما امرهم به ونهاهم عنه ويستحقون بذلك فضله ورحمته وقيل ان الآية بيان لغناه بغاية البلاغة وتقريره ان اذهاب الشئ انما يتوقف على محض المشيئة اذا كان مستغنى عنه بخلاف اذهاب ما يحتاج اليه فانه يتوقف بعد المشيئة على انتفاء الحاجة اليه فانه لا يقال ان شاء فلان هدم داره وانما يقال او اتفق احتياجه اليها وجدتما وشاء هدمها لهدمها والله تعالى لما علق اذهابهم على مجرد مشيئته ذلك ظهر استغناؤه عنهم فكأنه قال ان اقتضت حكمتى ظهور ملكى وعظمتى بخلق ماهو من دلائل كمال علمى وقدرتى وشواهد علو شأنى وعزتى ان يخلق آت بخلق جديد يدل على ذلك وماذلك الاذهاب والاتيان بعزيز يغلب عليه تعالى بان يكون متعذرا عليه او متعسرا ولفظ العزيز استعمله الله تارة فى القائم بنفسه فقال فى حق نفسه وكان الله قويا عزيزا ونحوه واستعمله تارة فى القيام فقال وماذلك على الله بعزيز اى ذلك الفعل لا يغلبه بل هو هين عليه وقوله عزيز عليه ماعنتم اى هو يحزنه ويؤذيه كالشغل الغالب ﴿ قوله ولا تحمل نفس آثمة ﴾ اشارة الى ان وزرت الشئ وهى وازرة بمعنى حملته فهى حاملة وان وازرة صفة محذوف مقامه وان الوزر بمعنى الحمل مستعار للاثم تشبيها له بالحمل فى كونه مؤذيا لصاحبه لما دلت الآية على ان النفس الوازرة لا تحمل الا وزرها لا وزر غيرها احتيج الى التوفيق بينها وبين قوله تعالى وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم ووجه التوفيق ظاهر من تقرير المصنف وكل واحد من الاثقالين وان كان اوزارهم ليس فيها شئ من اوزار غيرهم لكنه اضاف احدهما اليهم دون الآخر لانه اضاف اثقالهم الى انفسهم حيث قال وليحملن اثقالهم ولم يضف اثقال الاضلال اليهم حيث قال واثقالا لكون اثقال ضلالهم اختصت بهم بالنسبة الى غيرهم اومن حيث ان اثقال ضلالهم اكمل اختصاصا بهم بالنسبة الى اثقال الاضلال لان ضرر الاول مقصور عليهم لا يتعداهم بخلاف الثانى ﴿ قوله تعالى وان تدع مثقلة ﴾ اى تدع مثقلة بالذنوب غيرها الى حملها اى الى ان تحمل ما عليها من الذنوب لم تجب الى ذلك وان كان المدعو ذا قرابة لها كما اذا دعى ابنه او اباه او امه او اخاه قال ابن عباس رضى الله عنهما يلق الاب او الام ابنه فيقول يابنى احمل عنى بعض ذنوبى فيقول لا استطيع حسبى ما علىّ فهذه الآية دلت على ان نفسا من النفوس لا تحمل عنها ذنبها كما ان الآية السابقة دلت على انها لا تحمل ذنب غيرها وترك مفعول تدع ليعم كل مدعو على طريق البدل بمعنى وان تدع احدا ممن يتصور منه الحمل فانه يعم كل فرد منهم على البدل فيحتمل ان يكون الفرد ذا قرابة للمثقلة وليس المراد العموم بمعنى من يتصور منه الحمل لانه لا يمكن ان يكون الجمع المذكور ذا قربى للمثقلة فلا يصلح ان يرجع اليه ضمير كان فى قوله ولو كان ذا قربى

(والله هو الغنى الحميد) المستغنى على الطلاق المنعم على سائر الموجودات حتى استحق عليهم الحمد (ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد) بقوم آخرين اطوع منكم او بعالم آخر غير ما تعرفونه (وما ذلك على الله بعزيز) بمتعذر او متعسر (ولا تزر وازرة وزر اخرى) ولا تحمل نفس آثمة اثم نفس اخرى واما قوله وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم ففى الضالين المضلين فانهم يحملون اثقال اضلالهم مع اثقال ضلالهم وكل ذلك اوزارهم ليس فيها شئ من اوزار غيرهم (وان تدع مثقلة) نفس اثقلها الاوزار (الى حملها) يحمل بعض اوزارها (لا يحمل منه شئ) لم تجب لحمل شئ منه نفى ان يحمل عنها ذنبها كما نفى ان يحمل عليها ذنب غيرها (ولو كان ذا قربى) ولو كان المدعو ذا قرابتها فاضمر المدعو لدلالة ان تدع عليه

(قوله)

«قوله على حذف الخبر» والتقدير ولو كان ذا قرابتها مدعوها ولو جعل كان تامة على معنى ولو حضر او وجد ذو قربى لفات انتظام الكلام لانه يقتضي ان يكون المعنى ان دعت احدا الى حملها لايجيبها الى ما دعته اليه وان كان المدعو ذا قرابتها او وان كان ذا قرابتها مدعوها ولو كان المعنى لايحمل مدعوها شيأ منه ولو وجد ذو قربى لفات الملائمة لعمومه باعتبار كونه مدعوا «قوله او غائبا عنهم عذابه» فيكون بالغيب حالا من المفعول المقدر لان تقدير يخشون ربهم يخشون عذاب ربهم لحذف المضاف وان فسر بقوله غائبين عنه اى عن العذاب يكون حالا من الفاعل «قوله واختلاف الفعلين لما مر» اى في تفسير قوله تعالى فتثير سحابا من ان اختلاف الافعال للدلالة على استمرار الامر فقوله لما مر هو الدلالة على استمرار الامر «قوله فانهم المتنفعون بالانذار لاغير» اى لاغير الذارك اذ لايستقيم حمل الكلام على ظاهره لظهور انه عليه الصلاة والسلام كان ينذر جميع الناس سوآء كانوا اهل الخشية ام لا وعدل عنه لتنبيه على ان الانذار الغير النافع كعدمه وان غير اهل الخشية كأنهم لم ينذروا اصلا «قوله تعالى ومن تزكى» اى بان يحمل خوفا من عذاب ربه بالغيب على حسب ما يقتضيه الانذار ويفعل الطاعات ويترك المنكرات فان منفعة ذلك راجعة اليه والله تعالى غنى عن العباد وهو جملة معترضة وقعت بين قوله انما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب واقاموا الصلاة وبين قوله وما يستوى الاعمى والبصير الى قوله وما انت بمسمع من في القبور الآية لانه متصل بالاول والمقصود من الكل تسلية الرسول صلى الله عليه وسلم فانه تعالى لما اظهر غضبه على من اتخذ من دون الله اندادا بقوله ان يشأ يذهبكم واتبعه بالانذار يوم القيامة واهوالها وانه صلى الله عليه وسلم لما قرأ عليهم هذه الآية لم يتعظوا بها ولم ينتهوا عما هم عليه من الشرك وسوء الافعال التفت الى حبيبه صلى الله عليه وسلم تسلية له وخاطبه بان نعى اليه تمردهم وعنادهم وان الوعظ لايؤثر فيهم وانهم لايخافون عقابه لانهم جهال لايتفكرون في العاقبة والوعظ انما يؤثر فيمن توقع انه لابد من المصير الى الله فيخشى عقابه ومثلهما مثل الاحياء والاموات وان مثل الكفر والايمان الظلمات والنور وان مثل الجنة والنار الظل والحرور فانى تتساوى هذه الاشياء وعلى هذا التقدير ظهر انها معترضة والكلام المعترض انما يؤتى به تحقيق ما تقدم عليه وتأكيده فهذا الكلام جيء به ترغيبا لهم اى لاهل الخشية وتقوية لنشاطهم على الخشية واقامة الصلاة لانهما من جملة ما يتزكى به فكأنه قيل ومن فعلهما فنفعهما لايعود الا اليه «قوله وقرئ ومن ازكى فانما ازكى» اصل ازكى تزكى على وزن تفعل ادغمت التاء في الزاى ثم اتى بهمزة الوصل للابتدآء واصل يزكى يتزكى على وزن يتفعل فادغمت التاء في الزاى كما ادغمت في الدال نحو يذكرون في يتذكرون ضرب البصير مثلا للمؤمن من حيث انه ابصر طريق الفوز والنجاة وسلكه بخلاف الكافر فانه لما لم يبصره ولم يسلك فيه شبه بالاعمى وقيل المشبه بالاعمى هو الصنم والمشبه بالبصير هو الله عز وجل فيكون التمثيل مرتبا على قوله ذلكم الله ربكم له الملك والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير وهذه الاشياء جيء بها على الاستعارة والتمثيل وعلى احسن وجوه الترتيب فانه تعالى لما ضرب الاعمى والبصير مثلين للكافر والمؤمن عقبه بما كل منهما فيه فالكافر في ظلمة الكفر والباطل والمؤمن في نور الايمان والحق لان البصير وان كان حديد النظر لابد له من نور يبصر به ثم ذكر ما لكل منهما فللمؤمن الظل وللكافر الحرور وقدم الاعمى على البصير والظلمات على النور والظل على الحرور ليطابق فواصل الآى ويكون الكل على نسق قوله والى الله المصير ولما تقدم الاعمى في الذكر لذلك ناسب تقديم ما هو فيه فلذلك قدمت الظلمة على النور «قوله ولا لتأكيد نفى الاستوآء الخ» اعلم ان فعل الاستوآء مثبتا كان او منفيا لايكون الا بين شيئين او اكثر ومن ثمة لزم العطف على فاعله واسناده الى ضمير التثنية او الجمع نحو استويا ولا يستوون فههنا نفى الاستوآء بين الاعمى والبصير بعطف احدهما على الآخر عطف الوتر على الوتر ثم عطف عليهما مجموع الضدين وهما الظلمات والنور عطف الشفع على الشفع فاذا العطف المذكور يفيد انهما لايستويان ايضا وعطف فيه احد الضدين على الآخر عطف الوتر على الوتر ثم عطف عليهما مجموع الضدين الآخرين وهما الظل والحرور عطف شفع على شفع وعطف احدهما على الآخر عطف وتر على وتر فاذا العطف يفيد عدم استوآئهما ايضا ولا حاجة في افادة العطف هذا المعنى الى كلمة لا لا بين المعطوف عطف شفع على شفع وبين المعطوف عليه ولا بين المعطوفين عطف وتر على وتر وهذا ظاهر لان العاطف يقوم مقام العامل وهو الفعل المنفي فانه لو عطف الشفع على الشفع بان قيل والظلمات

وقرئ ذو قربى على حذف الخبر وهو اولى من جعل كان تامة فانها لاتلائم نظم الكلام (انما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب) غائبين عن عذابه او عن الناس في خلواتهم او غائبا عنهم عذابه (واقاموا الصلاة) فانهم المنتفعون بالانذار لاغير واختلاف الفعلين لما مر (ومن تزكى) ومن تطهر من دنس المعاصي (فانما يتزكى لنفسه) اذ نفعه لها وقرئ ومن ازكى فانما ازكى وهو اعتراض مؤكد لخشيتهم واقامتهم الصلاة لانهما من جملة التزكى (والى الله المصير) فيجازيهم على تزكيتهم (وما يستوى الاعمى والبصير) الكافر والمؤمن وقيل هما مثلان للصنم ولله عز وجل (ولا الظلمات ولا النور) ولا الباطل ولا الحق (ولا الظل ولا الحرور) ولا الثواب ولا العقاب ولا لتأكيد نفى الاستوآء وتكريرها على الشقين لمزيد التأكيد والحرور فعول من الحر غلب على السموم وقيل السموم ما تهب نهارا والحرور ما تهب ليلا

والنور والظل والحرور تفهم ان الضدين الاولين لايستويان وكذا الضدان الاخيران الا انه زيد كلمة لا في قوله ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور ومايستوى الاحياء ولا الاموات لتأكيد النفى ثم بعد ذلك لم يكتف بان قيل ولا الظلمات والنور ولا الظل والحرور ومايستوى الاحياء والاموات كما قيل ومايستوى الاعمى والبصير بدون لا في الشق الثانى وهو شق المعطوف عطف الوترمع ان الظاهر يقتضى ان يقال كذلك لان المساواة لاتكون الابين شيئين فلا يصح ان يقال لايستوى زيد ولا عمرو الا ان يحكم بزيادة لا بعد الواو العاطفة بل كررت كلمة لا مع كل واحد من شق المعطوف والمعطوف عليه لمزيد التأكيد فليقف هذا الاطناب لان هذا المقام قد يخفى على بعض الطلاب قيل وجمع الظلمات لانها عبارة عن الكفر والضلال وطرقهما كثيرة متسعة ووحد النور لانه عبارة عن التوحيد وهو امر واحد فالتفاوت بين كل فرد من افراد الظلمة وبين هذا الفرد الواحد والمعنى الظلمات كلها لايوجد فيها مايساوى هذا الواحد ﴿ قوله ابلغ من الاول ﴾ اى في الدلالة على ضلال الكافر وحرمانه من الوصول الى ماينفعه ويصلح حاله فان الاعمى قد يهتدى الى مقصوده بخلاف الميت فانه محروم منه رأسا ﴿ قوله وقيل للعلماء والجهلاء ﴾ فان تشبيه الجهلة بالاموات شائع ومنه قوله

لاتعجبن لجهول ما بس في حلل ۞ فانه ميت وثوبه كفن

لان الحياة المعتبرة هي حياة الارواح وذلك بالحكم والمعارف وحياة الانسان من حيث انسانيته لاتكون الابها ولاعبرة لحياة الاجساد بدونها لاشتراك البهائم فيها وترشيح الاستعارة اقترانها بما يلائم المستعار منه واعتبر الترشيح مقيسا الى التشبيه حيث قال ترشيح لتمثيل المصرين اى تشبيهم لان الاستعارة لاتكون الابعلاقة التشبيه ولما استعير لفظ الاموات من معناه الحقيقى للكفار وهو كونه موصوفا بمن في القبور رشح بما يلائم معناه الحقيقى وهو المقبورية ووجه كون الترشيح المذكور مبالغة في اقناط رسول الله صلى الله عليه وسلم من اهتدائهم بدعوته ان الترشيح حيث ماوقع تحققت المبالغة في التشبيه من حيث ان الاستعارة تفيد المبالغة في التشبيه فترشيحها بما يلائم المستعار منه يحقق تلك المبالغة ويقويها ﴿ قوله محقين الخ ﴾ يعنى ان قوله بالحق يجوز ان يكون حالا من فاعل ارسلناك اى محقين اوملتبسين بالحق او من مفعوله اى محقا او ملتبسا بالحق وان يكون نعتا لمصدر محذوف اى ارسالا ملتبسا بالحق ومصحوبا به وان يكون متعلقا بقوله بشيرا ونذيرا الا انه لايمكن ان يتعلق بهما معا بل انما يتعلق على طريق التنازع وبانهما يتعلق بمقدر للآخر مايتعلق به ويكون حاصل المعنى ماشار اليه بقوله بشيرا بالوعد الحق ونذيرا بالوعيد الحق ﴿ قوله اهل عصر ﴾ فسر الامة بهذا المعنى لانه المناسب في هذا المقام لان الامة كل جماعة يجمعهم امر يشتركون فيه اما دين واحد او مكان واحد كامة الاجابة او دعوة واحدة كامة الدعوة او طريقة واحدة اوزمان واحد فقوله تعالى وجد عليه امة من الناس يسقون يصلح مثالا لهذه الثلاثة كأنه قيل مامن قرن فيما سلف الامضى فيه من يبشر اهل الطاعة بالجنة وينذر اهل المعصية بالنار الزاما للحجة عليهم وقوله الاخلا فيها نذير خبر عن امة ﴿ قوله او عالم ينذر ﴾ اى ينذر اهل عصر من الامة راو بما بلغه اليهم من امور الدين عن نبيه وهو اشارة الى جواب مايقال الامة الواقعة في زمن الفترة بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام لم يكن فيها نذير فاوجه قوله تعالى وان من امة الاخلا فيها نذير ﴿ قوله والاكتفاء بذكره ﴾ جواب عما يقال لم اكتفى بذكر النذير عن البشير في آخر الآية مع ذكرهما معا ابتداء واجاب عنه بان النذارة والبشارة لما كان كل واحدة منهما من توابع الاخرى ولوازمها من حيث ان كل من ينذر على المخالفة يبشر على الموافقة جاز الاكتفاء باحداهما عن الاخرى ولان المقصود الاهم من البعثة هو الانذار لان الناس لتماديهم في الغفلة والضلال وانهماكهم في اتباع الشهوات واللذات وتقليد الطغاة المصرين على المنكرات كان احتياجهم الى النذير اهم لان التخلية عن الرذائل متقدمة على التحلية بالفضائل وتقريره ان النذير بمعنى المنذر من العذاب اعم من النبى المخبر عن الله تعالى ومن العالم المخبر عن النبى وفترة عيسى عليه الصلاة والسلام لم يزل فيها من هو على دينه وداع الى الايمان وحين ارتحلوا وانقرضوا ولم يبق منهم احد بعث الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم ﴿ قوله كالتوراة والانجيل ﴾ اشارة الى ان المراد بالكتاب المنير ليس مطلق الكتاب ليتحد بالزبر ويعم الصحف وغيرها بل المراد به الكتاب الكبير المنور الموضح لما يحتاجون اليه وهو اربعة التوراة والانجيل والزبور والفرقان والمراد هنا غير الفرقان لان المراد ماجاء به رسل الامم السابقة فلا يكون معنى قوله جاءتهم رسلهم بهذه الثلاثة على هذا التقدير اى على عدم اتحاد الزبر بالكتاب

(ومايستوى الاحياء ولا الاموات) تمثيل آخر للمؤمنين والكافرين ابلغ من الاول ولذلك كرر الفعل وقيل للعلماء والجهلاء (ان الله يسمع من يشاء) هدايته فيوفقه لفهم آياته والاتعاظ بعظاته (وما انت بمسمع من في القبور) ترشيح لتمثيل المصرين على الكفر بالاموات ومبالغة في اقناطه منهم (ان انت الانذير) فاعليك الا الانذار اما الاسماع فلا اليك ولاحيلة لك اليه في المطبوع على قلوبهم (انا ارسلناك بالحق) محقين او محقا او ارسالا مصحوبا بالحق ويجوز ان يكون صلة لقوله (بشيرا ونذيرا) اى بشيرا بالوعد الحق ونذيرا بالوعيد الحق (وان من امة) اهل عصر (الاخلا) مضى (فيها نذير) من نبى او عالم ينذر عنه والاكتفاء بذكره للعلم بان النذارة قرينة البشارة سيما وقد قرن به من قبل اولان الانذار هو المقصود الاهم من البعثة (وان يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات) بالمعجزات الشاهدة على نبوتهم (وبالزبر) وبصحف ابراهيم (وبالكتاب المنير) كالتوراة والانجيل على ارادة التفصيل دون الجمع ويجوز ان يراد بهما واحد والعطف لتغاير الوصفين (ثم اخذت الذين كفروا فكيف كان نكير) اى انكارى بالعقوبة

ان كل واحد منهم جاء بها جميعا ضرورة ان من جاء بالزبر لم يجئ بالكتاب المنير بالمعنى المذكور وكذا من جاء به لم يجئ بالزبر وان جاء كل واحد منهم بالبينات لان كل نبي لابد له من معجزة كما ان الرسول النبي هو اخص منه لابد له من كتاب سماوي سوآء كان من قبيل الصحف او من نحو التوراة والانجيل بل معناه انهم جاؤا بها على التفصيل دون الجمع بان يجيء بعضهم ببعض منها كالبينات والزبر والبعض الآخر ببعض آخر منها كالبينات والكتاب المنير هذا على تقدير الفرق بين الزبر والكتاب واما على تقدير اتحادهما فالمعنى ان كل واحد منهم جاء بجميعهما ولا يكون حينئذ عطف الكتاب على الزبر من قبيل عطف الذات على الذات بل من قبيل عطف الصفات كما في مثل قولك جاءني الآكل والشارب عند اتحاد الموصوف بهما وقوله تعالى جاءتهم رسلهم في موضع النصب على انه حال من المفعول باضمار قد اى كذبوا رسلهم وقد جاءتهم رسلهم بالبينات والاستفهام في قوله تعالى فكيف كان نكير للتقرير فانه عليه الصلاة والسلام علم شدة انكار الله تعالى عليهم فحسن الاستفهام على هذا الوجه في مقام التسلية ﴿ قوله تعالى فاخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها ﴾ التفات من الغيبة الى التكلم لان سوق الآية للحث والتحريض على النظر في عجائب صنعه وآثار قدرته ليجعل ذلك ذريعة الى علمه تعالى بصفات كماله وما يجوز له وما لا يجوز عليه ليؤدي ذلك العلم الى خشيته لان الخشية نتيجة العلم كما اشار اليه استئناف قوله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء كأنه قيل ما وجه التحريض على النظر في دلائل علمه بصفات كماله فاجيب بان ذلك يورث الخشية ولا يخشى منه الا العلماء ولما تقرر ان سوق الآية للحث على النظر في عجائب صنعه عبر عما هو اشمل على مزيد الصنع وكمال القدرة بما هو ادخل في افادة اختصاصه به تعالى وقوله تعالى ثمرات منصوب على انه مفعول به لاخرجنا ومختلفا صفة الثمرات والوانها مرفوع بانه فاعل مختلفا كأنه قيل فاخرجنا به ثمرات مختلف الوانها ومختلفا لما اسند الى ظاهر الجمع المكسر لغير العقلاء جاء تذكيره ولو انث وقيل مختلفة الوانها جاز كما تقول اختلفت الوانها ﴿ قوله اجناسها ﴾ كالرمان والتفاح والتين والعنب ونحوها ولكل منها اصناف معلومة وكيفيات مبصرة يصح تفسير لفظ الالوان بكل واحدة منها لغة وفي الصحاح اللون هيئة كالسواد والحمرة واللون النوع فان فسرت الالوان بالاجناس يكون قوله مختلفا الوانها صفة مؤكدة لثمرات لان الثمرة مع كونها اسم جنس يعم القليل والكثير انما جمعت للدلالة على قصد الانواع فتوصيفها بكونها مختلفة الاجناس انما هو لتأكيد ما دل عليه لفظ الجمع وان فسرت بالاصناف او بما هو من الكيفيات المبصرة تكون صفة مخصصة على معنى فاخرجنا به اجناس الثمار المختلف اصنافها والوانها بمعنى ان كل واحد من تلك الاجناس له اصناف مختلفة واختلاف اجناسها واصناف كل نوع والوانه مع اتفاق الماء والتراب دليل واضح على كمال قدرة صانعه والجدد بضم الجيم وفتح الدال الاولى جمع جدة وهي الطريقة التي يخالف لونها لون ما يليها سوآء كانت في الجبل او في غيره ومنه جدة الحمار وهي الخطة التي في ظهره يخالف لونه والخطة بمعنى الطريقة فعلة بمعنى المخطوط كالغرفة والقبضة وقوله اى ذو جدد اشارة الى ان المبتدأ هو المضاف المحذوف فلما حذف اقيم المضاف اليه مقامه واعرب باعرابه والمعنى في الجبال ما هو ذو جدد تخالف لونها لون الجبل فيؤول المعنى الى ان من الجبال ما هو مختلف الوانه فتلائم القرآئن الثلاث فان ما قبلها فاخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها وما بعدها ومن الناس والدواب والانعام مختلف الوانه اى منهم بعض مختلف فلابد في القرينة المتوسطة بينهما من ارتكاب الحذف ليؤول المعنى الى ما ذكر فيحصل تناسب القرآئن ﴿ قوله جمع جديدة بمعنى الجدة ﴾ وقيل الجدد بضمتين جمع جديد بمعنى الجدة وقيل الجدد بضمتين جمع جديد بمعنى آثار جديدة واضحة الالوان للناظرين غير مختلفة والجدد بفتحتين اسم مفرد بمعنى الطريق الواضح البين الا انه وضع في الآية في قرآءة من قرأ به موضع الجمع اذ المراد الطرآئق والخطوط بقرينة وصفه بالجمع وهو البيض والحمر فان بيض صفة لجدد وحمر عطف على بيض وجدد مبتدأ ومن الجبال خبره قدم عليه وهو الذى سوغ الابتدآء بالنكرة وبيض صفة لجدد ومختلف صفة لجدد ايضا والوانها فاعل مختلف كما مر في نظيره وضمير الوانها للجدد ولا يجوز ان يكون الوانها مبتدأ ومختلف خبرا مقدما عليه والجملة صفة جدد اذ كان يجب ان يقال حينئذ مختلفة لاسنادها الى ضمير المبتدأ ﴿ قوله بالشدة والضعف ﴾ اشارة الى ان المعنى ان كل واحدة من الجدد البيض يخالف لونها لون غيرها بالشدة والضعف مع اشتراك الكل في كونه ابيض فرب ابيض اشد بياضا من ابيض آخر واضعف من آخر وكذا كل واحد من الجدد الحمر تخالف حمرته حمرة الباقين بان يكون اشد منها حمرة او اضعف ويحتمل ان يكون المعنى

(الم تر ان الله انزل من السماء ماء فاخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها) اجناسها او اصنافها على ان كلا منها ذو اصناف مختلفة او هيئاتها من الصفرة والخضرة ونحوهما (ومن الجبال جدد) اى ذو جدد اى خطط وطرآئق فيقال جدة الحمار للخطة السودآء على ظهره وقرئ جدد بالضم جمع جديدة بمعنى الجدة وجدد بفتحتين وهو الطريق الواضح (بيض وحمر مختلف الوانها) بالشدة والضعف

ان الجدد مختلف الوانها بان يكون بعضها ابيض و بعضها احمر فيكون الجدد كلها على لونين بياض وحمرة الا انه عبر عن اللونين بالالوان لتكثر كل منهما باعتبار محالهما و على الاول لاحاجة الى هذا التوجيه ﴿ قوله عطف على بيض او على جدد ﴾ فان كان عطفا على بيض يكون من تفاصيل الجدد كالبيض وان كان عطفا على الجدد لايكون داخلا فى تفصيله بل يكون قسيما اى منها ذو جدد و سود واشار بقوله كأنه قيل الى انه متفرع على قوله او على جدد والغربيب هو الاسود المتناهى فى السواد فيكون تابعا للاسود مثل قان وناصع فى قولهم احمر قان وابيض ناصع والواو فى قول النابغة و المؤمن للقسم و المؤمن اسم فاعل مجرور بها و العائذات الحمائم التى عاذت بمكة و التجأت اليها وضمير يمسحها للطير و الغيل و السند موضعان وجواب القسم فى البيت الذى بعده وهو قوله

ماان اتيت بشئ انت تكرهه ۞ اذن فلارفعت سوطى الى يدى ۞

فكأنه قال والله المؤمن الطير العائذات ماأتيت بشئ انت تكرهه و الاذن فشلت يدى فمفعول المؤمن مضمر هو الطير و الطير المذكور يفسره و العائذات صفة لذلك المضمر لا المذكور لتقدمه عليه ومن حق الصفة ان تتبع موصوفها وقد يضمر الشئ ثم يفسر بماذكر بعده قصدا الى زيادة التأكيد بان يدل على المعنى الواحد من طريق الاظهار و الاضمار جميعا ﴿ قوله وهو تأكيد مضمر ﴾ جواب عما يقال ان الغربيب تأكيد الاسود كما ان القانى تأكيد الاحمر و الناصع تأكيد الابيض ومن حق التأكيد ان يتبع المؤكد فينبغى ان يقال و سود غرابيب كما يقال احمر قان وابيض ناصع فلم قدم التأكيد على المؤكد ٭ واجاب عنه بان ماذكره انما يرد ان لوكان غرابيب تأكيدا لمابعده وليس كذلك بل هو تأكيد لمضمر يفسره مابعده و التقدير وسود غرابيب سود كما ان تقدير البيت و المؤمن الطير العائذات الطير و يفعل ذلك لزيادة التأكيد حيث يدل على المعنى الواحد من طريق الاضمار و الاظهار جميعا ﴿ قوله كاختلاف الثمار والجبال ﴾ اشارة الى ان محل الكاف فى كذلك النصب على انه صفة لمصدر محذوف والمعنى ومن الناس و الدواب و الانعام نوع او صنف او بعض مختلف الوانه اختلافا كائنا كاختلاف الثمرات والجبال على ان قوله تعالى مختلف صفة لموصوف محذوف هو مبتدأ و الجار و المجرور قبله وهو من الناس خبره ولذلك عمل اسم الفاعل ﴿ قوله ولهذا اتبعه الخ ﴾ اى ولكون شرط الخشية ماذكر نزلت هذه الآية تابعة لقوله الم تر ان الله انزل من السماء ماء الى آخر مايدل على افعاله الدالة على كمال قدرته فانه تعالى لماعدد لنبيه صلى الله عليه وسلم اعلام قدرته الباهرة فقد حرضه على النظر فى آياته الدالة على عظمة شأنه وكمال كبريائه ليعرفه بصفات كماله ويخشاه حق خشيته والظاهر انه فصله عماقبله استئنافا جوابا لسؤال نشأ عماقبله فكأنه لماقيل الم تر الخ قال لم تخصصنى بهذا الخطاب فاجيب بانه انما يخشى الله من عباده العلماء لان العلم المترتب على النظر فى الآيات وآثار الصنع انما يحصل فيك وفيمن هو على صفتك فى التفكر و التدبر ﴿ قوله ولواخر انعكس الامر ﴾ اى الحال فكان المعنى العلماء لايخشون الا الله وهو غير مستلزم للمقصود و لانه لاينافى ان يكون غير العلماء خائفا من الله والمقصود حصر الخوف من الله تعالى فى العلماء والمعنى الآخر وان جاء فى التنزيل فى قوله تعالى لايخشون احدا الا الله لكن ليس هو الغرض فى هذا المقام ﴿ قوله فان المعظم يكون مهيبا ﴾ اشارة الى وجه تشبيه التعظيم بالخشية من حيث اتحاد تعلقهما فان المعظم لكونه على اكمل الخلق واحسن الاحوال يخاف منه القاصرون فاستعير لفظ الخشية للتعظيم ثم اشتق من الخشية المستعارة لفظ يخشى ﴿ قوله لدلالته ﴾ اى لدلالة قوله ان الله عزيز غفور على عقوبة العصاة ومغفرة التائب من ذنبه و القادر على العقوبة و الغفران حقه ان يخشى ٭ فان قلت اى مدخل لقوله تعالى غفور فى الدلالة على انه تعالى يجب ان يخشى مع ان الوصف بالغفران موجب للرجاء دون الخوف ٭ قلت ماذكرته انما يرد اذا ذكر التعرض لصفة الغفران فقط و اما اذاقرن بمايدل على عزته و انتقامه من المسئ فحينئذ يكون المقصود بيان قدرته الكاملة وانه يفعل مايشاء وهذه الصفة توجب الخوف ﴿ قوله يداومون قرآءته اومتابعة مافيه ﴾ اشارة الى ان يتلون يجوز ان يكون مضارع تلاه تلوا بمعنى تبعه و ان يكون مضارع تلاه تلاوة بمعنى قرأه وحمل يتلون على الاستمرار اخذا من كون ماعطف عليه مخالفا حيث كان على صيغة الماضى وهو قوله واقاموا الصلاة وانفقوا ولولا ذلك القصد اى قصد الاستمرار لجيء به ماضيا كما فى قوله تعالى و اقاموا الصلاة و انفقوا وكون المقام مقام المدح يؤيد كون الفعل محمولا على الاستمرار فانك اذاقلت فى مقام المدح فلان يطعم الجائعين ويعين المضطرين فاعا تريدان شأنه ودبدبه ذلك ولم يقصد الدلالة على الاستمرار

(وغرابيب سود) عطف على بيض او على جدد كأنه قيل ومن الجبال ذو جدد مختلفة اللون ومنها غرابيب متحدة اللون وهو تأكيد مضمر يفسره فان الغربيب تأكيد للاسود ومن حق التأكيد ان يتبع المؤكد ونظير ذلك فى الصفة قول النابغة شعر

والمؤمن العائذات الطير يمسحها ٭
ركبان مكة بين الغيل والسند ٭

وفى مثله مزيد تأكيد لمافيه من التكرير باعتبار الاضمار والاظهار (ومن الناس والدوابّ والانعام مختلف الوانه كذلك) كاختلاف الثمار والجبال (انما يخشى الله من عباده العلماء) اذ شرط الخشية معرفة المخشى والعلم بصفاته وافعاله فمن كان اعلم به كان اخشى منه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم انى اخشاكم لله واتقاكم له ولهذا اتبعه ذكر افعاله الدالة على كمال قدرته وتقديم المفعول لان المقصود حصر الفاعلية ولو اخر انعكس الامر وقرئ برفع الله ونصب العلماء على ان الخشية مستعارة للتعظيم فان المعظم يكون مهيبا (ان الله عزيز غفور) تعليل لوجوب الخشية لدلالته على انه معاقب للمصرّ على طغيانه غفور للتائب عن عصيانه (ان الذين يتلون كتاب الله) يداومون قرآءته او متابعة مافيه حتى صارت سمة لهم وعنوانا

في اقامة الصلاة و الانفاق لان المراد بهما اقامة الصلوات الخمس و ايتاء الزكاة و هما لكونهما موقتين باوقات معينة لا يتصور الاستمرار فيهما ﴿ قوله فيكون ثناء على المصدقين ﴾ يعني على تقدير كون المراد بكتاب الله جنس كتب الله تكون الآية مرتبطة بقوله تعالى وان يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم الى قوله ثم اخذت الذين كفروا اقتص به حال المكذبين من الامم المتقدمين ثم اثنى بهذه الآية على المصدقين منهم كأنه قيل ارسل الى كل امة رسولا ينذرهم صاروا فريقين منهم من كذب رسولهم فاهلكم ومنهم من صدقه فاولئك يرجون تجارة لن تبور و على تقدير ان يكون المراد بكتاب الله القرآن تكون مرتبطة بقوله انما يخشى الله من عباده العلماء بين اولا ان العلم بصفات الله وافعاله يورث الخشية ثم بين ثواب العاملين بكتاب الله العاملين بما فيه وفي الآيتين اشارة الى ان اول الواجب على المكلف النظر في مصنوعات الله ليؤديه ذلك النظر الى علمه تعالى بصفاته وافعاله ثم يؤدي ذلك العلم الى الخشية التي هي عمل القلب ثم ان تلك الخشية تؤدي الى الذكر باللسان الذي هو افضله واجمعه تلاوة القرآن ثم يؤدي ذلك الذكر الى العمل بالجوارح الذي هو افضله واجمعه اقامة الصلاة وهذه العبادات الثلاث هي المتعلقة بالقلب واللسان والجوارح كلها من قبيل تعظيم امر الله تعالى وبقي من الاعمال الدينية ما يكون من قبيل الشفقة على عباد الله فان رجاء الله انما يتم بالشفقة على المحتاجين من خلقه واشير اليه بقوله وانفقوا مما رزقناهم مع ان الاقامة التي هي ايتان الشيء مستقيما مستجمعا لجميع ماله مدخل في حسنه وكماله يغني عن التعرض لما يدل على استمراره فان اقامة الصلاة والزكاة انما تحصل بالمواظبة عليهما في اوقاتهما المعينة لهما ﴿ قوله تعالى سرا وعلانية ﴾ مصدران في موضع الحال بتقدير مسرين ومعلنين اي غير قاصدين واحدا منهما بعينه في انفاقهم بل يقصدون به مجرد المعاملة مع خلق الله بالشفقة والاحسان كيف ما تيسر فان تيسر سرا فذاك والا فعلانية ولا يمنعه عنه ان انفاق العلانية رياء فان ترك الخير مخافة الرياء هو عين الرياء فعلى هذا يكون المقصود من العطف الدلالة على ان المقصود الحث على الانفاق مطلقا كيف ما تيسر وعلى قول الاخير يكون العطف لتقسيم الانفاق الى الفرض والنفل والحث على كل واحد منهما ويكون تعيين كل واحد من القسمين بما خص به من الوصف اشارة الى ان الاولى والمستحب في الصدقة المسنونة الاخفاء وفي المفروضة الاعلان كما ان المستحب في الصلاة المفروضة اعلانها وفي النافلة اخفاؤها ﴿ قوله تحصيل ثواب بالطاعة ﴾ اشارة الى ان التجارة استعارة للمعاملة مع الله تعالى لنيل ثوابه شبه تلك المعاملة بالتجارة وهي معاملة الخلق بعضهم لبعض بالبيع والشراء لنيل الربح والمعنى انهم يرجون بما اتوا من الطاعات المذكورة متاجرة الله تعالى ونيل ثوابه متاجرة لن تبور بضياع رأس المال بالهلاك او بالكساد بل يروج ويربح منها صاحبها ارباحا كثيرة وقوله يرجون اشارة الى انهم لا يجزمون بنفاق تجارتهم ولا يقطعون به بل يخافون ان لا يقبل ما اتوا به ففي الآية اشارة الى بطلان قول من قال انه يجب على الله تعالى ان يقبل طاعة عبده ويثيبه عليها ﴿ قوله اي ينتفي عنها الكساد ﴾ والبور في الاصل الهلاك وفسر قوله لن تبور بقوله لن تكسد ثم فسر انتفاء الكساد عنها بنفاقها عند الله بحمل كل منهما على الكناية فان انتفاء البور لازم لانتفاء الكساد وكذا انتفاء الكساد لازم النفاق والرواج بجعل لن تبور كناية عن لازمه وهو لن تكسد ولن تكسد كناية عن لازمه ايضا وهو تنفق فيكون قوله تنفق بهذا الاعتبار مدلول قوله لن تبور فكأنه قيل يرجون بما اتوا تجارة نافقة عند الله تنفق ليوفيهم بنفاقها فيكون نفاق طاعة العبد عنده تعالى معللا بتوفية اجر عمله لانه تعالى قيدها بذلك وهو معنى لام التعليل في ليوفيهم على تقدير تعلقها بمدلول لن تبور واما على تقدير تعلقها بمدلول الافعال المتقدمة فمعنى كون التوفية علة لها كونها غرضا لفاعل تلك الافعال من فعلها اي فعلوا جميع ذلك لهذا الغرض ووجب ان يعلم ان تعلقها بنفس الافعال المتقدمة انما هو على تقدير ان يكون قوله تعالى يرجون حالا لانه ان كان خبر ان لا يجوز ذلك احترازا عن الفصل بين العامل ومعموله بالاجنبي وعلى تقدير كونه حالا يكون الفاصل اجنبيا من العامل واما اذا تعلقت بمحذوف دلت عليه تلك الافعال فيجوز ان يكون يرجون حينئذ حالا وخبرا لعدم المحذور فيهما بجعل اللام على تقدير تعلقها بيرجون لام العاقبة لان غرضهم فيما فعلوا هو التجارة النافقة عند الله تعالى لا غير لان التعريف بالموصولية هناك للايماء الى وجه ثبات الخبر ثم جعل ذلك الايماء ذريعة الى تحقق الخبر اي جعله محققا ثابتا ولما ادى ذلك الغرض الى ان يوفيهم الله اجورهم اتى باللام ﴿ قوله علة لمدلوله ﴾ اي مدلول لن تبور فان التجارة اذا كانت

والمراد بكتاب الله القرآن او جنس كتب الله فيكون ثناء على المصدقين من الامم بعد اقتصاص حال المكذبين (واقاموا الصلاة وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية) كيف اتفق من غير قصد اليهما وقيل السر في المسنونة والعلانية في المفروضة (يرجون تجارة) تحصيل ثواب بالطاعة وهو خبر ان (لن تبور) لن تكسد ولن تهلك بالخسران صفة التجارة وقوله (ليوفيهم اجورهم) علة لمدلوله اي ينتفي عنها الكساد وتنفق عند الله ليوفيهم بنفاقها اجور اعمالهم

غيرها لكة وكاسدة عند الله تدل على انها نافقة عند الله مقبولة عنده وقوله ليوفيهم اجورهم متعلق بهذا المدلول كأنه قيل ان التالين والمقيمين والمنفقين راجون تجارة غير هالكة ولا كاسدة عنده تعالى بل تنفق عنده ليوفيهم جزآء اعمالهم ولا تتعلق اللام بنفس لن تبور لان الامر العدمى لايكون علة حاملة للفاعل على الفعل ولا معلولا مرتبا عليه فى الخارج ﴿ قوله اوكمدلول ماعدّ من افعالهم ﴾ اى ولايجوز ان تكون اللام متعلقة بكل واحد من الافعال الثلاثة لان المعمول الواحد لايتوارد عليه عوامل متعددة ولايجوز تعلقها بها الاعلى سبيل التنازع واعمال واحد منها واضمار معمول غيره او حذفه كما هو المذكور فى كتب النحو فالاحسن ان تعلق بمدلول تلك الافعال اى فعلوا ليوفيهم بل لايجوز تعلقها بنفس الافعال الثلاثة المذكورة على سبيل التنازع على تقدير ان يكون قوله تعالى يرجون خبر ان لانه يستلزم ان يقع الفصل بين العامل ومعموله بالاجنبى لان خبر ان لايكون فى حيز شئ من تلك الافعال فيكون اجنبيا منها فلابدّ ان تكون متعلقة بمحذوف دل عليه تلك الافعال اى فعلوا جميع ذلك لهذا الغرض ﴿ قوله اوعاقبة ليرجون ﴾ عطف على قوله علة لمدلوله بجعل اللام على تعلقها بيرجون لام العاقبة لان رجاء التجارة النافقة عند الله تعالى هو لاجل ان يوفيهم ثواب اعمالهم وليس الاوّل حاصلا بالثانى ويجوز ان يكون التوفية عاقبة لرجائهم وقوله احقه مصدقا يعنى ان قوله مصدقا حال مؤكدة من مفعول احقه المقدر المدلول عليه بقوله هو الحق ﴿ قوله ويرجون حال من واو وانفقوا ﴾ لم يجعله حالا من فاعل الافعال الثلاثة التى هى يتلون واقاموا وانفقوا لئلا يجتمع على معمول واحد عوامل بل جعله متعلقا بتلك الافعال على سبيل التنازع واعمال الاقرب وعلى تقدير ان يكون قوله انه غفور شكور خبر ان لابدّ فيهما من العائد فقدّره بقوله لفرطاتهم والشكر فى حق العباد صرف كل واحد من اللسان والجنان والجوارح الى طاعة المنعم وفى حقه تعالى المجازاة على طاعة العباد والشكور من ابنية المبالغة ووجهها انه تعالى يقبل القليل من طاعة عباده فيضاعف لهم الجزآء والعيار المعيار الذى يقاس به غيره ويسوّى فان القرآن لكونه معجزا فى نفسه يكون دليلا على التصديق بانه وحى الهى فاذا وجد الوحى ونزل على محمد صلى الله عليه وسلم علم المجازه وصدق ماتقدم من الكتب وعلم من تقرير المصنف ان قوله تعالى ان الله بعباده لخبير بصير استئناف جيء به تعليلا للايحاء اليه فان من كان خبيرا بالبواطن بصيرا بالظواهر اذا خص احدا برسالته والايحاء اليه يكون ذلك حقا مبنيا على استحقاق الموحى اليه لذلك فهو كقوله تعالى الله اعلم حيث يجعل رسالاته وقوله بين يديه معناه بين الجهتين المحاذيتين لليدين فهو ظرف للمكان ثم يستعار للزمان المتقدم تشبيها للزمان بالمكان ﴿ قوله حكمنا بتوريثه منك او نورثه ﴾ فعلى هذين الوجهين يكون اورثنا عطفا على اوحينا ويكون المراد من الذين يتلون كتاب الله مؤمنى هذه الامة ويراد بالكتاب القرآن والمعنى اوحينا اليك القرآن ثم حكمنا بعدك بتوريثه اووضع الماضى موضع المستقبل وعبر عنه بالماضى لكونه محقق الوقوع وعلى التقديرين يظهر كون المعطوف متراخيا من المعطوف عليه مع كونه ماضيا بالنسبة الى زمان الوحى فان حكمه تعالى بتوريث القرآن منه من صفاته الازلية ومتراخ عن مضمون قوله اوحينا اليك بمعنى استبعاد مضمون الحكم بتوريثه منه عن مضمون وحيه اليه قال نجم الدين الرضى فى شرحه للكافية وقد يجيء ثم فى عطف الجمل خاصة لاستبعاد مضمون مابعدها عن مضمون ماقبلها وعدم مناسبته له كما فى قوله استغفروا ربكم ثم توبوا اليه فان بين توبة العبد وهى انقطاع العبد اليه بالكلية وبين طلب المغفرة بونا بعيدا وهذا المعنى فرع التراخى ومجازه انتهى كلامه واجاب ثانيا بان اورثنا بمعنى نورثه الاانه وضع الماضى وضع المستقبل تنزيلا لماسيكون منزلة الكائن لكونه محقق الوقوع كقوله تعالى ونادى اصحاب الاعراف واجاب ثالثا بان اورثنا على حقيقته بناء على انه ليس المراد توريث القرآن بعده عليه الصلاة والسلام المؤمنين من امته بل المراد توريث جنس الكتب من الامم السالفة وقوله حكمنا بتوريثه منك او نورثه جواب عما يقال الظاهر ان قوله تعالى ثم اورثنا عطف على اوحينا وان كلة ثم تقتضى التراخى فى الزمان كأن يقال ثم نورثه بعدك المصطفين فالمعنى يجيء اورثنا على لفظ الماضى واجاب اوّلا بان ايراث الكتاب المصطفين بمعنى اعطائه اياهم كاعطاء الارث للوارث من غير كد وتعب فى طلبه وان لم يكن ماضيا بالنسبة الى زمان نزول الآية فكان الظاهر ان يقال ثم نورثه الاانه قيل اورثنا على لفظ الماضى بناء على ان المراد بالايراث الحكم بتوريثه منه عليه الصلاة والسلام والحكم متقدم على زمان نزول الآية فلذلك حكى واورثنا بلفظ الماضى وعطف على

او لمدلول ماعدّ من افعالهم نحو فعلوا ذلك ليوفيهم او عاقبة ليرجون (ويزيدهم من فضله) على مايقابل اعمالهم (انه غفور) لفرطاتهم (شكور) لطاعاتهم اى مجازيهم عليها وهو علة للتوفية والزيادة او خبر ان ويرجون حال من واو وانفقوا (والذى اوحينا اليك من الكتاب) يعنى القرآن ومن للتبيين او الجنس ومن للتبعيض (هو الحق مصدقا لما بين يديه) احقه مصدقا لما تقدمه من الكتب السماوية حال مؤكدة لان حقيته تستلزم موافقته اياه فى العقائد واصول الاحكام (ان الله بعباده لخبير بصير) عالم بالبواطن والظواهر فلو كان فى احوالك ماينافى النبوة لم يوح اليك مثل هذا الكتاب المعجز الذى هو عيار على سائر الكتب وتقديم الخبير للدلالة على ان العمدة فى ذلك الامور الروحانية (ثم اورثنا الكتاب) حكمنا بتوريثه منك او نورثه فعبر عنه بالماضى لتحققه او اورثناه من الامم السالفة والعطف على ان الذين يتلون والذى اوحينا اليك اعتراض لبيان كيفية التوريث (الذين اصطفينا من عبادنا) يعنى علماء الامة من الصحابة ومن بعدهم او الامة باسرهم فان الله اصطفاهم على سائر الامم (فمنهم ظالم لنفسه) بالتقصير فى العمل به (ومنهم مقتصد) يعمل به فى اغلب الاوقات (ومنهم سابق بالخيرات باذن الله) بضم التعليم والارشاد الى العمل وقيل الظالم الجاهل والمقتصد المتعلم والسابق العالم وقيل الظالم المجرم والمقتصد الذى خلط الصالح بالسيء والسابق الذى رجحت حسناته بحيث صارت سيئاته مكفرة وهو معنى قوله عليه الصلاة والسلام اما الذين سبقوا فاولئك يدخلون الجنة بغير حساب واما الذين اقتصدوا فاولئك يحاسبون حسابا يسيرا واما الذين ظلموا انفسهم فاولئك يحبسون فى طول المحشر ثم يتلقاهم الله برحمته وقيل الظالم الكافر على ان الضمير للعباد وتقديمه لكثرة الظالمين ولان الظلم بمعنى الجهل والركون الى الهوى مقتضى الجبلة والاقتصاد والسبق عارضان (ذلك هو الفضل الكبير) اشارة الى التوريث او الاصطفاء او السبق

(اوحينا)

او حينا بكلمة التراخى الا ان تلك الكلمة لايجب ان تكون للتراخى الزمانى البتة بل قد تكون لاستبعاد مضمون الجملة المعطوفة عن مضمون ماقبلها كما فى هذا المقام فيكون مضمون الحكم بتوريثه منه مستبعدا عن مضمون الايحاء اليه وعلى قوله اوورثناه من الامم السالفة يكون معطوفا على قوله ان الذين يتلون كتاب الله كما صرح به فيكون المراد بالذين يتلون اهم من مؤمنى هذه الامة وبالكتاب جنس كتب الله وبالذين اصطفينا هذه الامة ويكون اورثنا ماضيا محمولا على ظاهره والمعنى ثم اورثنا هذا الكتاب الكريم هذه الامة بعد اعطاء تلك الامم الزبر والكتاب المنير ووجه انتظام الآيات بعضها ببعض انه تعالى اخبر اولا بانه مامن امة الا خلا فيها نذير مؤيد بالبينات والزبر والكتاب المنير ثم بين ان تلك الامم تفرقوا فرقتين فرقة كذبوا رسلهم وماجاؤا به واليه اشار بقوله فقد كذب الذين من قبلهم الآية وفرقة صدقوهم وآمنوا بهم وتلوا كتاب الله وعملوا بمقتضاه واليه اشار بقوله ان الذين يتلون كتاب الله الآية ثم عطف على هذه القصة قوله ثم اورثنا الكتاب بكلمة ثم الدالة على التراخى وبلفظ الماضى فى اورثنا لان ايراث الكتاب لهذه الامة متراخ عن ارسال النذر فى كل امة على الطريق المذكور فان الايراث المذكور سابق وماض بالنسبة الى نزول هذه الآية فصح ايراد ثم مقرونة بصيغة الماضى فعلى هذا يكون قوله تعالى والذى اوحينا اليك اعتراضا بين المعطوف والمعطوف عليه لبيان ان توريث جنس الكتاب لهذه الامة انما هو حال كونه حقا مصدقا لما بين يديه ومعنى اورثنا اعطينا لان الميراث اعطاء قاله مجاهد بمعنى اورثنا استعارة تبعية شبه اعطاء الكتاب اياهم من غير كد وتعب فى وصوله اليهم بتوريث الوارث فقوله الذين اصطفينا مفعول اول لاورثنا والكتاب مفعوله الثانى قدم لشرفه اذلا لبس وقيل اورثنا بمعنى اخرنا ومنه الميراث لتأخره عن الميت والمعنى اخرنا القرآن عن الامم السالفة واعطيناكموه واهلناكم له وكلمة من فى قوله من عبادنا يجوز ان تكون للبيان على معنى ان المصطفين هم عبادنا وان تكون للتبعيض اى ان المصطفين بعض عبادنا لاكلهم ويؤيد الاول ماروى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال يريد بالعباد امة محمد صلى الله عليه وسلم فالمعنى ثم اعطينا القرآن بعد الوحى اليك عبادنا المصطفين وهم امتك المسلمون فان الله تعالى اصطفاهم على سائر الامم وجعلهم امة وسطا اى خيارا اهلا للشهادة على سائر الامم يكون هذا القرآن بينهم حكما واماما لهم الى يوم القيامة اكراما لهم وافضالا ثم قسمهم الى ثلاث طبقات فقال فمنهم ظالم لنفسه الآية مع كونهم مشرفين بشرف الاصطفاء والاضافة فى قوله تعالى من عبادنا لان منشأ ذلك الشرف كونهم امة الاجابة لدعوة اشرف الرسل صلى الله عليه وسلم والمعصية لاتخرجهم من ذلك وعلى قول من يقول المراد بالظالم هو الكافر بقرينة انه تعالى اطلق لفظ الظالم فى كثير من المواضع على الكافر وسمى الشرك ظلما عظيما لايكون التقسيم امة الاجابة ولايرجع ضمير منهم الى الموصول ولاتكون كلمة من للبيان بل للتبعيض ولاتكون الاضافة فى عبادنا للتشريف المضاف بل لتعظيم المضاف اليه ويكون المراد بالعباد مطلق الخلائق وقوله تعالى سابق بالخيرات اى سابق الى الجنة بالاعمال الصالحة بامر الله تعالى وارادته روى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال الظالم لنفسه هو من مات على كبيرة ولم يتب منها والمقتصد الذى لم يصر على كبيرة كما قال تعالى فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد اى على طريق الحق غير حائد عنه ومنهم سابق اى سبق على الظالم والمقتصد فى الدرجات بسبب الخيرات التى عملها وقال الحسن الظالم الذى ترجحت سيئاته على حسناته والمقتصد الذى استوت حسناته وسيئاته والسابق من رجحت حسناته روى اسامة بن زيد عن النبى عليه الصلاة والسلام قال سابقنا سابق الى الجنة ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له وعنه عليه الصلاة والسلام قال السابق من هذه الامة يدخل الجنة بلاحساب والمقتصد يحاسب حسابا يسيرا ثم يدخل الجنة والظالم يحبس فى طول الحبس حتى يظن ان لن يتجوز فينالهم الرحمة ويدخلون الجنة فهم الذين قالوا الحمد لله الذى اذهب عنا الحزن وعن ابن عباس رضى الله عنهما الظالم اهل الاجرام يغفر لهم والمقتصد اصحاب اليمين يحاسبون حسابا يسيرا والسابق يدخل الجنة بغير حساب وقوله يحلون فيها اشارة الى ان الاحسان بدخول الجنة امر واكمل من الاحسان بالتحلية حيث قال يدخلونها اولا وفيها تقع تحليتهم وتخصيص الاساور من بين وجوه زينة الجنة لكونها ادل على ان الجنة دار التنعم والاستراحة لان كثير الاعمال تحصل بالايدى فاذا حليت بالاساور علم الفراغ من الاعمال مع ان مطلق التحلى لايجامع الابتذال والاشتغال بنحو الطبخ وغسل الثياب فان التحلى يكون لمعنيين احدهما اظهار كون المتحلى فارغا مستغنيا عن الابتذال بالخدمة وثانيهما اظهار استغنائه عما يعد من الحوائج الاصلية للانسان وعما يطلب

(جنات عدن يدخلونها) مبتدأ وخبر والضمير للثلاثة او للذين او للمقتصد والسابق فان المراد بهما الجنس وقرئ جنة عدن وجنات منصوبة بفعل يفسره الظاهر وقرأ ابو عمرو يدخلونها على بناء المفعول (يحلون فيها) خبر ثان او حال مقدرة وقرئ يحلون من حليت المرأة فهى حالية (من اساور من ذهب) من الاولى للتبعيض والثانية للتبيين

زيادة التنعم والترفه في اسباب المعاش وذلك لان التحلي لايكون الا بالاشياء العزيزة الوجود وباستعمالها في غير موضع الحاجة وذلك يدل على انه لوكان له حاجة الى مالابد منه او يكون له مدخل في زيادة تنعمه لصرفه الى ذلك فذكر التحلي كناية من هذا الاستغناء واشار الزمخشري الى ان من تبعيضية لجعل مجرورها في معنى النكرة فيفيد التعظيم كما تفيد النكرة فالمعنى يحلون فيها بعض من الاساور سابق على سائر افراد الاسورة في الشرف كما سبق المسوّرون بهذا البعض على غيرهم ﴿قوله عطف على ذهب﴾ فان غير نافع وعاصم من السبعة قرأوا ولؤلؤ بالخفض عطفا على ذهب فيكون بيانا للاساور ايضا ومعنى كون الاساور من ذهب ولؤلؤ تركبهما من هذين الجنسين حقيقة بان تصنع من ذهب مرصع باللؤلؤ او كونها مصوغة من ذهب في صفاء اللؤلؤ فكأنها مصوغة منهما ﴿قوله او همهم من اجل المعاش﴾ يعني ان المراد حزن الدنيا وما كان فيها من الاهتمام في تحصيل اسباب المعاش من المأكل والملبس والمسكن والحزن بالضم والسكون والحزن بفتحتين لغتان بمعنى واحد كالبخل والبخل والعامة قرأوه بفتحتين يعني انهم اذا دخلوا الجنة يقولون ذلك لانهم لما اكرموا بدار الكرامة والنعيم المقيم الذي لايزول ولايفنى ابدا وقد بانوا وقاسوا والآن قد اذهب الله تعالى بفضله جميع ذلك عنهم واكرمهم بالملك الدائم والنعيم المؤبد فبالضرورة حمدوا من فضلهم بهذه الكرامة الجليلة القدر ﴿قوله تعالى الذي احلنا﴾ اي انزلنا دار المقامة مفعول ثان لاحلنا لاظرف له والا لوجب ان يتعدى اليه الفعل بكلمة في لانه مكان محدود والمقامة مصدر ميمي بمعنى الاقامة لان المصدر الميمي من المزيد يكون على صيغة المفعول كالمدخل والمخرج والممزق وفي قوله دار المقامة اشارة الى ان الجنة دار الخلود التي لايتحوّل عنها ابدا من دخلها ولايموت بخلاف الدنيا فانها منزلة ينزلها المكلف ويرتحل عنها الى منزلة القبور ومن القبور الى منزلة العرصة التي فيها الجمع ومنها التفريق الى الجنة والى النار وقد تكون النار لبعضهم منزلة الانتقال واما الجنة فهي دار الاقامة مطلقا وكذا النار لاهلها ومن فضله يتعلق باحلنا ومن اما للعلة واما لابتداء الغاية اي انزلنا بتفضله لاباعمالنا واستحقاقنا لان العمل منقطع زائل وثواب الجنة دائم لايزول ولاسيما ان العمل لايعادل عشر عشر النعم السابقة فكيف يستحق به العبد النعم الآجلة ﴿قوله لايمسنا﴾ حال من المفعول الاوّل لاحلنا او الثاني لان الجملة مشتملة على ضمير كل واحد منهما الا ان الاوّل اظهر ﴿قوله اذلاتكليف فيها ولاكد﴾ استدلال بنفي السبب وهو التعب والمشقة على نفي المسبب وهو الفتور والكلال الناشئ عنه ولما ورد انه ما الفائدة في نفي اللغوب اصالة مع ان انتفاءه يعلم من نفي النصب اذا انتفى لان انتفاء السبب يستلزم انتفاء المسبب ضرورة فاذا قيل لم آكل يعلم منه انتفاء الشبع فلاحاجة بعده الى نفي الشبع اجاب عنه بان انتفاء التابع وان كان يعلم من نفي المتبوع لكنه نفاه بعد ذلك قصدا للمبالغة في بيان انتفائه وقيل النصب تعب البدن واللغوب تعب النفس ونفي احدهما لايدل على انتفاء الآخر واللغوب مصدر لغب يلغب لغوبا اذا اعيى وقرئ اللغوب بفتح اللام وفيه وجهان احدهما مصدر ايضا كالقبول والولوع والثاني صفة لمصدر محذوف اي لايمسنا فيه لغوب لغوب كانه يصف اللغوب بانه قد لغب اي اعيى وتعب على المبالغة كقولهم موت مائت وشعر شاعر ﴿قوله تعالى والذين كفروا لهم نار جهنم﴾ عطف على قوله ان الذين يتلون كتاب الله وما بينهما يتعلق بالذين يتلون كتاب الله وقدمر ان المراد بهم اما مؤمنوا هذه الامة والكتاب القرآن او المصدقون من الامم السابقة والكتاب جنس كتب الله فعلى الاوّل بين الله تعالى ثواب اهل الخشية الذين زادت خشيتهم بالمواظبة على تلاوة القرآن والعمل بما فيه من اقامة الصلاة والانفاق على ذوي الحاجة ثم شرع في بيان وعيد اضدادهم وهم المكذبون وعلى الثاني اثنى الله تعالى على المصدقين من الامم السابقة بعد اقتصاص حال المكذبين منهم في الدنيا ثم بين حال هؤلاء المكذبين في الآخرة بعطف هذه الجملة على جملة ان الذين يتلون الآية على تقدير ان يراد منهم مؤمنوا هذه الامة ومن الكتاب القرآن وان كان المراد منهم المصدقين من الامم وبالكتاب الجنس يكون هذا عطفا على قوله ثم اورثنا بيانا لوعيد الظالمين من هذه الامة بعد الفراغ من وعد الموفقين والمصطفين من عباده ﴿قوله لايحكم عليهم بموت ثان﴾ اشارة الى ان قوله لايقضى من قضى بمعنى حكم كما في قوله تعالى وقضى ربك الاتعبدوا الا اياه وفي الصحاح وقد يكون القضاء بمعنى الفراغ كما يكون بمعنى الحكم تقول قضيت حاجتي وضربه فقضى عليه اي قتله كانه فرغ منه وسم قاض اي قاتل وقضى نحبه اي مات والنصب المدة والوقت انتهى كلامه وقوله فيموتوا منصوب بحذف النون جوابا للنفي بان مضمرة فان المضارع ينصب بان مضمرة بعد الفاء بشرطين

(ولؤلؤ) عطف على ذهب اي من ذهب مرصع باللؤلؤ او من ذهب في صفاء اللؤلؤ ونصبه نافع وعاصم عطفا على محل من اساور (ولباسهم فيها حرير وقالوا الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن) همهم من خوف العاقبة او همهم من اجل المعاش وآفاته او من وسوسة ابليس وغيرها وقرئ الحزن (ان ربنا لغفور) للمذنبين (شكور) للمطيعين (الذي احلنا دار المقامة) دار الاقامة (من فضله) من انعامه وتفضله اذلاواجب عليه (لايمسنا فيها نصب) تعب (ولايمسنا فيها لغوب) كلال اذ لاتكليف فيها ولا كد اتبع نفي النصب نفي مايتبعه مبالغة (والذين كفروا لهم نار جهنم لايقضى عليهم) لايحكم عليهم بموت ثان (فيموتوا) فيستريحوا ونصبه باضمار ان وقرئ فيموتون عطفا على يقضى كقوله ولايؤذن لهم فيعتذرون (ولايخفف عنهم من عذابها) بل كلما خبت زيد استعارها

احدهما كونها سببية والثانى ان يكون قبلها امر او نهى او استفهام او نفى او تمن او عرض وقد وقعت الفاء هنا بعد النفى فنصب يموتوا بحذف النون كما فى قولك ماتأتينا فتحدثنا اى مايكون منك اتيان ولا حديث انتفى السبب وهو الاتيان فانتفى مسببه وهو الحديث ووجه القراءة باثبات النون رفعه عطفا على يقضى وادخاله فى حكم النفى اى لايقضى عليهم فلا يموتون اى انتفى الامران معا كقوله تعالى ولا يؤذن لهم فيعتذرون اى فلا يعتذرون ورجحت قراءة الجمهور لان فيها انتفى القضاء عليهم من حيث انه سبب الموت واذا انتفى السبب فالمسبب اشد انتفاء وفى قراءة الرفع نفى الامران جميعا مع قطع النظر عن السببية فالاول ابلغ والجملة تفيد التأكيد وتشير الى الفرق بين عذاب الدنيا والآخرة فان عذاب الدنيا لايدوم وان دام يتخلص المعذب منه بالموت وان لم يمت يعتاده البدن بان يقصد مزاجه بحيث لايحس بالعذاب ﴿ قوله مثل ذلك الجزآء ﴾ اشارة الى ان محل الكاف فى كذلك النصب على انه صفة مصدر محذوف اى جزآء مثل ذلك الجزآء ﴿ قوله يتعلون من الصراخ ﴾ اصل يصطرخون يصترخون ابدلت التاء طاء لمناسبة بين الصاد والطاء لانهما حرفا اطباق وحرفا استعلاء وحمل يصطرخون على المجاز حيث فسر قوله يستغيثون على طريق اطلاق المطلق على المقيد فان الصراخ كما ذكره رفع الصوت اى باى وجه كان واستعمل فى رفع الصوت مطلقا والاستغاثة فهو طلبا الغوث ﴿ قوله ربنا اخرجنا ﴾ مقول قول مضمر وذلك القول ان شئت قدرته فعلا مفسرا ليصطرخون اى يقولون فى صراخهم ربنا اخرجنا من النار وان شئت قدرته حالا من فاعل يصطرخون اى قائلين ربنا ﴿ قوله وانهم كانوا ﴾ عطف على قوله بان استخراجهم يعنى ان مرادهم من قولهم غير الذى كنا نعمل العمل الصالح لكنهم جعلوا الغير صفة للعمل الصالح فانهم ارادوا العمل صالحا آخر غير العمل الصالح الذى كنا نعمله فى الدنيا اشعارا منهم بانهم لم يعملوا ماعملوه فى الدنيا الا يحسبانهم انه عمل صالح فالآن تبين عندنا الصالح من الطالح فاخرجنا منها نعمل غير الذى كنا نحسبه فى الدنيا صالحا فنعمله ﴿ قوله جواب من الله وتوبيخ لهم ﴾ اى يقول الله لهم مجيبا ذلك على وجه التوبيخ والتقريع قيل هذا الزام الحجة عليهم بالعقل والسمع فان التذكر من باب العقل والانذار من باب السمع وما فى قوله مايتذكر نكرة موصوفة اى اولم نجعل لكم من العمر فى الدنيا شيأ او عمرا او مقدارا يتذكر ويتعظ فيه بالكتب ومقالات الرسل من اراد ان يتذكر عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعذر الله الى امرئ اخر اجله حتى بلغ ستين سنة وفى النهاية اى لم يبق فيه موضعا للاعتذار حيث امهله طول هذه المدة ولم يعتذر كأنه جعل همزة اعذر اليه للسلب اى سلب عذره ولم يقبل منه عذره كأنه رماه به وجعل قوله تعالى وجاءكم النذير معطوفا على معنى اولم نعمركم لانه لايصح العطف على لفظه لاختلافهما خبرا وانشاء ويقال الشيب نذير الموت وفى الحديث مامن شعرة تبيض الاقالت لاختها استعدى فقد قرب الموت ﴿ قوله والعطف ﴾ جواب عما يقال قوله تعالى وجاءكم النذير لايصح عطفه على قوله اولم نعمركم لاختلافه خبرا وانشاء ولا على قوله نعمركم بان يكون داخلا فى حيز الاستفهام الانكارى ايضا لعدم صحة المعنى ولا على نعمركم لان لم لايدخل على صريح الماضى واجاب عنه بانه معطوف على معنى اولم نعمركم لان الاستفهام فيه للانكار اى انكار عدم التعجب من التعمير فكأنه قيل عمرناكم وجاءكم نذير ونظيره قوله تعالى الم نشرح لك صدرك ثم قال ووضعنا لانه فى معنى قد شرحنا ووضعنا لان معنى الاستفهام التقرير ﴿ قوله تعالى فذوقوا ﴾ امر اهانة وهذه الآية تؤيد قول من حمل قوله تعالى فمنهم ظالم لنفسه على الكافر لانه ختم وعيد الكافر بتسميتهم هذا الاسم وظلمهم انهم وضعوا اعمالهم واقوالهم وحياتهم فى غير موضعها قيل قوله تعالى ان الله عالم غيب السموات والارض استئناف فى معرض التعليل لدوام عذاب الكافر مع ان الله تعالى قال جزآء سيئة سيئة مثلها ولا يزاد عليها والكافر ماكفر بالله الا اياما معدودة فكان ينبغى ان لايعذب الامثل تلك الايام فقال تعالى انه يعلم من الكافر ان الكفر تمكن فى قلبه بحيث لو دام الى الابد لما اطاع الله فلذلك كان جزآء كفره المستوعب مدة عمره مع تصميم عزمه على الاصرار عليه ابدا ان عاش ولم يمت ابدا عذابا مؤبدا والاظهر انه جواب آخر لقولهم ربنا اخرجنا نعمل صالحا كأنه قيل لو رددناكم الى الدنيا لم تعملوا صالحا لانه عالم غيب السموات والارض علل علمه بذلك بقوله انه عليم بذات الصدور فتكون الآية نظير قوله تعالى ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه ﴿ قوله يلقى اليكم مقاليد التصرف ﴾ اى مفاتيحه اشارة الى ان المعنى ان الناس خلفاء الله تعالى فى ارضه استخلفهم فيها بعد ان خلقها مشتملة على جميع مايحتاج اليه اهلها وسلطهم على مافيها من المنافع واسبابها كأنه قال

(كذلك) مثل ذلك الجزآء (نجزى كل كفور) مبالغ فى الكفر او الكفران وقرأ ابو عمرو يجزى على بناء المفعول واسناده الى كل وقرئ يجازى (وهم يصطرخون فيها) يستغيثون يفتعلون من الصراخ وهو الصياح استعمل فى الاستغاثة لجهر المستغيث صوته (ربنا اخرجنا نعمل صالحا غير الذى كنا نعمل) باضمار القول وتقييد العمل الصالح بالوصف المذكور للتحسر على ماعملوه من غير الصالح والاعتراف به والاشعار بان استخراجهم لتلافيه وانهم كانوا يحسبون انه صالح والآن تحقق لهم خلافه (اولم نعمركم مايتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير) جواب من الله وتوبيخ لهم وما يتذكر فيه يتناول كل عمر تمكن المكلف فيه من التفكر والتذكر وقيل مابين العشرين الى الستين وعنه عليه الصلاة والسلام العمر الذى اعذر الله فيه الى ابن آدم ستون سنة والعطف على معنى اولم نعمركم فانه للتقرير كأنه قيل عمرناكم وجاءكم النذير وهو النبى او الكتاب وقيل العقل او الشيب او موت الاقارب (فذوقوا فما للظالمين من نصير) يدفع العذاب عنهم (ان الله عالم غيب السموات والارض) لايخفى عليه خافية فلا يخفى عليه احوالهم (انه عليم بذات الصدور) تعليل له لانه اذا علم مضمرات الصدور وهى اخفى مايكون كان اعلم بغيرها (هو الذى جعلكم خلائف فى الارض) يلقى اليكم مقاليد التصرف فيها وقيل خلفا بعد خلف جمع خليفة والخلفاء جمع خليف

خلقتها على هذا الوجه البديع لالان ترجع اليّ منافعها لاني غنيّ عن العالمين منزه عن شائبة الاحتياج بوجه من الوجوه على وجه يستدعى التنزه عن الاحتياج واني غني عن العالمين بل استخلفكم على هذه النعمة الجليلة لتشكروها بالتوحيد والطاعة فقوله فمن كفر حينئذ من كفران النعمة ومرتب على الاستخلاف والافضال او على قوله وقيل خلفا بعد خلف اى قيل معنى جعلكم خلائف جعلكم خلفا بعد خلف بان يكون اهل كل قرن خليفة من سبقهم والمعنى حينئذ انكم شاهدتم فيمن سبقكم ماينبغى ان يعتبر به من هلاك بعضهم بالطوفان وبعضهم بالصيحة وبعضهم بالريح العقيم وبعضهم بان ارسل عليهم طيرا ابابيل ترميهم بحجارة ونحو ذلك وعلمتم ان ما اصابهم لم يصبهم الا لكفرهم ويستقيم بذلك ان من كفر عليه جزآء كفره فالكفر على هذا الوجه يجوز ان يراد به مايقابل الايمان وان يراد به كفران النعمة ﴿ قوله بيان له ﴾ اى لكون جزآء الكفر ووباله راجعا الى الكافر اقتضى لصاحبه مقت الله الذى هو اهول الشدآئد وخسار الآخرة الذى هو نهاية الخسران وتبيّن ان وبال كفره لا يعود الا عليه ومقت الله شدة غضبه والعمر كرأس المال من اشترى به رضى الله ربح ومن اشترى به سخطه فقد خسر خسرانا مبينا ﴿ قوله او لانفسهم فيما يملكونه ﴾ فانهم كانوا يعينون شيأ من اموالهم لآلهتهم وينفقونه على سدنتها ويذبحون عندها ﴿ قوله لانه بمعنى اخبروني ﴾ على ان لا يكون الاستفهام مرادا ويضمن أرأيتم معنى اخبروني فيتعدى الى اثنين احدهما شركاءكم والثانى الجملة الاستفهامية بقوله ماذا خلقوا فان أرأيتم يطلبه مفعولا ثانيا له ونازعه اروني فانها وان كانت بصرية لكنها تعدت الى الثانى بهمزة النقل وتكون المسئلة من باب اعمال الثانى على مختار البصريين فيكون اروني بدل اشتمال من أرأيتم للملابسة بين الاخبار والارآءة وقيل عليه ان البدل منه اذا دخلت عليه اداة الاستفهام يلزم اعادتها فى البدل ولم تعد ههنا وايضا ابدال جملة من جملة لم يعهد فى كلامهم واجيب عن الاول بان الاستفهام فيه غير مراد قطعا فلم تعد اداته لعدم ارادته وعن الثانى بانه شهادة على النفى فلا تسمع وقد نص النحويون على انه متى كانت الجملة الثانية فى معنى الاول ومبينة لها ابدلت منها ويحتمل ان تكون الف الاستفهام فى أرأيتم على بابها ولا تتضمن هذه الكلمة معنى اخبروني بل يكون استفهاما حقيقيا ويكون قوله اروني امر تعجيز ﴿ قوله والاضافة اليهم لانهم جعلوهم شركاء ﴾ اى للدلالة على ان الاصنام لم تكن فى الحقيقة شركاء الله وانما هم الذين جعلوها شركاء فعنى شركاءكم الشركاء بجعلكم وهذه الآية تقرير للتوحيد وابطال للاشراك بتبكيت المشركين وارغام انفهم بان يطلب منهم دليلا يدل على مايدعونه على سبيل التنزل والتدرج من الدليل القوى الى الضعيف والى الاضعف فان الاستناد فى خلق شئ ادل على الالوهية من الشرك مع الله فى خلق بعض مخلوقاته او فى خلق جميع الاشياء وكذا الشركة فى خلق شئ ادل عليها من الكتاب لان الاول يدل بالذات والثانى بالغير فان الشريك فى الخلق يستحق ان يكون شريكا فى الالوهية شركة ذاتية وام فى قوله تعالى ام لهم شرك فى السموات منقطعة بمعنى بل والهمزة فيكون قد اضرب عن الاستفهام الاول وشرع فى استفهام آخر فكأنه بعد الاضراب عن الاستفهام قال ألهم شرك فى السموات على سبيل الانكار اى ليس لهم شرك فى السموات فلم تدعوهم من دون الله ثم اضرب من هذا الاستفهام وشرع فى استفهام آخر فقال ام آتيناهم يعني الشركاء كتابا فهؤلاء الشركاء على بينات وحجج وبراهين من ذلك الكتاب على انهم شركاؤه فلذلك تعبدونها يعني ليس الامر كذلك فلم تعبدونها وهذا اذا قلنا الضمير فى آتيناهم يرجع الى الشركاء واما اذا كان راجعا الى المشركين ففيه التفات فكأنه قيل بل آتيناهم كتابا فانتم مستقرون على حجج مستمسكون بها على آلهتها وليس الامر كذلك فلم تدعونهم ولما بين انه لا مستمسك لهم بوجه تما اضرب من طلبه وبين ان امرهم ليس الا ان شياطينهم ورؤساءهم غروهم فاغتروا بذلك روى ان من المشركين من يقول ان الله تعالى اله السموات وهؤلاء آلهة الارض وهم الذين قالوا امور الارض من الكواكب والاصنام صورها ومنهم من يقول ان السموات خلقت باستعانة من الملائكة فالملائكة شركاء فى خلق السموات وهذه الاصنام صورها ومنهم من يقول الاصنام شفعاؤنا عند الله وما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى فانكر سبحانه وتعالى على الاول بقوله اروني ماذا خلقوا من الارض وعلى الثانى بقوله ام لهم شرك فى السموات وعلى الثالث بقوله ام آتيناهم كتابا الآية وان فى قوله تعالى بل ان يعد الظالمون نافية والمعنى مايعد الظالمون بعضهم بعضا الا غرورا والغرور مايخدع به الانسان مما لا اصل له قال مقاتل يعني مايعد الشيطان كفار بني آدم من شفاعة الالهة لهم فى الآخرة غرور باطل لما بين ان شركاءهم لا خلق لها ولا قدرة بين انه تعالى قادر على

(فمن كفر فعليه كفره) جزآء كفره (ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم الا مقتا ولا يزيد الكافرين كفرهم الا خسارا) بيان له والتكرير للدلالة على ان اقتضاء الكفر لكل واحد من الامرين مستقل باقتضاء قبحه ووجوب التجنب عنه والمراد بالمقت وهو اشد البغض مقت الله وبالخسار خسار الآخرة (قل أرأيتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله) يعني آلهتهم والاضافة اليهم لانهم جعلوهم شركاء الله او لانفسهم فيما يملكونه (أروني ماذا خلقوا من الارض) بدل من أرأيتم بدل اشتمال لانه بمعنى أخبروني كأنه قال اخبروني عن هؤلاء الشركاء اروني اي جزء من الارض استبدوا بخلقه (ام لهم شرك في السموات) ام لهم شركة مع الله في خلق السموات فاستحقوا بذلك شركة في الالوهية ذاتية (ام آتيناهم كتابا) ينطق على انا اتخذناهم شركاء (فهم على بينة منه) على حجة من ذلك الكتاب بان لهم شركة جعلية ويجوز ان يكون هم للمشركين لقوله ام انزلنا عليهم سلطانا وقرأ نافع وابن عامر ويعقوب وابو بكر على بينات فيكون ايماء الى ان الشرك خطير لا بد فيه من تعاضد الدلائل (بل ان يعد الظالمون بعضهم بعضا الا غرورا) لما نفى انواع الحجج في ذلك اضرب عنه بذكر ما حملهم عليه وهو تقرير الاسلاف للاخلاف او الرؤساء للاتباع بانهم شفعاء عند الله يشفعون لهم بالتقرب اليه

(مايشاء)

مايشابقوله ان الله يمسك السموات والارض الخ والمعنى ان شركاءكم لما لم يخلقوا شيأ لا استقلالا ولا شركة ولم يكن لهم شفاعة عنده تعالى ولم يستحقوا لذلك ان يعبدوا فاعلموا انه تعالى هو المستحق لها لانه خالقهما وحافظهما ولا يؤوده حفظهما ولو لم يحفظهما لزالتا ويحتمل ان يقال لما بين عدم شركتهم قال ان مقتضى شركتهم زوال السموات والارض كما قال فى مواضع اخر تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولدا ويحتمل ان يقال ان ذلك من باب التسليم فى اثبات المطلوب بطريق آخر كأنه تعالى قال شركاؤكم ماخلقوا من الارض شيأ ولا من السماء جزأ ولا قدرة لهم على الشفاعة فلا عبادة لهم وهب انهم فعلوا شيأ من هذه الاشياء فهل يقدرون على امساك السموات والارض ولا يمكنهم القول بانهم يقدرون على ابقائها وحفظها كما لا يمكنهم ان يقولوا انهم احدثوها او شيأ منها اول مرة فتبين ان لا معبود سواه ﴿قوله كراهة ان تزولا﴾ اشارة الى ان ان تزولا مفعول له وتقديره عند اهل الكوفة لئلا تزولا فحذفت لا واللام وقوله او يمنعهما ان تزولا اشارة الى انه مفعول به غير صريح لقوله يمسكهما بتضمينه معنى يمنعهما لان الامساك منع وحفظ اى يمنعهما من ان تزولا فاسقط الخافض واللام فى قوله تعالى ولئن زالتا لام توطئة القسم وهى فى اصطلاح النحاة عبارة عن لام دخلت على حرف الشرط بعد تمام القسم مظهرا او مضمرا فيكون ما يأتى بعد ذلك الشرط جواب القسم لا جواب الشرط وجزاء الشرط مضمر قال الرضى الاسترابادى فى شرح الكافية اذا تقدم القسم اول الكلام ظاهرا او مقدرا او بعده كلمة الشرط سواء كانت ان او لولا او اسماء الشرط فالاكثر والاولى اعتبار القسم دون الشرط فيجعل الجواب للقسم ويستغنى عن جواب الشرط لقيام جواب القسم مقامه اما فى ان فكقوله تعالى ولئن زالتا اذ الآية من هذا القبيل فلذلك كان فعل الشرط ماضيا قال ابن الحاجب فى الكافية واذا تقدم القسم اول الكلام على الشرط لزمه المضى لفظا او معنى وكان الجواب للقسم لفظا فقول المصنف والجملة وهى قوله ان امسكهما من احد من بعده سادة مسد الجوابين يريد به انها جواب القسم وسادة مسد جواب الشرط ودالة عليه ولا يصح حمله على مايفهم من ظاهره لانها لو سدت مسدهما لكان لها موضع من الاعراب من حيث انها سدت مسد جواب الشرط ولا موضع لها من حيث انها سدت مسد جواب القسم والشئ الواحد لا يكون معمولا وغير معمول ﴿قوله ومن الاولى زائدة﴾ زيدت لتأكيد النفى لان قوله ان امسكهما من احد من بعده معناه ما يمسكهما احد من بعد امساكه اياهما وقيل من بعد زوالهما وقيل من بعده بمعنى سواه ومن الثانية على التقادير لابتداء الغاية جعل قوله تعالى انه كان حليما غفورا استئنافا فى معرض التعليل لقوله ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا والمعنى انه تعالى انما امسكهما حلما منه وغفرانا حيث لم يعجل عقوبتهم بل اخرها الى قيام الساعة ولولا حلمه وغفرانه لعجل تعذيبهم بان يشق السماء والارض ويهدمهما عليهم وتبلعهم الارض لفظاعة مقالتهم فى الله تعالى بان له اندادا وشركاء ولو لم يكن المراد هذا المعنى لكان المناسب للمقام ان يقال انه قدير على الاحداث والامساك وانتصاب قوله تعالى جهد ايمانهم على المصدر ولك ان تجعله فى موضع الحال اى جاهدين وفى الصحاح قال الفراء والجهد بالفتح من قولك اجهد جهدك فى هذا الامر اى ابلغ غايتك والجهد بالضم الطاقة وعند غير الفراء كلاهما بمعنى الطاقة اى اقسموا بايمانهم وبالغوا فى تأكيدها واكدوها بما هو غاية وسعهم واللام فى قوله لئن جاءهم نذير لام توطئة القسم وقوله ليكونن جواب القسم المقدر اذ لم يحلف فى الآية قسمهم بل انما حكى معنى كلامهم وسد مسد جواب الشرط وقوله لئن جاءهم حكاية لمعنى كلامهم لا للفظه اذ لو كان كذلك لكان التركيب جاءنا لنكونن ﴿قوله اى من واحدة من الامم﴾ اى ممن كذب الرسل من اهل الكتاب كائنا من كان من اليهود والنصارى وغيرهما فان المكذبين احدى الامتين والمصدقين امة اخرى فان قوله من احدى الامم لما كان شائعا فى الامم كلها صالحا للكل واحدة منها على البدل صار فى معنى النكرة فى الاثبات وقد يحمل على العموم والاستغراق بقرينة المقام كما فى نحو تمرة خير من جرادة اى كل واحدة من افراد التمر خير من كل جرادة فعنى قوله ليكونن اهدى من احدى الامم ليكونن اهدى من كل واحدة من الامم ومن اى احدى الامم يعرض وعلى قوله او من الامة التى يقال فيها هى احدى الامم يكون قوله من احدى الامم بمعنى من بعض الامم فيكون فى معنى النكرة المحمولة على التعظيم ويكون معناه ليكونن اهدى من افضل الامم واشرفها ﴿قوله اليهود والنصارى وغيرهم﴾ بدل من الامم لان كل واحد امم وفى الكواشى ليس المراد باحدى الامم احدى الامتين دون الاخرى بل هما جميعا لان احدى شائعة فيهما لانها تصلح لكل واحدة منهما على البدل

(ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا) كراهة ان تزولا فان الممكن حال بقائه لا بد له من حافظ او يمنعهما ان تزولا لان الامساك منع (ولئن زالتا ان امسكهما) ما امسكهما (من احد من بعده) من بعد الله او من بعد الزوال والجملة سادة مسد الجوابين ومن الاولى زائدة والثانية للابتداء (انه كان حليما غفورا) حيث امسكهما وكانتا جديرتين بان تهدا هدا كما قال تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا (واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن اهدى من احدى الامم) وذلك ان قريشا لما بلغهم ان اهل الكتاب كذبوا رسلهم قالوا لعن الله اليهود والنصارى لو اتانا رسول لنكونن اهدى من احدى الامم اى من واحدة من الامم اليهود والنصارى وغيرهم او من الامة التى يقال فيها هى احدى الامم تفضيلا لها على غيرها فى الهدى والاستقامة

دون العموم والاستغراق فكيف ثبت به دعوى العموم ولعل النكرة فى الاثبات قد تحمل على العموم والاستغراق بقرينة المقام كما فى قوله تمرة خير من جرادة اى كل واحدة من افراد التمر خير من كل جرادة فكذلك المعنى ههنا ليكونن اهدى من كل واحدة من الامم ومن اىّ احدى الامم بقرض وان كان المعنى ههنا ليكونن اهدى من افضل الامم فطريق ارادته منه انه لما كان فى معنى النكرة صح ان يقصد به التعظيم والتفضيل كما اشار اليه الزمخشرى فى قوله تعالى من اساور ﴿ قوله على التسبب ﴾ يعنى ان اسناد زادهم الى النذير او مجيئه اسناد مجازى من قبيل اسناد الحكم الى سببه لان نفس النذير او مجيئه لا يزيدهم نفورا وانما ازداد نفورهم عن الحق بسبب النذير او بسبب مجيئه ونفورا مفعول به ثان لزادهم مثل زادهم الله مرضا واما استكبارا فيجوز ان يكون بدلا من نفورا كأنه مازادهم الا استكبارا وعلوّا وان يكون مفعولا له لنفورا اى مازادهم مجيئه الا نفورا عن الحق لاجل الاستكبار اى ليكون لهم الكبرياء والعلوّ فى الارض اى فى بلادهم وان يكون حالا من المفعول الاوّل لزادهم اى حال كونهم مستكبرين قاله الاخفش وقوله ومكر السيئ معطوف على استكبارا وحكمه فى الاعراب حكمه فى الاوجه وقد جوّز ان يكون معطوفا على نفورا فيكون مفعولا به وقوله واصله وان مكروا المكر السيئ يريد ان مكر السيئ من اضافة الموصوف الى الصفة كصلاة الاولى ومسجد الجامع بدليل قوله تعالى بعد ذلك ولا يحيق المكر السيئ حيث وصف المكر بالسيئ فلما حذف الموصوف بقى وان مكروا السيئ ولما بدل ان مع الفعل بالمصدر صار ومكر السيئ اضيف المصدر الى نعته اتساعا كما فى صلاة الاولى ﴿ قوله وقرأ حمزة وحده بسكون الهمزة فى الوصل ﴾ يريد همزة السيئ المجرور فى قوله تعالى ومكر السيئ واما السيئ المرفوع فى قوله ولا يحيق المكر السيئ فانه لا خلاف فى تحريك همزته ووجه قرآئتها بالاسكان انه استثقل اجتماع الحركات ومن جملتها كسرتان على حرفين ثقيلين فخفف باسكان الهمزة مع ان حركتها حركة الاعراب والاسكان فى حركة الاعراب بغير ادغام ولا وقف ولا اعلال منكر عند النحويين لان حركة الاعراب انما وضعت لفرق بين المعانى واسكانها ابطال للحكمة فى وضعها وجوّزه سيبويه فى ضرورة الشعر كما فى قوله فاليوم اشرب غير مستحقب وقال الزجاج روى عن ابى عمرو ابن العلاء انه قرأ الى بارئكم باسكان الهمزة ويأمركم وينصركم وينصرهم ويشعركم باسكان ازآء هذا ورواية سيبويه باختلاس الكسر حيث قال سيبويه كان ابو عمرو يختلس الحركة من بارئكم ويأمركم وما اشبه ذلك مما يتوالى فيه الحركات فيرى من يسمعه انه قد اسكن ولم يسكن عن الاصمعى عن ابى عمرو قال سمعت اعرابيا يقول بارئكم فاختلس الكسر حتى كدت لا افهم الكسرة لعدم اشباعها فمن روى عن ابى عمرو الاسكان فى هذا النحو فلعله سمعه يختلس فحسبه لضعف الصوت وخفائه اسكانا فان معنى الاختلاس ان تلين الحركة ولا تشبعها بحيث يكون الذى تحذفه من الحركة اقل مما تأتى به واسكان السيئ اهون من اسكان بارئكم ويأمركم لانه لا يمكن ان يقال ان حمزة انما اسكنه وقفا فظن الراوى انه يفعل ذلك وصلا ومذهب حمزة فى الهمزة المتطرفة اذا اسكنت فى الوقف ان يبدلها بجنس حركة ماقبلها وماقبل الهمزة فى لفظ السيئ مكسور فيجب قلبها ياء لكنه استثقل اجتماع ثلاث يآت الوسطى منها مكسورة فترك الهمزة ساكنة على حالها فهو اخف من ابدالها ويدل على انه انما اسكنها حال الوقف انه اسكن فى قوله ومكر السيئ دون قوله ولا يحيق المكر السيئ مع ان الحركة فى الثانى اثقل منها فى الاوّل لانها ضمة بين كسرتين وذلك لان الاوّل تمام الكلام فيصح الوقف عليه دون الثانى وقال ابو اسحق الاسكان فيه لحن لان حركات الاعراب لا يجوز حذفها وقال ابن القشيرى ماثبت بالاستفاضة والتواتر عن النبى صلى الله عليه وسلم فلابد من جوازه ولا يجوز ان يقال انه لحن ولعل مراد من صار الى التخطئة ان غيره افصح منه وان كان فصيحا ايضا ﴿ قوله فهل ينظرون ﴾ يعنى ان النظر بمعنى الانتظار والاستفهام بمعنى النفى اى فما ينتظرون الا سنة الله وطريقته فى الاوّلين وهى انزال العذاب بهم حين كذبوا انبياءهم ومكروا بهم وقوله سنة الله فيهم اشارة الى ان سنة الاوّلين من اضافة المصدر الى مفعوله وسنة الله من اضافته الى الفاعل لان الاهلاك ليس سنة الاوّلين وانما هو سنة الله تعالى فيهم فان المصدر يضاف الى الفاعل والمفعول بتعلقه بهما ﴿ قوله اذ لا يبدّلها بجعله غير التعذيب ﴾ اشارة الى بيان المراد من لفظى التبديل والتحويل فى الآية والمعنى انك تعلم ان العذاب لا يتبدّل بغير العذاب ولا يتحوّل من مستحقه الى غيره فيتم به تهديد المسيئ والخطاب فى قوله فلن تجد يعم كأنه قال لن تجدها ايها السامع وقيل الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم ﴿ قوله استشهاد عليهم ﴾ اى على كون سنة الله تعالى تعذيب المكذبين من غير تبديل ولا تحويل فانه تعالى لما ذكر الاوّلين

(فلما جاءهم نذير) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم (مازادهم) اى النذير او مجيئه على التسبب (الانفورا) تباعدا عن الحق (استكبارا فى الارض) بدل من نفورا او مفعول له (ومكر السيئ) اصله وان مكروا المكر السيئ فحذف الموصوف استغناء بوصفه ثم بدّل ان مع الفعل بالمصدر ثم اضيف وقرأ حمزة وحده بسكون الهمزة فى الوصل (ولا يحيق) ولا يحيط (المكر السيئ الا باهله) وهو الماكر وقد حاق بهم يوم بدر وقرئ ولا يحيق المكر اى لا يحيق الله (فهل ينظرون) ينتظرون (الا سنة الاوّلين) سنة الله فيهم بتعذيب مكذبيهم (فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا) اذ لا يبدّلها بجعله غير التعذيب ولا يحوّلها بان ينقله من المكذبين الى غيرهم وقوله (اولم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) استشهاد عليهم بما يشاهدونه فى مسايرهم الى الشام واليمن والعراق من آثار الماضين (وكانوا اشدّ منهم قوة وما كان الله ليعجزه من شئ) ليسبقه ويفوته (فى السموات ولا فى الارض انه كان عليما) بالاشياء كلها (قديرا) عليها

(وسئله)

وسنته في اهلاكهم نبههم بتذكير حال الاولين فانهم كانوا يمرون على ديارهم ويرون آثارهم وعلامات هلاكهم واملهم كان فوق املهم وعملهم كان دون عملهم وكانوا اطول اعمارا منهم واشد قوة واذا لم يعجزوا الله تعالى ولم يفوتوه فانهم اولى بان لايعجزوه ولايسبقوه فيفوتوه ﴿ قوله تعالى على ظهرها ﴾ استعارة تخييلية شبه الارض بالدابة التي يركب الانسان عليها من جهة تمكنه وتغلبه عليها ثم اثبت لها ماهو من لوازم المشبه به وهو الظهر ليكون دليلا على الاستعارة بالكناية * فان قيل كيف يقال لما عليه الخلق من الارض وجه الارض وظهر الارض مع ان الظهر مقابل الوجه فهو من قبيل اطلاق الضدين على شيء واحد * قلت صح ذلك باعتبارين فانه يقال لظاهرها ظاهر الارض من حيث ان الارض كالدابة الحاملة للاثقال والاحمال وانهم راكبوها ويقال له وجه الارض لكون الظاهر منها كالوجه للحيوان وان غيره كالبطن والباطن منها ﴿ قوله بشؤم معاصيهم ﴾ لما بين ان بين الدابة اى النسمة التي تدب عليها وبين الناس ملازمة بالشرطية والجزائية ورد عليه ما وجه الملازمة بين الشرط والجزاء فانه تعالى اذا كان يؤاخذ الناس بما كسبوا فبال الدواب حتى يهلكوا اشار الى جوابه بقوله بشؤم معاصيهم وتقريره ان انزال المطر انعام من الله تعالى في حق عباده فاذا لم يستحقوا الانعام بما اجترحوا من المعاصي قطعت الامطار عنهم بشؤم معصيتهم فيظهر الجفاف على وجه الارض فلا تنبت شيأ فيموت جوعا جميع الحيوانات بطريق التبعية لهم فقوله تعالى ماترك على ظهرها من دابة كناية اريد بها الملزوم والمعنى انقطع عنهم ماهو سبب معاشهم وهو المطر فيموتون جميعا ويموت سائر الدواب ايضا تبعا لهم ويحتمل ان يكون مراده ان خلق الدواب نعمة في حقهم فاذا كسبوا المعاصي يزيل الله تعالى نعمه وخص الدواب بالذكر من بين النعم لاشتمالها على وجوه المنافع ولكونها اقرب المركبات اليهم فان البسائط العنصرية اول عالم العناصر ثم من المركبات المعادن ثم النبات ثم الحيوان ثم الانسان فهي اقرب درجة للانسان في عالم العناصر والحمد لله وحده وصلى الله على من لانبي بعده تمت سورة فاطر والحمد لله على كل حال

﴿ سورة يس ثمانون وثلاث آيات مكية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين ﴾

﴿ قوله يس كلام في المعنى والاعراب ﴾ ذكر فيه الم احتمالات احدها ان يكون كل واحد من لفظ الف ولام وميم اسما لمسماه المعين الذي هو من حروف التهجي الا انها كتبت في المصحف على صور مسمياتها لا على صور اساميها بناء على ان المقصود من ذكرها متقاطعة تهجي مسمياتها اى تعديد اسمائها ايقاظا وتنبيها لمن تحدى بالقرآن على ان المتلو عليهم مؤلف من عنصر كلامهم وبسائطه ليستيقنوا انه لو كان من عند غير الله لما عجزوا بأسرهم عن الاتيان بما يدانيه مع كمال فصاحتهم كأنه قيل تنبهوا ان مايتلى عليكم كلام منزل من ربكم لمصالح دينكم ودنياكم وانا مرسل به من عنده لاصلاح شأنكم بالايمان به وطاعته فان كنتم في ريب منه فأتوا بسورة من مثله فانه كلام مؤلف من جنس ماتؤلفون منه كلامكم وتقصدون به اعجاز غيركم ولما كانت الكلم مركبة من ذوات المسميات وكان المقصود من ذكر الاسامي الدلالة عليها كتبت الاسامي على صور المسميات للدلالة على ذلك المعنى فنحو الم على هذا الوجه مؤلف من جنس هذه الحروف واعرابه انه في موضع الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف او مبتدأ حذف خبره تقديره هذا المتحدى به من السورة او القرآن وهذا الذي يتلى عليكم الم او حم او يس اى مؤلف من جنس هذه الحروف او المؤلف منها هو المتحدى به والمقصود من الاخبار بمضمون هذه الجملة الزام الحجة عليهم وتبكيتهم وان كان المراد بذكرها تعداد الحروف باساميها ليكون اول مايلقى الى السامع دالا على ان المتلو وحي الهي لان مجرد التلفظ باسماء الحروف وتعدادها مختص بمن خط ودرس واما من الامي فمستغرب خارق للعادة كالكتابة والتلاوة فلايكون لها محل من الاعراب لعدم تركبها مع غيرها تركيبا يخرجها الى مايدل على مايعتريها من المعاني التركيبية ومن تلك الاحتمالات كون نحو الم اسما مركبا من تلك الاسامي سمي به السورة او القرآن تنبيها على اعجازها من حيث ان تركيب كلماتها من جنس هذه الحروف التي هي مادة كلامهم اى كل ملة فلو كانت من عند غير الله تعالى لما عجزوا عن الاتيان بمثلها فيكون لها محل من الاعراب اما الرفع على انها خبر مبتدأ محذوف او مبتدأ خبره محذوف اى هذا المتلو سورة كذا او هذه السورة مما انزل عليكم واما النصب بتقدير اتل سورة كذا ويدل عليه ان عليا رضي الله عنه كان يقول يا كهيعص يا حمعسق او بنزع الخافض فيكون مقسما به مجرورا منصوبا باضمار حرف

(ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا) من المعاصي (ماترك على ظهرها) ظهر الارض (من دابة) من نسمة تدب عليها بشؤم معاصيهم وقيل المراد بالدابة الانس وحده لقوله (ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى) وهو يوم القيامة (فاذا جاء اجلهم فان الله كان بعباده بصيرا) فيجازيهم على اعمالهم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الملائكة دعته ثمانية ابواب الجنة ان ادخل من اى باب شئت

﴿ سورة يس وعنه عليه الصلاة ﴾
﴿ والسلام يس تدعى المعمة تعم ﴾
﴿ الدارين صاحبها والدافعة ﴾
﴿ والقاضية تدفع عنه كل سوء ﴾
﴿ وتقضي له كل حاجة وهي مكية ﴾
﴿ وآيها ثلاث وثمانون ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يس) كلام في المعنى والاعراب

القسم وحذفه والمراد بحذفه مالايكون اثره باقيا في نحو الله لأفعلن يجوز النصب بنزع الخافض وحذفه واعمال فعل القسم المقدر فان تقديره اقسم بالله ويجوز الجر باضمار حرف الجر وتقديره عن الامام الواحدى انه قال في الوسيط اختلف المفسرون في الحروف المقطعة في القرآن فذهب قوم الى ان الله تعالى لم يجعل لاحد سبيلا الى ادراك معانيها وانها مستأثرة لله تعالى بعلمها ونحن نؤمن بظاهرها ونكل علمها الى الله تعالى قال داود بن ابي هند كنت اسأل الشعبي عن فواتح السور فقال ياداود ان لكل كتاب سرا وان سر القرآن فواتح السور فدعها وسل عما سوى ذلك وفسرها الآخرون انتهى كلامه فان من الاحكام الشرعية مايجب الايمان به لقيام الدليل السمعي عليه ولم يكن للعقل سبيل الى ادراك وجهه كالصراط الذى هو ادق من الشعر واحد من السيف ويمر عليه المؤمن كالبرق الخاطف وكالميزان الذى يوزن به الاعمال مع انها لاثقل لها لكونها من خواص الاجسام وكمقادير اعداد الركعات والحكمة في ذلك ان العبد اذا اتى بما امر به من غيران يعلم مافيه من الفوائد لايكون اتيانه به الالمحض العبادة بخلاف مالو علم فائدته فانه حينئذ ربما يأتيه لتلك الفائدة فعلى هذا اذا تلفظ بشئ من هذه الفواتح مع انه لايفهم منه مايفهمه من سائر الآيات لايكون تلفظه به الا امتثالا لما امر به فيكون اقرب الى التعبد ﴿قوله بلغة طئ﴾ فانهم يستعملون لفظ يس في ياانسان قال الزمخشرى ان صح ان ابن عباس رضى الله عنه قال ان معنى يس ياانسان فوجهه ان يكون اصله ياانيسين فيكون لفظ يا حرف نداء وسين شطر انيسين فقصر للتخفيف كما اقتصروا في ايمن على شطره لذلك فان ايمن الله اسم وضع للقسم هكذا بضم الميم والنون وربما حذفوا منه النون فقالوا ايم الله وربما حذفوا الياء ايضا فقالوا ام الله وربما ابقوا الميم مضمومة فقالوا ام الله واورد عليه انه لايجوز اطلاق لفظ المصغر على النبى صلى الله عليه وسلم لانه تحقيرله فانهم نصوا على ان التصغير لايدخل في الاسماء المعظمة شرعا ولذلك يحكى ان ابن قتيبة لما قال في المهيمن انه تصغير مؤمن والاصل مؤيمن فابدلت الهمزة هاء قيل له هذا يقرب من الكفر فليتق الله فانه ويدفعه ان صيغة التصغير قد تكون لاظهار العطف والتعظيم كما في قول الاحباء ولاسيما ان المتكلم بصيغة التصغير هو الله وهو لايفعل الاماهو صواب وحكمة وقد تقدم للزمخشرى في طه مايقرب من هذا البحث ﴿قوله وقرئ بالكسر يجير﴾ لان الكسر اصل في تحريك الساكن هربا من التقاء الساكنين واشار بقوله بالكسر الى انها ليست معربة مجرورة باضمار الباء القسمية بل انها مبنية محكية من حال التهجى وهى حال الوقف على السكون والالكان جرها بالفتح لعدم انصرافها للعلمية والتأنيث فتعين ان تكون محكية عن حال التهجى وهو حال الوقف على السكون ولذلك اجيز فيها الجمع بين الساكنين كما اجيز في الكلم التى يوقف عليها فيكون كسرها على لغة من يهرب حذرا من التقاء الساكنين او لانها لما حكيت من حال التهجى استمرلها الوقف لانها في الاعم الاغلب تذكر على طريق التهجى فيقال صاد نون قاف فاشبهت المبنى الذى اجتمع فيه ساكنان فعوملت معاملته وقوله يجير اشارة الى هذا الوجه ومثل هذا المبنى يجوز بناؤه على الفتح لخفة كاين وكيف وعلى الضم كحيث لان الضم لقوته يصلح ان يكون عوضا عما استحقه الاسم من الاعراب او على انه خبر مبتدأ محذوف اى هذه يس ويجوز ان تكون فتحة يس فتحة اعراب ويكون تقديره اتل يس وان تكون فتحة غير المنصرف للعلمية والتأنيث في موضع الجر بناء على ان يس مقسم به باضمار باء القسم اى اقسم بيس على ان يس اسم من اسماء الله تعالى او اسم من اسماء القرآن اى اقسم بالكتاب المسمى بيس او اسم من اسماء السورة اى اقسم بسورة تسمى يس ﴿قوله وامال الياء حمزة والكسائى﴾ لان يس عندهما اسم مركب من جملة الاسماء وقد وقعت الفها بعد الياء فاميلت لتناسب الياء واذا امالوا يا التى هى حرف نداء فلأن يميلوا الياء من يس اجدر لان الحروف لاحظ لها من الامالة بطريق الاصالة فلذلك لايمال الى وعلى وحتى مع كون الفاتها مرسومة بالياء ﴿قوله وادغم النون﴾ في الشاطبية * ويس اظهر عن فتى حقه بدا * اى أظهر نون يس عمن اشير اليه بالعين في عن وهو حفص وبالفاء في فتى وهو حمزة وبلفظ حق وهما ابن كثير وابو عمرو وبالباء في بدا وهو قالون فتعين للباقين الادغام وهم ابن عامر والكسائى وابو بكر وورش ووجه الادغام ظاهر لان النون الساكنة قبل الواو تدغم فيها نحو من وال ووجه الاظهار ان حروف الهجاء حقها ان يوقف عليها مبنيا لفظها لكونها الفاظا مقطعة غير مركبة مع العامل ﴿قوله ارسلوا على صراط﴾ اشارة الى ان على صراط متعلق بالمرسلين فان فعل الارسال يتعدى بعلى فانه يقال ارسلت عليه كذا قال تعالى وارسل

وقيل معناه ياانسان بلغة طئ على ان اصله ياانيسين فاقتصر على شطره لكثرة النداء به كما قيل من الله في ايمن الله وقرئ بالكسر يجير وبالفتح على البناء كاين او الاعراب على اتل يس او باضمار حرف القسم والفتحة لمنع الصرف وبالضم بناء كحيث او اعرابا على هذه يس وامال الياء حمزة والكسائى وابو بكر وحفص وروح وادغم النون في واو (والقرآن الحكيم) ابن عامر والكسائى وابو بكر وقالون وورش ويعقوب وهى واو القسم او العطف ان جعل يس مقسما به (انك لمن المرسلين على صراط مستقيم) لمن الذين ارسلوا على صراط مستقيم وهو التوحيد والاستقامة في الامور

عليهم طيرا الابل و جوّز ان يكون خبرا ثانيا لقوله انك على معنى انه تعالى اقسم بالقرآن على ان محمدا صلى الله عليه وسلم جامع الوصفين كقوله هذا حلو حامض و الحكيم بمعنى المحكم اى لايلحقه التغير وقيل بمعنى ذى الحكمة فانه ناطق بالحكمة وقيل بمعنى الحاكم فانه يحكم بما فيه من الاحكام ﴿ قوله وان دل عليه لمن المرسلين التزاما ﴾ لانه قد علم ان المرسلين على صراط مستقيم وحاصل ماذكره انه ليس المقصود من ذكر قوله على صراط مستقيم تخصيص المرسلين حتى يقال لاحاجة اليه بل وصف ماجاء به من الشرع صريحا فكأنه قال انك لمن المرسلين وان ماجئت به صراط مستقيم فسلك طريقة الاختصار بان جمع بين الوصفين فى نظام واحد ﴿ قوله خبر محذوف ﴾ قرأ نافع وابن كثير وابو عمرو وابو بكر برفع تنزيل على انه خبر مبتدأ محذوف اى هو تنزيل اى منزّل العزيز ويجوز ان يكون خبر يس اذا جعلته اسما للسورة اى هذه السورة المسماة بيس منزّلة فالجملة القسمية على هذا اعتراض ﴿ قوله باضمار اعنى او فعله ﴾ اى نزله تنزيل العزيز الرحيم اضيف المصدر الى فاعله وتقديره على الاوّل والقرآن الحكيم اعنى تنزيل العزيز الرحيم انك لمن المرسلين لتنذر ﴿ قوله او بمعنى لمن المرسلين ﴾ اى او هو متعلق بفعل يدل عليه هذا اللفظ اى ارسلناك لتنذر ولاوجه لتعلقه بالمرسلين لان ارسالهم ليس لان ينذر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم واقتصر على ذكر الانذار لانه المقصود الاهم من البعثة ﴿ قوله قوما غير منذر آباؤهم الخ ﴾ اشارة الى ان ما نافية والجملة المنفية صفة لقوما وهذا كقوله لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك وما ارسلنا اليهم قبلك من نذير فتكون الآية نازلة فى حق قوم لم يبلغهم خبر نبى لتطاول مدة الفترة وجوّز ان تكون ما موصولة بمعنى الذى او تكون نكرة موصوفة فتكون ما مع صلتها او صفتها منصوبة المحل على انها المفعول الثانى لتنذر ويكون العائد محذوفا والتقدير لتنذر قوما العذاب الذى انذر به آباؤهم او عذابا انذر به آباؤهم وان تكون مصدرية اى لتنذر قوما انذار آبائهم اى انذارا مثل انذار آبائهم وهذه الاوجه الثلاثة تدل على ثبوت الانذار لآبائهم الاوّلين ﴿ قوله اى لم ينذروا فبقوا غافلين ﴾ يعنى ان الفاء داخلة على الحكم المسبب عما قبله فان النفى المتقدم سبب له كما فى قوله تعالى والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما فان الفاء داخلة على الحكم وما تقدمه سببه و على الوجوه الاخر داخلة على السبب للحكم المتقدم كقوله عليه الصلاة والسلام فى المحرم الذى وقصته ناقته لاتقربوه طيبا فانه يحشر يوم القيامة ملبيا ﴿ قوله تعالى لقد حق القول ﴾ فيه وجوه اشهرها ان المراد من القول قوله تعالى لابليس لاملأنّ جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين وهذا كقوله ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين وفى الصحاح حق الشئ يحق اى وجب والمتعلق قوله تعالى لاملأنّ جهنم منك وممن تبعك بمن تبع ابليس ونزل ذلك فى حقهم مؤكدا بالقسم ونون التأكيد وكان اكثر اهل مكة ممن علم الله منهم الاصرار على اتباعه وعدم الاعراض عنه الى ان يموتوا كافرا وامن وجب وثبت عليهم مضمون هذا القول والفاء فى قوله تعالى فهم لايؤمنون اى باذلك اياهم داخلة على الحكم المسبب عما قبله ثم بين سبب تركهم الايمان فقال انا جعلنا فى اعناقهم اغلالا والغل مايشد به اليد الى العنق للتعذيب سواء كان من الحديد او غيره ﴿ قوله فالاغلال واصلة الى اذقانهم ﴾ اشارة الى ان ضمير هى راجع الى الاغلال ووجه وصول الغل الى الذقن اما كونه غليظا عريضا يملأ ما بين الصدر والذقن فعلى هذا تنوين اغلالا للتعظيم والفاء فى قوله فهى الى الاذقان وفى قوله فهم مقمحون فاء النتيجة فلا جرم يصل الى الذقن ويرفع الرأس الى فوق واما كون طوق الغل الذى يجمع اليدين الى العنق بحيث يكون فى ملتقى طرفيه تحت الذقن حلقة يدخل فيها رأس العمود خارجا من الحلقة الى الذقن فلا يخليه يطأطئ رأسه فعلى هذا تكون الفاء فى قوله فهى الى الاذقان للتعقيب وفى قوله فهم مقمحون للنتيجة والاقماح رفع الرأس الى فوق مع غض البصر من قمح البعير فهو قامح اذا رفع رأسه بعد الشرب لارتوائه او لبرودة الماء او لكراهة طعمه قال الزجاج يقال للكانونين شهرا القماح لان الابل اذا وردت الماء فيهما رفعت رأسها لشدة البرد جعل الآية من قبيل الاستعارة التمثيلية اذ ليس هناك غل حقيقى واقماح بتفرع عليه شبه الكفار المصممين على الكفر فى عدم ارعوائهم عنه وعدم التفاتهم الى الحق وعدم انعطاف اعناقهم نحوه بالمغلولين المقمحين فى عدم التفاتهم الى مسالكهم وعدم انعطاف اعناقهم نحوها وبمن احاط به سدّان والمطمورة حفرة يخبأ فيها الطعام عن الامام انه قال المانع من النظر فى الآيات والدلائل قسمان قسم يمنع من النظر فى الآيات التى فى انفسهم فشبه ذلك بالغل الذى يجعل صاحبه مقمحا لايرى نفسه ولايقع بصره على بدنه وقسم يمنع من النظر فى آيات الآفاق فشبه ذلك بالسدّ المحيط فان المحاط بالسدّ لايقع نظره على الآفاق

ويجوز ان يكون على صراط خبرا ثانيا او حالا من المستكنّ فى الجار والمجرور وفائدته وصف الشرع بالاستقامة صريحا وان دل عليه لمن المرسلين التزاما (تنزيل العزيز الرحيم) خبر محذوف والمصدر بمعنى المفعول وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائى وحفص بالنصب باضمار اعنى او فعله على انه على اصله وقرئ بالجرّ على البدل من القرآن (لتنذر قوما) متعلق بتنزيل او بمعنى لمن المرسلين (ما انذر آباؤهم) قوما غير منذر آباؤهم يعنى آباءهم الاقربين لتطاول مدة الفترة فيكون صفة مبينة لشدة حاجتهم الى ارساله او الذى انذر به او شيأ انذر به آباؤهم الابعدون فيكون مفعولا ثانيا لتنذر او انذار آبائهم على المصدر (فهم غافلون) متعلق بالنفى على الاوّل اى لم ينذروا فبقوا غافلين وبقوله انك لمن المرسلين على الوجوه الاخر اى ارسلناك اليهم لتنذرهم فانهم غافلون (لقد حق القول على اكثرهم) يعنى قوله لاملأنّ جهنم من الجنة والناس اجمعين (فهم لايؤمنون) لانهم ممن علم انهم لايؤمنون (انا جعلنا فى اعناقهم اغلالا) تقرير لتصميمهم على الكفر والطبع على قلوبهم بحيث لاتغنى عنهم الآيات والنذر بتمثيلهم بالذين غلت اعناقهم (فهى الى الاذقان) فالاغلال واصلة الى اذقانهم فلا تخليهم يطأطئون رؤسهم (فهم مقمحون) رافعون رؤسهم غاضون ابصارهم فى انهم لايلتفتون لفت الحق ولايعطفون اعناقهم نحوه ولا يطأطئون رؤسهم له (وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا فاغشيناهم فهم لايبصرون) وبمن احاط بهم سدان فغطى ابصارهم بحيث لايبصرون قدامهم وورآءهم فى انهم محبوسون فى مطمورة الجهالة ممنوعون عن النظر فى الآيات والدلائل

فلا تبين له الآيات التي في الآفاق كان القمح لا تبين له الآيات التي في الانفس فمن ابتلى بهما حرم من النظر بالكلية لان الدلائل والآيات مع كثرتها منحصرة فيهما كما قال تعالى سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم فقوله تعالى انا جعلنا في اعناقهم مع قوله وجعلنا من بين ايديهم الآية اشارة الى عدم هدايتهم لآيات الله تعالى في الانفس والآفاق انتهى كلامه والظاهر ان المراد بقوله من بين ايديهم ومن خلفهم ليس جهتي القدام والخلف فقط بل مايعم الجهات الست وجهة القدام لما كانت اشرف الجهات واظهرها وجهة الخلف كانت ضدها خصهما بالذكر ويدل عليه ان المصنف جعل وجه الشبه كونهم محبوسين في مطمورة الجهل فان حفرة الجهل وظلمته تحيط بالجاهل من جميع جوانبه لا من امامه وخلفه فقط ﴿ قوله ان يرضخ ﴾ الرضخ بالضاد المعجمة وبالخاء المهملة والمعجمة لغتان بمعنى وهو كسر الشيء بالحجر يقال رضخت رأس الحية بالحجارة فعلى هذا القول تكون الآية الاولى في مخزومي بعينه وهو ابو جهل عليه اللعنة والآية الثانية في آخر بعينه ويكون ضمير الجمع فيهما على قولهم بنوا فلان فعلوا كذا والفاعل واحد منهم وقال القرطبي ان المخزومي الثاني هو الوليد بن المغيرة وكان هناك مخزومي ثالث قال والله لا شدخن رأسه بهذا الحجر وانطلق فرجع القهقرى ينكص على عقبيه حتى خرّ على قفاه مغشيا عليه فقيل له ماشأنك قال رأيت امرا عظيما رأيت الرجل فلما دنوت منه فاذا فحل يخطر بذنبه ما رأيت فحلا قط اعظم منه حال بيني وبينه فو اللات والعزى لو دنوت منه لاكلني فانزل الله تعالى انا جعلنا في اعناقهم اغلالا الآيتين ولما اخبر الله تعالى عنهم بانهم لا يؤمنون بانذار النبي اياهم وعلله بانهم ممن علم منهم اختيار الكفر والاصرار عليه بقولهم ذلك ولم يوفقهم للايمان والطاعة وجعلهم بمنزلة المغلول المقمح وبمنزلة من احاط به السد من جوانبه بين ان الانذار لا ينفعهم مع مافعل الله بهم من الغل والسد والاغشاء والاعماء فقال وسوآء عليهم ءأنذرتهم وسوآء خبر لما بعده اي انذارك وعدمه سيان عليهم وهو اسم بمعنى الاستوآء نعت به كما نعت بالمصادر فان الخبر في المعنى وصف قائم بالمبتدأ وعدل عن المصدر الى الفعل قبل ءأنذرتهم ليقرر معنى الاستوآء فينبغي ان تكون الموانع من جانب المشبه به ايضا متحققة في جميع جوانبه ويظهر بذلك ترتب قوله فاغشيناهم اي جعلنا على ابصارهم غشاوة فلا يبصرون على جعل السد والمعنى جعلناهم محاطين بالسد من جميع جوانبهم فاغشيناهم اي جعلنا على ابصارهم غشاوة فلا يبصرون شيأ اصلا والغشاء كالغطاء وزنا ومعنى وهو ما تغطيت به وقوله فاغشيناهم تقديره فاغشينا ابصارهم اي غطيناها وجعلنا عليها غشاوة فحذف المضاف وقرئ فاعشيناهم بالعين المهملة من العشى مقصورا وهو مصدر الاعشى وهو الذي لا يبصر بالليل ويبصر بالنهار يقال اعشاه الله فعشي يعشى عشى والمعنى اضعفنا ابصارهم عن ادراك الهدى كما اضعفت عين الاعشى والقرآءتان متقاربتان من حيث المعنى وير ضخ من رضخته اذا رميته بالحجارة وعلى هذا القول تكون كل واحدة من الآيتين في مخزومي واحد ولفظ الجمع فيهما على طريق قولهم بنوا فلان فعلوا كذا والفاعل واحد منهم ﴿ قوله انذارا يترتب عليه البغية المرومة ﴾ اشارة الى وجه الجمع بين قوله لتنذر قوما وبين انما تنذر فان الاول يقتضي الانذار العام والثاني يقتضي تخصيصه بمن يتبع الذكر ويخشى وتقريره ان معنى الاول لتنذرهم على العموم كيف ما كان سوآء كان مفيدا اولم يكن ومعنى قوله انما تنذر ان الانذار المفيد لا يكون الا بالنسبة الى من اتبع الذكر اي القرآن او مافيه من التذكر والوعظ على ان يراد بالذكر القرآن الذي تقدم ذكره في قوله والقرآن الحكيم والتعريف للعهد في قوله انا نحن نزلنا الذكر او يراد به ما في القرآن من الآيات والتذكر والوعظ لقوله والقرآن ذي الذكر ﴿ قوله وخاف عقابه قبل حلوله ﴾ اشارة الى ان مفعول خشي مضاف مقدر وان بالغيب حال منه اي خشي عقاب الرحمن حال كون ذلك العقاب غائبا عنه وقوله او في سريرته اشارة الى انه حال من المنوي في خشي اي خشي حال كونه غائبا عن الناس في خلوته ﴿ قوله ولا يغتر برحمته ﴾ جواب عما يقال المناسب لذكر الخشية ذكر اسم ينبئ عن القهر والرحمن ينبئ عن اللطف والانعام والتنوين في قوله بمغفرة للتعظيم اي فبشره بمغفرة واسعة تستره من جميع جوانبه ﴿ قوله الاموات بالبعث ﴾ يعني ان كان نحيي الموتى بمعنى احياء من في القبور بالبعث يكون حقيقة والمقصود به الاشارة الى اصل آخر وهو الحشر بعد تحقق اصل الرسالة لما اقسم الله تعالى على انه ارسله لانذار العصاة بانتقام الملك القهار وتبشير المطيعين بالاجر الكريم اتجه ان يقال متى يكون ذلك ولم يظهر بكماله في الدنيا فاجيب عنه على طريق الاستئناف بان ذلك ان لم ير في الدنيا فالله يحيي الموتى ويجزيهم على حسب اعمالهم وان كان احياء الموتى مجازا عن هداية الجهال واخراجهم من الشرك الى الايمان

(يكون)

وقرأ حمزة والكسائي وحفص سدا بالفتح وهو لغة فيه وقيل ما كان من عمل الناس فبالفتح وما كان بخلق الله فبالضم وقرئ فاعشيناهم من العشى وقيل الآيتان في بني مخزوم حلف ابو جهل ان يرضخ رأس النبي صلى الله عليه وسلم فاتاه وهو يصلي ومعه حجر ليدمغه فلما رفع يده انثنت الى عنقه ولزق الحجر بيده حتى فكوه عنها بجهد فرجع الى قومه فاخبرهم فقال مخزومي آخر انا اقتله بهذا الحجر فذهب فاعماه الله (وسوآء عليهم ءأنذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون) سبق في البقرة (انما تنذر) انذارا يترتب عليه البغية المرومة (من اتبع الذكر) اي القرآن بالتأمل فيه والعمل به (وخشي الرحمن بالغيب) وخاف عقابه قبل حلوله ومعاينة اهواله او في سريرته ولا يغتر برحمته فانه كما هو رحمن منتقم قهار (فبشره بمغفرة واجر كريم انا نحن نحيي الموتى) الاموات بالبعث او الجهال بالهداية (ونكتب ما قدموا) ما اسلفوا من الاعمال الصالحة والطالحة (وآثارهم) الحسنة كعلم علموه وحبيس وقفوه والسيئة كاشاعة باطل وتأسيس ظلم

يكون وجه الاستئناف انه لما ذكر انه مرسل للانذار بين الحكمة فيه بقوله انا نحن نحيي الموتى اى الجهال الذين ماتت قلوبهم بخلوها عن العقائد الحقة بان نملأ قلوبهم بنور الايمان والحكمة واخر ذكر الكتابة عن ذكر الاحياء مع انها متقدمة عليه فى الوجود تعظيما لامر الاحياء بالاشارة الى انه الحساب لان الكتابة انما تكون لاجل الحساب ومؤدية اليه فذكرها فى قوة ذكر الحساب وفسر قوله تعالى ماقدموا بما عملوه من الاعمال الصالحة والسيئة وآثارهم بما خلفوه مما يضاف اليهم من اموالهم المحبوسة وتصانيفهم المدونة وماسنوه من السنن الحسنة والسيئة فاتبعهم على ذلك من بعدهم فان له اجر هذا واجر من عمل به من غير ان ينقص من اجورهم شئ وعليه وزر ذلك ووزر من عمل به من غير ان ينقص من اوزارهم شئ كما ورد فى الحديث من سن سنة حسنة فله اجرها واجر من عمل بها من غير ان ينقص من اجر العامل شئ ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها من غير ان ينقص من وزر العامل شئ وسمى اللوح اماما لانه يؤتم به ويتبع ولا يخالف والمبين هو المظهر بلا مؤنة واللوح كذلك لانه مامن شئ الا كتب فيه بجميع احواله كأنه لما قال نكتب ماقدموا قيل هل ذلك كتابة اخرى فان الله كتب عليهم انهم سيفعلون كذا وكذا ثم اذا فعلوا كتب عليهم انهم فعلوه وقيل ان ذلك تعميم بعد التخصيص فكأنه قال بعد قوله نكتب ماقدموا وآثارهم ليست الكتابة مقتصرة عليه بل كل شئ نحصى فى امام مبين واصل الاحصاء العد استعير للبيان والحفظ لان العد يكون لاجلهما ﴿ قوله ومثل لهم ﴾ فان اضرب لما كان مشتقا من الضرب بمعنى المثال كان معنى اضرب لهم مثلا مثل حالهم المتعلقة بارسالك اليهم مثلا اى قصة عجيبة الشان اى اورد مثلا حالهم وقصتهم مثل تلك القصة فيكون المثل المقدر بدلا من الملفوظ او بيانا له لان اضرب بهذا المعنى يتعدى الى مفعول واحد وانما يتعدى الى مفعولين اذا جعل اضرب بمعنى اجعل فيكون مثل اصحاب القرية مفعولا اولا له ومثلا مفعولا ثانيا اى اجعل مثل اصحاب القرية مثلا لهؤلاء المشركين ليتخذوه مثالا لهم فى معاملتهم معك ويحترزوا من ان ينزل بهم ما نزل باصحاب القرية فقول المصنف تضمنه معنى الجعل ليس على ظاهره لانه يستلزم ان يكون المحذوف الذى هو مدلول الفعل المضمن فيه مفعولا ثانيا للجعل المضمن والمثل المقدر مفعولا اولا فيبقى قوله بلا عامل ولو قال لكونه بمعنى الجعل لكان اظهر والمثل له معنى لغوى وهو الشبيه والنظير ومعنى عرفى وهو القول السائر الممثل مضربه بمورده على طريق تشبيه القصة بالقصة ثم استعمل فى المضرب بطريق استعمال لفظ المشبه به فى المشبه ومعنى مجازى مستعار له من المعنى العرفى وهو الحال العجيبة والقصة الغريبة او الصفة البديعة تجوزا من المعنى العرفى بعلاقة الغرابة تشبيها لكل واحدة منها بالقول السائر فى الغرابة لان القول السائر لا يكون سائرا مشهورا بين الناس الا لغرابته كقوله تعالى مثل الجنة اى صفتها العجيبة التى هى فى الغرابة كالقول السائر وقوله ولله المثل الاعلى اى له الوصف العجيب الشان ولما كان لاصحاب القرية مثل اى قصة عجيبة وهى انهم بعث اليهم رسل يدعونهم الى الله تعالى فآمن من آمن منهم ونجا ومن لم يؤمن هلك فانذر مشركى مكة بتذكيرهم قصة اهل انطاكية ان يحترزوا مما انزل بكفار اهل تلك القرية بسبب تكذيبهم الرسل ﴿ قوله اذ جاءها المرسلون بدل من اصحاب القرية ﴾ بدل اشتمال كأنه تعالى قال واضرب لهم وقت مجئ المرسلين مثلا اى مثل ذلك الوقت بوقت مجئ محمد وقيل فيه نظر لان ظرف الزمان كما لا يجوز ان يكون وصفا للعين ولا حالا منه ولا خبرا عنه ينبغى ايضا ان لا يكون بدلا منه والظاهر انه لا محذور فى كونه بدل اشتمال واذ الثانية وهى التى فى قوله اذ ارسلنا بدل من اذ الاولى كأنه قال واضرب لهم مثلا اذ ارسلنا الى اصحاب القرية اثنين والاوضح ان تكون اذ الثانية ظرفا لجاءها اى جاءها المرسلون حين ارسلناهم اليهم وانما جاؤهم من حيث انهم امروا به وآمرهم وان كان هو عيسى عليه الصلاة والسلام بالذات الا انه لما كان عليه الصلاة والسلام مأذونا فيه من قبل الله تعالى كان رسل رسول الله باذن الله له فى ذلك رسل الله فلذلك اضيف الارسال اليه تعالى ويؤيد هذا مسئلة فقهية هى ان وكيل الوكيل باذن الموكل وكيل الموكل لا الوكيل حتى لا ينعزل بعزل الوكيل اياه وينعزل اذا عزله الموكل الاول وفى هذا الاسلوب تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم كأنه قيل لا يذهب الى خاطرك ان اولئك كانوا رسل الرسول وانما هم رسل الله وقد كذبوا وتكذيبهم كتكذيبك قيل القول بكون القرية انطاكية ضعيف لان اهل انطاكية لما بعث اليهم المسيح ثلاثة من الحواريين كانوا اول مدينة آمنوا بعيسى عليه الصلاة والسلام فى ذلك الوقت ولذلك كانت احدى المدن الاربع التى يكون فيها بطارقة النصارى وهن انطاكية والقدس واسكندرية ورومية ثم بعدها قسطنطينية ولم يهلكوا

(وكل شئ احصيناه فى امام مبين) يعنى اللوح المحفوظ (واضرب لهم) ومثل لهم من قولهم هذه الاشياء على ضرب واحد اى مثال واحد وهو يتعدى الى مفعولين لتضمنه معنى الجعل وهما (مثلا اصحاب القرية) على حذف مضاف اى اجعل لهم مثل اصحاب القرية مثلا ويجوز ان يقتصر على واحد ويجعل المقدر بدلا من الملفوظ او بيانا له والقرية انطاكية (اذ جاءها المرسلون) بدل من اصحاب القرية والمرسلون رسل عيسى الى اهلها واسناده الى نفسه فى قوله (اذ ارسلنا اليهم اثنين) لانه فعل رسوله وخليفته وهما يوحنا وبولس وقيل غيرهما

(فكذبوهما فعززنا) فقوينا وقرأ ابو بكر مخففا من عزه اذا غلبه وحذف المفعول لدلالة ماقبله عليه ولان المقصود ذكر المعزز به (بثالث) هو شمعون (فقالوا انا اليكم مرسلون) وذلك انهم كانوا عبدة اصنام فارسل اليهم عيسى عليه السلام اثنين فلما قربا الى المدينة رأيا حبيبا النجار يرعى غنما فسألهما فاخبراه فقال أمعكما آية فقالا نشفي المريض ونبرئ الاكمه والابرص وكان له ولد مريض فمسحاه فبرأ فآمن حبيب وفشا الخبر فشفي على ايديهما خلق وبلغ حديثهما الى الملك وقال لهما ألنا اله سوى آلهتنا قالا نعم من اوجدك وآلهتك قال حتى انظر في امركما فحبسهما ثم بعث عيسى شمعون فدخل متنكرا وعاشر اصحاب الملك حتى استأنسوا به واوصلوه الى الملك فانس به فقال له يوما سمعت انك حبست رجلين قال فهل سمعت مايقولانه قال لا فدعاهما فقال شمعون من ارسلكما قالا الله الذي خلق كل شئ وليس له شريك فقال صفاه واوجزا قالا يفعل مايشاء ويحكم مايريد قال وما آيتكما قالا ماتتمنى الملك فدعا بغلام مطموس العينين فدعوا الله حتى انشق له بصر واخذا بندقتين فوضعاهما في حدقتيه فصارتا مقلتين ينظر بهما فقال له شمعون أرأيت لو سألت الهك حتى يصنع مثل هذا حتى يكون لك وله الشرف قال ليس لي عنك سر آلهتنا لايبصر ولايسمع ولايضر ولاينفع ثم قال ان قدر الهكما على احياء ميت آمنا به فدعوا بغلام مات منذ سبعة ايام فدعوا فقام وقال اني ادخلت سبعة اودية من النار وانا احذركم ماانتم فيه فآمنوا وقال فتحت ابواب السماء فرأيت شابا حسنا يشفع لهؤلاء الثلاثة شمعون وهذين فلما رأى شمعون ان قوله قد اثر فيه نصحه فآمن في جمع ومن لم يؤمن صاح عليهم جبريل فهلكوا (قالوا ماانتم الا بشر مثلنا) لامزية لكم علينا تقتضي اختصاصكم بما تدعون ورفع بشر لانتقاض النفي المقتضي اعمال ما بالا (وماانزل الرحمن من شئ) وحي ورسالة (ان انتم الا تكذبون) في دعوى رسالته (قالوا ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون) استشهدوا بعلم الله وهو يجري مجرى القسم وزادوا اللام المؤكدة لانه جواب عن انكارهم (وماعلينا الا البلاغ المبين) الظاهر البين بالآيات الشاهدة لصحته وهو الحسن للاستشهاد فانه لايحسن الا ببينة

(بكم)

واهل هذه القرية المذكورة في القرآن اهلكوا لقوله تعالى ان كانت الاصيحة واحدة فاذاهم خامدون وفي كلام المصنف اشارة الى التوفيق بين اهلاك اهل انطاكية بالصيحة وبين كونهم اول اهل مدينة آمنوا بعيسى عليه الصلاة والسلام فان ايمان الملك في جمع ممن تبعه يكفي في صحة القول بان اهل انطاكية اول مدينة آمنوا بعيسى عليه الصلاة والسلام وكذا اهلاك من لم يؤمن منهم بالصيحة يكفي في صحة اهلاك اهلها بها ﴿ قوله فعززنا فقوينا ﴾ قال في الكواشي فعززنا مخففا من عزه غلبه والمفعول محذوف اي غلبنا اهل المدينة برسول ثالث وعززنا مشددا من القوة والمفعول محذوف ايضا اي قوينا المرسلين برسول ثالث لان عيسى عليه الصلاة والسلام بعد بعث الرسولين بعث شمعون تقوية لهما وكان شمعون الصفار رأس الحواريين فدخل المدينة متنكرا اي لم يعرف امره ورسالته فآل امره الى ان انس به الملك وذكر المصنف في حذف المفعول وجهين حاصل الاول ان الفعل ليس منزلا منزلة اللازم بل له مفعول مقدر حذف لدلالة القرينة عليه وكون ذكره معها بمنزلة العبث لانه اذا كان المقصود من ذكر الجملة الفعلية الاخبار بوقوع الفعل من فاعله باعتبار تعلقه بمن وقع عليه الفعل دخل المفعول تحت قصد الخبر وحاصل الثاني ان الفعل منزل منزلة اللازم غير مقدر مفعوله الصريح من حيث ان المقصود اثباته لفاعله مع اعتبار تعلقه بمفعوله الغير الصريح وبيان تعلقه بمفعوله ليس بمراد فان الغرض ذكر المعزز به وهو شمعون وذكر تدبيره اللطيف الذي عزبه الحق وذل الباطل وليس بيان المعزز وتعلق الفعل به بمراد فيجب ان يصرح اللفظ على قدر الحاجة ويطرح مازاد عليه ﴿ قوله مطموس العينين ﴾ اي لايميز موضع عينيه من جبهته والطموس الدروس والامحاء وقد طمس الطريق يطمس ويطمس اذا كان بحيث لايميز عن جانبيه ﴿ قوله فلما رأى شمعون ان قوله قد اثر فيه نصحه ﴾ اي اظهر امره وبدل تنكيره ووافق صاحبيه فقالوا جميعا لاهل انطاكية انا اليكم مرسلون من غير ان يزيد واللام لتأكيد في مرسلون لانه ابتداء اخبار منهم فلا يحتاج الى تأكيد والذي تقدم على هذا الاخبار هو دعوتهما الملك فقال لهما حتى انظر في امركما وأمر بحبسهما فلما خرجا من عنده تبعهما الناس فكذبوهما وحبسوهما وتكذيب الاثنين في اخبارهما لاينافي كون اخبار الثلاثة جميعا ابتدائيا هذا حاصل كلام الكشاف وفيه ان اخبار الثلاثة ليس ابتدائيا بل هو طلبي لانه كلام من المرد الطالب والابتدائي هو اخبار الاثنين ولما كان الاستواء في البشرية والاتحاد في الحقيقة النوعية مستلزما لعدم جواز اختلاف الافراد بحسب اللوازم والخواص على زعمهم بناء على عدم اعتقادهم بانه تعالى فاعل مختار يفعل مايشاء ويحكم مايريد كنوا بقولهم ماانتم الا بشر مثلنا عن انكار اختصاص المرسلين برسالتهم اليهم وعن اختصاص انفسهم بوجوب طاعة الرسل عليهم ثم قالوا وماانزل الرحمن من شئ من الوحي السماوي ومن رسول يبلغ ذلك الوحي اليكم فكيف صرتم رسلا وكيف يجب علينا طاعتكم وهو من تتمة هذه الكناية لانه ايضا يستلزم الانكار المذكور ويحتمل ان يكون شبهة اخرى فانهم لما قرروا شبهتهم بالنظر الى المرسل وهي انه تعالى ليس ينزل شيأ في هذا العالم فان تصرفه في العالم العلوي والآثار السفلية مستندة الى الكواكب والاوثان صورها فالله تعالى خص اسم الرحمن للتعبير عن ذاته المقدسة ردا عليهم لانه تعالى لما كان رحمن الدنيا والارسال رحمة فكيف لاينزل رحمته وهو رحمن ﴿ قوله ورفع بشر ﴾ يعني ان ما في قوله ماانتم هي المشبهة بليس وهي تعمل عمل ليس كما في قوله ماهذا بشرا الا انها انما تعمل لمشابهتها بليس في النفي فاذا انتقض النفي بالا لم يبق لها شبه فلم تعمل ﴿ قوله الظاهر البين ﴾ اشارة الى ان ابان بمعنى بان ومعنى المبين البين صحته اي البين كونه بلاغا من قبل الله اي المبين للحق من الباطل لاقترانه بالدلائل القاطعة والمعجزات الباهرة وفيه تسلية لانفسهم وتعريض لهم بان انكارهم للحق ليس لخفاء حاله وصحته بل هو محض عناد واستكبار وحمية جاهلية اي نحن خرجنا من عهدة ماعلينا من طاعة ربنا حيث بلغنا رسالته اليكم وحققنا صدقنا بالبينات القاطعة والمعجزات الباهرة وليس في وسعنا اجباركم على الايمان ولا ان نوقع في قلوبكم العلم بصدقنا ان اظهرتم الانكار لامرنا على وجه المكابرة وهذه الفائدة تتمة لما ذكره المصنف من ان قوله وماعلينا الا البلاغ المبين جئ به ليحسن منهم ان يجيبوا بالاخبار برسالتهم مؤكدا بالقسم وان واللام والاستشهاد بعلم الله تعالى فان من كذب في دعواه لو قال والله اني لصادق فيما قلته من غير اقامة البينة عليها لاستقبح منه ذلك ولم يسمع قوله ولم يقتصر الا عن عجز عن اقامة الدليل واسكات خصمه ولم يبق لهم متشبث يتشبث به سوى هذه الكلمة اي الحلف بالله وبعلمه فكان قولهم وماعلينا الآية بمنزلة البينة الحسنة ليمين المدعي فما كان جوابهم بعد هذا الا ان قالوا انا تطيرنا

بكم اى بكونكم بين اظهرنا ﴿قوله تشاءمنا بكم﴾ اصل التطاير التفاؤل بالطير فانهم يزعمون ان الطائر السانح
سبب للخير والبارح سبب للشر ثم استعمل فى كل ما يتشاءم به ووجه تشاؤمهم بالرسل انهم دعوهم الى دين غير
ما يدينون به فاستغربوه واستقبحوه ونفرت عنه طبيعتهم المعوجة فتشاءموا بمن دعا اليه كأنهم قالوا ايها الذاعون الى
ما تدعون اليه ما سمعنا بهذا قبل مجيئكم فكنتم لنا بمنزلة الطير البارح مع مقتضى الرسالة انذار المرسل اليهم بمكروه
يلحقهم واهليهم وما يتعلق بهم من اسبابهم ان لم يؤمنوا فلذلك تشاءموا بالمنذرين وقالوا سمعنا منكم ما نتطير به فكفوا
عنه ولا تعودوا الى مثله لئن لم تنتهوا الآية اى والله لئن لم تنتهوا عن قولكم ودعوتكم ايانا الى التوحيد ورفض ديننا
لنرجمنكم اى لنقتلنكم شر القتل وهو القتل بالحجارة وقيل وجه تطيرهم بهم حبس المطر عنهم فرأوه بشؤمهم
والظاهر ان وجه التطير ما اختاره المصنف وهو ان يكون ذلك ما ذكره فى الآية من دعواهم الرسالة ودعوتهم
اياهم الى ما استكرهته طبيعتهم الخبيثة والرجم القتل واصله الرمى بالحجارة كذا فى الصحاح قال قتادة لنرجمنكم اى
لنقتلنكم وقيل لنشتمنكم اى لنرمينكم بالقول القبيح وليمسنكم بسبب الرجم والقتل المذكور منا عذاب اليم مؤلم وان قلنا
الرجم الشتم فكأنهم قالوا لا نكتفى بالشتم بل شتما يؤدى الى الضرب والايلام الحسى ﴿قوله سبب شؤمكم﴾
لما كان التطير بمعنى التشاؤم مطلقا كان الطائر بمعنى ما يتشاءم به مطلقا فيتناول سوء العقائد والاعمال فلما اجابهم
الرسل بان ما اصابكم من المكاره ليس بسببنا وانما سبب شؤمكم ما معكم من الحال وقوله وقرئ طيركم على لفظ
المصدر وهو اسم جنس فيكون تفسيره اسباب شؤمكم وقرأ السبعة ائن ذكرتم بهمزة الاستفهام بعدها ان الشرطية
انكارا او توبيخا لهم على تطيرهم او توعدهم بالرجم والتعذيب عندما ذكروا ووعظوا وقرئ آئن بالف بين الهمزتين
وقرئ أأن بهمزة الاستفهام وان الناصبة اى أتطيرتم لان ذكرتم وقرئ ان ذكرتم وان ذكرتم بفتح الهمزة وكسرها
بلا استفهام فيكون اخبارا بانكم تطيرتم لان ذكرتم او ان ذكرتم تطيرتم وقرئ اين على مثال كيف وذكرتم بتخفيف
الكاف اى شؤمكم معكم اين جرى ذكركم وهو ابلغ فى الدلالة على لزوم الشآمة بهم لانه اذا كان موضع ذكرهم
مهبط الشؤم فكيف بمكان حلوا فيه بانفسهم فان المكان اذا كان بسبب ذكرهم فيه شؤما يكون المكان بسبب
حلولهم فيه اشأم ﴿قوله وجواب الشرط محذوف﴾ اختلف سيبويه ويونس فى انه اذا اجتمع الاستفهام
والشرط ايهما يجاب فذهب سيبويه الى اجابة الاستفهام ويونس الى اجابة الشرط فالتقدير عند سيبويه أان ذكرتم
تتطيرون وعند يونس تتطيروا بجزم وما اختار المصنف قول يونس فمعنى كلامه ان جواب الشرط الذى يقوم
مقام جواب الاستفهام محذوف ﴿قوله وبفتح أن﴾ اى بهمزة الاستفهام وان المفتوحة ﴿قوله واين
ذكرتم﴾ بهمزة مفتوحة بعدها ياء ساكنة وبعدها نون مفتوحة وتخفيف كاف ذكرتم وان هذه شرطية لا مكانية
وجوابها محذوف عند جمهور البصريين اى اين جرى ذكركم فطائركم معكم لدلالة ما تقدم عليه ﴿قوله ان ثم
جاءكم الشؤم﴾ اشارة الى ان المراد بالاسراف الاسراف فى ارتكاب المعاصى وان الاضراب عن قوله طائركم معكم
وحده ولما تطيروا بالرسل وعدوهم سبب الشؤم اجابهم الرسل بان سبب شؤمكم ما معكم من سوء العقيدة والاعمال ثم
قالوا بل هو اسرافكم فى العصيان فيكون قوله ائن ذكرتم مع جوابه المحذوف اعتراضا وقوله او فى الضلال اشارة
الى ان المراد به الاسراف فى الضلال وان الاضراب عن قوله ائن ذكرتم اى ووعظتم وخوفتم تتطيرون او يكون الوعظ
سبب التطير لا والله بل سبب تطيركم اسرافكم فى الضلال وتماديكم فى الغى فلذلك تطيرتم بمن يجب ان يكرم ويتبرك به
ويقال قصا المكان يقصو قصوا فهو قصى ويقال فلان بالمكان الاقصى والناحية القصوى فعلم من قوله من اقصى
المدينة ان تلك القرية كانت مدينة متباعدة الاطراف وان دعوتهم بلغت الى اقصاها وتنكير رجل لتعظيم شأنه
وقوله يسعى اى يعدو وقيل يقصد وجه الله بالذب عن رسله وهو من قوله وسعى لها سعيها روى ان القوم عزموا
على قتل هؤلاء الرسل فسعى هذا الرجل لخلاصهم وكان يكتم ايمانه وكان ممن آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم قبل بعثه
بستمائة سنة لانه كان من العلماء بكتاب الله رأى فيه نعته ووقت بعثته فآمن به ولم يؤمن بنبى احد الا بعد ظهوره
﴿قوله وقيل كان فى غار الخ﴾ فى مقابلة ما سبق من قوله ان عيسى عليه الصلاة والسلام ارسل الى اهل انطاكية
اثنين فلما قربا الى المدينة رأيا حبيبا النجار يرعى غنما الخ فرغب الرجل الساعى قومه فى اتباع الرسل بان قال انهم
مرسلون فيجب اتباعهم فلا رغبهم فيه وكانوا اتهموا كونهم مرسلين نزل درجة فقال انهم يعرفون الطريق المستقيم
الموصل الى خير الدارين فلا جرم انهم يصلحون لان يتخذوا دليلا ومع ذلك انهم قوم لا تخسرون باتباعهم شيأ من

(قالوا انا تطيرنا بكم) تشاءمنا بكم وذلك لاستغرابهم ما ادعوه واستقباحهم له وتنفرهم عنه (لئن لم تنتهوا) عن مقالتكم هذه (لنرجمنكم وليمسنكم منا عذاب اليم قالوا طائركم معكم) سبب شؤمكم معكم وهو سوء عقيدتكم واعمالكم وقرئ طيركم معكم (ائن ذكرتم) وعظتم وجواب الشرط محذوف مثل تطيرتم او توعدتم بالرجم والتعذيب وقد قرئ بالف بين الهمزتين وبفتح ان بمعنى أتطيرتم لان ذكرتم وان وان بغير استفهام واين ذكرتم بالتخفيف بمعنى طائركم معكم حيث جرى ذكركم وهو ابلغ (بل انتم قوم مسرفون) قوم عادتكم الاسراف فى العصيان فمن ثم جاءكم الشؤم او فى الضلال ولذلك توعدتم وتشاءمتم بمن يجب ان يكرم ويتبرك به (وجاء من اقصى المدينة رجل يسعى) وهو حبيب النجار وكان ينحت اصنامهم وهو ممن آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم وبينهما ستمائة سنة وقيل كان فى غار يعبد الله فلما بلغه خبر الرسل اتاهم واظهر دينه (قال يا قوم اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسألكم اجرا) على النصح وتبليغ الرسالة (وهم مهتدون) الى خير الدارين (وما لى لا اعبد الذى فطرنى) على قراءة غير حمزة فانه يسكن الياء فى الوصل تلطف فى الارشاد بايراده فى معرض المناصحة لنفسه وامحاض النصح حيث اراد لهم ما اراد لها والمراد تقريعهم على تركهم عبادة خالقهم الى عبادة غيره ولذلك قال (واليه ترجعون) مبالغة فى التهديد ثم عاد الى المساق الاول فقال

دنياكم وترجعون بهم ملكا دآئما ونعيما مقيما وقرأ حمزة ويعقوب ومالى باسكان الياء والباقون بفتحها ابرز الكلام فى صورة النصيحة لنفسه وهو فى صدد ارشاد قومه تلطفا فى الارشاد حيث اسمع الحق على وجه لايورث خالى السمع مزيد غضب وهو ترك المواجهة بالتضليل والتصريح بارتكاب الباطل وامحاض النصح وفيه مع ذلك اشارة الى ان استحقاقه تعالى للعبادة بين لاخفاء فيه ومن يمتنع عن عبادته لايمتنع الا لمانع من جهته ولامانع من جانبى فلاجرم انا اعبده ﴿قوله تعالى ءاتخذ﴾ استفهام بمعنى الانكار اى لااتخذ ولما بين انه يعبد الذى فطره بين ان من دونه لايجوز عبادته لان كل ذلك حادث مخلوق مفتقر الى الغنى المطلق وفى قوله ءاتخذ اشارة الى ان من دونه ليس باله لان المتخذ لايكون الها وقوله ان يردن اصله يردنى اسكنت الدال لانه فعل شرط مجزوم بان وحذفت اليآء التى قبلها لالتقاء الساكنين ولاتغن هى جواب الشرط والجملة الشرطية فى محل النصب صفة لآلهة او استئناف لامحل لها ولا فى قوله لاتغن للنفى ولايجوز ان تقع موقعها ما لان ما وضعت لنفى الحال نحو مايفعل وما زيد منطلقا ولا لنفى الاستقبال نحو لايفعل وجواب الشرط مستقبل ليس الا ﴿قوله لاتغنى شفاعتهم﴾ صادق على وجهين الاول انهم يشفعون ولاتقبل شفاعتهم والثانى انهم لاشفاعة لهم فتغنى وهذا هو المراد دون الاول لان الشفاعة يوم الجزآء مقبولة البتة اذ لاشفاعة يومئذ الالمن اذن له فيها والانقاذ التخليص اى لايخلصونى من ذلك الضر والمكروه وقوله ولاينقذون عطف على قوله لاتغن وعلامة العطف الجزم بحذف نون الاعراب لان اصله لاينقذوننى ثم قال انى اذا لفى ضلال مبين تعريض لهم بانهم على الضلالة وعلى خلاف ماعليه الرسل من الاهتدآء ﴿قوله وقيل الخطاب للرسل﴾ المعنى على الاول فاسمعوا ايمانى واطيعونى ياقوم وقيل فاسمعوا ماقلت من حال الرسل وحالكم ثم حالى لتفرقوا بين الحق والباطل فتتبعوا المرسلين وعلى الثانى فاشهدوا لى على الايمان ايها الرسل قيل اظهر ايمانه ليشغل القوم عن الرسل فلما سمعوا منه هذا وثبوا عليه فقتلوه وقيل رجموه بالحجارة كما قالوا للرسل لنرجمنكم قال السدى كانوا يرمونه بالحجارة وهو يقول اللهم اهد قومى حتى قتلوه وقطعوه وباشتغالهم بقتله تخلص الرسل فان قيل قال من قبل ومالى لااعبد الذى فطرنى وقال ههنا آمنت بربكم ولم يقل آمنت بربى فالجواب انه ان قلنا الخطاب مع الرسل فالامر ظاهر لانه لما قال آمنت بربكم ظهر عند الرسل انه قبل قولهم آمن بالرب الذى دعوه اليه وان قلنا الخطاب مع الكفار ففيه بيان للتوحيد لانه لما قال اعبد الذى فطرنى ثم قال آمنت بربكم فهم انه يقول ربى وربكم واحد وهو الذى فطرنى وهو بعينه ربكم بخلاف ما لو قال آمنت بربى لان الكافر يقول حينئذ وانا ايضا آمنت بربى والمنادى فى قوله ياليت قومى محذوف اى ياصحابى او يااحبابى او نحوهما وذكر للكلمة ما فى قوله تعالى بما غفر لى الآية ثلاثة اوجه الاول كونها خبرية اى موصولة بحذف العائد اى بالذى غفره لى ربى من الذنوب واستضعف بانه يكون معناه على هذا ان يعلم قومه بذنوبه المغفورة ولاوجه لتمنيه بل الوجه ان يتمنى علمهم بغفران ربه ذنوبه بالايمان وتصديق الرسل الا ان يقال الموصول عبارة عن المصدر اى بالغفران الذى غفر لى فيكون اشارة الى تعظيم الغفران واشتماله على اثابة عظيمة وتعظيم بليغ والثانى كونها مصدرية اى بغفران ربى اياى والباء فى هاتين الوجهين متعلقة بيعلمون والجار والمجرور فى محل النصب على انه مفعول يعلمون والثالث كونها استفهامية واليه ذهب الفرآء وبما غفر لى على هذا الوجه مفعول له والباء سببية متعلقة بغفر ورده الكسائى بانه كان ينبغى حينئذ حذف الفها لكونها مجرورة فان الاجود والاشهر ان ما الاستفهامية تحذف الفها عند انجرارها بحرف جر نحو عم يتساءلون وفيم انت من ذكراها وفناظرة بم يرجع المرسلون وقيل بجيئها باثبات الفها على الاصل كما فى قوله

° على ماقام يشتمنى لئيم ° كخنزير تمرغ فى رماد °

والآية من هذا القبيل ان جعلت ما استفهامية ووجه الحذف ان لها صدر الكلام لكونها استفهاما ولم يمكن تأخير الجار عنها فقدم عليها وركب معها حتى يصير المجموع ككلمة موضوعة للاستفهام فلا يسقط الاستفهام عن مرتبة التصدر وجعل حذف الالف دليل التركيب وقيل تحذف الف ما الاستفهامية دون انجرارها دون الخبرية للفرق بينهما ﴿قوله وقيل له ذلك لما قتلوه﴾ يعنى انه قيل له بعد قتله ادخل الجنة اما على انه اخبار بانك من اهل الجنة وانك تدخلها بعد البعث الا انه امر بدخولها فى الحال لان الجزآء بعد البعث واما على انه اذن له فى دخولها فى الحال اكراما له كسائر الشهدآء فانه قال فى حقهم ولاتحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله امواتا

(ءاتخذ من دونه آلهة ان يردن الرحمن بضر لاتغن عنى شفاعتهم شيأ) لاتنفعنى شفاعتهم (ولاينقذون) بالنصر والمظاهرة (انى اذا لفى ضلال مبين) فان ايثار مالاينفع ولايدفع ضرا بوجه ما على الخالق المقتدر على النفع والضر واشراكه به ضلال بين لايخفى على عاقل (انى آمنت بربكم) الذى خلقكم (فاسمعون) فاسمعوا ايمانى وقيل الخطاب للرسل فانه لما نصح قومه اخذوا يرجمونه فاسرع نحوهم قبل ان يقتلوه (قيل ادخل الجنة) قيل له ذلك لما قتلوه بشرى بانه من اهل الجنة او اكراما واذنا فى دخولها كسائر الشهدآء او لما هموا بقتله رفعه الله الى الجنة على ماقاله الحسن وانما لم يقل له لان الغرض بيان المقول دون المقول له فانه معلوم والكلام استئناف فى حيز الجواب عن السؤال عن حاله عند لقاء ربه بعد تصلبه فى نصرة دينه وكذلك (قال ياليت قومى يعلمون بما غفر لى ربى وجعلنى من المكرمين) فانه جواب عن السؤال عن قوله عند ذلك القول له وانما تمنى علم قومه بحاله ليحملهم على اكتساب مثلها بالتوبة عن الكفر والدخول فى الايمان والطاعة على دأب الاولياء فى كظم الغيظ والترحم على الاعدآء او ليعلموا انهم كانوا على خطأ عظيم فى امره وانه كان على حق وقرئ المكرمين وما خبرية او مصدرية والباء صلة يعلمون او استفهامية جاءت على الاصل والباء صلة غفر اى باى شئ غفر لى يريد به المهاجرة عن دينهم والمصابرة على اذيتهم

الى آخر الآية قال قتادة ادخله الله الجنة وهو فيها وقوله اولما همو ابقتله عطف على قوله لما قتلوه اى روى انه لم يمت بل لما اراد القوم ان يقتلوه رفعه الله تعالى الى السماء فهو فى الجنة على ماقاله الحسن فعلى هذا يكون قوله ياليت قومى يعلمون بما غفرلى ربى صادرا منه فى حياته وعلى الاول يكون ذلك بعد قتله وعلى القولين يكون سبب تمنيه علم قومه بحاله ان يكون علمهم بها سببا فى اكتساب الايمان والعمل الصالح ليكون ذلك مفضيا لهم الى الخلاص من العذاب الخلد وفوزوا بالثواب المؤبد وفى الحديث انه نصح قومه حيا وميتا ﴿ قوله بل كفينا امرهم بصيحة ملك ﴾ روى انه لما قتل حبيب غضب الله تعالى له فعجل لهم النقمة فامر جبريل فصاح بهم صيحة واحدة فماتوا عن آخرهم فجعل طريق استئصالهم مايتوصل به الى زجر نحو الطيور والوحوش من صيحة عبد واحد مأمور فيه استحقار لاهلاكهم وهو ظاهر وايماء الى تعظيم رسولنا صلى الله عليه وسلم ووجهه انه لما ظهر ان تحريك ريشة من جناح ملك وادنى صيحة كان كافيا فى اهلاك مدآئن جماعات شتى علم ان انزال الجنود من السماء يوم بدر والخندق كما يدل عليه قوله تعالى فارسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها وقوله بالف من الملائكة مردفين وقوله بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين وقوله بخمسة آلاف من الملائكة مسومين كل ذلك لم يكن الا تعظيما لشأنه واجلالا لقدره لا لاحتياجه الى الملائكة فى المظاهرة والمعاونة ﴿ قوله وما صح فى حكمتنا ﴾ اشارة الى ان ما الثانية نافية كالتى قبلها فتكون الجملة جارية مجرى التأكيد للاولى يقال انتصر منه اى انتقم وقيل ما الثانية موصولة ومحلها النصب عطفا على موضع جند اى من جند من الذى كنا منزلين قيل عليه انه يستلزم ان تكون من الاستغراقية مزيدة ومذهب البصريين غير الاخفش انه لا تزاد الا فى كلام غير موجب ولا يكون مجرورها الا نكرة فينبغى على قول من يقول ان ما الثانية اسم معطوف على جند ان يجعلها نكرة موصوفة اى ومن عذاب كنا منزليه والجملة بعدها صفتها فان قيل مافائدة قوله تعالى من السماء وهو تعالى كما لم ينزل عليهم جندا من السماء لم يرسل عليهم جندا من الارض فالجواب ان العذاب نزل عليهم من السماء فبين ان النازل لم يكن جندا وانما كان صيحة اخذتهم وخربت ديارهم ﴿ قوله على كان التامة ﴾ اى ماوقعت الاصيحة واحدة وانكرت النحاة قرآءة الرفع وضعفوها لاجل تأنيث الفعل وقالوا القياس فيه وفى نظائره تذكيره فانك اذا قلت ماقامت الاهند ضعيف والجيد ماقام الاهند وذلك لان الكلام محمول على معناه اى ماقام احد الاهند وكذا هنا ماوقع شئ الاصيحة فلما كان هذا المراد اختار والتذكير الفعل ليؤذن لهم بهذا المراد ولكنه نظر الى ظاهر اللفظ وان الصيحة فى حكم فاعل الفعل فانث الفعل لذلك ومثله قرآءة من قرأ فاصبحوا لاترى الامساكنهم بالتاء من ترى وعليه قول الشاعر وهو ذو الرمة • فما بقيت الا الصدور الجراشع • والقياس فيهما تذكير فعلهما لان المراد لا يرى شئ الامساكنهم ومابقى شئ منها الا الصدور واذا فى قوله تعالى فاذاهم خامدون للمفاجأة وهى مكانية وما بعدها مبتدأ وخبر اى ففى ذلك المكان هم خامدون وهو اشارة الى سرعة هلاكهم بحيث كان مع الصيحة ولم يتأخر عنها • قال الجوهرى خمدت النار تخمد خمودا سكن لهبها ولم يطفأ جمرها وهمدت اذا طفئ جمرها وسطع الشئ سطوعا اذا ارتفع والشهاب شعلة نار ساطعة ﴿ قوله شبهوا بالنار ﴾ اى شبهوا حال طريان الموت عليهم بالنار التى يسكن لهبها ولم يطفأ جمرها فاطلق عليهم اسم المشبه به وهو الخامد على طريق الاستعارة التصريحية وفى هذه الاستعارة رمز الى تشبيه الحى بالنار الساطعة فى ان كل واحد منهما يرتفع ويتحرك الى جهات مختلفة على حسب الدواعى المختلفة والى تشبيه الميت القديم العهد بالرماد من حيث انه سكنت حركته الارادية بالموت ثم تحول جسده ترابا كالرماد

وما المرء الا كالشهاب وضوءه ❊ يحور رمادا بعد اذهو ساطع
وما الاهل والاموال الاوديعة ❊ ولابد يوما ان ترد الودآئع

وكأن الشاعر اخذ هذا المعنى من قوله صلى الله عليه وسلم ان من فى الدنيا ضيف ومافى يده عارية وان الضيف مرتحل والعارية مردودة • ويحور بالحاء المهملة يرجع • قرأ الجمهور ياحسرة بالنصب والتنوين على انه منادى مشابه للمضاف من اجل طوله فانهم يعنون بالمشابه للمضاف اسما يجيئ بعده شئ من تمامه اما معمول له نحو ياطالعا جبلا وياحسنا وجهه وياخيرا من زيد واما نعت هو جملة او ظرف نحو ياحليما لا يعجل وياجوادا لا يبخل وقوله

اداراً بحزوى هجت للعين عبرة ❊ فماء الهوى يرفض او يترقرق

(وما انزلنا على قومه من بعده) من بعد اهلاكه اورفعه (من جند من السماء) لاهلاكهم كما ارسلنا يوم بدر والخندق بل كفينا امرهم بصيحة ملك وفيه استحقار لاهلاكهم وايماء بتعظيم الرسول عليه السلام (وما كنا منزلين) وما صح فى حكمتنا ان ننزل جندا لاهلاك قومه اذ قدرنا لكل شئ سببا وجعلنا ذلك سببا لانتصارك من قومك وقيل ما موصولة معطوفة على جند اى ومما كنا منزلين على من قبلهم من حجارة وريح وامطار شديدة (ان كانت) ما كانت الاخذة او العقوبة (الاصيحة واحدة) صاح بها جبريل وقرئ بالرفع على كان التامة (فاذاهم خامدون) ميتون شبهوا بالنار رمزا الى ان الحى كالنار الساطعة والميت كرمادها كما قال لبيد شعر

وما المرء الا كالشهاب وضوءه ❊
يحور رمادا بعد اذهو ساطع ❊

(ياحسرة على العباد) تعالى فهذه من الاحوال التى من حقها ان تحضرى فيها وهى مادل عليها (ما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن)

وقوله ۞ الا يانخلة من ذات عرق ۞ عليك ورحمة الله السلام ۞

فقوله ياحسرة على العباد من قبيل ياخيرا من زيد وعلى متعلق بحسرة والمعنى ياحسرة عليهم تعالى فهذا اوان حضورك اى هذه الحالة اى حال استهزآئهم بالرسل من حقها ان تحسر منها والحسرة لاتدعى ولايطلب اقبالها لانها مما لايجيب والفائدة فى ندآئها مجرّد تنبيه المخاطب وايقاظه ليتمكن فى ذهنه ان هذه الحالة تقتضى الحسرة وتوجب التلهف فانك اذا قلت لمن هو مقبل عليك يازيد مااحسن ماصنعت كان ذلك ابلغ وآكد فى افادة المطلوب من قولك مااحسن ماصنعت لتصدّر الاولى بما ينبه المخاطب ويجعله متوجها لما يلقى اليه من المطلوب فكذا اذا قلنا اعجب مما فعلت فقد افدته انك متعجب مما فعله ولو قلت ياعجبا مما فعلت كان ابلغ فى افادة انك متعجب فكأنك قلت ايها العجب اقبل فهذا وقت اقبالك وحضورك وقوله تعالى مايأتيهم من رسول الآية استئناف فى حيز الجواب عن السؤال عن سبب التحسر عليهم فلايكون لهذه الجملة محل من الاعراب والالف واللام فى العباد قيل للعهد وهم الذين اخذتهم الصيحة من قوم حبيب فانهم لما كانوا بحيث مايأتيهم من رسول من الرسل الثلاثة يهديهم الى مافيه خير الدارين الا كانوا به يستهزؤن كانوا احقاء بان يتحسر عليهم حيث ضيعوا خير الدارين واستحقوا العذاب فهم المتحسرون والمتحسر عليهم وقيل لتعريف الجنس اى جنس الكفار المصرّين على التكذيب والاستهزآء فانهم ايضا احقاء بان يتحسروا على انفسهم حال استهزآئهم برسلهم ﴿ قوله او يتحسر عليهم ﴾ اشارة الى ان المتحسر عام والمعنى ان الامر لفخامته وشدّته بلغ الى حيث كل من يتأتى منه التلهف اذا نظر الى حال استهزآئهم بالرسل تحسر عليهم وقال يالها من حسرة وخيبة على هؤلاء المحرومين حيث بدلوا الايمان بالكفر والسعادة بالشقاوة وقوله وقد تلهف على حالهم الملائكة والمؤمنون اشارة الى ان المتحسر كل من يعتدّ منه بالتحسر كما فى قوله ويلعنهم اللاعنون فقد حكى عن حبيب انه حين قتل كان يقول اللهم اهد قومى وبعد ماقتلوه وادخل الجنة قال ياليت قومى يعلمون فنصح ان يتحسر المسلم الكافر ويتلهف له وعليه وقوله على سبيل الاستعارة اى لان حقيقة التحسر مستحيلة على الله لانها مايلحق المتحسر من شدّة الندم على وجه لانهاية بعده حتى يبقى حسيرا لاموضع فيه لزيادة على ذلك القدر من الندم كالبصر الحسير الذى لاقوّة فيه للنظر والبعير الحسير الذى لاقوّة له على المسير يقال حسر البعير حسورا اذا اعيى فهو حسير وحسر بصره اذا كل وانقطع نظره وتحسر الانسان على غيره تلهف ورقة تعتريه مما لحق صاحبه من مشقة وشدّة وغايته ان يستعظم ذلك الامر وينكر على ارتكابه كيف تورط فيه فالتحسر فى حق الله تعالى يراد به غايته فيكون كالالفاظ التى وردت فى حقه تعالى كالضحك والنسيان والسخرية والتعجب والتمنى واشار المصنف اليه بجعل المستعار له تعظيم الله تعالى جنايتهم على انفسهم والفرق بين ان يكون ياحسرة على العباد تحسرا من الله عليهم مثل كون ياعجبا مما فعلت تعجبا من القائل وبين ان يقوله الله تعالى لافادة ان هذه الحال من حقها ان تحضر فيها الحسرة وان اصحابها احقاء بان يتحسروا على انفسهم او يتحسر عليهم كل من يتأتى منه التحسر اوكل من يعتدّ بتحسره من الملائكة والمؤمنين ان قوله ياحسرة على العباد على الاوّل انشاء التحسر من القائل مثل كون ياعجبا لانشاء التعجب منه وغايته ان يحمل على المجاز لامتناع حمله على الحقيقة وعلى الثانى يكون المقصود منه الاخبار بان هذه الحال من حقها ان تتحقق فيها الحسرة من اصحابها او من غيرهم ولايلزم ان يكون من يقول ياحسرة ويادامة متحسرا ونادما لاحقيقة ولامجازا ﴿ قوله ويؤيد قرآءة ياحسرتا ﴾ وجه التأييد ان اصله ياحسرتى قلبت الياء الفا لان الالف والفتحة اخف من الياء والكسرة فان نحو ياغلامى يخفف على وجهين حذف الياء اكتفاء بالكسرة وقلبها الفا لما ذكر فيكون ياحسرتا من القلب ﴿ قوله ونصبها لطولها ﴾ اى لكونها شبيهة بالمنادى المضاف فى طولها بالجار المتعلق بها وقيل انها مصدر مؤكد لفعلها المضمر وكلمة على حينئذ متعلقة بذلك الفعل المضمر والمنادى محذوف تقديره ياهؤلاء تحسروا حسرة او ياقوم تحسروا حسرة وقوله بالاضافة الى الفاعل او المفعول فيكون العباد فاعلين الحسرة فان العباد الهالكين يتحسرون على انفسهم وكذا الملائكة والمؤمنون يتحسرون على الكفار حين كذبوا الرسل او حين شاهدوا عذابهم على معنى انهم يتحسرون على غيرهم حين يرون عذابهم او يتحسر عليهم غيرهم وقرئ ياحسره بالهاء المبدلة من تاء التأنيث وصلا وكأنهم اجروا الوصل مجرى الوقف لما مثل حال كفار مكة بحال اصحاب القرية فى تكذيب الرسول الناصح وبين اهلاكهم بصيحة واحدة عقيبه بان عجل عليهم بانهم قد علموا

فان المستهزئين بالناصحين المخلصين المنوط بنصحهم خير الدارين احقاء بان يتحسروا او يتحسر عليهم وقد تلهف على حالهم الملائكة والمؤمنون من الثقلين ويجوز ان يكون تحسرا من الله عليهم على سبيل الاستعارة لتعظيم ماجنوه على انفسهم ويؤيده قرآءة ياحسرتا ونصبها لطولها بالجار المتعلق بها وقيل باضمار فعلها والمنادى محذوف وقرئ ياحسرة العباد بالاضافة الى الفاعل او المفعول وياحسره على العباد باجرآء الوصل مجرى الوقف

ان المهلكين بسبب تكذيب الرسل غير منحصر فيهم بل هم طوائف كثيرة فلم لا يعتبرون بهم والقرن اهل كل عصر سموا بذلك لاقترانهم فى الوجود واستدل على ان كم هنا خبرية لانه ابدل منها ماليس استفهاما وهو قوله انهم اليهم لا يرجعون والاستفهامية لا يعمل فيها ماقبلها فلا يقال مررت كم فرسخا وكم الخبرية محمولة عليها لمشاركتها اياها فى افادة الابهام فقوله لان اصلها الاستفهام يريد به ان الاستفهامية اصل فى ان لا تكون معمولة لما قبلها والخبرية محمولة عليها لا ان احداهما اصل للاخرى بحسب نفس اللفظ لان كل واحدة منهما اصل بنفسها ولكنهما لفظان مشتركان بين الاستفهام والخبر فلما كان يروا معلقا عن كم كانت كم منصوبة المحل على انها مفعول اهلكنا تقديره كثيرا من القرون اهلكنا ﴿ قوله بدل من كم على المعنى ﴾ اى لا من حيث اللفظ لان الم يروا لما لم يعمل فى كم لفظا لا يعمل فى بدله ايضا بل العامل فى كم لفظا هو اهلكنا فلو كان انهم اليهم لا يرجعون بدلا من كم من حيث اللفظ لوجب ان يكون معمولا لاهلكنا ايضا لان البدل على نية تكرار العامل ولو سلطت اهلكنا على انهم لاختل المعنى اذ لا معنى لقولنا اهلكنا انتفاء رجوعهم واهلكنا كونهم لا يرجعون فوجب ان يكون بدلا من كم على المعنى وان يكون معمولا لما عمل فى كم معنى وهو الم يروا لان الفعل المعلق ممنوع من العمل لفظا وعامل معنى وتقديرا لان معنى قولك علمت ازيد قائم علمت قيام زيد كما هو كذلك عند انتصاب الجزءين لفظا فمن ثمة جاز عطف الجزءين المنصوبين على الجملة المعلق عنها نحو علمت ازيد قائم وبكرا قاعدا فيكون المعنى ماذكره من قوله الم يروا كثرة اهلاكنا القرون من قبلهم كونهم غير راجعين اليهم مع ان كم مفعول اهلكنا لفظا ولقائل ان يقول كما لا يصح ان يكون بدلا على اللفظ كما ذكره لا يصح ايضا ان يكون بدلا على المعنى لان كونهم غير راجعين اليهم ليس كثرة الاهلاك فلا يكون بدل كل من كل وليس بعض الاهلاك فلا يكون بدل بعض من كل ولا يكون بدل اشتمال اذ يصح ان يضاف الى ما ابدل منه وهنا لا يصح هنا فانه لا يقال الم يروا انتفاء رجوع كثرة اهلاكنا القرون من قبلهم وفى بدل الاشتمال لو قلت اعجبنى الجارية ملاحتها او سرق زيد ثوبه يصح ان يقال اعجبنى ملاحة الجارية وسرق ثوب زيد ولا يصح الاضافة ههنا فلا يقال الم يروا انتفاء رجوع كثرة اهلاكنا القرون من قبلهم ويمكن ان يقال انه من قبيل بدل الكل من الكل لان كونهم غير راجعين اليهم عبارة عن اهلاكهم بالكلية والمعنى الم يروا ان خروجهم من الدنيا ليس كخروج احدهم من منزله الى السوق او بلد آخر ثم يعود الى منزله عند اتمام مصلحته هناك بل هو مفارقة من الدنيا ابدا وفى اعجبنى الجارية ملاحتها وسرق زيد ثوبه يصح ان يقال اعجبنى ملاحة الجارية وسرق ثوب زيد وقيل هو بدل الكل من الكل لان كونهم غير راجعين عبارة عن اهلاكهم لانه لازمه عبر به عنه تجوزا ﴿ قوله تعالى وان كل لما جميع لدينا محضرون ﴾ قرئ بالتخفيف والتشديد واجمعوا على تخفيف ان ورفع كل على انه مبتدأ وجميع خبره ومحضرون خبر ثان فمن خفف لما كانت ما صلة للتأكيد وان مخففة من الثقيلة واسمها مضمر وهو ضمير الشان او الامر واللام فى لما هى الفارقة بين المخففة والنافية فانه اذا خففت المكسورة جاز الغاؤها واعمالها والالغاء اكثر من الاعمال كقوله تعالى وان كلا لما ليوفينهم وتلزمها اللام مع التخفيف سواء اعملت ام اهملت اما مع الاهمال فللفرق بين المخففة والنافية واما مع الاعمال فللطرد هكذا قال ابن الحاجب وهو خلاف مذهب سيبويه وسائر النحاة فانهم قالوا المعملة لا تلزمها اللام لحصول الفرق بالعمل فمعنى الآية وان الشأن كل واحد من المهلكين مجموع مع الآخر فهم محضرون لدينا للحساب والجزاء وفائدة بيان الاهلاك بيان ان من اهلكه ليس بمتروك على حاله بل بعده جمع وحساب وحبس وعقاب ولو ان من اهلكه ترك بعده لكان الموت راحة كل حى ونعم ماقال من قال

ولو انا اذا متنا تركنا ۝ لكان الموت راحة كل حى ۝

ولكنا اذا متنا بعثنا ۝ ونسأل بعدها عن كل شى ۝

وان شدد لما تكون ان نافية بمعنى ما ولما بمعنى الا وما كل الا جميع كقولهم نشدتك بالله لما فعلت كذا اى ما سألتك الا ان تفعل وكقوله ان كل نفس لما عليها حافظ اى ما كل نفس الا عليها حافظ ولما اشار بقوله وان كل لما جميع لدينا محضرون الى انه يحشر الاجساد الميتة ويحييهم ذكر مايدل على امكانه قطعا لاستبعادهم اياه واصرارهم على انكاره فقال وآية لهم الارض الميتة الآية آية مبتدأ ولهم صفتها والارض الميتة مبتدأ ثان واحييناها خبر الثانى والجملة خبر الاول وهو آية ولعل الوجه فى خلوها عن العائد كونها فى تأويل احياؤنا الارض الميتة ويحتمل ان يكون آية لهم مبتدأ والارض الميتة خبره واحييناها صفة الارض ٭ ولما ورد عليه ان الارض معرف باللام

(الم يروا) الم يعلموا وهو معلق عن قوله (كم اهلكنا قبلهم من القرون) لان كم لا يعمل فيها ماقبلها وان كانت خبرية لان اصلها الاستفهام (انهم اليهم لا يرجعون) بدل من كم على المعنى اى الم يروا كثرة اهلاكنا من قبلهم كونهم غير راجعين اليهم وقرئ بالكسر على الاستئناف (وان كل لما جميع لدينا محضرون) يوم القيامة للجزاء وان مخففة من الثقيلة واللام هى الفارقة وما مزيدة للتأكيد وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة لما بالتشديد بمعنى الا فتكون ان نافية وجميع فعيل بمعنى مفعول ولدينا ظرف له او لمحضرون (وآية لهم الارض الميتة) وقرأ نافع بالتشديد (احييناها) خبر للارض والجملة خبر لآية او صفة لها اذ لم يرد بها معينة وهى الخبر او المبتدأ والآية خبرها او استئناف لبيان كونها آية

فكيف توصيفها بالجملة الخبرية وهي نكرة * اجاب عنه بان اللام التي تكون للعهد الذهني يشار بها الى الحقيقة من حيث وجودها في ضمن بعض الافراد كما في قولك ادخل السوق عند سوق معهود معين وارادة الجنس من حيث هي هي منتفية لان الدخول لا يتعلق بحقيقة السوق بل انما يتعلق بفرد منها لا بعينه فيكون المعرّف بلام العهد الذهني في معنى النكرة فيعامل معاملتها فلذلك صح توصيفه بالجملة الخبرية كما في قوله * ولقد امرّ على اللئيم يسبني * ويحتمل ان يكون الارض الميتة مبتدأ وخبر مبتدأ واحييناها استئنافا كأنّ قائلا قال كيف تكون الارض آية فقال احييناها وقال ابو البقاء آية مبتدأ ولهم خبره والارض مبتدأ والميتة صفته واحييناها خبره وهذه الجملة مفسرة للجملة الاولى ﴿ قوله قدم الصلة ﴾ يعني ان تقديمها يفيد اختصاص المأكولية بالحب وان لا يؤكل غيره وليس كذلك فما وجه التقديم اجاب بانها قدمت لتفيد انحصار معظم ما يؤكل ويعاش به في الحب فحاصله ان التقديم لحصر الكمال لا لحصر المأكولية فهو من قبيل حاتم هو الجواد ولافتى الاعلى ﴿ قوله فان الدال على الجنس مشعر بالاختلاف ﴾ اي باختلاف مدلوله لان الجنس مقول على المختلفين بالحقيقة فلا يحتاج الى ان يجمع فانه يدل عليه بخلاف مايدل على النوع فانه يجمع اذا اريد به الاصناف المختلفة لذلك النوع لان النوع يقال على افراد حقيقة واحدة فلا يدل على اختلاف الاصناف فيجمع ليدل على ذلك فلذلك جمع النخيل والاعناب فان النخيل والنخل بمعنى واحد والواحدة نخلة ﴿ قوله ليطابق الحب ﴾ علة للنفي لا للمنفي لان المطابقة للحب انما تحصل بذكر التمر لا بعدم ذكره يريد انه اختير النخل على التمر لان المقام مقام تعداد النعم المترتبة على حياة الارض وتبيين الآية الدالة على كمال قدرته والنخيل في انفسها من جلائل النعم ومن دلائل كمال القدرة وثمورها وان ذكرها في قوة ذكر الثمور فلذلك ذكر النخيل دون الثمور * فان قيل قوله احييناها يكفي للاستدلال على جواز احياء الموتى فما فائدة قوله فاخرجنا منها حبا ومابعده * قلنا فائدته الدلالة على كمال حياتها بحيث يثبت لها جميع منافعها فان موت الارض استعارة ليبسها وزوال رطوبتها التي هي مبدأ انبات النباتات وزينتها فيكون حياتها مستعارا لثبوت تلك الحالة لها لكن لثبوتها مراتب مختلفة بعضها اكمل من بعض فقوله واخرجنا منها حبا الخ بمنزلة ان يقال احييناها احياء كاملا ﴿ قوله اي شيأ من العيون ﴾ على ان من تبعيضية قدم هذا الوجه لان زيادة من في الاثبات قول مرجوح تفرد به الاخفش ذكر اولا ان ضمير ثمره راجع الى الجنات باعتبار المذكور وثانيا انه راجع الى الله عز وجل والمعنى ليأكلوا مما خلقه الله تعالى من الثمر ومقتضى الظاهر ان يقال من ثمرنا لقوله وفجرنا وجعلنا واخرجنا لكن عدل من التكلم الى الغيبة على طريق الالتفات وتشديد فجرنا وفتحنا للتكثير لا للتعدية لان فجرنا وفتحنا الثلاثيين ايضا متعديان ﴿ قوله عطف على الثمر ﴾ اشارة الى ان ما موصولة مجرورة المحل عطفا على ثمره اي ليأكلوا من ثمره ومن الذي عملته ايديهم فعلى قرآءة الجمهور الامر واضح لانهم قرأوا وماعملته ايديهم باثبات الهاء لكون العائد الذي هو عائد الى الموصول حاصلا في قرآءتهم واما على قرآءة حمزة والكسائي وابي بكر فان كانت ما موصولة يكون العائد محذوفا كما حذف في قوله اهذا الذي بعث الله رسولا بالاجماع قال مكي في مغربه ومن قرأ وماعملت بغيرهاء كان الاحسن ان تكون ما في موضع خفض وتحذف الهاء من الصلة ويبعد ان تكون نافية لانك تحتاج الى اضمار مفعول لعملت وفي اللباب وعلى قرآءة الكوفيين غير حفص ان كانت ما نافية لا يقدر ضمير ولكن المفعول محذوف اي عملت ايديهم شيأ من ذلك وعلى قرآءة غيرهم الضمير يعود على ثمره ومراد مكي ماذكره المصنف من ان حذف معمول عملت حال كونه صلة احسن من حذف مفعوله غير صلة اذ هو بعيد ومراد صاحب اللباب بان كانت نافية على قرآءتهم لا يكون المفعول المحذوف ضمير الثمر فقط بل مارجع الى جميع ماأضافه الله تعالى الى نفسه من المخرج والجنات المجعولة والعيون المفجرة وثمار تلك الجنات لان ايديهم لم تعمل شيأ منها ولا ضرورة تدعو الى تخصيص المفعول بواحد منها ﴿ قوله تعالى سبحان الذي الآية ﴾ سبحان علم دال على التسبيح فان العلم كما يكون علما للاشخاص كزيد وعمرو والاجناس كاسامة يكون للمعاني ايضا ومنه سبحان للتسبيح وتبيين مفعوله بالاضافة اليه نحو سبحان الله وسبحان الذي خلق الازواج * فان قيل كيف اضيف والعلم لا يضاف * قلنا الذي لا يضاف هو علم الاعيان وماهو علم المعنى يجوز اضافته ويجب حذف فعله اي سبح تسبيحا اي نزه عن صفات النقص تنزيها الله الذي خلق الازواج الانواع والاصناف كلها من غير ان يشاركه فيه غيره فكيف يجوز ان يشرك به ما لا يخلق شيأ ابدا بل هو مخلوق مصنوع وعن ان يكون عاجزا عن احياء الموتى مع انه مبدئ

(واخرجنا منها حبا) جنس الحب (فمنه يأكلون) قدم الصلة للدلالة على ان الحب معظم ما يؤكل ويعاش به (وجعلنا فيها جنات من نخيل واعناب) من انواع النخيل والعنب ولذلك جمعهما دون الحب فان الدال على الجنس مشعر بالاختلاف ولا كذلك الدال على الانواع وذكر النخيل دون الثمور ليطابق الحب والاعناب لاختصاص شجرها بمزيد النفع وآثار الصنع (وفجرنا فيها) وقرئ بالتخفيف والفجر والتفجير كالفتح والتفتيح لفظا ومعنى (من العيون) اي شيأ من العيون فحذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه او العيون ومن مزيدة عند الاخفش (ليأكلوا من ثمره) ثمر ما ذكر وهو الجنات وقيل الضمير لله على طريقة الالتفات والاضافة اليه لان الثمر بخلقه وقرأ حمزة والكسائي بضمتين وهو لغة فيه او جمع ثمار وقرئ بالضم والسكون (وما عملته ايديهم) عطف على الثمر والمراد ما يتخذ منه كالعصير والدبس ونحوهما وقيل ما نافية والمراد ان الثمر بخلق الله لا بفعلهم ويؤيد الاول قرآءة الكوفيين غير حفص بلا هاء فان حذفه من الصلة احسن من غيرها (افلا يشكرون) امر بالشكر من حيث انه انكار لتركه (سبحان الذي خلق الازواج كلها) الانواع والاصناف (مما تنبت الارض) من النبات والشجر (ومن انفسهم) ومن الذكر والانثى (ومما لا يعلمون) وازواجا مما لم يطلعهم الله عليه ولم يجعل لهم طريقا الى معرفته

الازواج كلها والاعادة كالابدآء بل هى اهون ولما امر بالشكر بقوله افلايشكرون وشكر الله بالعبادة له وهم تركوها وعبدوا غيره واشركوا قال ردًا عليهم سبحان الذى خلق الازواج كلها وغيره لم يخلق شيأ والزوج خلاف الفرد ويقال للانواع ازواج لان كل نوع زوج لقسيمه قال تعالى وانبتنا فيها من كل زوج بهيج فانه سمى كل نوع زوجا قبل هذا فقال فنوعين زوجان كما يقال هما زوج لاوتر وهما بابان وسوآء ﴿ قوله نزيله ونكشفه من مكانه ﴾ اى مكان الليل ونظهر ظلمته اشارة الى ان المستعار له ازالة ضوء النهار عن الاماكن التى يقع عليها ظلمة الليل بحيث تكون تلك الظلمة ظاهرة منكشفة والمستعار منه سلخ الجلد عن الشاة شبه ازالة ضوء النهار وانكشاف ظلمة الليل بسلخ الجلدى عن الشاة فاطلق اسم السلخ عليها ثم اشتق منه نسلخ فهو استعارة تصريحية تبعية قال الفرآء الاصل الظلمة والنهار داخل عليها فاذا غربت الشمس ينسلخ النهار من الليل وينكشف ويزول فتظهر الظلمة لما استدل باحياء الارض الميتة وهى مهاد ومكان لسكانها استدل بالليل والنهار وهو زمان لهم وبين الزمان والمكان مناسبة ﴿ قوله داخلون فى الظلام ﴾ وهو اوّل الليل واظلم القوم اى دخلوا فى الظلام مثل اصبحوا فاذا للمفاجأة اى ليس لهم بعد ذلك امر سوى الدخول فيه ﴿ قوله تعالى والشمس تجرى لمستقر لها ﴾ الشمس مبتدأ وتجرى خبره ولك ان تعطف الشمس على الليل على معنى وآية لهم الشمس فيكون قوله تجرى فى موضع الحال اى جارية وقيل فى الكلام حذف مضاف تقديره تجرى لجرى مستقر لها وعلى هذا فاللام أجلية اى لاجل جرى مستقر لها والصحيح انه لاحذف وان اللام بمعنى الى ويدل عليه قرآءة بعضهم الى مستقر والمستقر اما اسم مكان اى تسير الى موضع تستقر فيه اى تنتهى اليه ولا تتجاوز عنه كاستقرار المسافر اذا قطع مسيره ووجه الشبه الانتهاء اليه وعدم التجاوز عنه وان كان لاحدهما استقرار دون الآخر وذلك الموضع كبد السماء اى وسطها شبه بطؤ حركتها فيه بالوقفة والاستقرار وحيرى تأنيث حيران مثل عطشان وعطشى يقال دوّمت الشمس فى كبد السماء اى ابطأت وصارت كأنها لا تمضى واما مصدر ميمى واللام لام العاقبة اى تجرى بحيث يترتب على جريها استقرارها على نهج مخصوص بان تستقر فى كل برج شهرا وتبلغ نهاية ارتفاعها فى الصيف ونهاية انخفاضها فى الشتاء من منازلها فى السماء اى تجرى لان يستقر كل واحد من ارتفاعها وانخفاضها فى حدّ معين من مسافة سيرها فى بروجها الاثنى عشر على وجه يأخذ الليل من النهار فى نصفه الاطول والنهار من الليل فى نصفه الآخر ويترتب عليه اختلاف الفصول الاربعة وتهيئة اسباب معاش الارضيات وترتيبها ﴿ قوله او لمنتهى مقدّر لكل يوم من المشارق والمغارب ﴾ فيكون المستقر اسم مكان كالاوّل وذلك المكان فى الوجه الاوّل تنتهى اليه الشمس فى آخر السنة وفى هذا الوجه تنتهى اليه فى كل يوم ولا تتجاوز عنه ﴿ قوله او لمنقطع جريها ﴾ فالمستقر على هذا زمان اى تجرى الى زمان استقرارها وانقطاع حركتها وذلك الزمان يوم القيامة وقرئ لامستقرّ بلا النافية للجنس وبناء مستقرّ على الفتح ولها الخبر وقرئ لامستقرٌّ لها بالرفع والتنوين على ان لا بمعنى ليس وعاملة عملها ومستقرّ اسمها ولها فى محل النصب خبرها على معنى انها لاتستقر فى الدنيا بل هى دآئمة الجريان وقوله على كل مقدور وبكل معلوم مستفاد من ترك المفعول به ﴿ قوله والقمر قدّرناه منازل ﴾ قرأ الكوفيون وابن عامر بنصب القمر باضمار يامله على شريطة التفسير والباقون وهم نافع وابن كثير وابو عمرو برفعه اما على انه مبتدأ وقدّرناه خبره واما بالعطف على الليل والمعنى وآية لهم القمر ولابدّ ههنا من تقدير لفظ يتم به معنى الكلام لان القمر لم يجعل نفسه منازل فلذلك قدّر المصنف مضافا وهو مسيره اى موضع سيره فيكون منازل مفعولا ثانيا لقدّرنا على تضمينه معنى صيرنا وان كان المضاف المقدّر سيره يكون انتصاب منازل بنزع الخافض والمعنى قدّرنا سيره فى منازل وقيل تقديره قدّرنا له منازل فيكون مفعولا به ثم حذفت اللام واوصل الفعل بنفسه وحرف الجرّ مراد وقيل منازل حال اى ذا منازل والعرجون عود العذق مابين شماريخه الى منبته من النخلة والعذق بالكسر الكباسة وهو فى النخل بمنزلة العنقود فى الكرم والشماريخ جمع شمراخ او شمروخ وهو ماعليه البسر من عيدان الكباسة لان عود العذق اذا قدم وعتق دق وتقوّس واصفرّ والقديم ماتقادم فى العادة الاترى انه لايقال لمدينة بنيت من سنة انها مدينة قديمة ويقال لبعض الاشياء انه قديم وان لم يكن له سنة واختلف فى وزن عرجون فقيل هو فعلول فنونه اصلية لافعلون لان فعلونا ليس فى كلامهم وقال الزجاج هو فعلول من الانعراج وهو الانعطاف وهو حسن من جهة المعنى ولكنه ضعيف من جهة انه لانظير له فى كلام القوم وقرئ كالعرجون بكسر العين وفتح الجيم وفى الصحاح

(وآية لهم الليل نسلخ منه النهار) نزيله ونكشفه عن مكانه مستعار من سلخ الجلد والكلام فى اعرابه ماسبق (فاذاهم مظلمون) داخلون فى الظلام (والشمس تجرى لمستقرّ لها) لحدّ معين تنتهى اليه دورها شبه بمستقرّ المسافر اذا قطع مسيره او لكبد السماء فان حركتها فيه توجد ابطأ بحيث يظن ان لها هناك وقفة قال

والشمس حيرى لها بالجوّ تدويم او لاستقرار لها على نهج مخصوص او لمنتهى مقدّر لكل يوم من المشارق والمغارب فان لها فى دورها ثلاثمائة وستين مشرقا ومغربا تطلع كل يوم من مطلع وتغرب من مغرب ثم لاتعود اليهما الى العام القابل او لمنقطع جريها عند خراب العالم وقرئ لامستقرّ لها اى لاسكون فانها متحركة دآئما ولامستقرّ على ان لا بمعنى ليس (ذلك) الجرى على هذا التقدير المتضمن للحكم التى تكل الفطن عن احصائها (تقدير العزيز) الغالب بقدرته على كل مقدور (العليم) المحيط علمه بكل معلوم (والقمر قدّرناه) قدّرنا مسيره (منازل) او سيره فى منازل وهى ثمان وعشرون الشرطان البطين الثريا الدبران الهقعة الهنعة الذراع النثرة الطرف الجبهة الزبرة الصرفة العوآء السماك الغفر الزبانى الاكليل القلب الشولة النعائم البلدة سعد الذابح سعد بلع سعد السعود سعد الاخبية فرغ الدلو المقدم فرغ الدلو المؤخر الرشاء وهو بطن الحوت ينزل كل ليلة فى واحد منها لايتخطاه ولايتقاصر عنه فاذا كان فى آخر منازله وهو الذى يكون فيه قبيل الاجتماع دق واستقوس وقرأ الكوفيون وابن عامر والقمر بنصب الراء (حتى عاد كالعرجون) كالشمراخ المعوج فعلون من الانعراج وهو الاعوجاج وقرئ كالعرجون وهما لغتان كالبزيون والبزيون (القديم) العتيق وقيل مامرّ عليه حول فصاعدا

البزيون بالضم السندس وهو مارق من الحرير والاستبرق هو ماغلظ منه ﴿ قوله في سرعة سيره ﴾ فان القمر اسرع سيرا حيث يقطع فلكه في شهر بخلاف الشمس فانها ابطأ منه فانها لاتقطع فلكها الا في سنة فهي لاتدرك القمر في سرعة سيره فانه تعالى جعل سيرها ابطأ من سير القمر واسرع من سير زحل لانها كاملة النور فلو كانت بطيئة السير لدامت زمانا كثيرا في مسافة شئ واحد فتحرقه ولو كانت سريعة السير لما حصل لها لبث في بقعة واحدة بقدر مايخرج النبات من الارض والاوراق والثمار من الاشجار وبقدر ماينضج الثمار والحبوب ويختل بذلك تعيش الحيوان وكذا لاينبغي للشمس ان تدرك القمر في آثاره ومنافعه مع قوة نورها واشراقها فان لكل واحد منهما آثارا ومنافع تخصه وليس للآخر ان يدركه فيها وكذا ليس لها ان تدركه في مكانه بان تنزل منازله وتجري حيث جرى فانه قدر لكل واحد منهما فلك على حياله فان القمر في السماء الدنيا والشمس في السماء الرابعة وكذا ليس لها ان تدركه في سلطانه اي ان تجامعه كائنا في سلطانه واشعة نوره وذلك بالليل اي ليس لها ان تجامع القمر بالليل فتطمس نوره والسلطان الوالي ويطلق على الحجة والبرهان واراد بسلطان القمر نوره الذي هو برهان لوجوده ﴿ قوله وايلاء حرف النفي الشمس ﴾ يعني الظاهر ان يقال فلا ينبغي للشمس ان تدرك القمر على انه نتيجة الكلام السابق فانه لما قال والشمس تجري لمستقر لها اي الى حد معين تنتهي اليه ولا تتجاوز منه فان الشمس كل يوم تطلع من مشرق وتغيب في مغرب ستة اشهر فتنتهي الى اقصى المشارق والمغارب في زمان الصيف ثم ترجع الى تلك المشارق والمغارب فتطلع فيها وتغرب ستة اشهر فتنتهي الى غاية انخفاضها في زمان الشتاء فذلك حدها في الانخفاض لاتعدوه كان ذلك حدها في الارتفاع ولاتعدوه فلزم منه انها لاتدرك القمر في سرعة سيره فالظاهر انه نتيجة له الا ان فاء النتيجة تركت تعويلا على فهم السامع وجعل حرف النفي في حيز الشمس وادخلت عليه للدلالة على ماذكره والفرق بين لا الشمس ينبغي لها وبين لاينبغي للشمس ان الاول ابلغ وآكد في افادة انها مسخرة فان قولك انت لاتكذب بتقديم المسند اليه فيه تقوية الحكم المنفي وتقريره فهذا اشد لنفي الكذب من لاتكذب لما فيه من تكرار الاسناد المفقود في لاتكذب فكذا قولك لا الشمس تدرك ولاتدرك الشمس ﴿ قوله تعالى سابق النهار ﴾ الجمهور على حذف التنوين تخفيفا وقرئ سابق النهار بالتنوين والنصب على حذف التنوين لالتقاء الساكنين لما كان نفس الليل سابقا على النهار والنهار طار عليه والطرو سابق على الطاري لامحالة فسر قوله تعالى ولا الليل سابق النهار بان الليل لايعجز النهار من ان يتصل به ويجئ عقيبه بل يتعاقبان فهو كالتتمة لقوله وآية لهم الليل نسلخ منه وقيل المراد بالليل والنهار القمر والشمس فمعنى قوله ولا الليل سابق النهار لايتسهل للقمر ان يكون ذا سلطان في النهار بل تراه فيه جرما لانور له ولا بهاء فيه فضلا عن ان يزيل سلطان الشمس ﴿ قوله والضمير للشموس والاقمار ﴾ لما كان المذكور الشمس والقمر وجئ بضمير الجمع اعتذر بان هنا شموسا واقمارا باعتبار مطالعهما ولما ذكر مطالعهما فكانه ذكر شموس واقمار فجئ بضمير الجمع لذلك قال الزجاج ومعنى يسبحون يسيرون فيه بانبساط وكل من انبسط في شئ فقد سبح فيه ومن ذلك السباحة في الماء والفلك هو الجسم المستدير والسطح المستدير والدائرة لان اهل اللغة اتفقوا على ان فلكة المغزل سميت فلكة لاستدارتها وفلكة الخيمة هي الخشبة المسطحة المستديرة التي توضع على رأس العمود لئلا يمزق العمود الخيمة وهي صفحة مستديرة فان قيل فعلى هذا تكون السماء مستديرة وقد اتفق المفسرون على ان السماء مبسوطة لها اطراف على جبال وهي كالسقف المستوي ويدل عليه قوله تعالى والسقف المرفوع قال الامام ليس في النصوص مايدل دلالة قاطعة على كون السماء مبسوطة غير مستديرة بل الدليل الحسي على كونها مستديرة فوجب المصير اليه والسقف المرفوع لايخرج بذلك عن كونه سقفا وكذا كونه على جبال والظاهر ان الضمير في قوله وآية لهم الليل وآية لهم انا حملنا ذريتهم عائد على هؤلاء العباد قال الراغب الذرية اصلها الصغار من الاولاد وان كانت تقع على الصغار والكبار في التعارف وتستعمل في الواحد والجمع واصلها الجمع قال تعالى ذرية بعضها من بعض وذرية ضعافا واستعمالها في النساء مجاز من قبيل تسمية المحل باسم الحال وهو المراد بقوله لانهن مزارع الذرية عن حنظلة انه قال كنا في غزاة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى امرأة مقتولة فقال ما كانت هذه تقتل الحق خالدا وقل لاتقتلن ذرية يعني النساء واذا كان ضمير لهم وذريتهم ليس واحدا كان المناسب ان تكون الالف واللام في قوله في الفلك المشحون لتعريف الجنس كما في قوله وجعل لكم من الفلك والانعام ماتركبون وقوله وترى الفلك فيه مواخر وقوله فاذا

(لا الشمس ينبغي لها) يصح لها ويتسهل (ان تدرك القمر) في سرعة سيره فان ذلك يخل بتكون النبات وتعيش الحيوان او في آثاره ومنافعه او مكانه بالنزول الى محله او سلطانه فتطمس نوره وايلاء حرف النفي الشمس للدلالة على انها مسخرة لايتيسر لها الاما اريد بها (ولا الليل سابق النهار) يسبقه فيفوته ولكن يعاقبه وقيل المراد بهما آيتاهما وهما النيران وبالسبق سبق القمر الى سلطان الشمس فيكون عكسا للاول وتبديل الادراك بالسبق لانه الملائم لسرعة سيره (وكل) وكلهم والتنوين عوض المضاف اليه والضمير للشموس والاقمار فان اختلاف الاحوال يوجب تعددا ما في الذات او للكواكب فان ذكرهما مشعر بها (في فلك يسبحون) يسيرون فيه بانبساط (وآية لهم انا حملنا ذريتهم) اولادهم الذين يبعثونهم الى تجاراتهم او صبيانهم ونساءهم الذين يستصحبونهم فان الذرية تقع عليهن لانهن مزارعهم

(ركبوا)

ركبوا فى الفلك الى غير ذلك كان تعريف الفلك فيه للاشارة الى الجنس من حيث وجوده فى ضمن بعض الافراد وهو المسمى تعريف العهد الذهنى والمعنى وآية لهم الا سخرنا لهم البحر والريح وجعلنا لهم اتخاذ السفن وركوبها ويسيرون بها فى البحر كما يسيرون فى البر «قوله وتماسكهم فيها اعجب» يعنى ان تسخير البحر والفلك كما انه نعمة فى حق الذرية نعمة فى حقهم ايضا لانه لما كان تماسكهم انفسهم فى الصبر على القرار فيها اشق واعجب كانت النعمة فى حقهما اتم وقيل المراد فلك نوح عليه الصلاة والسلام على ان يكون تعريف الفلك للاشارة الى حصة معينة فالمعنى انا حملنا اولادهم فعلى هذا كان الظاهر ان يقال انا حملناهم وذريتهم لان انفسهم ايضا محمولون فى فلك نوح الا انه قيل حملنا ذريتهم بتخصيص الحمل بالذرية لكونه ابلغ فى الامتنان بكمال النعمة فى حقهم فانه لو قيل حملناهم لكان امتنانا بمجرد تخليصهم من الغرق فلما قيل حملنا ذريتهم افاد الكلام ان نعمة التخليص من الغرق لم تكن مقتصرة عليكم بل هى متعدية الى اعقابكم الى يوم القيامة حيث حملنا معكم اولادكم الى يوم القيامة فى ذلك الفلك ولولا ذلك لما بقى لكم نسل ولا عقب ويحتمل ان يقال انما خص الذرية بالذكر لان الموجودين لما كانوا كفارا لا فائدة فى وجودهم قال حملنا ذريتهم اى لم يكن الحمل حملا لهم بل كان حملا لما فى اصلابهم من المؤمنين كمن حمل صندوقا لا قيمة له وفيه جواهر لا يقول حملت الصندوق انما يقول حملت ما فيه «قوله او من السفن والزوارق» هذا على تقدير ان يكون المراد بالفلك المشحون سفينة نوح عليه الصلاة والسلام والاول على تقدير ان يراد به الجنس «قوله فلا مغيث لهم يحرسهم» اشارة الى ان الصريخ فعيل بمعنى مفعل اى مصرخ وهو المغيث يقال اصرخه اذا اغاثه ويقال استغاثنى فاغثته وقال الجوهرى الصريخ المغيث والمستصرخ المستغيث يقال استصرخنى فاصرخته والصريخ صوت المستصرخ والصريخ ايضا الصارخ وهو المغيث والمستغيث ايضا وهو من الاضداد انتهى كلامه وفى اكثر نسخ هذا الكتاب او فلا استغاثة وهو مبنى على ان يكون الصريخ صوت المستغيث كما فى قولهم اتاهم الصريخ وفى بعض النسخ او فلا اغاثة وكذا فى الكشاف والظاهر انه مبنى على ان يكون الصريخ عبارة عن صوت المستغيث وان يكون نفى الاستغاثة كناية عن نفى الاغاثة لانه لم ينقل ان صريخا مصدر من اصرخ بمعنى اصراخ واغاثة ومعنى الآية فلا مغيث لهم يمنع عنهم الغرق ولا هم ينقذون اذا ادركهم الغرق لان الخلاص من العذاب قد يكون بدفع العذاب من اصله وقد يكون بدفعه بعد وقوعه فاشار تعالى الى انتفاء كلا طريق الخلاص عنهم اشار الى انتفاء الاول بقوله فلا صريخ لهم يدفع عنهم الغرق والى انتفاء الثانى بقوله ولا هم ينقذون بعد الوقوع فيه ولو سلم انهم يخلصون من الموت بسبب عدم الغرق لكن لا محيص لهم من الموت اصلا اذا اتم المسمى اى المدة التى قدرها الله لهم منه «قوله تعالى الا رحمة» منصوب على انه مفعول له ومتاعا عطف عليها والاستثناء مفرغ اى ولا ينقذهم من الغرق احد اذا اردنا اغراقهم الا ان تفعل نحن ذلك الانقاذ رحمة صادرة منا وتمتع بالحياة الى حين قدر لآجالهم وقيل منصوب على المصدر اى الا ان نرحمهم رحمة ونمتعهم تمتيعا الى اجل يموتون فيه وقيل انتصابه بنزع الخافض اى الا برحمة وقيل على انه مستثنى منقطع اى ولا هم ينجون من الغرق البتة ولكن رحمتى هى التى تنجيهم «قوله الوقائع التى خلت» اى وقعت قبلكم من عقوبات الله تعالى للامم الماضية الذين كذبوا رسلهم اى اتقوا ان ينزل بكم مثلها واتقوا ما حل بكم من العذاب المعد فى الآخرة بعد هذا اليوم والوقائع الماضية باعتبار تقدمها صارت كأنها بين ايديهم وباعتبار ادبارها صارت كأنها خلفهم واحوال الآخرة باعتبار ان مصيرهم اليها كانت كأنها بين ايديهم وباعتبار انها تكون بعد هلاكهم كانت خلفهم وقس عليه الباقى «قوله كقوله اولم يروا الى ما بين ايديهم وما خلفهم من السماء والارض» ان نشأ نخسف بهم الارض او نسقط عليهم كسفا من السماء يريد ان معنى هذه الآية مثل معنى تلك الآية فى ان المراد بهما التخويف مما احاطهم من العذاب من كل جانب اينما ساروا فهو امامهم وخلفهم محيط بهم بحيث ليس فى وسعهم ان يتخلصوا عنه بالهرب فان الله تعالى قادر على ان يهلكم بالخسف او باسقاط الكسف اى اذا قيل لهم اتقوا عذابا محيطا بكم من جوانبكم وجواب اذا محذوف وهو اعرضوا حذف لدلالة قوله الا كانوا عنها معرضين كأنه قال اذا قيل لهم اتقوا اعرضوا ثم قال ودأبهم الاعراض عن كل آية وموعظة على ان قوله وما تأتيهم الخ كالتذييل للكلام السابق «قوله تعالى واذا قيل لهم انفقوا الآية» اشارة الى انهم اخلوا بجميع التكاليف لان جملتها ترجع الى امرين التعظيم لجانب الله والشفقة على خلق الله حيث قيل لهم اتقوا فلم يتقوا «قوله

وتخصيصهم لان استقرارهم فى السفن اشق وتماسكهم فيها اعجب وقرأ نافع وابن عامر ذرياتهم (فى الفلك المشحون) المملوء وقيل المراد فلك نوح عليه السلام وحمل الله ذرياتهم فيها انه حمل فيها آباءهم الاقدمين وفى اصلابهم ذرياتهم وتخصيص الذرية لانه ابلغ فى الامتنان وادخل فى التعجب مع الايجاز (وخلقنا لهم من مثله) من مثل الفلك (ما يركبون) من الابل فانها سفائن البر او من السفن والزوارق (وان نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم) فلا مغيث لهم يحرسهم عن الغرق او فلا استغاثة كقولهم اتاهم الصريخ (ولا هم ينقذون) ينجون من الموت به (الا رحمة منا ومتاعا) الا لرحمة وتمتيع بالحياة (الى حين) زمان قدر لآجالهم بالغرق (واذا قيل لهم اتقوا ما بين ايديكم وما خلفكم) الوقائع التى خلت والعذاب المعد فى الآخرة او نوازل السماء ونوائب الارض كقوله اولم يروا الى ما بين ايديهم وما خلفهم من السماء والارض او عذاب الدنيا وعذاب الآخرة او عكسه او ما تقدم من الذنوب وما تأخر (لعلكم ترحمون) لتكونوا راجين رحمة الله وجواب اذا محذوف دل عليه قوله (وما تأتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين) كأنه قال واذا قيل لهم اتقوا العذاب اعرضوا لانهم اعتادوه وتمرنوا عليه (واذا قيل لهم انفقوا مما رزقكم الله) على محاويجكم

من لو يشاء الله اطعمه ﴾ مفعول انطعم و اطعمه جواب لو و جاء مجرّدا عن اللام لجواز ذلك عند علماء العربية والافصح ان يكون باللام نحو لو نشاء لجعلناه حطاما حمل قولهم فى جواب المؤمنين من لو يشاء الله اطعمه على استهزآئهم من حيث ان الكفرة سمعوا قول المؤمنين لو شاء الله لاغنى فلانا او أعزه و نحو ذلك مما اشتمل على تعليق الامور بمشيئة الصانع المختار ثم سمعوا منهم قولهم انفقوا مما اعطاكم الله من المال فاجابوهم بقولهم انطعم الخ بالاستفهام الانكارى والمعنى انطعم القول فيه هذا القول فيما بينكم و هذا القول وهو التعليق وان كان قولا حقا فى نفسه لكنهم معطلة لايؤمنون بالصانع ولايقرون بتعليق الامور بمشيئة فلا يتصوّر ان يكون هذا القول منهم فى جواب المؤمنين عن اعتقاد و جد فيكون تهكما واستهزآء ﴿ قوله وقيل قاله مشركوا قريش ﴾ قال مقاتل بن سليمان ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا للمشركين اعطونا مازعمتم من اموالكم انها لله و نصيبه يعنون ماحكاه الله عنهم بقوله وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا فسألوهم نصيب الله من اموالهم فقالوا انطعم من لم يطعمه الله وهذا مما يتمسك به البخلاء بقولهم لانعطى من حرمه الله وذلك باطل فانه تعالى اغنى بعض الخلق و افقر بعضهم ابتلاء لينظر كيف عطف الغنى و صبر الفقير فمنع الدنيا من الفقير لا بخلا وامر الغنى بالانفاق لا حاجة الى ماله ولكن ليبلو الغنى بالفقير بما فرض له فى الدنيا من مال الغنى ولا اعتراض لاحد فى مشيئة الله تعالى و حكمه فى خلقه ﴿ قوله حيث امرتمونا مايخالف مشيئة الله ﴾ مبنى على ان يكون قوله ان انتم الا فى ضلال مبين اى ماانتم الا فى خطأ بين من كلام الكفار للمؤمنين يعنون به ان الله تعالى لما لم يشأ اطعامهم لايقدر احد على اطعامهم لامتناع وقوع مالم يشأ الله فلا قدرة لنا على الاطعام فكيف تأمروننا بالاطعام و لم يكن فى الضلال الاعم لانهم قشوا مالم يكلفوا به وضيعوا الامر والامتثال به فانه تعالى اذا رزق عبدا شيأ و ملكه اياه لايقطع عنه ملكه واذا اوجب فيه حقا وامره بادآئه لايكون لعبد ان يمنع عنه و يقول انت اعطيتنى هذا من عندك فاعط فلانا من عندك ايضا ولانا مرنى بالاعطاء فى ماهو مال و ان لم تعطه من عندك مع قدرتك عليه فانا ايضا لااعطيه موافقة لمشيئتك فان من كان له فى يد غيره مال وله فى خزائنه ايضا مال فهو مخير ان اراد اعطى مما فى خزائنه وان اراد امر من عنده المال بالاعطاء وليس لمن فى يده المال ان يقول للمالك مافى خزائنك اكثر مما فى يدى فاعطه منه ﴿ قوله و يجوز ان يكون جوابا من الله لهم الخ ﴾ على معنى انكم فى ضلال مبين فى التكلم بهذا الكلام على وجه الاستهزاء بالمؤمنين و فى التمسك به فى ترك الانفاق على المحتاجين ﴿ قوله يعنون وعد البعث ﴾ اى الوعد المدلول عليه بقوله تعالى اتقوا مابين ايديكم و ماخلفكم اى متى الساعة التى تعدوننا بمجيئها و تأمروننا بالاتقاء من عذابها و بالانفاق ليضاعف لنا الاجر فيها يقولون ذلك انكارا لمجيئها واستبعادا لوقوعها وان فى قوله ان كنتم صادقين للشرط فتستدعى جزآء ومتى للاستفهام فلا تصلح جزآء والجواب قبل هو وان كان فى صورة الاستفهام لكنه فى المعنى انكار فكأنهم قالوا ان كنتم صادقين فى الاخبار بوقوع البعث فقولوا متى يقع ﴿ قوله ينتظرون ﴾ فان قيل هم ماكانوا منتظرين بل كانوا يجزمون بعدمها فلنا الا انهم جعلوا منتظرين نظرا الى قولهم متى يقع لان من قال متى يقع الشئ الفلانى يفهم من كلامه انه ينتظر وقوعه واعتبر فى ذكر الصيحة وجوه تدل على عظمها احدها التنكير وثانيها قوله واحدة اى لايحتاج معها الى ثانية وثالثها تأخذهم اى تعمهم بالاخذ و تصل الى من فى الارض مشارقها و مغاربها وفى قوله تعالى يخصمون سبع قرآءت الاول ماروى عن حمزة انه قرأ يخصمون بسكون الخاء و تخفيف الصاد من خصمه اذا جادله والمفعول محذوف اى يخصم بعضهم بعضا والثانية ماروى عن ابى انه قرأ يختصمون على الاصل والثالثة يخصمون بفتح الياء وكسر الخاء وتشديد الصاد اسكنت تاء يختصمون فادغمت فى الصاد فالتقى ساكنان فكسر اولهما والرابعة بكسر الياء اتباعا للخاء والخامسة يخصمون بفتح الياء والخاء وتشديد الصاد المكسورة نقلوا الفتحة الخالصة التى فى تاء يختصمون بكمالها الى الخاء فادغمت فى الصاد فصار يخصمون باخلاص فتحة الخاء واكمالها والسادسة يخصمون باخفاء فتحة الخاء واختلاسها وسرعة التلفظ بها و عدم اكمال صوتها نقلوا شيأ من صوت فتحة تاء يختصمون الى الخاء تنبيها على ان الخاء اصلها السكون والسابعة يخصمون بفتح الياء وسكون الخاء وتشديد الصاد المكسورة والنحاة يستشكلون هذه القرآءة لاجتماع الساكنين على غير حدهما اذ لم يكن اوّل الساكنين حرف مدّ ولين وان كان ثانيهما مدغما ﴿ قوله فى شئ من امورهم ﴾ اشارة الى ان التنكير فى توصية للتعميم وان المعنى لايقدرون توصية ما ولو كانت بكلمة يسيرة

(قال الذين كفروا) بالصانع يعنى معطلة كانوا بمكة (للذين آمنوا) تهكما بهم من اقرارهم به و تعليقهم الامور بمشيئته (أنطعم من لو يشاء الله اطعمه) على زعمكم وقيل قاله مشركوا قريش حين استطعمهم فقرآء المؤمنين ايهاما بان الله لما كان قادرا ان يطعمهم ولم يطعمهم فنحن احق بذلك وهذا من فرط جهالتهم فان الله يطعم باسباب منها حث الاغنياء على اطعام الفقرآء و توفيقهم له (ان انتم الا فى ضلال مبين) حيث امرتمونا ما يخالف مشيئة الله و يجوز ان يكون جوابا من الله لهم او حكاية لجواب المؤمنين لهم (ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين) يعنون وعد البعث (ماينظرون) ماينتظرون (الا صيحة واحدة) هى النفخة الاولى (تأخذهم وهم يخصمون) يتخاصمون فى متاجرهم ومعاملاتهم لايخطر ببالهم امرها كقوله فتأخذهم الساعة بغتة وهم لايشعرون واصله يختصمون فسكنت التاء وادغمت ثم كسرت الخاء لالتقاء الساكنين وروى ابو بكر بكسر الياء للاتباع وقرأ ابن كثير وورش وهشام بفتح الخاء على القاء حركة التاء اليه وابو عمرو وقالون به مع الاختلاس وعن نافع الفتح فيه والاسكان وكأنه جوّز الجمع بين الساكنين اذا كان الثانى مدغما وقرأ حمزة يخصمون من خصمه اذا جادله (فلا يستطيعون توصية) فى شئ من امورهم (ولا الى اهلهم يرجعون) فيروا حالهم بل يموتون حيث تبغتهم الصيحة

و الالم يقدروا عليها يكونون اعجز عما يحتاج الى زمان طويل من ادآء الواجبات ورد المظالم ونحوهما لان القول ايسر من الفعل فاذا عجزوا عن ايسر ما يكون من القول تبين ان الساعة لا تمهلهم في شيء ما واختار التوصية من جنس الكلمات لكونها اهم الكلمات بالنسبة الى المحتضر والعاجز عنها يكون اعجز عن غيرها ثم بين ما بعد الصيحة الاولى فقال ونفخ في الصور اي نفخ فيه اخرى كقوله تعالى ثم نفخ فيه اخرى فاذاهم قيام ينظرون الجمهور على اسكان واو الصور وفيه وجهان احدهما انه القرن الذي ينفخ فيه اسرافيل عليه الصلاة والسلام والثاني ان الصور جمع صورة كصوف جمع صوفة ويؤيد هذا الوجه قرآءة بعض القرآء ونفخ في الصور بفتح الواو وهذه النفخة نفخة البعث وبين النفختين اربعون سنة ﴿ قوله وقرئ بالفاء ﴾ بناء على ان الاجداف لغة في الاجداث كالثوم والفوم فان قيل اين يكون في ذلك الوقت اجداث وقد زلزلت الصيحة الجبال فالجواب ان الله تعالى يجمع اجزآء كل ميت في الموضع الذي اقبر فيه فيخرج من ذلك الموضع وهو جدثه يقال نسل الثعلب ينسل وينسل بكسر السين وضمها اي اسرع في عدوه واذا المفاجأة بعد قوله ونفخ في الصور اشارة الى كمال قدرته تعالى والى ان مراده لا يتخلف عن ارادته حيث حكم بان النسلان وهو سرعة المشي وسرعة العدو يتحقق في وقت النفخ ولا يتخلف عنه مع ان النسلان لا يكون الا بعده بمراتب وهي جمع الاجزآء المتفرقة والعظام المفتتة وتركيبها واحياؤها وقيام الحي ثم نسلانه فان قيل قال في آية فاذاهم قيام ينظرون وقال ههنا فاذاهم من الاجداث الى ربهم ينسلون والقيام غير النسلان وقد قرئ كل واحد منهما في موضعه باذا المفاجأة فيلزم ان يكونا معا والجواب من وجهين الاول ان القيام لا ينافي المشي السريع لان الماشي قائم ولا ينافي النظر ايضا والثاني ان القيام والنظر لكونهما في زمان يسير وعقيبهما النسلان بلا مهلة كان كأن الكل واقع في زمان واحد كقول القائل مكر مفر مقبل مدبر معا ﴿ قوله تعالى قالوا ياويلنا ﴾ ويل منادى اضيف الى ضمير المتكلمين وويل كلمة عذاب كان وويح كلمة رحمة والمعنى يقول الكفار تعال ياويلنا فهذا زمانك واوانك وقيل هو منصوب على المصدر اي هلكنا ويلا والمنادى محذوف كأنهم قالوا لبعضهم يا هؤلاء ويلا لنا فلما اضيف حذفت اللام الثانية كراهة اجتماع المثلين وقال الكوفيون اللام الاول هي المحذوفة واصله عندهم وي لنا على ان وي كلمة برأسها ولنا جار ومجرور ثم خلطت اللام الجارة بوي حتى صارت لام الكلمة فقيل ويله وويلك وويلي قيل فيكون المعنى يا هؤلاء العجب منا او العجب لنا لان وي كلمة تعجب وهو تأويل ضعيف اقول وي هذه ليست وي التي للتعجب بل مقصورة من ويل التي هي كلمة عذاب ﴿ قوله وقرئ ياويلتنا ﴾ فان ويل قد تدخل عليها تاء التأنيث فيقال ويلة كقول الشاعر ؛ عليه ويلة وعليك اخرى ؛ ﴿ قوله وفيه ترشيح ﴾ حيث استعير الرقود للموت ثم قرنت الاستعارة بما يلائم المستعار منه وهو الطلب والانتباه فهو ترشيح حيث استعير الرقود ورمز الى ان مبنى الكلام تشبيه الموت بالرقود وتحقيق الكلام من بعثنا من قبورنا ونحن اموات فيها وظاهر النظم يشعر بان الكلام على حقيقته لا استعارة فيه ولا ترشيح وانهم لحيرتهم وتفرق عقولهم يظنون انهم نيام فاستيقظوا فسألوا عن الموقظ وروى انه يخفف عنهم فيما بين النفختين فيستريحون استراحة النائم ثم يبعثون فيعاينون القيامة فحينئذ يدعون بالويل تحسرا على استراحتهم بين النفختين ويسألون من أيقظنا من مرقدنا هذا وقيل اذا رأوا اهوال يوم القيامة هان عليهم ما كانوا فيه من عذاب القبر حتى كان ذلك كالنوم في جانب ما صاروا اليه ولم يقل فاذاهم من الاجداث الى ربهم ينسلون يقولون ياويلنا مع انه اقوم لينسلون لانه لو قيل كذلك لكان يقولون في موضع الحال لينسلون اي ينسلون قائلين وليس المعنى هكذا لان قولهم ياويلنا قبل ان ينسلوا عقب النفخ وانما ذكر النسلان باذا المفاجأة للاشارة الى انه تعالى يجمع اجزآءهم ويؤلفها ويحييها ويحركها بحيث يقع نسلانهم في وقت النفخ مع ان ذلك لا بد له من الجمع والتأليف ﴿ قوله ومن بعثنا ﴾ اي وقرئ بكسر الميم في من على انها حرف جر لا استفهامية وبعثنا مصدر مجرور بها فمن الاولى تتعلق بالويل والثانية تتعلق بالبعث والمرقد يجوز ان يكون مصدرا اي من رقادنا وان يكون اسم مكان اي من موضع رقادنا ومضجعنا وهو مفرد اقيم مقام الجمع والاول احسن لان المصدر يفرد مطلقا ﴿ قوله وما مصدرية او موصولة ﴾ اي هذا الذي ترونه وعد الرحمن وصدق المرسلون اي موعوده والمصدوق فيه المرسلون وعلى التقدير ين هذا مبتدأ وما وعد الرحمن خبره ويجوز ان يكون هذا صفة لمرقد ويعضده قرآءة من وقف على هذا ثم ابتدأ فقال ما وعد الرحمن على انه خبر مبتدأ محذوف اي هو او هذا ما وعد الرحمن او مبتدأ خبره محذوف ﴿ قوله معدول عن سننه ﴾ فان السؤال

(ونفخ في الصور) اي مرة ثانية وقد سبق في سورة المؤمنين (فاذاهم من الاجداث) من القبور جمع جدث وقرئ بالفاء (الى ربهم ينسلون) يسرعون وقرئ بالضم (قالوا ياويلنا) وقرئ ياويلتنا (من بعثنا من مرقدنا) وقرئ من اهبنا من هب من نومه اذا انتبه ومن هبنا بمعنى اهبنا وفيه ترشيح ورمز واشعار بانهم لاختلاط عقولهم يظنون انهم كانوا نياما ومن بعثنا ومن هبنا على من الجارة والمصدر (هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون) مبتدأ وخبر وما مصدرية او موصولة محذوفة الراجع او هذا صفة لمرقدنا وما وعد خبر محذوف او مبتدأ خبره محذوف اي ما وعد الرحمن وصدق المرسلون حق وهو من كلامهم وقيل جواب للملائكة او للمؤمنين عن سؤالهم معدول عن سننه تذكيرا لكفرهم وتقريعا لهم عليه وتنبيها بان الذي يهمهم هو السؤال عن البعث دون الباعث كأنهم قالوا ابعثكم الرحمن الذي وعدكم البعث وارسل اليكم الرسل فصدقوكم وليس الامر كما تظنونه فانه ليس بعث النائم فيهمكم السؤال عن الباعث وانما هو البعث الاكبر ذو الاهوال

لما كان من الباعث كان الظاهر ان يقال فى جوابه بعثكم الرحمن لكنه عدل عنه واجيب بانه البعث الموعود به والذى صدق المرسلون فى الاخبار تقريعا على كفرهم به وتنبيها على ان الذى يهمهم هو السؤال عن البعث بان يقولوا ياويلنا ماهذا البعث الذى وعدالله به على ألسنة رسله ﴿ قوله تعالى محضرون ﴾ دليل على ان كونهم ينسلون اجبارى لااختيارى اى فاذاهم مجتمعون لدينا من غيران يختلف منهم أحد ويحضرون مواقف الحساب كما ان ينسلون معناه يسرعون الى موقف حساب ربهم ثم بين مايكون فى ذلك اليوم بقوله فاليوم لاتظلم نفس شيأ اى لاينقص من ثواب طاعتها ولايحمل عليها معصية غيرها وقوله فاليوم منصوب بلاتظلم وشيأ مفعول له او مصدر اى شيأ من الظلم فقوله لاتظلم نفس لامان المؤمن وقوله ولاتجزون الاما كنتم تعملون لبأس الكافر * قيل ما الفائدة فى ايثار طريق الخطاب عند الاشارة الى بأس المجرم والعدول عن الخطاب عند الاشارة الى امان المؤمن * فالجواب ان قوله لاتظلم نفس شيأ يفيد العموم وهو المقصود فى هذا المقام فانه تعالى لايظلم احدا مؤمنا كان او كافرا واما قوله لاتجزون فيختص بالكافر لان الله تعالى يجزى المؤمن بمالم يفعله من جهة الوراثة وجهة الاختصاص الالهى يختص برحمته من يشاء كما انه يجزيه من جهة الاعمال فلذلك ترك الخطاب فى الاول وجاء الثانى بالخطاب وقوله من الفكاهة بفتح الفاء وهى طيب العيش والنشاط * قال الجوهرى الفكاهة بالضم المزاح والفكاهة بالفتح مصدر فكه الرجل بالكسر فهو فكه اذا كان طيب النفس فرحا ذا نشاط من التنعم فلما فسر الفاكه بالمتلذذ المتنعم وجب ان يكون قوله من الفكاهة بفتح الفاء وانما يكون من الفكاهة بالضم ان لو فسر فاكهون بمازحون وقيل فاكهون بمعنى اصحاب فاكهة كما يقال لابن وتامر وعاسل وقرئ فكهون بالقصر وضم الكاف وهو لغة فى فكهون يقال رجل فكه وفكه كما يقال رجل حذر وحذر وفطس وفطس قال فى الصحاح التطس المبالغة فى التطهر وكل من ادق النظر فى الامور واستقصى علمها فهو متنطس يقال منه رجل نطس ونطس اى ذكى دقيق النظر فى الامور ﴿ قوله وهما خبران لان ﴾ يعنى قوله فى شغل ظرف مستقر خبر ان وفاكهون خبر ثان ويجوز ان يكون فاكهون هو الخبر وفى شغل متعلق به ظرف فاكهون ويعلم انه ليس بشغل فيه تعب ويجوز ان يكون فى شغل حالا من ضمير فاكهون وقرئ فاكهين وفكهين بالنصب على الحال وفى شغل ظرف مستقر خبر ان وقرأ الكوفيون وابن عامر شغل بضمتين والباقون بضم فسكون ﴿ قوله جمع ظل كشعاب ﴾ جمع شعب بكسر الشين وهو الطريق فى الجبل او جمع ظلة كقباب وقلال جمع قبة وقلة وقرأ حمزة والكسائى فى ظلل بضم الظاء والقصر وهو جمع ظلة نحو غرفة وغرف وحلة وحلل والظلة هو الستر الذى يسترك من الشمس وقرئ فى ظلال بكسر الظاء والالف ﴿ قوله تعالى هم وازواجهم فى ظلال على الارآئك ﴾ هم مبتدأ وازواجهم عطف عليه وخبره امافى ظلال اى هم ونساؤهم اللواتى كن لهم فى الدنيا وقيل هم الحور العين وقيل يجوز ان يكون الكل مرادا ثابتون ومستقرون فى ظلال لايرون فيها شمسا ولازمهريرا وقيل هم يظلون بهن لايقع عليهن ابصار غيرهن وعلى الارآئك جملة مستأنفة على ان يكون متكئون خبر مبتدأ محذوف وعلى الارآئك متعلق به او خبر ثان ويعضده قرآءة من قرأ متكئين بالنصب على الحال من المنوى فى الخبر الذى هو فى ظلال لان الحال ضرب من الخبر او متكئون وفى ظلال متعلق به وكذا على الارآئك ويجوز ان يكون فى ظلال حال من المستكن فى متكئون ويجوز ان يكون هم تأكيدا للمستكن فى شغل اذا جعل ظرفا مستقرا خبرا لان وازواجهم عطف عليه اى على المستكن فى شغل كذا قيل وفيه نظر من حيث الفصل بين المؤكد والمؤكد بخبران ونظيره ان يقال ان زيدا فى الدار قائم هو وعمرو على ان يجعل هو تأكيدا للضمير فى قولك فى الدار وفى الدار خبر ان وقائم خبر ثان ويجوز ان يكون تأكيدا للمستكن فى فاكهون وازواجهم على هذين الوجهين عطف على الضمير المؤكد المستكن امافى الظرف او فى اسم الفاعل لافادة ان ازواجهم يشاركنهم فى ذلك الشغل والتفكه والاتكاء على الارآئك تحت الظلال وفى ظلال حال من مجموع هم وازواجهم وعلى الارآئك متكئون خبر ثان او ثالث والارآئك هى السرر فى الحجال واحدتها اريكة وهى لاتكون اريكة حتى يكون عليها حجلة وهى بيت يزين بالثياب والاسرة واتكاؤهم عليها اشارة الى الفراغ وقوله هم وازواجهم اشارة الى عدم الوحشة فيها وقوله لهم فيها فاكهة اشارة الى ان لاجوع فيها لان التفكه ليس لدفع الم الجوع وتنكير فاكهة للتعظيم اى فاكهة لاتوصف جمالا وبهجة وكمالا ولذة كما روى ان الرمانة منها تشبع السكن وهو اهل الدار وكل ماهو من نعيم الجنة فانما يشارك نعيم الدنيا فى الاسم دون الصفة ﴿ قوله كاشتوى ﴾ تمثيل لكون بناء افتعل الشئ بمعنى فعله

(ان كانت) ماكانت الفعلة (الا صيحة واحدة) هى النفخة الاخيرة وقرئت بالرفع على كان التامة (فاذاهم جميع لدينا محضرون) بمجرد تلك الصيحة وفى كل ذلك تهوين امر البعث والحشر واستغناؤهما من الاسباب التى ينوطان بها فيما يشاهدونه (فاليوم لاتظلم نفس شيأ ولا تجزون الا ماكنتم تعملون) حكاية لما يقال لهم حينئذ تصويرا للموعود وتمكينا له فى النفوس وكذا قوله (ان اصحاب الجنة اليوم فى شغل فاكهون) متلذذون فى النعمة من الفكاهة وفى تنكير شغل وابهامه تعظيم لما هم فيه من البهجة والتلذذ وتنبيه على انه اعلى ما يحيط به الافهام ويعرب عن كنهه الكلام وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو فى شغل بالسكون ويعقوب فى رواية فكهون للمبالغة وهما خبران لان ويجوز ان يكون فى شغل صلة لفاكهون وقرئ فكهون بالضم وهو لغة كنطس ونطس وفكهين وفاكهين على الحال من المستكن فى الظرف وشغل بفتحتين وفتحة وسكون والكل لغات (هم وازواجهم فى ظلال) جمع ظل كشعاب او ظلة كقباب ويؤيده قرآءة حمزة والكسائى فى ظلل (على الارآئك) على السرر المزينة (متكئون) وهم مبتدأ خبره فى ظلال وعلى الارآئك جملة مستأنفة او خبر ثان او متكئون والجاران صلتان له او تأكيد الضمير فى شغل او فى فاكهون وعلى الارآئك متكئون خبر آخر لان وازواجهم عطف على هم للمشاركة فى الاحكام الثلاثة وفى ظلال حال من المعطوف والمعطوف عليه (لهم فيها فاكهة ولهم مايدعون) مايدعون به لانفسهم يفتعلون من الدعاء كاشتوى واجتمل اذا شوى وجمل لنفسه

(لنفسه)

لنفسه و اجمل اى شوى لنفسه و جمل و الجميل الشحم المذاب يقال جمل الشحم جملا واجمله و اجتمله اى اذابه فمعنى مايدّعون مايدعون به لانفسهم اى مايصح ان يطلب فهو حاصل لهم قبل الطلب * قال الامام ليس معناه انهم يدعون لانفسهم دعاء فيستجاب لهم بعد الطلب بل معناه لهم مايدعون لانفسهم اى لهم ذلك فلا حاجة الى الدعاء كما ان الملك اذا طلب مملوكه منه شيأ يقول لك ذلك فيفهم منه تارة انك تجاب الى مطلوبك واخرى الرد اى ذلك حاصل لك فلم تطلبه اى لهم مايدعون ويطلبون فلا طلب لهم ولهم الطلب والاجابة فان الطلب من الملك والعطية معه فى حق آخذه بلا واسطة للتبليغة ومنصب عظيم واصل يدّعون يدتعيون على وزن يفتعلون استثقلت الضمة على الياء فنقلت الى ماقبلها ثم حذفت لاجتماع الساكنين فصار يدتعون ثم ابدلت التاء دالا و ادغمت الدال فى الدال فصار يدّعون ﴿ قوله او مايدّعونه فى الدنيا ﴾ على ان الادعاء هو الاتيان بالدعوى فان اهل الجنة كانوا يدّعون فى الدنيا ان الجنة ودرجاتها ومافيها من النعيم المقيم لهم ويدّعون ان لهم الله وهو مولاهم وان الكافرين لامولى لهم فقال تعالى لهم فى الجنة مايدّعونه فى الدنيا ﴿ قوله اوما يتداعونه ﴾ اشارة الى ان يفتعلون بمعنى يتفاعلون والمعنى ان كل مايطلبه احد من صاحبه فهو حاصل لهم بلا طلب ﴿ قوله او يتمنون ﴾ اشارة الى ان يدّعون يفتعلون من الدعاء بمعنى التمنى اى كل مايتمنونه فهو حاصل لهم ﴿ قوله ومامو صولة ﴾ ويدّعون صلتها او موصوفة بمعنى شئ ويدّعون صفتها والعائد محذوف ﴿ قوله سلام بدل منها ﴾ اى مما يدّعون كأنه قيل لهم سلام اى يقال لهم قولا كائنا من جهة رب رحيم قيل اذا كان بدلا كان مايدّعون خاصا والظاهر انه عام فى كل مايدّعونه واذا كان عاما لم يكن بدلا منه ﴿ قوله او صفة اخرى ﴾ اى لما هذا اذا جعلتها نكرة موصوفة ويدّعون صفتها اما اذا جعلتها بمعنى الذى تعذر ذلك لتخالفهما تعريفا وتنكيرا ﴿ قوله ويجوز ان يكون خبرها ﴾ اى خبر مايدّعون ولهم متعلق بسلام بمعنى مايدعونه سلام خالص لهم لاينازعهم فيه منازع ﴿ قوله او خبر محذوف ﴾ اى هو او ذلك سلام وقوله او مبتدأ اى سلام لهم ﴿ قوله وقرئ بالنصب على المصدر ﴾ اى سلّم الله عليهم فى الجنة سلاما اكراما لهم على مافسر به على انه من التحية او من السلامة ﴿ قوله اى يقوله الله ﴾ اشارة الى ان قولا مصدر مؤكد لفعله المحذوف ومن رب صفة لقولا ﴿ قوله ويحتمل نصبه على الاختصاص ﴾ قال الزمخشرى وهو الاوجه يعنى ان انتصابه على المدح بتقدير اعنى اوجه من ان ينتصب على المصدرية لفعل محذوف لان المقام مقام المدح من حيث ان هذا القول صادر من رب رحيم فى مقام التعظيم فكان جديرا بان يفخم امره ويعظم قدره ويكون جملة مستقلة مفصولة عما سبق روى عن جابر بن عبدالله رضى الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا اهل الجنة فى نعيمهم اذ سطع لهم نور فيرفعون رؤسهم فاذا الرب عز وجل قد اشرف عليهم من فوقهم فقال السلام عليكم يا اهل الجنة فذلك قوله عز وجل سلام قولا من رب رحيم فينظر اليهم وينظرون اليه فلا يلتفتون الى شئ من النعيم ماداموا ينظرون اليه حتى يحتجب عنهم فيبقى نوره وبركته فى ديارهم * وقيل تسلّم عليهم الملائكة من ربهم لقوله والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم اى يقولون سلام عليكم يا اهل الجنة من ربكم الرحيم وهو قول المصنف انه تعالى يسلّم عليهم بواسطة الملائكة او بغير واسطة تعظيما لهم ﴿ قوله وانفردوا عن المؤمنين ﴾ يعنى ان الامتياز كالتميّز يقتضى الفاعل التميّز يقتضى مفعولا يتعدى اليه بعن او بمن وهو غير مذكور بالآية فذكر فيه ثلاثة احتمالات الاول انه يقال للمجرمين امتازوا عن المؤمنين حين يسار بهم الى النار كما يسار بالمؤمنين الى الجنة الثانى ان يقال لهم امتازوا واعتزلوا عن كل خير والثالث انه يقال لهم ليتميّز بعضكم عن بعض فى النار والعهد الوصية يقال عهد اليه اذا اوصاه اى ألم اوص اليكم على لسان الادلة السمعية والعقلية والم انصبها لكم بحيث تأمر انكم بعبادة الرحمن وتزجر انكم عن عبادة غيره وجعل عبادة غيره عبادة الشيطان والشيطان لايعبده احدولم يرو ذلك عن احد لان العبادة هنا بمعنى الاطاعة والانقياد ﴿ قوله وقرئ اعهد بكسر حرف المضارعة ﴾ لان ماضيه فعل بكسر العين وكسر حرف المضارعة ماعدا الياء فى باب فعل لغة ﴿ قوله وأحهد ﴾ بابدال عين اعهد حاء وهى لغة هذيل وأحد بابدال العين حاء ثم ابدال الهاء حاء وادغام الحاء فى الحاء ﴿ قوله عدوّ مبين ﴾ اى ظاهر العداوة ووجه عداوته انه لما اكرم الله تعالى آدم عليه الصلاة والسلام عاداه ابليس حسدا والعاقل لايقبل من عدوه وان كان يلقيه اليه خيرا اذلا امن من مكره فان ضربة الناصح خير من تحية العدو ﴿ قوله لعهد بشقيه ﴾ وهما الانتهاء من متابعة الشيطان والاقبال على عبادة الرحمن وكون الجملة لبيان

او مايتداعونه كقولك ارتموه بمعنى تراموه او يتمنون من قولهم ادّع علىّ ماشئت بمعنى تمنّ علىّ "او مايدّعونه فى الدنيا من الجنة ودرجاتها وما موصولة او موصوفة مرتفعة بالابتداء ولهم خبرها وقوله (سلام) بدل منها او صفة اخرى ويجوز ان يكون خبرها او خبر محذوف او مبتدأ محذوف الخبر اى ولهم سلام وقرئ بالنصب على المصدر او الحال اى لهم مرادهم خالصا (قولا من رب رحيم) اى يقوله الله او يقال لهم قولا كائنا من جهته والمعنى ان الله يسلّم عليهم بواسطة الملائكة او بغير واسطة تعظيما لهم وذلك مطلوبهم ومتمناهم ويحتمل نصبه على الاختصاص (وامتازوا اليوم ايها المجرمون) وانفردوا عن المؤمنين وذلك حين يسار بهم الى الجنة لقوله ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون وقيل اعتزلوا من كل خير او تفرقوا فى النار فان لكل كافر بيتا ينفرد به لا يرى ولا يرى (الم اعهد اليكم يابنى آدم ان لاتعبدوا الشيطان) من جملة ما يقال لهم تقريعا والزاما للحجة وعهده اليهم مانصب لهم من الحجج العقلية والسمعية الآمرة بعبادته الزاجرة عن عبادة غيره وجعلها عبادة الشيطان لانه الآمر بها والمزين لها وقرئ اعهد بكسر حرف المضارعة وأحهد وأحد على لغة تميم (انه لكم عدو مبين) تعليل للمنع عن عبادته بالطاعة فيما يحملهم عليه (وان اعبدونى) عطف على ان لاتعبدوا (هذا صراط مستقيم) اشارة الى ماعهد اليهم او الى عبادته فالجملة استئناف لبيان المقتضى للعهد بشقيه او بشقه الآخر

مايقتضى شق العهد مبنى على كون هذا اشارة الى مجموع ماعهد اليهم وكونها لبيان مايقتضى شقه الآخر مبنى على كونه اشارة الى الشق الآخر منه ﴿ قوله والتنكير للمبالغة والتعظيم ﴾ يعنى ان المقام بحسب الظاهر يقتضى تعريف المسند ليفيد الحصر بان يقال هذا الصراط المستقيم او هذا هو الصراط المستقيم حتى يدل على ثبوت الاستقامة لصراط الموصى به اليهم وانتفائها عن غيره لان الصراط المستقيم ليس الا ذلك الصراط الذى ليس وراءه ترك متابعة سبيل الشيطان والاقبال على متابعة سبيل الرحمن شئ من الاستقامة وتنكير صراط مستقيم بحسب الظاهر يدل على انه فرد من جملة الصرط المستقيمة وليس كذلك فامعنى التنكير اجاب عنه بان وجه الدلالة على ان هذا الصراط لارتفاع شأنه وعلو طبقته فى كونه صراطا مستقيما بلغ مبلغا لايمكن تعيينه والاشارة اليه بخصوصية ثابتة فى استقامته واستجماعه جميع مايحسن ان يكون الصراط عليه وانه لاسبيل الى الدلالة عليه سوى ان يعبر عنه باسم جنسه كأنه قيل وصيت اليكم بهذا الصراط لانه فى غاية الاستقامة ونهاية الرفعة وعلو الطبقة وجوّز ان يكون التنكير فيه للافراد والبعضية بناء على ان قوله وان اعبدونى يعنى وحدونى وخصونى بالعبادة والتوحيد بعض مايجب التصديق به وصاحب الكشاف جعل حمل التنكير على البعضية على التوبيخ على العدول عنه اى بنى ارادة البعضية على التوبيخ على معنى ان هذا الصراط مع انحصار الاستقامة فيه وكونه اقوم الصرط اقل حاله انه لااعوجاج فيه ولايضل سالكه فابالكم تعدلون عنه كالعدول عن الطريق المعوج قيل كيفية اضلاله انه يأمر بترك عبادة الله وعبادة غيره وان لم يقدر عليه يسوّل لهم امرا يفضى الى ترك عبادة الله والغفلة عنه بسبب الاشتغال به كحب الرياسة والجاه ونحوهما ثم قال افلم تكونوا تعقلون هلاك من قبلكم بطاعة ابليس عليه اللعنة قرأ نافع وعاصم جبلا بكسر الجيم والباء وتشديد اللام وقرئ جبلا بكسر الجيم وفتح الباء جمع جبلة وهى الخلقة كفطرة وفطر وقرئ جيلا بالياء المثناة من اسفل يقال جيل من الناس اى صنف منهم كالعرب والروم ﴿ قوله والجبل الخلق ﴾ اى المخلوق وقوله هذه جهنم يقال لهم لما دنوا من النار هذه جهنم التى كنتم توعدون بها فى الدنيا الآية وفى هذا الكلام مايوجب شدة ندامتهم وحسرتهم من ثلاثة اوجه احدها قوله اصلوها امر تنكيل واهانة كقوله ذق انك انت العزيز الكريم الثانى قوله اليوم يعنى ايام لذاتك قد مضت وهذا اليوم وقت عذابك وصليك يقال صلى فلان النار يصلى صليا اذا احترق من باب علم الثالث قوله بما كنتم تكفرون على وجه التذكير والتقريع فان حياء الكفرة من النعم اشد الآلام ﴿ قوله تعالى اليوم نختم على افواههم ﴾ كأنهم لما قيل لهم الم اعهد اليكم يابنى آدم ان لاتعبدوا الشيطان جحدوا وقالوا ماعبدناه وما عملنا شيئا من المنكرات فيختم الله على افواههم او يفعل بافواههم مالايمكنهم ان يتكلموا بالسنتهم فتشهد عليهم جوارحهم ﴿ قوله تعالى ولو نشاء لطمسنا على اعينهم ﴾ اى اعمينا قلوبهم او لو نشاء لاذهبنا اعينهم الظاهرة بحيث لايبدو لها جفن ولاشق فكانوا بحيث لو تبادروا الطريق ليسلكوه ليمضوا مقاصدهم لم يقدروا عليه فكيف يبصرون وقد اعمينا اعينهم ومعناه نقدر ان نفعل بهم فى الدنيا ذلك كما انطقنا جوارحهم فى العمى وهم قد استحقوا ذلك بكفرهم لكننا لم نعاجلهم بالعقوبة ليتوبوا ويشكروا نعمتى عليهم وهذا قول الحسن والسدى وقال ابن عباس رضى الله عنهما ومقاتل وعطاء وقتادة معناه ولو نشاء لفقأنا اعين ضلالتهم فاعميناهم عن غيهم وحولنا ابصارهم من الضلال الى الهدى فاستبقوا الصراط فاهتدوا الى صراط الحق وابصروه فانى يبصرون اى كيف يبصرون لكن لما لم نشأ ذلك لم نفعل بهم ذلك وذكر فى وجه نصب الصراط وجوها اربعة الاوّل والثانى ظاهران وحاصل الثالث انه منصوب على انه مفعول به لكن بلا واسطة تضمين بل بجعل الصراط مسبوقا لامسبوقا اليه من قولهم استبق الصراط اى جاوزه وتركه كما يترك السابق المسبوق والمعنى ولو نشاء لاعميناهم فلو طلبوا ان يجاوزوا الصراط الذى اعتادوا سلوكه وان يسلكوا غيره لعجزوا ولم يعرفوا طريقا يعنى انهم لايقدرون الاعلى سلوك الطريق المعتاد دون ماوراءه من المسالك كالعميان يهتدون فيما الفوا به دون غيره والرابع ان ينتصب على الظرف اى فى الصراط والمعنى ولو نشاء لاعميناهم فلو ارادوا ان يمشوا مستبقين فى الصراط الذى اعتادوا سلوكه لم يستطيعوا والمسخ تحويل الصورة الى ماهو اقبح منها ﴿ قوله او بتضمين الاستباق معنى الابتدار ﴾ وابتدر يتعدى بنفسه يقال ابتدروا السلاح اى تسارعوا اخذه من المبادرة وهى المسارعة وقوله وجعل المسبوق اليه مسبوقا على الاتساع اى ويجوز ان يكون انتصاب الصراط على انه مفعول به لقوله استبقوا بان يجعل الصراط مسبوقا

والتنكير للمبالغة والتعظيم او التبعيض فان التوحيد سلوك بعض الطريق المستقيم (ولقد اضل منكم جبلا كثيرا افلم تكونوا تعقلون) رجوع الى بيان معاداة الشيطان مع ظهور عداوته ووضوح اضلاله لمن له ادنى عقل ورأى والجبل الخلق وقرأ يعقوب بضمتين وابن كثير وحمزة والكسائى بضمتين مع تخفيف اللام وابن عامر وابو عمرو بضمة وسكون مع التخفيف والكل لغات وقرئ جبلا بتخفيف جمع جبلة كخلقة وخلق وجيلا واحد الاجيال (هذه جهنم التى كنتم توعدون اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون) ذوقوا حرها اليوم بكفركم فى الدنيا (اليوم نختم على افواههم) نمنعها من الكلام (وتكلمنا ايديهم وتشهد ارجلهم بما كانوا يكسبون) بظهور آثار المعاصى عليها ودلالتها على افعالها او بانطاق الله تعالى اياها وفى الحديث انهم يجحدون ويخاصمون فيختم على افواههم وتكلم ايديهم وارجلهم (ولو نشاء لطمسنا على اعينهم) لمسحنا اعينهم حتى تصير ممسوحة (فاستبقوا الصراط) فاستبقوا الى الطريق الذى اعتادوا سلوكه وانتصابه بنزع الخافض او بتضمين الاستباق معنى الابتدار وجعل المسبوق اليه مسبوقا على الاتساع او بالظرف (فانى يبصرون) الطريق وجهة السلوك فضلا عن غيره

بطريق التجوز اذ الصراط مسبوق اليه لامسبوق الا انه جعل مسبوقا بان شبه المسبوق اليه في كونه متروكا بترك السابق المسبوق بمعنى استبقوا الصراط خلفوا الصراط المعهود بينهم وسلكوا غيره ﴿ قوله بحيث يجمدون فيه ﴾ يقال جمد يجمد جمدا وجمودا وهو مقابل ذاب ويجوز ان يكون يخمدون بالخاء لقوله فاذاهم خامدون واختلف في المسخ فعن ابن عباس رضى الله عنهما لمسخناهم قردة وخنازير واشار اليه المصنف بقوله بتغيير صورهم وقيل لمسخناهم حجارة وقيل لاقعدناهم على ارجلهم وازمناهم واشار اليهما المصنف بقوله وابطال قواهم والمكانات جمع مكانة بمعنى المكان كالمقامات جمع مقامة بفتح الميم وهو موضع القيام ﴿ قوله وقيل ولا يرجعون عن تكذيبهم ﴾ والظاهر ان المعنى لمسخناهم مسخا يبطل قواهم فلا يستطيعون معه الاصرار على التكذيب ولا الرجوع عنه كما ان المعنى على الاول لمسخناهم مسخا يلزمهم مكانهم لايقدرون معه ان يذهبوا امامهم ولا ان يرجعوا خلفهم ﴿ قوله المكسورة لقلب الواو ياء ﴾ وادغمت وكسرت الضاد قبل الياء الساكنة لتسلم الياء ثم كسرت الميم اتباعا للضاد والصُّيّ على وزن فعيل صوت الفرخ ونحوه يقال صأى الفرخ يصأى صئيا اذا صاح والقراءة المشهورة ضم الميم في مضيا وفتحها وكسرها شاذ ﴿ قوله لشمول الرحمة لهم ﴾ فان رحمة الله تعالى تعم المؤمن والكافر في الدنيا ﴿ قوله وقرأ عاصم وحمزة ننكسه ﴾ والباقون ننكسه بفتح النون الاول واسكان الثانية وضم الكاف مخففة من نكسه ينكسه نكسا اى قلبه على رأسه فانتكس والولد المنكوس الذي يخرج رجلاه قبل رأسه وبناء التنكيس للتكثير لكثرة الاحوال التي تنقلب على الانسان الموجبة الى الهرم على حسب كثرة الاحوال التي يترقى فيها الصبي الى ان يبلغ اشده فانه خلق على ضعف في جسده وخلق على عقل وعلم يتزايد وينتقل من حال الى حال الى ان يستكمل قوته ويعقل ماله وما عليه فاذا انتهى طفق ينتكس في الخلق ويتناقص حتى يرجع الى حال تشبه حال الصبي في ضعف جسده وقلة عقله وخلوه من العلم ﴿ قوله رد لقولهم ان محمدا شاعر ﴾ اشارة الى انه كلام مبتدأ غير متعلق بما قبله وقيل عادة الله في كتابه المجيد انه في كل موضع ذكر فيه اصلين من الاصول الثلاثة وهي الوحدانية والرسالة والحشر ذكر الاصل الثالث منها وههنا ذكر اصلين الوحدانية والحشر اما الوحدانية ففي توصية بني آدم عليه الصلاة والسلام بتخصيصهم العبادة اياه واما الحشر ففي قوله اليوم نختم على افواههم واصلوها اليوم وغير ذلك فلما ذكرهما وبينهما ذكر الاصل الثالث وهو الرسالة فقال وما علمناه الشعر وما ينبغي له ووجه كونه ردا لقولهم ان محمدا شاعر وان ما يتلوه عليهم شعر انه كناية عن انه ليس بشاعر وان ما يتلوه ليس بشعر لان كون ما انزل عليه وبلغ اليه شعرا ملزوم مستلزم ان يكون المنزل المبلغ معلما الشعر وبلغه اليه شعرا فنفى اللازم واريد نفي الملزوم ثم قال وما ينبغي له ان يقول الشعر اي ما يحصل وما يتأتى له ذلك لو طلبه من قولهم بغيته فانبغى اى طلبته فوجد وحصل فانه عليه الصلاة والسلام ما كان يتزن له بيت شعر حتى اذا تمثل ببيت شعر جرى على لسانه مكسرا روى الحسن انه صلى الله عليه وسلم كان يتمثل بهذا البيت * كفى بالاسلام والشيب للمرء ناهيا * فقال ابو بكر رضى الله عنه يا نبي الله انما قال الشاعر كفى الشيب والاسلام للمرء ناهيا * فقال عمر رضى الله عنه اشهد انك رسول الله يقول الله عز وجل وما علمناه الشعر وما ينبغي له فالله سبحانه كما جعله اميا لايهتدى للخط ولا يحسنه ولا يحسن قراءة ما كتبه غيره ومع ذلك كان مدينة العلم جامعا لعلوم الاولين والآخرين لتكون الحجة اثبت والشبهة ادحض كذلك جعله لايهتدى لانشاء الشعر ولم يتسهل له فانه لو كان شاعرا لدخلت الشبهة على كثير من الناس في ان ما جاء به يقوله من عند نفسه لانه شاعر صناعته نظم الكلام ولذلك عقبه بقوله ويحق القول على الكافرين لانه اذا انتفت الريبة لم يبق الا المعاندة فيحق القول عليهم * قال الامام وما ينبغي له اي الشعر لايليق به ولا يصلح له لان الشعر يدعو الى تغيير المعنى لمراعاة اللفظ والوزن والشارع يكون اللفظ منه تبعا للمعنى والشاعر يكون المعنى منه تبعا للفظ لانه يقصد لفظا به يصح وزن الشعر او قافيته فيحتاج الى ان يتخيل معنى يأتي به لاجل ذلك اللفظ ولان احسنه ما كان اكثر مبالغة ومجازفة واغراقا في الوصف وكلها تستدعي الكذب وجل جناب الشارع عنه فما هو الا اكتساب سماوي وتنزيل الهي فعلى هذا الشعر هو الكلام الموزون المقفى الذي قصد الى وزنه قصدا اوليا واما من يقصد المعنى فيتفق ان يكون ما يدل عليه من اللفظ موزونا لايكون شاعرا ولا ذلك اللفظ شعرا فلا يكون نحو قوله صلى الله عليه وسلم * انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب * شعرا قاله يوم حنين حين نزل ودعا واستنصر وقوله * هل انت الا اصبع دميت * وفي سبيل الله ما لقيت *

(ولو نشاء لمسخناهم) بتغيير صورهم وابطال قواهم (على مكانتهم) مكانهم بحيث يجمدون فيه وقرأ ابو بكر مكاناتهم (فما استطاعوا مضيا) ذهابا (ولا يرجعون) ولا رجوعا فوضع الفعل موضعه للفواصل وقيل ولا يرجعون عن تكذيبهم وقرئ مضيا باتباع الميم الضاد المكسورة لقلب الواو ياء كالعتي والعتي ومضيا كصبي والمعنى انهم بكفرهم ونقضهم ما عهد اليهم احقاء بان يفعل بهم ذلك لكنا لم نفعل لشمول الرحمة لهم واقتضاء الحكمة امهالهم (ومن نعمره) ومن نطل عمره (ننكسه في الخلق) نقلبه فيه فلا يزال يتزايد ضعفه وانتقاص بنيته وقواه عكس ما كان عليه بدء امره وقرأ عاصم وحمزة ننكسه من التنكيس وهو ابلغ والنكس اشهر (افلا يعقلون) ان من قدر على ذلك قدر على الطمس والمسخ فانه مشتمل عليهما وزيادة غير انه على تدرج وقرأ نافع وابن عامر ويعقوب بالتاء لجرى الخطاب قبله (وما علمناه الشعر) رد لقولهم ان محمدا شاعر اي ما علمناه الشعر بتعليم القرآن فانه لايماثله لفظا ولا معنى لانه غير مقفى ولا موزون وليس معناه ما يتوخاه الشعراء من التخيلات المرغبة والمنفرة ونحوهما

(وما ينبغي له) وما يصح له الشعر ولا يتأتى له ان اراد قرضه على ما اختبرتم طبعه نحوا من اربعين سنة وقوله عليه الصلاة والسلام

انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب وقوله صلى الله عليه وسلم هل انت الا اصبع دميت وفي سبيل الله مالقيت اتفاقي من غير تكلف وقصد منه الى ذلك وقد يقع مثل ذلك كثيرا في تضاعيف المنثورات على ان الخليل ما عدّ المشطور من الرجز شعرا هذا وقد روى انه حرّك البائين وكسر التاء الاولى بلا اشباع وسكن الثانية وقيل الضمير للقرآن اى وما يصح للقرآن ان يكون شعرا (ان هو الا ذكر) عظة وارشاد من الله (وقرآن مبين) وكتاب سماوي يتلى في المعابد ظاهر انه ليس كلام البشر لما فيه من الاعجاز (لينذر) القرآن او الرسول صلى الله عليه وسلم ويؤيده قرآءة نافع وابن عامر ويعقوب بالتاء (من كان حيا) عاقلا فهما فان الغافل كالميت او مؤمنا في علم الله تعالى فان الحياة الابدية بالايمان وتخصيص الانذار به لانه المنتفع به (ويحق القول) ويجب كلمة العذاب (على الكافرين) المصرّين على الكفر وجعلهم في مقابلة من كان حيا اشعارا بانهم لكفرهم وسقوط حجتهم وعدم تأملهم اموات في الحقيقة (اولم يروا انا خلقنا لهم مما عملت ايدينا) مما تولينا احداثه ولم يقدر على احداثه غيرنا وذكر الايدي واسناد العمل اليها استعارة تفيد مبالغة في الاختصاص والتفرّد بالاحداث (انعاما) خصها بالذكر لما فيها من بدائع الفطرة وكثرة المنافع (فهم لها مالكون) متملكون بتمليكنا اياهم او متمكنون من ضبطها والتصرّف فيها بتسخيرنا اياها لهم قال

اصبحت لا احمل السلاح ولا *
املك رأس البعير ان نفرا *

(وذللناها لهم) وصيرناها منقادة لهم (فمنها ركوبهم) مركوبهم وقرئ ركوبتهم وهي بمعناه كالحلوب والحلوبة وقيل جمعه وركوبهم اى ذو ركوبهم او فمن منافعها ركوبهم (ومنها يأكلون) اى ما يأكلون لحمه (ولهم فيها منافع) من الجلود والاصواف والاوبار (ومشارب) من اللبن جمع مشرب بمعنى الموضع او المصدر (افلا يشكرون) نعم الله في ذلك اذ لولا خلقه لها وتذليله اياها لما امكن التوسل الى تحصيل هذه المنافع المهمة

قاله لما اصاب اصبعه حجر فدميت اى لا يكون نحوه شعرا لعدم قصده الى الوزن والقافية قصدا اوليا ويؤيد ذلك انك اذا تتبعت كلام الناس في الاسواق تجد فيه ما يكون موزونا واقعا في بحر من بحور الشعر ولا يسمى المتكلم به شاعرا ولا الكلام شعرا لفقد القصد الى اللفظ اولا ﴿قوله على ان الخليل ما عدّ المشطور من الرجز﴾ فالرجز مستفعلن ست مرات نحو هل انت الا اصبع مستفعلن مستفعلن دميت فعولن هو مقطوع مخبون والقطع هو حذف ساكن الوتد ثم اسكان المتحرك كحذف نون مستفعلن ثم اسكان لامه والحذف ان تسقط السبب الثاني كاسقاط تن من فاعلاتن فقوله على ان الخليل متعلق بقوله هل انت الا اصبع كما ذكرنا واما قوله انا النبي لا كذب فمجزوء والجزءان بحذف العروض والضرب ﴿قوله وقد روى انه حرّك البائين﴾ اى في القول الاوّل بان فتحها في لا كذب وكسرها في المطلب وكسر التاء الاولى اى التي في دميت من غير اشباع الكسرة وسكن التاء التي في لقيت فلا يكون شيء منهما شعرا اصلا ﴿قوله يتلى في المعابد﴾ اشارة الى ان القرآن بمعنى المقروء والقرض قول الشعر خاصة يقال قرضت الشعر اقرضه اذا قلته والشعر قريض ﴿قوله تعالى لينذر﴾ متعلق بمحذوف يدل عليه قوله ان هو الا ذكر اى انزل عليه لينذر ﴿قوله فان الغافل كالميت﴾ لا يعقل ولا يتفكر فالمراد بالحى حي القلب بان يميز المصلحة من المفسدة معملا قلبه فيما خلق له لا مضيعا اياه واستعيرت الحياة للعقل بجامع التكميل والتزيين وعلى الثاني استعيرت للايمان لكونه سبب الحياة الابدية فعلى هذا قوله من كان حيا بمعنى من كان مآل امره الى الايمان والحياة مسببه ولما كان الايمان في علم الله محقق الوقوع قيل كان حيا اى مؤمنا ثم ان الله تعالى اعاد الوحدانية والدلائل الدالة عليها فقال اولم يروا الآية اى اولم ينظروا نظرا اعتبار بانا خلقنا لاجلهم انعاما كائنة من جملة ما تفرّدنا باحداثه بمحض قدرتنا وارادتنا من غير استعانة بالجوارح لانه تعالى منزه عن ذلك شبه اختصاص آثاره وتفرّده في احداثها باختصاص مصنوع بمن عمله بيده فان معمول الشخص بيده اخص به مما تملكه من معمول غيره فاستعمل فيه عمل اليد مع تنزهه عن الجوارح والعمل بها على سبيل الاستعارة التمثيلية ليفيد المبالغة في الاختصاص والانعام مفعول خلقنا وهو جمع نعم وهي الماشية الراعية واكثر ما يقع هذا الاسم على الابل ويجمع ليشمل انواعها المختلفة من الابل والبقر والغنم ﴿قوله متملكون بتمليكنا اياهم﴾ اشارة الى ان الفاء في قوله فهم لها مالكون سببية وان الجملة معطوفة على مقدر اى خلقنا لهم انعاما فملكناها اياهم فهم يملكونها ويتصرّفون فيها تصرّف الملاك مختصون بالانتفاع بها لا يزاحمون ولا يمنعهم احد من التصرّف فيها وقوله او متمكنون من ضبطها فعلى هذا يكون المالك بمعنى القادر والقاهر من ملكت العجين اذا اجدت عجنه والاوّل اوجه لان قوله وذللناها لهم وتفصيله الى الركوب والاكل يدل على الضبط والقهر فدل مالكون على ان احدا لا يمنعهم من التصرّف فيها ودل وذللناها لهم على انها لا تمتنع من التصرّف فيها بما اراد صاحبها وعلى الوجه الثاني يكون وذللناها لهم عطفا تفسيريا على قوله مالكون وليس بقوى والاصل ان قوله مالكون يجوز ان يكون من ملك اليد والتصرّف وان يكون من الملك بمعنى الضبط والتذلل واستشهد على استعمال الملك في معنى الضبط بقول ابن هرمة حين سئل كيف انت فقال

اصبحت لا احمل السلاح ولا ۞ املك رأس البعير ان نفرا ۞
والذئب اخشاه ان مررت به ۞ وحدي واخشى الرياح والمطرا ۞

والمعنى ظاهر ﴿قوله ركوبتهم﴾ بفتح الراء وزيادة تاء التأنيث لان فعولا اذا كان بمعنى المفعول يفرق بين مذكره ومؤنثه بالتاء فيقال ناقة حلوبة وركوبة وحمولة اى محلوبة ومركوبة ومحمول عليها فرقا بينه وبين فعول بمعنى فاعل نحو امرأة صبور وشكور ﴿قوله اى ما يأكلون لحمه﴾ ارتكب التقدير لان القسم المقابل للركوب لابد ان يكون من افراد الانعام وقوله وقيل جمعه قد عدّ بعضهم دخول التاء على هذه الزنة شاذا وجعل الركوبة جمعا اى اسم جمع لانه جمع حقيقة اذ لم ترد في ابنية التكسير هذه الزنة وعدّ بعضهم ابنية اسماء الجموع ولم يذكر فيها فعولة وان قرئ ركوبهم بضم الراء فلابدّ من حذف المضاف اما من الاوّل اى فمن منافعها كما تقول لصاحبك من منافعك عطاؤك لي واما من الثاني اى ذو ركوبهم ويجوز ان يكون المصدر بمعنى المفعول كضرب الامير فعلى هذا لا حذف في الكلام ويرجع بحسب المعنى الى قرآءة الجمهور بفتح الراء ﴿قوله او المصدر﴾ لاختلاف الواحد بحسب اختلاف متعلقه وهو اللبن والمخيض والزبد والسمن والاقط والرآئب المخيض اللبن الذي قد مخض واخذ زبده والرآئب لبن ذو روبة مثل تامر ولابن والروبة خميرة تلقى في اللبن ليروب واتصال قوله تعالى واتخذوا من دون

(الله)

الله آلهة بما قبله انه حال مقررة لنهاية غيهم وضلالهم اى انا فعلنالهم ما يوجب شكرهم وهم اتخذوا من دوننا مالا يستطيع نصرهم ومع ذلك هم جندلهم محضرون بحفظه والتعصب له والذب عنه وقوله او محضرون اثرهم فى النار مبنى على ماقيل ان كل من عبد شيأ من دون الله فانه يؤمر يوم القيامة باللحوق بمعبوده فعبدة الاوثان يجعلون يوم القيامة جندالهم يجمعون اليها ثم يحضرون النار جميعا قال تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم الآية يقال حزبه امر اى اصابه والفاء فى قوله تعالى فلا يحزنك جزآئية اى اذا سمعت قولهم فى الله انه شريك اوولد اوقيل انك كاذب شاعر وتألمت من اذاهم وجفائهم فتسل بالحاطة على بجميع احوالهم اى بان نجازيهم على تكذيبهم اياك واذ اكرهم فى ﴿قوله تسلية ثانية﴾ والتسلية الاولى قوله انا خلقنالهم كذا وكذا ليشكروني فعكسوا الامر واتخذوا من دونى آلهة وترتيب النظم انه تعالى بعدما رد عليهم قولهم انه شاعر اى بقوله انا خلقنالهم الآيات وعلموا انه المتفرد بها فكان عليهم ان يشكروها ويخصوا العبادة بمنعمها ومع ذلك كابروا وعاندوا واتخذوا من دونه آلهة اشركوها به وقابلوا مثل تلك النعم الجليلة بهذه الشنعة القبيحة وهذا ليس بادنى من معاملتهم معك بالتكذيب والتهجين ثم اتى بقوله اولم ير الانسان الآية تسلية ثانية فيكون عطفا على قوله اولم يروا انا خلقنالهم واسلوبهم فى التعكيس يعنى انا كنا تولينا احداث تلك النعم لتكون ذريعة الى ان يشكروها فجعلوها وسيلة الى الكفران كذلك خلقناهم من اخس الاشياء ليخضعوا ويتذللوا فاذاهم خصيم مبين ﴿قوله حيث يعجب منه﴾ بان رتب مخاصمة الملك الجبار على خلقه من هو اصله من احقر الاشياء باذا المفاجأة والافراط فى الخصومة مستفاد من صيغة الخصيم لانها للمبالغة ومن تنكيرها ايضا ﴿قوله ومناقاة﴾ بالنصب عطف على افراطا للتفسير لان كل واحد من الخصمين ينفى قول الآخر فتكون المخاصمة مناقاة والتخاصم تنافيا وعلل كون انكار الحشر افراطا فى الخصومة بكونه جحودا للقدرة على ما هو اهون مما عمله وقدر عليه فى بدء خلقه وقوله ومقابلة للنعمة عطف على افراطا وقوله بالعقوق متعلق بمقابلة وقوله روى ان ابى بن خلف اشارة الى ان الآية نزلت فى حقه وانه المراد بالانسان وقد ثبت فى اصول الفقه ان الاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فالآية وان نزلت ردا عليه فى انكاره البعث فهى عامة تصلح ردا لكل من ينكره ﴿قوله بعد ماكان ماء مهينا مميز منطيق﴾ اى ليس المعنى لو فاجأه وقلة حياته لا ينظر الى خسة عنصره و يعمد الى مخاصمة العزيز القهار بل المعنى انه ينكر البعث واحياء الاجساد البالية والعظام النخرة ولا ينظر الى بدء حاله وانه لم يكن فى بدء خلقه كما هو الآن وانما كان مواتا جمادا وشيأ مهينا فاحيي وقوم باحسن تقويم وجعل له اعضاء مختلفة لجمع المواد واعادة قواه ظاهرة وباطنة ليس باعجب من بدء خلقه من اجزآء النطفة وهو يجادل فى احياء العظام ولا يتفكر فى بدء قوة الفهم والتمييز وقوة النطق التى يعرب بها الحى فى ضميره و جمع جسمه الذى احيى بعدما كان ماء مهينا اعجب واغرب من مجرد جمع المواد واعادة الاحياء فقوله خصيم على هذا التوجيه بمعنى ناطق واختياره على الناطق لان التكلم مع الغير على وجه المخاصمة اعلى مراتب النطق واكملها ولم يرض المصنف بهذا التوجيه لان الاول انسب بمقام التسلية ﴿قوله امرا عجيبا﴾ قد مر فى اول هذه السورة ان المثل يستعار للامر العجيب تشبيها له بالمثل العرفى وهو القول السائر فى الغرابة ولاشك ان نفى قدرة الله على البعث مع انه من جملة الممكنات وانه على كل شئ قدير من اعجب العجائب ﴿قوله وتشبيهه بخلقه﴾ مرفوع معطوف على نفى القدرة وبوصفه متعلق بتشبيهه اى القادر على كل شئ وصاحب الكشاف جعل اشتمال قوله من يحيى العظام وهى رميم على تشبيه القادر على كل شئ بمن يوصف بالعجز وجها ثانيا لتسميته مثلا بناء على ان المثل والمثل والمثيل كالشبه والشبه والشبيه وزنا ومعنى فمعنى الآية حينئذ وضرب لنا شبها بالمخلوقين وجعل قدرتنا كقدرتهم ونسى خلقه العجيب وبدأه الغريب * قال الجوهرى فى الصحاح الرمة بالكسر العظام البالية والجمع رمم ورمام تقول منه رم العظم يرم بالكسر رمة اذا بلى فهو رميم وانما قال تعالى من يحيى العظام وهى رميم بدون الهاء مع انه خبر عن مؤنث لان فعيلا وفعولا قد يستوى فيهما المذكر والمؤنث والجمع مثل رسول وعدو وصديق انتهى والاظهار انه اسم لما بلى من العظام بالغلبة على وزن رغيف لا يحتمل الضمير فلا يؤنث ﴿قوله ولعله فعيل بمعنى فاعل﴾ جواب عما يقال الظاهر ان رميم فى الآية فعيل بمعنى فاعل وقد تقرر ان الفعيل بمعنى الفاعل يفرق فيه بين المذكر والمؤنث فينبغى ان يقال وهى رميمة لكونه خبرا عن مؤنث فلم لم يدخل الهاء وتقرير الجواب انه فى الاصل صفة بمعنى الفاعل الا انه صار بالغلبة اسما لما بلى

(واتخذوا من دون الله آلهة) اشركوها به فى العبادة بعدما رأوا منه تلك القدرة الباهرة والنعم المتظاهرة وعلموا انه المتفرد بها (لعلهم ينصرون) رجاء ان ينصروهم فيما حزبهم من الامور والامر بالعكس لانهم (لا يستطيعون نصرهم وهم لهم) لآلهتهم (جند محضرون) معدون لحفظهم والذب عنهم او محضرون اثرهم فى النار (فلا يحزنك) فلا يهمك وقرئ بضم الياء من احزن (قولهم) فى الله بالالحاد والشرك او فيك بالتكذيب والتهجين (انا نعلم ما يسرون وما يعلنون) فنجازيهم عليه وكفى ذلك ان تتسلى به وهو تعليل النهى على الاستئناف ولذلك لو قرئ أنا بالفتح على حذف لام التعليل جاز (اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين) تسلية ثانية بتهوين ما يقولونه بالنسبة الى انكارهم الحشر وفيه تقبيح بليغ لانكاره حيث عجب منه وجعله افراطا فى الخصومة بينا ومنافاة لجحود القدرة على ما هو اهون مما عمله فى بدء خلقه ومقابلة النعمة التى لا مزيد عليها وهى خلقه من اخس شئ واهنه شريفا مكرما بالعقوق والتكذيب روى ان ابى بن خلف اتى النبى صلى الله عليه وسلم بعظم بال يفتته بيده وقال اترى الله يحيى هذا بعد مارم فقال عليه الصلاة والسلام نعم ويبعثك ويدخلك النار فنزلت وقيل معنى فاذا هو خصيم مبين فاذا هو بعد ما كان ماء مهينا مميز منطيق قادر على الخصام معرب عما فى نفسه (وضرب لنا مثلا) امرا عجيبا وهو نفى القدرة على احياء الموتى وتشبيهه بخلقه بوصفه بالعجز عما عجزوا عنه (ونسى خلقه) خلقنا اياه (قال من يحيى العظام وهى رميم) منكرا اياه مستبعدا له والرميم ما بلى من العظام ولعله فعيل بمعنى فاعل من رم الشئ صار اسما بالغلبة ولذلك لم يؤنث

من العظام بمعنى الرفت والرفات فالاسم لايحتمل الضمير كالرغيف لايؤنث هو اجاب ثانيا بانالانسلم انه بمعنى فاعل بل يجوز ان يكون بمعنى المفعول لان رم قد يستعمل متعديا فيقال رممته وفعيل بمعنى المفعول يستوى فيه المذكر والمؤنث نحو قتيل وذبيح ﴿قوله من رممته﴾ يعنى ان رميما انما يكون بمعنى المفعول اذا استعمل رم متعديا ﴿قوله فيؤثر فيه الموت﴾ اى ينجس بالموت كسائر الاعضاء كما هو مذهب الشافعية فان عظام الميتة نجسة عندهم من جهة ان الحياة تحلها فيطرأ عليها الموت فتنجس به وعند الحنفية عظم الميتة وشعرها وعصبها طاهر بناء على ان الحياة لاتحلها فلا يؤثر فيها الموت ويقولون معنى احياء العظام فى الآية ردها الى ما كانت عليه غضة رطبة فى بدن حى حساس واعلم ان المنكرين للحشر منهم من لم يذكر دليلا ولا شبهة بل اكتفى بمجرد الاستبعاد وهم الاكثرون كقولهم اذا ضللنا فى الارض أئنا لفى خلق جديد أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون قال من يحيى العظام وهى رميم على طريق الاستبعاد فابطل استبعادهم بقوله ونسى خلقه اى نسى انا خلقناه من تراب ثم من نطفة متشابهة الاجزاء ثم جعلنا له من ناصيته الى قدمه اعضاء مختلفة الصور وما اكتفينا بذلك حتى اودعناه ماليس من قبيل هذه الاجرام وهو النطق والعقل اللذين بهما استحق الاكرام فان كانوا يقنعون بمجرد الاستبعاد فهل لايستبعدون خلق الناطق العاقل من نطفة قذرة لم تكن محلا للحياة اصلا ويستبعدون اعادة النطق والعقل الى محل كانافيه ومنهم من ذكر شبهة وان كانت فى آخرها تعود الى مجرد الاستبعاد وهى على وجهين الاول انه بعد العدم لم يبق شيأ فكيف يصح على العدم الحكم بالوجود فاجاب الله من هذه الشبهة بقوله قل يحييها الذى انشأها اول مرة يعنى انه كما خلق الانسان ولم يكن شيأ مذكورا كذلك يعيده وان لم يبق شيأ مذكورا الثانى ان من تفرقت اجزاؤه فى مشارق العالم ومغاربه وصار بعضه فى ابدان السباع وبعضه فى حواصل الطيور وبعضه فى جدران المنازل كيف يجتمع وابعد من هذا لو اكل انسان انسانا وصارت اجزاء المأكول داخلة فى اجزاء الآكل فان اعيدت اجزاء الآكل فلايبقى للمأكول اجزاء تخلق منها اعضاؤه وان اعيدت الاجزاء المأكولة الى بدن المأكول واعيد المأكول باجزائه فلايبقى للآكل اجزاء فابطل الله تعالى هذه الشبهة بقوله وهو بكل خلق عليم ووجهه ان فى الآكل اجزاء اصلية واجزاء فضلية وفى المأكول كذلك فاذا اكل انسان انسانا صارت الاجزاء الاصلية للمأكول فضليا من اجزاء الآكل والاجزاء الاصلية للآكل وهى ماكانت قبل الاكل هى التى تجمع وتعاد مع الآكل والاجزاء المأكولة مع المأكول والله بكل خلق عليم يعلم الاصل من الفضل فيجمع الاجزاء الاصلية للآكل ويجمع الاجزاء الفضلية للمأكول وينفخ فيها الروح وكذلك يجمع اجزاءه المتفرقة فى البقاع المتباعدة بحكمته وقدرته ﴿قوله بعلمه﴾ اى بعلمه الزائد على ذاته لانه يعلمها بذاته بان يكون علمه عين ذاته كما هو مذهب البعض ﴿قوله فيعلم اجزاء الاشخاص الخ﴾ تفريع وبيان لقوله وكيفية خلقها وقوله او احداث مثلها عطف على اجزاء الاشخاص الخ يبان ان كيفية اعادة المخلوقات على احد وجهين الاول ان يجمع اجزاؤها المتفرقة ويضم بعضها الى بعض على النمط السابق والثانى ان يحدث مثلها بعد ماصارت نفيا محضا وعدما صرفا بحيث لم يبق لها هوية متميزة ولاخصوصية خارجية وهذا التقسيم مبنى على ان الاختلاف فى ان فناء الاجسام عبارة عن انعدامها وكونها نفيا محضا او عن تفرق اجزائها وخروجها عن الانتفاع بها كما ذهب اليه من لم يجوز اعادة المعدوم بعينه اى بجميع عوارضه المشخصة من المعتزلة كابى الحسين البصرى والكرامية لانهم مسلمون قائلون بالمعاد الجسمانى ولم يجز عندهم اعادة المعدوم بعينه ولم يتيسر لهم القول بانعدام الاجسام بطريق انعدام اجزائها بالكلية والا لم يمكنهم القول باعادتها قال صاحب المواقف هل يعدم الله الاجزاء البدنية ثم يعيدها او يفرقها ويعيد فيها التأليف الحق انه لم يثبت ذلك ولاجزم فيه نفيا ولا اثباتا لعدم الدليل على شئ من الطرفين وقوله تعالى كل شئ هالك الا وجهه لايرجح احد الاحتمالين لان هلاك الشئ كما يكون باعدام اجزائه يكون بتفريقها وابطال منافعها انتهى معنى كلامه وتحقيق الكلام فيه انه على تقدير ان يعدم الله الاجزاء ثم يعيدها هل تكون الاجسام المعادة عين المبتدأة او مثلها الظاهر انها عين المبتدأة لان المتبادر من المعاد الجسمانى هو اعادة عين الاول لامثله وهو جائز عند اكثر المتكلمين من اهل السنة والمعتزلة فقول المصنف او احداث مثلها مع قوله فيما بعد او مثلهم فى اصول الذات وصفاتها محل تأمل والذى يقع اليه فهمى ان ضمير مثلها فى قوله او احداث مثلها راجع الى المخلوقات لاالى الاجزاء وان فناء الاجسام ان كان عبارة عن اعدام اجزائها تكون اعادتها عبارة عن اعادة تلك

او بمعنى مفعول من رممته وفيه دليل على ان العظم ذو حياة فيؤثر فيه الموت كسائر الاعضاء (قل يحييها الذى انشأها اول مرة) فان قدرته كما كانت لامتناع التغير فيه والمادة على حالها فى القابلية اللازمة لذاتها (وهو بكل خلق عليم) يعلم تفاصيل المخلوقات بعلمه وكيفية خلقها فيعلم اجزاء الاشخاص المتفتتة المتبددة اصولها وفصولها ومواقعها وطريق تمييزها وضم بعضها الى بعض على النمط السابق واعادة الاعراض والقوى التى كانت فيها او احداث مثلها

(الاجزاء)

(داود) عن العرباض ابن سارية رضي الله تعالى عنه انه قال صلى بنا رسول الله

صلى الله تعالى عليه وسلم ذات يوم ثم اقبل علينا بوجهه

فوعظنا موعظة بليغة ذرفت فيها العيون

ووجلت منها القلوب فقال رجل يا رسول الله

كان هذه الموعظة موعظة مودع فماذا تعهد الينا

قال اوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وان

كان عبدا حبشيا فانه من يعش منكم فسيرى اختلافا

كثيرا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين

تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ واياكم ومحدثات

الامور فان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة

وكل ضلالة في النار صدق رسول الله فيما قال

(ت م) عن عبد الله ابن عمر رضي الله تعالى عنهما انه قال عليه صلوة

وسلام قال والله ليأتين على امتي كما اتى على بني اسرائيل حذو

النعل بالنعل حتى ان كان منهم من اتى امه علانية لكان من امتي

من يصنع ذلك وان بني اسرائيل تفرقت على اثنتين وسبعين ملة و

تفترق امتي على ثلاث وسبعين ملة كلهم في النار الا ملة واحدة قالوا من هي

يا رسول الله قال ما انا عليه واصحابي صدق رسول الله

الحديث بربعة

خرجه رويه (هق) عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما عن النبي
عليه سلام انه قال من تمسك بسنتي عند
فساد امتي فله اجر مائة شهيد صدق رسول الله

(ت) عن زيد بن طلحة عن النبي صل الله تعالى عليه
انه قال ان الدين بدأ غريبا ويرجع غريبا فطوبى
للغرباء الذين يصلحون ما افسده الناس من بعده
من سنتي

(مسلم) عن رافع بن خديج رضي الله تعالى عنه انه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انتم اعلم
بامر دنياكم اذا امرتكم بشيء من دينكم فخذوه

(ت) عن عبد الله ابن عمر رضي الله تعالى عنهما عن النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال لا يؤمن احدكم
حتى يكون هواه لما جئت به صدق رسول الله

(خ) عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه
انه قال قال رسو كل امتي يدخلون الجنة
الا من ابى قيل ومن ابى قال من اطاعني
دخل الجنة ومن عصاني فقد ابى صدق رسول الله

(م) عن ابي سعيد رضي الله تعالى عنه انه قال قال رسول الله
من اكل طيبا وقيد وعمل في سنة وامن الناس
بوائقه دخل الجنة قالوا يا رسول الله ان هذا
في امتك اليوم كثير قال وسيكون في قوم بعدي

(م) عن جابر رضي الله تعالى عنه كان رسول الله صل الله
تعالى عليه وسلم اذا خطب في الجنة احمرت عيناه
وعلا صوته واشتد غضبه كانه منذر جيش
يقول صبحكم ومساكم ويقول بعثت انا والساعة
كهاتين ويقرن بين اصبعيه السبابة والوسطى
ويقول اما بعد فان خير الحديث صدق رسول الله

(د) عن العرباض ابن سارية رضي الله تعالى عنه

قام فينا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال
أيحسب متكئا على أريكته يظن ان الله تعالى لم
يحرم شيئا إلا ما في هذا القرآن الا واني قد امرت
ووعظت ونهيت انها مثل القرآن او أكثر وان
الله تعالى لم يحل لكم ان تدخلوا بيوت أهل الكتاب
إلا بإذن ولا ضرب نسائهم ولا اكل ثمارهم ⁕
اذا اعطوكم الذي عليهم صدقه رسول الله فيما قال

(د ت) عن ابي رافع رضي الله تعالى عنه ان رسول الله عليه
وسلم قال لا ألفين احدكم متكئا على اريكته يأتيه
الأمر مما امرت به او نهيت عنه فيقول لا ادري
وما وجدناه في كتاب الله اتبعناه وقد قال تعالى
ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين صدق الله

الاجزآء بعينها اى بجميع عوارضها المشخصة واعادة الاجزآء الاصلية للاجسام بعينها لاتستلزم اعادة الاجرام بعينها كيف وان اهل الجنة جرد مرد واهل النار ضرس احدهم مثل جبل احد فلذلك حكم بان الاجسام المعادة مثل المبتدأة فى اصول الذات وصفاتها وفيه ايماء الى ان الاجزآء الاصلية معادة باعيانها والله اعلم ﴿ قوله كالمرخ ﴾ وهو بالخاء المعجمة شجر صغير الورق والعفار بالعين المهملة شجر آخر تقدح منه النار وفى المثل فى كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار اى اخذنا بالمجد يؤخذ منهما غصنان على قدر السواكين وهما يقطران ماء فيحك بعضهما ببعض فتخرج منهما النار باذن الله تعالى نبه تعالى على وحدانيته وكمال قدرته على احياء الموتى بما يشاهدونه من اخراج النار المحرقة اليابسة من العود الندى الرطب فان الشجر الاخضر بما فيه من الماء البارد الرطب اذا اخرج منه النار اليابسة وهما لايجتمعان فكيف يستبعد ان يخلق الحياة فى العظام النخرة ﴿ قوله لاتشكون فى انها نار خرجت منه ﴾ مستفاد من قوله تعالى منه توقدون بتقديم منه ﴿ قوله على المعنى ﴾ فان لفظ الشجر مذكر ومعناه مؤنث لانه جمع شجرة كثمر وثمرة والجمع مؤنث لكونه بمعنى الجماعة ونظيره فى الحمل على اللفظ تارة وعلى المعنى اخرى قوله تعالى ثم انكم ايها الضالون المكذبون لآكلون من شجر من زقوم فمالئون منها البطون فشاربون عليه من الحميم فان ضمير منها وعليه راجعان الى شجر من زقوم انث الاول وذكر الثانى الثالث ﴿ قوله او مثلهم فى اصول الذات وصفاتها ﴾ فان المعاد هو الاول والاشتمال على الاجزآء الاصلية للاول وان امتاز كل واحد منهما عن الآخر بحسب اختلاف الامور الخارجية عن هوية الشخص وعينه ﴿ قوله ومن يعقوب يقدر ﴾ اى بدل بقادر ووجهه ظاهر واما وجه القرآءة الاولى وهى القرآءة بزيادة الباء على اسم الفاعل مع انها لاتزاد فى الايجاب ومعنى الكلام ههنا ايجاب لان الاستفهام انكارى وانكار النفى ايجاب فوجه زيادتها فيه الاكتفاء بوجود صورة النفى ولفظه وهو الوجه فى الايجاب ببلى المختصة بايجاب النفى المتقدم ونقضه فهى ههنا لنقض النفى الذى بعد الاستفهام اى بلى انه قادر كقوله ألست بربكم قالوا بلى اى بلى انت ربنا ﴿ قوله مشعر بانه لاجواب سواه ﴾ وجه الاشعار ان جواب الاستفهام التقريرى ينبغى ان يكون من المخاطب بان يقر ويقول بلى فاذا بادر المستفهم الى الجواب فكأنه قال لم يتوقف وهل يذهب الوهم الى جواب سواه فان من قدر على خلق الاكبر يقدر على خلق الاصغر بدأ واعادة ﴿ قوله وهو تمثيل ﴾ يعنى ان حقيقة الحال ان شأنه تعالى اذا اراد شيأ ان يكونه بقدرته وارادته فيتكون من غير توقف وامتناع وليس هناك قول كن للامر بالتكوين لان الامر بالتكوين ان كان حال وجود المكون فلا وجه للامر وان كان حال عدمه فكذلك اذلامعنى لانه يأمر المعدوم بان يوجد بنفسه الآن اخرج الكلام على طريق الاستعارة التمثيلية بان شبه قدرة الله تعالى فى المراد من غير توقف وامتناع ومن غير مزاولة عمل واستعمال آلة بامر المطاع للمطيع فى حصول المأمور به من غير امتناع وتوقف فاستعير قوله كن فيكون من امر المطاع للمطيع لتأثير قدرته فى المكون وليس هناك قول ولا آمر ولا مأمور حقيقة وانما هو وجود الاشياء بالتكوين مقرونا بالعلم والقدرة والارادة وقيل جرت سنة الله تعالى فى تكوين الاشياء بان يقول هذه الكلمة والمعنى يقول له احدث فيحدث عقيب هذا الكلام فيكون الكلام على الحقيقة وقوله قطعا لمادة الشبهة علة لقوله وهو تمثيل ﴿ قوله عطفا على يقول ﴾ والجمهور على رفع قوله فيكون بناء على انه فى تقدير فهو يكون على انه يكون جملة اسمية معطوفة على اسمية مثلها وهى قوله امره ان يقول له كن ﴿ قوله مالكا للملك كله ﴾ اشارة الى ان الملكوت بمعنى الملك وقرئ ملكة كل شئ بزنة شجرة وقرئ مملكة بزنة مفعلة وقرئ ملك كل شئ ومعنى الكل واحد والملكوت ابلغ الجميع لانه فعلوت من الملك والواو والتاء فيه للمبالغة كالجبروت والرغبوت فانها مصادر دالة على المبالغة قال الفاضل الطيبى ان هذه السورة من فاتحتها الى خاتمتها فى تقرير امهات علم الاصول وجميع المسائل المعتبرة التى اوردها العلماء فى مصنفاتهم بابلغ وجه واتمه ثم فصل وجه ذلك الى ان قال انما امره اذا اراد شيأ ان يقول له كن فيكون كالفذلكة للمذكورات وقوله فسبحان الذى بيده ملكوت كل شئ واليه ترجعون كالخاتمة المشتملة على اسرار عجيبة قصير فيها الافهام وتكل من شرحها الالسن والاقلام ولهذا قال خير الامة ابن عباس رضى الله عنهما ماقال من ان ماروى فى فضل يس انما هو لهذه الآية قيل انما جعل يس قلب القرآن اى اصله ولبه لان المقصود الاهم من انزال الكتب بيان انهم يحشرون وانهم جميعا لديه محضرون وان المطيعين يجازون باحسن ماكانوا يعملون ويمتاز عنهم المجرمون وهذا كله مقرر فى هذه السورة بابلغ وجه واكمله وروى عنه انه عليه الصلاة

(الذى جعل لكم من الشجر الاخضر) كالمرخ والعفار (نارا) بان يسحق المرخ على العفار وهما خضراوان يقطر منهما الماء فتنقدح النار (فاذا انتم منه توقدون) لاتشكون فى انها نار خرجت منه فمن قدر على احداث النار من الشجر الاخضر مع مافيه من المائية المضادة لها بكيفيته كان اقدر على اعادة الغضاضة فيما كان غضا فيبس وبلى وقرئ من الشجر الخضراء على المعنى كقوله فمالئون منها البطون (اوليس الذى خلق السموات والارض) مع كبر جرمهما وعظم شأنهما (بقادر على ان يخلق مثلهم) فى الصغر والحقارة بالاضافة اليهما او مثلهم فى اصول الذات وصفاتها وهو المعاد وعن يعقوب يقدر (بلى) جواب من الله لتقرير مابعد النفى مشعر بانه لاجواب سواه (وهو الخلاق العليم) كثير المخلوقات والمعلومات (انما امره) انما شأنه (اذا اراد شيأ ان يقول له كن) اى تكون (فيكون) فهو يكون اى يحدث وهو تمثيل لتأثير قدرته فى مراده بامر المطاع للمطيع فى حصول المأمور من غير امتناع وتوقف وافتقار الى مزاولة عمل واستعمال آلة قطعا لمادة الشبهة وهو قياس قدرة الله تعالى على قدرة الخلق ونصبه ابن عامر والكسائى عطفا على يقول (فسبحان الذى بيده ملكوت كل شئ) تنزيه له عما ضربوا له وتعجيب مما قالوا فيه معللا بكونه مالكا للملك كله قادرا على كل شئ (واليه ترجعون) وعد ووعيد للمقرين والمنكرين وقرأ يعقوب بفتح التاء * وعن ابن عباس رضى الله عنهما كنت لااعلم ماروى فى فضل يس كيف خصت به فاذا انه لهذه الآية وعنه عليه الصلاة والسلام ان لكل شئ قلبا وقلب القرآن يس من قرأها يريد بها وجه الله غفر الله له واعطى من الاجر كانما قرأ القرآن اثنتين وعشرين مرة وايما مسلم قرئ عنده اذا نزل به ملك الموت يس نزل بكل حرف منها عشرة املاك يقومون بين يديه صفوفا يصلون عليه ويستغفرون له ويشهدون دفنه وايما مؤمن قرأ يس وهو فى سكرات الموت لم يقبض ملك الموت روحه حتى يجيئه رضوان بشربة من الجنة فيشربها وهو على فراشه فيقبض روحه وهو ريان ويمكث فى قبره وهو ريان ولايحتاج الى حوض من حياض الانبياء حتى يدخل الجنة وهو ريان

والسلام قال « اقرأوا سورة يس على موتاكم » قال الامام وذلك ان الانسان حينئذ ضعيف القوة وكذا الاعضاء لكن القلب يكون مقبلا على الله بكليته فاذا قرئت هذه السورة الكريمة تزداد قوة قلبه ويشتد تصديقه بالاصول فيزداد اشراق قلبه بنور الايمان وتتقوى بصيرته بلوامع العرفان

﴿ سورة الصافات مكية وهى مائة واثنان وثمانون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر ﴾

﴿ قوله والصافات ﴾ الصف ان يجعل الشئ على خط مستقيم تقول صففت القوم فاصطفوا اذا اقمتهم على خط مستقيم لاجل الصلاة والحرب والصافات جمع صافة وواو القسم فيها بدل من الباء والاصل اقسم بالصافات ثم حذف الفعل لدلالة الجار المتعلق به وابدلت الواو من الباء لاشتراكهما فى المخرج وتقاربهما فى المعنى لان الالصاق والجمع متقاربان فى المعنى وصفا مصدر مؤكد ومثله زجرا وقيل صفا مفعول به على ان يكون بمعنى المصفوف وذكرا يجوز ان يكون مفعولا به للتاليات وان يكون مصدرا لمعنى التاليات وهو موافق لما قبله وقيل مفعول الصافات والزاجرات غير مراد والمعنى الفاعلات لذلك وقيل هو مراد والمعنى والصافات انفسها او اقدامها او اجنحتها فى الهوآء واقفة منتظرة لامر الله تعالى وقول المصنف بالملائكة الصافين فى مقام العبودية يدل على ان مفعول الصافات غير مراد وقوله الزاجرين الاجرام او الناس او الشياطين وقوله التالين آيات الله يدل على ان مفعول الزاجرات والتاليات مراد ونقل عن الراغب ان الزجر طرد بصوت ثم يستعمل تارة فى الطرد واخرى فى الصوت وفى الصحاح الزجر المنع والنهى وزجر البعير اى ساقه والزجر ايضا العيافة وهو ضرب من التكهن يقول انه يكون كذا وكذا وقال فى فصل العين من باب الفاء عفت الطير اعيفها عيافة اى زجرتها وهى ان يعتبر باسمائها ومساقطها واصواتها والعائف المتكهن انتهى كلامه والعيافة نوع تدبير لان التدبير فى الامر ان ينظر الى ما يؤول اليه دابره وعاقبه وذلك حاصل فى الزجر بمعنى العيافة فقول المصنف الزاجرين الاجرام العلوية اى التى يعتبرونها ويدبرون امرها وكذا قوله والارواح المدبرة لها تفسير للزجر بالاعتبار والتدبير ﴿ قوله او بطوآئف الاجرام ﴾ عطف على الملائكة فى قوله اقسم بالملائكة الصافين وزاد لفظ الطوآئف لانه جمع طائفة يقال طائفة صافة وطوآئف صافات ولم يحتج الى زيادة الطوآئف على تقدير ان يكون المقسم به الملائكة اكتفاء بالتأنيث اللفظى فيها فيكون التقدير والملائكة الصافات وقوله بالملائكة الصافين رعاية لجانب المعنى وجلايا جمع جلية من جلوت الامر اى اوضحته وكشفته وجلايا قدسه كاشفاته وموضحاته فقيل لا يجوز حمل هذه الالفاظ على الملائكة لانها مشعرة بالتأنيث والملائكة مبرأون من هذه الصفة واجيب بوجهين الاول ان الصافات محمولة على الملائكة باعتبار موصوفاتها المقدرة وهى المحمولة على الملائكة حقيقة فانه يقال جماعة صافة والثانى انهم مبرأون من التأنيث المعنوى فاما التأنيث اللفظى فلا كيف وهم يسمون بالملائكة وعلامة التأنيث حاصلة فيه والمراد من الاجرام المرتبة كالصفوف العناصر والافلاك والكواكب وقوله المرتبة كالصفوف اشارة الى ان الصافات بمعنى المصفوفات مثل عيشة راضية فى ان المبنى للفاعل اسند الى المفعول به ويقال رصصت الشئ ارصه رصا اى الصقت بعضه ببعض ومنه بنيان مرصوص وتراص القوم فى الصف اى تلاصقوا والمراد بالجواهر القدسية الملائكة ﴿ قوله مبارزة العدو ﴾ اى مقابلته يقال فلان بارز فلانا اى يعارضه ويفعل مثل فعله وفلان بارز الريح صحفاء ذكر المصنف فى المقسم به وهو الصافات اربع حالات والموصوف بالصافات الثلاث واحد فى غير الاحتمال الثانى وثلاثة فيه الاجرام المرتبة والارواح المدبرة لها والجواهر القدسية فيكون العطف على هذا من قبيل عطف الذوات الموصوفة بعضها على بعض وفى باقى الاحتمالات من قبيل عطف الصفات المتغايرة بعضها على بعض مع اتحاد الموصوف كما فى بيت زيابة فان الذى صحح فغنم فآب هو الحارث « ثم ان الزمخشرى رحمه الله ذكر فى الفاء المقيدة للترتيب والتعقيب اذا وقعت بين الصفات المتعاطفة ثلاثة قوانين الاول ان تدل على ترتيب الصفات فى الوجود كما فى بيت زيابة والثانى ان تدل على ترتيبها فى الرتبة والفضيلة بان يكون بعض الصفات ارفع قدرا وافضل من الباقية فتكون الباقية متأخرة عنه بهذا المعنى وان لم تتأخر عنه فى الوجود كما فى الآية اذا اتحد الموصوف بالصافات الثلاث فان الفاء تفيد ترتيب الصفات فى الفضل بان يكون الصف ثم الزجر ثم التلاوة او على العكس فان حمل على ان الاول افضل من الثانى تكون الفاء دالة على ان الوصف الثانى متأخر عن الاول فى الفضل وان حمل على ان الثانى افضل

﴿ سورة الصافات مكية وآيها مائة واحدى او اثنتان وثمانون آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والصافات صفا فالزاجرات زجرا فالتاليات ذكرا) اقسم بالملائكة الصافين فى مقام العبودية على مراتب باعتبارها يفيض عليهم الانوار الالهية منتظرين لامر الله الزاجرين الاجرام العلوية والسفلية بالتدبير المأمور به فيها او الناس عن المعاصى بالهام الخير او الشياطين عن التعرض لهم التالين آيات الله وجلايا قدسه على انبيائه واوليائه او بطوآئف الاجرام المرتبة كالصفوف المرصوصة والارواح المدبرة لها والجواهر القدسية المستغرقة فى بحار القدس يسبحون الليل والنهار لا يفترون او بنفوس العلماء الصافين فى العبادات الزاجرين عن الكفر والفسوق بالحجج والنصائح التالين آيات الله وشرائعه او بنفوس الغزاة الصافين فى الجهاد الزاجرين الخيل او العدو التالين ذكر الله لا يشغلهم عنه مبارزة العدو والعطف لاختلاف الذوات او الصفات والفاء لترتيب الوجود كقوله « يالهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالآيب » فان الصف كمال والزجر تكميل بالمنع عن الشر او الاساقة الى قبول الخير والتلاوة افاضة او الرتبة كقوله عليه الصلاة والسلام رحم الله المحلقين فالمقصرين غير انه لفضل المتقدم على المتأخر وهذا بالعكس

من الاوّل تكون دالة على ان الثانى اعلى مرتبة من الاوّل وابعد منزلة منه كما فى مثال ذلك فى ثم والثالث على ترتيب الموصوفات فى الفضل والشرف كما اذا قلت رحم الله المحلقين فالمقصرين فان الفاء تدل على ان المحلقين افضل من المقصرين بناء على ان الحلق افضل من التقصير وان التقصير متأخر عنه فى الفضل ثم انه جوّز فى الآية على تقدير تعدد الموصوف وكون الفاء لترتيب الموصوفات فى الفضل ان تكون الطوائف الصافات ذوات فضل والزاجرات افضل والتاليات ابهر فضلا وان يكون الامر على عكس هذا والعقل يجوّز قانونا رابعا وهو ان تكون الفاء دالة على ترتيب الموصوفات فى الوجود ولم يعتبره الزمخشرى اذ ليس للفاء دلالة على ان بعض الذوات متأخر عن البعض فى الوجود وقول المصنف والرتبة عطف على الوجود فى قوله والفاء لترتيب الوجود يريد ان الفاء اما لترتيب الوجود اى وجود الصفات اذا كانت لعطف الصفات واختلافها فان الصف كمال والزجر تكميل والابهر التكميل افاضة الخير التى هى التلاوة بعد المنع عن الشرّ وبعد الاساقة الى قبول الخير ايضا والاساقة افعال من السياقة كنى بها عن القوّة واما لترتيب الرتبة والفضل اى لترتيب رتبة الموصوفات وفضلها اذا كانت لعطف الذوات واختلافها او لترتيب رتبة وجود الصفات وفضلها اذا كانت لعطف الصفات واختلافها وجوّز ان تكون الفاء فى الآية لترتيب الوجود من حيث ان الفضل بعد الكمال وافاضة الخير بعد المنع عن الشرّ وبعد الاساقة الى قبول الخير ايضا والاساقة افعال من السياقة التى كنى بها عن القوّة وترتيب الفضل بينها على حسب ترتب وجودها اعنى ان الفاء فى الآية من الترقى من الفاضل الى الافضل ومنه الى الابهر فضلا على عكس قولك فالمقصرين فان الفاء فيه للتنزل من الافضل الى الفاضل ﴿قوله وادغم ابو عمرو وحمزة﴾ يعنى انهما قرآ بادغام التاء من الصافات والزاجرات والتاليات فى صاد صفا وزاى زجرا وذال ذكرا وكذلك فعلا فى والذاريات ذروا وفى الملقيات ذكرا وفى العاديات ضبحا بخلاف عن خلاد فى الاخيرين وكذلك اتفقا فى ادغام بيت طائفة فى سورة النساء مع انه ليس من اصل حمزة الادغام فى مثله وابو عمرو جارى على اصله من ادغام المتقاربين فحمزة خالف اصله وقرأ الباقون بالاظهار فى جميع ذلك لاختلاف المخارج ﴿قوله والفائدة فيه﴾ اشارة الى دفع ما يقال من انه تعالى اقسم فى اوّل هذه السورة على ان الاله واحد واقسم فى اوّل سورة الذاريات على ان القيامة حق والجزاء واقع فقال والذاريات ذروا الى قوله انما توعدون لصادق وان الدين لواقع فالمقصود من القسم فى مثل هذه المطالب اما اثبات المطلوب عند المؤمن او عند الكافر وعلى كلا التقديرين فلا فائدة فيه اما على الاوّل فلأن المؤمن يقرّ به من غير حلف واما على الثانى فلأن الكافر لا يقرّ به سواء حصل الحلف ام لم يحصل والجواب ان هذا القسم فى مثل هذا الموضع ليس للاثبات بل للتنبيه على شرف المقسم به وتأكيد ما حقق بالادلة القاطعة وتأكيد المطالب المثبتة بالدلائل اليقينية طريقة مألوفة عند العرب وقد انزل القرآن على لغتهم وعلى اسلوبهم فى محاوراتهم فان امر التوحيد وصحة البعث والجزاء قد حقق بالدلائل القاطعة فى مواضع شتى من القرآن العظيم فلا يبعد ذكر القسم تأكيداً لتلك الدلائل وتقريراً لمدلولاتها على انه لما اقسم بهذه الاشياء على ان قوله ان آلهكم لواحد ذكر عقيبه ما هو دليل يقينى على التوحيد فكأنه قيل انتظام هذا العالم يدل على كون الاله واحدا فتأملوا فيه ليحصل لكم العلم بالتوحيد لانه لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا ﴿قوله يتناول افعال العباد﴾ لانها موجودة بين السماء والارض فلما ثبت ان كل ما حصل بينهما فالله ربه ومالكه فقد ثبت ان فعل العبد حصل بخلق الله والحكم على الاعراض بكونها حاصلة بين الشيئين لا يستلزم تحيزها بالذات لانها اذا كانت حاصلة فى الاجسام الحاصلة بين السماء والارض يصدق عليها انها حاصلة بينهما ﴿قوله والمشارق مشارق الكواكب﴾ لان لكل كوكب مشرقا ومغربا فلذلك جمع المشارق هنا ويجوز ان يكون المراد مشارق الشمس وجمعت مع ان الشمس انما تشرق فى كل واحد من الايام فى موضع معين باعتبار جميع السنة فان لها فى جميع السنة مشارق ومغارب كثيرة تطلع فى كل يوم من مشرق وتغرب فى مغرب وقوله رب المشرقين ورب المغربين اراد بهما مشرق الصيف والشتاء ومغربهما اكتفى بذكر المشارق عن ذكر المغارب لدلالة قوله ورب المشارق عليه وذكر للاكتفاء من ذكر المغارب ثلاثة اوجه مبنى الاوّل على ان المغارب اضمار او حذف من اللفظ لدلالة المشارق عليه لان تعدد المشارق يستلزم تعدد المغارب كما ان نفس الشرق يستلزم الغرب وعلى الوجهين الاخيرين كان ذكر المغارب مطوى بحسب اللفظ مطوى بحسب الاعتبار ايضا لان الشروق

وادغم ابو عمرو وحمزة التاآت فيما يليها لتقاربهما فانها من طرف اللسان واصول الثنايا (ان آلهكم لواحد) جواب للقسم والفائدة فيه تعظيم المقسم به وتأكيد المقسم عليه على ما هو المألوف فى كلامهم واما تحقيقه فبقوله تعالى (رب السموات والارض وما بينهما ورب المشارق) فان وجودها وانتظامها على الوجه الاكمل مع امكان غيره دليل على وجود الصانع الحكيم ووحدته على ما مرّ غير مرّة ورب بدل من واحد او خبر ثان او خبر محذوف وما بينهما يتناول افعال العباد فيدل على انها من خلقه والمشارق مشارق الكواكب او مشارق الشمس فى السنة وهى ثلاثمائة وستون تشرق كل يوم فى واحد وبحسبها تختلف المغارب ولذلك اكتفى بذكرها مع ان الشروق ادل على القدرة وابلغ فى النعمة

ادل على القدرة من الغروب لان الاحداث اقوى حالا من الاعدام وابلغ فى النعمة لان الاحتياج الى النور اشد واقوى من الاحتياج الى الظلمة ﴿ قوله وماقيل انها ﴾ اى مشارق الشمس فى السنة مائة وثمانون على ان مشارقها حال كونها آخذة فى الارتفاع هى بعينها مشارقها حال كونها آخذة فى الانتقاص فكيف يقال ثلاثمائة وستون * اجاب عنه بان من سافر خمسة ايام باتنا كل ليلة فى موضع ومرتحلا عنه فى صباح تلك الليلة ثم رجع فى اليوم السادس الى ما عنه سافر باتنا فى المواضع التى بات فيها ومرتحلا عنها فى عد مواضع نزوله وارتحاله بعدها عشرة ولا بعدها خمسة بناء على ان اوقات بياته لما كانت عشرة كانت مواضع ارتحاله عشرة نظرا الى اختلاف الاوقات فكذا المشارق والمغارب انما يختلفان باختلاف اوقات الطلوع والغروب ضرورة ان الارتحال واقع فى وقت آخر فتختلف المراحل والمنازل والمشارق والمغارب على حسب اختلاف الاوقات ﴿ قوله تعالى بزينة الكواكب ﴾ قرأ عاصم وحمزة بزينة بالتنوين والباقون بغير تنوين وقرأ ابو بكر الكواكب بالنصب والباقون بالخفض واختار المصنف فى القرآءة اضافة زينة الى الكواكب ووجه الاضافة باربعة اوجه والزينة فى الوجهين الاخيرين اسم لما زان به الشئ كالليقة اسم لما تلاق به الدواة ويصلح مدادها والاضافة فى الوجه الاول من اضافة العام الى الخاص للبيان كخاتم فضة وما زان به السماء يعم الكواكب وغيرها فاضيف اليها للبيان وفى الوجه الثانى بمعنى اللام والزينة المعتبرة بالنسبة الى الكواكب كما انها مما زان بها السماء فهى ايضا مما زان بغيرها من اضوآئها واشكالها الحسنة كتشكل الثريا وبنات نعش ونحوهما فاحتمل ان يكون المراد بالزينة نفس الكواكب على ان الاضافة بيانية وان يكون ما زان به الكواكب على ان الاضافة بمعنى اللام والزينة فى الوجه الثالث مصدر كالنسبة والحطة اضيف الى المفعول والمعنى انا زينا السماء الدنيا بان زينا الكواكب فيها بجعلها مشرقة مضيئة ذات اشكال حسنة ومطالع ومسائر على الحكمة فانها انما زينت السماء لحسنها فى انفسها واصله بزينة الكواكب وهى قرآءة ابى بكر عن عاصم كما مر والاضافة فى الوجه الرابع من اضافة المصدر الى فاعله والمعنى انا زيناها بان زينتها الكواكب بتزيينها وسائر احوالها ﴿ قوله وركوز الثوابت الخ ﴾ اشارة الى جواب ما يقال من انه ثبت فى علم الهيئة ان الكواكب الثوابت مركوزة فى الكرة الثامنة وان السيارات ماعدا القمر مركوز فى الكرات الست المحيطة بسماء الدنيا فكيف يصح قوله انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب * اجاب عنه اولا بالمنع فقال ان تحقق اى لانسلم تحقق ذلك اذلم يتم دليل الفلاسفة عليه وثانيا بتسليمه وانه لاينافى الحكم بان المزين بها هو السماء الدنيا لان اهل الارض اذا نظروا اليها يشاهدونها مزينة بهذه الكواكب فجعل الزينة بالنسبة اليهم انما هو هذه السماء ﴿ قوله وحفظا منصوب باضمار فعله ﴾ فهو مصدر مؤكد لفعله المضمر اى وحفظناها حفظا قال المبرد اذا ذكرت فعلا ثم عطفت عليه مصدر فعل آخر نصبت المصدر لان العطف على هذا الوجه قد دل على اضمار الفعل كقولك افعل وكرامة فان من معلوم ان الاسماء لاتعطف على الافعال فيعلم ان المعنى افعل ذلك واكرمك كرامة ويحتمل ان يكون منصوبا بالعطف على زينة باعتبار المعنى لان المعنى انا خلقنا الكواكب زينة للسماء وحفظا من الشياطين كما فى ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ومن كل شيطان متعلق بحفظا ان لم يكن مصدرا مؤكدا او بالفعل المضمر ان جعل مصدرا مؤكدا والمارد المتمرّد العاتى وهو الذى يخرج من الطاعة ﴿ قوله تعالى لايسمعون ﴾ قرآءة حفص وحمزة والكسائى بتشديد السين والميم فاصله يتسمعون والقرآءة بالتشديد ابلغ فى نفى الاستماع لانه اذا نفى عنهم التسمع بعد ماحفظ منهم السماء نفى عنهم السماع بالاولوية والتسمع طلب السماع يقال تسمع فسمع اولم يسمع وتسمع لايتعدى الابالى فلذلك اختار ابو عبيد القرآءة بالتشديد وقال لوكان مخففا لم يحتج فى تعديته الى كلمة الى حيث يقال سمعت فلانا يحدث وسمعت حديثه واجيب عنه بان المخفف قد يتعدى بالى * فان قلت اى فرق بين سمعت فلانا يحدث وسمعت اليه يحدث وسمعت حديثه والى حديثه * قلت ان المعدّى بنفسه يفيد الادراك والمعدى بالى يفيد الاصغاء مع الادراك فتكون هذه الآية سوآء قرئت بالتشديد او التخفيف ابلغ فى نفى السماع من قوله تعالى انهم عن السمع لمعزولون لانها على التقديرين تدل على كونهم ممنوعين من الاصغاء الذى هو طلب السماع فكونهم ممنوعين من السمع اولى وفيها ايضا تهويل عظيم لما يمنعهم عنه وهو ظاهر وقوله كلام مبتدأ اى لاتعلق له بما قبله من جهة الاعراب اى لامحل له من الاعراب وان كان متعلقا به من جهة المعنى بان يكون استئنافا كأنه لما قيل وحفظا من كل شيطان مارد اى وحفظناها حفظا منهم سئل بان قيل فما يكون حالهم اذا وكيف تحفظ السماء

(منهم)

وماقيل انها مائة وثمانون انما يصح لولم تختلف اوقات الانتقال (انا زينا السماء الدنيا) القربى منكم (بزينة الكواكب) بزينة هى الكواكب والاضافة للبيان ويعضده قرآءة حمزة ويعقوب وحفص بتنوين زينة وجرّ الكواكب على ابدالها منه او بزينة هى لها كاضوآئها واوضاعها او بان زينا الكواكب فيها على اضافة المصدر الى المفعول فانها كما جاءت اسما كالليقة جاءت مصدرا كالنسبة ويؤيده قرآءة ابى بكر بالتنوين والنصب على الاصل او بان زينتها الكواكب على اضافته الى الفاعل وركوز الثوابت فى الكرة الثامنة وماعدا القمر من السيارات فى الست المتوسطة بينها وبين السماء الدنيا ان تحقق لم يقدح فى ذلك فان اهل الارض يرونها باسرها كجواهر مشرقة متلألئة على سطحها الازرق باشكال مختلفة (وحفظا) منصوب باضمار فعله او العطف على زينة باعتبار المعنى كأنه قال انا خلقنا الكواكب زينة للسماء وحفظا (من كل شيطان مارد) خارج من الطاعة برمى الشهب (لايسمعون الى الملأ الاعلى) كلام مبتدأ لبيان حالهم بعدما حفظ السماء عنهم ولايجوز جعله صفة لكل شيطان فانه يقتضى ان يكون الحفظ من شياطين لايسمعون ولاعلة للحفظ على حذف اللام كما فى جئتك ان تكرمنى ثم حذف ان واهدارها كقوله * الا ايهذا الزاجرى احضر الوغى * فان اجتماع ذلك منكر والضمير لكل باعتبار المعنى وتعدية السماع بالى لتضمنه معنى الاصغاء مبالغة لنفيه وتهويلا لما يمنعهم عنه ويدل عليه قرآءة حمزة والكسائى وحفص بالتشديد من التسمع وهو طلب السماع والملأ الاعلى الملائكة او اشرافهم

منهم فاجيب من الاوّل بانهم لا يسمعون ومن الثانى بقوله ويقذفون والمعنى انهم لايسمعون اى لايتطلبون السماع الى الملأ الاعلى وهم مقذوفون بالشهب مدحورون عن ذلك الامن امهل حتى خطف خطفة واسترق استراقة فعندها تعاجله الهلكة باتباع الشهاب الثاقب ولاتمهله وقوله ولايجوز جعله صفة لكل شيطان لان الشيطان الذى لايسمع اولا يسمع لاوجه لحفظ السماء منه وكذا لاوجه لجعله علة للحفظ بان يكون المعنى والتقدير وحفظناها منهم لئلا يسمعوا الى كلام الملائكة ثم تحذف اللام بناء على ان حذفها من ان وان شائع فى كلامهم فبقى ان لايسمعوا ثم تحذف ان ويهدر عملها كما فى قول من قال

◎ الا ايهذا الزاجرى احضر الوغى ◎ وان اشهد اللذات هل انت مخلدى ◎

فان اصله ان احضر الوغى حذف ان لدلالة ان اشهد عليه فلو لم يقدر ان لم يكن احضر فى تقدير المصدر لزم عطف المفرد على الجملة وهو غير مستقيم والحاصل انه لاوجه لان كل واحد من هذين الحذفين على انفراده وان كان غير مردود لكن اجتماعهما تعسف يورث تعقيدا لفظيا يجب صون القرآن عن مثله والملأ الجماعة ووحدت صفته وهى الاعلى نظرا الى افراد لفظه وسميت الملائكة ملأ اعلى لانهم يسكنون السموات والانس والجن هم الملأ الاسفل لانهم سكان الارض ﴿ قوله من جوانب السماء اذا قصدوا صعوده ﴾ بين ان ليس المراد من يقصد منهم صعود السماء لاستراق السمع من جانب يرمى من جميع جوانب السماء بل المراد يرمى من الجانب الذى يصعد منه اى جانب كان من جوانب السماء قرأ الجمهور دحورا بضم الدال وذكر المصنف لانتصابه وجوها اربعة مبنى الوجه الاوّل والثانى منها على ان يكون الدحور مصدر قولك دحره يدحره دحرا ودحورا اذا طرده وابعده فهو اما مفعول له اى يقذفون بالشهب للدحور والابعاد او مصدر مؤكد ليقذفون لان القذف والطرد متقاربان فى المعنى فكأنه قيل ويقذفون قذفا ويدحرون دحورا لانهما لما كانا متقاربين جاز ان يقام احد الفعلين مقام الفعل الآخر او المصدر مقام المصدر على التبادل ولم يلتفت الى احتمال كونه مصدرا مؤكدا لفعله المحذوف كما فى قوله وحفظا لعدم الحاجة الى ارتكاب الحذف مع امكان انتصابه بالعامل المذكور وكونه حالا مبنى على ان يكون مصدرا بتقدير المضاف اى ذوى دحور او على ان يكون المصدر بمعنى المفعول اى مدحورين ولم يلتفت الى ارتكاب الحذف مع امكان انتصابه بالمذكور ومبنى الوجه الثالث وهو كونه حالا بمعنى مدحورين على ان يكون الدحور جمع داحر كقاعد وقعود فدحورا بمعنى داحرين اى مدحورين وانتصابه على الحال ليس الاعلى هذا التقدير ومبنى الوجه الرابع على ان يكون دحورا جمع دحر كدهر ودهور والدحر ما يرمى به ويطرد فيكون انتصابه على اسقاط الخافض اى يقذفون من كل جانب بدحور ﴿ قوله ويقوّيه القرآءة بالفتح ﴾ اى يقوّى كون الدحور بضم الدال جمع دحر وان انتصابه بنزع الخافض وفى الطيبى قال ابن جنى القرآءة بفتح الدال على وجهين احدهما انه من المصادر التى جاءت على فعول بفتح الفاء وثانيهما على ان يكون المعنى ويقذفون من كل جانب بدحر وهو ما يدحر به على حذف حرف الجرّ واردته انتهى والحاصل ان الدحور بالفتح اذا لم يكن مصدرا يكون لمبالغة اسم الفاعل كالصبور والشكور فيكون صفة لمصدر مقدر بمعنى يقذفون قذفا دحورا على طريق اسناد الشئ الى سببه مجازا او يطلق الداحر على آلة الدحر نحو سيف قاطع فيحتاج الى تقدير الجار ﴿ قوله وهو يحتمل ايضا ﴾ اى الدحور بالفتح كما يحتمل كونه بمعنى الآلة الداحرة يحتمل ان يكون مصدرا او صفة له ﴿ قوله دائم او شديد ﴾ يقال وصب يصب وصوبا اى دام والوصب المرض والوجع فقوله او شديد بمعنى النسبة من الوصب وهو الالم اى ذو وجع وشدة كتامر ﴿ قوله ومن بدل منه ﴾ وهو المختار لان لايسمعون غير موجب فيكون مرفوع المحل ويجوز ان يكون فى موضع النصب على اصل الاستثناء ﴿ قوله والمراد اختلاس كلام الملائكة ﴾ يعنى ان الخطف هو الاختلاس والاستلاب بسرعة والخطفة مصدر بمعنى المفعول اى لايسمع الشياطين كلام الملائكة مصغين اليهم آذانهم الا الشيطان الذى استلب شيأ من كلام الملائكة مسارقة فلحقه شهاب ثاقب اى كوكب مضئ كأنه يثقب الهوآء بضوئه وقال عطاء سمى النجم الذى يرمى به الشياطين ثاقبا لانه يثقبهم ﴿ قوله ولذلك عرف الخطفة ﴾ يعنى ان الكلام الذى استلبه الشيطان لما كان كلام الملأ الاعلى نفى عنه استماعه كان ذلك معهودا متقدم الذكر حكما وكناية لان السماع لايتعلق الا بالكلام فصح ان تعرف الخطفة بلام العهد الخارجى ﴿ قوله واصلهما اختطف ﴾ ولما اريد الادغام اسكنت التاء وقلبت طاء فادغمت الطاء فى الطاء فاجتمع ساكنان الخاء والطاء

(ويقذفون) ويرمون (من كل جانب) من جوانب السماء اذا قصدوا صعوده (دحورا) علة اى للدحور وهو الطرد او مصدر لانه والقذف متقاربان او حال بمعنى مدحورين او منزوع عنه الباء جمع دحر وهو ما يطرد به ويقوّيه القرآءة بالفتح وهو يحتمل ايضا ان يكون مصدرا كالقبول او صفة له اى قذفا دحورا (ولهم عذاب) اى عذاب آخر (واصب) دائم او شديد وهو عذاب الآخرة (الا من خطف الخطفة) استثناء من واو يسمعون ومن بدل منه والخطف الاختلاس والمراد اختلاس كلام الملائكة مسارقة ولذلك عرف الخطفة وقرئ خطّف بالتشديد مفتوح الخاء ومكسورها واصلهما اختطف (فاتبعه شهاب) اتبع بمعنى تبع والشهاب ما يرى كأنّ كوكبا انقض

المدغمة فكسرت الخاء لان الكسر اصل فى تحريك الساكن فاستغنى عن الهمزة فصار خطف ووجه من قرأ خطف بفتح الخاء ظاهر وهو ان ينقل حركة التاء اليها ومنهم من قرأ خطف بكسرتين والتشديد ووجهها انه لما كسرت الخاء لالتقاء الساكنين كسرت الطاء ايضا اتباعا لحركة الخاء ﴿ قوله وماقيل من انه بخار يصعد الى الاثير ﴾ وهو الطبقة العليا من طبقات الهواء الملاصقة لكرة النار * اشارة الى جواب مايقال ان المفهوم من هذه الآية انه تعالى زين السماء بالكواكب لمصلحتين الاولى ان يحصل لها زينة وبهجة والثانية ان يحفظها بتلك الكواكب من الشيطان المارد بان يرميه بها فيلحقه شهاب ثاقب وهو مع بعده عقلا من حيث ان هذه الشهب لوكانت تلك الكواكب بعينها لوجب ان يظهر نقصان كثير فى اعداد كواكب السماء ولم يوجد ذلك فان اعداد كواكب السماء باقية لم تتغير البتة مخالف لقول من قال ان الشهاب بخار مشتعل ليس من كواكب السماء فما وجه التوفيق بينهما وايضا جعلها رجوما للشياطين يوجب النقصان فى زينة السماء وكان الجمع بين كونها زينة وبين كونها سببا لحفظ السماء بان يرجم بها الشياطين كالجمع بين المتناقضين * اجاب عنه اولا بان ذلك القائل انما قال ذلك القول تخمينا وظنا لاتحقيقا ويقينا اذ من الجائز ان يكون فى السماء غير الثوابت والسيارات نجوما اخر للرجم سبحان الذى خلق الازواج كلها مما تنبت الارض ومن انفسهم ومما لايعلمون مما فى اقطار السموات وتخوم الارضين ومايعلم جنود ربك الاهو وثانيا بان سلم ذلك القول ومنع كونه مخالفا لما يفهم من هذه الآية ومن قوله انا زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين فان الذهن وان تبادر من ظاهرهما الى ان الشهب المقذوفة ومصابيح الرجوم هى الكواكب المركوزة فى السماء الا انه ليس فيهما مايدل عليه صريحا ﴿ قوله الشياطين تصعد ﴾ من قبيل قوله ولقد امر على اللئيم يسبنى ﴿ قوله ومايروى ان ذلك حدث بميلاد النبى صلى الله عليه وسلم ﴾ اشارة الى جواب مايقال من ان كون الشهاب هو البخار المشتعل بصعوده الى الاثير مناف لما قيل من انه حدث بميلاد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان قبل ميلاده عليه الصلاة والسلام حتى ان الحكماء الذين تقدموا ميلاده عليه الصلاة والسلام بزمان طويل ذكروا ذلك وتكلموا فى سبب حدوثه فكيف يمكن الجمع بين كون شهاب الرجوم بخارا مشتعلا وبين كون حدوثه مخصوصا بزمان ولادته عليه الصلاة والسلام كما روى عن الشعبى انه قال لم يقذف بالنجوم حتى بعث محمد صلى الله عليه وسلم فلما قذف بها جعل الناس يسيبون انعامهم ويعتقون رقيقهم يظنون انها القيامة فاتوا عبديا ليل الثقفى وكان قد عمى فقالوا قد سيبوا انعامهم واعتقوا رقيقهم فقال لم قالوا ان النجوم تهافت من السماء فقال لهم لاتعجلوا فان كانت نجوما تعرف فهى عند قيام الساعة وان كانت نجوما لاتعرف فهى لامر حدث فنظروا فاذا هى نجوم لاتعرف قال الشعبى فامكثوا الايسيرا حتى اتاهم النبى صلى الله عليه وسلم اجاب عنه بقوله ان صح انه حدث بميلاده صلى الله عليه وسلم فالمراد بحدوثه كثرة وقوعه او كونه رجما للشياطين وابعادا لان الظاهر انه كان يحصل قبل ذلك فصارت كثرة وقوعه فى زمانه صلى الله عليه وسلم معجزة له ﴿ قوله واختلف فى ان المرجوم الخ ﴾ اشارة الى سؤال وجواب اما السؤال فهو ان اهل التفسير اتفقوا على ان المرجوم لايصل الى مراده البتة واختلفوا فى سببه على وجهين لانه اما ان يتأذى به فيرجع او يحترق فيهلك فكيف يجوز فى الشياطين مع اشتهار هم بمعرفة الحيل الدقيقة ان يذهبوا الى موضع يعلمون ان يصيبهم فيه مثل هذه المصيبة مع خيبتهم عن مقصودهم * واما الجواب فهو ان الصاعد المرجوم لابد ان يتأذى او يحترق واما كون كل صاعد يطلب الرجم فغير لازم لانهم انما يعلمون بالشهب من المصير الى موضع الملائكة فيتفق ان يرجم ويصيبه الشهاب وقد لايتفق فلا يصيبه ذلك فلما هلكوا فى بعض الاوقات وسلموا فى بعضها جاز لهم الاقدام على الصعود لاستراق السمع طمعا فى السلامة ونيل المراد كراكب البحر ﴿ قوله ان الشيطان من النار ﴾ لقول ابليس خلقتنى من نار ولقوله تعالى والجان خلقناه من قبل من نار السموم ولهذا السبب تقدر الشياطين ان تصعد الى السموات واذا كان كذلك فكيف يعقل ان تحترق النار بالنار الخ يعنى انه يحتمل ان الشياطين مع كونهم مخلوقين من النار نيران ضعيفة ونيران الشهب اقوى حالا منهم والضعيف يضمحل ويتلاشى بالقوى ﴿ قوله يعنى ماذكر من الملائكة الخ ﴾ فسر قوله تعالى ام من خلقنا بما ذكر من مخلوقاته من اول السورة الى هنا وحمل من على التغليب ولم يلتفت الى قول من قال ان المراد بقوله من خلقنا الامم الماضية كعاد وثمود بشهادة ان كلمة من تذكر لمن يعقل والمعنى ان هؤلاء ليسوا باحكم خلقا ممن قبلهم من الامم وقد اهلكناهم بذنوبهم فما بالهم آمنين من العذاب واستدل على ما اختاره من التفسير بوجوه الاول انه لوكان المراد

وماقيل من انه بخار يصعد الى الاثير فيشتعل فتخمين ان صح لم يناف ذلك اذليس فيه مايدل على انه ينقض من الفلك ولا فى قوله تعالى ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين فان كل نير يحصل فى الجو العالى فهو مصباح لاهل الارض وزينة للسماء من حيث انه يرى كأنه على سطحها ولا يبعد ان يصير الحادث كما ذكر فى بعض الاوقات رجما لشياطين تتصعد الى قرب الفلك للتسمع وماروى ان ذلك حدث بميلاد النبى عليه الصلاة والسلام ان صح فلعل المراد كثرة وقوعه او مصيره دحورا واختلف فى ان المرجوم يتأذى به فيرجع او يحترق به لكن قد يصيب الصاعد مرة وقد لايصيب كالموج لراكب السفينة ولذلك لايرتدعون عنه رأسا ولا يقال ان الشيطان من النار فلا يحترق لانه ليس من النار الصرف كما ان الانسان ليس من التراب الخالص مع ان النار القوية اذا استولت على الضعيفة استهلكتها (ثاقب) مضيء كأنه يثقب الجو بضوئه (فاستفتهم) فاستخبرهم والضمير لمشركى مكة او لبنى آدم (أهم اشد خلقا ام من خلقنا) يعنى ماذكر من الملائكة والسماء والارض ومابينهما والمشارق والكواكب والشهب الثواقب

بمن خلقنا الامم الماضية لناسب تقييده بالبيان ولما ابقاه على اطلاقه ولم يقيد ظهر ان المراد به هو المذكور سابقا لان المطلق لايقدان يحمل على المقيد ولم يسبق للامم الماضية ذكر ليحمل هذا المطلق عليه بخلاف الاشياء المعدودة قبل فيجب ان يحمل عليها والثانى مجيئ قوله فاستفتهم أهم اشدّ خلقا ام من خلقنا بالفاء المعقبة بعد عدّ هذه الاشياء فيكون مابعد الفاء مرتبا على ماسبق من هذه الاشياء والثالث قرآءة من قرأ ام من عددنا وهو ظاهر والرابع قوله فى بيان الفرق بينهم وبين من خلقه انا خلقناهم من طين لازب فانه انما يصلح الفرق بينهم وبين هذه الاشياء المعدودة لابينهم وبين من قبلهم والخامس ان المراد بقوله فاستفتهم الى قوله من طين لازب اثبات المعاد باثبات قدرته على اعادتهم ببيان انه خلق ماهو اشدّ خلقا بالاضافة اليهم ومن قدر على الاشدّ كيف لايقدر على الاضعف مع ان قدرته ذاتية لاتتغير وبعد اثبات القدرة على الاعادة بين قابلية المحل لها بقوله انا خلقناهم من طين لازب وبثبوتها اثبت المعاد فعلى هذا لايكون المراد بمن خلقنا الامم الماضية لان تلك الامم ليست اشدّ من خلقهم حتى يقال ان من قدر على خلق تلك الامم مع شدّتهم كيف لايقدر على خلق مثلهم فى الضعف والرخاوة بل خلق احدهما كخلق الآخر فى الشدّة والضعف ووجه استلزام القول بحدوث العالم القول بتولد الانسان الاوّل من الطين ان القول بوجوب الابوين وتطعمهما فى تولد كل واحد من افراد الانسان يؤدّى الى قدم النوع مع قدم العالم ويمتنع القول بحدوث العالم ﴿قوله وتقريره﴾ اى تقرير كون الآية لاثبات المعاد وردّ استحالتهم ايّاه ان صحة المعاد تتوقف على امرين الاوّل ثبوت قدرة الفاعل عليه والثانى قابلية المادّة له وقد اثبت الاوّل بقوله أهم اشدّ خلقا ام من خلقنا واثبت الثانى بقوله انا خلقناهم من طين لازب وهو التراب الممزوج بالماء وقوله اما لاعترافهم بحدوث العالم فان الاعتراف بالحدوثية يستلزم العلم بان تولد كل فرد من افراد الانسان من نطفة ابويه لايذهب الى غير النهاية بل لابدّ من الانتهاء الى انسان يتكوّن ابتداء ولايكون مسبوقا بالابوين فثبت ان الاعتراف بحدوث العالم يستلزم القول بان الانسان الاوّل يتولد من الطين وكذا يستلزم الاعتراف بقصة آدم ﴿قوله وشاهدوا﴾ عطف على قوله وقد علموا وقوله فلزمهم ان يجوّزوا اعادتهم كذلك اى بطريق التولد من الطين من غير ان يسبقهم ابوان ومواقعتهما ﴿قوله وقرأ حمزة والكسائى بضم التاء﴾ اى من عجبت اشارة الى ان قرآءة الباقين بفتحها على خطاب النبى صلى الله عليه وسلم اوكل من يصح منه ذلك اى عجبت من انكارهم البعث ممن قدر على هذه المخلوقات العظيمة ﴿قوله تعالى من طين لازب﴾ ملتصق لاصق يلصق باليد واللازب واللازم بمعنى واحد وقد قرئ لازم لانه يلزم اليد وقيل اللازم الممازج واكثر اهل اللغة على ان الباء فى اللازب بدل من الميم والمراد بخلقهم من طين لازب خلق اصلهم آدم عليه الصلاة والسلام منه فيكونون مخلوقين منه بواسطة خلقه منه ويحتمل ان يكون المراد خلق جميع الناس منه ووجهه ان الانسان انما يتولد من المنى ودم الطمث والمنى انما يتولد من الدم والدم انما يتولد من الغذآء والغذآء اماحيوانى واما نباتى والكلام فى كيفية تولد الحيوان الذى صار غذآء كالكلام فى تولد الانسان فثبت ان الاصل فى الاغذية هو النبات والنبات انما يتولد من امتزاج الارض بالماء وهو الطين اللازب فظهر ان جميع افراد الانسان متولد من الطين اللازب وانه قابل للحياة وانه تعالى قادر على احيائه وهذه القابلية والقادرية واجبة البقاء فى جميع الاوقات والعجب من الله تعالى اما على الفرض والتخييل والمعنى لوكان العجب جائزا علىّ لعجبت من كمال قدرتى اوممن ينكر البعث اوممن هذه افعاله والروعة الدهشة والهيبة يعنى ان العجب دهشة تعترى الانسان عندرؤية ماخفى سببه لاستعظامه لخروجه عن حدّ القياس وهو لايجوز عليه تعالى شأنه علوّا كبيرا فلذلك كان شريح يقرأ بفتح التاء وينكر على من قرأ بضمها ويقول ان الله لايعجب من شئ وانما يعجب من لايعلم فبلغ ذلك ابراهيم النخعى فقال ان شريحا معجب برأيه قرأها من هو اعلم منه يعنى عبدالله بن مسعود وابن عباس رضى الله عنهما ومعنى بل فى قوله بل عجبت الاضراب اضرب عن الامر بالاستفتاء اى لاتستفتهم فانهم معاندون مكابرون لاينفع فيهم الاستفتاء ولايتعجبون من قدرة الله تعالى على خلق هذه المذكورات ولايستدلون بها على قدرته على الاعادة وانما يتعجب منها مثلك ممن له انصاف ونظر صحيح موفق من عندالله ﴿قوله يبالغون فى السخرية الى قوله او يستدعى بعضهم﴾ اشارة الى ان سين يستسخرون يجوز ان تكون للتأكيد والمبالغة وان تكون للطلب وهذه الجملة المعاطفة متعلقة بالاضراب السابق وتقرير لعنادهم ومكابرتهم وتوضيح المقام ان القوم لمابالغوا فى استبعادهم الحشر وقالوا ان من مات وصار ترابا وتفرقت اجزاؤه فى العالم كيف يعقل

ومن لتغليب العقلاء ويدل عليه اطلاقه وبعده بعد ذلك وقرآءة من قرأ ام من عددنا وقوله تعالى (انا خلقناهم من طين لازب) فانه الفارق بينهم وبينها لابينهم وبين من قبلهم كعاد وثمود ولان المراد اثبات المعاد وردّ استحالتهم والامر فيه بالاضافة اليهم والى من قبلهم سوآء وتقريره ان استحالة ذلك اما لعدم قابلية المادّة ومادّتهم الاصلية هى الطين اللازب الحاصل من ضم الجزء المائى الى الجزء الارضى وهما باقيان قابلان للانضمام بعد وقد علموا ان الانسان الاوّل انما تولد منه اما لاعترافهم بحدوث العالم اوبقصة آدم وشاهدوا تولد كثير من الحيوانات منه بلا توسط مواقعة فلزمهم ان يجوّزوا اعادتهم كذلك واما لعدم قدرة الفاعل فان من قدر على خلق هذه الاشياء قدر على خلق مالا يعتد به بالاضافة اليها سيما ومن ذلك بدأهم اوّلا وقدرته ذاتية لاتتغير (بل عجبت) من قدرة الله وانكارهم البعث (ويسخرون) من تعجبك وتقريرك للبعث وقرأ حمزة والكسائى بضم التاء اى بلغ كمال قدرتى وكثرة خلائقى انى تعجبت منها وهؤلاء بجهلهم يسخرون منها او عجبت من ان ينكر البعث ممن هذه افعاله وهم يسخرون ممن يجوّزه والعجب من الله اما على الفرض والتخييل او على معنى الاستعظام اللازم له فانه روعة تعترى الانسان عند استعظامه الشئ وقيل انه مقدر بالقول اى قل يا محمد بل عجبت (واذا ذكروا لايذكرون) واذا وعظوا بشئ لايتعظون به واذا ذكرلهم مايدل على صحة الحشر لاينتفعون به لبلادتهم وقلة فكرهم (واذا رأوا آية) معجزة تدل على صدق القائل به (يستسخرون) يبالغون فى السخرية ويقولون انه سحر او يستدعى بعضهم من بعض ان يسخر منها (وقالوا ان هذا) يعنون مايرونه (الا سحر مبين) ظاهر سحريته

عوده بعينه وبلغ استبعادهم الى ان كانوا يسخرون ممن يقول بالحشر اراد الله تعالى تبكيتهم بهذا الاستبعاد والزام الحجة عليهم ووضع له طريقين الطريق الاوّل ان يذكر لهم مايدل على صحة الحشر مثل ان يقال الم تعلموا ان من قدر على الاشدّ الاصعب قادر على الاضعف الاهون والطريق الثانى ان يرسل اليهم رسولا ويحقق انه رسول من عنده بالمعجزات الدالة على ان الرسول حق صادق فى جميع مااخبربه ثم يخبر ذلك الرسول بان البعث والقيامة حق ثم انه تعالى لما سلك كل واحد من الطريقين ولم ينتفعوا بشئ منهما اضرب عن محاجتهم وبين بلادتهم وعدم فهمهم لدلالة العقلية بقوله واذا ذكروا لايذكرون وبين عدم انتفاعهم بالطريق الثانى بقوله واذا رأوا آية يستسخرون ﴿ قوله فانه مفصول منه بهمزة الاستفهام ﴾ ولولا ان قوله او آباؤنا الاوّلون مفصول من مبعوثون بالهمزة لماجاز عطفه على ضميره المرفوع المتصل من غير تأكيده بنحوه قيل عليه لو كان آباؤنا معطوفا على ضمير لمبعوثون لكان مبعوثون عاملا فيه ايضا بواسطة حرف العطف وهمزة الاستفهام لايعمل ماقبلها فيما بعدها بل الاوجه ان يكون آباؤنا مبتدأ محذوف الخبر تقديره او آباؤنا مبعوثون حذف لدلالة ماقبله كما ذكر سيبويه ان عمرا فى قولك ان زيدا قائم وعمرو مرفوع بالابتدآء حذف خبره لعلم واللام فى قوله لزيادة الاستبعاد متعلق بقوله مفصول ووجه زيادة الاستبعاد ان بعث من كان ترابا وعظاما اذا كان مستبعدا بالنسبة الى مجرّد البعث كان بعث من بعد زمان بلائه وتفتت اجزآئه ابعد لزيادة البعد ومن قرأ بسكون الواو على انها او العاطفة التى لاحد الشيئين او الاشياء والمعنى ايبعث نحن او آباؤنا لم يجز عنده العطف على ضمير لمبعوثون لعدم الفصل ﴿ قوله وانما اكتفى فى الجواب لسبق مايدل على جوازه وقيام المعجز على صدق المخبر عن وقوعه ﴾ يعنى اكتفى بقوله نعم اى تبعثون مع ان الاستبعاد البليغ الذى ذكروه بقولهم أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون لايزول بمجرّد ان يقال نعم بل لابد من تأكيده بقسم كما فى قوله تعالى قل اى وربى انه لحق وقوله لسبق مايدل على جوازه الخ وهو البرهان اليقينى القطعى المدلول عليه بقوله فاستفتهم فهذه الجملة المعاطفة متعلقة بالاضراب السابق تقريرا لعنادهم ومكابرتهم بمعنى قول المصنف وانما اكتفى به فى الجواب اشارة الى انه لما ثبت بالبرهان القطعى امكان البعث وجوازه وقامت المعجزات القاهرة الدالة على صدق من اخبرعن وقوعه كان مجرّد قوله تعالى قل نعم دليلا قاطعا على الوقوع فقد بين الامكان بالدليل القطعى وبين وقوع ذلك الممكن بالدليل السمعى ومن المعلوم ان الزيادة على هذا البيان كالامر الممتنع وقوله لسبق مايدل على جوازه اى فى قوله فاستفتهم أهم اشدّ خلقا امن خلقنا فانه اقام البرهان القاطع على ان البعث امر ممكن فى نفسه وعلى ان المجيب بقوله نعم تبعثون وانتم صاغرون اذلاء والمخبر صادق فى جميع مااخبربه كان مجرّد قوله نعم دليلا قاطعا على الوقوع فلذلك اكتفى فى الجواب والدخور اشدّ الصغار والذل ﴿ قوله اذا كان ذلك ﴾ اى اذا وقع البعث فانما هى صيحة واحدة فكيف تستبعدونه وتستصعبونه لما كانت بعثتهم مسببة بالزجرة ناشئة عنها جعلت اياها مبالغة فى سببيتها لها وهذه الصيحة لاتأثيرلها فى الحياة بدليل ان الصيحة الاولى استعقبها الموت والثانية الحياة فدل ذلك على ان الصيحة لااثرلها فى الموت ولا فى الحياة بل الموت والحياة ليسا الابخلق الله اياهما عند الصيحتين واما نحن فلانعلم حكمتهما ولايعلم الا هو فانه يفعل مايشاء بحكمته روى ان الله تعالى يأمر اسرافيل عليه الصلاة والسلام فينادى ايتها العظام النخرة والجلود البالية والاجزآء المتفرقة قوموا باذن الله تعالى ﴿ قوله فانما البعثة ﴾ اشارة الى ان هى راجعة الى البعثة المدلول عليها بنعم لان المعنى نعم تبعثون ﴿ قوله وامرها فى الاعادة ﴾ اى امر الزجرة فى ترتب الاعادة عليها من غير توقف وامتناع كأمر كن فى ترتب الابدآء عليه كذلك وهذا لاينافى ان تكون كن عبارة عن تعلق القدرة ﴿ قوله وقدتم به كلامهم ﴾ وقال ابو حاتم تم كلامهم بقوله ياويلنا ووقف عليه وجعل مابعده من قول البارى تعالى قال الزجاج الويل كلمة يقولها القائل وقت الهلكة ويحتمل ان يكون المراد بقولهم هذا يوم الدين اليوم المذكور فى قوله مالك يوم الدين اى لامالك فى ذلك اليوم الا الله وسمى القضاء فصلا لانه فصل الخصومة ﴿ قوله او امر بعضهم لبعض ﴾ اى بعض الملائكة لبعض وفسر الازواج بالاشباه لماروى عن النبى صلى الله وسلم انه فسره به حيث قال « هم نظرآؤهم واشباههم من العصاة » كما فى قوله تعالى وكنتم ازواجا ثلاثة اى اشكالا واشباها ويقال عندى من هذا الازواج اى امثاله والرجل مع زوجته سميا زوجين لكونهما متشابهين وكذلك كل قسم من عدد ازوج مثل الاخر ﴿ قوله او قرناءهم من الشياطين ﴾ قال تعالى وقيضنا لهم قرناء فزينوا لهم وقال نقيض له شيطانا فهو له قرين وقال

(أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون) اصله أنبعث اذا متنا فبدلوا الفعلية بالاسمية وقدموا الظرف وكرروا الهمزة مبالغة فى الانكار واشعارا بان البعث مستنكر فى نفسه وفى هذه الحالة اشد استنكارا فهو ابلغ من قرآءة ابن عامر بطرح الهمزة الاولى وقرآءة نافع والكسائى ويعقوب بطرح الثانية (او آباؤنا الاوّلون) عطف على محل ان واسمها او على الضمير فى مبعوثون فانه مفصول منه بهمزة الاستفهام لزيادة الاستبعاد لبعد زمانهم وسكن نافع وابن عامر الواو على معنى الترديد (قل نعم وانتم داخرون) صاغرون وانما اكتفى به فى الجواب لسبق مايدل على جوازه وقيام المعجز على صدق المخبر عن وقوعه وقرئ "قال اى الله او الرسول وقرأ الكسائى نعم بالكسر وهو لغة فيه (فانما هى زجرة واحدة) جواب شرط مقدر اى اذا كان ذلك فانما البعثة زجرة اى صيحة واحدة هى النفخة الثانية من زجر الراعى غنمه اذا صاح عليها وامرها فى الاعادة كأمر كن فى الابدآء ولذلك رتب عليها (فاذاهم ينظرون) فاذاهم قيام من مراقدهم احياء يبصرون او ينتظرون مايفعل بهم (وقالوا ياويلنا هذا يوم الدين) اليوم الذى نجازى باعمالنا وقد تم به كلامهم وقوله (هذا يوم الفصل الذى كنتم به تكذبون) جواب الملائكة وقيل هو ايضا من كلام بعضهم لبعض والفصل القضاء او الفرق بين المحسن والمسيء (احشروا الذين ظلموا) امر الله للملائكة او امر بعضهم لبعض بحشر الظلمة من مقامهم الى الموقف وقيل منه الى الجحيم (وازواجهم) واشباههم عابد الصنم مع عبدة الصنم وعابد الكوكب مع عبدته كقوله تعالى وكنتم ازواجا ثلاثة او نساءهم اللاتى على دينهم او قرناءهم من الشياطين

مقاتل تحشر كل كافر مع شيطانه فى سلسلة ﴿ **قوله** وهو عام مخصوص ﴾ جواب عما يقال ما وجه ان يحشر مع الظلمة كل ما كانوا يعبدونه فى الدنيا من دون الله وان يساقوا الى الجحيم مع ان بعضهم عبد المسيح بن مريم عليه الصلاة والسلام ومنهم من عبد الملائكة وتقرير الجواب ان قوله وما كانوا يعبدون وان كان عاما فى كل ما يعبدونه الا انه خصص بقوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون كما خص به قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم انتم لها واردون وقال مقاتل المراد بما تعبدون هو ابليس وجنوده واحتج بقوله تعالى ان لا تعبدوا الشيطان ﴿ **قوله** وفيه دليل ﴾ اى فى قوله تعالى وما كانوا يعبدون من دون الله حيث ذكر من صفات الذين ظلموا كونهم عابدين لغير الله وهو يدل على ان الظالم المطلق هو الكافر وعلى ان كل وعيد ورد فى حق الظالم فهو مصروف الى الكفار ومما يؤكد هذا قوله تعالى والكافرون هم الظالمون ﴿ **قوله** فعرفوهم ﴾ مأخوذ من تفسير ابن عباس رضى الله عنهما حيث فسره بقوله دلوهم على طريق النار ﴿ **قوله** احبسوهم ﴾ فان وقف يعدى ولا يعدى فانه كما يقال وقفت الدابة تقف وقوفا يقال وقفتها وقفا قال المفسرون لما سيقوا الى النار حبسوا عند الصراط كذا فى معالم التنزيل هذا على تقدير ان يكون المراد بقوله تعالى احشروا الذين ظلموا ازواجهم وسوقوهم الى الجحيم والامر بالسوق انما يكون فى حق من يقف ولا يبعد انهم اذا قاموا من قبورهم وقفوا هناك لحيرة لحقتهم بمعاينة اهوال القيامة وان تكون الفاء فى قوله فاهدوهم للترتيب فى الذكر كما فى مثل قولك اجبته فقلت لبيك فان موضع ذكر التفصيل بعد الاجمال وعقيبه لا ان مضمون الجملة الثانية عقيب مضمون الاولى فى الزمان فيكون ذكر قوله تعالى وقفوهم انهم مسئولون بعد قوله فاهدوهم الى صراط الجحيم وسوقهم اليها انما يكون بعد حبسهم فى موقف الحساب فترتيب الذكر ليس على وفق ترتيب الوجود حتى يحتاج عنه بان الواو لا تدل على الترتيب ويجوز ان يكون الترتيب فى حقهم ان يعرفوا اولا انهم اهل النار وهذا طريقها ويؤمر بسلوكها ثم اذا انتهوا الى موقف الحساب يؤمر بالوقف للسؤال ثم بان يساقوا منها الى النار وفى حق غيرهم لا يبدأ بتعريف طريق الجحيم وانما يساقون الى الموقف ثم يعتقون الى ماشاء الله وانما يبدأ به فى حقهم تعجيلا لمساءتهم وحسرتهم وقيل يجوز ان يكون المراد بالسؤال فى قوله وقفوهم انهم مسئولون ماذكر بعده وهو قوله مالكم لا تناصرون بل تقادون الى سوقكم الى النار فعلى هذا يكون هذا الوقف وما يكون فيه من السؤال غير موقف الحشر وما فيه فلا يرد ماذكر ايضا ولعل ما يوجد فى بعض النسخ من قوله مع جواز ان موقفه متعدد بدل قوله مع جواز ان يكون موقفه فقوله والواو لا توجب الترتيب جواب عما يقال كيف ذكر قوله وقفوهم انهم مسئولون بعد قوله فاهدوهم الى صراط الجحيم مع انه انما يكون الحبس والسؤال قبله وقوله مع جواز اى جواز ان يكون سبب الوقف فى هذا الموقف هو هذا السؤال وموضعه الجحيم وهذه النسخة اقرب واوجه وما اشار اليه المصنف من الايراد وجوابه انما يرد ان لو كان المراد بقوله احشروا الذين ظلموا وازواجهم سوقهم الى الموقف وهم واقفون عقيب ما بعثوا من قبورهم وكان فاء التعقيب فى فاهدوهم للدلالة على ان مضمون الهداية الى صراط الجحيم واقع عقيب الحشر الى الموقف بحسب الزمان فيردان الوقوف للسؤال واقع بينهما فلم اخر عنهما ﴿ **قوله** وهو توبيخ ﴾ اى لوم لهم بالعجز عن التناصر بعد ما كانوا على خلاف ذلك فى الدنيا اى متناصرين وهو تعريض لابى جهل فانه قال يوم بدر نحن جميع منتصرون فقيل له يوم القيامة مالكم غير منتصرين والتعريض خلاف التصريح يقال عرضت لفلان وبفلان اذا قلت قولا وانت تعنيه والتقريع التعنيف ﴿ **قوله** منقادون ﴾ يقال استسلم الشئ اذا انقاد له وخضع والمعنى بل هم اليوم اذلاء لا حيلة لهم فى دفع تلك المضار يقال اسلمه اى خذله والتسالم التصالح وما فى مالكم استفهامية فى موضع رفع بالابتداء وخبره لكم ولا تناصرون فى موضع النصب على انه حال من الضمير المجرور فى لكم وعامله معنى الاستقرار فى لكم ﴿ **قوله** عن اقوى الوجوه ﴾ ذكر لليمين ثلاثة اوجه الاول انه مستعار من يمين الانسان التى هى اقوى العضوين واشرفهما وانفعهما استعيرت لاقوى الوجوه واشرفها وانفعها تشبيها لها بذلك العضو فى القوة والشرف والنفع ومعنى قول الاتباع لرؤسائهم انكم كنتم تأتوننا عن اليمين اى عن اقوى الوجوه واشرفها وهو الدين او خيرها وانفعها انكم تأتوننا مظهرين لنا ذلك وترون لنا ان اقوى الوجوه وانفعها ما تضلوننا به وتدعوننا اليه وترون لنا ان مقصودكم الدعوة الى اقوى الوجوه قال الزجاج تأتوننا عن اليمين اى من قبل الدين فتزوّنون لنا ان الدين الحق ما تضلوننا به وقيل معنى قولهم اتاه عن اليمين انه اتاه من قبل الخير وناحيته فصده عنه واضله فالمعنى قال

(وما كانوا يعبدون من دون الله) من الاصنام وغيرها زيادة فى تحسيرهم وتخجيلهم وهو عام مخصوص بقوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الآية وفيه دليل على ان الذين ظلموا هم المشركون (فاهدوهم الى صراط الجحيم) فعرفوهم طريقها ليسلكوها (وقفوهم) احبسوهم فى الموقف (انهم مسئولون) عن عقائدهم واعمالهم والواو لا توجب الترتيب مع جواز ان يكون موقفه (مالكم لا تناصرون) لا ينصر بعضكم بعضا بالتخليص وهو توبيخ وتقريع (بل هم اليوم مستسلمون) منقادون لعجزهم وانسداد الحيل عليهم واصل الاستسلام طلب السلامة او متسالمون كانه يسلم بعضهم بعضا ويخذله (واقبل بعضهم على بعض) يعنى الرؤساء والاتباع او الكفرة والقرناء (يتساءلون) يسأل بعضهم بعضا للتوبيخ ولذلك فسر بيتخاصمون (قالوا انكم كنتم تأتوننا عن اليمين) عن اقوى الوجوه وايمنها او عن الدين او الخير كانكم تنفعوننا نفع السانح فتبعناكم وهلكنا مستعار من يمين الانسان الذى هو اقوى الجانبين واشرفهما وانفعهما ولذلك سمى يمينا وتيمن بالسانح او عن القوة والقهر فتقسروننا على الضلال او من الحلف فانهم كانوا يحلفون لهم انهم على الحق (قالوا بل لم تكونوا مؤمنين وما كان لنا عليكم من سلطان بل كنتم قوما طاغين) اجابهم الرؤساء اولا بمنع اضلالهم بانهم كانوا ضالين فى انفسهم وثانيا بانهم ما اجبروهم على الكفر اذ لم يكن لهم عليهم تسلط وانما جنحوا اليه لانهم كانوا قوما مختارين الطغيان

الاتباع للقادة انكم كنتم فى الدنيا تأتوننا من قبل الدين والحق والطاعة فتضلوننا عنها وتغروننا عن امر الشريعة وقول المصنف كأنكم تنفعوننا نفع السانح صريح فى ان مراده المعنى الاول والسانح مامرّ من الطير والوحش بين يديك من جهة يسارك الى يمينك والعرب تتيمن به فان مامرّ من جهة يسارك الى يمينك يعرض عليك يمينه واليمين من اليمن فلذلك يتيمنون به بخلاف البارح وهو مامرّ من يمينك الى يسارك فانه يعد عنك يمينه فيتشاءمون به والثانى انه مجاز مرسل من قبيل اطلاق اسم السبب على المسبب فان اليد اليمنى سبب للقوة والقهر عبر بها عنه فيكون قوله تعالى عن اليمين حالا من فاعل تأتوننا اى تأتوننا اقوياء قاهرين فتمنعونا كم خوفا منكم وكذا فى الوجه الثالث وهو ان يكون اليمين بمعنى القسم والحلف اى تأتوننا مقسمين حالفين فتبعنا كم اعتقادا على حلفكم وحاصله انكم اضللتمونا فاجابهم الرؤساء بانه انما يصح قولكم اضللتمونا ان لو كنتم فى انفسكم على الحق وليس كذلك بل كنتم ضالين فى انفسكم ثم قالوا ما كنتم عليه من الضلال والكفر انما كان باختياركم ذلك مع تمكنكم من الايمان وما كان لنا عليكم من سلطان تسلط وجبر يسلب عنكم ذلك التمكن والاختيار بل ضللتم باختياركم والزمخشرى جعل مجموع الكلام جوابا واحدا بان جعل معنى قوله بل لم تكونوا مؤمنين وجعل قوله تعالى وما كان لنا عليكم من سلطان بيانا لصحة اختياركم وله وجه ﴿ قوله كان امرا مقتضيا ﴾ مبنى على ان يكون قوله انا لذآئقون فى محل النصب على انه مفعول المصدر وهو قول ربنا وان القول بمعنى الوعيد وانهم لم يحكوا الوعيد كما هو ولم يقولوا لزمنا قول ربنا انكم لذآئقوا العذاب بل عدلوا عن الخطاب الى التكلم بذلك من انفسهم وفسر قوله اغويناكم بانهم دعوهم الى الغى وجعل قوله انا كنا غاوين استئنافا لبيان ما بعد هو الرؤساء الى دعوة الاتباع الى الغى ﴿ قوله وفيه ايماء الخ ﴾ اى فى قوله انا كنا غاوين من غير ان يتعرض لسبب غوايتهم اشارة الى معنى آخر غير ما ذكر وهو انا اى ان الفريقين كنا فى علم الله وقضائه غاوين وان غوايتكم فى الحقيقة ليست مستندة الى اغوآئنا لان كل غواية لو استندت الى اغوآء غاو سابق لزم التسلسل وهو محال لان مجموع الغوايات المندرجة فى السلسلة من حيث هو مجموع غير كل واحد منها فله علة خارجة عن السلسلة وتلك العلة هى ما اشار اليه فيما قبل بقوله فحق علينا قول ربنا ﴿ قوله وقرئ بنصب العذاب ﴾ والجمهور على جر العذاب باضافة لذآئقوا اليه وهو الوجه عند من قرأ بحذف النون ومن قرأ بنصب العذاب مع حذف النون فانه اجرى النون مجرى التنوين فى حذفه عند ملاقاة الساكن كقوله احد الله الصمد وقوله ولا ذاكر الله الا قليلا اصله ولا ذاكر الله بتنوين ذاكر ونصب الله حذف التنوين لالتقاء الساكنين لا للاضافة والا لوجب جر اسم الله والرواية بنصبه وذاكر مجرور عطف على مستعتب وهو قول الشاعر

* فذكرته ثم عاتبته * عتابا رفيقا وقولا جميلا * فالفيته غير مستعتب * ولا ذاكر الله الا قليلا *

المعنى ذكرته ما بيننا من المودة ثم عاتبته على فعله القبيح فالفيته اى فوجدته غير راجع بالعتاب عن ذلك ولا تائب عنه فعبر عن عدم التوبة بعدم ذكر الله لان التائب من القبيح لا يخلو عن ذكر الله ويحتمل ان يراد بالقلة العدم كما فى قوله * قليل التشكى للهم يصيبه ﴿ قوله وهو ضعيف فى غير المحلى باللام ﴾ اى حذف النون وتقديره ضعيف عند النحاة بعد حذفه اذا كان فيه الالف واللام كقوله

* الحافظوا عورة العشيرة لا * يأتيهم من ورآئهم نطف *

ووجه الحذف فيه ان اللام موصول وقد طالت الصلة بنصب المفعول لجاز التخفيف بحذف النون كما حذفت فى الموصول فى قوله

* ابنى كليب ان عمىّ اللذا * قتلا الملوك وفككا الاغلالا *

فلما كان حذف النون لاجل التخفيف لم يكن لحذفه تأثير فى الحكم فينصب ما بعده كما فى حال قيام النون واما اذا عرى عن الالف واللام وحذف منه النون فذلك الحذف لا يكون الا للاضافة فيجب ان يكون ما بعده مجرورا عندهم ﴿ قوله وعلى الاصل ﴾ وهو اثبات النون ونصب العذاب وهو معطوف على قوله على تقدير النون اى كما قرئ لذآئقوا العذاب بالنصب وحذف النون قرئ لذآئقون العذاب باثبات النون ﴿ قوله الا مثل ما عملتم ﴾ اى فى الدنيا وقد عملتم سيئا وشرا فلذلك جزيتم سيئا وشرا الجزآء اهل الكفر والعصيان مماثل لاعمالهم من حيث ان الجزآء سيئ كالعمل ومن حيث انه على مقدار العمل غير مضاعف عليه ﴿ قوله استثناء منقطع ﴾ بمعنى لكن والمفهوم من كلام المصنف ان المستثنى منه ضمير تجزون وهم الكفرة كأنه قيل وما تجزون ايها الكفرة الاجزآء

(فحق علينا قول ربنا انا لذآئقون فاغويناكم انا كنا غاوين) ثم بينوا ان ضلال الفريقين ووقوعهم فى العذاب كان امرا مقتضيا لا محيص لهم عنه وان غاية ما فعلوا بهم انهم دعوهم الى الغىّ لانهم كانوا على الغىّ فاحبوا ان يكونوا مثلهم وفيه ايماء بان غوايتهم فى الحقيقة ليست من قبلهم اذ لو كان كل غواية لاغوآء غاو فمن اغواهم (فانهم) فان الاتباع والمتبوعين (يومئذ فى العذاب مشتركون) كما كانوا مشتركين فى الغواية (انا كذلك) مثل ذلك الفعل (نفعل بالمجرمين) بالمشركين لقوله تعالى (انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون) اى عن كلمة التوحيد او على من يدعوهم اليها (ويقولون أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون) يعنون محمدا عليه الصلاة والسلام (بل جاء بالحق وصدّق المرسلين) ردّ عليهم بان ما جاء به من التوحيد حق قام به البرهان وتطابق عليه المرسلون (انكم لذآئقوا العذاب الاليم) بالاشراك وتكذيب الرسل وقرئ بنصب العذاب على تقدير النون كقوله * ولا ذاكر الله الا قليلا * وهو ضعيف فى غير المحلى باللام وعلى الاصل (وما تجزون الا ما كنتم تعملون) الا مثل ما عملتم (الا عباد الله المخلصين) استثناء منقطع الا ان يكون الضمير فى تجزون لجميع المكلفين فيكون استثناؤهم منه باعتبار المماثلة فان ثوابهم مضاعف والمنقطع ايضا بهذا الاعتبار

مما لا تعملكم في المقدار وفي كونه سيئا كالعمل لكن عباد الله المخلصين الموحدين فان جزآءهم يضاعف اضعافا كثيرة تفضلا منه تعالى عليهم فاستثناؤهم من المشركين باعتبار ان جزآءهم مماثل لعملهم وان جزآء الموحد يضاعف وقيل ان المستثنى منه ضمير لذآئقون اى لكن الموحدون لهم رزق معلوم في الجنة بدل العذاب الاليم للكفرة وعلى التقديرين عباد الله المخلصين ليسوا داخلين في المستثنى منهم وهم المخاطبون الكافرون ﴿ قوله ولذلك فسره بقوله فواكه ﴾ اشارة الى ان قوله فواكه عطف بيان للرزق وقيل هو بدل منه بدل الكل من الكل بناء على ان رزقهم كله فواكه يأكلونها للتلذذ لا للحاجة لانهم مستغنون عن حفظ الصحة بالاقوات وقيل هو بدل البعض من الكل والمقصود من ابداله منه التنبيه بالادنى على الاعلى اى لما كانت الفواكه حاضرة ابدا كان مايؤكل للغذآء اولى بالحضور وقرأ الكوفيون ونافع المخلصين اذا كان في اوّله الف ولام حيث وقع بفتح اللام والباقون بكسرها والمعنى على الفتح ان الله تعالى اخلصهم واصطفاهم بفضله وعلى الكسر انهم اخلصوا الطاعة لله تعالى ﴿ قوله باناء فيه خمر ﴾ يعني ان الكأس يطلق على الزجاجة مادام فيها خمر والا فهو قدح واناء وقد يطلق على الخمر نفسها كما في قول الاعشى

وكأس شربت على لذة ✽ واخرى تداويت منها بها
لكي يعلم الناس انى امرؤ ✽ اتيت المعيشة من بابها

يقول رب كأس شربتها للطلب لذة الخمر وكأس شربتها للتداوى من خمارها ثم لما ذكر الله تعالى مأكل المخلصين ومسكنهم ذكر بعده صفة مشربهم فقال يطاف عليهم وهو في موضع الحال من المستكن في على سرر او في مكرمون اى مطوفا عليهم بكأس ومن معين صفة لكأس وتفسيره بقوله اى ظاهر العيون لكونه جاريا على وجه الارض مبنى على ان المعين اسم مفعول من عانه يعينه اى نظر اليه بعينه وفي الصحاح عنت الرجل اصبته بعيني فانا عائن وهو معين على الاعلال ومعيون على الاصل مثل مبيع ومبيوع فهو مفعول من العين بمعنى حاسة الرؤية وقوله او خارج من العيون مبنى على ان المعين مفعول مأخوذ من عين الماء وهو منبعه ومخرجه والماء المعين اى الذى له عين يظهر ويخرج منها جاريا والمعين بهذا المعنى من صفات الماء فانه الذى ينبع من العين اى يخرج ويجرى وتوصيف خمر الجنة به واطلاقه عليها اما حقيقة بناء على انها تجرى في الانهار كالماء قال الله تعالى وانهار من خمر والظاهر ان مايجرى في الانهار له عين يخرج منها واما استعارة مبنية على تشبيهها بالماء في اجتماعها لما يطلب منها لكمال لذتها ﴿ قوله وكذلك قوله تعالى بيضاء ﴾ يعني انها ايضا من صفات الماء وصفت بها الكأس لاتصافها وصفاء مافيها وتوصيف الكأس باللذة اما من قبيل توصيف الذات بالمصدر للمبالغة في اتصافها بمدلوله اى كأس لذيذة كأنها نفس اللذة واما من قبيل توصيف الشئ بالصفة القائمة به اى بالشئ مثل رجل كرم بناء على ان اللذة تأنيث لذ بمعنى لذيذ وفي الصحاح شراب لذ ولذيذ بمعنى واللذ النوم في قول الشاعر ولذ كطعم الصرخدى تركته يعني ان الموصوف المقدر فيه هو النوم لان معنى اللذ هو النوم والصرخدى الخمر نسبة الى صرخد وهو موضع بالشام ينسب اليه الخمر اى رب نوم لذيذ كطعم الشراب الصرخدى تركته خشية الحوادث ﴿ قوله تعالى لا فيها غول ﴾ صفة لكأس ايضا وبطل عمل لا وان تكررت لتقدم خبرها يقال غاله الشئ واغتاله اذا اخذه من حيث لم يدر قال الواحدى الغول حقيقته الاهلاك وفي الصحاح غاله غولا واغتاله اهلكه والغول والغائلة المهلك ومنه الغول بالضم شئ توهمته العرب ولها فيه اشعار كالعنقاء فالغول اسم لجميع الاذى وقال الكلبي لا فيها اثم وقال قتادة وجع البطن وقال ابو عبيدة ان تغتال عقولهم وقيل ليس فيها غائلة الصداع لانه قال في موضع آخر لا يصدعون عنها وقال اهل المعانى الغول فساد يلحق في خفية وخمر الدنيا يحصل فيها انواع من الفساد منها السكر وذهاب العقل ووجع البطن والصداع والبول ولا يوجد شئ من ذلك في خمر الجنة ﴿ قوله وقرأ حمزة والكسائى ﴾ ينزفون هنا وفي الواقعة بضم الياء وكسر الزاى ووافقهما عاصم على مافي الواقعة فقط من انزف الشارب اذا ذهب عقله من السكر او نفد شرابه والمعنى انهم لا تذهب عقولهم عنها ولا تنزف خمورهم بل هي باقية ابدا والباقون بضم الياء وفتح الزاى من نزف الشارب ثلاثيا مبنيا للمفعول بمعنى سكر وذهب عقله ويجوز ان يكون من انزف ايضا بالمعنى المتقدم ومن النوادر ان يكون الثلاثى متعديا واذا نقلته الى باب الافعال يكون لازما نحو نزف الشارب الخمر فانزف هو ونحو كببته فاكب وقشعت الريح السحاب فاقشع ﴿ قوله نجل العيون ﴾ هو بضم النون وسكون الجيم جمع نجلاء في الصحاح النجل

(اولئك لهم رزق معلوم) خصائصه من الدوام وتمحض اللذة ولذلك فسره بقوله (فواكه) فان الفاكهة مايقصد للتلذذ دون التغذى والقوت بالعكس واهل الجنة لما اعيدوا على خلقة محكمة محفوظة عن التحلل كانت ارزاقهم فواكه خالصة (وهم مكرمون) في نيله يصل اليهم من غير تعب وسؤال كما عليه رزق الدنيا (في جنات النعيم) في جنات ليس فيها الا النعيم وهو ظرف او حال من المستكن في مكرمون او خبر ثان لاولئك وكذلك (على سرر) يحتمل الحال او الخبر فيكون (متقابلين) حالا من المستكن فيه او في مكرمون وان تعلق بمتقابلين فيكون حالا من ضمير مكرمون (يطاف عليهم بكأس) باناء فيه خمر او بخمر كقوله

وكأس شربت على لذة (من معين) من شراب معين او نهر معين اى ظاهر للعيون او خارج من العيون وهو صفة الماء من عان الماء اذا نبع وصف به خمر الجنة لانها تجرى كالماء او للاشعار بان مايكون لهم بمنزلة الشراب جامع لما يطلب من انواع الاشربة لكمال اللذة وكذلك قوله تعالى (بيضاء لذة للشاربين) وهما ايضا صفتان لكأس ووصفها بلذة اما للمبالغة او لانها تأنيث لذ بمعنى لذيذ كطب ووزنه فعل قال

ولذ كطعم الصرخدى تركته ✽
بارض العدى من خشية الحدثان ✽

(لا فيها غول) غائلة كما في خمر الدنيا كالخمار من غاله يغوله اذا افسده ومنه الغول (ولا هم عنها ينزفون) يسكرون من نزف الشارب فهو نزيف ومنزوف اذا ذهب عقله افرده بالنفى وعطف على مايعمه لانه من اعظم فساده كأنه جنس برأسه وقرأ حمزة والكسائى بكسر الزاى وتابعهما عاصم في الواقعة من انزف الشارب اذا نفد عقله او شرابه واصله للنفاد يقال نزف المطعون اذا خرج دمه كله ونزحت الركية حتى نزفتها (وعندهم قاصرات الطرف) قصرن ابصارهن على ازواجهن (عين) نجل العيون جمع عيناء

(كأنهن بيض مكنون) شبههن ببيض النعام المصون من الغبار ونحوه في الصفاء والبياض المخلوط بادنى صفرة فانه احسن الوان الابدان (فاقبل بعضهم على بعض يتساءلون) معطوف على يطاف عليهم اى يشربون فيتحادثون على الشراب قال

وما بقيت من اللذات الا ٭

احاديث الكرام على المدام ٭

والتعبير عنه بالماضى للتأكيد فيه فانه الذ تلك اللذات الى العقل وتساؤلهم عن المعارف والفضائل وما جرى لهم وعليهم في الدنيا (قال قائل منهم) في مكالمتهم (انى كان لى قرين) جليس في الدنيا (يقول أئنك لمن المصدقين) يوبخنى على التصديق بالبعث وقرئ بتشديد الصاد من التصدق (أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمدينون) لمجزيون من الدين بمعنى الجزاء (قال) اى ذلك القائل (هل انتم مطلعون) الى اهل النار لاريكم ذلك القرين وقيل القائل هو الله او بعض الملائكة يقول لهم هل تحبون ان تطلعوا على اهل النار فتعلموا اين منزلتكم من منزلتهم (فاطلع) عليهم وعن ابى عمرو مطلعون فاطلع بالتخفيف وكسر النون وضم الالف على انه جعل اطلاعهم سبب الاطلاع من حيث ان ادب المجالسة يمنع الاستبداد به او خاطب به الملائكة فوضع المتصل موضع المنفصل كقوله هم الآمرون الخير والفاعلونه او شبه اسم الفاعل بالمضارع (فرآه) اى قرينه (في سواء الجحيم) وسطه (قال تالله ان كدت لتردين) لتهلكنى بالاغواء وقرئ لتغوين وان هى المخففة واللام هى الفارقة (ولولا نعمة ربى) بالهداية والعصمة (لكنت من المحضرين) معك فيها

بالتحريك سعة شق العين والرجل انجل والعين نجلاء والجمع نجل ورجل أعين وامرأة عيناء اى واسعة العين والجمع فيهما عين واصله فعل بالضم فقال رجال عين ونساء عين والبيض جمع بيضة وهو المعروف والمراد به هنا بيض النعام والمكنون المصون المستور من كننته اى جعلته في كن وهو السترو البياض الذى يشوبه بعض من الصفرة احسن الوان الابدان عند العرب قال ذو الرمة ٭ بيضاء في برج صفراء في غنج ٭ كأنها فضة قد مسها ذهب ٭ وقيل شبهت المرأة ببيض النعام في تناسب اجزائها فان البيضة من اى جهة اتيتها كانت في رأى العين متناسبة الاجزاء وقد لاحظ بعض الشعراء هذا المعنى حيث قال

٭ تناسبت الاعضاء فيها فلا ترى ٭ لهن اختلافا بل اتين على قدر ٭

وقيل في معنى المكنون انهن عذارى صحيحات مصونات عن الكسر قال الفرزدق

٭ خرجن الىّ لم يطمثن قبلى ٭ وهن اصح من بيض النعام ٭

وذكر المكنون مع انه صفة جمع فينبغى ان يؤنث نظرا الى اللفظ ﴿ قوله وما بقيت من اللذات الا ﴾ اشار بايراد هذا البيت الى ان عادة العرب الحديث على الشرب والاحاديث جمع حديث وهو الخبر قل او كثر على غير القياس ﴿ قوله وقرئ بتشديد الصاد ﴾ اى والدال ومعناها انك من الذين يعطون الصدقة وهذا المعنى لا يناسب قوله أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما بل الملائم له ان المصدقين من التصديق وان يكون المعنى كان لى قرين يقول انك ممن يصدق بالبعث بعد ان يصير ترابا قال مجاهد كان ذلك القرين شيطانا وقيل كان من الانس وقال مقاتل كانا اخوين وقيل كانا شريكين حصل لهما ثمانية آلاف دينار فتقاسماها واشترى احدهما دارا بالف دينار واراها صاحبه فقال كيف ترى حسنها فقال ما احسنها ثم خرج فتصدق بالف دينار وقال اللهم ان صاحبى قد ابتاع هذه الدار بالف دينار وانا اسألك دارا من دور الجنة ثم ان صاحبه تزوج امرأة حسنة بالف دينار فتصدق هذا بالف دينار لاجل ان يزوجه الله من الحور العين ثم ان صاحبه اشترى بساتين بالفى دينار فتصدق هذا بالفى دينار رجاء ان يعوضه الله تعالى من بساتين الجنة ما شاء فاطلع شريكه على ما فعله عابه فقال اين مالك قال تصدقت به ليعوضنى الله في الآخرة خيرا منه فقال أئنك لمن المصدقين لتطلب الجزاء في الآخرة فانكر ما فعله فبين الله انه بعد ما يبعثان يوم القيامة يعطى الله المتصدق دارا من قصور الجنة وبساتين من بساتين الجنة فيتمكن فيها بالبهجة والسرور ثم ان الله يزوجه من الحور العين ويعطيه ما طلب في الجنة وهما اللذان قص الله خبرهما في سورة الكهف بقوله واضرب لهم مثلا رجلين الآية ﴿ قوله اى ذلك القائل ﴾ اى الذى قال آنفا انى كان لى قرين قال الواحدى ومحيى السنة قال المؤمن لاخوانه في الجنة هل انتم مطلعون الى اهل النار لننظر واكيف منزلة اخى فقال اهل الجنة انت اعرف به منا فاطلع انت فاطلع فرأى اخاه في وسط الجحيم وقيل ان في الجنة كوى ينظر اهلها منها الى اهل النار وان كان القائل هو الله تعالى او بعض الملائكة يكون المعنى هل تحبون ان تطلعوا وتعثروا على اهل النار لاريكم ذلك القرين المكذب بالبعث فاحب قرينه المسلم ان يراه فاطلع فرأى قرينه المكذب في وسط الجحيم فان سواء الجحيم وسطها قال ابن عباس رضى الله عنهما سمى بذلك لاستواء المسافة منه الى الجوانب ﴿ قوله وعن ابى عمرو مطلعون فاطلع ﴾ اصله مطلعونى فحذفت الياء كما تحذف في رؤس الآى وبقيت الكسرة دليلا عليها فاطلع بضم الهمزة ونصب العين اما على انه ماض مبنى للمفعول او على انه مضارع منصوب بان المقدرة بعد الفاء في جواب الاستفهام كما في قوله فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا وقوله مطلعون من اطلعه غيره فاطلع هو وقوله فاطلع بمعنى طلع فان اطلع يستعمل لازما ومتعديا يقال طلع علينا فلان واطلع كاكرم واطلع بالتشديد ماضيا بمعنى واحد وان جعل اطلع ماضيا مبنيا للمفعول يكون القائم مقام الفاعل ضمير القائل لاصحابه ما قاله وتكون الهمزة للتعدية فانه يقال طلع زيد واطلعه غيره ولا يجوز ان يكون القائل في هذه القراءة الله عز وجل ولا الملائكة بل هو القائل المذكور اولا يقول لاصحابه في الجنة هل انتم مطلعون اياى على حال ذلك القرين فاطلع انا بمعنى انظر والى حاله حتى انظر فان نظرى اليه متوقف على نظركم اليه لانه ليس من أدب المجالسة ان يستقل احد الجلساء بامر دون اصحابه ويجوز ان يخاطب ذلك القائل الملائكة ويقول يا ملائكة الله عز وجل هل انتم مطلعونى على حال قرينى فاطلع انا عليها فان اهل الجنة والمعنى اطلعونى لاطلع انا قال ابو البقاء هذه القراءة بعيدة جدا لان النون في مطلعون ان كانت للوقاية فهى لا تلحق الاسماء وان كانت للجمع فلا تثبت في حال الاضافة فان اسم الفاعل اذا ذكر بعده ضمير المتكلم او المخاطب لا يذكر معه النون ولا التنوين تقول

زيد ضاربى وهما ضارباك وهم ضاربوك ولا يجوز هم ضاربونى ولا هم ضاربونك الا فى الشعر الا انه قد قرئ مطلعونى وجمع بين النون وضمير المتكلم والقياس مطلعىّ بياء مشددة وكسر العين لان الاصل مطلعوى باضافة مطلعون الى ياء المتكلم سقطت النون بالاضافة ثم ابدلت الواو ياء فادغمت كما فى مسلمىّ وقوله عليه الصلاة والسلام أو مخرجىّ هم * وذكر المصنف لهذه النون وجهين الاول انها نون الجمع وان الحال ليست حال الاضافة فان مطلعون وان كان على صورة الاضافة فليس بمضاف حقيقة لان اصله مطلعون اياى فوضع المتصل موضع المنفصل ورد عليه بان هذا ليس من مواضع المنفصل حتى يقال ان المتصل وضع موضعه فانه لا يقال زيد ضارب اياى لانه لا يصار الى المنفصل الا اذا تعذر المتصل ولم يتعذر ان يقال مطلعى وضاربى ويمكن ان يجاب عنه بمنع الاقتدار على المتصل حال ثبوت النون والتنوين قبل الضمير فيصير الموضع للمنفصل فيصح التوجيه المذكور والوجه الثانى ان هذه النون نون الوقاية الا ان اسم الفاعل شبه فى اتصال نون الوقاية بالفعل المضارع لما بينهما من المواخاة كأنه قيل هل انتم تطلعون واصله مطلعوننى بنونين نون الوقاية ونون الجمع فحذفت احدى النونين والياء ايضا اكتفاء بالكسرة ﴿ قوله انحن مخلدون منعمون ﴾ يريد به الاشارة الى المعطوف عليه المحذوف وهو جملة قوله نحن مخلدون منعمون وهى مقدرة بعد الهمزة عطف عليها قوله افما نحن بميتين فقوله عطف على محذوف جواب عما يقال كيف جاز دخول همزة الاستفهام على فاء العطف فى قوله تعالى افما نحن بميتين فان همزة الاستفهام تقتضى صدر الكلام وفاء العطف تقتضى وسط الكلام وتقدم شئ يعطف بها مابعدها عليه فكيف يجتمعان * وتقرير الجواب ان الذى عطف عليه بالفاء مقدر بعد الهمزة اما تقدير مخلدون فقد دل عليه قوله بميتين واما تقدير منعمون فقد دل عليه قوله بمعذبين ﴿ قوله ونصبها على المصدر ﴾ يعنى انه مستثنى مفرغ معرب على حسب العامل اى منصوب بميتين نصب المصدر بالفعل الواقع قبله فى مثل قولك ماضربت زيدا الا ضربة واحدة كأنه قيل افما نحن نموت موتة الا موتتنا الاولى وقيل على الاستثناء المنقطع اى لكن الموتة الاولى كانت لنا فى الدنيا والموتة المستفهم عنها هى ماتكون فى الجنة والتى كانت فى الدنيا خارجة عنها ﴿ قوله كالكفار ﴾ فانهم معذبون فى حالة يمنون فيها الموت كل ساعة قيل لبعض الحكماء ما الذى هو شر من الموت قال الذى يتمنى فيه الموت ﴿ قوله تقريعا له ﴾ حيث كان ينكر البعث والثواب الدائم للمطيع ﴿ قوله او معاودة ﴾ عطف على قوله تمام كلامه يعنى ان ذلك القائل لما تم الكلام مع قرينه الذى هو فى النار عاد الى محادثة جلسائه من اهل الجنة وقال افما نحن بميتين على صورة الاستفهام ومقصوده التقرير والتحدث بنعمة الله تعالى عليه والابتهاج والسرور بحاله فان تذكر الخلود فى الجنة لذة دونها كل لذة والتبجح الفرح يقال تبجح به من باب علم وتبجح به اذا فخر به فبجح اى فرّحته ففرح ﴿ قوله وهو ايضا يحتمل الامرين ﴾ اى كونه من كلام ذلك القائل وكونه من كلام الله تعالى ﴿ قوله أذلك ﴾ اشارة الى الرزق المعلوم المعد لعباده المخلصين وقصة القائل المتعلقة بقرينه ذكرت استطرادا بين الكلامين المتصلين فانه تعالى لما ذكر كرامات المخلصين ومن كراماتهم كونهم على سرر متقابلين وعلى الشراب متصادقين الى ان قال لمثل هذا فليعمل العاملون اتبعه بقوله أذلك خير نزلا الآية ومعلوم انه لا نسبة لاحدهما الى الآخر فى الخيرية الا انه جاء بهذا الكلام على سبيل السخرية بهم او لاجل ان المؤمنين لما اختاروا ما أدى الى الرزق المعلوم كان ذلك خيرا فى معتقدهم وان الكفار لما اختاروا ما أدى الى شجرة الزقوم كان الواجب ان يكون خيرا فى معتقدهم فنسبت الخيرية اليها بحسب اعتقادهم اياها فى تلك الشجرة وفيما يؤدى اليها فجعلوا من الافضل منهما وان لم يكن فى احدهما فضل فى نفس الامر توبيخا للكافرين على سوء اختيارهم وقيل الزقوم شجرة مسمومة يخرج لها لبن متى مس شئ منه جسم احد تورم فمات فسميت باسم هذه الشجرة الشجرة التى وصفها الله تعالى بقوله انها شجرة تخرج فى اصل الجحيم ﴿ قوله محنة وعذابا ﴾ الجوهرى قال الخليل الفتن الاحراق قال تعالى يوم هم على النار يفتنون اى يحرقون ويعذبون ومعنى الآية جعلنا هذه الشجرة عذابا لهم يعذبون بها فى النار بان يكلفوا تناولها فيشق عليهم ذلك ويقال فتن الرجل فتونا اذا اصابته فتنة فذهب ماله او عقله وكذلك اذا اختبر وامتحن قال تعالى وفتناك فتونا والفاتن المضل عن الحق والكافرون لما سمعوا ذكر كون هذه الشجرة فى النار افتتنوا به فى دينهم وتوسلوا به الى الطعن فى القرآن والنبوة والتمادى فى الكفر فمعنى الآية انا جعلنا ذكر كون هذه الشجرة فى النار مما افتتن الكفار به فى دينهم ولم يعلموا ان من خلق النار قادر على ان يمنع النار من احراق الشجرة لانه اذا جاز ان

(افما نحن بميتين) عطف على محذوف اى انحن مخلدون منعمون فما نحن بميتين اى بمن شأنه الموت وقرئ بمائتين (الا موتتنا الاولى) التى كانت فى الدنيا وهى متناولة لما فى القبر بعد الاحياء للسؤال ونصبها على المصدر من اسم الفاعل وقيل على الاستثناء المنقطع (وما نحن بمعذبين) كالكفار وذلك تمام كلامه لقرينه تقريعا له او معاودة الى مكالمة جلسائه تحدثا بنعمة الله وتبجحا بها وتعجبا منها وتعريضا للقرين بالتوبيخ (ان هذا لهو الفوز العظيم) يحتمل ان يكون من كلامهم وان يكون كلام الله لتقرير قوله والاشارة الى ماهم عليه من النعمة والخلود والامن من العذاب (لمثل هذا فليعمل العاملون) اى لنيل مثل هذا يجب ان يعمل العاملون لا للحظوظ الدنيوية المشوبة بالآلام السريعة الانصرام وهو ايضا يحتمل الامرين (أذلك خير نزلا ام شجرة الزقوم) شجرة ثمرها نزل اهل النار وانتصاب نزلا على التمييز او الحال وفى ذكره دلالة على ان ماذكر من النعيم لاهل الجنة بمنزلة مايقام للنازل ولهم ماوراء ذلك مايقصر عنه الافهام وكذلك الزقوم لاهل النار وهو اسم شجرة صغيرة الورق دفرة مرة تكون بتهامة سميت به الشجرة الموصوفة (انا جعلناها فتنة للظالمين) محنة وعذابا لهم فى الآخرة او ابتلاء فى الدنيا فانهم لما سمعوا انها فى النار قالوا كيف ذلك والنار تحرق الشجر ولم يعلموا ان من قدر على خلق مايعيش فى النار ويلتذ بها فهو اقدر على خلق الشجر فى النار وحفظه من الاحراق

يكون فى النار زبانية والله تعالى يمنع النار عن احراقهم فلم لايجوز مثله فى هذه الشجرة قال الكلبى لما نزلت هذه الآية
قال ابن الزبعرى اكثر الله فى بيوتكم الزقوم فان اهل اليمن يسمون التمر والزبد بالزقوم فقال ابو جهل لجاريته
زقمينا فأتت بزبد وتمر وقال تزقموا فان هذا الذى يتوعدكم به محمد فقال تعالى انها شجرة تخرج فى اصل الجحيم ردا
لقولهم انه تمر وزبد وفيه ابطال دفع استبعادهم ان تكون فى النار شجرة والنار تحرق الشجر وذلك ان الشئ انما يهلك
بمصادفة ما يخالفه من جهة العنصر والطبيعة ويقوى بما يوافقه فيهما وتلك الشجرة لما نبتت فى ارض جهنم وكان
اصل عنصرها النار لزم ان تبقى فى النار ولا تحترق بها بخلاف سائر الاشجار فانها لما لم تنبت فى النار لم تبق فيها
كالسمك فانه لما تولد فى الماء بقى فيه ولم يغرق بخلاف ما لم يتولد فى الماء من الحيوانات فانه لايبقى فى الماء بل يغرق
﴿ قوله مستعار من طلع التمر ﴾ يعنى ان الطلع موضوع لما يطلع من النخل وهو الكم قبل ان ينشق سمى به الثمر
لمناوعه فى كل سنة شبه ثمر شجرة الزقوم بثمر النخل فى الشكل او فى الطلوع من الشجر فاستعير اسم المشبه به وهو الطلع
للمشبه وهو ثمر شجرة الزقوم ﴿ قوله وهو تشبيه بالمخيل ﴾ والتشبيه التخييلى ما يكون المشبه فيه مما لا تحقق له
فى الخارج بل لا يتحقق الا فى الوهم فالشياطين ورؤسهم وان كانوا موجودين الا انهم غير مرئيين للانسان وليس لهم
بالنسبة الى الانسان صورة محققة فى الخارج ولكنهم اعتبروا صورة قبيحة للشيطان بطريق التخييل وهو اعمال
القوة الواهمة ثم شبهوا به طلع شجرة الزقوم اى ثمرها * قال الامام ان الناس لما اعتقدوا فى الملائكة كمال الفضل
والصورة والسيرة واعتقدوا فى الشياطين نهاية القبح فى الصورة والسيرة فكما حسن التشبيه بالملك عند ارادة
كمال الفضل فى قول نسوة يوسف ان هذا الا ملك كريم كذلك حسن التشبيه برؤس الشياطين فى القبح وكراهة النظر
﴿ قوله ولعلها سميت بها لذلك ﴾ اى لعل ذلك الصنف من الحيات سميت بالشياطين لاشتمالها على الاعراف
وهو جمع عرف وهو ما على رقبة الفرس من الشعر فعلى هذا لا يكون التشبيه من قبيل تشبيه المحسوس بالمخيل بل يكون
تشبيها بما له تحقق فى الخارج ﴿ قوله لغلبة الجوع ﴾ فان المضطر ربما يسترخ من الضرر الذى فيه بما يقاربه
فى الضرر فاذا جوعهم الله الجوع الشديد يجوز ان يفزعوا الى ازالة ذلك الجوع بتناول تلك الشجرة مع خشونتها
ونتنها ومرارة طعمها او ان الزبانية يجبرونهم على اكلها تكميلا لعذابهم ﴿ قوله اى بعد ما شبعوا منها الخ ﴾ اشارة
الى ان المراد من التراخى المستفاد من كلمة ثم التراخى الزمانى بان يمر عليهم بعد غلبة العطش عليهم واستسقائهم
بما يدفع عطشهم زمان طويل زيادة فى عذابهم ثم يغاثون بما هو اضر من الاول ثم يجوز ان يكون المراد به التراخى
فى الرتبة من حيث انه وصف لطعامهم تلك الكراهة والبشاعة بان شبهه برؤس الشياطين ثم ذكر شرابهم بما هو اكره
وابشع ﴿ قوله لشرابا من غساق او صديد ﴾ قال المصنف فى تفسير سورة عم والغساق ما يغسق اى يسيل
من صديد اهل النار وقيل هو الزمهرير انتهى كلامه ولا يخفى ان حمل الغساق على الزمهرير لا يستقيم ههنا فتعين حمله
على الصديد ويتعين ايضا عطف الصديد عليه باو وقيل الغساق الدم والقيح الاسود الذى يسيل من اعضاء اهل النار
والصديد ماء اصفر يسيل منها فيصح العطف حينئذ والحميم الماء الحار المتناهى فى الحرارة والشوب بفتح الشين
مصدر بمعنى الخلط والمزج اخبر الله تعالى فى القرآن ان اهل النار لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا الا حميما وغساقا
وقال فى موضع آخر وسقوا ماء حميما فقطع امعاءهم واخبر فى هذه الآية انهم بعد ما شبعوا منها لشوبا من حميم
بيان لما يشاب به اى يمزج بشرابهم الحميم فى مقابلة مزج الزنجبيل والكافور والمسك بشراب اهل الجنة قال تعالى
ويسقون فيها كأسا كان مزاجها زنجبيلا وان الابرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا ويسقون
من رحيق مختوم ختامه مسك وقيل الشوب عام فى كل ما خلط بغيره ويحتمل ان يكون مراد المصنف بقوله والاول
مصدر سمى به هذا المعنى بل هو الاولى فيكون قوله تعالى من حميم صفة لشوبا للتهويل والتفخيم فان الحميم يشوى الوجوه
ويقطع الامعاء ﴿ قوله الى دركاتها او الى نفسها ﴾ يعنى ان ما يفهم من الآية وهو انهم بعد اكل الزقوم وشرب
الحميم يرجعون الى الجحيم وهذا يدل على انهم عند شرب الحميم لم يكونوا فى الجحيم فوجهه ايماء او لا بان المراد بالجحيم
الدركات التى اسكن كل واحد منهم فى كل واحدة منها وانهم عند شرب الحميم لم يكونوا فى دركاتهم فانه يذهب بهم
عن منازلهم ودركاتهم الى شجرة الزقوم فيأكلون الى ان يملؤا بطونهم ويسقون بعد ذلك ثم يرجعون الى دركاتهم فهذا
لا ينافى ان تكون شجرة الزقوم فى الجحيم غاية ما فى الباب انهما لا يسافى منازلهم وثانيا بانهما خارجان عن الجحيم بناء على
انهما نزل يقدم اليهم قبل دخولها فيأكلون ويشربون ثم يدخلونها ولما كان لفظ الرجوع آبيا عن هذا المعنى فسره

(انها شجرة تخرج فى اصل الجحيم) منبتها
فى قعر جهنم واغصانها ترتفع الى دركاتها
(طلعها) حملها مستعار من طلع التمر
لمشاركته اياه فى الشكل او الطلوع من الشجر
(كأنه رؤس الشياطين) فى تناهى القبح
والهول وهو تشبيه بالمخيل كتشبيه الفائق
فى الحسن بالملك وقيل الشياطين حيات
هائلة قبيحة المنظر لها اعراف ولعلها سميت بها
لذلك (فانهم لآكلون منها) من الشجرة
او من طلعها (فمالئون منها البطون) لغلبة
الجوع او الجبر على اكلها (ثم ان لهم عليها)
اى بعد ما شبعوا منها وغلبهم العطش وطال
استسقاؤهم ويجوز ان يكون ثم لما فى شرابهم
من مزيد الكراهة والبشاعة (لشوبا من حميم)
لشرابا من غساق او صديد مشوبا بماء حميم
يقطع امعاءهم وقرئ بالضم وهو اسم
ما يشاب به والاول مصدر سمى به (ثم
ان مرجعهم) مصيرهم (لالى الجحيم) الى
دركاتها او الى نفسها فان الزقوم والحميم نزل
يقدم اليهم قبل دخولها

وقيل الجحيم خارج عنها لقوله تعالى هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون يطوفون بينها وبين حميم آن يوردون اليه كما يورد الابل الى الماء ثم يردون الى الجحيم ويؤيده انه قرئ ثم ان منقلبهم (انهم الفوا ﴿١٥٧﴾ آباءهم ضالين فهم على آثارهم يهرعون) تعليل لاستحقاقهم تلك الشدائد بتقليد الآباء في الضلال والاهراع الاسراع الشديد كأنهم يزعجون على الاسراع على اثرهم وفيه اشعار بانهم بادروا الى ذلك من غير توقف على نظر وبحث (ولقد ضل قبلهم) قبل قومك (اكثر الاولين ولقد ارسلنا فيهم منذرين) انبياء انذروهم من العواقب (فانظر كيف كان عاقبة المنذرين) من الشدة والفظاعة (الا عباد الله المخلصين) الا الذين تنبهوا بانذارهم فاخلصوا دينهم لله وقرئ بالفتح اي الذين اخلصهم الله لدينه والخطاب مع الرسول عليه السلام والمقصود خطاب قومه فانهم ايضا سمعوا اخبارهم ورأوا آثارهم (ولقد نادانا نوح) شروع في تفصيل القصص بعد اجمالها اي ولقد دعانا حين أيس من قومه (فلنعم المجيبون) اي فاجبناه احسن الاجابة والتقدير فوالله لنعم المجيبون نحن فحذف منها ما حذف لقيام ما يدل عليه (ونجيناه واهله من الكرب العظيم) من الغرق او اذى قومه (وجعلنا ذريته هم الباقين) اذ هلك من عداهم وبقوا متناسلين الى يوم القيامة اذ روي انه مات كل من كان معه في السفينة غير بنيه وازواجهم (وتركنا عليه في الآخرين) من الامم (سلام على نوح) هذا الكلام جيء به على الحكاية والمعنى يسلمون عليه تسليما وقيل هو سلام من الله عليه ومفعول تركنا محذوف مثل الثناء (في العالمين) متعلق بالجار والمجرور ومعناه الدعاء بثبوت هذه التحية من الملائكة والثقلين جميعا (انا كذلك نجزي المحسنين) تعليل لما فعل بنوح من التكرمة بانه مجازاة له على احسانه (انه من عبادنا المؤمنين) تعليل لاحسانه بالايمان اظهارا لجلالة قدره واصالة امره (ثم اغرقنا الآخرين) يعني كفار قومه (وان من شيعته لابراهيم) ممن شايعه في الايمان واصول الشريعة ولا يبعد اتفاق شرعهما في الفروع او غالبا وكان بينهما الفان وستمائة واربعون سنة وكان بينهما نبيان هود وصالح صلوات الله عليهم (اذ جاء ربه) متعلق بما في الشيعة من معنى المشايعة او بمحذوف هو اذكر (بقلب سليم) من آفات القلوب

بالمصير والدخول وثالثا بانهما خارجان من الجحيم وانهم يدخلونها ويعذبون فيها فاذا جاعوا جاؤا الى الزقوم واذا عطشوا جاؤا الى الحميم وسقوا ماء حميما فقطع امعاءهم فيسألون ان يردوا الى الجحيم فهم كذلك يردون في العذاب ﴿قوله ويؤيده﴾ فيه انه ما الفرق بين المنقلب والمرجع مع ان كل واحد منهما بمعنى العود حتى تكون احدى القراءتين مؤيدة لهذا المعنى دون الآخر ﴿قوله والاهراع الاسراع الشديد﴾ الجوهري قوله تعالى وجاءه قومه يهرعون اليه قال ابو عبيدة يستحثون اليه كأنه يحث بعضهم بعضا ويحضه على الاسراع وهو بمعنى قول المصنف كأنهم يزعجون على الاسراع على اثرهم يقال ازعجه اي اقلقه وقلعه من مكانه وقوله تعالى ولقد ضل قبلهم تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم باني قد ارسلت قبلك رسلا الى الامم الماضية فكذبهم قومهم فصبروا واستمروا على دعوتهم الى الله تعالى فاقتد بهم وما عليك الا البلاغ ﴿قوله الا الذين تنبهوا بانذارهم﴾ اشارة الى ان المراد بالمنذرين الكفار منهم والاستثناء منقطع بمعنى لكنهم نجوا مما اهلكوا به ﴿قوله فاخلصوا دينهم لله﴾ تفسير المخلصين بكسر اللام على قراءة ابن كثير وابي عمرو وابن عامر وقد مر ان الباقين قرأوا بفتح اللام وفسروها بالذين اخلصهم الله لدينه اي اصطفاهم لطاعته ﴿قوله والمقصود خطاب قومه﴾ لان هذا الكلام يقصد به الزجر والتعنيف وذلك لا يليق الا بهم ﴿قوله شروع في تفصيل القصص بعد اجمالها﴾ فان قوله ولقد ضل قبلهم اكثر الاولين الى آخر الآية يدل اجمالا على انه تعالى ارسل الى الاولين رسلا انذروهم من العواقب فلم ينتبهوا بانذارهم فآل امرهم الى شدة وفظاعة والآن شرع في تفصيل قصص الانبياء ووقائعهم فالقصة الاولى حكاية حال نوح عليه الصلاة والسلام حين نادى ربه ان ينجيه مع من تبعه من الغرق وقيل نادى ربه اي استنصره على كفار قومه وقدر فوالله لدلالة قوله فلنعم المجيبون عليه والفاء في قوله فلنعم المجيبون تدل على ان حصول هذه الاجابة مرتب على ذلك والحكم المرتب على الوصف المشتق يقتضي كونه معللا به وهذا يدل على ان النداء بالاخلاص سبب حصول الاجابة واشار الى ان اللام الداخلة على نعم لام جواب لقسم مقدر والى ان المخصوص بالمدح ايضا محذوف لدلالة ثم عليه ﴿قوله اذ هلك من عداهم﴾ تعليل للحصر المستفاد من قوله تعالى هم الباقين قيل كان لنوح عليه الصلاة والسلام ثلاثة اولاد سام وحام ويافث فلما استوت سفينة نوح عليه الصلاة والسلام على الجودي وخرج من السفينة من معه مات من كان معه من الرجال والنساء الا هذه الاولاد الثلاثة فتناسلوا وتوالدوا فالناس كلهم بعد طوفان نوح عليه الصلاة والسلام لم يتناسلوا الا منهم فسام ابو العرب وفارس والروم وحام ابو السودان ويافث ابو الترك والخزر ويأجوج ومأجوج ﴿قوله هذا الكلام﴾ اشارة الى ان جملة سلام على نوح في العالمين في محل النصب على انها مفعول تركنا وتقدير الكلام على القول الثاني وتركنا عليه في الامم ثناء حسنا فحذف المفعول به وبه تم الكلام ثم ابتدأ جل ذكره فقال سلام على نوح في العالمين وهو في المعنى تفسير لمفعول تركنا اي تركنا عليه ثناء حسنا هو هذا الكلام وهو سلام من الله عليه ﴿قوله متعلق بالجار والمجرور﴾ يعني انه بدل من قوله في الآخرين وهذا اشارة الى سؤال مقدر وهو انه اذا كان معنى قوله تعالى وتركنا عليه في الآخرين من الامم ان يسلموا عليه تسليما ويدعوا له فالمعنى في العالمين فانه كالتكرار لقوله في الآخرين وحصول الجواب ان قوله في العالمين ادل على الشمول والاستغراق من قوله في الآخرين فذكر بعده لئلا يخرج احد ممن يدخل في العالمين من الملائكة والثقلين من اهل التسليم والدعاء لنوح عليه الصلاة والسلام فمعنى قوله سلام على نوح في العالمين على ان يكون سلام على نوح مفعول تركنا اي تركنا عليه الدعاء بثبوت هذه التحية له من الملائكة والثقلين جميعا ﴿قوله من التكرمة﴾ علل هذه التكرمة السنية بكونه من اولي الاحسان ثم علل كونه محسنا بان كان عبدا مؤمنا اظهارا لجلالة محل الايمان ورفعة واصالة امره وجعل الدنيا مملوءة من ذريته وتبقية ذكره الجميل في ألسنة العالمين ﴿قوله او غالبا﴾ اي في غالب الفروع واكثرها فيكون معنى من شيعته ممن شايعه في الشريعة اصولها وفروعها ويؤيد هذا المعنى قول ابن عباس رضي الله عنهما من اهل دينه وعلى سنته وشيعة الرجل اتباعه وانصاره من شايعه شياعا اي تبعه وقوله اذ جاء ان كان معمولا لاذكر المقدر كما هو المشهور يكون مفعولا به له وان كان عامله ما في الشيعة من معنى المشايعة يكون ظرفا له والمعنى ان من شايع نوحا في اصول علم الشريعة او فيها مطلقا حين جاء ربه بقلب سليم لابراهيم وقيل عليه لا يجوز ان يكون العامل ما في الشيعة من معنى المشايعة لانه يستلزم الفصل بين المعمول وعامله باجنبي وهو لابراهيم فانه اجنبي من شيعته ومن اذ وايضا لام الابتداء تمنع

ان يعمل ما قبلها فيما بعدها فان اللام فى لابراهيم لام ابتداء دخلت على اسم ان للفصل بينه وبينها بالظرف هو خبر ان ﴿ قوله خالص لله ﴾ اشارة الى ان المراد من العلائق كل علاقة تكون لغير الله وان سليم يجوز ان يكون بمعنى فاعل اى سالم وخالص وعلى قوله او مخلص له بمعنى المفعول اى بقلب اخلصه الله من الشرك والشك او من التعلق بغيره تعالى ﴿ قوله ومعنى المجيء به ربه ﴾ يعنى ان حقيقة المجيء بالشيء موضع كذا نقله من مكانه وهذا المعنى لا يتصور فيما نحن فيه قال الطيبى ناقلا عن المطلع معنى المجيء به ربه انه اخلص لله قلبه وعرف ذلك منه كما يعرف مجيء الغائب وحضوره فضرب المجيء مثلا لذلك انتهى يريد انه شبه اخلاص ابراهيم عليه الصلاة والسلام قلبه لربه ومعرفة الله تعالى كون ذلك الاخلاص منه موجودا بالمجيء بالغائب محضر احد فعرفه واحواله فاستعير هذا التركيب للمشبه على سبيل الاستعارة التمثيلية وعلى ما ذكره المصنف شبه اخلاص ابراهيم قلبه لله بالمجيء به متحفا اياه فاستعير له ذلك ﴿ قوله ماذا تعبدون ﴾ استفهام توبيخ وتفريع على تلك الطريقة وقوله آلهة مفعول به لقوله تريدون قدم عليه للعناية لانهم يقدمون الذى شأنه اهم والاهم بيانه يعنى الآلهة ودون ظرف لتريدون وافكا يجوز ان يكون مفعولا له اى اتريدونهم للافك قدم على المفعول به لان الاهم عنده ان يكافحهم بانهم على افك وباطل فى شركهم والافك اسوء الكذب يقال كأنه اذا استقبله بوجهه ويجوز ان يكون افكا مفعولا به وآلهة بدلا منه للايضاح والتبيين وما ورد ان الافك معنى والالهة ذوات واعيان فكيف يعبر عن اسم المعنى باسم العين ويبدل منه اجاب عنه بوجهين الاول انه جعل الآلهة افكا فى انفسها للمبالغة فى افك من يتخذها آلهة والثانى ان المراد بالآلهة عبادتها وهى اسم معنى كالمبدل منه ويجوز ان يكون حالا من فاعل تريدون او من مفعوله وهو آلهة والمعنى اتريدون آلهة من دون الله آفكين او مأفوكا فيها ﴿ قوله لكونه رب العالمين ﴾ فان الحوادث كما تحتاج فى حدوثها الى المحدث تحتاج فى بقائها الى من يبقيها او يربيها والتربية تبليغ الشيء الى كماله شيأ فشيأ فهى من النعم التى تستوجب شكر من انعم بها وان لايترك عبادته فلذلك علل المصنف كونه حقيقا بالعبادة بكونه رب العالمين واشار بهذا التفسير والتعليل الى ان قوله رب العالمين اريد به لازمه وهو كونه حقيقا بالعبادة مجازا مرسلا او كناية ﴿ قوله والمعنى انكار ما يوجب ظنا ﴾ بصدة او يجوز او يقتضى فالمعنى على الاول انه فى حد نفسه موصوف بكونه رب العالمين وحقيقا بعبادة المكلفين فما الذى اداكم ظنا بما فيه من اوصافه يكون ذلك الظن سببا لاعراضكم عن عبادته الى عبادة الاصنام فمعنى الاستفهام تجهيلهم فى حقه تعالى باعتبار الوصف وكذا على الثالث وتقديره انه فى حد نفسه موصوف بكونه رب العالمين مالكا لامورهم متصرفا فيهم بالقهر والقدرة التامة فالذى اداكم ظنا باتصافه بوصف يقتضى الأمن من عقابه وقد عصيتموه وعبدتم غيره والمعنى على الثانى ما ظنكم برب العالمين اى شيء هو فى ذاته وما الذى اداكم ظنا بان حقيقته المخصوصة ما هى حتى جوزتم كون الاصنام ندا له فان ند الشيء ما يشاركه فى حقيقته الخاصة وتجويز اشراك غيره به يتوقف على معرفة حقيقته فعلى هذا معنى الاستفهام تجهيلهم فى حقه تعالى باعتبار حقيقته الخاصة وعلى التقادير الثلاثة تحصل الالزام وينقطع الكلام وهو ظاهر ويثبت ان الاشراك افك وباطل وهو معنى قوله كالحجة على ما قبله ﴿ قوله فرأى مواقعها الخ ﴾ اى نظر فى عين النجوم وحسها فى السماء ولما لم يكن النظر فى نفس النجوم مما يستدل به على شيء من الاحكام جعل نظره اليها ليتوصل الى رؤية احوالها من مواقعها واتصالاتها وهى مما يستدل بها ﴿ قوله ولا منع منه ﴾ جواب ما يقال من ان النظر فى علم النجوم او كتابها غير جائز فكيف اقدم ابراهيم عليه الصلاة والسلام عليه وتقريره انا لا نسلم ان النظر فى علم النجوم والاستدلال بها حرام مطلقا لان من اعتقد ان الله تعالى خص كل واحد من هذه الكواكب بطبع وخاصية لاجلها يظهر منه انه مخصوص فهذا العلم على هذا الوجه ليس بباطل مع ان فيه فائدة اخرى وهى انه فعل ما يفعل الناظر فى النجوم ليستدل بها على الحوادث من جهتها واراد به ان يوهمهم ان النجوم تدل على انه سيسقم غدا فى مخرجه ان خرج معهم الى موضع عيدهم فاراهم انه يريد ان يتخلف عنهم فى منزله لئلا يزاد به ما يحدث بسبب الحركة فوقع عندهم انه كذلك فاعرضوا عنه مولين الادبار فانهم كانوا منجمين يثقون بها على امورهم فعاملهم على مقتضى عادتهم احتيالا للتخلف عنهم فانه عليه الصلاة والسلام لما كلمهم فى الاصنام ونهاهم عن عبادتها فلم يقبلوا منه اراد ان يريهم ما قال فى الاصنام من انها لا تضر ولا تنفع ولا تقدر ان تدفع عن نفسها من اراد بها سوأ فكيف عن غيرها بان يكسرها وكان يحتال الى ان يخلو بيت الاصنام فراقب الفرصة وانتظر عيدا لهم يخرجون فيه الى الصحراء

او من العلائق خالص لله او مخلص له وقيل حزين من السليم بمعنى اللديغ ومعنى المجيء به ربه اخلاصه له كأنه جاء به متحفا اياه (اذ قال لابيه وقومه ماذا تعبدون) بدل من الاولى او ظرف لجاء او سليم (أئفكا آلهة دون الله تريدون) اى اتريدون آلهة دون الله افكا فقدم المفعول للعناية ثم المفعول له لان الاهم ان يقرر انهم على الباطل ومبنى امرهم على الافك ويجوز ان يكون افكا مفعولا به وآلهة بدلا منه على انها افك فى نفسها للمبالغة او المراد بها عبادتها بحذف المضاف او حالا بمعنى آفكين (فما ظنكم برب العالمين) بمن هو حقيق بالعبادة لكونه ربا للعالمين حتى تركتم عبادته او اشركتم به غيره او امنتم من عذابه والمعنى انكار ما يوجب ظنا فضلا عن قطع يصد عن عبادته او يجوز الاشراك به او يقتضى الأمن من عقابه على طريقة الالزام وهو كالحجة على ما قبله (فنظر نظرة فى النجوم) فرأى مواقعها واتصالاتها او فى علمها او كتابها ولا منع منه مع ان قصده ايهامهم

بجملة قدموه يومئذ الى الخروج معهم فاحتال التخلف عنهم بما ذكر ﴿ قوله على انه مشارف للسقم ﴾ متعلق بقوله استدل واشارة الى جواب ما يقال انه عليه الصلاة والسلام لم يكن سقيما فكيف اخبرهم بخلاف حاله كاذبا وتقرير الجواب ان تسمية الشئ باسم ما يؤول اليه امره ليس بكذب بل هو واقع فى القرآن والحديث نحو انك ميت وانهم ميتون اى ستموت وسيموتون وقوله عليه الصلاة والسلام من قتل قتيلا فله سلبه اى من سيقتل وكما تقول لمن رأيته متجهزا للسفر انك مسافر والعدوى مجاوزة الطاعون والجرب ونحوهما من صاحبه الى غيره ﴿ قوله او بصدد الموت ﴾ فيكون سقيما بالفعل بطريق التورية على انه حامل للموت فى عنقه ومن يحمل الطاعون فهو سقيم لحامل الموت اولى روى انه مات رجل فجأة فقيل سبحان الله مات وهو صحيح فقال اعرابى أصحيح من الموت فى عنقه ﴿ قوله من روغة الثعلب ﴾ وهى ذهابه فى خفية وحيلة يقال راغ الى كذا اى مال اليه سرا عبر عن ذهابه اليها بالروغ من حيث انه توسل اليه بان اوهمهم سقمه واعتذر به فى التخلف عنهم روى ان ابراهيم عليه السلام لما دخل بيت الاصنام رآى انهم وضعوا بين يديها طعامهم الذى اصطنعوه للعيد وقالوا اذا كان حين نرجع رجعنا وجدنا طعامنا وقد باركت الاصنام فيه فاكلناه متبركا نافعا فلما نظر اليها والى ما بين يديها من الطعام قال الا تأكلون فلما لم تجب الاصنام قال ما لكم لا تنطقون على وجه الاستهزاء بها واشارة الى انحطاط حالها عن حال عبدتها وهو وان كان خطاب جماد لكنه صح من النبى لانه يعبر عما فى ضميره من الاستدلال على بطلان ما يتوهم فيها وعدى راغ الثانى بعلى لانه مع الضرب المستولى عليهم من فوقهم الى اسفلهم فيكون الاستعلاء حقيقيا او لشرف الفاعل وكراهة المفعول فالاستعلاء مجازى وان كان اليمين بمعنى احدى اليدين يكون ضربا ملابسا باليمين وان كان بمعنى الحلف كانت الباء للسبب ﴿ قوله كما شرحه فى قوله ﴾ فى سورة الانبياء من فعل هذا بآلهتنا دفع لما يتوهم من التنافى بين هذه الآية وبين ما فى سورة الانبياء من قوله من فعل هذا بآلهتنا فانه سؤال عن الكاسر فيقتضى عدم علمهم بان الكاسر هو ابراهيم فاجيبوا بانا سمعنا ابراهيم يذمهم فلعله هو الكاسر وهذه الآية تدل على انهم ابصروه يضربهم باليمين ويكسرهم فاقبلوا اليه يسرعون ليكفوه فدفعه بما دفع به الزمخشرى حيث قال فيه وجهان احدهما ان يكون الذين ابصروه وزفوا اليه نفرا منهم دون جمهورهم وكبرائهم فلما رجع الجمهور من عيدهم الى بيت الاصنام ليأكلوا الطعام الذى وضعوه عندها للتبارك عليه ورأوها مكسورة اشمأزوا اى انقبضوا من ذلك وسألوا من فعل هذا بها قال اولئك النفر على سبيل التورية والتعريض سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم والثانى انه عليه الصلاة والسلام كسرها وذهب ولم يشعر بذلك احد وكان اقبالهم اليه يزفون بعد رجوعهم من عيدهم وسؤالهم عن الكاسر وقولهم فأتوا به على اعين الناس يؤيد الثانى ﴿ قوله تعالى يزفون ﴾ حال من فاعل اقبلوا واليه يجوز تعلقه بما قبله او بما بعده ﴿ قوله من زفيف النعام ﴾ يريد ان اصل الزفيف للنعام وهو اشد عدوها يقال زف الظليم الذكر من النعام يزف بكسر الزاى زفيفا اى عدا واسرع فى المشى مع تقارب الخطو وزف القوم فى مشيهم اى اسرعوا ومنه الآية المذكورة على قراءة غير حمزة فانهم قرأوا بفتح الياء وكسر الزاى وتشديد الفاء وفسره فى الكواشى بقوله يسرعون فى المشى مع تقارب الخطو فان قرئ بضم الياء مجهولا او معلوما فهو من ازفه غيره اى حمله على الزفيف وقرئ يزفون على وزن يعدون ويزفون على وزن يعزون والحذاء سوق الابل وحملها على سرعة المشى بالنغمات فلما اقبلوا اليه مسرعين ادركوه واخذوه وعاتبوه على كسر الاصنام وقالوا نحن نعبدها وانت تكسرها فقال لهم على طريق التوبيخ اتعبدون ما تنحتون ووجه التوبيخ ظاهر وهو ان الخشب والحجر قبل النحت والاصلاح ما كان معبودا البتة فاذا نحته وشكله على الوجه المخصوص لم تحدث فيه الا آثار تصرفه فلو صار معبودا له عند ذلك لزم ان يكون الشئ الذى لم يكن معبودا اذا حصل فيه آثار تصرفه صار معبودا له وفساد ذلك واضح عند كل من له ادنى تمييز ﴿ قوله وما تعملونه الى قوله او عملكم بمعنى معمولكم ليطابق ما تنحتون ﴾ اشارة الى ان ما فى وما تعملون موصولة او مصدرية على ان لا يكون المصدر بمعنى الحدث بل بمعنى المعمول وحاصله ان المقصود من قوله والله خلقكم وما تعملون الاحتجاج على المشركين فى بطلان عبادة منحوتهم بان العابد والمعبود جميعا خلق الله فكيف يعبد المخلوق المخلوق على ان العابد منهما هو الذى عمل صورة المعبود وشكله ولولا العابد لما قدر المعبود ان يصور نفسه ويشكلها وهذا المعنى لا يستفاد منه ظاهرا الا بان يحمل ما على احد التفسيرين فانه على كل واحد منهما يكون ما تعملون عبارة عن معمولكم كما ان ما تنحتون فى معنى منحوتكم فتطابق الجملة

وذلك حين سألوه ان يعبد معهم (فقال انى سقيم) اراهم بانه استدل بها لانهم كانوا منجمين على انه مشارف للسقم لئلا يخرجوه الى معبدهم فانه كان اغلب اسقامهم الطاعون وكانوا يخافون العدوى او اراد انى سقيم القلب لكفركم او خارج المزاج عن الاعتدال خروجا قل من يخلو منه او بصدد الموت ومنه المثل كفى بالسلامة داء وقول لبيد

فدعوت ربى بالسلامة جاهدا ۞ ليصحنى فاذا السلامة داء ۞

(فتولوا عنه مدبرين) هاربين مخافة العدوى (فراغ الى آلهتهم) فذهب اليها فى خفية من روغة الثعلب واصله الميل بحيلة (فقال) اى للاصنام استهزاء (الا تأكلون) يعنى الطعام الذى كان عندهم (ما لكم لا تنطقون) بجوابى (فراغ عليهم) فمال عليهم مستخفيا والتعدية بعلى للاستعلاء او ان الميل لمكروه (ضربا باليمين) مصدر لراغ عليهم لانه فى معنى ضربهم او لمضمر تقديره فراغ عليهم يضربهم ضربا وتقييده باليمين للدلالة على قوته فان قوة الآلة تستدعى قوة الفعل وقيل باليمين بسبب الحلف وهو قوله تالله لاكيدن اصنامكم (فاقبلوا اليه) الى ابراهيم بعدما رجعوا فرأوا اصنامهم مكسورة وبحثوا عن كاسرها فظنوا انه هو كما شرحه فى قوله من فعل هذا بآلهتنا الآية (يزفون) يسرعون من زفيف النعام وقرأ حمزة على بناء المفعول من ازف او يحملون على الزفيف ويزفون اى يزف بعضهم بعضا ويزفون من وزف يزف اذا اسرع ويزفون من زفاه اذا حداه كأن بعضهم زفوا بعضا لتسارعهم اليه (قال أتعبدون ما تنحتون) ما تنحتونه من الاصنام (والله خلقكم وما تعملون) اى وما تعملونه فان جوهرها بخلقه وشكلها وان كان بفعلهم ولذلك جعل من اعمالهم فباقداره اياهم عليه وخلقه ما يتوقف عليه فعلهم من الدواعى والعدد او عملكم بمعنى معمولكم ليطابق ما تنحتون

المدّعى وهو الانكار لعبادتهم لمنحوتهم ولو كان المعنى والله خلقكم وخلق عملكم لم يكن الكلام بهذا المعنى حجة عليهم ولم تحصل مطابقة بينه وبين الانكار لعبادتهم لمنحوتهم وقوله وشكلها وان كان بفعلهم اشارة الى وجه جعل الشئ الواحد مخلوقا لله تعالى ومعمولا لهم فانه بحسب جوهره مخلوق لله تعالى وبحسب شكله معمول لهم ولا يلزم من القول بان شكلها بفعلهم استقلال قدرتهم حتى لا يكون مخلوقا لله تعالى بل اراد به ان يكون لقدرتهم مدخل فيه حيث كسبوه بمباشرة اسبابه فلا يرد انه جعل الشكل مقابلا للجوهر فى ان احدهما بخلقه تعالى وان الآخر بفعل العبد مع ان جميع الاشياء مخلوقة لله تعالى من جواهر الاشياء واشكالها وغيرهما وانث ضمير جوهرها وشكلها مع رجوعه الى ما فى وما تعملونه نظرا الى ان المراد به الاصنام ﴿ قوله فان فعلهم اذا كان بخلق الله تعالى فيهم الخ ﴾ اشارة الى ان الاحتجاج يستفاد من الآية على تقدير كون ما مصدرية وان المصدر على حقيقته لا بمعنى المفعول بناء على ان المنحوت من حيث انه منحوت يتوقف على فعلهم وهو النحت وفعلهم وهو النحت بخلق الله اى موقوف على خلق الله والفعل الموقوف على خلق الله يستلزم كون المفعول الموقوف عليه كذلك ورجحه على كونها موصولة بانه يستلزم حذف العائد دونه وعلى كون المصدر بمعنى المفعول بانه مجاز ﴿ قوله وهى شدة التأجج ﴾ التأجج والاجيج تلهب النار يقال أجت النار تؤج اجيجا وأججتها فتأججت لما اوردابراهيم عليه الصلاة والسلام حجة على قومه بكونهم مبطلين فى امرهم ولم يقدروا على الجواب عدلوا الى طريقة الايذاء والاهلاك عنادا للحق بعد وضوحه لئلا يظهر لعامّة عجزهم ومغلوبيتهم قال ابن عباس رضى الله عنهما بنوا حائطا من حجر طوله فى السماء ثلاثون ذراعا وعرضه عشرون ذراعا وملؤه بالحطب واشعلوه نارا وطرحوه فيها ﴿ قوله الى ما فيه صلاح دينى او الى مقصدى ﴾ الاول مبنى على انه قصد المهاجرة من ارض قومه الى موضع يتجرد فيه لعبادة ربه ولم يعين موضعا بعينه فيؤل معنى قوله سيهدين الى ان يستقر لى موضعا يكون فيه صلاح دينى ويلقى اليه والثانى مبنى على انه قصد موضعا بعينه واراد بقوله سيهدين انه يرشدنى الى مقصودى الذى امرنى ربى بالمهاجرة اليه وهو الشام وهو نشر على غير ترتيب اللف ولم يقل المصنف الى مهاجرى بل قال الى ما فيه صلاح دينى لان الصلاح اهم المهم للانبياء عليهم الصلاة والسلام فالحمل عليه اولى ﴿ قوله وانما بت القول ﴾ اى لم يقل ما يدل على الطمع والرجاء لحصول الهداية بل قال ما يدل على انه قاطع وجازم بحصولها فان سين الاستقبال تدل على الجزم بوقوع الفعل قال فى المفصل ان سيفعل جواب لن يفعل وذلك لسبق وعد الله تعالى بهدايته بان قال له اذهب من ارض الكفر الى ارض الشام فانى ساهديك فبت القول فى حصول الهداية منه تعالى بناء على وعده بها وحيا بما ذكره ﴿ قوله لان لفظ الهبة غالب فيه ﴾ يعنى ان اغلب ما استعمل فيه لفظ الهبة فى القرآن هو الولد وان كان قد جاء فى الاخ فى قوله تعالى ووهبنا له من رحمتنا اخاه هرون نبيا قال مقاتل لما قدم ابراهيم الارض المقدسة سأل ربه الولد فقال رب هب لى من الصالحين ﴿ قوله او يكون حليما ﴾ عطف على يبلغ او ان الحلم ﴿ قوله عليه ﴾ اى على حلمهما ﴿ قوله فلما وجد ﴾ اشارة الى ان فى الآية اختصارا والمعنى فبشرناه بما سأله من الولد الصالح فرزقناه اياه فلما وجد وبلغ ان يسعى معه فى اعماله ومصالحه فالسعى مفعول بلغ وهو المشى السريع دون العدو ويستعمل للجد فى الامور وهو المراد ههنا ﴿ قوله فقيل معه ﴾ اى السعى مع ابيه فكلمة مع متعلقة بالسعى المحذوف حذف لدلالة المذكور عليه ومنع تعلقها بالسعى المذكور بناء على ان معمول المصدر لا يتقدم عليه ومنع ايضا تعلقها ببلغ لاقتضائه ان يكون بلوغهما حد السعى معا وهو باطل اذ لاشك ان بلوغ ابراهيم عليه الصلاة والسلام ذلك الحد متقدم على بلوغ ولده اياه ووجه اقتضائه ذلك ان مع للمصاحبة وهى مفاعلة فتكون بين اثنين فيجب ان يكون مدخول مع مشاركا ومقارنا للآخر فى تعلقه بمضمون العامل فى مع فى قوله تعالى ودخل معه السجن فتيان يجب ان يكون دخولهما السجن مقارنا لدخول يوسف عليه الصلاة والسلام اياه لا يقال فقول بلقيس اسلمت مع سليمان على ما ذكر يقتضى كون اسلامهما معا وليس كذلك لانا نقول لا يبعد ذلك فلعله عليه الصلاة والسلام وافقها او لقنها ﴿ قوله وتخصيصه ﴾ اى وتخصيص الاب بكون سعى الولد معه والحال ان المقصود بيان قوة الساعى وبلوغه حد السعى ويكفى فى بيان هذا المقصود ان يقال فلما بلغ السعى اى حد السعى من غير ان يقيد السعى بكونه مع ابيه واجاب عنه اولا بمنع كون الاطلاق كافيا فى بيان المقصود لان غير الاب قد يعنف الولد بتكليفه ما يشق عليه فبلوغه السعى مع غير الاب لا يدل على قوته وبلوغه حد السعى

او انه بمعنى الحدث فان فعلهم اذا كان بخلق الله تعالى فيهم كان معمولهم المتوقف على فعلهم اولى بذلك وبهذا المعنى تمسك اصحابنا على خلق الاعمال ولهم ان يرجحوه على الاولين لما فيهما من حذف او مجاز (قالوا ابنوا له بنيانا فالقوه فى الجحيم) فى النار الشديدة من الجحمة وهى شدة التأجج واللام بدل الاضافة اى جحيم ذلك البنيان (فارادوا به كيدا) فانه لما قهرهم بالحجة قصدوا تعذيبه بذلك لئلا يظهر للعامة عجزهم (فجعلناهم الاسفلين) الاذلين بابطال كيدهم وجعله برهانا نيرا على علو شأنه حيث جعل النار عليه بردا وسلاما (وقال انى ذاهب الى ربى) الى حيث امرنى ربى وهو الشام او حيث اتجرد فيه لعبادته (سيهدين) الى ما فيه صلاح دينى او الى مقصدى وانما بت القول لسبق وعده او لفرط توكله او البناء على عادته معه ولم يكن كذلك حال موسى عليه السلام حيث قال عسى ربى ان يهدينى سواء السبيل فلذلك ذكر بصيغة التوقع (رب هب لى من الصالحين) بعض الصالحين يعيننى على الدعوة والطاعة ويؤنسنى فى الغربة يعنى الولد لان لفظ الهبة غالب فيه ولقوله تعالى (فبشرناه بغلام حليم) بشره بالولد وبانه ذكر يبلغ اوان الحلم فان الصبى لا يوصف بالحلم او يكون حليما واى حلم مثل حلمه حين عرض عليه ابوه الذبح وهو مراهق فقال ستجدنى ان شاء الله من الصابرين وقيل ما نعت الله نبيا بالحلم لعزة وجوده غير ابراهيم وابنه عليهما السلام وحالهما المذكورة بعد تشهد عليه (فلما بلغ معه السعى) اى فلما وجد وبلغ ان يسعى معه فى اعماله ومعه متعلق بمحذوف دل عليه السعى لا به لان صلة المصدر لا تتقدمه ولا يبلغ فان بلوغهما لم يكن معا كأنه قال فلما بلغ السعى فقيل مع من فقيل معه وتخصيصه لان الاب اكمل فى الرفق والاستصلاح له فلا يستسعيه قبل اوانه او لانه استوهبه لذلك وكان له يومئذ ثلاث عشرة سنة

بخلاف الاب فانه لوفور شفقته وعطفه على ولده لايستسعيه فيما يشق عليه وبلوغ الولد السعى مع ابيه يدل على قوته اى قوة الولد وبلوغه حد السعى ﴿قوله والاظهر ان المخاطب﴾ اى بقوله يابنى والذبيح اختلفت الصحابة والتابعون فى ان الولد المأمور بذبحه اسمعيل او اسحق فمنهم من قال انه اسحق وكانت هذه القصة بالشام ومنهم من قال انه اسمعيل وكانت القصة بمكة وكلا الفريقين روى ماقاله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى عن الامام ابى منصور انه قال لاحاجة بنا الى معرفة ذلك الولد بعينه ولو كان بنا حاجة اليه لبين الله عز وجل واحتج المصنف على انه اسمعيل بخمسة وجوه الاول انه يفهم من اسلوب الآية ان الذبيح هو الذى وهبه اثر الهجرة وقد ثبت عند اهل التواريخ ان ذلك هو اسمعيل والثانى انه تعالى لماحكى عن خليله عليه الصلاة والسلام انه استوهب منه ولدا صالحا حيث قال رب هب لى من الصالحين وعقبه بقوله فبشرناه بغلام حليم بالفاء وذكر بعده قصة الرؤيا والذبح واتم القصة بقوله سلام على ابراهيم كذلك نجزى المحسنين انه من عبادنا المؤمنين كما تم بمثله سائر القصص المذكورة فى سائر السور الكريمة ابتدأ بحديث اسحق وبشارته ومايتعلق به بان عطف قوله وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين الآية على قوله فبشرناه بغلام حليم ولايخفى ان هذا الاسلوب يدل على ان الذبيح هو الغلام الحليم وان البشارة باسحق بشارة مغايرة للبشارة الاولى وان اسحق غير الغلام الحليم الذى هو الذبيح والثالث قوله عليه الصلاة والسلام انا ابن الذبيحين ولايخفى انه عليه الصلاة والسلام ابن اسمعيل لا ابن اسحق ﴿قوله ان سهل الله حفر بئر زمزم او بلغ بنوه عشرة﴾ روى عن عبد المطلب انه حين اخذ فى حفر زمزم وكانت قد اندفنت جعلت قريش تهزأ به فقال اللهم ان سقيت الحجيج ذبحت بعض ولدى فلما سقى الحجيج منها اقرع بين ولده فخرجت القرعة على عبد الله فقالت اخواله بنو مخزوم افدابنك اى أعط فداءه وأنقذه من الذبح فجاء بعشر من الابل فاقرع بينها وبين ابنه فخرجت القرعة على ابنه فزاد عشرا فاقرع بينهما فخرجت كذلك على ابنه فلم يزل يزيده عشرا وتخرج القرعة على ابنه الى ان بلغها المائة فخرجت على الابل فنحرها بمكة فى رؤس الجبال وروى انه لما باشر حفر زمزم وليس له يومئذ ولد سوى الحارث نازعته قريش فنذر ان ولدله عشرة ثم بلغوا ان يمنعوه ويدفعوا عنه اذى من يتعرض له بالسوء لينحرن احدهم عند الكعبة فلما تموا عشرة وعرف انهم سيمنعونه اخبرهم بنذره فاطاعوه فاقرع بين ولده الى آخر القصة والرابع ان الذبح والفداء كانا بمكة ولم يروا ان اسحق كان قدم مكة فى صغره وممايدل على ان الذبح كان بمكة وان الذبيح هو اسمعيل ان قرنى الكبش كانا منوطين بالكعبة فى ايدى بنى اسمعيل الى ان احترق البيت واحترق القرنان فى ايام ابن الزبير والحجاج عن ابن عباس رضى الله عنهما قال والذى نفسى بيده لقد كان فى اول الاسلام ان رأس الكبش لمعلق بقرنيه فى ميزاب الكعبة وقد وحش يعنى يبس رواه محيى السنة والخامس انه تعالى قال فى سورة هود فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب فلما بشرها باسحق بشرها بولادة يعقوب منه نافلة فالامر بذبح اسحق قبل ظهور يعقوب منه خلف لماوعد لها من النافلة فكيف يؤمر بذبح اسحق قبل انجاز الوعد فى يعقوب منه وكون الامر بالذبح بعد ولادة يعقوب منه ينافى قوله فلما بلغ معه السعى الآية فانه يدل على ان الامر بالذبح وقع حين كان مراهقا ﴿قوله وماروى انه صلى الله عليه وسلم﴾ اشارة الى دليل من قال بان الذبيح هو اسحق والى جوابه ﴿قوله مثل ذلك﴾ اى كان فيما كتب اليه من يعقوب اسرائيل الله ابن اسحق ذبيح الله ابن ابراهيم خليل الله ﴿قوله ماذا ترى﴾ ان قرئ بفتحتين يكون مضارع رأى الذى من الرأى بمعنى الاعتقاد فى القلب ومايخطر به وهو يتعدى الى مفعول واحد وهو ماذا اى فانظر اى شئ ترى لامن رؤية العين لانه لم يأمره ان يبصر شيأ وانما امره ان يدبر فى امر عرضه عليه وهو الذبح ويقول فيه برأيه ولامن رؤية القلب المتعدية الى مفعولين لانه لم يكلفه ان يقطع فيما عرضه عليه انه على صفة كذا وانما يسأله عمايديه قلبه ورأيه اى شئ هل هو الامضاء او التوقف وان قرئ بضم التاء وكسر الراء يكون من الرأى المذكور ايضا الا انه نقل بالهمزة الى باب الافعال فيتعدى الى مفعولين حذف فى الآية ثانيهما اى فانظر ماترى اياك من الامضاء او التوقف ﴿قوله من الرأى﴾ اى لامن رؤية العين فانه شاور ولده ليعلم رأيه ولم يأمره بان ينظر بعينه ليبصر شيأ ﴿قوله وانما شاوره فيه﴾ يعنى ان المقصود من المشاورة ان يعمل المستشير برأى المستشار فيما اختاره له وذلك انما يتصور اذا لم يتعين عنده احد الطرفين لااذا تعين كما فى هذه الحالة فلافائدة فى المشاورة فان الامضاء الذبح متعين عنده اجاب عنه بانه انما شاوره ليعلم ماعنده فان علم منه الجزع وعدم الصبر على الذبح يتعهده ويحمله على الصبر والثبات وان علم منه التسليم

(قال يابنى انى ارى فى المنام انى اذبحك) يحتمل انه رأى ذلك وانه رأى ماهو تعبيره وقيل انه رأى ليلة التروية ان قائلا يقول له ان الله يأمرك بذبح ابنك فلما اصبح روّى انه من الله او من الشيطان فلما امسى رأى مثل ذلك فعرف انه من الله ثم رأى مثله فى الليلة الثالثة فهم بنحره وقال له ذلك ولهذا سميت الايام الثلاثة بالتروية وعرفة والنحر والاظهر ان المخاطب به اسمعيل لانه الذى وهب له اثر الهجرة ولان البشارة باسحق بعده معطوفة على البشارة بهذا الغلام ولقوله صلى الله عليه وسلم انا ابن الذبيحين فاحدهما جده اسمعيل والآخر ابوه عبدالله فان عبدالمطلب نذر ان يذبح ولدا ان سهل الله له حفر بئر زمزم او بلغ بنوه عشرة فلما سهل اقرع فخرج السهم على عبدالله ففداه بمائة من الابل ولذلك سنت الدية مائة ولان ذلك كان بمكة وكان قرنا الكبش معلقين بالكعبة حتى احترقا معها فى ايام ابن الزبير ولم يكن اسحق ثمة ولان البشارة باسحق كانت مقرونة بولادة يعقوب منه فلا يناسبها الامر بذبحه مراهقا وماروى انه صلى الله عليه وسلم سئل اى النسب اشرف فقال يوسف صديق الله ابن يعقوب اسرائيل الله ابن اسحق ذبيح الله ابن ابراهيم خليل الله فالصحيح انه قال يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم والزوائد من الراوى وما روى ان يعقوب كتب الى يوسف مثل ذلك لم يثبت (فانظر ماذا ترى) من الرأى وانما شاوره فيه وهو حتم ليعلم ماعنده فيما نزل من بلاء الله فيثبت قدمه ان جزع ويأمن عليه ان سلم وليوطن نفسه عليه فيهون عليه ويكتسب المثوبة بالانقياد له قبل نزوله وقرأ حمزة والكسائى ماذا ترى بضم التاء وكسر الراء خالصة والباقون بفتحها وابوعمرو يميل فتحة الراء وورش بين بين

(قال يا ابت) وقرأ ابن عامر بفتح التاء (افعل ماتؤمر) اى ماتؤمر به فحذفا دفعة او على الترتيب كما عرفت او امرك على ارادة المأمور به

والاضافة الى المأمور ولعله فهم من كلامه انه رأى انه يذبحه مأمورا به او علم ان رؤيا الانبياء حق وان مثل ذلك لا يقدمون عليه الا بامر ولعل الامر به فى المنام دون اليقظة ليكون مبادرتهما الى الامتثال ادل على كمال الانقياد والاخلاص وانما ذكر بلفظ المضارع لتكرر الرؤيا (ستجدنى ان شاء الله من الصابرين) على الذبح او على قضاء الله (فلما اسلما) استسلما لامر الله او سلم الذبيح نفسه وابراهيم ابنه وقد قرئ بهما واصلها سلم هذا لفلان اذا خلص له فانه سلم من ان ينازع فيه (وتله للجبين) صرعه على شقه فوقع جبينه على الارض وهو احد جانبى الجبهة وقيل كبه على وجهه باشارته لئلا يرى فيه تغيرا يرق له فلا يذبحه وكان ذلك عند الصخرة بمنى او فى الموضع المشرف على مسجده او المنحر الذى ينحر فيه اليوم (وناديناه ان يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا) بالعزم والاتيان بالمقدمات وقد روى انه امر السكين بقوته على حلقه مرارا فلم تقطع وجواب لما محذوف تقديره كان ماكان مما ينطق به الحال ولا يحيط به المقال من استبشارهما وشكرهما لله على ما انعم عليهما من دفع البلاء بعد حلوله والتوفيق لما لم يوفق غيرهما لمثله واظهار فضلهما به على العالمين مع احراز الثواب العظيم الى غير ذلك (انا كذلك نجزى المحسنين) تعليل لافراج تلك الشدة عنهما باحسانهما واحتج به من جوز النسخ قبل وقوعه فانه عليه الصلاة والسلام كان مأمورا بالذبح لقوله افعل ماتؤمر ولم يحصل (ان هذا لهو البلاء المبين) الابتلاء البين الذى يتميز فيه المخلص من غيره او المحنة البينة الصعوبة فانه لا اصعب منها (وفديناه بذبح) بما يذبح بدله فيتم به الفعل (عظيم) عظيم الجثة سمين او عظيم القدر لانه يفدى به الله نبيا ابن نبى واى نبى من نسله سيد المرسلين قيل كان كبشا من الجنة وقيل وعلا اهبط عليه من ثبير وروى انه هرب منه عند الجمرة فرماه بسبع حصيات حتى اخذه فصارت سنة والفادى على الحقيقة ابراهيم وانما قال وفديناه لانه المعطى له والامر به على التجوز فى الفداء او الاسناد واستدل به الحنفية على ان من نذر ذبح ولده لزمه ذبح شاة وليس فيه مايدل عليه (ارى)

والرضى لامر الله تعالى بامن ذلك وباشر الامر لامتثال امر الله تعالى وهو آمن من مخالفته ولان فى تقديم اعلام مالمر ما امر الله تعالى به فى حقه على طريق المشاورة تهوينا للبلاء على نفسه من حيث انه حمله على ان يراجع نفسه ومن راجع نفسه قبل حكم الله فيها يجدها متوطنة على قبوله وهذا الطريق اقرب فى تهوين البلاء من اخذه على غفلة قائلا انى اذبحك لان الله امرنى بذلك ﴿قوله فحذفا دفعة﴾ اى حذف الجار والمجرور دفعة او حذف الجار اولا ووصل الفعل الى الضمير فصار ماتأمره ثم حذف العائد والتقدير افعل امرك على ان الامر بمعنى المأمور به والكاف عبارة عن المأمور ﴿قوله ولعله فهم من كلامه الخ﴾ جواب عما يقال من اين علم اسمعيل عليه الصلاة والسلام ان الذبح مأمور به حتى قال افعل ماتؤمر به من وحى وتقرير الجواب انه فهم من قوله رأيت فى المنام انى اذبحك انى رأيت فيه مايكون تعبيره ذبحك بان امر بذلك فى منامه او انه علم ذلك باستدلال عقله وتقريره انه حين رأى فى منامه انه يعالج ذبح ولده ومعلوم عنده ان الانبياء لطهارة نفوسهم وقوة اتصالها بعالم الملكوت لا يجد الشيطان سبيلا الى ان يلقى اليهم الخيالات الباطلة فيكون مارأوه فى نومهم وتمثل فى نفوسهم ومرآتهم حقا واقعا قبل ذلك او سيقع بعده والذبح لم يقع قبل فعلم انه سيقع وانه لا يقدم على مثله الا بامر فلذلك حكم بان الذبح مأمور به فقال افعل ماتؤمر به ﴿قوله وقيل كبه على وجهه﴾ اى صرعه فاكب على وجهه وهذا من النوادر فانه يقال افعلت انا وفعلت غيرى يقال كب الله عدو المسلمين ولا يقال اكب قال ابن عباس رضى الله عنهما لما اضجع ابراهيم عليه الصلاة والسلام ابنه على جنبه على الارض قال له الابن يا ابت اشدد رباطى حتى لا اضطرب واكفف عنى ثيابك حتى لا ينضح عليها من دمى فينقص اجرى وتراه امى فتحزن واحدد شفرتك واسرع امرارها على حلقى ليكون اهون على فان الموت شديد فاذا اتيت امى فاقرأ عليها السلام منى وان رأيت ان ترد قميصى الى امى فافعل فانه عسى ان يكون اسلى لها عنى فقال له ابراهيم عليه الصلاة والسلام نعم العون انت يابنى على امر الله ففعل ابراهيم ما امر به ابنه ثم اقبل عليه يقبله وقد ربطه وهو يبكى والابن يبكى ثم انه وضع السكين على حلقه فلم يعمل وروى انه شحذ الشفرة وامرها على حلقه فلم تقطع فحدها مرتين او ثلاثا بالحجر كل ذلك وهى لا تقطع شيأ قال السدى ضرب الله صفحة من نحاس على حلقه فقال الابن عند ذلك يا ابت كبنى على وجهى فانك اذا نظرت فى وجهى رحمتنى وادركتك رقة تحول بينك وبين امر الله وانا لا انظر الشفرة فاجزع ففعل ذلك ابراهيم ثم وضع السكين على قفاه فانقلبت السكين ونودى يا ابراهيم انه قد صدقت الرؤيا وجواب لما محذوف وقيل جوابه وتله للجبين والواو زائدة وقيل هو قوله وناديناه والواو زائدة ايضا كقوله فلما ذهبوا به واجمعوا ان يجعلوه فى غيابة الجب واوحينا اليه ﴿قوله بما يذبح بدله فيتم به الفعل﴾ اشارة الى ان الذبح بالكسر اسم لما يذبح كالطحن فانه اسم لما دقيق المطحون وبالفتح مصدر وكذا الذبح بالفتح والى جواب ما يقال كيف احتيج الى الفداء وقد اقام الله بذل وسعه فى اتيان مقدمات الذبح وصدق عزمه مقام الذبح حيث قال صدقت الرؤيا فانه يدل على سقوط التكليف بحقيقة الذبح بفعل ماهو فى حكمه فلا يحتاج بعده الى الفداء لان الفداء انما هو التخليص من الذبح ببدله وتقرير الجواب ان اللازم من قيام فعل ماهو فى حكم ذبح الولد مقام ذبحه سقوط ذبح ذلك الولد ولا يلزم من سقوط ذبحه سقوط الذبح بالكلية فانه لم يسقط اصل الذبح فلا بد له من محل يتعلق به ولما لم يتعلق بالولد لزم ان يتعلق ببدله ويتم به الفعل ﴿قوله قيل كان كبشا من الجنة﴾ عن ابن عباس رضى الله عنهما قال هو الكبش الذى قربه هابيل بن آدم عليه الصلاة والسلام فتقبل منه فكان مخزونا فى الجنة ﴿قوله والفادى على الحقيقة ابراهيم﴾ لان الفادى من يعطى الفداء لما لزم عليه من حق غيره وينقذه منه وذلك هو ابراهيم فانه ذبح الكبش وانقذ ابنه والفادى على الحقيقة ليس هو الله تعالى بل هو المفتدى منه لانه الآمر بالذبح وموجبه فاوجه جعله تعالى فاديا فى قوله وفديناه بذبح عظيم يقال فداه اذا اعطى فداءه فانقذه وافتدى منه بذلك اشترى منه نفسه بشئ والمصنف اجاب عنه بوجهين الاول ان مبنى الكلام على المجاز فى المفرد بان يكون فديناه بذبح اعطيناه ذبحا وخلصناه بدله وفداءه والثانى ان مبنى وفديناه على المجاز فى الاسناد من قبيل اسناد الفعل الى الآمر به كبنى الامير فكلام المصنف لف ونشر مرتب ﴿قوله وليس فيه مايدل عليه﴾ اشارة الى ما اورده صاحب التقريب على هذا الاستدلال بقوله فيه نظر اذ ليس فى الآية ذكر النذر ولا لزوم الذبح بل ان الله تعالى تفضل عليه بالفداء وايضا هو شرع من قبلنا انتهى واجاب عنه الشارح الطيبى بانه قد روى ان الملائكة حين بشرته بغلام حليم قال هو اذا لله ذبيح وهذا نذر بذبحه ولهذا لما بلغ الغلام معه حد السعى قيل له اوف بنذرك فقال لولده انى

ارى في المنام انى اذبحك على معنى ارى فيه ماتعبيره ذبحك واما لزوم الذبح فلانه لو لم يلزم لم يحتج الى الفداء وشرع من قبلنا اذا لم ينسخ فنحن متعبدون به على حسب الخلاف ﴿ قوله وبهذا الاعتبار وقعا حالين الخ ﴾ جعل الزمخشرى هذه الآية نظير قوله تعالى فادخلوها خالدين في ان الحال في كل واحدة منهما حال مقدرة اذلم يمكن كونها حالا محققة لان الحال المحققة يجب ان تكون ثابتة لذى الحال وقت تعلق العامل بذى الحال والخلود ليس بثابت للداخلين وقت دخولهم وكذا النبوة ليست ثابتة للمبشر به وقت البشارة وايضا ان المبشر به معدوم وقت وجود البشارة وعدمه يستلزم عدم النبوة والصلاح ايضا لان عدم الموصوف يستلزم عدم الصفة وايضا اذا وجد المبشر به لا توجد النبوة الا بعد زمان مديد فكيف تجعل النبوة حالا مقدرة والحال صفة الفاعل او المفعول عند صدور الفعل منه او تعلقه به وليس النبوة كذلك اذ لا وجود لها وقت البشارة حقيقة وهو ظاهر ولا تقدير لان التقدير لا يتصور من المعدوم وقوله وبهذا الاعتبار اى باعتبار جعل كل واحد من النبوة والصلاح مقضيا مقدرا وقعا حالين من غير احتياج الى تقدير وجود المبشر به وهو اسحق والمقصود الرد على صاحب الكشاف حيث جعل نبيا حالا مقدرة من اسحق بتقدير المضاف العامل في الحال على ان يكون المعنى وبشرناه بوجود اسحق نبيا اى بان يوجد مقدرة نبوته وبنى كلامه على ان الحال سواء كانت محققة او مقدرة صفة قائمة بذى الحال عند تعلق العامل وذلك يقتضى وجود ذى الحال عند تعلق العامل به مقارنا لاتصافه بمضمون الحال لان اتصاف شئ بشئ متفرع على وجود الموصوف فلذلك اوجب تقدير المضاف في جعل قوله تعالى نبيا من الصالحين حالين من اسحق فقال المصنف لا حاجة الى ذلك اذا التقدير مقضيا نبوته مقدرا كونه من الصالحين وهذا القدر كاف في كونهما مقدرين لان تقدير النبوة والصلاح صفة قائمة باسحق حال تعلق البشارة به فانه كانه مبشر به مقدر النبوة والصلاح ايضا غاية ما في الباب ان يكون لفظ مقدر اسم مفعول من التقدير ولا يكون تقدير النبوة من قبل اسحق بل يكون ممن بشر به وكون اسحق معدوما وقت البشارة انما ينافى كونه مقدر النبوة والصلاح عند تعلق البشارة به بكسر دال مقدر بخلاف فتح الدال فانه لا ينافى كونه مقدر النبوة وقت البشارة لكن تقدير خلود انفسهم يجوز ان يكون صفة ثابتة لهم وقت الدخول فصح ان تكون حالا مقدرة منهم وكذا كون المبشر به مقدرا نبوته صفة ثابتة له وقت البشارة فجاز كونها حالا مقدرة ايضا ثم اعترض على كون الآية نظير فادخلوها خالدين بناء على ان الحال حلية وصفة لذى الحال فتقتضى محلا موجودا لان الحلية لا تقوم بالمعدوم ولاشك ان المبشر به في الآية معدوم وقت تعلق البشارة به فلا يمكن اتصافه بها لا بحقيقة النبوة ولا بكونها مقدرة في حقه لان ثبوت شئ لآخر فرع ثبوت المثبت له فلا يصح ان تكون النبوة حالا مقدرة ايضا بخلاف الخلود فان الداخلين موجودون حال الدخول فيمكن اتصافهم بتقدير الدخول وان لم يكونوا موصوفين بحقيقة الدخول في ذلك الوقت فافترقا فرقا بينا لان الحالية لها سبيل في احدهما دون الآخر ثم اجاب بان التنظير مبنى على تقدير المضاف وجعله عاملا في الحال وهو الوجود لا فعل البشارة ولا خفاء في صحة اتصاف المبشر به وقت تعلق الوجود بكونه مقدر النبوة فصح كون نبيا حالا مقدرة بهذا التقدير مثل كون خالدين حالا مقدرة بهذا التقدير غاية ما في الباب ان تقدير الدخول من قبل ذى الحال وان الداخلين هم الذين قدروا خلودهم بخلاف تقدير النبوة فانه ليس من قبل المبشر به ولا يلزم في الحال المقدرة ان يكون التقدير من قبل ذى الحال فقول المصنف ومع ذلك لا يصير نظير قوله فادخلوها محل بحث واما قوله وبهذا الاعتبار وقعا حالين الخ فكلام حق لا غبار فيه وتقريره ان كون نبيا من الصالحين حالين من المبشر به لا يتوقف على تقدير مضاف هو العامل فيهما وانما يتوقف على اعتبار كون كل واحد من النبوة والصلاح مقدرا مقضيا في حق المبشر به ومثل هذه الاحوال لا يستدعى وجود ذى الحال وانما يلزم وجوده اذا كانت الحال من الصفات الحقيقية لانها هى التى تقتضى وجود موصوفاتها واما الصفات الاعتبارية فلا بل يكفى في وقوعها حالا مقارنة اعتبارها لتعلق العامل بذى الحال ﴿ قوله ومع ذلك ﴾ اى ومع ارتكاب تقدير المضاف على الوجه المذكور لا تصير هذه الآية نظير قوله فادخلوها خالدين اقول انها نظيرله في ان الحال في كل واحدة منهما حال مقدرة غاية ما في الباب ان المقدر في هذه الآية اسم مفعول من التقدير وفي تلك اسم فاعل منه والحال المقدرة لا يجب ان يكون التقدير فيها من قبل ذى الحال البتة بل الامر موكول ومنوط بما يقتضيه المعنى والمقام ﴿ قوله ومن فسر الغلام باسحق الخ ﴾ جواب عما يقال المتبادر من عطف قوله تعالى وبشرناه باسحق نبيا على قوله وبشرناه بغلام حليم ان اسحق غير الغلام الحليم الذى هو الذبيح فكيف يتأول

(وتركنا عليه في الآخرين سلام على ابراهيم) سبق بيانه في قصة نوح (كذلك نجزى المحسنين انه من عبادنا المؤمنين) لعله طرح منه انا اكتفاء بذكره مرة في هذه القصة (وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين) مقضيا نبوّته مقدرا كونه من الصالحين وبهذا الاعتبار وقعا حالين ولا حاجة الى وجود المبشر به وقت البشارة فان وجود ذى الحال غير مشروط مقارنة تعلق الفعل به للاعتبار المعنىّ بالحال فلا حاجة الى تقدير مضاف يجعل عاملا فيهما مثل وبشرناه بوجود اسحق اى بان يوجد اسحق نبيا من الصالحين ومع ذلك لا يصير نظير قوله فادخلوها خالدين فان الداخلين مقدرون خلودهم وقت الدخول واسحق لم يكن مقدرا نبوّة نفسه وصلاحها حينما يوجد ومن فسر الغلام باسحق جعل المقصود من البشارة نبوّته

وفي ذكر الصلاح بعد النبوة تعظيم لشأنه وايماء بانه الغاية لها لتضمنها معنى الكمال والتكميل بالفعل على الاطلاق (وباركنا عليه) على ابراهيم في اولاده (وعلى اسحق) بان اخرجنا من صلبه انبياء بني اسرآئيل وغيرهم كايوب وشعيب او افضنا عليهما بركات الدين والدنيا وقرئ وبركنا (ومن ذريتهما محسن) في عمله او على نفسه بالايمان والطاعة (وظالم لنفسه) بالكفر والمعاصي (مبين) ظاهر ظلمه وفي ذلك تنبيه على ان النسب لا اثر له في الهدى والضلال وان الظلم في اعقابهما لا يعود عليهما بنقيصة وعيب (ولقد مننا على موسى وهرون) انعمنا عليهما بالنبوة وغيرها من المنافع الدينية والدنيوية (ونجيناهما وقومهما من الكرب العظيم) من تغلب فرعون او الغرق (ونصرناهم) الضمير لهما مع القوم (فكانوا هم الغالبين) على فرعون وقومه (وآتيناهما الكتاب المستبين) البليغ في بيانه وهو التوراة (وهديناهما الصراط المستقيم) الطريق الموصل الى الحق والصواب (وتركنا عليهما في الآخرين سلام على موسى وهرون انا كذلك نجزي المحسنين انهما من عبادنا المؤمنين) سبق مثل ذلك (وان الياس لمن المرسلين) هو الياس بن ياسين سبط هرون اخي موسى بعث بعده وقيل ادريس لانه قرئ ادريس وادراس مكانه وفي حرف ابي وان ابليس وقرأ ابن ذكوان مع خلاف عنه بحذف همزة الياس (اذ قال لقومه الا تتقون) عذاب الله (أتدعون بعلا) أتعبدونه او أتطلبون الخير منه وهو اسم صنم كان لاهل بك بالشام وهو البلد الذي يقال له الآن بعلبك وقيل البعل الرب بلغة اليمن والمعنى اتدعون بعض البعول (وتذرون احسن الخالقين) وتتركون عبادته وقد اشار فيه الى المقتضى للانكار المعنى بالهمزة ثم صرح به بقوله (الله ربكم ورب آبائكم الاولين) وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب وحفص بالنصب على البدل (فكذبوه فانهم لمحضرون) اي في العذاب وانما اطلقه اكتفاء بالقرينة او لان الاحضار المطلق مخصوص بالشر عرفا (الا عباد الله المخلصين) مستثنى من الواو لا من المحضرين لفساد المعنى (وتركنا عليه في الآخرين سلام على الياسين) لغة في الياس كسيناء وسينين وقيل جمع له مراد به هو واتباعه كالمهلبين لكن فيه ان العلم اذا جمع يجب تعريفه باللام او للمنسوب اليه بحذف ياء النسب كالاعجمين وهو قليل ملبس وقرأ نافع وابن عامر ويعقوب على اضافة آل الى ياسين لانهما في المصحف مفصولان فيكون ياسين ابا الياس وقيل محمد صلى الله عليه وسلم او القرآن او غيره من كتب الله والكل لا يناسب نظم سائر القصص ولا قوله (انا كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا المؤمنين) اذ الظاهر ان الضمير لالياس (وان لوطا لمن المرسلين اذ نجيناه واهله اجمعين الا عجوزا في الغابرين ثم دمرنا الآخرين) سبق بيانه (وانكم) يا اهل مكة (لتمرون عليهم) على منازلهم في متاجركم الى الشام فان سدوم في طريقه (مصبحين) داخلين في الصباح (وبالليل) اي ومساء او نهارا وليلا

(الذي)

القول بان الغلام الذبيح هو اسحق وان المبشر به في البشارتين واحد وتقرير الجواب ان مقتضى العطف تغاير البشارتين وهو حاصل وان فسر الغلام باسحق بناء على ان البشارة الاولى تتعلق بولادته والثانية بنبوته والمعنى وبشرناه بنبوة اسحق بعد ما امر بذبحه واخرت البشارة بنبوته من الاولى ولا يجوز ان يبشره الله تعالى بولادته ونبوته معا ثم يأمر بذبحه لان الامتحان بذبحه لا يصح مع علمه بانه سيكون نبيا لانه مع هذا العلم لا يحتمل الامر بالذبح على حقيقته ﴿قوله وفي ذكر الصلاح بعد النبوة﴾ جواب عما يقال ما فائدة ذكر الصلاح بعد ذكر النبوة اي مع انها تستلزم الصلاح فان كل نبي صالح فذكرها يغني عن ذكره فاجاب بان الفائدة في ذكر الصلاح بعد ذكر النبوة تعظيم لشأنه حيث لم يكتف في مقام المدح بما يدل عليه التزاما بل مدحه واثنى به عليه صريحا ﴿قوله بالفعل على الاطلاق﴾ جملة حالية اي وايماء بان الصلاح حال كونه مطلوبا على الاطلاق اي مع قطع النظر عن تقييده بكونه صلاح نفسه فقط بل ما يتناوله وصلاح قومه غاية النبوة لتضمنها معنى الكمال والتكميل فيكون كمال قومه وصلاحهم غاية لنبوته وفي اكثر النسخ متعلق بالتكميل اي تكميل الامة بحملهم على الاعمال الصالحة مطلقا فلما تضمنت النبوة تكميل الامة بالصلاح كان النبي الكامل بالصلاح من جملة الصالحين من الامة بسبب تكميله اياهم بالصلاح الذي هو غاية النبوة فكان ذكر كونه من الصالحين بعد ذكر نبوته ايماء بانه الغاية للنبوة بالفعل على الاطلاق وهو بالباء السببية المتعلقة بالايماء ﴿قوله البليغ في بيانه﴾ جعل استبان مبالغة بان بمعنى اوضح بناء على ان الكتاب بكماله في بيان الاحكام وتمييز الحلال من الحرام كأنه يطلب من نفسه ان يبينها ويحمل نفسه على ذلك يقال بان الشيء بيانا اي ظهر ظهورا وابانه اي اوضحه ﴿قوله تعالى اذ قال﴾ ظرف لمحذوف اي انه مرسل من المرسلين حين قال لقومه الا تتقون وهو استفهام بمعنى الامر ثم ذكر ما هو السبب لذلك الامر وهو عبادتهم البعل ﴿قوله وقيل البعل الرب بلغة اليمن﴾ يقولون من بعل هذه الدار اي من ربها وسمي الزوج بعلا بهذا المعنى قال تعالى وبعولتهن احق بردهن وقال هذا بعلي شيخا ﴿قوله احسن الخالقين﴾ اي المقدرين فان الخلق حقيقة في الاختراع والانشاء والابداع ويستعمل ايضا بمعنى التقدير وهو المراد به ههنا لان الخلق بمعنى الاختراع لا يتصور من غير الله تعالى حتى يكون هو احسنهم ﴿قوله بالنصب على البدل﴾ او المدح والباقون بالرفع اما على انه خبر مبتدأ محذوف اي هو الله ربكم واما على ان الجلالة مبتدأ وما بعدها خبره وروي عن حمزة انه كان اذا وصل نصب واذا وقف رفع وهو حسن جدا اذ فيه جمع بين الروايتين ﴿قوله وانما اطلقه﴾ اي الخلق احضارهم ولم يبين ما يحضرون فيه ولم يقيده به اكتفاء بدلالة القرينة عليه وهي التكذيب او لان الاطلاق تقييد له عرفا ﴿قوله مستثنى من الواو﴾ يعني انه مستثنى متصل من فاعل فكذبوه دلالة على من لم يكذبه فلذلك استثنى ولا يجوز ان يكون مستثنى من ضمير لمحضرون استثناء متصلا لان ضمير محضرون عبارة عن المكذبين فاستثناء المخلصين من ذلك الضمير يستلزم ان يكون المخلصين داخلين فيمن كذب لكنهم لم يحضروا لكونهم عباد الله المخلصين وجعله منقطعا مع صحة الاتصال من غير تكلف لا وجه له ﴿قوله لغة في الياس﴾ على ان الياس اسم عبراني تارة يستعملونه على لفظه وتارة يزيدون عليه ياء ونونا ولعل لهذه الزيادة وجها عند اهل اللغة كان سينا في قوله تعالى طور سينا وفي قوله تعالى وطور سينين بزيادة الياء والنون وقيل جمع الياس على الياسين جمع السلامة واطلق على نفس الياس ومتبعيه كما يقال المهلبون للمهلب واتباعه ورده الزمخشري بانه اذا جمع العلم جمع سلامة او ثني لزمته الالف واللام لانه اذا جمع وثني زال علميته فيقال الزيدان والزيدون والزينبات وقيل الياسين جمع الياسي المنسوب الى الياس اصله الياسيين حذفت ياء النسبة كما حذفت في العجميين اصله العجميين ﴿قوله وقيل محمد او القرآن﴾ عطف على قوله ابا الياس اي قيل المراد بياسين في قوله آل ياسين سيد المرسلين محمد عليه الصلاة والسلام على قول من قال يس اصله ياانسين تصغير انسان اقتصر على نصفه الاخير فكأن المعنى يا آل محمد واتباعه وقوله وقيل محمد صلى الله عليه وسلم قال الامام ابو الليث في تفسير سورة يس روي عن ابي حنيفة انه قال يس يعني محمد وروى معمر عن قتادة قال يس اسم من اسماء القرآن انتهى فالمعنى سلام على آل محمد او سلام على اهل القرآن او اهل غيره من كتب الله والكل بعيد اذ لم يسبق لشيء من ذلك ذكر حتى يقال وتركنا عليه هذه التحية قوله اذ الظاهر تعليل البعد وعدم المناسبة ﴿قوله داخلين في الصباح﴾ اشارة الى ان مصبحين حال من فاعل تمرون وانه من اصبح التامة وقوله وبالليل عطف على الحال قبلها اي ملتبسين بالليل والمراد من عطفه عليه اما تخصيص مرور اهل مكة على سدوم بوقت الصباح ووقت المساء

الذی هو خلاف الصباح لا اللیل کله او تعمیمه للاوقات کلها من اللیل والنهار والیه اشار بقوله او نهارا اولیلا
﴿ قوله ولعلها وقعت ﴾ تعلیل تخصیص مرورهم علی سدوم بوقتی الصباح والمساء ویحتمل ان یکون
وجه التخصیص ان من یسافر فی تلک الدیار یکون غالب مشیه فی طرفی النهار فیکون مروره علیها فی احد الوقتین
﴿ قوله واصله الهرب من السید الخ ﴾ یعنی ان الاباق حقیقة فی هرب المملوک من سیده واطلق علی هرب
یونس من قومه علی طریق الاستعارة تشبیهاله بالهرب من السید حیث لم یأذن له ربه ویجوز ان یکون مجازا مرسلا
من قبیل اطلاق المقید علی المطلق کاطلاق لفظ المرسن علی انف الانسان روی ان یونس لما دعا قومه الی الله تعالی
کذبوه فاخبرهم ان العذاب نازل بهم الی ثلاثة ایام وخرج من بینهم ینتظر هلاکهم فاتاهم مقدمات العذاب
فاخلصوا لله تعالی بالدعاء والتضرع بان فرقوا بین کل والدة وولدها ثم خرجوا الی الصحراء فتضرعوا الی الله تعالی
واستغفروه فصرف الله تعالی عنهم العذاب وقبل توبتهم وکان یونس ینتظر هلاکهم وشاهد کذلک رأی بعض من مر
علیه من اهل تلک المدینة فسأله عن حالهم فقال بخیر وعافیة فلما علم انهم لم یهلکوا استثقل ان یرجع الیهم مخافة
ان ینسب الی الکذب ویعیر به فذهب مغاضبا ای مستنکفا خجلا حتی اتی قوما فی سفینة فحملوه معهم وعرفوه
فلما دخل السفینة رکدت ولم تجر فقال ملاحوها یاهؤلاء ان فیکم رجلا عاصیا لان السفینة لاتفعل هذا الا اذا
کان فیها رجل عاص فقال التجارون جربنا مثل هذا فاذا رأیناه نقترع فمن خرج سهمه رمیه فی البحر لان یغرق
واحد خیر من غرق الکل فاقترعوا فخرج سهم یونس علیه السلام فقال الملاحون نحن احق بالمعصیة من نبی الله
تعالی ثم اعادوا الثانیة والثالثة فخرج سهم یونس علیه الصلاة والسلام فی کل ذلک فقال یاهؤلاء انا والله العاصی
فتلفف فی کسائه ثم قام علی رأس السفینة فرمی نفسه فی البحر فابتلعته السمکة فاوحی الله تعالی الی السمکة
ان لاتکسری منه عظما ولاتقطعی منه وصلا لانی جعلت بطنک له مسجدا ولم اجعله لک طعاما وروی ان یونس علیه
الصلاة والسلام لما ابتلعه الحوت ابتلع الحوت حوت آخر اکبر منه فلما استقر فی جوف الحوت احس انه قدمات
فحرک جوارحه فتحرکت فاذا هو حی فخر لله ساجدا وقال یارب اتخذت لک مسجدا لم یعبدک احد فی مثله وروی
ابو هریرة عن النبی صلی الله علیه وسلم انه قال سبح یونس فی بطن الحوت فسمعت الملائکة فقالوا ربنا نسمع صوتا
ضعیفا بارض غریبة فقال ذلک عبدی یونس عصانی فحبسته فی بطن الحوت فی البحر قالوا العبد الصالح الذی
کان یصعد الیک منه فی کل یوم ولیلة عمل صالح قال نعم فشفعوا له فامر الحوت فقذفه بالساحل فی ارض نصیبین
والعراء من التعری وهو الفضاء والصحراء الخالیة من النبات والاشجار المظلة وقد صار فی بطن الحوت کالفرخ
الممعوط لاشعر علیه وقدرق بدنه وضعف بحیث لایطیق حر الشمس وهبوب الریاح فانبت الله له شجرة من یقطین
قال اهل اللغة هو کل شجرة لیس لها ساق ولها ورق عریض وقال ابن عباس وابن مسعود وقتادة ومجاهد هو
القرع فکان یستظل بها وقیل کانت وعلة تجیئه ویشرب من لبنها لاتفارقه حتی اشتد وقال مقاتل مر الزمان
علی الشجرة فیبست فحزن یونس لذلک حزنا شدیدا وبکی فاوحی الله تعالی الیه تبکی علی شجرة نبتت فی ساعة
وتلفت فی ساعة ولاتبکی علی مائة الف او یزیدون ترکتهم فانطلق الیهم ﴿ قوله فقارع اهل ﴾ فان المساهمة
القاء السهام علی وجه القرعة وعن ابن عباس رضی الله عنهما قال کان یونس وقومه یسکنون فلسطین فغزاهم
ملک فسبی منهم تسعة اسباط ونصف سبط وبقی سبطان ونصف فاوحی الله الی شعیب النبی
ان ائت حزقیا الملک وقل له یوجه تلقاءهم نبیا قویا امینا فانی القی الرعب فی قلوب اولئک حتی یرسلوا معه بنی اسرائیل
فجاء شعیب الی حزقیا الملک فاخبره بذلک فقال له الملک فمن تری وکان فی مملکته خمسة من الانبیاء فقال یونس
فانه قوی امین فدعا الملک یونس وامره ان یخرج فقال یونس هل امرک باخراجی وهل سمانی لک باسمی فقال
لا ولکنی امرت ان ابعث قویا امینا وانت کذلک فابی یونس ان یخرج وقال ان فی بنی اسرائیل انبیاء اقویاء
غیری فألحوا علیه فخرج یونس من بینهم مغاضبا للنبی وللملک ولقومه فاتی بحر الروم فرکبها وفی التیسیر انه حین
یبست شجرة الیقطین بکی یونس فاوحی الله الیه بکیت علی شجرة یبست ولاتبکی علی مائة الف فی ید الکفار
﴿ قوله داخل فی الملامة ﴾ علی ان الهمزة فی الام کالهمزة فی أصبح وأمسی وقوله او آت بما یلام علیه او ملیم
نفسه * الجوهری یقال الام الرجل اذا اتی بما یلام علیه ومنه لام فلان غیر ملیم وفی المثل ای لائم ملیم ابو عبیدة یقال
الامه بمعنی لامه ﴿ قوله وقری بالفتح ﴾ ای بفتح المیم علی انه اسم مفعول من لام یلوم وهی شاذة والقیاس ملوم

ولعلها وقعت قریب منزل یمر بها المرتحل
عنه صباحا والقاصد له مساء (افلاتعقلون)
الیس فیکم عقل تعتبرون به (وان یونس
لمن المرسلین) وقری بکسر النون (اذ ابق)
هرب واصله الهرب من السید لکن لما کان
هربه من قومه بغیر اذن ربه حسن اطلاقه
علیه (الی الفلک المشحون) المملوء
(فساهم) فقارع اهله (فکان من
المدحضین) فصار من المغلوبین بالقرعة
واصله المزلق من مقام الظفر روی انه
لما وعد قومه بالعذاب خرج من بینهم قبل
ان یأمره الله فرکب السفینة فوقفت فقالوا
ههنا عبد آبق فاقترعوا فخرجت القرعة
علیه فقال انا الآبق ورمی بنفسه فی الماء
(فالتقمه الحوت) فابتلعه من اللقمة (وهو
ملیم) داخل فی الملامة او آت بما یلام علیه
اوملیم نفسه وقری ملیم بالفتح مبنیا من لیم
کمشیب فی مشوب

(فلولا انه كان من المسبحين) الذاكرين الله كثيرا بالتسبيح مدة عمره او في بطن الحوت وهو قوله لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين وقيل من المصلين (للبث في بطنه الى يوم يبعثون) حيا وقيل ميتا وفيه حث على اكثار الذكر وتعظيم لشأنه وان من اقبل عليه في السراء اخذ بيده عند الضراء (فنبذناه) بان حملنا الحوت على لفظه (بالعراء) بالمكان الخالي عما يغطيه من شجر او نبت روى ان الحوت سار مع السفينة رافعا رأسه يتنفس فيه يونس ويسبح حتى انتهوا الى البر فلفظه واختلف في مدة لبثه فقيل بعض يوم وقيل ثلاثة ايام وقيل سبعة وقيل عشرون وقيل اربعون (وهو سقيم) مما ناله قيل صار بدنه كبدن الطفل حين يولد (وأنبتنا عليه) اي فوقه (شجرة) مظلة عليه (من يقطين) من شجر ينبسط على وجه الارض ولا يقوم على ساقه يفعيل من قطن بالمكان اذا اقام به والاكثر على انها كانت الدباء غطته باوراقها من الذباب فانه لايقع عليه ويدل عليه انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم انك تحب القرع قال اجل هي شجرة اخي يونس وقيل التين وقيل الموز تغطى بورقه ويستظل باغصانه ويفطر على ثماره (وارسلناه الى مائة الف) هم قومه الذين هرب عنهم وهم اهل نينوى والمراد به ماسبق من ارساله او ارسال ثان اليهم او الى غيرهم (او يزيدون) في مرأى الناظر اي اذا نظر اليهم قال هم مائة الف او اكثر والمراد الوصف بالكثرة وقرئ بالواو (فآمنوا) فصدقوه او فجددوا الايمان به بمحضره (فمتعناهم الى حين) الى اجلهم المسمى ولعله انما لم يختم قصته وقصة لوط بما ختم به سائر القصص تفرقة بينهما وبين اصحاب الشرائع الكبراء واولى العزم من الرسل او اكتفاء بالتسليم الشامل لكل الرسل المذكورين في آخر السورة (فاستفتهم ألربك البنات ولهم البنون) معطوف على مثله في اول السورة امر رسوله اولا باستفتاء قريش عن وجه انكارهم البعث وساق الكلام في تقريره جاريا لما يلائمه من القصص موصولا بعضها ببعض ثم امر باستفتائهم عن وجه القسمة حيث جعلوا لله البنات ولانفسهم البنين في قولهم الملائكة بنات الله

مثل مصون لانه من ذوات الواو ولكن من قرأ بالياء اخذه من لم على كذا مبنيا للمفعول ومثله في ذلك شيب الشئ فهو مشيب ودعى فهو مدعى والقياس مشوب ومدعو لانهما من يشوب ويدعو ﴿ قوله وقيل من المصلين ﴾ روى ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما وقال وهب من العابدين وقال الحسن وما كانت له صلاة في بطن الحوت ولكنه قدم عملا صالحا ﴿ قوله بان حملنا الحوت على لفظه ﴾ يعني ان الاسناد في نبذناه مجازي من قبيل الاسناد الى السبب الحامل على الفعل ﴿ قوله من شجر ينبسط على وجه الارض ولا يقوم على ساقه ﴾ تفسير لليقطين كالقثاء والقرع والبطيخ والحنظل روى ذلك عن الحسن ومقاتل وقال البغوي المراد هنا القرع على قول جميع المفسرين فظهر من هذا القول ان بيان الشجرة باليقطين رد قول من زعم ان الشجر في كلامهم مايقوم على ساقه بل الصحيح انه اعم من ذلك وقوله تعالى والنجم والشجر لادليل فيه وهو من قبيل استعمال اللفظ العام في احد مدلولاته وقيل انبت الله اليقطين الخاص على ساق معجزة له قال الواحدي الآية تقتضي شيئين لم يذكرهما المفسرون احدهما ان هذا اليقطين كان مغروسا ومرفوعا لينتفع بظله اذلو كان منبسطا على الارض لم يمكن ان يستظل به ﴿ قوله هم قومه الذين هرب عنهم ﴾ فيكون المراد بقوله وارسلناه اليهم قبل الخروج من بينهم بناء على تكذيبهم اياه وقد وعده الله تعالى بانزال العذاب عليهم الى ثلاثة ايام لكفرهم ولا ينافيه ذكر الارسال بعد ذكر خروجه من بطن الحوت لان الواو لمطلق الجمع والمعنى ولكنا ارسلناه الى مائة الف او يزيدون فصدقوه بعد مفارقته اياهم حين جاءهم العذاب فمتعناهم اي فصرفنا عنهم العذاب وابقيناهم الى اجلهم المسمى او المعنى وارسلناه اليهم ثانيا بعد خروجه من بطن الحوت بان قلنا له عد اليهم وكن بينهم وسددهم فعاد اليهم فجددوا الايمان به بمحضرته وقد آمنوا حين زوال العذاب او المعنى وارسلناه ثانيا الى قوم آخرين ﴿ قوله في مرأى الناظر ﴾ اشارة الى ان كلمة او لتشكيك المخاطبين وابهام الامر عليهم لا للشك من المتكلم لاستحالة الشك على الله تعالى ﴿ قوله معطوف على مثله في اول السورة ﴾ اراد به قوله تعالى فاستفتهم أهم اشد خلقا ام من خلقنا قيل عليه انهم عدوا فصل المعطوف عن المعطوف عليه بجملة واحدة نحو كل لحما واضرب زيدا وخبزا من اقبح التراكيب فكيف فصله عنه بجمل كثيرة وقصص متباينة واجيب بان الفصل وان كثر مغتفر في عطف الجمل اذا كانت لتواصل ملائمة للمعطوف عليه موصولا بعضها ببعض وما في المثال المذكور من عطف المفرد حيث عطف فيه خبزا على لحما ﴿ قوله وساق الكلام في تقريره الى قوله موصولا بعضها ببعض ﴾ اشارة الى ان كثرة الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه لاتمنع صحة العطف اذا كان الفاصل بينهما موصولا بالمعطوف عليه بغير واسطة او بواسطة ووجه الاتصال في الآية من هذا القبيل يعرف بالتأمل * فان قلت عطف الاستفتاء الثاني على الاول يقتضي ان يكون الاستفتاء الثاني مرتبا على خلق السموات والارض كاستفتاء الاول فاوجهه * قلت وجهه ان ذلك الاجرام العظيمة كما دلت على قدرته على البعث دلت على تنزيهه تعالى عن اتخاذ الاناث اولادا وعن خلق الملائكة اناثا ﴿ قوله ثم امر ﴾ كلمة ثم ليست في موضعها لان المذكور في النظم الفاء وام في قوله تعالى خلقنا الملائكة جاز ان تكون منقطعة بمعنى بل التي تكون للانتقال من كلام الى كلام آخر وهمزة الاستفهام للانكار التوبيخي بمعنى اخلقنا الملائكة اناثا وهم حاضرون خلقنا اياهم وجاز ان تكون متصلة معادلة الهمزة حيث كانت التي قبلها معادلة الهمزة معها بمعنى اي التي لطلب التعيين كأن المستفهم يدعي ثبوت احد الامرين عنده ويطلب تعيينه منهم قائلا اي هذين الامرين تدعون احدهما ان تثبتوا لرب العالمين ماتستنكفون منه ولكم ماتشتهون وثانيهما ان تكون الملائكة اناثا وانكم حضرتم خلقنا الملائكة فرأيتم انا خلقناهم اناثا فاذا لم يمكنهم تعيين واحد منهما حصل تبكيتهم وظهر بطلان قولهم نقل عن المفسرين انهم قالوا ان قريشا واحياء من العرب جهينة وبني سلمة وخزاعة وبني مليح قالوا الملائكة بنات الله تعالى وهذا الكلام يشتمل على امرين احدهما اثبات ان الملائكة بنات الله وهو باطل وثانيهما انهم اناث وهذا ايضا باطل لان طريق العلم اما الحس السليم واما الخبر الصادق واما نظر العقل وكل ذلك مفقود اما الحس فظاهر اذلم يشاهدوا كيف خلق الله الملائكة وهو المراد بقوله تعالى ام خلقنا الملائكة اناثا وهم شاهدون وقوله لم يكن معرفته بالعقل الصرف فان ثبوت لوازم الماهية لها لما لم يكن مشروطا بخصوصية احد الوجودين وكانت ثابتة لها حال وجودها في العقل ايضا امكن معرفة ثبوتها لها بالعقل الصرف والاوتية من اللوازم الخارجية فلا يمكن معرفة ثبوتها وعروضها الا بالمشاهدة وكذلك الخبر الصادق لان الذين يخبرون عن هذا

(الحكم)

وهؤلاء زادوا على الشرك ضلالات اخر التجسيم وتجويز الفناء على الله تعالى فان الولادة مخصوصة بالاجسام الكائنة الفاسدة وتفضيل انفسهم عليه حيث جعلوا اوضع الجنسين له وارفعهما لهم واستهانتهم بالملائكة حيث انثوهم ولذلك كرر الله تعالى انكار ذلك وابطاله فى كتابه مرارا وجعله مما تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا والانكار ههنا مقصور على الاخيرين لاختصاص هذه الطائفة بهما ولان فسادهما مما تدركه العامة بمقتضى طباعهم حيث جعل المعادل للاستفهام عن التقسيم (ام خلقنا الملائكة اناثا وهم شاهدون) وانما خص علم المشاهدة لان امثال ذلك لا يعلم الا به فان الانوثة ليست من لوازم ذاتهم ليمكن معرفته بالعقل الصرف مع ما فيه من الاستهزاء والاشعار بانهم لفرط جهلهم يبتون به كانهم قد شاهدوا خلقهم (الا انهم من افكهم ليقولون ولد الله) لعدم ما يقتضيه وقيام ما ينفيه (وانهم لكاذبون) فيما يتدينون به وقرئ ولد الله اى الملائكة ولد فعل بمعنى مفعول يستوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث (أصطفى البنات على البنين) استفهام انكار واستبعاد والاصطفاء اخذ صفوة الشئ وعن نافع كسر الهمزة على حذف حرف الاستفهام لدلالة ام بعدها عليها او على الاثبات باضمار القول اى لكاذبون فى قولهم اصطفى او ابداله من ولد الله (مالكم كيف تحكمون) بما لا يرتضيه عقل (افلا تذكرون) انه منزه عن ذلك (ام لكم سلطان مبين) حجة واضحة نزلت عليكم من السماء بان الملائكة بناته (فأتوا بكتابكم) الذى انزل عليكم (ان كنتم صادقين) فى دعواكم (وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا) يعنى الملائكة ذكرهم باسم جنسهم وضعا منهم ان يبلغوا هذه المرتبة وقيل قالوا ان الله تعالى صاهر الجن فخرجت الملائكة وقيل قالوا الله والشيطان اخوان (ولقد علمت الجنة انهم) ان الكفرة او الانس او الجنة ان فسرت بغير الملائكة (لمحضرون) فى العذاب (سبحان الله عما يصفون) من الولد والنسب (الا عباد الله المخلصين) استثناء من المحضرين منقطع او متصل ان فسر الضمير بما يعمهم وما بينهما اعتراض او من يصفون

الحكم كذابون اذ كون لم يدل على صدقهم دليل وهو المراد بقوله تعالى الا انهم من افكهم ليقولون ولد الله وانهم لكاذبون واما النظر فبان تطالبهم بالدليل الدال على صحة مذهبهم فاذا لم يجدوا ما يدل عليها ظهر بطلان مذهبهم وهو المراد بقوله تعالى ام لكم سلطان مبين فأتوا بكتابكم ان كنتم صادقين ﴿ قوله لاختصاص هذه الطائفة بهما ﴾ اى لتفردها بهما وهو تعليل لوجه القصر وقوله حيث جعل المعادل بيان انه تعالى قصر الانكار عليهم وقوله لعدم ما يقتضيه تعليل لكون قولهم ولد الله ناشئا من الافك وهو صرف الكلام عن الحق الى الباطل ﴿ قوله وقرئ ولد الله ﴾ باضافة الولد الى الجلالة على انه خبر مبتدأ محذوف حذف لعلمه اى يقولون الملائكة ولده وقرأ العامة ولد الله على ان ولد فعل ماض مسند الى الجلالة اى اتى بالولد تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا والجمهور على فتح همزة اصطفى على انها همزة استفهام دخلت على الافعال والمقصود من الاستفهام الانكار والاستبعاد يعنى اتقولون الله اختار البنات على البنين مع نقصانهن ورضى بالاخس الادنى مالكم اى ماذا حملكم على هذا القول بغير حجة مع انه خلاف مقتضى العقل افلا تذكرون ما ركز فى العقول من ان من هو فى اعلى مراتب التنزه عما لسواه من سمات العجز والنقصان يستحيل فى شأنه ان يتصف بما تستحقوه اليه حذفت همزة الافعال استغناء عنها بهمزة الاستفهام فان شأن همزات الوصل سقوطها فى الدرج ﴿ قوله او على الاثبات ﴾ اى او على ان المقصود منه الاخبار لا الاستفهام وذكر له طريقين اضمار القول او ابداله من ولد الله وعلى التقديرين يكون من كلام الكفرة ﴿ قوله ذكرهم باسم جنسهم ﴾ مبنى على ما قالوا من اتحاد الجنس بين الجن والملائكة فمن خبث من الجن ومرد وكان شرا فهو شيطان ومن طهر واطاع ربه وكان خيرا فهو ملك وعن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال حى من الملائكة يقال لهم الجن ومنهم ابليس ولهذا فسر قوله تعالى الا ابليس كان من الجن بقوله اى من الملائكة فهو يجعل الاستثناء فى قوله تعالى فسجد الملائكة كلهم اجمعون الا ابليس متصلا ومن قال بان الملائكة بنات الله تعالى اراد به ذلك الحى منهم وقيل هم خزان الجنة وعلى القول بان الجن اسم جنس بمعنى من له الاجتنان عن الابصار وتحته نوعان الملك والشيطان يكون التعبير عن الملائكة بلفظ الجنة ذكرا لهم باسم جنسهم وضعا منهم ان يبلغوا هذا المرتبة اى حطا من درجتهم ان يبلغوا مرتبة ان يكون بينهم وبين الله تعالى نسبة الولادة وان يثبت له تعالى جنسية جامعة بينه وبينهم مثل ان يقال الرجل انه حيوان فانه وضع منه وتنقيص يقال وضع من فلان اذا حط عن درجته واعترض الامام على تفسير الجنة بالملائكة فقال هذا القول عندى مشكل لانه تعالى ابطل قولهم الملائكة بنات الله ثم عطف عليه قوله وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا والعطف يقتضى كون المعطوف مغايرا للمعطوف عليه فوجب ان يكون المراد بالجنة غير ما تقدم ﴿ قوله وقيل قالوا ان الله تعالى صاهر الجن ﴾ اى تزوج منهم قال مجاهد قالت كفار قريش الملائكة بنات الله فقال لهم ابو بكر رضى الله عنه فمن امهاتهم قالوا سروات الجن اى ساداتهم وهذا ايضا بعيد لان المصاهرة لا تسمى نسبا وروى ان قوما من الزنادقة يقولون ان الله وابليس اخوان فالله سبحانه هو الاخ الكريم الخير وابليس هو الاخ اللئيم الشرير وهذا مذهب المجوس القائلين باله الخير واله الشر وعليه فالمراد بالجنة والله اعلم فى قوله وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا هو الشياطين وبالنسب نسب الاخوة وهذه الآية رد وتقبيح لمذهب تلك الطائفة لعنهم الله قال الامام وهو اقرب الاقاويل عندى ﴿ قوله ان الكفرة ﴾ مبنى على تفسير الجنة بالملائكة اى والحال ان الملائكة عالمون بان الكفرة القائلين بهذه المقالة مبالغة فى تعظيم الملائكة كاذبون معذبون بتلك المقالة والمراد من ايراد هذه الجملة الحالية المبالغة فى تكذيب المشركين بعدما كذبهم بقوله وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا حيث سماهم بالجنة ووضع من قدرهم فهو على اسلوب قولك ان الذى مدحته وعظمته هو الذى يعلم انك كاذب وهو الذى يسعى فى نكالك وخزيك ﴿ قوله او الانس او الجنة ان فسرت بغير الملائكة ﴾ يعنى ان فسرت الجنة بالجن المقابل للانس كما فى قول من قال بالمصاهرة يجوز ان يرجع ضمير انهم الى الانس المعهودين وهم الكفرة القائلون بالمصاهرة اى والحال ان الانس عالمون بان الذين يعظمونهم كاذبون معذبون ويجوز ان يرجع الى الجن اى والحال ان الجن عالمون بان انفسهم محضرون النار ويعذبون فيها لان فيهم من آمن بالبعث والجزاء والحساب وصدق النبى صلى الله عليه وسلم كما ذكر فى سورة الجن ولو كان بينهم وبينه تعالى نسب لما عذبهم وكذا ان فسرت الجن بالشياطين يجوز الامران فى ضمير انهم ويكون المعنى كما تقرر فى تفسيرها بالجن ﴿ قوله منقطع ﴾ ومعناه ولكن المخلصين ناجون وان فسر ضمير انهم بالانس العام كما اشار اليه المصنف يكون الاستثناء

متصلا و على التقدير بن يكون قوله سبحان الله عما يصفون اعتراضا بين المستثنى و المستثنى منه و ان كان استثناء من واو يصفون يكون المعنى لكن عباد الله المخلصين يصفونه بما يليق به ﴿ قوله تعالى فانكم وما تعبدون ﴾ الواو فيه عاطفة و ما موصولة منصوبة المحل عطفا على اسم ان و ما انتم عليه ما نافية و انتم اسمها و بفاتنين خبرها و عليه متعلق بفاتنين و ضمير عليه لله و الجملة صلة من او صفته و مانع ما اتصل بها فى موضع رفع خبر ان و المعنى فانكم و معبودكم مفسدون للناس اشارة الى ان الفاتن بمعنى المضل و المفسد و ان مفعوله محذوف اى ما انتم بمضلين بسبب اغوائكم احدا بحمله على المعصية و اجترائه على الله بمخالفته و عصيانه من قولك فتن فلان على فلان امرأته اذا افسدها عليه و حملها على عصيان زوجها ﴿ قوله و يجوز ان يكون و ما تعبدون الى قوله سادا مسد الخبر ﴾ معطوف على معنى ما ذكره فى تفسير الآية فكأنه قال الواو فى وما تعبدون للعطف و خبران جملة ما انتم عليه بفاتنين و يجوز ان يكون بمعنى مع فحينئذ يكون و ما تعبدون سادا مسد الخبر ثم ابتدأ جملة اخرى فقال و ما انتم على ما تعبدونه بفاتنين فعلى هذا ضمير عليه لما تعبدون و عدى الفاتن بعلى لتضمنه معنى البعث و الحمل اى ما انتم بباعثين او حاملين احدا على عبادته على طريق الفتنة و الاضلال الا من هو صال مثلكم و الجمهور على كسر لام صال و اصله صالى على وزن فاعل من صلى فلان النار يصلى صليا اى احترق فاعل كقاض ثم سقط التنوين حال الاضافة و قرئ صال الجحيم بضم اللام و ذكر المصنف لها وجوها ثلاثة الاول ان يكون جمع صال و اصله صالون حذف نونه للاضافة و واوه لالتقاء الساكنين فحذفها الكاتب من الخط اتباعا للخط على لفظ الوصل و جاز جمعه مع قوله من هو حملا له على معنى من فان من مفرد اللفظ مجموع المعنى فحمل هو على لفظه و الصالون على معناه كما حمل فى مواضع من التنزيل على لفظ من و معناه فى آية واحدة منها قوله تعالى من اسلم وجهه لله و هو محسن فله اجره عند ربه ثم قال و لا خوف عليهم و لا هم يحزنون و منها قوله و منهم من يستمع اليك ثم قال و جعلنا على قلوبهم و منها قوله تعالى الا من كان هودا او نصارى حيث افرد فى كان و جمع فى هودا او نصارى و الثانى ان اصله صائل كما مر ثم قدم لام الكلمة الى موضع عينها فصار صائل ثم خفف بحذف لام الكلمة بعد قلب المكان فبقيت اللام مضمومة و تجرى وجوه الاعراب على اللام فى الاحوال الثلاث و يقال هذا صال و رأيت صالا و مررت بصال فيصير بحسب اللفظ مثل باب من قولك هذا باب و رأيت بابا و مررت بباب ﴿ قوله على القلب كشاك ﴾ يريد ان صال نظير شاك فى مجرد اعتبار المكان فيهما الا فى بناء الكلمة ايضا فان صال من المعتل اللام كما ذكر و شاك من الاجوف فان اصله شائك ففعل فيه قلب المكان فصار شاكى فاعل كقاض قال الجوهرى فى باب شوك الشوكة شدة البأس و الحد فى السلاح و قد شاك الرجل يشاك شوكا اى ظهرت شوكته و حدته فهو شائك السلاح و شاكى السلاح ايضا مقلوب منه و قال فى باب شك و رجل شاكى السلاح اذا كان ذا شوكة و حدة فى سلاحه قال الاخفش هو مقلوب من شائك انتهى قال الطيبى فكأنه لاتفاق على كون شاكى مقلوبا و الثالث ان اصله صال و هو مفرد كما فى الوجه الثانى الا انه حذفت لامه استثقالا لاحد فمنسيا و اجرى الاعراب على عين الكلمة و هذا اسهل من الحذف بعد القلب فانهم يتناسون اللام المحذوفة و يجرون الاعراب على العين و يعضد هذا الوجه قراءة قوله الجوار برفع الراء و جنى الجنتين دان برفع النون ﴿ قوله و يحتمل الخ ﴾ معطوف من حيث المعنى على كون جملة قوله الا عباد الله المخلصين استثناء من لمحضرون فان فيه اشارة الى ان الاستثناء من كلام الله اى جملة المستثنى منه و هى قوله و لقد علمت الجنة انهم لمحضرون من كلام الله تعالى بلا شبهة فيكون ما بينهما من الاعتراض ايضا من كلامه تعالى و كذا قوله فانكم و ما تعبدون الخ و ذكر ههنا انه يحتمل ان يكون الجميع من كلام الملائكة حتى تتصل حكاية كلامهم بذكرهم فى قوله و لقد علمت الجنة انهم لمحضرون فيكون الكلام من هنا الى قوله و انا لنحن المسبحون قصة واحدة كما قررها بقوله كأنه قال الخ ﴿ قوله ثم اعترفوا بالعبودية الخ ﴾ و ذلك لانهم اذا اعترفوا بتفاوت مراتبهم فى المعرفة و القربة و المشاهدة و بتفاوت مواضع عباداتهم فى السماء و بتفاوت ما ينتهون اليه من امر الله فى تدبير العالم فقد اعترفوا بانهم عبيده لا بناته المعبودون كما زعمت الكفرة و ذلك لان التفاوت لا يكون الا لكونهم عبيدا مأمورين مسخرين لحكم الله تعالى فيران لكل واحد منهم فى كل باب امرا لا يتجاوزه الا باذن الله ﴿ قوله فحذف الموصوف الخ ﴾ يريد ان تقدير قوله تعالى و ما منا الا له مقام معلوم و ما منا احد الا له مقام معلوم على ان احدا مبتدأ و الا له مقام صفة و منا المتقدم خبر المبتدأ قيل عليه ليس هذا من حذف الموصوف و اقامة الصفة مقامه لان الا له مقام ليس صفة للمبتدأ المحذوف و لا منا خبر له بل الحق ان منا صفة للمبتدأ

(فانكم وما تعبدون) عود الى خطابهم (ما انتم عليه) على الله (بفاتنين) مفسدين الناس بالاغواء (الا من هو صال الجحيم) الا من سبق فى علمه انه من اهل النار يصلاها لا محالة وانتم ضمير لهم ولآلهتهم غلب فيه المخاطب على الغائب ويجوز ان يكون وما تعبدون لما فيه من معنى المقارنة سادا مسد الخبر اى انكم وآلهتكم قرناء لا تزالون تعبدونها ما انتم على ما تعبدونه بفاتنين بباعثين على طريق الفتنة الا ضالا مستوجبا للنار مثلكم وقرئ صال بالضم على انه جمع محمول على معنى من ساقط واوه لالتقاء الساكنين او تخفيف صائل على القلب كشاك فى شائك او المحذوف منه كالمنسى كما فى قولهم ما باليت به بالة فان اصلها بالية كعافية (وما منا الا له مقام معلوم) حكاية اعتراف الملائكة بالعبودية للرد على عبدتهم والمعنى وما منا احد الا له مقام معلوم فى المعرفة والعبادة والانتهاء الى امر الله فى تدبير العالم لا يتجاوزه فحذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه ويحتمل ان يكون هذا وما قبله من قوله سبحان الله من كلامهم ليتصل بقوله ولقد علمت الجنة كأنه قال ولقد علم الملائكة ان المشركين يعذبون بذلك وقالوا سبحان الله تنزيها له عنه ثم استثنوا المخلصين تبرئة لهم منه ثم خاطبوا الكفرة بان الافتتان بذلك للشقاوة المقدرة ثم اعترفوا بالعبودية وتفاوت مراتبهم فيها (وانا لنحن الصافون) فى اداء الطاعة ومنازل الخدمة

(المحذوف)

المحذوف وجملة قوله الا له مقام معلوم خبره والتقدير ما احدمنا الا له مقام وحذف المبتدأ مع من جيد فصيح ولا يجوز كون الا له مقام في موضع الصفة لانهم قد نصوا على ان الا لا تكون صفة اذا حذف موصوفها وانها اذا فارقت غير اذا كانت صفة لتمكن غير في الوصف وعدم تمكن الا فيه وعند الكوفيين هو من قبيل حذف الموصول وابقاء الصلة اى وما منا الا من له مقام معلوم ﴿قوله المنزهون الله﴾ قدر مفعول المسبحون لان سوق الكلام للانكار على من يجعل بينهم وبينه تعالى نسبا وذلك يقتضى ان يكون مفعول المسبحون مرادا اى كيف يصح ذلك الجعل وما نحن الا عبيد اذلاء بين يديه ننزهه عما لا يليق به ولم يقدر مفعول الصافين اذ لا دخل لاعتبار تعلقه بمفعوله في الانكار المذكور بل يتم ذلك بان يقال نحن اذلاء بين يديه لكل منا مقام معلوم في اداء الطاعة ومنازل الخدمة نصطف فيه على حسب ما امرنا به ﴿قوله وما في ان واللام الخ﴾ جواب عما يقال الآية تدل على حصر الاصطفاف في مواقف الطاعة والتسبيح على الملائكة وما كتفى بذلك الحصر بل اكد ذلك بان واللام فانه وجه مع ان البشر ايضا يصطفون ويسبحون وتقرير الجواب ظاهر ﴿قوله وقيل هو من كلام النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين﴾ عطف على قوله حكاية اعتراف الملائكة فيكون مرتبطا بقوله تعالى فاستفتهم ألربك البنات ولهم البنون امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يستفتيهم ويسألهم على وجه الانكار والتقريع عن وجه هذه القسمة ثم امره بان يثنى على المؤمنين ويصفهم بالاعمال الصالحة من اداء الصلاة بالجماعات وتسبيح الله تعالى وتنزيهه عن ما اضاف اليه الكفرة مما لا يجوز في حقه ويبين ان كل واحد منهم له مقام معلوم في الجنة او بين يدى الله في يوم القيامة على حسب عمله الصالح تقريعا للكفرة بان لا منزلة لهم عند ربهم لخلوهم من الطاعة وتوغلهم في الجهالة ﴿قوله تبارك وتعالى وان كانوا ليقولون﴾ ان هي المخففة من الثقيلة واسمها مضمر وهو ضمير الشأن والامر اى ان الشأن والامر كان كفار مكة ليقولون كذا وكذا واللام هي الفارقة بينها وبين النافية وفي الاتيان بان المخففة واللام الفارقة دلالة على انهم كانوا يقولونه مؤكدين للقول جادين فيه فاكدين اول امرهم وآخره لما عقد الكفار بقوله فسوف يعلمون اردفه بما يقوى قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ولقد سبقت كلمتنا ثم فسر الكلمة بقوله انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون فيجوز ان لا يكون لها محل من الاعراب ويجوز ان تكون خبر مبتدأ محذوف او عطف بيان لكلمتنا او منصوبة المحل باضمار اعنى اى هي انهم لهم المنصورون او اعنى بالكلمة هذا الكلام الذى حكمه حكم الكلمة المفردة من حيث ان كلماته انتظمت لمعنى واحد كانتظام حروف الكلمة المفردة والحاصل ان كلماته لما اجتمعت وتضامت صارت كأنها شئ واحد ﴿قوله وهو باعتبار الغالب﴾ جواب عما يقال ما وجه الحصر المستفاد من هذه الكلمة وقد غلبوا في بعض الاوقات وتقرير الجواب ان حصر الغلبة والنصرة فيهم مبنى على ان الغالب كونهم منصورين غالبين والحكم للغالب وذلك لان المقتضى بالذات انما هو ذلك وما وقع في بعض الاحيان من الانهزام انما كان لعارض ادى اليه فان الانهزام من قبيل القضاء المعلق بما يليق بهم كمخالفة امر الوالى وطمع الدنيا والعجب والغرور وامثال ذلك ولا شك ان ما وقع لعارض قليل بالنسبة الى ما هو المقتضى بالذات ويمكن ان يقال انهم هم المنصورون في الدنيا على اعدائهم بكونهم مؤيدين بالحجج القاطعة الدالة على صدقهم وحقية امرهم وانهم هم الغالبون بها عليهم في الدنيا كما انهم غالبون عليهم في العقبى بالسعادات الابدية ولا ينافى كون الاستيلاء والغلبة الظاهرة للكفار على ندرة لحكمة اقتضت ذلك ﴿قوله والمراد بالامر الخ﴾ جواب عما يقال ان الامر بابصارهم يقتضى حصول الحالة وقت الامر بالابصار والحالة التى تنالهم حينئذ ليست موجودة وقت الامر بل هي منتظرة بعده فما وجه الامر بابصارهم ﴿قوله وسوف للوعيد لا للتبعيد﴾ كما تقول اصبر سوف ترى حالك تريد به التخويف والوعيد لا التسويف والتبعيد اذ قاله وانت بصدد الايذاء والعقاب فان قلت ان كونها للوعيد لا ينافى كونها للتبعيد مع صحة معنى التبعيد هنا ايضا فان ما قضى له عليه الصلاة والسلام من التأييد والنصرة وثواب الآخرة يجاز استبعاده فما معنى قوله لا للتبعيد قلت لما حمل سوف على معنى الوعيد بشهادة المقام تعين ان لا تكون للتبعيد لانها لو كانت للتبعيد لما فهم منها معنى الوعيد لا انا لا نقول بعموم المشترك ﴿قوله شبهه بجيش الخ﴾ اشارة الى ان قوله تعالى فاذا نزل بساحتهم استعارة تمثيلية شبه حال العذاب النازل بهم بعد ما انذروا به فانكروه بحال جيش انذر بهجومه قومه بعض نصحائهم فلم يلتفتوا الى انذاره حتى اناخ بفنائهم بغتة فاغار هم وقطع دابرهم فان ذلك التعبير حقيقة في هذه الهيئة المشبه بها فاطلق على الهيئة الاولى مجازا على طريق التمثيل وما نقل عن القراء من ان العرب تكتفى

(وانا لنحن المسبحون) المنزهون الله عما لا يليق به ولعل الاول اشارة الى درجاتهم في الطاعة وهذا في المعارف وما في ان واللام وتوسيط الفصل من التأكيد والاختصاص لانهم المواظبون على ذلك دائما من غير فترة دون غيرهم وقيل هو من كلام النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين والمعنى وما منا الا له مقام معلوم في الجنة او بين يدى الله في القيامة وانا لنحن الصافون له في الصلاة والمنزهون له من السوء (وان كانوا ليقولون) اى مشركوا قريش (لو ان عندنا ذكرا من الاولين) كتابا من الكتب التى نزلت عليهم (لكنا عباد الله المخلصين) لاخلصنا العبادة له ولم نخالف مثلهم (فكفروا به) اى لما جاءهم الذكر الذى هو اشرف الاذكار والمهيمن عليها (فسوف يعلمون) عاقبة كفرهم (ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين) اى وعدنا لهم بالنصر والغلبة وهو قوله تعالى (انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون) وهو باعتبار الغالب والمقضى بالذات وانما سماه كلمة وهى كلمات لانتظامها في معنى واحد (فتول عنهم) فاعرض عنهم (حتى حين) وهو الموعد لنصرك عليهم وهو يوم بدر وقيل يوم الفتح (وابصرهم) على ما ينالهم حينئذ والمراد بالامر الدلالة على ان ذلك كائن قريب كأنه قدامه (فسوف يبصرون) ما قضينا لك من التأييد والنصرة والثواب في الآخرة وسوف للوعيد لا للتبعيد (افبعذابنا يستعجلون) روى انه لما نزل فسوف يبصرون قالوا متى هذا فنزل (فاذا نزل بساحتهم) فاذا نزل العذاب بفنائهم شبهه بجيش هجمهم فاناخ بفنائهم بغتة وقيل الرسول وقرئ نزل على اسناده الى الجار والمجرور ونزل اى العذاب

(فساء صباح المنذرين) فبئس صباح المنذرين صباحهم واللام للجنس والصباح مستعار من صباح الجيش المبيت لوقت نزول العذاب ولما كثرت فيهم الهجوم والغارة في الصباح سموا الغارة صباحا وان وقعت في وقت آخر (وتول عنهم حتى حين وابصر فسوف يبصرون) تأكيد الى تأكيد واطلاق بعد تقييد للاشعار بانه يبصر وانهم يبصرون مالا يحيط به الذكر من اصناف المسرة وانواع المساءة او الاول لعذاب الدنيا والثاني لعذاب الآخرة (سبحان ربك رب العزة عما يصفون) عما قاله المشركون فيه على ماحكى في السورة واضافة الرب الى العزة لاختصاصها به اذ لا عزة الا له اولمن اعزه وقد ادرج فيه جملة صفاته السلبية والثبوتية مع الاشعار بالتوحيد (وسلام على المرسلين) تعميم للرسل بالتسليم بعد تخصيص بعضهم (والحمد لله رب العالمين) على ماافاض عليهم وعلى مااتبعهم من النعم وحسن العاقبة ولذلك اخره عن التسليم والمراد تعليم المؤمنين كيف يحمدونه ويسلمون على رسله وعن علي رضي الله عنه من احب ان يكتال بالمكيال الاوفى من الاجر يوم القيامة فليكن آخر كلامه اذا قام من مجلسه سبحان ربك الى آخر السورة وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ والصافات اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد كل جني وشيطان وتباعدت عنه مردة الشياطين وبرئ من الشرك وشهد له حافظاه يوم القيامة انه كان مؤمنا بالمرسلين

﴿ سورة ص مكية وآيها ست او ثمان وثمانون آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(ص) قرئ بالكسر لالتقاء الساكنين وقيل لانه امر من المصاداة بمعنى المعارضة ومنه الصدى فانه يعارض الصوت الاول اي عارض القرآن بعملك وبالفتح لذلك او بحذف حرف القسم وايصال فعله اليه او اضماره والفتح في موضع الجر فانها غير مصروفة لانها علم السورة وبالجر والتنوين

بذكر الساحة عن القوم يدل على ان التصرف في لفظ الساحة وماذكره المصنف ابلغ في افادة التهويل واحسن موقعا في النفوس ثم اشار الى ان ساء فعل ذم بمعنى بئس وان المخصوص بالذم محذوف وهو صباحهم واللام في المنذرين للجنس لا للعهد ليحصل به التفسير بعد الابهام فلو حملت على العهد لايحصل ذلك فان افعال المدح والذم موضوعة للمدح العام والذم العام اي لمدح المخصوص وذمه بجميع محاسن جنس الفاعل وقبائحه وذلك انما يكون بكون الفاعل معرفا بلام الجنس او مضافا الى المعرف بها نحو نعم صاحب القوم زيد ﴿ قوله مستعار من صباح الجيش المبيت ﴾ اسم فاعل من بيت العدو اذا اوقع بهم ليلا يقال بات يفعل كذا اذا فعله ليلا كما يقال ظل يفعل كذا اذا فعله نهارا فالجيش المبيت هم الذين ساروا نحو العدو ليلا فوصلوا ديارهم ومنازلهم وقت الصباح فوقعوا بهم من النهب والغارة ماشاؤا فيه فصباح الجيش المذكور وقت غارتهم فان عادة المغيرين ان يغيروا صباحا فلذلك خص الصباح بالذكر وان لم يتعين ان يكون نزول العذاب بهم في ذلك الوقت ولما تضمن قوله مستعار من صباح الجيش المبيت ان يكون الصباح زمان غارتهم في الاعم الاغلب ايده وقرره بانهم سموا الغارة صباحا وان وقعت في وقت آخر تسمية للشيء باسم زمانه ومحله ﴿ قوله تأكيد الى تأكيد ﴾ يعني انه كرر قوله فتول عنهم حتى حين على انه تأكيد منضم الى تأكيد فانه ذكر اولا تأكيدا لوعد المذكور بقوله انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون فان معناه اترك مقالة الكفار ثقة بما وعدناه من اظهار الاسلام على سائر الاديان وغلبة المسلمين فهو تأكيد لوعد السابق وذكره ثانيا تأكيدا الى تأكيد ويحتمل ان يكون معنى كل واحد مما ذكر ثانيا من قوله وتول عنهم حتى حين وقوله وابصر فسوف يبصرون تأكيدا لما ذكر اولا بضم احدهما الى الآخر وقوله واطلاق بعد تقييد يعني ان قوله اولا وابصرهم قيد بالمفعول فيكون قوله فسوف يبصرون مقيدا ايضا وان لم يذكر المعمول لدلالة المقام وفي هذه الآية اطلق كل واحد من الفعلين عن التقييد بالمفعول للتعميم ﴿ قوله لاختصاصها به ﴾ ادخل الباء على المقصور عليه يريد ان الرب بمعنى المالك فمعنى رب العزة صاحبها ومالكها فيفهم من اضافته اليها اختصاصها به وليس المراد ان الاضافة من حيث هي تفيد اختصاص المضاف اليه بالمضاف اذ من الظاهر انه ليس كذلك بل المراد بالعكس ﴿ قوله اولمن اعزه ﴾ اشارة الى انه يجوز ان يكون المراد بالعزة العزة المخلوقة الكائنة بعض خلقه لا العزة الذاتية الازلية التي هي من صفاته تعالى فيكون المعنى ان العزة الحادثة وان كانت صفة قائمة بغيره تعالى الا انها لما كانت مختصة به يضعها حيث شاء قال تعالى وتعز من تشاء والعزة هي الغلبة والقوة وهي لاتكون الا بكون القدرة في غاية الكمال كما ان الربوبية لاتكون الا بكمال الحكمة والرحمة المستلزمة للعلم والحياة والمشيئة فقوله رب العزة يندرج فيه جملة صفاته الثبوتية كما يندرج في قوله تعالى سبحان ربك جملة صفاته السلبية لانه تنزيه له تعالى عن جميع مالايليق بالالوهية ومن جملة مايصفونه به ان له شركاء شفعاء عنده فالقول عما يصفون نزه عن الشريك وهو اشعار بالتوحيد ﴿ قوله ولذلك ﴾ اي ولكون النعم المحمود عليها مشتملة على ماانعم الله تعالى به على المرسلين واتباعهم من النصرة على المشركين وكون جند الله هم الغالبين اخره عن التسليم لان المناسب ان يؤخر مايتعلق بالاتباع عما يتعلق بالمتبوع

﴿ سورة ص ثمانون وثماني آيات مكية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ قوله ص ﴾ الجمهور على اسكان الدال لان هذه الحروف التي في اوائل السور في الاصل اسماء لمسمياتها التي هي عنصر كلامهم وبسائطه موضوعة لتهجي مسمياتها اي لتعديدها باسمائها فان التهجي تعداد الحروف باسمائها ويقال لمسميات حروف التهجي لانها تهجى اي يتعلق بها التعداد باسمائها وحق الاسماء العارية عن العوامل ان تذكر موقوفة الاواخر ولذلك اجيز فيها الجمع بين الساكنين وقيل انه امر من المصاداة بمعنى المعارضة والمعادلة والمعنى عارض القرآن بعملك فاعمل باوامره وانته عن نواهيه فالواو في والقرآن على هذا بمعنى الباء كما اذا كانت للقسم قال الشيخ ابو علي وليس فيه اكثر من جعل الواو بمنزلة الباء في غير القسم وقرئ ايضا بفتح الدال من غير تنوين وذكر فيه ثلاثة اوجه الاول البناء على الفتح كاين وكيف هربا من اجتماع الساكنين واختار الفتحة لخفتها والثاني ان يكون معربا منصوبا بفعل القسم بعد حذف حرف القسم وجعله نسيا منسيا كما قيل في قوله تعالى واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا اي من قومه فحذف الجار وجعل كالنسي واوصل الفعل الى المجرور بنفسه فنصبه فكذا

هنا اذ الاصل اقسم او احلف بصاد فحذف الجار تسيا منسيا و اضمر فعل القسم ونصب ص كقولهم الله لأفعلنّ بالنصب وامتنع صرف ص للعلمية و التأنيث بناء على انها علم السورة و الثالث ان يكون علامجرورا باضمار حرف القسم كما تقول الله لأفعلنّ بالجرّ وفتح فى موضع الجرّ لمنع الصرف و الفرق بين الحذف و الاضمار ان فى الحذف لايبقى اثر المحذوف فى المعمول بل يكون المحذوف متروكا اصلا فيتعدى الفعل بنفسه الى المعمول كما فى واختار موسى قومه بخلاف الاضمار فان المضمر وان كان متروكا لفظا فانه باق من حيث الاثر كما فى الله لأفعلنّ بالجرّ فنى مثالنا على تقدير الحذف والايصال يكون ص منصوبا باقسم نفسه و على تقدير الاضمار العمل لحرف الجرّ المقدّر و عمل اقسم فى الجار و المجرور جميعا او فى المجرور ولكن بواسطة الجار المقدّر ويجوز ان يكون انتصاب ص على انه مفعول به لفعل مقدّر على تأويل اقرأ او اتل ص وان يكون فعلا ماضيا من صاد يصيد و يصاد صيدا على معنى صاد محمد قلوب العباد وقرئ ايضا بالجرّ و التنوين باضمار حرف القسم كقولهم الله لأفعلنّ الا انه صرف و نوّن لكونه اسما للكتاب و التنزيل فليس فيه الا العلمية ويجوز صرفه على تقدير كونه اسما للسورة ايضا مع تحقق العلمية و التأنيث حينئذ لان التأنيث المعنوى انما يكون متحتم التأثير اذا لم يكن ثلاثيا ساكن الوسط كهند و ص ولذلك قرئ بالضم من غير تنوين على انه اسم للسورة وهو خبر مبتدأ محذوف اى هذه ص ومنع الصرف للعلمية و التأنيث و حاصل كلام المصنف ان ص اما اسم او فعل من المصاداة و على تقدير كونه اسما لايخلو اما ان يكون اسما للحرف او للسورة او يكون اسما من اسماء الله تعالى وفى تفسير الامام النسفى قال ابن عباس رضى الله عنهما هو قسم باسم من اسماء الله تعالى و على تقدير كونه اسما للحرف لايخلو اما ان يكن ذكره للتحدى وتقدمه دلائل الاعجاز بمنزلة قرع العصا للايقاظ و التنبيه كأنه قيل تنبهوا ان ما يتلى عليكم كلام رب العالمين فاسمعوا واطيعوا حكمه فان كنتم فى ريب منه فأتوا بسورة من مثله من كلام مؤلف من جنس ما تألفون منه كلامكم او يكون ذكره لانه يرمز به الى كلام هو جزؤ منه كقوله قلت لها قفى فقالت قاف اى وقفت و على تقدير كونه اسما للسورة وكانت تسميتها به تنبيها على اعجازها من حيث انها مركبة من جنس ماهو مادة كلامهم ومع ذلك اعجزتهم معارضتها واتيان مثلها لايخلو اما ان يكون ذكره لانشاء القسم بمسماه او الاخبار بان هذا ص على انه خبر مبتدأ محذوف و المعنى هذه السورة التى اعجزت العرب بكمال بلاغتها و فصاحتها و الواو فى قوله تعالى و القرءآن للقسم على جميع هذه التقادير الا اذا جعل ص مقسما به على ان يكون اسما للسورة او اسما للحرف ويكون قسما بحرف من حروف المعجم او اسما من اسماء الله تعالى او مفتاح اسمه الصمد او صادق الوعد فان الواو حينئذ تكون للعطف لا للقسم لانهم استكرهوا توارد القسمين على مقسم عليه واحد قيل مضى جواب القسم الاوّل ﴿قوله او الامر بالمعادلة﴾ على التحدى ولم يذكر ما يدل على قوله ان محمدا لصادق على تقدير ان يكون الجواب المحذوف ذلك ولو قال دل عليه ما فى ص من الدلالة على التحدى او الامر بالمعادلة او الرمز الى نحو صدق محمد لكان اولى ﴿قوله او قوله بل الذين كفروا﴾ عطف على قوله ما فى ص يريد ان الجواب المحذوف هو قوله ما كفر به من كفر لخلل وجده فيه حذف لدلالة الاضراب عليه فان بل موضوعة لنفى حكم سبق حقيقة او توهما واثبات ما يناقضه فينبغى ان يقدر قبلها ما يناقض كون الكفرة فى تكبر عن قبول الحق وهو انه عليه الصلاة و السلام ليس فيه ما يوجب الكفر به بل هو نبى صادق فيما ادّعاه وانما كفر به من كفر لتكبره عن قبول الحق وشقاقه اى خلافه وعداوته له عليه الصلاة و السلام فان بل تقتضى رفع حكم توهم قبلها واثبات ما يناقضه فيكون بل اضرابا عن الجواب المحذوف ان جعل الجواب ما كفر به من كفر الخ ﴿قوله وعلى الاوّلين﴾ اى على ان يكون دليل الجواب ما فى ص من الدلالة على التحدى او من الدلالة على الامر بالمعادلة يكون الاضراب ايضا من الجواب المقدّر لكن من حيث اشعار ذلك الجواب بمعنى قوله ما كفر به من كفر لخلل وجده فيه و كم فى قوله تعالى كم اهلكنا مفعول اهلكنا ومن قرن تمييز ومن قبلهم لابتداء الغاية و المعنى كم اهلكنا من قرن اى من امة من الامم الخالية فنادوا اى استغاثوا عند نزول العذاب وقيل نادوا بالايمان و التوبة عند معاينة العذاب طلبا للخلاص فلم ينفعهم ذلك لانه كان حالة اليأس ﴿قوله اى ليس الحين حين مناص﴾ اشارة الى ان اسم لا المشبهة بليس محذوف وحين مناص منصوب على الخبرية وجه من جعلها مشبهة بالفعل صحة دخول تاء التأنيث عليها ولا التى لنفى الجنس مشبهة بالحرف وهو ان فلذلك تعمل عملها فلا وجه لدخول التاء عليها وجه من جعلها نافية للجنس انها كثيرة الاستعمال ولا التى بمعنى ليس

على تأويل الكتاب (و القرآن ذى الذكر) الواو للقسم ان جعل ص اسما للحرف مذكورا للتحدى او للرمز بكلام مثل صدق محمد او للسورة خبر المحذوف او لفظ الامر او للعطف ان جعل مقسما به و الجواب محذوف دل عليه ما فى ص من الدلالة على التحدى او الامر بالمعادلة اى انه لمعجز او لواجب العمل به او ان محمدا لصادق او قوله (بل الذين كفروا فى عزة وشقاق) اى ما كفر به من كفر لخلل وجده فيه بل الذين كفروا به فى عزة اى استكبار عن الحق وشقاق خلاف لله ولرسوله ولذلك كفروا به وعلى الاوّلين الاضراب ايضا من الجواب المقدّر ولكن من حيث اشعاره بذلك والمراد بالذكر العظة او الشرف او الشهرة او ذكر ما يحتاج اليه فى الدين من العقائد و الشرائع والمواعيد و التنكير فى عزة وشقاق للدلالة على شدتهما وقرئ فى غرة اى فى غفلة عما يجب عليهم النظر فيه (كم اهلكنا من قبلهم من قرن) وعيد لهم على كفرهم به استكبارا وشقاقا (فنادوا) استغاثة او توبة واستغفارا (ولات حين مناص) اى ليس الحين حين مناص ولا هى المشبهة بليس زيدت عليها تاء التأنيث للتأكيد كما زيدت على رب وثم وخصت بلزوم الاحيان وحذف احد المعمولين وقيل هى النافية للجنس اى ولا حين مناص لهم وقيل للفعل و النصب باضماره اى ولا ارى حين مناص

انما تكون فى الشعر فوجب ان يحمل ماورد فى القرآن على الشائع الكثير لا على النادر القليل وان كانت نافية للجنس وعاملة عمل ان يكون انتصاب حين مناص على انه اسمها ويكون خبرها محذوفا والتقدير ولات حين مناص لهم كما تقول لا غلام سفر لك واعرب اسمها لكونه مضافا وقيل هى نافية للفعل المقدر بعدها وحين مناص منصوب بذلك المقدر اى لات ارى حين مناص لهم بمعنى لست ارى ذلك ومثله لا مرحبا بهم ولا اهلا ولا سهلا اى لا اتوا مرحبا ولا وطئوا سهلا ولا اهلوا اهلا وقرئ برفع حين على انه اسم لا بمعنى ليس وخبرها محذوف اى لات حين مناص حاصلا لهم وقد اشار الى هذه القرآءة ووجهها سابقا عند بيان ان لا فى لات هى المشبهة بليس بقوله وخصت بلزوم الاحيان وحذف احد المعمولين فمن قرأ بنصب حين جعلها محذوفة الاسم ومن قرأ برفعه جعلها محذوفة الخبر وقوله او مبتدأ وجه ثان لقرآءة الرفع وهو ما اشار اليه صاحب الكشاف بقوله وعن الاخفش ان ما ينتصب بعدها منصوب بفعل مقدر وما يرتفع بعدها مرفوع بالابتدآء وقوله محذوف الخبر صفة لكل واحد من الاسم والمبتدأ ﴿ قوله طلبوا صلحنا ﴾ اى طلبوا منا والحال ان الاوان ليس اوان الصلح فاجبناهم ان ليس الحين حين ابقاء ومسالمة وضع البقاء موضع الابقاء كما يوضع العطاء موضع الاعطاء وقيل جاز ان يحمل على الظاهر على انه كناية عن نفى الابقاء وذكر لقراءة بكسر حين وجهين الاول ان تجره لات كما ان لولا تجر الضمائر ذكر فى شرح الرضى فى بحث لعل ان لولا الداخلة على الضمير المجرور حرف جر لا متعلق لها عند سيبويه ثم لا يجوز ان تكون لات حين مناص ولات اوان من هذا القبيل وتمام البيت

* أومت بكفيها من الهودج * لولاك هذا العام لم احجج *

والثانى يتوقف بيانه على بيان وجه الكسر فى اوان فى البيت المذكور وبيان وجه الكسر فيه يتوقف على بيان كسر اذ فى قوله

* جاءك ايها القلب القريح * ستلق من تحب وتستريح *

* نهيتك عن طلابك ام عمرو * لعاقبة وانت اذ صحيح *

اى الزم صبرك وحبك لا تجزع جزعا فيصا فانى قد نهيتك عن مطالبتك اياها وذكرت لك سبب نهيى عنها وهو سوء عاقبة الهوى ووخامتها وانت اذذاك اى فى زمان النهى صحيح القلب فلم تقبل نصحى ولم تنته بنهيى فلا حيلة بعده سوى الصبر الجميل ووجه كسر اذ ان اصله اذذاك فحذف ذاك ووضع التنوين موضعه فالتقى ساكنان الذال والتنوين فحرك الذال بالكسر لانه الاصل فى تحريك الساكن فصار اذ ووجه كسر اوان ان اصله اوان صلح فحذف منه المضاف اليه ووضع التنوين موضعه ثم كسرت النون المفتوحة وان لم يجتمع ساكنان تشبيها لاوان باذ لانه زمان قطع منه المضاف اليه ونون عوضا عنه كاذ فصار ولات اوان بالكسر والتنوين اذا تقرر هذا فنقول ان حين وان لم يكن مقطوعا عن الاضافة منونا عوضا عنها حتى يشبه فى ذلك باذ فيكسر حملا عليها الا انه لما كان مضافا الى مناص المقطوع عن الاضافة المنون عوضا عنها صار كانه هو المقطوع المنون لتنزيل المضاف والمضاف اليه بمنزلة شئ واحد بسبب الاضافة فلما كان الحين ظرفا منزلا منزلة المقطوع عن الاضافة المنون عوضا ناسب فى ذلك لقوله لات اوان فكسر حملا عليه وهو المراد بقول المصنف ثم حمل عليه مناص اى حمل عليه حين فى ولات حين مناص حيث جعل مكسورا مثله وليس محمولا على ظاهره لانه فى صدد بيان وجه القرآءة بكسر حين ولا كلام فى كسر مناص ولو قال ثم حمل عليه حين تنزيلا له منزلة ما اضيف هو اليه اعنى مناص لكان اظهر واسلم من المسامحة ولعل الوجه فى ارتكابها تأييد تنزيل المضاف والمضاف اليه منزلة شئ واحد حتى صح لذلك ان يعبر بكل واحد منهما عن الآخر وقوله ثم بنى الحين لاضافته الى غير متمكن مبنى على التنزيل المذكور وذلك لان ضمير اضافته راجع الى الحين وهو ليس بمضاف الى غير المتمكن وهو الضمير بل المضاف اليه انما هو مناص بجعل اضافة المناص الى الضمير بمنزلة اضافة الحين اليه بناء على ذلك التنزيل ولما لم يوجد كسر حين على وجه ظهر انها ليست بسبب اقتضاء العامل اياها بل كانت كسرة بنائية تعرض لوجه بنائه بقوله ثم بنى الحين الخ فان قيل لما جعل حين بمنزلة المقطوع عن الاضافة كفى ذلك فى بنائه كما ذكر فى بناء قبل وبعد فلا حاجة الى اعتبار كونه مضافا الى غير متمكن فى وجه بنائه فقلنا انما يكفى فى بناء الاسم كونه مقطوعا عنها حقيقة مثل قبل وبعد واما كونه بمنزلة المقطوع عنها بناء على اتحاده بما هو مقطوع عنها بوجه ما فلا يكفى ذلك فى كونه سببا بناء وان كفى فى مناسبته باوان فلذلك احتيج فى بنائه الى اعتبار

(اضافته)

وقرئ بالرفع على انه اسم لا او مبتدأ محذوف الخبر اى ليس حين مناص حاصلا لهم او لا حين مناص كائن لهم وبالكسر كقوله

طلبوا صلحنا ولات اوان *

فاجبنا ان لات حين بقاء *

اما لان لات تجر الاحيان كما ان لولا تجر الضمائر فى نحو قوله

لولاك هذا العام لم احجج *

او لان اوان شبه باذ *

لانه مقطوع عن الاضافة اذ اصله اوان صلح ثم حمل عليه مناص تنزيلا لما اضيف اليه الظرف منزلته لما بينهما من الاتحاد اذ اصله حين مناصهم ثم بنى الحين لاضافته الى غير متمكن

اضافته الى غير المتمكن اى الى غير المعرب وفى شرح الرضى ومعنى المتمكن كون الاسم معربا وماقيل من ان الاضافة الى الضمير لاتوجب البناء كما فى غلامك وغلامه يمكن دفعه بان يقال سلمنا انها لاتوجب البناء الا انه لايلزم منه ان لاتكون مجوزة له فان مناسبة المبنى تجوز البناء لكن يرد على ماقيل من ان مناص اذا لم يبن مع كونه مقطوعا عن الاضافة الى غير المتمكن واجتماع الامرين فيه فلأن لايبنى الحين مع بعده من غير المتمكن وعدم كونه مقطوعا من الاضافة حقيقة اولى «قوله ولات بالكسر» يعنى ان الاكثر تحريك لات بالفتح حال الوصل وقرئ بكسرها كجير واما حال الوقف فمنهم من يقف كما يقف على الاسماء المؤنثة ومنهم من يقف كما يقف على الفعل الذى يتصل به تاء التأنيث «قوله ولا يرد عليه» اشارة الى ماذكره صاحب الكشاف من ان اتصال التاء بحين فى مصحف عثمان رضى الله عنه لايدل على زيادتها على حين لانه كم وجد فى المصحف اشياء خارجة عن قياس الخط فلعل هذا من جملتها * اجاب عنه المصنف بانه امام المصاحف فالاصل اعتبار خطه والمتابعة له الا فيما قام الدليل على مخالفته مثل ان يوصل فيه الحرف ويدل الدليل على قطعه او يقطع ويقوم الدليل على وصله فاذا ثبت هنا ان التاء كتبت موصولة تحكم بكونها مزيدة عليه اذلادليل على خلافه بجواز ان يكون حين وتحين لغتين بمعنى ويدل عليه قوله العاطفون تحين لامن عاطف اى حين لامن عاطف «قوله والمناص المنجى» اى موضع النجاة والفوت عن الخصم على انه مفعل من ناصه ينوصه اذا فاته اريد به المصدر ويقال ناص ينوص اى هرب ويقال ايضا ناص ينوص اى تأخر ومنه ناص عن قرنه اى تأخر عنه جبنا والذى يفهم من تفسير المصنف ان قوله تعالى فنادوا لم يعتبر تعلقه بالمفعول بل المعنى انهم فعلوا النداء على طريق الاستغاثة او التوبة لطلب النجاة والخلاص من العذاب والحال ان ليس الحين حين النجاة وقال الكلبى كانوا اذا قاتلوا فاضطروا نادى بعضهم لبعض مناص اى عليكم بالفرار فلما اتاهم العذاب قالوا مناص فقال الله لهم ولات حين مناص قال القشيرى فعلى هذا يكون التقدير فنادوا مناص فحذف لدلالة مابعده عليه وقيل فيكون قد حذف المفعول وهو بمعنى ماينادون به وهو مناص والتقدير فنادوا بعضهم بهذا اللفظ «قوله تعالى وعجبوا ان جاءهم منذر» اى لان او من ان جاءهم لما حكى الله تعالى من الكفار كونهم فى عزة وشقاق اتبعهم بذكر كلماتهم الفاسدة فانهم قالوا ان محمدا مساو لنا فى الخلقة الظاهرة والاخلاق الباطنة والنسب والشكل والصورة فكيف يعقل انه يختص من بيننا بهذا المنصب العالى فنسبوه الى السحر والكذب ثم تعجبوا من دعوته الى التوحيد بقولهم اجعل الآلهة الها واحدا فان الاستفهام فيه بمعنى التعجب ولهذا قالوا ان هذا لشئ عجاب والها مفعول ثان لجعل لانه بمعنى صير اى صيرهم الها واحدا فى قوله وزعمه لان ذلك فى العقل محال اذ لايقدر احد ان يجعل الجماعة انسانا واحدا مثلا «قوله بليغ فى العجب» فان العجاب بمعنى العجيب وهو الامر الذى يتعجب منه الا ان العجاب ابلغ منه والعجاب بالتشديد ابلغ من العجاب بالتخفيف كما ان الكرام مشددا ابلغ من المخفف «قوله ولا تميل كل الميل عليهم» اى لاتظلمهم يقال مال عليه اذا ظلمه «قوله وتدين لكم» اى يطيعكم الدين الطاعة ودان له اى اطاعه «قوله قالوا نعم وعشرا» وعد منهم باعطاء تلك الكلمة بشرط ان يتركهم ولايلزمهم العدول عما يدينون ويترك ذكر آلهتهم وقوله عليه الصلاة والسلام قولوا * لا اله الا الله * الزام باعطاء ماوعدوه وقبل ان يتحقق منه الترك لان الامر والالزام ينافى الترك فكيف يصح ان يطلب منهم انجاز ماوعدوه مع الالزام عليهم والجواب ان مقصوده صلى الله عليه وسلم عرض الكلمة التى يطلبها منهم بعد تركهم وآلهتهم لاالالزام فى الحال * فان قيل ماوجه قوله عليه الصلاة والسلام ان اعطيتكم ماسألتم من ترك ذكر آلهتكم مع ان اعطاء هذا المسئول اياهم يستلزم ترك ذكر كلمة التوحيد لانها ذكر لآلهتهم بالنفى وهذه الكلمة لايصح تركها * قلنا لعله عليه الصلاة والسلام اضمر ان لايذكر آلهتهم بصريح اسمائهم «قوله وانطلق اشراف قريش» اشارة الى ان الملأ الاشراف لامطلق الجماعة كما فى الصحاح ويقال للاشراف ملأ لانهم اذا حضروا مجلسا امتلأت العيون من وجاهتهم والقلوب من مهابتهم والتبكيت اسكات الخصم بالفصاحة والزامه بالحجة «قوله قائلين بعضهم لبعض امشوا» بيان لحاصل المعنى لاتقدير لكون ان مفسرة لمعمول صريح القول المقدر فانه خلاف المشهور فلذلك لم يأت بان فيه «قوله يشعر بالقول» فان أن المفسرة لاتفسر الا مفعولا مقدرا لفظ دال على معنى القول كقوله تعالى وناديناه ان يا ابراهيم فان نادينا دال على ان ان يا ابراهيم مفسر لمعمول مقدر لفظ دال على معنى القول وذلك اللفظ هو ناديناه وقد يفسر به المفعول الظاهر

ولات بالكسر كجير وتقف الكوفية عليها بالهاء كالاسماء والبصرية بالتاء كالافعال وقيل ان التاء مزيدة على حين لاتصالها به فى الامام ولا يرد عليه ان خط المصحف خارج عن القياس اذ مثله لم يعهد فيه والاصل اعتباره الا فيما خصه الدليل ولقوله * العاطفون تحين لامن عاطف * والمطعمون زمان مامن مطعم * والمناص المنجى من ناصه ينوصه اذا فاته (وعجبوا ان جاءهم منذر منهم) بشر مثلهم او امى من عدادهم (وقال الكافرون) وضع فيه الظاهر موضع الضمير غضبا عليهم وذما لهم واشعارا بان كفرهم جسرهم على هذا القول (هذا ساحر) فيما يظهره معجزة (كذاب) فيما يقول على الله تعالى (أجعل الآلهة الها واحدا) بان جعل الالوهية التى كانت لهم لواحد (ان هذا لشئ عجاب) بليغ فى العجب فانه خلاف ما اطبق عليه آباؤنا وما نشاهده من ان الواحد لايفى علمه وقدرته بالاشياء الكثيرة وقرئ مشددا وهو ابلغ ككرام وكرام وروى انه لما اسلم عمر رضى الله عنه شق ذلك على قريش فاتوا ابا طالب فقالوا انت شيخنا وكبيرنا وقد علمت مافعل هؤلاء السفهاء وانا جئناك لتقضى بيننا وبين ابن اخيك فاستحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال هؤلاء قومك يسألونك السؤال فلا تمل كل الميل عليهم فقال صلى الله عليه وسلم ماذا تسألوننى قالوا ارفضنا وارفض ذكر آلهتنا وندعك والهك فقال أرأيتم ان اعطيتكم ماسألتم أمعطى انتم كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم قالوا نعم وعشرا فقال قولوا لا اله الا الله فقاموا وقالوا ذلك (وانطلق الملأ منهم) وانطلق اشراف قريش من مجلس ابى طالب بعد مابكتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم (ان امشوا) قائلين بعضهم لبعض امشوا (واصبروا) واثبتوا (على آلهتكم) على عبادتها فلا ينفعكم مكالمته وان هى المفسرة لان الانطلاق

من مجلس التقاول يشعر بالقول وقيل المراد بالانطلاق الاندفاع فى القول وامشوا من مشت المرأة اذا كثرت ولادتها ومنه الماشية اى اجتمعوا وقرئ بغير ان وقرئ يمشون ان اصبروا (ان هذا لشئ يراد) ان هذا الامر لشئ من ريب الزمان يراد بنا فلا مرد له او ان هذا الذى يدعيه من التوحيد او يقصده من الرياسة والترفع على العرب والعجم لشئ يتمنى او يريده كل احد او ان دينكم لشئ يطلب ليؤخذ منكم وتغلبوا عليه (ما سمعنا بهذا) بالذى يقوله (فى الملة الآخرة) فى الملة التى ادركنا عليها آباءنا او فى ملة عيسى عليه السلام التى هى آخر الملل فان النصارى يثلثون ويجوز ان يكون حالا من هذا اى ما سمعنا من اهل الكتاب ولا الكهان بالتوحيد كائنا فى الملة المترقبة (ان هذا الا اختلاق) كذب اختلقه (ءانزل عليه الذكر من بيننا) انكار لاختصاصه بالوحى وهو مثلهم اوادون منهم فى الشرف والرياسة كقولهم لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وامثال ذلك دليل على ان مبدأ تكذيبهم لم يكن الا الحسد وقصور النظر على الحطام الدنيوى (بل هم فى شك من ذكرى) من القرآن او الوحى لميلهم الى التقليد واعراضهم عن الدليل وليس فى عقيدتهم ما يبتون به من قولهم هذا ساحر كذاب ان هذا الا اختلاق (بل لما يذوقوا عذاب) بل لم يذوقوا عذابى بعد فاذا ذاقوه زال شكهم والمعنى انهم لا يصدقون به حتى يمسهم العذاب فيلجئهم الى تصديقه (ام عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب) بل أعندهم خزائن رحمته وفى تصرفهم حتى يصيبوا بها من شاؤا ويصرفوها عن شاؤا فيتخيروا للنبوة بعض صناديدهم والمعنى ان النبوة عطية من الله يتفضل بها على من يشاء من عباده لا مانع له فانه العزيز اى الغالب الذى لا يغلب الوهاب الذى له ان يهب كل ما يشاء لمن يشاء

كقوله تعالى اذ اوحينا الى امك ما يوحى ان اقذفيه فى التابوت والمختار انه لا يجوز ان يفسر به مفعول صريح القول ظاهرا كان او مقدرا روى عن الزمخشرى انه قال واما فعل القول فيجئ بعده الكلام من غير ان يتوسط بينهما حرف التفسير لا يقال قلت له ان قم وذلك لان التفسير يقتضى سبق المبهم ليوضحه المفسر ويبين ان المراد به ماهو ولا فائدة فى تقدير مقول القول مبهما ثم تفسيره بنفس القول بل يتعدى اليه فعل القول اولا فيقال قلت له قم مثلا وقد جوز بعضهم ذلك مستندا لقوله تعالى ما قلت لهم الا ما امرتنى به ان اعبدوا الله وجعل قوله ان اعبدوا الله تفسيرا لما فى قوله ما امرتنى وما مفعول ظاهر لامرتنى الذى فيه معنى القول ولا استدلال بالمحتمل وتمثيل المجوز لتفسيرها لمفعول صريح القول بقوله تعالى وانطلق الملأ منهم ان امشوا فقال التقدير قائلا بعضهم لبعض ان امشوا واجيب بان صريح القول المقدر كالفعل المأول بالقول فى عدم الظهور او بان انطلق متضمن معنى القول لان المنطلقين من مجلس يتذاكرون ماجرى فيه ويتكلمون به وحاصل الجواب الثانى منع كونه تفسيرا لصريح القول المقدر ببيان انه تفسير لمعمول انطلق باعتبار تضمنه معنى القول ورد عليه ان تضمن انطلق معنى التقاول بما جرى فى ذلك المجلس لا دخل له فى كون ان هذه مفسرة لمعمول انطلق وانما يكون ذلك ان لو كان مدخول ان ما جرى بينهم فى المجلس وليس كذلك وسكت المصنف عن تقدير قول المنطلقين بما جرى فى المجلس لئلا يرد عليه ما ذكر ولانه لا مدخل له فى هذا الغرض اصلا ولا هو لازم للانطلاق عن مجلس التقاول قطعا وانما اللازم بحسب العادة المألوفة ان ينطلقوا متقاولين غير ساكتين فلذلك كان ذلك مشعرا بالقول ومؤديا معناه مثل الامر فى قولك امرتك ان قم فقوله قائلين بعضهم لبعض تصريح بما اشعر به انطلق وبيان لحاصل المعنى لا تقدير للقول ليكون ان امشوا تفسيرا لمعموله على خلاف المختار وقوله وقيل المراد عطف على قوله لان الانطلاق على انه وجه ثان لكون انطلق دالا على معنى القول مؤديا معناه وتقريره ان ليس المراد بقوله وانطلق الملأ منهم ذهبوا عن مجلس التقاول بل انهم اندفعوا اى حاضروا وشرعوا فى القول وهم حاضرون فى ذلك المجلس فقالوا امشوا اى اكثروا واجتمعوا فان مفسرة له من غير ارتكاب تضمين ه الجوهرى مشت المرأة تمشى مشاء بالمد اذا كثر ولدها ومشت الشاة اذا كثر نسلها وناقة ماشية كثيرة الاولاد فقولهم امشوا امادعاء لهم بالكثرة والازدياد او امر بالاجتماع والاتفاق ﴿ قوله وقرئ بغير ان ﴾ اى وانطلق الملأ منهم امشوا على اضمار القول اى قائلين امشوا بخلاف ما اذا قرئ بان فالقول حينئذ ليس بمقدر بل يشعر به انطلق كامر ﴿ قوله فى الملة التى ادركنا عليها آباءنا ﴾ اى يحتمل ان يكون المراد بالملة الآخرة ملة قريش ودينهم الذى هم عليه فانها متأخرة عما تقدم عليها من الاديان والملل ويحتمل ان يراد بها ملة عيسى عليه الصلاة والسلام التى هى آخر الملل من اهل الكتاب وعلى التقديرين يكون فى الملة ظرفا لغوا لسمعنا ويجوز ان يكون ظرفا مستقرا متعلقا بمحذوف على انه حال من اسم الاشارة والملة الآخرة بمعنى الملة المترقبة اى ما سمعنا ان تتخذ مثل هذا يعنون به توحيد الله تعالى كائنا فى الملة المترقبة ﴿ قوله وليس فى عقيدتهم الخ ﴾ اشارة الى ان بل هم فى شك اضراب عن انكارهم صدق النبى صلى الله عليه وسلم وكون القرآن من عند الله على سبيل البت والقطع بقولهم هذا ساحر كذاب وان هذا الا اختلاق اخبر اولا انهم يقطعون فى انكار الامرين ثم اضرب عنه وابطل كون ذينك القولين منهم عن اعتقاد وصميم قلب ببيان انهم شاكون مترددون فى حقية القرآن وصدق النبى صلى الله عليه وسلم فحين نظروا الى نظم القرآن واعجازه والى كون النبى صلى الله عليه وسلم مؤيدا بالمعجزات الباهرة قالوا بحقيتهما وحين نظروا الى لزوم كونهم تابعين بعدما صاروا رؤساء متبوعين وعسر عليهم الخروج من تقليد الآباء وترك العادات المألوفة قالوا ببطلانهما لكن لا على طريق الجزم وما وقع منهم من صورة البت والقطع فى بطلان امرهما انما حملهم على ذلك توغلهم فى الحسد لا انهم يعتقدون ذلك ويقطعون به فقوله تعالى بل هم فى شك من ذكرى ثم اضرب عن كونهم على الشك ببيان انهم لا يستقرون عليه وانما يشكون الى ان يمسهم العذاب ودل على ما قلنا من ان قوله بل لما يذوقوا عذاب اضراب عن قوله بل هم فى شك من ذكرى قول المصنف فاذا ذاقوه زال عنهم شكهم والانسب ان يكون اضرابا عن مجموع الجملتين السابقتين المبنية احداهما على حسدهم والاخرى على شكهم وهما ان هذا الا اختلاق وبل هم فى شك وقوله ءانزل عليه الذكر من بيننا تأكيد وبيان لقوله ان هذا الا اختلاق كما فى الكشاف حيث قال فاذا ذاقوه زال عنهم ما بهم من الشك والحسد فانه لو جعل الاضراب من قوله بل هم فى شك من ذكرى وحده لم يكن لذكر الحسد هنا معنى ﴿ قوله بل أعندهم خزائن رحمته ﴾ اشارة

الى ان ام منقطعة بمعنى بل و همزة الاستفهام الانكارى فهو اضراب عن الكلام الاول باسلوب مغاير لاسلوب ماسبق عليه من الاضراب فانهم لما حسدوا النبى صلى الله عليه وسلم بما آتاه الله تعالى من فضل النبوة بقولهم ءانزل عليه الذكر من بيننا وحكى الله تعالى ذلك عنهم اضرب عن الحكاية اى انتقل منها الى انكار ان تكون خزآئن الرحمة فى تصرفهم فهم يقسمونها على من ارادوا واشار باضافة خزآئن الرحمة الى الرب العزيز الوهاب الى اختصاصه به تعالى وانه هو المتصرف فيها ووصف نفسه بالعزة وهى الغلبة و القهر ردا لزعمهم انهم احقاء بالنبوة منه صلى الله عليه وسلم لشرفهم ورؤسهم يريد ان القاهر على خلقه المتصرف فى خزآئن رحمته كيف يشاء ليس لاحد ان يمنعه من ذلك يهب لمن يشاء مايشاء ومعنى المبالغة فى صيغة الوهاب الاشارة الى خطر الموهبة و عظم قدرها وهى النبوة و فى جعلها رحمة موهوبة دلالة على انها ليست بمكتسبة بل هى موهوبة ربانية يختص بها من يشاء من عباده ﴿ قوله ثم رشح ذلك ﴾ اى ربى ما افاده قوله ام عندهم خزآئن رحمة ربك نفيا و ابطالا بقوله ام لهم الآية فان نفى ملك هذا العالم الجسمانى مع انه بعض خزآئنه يربى ويقوى انتفاء ملك جميع خزآئنه عنهم بلا شبهة ﴿ قوله اى ان كان لهم ذلك ﴾ لما برزوا فى صورة من له ملك السموات والارض وتعلقوا بما يتعلق به من تدبير الخلائق وقسمة الرحمة بينهم واشعروا بان عندهم من الحكمة مايميزون به بين من هو حقيق باعطاء النبوة و بين من لايليق بها قيل لهم على طريق التهكم البليغ ان كان كذلك كما زعموا فليصعدوا فى اسباب الارتقاء الى العرش عن مجاهد و قتادة انه اراد بالاسباب ابواب السماء وطرقها من سماء الى سماء وكل ماوصلك الى شئ من باب او طريق فهو سببه وهذا امر توبيخ و تعجيز ﴿ قوله وقيل المراد بالاسباب السموات ﴾ استدل حكماء الاسلام بهذه الآية على ان الاجرام الفلكية وما اودع الله فيها من القوى و الخواص اسباب الحوادث العالم السفلى لانه تعالى سمى الفلكيات اسبابا وذلك يدل على ماذكرنا ﴿ قوله اى هم جند من الكفار ﴾ اشارة الى ان جند خبر مبتدأ محذوف ومن الاحزاب صفة ومهزوم خبر ثان له وهنالك صفة اخرى لجند وقيل هو ظرف لمهزوم واشارة الى ان الموضع الذى تقاولوا او تكلموا بالكلمات السابقة فيه هو مكة والمعنى انهم جند من جملة الكفار الذين تحزبوا و تجمعوا على الرسل بالتكذيب سيصيرون منهزمين فى الموضع الذى ذكروا فيه هذه الكلمات اى سيهزمون بمكة وقيل هنالك اشارة الى بدر و مصارعهم وقيل الى يوم الخندق ومعنى الآية على تقدير ان يكون هنالك اشارة الى حيث وضعوا فيه انفسهم ان هؤلاء الحمق الذين وضعوا انفسهم فجاهم ليسوا من اهله اى فى مرتبة ان يقولوا ماانزل عليه الذكر من بيننا وهو قول عظيم لاستلزامه الاعتراض على الله تعالى وهو لايليق باحد من خلقه تراهم عن قريب منهزمين فمن اين لهم التدابير الالهية او فلا تكترث بمايقولون و لاتبال بهم ﴿ قوله وقيل للتعظيم ﴾ لان ما المزيدة تستعمل تارة للتحقير كما فى قوله تعالى مثلا مابعوضة وتارة للتعظيم كما فى قوله ٭ وحديث ماعلى قصره ٭ اى حديث عظيم على قصره ثم ان معنى التعظيم لما لم يكن مناسبا للمقام ومحصول الكلام حمله على الهزء و التهكم ثم قال وهو لايلائم مابعده اى جعلها مزيدة للتعظيم على سبيل الهزء لايلائم قوله مهزوم من الاحزاب وانما الملائم له جعلها للتقليل ﴿ قوله من الانتداب ﴾ بيان لقوله حيث وضعوا فيه انفسهم ٭ الجوهرى ندبه لامر فانتدب له اى دعاه له فاجاب وقوله

٭ ولقد غنوا فيها بانعم عيشة ٭ فى ظل ملك ثابت الاوتاد ٭

يقال غنى بالمكان اى اقام وغنى اى عاش وقبله

٭ ماذا اؤمل بعد آل محرق ٭ تركوا منازلهم وآل اياد ٭
٭ جرت الرياح على مقر ديارهم ٭ فكأنهم كانوا على ميعاد ٭

وفى الصحاح و بعد اياد بدل وآل اياد والاياد التراب الذى يجعل حول الحوض او الخيطان يقوى به او يمنع به ماء المطر ﴿ قوله مأخوذ من ثبات البيت المطنب باوتاده ﴾ يريد ان اصل ذو الاوتاد ان يستعمل فى ثبات الخيمة بان تشد اطنابها على اوتاد مركوزة فى الارض فان اطنابها اذا شدت عليها كانت ثابتة فلا تقلعها الريح على الارض و لاتؤثر فيها ثم استعير لثبات العز والملك وفرعون الذى ثبت ملكه واستحكم بالاوتاد شبه ملكه بالبيت المطنب استعارة بالكناية واثبت له الاوتاد تخييلا وان اريد بالاوتاد جنوده تكون استعارة تصريحية ﴿ قوله نصب اربع سوار ﴾ فتكون الاوتاد حقيقة لااستعارة و السوارى جمع سارية وهى الاسطوانة والظاهر ان ثمودا ومن بعده معطوف على قوم نوح واولئك الاحزاب جملة مستأنفة لامحل لها والمعنى ان هؤلاء الذين ذكرناهم من الامم هم الذين تحزبوا على انبيائهم

ثم رشح ذلك فقال (ام لهم ملك السموات والارض ومابينهما) كأنه لما انكر عليهم التصرف فى نبوته بان ليس عندهم خزآئن رحمته التى لانهاية لها اردف ذلك بانه ليس لهم مدخل فى امر هذا العالم الجسمانى الذى هو جزء يسير من خزآئنه فمن اين لهم ان يتصرفوا فيها (فليرتقوا فى الاسباب) جواب شرط محذوف اى ان كان لهم ذلك فليصعدوا فى المعارج التى يتوصل بها الى العرش حتى يستووا عليه ويدبروا امر العالم فينزلوا الوحى الى من يستصوبون وهو غاية التهكم بهم والسبب فى الاصل هو الوصلة وقيل المراد بالاسباب السموات لانها اسباب الحوادث السفلية (جند ماهنالك مهزوم من الاحزاب) اى هم جند من الكفار المتحزبين على الرسل مهزوم مكسور عما قريب فمن اين لهم التدابير الالهية والتصرف فى الامور الربانية اوفلا تكترث بما يقولون وما مزيدة للتقليل كقولك اكلت شيأما وقيل للتعظيم على الهزء وهو لايلائم مابعده وهنالك اشارة الى حيث وضعوا فيه انفسهم من الانتداب لمثل هذا القول (كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الاوتاد) ذو الملك الثابت بالاوتاد كقوله

ولقد غنوا فيها بانعم عيشة ٭
فى ظل ملك ثابت الاوتاد ٭

مأخوذ من ثبات البيت المطنب باوتاده ٭ اوذو الجموع الكثيرة سموا بذلك لان بعضهم يشد بعضا كالوتد يشد البناء وقيل نصب اربع سوار وكان يمد يدى المعذب ورجليه اليها و يضرب عليها اوتادا ويتركه حتى يموت (وثمود وقوم لوط واصحاب الايكة) واصحاب الغيضة وهم قوم شعيب (اولئك الاحزاب) يعنى المتحزبين على الرسل الذين جعل الجند المهزوم منهم

فاهلكناهم وكذلك قومك هم من جنس الاحزاب اى اولئك الاحزاب مع كمال قوتهم اذا كانت عاقبتهم هى الهلاك والبوار فكيف حال هؤلاء الضعفاء المساكين واولئك اشارة الى قوم نوح وعاد الخ واللام فى الاحزاب للعهد والمعهود هو الاحزاب المذكور فى قوله من الاحزاب يعنى ان قوم نوح وعادا الى آخر المذكورين هم الاحزاب الذين جعل الجند المهزوم منهم اى داخلا فى جنسهم ومعدودا فى عداد آحاد ذلك الجنس فالمقصود بقوله اولئك الاحزاب بيان ما اجمل فى قوله من الاحزاب ووجه كون التكذيب المسند اليهم مبهما انه لم يصرح اولا بانهم كذبوا الرسل ام غيرهم ولم يبين ان كل حزب كذبوا الرسل كلهم او بعض الرسل وهو الذى ارسل اليهم فقوله ان كل الا كذب الرسل ازال ذلك الابهام وبين ان كل واحد منهم كذب جميع الرسل * وللمورد على هذا البيان انه معلوم ان كل واحد من المكذبين انما كذبوا رسولهم ولم يتعد تكذيبهم الى غيره * اجاب عنه المصنف بوجهين الاول انه من مقابلة الجمع بالجمع فيقتضى انقسام الآحاد على الآحاد اى كذب كل واحد منهم الرسول المبعوث اليه كما فى قولك القوم ركبوا دوابهم والثانى انه اذا كذبوا واحدا منهم فقد كذبوهم جميعا من حيث ان الجميع فى حكم الرسول الواحد نظرا الى اتحاد المرسل والمرسل ﴿ قوله مشتمل على انواع من التأكيد ﴾ منها مجرد تكرير التكذيب ومنها ايضاحه بعد ابهامه ومنها نوع تكرير حيث اخبر اولا بتكذيبهم بما يدل على وصف زائد على مجرد الاخبار بالتكذيب ثم اخبر به على طريق النفى والاستثناء ومنها ما فى الجملة الاستثنائية من اثبات التكذيب على وجه التأكيد والتخصيص فان كلمة كل تفيد التأكيد وان النافية تفيد الحصر والتخصيص فلما كذب كل واحد من هؤلاء الاحزاب الرسل اشد التكذيب وابلغه استحقوا العذاب لحق عقاب اى استوجبوا ذلك فوجب اذا عقابهم كذب قوم نوح نوحا او الرسل بشهادة قوله تعالى كذبت قوم نوح المرسلين فاهلكوا بالطوفان وعاد هودا فاهلكوا بالريح وفرعون موسى فاهلك ومن معه بالغرق وثمود صالحا فاهلكوا بالصيحة وقوم لوط لوطا فاهلكوا بالخسف ومدين شعيبا فاهلكوا بعذاب يوم الظلة ﴿ قوله فانهم كالحضور ﴾ اى حاضرون على انه جمع حاضر كقعود وقاعد يعنى ان الاصل فى اسم الاشارة ان يشار به الى مشاهد محسوس فان اشير به الى غيره فذلك انما يكون لتنزيله منزلة المشاهد وجميع الاحزاب من اهل مكة والاحزاب المذكورين فى قوله كذبت قبلهم قوم نوح الخ وان كانوا غائبين لكن يجوز تنزيلهم منزلة المشاهد لكونهم حاضرين مميزين فى الذهن بسبب الذكر اللفظى ولما جعلوا حاضرين صح قوله وما ينظر هؤلاء بلفظ الحال ولما قال لحق عقاب بين ان هؤلاء المكذبين وان لم يعذبوا فى الدنيا او لم يتم عذاب بما اصابهم فيها فهو كأنه واقع بهم لغاية قربه منهم لقرب زمان موعده وهو يوم القيامة فانها فى غاية القرب منهم فلذلك جعلوا منتظرين لها كالرجل الذى ينتظر الشئ ويمد طرفه اليه يترقب فى كل آن حضوره ﴿ قوله من توقف مقدار فواق ﴾ فان الناقة تحلب ثم تترك سويعة يرضعها الفصيل مقدارا ما ثم تحلب فما بين الحلبتين من الزمان يسمى فواقا فان فسر الفواق فى الآية بهذا المعنى احتيج الى تقدير مضاف الى الفواق يكون ذلك المضاف صفة للمقدر والمعنى وما ينتظر هؤلاء الاصيحة واحدة موصوفة بانها اذا جاء وقتها لا تتوقف ولا تتأخر زمان ما بين الحلبتين وان فسر بالرجوع والترداد على ان يكون الفواق من افاقة المريض وهى رجوعه الى الصحة كالجواب فى الاجابة فلا حاجة حينئذ الى الحذف والتقدير فيكون مالها من فواق صفة مؤكدة لوحدة الصيحة والمعنى انها صيحة واحدة بحيث لا تثنى ولا تردد بان لا يتخلل بينها انقطاع وسكون ويقال لكل من بقى على حالة واحدة انه لا يفيق منها ولا يستفيق واذا رجع الى الحالة الاولى يقال افاق واستفاق ﴿ قوله فان فيه يرجع اللبن الى الضرع ﴾ اشارة الى ان الفواق المعنى الاول وهو ما بين الحلبتين من الزمان فيه معنى الرجوع ايضا من حيث انه اسم للزمان الذى يرجع فيه اللبن الى الضرع ﴿ قوله وهو من قطه ﴾ يعنى ان القط المفسر بالقسط النصيب من الشئ مأخوذ من قطه بمعنى قطعه لان القط من الشئ قطعة منه حكى الله تعالى عن الكفار ثلاث جهالات الاولى تعجبهم من امر النبوة واثباتها وحكاه بقوله وعجبوا ان جاءهم منذر الآية والثانية تعجبهم من التوحيد بقولهم اجعل الآلهة الها واحدا والثالثة استهزاؤهم بالحشر والحساب والجزاء بقولهم ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب فامر نبيه صلى الله عليه وسلم بالصبر على سفاهتهم فقال اصبر على ما يقولون ﴿ قوله واذكر لهم قصته ﴾ مبنى على ان يراد بقوله اذكر الذكر اللسانى وقوله او تذكر قصته مبنى على ان يراد به التذكير القلبى * الجوهرى ذكرت الشئ بعد النسيان تذكرته وذكرته فلته بلسانى وداود بدل من العبد او عطف بيان له وذا الايد صفة له وأيد صفة مشبهة من آد الرجل يئيد ايدا اى اشتد

(ان كل الا كذب الرسل) بيان لما اسند اليهم من التكذيب على الابهام مشتمل على انواع من التأكيد ليكون تسجيلا على استحقاقهم العذاب ولذلك رتب عليه (فحق عقاب) وهو اما مقابلة الجمع بالجمع او جعل تكذيب الواحد منهم تكذيب جميعهم (وما ينظر هؤلاء) وما ينتظر قومك او الاحزاب فانهم كالحضور لاستحضارهم بالذكر او حضورهم فى علم الله تعالى (الا صيحة واحدة) وهى النفخة (ما لها من فواق) من توقف مقدار فواق وهو ما بين الحلبتين او رجوع وترداد فان فيه يرجع اللبن الى الضرع وقرأ حمزة والكسائى بالضم وهما لغتان (وقالوا ربنا عجل لنا قطنا) قسطنا من العذاب الذى توعدنا به او الجنة التى تعد للمؤمنين وهو من قطه اذا قطعه ويقال لصحيفة الجائزة قط لانها قطعة من القرطاس وقد فسر بها اى عجل لنا صحيفة اعمالنا لننظر فيها (قبل يوم الحساب) استعجلوا ذلك استهزاء (اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود) واذكر لهم قصته تعظيما للمعصية فى اعينهم فانه مع علو شانه واختصاصه بعظائم النعم والمكرمات لما اتى صغيرة نزل عن منزلته ووبخه الملائكة بالتمثيل والتعريض حتى تفطن فاستغفر ربه واناب فما الظن بالكفرة واهل الطغيان او تذكر قصته وصن نفسك ان تزل فيلقاك ما لقيه من المعاتبة على اهماله عنان نفسه ادنى اهمال (ذا الايد) ذا القوة يقال فلان أيد وذو أيد وآد واياد بمعنى

و قوى و ذو الايد بمعنى الايد ﴿قوله دليل على ان المراد به القوة فى الدين﴾ و العبادة لا فى البدن و جه دلالة التعليل به على ذلك مع ان كونه ذا الايد يجوز ان يكون لقوة بدنه قال تعالى و ألنا له الحديد انه لما علل ذلك بقوله انه اواب اى رجاع الى مرضاة الله تعالى علم ان المراد بالقوة القوة فى الدين لا فى البدن لان كونه رجاعا اليها لا يستلزم كونه قوى البدن فان قلت كما ان القوة مطلقا تحتاج فى تقييدها و تخصيصها الى دليل كذلك الاواب فانه بمعنى الرجاع مطلقا فلا بد من تخصيصه و حمله على معنى الرجاع الى مرضاة الله تعالى من دليل مخصص ، قلت نعم ان مفهوم الاواب مطلق ايضا لكن اذا استدل الى عباد الله تعالى او اوليائه فهم منه بحسب العرف الرجوع الى طاعته و مرضاة الله تعالى و لا يتبادر الذهن الا الى هذا المعنى ﴿قوله قدم تفسيره﴾ اى فى سورة الانبياء فى تفسير قوله تعالى و سخرنا مع داود الجبال يسبحن و الطير اى تقدس الله تعالى اما بلسان الحال او بصوت يتمثل له او يخلقه الله تعالى فيها و قيل يسرن معه من السباحة و هو حال او استئناف لبيان وجه التسخير كأن قائلا قال كيف سخرن فقال يسبحن و معه متعلقة بسخرنا او بيسبحن اى سخرنا الجبال كائنة مع داود يسبحن مع داود اذا سبح اى كلما سبح داود سبح معه الجبال و الطير و قال وهب كان داود يمر بالجبال مسبحا و هى تجاوبه بالتسبيح و كذلك الطير و قد ذكر فى كيفية تسبيح الجبال وجوه الاول ان الله تعالى يخلق فى جسم الجبال حياة و عقلا و قدرة و نطقا فحينئذ تسبح الله تعالى كما يسبحه الاحياء العقلاء و الثانى قول القفال ان داود عليه الصلاة و السلام اوتى من شدة الصوت و حسنه ما كان له فى الجبال دوى حسن و ما يصغى الطير اليه بحسنه فيكون دوى الجبال و تصويت الطير معه و اصغاؤها اليه تسبيحا روى محمد بن اسحق ان الله لم يعط احدا من خلقه مثل صوت داود حتى كان اذا قرأ الزبور دنت منه الوحوش يأخذ باعناقها و هى مصغية الى صوته و الثالث ان يسبحن بمعنى يسبحن من السباحة و هى السير و التقلب شدد للتكثير اذ روى ان الله سخر الجبال حتى انها كانت تسير معه حيث ما سار و قيل لما سارت الجبال معه بتسيير الله تعالى اياها و كان ذلك سببا حاملا لمن رآها كذلك على التسبيح تعجبا اسند التسبيح اليها مجازا ﴿قوله و يسبحن حال وضع موضع مسبحات﴾ فان قوله تعالى ان سخرنا الجبال اخبار عما مضى فالمناسب بحسب الظاهر ان يقال مسبحات و لكنه عدل عنه الى يسبحن لحكاية الحال الماضية و استحضارها فى نظر السامع حتى يشاهد حدوث التسبيح من الجبال شيأ بعد شئ و يتعجب من القدرة الربانية ﴿قوله و عن ام هانى﴾ الطيبى عن البخارى و مسلم و غيرهما عن عبد الرحمن قال ما حدثنا احد انه رأى النبى صلى الله عليه و سلم يصلى الضحى غير ام هانى فانها قالت ان النبى صلى الله عليه و سلم دخل بيتها يوم فتح مكة فاغتسل و صلى ثمانى ركعات ثم قال يا ام هانى هذه صلاة الاشراق ﴿قوله تعالى و الطير محشورة﴾ الجمهور على نصبهما على ان الطير معطوف على الجبال و محشورة على يسبحن اى و سخرنا له الطير مجموعة اليه من كل ناحية و لم يراع المطابقة بين الحالين اى لم يقل و الطير يحشرن بلفظ الفعل ليطابق قوله يسبحن لان الاصل فى الموضعين ان يؤتى بهما على لفظ الاسم ليطابق قوله سخرنا الا انه عدل فى التسبيح الى لفظ المضارع للدلالة على حدوث التسبيح من الجبال شيأ بعد شئ و هذه الدلالة غير مقصودة فى الحشر فجئ به على لفظ الاسم على الاصل و ذلك انه لو قيل و سخرنا الطير يحشرن لدل على ان الحشر يوجد من حاشرها شيأ فشيأ و الحاشر هو الله و لا نكتة فى اعتبار التدريج لان حشرها جملة واحدة ادل على القدرة و عن ابن عباس رضى الله عنهما كان اذا سبح جاوبته الجبال بالتسبيح و اجتمعت اليه الطير فسبحت فذلك حشرها ﴿قوله لاجل تسبيحه﴾ اشارة الى ان ضميره راجع الى داود بحذف المضاف و الى ان هذه الجملة الاسمية كما تدل على موافقتهما لداود فى التسبيح تدل ايضا على دوام موافقتهما له فيه و ثباتهما عليه لان اواب صيغة مبالغة و هى انما تكون بالدوام و الثبات على التسبيح بخلاف قوله يسبحن معه فانه انما يدل على مجرد الموافقة ثم ذكر انه يجوز ان يكون ضميره راجعا الى الله تعالى و ان الاواب كناية عن المسبح المكرر للتسبيح و المكثر له على ان بناء المرجع للتكثير و المبالغة حيث ذكر الاواب و هو كثير الرجوع الى التسبيح بشهادة المقام و اراد ملزومه و هو المرجع للتسبيح المكثر له لان المرجع للشئ رجاع اليه بفعله مرة بعد اخرى و رجع الى فعله رجوعا بعد رجوع ﴿قوله و كثرة الجنود﴾ روى البغوى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه كان اشد ملوك الارض سلطانا و كان يحرس محرابه كل ليلة ستة و ثلاثون الف رجل و فى الكشاف قيل كان يبيت حول محرابه اربعون الف رجل مستلئم يحرسونه و المراد بالمحراب الغرفة و المستلئم لابس اللأمة و هى الدرع و الغيلة اسم من الاغتيال ، الجوهرى الغيلة ان يخدع صاحبه

(انه اواب) رجاع الى مرضاة الله و هو تعليل للايد دليل على ان المراد به القوة فى الدين و كان يصوم يوما و يفطر يوما و يقوم نصف الليل (انا سخرنا الجبال معه يسبحن) قدم تفسيره و يسبحن حال وضع موضع مسبحات لاستحضار الحال الماضية و الدلالة على تجدد التسبيح حالا بعد حال (بالعشى و الاشراق) و وقت الاشراق و هو حين تشرق الشمس اى تضئ و يصفو شعاعها و هو وقت الضحى و اما شروقها فطلوعها يقال شرقت الشمس و لما تشرق و عن ام هانى انه عليه الصلاة و السلام صلى صلاة الضحى و قال هذه صلاة الاشراق و عن ابن عباس رضى الله عنهما ما عرفت صلاة الضحى الا بهذه الآية (و الطير محشورة) اليه من كل جانب و انما لم يراع المطابقة بين الحالين لان الحشر جملة ادل على القدرة منه مدرجا و قرئ و الطير محشورة بالابتداء و الخبر (كل له اواب) كل واحد من الجبال و الطير لاجل تسبيحه رجاع الى التسبيح و الفرق بينه و بين ما قبله انه يدل على الموافقة فى التسبيح و هذا يدل على المداومة عليها او كل منهما و من داود مرجع لله التسبيح (و شددنا ملكه) و قويناه بالهيبة و النصرة و كثرة الجنود و قرئ بالتشديد للمبالغة قيل ان رجلا ادعى بقرة على آخر و عجز عن البيان فاوحى اليه ان اقتل المدعى عليه فاعلمه فقال صدقت انى قتلت اباه غيلة و اخذت البقرة فعظمت بذلك هيبته

(وآتيناه الحكمة) النبوة او كمال العلم واتقان العمل (وفصل الخطاب) وفصل الخصام تمييز الحق عن الباطل او الكلام الملخص

الذى ينبه المخاطب على المقصود من غير التباس يراعى فيه مظان الفصل والوصل والعطف والاستئناف والاضمار والاظهار والحذف والتكرار ونحوها وانما سمى به اما بعد لانه يفصل المقصود عما سبق مقدمة له من الحمد والصلاة وقيل هو الخطاب القصد الذى ليس فيه اختصار مخل ولا اشباع ممل كما جاء فى وصف كلام الرسول عليه الصلاة والسلام فصل لا نزر ولا هذر (وهل أتاك نبأ الخصم) استفهام معناه التعجيب والتشويق الى استماعه والخصم فى الاصل مصدر ولذلك اطلق للجمع (اذ تسوروا المحراب) اذ تصعدوا سور الغرفة تفعل من السور كتسنم من السنام واذ متعلق بمحذوف اى نبأ تحاكم الخصم اذ تسوروا او بالنبأ على ان المراد به الواقع فى عهد داود وان اسناد اتى اليه على حذف مضاف اى قصة نبأ الخصم او بالخصم لما فيه من معنى الفعل لا باتى لان اتيانه الرسول عليه الصلاة والسلام لم يكن حينئذ واذ فى (اذ دخلوا على داود) بدل من اذ الاولى او ظرف لتسوروا (ففزع منهم) لانهم نزلوا عليه من فوق فى يوم الاحتجاب والحرس على الباب لا يتركون من يدخل عليه فانه كان عليه الصلاة والسلام جزأ زمانه يوما للعبادة ويوما للقضاء ويوما للوعظ ويوما للاشتغال بخاصته فتسور عليه ملائكة على صور الانسان فى يوم الخلوة (قالوا لا تخف خصمان) نحن فوجان متخاصمان على تسمية مصاحب الخصم خصما (بغى بعضنا على بعض) على الفرض وقصد التعريض ان كانوا ملائكة وهو المشهور (فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط) ولا تجر فى الحكومة وقرئ ولا تشطط اى لا تبعد عن الحق ولا تشطط ولا تشاطط والكل من معنى الشطط وهو مجاوزة الحد (واهدنا الى سواء الصراط) الى وسطه وهو العدل (ان هذا اخى) بالدين او بالصحبة (له تسع وتسعون نعجة ولى نعجة واحدة) هى الانثى من الضأن وقد يكنى بها عن المرأة والكناية والتمثيل فيما يساق للتعريض ابلغ فى المقصود وقرئ تسع وتسعون بفتح التاء ونعجة بكسر النون وقرأ حفص بفتح ياء ولى

(والتمثيل)

ويذهب به الى موضع فاذا صار اليه قتله ﴿ قوله الحكمة النبوة ﴾ بها فسرها ابن عباس وهى فى عرف الحكماء استكمال النفس الانسانية باقتباس العلوم النظرية واكتساب الملكة التامة الافعال الفاضلة على قدر الطاقة البشرية ﴿ قوله وفصل الخطاب ﴾ مبنى على ان يكون بمعنى القطع وهو التمييز بين الشيئين وان الخطاب بمعنى تخاطب الخصمين وان تمييز تخاطبهما عبارة عن تمييز ما هو الحق من الخطابين عما هو باطل منهما وقوله او الكلام الملخص اشارة الى ان فصل الخطاب بمعنى الخطاب المفصول اى الكلام المبين الذى لا التباس فيه على ان الفصل بمعنى المفصول وهو ضد الكلام الملتبس المختلط الذى لا يتبين فيه المراد ﴿ قوله يراعى فيه ﴾ بدل او عطف بيان من قوله ينبه المخاطب على المقصود ﴿ قوله فصل لا نزر ولا هذر ﴾ اى وسط لا قليل ولا كثير فان قوله لا نزر ولا هذر صفتان كاشفتان لفصل وقيل هما صفتان مستقلتان بان يكون الفصل بمعنى الفاصل والنزر القليل التافه وقد نزر الشئ بالضم ينزر نزارة اذا قل والهذر الكثير يقال هذر كلامه كفرح اذا كثر فى الخطأ والباطل والاسم منه الهذر بالتحريك وهو الهذيان اى فصل بين الحق والباطل ومع هذا لا نزر ولا هذر بكسر الذال يقال رجل هذر بكسر الذال وهذرة على مثل همزة وهذار ومهذار اى كثير الكلام ﴿ قوله استفهام معناه التعجيب والتشويق الى استماعه ﴾ فان القصة ان كانت معلومة فالمستفهم عنها يكون الاستفهام للحث والتحريض على اشاعتها واعلام الناس بها اى كأنك ما علمتها حيث تخفيها ولا تؤدى حقها من الاشاعة وان لم تكن معلومة يكون الاستفهام عنها للتعجيب واللوم على التقاعد عن استعلامها والتشويق الى استماعها لكونها من الانباء العجيبة التى حقها ان تسمع ولا تخفى على احد ﴿ قوله والخصم فى الاصل مصدر ﴾ جواب عما يقال ان الخصم هنا الجماعة لقوله اذ تسوروا واذ دخلوا ففزع منهم قالوا فالظاهر ان يقال نبأ الخصماء اذ قيل كانت الجماعة جبرائيل وميكائيل بمن معهما على صورة المدعى والمدعى عليه والشهود والمزكين فاجاب بانه مصدر خصمه خصما مثل ضافه ضيفا فصح لذلك اطلاقهما على الجماعة قال تعالى حديث ضيف ابراهيم المكرمين ﴿ قوله اذ تسوروا ﴾ اى صعدوا حائط المحراب ونزلوا اليه من فوق فان السور هو الحائط المرتفع والتسور تصعد السور وتعليه كما يقال تسنمه اذا علا سنامه وتذراه اذا علا ذروته روى ان الله تعالى بعث اليه جبرائيل وميكائيل بمن معهما على صورة الانسان لينبهاه على زلته فطلبا ان يدخلا عليه من باب الغرفة فمنعهما الحرس فتسوروا المحراب فنزلوا عليه من فوق روى ان بعض المعربين ومنهم ابو البقاء ومكى جعلوا اذ معمولا لنبأ ان لم يرد به القصة والمعنى هل اتاك الخبر الواقع وقت تسورهم المحراب ورده الزمخشرى بان النبأ الواقع فى ذلك الوقت لا يصح اتيانه رسول الله صلى الله عليه وسلم لان النبأ الواقع فيه هو التحاكم والذى اتى النبى صلى الله عليه وسلم هو خبر ذلك التحاكم وقصته لا نفسه واجاب عنه المصنف بان عدم صحة اتيان نفس ذلك النبأ لا يستلزم عدم كون النبأ عاملا فى اذ لجواز ان يكون عاملا فيه ويقدر مضاف اى هل اتاك قصة نبأ الخصم فيتحد بحسب المعنى مع قوله نبأ تحاكم الخصم اذ تسوروا ﴿ قوله على ان المراد به الواقع فى عهد داود ﴾ وهو التحاكم احترازا عن ان يراد به قصة ذلك التخاصم وخبره ﴿ قوله او ظرف لتسوروا ﴾ اى تسوروا المحراب فى الوقت الذى دخلوا فيه على داود ﴿ قوله نحن فوجان ﴾ اشارة الى ان خصمان خبر مبتدأ محذوف والى وجه الانطباق بين صيغة التثنية فى خصمان وبين ما مر من ان الخصم عبارة عن الجماعة وصح اطلاقه عليهم لكونه مصدرا فى الاصل وحاصل الانطباق انه اطلق الخصم على جميع الجماعة ثم جعلهم خصمين على تأويل الفريقين والجماعتين وقوله على تسمية مصاحب الخصم خصما اشارة الى وجه تسمية الجميع خصما مع ان التخاصم والتحاكم حقيقة انما كان بين اثنين منهم لقوله ان هذا اخى له تسع وتسعون نعجة الآية ﴿ قوله على الفرض ﴾ اشارة الى جواب ما يقال كيف قال بغى بعضنا على بعض وهما ملكان على ما هو المشهور والملائكة لا يقع منهم البغى على احد فكيف يبغى بعضهم على بعض فهذا الكلام منهما كذب والملائكة معصومون من الكذب * واجاب بانه انما يلزم الكذب ان لو اراد الاخبار بصدور البغى عنهما حقيقة وليس كذلك بل المقصود فرض المسئلة وتصويرها فى انفسهما ﴿ قوله ولا تشطط ﴾ قرأ الجمهور ولا تشطط بضم التاء وكسر الطاء الاولى وفك الادغام كقوله ومن يرتدد منكم عن دينه من اشط فى القضية اشطاطا اى جار فيها وبعد من الحق وقرئ ولا تشطط بفتح التاء وضم الطاء الاولى من شططت الدار تشطط وتشط شطا وشطوطا اى بعدت وقرئ ولا تشطط على ان بناء التفعيل للتكثير وقرئ ولا تشاطط من المفاعلة والكل من الشطط وهو مجاوزة الحد والمقصود من الامر والنهى الاستعطاف ﴿ قوله وقد يكنى بها عن المرأة ﴾ اى يعبر عنها على سبيل الاستعارة وقوله والكناية

والتمثيل الخ اشارة الى ان النعجة هنا استعارة وبيان لوجه اختيار سلوك طريق الاستعارة دون التصريح باسم المرأة وذلك ان مقصود الملكين بما فعلا ليس حقيقة التحاكم والتخاصم بل المقصود ابرازهما في صورة المتخاصمين في واقعة تشبه واقعة داود عليه الصلاة والسلام مع اوريا وهي انه عليه الصلاة والسلام اراد ان تكون امرأة اوريا له على الوجه المشروع مع ان عنده امثال تلك المرأة وان تعرض تلك الواقعة عليه ليحكم بحكم لزم منه اعترافه بكونه مثل من حكم عليه في ترك الاولى وينتبه لزلته فيشتغل بالتوبة والاستغفار فلما كان المقصود من تحاكمهما التعريض بحاله عليه الصلاة والسلام كان المناسب ان يكنى عن المرأة لا ان يصرح بها لان الكناية عنها ادخل في التعريض والتورية من التصريح واختار طريق التعريض لكونه ابلغ في التوبيخ من حيث انه اذا انتبه للمعرّض به كان اوقع في نفسه واجلب لخجالته وحيائه مع ما فيه من مراعاة حسن الادب ﴿ قوله اجعلني اكفلها ﴾ اي اعولها وانفق عليها والمعنى طلقها لاتزوجها او اعطنيها واجعلها كفلى اي نصيبى ﴿ قوله وغلبني في مخاطبته اياي ﴾ فيكون الخطاب مصدر خاطبه في الكلام اي غلبني في المخاطبة بان اتى بما لا اقدر على ردّه من الجدال وعلى الثاني يكون مصدر خاطب من الخطبة للمبالغة بان تصدر الخطبة من كل واحد منهما على قصد ان يغلب صاحبه ويغتنم بالمخطوبة دونه ﴿ قوله على تخفيف غريب ﴾ يعني ان من قرأ عزني حذف من عزاحدى الزايين تخفيفا كما يقال في ظللت ومسست ظلت ومست وفي احسست احست كراهة التضعيف الا ان تخفيف عز لم يشتهر مثلها ﴿ قوله ولعله قال ذلك ﴾ جواب ما يقال كيف قال لقد ظلمك قبل ان يسمع كلام صاحبه قال ابن الانبارى لما ادّعى احد الخصمين اعترف الثاني بما ادّعاه الاوّل فحكم داود بعد اعترافه وقيل ان معناه ان كان الامر كما تقول فقد ظلمك وقال الامام ابو منصور فشهد الشهود بذلك فقال لقد ظلمك بسؤال نعجتك مضمومة الى نعاجه وقال الامام للناس في هذه القصة ثلاثة اقوال احدها ان هذه القصة دلت على صدور الكبيرة منه وثانيها انها دلت على الصغيرة وثالثها لاتدل على كبيرة ولا على صغيرة وقيل ان داود احب امرأة اوريا فاحتال في قتل زوجها بان ارسله الى غزوات حتى استشهد ثم تزوج بها فارسل الله تعالى ملكين في صورة المتخاصمين في واقعة تشبه واقعته مع اوريا وعرضا تلك الواقعة فحكم داود بحكم لزم منه اعترافه بكونه مذنبا ثم تنبه لذلك فاشتغل بالتوبة وابطل الامام هذا القول بوجوه منها ان الله تعالى وصفه قبل شرح هذه القصة وبعده باوصاف تنافي كونه عليه الصلاة والسلام متصفا بهذا الفعل المنكر وبعد ما ابطله بالدلائل القاطعة قال ان قال قائل ان كثيرا من اكابر المحدثين والمفسرين ذكروا هذه القصة فكيف الحال فيها ثم اجاب عنه بوجوه منها ان كل المفسرين لم يتفقوا على هذا القول بل الاكثرون والمحققون يردّونه ويحكمون عليه بالكذب واذا تعارضت اقوال المفسرين والمحدثين تساقطت وبقي الرجوع فيه الى الدلائل التي ذكرناها والقول الثاني الذي يدل على صدور الصغيرة منه فيه روايات الاولى ان هذه المرأة خطبها اوريا فاجابوه بالقبول ثم خطبها داود فآثره اهلها فكان ذنبه ان خطب على خطبة اخيه المؤمن مع كثرة نسائه والثانية قالوا انه وقع بصره عليها فمال قلبه اليها ثم اتفق ان قتل زوجها في جهاد اعداء الله تعالى وكان بعث الجيش للجهاد فرضا عليه وكان زوجها من جملة من تعين للجهاد فبعثه معهم لاسقاط الواجب عن ذمته من غير ان يتوهم منه قصد قتله وهلاكه فلما بلغ خبر قتله داود لم يجزع كما جزع على غيره من جنده اذا هلك ثم تزوج امرأته فعاتبه الله تعالى على ذلك لان ذنوب الانبياء وان صغرت فهي عظيمة عند الله تعالى والثالثة انه كان اهل زمان داود عليه الصلاة والسلام يسأل بعضهم بعضا ان يطلق زوجته حتى يتزوجها وكان ذلك عادة معهودة فيهم فاتفق ان عين داود عليه الصلاة والسلام وقعت على تلك المرأة فاحبها فسأله النزول فاستحيى ان يردّه ففعل وهي ام سليمان عليه الصلاة والسلام فعوتب به لان ذلك لا يليق به فان حسنات الابرار سيئات المقربين فعلى كل واحدة من هذه الروايات الثلاث لم يلزم في حق داود عليه الصلاة والسلام الا ترك الافضل والاولى والقول الثالث ان يحمل هذه القصة على وجه لا يلزم منه الحاق كبيرة ولا صغيرة بداود بل يوجب الحاق مدح عظيم وهو انه روي ان جماعة من الاعداء طمعوا في ان يقتلوا نبي الله داود عليه الصلاة والسلام وكان له يوم يخلو فيه بنفسه ويشتغل بطاعة ربه فانتهزوا الفرصة في ذلك اليوم وتسوّروا المحراب فلما دخلوا عليه وجدوا عنده اقواما يمنعونه منهم فخافوا ووضعوا كذبا وقالوا خصمان بغى بعضنا على بعض الى آخر القصة وليس في لفظ القرآن ما يمكن ان يحتج به في الحاق الذنب بداود عليه الصلاة والسلام الا الفاظ اربعة احدها قوله وظن

(قال اكفلنيها) ملكنيها وحقيقته اجعلني اكفلها كما اكفل ما تحت يدي وقيل اجعلها كفلي اي نصيبي (وعزني في الخطاب) وغلبني في مخاطبته اياي محاجة بان جاء بحجاج لم اقدر رده او في مغالبته اياي في الخطبة يقال خطبت المرأة وخطبها هو فخاطبني خطابا حيث زوجها دوني وقرئ وعازني اي غالبني وعزني على تخفيف غريب (قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه) جواب قسم محذوف قصد به المبالغة في انكار فعل خليطه وتهجين طمعه ولعله قال ذلك بعد اعترافه او على تقدير صدق المدعي والسؤال مصدر مضاف الى مفعوله وتعديته الى مفعول آخر بالى لتضمينه معنى الاضافة

(وان كثيرا من الخلطاء) الشركاء الذين خلطوا اموالهم جمع خليط (ليبغى) ليتعدى وقرئ بفتح الياء على تقدير النون الخفيفة وحذفها كقوله * اضرب عنك الهموم طارقها * وبحذف الياء اكتفاء بالكسرة (بعضهم على بعض الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم) اى وهم قليل وما مزيدة للابهام والتعجب من قلتهم (وظن داود انما فتناه) ابتليناه بالذنب او امتحناه بتلك الحكومة هل يتنبه بها (فاستغفر ربه) لذنبه (وخر راكعا) ساجدا على تسمية السجود ركوعا لانه مبدأه او خر للسجود راكعا اى مصليا كأنه احرم بركعتى الاستغفار (واناب) ورجع الى الله بالتوبة واقصى ما فى هذه الاشعار بانه عليه السلام ود ان يكون له ما لغيره وكان له امثاله فنبهه الله بهذه القصة فاستغفر واناب عنه وما روى ان بصره وقع على امرأة فعشقها وسعى حتى تزوجها وولدت منه سليمان ان صح فلعله خطب مخطوبته او استنزله عن زوجته وكان ذلك معتادا فيما بينهم وقد واسى الانصار المهاجرين بهذا المعنى وما قيل انه ارسل اوريا الى الجهاد مرارا وامر ان يتقدم حتى قتل فتزوجها هزؤ وافتراء ولذلك قال على رضى الله عنه من حدث بحديث داود على ما يرويه القصاص جلدته مائة وستين وقيل ان قوما قصدوا ان يقتلوه فتسوروا المحراب ودخلوا عليه فوجدوا عنده اقواما فتصنعوا هذا التحاكم فعلم غرضهم وقصد ان ينتقم منهم فظن ان ذلك ابتلاء من الله له فاستغفر ربه مما هم به واناب (فغفرنا له ذلك) اى ما استغفر منه (وان له عندنا لزلفى) لقربة بعد المغفرة (وحسن مآب) مرجع فى الجنة (يا داود انا جعلناك خليفة فى الارض) استخلفناك على الملك فيها او جعلناك خليفة ممن قبلك من الانبياء القائمين بالحق (فاحكم بين الناس بالحق) بحكم الله (ولا تتبع الهوى) ما تهوى النفس وهو يؤيد ما قيل ان ذنبه المبادرة الى تصديق المدعى وتظليم الآخر قبل مسألته (فيضلك عن سبيل الله) دلائله التى نصبها على الحق (ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب) بسبب نسيانهم وهو ضلالهم عن السبيل فان تذكره يوم الحساب يقتضى ملازمة الحق ومخالفة الهوى

داود انما فتناه وثانيها قوله فاستغفر ربه وثالثها قوله واناب ورابعها فغفرنا له ذلك ثم تقول هذه الالفاظ لا يدل شئ منها على ما ذكروه من وجوه الاول انهم لما دخلوا عليه لطلب قتله بهذا الطريق وعلم داود عليه الصلاة والسلام منهم دعاه الغضب الى ان يشتغل بالانتقام منهم ثم دعاه علو شانه فى الفضل والكرم الى ان يميل الى الصفح والتجاوز عنهم طلبا لمرضاة الله تعالى فكانت هى الفتنة لانها جارية مجرى الابتلاء والامتحان ثم انه استغفر ربه مما هم به من الانتقام منهم وتاب من ذلك الهم واناب فغفر له بقوله فغفرنا له ذلك اى ذلك القدر من الهم والعزم الثانى انه وان غلب على ظنه انهم دخلوا عليه ليقتلوه الا انه ندم على ذلك الظن وقال لما لم يتعين منهم ان قصدهم ذلك بئس ما عملت حيث ظننت فيهم هذا الظن الردى فنزله منزلة الابتلاء والامتحان ثم استغفر ربه واناب فغفر له ذلك الثالث ان دخولهم عليه كان فتنة لداود عليه الصلاة والسلام حيث دخلوا عليه لقتله الا انه عليه الصلاة والسلام استغفر لذلك العازم على قتله ورجع الى الله فى طلب المغفرة لذلك بقوله فغفرنا له ذلك اى فغفرنا له ذلك الذنب منه لاجل حرمة داود وقدره عندنا ولم نرد شفاعته وذكر غير ذلك من الاحتمالات ثم قال فاذا حملت الآية على احد هذه المحامل لا يلزم اسناد شئ من الذنوب الى داود عليه الصلاة والسلام فحملها عليها اولى مع انه تعالى قال لنبيه صلى الله عليه وسلم لما اظهروا السفاهة وقالوا انه ساحر كذاب واستهزؤا به حيث قالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب قال له تعالى فى اول الآية اصبر على ما يقولون وتحمل منهم ما كان من وجوه سفاهتهم ولا تظهر الغضب واذكر عبدنا داود فهذا الذكر انما يحسن اذا كان داود عليه الصلاة والسلام قد صبر على الاذى وتحمل سفاهتهم وحلم ولم يظهر الطيش والغضب وهذا المعنى انما يحصل اذا حملنا الآية على ما ذكرنا واما اذا حملناها على ما ذكروه صار الكلام متناقضا ﴿ قوله الشركاء الذين خلطوا اموالهم ﴾ يدل على ان داود عليه الصلاة والسلام جعل النعجة على حقيقتها فكيف يفسر الخطاب بالمبالغة فى الخطبة مع ان الخطبة لا تكون الا فيما يصلح للتزوج وقد فسر بها حيث قال او فى مغالبته اياى فى الخطبة والجواب انه فسره بها بناء على ان جعل النعجة مستعارة للمرأة وجعل قوله وان كثيرا من الخلطاء مبنيا على انه عليه الصلاة والسلام شبه حالهم بحال الخلطاء من حيث اطلاع بعضهم على اشياء الآخر واملاكه ثم قال كل ما يملكه احد الخلطاء من الاشياء النفيسة يطلع عليه صاحبه فيرغب فيه فيفضى ذلك الى زيادة المخاصمة وبغى بعضهم على بعض ﴿ قوله اضرب عنك الهموم طارقها ﴾ وتمامه ضربك بالسيف قونس الفرس * اى اضربن فحذفت النون الخفيفة فبقيت الباء مفتوحة طارقها بدل من الهموم بدل البعض والقونس عظم ناتئ بين اذنى الفرس وهو موضع ناصيته اى ادفع طوارق الهموم عن نفسك عند غشيانها كما تضرب بالسيف قونس فرس العدو عند اقبالها واللام فى ليبغى على ان تكون النون الخفيفة محذوفة مقدرة لام جواب قسم محذوف وعلى الاول لام التأكيد وقوله الا الذين آمنوا استثناء متصل من قوله بعضهم ﴿ قوله وهم قليل ﴾ اى هم مبتدأ وقليل خبره قدم عليه وما مزيدة وقيل هى موصولة والتقدير وقليل الذين هم كذلك فهم مبتدأ وخبره محذوف وهو كذلك والمعنى ان الموصوفين بهذه الصفة وهى الايمان واصلاح العمل قليلون ﴿ قوله استخلفناك على الملك فيها ﴾ اى جعلناك اهل تصرف نافذ الحكم فيها وهو معنى كون العبد خليفة الله فى ارضه لان حقيقة الخلافة لا تتصور الا ممن يتصور منه الغيبة لان خليفة الرجل من يخلفه بعد غيبته وينفذ حكمه فى رعيته فلما امتنعت الحقيقة كان معنى استخلاف الله تعالى العبد جعله نافذ الحكم بين عباده ﴿ قوله بحكم الله ﴾ يحتمل انه جعل الحق اسم الله تعالى وقدر المضاف اى بحكم الحق اى الله وانه جعل الحق بمعنى الصواب وفسره بحكم الله تعالى لانه لا يحكم الا بالصواب ﴿ قوله تعالى فيضلك ﴾ منصوب على جواب النهى وقيل مجزوم عطفا على لا تتبع وانما فتحت اللام لاجتماع الساكنين فهى نهى عن كل واحدة على حدة والاول فيه النهى عن الجمع بينهما وقد يترجح الثانى بهذا المعنى وفاعل فيضلك يجوز ان يكون ضمير الهوى وان يكون ضمير المصدر المفهوم من لا تتبع اى فيضلك اتباع الهوى والمراد بالدلائل المنصوبة ما يعم الدلائل العقلية والنقلية ﴿ قوله بسبب نسيانهم ﴾ اشارة الى ان ما مصدرية والجار متعلق بالاستقرار الذى تضمنه لهم وكذا يوم الحساب متعلق به ظرف له اى لهم عذاب شديد يوم القيامة بنسيانهم القضاء بمقتضى الدلائل العقلية والنقلية اى بتركهم سلوك سبيل الله تعالى وضلالهم عنه وقيل يوم الحساب متعلق بنسوا على انه مفعول به ومعناه بما تركوا الايمان بيوم الحساب او بتركهم العمل لذلك اليوم ويؤيده قوله تعالى وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا فانه تذكير عن نسيان يوم الحساب اى ما خلقت ما بينهما من المكلفين

(لاهملهم)

(وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا) خلقا باطلا لا حكمة فيه او ذوى باطل بمعنى مبطلين عابثين كقوله وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين او للباطل الذى هو متابعة الهوى بل للحق الذى هو مقتضى الدليل من التوحيد والتدرع بالشرع كقوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون على وضعه موضع المصدر مثل هنيئا (ذلك ظن الذين كفروا) الاشارة الى خلقها باطلا والظن بمعنى المظنون (فويل للذين كفروا من النار) بسبب هذا الظن (ام نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الارض) ام منقطعة والاستفهام فيها لانكار التسوية بين الحزبين التى هى من لوازم خلقها باطلا ليدل على نفيه وكذا التى فى قوله (ام نجعل المتقين كالفجار) كأنه انكر التسوية اولا بين المؤمنين والكافرين ثم بين المتقين من المؤمنين والمجرمين منهم ويجوز ان يكون تكريرا للانكار الاول باعتبار وصفين آخرين يمنعان التسوية من الحكيم الرحيم والآية تدل على صحة القول بالحشر فان التفاضل بينهما اما ان يكون فى الدنيا والغالب فيها عكس ما تقتضيه الحكمة او فى غيرها وذلك يستدعى ان يكون لهم حال اخرى يجازون فيها (كتاب انزلناه اليك مبارك) نفاع وقرئ بالنصب على الحال (ليدبروا آياته) ليتفكروا فيها فيعرفوا ما يدبر ظاهرها من التأويلات الصحيحة والمعانى المستنبطة وقرئ ليتدبروا على الاصل ولتدبروا اى انت وعلماء امتك (وليتذكر اولوا الالباب) وليتعظ به ذووا العقول السليمة او ليستحضروا ما هو كالمركوز فى عقولهم من فرط تمكنهم من معرفته بما نصب عليه من الدلائل فان الكتب الالهية بيان لما يعرف الا من الشرع وارشاد الى ما لا يستقل به العقل ولعل التدبر للقسم الاول والتذكر للثانى (ووهبنا لداود سليمان نعم العبد) اى نعم العبد سليمان اذ ما بعده تعليل للمدح وهو من حاله (انه اواب) رجاع الى الله بالتوبة او الى التسبيح مرجع له (اذ عرض عليه) ظرف لاواب او لنعم والضمير لسليمان عند الجمهور (بالعشى) بعد الظهر (الصافنات) الصافن من الخيل الذى يقوم على طرف سنبك يد او رجل وهو من الصفات المحمودة فى الخيل لا يكاد يكون الا فى العراب الخلص (الجياد) جمع جواد او جود وهو الذى يسرع فى جريه وقيل الذى يجود بالركض وقيل جمع جيد

لا يهملهم فلا آمر هم ولا ناهيهم بل خلقتهم لامتحنهم واكلفهم واذا كلفتهم ميزت بين محسنهم ومسيئهم بالثواب والعقاب وذلك لا بد ان يكون يوم الحساب اى وذلك يقتضى وجود حياة اخرى بعد هذه الحياة الدنيا لان مدة هذه الحياة قليلة وان صفاءها مشوب بالكدر فلا تصلح دار جزاء بل هى دار ابتلاء فقط والجزاء يكون فى دار اخرى ﴿قوله خلقا باطلا﴾ اشارة الى ان باطلا صفة مصدر محذوف وعلى قوله ذوى باطل يكون فى موضع الحال من فاعل خلقنا ويحتمل ان يكون حالا من مفعوله اى عاريا عن الحكمة وعلى قوله او للباطل يكون مفعولا له بان يكون الباطل بمعنى العبث واللعب وموضوعا موضعه فان شرط حذف اللام من المفعول له ان يكون فعلا لفاعل الفعل المعلل فلا بد ان يكون مصدرا او مأولا به ﴿قوله مثل هنيئا﴾ تمثيل فى كون الصفة موضوعة موضع المصدر فان هنيئا صفة لمصدر محذوف اى كلوا اكلا هنيئا حذف المصدر ووضع هنيئا موضعه كما اقيم هنيئا مريئا فى قوله فكلوه هنيئا مريئا مقام المصدر وهما صفتان لمقدر اى كلوا اكلا هنيئا مريئا ﴿قوله بسبب هذا الظن﴾ فان ظن ان لا حكمة لله تعالى فى خلق العالم كفر بالحشر والنشر واثبات السفه له تعالى فيكون سببا للويل والهلاك ﴿قوله ليدل على نفيه﴾ اى على نفى انه تعالى خلقها عبثا متعلق بقوله لانكار التسوية فان انكار اللازم ونفيه يدل على انكار الملزوم ونفيه ﴿قوله والغالب فيها عكس ما تقتضيه الحكمة﴾ فان الحكمة تقتضى ان يكون التفضل والفوز فى الدنيا للمؤمن والويل والخيبة للمفسد الفاجر والغالب فى الدنيا ان يكون التفاضل والوسعة والرخاء للكافر والفاجر والضيق والعناء للمؤمن والصالح فى امر التفاضل فان الغالب ان تكون الكفار اوسع حالا واطيب عيشا بالنسبة الى المؤمنين فى الدنيا ﴿قوله تعالى كتاب﴾ خبر مبتدأ مضمر اى هذا كتاب وانزلناه صفة كتاب ومبارك خبر مبتدأ مضمر او خبر ثان ولا يجوز على المختار ان يكون نعتا ثانيا لانه لا يجوز عند الجمهور ان يتقدم النعت الغير الصريح على الصريح ومن رى ذلك استدل بظاهر الآية ولا استدلال بالمحتمل ﴿قوله تعالى ليدبروا﴾ متعلق بانزلناه واصله ليتدبروا فادغمت التاء فى الدال وقرئ لتدبروا بتاء الخطاب وتخفيف الدال واصلها لتتدبروا بتاءين حذفت احداهما قال الحسن تدبر آياته اتباعه واشار المصنف الى انه من دبره اى تبعه والدابر التابع وعليه قرأ والليل اذا دبر اى تبع النهار قبله فيكون التدبر بمعنى الاطلاع على ما يدبر ظاهر هذا النظم اى يتبعه من التأويلات الصحيحة فالتدبر كالتعطر والتمم فى كونها لايجاد اصل الفعل لنفسه وقوله او ليستحضروا على ان يكون التذكر بمعنى استحضار ما ذهل عنه مع بقاء ارتسامه فى المدركة لكن انقطع التفاتها اليه لا الى حد النسيان حتى تحتاج فى تحصيله الى تجشم كسب جديد وتحصيل استعداد آخر بترتيب المقدمات المناسبة له والاحكام الاجتهادية وان كانت مستنبطة من النص بتعدية حكمه الى غير المنصوص لكنه كالمركوز فى عقول اهل الاستنباط من حيث تمكنهم من معرفتها بما عندهم من النصوص الواردة فيما يشارك موضع الاجتهاد فى العلة فاستنباطها من النصوص شبه استحضار المذهول عنه واحتمل ان يراد بالتذكر الاستنباط المذكور مجازا ﴿قوله اذ ما بعده تعليل للمدح﴾ علة لكون المخصوص بالمدح المحذوف هو سليمان لا داود وتقريره ان ما وقع بعده تعليل المدح وهو حال من حال سليمان فان ضمير عليه لسليمان عند جمهور المفسرين فيكون الممدوح هو سليمان لا غيره ﴿قوله مرجع له﴾ اى للتسبيح يريد ان اوّاب يجوز ان يكون كناية عن انه مكثر التسبيح لان من كان مكثرا الشئ يلزمه ان يكون رجاعا اليه فكنى بذكر انه رجاع للتسبيح عن ملزومه * الجوهرى الصافن من الخيل القائم على ثلاث قوائم والرابعة على طرف الحافر والسنبك طرف مقدم الحافر وقيل الصافن هو الذى يجمع يديه ويسويهما من الصفن وهو الجمع بين الشيئين ضاما بعضهما الى بعض ومن الاول قول الشاعر

الف الصفون فما يزال كأنه * مما يقوم على الثلاث كسيرا

يريد ان هذا الفرس الف القيام على ثلاث قوائم وسنبك الرابعة وكسيرا منصوب بما يزال وقيل حال من الضمير فى يقوم اى كأنه من جنس ما يقوم على ثلاث قوائم فى حال كونه كسير القائمة الاخرى ومن الثانى ما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم من سره ان يقوم له الناس صفونا فليتبوأ مقعده من النار اى واقفين صافين اقدامهم ويقال جاد الفرس يجود فهو جواد اى يجود بالعدو ويسرع فى الجرى ويقال فرس جود اى كثير الجرى ويجمع على جياد كحوض وحياض وسوط وسياط والصفون على ما فسره الجوهرى صفة مدح للخيل لان صفونها كناية عن كونها عربية بدوية لان الصفون صفة لازمة لها وكذا ان فسر بمطلق القيام او القيام جامعة يديها اضافة اياهما لانه صفة

روى انه عليه الصلاة والسلام غزا دمشق ونصيبين واصاب الف فرس وقيل اصابها ابوه من العمالقة فورثها منه فاستعرضها فلم تزل تعرض عليه حتى غربت الشمس وغفل عن العصر او عن ورد كان له فاغتم لما فاته فاستردها فعقرها تقربا لله تعالى (فقال انى احببت حب الخير عن ذكر ربى) اصل احببت ان يعدى بعلى لانه بمعنى آثرت لكن لما انيب مناب انبت عدى تعديته وقيل هو بمعنى تقاعدت من قوله * مثل بعير السوء اذا أحبا * اى برك وحب الخير مفعول له والخير المال الكثير والمراد به الخيل التى شغلته ويحتمل انه سماها خيرا لتعلق الخير بها قال صلى الله عليه وسلم الخيل معقود بنواصيها الخير الى يوم القيامة وقرأ ابن كثير ونافع بفتح الياء (حتى توارت بالحجاب) اى غربت الشمس شبه غروبها بتوارى المخبأة بحجابها واضمارها من غير ذكر لدلالة العشى عليها (ردوها على) الضمير للصافنات (فطفق مسحا) فاخذ يمسح بالسيف مسحا (بالسوق والاعناق) اى بسوقها واعناقها يقطعها من قولهم مسح علاوته اذا ضرب عنقه وقيل جعل يمسح بيده اعناقها وسوقها حبا لها وعن ابن كثير بالسؤق على همز الواو لضمة ما قبلها كؤوس وعن ابى عمرو بالسؤوق وقرئ بالساق اكتفاء بالواحد عن الجمع لامن الالباس (ولقد فتنا سليمان والقينا على كرسيه جسدا ثم اناب) اظهر ما قيل فيه ما روى مرفوعا انه قال لاطوفن الليلة على سبعين امرأة تأتى كل واحدة بفارس يجاهد فى سبيل الله ولم يقل ان شاء الله فطاف عليهن فلم يحمل الا امرأة جاءت بشق رجل فو الذى نفس محمد بيده لو قال ان شاء الله لجاهدوا فرسانا وقيل ولد له ابن فاجتمعت الشياطين على قتله فعلم ذلك وكان يغذوه فى السحاب فما شعر به الا ان القى على كرسيه ميتا فتنبه على خطائه بان لم يتوكل على الله وقيل انه غزا صيدون من الجزائر فقتل ملكها واصاب ابنته جرادة فاحبها وكان لا يرقأ دمعها جزعا على ابيها فامر الشياطين فمثلوا لها صورته فكانت تغدو اليها وتروح مع ولائدها يسجدون لها كعادتهن فى ملكه فاخبره آصف رضى الله عنه فكسر الصورة وضرب المرأة وخرج الى الفلاة باكيا متضرعا وكانت له ام ولد اسمها امينة اذا دخل الى الطهارة اعطاها خاتمه وكان ملكه فيه فاعطاها يوما فتمثل لها بصورته شيطان اسمه صخر واخذ الخاتم فتختم به وجلس على كرسيه فاجتمع عليه الخلق ونفذ حكمه فى كل شىء الا فيه وفى نسائه وغير سليمان عن هيئته فاتاها لطلب الخاتم فطردته فعرف ان الخطيئة قد ادركته فكان يدور على البيوت يتكفف حتى مضى اربعون يوما عدد ما عبدت الصورة فى بيته فطار الشيطان وقذف الخاتم فى البحر فابتلعته سمكة فوقعت فى يده فبقر بطنها فوجد الخاتم فتختم به (م) وخر ساجدا وعاد اليه الملك فعلى هذا الجسد صخر سمى به وهو جسم لا روح فيه لانه كان متمثلا بما لم يكن كذلك والخطيئة تغافله عن حال اهله لان اتخاذ التماثيل كان جائزا حينئذ وسجود الصورة بغير علمه لا يضره (قال رب اغفر لى وهب لى ملكا لا ينبغى لاحد من بعدى) لا يتسهل له ولا يكون ليكون معجزة لى مناسبة لحالى

بموحدة حال وفوقها فوصفها بالصفون والجودة يجمعها بين الوصفين المحمودين واقفة وجارية يعنى اذا وقفت كانت ساكنة مطمئنة فى مواقفها واذا جرت كانت سراعا خفافا فى جريها ﴿قوله لانه بمعنى آثرت﴾ كما يقول الخير بين الشيئين اخترت هذا اى آثرته واحببت ايضا يستعمل بمعنى آثر قال تعالى فاستحبوا العمى على الهدى والاصل على هذا ان يقال احببت حب الخير على ذكر ربى الا انه ضمن احببت معنى انبت فعدى تعديته كانه قيل انبت حب الخير عن ذكر ربى اى جعلته نائبا عنه فظهر منه انه لا يلزم ان يكون المضمن من لوازم المتضمن بل يكفى ان يكون الحرف المذكور صلته ﴿قوله وقيل هو بمعنى تقاعدت﴾ من قولهم احب البعير اذا سقط وبرك من الاعياء قال الشاعر

* ثنا لمن بالهون قد أبا * مثل بعير السوء اذا أحبا *

قوله ثنا من الثباب وهو الهلاك وأب اى اقام ولزم المكان ولم يبرح عنه بالضرب ونحوه فالمعنى على هذا قعدت عن ذكر ربى من اجل حب الخير وحب الخير مفعول له ﴿قوله شبه غروبها بتوارى المخبأة بحجابها﴾ فذكر التوارى واريد الغروب فيكون توارت استعارة تبعية يقال جارية مخبأة اى مخدرة مستترة ﴿قوله فاخذ يمسح بالسيف مسحا﴾ اشارة الى ان طفق بمعنى اخذ لان طفق واخواته يفيد شروع فاعله فى مضمون الخبر الا ان مسحا منصوب بفعل مقدر هو خبر طفق اى وطفق يمسح مسحا لان خبر هذه الافعال لا يكون الا مضارعا فى الاغلب والسوق جمع ساق والاعناق جمع عنق والباء فى بالسوق زائدة مثلها فى قوله وامسحوا برؤسكم وحكى سيبويه مسح رأسه وبرأسه بمعنى واحد والمعنى فاخذ يمسح بالسيف سوقها واعناقها اى يقطعها اى يقطع سوقها واعناقها بالسيف والعلاوة رأس الانسان مادام فى عنقه يقال ضرب علاوته اى قطع رأسه ﴿قوله وعن ابن كثير بالسؤق على همز الواو لضمة ما قبلها كؤوس وعن ابى عمرو بالسؤوق﴾ على وزن فعول جعلت الواو المضمومة من سووق همزة كما فى أجوه وأدؤر اصلها وجوه وأدور واصل سؤق فى قرآءة ابن كثير سوق على وزن فعل بواو ساكنة قبلها ضمة ابدلت الواو همزة مع انها ليست بمضمومة تنزيلا للضمة ما يلاصقها وهو السين منزلة ضمتها وجعلا لضمة السين كانها على الواو كما ابدلت الواو همزة فى مؤقن لذلك قال صاحب التيسير فى سورة النمل قرأ قنبل عن ساقيها وفى ص بالسؤق وفى الفتح على سؤقه بالهمز فى الثلاث والباقون بغير همزة انتهى كلامه وقنبل والبزى رويان عن ابن كثير ورواة الهمز مختصة بقالون والبزى والستة الباقية من الشيوخ متفقون على القرآءة بغير همزة على تقرير صاحب التيسير والله اعلم ﴿قوله فاجتمعت الشياطين على قتله﴾ لانهم كانوا يحذرون فى انفسهم ان يستريحوا مما هم فيه من تسخير سليمان عليه الصلاة والسلام اياهم على التكاليف الشاقة والاعمال المضرة الدائمة بموته فلما ولد له ابن قال بعضهم لبعض ان عاش له ولد لم ينفك ما نحن فيه من البلاء فسبيلنا ان نقتل ولده ولا نخليه فعلم بذلك سليمان فامر السحاب حتى حمله وغذا ابنه فى السحاب اى رباه فيه يقال غذوته اغذوه اى ربيته خوفا من مضرة الشياطين فابتلاه الله لاجل هذا الخوف بموت هذا الولد فالقى ميتا على كرسيه فهو المراد من الجسد الملقى على كرسيه وعلى القول بانه فتن لترك الاستثناء فالجسد الملقى على كرسيه هو شق غلام اى نصفه فانه لما ولد جيء به وهو على كرسيه فوضع على حجره ﴿قوله ليكون معجزة لى مناسبة لحالى﴾ انما طلب الملك من بين سائر المعجزات لان الغالب فى زمنه عليه الصلاة والسلام الملك فطلب مثل ذلك ليكون حجة على نبوته لان معجزة كل نبى كانت من جنس الغالب فى زمانه كالسحر فى زمان موسى عليه الصلاة والسلام والابرآء من الجذام والبرص فى زمن عيسى عليه الصلاة والسلام فتحداهم بابرآء الاكمه والابرص واحياء الموتى والفصاحة فى زمان نبينا صلى الله عليه وسلم فتحداهم باقصر سورة من كلام ذى العزة والكبرياء فكذا سليمان عليه الصلاة والسلام فانه كان ملكا ومع ذلك استوهب من ربه ملكا زائدا خارقا للعادة بتسخير ما لم يسخر للانس وهو الرياح والشياطين والطير فسخر له ذلك وكذا سخر له من الملك ما لم يتيسر لغيره مثل ذلك فانه ورث ملك ابيه فى عصر كيخسرو بن سياوش وسار من الشام الى العراق فبلغ خبره كيخسرو فهرب الى خراسان فلم يلبث قليلا حتى هلك ثم سار الى مرو ثم الى بلاد الترك وجاز بلاد الصين ثم رجع الى بلاد الفرس فنزلها اياما ثم عاد الى الشام آمنا وبنى بيت المقدس فلما فرغ منه سار الى تهامة ثم الى صنعاء وتفقد الطير وكان من حديثه مع صاحبة آصف ما ذكره الله تعالى فى كتابه الكريم وغزا فى بلاد المغرب الاندلس وطنجة وافريقية وتواحيها والقصة بتمامها طويلة والحاصل انه عليه الصلاة والسلام

اولا ينبغي لاحد ان يسلب بعدمني هذه السلبة اولا يصح لاحد من بعدي لعظمته كقولك لفلان ماليس لاحد من الفضل والمال على اراده وصف الملك بالعظم لا ان لايعطى احد مثله فيكون منافسة وتقديم الاستغفار على الاستيهاب لمزيد اهتمامه بامر الدين ووجوب تقديم مايجعل الدعاء بصدد الاجابة وقرأ نافع وابو عمرو بفتح الياء (انك انت الوهاب) المعطي ماتشاء لمن تشاء (فسخرنا له الريح) فذللناها لطاعته اجابة لدعوته وقرئ الرياح (تجري بامره رخاء) لينة من الرخاوة لاتزعزع او لاتخالف ارادته كالمأمور المنقاد (حيث اصاب) اراد من قولهم اصاب الصواب فاخطأ الجواب (والشياطين) عطف على الريح (كل بناء وغواص) بدل منه (وآخرين مقرنين في الاصفاد) عطف على كل كأنه فصل الشياطين الى عملة استعملهم في الاعمال الشاقة كالبناء والغوص ومردة قرن بعضهم مع بعض في السلاسل ليكفوا عن الشر ولعل اجسامهم شفافة صلبة فلا ترى ويمكن تقييدها هذا والاقرب ان المراد تمثيل كفهم عن الشرور بالاقران في الصفد وهو القيد وسمي به العطاء لانه يرتبط بالمنعم عليه وفرقوا بين فعليهما فقالوا اصفده قيده واصفده اعطاه عكس وعده واوعده وفي ذلك نكتة (هذا عطاؤنا) اي هذا الذي اعطيناك من الملك والبسطة والتسلط على مالم يتسلط عليه غيرك عطاؤنا (فامنن او امسك) فاعط من شئت وامنع من شئت (بغير حساب) حال من المستكن في الامر اي غير محاسب على منه وامساكه لتفويض التصرف فيه اليك او من العطاء او صلة له وما بينهما اعتراض والمعنى انه عطاء جم لايكاد يمكن حصره وقيل الاشارة الى تسخير الشياطين والمراد بالمن والامساك اطلاقهم وابقاؤهم في القيد (وان له عندنا لزلفى) في الآخرة مع ماله من الملك العظيم في الدنيا (وحسن مآب) وهو الجنة (واذكر عبدنا ايوب) هو ابن عيص بن اسحق عليهم السلام وامرأته ليا بنت يعقوب (اذ نادى ربه) بدل من عبدنا وايوب عطف بيان له (اني مسني) باني مسني وقرأ حمزة باسكان الياء واسقاطها في الوصل (الشيطان بنصب) بتعب (وعذاب) الم وهو حكاية لكلامه الذي ناداه فيه ولو لاحكى لقال انه مسه

لم يطلب ماطلبه منافسة في الملك اي رغبة فيه وحرصا على الاستقلال بالنعمة وحسدا على غيره بل انما طلبه ليكون معجزة له وعين الملك لذلك كما ذكر ﴿ قوله او لايصح لاحد من بعدي لعظمته ﴾ اي وليس المقصود من قوله لاينبغي لاحد من بعدي استقلاله به بحيث لايعطي احد مثله ليكون منافسة في الملك وحرصا عليه بل المقصود منه توصيف الملك بكونه عظيما وكني عنه بذكر لازمه ولا شئ في ان تعلق همة العبد ويستوهب من مولاه نعما جليلة والطافا عظيمة وانما المحذور في ان يتمنى زوالها عن غيره وقيل انما قال ذلك لان الاحتراز عن طيبات الدنيا مع القدرة عليها اشق من الاحتراز عنها حال عدم القدرة عليها فكأنه قال يا الهي اعطني مملكة فائقة على ممالك البشر بالكلية حتى احترز عنها ولا اكون مشغول القلب بهاومع القدرة عليها ليصير ثوابي اكمل وافضل واجزل ولذلك كان يأكل خبز الشعير ويلبس الصوف ويأكل من كد يده ويجلس مع المساكين ويقول انا مسكين جالس مع المساكين ﴿ قوله لاتزعزع ﴾ الزعزعة تحريك الشئ يقال زعزعته فتزعزع وريح زعزعان وزعزع اي تزعزع الاشياء ولاينافيه قوله تعالى في آية اخرى ولسليمان الريح عاصفة تجري بامره لان المراد ان تلك الريح كانت في قوة الرياح العاصفة الا انها لما جرت بامره كانت لينة طيبة ﴿ قوله قرن بعضهم مع بعض ﴾ شدد للكثرة يقال قرنت الشئ بالشئ اي وصلته به قال الامام ابو منصور كان عليه الصلاة والسلام اذا امتنع احد منهم من العمل له بالبناء والغوص وغير ذلك قيده بالغل وهو مايجمع ايديهم الى اعناقهم يدفع به شرهم عن الخلق والعملة منهم تبني له الابنية الدقيقة البديعة ومنهم من يستخرج له من البحر الجواهر واللآلي والحلي المتخذة قال مقاتل كان سليمان عليه الصلاة والسلام اول من استخرج اللؤلؤ من البحر ﴿ قوله ولعل اجسامهم شفافة صلبة ﴾ اشارة الى جواب مايقال من ان هذه الشياطين اما ان تكون اجسادهم كثيفة او لطيفة فان كانت كثيفة وجب ان يراهم من كان صحيح الحاسة اذ لو جاز ان لايراهم مع كثافة اجسادهم لجاز ان يكون بحضرتنا جبال عالية واصوات هائلة ولانراها ولانسمعها وذلك سفسطة وان كانت اجسادهم لطيفة فمثل هذا يمتنع ان يكون موصوفا بقوة شديدة يقدر بها على مالايقدر عليه البشر لانه تتفرق اجسادهم وتتمزق بالرياح العاصفة فلا تطيق تحمل الاشياء الثقيلة بل تتأثر منها فتتفرق اجزاؤها فتموت في الحال وايضا فالاجسام اللطيفة لاتقبل التقييد بالاصفاد والاغلال فاجاب اولا بان اجسامهم لطيفة وان اللطافة لاتنافي الصلابة بمعنى الامتناع عن التفرق فلكونها لطيفة لاترى ولكونها صلبة يمكن تقييدها وتحمل الاشياء الثقيلة وثانيا بانهم مع لطافة اجسامهم لما كانوا مسخرين منقادين لطاعته بتسخير الله تعالى اياهم له عليه الصلاة والسلام كان قادرا على كفهم عن الاضرار للخلق فشبه كفه اياهم عن ذلك بالاقران في الصفد ثم اشتق من الاقران بهذا المعنى المجازي لفظ المقرنين فهو استعارة تبعية بمعنى ممنوعين من الشرور ومقرنين صفة لآخرين ﴿ قوله وسمي به العطاء ﴾ كما في قول علي بن ابي طالب رضي الله عنه من برك فقد اسرك ومن جفاك فقد اطلقك اي من احسن اليك فقد قيدك وقيل

وغدت عليك رقابها مغلولة ۝ ان العطاء اسار كل مؤمل ۝

شبه الاحسان بالاسار لانه يتوسل به الى ربط من احسن اليه كالاسار وقوله وفرقوا بين فعليهما الى فعلي الصفد بمعنى القيد وبمعنى العطاء بجعل فعل الصفد بمعنى الشر ثلاثيا وبمعنى الخير رباعيا على عكس وعد واوعد فان الثلاثي فيه للخير والنفع والرباعي للشر والمضرة ﴿ قوله وفي ذلك نكتة ﴾ اي في كون اصفده للخير نكتة وهي ان الهمزة في اصفده للسلب اي ازال مابه من قيد الحاجة بان اعطاه مايدفع عنه حاجته بخلاف اوعده فانه لغة اصلية موضوعة للشر والتهديد ﴿ قوله غير محاسب على منه وامساكه ﴾ اي لاحرج عليك فيما اعطيت ولا فيما امسكت فكان عليه الصلاة والسلام ان اعطى اجر وان لم يعط لم يأثم بخلاف غيره قال الحسن ماانعم الله على احد نعمة الا عليه تبعة الا سليمان فانه اعطى ولم يكن عليه تبعة وقوله او من العطاء فان كان حالا من العطاء يكون التقدير هذا عطاؤنا كثيرا واسعا وان كان متعلقا به يكون التقدير اعطيناك بغير حساب ولاتقدير والمقصود على التقديرين الدلالة على كثرة الاعطاء ﴿ قوله وقيل الاشارة الى تسخير الشياطين ﴾ والظاهر حينئذ ان يكون بغير حساب حالا من المستكن في الامر اي خل من شئت منهم وامسك من شئت في وثاقك لاتبعة عليك في شئ منهما ﴿ قوله اذ نادى ربه بدل ﴾ ولايجوز ان يكون اذ معمول اذكر لان الذكر المأمور به لايتصور ان يكون في ذلك الوقت ﴿ قوله وهو حكاية لكلامه ﴾ اي قوله اني مسني الشيطان بضمير المتكلم حكاية لكلامه اي ناداه ودعاه بهذا

اللفظ ثم حذفت الباء لان حذفها من ان وان شائع كثيرا فان قرآءة العامة بفتح همزة انى وقرئ بكسرها على اضمار القول او على اجرآء النداء مجراه ﴿ قوله لمافعل بوسوسته ﴾ يعنى ان الذى اصابه بالنصب ليس الا الله جل ذكره واسنده الى الشيطان اسنادا مجازيا لكونه سببا فيما مسه الله به فان الشيطان وسوس الى ايوب عليه الصلاة والسلام وطاوعه فيما وسوس فابتلاه الله تعالى بذلك ﴿ قوله اولسؤاله ﴾ عطف على قوله لمافعل بوسوسته وقوله امتحانا لصبره علة لقوله مسه بذلك اى والاسناد الى الشيطان لان الله تعالى مسه بذلك لسؤال الشيطان اياه منه عزوجل حسدا على ايوب وبغيا عليه حيث سمع تجاوب الملائكة بالصلاة عليه حين ذكره الله عندهم واثنى عليه كما ورد فى الحديث ان عبدى اذ ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير منهم روى ان الشيطان قال الهى عبدك ايوب قد انعمت عليه بجميع انواع النعم واصنافها وشكرك وعافيته فحمدك ولو ابتليته بنزع ما اعطيته لتحول عما هو عليه من شكرك وعبادتك فقال تعالى انى اعلم منه انه يعبدنى ويشكرنى وان لم يكن له سعة فى الدنيا فقال ابليس يارب سلطنى على جميع ما انعمت به عليه فسلطه على كل شئ من ماله وبدنه الا على قلبه ولسانه وزوجته فطفق ابليس يباشر سبب هلاك امواله واولاده وزوال صحة جسده فكلما سعى فى هلاك صنف من امواله اهلكه الله تعالى لسؤال ابليس ذلك وكان يجئ لايوب فى صورة النعم على ذلك الصنف ويخبره بهلاكه وانه لم يبق منه شئ وان يقوم على غيره فيجيبه ايوب عليه الصلاة والسلام بقوله الحمد لله الذى اعطانيها واخذها عريانا خرجت من بطن امى وعريانا اعود فى التراب وعريانا احشر الى الله عزوجل وليس لى ان افرح حين اعارنى وان اغتم واجزع حين قبض عاريته الله اولى بجميع ما اعطانى فله الحمد حين اعطانى وحين اخذمنى والقصة مفصلة فى البغوى ﴿ قوله فيكون اعترافا بالذنب ﴾ وذلك على الوجه الاول ظاهر اذ قوله مسنى الشيطان بنصب معناه حينئذ اصابنى تعب منك بسبب مافعلته لوسوسة الشيطان وهو اعتراف صريح به واما على الوجه الثانى فكونه اعترافا منه ليس بظاهر لان المعنى حينئذ انه اصابنى منك تعب بسبب ان الشيطان سأل منك ذلك فاى ذنب منه فى ان عذبه الله تعالى اجابة لسؤال غيره الا ان يقال ان الشيطان انما سأل منه تعالى بناء على زعم انه ان ابتلى بنزع ما هو فيه من النعم والعافية قصر فى طاعته تعالى والرضى بقضائه باظهار الجزع ثم انه لما ابتلى به ودعا ربه فى كشف ذلك البلاء عد ذلك تقصيرا فى الرضى بالقضاء هضما للنفس والا فالتضرع الى الله تعالى فى كشف الضر لاينافى الصبر والرضى ﴿ قوله اومراعاة ﴾ وجه ثان لاسناد المس الى الشيطان لان مآل ماتقدم واحد وهو الاسناد الى السبب وحاصله ان ايوب عليه الصلاة والسلام تأدب فى دعائه حيث لم ينسبه الى الله تعالى مع انه فاعله ولايقدر عليه الا هو ﴿ قوله اولانه وسوس الى اتباعه ﴾ فالذى مسه من النصب والعذاب هو مافعل اتباعه من رفضهم واخراجهم اياه من ديارهم الى الصحرآء واسنده الى الشيطان لكونه سببا حاملا لهم على ذلك بوسوسته اليهم * قرأ الجمهور بنصب بضم النون وسكون الصاد وهو المشقة والبلاء قيل النصب مااصابه فى بدنه والعذاب مااصابه فى سائر ماله من النعم وفيه بعد وقرئ بنصب بفتح النون وسكون الصاد على انه المصدر يقال نصبت لفلان نصبا اذا عاديته وقرئ بفتحتين وهو لغة فى نصب بالضم والسكون نحو رشد ورشد وحزن وحزن وعدم وعدم وقيل الذى هو بالضم والسكون جمع نصب بفتحتين نحو اسد واسد ووثر ووثر وقرئ نصب بضمتين وهو تثقيل نصب بضم وسكون وفيه بعد لماتقرر ان مقتضى اللغة تخفيف فعل بضمتين كعنق لاتثقيل فعل كقفل ﴿ قوله حكاية لما اجيب به ﴾ اى لما انقضت مدة بليته دعا ربه فقيل له اركض برجلك واختلف فى مدة بلائه فعن انس رضى الله عنه رفعه ان ايوب لبث فى بلائه ثمانى عشرة سنة وقال وهب لبث ثلاث سنين ولم يزد عليها يوما وقال كعب كان فى بلائه سبع سنين وسبعة اشهر وستة ايام وكان مطروحا على كناسة فى مزبلة لبنى اسرآئيل تختلف فيه الديدان ولايقربه احد غير زوجته رحمة تسأل الناس من صدقاتهم وتأتيه بطعامه وتحمد الله معه اذا حمد وايوب على ذلك لايفتر من ذكر الله تعالى فصرخ ابليس لعنه الله عليه صرخة جمع بها جنوده من اقطار الارضين فقال لهم اعيانى هذا العبد الذى لم ادع له مالا ولا ولدا حتى جعلته فرحة ملقاة فى كناسة فلم يزده الا صبرا ورضى فاعينونى عليه فانه ابطل جميع ما اهلكت به من مضى من الهالكين فقالوا نشير عليك من اين اتيت آدم حين اخرجته من الجنة قال من قبل امرأته فقالوا عليك بامرأة ايوب فقال اصبتم فانطلق حتى اتى امرأته وهى تطلب صدقة الناس فتمثل لها فى صورة رجل فقال اين بعلك يا امة الله قالت هو ذاك الذى تسيل قروحه وتتردد الديدان

والاسناد الى الشيطان بواسطة ان الله مسه بذلك لمافعل بوسوسته كما قيل انه اعجب بكثرة ماله او استغاثه مظلوم فلم يغثه او كانت مواشيه فى ناحية ملك كافر فداهنه ولم يغزه او لسؤاله امتحانا لصبره فيكون اعترافا بالذنب او مراعاة للادب او لانه وسوس الى اتباعه حتى رفضوه واخرجوه من ديارهم اولان المراد من النصب والعذاب ما كان يوسوس اليه فى مرضه من عظم البلاء والقنوط من الرحمة ويغريه على الجزع وقرأ يعقوب بفتح النون على المصدر وقرئ بفتحتين وهو لغة كالرشد والرشد وبضمتين للتثقيل (اركض برجلك) حكاية لما اجيب به اى اضرب برجلك الارض (هذا مغتسل بارد وشراب) اى فضربها فنبعت عين فقيل هذا مغتسل اى تغتسل به وتشرب منه فيبرأ ظاهرك وباطنك وقيل نبعت عينان حارة وباردة فاغتسل من الحارة وشرب من الاخرى (ووهبنا له اهله) بان جمعناهم عليه بعد تفرقهم او احييناهم بعد موتهم وقيل وهبناله مثلهم (ومثلهم معهم) حتى كان له ضعف ما كان (رحمة منا) لرحمتنا عليه (وذكرى لاولى الالباب) وتذكيرا لهم لينتظروا الفرج بالصبر واللجأ الى الله فيما يحيق بهم

في جسده فلما سمعها طمع ان تكون كلمة جزع فوسوس اليها وذكرها ما كانت فيه من النعيم والاموال وذكرها جمال ايوب وشبابه وما فيه من الضر وان ذلك لا ينقطع عنه ابدا قال الحسن فصرخت فلما صرخت علم انها قد جزعت فاتاها بسخلة وقال ليذبح هذه ايوب لي حتى يبرأ مما هو فيه فجاءت تصرخ حتى قالت الى متى يعذبك ربك اين المال واين الجمال واين الاولاد والاصدقاء فقد دلني معالج على ان تذبح هذه له وتستريح فقال ايوب انه عدو الله ابليس اتاك ونفخ في فيك لئن شفاني الله لأجلدنك مائة جلدة امرتني ان اذبح لغير الله حرام علي ان ذقت شيأ مما تأتين به من الطعام والشراب بعد فاعزبي عني فلا اراك فطردها فذهب فلما نظر ايوب ان ليس عنده طعام ولا شراب خر ساجدا ودعا ربه فقيل له ارفع رأسك فقد استجبت لك اركض برجلك فركض برجله والركض هو الدفع القوي بالرجل ومنه ركض الفرس وظاهر اللفظ يدل على انه حين ركض الارض نبعت له عين واحدة من الماء فاغتسل منه وشرب فذهب بهما ما به من الداء من ظاهره وباطنه والمفسرون قالوا نبعت له عينان فاغتسل من احداهما وشرب من الاخرى وقيل ضرب برجله اليمنى فنبعت عين حارة فاغتسل فيها فلم يبق عليه من دائه شيء ظاهر الا سقط وعاد اليه شبابه وجماله احسن ما كان ثم ضرب برجله اليسرى فنبعت عين اخرى باردة فشرب منها فلم يبق في جوفه داء الا خرج فقام صحيحا وكسي حلة فجعل يلتفت فلا يرى شيأ مما كان له من اهل ومال وولد الا وقد رده الله مضاعفا فخرج حتى جلس على مكان شريف ثم ان امرأته قالت ان كان طردني هو فالى من اكله ادعه يموت جوعا لا رجعن اليه فرجعت فلم تجده ورأت شابا صاحب حلة قعد في مكان شريف فهابت ان تسأله عنه فدعاها ايوب فقال ما تريدين يا امة الله فبكت وقالت ذلك المبتلى الذي كان منبوذا في الكناسة لا ادري اضاع ام ما حاله ثم جعلت تنظر اليه وهي تهابه ثم قالت اما انه اشبه خلق الله بك اذ كان صحيحا فقال انا ايوب الذي امرتني ان اذبح لابليس فاني اطعت الله وعصيت الشيطان ودعوت الله فرد علي ما ترين ﴿قوله تعالى ولا تحنث﴾ الحنث الاثم ويطلق على فعل ما حلف على تركه او ترك ما حلف على فعله لكونه سببا وهذا الكلام يدل على انه تقدم منه الحلف على ضرب اهله واختلفوا في سبب يمينه واختار المصنف ما ذكر من انها خرجت لحاجة وابطأت فحلف على ضربها لذلك ولم يلتفت الى ما ذكر من ان الشيطان قال لها الذي اصابكم من البلايا لم يصبكم به الا انا فان الله تعالى سلطني على اموالكم واولادكم وعلى جسد زوجك فنعمت فيكم جميع ما ترين من البلايا فان اردت ان ارد عليكم جميع اموالكم واولادكم وسائر ما زال عنكم من الاسباب والقوى فاسجدي لي فقالت امهلني حتى افكر فذكرت ذلك لايوب فحلف وقيل قال لها ان زوجك ان استغاث بي خلصته من هذا البلاء وقيل قال لها ان ذبح وقرب لي عناقا او ان شرب الخمر برئ فذكرت المرأة ذلك لزوجها فحلف لذلك وقيل ان امرأته كانت تخدم الناس لتحصيل القوت وفي يوم من الايام لم تقدر على القوت فباعت احدى ذوائبها برغيف ثم باعت الاخرى في يوم آخر فلم يبق لها ذوائب وكان ايوب عليه الصلاة والسلام اذا اراد ان يتحرك في مضجعه تعلق بذوائبها فلما لم يجد الذوائب وقع في قلبه خاطر ردي فحلف لذلك ولم يلتفت المصنف الى مثل هذه الاقاويل لبعدها في حق اهل بيت النبوة ولما كانت بريئة من الخيانة وحسنة الخدمة لزوجها حلل الله تعالى يمينه باهون شيء عليها لحسن نيته فيما حلف ﴿قوله ولا تخل به شكواه الى الله﴾ جواب عما قال كيف وجده صابرا وقد شكا اليه حيث قال رب اني مسني الضر ومسني الشيطان بنصب وتقرير الجواب ان الشيطان عدو والشكاية من العدو الى الحبيب معناها الاستعانة منه والالتجاء والتخصص بكنف الحبيب وظل حمايته وذلك لا يسمى جزعا كتمني العافية وطلب الشفاء مع ان الآلام كانت في جسده والهوام على بدنه فذكر الشكوى وقيل انه لما طالت مدة الآلام اخذ الشيطان يوسوس اليه بالقنوط من رحمة الله والحمل على الجزع والشكاية من فوات الحالة الاولى وكذا شرع في ان يوسوس الى امرأته والى سائر الناس انه لو كان نبيا لكان له عند الله جاه ومنزلة ولا يبتليه بمثل هذه البلية مدة مديدة حتى روي انه ارتد بعض من آمن به منهم فلما خاف ان تؤثر فتنة الشيطان في القلب والدين تضرع الى ربه في دفع شره وذلك لا ينافي الصبر لانه لا يجوز الصبر على مفسدة القلب والدين بل سبيله الاستغفار واصلاح الحال باي طريق امكن وانما الصبر على مخالفة النفس والهوى ﴿قوله تعالى واذكر عبادنا ابرهيم﴾ والمقصود من جمع هذه القصص الاعتبار كأن الله تعالى قال يا محمد اصبر على سفاهة قومك فانه ما في الدنيا احد كان اكثر نعمة ولا مالا ولا جاها من داود وسليمان وما كان اكثر بلاء ومحنة من ايوب فتأمل في احوال هؤلاء لتعرف ان احوال الدنيا لا تنتظم لاحد فان

(وخذ بيدك ضغثا) عطف على اركض والضغث الحزمة الصغيرة من الحشيش ونحوه (فاضرب به ولا تحنث) روي ان زوجته ليا بنت يعقوب عليه السلام وقيل رحمة بنت افرائيم بن يوسف ذهبت لحاجة وابطأت فحلف ان برئ ضربها مائة ضربة فحلل الله يمينه بذلك وهي رخصة باقية في الحدود (انا وجدناه صابرا) فيما اصابه في النفس والاهل والمال ولا تخل به شكواه الى الله من الشيطان فانه لا يسمى جزعا كتمني العافية وطلب الشفاء مع انه قال ذلك خيفة ان يفتنه او قومه في الدين (نعم العبد) ايوب (انه اواب) مقبل بشراشره على الله تعالى (واذكر عبادنا ابراهيم واسحق ويعقوب) وقرأ ابن كثير عبدنا وضع الجنس موضع الجمع او على ان ابراهيم وحده لمزيد شرفه عطف بيان له واسحق ويعقوب عطف عليه (اولي الايدي والابصار) اولي القوة في الطاعة والبصيرة في الدين او اولي الاعمال الجليلة والعلوم الشريفة

العاقل لابدله من الصبر على المكاره واذكر ايضا صبر ابراهيم حين القى فى النار وصبر اسحق حين عرض على الذبح وصبر يعقوب عليه الصلاة والسلام حين فقد ولده وذهب بصره * قرأ الجمهور اولى الايدى باثبات الياء فى الايدى على انه جمع يد وقرئ ايضا اولى الايد بحذف الياء والايد القوة * الجوهرى آد الرجل يئيد ايدا اشتد وقوى والايد والآد القوة والظاهر ان المصنف قرر قرآءة الجمهور فيكون قوله اولى القوة فى تفسير قوله تعالى اولى الايدى بناء على انه جعل الايدى جمع اليد وجعل اليد عبارة عن القوة لا عن نفس الجارحة المخصوصة لان كل احد كذلك فلا يصلح للمدح وانما عبر عن القوة باليد لانها سبب التقوى على اكثر الاعمال وبها يحصل البطش والقوة والابصار حمل على بصر القلب ويسمى البصيرة وهى القوة التى يتمكن بها الانسان على ادراك المعقولات وتخصيص المعقولات بما يتعلق بالدين مستفاد من خصوصية الموصوف باولى الابصار وفيه تعريض بالزمخشرى حيث قال وتفسير الايد بطرح الياء بالقوة قلق غير متمكن اى لا يستقر مع عطف الابصار عليه فانه لا يناسب اليد بمعنى القوة وانما يناسب اليد بمعنى الجارحة المستعملة فى القوة مجازا لعطف الابصار عليه وكان المعنى اولى القوة فى الطاعة والبصيرة فى الدين فلم يتمكن عطف الابصار على الايد بمعنى القوة لذلك المعنى ﴿قوله لان اكثرها بمباشرتها﴾ اى اكثر الاعمال لا يتأتى بدون اليد فتكون اليد من لوازمها ويكون ذكر الايدى كناية عنها لان اليد سبب وآلة لها فتكون مجازا مرسلا كما فى الوجه الاول ﴿قوله بخصلة خالصة﴾ اى صافية لا يشوبها غيرها وهو اشارة الى ان خالصة صفة لمحذوف يبينه ذكرى الدار على انه خبر مبتدأ محذوف يرجع اليها وان الذكرى مصدر بمعنى التذكر الذى هو نقيض النسيان اى وتلك الخصلة الصافية استغراقهم فى ذكر الآخرة واشتغالهم بذكرها عن ذكر الدنيا * فان قيل كيف يكونون خالصين لله وهم مستغرقون فى الطاعة وفيما هو سبب لها وهو تذكر الآخرة * اجاب عنه المصنف بان استغراقهم فى تذكر الآخرة ليس الا استغراقهم فى الشوق الى لقاء الله تعالى على وجه يرضى عنهم ويرضون عنه ولما لم يكن ذلك الا فى الآخرة استغرقوا فى تذكرها والاشتغال بما يؤدى الى لقائه على ذلك الوجه وهو خلوصهم فى الطاعة ﴿قوله واطلاق الدار﴾ مع ان المراد الدار المقيدة بكونها آخرة للاشعار بان حقيقة الدار منحصرة فيها لا يتبادر الذهن عند اطلاق اسم الدار الى غيرها وذكر لاضافة خالصة الى ذكرى وجهين الاول انها اضافة بيانية اى من قبيل اضافة الشئ الى ما يوضحه ويبينه فان الخالصة قد تكون ذكرى وغير ذكرى فبينت بالاضافة والثانى انها من اضافة المصدر الى فاعله على ان تكون خالصة مصدرا بمعنى الخلوص كالعاقبة والعافية والمعنى بان خلصت لهم ذكرى الدار واما اضافة ذكرى الى الدار فيجوز ان تكون من اضافة المصدر الى المفعول به اى اخلصناهم بسبب ذكرهم الآخرة ووجل قلوبهم منها ومما يكون فيها مما لا يحصى وان تكون من اضافته الى المفعول فيه على السعة وهو ظرف فى المعنى والمفعول به محذوف اى ذكرهم الوقوف او الحساب او نحوهما فيها وعلى هذا ففى الكلام حذفان حذف المفعول به وحذف الجار كذهبت الشام وقيل المراد بالدار الدنيا وبالذكرى الصبر والثناء الجميل ولسان الصدق الذى ليس لغيرهم والمعنى تلك الخصلة الصافية ثناء الناس لهم فى الدنيا فالدار على هذا ايضا ظرف كالوجه المذكور آنفا نحو يا سارق الليلة وعندنا فى قوله تعالى وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار يجوز ان يكون من صلة الخبر وان يكون من صلة محذوف دل عليه الخبر وهو لمن المصطفين اى وانهم مصطفون عندنا ولا يجوز ان يكون من صلة هذا الظاهر لانه فى صلة الالف واللام وما كان فى الصلة لا يتقدم على الموصول واسمعيل وذو الكفل واليسع قوم آخرون من الانبياء تحملوا الشدآئد فى دين الله تعالى روى ان اليسع وذا الكفل كانا ابنى عم وكان اليسع فى اربعمائة من الانبياء فى زمان ملك ظلوم فقتل الملك منهم ثلاثمائة وبقى ذو الكفل مع من بقى منهم فكفلهم وجعل يطعمهم ويسقيهم ويكساهم حتى نجوا فمن ذلك سمى ذا الكفل وفى شرح الرضى وقد ينكر العلم قليلا فاما ان يستعمل بعده على التنكير نحو رب زيد لقيته وقولك لكل فرعون موسى لان رب وكل من خواص النكرات او يعرف وذلك بان يأول بواحد من الجماعة المسماة فتدخل عليه اللام كقولك

* رأيت الوليد بن اليزيد مباركا * شديدا باعباء الخلافة كاهله *

او بالاضافة نحو قوله

* علا زيدنا يوم النقى رأس زيدكم * بابيض ماضى الشفرتين يمانى *

وفيما نحن فيه ايضا كان يسع او ليسع من الاعلام المشتركة فعرف باللام على ارادة اليسع الفلانى او اليسع الفلانى

(قوله)

فسر الايدى عن الاعمال لان اكثرها بمباشرتها والابصار عن المعارف لانها اقوى مباديها وفيه تعريض بالبطلة الجهال انهم كالزمنى والعميان (انا اخلصناهم بخالصة) جعلناهم خالصين لنا بخصلة خالصة لا شوب فيها هى (ذكرى الدار) تذكرهم للآخرة دآئما فان خلوصهم فى الطاعة بسببها وذلك لان مطمح نظرهم فيما يأتون به ويذرون جوار الله تعالى والفوز بلقائه وذلك فى الآخرة واطلاق الدار للاشعار بانها الدار الحقيقية والدنيا معبر واضاف هشام ونافع بخالصة الى ذكرى للبيان او لانه مصدر بمعنى الخلوص فاضيف الى فاعله (وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار) لمن المختارين من امثالهم المصطفين عليهم فى الخير جمع خير كشر واشرار وقيل جمع خير او خير على تخفيفه كاموات فى جمع ميت او ميت (واذكر اسمعيل واليسع) هو ابن اخطوب استخلفه الياس على بنى اسرآئيل ثم استنبئ واللام فيه كما فى قوله * رأيت الوليد بن اليزيد مباركا * وقرأ حمزة والكسائى والليسع تشبيها بالمنقول من ليسع من اللسع

(وذا الكفل) ابن عم يسع او بشر بن ايوب واختلف في نبوته ولقبه فقيل فرّ اليه مائة نبي من القتل فآواهم وكفلهم وقيل كفل بعمل رجل صالح كان يصلي كل يوم مائة صلاة (وكل) اى وكلهم (من الاخيار هذا) اشارة الى ما تقدم من امورهم (ذكر) شرف لهم او نوع من الذكر وهو القرآن ثم شرع في بيان ما اعد لهم ولامثالهم فقال (وان للمتقين لحسن مآب) مرجع (جنات عدن) عطف بيان لحسن مآب وهو من الاعلام الغالبة لقوله جنات عدن التي وعد الرحمن عباده وانتصب عنها (مفتحة لهم الابواب) على الحال والعامل فيها ما في للمتقين من معنى الفعل وقرئتا مرفوعتين على الابتداء والخبر او انهما خبران لمحذوف (متكئين فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب) حالان متعاقبان او متداخلان من الضمير في لهم لا من المتقين للفصل والاظهر ان يدعون استئناف لبيان حالهم فيها ومتكئين حال من ضميره والاقتصار على الفاكهة للاشعار بان مطاعمهم لمحض التلذذ فان التغذي للتحلل ولا تحلل ثمة (وعندهم قاصرات الطرف) لا ينظرن الى غير ازواجهن (اتراب) لدات لهم فان التحاب بين الاقران اثبت او بعضهن لبعض لا عجوز فيهن ولا صبية واشتقاقه من التراب فانه يمسهن في وقت واحد (هذا ما توعدون ليوم الحساب) لاجله فان الحساب علة الوصول الى الجزاء وقرأ ابن كثير وابو عمرو بالياء ليوافق ما قبله (ان هذا لرزقنا ما له من نفاد) انقطاع (هذا) اى الامر هذا او هذا كما ذكر او خذ هذا (وان للطاغين لشر مآب جهنم) اعرابه ما سبق (يصلونها) حال من جهنم (فبئس المهاد) المهد والمفترش مستعار من فراش النائم والمخصوص بالذم محذوف وهو جهنم كقوله لهم من جهنم مهاد (هذا فليذوقوه) اى ليذوقوا هذا فليذوقوه او العذاب هذا فليذوقوه ويجوز ان يكون مبتدأ خبره (حميم وغساق) وهو على الاولين خبر محذوف اى هو حميم والغساق ما يغسق من صديد اهل النار من غسقت العين اذا سال دمعها وقرأ حفص وحمزة والكسائي وغساق بتشديد السين (وآخر) اى مذوق او عذاب آخر وقرأ البصريان واخر اى مذوقات او انواع عذاب اخر (من شكله) من مثل هذا المذوق او العذاب في الشدة وتوحيد الضمير على انه لما ذكر او للشراب الشامل للحميم والغساق او للغساق وقرئ بالكسر وهي لغة (ازواج) اجناس خبر لآخر او صفة له او للثلاثة او مرتفع بالجار والخبر محذوف مثل لهم (هذا فوج مقتحم معكم) حكاية ما يقال للرؤساء الطاغين اذا دخلوا النار واقتحمها معهم فوج تبعهم في الضلال والاقتحام ركوب الشدة والدخول فيها (لا مرحبا بهم) دعاء من المتبوعين على اتباعهم او صفة لفوج او حال اى مقولا فيهم لا مرحبا اى ما اتوا رحبا وسعة (انهم صالوا النار) داخلون النار باعمالهم مثلنا (قالوا) اى الاتباع للرؤساء (بل انتم لا مرحبا بكم) بل انتم احق بما قلتم او قيل لنا لضلالكم واضلالكم كما قالوا (انتم قدمتموه لنا) قدمتم العذاب او الصلى لنا باغوائنا واغرائنا على ما قدمناه من العقائد الزائغة والاعمال القبيحة (فبئس القرار) فبئس المقر جهنم (قالوا) اى الاتباع ايضا (ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا في النار) مضاعفا اى ذا ضعف وذلك ان يزيد على عذابه مثله فيصير ضعفين كقوله ربنا آتهم ضعفين من العذاب (وقالوا) اى الطاغون (ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الاشرار) يعنون فقراء المسلمين الذين يسترذلونهم ويسخرون بهم (أتخذناهم سخريا) صفة اخرى لرجالا وقرأ الحجازيان وابن عامر وعاصم بهمزة الاستفهام على انه انكار على انفسهم وتأنيب لها في الاستسخار منهم وقرأ نافع وحمزة والكسائي سخريا بالضم وقد سبق مثله في المؤمنين (ام زاغت) مالت (عنهم الابصار) فلا نراهم وام معادلة لما لنا لا نرى على ان المراد نفي رؤيتهم لغيبتهم كأنهم قالوا ليسوا ههنا ام زاغت عنهم ابصارنا او لأتخذناهم على القراءة الثانية بمعنى اى الامرين فعلنا بهم الاستسخار منهم ام تحقيرهم فان زيغ الابصار كناية عنه على معنى انكار هما على انفسهم او منقطعة

﴿قوله ولقبه﴾ اى وفي سبب لقبه بذي الكفل ﴿قوله او نوع من الذكر﴾ وهو القرآن يريد ان التنوين في ذكر للنوعية ومطلق الذكر هو القرآن لما ذكر الله تعالى بابا من ابواب القرآن ونوعا من انواعه وهو الباب الذي ذكر فيه الانبياء عليهم الصلاة والسلام قال هذا نوع من القرآن ثم شرع في باب آخر من ابوابه وهو ما ذكر فيه الجنة واهلها فقال وان للمتقين الخ ﴿قوله وهو من الاعلام الغالبة﴾ اختلف في جنات عدن فقال قوم هي معرفة بشهادة قوله تعالى جنات عدن التي وعد الرحمن عباده حيث وصفها باسم الموصول فدل على انها معرفة وقال آخرون هي نكرة اذ ليس عدن بعلم وانما هو كقولك جنات اقامة والعدن في اللغة الاقامة يقال عدن بالمكان اذا اقام به والمصنف رد عليهم بان ما ذكرتم حاله في اصل الوضع ثم صار علما بالغلبة وجنات عدن سواء كان معرفة او نكرة يجوز كونها بدلا من حسن مآب لان المعرفة تبدل من النكرة وبالعكس واما كونها عطف بيان لحسن مآب على تقدير كونها معرفة فلا يجوز عند البعض وجوزه الزمخشري والمصنف فان الزمخشري خرّج في مواضع جواز عطف البيان وان خالف متبوعه تعريفا وتنكيرا منها قوله تعالى فيه آيات بينات مقام ابراهيم ﴿قوله وانتصب عنها﴾ ظاهر العبارة يشعر بان مفتحة حال من نفس جنات عدن وذا لا يجوز اذ جنات تابع لاسم ان ومعمول لها تبعا فيلزم ان يكون الحال ايضا معمولا لها وان لا تعمل في الاحوال بل هي حال من الضمير المستتر في للمتقين وذلك الضمير لما كان راجعا الى الجنات وعبارة عنها تسامح فقال وانتصب عنها اى عن الضمير الراجع اليها المنوي في للمتقين والمعنى ان جنات عدن استقرت للمتقين حال كونها مفتحة الابواب والابواب فاعل مفتحة والالف واللام فيه بدل من الضمير العائد الى ذي الحال اى ابوابها وهو قول الكوفيين وانكر البصريون ذلك بناء على ان الحرف لا يكون عوضا عن الاسم ولا يقوم مقامه وقالوا ان مفتحة فيها ضمير الجنات ولذلك انث والابواب بدل من ذلك الضمير بدل البعض من الكل او بدل الاشتمال لان الابواب بعض الجنات وهي مشتملة عليها وقيل الابواب فاعل مفتحة والعائد محذوف اى مفتحة لهم الابواب منها كما حذف منه في قولهم السمن منوان بدرهم ورد عليهم بالفرق بينه وبين ما نحن فيه لان ضمير المبتدأ قد يحذف باسره فيجوز حذف بعضه ايضا بخلاف الصفة فانها لا تحذف اعتمادا على القرينة من حيث انها فضلة يتم الكلام بدونها فاذا لم يصرح بها لا يكتفي بالقرينة اذ يفوت الغرض المقصود منها ﴿قوله وقرئتا مرفوعتين﴾ على ان جنات عدن مبتدأ ومفتحة خبره او انهما خبران لمحذوف اى هو جنات عدن مفتحة لهم ﴿قوله او متداخلان﴾ بان يكون متكئين حالا من ضمير لهم والعامل فيها مفتحة ويدعون حالا من ضمير متكئين لا حالا ثانية من ضمير لهم ويجوز ان يكون حالا منه اى من ضمير لهم فيكونان حالين متعاقبين ﴿قوله لدات﴾ اى متساويات في السن وقيل انهن لدات لازواجهن مساويات لهم في السن اى بعضهم لدة لبعض * الجوهري لدة الرجل تربه والهاء عوض عن الواو الذاهبة من اوله لانه من الولادة وهما لدان والجمع لدات ولدون وهذه ترب هذه اى لدتها وصف الله تعالى احوال اهل الجنة في هذه الآية فبدأ بذكر مساكنهم فاشار الى انها بساتين وانها موضع اقامة وان الملائكة يفتحون لهم ابواب الجنة ويحيونهم بالسلام كما قال تعالى حتى اذا جاؤها وفتحت ابوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين وبين بقوله متكئين انهم لا يتقيدون فيها بشغل وعمل ينافي الحبور والراحة ثم بين سعة عيشهم بالوان الفاكهة وبما بين حال مساكنهم وما كلهم ومشربهم ذكر امر المنكوح وبين انهن لا ينظرن الى غير ازواجهن وانهن على سن واحد ﴿قوله او لأتخذناهم﴾ اشارة الى ان ام المتصلة لا بد ان تقع بعد اداة الاستفهام ويكون معها بمعنى اى ولما كان عدم رؤية الطاغين اياهم لازما لغيبتهم كنوا عنه فقالوا تعجبا وتحسرا ما لنا لا نرى اى ما العجب امرنا حيث لم يكونوا معنا في النار ثم انكروا على انفسهم في الاستسخار منهم بقولهم أتخذناهم سخريا ثم عادوا الى الاستفهام على انهم في النار لكن خفي عليهم مكانهم ومالت عنهم ابصارهم لكونهم في ناحية اخرى من النار فقالوا ام زاغت عنهم الابصار فأم على هذا متصلة بقولهم ما لنا وان لم تكن للاستفهام فان لفظ الاستفهام يكفي في معادلة ام المتصلة الا ترى ان همزة التسوية جعلت معادلة ام في قوله تعالى سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم هذا ان قرئ أتخذناهم على لفظ الاستفهام وكانت متصلة فيكون المعنى انهم بعد ما تحسروا على غيبتهم عنهم بكونهم من اهل الجنة انكروا على انفسهم كل واحد من الامرين الاستسخار منهم وتحقيرهم فان عدم الالتفات الى الشيء من لوازم تحقيره ويكنى به عنه ﴿قوله او منقطعة﴾ عطف على قوله معادلة فتكون ام بمعنى بل وهمزة الانكار

وام المنقطعة يصح ان تقع بعد الخبر و الاستفهام فان قرئ اتخذناهم على الخبر يكون المعنى انهم بعد ما اخبروا عن انفسهم بما صنعوا بالمسلمين من الاستهزاء و السخرية على سبيل الندم و التحسر اضربوا عن ذلك الاخبار بالاخذ فى الانكار اشارة الى ان ليس الموضع موضع الاخبار عما صنعوا بهم بل الانكار لما حملهم على ذلك الصنع السوء من زيغ ابصارهم عنهم و كلال افهامهم عن معرفة قدرهم و علو شأنهم و كونهم على الحق المبين و ان قرئ على الاستفهام فالمعنى انهم انكروا على انفسهم ما صنعوا بهم ثم اضربوا عنه و انكروا على انفسهم ماهو الىق بالانكار لكونه حاملا لهم على ذلك اى دعا الى ذلك زيغ ابصارنا عنهم فى الدنيا فلا نعدهم شيأ وكلال افهامنا حيث خفى علينا حقيقة حالهم و ما لنظر نا منهم الا الى ظواهرهم و رثاثة الهيئة اى دناءتها و انما سمى الله تعالى تلك الكلمات تخاصما لان قول الرؤساء لا مرحبا بهم و قول الاتباع بل انتم لا مرحبا بكم من باب الخصومة و لما شرح الله تعالى نعيم المتقين و عقاب الطاغين عاد الى تقرير النبوة و التوحيد و البعث المذكور فى اول السورة فبدأ بتقرير النبوة بما يتضمن وعيد المشركين بان وصف النبى صلى الله عليه وسلم بالانذار و هو اصل التوحيد و ثنى وعيدهم بتوصيف الاله الواحد عز وجل بانه قهار ثم اتبعه بما هو وعد للموحدين و هو قوله رب السموات الآية فان مالكيتها تشعر بالاتصاف بصفات الجلال و الجمال و منها ربيته بجوده و احسانه بايصال خلقه الى درجات كماله ﴿ قوله لان المدعو به هو الانذار ﴾ علة لتقديم مايشعر بالوعيد و تكرير و بمعنى انما قدمه و كرره لان السبب الحامل على تدآر سول الله صلى الله عليه وسلم بقل يا محمد هو انذارهم و قوله تعالى هو مبتدأ و نبأ خبره و عظيم اى جليل القدر صفة نبأ و انتم عنه معرضون ايضا صفة و عنه متعلق بمعرضون ﴿ قوله فان اخباره عليه الصلاة و السلام عن تقاول الملائكة ﴾ اشارة الى ان المراد باختصام الملأ الاعلى و هو الملائكة عبارة عما جرى بينهم من التقاول فى شأن آدم عليه الصلاة و السلام حين قال تعالى للملائكة على لسان ملك انى جاعل فى الارض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها الخ سمى ماجرى هناك من السؤال و الجواب مخاصمة و مناظرة مجازا تشبيها له بها و قيل المراد اختصامهم و اغتباطهم لبنى آدم و ما فيهم من الفضائل و تقاولهم بان اختصاصهم بمزيد الكرامة و الشرف لاى سبب هو و يجيبهم البعض الآخر بان ذلك الكفارات و الدرجات كما ورد فى حديث الاختصام انه عليه الصلاة و السلام قال رأيت الله فى احسن صورة فقال فيم يختصم الملأ الاعلى يا محمد قلت فى الكفارات قال وما هنّ قلت المشى على الاقدام الى الجماعات و الجلوس فى المساجد خلف الصلوات و ابلاغ الوضوء اماكنه فى المبرات و فى بعض الروايات فى المكاره و السبرة الغداة الباردة قال من فعل ذلك يعيش بخير و يموت بخير و يكون من خطيئته كيوم ولدته امه و قال ثم ما الدرجات قلت اطعام الطعام و لين الكلام و الصلاة فى الليل و الناس نيام قال قل اللهم انى اسألك الطيبات و ترك المنكرات و حب المساكين و ان تغفرلى و ترحمنى و تتوب علىّ و اذا اردت فتنة فى قوم فتوفنى غير مفتون و اسألك حبك و حب من يحبك و حب عمل يقربنى الى حبك و قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعلموهن فو الله الذى نفسى بيده انه الحق و فيه روايات اخر حاصل جميعها ما كتب و يجوز انه تعالى ذكر لنبيه صلى الله عليه وسلم اجمالا اختصاص الملائكة اولا فى القرآن ثم بينه ثانيا مفصلا فى منامه ﴿ قوله و اذ ظرف لعلم او متعلق به ﴾ و لم يتعرض الزمخشرى لهذا الوجه و لعل وجهه انه لم يجد فائدة فى نفى علمه عليه الصلاة و السلام وقت الاختصاص و اختاره المصنف و قدمه على الوجه المبنى على الحذف على ان نفى علمه بهم وقت الاختصاص على وجه الاستغراق يقتضى نفى علمه بشئ من اوصافهم و احوالهم و ذلك يستلزم ان لا يعلم اختصامهم ثم اذا علمه و اخبر عنه من غير سماع و مطالعة كتاب ثبت انه نبى يوحى اليه ﴿ قوله اى لانما ﴾ اشارة الى ان محل انما انا نذير النصب بنزع الخافض و التقدير ما يوحى الىّ الا لانما انا نذير اى للانذار فحذف الجار و هو غير مراد فانتصب المجرور بايصال الفعل اليه او هو مراد فيكون فى موضع الجر كما هو المشهور فى مثله و القائم مقام الفاعل على هذا الىّ فان كان فى محل الرفع على انه القائم مقام الفاعل يكون المعنى ما يوحى الىّ الا هذا و هو ان انذر و ابلغ و لا افرط فى ذلك فانما كل جميع ما يوحى اليه عليه الصلاة و السلام هو الانذار و فى المعالم و قرأ ابو جعفر انما بكسر الالف لان الوحى قول امين فتكون الجملة متضمنة لهذا الاخبار و قال الزمخشرى على الحكاية اى الا هذا القول و هو ان اقول لكم انما انا نذير مبين ثم فسر ذلك القول بقوله و هو قولى لكم انما انا نذير ﴿ قوله فان القصة ﴾ بيان لكونه بدل اشتمال من اذ يختصمون بناء على ان قصة الاختصام مشتملة على مضمون هذه الجملة مع امور اخرى هى التقاول

(الجارى)

والمراد الدلالة على ان استرذالهم والاستحقار منهم كان لزيغ ابصارهم و قصور انظارهم على رثاثة حالهم (ان ذلك) الذى حكيناعنهم (لحق) لابد ان يتكلموا به ثم بين ما هو فقال (تخاصم اهل النار) و هو بدل من حق او خبر محذوف و قرئ بالنصب على البدل من ذلك (قل) يا محمد للمشركين (انما انا منذر) انذركم عذاب الله (و ما من اله الا الله الواحد) الذى لا يقبل الشركة و الكثرة فى ذاته (القهار) لكل شئ (رب السموات والارض و ما بينهما) منه خلقها واليه امرها (العزيز) الذى لا يغلب اذا عاقب (الغفار) الذى يغفر ما يشاء من الذنوب لمن يشاء و فى هذه الاوصاف تقرير للتوحيد و وعد و وعيد للموحدين والمشركين و تثنية مايشعر بالوعيد و تقديمه لان المدعو به هو الانذار (قل هو) اى ما انبأتكم به من انى نذير من عقوبة من هذا صفته و انه واحد فى الوهيته و قيل ما بعده من نبأ آدم عليه السلام (نبأ عظيم انتم عنه معرضون) لتمادى غفلتكم فان العاقل لا يعرض عن مثله كيف و قد قامت عليه الحجج الواضحة اما على التوحيد فما مرّ و اما على النبوة فقوله (ما كان لى من علم بالملأ الاعلى اذ يختصمون) فان اخباره عن تقاول الملائكة وما جرى بينهم على ما ورد فى الكتب المتقدمة من غير سماع و مطالعة كتاب لا يتصور الا بالوحى و اذ ظرف لعلم او متعلق به او بمحذوف اذ التقدير من علم بكلام الملأ الاعلى (ان يوحى الىّ الا انما انا نذير مبين) اى لانما كأنه لما جوّز ان الوحى يأتيه بين بذلك ما هو المقصود تحقيقا لقوله انما انا منذر و يجوز ان يرتفع باسناد يوحى اليه و قرئ انما بالكسر على الحكاية (اذ قال ربك للملائكة انى خالق بشرا من طين) بدل من اذ يختصمون مبين له فان القصة التى دخلت اذ عليها مشتملة على تقاول الملائكة و ابليس فى خلق آدم عليه السلام و استحقاقه للخلافة و السجود على ما مرّ فى البقرة

غير انها اختصرت اكتفاء بذلك واقتصارا على ماهو المقصود ههنا وهو انذار المشركين على استكبارهم على النبي صلى الله عليه وسلم بمثل ماحاق بابليس على استكباره على آدم عليه السلام هذا ومن الجائز ان يكون مقاولة الله تعالى اياهم بواسطة ملك وان يفسر الملأ الاعلى بما يعم الله تعالى والملائكة (فاذا سوّيته) عدلت خلقته (ونفخت فيه روحى) واحييته بنفخ الروح فيه واضافته الى نفسه لشرفه وطهارته (فقعوا له) فخرّوا له (ساجدين) تكرمة وتبجيلا له وقدمرّ الكلام فيه فى البقرة (فسجد الملائكة كلهم اجمعون الا ابليس استكبر) تعظم (وكان) وصار (من الكافرين) باستكباره امر الله تعالى واستنكافه عن الطاعة او كان منهم فى علم الله تعالى (قال يا ابليس مامنعك ان تسجد لما خلقت بيدىّ) خلقته بنفسى من غير توسط كاب وام والتثنية لما فى خلقه من مزيد القدرة او اختلاف الفعل وقرئ على التوحيد وترتيب الانكار عليه للاشعار بانه المستدعى للتعظيم او بانه الذى تشبث به فى ترك سجوده وهو لايصلح مانعا اذ للسيد ان يستخدم بعض عبيده لبعض سيما وله مزيد اختصاص (ءاستكبرت ام كنت من العالين) تكبرت من غير استحقاق او كنت ممن علا واستحق التفوق وقيل استكبرت الآن ام لم تزل كنت من المستكبرين وقرئ استكبرت بحذف الهمزة لدلالة ام عليها او بمعنى الاخبار (قال انا خير منه) ابداء للمانع وقوله (خلقتنى من نار وخلقته من طين) دليل عليه وقد سبق الكلام فيه (قال فاخرج منها) من الجنة او السماء او من صورة الملائكة (فانك رجيم) مطرود من الرحمة ومحل الكرامة (وان عليك لعنتى الى يوم الدين قال رب فانظرنى الى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم) مرّ بيانه فى الحجر (قال فبعزتك) فبسلطانك وقهرك (لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين) الذين اخلصهم الله لطاعته وعصمهم من الضلالة او اخلصوا قلوبهم لله تعالى على اختلاف القرآءتين (قال فالحق والحق اقول) اى فاحق الحق واقوله وقيل الحق الاوّل اسم الله تعالى ونصبه بحذف حرف القسم كقوله « ان عليك الله ان تبايعا »

الجارى بين الملائكة وآدم وابليس وسموا بالملأ الاعلى لانهم كانوا فى السماء وقت التقاول ﴿ قوله غير انها اختصرت ﴾ حيث لم يذكر فى هذا المقام كلام الملائكة فلذا لم يذكر آدم وكلامه ولما ورد ان يقال ان كان المراد بملأ الاختصام الملائكة وآدم وابليس فليس الاختصام والتقاول فيما بينهم بل كان بين الله وبينهم لان الله تعالى هو الذى قال لهم وقالوا له وان جعلت الله من قبيل الملأ الاعلى على سبيل التغليب فقد ابعدت المرمى * اجاب عنه اوّلا بان المقالة الجارية بينهم وبين الله تعالى جعلت واقعة بين الملأ الاعلى بناء على ان تكون مقاولته تعالى اياهم بواسطة ملك بان اوحى الله تعالى ملكا من الملائكة ان يقول اى وهو الذى قال انى للملائكة انى جاعل فى الارض خليفة وهو القائل لهم اسجدوا لآدم والقائل لابليس مامنعك ان تسجد لما خلقت بيدىّ والقائل لآدم انبئهم باسمائهم فيكون اسناد هذه الاقاويل اليه تعالى مجازا لكونه سبب اقواله وثانيا بتعميم الملأ بان يفسر الملأ الاعلى بما يعم الله تعالى والملائكة على سبيل التغليب وهو ضعيف ﴿ قوله عدلت خلقته ﴾ اى هيئته الهيئة التى لايبق بعدها الانفخ الروح فيه والفاء فى قوله تعالى فقعوا له ساجدين يدل على انه لما تم نفخ الروح فى الجسد امر الله تعالى الملائكة بان يقعوا له ساجدين سجدة التحية والاكرام فان قع امر من وقع يقع فكذا قول المصنف فخرّوا بكسر الخاء على لفظ الامر ﴿ قوله وصار ﴾ فسر كان بصار اشارة الى ان وجود كفره انما كان وقت ابائه واستكباره من الازمنة الماضية لا فى جميع الازمنة الماضية فان كان ليس بموضوع لاستقرار خبره لاسمه فى جميع الازمنة الماضية بل مطلقا فى جنس الاوقات الماضية فصح ارادة اى وقت منها وصح ارادة وقت ابائه واستكباره عنه وصح ايضا ارادة جميع الازمنة الماضية وذلك اذا حمل على وجود كفره فى علم الله تعالى ﴿ قوله خلقته بنفسى ﴾ اشارة الى ان خلقت بيدىّ استعارة لتفرّده بخلقه تشبيها لتفرّده بالايجاد باختصاص ما عمله الانسان بيده كامرّ فى سورة يس فى تفسير قوله مما عملت ايدينا ولما كفى فى افادة هذا المعنى توحيد لفظ اليد بين وجه تثنيته وقيل ان قوله او اختلاف الفعل اشارة الى قوله صلى الله عليه وسلم « خمرت طينة آدم اربعين صباحا » وقوله وترتيب الانكار عليه اشارة الى فائدة توصيف المسجود له بمضمون الصلة وهو خلقت بيدى فى مقام الانكار على ترك السجدة له وذكر فيها وجهين الاوّل ان ذلك الوصف داع الى السجود والتعظيم وترك التعظيم مع وجود الداعى اليه اقبح فيكون التوبيخ على تركه اتم والثانى ان ذلك الوصف هو الذى صرف ابليس من السجود لآدم وابى واستكبر ان يسجد لغير الخالق وضم اليه ان آدم مع كونه مخلوقا فهو من طين وان نفسه مخلوق من النار ورأى للنار فضلا على الطين فاستعظم ان يسجد لمخلوق مع فضله عليه فذكر الله تعالى فى مقام الانكار على ترك السجود والتوبيخ عليه ماهو الصارف عنه بزعمه توبيخاله على اعتباره مع ان وجود مايدعو الى السجود اقوى منه وهو امر الله تعالى له بالسجود فضل الساجد على المسجود له لايصلح مانعا وصارفا له عن الامتثال لامره تعالى بالسجود للمفضول ﴿ قوله وترتيب الانكار عليه ﴾ اى على كون المسجود له مخلوقا له تعالى من غير توسط اما للاشعار بان ذلك الوصف داع الى التعظيم وترك التعظيم مع وجود الداعى اليه اقبح فيكون التوبيخ على تركه اتم او للاشعار بان كونه مخلوقا له تعالى هو الذى تشبث به اللعين فى ترك تعظيمه قال كيف يستحق المخلوق لان يسجد له ويعظم من دون الخالق وضم اليه ان آدم مع كونه مخلوقا فهو مخلوق من طين وان نفسه مخلوق من نار ورأى للنار فضلا على الطين فابى ان يسجد لمخلوق مع فضله عليه فذكر الله تعالى ماهو الصارف عنه بزعم اللعين وانكر على ترك السجود لما خلقه بنفسه للاشعار بان مازعمه صارفا لايصلح صارفا عنه اذ للسيد ان يجعل بعض عبيده خادما لبعض ولو كان للخادم مزيد اختصاص بالسيد فكان شرف الخادم لاعبرة به مع وجود مايدعوه الى خدمة المفضول وهو امر السيد بخدمة المفضول فان امر السيد واجب الاتباع سوآء امر الفاضل بخدمة المفضول او بالعكس ﴿ قوله وقيل استكبرت الآن الخ ﴾ والمعنى على الاوّل ألاستكبارك تركت السجود ام لعلوّك وعلى الثانى ألاستكبارك الحادث تركت السجود ام لاستكبارك القديم المستمرّ ولم يرض به المصنف لان جواب ابليس لايطابقه فانه اجاب بانه انما ترك السجود لكونه خيرا منه وعاليا بالنسبة اليه وبين ذلك بان اصله من النار واصل آدم من الطين والنار اشرف من الطين لان الاجرام الفلكية اشرف من الاجرام العنصرية والنار اقرب العناصر من الفلك والارض ابعدها عنه وايضا النار لطيفة نورانية والارض كثيفة ظلمانية واللطافة والنورانية خير من الكثافة والظلمانية ﴿ قوله اى فاحق الحق واقوله ﴾ اشارة الى ان الحق الاوّل منصوب بفعل مقدّر والثانى بالقول المذكور ﴿ قوله ان عليك الله ان تبايعا ﴾ تمامه « تؤخذ كرها او تجيء طائعا »

وجوابه (لاملأن جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين) وما بينهما اعتراض وهو على الاوّل جواب محذوف والجملة تفسير الحق المقول وقرأ عاصم وحمزة برفع الاوّل على الابتداء اى الحق يمينى او قسمى او الخبر اى انا الحق وقرئا مرفوعين على حذف الضمير من اقول كقوله

قد اصبحت ام الخيار تدّعى *

علىّ ذنبا كله لم اصنع *

ومجرورين على اضمار حرف القسم فى الاوّل وحكاية لفظ المقسم به فى الثانى للتوكيد وهو سائغ فيه اذا شارك الاوّل وبرفع الاوّل وجرّه ونصب الثانى وتخريجه على ماذكرنا والضمير فى منهم للناس اذ الكلام فيهم والمراد بمنك من جنسك ليتناول الشياطين وقيل للثقلين واجمعين تأكيده او للضميرين (قل ما اسألكم عليه من اجر) اى على القرآن او على تبليغ الوحى (وما انا من المتكلفين) المتصنعين بما لست من اهله على ما عرفتم من حالى فانتحل النبوّة واتقوّل القرآن (ان هو الا ذكر) عظة (للعالمين) للثقلين (ولتعلمنّ نبأه) وهو مافيه من الوعد والوعيد وصدقه باتيان ذلك (بعد حين) بعد الموت اويوم القيامة او عند ظهور الاسلام وفيه تهديد * وعن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة ص كان له بوزن كل جبل سخره الله لداود عشر حسنات وعصمه ان يصرّ على ذنب صغير او كبير

﴿ سورة الزمر مكية الاقوله قل ﴾

﴿ ياعبادى وآيها خمس وسبعون ﴾

﴿ او ثنتان وسبعون ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(تنزيل الكتاب) خبر محذوف مثل هذا او مبتدأ خبره (من الله العزيز الحكيم) وهو على الاوّل صلة التنزيل او خبر ثان او حال عمل فيها معنى الاشارة او التنزيل والظاهر ان الكتاب على الاوّل السورة وعلى الثانى القرآن وقرئ تنزيل بالنصب على اضمار فعل نحو اقرأ او الزم

ان اسم الله تعالى مقسم به حذف منه حرف القسم واوصل الفعل اليه كان مخصصا اخذ قهرا الان بايع والياقيل له اقسم بالله ان الواجب عليك ان تبايع فلاما تؤخذ كرها لاجل ذلك ثم بعد المبايعة ترد طوعا فتؤخذ بدل من تبايع بدل الفعل من الفعل كما يبدل الاسم من الاسم ﴿ قوله تعالى لاملأن جهنم منك ﴾ اى من جنسك وهم الشياطين وممن تبعك منهم اى من ذرية آدم على ان من فى منهم بيان لمن تبعك واجمعين يجوز ان يكون تأكيدا للكاف فى منك وما عطف عليه وهو ممن تبعك اى لاملأن جهنم منك يا ابليس وممن تبعك من بنى آدم لااترك احدا من التابعين والمتبوعين وان يكون تأكيدا للضمير منهم اى لاملأن جهنم منك وممن تبعك من جميع الناس لاتفاوت فى ذلك بين ناس وناس بعد وجود مالايجوز منهم وهو الاغواء والاتباع ﴿ قوله وقرئا مرفوعين ﴾ اما رفع الاوّل فلما ذكر من كونه مبتدأ حذف خبره اى فالحق قسمى لاملأن جهنم كقوله لعمرك انهم لفى سكرتهم يعمهون او من كونه خبرا لمبتدأ محذوف اى فانا الحق كقوله ويعلمون ان الله هو الحق المبين واما رفع الثانى فبالابتداء وخبره الجملة بعده والعائد محذوف كما فى قول ابى النجم

قد اصبحت ام الخيار تدّعى ۞ علىّ ذنبا كله لم اصنع

لان الرواية برفع كله ولابد من العائد وقرئا مجرورين ايضا اما الاوّل فمجرور على الحكاية وهو منصوب المحل باقول بعده كأنه قيل واقول هذا اللفظ المتقدم مقيدا بما نطق به اوّلا وفسره الزمخشرى بقوله اى ولا اقول الا الحق كما فى قرآءتهما منصوبين ووجه القصر على تقدير النصب ظاهر لانه مفعول قدم على عامله وكذا على تقدير الجرّ لان الحق المجرور حينئذ منصوب محلا والجرّ على حكاية لفظ المقسم به فاذا قدم على الفعل جاء القصر ايضا وعلى تقدير ان يجعل الحق الثانى حكاية عن الاوّل ومعربا باعرابه لايكون قوله والحق اقول معترضا بل يكون لمجرد التأكيد كالتكرير قال الزمخشرى ومعناه التوكيد والتشديد اى تأكيد القسم وتشديده لانه اذا قيل وبالقسم الحق اقول والتكلم كان ذلك فى معنى تكرير القسم ﴿ قوله وهو سائغ فيه اذا شارك الاوّل ﴾ اى الوجه المذكور وهو الاعراب على حكاية اللفظ المتقدم جائز فى الثانى اذا شارك الاوّل فى صورة الاعراب بان كانا منصوبين او مرفوعين او مجرورين ولايختص بالاخير لان المنصوبين ايضا مقسم بهما كالمجرور غير انه لابد فى المرفوع من تقدير الخبر فحكايتهما تفيد ماتفيده حكاية المجرور وهذا الوجه فى المرفوع والمنصوب فيه دقة ليست فيهما على تقدير عدم الحكاية اذ لايهتدى اليه كل احد وفيه ايضا حسن حيث يقبله الطبع ويفى عنه المقام وقوله وتخريجه على ماذكرنا اراد غير الحكاية يعنى ان المرفوع مبتدأ محذوف الخبر اى الحق قسمى والمجرور مجرور باضمار حرف القسم ونصب الثانى على انه مفعول مقدم والجملة معترضة ﴿ قوله اذ الكلام فيهم ﴾ جواب مايقال ان من تبعك يعم الناس والجن فعلى هذا الظاهر ان يكون ضمير منهم للثقلين وضمير منك للشيطان وحده ﴿ قوله على ماعرفتم من حالى ﴾ اشارة الى ان قوله وما انا من المتكلفين انما هو لتنبيه على ماعرفوا من حاله لاللاخبار والا لكان دعوى بلا بينة ﴿ قوله فانتحل النبوّة ﴾ اى ادّعيها لنفسى كاذبا يقال انتحل شعر غيره اذا ادّعاه لنفسه ﴿ قوله وهو مافيه من الوعد ﴾ اشارة الى ان الاضافة فى نبأه بمعنى فى اى لتعلمن الخبر الذى فى القرآن او لتعلمن خبر صدقه على حذف مضاف والله اعلم

﴿ سورة الزمر سبعون وخمس آية مكية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ قوله والظاهر ان الكتاب على الاوّل السورة وعلى الثانى القرآن ﴾ اراد بالوجه الاوّل كون تنزيل خبر مبتدأ محذوف والظاهر انه اراد بالكتاب هذه السورة لان الكتاب والقرآن وان كانا اسمين لمابين دفتى المصحف متناولان لجميع السور الا ان الظاهر ان يختص الكتاب بالسورة حينئذ لوجود المخصص وهو الاشارة فان الاصل ان تكون الاشارة الى الموجود الحاضر فيكون المعنى هذا التنزيل تنزيل السورة من الله او كائن من الله واراد بالوجه الثانى كون تنزيل الكتاب مبتدأ والظرف بعده خبره والظاهر ان يبقى الكتاب على اطلاقه لعدم المخصص والمعنى هذا تنزيل الكتاب ان كان من الله حالا من التنزيل والعامل فيها مافى هذا من معنى الفعل وهذا تنصيص على ان معانى الافعال تعمل سوآء كان ماهى فيه محذوفا او مذكورا وقيل اذا كان ماهى فيه محذوفا لاتعمل كما لاتعمل فى المتقدمة لضعفها وان كان حالا من الكتاب والعامل فيها التنزيل فكأنه قيل تنزيل الكتاب كائنا من الله وجاز مجيئ الحال من

المضاف اليه لكونه معمولا للمضاف فان المضاف مصدر مضاف الى مفعوله ﴿ قوله ملتبسا بالحق ﴾ اشارة الى ان بالحق متعلق بمحذوف فى موضع النصب على انه حال من الكتاب لما بين انه منزل من عند الله بين انه انما انزل ملابسا بالحق ويجوز ان يكون حالا من فاعل انزلنا اى انزلناه ملتبسين بالحق والصدق والصواب اى كل ما فيه حق يجب فيه الاعتقاد والعمل به وقوله او بسبب اثبات الحق اشارة الى انه متعلق بالانزال فيكون بيانا لما دل عليه الحكيم اجمالا ولما بين ان هذا الكتاب مشتمل على الحق والصدق اردفه ببعض ما فيه من الحق والصدق وهو ان يشتغل الانسان بعبادة الله تعالى على سبيل الاخلاص على ان الدين هو الطاعة والعبادة واخلاصها لله تعالى ان يكون الداعى الى اتيانها مجرد الانقياد والامتثال من غير ان يشوبها شئ من الشرك والرياء وقوله تعالى مخلصا حال من فاعل فاعبد والدين منصوب بمخلصا وله متعلق به ﴿ قوله وقرئ برفع الدين على الاستئناف ﴾ فيتم الكلام على مخلصا ويكون له الدين مبتدأ وخبرا قصد به تعليل الامر بالعبادة لله تعالى على وجه الخلوص ولما كان تقديم الخبر مفيدا لتأكيد الاختصاص المستفاد من الامر ورد ان يقال فحينئذ يكون قوله الا لله الدين الخالص تكرارا لهذا الفائدة فيه فاجاب عنه بانه تأكيد لذلك الاختصاص مع التصدير بحرف التنبيه الدال على ظهور الامر ﴿ قوله والاطلاع على الاسرار والضمائر ﴾ فيطلع على سر من اخلص له الطاعة ومن فعلها رياء وسمعة فلا يقبل الا ما خلص له ويضيع غيره ﴿ قوله يحتمل المتخذين ﴾ يعنى ان الموصول فى قوله والذين اتخذوا يحتمل ان يكون عبارة عن المتخذين بكسر الخاء وهم المشركون الذين اتخذوا غيره اولياء فيكون ضمير اتخذوا راجعا اليهم فالذين مبتدأ وما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى مقول مضمر وذلك المضمر مع معموله خبر المبتدأ والتقدير والذين اتخذوا من دون الله اولياء قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله تقربا وليشفعوا لنا عند الله وبذلك قرأ ابن مسعود وابن عباس رضى الله عنهما اى قرأ باظهار قالوا قال قتادة كانوا اذا قيل لهم من ربكم ومن خلقكم ومن خلق السموات والارض قالوا الله فان قيل لهم فما معنى عبادتكم الاوثان قالوا ليقربونا الى الله لانهم يزعمون انها تماثيل الكواكب او تماثيل الملائكة او تماثيل الصالحين الذين مضوا فيعبدونها رجاء ان تنفعهم عند الله ويجوز ان يكون خبر المبتدأ قوله ان الله يحكم بينهم فيكون ذلك القول المضمر مع مقوله فى محل النصب على الحال من فاعل اتخذوا اى فالذين اتخذوا قائلين كذا وكذا ان الله يحكم بينهم او يكون ذلك القول المضمر بدلا من صلة الذين التى هى اتخذوا اى والذين اتخذوا قالوا ما نعبدهم والخبر ايضا ان الله يحكم بينهم ويحتمل ان يكون والذين عبارة عن المتخذين بفتح الخاء اى والذين اتخذهم المشركون اولياء من الملائكة وما عبد من دون الله كعيسى وعزير واللات والعزى فحينئذ ضمير اتخذوا يكون راجعا الى المشركين الذين يدل عليهم سوق الكلام اذ يكفى فى الاضمار ذكر ما يرجع اليه الضمير واولياء مفعول ثان لاتخذوا ومفعوله الاول محذوف وهو الضمير العائد الى الموصول والتقدير والذين اتخذهم المشركون من دون الله اولياء يقولون ما نعبدهم الا ليقربونا لان هذا الكلام انما يصح ممن يعبد غير الله والمتخذون بفتح الخاء ليسوا كذلك والزلفى اسم مصدر بمعنى القربة والمنزلة وانتصابه لاقامته مقام المصدر المؤكد لعامله لانه متحد به فى المعنى اى ليزلفونا الى الله زلفى اى ليقربونا تقريبا وجوز ابو البقاء ان يكون حالا مؤكدة ﴿ قوله والضمير ﴾ اى ضمير الجمع فى قوله بينهم وهم يختلفون للكفرة ومقابليهم وقد تقدم ذكر الكفرة صريحا على الاحتمال الاول فى قوله والذين اتخذوا وذكر المؤمنين تقدم لدلالة سوق قوله الا لله الدين الخالص فان اهله المؤمنون وعلى الاحتمال الثانى كلاهما مذكوران دلالة والمراد بالكذب فى قوله تعالى من هو كاذب كفار وصفهم الاصنام بانها آلهة مستحقة للعبادة وانها تشفع لهم وتقربهم او قولهم الملائكة بنات الله بقرينة تعقيبه بما يبطله ويحتمل ان يكون المراد بالكفر كفران النعمة لان العبادة نهاية التعظيم وذلك لا يليق الا بمن يصدر عنه نهاية الانعام وهو الله تعالى والاوثان لا مدخل لها فى الانعام فعبادتها غاية الكفر ان لنعمة المنعم الحق ﴿ قوله اذ لا موجود سواه ﴾ تعليل لقوله لاصطفى مما يخلق باعتبار تضمنه لما هو جواب لو حقيقة فان تقرير الكلام لو ثبت القول بانه اراد اتخاذ الولد لامتنع اجراؤه على حقيقته ولا يكون معناه الا انه اراد اصطفاء بعض خلقه وتخصيصه وتقريبه اليه كما يخصص ولده ويقربه وذلك لان حقيقة اتخاذ الولد ممتنع فى حقه تعالى لاستلزامه تركب ذاته من الماهية الكلية والتعين المنضم اليها ضرورة ان الولد والوالد متفقان بالحقيقة ومتمازان بالهوية والتعين فيكون لكل واحد منهما ماهية نوعية وتعين منضم اليها واراد انه تعالى لا يجوز ان تتعلق بالممتنع فلم يبق القول بانه اراد اتخاذ الولد

(انا انزلنا اليك الكتاب بالحق) ملتبسا بالحق او بسبب اثبات الحق واظهاره وتفصيله (فاعبد الله مخلصا له الدين) ممحضا له الدين من الشرك والرياء وقرئ برفع الدين على الاستئناف لتعليل الامر وتقديم الخبر لتأكيد الاختصاص المستفاد من اللام كما صرح به مؤكدا واجراه مجرى المعلوم المقرر لكثرة حججه وظهور براهينه فقال (الا لله الدين الخالص) اى الا هو الذى وجب اختصاصه بان تخلص له الطاعة فانه المتفرد بصفات الالوهية والاطلاع على الاسرار والضمائر (والذين اتخذوا من دونه اولياء) يحتمل المتخذين من الكفرة والمتخذين من الملائكة وعيسى والاصنام على حذف الراجع واضمار المشركين من غير ذكر لدلالة المساق عليهم وهو مبتدأ خبره على الاول (ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى) باضمار القول او (ان الله يحكم بينهم) وهو متعين على الثانى وعلى هذا يكون القول المضمر بما فى حيزه حالا او بدلا من الصلة وزلفى مصدر او حال وقرئ قالوا ما نعبدهم وما نعبدكم الا لتقربونا حكاية لما خاطبوا به آلهتهم ونعبدهم بضم النون اتباعا (فيما هم فيه يختلفون) من الدين بادخال المحق الجنة والمبطل النار والضمير للكفرة ومقابليهم وقيل لهم ولمعبوديهم فانهم يرجون شفاعتهم وهم يلعنونهم (ان الله لا يهدى) لا يوفق للاهتداء الى الحق (من هو كاذب كفار) فانهما فاقدا البصيرة (لو اراد الله ان يتخذ ولدا) كما زعموا (لاصطفى مما يخلق ما يشاء) اذ لا موجود سواه الا وهو مخلوقه لقيام الدلالة على امتناع وجود واجبين ووجوب استناد ما عدا الواجب اليه ومن البين ان المخلوق لا يماثل الخالق فيقوم مقام الولد له

سوى ماذكر ثم انه تعالى لما اصطفى بعض خلقه وقربهم اليه زعم الكفرة لجهلهم و انطماس عين بصيرتهم ان الذين اصطفاهم اولاده حقيقة من جهة تحقق لوازم الاولاد فيه من قربهم اليه تعالى وكرامتهم عنده ولم يقتصروا على هذا القدر بل تجاوزوا الى جعلهم بنات الله تعالى فهم كذابون كفارون مبالغون فى الافتراء على الله و اذا ثبت ان تقدير الكلام ماذكر يكون جواب لو قولنا لامتنع اجراؤه على حقيقته لحذف هذا الجواب فى الآية واقيم قوله لاصطفى مما يخلق مايشاء مقامه و لما تضمن هذا نفى ان يصطفى مايجد معه فى الحقيقة المشتركة عاد بقوله الا لموجود اخ و لما تبين بهذه العلة ان معنى ارادته تعالى اتخاذ الولد هو اصطفاء بعض خلقه تبين ان استحالة اتخاذ الولد عليه تعالى محقق لان المخلوق لايماثل الخالق حتى يكون ولدا له فتكون الآية من قبيل قوله

◎ ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم ◎ بهن فلول من قراع الكتائب ◎

اى لو قيل انه تعالى ارادا تخاذ الولد يكون معنى ارادته ارادة اصطفاء بعض خلقه و لاخفاء ان هذا الاصطفاء ليس باتخاذ الولد فى شئ فاذن محال ان يقال يتخذ ولدا ﴿ قوله ثم قرر ذلك ﴾ اى اثبت ان مايتصور من اتخاذ الولد فى حقه تعالى وهو اصطفاء بعض خلقه بان وحدته الذاتية وكونه قهارا اى غلابا لكل شئ موجود تنافى ان يكون شئ من الموجودات ولده فان الوحدة الذاتية تنافى المماثلة وقهاريته لكل شئ يوجد تنافى ان يكون شئ من الموجودات ولده ثم استدل على انه واحد لايشارك وقهار لايغالب بقوله خلق السموات الآية فان هذه الافعال من خلق السموات والارض وتكوير كل واحد من الملوين على الآخر وتسخير النيرين وجريهما لاجل مسمى وبث الناس على كثرة عددهم من نفس واحدة وخلق الانعام تدل على ان كل واحد من متعلقات تلك الافعال مغلوب مقهور ولابد من قاهر يكون كل منها تحت تدبيره وقهره وانه واحد لاشريك له و الظاهر ان قوله تعالى يكور الليل على النهار كلام مستأنف لاتعلق له بماقبله وقيل انه حال من فاعل خلق وهو ضعيف من حيث ان تكوير احدهما على الآخر كان بعد خلق السموات والارض الا ان يقال هى حال مقدرة وهو خلاف الاصل الا لاضطرار اليه من غير ضرورة ﴿ قوله يغشى كل واحد منهما الآخر ﴾ اى يجيء به اياه يقال غشيه بكذا غشيانا جاء به اياه واغشاه اياه اى جاء به غيره يريد ان اصل التكوير اللف والىّ يقال كار العمامة على رأسه يكورها كورا اذا لفها عليه وكل دور كور ومعنى تكوير كل واحد من الملوين على الآخر كون كل واحد منهما خلفة بان يذهب هذا ويغشى مكانه ذاك واذا غشى مكانه ذاك فكأنما الف عليه ولبسه كما يلف الثوب على اللابس شبه التغشية بالالباس والتكوير فى الاحاطة فعبر بها عنها استعارة تصريحية ثم اشتق من التكوير بمعنى التغشية لفظ يكور فكان استعارة تبعية فعلى هذا اعتبر التشبيه فى الفعل ﴿ قوله او يغيبه ﴾ اى الليل والنهار شبه كل واحد منهما بشئ ظاهر لف عليه مافيه ووجه الشبه التغييب اى لما كان كل واحد منهما يغيب الآخر شبه باللفافة التى يغيب الملفوف فيها بالستر والاحاطة ﴿ قوله او يجعله كارا عليه كرورا متتابعا ﴾ هو كالوجه الاول فى انه اعتبر التشبيه فى الفعل حيث شبه التغشية اى تغشية كل واحد منهما الآخر على سبيل التتابع والتعاقب بتكوير العمامة ولف بعض اكوارها اثر بعض متتابعا على نسق واحد الا انه جعل وجه الشبه التتابع ﴿ قوله نوع استدلال آخر ﴾ اشارة الى ان ماتقدم من الدلائل الدالة على قهاريته ووحدته فلكية فان كل واحد من خلق السموات والارض وتكوير كل واحد من الملوين على الآخر وتسخير الشمس والقمر متعلق بالفلك وبما يتصل به ولما ذكر الدلائل الفلكية اتبعها بذكر الدلائل الارضية السفلية والقصيرى تصغير القصرى وهى الضلع الاسفل التى هى اقصر الضلوع ﴿ قوله وثم للعطف على محذوف ﴾ جواب عما يقال عطف قوله تعالى ثم جعل منها زوجها على قوله خلقكم من نفس واحدة على طريق عطف الجملة على الجملة يدل على ان خلق حواء من ضلع آدم عليه الصلاة والسلام متراخ من تشعيب الخلق الفائت للحصر من آدم و الظاهر انه ليس كذلك مع ان تشعب الخلق الفائت للحصر من آدم لم يكن مقدما على خلق حواء من ضلع آدم عليهما الصلاة والسلام ٭ واجاب عنه بثلاثة اوجه كلمة ثم على الوجهين الاولين على اصلها من كون المعطوف بها متأخرا عن حكم المعطوف عليه بحسب الوجود والزمان وعلى الثالث تكون ثم للتراخى فى الرتبة لان كل واحد من المعطوف عليه والمعطوف جيء به للدلالة على وحدانية الله تعالى وكمال قدرته فالجملة الثانية وان كان مضمونها مقدما على مضمون الاولى زمانا الا انه متأخر عنه رتبة من حيث ان مضمون الثانية ادل على كمال القدرة وادخل فى كونها آية دالة على التفرد فى الوهيته واجلب لتعجب السامع بالنسبة

ثم قرر ذلك بقوله (سبحانه هو الله الواحد القهار) فان الالوهية الحقيقية تتبع الوجوب المستلزم للوحدة الذاتية وهى تنافى المماثلة فضلا عن التوالد لان كل واحد من المثلين مركب من الحقيقة المشتركة و التعين المخصوص والقهارية المطلقة تنافى قبول الزوال المحوج الى الولد ثم استدل على ذلك بقوله (خلق السموات والارض بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل) يغشى كل واحد منهما الآخر كأنه يلف عليه لف اللباس باللابس او يغيبه به كما يغيب الملفوف باللفافة او يجعله كارا عليه كرورا متتابعا تتابع اكوار العمامة (وسخر الشمس والقمر كل يجرى لاجل مسمى) هو منتهى دوره او منقطع حركته (الا هو العزيز) القادر على كل ممكن الغالب على كل شئ (الغفار) حيث لم يعاجل بالعقوبة وسلب مافى هذه الصنائع من الرحمة وعموم المنفعة (خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها) نوع استدلال آخر عاد وجده فى العالم السفلى مبدوأ به من خلق الانسان لانه اقرب واكثر دلالة واعجب وفيه على ماذكر ثلاث دلالات خلق آدم عليه السلام اولا من غير اب وام ثم خلق حواء من قصيراه ثم تشعيب الخلق الفائت للحصر منهما وثم للعطف على محذوف هو صفة نفس مثل خلقها او على معنى واحدة اى من نفس وحدت ثم جعل منها زوجها فشفعها بها او على خلقكم لتفاوت مابين الآيتين فان الاولى عادة مستمرة دون الثانية

الى مضمون الاولى والثانى ادل عليها وادخل فى كونها آية واجلب لعجب السامع وذلك لان تشعب الخلائق من نفس واحدة بطريق التناكح والتوالد بمادة مستمرة بخلاف خلق حوآء من ضلع آدم فانه خارق للعادة اذلم تخلق انثى غير حوآء من قصيرى رجل ﴿ قوله وقيل اخرج من ظهره الخ ﴾ جواب رابع تقريره انه ليس المراد من قوله خلقكم من نفس واحدة خلقهم على هيئتهم الآن حتى يرد ان خلقهم كذلك ليس مقدما على خلق حوآء كما يقتضيه عطف قوله ثم جعل منها زوجها عليه بل المراد خلقهم على هيئة الذرّ وهو اخراجهم من ظهر آدم كالذرّ وجاز ان يكون ذلك مقدما على خلق حوآء من ضلعه من حيث الزمان فحينئذ تكون ثم للتراخى الزمانى ولم يرض به المصنف لانه خلاف الظاهر ﴿ قوله وقضى او قسم الخ ﴾ لما لم تكن الازواج الثمانية وهى الذكر والانثى من الاجناس الاربعة التى هى الابل والبقر والضأن والمعز نازلة من السماء ومتعلقة بالانزال فسر الانزال بما يصح تعلقها به وهو القضاء او القسمة وبين وجه العلاقة بين الانزال وبينهما بكون الانزال من توابعهما او لوازمهما فيكون ذكر الانزال وارادة القضاء من قبيل ذكر اللازم وارادة الملزوم فيكون مجازا مرسلا ﴿ قوله او احدث لكم باسباب نازلة الخ ﴾ تصوير لصورة الاسناد المجازى من جعل الازواج متعلق الانزال مع ان الانزال فى الحقيقة متعلق سبب حدوثها وبقائها كالاشعة والامطار فلملابسة بينها وبين هذه الاسباب جعل انزال اسبابها بمنزلة انزال انفسها ﴿ قوله بيان لكيفية خلق ما ذكر ﴾ اشارة الى ان قوله تعالى يخلقكم فى بطون امهاتكم جملة استئنافية لبيان ذلك وخطاب الاناسىّ والانعام بضمير العقلاء مبنى على تغليب العقلاء على غيرهم وقوله خلقا مصدر يخلق وقوله من بعد خلق صفة للمصدر ليفيد التنويع من حيث انه لما وصف زاد معناه على معنى عامله ويجوز ان يتعلق من بعد خلق بالفعل قبله فيكون خلقا لمجرد التأكيد قيل قوله تعالى فى ظلمات متعلق بخلق المجرور ولا يجوز تعلقه بخلقا المنصوب لانه مصدر مؤكد فلا يعمل ولا يجوز تعلقه بالفعل قبله لانه قد تعلق به حرف مثله ولا يتعلق حرفان متحدان لفظا ومعنى بعامل واحد الا بالبدلية او العطف الا ان يجعل فى ظلمات بدلا من بطون امهاتكم بدل اشتمال لان البطون مشتملة عليها ويكون بدلا باعادة الجار فحينئذ يجوز تعلق الجار بيخلقكم ولا يضرّ الفصل بين البدل والمبدل منه بالمصدر لانه من تتمة العامل وليس باجنبى عنه ﴿ قوله او الصلب والرحم الخ ﴾ لم يرض به لان خلق الحيوان السوىّ ليس فى الصلب ﴿ قوله لانها صارت بحذف الالف موصولة بمتحرك ﴾ فان هذا الضمير اذا تحرك ماقبلها تشبع حركتها فان كانت الهاء مضمومة تلحق بها الواو وان كانت مكسورة تلحقها الياء نحو لهو به وبرضه يشابه ضربه صورة حيث كان ماقبل الهاء المضمومة مفتوحا فيهما ويشبه برماه تقديرا لان اصله يرضاه فمن قرأه باشباع ضمة الهاء اعتبر مشابهته بنحو ضربه فى كون ماقبل الهاء متحركا والحق به الواو ومن حرك الهاء ولم يلحق الواو نظر الى ان اصله يرضاه والالف المحذوفة للجزم ليس بلازم حذفها فكانت كالباقية ومع بقاء الالف يجوز اشباع الضمة والحاق الواو فكذا اذا كانت فى حكم الباقية لما امر باخلاص العبادة لله تعالى وبين ان الدين الخالص ليس الا له وهدد من اتخذ من دونه اولياء بان يحكم بينهم وبين الموحدين وساق دلالة الوحدانية الى ان قال ذلكم الله ربكم وقصر به الالوهية اى استحقاق العبادة والربوبية بمعنى المالكية على المبدأ وهو من هذه افعاله بين ههنا ان طرق الكفار متناقضة لانهم اذا مسهم الضرّ طلبوا دفعه من الله لعلمهم انه مزيل الضرّ وان الاصنام لا تضرّ ولا تنفع وان مبدأ الكل ليس الا الله واذا ازال ذلك الضرّ عنهم عادوا الى عبادة الاصنام لمنازعة الاوهام الباطلة والخيالات الفاسدة لمقتضى عقولهم وهو الالتجاء اليه فى جميع الاحوال فهم مذبذبون لا يثبتون على شئ ﴿ قوله من الخول ﴾ اى التحريك وهو التعهد اى الرعاية والتحفظ وحسن القيام على الشئ فى الصحاح الخائل الحافظ للشئ يقال فلان يخول على اهله اى يرعاهم وخوّله الله الشئ اذا ملكه اياه وقد خلت المال اخوله اذا احسنت القيام عليه يقال فلان خال مال وخائل مال اى حسن القيام عليه ومنه ما جاء فى الحديث كان النبى صلى الله عليه وسلم يتخولنا بالموعظة مخافة السآمة علينا اى يتعهدنا ويطلب اوقات نشاطنا ولا يكثر علينا خوفا من الملال وقال ابو النجم

* اعطى فلم يبخل ولم يبخل * كوم الذرى من خول المخوّل *

ومطلعه * الحمد لله الكريم المجزل * ولم يبخل تأكيد يقال ابخلته اذا وجدته بخيلا وبخلته اذا نسبته الى البخل والكوم جمع كوماء كحمر وحمرآء والكوماء الناقة العظيمة السنام والذرى ويجوز ان يكون خوّله بمعنى جعله يخول من قولهم

وقيل اخرج من ظهره ذريته كالذرّ ثم خلق منه حوآء (وانزل لكم) وقضى او قسم لكم فان قضاياه وقسمه توصف بالنزول من السماء حيث كتب فى اللوح او احدث لكم باسباب نازلة كأشعة الكواكب والامطار (من الانعام ثمانية ازواج) ذكر او انثى من الابل والبقر والضأن والمعز (يخلقكم فى بطون امهاتكم) بيان لكيفية خلق ما ذكر من الاناسىّ والانعام واظهار لما فيها من عجائب القدرة غير انه غلب اولى العقل وخصهم بالخطاب لانهم المقصودون (خلقا من بعد خلق) حيوانا سويا من بعد عظام مكسوّة لحما من بعد عظام عارية من بعد مضغ من بعد علق من بعد نطف (فى ظلمات ثلاث) ظلمة البطن والرحم والمشيمة او الصلب والرحم والبطن (ذلكم) الذى هذه افعاله (الله ربكم) هو المستحق لعبادتكم والمالك (له الملك لا اله الا هو) اذ لا يشاركه فى الخلق غيره (فانى تصرفون) يعدل بكم عن عبادته الى الاشراك (ان تكفروا فان الله غنىّ عنكم) عن ايمانكم (ولا يرضى لعباده الكفر) لاستضرارهم به رحمة عليهم (وان تشكروا يرضه لكم) لانه سبب فلاحكم قرأ ابن كثير ونافع فى رواية وابو عمرو والكسائى باشباع ضمة الهاء لانها صارت بحذف الالف موصولة بمتحرك وعن ابى عمرو ويعقوب اسكانها وهو لغة فيها (ولا تزر وازرة وزر اخرى ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون) بالمحاسبة والمجازاة (انه عليم بذات الصدور) فلا يخفى عليه خافية من اعمالكم (واذا مس الانسان ضرّ دعا ربه منيبا اليه) لزوال ما ينازع العقل فى الدلالة على ان مبدأ الكل منه (ثم اذا خوّله) اعطاه من الخول وهو التعهد او الخول وهو الافتخار (نعمة منه) من الله

خال يخول اذا اختال و افتخر لان الغنى يختال و منه قول العرب « ان الغنى طويل الذيل مياس » اى متبختر من ماس يميس اذا تبختر ومنه يجوز ان تعلق بخوله وان يتعلق بمحذوف على انه صفة لنعمة ﴿ قوله اى الضر الذى ﴾ اشار الى ان ما موصولة بمعنى الذى مرادا بها الضر وان مفعول يدعو محذوف وان قوله اليه على حذف المضاف ﴿ قوله او ربه الذى ﴾ على ان تكون ما بمعنى الذى ايضا مرادا بها ربه الذى كان يتضرع اليه فكان الظاهر حينئذ ان يقال ما كان يدعوه الا انه ضمن يدعو معنى يتضرع و يبتهل فلذلك عدى بالى و كلمة ما يجوز اطلاقها على اولى العلم كما اشار اليه المصنف بقوله و مامثله الذى فى قوله اى و كلمة ما على الوجه الثانى تماثلها فى قوله تعالى و ما خلق الذكر و الانثى و فى قوله تعالى و لا انتم عابدون ما اعبد وقوله فانكحوا ما طاب لكم فان كلمة ما فى الجميع بمعنى من حيث اطلقت على اولى العلم و كلمة ما فى قوله تعالى و ما خلق الذكر و الانثى فى موضع الجر بالعطف على المجرور بحرف القسم كقوله و النهار اذا تجلى وهى موصولة بمعنى من اى و من خلق الذكر و الانثى و هو الله عز و جل و المراد من نسيانه ترك رعايته كأن لم يدعه قط و لو اراد النسيان الحقيقى لما ذمه عليه ﴿ قوله و الضلال والاضلال لما كانا نتيجة جعله صح ﴾ جواب عما يقال كيف جعل عبدة الاوثان اندادا لله تعالى ليضلوا بانفسهم او باضلال غيرهم مع ان العلة الغائية يجب ان تكون مما يقصد من الفعل و يدعو الفاعل اليه و شئ من الضلال والاضلال ليس كذلك « وتقرير الجواب ان عاقبة الفعل شبهت بالعلة الغائية للفعل فى ترتبها عليه فاستعمل فيها لام العلة بطريق الاستعارة التبعية كما فى قوله تعالى فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا ﴿ قوله تعالى قل ﴾ اى قل يا محمد لهذا الكافر تمتع بكفرك قليلا اى تمتعا قليلا او زمانا قليلا و لا يصح كونه امر ايجاب او ندب او تخيير و هو ظاهر فلا محل له سوى التهديد و المبالغة فى خذلانه و تخليته و شأنه ﴿ قوله فيه اشعار بان الكفر نوع تشه ﴾ فانه لما عبر عن الاشتغال بالكفر بالتمتع وهو الانتفاع بما تشتهيه النفس اشعر ذلك كون الكفر فيه نوع تشه لابتنائه على الاستمرار على المألوفات و موافقة الاسلاف من الآباء والامهات ﴿ قوله و اقناط ﴾ عطف على اشعار و هو مستفاد من قوله قليلا لانه لما قلل زمان تمتعه بكفره مع ان المراد بذلك الزمان مدة بقائه فى الدنيا و الحكم عليه بانه فى دار الابد من اصحاب النار مبالغة فى اقناطه من التمتع لانه كيف يتصور التمتع والتلذذ ممن يعذب ابدا فى النار ثم انه تعالى لما شرح صفات المشركين و تمسكهم بغير الله تعالى حال الاختيار اردفه بشرح احوال المحقين فقال أمن هو قانت الآية اصله أم من فادغمت الميم فى الميم فسر القنوت بالقيام بما يجب عليه من وظائف العبادات و الاتيان بها مطلقا اى سواء كان ذلك حال الانتصاب على الاقدام اولا و روى عن النبى صلى الله عليه و سلم انه قال « كل قنوت فى القرآن فهو طاعة الله عز و جل » و ام متصلة داخلة على من الموصولة و قوله هو قانت صلة من و الموصول مع صلته فى محل الرفع على الابتداء و خبره محذوف كما حذف معادل ام المتصلة و التقدير الكافر الذى جعل مع الله الها آخر و قيل له تمتع بكفرك قليلا خير ام المؤمن القائم بوظائف العبادات خير اى العاملين خير و ان كانت ام المنقطعة المتضمنة معنى بل و الهمزة تكون للاضراب عن الكلام السابق وهو قوله واذا مس الانسان ضر الى آخر الآية كأنه قيل دع ذلك الذم و قل لهم بل أمن هو قانت كضده او كالانسان المذبذب الذى قيل له تمتع بكفرك و ان قرئ بتخفيف الميم تكون همزة الاستفهام داخلة على من بمعنى الذى ويكون خبره محذوفا تقديره أمن هو قانت كمن جعل لله اندادا او أمن هو قانت كغيره و الاستفهام فيه للانكار و آناء الليل منصوب على الظرفية اى قانت ساعات الليل وفيه دلالة على ان قيام الليل افضل من قيام النهار و قرئ ساجد وقائم بالرفع فيهما على ان ساجد خبر ثان لهو فى قوله هو قانت و قائم عطف عليه والواو المتخللة بينهما مع عدم تخللها بين الاول و الثانى لافادة الجمع بينهما اذ ليس المقصود مجرد اتيان كل واحد منهما بل اتيانه مقارنا للآخر مجامعا معه لان افراد احدهما عن الآخر لا يعتبر فى الشرع بخلاف افراد القنوت بمعنى الطاعة فانه معتبر وان لم يتحقق فى ضمن الصلاة وقوله تعالى يحذر الآخرة يجوز ان يكون حالا من ضمير قانت او من ضمير ساجدا وقائما وان يكون مستأنفا جوابا لسؤال مقدر كأنه قيل ما شأنه يقنت آناء الليل و يتعب نفسه فقيل يحذر الآخرة و يرجو رحمة ربه و المعنى ليس من يفعل ما ذكر كمن لا يفعله و بعد ما نفى الاستواء بين من يعمل ومن لا يعمل نفى الاستواء بين من يعلم ومن لا يعلم على وجه ابلغ فى افادة النفى المذكور حيث ذكر الفريقين المتقابلين صريحا فى النفى الثانى ونفى الاستواء بينهما بطريق الاستفهام الانكارى بخلاف الآية الاولى فانه لم يذكر فيها مقابل الفريق الاول ولم يصرح بنفى المماثلة و المساواة بينهما بل استفيد بشهادة

(نسى ما كان يدعو اليه) اى الضر الذى كان يدعو الله الى كشفه او ربه الذى كان يتضرع اليه و ما مثله الذى فى قوله و ما خلق الذكر والانثى (من قبل) من قبل النعمة (وجعل لله اندادا ليضل عن سبيله) وقرأ ابن كثير وابو عمرو ورويس بفتح الياء والضلال والاضلال لما كانا نتيجة جعله صح تعليله بهما وان لم يكونا غرضين (قل تمتع بكفرك قليلا) امر تهديد فيه اشعار بان الكفر نوع تشه لاسند له و اقناط للكافر من التمتع فى الآخرة ولذلك علله بقوله (انك من اصحاب النار) على سبيل الاستئناف للمبالغة (أمن هو قانت) قائم بوظائف الطاعات (آناء الليل) ساعاته و ام متصلة بمحذوف تقديره الكافر خير ام من هو قانت او منقطعة والمعنى بل أمن هو قانت كمن بضده وقرأ الحجازيان وحمزة بتخفيف الميم بمعنى أمن هو قانت لله كمن جعل له اندادا (ساجدا وقائما) حالان من ضمير قانت وقرئا بالرفع على الخبر بعد الخبر والواو للجمع بين الصفتين (يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه) فى موضع الحال او الاستئناف للتعليل (قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون) نفى لاستواء الفريقين باعتبار القوة العلمية بعد نفيه باعتبار القوة العملية على وجه ابلغ لمزيد فضل العلم وقيل تقرير للاول على سبيل التشبيه اى كما لا يستوى العالمون والجاهلون لا يستوى القانتون والعاصون (انما يتذكر اولوا الالباب) بامثال هذه البيانات وقرئ يذكر بالادغام

تقوى الكلام ودلالة المقام على ان المراد ذلك والفارق فى اختيار هذا الطريق الايماء الى مزيد فضل العلم ثم قال انما يتذكر اولوا الالباب يعنى ان هذا التفاوت الحاصل بين العلماء والجهال انما يعرفه اولوا الالباب * قيل لبعض العلماء انكم تقولون العلم افضل من المال ونحن نرى العلماء عند ابواب الملوك ولا نرى الملوك عند ابواب العلماء فاجاب بان هذا ايضا يدل على فضيلة العلم لان العلماء علموا ما فى المال من المنفعة فطلبوه والجهال من الملوك لم يعرفوا ما فى العلم من المنافع فلهذا لم يطلبوه ولم يراجعوا مواضع تحصيله ثم انه تعالى لما نفى المساواة بين من يعلم ومن لا يعلم امر رسوله صلى الله عليه وسلم بان يخاطب المؤمنين ويعلمهم ما يؤديهم الى السعادة الابدية وهو الاتقاء والتجنب عن المخالفة بملازمة الطاعة فيما امر ونهى ثم بين لهم ما فى الاتقاء من الفوائد فقال للذين احسنوا فى هذه الدنيا حسنة فقوله حسنة مبتدأ والجملة خبره وصح الابتداء بالنكرة لتقدم الخبر ولان التنكير فى حسنة للتعظيم اى حسنة عظيمة لا يصل العقل الى كنه كمالها والمراد بالاحسان احسان العمل بالايمان والطاعة وحذف مفعول احسنوا للتعميم فان الحسنة المذكورة منوطة باحسان جميع الاعمال من العقائد والافعال والاقوال والنيات والتروك وقوله فى هذه الدنيا متعلق بقوله للذين احسنوا وقيل انه متعلق بحسنة فينبغى ان تفسر الحسنة حينئذ بالثلاثة المذكورة فى قوله عليه السلام * ثلاثة ليس لهم نهاية الامن والصحة والكفاية * وان يكون قوله فى هذه الدنيا بيانا لمكان قوله حسنة فكأنه قيل هذه الحسنة فى اى دار هى فاجيب بانها فى الدنيا فهى جملة مستأنفة لا محل لها من الاعراب ولا يجوز كونه صفة لحسنة لان الصفة لا تتقدم على الموصوف ولم يرض المصنف بهذا القول لان الدنيا ليست بدار جزاء ولان قوله للذين احسنوا فى هذه الدنيا حسنة يريد الحصر فلو حملت الحسنة على حسنة الدنيا لكان المعنى ان حسنة هذه الدنيا لا تحصل الا للذين احسنوا وهو باطل واما لو حملناها على حسنة الآخرة فقد صح الحصر واتضح المعنى فثبت ان حملها عليها اولى ﴿ قوله فمن تعسر عليه التوفر على الاحسان فى وطنه فليهاجر الخ ﴾ اشارة الى ان الواو فى قوله وارض الله واسعة استئنافية جيء بها قطعا لعذر من فرط فى الاحسان متعللا بتسلط الاعداء على الديار والاوطان كأنه قيل اتقوا ربكم لان للمتقين اجرا عظيما وليس لتارك التقوى عذر البتة اذ غاية امره ان يتعلل فى تركه بتعسره عليه فى وطنه وهو لا يصلح عذرا لانه قد ابتلى به الانبياء والصالحون فهاجروا من اوطانهم ونظيره قوله تعالى قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين فى الارض قالوا الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها عن ابن عباس رضى الله عنهما قال يعنى ارتحلوا من مكة والآية تحث لهم على الهجرة الى حيث يأمنون فيه من تعرض الاعداء وقوله انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب استئناف فانه لما حث على المهاجرة من الاوطان والعشائر والصبر على احتمال البلايا رغبة فى التوفير على التقوى توجه ان يقال كيف نتحمل هذه المشاق ومالنا ان صبرنا على ذلك فاجيب انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب قال مقاتل اجرهم الجنة يرزقون فيها بغير حساب وقوله اجرهم مفعول ثان ليوفى وبغير حساب فى موضع النصب على انه حال من الاجر اى كائنا بغير نهاية لان كل شيء دخل تحت الحساب فهو متناه وما لا نهاية له كان خارجا عن الحساب ﴿ قوله موحدا له ﴾ يعنى ان اخلاص الدين له من لوازم وحدانيته وتفرده بالالوهية لما نبه الله على مزيد فضل العلم امر رسوله صلى الله عليه وسلم بان يبين لامته امورا تتعلق بهما سعادة الدارين فقال اولا قل يا عبادى الذين آمنوا الخ وقال ثانيا قل انى امرت واللام فى قوله وامرت لان اكون للتعليل والتقدير وامرت بما امرت به لان اكون مقدمهم فى الدنيا والآخرة وقوله فى الدنيا والآخرة مستفاد من اطلاق قوله اول المسلمين ﴿ قوله لان قصب السبق ﴾ اى احرازه والظفر به بين بذلك وجه كون تقدمه عليه الصلاة والسلام على المسلمين علة غائية لكونه مأمورا بالاخلاص فى العبادة فان احراز قصب السبق فى امر الدين اذا كان منوطا بالاخلاص لا بازيائه كان امره عليه الصلاة والسلام بذلك لاجل ان يكون مقدمهم فى الدارين والمعنى ان السابقون فى مضمار الدين والمالم ينالوا قصب السبق ولم يستحقوا احرازه الا على حسب السبق فى الاخلاص امرت به لان افوز بفضيلة التقدم الرتبى عليهم فى الدارين ذكر الجوهرى من جملة تفاسير القصب انه كل ما اتخذ من فضة وغيرها وانه انابيب من جوهر وفى الحديث بشر خديجة ببيت فى الجنة من قصب ﴿ قوله او لان اكون اول من اخلص وجهه لله ﴾ عطف على قوله لاجل ان اكون فسره اولا بان قال وامرت بذلك اى باخلاص الدين لاجل ان اكون مقدم من دخل فى الاسلام بحسب الرتبة والفضيلة فى الدارين بسبب كون اخلاصى اتم من اخلاصهم وفسره ثانيا بان قال امرت به لان اكون اول من

(قل يا عبادى الذين آمنوا اتقوا ربكم) بلزوم طاعته (للذين احسنوا فى هذه الدنيا حسنة) اى للذين احسنوا بالطاعات فى الدنيا مثوبة حسنة فى الآخرة وقيل معناه للذين احسنوا حسنة فى الدنيا هى الصحة والعافية وفى هذه بيان لمكان حسنة (وارض الله واسعة) فمن تعسر عليه التوفر على الاحسان فى وطنه فليهاجر الى حيث يتمكن منه (انما يوفى الصابرون) على مشاق الطاعة من احتمال البلاء ومهاجرة الاوطان لها (اجرهم بغير حساب) اجرا لا يهتدى اليه حساب الحساب وفى الحديث انه تنصب الموازين يوم القيامة لاهل الصلاة والصدقة والحج فيوفون بها اجورهم ولا تنصب لاهل البلاء بل يصب عليهم الاجر صبا حتى يتمنى اهل العافية فى الدنيا ان اجسادهم تقرض بالمقاريض مما يذهب به اهل البلاء من الفضل (قل انى امرت ان اعبد الله مخلصا له الدين) موحدا له (وامرت لأن اكون اول المسلمين) وامرت بذلك لاجل ان اكون مقدمهم فى الدنيا والآخرة لان قصب السبق فى الدين بالاخلاص او لان اكون اول من اخلص وجهه لله من قريش ومن دان بدينهم

اخلص وجهه لله بحسب الزمان ويقتدى بى من امرته باخلاص الدين فان من امر غيره بما لم يفعله بنفسه لايؤثر وعظه ولايقبل قوله وفى اكثر النسخ اولانه اول من اسلم وجهه لله الخ فيكون معطوفا على قوله لان قصب السبق الخ ويكون وجها ثانيا لكون تقدمه عليه الصلاة والسلام علة غائية لكونه مأمورا بالاخلاص فيكون الوجه الاول مبنيا على ان يكون المراد بقوله تعالى لان اكون اول المسلمين الاولية بحسب الرتبة والشرف والوجه الثانى على ان يراد الاولية بحسب الزمان فالمصنف بين وجه التعليل على الاحتمال الاول بان السبق والتقدم فى الدين بحسب السبق فى الاخلاص وعلى الاحتمال الثانى بقوله اول من اسلم وجهه لله فيكون معنى الآية امرت لان اسلم واخلص وجهى لله بان اكون اول المسلمين اى اول من اخلص واسلم وجهه لله بحسب الزمان ليصح لى ان آمر غيرى بذلك ولا ادخل فى عداد من قال فيهم اتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم ﴿ قوله والعطف لمغايرة الثانى الاول ﴾ جواب عما قال لما جعلت اللام فى قوله لان اكون للعلة كان مفعول امرت الثانية محذوفا وهو ما كان مفعولا لامرت الاول وكان التقدير وامرت ان اعبد الله مخلصا له الدين كما اشار اليه بقوله وامرت بذلك فلزم ان يكون المعطوف عين المعطوف عليه ولايصح عطف الشئ على نفسه واجاب عنه بوجهين الاول انا سلمنا ان مفعول امرت الثانية مقدر هو مفعول الاولى لكن لانسلم انه يستلزم اتحاد المعطوف والمعطوف عليه فان المعنى الواحد اذا كرر بان اطلق اولا وقيد ثانيا بما يرتبط به بوجه من الوجوه لايكونان متحدين ومانحن فيه من هذا القبيل اذ التقدير امرت باخلاص الدين وامرت بذلك لان اكون من السابقين والحكمة فى تكرير الامر بذلك مطلقا ومقيدا ماذكره المصنف من اشعار ان الاخلاص كما يستحق ان يؤمر به لذاته يستحق ان يؤمر به لاجل مايستلزمه من السبقة فى الدين والوجه الثانى لانسلم ان مفعول امرت الثانية محذوف بل هو ان مع الفعل المذكور بعدها واللام زائدة فالثانية مغايرة للاولى من حيث ان الاولى امر باخلاص العبادة والثانية امر بالتقدم فيه وفى دعوة نفسه الى مادعا اليه غيره ﴿ قوله لعظمة مافيه ﴾ اى مافى ذلك اليوم من الامور العظام وهو تعليل لتوصيف اليوم بالعظم ﴿ قوله امر بالاخبار عن اخلاصه ﴾ جواب عما قال مامعنى التكرير فى قوله تعالى قل انى امرت ان اعبد الله مخلصا له الدين وقوله قل الله اعبد مخلصا له دينى ﴿ قوله خائفا ﴾ خبر ثان لكان فى قوله عن كونه مأمورا وكون المأمور به اخبارا عن اخلاصه مبنى على ان تقديم المفعول فى قوله الله اعبد يفيد الاختصاص وان يكون مخلصا عطفا على اخلاصه اى الاخبار عن اخلاصه ومن كونه مخلصا له دينه الاول مستفاد من تقديم المفعول والثانى من تقديم العبادة بقوله مخلصا له دينى فالمأمور به بهذه الآية شيئان الاول اخبار عن تخصيصه العبادة لله تعالى بان لايعبد احدا سواه والثانى الاخبار عن كون تلك العبادة خالصة عن السمعة والرياء وقوله وان يكون مخلصا له دينه لم يوجد فى بعض النسخ ولا وجه له ﴿ قوله قطعا لاطماعهم ﴾ مفعول له لقوله امر بالاخبار وطمعهم ماروى ان كفار قريش قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم الا تنظر الى ملة ابيك عبدالله وملة جدك عبدالمطلب وسادة قومك كانوا يعبدون الاصنام فنزل قوله تعالى قل انى امرت الى آخر الآيات ﴿ قوله ولذلك ﴾ اى ولكون هذه الآية امرا بالاخبار عن تخصيصه العبادة لله وتمحيضها من الشرك رتب عليه مابعده زيادة من دونه فى آخره فانه لولا ان التقديم يفيد الاختصاص لكان قوله الله اعبد بمعنى اعبد الله ولكان المقابل له اعبدوا ماشئتم من غير ان يزيد فى آخره قوله من دونه قيل ان كفار قريش لما ايسوا من ان يرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى دينهم قالوا خسرت ان خالفت دين آبائك فنزل قل ان الخاسرين الذين خسروا انفسهم اى هم الذين خسروا ويحتمل ان يكون الذين خسروا صفة للخاسرين ويكون الخبر لهم فى قوله لهم ظلل او محذوف دل عليه قوله هو الخسران المبين ﴿ قوله لانهم جمعوا وجوه الخسران ﴾ بيان لوجه القصر والتخصيص المستفاد من قوله تعالى ان الخاسرين الذين خسروا انفسهم واهليهم يوم القيامة فانه من قبيل قولك المنطلق زيد فى افادة القصر ولما كان الخاسرين ليسوا بمنحصرين فيما ذكر حمله على حصر الكمال كما فى نحو هو الرجل اى هو الكامل فى الرجولية الجامع مافى الرجال من مرضيات الخصال فان من ضل بنفسه واضل اهاليه من الازواج والاقارب والخدم وسائر الاصحاب والعشائر وصرفهم عن طريق الجنة التى هى الجامعة لجميع السعادات الابدية وادخلهم النار التى لايعقل مافيها من وجوه الخسران والشقاء فانه لاخسران اعظم من خسرانه وخسران اهله هذا على تقدير ان يكون المراد باهليهم اهليهم الذين كانوا فى الدنيا وقد اضلوهم فيها وقيل اصحاب النار خسروا انفسهم واهليهم حيث لايكون لهم اهل فى النار

(وقد)

والعطف لمغايرة الثانى الاول بتقييده بالعلة والاشعار بان العبادة المقرونة بالاخلاص وان اقتضت لذاتها ان يؤمر بها فهى ايضا تقتضيه لمايلزمه من السبقة فى الدين ويجوز ان تجعل اللام مزيدة كما فى اردت لان افعل فيكون امرا بالتقدم فى الاخلاص والبدء بنفسه فى الدعاء اليه بعد الامر به (قل انى اخاف ان عصيت ربى) بترك الاخلاص والميل الى ما انتم عليه من الشرك والرياء (عذاب يوم عظيم) لعظمة مافيه (قل الله اعبد مخلصا له دينى) امر بالاخبار عن اخلاصه وان يكون مخلصا له دينه بعد الامر بالاخبار عن كونه مأمورا بالعبادة والاخلاص خائفا على المخالفة من العقاب قطعا لاطماعهم ولذلك رتب عليه قوله (فاعبدوا ماشئتم من دونه) تهديدا وخذلانا لهم (قل ان الخاسرين) الكاملين فى الخسران (الذين خسروا انفسهم) بالضلال (واهليهم) بالاضلال (يوم القيامة) حين يدخلون النار بدل الجنة لانهم جمعوا وجوه الخسران وقيل خسروا اهليهم لانهم ان كانوا من اهل النار فقد خسروهم كما خسروا انفسهم وان كانوا من اهل الجنة فقد ذهبوا عنهم ذهابا لارجوع بعده

وقد كان لهم اهل في الدنيا يستأنسون بهم لان اهلهم الذين في الدنيا ان كانوا كفارا وكانوا معهم في النار فهم سبب زيادة خسرة ووحشة لهم لاسبب انس وسرور وحبور وان كانوا من اهل الجنة فقد ذهبوا عنهم ذهابا لا رجوع بعده من كونهم اهلا لهم ابدا وقال ابن عباس رضي الله عنهما خسروا اهليهم لان الله تعالى جعل لكل انسان منزلا في الجنة واهلا من الحور العين والغلمان فمن لم يعمل بطاعته تعالى كان ذلك المنزل والاهل لغيره ممن عمل بطاعته تعالى فقد خسروا اهليهم الذين كانوا يكونون لهم لو آمنوا ﴿قوله مبالغة في خسرانهم﴾ الوجه في افادة الاستئناف المبالغة ان الاستئناف انما يكون في مقام الاهتمام بالحكم المبين والاعتناء بشأنه ولا يعتنى بشئ الا اذا كان بالغا اقصى مراتبه وكذا تصدير الحكم بحرف التنبيه يدل على تفخيم شأنه كأنه قيل بلغ خسرانهم في الفظاعة الى حيث لاتصل العقول اليه فتنبهوا له وتوسيط ضمير الفصل وتعريف الخبر يفيد الحصر كأنه قيل كل خسران في مقابلته كلا خسران ﴿قوله اطباق من النار﴾ اى قطع عظيمة منها جمع طبق يقال طبق من الشئ اى معظم منه نحو مضى طبق من الليل وطبق من النهار اى معظم منه ونحو اتانا طبق من الناس اى جماعة عظيمة ويطلق ايضا على مايستر الشئ ويغطيه ولما ورد ان يقال الظلة ماعلا الانسان فكيف سمى ماتحتهم من قطع النار ظلة اشار الى جوابه بقوله هى ظلل للآخرين اى انها ظلل بالنسبة الى من تحتهم وهم المنافقون لقوله تعالى ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار وتلك القطع فرش بالنسبة للمشركين لقوله تعالى لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش والمعنى ان النار تحيط بهم من جميع الجوانب ﴿قوله ذلك العذاب﴾ يعني ان ذلك اشارة الى الظلل المحيطة بهم الا انه ذكر اسم الاشارة لتأويل المشار اليه بالعذاب اى ذلك الذى وصف من العذاب يخوف الله به عباده ثم خوفهم بابلغ تخويف فقال ياعبادى فاتقون بطاعتى ﴿قوله فعلوت منه﴾ اى من الطغيان بزيادة وزنه في الاصل ذلك لان اصله طغيوت ولام الكلمة هى الياء لانها من الطغيان ثم قدمت الياء على الغين وقلبت الفا لتحركها وانفتاح ماقبلها فصار وزنه فلعوت بتقديم اللام على العين ﴿قوله كالرحموت﴾ فانه مبالغة في المصدر بمعنى الرحمة الواسعة والملكوت الملك الواسع فالطاغوت ايضا بمعنى الطغيان المتجاوز الحد ثم وصف به الذات الموصوفة به للمبالغة في اتصافها بالطغيان بحيث صارت كأنها عين الطغيان كما يقال رجل عدل ولذلك اختص لفظ الطاغوت بالشيطان وصار بالغلبة علما له لايطلق على غيره حقيقة كما لايطلق النجم المعرف باللام على غير الثريا الا مجازا حقيقيا وذلك لكمال الشيطان في الطغيان وتميزه به عن جميع ماعداه وقد يطلق على غيره مثل كعب بن الاشرف وامثاله تشبيها له بالشيطان في كونه رأسا في الاضلال ﴿قوله ولذلك﴾ اى ولكون بناء الطاغوت للمبالغة في المصدر وكون اطلاقه على الاعيان والذوات للمبالغة في اتصافها بالطغيان اختص بالشيطان فان قيل ماعبد الشيطان احد وانما عبدوا الصنم فالجواب ان الداعى الى عبادة الصنم هو الشيطان فكانت عبادة الصنم بمنزلة عبادة الشيطان ﴿قوله واقبلوا اليه بشراشرهم﴾ اى بكليتهم وفى الصحاح الشراشر الاثقال الواحدة شرشرة يقال القى عليه شراشره اى نفسه حرصا ومحبة وهذا المعنى مستفاد من عدم ذكر صلة قوله وانابوا الى الله حيث لم يقل وانابوا اليه بقلوبهم او بالسنتهم او نحو ذلك ﴿قوله وضع فيه الظاهر﴾ يعني ان المراد بقوله عبادى عباده الذين اجتنبوا الطاغوت وانابوا لا غيرهم لان قوله فبشر عبادى مرتب على قوله والذين اجتنبوا وانابوا لهم البشرى على معنى اذا كان لهم البشرى فبشرهم وحمل العباد على غير ماذكر سابقا يستلزم تفكيك النظم والنكتة في وضع الظاهر موضع الضمير بعد الاحتراز عن تفكيك النظم الدلالة على انهم كما يستحقون البشارة لاجتنابهم وانابتهم يستحقونها ايضا لكونهم يستمعون القول فيتبعون احسنه اى لكونهم نقادا يميزون بين الحق والباطل بناء على ان تعليق الحكم بالوصف يشعر بعليته للحكم المذكور فلو قيل فبشرهم لفهم ان استحقاقهم للبشارة انما هو لاجل اجتنابهم وانابتهم فلما وضع الظاهر موضع الضمير فهم ان ذلك الاستحقاق لاجل مجموع مالهم من الاوصاف الثلاثة والمصنف لم يجعل الاستماع واتباع الاحسن مبدأ وعلة لاستحقاقهم البشارة بل جعله مبدأ اجتنابهم حيث قال للدلالة على مبدأ اجتنابهم وانهم اى وعلى انهم نقاد في الدين يميزون بين الحق والباطل وفيه اشارة الى ان القول بعمومه يتناول كل قول من قول الله تعالى وقول رسوله صلى الله عليه وسلم وقول من سلف من المؤمنين والكفار فيتبعون احسنه اى احسنه عاقبة ومدلولا وهو مايكون مؤداه طاعة الله تعالى واتباع الحق والاعراض عن الباطل ويؤثرون من بين الاقوال مايكون مدلوله افضل فافضل وقيل المعنى يستمعون القرآن وغير القرآن فيتبعون الاحسن وهو القرآن

(الا ذلك هو الخسران المبين) مبالغة في خسرانهم لما فيه من الاستئناف والتصدير بالا وتوسيط الفصل وتعريف الخسران ووصفه بالمبين (لهم من فوقهم ظلل من النار) شرح لخسرانهم (ومن تحتهم ظلل) اطباق من النار هى ظلل للآخرين (ذلك يخوف الله به عباده) ذلك العذاب هو الذى يخوفهم به ليجتنبوا مايوقعهم فيه (ياعبادى فاتقون) ولا تتعرضوا لما يوجب سخطى (والذين اجتنبوا الطاغوت) البالغ غاية الطغيان فعلوت منه بتقديم اللام على العين بنى للمبالغة في المصدر كالرحموت ثم وصف به للمبالغة في النعت ولذلك اختص بالشيطان (ان يعبدوها) بدل اشتمال منه (وانابوا الى الله) واقبلوا اليه بشراشرهم عما سواه (لهم البشرى) بالثواب على ألسنة الرسل والملائكة عند حضور الموت (فبشر عبادى الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه) وضع فيه الظاهر موضع ضمير الذين اجتنبوا للدلالة على مبدأ اجتنابهم وانهم نقاد في الدين يميزون بين الحق والباطل ويؤثرون الافضل فالافضل

قوله وفى ذلك دلالة على ان الهداية تحصل بفعل الله تعالى وقبول النفس لها لان حصولها فى النفس امر حادث لا محالة فلا بد من فاعل وقابل اشار الى الفاعل بقوله اولئك الذين هداهم الله والى القابل بقوله اولئك هم اولوا الالباب فان الانسان مالم يكن سليم العقل كامل الفهم امتنع حصول المعارف الحقية فى قلبه بل يغلب عليه تقليد عادات اهل زمانه واتباع مايدعو اليه وهمه وهواه والحصر المدلول عليه بقوله هم اولوا الالباب حصر الكمال لان العقول المغلوبة وجودها كعدمها **قوله افانت ماللت امرهم** همزة الاستفهام لما اقتضت صدر الكلام والفاء العاطفة اقتضت سبق المعطوف عليه كان ينبغى ان لا يصح اتصال احداهما بالاخرى لاستلزامه اجتماع المتنافيين الا انهما اتصلا فى الآية بناء على ان اداة الاستفهام داخلة تقديرا على الجملة المحذوفة التى عطفت عليها الجملة الشرطية فلا محذور فى اجتماعهما صورة ومن شرطية مرفوعة المحل على الابتداء وقوله أفانت تنقذ اى تخلص جزآء الشرط مرفوع المحل على انه خبر المبتدأ والفاء الثانية فاء الجزآء والفاء الاولى للعطف على محذوف يدل عليه الخطاب فى أفانت والهمزة الاولى لانكار مضمون الجملة المحذوفة والتى عطفت عليها والهمزة الثانية هى الاولى كررت لتأكيد معنى الانكار والاستبعاد وامتنع حملها على الانكار الابتدآئى لحصوله بالهمزة الاولى والهمزة الداخلة على الجزآء مؤكدة لما افادته الهمزة الاولى فعلى هذا يكون من فى النار من اقامة الظاهر موضع الضمير كأنه يقول افانت تنقذه وهذا الوضع طريق لتأكيد الانكار لان الضمير انما يحضر الذات التى استحقت العذاب فى الدنيا ولاشك ان انقاذ من فى النار ابعد من هداية من استحق العذاب فى الدنيا وهو معنى قوله ووضع من فى النار موضع الضمير لذلك اى لتأكيد الانكار والاستبعاد وعطف عليه قوله وللدلالة على ان من حكم عليه بالعذاب كالواقع فيه لامتناع الخلف يعنى ان قوله من فى النار عبارة عمن حقت عليه كلمة العذاب لانه قائم مقام الضمير ومن حكم عليه بالعذاب لا يوصف بانه غير واقع فيه وانما يوصف به اذا وقع فيه بعد ولما وضع من فى النار موضع ضمير من حكم عليه بالعذاب علم منه ان المحكوم عليه بالعذاب منزل منزلة الواقع فيه لامتناع الخلف فى حكم الله تعالى فعبر عنه بمن فى النار لذلك ونزل اجتهاد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى دعائهم الى الايمان منزلة انقاذه من فى النار فان اصل الكلام افانت تهدى من هو منغمس فى الضلال فوضع النار موضع الضلال وضعا للمسبب موضع السبب لقوة امرهم ثم عقب المجاز بما يناسبه من قوله تنقذ بدل تهدى كما تعقب الاستعارة بالترشيح لكون الانقاذ انسب بمن هو فى النار من الهداية قيل المراد بكلمة العذاب قول الله تعالى لاملأن جهنم منك وممن تبعك وقيل هى قوله هؤلاء للنار ولا ابالى وقوله تعالى افانت تنقذ من فى النار معناه انت لا تقدر عليه بل ان الله تعالى هو الذى يقدر عليه لا غير لما تقرر من ان تقديم الفاعل المعنوى على الفعل وايلاءه همزة الانكار يدل على ان الكلام فى الفاعل لا فى الفعل اى لست انت الفاعل لهذا الفعل بل فاعله هو الله تعالى وحده وقوله تعالى افمن حق عليه كلمة العذاب الآية على هذا التوجيه جملة واحدة كرر فيها اداة الاستفهام داخلة على جزآء الشرط وعلى قوله ويجوز ان يكون الخ تكون جملتين الاولى شرطية محذوفة الجزآء والثانية جملة مستأنفة وتقدير الآية افانت مالك امرهم فمن حق عليه كلمة العذاب افانت تهديه او افانت تخلصه من استحقاق العذاب ثم استأنف كلاما آخر للدلالة على ان من حكم عليه بالعذاب وهو فى الدنيا كالواقع فيه وللاشعار بالجزآء المحذوف فقال افانت تنقذ من فى النار فانه يدل على جزآء الجملة الاولى ويفسره فعلى هذا الفاآن كلتاهما للعطف الاولى للعطف على المحذوف والثانية للعطف على الجملة الاولى والهمزة الثانية كالاولى فى كونها للانكار ابتدآء لا لتأكيد المستفاد من الاولى ثم انه تعالى لما شرح خسران الكفار وبين ان لهم من فوقهم ظللا من النار ذكر احوال اضدادهم وهم الذين اجتنبوا الطاغوت واقبلوا الى الله تعالى بشر الشرهم ووعدهم باشياء احدها قوله تعالى لهم البشرى وثانيها لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف اى لهم فى الجنة منازل رفيعة وفوقها فى الجنة ارفع منها وهذا كالمقابل لما ذكره فى شرح خسران الكفار بقوله لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل والعلالى جمع علية وهى الغرفة وهى فعيلة واصلها علووه ابدلت الواو الثانية ياء وادغمت وقيل هى علية بالكسر على فعلية **قوله بنيت بناء المنازل على الارض** اشارة الى فائدة توصيف العلالى بكونها مبنية مع العلم بانها لا تكون الا كذلك وتوضيح ماذكره من الفائدة ان قوله مبنية ذكر تمهيدا لقوله تجرى من تحتها الانهار فالعلالى اذا بنيت بناء المنازل على الارض بان كان لها صحن بنيت عليه كالمنازل السفلى يتأتى معه جرى الانهار من تحت العلالى كما تجرى من تحت الغرف السفلى من غير تفاوت بينهما

(اولئك الذين هداهم الله) لدينه (واولئك هم اولوا الالباب) العقول السليمة عن منازعة الوهم والعادة وفى ذلك دلالة على ان الهداية تحصل بفعل الله وقبول النفس لها (أفمن حق عليه كلمة العذاب أفانت تنقذ من فى النار) جملة شرطية معطوفة على محذوف دل عليه الكلام تقديره أانت مالك امرهم فمن حق عليه العذاب فانت تنقذه فكررت الهمزة فى الجزآء لتأكيد الانكار والاستبعاد ووضع من فى النار موضع الضمير لذلك وللدلالة على ان من حكم عليه بالعذاب كالواقع فيه لامتناع الخلف فيه وان اجتهاد الرسول صلى الله عليه وسلم فى دعائهم الى الايمان سعى فى انقاذهم من النار ويجوز ان يكون أفانت تنقذ جملة مستأنفة للدلالة على ذلك والاشعار بالجزآء المحذوف (لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف) علالى بعضها فوق بعض (مبنية) بنيت بناء المنازل على الارض (تجرى من تحتها الانهار) اى من تحت تلك الغرف (وعد الله) مصدر مؤكد

﴿ قوله لان قوله لهم غرف في معنى الوعد ﴾ تعليل لقوله مصدر مؤكد وتقديره ان قوله وعد الله مصدر مؤكد لمضمون الجملة لا محتمل لها غيره مثل اعترافا في قولك له على الف درهم اعترافا ومثله يسمى تأكيدا لنفسه مع انه تأكيد لمضمون الجملة المتقدمة الا انها لما لم يكن لها محتمل غير المصدر جعلت كأنها نفس المصدر فسمى تأكيدا لنفسه وعلل ذلك بان قوله لهم غرف مبنية في معنى الوعد وفي مثله يجب حذف عامل المفعول المطلق لكون الجملة المتقدمة بمنزلة النائب عن عامله والتقدير وعد الله تلك الغرف وعدا ثم حذف الفعل مع فاعله ثم اضيف المصدر الى فاعله ثم انه تعالى لما شرح ما اعده لكل واحد من فريق الكفار والمؤمنين بما يليق به من الثواب والعقاب وتضمن ذلك كونه تعالى صانعا بالغا مدبر الحكمة عظيم القدرة نبه على ما يدل على كمال حكمته وقدرته فقال الم تر ان الله انزل من السماء ماء اى من السحاب ماء وقال الامام لما وصف الآخرة بصفات توجب الرغبة العظيمة فيها وصف الدنيا بصفة توجب اشتداد النفرة عنها فان من شاهد اختلاف احوال النبات فيها تنبه الى ان احوال الحيوان والانسان كذلك وانه وان طال عمره فلابد من الانتهاء الى ان يصير مصفر اللون متحطم الاعضاء والاجزاء ثم تكون عاقبته الموت فحينئذ تعظم رغبته عن الدنيا ولذاتها فلذكر من حال النبات مثل ضربه الله تعالى للدنيا وسرعة زوالها والينابيع جمع ينبوع وهو اما الموضع الذى يجرى فيه الماء من خلال الارض بمنزلة العروق المنبسطة في الجسد او نفس الماء الجارى والينبوع يفعول من نبع الماء اذا خرج وسال ومضارعه ينبع بالحركات الثلاث في عين الفعل وكلها لغات فان كان الينبوع بمعنى المنبع كان نصب ينابيع على المصدر اى سلكه سلوكا في ينابيع وادخله ادخالا فيها على ان تكون ينابيع ظرفا للمصدر المحذوف فلما اقيمت مقام المصدر جعل انتصابها على المصدر وان كانت بمعنى النابع كان انتصابها على الحال اى نابعات ﴿ قوله لانه اذا تم جفافه حان له ان يثور ﴾ اى ينفصل ويرتفع يعنى ان العرب تقول هاج النبت اذا تم جفافه ويبسه مع ان الهيجان والثوران هو الارتفاع والذهاب عن الموضع بناء على ان النبات اذا تم جفافه يصير بمنزلة الهائج والثائر لان الشئ يسمى باسم ما يؤول اليه كما يسمى العصير خمرا وفتات الشئ ما تكسر منه من قولهم فت الشئ اى كسره والتفتت التكسر ثم انه تعالى لما بالغ في بيان وجوب الاجتناب عن عبادة غير الله تعالى ووجوب الانابة اليه قلبا وقالبا ووعدهم البشارة بالمثوبة الحسنى ثم عاتب رسوله صلى الله عليه وسلم على شدة حرصه على هداية اهل الضلال بقوله افمن حق عليه كلمة العذاب الآية ثم بين خساسة الدنيا وسرعة زوالها بان مثل حالها بحال النبات بين بعد ذلك ان الانتفاع بهذه البيانات لا يحصل الا لمن شرح الله صدره للاسلام اى لمن فسح ووسع قلبه لقبول الايمان فهو على نور اى بصيرة ويقين من ربه روى انه قيل له عليه الصلاة والسلام ما هذا الشرح قال نور يقذفه الله في القلب فينفسح القلب وينشرح قيل وما علامة ذلك الخ والكلام في افمن شرح الله صدره كالكلام في افمن حق وتقدير الآية اليس هذه الخصائل الجيدة منوطة بتوفيق الله تعالى وعنايته فمن شرح الله صدره للاسلام كمن اقسى قلبه وطبع عليه فلم يهتد اوليس اولو الالباب والعقول السليمة كغيرهم فمن شرح الله صدره الخ وحذف خبر من لدلالة قوله فويل للقاسية قلوبهم وقساوة القلب غلظته وصلابته بحيث يصير كالشئ المصمت الذى لا يدخله شئ ولا ينفذ فيه شئ يقال حجر قاس اذا كان صلبا مصمتا ﴿ قوله عبر به عن خلق نفسه شديدة الاستعداد ﴾ يعنى ان شرح الصدر عبارة عن تهيئة النفس الناطقة وتقوية استعدادها لقبول الاسلام على طريق ذكر المحل وارادة الحال فان الصدر محل القلب الذى هو المنبع للروح الحيوانى الذى تتعلق به النفس اولا لطافته فذكر الصدر واريد به النفس بهذه العلاقة ولما كان التعلق حاصلا بين كل منهما قال للروح المتعلق بالنفس بدل ان يقال للروح المتعلق للنفس ﴿ قوله وهو ابلغ ﴾ اى في الدلالة على تأبيهم عن قبول الحق وبيان الابلغية موقوف على معرفة الفرق بين تعدية القسوة بكلمتى من وعن فانها اذا عديت بمن كانت من سببية كما في قولك اطعمه من الجوع اى من اجله وبسببه قال تعالى مما خطاياهم اغرقوا واذا عديت بعن كانت للمجاوزة على اصلها بناء على تضمين القساوة معنى الاباء كأنه قيل للآية قلوبهم عن ذكر الله بسبب ما كما اذا قلت اطعمه عن الجوع يكون المعنى اشبعه مبعدا اياه عن الجوع فمعنى من ذكر الله ان ذكر الله احدث في قلوبهم القساوة واذا قلت عن ذكر الله لم يكن معناه ذلك بل يكون المعنى ان قلوبهم اشتدت وابت عن قبول الحق وذكر الله بسبب ما اذا تقرر هذا الفرق ظهر ابلغية التعبير الاول بالنسبة الى الثانى لان القاسى عن الشئ من اجل نفسه اشد تأبيا عن قبوله من القاسى عنه بسبب آخر فان قيل ذكر الله تعالى سبب لحصول

لان قوله لهم غرف في معنى الوعد (لا يخلف الله الميعاد) لان الخلف نقص وهو على الله تعالى محال (الم تر ان الله انزل من السماء ماء) هو المطر (فسلكه) فادخله (ينابيع في الارض) عيونا ومجارى كائنة فيها او مياها نابعات فيها اذ الينبوع جاء للمنبع والنابع فنصبها على المصدر او الحال (ثم يخرج به زرعا مختلفا الوانه) اصنافه من بر وشعير وغيرهما او كيفياته من خضرة وحمرة وغيرهما (ثم يهيج) يتم جفافه لانه اذا تم جفافه حان له ان يثور عن منبته (فتراه مصفرا) من يبسه (ثم يجعله حطاما) فتاتا (ان في ذلك لذكرى) لتذكيرا بانه لابد من صانع حكيم دبره وسواه او بانه مثل الحياة الدنيا فلا تغتر بها (لاولى الالباب) اذ لا يتذكر به غيرهم (افمن شرح الله صدره للاسلام) حتى تمكن فيه يسر عبر به عن خلق نفسه شديدة الاستعداد لقبوله غير متأبية عنه من حيث ان الصدر محل القلب المنبع للروح المتعلق بالنفس القابلة للاسلام (فهو على نور من ربه) يعنى المعرفة والاهتداء الى الحق وعنه عليه الصلاة والسلام اذا دخل النور القلب انشرح وانفسح فقيل فما علامة ذلك قال الانابة الى دار الخلود والتجافى عن دار الغرور والتأهب للموت قبل نزوله وخبر من محذوف دل عليه (فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله) من اجل ذكره وهو ابلغ من ان يكون عن مكان من لان القاسى من اجل الشئ اشد تأبيا من قبوله من القاسى عنه لسبب آخر وللمبالغة في وصف اولئك بالقبول وهؤلاء بالامتناع ذكر شرح الصدر واسنده الى الله وقابله بقساوة القلب واسنده اليهم (اولئك في ضلال مبين) يظهر للناظر بادنى نظر والآية نزلت في حمزة وعلى وابى لهب وولده

النور والحضور وزيادة الاطمئنان قال تعالى الا بذكر الله تطمئن القلوب فكيف جعل فى هذه الآية سببا لحصول القسوة فى القلب • فالجواب انه اذا كانت النفس خبيثة الجوهر مجبولة على الطبيعة البهيمية بعيدة عن الفضائل الروحانية فان سماعها ذكر الله يزيدها قسوة وكدورة فان الفاعل الواحد تختلف افعاله بحسب اختلاف القوابل كنور الشمس فانه يسوّد وجه القصار ويبيض ثوبه وحرارة الشمس تلين الشمع وتعقد الملح وبذكر كلام واحد فى مجلس واحد فيستطيبه شخص ويستكرهه آخر وما ذاك الا بحسب اختلاف جواهر النفوس فلا يبعد ان يكون ذكر الله تعالى يوجب النور والاطمئنان فى النفوس الطاهرة الروحانية ويوجب القسوة والبعد من الحق فى النفوس الخبيثة الشيطانية ﴿ قوله تأكيد للاسناد ﴾ لما فيه من تكرار اسناد التنزيل اليه تعالى وبه يتأكد الاسناد ويتقوى الحكم وقد تقرر ان تقديم المسند اليه على الخبر الفعلى فى نحو انا سعيت فى حاجتك قد يفيد تخصيص الخبر الفعلى به ردًّا لمن زعم انفراد غير المسند اليه بذلك الخبر او زعم مشاركة الغير به فى الخبر الفعلى واذا كان تنزيل القرآن مختصا به تعالى كان المنزل معظم الشان رفيع القدر لا محالة وكان احسن من سائر الاحاديث لكونه كلام اللطيف الخبير العليم الحكيم ﴿ قوله وتشابهه تشابه ابعاضه ﴾ لما فسر قوله احسن الحديث بالقرآن العظيم وهو كتاب واحد من جملة الكتب المنزلة والشئ الواحد لا يوصف بالتشابه فلذلك جعل تشابهه عبارة عن تشابه اجزآئه وابعاضه فان بعضه يشبه البعض فى صحة معانيه وفى الانباء عن الحق والصدق وما فيه من منافع المكلفين وفى تناسب الفائدة وتوافقها فى الفصاحة والبلاغة وتجاوب نظمها ومعانيها فى التبكيت والاعجاز ولما اطلق التشابه ولم يقيده ببيان ما فيه التشابه لم يعين المصنف ما فيه التشابه بل حمله على ما يصلح ان يراد به فى هذا المقام ﴿ قوله جمع مثنى او مثنى على ما مرّ فى الحجر ﴾ قال فى سورة الحجر المثانى من التثنية او الثناء فانه مثنى اى تكرر قرآئه والفاظه او قصصه ومواعظه او مثنى عليه بالاعجاز والبلاغة ومثن على الله تعالى بما هو اهله من صفاته العظمى واسمائه الحسنى فقوله ههنا جمع مثنى بضم الميم وفتح الثاء وتشديد النون على انه اسم مفعول من ثنيته تثنية اى جعلته اثنين لان المراد ههنا مطلق التكرير والاعادة كما تجئ صيغة التثنية لمجرد التكرير كما فى قوله تعالى ثم ارجع البصر كرتين اى كرة بعد كرة ونحو لبيك وسعديك وحنانيك بمعنى اقامة بعد اقامة ومساعدة بعد مساعدة ورحمة بعد رحمة فان القرآن العظيم يثنى ويكرر فى التلاوة فلا يمل كما جاء ولا يخلق على كثرة الرد وايضا يكرر ما فيه من القصص والانباء والاحكام والاوامر والنواهى والوعد والوعيد للتقرير والتأكيد فان النفوس لكونها مجبولة على الميل الى عالم الشهادة وقضاء الحظوظ العاجلة معرضة عن الاستماع لحكمه وحفظه وتدبر فحواه والعمل بمقتضاه ما لم يكرر عليها مرة بعد مرة اخرى وقوله او مثنى بضم الميم وسكون الثاء وفتح النون على انه من الثناء اى مثنى عليه بالبلاغة والاعجاز او بكسر النون اى مثنٍ على الله بما هو اهله وقوله كتابا الظاهر انه بدل من احسن الحديث ويجوز ان يكون حالا منه وقوله متشابها صفة لكتابا وقوله مثانى بفتح الياء صفة ثانية واليه اشار المصنف بقوله وصف به كتابا وهو جواب لما يقال الكتاب واحد فكيف وصف بالجمع والتفاصيل جمع تفصيل وهو جعل الشئ فصلا فصلا وتمييز بعضها عن بعض بجعل ابعاض الكتاب واقسامه تفاصيل لكون كل واحد منها فصلا متميزا عن غيره ﴿ قوله او جعل تمييزا ﴾ عطف على قوله وصف به كتابا اى ويجوز ان يكون انتصاب مثانى على انه تمييز من متشابها من جهة مثانيه لا على انه صفة حتى يرد اشكال توصيف الواحد بالجمع ﴿ قوله وتركيبه من حروف القشع ﴾ يعنى ان بين اقشعرّ والقشع اشتقاقا كبيرا لان فى اقشعرّ معنى القشع مع زيادة فهما مشتركان فى اصل المعنى والحروف الاصلية ولا يخل بذلك اختصاص احدهما بحرف زآئد ليدل على معنى زآئد واقمطر حبل يشدّ به قوآئم الشاة عند الذبح وكذلك ما يشدّ به الصبىّ فى المهد يقال قمطت الشاة والصبى بالقماط اقمطه قمطا ويقال اقمطرّ الامر اشتدّ واستغلق ﴿ قوله والاطلاق ﴾ اى اطلاق ذكر الله وعدم التعرض لصفة من صفاته التى يذكر بها للاشعار بان مبنى امره تعالى على الرأفة والرحمة فاذا ذكر تعالى لا يخطر بالبال من صفاته الا كونه رؤفا رحيما فتلين جلودهم بذكره تعالى كما تقشعر بذكر وعيده ﴿ قوله وذكر القلوب الخ ﴾ جواب عما ذكره الزمخشرى بقوله فان قلت لم ذكرت الجلود وحدها اولا ثم قرنت القلوب بها ثانيا • ومحصول جوابه منع انفراد الجلود عن القلوب اولا بناء على ان الجلود لما ذكرت مقرونة بالخشية اولا فكأنها ذكرت مقرونة بالقلوب لكون الخشية من عوارض القلوب فكأنه قال وذكر القلوب هنا لكونها مذكورة اولا بذكر ما هو من عوارضها ثم انه تعالى لما ذكر كون من شرح صدره للاسلام فاهتدى كمن

(الله نزل احسن الحديث) يعنى القرآن روى ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ملوا ملة فقالوا له حدثنا فنزلت وفى الابتداء باسم الله وبناء نزل عليه تأكيد للاسناد اليه وتفخيم للمنزل واستشهاد على حسنه (كتابا متشابها) بدل من احسن او حال منه وتشابهه تشابه ابعاضه فى الاعجاز وتجاوب النظم وصحة المعنى والدلالة على المنافع العامة (مثانى) جمع مثنى او مثنى على ما مر فى الحجر وصف به كتابا باعتبار تفاصيله كقولك القرآن سور وآيات والانسان عظام وعروق واعصاب او جعل تمييزا من متشابها كقولك رأيت رجلا حسنا شمائل (تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم) تشمئز خوفا مما فيه من الوعيد وهو مثل فى شدة الخوف واقشعرار الجلد تقبضه وتركيبه من حروف القشع وهو الاديم اليابس بزيادة الراء ليصير رباعيا كتركيب اقمطرّ من القمط وهو الشد (ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله) بالرحمة وعموم المغفرة والاطلاق للاشعار بان اصل امره الرحمة وان رحمته سبقت غضبه والتعدية بالى لتضمين معنى السكون والاطمئنان وذكر القلوب لتقدم الخشية التى هى من عوارضها (ذلك) اى الكتاب او الكائن من الخشية والرجاء (هدى الله يهدى به من يشاء) هدايته (ومن يضلل الله) ومن يخذله (فما له من هاد) يخرجه من الضلالة

طبع على قلبه قسا يا ما التفاوت حالهما في الدنيا انكر كون من يتقي بوجهه سوء العذاب كمن هو آمن منه بيانا لتفاوت حالهما في العقبى فقال افمن يتقي بوجهه الآية فكأنه قال أيستوي من هداه الله ومن يضلله فمن يتقي بوجهه سوء العذاب كمن هو في رحمة الله وجنته ﴿ قوله يجعله درقة ﴾ هي الترس التي تعمل من الجلد فان الاصل في الاستر ووقاية النفس من المخاوف هو الترس فمن لم يجده يستتر ويتقي بيده اي يتقي بها وجهه لكون الوجه اعز الاعضاء عليه من حيث انه محل الصباحة والحسن ويجمع الحواس الشريفة حتى كأن الانسان عبارة عنه ومن يلقى في النار يلقى مغلولة يداه الى عنقه فلا يتهيأ له ان يتقي النار الا بوجهه الذي كان يتقي المخاوف بغيره وقاية له والحاصل ان من كان يقدر على الاتقاء جعل كل ماسوى الوجه وقاية للوجه ثم قيل لمن يقع في النار انه يتقي بوجهه منها لا وقاية له سوى وجهه فيكون ذلك كناية عن انه لاقدرة له على الاتقاء البتة له اصلا ونظيره قول النابغة

﴿ ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم ﴿ بهن فلول من قراع الكتائب ﴾

اى لا عيب فيهم الا هذا وهو ليس بعيب فهو كناية عن انه لا عيب فيهم بوجه من الوجوه فكذا ههنا فان الاتقاء من النار بالوجه كيف يكون اتقاء منها وهو في نهاية الملاءمة لها شبه وجهه بالترس ودل عليه بجعله آلة الاتقاء فهو من قبيل الاستعارة التخييلية والواو في قوله تعالى وقيل للظالمين للحال من فاعل يتقي بوجهه اى وقد قال لهم الخزنة ذوقوا عقوبة كسبكم ويجوز ان تكون للعطف فيكون المعطوف من تمام صلة افمن اى افمن يتقي بوجهه سوء العذاب وقيل له ذق جزاء كسبك كمن ليس بهذه الصفة وجمع الضمائر في آخر الآية لان كلمة من تصلح للجميع ثم انه تعالى لما بين كيفية عذاب القاسية قلوبهم في الآخرة بين كيفية وقوعهم في عذاب الدنيا فقال كذب الذين من قبلهم اى من قبل كفار قومك انبياء الله تعالى وجحد فاتاهم العذاب بسبب تكذيبهم فهو تهديد لكفار مكة وتسلية للنبي صلى الله عليه وسلم عما لقي من كفار قومه ﴿ قوله لو كانوا من اهل العلم ﴾ اشارة الى ان يعلم منزل منزلة اللازم حيث لم يقصد تعلقه بشيء ثم لو ان جواب لو محذوف ولما بين الله تعالى بهذه الآيات فوائد عظيمة ومواعظ بليغة بين ان هذه البيانات بلغت حد الكمال والتمام فقال ولقد ضربنا للناس الآية ﴿ قوله والاعتماد فيها على الصفة ﴾ يعني ان قوله قرآنا حال موطئة وعربيا صفتها وذلك لان الحال ما يبين هيئة الفاعل او المفعول به ثم ان المشهور ان تكون مبينة لها بالذات وقد تكون مبينة لها بالغير وهو الحال الموطئة فانها لا تبين الهيئة بذاتها بل بما يتبعها من الصفة فان الحال الموطئة اسم جامد موصوف بصفة هي الحال في الحقيقة وذكر الموصوف توطئة لما هو الحال حقيقة كقولك جاءني زيد رجلا صالحا ويجوز ان يكون قرآنا منصوبا على المدح اى منصوبا بتقدير اعني ﴿ قوله لا اختلال فيه بوجه ما ﴾ اى بوجه من الوجوه المستغرقة المستفادة من كون عوج نكرة في سياق النفي فان غير فيه معنى النفي فلذلك كان غير ذي عوج ابلغ من مستقيما اذ ليس فيه ما يدل على انه مستقيم من جميع الوجوه ﴿ قوله واختص بالمعاني ﴾ يعني ان العوج بكسر العين لا يختص به الاعيان بل هو مختص بالمعاني كما ان العوج بفتح العين مختص بالاعيان يقال في دينه عوج وفي العصا عوج والمقصود ههنا وصف القرآن بمعنى معانيه باستقامتها وعدم التناقض والاختلال فيها بوجه ما لان استقامة الفاظه قد علمت بقوله قرآنا عربيا اى في اعرابه وبيانه لما قصد فيه من المعنى ﴿ قوله وقيل بالشك ﴾ عطف على قوله بوجه ما اى وقيل المراد بالعوج الشك واللبس اى غير ذي شك ولبس استشهادا عليه بقول الشاعر في حق القرآن

﴿ وقد اتاك يقين غير ذي عوج ﴿ من الاله وقول غير مكذوب ﴾

وجه الاستشهاد ان الشاعر وصف القرآن باليقين وقابل اليقين بقوله غير ذي عوج ومقابل اليقين هو الشك واللبس فعلم ان العوج يطلق على الشك واللبس ولم يرض المصنف بهذا القول لانه تخصيص للعوج ببعض مدلوله فان عوج اليقين هو الشك لا محالة وكون العوج المذكور في البيت بمعنى الشك انما يدل على ان الشك من جملة مدلوله ولا يدل على ان ليس له مدلول غيره وقد شاع عند اهل اللغة ان العوج بالكسر بمعنى الاختلال المختص بالمعاني مطلقا فقول القائل تخصيص له ببعض مدلوله من غير دليل ﴿ قوله علة اخرى مرتبة على الاولى ﴾ بين اولا ان الحكمة في ضرب هذه الامثال لعلهم بسبب ان يعلموا ما وعد الله للمتقين واوعد للعاصين وبين ثانيا ان ذلك لان يتقوا الله فان يوقع بهم ما وعدهم به من العذاب وقدم العلة الاولى لان التذكر متقدم على الاتقاء والاحتراز ثم انه تعالى لما شرح وعيد الكفار نبه على ما يدل على فساد مذهبهم وقبح طريقهم فقال

(افمن يتقي بوجهه) يجعله درقة يقي به نفسه لانه يكون مغلولة يداه الى عنقه فلا يقدر ان يتقي الا بوجهه (سوء العذاب يوم القيامة) كمن هو آمن منه فحذف الخبر كما حذف في نظائره (وقيل للظالمين) اى لهم فوضع الظاهر موضعه تسجيلا عليهم بالظلم واشعارا بالموجب لما قال لهم وهو (ذوقوا ما كنتم تكسبون) اى وباله والواو للحال وقد مقدرة (كذب الذين من قبلهم فاتاهم العذاب من حيث لا يشعرون) من الجهة التي لا تخطر ببالهم ان الشر يأتيهم منها (فاذاقهم الله الخزى) الذل (في الحياة الدنيا) كالمسخ والخسف والقتل والسبي والاجلاء (ولعذاب الآخرة) المعد لهم (اكبر) لشدته ودوامه (لو كانوا يعلمون) لو كانوا من اهل العلم والنظر لعلموا ذلك واعتبروا به (ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل) يحتاج اليه الناظر في امر دينه (لعلهم يتذكرون) يتعظون به (قرآنا عربيا) حال من هذا والاعتماد فيها على الصفة كقولك جاءني زيد رجلا صالحا اومدح له (غير ذي عوج) لا اختلال فيه بوجه ما فهو ابلغ من المستقيم واختص بالمعاني وقيل بالشك استشهادا بقوله شعر

وقد اتاك يقين غير ذي عوج *
من الاله وقول غير مكذوب *

وهو تخصيص له ببعض مدلوله (لعلهم يتقون) علة اخرى مرتبة على الاولى

ضرب الله مثلا الآية ﴿ قوله مثلا ﴾ مفعول ضرب يعني بين ورجلا بدل من مثلا وفي الكلام حذف مضاف تقديره مثلا مثل رجل وشركاء مرفوع على الابتداء وجاز الابتداء بالنكرة تخصيصها بالظرف المتقدم وفيه خبره ومتشاكسون صفة شركاء والجملة الاسمية منصوبة المحل على انها صفة رجل ويجوز ان تكون جملة ظرفية منصوبة المحل على انها صفة رجل وشركاء فاعل الظرف ومتشاكسون صفة لشركاء والتشاكس التخالف واصله سوء الخلق وعسره وهو سبب التخالف والتشاجر يقال شكس شكاسة فهو شكس من باب علم اذا كان صعب الخلق ضيق البال وهذا مثل المشرك الذي يعبد آلهة شتى والموحد الذي يعبد الله وحده فالذي عبد الاصنام مثله كمثل عبد فيه شركاء ملاك بينهم اختلاف كل واحد منهم يدعي انه عبده فهم يتجاذبونه لاستعماله في مهن شديدة صعبة واذا عنت له حاجة تدافعوه واحال كل واحد منهم الى غيره فهو متحير في امره لا يدري ايهم يرضى بخدمته وعلى ايهم يعتمد في حاجته والذي وحد الله وعبده كعبد خلص لواحد فاعتنى في خدمته واعتمد عليه في حاجته واي هذين العبدين اصلح حالا وافرغ بالا ﴿ قوله على مايقتضيه مذهبه ﴾ وهو آلهة شتى واثبات عبوديته لها فانه يقتضي ان يدعي كل واحد من معبوديه عبودية ذلك المشرك ﴿ قوله يعبد ﴾ متعلق بقوله مثل المشرك وكذا قوله في تحيره وقوله والموحد منصوب بالعطف على المشرك وهذا المثل في غاية الحسن في الدلالة على تقبيح الشرك وتحسين التوحيد فان قيل لا حسن فيه لعدم انطباقه على عبدة الاصنام لانها جمادات لا يتصور منها المنازعة والتشاكس قلنا تشبيه شيء بآخر لا يستدعي ان يكون وجه الشبه حالة موجودة في كل واحد من المشبه والمشبه به تحقيقا بل يكفي وجودها في احد الطرفين او في كليهما على سبيل التخييل والتأويل كما في قوله

وكأن النجوم بين دجاها ۞ سنن لاح بينهن ابتداع

فان وجه الشبه في هذا التشبيه هو الهيئة الحاصلة من حصول اشياء مشرقة في جوانب شيء مظلم فهذه الهيئة غير حاصلة في المشبه به وهو السنن بين الابتداع الا على سبيل التخييل فان السنن والبدع ليستا من قبيل الاجسام حتى توصفا بالاشراق والاظلام حقيقة وكذا وجه التمثيل بين المشرك والعبد الذي فيه شركاء متشاكسون وكون امر المحتاج المشترك موكولا الى عناية الشركاء المتشاكسين وكونه متحيرا في امره بناء على انه كلما ارضى هو احدهم غضب الباقون واذا احتاج في مهم اليهم فكل واحد يرده الى الآخر فانه لا يوجد في المشبه الذي هو المشرك الاعلى وجه التخييل اشار اليه المصنف بقوله مثل المشرك على مايقتضيه مذهبه فان تشاكس الشركاء وحيرة المشرك بسببه لا يوجد فيه تحقيقا بل تخييلا بناء على مقتضى مذهب المشرك ﴿ قوله قرأ نافع ﴾ يعني انه قرأ ابن كثير وابو عمرو ورجلا سالما بالالف وكسر اللام على انه اسم فاعل من سلم من كذا فهو سالم وقرأ الباقون سلما بفتح السين واللام بغير الف وقرئ ايضا سلما بكسر السين وسكون اللام وبفتح السين وسكون اللام ايضا وهذه الثلاثة مصادر سلم وصف بها للمبالغة او على حذف المضاف اي ورجلا ذا سلامة الرجل اي ذا خلوص له من الشركة وقرئ ايضا ورجل سالم برفعهما على ان ورجل سالم مبتدأ حذف خبره اي وهناك رجل سالم ﴿ قوله وتخصيص الرجل ﴾ اي وتخصيص كل واحد من المالك والمملوك بكونه رجلا حيث لم يقل ضرب الله مثلا شخصا او مملوكا سالما لشيء لان الرجل المملوك افطن لما يلحق به من تشاكس الملاك من المرأة والصبي وكذا الرجل المالك افطن لما يعود اليه من تفرد المملوك واختصاصه بخدمته وكونه مشتركا بين شركاء يستخدمه كل واحد منهم والمرأة والصبي قد يغفلان عن ذلك ﴿ قوله ونصبه على التمييز ﴾ اي على التمييز المنقول من الفاعلية اذ الاصل هل يستوي مثلهما اي هل يستوي صفة العبد الذي فيه رجال متشاكسون وصفة العبد الخالص لواحد فان لفظ المثل قد يستعار للصفة والحال العجيبة تشبيها لها بالمثل السائر في الغرابة ﴿ قوله والذلك ﴾ اي ولكونه تمييزا من النسبة في يستويان لم يطابق التمييز لما انتصب عنه وهو ضمير يستويان الراجع الى الرجلين المنعوتين حيث افرد التمييز مع كون ما انتصب عنه مثنى فانه قد تقرر في النحو ان التمييز ان كان اسما يصح جعله لما انتصب عنه بان يكون نفس ما انتصب عنه كما في قولك طاب زيد ابا او يكون صفة لنفس ما انتصب عنه كابوة في قولك طاب زيد ابوة فانما يطابق فيهما ماقصد الا ان يكون جنسا كالابوة والعلم فان الجنس من حيث انه يتناول القليل والكثير لا يطابق ماقصد وما نحن فيه من هذا القبيل فان الحال والصفة جنس فلذلك لم يطابق المقصد والتمييز الذي يكون جنسا انما يطابق ماقصد اذا قصد به الانواع نحو طاب زيد علمين او علوما فيثنى

(وجميع)

(ضرب الله مثلا) للمشرك والموحد (رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل) مثل المشرك على مايقتضيه مذهبه من ان يدعي كل واحد من معبوديه عبوديته ويتنازعون فيه بعبد يتشارك فيه جمع يتجاذبونه ويتعاورونه في مهامهم المختلفة في تحيره وتوزع قلبه والموحد بمن خلص لواحد ليس لغيره عليه سبيل ورجلا بدل من مثلا وفيه صلة شركاء والتشاكس والتشاخس الاختلاف قرأ نافع وابن عامر والكوفيون سلما بفتحتين وقرئ بفتح السين وكسرها مع سكون العين وثلاثتها مصادر سلم نعت بها او حذف منها ذا ورجل سالم اي هناك رجل سالم وتخصيص الرجل لانه افطن للضر والنفع (هل يستويان مثلا) صفة وحالا ونصبه على التمييز ولذلك وحده

ويجمع على حسب ماقصد من الانواع مع كونه جنسا ﴿قوله على ان الضمير للمثلين﴾ يعنى ان الظاهر ان يرجع ضمير يستويان الى رجل ورجل لكن يجوز ان يرجع الى المثلين المذكورين تقديرا لان تقدير رجلا فى الموضعين مثلا رجلين فكان المثلان مذكورين تقديرا كأنه قيل يستوى المثلان مثلين فورد عليه ان يقال لاوجه لتمييز المثلين بالمثلين اذ الشئ لايميز نفسه فان المعنى الحاصل من التمييز فدفهم من المميز الذى هو الضمير فان المصنف اشار الى جوابه بقوله فى الوصفية اى لامحذور فى تمييز المثلين بالمثلين لان المراد بالمثلين الاولين مثلا الرجلين المنعوتين بالاخيرين وهما جنسان مبهمان غير ملحوظين بخصوصية ما والمعنى هل يستويان الرجلان المذكوران صفتين اى من حيث انهما صفتان وهذا كما تقول كفى زيد وعمرو رجلين اى من حيث انهما رجلان اذا احتجت الى رجلين وقسمت الناس رجلين رجلين ﴿قوله كل الحمد له﴾ اشارة الى ان اللام سوآء كانت للاستغراق او للجنس تفيد اختصاص كل فرد من افراد الحمد به تعالى اما على تقدير كونها للاستغراق فظاهر واما على تقدير كونها للجنس فانه لوثبت شئ من افراد الحمد لغيره تعالى لثبت الجنس له فى ضمن ذلك الفرد فلايكون الجنس مختصا به تعالى لما بين الله تعالى خسران المشركين وسوء عاقبتهم وبين قبح مذهبهم بضرب المثل وثبت انه لا اله الاهو وبين انه مولى النعم كلها فقال الحمد لله بل اكثرهم لايعلمون فكم ضربت الامثال ولايتفكرون فيها قيل ان كفار قريش قالوا نتربص بمحمد عليه الصلاة والسلام ريب المنون يعنى ننتظر به حتى يموت فنزل قوله تعالى انك ميت وانهم ميتون فيت صفة مشبهة ينبغى ان لاتطلق على الموصوف الا اذا كان الموصوف متصفا بمأخذ الاشتقاق بالفعل الا انه اطلق على الحى تنزيلا له منزلة الميت لكون الموت محقق الوقوع والحاصل ان الصفة المشبهة يجب ان تكون بمعنى الماضى ولايجوز حملها على الاستقبال بخلاف اسم الفاعل فانه صفة حادثة يمكن حمله على الاستقبال فيقال زيد مائت غدا اى سيموت الا انه اطلق الميت على الحى لالكونه للاستقبال بل لتنزيل الشئ المحقق الوقوع منزلة الواقع ﴿قوله وقيل المراد به الاختصام العام﴾ اى لاالاختصام الواقع بينه عليه الصلاة والسلام وبين المشركين المتعلق بالدين فالضمير فى قوله وانهم ميتون على الوجه الاول للمشركين الذين لم يقبلوا منه عليه الصلاة والسلام هذه البيانات الواضحة الدالة على الوحدانية ولم يلتفتوا اليها فالله تعالى سلى رسوله صلى الله عليه وسلم بانكم ستموتون ثم تحشرون يوم القيامة فتخاصمهم بان تقول لهم بذلت ماقى وسعى من التبليغ والارشاد وما ازددتم به الاآباء عن الحق واستكبارا حسدا وانهم يعتذرون اليك بالاباطيل التى لاطائل تحتها والاعتذار عن كفرهم وبحاجهم لما كان توجيهاله ودفعالحجته عليه الصلاة والسلام كان ذلك فى صورة الاختصام فلذلك جعل الاختصام مشتركا بينه عليه الصلاة والسلام وبينهم حيث قيل تختصمون عند ربكم فيحكم بينكم بالحق ويميز الحق من الباطل فيجازى كل واحد بماهو حقه فعلى هذا يكون التخاصم فى الدين لافى المعاملات والتبعات وعلى الثانى يكون الضمير لعامة الناس لاللمشركين خاصة ويكون المراد بالتخاصم التخاصم فى طلب المظلوم الانتقام من الظالم باعتدآء بعضهم على بعض فى الحقوق روى انه عليه الصلاة والسلام قال لاتزال الخصومة يوم القيامة حتى تختصم الروح والجسد فيقول الجسد انما كنت بمنزلة جذع ملق لااستطيع شيأ ويقول الروح انما كنت ريحا لااستطيع اعمل شيأ فضرب الله لهما مثل الاعمى والمقعد يحمل الاعمى المقعد فالمقعد يعمل ببصره ويعمل الاعمى برجليه ثم انه تعالى لما ذكر الاختصام الواقع بينه عليه الصلاة والسلام وبين المشركين فيما يتعلق بالدين بين ان لااعظم من الكفر والتكذيب بالله تعالى وانبيائه والافترآء عليه تعالى باتخاذ الصاحبة والولد والشريك فقال فمن اظلم ممن كذب على الله وكذب بالصدق اى بالتوحيد والقرآن اذ جاءه من غير ريب وروية ثم اردفه بالوعيد فقال اليس فى جهنم مثوى للكافرين ﴿قوله واللام تحتمل العهد﴾ فيكون قوله للكافرين من وضع الظاهر موضع الضمير للتنصيص على كفر من افترى على الله وكذب بالصدق ﴿قوله وهوضعيف﴾ اى الاستدلال بهذه الآية على كفر المبتدعة ضعيف لان المبتدع وان كان كافرا فى نفس الامر بناء على ان كل من كذب على الله وكذب بالصدق فهو كافر سوآء كان تكذيبه مفاجئا لماجاء الرسول به اوكان بعده بزمان مديد ووجه ضعفه ان الآية انما تدل على كفر من كذب وكذب من غير توقف وتكذيب المبتدعة ليس كذلك فالاستدلال بها على كفرهم ضعيف ﴿قوله والذى جاء بالصدق وصدق به للجنس﴾ اشارة الى وجه الاخبار عن الذى وهو مفرد بقوله اولئك هم المتقون يعنى ان التعريف بالموصول كالتعريف باللام فى انه يجوز ان يكون للاستغراق فيكون جمعا بحسب المعنى فان حقيقة من اتصف بمضمون جاء

وقرئ مثلين للاشعار باختلاف النوع اولان المراد هل يستويان فى الوصفين على ان الضمير للمثلين فان التقدير مثل رجل ومثل رجل (الحمد لله) كل الحمد له لايشاركه فيه على الحقيقة سواه لانه المنعم بالذات والمالك على الاطلاق (بل اكثرهم لايعلمون) فيشركون به غيره من فرط جهلهم (انك ميت وانهم ميتون) فان الكل بصدد الموت وفى عداد الموتى وقرئ مائت ومائتون لانه مما سيحدث (ثم انكم) على تغليب المخاطب على الغيب (يوم القيامة عند ربكم تختصمون) فتحتج عليهم بانك كنت على الحق فى التوحيد وكانوا على الباطل فى التشريك واجتهدت فى الارشاد والتبليغ ولجوا فى التكذيب والعناد ويعتذرون بالاباطيل مثل اطعنا سادتنا ووجدنا آباءنا وقيل المراد به الاختصام العام يخاصم الناس بعضهم بعضا فيما دار بينهم فى الدنيا (فمن اظلم ممن كذب على الله) باضافة الولد والشريك اليه (وكذب بالصدق) وهو ماجاء به محمد صلى الله عليه وسلم اذ جاءه من غير توقف وتفكر فى امره (أليس فى جهنم مثوى للكافرين) وذلك يكفيهم مجازاة لاعمالهم واللام تحتمل العهد والجنس واستدل به على تكفير المبتدعة فانهم مكذبون بما علم صدقه وهو ضعيف لانه مخصوص بمن فاجأ ماعلم مجئ الرسول به بالتكذيب (والذى جاء بالصدق وصدق به) للجنس المتناول للرسل والمؤمنين لقوله (اولئك هم المتقون) وقيل هو النبى صلى الله عليه وسلم والمراد هو ومن تبعه كما فى قوله ولقد آتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون وقيل الجائى الرسول صلى الله عليه وسلم والمصدق ابو بكر رضى الله عنه وذلك يقتضى اضمار الذى وهو غير جائز

بالصدق و صدّق به باعتبار تحققه فى ضمن جميع افراده فى معنى الجمع فيصح الاخبار عنه باولئك فالذى جاء بالصدق هم الانبياء والذى صدّق به هم الاتباع وهم جماعة فلذلك قيل اولئك هم المتقون وقيل الذى جاء بالصدق المراد به واحد بعينه وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم ولما كان ذا اصحاب واتباع كان ذكره وحده فى قوة ذكرهم معه فاعتبر ذلك لجمع خبره فقيل اولئك هم المتقون كما قيل ولقد آتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون و اذا جاز ذلك فى العلم ففيما نحن فيه اجوز وقيل الذى جاء بالصدق هو سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم جاء بالقرآن والذى صدّق ابو بكر والمؤمنون بعده ولما كان المصدّق بعده غير الجائى على هذا القول احتيج الى موصول آخر وحذف الموصول مع بقاء صلته لايجوز عند البصريين ويجوز عند الكوفيين كقوله « بئس الليالى سهرت من طربى » اى التى سهرت فيها ﴿قوله او صار صادقا بسببه﴾ اى ظهر صدقه بسبب نزوله اليه لان القرآن معجزته عليه الصلاة والسلام والمعجزة تصديق من الله تعالى للانبياء عليهم الصلاة والسلام وهو تعالى لايصدّق الا الصادق فصار ذلك سبب الظهور صدقه عليه الصلاة والسلام ﴿قوله فى الجنة﴾ متعلق بالاستقرار الذى تعلق به قوله تعالى لهم وهى كقوله ولكم فيها ماتشتهى انفسكم ولكم فيها ماتدعون وقوله عند ربهم اى فى حكمه وقضائه كما تقول الامر كذا عند ابى حنيفة رحمه الله تعالى ﴿قوله تعالى ليكفر الله﴾ يجوز ان يكون من صلة المحسنين كأنه قيل الذين احسنوا ليكفر الله اى لاجل ان يمحو عنهم بحسناتهم اسوأ الذى عملوا يعنى الكفر بالايمان والكبائر بالطاعات ويجوز ان تتعلق بمحذوف مدلول عليه بما قبله اى اعطاهم مايشاؤن من فضله ورحمته ليكفر فقوله تعالى لهم مايشاؤن عند ربهم يدل على حصول الثواب على اكمل الوجوه وقوله ليكفر الله عنهم يدل على سقوط العذاب عنهم على اكمل الوجوه ﴿قوله خص الاسوأ﴾ جواب عما يقال من انه يفهم من نظم الآية ان تكون اعمال المحسنين مشتملة على السيئ والاسوأ والحسن والاحسن ويكون المكفر هو الاسوأ لا السيئ والمجزى به هو الاحسن لا الحسن وتقرير جوابه يستدعى تمهيد مقدمة وهى ان افعل التفضيل اذا اضيف فله معنيان احدهما ان يقصد به الزيادة على ما اضيف اليه اى زيادة الموصوف على من سواه من جملة ما اضيف اليه فى اصل المبدأ الذى هو قدر مشترك بين المفضل والمفضل عليه وثانيهما ان يقصد تفضيله على كل ماسواه مطلقا لا على المضاف اليه وحده ولاتكون اضافته لقصد تفضيله على المضاف اليه فقط بل لمجرد التخصيص والتوضيح كقولك نبينا افضل قريش اى افضل الناس مطلقا من بين قريش اذا تقرر هذا فقوله خص الاسوأ للمبالغة مبنى على ان يحمل الاضافة فى قوله اسوأ الذى عملوا على المعنى الاول وقوله او الاشعار الخ مبنى على ان يحمل على المعنى الثانى والاسوأ المضاف بهذا المعنى لايستدعى ان يكون لهم عمل آخر يشاركه فى كونه سوأ ويكون هذا ازيد منه حتى يرد ان يقال لزم ان يكفر الاسوأ دون السيئ بل انهم لاستعظامهم الذنوب يعدّون ماصدر منهم من الصغائر بالغا اقصى المراتب فى كونه ذنبا ومعصية من بين اعمالهم كأنه قيل ليكفر الله عنهم اسوأ الذنوب من بين اعمالهم واجاب عنه ثالثا بان اسوأ يجوز ان يجرّد عن معنى التفضيل ويكون بمعنى السيئ كما جرّد اعدل عن ذلك وكان بمعنى العادل لان المقصود ان بنى مروان كلهم جائرون والعادل لان من بينهم لان فيهم من يعدل وهما اعدلاهم قيل الناقص هو محمد الخليفة سمى به لانه نقص اعطية القوم حين استخلف والاشج عمر بن عبد العزيز وكان فى رأسه شجة او ضربه فرس لمروان جدّه برجله والاسواء جمع سوء على وزن افعال كفرء واقراء ﴿قوله فيعدّ لهم محاسن اعمالهم باحسنها﴾ يعنى ان ماذكره فى وجه تخصيص الاسوأ بالذكر لما لم يصلح وجها لتخصيص الاحسن جعل معنى الآية يعطيهم بمقابلة احسن اعمالهم وسيئها ثوابا مثل ثواب احسن اعمالهم بان يعدّ محاسن اعمالهم باحسنها لحسن اخلاصهم فيها فيكون اضافة الاحسن للزيادة المطلقة عبر الله تعالى عن اعمالهم الحسنة بالاحسن بالمعنى المذكور لانها عند الله كذلك لحسن اخلاصهم فيها فلا يرد مايقال مقتضى الآية ان يكون المجزى به الاحسن دون الحسن ﴿قوله مبالغة فى الاثبات﴾ علة لقوله انكار للنفى فان نفى النفى اثبات كأنه قيل الله كاف البتة ﴿قوله والعبد رسول الله صلى الله عليه وسلم﴾ بناء على الظاهر من ان قوله تعالى ويخوّفونك حال من العبد اذ المعنى أليس كافيك حال تخويفهم اياك بكذا كأنه قيل انه كافيه فى كل حال حتى فى هذه الحالة فانه قد جرت العادة على ان المبطلين يخوّفون المحقين بالخزعبلات الباطلة فحسم الله مادة هذه الشبهة بقوله أليس الله بكاف عبده ﴿قوله ويحتمل الجنس﴾ فيكون قوله ويخوّفونك كلاما مستأنفا ويكون قوله أليس الله بكاف عبده متصلا بما قبله من شرح

(احوال)

وقرئ وصدق به بالتخفيف اى صدق به الناس فأداه اليهم كما نزل او صار صادقا بسببه لانه معجز يدل على صدقه وصدّق به على البناء للمفعول (لهم مايشاؤن عند ربهم) فى الجنة (ذلك جزاء المحسنين) على احسانهم (ليكفر الله عنهم اسوأ الذى عملوا) خص الاسوأ للمبالغة فانه اذا كفر كان غيره اولى بذلك او للاشعار بانهم لاستعظامهم الذنوب يحسبون انهم مقصرون مذنبون وان مايفرط منهم من الصغائر اسوأ ذنوبهم ويجوز ان يكون بمعنى السيئ كقولهم الناقص والاشج اعدلا بنى مروان وقرئ اسواء جمع سوء (ويجزيهم اجرهم) ويعطيهم ثوابهم (باحسن الذى كانوا يعملون) فيعدّ لهم محاسن اعمالهم باحسنها فى زيادة الاجر وعظمه لفرط اخلاصهم فيها (أليس الله بكاف عبده) استفهام انكار للنفى مبالغة فى الاثبات والعبد رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحتمل الجنس

ويؤيده قرآءة حمزة والكسائي عباده وفسر بالانبياء (ويخوفونك بالذين من دونه) يعني قريشا فانهم قالوا له انا نخاف ان تخبلك آلهتنا بعيبك اياها وقيل انه صلى الله عليه وسلم بعث خالدا رضي الله عنه ليكسر العزى فقال له سادنها احذركها ان لها شدة فعمد اليها خالد فهشم انفها فنزل تخويف خالد منزلة تخويفه عليه الصلاة والسلام لانه الآمر له بما خوف عليه (ومن يضلل الله) حتى غفل عن كفاية الله له وخوفه بما لا ينفع ولا يضر (فما له من هاد) يهديهم الى الرشاد (ومن يهدي الله فما له من مضل) اذ لا راد لفعله كما قال (اليس الله بعزيز) غالب منيع (ذي انتقام) ينتقم من اعدآئه (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله) لوضوح البرهان على تفرده بالخالقية (قل افرأيتم ما تدعون من دون الله ان ارادني الله بضر هل هن كاشفات ضره) اي ارأيتم بعدما تحققتم ان خالق العالم هو الله ان آلهتكم ان اراد الله ان يصيبني بضر هل يكشفنه (او ارادني برحمة) بنفع (هل هن ممسكات رحمته) فيمسكنها عني (قل حسبي الله) كافيا في اصابة الخير ودفع الضر اذ تقرر بهذا التقرير انه القادر الذي لا مانع لما يريده من خير او شر روي ان النبي عليه الصلاة والسلام سألهم فسكتوا فنزل ذلك وانما قال كاشفات وممسكات على ما يصفونها به من الانوثة تنبيها على كمال ضعفها (عليه يتوكل المتوكلون) لعلمهم بان الكل منه تعالى (قل يا قوم اعملوا على مكانتكم) على حالكم اسم للمكان استعير للحال كما استعير هنا وحيث من المكان للزمان وقرئ مكاناتكم (اني عامل) اي على مكانتي فحذف للاختصار والمبالغة في الوعيد والاشعار بان حاله لا تقف فانه تعالى يزيده على مر الايام قوة ونصرة ولذلك توعدهم بكونه منصورا عليهم في الدارين فقال (فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه) فان خزي اعدآئه دليل غلبته وقد اخزاهم الله يوم بدر (ويحل عليه عذاب مقيم) دآئم وهو عذاب النار (انا انزلنا عليك الكتاب للناس) لاجلهم فانه مناط مصالحهم في معاشهم ومعادهم (بالحق) ملتبسا به (فمن اهتدى فلنفسه) اذ نفع به نفسه (ومن ضل فانما يضل عليها) فان وباله لا يتخطاها (وما انت عليهم بوكيل) وما وكلت عليهم لتجبرهم على الهدى وانما امرت بالبلاغ وقد بلغت (الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها) اي يقبضها من الابدان بان يقطع تعلقها عنها وتصرفها فيها اما ظاهرا وباطنا وذلك عند الموت او ظاهرا لا باطنا وهو في النوم

احوال المتقين والتفضيل افساد العقل والعضو والسادن الخادم القيم على الخدمة ثم انه تعالى لما بين وعيد المشركين ووعد الموحدين عاد الى اقامة الدليل على تزييف طريق عبدة الاوثان فقال قل افرأيتم اي أتعبدون غير الله فاخبروني فان ارأيتم تستعمل بمعنى اخبروني مجازا بناء على ان مشاهدة الاشياء ورؤيتها كانت طريقا الى العلم بها وصحة الاخبار عنها جعل الرؤية مجازا عن الاخبار بجامع السببية بطريق اطلاق اسم السبب وارادة المسبب وجعل الاستفهام عن الرؤية مجازا عن طلب الاخبار بجامع الطلب وقوله ارأيتم يتعدى الى اثنين اولهما ما تدعون وثانيهما الجملة الاستفهامية والعائد الى المفعول منها قوله هن انث العائد تحقيرا لما يدعون من دونه ولانهم كانوا يسمونها باسم الاناث كالمنات واللات والعزى وكانوا يقولون في الملائكة ايضا هن بنات الله امره الله تعالى بان يحتج عليهم بان يحملهم اولا على ان يقروا بان خالق العالم هو الله تعالى وان النفع والضر كله بيده ثم يقول لهم اخبروني ان آلهتكم ان ارادني الله بضر من مرض او فقر او شدة هل يقدرون على كشفه وان اراد ان يصيبني بخير وصحة وعافية هل يقدرن على ان يمسكنها عني ومعلوم انهن لا يقدرن على شيء من ذلك فكيف اخاف منهن ولما كان هذا الاحتجاج مفحما لهم واقطا لشبههم امره عليه الصلاة والسلام بان يقول لهم حسبي الله اي ثقتي بالله لانه هو الكافي اصابة الخير ودفع الضر وفرض المسئلة في نفسه دون المشركين حيث قال ان ارادني ولم يقل ان ارادكم لان المراد تبكيت المشركين في تخويفهم اياه عليه الصلاة والسلام بقولهم لتكفن عن شتم آلهتنا او ليصيبك منهم خبل او جنون وهذا المقصود يقتضي فرض المسئلة في نفسه ﴿ قوله استعير للحال ﴾ يعني ان المكان والمكانة بمعنى واحد الا ان لفظ مكانة اطلق ههنا على الحال التي كانت المشركون عليها من عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وارادة انواع المكر والكيد به تشبيها للحال التي كانوا عليها بالمكان الذي كانوا فيه وقوله اعملوا على مكانتكم امر تهديد اي اعملوا واجتهدوا على حسب حالكم التي انتم عليها من بغض الحق واهله فاني عامل في اعلاء الحق واظهار الدين على حسب حالي وتأييدي من عند ربي ﴿ قوله والمبالغة في الوعيد ﴾ يعني حذف صلة قوله اني عامل للتعميم وليذهب ذهن السامع كل مذهب فيما يغيظهم ويفرق شملهم ويبطل كيدهم وللاشعار بان حاله لا تقف على حد فانه لو ذكر على مكانتي لربما توهم ان له حالة واحدة يستقر هو عليها فلما لم يذكر ذلك فهم ان حاله لا تقف على حد يمكن الواصف من وصفه بل انها لا تزال على الترقي ساعة فساعة الى ان تنتهي الى اقصى غايات الكمال ﴿ قوله ولذلك ﴾ اي ولكون قوله على مكانتي مرادا حذف لما ذكره رتب قوله فسوف تعلمون الخ على قوله اني عامل على وجه التهديد والايعاد بكونه منصورا عليهم في الدارين فلو لم يكن الكلام السابق مشعرا بما يستلزم كونه عليه الصلاة والسلام منصورا عليهم في الدارين لما صح تفريعه عليه ثم انه تعالى لما بالغ في ارشاد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى طريق دعوة المشركين الى التوحيد والطاعة وبين فساد مذهبهم تارة بالدلائل والبينات وتارة بضرب الامثال وتارة بذكر الوعد والوعيد وكلما ازدادالله تعالى بيانا وارشادا ازداد المشركون طغيانا وضلالا وكان ذلك يعظم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان شديد التأسف والتلهف على اصرارهم على الضلال المؤدي الى العذاب الابدي كما قال تعالى لعلك باخع نفسك ان لا يكونوا مؤمنين انزل الله قوله انا انزلنا عليك الكتاب للناس الآية تسلية له عليه الصلاة والسلام كأنه قيل انك لست مأمورا بان تحملهم على الايمان على سبيل القسر والقهر بل القبول وعدم القبول مفوض اليهم فمن اهتدى به فنفعه يعود اليه ومن ضل فضرر ضلاله لا يعود الا عليه ﴿ قوله ملتبسا به ﴾ اشارة الى ان قوله بالحق متعلق بمحذوف على انه حال من مفعول انزلنا ويجوز ان يكون حالا من فاعله بمعنى ملتبسين به وان تكون الباء سببية متعلقة بانزلنا اي انزلناه بسبب بيان ما فيه من الحق الذي تحتاج اليه الناس ثم انه تعالى لما قال ان كل واحد من الاهتدآء والضلال ليس الا لصاحبه بين ان الهداية والضلال لا يحصلان الا من الله تعالى فقال تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها الآية وجعل الهداية مثلا للحياة واليقظة وجعل الضلال مثلا للموت والنوم فكما ان كل واحد من الحياة واليقظة ومن الموت والنوم لا يحصل الا بتخليق الله تعالى وايجاده كذلك الهداية والضلال لا يحصلان الا من الله تعالى فهذا وجه انتظام الآية بما قبلها وقيل وجه الانتظام انه ذكر حجة اخرى في اثبات انه اله العالم لتدل على انه بالعبادة احق من هذه الاصنام ﴿ قوله تعالى يتوفى الانفس ﴾ اي يقبضها ويستوفيها يقال اوفاه حقه ووفاه اي اعطاه وافيا واستوفى حقه وتوفاه بمعنى واحد ايضا اي قبضه من غير نقصان فقوله تعالى والتي لم تمت

(فيمسك التي قضى عليها الموت) ولا يردها الى البدن وقرأ حمزة والكسائى قضى بضم القاف وكسر الضاد والموت بالرفع (ويرسل الاخرى) اى النائمة الى بدنها عند اليقظة (الى اجل مسمى) هو الوقت المضروب لموته وهو غاية جنس الارسال وماروى عن ابن عباس رضى الله عنهما ان فى ابن آدم نفسا وروحا بينهما مثل شعاع الشمس فالنفس التى بها العقل والتمييز والروح التى بها النفس والحياة فيتوفيان عند الموت ويتوفى النفس وحدها عند النوم قريب مما ذكرناه (ان فى ذلك) من التوفى والامساك والارسال (لآيات) دالة على كمال قدرته وحكمته وشمول رحمته (لقوم يتفكرون) فى كيفية تعلقها بالابدان وتوفيها عنها بالكلية حين الموت وامساكها باقية لاتفنى بفنائها وما يعتريها من السعادة والشقاوة والحكمة فى توفيها عن ظواهرها وارسالها حينا بعد حين الى توفى آجالها (ام اتخذوا) بل اتخذ قريش (من دون الله شفعاء) تشفع لهم عند الله (قل اولو كانوا لايملكون شيأ ولا يعقلون) أيشفعون ولو كانوا على هذه الصفة كما تشاهدونهم جمادات لايقدرون ولا يعلمون (قل لله الشفاعة جميعا) لعله رد لما عسى يجيبون به وهو ان الشفعاء اشخاص مقربون هى تماثيلهم والمعنى انه مالك الشفاعة كلها ولا يستطيع احد شفاعة الا باذنه ولا يستقل بها ثم قرر ذلك فقال (له ملك السموات والارض) فانه مالك الملك كله لايملك احد ان يتكلم فى امره دون اذنه ورضاه (ثم اليه ترجعون) يوم القيامة فيكون الملك له ايضا حينئذ

فى منامها فى محل النصب على تقدير ويتوفى الانفس التى لم تمت فى منامها فحذف الناصب والموصوف لدلالة ماتقدم عليهما وقوله فى منامها متعلق بهذا الفعل المقدر اى يتوفاها فى وقت منامها مثل آتيك خفوق النجم اى وقت خفوقه فالنفس المائتة والنائمة يشتركان فى ان كل واحدة منهما مقبوضة لله تعالى بمعنى انه تعالى يقطع تعلقها عن الابدان وتصرفها فيها ويفترقان من حيث ان النفوس النائمة يرسلها ويردها الى البدن عند اليقظة ويستبقى هذه الحالة الى اجل مسمى هو وقت الموت ويمسك النفس المائتة ولا يرسلها ولا يردها الى يوم البعث قال الامام لابد فى هذا المقام من مزيد البيان فنقول النفس الانسانية كناية عن جوهر مشرق روحانى اذا تعلق بالبدن حصل ضوؤه فى جميع الاعضاء فنقول انه فى وقت الموت ينقطع تعلقه عن ظاهر هذا البدن وعن باطنه حيث لايتصرف فى ظاهر البدن بالاحساس والتمييز ولا فى باطنه بالتنفس وذلك هو الموت واما فى وقت النوم فانه ينقطع ضوؤه عن ظاهر البدن فقط حيث تتعطل حواسه الظاهرة بأسرها لاعن باطنه لان النائم حى متنفس كما فى حال يقظته فالموت والنوم جنس واحد بهذا الاعتبار لكن الموت انقطاع تام كامل والنوم انقطاع ناقص ﴿ قوله وماروى ﴾ مبتدأ وقريب مما ذكرناه خبره وقوله فالنفس مبتدأ وقوله التى بها العقل والتمييز خبره وكذا قوله والروح مبتدأ والتى بها النفس خبره فهو رضى الله عنه اثبت فى بنى آدم شيئين وسمى احدهما نفسا والآخر روحا وجعل نسبة الروح الى النفس كنسبة الشعاع الى الشمس فى كونه متعلقا بها اثرا لها فان الروح الذى هو مبدأ النفس والحياة بمنزلة الشعاع للنفس التى هى مبدأ التعقل والتمييز فالله يقبض النفس عند النوم ولا يقبض الروح وعلى ماذكره المصنف ليس فى بنى آدم الاشئ واحد هو الجوهر المشرق النورانى يكون لابن آدم بحسب ثلاث احوال حال يقظة وحال نوم وحال موت فانه باعتبار تعلقه بظاهر الانسان وباطنه تعلقا كاملا تثبت له حالة اليقظة وباعتبار ظاهر الانسان فقط تثبت له حالة النوم وباعتبار انقطاع تعلقه عن الظاهر والباطن جميعا تثبت له حالة الموت ووجه كون ماروى قريبا مما ذكره المصنف ان النفس والروح وان كانا امرين متغايرين بالذات على ماروى الا ان المقبوض عند الموت مايكون متعلقا بباطن الانسان ومبدأ للنفس والحياة والامر كذلك على ماذكره المصنف والمقبوض عند النوم هو مايكون متعلقا بظاهر الانسان ومبدأ للتعقل والتمييز كما هو كذلك على ماذكره المصنف وقرأ حمزة والكسائى قضى بضم القاف وكسر الضاد ورفع الموت لقيامه مقام الفاعل والوجه قراءة العامة لذكر الفاعل باسمه الصريح فى اول الآية وهو الله تعالى ﴿ قوله بل اتخذ قريش ﴾ اتخذ بهمزة واحدة مفتوحة وهى همزة الاستفهام وحذف همزة الفعل او وصل يعنى ان أم فى قوله تعالى ام اتخذوا منقطعة بمعنى بل وهمزة الاستفهام الانكارى اى دع طمع ان يتفكروا فيها فيستدلوا على كمال قدرته وحكمته فينقادوا لامره وحكمه وانظر الى فرط جهالتهم حيث اتخذوا من لايملك شيأ شفعاء لهم عند الله وان كان قوله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها الآية للاستدلال على ان الواجب على العاقل ان يعبد الها موصوفا بهذه القدرة وبهذه الحكمة وان لايعبد الاوثان التى هى جمادات لاشعور لها فضلا عن القدرة والحكمة يكون وجه اتصال قوله تعالى ام اتخذوا من دون الله شفعاء الآية بما قبله ان يكون جوابا عما اورده الكفار على الدليل السابق بقولهم نحن لانعبد الاصنام لاعتقاد انها آلهة تضر وتنفع وانما نعبدها لاجل انها تماثيل اشخاص كانوا عند الله من المقربين فنحن نعبدها لاجل ان يصير اولئك الاكابر شفعاء لنا عند الله تعالى فاجاب الله تعالى بان قال ام اتخذوا من دون الله شفعاء وتقرير الجواب ان هؤلاء الكفار اما ان يطمعوا فى تلك الشفاعة من عبادة هذه الاصنام او من الاشخاص التى الاصنام تماثيل لها والاول باطل بالبداهة اذلا يتصور صدور الشفاعة من الجماد الذى لايملك شيأ ولا يعقل والثانى ايضا باطل لان يوم القيامة يوم لايملك فيه احد شيأ من الاشياء فلا يقدر احد على الشفاعة الا باذن الله فيكون الشفيع فى الحقيقة هو الله الذى يأذن فى تلك الشفاعة فكان الاشتغال بعبادته اولى من الاشتغال بعبادة غيره وهذا هو المراد من قوله تعالى قل لله الشفاعة جميعا ﴿ قوله أيشفعون ولو كانوا ﴾ يعنى ان مدخول الهمزة محذوف وهو يشفعون وان قوله ولو كانوا حال من فاعله اى أيشفعون حال تقدير عدم ملكهم وعدم عقلهم ﴿ قوله ثم قرر ذلك ﴾ اى قرر قوله قل لله الشفاعة جميعا ببيان اختصاص الملك له فى اليوم وفى يوم القيامة لان الشفاعة من الملك والملك له فكيف يشفع احد لاحد بغير اذن من له الملك ثم انه تعالى ذكر نوعا آخر من اعمالهم القبيحة وهو انك اذا ذكرت الله وحده بان تقول لا اله الا الله وحده لاشريك له ظهرت آثار النفرة فى قلوبهم ووجوههم واذا ذكرت الاصنام والاوثان ظهرت آثار الفرح والبشارة فى قلوبهم ووجوههم وذلك

يدل على كمال جهالتهم وحماقتهم لان ذكر الله وتوحيده رأس كل خير ومفتاح كل سعادة وذكر الاصنام التى هى الجمادات الخسيسة رأس كل الجهالات والحماقات فنفرتهم عن ذكر الله وحده واستبشارهم بذكر هذه الاصنام من اقوى الدلائل على الجهل الغليظ والحمق الشديد ﴿ قوله ولقد بالغ فى الامرين ﴾ وهما الاشمئزاز الذى هو غاية النفرة والاستبشار الذى هو غاية الفرح والسرور وقوله حتى بلغ الغاية فيهما بيان لوجه المبالغة فيهما فان كل واحد منهما غاية فى بابه فانه اذا امتلأ القلب سرورا ينبسط الروح الحيوانى الى ظاهر البدن فيتهلل بسبب بشره وجهه واذا اشتد غيظه ينقبض الروح الى داخل القلب فيظهر فى اديم الوجه اثر الغبرة والظلمة والامرضة ﴿ قوله والعامل فى اذا المفاجأة ﴾ جملة اسمية اى العامل فى اذا الاولى هو فعل المفاجأة العامل فى اذا الثانية وهو فاجاؤا لكن قوله اذا ذكر ظرف لذلك الفعل وقوله اذاهم مفعول به وليسا ظرفين له لان العامل الواحد لا يعمل فى ظرفين من جنس واحد من غير ان يكون الثانى بدلا من الاول ولان فعل المفاجأة لابد له من مفعول به لانه متعد جعل الزمخشرى تقدير الكلام فى وقت ذكر الذين من دونه فاجأوا وقت الاستبشار فسر اذا المفاجأة بالوقت وقد قالوا انه للمكان ولعل الداعى اليه رعاية المناسبة بين اذا الاولى والثانية * فان قلت ماذكره يؤدى الى ان يكون الزمان زمان * قلنا انما يلزم ذلك ان لو لم يكن الوقت الثانى هو الوقت الاول بمعنى انهم يجعلون وقت الذكر وقت الاستبشار من غير تلبث واما العامل فى اذا التى فى قوله واذا ذكر الله فهو قوله اشمأزت ثم انه تعالى لما حكى هذا الامر العجيب الذى تشهد فطرة العقل بفساده امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقول اللهم فاطر السموات والارض اى ياخالق السموات والارض ويا عالم السر والعلانية انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اى قد علمت حالى وحال قومى هؤلاء وانى قد بلغتهم واجتهدت فى النصح لهم واوضحت لهم دلائلك فاشمأزوا فاحكم بينى وبينهم * انى لا اعرف آية ماقرأها احد قط فسأل الله تعالى شيأ الا اعطاه اياه وهى قوله تعالى قل اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون ثم انه تعالى لما حكى هذه الجهالات وامر رسوله صلى الله عليه وسلم ان يدعو الله تعالى باسمائه الحسنى وصفاته العليا ويسأله ان يحكم بينه وبينهم فيما كانوا فيه يختلفون ذكر فى وعيدهم اشياء اولها ان هؤلاء الكفار لو ملكوا كل مافى الارض من الاموال وملكوا مثله معه لجعلوا كل ذلك فدية لانفسهم من ذلك العذاب الشديد لم يقبل منهم ذلك وهو قوله تعالى ولو ان للذين ظلموا اى كفروا فوضعوا العبادة فى غير موضعها وظلموا انفسهم بذلك وثانيها وهو قوله تعالى وبدا لهم من الله مالم يكونوا يحتسبون اى ظهرت لهم انواع من العقاب لم يكن فى حسابهم ماعاتلها وبدانيها كما قال عليه الصلاة والسلام فى صفة الثواب فى الجنة فيها مالا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر * فكذا الحال فى جانب العقاب والعياذ بالله تعالى وثالثها قوله تعالى وبدا لهم سيئات ما كسبوا وكلمة ما يجوز ان تكون موصولة اى سيئات اعمالهم التى اكتسبوها وان تكون مصدرية اى سيئات كسبهم ثم قال وحاق بهم اى احاط ونزل بهم من كل الجوانب جزاء ما كانوا به يستهزؤن فقدر الجزاء كما قدر فى قوله تعالى هذا ما كنزتم لانفسكم اى جزاء ما كنزتم لان ما كانوا يستهزؤن به فى الدنيا من آيات الله وانبيائه لامعنى لاحاطته بهم به فى العقبى الا بذلك التقدير ثم انه تعالى حكى عنهم طريقة اخرى من طرائقهم الفاسدة وهى انهم عند الوقوع فى الضر من نحو الفقر والمرض يفزعون الى الله تعالى ويرون ان دفع ذلك لا يكون الا منه ثم انه تعالى اذا خولهم اى اعطاهم نعمة تفضلا يقول احدهم انما اوتيته على علم ﴿ قوله اخبار عن الجنس ﴾ حمل الانسان على الجنس واستدل عليه بقوله اكثرهم لا يعلمون لانه لو حمل على المعهود وهم الذين اشمأزت قلوبهم من ذكر الله ويستبشرون بذكر غيره لما كان لتخصيص اكثرهم بانهم لا يعلمون وجه لانهم كلهم كذلك وهذا الحمل لاينافى وجه دخول المشمئزين والمستبشرين دخولا اوليا فى هذا الحكم وهو تخصيصه تعالى بالدعاء اذا مسهم ضر وشدة فلذلك عطف هذه الجملة على قوله اذا ذكر الله وحده اشمأزت الخ بالفاء السببية المؤذنة بانهم يجعلون اشمئزاز قلوبهم عن ذكر الله سببا للالتجاء اليه تعالى عند الشدائد انكارا عليهم فى هذا الالتجاء وتعجيبا من حالهم لان السبب الصالح للالتجاء اليه عند الشدائد صدق الانقياد والانابة اليه وقت الرخاء لا النفور عنه والاشمئزاز بذكره وهم يجعلون النفور والاشمئزاز المذكورين مقام الانقياد التام والانابة الدائمة فيلتجئون اليه عند الشدائد وما هذا الا تعكيس فى السبب الا ان الظاهر من عطف هذه الجملة على قوله واذا ذكر الله وحده بالفاء ان يحمل الانسان على المعهود وان يكون المشمئز عن ذكر الله مخطوطا قصدا لما فى ضمن الجنس حتى

(واذا ذكر الله وحده) دون الهتهم (اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة) انقبضت ونفرت (واذا ذكر الذين من دونه) يعنى الاوثان (اذاهم يستبشرون) لفرط افتتانهم بها ونسيانهم حق الله ولقد بالغ فى الامرين حتى بلغ الغاية فيهما فان الاستبشار ان يمتلئ قلبه سرورا حتى تنبسط له بشرة وجهه والاشمئزاز ان يمتلئ غما حتى ينقبض اديم وجهه والعامل فى اذا المفاجأة (قل اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة) التجئ الى الله بالدعاء لما تحيرت فى امرهم وعجزت فى عنادهم وشدة شكيمتهم فانه القادر على الاشياء والعالم بالاحوال كلها (انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون) لانت وحدك تقدر ان تحكم بينى وبينهم (ولو ان للذين ظلموا ما فى الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيامة) وعيد شديد واقناط كلى لهم من الخلاص (وبدا لهم من الله مالم يكونوا يحتسبون) زيادة مبالغة فيه وهو نظير قوله فلا تعلم نفس ما اخفى لهم فى الوعد (وبدا لهم سيئات ما كسبوا) سيئات اعمالهم او كسبهم حين تعرض صحائفهم (وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن) واحاط بهم جزاؤه (فاذا مس الانسان ضر دعانا) اخبار عن الجنس بما يغلب فيه

بكون العطف المذكور تقبيحا لحالهم وبيانا لمناقضتهم وتعكيسهم فى التسبب حيث جعلوا ماهو سبب للاعراض عنه سببا للالتجاء اليه ﴿ قوله وما بينهما اعتراض مؤكد لانكار ذلك عليهم ﴾ اى لانكار مناقضتهم انفسهم حيث تشمئز قلوبهم من ذكر الله ويستبشرون بذكر غيره ثم يرجعون اليه تعالى فى الشدائد دون آلهتهم وماهو الا مناقضة صريحة وتعكيس فى التسبب يعنى ان من حق الجملة المعترضة ان تؤكد كل واحدة من الجملتين اللتين وقعت هى معترضة بينهما والامر ههنا كذلك لان الجملة المتقدمة اذا ذكر الله وحده الخ معناها انكار اشمئزازهم وكذا الجملة المتأخرة وهى قوله تعالى فاذا مس الانسان ضر الخ انكار للالتجاء اليه تعالى بعد الاشمئزاز عن ذكر الله وحده والاستبشار بذكر غيره وما وقع معترضا بينهما وهو دعاؤه عليه الصلاة والسلام ربه تعالى بامر منه بذلك تأكيد للانكار الواقع فى الطرفين كأنه قيل يارب لايحكم بينى وبين هؤلاء الذين يجترؤن عليك بمثل هذه الجرآت الا انت ﴿ قوله فان التخويل مختص به ﴾ اى بالاعطاء تفضلا ولا يستعمل فى الاعطاء بطريق المجازاة والمكافاة بل فى ابتداء العطية ﴿ قوله على علم منى بوجوه كسبه ﴾ على ان قوله تعالى على علم حال من الضمير المرفوع فى اوتيته وان فسر ذلك بقوله اى سأعطاه يحتمل ان يكون حالا من الضمير المرفوع او المنصوب فى اوتيته لتصريح الضمير فى سأعطاه وان فسر بقوله على علم من الله تعالى ومن استحقاقى يتعين كونه حالا من الضمير المرفوع ﴿ قوله والهاء فيه لما ﴾ يعنى ان كلة ما فى انما يحتمل ان تكون كافة وان تكون موصولة فالضمير المنصوب فى اوتيته على الاول يرجع الى النعمة من حيث ان المراد بها شئ من النعمة اومن حيث ان المراد بها الانعام وعلى الثانى يرجع الى ما اى الذى اوتيته على علم منى ومن الله تعالى بى وباستحقاق اياه * فان قلت كيف يحتمل انها موصولة وحق الموصولة ان تكون مفصولة فى الخط عن ان * اجيب بان خطين لايجرى القياس فيهما خط المصحف وخط العروضيين وانث ضمير النعمة فى قوله تعالى بل هى فتنة اعتبارا بلفظ النعمة ﴿ قوله وهو رد لما قاله ﴾ كأنه قيل ماخولناك اياها لما تقول بل هى فتنة اى ابتلاء وامتحان لك ليظهر للناس أتشكر تلك النعمة ام تكفر * وكلة ما فى قوله تعالى فما اغنى عنهم يجوز ان تكون نافية او استفهامية اى مانفع او اى شئ نفع ما كسبوا من المال عند حلول العذاب المدلول عليه بقوله فاصابهم سيئات ما كسبوا وهو معطوف على قوله قدقالها الذين من قبلهم ﴿ قوله او جزاء اعمالهم ﴾ على ان يراد بالعقوبات السيئات التى هى جزاء ما كسبوه من المعاصى وكلة ما على الوجهين موصولة * ولما ورد ان يقال عقوبة العاصى عدل تقتضيه الحكمة فكيف يصح ان تسمى سيئة * اجاب عنه بقوله وسماه سيئة على طريق المجاز المرسل تسمية للشئ باسم متعلقه فان الجزاء الذى اصابهم انما اصابهم فى مقابلة اعمالهم السيئة ونكتة المجاز الرمز الى ان جميع اعمالهم كذلك ووجه الرمز ان قوله ما كسبوا يعم جميع اعمالهم فاذا عبر عن جزاء ما كسبوا بالسيئات لكونها فى مقابلة السيئات كان ذلك رمزا اليها بملاحظة اضافتها الى جميع ما كسبوا من العقائد الباطلة والاقوال والافعال الفاسدة او عد كفار مكة ومن كان بمثل حالهم فقال والذين ظلموا من هؤلاء سيصيبهم سيئات ما كسبوا وماهم بمعجزين اى بفائتين عذاب الله فى الدنيا والآخرة ثم رد عليهم زعمهم فيما اوتوا من المال وسعة الحال بقوله اولم يعلموا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر اى ويضيق على من يشاء لايتعلق البسط بحسن حيلته فى كسبه ولا الضيق بلادته فيه ويدل على ذلك انا نرى الناس مختلفين فى سعة الرزق وضيقه فلابد لذلك من سبب وسبب ذلك ليس عقل الرجل وجهله لانا نرى العاقل القادر فى اشد الضيق ونرى الجاهل الضعيف فى غاية السعة وليس ذلك ايضا لاجل الطبائع والانجم والافلاك لان فى الساعة التى ولد فيها ذلك الملك الكريم والسلطان القاهر قد ولد فيها ايضا عالم من الناس وعالم من الحيوانات غير الانسان وعالم النبات فلما اثبتنا حدوث هذه الاشياء الكثيرة فى تلك الساعة الواحدة مع كونها مختلفة فى السعادة والشقاوة علمنا ان الفاعل لذلك هو الله تعالى فصح بهذا البرهان العقلى صحة قوله الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر قال الشاعر

فلا السعد يقضى به المشترى ● ولا النحس يقضى علينا زحل

ولكنه حكم رب السما ● وقاضى القضاة تعالى وجل

ثم انه تعالى لما اطنب فى تفصيل الوعيد اردفه بشرح كمال قدرته وفضله واحسانه فى حق العبيد فقال قل ياعبادى الذين اسرفوا على انفسهم ﴿ قوله افرطوا فى الجناية عليها ﴾ يريد انه ضمن الاسراف معنى الجناية فعدى بعلى لذلك وقوله لاتيأسوا من مغفرته اولا وتفضله ثانيا الظاهر انه قوله اولا وثانيا اشارة الى ترتيبهما فى كونهما

والعطف على قوله واذا ذكر الله وحده بالفاء لبيان مناقضتهم وتعكيسهم فى التسبب بمعنى انهم يشمئزون عن ذكر الله وحده ويستبشرون بذكر الآلهة فاذا مسهم ضر دعوا من اشمأزوا من ذكره دون من استبشروا بذكره وما بينهما اعتراض مؤكد لانكار ذلك عليهم (ثم اذا خولناه نعمة منا) اعطيناه اياها تفضلا فان التخويل مختص به (قال انما اوتيته على علم) على علم منى بوجوه كسبه او بانى سأعطاه لمالى من استحقاقه او على علم من الله بى وباستحقاقى والهاء فيه لما ان جعلت موصولة والا فللنعمة والتذكير لان المراد شئ منها (بل هى فتنة) امتحان له أيشكر ام يكفر وهو رد لما قاله وتأنيث الضمير باعتبار الخبر او لفظ النعمة وقرئ بالتذكير (ولكن اكثرهم لايعلمون) ذلك وهو دليل على ان الانسان للجنس (قد قالها الذين من قبلهم) الهاء لقوله انما اوتيته على علم لانها كلة او جملة وقرئ بالتذكير والذين من قبلهم قارون وقومه فانه قاله ورضى به قومه (فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون) من متاع الدنيا (فاصابهم سيئات ما كسبوا) جزاء سيئات اعمالهم او جزاء اعمالهم وسماه سيئة لانه فى مقابلة اعمالهم السيئة رمزا الى ان جميع اعمالهم كذلك (والذين ظلموا) بالعتو (من هؤلاء) المشركين ومن للبيان او للتبعيض (سيصيبهم سيئات ما كسبوا) كما اصاب اولئك وقد اصابهم فانهم قحطوا سبع سنين وقتل ببدر صناديدهم (وماهم بمعجزين) بفائتين (اولم يعلموا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) حيث حبس عنهم الرزق سبعا ثم بسط لهم سبعا (ان فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون) بان الحوادث كلها من الله بوسط او غيره (قل ياعبادى الذين اسرفوا على انفسهم) افرطوا فى الجناية عليها بالاسراف فى المعاصى واضافة العباد تخصصه بالمؤمنين على ماهو عرف القرآن (لاتقنطوا من رحمة الله) لاتيأسوا من مغفرته اولا وتفضله ثانيا

مدلول الآية بناء على ان التفضل لايكون الابعد المغفرة ويحتمل ان يكون اشارة الى ترتيبهما في كونهما مدلول الآية بناء على انها انما دلت على النهي عن اليأس من تفضله فدلالتها على النهي عن اليأس من مغفرته اولى لان الذنب مالم يغفره لايتفضل عليه بالدرجات وقوله واضافة العباد تخصصه بالمؤمنين يعني ان قوله تعالى الذين اسرفوا على انفسهم ليس بعام في حق جميع المشركين وان دخلوا دخولا اوليا فيمن افرطوا في الجناية على انفسهم بالافراط في المعاصي بناء على ان لفظ العباد اذا ذكر مضافا اليه تعالى يراد به المؤمنون في عرف القرآن وان كان عرف اهل اللغة لايقتضي اختصاصه بهم لان الخلائق بامرها عباده مملوكون وفي قبضة قدرته مسخرون فلا يرد ان يقال نهي العباد عن القنوط من رحمة الله بمنزلة امره بان يطمعوا ويرجوا رحمته تعالى والكريم اذا امر بالرجاء فلا يليق به الا الكرم بالمغفرة والتفضل في حق عامة المكلفين من المؤمنين والمشركين ويعارضه نصوص كثيرة فلا وجه التوفيق واذا خص العباد بالمؤمنين بشهادة الاضافة يكون معنى الآية اطماع المؤمنين بانه تعالى يغفر جميع ذنوبهم من الصغائر والكبائر فان من قال لا اله الا الله محمد رسول الله ينجو من النار قطعا اماقبل الدخول في جهنم واما بعد الدخول فيها كما قال المصنف رحمه الله يغفرها عفوا ولو بعد تعذيب اي يسترها جميعا بان يمحوها من عفا الدار اي هدمها واعلم ان اهل السنة ذهبوا الى انه تعالى يغفر جميع ذنوب المؤمنين ويعفو عنها قطعا وان هذا العفو والغفران يقع على وجهين تارة يقع ابتداء وتارة بعد ان يعذب في النار مدة ثم يخرج من النار ويعفى عنه فان قيل اذا كانت جميع الذنوب مكفرة بعفو الله تعالى ومغفرته فما الحاجة الى التوبة فان التوبة يراد بها اسقاط العذاب فاذا سقط العذاب بعفو الله تعالى فاي حاجة الى التوبة مع انها واجبة على العاصي عندنا وان لم تكن شرطا في العفو والغفران اجيب بان فائدتها اسقاط العذاب عمن تكون مغفرته مسبوقة بالعذاب وان كان يحتمل ان يغفر له ابتداء من غير توبة ويسبق تعذيبه بحكم مشيئته لا بحكم ملكه وجبروته والمعتزلة قيدوا قوله تعالى ان الله يغفر الذنوب جميعا بالتوبة وحملوا هذا المطلق على ماقيد في مواضع اخر دفعا للتناقض الا ان قولهم بالتقييد في غير هذا الموضع محل نظر اذ لم يصرح في شئ من المواضع بان المغفرة متوقفة على التوبة وغاية ما ذكر انه تعالى ذكر المغفرة بعد ذكر التوبة وهو لايستلزم عدم حصول المغفرة بدونها كما لايستلزم ذكر الانابة والاخلاص بعد ذكر المغفرة عدم حصولهما بدونها كما في هذه الآية والمصنف رد على الزمخشري في تقييد المغفرة بالتوبة بان التقييد خلاف الظاهر فلا يصار اليه بلا ضرورة ثم استدل على ان غفران ماعدا الشرك من الذنوب مطلق غير مشروط بالتوبة بوجوه الاول قوله تعالى ان الله لايغفر ان يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء ووجه الاستدلال به ان الشرك الغير المغفور هو الذي لم يتب عنه ضرورة ان المشرك اذا تاب من شركه واسلم يغفر له شركه فيكون المراد بمادون الشرك المغفور لمن يشاء مالم يكن مسبوقا بالتوبة والا لم يتطابق النفي والاثبات والثاني التعليل المستفاد من قوله تعالى انه هو الغفور الرحيم فانه لاشتماله على صيغتي المبالغة وهما صيغتا فعيل وفعول يدل على ان الغفران والرحمة مطلقان غير مقيدين بالتوبة لان كونهما في غاية الكمال انما يكون اذا كانا غير مشروطين وكذا مافيه من الدلائل على الحصر يدل ايضا على ان غفرانه ورحمته تعالى في غاية الكمال ومن وجوه كمالهما كونهما غير مشروطين بالتوبة والثالث انه تعالى لم يكتف بتوصيف ذاته بالمغفرة البالغة الذي هو في قوة الوعد بها بل اردفه بتوصيفها بالرحمة البالغة بها فان قوله الرحيم يفيد فائدة زائدة على مايستفاد من قوله الغفور فان قوله الغفور اشارة الى محو ما يوجب العقاب وقوله الرحيم اشارة الى التفضل بالثواب ومن هذا شأنه لايليق به ان تكون مغفرته مشروطة بالتوبة والرابع تقديم مايستدعي عموم المغفرة وهو انه عبر عن المذنبين بلفظ العباد المشعر بالذلة والمسكنة وان اضاف اللفظ المذكور الى نفسه بياء الاضافة ولاشك ان اللائق بالكريم الرحيم افاضة الخير والرحمة على المسكين المحتاج من غير تقييد واشتراط بشئ وان شرف الاضافة اليه يدل على الامن من عذابه مطلقا تاب اولم يتب والخامس ان تخصيص ضرر اسرافهم بهم وارجاعه اليهم توصيف لهم بجهل وخاتمة عاقبة الاسراف وهو ايضا يشعر بان تكون مغفرته لهم غير مشروطة بشئ والسادس انه تعالى اطلق النهي عن القنوط من الرحمة وهو في قوة الامر برجاء الرحمة مطلقا والكريم اذا امر بالرجاء والرحمة مطلقا فهو آمر برجاء المغفرة مطلقا بطريق الاولى والسابع ان اطلاق الرحمة وعدم تقييدها بنوع منها اطماع فيها بجميع وجوهها فتقييد المغفرة بالتوبة ينافي اطلاق الرحمة والثامن ان تعليل النهي عن القنوط من الرحمة بقوله ان الله يغفر الذنوب يدل على اطلاق المغفرة اذ لاوجه لتعليله بالمغفرة

(ان الله يغفر الذنوب جميعا) عفوا ولو بعد تعذيب وتقييده بالتوبة خلاف الظاهر ويدل على اطلاقه فيما عدا الشرك قوله ان الله لايغفر ان يشرك به الآية والتعليل بقوله (انه هو الغفور الرحيم) على المبالغة وافادة الحصر والوعد بالرحمة بعد المغفرة وتقديم مايستدعي عموم المغفرة مما في عبادي من الدلالة على الذلة والاختصاص المقتضيين للترحم وتخصيص ضرر الاسراف بانفسهم والنهي عن القنوط مطلقا عن الرحمة فضلا عن المغفرة واطلاقها وتعليله بان الله يغفر الذنوب ووضع الاسم الظاهر موضع الضمير لدلالته على انه المستغني والمنعم على الاطلاق والتأكيد بالجميع وماروى انه عليه الصلاة والسلام قال ما احب ان لي الدنيا ومافيها بها فقال رجل يارسول الله ومن اشرك فسكت ساعة ثم قال ألا ومن اشرك ثلاث مرات

وماروى انها نزلت فى اهل مكة قالوا زعم محمد ان من عبد الوثن وقتل النفس بغير حق لم يغفر له فكيف ولم نهاجر وقد عبدنا الاوثان وقتلنا النفس فنزلت وقيل فى عياش والوليد بن الوليد فى جماعة فتنوا فافتتنوا اوفى الوحشى لاينفى عمومها وكذا قوله (وانيبوا الى ربكم واسلموا له من قبل ان يأتيكم العذاب ثم لاتنصرون) فانها لاتدل على حصول المغفرة لكل احد من غير توبة وسبق تعذيب لتغنى عن التوبة والاخلاص فى العمل وتنافى الوعيد بالتعذيب

المقيدة والتاسع انه تعالى قال اوّلا ياعبادى فكان الظاهر ان يقول بعده لاتقنطوا من رحمتى الا انه تعالى قال لاتقنطوا من رحمة الله بوضع الظاهر موضع الضمير للاشعار بان رحمته غير مشروطة فضلا عن مغفرته والعاشر التأكيد بالجميع فانه تعالى لو قال يغفر الذنوب من غير تأكيد بقوله جميعا لحصل اصل المعنى لكنه اردفه بقوله جميعا ليدل على كمال مغفرته ومن جملة كمالها كونها غير مشروطة بالتوبة وقوله عليه الصلاة والسلام ما احب ان لى الدنيا وما فيها بها اى بهذه الآية والباء فى قوله بها للمقابلة والمعنى ما احب ان املك الدنيا وما فيها بهذه الآية وذلك لانه تعالى وعد فيها المسرفين من عباده ان يغفر لهم ذنوبهم جميعا ونهاهم عن ان يقنطوا من رحمة الله الواسعة وهى ارجى آية فى حق عصاة المؤمنين فقال رجل على سبيل الاستبعاد ومن اشرك اى وذنوب من اشرك على انه معطوف على قوله تعالى الذنوب جميعا اى ويغفر ذنوب من اشرك ايضا فلعل الصحابى نظر الى عموم قوله ياعبادى لمن آمن واشرك فقال وذنوب من اشرك ايضا وسكوته عليه الصلاة والسلام يحتمل ان يكون لتعليم التأنى او لانتظار الوحى او لاجتهاد على رأى من يجوّزه له عليه الصلاة والسلام ٭ روى فى سبب نزول هذه الآية وجوه قيل انها نزلت فى اهل مكة فانهم قالوا زعم محمد ان من قتل النفس وعبد الاوثان لايغفر له وقد عبدنا وقتلنا فكيف نسلم ولعلهم قالوا ذلك حين سمعوا قوله تعالى فى آخر الفرقان وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا الى ان قال والذين لايدعون مع الله الها آخر ولايقتلون النفس التى حرم الله الا بالحق ولايزنون ومن يفعل ذلك يلق اثاما يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا فنزلت جوابا لهم اى قل لهؤلاء المشركين عنى ياعبادى اى ياخلقا انا مالكم اصرفهم فى حكمى كيف اشاء وقيل نزلت فى وحشى قاتل حمزة عم النبى صلى الله عليه وسلم يوم احد روى عن ابن عباس رضى الله عنهما ان وحشيا كتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة انى اريد ان اسلم ولكن يمنعنى آية نزلت عليك من القرآن هى قوله والذين لايدعون مع الله الها اخر ولايقتلون النفس التى حرم الله الا بالحق ولايزنون ومن يفعل ذلك يلق اثاما وانى قد فعلت هذه الاشياء الثلاثة فهل لى من توبة فنزلت هذه الآية الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما فكتب ذلك وارسله الى وحشى فقال وحشى ان فى الآية شرطا وهو العمل الصالح وانالا ادرى اقدر عليه ام لافنزل ان الله لايغفر ان يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء فكتب بذلك الى وحشى وكتب وحشى اليه ان فى هذه الآية شرطا ايضا وهو قوله تعالى لمن يشاء ولا ادرى ايشاء ان يغفر لى ام لافنزل قوله تعالى قل ياعبادى الذين اسرفوا على انفسهم لاتقنطوا من رحمة الله فكتبه الى وحشى فلم يجد فيه الشرط فقدم المدينة فاسلم فقال المسلمون هذا له خاصة ام للمسلمين عامة قال عليه الصلاة والسلام بل للمسلمين عامة وقيل نزلت فى اناس اصابوا ذنوبا عظاما فى الجاهلية فلما جاء الاسلام اشفقوا ان لايقبل الله تعالى توبتهم وقيل نزلت فى عياش بن ربيعة والوليد بن الوليد ونفر من المسلمين اسلموا ثم فتنوا بان امروا بالتكاليف الشرعية من القتال وغيره فلم يصبروا عليها فارتدوا والعياذ بالله ٭ قال الامام العبرة لعموم اللفظ لا لخصوص السبب فنزول هذه الآيات فى هذه الوقائع لايمنع من عمومها ﴿ قوله وماروى ﴾ مبتدأ وما بعده عطف عليه وقوله لاينفى عمومها خبر المبتدأ وهو جواب عن سؤال مقدر وهو ان ما ذكرته من الادلة الدالة على ان المغفرة ليست مقيدة بالتوبة معارض بهذه الروايات فانها تدل على ان هذه الآيات نازلة فى حق المشركين او المرتدين اوفى المسرفين مطلقا من المشركين وعصاة المؤمنين ومن المعلوم انه لايغفر الشرك والارتداد الا بشرط التوبة فتكون المغفرة المذكورة فى الآية مقيدة بالتوبة كما ذهب اليه المعتزلة ٭ وتقرير الجواب ان نزولها فى حق المشركين والمرتدين لايستلزم كون المغفرة مشروطة بالتوبة بل الآية باقية على عمومها وتقييدها بالتوبة فى حق الكفرة يستفاد من الدليل المنفصل نحو قوله تعالى قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ماقد سلف فان مثل هذا النص يدل على ان مغفرة الشرك مشروطة بالتوبة والانتهاء عنه وتخصيص الشرك من بين الذنوب بان مغفرته متوقفة على التوبة لاينافى بقاء الآية على عمومها فى حق مغفرة الذنوب ٭ قال صاحب الكشاف وانما ذكر الانابة اثر المغفرة ودعاهم بذكرها الى التوبة لئلا يطمع طامع فى حصول المغفرة بدون التوبة وللدلالة على انها فيها شرط لازم لاتحصل بدونها فاجاب المصنف عنه بقوله وكذا قوله وانيبوا الى ربكم الآية فانه ايضا لاينفى عموم الآية اى عموم الذنوب المذكورة فيها للذنوب المتوب عنها وغير المتوب عنها فان الانابة انما ذكرت ههنا للحث عليها لكونها واجبة على العاصى فان الآية

السابقة انما تدل على انه تعالى يصح منه ان يغفر الذنوب جميعا عفوا اى من غير توبة وسبق تعذيب ولا تدل على حصول المغفرة قطعا لكل احد من غير توبة وسبق تعذيب حتى يقال اذا حصلت مغفرة الذنوب جميعا بطريق العفو والتفضل فاى حاجة الى التوبة والحث عليها وايضا فاوجد الوعيد بالعذاب مع كون جميع الذنوب مغفورا ابتداء فى حق كل احد ومعنى الآية ارجعوا الى ربكم من الشرك والذنوب واسلموا له اى اخلصوا له التوحيد والعمل من قبل ان يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون اى لا تمنعون من عذابه وهو استئناف غير معطوف على المنصوب فلذلك رفع فيستحسن الوقف على ماقبله ﴿قوله القرآن﴾ جواب عما يقال الظاهر ان المراد ان ما انزل الى هذه الامة انما هو القرآن والقرآن كله احسن فما معنى الامر باتباع احسنه وتقرير الجواب ان المراد بقوله احسن ما انزل اليكم احسن ما انزل الى بنى آدم على ان الخطاب لبنى آدم والمعنى اتبعوا احسن وحى او كتاب انزل اليكم وهو القرآن كله او المراد بما انزله فى الاوجه القرآن والمراد باحسنه مافى ضمنه من المأمور بها فانها احسن من المنهى عنها لا محالة او من العزآئم فانها احسن من الرخص او من الناسخ فانه احسن من المنسوخ لان النسخ عبارة عن انتفاء حكم المنسوخ واثبات حكم آخر مكانه فلما كان الناسخ هو المعول عليه من حيث حكمه كان احسن فى حقنا ورجح احتمال ان يكون المراد باحسن القرآن ماهو اظهر تأدية الى النجاة والسلامة لكونه اشمل واكثر فائدة ﴿قوله لان القائل بعض الانفس﴾ وهى الانفس الكفرة كأنه اراد ان التنكير فيها للنوعية وعبر عن النوع بالبعض فان النفس الكافرة نفس من جنس النفوس قال الاعشى شاكيا من قومه حين قعدوا عن نصره

دعا قومه حولى فجاؤا لنصره	وناديت قوما بالمسناة غيبا
ورب بقيع لو هتفت بجوه	اتانى كريم ينفض الرأس مغضبا

يريد اتوا اجاما من الكرام ينصرونه مغضبين اى محمولين على غضب اى غضب والمسناة العرم والبقيع موضع فيه اروم الشجر من ضروب شتى ومنه بقيع الغرقد وهو مقبرة بالمدينة والغرقد صنف من الشجر كأنه لما قاعد قومه عن نصرته دعاء ومعنى قوله قوما بالمسناة غيبا اموانا مقبورين تشبيها لهم بالاموات المقبورة فى غيبتهم وعجزهم وشبه القبر بالمسناة لانه اذا قبر الميت صارت الاحجار المركومة مسناة فوق الميت واراد بالبقيع المقبرة تشبيها لهم بالغرقد وتنكير كريم فيد التكثير يريد اتانى افواج من الكرام ينصروننى لانه فى صدد مدح نفسه وبيان ان الكرام من الرجال لا يخذلونه وحمل التنكير على الافراد يخل بالمقصود ﴿قوله ياحسرتا﴾ قرأ العامة ياحسرتا بالف مبدلة من ياء الاضافة فان الاصل ياحسرتى والعرب تبدل ياء الضمير الفا فى الاستغاثة فتقول ياويلتا ويانداماتا هربا الى خفة الالف مع الفتحة بالنسبة الى الياء والكسرة وقرئ ياحسرتى على الاصل وياحسرتاى على الجمع بين الاصل والعوض وما فى قوله على ما فرطت مصدرية اى على تفريطى والجنب والجانب والناحية بمعنى يقال انا فى جنب فلان وجانبه وناحيته ويقال فرطت فى جنبه وفى ناحيته اى فى حقه والوامق المحب ومقه يمقه ومقا بكسر العين فيهما اى احبه فهو وامق وحرى تأنيث حران مثل عطشان وعطشى وزنا ومعنى وتقطع اصله تتقطع ﴿قوله وهو كناية الخ﴾ اى اثبات التقصير فى جنب الله تعالى وناحيته كناية عن اثباته لذاته لان اثبات الامر فى مكان الرجل يستلزم اثباته لذات الامر فى نفسه كما فعل زياد الاعجم فى مدح عبد الله بن الحشرج حيث جمع السماحة والمروءة والندى فى قبة تنبيها بذلك على ان محلها ذو قبة واراد بجعل محلها ذا قبة اختصاص الاوصاف المذكورة بابن الحشرج ثم لما رأى ان غرضه لا يتم بجعل محلها ذا قبة لوجود ذوى القباب فى الدنيا جعل القبة مضروبة على ابن الحشرج فتم غرضه بذلك لان كون تلك الاوصاف فى قبة مضروبة على الممدوح من لوازم كونها فيه فكنى الشاعر بكونها فى تلك القبة عن كونها فيه ولا فرق بين ذكر الله نحو المكان والجنب والجانب وتركه فى تأدية اصل المعنى الا انه اذا ذكر يكون كناية فيكون الكلام ابلغ فاذا قيل فرطت فى جنب الله فكأنه قيل فى الله اى فى ذاته فلابد من تقدير مضاف محذوف سواء ذكر الجنب او لم يذكر اى فرطت فى حقه وهو طاعته فيما امر به ونهى عنه ﴿قوله وقيل فى ذاته﴾ على ان يجعل جنب الله كناية عن ذات الله ايضا لا يقدر فى حق ذات الله بل يقدر فى ذات طاعة الله والفرق بين الوجهين ان المضاف مقدر قبل الجنب الذى كنى به عن الذات فى الوجه الاول وبعده فى الوجه الثانى ﴿قوله وقيل فى قربه﴾ اذ الجنب القرب يقال فلان يعيش فى جنب فلان اى فى قربه وجواره والمعنى على هذا فرطت فى قرب الله وجواره ﴿قوله باهله﴾ اى باهل الله تعالى بمعنى اهل دينه وطاعته قال قتادة لم يكفه ان ضيع طاعة الله وفرط فيها حتى سخر من

(واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم) القرآن او المأمور به دون المنهى عنه او العزآئم دون الرخص او الناسخ دون المنسوخ ولعله ماهو انجى واسلم كالانابة والمواظبة على الطاعة (من قبل ان يأتيكم العذاب بغتة وانتم لا تشعرون) بمجيئه فتداركون (ان تقول نفس) كراهة ان تقول نفس وتنكير نفس لان القائل بعض الانفس او للتكثير كقول الاعشى

شعر

ورب بقيع لو هتفت بجوه *

اتانى كريم ينفض الرأس مغضبا *

(ياحسرتا) وقرئ بالياء على الاصل (على ما فرطت) قصرت (فى جنب الله) فى جانبه اى فى حقه وهو طاعته قال سابق البربرى

شعر

اما تتقين الله فى جنب وامق *

له كبد حرى عليك تقطع *

وهو كناية فيها مبالغة كقوله

شعر

ان السماحة والمروءة والندى *

فى قبة ضربت على ابن الحشرج *

وقيل فى ذاته على تقدير مضاف كالطاعة وقيل فى قربه من قوله والصاحب بالجنب وقرئ فى ذكر الله (وان كنت لمن الساخرين) المستهزئين باهله ومحل ان كنت نصب على الحال كأنه قال فرطت وانا ساخر (او تقول لو ان الله هدانى) بالارشاد الى الحق (لكنت من المتقين) الشرك والمعاصى (او تقول حين ترى العذاب لو ان لى كرة فاكون من المحسنين) فى العقيدة والعمل واو للدلالة على انها لا تخلو من هذه الاقوال تحيرا او تعللا باطائل تحته

اهلها و كلمة ان فى قوله وان كنت هى المخففة من الثقيلة و اللام هى الفارقة بينها و بين النافية و اسمها ضمير الشأن المحمل و الجملة فى محل النصب على انها حال من فاعل فرطت كأنه قال فرطت فى حال كونى ساخرا من الساخرين ولم يقنع بتفريطه فى طاعة الله تعالى و سخريته باهل الطاعة حتى عدّ فى زمرتهم و اشتهر بذلك و اعلم انه تعالى لما خوّفهم بالعذاب بقوله من قبل ان يأتيكم العذاب بين انهم عند نزول العذاب عليهم ماذا يقولون فحكم عليهم بثلاثة انواع من الكلام فالاوّل قوله ان تقول نفس ياحسرتا و الثانى قوله او تقول لو ان الله هدانى لكنت من المتقين و الثالث قوله او تقول حين ترى العذاب الآية تحسروا اوّلا على التفريط فى طاعة الله تعالى و ثانيا تعللوا بفقد الهداية و ثالثا تمنوا الرجعة الى الدنيا ليكونوا من المحسنين اعتقادا و عملا و كلمة أو فى هذه الاقوال لمنع الخلوّ لا لمنع الجمع اذ يجوز ان يجتمع هذه المقالات و يتقولوا بها جميعا فاجاب الله عن كلامهم بان قال بلى قد هديت الى الدين بالوحى الحق و انزال القرآن وان تعللت بفقد الهداية باطل و اعتذارك زائل لانه جاءك من الآيات القرآنية الا انك كذبت بها قائلا انها ليست من عند الله تعالى وتكبرت عن الايمان بها وكنت من الكافرين باختيار الكفر على الايمان والضلال على الهدى بعد وضوح البيان و لما كانت كلمة بلى مختصة بايجاب النفى و لاتقع جوابا لغير النفى و ليس فى واحدة من تلك المقالات لفظ النفى حتى يحسن ان يجاب عنه ببلى جعلها جوابا عن مقالتهم الوسطى و هى قولهم لو ان الله هدانى و احتاج الى اعتبار مافيه من معنى النفى لان معناه انه تعالى ماهدانى لان لفظة لو اذا دخلت على المثبت تفيد معنى النفى فورد عليه ان بلى لما كانت جوابا عن المقالة الوسطى كان ينبغى ان تقترن بها ولا تفصلت عنها فاجاب عنه بان اقتران الجواب بتلك المقالة يفرق القرآن بان يتخلل كلام الغير بين مقالتهم و تأخير تلك المقالة عن المقالة الثالثة لأن يقترن جوابها مخل بالنظم المطابق للوجود فتعين ان تذكر تلك المقالات على وفق ترتيبها فى الوجود ثم يجاب من بينها عما استدعى ان يجاب عنها ﴿ قوله وهو لايمنع تأثير قدرة الله تعالى فى فعل العبد ﴾ جواب عن استدلال المعتزلة بهذه الآيات على ان العبد مستقل بفعله لاتأثير لقدرة الله تعالى فيه من حيث انه تعالى ردّ قولهم انه تعالى ماهدانا الى الحق بقوله بلى قد هديتكم و بينت لكم آياتى لكنكم كذبتم بها و اخترتم الضلالة على الهدى فاتماجاء التقصير من قبلكم و هذا يدل على ان قدرة الله تعالى لاتأثير لها فى شقاوتهم و الالكان لهم ان يقولوا ثم جاءتنا الآيات لكنك خلقت فينا التكذيب و صرفتنا عن التصديق بها و ايضا انه تعالى وصفهم على وجه الذم و التوبيخ بتكذيب الآيات و الاستكبار عن الايمان بها و الاهتداء بهداها و الكفر و الاسراف فلو لم يكن لهم استقلال فى هذه الافعال لماصح هذا الذم و لاشك ان استدلالهم هذا باطل لان غاية مافى الباب انه تعالى ردّ ما تضمنته مقالتهم الوسطى ببيان انه هداهم لكن استحبوا العمى على الهدى وذمّهم باسناد تلك الافعال اليهم و ذلك لايستدعى استقلال قدرتهم بها بل يكفى فى ذلك ان يكون لقدرتهم مدخل فيها ﴿ قوله و تذكير الخطاب ﴾ اى فى قوله قد جاءتك آياتى فكذبت بها و استكبرت و كنت بفتح التاء من الجميع مع ان الظاهر كسر التاء على خطاب النفس الا انها فتحت نظرا الى جانب المعنى لان النفس عبارة عن الكافر ﴿ قوله و الجملة حال ﴾ اى من الموصول على طريق كلمته فوه الى فيّ بناء على ان الرؤية بمعنى البصر بقوله وان كانت من رؤية القلب تكون الجملة الاسمية فى محل النصب على انها مفعول ثان و قرئ و جوههم مسودّة بنصبهما على ان وجوههم بدل بعض من كل و مسودّة اما حال او مفعول ثان ﴿ قوله بفلاحهم ﴾ وهو الظفر بالبغية اى بغية كانت و النجاة من جهنم من جملتها فسر المفازة التى هى اسم بمعنى الفوز اوّلا بمعناها الحقيقى وهو الفلاح و الظفر بالخير على اتم الوجوه و المعنى و ينجى الله المتقين عما ناله المتكبرون من سواد الوجه و التوآفى الجحيم بسبب ظفرهم و فسرها ثانيا بالنجاة و بين وجهها بان النجاة من العذاب اهم اقسام الفوز و الظفر بالخير و اكمل افراده فصح صرف مطلق الفوز اليها و ارادتها منه و حينئذ يحتاج الى تقدير المضاف اى ينجيهم بسبب مفازتهم و نجاتهم و هى الاعمال الصالحة لان نفس النجاة ليست سببا لتنجيتهم بل سببها هو الاعمال الصالحة او الى انه يجعل المفازة التى اريد بها النجاة مجازا مرسلا عن العمل الصالح على طريق اطلاق المسبب و ارادة السبب لان العمل سببها و فسرها ثالثا بالسعادة الازلية و رابعا بالعمل الصالح و بين وجهها بان اطلاق الفوز عليها من قبيل اطلاق اسم المسبب على السبب لان كل واحد منهما سبب للفوز و الفلاح اى ينجيهم فى حال انهم لايمسهم السوء بمفازتهم اى بسعادتهم او بصلاحهم اى بصلاح اعمالهم على انه صلة لايمسهم او انه حال من الذين اتقوا و ان كان استئنافا لبيان المفازة لايكون له محل من الاعراب فكأنه قيل و مامفازتهم فقيل لايمسهم السوء ثم انه تعالى

(بلى قد جاءتك آياتى فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين) ردّ من الله عليه لما تضمنه قوله لو ان الله هدانى من معنى النفى وفصله عنه لان تقديمه يفرق القرآئن وتأخير المردود يخل بالنظم المطابق للوجود لانه يتحسر بالتفريط ثم يتعلل بفقد الهداية ثم يتمنى الرجعة وهو لايمنع تأثير قدرة الله تعالى فى فعل العبد ولا مافيه من اسناد الفعل اليه كما عرفت وتذكير الخطاب على المعنى وقرئ بالتأنيث للنفس (ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله) بان وصفوه بما لايجوز كاتخاذ الولد (وجوههم مسودّة) بما ينالهم من الشدّة او بما يتخيل عليها من ظلمة الجهل والجملة حال اذ الظاهر ان ترى من رؤية البصر واكتفى فيها بالضمير عن الواو (اليس فى جهنم مثوى) مقام (للمتكبرين) عن الايمان والطاعة وهو تقرير لانهم يرون كذلك (وينجى الله الذين اتقوا) وقرئ وينجى (بمفازتهم) بفلاحهم مفعلة من الفوز وتفسيرها بالنجاة تخصيصها باهم اقسامه وبالسعادة والعمل الصالح اطلاق لها على السبب وقرأ الكوفيون غير حفص بالجمع تطبيقا له بالمضاف اليه والباء فيها للسببية صلة لينجى او لقوله (لايمسهم السوء ولاهم يحزنون) وهو حال او استئناف لبيان المفازة (الله خالق كل شئ) من خير وشر وايمان وكفر (وهو على كل شئ وكيل) يتولى التصرف فيه

لما اطال الكلام في الوعد والوعيد عاد الى دلائل الالهية والتوحيد فقال الله خالق كل شيء جعل كل شيء متناولا للشر والخير والكفر والايمان ردا على المعتزلة المنكرين لكونه تعالى خالقا الشر ولافعال العباد وقوله لا يملك امرها الحصر المذكور مستفاد من تقديم الظرف فانه يفيد الاختصاص تأكيدا للاختصاص المستفاد من اللام وهو معنى قوله وفيها مزيد دلالة على الاختصاص جعل ملك مفاتيح السموات والارض كناية عن كونه مالكا لها قادرا على جميع التدابير المتعلقة بها بناء على ان ملك مفاتيح الشيء لازم لملك نفس ذلك الشيء والتصرف فيه فاثبت الله لذاته المتعالى اللازم للدلالة على ثبوت الملزوم وفيه اشكال بناء على ما ذكر في الفرق بين المجاز والكناية من ان المجاز لاشتماله على القرينة الصارفة عن ارادة الموضوع له لا يجوز فيه ارادة الموضوع له بخلاف الكناية فان المقصود فيها هو المعنى الكنائي وهو الملزوم مع جواز ارادة الموضوع له وهو اللازم وفيما نحن فيه لا يصح ارادة حقيقة المفاتيح اذ ليس ثمة مفاتيح ولا اغلاق الا ان يجعل اثبات المقاليد للسموات والارض استعارة تخييلية متبنية على تشبيههما باشياء ذوات ابواب وان ابوابها مغلقة بذوات مفاتيح ثم يجعل ما يدل على اختصاص تلك المفاتيح به تعالى وهو قوله له مقاليدهما كناية عن كونه تعالى مالكهما والمتصرف فيهما بالحفظ وانواع التدابير ﴿قوله كذا كبر﴾ فانه جمع ذكر على الشذوذ كما ان المحاسن جمع الحسن على خلاف القياس قال الامام اللسنى الاقليد اصله بالفارسية اكليد فعربته العرب وتكلمت به فصار عربيا كما اذا طرأ الاستعمال على المهمل فانه يخرج عن كونه مهملا ويصير مستعملا ﴿قوله متصل بقوله وينجي﴾ يعني انه معطوف عليه عطف احد المتقابلين على الآخر اي ينجي الله المتقين بمفازتهم والذين كفروا اولئك هم الخاسرون فان مفردات احدى الجملتين مقابلة للاخرى من حيث المعنى وهاتان الجملتان لما سيقتا لبيان انه تعالى يجازي كل واحد من اهل التقوى والكفر على حسب اعمالهم اعترض بينهما ما يؤكد هذا المعنى لانه تعالى اذا كان خالق كل شيء وكانت الاشياء كلها موكولة اليه وكان مالكا لخزائن السموات والارض لزم كونه تعالى مطلعا على اعمال المكلفين مجازيا عليها قال الامام الغزالي في المقصد المهيمن معناه في حق الله تعالى انه القائم على خلقه باعمالهم وارزاقهم وآجالهم وانما قيامه عليها بالاطلاع والاستيلاء والحفظ وكل مشرف على كنه امر مستول عليه حافظ له فهو مهيمن عليه والاشراف يرجع الى العلم والاستيلاء يرجع الى كمال القدرة والحفظ الى الفعل فالجامع بين هذه المعاني اسمه المهيمن ﴿قوله وتغيير النظم﴾ جواب عما يقال من ان قوله تعالى وينجي الله الذين اتقوا جملة فعلية وقوله والذين كفروا بآيات الله جملة اسمية ولا يحسن عطف الاسمية على الفعلية وتقرير الجواب ان مقتضى الظاهر ان يقال ويهلك الكافرين الا انه غير النظم الى ما وقع في التنزيل لنكتتين الاولى الاشعار بان ما اصاب المتقين من الحسنة فمن الله تعالى بفضله ورحمته وما اصاب الذين كفروا فمن انفسهم حيث خسروا حظها بسوء اختيارهم وحاصل النكتة الثانية انه تعالى لغاية كرمه صرح بوعد المتقين واضافه الى نفسه ولم يصرح بوعيد الكفار فضلا عن ان يضيفه الى نفسه ﴿قوله او بما يليه﴾ عطف على قوله بقوله وينجي اي هو متصل بقوله الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل له مقاليد السموات والارض اي كمال قدرته وحكمته هكذا ومن كفر بذلك وجحدان الامر كذلك اولئك هم الخاسرون ثم ذكر ان المراد بآيات الله دلائل قدرته ان كان قوله له مقاليد السموات والارض كناية عن قدرته وان فسر المقاليد بما روي عنه عليه الصلاة والسلام يكون المراد بآيات الله كلمات توحيده وتمجيده ﴿قوله اي أفغير الله اعبد﴾ يعني ان قوله أفغير الله منصوب باعبد ولما ورد ان يقال كيف يجوز ذلك والظاهر ان اعبد مفعول لتأمروني فانه يقتضي مفعولين اولهما ياء المتكلم وثانيهما اعبد الا ان مفعول الامر لما وجب ان يكون مفردا لفظا او تقديرا وههنا وقع جملة وجب ان تقدر ان المصدرية لتكون الجملة في تأويل المفرد فيكون تقدير الكلام تأمروني ان اعبد فيكون اعبد صلة ان المصدرية فان جعل غير الله منصوبا باعبد لزم منه ان يتقدم معمول الصلة على الموصول وذا لا يجوز اشار الى منعه بقوله وتأمروني اعتراض اي بين المعمول وفعله والمعنى أفغير الله اعبد بامركم ووجه المنع ان اعبد اذا لم يكن مفعول تأمروني لم يحتج الى تقدير ان المصدرية حتى يلزم تقدم معمول الصلة على الموصول ﴿قوله استلم﴾ امر الحاضر من قولهم استلم الحجر اذا لمسه اما بالقبلة او باليد اي تناوله بنفسه او بالاشارة باليد وتقبيلها كما يفعل بالحجر الاسود ﴿قوله لفرط غباوتهم﴾ متعلق بقوله قالوا استلم فان امرهم اياه عليه الصلاة والسلام بذلك بعدما تبين انه تعالى خالق الاشياء كلها وان التصرف فيها جميعا موكول

(له مقاليد السموات والارض) لا يملك امرها ولا يتمكن من التصرف فيها غيره وهو كناية عن قدرته وحفظه لها وفيها مزيد دلالة على الاختصاص لان الخزائن لا يدخلها ولا يتصرف فيها الا من بيده مفاتيحها وهو جمع مقليد او مقلاد من قلدته اذا الزمته وقيل جمع اقليد معرب اكليد على الشذوذ كمذاكير وعن عثمان رضي الله عنه انه سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن المقاليد فقال تفسيرها لا اله الا الله والله اكبر وسبحان الله وبحمده واستغفر الله ولا حول ولا قوة الا بالله هو الاول والآخر والظاهر والباطن بيده الخير يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير والمعنى على هذا ان لله هذه الكلمات يوحد بها ويمجد وهي مفاتيح خير السموات والارض من تكلم بها اصابه (والذين كفروا بآيات الله اولئك هم الخاسرون) متصل بقوله وينجي الله الذين اتقوا وما بينهما اعتراض للدلالة على انه مهيمن على العباد مطلع على افعالهم مجاز عليها وتغيير النظم للاشعار بان العمدة في فلاح المؤمنين فضل الله وفي هلاك الكافرين بان خسروا انفسهم والتصريح بالوعد والتعريض بالوعيد قضية الكرم او بما يليه والمراد بآيات الله دلائل قدرته واستبداده بامر السموات والارض او كلمات توحيده وتمجيده وتخصيص الخسار بهم لان غيرهم ذو حظ من الرحمة والثواب (قل أفغير الله تأمروني اعبد ايها الجاهلون) اي أفغير الله اعبد بعد هذه الدلائل والمواعيد وتأمروني اعتراض للدلالة على انهم امروه به عقيب ذلك وقالوا استلم بعض آلهتنا نؤمن بالهك لفرط غباوتهم

اليه فان مقاليدها جميعا بيده غاية الجهل و الغباوة ﴿قوله ويجوز ان ينتصب غير﴾ لما كان انتصاب غير الله باعبد مستلزما بحسب الظاهر تقديم ما فى حيز الصلة على الموصول دفعه اولا بجعل قوله تأمرونى اعتراضا بين المفعول وفعله فلا يرد تقديمه و دفعه ههنا بانه ليس منصوبا باعبد المذكور بل بما دل عليه مجموع قوله تأمرونى اعبد اى وتقولون لى اعبد غير الله لان الامر نوع من القول والتعبد ولا محذور فى كون غير منصوبا باعبد هذا لكونه مقولا لقول المدلول عليه بالجملتين المذكورتين لان القول لا يستدعى ان كما يستدعيها الامر كأنه يقول فتقرر ان مقول القول يكون جملة محكية فلا يحتاج الى ان بخلاف مفعول الامر لانه لابد ان يكون مفردا فان اتفق كونه جملة يحتاج الى ان لفظا او تقديرا لتكون الجملة فى تأويل المفرد ﴿قوله على ان اصله﴾ اى اصل الكلام على تقدير ان لا يكون تأمرونى اعتراضا ويكون غير منصوبا بمضمون الجملة ﴿قوله وقرأ ابن عامر تأمرونى﴾ بفك الادغام وسكون الياء وقرأ نافع تأمرونى بحذف نون الوقاية و فتح الياء و قرأ الجمهور بادغام نون الرفع فى نون الوقاية و فتح الياء ابن كثير مع الادغام ﴿قوله كلام على سبيل الفرض﴾ لما كان الاصل فى تعليق الحكم بكلمة ان ان يكون المعلق عليه محتمل الوقوع ومتساوى الطرفين والله تعالى عالم بان الرسل عليهم الصلاة والسلام لا يشركون ولا تحبط اعمالهم البتة فلم يظهر وجه تعليق حبط اعمالهم على اشراكهم وتأكيده بالقسم مع انه غير محتمل اجاب عنه بانه تعليق على سبيل الفرض والتقدير لا على سبيل عده محتمل الوقوع وبيان حكمه ثم بين ان المراد من فرضه امور ثلاثة تهييج الرسل وتقوية عزيمتهم على الثبات على التوحيد و اقناط الكفرة عن الانابة على اعمالهم والاشعار على حكم الامة فان الرسل مع كرامتهم عند الله اذا حبطت اعمالهم و خسروا بالاشراك فالامة اولى بذلك ﴿قوله و افراد الخطاب﴾ جواب عما يقال كيف قال لئن اشركت على التوحيد مع ان الموحى اليهم جماعة ﴿قوله و اطلاق الاحباط﴾ جواب عما يقال احباط عمل المرتد ليس بمطلق بل هو مقيد بشرط موته على الكفر عند الشافعية لقوله تعالى ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم فلم لم يعتبر هذا الشرط فى هذه الآية وكذا الخسران فى الآخرة لا يكون بمجرد الشرك بل يكون بالموت عليه و عند الحنفية يحصل الاحباط بمجرد الشرك واجاب عنه بوجهين الاول ان اطلاق كل واحد من الاحباط و خسران الآخرة يحتمل ان يكون من خصائص الرسل من حيث ان منزلتهم عند الله تعالى لما كانت اعلى و اعز من منازل الامة فلو فرض ان واحدا منهم قد ارتد و العياذ بالله تعالى ليهلكنه الله تعالى بلا مهلة لشدة غضبه على ردته فيحبط عمله ويخسره فى الآخرة البتة فلا حاجة فى حقهم الى تقييد الاحباط و خسران الآخرة بالموت على الردة لكون الموت على الردة لازما لارتدادهم المفروض والثانى ان هذا المطلق محمول على المقيد فى آية اخرى و المعنى ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين ان مت على الشرك ﴿قوله و عطف الخسران عليه﴾ كعطف قوله ولقد آتينا داود و سليمان علما وقالا الحمد لله والمعنى ولتكونن من الخاسرين بسبب حبوط العمل ﴿قوله ما قدروا عظمته فى انفسهم﴾ اشارة الى ان قدر المخفف فى الآية بمعنى قدر المشدد وزاده بيانا بقوله وقرئ بالتشديد من غير ان يتعرض لاختلاف المعنى بالتشديد وفى الصحاح قدرت الشئ اقدره قدرا بمعنى قدرته من التقدير ومعنى التقدير لما كان راجعا الى المعرفة والعقلاء كنه ذاته لا يقدره ولا يعلمه احد فكيف ينكر على الكفار بانهم ما عرفوه حق معرفته قدر المضاف فقال ما قدروا عظمته فى انفسهم حق عظمته ﴿قوله تعالى والارض جميعا قبضته﴾ جملة اسمية فى موضع الحال من مفعول قدروا اى ما عظموه حق تعظيمه والحال انه موصوف بهذه القدرة الباهرة وقرئ قبضته بالنصب اى فى قبضته وهو ضعيف لان هذا الظرف محدود فلابد فى تعلق الفعل به من كلمة فى على رأى البصريين واما الكوفيون فانهم يجوزون نصب المحدود ايضا فيقولون زيد دارك بالنصب اى فى دارك و مثله عند البصريين يحتاج الى اعتذار ولذلك اعتذر المصنف عنه فقال تشبيها للوقت بالمبهم ﴿قوله تعالى والسموات مطويات بيمينه﴾ برفع الاسمين جملة اسمية معطوفة على ما قبلها و قوله بيمينه متعلق بمطويات او خبر ثان او حال من الضمير فى مطويات ﴿قوله على طريقة التخييل و التمثيل﴾ يعنى انه من قبيل الاستعارة التمثيلية وهى ان تشبه صورة منتزعة من متعدد باخرى مثلها فتذكر الالفاظ الدالة على صورة الثانية ويراد بها الصورة الاولى فيكون مجموع تلك الالفاظ استعارة تمثيلية و لا يكون فى شئ من مفردات ذلك المجموع تصرف بحسب هذه الاستعارة بل تكون هى باقية على حالها من حقيقة او مجاز فلا يراد بقوله والارض جميعا قبضته اثبات الطى واليمين له لا بحقيقتهما ولا بمجازهما بل باعتبار انما هو بمجموع الكلام

ويجوز ان ينتصب غير بما دل عليه تأمرونى اعبد لانه بمعنى تعبدوننى على ان اصله تأمروننى ان اعبد فحذف ان ورفع اعبد كقوله احضر الوغى * ويؤيده قرأة اعبد بالنصب وقرأ ابن عامر تأمرونى باظهار النونين على الاصل ونافع بحذف الثانية فانها تحذف كثيرا (ولقد اوحى اليك والى الذين من قبلك) اى من الرسل (لئن اشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين) كلام على سبيل الفرض والمراد به تهييج الرسل واقناط الكفرة والاشعار على حكم الامة وافراد الخطاب باعتبار كل واحد واللام الاولى موطئة للقسم والاخيرتان للجواب واطلاق الاحباط يحتمل ان يكون من خصائصهم لان شركهم اقبح وان يكون على التقييد بالموت كما صرح به فى قوله ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم وعطف الخسران عليه من عطف المسبب على السبب (بل الله فاعبد) رد لما امروه به ولولا دلالة التقديم على الاختصاص لم يكن كذلك (وكن من الشاكرين) انعامه عليك وفيه اشارة الى موجب الاختصاص (وما قدروا الله حق قدره) ما قدروا عظمته فى انفسهم حق تعظيمه حيث جعلوا له شريكا ووصفوه بما لا يليق به وقرئ بالتشديد (والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه) تنبيه على عظمته وكمال قدرته وحقارة الافعال العظام التى تتحير فيها الاوهام بالاضافة الى قدرته ودلالة على ان تخريب العالم اهون شئ عليه على طريقة التمثيل والتخييل من غير اعتبار القبضة واليمين حقيقة ولا مجازا كقولهم شابت لمة الليل والقبضة المرة من القبض اطلقت بمعنى القبضة وهى المقدار المقبوض بالكف تسمية بالمصدر او بتقدير ذات قبضة وقرئ قبضته بالنصب على الظرف تشبيها للوقت بالمبهم وتأكيد الارض بالجميع لان المراد بها الارضون السبع او جميع ابعاضها البادية والغائرة وقرئ مطويات على انها حال والسموات معطوفة على الارض منطوية فى حكمها

(وان)

و ان المقصود منه التنبيه على عظمته تعالى و الدلالة على ان تخريب العالم اهون شئ عليه كالشئ المقبوض بيمين احد فان التصرف فيه يسير كما ان المقصود من قولهم شابت لمة الليل الدلالة على استتارته و ذهاب ظلمته بذلك الطريق من غير التعرض لاثبات اللمة حقيقة و لا مجازا و اللمة بكسر اللام الشعر الذى يجاوز شحمة الاذن و القبضة بالفتح المرة من القبض و بالضم المقدار المقبوض بالكف اى هى اسم له وقد تطلق القبضة بالفتح على ذلك المقدار اما على طريق تسمية الشئ بالمصدر للمبالغة او على تقدير ذو مثل رجل عدل ﴿قوله من اشراكهم﴾ على ان تكون ما فى قوله عما يشركون مصدرية و قوله او ما يضاف اليه من الشركاء على انها موصولة اى عن الذين يشركونهم به ثم انه تعالى لما قرر كمال عظمته بما سبق ذكره اردفه بطريق آخر يدل ايضا على كمال عظمته وذلك شرح مقدمات يوم القيامة لان نفخ الصور يكون قبل ذلك اليوم فقال و نفخ فى الصور الآية ﴿قوله خر ميتا او مغشيا عليه﴾ اشارة الى ان الصعقة يحتمل ان يراد بها الموت و ان يراد بها الفزع الشديد من شدة الصوت فانهم اختلفوا فى الصعقة فقيل انها غير الموت لقوله تعالى فى حق موسى عليه الصلاة و السلام و خر موسى صعقا و هو لم يمت بل خر مغشيا عليه و على هذا القول فالمراد من نفخ الصعقة و من نفخ الفزع واحد و هو المذكور فى سورة النمل بقوله تعالى و نفخ فى الصور ففزع من فى السموات و من فى الارض الا من شاء الله و النفخ فى الصور على هذا القول لا يكون الا مرتين نفخ الصعقة الذى هو بعينه نفخ الفزع و نفخ البعث و قيل الصعقة عبارة عن الموت و قد دل القرآن على تحقق نفخ آخر يؤدى الى الفزع و الخوف الشديد و على هذا القول فالنفخة تحصل ثلاث مرات اولها نفخة الفزع وهى المذكورة فى سورة النمل و الثانية نفخة الصعق و الثالثة نفخة القيام و هما مذكورتان فى هذه السورة و يؤيده ما روى عن النبى صلى الله عليه و سلم انه سئل عن الصور فقال القرن و ان عظم دائرته مثل ما بين السماء و الارض فينفخ فيه نفخة فيفزع الخلق ثم ينفخ فيه نفخة اخرى فيموت اهل السموات و الارض فاذا كان وقت النفخة الثانية اجتمعت الارواح كلها فى الصور ثم ينفخ الاخرى فتخرج الارواح كلها منه كالنحل و الزنابير و يأتى كل روح الى جسده رواه الامام ابو الليث قال ابن عباس عند نفخة الصعق يموت من فى السموات و من فى الارض الا جبريل و اسرافيل و ميكائيل و ملك الموت ثم يميت الله ميكائيل و اسرافيل و يبقى جبرائيل و ملك الموت ثم يميت الله جبريل ثم يميت ملك الموت و روى ابو هريرة عن النبى صلى الله عليه و سلم انه قال هم الشهداء متقلدون اسيافهم حول العرش و قال جابر هو موسى صلوات الله عليه و سلامه لانه صعق مرة و لا يصعق ثانيا و قيل هم الحور العين و سكان العرش و الكرسى و قال قتادة الله اعلم بهم و ليس فى القرآن و لا فى الاخبار ما يدل على من هم ﴿قوله تعالى ثم نفخ فيه اخرى﴾ يدل على ان هذه النفخة متأخرة عن النفخة الاولى لان لفظة ثم للتراخى و عن ابى هريرة انه قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم ما بين النفختين اربعون قالوا اربعون يوما قال ابيت قالوا اربعون شهرا قال ابيت قالوا اربعون سنة قال ابيت ﴿قوله و اخرى يحتمل الرفع و النصب﴾ الرفع على اقامة المصدر مقام الفاعل دون اقامة الظرف و النصب على عكسه و قال صاحب الكشاف فى تفسير قوله تعالى فى سورة الحاقة فاذا نفخ فى الصور نفخة واحدة اسند الفعل الى المصدر و حسن تذكيره للفصل و قرأ ابو السمال نفخة واحدة بالنصب مسندا الفعل الى الجار و المجرور و هو فى الصور فاعراب قوله تعالى ثم نفخ فيه اخرى كاعراب هذه الآية بعينه فى جواز الوجهين فلذلك قال المصنف و اخرى يحتمل الرفع و النصب بناء على ان موصوفها المحذوف يحتملهما لما تقرر فى النحو انه اذا لم يوجد المفعول به فالظرف و المصدر متساويان فى القيام مقام الفاعل و اما اذا وجد فهو متعين له ﴿قوله او متوقفون﴾ يحتمل ان يراد بالقيام البعث من القبور و ان يراد التوقف بالمكان لاستيلاء الحيرة و الدهشة عليهم قرأ العامة فاذا هم قيام برفع قيام على انه الخبر و قرئ بنصبه على انه حال من ضمير ينظرون و ينظرون هو الخبر و معنى النظر فى المشهور هو تقليب البصر لطلب الابصار و قوله او ينتظرون عطف على قوله يقلبون فيكون النظر بمعنى الانتظار كما فى قوله تعالى انظرونا نقتبس من نوركم اى انتظرونا و لما ذكر يوم القيامة ذكر من احوال ذلك اليوم اشياء اولها قوله و اشرقت الارض بنور ربها اى اضاءت و تنورت عرصة القيامة و ارض الموقف بنور ربها اى بعدله و قضائه بالحق بين عباده فاستعير النور للعدل تشبيها له بالنور فى ان كل واحد منهما سبب لتزيين البقاع و ظهور الاشياء كما شبه ضد العدل و هو الظلم بالظلمة تشبيها بليغا فى قوله عليه الصلاة و السلام الظلم ظلمات يوم القيامة و اضافة النور بهذا المعنى اليه تعالى لا يحتاج الى تأويل لانه صفة قائمة به تعالى كعلمه و قدرته ﴿قوله و لذلك﴾ اى و لكون المراد

(سبحانه و تعالى عما يشركون) ما ابعد و اعلى من هذه قدرته و عظمته عن اشراكهم او ما يضاف اليه من الشركاء (و نفخ فى الصور) يعنى المرة الاولى (فصعق من فى السموات و من فى الارض) خر ميتا او مغشيا عليه (الا من شاء الله) قيل جبرائيل و ميكائيل و اسرافيل فانهم يموتون بعد و قيل حملة العرش (ثم نفخ فيه اخرى) نفخة اخرى وهى تدل على ان المراد بالاول و نفخ فى الصور نفخة واحدة كما صرح به فى مواضع و اخرى يحتمل الرفع و النصب (فاذا هم قيام) قائمون من قبورهم او متوقفون و قرئ بالنصب على ان الخبر (ينظرون) و هو حال من ضمير و المعنى يقلبون ابصارهم فى الجوانب كالمبهوتين او ينتظرون ما يفعل بهم (و اشرقت الارض بنور ربها) بما اقام فيها من العدل سماه نورا لانه يزين البقاع و يظهر الحقوق كما سمى الظلم ظلمة و فى الحديث الظلم ظلمات يوم القيامة و لذلك اضاف اسمه الى الارض او بنور خلق فيها بلا توسط اجسام مضيئة و لذلك اضافها الى نفسه

(ووضع الكتاب) الحساب والجزآء من وضع المحاسب كتاب المحاسبة بين يديه او صحائف الاعمال فى ايدى العمال واكتفى باسم الجنس عن الجمع وقيل اللوح المحفوظ يقابل به الصحائف (وجيئ بالنبيين والشهدآء) الذين يشهدون للامم وعليهم من الملائكة والمؤمنين وقيل المستشهدون (وقضى بينهم) بين العباد (بالحق وهم لايظلمون) بنقص ثواب اوزيادة عقاب على ماجرى به الوعد (ووفيت كل نفس ماعملت) جزآءه (وهو اعلم بمايفعلون) فلايفوته شئ من افعالهم ثم فصل التوفية فقال (وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا) افواجا متفرقة بعضها فى اثر بعض على تفاوت اقدامهم فى الضلالة والشرارة جمع زمرة واشتقاقها من الزمر وهو الصوت اذ الجماعة لاتخلو عنه اومن قولهم شاة زمرة قليلة الشعر ورجل زمر قليل المروة (حتى اذا جاؤها فتحت ابوابها) ليدخلوها وحتى هى التى تحكى بعدها الجملة وقرأ الكوفيون فتحت بتخفيف التاء (وقال لهم خزنتها) تقريعا وتوبيخا (الم يأتكم رسل منكم) من جنسكم (يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا) وقتكم هذا وهو وقت دخولهم النار وفيه دليل على انه لاتكليف قبل الشرع من حيث انهم عللوا توبيخهم باتيان الرسل وتبليغ الكتب (قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين) كلمة الله بالعذاب علينا وهو الحكم عليهم بالشقاوة وانهم من اهل النار ووضع الظاهر فيه موضع الضمير للدلالة على اختصاص ذلك بالكفرة وقيل هو قوله لأملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين (قيل ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها) ابهم القائل لتهويل ماتقال لهم (فبئس مثوى المتكبرين) اللام فيه للجنس والمخصوص بالذم محذوف وسبق ذكره ولاينافى اشعاره بان مثواهم فى النار لتكبرهم عن الحق ان يكون دخولهم فيها لان كلمة العذاب حقت عليهم فان تكبرهم وسائر مقابحهم مسببة عنه كما قال عليه السلام ان الله تعالى اذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل اهل الجنة حتى يموت على عمل من اعمال اهل الجنة فيدخل به الجنة واذا خلق العبد للنار استعمله بعمل اهل النار حتى يموت على عمل من اعمال اهل النار فيدخل به النار (وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة) اسراعا بهم الى دار الكرامة

بنور الرب عدله القائم به اضاف اسم الرب الى الارض فان اضافته اليها تؤذن بانه تعالى مالكها ومدبرها وانه الذى يزينها من غير توسط شئ من خلقه بان ينشر فيها عدله وينصب فيها موازين قسطه ويحكم بالحق بين اهلها فلما قيل ان رب الارض نوّر ارضه بنوره كان المناسب ان يراد بالنور الذى ينوّر الارض ويزينها الصفة القائمة به تعالى وهو عدله الذى لاشئ ازين للبقاع منه ولا اعمر لها غيره وتفسيره بالنور المخلوق له لايناسب تلك الاضافة وقيل المراد بالنور المضاف اليه تعالى نور يخلقه فى القيامة ويلبسه وجه ارض الموقف فتشرق به الارض من غير شمس ولاقمر فالنور بهذا المعنى وان لم يكن صفة قائمة به تعالى الا انه صح اضافته اليه تعالى لان الاضافة يكتفى فيها بادنى ملابسة ولما كان ذلك النور من خلقه تعالى شرفه باضافته الى نفسه فان اضافته اليه تؤذن باختصاصه به بان لايكون بتوسط نير مثل الشمس والقمر ﴿ قوله الحساب والجزآء ﴾ يعنى ان وضع الكتاب عبارة عن الشروع فى الحساب والجزآء لان وضعه من لوازم الشروع فيهما فالمراد الكتاب حينئذ على مقتضى الظاهر وان اريد به صحائف الاعمال يكون المعنى ووضعت الكتب فى ايدى الناس فى ايمانهم وشمائلهم ليقرأوها ويكون المراد الكتاب لكونه اسم جنس مغنيا عن صيغة الجمع ولما بين تعالى انه تحضر فى محفل القيامة جميع مايترتب عليه فصل الخصومات بين عباده ان يوصل الى كل احد حقه وعبر عن هذا المعنى باربع عبارات اولاها قوله تعالى وقضى بينهم بالحق وثانيتها قوله وهم لايظلمون وثالثتها قوله ووفيت كل نفس ماعملت ورابعتها قوله وهو اعلم بمايفعلون فانه ان لم يكن عالما بكيفيات احوالهم فلعله لايقضى بالحق لاجل عدم العلم والمقصود المبالغة فى تقرير ان كل مكلف يصل اليه حقه ثم انه تعالى لما شرح احوال اهل القيامة على سبيل الاجمال وقال ووفيت كل نفس ماعملت بين بعده كيفية احوال اهل العقاب ثم بين كيفية احوال اهل الثواب وختم به السورة فقال وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا والسوق الحث على السير والاسراع بالسائر نحو المقصد وذلك يكون بالعنف والدفع لقوله تعالى يوم يدعون الى نار جهنم دعا اى يدفعون اليها دفعا عنيفا وزمرا فى الموضعين منصوب على الحالية مشتق من الزمر وهو الصوت وقيل القلة ومنه شاة زمرة اى قليلة الشعر ورجل زمر اى قليل المروة ﴿ قوله فتحت ابوابها ﴾ جواب اذا وهذا يدل على ان ابواب جهنم تكون مغلقة قبل ذلك وانما تفتح وصول الكفار اليها بخلاف ابواب الجنة فانها مفتحة قبل مجيئ اهلها اكراما لهم واستقبالا لخدمتهم وتهيئة لاسباب اكرامهم لئلا ينتظروا ويشهد له قوله تعالى فى آية اخرى جنات عدن مفتحة لهم الابواب فلذلك جيئ بالواو فى قصة اهل الجنة ولم يؤت بها فى قصة اهل النار كانه قيل حتى اذا جاؤها وقد فتحت بالواو الحالية ﴿ قوله وحتى هى التى تحكى بعدها الجملة ﴾ يعنى ان حتى فى الموضعين حرف استئناف ومابعدها كلام مستأنف لايتعلق بما قبلها من حيث الاعراب وقد استؤنف بعدها فيهما بجملة شرطية هى قوله تعالى اذا جاؤها الآية حذف جواب اذا الثانية للدلالة على ان ثواب اهل الجنة لايحيط به الوصف وحق ذلك الجزآء المقدر ان يقدر بعد خالدين لان موضعه بعد تمام الشرطية بمتعلقاتها وماعطف عليها اى حتى اذا كانت هذه الاشياء كان ماكان من وجوه الكرامة وتمام النعمة ﴿ قوله وقتكم هذا ﴾ اشارة الى جواب مايقال من ان الظاهر ان المراد باليوم فى قوله وينذرونكم لقاء يومكم هذا يوم القيامة ولا اختصاص ليوم القيامة بهم فلم اضيف اليهم وتقريره ان المراد باليوم وقت الشدة ولاخفاء فى اختصاص ذلك الوقت بهم واستعمال اليوم فى وقت الشدة شائع كثير ﴿ قوله وفيه دليل الخ ﴾ لاتكليف ولاوجوب بتحسين العقل وتقبيحه عند الاشاعرة ويدل عليه ان الملائكة بينوا انهم مابقى لهم عذر ولاعلة بعد مجيئ الرسل وتبليغ الكتب ولو لم يكن ذلك شرطا فى استحقاق العذاب لما بقى لهذا الكلام فائدة ﴿ قوله ابهم القائل لتهويل مايقال لهم ﴾ فان ابهامه يدل على ان الاهتمام والعناية متعلقة ببيان مايقال لهم لان المهم فى مقام التهديد واظهار الوعيد انما هو بيان مايقال لهم لابيان ان قائله من هو ﴿ قوله اللام فيه للجنس ﴾ لان مثوى المتكبرين فاعل بئس وقد تقرر ان فاعل باب نعم وبئس اما اسم معرف بلام الجنس اومضاف الى المعرف بلام الجنس والآية من قبيل الثانى ولما ورد ان هذه الآية تشعر بان علة نوآئهم واقامتهم فى النار هو تكبرهم عن الحق من حيث ان بناء الحكم على المشتق يفيد علية المأخذ له وقد سبق ان علته ماقالوه هو ان كلمة العذاب حقت على الكافرين وبينهما تناف اجاب عنه بان تعليله بالتكبر ونحوه من القبائح تعليل له بعلته القريبة وتعليله بانه تعالى حكم عليهم بالشقاوة تعليل بالعلة البعيدة لان الحكم المذكور علة تلك القريبة كما يدل عليه الحديث ﴿ قوله اسراعا بهم الى دار الكرامة ﴾ اشارة الى جواب مايقال

ان السوق لكونه منبئا من العنف و الهوان معقول فى حق من يذهب به الى موضع العذاب واما اهل الجنة فانهم اذا امروا بالذهاب الى موضع السعادة و الراحة فاى حاجة بهم الى السوق وتقريره ان العنف و الهوان خارج من حقيقة السوق و هى عبارة عن الحث على السير و الاسراع بالسائر نحو القصد و قد يكون خيرا له بايصاله سريعا الى موضع الراحة و قد يكون شرا بايصاله الى ضد ذلك فكل و احد من العنف و الهوان و من ضدهما انما يستفاد من السوق بمعونة المقام وقرآئن الحال وقيل المراد بسوق الكافرين انفسهم و بسوق المتقين مراكبهم فالاول للعنف و الثانى لتعجيل الكرامة لقوله تعالى يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا ونسوق المجرمين الى جهنم وردا ﴿قوله و الفاء للدلالة على ان طيبتم سبب لدخولهم و خلودهم﴾ حيث رتب الامر بدخولهم خالدين على طبتم بالفاء السببية واستدلت المعتزلة بهذه الآية على ان احدا من المكلفين لا يدخل الجنة الا اذا كان طيبا اى طاهرا من كل المعاصى بالعصمة الالهية او بالتوبة النصوح و الا فهو من اهل النار و المصنف اشار الى الجواب عنه بقوله وهو لا يمنع دخول العاصى بعفوه لانه يطهره يعنى ان كون الطيب سببا لدخول الجنة لا يستلزم ان يكون طريق الطيب التوبة فقط بل يجوز ان يكون طريقه العفو او الشفاعة ﴿قوله يريدون المكان الذى استقروا فيه على الاستعارة﴾ تشبيها له بالارض الحقيقية التى هى ارض الدنيا فى كونه موضع الاستقرار لا على الحقيقة لان الجنة فى السماء لا فى الارض فارض الجنة بمعنى منازل اهلها من اجزآء السماء و قوله الذى استقروا فيه اشارة الى ان تعريف الارض للعهد الخارجى و المعهود ماهو مقر كل و احد من اهلها وليس المراد جميع ارض الجنة لان كل واحد من اهلها يقول هذا القول وليس له جميع ارض الجنة بل له من ارضها ماهو مقره ومثواه و قولهم واورثنا الارض نتبوأ بمعنى ملكنا اياها بان وفقنا للاتيان بالعمل او ورثنا الجنة من قولهم اورث العمل الفلانى لفلان امر كذا تشبيها له لحصوله بعد ذهاب العمل بالوراثة و العمل بالمورث و تخليف العمل اياه بالايراث واشتق منه اورثنا واسند الايراث اليه تعالى لانه هو الموفق لاتيانه او بمعنى مكننا من التصرف فيها كما نشاء من غير منازع كما يتصرف الوارث فيما ورثه كذلك فشبه التمكين المذكور بالايراث فالارض استعارة تصريحية لمستقرهم و اورثنا استعارة تبعية لمكنا و قوله تعالى نتبوأ فى موضع الحال من مفعول اورثنا و حيث ظرفه كما اشار اليه المصنف بقوله فى اى مقام اراده من جنته الواسعة و اشار باضافة جنته و توصيفها بالسعة الى ان اهل الجنة لا يتبوأ احدهم مكان غيره لسعة مكانه بحيث لا يحتاج معها الى مكان غيره و ان كان ظاهر قوله حيث نشاء يوهم خلاف ذلك هذا اذا حمل حيث على المكان الحسى الجسمانى الذى يصح تمانع اهله فيه وتدافع بعضهم بعضا و ان حمل على المقامات المعنوية و الجنات الروحانية فمن تبوأ فى واحد منها صح ان يتبوأ فيه غيره ايضا لان حصول مقام معنوى لاحد لا يمنع حصوله لآخر ﴿قوله محدقين﴾ اى محيطين من حففت بالشئ اى احطت به و لهذا قيل لا واحد لحافين لان الاحاطة بالشئ لا تتحقق من واحد و انتصاب حافين على الحال لان الرؤية بصرية و من مزيدة عند الاخفش وقيل لابتدآء الغاية على معنى ان ابتدآء حفوفهم من حول العرش الى حيث شاء الله و يسبحون فى موضع الحال من الملائكة او من المنوى فى حافين على التداخل و كذا بحمد ربهم فى موضع الحال ايضا اى مسبحين الله تعالى حامدين له اى ترى الملائكة يوم القيامة عند فصل القضاء بالحمد على هذه الاحوال ﴿قوله و القائلون هم المؤمنون﴾ لا جميع من قضى بينهم من المكلفين لان الكفار لا يصلون فى الآخرة الى ما يحمدون بمقابلته ﴿قوله وطى ذكرهم﴾ اى ذكر القائلين حيث بنى الفعل للمفعول او ر دكلفا و بناء على ان قوله تعالى و ترى الملائكة حافين من حول العرش يحتمل ان يكون لشرح احوال الملائكة فى الثواب وبيان ان دار ثوابهم جوانب العرش و اطرافه بعد شرح ثواب البشر وبيان ان دار ثوابهم هى الجنة فيكون قوله تعالى يسبحون بحمد ربهم مشعرا بان ثوابهم عين ذلك التحميد و التسبيح و ان اعظم درجات الثواب استغراق عقول العباد فى درجات التنزيه و منازل التقديس و يكون قوله تعالى وقضى بينهم بالحق معناه وقضى بين الملائكة بالحق للدلالة على انهم على درجات مختلفة و مراتب متفاوتة فى باب المعرفة و الطاعة و ان كل و احد منهم لا يتعدى و لا يتجاوز عما حد له من المراتب ثم انهم لما قضى بينهم بالحق قالوا الحمد لله رب العالمين على قضائه بيننا بالحق و ههنا نكتة وهى ان الملائكة لما خاطبوا المتقين بقولهم سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين قال المتقون عند ذلك الحمد لله الذى صدقنا وعده بقوله لا تخافوا و لا تحزنوا وأبشروا بالجنة بخلاف الملائكة فانهم لما قضى بينهم بالحق و قالوا الحمد لله رب العالمين لم يحمدوا الله تعالى لاجل ذلك

وقيل سيق مراكبهم اذ لا يذهب بهم الا راكبين (زمرا) على تفاوت مراتبهم فى الشرف وعلو الطبقة (حتى اذا جاؤها وفتحت ابوابها) حذف جواب اذا للدلالة على ان لهم حينئذ من الكرامة والتعظيم ما لا يحيط به الوصف وان ابواب الجنة تفتح لهم قبل مجيئها منتظرين وقرأ الكوفيون فتحت بالتخفيف (وقال لهم خزنتها سلام عليكم) لا يعتريكم بعد مكروه (طبتم) طهرتم من دنس المعاصى (فادخلوها خالدين) مقدرين الخلود والفاء للدلالة على ان طيبتم سبب لدخولهم وخلودهم وهو لا يمنع دخول العاصى بعفوه لانه يطهره (وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده) بالبعث والثواب (واورثنا الارض) يريدون المكان الذى استقروا فيه على الاستعارة وايراثها تمليكها مخلفة عليهم من اعمالهم او تمكينهم من التصرف فيها تمكين الوارث فيما يرثه (نتبوأ من الجنة حيث نشاء) اى يتبوأ كل منا فى اى مقام اراده من جنته الواسعة مع ان فى الجنة مقامات معنوية لا يتمانع واردوها (فنعم اجر العاملين) الجنة (وترى الملائكة حافين) محدقين (من حول العرش) اى حوله ومن مزيدة او لابتدآء الحفوف (يسبحون بحمد ربهم) ملتبسين بحمده والجملة حال ثانية او مقيدة للاولى والمعنى ذاكرين له بوصفى جلاله واكرامه تلذذا به وفيه اشعار بان منتهى درجات العليين واعلى لذآئذهم هو الاستغراق فى صفات الحق (وقضى بينهم بالحق) اى بين الخلق بادخال بعضهم النار وبعضهم الجنة او بين الملائكة باقامتهم فى منازلهم على حسب تفاضلهم (وقيل الحمد لله رب العالمين) اى على ماقضى بيننا بالحق والقائلون هم المؤمنون من المقضى بينهم او الملائكة وطى ذكرهم لتعينهم وتعظيمهم * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الزمر لم يقطع الله رجاءه يوم القيامة واعطاه الله ثواب الخائفين وعنه انه عليه السلام كان يقرأ كل ليلة بنى اسرآئيل والزمر

القضاء بل حمدوه لكونه رب العالمين وهو يشعر بكونهم ارفع طبقة فى باب المعرفة فان من حمد المنعم لاجل النعمة الواصل اليه فهو فى الحقيقة ما حمد المنعم وانما حمد الانعام واما من حمده لصفات كماله وعلو شانه وكبريائه فانه اكثر استغراقا فى باب المعرفة ويحتمل ان يكون قوله تعالى وترى الملائكة حافين من حول العرش من تتمة شرح ثواب المتقين * وتقريره ان يقال ان المتقين لما قالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده واورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء وقد ظهر منه انهم فى الجنة مشتغلون بحمد الله تعالى وبذكره بالثناء بين الله تعالى انه كما ان حرفة المتقين فى الجنة الاشتغال بهذا التحميد فكذلك حرفة الملائكة الحافين حول العرش الاشتغال بالتسبيح والتحميد ثم قال وقضى بينهم بالحق اى بين البشر تم هنا ما يتعلق بسورة الزمر والحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبى بعده

﴿ سورة غافر ثمانون وخمس آيات مكية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم وبه الاعانة ﴾

روى عن ابن عباس انه قال الحواميم كلها مكية وروى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال من اراد ان يرتع فى رياض الجنة فليقرأ الحواميم فى صلاة الليل وعن ابن مسعود ان الحواميم ديباج القرآن ﴿ قوله امالة ابن عامر ﴾ اى رواية ابن ذكوان عنه وابو بكر عن عاصم فانهم امالوا حاء من حم فى السور السبع امالة محضة وامالة نافع رواية ورش وابو عمرو بين الفتح والكسر بان لا يفتحها فتحا خالصا وقرأ الباقون بالفتح الخالص والعامة على سكون الميم كسائر الحروف المقطعة فان حقها ان يوقف على كل واحد منها ولذلك اجيز فيها الجمع بين الساكنين كما اجيز فى الكلم التى يوقف عليها وقرئ بضم الميم ايضا على ان حم خبر مبتدأ محذوف او مبتدأ خبره ما بعده وبفتح الميم ايضا وتلك الفتحة يحتمل ان تكون حركة بناء حرك الاسم بها هربا من التقاء الساكنين واختيرت الفتحة لخفتها كما فى اين وكيف وان تكون حركة اعراب بان ينصب الاسم بفعل مقدر اى اقرأ حم ولم ينون لمنع صرفه للعلمية والتأنيث على ان الكلمة اسم للسورة او للعلمية وشبه العجمة اذ ليس فى الاوزان العربية وزن فاعيل بخلاف الاعجمية نحو قابيل وهابيل ويتم الوقف على حم ورفعها على انها خبر مبتدأ محذوف ونصبها بفعل مضمر ولا يجوز الوقف عليها ان رفعتها على انها مبتدأ خبره تنزيل او جعلتها قسما تقديره بحم تنزيل الكتاب منه تعالى لا من غيره فيكون تنزيل مبتدأ والظرف بعده خبره * قال الامام الاقرب ههنا ان يقال حم اسم لهذه السورة مرفوع المحل على الابتداء وقوله تنزيل الكتاب من الله خبره والتقدير ان هذه السورة المسماة بحم تنزيل الكتاب والتنزيل مصدر لكن المراد منه المنزل ﴿ قوله لعل تخصيص الوصفين الخ ﴾ يعنى انه تعالى بعد ما بين ان حم تنزيل الكتاب وان منزله هو الذات المستجمع لجميع صفات الكمال على الاجمال وصف نفسه فى مقام تحقيق امر التنزيل بكونه عليما لا يخفى عليه شئ المستلزم لكونه بالغ الحكمة وبكونه عزيزا غالبا لا يغلب اصلا المستلزم لكونه كامل القدرة وكون المنزل كامل القدرة يحقق كون المنزل منه معجزا لا يمكن معارضته وكونه بالغ الحكمة يحقق كون التنزيل متضمنا للحكم والمصالح بحيث لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ولولا كونه عزيزا حكيما لما كان المنزل منه معجزا متضمنا للحكم فذكر هذين الوصفين فى هذا المقام يحمل السامع على التشمير عن ساق الجد للاستماع ويزجره عن التهاون والتوانى فيه وقوله الدال على القدرة والحكمة صفة لقوله ما فى القرآن وخلاصة التعليل ان تخصيص الوصفين لاجل ما فى القرآن اى للتنبيه عليه وتحقيقه فان كون المنزل كامل القدرة بالغ الحكمة يحقق ذلك ويؤيده لا محالة الا ان الظاهر على هذا ان يقال فانهما يدلان عليه ويحققانه وجعله دليلا عليهما من قبيل الاستدلال بالمعلول على العلة كما فى البرهان الآنى وهو ما يجعل فيه المعلول حدا اوسط مثل ان يقال هذه الخشبة محترقة وكل ما هى محترقة فقد مسها النار فهذه الخشبة مسها النار وجعل الصفات الباقية لتحقيق ما فى القرآن من الترغيب فى التوبة والترهيب عن الاصرار على المعصية والحث على ما هو المقصود من القرآن وهو الاعراض عما يشغل سره عن الحق والتبتل اليه بشراشره ﴿ قوله والاضافة فيها حقيقية ﴾ دفع لما يرد على قوله صفات اخر لفظة الجلالة وهو ان الموصوف معرفة وما ذكره بعده سوى قوله العزيز العليم ذى الطول نكرات من حيث ان الاضافة فيها لفظية لكون المضاف صفة اضيفت الى معمولها من حيث ان غافر وقابل اسما فاعل اضيفا الى معمولهما وشديد صفة مشبهة اضيفت الى فاعلها وقد تقرر ان ما اضيف اضافة لفظية لا يتعرف بالاضافة بل يبقى نكرة على حاله فلا يوصف به المعرفة * وتقرير الدفع ان اسمى الفاعل فى الآية ليسا مضافين الى معمولهما بناء على ان اسم الفاعل

﴿ سورة المؤمن مكية وآيها ثمانون وخمس آيات ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(حم) اماله ابن عامر وحمزة والكسائى وابو بكر صريحا ونافع برواية ورش وابو عمرو بين بين وقرئ بفتح الميم على التحريك لالتقاء الساكنين والنصب باضمار اقرأ ومنع صرفه للتعريف والتأنيث او لانها على زنة اعجمى كقابيل وهابيل (تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم) لعل تخصيص الوصفين لما فى القرآن من الاعجاز والحكم الدال على القدرة الكاملة والحكمة البالغة (غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذى الطول) صفات اخر لتحقيق ما فيه من الترغيب والترهيب والحث على ما هو المقصود منه والاضافة فيها حقيقية على انه لم يرد بها زمان مخصوص

لكونه بمعنى الحدوث انما يعمل اذا كان بمعنى الحال او الاستقبال وليس معنى غافر الذنب وقابل التوب انه تعالى يغفر الذنب ويقبل التوب الآن او غدا لان صفاته تعالى منزهة عن التجدد و التقيد بزمان دون زمان بل المراد ثبوتهما ودوامهما له تعالى ولما فقد شرط عمل اسم الفاعل ولم يكن مضافا الى معموله كانت اضافته معنوية للتعريف فصح وقوعه صفة للمعرفة وقد نقل عن سيبويه انه قد نص على ان كل ما كانت اضافته غير معنوية جاز ان تجعل محضة اى معنوية الا الصفة المشبهة و انما استثنى الصفة المشبهة لانها ليست بمعنى الحدوث فلا يشترط فى عملها الزمان المخصوص فتكون عاملة البتة وتكون اضافتها لفظية دآئما فلا تعرّف بالاضافة فوجب ان يحمل التعريف فى قول المصنف والاضافة حقيقية على العهد الخارجى و المعهود اضافة لفظى القابل و الغافر لما تبين من ان اضافة لفظ شديد لفظية البتة فلذلك احتاج المصنف فى تصحيح وقوعه صفة للمعرفة الى وجهين آخرين فقال واريد بشديد العقاب الخ عطفا على قوله والاضافة حقيقية فانه جعل شديد العقاب فى تأويل مشدّده اى فى تأويل اسم الفاعل الذى اريد به الدوام والثبوت فتكون الاضافة فيه معنوية لانه لايعمل حينئذ فلا يكون مضافا الى معموله والوجه الثانى لوقوع قوله تعالى شديد العقاب صفة للمعرفة ان اصل الكلام وتقديره الشديد عقابه معرفا بلام التعريف الا انه حذف منه حرف التعريف ليشاكل ماقبله و مابعده لفظا مع الامن من التباس الموصوف به وجهالته فانهم كثيرا مايغيرون كلامهم من قانونه للازدواج ومنه قوله عليه الصلاة والسلام ارجعن مأزورات غير مأجورات والاصل وازرات من الوزر فاخرج على لفظ المفعول فصار موزورات فقلبت الواو الفا فصار مأزورات ليزاوج مأجورات وقرآءة بعضهم الحمدِ لِله بضم الدال واللام تارة و بكسرها اخرى وقولهم مايعرف سحادليه من عنادليه والاصل سداديه والسداد الذكر والعناد لان الحصيتان فثنى الوتر ليزاوج الشفع ﴿ قوله او ابدال ﴾ عطف على قوله صفات اخر اى و يحتمل ان يكون الكل ابدالا بناء على ان شديد العقاب و ان كان بمعنى الدوام و الاستمرار لما كانت اضافته لفظية لم يصلح لان يكون صفة للمعرفة فتعين كونه بدلا منها فجعل ماعداه ايضا ابدالا ليتوافق النظم فان جعله وحده بدلا من بين الصفات مشوّش للنظم مع ان توسيط البدل بين الصفات وان جاز فى النحو الا ان علماء المعانى يستقبحونه لان الصفات تدل على ان المقصود هو الموصوف دونها و البدل يدل على انه المقصود دون متبوعه وهما متنافيان ﴿ قوله وتوسيط الواو الخ ﴾ جواب عما يقال ما الحكمة فى ان هذه الصفات كلها سردت من غير عاطف الاقابل التوب فانه افرد من بينها بتوسيط الواو بينه و بين ماقبله وذكر له ثلاث فوآئد الاولى انه لافادة الجمع بين محو الذنوب وقبول التوبة اى لافادة اجتماعهما فى موصوف واحد بالنسبة الى طائفة واحدة وهى طائفة المذنبين التائبين كانه قيل يجامع بين محو الذنوب وقبول التوبة فى حق المذنبين التائبين بان يمحو ذنوبهم بتوبتهم وبان يجعل تلك التوبة طاعة مقبولة يثاب عليها فقبول التوبة كناية عن انه تعالى يكتب تلك التوبة للتائب طاعة من الطاعات والا لما قبلها لانه تعالى لايقبل الا مايكون طاعة وليس المراد افادة مجرّد اجتماع الوصفين فى موصوف واحد لان اجرآء الصفات المتعاقبة بدون العاطف يفيد اجتماعها فيه فلما كان الاجتماع فى الموصوف مستفادا بدون ذكر العاطف وجب ان يكون ذكره لافادة معنى زآئد صونا للكلام البليغ عن الالغاء فالمراد اجتماعهما فيه بالنسبة الى متعلق واحد والفائدة الثانية لتوسيط العاطف انه لافادة تغاير الوصفين فانه لو لم يذكر العاطف لربما يتوهم اتحادهما وان ذكر ثانيهما انما هو لمجرّد الايضاح والتفسير ولما ذكر العاطف اضمحل هذا الاحتمال ضرورة استحالة عطف الشئ على نفسه والفائدة الثالثة له انه لافادة تغاير موقع الفعلين اى متعلقهما بان يكون الغفران بالنسبة الى من لم يتب من اصحاب الكبائر والقبول بالنسبة الى التائبين عنها وذلك لان الغفر فى اللغة الباس الشئ وستره بمايصونه عن الدنس والغفران والمغفرة من الله تعالى ان يصون العبد من ان يمسه العذاب والاستغفار طلب ذلك بالمقال والفعال لا بالمقال وحده فانه فعل الكذابين ولما كان الغفران عبارة عن الستر وان معنى الستر انما يعقل بالنسبة الى الشئ الموجود الباقى فينبغى ان يكون قوله تعالى غافر الذنب انه غافر الكبائر وان لم يتب عنها صاحبها فان المراد بالذنب الكبيرة لان الصغيرة لاتبقى بل تحبط بسبب كثرة ثواب فاعلها فلما لم تبق لم يكن وجه لتعلق الغفران والستر بها فان اهل السنة ذهبوا الى انه تعالى قد يعفو عن الكبائر بدون التوبة ويدل عليه هذه الآية لان قوله تعالى غافر الذنب مذكور فى مقام المدح العظيم فينبغى ان يحمل على مايفيد اعظم انواع المدح وهو كونه غافرا للكبائر قبل التوبة والمعتزلة قالوا معناه انه تعالى غافر الذنب اذا استحق العبد غفرانه

واريد بشديد العقاب مشدّده او الشديد عقابه فحذف اللام للازدواج وامن الالباس او ابدال وجعله وحده بدلا مشوّش للنظم وتوسيط الواو بين الاوّلين لافادة الجمع بين محو الذنوب وقبول التوبة او تغاير الوصفين اذ ربما يتوهم الاتحاد او تغاير موقع الفعلين لان الغفر هو الستر فيكون الذنب باقيا وذلك لمن لم يتب فان التائب من الذنب كمن لاذنب له والتوب مصدر كالتوبة وقيل جمعها

اما بالتوبة و اما بالطاعة التي هي اعظم منه فان فاعل المعصية لايخلو اما ان يكون قد اتى قبل تلك المعصية بطاعة كان ثوابها اعظم من عقاب تلك المعصية او لم يكن اتى بها فان كان الاول كانت هذه المعصية صغيرة فيحبط عقابها وان كان الثاني كانت المعصية كبيرة فلا يزول عقابها ﴿قوله والطول الفضل بترك العقاب المستحق﴾ الطول الفضل مطلقا باى شئ كان الا ان حمله على الفضل بترك العقاب الذى له ان يفعله عدلا بقرينة ذكره بعد ان وصف نفسه بكونه شديد العقاب فانه لما ذكر كونه ذا الطول بعد ان وصف نفسه بذلك لم يبين ان طوله بماذا كان ذلك قرينة على ان المراد انه ذو الطول فى الامر الذى سبق ذكره وهو فعل العقاب الذى استحقه المذنب فالآية تدل على انه تعالى قد يترك العقاب الذى يحسن منه تعالى عدلا وعلى جواز العفو عن اصحاب الكبائر ﴿قوله وفى توحيد صفة العذاب﴾ وهى قوله شديد العقاب فانه ذكر قبله امران كل واحد منهما يقتضى زوال العقاب وهما كونه غافر الذنب وقابل التوب وذكر بعده ما يدل على اتصافه بالرحمة العظيمة وهو قوله ذى الطول فكان قوله شديد العقاب صفة واحدة مغمورة بصفات الرحمة فدل ذلك على ان جانب الرحمة والكرم ارجح واوسع وان شأنه محض الرحمة والعقاب انما يكون بالعرض ﴿قوله فيجب الاقبال الكلى على عبادته﴾ اشارة الى فائدة توصيف نفسه بالوحدانية فانه تعالى انما وصف نفسه بانه اله موصوف بالصفات المذكورة ترغيبا فى عبادته وترهيبا عن مخالفته وعصيانه وهذا المقصود انما يتم بكونه واحدا منزها عما يشاركه ويساويه فى تلك الصفات لانه لو حصل معه اله آخر يساويه لما كانت الحاجة الى الاقرار بعبوديته شديدة ﴿قوله فيجازى المطيع والعاصى﴾ يعنى انه تعالى وصف نفسه بقوله اليه المصير تقوية للترغيب والترهيب المذكورين لانه لو ثبت كونه الها واحدا موصوفا بالصفات المذكورة من غير ان يكون بعد هذه النشأة حشر ونشر وحساب وجزاء لما توفرت الرغبة فى الاقرار بعبوديته والرهبة من سخطه وعقابه ثم انه تعالى لما قرر ان القرآن كتاب انزله ليهتدى به فى امر الدين ذكر بعده احوال من يجادل لغرض ابطاله فقال ما يجادل فى آيات الله اى فى دفع آياته بالتكذيب والانكار مثل ان يقول مرة انها سحر ومرة انها شعر وانها اساطير الاولين ﴿قوله بالطعن وادحاض الحق﴾ اشارة الى دفع ما يقال كيف خص المجادلة بالذين كفروا مع ان المؤمنين يجادلون فيها ايضا وتقرير الدفع ان الجدال نوعان جدال فى تقرير الحق وجدال فى تقرير الباطل والاول حرفة الانبياء عليهم الصلاة والسلام قال تعالى وجادلهم بالتى هى احسن وقال حكاية عن الكفار انهم قالوا لنوح عليه الصلاة والسلام يا نوح قد جادلتنا فاكثرت جدالنا والمراد بالجدال المذكور فى هذه الآية هو الجدال فى تقرير الباطل وادحاض الحق غاية الامر انه اطلق ههنا اعتمادا على تقييده فى قوله وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق والمطلق يحمل على المقيد عند اتحاد الحادثة ودحوض الحجة بطلانها ﴿قوله بالتنكير﴾ اى تنكير جدالا الدال على التنويع والتمييز بين جدال وجدال ﴿قوله مع انه﴾ اى مع ان الجدال لحل عقده ليس جدالا فيه بل هو جدال عنه فان الجدال فى الشئ انما يكون اذا كان ذلك الشئ مشكوكا عند المجادل او منكرا يريد المجادل بالجدال فيه رده وابطاله ولا شك ان من يجادل لحل عقده وقطع مطاعن اهل الزيغ عنه ليس مقصوده الا تقرير الحق وتحقيقه لا ادحاضه وتزييفه فهو لا يجادل فيه وانما يجادل عنه فان الجدال عن الشئ يستدعى كون ذلك الشئ مقررا محققا عند المجادل وكون مقصوده من الجدال تقريره وتحقيقه للخصم ودفع الشبه والمطاعن عنه فلا حاجة الى تقييد الجدال المذكور فى هذه الآية بقوله بالطعن وادحاض الحق ﴿قوله تعالى فلا يغررك﴾ جواب شرط محذوف والتقدير اذا تقرر عندك بشهادة ربك ان المجادلين فى آيات الله كفار وقد تحقق عندك ان الكفار اشقى الناس وان ما هم فيه من النعيم متاع قليل وظل زائل ثم ان مرجعهم الى الجحيم فلا ينبغى ان تغتر بان امهلهم وتركهم سالمين فى ابدانهم واموالهم يتقلبون فى البلاد اى يتصرفون فيها للتجارات المربحة فانى وان امهلتهم سآخذهم وأنتقم منهم كما فعلت باشكالهم من الامم الماضية ثم كشف عن هذا المعنى بقوله كذبت قبلهم قوم نوح والاحزاب من بعدهم قرأ الجمهور فلا يغررك بفك الادغام وهى لغة الحجاز وقرئ فلا يغرك بالادغام وفتح الراء وهى لغة تميم ﴿قوله وناصبوهم﴾ اى عادوهم وحاربوهم ﴿قوله ليتمكنوا﴾ يعنى ان الاخذ بمعنى الحبس والاسر الذى يتمكن به من اصابة المأخوذ بما ارادوه من التعذيب والاهلاك وقال ابن عباس رضى الله عنهما ليأخذوه اى ليقتلوه ويهلكوه بطريق التعبير عن المسبب بلفظ السبب لان القتل مسبب عن الاخذ والمصنف رجح الحقيقة على المجاز حيث امكن الحمل عليها وحمله على المعنى المجازى فى قوله فاخذتهم لتعذر الحمل على

(الحقيقة)

والطول الفضل بترك العقاب المستحق وفى توحيد صفة العذاب مغمورة بصفات الرحمة دليل رجحانها (لا اله الا هو) فيجب الاقبال الكلى على عبادته (اليه المصير) فيجازى المطيع والعاصى (ما يجادل فى آيات الله الا الذين كفروا) لا حقق امر التنزيل سجل بالكفر على المجادلين فيه بالطعن وادحاض الحق كقوله وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فاما الجدال فيه لحل عقده واستنباط حقائقه وقطع تشبث اهل الزيغ به وقطع مطاعنهم فيه فمن اعظم الطاعات ولذلك قال عليه الصلاة والسلام ان جدالا فى القرآن كفر بالتنكير مع انه ليس جدالا فيه على الحقيقة (فلا يغررك تقلبهم فى البلاد) فلا يغررك امهالهم واقبالهم فى دنياهم وتقلبهم فى بلاد الشام واليمن بالتجارات المربحة فانهم مأخوذون عما قريب بكفرهم اخذ من قبلهم كما قال (كذبت قبلهم قوم نوح والاحزاب من بعدهم) والذين تحزبوا على الرسل وناصبوهم بعد قوم نوح كعاد وثمود (وهمت كل امة) من هؤلاء (برسولهم) وقرئ برسولها (ليأخذوه) ليتمكنوا من اصابته بما ارادوا من تعذيب وقتل من الاخذ بمعنى الاسر (وجادلوا بالباطل) بما لا حقيقة له (ليدحضوا به الحق) ليزيلوه به (فاخذتهم) بالاهلاك جزاء لهمهم (فكيف كان عقاب) فانكم تمرون على ديارهم وترون اثره وهو تقرير فيه تعجيب

الحقيقة والمعنى انهم قصدوا الاخذ فجعلت جزاءهم على ارادة عزيمة اخذه ان اخذتهم وهذا معنى قوله جزاء همهم والظاهر من نظم الآية ان قوله تعالى فاخذتهم متفرع على جميع ما نسب الى كفار الامم السالفة من التكذيب والهم بالاخذ والمجادلة بالباطل لان المصنف جعله مسببا عن قوله وهمت كل امة برسولهم ليأخذوه ولمزيد المناسبة بين الاخذين ثم انه تعالى بعد ما ذكر ما فعله بالمكذبين من الامم السالفة من قوله تعالى فاخذتهم قال وكذلك حقت اى ومثل الذى حق على اولئك المكذبين من العقاب حقت كلتى ايضا على هؤلاء الذين كفروا من قومك فهم على شرف نزول العقاب بهم ومحل الكاف فى قوله تعالى وكذلك النصب على انه صفة محذوف اى حقت كلة ربك الموجبة لعذاب على كفار قومك وهى وعيده بقوله لأملأن جهنم او حكمه الازلى بالشقاء والعذاب الخلد حقا اى وجوبا وثبوتا مثل ذلك اى مثل ثبوتها على الكفار الماضية ويحتمل ان يكون الكاف فى محل الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف اى والامر كذلك ثم استأنف الاخبار بانه حقت كلة الله عليهم بالعذاب ﴿ قوله على ارادة اللفظ او المعنى ﴾ لف ونشر مرتب فان قوله تعالى انهم اصحاب النار فى محل الرفع على انه بدل من كلة ربك بدل الكل من الكل نظرا الى لفظ كلة ربك واتحاد مدلوله مع مدلول البدل صدقا او بدل الاشتمال نظرا الى ان معناه وعيده اياهم بقوله لأملأن جهنم او حكمه الازلى بشقائهم وقيل انه فى محل النصب بناء على ان اصله لانهم اصحاب النار بحذف لام التعليل وايصال الفعل اليه حيث لم يكن مرادا فكان فى محل النصب او كان مرادا فكان فى محل الجر فالمصنف لما علل وجوب كلة العذاب عليهم بالكفر حيث قال لكفرهم لم يحتج الى تعليله بقوله انهم اصحاب النار بحذف لام التعليل بل جعله بدلا ثم انه تعالى لما سجل على المجادلين فى آيات الله بالكفر وبوجوب كلته تعالى الموجبة لعذاب عليهم لكفرهم بين فضيلة من صدق بان اشرف طبقات المخلوقات وهم حملة العرش والطائفون حوله شفعاؤهم عند الله تعالى ويطلبون منه تعالى فى حقهم اشياء كثيرة ذكرها بقوله فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك الآية ﴿ قوله تعالى الذين يحملون ﴾ مبتدأ ويسبحون خبره ومن حوله فى محل الرفع بالعطف على قوله الذين يحملون اخبر عن الفريقين بانهم يسبحون ويفعلون كذا وكذا قيل حملة العرش اربعة من الملائكة احدهم على صورة الملائكة والثانى على صورة ثور والثالث على صورة نسر والرابع على صورة اسد واذا كان يوم القيامة تكون حملته ثمانية يدل عليه قوله تعالى ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية فقوله تعالى الذين يحملون العرش يحتمل ان يكون المراد بهم الذين يحملونه الآن وهم الاربعة وان يكون المراد الذين يحملونه يوم القيامة وهم الثمانية ولاشك ان حملة العرش اشراف الملائكة واكابرهم ويدل عليه ما روى انه تعالى امر جميع الملائكة ان يغدوا ويروحوا بالسلام على حملة العرش تفضيلا لهم على سائر الملائكة وايضا لما كان حملهم اياه وحفيفهم حوله مجازا عن حفظهم وتدبيرهم له وجب لهم ان يكونوا افضل الملائكة وذلك لان نسبة الارواح الى الارواح كنسبة الاجسام الى الاجسام ولما كان العرش اشرف الموجودات الجسمانية كانت الارواح المتعلقة بتدبير العرش يجب ان تكون افضل الارواح المدبرة للاجساد روى ان حملة العرش ملائكة ارجلهم فى الارض السفلى ورؤسهم قد خرقت العرش وهم خشوع لا يرفعون طرفهم وروى انه عليه الصلاة والسلام قال لا تتفكروا فى عظمة ربكم ولكن تفكروا فيما خلق من الملائكة فان خلقا من الملائكة يقال له اسرافيل زاوية من زوايا العرش على كاهله وقدماه فى الارض السفلى وقد مرق رأسه من سبع سموات والمروق الخروج وانه ليتضاءل من عظمة الله تعالى حتى يصير كأنه الوصع وهو بالصاد المهملة طير صغير مثل العصفور وقيل خلق الله تعالى العرش من جوهرة خضراء وبين القائمتين من قوائمه خفقان الطير المسرع ثمانين الف عام وقيل حول العرش سبعون الف صف من الملائكة يطوفون به مهللين مكبرين ومن ورائهم سبعون الف صف قيام قد وضعوا الأيمان على الشمائل ما منهم احد الا وهو يسبح بما لا يسبح به الآخر وقال الله تعالى وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم والتسبيح عبارة عن تنزيه الله تعالى عما لا ينبغى والتحميد الاعتراف بانه هو المنعم على الاطلاق فالتسبيح عبارة عن نعوت الجلال التى هى تنزيه ذاته تعالى عما يوجب حاجة ونقصا والتحميد عبارة عن صفات الاكرام وهى الصفات الثبوتية التى يستحق بها الحمد فقوله تعالى يسبحون بحمد ربهم قريب من قوله تبارك اسم ربك ذى الجلال والاكرام ﴿ قوله لان الحمد مقتضى حالهم دون التسبيح ﴾ فان الحمد هو الثناء بصفات اكرامه وهى صفاته الثبوتية وانهم فى اغلب الاحوال يصفونه تعالى بتلك الصفات ويحمدونه واما ذكرونه بنعوت جلاله التى هى تنزيه ذاته عما لا يليق

(وكذلك حقت كلة ربك) وعيده او قضاؤه بالعذاب (على الذين كفروا) لكفرهم (انهم اصحاب النار) بدل من كلة ربك بدل الكل او الاشتمال على ارادة اللفظ او المعنى (الذين يحملون العرش ومن حوله) الكروبيون اعلى طبقات الملائكة واولهم وجودا وحملهم اياه وحفيفهم حوله مجاز عن حفظهم وتدبيرهم له او كناية عن قربهم من ذى العرش ومكانتهم عنده وتوسطهم فى نفاذ امره (يسبحون بحمد ربهم) يذكرون الله بجامع الثناء من صفات الجلال والاكرام وجعل التسبيح اصلا والحمد حالا لان الحمد مقتضى حالهم دون التسبيح

به اذا احتاجوا الى الرد على من يصفه بما يؤدى الى ما لا يليق به او ظهر لهم ما يدل على كمال عظمته ﴿قوله اخبر عنهم بالايمان الخ﴾ جواب عما يقال ما الفائدة فى قوله ويؤمنون به مع انه لا يخفى على احد ايمانهم بالله لا سيما بعد الاخبار عنهم بانهم يسبحون بحمد ربهم فان الاشتغال بالتسبيح والتحميد لا يكون الا بعد الايمان بالله تعالى * وتقرير الجواب ان الكلام الخبرى لا يجب ان يكون لافادة نفس الحكم او لازمه البتة بل قد يذكر لاغراض اخر والغرض ان الحكمة ههنا اظهار شرف الايمان وفضله والترغيب فيه كما وصف الانبياء عليهم الصلاة والسلام بالايمان والصلاح فى مواضع من القرآن مع ان ايمانهم وصلاحهم لا يخفى على احد فقال تعالى بعد ذكر كل نبى انه من عبادنا المؤمنين وانه لمن الصالحين اظهارا لشرفهما ووجه الاظهار ان تخصيصه من بين صفاتهم الجليلة فى مقام المدح دليل واضح على شرفه وفضله بالنسبة الى سائر اوصافهم مع ان جميع اوصافهم اوصاف شريفة فاذا قيل ان اوصاف الاشراف اشراف الاوصاف واذا دل تخصيصه بالذكر فى مقام المدح على شرفه دل توصيف اهله به على تعظيمهم وقدرهم ان سوق الآية لتعظيم اهله من حيث ان اشراف طبقات المخلوقات بالغون فى محبتهم ونصرتهم والدعاء لهم بالمغفرة والخلاص من عذاب الجحيم والحكمة الاخرى فى الاخبار عنهم بالايمان الاشعار بان حملة العرش والحافين حوله انما يعرفون ربهم بالنظر والاستدلال لا بطريق المعاينة والمشاهدة كما زعمه المجسمة القائلون بانه تعالى متمكن على العرش لانه تعالى لما اخبر عنهم على سبيل المدح والثناء بانهم يؤمنون بوجوده تعالى بجنانهم وقلوبهم فهم منه ان ايمانهم به انما هو عن برهان لا عن مشاهدة وعيان وانهم محجوبون عن ادراكه بابصارهم ولو كان الامر كما زعمه المجسمة لكان حملة العرش والحافون به يشاهدونه ويعاينونه فلا يصح ان يقال انهم يؤمنون به بالجنان بل لا يجوز ان يوصفوا الا بالمشاهدة والعيان ولو حمل ايمانهم على التصديق المتفرع على المشاهدة لما كان ايمانهم بوجوده تعالى موجبا للمدح والثناء لان الاقرار بوجود شئ حاضر مشاهد لا يوجب المدح والثناء فلما ذكر الله تعالى ايمانهم بالله تعالى على سبيل المدح والثناء والتعظيم دل على انهم آمنوا به تعالى عن برهان لا انهم شاهدوه حاضرا حيال الساعة نقله الامام عن صاحب الكشاف ثم قال رحمه الله صاحب الكشاف لو لم يحصل فى كتابه الا هذه النكتة لكفاه فخرا وشرفا وقال بعد ذلك قد ثبت ان كمال السعادة منوط بامرين التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله ويجب ان يكون الاول مقدما على الثانى فقوله تعالى يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به مشعر بالتعظيم لامر الله تعالى وقوله ويستغفرون للذين آمنوا مشعر بالشفقة على خلق الله واحتج كثير من العلماء بهذه الآية على ان الملك افضل من البشر لانها دلت على ان الملائكة لما فرغوا من ذكر الله تعالى بالتقديس اشتغلوا بالاستغفار للمؤمنين من غير ان يقدموا الاستغفار لانفسهم وهذا يدل على انهم مستغنون من الاستغفار لانفسهم اذ لو كانوا محتاجين اليه لاستغفروا لانفسهم اولا لقوله عليه الصلاة والسلام * ابدأ بنفسك * ولقوله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات ولما لم يذكر الله تعالى استغفارهم لانفسهم مع ان خواص البشر فضلا عن عوامهم محتاجون اليه كما قال تعالى واستغفر لذنبك ظهر ان الملك افضل من البشر والله اعلم والمختار عندنا ان الخواص من بنى آدم وهم المرسلون افضل من جملة الملائكة وعوام بنى آدم سوى الانبياء افضل من عوام الملائكة وخواص الملائكة افضل من عوام بنى آدم ثم ان الآية دلت على حصول الشفاعة من الملائكة للذين من المؤمنين لان قوله تعالى ويستغفرون للذين آمنوا يدل على انهم يستغفرون لكل المؤمنين وقد ثبت ان صاحب الكبيرة مؤمن فوجب دخوله تحت شفاعة الملائكة واستغفارهم الذى هو طلب المغفرة والمغفرة لا تذكر الا باسقاط العذاب عن المؤمن المذنب وقولهم فاغفر للذين تابوا معناه والله اعلم للذين تابوا من الكفر واتبعوا سبيل الايمان ﴿قوله وفيه تنبيه﴾ فانه تعالى لما ذكر ايمانهم ذكر انهم يستغفرون لمن كان بمثل حالهم فنبه على ان الاشتراك فى الايمان ادعى شئ الى النصيحة وان كان الاشتراك المذكور بين سماوى وارضى ﴿قوله وهو بيان ليستغفرون او حال﴾ يعنى ان قوله تعالى ربنا وسعت كل شئ مقول قول مضمر اى يقولون ربنا وهذا المضمر اما فى محل الرفع على انه عطف بيان لقوله يستغفرون او فى محل النصب على انه حال من فاعل يستغفرون اى يستغفرون قائلين ربنا وسعت كل شئ رحمة وعلما اى وسعت رحمتك وعلمك يعنى ان قوله رحمة وعلما تمييز منقول من الفاعلية لما ذكر من الاغراق كان ذاته تعالى رحمة وعلم يسعان كل شئ يقال اغرق النازع فى القوس اذا استوفى مدها وعموم الرحمة وان كان يستفاد من جعلها فاعلا الا ان عمومها على تقدير جعلها تمييزا للفاعل يكون ابلغ لان نسبة ذاته تعالى الى الاشياء كلها اظهر من نسبة رحمته اليها فاذا اسندت

(ويؤمنون به) اخبر عنهم بالايمان اظهارا لفضله وتعظيما لاهله ومساق الآية لذلك كما صرح به بقوله (ويستغفرون للذين آمنوا) واشعارا بان حملة العرش وسكان الفرش فى معرفته سواء ردا على المجسمة واستغفارهم شفاعتهم وحملهم على التوبة والهامهم ما يوجب المغفرة وفيه تنبيه على ان المشاركة فى الايمان توجب النصح والشفقة وان تخالفت الاجناس لانه اقوى المناسبات كما قال انما المؤمنون اخوة (ربنا) اى يقولون ربنا وهو بيان ليستغفرون او حال (وسعت كل شئ رحمة وعلما) اى وسعت رحمته وعلمه فازيل عن اصله للاغراق فى وصفه بالرحمة والعلم والمبالغة فى عمومهما

الوسعة الى ذاته تعالى وجعلت الرحمة تمييزا لها كان ذلك ابلغ فى الدلالة على عمومها ﴿قوله وتقديم الرحمة﴾ مع ان وسع علمه اظهر واتم بالنسبة الى سعة رحمته فكان الظاهر ان يقدم ما كانت وسعته اتم واظهر فان كل موجود غير الله تعالى وان نال من رحمته نصيبا عظيما او يأسا الا ان بعض الموجودات تعلق به نعمته من وجه آخر بخلاف العلم فانه لا يعزب عن علمه شئ ما ﴿قوله للذين علمت منهم التوبة﴾ جواب عما يقال ان قوله تعالى فاغفر للذين تابوا ارتب بالفاء السببية على سعة رحمته وعلمه كل شئ فوجب ان يكون الغفران مسببا عن كل واحد من الرحمة والعلم وكونه مسببا من الرحمة ظاهر فاوجه كونه مسببا عن العلم وتقرير الجواب ان الملائكة لما علموا انه تعالى لا يغفر ان يشرك به وانما يغفر لمن تاب عن الشرك واتبع سبيل التوحيد والايمان كان معنى كلامهم ربنا اغفر لمن علمت منه شرط الغفران وهو التوبة عن الشرك والتحلى بالايمان والطاعة فظهر بهذا ان مابعد الفاء مسبب عن كل واحد من الرحمة والعلم ﴿قوله وهو تصريح بعد اشعار﴾ جواب عما يقال لا معنى لغفران الا اسقاط العذاب فعلى هذا لا فرق بين قوله فاغفر لهم وبين قوله وقهم عذاب الجحيم وتقريره ان الاول رمز واشارة الى اسقاط العذاب والثانى تصريح به تأكيدا ومبالغة ثم انهم لما طلبوا من الله تعالى ازالة العذاب عنهم اردفوه بطلب ايصال الثواب فقالوا ربنا وادخلهم جنات عدن وقد وعد الله تعالى بان يدخل من قال لا اله الا الله محمد رسول الله جنات عدن اما ابتداء او بعد ان يدخلهم النار ويعذبهم بها بقدر عصيانهم وانجازا له تعالى وعده بقوله والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان الحقنا بهم ذريتهم وقوله تعالى ومن صلح فى محل النصب اما بالعطف على الضمير فى وادخلهم كأنه قيل ووعدت من صلح من آبائهم والجمهور على فتح لام صلح يقال صلح فهو صالح وقرئ بضمها يقال صلح فهو صليح كما يقال فسد فهو فاسد وفسد فهو فسيد ﴿قوله العقوبات﴾ وهى اجزية الاعمال السيئة وتسميتها سيئة اما لانها تسوءهم واما لان السيئة اسم للزوم وهو الاعمال السيئة فاطلق على اللازم وهو جزاؤها ﴿قوله وهو تعميم بعد تخصيص او مخصوص بمن صلح﴾ جواب عما يقال معنى قوله تعالى وقهم السيئات على كل واحد من التفسيرين وقهم من ان تصيبهم اجزية اعمالهم السيئة ولا فرق بين هذا المعنى ومعنى قوله تعالى وقهم عذاب الجحيم فيلزم التكرار بلا فائدة واجاب عنه بوجهين الاول ان قولهم وقهم عذاب الجحيم دعاء بحفظهم من عذاب الجحيم بخصوصه وقولهم وقهم السيئات دعاء بحفظهم من جميع العقوبات من عذاب الجحيم وعذاب القبر ومواقف القيامة والحساب والصراط والسؤال ونحوها فهو تعميم بعد التخصيص والثانى ان قولهم وقهم عذاب الجحيم دعاء للاصول وهم الذين تابوا عن الشرك واتبعوا سبيل الاسلام وقولهم وقهم السيئات دعاء للاتباع وهم الآباء والازواج والذريات ﴿قوله او المعاصى﴾ عطف على قوله العقوبات فيكون تفسيرا ثانيا للسيئات فالملائكة طلبوا من الله تعالى اولا ان يقيهم عذاب الجحيم ثم طلبوا ان يتفضل عليهم بالمثوبات فقالوا وادخلهم جنات عدن ثم طلبوا ان يصونهم فى الدنيا عن الاعمال الفاسدة والعقائد الباطلة ثم عللوا طلب هذه الصيانة بان الصيانة عنها فى الدنيا سبب للرحمة فى الآخرة بالوقاية من عذاب الجحيم والفوز بجنات النعيم فقالوا ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته فجعلوا وقاية السيئات شرطا للفوز بالرحمة التى هى نعمة غير منقطعة بازاء الاعمال المنقطعة وملك عظيم بمقابلة الاعمال الحقيرة وقدم هنا ما يدل على فضل الايمان وتعظيم اهله ولما كان المقصود من ذكره تقريع المجادلين فى آيات الله وتوبيخهم ببيان رذالة الكفر وخذلان اهله عاد الى شرح احوالهم وبين انهم فى القيامة يعترفون بذنوبهم واستحقاقهم العذاب ويسألون الرجوع الى الدنيا ليتلافوا ما فرط منهم ولات حين مناص فقال ان الذين كفروا ينادون اى تناديهم خزنة جهنم حين رأوا اعمالهم قد احصاها الله ودخلوا النار جزاء لها ومقتوا انفسهم اشد المقت قائلين لمقت الله وهو جواب قسم محذوف كأنه قيل والله لمقت الله والمقت اشد البغض وهو مستحيل فى حقه تعالى فالمراد ابلغ الانكار والزجر ﴿قوله لمقت الله اياكم﴾ يعنى ان المقت مصدر اضيف الى فاعله وحذف مفعوله لدلالة مفعول المقت الثانى عليه ﴿قوله تعالى اذ تدعون﴾ ظرف لفعل دل عليه المقت الاول اى مقتكم الله اذ تدعون الآية احتاج الى تقدير العامل لانه اذا لم يقدر فلا يخلو من ان يكون الظرف معمول قوله لمقت الله او معمول من مقتكم او معمول قوله تدعون لا سبيل الى الاول لانه يستلزم الفصل بين المصدر ومعموله بالاجنبى وهو الخبر فان قوله لمقت الله مبتدأ ومصدر مضاف الى فاعله واكبر خبره ومن مقتكم متعلق باكبر والمصدر الثانى مضاف الى فاعله ايضا وانفسكم مفعوله والمصدر اذا اخبر عنه لم يجز ان يتعلق به شئ يكون فى صلته لان الاخبار عنه يؤذن بتمامه وما يتعلق به يؤذن بعدم تمامه بدونه ولا الى الثانى لاختلاف

وتقديم الرحمة لانها المقصودة بالذات ههنا (فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك) للذين علمت منهم التوبة واتباع سبيل الحق (وقهم عذاب الجحيم) واحفظهم منه وهو تصريح بعد اشعار للتأكيد والدلالة على شدة العذاب (ربنا وادخلهم جنات عدن التى وعدتهم) اياها (ومن صلح من آبائهم وازواجهم وذرياتهم) عطف على هم الاول اى ادخلهم معهم ليتم سرورهم او الثانى لبيان عموم الوعد وقرئ جنة عدن وصلح بالضم وذريتهم بالتوحيد (انك انت العزيز) الذى لا يمتنع عليه مقدور (الحكيم) الذى لا يفعل الا ما تقتضيه حكمته ومن ذلك الوفاء بالوعد (وقهم السيئات) العقوبات او جزاء السيئات وهو تعميم بعد تخصيص او مخصوص بمن صلح او المعاصى فى الدنيا لقوله (ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته) اى ومن تقها فى الدنيا فقد رحمته فى الآخرة فكأنهم طلبوا السبب بعد ما سألوا المسبب (وذلك هو الفوز العظيم) يعنى الرحمة او الوقاية او مجموعهما (ان الذين كفروا ينادون) يوم القيامة فيقال لهم (لمقت الله اكبر من مقتكم انفسكم) اى لمقت الله اياكم اكبر من مقتكم انفسكم الامارة بالسوء (اذ تدعون الى الايمان فتكفرون) ظرف لفعل دل عليه المقت الاول لا له لانه اخبر عنه

الزمانين لانهم انما مقتوا انفسهم في النار لاحين دعوا الى الايمان ولا الى الثالث لان المضاف اليه لايعمل في المضاف ولما بطلت الاقسام باسرها تعين ان يكون معمولا لمحذوف وقول صاحب الكشاف انه منصوب بالمقت الاول لعله اراد به انه دال على ناصبه عبر عن المدلول بلفظ الدال او بنى كلامه على ان الظرف يتسع فيه مالايتسع في غيره كما نقل عن ابن الحاجب انه قال في الامالي اذا انتصب اذ تدعون بالمقت الاول كان المعنى لمقت الله اياكم في الدنيا اذ تدعون الى الايمان فتكفرون اكبر من مقتكم انفسكم في الآخرة وليس فيه سوى الفصل بين المصدر ومعموله بالاجنبي وهو اكبر الذي هو الخبر وهو جائز لان الظرف متسع فيه ﴿ قوله الان يأول نحو الصيف ضيعت اللبن ﴾ استثناء من قوله ولا الثاني اي يجوز ان يكون اذ ظرفا للمقت الثاني بناء على ان مقتهم انفسهم وان كان في الآخرة لاحين مادعوا الى الايمان فكفروا الا ان سبب ذلك المقت لما كان حاصلا حين مادعوا صار المقت كأنه واقع حين الدعوة كما في المثل المذكور فانه يضرب لمن حرم من مراده الآن بسبب صدر عنه فيما مضى فيجعل الحرمان كأنه واقع فيما مضى روى ان امرأة كانت تحت رجل مؤسر فكرهت صحبته لكبر سنه فطلقها فتزوجها شاب فقير فدعتهما الضرورة الى ان بعثها الشاب الى زوجها الاول لطلب المعروف والاحسان فما اعطاها شيأ قائلا لها صيرتني محرومة فقال لها الصيف ضيعت اللبن فيضرب لكل من يشابه حاله حال تلك المرأة بكسر تاء الوحدة الخاطبة سوآء كان المضروب له مذكرا او مؤنثا واحدا او جمعا لان الامثال لاتغير ولا يخرج المثل عن كونه من باب الاستعارة ﴿ قوله او تعليل الحكم ﴾ عطف على قوله ظرف لفعل والحاصل ان مقتهم انفسهم ان فسر بانهم اذا شاهدوا القيامة والجنة والنار مقتوا انفسهم على اصرارهم على التكذيب بهذه الاشياء في الدنيا يكون زمان احد المقتين مغايرا لزمان الآخر ويكون الكلام محمولا على التقديم والتأخير كأنه قيل والله لمقت الله اياكم في الدنيا اكبر من مقتكم انفسكم اليوم وان فسر مقتهم انفسهم بمقت بعضهم بعضا على معنى ان الاتباع يشتد مقتهم لرؤساء الذين دعوهم الى الكفر في الدنيا والرؤساء ايضا يشتد مقتهم للاتباع فعبر عن مقت بعضهم بعضا بانهم مقتوا انفسهم كما في قوله تعالى اقتلوا انفسكم والمراد قتل بعضكم بعضا فيكون زمان المقتين واحدا وهو وقت ان عاينوا العذاب يوم القيامة ويكون اذ تدعون تعليلا لكون مقت الله اياهم اكبر ويكون المعنى لمقت الله اياكم الآن اكبر من مقت بعضكم بعضا لاتباعكم هوى انفسكم وايثاركم الباطل على الحق من حيث انكم كنتم تدعون الى ماقيه السعادة الابدية فتأبونه ثم انه تعالى بين ان الكفار اذا خوطبوا بهذا الخطاب قالوا ربنا امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين اي اماتتين واحياءتين اثنتين على ان اثنتين صفة مصدر محذوف قال ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة والضحاك كانوا امواتا في اصلاب آبائهم فاحياهم الله في الدنيا ثم اماتهم الموتة التي لابد منها ثم احياهم يوم البعث والنشور فهما موتتان وحياتان وهو كقوله تعالى كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم فسروا الاماتة عليهم خلقهم امواتا ابتدآء وتصييرهم امواتا بازالة الحياة عنهم وتبعهم الزمخشري والمصنف في ذلك التفسير * ولما ورد على هذا التفسير انه كيف يصح والحال ان الاماتة انما تتعلق بالحي بازالة الحياة عنه لان تعلقها بما لايكون مسبوقا بالحياة تحصيل الحاصل والتنظير بقوله تعالى وكنتم امواتا فاحياكم غير معقول اذ ليس فيه انه تعالى اماتهم بل المذكور فيه كونهم امواتا والموت لكونه عبارة عن عدم الحياة لايستدعي سبق الحياة وانما يستدعيه ان لو كان عبارة عن زوال الحياة وليس كذلك فظهر الفرق ولم يبق للتنظير وجه * واجاب عنه المصنف بقوله فان الاماتة جعل الشئ عادم الحياة ابتدآء وتصييرا وتقريره انا لانسلم ان الاماتة معناها ازالة الحياة بل هي تستعمل بمعنيين احدهما ايجاد الشئ ميتا ابتدآء وثانيهما تصييره ميتا كما في التصغير والتكبير فانه يستعمل بمعنيين احدهما ايجاد الشئ صغيرا وكبيرا كما في قول من قال سبحان من صغر البعوض وكبر الفيل وقد يكون بمعنى تصييره صغيرا بعد كبره وكبيرا بعد صغره فصح التفسير المذكور وان سلمنا ان الاماتة تصيير الشئ ميتا بازالة الحياة عنه وانها لايصح اطلاقها حقيقة على ايجاد الشئ ميتا ابتدآء لكن لانسلم انه لايصح تفسيرها بالمعنى المجازي المتناول لكل واحد من المعنيين فان لفظ الاماتة حينئذ يكون حقيقة تصيير الحي ميتا ومجازا في الايجاد ميتا تشبيها لاختيار الفاعل احد الوصفين المقبولين للشئ بدل الآخر بنقله من احد الوصفين الى الآخر حقيقة فصح ان يستعار لفظ الاماتة لاختيار انشاء الشئ ميتا مع كون انشائه حيا مقدورا للفاعل لكونه بمنزلة تصييره ميتا بعد كونه حيا وان تفسر الاماتة بالمعنى المتناول لكل واحد من المعنيين على طريق عموم المجاز فقوله احد مقبوليه معناه احد مقبولي

ولا الثاني لان مقتهم انفسهم يوم القيامة حين عاينوا جزآء اعمالهم الخبيثة الا ان يأول بنحو الصيف ضيعت اللبن او تعليل الحكم وزمان المقتين واحد ﴿ قالوا ربنا امتنا اثنتين ﴾ اماتتين بان خلقتنا امواتا اولا ثم صيرتنا امواتا عند انقضاء آجالنا فان الاماتة جعل الشئ عادم الحياة ابتدآء او بتصيير كالتصغير والتكبير ولذلك قيل سبحان من صغر البعوض وكبر الفيل وان خص بالتصيير فاختيار الفاعل احد مقبوليه تصيير وصرف له عن الآخر

(مصنوعه)

مصنوعه فان البعوضة و الفيل مثلا يقبل كل واحد منهما كل واحد من وصفي الصغر و الكبر بدل الآخر فاختيار الفاعل احد الوصفين المتقابلين لمصنوعه يشبه تصييره موصوفا به و صرفه عن الآخر وكذا اختيار ايجاده ميتا بدل ايجاده حيا بمنزلة تصيير الحي ميتا ﴿ قوله اذ المقصود اعترافهم بعد المعاينة بما غفلوا عنه ﴾ تعليل لعدم ادخال القائل الاحياءة الاول في الاحياءين يعني ان مقصود الكفار من قولهم ربنا امتنا اثنتين الخ اعترافهم بما كانوا ينكرونه في الدنيا وهو حياة القبر والبعث لا الحياة الاولى اذ لا انكار لاحد فيها كانهم اجابوا عن نداء تهم بقوله لمقت الله اكبر من مقتكم انفسكم بان الانبياء دعونا الى الايمان بالله و اليوم الآخر و كنا نعتقد كما تعتقده الدهرية ان لا حياة بعد الممات فلم نلتفت الى دعوتهم و دمنا على ما كنا عليه من الكفر و الاعتقاد الباطل ثم بعد ذلك قد شاهدنا ما انكرناه و استبعدناه حين ما قاسينا شدائد الموتتين و الحياتين فاعترفنا بانا خاطئون في انكار ذلك فوجب ان يفسر الاماتتان بما كانت عقيب حياة الدنيا و ما كانت عقيب حياة القبر للسؤال فانهم بعدما سئلوا في القبر يموتون ثانيا الى ان يقع البعث وان يفسر الاحياء ثان بما كانت في القبر و ما كانت يوم البعث لا الاحياءة الاولى لان الاعتراف بها لم يكن بعد انكار و على هذا يكون معنى الامانة ظاهرا غير محتاج الى التأويل ﴿ قوله و لذلك ﴾ اي و لكون المقصود من اخبارهم مشاهدة الاماتتين والاحياءتين الاعتراف بما غفلوا عنه بسبب معاينته جعلوا مشاهدتهما للاعتراف به فقالوا فاعترفنا بذنوبنا بالفاء الدالة على سببية ما قبلها للاعتراف المذكور ﴿ قوله نوع خروج من النار ﴾ يعني ان تنكير خروج للنوعية وكذا تنكير قوله من سبيل كانه قيل فهل الى خروج سريع او بطيء شيء من السبيل او اليأس واقع دون ذلك فلا خروج و لا سبيل الى ذلك وهذا كلام من غلب عليه القنوط يذكره تعللا اي اكتفاء و قناعة بذكر الخروج من الخروج حقيقة يقال علله بالشيء اي الهاه به كما يعلل الصبي بالشيء مما يلهيه عن لبن امه و لو كان مرادهم الاستفهام عن تأتي الخروج لكان الجواب لا او نعم و لم يجابوا بذلك بل ببيان سبب خلودهم في النار و قنوطهم من الخروج منها و هو اصرارهم في دار العمل على اقبح المعاصي فلذلك جوزوا في دار الجزاء باهول العذاب و هو الخلود في النار و القنوط من الخلاص عنها ﴿ قوله تعالى ذلكم ﴾ مبتدأ و بانه خبره و الضمير في بانه ضمير الشان و الامر اي ذلكم الخلود و العذاب بسبب كفركم بوحدانية الله تعالى و ايمانكم اي تصديقكم بالاشراك به ﴿ قوله وحده ﴾ مصدر في موضع الحال من الجلالة و جاز كونه معرفة لفظا لكونه في قوة النكرة كانه قيل متحدا و منفردا فان شرط الحال ان تكون نكرة لعدم الحاجة الى تعريفها ثم تعالى لما بين الكافرين القانطين من الخروج من النار ما هم عليه من الخلود و العذاب المرمد بسبب اعراضهم عن التوحيد و تصديقهم بالاشراك به بين ان الاشراك من اعظم الذنوب لكونه معاندة البرهان الساطع مبنيا على محض التقليد و اتباع الهوى فقال هو الذي يريكم آياته رعاية لمصالح اديانكم و ينزل لكم من السماء رزقا رعاية لمصالح ابدانكم فان الآيات بالنسبة الى حياة الاديان بمنزلة الارزاق بالنسبة الى حياة الابدان و لما تفرد سبحانه و تعالى في حصولهما لعباده فقد اسبغ عليهم نعمه ظاهرة و باطنة من غير ان يشاركه في ذلك احد مما يتخذه المشركون شركاء فبان ان من اشرك به شيأ من ذلك فقد ضل ضلالا مبينا واستحق عذابا مهينا ثم بين ان دلائل الوحدانية و كمال القدرة و العلم الغاية ظهورها كالامر المركوز في العقول الا ان عدم اهتدائهم بها الى الحق انما هو لعدم اقبالهم عليها و تفكرهم فيها و ما يهتدي بها الا من ينيب اليها و يعرض عن التقليد والانهماك في اتباع الهوى طالبا للرشاد و طامعا في الفوز يوم التناد و لما قرر هذا المعنى التفت الى المنيبين و امرهم بالاعراض عن غير الله و الاقبال اليه بالكلية فقال فادعوا الله مخلصين له الدين من الشرك و الالتفات الى غيره ﴿ قوله خبران آخران ﴾ اي عن قوله هو الذي يريكم آياته و الصمدية السيادة و الصمد السيد لانه يصمد اليه في الحوائج اي يقصد من صمده يصمده صمدا اي قصده ﴿ قوله من حيث المعقول و المحسوس ﴾ متعلق بقوله صمديته و قوله الدال صفة لعلو صمديته و قوله فان من ارتفعت بيان لوجه دلالته على التفرد في الالوهية و اعلم ان الرفيع يحتمل ان يكون بمعنى المرتفع و تكون الدرجات عبارة عن صفات الجلال و الاكرام و يحتمل ان يكون الرفيع بمعنى الرافع و تكون الدرجات عبارة عن درجات الانبياء و الاولياء في الجنة و عن مراتب المخلوقات في العلوم و الاخلاق الفاضلة و نحو ذلك و المصنف اشار بقوله فان من ارتفعت درجات كماله الخ الى ان رفيع بمعنى مرتفع و ان المراد بالدرجات صفات كماله التي هي من قبيل المعقولات فقوله تعالى رفيع الدرجات يدل على علو صمديته من حيث المعقول و العرش من جنس الجسمانية المحسوسة فكان قوله ذو العرش اي خالقه و مالكه و مدبره دالا على

(و احييتنا اثنتين) الاحياءة الاولى و احياءة البعث و قيل الاماتة الاولى عند انخرام الاجل و الثانية في القبر بعد الاحياء للسؤال و الاحياآن ما في القبر و البعث اذ المقصود اعترافهم بعد المعاينة بما غفلوا عنه و لم يكترثوا به و لذلك تسبب بقوله (فاعترفنا بذنوبنا) فان اقترافهم لها من اغترارهم بالدنيا و انكارهم للبعث (فهل الى خروج) نوع خروج من النار (من سبيل) طريق فنسلكه و ذلك انما يقولونه من فرط قنوطهم تعللا و تحيرا و لذلك اجيبوا بقوله (ذلكم) الذي انتم فيه (بانه) بسبب انه (اذا دعي الله وحده) متحدا او توحد وحده فحذف الفعل و اقيم مقامه في الحالية (كفرتم) بالتوحيد (و ان يشرك به تؤمنوا) بالاشراك (فالحكم لله) المستحق للعبادة حيث حكم عليكم بالعذاب السرمد (العلي) عن ان يشرك به و يسوى بغيره (الكبير) على من اشرك و سوى به بعض مخلوقاته في استحقاق العبادة (هو الذي يريكم آياته) الدالة على التوحيد و سائر ما يجب ان يعلم تكميلا لنفوسكم (و ينزل لكم من السماء رزقا) اسباب رزق كالمطر مراعاة لمعاشكم (و ما يتذكر) بالآيات التي هي كالمركوز في العقول لظهورها المغفول عنها للانهماك في التقليد و اتباع الهوى (الا من ينيب) يرجع عن الانكار بالاقبال عليها و التفكر فيها فان الجازم بشيء لا ينظر فيما ينافيه (فادعوا الله مخلصين له الدين) من الشرك (و لو كره الكافرون) اخلاصكم و شق عليهم (رفيع الدرجات ذو العرش) خبران آخران للدلالة على علو صمديته من حيث المعقول و المحسوس الدال على تفرده في الالوهية فان من ارتفعت درجات كماله بحيث لا يظهر دونها كمال و كان العرش الذي هو اصل العالم الجسماني في قبضة قدرته لا يصح ان يشرك به و قيل الدرجات مراتب المخلوقات او مصاعد الملائكة الى العرش او السموات او درجات الثواب و قرئ رفيع بالنصب على المدح

علو صمديته من حيث الخصوص فان من كان محل تصرفه و تدبيره اعظم كانت صمديته ونفاذ قدرته اتم و اقوى وان كان المراد بالدرجات مراتب المخلوقات يكون الرفيع بمعنى الرافع فانه تعالى رفع درجات الانبياء و الاولياء فى الجنة ورفع درجات الخلق فى العلوم و الاخلاق الفاضلة و الارزاق و الآجال و جعل لكل واحد من الملائكة درجة معينة كما قال وما منا الا له مقام معلوم وجعل لكل واحد من العلماء درجة معينة كما قال يرفع الله الذين آمنوا منكم و الذين اوتوا العلم درجات و عين لكل نوع من الاجسام درجة فجعل بعضها ارضية سفلية كدرة و بعضها فلكية علوية مشرقة و بعضها من جواهر العرش و الكرسى وان كانت الدرجات عبارة عن مصاعد الملائكة الى ان تبلغ العرش يحتمل ان يكون الرفيع بمعنى الرافع و بمعنى المرتفع وكذا ان كانت عبارة عن السموات كما قال سعيد ابن جبير هى سماء فوق سماء و العرش فوقهن ﴿ قوله تعالى يلقى الروح ﴾ الصحيح ان المراد به الوحى سمى روحا تشبيها له بالروح من حيث ان الروح حياة الاجسام و الوحى سبب لحياة القلوب فان حياة القلوب انما هى بالمعارف الحاصلة بالوحى فلما كان الوحى سببا للحياة صار بمنزلة الروح فسمى روحا و اعلم ان ما سوى الله تعالى اما جسمانى و اما روحانى فبين الله تعالى بهذه الآية ان كلا القسمين مسخر تحت تسخيره تعالى اما الجسمانى فاعظمه العرش فقوله تعالى ذو العرش يدل على استيلائه على كلية عالم الاجسام وقوله يلقى الروح الخ يدل على ان الروحانيات ايضا كالجسمانيات مسخرات لامره و الباء فى قوله باظهار آثارها صلة الامر اى الملائكة مسخرات لامره باظهار الوحى و تبليغه الى الانبياء استعير الروح للوحى لانه يحيى به القلب بخروجه من الجهل و الحيرة الى المعرفة و الطمأنينة ثم بين الوحى بالامر بمعنى طلب الخير و البعث عليه و هو ان يفعل المكلف ما امره به الشارع و ندبه اليه و يفعل عما نهاه عنه و كرهه وفسر الامر به ليتناول الامر و النهى بالمعنى المشهور و ليعلم ان ليس المراد به الامر بمعنى الشان لعدم ملاءمته لهذا المقام فقوله لانه امر بالخير اى لان الوحى بعث على ما هو الخير للمكلف فيما يأتيه و يذره و قوله او مبدأ عطف على قوله امر فيكون وجها ثانيا لكون قوله من امره بيانا للروح بمعنى الوحى او لانه مبدأ الامر بالخير الاول على ان يفسر الوحى بالكلام الذى تلقيه الى غيرك خفية و الثانى على ان يفسر بالارسال وفى الصحاح الوحى الاشارة و الكتابة و الرسالة و الالهام و الكلام الخفى وكل ما القيته الى غيرك يقال وحيت اليه الكلام و اوحيته و هو ان تكلمه بكلام تخفيه و الوحى بمعنى الكلام الخفى الذى القاه الله تعالى الى الانبياء بواسطة الملك سمى روحا لكونه سببا لحياة القلب و كذا الوحى بمعنى رسالة الملك روح باعتبار و امر باعتبار آخر و هو كونه مبدأ لامر الملك المبلغ له هذا على ان يكون قوله و الامر هو الملك المبلغ على لفظ اسم الفاعل و يحتمل ان يكون قوله او مبدأ عطفا على قوله الوحى اى و يجوز ان يراد بالروح مبدأ الوحى و هو الملك الذى يلقيه و يكون من امره ايضا بيانا للروح بمعنى مبدأ الوحى و يسمى الملك المبلغ أمرا لكمال امتثاله او امر الله تعالى قال تعالى لا يسبقونه بالقول و لا يعصون الله ما امرهم و يفعلون ما يؤمرون او لكونه واسطة بينه تعالى و بين انبيائه فى تبليغ ما امر الله تعالى به اليهم و استعير له الروح لكونه مبدأ الوحى الذى به حياة القلوب و مشبها بالروح الذى به حياة الابدان فقوله تعالى يلقى الروح معناه على هذا ينزل الملك المبلغ الوحى الذى هو امره على من يختاره للنبوة و يكون قول المصنف و الامر هو الملك المبلغ على لفظ المصدر ﴿ قوله و المستكن فيه لله تعالى او لمن او للروح ﴾ و اسناد الانذار الى من يشاء حقيق كما فى قوله بنت العملة المدينة و اسناده الى الله تعالى مجازى كما فى بنى الامير المدينة و كذا اسناده الى الروح ﴿ قوله و اللام ﴾ مبتدأ و يؤيد الثانى خبره اى اللام تؤيد كون المستكن راجعا الى من يشاء كما يؤيد ذلك قرب المرجع اليه و الوجه فى تأييد اللام ذلك ان المستكن فيه لو كان راجعا الى الجلالة لكان المفعول له فعلا لفاعل الفعل المعلل و هو القاء الروح فينبغى ان يقال انذارا بدون اللام و الذى يؤيد الثانى بخصوصه هو مجموع اللام و قرب المرجع اليه فان مجرد اللام انما يؤيد عدم كونه راجعا الى الجلالة و لا يؤيد رجوعه الى من بخصوصه لجواز رجوعه الى الروح ايضا و هذه اللام متعلقة بقوله يلقى و انتصاب يوم التلاق على انه مفعول به للانذار و ليس ظرفا له لان الانذار لا يكون فيه و انما يكون به ﴿ قوله يوم هم بارزون ﴾ يجوز ان يكون بدلا من قوله يوم التلاق بدل الكل من الكل فيكون مفعولا به من حيث المعنى و ان يكون ظرفا للتلاق لان التلاق يقع فى يوم بروزهم و ان يكون ظرفا لقوله لا يخفى اى لا يخفى على الله منهم شئ فى يوم بروزهم و هذا على قول من يجوز ان يعمل ما بعد لا فيما قبلها و قوله لا يخفى يجوز ان يكون جملة مستأنفة و ان يكون حالا من ضمير بارزون و ان يكون خبرا ثانيا ﴿ قوله و الاعمال و العمال ﴾

(يلقى الروح من امره) خبر رابع للدلالة على ان الروحانيات ايضا مسخرات لامره باظهار آثارها وهو الوحى و تمهيد للنبوة بعد تقرير التوحيد و الروح الوحى و من امره بيانه لانه امر بالخير او مبدأ و الامر هو الملك المبلغ (على من يشاء من عباده) يختاره للنبوة وفيه دليل على انها عطائية (لينذر) غاية الالقاء و المستكن فيه لله تعالى او لمن او للروح و اللام مع القرب يؤيد الثانى (يوم التلاق) يوم القيامة فان فيه تتلاقى الارواح و الاجساد و اهل السماء و الارض و المعبودون و العباد و الاعمال و العمال (يوم هم بارزون) خارجون من قبورهم او ظاهرون

العمال والعمالة بتخفيف الميم رزق العامل واجر عمله اى لينذر يوم يلقى فيه كل عامل اجر عمله ﴿ قوله لايسترهم شئ ﴾ من جبل او اكمة او بناء لان الارض فيه بارزة قاع صفصف وليس عليهم ثوب يسترهم بل هم عراة منكشفوا الرؤس والارجل كما جاء فى الحديث «يحشر الناس حفاة عراة غرلا» والغرل جمع اغرل وهو الاقلف الذى لم يختن ﴿ قوله او ظاهرة نفوسهم ﴾ اى منكشفة غير محجوبة بغواشى الابدان على زعم من لا يقول بالمعاد الجسمانى وقيل المراد ببروزهم بروز اسرارهم قال تعالى يوم تبلى السرائر اى تنكشف الاسرار والابلاء والابتلاء فى الاصل الاختبار الذى يكون للكشف فاطلق على نتائجه وقيل بروزهم عبارة عن بروز اعمالهم ﴿ قوله وازاحة لنحو ماتوهموه فى الدنيا ﴾ من انهم اذا استتروا بالحيطان والحجب لايراهم الله وتخفى عليهم اعمالهم وهو جواب عما يقال قوله تعالى لايخفى على الله منهم شئ بيان وتقرير لبروزهم فكأنه قيل يوم هم بارزون بحيث لايخفى على الله منهم شئ وهو تعالى لايخفى عليه منهم شئ فى جميع الايام فما معنى تقييده بذلك اليوم وتقرير الجواب ان ليس المقصود عدم خفاء شئ منهم عليه تعالى بل المقصود به هو ازاحة ماتوهمه متوهم فانهم كانوا يتوهمون فى الدنيا انهم اذا استتروا بالحيطان والحجب لايراهم الله وتخفى عليه اعمالهم فاخبر انهم صائرون ذلك اليوم الى حال لايتوهمون فيه مثل ما كانوا يتوهمونه كما قال تعالى ولكن ظننتم ان الله لايعلم كثيرا مما تعملون ﴿ قوله حكاية لما يسأل عنه ﴾ يعنى انه مقول قول مضمر اى يقال لهم فى ذلك اليوم لمن الملك اليوم اما بلسان المقال او بلسان ظاهر الحال ويدل على الاول ماروى من انه اذا حضر الاولون والآخرون يوم التلاق وبرزوا لله جميعا نادى مناد لمن الملك اليوم فيقول جميع من حضر فى محفل القيامة لله الواحد القهار فالمؤمنون يقولونه تلذذا بهذا الكلام حيث نالوا به ما نالوا وبما اعتقدوا بمدلوله فى الدنيا التى هى مزرعة الآخرة المنزلة الرفيعة والكفار يقولونه تحسرا وصغارا وندامة على تفويتهم هذا الذكر الجليل فى الدنيا وقيل السائل والمجيب هو الله تعالى وحده وذلك بعد فناء الخلق ولما قرر ان الملك لله تعالى فى ذلك اليوم ذكر نتائج كون الملك والامر له فى ذلك اليوم لايشاركه فيه احد فقال اليوم تجزى كل نفس وهو داخل فى حكم القول المضمر ﴿ قوله فيصل اليهم مايستحقونه سريعا ﴾ عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال اذا اخذ فى حساب الخلق لم يقل اهل الجنة الافيها ولا اهل النار الافيها ﴿ قوله اى القيامة ﴾ ذكر لتأنيث لفظ الآزفة وجهين الاول تأنيث مسماه وهو يوم القيامة والثانى صفة لموصوف مؤنث وهى الخطة وهى الخطب العظيم والامر الصعب والآزفة فاعلة من ازف الامر اذا قرب وهو من باب عزوم الآزفة منصوب على انه مفعول به لانذرهم لانه المنذر به والمقصود التنبيه على ان يوم القيامة قريب كقوله اقتربت الساعة وقيل لها آزفة لكونها قريبة وان استبعد الناس مداها اذ كل ماهو كائن فهو قريب وقيل المراد يوم الآزفة مشارفتهم دخول النار فانهم عند ذلك ترتفع قلوبهم من مقارها من شدة الخوف وقيل يوم الآزفة يوم حصول الاجل لانه تعالى وصف يوم القيامة بانه يوم التلاق ويوم هم بارزون ثم قال بعده وانذرهم يوم الآزفة فوجب ان يكون هذا اليوم غير ذلك اليوم ويوم حضور الاجل من جملة الشدائد والامور الصعاب وان المرء الكافر عند معاينة ملائكة العذاب يعظم خوفه بحيث يرتقى قلبه الى حنجرته من شدة الخوف ويبقى كاظما ساكتا عن ذكر مافى قلبه من شدة الخوف والهم لايكون له حميم ولا شفيع يدفع عنه مابه من انواع الخوف والقلق ﴿ قوله كاظمين على الغم ﴾ اى ساكتين حال امتلائهم غما وكربا وغيظا يقال كظم الغيظ اذا امسك على مافى نفسه من الغم والغيظ بالصبر وعدم اظهار الاثر من قولهم كظم القربة اذا ملأها ماء وشدها والمعنى انهم لايمكنهم ان ينطقوا ويشرحوا ماعندهم من الحزن والخوف من شدة الكرب وغلبة الغم عليهم والمقصود من الآية تقرير امرين احدهما الخوف الشديد وهو المراد من قوله اذ القلوب لدى الحناجر كاظمين والثانى العجز عن الكلام وهو المراد من قوله كاظمين فان الملهوف اذا قدر على الكلام وبث الشكوى حصل له نوع خفة وسكون واذا لم يقدر عليه عظم قلقه واشتد حاله ﴿ قوله لانه على الاضافة ﴾ اى لان المعنى على الاضافة اى اذ قلوبهم لدى حناجرهم بناء على ان التعريف اللامى بدل من التعريف بالاضافة ولما كان قوله اذ القلوب فى معنى اذ قلوبهم باضافة القلوب الى اصحابها جاز انتصاب الحال عن الاصحاب المجرور بالاضافة لان العامل المعنوى يجوز ان يعمل فى الحال فيجوز ان تعمل فيها الاضافة كأنه قيل اضيف اليهم القلوب حال كونهم كاظمين ﴿ قوله او منها ﴾ اى او هو حال من نفس القلوب على معنى حال كون القلوب كاظمة على كرب وغم مع بلوغها الحناجر او هو حال من الضمير المستكن فى قوله لدى الحناجر فان القلوب مبتدأ ولدى الحناجر خبره وفيه ضمير مستكن انتقل اليه من

لايسترهم شئ" او ظاهرة نفوسهم لايحجبهم غواشى الابدان او اعمالهم وسرائرهم (لايخفى على الله منهم شئ) من اعيانهم واعمالهم واحوالهم وهو تقرير لقوله هم بارزون وازاحة لنحو ماتوهموه فى الدنيا (لمن الملك اليوم لله الواحد القهار) حكاية لما يسأل عنه فى ذلك اليوم ولما يجاب به او لما دل عليه ظاهر الحال فيه من زوال الاسباب وارتفاع الوسائط واما حقيقة الحال فناطقة بذلك دائما (اليوم تجزى كل نفس بما كسبت) كأنه نتيجة لما سبق وتحقيقه ان النفوس تكتسب بالعقائد والاعمال هيئات توجب لذتها والمها لكنها لاتشعر بها فى الدنيا لعوائق تشغلها فاذا قامت قيامتها زالت العوائق وادركت لذتها والمها (لاظلم اليوم) بنقص الثواب وزيادة العقاب (ان الله سريع الحساب) اذ لايشغله شان عن شان فيصل اليهم مايستحقونه سريعا (وانذرهم يوم الآزفة) اى القيامة سميت بها لأزوفها اى قربها او الخطة الآزفة وهى مشارفتهم النار وقيل الموت (اذ القلوب لدى الحناجر) فانها ترتفع عن اماكنها فتلتصق بحلوقهم فلا تعود فيتروحوا ولا تخرج فيستريحوا (كاظمين) على الغم حال من اصحاب القلوب على المعنى لانه على الاضافة او منها او من ضميرها فى لدى وجمعه كذلك لان الكظم من افعال العقلاء كقوله فظلت اعناقهم لها خاضعين

متعلقه وكاظمين حال منه والمورد على الوجهين الاخيرين ان يقال كيف يجوز ان يكون كاظمين حالا من القلوب او ضميرها مع انه قد جمع جمع السلامة وهو مختص بمن يعقل اشار المصنف الى جوابه بقوله وجمعه كذلك لان الكظم من افعال العقلاء يعنى انه لما اسند الى القلوب ماهو من افعال العقلاء وهو الكظم جمعت جمع العقلاء كما فى قوله تعالى حكاية عن يوسف عليه الصلاة والسلام انى رأيت احد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين ﴿ قوله على انه حال مقدرة ﴾ لانهم غير كاظمين حقيقة وقت الانذار ﴿ قوله ولا شفيع مشفع ﴾ يعنى ان قوله تعالى يطاع مجاز بمعنى يجاب وتقبل شفاعته لان حمله على اصل معناه يستلزم خلو الكلام عن الفائدة لان انتفاء شفيع يطيعه الله تعالى حقيقة معلوم بالضرورة من حيث ان المطيع حقيقة يكون اسفل حالا من المطاع وليس فى الوجود من هو اعلى حالا من الله تعالى حتى يكون تعالى مطيعا له فوجب حمل الاطاعة على الاجابة كما فى قوله

◎ رب من انضجت غيظا صدره ◎ قد تمنى لى موتا لم يطع ◎

اى لم يجب ﴿ قوله والضمائر ﴾ اى التى فى قوله يوم هم بارزون لا يخفى على الله منهم شئ وانذرهم اذ القلوب لدى الحناجر هم الظاهر ان هذه الضمائر للكفار الذين يجادلون فى آيات الله وينادون يوم القيامة بان يقال لهم لمقت الله اكبر من مقتكم انفسكم فيكون قوله تعالى ما للظالمين موضوعا موضع ضمير الكفار المعهودين فمعنى الآية الحكم عليهم بانهم ليس لهم حميم ولا شفيع مشفع وقد اتفق اهل الملة على انه لا شفاعة فى حق الكفار فلا دلالة فى الآية على نفى الشفاعة عن عصاة المسلمين كما قال به المعتزلة بناء على ان لفظ الظالمين صيغة جمع دخل عليها حرف التعريف فيفيد العموم وغاية ما فى الباب ان هذه الآية وردت لذم الكفار الا ان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فقول المصنف وضع الظالمين موضع ضميرهم للدلالة على اختصاص ذلك بهم اى على اختصاص انتفاء كل واحد من الحميم والشفيع المشفع اشارة الى جواب ذلك وتقريره ان الاصل فى حرف التعريف ان ينصرف الى المعهود السابق فاذا دخل حرف التعريف على صيغة الجمع وكان هناك معهود سابق انصرف اليه وقد حصل فى هذه الآية معهود سابق وهم الكفار المجادلون فى آيات الله فوجب ان ينصرف الحكم بانتفاء الحميم والشفيع اليهم لا الى عامة الظلمة لا لعصاتهم ﴿ قوله النظرة الخائنة ﴾ اشارة الى ان خائنة اسم فاعل وانه صفة لمحذوف هو النظرة واسناد الخائنة الى النظرة مجاز لان الخائن الناظر فانه خان الشارع حيث لم يمتثل ما نهى عنه بان نظر نظرة حرمها عليه والتقدير يعلم النظرة الخائنة للاعين حذف الموصوف ثم حذفت اللام من الخائنة واضيفت الى الاعين اضافة معنوية بمعنى اللام ﴿ قوله او خيانة الاعين ﴾ اشارة الى جواز كون الخائنة مصدرا بمعنى الخيانة كالعافية والكاذبة وقوله تعالى يعلم خائنة الاعين اما مرفوع المحل على انه خبر آخر لهو فى قوله تعالى هو الذى يريكم مثل قوله يلقى الروح الا ان يلقى الروح قد علل بقوله لينذر يوم التلاق ثم ذكر استطرادا احوال يوم التلاق الى قوله ولا شفيع يطاع فبعد هذا الخبر بالتعليل والاستطراد المذكور عن اخواته اعنى قوله رفيع الدرجات ذو العرش يلقى الروح وهذا الوجه هو الذى اختاره المصنف ويحتمل ان لا يكون له محل من الاعراب بناء على انه فى قوة التعليل للامر بالانذار فانه تعالى لما امر بانذارهم يوم الآزفة وما يعرض لهم من شدة الغم والكرب وان الظالم لا يجد فيه من يحميه ويشفع له ذكر انه تعالى مطلع على جميع ما يصدر من الخلائق سرا وجهرا وبين انه عالم لا يخفى عليه مثقال ذرة فى السموات والارض والحاكم اذا بلغ فى العلم الى هذا الحد وجب ان يكون خوف المجرم منه اشد واقوى * واعلم ان افعال العباد على قسمين افعال الجوارح وافعال القلوب فافعال الجوارح اخفاها خائنة الاعين فاذا كانت مع كونها فى غاية الخفاء معلومة لله تعالى فعلمه تعالى بسائر افعال الجوارح يكون اولى واظهر ثم بين بقوله تعالى وما تخفى الصدور ان افعال القلوب ايضا معلومة لله تعالى فدلت الآية على كونه تعالى محيطا بجميع افعالهم ثم انه تعالى لما بين احاطة علمه بذلك بين انه لا يحكم الا بالحق فالمكلف ويليق به تشديدا لخوف المكلف ﴿ قوله وقضائه بالحق ﴾ فان من يسمع ما يقولون ويبصر ما يفعلون اذا قضى قضى بالحق ويستفاد منه الوعيد ايضا ثم انه تعالى لما بالغ فى تخويف الكفار باحوال الآخرة اردفه بتخويفهم باحوال الدنيا فقال اولم يسيروا فى الارض الآية والمعنى ان العاقل من اعتبر بحال غيره فان الذين مضوا من الكفار كانوا اشد قوة من هؤلاء الحاضرين من الكفار واقوى آثارا فى الارض من الحصون والقصور والعساكر فلما كذبوا رسلهم اهلكهم الله تعالى عاجلا وان هؤلاء الحاضرين شاهدوا آثار اهلاكهم فيأيّ وجه أمنوا ان يصيبهم مثل ما اصاب السابقين وقوله تعالى فينظروا يجوز ان يكون مجزوما معطوفا على يسيروا

او من مفعول أنذرهم على انه حال مقدرة (ما للظالمين من حميم) قريب مشفق (ولا شفيع يطاع) ولا شفيع مشفع والضمائر ان كانت للكفار وهو الظاهر كان وضع الظالمين موضع ضميرهم للدلالة على اختصاص ذلك بهم وانه لظلمهم (يعلم خائنة الاعين) النظرة الخائنة كالنظرة الثانية الى المحرم واستراق النظر اليه او خيانة الاعين (وما تخفى الصدور) من الضمائر والجملة خبر خامس للدلالة على انه ما من خفى الا وهو متعلق العلم والجزاء (والله يقضى بالحق) لانه المالك الحاكم على الاطلاق فلا يقضى بشئ الا وهو حقه (والذين يدعون من دونه لا يقضون بشئ) تهكم بهم لان الجماد لا يقال فيه انه يقضى او لا يقضى وقرأ نافع وهشام بالتاء على الالتفات او اضمار قل (ان الله هو السميع البصير) تقرير لعلمه بخائنة الاعين وقضائه بالحق ووعيد لهم على ما يقولون ويفعلون وتعريض بحال ما يدعون من دونه (اولم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم) مآل حال الذين كذبوا الرسل قبلهم كعاد وثمود

(وان)

(كانوا هم اشدّ منهم قوّة) قدرة وتمكنا وانما جيء بالفصل وحقه ان يقع بين معرفتين لمضارعة افعل من للمعرفة في امتناع دخول اللام عليه وقرأ ابن عامر اشدّ منكم بالكاف (وآثارا في الارض) مثل القلاع والمدآئن الحصينة وقيل المعنى واكثر آثارا كقوله متقلدا سيفا ورمحا (فاخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق) يمنع العذاب عنهم (ذلك) الاخذ (بانهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات) بالمعجزات او الاحكام الواضحة (فكفروا فاخذهم الله انه قوىّ) متمكن مما يريده غاية التمكن (شديد العقاب) لايؤبه بعقاب دون عقابه (ولقد ارسلنا موسى بآياتنا) يعني المعجزات (وسلطان مبين) وحجة ظاهرة قاهرة والعطف لتغاير الوصفين او لافراد بعض المعجزات كالعصا تفخيما لشأنه (الى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب) يعنون موسى وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وبيان لعاقبة من هو اشدّ الذين كانوا من قبلهم بطشا واقربهم زمانا (فلما جاءهم بالحق من عندنا قالوا اقتلوا ابناء الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم) اى أعيدوا عليهم ما كنتم تفعلون بهم اوّلا كى يصدّوا عن مظاهرة موسى (وما كيد الكافرين الا في ضلال) في ضياع ووضع الظاهر فيه موضع الضمير لتعميم الحكم والدلالة على العلة (وقال فرعون ذرونى اقتل موسى) كانوا يكفونه عن قتله ويقولون انه ليس الذي تخافه بل هو ساحر ولو قتله ظن انك عجزت عن معارضته بالحجة تعلله بذلك مع كونه سفاكا في اهون شيء دليل على انه تيقن انه نبيّ فخاف من قتله او ظن انه لو حاوله لم يتيسر له ويؤيده قوله (وليدع ربه) فانه تجلد وعدم مبالاة بدعاء ربه (انى اخاف) ان لم اقتله (ان يبدّل دينكم) ان يغير ما انتم عليه من عبادتى وعبادة الاصنام كقوله ويذرك وآلهتك (او ان يظهر في الارض الفساد) ما يفسد دنيا كم من التحارب والتهارج ان لم يقدر ان يبطل دينكم بالكلية وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو وابن عامر بالواو على معنى الجمع وابن كثير وابن عامر والكوفيون غير حفص بفتح الياء والهاء ورفع الفساد

وان يكون منصوبا على انه جواب الاستفهام ﴿قوله وانما جيء بالفصل﴾ يعني ان هم ضمير فصل قد توسط بين اسم كان وهو معرفة وخبرها الذى هو قوله اشدّ منهم وهو نكرة وحق الفصل ان يقع بين معرفتين كما في قوله تعالى اولئك هم المفلحون اولئك هم الخاسرون وجوابه ظاهر وهو ان افعل من لمشابهه المعرفة في عدم دخول الالف واللام عليه حيث لايقال الاشدّ منهم كان في حكم المعرفة ﴿قوله وقيل المعنى واكثر آثارا﴾ اى قيل ان قوله آثارا ليس بداخل في حيز اشدّ منهم بان يكون معطوفا على قوّة بل هو منصوب بعامل مقدّر معطوف على اشدّ كما في قوله

* ياليت زوجك قد غدا * متقلدا سيفا ورمحا *

فان رمحا منصوب بمقدّر اى وحاملا رمحا لان تقلد الشيء بالشيء تعليقه عليه وجعله بمنزلة القلادة في العنق يقال قلدت المرأة فتقلدت هي ولايصح هذا في الرمح فلذلك احتيج الى تقدير ناصب ومثله

* علفتها تبنا وماء باردا * حتى غدت همالة عيناها *

اى حتى مضت الشاة وعيناها تفيض اى وسقيتها ماء باردا لان الماء ليس مما يعلف ولم يرض المصنف بهذا القول لعدم الحاجة الى التقدير لصحة المعنى بدونه فانهم كما انهم اشدّ منهم قوّة اشدّ منهم آثارا ايضا ويدل عليه قوله تعالى وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين * فان قيل ماذكر في مثل قوله علفتها تبنا وماء باردا ومتقلدا سيفا ورمحا يستلزم حذف المعطوف مع بقاء حرف العطف وانه ممتنع * اجيب بانا لانسلم امتناع ذلك مطلقا وانما الممتنع ان يحذف المعطوف مع جميع متعلقاته واما اذا بقي شيء من معمولات المحذوف فلانسلم امتناعه كما في قوله تعالى والذين تبوّؤا الدار والايمان اى وألفوا الايمان وقول الشاعر * وزججن الحواجب والعيونا * اى وكحلن العيون كذا في شرح البخارى للكرمانى رحمه الله تعالى ﴿قوله لايؤبه بعقاب دون عقابه﴾ اى لايتذكر ولايعتدّ بعقاب فقد غفل عنه عند معاينة عقابه نعوذ بالله من ذلك * الجوهرى ابهت للامر آبه ابها وهو الامر تنساه ثم تتنبه له ثم انه تعالى لما سلى رسوله صلى الله عليه وسلم بذكر الكفار الذين كذبوا الانبياء قبله وبيان عاقبة امرهم سلاه ايضا بذكر قصة موسى عليه الصلاة والسلام فقال ولقد ارسلنا موسى الآية ﴿قوله والعطف لتغاير الوصفين﴾ يعني انه من قبيل عطف الخاص على العام تفخيما لشأنه ﴿قوله تعالى الى فرعون وهامان وقارون﴾ خص هؤلاء الثلاثة بالذكر مع انه عليه الصلاة والسلام مرسل الى القوم كلهم لان هؤلاء الثلاثة كانوا مدبرى امورهم فكان خطابهم ودعوتهم بمنزلة خطاب القوم كلهم فان فرعون ملكهم وهامان وزيره وقارون بمنزلة الملك من حيث كثرة امواله وكنوزه ﴿قوله أعيدوا عليهم ما كنتم تفعلون بهم اوّلا﴾ فانه لما جاء اوان ولادة موسى عليه الصلاة والسلام اخبر المنجمون فرعون بانه قد حان ولادة مولود يظهر عليك وزوال ملكك على يده فامر بقتل ابناء بنى اسرآئيل وابقاء بناتهم احياء احتيالا في دفع ما اخبر به الكهنة ففعلوا ذلك زمانا طويلا ثم امسك فرعون عن قتل الولدان مخافة ان يفنى بنو اسرآئيل ويقع الاعمال الشاقة كلها على القبط فلما بعث موسى عليه الصلاة والسلام ودعاه الى الايمان والتوحيد واظهر المعجزات القاهرة فعند هذا امر بقتل ابناء الذين آمنوا معه لئلا ينشأوا على دين موسى فيتقوّى بهم وضمير الجمع في قوله قالوا اقتلوا لفرعون وذوى الرأى من قومه ﴿قوله كانوا يكفونه﴾ يعني ان فرعون انما قال هذا الكلام من اجل انه كان في خواص قومه من يمنعه من قتل موسى بناء على اعتقاد انه ساحر ضعيف لايمكنه ان يغلب سحرتك فان قتلته ادخلت الشبهة على الناس وقالوا انه كان محقا صادقا في دعواه وانهم عجزوا عن جوابه فقتلوه ويحتمل ان يكون سبب منعهم اياه انهم اعتقدوا بقلوبهم كون موسى عليه الصلاة والسلام صادقا في دعواه لما رأوا من معجزاته الباهرة فمنعوه من ذلك خوفا من ان يعاجلهم الله تعالى بالهلاك ويحتمل ان احدا لم يمنع فرعون من قتل موسى عليه الصلاة والسلام وانه كان يحب ان يقتله الا انه كان خائفا من انه لو حاول قتله لظهرت معجزات قاهرة تمنعه من قتله فيفتضح الا انه لوقاحته وجنده قال ذرونى اقتل موسى وغرضه منه اخفاء خوفه وارآءة قومه انه لايخاف شيأ يصيبه بمخالفته ﴿قوله وتعلله بذلك﴾ اى جعل فرعون منع قومه اياه علة لعدم قتل موسى دليل على تيقنه حقيقة امر موسى عليه الصلاة والسلام وانه يخاف ان قتله عاجله الله تعالى بالعقوبة اوانه لو حاول قتله لظهرت معجزات قاهرات تمنعه من قتله فيفتضح عند الناس ويؤيد ذلك تجلده بقوله وليدع ربه فان مثله انما يصدر من الخائف المرآئى فلما سمع موسى عليه الصلاة والسلام قوله لم يأت في دفع شرّه الا بان استعاذ بالله واعتمد على فضله ورحمته فلاجرم صانه الله تعالى عن كل بلية واوصله الى كل امنية وقيض له انسانا اجنبيا

حتى ذب عنه باحسن الوجوه وبالغ فى تسكين تلك الفتنة فقال أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله وهذا استفهام على سبيل الانكار ﴿ قوله لما فى تظاهر الارواح من استجلاب الاجابة ﴾ وهو السبب الاصلى فى كون اجتماع الناس لاداء الصلوات الخمس والجمعة والاعياد والاستسقاء ونحوها سنة ﴿ قوله ولم يسم فرعون ﴾ يعنى انه عليه الصلاة والسلام استعاذ من كل متكبر اى كل متعظم عن الايمان ولم يذكر فرعون بخصوص اسمه لثلاث فوائد الاولى تعميم الاستعاذة من كل متكبر اى متعظم والثانية رعاية حق تربية كانت من فرعون له فى صغره فلذلك لم يصرح بكونه عدوا يستعاذ من شره والثالثة الدلالة على العلة التى حملت موسى عليه الصلاة والسلام على هذه الاستعاذة وهى ان يجتمع فى الانسان كونه متكبرا قاسى القلب وكونه منكرا البعث والجزاء فان مجرد التكبر وغلظة القلب وان كان يحمل الانسان على ايذاء الناس الا انه اذا اقر بالبعث والحساب يمتنع منه خوفا من جزاء ظلمه بخلاف ما اذا لم يؤمن بالبعث والقيامة فانه يشتد توغله فى الظلم والايذاء لاقتضاء طبيعته اياه وارتفاع ما يمنعه عنه وهو الاقرار بالبعث فكل من اجتمع فيه التكبر والانكار للبعث كان اظلم واطغى وبالاستعاذة من شره اليق واحرى ﴿ قوله عدت فيه وفى الدخان بالادغام ﴾ اى بادغام الذال فى التاء بجعلها دالا كما فى اذكر ﴿ قوله من اقاربه ﴾ قيل كان قبطيا ابن عم فرعون وهو الذى حكى الله عنه فى سورة القصص وجاء رجل من اقصى المدينة يسعى قال ياموسى ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج انى لك من الناصحين فعلى هذا يكون قوله من آل فرعون صفة ثانية لرجل متعلقة بمحذوف اى كائن من آل فرعون وقيل كان اسرائيليا فعلى هذا يكون من آل فرعون متعلقا بيكتم والتقدير وقال رجل مؤمن يكتم ايمانه من آل فرعون قال وهب انه كان خازن فرعون وكانت امرأته ماشطة بنات فرعون اظهرت الايمان فقتلها فرعون وذبح اولادها قبل قتلها على وجهها فتكلمت اولادهم باسمه أبشرى بالجنة من ربك واصبرى انك على الحق واعلمى ان عذاب ربك اشد من عذاب فرعون ثم اظهرت آسية ايمانها فقتلها بعد قتل الماشطة واظهر زوج الماشطة ايمانه وهو خازن فرعون وجادل فرعون وقومه بعد كتمه ايمانه مدة وقتله فرعون مع السحرة روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال الصديقون ثلاثة حبيب النجار مؤمن آل يس ومؤمن آل فرعون الذى قال اتقتلون رجلا ان يقول ربى الله والثالث ابو بكر الصديق رضى الله عنه وهو افضلهم وروى ان المشركين لقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الطواف فاخذوا بمجامع ردائه فقالوا له انت الذى تنهانا عما كان يعبد آباؤنا فقال انا ذاك فقام ابو بكر رضى الله عنه فالتزمه من ورائه وقال أتقتلون رجلا ان يقول ربى الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم رافعا صوته بذلك وعيناه تسفحان حتى ارسلوه ﴿ قوله او وقت ان يقول ﴾ فان ان يقول وان لم يكن مصدرا صريحا الا انه فى تأويل المصدر فجاز ان يقام الوقت مقامه كما فى قولك آتيك خفوق النجم وصياح الديك اى وقت خفوقه وصياحه قيل عليه اقامة المصدر مقام الوقت لا تجوز الا فى المصدر الصريح ولا تصح فيما هو فى تأويل المصدر فلا يقال آتيك ان يصيح الديك بمعنى وقت ان يصيح وقد نص عليه النحاة ﴿ قوله وحده ﴾ استفادة الحصر من تعريف الجملة كما فى قولك زيد الكريم وصديق زيد اى لا غيره ﴿ قوله من المعجزات والاستدلالات ﴾ يعنى البينات بمعنى الدلائل الواضحات يتناول المعجزات الدالة على صدقه فى دعوى الرسالة وما اقامه من البراهين الدالة على الوحدانية كقوله ربنا الذى اعطى كل شئ خلقه ثم هدى وقوله رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين الى آخر الآيات ﴿ قوله احتجاجا عليهم واستدراجا لهم ﴾ فان مجئ البينات من قبل ربهم تقوية لشأنها واحتجاج عليهم بوجوب اتباعها والاذعان لحكمها واستدراج لهم الى الاعتراف بموسى وحقية امره فانهم اذا سمعوا انه جاءهم بالبينات من ربهم دعاهم ذلك الى التأمل فى امره بخلاف ما لو قيل من ربه ﴿ قوله ثم اخذهم بالاحتجاج ﴾ يعنى انه احتج اولا على ان اقدامهم على قتله منكر بالبرهان العقلى الذى يفيد القطع بكونه منكرا ثم احتج عليهم ثانيا بما يفيد الظن به لابتنائه على الاحتياط ﴿ قوله لا يتخطاه وبال كذبه ﴾ الحصر مستفاد من تقديم الخبر على المبتدأ ﴿ قوله فيحتاج ﴾ منصوب بان المقدرة بعد الفاء الواقعة فى جواب النفى واشار به الى جواب ما يقال لا نسلم انه على تقدير كونه كاذبا فى دعوى حقية ما اظهره من الدين يقتصر ضرر كذبه عليه ولا يتخطاه الى غيره اذ قد يغتر جماعة فيقعون فى المذهب الباطل والاعتقاد الزائغ ثم ان اغترارهم ذلك قد يؤدى الى ان يقع بينهم وبين من يخالفهم فيه من المخاصمات والمحاربات ما يختل به نظام العالم ولما تعدى ضرر كذبه الى غيره كيف يصح ان يقال وان يك كاذبا فعليه كذبه وتقرير الجواب انه على تقدير كونه كاذبا لا يقدر ان يحمل الناس على

(وقال موسى) اى لقومه لما سمع كلامه (انى عذت بربى وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب) صدّر الكلام بان تأكيدا واشعارا على ان السبب المؤكد فى دفع الشر هو العياذ بالله وخص اسم الرب لان المطلوب هو الحفظ والتربية واضافه اليه واليهم حثا لهم على موافقته لما فى تظاهر الارواح من استجلاب الاجابة ولم يسم فرعون وذكر وصفا يعمه وغيره لتعميم الاستعاذة ورعاية الحق والدلالة على الحامل له على القول وقرأ ابو عمرو وحمزة والكسائى عدت فيه وفى الدخان بالادغام وعن نافع مثله (وقال رجل مؤمن من آل فرعون) من اقاربه وقيل من متعلق بقوله (يكتم ايمانه) والرجل اسرائيلى او غريب موحد كان بينهم (أتقتلون رجلا) أتقصدون قتله (أن يقول) لان يقول او وقت ان يقول من غير روية وتأمل فى امره (ربى الله) وحده وهو فى الدلالة على الحصر مثل صديق زيد (وقد جاءكم بالبينات) المتكثرة على صدقه من المعجزات والاستدلالات (من ربكم) اضافه اليهم بعد ذكر البينات احتجاجا عليهم واستدراجا لهم الى الاعتراف به ثم اخذهم بالاحتجاج من باب الاحتياط فقال (وان يك كاذبا فعليه كذبه) لا يتخطاه وبال كذبه فيحتاج فى دفعه الى قتله

قبول ما اظهره من الدين لكون طباع الناس آبية عن قبوله وقد تمكم على ان يمنعوه من اظهار مقالته ومادعا الناس اليه فصح ان يقال وان يك كاذبا فعليه كذبه ﴿ قوله فلا اقل من ان يصيبكم بعضه ﴾ اشارة الى جواب ما يقال وان يك صادقا يصبكم كل الذي يعدكم لان من يصيب بعض مايعده دون البعض هم الكهان والمنجمون واما الرسول الصادق الذى لايتكلم الا بالوحي فانه يجب ان يكون صادقا في كل مايقوله فما وجه ذكر البعض في هذا المقام وتقرير الجواب ان مدار هذا الاحتجاج على المبالغة في التحذير عن قتله بان يقال احتمال اصابة بعض مايعده المتفرع على احتمال صدقه كاف في التجنب عن قتله فالتجنب عنه مع احتمال اصابة جميع مايعده اولى ويحسن هذا الاسلوب ايضا ان فيه اظهار الانصاف وترك اللجاج والتعصب وذلك انه لما فرضه صادقا في جميع ما اخبر به كان الواجب ان يفرع عليه اصابة جميع ماوعده به ولم يفعل ذلك بل قال يصبكم بعض الذى يعدكم فنقص بعض مايكون على تقدير صدقه ليريهم انه ليس بكلام من اعطى الكلام حقه تاما وافيا فضلا عن ان يتكلم جزافا ومبالغة وتعصبا ومن انصف في كلامه يسمع الخصم كلامه ولا يرده عليه فلذلك كان كلامه بليغا مقبولا عند البلغاء ٭ وتقرير الجواب الثاني ان المراد ببعض الموعود هو عذاب الدنيا فانه عليه الصلاة والسلام كان يتوعدهم بعذاب الدنيا وبعذاب الآخرة فاذا اصابهم في الدنيا عذاب الدنيا فقد اصابهم بعض ماوعدهم به وخصوا عذاب الدنيا مع ان صدقه عليه الصلاة والسلام يستلزم ان يصيبهم جميع ماوعدهم به من عذاب الدارين لكون عذاب الدنيا اظهر احتمالا عندهم وكافيا في تجاوزهم عن قتله ٭ واجيب ايضا بان المراد كل الذى يعدكم فان البعض قد يراد به الكل كما في قول لبيد

٭ تراك امكنة اذا لم ارضها ٭ او يرتبط بعض النفوس حمامها ٭

قوله تراك خبر محذوف اى انا تراك واو بمعنى الى اى الى ان يرتبط الحمام بعض النفوس اى كلها وكانه قال الى يوم القيامة لان ارتباط الموت بكل النفوس انما يكون فيه فعلى هذا التوجيه ينبغي ان يكون يرتبط منصوبا الا انه سكن الطاء للضرورة والمصنف رد هذا الجواب برد سنده وهو كون البعض في بيت لبيد بمعنى الكل فقال لانه اراد بالبعض نفسه ومعنى كلام لبيد انا على هذه الصفة حتى اموت وليس مراده حتى يموت جميع الناس لانه يكون يوم القيامة ومن المعلوم انه لايبقى الى ذلك اليوم ﴿ قوله احتجاج ثالث ﴾ احتج به الرجل المؤمن على انه لا يجوز قتل موسى وايذاؤه ويمكن تقريره على وجهين الاول ان الاقدام على قتله مبنى على زعم انه مسرف في ارتكاب الريب والكذب ولا وجه لهذا الزعم لانه لو كان مسرفا كذابا لما هداه الله تعالى الى اقامة البينات واظهار المعجزات وقد هداه اليهما فهو رجل واجب التعظيم والاكرام دون التكذيب والايلام والثاني ان هذا الاحتجاج مبنى على تسليم كلام الخصم وارخاء العنان كأنه قال هب انه مسرف كذاب الا انا لانسلم انه يجب عليكم تعرضه بالقتل والايذاء لانه تعالى لايؤيد امر امثاله بل يخذله ويهلكه عن قريب فلا وجه للالتفات اليه والاشتغال بشأنه وعرض به لفرعون بانه مسرف في عزمه على قتل موسى كذاب في ادعاء الربوبية والله لايهدى من هذا شأنه بل يفضحه ويهدم امره ثم ان المؤمن من آل فرعون لما استدل على انه لايجوز قتل موسى خوف فرعون وقومه ذلك العذاب الذى توعدهم به في قوله يصبكم بعض الذى يعدكم فقال ياقوم لكم الملك اليوم ظاهرين الآية ﴿ قوله تعالى ظاهرين ﴾ حال من الضمير في لكم والعامل فيها وفي قوله اليوم ماتعلق به لكم ﴿ قوله وساهمهم ﴾ اى صاحبهم ونصيب معهم ولما قال المؤمن ماقاله في الذب عنه عليه الصلاة والسلام قال فرعون ما اريكم الا ما ارى وهو يجوز ان يكون من الرأى وان يكون من الرؤية بمعنى العلم يقال رأى فيه رأيا بمعنى اعتقد فيه اعتقادا ورآه بعينه اى ابصره ورآه بقلبه اى علمه والمعنى على الاول ما اشير اليكم برأى سوى ما ذكرته من انه يجب قتله حسما لمادة الفتنة ولما نقل رأى من الرأى الى باب افعل عدى الى الضمير المنصوب ثم استثنى استثناء مفرغا فقيل الا ما ارى وعلى الثاني ما اعلمكم الا ما علمت فيتعدى الى مفعولين ثانيهما الا ما ارى وقوله وقلبي ولسانى متواطئان عليه بيان لحاصل المعنى على الاحتمالين وقد كذب في الاخبار عن مواطأة قلبه لسانه فان قلبه مملوء بالخوف الشديد من جهة موسى عليه الصلاة والسلام لكنه كان يتجلد عند قومه ﴿ قوله لامن ارشد ﴾ يعنى ان صيغة فعال قد تبنى من افعل نحو ادرك فهو دراك واجبر فهو جبار واقصر فهو قصار واسأر فهو سآر ولم يجعل قرآءة رشاد بتشديد الشين من ارشد بناء على ان بناءه منه نادر غير مقيس بل مقصور على السماع ﴿ قوله او للنسبة ﴾ عطف على قوله للمبالغة ورشد بفتح الشين وكسرها لغتان بمعنى فان كان الرشاد بالتشديد صيغة مبالغة من الثلاثي يكون معناه كثير الرشد وان كان

(وان يك صادقا يصبكم بعض الذى يعدكم) فلا اقل من ان يصيبكم بعضه وفيه مبالغة في التحذير واظهار للانصاف وعدم التعصب ولذلك قدم كونه كاذبا او يصبكم مايعدكم من عذاب الدنيا وهو بعض مواعيده كأنه خوفهم بما هو اظهر احتمالا عندهم وتفسير البعض بالكل كقول لبيد

تراك امكنة اذا لم ارضها ٭

او يرتبط بعض النفوس حمامها ٭

مردود لانه اراد بالبعض نفسه (ان الله لايهدى من هو مسرف كذاب) احتجاج ثالث ذو وجهين احدهما انه لو كان مسرفا كذابا لما هداه الله الى البينات ولما عضده بتلك المعجزات وثانيهما ان من خذله الله واهلكه فلا حاجة لكم الى قتله ولعله اراد به المعنى الاول وخيل اليهم الثاني لتلين شكيمتهم وعرض به لفرعون بانه مسرف كذاب لايهديه الله تعالى سبيل الصواب وسبيل النجاة (ياقوم لكم الملك اليوم ظاهرين) غالبين عالين (في الارض) ارض مصر (فمن ينصرنا من بأس الله ان جاءنا) اى فلا تفسدوا امركم ولا تتعرضوا لبأس الله تعالى بقتله فانه ان جاءنا لم يمنعنا منه احد وانما ادرج نفسه في الضميرين لانه كان منهم في القرابة وليريهم انه معهم ومساهمهم فيما ينصح لهم (قال فرعون ما اريكم) ما اشير اليكم (الا ما ارى) الا ما استصوبه من قتله (وما اهديكم) وما اعلمكم الا ما علمت من الصواب وقلبي ولساني متواطئان عليه (الا سبيل الرشاد) طريق الصواب وقرئ بالتشديد على انه فعال للمبالغة من رشد كعلام او من رشد كعباد لا من ارشد كجبار لانه مقصور على السماع او للنسبة الى الرشد كعواج وبتات

صيغة مبالغة من الرباعي بكون كثير الارشاد وان كان بالنسبة الى الرشد كان المعنى الاصيل ذي الرشاد والعاج عظم الفيل والواحدة عاجة والعوّاج صاحبه وبائعه والبت الطيلسان من وبر او صوف والبتات من يعمله او يبيعه والبت ايضا يطلق على كساء من صوف كما في قوله

من كان ذا بت فهذا بتي ۞ مقيظ مصيف مشتي

اخذته من نعجات ست ۞ سود نعاج كنعاج دست

اي يكفيني لقيظي وشتائي والقيظ حرارة الصيف ﴿قوله تعالى وقال الذي آمن﴾ صرح بفاعل قال ولم يضمره عطفا على ما قبله من قوله تعالى الاخبار عن قول المؤمن بعينه اذ كر فاعله صريحا ازالة للشبهة وهذا هو الجواب عن قوله فيما بعد وبآيات وقال الذي آمن ياقوم اتبعوني لانه تقدمه قول فرعون في قوله وقال فرعون ياهامان ابن لي الآيات ولما اصر فرعون على ان الرأي الصائب ليس الا قتله واخلاء العالم من فتنته قال المؤمن ياقوم اني اخاف عليكم في تكذيبه والتعرض له بالسوء مثل يوم الاحزاب ۞ واعلم انه تعالى حكى عن ذلك المؤمن انه كان يكتم ايمانه ومن يكتم ايمانه كيف يمكنه ان يذكر هذه الكلمات مع فرعون ولهذا الاشكال ذكر ههنا قولان الاول ان فرعون لما قال ذروني اقتل موسى لم يصرح ذلك المؤمن انه على دين موسى بل اوهم انه على دين فرعون الا انه زعم ان المصلحة تقتضي ابقاء موسى لانه لم يصدر عنه الا الدعوة الى الله والاتيان بالمعجزات القاهرة وهذا لا يوجب قتله بل الاقدام على قتله يوجب الوقوع في ألسنة الناس بالكلمات القبيحة فالاولى تأخير قتله ومنعه من اظهار دينه لانه ان كان كاذبا يقتصر وبال كذبه عليه بهذا الطريق من بعض الوجوه ثم اكد ذلك بقوله ان الله لا يهدي من هو مسرف كذاب يعني انه ان كان كاذبا فيما يدعيه من اثبات الاله القادر الحكيم فهو لا يهدي المسرف الكذاب فاوهم بقوله ان الله لا يهدي من هو مسرف كذاب انه يريد به موسى وانما كان يقصد به فرعون لانه هو المسرف الكذاب والقول الثاني ان مؤمن آل فرعون كان يكتم ايمانه فيما مضى فلما قال فرعون ذروني اقتل موسى ازال الكتمان واظهر انه على دين موسى وجادله بالتي هي احسن وقال ياقوم اني اخاف عليكم في تكذيبه الخ ﴿قوله مثل ايام الامم الماضية﴾ اشارة الى ان ظاهر المقام يقتضي ان يقال مثل ايام الاحزاب لان الاحزاب بأسرهم ليس لهم يوم واحد بل لكل حزب يوم على حدة اي وقعة هائلة وعذاب شديد يقال ايام العرب لوقائع العظيمة والاهوال الشديدة على طريق ذكر المحل وارادة الحال الا ان جمع الاحزاب وتفسيره بقوله مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود اغنى عن جمع اليوم فان جمع الاحزاب وتفسيره بالطوائف المختلفة المتباينة الازمان في الاماكن رفع الالتباس وبين ان المراد به الايام كان اضافة البطن الى الجمع في قوله ۞ كلوا في بعض بطنكم تعفوا ۞ اغنت عن جمع البطن لعلمهم ان الجمع العظيم لا يأكلون في بطن واحد فاستغنى بدلالة الاضافة على المراد من ان يقال في بعض بطونكم ﴿قوله مثل جزاء ما كانوا عليه دائبا﴾ اي دائما يقال دأب في العمل اي دام عليه وكان ذلك عادته والدأب العادة والشأن احتاج الى تقدير المضاف بعد المثل الثاني لانه تفسير للمثل الاول بان يكون بدلا منه او عطف بيان له وقد اضيف المثل الاول الى اليوم الذي عبر به عن عقوبة تكذيب الاحزاب انبياءهم فلا بد ان يكون المثل الثاني ايضا مضافا الى نحو ما اضيف اليه الاول حتى يكون عبارة عن الاول وموضحا له ﴿قوله فلا يعاقبهم بغير ذنب﴾ يعني ان المؤمن اتم كلامه بقوله وما الله يريد ظلما للعباد بدلالة على انه تعالى انما اهلك الاحزاب المتقدمين لذنب استحقوا به الهلاك وهو تحزبهم على انبيائهم فكل من كذب نبيه وتعرض له بالسوء يخاف عليه مثل ما اصاب هؤلاء لان تخلية الظالم من غير انتقام ظلم بالمظلوم والله تعالى منزه عن ارادة الظلم فضلا عن نفس الظلم والمعنى ما يريد الله ان يظلم عباده فيعذبهم بغير ذنب وهذه الآية في عذاب الدنيا لان عقوبة تكذيب الاحزاب قد عجلت لهم في الدنيا ثم قال وياقوم اني اخاف عليكم يوم التناد والتنادي مصدر تنادى القوم اي نادى بعضهم بعضا اصله تنادي بضم الدال ثم كسر ها لاجل الياء وحذف الياء حسن في الفواصل كقوله يوم التلاق اصله يوم التلاقي سمي يوم القيامة يوم التناد لان الناس ينادي بعضهم بعضا للاستغاثة كقولهم فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا او يتصايحون بنحو قولهم ياويلنا من بعثنا ياويلتنا مال هذا الكتاب او ينادي اصحاب الجنة اصحاب النار ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا من الجنة والنعيم المقيم حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم اي من عذاب النار حقا قالوا نعم ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة ان افيضوا علينا من الماء او مما رزقكم الله وقرئ يوم التنادّ بتشديد الدال على انه مصدر تنادّ من ندّ البعير اذا هرب ونفر ويدل على صحة هذه القراءة قوله تعالى

(وقال الذي آمن ياقوم اني اخاف عليكم) في تكذيبه والتعرض له (مثل يوم الاحزاب) مثل ايام الامم الماضية يعني وقائعهم وجمع الاحزاب مع التفسير اغنى عن جمع اليوم (مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود) مثل جزاء ما كانوا عليه دائبا من الكفر وايذاء الرسل (والذين من بعدهم) كقوم لوط (وما الله يريد ظلما للعباد) فلا يعاقبهم بغير ذنب ولا يخلي الظالم منهم بغير انتقام وهو ابلغ من قوله وما ربك بظلام للعبيد من حيث ان المنفي فيه نفي حدوث تعلق ارادته بالظلم (وياقوم اني اخاف عليكم يوم التناد) يوم القيامة ينادي فيه بعضهم بعضا للاستغاثة او يتصايحون بالويل والثبور او يتنادى اصحاب الجنة واصحاب النار كما حكى في الاعراف وقرئ بالتشديد وهو ان يندّ بعضهم من بعض كقوله يوم يفر المرء من اخيه

بعد ذلك يوم تولون مدبرين وقول الضحاك انهم اذا سمعوا زفير النار ندّوا هربا فلا يأتون قطرا من الاقطار الا وجدوا الملائكة فيه صفوفا فيرجعون الى مكانهم فذلك قوله تعالى والملك على ارجائها وانتصاب يوم التناد اما على انه ظرف اخاف كأنه خاف عليهم فى هذا اليوم لما يلحقهم من العذاب ان اصرّوا على التكذيب والايذآء واما على انه مفعول به على ان يكون تقدير الكلام انى اخاف عليكم عذاب يوم التناد فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه واعرب باعرابه وقوله تعالى يوم تولون مدبرين يجوز ان يكون بدلا من يوم التناد وان يكون منصوبا بتقدير اعنى ولا يجوز ان يكون عطف بيان لانه نكرة وما قبله معرفة ثم ان المؤمن اكد التهديد فقال مالكم من الله من عاصم ثم نبه على قوة ضلالتهم وشدة جهالتهم فقال ومن يضلل الله فماله من هاد ثم ان ذلك المؤمن وبخ قوم فرعون بان الكفر والشك فى البينات القاطعة عادة قديمة فيكم حتى كذبتم يوسف بن يعقوب عليهما الصلاة والسلام فى دعوى الرسالة وقد جاءكم يوسف عليه الصلاة والسلام بالبينات اى بالمعجزات التى من جملتها تعبير الرؤيا وبالدلائل الدالة على الوحدانية التى منها قوله ياصاحبى السجن أارباب متفرقون خير ام الله الواحد القهار وهذا يدل على ان يكون فرعون يوسف هو فرعون موسى فانه عاش فرعون يوسف الى زمن موسى عليه الصلاة والسلام وقيل هو فرعون آخر وملوك مصر تسمى فراعنة كما تسمى ملوك الروم قياصرة وملوك العجم اكاسرة والمعنى على ان ملك مصر فى زمان يوسف بن يعقوب عليهما الصلاة والسلام هو الذى كان ملكها فى زمن موسى عمر الى زمن موسى والمشهور ان اهل عصر موسى وفرعون لم يروا يوسف بن يعقوب عليهما الصلاة والسلام فينبغى ان يكون مقصود مؤمن آل فرعون توبيخ اهل عصره بحال آبائهم الاقدمين ﴿قوله او سبطه﴾ عطف على قوله يوسف بن يعقوب والسبط ولد الولد روى ان يوسف بن ابراهيم بن يوسف بن يعقوب عليهم الصلاة والسلام ارسل اليهم واقام فيهم عشرين سنة نبيا ﴿قوله ضما الى تكذيب رسالته تكذيب رسالة من بعده﴾ اى لم يقولوا ذلك تصديقا رسالة من اتى بعد يوسف كيف وقد شكوا فى رسالته وكفروا بها وانما قالوا ومتكذيبا رسالة من بعده مضموما الى تكذيب رسالته وجعلوا قولهم هذا اساسا لهم فى تكذيب الانبياء الذين يأتون بعد ذلك جزما بان لا يبعث بعده رسول ويحتمل ان يقولوه جزما بذلك مع الشك فى رسالة يوسف اى لن يبعث الله من بعده من يدعيها بعده لانه لا يأتى احد بمثل ما اتى به يوسف من الخوارق ﴿قوله وقرئ ألن يبعث﴾ بادخال همزة التقرير على قولهم لن يبعث على ان يحمل كل واحد منهم صاحبه على ان يقرّ بالجزم بان لا يبعث بعده رسول ﴿قوله مثل ذلك الاضلال﴾ اشارة الى ان الكاف فى محل النصب على انه صفة مصدر محذوف لقوله يضل اى يضل الله كل مشرك شاك فى الدين بعد وضوح الحجج والبراهين اضلالا مثل اضلال الله اياكم حين لم تؤمنوا برسالة يوسف وقد جاءكم بالبينات ﴿قوله لانه بمعنى الجمع﴾ يعنى ان الموصول الاول وان كان مفردا لفظا الا انه مجموع المعنى فصح ان يبدل منه اللفظ الموضوع للجمع بدل الكل من الكل ابدل منه تفسيرا وبيانا لوجه كونهم مسرفين شاكين الا ان الجدال بغير حجة اما بناء على التقليد المجرّد او بناء على الشبهات الخسيسة اسراف باطل وشك فى غير موضعه ﴿قوله وافراده للفظ﴾ جواب عما يقال على تقدير ان يكون كبر مسندا الى ضمير من ينبغى ان يقال كبروا لما مرّ انه بمعنى الجمع كأنه قيل يضل الله المسرفين المرتابين وتقرير الجواب ان من مفرد اللفظ ومجموع المعنى فابدل الذين يجادلون منه نظرا الى جانب المعنى وافرد الضمير العائد اليه فى كبر نظرا الى جانب اللفظ فقيل عليه انه اعتبار اللفظ بعد اعتبار جانب المعنى واهل العربية يجتنبون عنه واجيب بان هذا شئ نقله ابن الحاجب ولم يساعده غيره فهو غير مسلم ولو سلناه فلا نسلم ان اعتبار اللفظ هنا متأخر عن اعتبار المعنى بل الامر بالعكس فانه روعى فيه لفظ من اوّلا حيث قيل من هو مسرف ثم معناه ثانيا حيث ابدل منه الذين يجادلون الآية ثم عاد الامر الى رعاية جانب اللفظ ايضا حيث افرد الضمير الراجع اليه وليس هذا من قبيل ما يجتنب عنه اهل العربية ﴿قوله على حذف مضاف﴾ ليعود ضمير كبر اليه ولو لم يعتبر الحذف لكان ضمير كبر مع افراده راجعا الى الذين وهو غير صحيح لعدم المطابقة بينهما ولقائل ان يقول لانسلم انه لابدّ من ارتكاب حذف المضاف فى هذا الوجه لجواز ان يرجع ضمير كبر حينئذ الى الجدال المدلول عليه بقوله يجادلون كما فى قوله تعالى اعدلوا هو اقرب للتقوى ويكون التقدير كبر جدالهم مقتا اى كبر مقت جدالهم على ان مقتا تمييز منقول من الفاعلية ﴿قوله او بغير سلطان﴾ عطف على كبر فى قوله وخبره كبر فالتقدير الذين يجادلون فى آيات الله كائنون او مستقرّون فى غير سلطان اتاهم كبر مقتا مثل ذلك الجدال القبيح فاجيب بطبع الله على قلوبهم فوضع

(يوم تولون) عن الموقف (مدبرين) منصرفين عنه الى النار وقيل فارّين منها (مالكم من الله من عاصم) يعصمكم من عذابه (ومن يضلل الله فماله من هاد ولقد جاءكم يوسف) يوسف بن يعقوب على ان فرعونه فرعون موسى او على نسبة احوال الآباء الى الاولاد او سبطه يوسف بن ابراهيم بن يوسف صلى الله عليه وسلم (من قبل) من قبل موسى (بالبينات) بالمعجزات (فما زلتم فى شك مما جاءكم به) من الدين (حتى اذا هلك) مات (قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا) ضما الى تكذيب رسالته تكذيب رسالة من بعده او جزما بان لا يبعث بعده رسول مع الشك فى رسالته وقرئ ألن يبعث الله على ان بعضهم يقرّر بعضا بنفى البعث (كذلك) مثل ذلك الاضلال (يضل الله) فى العصيان (من هو مسرف مرتاب) شاك فيما تشهد به البينات لغلبة الوهم والانهماك فى التقليد (الذين يجادلون فى آيات الله) بدل من الموصول الاوّل لانه بمعنى الجمع (بغير سلطان) بغير حجة بل اما تقليدا او شبهة داحضة (أتاهم كبر مقتا عند الله وعند الذين آمنوا) فيه ضمير من وافراده للفظ ويجوز ان يكون الذين مبتدأ وخبره كبر على حذف مضاف اى وجدال الذين يجادلون كبر مقتا او بغير سلطان وفاعل كبر (كذلك) اى كبر مقتا مثل ذلك الجدال فيكون قوله (يطبع الله على كل قلب متكبر جبار) استئنافا للدلالة على الموجب لجدالهم

قوله على كل قلب متكبر جبار موضع على قلوبهم تسجيلا عليهم بالتكبر و التجبر و اشعارا بعلة الطبع المذكور

﴿ قوله على وصفه بالتكبر و التجبر ﴾ مع انهما من صفات صاحب القلب و القلب آلته فيهما الا انه شاع اسناد الوصف القائم بالانسان الى مبدئه و آلته كقولهم رأت عيني و سمعت اذنى و اسناد التكبر و التجبر الى القلب من هذا القبيل و يجوز ان يحمل الكلام على حذف المضاف و يقال ان تقديره على كل ذى قلب متكبر لتطابق هذه القراءة قراءة عبد الله ابن مسعود فانه قرأ على قلب كل متكبر جبار فان الموصوف بالتكبر و التجبر على قراءته هو صاحب القلب فتوافق القراءتان فان المعنى على الاضافة على كل قلب شخص متكبر جبار بخلاف ما اذا لم يقدر المضاف فى القراءة بالتنوين فانه يصير الموصوف بهما حينئذ هو القلب لا صاحبه الذى هو الموصوف بهما فى قراءة ابن مسعود

﴿ قوله من صرح الشئ ﴾ فانه بالتشديد كما يستعمل متعديا بمعنى اظهره يستعمل ايضا لازما بمعنى ظهر و فى الصحاح الصرح القصر و كل بناء عال و فى المجمل الصرح بيت واحد يبنى مفردا ضخما طويلا فى السماء و قيل الصرح البناء الظاهر الذى لا يخفى على الناظر و ان بعد ﴿ قوله بيان لها ﴾ يحتمل ان يكون المراد ان قوله اسباب السموات بدل او عطف بيان لقوله الاسباب و يحتمل ان يكون المراد انه منصوب باضمار اعنى و الاول اولى لان الاصل عدم الاضمار

﴿ قوله و فى ابهامها ثم ايضاحها ﴾ يعنى انه لو قيل من اول الامر لعلى ابلغ اسباب السموات لتم المقصود الا انه ذكر الاسباب اولا على الابهام ثم اوضحها بقوله اسباب السموات لفائدتين الاولى تفخيم شأن الاسباب التى امل بلوغها لان ايضاح الشئ بعد ابهامه انما يكون للاعتناء بشأنه و التنبيه على جلالة قدره و الثانية تشويق السامع الى معرفتها فان النفس تواقة الى ما لم تنله فذكر الاسباب مبهمة لتتشوق نفس هامان الى معرفة المراد منها ثم اوضحها ليكون ايرادها على نفس تيقظت و تشوقت الى معرفتها فيحصل المقصود من ايرادها و كل ما يوصلك الى الشئ فهو سبب له و اسباب السموات طرقها و ابوابها و ما يؤدى اليها ﴿ قوله و لعله اراد ان يبنى له رصدا الخ ﴾ يعنى ان الظاهر ان فرعون لم يقصد ان يبنى له هامان بناء رفيعا يصعد منه الى السماء لان فرعون ليس من المجانين الذين لا يعلمون امتناع ذلك بداهة و الا لما صح من الله تعالى ان يرسل اليه رسولا و يكلفه الايمان به و الامتثال لامره و ان يحكى عنه شدة شكيمته و علوه فى الاسراف و انما قلنا ان امتناع ذلك معلوم بالبداهة لان كل احد يعلم بالبداهة انه ليس فى وسع البشر ان يبنى ما هو ارفع من ارفع الجبال و ان من نظر الى السماء من اسفل ما هو ارفع الجبال ثم نظر اليها من اعلى ذلك الجبل لا يجد تفاوتا فى نسبة السماء اليه بان تكون فى احدى الحالتين اقرب اليه منها فى الحالة الاخرى و مع هذا العلم كيف يقصد العاقل ان يبنى بناء يصعد منه الى السماء و فرعون من العقلاء فلا وجه لان يسند اليه مثل هذا القصد و ان ذهب بعض اهل التفسير الى انه قد قصد ذلك و ذكر حكاية طويلة فى كيفية بناء ذلك الصرح و لما كان قول هذا البعض بعيدا كل البعد ذكر المصنف فى وجه امره لهامان ببناء الصرح وجهين اولهما انه اراد بالصرح الرصد فى موضع عال و بالاسباب الكواكب التى هى اسباب سماوية يتوصل بها الى الاطلاع على الحوادث الارضية و باطلاعه الى اله موسى ان يطلع الى انه هل ارسل موسى عليه الصلاة و السلام اولا و ثانيهما ان فرعون كان من الدهرية و هم طائفة من الاقدمين يجحدون الصانع المدبر العالم القادر و زعموا ان العالم لم يزل موجودا كذلك من غير ان يستند الى صانع خارج من المجموع من حيث هو مجموع و لم يزل الحيوان مثلا من النطفة و النطفة من الحيوان لا الى نهاية و هؤلاء هم الزنادقة و فرعون كان منهم و غرضه من هذا الكلام ايراد شبهة فى نفى الصانع الذى هو اله العالم و تقريرها انا لا نرى شيأ نحكم عليه بانه اله العالم فكيف نحكم بوجود ما لم نره اما انا لا نراه فلانه لو كان موجودا لكان فى السماء و ما فى السماء لا يراه اهل الارض الا بصعود السماء و لا سبيل لنا الى صعود السماء فلا سبيل لنا الى رؤية الاله الذى هو رب موسى و الحكم بوجوده الا بتقليد رجل لا نعلم أصادق هو ام كاذب ثم ان فرعون اراد المبالغة فى بيان انه لا يمكن الصعود الى السماء فامر هامان بان يبنى له صرحا يصعد منه الى السماء ليعرف بعجزه عنه مع انه اقدر اهل الارض فيتحقق امتناع الصعود الى السماء و يظهر به امتناع الوصول الى معرفة اله العالم بطريق الرؤية و الاحساس و هذه الشبهة فاسدة لان طرق العلم ثلاثة الحس السليم و الخبر الصادق و نظر العقل و لا يلزم من امتناع كون الحس طريقا الى معرفة الله تعالى امتناع معرفته مطلقا و قد بين موسى لفرعون ان الطريق الى معرفة الله تعالى انما هو النظر و الاستدلال بالآثار كما قال ربكم و رب آبائكم الاولين و قال رب المشرق و المغرب الا ان فرعون بسبب خبثه و مكره تغافل عنه و ألقى الى الجهال

و قرأ ابن عامر و ابن ذكوان قلب بالتنوين على وصفه بالتكبر و التجبر لانه منبعهما كقولهم رأت عيني و سمعت اذنه او على حذف مضاف اى على كل ذى قلب متكبر (وقال فرعون ياهامان ابن لى صرحا) بناء مكشوفا عاليا من صرح الشئ اذا ظهر (لعلى ابلغ الاسباب) الطرق (اسباب السموات) بيان لها و فى ابهامها ثم ايضاحها تفخيم لشأنها و تشويق للسامع الى معرفتها (فأطلع الى اله موسى) عطف على ابلغ و قرأ حفص بالنصب على جواب الترجى و لعله اراد ان يبنى له رصدا فى موضع عال يرصد منه احوال الكواكب التى هى اسباب سماوية تدل على الحوادث الارضية فيرى هل فيها ما يدل على ارسال الله اياه او ان يرى فساد قول موسى بان اخباره من اله السماء متوقف على اطلاعه و وصوله اليه و ذلك لا يتأتى الا بالصعود الى السماء و هو مما لا يقوى عليه الانسان و ذلك لجهله بالله و كيفية استنبائه (و انى لأظنه كاذبا) فى دعوى الرسالة

(انه)

انه لما كان الطريق الى الاحساس بهذا الاله منتفيا وجب نفيه وتكذيب من ادعى انه رسول من قبله ﴿ قوله ومثل ذلك التزيين ﴾ اشارة الى ان الكاف فى محل النصب على انه صفة مصدر محذوف اى زين له وصد تزيينا وصدا مثل ذلك التزيين والصد والمعتزلة لما ابوا من اسناد التزيين والصد اليه قالوا المزين والصاد هو الشيطان ونحن نقول ان كان المزين لفرعون هو الشيطان فالمزين للشيطان ان كان شيطانا آخر لا الى نهاية لزم التسلسل فى الشياطين او الدور وهو باطل ولما بطل ذلك وجب انتهاء الاسباب والمسببات الى واجب الوجود وان الفاعل الحقيقى هو الله تعالى وان اسناده الى الشيطان فى نحو قوله تعالى وزين لهم الشيطان اعمالهم باعتبار ان له مدخلا فيها بوسوسته ﴿ قوله ويدل عليه انه قرئ وزين بالفتح ﴾ اى بفتح الزاى لانه يجرى ذكر اله موسى ومن قرأ وصد على بناء الفاعل اسنده الى ضمير فرعون وحذف مفعوله اى صد قومه عن الهدى والرشاد ضد الغواية وكلاهما من صفات من يسلك السبيل والاضافة فى سبيل الرشاد من قبيل اضافة السبب الى المسبب اى سبيلا يرشد سالكه ويأمن من الغواية ﴿ قوله تمتع يسير ﴾ يعنى ان المتاع اسم بمعنى المتعة وهى التمتع والانتفاع لا بمعنى السلعة لان وقوعه خبرا عن الحياة الدنيا يمنع منه وان التنكير فيه للتقليل وفى الصحاح المتاع السلعة والمتاع ايضا المتعة وهى ما تمتعت به ولما كانت هذه الحياة الدنيا ولذائذها سريعة الزوال وكانت الآخرة دار القرار ظهر ان العاقل ينبغى ان يسعى فيما يسعده فى دار الابد ويمتع فى الدنيا بما يبلغه الى سعادة الآخرة لان الدائم خير من المنقضى قال بعض العارفين لو كانت الدنيا ذهبا فانيا والآخرة خزفا باقيا لكانت الآخرة خيرا من الدنيا فكيف والدنيا خزف فان والآخرة ذهب باق ولما بين ان سبيل الرشاد هو التجافى عن دار الفناء والغرور والانابة الى دار الابد والخلود بين كيف تحصل المجازاة فى الآخرة فقال من عمل سيئة فلا يجزى الا مثلها والمراد بالمثل ما يقابلها فى الاستحقاق * قال الامام فان قيل كيف يصح هذا الكلام مع ان كفر ساعة يوجب عقاب الابد قلنا ان الكافر يعتقد فى كفره انه طاعة وايمان فلهذا السبب يكون الكافر على عزم ان يبقى على ذلك الاعتقاد ابدا فلا جرم كان عقابه مؤبدا بخلاف الفاسق فانه يعتقد فى حق فسقه انه جناية ومعصية فيكون على عزم ان لا يبقى مصرا عليه فلا جرم كان عقابه منقطعا وما يقوله المعتزلة من ان عقابه مؤبد فهو باطل لان مدة تلك المعصية منقطعة والعزم على الاتيان بها ايضا ليس دائما بل هو منقطع ايضا فمقابلته بعذاب دائم تكون على خلاف قوله تعالى من عمل سيئة فلا يجزى الا مثلها ﴿ قوله وفيه دليل على ان الجنايات ﴾ اى سواء كانت فى النفوس او الاعضاء او الاموال تغرم بمثلها لانه تعالى بين ان جزاء السيئة سيئة مثلها فدلت الآية على وجوب رعاية المماثلة بينهما وان الزائد على المثل غير مشروع ﴿ قوله ولعل تقسيم العمال ﴾ اى بقوله من ذكر او انثى وقوله تعالى اولئك مبتدأ والجملة الفعلية بعده خبره وتعريف المسند اليه بالاشارة للتنبيه على ان المشار اليه جدير بالحكم المذكور بعد اسم الاشارة لاجل الاوصاف المذكورة بعد المشار اليه كما فى قوله تعالى اولئك على هدى من ربهم فان المشار اليه وهم المتقون قد عقب باوصاف هى الايمان بالغيب واقامة الصلاة والانفاق مما رزقناهم ثم قيل اولئك على هدى للتنبيه على ان كونهم على الهدى عاجلا وفوزهم بالفلاح آجلا من اجل اتصافهم بالاوصاف المذكورة فكذا الحال ههنا فانه عرف المسند اليه بايراده اسم الاشارة للتنبيه على ان فوزهم بدخول الجنة وكونهم مرزوقين فيها بغير حساب من اجل اكتسابهم عملا صالحا حال اتصافهم بالايمان ووجه دلالة هذا الاسلوب على تغليب جانب الرحمة ان الجزاء المذكور قد علق على ان يعمل العامل صالحا واحدا من الصالحات بشرط الايمان فان صالحا فى قوله من عمل صالحا نكرة فى سياق الاثبات فلا تم يجرى مجرى ان يقال من ذكر كلمة او خطى خطوة فله كذا فانه يدخل فيه كل من اتى بتلك الكلمة او بتلك الخطوة مرة واحدة فكذا ههنا وجب ان يقال كل من عمل صالحا واحدا من الصالحات فانه يدخل الجنة ويرزق فيها بغير حساب وان زنى وان سرق ومن قال ان صاحب الكبيرة اذا لم يتب منها يبقى خالدا فى النار ابدا فقد خالف هذا النص الصريح ولا خفاء فى دلالة هذه الآية على ان جانب الرحمة والفضل راجح على جانب القهر والعقاب حيث دلت على ان الصالح الواحد يؤدى الى النعيم الدائم وما اكتسبه صاحبه من السيئات وان كثرت معفو اما ابتداء واما بعد ان يعاقب بما عمله ﴿ قوله وان ثوابه ﴾ اى ثواب العمل اعلى من اجل الايمان لان ما ذكر من الثواب العالى لما جعل مشروطا بالايمان دل ذلك على ان علو ذلك الثواب من اجل الايمان ﴿ قوله عن سنة الغفلة ﴾ اى عن غفلة كالسنة وهى بكسر السين فتور يتقدم النوم فالاضافة فيه من قبيل اضافة المشبه به الى المشبه كما فى لجين الماء ﴿ قوله ومبالغة

(وكذلك) ومثل ذلك التزيين (زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل) سبيل الرشاد والفاعل على الحقيقة هو الله تعالى ويدل عليه انه قرئ وزين بالفتح وبتوسط الشيطان وقرأ الحجازيان والشامى وابو عمرو وصد على ان فرعون صد الناس عن الهدى بامثال هذه التمويهات والشبهات ويؤيده (وما كيد فرعون الا فى تباب) اى خسار (وقال الذى آمن) يعنى مؤمن آل فرعون وقيل موسى (ياقوم اتبعونى اهدكم) بالدلالة (سبيل الرشاد) سبيلا يصل سالكه الى المقصود وفيه تعريض بان ما عليه فرعون وقومه سبيل الغى (ياقوم انما هذه الحياة الدنيا متاع) تمتع يسير لسرعة زوالها (وان الآخرة هى دار القرار) لخلودها (من عمل سيئة فلا يجزى الا مثلها) عدلا من الله وفيه دليل على ان الجنايات تغرم بمثلها (ومن عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فاولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب) بغير تقدير وموازنة بالعمل بل اضعافا مضاعفة فضلا منه ورحمة ولعل تقسيم العمال وجعل الجزاء جملة مصدرة باسم الاشارة وتفضيل الثواب لتغليب الرحمة وجعل العمل عمدة والايمان حالا للدلالة على انه شرط فى اعتبار العمل وان ثوابه اعلى من ذلك (وياقوم مالى ادعوكم الى النجاة وتدعوننى الى النار) كرر نداءهم ايقاظا لهم عن سنة الغفلة واهتماما بالمنادى له

فى توبيخهم على ما يقابلون به نصحه ﴾ فان تكرير ندآئهم باضافتهم الى نفسه يدل على انه ناصح لهم مخلص فى حقهم وان له مزيد شفقة و اهتمام برشدهم فيكون مقابلة نصحه لهم بالاساءة والايذآء فى غاية القباحة فيكون المقصود من هذا النداء مع ماذكر بعده من المنادى له توبيخ قومه باساءتهم اليه فى مقابلة نصحه لهم فان قوله تعالى مالى جملة اسمية والاستفهام فيه للتوبيخ وادعوكم فى موضع الحال من المنوى فى الخبر وتدعوننى عطف عليه ويحتمل ان تكون الجملة المعطوفة مع ماعطفت عليه كلاما مستأنفا لبيان الحال المستفهم عنها كأنه قيل كيف حالى معكم وهى انى ادعوكم الى النجاة من النار بالايمان والتوحيد وتدعوننى الى النار بالاشراك ﴿ قوله وعطفه على النداء الثانى ﴾ جملة اسمية اى وعطف قوله وياقوم مالى ادعوكم على قوله انما هذه الحياة الدنيا متاع وانما عطف عليه لاشتراكهما فى ان كل واحد منهما بيان وتفسير لما اجمل فى قوله اهدكم سبيل الرشاد فان الذى آمن نادى قومه اولا وامرهم بان يتبعوه فيما هو عليه ووعدلهم فى مقابلة اتباعهم اياه بان يهديهم سبيل الرشاد وذلك السبيل مجمل محتاج الى البيان والتفسير ثم ناداهم ثانيا وادخل هذا النداء على ماهو بيان لما اجمله اولا فان قوله انما هذه الحياة الدنيا متاع وان الآخرة هى دار القرار ذم للدنيا بتصغير شأنها وتعظيم للآخرة بانها دار تستقر وتبقى ولا يطرأ عليها الفناء وان اهلها يقرون فيها من غير امد وانقضاء والمقصود منه ان يبين ان سبيل الرشاد ان لايتهمك المرء فى حظوظها ولذاتها لعدم استقرارها وبقائها وان يسعى ويجتهد فيما يسعده فى دار الابد والبقاء ﴿ قوله ولذلك ﴾ اى ولكون الكلام الذى دخل عليه النداء الثانى بيانا لما قبله لم يعطف النداء الثانى على النداء الاول لان النداء حكمه حكم مادخل عليه من الكلام فاذا دخل على كلام لو انفرد عن النداء لم يدخله العاطف لايدخل العاطف على النداء ايضا واذا دخل على مايجوز دخول العاطف عليه يجوز دخول العاطف على نفس النداء ايضا وقد دخل النداء الثانى فى الآية على ماهو بيان المجمل وتفصيل له فلم يجز عطفه عليه لان البيان لايعطف على المبين لكونه بمنزلة عطف الشئ على نفسه لكمال الاتصال بينهما فكذا لم يجز عطف النداء الداخل على البيان على مادخل على المبين ﴿ قوله فان مابعده ايضا تفسير لما اجمل فيه ﴾ علة لقوله وعطفه على النداء الثانى كأنه قيل انما قلنا ان النداء الثالث معطوف على النداء الثانى لانه يشارك الثانى فى كونه تفسيرا لما اجمل فى الاول تصريحا وتعريضا فان النداء الاول تصريح بان السبيل الذى يدعوهم اليه سبيل الرشاد وتعريض بان سبيل قومه سبيل الغواية والضلال وكل واحد من السبيلين مجمل فقوله بعد النداء الثالث ادعوكم الى النجاة تفسير وبيان لسبيل المصرح به بان مآله النجاة من النار وقوله وتدعوننى الى النار بيان لسبيل المعرض به بان مآله النار ولما شارك النداء الثالث الثانى فى ان كل واحد منهما تفسير لما اجمل فى الاول عطف الثالث على الثانى ﴿ قوله او على الاول ﴾ عطف على الثانى فى قوله وعطفه على النداء الثانى اى ويجوز ان يكون الثالث معطوفا على الاول لكون مدخوله مغايرا لمدخوله بحيث لايكون تفسيرا له فان قوله مالى ادعوكم الى النجاة ليس من جنس قوله اهدكم سبيل الرشاد من حيث ان مدخول النداء الاول يدل على الملاطفة والمحاض النصح والشفقة ومدخول الثالث يدل على المغلظة والمخاشنة بينه وبينهم وانه محق وانهم مبطلون والوعيد بان مصيرهم الى النار ﴿ قوله بدل او بيان ﴾ يعنى ان قوله تدعوننى لاكفر بدل من قوله تدعوننى الى النار وفيه تعليل لمضمونه بتنبيههم بان الكفر ماادى الى الخلود فى النار ﴿ قوله والدعاء كالهداية ﴾ جواب عما يقال ما بال فعل الدعاء حيث عدى اولا بالى وثانيا باللام واجاب بان تعديته بكل واحدة منهما لغة ثابتة يقال دعاه الى كذا ودعاه له كما يقال هداه الى الطريق وهداه له ﴿ قوله والمراد نفى المعلوم ﴾ وهو ربوبية مازعموه شريكا له تعالى كأنه قيل واشرك به ماليس شريكا له فى الربوبية فهو من باب نفى الشئ بنفى لازمه على سبيل الكناية فان عدم العلم بربوبية الشريك من لوازم عدم كونه شريكا فى الواقع وانما حمله على الكناية لان عدم العلم بالشئ لايكون سببا لانكار القوم فى دعوتهم اياه الى اشراكه به تعالى واتى بقوله تدعوننى بجملة فعلية لتدل على ان دعوتهم باطلة لاثبوت لها واتى بقوله وانا ادعوكم بجملة اسمية لتدل على ثبوت دعوته وتقويتها ﴿ قوله اى حق عدم دعوة آلهتكم الى عبادتها الخ ﴾ يعنى ان مؤمن آل فرعون بعدما رد عليهم مادعوه اليه من الكفر والاشراك بقوله لاجرم استدل به على بطلان ربوبية الاصنام ويمكن تقريره بثلاثة اوجه الاول ان تنكير دعوة فى سياق النفى يدل على ان الاصنام لاتدعو الخلق الى عبادة انفسها اصلا ومن حق المعبود ان يدعو الناس الى عبادته بارسال الرسل وانزال الكتب وهذا الشأن منتف عن الاصنام بالكلية لانها فى الدنيا جمادات لاتستطيع شيأ

ومبالغة فى توبيخهم على مايقابلون به نصحه وعطفه على النداء الثانى الداخل على ماهو بيان لما قبله ولذلك لم يعطف على الاول فان مابعده ايضا تفسير لما اجمل فيه تصريحا وتعريضا او على الاول (تدعوننى لاكفر بالله) بدل او بيان فيه تعليل والدعاء كالهداية فى التعدية بالى واللام (واشرك به ماليس لى به) بربوبيته (علم) والمراد نفى المعلوم والاشعار بان الالوهية لابد لها من برهان واعتقادها لايصح الاعن ايقان (وانا ادعوكم الى العزيز الغفار) المستجمع لصفات الالوهية من كمال القدرة والغلبة ومايتوقف عليه من العلم والارادة والتمكن من المجازات والقدرة على التعذيب والغفران (لاجرم) لارد لمادعوه اليه وجرم فعل بمعنى حق وفاعله (ان ماتدعوننى اليه ليس له دعوة فى الدنيا ولا فى الآخرة) اى حق عدم دعوة آلهتكم الى عبادتها اصلا لانها جمادات ليس لها مايقتضى الوهيتها او عدم دعوة مستجابة او عدم استجابة دعوة لها

(من)

من دعاء غيرها وفي الآخرة اذا انشأها الله تعالى حيوانا ناطقا تبرأ من عبدتها والثاني ان الاصنام كيف تكون ربا وليس لها دعوة مستجابة من قبل عبدتها فان العبدة وان كانوا يدعون الآلهة لكنها لا تستجيب لداعيها حتى تثبت لها دعوة مستجابة فلما لم تثبت لها دعوة مستجابة قيل ليس لها دعوة لان الداعي اذا دعا ولم يستجب له فكأنه لم يدع فقوله وليس له دعوة بتنكير دعوة في سياق النفي الدال على الاستغراق مبني على جعل الدعوة الغير المستجابة كلا دعوة او على تسمية المسبب وهو الاستجابة باسم السبب الذي هو الدعاء حيث ذكر الدعوة واريد الاستجابة مجازا مرسلا لعلاقة السببية والثالث كالثاني بحسب المعنى الا انه قدر المضاف في قوله ليس له دعوة اي ليس له استجابة دعوة اصلا ﴿ قوله وقيل جرم بمعنى كسب ﴾ اي قيل لا رد لما دعوه اليه من الكفر والاشراك وقوله جرم فعل بمعنى كسب وفاعله المستكن فيه راجع الى الدعاء الذي دل عليه تدعونني لا كفر بالله واشرك به وان انما مع ما في حيزها مفعول جرم بمعنى كسب ومعناه كون دعائهم اياه الى الاشراك وعبادة الاصنام سببا في بطلان تلك الدعوة والعبادة كأنه قيل انكم تزعمون ان دعاءكم الى الاشراك يبعثني على الاقبال عليه والحال انه سبب للاعراض عنه وظهور بطلانه ﴿ قوله وقيل فعل ﴾ عطف على قوله وجرم فعل بمعنى حق فعلى هذا يكون جرم اسم لا مبنيا على الفتح لا فعلا ماضيا كما هو كذلك على الوجهين الاولين ﴿ قوله ويؤيده ﴾ اي يؤيد كون جرم بالفتحات اسم لا قولهم لا جرم انه يفعل كذا بضم الجيم وسكون الراء ووجه التأييد ان جرم فيه اسم لا بلا شبهة وان فعلا وفعلا اخوان يجيئان بمعنى واحد كالرشد والرشد والعدم والعدم واللغتان بمعنى واحد فكما ان معنى لا بد انك تفعل كذا لا بعد لك من فعله فكذلك معنى لا جرم ان ما تدعونني اليه ليس له دعوة لا جرم ان لهم النار اي لا قطع لذلك بمعنى انهم ابدا يستحقون النار لا انقطاع لاستحقاقهم ولا قطع لبطلان دعوة الاصنام اي لا تزال باطلة ولا ينقطع ذلك فينقلب حقا ولما بلغ مؤمن آل فرعون في باب النصيحة الى هذا الكلام ختم كلامه بخاتمة لطيفة فقال فستذكرون ما اقول لكم عند معاينة العذاب حين لا ينفعكم الذكر وهو كلام مجمل في باب التخويف بعد تفصيل وجوهه ولما خوفهم بقوله فستذكرون ما اقول لكم توعدوه وخوفوه بالقتل فعول في دفع مكرهم وكيدهم على الله تعالى حيث قال وافوض امري الى الله كما رجع موسى اليه تعالى حين خوفه فرعون بالقتل فقال اني عذت بربي وربكم من كل متكبر قال مقاتل لما قال المؤمن هذه الكلمات قصدوا قتله فهرب منهم الى الجبل فطلبوه فلم يقدروا عليه فذلك قوله تعالى فوقاه الله سيئات ما مكروا وقال الضحاك ارادوا قتله فلما رأى له جبل فصعده فكان من يأتيه من جنود فرعون تأكله السباع او رجع عنه فيقتله فرعون وقيل انهم قتلوه مع السحرة فعلى هذا يكون ضمير فوقاه راجعا الى موسى ﴿ قوله الغرق او القتل او النار ﴾ الاول على ان يكون المراد بآل فرعون نفس فرعون وقومه والثاني ان يكون المراد به طلبة المؤمن والثالث على ان يكون قوله النار خبر محذوف وهو ضمير سوء العذاب او بدلا منه فان كان المراد بسوء العذاب الغرق او القتل يكون الاستئناف لبيان حالهم بعدما حاق بهم سوء العذاب من الغرق او القتل وان كان المراد به النار يكون الاستئناف لبيان كيفية تعذيبهم المدلول عليه بقوله وحاق بآل فرعون سوء العذاب ويكون قوله يعرضون استئنافا آخر لبيان كيفية تعذيبهم بها ﴿ قوله مثل يصلون ﴾ اي يدخلون من قولك صليت العود نارا اذا ادخلته النار وقوله يعرضون لكونه بمعنى يحرقون يفسر هذا المضمر بمعنى انه يدل على اضماره فان احراقهم بالنار انما يكون بعد ادخالهم فيها فكأنه قيل يصلون النار يعرضون عليها واستدل بهذه الآية على ثبوت عذاب القبر اذ ليس المراد بها انهم يعرضون عليها في الدنيا لان العرض المذكور فيها ما كان حاصلا في الدنيا فثبت ان هذا العرض انما حصل بعد الموت وقبل يوم القيامة فدلت الآية على ثبوت العرض لارواحهم كما روى عن ابن مسعود انه قال ان ارواح آل فرعون في اجواف طير سود تغدو وتروح الى النار يعرضون على النار كل يوم مرتين فيقال يا آل فرعون هذه داركم وهذا يؤذن بان العرض ليس بمعنى التعذيب والاحراق بل هو بمعنى الاظهار والابراز وان الكلام على القلب كما في قولهم عرضت الناقة على الحوض فان اصله عرضت الحوض على الناقة بسوقها اليه وايرادها عليه فكذا هنا اصل الكلام النار تعرض عليهم اي على ارواحهم بان تساق الطير التي ارواحهم في اجوافها الى النار وعن مقاتل وقتادة والسدي والكلبي رحمهم الله تعرض روح كل كافر على النار غدوا وعشيا ما دامت الدنيا وعن نافع عن ابن عمر انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

وقيل جرم بمعنى كسب وفاعله مستكن فيه اي كسب ذلك الدعاء اليه ان لا دعوة له بمعنى ما حصل من ذلك الا ظهور بطلان دعوته وقيل فعل من الجرم بمعنى القطع كما ان بد من لا بد فعل من التبديد وهو التفريق والمعنى لا قطع لبطلان دعوة الوهية الاصنام اي لا ينقطع في وقت ما فينقلب حقا ويؤيده قولهم لا جرم انه يفعل لغة فيه كالرشد والرشد (وان مردنا الى الله) بالموت (وان المسرفين) في الضلالة والطغيان كالاشراك وسفك الدماء (هم اصحاب النار) ملازموها (فستذكرون) فسيذكر بعضكم بعضا عند معاينة العذاب (ما اقول لكم) من النصيحة (وافوض امري الى الله) ليعصمني من كل سوء (ان الله بصير بالعباد) فيحرسهم وكأنه جواب توعدهم المفهوم من قوله (فوقاه الله سيئات ما مكروا) شدائد مكرهم وقيل الضمير لموسى (وحاق بآل فرعون) بفرعون وقومه واستغنى بذكرهم عن ذكره للعلم بانه اولى بذلك وقيل بطلبة المؤمن من قومه فانه فر الى جبل فاتبعه طائفة فوجدوه يصلي والوحوش صفوف حوله فرجعوا رعبا فقتلهم (سوء العذاب) الغرق او القتل او النار (النار يعرضون عليها غدوا وعشيا) جملة مستأنفة او النار خبر محذوف ويعرضون استئناف للبيان او بدل ويعرضون حال منها او من الآل وقرئت منصوبة على الاختصاص او باضمار فعل يفسره يعرضون مثل يصلون فان عرضهم على النار احراقهم بها من قولهم عرض الاسارى على السيف اذا قتلوا به وذلك لارواحهم كما روى ابن مسعود رضي الله عنه ان ارواحهم في اجواف طير سود تعرض على النار بكرة وعشيا الى يوم القيامة

ان احدكم اذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشى ان كان من اهل الجنة فمن الجنة وان كان من اهل النار فمن النار يقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله اليه يوم القيامة رواه الشيخان فى صحيحيهما ﴿ قوله وذكر الوقتين يحتمل التخصيص ﴾ بجواز ان يكتفى فى القبر بتعذيبهم بهذا النوع من العذاب فى هذين الوقتين وفيما بين ذلك الله اعلم بحالهم فاما ان ينفس عنهم او يعذبوا بنوع آخر من العذاب ويحتمل ان يكون ذكر الوقتين كناية عن الدوام كما فى قوله تعالى لهم رزقهم فيها بكرة وعشيا فان قيل الغدو والعشى انما يحصلان فى الدنيا واما فى القبر فلا وجود لهما فيه فكيف يمكن حمل الآية على عذاب القبر قلت انما هو امر تقديرى بحسب بكرة يوم الدنيا وعشيته ﴿ قوله واذا قامت الساعة قيل لهم ادخلوا ﴾ اشارة الى ان قوله تعالى ويوم تقوم معمول لقول مضمر حكى به الجملة الامرية التى هى قوله ادخلوا بهمزة وصل على انه امر من دخل يدخل وآل فرعون منادى بحذف حرف النداء منه واشد العذاب مفعول به وقرئ بهمزة القطع على انه امر للملائكة من أدخل يدخل وآل فرعون مفعوله الاول واشد العذاب ثانى مفعوليه قال ابن عباس يريد به الوان العذاب الذى كانوا يعذبون به منذ اغرقوا ﴿ قوله ويحتمل عطفه على غدوا ﴾ فلا يكون معمولا لاذكر بل يكون ظرفا لقوله يعرضون اى يعرضون على النار فى هذه الاوقات كلها وعلى تقدير كونه معمولا لاذكر يكون وجه اتصال الآية بما قبلها انه تعالى لما ختم قصة آل فرعون عند قوله ويوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون اشد العذاب وانجر الكلام فى تلك القصة الى شرح احوال اهل النار ذكر الله تعالى عقيبها قصة المناظرات التى تجرى بين الرؤساء والاتباع من اهل النار فقال واذكر اذ يتحاجون الآية اى يتخاصمون ثم شرح خصوماتهم وفصلها بقوله فيقول الضعفاء للرؤساء هل تقدرون على ان تدفعوا عنا نصيبا من العذاب يقصدون بذلك توبيخ الرؤساء وايلام قلوبهم والمبالغة فى اظهار عجزهم لانهم يعلمون ان الرؤساء لا يقدرون على تخفيف شئ من العذاب ﴿ قوله او ذوى تبع ﴾ على ان يكون قوله تبعا مصدرا بمعنى الاتباع يقال تبع القوم تبعا اذا مشى خلفهم واخبار الضعفاء عن انفسهم بانهم كانوا اتباعا للرؤساء مبنى على اضمار المضاف او على انه من قبيل التوصيف بالمصدر للمبالغة كما يقال رجل عدل بمعنى ذى عدل او عادل ﴿ قوله ونصيبا مفعول لما دل عليه مغنون ﴾ فان اغنى قد يتعدى بنفسه فيقال اغناه الله وقد يتعدى بكلمة عن فيقال ما يغنى عنك هذا اى ما يجزى عنك وما ينفعك واذا عدى بعن لا يتعدى الى مفعول آخر بنفسه وقد عدى ههنا الى قوله نصيبا فذكر لانتصابه ثلاثة اوجه الاول انه مفعول لفعل مقدر دل عليه مغنون تقديره هل انتم دافعون عنا نصيبا والثانى ان يضمن مغنون معنى حاملين والثالث ان ينتصب على المصدر كانتصاب شيأ فى قوله تعالى لن تغنى عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيأ فان شيأ فيه فى موضع اغناء فكذلك نصيبا وقوله من النار متعلق به وكل فى قول الرؤساء انا كل فيها مرفوع على الابتداء فى قراءة العامة وفيها خبره والجملة خبر ان وكل وان كان لفظه نكرة الا انه جاز الابتداء به لكونه معرفة من حيث المعنى لان التنوين فيه عوض عن المضاف اليه اى كلنا فيها والمصنف اشار اليه بقوله نحن وانتم وهذا كقوله تعالى فى آل عمران قل ان الامر كله لله فى قراءة ابى عمرو ﴿ قوله فانه لا يعمل فى الحال المتقدمة ﴾ يعنى ان المستكن فى الظرف معمول له فكون قوله كلا حالا من المستكن فيه يستلزم ان يكون معمولا له ايضا والظرف وان جاز ان يعمل فى الظرف المتقدم لا يعمل فى الحال المتقدمة فلا يجوز ان يقال قائما فى الدار زيد ويجوز ان يقال كل يوم لك ثوب قيل عليه قد اجاز الاخفش ان يعمل الظرف فى الحال المتقدمة اذا توسطت الحال نحو زيد قائما فى الدار وزيد قائما عندك والآية من هذا القبيل لان كلا فيها قد وقع بين المسند اليه الا ان يقال مراد المصنف بقوله ولا يجوز جعله حالا انه لا يجوز عند الجمهور ولما اجاب الرؤساء بانا لو قدرنا على الاغناء لاغنينا انفسنا وبانه تعالى قد حكم بين العباد بما يستحقه كل احد فلا معقب لحكمه اعرض الضعفاء عن المتبوعين والتجأوا الى خزنة جهنم وهم القوام بتعذيب اهلها طمعا فى التخفيف بدعائهم لهم ﴿ قوله او لبيان محلهم فيها ﴾ اى محل الخزنة فى النار على ان لا يكون النار وجهنم اسمين لمسمى واحد بل يكون جهنم اسما لموضع فى النار هو اشد المواضع قعرا وبعدا فيها من قولهم بئر جهنام اى بعيدة القعر يعاقب فيها اعظم اقسام الكفار عقوبة فخزنة ذلك الموضع تكون اعظم خزنة النار قدرا ودرجة عند الله تعالى فلما عرفت الكفار ان الامر كذلك استغاثوا بهم من بين خزنة النار فقوله ويحتمل ان يكون جهنم الخ من تتمة قوله او لبيان محلهم فيها ﴿ قوله قدر يوم ﴾ اشارة الى ان قوله يوما ظرف لقوله يخفف ومفعوله

(محذوف)

وذكر الوقتين يحتمل التخصيص والتأبيد وفيه دليل على بقاء النفس وعذاب القبر (ويوم تقوم الساعة) اى هذا ما دامت الدنيا فاذا قامت الساعة قيل لهم (ادخلوا آل فرعون) يا آل فرعون (اشد العذاب) عذاب جهنم فانه اشد مما كانوا فيه او اشد عذاب جهنم وقرأ نافع وحمزة والكسائى ويعقوب وحفص أدخلوا على امر الملائكة بادخالهم النار (واذ يتحاجون فى النار) واذكر وقت تخاصمهم فيها ويحتمل عطفه على غدوا (فيقول الضعفاء للذين استكبروا) تفصيل له (انا كنا لكم تبعا) أتباعا كخدم فى جمع خادم او ذوى تبع بمعنى اتباع على الاضمار او التجوز (فهل انتم مغنون عنا نصيبا من النار) بالدفع او الحمل ونصيبا مفعول لما دل عليه مغنون او له بالتضمين او مصدر كشيأ فى قوله لن تغنى عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيأ فيكون من صلة مغنون (قال الذين استكبروا انا كل فيها) نحن وانتم فكيف نغنى عنكم ولو قدرنا لاغنينا عن انفسنا وقرئ كلا على التأكيد لانه بمعنى كلنا وتنوينه عوض عن المضاف اليه ولا يجوز جعله حالا من المستكن فى الظرف فانه لا يعمل فى الحال المتقدمة كما يعمل فى الظرف المتقدم كقولك كل يوم لك ثوب (ان الله قد حكم بين العباد) بان ادخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار لا معقب لحكمه (وقال الذين فى النار لخزنة جهنم) اى لخزنتها فوضع جهنم موضع الضمير للتهويل او لبيان محلهم فيها ويحتمل ان يكون جهنم ابعد دركاتها من قولهم بئر جهنام بعيدة القعر (ادعوا ربكم يخفف عنا يوما) قدر يوم (من العذاب) شيأ من العذاب ويجوز ان يكون المفعول يوما بحذف المضاف ومن العذاب بيانه

محذوف ومن العذاب بيان لذلك المحذوف اى يخفف شيأ من العذاب فى مقدار يوم واحد من ايام الدنيا ثم اشار الى جواز ان يكون يوما مفعول يخفف بتقدير المضاف اى يخفف عنا عذاب يوم لان نفس اليوم لا يخفف وانما يخفف مافيه ومن العذاب بيان لذلك المقدر الذى سألوا ان يخفف عنهم فاجابهم الخزنة موبخين اياهم على ترك اجابتهم دعوة الرسل فى الدنيا بقولهم او لم تك تأتيكم رسلكم بالبينات اى كيف تدعو ربنا بالاذكار ثم وقد تركتم اجابتكم دعوة الرسل بتصديقهم والايمان بهم بل كفرتم بهم وكذبتم بالآيات ﴿ قوله اذلم يؤذن لنا فى الدعاء لامثالكم ﴾ اى لاتشفع الا بشرطين احدهما ان يكون المشفوع له مؤمنا والثانى حصول الاذن فى الشفاعة ولم يوجد شئ من هذين الشرطين وليس قولهم فادعوا لرجاء المنفعة ولكن للدلالة على الخيبة ثم صرحوا بانه لا اثر لدعائهم فقالوا وما دعاء الكافرين من اضافة المصدر الى فاعله بمعنى مادعاء الكافرين لانفسهم ويجوز ان يكون من اضافة المصدر الى مفعوله اى وما دعاء غيرهم لهم بتخفيف العذاب عنهم الا فى ضلال ثم انه تعالى لما بين ان الكفار لا ينصرون فى الآخرة البتة ذكر ان النصرة فى الدنيا والآخرة لمن تكون فقال انا لننصر رسلنا والذين آمنوا بهم وصدقوهم فقد وعد بان يتولى نصرة اهل الحق من الرسل واتباعهم فى الدنيا والآخرة ونصرتهم فى الدنيا تكون من وجوه منها ان ينصرهم بالحجة والبرهان فان اهل الزيغ حجتهم داحضة بخلاف حجة المحقين فانه يمتنع ان يتطرق اليها الخلل والفتور ابد الآباد وقد سمى الله تعالى هذه النصرة سلطانا فى غير موضع وهى اقوى من سلطنة الدنيا لانها قد تبطل وقد تتبدل بالفقر والذلة بخلاف سلطنة الحجة ومنها ان ينصرهم بان يجعل الظفر والقهر والغلبة فى المحاربة لهم على اعدآئهم فانه لم ير وكون الرسول مغلوبا فى المحاربة وان اتفق ان يقع لبعض من المحقين نوع من انواع المكاره من قبل اعدآئهم كما وقع ليحيى وزكريا وبعض آخر من الانبياء عليهم الصلاة والسلام فانه تعالى قد انتقم لهم من اعدآئهم فى الدنيا ولو بعد حين الاترى ان يحيى بن زكريا لما قتل قتل به سبعون الفا على يد بخت نصر ومنها انهم منصورون بالمدح والتعظيم ايضا فان اعدآءهم وان غلبوا عليهم فى بعض الاحيان الا انهم لا يقدرون على اسقاط مدحهم من ألسنة الناس واسقاط تعظيمهم ومحبتهم من قلوبهم فهم منصورون فى الدنيا باحد هذه الوجوه لامحالة وفى الآخرة ايضا باعلاء درجاتهم فى مراتب الثواب وتعذيب اعدآئهم فى دركات العقاب وانما آثر قوله ويوم يقوم الاشهاد على قوله وفى الآخرة للايذان بان السلطان العظيم اذا خص بعض اوليائه بالاكرام والتشريف بمحضر الاشهاد والجمع العظيم يكون ذلك الذ وابهج بالنسبة الى الكرامة فى الخلوة والمراد بالاشهاد كل من يشهد باعمال العباد يوم القيامة من الملائكة والانبياء والمؤمنين اما الملائكة فهم الكرام الكاتبون يشهدون بما شاهدوا واما الانبياء فانهم يحضرون يوم القيامة ليشهدوا على الامم بالتصديق والتكذيب قال تعالى فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنابك على هؤلاء شهيدا واما المؤمنون فانهم يشهدون على الناس ايضا يوم القيامة قال تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهدآء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا ثم انه تعالى بين ان اكرام الانبياء وتشريفهم يكون فى يوم القيامة بان يحصل لاعدآئهم فيه امور ثلاثة الاول انهم لاينفعهم شئ من المعاذير البتة والثانى ان لهم اللعنة وهذا يفيد انحصار اللعنة فيهم وهى الاهانة والاذلال والثالث اختصاصهم بسوء الدار والمقصود من بيان اكرام الانبياء فى زمان اهانة الاعدآء تعظيم ثواب الانبياء لان الاشياء تعرف باضدادها ﴿ قوله وعدم نفع المعذرة الخ ﴾ جواب عما يقال قوله تعالى يوم لاينفع الظالمين معذرتهم يدل على انهم يذكرون الاعذار الا انها لا تنفعهم فاوجه الجمع بين هذا وبين قوله ولا يؤذن لهم فيعتذرون * وتقرير الجواب ان قوله لا ينفع الظالمين معذرتهم لايدل الا على انه ليس عندهم عذر مقبول نافع وصدقه لايستلزم انهم يذكرون الاعذار ولكنها لاتنفعهم بل يصدق بان لايعتذروا اصلا فان من لم يعتذر اصلا يصدق ان يقال انه لم يعتذر بما ينفعه فلامنافاة بينهما ان كان سلب النفع لانتفاء اصل المعذرة واما ان كان سلب النفع عنها مبنيا على انهم يذكرون الاعذار ولكنها لاتنفعهم لبطلانها فحينئذ يحتاج فى دفع التناقض الى اعتبار تعدد الاوقات فان يوم القيامة يوم طويل فجاز ان يعتذروا فى وقت آخر بان يمنعوا من الكلام بان يقال لهم اخسأوا ولا تكلمون ثم انه تعالى لما بين انه ينصر الانبياء ومن آمن بهم فى الدنيا والآخرة ذكر نوعا من انواع تلك النصرة فقال ولقد آتينا موسى الهدى ﴿ قوله وتركنا عليهم بعده ﴾ اشارة الى ان قوله اورثنا مستعار لتركنا عليهم بعده لتعذر حمله على اصل معناه لان الارث الحقيقى انما يتعلق بالمال والنكتة فى اختيار طريق التجوز الاشعار بان ميراث الانبياء ليس الا العلم والكتاب الهادى فى باب الدين

(قالوا أولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات) ارادوا به الزامهم الحجة وتوبيخهم على اضاعتهم اوقات الدعاء وتعطيلهم اسباب الاجابة (قالوا بلى قالوا فادعوا) فانا لانجترئ فيه اذلم يؤذن لنا فى الدعاء لامثالكم وفيه اقناط لهم من الاجابة (وما دعاء الكافرين الا فى ضلال) ضياع لايجاب (انا لننصر رسلنا والذين آمنوا) بالحجة والظفر والانتقام لهم من الكفرة (فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد) اى فى الدارين ولا ينتقض ذلك بما كان لاعدآئهم عليهم من الغلبة احيانا اذ العبرة بالعواقب وغالب الامر والاشهاد جمع شاهد كصاحب واصحاب والمراد بهم من يقوم يوم القيامة للشهادة على الناس من الملائكة والانبياء والمؤمنين (يوم لاينفع الظالمين معذرتهم) بدل من الاول وعدم نفع المعذرة لانها باطلة اولانه لايؤذن لهم فيعتذرون وقرأ غير الكوفيين ونافع بالتاء (ولهم اللعنة) البعد من الرحمة (ولهم سوء الدار) جهنم (ولقد آتينا موسى الهدى) مايهتدى به فى الدين من المعجزات والصحف والشرآئع (واورثنا بنى اسرآئيل الكتاب) وتركنا عليهم بعده

﴿ قوله من ذلك ﴾ اشارة الى الهدى خص الكتاب بكونه موروثا لهم بعده لان سائر ما اهتدى به فى امر الدين قد ارتفع بموته ﴿ قوله هداية وتذكرة ﴾ يعنى ان هدى و ذكرى يجوز ان يكونا مفعولين لهما وان يكونا مصدرين بمعنى اسم الفاعل وقعا موقع الحال وانتصابا على الحالية والفرق بين الهدى و الذكرى ان الهدى ما يكون دليلا على شئ آخر وليس من شرطه ان يذكر شيئا آخر كان معلوما ثم صار منسيا واما الذكرى فهو الذى يكون كذلك وكتب الانبياء مشتملة على هذين القسمين فان بعضها دلائل فى انفسها وبعضها مذكرات لما ورد فى الكتب الالهية المتقدمة ﴿ قوله واستشهد بحال موسى ﴾ اشارة الى ان قوله تعالى فاصبر مرتب على قوله انا لننصر رسلنا وان قوله ولقد آتينا موسى الهدى كالجملة المعترضة اوردت بينهما للبيان والتأكيد لنصرة الرسل كأنه قيل اذا سمعت ما وعدت به من نصرة الرسل وما فعلنا بموسى من ايتائه اسباب الهدى والنصرة على فرعون وقومه وابقاء آثار هداه فى بنى اسرآئيل بعده فاعلم ان الله ناصرك كما نصرهم واصبر على اذى المشركين فان العاقبة لك ﴿ قوله وتدارك فرطاتك ﴾ قيل المصدر فى قوله تعالى واستغفر لذنبك مضاف الى المفعول اى لذنب امتك فى حقك والظاهر انه تعالى يقول ما اراد ان يقول وان لم يجز لنا ان نضيف اليه ذنبا وقيل هذا تعبد من الله تعالى لرسوله ليزيد به درجة وليصير ذلك سنة لمن بعده ﴿ قوله ودم على التسبيح والتحميد لربك ﴾ اشارة الى ان المقصود من ذكر العشى والابكار الدلالة على المداومة عليها فى جميع الاوقات بناء على ان الابكار عبارة عن اول النهار الى نصفه والعشى عبارة عن نصف النهار الى اول النهار من اليوم الثانى فيدخل فيهما كل الاوقات وقيل المراد بهما طرفا النهار كما قال اقم الصلاة طرفى النهار وكثيرا ما يذكر طرفا الشئ ويراد كله ﴿ قوله بل هو المسيح بن داود ﴾ يعنون به الدجال فان اليهود قالوا فى صدد الانكار لنبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم انه يخرج صاحبنا الدجال ويبلغ سلطانه البر والبحر وهو آية من آيات الله تعالى فيرجع الينا الملك فسمى الله تعالى تمنيهم ذلك كبرا ونفى ان يبلغوا متمناهم فالآية وان نزلت فيهم او فى مشركى مكة الا ان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فلذلك قال المصنف الذين يجادلون عام فى كل مجادل مبطل سوآء كان من اليهود او من مشركى مكة او غيرهما فهو تعالى لما ابتدأ بالرد على الذين يجادلون فى آيات الله واتصل الكلام بعضه ببعض على الترتيب المتقدم الى هنا نبه الله تعالى على ان الداعية التى دعتهم الى تلك المجادلة الباطلة الكبر الذى فى صدورهم اى فى قلوبهم عبر بالصدر عن القلب لكونه موضع القلب فكنى به عنه وفسر الكبر اولا بالتكبر من الحق والتعظم عن تعلمه والتفكر فيه وفسره ثانيا بارادة التقدم والرياسة على النبى والمؤمنين وان لا يكون احد فوقهم فلذلك عادوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ودفعوا آياته خيفة ان يتقدمهم ويكونوا تحت يده وامره ونهيه لان النبوة تحتها كل ملك ورياسة وفسره ثالثا بانه ارادة ان يكون لهم النبوة دونه حسدا وبغيا ويدل عليه قوله تعالى ام يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله وقوله لو كان خيرا ما سبقونا اليه واعتبرت الارادة فى هذين الوجهين لان نفس الرياسة والنبوة ليستا فى قلوبهم ﴿ قوله ببالغى دفع الآيات ﴾ على ان يكون ضمير بالغيه راجعا الى الكبر بمعنى التكبر والتعظم من الانقياد للحق بتقدير المضاف اى ما هم ببالغى مقتضى كبرهم وهو دفع الآيات فانى انشرها وارها فى الآفاق واعلى قدرك وانفذ امرك ونهيك بين العباد ﴿ قوله او المراد ﴾ مبنى على ان يكون الكبر بمعنى ارادة الرياسة او ارادة الاختصاص بالنبوة فيكون كل واحد منهما مرادا ﴿ قوله فالتجئ اليه ﴾ فى السلامة من كيد من يحسدك ويتكبر عن متابعتك ﴿ قوله وهو بيان لاشكل ما يجادلون فيه بامر التوحيد ﴾ اى لاشبه بذلك فى كونه معظم ما يجب الاعتقاد به فان اول ما يجب على المكلف بعد الاعتقاد بوحدانية الله تعالى وبالرسالة ان يعتقد بحقية البعث والجزآء فان الاعتقاد بها هو الذى يحمل المكلف على رعاية احكام الشرع وان المجادلة فيها اصل المجادلة فى كل شئ ومدارها لان من اعترف بالبعث والحساب يترك المجادلة فى آيات الله تعالى رأسا ويجتهد فى رعاية جميع ما جاء به الشارع من الاحكام فعلى هذا يكون قوله اشكل اسم تفضيل من الشكل بمعنى المثل وتكون الباء فى قوله بامر التوحيد صلة الشكل ولم توجد كلمة الباء فى اكثر النسخ فينبغى ان يكون امر التوحيد حينئذ منصوبا بنزع الخافض وفى الصحاح الشكل بالفتح المثل والجمع اشكال يقال هذا اشكل بكذا اى اشبه به ومقصود المصنف من هذا الكلام الاشارة الى وجه اتصال قوله تعالى لخلق السموات والارض الآية بقوله ان الذين يجادلون فى آيات الله الآية فان امر البعث كان مما يجادلون فيه وينكرونه بل هو مبنى مجادلتهم فى كل ما يجادلون فيه واشبه بامر التوحيد من بين جميع ما يجادلون فيه فلا جرم

من ذلك التوراة (هدى وذكرى) هداية وتذكرة او هاديا ومذكرا (لاولى الالباب) لذوى العقول السليمة (فاصبر) على اذى المشركين (ان وعد الله حق) بالنصر لا يخلفه واستشهد بحال موسى وفرعون (واستغفر لذنبك) واقبل على امر دينك وتدارك فرطاتك كترك الاولى والاهتمام بامر العدى بالاستغفار فانه تعالى كافيك فى النصر واظهار الامر (وسبح بحمد ربك بالعشى والابكار) ودم على التسبيح والتحميد لربك وقيل صل لهذين الوقتين اذ كان الواجب بمكة ركعتان بكرة وركعتان عشيا (ان الذين يجادلون فى آيات الله بغير سلطان أتاهم) عام فى كل مجادل مبطل وان نزلت فى مشركى مكة او اليهود حين قالوا لست صاحبنا بل هو المسيح بن داود يبلغ سلطانه البر والبحر ويسير معه الانهار (ان فى صدورهم الا كبر) الا تكبر عن الحق وتعظم عن التفكر والتعلم او ارادة الرياسة او ان النبوة والملك لا يكون الا لهم (ما هم ببالغيه) ببالغى دفع الآيات او المراد (فاستعذ بالله) فالتجئ اليه (انه هو السميع البصير) لاقوالهم وافعالهم (لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس) فمن قدر على خلقها مع عظمها اولا من غير اصل قدر على خلق الانسان ثانيا من اصل وهو بيان لاشكل ما يجادلون فيه بامر التوحيد (ولكن اكثر الناس لا يعلمون) لانهم لا ينظرون ولا يتأملون لفرط غفلتهم واتباعهم اهوآئهم

احتج الله على حقيته بانكم تعترفون بان خالق السموات والارض هو الله تعالى وبانها خلق عظيم لايقادر قدره وان خلق الانسان بالقياس اليه شيء قليل مهين لاسيما خلقه على وجه الاعادة فمن قدر على خلقها مع عظمها كيف يعجز من خلق ماهو احقر منها واهون وهذا الاحتجاج ابلغ من الاستشهاد بخلق مثله لان الاستدلال بالشيء على غيره على ثلاثة اوجه الاول ان يقال من قدر على الاضعف وجب ان يقدر على الاقوى وهذا فاسد والثاني ان يقال من قدر على شيء وجب ان يقدر على مثله وهو استدلال صحيح لما تقرر ان حكم الشيء حكم مثله الثالث ان يقال من قدر على الاعظم الاقوى وجب ان يقدر على الادنى الاضعف بالاولوية وهذا الاستدلال في غاية الصحة والقوة ولايرتاب فيه عاقل البتة ﴿ قوله العاقل والمستبصر ﴾ يعني ان المراد بالاعمى من عمي قلبه عن رؤية الآيات والاستدلال بها وبالبصير من ابصرها واستدل بها وهو احتجاج آخر على حقية البعث والجزآء واشار اليه المصنف بقوله فينبغي ان يكون لهم حال يظهر فيها التفاوت ﴿ قوله وزيادة لا في المسيء ﴾ اراد بزيادتها مجرد ذكرها لا ذكرها خالية من المعنى ويشهد عليه قوله لان المقصود الخ واعلم ان الاخفش ذهب الى ان كلمة لا في الموقعين زائدة على فعل الاستوآء زائدة اينما وقعت واستدل عليه بان فعل الاستوآء مثبتا كان او منفيا لايكون الابين اثنين او اكثر ومن ثم لزم العطف على فاعله واسناده الى ضمير التثنية او الجمع ولايصح اسناده الى كل واحد من المتقابلين بانفراده لاستحالة قيامه وحده فلو قيل لايستوى زيد ولا عمرو وجب ان تجعل لا زائدة وذهب الجمهور الى انها ليست زائدة بل يؤتى بها لتقييد نفي مساواة كل واحد من المتقابلين للآخر فيما يخصه من المعاني والاوصاف والمعنى في الآية نفي مساواة المحسن المسيء فيما يستحقه من الحقارة والهوان ونفي مساواة المسيء للمحسن فيما له من الفضل والكرامة كأنه قيل ومايستوى المؤمن الذي عمل صالحا والمسيء ولا المسيء والمؤمن ﴿ قوله والعاطف الثاني ﴾ وهو مافي قوله والذين فانه ثان بالنسبة الى مافي قوله والبصير يعني ان البصير عطف على الاعمى عطف فرد على فرد في استوآئهما اولا ثم عطف مجموع الموصول وماعطف عليه عطف فرد على فرد على مجموع الاعمى والبصير عطف شفع على شفع فافاد انهما لايستويان ايضا لان المجموع الثاني يغاير المجموع الاول بحسب الوصف وان اتحدا بحسب الذات فان مجموع الغافل والمستبصر هو مجموع المحسن والمسيء الا انهما متغايران بحسب الوصف فان الفاعلين اللذين نفيت المساواة بينهما عبر عنهما اولا بالاعمى والبصير وثانيا بالمؤمن والمسيء الفاجر ولاتغاير بينهما الا بحسب الوصف بناء على ان المقصود بالوصفين الاولين مغاير لما قصد بالوصفين الاخيرين ﴿ قوله او الدلالة بالصراحة والتمثيل ﴾ هذا على ان يكون المقصود بما ذكر من الوصفين اولا عين ماذكر منهما ثانيا بان يكون الاعمى مثلا للمسيء والبصير مثلا للمؤمن العابد فحينئذ لايكون بين الشفعين الاخيرين فرق الا بان يدل احدهما على الوصف المقصود صريحا والآخر تمثيلا فان الشفع الثاني حينئذ وان اتحد بالشفع الاول بحسب الذات وبحسب ماقصد بهما من الوصفين الا ان احدهما يدل على الوصف المقصود صريحا والآخر تمثيلا ﴿ قوله تذكرا ماقليلا يتذكرون ﴾ يعني ان قليلا صفة لمصدر محذوف ليتذكرون وما لتأكيد معنى القلة والمعنى انهم وان كانوا يعلمون ان التبصر خير من الغفلة ولايستويان وكذا العمل الصالح خير من العمل الفاسد الا انهم يتذكرونه تذكرا قليلا والمراد لايتذكرونه ﴿ قوله والضمير ﴾ اي ضمير يتذكرون ان قرئ بياء الغيبة للناس المدلول عليه بقوله ولكن اكثر الناس لايعلمون فان اكثرهم ينكرون البعث والحساب فلايتذكرون عدم استوآء المحسن والمسيء او للكفار المدلول عليه بقوله ان الذين يجادلون في آيات الله ووجه القرآءة بتاء الخطاب اما تغليب المخاطبين فيكون التوبيخ اشمل حيث يتناول غير الذين اخبر عنهم بقوله ان الذين يجادلون واما الالتفات الى المجادلين المذكورين بعد الاخبار عنهم واما كونه مقولا لقول مضمر اي قل لهم قليلا ماتتذكرون قيل التغليب وان كان اعم واشمل لكنه غير مناسب للمقام بخلاف الالتفات فانه اتم فائدة وانسب للمقام لان العدول من الغيبة الى الخطاب في مقام التوبيخ يدل على العنف الشديد والانكار البليغ ﴿ قوله لوضوح الدلالة على جوازها ﴾ علة لانتفاء الريب في مجيئها فان ماقام الدليل الواضح على امكانه وجواز وقوعه اذا اجتمع الرسل المتصفون بالمعجزات على الاخبار بوقوعه يكون وقوعه مقطوعا به بلا ريب ومن جملة دليل جوازها ماذكر آنفا بقوله لخلق السموات والارض وماذكر بعده بقوله ومايستوى الاعمى والبصير وهذا يدل على ان الحكمة تقتضي وقوعها فهو تعالى لما استدل على جواز وقوعها وبين قضاء الحكمة بوقوعها ذكر بعده انها آتية لامحالة ثم امرنا بعبادته ووعدنا الاثابة في مقابلتها فقال ادعوني استجب لكم فانه لما كانت الحكمة في وقوعها

(ومايستوى الاعمى والبصير) الغافل والمستبصر (والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء) والمحسن والمسيء فينبغي ان يكون لهم حال يظهر فيها التفاوت وهي فيما بعد البعث وزيادة لا في المسيء لان المقصود نفي مساواته المحسن فيما له من الفضل والكرامة والعاطف الثاني عطف الموصول بما عطف عليه على الاعمى والبصير لتغاير الوصفين في المقصود او الدلالة بالصراحة والتمثيل (قليلا ماتتذكرون) اي تذكرا ما قليلا يتذكرون والضمير للناس او الكفار وقرأ الكوفيون بالتاء على تغليب المخاطب او الالتفات اوامر الرسول بالمخاطبة (ان الساعة لآتية لاريب فيها) في مجيئها لوضوح الدلالة على جوازها واجماع الرسل على الوعد بوقوعها (ولكن اكثر الناس لايؤمنون) لايصدقون بها لقصور نظرهم على ظاهر مايحسونه

مجازاة كل واحد من المحسن والمسيء على وفق عمله امرنا باحسان العمل ليحسن جزآؤنا وبين ان جزآء المستكبرين من عبادته سوء الجزآء واختلف الناس في المراد بقوله ادعوني فقيل انه امر بالسؤال والتضرع وقيل انه امر بالعبادة واستدل عليه بقوله تعالى بعده ان الذين يستكبرون عن عبادتي فانه لولا ان المراد بالدعاء مطلق العبادة لكان المناسب ان يقال بعده ان الذين يستكبرون عن دعائي ومسألتي ولما اردفه بقوله ان الذين يستكبرون عن عبادتي علم ان المراد بالدعاء العبادة ولما عبر عن العبادة بالدعاء عبر عن الاثابة بالاستجابة رعاية للمشاكلة ويدل على صحة هذا التفسير ما روى عن النعمان بن بشير رضي الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ان الدعاء هو العبادة» ثم قرأ هذه الآية ومن حمل كلا من الدعاء والاستجابة على ظاهره ورد عليه ان يقال كيف يحمل عليه وقد قيل بعده ان الذين يستكبرون عن عبادتي وكان الظاهر حينئذ ان يقال ان الذين يستكبرون عن دعائي فاشار المصنف الى جوابه بقوله وان فسر الدعاء بالسؤال كان الاستكبار الصارف عنه منزلا منزلته اى الاستكبار الصارف عن العبادة فتعدية اليه للمبالغة في استلزام كل واحد الآخر فان من استكبر عن مسألة الاحسان من الكريم المنان يستكبر عن عبادته وطاعته ايضا ومن استكبر عن طاعته يستكبر عن مسألة فضله واحسانه فصح بذلك تنزيل كل واحد منهما منزلة الآخر وايراده بدله واجاب عنه ثانيا بجواز ان يكون المراد بالعبادة في قوله يستكبرون عن عبادتي هو الدعاء وعبر عن الدعاء بالعبادة ليعلم ان الدعاء باب من ابوابها كما ورد في الحديث «ان الدعاء مخ العبادة» فان الدعاء هو الخضوع للبارى مع اظهار الافتقار والاستكانة وهو المقصود من العبادة والعمدة فيها وعن ابن عباس رضي الله عنه قال افضل العبادة الدعاء لما حث الله تعالى عباده على عبادته ذكر دلائل دالة على وجوده وكمال قدرته ووفور رحمته وبالغ حكمته ليكون ذلك أدعى لهم الى عبادته ودلائل وجوده تعالى وقدرته اما فلكية او عنصرية فبدأ بايراد الدلائل الفلكية فقال الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه الآية وهي كالتعليل للامر بالدعاء كأنه قيل انى انعمت عليكم بهذه النعم الجليلة قبل ان تسألوها ومن هذا شأنه كيف لا يستحق العبادة وكيف لا يستجيب دعاء عبده فيما سأله ﴿قوله ليؤدى الى ضعف الحركات وهدو الحواس﴾ لف ونشر مرتب فان الليل لكونه باردا رطبا تضعف فيه القوى المحركة ولكونه مظلما يؤدى الى سكون الحواس فتستريح النفس والقوى والحواس بقلة اشتغالها واعمالها ﴿قوله يبصر فيه او به﴾ تصريح بان النهار ظرف الابصار او سببه وليس فاعلا له ليظهر ان اسناد الابصار اليه مجاز مبنى على الملابسة من جهة الظرفية او السببية والوجه في دلالة هذا الاسناد المجازى على المبالغة في اتصاف الفاعل الحقيقى للابصار به انه لو قيل وجعل لكم النهار لتبصروا فيه او به لم يفهم الا كون النهار ظرفا للابصار او سببا له ولما جعل نفس النهار مبصرا فهم ان النهار لكمال سببية الابصار وكثرة القوة الباصرة فيه جعل كأنه هو المبصر وان فعل الفاعل الحقيقى اذا اسند الى وقته مثلا مثل ان يقال صام نهاره او نهاره صائم يفهم انه لكثرة صومه في النهار وقوة ملازمته للصوم فيه صح ان يوصف نهاره بكونه صائما وكذا الابصار ﴿قوله ولذلك عدل به عن التعليل الى الحال﴾ جواب عما يقال حق المقابلة يقتضى ان يقال والنهار لتبصروا على وفق قوله لتسكنوا ولم يقل هكذا بل قرن الليل بالمفعول له والنهار بالحال «وتقرير الجواب انه عدل عن مقتضى الظاهر للدلالة على المبالغة المفهومة من الاسناد المجازى ﴿قوله لا يوازيه فضل﴾ يعنى ان تنكير الفضل لتعظيم ولو قيل لمفضل لدل تنكيره على تعظيم ذات المفضل ولا يعلم صريحا ان عظمته لأجل عظم افضاله لاحتمال عظم غيره ﴿قوله لجهلهم بالنعم واغفالهم مواقع النعم﴾ اى رفعة شأنها وعلو قدرها في الصحاح الموقع بالتسكين المكان المرتفع على الشكر بامرين احدهما الجهل بالنعم فان من اعتقد ان هذه النعم ليست من الله تعالى كيف يشكره كالدهرية مثلا فانهم يزعمون ان الافلاك واجبة الوجود لذواتها وواجبة الدوران المستدعى لاختلاف اوضاعها واوضاع ما فيها من الكواكب وان النعم الحاصلة في العالم السفلى مستندة اليها فمع هذا الاعتقاد كيف يشكرون المنعم الحقيق وثانيهما ان يعتقد الرجل ان كل العالم من الله تعالى حاصل بتخليقه وتكوينه الا انه لاستغراقه في نعم الله تعالى عليه ودورها عليه في كل لحظة وآن وعدم ذوقه ألم فقدانها قد ينسى قدرها ويغفل عن كونها نعمة جليلة فيترك شكرها الا انه ثم اذا ابتلى بفقدان شيء منها فحينئذ يعرف قدرها مثل ان يتفق لبعض الناس والعياذ بالله ان تحبسه بعض الظلمة في بئر عميق مظلم مدة مديدة فانه حينئذ يعرف قدر نعمة الهوآء الصافى وقدر نعمة الضوء ﴿قوله وتكرير الناس لتخصيص الكفران بهم﴾ يعنى ان المقام مقام الاضمار لتقدم ذكر الناس الا انه وضع الظاهر موضع الضمير ليفهم اختصاص كفران

(وقال ربكم ادعونى) اعبدونى (استجب لكم) اثبكم لقوله (ان الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين) صاغرين وان فسر الدعاء بالسؤال كان الاستكبار الصارف عنه منزلا منزلته للمبالغة او المراد بالعبادة الدعاء فانه من ابوابها وقرأ ابن كثير وابو بكر سيدخلون بضم الياء وفتح الخاء (الله الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه) لتستريحوا فيه بان خلقه باردا مظلما ليؤدى الى ضعف الحركات وهدو الحواس (والنهار مبصرا) يبصر فيه او به واسناد الابصار اليه مجاز فيه مبالغة ولذلك عدل به عن التعليل الى الحال (ان الله لذو فضل على الناس) لا يوازيه فضل وللاشعار به لم يقل لمفضل (ولكن اكثر الناس لا يشكرون) لجهلهم بالنعم واغفالهم مواقع النعم وتكرير الناس لتخصيص الكفران بهم

(النعمة)

النعمة بهم وانهم هم الذين يكفرون فضل الله تعالى ولا يشكرونه فان وضع المظهر المعرّف باللام موضع المضمر يفيد اختصاص الحكم به لانه من باب الله يستهزئ بهم والله يبسط الرزق لمن يشاء فان مثل هذا الاسلوب لو لم يحمل على الاختصاص لكان تخصيص الاسم الظاهر بالذكر وتعريفه باللام في مقام الاضمار خاليا عن الفائدة ولا يجوز اخلاء كلام البليغ عنها ﴿ قوله اخبار مترادفة ﴾ يعني ان اسم الاشارة مبتدأ وما بعده من الالفاظ الاربعة اخبار له اشار الى المعلوم المتميز بالافعال الخاصة التي لا يشاركه فيها احد غيره واخبر عنه بانه الجامع لهذه الاوصاف من الالهية والربوبية وخلق كل شيء وانه لا ثاني له وكل واحد من هذه الاوصاف مخصص ما بعده ومقرره والوقف على كل شيء لازم لئلا يلتبس ما بعده بكونه صفة شيء ولما قرر ما دل على وجود الموصوف بالصفات المذكورة قال فانى تؤفكون اى اذا تقرر هذا البيان الواضح كيف صح لكم ان تصرفوا عن توحيده وعبادته الى عبادة غيره ثم بين ان هذه الضلالة ليست مختصة بهم بل هي ثابتة في كل من جحد بآيات الله ولم يتأملها ولم يستدل بها على ما هو الحق في باب الاعتقاد والعمل وتقاعد عن طلب الحق وخوف العاقبة فانهم جميعا أفكوا عن الحق وحرموا من الصلى به مجازاة لجحودهم بالآيات وتكذيبهم اياها وتركهم الاستدلال بها وفسر قوله تعالى يؤفك الذين بقوله أفك عن الحق اشارة الى ان لفظ المضارع في الآية الكريمة بمعنى الماضي عدل اليه لحكاية الحال الماضية واستحضارها اى انهم جميعا أفكوا مثل أفك قومك ثم زاد في البيان وتقرير دلائل وحدته فقال الله الذي جعل لكم الارض قرارا اى ذات قرار تستقرون فيها والقرار في المكان الاستقرار فيه يقال قررت بالمكان بكسر العين اقر قرارا قال ابن عباس رضي الله عنه قرارا اى منزلا في حال الحياة وبعد الممات وقيل سكن الارض وجعلها مستقرة ليمكن التصرف عليها والسماء بناء اى قبة مبنية مرفوعة فوقكم لمصالحكم وحوائجكم لان السماء في نظر العين كقبة مضروبة على فضاء الارض والدلائل المذكورة الى هنا من دلائل الآفاق وهي كل ما هو غير الانسان من كل هذا العالم ثم ذكر شيأ من دلائل الانفس بقوله وصوركم فاحسن صوركم واستدل اولا بحدوث صورة الانسان وثانيا بحسن صورته وثالثا بانه رزقه من الطيبات فالمذكورها خمسة دلائل اثنان منها من دلائل الآفاق وثلاثة من دلائل الانفس ﴿ قوله والتخطيطات ﴾ اراد بها ما بين كل عضوين من الخطيطة وهي الارض التي لم تمطر بين ارضين ممطورتين ❊ والبركة النماء والزيادة وتبارك الله اى بارك الله مثل قاتل وتقاتل الا ان فاعل يتعدى وتفاعل لا يتعدى كذا في الصحاح ❊ قال الامام وتفسير تبارك اما الدوام والثبات واما كثرة الخيرات وقال النسفي اى جل الله ودامت بركاته وتتابعت خيراته واستعمل تبارك في موضع تعالى ❊ لما اخبر الله تعالى بان الذي فعل بكم كل ذلك هو الله ربكم فرع عليه قوله فتبارك الله رب العالمين اى تعالى وتعظم عن ان يكون له شريك في العبادة اذ لا شريك له في شيء من تلك النعم ﴿ قوله المتفرد بالحياة الذاتية ﴾ اى لا حي كذلك الا هو والحصر مستفاد من تعريف طرفي الجملة الاسمية مثل صديقي زيد وفسر الدعاء بالعبادة بقرينة قوله مخلصين له الدين لان الدين هو الطاعة ﴿ قوله قائلين له ﴾ يعني ان قوله الحمد لله رب العالمين مقول قول مقدر في موضع الحال من فاعل فادعوه فيكون داخلا في حيز الامر فيداله ويؤيد هذا التفسير ما روى عن ابن عباس انه قال من قال لا اله الا الله فليقل على اثرها الحمد لله رب العالمين فذلك قوله تعالى فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين ﴿ قوله فانها مقوية لادلة العقل منبهة عليها ﴾ جواب عما يقال اذا كان عليه الصلاة والسلام منهيا عن عبادة غير الله ابدا بالدلائل العقلية القائمة قبل مجيء البينات وهي الدلائل المتقدمة الدالة على ان اله العالم من ثبتت له صفات العظمة والجلال ومن دبر في ملكه بما ذكر من الافعال فما وجه قوله نهيت ان اعبد غيره تعالى لما جاءني البينات ❊ وتقرير الجواب ان بداهة العقل وان كانت شاهدة على ان عبادة الممكن العاجز في حد ذاته قبيحة مستنكرة الا ان الدلائل السمعية لما جاءت مقوية لادلة العقل صح تقوية النهي عنها بوقت مجيء الادلة السمعية بمعنى اني نهيت نهيا متأكدا عن عبادة غيره تعالى وقت مجيئها فكانت ادلة الشرع منبهة على الادلة العقلية من حيث كونها متضمنة لادلة العقل كقوله تعالى أتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون فكأنه قيل نهيت ان اعبد ما تعبدونه وقت مجيء البينات المتناولة لادلة العقل والسمع وكونه منهيا عنها قبل ورود الشرع بمجرد ادلة العقل لا ينافي تقوية النهي بمجيء الادلة المتناصرة المتعاضدة فان مجيئها اقوى وابلغ في ابطال طريق اهل الشرك وهذا السؤال والجواب لا يرد على مذهب اهل السنة اذ لا نهي ولا وجوب عندهم الا بعد ورود الشرع الا ان المصنف اجاب عنه بطريق التسليم ثم انه لما بين انه نهى عن عبادة

(ذلكم) المخصوص بالافعال المقتضية للالوهية والربوبية (الله ربكم خالق كل شيء لا اله الا هو) اخبار مترادفة تخصص اللاحقة السابقة وتقررها وقرئ خالق بالنصب على الاختصاص فيكون لا اله الا هو استئنافا بما هو كالنتيجة للاوصاف المذكورة (فانى تؤفكون) فكيف ومن اى وجه تصرفون من عبادته الى عبادة غيره (كذلك يؤفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون) اى كما أفكوا أفك عن الحق كل من جحد بآيات الله ولم يتأملها (الله الذي جعل لكم الارض قرارا والسماء بناء) استدلال ثان بافعال اخر مخصوصة (وصوركم فاحسن صوركم) بان خلقكم منتصب القامة بادى البشرة متناسب الاعضاء والتخطيطات متهيئين لمزاولة الصنائع واكتساب الكمالات (ورزقكم من الطيبات) اللذائذ (ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين) فان كل ما سواه مربوب مفتقر بالذات معرض للزوال (هو الحي) المتفرد بالحياة الذاتية (لا اله الا هو) اذ لا موجود يساويه او يدانيه في ذاته وصفاته (فادعوه) فاعبدوه (مخلصين له الدين) اى الطاعة من الشرك والرياء (الحمد لله رب العالمين) قائلين له (قل انى نهيت ان اعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءني البينات من ربي) من الحجج او من الآيات فانها مقوية لادلة العقل منبهة عليها

غير الله تعالى بين انه امر بعبادة الله تعالى فقال وامرت ان اسلم لرب العالمين اى انقاد او اخلص له دينى الاول على ان يكون قوله اسلم لرب العالمين من قولهم اسلم امره الى الله اى سلم وذلك انما يكون بالرضى والانقياد لحكمه والثانى على ان يكون من قولهم اسلمت له الشئ اذا جعلته سالما خالصا له وعلى التقديرين يكون مفعول اسلم محذوفا اى اسلم امرى له او ان اسلم واخلص توحيدى وطاعتى له ثم انه تعالى لما استدل على ثبوت الاله القادر العليم باربعة من دلائل الآفاق وهى الليل والنهار والارض والسماء وثلاثة من دلائل الانفس وهى نفس التصوير وحسن الصورة ورزق الطيبات ذكر من دلائل الانفس كيفية تكوين البدن من ابتداء كونه نطفة وجنينا الى آخر الشيخوخة والموت فقال هو الذى خلقكم من تراب الآية قيل المخلوق من التراب هو آدم عليه الصلاة والسلام وحكم بكون المخاطبين من اولاده مخلوقين من التراب ايضا لكونهم مخلوقين منه بواسطه خلق ابيهم منه وقيل لا حاجة فى صحة الحكم بكون كل فرد من افراد الانسان متكونا من التراب الى ذلك بناء على ان كل انسان فهو مخلوق من المنى والمنى مخلوق من الدم والدم انما يتكون من الاغذية والاغذية اما حيوانية او نباتية والاغذية الحيوانية لابد ان تنتهى الى النباتية والا لزم ان تتسلسل الحيوانات الى غير النهاية والنبات انما يتولد من الماء والتراب فثبت بذلك ان كل انسان متكون من التراب الذى يصير نباتا ثم نطفة ثم علقة الى آخر الاطوار التى ينفصل الولد بعد تمامها من بطن امه الا انه تعالى ترك ذكر تلك الاطوار ههنا لاجل انه تعالى ذكرها فى سائر الآيات واعلم انه تعالى رتب عمر الانسان على ثلاث مراتب اولاها مرتبة الطفولية وثانيتها مرتبة بلوغه الاشد وثالثتها مرتبة الشيخوخة وهذا ترتيب مطابق لمقتضى العقل وذلك لان الانسان فى اول عمره يكون فى التزايد والنماء الى ان يبلغ الى حد الكمال والوقوف من النماء من غير ان يحصل فيه نوع من انواع الضعف والانحطاط وهذه المرتبة هى التى عبر عنها بقوله ثم لتبلغوا اشدكم والمرتبة الثالثة ان يتراجع ويظهر فيه اثر من آثار الضعف والانحطاط وعبر عن هذه المرتبة بقوله ثم لتكونوا شيوخا اى وبعد ان اخرجكم اطفالا يبقيكم ويربيكم لتبلغوا اشدكم ثم يبقيكم ويربيكم لتكونوا شيوخا او لتبلغوا اشدكم ثم لتكونوا شيوخا ولما استدل بهذه التغيرات على وجود الاله القادر قال بعده هو الذى يحيى ويميت اى كما ان تلك التغيرات تدل على وجوده فكذلك الانتقال من الحياة الى الموت وبالعكس يدل عليه ايضا ﴿قوله فاذا اراده﴾ اى اراد تكوينه يعنى ان القضاء بمعنى التقدير عبر به عن لازمه الذى هو ارادة تكوينه كانه قيل اذا قدر شيأ واراد تكوينه يكون سريعا من غير توقف على العدد والمواد ﴿قوله نتيجة ماسبق﴾ من افعاله المذكورة بقوله هو الذى جعل لكم الليل الى هنا فكانه قيل فى هذه افعاله علم انه لا يعسر عليه شئ ولا يتوقف وجود آثاره الا على تعلق ارادته بوجودها لكمال قدرته وتمام مشيئته واشار بقوله فلا يحتاج فى تكوينه الى عدة وتجشم كلفة الى ان المراد بتكوينه الاشياء بكلمة كن سرعة تكوينه اياها من غير ان يحتاج فيه الى عدة ومادة واستعمال آلة تعينه وقال الفاضل التفتازانى فى التلويح ذهب اكثر المفسرين الى ان هذا الكلام مجاز عن سرعة الايجاد وسهولته على الله تعالى وكمال قدرته على المقدورات تمثيلا للغائب اعنى تأثير قدرته فى المراد بالشاهد اعنى امر المطاع للمطيع فى حصول المأمور به من غير امتناع وتوقف ولا افتقار الى مزاولة عمل واستعمال آلة وليس هناقول ولا كلام وانما وجود الاشياء بالخلق والتكوين مقرونا بالعلم والقدرة والارادة ثم قال وذهب بعضهم الى انه حقيقة وانه تعالى قد اجرى سنته فى تكوين الاشياء على ان يكونها بهذه الكلمة وان لم يمتنع ان يكونها بدونها ومعنى قوله كن فيكون ان يقول له احدث فيحدث عقيب هذا القول لكن المراد به الكلام الازلى القائم بذات الله تعالى لا الكلام اللفظى المركب من الحروف والاصوات لانه حادث فيحتاج الى خطاب آخر فيتسلسل ولانه يستحيل قيام الصوت والحرف بذاته تعالى ولما لم يتوقف خطاب التكوين على الفهم واشتمل على اعظم الفوائد وهو الوجود جاز تعلقه بالمعدوم بخلاف خطاب بل التكليف ايضا ازلى ولابد ان يتعلق بالمعدوم على معنى ان الشخص الذى سيوجد مأمور بذلك وبعضهم على ان الخطاب الازلى لا يسمى خطابا حتى يحتاج الى مخاطب انتهى كلامه ثم انه تعالى عاد الى ذم الذين يجادلون فى آيات الله بالانكار والتكذيب ثم تعجب منهم بقوله انى يصرفون عن التصديق بها وهذا كما يقول الرجل لمن لا يسمع نصحه الى ان يذهب بك تعجبا من غفلته وقوله تعالى الذين كذبوا بالكتاب يجوز ان يكون بدلا من الموصول قبله او بيانا له او نعتا او خبر مبتدأ محذوف او منصوبا على الذم وعلى هذه الاوجه يكون قوله فسوف يعلمون جملة مستأنفة مسوقة للتهديد ويجوز ان يكون مبتدأ خبره قوله فسوف يعلمون والفاء فيه لتضمن

(وامرت ان اسلم لرب العالمين) ان انقاد له او اخلص له دينى (هو الذى خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا) اطفالا والتوحيد لارادة الجنس او على تأويل كل واحد منكم (ثم لتبلغوا أشدكم) اللام فيه متعلقة بمحذوف تقديره ثم يبقيكم لتبلغوا وكذا فى قوله (ثم لتكونوا شيوخا) ويجوز عطفه على لتبلغوا قرأ نافع وابو عمرو وحفص وهشام شيوخا بضم الشين وقرئ بالكسر وشيخا كقوله طفلا (ومنكم من يتوفى من قبل) من قبل الشيخوخة او بلوغ الاشد (ولتبلغوا) ويفعل ذلك لتبلغوا (اجلا مسمى) وهو وقت الموت او يوم القيامة (ولعلكم تعقلون) ما فى ذلك من الحجج والعبر (هو الذى يحيى ويميت فاذا قضى امرا) فاذا اراده (فانما يقول له كن فيكون) فلا يحتاج فى تكوينه الى عدة وتجشم كلفة والفاء الاولى للدلالة على ان ذلك نتيجة ما سبق من حيث انه يقتضى قدرة ذاتية غير متوقفة على العدد والمواد (الم تر الى الذين يجادلون فى آيات الله أنى يصرفون) عن التصديق به وتكرير ذم المجادلة لتعدد المجادل او المجادل فيه او للتأكيد (الذين كذبوا بالكتاب) بالقرآن او بجنس الكتب السماوية (وبما ارسلنا به رسلنا) من سائر الكتب او الوحى والشرائع (فسوف يعلمون) جزاء تكذيبهم

المبتدأ معنى الشرط وقوله من سائر الكتب على ان يفسر الكتاب بالقرآن وما بعده على ان يفسر بجنس الكتب ففيه صنعة اللف والنشر ﴿قوله اذ المعنى على الاستقبال﴾ جواب عما يقال ان اذ للماضى فكيف يكون ظرفا ليعلمون وهو مقرون بعلم الاستقبال فما هو الا مثل قولك سوف اصوم امس * وتقرير الجواب ان اذ هنا بمعنى اذا والشهادة بمامله والامور المستقبلة اذا كانت متيقنة الوقوع تنزل منزلة ما قد وجد وانقضى ويعبر عنها بلفظ الماضى للتنبيه على كونها محققة الوقوع ﴿قوله وهو على الاول﴾ اى قوله يسحبون على تقدير ان يكون قوله والسلاسل معطوفا على الاغلال ويكون قوله فى اعناقهم خبرا عنهما يكون حالا من الضمير المجرور فى اعناقهم على معنى ان الاغلال والسلاسل يضافان الى اعناقهم حال كونهم مسحوبين اى مجرورين تجرهم خزنة جهنم فى الحميم وهو الماء الذى تناهى حره والسحب الجر بعنف ومنه السحاب لان الريح تجره ويقال سحب ذيله اى جره ومن قرأ والسلاسل منصوبا جعله مفعولا مقدما ليسحبون المبنى للفاعل وجعل تقدير الكلام اذ الاغلال فى اعناقهم ويسحبون السلاسل ومن قرأ مجرورا عطفه على الاغلال اعتبارا بمعنى الكلام فان المعنى اذ اعناقهم فى الاغلال والسلاسل ويسحبون فى هذه القرآءة على بناء المفعول ﴿قوله او اضمار الباء﴾ عطف على قوله حملا على المعنى فيكون بجملة والسلاسل يسحبون فى موضع الجر عطفا على الجملة الاسمية التى اضيف اليها اذ ﴿قوله يحرقون﴾ من قبيل تفسير اللفظ بلازم معناه فان يسجرون معناه يملأون نارا بان تكون اجوافهم مملوءة بها فان من كان فى النار وكانت هى محيطة به وصارت اجوافهم مملوءة بها لزمهم ان يحترقوا بها على اعظم الوجوه وافظعها والعياذ بالله ﴿قوله والمراد﴾ اى من قوله تعالى اذ الاغلال الى هنا بيان كيفية عقابهم حيث بين انه يكون فى اعناقهم اغلال وسلاسل ثم بين انهم يسحبون بتلك السلاسل فى الحميم المسخن بنار جهنم ثم بين انهم يملأون بها كانين فيها ثم يقال لهم على سبيل التوبيخ والتقريع اين ما كنتم تشركون من دون الله رجاء شفاعتهم ادعوهم ليغيثوكم ويشفعوا لكم وهو نوع آخر من تعذيبهم ﴿قوله وذلك قبل ان يقرن بهم آلهتهم﴾ جواب عما يقال كيف يقولون انهم ضلوا عنا وهم مقرونون مع آلهتهم كما يدل عليه قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم ﴿قوله غابوا عنا﴾ اى من اعيننا وان كانوا قائمين اى غير هالكين فى انفسهم على ان يكون قولهم ضلوا عنا من قول العرب ضلت المسجد والدار اذا لم تعرف موضعهما وكذلك كل شئ قائم اى غير هالك لكنك لاتهتدى اليه وقوله او ضاعوا عنا على ان يكون من ضل بمعنى ضاع وهلك تنزيلا لوجودهم منزلة الضياع والهلاك لفقدهم النفع الذى يتوقعونه منهم وان كانوا مع المشركين فى جميع الاوقات ﴿قوله مثل هذا الضلال﴾ وهو ضلال آلهتهم عنهم بمعنى غيبة الآلهة عن نظرهم او بمعنى ضياع الآلهة عنهم بفقدان ما يتوقعه العبدة منهم وضلال الكافرين الذى شبه بهذا الضلال اما ضلالهم فى الدنيا عما ينفعهم فى الآخرة من العقائد والاعمال وعدم اهتدائهم اليه اصلا واما ضلالهم عن آلهتهم بحيث لو طلبوا الآلهة لم يصادفوها اى لم يجد احد منهما الآخر وقوله تعالى ذلكم بما كنتم تفرحون فى الارض الخ يؤيد الاحتمال الاول فان الظاهر ان قوله ذلكم بما كنتم تفرحون اشارة الى اضلال الله تعالى اياهم وانما ذكر بعده بيان لسببه ولا يخفى ان كونه سببا لضلالهم فى الدنيا عما ينفعهم فى الآخرة اظهر من كونه سببا لضلالهم عن آلهتهم فان فرحهم واختيالهم بالاباطيل التى كانوا يشتغلون بها فى الدنيا يكون سببا لاضلال الله تعالى اياهم عما ينفعهم فى الآخرة وعدم توفيقه اياهم لذلك ولا يظهر كونه سببا لاضلاله تعالى اياهم عن آلهتهم وجعل ذلك اشارة الى العذاب المذكور بقوله اذ الاغلال فى اعناقهم لايخلو عن بعد فيكون المعنى حينئذ ذلك العذاب الذى نزل بكم بما كنتم تفرحون والباء فى قوله تعالى بما كنتم للسببية وفى قوله بغير الحق صلة الفرح والمرح شدة الفرح والنشاط وقوله تفرحون وتمرحون من باب التجنيس المحرف وهو ان يقع الفرق بين اللفظين بحرف واحد ﴿قوله الابواب السبعة﴾ مأخوذ من قوله تعالى لها سبعة ابواب لكل باب منهم جزء مقسوم ﴿قوله وكان مقتضى النظم فبئس مدخل المتكبرين﴾ ليناسب عجز الكلام صدره فانه مصدر بلفظ ادخلوا فالمناسب ان يقال فى عجزه فبئس مدخل المتكبرين وتقرير جوابه ان فوات التناسب بينهما انما يكون ان لو لم يقيد الدخول بالخلود لان الدخول غير الثوآء الذى هو الاقامة ولا يستلزمه ايضا واما اذا قيد به فقد استلزمه بل اتحد معه بحسب المفهوم فحصل به التناسب بين العجز والصدر ثم انه تعالى لما فرغ من ذم المجادلين فى آيات الله وبيان عقوبتهم فى الآخرة فرع عليه قوله فاصبر يا محمد على ايذائهم اياك بسبب تلك

(اذ الاغلال فى اعناقهم) ظرف ليعلمون اذ المعنى على الاستقبال والتعبير بلفظ المضى لتيقنه (والسلاسل) عطف على الاغلال او مبتدأ خبره (يسحبون فى الحميم) والعائد محذوف اى يسحبون بها وهو على الاول حال وقرئ والسلاسل بالجر حملا على المعنى اذ الاغلال فى اعناقهم بمعنى اعناقهم فى الاغلال او اضمار الباء ويدل عليه القرآءة به والسلاسل يسحبون بالنصب وفتح الياء على تقديم المفعول وعطف الفعلية على الاسمية (ثم فى النار يسجرون) يحرقون من سجر التنور اذا ملأه بالوقود ومنه السجير الصديق كأنه سجر بالحب اى ملئ والمراد انهم يعذبون بانواع من العذاب وينقلون من بعضها الى بعض (ثم قيل لهم اين ما كنتم تشركون من دون الله قالوا ضلوا عنا) غابوا عنا وذلك قبل ان يقرن بهم آلهتهم او ضاعوا عنا فلم نجد منهم ما كنا نتوقع منهم (بل لم نكن ندعو من قبل شيأ) اى بل تبين لنا انا لم نكن نعبد شيأ بعبادتهم فانهم ليسوا شيأ يعتد به كقولك حسبته شيأ فلم يكن (كذلك) مثل هذا الضلال (يضل الله الكافرين) حتى لايهتدوا الى شئ ينفعهم فى الآخرة او يضلهم عن آلهتهم حتى لو تطالبوا لم يتصادفوا (ذلكم) الاضلال (بما كنتم تفرحون فى الارض) تبطرون وتتكبرون (بغير الحق) وهو الشرك والطغيان (وبما كنتم تمرحون) توسعون فى الفرح والعدول الى الخطاب للمبالغة فى التوبيخ (ادخلوا ابواب جهنم) الابواب السبعة المقسومة لكم (خالدين فيها) مقدرين الخلود (فبئس مثوى المتكبرين) عن الحق جهنم وكان مقتضى النظم فبئس مدخل المتكبرين ولكن لما كان الدخول المقيد بالخلود سبب الثوآء عبر بالمثوى

الجادلات ثم قال ان وعدالله حق وعني به ماوعد رسوله من نصرته ومن انزال العذاب على اعدآئه ﴿قوله فلذلك﴾ اى فلكون ان الشرطية مؤكدة بما المزيدة لتأكيد معنى الشرط لحقت نون التأكيد فعل الشرط فان نون التأكيد انما تلحقه اذا اكدت كلمة ان بما ولا تلحقه اذا لم تؤكد بها فلا يقال ان تكرمني اكرمك بل يقال اما تكرمني قيل ماذكر من تلازم نون التأكيد وما المزيدة انما هو مذهب المبرد والزجاج ونص سيبويه على التخفيف ﴿قوله وهو جواب نتوفينك﴾ جواب عما يقال الظاهر ان قوله او نتوفينك معطوف على قوله نرينك ففي الكلام شرطان اشتركا في جزآء واحد وهو قوله تعالى فالينا يرجعون فيلزم ان يكون كل واحد من الشرطين المذكورين سببا للجزآء المذكور بعدهما وهو انتقامه تعالى منهم في الآخرة وكون الشرط الاول سببا له غير معقول لان تعذيبهم في الدنيا بمرأى النبي صلى الله عليه وسلم كيف يكون سببا لانتقامه تعالى منهم في الآخرة وان جعل قوله تعالى فالينا يرجعون جوابا للشرط الثاني وحده بقي الشرط الاول بغير جزآء وتقرير جوابه ظاهر ثم قال ويجوز ان يكون جوابا لهما فيكون المقصود من الشرطية تقرير قوله ان وعدالله حق على ان يكون المراد بالوعد تعذيب الجادلين بعذاب الآخرة فتقديره بيان ان تعذيبهم في حياته لا يسقط عنهم عذاب الآخرة بل انهم يعذبون فيها البتة سوآء عذبوا في حياته او لم يعذبوا ﴿قوله اذ قيل﴾ تعليل لقوله تعالى ومنهم من لم نقصص عليك روى عن ابي ذر رضي الله عنه انه قال قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم كم عدة الانبياء فقال «مائة الف واربعة وعشرون الفا الرسل من ذلك ثلثمائة وخمسة عشر» ولما كان الذين يجادلون في آيات الله قد اقترحوا معجزات زآئدة على ما اظهر الله تعالى على يده كقولهم لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا وغير ذلك مع كون ما اظهره من المعجزات كافية في الدلالة على صدقه سلاه تعالى بانزال قوله ولقد ارسلنا رسلا من قبلك وقوله تعالى منهم يجوز ان يكون صفة رسلا فيكون من قصصنا فاعلا له لاعتماده على الموصوف ويجوز ان يكون خبرا مقدما ومن قصصنا مبتدأ مؤخرا والجملة اما صفة رسلا وهو الظاهر او استئناف فكأنه تعالى قال له ثم انت من جملة الرسل المبعوثين الى الامم وليس فيهم احد اعطاه الله آيات ومعجزات الا وقد جادله قومه فيها وكذبوه فصبروا وكان قومهم ابدا يقترحون عليهم اظهار المعجزات الزآئدة على الحاجة عنادا وعبثا ولم يكن احد من اولئك الرسل اتى قومه بشئ من المعجزات من قبل نفسه وما استقل في اتيان شئ مما اقترحوه من المعجزات الزآئدة على قدر الحاجة ولم يقدح ذلك في نبوتهم فكذا الحال في اقتراح قومك عليك اي ان ما تأتيهم به من الآيات هو ماقدره وقضاه لك وليس اختيار شئ منها موكولا اليك ثم قال تعالى على سبيل التهديد والوعيد فاذا جاء امر الله قضى بالحق ثم انه تعالى لما اطنب في تقرير الوعيد عاد الى ذكر ما يدل على وجود الاله الحكيم الرحيم وتفصيل وجوه انعامه على عباده فقال الله الذي جعل لكم الانعام وهي الازواج الثمانية الابل والبقر والضأن والمعز فانها ثمانية باعتبار ذكورتها وانوثتها وقال الزجاج الانعام الابل خاصة وفي الصحاح اكثر استعمال اسم النعم في الابل وهو في الاصل المال الراعية ومن فسر الانعام في الآية بالابل خاصة فسر قوله لتركبوا منها بقوله لتركبوا الكبار منها ﴿قوله فان من جنسها ما يؤكل الخ﴾ اشارة الى ان كلمة من في الموضعين للتبعيض وعلى ان المراد بالانعام الازواج الثمانية تكون من لابتدآء الغاية ﴿قوله تعالى ولتبلغوا﴾ عطف على قوله لتركبوا منها وحاجة مفعول لتبلغوا وقوله بالمسافرة عليها اشارة الى متعلق قوله عليها وقوله وعلى الفلك تحملون ادخال منة اخرى في هذه المنن على سبيل الاستطراد وهي المنة بخلق سفائن البحر للمسافرة عليها في البحر ﴿قوله وانما قال على الفلك﴾ جواب عما يقال الظاهر ان يقال في الفلك كما قال تعالى قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين لان الفلك وعاء وظرف لحملها فلم قيل عليها بكلمة الاستعلاء فاجاب عنه بقوله للمزاوجة اي ليزاوج ويطابق قوله وعليها فان محمولات الانعام لما كانت مستعلية عليها ذكرت كلمة على فيها في موضعها ومحمولات الفلك وان لم تكن مستعلية عليها الا انه ذكرت كلمة الاستعلاء فيها ايضا للمشاكلة ﴿قوله وتغيير النظم في الاكل﴾ حيث جيء في الركوب بلام الغرض لا في الاكل مع اشتراكهما في ان كل واحد منهما من الفوآئد الحصلة من الانعام والمصالح المرتبة على خلقها وتقرير جوابه ان الاكل وما في حكمه من منافع الجلود والالبان والاصواف الغالب فيها اقتضاء حق الضرورة الطبيعية من دفع الم الجوع والعطش والحر والبرد بخلاف الركوب والمسافرة عليها فان الغالب فيهما اقتضاء حاجة حق العبادة ومراعاة امر الدين وما كان للانسان باقتضاء الضرورة الطبيعية لا يكون عبادة لان مبنى العبادة مخالفة هوى النفس باختيار ما حسنه الشرع وندب اليه فلا يكون الاهتمام بالاكل

(وما)

(فاصبر ان وعدالله) بهلاك الكافرين (حق) كائن لامحالة (فاما نرينك) فان نرك وما مزيدة لتأكيد الشرطية ولذلك لحقت النون الفعل ولاتلحق مع ان وحدها (بعض الذي نعدهم) وهو القتل والاسر (او نتوفينك) قبل ان تراه (فالينا يرجعون) يوم القيامة فنجازيهم باعمالهم وهو جواب نتوفينك وجواب نرينك محذوف مثل فذاك ويجوز ان يكون جوابا لهما بمعنى ان نعذبهم في حياتك او لم نعذبهم فانا نعذبهم في الآخرة اشد العذاب ويدل على شدته الاقتصار بذكر الرجوع في هذا المعرض (ولقد ارسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك) اذ قيل عدد الانبياء مائة الف واربعة وعشرون الفا والمذكور قصصهم اشخاص معدودة (وما كان لرسول ان يأتي بآية الا باذن الله) فان المعجزات عطايا قسمها بينهم على ما اقتضته حكمته كسائر القسم ليس لهم اختيار في ايثار بعضها والاستبداد باتيان المقترح بها (فاذا جاء امر الله) بالعذاب في الدنيا والآخرة (قضي بالحق) بانجاء المحق وتعذيب المبطل (وخسر هنالك المبطلون) المعاندون باقتراح الآيات بعد ظهور ما يغنيهم عنها (الله الذي جعل لكم الانعام لتركبوا منها ومنها تأكلون) فان من جنسها ما يؤكل كالغنم ومنها ما يؤكل ويركب وهو الابل والبقر (ولكم فيها منافع) كالالبان والجلود والاوبار (ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم) بالمسافرة عليها (وعليها) في البر (وعلى الفلك) في البحر (تحملون) وانما قال على الفلك ولم يقل في الفلك للمزاوجة وتغيير النظم في الاكل لانه في حيز الضرورة

وماقى حكمه كالاهتمام بالركوب والمسافرة عليها من حيث ان الثانى من قبيل العبادات التى خلق الانسان لاجلها دون الاول فللاشارة الى هذا الفرق بينهما جيئ فى الثانى بلام العلة دون الاول ﴿ قوله لانه يقصد به التعيش والتلذذ ﴾ والفرق بين ما اختاره وما نقله مع اتفاقهما فى ان الركوب والمسافرة عليها يجيئان غالبا على رعاية الامر الدينى والانتداب الى ما ندب اليه الشارع انه اختار ان الاكل وما فى حكمه مما تقتضيه الطبيعة وتلجئ اليه الجبلة الحيوانية والمقصود منه اولا وبالذات انما هو رعاية مقتضى الطبيعة وان جاز ان يكون بعض ما وقع رعاية لمقتضى الطبيعة وسيلة الى رعاية الحقوق الشرعية وواقعا بطريق اتباع الشارع وامتثال امره فلما كان الغالب فى الاكل ونحوه رعاية مقتضى الطبيعة وفى الركوب والمسافرة رعاية الامر الدينى فرق بينهما بان جعل الثانى علة غائية على خلق الانعام دون الاول ومحصول ما نقله ان الاكل وما فى حكمه من قبيل المباحات التى لا يتعلق بها نفع أخروى بخلاف الركوب والمسافرة عليها فانهما غالبا يكونان لاغراض دينية ويؤديان الى مثوبات اخروية فلذلك فرق بينهما بما ذكر ولعل وجه ضعفه ان وقوع الفعل باقتضاء الطبيعة اياه اظهر فى الدلالة على عدم كونه لغرض دينى من دلالة كونه من قبيل المباحات عليه فان كثيرا من المباحات يكون لغرض دينى ﴿ قوله او الفرق بين العين والمنفعة ﴾ فان الركوب منفعة مستفادة من الانعام مع بقاء اعيانها بخلاف الاكل فانه ليس من المنافع المتفرعة على بقاء اعيانها بل انما يكون باهلاك اعيانها ولا يخفى ان لام الغرض انسب بالمنافع المتفرعة على العين مع بقائها بحالها بالنسبة الى الانتفاع بالعين باهلاكها فانه بمنزلة ان يقال خلقت فلانا لاهلاكه وقد تسامح فى جعل الاكل من قبيل الاعيان والظاهر ان يقال الفرق بين ما يكون من منافع العين وبين ما يكون اهلاكا لها واتلافا باهلاكها ثم انه تعالى لما ذكر هذه الدلائل الكثيرة قال بعده ويريكم آياته فاى آيات الله تنكرون يعنى ان كل واحدة من هذه الآيات التى عددناها ظاهرة باهرة لا وجه لانكار شئ منها ﴿ قوله وهو ناصب اى ﴾ يعنى ان قوله تعالى تنكرون غير مشتغل عن العمل فى اى بان قدر عاملا فى ضميره بل هو عامل فيه الا انه وجب تقديمه على ناصبه لاقتضائه صدر الكلام ولو قدر كونه مشتغلا عنه بضميره لكان الاولى رفعه فان قولك ايهم ضربته مثل قولك زيد ضربته فى ان المختار رفع الاسم فيهما لان النصب يحتاج الى حذف العامل واضماره والاصل عدمهما بخلاف الرفع فانه انما يكون بعامل معنوى لا يظهر قط حتى يقال حذف واضمر ﴿ قوله والتفرقة بالتاء فى اى ﴾ جواب عما يقال الظاهر ان يقال فاية آيات الله بتاء التأنيث لكون اى عبارة عن المؤنث لاضافته اليه فلم عدل عن مقتضى الظاهر وتوضيح الجواب ان الفرق بين المؤنث والمذكر بالتاء وعدمه قياس شائع فى الانواع الاربعة من الصفات وهى اسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبهة والاسم المنسوب بياء النسبة كضارب ومضروبة وحسنة وبصرية بخلاف افعل التفضيل وافعل الصفة والاسماء الجامدة فالفرق بالتاء فيها قليل غريب كاسامة وحمارة واى من قبيل الاسماء الجامدة فالاصل فيه عدم الفرق لذلك مع ان الفرق فيه اغرب من الفرق فى سائر الاسماء الجامدة لانه موضوع لابهام موضوعه ولا يقصد فيه التمييز اصلا فتكون التفرقة فيه بعيدة كل البعد وان جاء الفرق على قلة كقوله

○ باى كتاب ام باية سنة ○ ترى حبهم عارا على وتحسب ○

والظاهر انه اراد باى فى قوله والتفرقة بالتاء فى اى اغرب ما وقع فى غير النداء فان اللغة الفصيحة الشائعة ان تؤنث اى الواقعة فى نداء المؤنث كما فى قوله تعالى يا أيتها النفس المطمئنة ولا يسمع ان يقال يا ايها المرأة واعلم انه لما كان معظم المقصود فى هذه السورة الكريمة ذم المجادلين وبيان فساد طريقتهم وما ذكر فى اثنائه من دلائل الوحدانية وكمال القدرة والحكمة والرحمة انما ذكر تقريعا لهم بسبب اعراضهم عن تأمل تلك الدلائل والاهتداء بها الى الحق ختم السورة الكريمة ببيان ان هؤلاء الذين يجادلون فى آيات الله وقد حصل الكبر العظيم فى صدورهم انما كان السبب الكلى فى عدولهم عن الحق وانهماكهم فى الضلال هو طلب الرياسة والتقدم على الغير فى المال والجاه ومن المعلوم ان من ترك الانقياد للحق طلبا لهذه الاشياء الفانية والحظوظ العاجلة فقد باع السعادة الابدية بلذة يسيرة فانية فبين الله تعالى فساد هذه الطريقة واحتج عليه بقوله افلم يسيروا فى الارض الآية يعنى انهم لو ساروا فى اطراف الارض لعرفوا ان عاقبة المتكبرين المتمردين ليس الا الهلاك والبوار مع ان الهالكين المتقدمين كانوا اكثر عددا ومالا وجاها من هؤلاء المتأخرين وحين لم تقدهم تلك المكنة العظيمة الا الخيبة والخسار فكيف حال هؤلاء الفقراء والمساكين ﴿ قوله والمصانع ﴾ وهى الحصون والمصنعة بفتح النون وضمها الصناعى كالحوض يجمع فيه ماء المطر ﴿ قوله

وقيل لانه يقصد به التعيش والتلذذ والركوب والمسافرة عليها قد يكونان لاغراض دينية واجبة او مندوبة او للفرق بين العين والمنفعة (ويريكم آياته) دلائله الدالة على كمال قدرته وفرط رحمته (فاى آيات الله) اى فاى آية من تلك الآيات (تنكرون) فانها لظهورها لا تقبل الانكار وهو ناصب اى اذ لو قدرته متعلقا بضميره كان الاولى رفعه والتفرقة بالتاء فى اى اغرب منها فى الاسماء غير الصفات لابهامه (أفلم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا اكثر منهم واشد قوة وآثارا فى الارض) ما بقى منهم من القصور والمصانع ونحوهما وقيل آثار أقدامهم فى الارض لعظم اجرامهم

(فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون) ما الاولى نافية او استفهامية منصوبة باغنى والثانية موصولة او مصدرية مرفوعة به (فلما جاءتهم رسلهم بالبينات) بالمعجزات والآيات الواضحات (فرحوا بما عندهم من العلم) واستحقروا علم الرسل والمراد بالعلم عقائدهم الزائغة وشبههم الداحضة كقوله بل ادارك علمهم فى الآخرة وهو قولهم لانبعث ولانعذب وماأظن الساعة قائمة ونحوها وسماها علما على زعمهم تهكما بهم او علم الطبائع والتنجيم والصنائع ونحو ذلك او علم الانبياء وفرحهم به فرح ضحك منه واستهزاء به ويؤيده (وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن) وقيل الفرح ايضا للرسل فانهم لما رأوا تمادى جهل الكفار وسوء عاقبتهم فرحوا بما اوتوا من العلم وشكروا الله عليه وحاق بالكافرين جزاء جهلهم واستهزائهم (فلما رأوا بأسنا) شدة عذابنا (قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين) يعنون الاصنام (فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا) لامتناع قبوله حينئذ ولذلك قال لم يك بمعنى لم يصح ولم يستقم والفاء الاولى لان قوله فما اغنى كالنتيجة لقوله كانوا اكثر منهم والثانية لان قوله فلما جاءتهم كالتفسير لقوله فما اغنى والباقيتان لان رؤية البأس مسببة عن مجيء الرسل وامتناع نفع الايمان مسبب عن الرؤية (سنة الله التى قد خلت فى عباده) اى سن الله ذلك سنة ماضية فى العباد وهى من المصادر المؤكدة (وخسر هنالك الكافرون) اى وقت رؤيتهم البأس اسم مكان استعير للزمان ٭ عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المؤمن لم يبق روح نبى ولا صديق ولا شهيد ولا مؤمن الا صلى عليه واستغفر له

سورة حم السجدة وآيها خمسون
واربع آيات مكية

ما الاولى نافية ﴿ يعنى لم تغن عنهم او استفهامية منصوبة باغنى اى اى شئ اغنى عنهم وفاعل اغنى هو ما الثانية سواء كانت موصولة محذوفة العائد او مصدرية اى الذى كسبوه او كسبهم ﴿قوله وسماها علما﴾ مع ان الاعتقاد الغير المطابق للواقع حقه ان يسمى جهلا بناء على زعمهم فانهم يزعمون ان عندهم علما ينتفعون به وكانوا يفرحون بذلك ويدفعون به علم الانبياء وما اظهروه من البينات ﴿قوله او علم الطبائع﴾ عطف على قوله عقائدهم الزائغة والمراد بعلم الطبائع علم الفلاسفة فان الحكماء كانوا يصغرون علوم الانبياء ويكتفون بما يكتسبونه بنظر العقل ويقولون نحن قوم مهتدون فلا حاجة بنا الى من يهدينا ﴿قوله او علم الانبياء﴾ فيكون ضمير فرحوا للكفار كما فى الوجهين الاولين الا ان ضمير عندهم يكون للرسل والمعنى فرح الكفار فرح ضحك واستهزاء بما عند الرسل من العلم حيث لم يقبلوه ولم يمتثلوا احكام الوحى ويؤيده قوله تعالى وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن اى نزل بالكافرين جزاء استهزائهم وقيل كان المراد بالعلم علم الانبياء فالمراد بالفرح ايضا فرحهم والمعنى ان الرسل لما رأوا جهل الكفار واستهزاءهم فرحوا بما اوتوا من علم الوحى وشكروا الله تعالى عليه وحاق بالكافرين جزاء جهلهم واستهزائهم ﴿قوله لامتناع قبوله حينئذ﴾ فان الايمان انما ينفع اذا وقع مع القدرة على خلافه حتى يكون المرء مختارا له على الكفر والتكذيب ووقت رؤية البأس وهو شدة العذاب يكون المرء ملجأ الى الايمان ولا يكون مبنيا على مجرد تصديق الشارع واخباره بنزول البأس على من اصر على الكفر ومن عاين نزول ملائكة العذاب لايكون ايمانه كذلك فلا يقبل ﴿قوله ولذلك﴾ اى ولامتناع قبوله حينئذ لم يقل فلم ينفعهم ايمانهم بل قال فلم يك ينفعهم ايمانهم فانه ابلغ فى نفى النفع من لم ينفعهم ايمانهم لانه بمعنى لم يصح ولم يستقم ان ينفعهم كما فى قوله تعالى ما كان لله ان يتخذ من ولد فان اداة النفى اذا دخلت على الكون المتضمن لمعنى الفعل المنفى صار النفى كأنه توجه الى الفعل المنفى مرتين فكأنه قيل هذا الفعل من الشؤون التى عدمها راجح على وجودها البتة وانها من قبيل المحالات وارتفاع قوله ايمانهم يجوز ان يكون على انه اسم كان ويكون ينفعهم خبرها مقدما عليه وان يكون على انه فاعل ينفعهم واسم كان ضمير الشأن المستتر فيه ﴿قوله والفاء الاولى﴾ يعنى ان فى الآية اربع فاآت مترادفة الاولى فى قوله فما اغنى عنهم والثانية فى قوله فلما جاءتهم رسلهم والثالثة والرابعة فى قوله فلما رأوا وفى قوله فلم يك ينفعهم فالفاء الاولى تشبه فاء النتيجة فان قوله تعالى كانوا اكثر منهم الخ جملة مستأنفة لبيان اول حال من قبلهم وآخرها ليتبين سوء عاقبتهم وان ما جمعوه وكسبوه لم ينفعهم فى العاقبة فقوله فما اغنى عنهم نتيجة قوله كانوا اكثر منهم واشد قوة وآثارا اى فما احدث ذلك لهم من النفع الآن حرموا نفعه ووقعوا فى عكس ما توقعوا من جمع الجنود والاموال وبناء شدائد القصور والحصون والثانية فاء التفسير فان قوله فلما جاءتهم رسلهم بالبينات بمنزلة التفسير لنفى الغناء المدلول عليه بقوله فما اغنى عنهم ونظير الآية قولك رزق زيد المال فمنع المعروف فلم يحسن الى الفقراء ولم يواس اليتامى والارامل والفاء الثالثة وهى التى فى قوله فلما رأوا عاطفة له على مضمون قوله فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم ومفيدة لسببية ماقبلها لما بعدها فانه فى قوة ان يقال فلما جاءتهم رسلهم كفروا فان رؤية البأس مسببة عن مجيء الرسل وكفرهم بما جاؤا به ومترتبة عليه وكذا الفاء فى قوله فلم يك ينفعهم ايمانهم فانها عاطفة على قوله فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده ومفيدة لسببية ماقبلها لما بعدها فان الايمان وقت رؤية البأس سبب لعدم نفعه لصاحبه ﴿قوله اى سن الله ذلك﴾ اى سن الله عدم قبول ايمان من آمن وقت رؤية البأس وعدم نفعه لصاحبه وقت معاينته وهى سنة مطردة لله تعالى فى الامم كلها ويجوز ان يكون انتصاب سنة على التحذير اى احذروا سنة الله المطردة فى المكذبين السابقين ﴿قوله اسم مكان﴾ يعنى ان هنالك فى الاصل اسم موضوع للاشارة الى المكان ولما اشير به فى الآية الى مدلول قوله لما رأوا بأسنا ولما الزمان تعين انه قد اشير به الى الزمان تشبيها له بالمكان فى كونه ظرفا للفعل كالمكان وكذلك قوله خسر هنالك المبطلون فانه لما ذكر قوله فاذا جاء امر الله قضى بالحق وخسر تعين كونه مستعارا للزمان لان اذا للزمان ٭ فان قيل لم خص خسران الكافرين بوقت معاينة البأس وهم لم يزالوا فى خسران ٭ قلنا لانهم الآن قبل معاينة العذاب كانوا متمكنين من الايمان النافع ولما عاينوا العذاب استقر خسارهم ولم يرج فلاحهم نعوذ بالله من الخذلان وزوال الايمان وشر الشيطان ٭ تمت سورة غافر والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

سورة حم السجدة خمسون واربع آيات مكية

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

ان جعلت حم اسما للسورة كانت فى محل الرفع على الابتدآء وخبره تنزيل وان جعلت مسرودة اى منزلة على نمط تعديد الحروف لتنبيه المخاطب وايقاظه لايكون لها محل من الاعراب ويكون تنزيل خبر مبتدأ محذوف اى هذا تنزيل وكتاب بدلا من تنزيل او خبرا بعد خبر او خبر مبتدأ محذوف اى هذا كتاب ﴿ قوله لكونها مصدرة ببيان الكتاب ﴾ تعليل لافتتاحها بحم وجه التعليل ان معنى حم كما قيل قضى ماهو كائن لانه يقال حم الامر بضم الحاء وتشديد الميم اى قضى وقدر ومنه قال الشاعر * وليس لامر حمه الله رافع * وقال آخر
الايلتى حمت لنفسى منيتى * ولما كانت هذه السورة مصدرة بذكر الكتاب الذى قدرت فيه الاحكام وبينت ناسب ان يفتتح بحم رعاية لبراعة الاستهلال وقوله متشاكلة فى النظم والمعنى تعليل لتسميتها بها فان هذه السور السبع لما كانت متشاكلة فى النظم والمعنى فى الاشتمال على ذكر الكتاب والافتتاح بحم والرد على المجادلين فى آيات الله والحث على الايمان بها والعمل بمقتضاها ناسب تسميتها باسم واحد ﴿ قوله للدلالة على انه مناط المصالح الدينية والدنيوية ﴾ اذكل واحد من الرحمن والرحيم لكونه صيغة مبالغة اطلقت على الله يلبى عن رحمة هى ابعد من مقدورات العباد فكونه تعالى رحمانا رحيما صفتان دالتان على كمال الرحمة فاضافة تنزيل الكتاب الى من اتصف بهما تدل على ان ذلك التنزيل نعمة عظيمة من الله تعالى تنوط بها المصالح كلها دينية كانت او دنيوية لان الفعل المقرون بالصفة لابد وان يكون مناسبا لتلك الصفة والامر فى نفسه كذلك لان القرآن مشتمل على كل مايحتاج اليه اهل هذا العالم المرضى والزمنى من الادوية وعلى كل مايحتاج اليه الاصحاء من الاغذية فكان اعظم النعم من الله تعالى على هذا العالم انزال القرآن عليهم ﴿ قوله ميزت باعتبار اللفظ والمعنى ﴾ اماتمييز بعض الآيات عن بعضها بحسب اللفظ فظاهر واما تمييزها بحسب المعنى فلاختلاف معانى الآيات القرآنية من حيث ان بعضها متعلق باحوال ذات الله تعالى وصفات تقدسه وتنزهه وبيان كمال علمه وقدرته ورحمته وحكمته وبعضها متعلق بعجائب احوال خلقه من السموات والارض والكواكب وتعاقب الليل والنهار ونحوها وبعضها فى المواعظ والنصائح وبعضها فى تهذيب الاخلاق ورياضة النفس وبعضها فى قصص الانبياء واحوال الماضين وبالجملة فمن انصف علم انه ليس فى يد الخلق كتاب اجتمع فيه انواع من العلوم المختلفة مثل القرآن ﴿ قوله وقرئ فصلت ﴾ اى بفتح الفاء وتخفيف الصاد بمعنى فرقت آياته بين الحق والباطل او فصل بعضها من بعض اى انفصل باختلاف معانيها من قولهم فصل فلان من البلد فصولا اى خرج وانفصل ﴿ قوله او الحال من فصلت ﴾ اى مما اسند اليه فصلت وهو آياته وهو اما حال بنفسه وعربيا صفته او هو حال موطئة والحال فى الحقيقة عربيا وهى حال مؤكدة غير منتقلة * اعلم ان الاحوال اربع موطئة ومقدرة ومؤكدة ومنتقلة لان الحال مايبين هيئة الفاعل او المفعول فاما ان تكون مبينة لهيئة بالذات او بالغير فان كانت مبينة لهيئة بالغير فهى الحال الموطئة لانها لاتبين الهيئة بذاتها بل بماتبعها من الصفة فان الحال الموطئة اسم جامد موصوف بصفة تبين الحال فى الحقيقة كقرآنا فى قوله انا انزلناه قرآنا عربيا وان كانت مبينة بالذات فاما ان تكون مبينة لهيئة الثابتة فى الحال او فى الاستقبال فان كانت مبينة لها فى الاستقبال فهى الحال المقدرة وان كانت مبينة لها فى الحال فاما ان تكون لازمة لذى الحال او مفارقة والاولى حال مؤكدة والثانية حال منتقلة ﴿ قوله يعلمون العربية اولاهل العلم ﴾ الاول على ان يعتبر تعلق يعلمون بالمفعول والثانى على ان ينزل منزلة اللازم ﴿ قوله وهو صفة اخرى لقرآنا ﴾ فيكون متعلقا بمحذوف اى قرآنا عربيا كائنا لهم وهو اولى من جعله متعلقا بقوله تنزيل او فصلت لان قوله عربيا صفة قرآنا وكذا بشيرا ونذيرا فلولم يكن هو ايضا صفة له بل كان متعلقا بتنزيل او بفصلت لزم ان يفرق به بين الصفات * واعلم انه تعالى حكم على هذه السورة باشياء اولها كونها تنزيلا والمراد به المنزل والتعبير عن المفعول بالمصدر مجاز مشهور كقولهم هذا الدرهم ضرب السلطان اى مضروبه ومعنى كونها منزلا انه تعالى كتبها فى اللوح المحفوظ وامر جبريل ان يحفظ تلك الكلمات ثم ينزل بها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويؤديها اليه فلما حصل تفهيم هذه الكلمات بواسطة نزول جبريل سمى بذلك تنزيلا وثانيها كون ذلك التنزيل من الرحمن الرحيم وذلك يدل على ان ذلك التنزيل نعمة عظيمة من الله تعالى لان ماينشأ من هاتين الصفتين لايكون الا كذلك وثالثها كونه كتابا وهذا الاسم مشتق من الكتب

(بسم الله الرحمن الرحيم)
(حم) ان جعلته مبتدأ فخبره (تنزيل من الرحمن الرحيم) وان جعلته تعديد الحروف فتنزيل خبر محذوف او مبتدأ لتخصصه بالصفة وخبره (كتاب) وهو على الاولين بدل منه او خبر آخر او خبر محذوف ولعل افتتاح هذه السور السبع بحم وتسميتها به لكونها مصدرة ببيان الكتاب متشاكلة فى النظم والمعنى واضافة التنزيل الى الرحمن الرحيم للدلالة على انه مناط المصالح الدينية والدنيوية (فصلت آياته) ميزت باعتبار اللفظ والمعنى وقرئ فصلت اى فصل بعضها من بعض باختلاف الفواصل والمعانى او فصلت بين الحق والباطل (قرآنا عربيا) نصب على المدح او الحال من فصلت وفيه امتنان بسهولة قرآئته وفهمه (لقوم يعلمون) العربية او لاهل العلم والنظر وهو صفة اخرى لقرآنا او صلة لتنزيل او لفصلت والاول اولى لوقوعه بين الصفات (بشيرا ونذيرا) للعاملين به والمخالفين له وقرئتا بالرفع على الصفة لكتاب او الخبر لمحذوف (فاعرض اكثرهم) عن تدبره وقبوله (فهم لايسمعون) سماع تأمل وطاعة

وهو الجمع فسمى كتابا لانه جمع فيه علوم الاولين والآخرين ورابعها قد فصلت آياته وقد ذكرنا انها كذلك وخامسها كونه قرآنا عربيا كائنا للعالمين بلغة العرب وبشيرا للمطيعين بالثواب ونذيرا للعاصين بالعقاب ﴿قوله جمع كنان﴾ وهو الغطاء وفى الكلام حذف تقديره قلوبنا فى اكنة ممتنعة من فهم ماتدعونا اليه فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وحذف متعلق حرف الجر ايضا ﴿قوله ومن للدلالة على ان الحجاب مبتدأ منهم ومنه﴾ اشار الى فائدة زيادة كلمة من فى قوله ومن بيننا مع انه لو قيل بيننا وبينك حجاب لاستفيد حصول الحجاب المانع من التواصل فى المسافة المتوسطة بينه وبينهم ومحصول كلامه ان فائدة كلمة من الدلالة على قوة الحجاب فى كونه مانعا عن التواصل وذلك لان البين بمعنى المسافة المتوسطة بين المتكلم والمخاطب واضافته الى المتكلم تدل على ارادة الطرف الذى يلى المتكلم من تلك المسافة وكذا اضافته الى المخاطب تدل على ان المراد طرفها الذى يليه فلو قيل بيننا وبينك حجاب لكان المعنى مجرد حصول الحجاب فى المسافة المتوسطة بينهم وبينه بخلاف مالو قيل من بيننا فانه يفهم منه ان مبدأ الحجاب طرفه الذى يلى المتكلم واذا عطف عليه بان قيل وبينك فهم ان ذلك الحجاب ايضا مبتدأ من الطرف الذى يلى المخاطب واذا كان حجاب واحد مبتدأ من كل واحد من ذينك الطرفين فعلوم انه لابدله من منتهى وانه هو الطرف الآخر منهما فبالضرورة يكون ذلك الحجاب مستوعبا لمجموع مابينهما من المسافة بحيث لايبقى جزء منها فارغا عن هذا الحجاب ففائدة من الدلالة على قوة الحجاب وكماله فى المانعية من التواصل ﴿قوله وهذه تمثيلات﴾ اى قولهم قلوبنا فى اكنة الى قولهم حجاب وانث ضمير القول لتأنيث الخبر او لكون كل واحد من الاقوال الثلاثة عبارة عن جملة شبهوا قلوبهم بالشئ المحوى المحاط بالغطاء المحيط به بحيث لايصيبه شئ من خارج من حيث نبوها وتباعدها عن ادراك الحق واعتقاده وشبهوا اسماعهم باذان بها صمم من حيث انها تمج الحق ولاتميل الى استماعه وشبهوا حال انفسهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بحال شيئين بينهما حجاب عظيم وحاجز منيع من ان يواصل احدهما الآخر ويوافقه وتعظيم الحجاب مستفاد من تنكيره ولقد بالغوا فى وصف انفسهم بنهاية الاعراض عما يدعوهم الرسول صلى الله عليه وسلم اليه حيث اثبتوا بينهم وبينه ثلاثة انواع من الحجاب احدها الحجاب الخارجى المانع من الرؤية والابصار ثم حجاب الصمم ثم حجاب اكنة القلوب والقلب محل المعرفة والسمع والبصر اقوى مايستعان به فى تحصيل المعارف فهذه الثلاثة اذا كانت محجوبة كان ذلك اقوى مايكون من الحجاب نعوذ بالله من ذلك فلذلك اقتصر على ذكر هذه الاعضاء الثلاثة ثم انهم لما وصفوا انفسهم بنهاية الاعراض عما يدعوهم اليه فرعوا عليه قولهم فاعمل اننا عاملون ﴿قوله لست ملكا الخ﴾ بيان لوجه كون قوله تعالى قل انما انا بشر مثلكم الآية جوابا عن قولهم قلوبنا فى اكنة الآية وتقريره ان حاصل ماذكروه من الاعراض عن قبول مادعاهم الرسول اليه يرجع الى امرين احدهما كون مادعاهم اليه مما تمجه العقول والاسماع بناء على ان عقولهم السخيفة تستبعد امر التوحيد والحشر من فى القبور وسائر مايكون يوم القيامة وثانيهما كون بشريته حجابا مانعا يمنعهم من تصديقه فى دعوى الرسالة بناء على ان البشرية فى زعمهم منافية للرسالة وانما هى من مناصب الملائكة وهو المراد من قولهم ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل فى ابطال امرنا اننا عاملون فى ابطال امرك فان عندنا ماينافى رسالتك وهو ان البشر لايكون رسولا وانت بشر مثلنا فكيف تدعى الرسالة وليس عندك ماتدفع به هذا الدليل فالله تعالى امر رسوله صلى الله عليه وسلم بان يجيبهم عما ذكروه من الامرين اما عن الثانى فبان يقول ماجعلتموه منافيا للرسالة وهو البشرية هو المصحح للرسالة لان ارسال الملك والجنى الى البشر لايوافق الحكمة من حيث ان البشر لايمكنه ان يتلقى منهما مايلقى اليه كما قال تعالى ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا واما عن الاول فبأن يقول ان مادعوكم اليه من التوحيد والاستقامة فى العمل ليس مما تمجه العقول والاسماع بل مما تقتضيه دلائل العقل وشواهد النقل ﴿قوله متوجهين اليه﴾ لما عدى فعل الاستقامة فى الآية بكلمة الى وهو لايتعدى بها بل باللام ذكر لذلك وجهين الاول انه من باب التضمين والثانى ان الاستقامة بمعنى الاستواء وهو يتعدى بالى ﴿قوله وذلك﴾ اى الاستخفاف بالله وعدم الشفقة على خلقه من اعظم الرذائل لان انواع السعادة بأسرها منوطة بامرين تعظيم امر الله والشفقة على خلقه فيكون الانصراف عنهما بالاشراك به وترك الانفاق فى وجوه الخير من اعظم الرذائل ﴿قوله وفيه دليل﴾ اى وفى تهديد المشرك على شركه وعدم ايتائه الزكاة دليل على ان المشرك حال شركه مخاطب بايتاء الزكاة

(وقالوا قلوبنا فى اكنة) اغطية جمع كنان (مما تدعونا اليه وفى آذاننا وقر) صمم واصله الثقل وقرئ بالكسر (ومن بيننا وبينك حجاب) يمنعنا عن التواصل ومن للدلالة على ان الحجاب مبتدأ منهم ومنه بحيث استوعب المسافة المتوسطة ولم يبق فراغ وهذه تمثيلات لنبو قلوبهم عن ادراك ماتدعوهم اليه واعتقاده ومج اسماعهم له وامتناع مواصلتهم وموافقتهم للرسول صلى الله عليه وسلم (فاعمل) على دينك او فى ابطال امرنا (اننا عاملون) على ديننا او فى ابطال امرك (قل انما انا بشر مثلكم يوحى الى انما الهكم اله واحد) لست ملكا ولا جنيا لايمكنكم التلقى منه ولا ادعوكم الى ماتنبو عنه العقول والاسماع وانما ادعوكم الى التوحيد والاستقامة فى العمل وقد يدل عليهما دلائل العقل وشواهد النقل (فاستقيموا اليه) فاستقيموا فى افعالكم متوجهين اليه او فاستووا اليه بالتوحيد والاخلاص فى العمل (واستغفروه) مما انتم عليه من سوء العقيدة والعمل ثم هددهم على ذلك فقال (وويل للمشركين) من فرط جهالتهم واستخفافهم بالله (الذين لايؤتون الزكاة) لبخلهم وعدم اشفاقهم على الخلق وذلك من اعظم الرذائل وفيه دليل على ان الكفار مخاطبون بالفروع

اذ لولاه لما استحق بعدم اتيانها الوعيد المذكور واذا كان مخاطبا باتياء الزكاة يكون مخاطبا بسائر فروع الاسلام اذ لا قائل بالفصل ﴿ قوله وقيل معناه لا يفعلون ما يزكى انفسهم ﴾ والمعنى على هذا فاستقيموا اليه بالتوحيد واخلاص العبادة له وتوبوا اليه مما سبق لكم من الشرك وسوء العمل وويل لكم ان لم تفعلوا ذلك فوضع موضعه المشركون الموصوفون بانهم لا يفعلون ما يزكى انفسهم وهو الايمان والطاعة للاشعار بان الاستقامة اليه فى الافعال والتبرى من سوء العقائد والاعمال هو تزكية النفس ﴿ قوله حال مشعرة ﴾ وجه الاشعار ان الحال وصف لذى الحال واثبات الحكم للموصوف مشعر بعلية الوصف ثم انه تعالى لما ذكر وعيد الكفار اردفه بوعد المؤمنين فقال ان الذين آمنوا الآية ﴿ قوله لا يمن به عليهم ﴾ فيكدره بالمنة فان المنة تهدم الصنيعة يقال من عليه منة اى امتن عليه ومن بهذا المعنى لازم لا يجيء منه اسم المفعول الا بان يعدى بحرف الجر فلا بد ان يكون الممنون بمعنى الممنون عليهم على طريق الحذف والايصال وجميع ما يعطيه الله تعالى عباده فى الآخرة تفضل منه تعالى وكرم وليس شيء منها بواجب عليه عند اهل السنة وما كان بطريق التفضل وان صح الامتنان به لكنه تعالى لا يمن به عليهم فضلا وكرما ﴿ قوله او لا يقطع ﴾ اى لا يقطع اجرهم وثوابهم فى الآخرة بل هو دائم ابدى ﴿ قوله وقيل نزلت فى المرضى ﴾ فالمعنى على هذا ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات فى زمان اقتدارهم عليها لهم اجر غير مقطوع اذا عجزوا عنها بالمرض او الهرم او نحوهما روى عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان العبد اذا كان على طريقة حسنة من العبادة ثم مرض قيل للملك الموكل به اكتب له مثل عمله اذا كان طليقا حتى اطلقه او اقبضه الى وقيل غير مقطوع بعد موتهم ايضا استدلالا بدلالة هذا الحديث ﴿ قوله كاصح ما كانوا يعملون ﴾ على حذف المضاف اى كتب الاجر كاجر اصح ما كانوا يعملونه من الاعمال حال قدرتهم عليها ثم انه تعالى لما امر رسوله صلى الله عليه وسلم بان يقول للمشركين انما انا بشر مثلكم الآية امره ثانيا بان ينكر عليهم امرين اولهما كفرهم بالله تعالى بالحادهم فى ذاته وصفاته كالتجسيم واتخاذ الصاحبة والولد والقول بانه تعالى لا يقدر على نشر الموتى وانه لا يبعث من البشر رسولا وثانيهما اثبات الشركاء والانداد له تعالى فقال عز من قائل قل ائنكم لتكفرون بالذى خلق الارض فى يومين وتجعلون له اندادا والاستفهام فيه للانكار ويجب ان يكون الكفر المذكور اولا مغايرا لاثبات الانداد له تعالى ضرورة انه عطف احدهما على الآخر فوجب التغاير ﴿ قوله فى مقدار يومين ﴾ اى لا فى نفس يومين لان اليوم لكونه عبارة عما بين طلوع الشمس وغروبها لا يمكن حصوله قبل حدوث السموات والشمس والقمر وظاهر هذه الآية يدل على ان خلق الارض مقدم على خلق السماء وما فيها من الشمس والقمر وسائر الكواكب فكيف يتحقق اليوم حال خلق الارض وعلى تقدير ان يتقدم خلق السموات وما فيها على خلق الارض لا يمكن ان يحصل اليوم قبل ان يخلق الارض لان طلوع الشمس وغروبها انما هما بالنسبة الى الافق ولا افق قبل تحقق الارض فظهر انه لا يتحقق اليوم قبل خلق الارض سواء تأخر خلقها عن خلق السماء ام تقدم عليه فلما لم يتحقق اليوم حين خلق الارض وجب ان يحمل قوله تعالى فى يومين على مقدار يومين او ان يحمل اليومان مجازا مرسلا عن الدفعتين على طريق اللزوم وارادة اللازم ﴿ قوله ولعل المراد من الارض ما فى جهة السفل ﴾ اى من البسائط العنصرية التى هى الارض والماء والهواء والنار فسر الارض بالمعنى المجازى المتناول لحقيقة الارض وسائر البسائط العنصرية واختار ان يكون المراد بخلق الارض بهذا المعنى فى يومين خلقها بنوبتين على معنى انه تعالى خلق لها فى النوبة الاولى اصلا مشتركا هو الهيولى الاولى التى هى حقيقة واحدة مشتركة بين جميع العناصر وخلق لها فى النوبة الثانية صورا جسمية ونوعية بها صارت انواعا متمايزة على طبقات مختلفة والذى بعثه على تفسير الارض بالمعنى العام المتناول لجميع البسائط العنصرية انه تعالى ذكر فى مقام بيان مقدار آثار قدرته الكاملة وتفصيلها انه خلق الارض فى يومين وانه جعلها مشتملة على ثلاثة انواع من الصنع العجيب الاول انه خلق فيها جبالا شامخات ثابتات فوقها لاستقرارها والثانى انه بارك فيها اى زاد فى خيرها بما خلق فيها من البحار والانهار والاشجار والثمار من الوان النبات وانواع الحيوانات وجميع ما يحتاج اليه من الخيرات والثالث انه قدر فيها اقوات اهلها مما تحدثه فى كل ناحية من نواحيها ثم ذكر استواءه الى خلق السموات من غير ان يتعرض لخلق ما عدا الارض من العنصريات مع ان ما عداها ايضا من جملة آثار قدرته الباهرة والمقام مقام تفصيلها فناسب لذلك ان يفسر الارض بمعنى يعم الجميع غاية ما فى الباب ان يحمل الضمير فى قوله وجعل فيها رواسى من فوقها للارض الحقيقية على الاستخدام ﴿ قوله

وقيل معناه لا يفعلون ما يزكى انفسهم وهو الايمان والطاعة (وهم بالآخرة هم كافرون) حال مشعرة بان امتناعهم من الزكاة لاستغراقهم فى طلب الدنيا وانكارهم للآخرة (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم اجر غير ممنون) لا يمن به عليهم من المن واصله الثقل او لا يقطع من مننت الحبل اذا قطعته وقيل نزلت فى المرضى والزمنى والهرمى اذا عجزوا من الطاعة كتب لهم الاجر كاصح ما كانوا يعملون (قل ائنكم لتكفرون بالذى خلق الارض فى يومين) فى مقدار يومين او بنوبتين وخلق فى كل نوبة ما خلق فى اسرع ما يكون ولعل المراد من الارض ما فى جهة السفل من الاجرام البسيطة

ثم خلق لها صورا ﴾ يدل على انفكاك الصورة عن الهيولى وهو خلاف ما ثبت بالدليل اللهم الا ان يحمل التراخي المدلول عليه بكلمة ثم على التراخي في الرتبة * فان قيل المستدل به على ثبوت امر يجب ان يكون مسلما عند الخصم حتى يصح الاستدلال به وكونه تعالى خالقا للارض في يومين لا يمكن اثباته بالعقل المحض وانما يثبت بالسمع ووحي الانبياء ومن انكر الوحي والنبوة كيف يسلم هذه المقدمة وكيف يمكن الاستدلال بها على فساد مذهبه * اجيب بان الكفار يسلمون كون السموات والارض حادثتين مخلوقتين له تعالى فيمكن ان يقال لهم كيف تعقل التسوية بين الاله القادر على خلق هذه الاجرام العظام وبين الاصنام الموصوفة بالعجز التام وبقي ان يقال فحينئذ لا يبقى لكونه تعالى خالقا للارض في يومين نفع في الاستدلال * واجيب عنه بانا لا نسلم ذلك بل به نفع فيه بناء على ان ذلك مذكور في التوراة ومشهور عند اهل الكتاب وان كفار مكة كانوا يعتقدون في حق اهل الكتاب انهم اصحاب العلوم والظاهر انهم قد سمعوا هذه المقدمة منهم وسلموها واعتقدوا تحقيقها فبهذا الاعتبار كان خلقه تعالى اياها في يومين نفع في الاستدلال ﴿ قوله استئناف غير معطوف على خلق ﴾ لما كان هذا النظم يوهم كونه معطوفا على خلق وكونه داخلا في جملة الصلة بين فساد ذلك وهو وقوع الفصل بين اجزاء الصلة بالاجنبي وهو قوله تعالى وتجعلون له اندادا ذلك رب العالمين ومنهم من قال انه معطوف على مقدر اي خلقها وجعل فيها رواسي احترازا عن لزوم هذا الفساد ﴿ قوله مرتفعة عليها ﴾ يعني ان قوله من فوقها في محل النصب على انه صفة رواسي وقوله ليظهر الخ بيان لفائدة قوله من فوقها يعني ان الجبال التي اثبتت فوق الارض لمعها من الميلان لو كانت تحتها كالساطين الغرق او مركوزة فيها كالمسامير لمنعتها منه لكن الحكمة الالهية اقتضت كونها مرتفعة عليها لما ذكر من وجهين الاول ان يظهر للناظر ما فيها من وجوه الاستدلال ومن جملة الوجوه ان الانسان اذا رأى بعينه كون الجبال الثقال مثبتة فوق الارض الثقيلة علم ان كل واحدة من تلك الاثقال التي بعضها فوق بعض مفتقرة الى ممسك وحافظ وما ذلك الحافظ الممسك الا الله تعالى والثاني كون منافعها ظاهرة للطلاب والظاهر ان قوله معرضة بسكون العين وكسر الراء بمعنى ظاهرة من قولك عرضت الشيء فاعرض بمعنى اظهرته فظهر ومن النوادر ان يكون الثلاثي متعديا ثم اذا نقل الى باب الافعال يصير لازما نحو كببته فاكب ﴿ قوله اقوات اهلها او اقواتا تنشأ منها ﴾ يعني ان المراد باقوات الارض ارزاق سكانها واضافها الى الارض اما على حذف المضاف واما لكونها محلا لحدوثها فان الاضافة يكفي فيها ادنى ملابسة فان الشيء يضاف الى فاعله والى مفعوله والى من ينتفع به وغير ذلك والمعنى على الاول انه تعالى قدر الخبز لاهل قطر والتمر لاهل قطر والذرة لاهل قطر والسمك لاهل قطر وقدر في كل قطر قوتا لاهل ذلك القطر وعلى الثاني انه تعالى خص لحكمته كل نوع من انواع الاقوات بقطر من اقطارها وجعل ذلك سببا لتعيش اهل البلدان بمراجعة بعضهم الى بعض بالتجارة واكتساب الاموال ويؤيد هذا المعنى قراءة من قرأ وقسم فيها اقواتها ﴿ قوله في تتمة اربعة ايام ﴾ اي فيما يتم به اليومان الاولان اربعة ايام فالمراد بالتتمة ما يتم به اليومان السابقان اربعة كأنه قيل كان نصب الراسيات وتقدير الاقوات وتكثير الخيرات في يومين آخرين بعد خلق الارض في يومين واشار بتقدير المضاف الى دفع ما يتوهم من المنافاة بين هذه الآية وبين ما تكرر في القرآن من ان خلق السموات والارض كان في ستة ايام وذلك لانه نص في هذه الآية على انه خلق الارض في يومين ثم انه جعل فيها رواسي واكثر خيرها وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام ثم صرح بانه قضاهن سبع سموات في يومين فيكون مجموع ايام خلق العالم ثمانية ايام والمذكور في الآيات الاخر انها ستة ايام وبينهما منافاة ظاهرة ولما قدر المضاف اندفعت المنافاة ويمكن دفع المنافاة بوجه آخر وهو ان الآيات الدالة على ان ايام خلق السموات والارض ستة لم يذكر فيها تقدير الاقوات فجاز ان يصرف اليومان من الثمانية اليه وتبقى الستة للسموات والارض والله اعلم ﴿ قوله والى الكوفة في خمسة عشر يوما ﴾ اي في خمسة ايام بها تمت العشرة الاولى خمسة عشر يوما ﴿ قوله ولعله قال ذلك ﴾ جواب عما يقال لو كان المعنى كما ذكرت لكان الظاهر ان يقال خلق الارض في يومين وجعل فيها الثلاثة انواع من الصنع العجيب في يومين آخرين لكونه ابين للمراد وابعد من الشبهة وايهام خلاف المراد * وتقرير الجواب ظاهر لمن تأمل فيه والفذلكة مأخوذة من قول الحاسب فذلك يكون كذا كالسبحلة والحوقلة المأخوذتين من سبحان الله ولا حول ولا قوة الا بالله يقال سبحل التعجب اي قال سبحان الله وفذلك الحاسب اذا كتب تفاصيل الاعداد ثم جمع تلك التفاصيل وكتب في آخر الحساب فذلك يكون كذا وكذا مبلغا فان قيل كيف يكون قوله في اربعة ايام تصريحا بالفذلكة مع ان

ومن خلقها في يومين انه خلق لها اصلا مشتركا ثم خلق لها صورا بها صارت انواعا وكفرهم به الحادهم في ذاته وصفاته (وتجعلون له اندادا) ولا يصح ان يكون له ند (ذلك) الذي خلق الارض في يومين (رب العالمين) خالق جميع ما وجد من الممكنات ومربيها (وجعل فيها رواسي) استئناف غير معطوف على خلق للفصل بما هو خارج عن الصلة (من فوقها) مرتفعة عليها ليظهر للنظار ما فيها من وجوه الاستبصار وتكون منافعها معرضة للطلاب (وبارك فيها) واكثر خيرها بان خلق فيها انواع النبات والحيوانات (وقدر فيها اقواتها) اقوات اهلها بان عين لكل نوع ما يصلحه ويعيش به او اقواتا تنشأ منها بان خص حدوث كل قوت بقطر من اقطارها وقرئ وقسم فيها اقواتها (في اربعة ايام) في تتمة اربعة ايام كقولك سرت من البصرة الى بغداد في عشرة ايام والى الكوفة في خمسة عشر يوما ولعله قال ذلك ولم يقل في يومين للاشعار باتصالهما باليومين الاولين والتصريح على الفذلكة

الفذلكة تقتضى ان يتقدم ذكر عددين او اكثر على وجه التفصيل وفى هذا الوضع لم يذكر العدد ان بل انما ذكر
مدة خلق الارض فقط ه قلنا لانسلم انه يجب فيها تقدم ذكرها صريحا بل يكفى فيها تقدم العلم بهما باى وجه كان
والامر فيما نحن فيه كذلك لانه لما ذكر ان الارض خلقت فى يومين وكذا السموات السبع علم ان مافى الارض
من الرواسى وسائر الخيرات خلق فى يومين آخرين بشهادة ماذكر فى القرآن من ان خلق السموات والارض كان
فى ستة ايام وعلى هذا الوجه كان قوله تعالى فى اربعة ايام تصريحا بالفذلكة لمدة خلق الارض ومافيها ويجوز
ان يكون المراد بقوله والتصريح على الفذلكة التصريح بما هو شبيه بالفذلكة لانه فذلكة حقيقة لانه غير مسبوق
بذكر العددين ولانه فسر قوله فى اربعة ايام بقوله فى تتمة اربعة ايام اى فى اليومين الذين تم بهما اليوما السابقان
اربعة وهذا ليس بفذلكة بل هو بيان ابتدآء لمدة خلق مافى الارض وماعليها ﴿قوله اى استوت سوآء﴾
على ان سوآء اسم بمعنى استوآء منصوب على انه مفعول مطلق لفعل مقدر والجملة صفة ايام اى فى اربعة ايام كاملة
مستوية بلا زيادة ولا نقصان ومن قرأ سوآء بالجر جعله صفة ايام فهو دليل على ان الجملة فى قرآءة النصب صفة له
ايضا وقيل انتصابه على انه حال من احد ضميرى الارض اى مستوية والاول اولى لان المقام يقتضى توصيف
الايام بانها مستوية لاتزيد ولاتنقص لاوصف الارض بذلك ﴿قوله هذا الحصر﴾ اى حصر مدة خلق
ماذكر من الارض ومافيها وماعليها فى اربعة ايام مستوية كائن لمن يسأل عنها ويقول فى كم خلق الارض ومافيها
وما عليها ويكون السؤال سؤال استعلام لاسؤال استعطاء ويكون قوله للسائلين خبر مبتدأ محذوف صرح
بالفذلكة بقوله كل ذلك خلق فى اربعة ايام سوآء ثم استأنف بان قال هذا الحصر والبيان لمن يسأل عن مدة خلق ذلك وان
كان للسائلين متعلقا بقوله وقدر فيها اقواتها يكون السؤال سؤال استعطاء وهو طلب الخير فان اهل الارض كلهم طالبون
للقوت محتاجون اليه ﴿قوله من قولهم استوى الى مكان كذا اذا توجه اليه توجها لايلوى على غيره﴾ والاستوآء
بهذا المعنى هو ضد الاعوجاج ونحوه استقام اليه ولما كان الاستوآء الى الشئ بهذا المعنى محالا على الله تعالى لاستلزامه
الانتقال من مكان الى مكان ه قال صاحب الكشاف والمعنى ثم دعاه داعى الحكمة الى خلق السماء بعد خلق
الارض ومافيها من غير صارف يصرفه عن ذلك فجعل الاستوآء الى خلق السماء مجازا عن ملزومه الذى هو
استدعاء الحكمة خلقها من غير ان يعارضها صارف يصرفها عنه ﴿قوله والظاهر ان ثم لتفاوت مابين
الخلقين﴾ اى بحسب الرتبة على سبيل الترقى من الادنى الى الاعلى لان الكلام مع المعاندين المتمردين والمعنى أئنكم
لتكفرون بالذى خلق الارض فى يومين وفعل كذا وكذا واعظم من ذلك انه استدعت الحكمة ان يخلق السماء وهى
شئ حقير ظلمانى كالدخان فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها الخ ومقصود المصنف من هذا القول دفع
مايتوهم من المنافاة بين قوله ثم استوى الى السماء وخلقها وبين قوله أانتم اشد خلقا ام السماء بناها رفع سمكها
فسوّاها واغطش ليلها واخرج ضحاها والارض بعد ذلك دحاها فان الاول يشعر بان السماء خلقت بعد الارض
وبه قال ابن عباس والثانى يدل على ان خلق الارض كان بعد خلق السماء وبه قال قتادة والسدى وهما
متنافيان وجوابه المشهور بين المفسرين ان يقال انه تعالى خلق الارض اولا ثم خلق بعده السماء كما هو المفهوم
من هذه الآية ثم بعد خلق السماء دحا الارض وبسطها وبهذا الطريق يزول التناقض والمصنف اشار الى رد
هذا الجواب بقوله ودحوها متقدم على خلق الجبال من فوقها وتقريره ان دحو الارض كيف يكون
متأخرا عن خلق السماء والحال ان خلق السماء على مايشعر به قوله ثم استوى الى السماء متأخر عن ارساء الجبال
على الارض وتكثير خيرها وتقدير اقواتها ولا يخفى ان هذه الاحوال لايمكن تحققها الا بعد ان صارت الارض
مدحوة منبسطة اما ارساء الجبال عليها فظاهر واما تكثير خيرها فلانه مفسر بخلق الاشجار والنبات والحيوان
فيها وذلك لايمكن الا بعد صيرورتها منبسطة وكذا تقدير الاقوات فيها فانها متفرعة على تمييز اقطارها واطرافها واذا
كان خلق السماء متأخرا عن هذه الاحوال المتأخرة عن الدحو استحال ان يكون الدحو متأخرا عن خلق السماء
ضرورة كون الدحو متقدما على الاحوال المذكورة المتقدمة على خلق السماء كما يقتضيه قوله تعالى ثم
استوى الى السماء فلما لم يجز كون الدحو متأخرا عن خلق السماء لم يصلح الجواب المذكور جوابا وبقى التناقض
بحاله فلذلك اعرض المصنف عنه واجاب عن سؤال التناقض بوجه آخر وهو ان يحمل قوله تعالى والارض بعد
ذلك دحاها باقيا على ظاهره ويحمل كلمة ثم فى هذه الآية للدلالة على تفاوت مابين الخلقين لا للتراخى فى الزمان حتى

(سوآء) اى استوت سواء بمعنى استوآء والجملة
صفة ايام ويدل عليه قرآءة يعقوب بالجر وقيل
حال من الضمير فى اقواتها او فى فيها وقرئ
بالرفع على هى سوآء (للسائلين) متعلق
بمحذوف تقديره هذا الحصر للسائلين عن
مدة خلق الارض ومافيها او بقدر اى قدر
فيها الاقوات للطالبين لها (ثم استوى الى
السماء) قصد نحوها من قولهم استوى الى
مكان كذا اذا توجه اليه توجها لايلوى على
غيره والظاهر ان ثم لتفاوت مابين الخلقين
لا للتراخى فى المدة لقوله والارض بعد ذلك
دحاها ودحوها متقدم على خلق الجبال
من فوقها

بزم الناقض ﴿ قوله امر ظلمانى ﴾ اشارة الى ان قوله وهى دخان من قبيل التشبيه البليغ والمعنى انه قصد وتوجه نحو السماء توجها يليق بذاته والحال انها امر مظلم عديم النور شبه الدخان فى بادئ النظر وحمله على التشبيه لتعذر ان يكون المراد حقيقة الدخان وهو مارتفع من لهب النار ﴿ قوله ولعله اراد به مادتها ﴾ اى ولعله اراد بتلك المادة البخار المتصاعد من الماء الذى انقلب اليه من اول ماخلق الله تعالى على ماروى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال اول ماخلق الله جوهرة طولها وعرضها مسيرة الف سنة فى مسيرة عشرة آلاف سنة فنظر اليها بالهيبة فذابت واضطربت من ذلك النظر ثم ثار منها دخان فارتفع واجتمع زبدا فقام فوق الماء اماالزبد فبقى على وجه الماء فخلق الله تعالى فيه اليبوسة واحدث منه الارض واما الدخان فارتفع وعلا فخلق الله منه السموات فسمى الله تعالى ذلك البخار المتصاعد سماء والحال انه لم يكن على صورة السماء حال الاستواء اليه حيث قال ثم استوى الى السماء وهى دخان على طريق تسمية الشئ باسم مايؤول اليه ثم بين انه جعل ذلك البخار المظلم سبع سموات حيث قال فقضاهن سبع سموات هذا على ان يكون المراد بالامر الظلمانى المادة التى صورت بصورة السماء ثم ذكر انه يحتمل ان يكون المراد بذلك الامر الظلمانى الاجزآء التى لاتتجزأ فانها فى ابتدآء خلقها كانت اشياء مظلمة عديمة النور ثم اذا ركبت وجعلت سموات وكواكب شمسا وقمرا حدثت فيها صفة الضوء فحينئذ كانت مشرقة مستنيرة ولما كانت اول حدوثها مظلمة صح تسميتها بالدخان تشبيها لها به من حيث انها اجزآء متفرقة غير متواصلة عديمة النور كالدخان فانه ليس له صورة تحفظ تركيبه ﴿ قوله ماخلقت فيكما ﴾ دفع لما يتوهم من ان قوله تعالى للارض والسماء ائتيا يستلزم ارادة ايجاد الموجود بالنسبة الى الارض لان الفاء فى قوله فقال لها وللارض لعطف مدخولها على قوله استوى وقد مر ان الاستوآء الى السماء عبارة عن ملزومه وهو اقتضاء الحكمة خلقها من غير ان يعارضه مايصرفه عن خلقه اياها فكان امرهما بالاتيان عقيب الاخبار باستدعاء الحكمة خلق السماء بمعنى ارادة وجودها وارادة وجود الارض بعد الاستوآء الى السماء المتأخر عن خلق الارض فى يومين ارادة لايجاد الموجود والمصنف دفع لزومه بوجوه محصول الاول ان قوله فقال معطوف على مقدر والتقدير ثم استوى الى السماء اى ثم دعاه داعى الحكمة الى خلقها فخلقها فقال لها وللارض بعد خلق ذاتهما ائتيا على ان يكون مفعول ائتيا محذوفا والمعنى أبرزا ما اودع فيكما من الاوصاف كتأثير العلويات فى السفليات وتأثير الاخرى عن الاولى وتبدل اوضاع الاولى وكيفيات الثانية وماتفرع عليها من الكائنات المتنوعة ومحصول الوجه الثانى ان المراد بخلقهما تقديرهما والحكم بوجودهما فى اوقات معينة وبالامر باتيانهما ايجادهما طبق ماقدرهما ولايلزم ايجاد الموجود بناء على ان الخلق السابق بمعنى التقدير فقوله تعالى خلق الارض فى يومين معناه انه قضى بحدوثها فى يومين وقضاء الله بانه سيحدث كذا فى مدة كذا لايقتضى حدوث ذلك الشئ فى الحال فجاز ان يقضى الله تعالى بحدوث الارض فى يومين ثم يقول للسماء وللارض ائتيا فى الوجود والحدوث من غير ان يلزم منه ايجاد الموجود ولما ورد ان يقال لما كان قوله تعالى خلق الارض فى يومين بمعنى انه قضى وقدر وجودها فى يومين كان قوله ثم استوى الى السماء اى الى خلقها بمعنى ثم دعاه داعى الحكمة الى تقدير السماء بعد تقدير الارض وتقدير كل واحد من الاشياء صفة ازلية لايترتب بعضها على بعض فلا وجه لكلمة ثم فى قوله ثم استوى الى السماء اجاب عنه بوجهين الاول ان ثم لترتيب رتبة التقديرين لالترتيب زمانهما والثانى انها لترتيب الاخبار على الاخبار ومحصول الوجه الثالث ظاهر وقد عرفت مافيه من ان دحوها اى دحو الارض متقدم على خلق الرواسى من فوقها المتقدم على خلق السماء فكيف يقترن خلقها مع الدحو وفيه ايضا انه يستلزم الجمع بين الحقيقة والمجاز الا ان يقال الاتيان المسند الى ضمير الارض غير ما اسند الى ضمير السماء فلا يجمع بينهما فى لفظ واحد حكما ومحصول الرابع ان المراد بخلقهما ايجادهما وباتيانهما موافقة كل واحدة منهما صاحبتها فى كونها سببا مؤديا الى حدوث ما اريد توليده منهما ﴿ قوله من المؤاتاة ﴾ يعنى ان وزن آتيا وآتينا بالمد فيهما فاعلا وفاعلنا مثل قاتلا وقاتلنا وسارعا وسارعنا وانهما ليسا من الايتاء بمعنى الاعطاء على ان يكون وزنهما افعلا وافعلنا مثل اكرما واكرمنا وانما جعله من المؤاتاة لامن الايتاء بمعنى الاعطاء لان الاول متعد الى مفعول واحد والثانى الى مفعولين وحذف المفعول الواحد اسهل من حذف المفعولين ﴿ قوله لاثبات الطوع والكره لهما ﴾ لانهما من اوصاف العقلاء ذوى الارادة والاختيار والسماء والارض من قبيل الجمادات العديمة الارادة والاختيار فلذلك لم يكن المراد اثبات حقيقة الطوع والكره لهما بل المراد اظهار تأثير قدرته

(وهى دخان) امر ظلمانى ولعله اراد به مادتها او الاجزآء المتصغرة التى ركبت منها (فقال لها وللارض ائتيا) بما خلقت فيكما من التأثير والتأثر وأبرزا ما اودعتكما من الاوضاع المختلفة والكائنات المتنوعة او ائتيا فى الوجود على ان الخلق السابق بمعنى التقدير او الترتيب للرتبة او الاخبار او اتيان السماء حدوثها واتيان الارض ان تصير مدحوة وقد عرفت مافيه او ليأت كل منكما الاخرى فى حدوث ما اريد توليده منكما ويؤيده قرآءة آتيا من المؤاتاة اى ليوافق كل واحدة اختها فيما اردت منكما (طوعا او كرها) شئتما ذلك او ابيتما والمراد اظهار كمال قدرته ووجوب وقوع مراده لا اثبات الطوع والكره لهما وهما مصدران وقعا موقع الحال

(فيهما)

فيهما واستحالة امتناعهما عن التأثر عنها كما يقول الجبار لمن هو تحت يده لتفعلن هذا شئت او أبيت ولتفعلنه طوعا او كرها يريد به ذلك الاظهار والاستحالة وان كان ذلك الشخص مما يصح اتصافه بحقيقة الطوع والكره الا ان مراد الجبار ليس اتيانه بما له والتمامه ادراه اظهار كمال قدرته وقوله وهما اى طوعا او كرها مصدران وقعا موقع الحال اى طائعتين او مكرهتين ﴿ قوله اى منقادين بالذات ﴾ اى بالارادة والاختيار ﴿ قوله والاظهر ﴾ جواب عما يقال كيف خوطب الجمادات بقوله ائتيا وكيف اخبرن بقولهن ائتنا طائعين لسن اهلا للخطاب والجواب وتقرير جوابه انه من قبيل الاستعارة التمثيلية من غير ان تحقق هنا خطاب ولا جواب شبه تأثير قدرته فيهما وتأثرهما عنها بالذات اى لا بالمشيئة والاختيار بامر آمر نافذ الحكم يتوجه نحو المأمور المطيع له فيمتثل امره ولا يرد قوله بل يتلقاه بالقبول والامتثال فعبر عن الحالة المشبهة بما يعبر به عن الحالة المشبه بها ﴿ قوله وما قيل انه تعالى خاطبهما الخ ﴾ اى قيل لا بعد ان يخاطب الله تعالى اياهما ويأمرهما بالاتيان وان يجيباه ويمتثلا امره بان يخلق الله فيهما حياة وعقلا ثم يوجه الامر والتكليف اليهما ويدل عليه قوله انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها فانه يدل على كونها عاقلة عارفة بالله وبتوجه تكليفه اليها وبعقوبة من قصر في رعاية مقتضى التكليف وذلك كما انطق الله تعالى الجبال مع داود وانطق الايدي والارجل بالشهادة على افعل اصحابهما قال المصنف وهذا القول انما يتصور ان لو كان المراد بالامر باتيانهما الامر بابراز ما اودع فيهما من الاوصاف والاوضاع والكيفيات والامر بان تأتي كل واحدة منهما صاحبتها اتيانا تقتضيه الحكمة من كون الارض قرارا للسماء وكون السماء سقفا للارض ليتحقق التأثير والتأثر المؤديان الى انتظام احوال اهل الارض واما ان اريد باتيانهما الاتيان الى الوجود والحدوث وهو الوجه الثاني او اريد باتيان الارض كونها مدحوة قرارا ومهادا لاهلها وباتيان السماء حدوثها على وفق التقدير الازلي وهو الوجه الثالث فلا يصح ذلك القول لان كون الشيء صالحا للخطاب قادرا على الجواب متفرع على وجوده والوجود حاصل على الوجهين المتطرفين فان السماء والارض حال توجه الامر بالاتيان الى الوجود اليهما او الى السماء وحدها كانتا معدومتين او كانت احداهما معدومة اذ لو كانتا موجودتين لما جاز ان يتوجه اليهما الامر بالاتيان الى الوجود لانه تحصيل الحاصل وايجاد الموجود وان كانتا معدومتين او احداهما لم تكونا عاقلتين فاهمتين للخطاب قادرتين على الجواب فلا يتصور ان يقال لا بعد في ان يخلق الله فيهما حياة وعقلا ويخاطبهما ويجيبا خطابه * فان قلت الوجود حاصل في الارض على الوجه الثالث ولم يحصل في السماء * قلت يجوز خطاب اثنين وجوابهما بمجرد صلاحية احدهما لهما ﴿ قوله وانما قال طائعين ﴾ جواب لما يقال السماء والارض اسمان مفردان من قبيل المؤنثات السماعية ومدلول كل واحد منهما متعدد سموات وارضون فكان ينبغي ان يقال طائعتين حملا على اللفظ او طائعات حملا على المعنى فلم قيل طائعين على لفظ جمع الذكور العقلاء * وتقرير الجواب انهما لما وصفا باوصاف العقلاء من كونهما مخاطبات ومجيبات وطائعات ومكرهات عوملتا معاملة العقلاء وجمعتا لتعدد مدلولهما كقوله تعالى انى رأيت احد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين ﴿ قوله خلقا ابداعيا ﴾ اى على طريق الاختراع لا على مثال لعل قيد الابداع مستفاد من كون اتمامهن والفراغ منهن حال كونهن سبع سموات متفرعا على الاستواء الى السماء حال كونها دخانا اى شيأ حقيرا مظلما كالدخان فيكون خلقها ابداعيا من غير ان يكون على مثال او مستفاد من قوله تعالى في مواضع آخر بديع السموات واما قيد الاتقان فانه مستفاد من قوله تعالى فقضاهن اى اتمهن وفرغ من خلقهن فان قضاء الشيء اتمامه اما قولا كما في قوله تعالى وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه واما فعلا كما في هذه الآية والاتمام فعلا انما يكون بان لا يكون في المفعول خلل ونقصان وهو معنى الاتقان ﴿ قوله والضمير للسماء على المعنى ﴾ اى ضمير فقضاهن فان السماء وان كان مفردا لفظا الا انه في معنى الجمع لتعدد مدلوله ويحتمل ان لا يرجع الى السماء لا من حيث اللفظ ولا من حيث المعنى بل يكون ضميرا مبهما يفسره سبع سموات كضمير ربه رجلا * وورد في اخبار انه تعالى خلق الارض في يوم الاحد والاثنين وخلق سائر ما في الارض في يوم الثلاثاء والاربعاء وخلق السموات وما فيها في يوم الخميس والجمعة وفرغ في آخر ساعة من يوم الجمعة وخلق فيها آدم وهي الساعة التي تقوم فيها القيامة والظاهر انه ينبغي ان يكون المراد به انه خلق العالم كله في مدة لو حصل فيها فلك وشمس وقمر لكان مبدأ تلك المدة اول يوم الاحد وآخرها آخر يوم الجمعة ﴿ قوله شأنها وما يتأتى منها ﴾ اى من الحركات المختلفة والاوضاع المتجددة

(قالتا أتينا طائعين) منقادين بالذات والاظهر ان المراد تصوير تأثير قدرته فيهما وتأثرهما بالذات عنها وتمثيلهما بامر المطاع واجابة المطيع الطائع كقوله كن فيكون وما قيل انه تعالى خاطبهما واقدرهما على الجواب انما يتصور على الوجه الاول والاخير وانما قال طائعين على المعنى باعتبار كونهما مخاطبتين كقوله ساجدين (فقضاهن سبع سموات) فخلقهن خلقا ابداعيا واتقن امرهن والضمير للسماء على المعنى او مبهم وسبع سموات حال على الاول وتمييز على الثاني (في يومين) قيل خلق السموات يوم الخميس والشمس والقمر والنجوم يوم الجمعة (وأوحى في كل سماء امرها) شأنها وما يتأتى منها بان حملها عليه اختيارا او طبعا وقيل اوحى الى اهلها باوامره

وكونها مزينة بالثوابت والسيارات الى غير ذلك من الشؤون والاحوال فسر الامر بالشأن فيكون واحد الامور فان الامر الذى هو مصدر قولك امرته بكذا امرا يجمع على اوامر ومعنى ايحاء الامر بهذا المعنى فى كل سماء جعل كل واحدة منها على ماتأتى منها من الشؤون والامور بحيث تأتى السماء به اختيارا عند من يقول بان الافلاك لها نفوس تؤثر فى اجرامها بارادته واختياره او طبعا عند من لا يقول بذلك والايحاء فى الاصل الالقاء استعمل هنا فى اظهار ما اراده فى كل سماء وقيل او حى الى اهلها باوامره على ان الامر مصدر امره بكذا والآمر هو الله تعالى والمأمور اهل كل سماء الا انه اضيف الامر الى نفس السماء للملابسة فانه تعالى كلف اهل كل سماء بتكليف خاص فن الملائكة من بقى فى القيام من اول خلق العالم الى قيام القيامة ومنهم ركوع لا ينتصبون ومنهم سجود لا يرفعون رؤسهم ولما كان ذلك الامر مختصا باهل تلك السماء كان مختصا بتلك السماء ايضا بواسطة اهلها فصحت اضافته اليها ﴿ قوله فان الكواكب كلها ﴾ يعنى ان المراد بالمصابيح جميع الكواكب المنيرة التى خلقها الله تعالى فى السموات من الثوابت والسيارات وليس كلها فى السماء الدنيا وهى التى تدنو وتقرب من اهل الارض فان كل واحد من السيارات مختص بسماء من السموات السبع والثوابت مركوزة فى الفلك الثامن الا ان كونها مركوزة فيما فوق السماء الدنيا مما لا ينافى كونها زينة لها لانا نرى جميعها كالسرج الموقدة فيها ﴿ قوله او من المسترقة ﴾ وهى الشياطين الذين يصعدون السماء لاستراق السمع فيرمون بشهب صادرة من نار الكواكب منفصلة عنها لا يرجمون بالكواكب انفسها لانها قارة فى الفلك على حالها وماذلك الا كقبس يؤخذ من النار والنار باقية بحالها لا ينقص منها شئ والشهاب شعلة نار ساطعة والشهب جمعه ﴿ قوله وقيل مفعول له ﴾ لم يرض به لاحتياجه الى اعتبار الفعل المعلل وتغيير اسلوب النظم الى ما لا حاجة اليه ويمكن جعله مفعولا له بمجرد جعله معطوفا على آخر مثله ويكون التقدير وزينا السماء الدنيا بمصابيح تشريفا لهما وحفظا وهو ليس بابعد من تقدير العامل ثم انه تعالى لما امره بان يجيب المشركين بقوله قل انما انا بشر مثلكم يوحى الى انما الهكم اله واحد ثم يحتج عليهم بقوله ائنكم لتكفرون بالذى خلق الارض فى يومين وحاصله ان الاله الموصوف بهذه القدرة القاهرة كيف يجوز ان يكفر به ويجعل له انداد قال فان اعرضوا من قبول هذه الحجة القاهرة واصروا على الجهل والتقليد فقل لهم لم يبق فى حقكم علاج الا انزال العذاب الذى نزل على من قبلكم من المعاندين والانذار التخويف والصاعقة قطعة نار تنزل من السماء فتحرق ما اصابته استعيرت هنا للعذاب الشديد تشبيها له بها فى الشدة والهول ﴿ قوله وهى المرة من الصعق او الصعق ﴾ بسكون العين مصدر من المتعدى ومعناه الاهلاك وبفتح العين مصدر من اللازم بمعنى الهلاك يقال صعقته الصاعقة صعقا بفتح العين فى الماضى وسكونها فى المصدر اى اهلكته الصاعقة فصعق صعقا بكسر العين فى الماضى وفتحها فى المصدر اى هلك ومات ﴿ قوله حال من صاعقة عاد ﴾ اى من الصاعقة الثانية اى مثل صاعقتهم التى كانت وقت مجئ الرسل اليهم فكذبوهم فالمراد كون متعلق الظرف حالا منها لان الصاعقة قطعة نار تنزل من السماء فتحرق فهى جثة والزمان كما لا يكون صفة الجثة لا يكون حالا منها ايضا ولا يجوز جعله صفة لصاعقة الاولى ولا ظرفا لانذرتكم لفساد المعنى لان انذاره قومه المعرضين ليس فى وقت مجئ الرسل الامم المكذبة ولا صاعقتهم كانت فى ذلك الوقت ﴿ قوله من جميع جوانبهم ﴾ ليس المراد الجهات الحسية والاماكن الحقيقية المحيطة بهم بل ما يشبه بها من جهات الارشاد وطرق النصيحة فتارة جاؤا من جانب الانذار والتخويف واخرى من جانب التشويق والترغيب فيما اعد لاهل الايمان والطاعة ومرة من جانب البينات الدالة على حقية ما دعوهم اليه من التوحيد والاذعان بجميع ما شرع لهم من وجوه الطاعة ونحو ذلك واعمل كل رسول فى حق قومه كل حيلة حرصا على ايمانهم ﴿ قوله او من قبلهم ومن بعدهم ﴾ على ان يكون من بين ايديهم حالا من الرسل اى كائنين قبلهم وبعدهم او صفة لهم اى الرسل الكائنين من قبلهم ومن بعدهم ولما ورد ان يقال الرسل الذين من قبلهم ومن بعدهم كيف يوصفون بانهم جاؤهم وكيف يخاطبهم عاد وثمود بقولهم انا بما ارسلتم به كافرون اشار الى جوابه بقوله اذ قد بلغهم خبر المتقدمين ﴿ قوله بان لا تعبدوا او اى لا تعبدوا ﴾ اى يحتمل ان تكون كلمة أن فى قوله ان لا تعبدوا مصدرية وان تكون مفسرة لمجاءت الرسل به لان قوله جاءتهم يتضمن معنى القول ﴿ قوله على زعمكم ﴾ يعنى ان قوله ارسلتم به ليس اقرارا منهم بكون اولئك الانبياء رسلا وانما ذكروه حكاية لكلام الرسل او على سبيل الاستهزاء كما قال فرعون ان رسولكم الذى ارسل اليكم لمجنون ثم انه تعالى لما بين كفر قوم عاد وثمود على الاجمال اخذ فى تفصيل حال كل واحدة من هاتين

(الطائفتين)

(وزينا السماء الدنيا بمصابيح) فان الكواكب كلها ترى كانها تتلألأ عليها (وحفظا) اى وحفظناها من الآفات او من المسترقة حفظا وقيل مفعول له على المعنى كأنه قال وخصصنا السماء الدنيا بمصابيح زينة وحفظا (ذلك تقدير العزيز العليم) البالغ فى القدرة والعلم (فان أعرضوا) عن الايمان بعد هذا البيان (فقل أنذرتكم صاعقة) فحذرهم ان يصيبهم عذاب شديد الوقع كأنه صاعقة (مثل صاعقة عاد وثمود) وقرئ صعقة مثل صعقة عاد وهى المرة من الصعق او الصعق يقال صعقته الصاعقة صعقا فصعق صعقا (اذ جاءتهم الرسل) حال من صاعقة عاد ولا يجوز جعله صفة لصاعقة او ظرفا لانذرتكم لفساد المعنى (من بين ايديهم ومن خلفهم) أتوهم من جميع جوانبهم واجتهدوا بهم من كل جهة او من جهة الزمن الماضى بالانذار عما جرى فيه على الكفار ومن جهة المستقبل بالتحذير عما اعد لهم فى الآخرة وكل من اللفظين يحتملهما او من قبلهم ومن بعدهم اذ قد بلغهم خبر المتقدمين واخبرهم هود وصالح عن المتأخرين داعين الى الايمان بهم اجمعين ويحتمل ان يكون عبارة عن الكثرة كقوله تعالى يأتيها رزقها رغدا من كل مكان (الا تعبدوا الا الله) بان لا تعبدوا او اى لا تعبدوا (قالوا لو شاء ربنا) ارسال الرسل (لأنزل ملائكة) برسالته (فانا بما ارسلتم به) على زعمكم (كافرون) اذ انتم بشر مثلنا لا فضل لكم علينا (فاما عاد فاستكبروا فى الارض بغير الحق) فتعظموا فيها على اهلها بغير استحقاق (وقالوا من اشد منا قوة) اغترارا بقوتهم وشوكتهم قيل كان من قوتهم ان الرجل منهم ينزع الصخرة فيقلعها بيده

الطائفتين فقال فاما عاد فاستكبروا الآية كان هو يهددهم بالعذاب فقالوا نحن نقدر على دفعه عنا بفضل قوّتنا فردّ الله تعالى عليهم بقوله اولم يروا ان الله الذى خلقهم هو اشدّ منهم قوّة فان قولهم من اشدّ منا قوّة استفهام اريد به النفى اغتروا بقدرة كائنة باقدار الله تعالى اياهم على بعض الاشياء وجحدوا قدرة من هو قادر على كل شئ بقدرة ذاتية غير مستفاد من غيره فاستحقوا ان يردّ عليهم بان قيل لهم من هو اشدّ منكم قوّة جحد وانكار لما تعلمونه فان قوله تعالى اولم يروا تقرير لعلمهم بذلك ثم ان المصنف فسر القوّة فى قوله تعالى هو اشدّ منهم قوّة بالقدرة لان صيغة التفضيل تقتضى اشتراك المفضل والمفضل عليه فى الوصف الذى هو مبدأ اشتقاق افعل ولا اشتراك بينه تعالى وبين الانسان فى القوّة التى هى عبارة عن شدّة البنية وصلابتها المضادّة للضعف فانه تعالى منزه عن القوّة بهذا المعنى وانه لا يوصف بالقوّة الا على معنى القدرة فوجب ان يراد بقوّة الانسان القدرة مجازا لكونها مسببة عن القوّة بمعنى صلابة البنية فتكون القوّة فى كل واحد من جانبى المفضل والمفضل عليه بمعنى واحد فيصح تفضيل احدهما على الآخر فى القوّة بالمعنى المجازى ﴿ قوله يعرفون انها حق وينكرونها ﴾ يريد ان الجحود هو الانكار مع العلم ﴿ قوله وهو عطف على فاستكبروا ﴾ ونظم الكلام هكذا فاما عاد فاستكبروا فى الارض بغير الحق وكانوا بآياتنا يجحدون والمعنى انهم جمعوا بين الاستكبار اى طلب العلوّ فى الارض وهو فسق وخروج عن الطاعة بترك الاحسان الى الخلق وبين الجحود بالآيات وهو كفر وترك لتعظيم الخالق فيكون قوله تعالى وقالوا من اشدّ منا قوّة اولم يروا ان الله الذى خلقهم هو اشدّ منهم قوّة اعتراضا واقعا بين المعطوف والمعطوف عليه لبيان السبب الداعى الى الاستكبار والردّ عليهم فيما زعموه ولما جمعوا بين الوصفين اللذين هما اصل جميع الصفات الذميمة لاجرم سلط الله عليهم العذاب فقال فارسلنا عليهم ريحا صرصرا فى الصحاح الصرّ بالكسر برد يضرّ بالنبات والحرث والصرصر تكرير لبنى الصرّ ويقال ايضا صرّ القلم والباب يصرّ صريرا اى صوّت فيكون الصرصر تكرير صرّ ﴿ قوله وقرأ الحجازيان ﴾ ابن كثير ونافع والبصريان ابو عمرو ويعقوب بسكون الحاء فى نحسات على انه صفة مشبهة من نحس على وزن فعل اصله نحسات بكسر الحاء فاسكنت للتخفيف او على ان كل واحد من نحس ونحس بكسر الحاء وسكونها لغة اصلية فى صفة فعل الا ان علماء التصريف لم يذكروا فى الصفة من باب فعل بكسر العين الا اوزانا محصورة ليس فيها فعل بالسكون فذكروا فرح فهو فرح وحور فهو احور وشبع فهو شبعان وسلم فهو سليم وبلى فهو بال او على انه مصدر وصف به كرجل عدل وفيه ضعف لان الاصل الفصيح فى المصدر الذى وصف به ان لا يجمع وقد جمع ههنا ويمكن ان يعتذر عنه بان جمع نحسات لاختلاف انواعه فى الاصل وقرأ الكوفيون وابن عامر بكسر الحاء على انه صفة مشبهة من نحس كفرح فهو فرح واشر فهو اشر والمعنى فى ايام مشئومات لان النحس مقابل السعد ونحوستها ان الله تعالى ادام تلك الريح فيها على وتيرة وحالة واحدة لا تتغير واهلك القوم بها لا كما زعم المنجمون من ان بعض الايام قد يكون فى ذاته نحسات وبعضها سعدا استدلالا بهذه الآية فان اجزاء الزمان متساوية فى حدّ نفسها ولا تمايز بينها الا بحسب تمايز ما وقع فيها من الطاعات والمعاصى ولا استدلال بالمحتمل ﴿ قوله على قصد وصفه به ﴾ اى وصف العذاب بالخزى وكون اضافة العذاب اليه من قبيل اضافة الموصوف الى الصفة كما تقول فعل السوء بالاضافة وتريد الفعل السيئ على الوصفية فاصل الكلام عذاب خزى اى عذاب ذليل مهان فخزى صفة مشبهة اصله خزى فاعل كقاض ثم اضيف العذاب الى ما قصد توصيفه به فقيل عذاب الخزى كما قيل رجل صدق للدلالة على اختصاصه بتلك الصفة واستدل على ان اضافة العذاب الى الخزى على قصد وصفه بالخزى بقوله تعالى ولعذاب الآخرة اخزى اى اذل وازيد خزوة وخزيا فانه لولا ان المقصود توصيف العذاب بالخزى لما صح ان يجعل عذاب الآخرة مقابلا لعذاب الدنيا لكون الاوّل اشدّ خزيا بالنسبة الى الثانى ولما ذكر الله تعالى قصة عاد اتبعها بقصة ثمود فقال واما ثمود والجمهور على رفع ثمود غير منوّن لمنع صرفه للعلمية والتأنيث فانه اسم قبيلة ومن نوّنه وصرفه جعله اسم رجل وهو الجد الاعلى لقبيلة ورفعه على الابتداء لان اما لا يليها الا المبتدأ ولا يجوز الاشتغال فيما بعدها الا نادرا قال ابن الحاجب ويختار رفع ما اضمر عامله بالابتداء اذا وقع بعد اما مع غير الطلب ولو كانت مع الطلب يختار النصب لئلا يقع الطلب خبرا واذا قدرت الفعل الناصب فقدره بعد الاسم المنصوب هكذا واما ثمود فهدينا فهديناهم قالوا لان اما لا يليها الافعال ﴿ قوله فدللناهم على الحق ﴾ اشارة الى ان الهداية عبارة عن الدلالة على ما يوصل الى المطلوب سواء ترتب عليها الاهتداء ام لا وليست عبارة عن الدلالة المقيدة بكونها موصلة الى البغية وفسرها

(اولم يروا ان الله الذى خلقهم هو اشدّ منهم قوّة) قدرة فانه قادر بالذات مقتدر على ما لا يتناهى قوى على ما لا يقدر عليه غيره (وكانوا بآياتنا يجحدون) يعرفون انها حق وينكرونها وهو عطف على فاستكبروا (فارسلنا عليهم ريحا صرصرا) باردة تهلك بشدّة بردها من الصرّ وهو البرد الذى يصرّ اى يجمع او شديد الصوت فى هبوبها من الصرير (فى ايام نحسات) جمع نحسة من نحس نحسا نقيض سعد سعدا وقرأ الحجازيان والبصريان بالسكون على التخفيف او النعت على فعل او الوصف بالمصدر وقيل كنّ آخر شوال من الاربعاء الى الاربعاء وما عذب قوم الا فى يوم الاربعاء (لنذيقهم عذاب الخزى فى الحياة الدنيا) اضاف العذاب الى الخزى وهو الذل على قصد وصفه به لقوله (ولعذاب الآخرة اخزى) وهو فى الاصل صفة المعذب وانما وصف به العذاب على الاسناد المجازى للمبالغة (وهم لا ينصرون) بدفع العذاب عنهم (واما ثمود فهديناهم) فدللناهم على الحق بنصب الحجج وارسال الرسل وقرئ ثمود بالنصب بفعل مضمر يفسره ما بعده ومنوّنا فى الحالين وبضم الثاء (فاستحبوا العمى على الهدى) فاختاروا الضلالة على الهدى

(فأخذتهم صاعقة العذاب الهون) صاعقة من السماء فاهلكتهم واضافتها الى العذاب ووصفه بالهون للمبالغة (بما كانوا يكسبون) من اختيار الضلالة (ونجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون) من تلك الصاعقة (ويوم يحشر اعداء الله الى النار) وقرأ نافع نحشر بالنون مفتوحة وضم الشين ونصب اعداء وقرئ يحشر على البناء للفاعل وهو الله تعالى (فهم يوزعون) يحبس اولهم على آخرهم لئلا يتفرقوا وهى عبارة عن كثرة اهل النار (حتى اذا ما جاؤها) اذا حضروها وما مزيدة لتأكيد اتصال الشهادة بالحضور (شهد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون) بان ينطقها الله او يظهر عليها آثارا تدل على ما اقترف بها فتنطق بلسان الحال (وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا) سؤال توبيخ او تعجب ولعل المراد به نفس التعجب (قالوا انطقنا الله الذى انطق كل شئ) اى ما نطقنا باختيارنا بل انطقنا الله الذى انطق كل شئ او ليس نطقنا بعجب من قدرة الله الذى انطق كل حى ولو اوّل الجواب والنطق بدلالة الحال بقى الشئ عاما فى الموجودات الممكنة (وهو خلقكم اوّل مرة واليه ترجعون) يحتمل ان يكون تمام كلام الجلود وان يكون استئنافا

الزمخشرى فى سورة البقرة بالدلالة الموصلة الى البغية واستدل عليه بوجوه وبما اورد عليه ان يقال لو كانت الهداية عبارة عن الدلالة المقيدة بكونها موصلة الى البغية لامتنع حصولها بدون الاهتداء مع انه تعالى اثبت الهداية بدون الاهتداء حيث قال واما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى اى فاختاروا الدخول فى الضلالة على الدخول فى الرشد اجاب عنه بان الهداية فيه مستعارة للدلالة المجردة تشبيها لها بالدلالة الموصلة من حيث انها مكنتهم من الاهتداء بحيث لم يبق لهم بعدها عذر ولا علة فصارت بذلك كأنها موصلة فسميت هداية لذلك واستدل المعتزلة بهذه الآية على ان الكفر والايمان يحصلان من العبد وذلك لانها تدل على انه تعالى بنصب الدلائل وبزيح العلل والاعذار الا ان الايمان يحصل من العبد لان قوله واما ثمود فهديناهم يدل على انهم من عند انفسهم اتوا بذلك العمى وهذا الاستدلال باطل لانه يستلزم ان يترك كثير من دلائل العقل والنقل منها قوله تعالى الله خالق كل شئ وقوله هل من خالق غير الله ولا بعد فى ان يسند الفعل القبيح الى العبد لكونه سببا عن اختياره السيئ واكتسابه القبيح والتحقيق ان معنى استحباب العمى اختياره لان المحبة ليست باختيارية البتة والاختيار والايثار اختيارى والمؤثر مجموع امرين احدهما من الله تعالى والآخر من العبد فظهر ان فى لفظ الاستحباب ما يشعر بان قدرة الله تعالى هى المؤثرة ولقدرة العبد مدخلا ما وان الايمان مقدور لقادرين فتأمل فيه فانه دقيق عجيب ﴿ قوله واضافتها الى العذاب ﴾ اى اضافة الصاعقة الى العذاب الموصوف بالمصدر للمبالغة فى كونه مهينا ليدل على شدة وقع الصاعقة وقوتها فان اضافتها اليه من اضافة النوع الى الجنس بتقدير من والمعنى فاخذتهم من جنس العذاب المهين الذى بلغ فى افادة الهوان للمعذب الى حيث صار كأنه عين الهوان ما كان شديد الوقع كأنه صاعقة مهلكة والهون مصدر بمعنى الهوان والذلة وصف به العذاب للمبالغة اى عذاب مهين كأنه عين الهوان فالمبالغة استفيدت من ثلاثة اوجه الاوّل من استعارة لفظ الصاعقة للعذاب والثانى من اضافة الصاعقة الى العذاب والثالث من وصف العذاب بالهون ثم انه تعالى لما بين كيفية عقوبة اولئك الكفار فى الدنيا اردفه ببيان كيفية عقوبتهم فى الآخرة ليحصل منه تمام الاعتبار فى الزجر والتحذير فقال ويوم يحشر اعداء الله الى النار فيوم منصوب بمحذوف دل عليه ما بعده من قوله فهم يوزعون تقديره يساق الناس يوم يحشر وقال ابو البقاء تقديره يمنعون يوم يحشر وقيل انه منصوب باذكر مقدرا اى اذكر يوم يحشر جميع الكفرة من الاوّلين والآخرين فهم يوزعون اى يحبس سوابقهم حتى يلحق بهم اواخرهم وهو عبارة عن كثرتهم قرأ الجمهور يحشر بياء الغيبة مضمومة وفتح الشين على بناء ما لم يسم فاعله ورفع اعداء لقيامه مقام الفاعل وحتى غاية ليحشر واذا منصوب بشهد ومعنى التأكيد فى كلمة ما ان وقت حضورهم النار لا محالة هو وقت الشهادة عليهم وهو كقوله تعالى أثم اذا ما وقع آمنتم به اى لا بد لوقت وقوع العذاب من ان يكون وقت ايمانهم * روى انه صلى الله عليه وسلم ضحك يوما حتى بدت نواجذه ثم قال ألا تسألون لم ضحكت قالوا لم ضحكت يا رسول الله قال عجبت من مجادلة العبد ربه يقول يوم القيامة يا رب أليس قد وعدتنى ان لا تظلمنى قال فان لك ذلك قال فانى لا اقبل علىّ شاهدا الا من نفسى قال او ليس قد كفى بى شهيدا وبالملائكة الكرام الكاتبين فيقول يا رب قد اجرتنى من الظلم فلن اجيز علىّ اليوم شاهدا الا من نفسى قال فيختم على فيه وتتكلم الاركان بما كان يعمل قال عليه الصلاة والسلام فيقول لهنّ بعدا لكنّ وسحقا عنكنّ كنت اجادل ﴿ قوله تعالى سمعهم ﴾ اى آذانهم وافرد لكونه مصدرا فى الاصل وقوله ولعل المراد به نفس التعجب اى من غير ان يتحقق منهم سؤال وخطاب للاعضاء وهذا على ان تكون كيفية شهادة الاعضاء ان يظهر عليها احوال تدل على صدور تلك الاعمال منهم فيكون الجواب بقالوا انطقنا الله ايضا بلسان الحال ﴿ قوله اى ما نطقنا باختيارنا ﴾ اى حتى نستحق توبيخكم هذا على ان يكون لم شهدتم سؤال توبيخ وقوله او ليس نطقنا بعجب على ان يكون سؤال تعجب ﴿ قوله تمام كلام الجلود ﴾ فيكون معطوفا على قوله انطق كل شئ اى انطقنا الله الذى هذا كله شأنه فمن قدر عليه قدر على انطاقنا لا محالة وان تم كلام الجلود عند قوله انطق كل شئ كان قوله وهو خلقكم ابتداء كلام من الله تعالى لبيان ان من قدر على خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة وصيركم حيوانا ناطقا اوّل مرة اى فى الدنيا ثم على بعثكم وارجاعكم الى موقف حسابه وجزائه كيف يستبعد منه انطاق الجوارح والاعضاء قيل كيفية نطقها وشهادتها عليهم ان يخلق الله فيها الحياة والقدرة على النطق فتشهد كما يشهد الرجل منا بما يعرفه وهذا القول لا يتأتى على مذهب المعتزلة لان البنية شرط عندهم لحصول الحياة

(والعقل)

و العقل و القدرة و اللسان مع كونه لسانا يمتنع ان يكون محلا للعلم و العقل فان قلنا انه تعالى غير تلك البنية و الصورة خرج عن كونه لسانا و جلدا و ظاهر القرآن يدل على اضافة تلك الشهادة الى السمع و البصر و الجلود و ان قلنا انه تعالى ما غير بنية هذه الاعضاء فحينئذ يمتنع كونها عاقلة ناطقة فاجابوا عنه بما يأتي على مذهب اصحابنا لان البنية ليست شرطا للحياة و لا للعلم و لا للقدرة عندنا فهو تعالى قادر على خلق العقل و القدرة و النطق في كل جزء من اجزاء هذه الاعضاء و قيل في كيفية نطقها و شهادتها ان تظهر فيها احوال تدل على صدور تلك الاعمال من ذلك الانسان و تلك الامارات تسمى شهادات كما يقال شهد العالم بتغيرات احواله على حدوثه ﴿ قوله تعالى ان يشهد ﴾ في موضع النصب باسقاط الخافض من ان يشهد او الجر على ارادته لان استتر لا يتعدى بنفسه و قيل في موضع الجر على تقدير المضاف اى مخافة ان يشهد اى كنتم تكتفون عند ارتكاب الفواحش بالتستر و الاختفاء من الناس و لم تعلموا انه تعالى لا يعزب عنه مثقال ذرة من خفيات الامور و جلياتها حتى تخافوا من ان يفضحكم بان ينطق اعضاءكم و يشهدها عليكم و لكن ظننتم انه تعالى لا يعلم كثيرا مما تعملون اى لا يعلم ما تعملونه خفية مستترين بالحيطان و الحجب و ظلمة الليل فلذلك اجترأتم على ارتكاب الفواحش خفية و ما علمتم انه تعالى مطلع عليها و مفضحكم بها بان ينطق جوارحكم و يشهدها عليكم فان طائفة من الكفار بلغ جهلهم الى ان ظنوا انه تعالى يعلم بعض الامور و يخفى عليه بعضها عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال ان الكفار كانوا يقولون ان الله لا يعلم ما في انفسنا و لكنه يعلم ما نظهره و عن ابن مسعود قال كنت مستترا باستار الكعبة فدخل ثلاثة نفر ثقفيان و قرشي او قرشيان و ثقفي كثير شحم بطونهم قليل فقه قلوبهم فقال احدهم اترون ان الله يسمع ما نقول فقال آخر يسمع ان جهرنا و لا يسمع ان اخفينا و قال الثالث ان كان يسمع ان جهرنا يسمع اذا اخفينا فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه و سلم فانزل الله تعالى و ما كنتم تستترون الآية قيل الثقفي عبد ياليل و القرشيان ختناه ربيعة و صفوان بن امية ﴿ قوله اذ صار ما منحوا ﴾ فان القوة العاقلة نعمة انعم الله تعالى بها على عباده ليتوسلوا بها الى تحصيل العقائد الحقة التي هي سبب سعادة الدارين و من توسل بها الى شقاء الدارين فقد خسر خسرانا مبينا و هذه الآية نص صريح في ان من ظن انه تعالى يخرج عن علمه شيء من المعلومات فانه الهالك الخاسر و ان ظنه ذلك ارداه ثم قال فان يصبروا اى ان امسكوا عن الاستغاثة و الجزع بما هم فيه انتظار الفرج زاعمين ان الصبر مفتاح الفرج لم يجدوا ذلك و تكون النار مثوى لهم من الثواء و هو الاقامة و ذكر في مقابلة صبرهم استعتابهم فقال و ان يستعتبوا بفتح ياء الغيبة و كسر التاء الثانية على بناء الفاعل اى و ان اظهروا الجزع و استغاثوا في ازالة ما هم فيه من العذاب لم يعتبوا اى لم يجابوا الى ذلك فكان جزعهم و صبرهم سواء في ان شيأ منهما لا يؤدي الى الخلاص يقال عتب عليه اى وجد عليه و غضب و اعتبني فلان اى عاد الى مودتي راجعا عن الاساءة و الاستعتاب طلب العتبى و هو اسم من الاعتاب بمعنى ازالة العتب كالعطاء و الاستعطاء فهو تعالى عاتب مغضب على المسيء بتعذيبه و المسيء مستعتب يطلب منه تعالى ان يعتبه اى يزيل عنه ما هو فيه من العقوبة و العذاب الا انه لا يكون معتبا و قرئ و ان يستعتبوا على بناء المفعول فما هم من المعتبين على بناء اسم الفاعل من اعتب بمعنى رضي و ازال عتبه اى ان استعتب احدهم بان يطلب منهم ان يعتب ربه و يزيل ما يعتب ربه عليه لم يقدروا عليه لانهم فارقوا دار التكليف و الطاعة و اتوا دار الجزاء فانى يقدرون على اعتاب ربهم ثم انه تعالى لما ذكر الوعيد الشديد في الدنيا و الآخرة على كفر اولئك الكفار اردفه بذكر السبب الذي لاجله وقعوا في ذلك الكفر فقال و قيضنا لهم قرناء اى جعلنا القرناء و قدرناها قيضا لهم اى بمنزلة القيض الذي يستولي على اللب كما يستولي القيض على البيض و قيض البيضة قشرها فانهم لما صمموا على الكفر لم يبق لهم من الاصدقاء الا الشياطين و هذا معنى قول الجوهري قيض الله فلانا لفلان اى جاءه به و اباحه له اى قدره له و اخدان جمع خدن و هو الصديق و قيل قيضنا ليس من القيض بمعنى القشر بل هو من القيض بمعنى البدل و العوض كما يقال هذان ثوبان قيضان اذا كان كل واحد منهما مكافئا للآخر في القيمة بحيث يصح ان يباع احدهما بالآخر مقايضة اى مبادلة و هي بيع السلعة بالسلعة سمي بها لكونه معاوضة احد المتبايعين بالآخر و لما كان عقد المقايضة مبنيا على مناسبة احد البدلين للآخر كان معنى الآية جعلنا و قدرنا قرناء السوء لهم قيضا اى مناسبا لهم بحيث يليق ان يتخذوهم اخدانا و اصدقاء يقبلون ما دعوهم اليه و لم يرض بهذا الاحتمال لما فيه من التكلف و قد دلت الآية على ان كفر الكافر بارادة الله تعالى و مشيئته و ان لم يرضه لانه حكم بانه قيض لهم قرناء فزينوا لهم الباطل و هذا

(و ما كنتم تستترون ان يشهد عليكم سمعكم و لا ابصاركم و لا جلودكم) اى كنتم تستترون عن الناس عند ارتكاب الفواحش مخافة الفضاحة و ما ظننتم ان اعضاءكم تشهد عليكم فما استترتم عنها و فيه تنبيه على ان المؤمن ينبغي ان يتحقق ان لا يمر عليه حال الا و عليه رقيب (و لكن ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون) فلذلك اجترأتم على ما فعلتم (و ذلكم) اشارة الى ظنهم هذا و هو مبتدأ و قوله (ظنكم الذي ظننتم بربكم ارداكم) خبران له و يجوز ان يكون ظنكم بدلا و ارداكم خبرا (فاصبحتم من الخاسرين) اذ صار ما منحوا للاستسعاد به في الدارين سببا لشقاء المنزلين (فان يصبروا فالنار مثوى لهم) لا خلاص لهم عنها (و ان يستعتبوا) يسألوا العتبى و هي الرجوع الى ما يحبون (فما هم من المعتبين) المجابين اليها و نظيره قوله تعالى حكاية اجزعنا ام صبرنا ما لنا من محيص و قرئ و ان يستعتبوا فما هم من المعتبين اى ان يسألوا ان يرضوا ربهم فما هم فاعلون لفوات المكنة (و قيضنا) و قدرنا (لهم) للكفرة (قرناء) اخدانا من الشياطين يستولون عليهم استيلاء القيض على البيض و هو القشر و قيل اصل القيض البدل و منه المقايضة للمعاوضة

يدل على انه تعالى اراد منهم الكفر لانه تعالى لما قيض لهم اولئك القرناء بارادته وهو يعلم انهم يزينون لهم الباطل ويحملونهم على الكفر لزم ان يريد منهم ذلك التزيين ومايترتب عليه لان من فعل فعلا بارادته وعلم ان ذلك الفعل يفضي لامحالة الى اثر فذلك الفاعل لابد ان يكون مريدا لذلك الاثر ﴿قوله مابين ايديهم من امر الدنيا﴾ جعل امر الدنيا بين ايديهم لكونها حاضرة لهم كما يقال لمن يجيء بعد الشخص انه خلفه وقيل مابين ايديهم الآخرة لانها قدامهم وهم متوجهون اليها وماخلفهم الدنيا لانهم يتركونها خلفهم ﴿قوله تعالى فى امم﴾ فى محل النصب على انه حال من الضمير المجرور فى عليهم اى حق عليهم القول حال كونهم فى جملة امم من المتقدمين وشبه كلمة فى الواقعة فى الآية بما فى قول الشاعر * فى آخرين قد أفكوا * اى فانت فى جملة آخرين وفى عدادهم فى كونك مأفوكا عن احسن الصنيعة ولست بأوحدى فى ذلك * واعلم انه تعالى لما وصف كتابه العزيز فى اول السورة باوصاف جليلة ثم اخبر ان اكثرهم اعرضوا عن تدبره وقبوله بين طريق اعراضهم بقوله وقالوا قلوبنا فى اكنة الى قوله فاعمل اننا عاملون وامر رسوله صلى الله عليه وسلم بان يجيبهم فاجاب بوجوه من الاجوبة واتصل الكلام بعضه ببعض الى هذا الموضع ثم انه تعالى حكى عنهم طريقا آخر لاعراضهم عن القرآن فقال وقال الذين كفروا الآية ﴿قوله بالخرافات﴾ وهى الهذيان والاحاديث التى لااصل لها قيل خرافة اسم رجل من بنى عذرة استهوته الجن وكان يحدث بما رأى فكذبوه وقالوا لكل مايكذبونه من الاحاديث ولكل مايستملح ويتعجب منه خرافات وكان بعضهم يوصى بعضا اذا رأيتم محمدا صلى الله عليه وسلم يقرأ القرآن لاتصغوا الى قرآءته والغوا فيه اى افشوا فيه باللغو وهو ماليس له معنى مفيد ليختلط عليه مايقرأ فلا يتمكن من قرآءته ولا يتمكن اصحابه ايضا من سماعه قال مقاتل اى ارفعوا اصواتكم بالاشعار والكلام فى وجهه حتى تلبسوا عليه ولما ذكر الله تعالى ذلك عنهم هددهم بالعذاب الشديد وقال فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا وهذا تهديد شديد لان لفظ الذوق انما يذكر فى القدر القليل الذى يؤتى به لاجل التجربة واذا كان المذوق وهو قدر قليل عذابا شديدا فكيف يكون حال الكثير منه ﴿قوله المراد بهم هؤلاء القائلون﴾ يعنى ان التعريف فى قوله الذين كفروا للعهد الخارجى والمعهود هم الذين يقولون لاتسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه ويجوز ان يكون للاستغراق فيدخل فيه القائلون دخولا اوليا ﴿قوله سيئات اعمالهم﴾ يعنى ان الاسوء لم يقصد به الزيادة على ماأضيف اليه ليفيد انه تعالى يجزيهم جزآء سيئات اعمالهم وجزآء اسوءها بل قصد الزيادة المطلقة واضافته الى ماعملوا لبيان انه بعض منه لاللتفضيل عليه كما يقال الاشج اعدل بنى مروان ولايقصد به انه من بنى مروان اهل العدل وان الاشج اعدلهم بل قصد به الزيادة المطلقة واضيف اليهم لبيان انه بعض منهم * فان قيل الموصوف بافعل على تقدير ان يحمل على الزيادة المطلقة يجب ان يكون بالغا غاية الكمال فى الوصف الذى هو مبدأ اشتقاق افعل فبقيت الشبهة وهى ان يجزون جزآء ماهو فى غاية القباحة من الاعمال مع انهم يجزون جزآء مالم يبلغ الى تلك الغاية * قلنا كل معصية من حيث كونها مخالفة لله تعالى فى غاية القباحة واليه اشار المصنف بقوله سيئات اعمالهم حيث جعل الاعمال السيئة مطلقا اسوء ﴿قوله اشارة الى الاسوء﴾ كون قوله جزآء اعدآء الله خبرا عن الاسوء ينافى تفسير قوله اسوء الذى عملوا بقوله سيئات اعمالهم فانه يفهم منه ان يكون تقدير الكلام ولنجزينهم عقاب اسوء ماعملوا فيكون الاسوء من قبيل الاعمال فكيف يخبر عنه بالجزآء فينبغى ان يحمل الآية على تقدير المضاف اى ولنجزينهم جزآء اسوء ماعملوا فكذا قول المصنف سيئات اعمالهم اى جزآء سيئات اعمالهم ﴿قوله فانها دار اقامتهم﴾ يعنى أن كلمة فى ليست للظرفية بل للتجريد والمعنى ان النار نفسها دارهم وهم خالدون فيها كما فى قوله تعالى لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة يعنى انه عليه الصلاة والسلام اسوة لكم والامام الرازى رحمه الله جعل كلمة فى للظرفية حيث قال لهم فى جملة النار دار معينة وهى دار العذاب المخلد لهم والمصنف اتفق الزمخشرى فى جعله اياها للتجريد وهو ان ينتزع من امر ذى صفة امر مماثل للاول فى الاتصاف بتلك الصفة لقصد المبالغة فى كمال تلك الصفة فى الامر الاول حتى كأنه بلغ فى الصاقه بتلك الصفة الى حيث يصح ان ينتزع منه امر آخر موصوف بتلك كالنار مثلا فانها لمابلغت فى كونها دار الخلد بالنسبة اليهم مرتبة عالية صح معها ان ينتزع منها اخرى مثلها فى تلك الصفة ﴿قوله على ان المقصود هو الصفة﴾ اى المبالغة فيها ﴿قوله ينكرون الحق﴾ اى ينكرون مايعرفون انه حق فانهم يعلمون باعجاز القرآن انه كلام الله تعالى لاريب فيه وانما يجحدونه حسدا فلذلك كان بعضهم يوصى الى بعض ان لايستمع الى قرآءته عليه الصلاة

(فزينوا لهم مابين ايديهم) من امر الدنيا واتباع الشهوات (وماخلفهم) من امر الآخرة وانكاره (وحق عليهم القول) اى كلمة العذاب (فى امم) فى جملة امم كقوله * ان تك عن احسن الصنيعة مأ * فوكا ففى آخرين قد أفكوا * وهو حال من الضمير المجرور (قد خلت من قبلهم من الجن والانس) وقد عملوا مثل اعمالهم (انهم كانوا خاسرين) تعليل لاستحقاقهم العذاب والضمير لهم وللامم (وقال الذين كفروا لاتسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه) وعارضوه بالخرافات وارفعوا اصواتكم بها لتشوشوه على القارئ وقرئ بضم الغين والمعنى واحد يقال لغى يلغى ولغا يلغو اذا هذى (لعلكم تغلبون) اى تغلبونه على قرآءته (فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا) المراد بهم هؤلاء القائلون او عامة الكفار (ولنجزينهم اسوء الذى كانوا يعملون) سيئات اعمالهم وقد سبق مثله (ذلك) اشارة الى الاسوء (جزآء اعدآء الله) خبره (النار) عطف بيان للجزآء او خبر محذوف (لهم فيها) فى النار (دار الخلد) فانها دار اقامتهم وهو كقولك فى هذه الدار دار سرور وتعنى بالدار عينها على ان المقصود هو الصفة (جزآء بما كانوا بآياتنا يجحدون) ينكرون الحق او يلغون وذكر الجحود الذى هو سبب اللغو

والسلام وان يلقى فيه خوفا من انه لو سمعه الناس لآمنوا به ثم جوز ان يكون الجحود مجازا عن اللغو على طريق ذكر السبب وارادة المسبب وقوله جزاء مصدر مؤكد لفعله الذى دل عليه قوله لهم فيها اى يجزون جزاء ويجوز ان يكون مفعولا له اى لهم ذلك الجزاء وان يكون منصوبا بالمصدر الذى قبله وهو جزاء اعداء الله والمصدر ينصب بمثله كما فى قوله فان جهنم جزاؤكم جزاء ثم انه تعالى لما بين ان الذى حملهم على الكفر الموجب للعذاب الشديد هو مجالسة قرناء السوء بين ان الكفار عند الوقوع فى العذاب الشديد يقولون ربنا ارنا اللذين اضلانا ﴿قوله فانهما سنا الكفر﴾ سنه ابليس والقتل بغير حق سنه قابيل حيث قتل اخاه هابيل ثم انه تعالى لما ذكر قرناء الكفار وسوء عاقبتهم ذكر قرناء المؤمنين واولياءهم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة وهم الملائكة ﴿قوله من حيث انه مبدأ الاستقامة﴾ فان من اقر بان من هو رب العالمين ربه ومالكه ومدبر امره يستوجب الاستقامة والثبات على مقتضى اقراره بان يستمر على شكره وثنائه باللسان وصرف جوارحه وحياته الى العمل والاعتقاد على وفق اقراره حتى يسلم لسانه وجوارحه وقلبه من الاعوجاج بان يخالف بعضها بعضا فنسبة الاستقامة الى الاقرار نسبة المنتهى الى المبدأ ﴿قوله فيما يعن﴾ اى يعرض ويعترض لهم من الاهوال سواء كان فى القبر او عند البعث او عند الموت ﴿قوله لا تخافوا ما تقدمون عليه﴾ الخوف غم يلحق لتوقع المكروه والحزن غم يلحق بما وقع من المكروه من فوات نافع او حصول ضار والمعنى لا تخافوا ما انتم قادمون عليه من امر الآخرة فلن تروا مكروها ولا تحزنوا على ما خلفتموه من اهل وولد فانه تعالى يخلفه عليكم بخير ويعطيكم فى الجنة اكثر من ذلك واحسن ويجمع بينكم وبين اهاليكم واولادكم المسلمين فى الجنة ﴿قوله وان مصدرية﴾ ولا نافية لا ناهية لان ما فيه معنى الطلب لا يصح ان يكون صلة لان المصدرية على المشهور والفعل بعدها منصوب بان الا ان صاحب الكشاف والمصنف يجوز ان ذلك والتقدير تتنزل عليهم الملائكة ملتبسين بان لا تخافوا اى بهذا القول وهو انه تعالى كتب لكم الأمن من كل غم فلن تذوقوه ابدا ﴿قوله او مخففة من الثقيلة مقدرة بالباء﴾ اى يتنزلون بان لا تخافوا والهاء ضمير الشان ولا ناهية اى ينزلون ملتبسين بهذه البشارة ان لا تخافوا من هول الموت ولا من هول القبر وافزاع يوم القيامة فان المؤمن ينظر الى حافظيه قائمين على رأسه يقولان له لا تخف اليوم ولا تحزن وأبشر بالجنة التى كنت توعد وانك سترى اليوم امورا لم تر مثلها فلا تهولنك فانما يرادبها غيرك ﴿قوله وهو اعم من الاول﴾ لان كل مطلوب لا يلزم ان يكون بحيث تنزع اليه الشهوة الطبيعية لجواز كونه من الفضائل الروحانية والكمالات النفسانية ﴿قوله حال من ما تدعون﴾ اى من الموصول او من الضمير المحذوف اى ما تدعونه والمراد بالنزل الرزق المعد للنازل وهو الضيف كأنه قيل ولكم فيها الذى توعدونه حال كونه كالنزل للضيف واكرامهم فيها بما لا يخطر ببالهم فضلا عن ان يشتهوه او يتمنوه والعامل فيها متعلق لكم اى ثبت لكم الذى حال كونه نزلا وقوله من غفور رحيم متعلق بمحذوف هو صفة لنزلا واعلم انه تعالى لما ذكر اولا وعيد من اعرض عن القرآن وتدبر معناه وذكر بعده فضيلة من اقر بالعبودية واستقام قلبا وقالبا بين ان هذه مرتبة استكمال ذات النفس وجوهرها وان من اشتغل بتكميل الناقصين بعد تكميل جوهر نفسه فانه اعلى شانا واحسن حالا بالنسبة الى من اكتفى بتكميل نفسه واعرض عن الالتفات الى حال غيره فقال ومن احسن قولا ممن دعا الى الله وهذا صريح فى ان الدعوة الى الله احسن من كل ما سواه وكل من دعا الى الله بطريق من الطرق فهو داخل فى هذه الآية وللدعوة الى الله مراتب الاولى دعوة الانبياء عليهم الصلاة والسلام فانهم يدعون الى الله تعالى بالمعجزات وبالحجج والبراهين وبالسيف والمرتبة الثانية دعوة العلماء فانهم يدعون اليه تعالى بالحجج والبراهين فقط والعلماء ثلاثة اقسام عالم بالله غير عالم بامر الله وعالم بامر الله غير عالم بالله وعالم بالله وعالم بامر الله اما الاول فهو عبد استولت المعرفة الالهية على قلبه فصار مستغرقا فى مشاهدة نور الجلال وصفات الكبرياء فلا يتفرغ لتعلم علم الاحكام الا قدر ما لا بد منه والثانى وهو الذى يكون عالما بامر الله وغير عالم بالله هم الذين عرفوا الحلال والحرام ودقائق الاحكام ولكنهم لا يعرفون اسرار جلال الله تعالى وجماله واما العالم بالله وباحكامه فهم الجامعون لفضائل القسمين الاولين وهم تارة مع الله تعالى بالحب والارادة وتارة مع الخلق بالشفقة والرحمة فاذا رجعوا الى الخلق صاروا معهم كواحد منهم كأنهم لا يعرفون الله واذا خلوا بربهم صاروا مشتغلين بذكره كأنهم لا يعرفون الخلق وهذا سبيل المرسلين والصديقين والمرتبة الثالثة للدعوة الدعوة بالسيف وهى للملوك فانهم يجاهدون الكفار حتى يدخلوا فى دين الله وطاعته والمرتبة الرابعة دعوة المؤذنين الى الصلاة فهم ايضا دعاة الى الله تعالى وطاعته وهى

(وقال الذين كفروا ربنا ارنا اللذين اضلانا من الجن والانس) يعنى شيطانى النوعين الحاملين على الضلالة والعصيان وقيل هما ابليس وقابيل فانهما سنا الكفر والقتل وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب وابو بكر والسوسى ارنا بالتخفيف كفخذ فى فخذ وقرأ الدورى باختلاس كسرة الراء (نجعلهما تحت اقدامنا) ندسهما انتقاما منهما وقيل نجعلهما فى الدرك الاسفل (ليكونا من الاسفلين) مكانا او ذلا (ان الذين قالوا ربنا الله) اعترافا بربوبيته واقرارا بوحدانيته (ثم استقاموا) فى العمل وثم لتراخيه عن الاقرار فى الرتبة من حيث انه مبدأ الاستقامة او لانها عسر قلما يتبع الاقرار وما روى عن الخلفاء الراشدين فى معنى الاستقامة من الثبات على الايمان واخلاص العمل واداء الفرائض فجزئياتها (تتنزل عليهم الملائكة) فيما يعن لهم بما يشرح صدورهم ويدفع عنهم الخوف والحزن او عند الموت او الخروج من القبر (ان لا تخافوا) ما تقدمون عليه (ولا تحزنوا) على ما خلفتم وان مصدرية او مخففة مقدرة بالباء او لا تخافوا او مفسرة (وابشروا بالجنة التى كنتم توعدون) فى الدنيا على لسان الرسل (نحن اولياؤكم فى الحياة الدنيا) نلهمكم الحق ونحملكم على الخير بدل ما كان الشيطان يفعل بالكفرة (وفى الآخرة) بالشفاعة والكرامة حيثما يتعادى الكفرة وقرناؤهم (ولكم فيها) فى الآخرة (ما تشتهى انفسكم) من اللذائذ (ولكم فيها ما تدعون) ما تتمنون من الدعاء بمعنى الطلب وهو اعم من الاول (نزلا من غفور رحيم) حال من ما تدعون للاشعار بان ما تتمنون بالنسبة الى ما يعطون مما لا يخطر ببالهم كالنزل للضيف

اضعف مراتب الدعوة الى الله فلما كانت كل واحدة من هذه المراتب داخلة فى الدعوة الى الله ظهر انه لاوجه لتخصيصها ببعض تلك المراتب وقيل نزلت الآية فى حقه عليه الصلاة والسلام فيكون قوله تعالى ومن احسن قولا تعجبا من المشركين الذين تواصوا باللغو فى قرآنه عليه الصلاة والسلام من انه لاقول احسن من قوله ولاقائل احسن قولا منه وهو يدعو الى الله تعالى ولاتهمة فيه ولانه يعمل بما يقول ويظهر دين الاسلام الذى هو دين ابيكم ابراهيم عليه الصلاة والسلام ﴿ قوله قاله تفاخرا به ﴾ اى ليس الغرض من قوله تعالى وقال اننى من المسلمين مجرد أن يتكلم بهذا الكلام بل المقصود التوصيف بانه يتكلم به ابتهاجا بما انعم الله تعالى عليه من نعمة الاسلام وان يتكلم به اتخاذا للاسلام دينا ومذهبا فاحسن الاقوال قول من جمع بين خصال ثلاث اولاها الدعوة الى الله وثانيها العمل الصالح وثالثها التدين بدين الاسلام والافتخار ثم انه تعالى لما عدّ سيئات المشركين وبين سوء عاقبتها شرع فى حث رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاستمرار على دعوتهم الى الله وطاعته فقال ولاتستوى الحسنة ولاالسيئة والمراد بالحسنة ماهو عليه من دعوتهم الى الدين الحق والصبر على جهالتهم وترك الانتقام منهم والالتفات الى سفاهتهم وبالسيئة مااظهروه من المخالفة والعناد بمثل قولهم قلوبنا فى اكنة مما تدعونا اليه وفى آذاننا وقر وقولهم لاتسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه فكأنه تعالى قال يامحمد فعلك حسنة وفعلهم سيئة ولاتستوى الحسنة ولاالسيئة فى الجزآء وحسن العاقبة فانك اذا اتيت بهذه الحسنة استوجبت التعظيم فى الدنيا والثواب فى الآخرة وهم بالضد من ذلك فلاينبغى ان يكون اقدامهم على تلك السيئة مانعا لك من الاشتغال بهذه الحسنة ثم قال ادفع بالتى هى احسن ﴿ قوله وانما اخرجه مخرج الاستئناف ﴾ جواب عما يقال الظاهر ان يقال فادفع بالفاء الدالة على السببية لان نفى الاستوآء بينهما سبب للدفع بالاحسن وتقرير الجواب ان صورة الاستئناف ابلغ فى الحث على دفع السيئة بالحسنة والحمل عليه لان اخراج الكلام على صورة الاستئناف انما يكون فى مقام الاهتمام بالحكم ﴿ قوله تعالى فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم ﴾ كلمة اذا فيه للمفاجأة والموصول مبتدأ وصلته قوله عداوة وفى الخبر وجهان احدهما اذا المذكورة المكانية وقوله كأنه ولى فى موضع النصب على الحال من الموصول كأنه قيل فبالحسنة من يعاديك يصير مشبها بالولى والعائدة منوطة بالحال والثانى كأنه مع مااتصل به هو الخبر واذا ظرف لمعنى التشبيه والظروف تعمل فيها روائح الفعل تقدمت على العامل او تأخرت ﴿ قوله تعالى واما ينزغنك ﴾ ان فيه شرطية وما مزيدة لتأكيد معنى الشرطية والاستلزام فلذلك لحقت نون التأكيد بفعل الشرط فانها لاتلحق الشرط بها مالم تؤكد بما كامر وفى الصحاح نزغ الشيطان بينهم اى افسد ونزغه بكلمة اى طعن فيه مثل نخسه بعود او باصبع والمعنى ان الشيطان ان وسوس اليك بان ألقى فى خاطرك لاتقبل هذه الوصية وهى ان تدفع السيئة بالتى هى احسن فاستعذ بالله من شره وكلمة من فى قوله من الشيطان ابتدآئية ونزغ صادر من جهته وان كان قوله نزغ بمعنى نازغ وهو الشيطان تكون كلمة من تجريدية على ان يجرّد من الشيطان شيطان آخر ويسمى نازغا قال الشيخ ابن العربى قدس سره فى فتوحاته المكية روى ان اعرابيا من فصحاء العرب جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد سمع انه عليه الصلاة والسلام اوتى جوامع الكلم وانه انزل عليه كتاب معجز تعجز فصحاء العرب عن معارضته فقال له يارسول الله هل فيما انزل عليك ربك مثل ماقلته فقال عليه افضل الصلاة والسلام وماقلت الاعرابى فقال قلت

وحىّ ذوى الاضغان تسب عقولهم	تحيتك القربى فقد يرقع النغل
وان جهروا بالقول فاعف تكرما	وان ستروا عنك الملامة لم تبل
فان الذى يؤذيك منه استماعه	وان الذى قد قيل خلفك لم يقل

فقرأ عليه الصلاة والسلام ولاتستوى الحسنة ولاالسيئة الآية فقال الاعرابى هذا والله السحر الحلال والله ماتخيلت ولاكان فى علمى انه نزل ويؤتى باحسن مماقلت اشهد انك رسول الله والله ماخرج هذا الامن ذى الالتهى كلامه والآل بالكسر هو الله عز وجل اى والله ما بلغ هذا الكلام الامن هو رسول الله جاء به من عند ربه لانه خارج عن وسع البشر امر ان تحيى من بينك وبينه عداوة وحقد تحية كتحيتك اقرباءك ويقال نغل الاديم بالكسر اى فسد والعامة تقول نغل قلبه علىّ اى ضغن ﴿ قوله الا ذو حظ عظيم ﴾ من الخير اى من الفضائل النفسانية والقوة الروحانية فان الاشتغال بالانتقام لايكون الالضعف النفس وتأثرها من الواردات الخارجية فان النفس اذا

(كانت)

(ومن احسن قولا ممن دعا الى الله) الى عبادته (وعمل صالحا) فيما بينه وبين ربه (وقال اننى من المسلمين) قاله تفاخرا به واتخاذا للاسلام دينا ومذهبا من قولهم هذا قول فلان لمذهبه والآية عامة لمن استجمع تلك الصفات وقيل نزلت فى النبى عليه السلام وقيل فى المؤذنين (ولاتستوى الحسنة ولاالسيئة) فى الجزآء وحسن العاقبة ولا الثانية مزيدة لتأكيد النفى (ادفع بالتى هى احسن) ادفع السيئة حيث اعترضتك بالتى هى احسن منها وهى الحسنة على ان المراد بالاحسن الزآئد مطلقا او باحسن مايمكن دفعها به من الحسنات وانما اخرجه مخرج الاستئناف على انه جواب من قال كيف اصنع للمبالغة ولذلك وضع احسن موضع الحسنة (فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم) اى اذا فعلت ذلك صار عدوك المشاق مثل الولى الشفيق (وما يلقيها) ومايلقى هذه السجية وهى مقابلة الاساءة بالاحسان (الا الذين صبروا) فانها تحبس النفس عن الانتقام (ومايلقيها الا ذو حظ عظيم) من الخير وكمال النفس وقيل الحظ العظيم الجنة (واما ينزغنك من الشيطان نزغ) نخس شبه به وسوسته لانها بعث على مالاينبغى كالدفع بما هو اسوأ وجعل النزغ نازغا على طريقة جد جده او اريد به نازغ وصفا للشيطان بالمصدر (فاستعذ بالله) من شره ولاتطعه (انه هو السميع) لاستعاذتك (العليم) بنيتك او بصلاحك

كانت قوية الجوهر لم تتأثر من الواردات الخارجية واذا كانت لم تتأثر منها لم يصعب عليها تحملها ولم تشتغل بالانتقام فثبت ان هذه السيرة لا يلقاها الا ذو حظ عظيم من قوة النفس وصفاء جوهرها ويحتمل ان يكون المعنى وما يلقاها الا ذو حظ عظيم من ثواب الآخرة فعلى هذا الوجه يكون قوله وما يلقاها الا الذين صبروا مدحا لهم بفعل الصبر وقوله وما يلقاها الا ذو حظ عظيم وعدا باعظم الحظ من الثواب ثم انه تعالى لما بين في الآية المتقدمة ان احسن الاعمال والاقوال هو الدعوة الى الله تعالى ومن المعلوم ان العمدة الكبرى في طرق الدعوة اليه تعالى هي تقرير الدلائل واقامة الحجج والبراهين الدالة على وجود الاله الموصوف بالفردانية والقدرة القاهرة والحكمة البالغة شرع في تقرير تلك الدلائل فقال ومن آياته الليل والنهار الآية فان تعاقب الليل والنهار على الوجه الذي يتفرع عليه منافع الخلق ومصالحهم وتذليل الشمس والقمر لما يراد منهما من اظهر العلامات الدالة على وجوده تعالى ووحدانيته وكمال علمه وحكمته ﴿قوله والمقصود تعليق الفعل بهما﴾ اى بالشمس والقمر والجملة حالية لتقرير جهة الاشكال فان مقتضى الظاهر ان يقال لله الذي خلقهما تنصيصا على الامر بتخصيص السجود الذي هو نهاية التعظيم بمن يستحقه وهو رب العالمين على وجه يتضمن تعليل النهي عن سجود الشمس والقمر الا انه تعالى جمع الشمس والقمر مع الليل والنهار على خلاف الظاهر اشعارا بانهما مع كونهما عبدين مأمورين مخلوقين من عداد ما لا يعقل ولا يختار فانهما ابعد عن كونهما مسجودين فقال خلقهن ❊ فان قيل ما عدا الشمس من هذه الاربع ذكور فكان المناسب تغليب الذكور على المؤنث الواحد فلم غلب الانثى الواحدة على الذكور ❊ قلنا تلك الاربع المتعاطفة جماعة ما لا يعقل فلا يجوز ان يرجع اليها ضمير جماعة الذكور وانما يرجع اليها اما ضمير الانثى او ضمير الاناث لان الافصح في جمع القلة ان يعامل معاملة الاناث نحو الاقلام بريتها او بريتهن واختير الثاني في الآية وما قيل من انه قيل خلقهن بضمير الاناث دون ضمير الانثى لان الافصح في جمع القلة ان يعامل معاملة الاناث وفي جمع الكثرة ان يعامل معاملة الانثى فان الافصح ان يقال الاجذاع كسرتهن والجذوع كسرتها والمرجوع اليه في الآية جمع قلة فلذلك رجع اليه ضمير الاناث مما لا وجه له لان المرجوع اليه في الآية ليس لفظا واحدا موضوعا لما دون العشرة حتى يكون جمع قلة ﴿قوله فان السجود اخص العبادات﴾ به تعالى لان العبادة عبارة عن التذلل لله تعالى وتعظيم جنابه والسجود نهاية التعظيم فيكون اخص به تعالى بالنسبة الى سائر وجوه العبادة وتقديم المفعول في قوله تعالى اياه تعبدون للحصر والتخصيص فمن خص العبادة به تعالى لزمه ان لا يسجد لغيره ضرورة ان اختصاص مطلق العبادة له تعالى يستلزم اختصاص اخص العبادة به بطريق الاولى فقوله فان السجود اخص العبادات علة للجواب المحذوف لقوله ان كنتم اياه تعبدون وتقدير الكلام ان كنتم اياه تعبدون لا تسجدوا لغيره قيل كان ناس يسجدون للشمس والقمر كالصابئين في عبادتهم الكواكب ويزعمون انهم يقصدون بالسجود لها السجود لله تعالى فنهوا عن هذه الواسطة وامروا ان لا يسجدوا الا لله الذي خلق هذه الاشياء ❊ فان قيل اذا كان لا بد في السجود من قبلة معينة فلو جعلنا الشمس قبلة عند السجود كان ذلك اولى ❊ قلنا الشمس جوهر مشرق عظيم الرفعة له منافع عظيمة في صلاح احوال الخلق فلو اذن الشرع في جعلها قبلة في الصلوات بان يتوجه اليها ويركع ويسجد نحوها لربما غلب على بعض الاوهام ان ذلك الركوع والسجود للشمس لا لله فللاحتراز عن هذا الوهم نهى الحاكم الشارع من جعل الشمس قبلة بخلاف الاحجار المعينة فانه ليس في جعلها قبلة ما يوهم الالهية فكان المقصود من اتخاذ القبلة حاصلا بالتوجه اليها مع زوال المحذور المذكور فكان جعلها قبلة اولى قال السدي لما نزلت هذه الآية قال المشركون لا نسجد الا اللات والعزى فنزل قوله تعالى فان استكبروا ❊ فان قيل ان الذين يستكبرون يقولون نحن اقل واذل من ان يحصل لنا اهلية لعبادة الله تعالى بالذات فلا نعبد الا من يشفع لنا عنده ويقربنا اليه واذا كان قولهم هكذا فما الوجه في جعلهم مستكبرين عن السجود لله تعالى ❊ اجيب بان ليس المراد بالاستكبار الاستكبار عن السجود لله تعالى بل المراد الاستكبار عن قبول قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في نهيه عن السجود لغير الله تعالى والمعنى فان استكبروا عن امتثال امرك وابوا الا اتخاذ الواسطة فذلك لا يقلل عدد من يخلص عبادته لله تعالى فان الملائكة المقربين عند الله تعالى ينزهونه عن الانداد دائما وقيل يسبحون له اى يسجدون له ويسبحون فيه وقيل يصلون وفيها السجود وغيره وجزاء قوله تعالى فان استكبروا محذوف وهو ما اشرنا اليه بقولنا فذلك لا يقلل عدد المخلصين حذف لدلالة قوله فالذين عند ربك يسبحون له عليه فانه علة للجزاء المحذوف اقيم مقامه واشار الزمخشري الى

(ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر) لانهما مخلوقان مأموران مثلكم (واسجدوا لله الذي خلقهن) الضمير للاربعة المذكورة والمقصود تعليق الفعل بهما اشعارا بانهما من عداد ما لا يعلم ولا يختار (ان كنتم اياه تعبدون) فان السجود اخص العبادات وهو موضع السجود عندنا لاقتران الامر به وعند ابي حنيفة آخر الآية الاخرى لانه تمام المعنى (فان استكبروا) من الامتثال (فالذين عند ربك) من الملائكة (يسبحون له بالليل والنهار) اى دائما لقوله (وهم لا يسأمون) اى لا يملون

الجواب المحذوف بقوله فدعهم وشأنهم ثم انه تعالى لما ذكر الدلائل الاربعة الفلكية اتبعها بذكر الدلائل الارضية فقال ومن آياته انك ترى الارض خاشعة شبه يبس الارض وخلوها من الخير والبركة بكون الشخص خاشعا ذليلا عاريا لا يؤبه به لدناءة هيئته فاطلق اسم الخشوع عليه ثم اشتق منه خاشعة فهى استعارة تبعية بمعنى يابسة جدبة ولك ان تجعله من قبيل الاستعارة المكنية والتخييلية يقال ربا الشئ يربو اذا زاد ونما وربا الفرس اذا انتفخ من عدو او فزع وهو المراد ههنا لان المصنف فسره بقوله وانتفخت وقوله تزخرفت اى تزينت تفسير لقوله اهتزت فان النبت اذا قرب ان يظهر ارتفعت الارض له وانتفخت ثم تصدعت عن النبات ثم انه تعالى لما بين ان الدعوة الى دين الله تعالى اعظم المناصب واشرف المراتب ثم بين ان الدعوة اليه انما تحصل بذكر دلائل وجوده واتصافه بصفات العظمة وذكر فيها دلائل وآيات كثيرة عاد الى تهديد من ينازع فى تلك الآيات ويجادل بالقاء الشبهات فيها فقال ان الذين يلحدون فى آياتنا الآية والالحاد فى الاصل مطلق الميل والانحراف ثم خص فى العرف بالانحراف من الحق الى الباطل اى الذين ينحرفون عن تأويل آيات القرآن من طريق الصحة والاستقامة نجازيهم على انحرافهم ثم نبه على انهم يلقون فى النار وان اضدادهم يأتون يوم القيامة آمنين ﴿قوله بدل من قوله ان الذين يلحدون فى آياتنا﴾ لان الالحاد فيها كفر بالقرآن فلذا اكتفى بجواب الاول من الثانى والذى يحكم به على البدل هو المحكوم به على المبدل منه فيلزم ان يكون الخبر لا يخفون علينا ﴿قوله او اولئك ينادون﴾ معطوف على قول محذوف استبعد هذا الاحتمال من وجهين الاول كثرة الفواصل بينهما والثانى تقدم من تصحح الاشارة اليه بقوله اولئك وهو قوله والذين لا يؤمنون وحق اسم الاشارة ان يشار به الى اقرب مذكور ﴿قوله والذكر القرآن﴾ فيكون من وضع الظاهر موضع ضمير الآيات وللمبالغ فى تهديد الذين يلحدون فى آيات القرآن اتبعه ببيان تعظيم القرآن فقال وانه لكتاب عزيز ان كان من العز الذى هو خلاف الذل يفسر بانه كثير النفع عديم النظير وان كان من عزه يعزه عزا بمعنى غلبه يفسر بانه منيع لا يتأتى ابطاله وتحريفه فان القرآن وان كان لا يخلو من طعن باطل من الطاعنين وتأويل فاسد من المبطلين الا انه تعالى وقاه بحفظه وقدرته فى كل عصر متعة يحفظونه ويحرسونه بابطال شبه اهل الزيغ والهوى ورد تأويلاتهم الفاسد فهو غالب بحفظ الله تعالى اياه وكثرة منعته على كل من يتعرض له بالسوء ﴿قوله لا يتطرق اليه الباطل من جهة من الجهات﴾ بان يذكر اظهر الجهات واكثرها فى الاعتبار وهو جهتا القدام والخلف ويراد الجهات باسرها فيكون قوله لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه استعارة تمثيلية شبه الكتاب فى عدم تطرق الباطل اليه بوجه من الوجوه بمن هو محمى بحماية غالب قاهر يمنع جاره من ان يتعرض له العدو من جهة من جهاته ثم اخرجه مخرج الاستعارة بان عبر عن المشبه بما يعبر به عن المشبه به فقال لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فقوله لا يأتيه الباطل صفة ثانية لكتاب وقوله تنزيل من حكيم حميد تعليل لاتصاف الكتاب بالوصفين المذكورين فان كونه منزلا من حكيم يوجب كونه عزيزا كثير النفع عديم النظير وكونه منيعا غالبا لا يتأتى ابطاله وكونه من حميد يستلزم كونه حقا لا يتطرق اليه الباطل ﴿قوله او مما فيه﴾ عطف على قوله من جهة من الجهات اى لا يأتيه الباطل مما فيه من الاخبار الماضية والآتية على ان الاخبار بمعنى المخبر بها ثم انه تعالى لما بين شرف آياته وعلو درجة كتابه رجع الى امر رسوله صلى الله عليه وسلم بان يصبر على اذى قومه وان لا يضيق قلبه باعراضهم عن تدبر كتاب الله تعالى فقال ما يقال لك الا ما قد قيل للرسل ﴿قوله وهو على الثانى﴾ لا على الاول اذ لا يتصور ان تكون هذه الجملة من مقول الكفرة ذكر المفسرون ان سبب نزول قوله تعالى ولو جعلناه قرآنا اعجميا ان الكفار كانوا يقولون لتعنتهم هلا نزل القرآن بلغة العجم فاجيبوا بان الامر لو كان كما تقترحون لم تتركوا الاعتراض والتعنت ولم يرض الامام بقولهم وقال انه لا يخلو عن الطعن فى القرآن لانه يقتضى تجويز ورود آيات لا تعلق لبعض منها بالبعض فلا يكون كتابا منتظما فضلا من كونه معجزا ثم قال بل الحق عندى ان هذه السورة من اولها الى آخرها كلام واحد بعضه متعلق ببعض وهذا الكلام متعلق بما حكى الله تعالى عنهم من قولهم قلوبنا فى اكنة مما تدعونا اليه وفى آذاننا وقر وجواب له ايضا والتقدير انا لو انزلنا هذا القرآن بلغة العجم لكان لهم ان يقولوا كيف ارسلت الكلام العجمى الى القوم العرب على لسان النبى العربى وصح لهم ان يقولوا قلوبنا فى اكنة من هذا الكلام وفى آذاننا وقر منه فانا لا نفهمه ولا نحيط بمعناه اما اذا نزل هذا القرآن بلغة العرب وانتم من اهل هذه اللغة فكيف يمكنكم ادعاء ان

(قلوبكم)

(ومن آياته انك ترى الارض خاشعة) يابسة متطامنة مستعار من الخشوع بمعنى التذلل (فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت) تزخرفت وانتفخت بالنبات وقرئ ربأت اى زادت (ان الذى احياها) بعد موتها (لمحيى الموتى انه على كل شئ قدير) من الاحياء والاماتة (ان الذين يلحدون) يميلون عن الاستقامة (فى آياتنا) بالطعن والتحريف والتأويل الباطل واللغو فيها (لا يخفون علينا) فنجازيهم على الحادهم (أفمن يلقى فى النار خير أم من يأتى آمنا يوم القيامة) قابل الالقاء فى النار بالاتيان آمنا مبالغة فى احماد حال المؤمنين (اعملوا ما شئتم) تهديد شديد (انه بما تعملون بصير) وعيد بالمجازاة (ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم) بدل من قوله ان الذين يلحدون فى آياتنا او مستأنف وخبر ان محذوف مثل معاندون او هالكون او اولئك ينادون والذكر القرآن (وانه لكتاب عزيز) كثير النفع عديم النظير او منيع لا يتأتى ابطاله وتحريفه (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه) لا يتطرق اليه الباطل من جهة من الجهات او مما فيه من الاخبار الماضية والامور الآتية (تنزيل من حكيم) واى حكيم (حميد) يحمده كل مخلوق بما ظهر عليه من نعمه (ما يقال لك) اى ما يقول لك كفار قومك (الا ما قد قيل للرسل من قبلك) الا مثل ما قال لهم كفار قومهم او ما يقول الله لك الا مثل ما قال لهم (ان ربك لذو مغفرة) لانبيائه (وذو عقاب اليم) لاعدائهم وهو على الثانى يحتمل ان يكون المقول بمعنى ان حاصل ما اوحى اليك واليهم وعد المؤمنين بالمغفرة والكافرين بالعقوبة (ولو جعلناه قرآنا اعجميا) جواب لقولهم هلا نزل القرآن بلغة العجم والضمير للذكر (لقالوا لولا فصلت آياته) بينت بلسان نفقهه

قلوبكم فى اكنة منها وفى آذاننا وقر فقهر انا اذا جعلنا هذا الكلام جوابا عن ذلك الكلام بقيت السورة من اولها الى آخرها على احسن وجوه الانتظام واما على الوجه الذى يذكره الناس فتختل امر الانتظام فهو عجيب جدا ﴿قوله انكار مقرر للتحضيض﴾ فان معنى التحضيض فى قوله لولا فصلت الانكار والتوبيخ واللوم على ترك الفعل كما انها اذا دخلت على المضارع تكون للتحضيض على الفعل والطلب له فهى فى المضارع بمعنى الامر وفى الماضى للانكار فيكون انكارهم بقولهم أقرآن اعجمى ورسول عربى او مرسل اليه عربى مقررا للانكار المستفاد من حرف التحضيض والاعجم يقال لمن لا يفصح ولا يفهم كلامه سواء كان من العرب او من العجم ويقال لكلامه ايضا والاعجمى مثله اى يقال لنفس من لا يفصح ولكلامه ايضا وزيادة ياء النسبة فيه للتأكيد والمبالغة كما يقال فى احمر ودوار احمرى ودوارى ومنه زيادة ياء النسبة فى الاعجمى معنى بذلك لان العجمة كانت فى لسانه كأنه ينسب الذات الى صفته للمبالغة فى اتصافه بها وليس النسب فيه حقيقيا بخلاف عجمى فان الياء فيه للنسب حقيقة يقال رجل عجمى اذا كان من الاعاجم منسوبا الى امة العجم فصيحا كان او غير فصيح * فان قلت قد ظهر من كلامك ان الاعجمى كما يقال للذات من لا يفصح عن مراده لعجمة فى لسانه وان كان من العرب يقال ايضا لكلامه الملتبس الذى لا يوضح المعنى المقصود وشئ منهما غير مقصود ههنا بل المراد بالاعجمى ههنا هو الكلام المنتظم على لغة العجم كما يدل عليه قوله انه جواب لقولهم هلا نزل القرآن بلغة العجم * قلت نعم الا ان مقصود المصنف بيان المعنى الحقيقى للفظ الاعجمى وهو لا ينافى اطلاقه على الكلام المؤلف على لغة العجم بطريق الاستعارة تشبيها له بكلام من لا يفصح من حيث انه لا يفهم معناه بالنسبة الى العرب ﴿قوله وقرئ أعجمى﴾ بفتح العين بعد همزة الاستفهام اى كلام منسوب الى العجم ورسول عربى او مرسل اليه عربى وقرئ اعجمى ايضا بسكون العين بدون همزة الاستفهام فيكون اخبارا بان القرآن اعجمى والرسول او الامة المرسل اليهم عربى ﴿قوله على الاخبار﴾ اى لا على الاستفهام والانشاء والمعنى ولو جعلنا المنزل اعجميا لقالوا طاعنين فيه ومنكرين لكونه اعجميا لولا فصلت آياته وقالوا مستأنفين لبيان عدم كون آياته مفصلة ومبينة اعجمى وعربى اى المنزل اعجمى والمنزل عليه عربى على ان كل واحد منهما خبر مبتدأ محذوف والجملة مستأنفة لبيان ما ذكر ﴿قوله وعلى هذا﴾ اى قرآءة اعجمى بعد همزة الاستفهام يجوز ان يكون التفصيل بمعنى التفريق والتمييز لا بمعنى التبيين ويكون المعنى ولو جعلنا المنزل كله اعجميا لقالوا لا يجوز ان يراد هذا المعنى لان الهمزة تدل على انكار التفصيل بمعنى التفريق وهو ينافى التحضيض عليه وانما قال يجوز لاحتمال ان يكون المعنى ما ذكرناه اولا ﴿قوله والمقصود﴾ اى المقصود من قوله تعالى ولو جعلناه قرآنا اعجميا اما ابطال ما اقترحوه بقولهم هلا نزل القرآن بلغة العجم بناء على ان ذلك يستلزم تنافى وصفى المنزل والمنزل عليه واما الدلالة على ما ذكر والتعنت طلب زلة المخاطب ثم انه تعالى لما بين بطلان ما اقترحوه وانهم لا ينفكون من التعنت فى الآيات كيف جاءت وصف القرآن بانه لوضوح آياته وسطوع براهينه هاد الى الحق ومزيل الريب والشك وشفاء من داء الجهل والكفر والارتياب ومن ارتاب فيه ولم يؤمن بمقتضى آياته انما نشأ من توغله فى اتباع الشهوات وتقاعده عن تفقد ما ينجيه ويبعده عما يرديه ويشقيه فقوله للذين آمنوا معناه لمن يؤول امره الى الايمان لصفاء جوهر نفسه عن الكدورات النفسانية والاخلاق الردية ﴿قوله مبتدأ وخبره فى آذانهم وقر على تقدير هو فى آذانهم وقر﴾ احتاج الى تقدير ضمير مرفوع على الابتداء فيكون وقر خبره وفى آذانهم بيان لمحل الوقر والمبتدأ الثانى مع خبره خبر الاول لانه لو جعل والذين لا يؤمنون مبتدأ وفى آذانهم خبره ووقر فاعل الظرف او جعل فى آذانهم خبرا مقدما ووقر مبتدأ مؤخرا والجملة خبر الاول لورد ان يقال ما وجه اتصال هذه الجملة بما قبلها مع ان ما قبلها قد اخبر فيه عن الكتاب بانه هدى وشفاء وفى هذه الجملة اخبر عمن لم يؤمن بانه فى آذانه وقر فكانتا جملتين متباينتين فى الغرض والاسلوب فلا وجه لعطف احداهما على الاخرى فلما قدر المبتدأ الثانى اتصلت بالاولى لتحقق الجامع بينهما باعتبار المسند اليه فيهما ولما اخبر عن الكتاب بانه هدى لاولئك اخبر عنه بانه وقر فى آذان هؤلاء وعمى عليهم فجعل نفس القرآن وقرا كما جعل فى نفسه هدى ثم ذكر وجها ثانيا لاتصال الجملة الثانية بالاولى وهو ان لا يكون قوله والذين لا يؤمنون فى آذانهم مبتدأ بل يكون فى محل الجر بالعطف على قوله للذين آمنوا ويكون قوله وقر معطوفا على هدى على طريق العطف على معمولى عاملين مختلفين والمجرور مقدم على ما جوزه الاخفش واختاره المحققون من المتأخرين والوقر بفتح القاف الثقل فى الاذن وبسكونها

(أعجمى وعربى) أكلام اعجمى ومخاطب عربى انكار مقرر للتحضيض والاعجمى يقال للذى لا يفهم كلامه ولكلامه وهذه قرآءة ابى بكر وحمزة والكسائى وقرأ الباقون أأعجمى لكون قالون وابى عمرو سهلا الثانية وفصلا بينهما وورش ابدل الثانية الفا وهشام سهلها بلا فصل وابن كثير وابن ذكوان وحفص سهلوا الثانية بلا فصل وقرئ أعجمى وهو منسوب الى العجم وقرأ هشام أعجمى على الاخبار وعلى هذا يجوز ان يكون المراد هلا فصلت آياته فجعل بعضها اعجميا لافهام العجم وبعضها عربيا لافهام العرب والمقصود ابطال مقترحهم باستزادة المحذور والدلالة على انهم لا ينفكون عن التعنت فى الآيات كيف جاءت (قل هو للذين آمنوا هدى) الى الحق (وشفاء) من الشك والشبهة (والذين لا يؤمنون) مبتدأ وخبره (فى آذانهم وقر) على تقدير هو فى آذانهم وقر لقوله (وهو عليهم عمى) وذلك لتصامهم عن سماعه وتعاميهم عما يريهم من الآيات ومن جوز العطف على عاملين مختلفين عطف ذلك على للذين آمنوا هدى

مصدر يقال وقرت اذنه بالكسر توقر وقرا اى صمت وقياس مصدره التحريك الا انه جاء بالتسكين و وقراة الاذن بقرها وقرا يقال الهم قراذنه و وقرت اذنه على مالم يسم فاعله فهو موقور والمعنى ان الذكر ذو وقر لايصل الى اسماعهم صمت آذانهم عنه قرأ الجمهور وهو عليهم عمى بفتح الميم المنونة اى ذو عمى على معنى عميت قلوبهم وهو مصدر عمى يعمى بكسر العين فى الماضى وفتحها فى المضارع كصدى يصدى صدى وقرئ عم بكسر الميم المنونة وهو صفة مشبهة وقرئ عمى بلفظ الماضى المسند الى ضمير القرآن وقوله فى آذانهم وكذا عليهم متعلق بمحذوف على انه حال من المصدر المذكور بعدهما لانه صفة له فى الاصل فلما قدم عليه وقع حالا منه وليس متعلقا بالظاهر بعده لانه مصدر فلا يتقدم معموله عليه ﴿قوله اى هم﴾ يعنى قوله تعالى اولئك لكونه اشارة الى ماعبر عنه بضمير الجمع فى آذانهم وعليهم ظاهر وضع موضع الضمير ﴿قوله تمثيل﴾ يعنى ان قوله اولئك ينادون من مكان بعيد استعارة تمثيلية شبه حالهم فى عدم قبولهم مواعظ القرآن ودلائله بحال من ينادى من مكان بعيد فكما انه لايفهم ولايقبل قول المنادى فكذلك هؤلاء لايقبلون دعوة من دعاهم الى الرشد والصلاح لاستيلاء الضلالة عليهم ﴿قوله كما اختلف فى القرآن﴾ اشارة الى وجه تعلقه بماقبله فانه تعالى لمابالغ فى وصف الكفرة بالعناد والتكذيب نحو قولهم قلوبنا فى اكنة مما تدعونا اليه سلاه عليه الصلاة والسلام بان قال له لست منفردا فيما بين الانبياء بالتأذى من قومه فانا لقد آتينا موسى الكتاب فقبله بعض قومه ورده آخرون فكذلك آتيناك هذا الكتاب فقبله اصحابك ورده آخرون فقالوا قلوبنا فى اكنة ونحو ذلك ﴿قوله وهى العدة بالقيامة﴾ ومجازاة الخلق فيها وعدها نحو قوله بل الساعة موعدهم وايضا قد سبق منه تعالى تقدير الاجل لتعذيب الكفار كقوله ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى اى لولا ان قول ربك سبق فى تأخير العذاب عنهم الى اجل مسمى وهو يوم القيامة لقضى بين المصدق والمكذب وفرغ من عذاب المبطلين وعجل اهلاكهم لاستحقاقهم بذلك ولكن الحكمة اقتضت امهالهم ثم قال لاتستوحش من سوء مقالتهم فى حقك وفى حق ماجئت به فانهم ان آمنوا فنفع ايمانهم يعود اليهم وان كفروا فضرر كفرهم يعود عليهم فانه تعالى يجازى كل احد بمايليق به من الجزاء يوم القيامة ولما كان مظنة ان يقال ومتى يكون ذلك اليوم اجاب عنه بقوله اليه يرد علم الساعة ﴿قوله اذ لايعلمها الاهو﴾ تعليل الحصر المستفاد من تقديم اليه على متعلقه فانه يدل على انه لايعلم وقت الساعة بعينه الا الله وكذا العلم بحدوث الحوادث المستقبلة فى اوقاتها المعينة ليس الا عند الله تعالى وذكر من امثلة هذا الباب مثالين احدهما قوله وماتخرج من ثمرة من اكمامها والثانى قوله وما تحمل من انثى ولاتضع الا بعلمه والمعنى الى الله يضاف علم وقت وقوع القيامة واذا سئلت عنه فرد العلم اليه بقولك الله اعلم به كما يرد اليه علم جميع الحوادث الآتية من الثمار والنتاج وغيرهما ومن قرأ من ثمرات بلفظ الجمع قرأ من اكمامهن لامن اكمامها وذكر النحاة ان الافصح فى جمع القلة ان يعامل معاملة الاناث وفى جمع الكثرة ان يعامل معاملة الانثى فالافصح ان يقال الاجذاع كسرتهن والجذوع كسرتها والثمرات جمع قلة فالافصح ان يقال من اكمامهن والاظهران كلمة ما فى قوله وماتخرج نافية كالتى بعدها ويحتمل ان تكون موصولة مجرورة المحل عطفا على الساعة اى عنده علم الساعة وعلم التى تخرج ومن ثمرات بيان ماو يجوز ان يكون حالا ومن الثانية لابتداء الغاية وما الثانية ليست الانافية لعطف ولاتضع عليهاو لم ينتقض النفى بالا ولوكانت بمعنى الذى معطوفة على الساعة لم يجز ذلك ﴿قوله الامقرونا بعلمه﴾ يعنى انه مستثنى مفرغ من اعم الاحوال ولم يذكر متعلق العلم للتعميم فان ذهن السامع يذهب حينئذ كل مذهب من مذكورة الحمل واوانه وحسنه وقبحه وان امه تلقيه عند تمام الايام اوقبله وان الثمرة تبلغ اوان النضج او تفسد قبله ونحو ذلك روى ان منصور الدوانقى اهمه مدة معرفة عمره فرأى فى منامه خيالا اخرج يده من البحر واشار بالاصابع الخمس فاستفتى فى ذلك العلماء فتأولوه بخمس سنين وبخمسة اشهر وبغير ذلك حتى قال ابو حنيفة تأويلها ان مفاتح الغيب خمس وتلا قوله تعالى ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم مافى الارحام وماتدرى نفس ماذا تكسب غدا وماتدرى نفس باى ارض تموت ثم انه تعالى لماذكر القيامة اردفه بذكر شئ من احوال يوم القيامة واوعد به القائلين بالشركاء والانداد فقال ويوم يناديهم وهو ظرف لقوله قالوا والايذان الاعلام وهو فى قولهم آذناك مجاز عن القول اى قلنا لك لان حقيقة الاعلام لاتتصور فى حقه تعالى لان اهل القيامة يعلمون الله تعالى ويعلمون انه يعلم الاشياء كلها بحيث لايغيب عن علمه شئ مما يسرون ومايعلنون ولفظ الماضى فى قولهم آذناك مبنى على انهم قالوا ذلك قبل

(اولئك ينادون من مكان بعيد) اى هم تمثيل لهم فى عدم قبولهم واستماعهم له بمن يصيح بهم من مسافة بعيدة (ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه) بالتصديق والتكذيب كما اختلف فى القرآن (ولولا كلمة سبقت من ربك) وهى العدة بالقيامة وفصل الخصومة حينئذ او تقدير الآجال (لقضى بينهم) باستئصال المكذبين (وانهم) وان اليهود او الذين لايؤمنون (لفى شك منه) من التوراة او القرآن (مريب) موجب للاضطراب (من عمل صالحا فلنفسه) نفعه (ومن اساء فعليها) ضرره (وما ربك بظلام للعبيد) فيفعل بهم ماليس له ان يفعله (اليه يرد علم الساعة) اى اذا سئل عنها اذ لايعلمها الاهو (وماتخرج من ثمرة من اكمامها) من اوعيتها جمع كم بالكسر وقرأ نافع وابن عامر وحفص من ثمرات بالجمع لاختلاف الانواع وقرئ بجمع الضمير ايضا وما نافية ومن الاول مزيدة للاستغراق ويحتمل ان تكون ماموصولة معطوفة على الساعة ومن مبينة بخلاف قوله (وماتحمل من انثى ولاتضع) مكانه (الابعلمه) الامقرونا بعلمه واقعا حسب تعلقه به (ويوم يناديهم اين شركائى) بزعمكم

(ان)

ان يناديهم الله تعالى قائلا لهم اين شركائى فان الظاهر انهم يتبرأون من الشركاء او من الشهادة لهم بالشركة حين عاينوا حقيقة الحال ويقولون له تعالى تبرأنا اليك ويجوز ان يخاطبهم الله تعالى على سبيل التوبيخ ويقول لهم اين الذين كنتم تشركون بى وتقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله وما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ويجيبونه بقولهم آذناك من قبل هذا الخطاب قوله فيكون السؤال عنهم للتوبيخ تفريع على انهم تبرأوا من الشركاء قبل هذا الخطاب والنداء اذ لا وجه لان يقال لمن تبرأ من الشركاء اين شركائى لشئ سوى التوبيخ ﴿ قوله او من احد يشاهدهم ﴾ على ان يكون الشهيد من الشهود لا من الشهادة كما فى الاول وعلى هذا يكون قوله وضل عنهم جملة حالية بتقدير قد من فاعل قالوا ويكون الضلال بمعنى الغيبة التى هى اصل معناه فانه يجوز ان لا يبصروا آلهتهم فى ساعة التوبيخ وان كان قوله تعالى آذناك مامنا من شهيد من كلام الشركاء على ماقيل يكون الشهيد من الشهادة لا من الشهود لانه لما كانت الشركاء هم المجيبين عن السؤال المتعلق بالعبدة لم يكن لقولهم مامنا من يشاهد العبدة المشركين معنى وحينئذ يكون ضلال الشركاء من العبدة بمعنى عدم نفعهم لعبدة بالشفاعة لهم لانهم اذا لم ينفعوهم فكأنهم غابوا عنهم لا بمعنى حقيقة الغيبة لانهم هم المجيبون لما سئل عنهم العبدة ﴿ قوله والظن معلق عنه بحرف النفى ﴾ فان افعال القلوب تعلق بحرف الاستفهام نحو علمت ازيد قائم وبالاسم المتضمن لمعنى الاستفهام كقوله لنعلم اى الحزبين احصى وعلمت ان جلست ومتى تخرج وبلام الابتداء نحو علمت لزيد قائم وبحرف النفى نحو علمت ما زيد قائم وان زيد قائم وذلك لانها تقتضى ان تقع فى صدر الجمل وضعا فابقيت الجمل التى دخلت هى عليها على الصورة الجملية رعاية لاصل هذه الحروف وان كانت فى تقدير المفرد من حيث المعنى فان التعليق ابطال العمل لفظا لا معنى فالجملة مع التعليق فى تأويل المصدر مفعولا به لفعل المعلق كما كان كذلك قبل التعليق فالجملة المعلق عنها فى محل النصب به وجوز بعضهم الوقوف على ظنوا على حذف المفعولين على معنى وضل عنهم ما كانوا يدعونهم وظنوهم آلهتهم استأنف فقال مالهم من محيص وقول المصنف والظن معلق عنه رد لقول هذا البعض ثم انه تعالى لما بين ان هؤلاء الكفار بعدان كانوا فى الدنيا مصرين على اثبات الشركاء له تعالى يتبرأون منهم فى الآخرة ذكر ان الانسان فى جميع الاوقات متغير الاحوال لا يثبت على منهج واحد فان احس بخير وقدرة انتفخ وتعظم وان احس ببلاء ومحنة ذل وهان فقال لا يسأم الانسان من دعاء الخير اى من دعائه الخير فحذف الفاعل واضيف الى المفعول والمعنى ان الانسان فى حال اقبال الخير اليه لا ينتهى الى درجة الا ويطلب الزيادة عليها ولا يمل من طلبها ابدا وفى حال الادبار والحرمان يصير آيسا قانطا من رحمة الله تعالى ﴿ قوله من جهة البنية ﴾ فان يئوس فعول للمبالغة ومن جهة التكرير فان قوله قنوط تكرير لقوله يئوس من جهة المعنى وان كان مغايرا له من جهة اللفظ وفى القنوط معنى ليس فى اليؤوس لان القنوط ان يظهر على المرء اثر اليأس فيتضاءل وينكسر ثم انه تعالى بين ان الذى صار آيسا قانطا لو عاودته النعمة والدولة يأتى بثلاثة انواع من القول الفاسد الموجب للكفر الاول هو قوله هذا لى والفرق بين ما ذكر من الوجهين ان اللام فى الاول للتعليل وفى الثانى للاختصاص ومعنى الدوام مستفاد من لام الاختصاص لان مايختص باحد الظاهر انه لا يزول عنه وذلك المسكين ان كان عاريا عن الفضائل واعمال البر فكلامه ظاهر الفساد وان كان موصوفا بشئ من الفضائل والصفات الحميدة فهى انما حصلت بفضل الله وتوفيقه فكيف يستحق ذلك المسكين على الله تعالى بما انعم وتفضل عليه ببعض وجوه الفضل والاحسان فضلا آخر زائدا عليه فثبت بهذا فساد قوله هذا لى بمعنى انه حصل باستحقاقى اياه وكذا ان اراد به انى مالكه وهو مختص بى لا يزول عنى لانه اشتغال بالنعمة عن المنعم وذهول عن ان مقاليد السموات والارض بيد الله وانه اذا فتح على عبده بابا من ابواب فضله ليبلوه ايشكر ام يكفر فهو يقدر على ان يسده ويسلبه عنه والثانى من قوله الفاسد قوله وما اظن الساعة قائمة فانه اذا عرض عليه البعث والجزاء وقيل له كل امرئ مجزى فى الآخرة بما اكتسبه فى الدنيا فمن اطاع ربه فله جزاء الحسنى ومن عصاه فله نار لظى فحينئذ يفضى الى انكار الساعة ويقول ما اظن انها تقوم والثالث قوله لست على يقين من قيام الساعة ولو فرض انها تقوم وانا ارد الى ربى فانه يعطينى الحالة الحسنى كما اعطانى فى الدنيا لان سبب الاعطاء متحقق فيها ايضا وهو استحقاقى اياها واقتضاء ذاتى الجزاء فيها فرد الله تعالى عليه قوله ان لى عنده للحسنى بان قال فلننبئن الذين كفروا اى لنقفنهم على مساوى اعمالهم ثم انه تعالى لما حكى اقوال من انعم عليه من بعد ضراء مسته حكى احواله ايضا فقال واذا انعمنا على الانسان اعرض عن المنعم والاعتراف بفضله واحسانه

(قالوا آذناك) اعلمناك (مامنا من شهيد) من احد يشهد لهم بالشركة اذ تبرأنا منهم لما عاينا الحال فيكون السؤال عنهم للتوبيخ او من احد يشاهدهم لانهم ضلوا عنا وقيل هو قول الشركاء اى مامنا من يشهد لهم بانهم كانوا محقين (وضل عنهم ماكانوا يدعون) يعبدون (من قبل) لا ينفعهم او لا يرونه (وظنوا) وايقنوا (مالهم من محيص) مهرب والظن معلق عنه بحرف النفى (لا يسأم الانسان) لا يمل (من دعاء الخير) من طلب السعة فى النعمة وقرئ من دعاء الخير (وان مسه الشر) الضيقة (فيؤس قنوط) من فضل الله ورحمته وهذا صفة الكافر لقوله انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون وقد بولغ فى يأسه من جهة البنية والتكرير وما فى القنوط من ظهور اثر اليأس (ولئن اذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته) بتفريجها عنه (ليقولن هذا لى) حقى استحقه بما لى من الفضل والعمل او لى دائما لا يزول (وما اظن الساعة قائمة) تقوم (ولئن رجعت الى ربى ان لى عنده للحسنى) اى ولئن قامت على التوهم كان لى عند الله تعالى الحالة الحسنى من الكرامة وذلك لاعتقاده ان ما اصابه من نعم الدنيا فلاستحقاق لا ينفك عنه (فلننبئن الذين كفروا) فلنخبرنهم (بما عملوا) بحقيقة اعمالهم ولنبصرنهم عكس مااعتقدوا فيها (ولنذيقنهم من عذاب غليظ) لا يمكنهم التفصى عنه (واذا انعمنا على الانسان اعرض) عن الشكر (ونأى بجانبه) وانحرف عنه او ذهب بنفسه وتباعد عنه بكليته تكبرا والجانب مجاز عن النفس كالجنب فى قوله فى جنب الله

والاشتغال بشكر نعمه الى الاشتغال بنفس النعمة والتلذذ بها ونأى بمعنى بعد والباء فى بجانبه للتعدية ونأى الجانب من الشكر يستلزم الانحراف عنه فلذلك فسره ثم جوّز ان يكون الجانب عبارة عن النفس ويكون المعنى تباعد من الشكر بذاته وكأنه لا بجانبه فقط فانهم قد يحتشمون من التصريح باسم الشئ ويعبرون عن ذاته بالمجلس والمكان والجانب ونحو ذلك اشعارا لتعظيمه فيقولون حضرة فلان ومجلسه وكتبت الى جهته والى جانبه العزيز دون نفسه وذاته ﴿قوله مستعار مماله عرض متسع﴾ لتعذر الحقيقة لان الطول والعرض من صفات الاجرام فلا يتصوّر ان فى الدعاء واتساع العرض مستفاد من صيغة فعيل لانها للمبالغة وكل واحد من الطول والعرض مستعار للكثرة فيقال اطال فلان الكلام واعرض اى اكثر ﴿قوله اخبرونى﴾ فيه تجوّز ان الاوّل انه اطلق الرؤية واريد الاخبار لان الرؤية سبب للاخبار والثانى انه جعل الاستفهام بمعنى الامر بجامع الطلب ثم انه تعالى لما بالغ فى وعيد المشركين وبين انهم يرجعون عن القول بالشرك والشهادة بكون مازعموه فى الدنيا انهم شركاء لله ذكر بعده كلاما آخر يوجب عليهم ان لا يبالغوا فى الاعراض عن القرآن وقبول مافيه من امر التوحيد والنبوّة والحشر والجزاء فقال قل ارأيتم الآية ﴿قوله شر حالا لهم﴾ فان من كفر بما نزل من عند الله بان قال هو اساطير الاوّلين او كذا وكذا فقد كان مشاقا لله تعالى اى معاديا ومخالفا له خلافا بعيدا عن الوفاق ومعاداة بعيدة عن الموالاة ولا شك ان من كان كذا فهو فى غاية الضلال وما كان محصول الآية انكم لما سمعتم هذا القرآن اعرضتم عنه حتى قلتم قلوبنا فى اكنة مما تدعونا اليه وفى آذاننا وقر ومن المعلوم بالضرورة ان العلم بكون القرآن مما يجب ان يعرض عنه ويترك ليس مما يحصل بالبديهة وذكر العلم بفساد القول بالتوحيد والنبوّة ليس كذلك فمن اعرض عنه وانكر مافيه مما يتعلق بالاعتقاد والعمل قبل المراجعة الى النظر والاستدلال كيف يأمن ان يكون منكرا لما هو الحق الواجب الاتباع ومستوجبا للعقاب الشديد فالاصرار على تكذيبه والاعراض عنه قبل المراجعة الى النظر والاستدلال بعيد كل البعد لا يجترئ عليه عاقل وعدهم ان يريهم آيات اخر بعد الذى اراهم بنزول هذه الآية الكريمة والآفاق جمع افق وهو الناحية من نواحى الارض وكذا آفاق السماء نواحيها واطرافها فلو لم يكن القرآن والرسول الذى انزله هو عليه حقا لما وقعت الحوادث الآتية حسب ما اخبر عنها وهى بالغيب ولما طابق مافيه من الاخبار المتعلقة بالنوازل الماضية لما هو المضبوط المقرّر عند اصحاب التواريخ والحال ان المخبر امى لم يكتب ولم يقرأ ولم يخالط اصحاب التواريخ ولما انتصر حملة القرآن ومن آمن به هذه النصرة الخارقة للعادة فان خذلان معادى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعادى خلفائه وناصرى دينه فى كل زمان خارق للعادة وخارج عن المعهود فلو لم يكن امر الدين حقا لما كان لهم ذلك الثبات والاستقرار فان الباطل زاهق مضمحل لا يتمكن ولا دولة له ثم تضمحل ﴿قوله والباء مزيدة للتأكيد﴾ اى مزيدة فى فاعل يكف فان قوله بربك فى محل الرفع على انه فاعل يكف والمفعول محذوف والتقدير اولم يكفك ربك وانه على كل شئ شهيد بدل من ربك اى اولم يكفك ان ربك على كل شئ شهيد واصل المعنى سنريهم هذه الآيات اظهارا للحق وكفى بها دليلا على ذلك ووضع المظهر وهو قوله ربك وانه على كل شئ شهيد موضع ضمير الآيات فى قولنا وكفى بها دليلا للاشعار بالعلية لان هذه الآيات انما صلحت للدلالة على حقية ما هو الحق لكون منشئها من هو على كل شئ شهيد مطلع لا يغيب عنه شئ كما قال الزجاج ومعنى الكفاية ههنا ان الله تعالى بين لهم مافيه كفاية فى الدلالة على حقية القرآن او دين الاسلام او صدق نبوّة محمد صلى الله عليه وسلم ثم انه تعالى ختم السورة بقوله الا انهم فى مرية اى فى شك عظيم وشبهة شديدة من البعث والقيامة والا كلمة تنبيه بمعنى اعلم والله اعلم

﴿سورة الشورى خمسون وثلاث آيات مكية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿قوله ولذلك فصل بينهما﴾ اجاب عما يقال انهم اجمعوا على انه لا يفصل بين كهيعص وعلى انه يفصل ههنا بين حم وعسق فما السبب فيه وعما يقال انهما عدّا آيتين واخواتها مثل كهيعص والمص والمر عدّت آية واحدة فما السبب فيه ايضا بجواب واحد وهو قوله لعله اسمان للسورة * قال الامام واعلم ان الكلام فى امثال هذه المواضع يضيق وفتح باب المجازفات مما لا سبيل اليه فالاولى ان يفوّض علمه الى الله تعالى ﴿قوله وان كان اسما واحدا فالفصل ليطابق سائر الحواميم﴾ فانها جميعا سور اوّلها حم واسم هذه السورة وان كان خماسيا كان

(وإذا مسه الشر فذو دعاء عريض) كثير مستعار مماله عرض متسع للاشعار بكثرته واستمراره وهو ابلغ من الطويل اذ الطول اطول الامتدادين فاذا كان عرضه كذلك فما ظنك بطوله (قل ارأيتم) اخبرونى (ان كان) اى القرآن (من عند الله ثم كفرتم به) من غير نظر واتباع دليل (من اضل ممن هو فى شقاق بعيد) اى من اضل منكم فوضع الموصول موضع الضمير شرحا لحالهم وتعليلا لمزيد ضلالهم (سنريهم آياتنا فى الآفاق) يعنى ما اخبرهم النبى عليه السلام به من الحوادث الآتية وآثار النوازل الماضية وما يسر الله له ولخلفائه من الفتوح والظهور على ممالك الشرق والغرب على وجه خارق للعادة (وفى انفسهم) ما ظهر فيما بين اهل مكة وما حل بهم او ما فى بدن الانسان من عجائب الصنع الدالة على كمال القدرة (حتى يتبين لهم انه الحق) الضمير للقرآن او الرسول او التوحيد او الله (او لم يكف بربك) اى او لم يكف ربك والباء مزيدة للتأكيد كأنه قيل اولم تحصل الكفاية به ولا تكاد تزاد فى الفاعل الا مع كفى (انه على كل شئ شهيد) بدل منه والمعنى اولم يكفك انه تعالى على كل شئ شهيد محقق له فيحقق امرك باظهار الآيات الموعودة كما حقق سائر الاشياء او مطلع فيعلم حالك وحالهم او اولم يكف الانسان رادعا عن المعاصى انه تعالى مطلع على كل شئ لا يخفى عليه خافية (الا انهم فى مرية) شك وقرئ بالضم وهو لغة كخفية وخفية (من لقاء ربهم) بالبعث والجزاء (الا انه بكل شئ محيط) عالم بجمل الاشياء وتفاصيلها مقتدر عليها لا يفوته شئ منها عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ حم السجدة اعطاه الله تعالى بكل حرف عشر حسنات

﴿سورة حم عسق مكية وتسمى﴾
﴿سورة الشورى وآيها ثلاث﴾
﴿وخمسون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(حم عسق) لعله اسمان للسورة ولذلك فصل بينهما وعدّا آيتين وان كان اسما واحدا فالفصل ليطابق سائر الحواميم وقرئ حم سق

القياس ان تكتب حروفها موصولة الا انه فصل جم عن سائر حروف الاسم لما ذكر من المطابقة ﴿قوله مثل ماقى هذه السورة من المعانى﴾ وهى الدعوة الى التوحيد والنبوّة والمعاد وتقبيح احوال الدنيا والترغيب فى امور الآخرة ريد ان الكاف اسم بمعنى المثل منصوب المحل على انه مفعول به ليوحى المبنى للفاعل وذا اشارة الى شئ سبق وهو حم عسق والمراد بايحاء مثل هذه السورة ايحاء مثل مافيها من المعانى لان مماثلة الوحى لهذه السورة مماثلة معانيه لمعانى هذه السورة وقوله مثل ايحائها على ان الكاف صفة مصدر محذوف ولابدّ من تقدير مصدر آخر مضاف الى اسم الاشارة اى ايحاء كايحاء ذلك اذ لامعنى لتشبيه الايحاء بنفس السورة والمقصود من تشبيه الايحاء بالايحاء تشبيه الموحى بالموحى فيتحد الوجهان من حيث المعنى ﴿قوله وانما ذكر بلفظ المضارع﴾ مع ان مقتضى المقام ان يذكر بلفظ الماضى ضرورة ان الوحى الى الذين من قبله امر قد مضى ﴿قوله ويوحى مسند الى اليك﴾ ولايجوز اسناده الى ضمير كذلك الذى هو صفة مصدر محذوف لان الموحى هو المتلوّ لا الايحاء ولاما يماثله بخلاف ما اذا كان كذلك مبتدأ فان يوحى يكون مسندا الى ضميره و يكون المعنى مثل ماتضمنه مثل هذا المتلوّ يوحى هو اليك والى غيرك من الرسل اى تكرّر هذه المعانى فى القرآن وجميع الكتب السماوية لما فيها من ارشاد بليغ للاوّلين والآخرين ولطف عظيم لجميع المكلفين ﴿قوله والله مرتفع الى آخره﴾ جواب عما يقال ان يوحى المبنى للمفعول اذا كان مسندا الى ضمير المبتدأ او الى الجار والمجرور فما وجه ارتفاع لفظ الجلالة اجاب عنه بانه فاعل فعل مضمر دل عليه يوحى كانه قيل من يوحى فقيل الله اى يوحيه الله كما فى قوله

ليبك يزيد ضارع لخصومة ۞ ومختبط مما تطيح الطوائح

كأنه قال لا يقول من يبكيه فقيل المحتاج الى الحكم والى نائله والاختباط الاتيان لطلب المعروف والطوائح الدواهى ﴿قوله مقرّرتان لعلوّ شأن الموحى به﴾ وذلك لان توصيف الموحى بكونه عزيزا يدل على كمال قدرته وتوصيفه بكونه حكيما يدل على كمال علمه ومن المعلوم ان الاثر المسند الى من اتصف بكمال القدرة والعلم يكون فى اقصى المراتب من علو الشأن ورفعة القدر ﴿قوله او بالابتداء﴾ عطف على قوله بما دل عليه يوحى فان الوحى فى قراءة نوحى بالنون لما اسند الى فاعله وهو ضمير المتكلم لم يتجه السؤال عن تعيين الفاعل بان يقال من يوحى او من الموحى حتى يكون قوله الله فاعل فعل مضمر او خبر مبتدأ محذوف فتعين ان يكون رفعه على انه مبتدأ ومابعده خبره ﴿قوله وعلى الوجوه الآخر﴾ اى على ان يكون لفظ الجلالة مبتدأ وقوله له مافى السموات خبره يكون قوله له مافى السموات استئنافا ﴿قوله من عظمة الله وقيل من ادّعاء الولد له﴾ يعنى يحتمل ان يكون المقصود منه بيان بلوغ هيبته وجلاله الى حيث تكاد السموات يتفطرن تقرير عزته وحكمته فانه تعالى لما بين ان الوحى لهذا الكتاب هو الله العزيز الحكيم بين وصف جلاله وكبريائه بهذه الآية ويحتمل ان يكون المقصود منه تصوير قباحة طريقة المشركين ويدل عليه قوله بعد هذه الآية والذين اتخذوا من دونه اولياء الله الخ كما قال فى سورة مريم تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولدا ﴿قوله وهذا مطاوع فطر﴾ بمعنى شق يقال فطرته فانفطر اى شققته فانشق وبناء فعل منه للتكثير يقال فطرته فتفطر اى شققته شقوقا كثيرة فتشقق وفطر يستعمل بمعنى خلق ايضا والسبعة مع يعقوب اتفقوا على القراءة بياء الغيبة الا ان اباعمرو وابا بكر ويعقوب قرأوا من باب الانفعال والباقون من باب التفعل وروى يونس عن ابى عمرو تتفطرن بتاءين مع النون وهو شاذ مخالف للقياس والاستعمال لان العرب لاتجمع بين علامتى التأنيث فلا يقال النساء تقمن بل يقال والوالدات يرضعن ولايقال ترضعن والشاذ على وجوه شاذ عن القياس مع موافقة الاستعمال وشاذ عن الاستعمال مع موافقة القياس وشاذ عنهما جميعا وهذا من قبيل الثالث وذكر فى توجيهه ان التاء لتأكيد التأنيث كما انها لتأكيد الخطاب فى قولك ارأيتك ﴿قوله وتخصيصها على الاوّل﴾ اى وتخصيص جهتهنّ الفوقانية ان يفسر تفطر السموات والارض بتشققها من عظمة الله خشية منه واجلالا له كقوله تعالى لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدّعا من خشية الله ويدل عليه ان الاوصاف السابقة كلها مسوقة لبيان عظمة الله تعالى وعلوّ شأنه فالمناسب لها ان يجعل سبب تشققهنّ عظمة الله ولما كان فى جهتهنّ الفوقانية من نحو العرش والكرسى وصفوف الملائكة المسبحين والمقدسين حول العرش ادل الآيات على العظمة والجلال كان المناسب ان يكون تفطر السموات مبتدئا من تلك الجهة بان يتفطر اوّلا اعلى السموات ثم وثم الى ان ينتهى الى اسفلها بان لايبقى سماء الاتنفطر على

(كذلك يوحى اليك والى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم) اى مثل مافى هذه السورة من المعانى او ايحاء مثل ايحائها اوحى الله اليك والى الرسل من قبلك وانما ذكر بلفظ المضارع على حكاية الحال الماضية للدلالة على استمرار الوحى وان ايحاء مثله عادته وقرأ ابن كثير يوحى بالفتح على ان كذلك مبتدأ ويوحى خبره المسند الى ضميره او مصدر ويوحى مسند الى اليك والله مرتفع بما دل عليه يوحى والعزيز الحكيم صفتان له مقرّرتان لعلوّ شأن الموحى به كما مرّ فى السورة السابقة او بالابتداء كما فى قراءة نوحى بالنون والعزيز ومابعده اخبار او العزيز الحكيم صفتان وقوله (له مافى السموات ومافى الارض وهو العلىّ العظيم) خبران له وعلى الوجوه الآخر استئناف مقرّر لعزته وحكمته (تكاد السموات) وقرأ نافع والكسائى بالياء (يتفطرن) يتشققن من عظمة الله وقيل من ادّعاء الولد له وقرأ البصريان وابو بكر ينفطرن والاوّل ابلغ لانه مطاوع فطر وهذا مطاوع فطر وقرئ تتفطرن بالتاء لتأكيد التأنيث وهو نادر (من فوقهنّ) اى يبتدئ الانفطار من جهتهنّ الفوقانية وتخصيصها على الاوّل لان اعظم الآيات وادلها على علوّ شأنه من تلك الجهة وعلى الثانى ليدل على الانفطار من تحتهنّ بالطريق الاولى

الاخرى وان فسر تفطرهن بتشققهن من ادعاء الولد له كان الظاهر حينئذ ان يبتدئ انفطارهن من جهتهن التحتانية لانها الجهة التى منها جاءت كلمة الكفر لان المتكلم بها سكان الارض وهى تحت السماء ومع ذلك جعل مبدأ انفطارهن جهة فوقهن للدلالة على ان تلك الكلمة الشنعاء اذا اثرت فى خلاف جهتها فتأثيرها فيما كان فى جهتها اولى ﴿ قوله وقيل الضمير للارض ﴾ ولعل من قال به يجعل كلمة من زائدة فى الاثبات ويدل عليه قول صاحب التيسير وقيل معناه تقارب السموات ان يتشققن فوق الارضين ﴿ قوله فان المراد بها الجنس ﴾ فتكون فى معنى الجمع فيصح ارجاع ضمير الجمع اليها ﴿ قوله بالسعى فيما يستدعى مغفرتهم ﴾ جواب لما يقال من ان من فى الارض يعم الكفار فكيف تستغفر لهم الملائكة وقد ثبت انهم يلعنون الكفار كما قال تعالى اولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين ولا وجه لكونهم لاعنين لهم ومستغفرين * وتقرير الجواب انه لامنافاة بين لعنهم على شركهم وبين استغفارهم بمعنى السعى فيما يستدعى مغفرتهم وهو الايمان والتبرى من الكفر فان استغفارهم فى حق الكفار بطلب الايمان لهم وفى حق المؤمنين بالتجاوز عن سيئاتهم فيكون استغفارهم فى حق عامة من فى الارض محمولا على عموم المجاز فان قول من قال اللهم اهد الكفار وزين قلوبهم بنور الايمان وأزل عنها ظلمة الكفر والفسوق والعصيان وان كان طلبا لسبب المغفرة لا لنفس المغفرة الا انه يصح ان يطلق عليه الاستغفار مجازا ﴿ قوله وذلك ﴾ اى الاستغفار بمعنى السعى المذكور لما ذكر الله تعالى ان الملائكة يستغفرون لمن فى الارض اشار الى انه يجيب دعاءهم ويغفر تعالى لا غيره فقال الا ان الله هو الغفور الرحيم ﴿ قوله والآية على الاول ﴾ اشارة الى وجه ارتباط قوله تعالى والملائكة يسبحون بحمد ربهم بقوله تكاد السموات يتفطرن على كل واحد من تفسيريه فان فسر بانهن يتشققن من عظمة الله تكون هذه الآية زيادة تقرير لعظمته فان مخلوقات الله تعالى نوعان عالم الجسمانيات واعظمها السموات وعالم الروحانيات واعظمها الملائكة فهو تعالى بين اولا كمال قدرته على الجسمانيات فقال تكاد السموات يتفطرن من فوقهن ثم انتقل الى ذكر الروحانيات فقال والملائكة يسبحون بحمد ربهم ثم ان الجواهر الروحانية لها تعلقان تعلق بعالم الكبرياء والجلال بالاستفاضة والقبول وتعلق بعالم الاجسام بالافاضة والتأثير فقوله تعالى يسبحون بحمد ربهم اشارة الى الوجه الذى لهم الى جناب ذى الجلال والاكرام وقوله ويستغفرون لمن فى الارض اشارة الى الوجه الذى لهم الى عالم الاجسام والتسبيح لكونه عبارة عن تنزيه الله تعالى عما لا ينبغى مقدم على التحميد الذى هو عبارة عن وصفه تعالى بكونه مولى النعم كلها ومعطى الخيرات باسرها فان كونه تعالى منزها فى ذاته عما لا ينبغى مقدما بالرتبة على كونه فياضا للخيرات والسعادات فلذلك قال يسبحون بحمد ربهم واما ان فسر بانهن يتشققن من فظاعة قول المشركين من نسبة الولد اليه تعالى فوجه ارتباط هذه الآية بما قبلها ما ذكره بقوله وعلى الثانى دلالة الخ ﴿ قوله الاشارة الى مصدر يوحى ﴾ فالكاف تكون فى محل النصب على انها صفة مصدر اوحينا ويكون قرآنا مفعول اوحينا اى واوحينا اليك قرآنا عربيا ايحاء مماثلا لذلك الايحاء اى ايحاء مفهما بلا لبس وسترة على ان الكاف فى كذلك نحو المثل فى قولك مثلك لا يبخل ﴿ قوله او الى معنى الآية المتقدمة ﴾ وهى قوله والذين اتخذوا من دونه اولياء الله حفيظ عليهم وما انت عليهم بوكيل اى اوحينا اليك حال كونه قرآنا عربيا لا لبس فيه عليك لما كان عليه الصلاة والسلام حريصا على ايمان المشركين متحزنا على اصرارهم على الشرك والضلال انكر الله تعالى عليه ذلك بقوله الله حفيظ عليهم وما انت عليهم بوكيل والمعنى ان امثال هؤلاء المصرين ليس فى وسعك وقدرتك ان تهديهم والله وحده هو القادر على ذلك والذى عليك هو الانذار فقط ثم قال واوحينا اليك مثل هذه الآية وما تضمنته من الانكار على حرصك الشديد على ايمانهم وتكرر عليك فى القرآن هذا النوع من الانكار حال كون ما يدل عليه قرآنا عربيا لا يخفى عليك معناه لكونه بلسانك وانت تنزله منزلة الكلام المبهم الملتبس حيث لا تترك الحرص البتة ﴿ قوله اهل ام القرى ﴾ قدر المضاف لان نفس مكة لا يصح انذارها والعرب تسمى اصل كل شئ امه وسميت مكة ام القرى تشريفا لها واجلالا لاشتمالها على البيت المعظم ومقام ابراهيم عليه الصلاة والسلام ولما روى من ان الارض دحيت من تحتها وبين من حولها بقوله من العرب ويجوز ان يبين باهل الارض كلها وتقييده بالعرب لا ينافى عموم رسالته عليه الصلاة والسلام لان تخصيص الشئ بالذكر لا ينافى عموم الحكم لما عداه ﴿ قوله وحذف ثانى مفعولى الاول ﴾ والتقدير لتنذر ام القرى بعذاب الله تعالى على تقدير اصرارهم على الكفر حذف

وقيل الضمير للارض فان المراد بها الجنس (والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن فى الارض) بالسعى فيما يستدعى مغفرتهم من الشفاعة والالهام واعداد الاسباب المقربة الى الطاعة وذلك فى الجملة يعم المؤمن والكافر بل لو فسر الاستغفار بالسعى فيما يدفع الخلل المتوقع عم الحيوان بل الجماد وحيث خص بالمؤمنين فالمراد به الشفاعة (الا ان الله هو الغفور الرحيم) اذ ما من مخلوق الا وهو ذو حظ من رحمته والآية على الاول زيادة تقرير لعظمته وعلى الثانى دلالة على تقدسه عما نسب اليه وان عدم معاجلتهم بالعقاب على تلك الكلمة الشنعاء باستغفار الملائكة وفرط غفرانه ورحمته (والذين اتخذوا من دونه اولياء) شركاء وانداداً (الله حفيظ عليهم) رقيب على احوالهم واعمالهم فيجازيهم بها (وما انت) يا محمد (عليهم بوكيل) بموكل بهم او بموكول اليه امرهم (وكذلك اوحينا اليك قرآنا عربيا) الاشارة الى مصدر يوحى او الى معنى الآية المتقدمة فانه مكرر فى القرآن فى مواضع جمة فيكون الكاف مفعولا به وقرآنا عربيا حال منه (لتنذر ام القرى) اهل ام القرى وهى مكة (ومن حولها) من العرب (وتنذر يوم الجمع) يوم القيامة يجمع فيه الخلائق او الارواح والاشباح او الاعمال والعمال وحذف ثانى مفعولى الاول واول مفعولى الثانى للتهويل وايهام التعميم وقرئ لينذر بالياء والفعل للقرآن

(لاريب فيه) اعتراض لامحل له (فريق في الجنة وفريق في السعير) اى بعد جمعهم في الموقف يجمعون اولا ثم يتفرقون والتقدير منهم فريق والضمير للمجموعين لدلالة الجمع عليه وقرئا منصوبين على الحال منهم اى وتنذر يوم جمعهم متفرقين بمعنى مشارفين للتفرق اومتفرقين في داري الثواب والعقاب (ولوشاء الله لجعلهم امة واحدة) مهتدين اوضالين (ولكن يدخل من يشاء في رحمته) بالهداية والحمل على الطاعة (والظالمون مالهم من ولى ولانصير) اى ويدعهم بغير ولى ولانصير في عذابه ولعل تغيير المقابلة للمبالغة في الوعيد اذ الكلام في الانذار (ام اتخذوا) بل اتخذوا (من دونه اولياء) كالاصنام (فالله هو الولى) جواب شرط محذوف مثل ان ارادوا وليا بحق فالله هو الولى بالحق (وهو يحيى الموتى وهو على كل شيء قدير) كالتقرير لكونه حقيقا بالولاية (وما اختلفتم) انتم والكفار (فيه من شيء) من امر من امور الدين اوالدنيا (فحكمه الى الله) مفوض اليه يميز المحق من المبطل بالنصر او بالاثابة والمعاقبة وقيل وما اختلفتم فيه من تأويل متشابه فارجعوا فيه الى المحكم من كتاب الله (ذلكم الله ربي عليه توكلت) في مجامع الامور (واليه انيب) ارجع في المعضلات (فاطر السموات والارض) وقرئ بالجر على البدل من الضمير او الوصف لالى الله وبالرفع خبر آخر لذلكم او مبتدأ خبره (جعل لكم من انفسكم) من جنسكم (ازواجا) نساء (ومن الانعام ازواجا) اى وخلق للانعام من جنسها ازواجا او خلق لكم من الانعام اصنافا او ذكورا واناثا (يذرؤكم) يكثركم من الذرء وهو البث وفي معناه الذر والذرو والضمير على الاول للناس والانعام على تغليب المخاطبين العقلاء (فيه) في هذا التدبير وهو جعل الناس والانعام ازواجا يكون بينهم توالد فانه كالمنبع للبث والتكثير (ليس كمثله شيء) اى ليس مثله شيء يزاوجه ويناسبه والمراد من مثله ذاته كما في قولهم مثلك لايفعل كذا على قصد المبالغة في نفيه عنه فانه اذا نفى عمن يناسبه ويسد مسده كان نفيه عنه اولى

الثاني للتهويل وتقدير الثاني وتنذر ام القرى ومن حولها يوم القيامة وحذف اول مفعوليه لايهام التعميم ﴿قوله اعتراض لامحل له﴾ على قول من يجوز الاعتراض في آخر الكلام والمشهور انه لايقع الابين متلازمين كالمبتدأ والخبر والمعطوف والمعطوف عليه ﴿قوله والتقدير منهم فريق﴾ على ان فريق مبتدأ حذف خبره وجاز الابتداء بالنكرة لامرين تقدم خبرها وهو الجار والمجرور المحذوف ووصفها بقوله في الجنة ﴿قوله والضمير﴾ اى الضمير المجرور في منهم لما دل عليه يوم الجمع فان المعنى يوم جمع الخلائق في موقف الحساب ﴿قوله بمعنى مشارفين للتفرق﴾ جواب عما يقال كيف يكون حالا من المجموعين والجماعة الواحدة لايجوز ان يكونوا مجتمعين متفرقين في حالة واحدة واجاب عنه بوجهين الاول ان المراد بالجمع اجتماعهم في الموقف وكونهم متفرقين فيه مجاز عن كونهم مشارفين للتفرق تسمية لما يقرب من الشيء باسم ذلك الشيء والثاني ان المراد بالجمع اجتماعهم في الموقف وكونهم متفرقين فيه مجاز عن كونهم مشارفين التفرق في ذلك اليوم وتفرقهم تفرقهم في الدارين والاجتماع في الزمان لاينافي الافتراق في المكان ثم انه تعالى لمابين ان اهل الجمع فريقان بين ان ذلك بمشيئة الله تعالى فمن علم منه اختيار الهدى يهديه فيدخله بذلك في جنته ورحمته ومن علم منه اختيار الضلال يضله ويجعله بذلك من اهل السعير ﴿قوله ولعل تغيير المقابلة﴾ فان مقتضى الظاهر ان يقال ويدخل من يشاء في سخطه ونقمته وعدل عنه الى ماهو ابلغ في الوعيد فانه يدل على ان الذين ظلموا انفسهم ليس لهم احد يتولى امورهم ويعينهم ولامن ينصرهم فيدفع العذاب عنهم فهم معذبون ابدا لظلمهم انفسهم ولاشك انه ابلغ في الوعيد من ان يقال ويدخل من يشاء في سخطه ﴿قوله بل اتخذوا﴾ اشارة الى ان ام منقطعة فيجوز ان تقدر ببل التي للانتقال وبهمزة الانكار وبالهمزة وحدها وببل وحدها والمصنف قدرها ببل وحدها اضرابا عن توصيفهم بانهم اتخذوا من دون الله اولياء على طريق التخصيص بعد التعميم للاشعار بان هذا الخاص مع كونه من افراد ذلك العام بلغ في كونه ظلما الى حد خرج بذلك عن كونه معدودا في عداده وقيل ام هذه بمعنى همزة الانكار والتوبيخ وصفهم تعالى اولا بانهم اتخذوا من دونه اولياء ثم قال له عليه الصلاة والسلام لست عليهم بوكيل وان هدايتهم ليست اليك ولوشاء الله لفعلها ثم اخبر عنهم بما وصفهم به اولا انكارا عليهم ووجه اتصال هذه الآية بما قبلها انه تعالى لما هدد المشركين بقوله الله حفيظ عليهم وبقوله والظالمون مالهم من ولى ولانصير ثم حكم بانه هو الولى بالحق اردفه بما يدل على انه ولى المؤمنين بالنصر والاثابة ومذل اعداء الدين بالتعذيب والعقاب فقال وما اختلفتم فيه من شيء قيل انه حكاية قول رسول الله صلى الله عليه وسلم للمؤمنين فكأنه عليه الصلاة والسلام وكل الحكم الى الله في امر الدين وغيره لحكى الله تعالى ذلك في القرآن المجيد ويدل على ذلك قوله تعالى بعده ذلكم الله ربي عليه توكلت واليه انيب اى ذلك الحاكم بيني وبينكم هو ربي عليه توكلت ﴿قوله بالنصرة﴾ اى بنصره المؤمن المحق على الكافر المبطل فان المؤمن اذا خالف الكافر في شيء من الاحكام وتمسك فيه باصل من اصول الشرع وهي اربعة الكتاب والسنة واجماع الامة والقياس فقد تأيد بنصر الله تعالى ونص كتابه فان الاصول الثلاثة الاخيرة مستندة الى الاصل الاول الذي هو الكتاب غاية مافي الباب انه لايجوز الاجتهاد والقياس بحضرة الرسول صلى الله عليه وسلم ﴿قوله او بالاثابة﴾ اى يميز المحق من المبطل يوم الفصل والجزاء بان يجازي كل واحد من المختلفين على حسب مااستحقه فيثيب المحق ويعاقب المبطل ﴿قوله تعالى ذلكم﴾ مبتدأ والله خبره وربي نعت لله وعليه توكلت واليه انيب خبر بعد خبر قدم الظرف فيهما ليفيد الاختصاص ﴿قوله وقرئ بالجر﴾ اى على انه بدل من الهاء في عليه واليه او على انه نعت الجلالة في قوله فحكمه الى الله فيكون مابينهما اعتراضا ﴿قوله يذرؤكم﴾ ضمير الجمع فيه للمخاطبين والانعام وفيه تغليبان تغليب العقلاء فان كم ضمير العقلاء وتغليب المخاطب على الغائب فان مقتضى الظاهر ان يقال يذرأكم واياهن او رد بدل اياهن ضمير المخاطب ﴿قوله فانه كالمنبع للبث﴾ جواب عما يقال هذا التدبير ليس ظرفا للبث والتكثير بل هو سبب له فلم قيل يذرأكم في هذا التدبير ولم يقل بهذا التدبير ﴿قوله تعالى ليس كمثله شيء﴾ المشهور عند القوم ان الكاف زائدة في خبر ليس وشيء اسمها والتقدير ليس شيء مثله قال ابو البقاء ولو لم تكن زائدة لفسد المعنى اذ يصير المعنى على تقدير عدم زيادتها ليس مثل مثله شيء وهو فاسد لان نفي المثل عن مثله يستلزم ان يكون له مثل لامثل لذلك المثل وهو محال تعالى الله عن ذلك وايضا فيه تناقض لانه اذا كان له مثل كان لمثله مثل وهو نفس ذاته وقيل ان كلمة مثل هي الزائدة كزيادتها في قوله تعالى فان آمنوا بمثل ما آمنتم به

فقد اعتدوا وتقديره ليس كهو شئ وهذا القول ليس بجيد لان زيادة الاسماء ليست بمعهودة وايضا زيادة المثل تستلزم ان يكون التقدير ليس هو شئ ودخول الكاف على الضمائر لايجوز الا فى الشعر ولم يرض المصنف والزمخشرى بهذين القولين بناء على ان القول بزيادة ماله فائدة جليلة وبلاغة مقبولة بعيد كل البعد وجعلا المثل كناية عن الذات كما فى قول العرب مثلك يجود ومثلك لايبخل وقول القبعثرى مثل الامير يحمل على الادهم والاشهب فان البلغاء يثبتون لمثل الشئ وصفا او ينفونه عنه ويريدون اثبات ذلك الوصف لنفس الشئ او نفيه عنه على ابلغ وجه وآكده لانه بمنزلة اثبات الشئ او نفيه بالدليل وكدعوى الشئ بالبينة وذلك لان مثل الشئ انقص حالا منه كما هو القاعدة فى باب التشبيه فالمشبه مع كونه انقص حالا من المشبه به اذا اتصف بصفة كمال او تباعد عن صفة نقصان فكون المشبه به متصفا بالاولى ومتباعدا من الاخرى اولى ومثله يسمى اثبات الشئ او نفيه بالطريق البرهانى وهذا الطريق لايتوقف على ان يتحقق لذلك الشئ مثل فى الخارج حتى يقال فى مثل مثله يستلزم اثبات المثل له وهو محال بل يكفى فيه ان يقدر له مثل ثم يحكم عليه بانه متصل بكذا او منفصل عن كذا ليفيد ان الممثل به اولى بذلك ولو توقف ذلك على ثبوت المثل والنظير له فى الخارج لكان قول القبعثرى مثل الامير يحمل على الادهم والاشهب اشبه بالذم منه بالمدح ﴿ قوله فى سقيا عبد المطلب ﴾ السقيا اسم بمعنى الاستسقاء روى ان عبد المطلب صعد ابا قبيس مع رجال من بطون العرب ومعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يومئذ غلام يافع اى مرتفع يقدر على العدو واسراع المشى خرجوا مستسقين لانقطاع المطر عنهم مدة طويلة ﴿ قوله لداته ﴾ لدة الرجل تربه والهاء عوض عن الواو الذاهبة من اوله لانه من الولادة والمراد بالطيب الطاهر لداته رسول الله صلى الله عليه وسلم نسبت الطهارة والطيب الى لداته كناية عن طيب نفسه وطهارته ﴿ قوله وقيل مثله صفته ﴾ بناء على ان المثل والمثل الصفة كما فى قوله تعالى ولله المثل الاعلى وقوله مثل الجنة فيكون المعنى ليس مثل صفته تعالى شئ من الصفات التى لغيره فانه تعالى وان وصف بكثير مما يوصف به البشر فليست تلك الصفات الثابتة له تعالى كالتى تثبت لغيره تعالى وعلى القولين يكون قوله ليس كمثله شئ كلاما مستأنفا على سبيل التعليل لما قبله ﴿ قوله خزائنها ﴾ اشارة الى ان مقاليد المقاليد كناية عن ملك الخزائن لما ذكر الله تعالى وحيه الى محمد صلى الله عليه وسلم بقوله كذلك يوحى اليك والى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم شرع فى تفصيل ما تضمنه هذه السورة من المعانى فقال شرع لكم من الدين الآية اى بين لكم يا اصحاب محمد من الدين ما وصى به نوحا وهو اول انبياء الشريعة ومعنى شرع بين المسالك وفتح الطريق الى مرضاته والدين هو الطاعة والانقياد واقامة الدين الدوام عليه باحياء شروطه وحدوده وخص هؤلاء الانبياء الخمسة بالذكر لانهم اكابر الانبياء واصحاب الشرائع العظيمة والاتباع الكثيرة ﴿ قوله وهو الاصل المشترك فيما بينهم ﴾ يعنى ان المراد بالدين الذى وصى به هؤلاء الانبياء اصول الدين وهى ماتطابقت الانبياء على صحته ولم يختلف باختلاف الشرائع كالايمان بالله وحده لاشريك له وبملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ﴿ قوله او الرفع على الاستئناف ﴾ فتكون ان مصدرية ويكون الفعل معها فى تأويل المصدر كأنه قيل وماذلك المشروع فقيل هو اقامة الدين والاجتماع عليها وترك التفرق فى اقامته فان الامر اذا انتظم على هذا الوجه زال الفساد وظهر العدل وتباعد الناس عن التظالم فيتفرغون لعمارة دنياهم ويتوصلون بها الى اقامة دينهم وينالون المنزلة الرفيعة عند ربهم ﴿ قوله يجتلب اليه ﴾ اشارة الى ان يجتبى مأخوذ من الجباية وهى طلب الخراج لامن الاجتباء بمعنى الاصطفاء لانه لايتعدى بالى بخلاف الجباية فان فيها معنى الضم فلذلك تعدى بالى فيقال يجتبى اليه اى يوفقه له ويقربه اليه رحمة واكراما لما بين الله تعالى انه امر كل الانبياء والامم بالاخذ بالدين المتفق عليه كان مظنة ان يقال فلماذا نجدهم متفرقين فاجاب بقوله وما تفرقوا الا من بعد ماجاءهم العلم يعنى انهم ما تفرقوا الا من بعد ما تاهم الاجماع على اقامة الدين المتفق عليه وعلموا بذلك ان التفرق ضلالة ولكنهم فعلوا ذلك لاجل البغى الحاصل منهم والحسد والعداوة المستقرة بينهم المانعة من الاتفاق فلذلك ذهبت كل طائفة الى مذهب ودعوا الناس اليه وقبحوا ماسواه ويحتمل ان يكون البغى مصدر بغاه بمعنى طلبه ويكون المعنى تفرقوا طلبا للدنيا والرياسة ثم انه تعالى اخبر انهم استحقوا العذاب بسبب تفرقهم الا انه تعالى اخر عنهم ذلك العذاب لان كل عذاب عنده اجلا مسمى اى وقتا معلوما والمصنف فسر المتفرقين فى اصول الدين بالامم السابقة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وفسر

ونظيره قول رقيقة بنت صيفى فى سقيا عبد المطلب الا وفيهم الطيب الطاهر لداته ومن قال الكاف فيد زائدة لعله عنى انه يعطى معنى ليس مثله غير انه آكد لما ذكرناه وقيل مثله صفته اى ليس كصفته صفة (وهو السميع البصير) لكل مايسمع ويبصر (له مقاليد السموات والارض) خزائنها (يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) يوسع ويضيق على وفق مشيئته (انه بكل شئ عليم) فيفعله على ماينبغى (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى اوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى) اى شرع لكم من الدين دين نوح ومحمد ومن بينهما عليهم السلام من ارباب الشرع وهو الاصل المشترك فيما بينهم المفسر بقوله (ان اقيموا الدين) وهو الايمان بما يجب تصديقه والطاعة فى احكام الله ومحله النصب على البدل من مفعول شرع او الرفع على الاستئناف كأنه جواب وماذلك المشروع او الجر على البدل من هاء به (ولا تتفرقوا فيه) ولا تختلفوا فى هذا الاصل اما فروع الشرع فمختلف كما قال لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا (كبر على المشركين) عظم عليهم (ما تدعوهم اليه) من التوحيد (الله يجتبى اليه من يشاء) يجتلب اليه والضمير لما تدعوهم او للدين (ويهدى اليه) بالارشاد والتوفيق (من ينيب) يقبل اليه (وما تفرقوا) يعنى الامم السالفة وقيل اهل الكتاب لقوله تعالى وما تفرق الذين اوتوا الكتاب (الا من بعد ماجاءهم العلم) بان التفرق ضلال متوعد عليه او العلم بمبعث الرسول عليه السلام او اسباب العلم من الرسل والكتب وغيرهما فلم يلتفتوا اليها (بغيا بينهم) عداوة او طلبا للدنيا

الذين اورثوا الكتاب من بعدهم باهل الكتاب الذين تفرّق كل فريق منهم عن صاحبه بالانتساب الى كتاب غير كتاب الآخر فقوله من بعد ما جاءهم العلم بان التفرّق ضلال ناظر الى ما اختاره من ان المراد بالتفرّق اختلاف الامم السالفة فى الاصل المشترك بين ارباب الشرائع وقوله او العلم بمبعثه عليه افضل الصلاة والسلام ناظر الى ما نقله من ان المراد بالتفرّق تفرّق كل فريق من اهل الكتاب بالانتساب الى كتابه فعلى هذا يكون ضمير تفرّقوا لاهل الكتاب ويكون المراد بالذين اوتوا الكتاب من بعدهم المشركين وبالكتاب القرآن وقوله لا يعلمونه كما هو ناظر الى ان يكون المراد بالمتفرّقين الاسلاف وبالذين اورثوا الكتاب المعاصرين وقوله او من القرآن ناظر الى ان يكون المراد بالمتفرّقين مطلق اهل الكتاب وبالذين اورثوا المشركين ﴿قوله فلاجل ذلك التفرّق او الكتاب او العلم﴾ الاوّل على ان تكون الاشارة الى مصدر تفرّقوا والثانى على ان تكون الاشارة الى الكتاب الذى اريد به القرآن والثالث على ان تكون الاشارة الى المشروع المبين الذى هو الامر باقامة الدين والنهى عن التفرّق ﴿قوله وعلى هذا﴾ اى على ان تكون الاشارة الى الكتاب او الى ما جاءه من العلم يجوز ان تكون اللام فى موضع الى حتى تكون صلة ادع مذكورة صريحا وتفيد معنى التعليل ايضا قال الفرّآء والزجاج فى تفسيره قال ذلك الدين الذى وصينا به الانبياء فادع الناس ﴿قوله تعالى وامرت لاعدل بينكم﴾ يجوز ان يكون التقدير وامرت بذلك لاعدل بين شرعكم ووضيعكم فى تبليغ الشرآئع وفى الحكم اذا تخاصمتم وتحاكمتم الىّ وقيل تقريره وامرت ان اعدل على ان تكون اللام زآئدة بدل ان المصدرية كما فى قوله تعالى يريد الله ليبين لكم اى ان يبين لكم اى اسوّى بين شرعكم ووضيعكم فلا احابى احدا ولا اخص البعض بامر او نهى ﴿قوله لا حجاج بمعنى لا خصومة﴾ الحجة فى الاصل البرهان والدليل ثم يقال لاحجة بيننا بناء على ان ايراد الحجة من الجانبين لازم الخصومة فيكنى بذكر اللازم عن الملزوم ﴿قوله وليس فى الآية ناح﴾ رد لما قيل من انها نزلت قبل الامر بالقتال حين كونه عليه الصلاة والسلام مأمورا بالدعوة فقط ثم نسخت بآية القتال وما فعل بهم من القتل وتخريب البلاد وقطع النخيل والاجلاء انما وقع بعد نزول آية القتال ووجه الرد انّ هذه الآية انما تدل على المشاركة القولية معهم لانهم قد عرفوا صدقه عليه الصلاة والسلام بما اقام من الحجج المتعاضدة وانما تركوا تصديقه والايمان به عنادا وبعد ما ظهر الحق وصاروا محجوجين به كيف تحتاج الى المحاجة القولية فلا يبقى بعد ذلك الا السيف او الاسلام ﴿قوله تعالى والذين يحاجون﴾ مبتدأ وحجتهم مبتدأ ثان وداحضة خبر الثانى والجملة خبر الاوّل والمعنى ان الذين يخاصمون فى دين الله تعالى نبيه قيل هم اليهود قالوا كتابنا قبل كتابكم ونبينا قبل نبيكم فنحن خير منكم فهذه خصومتهم فى دين الله تعالى من بعد ما استجاب له الناس فاسلموا ودخلوا فيه ٭ قال الامام فى بيان مخاصمة اليهود فى دينه تعالى انهم قالوا ألستم تقولون ان الدين المتفق عليه يجب اخذه لا الذى اختلف فيه ونبوّة موسى عليه الصلاة والسلام وحقية كتابه معلومة بالاتفاق ونبوّة محمد صلى الله عليه وسلم ليست متفقا عليها فوجب ان يكون الاخذ باليهودية اولى واوجب فهذه حجتهم وحكم الله تعالى بانها داحضة اى باطلة وذلك لان اليهود اجمعوا على انه انما وجب الايمان بموسى عليه الصلاة والسلام لاجل انه صدّقه تعالى بان اظهر المعجزات على يده وكل من صدّقه الله تعالى فى دعوى الرسالة بهذا الطريق فهو صادق فى دعواه فيجب الايمان به فاجماعهم هذا يستلزم بطلان حجتهم لان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ادّعى الرسالة فصدّقه الله فى دعواه بان خلق على يديه معجزات بينة باهرة واليهود شاهدوا تلك المعجزات فان كان ظهور المعجزة دليلا على صدق مدّعى النبوّة يجب الاعتراف بنبوّة محمد صلى الله عليه وسلم وان لم يكن دليلا عليه فى حق محمد عليه الصلاة والسلام فكيف يكون دليلا فى حق موسى عليه الصلاة والسلام فجعله دليلا على صدق احدهما دون الآخر تحكم محض وعناد صرف لما عظم الله تعالى ما تضمنه هذه السورة الكريمة من المعانى بان بين بانه كرّر وحيه اليه عليه الصلاة والسلام فى القرآن المجيد والى من قبله عليهم الصلاة والسلام وبان اسند وحيه الى الله العزيز الحكيم ثم انكر على رسوله صلى الله عليه وسلم شدّة حرصه على ايمان المشركين وعدم اقتصاره على تبليغ رسالته اليهم وانذارهم بيوم الجمع وما فيه من تعذيب المسيئ على وجه يتضمن تهديدهم بان الله حفيظ عليهم وانهم ما لهم من ولىّ ولا نصير ثم بين استحقاقهم التهديد المذكور بانهم خالفوا الدين المتفق عليه بين ارباب الشرآئع وهو الايمان بجميع ما يجب الايمان به وطاعة الله تعالى فيما امر به ونهى عنه وعدم الافتراق فيه شرع الآن فى بيان انه انما شرع ذلك الدين المتفق عليه بانزال الكتاب المشتمل على انواع الدلائل والبينات فقال الله الذى انزل الكتاب

(ولولا كلمة سبقت من ربك) بالامهال (الى اجل مسمى) هو يوم القيامة او آخر اعمارهم المقدرة (لقضى بينهم) باستئصال المبطلين حين افترقوا لعظم ما اقترفوا (وان الذين اورثوا الكتاب من بعدهم) يعنى اهل الكتاب الذين كانوا فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم او المشركين الذين اورثوا القرآن من بعد اهل الكتاب وقرئ ورّثوا وورثوا (لفى شك منه) من كتابهم لا يعلمونه كما هو او لا يؤمنون به حق الايمان او من القرآن (مريب) مقلق او مدخل فى الريبة (فلذلك) فلاجل ذلك التفرّق او الكتاب او العلم الذى اوتيته (فادع) الى الاتفاق على الملة الحنيفية او الاتباع لما اوتيت وعلى هذا يجوز ان يكون اللام فى موضع الى لافادة الصلة والتعليل (واستقم كما امرت) واستقم على الدعوة كما امرك الله تعالى (ولا تتبع اهواءهم) الباطلة (وقل آمنت بما انزل الله من كتاب) يعنى جميع الكتب المنزلة لا كالكفار الذين آمنوا ببعض وكفروا ببعض (وامرت لاعدل بينكم) فى تبليغ الشرآئع والحكومات والاوّل اشارة الى كمال القوّة النظرية وهذا اشارة الى كمال القوّة العملية (الله ربنا وربكم) خالق الكل ومتولى امره (لنا اعمالنا ولكم اعمالكم) فكل مجازى بعمله (لا حجة بيننا وبينكم) لا حجاج بمعنى لا خصومة اذ الحق قد ظهر ولم يبق للمحاجة مجال ولا للخلاف مبدأ سوى العناد (الله يجمع بيننا) يوم القيامة (واليه المصير) مرجع الكل لفصل القضاء وليس فى الآية ما يدل على متاركة الكفار رأسا حتى تكون منسوخة بآية القتال (والذين يحاجون فى الله) فى دينه (من بعد ما استجيب له) من بعد ما استجاب له الناس ودخلوا فيه او من بعد ما استجاب الله لرسوله فاظهر دينه بنصره يوم بدر او من بعد ما استجاب له اهل الكتاب بان اقرّوا بنبوّته واستفتحوا به (حجتهم داحضة عند ربهم) زائلة باطلة (وعليهم غضب) بمعاندتهم (ولهم عذاب شديد) على كفرهم

﴿قوله والشرع﴾ لفظ الميزان حقيقة في آلة الوزن ويستعار للشرع تشبيهاله بالميزان العرفي من حيث انه توزن به الحقوق الواجبة الاداء سوآء كانت من حقوق الله تعالى او من حقوق العباد ويطلق على العدل والتسوية تسمية للشئ باسم آلته فان الميزان آلة العدل فسمي باسمه والشرع ينزل بانزال مبلغه وكذا العدل فانه ينزل بانزال الامر به في الكتب الالهية المنزلة بانزال مبلغها ﴿قوله او آلة الوزن﴾ اى ويجوز ان يكون المراد بالميزان معناه الاصلي وانزاله اما حقيقة كما ذكره الزمخشري في سورة الحديد من انه روى ان جبريل عليه الصلاة والسلام نزل بالميزان فدفعه الى نوح عليه الصلاة والسلام وقال مر قومك يزنوا به وقيل نزل آدم عليه الصلاة والسلام بجميع آلات الصنائع واما مجاز عن انزال الامر باستعماله في الايفاء والاستيفاء ﴿قوله فاتبع الكتاب﴾ اشارة الى وجه ارتباط وما يدريك الخ بانزال الكتب والميزان باى معنى راد به يعني ان قوله تعالى وما يدريك الآية كناية عن الترغيب في اتباعهما واقامة حدودهما قبل مفاجاة اليوم الذي توزن فيه الاعمال فيوفى لمن اوفى ويطفف لمن طفف ﴿قوله وقيل تذكير القريب﴾ عطف على قوله قريب اتيانها يعني ان قريب فعيل بمعنى الفاعل ولا يستوى فيه المذكر والمؤنث عند سيبويه فكان الظاهر ان يقال قريبة لكونه مسندا الى ضمير الساعة الا انه ذكر لكونه صفة جارية على غير من هي له والتقدير قريب اتيانها وقريب منه قول الزمخشري ولعل مجيء الساعة قريب بتقدير المضاف وروى عن سيبويه انه انما لم يقل قريبة لان المراد ذات قرب يعني انه على معنى النسب لا على معنى الحدوث في احد الازمنة فان الصفات التي كانت كالفعل انما يفرق بين مذكرها ومؤنثها بالتاء اذا قصد بها الحدوث لانها حينئذ تشبه الفعل الذي مبناه على الحدوث فكما ان الفعل تلحقه التاء اذا استد الى المؤنث فكذا الصفات التي كانت كالفعل في معنى الحدوث فانها تلحقها التاء ايضا فتقول حاضت هند فهي حائضة وطلقت فهي طالقة واما اذا قصد بها الاطلاق فلا تكون حينئذ بمعنى الفعل بل بمعنى النسب وان كانت على صورة اسم الفاعل كلابن وتامر بمعنى ذوى لبن وتمر اى لبني وتمري فلما لم تكن في معنى الفعل لم تلحقها تاء التأنيث لعدم مشابهتها له معنى وان شابهته لفظا ﴿قوله اولان الساعة بمعنى البعث﴾ تسمية للحال باسم ما حل فيه ﴿قوله استهزآء﴾ فانه عليه افضل الصلاة والسلام لما هددهم بيوم القيامة قالوا مستهزئين متى تقوم الساعة وليتها قامت حتى يظهر الحق أهو الذي نحن عليه ام ما تدعونا اليه فانهم لما لم يؤمنوا بها لم يخافوا ما فيها فهم يطلبون وقوعها استبعادا لقيامها بخلاف الذين آمنوا فانهم مشفقون منها لعلمهم بانهم محاسبون ومجزيون بما عملوا في الدنيا مع اعتنائهم اى مع اعتنائهم بها واهتمامهم بشأنها اى يجمعون بين الخوف منها والاهتمام بشأنها لتوقعهم ما فيها من الثواب ﴿قوله من المرية﴾ فقوله يمارون معناه في الاصل تداخلهم المرية والشك فيؤدى ذلك الى المجادلة فقوله في تفسيره يجادلون تفسير له بمؤداه ولازمه وان كان من المرى وهو التعرض لضرع الناقة لاستخراج ما فيه من اللبن يكون تفسيره يجادلون حملا على الاستعارة التبعية بان شبه المجادلة بمماراة الحالب الضرع لاستخراج ما فيه من اللبن من حيث ان كلا من المتجادلين يستخرج ما عند صاحبه بكلام فيه شدة ﴿قوله اشبه الغائبات الى المحسوسات﴾ فان البعث مع كونه امرا ممكنا في نفسه غير مستبعد من قدرة الله تعالى قامت على وقوعه دلائل قطعية فبلغ بكثرة شواهده مبلغ المحسوسات فان الكتاب المعجز مملوء بالاخبار عن وقوعه والعقول السليمة شاهدة على انه لابد من دار جزآء لئلا يكون تكليف الحكيم عبثا ﴿قوله بصنوف من البر لا تبلغها الافهام﴾ كثرة البر مستفادة من تنكير لطيف ومن صيغة فعيل لانها للمبالغة وكونها بحيث لا تبلغها الافهام مستفاد من مادته فان اللطف ايصال نفع فيه دقة وعظم قدر ولا تبلغ قوة المتفكر الى ادراك لطفه في ترزيق عباده من بني آدم وغيرهم وان بذل جهده حيث جعله منوطا بترتيب العالم العلوي والسفلي وما فيهما من الصنائع العجيبة والتدبيرات الغريبة بحيث يعجز عقل البشر من معرفة ادنى شئ منها فضلا من استقصائها ﴿قوله اى يرزقه كما يشاء﴾ لما ورد ان يقال ان اضافة العباد وهو جمع الى ضمير اسم الله تعالى من طرق الاستغراق فتفيد انه تعالى لطيف بجميع عباده فالمناسب له ان يقال بعده يرزقهم جميعا برا وفاجرا ولا يهلك الفاجر جوعا بمعاصيه فما وجه تخصيص ترزيقه بمن يشاء اشار الى جوابه بان المخصوص بمن يشاء هو نوع البر وصنفه وذلك لا ينافي عموم جنس بره لجميع عباده فانه تعالى برهم جميعا لا بمعنى ان جميع انواع البر واصنافه تصل الى كل احد فانه مخالف للحكمة بل يصل بره اليهم على سبيل التوزيع بان يخص بنعمة واحدا وآخر باخرى فيرجع بذلك كل واحد منهم الى الآخر فيما عنده من النعمة فينتظم به احوالهم وتتم اسباب معاشهم وصلاح دنياهم وعمارتها فيؤدى ذلك الى

(الله الذي انزل الكتاب) جنس الكتاب (بالحق) ملتبسا به بعيدا من الباطل او بما يحق انزاله من العقائد والاحكام (والميزان) والشرع الذي يوزن به الحقوق ويسوى بين الناس او العدل بان انزل الامر به او آلة الوزن اوحى باعدادها (وما يدريك لعل الساعة قريب) اتيانها فاتبع الكتاب واعمل بالشرع وواظب على العدل قبل ان يفجاك اليوم الذي يوزن فيه اعمالك ويوفى جزآؤك وقيل تذكير القريب لانه بمعنى ذات قرب اولان الساعة بمعنى البعث (يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها) استهزآء (والذين آمنوا مشفقون منها) خائفون منها مع اعتنائها لتوقع الثواب (ويعلمون انها الحق) الكائن لا محالة (الا ان الذين يمارون في الساعة) يجادلون فيها من المرية او من مريت الناقة اذا مسحت ضرعها بشدة للحلب لان كلا من المتجادلين يستخرج ما عند صاحبه بكلام فيه شدة (لفي ضلال بعيد) من الحق فان البعث اشبه الغائبات الى المحسوسات فمن لم يهتد لتجويزها فهو ابعد من الاهتداء الى ما ورآءه (الله لطيف بعباده) برهم بصنوف من البر لا تبلغها الافهام (يرزق من يشاء) اى يرزقه كما يشاء فيخص كلا من عباده بنوع من البر على ما اقتضته حكمته (وهو القوى) الباهر القدرة (العزيز) المنيع الذي لا يغلب

(فراغهم)

فراغهم لاكتساب سعادة الآخرة ثم انه تعالى لما بين كونه لطيفا بعباده كثير الاحسان اليهم اشار الى ان الانسان ما دام فى دار الكسب والاختيار لا بد له من السعى فى طلب الخيرات وفى الاحتراز عن القبائح والسيئات فان لطفه تعالى واحسانه وان لم يكن مقدرا بقدر سعى العبد وعمله الا ان عادته تعالى قد جرت على ان جعله منوطا بسعى العبد وكسبه فقال من كان يريد حرث الآخرة نزد له الآية والحرث فى الاصل هو الزرع الحاصل بالقاء البذر فى الارض استعير لثواب الحاصل بمقابلة العمل ﴿قوله ولذلك﴾ اى ولكونه ثواب الآخرة حاصلا بعمل الدنيا ﴿قوله شيأ منها﴾ اى شيأ كائنا منها على ان منها متعلق بمحذوف هو صفة للمفعول الثانى المحذوف لقوله نؤته قال الامام فان قيل ظاهر اللفظ يدل على ان من صلى لاجل طلب الثواب او لاجل دفع العقاب فانه تصح صلاته واجمعوا على انها لا تصح والجواب انه تعالى قال من كان يريد حرث الآخرة والحرث لا يتأتى الا بالقاء البذر الصحيح فى الارض والبذر الصحيح الجامع للخيرات والسعادات ليس الا العبودية لله تعالى ﴿قوله اذ الاعمال بالنيات﴾ والاعمال للدنيا لا للآخرة فلا ثواب فى الآخرة على ذلك العمل شيأ قال تعالى فى طالب ثواب الآخرة نزد له فى حرثه ولم يذكر انه يعطيه الدنيا ام لا بل بقى الكلام ساكتا عنه نفيا واثباتا مع ان الرزق المقسوم له يصل اليه بلا محالة للاستهانة بذلك والاشعار بانه فى جنب ثواب الآخرة كأنه ليس بشئ وصرح فى حق طالب خير الدنيا بانه لا يعطيه شيأ من نصيب الآخرة تنصيصا على الفرق بين من اراد الآخرة وبين من اراد الدنيا وليس له من ثواب الآخرة نصيب البتة وبين ان طالب الآخرة يكون حاله ابدا فى الترقى والتزايد وان طالب الدنيا لا ينال مراده من الدنيا ويكون محروما من ثواب الآخرة بالكلية ﴿قوله بل ألهم شركاء﴾ يريد ان ام هذه منقطعة فيها معنى بل والهمزة وبل للاضراب عما سبق وهو بيان انه تعالى شرع لهم من الدين ما وصى به الانبياء المتقدمين وان الذين يحاجون فى دين الله حجتهم داحضة عند ربهم اضرب عن هذا البيان واستفهم استفهام تقرير وتقريع بان قال ألهم شركاء اى نظراء يشاركونهم فى الكفر والعصيان ويعاونونهم عليه بالتزيين والاغواء وهم شياطين الانس والجن وسماهم شركاءهم من الطريق الباطل ومعاونتهم للمشاكلة والتهكم ﴿قوله وقيل شركاؤهم اوثانهم﴾ وحينئذ ينبغى ان تكون الهمزة للانكار فان الجماد الذى لا يعقل شيأ كيف يصح ان يشرع لهم دينا والحال ان الله تعالى لم يشرع لهم ذلك الدين الباطل فمن اين يدينون به من عند انفسهم بغير حجة تكون عذرا لهم فى التدين به واسناد الشرع الى الاوثان مع كونها بمعزل عن الفاعلية اسناد مجازى من قبيل اسناد الفعل الى السبب او من قبيل اسناده الى ما هو على صورة الفاعل الحقيقى فى زعمهم فانهم يزعمون ان الاصنام صور الملائكة او المسيح او عزير او غيرهم من العباد الصالحين فانهم يزعمون ان هؤلاء العباد سوّلوا لهم ما هم عليه من الدين الباطل ودعوهم اليه وفى بعض النسخ صور من شبه لهم من التشبيه فالمعنى شبه لهم ان عبادته تنفعهم وتنجيهم ﴿قوله اى القضاء السابق﴾ سمى القضاء كلمة الفصل لان الفصل قد يطلق على قطع الحكم كما قال تعالى وهو خير الفاصلين ويطلق على القول الحق ايضا كما فى قوله تعالى انه لقول فصل ولا شك ان القضاء السابق كلام نفسى متلو ووعد صادق وقول حق فلذلك اطلق عليه كلمة الفصل ويحتمل ان تكون اضافة الكلمة اليه للملابسة على ان يكون الفصل بمعنى التمييز والفرق ويكون المعنى ولو لا القضاء او العدة بالفصل اى الفرق بين مكذبى هذه الامة ومكذبى الامم السالفة لانبيائهم لقضى بين هؤلاء وبين المؤمنين بمعاجلة عذابهم ولاهلكوا كما اهلك اولئك الامم ﴿قوله او المشركين وشركائهم﴾ على ان يكون المراد بالشركاء شياطينهم والاول على ان يكون المراد بالشركاء الاوثان ﴿قوله وتقدير عذاب الظالمين فى الآخرة﴾ احتاج الى تقدير المضاف لان كلمة لولا تستدعى تحقق مدخولها حال التكلم بها والذى يتحقق حال التكلم هو تقدير تعذيب الظالمين لا نفس عذابهم وقرأ الجمهور وان الظالمين بكسر ان على الاستئناف ولما كان العذاب الاليم غالبا فى عذاب الآخرة بين حال الفريقين فيها على طريق الاستئناف فبدأ باحوال الكفرة فقال ترى الظالمين اى ترى الكافرين يوم القيامة خائفين من جزاء كسبهم فى الدنيا او جزاء ما كسبوه فى الدنيا وهو الشرك او التكذيب وذلك الجزاء واقع بهم البتة خافوا او لم يخافوا فلذلك اوثر لفظ واقع على يقع مع ان المعنى على الاستقبال لان الخوف انما يكون من المتوقع لا الكائن ثم ذكر احوال المؤمنين وثوابهم فقال والذين آمنوا الآية ﴿قوله فى اطيب بقاعها﴾ بخلاف الثانى فانه يدل على ان ما يشاؤن عنده حاصل لهم منه او غيره ولا يدل على حصول مطالبهم وذلك مستفاد من اضافة الروضة الى الجنة فى مقام الامتنان فان الاضافة تنبئ عن

(من كان يريد حرث الآخرة) ثوابها شبهه بالزرع من حيث انه فائدة تحصل بعمل الدنيا ولذلك قيل الدنيا مزرعة الآخرة والحرث فى الاصل القاء البذر فى الارض ويقال للزرع الحاصل منه (نزد له فى حرثه) فنعطه بالواحد عشرة الى سبعمائة فما فوقها (ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها) شيأ منها على ما قسمناه (وماله فى الآخرة من نصيب) اذ الاعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى (ام لهم شركاء) بل ألهم شركاء والهمزة للتقرير والتقريع وشركاؤهم شياطينهم (شرعوا لهم) بالتزيين (من الدين ما لم يأذن به الله) كالشرك وانكار البعث والعمل للدنيا وقيل شركاؤهم اوثانهم واضافتها اليهم لانهم متخذوها شركاء واسناد الشرع اليها لانها سبب ضلالتهم وافتتانهم بما تدينوا به او صور من سنه لهم (ولو لا كلمة الفصل) اى القضاء السابق بتأجيل الجزاء او العدة بان الفصل يكون يوم القيامة (لقضى بينهم) بين الكافرين والمؤمنين او المشركين وشركائهم (وان الظالمين لهم عذاب اليم) وقرئ ان بالفتح عطفا على كلمة الفصل اى ولو لا كلمة الفصل وتقدير عذاب الظالمين فى الآخرة لقضى بينهم فى الدنيا فان العذاب الاليم غالب فى عذاب الآخرة (ترى الظالمين) فى القيامة (مشفقين) خائفين (مما كسبوا) من السيئات (وهو واقع بهم) اى وباله لاحق بهم اشفقوا او لم يشفقوا

امتياز المضاف عن المضاف اليه وكون الامتنان بكونها اطيب بقاعها مستفاد من كون المقام مقام الامتنان ﴿قوله اى مايشتهونه ثابت لهم عند ربهم﴾ يعنى ان قوله عند ربهم ظرف الاستقرار العامل فى لهم فيدل على ان الاشياء حاضرة متهيئة عنده تعالى وليس ظرفا لقوله يشاؤن لانه على الاول يكون قوله مايشاؤن باقيا على عمومه ويكون المعنى جميع مايشتهونه حاصل لهم منه تعالى خاصة بخلاف الثانى فانه يدل على ان مايشاؤن عنده حاصل لهم منه او من غيره ولا يدل على حصول جميع مطالبهم ثم قال ذلك هو الفضل الكبير وهذا تصريح بان الجزآء المرتب على العمل الصالح انما حصل بطريق الفضل لابطريق الاستحقاق ﴿قوله ذلك الثواب الذى﴾ اشارة الى ان ذلك مبتدأ والذى خبره على حذف الموصوف وذلك الموصوف اما الثواب الذى اخبر الله تعالى بانه اعدّه لعباده او التبشير المدلول عليه بقوله الذى يبشر الله عباده فالاشارة على الاول الى ماذكر سابقا من الكرامة المعدّة لهم وحذف الباء التى هى صلة يبشر كما فى قولك امرتك الخير ثم حذف الضمير الراجع الى الموصول كما فى قوله تعالى اهذا الذى بعث الله رسولا فانهم لايجوّزون حذف الجار والمجرور دفعة واحدة وانما يحذفونهما على التدريج الاثادر كما فى قولهم السمن منوان بدرهم وعلى الثانى تكون الاشارة الى مدلول قوله الذى يبشر الله كما فى قولك هذا اخوك لا الى المذكور سابقا اذ لم يتقدم فى هذه السورة لفظ البشرى ولا مايدل عليه والعائد الى الموصول محذوف ايضا لكن لا بقدر الجار والمجرور لان العائد حينئذ فى حكم المفعول المطلق فيتعدى الفعل اليه بنفسه ﴿قوله وقرأ ابن كثير الخ﴾ اختار المصنف قرآءة نافع وعاصم وابن عامر يبشر الله بضم الياء وفتح الباء وكسر الشين مشددة وهو منقول من بشره يبشره بفتح العين فى الماضى وضمها فى المضارع والتشديد فيه للتكثير لا للتعدية لان الثلاثى متعد بنفسه وقرأ الاربعة الباقية من السبعة يبشر بفتح الباء وضم الشين المخففة ولافرق بين القرآءتين من حيث المعنى الابان احداهما فيها معنى التكثير لا فى الاخرى وعلى قرآءة يبشر من باب الافعال يكون منقولا من بشر بكسر الشين فانه لازم يتعدى بنقله الى باب الافعال يقال بشرت بكذا ابشر اى استبشرت به بخلاف بشرت بالفتح فانه متعد ﴿قوله على ماانعاطاه﴾ اى اخوض فيه واباشره وفى الصحاح يقال فلان يتعاطى كذا اى يخوض فيه ﴿قوله نفعا منكم﴾ اشارة الى وجه جواز كون الاستثناء متصلا كما اشار اليه بعطف قوله وقيل الاستثناء منقطع فان ودّهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذا ودّهم اهل قرابته اعترافا بفضلهم ورعاية لحقهم داخل فى جنس النفع الواصل منهم اليه عليه افضل الصلاة والسلام غاية مافى الباب ان يكون اطلاق الاجر على مطلق النفع مجازا بان يكون الاجر عبارة عن العوض المالى الواجب فى مقابلة العمل ﴿قوله ان تودّونى لقرابتى منكم﴾ اى يجوز ان يكون المراد بالمودة مودة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبالقربى القرابة بمعنى الرحم ويكون كلمة فى فى قوله فى القربى بمعنى اللام متعلقة بالمودة فيكون المعنى ان تودّونى لاجل قرابتى منكم كما يقال الحب فى الله اى فى حقه ومن اجله ويجوز ايضا ان يراد بالمودة مودة اهل قرابته ويكون القربى مصدرا كالزلفى والبشرى بمعنى القرابة التى يراد بها الاقارب بتقدير المضاف اى ذوى القرابة واهلها فلا يكون قوله فى القربى ظرفا لغوا متعلقا بالمودة بل يكون ظرفا مستقرا متعلقا بمحذوف منصوب على انه حال من المودة اى الا المودة ثابتة فى القربى متمكنة فيها فتكون كلمة فى على بابها كأنهم جعلوا مكانا للمودة ومقرا لها كقولك لى فى فلان مودة وهذا النظم ابلغ من ان يقال الامودة القربى او المودة للقربى فان قيل كيف يصح ان يكون الاستثناء متصلا والحال انه يفيد كونه عليه الصلاة والسلام طالبا للاجر على تبليغ الوحى وانه لايجوز لوجوه اولها انه تعالى حكى عن اكثر الانبياء تصريحهم بنفى طلب الاجر فقال فى قصة نوح عليه الصلاة والسلام ومااسألكم عليه من اجر الخ وكذا فى قصة هود وصالح ولوط وشعيب عليهم الصلاة والسلام ورسولنا صلى الله عليه وسلم افضل الانبياء وسيد المرسلين فكيف يليق بشأنه ان يطلب الاجر على تبليغ الوحى والرسالة وثانيها انه عليه الصلاة والسلام ايضا صرح بنفى طلب الاجر فقال قل مااسألكم عليه من اجر وماانا من المتكلفين وقال قل ماسألتكم من اجر فهو لكم وثالثها ان التبليغ كان واجبا عليه لقوله تعالى بلغ ماانزل اليك من ربك وطلب الاجر على طلب الواجب لايليق باقل الناس قدرا فضلا عن سيد الكائنات ورابعها ان متاع الدنيا اقل الاشياء واخسها بالنسبة الى الوحى الالهى وعلم النبوة فكيف يصح فى العقل ان يطلب اخس الاشياء بمقابلة اشرف الاشياء وخامسها ان طلب الاجر يوهم التهمة وذلك ينافى القطع بصحة النبوة فثبت بهذه الوجوه انه لايجوز منه عليه الصلاة والسلام ان يطلب الاجر على التبليغ البتة

(والذين آمنوا وعملوا الصالحات فى روضات الجنات) فى اطيب بقاعها وانزهها (لهم مايشاؤن عند ربهم) اى مايشتهونه ثابت لهم عند ربهم (ذلك) اشارة الى ما للمؤمنين (هو الفضل الكبير) الذى يصغر دونه مالغيرهم فى الدنيا (ذلك الذى يبشر الله عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات) ذلك الثواب الذى يبشرهم الله به فحذف الجار ثم العائد او ذلك التبشير الذى يبشره الله عباده وقرأ ابن كثير وابو عمرو وحمزة والكسائى يبشر من بشره وقرئ يبشر من ابشره (قل لااسألكم عليه) على ماانعاطاه من التبليغ والبشارة (اجرا) نفعا منكم (الا المودة فى القربى) ان تودّونى لقرابتى منكم او تودّوا قرابتى وقيل الاستثناء منقطع والمعنى لااسألكم اجرا قط ولكن اسألكم المودة وفى القربى حال منها اى الا المودة ثابتة فى ذوى القربى متمكنة فى اهلها او فى حق القرابة ومن اجلها كما جاء فى الحديث الحب فى الله والبغض فى الله

فكيف يصح ان يصدر منه ما يجرى مجرى طلب الاجر وهو المودة فى القربى * اجيب عنه بانه من قبيل قول من قال

ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتائب

لان حاصله انا لا اطلب منكم الا هذا وهذا فى الحقيقة ليس باجر لان الاجر ما يجب بمقابلة العمل ومودة اقربائه عليه الصلاة والسلام واجبة على قريش وقد روى عن الشعبى انه قال اكثر الناس على ان المراد بالقربى فى هذه الآية على واباه وصاحبيه فكتبنا الى ابن عباس رضى الله عنه نسأله عن ذلك فكتب ابن عباس الينا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان وسط النسب من قريش ليس بطن من بطونهم الا وقد ولده وكان له فيهم قرابة وان فرض انه عليه الصلاة والسلام لم يبعث اليهم نبيا ولم يبلغ اليهم وحى الله تعالى لان اقرباءه عليه الصلاة والسلام ذووا قرابتهم فكانت صلتهم والامتناع من ايذائهم واجبة بحكم المروءة الجبلية فمودتهم فى القربى لا تكون اجر التبليغ لوجوبها عليهم مع قطع النظر من التبليغ فلا يكون عليه الصلاة والسلام طالبا للاجر على التبليغ الا انه عليه الصلاة والسلام سماها اجرا واستثناها منه تشبيها لها به وهذا القدر كاف فى صحة الاتصال ولان حصول المودة بين المسلمين امر واجب قال تعالى والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض وقال عليه الصلاة والسلام المؤمنون كالبنيان يشد بعضه بعضا والآيات والاخبار فى هذا الباب كثيرة واذا كان حصول المودة بين جمهور المسلمين واجبا فحصولها حق اشراف المسلمين واكابرهم اولى فكأنه قيل قل لا اسألكم عليه اجرا الا المودة فى القربى ومن المعلوم ان المودة فى القربى ليست اجرا فى الحقيقة فرجع حاصل الكلام الى انه لا يسأل اجرا البتة ﴿ قوله روى انها لما نزلت قيل يا رسول الله من قرابتك ﴾ الذين وجبت علينا مودتهم يريد ان ليس المعنى الا ان تودونى لقرابتى بل المعنى الا ان تودوا قرابتى وان قرابته كل من حرمت عليهم الصدقة وهم بنوا هاشم وبنوا المطلب وفى الحديث وحرمت الجنة على من ظلم فى اهل بيتى وآذانى فى عترتى ومن اصطنع صنيعة الى احد من ولد عبد المطلب ولم يجازه فانا اجازيه غدا اذا لقينى يوم القيامة * ومن ظن ان هذه نسخت بقوله تعالى قل ما سألتكم من اجر فهو لكم فقد غلط لانه لا يصح ان ينسخ مودة النبى صلى الله عليه وسلم فى كف الاذى عنه ولا مودة آله واقاربه ولا التقرب الى الله تعالى بطاعته لان كل واحد منها من فرائض الدين واصوله فلا يتصور نسخه ﴿ قوله وقيل نزلت ﴾ عطف على معنى قوله ومن يكتسب طاعة سيما حب آله عليه الصلاة والسلام فانه يدل على ان قوله ومن يقترف عام فى كل من يكتسب حسنة ابا بكر كان او غيره وعلى ان قوله حسنة عام فى كل طاعة سواء كانت مودة فى آل رسول الله صلى الله عليه وسلم او غيرها كانه قيل كل واحد من قوله ومن يقترف ومن قوله حسنة عام وقيل كل واحد منهما خاص والعامة على حسنا بالتنوين وهو مصدر على فعل نحو شكر وانتصابه على مفعول به وقرئ حسنى بالف التأنيث بلا تنوين وهو ايضا مصدر على وزن فعلى كالبشرى والرجعى وهو مفعول به ايضا ويحتمل ان يكون صفة كفضلى فيكون وصفا لمحذوف اى خصلة حسنى لما حث على الحسنة المخصوصة وهى ان يودوه عليه الصلاة والسلام لقرابته منهم ويودوا قرابته اى اقرباءه ذكر ان كل من يقترف حسنة واحدة اى حسنة كانت يضاعفها له عشر اضعافها ﴿ قوله بتوفية الثواب والتفضل عليه بالزيادة ﴾ يعنى ان الشكر من الله تعالى يراد به هذا المعنى مجازا لان معناه الحقيقى وهو فعل ينبئ عن تعظيم المنعم بسبب كونه منعما لا يتصور منه تعالى لامتناع ان ينعم عليه احد حتى يقابله بالشكر شبهت اثابته اهل الطاعة وتفضله عليه بالزيادة بالشكر الحقيقى من حيث ان كل واحد منهما يتضمن الاعتداد بفعل الغير واكرامه لاجله ﴿ قوله بل أيقولون ﴾ اشارة الى ان ام منقطعة متضمنة معنى بل الاضرابية وهمزة التوبيخ والكلام المضروب عنه هو الاضراب الاول وهو قوله ام لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله وبيانه انه تعالى لما امر رسوله صلى الله عليه وسلم بان يتلو عليهم قوله شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا الآية وساق الكلام الى ان انتهى الى الاضراب الاول أضرب عن الامر بالتلاوة الى السؤال على سبيل التقرير والتهكم اى ام يتبعون ما شرع لهم شياطينهم من الجن والانس واجرى الكلام حتى بلغ الى مقام الاضراب الثانى فوبخهم على امر آخر اعظم من الاول وهو نسبة الافتراء الى اكرم خلق الله تعالى فقال ام يقولون اى أيتفوهون بهذه العظيمة وهى ان محمدا صلى الله عليه وسلم شرع من تلقاء نفسه هذا الذى دعاكم اليه وسماه دينا وذكر انه تعالى وصى به الانبياء السابقة وامرهم ان يتمسكوا به وان يأمروا اممهم بالتدين به وهذا معنى

روى انها لما نزلت قيل يا رسول الله من قرابتك هؤلاء قال على وفاطمة وابناهما وقيل القربى التقرب الى الله اى الا ان تودوا الله ورسوله فى تقربكم اليه بالطاعة والعمل الصالح وقرئ الا مودة فى القربى (ومن يقترف حسنة) ومن يكتسب طاعة سيما حب آل الرسول وقيل نزلت فى ابى بكر رضى الله عنه ومودته لهم (نزد له فيها) اى فى الحسنة (حسنا) بمضاعفة الثواب وقرئ يزد اى يزد الله وحسنا حسنى (ان الله غفور) لمن اذنب (شكور) لمن اطاع بتوفية الثواب والتفضل عليه بالزيادة (ام يقولون) بل أيقولون (افترى على الله كذبا) افترى محمد بدعوى النبوة او القرآن

قوله افترى على الله كذبا و المعنى ايقولون انه عليه الصلاة والسلام كاذب فى دعوى انه تعالى ارسله نبيا ودعوى ان القرآن كلام الله تعالى اوحى اليه بواسطة الملك و انه مفتر عليه تعالى فى ذلك لانه تعالى لم يجعله نبيا و لم يوح اليه شيأ و انه انما جاء به من تلقاء نفسه و قيل ام متصلة معادلة لهمزة الاستفهام المحذوفة و التقدير أيصدقونك فيما تبلغه اليهم ام يقولون افترى على الله كذبا و لم يوح اليه شئ و على تقدير كونها منقطعة يكون هذا الاضراب معطوفا على الاضراب الاوّل و ادخل فى افادة الانكار و التوبيخ منه لان اتباعهم شرع الشياطين و ان كان قبيحا و شرّا عظيما الا انه ليس يحمل دعواه النبوّة و دعواه ان القرآن كلام الله المنزل عليه الموحى اليه ادّعاء لهما من تلقاء نفسه افترآء عليه تعالى فى نسبة بعثه اليه و انزاله عليه لان دلائل صدقه عليه الصلاة و السلام فى كل واحد منهما بلغت فى القوّة و الكثرة الى حيث سقط معها احتمال كونه عليه الصلاة و السلام كاذبا مفتريا كأنه قيل أيجدون من انفسهم ان ينسبوا مثله الى الافترآء ثم الى الافترآء على الله و هو اعظم الفرى و افحشها ﴿قوله استبعاد للافترآء عن مثله﴾ لما كان ظاهر النظم يدل على ان المقصود منه المبالغة فى استبعاد الافترآء عن مثله كأنه قيل من كان مثلك فى كونه اعرف خلق الله تعالى به و اخشاهم منه و اكرمهم عنده منزلة بحيث يكون آدم عليه الصلاة و السلام و من دونه تحت لوائه كيف يصح ان يفترى عليه فان الافترآء عليه لا يصدر الا ممن كان مختوما على قلبه جاهلا بربه ابعد خلق الله تعالى منه و اما صدوره عمن هو مثلك فبعيد كل البعد و انما يتوهم ذلك منه ان لو كان ممن ختم الله تعالى على قلبه فكان بحيث لا يميز بين الحق و الباطل و من البين المكشوف كنهك فمن اين يتصوّر منك ان تفترى عليه تعالى و عن قتادة يختم الله على قلبك اى ينسيك القرآن و يقطع عنك الوحى يعنى لو كذب على الله و افترى لانساه القرآن و لقطع عنه الوحى و لما جعل خيرا بسبب ختم قلبه فعلى هذا يكون الكلام استدلالا على عدم كونه مفتريا بانتفاء لازمه كما انه على الاوّل استبعاد لاصل الافترآء عليه ﴿قوله استئناف﴾ يعنى تم الكلام بذكر قوله تعالى فان يشأ الله يختم على قلبك و قوله و يمح الله الباطل ليس مجزوما بالعطف على جزآء الشرط لانه تعالى يمحو الباطل مطلقا لا معلقا بالشرط و لانه لو كان مجزوما به لما انعطف عليه ما بعده مرفوعا و هو قوله و يحق الحق و سقط لام الفعل منه لفظا لالتقاء الساكنين حال الوصل و خطا ايضا حملا على اللفظ كما فى قوله تعالى و يدع الانسان بالشرّ و قوله سندع الزبانية استبعد الله تعالى اوّلا صدور الافترآء على الله تعالى عن مثله عليه الصلاة و السلام ثم اقام الدليل على انه عليه الصلاة و السلام ليس مفتريا و تقرير الدليل ان من عادته تعالى ان يمحو الباطل و يثبت الحق بوحيه او بقضائه فلو كان عليه الصلاة و السلام مبطلا كذابا لما أيده بالقوّة و النصرة بل يفضحه و يكشف عن باطله و لما لم يكن الامر كذلك علنا انه ليس من الكذابين المفترين على الله تعالى ثم انه تعالى لما انكر على المشركين و وبخهم على اتباعهم ما شرع لهم شياطينهم و نسبتهم اياه عليه الصلاة و السلام الى اصل الافترآء على الله تعالى الذى هو اعظم الفرى و افحشها دعاهم الى التوبة و عرّفهم انه يقبلها من كل مسيئ و ان عظمت اساءته فقال و هو الذى يقبل التوبة عن عباده ان من اولياؤه و اهل طاعته و يدل عليه اضافة التشريف فى عباده و اقل ما لابدّ منه للتائب الندم على الماضى و الترك فى الحال و العزم على ان لا يعود اليه فى المستقبل ﴿قوله تضمنه معنى الاخذ و الابانة﴾ من قبيل اللف و النشر المرتب فتضمنه معنى الاخذ تعدّى اليه بمن فيقال قبلته منه اى اخذته منه و جعلته مبدأ قبولى و تضمنه معنى الابانة و التفريق تعدّى بعن فيقال قبلته عنه اى عزلته و ابنته عنه و قوله تعالى و يعفو عن السيئات معناه يعفو عن الكبائر اذا تيب عنها و عن الصغائر اذا اجتنبت الكبائر كما ذكره الزمخشرى بناء على مذهبه و ذلك لان عفو ما تيب عنه هو عين قبول التوبة و التجاوز عما تيب عنه فيتحد المعطوف و المعطوف عليه مع ان العطف يقتضى التغاير بل المعنى ان الله تعالى من شأنه ان يقبل التوبة من عباده اذا تابوا و ان يعفو عن سيئاتهم صغيرها و كبيرها التى هى غير الشرك لمن يشاء بمحض رحمته او بشفاعة شافع و ان لم يتوبوا و هو مذهب اهل السنة و قالوا ايضا لا يجب عليه تعالى شئ من قبول التوبة و غيرها و احتجوا عليه بهذه الآية فقالوا انه تعالى تمدّح بقبول التوبة و لو كان قبولها واجبا عليه لما حصل التمدّح العظيم به و قالت المعتزلة يجب ذلك عليه تعالى عقلا ﴿قوله و قرأ الكوفيون غير ابى بكر﴾ اى قرأ حمزة و الكسائى و حفص عن عاصم يفعلون بالياء من تحت نظرا الى قوله من عباده و قوله بعده و يزيدهم من فضله و الباقون بتاء الخطاب التفاتا للناس عامة او خطابا للمشركين ﴿قوله اى يستجيب الله لهم او يستجيبون لله﴾ يجوز ان يكون قوله الذين آمنوا فى محل النصب

(فان يشأ الله يختم على قلبك) استبعاد للافترآء عن مثله بالاشعار على انه انما يجترئ عليه من كان مختوما على قلبه جاهلا بربه فاما من كان ذا بصيرة و معرفة فلا و كأنه قال ان يشأ الله خذلانك يختم على قلبك لتجترئ بالافترآء عليه و قيل يختم على قلبك يمسك القرآن و الوحى عنه او يربط عليه بالصبر فلا يشق عليك اذاهم (و يمحو الله الباطل و يحق الحق بكلماته انه عليم بذات الصدور) استئناف لنفى الافترآء عما يقوله بانه لو كان مفترى لمحقه اذ من عادته تعالى محو الباطل و اثبات الحق بوحيه او بقضائه او بوعده بمحو باطلهم و اثبات حقه بالقرآن او بقضائه الذى لا مردّ له و سقوط الواو من يمح فى بعض المصاحف لاتباع اللفظ كما فى قوله و يدع الانسان بالشرّ (و هو الذى يقبل التوبة عن عباده) بالتجاوز عما تابوا عنه و القبول يعدّى الى مفعول ثان بمن او عن لتضمنه معنى الاخذ و الابانة و قد عرفت حقيقة التوبة و عن علىّ هى اسم يقع على ستة معان على الماضى من الذنوب الندامة و لتضييع الفرآئض الاعادة و ردّ المظالم و اذابة النفس فى الطاعة كما ربيتها فى المعصية و اذاقتها مرارة الطاعة كما اذقتها حلاوة المعصية و البكاء بدل كل ضحك ضحكته (و يعفو عن السيئات) صغيرها و كبيرها لمن شاء (و يعلم ما تفعلون) فيجازى و يتجاوز عن اتقان و حكمة و قرأ الكوفيون غير ابى بكر ما يفعلون بالياء (و يستجيب الذين آمنوا و عملوا الصالحات) اى يستجيب الله لهم فحذف اللام كما حذف فى و اذا كالوهم و المراد اجابة الدعاء و الاثابة على الطاعة فانها كدعاء و طلب لما يترتب عليه و منه قوله عليه الصلاة و السلام افضل الدعاء الحمد لله او يستجيبون لله بالطاعة اذا دعاهم اليها

على انه مفعول به و اصل الاستجابة ان تعدى باللام كما فى قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم اى اجيبوا له ولرسوله فان استجاب و اجاب بمعنى • قال صاحب الكشاف فى تفسير سورة القصص الاستجابة تتعدى الى الدعاء بنفسها و الى الداعى باللام و يحذف الدعاء اذا تعدت الى الداعى فى الغالب فيقال استجاب الله دعاءه و استجاب له و لا يكاد يقال استجاب له دعاءه • فان قلت قد تعدى الى الداعى بنفسه فى قوله

وداع دعا يامن يجيب الى الندا • فلم يستجبه عند ذاك مجيب

قلت معناه فلم يستجب دعاءه مجيب على حذف المضاف الا انه حذف اللام لعلم بها كما فى قوله تعالى و اذا كالوهم او وزنوهم يخسرون و فاعل يستجيب مضمر فيه يعود على الله ثم الاجابة يجوز ان يكون مجازا من الاثابة على الطاعة فان الطاعة لما شابهت الدعاء فيما يترتب عليها من الثواب كانت الاثابة عليها بمنزلة اجابة الدعاء فعبر عن الاثابة بالاجابة على سبيل الاستعارة كما يعبر بالدعاء عن الطاعة قال عطاء عن ابن عباس يستجيبهم اى يثيبهم على طاعتهم و يزيدهم من فضله سوى ثواب اعمالهم تفضلا عليهم و يجوز ايضا ان يكون الذين آمنوا فى محل الرفع على انه فاعل يستجيب و يكون المفعول محذوفا اى يستجيبون الله بالطاعة اذا دعاهم اليها على ان استجاب بمعنى اطاع او اجاب و يؤيد كون الموصول فاعل يستجيب ما روى انه قيل لابراهيم بن ادهم مابالنا ندعو فلا يستجاب لنا فقال لانه دعاكم فلم تجيبوه ثم قرأ قوله تعالى والله يدعو الى دار السلام اى انه تعالى دعاهم و قرأ قوله و يستجيب الذين آمنوا فاشار بقرآءة قوله والله يدعو الى دار السلام الى انه تعالى دعاهم و بقرآءة قوله و يستجيب الذين آمنوا الى انه لم يجب الى دعائه الا البعض ﴿ قوله على ماسألوا ﴾ على ان تكون الاستجابة فعل الله و يكون المعنى و يجيب الله دعاء المؤمنين اذا دعوه بان تكون الاجابة على اصل معناها و قوله واستحقوا على ان يكون الفعل لله تعالى و يكون بمعنى الاثابة و قوله واستوجبوا له اى استحقوا به على ان الفعل لهم و يكون بمعنى الاطاعة ﴿ قوله لتكبروا ﴾ فان البغى قد يكون بمعنى التكبر فيكون المعنى لتعلوا ماينبغى الكبر من العلو فى الارض و الفساد و الوجه فى كون البسط مستلزما له ان الانسان متكبر بالطبع فاذا وجد الغنى و القدرة عاد الى مقتضى خلقته الاصلية وهى التكبر و اذا وقع فى شدة و بلية انكسر وعاد الى التواضع و الطاعة و قد يكون بمعنى الظلم اى لظلم بعضهم بعضا و وجه تعلق الآية بما قبلها انه تعالى لما قال فى الآية الاولى انه يجيب دعاء المؤمنين او يثيبهم على طاعتهم و يزيدهم على الثواب الذى استحقوه بها او انهم يستجيبون ربهم بالطاعة اذا دعاهم اليها و يزيدهم هو تعالى على ما استحقوه بالاستجابة تفضلا و كرما ورد عليه ان يقال مقتضى الآية على جميع التقادير ان يكون المؤمن فى سعة و رفاهية اما بان يجيب الله تعالى دعاءه او بان يزيده على ما استحقه من الكرامة و الحال ان المؤمن كثيرا ما يبتلى بالشدة و انواع البلية و الفقر الى ان يموت و لا يظهر فيه اثر الاجابة و الزيادة فكيف الجمع بين هذه الحالة و بين قوله تعالى و يستجيب الذين آمنوا فاجاب الله تعالى بان شأنه تعالى ذلك الا ان اثر الاستجابة لا يجب ان يظهر فى الدنيا فانه تعالى يدبر امر الانسان فى الدنيا على ما تقتضيه الحكمة فيفقر و يغنى و يقبض و يبسط و لو اغناهم جميعا لبغوا و لو افقرهم جميعا لهلكوا ﴿ قوله وهذا على الغالب ﴾ جواب عما يقال من ان البغى قد يكون مع الفقر فلم شرط البسط فيه فانه كم من مقبوض عليه يبغى و كم من مبسوط له بضده • و تقرير الجواب نعم ان ذلك قد يكون الا ان الغالب ان يكون البسط مؤديا الى البغى و الفقر مؤديا الى الانكسار و التواضع فلذلك جعل البغى مشروطا بالبسط ﴿ قوله فيقدر لهم ماناسب من شأنهم ﴾ روى انس بن مالك عن النبى صلى الله عليه وسلم عن جبريل عليه الصلاة و السلام عن الله عز و جل فى حديث طويل انه قال يقول الله عز و جل ما ترددت فى شىء انا فاعله ترددى فى قبض روح عبدى المؤمن يكره الموت و اكره مساءته و لابد له منه و ان من عبادى المؤمنين لمن يسألنى الباب من العبادة فاكفه عنه لئلا يدخله العجب و يفسده ذلك و ان من عبادى المؤمنين لمن لا يصلح ايمانه الا الفقر و لو اغنيته لافسده ذلك و ان من عبادى المؤمنين لمن لا يصلح ايمانه الا الصحة و لو اسقمته لافسده ذلك و ان من عبادى المؤمنين لمن لا يصلح ايمانه الا السقم و لو صححته لافسده ذلك انى ادبر امر عبادى بعلمى بقلوبهم انى عليم خبير ﴿ قوله اذا اخصبوا ﴾ اى اذا اصابهم الخصب و الرخاء وهو ضد اجدبوا اذا اصابهم الجدب و القحط و صاروا اليه ﴿ قوله انتجعوا ﴾ اى طلبوا و تضرعوا من النجعة بالضم وهو طلب الكلا فى موضعه و تقول منه انتجعت فلانا اذا اتيته تطلب معروفه قال شاعرهم

(و يزيدهم من فضله) على ماسألوا و استحقوا و استوجبوا له بالاستجابة (والكافرون لهم عذاب شديد) بدل ما للمؤمنين من الثواب والتفضل (ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الارض) لتكبروا و افسدوا فيها بطرا او لبغى بعضهم على بعض استيلاء واستعلاء وهذا على الغالب واصل البغى طلب تجاوز الاقتصاد فيما يتحرى كمية او كيفية (ولكن ينزل بقدر) بتقدير (ما يشاء) ما اقتضته مشيئته (انه بعباده خبير بصير) يعلم خفايا امرهم و جلايا حالهم فيقدر لهم ما ناسب شأنهم روى ان اهل الصفة تمنوا الغنى فنزلت وقيل فى العرب كانوا اذا اخصبوا تحاربوا و اذا اجدبوا انتجعوا

* وقت جعل الوسمي ينبت بيننا * وبين بني رومان نبعا وشوحطا *

النبع والشوحط شجران يتخذ منهما القوس والنشاب والوسمي مطر الربيع الاوّل سمي به لانه يسم الارض اي يؤثر فيها سمة النبات نسب الى الوسم والمراد به ما يتفرع عليه من الغنى والخصب يعني انهم لما مطروا واخصبوا اعدّوا المراكب وطلبوا القسي والاوتار والسهام وحاربوهم فصار كأن المطر والخصب انبت آلة الحرب وهي القسي والسهام ورومان بضم الراء اسم رجل ثم انه تعالى لما بين انه لا يعطيهم بما زاد على ما تقتضيه الحكمة لاجل علمه بان اعطاء ذلك يضرهم في دينهم بين انهم اذا احتاجوا الى الرزق فانه يرزقهم ولا يتركهم جوعا فقال وهو الذي ينزل الغيث خص اسم الغيث بالذكر دون المطر لاختصاص الغيث بما يبرز لرحمة ونفعا فانه اسم للمطر الذي يغيث الناس من الجدب ﴿قوله ولذلك﴾ اي ولكون اسم الغيث منبئا عن معنى الاغاثة من الجدب خص بالمطر النافع دون الضارّ والاعم منهما ولما كان حصول النعمة بعد اشتداد البلية اقصى مراتب الاغاثة وجالبا لكمال الفرح والمسرة اردفه بقوله من بعد ما قنطوا لمزيد الامتنان واستدعاء الشكر ﴿قوله وينشر رحمته في كل شئ﴾ اشارة الى ان ضمير رحمته لله تعالى وان قوله تعالى وينشر رحمته بعد قوله وهو الذي ينزل الغيث مع ان الغيث رحمة بالغة تعميم بعد التخصيص اي من باب عطف العام على الخاص كأنه قيل ينزل الرحمة التي هي الغيث وينشر سائر انواع الرحمة ويجوز ان يكون ضمير رحمته للغيث ويكون المعنى وينشر بركات الغيث ومنافعه وما يحصل به من الخصب ولما كان محصول هذه الآية بيان ما يدل على تفرده بالالوهية اورد آية اخرى تدل عليه فقال ومن آياته خلق السموات والارض الآية ﴿قوله من حي﴾ اشارة الى جواب ما يقال من ان المبثوث في السموات هو الملائكة فكيف يجوز اطلاق لفظ الدابة عليهم مع انه اسم لما يدب على الارض اي يمشي عليها وهم طيارون في السماء لا ماشون على الارض * اجاب عنه اولا بان الدابة مجاز عن الحي على طريق اطلاق اسم المسبب على السبب فان الحياة سبب للدبيب فاطلق عليها اسم الدبيب وعلى الدابة ولا شك ان الملائكة احياء وثانيا بان المراد بالدابة معناه اللغوي وهو ما يدب على الارض والدابة بهذا المعنى وان كانت مبثوثة في الارض فقط الا انها جعلت مبثوثة فيهما بناء على ان ما يكون في احد الشيئين يصدق عليه انه فيهما في الجملة ومنه قوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وانما تخرج من الملح لا من العذب وقد يسند الفعل الصادر من واحد من الجماعة اليهم جميعا لوقوعه فيما بينهم فيقال بنو فلان فعلوا كذا وانما فعله واحد منهم ولما بين انه خلقها متفرقة بين ان خلقها كذلك لا لعجز ولكن لمصلحة وهو قادر على جمعهم ايضا اي وقت شاء بمعنى الجمع للحشر والجزاء والحساب فقال وهو على جمعهم اذا يشاء قدير ﴿قوله وهو﴾ مبتدأ وقدير خبره وعلى جمعهم متعلق بقدير واذا يشاء ظرف لجمعهم لا لقوله قدير لان اذا ظرف لما يستقبل وقدرته تعالى ازلية وغير معلقة بالمشيئة ﴿قوله واذا كما تدخل على الماضي﴾ لما كان اذا للقطع والماضي هو الذي يدل على القطع كان دخوله على الماضي اصلا وعلى المضارع لمشابهه ولما كان الجمع المذكور في قوله وهو على جمعهم اذا يشاء قدير جمعا للحساب والجزاء بين الله تعالى انه مطهر عبده المؤمن من جناياته بانواع من المصائب ليخفف عنه اثقاله في القيامة فقال وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم من المعاصي لان ما اصاب الذين من اهل الايمان من المكاره كالآلام والاسقام والقحط والغرق والصواعق ونحوها عقوبات على الذنوب السالفة ويعفو الله تعالى عن كثير من ذنوبهم فلا يعاقب بها بحكم هذه الآية الكريمة * عن الحسن انه قال لما نزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ما من خدش عود ولا عثرة قدم ولا اختلاج عرق الا بذنب وما يعفو الله عنه اكثر * وعن علي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير آية في كتاب الله تعالى وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير ثم قال يا علي ما من خدش عود ولا عثرة قدم ولا نكبة حجر الا بذنب وما يعفو الله عنه اكثر وما عاقب الله عبده في الدنيا بذنب فالله ارحم من ان يثني عليه عقوبته في الآخرة وما عفا الله عن عبده في الدنيا من ذنب فالله اكرم من ان يعود فيما قد عفا عنه * رواه الواحدي في الوسيط وقال اذا كان كذلك فهذه ارجى آية في كتاب الله تعالى لان الله تعالى جعل ذنوب الذين صنفين صنف كفره عنهم بالمصائب وصنف عفا عنه في الدنيا وهو كريم لا يرجع في عفوه وهذه سنة الله تعالى في ذنوب المؤمنين واما الكافر فلا يعاجل له عقوبة ذنبه حتى يوافي به يوم القيامة والآية مخصوصة بالذين من اهل الايمان واما الانبياء عليهم الصلاة والسلام والصبيان والمجانين فما اصابهم من الم ونكبة فليثابوا به في الآخرة او لحكمة لا نعلمها

(وهو الذي ينزّل الغيث) المطر الذي يغيثهم من الجدب ولذلك خص بالنافع وقرأ نافع وابن عامر وعاصم ينزّل بالتشديد (من بعد ما قنطوا) ايسوا منه وقرئ بكسر النون (وينشر رحمته) في كل شئ من السهل والجبل والنبات والحيوان (وهو الولي) الذي يتولى عباده باحسانه ونشر رحمته (الحميد) المستحق للحمد على ذلك (ومن آياته خلق السموات والارض) فانها بذاتها وصفاتها تدل على وجود صانع قادر حكيم (وما بث فيهما) عطف على السموات او الخلق (من دابة) من حي على اطلاق اسم المسبب على السبب او مما يدب على الارض وما يكون في احد الشيئين يصدق انه فيهما في الجملة (وهو على جمعهم اذا يشاء) في اي وقت يشاء (قدير) متمكن منه واذا كما تدخل على الماضي تدخل على المضارع (وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم) فبسبب معاصيكم

(الا انه)

الا الله تعالى مع ان قوله تعالى ما اصابكم وايديكم خطاب مع من يفهم ويعقل فلا يدخل فيه الاطفال والمجانين والبهائم ومنهم من انكر كون المكاره المذكورة اجزية للذنوب السالفة استدلالا بان الدنيا دار تكليف والجزآء انما يحصل يوم القيامة لقوله تعالى اليوم تجزون ما كنتم تعملون اليوم تجزى كل نفس بما كسبت ولقوله مالك يوم الدين اى يوم الجزآء فاجمعوا على ان المراد به يوم القيامة وحملوا قوله تعالى فبما كسبت ايديكم على ان الاصلح عند اتيانكم بذلك المكسوب ازال هذه المصائب عليكم ﴿ قوله ولم يذكرها ﴾ اى ولم يذكر الفاء بل قرأ بما كسبت بغير فاء والظاهر على هذه القرآءة ان تكون ما موصولة بمعنى الذى وبما كسبت خبرها والموصولة التى صلتها فعل وان تضمنت معنى الشرط الا ان ذلك يجوز دخول الفاء فى خبرها ولا يوجبه وقيل انها شرطية حذفت الفاء من جوابها كما فى قوله تعالى وان اطعتموهم انكم لمشركون وقوله من قال من يفعل الحسنات الله يشكرها فان الجواب اذا كان جملة اسمية يجب دخول الفاء ولا يجوز حذفها عند جمهور النحاة وانما يجوز حذفها عند الاخفش وبعض البغداديين ثم انه تعالى ذكر آية اخرى تدل على وجود الاله القادر الحكيم وهى ان هذه السفن العظيمة التى فى عظمها وثقلها كالجبال تجرى على وجه البحر عند هبوب الرياح على اسرع الوجوه وعند سكون الرياح تقف ومن المعلوم ان محرك الرياح ومسكنها هو الله تعالى اذ لا يقدر على تحريكها ولا على تسكينها احد من البشر فيكون جرى السفن ووقوفها من الآيات الدالة على وجود الاله القادر الحكيم ووقوفها على الماء مع غاية ثقلها آية اخرى وفى تسخير السفن على الوجه المذكور حكمة بالغة ومنة عظيمة له تعالى علينا فانه تعالى خص كل جانب من جوانب الارض بنوع آخر من الامتعة فاذا نقل متاع هذا الجانب بالسفن الى الجانب الآخر وبالعكس حصلت المنافع العظيمة للتجار فلهذه الاسباب ذكر الله تعالى حال السفن الجارية قرأ نافع وابو عمرو الجوارى بالياء حال الوصل دون الوقف وقرأ ابن كثير بالياء حال الوصل والوقف والباقون بحذف الياء فى الوصل والوقف فاثبات الياء على الاصل وحذفها للتخفيف والجوارى جمع جارية وهى السائرة فى البحر والمراد بها السفن فحذف الموصوف لعدم الالتباس فان قوله فى البحر قرينة معينة للمراد فلا يرد ان يقال الصفة متى لم تكن خاصة بموصوفها امتنع حذف الموصوف فلا يقال مررت بماش لان المشى من الصفات العامة والجرى ليس من الصفات الخاصة بالسفن فلم حذف موصوفها ويجوز ان يقال الجوارى وان كان فى الاصل من الصفات المشتقة كما ذكر الا انه صار بمنزلة الاسماء الجامدة لكونه اسما للسفن بالغلبة قال تعالى لما طغى الماء حملناكم فى الجارية يعنى السفينة فلا حاجة الى تقدير الموصوف والاعتذار لحذفه وقوله فى البحر متعلق بالجوارى اذا لم ينزل منزلة الجامد بان يكون الجارية اسما للسفينة بالغلبة ويكون فى البحر حالا منه او صفة له اى كائنة فى البحر او الكائنة فيه وكذا قوله كالاعلام واتفقوا على ان المراد بالاعلام الجبال واستشهدوا على اطلاق العلم على الجبل بقول الخنساء فى مرثية اخيها صخر

وان صخرا لتأتم الهداة به ٭ كأنه علم فى رأسه نار ٭

روى ان النبى صلى الله عليه وسلم استنشد قصيدتها هذه فلما وصل الراوى الى هذا البيت قال قاتلها ما رضيت بتشبيهه بالجبل حتى جعلت فى رأسه نارا ﴿ قوله فيبقين ثوابت ﴾ كأنه اشارة الى ان يظللن ليس بمعنى انهن يركدن ويبقين بالنهار دون الليل وهو اصل معناه يقال ظللت اعمل كذا بالكسر ظلولا اذا عملته بالنهار دون الليل ولا وجه لتقييد ركودهن بوقت الظلول وهو النهار فالمناسب ان يكون يظللن رواكد بمعنى يصرن ثوابت بعد ما كانت جوارى برياح طيبة وقوله يبقين ثوابت بيان لحاصل المعنى ﴿ قوله تعالى ان فى ذلك ﴾ اى فى اجرآء السفن بارسال الريح الملائمة مع القدرة على اسكان الريح المستلزم لكونها ثوابت على ظهر البحر ﴿ قوله لكل من وكل همته ﴾ اى استعملها واستعان بها على الصبر اى على حبس النفس على النظر فى آيات الله تعالى والاعتبار بها والتفكر فى آلائه المؤدى الى ادآء شكرها بقدر الطاقة فالشكر نتيجة الصبر على النظر والتفكر المذكورين ﴿ قوله او لكل مؤمن كامل ﴾ اى كامل فى رعاية حقوق الايمان وثمراتها بان يكون آتيا بجميع ما كلف به من الافعال والتروك فيكون مجموع قوله صبار شكور كناية واحدة عن المؤمن الموصوف لان مرجع ما فيه من الاوصاف والاحوال الى الصبر على مرارة الطاعة ومرارة كف النفس عن المحرمات اللذيذة للنفس الامارة والى الشكر على ما اعطاه الله من النعماء فان المؤمن لا يخلو من السرآء والضرآء فان كان فى السرآء شكر وان كان فى الضرآء صبر ولا يشغلهما

والفاء لان ما شرطية او متضمنة معناه ولم يذكرها نافع وابن عامر استغناء بما فى الباء من معنى السببية (ويعفو عن كثير) من الذنوب فلا يعاقب عليها والآية مخصوصة بالمجرمين فان ما اصاب غيرهم فلاسباب أخر منها تعريضه للاجر العظيم بالصبر عليه (وما انتم بمعجزين فى الارض) فائتين ما قضى عليكم من المصائب (وما لكم من دون الله من ولى) يحرسكم منها (ولا نصير) يدفعها عنكم (ومن آياته الجوار) السفن الجارية (فى البحر كالاعلام) كالجبال قالت الخنساء

وان صخرا لتأتم الهداة به ٭
كأنه علم فى رأسه نار ٭

(ان يشأ يسكن الريح) وقرأ نافع الرياح (فيظللن رواكد على ظهره) فيبقين ثوابت على ظهر البحر (ان فى ذلك لآيات لكل صبار شكور) لكل من وكل همته وحبس نفسه على النظر فى آيات الله والتفكر فى آلائه او لكل مؤمن كامل فان الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر

فى تلك الحالتين الامن آمن بالله و اليوم الآخر وهذا كما يكنى بمجموع الطويل العريض العميق عن الجسم و بمجموع حى مستوى القامة عريض الاظفار عن الانسان **﴿قوله او يهلكهن﴾** اى او يهلك اصحابهن باغراق السفن بالريح العاصفة اى الشديدة يقال عصفت الريح اذا اشتدت و الايباق الاهلاك فقوله او يوبقهن" معطوف على المجزوم قبله و هو يسكن و المعنى ان يشأ يوبقهن" ثوابت على ظهر البحر باسكان الريح او يهلكهن" فهو من حيث اللفظ معطوف على قوله فيظللن رواكد على ظهره لانه الذى تعلق به المشيئة و من حيث المعنى معطوف على ارسال الريح العاصفة المغرقة فاقتصر على المقصود و لم يتعرض لسببه اعتمادا على دلالة المقام عليه بل عطف المقصود الثانى على سبب المقصود الاول و اشار اليه بقوله و اصله او يرسلها فيوبقهن يعطفه على جواب الشرط مع ما عطف عليه فان يسكن جواب الشرط و قوله فيظللن عطف عليه و سبب مقصود منه و حذف من المعطوف السبب و اقتصر على المقصود للاختصار و عدم الالتباس كما اقتصر على المقصود فى قوله و يعف عن كثير فان انجاء الكثير بطريق العفو ايضا مسبب عن ارسال الريح عاصفة و قوله و يعف مجزوم معطوف على قوله يوبقهن" فكما ان الايباق مسبب عن الارسال فكذا الانجاء و العفو **﴿قوله عطف على علة مقدرة﴾** قرأ من عدا نافع و ابن عامر من السبعة و يعلم بالنصب وذكر المصنف لهذه القرآءة وجهين الاول انه عطف على علة مقدرة للايباق المرتب على مشيئة ارسال الريح عاصفة كانه قيل او ان يشأ يرسلها عاصفة فيوبقهن بما كسبوا لينتقم منهم و ليعلم الذين يجادلون رسول الله صلى الله عليه وسلم و اتباعه و يكذبونهم ان لا مخلص لهم من عقاب الله اذا عاقبهم فانهم اذا علموا ان السفن اذا ركدت على متن البحر باسكان الريح او غرقت فى البحر بارسالها عاصفة عرفوا ان لا محيص لهم من هذه الورطة غير الله تعالى فيعلمون لا محالة ان لا مخلص لهم من عقابه اذا عاقبهم و العطف على العلة المقدرة كثير فى القرآن منه قوله تعالى فى سورة مريم و لنجعله آية للناس تقديره لنبين له قدرتنا و لنجعله آية و قوله تعالى فى الجاثية خلق الله السموات و الارض بالحق و لتجزى كل نفس بما كسبت اى ليدل بها على قدرته و لتجزى كل نفس الا ان ذلك فى هاتين الآيتين مع وجود حرف التعليل و لم يوجد فيما نحن فيه و الثانى انه معطوف على جزآء الشرط الا انه نصب باضمار أن كما تقول ما تصنع اصنع و اكرمك بالنصب و ان شئت قلت و اكرمك بالرفع على تقدير و انا اكرمك و اذا نصبت يكون باضمار أن و تكون فى محل الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف او على انه مبتدأ حذف خبره اى و شأنى اكرامك او و على اكرامك فمعناه مثل معنى الرفع فى القطع و الاستئناف مع زيادة مبالغة فى المعنى و الكوفيون يسمون هذه الواو واو الصرف لكونها صارفة للمعطوف عن اعراب ما قبله و المعطوف على المجزوم اذا صرف عنه نصب **﴿قوله و نصب نصب الواقع جوابا للاشياء الستة﴾** جواب عما يقال المضارع انما ينتصب بعد الواو و الفاء بان مضمرة اذا وقع بعد الاشياء الستة التى هى الامر و النهى و النفى و الاستفهام و التمنى و العرض و يعلم لم يقع بعد شئ منها فكيف جاز ان ينتصب بان مضمرة و تقرير الجواب انه انتصب المضارع الواقع بعد الجزآء بان المضمرة كما ينتصب الواقع بعد الاشياء الستة تشبيها للجزآء بالاشياء الستة من حيث ان مضمون كل واحد منهما ليس محقق الوجود اما مضمون تلك الاشياء فظاهر و اما مضمون الجزآء فلكون وجوده مشروطا بوجود الشرط و وجود الشرط مفروض مقدر فلم يكن شئ منهما موجودا حقيقة فلما شابه الجزآء تلك الاشياء صار الواقع بعد الجزآء كالواقع بعدها فانتصب بان المضمرة و انتصب المضارع بعد الفاء فى قول الشاعر

⊙ سأترك منزلى لبنى تميم ⊙ وألحق بالحجاز فاستريحا ⊙

يعنى ان المضارع غير ثابت المعنى كالتمنى و الترجى و نحوهما فلذلك جاز أن ينتصب ألحق و ما بعده و ان لم يقع بعد الاشياء الستة و لا بعد الجزآء قيل فى توجيهه انه لما كان مستقبلا ضارع النفى و حمله الرضى على ضرورة الشعر **﴿قوله بالرفع على الاستئناف﴾** ثم الاستئناف اما بجملة فعلية على ان يكون الموصول مع صلته فى محل الرفع على انه فاعل يعلم و اما بجملة اسمية على ان يكون فى محل النصب على انه مفعول يعلم و فاعله مستتر فيه راجع الى المبتدأ المقدر قبله اى و هو يعلم الذين الخ و على التقديرين تكون هذه الجملة معطوفة على جملة قوله و من آياته الجوارى اى و من آياته الدالة على كمال القدرة السفن الجارية فى البحر ثم ذكر ان وجه الدلالة انها مسخرة تحت امره الذى يتضمن تارة نفع من فيها و تارة بالعكس ثم قال و يعلم الذين يعاندون و لا يعترفون بآيات الله الباهرة ما لهم من محيص و هذه الجملة المنفية فى محل النصب لسدها مسد مفعولى العلم علق عنها الفعل بحرف النفى **﴿قوله وقرئ بالجزم﴾** فيكسر

(او يوبقهن") او يهلكهن" بارسال الريح العاصفة المغرقة و المراد اهلاك اهلها لقوله (بما كسبوا) و اصله او يرسلها فيوبقهن" لانه قسيم يسكن فاقتصر فيه على المقصود كما فى قوله (و يعف عن كثير) اذ المعنى او يرسلها عاصفة فيوبق ناسا بذنوبهم و ينج ناسا على العفو عنهم و قرئ" و يعفو على الاستئناف (و يعلم الذين يجادلون فى آياتنا) عطف على علة مقدرة مثل لينتقم منهم و يعلم او على الجزآء و نصب نصب الواقع جوابا للاشياء الستة لانه ايضا غير واجب و قرأ نافع و ابن عامر بالرفع على الاستئناف و قرئ" بالجزم عطفا على يعف فيكون المعنى او يجمع بين اهلاك قوم و انجاء قوم و تحذير آخرين (ما لهم من محيص) محيد من العذاب و الجملة معلق عنها الفعل

(الميم)

الجزم لالتقاء الساكنين * ولما ورد ان يقال لو جزم يعلم بالعطف على يعف لزم ان يكون العلم من نتيجة اعصاف الريح وكونه كذلك غير ظاهر فلو جه الجزم * اشار الى دفعه بقوله فيكون المعنى او يجمع الخ يعنى ان قوله ويعلم الذين يجادلون في آياتنا مالهم من محيص تحذير لهم وبهذا الاعتبار يصح جعله من نتائج اعصافها والمعنى ان يشأ يعصف الريح فيجمع بين امور ثلاثة هلاك قوم ونجاة قوم وتحذير آخرين فههنا فرق ثلاث فرقة هالكة وفرقة ناجية وفرقة محذرون غير الاولين ووجه كونه تحذيرا ان علمهم بذلك انما يكون باعلام الله تعالى اياهم واعلامه اياهم تحذير لهم ثم انه تعالى لما ذكر دلائل الوحدانية وكمال القدرة اردفهما بالتنفير عن الدنيا وتحقير شأنها لان المانع من قبول الدليل هو الرغبة في الدنيا فقال عز وجل من قائل وما اوتيتم من شئ الآية ونزولها في حق ابى بكر رضى الله عنه لاينافى اتصالها بما قبلها بهذا الوجه ﴿قوله فجازت الفاء في جوابها﴾ اى فى خبرها سمى الخبر جوابا نظرا الى تضمن المبتدأ معنى الشرط وقيل ما الاولى شرطية وهى فى محل النصب على انه مفعول ثان لاوتيتم بمعنى اعطيتم والاول هو ضمير المخاطبين قام مقام الفاعل وقدم المفعول الثانى لان له صدر الكلام وقوله من شئ بيان لما الشرطية لما فيها من الابهام وقوله فمتاع جواب الشرط فلذلك دخلت الفاء عليه ومتاع خبر مبتدأ محذوف اى فهو متاع وما الثانية موصولة مبتدأ وخير خبرها وقوله للذين متعلق بابقى نبه على خساسة الدنيا وانقراضها بتسميتها متاع الحياة الدنيا ثم وصف ثواب الآخرة بانه خير وابقى ثم بين ان هذه الخيرية بالنسبة الى من كان موصوفا بالصفات وجمع بينها وهى الايمان والتوكل على الرب تعالى لاعلى غيره تقدموا الاجتناب من كبائر الاثم والفواحش ومغفرة الجانى والانتقام منه والاستجابة لرب تعالى اى اجابته الى مادعاهم اليه من توحيده وطاعته ﴿قوله تعالى والذين يجتنبون﴾ فى موضع الجر عطفا على قوله للذين آمنوا وكذا قوله والذين استجابوا لربهم بطريق عطف الصفة على الصفة لان الذات واحدة او فى موضع النصب بتقدير اعنى او الرفع بتقدير هم الاول يسمى نصبا على المدح والثانى رفعا على المدح ﴿قوله وبناء يغفرون الخ﴾ يعنى ان هم مبتدأ ويغفرون خبره واذا منصوب بيغفرون والجملة الاسمية عطف على الفعلية قبلها وهى قوله يجتنبون والتقدير والذين يجتنبون وهم يغفرون قدم المسند اليه فى الجملة الثانية للدلالة على انهم الاخصاء المتميزون بالعفو عن اغضبهم وآذاهم لايذهب الغضب عقولهم كما يذهب عقول الناس والاخصاء جمع خصيص بمعنى المختص مثل قريب واقرباء يقال اختص بكذا اذا انفرد به وتميز والاضافة فى قوله كبائر الاثم بمعنى من اى الكبائر من جنس الاثم قيل كبير الاثم هو الشرك * وقال الامام هو عندى ضعيف لان شرط الايمان قد ذكر وهو يغنى عن ذكر الاجتناب عن الشرك فالظاهر ان يقال كبائر الاثم هو كل كبيرة والفواحش جمع فاحشة وهى القبيحة وقيل هى المفرطة فى القبح ثم قيل هما وصفان لعظائم الذنوب والعطف لتغاير الوصفين والموصوف واحد كانه قيل يجتنبون المعاصى وهى عظيمة عند الله فى الوزر وقبيحة عند العقل والشرع وقال السدى المراد بالفواحش ههنا الزنى وقال مقاتل هى ما يوجب الحد فى الدنيا والعذاب فى الآخرة ﴿قوله نزلت فى الانصار﴾ لعله اشار به الى جواب ما يقال الاستجابة لرب تعالى أليس قد فهم من قوله تعالى للذين آمنوا وما ذكر بعده الى ههنا فما الفرق بينه وبين ماقبله حتى يعطف احدهما على الآخر * وتقرير الجواب انه من قبيل عطف الخاص على العام بان يكون ماسبق عليه عبارة عن المؤمنين الذين يجمعون الصفات المذكورة ثم عطف عليه الانصار الذين استجابوا لربهم الحسنى كمال الاجابة والانقياد للاشارة الى انهم لكمال استجابتهم كأنهم ليسوا من عداد المؤمنين الموصوفين فيكون التعريف فى المعطوف للعهد الخارجى * قال الامام فان قالوا أليس انه لما جعل الايمان شرطا فيه فقد دخل فى الايمان اجابة الله تعالى قلنا الاقرب عندى ان تحمل الاجابة على تمام الرضى بقضاء الله تعالى من صميم القلب وان لايكون فى قلبه منازعة بوجه من الوجوه ولايلزم منه معنى محصل فلذلك لم يلتفت اليه المصنف ومن امهات الفضائل اقامة الصلاة اى اتمام الصلوات الخمس برعاية جميع اركانها وشرائطها وسننها وآدابها ﴿قوله ذو شورى﴾ يعنى ان شورى مصدر بمعنى التشاور كالفتيا بمعنى الافتاء والمعنى ان التشاور كان حالهم المستمرة ويدل عليه عطف الاسمية على الفعلية حيث قيل واقاموا الصلاة وامرهم شورى وبولغ فيه بجعل امرهم نفس الشورى مدحهم بذلك تنبيها على انه خصلة ممدوحة من الحسن ماتشاور قوم الاهدوا لارشد امرهم ﴿قوله على ماجعله الله لهم﴾ اى ليس المراد من الانتصار الانتقام ممن بغى عليهم وظلمهم مطلقا باى وجه كان بل المراد الانتقام على الوجه الذى عينه الله تعالى لهم وهو رعاية المماثلة وعدم التجاوز

(فما اوتيتم من شئ فمتاع الحياة الدنيا) تمتعون به مدة حياتكم (وما عند الله) من ثواب الآخرة (خير وابقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون) لخلوص نفعه ودوامه وما الاولى موصولة تضمنت معنى الشرط من حيث ان ايتاء ما اوتوا سبب التمتع بها فى الحياة الدنيا فجازت الفاء فى جوابها بخلاف الثانية وعن على رضى الله عنه تصدق ابو بكر رضى الله عنه بماله كله فلامه جمع فنزلت (والذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش واذا ماغضبوا هم يغفرون) بما بعده عطف على للذين آمنوا اومدح منصوب او مرفوع وبناء يغفرون على ضميرهم خبرا للدلالة على انهم الاخصاء بالمغفرة حال الغضب وقرأ حمزة والكسائى كبير الاثم (والذين استجابوا لربهم واقاموا الصلاة) نزلت فى الانصار دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الايمان فاستجابوا واقاموا الصلاة (وامرهم شورى بينهم) ذو شورى لاينفردون برأى حتى يتشاوروا ويجتمعوا عليه وذلك من فرط تدبرهم وتيقظهم فى الامور وهى مصدر كالفتيا بمعنى التشاور (ومما رزقناهم ينفقون) فى سبيل الخير (والذين اذا اصابهم البغى هم ينتصرون) على ماجعله الله لهم كراهة التذلل وهو وصفهم بالشجاعة بعد وصفهم بسائر امهات الفضائل

عما حدّ لهم * عن النخعى انه كان اذا قرأها قال كانوا يكرهون ان يذلوا انفسهم فيجترئ عليهم الفساق قال تعالى وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ماعوقبتم به وقال وجزآء سيئة سيئة مثلها الى غير ذلك والمقصود من هذه الآية وصفهم بالشجاعة لان البغى الذى هو الظلم والتعدى انما يصيبهم من اهل الشوكة والغلبة واذا انتقموا منهم بالحدّ المشروع كراهة التذلل وردعا للجانى من الجرآءة على الضعفاء فقد ثبت شجاعتهم وصلابتهم فى دين الله ولهذا قال العفو مندوب اليه ثم قد ينعكس الامر فى بعض الاحوال فيصير ترك العفو مندوبا اليه بان ادّى الى كف زيادة البغى وقطع مادة الاذى دل عليه ماروى ان زينب اسمعت عائشة رضى الله عنها بحضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان صلى الله عليه وسلم ينهاها فلاتنتهى فقال عليه الصلاة والسلام لعائشة رضى الله عنها * دونك فانتصرى * والاسماع السب ﴿ قوله وهو لايخالف وصفهم بالغفران ﴾ جواب عما يقال انه تعالى جعل العفو عن الجانى وغفرانه صفة مدح حيث جعله سببا لاستحقاق الثواب الباقى وهو يدل على ان ضدّه وهو الانتصار من الباغى صفة نقصان وقد جعل فى هذه الآية صفة مدح ايضا فكيف يكون كل واحد من المتقابلين صفة مدح * وتقرير الجواب ان الغفران عبارة عن التجاوز عن ذنب الذليل العاجز والانتصار من الباغى هو الانتقام من الظالم الغالب فلا تقابل بينهما حتى يلزم من كون احدهما صفة مدح كون الآخر صفة نقصان والحاصل ان العفو على قسمين احدهما العفو الذى يكون سببا لتسكين الفتنة ورجوع الجانى من جنايته والثانى مايكون سببا لمزيد جرأة الجانى وازدياد سفاهته فآية العفو محمولة على القسم الاوّل وهذه الآية محمولة على القسم الثانى فلا مخالفة ﴿ قوله ثم عقب وصفهم بالانتصار ﴾ اى اورد عقيب وصفهم بالانتصار والشجاعة قوله تعالى وجزآء سيئة سيئة مثلها لاجل المنع عن التعدى والبيان لحدّ الانتصار ﴿ قوله وسمى الثانية سيئة ﴾ جواب عما يقال جزآء السيئة مشروع مأذون فيه وكل مشروع حسن فكيف سمى سيئة ثم انه تعالى بين ان العفو اولى فقال فمن عفا واصلح فاجره على الله وفى الحديث * اذا كان يوم القيامة نادى مناد من كان له على الله اجر فليقم قال فيقوم خلق فيقال لهم ما اجركم على الله فيقولون نحن الذين عفونا عمن ظلمنا فيقال لهم ادخلوا الجنة باذن الله تعالى * ثم قال فى مقام التحريض على العفو انه لايحب الظالمين فدل ذلك على ان الانتصار لايكاد يؤمن فيه تجاوز الحدّ والاعتداء لانه يكون فى حال الغضب فربما يكون المجازى من الظالمين وهو لايشعر به وقال مقاتل المراد بالظالمين البادئون بالظلم واللام فى قوله تعالى ولمن انتصر بعد ظلمه لام الابتدآء دخلت على المبتدأ ومن يجوز ان تكون شرطية وهو الظاهر والفاء فى فاولئك جواب الشرط وان تكون موصولة ودخلت الفاء فى خبرها لتضمنها معنى الشرط وقوله تعالى بعد ظلمه من اضافة المصدر الى مفعوله كقوله تعالى بسؤال نعجتك ومن دعاء الخير اى من بعد ظلم الظالم اياه فاولئك المنتصرون ماعليهم لاحد من سبيل بلوم او عقوبة لانهم فعلوا ما ابيح لهم من الانتصار ﴿ قوله او يطلبون مالايستحقونه ﴾ تفسيران لقوله يظلمون الناس اعم من الاوّل يتناول الاضرار ابتدآء والمجازاة على سبيل الاعتدآء ولوكان تفسيرا لقوله ويبغون فى الارض بغير الحق لكان المناسب ان يؤخر عنه وان يقال ويطلبون بالواو دون او الاان تفسير القاشانى يعين الاحتمال الثانى حيث قال يظلمون الناس ابتداء واعتدآء فى الانتصار ويبغون فى الارض بغير الحق يطلبون مالايستحقونه او يتكبرون فيها ويعلون تجبرا ﴿ قوله اى ان ذلك منه ﴾ اللام فى قوله ولمن صبر موطئة للقسم ومن شرطية وقوله لمن عزم الامور جواب القسم المقدر سادّ مسدّ جواب الشرط اولام الابتدآء ومن موصولة مبتدأ وتهاية صلته وغفر وان مع اسمها وخبرها خبر المبتدأ وعلى التقديرين العائد الى من محذوف لدلالة فحوى الكلام عليه اى ان ذلك منه لمن عزم الامور كما فى قولهم السمن منوان بدرهم اى منوان منه بدرهم والمعنى ان الصبر على الظلم والاذى والتجاوز عن ظالمه لمن معزومات الامور التى ندب الله اليها فينبغى ان يوجبه العاقل على نفسه ويعزم عليه ولا يرخص فى تركه او من عزآئم الله التى لم تنسخ ولاتنسخ ابدا ﴿ قوله تعالى يقولون هل الى مردّ من سبيل ﴾ فى موضع الحال من الظالمين لان الرؤية بصرية وكذا قوله يعرضون وخاشعين وينظرون حال ايضا والطرف مصدر فى الاصل ولهذا لم يجمع قوله تعالى ومن يضلل الله اى ومن يغوه ويخلق فيه فعل الضلالة لاختياره ذلك ومباشرته اسبابه فليس له من يلى ارشاده ومعونته ومنع العذاب عنه ﴿ قوله مما يلحقهم من الذل ﴾ اشارة الى ان قوله من الذل متعلق بخاشعين ومن للتعليل اى من اجل الذل والمصبور من حبس وقيد ليقتل ذكر الله تعالى حالهم عند عرضهم على النار فقال خاشعين اى

وهو لايخالف وصفهم بالغفران فانه ينبئ عن عجز المغفور والانتصار عن مقاومة الخصم والحلم على العاجز محمود وعلى المتغلب مذموم لانه اجرآء واغرآء على البغى ثم عقب وصفهم بالانتصار بالمنع عن التعدى فقال (وجزآء سيئة سيئة مثلها) وسمى الثانية سيئة للازدواج او لانها تسوء من تنزل به (فمن عفا واصلح) بينه وبين عدوّه (فاجره على الله) عدة مبهمة تدل على عظم الموعود (انه لايحب الظالمين) المبتدئين بالسيئة والمتجاوزين فى الانتقام (ولمن انتصر بعد ظلمه) بعد ماظلم وقد قرئ به (فاولئك ماعليهم من سبيل) بالمعاتبة والمعاقبة (انما السبيل على الذين يظلمون الناس) يبتدؤنهم بالاضرار او يطلبون مالا يستحقونه تجبرا عليهم (ويبغون فى الارض بغير الحق اولئك لهم عذاب اليم) على ظلمهم وبغيهم (ولمن صبر) على الاذى (وغفر) ولم ينتصر (ان ذلك لمن عزم الامور) اى ان ذلك منه فحذف كما حذف فى قولهم السمن منوان بدرهم للعلم به (ومن يضلل الله فماله من ولىّ من بعده) من ناصر يتولاه من بعد خذلان الله اياه (وترى الظالمين لمارأوا العذاب) حين يرونه فذكر بلفظ الماضى تحقيقا (يقولون هل الى مردّ من سبيل) اى الى رجعة الى الدنيا (وتراهم يعرضون عليها) على النار ويدل عليها العذاب (خاشعين من الذل) متذللين متقاصرين مما يلحقهم من الذل (ينظرون من طرف خفى) اى يبتدئ نظرهم الى النار من تحريك لاجفانهم ضعيف كالمصبور ينظر الى السيف

(خاشعين)

(وقال الذين آمنوا ان الخاسرين الذين خسروا انفسهم واهليهم) بالتعريض لعذاب الخلد (يوم القيامة) ظرف لخسروا والقول في الدنيا او لقال اى يقولون اذا رأوهم على تلك الحال (الا ان الظالمين في عذاب مقيم) تمام كلامهم او تصديق من الله لهم (وما كان لهم من اولياء ينصرونهم من دون الله ومن يضلل الله فما له من سبيل) الى الهدى او النجاة (استجيبوا لربكم من قبل ان يأتى يوم لا مرد له من الله) لا يرده الله بعد ما حكم به ومن صلة لمرد وقيل صلة يأتى اى من قبل ان يأتى يوم من الله لا يمكن رده (ما لكم من ملجأ) مفر (يومئذ وما لكم من نكير) انكار لما اقترفتموه لانه مدوّن في صحائف اعمالكم يشهد عليه ألسنتكم وجوارحكم (فان اعرضوا فما ارسلناك عليهم حفيظا) رقيبا او محاسبا (ان عليك الا البلاغ) وقد بلغت (وانا اذا اذقنا الانسان منا رحمة فرح بها) اراد بالانسان الجنس لقوله (وان تصبهم سيئة بما قدمت ايديهم فان الانسان كفور) بليغ الكفران ينسى النعمة رأسا ويذكر البلية ويعظمها ولا يتأمل سببها وهذا وان اختص بالمجرمين جاز اسناده الى الجنس لغلبتهم واندراجهم فيه وتصدير الشرطية الاولى باذا والثانية بان لان اذاقة النعمة محققة من حيث انها عادة مقتضية بالذات بخلاف اصابة البلية واقامة علة الجزاء مقامه ووضع الظاهر موضع المضمر في الثانية للدلالة على ان هذا الجنس موسوم بكفران النعمة (لله ملك السموات والارض) فله ان يقسم النعمة والبلية كيف شاء (يخلق ما يشاء) من غير لزوم ومجال اعتراض (يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور او يزوجهم ذكرانا واناثا ويجعل من يشاء عقيما) بدل من يخلق بدل البعض والمعنى يجعل احوال العباد في الاولاد مختلفة على مقتضى المشيئة فيهب لبعض اما صنفا واحدا من ذكر او انثى او الصنفين جميعا ويعقم آخرين ولعل تقديم الاناث لانها اكثر لتكثير النسل او لان مساق الآية للدلالة على ان الواقع ما تعلق به مشيئة الله لا مشيئة الانسان والاناث كذلك او لان الكلام في البلاء والعرب تعدهن بلاء او لتطييب قلوب آبائهن او للمحافظة على الفواصل ولذلك عرّف الذكور او لجبر التأخير

خاضعين حقيرين لسبب ما لحقهم من الذل والهوان يسارقون النظر الى النار خوفا منها اذلة في انفسهم كما ينظر من قدم ليقتل الى السيف فانه لا يقدر ان ينظر اليه بملء عينه ثم انه تعالى لما وصف حال الكفار حكى ما يقوله المؤمنون فيهم فقال وقال الذين آمنوا ان الخاسرين الذين خسروا انفسهم واهليهم يوم القيامة الآية فقوله تعالى وقال يجوز ان يكون ماضيا على حقيقته ويكون يوم القيامة معمولا لخسروا وان يكون بمعنى يقول فيكون يوم القيامة معمولا له اى الخسران في الحقيقة لهؤلاء الذين حرموا منافع انفسهم واهليهم واهلكوها واهليهم باغوائهم وتعريضهم لعذاب الخلد وحرموا الحور المعدّة لهم في الجنة لو آمنوا بتركهم الايمان ثم انه تعالى لما اطنب في ذكر الوعد والوعيد ذكر بعده ما هو المقصود من ذكرهما فقال استجيبوا لربكم اى اجيبوا داعي ربكم يعني محمدا صلى الله عليه وسلم ثم قال فان اعرضوا عن استجابته ولم يقبلوا هذا الامر فما ارسلناك عليهم حفيظا تحفظ اعمالهم وذلك تسلية من الله عز وجل لرسوله صلى الله عليه وسلم ثم بين السبب في اصرارهم على الكفر فقال وانا اذا اذقنا الانسان اى الجنس ويدل على ارادة الجنس قوله وان تصبهم فانه لو لم يرد به الجنس لما رجع اليه ضمير الجمع والمعنى ان قلبهم مملوء بحب الدنيا يفرحون باقبالها ويغتمون بزوالها يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون فلا يستجيبون لمن دعا الى سعادة الآخرة لذاتها واعراض نعم الدنيا وان كانت عظيمة الا انها بالنسبة الى سعادة الآخرة كالقطرة بالنسبة الى البحر فلذلك سمى الانعام بها اذاقة بين تعالى ان الانسان اذا حصل له هذا القدر الحقير في الدنيا فرح وعظم غروره ووقع في العجب والكبر ويظن انه فاز بكل المنى ووصل الى اقصى السعادات وذلك لجهله بحال الدنيا وبحال الآخرة ثم بين انهم اذا اصابهم سيئة اى حالة تسوءهم كالمرض والفقر والقحط فانهم يظهرون الكفر ان لما تقدم من نعم الله عليهم ويغضبون ويجحدون باول شديدة جميع ما سلف من النعم فقوله ان الانسان من وقوع الظاهر موقع المضمر اى فانه كفور وذلك للتسجيل على ان شان هذا الجنس كفران النعم ولهذا التسجيل اقام علة الجزاء مقامه فقال فان الانسان كفور بدل ان يقال فانه يذكر البلاء وينسى النعم ويحقرها ويترك شكرها ثم انه تعالى لما بين شان الانسان وانه في حالتي الانعام عليه واصابته بشيء مما يسوءه مشتغل بالنعمة عن المنعم ان اعطى اغتر وازداد حرصا ورغبة وان منع ازداد حزنا على فقده وكفرانا بين ان ملك السموات والارض لله تعالى وحده فله التصرف فيها يبتلى تارة بالنعمة وتارة بالبلية فالاليق بمن انعم عليه ان لا يغتر بالنعمة بل يزداد بها الشكر للمنعم ويشتغل بطاعته وبمن ابتلى ببلية ان يعتقد انها انما اصابته من شؤم نفسه ويشتغل بالتوبة والاستغفار ويلتجئ الى عفو الله ورحمته

﴿قوله او لان مساق الآية للدلالة على ان الواقع ما تعلق به مشيئة الله تعالى﴾ وذلك لانه تعالى بين سبب اعراضهم عن الاستجابة وزعم بان حالهم الركون الى الدنيا والفرح باقبالها والحزن بزوالها والغفلة عن المنعم بها فضلا عن الاجتهاد في طلب مرضاته والاجابة الى ما دعا اليه من توحيده وطاعته فانكر منهم هذه الحال لكونها مؤدية الى الاعراض المذكور ثم اكد هذا الانكار بان ملك السموات والارض له ومقاليد التصرّف فيها بيده يعطى ويمنع لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه ليس لهم من الامر شيء وانما الامر يجري بمشيئته بحيث يخلق ما يشاء وان كان مخالفا لما يشتهونه فكيف يركنون الى مملوكه ويعرضون عن استجابة دعائه فظهر بهذا التقرير ان سوق الآية للدلالة على ان الكائنات مرتبطة بمشيئة الله تعالى وحده لا دخل لمشيئة العبد فيها فناسب ذلك ان يقدم في تفصيل قوله يخلق ما يشاء ذكر ما لا يتعلق به مشيئة العباد وهو الاناث فانه لو بشر احد بان زوجته ولدت انثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشر به ويتردد في انه يمسكه على هون ام يدسه في التراب ﴿قوله او لان الكلام في البلاء﴾ لانه قدم بيان حال الانسان اذا اذاقه الله رحمة ثم شرع في بيان حاله ان اصابته سيئة وبلاء فقال وان تصبهم سيئة وقوله لله ملك السموات والارض الآية تذييل له فناسب ان يقدم في التفصيل ذكر ما هو من جنس البلاء بزعم العرب روى ان واحدا من العرب بشر بمولودة فقيل له نعمت المولودة هي فقال والله ما هي بنعمت المولودة نصرها بكاء وبرها سرقة ﴿قوله او للمحافظة على الفواصل﴾ فانه لما قدم الاناث كانت فاصلة الآية الذكور على وفق قوله نكير وكفور وقدير ولهذه المحافظة ايضا عرّف الذكور مع تنكير قوله اناثا ﴿قوله او لجبر التأخير﴾ عطف على قوله ولذلك يعني ان الوجوه المذكورة لما اقتضت تقديم الاناث ولزم منه تأخير الذكور مع ان حقهم التقديم لشرفهم وكونهم الاول في الوجود جبر ما لزم من نقص حقهم بالتعريف فان التعريف تنويه بالاسم وتشهير له ورفع لقدره بناء على ان التعريف يكون للعهد فكأنه قيل ويهب لمن يشاء الفرسان الاعلام الذين

يذكرون فى المجالس والمحافل بالمفاخر والمعالى ولايغيبون عن الاذهان والخواطر ولايخفى ان مثل هذا التنويه
يقاوم التنويه الحاصل بتقديمهم على الاناث ﴿ قوله لانه قسيم المشترك بين القسمين ﴾ فان القسم الثالث المدلول
عليه بقوله او يزوجهم ذكرانا واناثا هو من وهب له الصنفان جميعا فهو قسيم لمن وهب له انثى فقط كما ان
من جعل عقيما قسيم للمشترك بين الاقسام المتقدمة وهو من وهب له اما صنف منهما او الصنفان جميعا والعقيم
بمفهومه مفصح بكونه قسيما للمشترك بين الثلاثة فلم يحتج بذلك الى تغيير العاطف ليدل عليه بخلاف القسم الثالث
وهو الذى زوج له الصنفان فانه غير مفصح بكونه قسيما للمشترك بين القسمين الاولين فاحتيج الى تغيير العاطف
ليدل على ذلك روى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال قوله تعالى يهب لمن يشاء اناثا المراد به لوط
وشعيب عليهما الصلاة والسلام اذ لم يكن لهما الا البنات وقوله ويهب لمن يشاء الذكور المراد به ابراهيم عليه
الصلاة والسلام اذ لم يكن له الا الذكور وقوله او يزوجهم ذكرانا واناثا المراد به محمد صلى الله عليه وسلم اذ كان له من
البنين ثلاثة على الصحيح القاسم وعبد الله وابراهيم ومن البنات اربع زينب ورقية وام كلثوم وفاطمة رضوان الله
عليهم اجمعين وقوله ويجعل من يشاء عقيما المراد به يحيى وعيسى عليهما الصلاة والسلام وقال المفسرون هذا
على وجه التمثيل وانما الحكم عام فى كل الناس لان المقصود بيان نفاذ قدرة الله تعالى فى تكوين الاشياء كيف
شاء فلا وجه للتخصيص ثم انه تعالى لما بين كمال علمه وقدرته وحكمته اتبعه ببيان انه كيف يخص انبياءه بوحيه
وكلامه فقال وما كان لبشر ان يكلمه الله كلمة ان مع ما عملت فيه فى موضع الرفع على انه اسم كان ولبشر خبرها
﴿ قوله كلاما خفيا ﴾ اشارة الى ان قوله الا وحيا منصوب على انه مفعول مطلق بناء على كونه موضوعا موضع
كلاما لان الوحى بمعنى الكلام الخفى المدرك بسرعة ضرب من الكلام كما ان من وراء حجاب وارسال الرسول
ضربان آخران منه فان الكلام على لسان الرسول بمنزلة الكلام بغير واسطة تقول قلت لفلان كذا وكذا وانما قاله
وكيلك او رسولك فصح وضع كل واحد منهما موضع المصدر كما تقول لا اكلمه الا جهرا والا خفية لانهما ضربان
من الكلام وفسر الوحى بالكلام الخفى المدرك بسرعة وقيد الكلام بكونه خفيا لبيان ان كلامه تعالى القائم
بذاته ليس من قبيل الاصوات وبكونه مدركا بسرعة لبيان انه ليس فى ذاته مركبا من حروف يعنى ان كلامه تعالى
يدرك بسرعة لكونه عبارة عن تمثل المعنى وارتسامه فى علم المتكلم تمثلا وقعيا ليس فى ذاته مركبا مما ذكر
كتمثل المعانى بصورة خيالية مشتملة على اجزاء كثيرة من غير تقدم وتأخر بينها فاذا لم يكن الكلام الخيالى
كالحسى فالعقلى والمعنوى اولى والمقصود من الحصر المذكور بقوله الا وحيا الى آخر الآية نفى الكلام بوجه
يقتضى الحدوث كالكلام الحسى المعهود لنا ﴿ قوله وهو ما يرم المشافهة به ﴾ اى تكليم الله البشر بهذا الكلام
الحق يجوز ان يكون بان يشاهده البشر ويواجهه كما روى انه عليه الصلاة والسلام حين عرج به الى السماء دنا
فتدلى فكان قاب قوسين او ادنى فاوحى الى عبده ما اوحى اى انه عليه الصلاة والسلام شاهد ربه وسمع كلامه
مشافهة روى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قصة الاسراء ففارقنى
جبريل فانقطعت الاصوات عنى فسمعت كلام ربى وهو يقول ليهدأ روعك يا محمد ادن ادن * وفى حديث انس
نحو منه قال ومن سمع صريف الاقلام كيف يستحيل فى حقه او يبعد سماع الكلام ﴿ قوله وما وعده به ﴾
عطف على قوله ما روى وقوله والهتف به عطف على قوله المشافهة به اى تكليم الله تعالى وتحبايم الكلام الهتف
به ايضا بان يكلمهم الله ويسمعون منه من غير ان يشاهدوا ذاته كما يسمع من الهاتف والهتف الصوت والهاتف
من يسمع صوته ولا يرى شخصه والتكليم بهذا الطريق هو الذى سماه الله تكليما من وراء حجاب والمراد به احتجاب
السامع من الرؤية لا احتجابه تعالى من السامع لان الاستتار بالحجاب من خواص الاجسام وهو تعالى منزه عن
ان يحيط به ستر فيحجبه عن خلقه فالتكليم وحيا وان كان متناولا لكل واحد من قسمى التكليم من غير واسطة وهما
التكليم مشافهة والتكليم من وراء حجاب الا ان عطف قوله من وراء حجاب عليه يخصه بالاول فقوله تعالى
الا وحيا يحمل على التكليم بطريق المشافهة مع المشاهدة * واعلم ان الاشاعرة قالوا ان كلام الله تعالى صفة قديمة
يدل عليها هذه الالفاظ والعبارات ليس من جنس الحروف والاصوات وقالوا يصح ان يسمع ذلك الكلام المنزه
عن الحرف والصوت وقالوا كما لا يبعد ان يرى ذات الله تعالى مع انه ليس بجسم ولا فى حيز لا يبعد ايضا ان يسمع
كلامه مع انه لا يكون حرفا ولا صوتا وزعم ابو منصور الماتريدى السمرقندى ان تلك الصفة يمتنع كونها مسموعة

وتغيير العاطف فى الثالث لانه قسيم المشترك
بين القسمين ولم يحتج اليه الرابع لافصاحه
بانه قسيم المشترك بين الاقسام المتقدمة
(انه عليم قدير) فيفعل ما يفعل بحكمة
واختيار (وما كان لبشر) وما صح له
(ان يكلمه الله الا وحيا) كلاما خفيا يدرك
بسرعة لانه تمثيل ليس فى ذاته مركبا
من حروف مقطعة يتوقف على تموجات
متعاقبة وهو ما يرم المشافهة به كما روى فى حديث
المعراج وما وعده فى حديث الرؤية
والهتف به كما اتفق لموسى فى طوى والطور
لكن عطف قوله (او من وراء حجاب)
عليه يخصه بالاول

(وانما)

وانما المسموع حروف واصوات يخلقها الله تعالى فى بعض الاجرام وهذا القول قريب من قول المعتزلة ومن سوى الاشاعرة اتفقوا على ان كلام الله تعالى هو هذه الحروف المسموعة والاصوات المؤلفة ثم صاروا فريقين الفريق الاوّل الحنابلة الذين قالوا بقدم هذه الحروف ولا يقول به عاقل والفريق الثانى اطبقوا على انها حادثة ثم اختلفوا فى انها هل هى قائمة بذات الله تعالى او يخلقها الله تعالى فى بعض الاجرام فالاوّل قول الكرامية والثانى قول المعتزلة فكلام الله تعالى عندهم هو صوت يخلقه فى شئ وانّه تعالى متكلم بكلام قائم بغيره وقولهم هذا قول مخالف للعرف واللغة فان الفعل انما يسند الى القائل لا الى الفاعل وصيغة اسم الفاعل انما تطلق على من قام به الفعل لا على من اوجده فلا يقال لخالق السواد اسود ولا لخالق الضلال ضال فوجب ان يكون المتكلم من يقوم به الكلام لا من يخلقه ﴿قوله فالآية دليل على جواز الرؤية لا على امتناعها﴾ ردّ على المعتزلة القائلين بان هذه الآية تدل على انه تعالى لا يرى وذلك لانه تعالى حصر اقسام تكليمه للبشر فى هذه الثلاثة التى هى التكليم على طريق الوحى وقالوا الوحى هو الالهام الذى هو القذف فى القلب او المنام فالاوّل كما اوحى الله تعالى الى ام موسى والثانى كما اوحى الى ابراهيم فى ذبح ولده والتكليم من وراء حجاب وهو ان يسمع كلامه الذى يخلقه فى شئ من غير ان يبصر السامع من يكلمه كما كلم موسى والتكليم بان يرسل رسولا من الملائكة فيوحى الملك اليه كما كلم الانبياء غير موسى ولما لم يتصوّر التكليم مشافهة فى حقه تعالى عندهم بناء على ما زعموا من استحالة رؤيته تعالى لم يحضرهم خروج المشافهة عن الحصر وحصروا الكلام وحيا فى الالهام والمنام ولو صحت رؤية الله تعالى لصح من الله تعالى ان يتكلم مع العبد حال ما يراه العبد فحينئذ يكون ذلك قسما رابعا زائدا على هذه الاقسام والله تعالى نفى القسم الرابع بقوله وما كان لبشر ان يكلمه الله الا على احد هذه الاوجه الثلاثة والفاء فى قول المصنف فى فالآية دليل فاء جواب الشرط المحذوف اى اذا حمل الوحى على الكلام المشافه به تكون الآية دليلا على جواز الرؤية لا على امتناعها وانما تدل على امتناعها اذا فسر الوحى بما فسروا به وهو الالهام حال اليقظة والرؤيا حال المنام ﴿قوله وقيل المراد به﴾ اى بقوله الا وحيا ﴿قوله او الوحى المنزل به﴾ عطف على قوله الالهام وقوله فيكون تفريع على القول الثانى اى اذا كان قوله الا وحيا بمعنى الا ان يكلمه وحيا كما اوحى الى الرسل بواسطة الملائكة وقوله او من وراء حجاب بمعنى او يكلم بغير واسطة ملك كما كلم موسى عليه الصلاة والسلام يكون قوله او يرسل رسولا بمعنى او يرسل نبيا كما كلم امم الانبياء على ألسنة انبيائهم الا ان تبليغ الرسول امته لا يسمى ايحاء فى العرف فتفسير قوله تعالى فيوحى باذنه ما يشاء بان يقال فيبلغ اليه وحيه كما امره لا يخلو عن بعد ﴿قوله ووحيا بما عطف عليه منتصب بالمصدر﴾ لان شرط المفعول المطلق ان يوافق عامله من حيث المعنى لا بحسب اللفظ والاشتقاق ووحيا يوافق عامله فى المعنى لان الوحى بمعنى الكلام الخفى من ضروب مطلق الكلام وتقدير قوله او يرسل او ارسالا لكونه منصوبا بأن المضمرة والارسال نوع من الكلام ﴿قوله ويجوز ان يكون وحيا وان يرسل مصدرين﴾ واقعين موقع الحال لان ان يرسل فى معنى ارسالا وكما يصح ان يقع المصدر الصريح موقع الحال نحو اتيته ركضا ومشيا اى راكضا وماشيا فكذا يصح ان يقع موقعه ما كان فى تأويل المصدر وكذا الجار والمجرور قد يقع موقع الحال كقوله تعالى وعلى جنوبهم بعد قوله الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم اى والذين يذكرون قائمين وكائنين على جنوبهم فمعنى الآية على تقدير كون كل واحد من الثلاثة فى موقع المصدر الصريح وهو انما يقع موقع الحال اذا كان نوعا للفعل لا مطلقا فلا يقال اتيته بكاء اى باكيا ولو سلم ان المصدر الصريح مطلقا يقع موقع الحال فلا نسلم ان ان مع الفعل كذلك اذ لا يصح جاءنى زيد ان يمشى بمعنى ماشيا وان صح جاءنى زيد مشيا نص عليه سيبويه ثم انه تعالى لما بين اقسام تكليمه مع انبيائه عليهم السلام وهى انه تعالى يكلمهم تارة بواسطة وتارة بغير واسطة اما عيانا ومشافهة واما من وراء حجاب قال تعالى وكذلك اوحينا اليك روحا اى ومثل ذلك الايحاء والتكليم على الطرق الثلاثة اوحينا اليك روحا تحيى به القلوب الميتة من عالم امرنا المنزه عن الزمان والمكان على ان تكون الاشارة الى التكليم المدلول عليه بقوله ان يكلمه الله ويجوز ان ترجع الاشارة الى قوله او يرسل رسولا اى ومثل هذا النوع من التكليم وهو التكليم بارسال الرسول كلمناك وهو قوله اوحينا اليك روحا من امرنا ومحل الكاف النصب على انه صفة مصدر محذوف اى وحيا مثل ذلك الوحى ﴿قوله ما كنت تدرى﴾ فى موضع الحال من الكاف فى اليك وكلمة ما فيه نافية وقوله ما الكتاب استفهامية وهو جملة اسمية استفهامية ومحلها النصب لسدّها مسدّ مفعولى الدراية وهى معلقة عنها بحرف الاستفهام وقد

فالآية دليل على جواز الرؤية لا على امتناعها وقيل المراد به الالهام والالقاء فى الروع او الوحى المنزل به الملك الى الرسل فيكون المراد بقوله (او يرسل رسولا فيوحى باذنه ما يشاء) او يرسل اليه نبيا فيبلغ وحيه كما امره وعلى الاوّل المراد بالرسول الملك الموحى الى الرسول ووحيا بما عطف عليه منتصب بالمصدر لان من وراء حجاب صفة كلام محذوف والارسال نوع من الكلام ويجوز ان يكون وحيا وان يرسل مصدرين ومن وراء حجاب ظرفا وقعت احوالا وقرأ نافع او يرسل برفع اللام (انه على) عن صفات المخلوقين (حكيم) يفعل ما تقتضيه حكمته فيكلم تارة بوسط وتارة بغير وسط اما عيانا واما من وراء حجاب (وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا) يعنى ما اوحى اليه وسماه روحا لان القلوب تحيى به وقيل جبريل والمعنى ارسلناه اليك بالوحى (ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان) اى قبل الوحى وهو دليل على انه لم يكن متعبدا قبل النبوّة بشرع وقيل المراد هو الايمان بما لا طريق اليه الا السمع

اتفق المسلمون على ان الانبياء معصومون من الكبائر و الصغائر الموجبة لنفرة الناس عنهم قبل البعثة و بعدها فضلا عن الكفر الا انه تعالى نفى عنه عليه الصلاة و السلام دراية الايمان و العلم به قبل ان يوحى اليه و نفى العلم يكنى به عن نفى المعلوم فى مثل هذا المقام فالمفهوم من الآية ان لايكون عليه الصلاة و السلام قبل الوحى مؤمنا بالله و بوحدانيته الا انه لايلزم من نفى الايمان عنه عليه الصلاة و السلام بقوله و لا الايمان ان يكون كافرا بل اللازم هو عدم الاعتقاد و ذلك لان المراد بعدم الدراية الجهل البسيط و هو كون النفس ساذجة عن الاعتقاد و الحكم لا الجهل المركب الذى هو الكفر و الاعتقاد الباطل و لهذا كانت الآية دليلا على انه عليه الصلاة و السلام لم يكن متعبدا قبل النبوة بشرع لان التعبد به فرع الايمان به وقيل المراد بالايمان هو الايمان بما لاطريق اليه الا السمع و يجوز ان يراد كمال الايمان و التوحيد الذى هو عليه وقيل المراد بالايمان شعائر الايمان و معالمه كالصوم و الصلاة و نحوهما ومن لم يتبين له شعائر الايمان كيف يتعبدها و اسم الايمان يطلق على الشعائر ايضا قال تعالى وما كان الله ليضيع ايمانكم يعنى الصلاة و اجمع اهل الكلام على ان الرسل قبل الوحى كانوا مؤمنين وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعبد الله قبل الوحى على دين ابراهيم عليه الصلاة و السلام * عن على رضى الله عنه قال قيل للنبى صلى الله عليه وسلم هل عبدت وثنا قط قال لا قالوا هل شربت خمرا قط قال لا و مازلت اعرف ان الذى هم عليه كفر و ما كنت ادرى ما الكتاب و لا الايمان و لذلك انزل فى القرآن ما كنت تدرى ما الكتاب و لا الايمان قال ابن قتيبة لم تزل العرب على بقايا من دين اسمعيل عليه الصلاة و السلام و من ذلك الحج و الختان و ايقاع الطلاق و الغسل من الجنابة و تحريم ذوات المحارم بالقرابة و المصاهرة و كان عليه الصلاة و السلام على ما كانوا عليه من الايمان بالله و العمل بشرائعهم و فى الحديث * انه كان يوحد الله و يبغض اللات و العزى و يحج و يعتمر و يتبع شريعة ابراهيم عليه الصلاة و السلام

﴿ قوله تعالى نهدى به من نشاء من عبادنا ﴾ اى نعطى به صفة الاهتداء و هو يجوز ان يكون مستأنفا و ان يكون مفعولا مقررا للجعل و ان يكون صفة لنور او توصيفه تعالى بالذى له ملك السموات و الارض للتنبيه على ان الذى يجوز عبادته هو الذى يملك السموات و الارض فبين الله تعالى اولا ان ما اوحى اليه الكتاب او الايمان يهدى ثم قال تعالى و انك لتهدى الى صراط مستقيم ثم بين ان ذلك الصراط المستقيم صراط الله الذى له ما فى السموات و ما فى الارض ثم قال الا الى الله تصير الامور وعدا للمطيعين و وعيدا للمجرمين

﴿ سورة الزخرف ثمانون و تسع آيات مكية قال مقاتل الا قوله و اسأل من ارسلنا من قبلك من رسلنا ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ قوله اقسم بالقرآن ﴾ فسر الكتاب المبين بالقرآن لابجنس الكتب المنزلة و جعل الواو فيه واو القسم ليكون المقسم به و المقسم عليه من واد واحد و يكون القسم المذكور من بدائع الاقسام و ان جعلت حم مقسما به كانت واو و الكتاب المبين عاطفة اى بحم و الكتاب المبين و ان جعلت حم فى محل الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف اى هذه حم او فى محل النصب على انه مفعول فعل محذوف اى اقرأ حم كانت الواو للقسم و قوله انا جعلناه قرآنا جواب للقسم و لايخفى ان القرآن لكونه مختصا بعظيم القدر يصح جعله مقسما به ليتقوى به المدعى و يتأكد و المدعى ههنا هو انه الذى جعل القرآن عربيا و لانزاع لاحد فى كونه عربيا حتى يحتاج فى دفعه و الرد على من انكره الى تأكيد الحكم بالقسم و الجملة الاسمية و ان بل المقسم به حقيقة ما يستفاد من اسناد جعله قرآنا عربيا الى ذاته العظيم الشان فكأنه قيل و القرآن المبين الذى ابان طريق الهدى من طرق الضلال و ابان ما تحتاج اليه الامة من الشريعة و الدلائل الواضحة على انه ليس بسحر و كلام مفترى على الله و اساطير الاولين بل هو الذى تولينا انزاله على لغة العرب مشتملا على كمال الفصاحة و البلاغة فرجع خلاصة الكلام الى اثبات عظمته بعظمته فلذلك كان من الايمان البديعة الدالة على شرف القرآن و عزته بابلغ وجه و ادقه لدلالته على انه ليس عنده شئ اعظم قدرا و اوقع منزلة منه حتى يقسم به كما انه لا اهم عنده منه و صفه حتى يقسم عليه قصدا للاهتمام فى اثباته و تحقيقه فالقسم و جعله مقسما به للتنبيه على انه لاشئ اعلى منه فيقسم به فان الشاعر لما اراد المبالغة فى اثبات شرف ثغر المحبوبة اقسم عليه بان جعله مقسما به للاشعار بانه ليس شئ اعز منه يصلح لان يجعل مقسما به سواه فقال

وثناياك انها اغريض	ولآل توم و برق وميض
واقاح منور فى بطاح	هزه فى الصباح روض اريض

(ولكن جعلناه) اى الروح او الكتاب او الايمان (نورا نهدى به من نشاء من عبادنا) بالتوفيق للقبول و النظر فيه (وانك لتهدى الى صراط مستقيم) هو الاسلام و قرئ لتهدى اى ليهديك الله (صراط الله) بدل من الاول (الذى له ما فى السموات و ما فى الارض) خلقا و ملكا (الا الى الله تصير الامور) بارتفاع الوسائط و التعلقات و فيه وعد و وعيد للمطيعين و المجرمين * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ حم عسق كان ممن تصلى عليه الملائكة و يستغفرون له و يسترحمون له

﴿ سورة الزخرف مكية قيل الا قوله ﴾
﴿ و اسأل من ارسلنا و آيها تسع ﴾
﴿ و ثمانون آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(حم و الكتاب المبين انا جعلناه قرآنا عربيا) اقسم بالقرآن على انه جعله قرآنا عربيا و هو من البدائع لتناسب القسم و المقسم عليه كقول ابى تمام

* وثناياك انها اغريض *

و لعل اقسام الله بالاشياء استشهاد بما فيها من الدلالة على المقسم عليه و القرآن من حيث انه معجز عظيم مبين طرق الهدى و ما يحتاج اليه فى الديانة او بين للعرب يدل على انه تعالى صيره كذلك

الاغريض و الغريض الطلع و يقال هو كل ابيض طرى و يقال هو البرد و التوم جمع تومة و هى حبة تعمل من الفضة كالدرة وقيل هى اللؤلؤة و يقال ومض البرق يمض فهو وميض اذا لمع لمعانا خفيفا ولم يعترض فى نواحى الغيم والاقاح جمع اقحوان وهو البابونج الذى حوله ورق ابيض و وسطه اصفر والبطاح جمع البطح على غير القياس وهو المسيل الواسع الذى فيه دقاق الحصى وقال منور بالافراد فى وصف اقاح على تأويله بالجنس شبه صفاء أسنانها بصفاء اوراق الاقاح وروض جمع روضة من البقل والعشب واريض فعيل من ارضت الارض بضم الرآء اذا زكت ومبين فى قوله من حيث انه معجز مبين خبر بعد خبر لان وقوله او بين لمعرب لكونه بلغتهم واساليب كلامهم عطف على مبين للاشارة الى ان المبين كما انه يجوز ان يكون من أبان بمعنى اظهر يجوز ان يكون من أبان بمعنى ظهر وقوله يدل على ان الله صيره كذلك خبر للمبتدأ وهو قوله و القرآن قصد بايراد هذه الجملة الاسمية بيان كون الاقسام بالكتاب المبين استشهادا بما فيه على المقسم عليه ﴿ قوله لكى تفهموا معانيه ﴾ لما كانت حقيقة الترجى و التوقع ممتنعة فى حقه تعالى لكونها مختصة بمن لا يعلم عواقب الامور جعل المصنف كلمة لعل مستعارة بمعنى لام كى وهو السببية الحالية و الحكمة الباعثة شبهت الحكمة الداعية الى الفعل بترجيه من حيث كون كل واحد منهما مؤديا الى وجود الفعل فى الجملة وجعله الزمخشرى مستعارا بمعنى الارادة اى ارادة ان يعقلوا ويفهموا الذلوكان الحجيا لما فهموه بان شبه الترجى بالارادة و يجوز ان يكون لعل مجازا مرسلا فى معنى الارادة على طريق ذكر الملزوم وارادة اللازم لان التوقع ملزوم للارادة ﴿ قوله عطف على انا ﴾ اى فيكون القسم السابق واردا عليهما جميعا واهل مكة لما كذبوا القرآن وجعلوه كلاما مفترى حاصلا بتعليم البشر اقسم الله عز وجل على انه الذى جعله قرآنا عربيا ارادة ان يفهموا معناه وعلى ان القرآن لعلىّ رفيع الشأن فى اصل المنعوت بام الكتاب او انه لعلىّ حكيم مثبت فى ام الكتاب وخبران قوله لعلىّ وفى ام الكتاب متعلق بالخبر و جاز ان يعمل مابعد اللام فيما قبلها لان اصلها ان تكون فى الابتدآء وانما اخرت لاجل ان و المعنى وان القرآن لعلىّ فى هذا اصل المكرّم و كذا قوله لدينا متعلق بالخبر ايضا و يجوز ان يكون بدلا من ام الكتاب و يجوز ان يكونا حالين مما بعدهما لانهما كانا وصفين له فى الاصل فلما قدما عليه انتصبا حالين منه فيتعلقان بمحذوف ولا يجوز ان يكون شئ منهما خبرا له لان الخبر يجب ان يكون قوله علىّ لاجل اللام لانها الذى لم تدخل على اسم ان ولا على ما تعلق بخبر ان وجب ان تكون داخلة على الخبر ولا يجوز ان يكون الخبر غير ما اقترن به اللام ﴿ قوله مجاز من قولهم ضرب الغرائب ﴾ يعنى انه استعارة تبعية شبه ابعاد الذكر و تنحيته عنهم مع اقتضاء الحكمة انزاله عليهم بذود الابل و ابعادها عن الحوض فاستعمل لفظ المشبه به وهو الضرب بمعنى الذود فى المشبه وهو اهمال الذكر و عدم انزاله ثم اشتق منه نضرب ويحتمل ان يريد انه من قبيل الاستعارة التمثيلية وهى ما وجهه منتزع من متعدد بان يشبه حال الذكر فى تنحيته مع تحقق دواعى انزاله و الزام الحجة به عليهم بحال النوق الغريبة التى تذاد وتدفع عن الحوض بسبب ابل صاحب الحوض فان الابل اذا وردت الماء فدخلت بينها ناقة غريبة تطرد و تذاد حتى تخرج من بينها * و القونس منبت شعر الناصية وقيل العظم الناتب بين اذنى الفرس واصل اضرب اضربن مؤكدا بالنون الخفيفة فحذفت النون وابقيت الفتحة قبلها لتدل عليها و الطارق ما يطرق بالليل فيكون طارقها بدل البعض من الهموم و الصفح الاعراض يقال صفحت من فلان اصفح صفحا اذا اعرضت عنه او عن ذنبه و الصفح ايضا الناحية و الجانب يقال نظر اليه بصفح وجهه اى بعرض وجهه وناحيته والمصنف جعل الصفح بمعنى الاعراض وذكر لانتصابه ثلاثة اوجه الاول انه مفعول مطلق من غير لفظ عامله لكونه موافقا له من حيث المعنى فان دفع الذكر عنهم والامتناع من انزال القرآن المشتمل على الاوامر و النواهى و المواعظ و المصالح مع كونه متوجها اليهم لاقتضاء الحكمة انزاله عليهم فى معنى الاعراض عنهم فكأنه قيل أنعرض عنكم صفحا اى اعراضا بان نهملكم و نتركم سدى فلا نأمركم ولا ننهاكم عن قتادة قال والله لو كان هذا القرآن رفع حين رده اوآئل هذه الامة لهلكوا ولكن الله تعالى كرره عليهم ودعاهم اليه عشرين سنة او ما شاء الله والثانى كونه مفعولا له على معنى أفنعزل عنكم انزال القرآن و الزام الحجة به اعراضا عنكم و الثالث كونه حالا من الفاعل بمعنى صافحين و معرضين ثم نقل قول من قال انه بمعنى الجانب و الناحية فحكم بان انتصابه حينئذ يكون على الظرفية لنضرب لانه حينئذ لا يكون مصدرا ولا علة لابعاد الذكر ولا هيئة لفاعل او المفعول به فتعين ان يكون ظرفا لنضرب اى أنبعد عنكم

(لعلكم تعقلون) لكى تفهموا معانيه (وانه) عطف على انا وقرأ حمزة و الكسائى بالكسر على الاستئناف (فى ام الكتاب) فى اللوح المحفوظ فانه اصل الكتب السماوية وقرأ حمزة والكسائى ام الكتاب بالكسر (لدينا) محفوظا عندنا من التغيير (لعلىّ) رفيع الشأن فى الكتب لكونه معجزا من بينها (حكيم) ذو حكمة بالغة او محكم لا ينسخه غيره وهما خبران لان و فى ام الكتاب متعلق بعلىّ و اللام لا تمنع او حال منه و لدينا بدل منه او حال من الكتاب (أفنضرب عنكم الذكر صفحا) أفنذوده ونبعده عنكم مجاز من قولهم ضرب الغرائب عن الحوض قال طرفة

اضرب عنك الهموم طارقها *

ضربك بالسيف قونس الفرس *

والفاء للعطف على محذوف يعنى أنهملكم فنضرب عنكم الذكر و صفحا مصدر من غير لفظه فان تنحية الذكر عنهم اعراض او مفعول له او حال بمعنى صافحين واصله ان تولى الشئ صفحة عنقك

الذكر جانبا كما يقول ضعه جانبا وامش جانبا اى فى جانب ثم انه كون صفحا بالفتح بمعنى الجانب بقرآءة من قرأ بضم الصاد
فان المشهور ان صفحا بالضم بمعنى الجانب لاغير فينبغى ان يكون صفحا بالفتح ايضا بمعنى الجانب ليتناسب
القرآءتان ﴿ قوله وحينئذ ﴾ اى وحين اذ قرئ بالضم يحتمل ان يكون ظرفا بمعنى الجانب كما ان المفتوح لغة
فيه يحتمل ايضا ان يكون تخفيف صفح بضمتين فى جمع صفوح كرسل فى جمع رسول وصفوح مبالغة فى صافح بمعنى
كثير الصفح والعفو عن الجانين فيكون حالا من فاعل نضرب اى صافحين معرضين ﴿ قوله وهو فى الحقيقة علة
مقتضية لترك الاعراض عنهم ﴾ بناء على اسرافهم فى الجهل والعصيان والكفر والطغيان والمعنى ان ذلك
الاسراف كيف يكون سببا للاعراض المذكور وهو فى الحقيقة سبب لترك الاعراض ﴿ قوله على ان الجملة
شرطية مخرجة للمحقق مخرج المشكوك استجهالا لهم ﴾ جواب عما يقال من انه كيف صح استعمال ان الشرطية
فى مقطوع الوقوع فانهم كانوا مسرفين على القطع بحيث لايشك فيه عاقل وحق كلة ان أن تدخل على ماهو
مشكوك الوقوع ، وتقرير الجواب انها قد تستعمل فى مقام القطع لقصد الى تجهيل المخاطب ومانحن فيه من هذا
القبيل فانه استعمل فيه كلة ان توبيخا لهم بالجهل بانهم مسرفون فى الضلالة والطغيان مع وضوح كونهم كذلك
بالبراهين القاطعة فان استعمالها فى هذا المقام يخيل لهم ان الاصرار على ماهم عليه فعل من له شك فى كونه اسرافا
فى الضلالة ونظيره قول الاجير ان كنت عملت لك فوفنى حقى وهو عالم بذلك ﴿ قوله وماقبلها دليل الجزآء ﴾
بناء على ان ماذهب اليه البصريون من ان جزآء الشرط لايتقدم عليه ويقولون فى مثله انه حذف الجزآء اعتمادا
على دلالة ماقبل اداة الشرط عليه ثم انه تعالى لما وصفهم بالاسراف فى الطغيان والتكذيب على رسوله صلى الله
عليه وسلم قال وكم ارسلنا من نبىّ الآية وكم فيه خبرية فى موضع النصب على انه مفعول مقدم لارسلنا ومن نبىّ
تمييز وفى الاوّلين متعلق بارسلنا او بمحذوف مجرور على انه صفة لنبىّ والمعنى ان عادة الامم مع الانبياء الذين
يدعونهم الى الدين الحق هو التكذيب والاستهزآء فلا ينبغى ان تتأذى من قومك بسبب تكذيبهم واستهزآئهم
لان المصيبة اذا عمت خفت ثم قال اخماما للتسلية ووعدا له ووعيدا لقومه فاهلكنا اشدّ منهم بطشا اى فاهلكنا
الاوّلين الذين هم اشدّ واقوى من قومك فى البطش وهو شدّة الاخذ فقوله اشدّ ظاهر وضع موضع ضمير الاوّلين
للتنصيص على شدّتهم وقوّتهم والمعنى ان اولئك المتقدمين الذين ارسل الله تعالى اليهم الرسل فاستهزأوا برسلهم
كانوا اشدّ بطشا من قريش واكثر عددا وجلدا ومع ذلك اهلكناهم فليحذر قومك الذين سلكوا مسلكهم فى الكفر
والتكذيب ان ينزل بهم مثل ماجرى على الاوّلين وبطشا تمييز لاشدّ وقيل حال من فاعل اهلكنا اى اهلكناهم
باطشين او ذوى بطش ﴿ قوله اى من القوم المسرفين ﴾ وهم قوم قريش اذ ضمير منهم راجع الى قومه عليه
السلام الذين خوطبوا بقوله أفنضرب عنكم الذكر صفحا ان كنتم قوما مسرفين ولا يرجع الى الاوّلين لان المعنى
لايساعد ذلك الا انه عبر عنهم ههنا بضمير الغائبين بناء على انه تعالى بعد ماخاطبهم بذلك اعرض عنهم والتفت اليه
عليه الصلاة والسلام تسلية عن استهزآئهم فصاروا غائبين فى موضع هذا الخطاب فلهذا عبر عنهم بضمير الغائبين ثم
انه تعالى وبخ مشركى قريش وجهلهم بانهم مع اعترافهم بقدرته تعالى وعلمه وعزته بقولهم خلقهن العزيز العليم
يصرّون على الشرك والتكذيب ويجعلون له من عباده جزأ فقال ولئن سألتهم الآية ﴿ قوله لعله لازم مقولهم ﴾
جواب عما يقال من ان قوله تعالى خلقهن العزيز العليم الى آخر ماذكر من الاوصاف ان كان من قول اهل مكة كان
الظاهر ان يقال الذى جعل لنا الارض مهادا وجعل لنا فيها سبلا وجعل لنا من الفلك والانعام ماتركبه ولا يظهر
وجه قوله فأنشرنا به بلدة ميتا كذلك تخرجون لانهم لاينشرون شيأ ولايقولون ايضا بالبعث حتى يقيسوه باحياء
البلدة الميتة وان كان من قول الله تعالى مع ان اهل مكة هم المسئولون لزم ان يكون المجيب غير المسئول فاوجهه
اجاب عنه اوّلا باختيار انه من قول الله تعالى الا انه لما كان لازم مقولهم الذى هو قولهم خلقهن الله او تفصيلا
لما اجملوه بذلك المقول نزل منزلة مقولهم فان لفظة الله اسم علم للمعبود بالحق المستجمع لجميع صفات الجلال والجمال
فيكون متضمنا لهذه الاوصاف ومستلزما لها فكأنهم ذكروا عند ذكرهم هذا الاسم الشريف هذه الاوصاف كلها
فصح بذلك جعلها مقولا لهم وظهر ايضا وجه قوله وجعل لكم بدل لنا ووجه قوله فانشرنا به بلدة ميتا لانه كلام
الله تعالى حقيقة فكأنه قيل ليقولن خلقها الى الذى هذه اوصافه وعدل عن حكاية عين مقولهم الى اقامة لازمه
مقامه او الى اقامة المفصل مقام المجمل الزاما للحجة عليهم حيث اعترفوا بما يستلزم تفرّده بالالوهية ثم عبدوا غيره

وقيل انه بمعنى الجانب فيكون ظرفا ويؤيده
انه قرئ صفحا بالضم وحينئذ يحتمل
ان يكون تخفيف صفح جمع صفوح بمعنى
صافحين والمراد انكار ان يكون الامر على
خلاف ماذكر من انزال الكتاب على لغتهم
ليفهموه ، (ان كنتم) اى لان كنتم (قوما
مسرفين) وهو فى الحقيقة علة مقتضية لترك
الاعراض عنهم وقرأ نافع وحمزة والكسائى
ان بالكسر على ان الجملة شرطية مخرجة
للمحقق مخرج المشكوك استجهالا لهم وما
قبلها دليل الجزآء ، (وكم ارسلنا من نبىّ
فى الاوّلين وما يأتيهم من نبىّ الا كانوا به
يستهزئون) تسلية لرسول الله صلى الله
عليه وسلم عن استهزآء قومه (فاهلكنا اشدّ
منهم بطشا) اى من القوم المسرفين لانه
صرف الخطاب عنهم الى الرسول مخبرا عنهم
(ومضى مثل الاوّلين) وسلف فى القرآن
قصتهم العجيبة وفيه وعد للرسول ووعيد لهم
بمثل ماجرى على الاوّلين (ولئن سألتهم
من خلق السموات والارض ليقولنّ خلقهنّ
العزيز العليم) لعله لازم مقولهم او ما دل
عليه اجمالا اقيم مقامه تقريرا لالزام الحجة
عليهم فكأنهم قالوا الله كما حكى عنهم
فى مواضع أخر وهو الذى من صفته ما
سرد من الصفات ويجوز ان يكون مقولهم
ومابعده استئناف (الذى جعل لكم الارض
مهدا) فتستقرّون فيها وقرأ غير الكوفيين
مهادا بالالف (وجعل لكم فيها سبلا)
تسلكونها (لعلكم تهتدون) لكى تهتدوا
الى مقاصدكم او الى حكمة الصانع بالنظر فى
ذلك

(وانكروا)

وانكروا قدرته على البعث لفرط جهلهم وغباوتهم • واجاب ثانيا بان مقولهم وجوابهم تم عند قوله العليم وما بعده ابتداء كلام من الله تعالى بذكر مصنوعاته التى لايشاركه فى شئ منها احد غيره لما وصف الكفار خالقهن بالعزيز العليم وصفه الله تعالى بتلك الاوصاف ايضا على انها من تمة كلامهم وان لم يتفوهوا بها ولم ينظروا الى كونها لازم مقولهم ولا تفصيلا لاجمال جوابهم للدلالة على ان الذى وصفوه بكمال العزة والعلم والقدرة هو الموصوف بان اسبغ عليهم هذه النعم الجليلة والآلاء العظيمة فكيف يكفرونها بعبادة غيره ونظيره فى كلام الناس ان يقول الرجل هذا المسجد بناه فلان العالم فيقول السامع لكلامه الزاهد الكريم فكأن ذلك السامع يقول انا اعرفه بصفات جيدة فوق ماتعرفه وازيد فى صفته فيكون النعتان جميعا من رجلين فى حق رجل واحد ﴿قوله زال عنها النماء﴾ يعنى ان البلدة الميتة من قبيل التشبيه شبهت البلدة التى زال عنها النماء بالجسد الذى زالت الحياة عنه ﴿قوله مثل ذلك الانشار تنشرون من قبوركم﴾ يعنى ان الكاف فى محل النصب على انه صفة لمصدر محذوف اى تنشرون انشارا مثل انشار البلدة الميتة من حيث ان كل واحد منهما احياء بعد الاماتة والمقصود ان انشار البلدة الميت كما دل على قدرة الله تعالى وحكمته مطلقا فكذلك يدل على قدرته على البعث والقيامة ﴿قوله ماتركبونه على تغليب المتعدى بنفسه الخ﴾ يعنى ان ركب بالنسبة الى الفلك يتعدى بكلمة فى كقوله تعالى فاذا ركبوا فى الفلك وبالنسبة الى غيره يتعدى بنفسه كقوله تعالى لتركبوها فغلب ههنا المتعدى بنفسه لقوته على المتعدى بواسطة فى فقيل تقدير قوله ماتركبون ماتركبونه والمراد تغليب احد اعتبارى الفعل على الآخر لاتغليب احد الفعلين على الآخر لان الفعل المتعدى الى الفلك هو المتعدى الى الانعام الا ان تعديته الى احدهما تحتاج الى آلة التعدية وتعديته الى الآخر لاتحتاج اليها وذلك لايوجب التعدد فى نفس الفعل حتى يقال غلب احد الفعلين على الآخر وقوله ولذلك اى وبناء على احد التغليبين الاخيرين عدى فعل الاستواء بكلمة على الى ظهور ماتركبونه مع ان الاستواء المتعلق بالفلك لايتعلق بظهره ولايتعدى اليه الفعل بعلى بل بفى لكونه حاويا للمستوى وظرفا له ﴿قوله وجمعه للمعنى﴾ جواب عما يرد على قوله ظهور ماتركبون وهو انه لما اضيف الظهر الى ضمير ماتركبون افرد ضميره اعتبارا للفظ ما ولم يقل ظهورها فلم جمع لفظ الظهر مع ان المراد ما اضيف هو اليه • فاجاب عنه بانه جمع اعتبار المعنى ما اضيف اليه فان ماتركبون متناول لجنسى الفلك والانعام المشتملين على افراد واصناف كثيرة ﴿قوله معترفين بها حامدين عليها﴾ اى ليس المراد من ذكر النعمة بالقلب مجرد تصورها واخطارها فى البال بل المراد انه ذكرها من حيث كونها نعمة حاصلة بتدبير القادر العليم الحكيم مستدعية لطاعته والاشتغال بشكر نعمه فان من تفكر فى ان ماركبه الانسان من الفلك والانعام اكثر قوة واكبر جثة من راكبه ومع ذلك فقد كان مسخرا لراكبه يتمكن من تصريفه الى اى جانب شاء وتفكر ايضا فى خلق البحر والريح وفى كونهما مسخرين للانسان مع مافيهما من المهابة والاهوال استغرق فى معرفة عظمة الله تعالى وكبريائه وكمال قدرته وحكمته فيحمله ذلك الاستغراق على ان يتعجب ويقول سبحان الذى سخر لنا هذا وماكنا له مقرنين اى مطيقين ضبطه وتسخيره كيف نشاء يقال اقرن له اى اطاقه وقوى عليه واقرنت لفلان اذا صرت قرناله اى معادلا وكفؤا له فى الشجاعة غير مغلوب له وقرئ مقرنين بالتشديد والقرن الذى يجعل مقرنا للشئ اى مطيقا له يقال قرنته فاقرن وقوله والمعنى واحد المراد به وحدة معنى المأخذ ولاينافيه كون احد البنائين للتعدية والآخر للمطاوعة ﴿قوله واتصاله بذلك﴾ اى اتصال قوله وانا الى ربنا لمنقلبون بما قبله من وجهين الاول ان الركوب للانتقال وان يتذكر به النقلة العظمى ولايدع ذكره بلسانه وقلبه ليكون مستعدا للقاء الله تعالى غير غافل عنه والثانى ان الركوب مخطر اى موقع فى خطر الهلاك وسبب من اسباب التلف اما ركوب السفينة فظاهر واما ركوب الدابة فانها لاتخلو من العثار والنفار والتقحم فى المضايق والمهالك بسبب من الاسباب فركوبها تعريض النفس للهلاك فوجب على الراكب ان يتذكر امر الموت عند الركوب ويعلم انه هالك لامحالة وان هلاكه انما هو انقلابه الى الله تعالى والى مقام حسابه فيستعد للقائه باصلاح احواله ﴿قوله اى وقد جعلوا له بعد ذلك الاعتراف﴾ اى اعتراف الممكنات باسرها بانه ذو العزة البالغة والعلم المحيط وقدر لفظة قد للاشارة الى انه حال من فاعل قوله ليقولن ويبعد جدا اتصاله بقوله ولئن سألتهم ﴿قوله ولعله سماه جزأ﴾ اى ولعل الوجه فى التعبير عن الولد بالجزء الدلالة على استحالته على الواحد الحق كما سمى الولد بعضا لكونه بضعة من

(والذى نزل من السماء ماء بقدر) بمقدار ينفع ولايضر (فانشرنا به بلدة ميتا) زال عنه النماء وتذكيره لان البلدة بمعنى البلد والمكان (كذلك) مثل ذلك الانشار (تخرجون) تنشرون من قبوركم وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائى تخرجون بفتح التاء وضم الراء (والذى خلق الازواج كلها) اصناف المخلوقات (وجعل لكم من الفلك والانعام ماتركبون) ماتركبونه على تغليب المتعدى بنفسه على المتعدى بغيره اذ يقال ركبت الدابة وركبت فى السفينة او المخلوق للركوب على المصنوع له او الغالب على النادر ولذلك قال (لتستووا على ظهوره) اى ظهور ماتركبون وجمعه للمعنى (ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه) تذكروها بقلوبكم معترفين بها حامدين عليها (وتقولوا سبحان الذى سخر لنا هذا وماكنا له مقرنين) مطيقين من اقرن الشئ اذا اطاقه واصله وجده قرينه اذ الصعب لايكون قرينة الضعيف وقرئ بالتشديد والمعنى واحد وعنه عليه الصلاة والسلام انه كان اذا وضع رجله فى الركاب قال بسم الله فاذا استوى على الدابة قال الحمد لله على كل حال سبحان الذى سخر لنا الى قوله (وانا الى ربنا لمنقلبون) اى راجعون واتصاله بذلك لان الركوب للتنقل والنقلة العظمى هو الانقلاب الى الله تعالى او لانه مخطر فينبغى للراكب ان لايغفل عنه ويستعد للقاء الله تعالى (وجعلوا له من عباده جزأ) متصل بقوله ولئن سألتهم اى وقد جعلوا له بعد ذلك الاعتراف من عباده ولدا فقالوا الملائكة بنات الله ولعله سماه جزأ كما سمى بعضا لانه بضعة من الوالد دلالة على استحالته على الواحد الحق فى ذاته

والده قال صلى الله عليه وسلم «فاطمة بضعة منى» والبضعة بفتح الباء القطعة من اللحم فان الوالد ينفصل منه جزء من اجزآئه ثم يتربى ذلك الجزء ويتولد منه شخص آخر يماثل الوالد فهو لد الرجل جزؤ منه فاثبات الولد له تعالى يستلزم التركيب لان كل ماله جزء فهو مركب وكل مركب ممكن والامكان ينافى الوجوب الذاتى والتركيب ينافى الوحدة الذاتية فيكون التعبير بالجزء عن الولد مشعرا باستحالة اثبات الولد لمن هو متصف بالوحدة الذاتية ومنزه عن الامكان والاحتياج الى الغير فالجعل ههنا بمعنى الحكم بالشئ والاعتقاد به كما فى قوله تعالى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا اى حكموا به ووصفوهم بالانوثة ويحتمل ان يكون ههنا بمعنى التصيير القولى ﴿قوله وقرئ جزأ بضمتين﴾ وهى قرآءة عاصم فى قول ابى بكر فى كل القرآن والباقون باسكان الزاى وبالهمزة فى كل القرآن وهما لغتان واما حمزة فانه اذا وقف قال جزا بفتح الزاى بلا همزة ثم انه تعالى اضرب عن الاخبار بانهم جعلوا له ولدا واخذ فيما هو أهم وهو الانكار عليهم والتعجب من شأنهم حيث لم يقنعوا بان جعلوا له ولدا حتى جعلوا ذلك الولد شر الولدين وهو الاناث فانهن ابغض الاولاد عندهم ولو كان الامر كما زعموه وهو ان اتخذ لنفسه البنات واصفى عباده بالبنين لزم ان يكون حال العبد اكمل وافضل من حال المولى الخالق لكل شئ وذلك مما تستحيله بديهة العقل يقال اصفيت فلانا بكذا اذا آثرته به بحيث حصل له ذلك على سبيل الصفاء من غير ان يكون له فيه مشاركة ﴿قوله تعالى واذا بشر احدهم﴾ جملة وقعت موقع الحال ﴿قوله صار وجهه﴾ فسر الظلول بالصيرورة لكونها اوفق بالمقام واكثر الافعال الناقصة يستعمل بمعنى الصيرورة ولا يبعد كل البعد ان يكون على اصل معناه وهو ثبوت خبره لاسمه بالنهار دون الليل بمعنى يبقى فى كل يومه متغير اللون ظاهرا عليه اثر الحزن والكآبة ﴿قوله وفى ذلك﴾ اى وفى قوله تعالى وجعلوا له من عباده جزأ الى ههنا دلالات وذلك لانه تعالى اخبر عنهم بانهم اثبتوا الولد له والحال ان الواجب لذاته مع ان التركيب والامكان ينافيان الوحدة والوجوب وافحش من ذلك ما زعموه انه تعالى اتخذ اخس الجزئين لنفسه وآثر عباده باشرفهما وبين دناءة ما نسبوه اليه تعالى بقوله واذا بشر احدهم الآية وما بلغ فى الدناءة الى هذا الحد كيف يجترئ العاقل على اثباته له تعالى ﴿قوله وتعريف البنين لما مرّ فى الذكور﴾ يعنى ان سوق الكلام لما اقتضى تقديم البنات مع تأخرهن عن البنين وجودا وشرفا ولزم من ذلك تأخير البنين جبر ذلك بتعريفهم لشرفها وتعظيما كما نكرت البنات تحقيرا لهن واهانة وانما قلنا ان الكلام اقتضى تقديم البنات لان الكلام انما سيق لتوبيخهم وانكار انهم اثبتوا له تعالى اخس الاولاد ولانفسهم اشرفها فكان ذكر البنات هو الذى سيق له الكلام اصالة وذكر البنين وقع استطرادا لمزيد الانكار والتعميم ثم انه تعالى زاد فى توبيخهم فقال اومن ينشأ وقول المصنف وجعلوا له او اتخذ من يتربى فى الزينة اشارة الى ان من الموصولة فى محل النصب على انه مفعول به لفعل مقدّر معطوف على قوله وجعلوا له او على قوله ام اتخذ مما يخلق وان الواو عاطفة لذلك الفعل المقدّر وان الف الاستفهام مقحمة بين المعطوف والمعطوف عليه لمزيد الانكار المستفاد من فحوى الكلام على الاوّل اومن الهمزة التى تضمنتها ام المنقطعة على الثانى ولا يخفى ان ذم الاناث بان يقال فى حقهن او جعلوا للرحمن من الولد من هذه الصفة المذمومة صفته وان دل على ان التحلى والنشأة فى الزينة وسعة العيش وان كان مباحا للنساء الا انه من المعايب ودلائل النقصان لان المتزين بالحلى لولا نقصانه فى ذاته لما احتاج الى تزيين نفسه بالحلية فاقدام الرجل عليه يكون القاء لنفسه فى الذل وذلك حرام لقوله صلى الله عليه وسلم «ليس للمؤمن ان يذل نفسه» وانما زينة الرجل الصبر على طاعة الله تعالى والتزين بزينة التقوى كما قال عمر رضى الله عنه اخشوشنوا واخشوشنوا وتمعددوا واياكم وزى الاعاجم يقال للغليظ من اللباس خشن ومن الطعام واللباس ما هو الغليظ لا ما هو الرقيق الناعم ويقال تمعدد فلان اذا قنع بعيش معد بن عدنان ابى العرب وكانوا اهل غلظة فى امر المعاش فقوله وتمعددوا اى كونوا مثلهم ودعوا التنعم وفى الحديث «عليكم باللبسة المعدية» ثم بين نقصان حالها بطريق آخر فقال وهو فى الخصام غير مبين وهذه الجملة حال من فاعل ينشأ ﴿قوله واضافة غير اليه لا تمنعه﴾ جواب عما يقال كيف يعمل مبين فيما قبل المضاف وقد ثبت فى النحو عدم جوازه وتقرير الجواب ان ما ذكر فى النحو انما هو اذا لم يكن المضاف كلمة غير فان ما بعد غير يجوز ان يعمل فيما قبلها بناء على ان غير فيها معنى النفى كأنه قيل وهو لا يبين فى الخصام فكما جاز ان يعمل ما بعد كلمة لا فيما قبلها جاز ان يعمل ما بعد غير فيما قبلها ايضا ومنه مسئلة الكتاب من جواز زيدا غير ضارب فزيدا منصوب بضارب

وقرئ جزأ بضمتين (ان الانسان لكفور مبين) ظاهر الكفران ومن ذلك نسبة الولد الى الله تعالى لانها من فرط الجهل به والتحقير لشأنه (ام اتخذ مما يخلق بنات واصفاكم بالبنين) معنى الهمزة فى ام الانكار والتعجب من شأنهم حيث لم يقنعوا بان جعلوا له جزأ حتى جعلوا له من مخلوقاته جزأ اخس مما اختير لهم وابغض الاشياء اليهم بحيث اذا بشر احدهم به اشتد غمهم به كما قال (واذا بشر احدهم بما ضرب للرحمن مثلا) بالجنس الذى جعله له مثلا اذ الولد لابد وان يماثل الوالد (ظل وجهه مسودا) صار وجهه اسود فى الغاية لما يعتريه من الكآبة (وهو كظيم) مملوء قلبه من الكرب وفى ذلك دلالات على فساد ما قالوه وتعريف البنين لما مرّ فى الذكور وقرئ مسود ومسواد على ان فى ظل ضمير المبشر ووجهه مسود جملة وقعت خبرا (اومن ينشأ فى الحلية) اى وجعلوا له او اتخذ من يتربى فى الزينة يعنى البنات (وهو فى الخصام) فى المجادلة (غير مبين) مقرر لما يدعيه من نقصان العقل وضعف الرأى ويجوز ان يكون من مبتدأ محذوف الخبر اى اومن هذه حاله ولده وفى الخصام متعلق بمبين واضافة غير اليه لا تمنعه كما عرفت

كما ذكر فى قوله تعالى غير المغضوب عليهم ﴿ قوله وقرأ حمزة والكسائى وحفص ينشأ ﴾ بضم الياء وفتح النون وتشديد الشين وقرآءة باقى السبعة بفتح الياء واسكان النون وفتح الشين من نشأ وناشأ على وزن يقاتل مبنيا للفعول والتفعيل والمفاعلة والافعال قد يكون بمعنى واحد نحو علاه الله تعالى وعالاه فعلى كإفعال اعلاء الله تعالى فعلا ويظهر من نقل هذه القراآت انه اختار قرآءة العامة يقال نشأت فى بنى فلان نشأ اذا شبت فيهم ونشأ وانشأ بمعنى كذا فى الصحاح ﴿ قوله كفر آخر ﴾ اى غير كفرهم بالوجهين الاولين وهما اثبات الولد لرب العالمين ثم نسبة اخس صنفى الولد اليه مع ايثارهم انفسهم على نفسه باشرفهما حيث قالوا الملائكة بنات الله ومن قرأ عند الرحمن بكسر العين والنون الساكنة وفتح الدال جعله ظرفا ولما استحال حمل العندية على القرب المكانى وجب جعلها استعارة لاختصاصهم بمزيد كرامة الله تعالى وتشريفه اياهم تشبيها لحالهم فى الاختصاص بمزيد الشرف والمكانة بحال من يكون عند الملك وفنائه بحيث لا يحجبه عنه حاجب ولا بواب فاستعمل فى المشبه ما كان حقه ان يستعمل فى المشبه به وقرئ عباد الرحمن وانثا بضمتين وهو جمع اناث مثل كتاب وكتب وحمار وحمر ﴿ قوله وقرأ نافع ءاشهدوا ﴾ بادخال همزة الانكار والتهكم على اشهدوا افعلا رباعيا مبنيا للمفعول فسهل الهمزة الثانية بجعلها بين الهمزة والواو ولم يدخل بينهما الف الفصل اكتفاء بتسهيل الثانية وادخلها تارة كراهة لاجتماعهما فقال آاشهدوا فقوله وآاشهدوا اعطف على قوله ءاشهدوا والباقون ادخلوا همزة الانكار على شهدوا ثلاثيا والفعل على التقدير من الشهود بمعنى الحضور لامن الشهادة وقرأ العامة ستكتب بالتاء من فوق مبنيا للمفعول ورفع شهادتهم وقرئ ايضا سنكتب بنون العظمة شهادتهم اى شهادتهم على الملائكة انهم بنات الله تعالى بالنصب مفعولا به ﴿ قوله فاستدلوا بنفى مشيئته عدم العبادة على امتناع النهى عنها او على حسنها ﴾ وتوضيح المقام يتوقف على تفصيل مذهب اهل السنة واهل الاعتزال فى مسئلة ان الكائنات باسرها هل هى بارادة الله تعالى ومشيئته وانه لا يجرى فى ملكه الا ما يشاء او بعض منها بارادة الله ومشيئته والبعض الآخر بكراهته وسخطه فذهب اهل السنة الى ان الكائنات كلها من الطاعة والمعصية والكفر والايمان بارادة الله تعالى ومشيئته وان ما كان طاعة من فعل العباد فهو بمشيئة الله تعالى وارادته وقضائه وقدره ورضاه ومحبته وامره وما كان معصية منها فهو بمشيئته وارادته وقضائه وقدره وليس بامره ولا برضاه ومحبته وقالت المعتزلة المعاصى ليست بارادة الله تعالى ومشيئته بل بكراهته واستدلوا عليه بهذه الآية وبقوله تعالى فى سورة الانعام سيقول الذين اشركوا لو شاء الله ما اشركنا ولا آباؤنا الى قوله قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ان تتبعون الا الظن وان انتم الا تخرصون وتقريره ان لو معناه الامتناع للامتناع وان عبادة الملائكة كفر فالله تعالى حكى عنهم عين ما ذهب اليه اهل السنة وهو قولهم لو شاء الله منا عدم الكفر اى ترك عبادة غيره لتركناها وقلنا ومعنى الكلام انا ما تركنا عبادة غيره وكنا كافرين لانه تعالى لم يشأ منا ترك عبادتهم بل شاء منا الكفر وعبادة غيره فلذلك فعلنا ذلك ثم انه تعالى ابطل منهم هذا القول بقوله ما لهم بذلك من علم ان هم الا يخرصون فثبت بهذه الآية بطلان القول بان الكفر بمشيئة الله تعالى وهو قول اهل السنة والمصنف اجاب عن هذا الاستدلال بانه انما يتم ان لو كان ما توجه اليهم من الذم والتجهيل المستفاد من قوله تعالى ما لهم بذلك من علم ان هم الا يخرصون لمجرد قولهم ان الله تعالى يريد الكفر من الكافر ولا نسلم ذلك بل انما توجه اليهم الذم والتجهيل لاجل انهم قالوا لما اراد الكفر من الكافر وجب ان يقبح منه امر الكافر بالايمان فانه كيف يصح الامر بالشئ وارادة خلافه فكان خلاصة كلام المشركين لو شاء الله تعالى منا عدم الكفر لما كفرنا وانما كفرنا بسبب مشيئته تعالى كفرنا ومن المعلوم ان من شاء الكفر لا ينهى عنه فلا يكون الكفر منهيا عنه ومن المعلوم ان من اراد الكفر يكون الكفر حسنا عنده فكيف تزعمون قبحه وتعيروننا بسببه فانصرف الذم والطعن الى هذا المقام فسقط استدلال المعتزلة بهذه الآية واعلم ان ارادة الله تعالى ومشيئته موافقة لعلمه وتابعة له لا لامره فكل ما علم الله تعالى فى الازل انه يوجد فقد اراد وجوده طاعة او معصية وما علم انه لا يوجد فقد اراد ان لا يوجد ولما علم من ابى جهل الكفر لا الايمان اراد منه الكفر وكذا اراد من سائر العصاة والكفرة عصيانهم وكفرهم على حسب ما علم منهم فى الازل وقالت المعتزلة ارادة الله تعالى مطابقة لامره فكل ما امر الله تعالى به فقد اراده وكل ما نهى عنه فقد كرهه فقولهم لو شاء الله ما اشركنا معناه لو شاء الله عدم اشراكنا لما اشركنا اى علمنا ان المشيئة قد تعلقت باشراكنا لا بعدم اشراكنا ومقصودهم من هذا الكلام الاستدلال بانتفاء مشيئته تعالى عدم الاشراك على امتناع النهى عنه فان

وقرأ حمزة والكسائى وحفص ينشأ اى يربى وقرئ ينشأ وينشأ بمعناه ونظير ذلك اعلاه وعلاه وعالاه بمعنى (وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا) كفر آخر تضمنه مقالهم شنع به عليهم وهو جعلهم اكمل العباد واكرمهم على الله انقصهم رأيا واخسهم صنفا وقرئ عبيد وقرأ الحجازيان وابن عامر ويعقوب عند على تمثيل زلفاهم وقرئ اُنثا وهو جمع الجمع (أشهدوا خلقهم) أحضروا خلق الله اياهم فشاهدوهم اناثا فان ذلك مما يعلم بالمشاهدة وهو تجهيل وتهكم بهم وقرأ نافع ءاشهدوا بهمزة الاستفهام وهمزة مضمومة بين بين وآاشهدوا بمدة بينهما (ستكتب شهادتهم) التى شهدوا بها على الملائكة (ويسألون) اى عنها يوم القيامة وهو وعيد وقرئ سيكتب وسنكتب بالياء والنون وشهادتهم وهى ان لله جزأ وانه بنات وهن الملائكة ويسألون من المسائلة (وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم) اى لو شاء عدم عبادة الملائكة ما عبدناهم فاستدلوا بنفى مشيئته عدم العبادة على امتناع النهى عنها او على حسنها وذلك باطل لان المشيئة ترجح بعض الممكنات على بعض مأمورا كان او منهيا حسنا كان او غيره ولذلك جهلهم

فقال (مالهم بذلك من علم ان هم الا يخرصون) يتمحلون تمحلا باطلا ويجوز ان تكون الاشارة الى اصل الدعوى كأنه لما ابدى وجوه فسادها وحكى شبهتهم المزيفة نفى ان يكون لهم بها علم من طريق العقل ثم اضرب عنه الى انكار ان يكون لهم سند من جهة النقل فقال (ام آتيناهم كتابا من قبله) من قبل القرآن او ادعائهم ينطق على صحة ما قالوه (فهم به مستمسكون) بذلك الكتاب متمسكون (بل قالوا انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مهتدون) اى لا حجة لهم على ذلك عقلية ولا نقلية وانما جنحوا فيه الى تقليد آبائهم الجهلة والامة الطريقة التى تؤم كالرحلة للمرحول اليه وقرئت بالكسر وهى الحالة التى يكون عليها الآم اى القاصد ومنها الدين (وكذلك ما ارسلنا من قبلك فى قرية من نذير الا قال مترفوها انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مقتدون) تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ودلالة على ان التقليد فى نحو ذلك ضلال قديم وان مقدميهم ايضا لم يكن لهم سند منظور اليه وتخصيص المترفين اشعار بان التنعم وحب البطالة صرفهم عن النظر الى التقليد (قل او لو جئتكم باهدى مما وجدتم عليه آباءكم) اى اتتبعون آباءكم ولو جئتكم بدين اهدى من دين آبائكم وهو حكاية امر ماض اوحى الى النذير او خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ويؤيد الاول انه قرأ ابن عامر وحفص قال وقوله (قالوا انا بما ارسلتم به كافرون) اى وان كان اهدى اقناطا للنذير من ان ينظروا او يتفكروا فيه (فانتقمنا منهم) بالاستئصال (فانظر كيف كان عاقبة المكذبين) ولا تكترث بتكذيبهم (واذ قال ابراهيم) واذكر وقت قوله هذا ليروا كيف تبرأ من التقليد وتمسك بالدليل او ليقلدوه ان لم يكن لهم بد من التقليد فانه اشرف آبائهم (لابيه وقومه اننى براء مما تعبدون) برئ من عبادتكم او معبوديكم مصدر نعت به ولذلك استوى فيه الواحد والمتعدد والمذكر والمؤنث وقرئ برئ وبراء ككريم وكرام (الا الذى فطرنى) استثناء منقطع او متصل على ان ما تعم اولى العلم وغيرهم وانهم كانوا يعبدون الله والاوثان او صفة على ان ما موصوفة اى اننى براء من آلهة تعبدونها غير الذى فطرنى

من لا يريد عدم الاشراك فقد اراد نفس الاشراك ومن اراد الاشراك كيف ينهى عنه والاستدلال بثبوت مشيئة الاشراك على حسنه بناء على ما اعتقدوه من ان كل مراد مأمور به فيكون حسنا فذمهم الله تعالى وجهلهم فى قولهم لما اراد الله تعالى الكفر والاشراك من الكافر كان حسنا وامتنع النهى عنه وامره بالتوحيد والايمان بناء على ان المشيئة لا يجب ان تطابق الامر بل يجوز ان تتعلق بالمأمور به والمنهى عنه وبالحسن وغيره لان شأن المشيئة ليس الا ترجيح بعض المقدورات على بعض بالوقوع ﴿ قوله ويجوز ان تكون الاشارة الى اصل الدعوى ﴾ وهو قولهم الملائكة اناث وانهم بنات الله تعالى فانه اصل بالنسبة الى ما زعموه من ان عبادة الملائكة حسن مأمور به ويمتنع النهى عنه وهذا القول من المصنف جواب ثان من استدلال المعتزلة بهذه الآية على ان الكفر والمعاصى ليست بارادة الله تعالى ومشيئته كما سبق تقريره وقد اوضحنا ما اجاب به عنه اولا بما لا مزيد عليه وتقرير هذا الجواب ان ما ذكرتم من الاستدلال انما يتم ان لو كان قوله تعالى مالهم بذلك من علم ان هم الا يخرصون مرتبطا بقول المشركين لو شاء الرحمن ما عبدناهم وابطالا لقولهم الكفر بمشيئة الله تعالى وليس كذلك بل هو متعلق باصل دعواهم وهو قول الزجاج ورده الزمخشرى بانه تمحل مبطل وتحريف مكابر وذلك لانه تعالى حكى عن القوم قولين باطلين وبين وجه بطلانهما حكى قولهم الاول بقوله وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا وابطله بقوله اشهدوا خلقهم الآية ثم حكى عنهم قولهم انهم بنات الله تعالى متمسكين فيه بانه تعالى اراد منهم ذلك وشاءه ثم حكم ببطلانه بقوله مالهم بذلك من علم وصرف هذا الابطال عما يليه الى كلام متقدم عليه تمحل بعيد وتحريف غير سديد والمصنف اشار الى دفع ما ذكره الزمخشرى فى رد قول الزجاج ووجه كلامه بان جعل قول المشركين اتخذ الله ولدا وان الملائكة بناته اصل الدعوى الصادرة منهم وجعل ما بعده من الآيات مسوقا للانكار عليهم والاشارة الى وجوه فساد دعواهم وجعل قولهم لو شاء الرحمن ما عبدناهم جوابا منهم لما تضمنته الآيات السابقة من معنى الانكار والاحتجاج عليهم فى دعواهم الباطلة وهذا الجواب وان كان لا يطابق مضمون تلك الآيات ولا يدفعها الا انهم تشبثوا به لانقطاع حجتهم بحيث لم يبق لهم متشبث غير ذلك ولهذا جعله المصنف شبهة مزيفة ولما لم يكن قولهم لو شاء الله كفرا مستقلا منفصلا عن اصل الدعوى لم يكن ارجاع قوله تعالى مالهم بذلك من علم الى ما تقدم عليه تمحلا وتحريفا ﴿ قوله ثم اضرب عنه ﴾ اى عن نفى ان يكون لهم تمسك عقلى ثم اضرب عن نفى ان لهم متمسكا فيما ادعوه لا من جهة العقل ولا من جهة النقل الى بيان ان ليس لهم حامل يحملهم على ذلك الادعاء الا التقليد المحض حيث قالوا انا وجدنا آباءنا على امة اى على سنة وطريقة قال صاحب الكشاف وقرئ على امة بالكسر وكلتاهما من الام وهو القصد ثم بين ان تمسك الجهال بالتقليد امر مستمر من قديم الزمان فقال وكذلك ما ارسلنا من قبلك الآية اى وكما قالوا ذلك بالتقليد تمسك مترفوا الامم السالفة ايضا بالتقليد يقال اترفته النعمة اى اطغته والمراد بالمترفين الاغنياء والرؤساء الذين آثروا النعمة واتباع الشهوات على الجد فى تحصيل سعادة الآخرة وظهر بهذا ان حب الدنيا وايثار لذاتها رأس كل خطيئة ﴿ قوله وهو حكاية امر ماض اوحى الى النذير ﴾ يعنى ان المأمور بقوله قل يجوز ان يكون النذير فيكون قل امرا ماضيا متعلقا بالنذير السالف حكاه الله تعالى فى القرآن على تقدير فقلنا له قل كذا وكذا ويجوز ان يكون امرا حاليا متعلقا برسول الله صلى الله عليه وسلم ويؤيد الاول قراءة من قرأ قال بدل قل اى قال النذير المرسل الى المترفين فى قومه ويؤيده ايضا ما قالوا فى جوابه انا بما ارسلتم به بلفظ الجمع ولو كان الخطاب بقل لرسول الله صلى الله عليه وسلم لكان الظاهر ان يجيبوه بان يقولوا انا بما ارسلت به فلما لم يكن المخاطب بقل رسول الله بل حكى الله تعالى عنهم انهم قالوا انا لا ننفك عن دين آبائنا وان جئتنا بما هو اهدى فانا بما ارسلتم به كافرون وان كان هو اهدى مما كنا عليه فعند هذا انقطع طريق النصح والارشاد ولم يبق الا الانتقام منهم فلهذا قال تعالى فانتقمنا منهم الآية ﴿ قوله وقرئ برئ وبراء ﴾ وهما صفتان بمعنى واحد مثل طويل وطوال لكن هو بالغ فى الطول وقرأ العامة براء بفتح الباء والف وهمزة بعد الراء وهو مصدر نعت به للمبالغة او بتقدير ذو البراء ﴿ قوله استثناء منقطع ﴾ لان الفاطر تعالى غير داخل فى قوله ما تعبدون لانهم كانوا لا يعبدون الا الاصنام ﴿ قوله او صفة ﴾ اى ويجوز ان تكون الا صفة بمعنى غير كما فى قوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا الا ان كلمة ما حينئذ تكون نكرة موصوفة لا موصولة ولا مصدرية لان الا بمعنى غير لا يوصف بها الا النكرة قال ابن الحاجب وغير صفة حملت على الا فى الاستثناء كما حملت الا عليها فى الصفة اذا كانت تابعة لجمع منكر غير محصور لتعذر

(فانه سيهدين) سيثبتنى على الهداية او سيهدينى الى ما وراء ما هدانى اليه (وجعلها) وجعل ابراهيم عليه السلام او الله كلمة التوحيد (كلمة باقية فى عقبه) فى ذريته فيكون فيهم ابدا من يوحد الله ويدعو الى توحيده وقرئ كلمة وفى عقبه على التخفيف وفى عاقبه اى فيمن عقبه (لعلهم يرجعون) يرجع من اشرك منهم بدعاء من وحد (بل متعت هؤلاء وآباءهم) هؤلاء المعاصرين للرسول من قريش وآباءهم بالمد فى العمر والنعمة فاغتروا بذلك وانهمكوا فى الشهوات وقرئ متعت بالفتح على انه تعالى اعترض به على ذاته فى قوله وجعلها كلمة باقية مبالغة فى تعييرهم (حتى جاءهم الحق) دعوة التوحيد او القرآن (ورسول مبين) ظاهر الرسالة بماله من المعجزات او مبين للتوحيد بالحجج والآيات (ولما جاءهم الحق) لينبههم عن غفلتهم (قالوا هذا سحر وانا به كافرون) زادوا شرارة فضموا الى شركهم معاندة الحق والاستخفاف به فسموا القرآن سحرا وكفروا به واستحقروا الرسول (وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين) اى من احدى القريتين مكة والطائف (عظيم) بالجاه والمال كالوليد بن المغيرة وعروة بن مسعود الثقفى فان الرسالة منصب عظيم لا يليق الا بعظيم ولم يعلموا انها رتبة عظيمة روحانية تستدعى عظم النفس بالتحلى بالفضائل والكمالات القدسية لا بالتزخرف بالزخارف الدنيوية (أهم يقسمون رحمة ربك) انكار فيه تجهيل وتعجيب من تحكمهم والمراد بالرحمة النبوة (نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا) وهم عاجزون عن تدبيرها وهى خويصة امرهم فى دنياهم فمن اين لهم ان يدبروا امر النبوة التى هى اعلى المراتب الانسية واطلاق المعيشة يقتضى ان يكون حلالها وحرامها من الله (ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات) واوقعنا بينهم التفاوت فى الرزق وغيره (ليتخذ بعضهم بعضا سخريا) ليستعمل بعضهم بعضا فى حوآئجهم فيحصل بينهم تألف وتضام ينتظم بذلك نظام العالم لا لكمال فى الموسع ولا لنقصان فى المقتر ثم انه لا اعتراض لهم علينا فى ذلك ولا تصرف فكيف يكون فيما هو اعلى منه (ورحمة ربك) هذه يعنى النبوة وما يتبعها (خير مما يجمعون) من حطام الدنيا والعظيم مارزق منها لا منه (ولولا ان يكون الناس امة واحدة) لولا ان يرغبوا فى الكفر اذا رأوا الكفار فى سعة وتنعم لحبهم الدنيا فيجتمعوا عليه (لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج) ومصاعد جمع معرج وقرئ معاريج جمع معراج (عليها يظهرون) يعلون السطوح لحقارة الدنيا

الاستفتاء مثل لو كان فيهما آلهة الا الله والفطر الخلق ابتداء من غير مثال من قولهم فطرت البئر اذا انشأت حفرها من غير اصل سابق ﴿ قوله سيثبتنى على الهداية ﴾ جواب عما يقال كيف قال سيهدين بالتسويف مع ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام مهديون لا محالة روى ان ابراهيم قال ذلك لابيه وقومه حين خرج من السرب وهو ابن سبع عشرة سنة ورأى اباه وقومه يعبدون الاصنام ﴿ قوله كلمة التوحيد ﴾ وهى ما تكلم به من قوله اننى برآء مما تعبدون الا الذى فطرنى فان البرآءة من كل معبود سوى الله تعالى توحيد للمعبود بالحق بمنزلة ان يقال لا اله الا الله الذى فطرنى بين تعالى ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام جعل هذه الكلمة كلمة باقية فى عقبه اى فى ذريته بان وصى بها بنيه ليرجع المشرك منهم عن شركه بدعاء الموحد اياه الى التوحيد فكلمة لعل بمعنى لام كى ثم انه تعالى لما بين برآءة ابراهيم من التقليد وتمسكه بالدليل فانه دعا اباه وقومه الى التوحيد ووصاهم بالملازمة على هذه الطريقة اضرب من هذه القصة الى ماذكر مما انعم به على اهل مكة وهم من عقبه صلى الله عليه وسلم فقال بل متعت هؤلاء وآباءهم وقرئ بل متعنا اى يقول بل متعناهم بانفسهم واموالهم وسائر انواع النعم ولم اعاجلهم بعقوبة كفرهم حتى جاءهم الحق اى القرآن ورسول مبين اى ظاهر الرسالة على ان يكون مبين من ابان بمعنى بان وظهر او مبين على ان يكون من ابان بمعنى اظهر وكان من حق هذا الانعام ان يطيعوا الرسول باجابته فلم يجيبوه وعصوا وهو قوله فلما جاءهم الحق يعنى القرآن قالوا هذا سحر الآية وقالوا استحقارا للرسول صلى الله عليه وسلم لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين اى من احدى القريتين كقوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان اى من احدهما والقريتان مكة والطائف الوليد بن المغيرة من مكة وعروة بن مسعود الثقفى من الطائف ﴿ قوله اعترض به على ذاته فى قوله وجعلها كلمة باقية ﴾ على ان يكون المنوى فى جعلها ضمير ذاته تعالى وتكون كلمة بل للاضراب عن الحكم بانه تعالى جعل تلك الكلمة باقية فى عقبه لما حكم بذلك اعترض على ذاته بطريق التجريد على منوال قول امرئ القيس

تطاول ليلك بالاثمد ۞ ونام الخلى ولم ترقد

فقال بل متعت هؤلاء وآباءهم بطول العمر وسعة الرزق فشغلهم ذلك عن استماع قول الناصح واراد بذلك الاعتراض المبالغة فى تعييرهم من حيث ان التمتيع بزيادة النعم ينبغى ان يجعل سببا للشكر والتوحيد لا للشرك واتخاذ الانداد ونظير هذا الاسلوب ان يشكو الرجل اساءة من احسن اليه ثم يقبل على نفسه فيقول انت السبب فى ذلك باحسانك اليه وغرضه بهذا الكلام توبيخ المسيء لا تقبيح فعله ثم انهم لما استحقروه صلى الله عليه وسلم ولم يعدوه لائقا لمنصب النبوة بناء على قولهم منصب الرسالة منصب عظيم فلا يليق الا برجل عظيم وان العظمة والشرف انما تكون بكثرة المال والجاه وهو صلى الله عليه وسلم ليس كذلك ابطل الله تعالى شبهتهم هذه بان نزلهم منزلة من يدعى اختصاص قسمة رحمة الله تعالى به فانكر عليهم ذلك فقال أهم يقسمون رحمة ربك وانكر كونهم المتولين لقسمة النبوة حال عجزهم عن تدبير معيشتهم فى الحياة الدنيا والخويصة تصغير خاصة صغرها اشارة الى حقارة تلك المعيشة وهى ما يعيشون به من منافع الدنيا واسبابها وهو يعم الحلال والحرام وجعل المعيشة بهذا المعنى حاصلة لهم بقسمة الله تعالى اياها بينهم يقتضى ان يكون الحرام رزقا كالحلال كما ذهب اليه اهل السنة من انه تعالى لما قسم بينهم الحلال قسم الحرام ايضا لان منهم من يعيش بالحلال ومنهم من يعيش بالحرام وقد قال تعالى نحن قسمنا بينهم معيشتهم اى ما يعيشون به وهو يقتضى ذلك وعند المعتزلة الحرام ليس برزق لان الرزق عندهم عبارة عن الملك والحرام لا يكون ملكا فلا يكون رزقا وقالوا انه لا يكون ملكا لان الملك ما يكون للشخص فيه يد محققة يدفع بها اليد المبطلة لغيره عينا كان او منفعة واليد انما تثبت باسباب شرعية عينها الله تعالى لثبوت الملك والاختصاص لمالك وهى غير متحققة فى الحرام فلا يكون ملكا وما لا يكون ملكا لا يكون رزقا وفيه ان الرزق لو وجب ان يكون ملكا لوجب ان لا تكون البهائم مرزوقة اذ لا يتصور لها الملك وقد قال تعالى وما من دابة فى الارض الا على الله رزقها ﴿ قوله واوقعنا بينهم التفاوت فى الرزق وغيره ﴾ كالقوة والضعف والعلم والجهل والغنى والفقر لانا لو سوينا بينهم فى هذه الاحوال كلها لم يخدم احد احدا ولم يصر احد منهم مسخرا لغيره فيفسد به نظام الدنيا ويخرب العالم فاوقع الله تعالى بينهم التفاوت ليسخر للاغنياء باموالهم الاجرآء والفقرآء بالعمل فينتفع الاغنياء بقوة الفقرآء والفقرآء بنعمة الاغنياء وينتظم امر كل صنف منهم بالآخر ﴿ قوله لحقارة الدنيا ﴾ علة لقوله لجعلنا لمن يكفر بالرحمن والاشارة

الى ان الآية استئناف لبيان كون رحمة الله تعالى خيرا مما يجمعون قال الزجاج لما علم تعالى ان الآخرة احظ من الدنيا بقوله تعالى ورحمة ربك خير مما يجمعون ذكر حقارة الدنيا وما فيها من المنافع الجسمانية بهذه الآية وقوله ومعارج عطف على سقفا والتقدير ومعارج من فضة لان الظاهر ان المعطوف يشارك المعطوف عليه فى قيوده وحذف لدلالة الاول عليه وكذا الكلام فى الابواب والسرر وقوله عليها يتكئون وعليها يظهرون صفتان لما قبلهما يقال ظهر عليه اذا علاه قال تعالى فما اسطاعوا ان يظهروه اى يعلوه والمعرج آلة الصعود وهى المرقاة والسلم ﴿ قوله ولبيوتهم بدل من لمن ﴾ فيكون كل واحد من اللامين للاختصاص ﴿ قوله او علة ﴾ اى ويجوز ان تكون اللام الثانية للعلة كما فى قوله وهبت له ثوبا لقميصه اى لاجل ان تخيطه قميصا ﴿ قوله وقرأ ابن كثير وابو عمرو سقفا ﴾ اى بفتح السين وسكون القاف بالافراد على ارادة الجنس الذى هو فى معنى الجمع او اكتفاء بالواحد عن الجمع لدلالة البيوت عليه فان قوله لبيوتهم يدل على ان لكل بيت سقفا على حدة والباقون من السبعة سقفا بضمتين وقرئ سقوفا مثل فلس وفلوس وسقفا بفتحتين وهو لغة فى سقف بالفتح والسكون ﴿ قوله وزينة او وذهبا ﴾ يعنى ان الزخرف يجوز ان يكون بمعنى الزينة كما فى قوله تعالى حتى اذا اخذت الارض زخرفها وازينت فيكون معطوفا على قوله سقفا والمعنى لجعلنا لهم كذا اى لبيوتهم كذا وكذا زينة عظيمة فى كل باب يزينون بها بيوتهم من الاوانى والفرش وغيرها ويجوز ان يكون بمعنى الذهب فيكون معطوفا على محل من فضة والمعنى لجعلنا لبيوتهم سقفا من فضة وزخرفا فنصب عطفا على محل من فضة وفى الصحاح الزخرف الذهب ثم يشبه به كل مموه ومزوق والمزخرف المزين ومعنى الآية لولا ذلك لفعلنا بالكفار ما ذكرنا ولكنه تعالى لم يفعل ذلك لعلمه بان الغالب على الخلق حب العاجلة * فان قيل حيث لم يوسع على الكفار للفتنة التى ذكرت فهلا وسع على المسلمين ليجتمع الناس على الاسلام * اجيب بان التوسعة عليهم مفسدة ايضا من حيث انها تؤدى الى ان يكون الدخول فى الاسلام لاجل توسعة الدنيا وذلك من دين المنافقين فكانت الحكمة فيما دبره الله تعالى ثم انه تعالى اخبران جميع ما ذكر انما يتمتع به فى الدنيا ثم يزول عن قريب فقال وان كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا اى وان الامر والشان كل ذلك لمتاع الحياة الدنيا على ان اللام فى لما هى الفارقة بين ان المخففة من الثقيلة وبين النافية وما صلة مؤكدة ﴿ قوله وقرئ به ﴾ اى وقرئ بالاسكان مع ان وما قبل وان كل ذلك الامتاع وقيل ايضا وما كل ذلك الامتاع ﴿ قوله وفيه دلالة ﴾ وجه الدلالة ظاهر لانه جعل جميع ما ذكره من زينة الدنيا متاعا يتمتع به الانسان مدة قليلة ثم يزول ويذهب ثم حكم بان الجنة ونعيم الآخرة للمتقين من الكفر والمعاصى لا للمشركين الذين الهاهم الانهماك فى شهوات الدنيا عن السعى فيما يؤدى الى سعادة الآخرة لانه قد ضاع منهم ما افنوا فيه اعمارهم وقد حرموا من سعادة الآخرة ايضا بخلاف المتقين وفيه ايضا اشعار بما لاجله لم يجعل ذلك الذى حكم عليه انه متاع الحياة الدنيا للمؤمنين ﴿ قوله وهو ﴾ اى الذى لاجله لم يجعل ذلك للمؤمنين انه اى ما ذكر من زينة الدنيا تمتع قليل بالاضافة الى ما لهم فى الآخرة مخل به اى بما لهم فى الآخرة لما فيه اى فيما ذكر من الآفات والمصنف اشار بهذا الكلام الى جواب ما يقال مرانه تعالى قد بين ان الدنيا وما فيها من انواع الزينة والشهوات لحقارتها عند الله تعالى لا يليق الا بالكفار كما قال صلى الله عليه وسلم لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء ولولا كراهة ان يجتمع الناس على الكفر لاثارها للكفار فى معقوتهم لوسعنا على الكفار بما لا يكون اوسع منه لحقارة حطام الدنيا عندنا فورد ان يقال اذا كان توسيع حطام الدنيا على الكافر سببا لاجتماع الناس على الكفر كان توسيعه على المؤمن ايضا سببا لاجتماعهم على الايمان فلم لم يفعل ذلك فنزل قوله تعالى وان كل ذلك الآية للاشارة الى جوابه كأنه قيل كما لم يوسع على الكفار كراهة الفتنة كذلك لم يوسع على المؤمنين لان متاع الدنيا لقلته لا يصلح ان يكون مقصودا لذاته مع انه مخل ومفوت لثواب الآخرة لما فيه من الآفات ومن جملتها انه لو وسع عليهم لاحبوها وآثروا الاسلام لاجلها لا لله تعالى وطلبا لمرضاته واتباعا لما نصبه من الادلة القطعية ولازدادوا حرصا وانهماكا فى الشهوات ولادى ذلك الى ان يقيض الله لهم شيطانا يزين لهم الباطل ويزلهم عن طريق الحق مجازاة لهم على ما آثروا الباطل على الحق ﴿ قوله يتعام ويعرض ﴾ مبنى على قراءة يعش بضم الشين وهى قراءة العامة من عشا يعشو بمعنى تعامى يتعامى اى ينظر نظر المعشى ولا آفة فى بصره واما اذا كان فى بصره آفة مخلة لرؤية فحينئذ يقال عشى يعشى كعمى يعمى وزنا ومعنى كما يقال عرج بالكسر فهو

ولبيوتهم بدل من لمن بدل الاشتمال او علة كقولك وهبت له ثوبا لقميصه وقرأ ابن كثير وابو عمرو سقفا اكتفاء بجمع البيوت وقرئ سقفا بالتخفيف وسقوفا وسقفا وهو لغة فى سقف (ولبيوتهم ابوابا وسررا عليها يتكئون) اى ابوابا وسررا من فضة (وزخرفا) وزينة عطف على سقفا او وذهبا عطف على محل من فضة (وان كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا) ان هى المخففة واللام هى الفارقة وقرأ عاصم وحمزة وهشام بخلاف عنه لما بالتشديد بمعنى الا وان نافية وقرئ به مع ان وما (والآخرة عند ربك للمتقين) الكفر والمعاصى وفيه دلالة على ان العظيم هو العظيم فى الآخرة لا فى الدنيا واشعار بما لاجله لم يجعل ذلك للمؤمنين حتى يجتمع الناس على الايمان وهو انه تمتع قليل بالاضافة الى ما لهم فى الآخرة مخل به فى الاغلب لما فيه من الآفات التى قل من يتخلص منها كما اشار اليه بقوله (ومن يعش عن ذكر الرحمن) يتعام ويعرض عنه بفرط اشتغاله بالمحسوسات وانهماكه فى الشهوات

اعرج اذا اصابته آفة فى رجله مختلة بالمشى السوىّ وعرج بالفتح ان مشى مشية العرجان وليست به آفة تقتضيها فعنى القرآءة بفتح الشين ومن يعم عن ذكر الرحمن وهو القرآن كقوله تعالى صم بكم عمى ومعناها بالضم ومن يتعام عن ذكره اى يعرف انه الحق وهو يتعامى اى يتجاهل ويتغافل كقوله وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم قال الشاعر

متى تأته تعشو الى ضوء ناره ❊ تجد خير نار عندها خير موقد ❊

اى تنظر اليها نظر العشى لما يضعف بصرك من عظم الوقود واتساع الضوء ﴿ قوله وقرئ يعشو ﴾ باثبات الواو على ان من موصولة مجازية من معنى الشرط وينبغى على هذه القرآءة ان يقرأ نقيض مرفوعا ولم تنقل هذه القرآءة فدل ذلك على ان عدم سقوط الواو ليس مبنيا على كون من موصولة بل هى شرطية كما فى القرآءة الاخرى الا انه ألحق الفعل الناقص بالصحيح فى ان يكون جزمه بحذف الحركة وقد حكى عن الاخفش انه قال هى لغة بعض العرب ﴿ قوله وجمع الضميرين ﴾ وهما ضمير الشيطان والعاشى فضمير الشيطان هو المنصوب فى قوله وانهم والمرفوع فى قوله ليصدونهم وضمير العاشى هو المنصوب فى قوله ليصدونهم والمعنى وان الشيطان ليصدن العاشين عن السبيل اعتبر معنى من بعد اعتبار لفظه فى قوله ومن يعش ونقيض له شيطانا وضمير يحسبون للعاشين اى ويحسب العاشون انهم مهتدون روى عن ابى بكر رضى الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليكم بلا اله الا الله والاستغفار فاكثروا منهما فان ابليس قال اهلكت الناس بالذنوب واهلكونى بلا اله الا الله والاستغفار فلما رأيت ذلك اهلكتهم بالاهوآء وهم يحسبون انهم مهتدون وقطع المصنف بان ضمير قوله انهم مهتدون للشيطان والمعنى وهؤلاء الكفار العاشون يحسبون ان الشياطين مهتدون فقوله الضمائر الثلاثة مبتدأ وقوله الاول مبتدأ ثان وله خبر الثانى وضميره راجع الى من والجملة خبر المبتدأ الاول والتقدير الاول منها له والباقيان منها للشيطان ﴿ قوله اى ما انتم عليه من التمنى ﴾ يعنى ان فاعل ينفعكم مضمر فيه راجع الى التمنى المدلول عليه بقوله ياليت بينى وبينك فقوله انكم فى العذاب مشتركون تعليل لعدم النفع بتقدير حرف التعليل وقوله مشتركون بمعنى تستحقون الاشتراك فيه ليصح معنى التعليل اشار اليه المصنف بقوله لان حقكم ان تشتركوا ﴿ قوله بدل من اليوم ﴾ متفرع على كون قوله تعالى اذ ظلمتم بمعنى اذ صح وتبين انكم ظلمتم انفسكم فى الدنيا والا لما جاز كونه بدلا منه لان المراد من اليوم يوم القيامة ووقت ظلمهم انفسهم هو وقت كونهم فى الدنيا فليس احدهما عين الآخر ولا بعضه ولا اشتمال بينهما وبدل الغلط لا يقع فى القرآن فلما كان تقدير الكلام لن ينفعكم اليوم وقت تبين ظلمكم بحيث لم يبق لكم ولا لاحد غيركم شبهة فى انكم كنتم ظالمين صح كون الظرف الثانى بدلا من الاول لاتحادهما بالذات وبقى هنا اشكال آخر وهو ان اليوم ظرف حال واذ ظرف ماض فلا يتحدان ذاتا الا ان يقال جردت كلمة اذ هنا لمطلق الزمان وايضا اليوم ظرف حال وينفعكم للاستقبال لاقترانه بلن التى تنفى المستقبل فكيف يعمل الحدث المستقبل الذى لم يقع بعد فى ظرف حاضر الا ان يقال جردت كلمة لن هنا لمجرد النفى ﴿ قوله ويجوز ان يسند الفعل اليه ﴾ اى ويجوز ان يكون قوله تعالى انكم فى العذاب مشتركون فى محل الرفع على انه فاعل لن ينفعكم والمعنى لن ينفعكم كونكم مشتركين فى العذاب كما يقتضيه قولهم البلية اذا عمت خفت والاعباء جمع عبئ بالكسر وهو الحمل الثقيل ﴿ قوله وهو يقوى الاول ﴾ اى يقوى ان يكون فاعل لن ينفعكم ضمير التمنى ويكون قوله انكم مشتركون تعليلا كما هو كذلك على قرآءة انكم بالكسر لان ان تقتضى صدر الكلام فيمتنع ان تكون مع ما فى حيزها فاعلا لما قبلها ثم انه تعالى ذكر انه لا ينفع الدعوة والوعظ لمن سبقت عليه الشقاوة من الله فقال افانت تسمع الصم الآية الا ان قول المصنف انكار تعجيب من ان يكون هو الذى يقدر على هدايتهم يفهم منه انه تعالى نزله صلى الله عليه وسلم منزلة من يقول انا اسمع الصم واهدى العمى مريدا به تخصيص القدرة عليهما به صلى الله عليه وسلم بناء على ان تقديم المسند اليه فى مثل انا سعيت فى حاجتك للقصر والتخصيص ردا على من زعم انفراد غيره بالخبر او مشاركة الغير له فيه على انه قصر قلب او قصر افراد ثم انه تعالى تعجب من تخصيصه القدرة على ذلك به وانكر عليه بقوله افانت تسمع الصم الآية وهذا المعنى غير ملائم بالمقام وسوق الآية بل الظاهر انه تعالى نزله منزلة من يدعى انه قادر على ذلك لاصراره على دعائهم مع تمرنهم على الكفر قائلا انا اسمع واهدى على قصد تقوى الحكم لا على قصد التخصيص فتعجب تعالى من ادعاء ذلك وانكر عليه فالوجه على هذا ان يقول من ان يكون قادرا عليه من غير توسيط ضمير الفصل وتعريف الخبر فى قوله من ان يكون هو الذى يقدر على هدايتهم لان ما اختاره من التعبير يفيد كون

وقرئ يعش بالفتح اى يعمى يقال عشى اذا كان فى بصره آفة وعشا اذا تعشى بلا آفة كعرج وعرج وقرئ يعشو على ان من موصولة (نقيض له شيطانا فهو له قرين) يوسوسه ويغويه دآئما وقرأ يعقوب بالياء على اسناده الى ضمير الرحمن ومن رفع يعشو ينبغى ان يرفعه (وانهم ليصدونهم عن السبيل) عن الطريق الذى من حقه ان يسلك وجمع الضميرين للمعنى اذ المراد جنس العاشى والشيطان المقيض له (ويحسبون انهم مهتدون) الضمائر الثلاثة الاول له والباقيان للشيطان (حتى اذا جاءنا) اى العاشى وقرأ الحجازيان وابن عامر وابو بكر جاآنا اى العاشى والشيطان (قال) اى العاشى للشيطان (ياليت بينى وبينك بعد المشرقين) بعد المشرق من المغرب والمغرب من المشرق فغلب المشرق وثنى واضيف البعد اليهما (فبئس القرين) انت (ولن ينفعكم اليوم) اى ما انتم عليه من التمنى (اذ ظلمتم) اذ صح انكم ظلمتم (انفسكم) فى الدنيا بدل من اليوم (انكم فى العذاب مشتركون) لان حقكم ان تشتركوا انتم وشياطينكم فى العذاب كما كنتم مشتركين فى سببه ويجوز ان يسند الفعل اليه بمعنى ولن ينفعكم اشتراككم فى العذاب كما ينفع الواقعين فى امر صعب تعاونهم فى تحمل اعبائه وتقسمهم مكابدة عنائه اذ لكل منكم ما لا يسعه طاقته وقرئ انكم بالكسر وهو يقوى الاول (أفانت تسمع الصم او تهدى العمى) انكار تعجيب من ان يكون هو الذى يقدر على هدايتهم بعد تمرنهم على الكفر واستغراقهم فى الضلال بحيث صار عشاؤهم عمى مقرونا بالصمم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعب نفسه فى دعاء قومه وهم لا يزيدون الا غيا فنزلت (ومن كان فى ضلال مبين) عطف على العمى باعتبار تغاير الوصفين

الخاطب بمن يدعى اختصاص الخبر به ﴿قوله وفيه اشعار بان الموجب لذلك﴾ اى وفى عطف قوله ومن كان فى ضلال مبين على العمى اشعار بان الموجب للصمم والعمى المدلول عليهما بلفظى الصم والعمى فانه تعالى لما وصفهم فى الآية المتقدمة بالعشى واصله النظر ببصر ضعيف وصفهم فى هذه الآية بالصمم والعمى وما احسن هذا الترتيب فان الانسان فى اول اشتغاله بطلب الدنيا وميله الى الحظوظ الجسمانية يكون كمن بعينه رمد ضعيف ثم انه كلما ازداد اشتغاله بها واشتد اعراضه عن الفضائل الروحانية ازداد رمده فينتقل الى ان يصير اعشى ومن كونه اعشى الى كونه اعمى فالقوم بلغوا بسبب تصميمهم على الكفر وثباتهم على الغى والنفرة عن قبول الحق الى حيث كانوا اذا تلى عليهم القرآن كانوا كالصم واذا ظهرت المعجزات عليهم كانوا كالعمى فلذلك شبهوا بالصم والعمى واشير الى ان الموجب لذلك تمكنهم فى ضلال لايخفى ثم انه تعالى سلى رسوله صلى الله عليه وسلم وطيب قلبه فقال فاما نذهبن بك ﴿قوله بمنزلة لام القسم فى استجلاب النون﴾ قد اشتهر بين النحاة ان نون التوكيد لاتدخل الاعلى مستقبل فيه معنى الطلب كالامر والنهى والاستفهام والتمنى والعرض واما المستقبل الذى هو خبر محض فلا تدخل عليه نون التوكيد كلام القسم نحو والله لافعلن وما المزيدة على حرف الشرط لتأكيد معنى الشرطية والتعلق نحو فاما نذهبن فيكون ماداخل على اوله توطئة وايذانا لما دخل على آخره وهو معنى كونهما مستجلبين لها ومقتضيين اياها ثم انه تعالى لما بين انه لاينفع اجتهاده فى دعوة قومه الصم العمى وانهم لايرجعون عماهم عليه من الضلال المبين وانهم قد استحقوا العذاب الاليم بين ان احد الامرين متعين اما ان انصرك عليهم فى الدنيا واشفى به صدور المؤمنين او انتقم منهم فى الآخرة اشد الانتقام ثم قال اذا علمت هذا فأعرض عنهم واشتغل بمايهمك وهو التمسك بالقرآن الكريم لانك على صراط مستقيم ولما بين ان التمسك به صراط مستقيم يوصل الى منافع الدين بين ايضا تأثيره فى منافع الدنيا فقال وانه لذكر لك ولقومك اى وان القرآن لشرف لك ولقومك من قريش حيث يقال ان هذا الكتاب العظيم انزله الله اهؤلاء وقال مجاهد القوم هم العرب فان القرآن لهم شرف حيث انزله الله بلغتهم ثم يختص بذلك الشرف الاخص فالاخص من العرب حتى يكون قريش وبنوا هاشم وبنوا عبد المطلب اكثر حظا منه ﴿قوله واسأل اممهم﴾ لما كان سؤال من مضى قبله صلى الله عليه وسلم من الانبياء عليهم الصلاة والسلام ممتنعا احتيج الى تقدير المضاف وقيل لاحاجة الى تقدير المضاف بناء على ماروى عن ابن عباس قال انه صلى الله عليه وسلم لما اسرى به الى المسجد الاقصى جمع له آدم وجميع المرسلين من ولده فأذن جبريل ثم اقام وقال يامحمد تقدم فصل بهم فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى سائر الانبياء والمرسلين من الصلاة قال له جبريل سل يامحمد من ارسلنا من قبلك من رسلنا الآية فقال صلى الله عليه وسلم لااسأل لانى لست شاكا فيه وعن عائشة رضى الله عنها قالت لما نزلت هذه الآية قال صلى الله عليه وسلم ما انا بالذى اشك وما انا بالذى اسأل وانما لم يسأل مع كونه مأمورا بالسؤال لانه صلى الله عليه وسلم علم ان الامر ليس لايجاب السؤال عليه بدلالة ان السؤال يكون لرفع الالتباس ولم يكن صلى الله عليه وسلم يشك فى ذلك فعلم بذلك ان المراد التقرير لمشركى قريش ونحوهم انه لم يأت رسول ولا كتاب بعبادة غير الله تعالى ﴿قوله فانه كان اقوى ماحملهم على التكذيب﴾ علة لقوله فيكذب ويعادى له فان التوحيد لما كان امرا متفقا عليه كل الانبياء والرسل وجب ان لايكذب ويعادى لاجله فان التوحيد هو معظم ماجعلوه سببا لبغضه صلى الله عليه وسلم ومخالفته ﴿قوله يريد باقتصاصه﴾ اى ليس المقصود من ذكر هذه القصة بيان نفسها بل المقصود تسليته صلى الله عليه وسلم بان فرعون مع بلوغه فى عز الدنيا الى غاية الكمال لما صار مقهورا باعوانه كان الامر فى حق اعدائك هكذا ومناقضة مقدمتهم القائلة لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم فانهم ارادوا بها القدح فى نبوته صلى الله عليه وسلم فبين الله تعالى بايراد هذه القصة ان موسى عليه الصلاة والسلام بعد ان اورد المعجزات الباهرة التى لايشك فى صحتها عاقل اورد فرعون عليه ماقاله كفار قريش فى حقه صلى الله عليه وسلم من انه رجل حقير عديم المال والجاه الاترون انه حصل لى ملك مصر وهذه الانهار تجرى من تحتى واما موسى فانه فقير مهين وليس له بيان ولا لسان فكيف يكون رسولا من عند الله الملك الكبير فثبت ان شبهته التى ذكرها كفار مكة وهى قولهم لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم قد اوردها بعينها فرعون على موسى صلى الله عليه وسلم ثم ان تلك الشبهة لم تقدح فى نبوة موسى صلى الله عليه وسلم حيث بلغ رسالة ربه فلم يقبلوها فانتقم الله تعالى منهم فاغرقهم اجمعين فلوكان فى هذه الشبهة مايدل على قدح امر النبوة

(النعت)

وفيه اشعار بان الموجب لذلك تمكنهم فى ضلال لايخفى (فاما نذهبن بك) اى فان قبضناك قبل ان نبصرك عذابهم وما مزيدة مؤكدة بمنزلة لام القسم فى استجلاب النون المؤكدة (فانا منهم منتقمون) بعدك فى الدنيا والآخرة (او نرينك الذى وعدناهم) اوان اردنا ان نريك ماوعدناهم من العذاب (فانا عليهم مقتدرون) لايفوتونا (فاستمسك بالذى اوحى اليك) من الآيات والشرائع وقرئ اوحى على البناء للفاعل وهو الله تعالى (انك على صراط مستقيم) لاعوج له (وانه لذكر لك) لشرف لك (ولقومك وسوف تسألون) اى عنه يوم القيامة وعن قيامكم بحقه (واسأل من ارسلنا من قبلك من رسلنا) اى واسأل اممهم وعلماء دينهم (أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون) هل حكمنا بعبادة الاوثان وهل جاءت فى ملة من مللهم والمراد به الاستشهاد باجماع الانبياء على التوحيد والدلالة على انه ليس ببدع ابتدعه فيكذب ويعادى له فانه كان اقوى ماحملهم على التكذيب والمخالفة (ولقد ارسلنا موسى بآياتنا الى فرعون وملائه فقال انى رسول رب العالمين) يريد باقتصاصه تسلية الرسول ومناقضة قولهم لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم والاستشهاد بدعوة موسى عليه الصلاة والسلام الى التوحيد (فلما جاءهم بآياتنا اذاهم منها يضحكون)

لنفعت فرعون فيما زعمه واذا لم تنفع ثبت بطلانها فهذا وجه كون ذكر قصة موسى وفرعون مناقضة وابطالا لشبهة كفار قريش ﴿ قوله تعالى اذاهم منها يضحكون ﴾ قيل انه عليه الصلاة والسلام لما القى عصاه فصارت ثعبانا ثم اخذه فصار عصا كما كان ضحكوا ولما عرض عليهم اليد البيضاء ثم عادت كما كانت ضحكوا واستهزئوا من غير ان يتأملوا ﴿ قوله فاجاؤا وقت ضحكهم منها ﴾ لما ورد ان يقال ان كلمة لما لابد لها من عامل وان العامل فيها جوابها وقد اجيب عنها فى الآية الكريمة باذا المفاجأة وهى لا تعمل وكذا ما بعدها لا يعمل فيما قبلها فما العامل فى لما اشار الى جوابه بتقدير فعل المفاجأة وجعله عاملا يعمل النصب فى محل اذا على انه مفعول به وفى محل لما على انه ظرف هذا حاصل ما ذكره الزمخشرى سؤالا وجوابا الا ان جعل اذا الفجائية منصوبة المحل بالفعل المقدّر غير منقول عن النحويين فان المنقول فى اذا الفجائية ثلاثة مذاهب وهى انها اما حرف فلا تحتاج الى عامل او ظرف مكان او ظرف زمان وعلى التقديرين لا تكون معمولا لفعل المفاجأة مقدّرا لانه ان ذكر بعد الاسم الواقع بعدها خبر كانت منصوبة على الظرف والعامل فيها ذلك الخبر نحو خرجت فاذا زيد قائم تقديره خرجت ففى المكان الذى خرجت منه زيد قائم او ففى الوقت الذى خرجت زيد قائم وان لم يذكر بعد الاسم خبر او ذكر اسم منصوب على الحال فان كان الاسم جثة وقلنا انه ظرف مكان كان الامر واضحا نحو خرجت فاذا الاسد اى فبالحضرة الاسد اذ لا خفاء فى صحة كون ظرف المكان خبرا عن الجثة وكذا قولك خرجت فاذا الاسد صائلا وان قلنا انها ظرف زمان كان الكلام على حذف مضاف لئلا يخبر بالزمان عن الجثة نحو خرجت فاذا الاسد اى ففى الزمان حضور الاسد وان كان الاسم حدثا جاز ان تكون اذا ظرف زمان او ظرف مكان ولا حاجة الى تقدير مضاف نحو خرجت فاذا القتال ان شئت قدرت فبالحضرة القتال او ففى الزمان القتال لصحة كون كل واحد من ظرفى الزمان والمكان خبرا عن الحدث ﴿ قوله الا وهى بالغة اقصى درجات الاعجاز ﴾ اشارة الى دفع ما يقال ان قوله كل واحدة من تلك الآيات اكبر من اختها يستلزم ان تكون كل واحدة فاضلة عن اختها ومفضولة عنها فى حالة واحدة وهو تناقض باطل * وتقرير الجواب انه ليس المراد ظاهر ما يفهم من الكلام بل المراد المبالغة فى كون كل واحدة منها بالغة الى اقصى درجات الاعجاز بحيث اذا ظهرت آية واحدة منها اى آية كانت يحسب الناظر انها اكبر من كل آية تقاس عليها والمراد به وصف الكل بالكبر لان كل واحدة منها اذا كانت بحيث يقول الناظر فى حقها انها اكبر من اختها مطلقا اى مما تقاس هى اليه من الآيات اى آية كانت لا جرم تكون كلها متساوية متقاربة فى هذا المعنى فقوله الا هى اكبر من اختها اى فى زعم الناظر ورأيه ﴿ قوله او الا وهى مختصة الخ ﴾ عطف على قوله الا وهى بالغة وجواب ثان عن سؤال التناقض وتقريره انما يلزم التناقض ان لو كان المعنى كل واحدة منها اكبر من البواقى مطلقا اى من جميع الوجوه وليس كذلك بل المعنى ان كل واحدة منها اكبر من البواقى باعتبار الجهة التى تميزت هى عن البواقى بتلك الجهة ﴿ قوله كالسنين والطوفان والجراد ﴾ اى والقمل والضفادع والدم والطمس والعصا واليد البيضاء فانهم عذبوا بهذه الآيات فكانت عذابا لهم وآيات ومعجزات لموسى عليه الصلاة والسلام عذبهم الله تعالى بها لعلهم يرجعون عما كانوا عليه من الشرك ويتوبون ﴿ قوله على وجه يرجى رجوعهم ﴾ يعنى ان كلمة لعل استعارة تمثيلية شبه الله تعالى معاملته معهم بمعاملة من يرجو ويتوقع وجعلها الزمخشرى مستعارة لمعنى الارادة وفرع عليه كلاما مبنيا على مذهبه ﴿ قوله نادوه بذلك فى تلك الحال ﴾ اى فى حال تضرعهم لموسى عليه الصلاة والسلام بقولهم ادع لنا اى لاجلنا ربك مع ان مقام التعظيم ينافى النداء بالساحر فانه مباين للمعجزة فلا يكون دليلا على النبوة بل منافيا لها فان السحر صفة مذمومة ويحتمل ان يكون النداء بمعنى يا ايها العالم الحاذق بناء على ان يكون السحر فيهم فضيلة عظيمة وصفة محمودة وليس المراد بايها الذى غلب سحره كما فى الوجه الاول بل يعظمونه بذلك النداء ﴿ قوله بعهده عندك ﴾ ذكر فى الآية اربعة اوجه وكلمة ما فى الثلاثة الاول منها مصدرية وفى الرابع موصولة وفسر العهد اولا بالنبوة فانها تسمى بعهد الله تعالى وثانيا بوعد الله تعالى اياه عليه الصلاة والسلام باستجابة دعائه وثالثا بوعده تعالى اياه عليه الصلاة والسلام بكشف العذاب عمن اهتدى وتاب ورابعا بالتوصية من قولهم عهد اليه بكذا اى وصاه به واخذ عهده فيه على ان يفعل والباء فى جميع الوجوه للسببية اى ادع الله لنا بسبب عهده الذى عندك من النبوة او من استجابة دعوتك او بكشف العذاب عمن اهتدى او بالذى عهد اليك ووصاك به من الايمان والطاعة اللذين اتيت بهما ووفاء بعهد والاظهر انها فى الوجه الاول والرابع للقسم اى ادع الله لنا بحق ما عندك من النبوة او بحق الايمان

فاجاؤا وقت ضحكهم منها اى استهزئوا بها اوّل ما رأوها ولم يتأملوا فيها (وما نريهم من آية الا هى اكبر من اختها) الا وهى بالغة اقصى درجات الاعجاز بحيث يحسب الناظر فيها انها اكبر مما يقاس اليها من الآيات والمراد وصف الكل بالكبر كقولك رأيت رجالا بعضهم افضل من بعض وكقوله

من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم * مثل النجوم التى يسرى بها السارى *

او الا وهى مختصة بنوع من الاعجاز مفضلة على غيرها بذلك الاعتبار (واخذناهم بالعذاب) كالسنين والطوفان والجراد (لعلهم يرجعون) على وجه يرجى رجوعهم (وقالوا يا ايها الساحر) نادوه بذلك فى تلك الحال لشدّة شكيمتهم وفرط حماقتهم او لانهم كانوا يسمون العالم الباهر ساحرا (ادع لنا ربك) اى لتدع لنا فيكشف عنا العذاب (بما عهد عندك) بعهده عندك من النبوة او من ان يستجيب دعوتك او ان يكشف العذاب عمن اهتدى

او بما عهد عندك فوقيت به وهو الايمان والطاعة (انا لمهتدون) بشرط ان تدعولنا فاجأوا نكث عهدهم بالاعتداء (ونادى فرعون) بنفسه او بمناديه (فى قومه) فى مجمعهم او فيما بينهم بعد كشف العذاب عنهم مخافة ان يؤمن بعضهم (قال ياقوم أليس لى ملك مصر وهذه الانهار) انهار النيل ومعظمها اربعة نهر الملك ونهر طولون ونهر دمياط ونهر تنيس (تجرى من تحتى) تحت قصرى او امرى او بين يدى فى جنانى والواو اما عاطفة لهذه الانهار على الملك فتجرى حال منها اوواو حال وهذه مبتدأ والانهار صفتها وتجرى خبرها (أفلا تبصرون) ذلك (ام انا خير) مع هذه المملكة والبسطة (من هذا الذى هو مهين) ضعيف حقير لا يستعد للرياسة من المهانة وهى القلة (ولا يكاد يبين) الكلام لما به من الرتة فكيف يصلح للرسالة وام اما منقطعة والهمزة فيها للتقرير لما قدم من اسباب فضله او متصلة على اقامة المسبب مقام السبب والمعنى أفلا تبصرون ام تبصرون فتعلمون انى خير منه (فلولا القى عليه اساورة من ذهب) اى فهلا القى اليه مقاليد الملك ان كان صادقا اذ كانوا اذا سودوا رجلا سوروه وطوقوه بسوار وطوق من ذهب واساورة جمع اسوار بمعنى السوار على تعويض التاء من ياء اساوير وقد قرئ به وقرأ يعقوب وحفص اسورة وهى جمع سوار وقرئ اساور جمع اسورة وألقى عليه اسورة واساور على البناء للفاعل وهو الله تعالى (او جاء معه الملائكة مقترنين) مقرونين به يعينونه او يصدقونه من قرنته به فاقترن او متقارنين من اقترن بمعنى تقارن (فاستخف قومه) فطلب منهم الخفة فى مطاوعته او فاستخف احلامهم (فاطاعوه) فيما امرهم به (انهم كانوا قوما فاسقين) فلذلك اطاعوا ذلك الفاسق (فلما آسفونا) اغضبونا بالافراط فى الفساد والعصيان منقول من اسف اذا اشتد غضبه (انتقمنا منهم فاغرقناهم اجمعين) فى اليم (فجعلناهم سلفا) قدوة لمن بعدهم من الكفار يقتدون بهم فى استحقاق مثل عقابهم مصدر نعت به او جمع سالف كخدم وخادم وقرأ حمزة والكسائى بضم السين واللام جمع سليف كرغف او سالف كصبر او سلف كخشب وقرئ (سلفا) سلفا بابدال ضمة اللام فتحة او على انه جمع سلفة اى ثلة سلفت (ومثلا للآخرين)

والطاعة الذين عندك وفى الوجه الثانى والثالث سببية ﴿ قوله فوقيت به ﴾ لعله مأخوذ من قوله عندك بدل اليك فان اصل العهد بمعنى التوصية ان يتعدى بالى الا انه اورد بدلها لفظ عندك اشعارا بان تلك الوصية مرعية محفوظة عنده لا تصير ملغاة ﴿ قوله بشرط ان تدعولنا ﴾ كأنه جواب عما يقال كيف قالوا انا لمهتدون مع ان تسميتهم اياه بالساحر تكذيب له بمنزلة ان يقال غلبتنا بالسحر لا بالمعجزة فلست نبيا * وتقرير الجواب ظاهر ﴿ قوله فاجأوا نكث عهدهم ﴾ الظاهر على قياس ما ذكر فى قوله تعالى اذا هم منها يضحكون ان يقال فاجأوا وقت نكث العهد على ان يكون الفعل المقدر عاملا فى اذا بنصبه على الظرفية وفى اذا بنصبه على انه مفعول به الا انه اكتفى بذكر ما يدل على خلاصة المعنى ﴿ قوله انهار النيل ﴾ اى الانهار التى فصولها من النيل وطولون اسم رجل وتنيس بفتح التاء وتشديد النون وحاصل كلامه انه احتج بكثرة امواله وقوة جاهه على فضيلة نفسه وعدم استحقاق موسى للرياسة ﴿ قوله تحت قصرى الخ ﴾ لما لم يمكن ان يكون النهر نفسه تحت الشخص احتيج الى تقدير شئ يكون النهر تحته ويكون تحت الشخص ايضا بواسطة كون ذلك الشئ تحت الشخص حسا كالقصر او معنى كالامر ويقال لما بين يدى الشخص انه تحت الشخص لكونه فى مكان اسفل من مكان الشخص والرتة بضم الراء وتشديد التاء العقدة الحاصلة فى اللسان حيث تمنع سلاسة التكلم والجريان * فان قيل أليس ان موسى عليه الصلاة والسلام سأل الله تعالى ان يزيل الرتة من لسانه بقوله واحلل عقدة من لسانى يفقهوا قولى فاعطاه الله تعالى ذلك حيث قال قد اوتيت سؤلك ياموسى فكيف عابه فرعون بتلك الرتة * قلنا لم انها زالت فكان عليه الصلاة والسلام فى غاية طلاقة اللسان وكمال البيان حال مخاطبته مع فرعون وملائه * وانما عابه فرعون بما كان عرفه به فى الابتداء فان موسى عليه الصلاة والسلام مكث عند فرعون زمانا طويلا وكان عليه الصلاة والسلام فى لسانه حبسة حينئذ فوصفه فرعون بما عهده عليه تمويها لضعفه الذى كانوا علموه منه قبل ذلك وام منقطعة فتقدر ببل والهمزة حمل قومه اولا على ان يغتروا بسعة ملكه وكثرة اسباب عزه وشوكته ثم اضرب عنه وحملهم على الاقرار بكونه خيرا من موسى عليه الصلاة والسلام بناء على ما قدم من ذكر اسباب فضله وزعمه انه عليه الصلاة والسلام ضعيف حقير وقيل انها متصلة حذف معادلها واقيم ما هو المسبب مقامه والاصل افلا تبصرون لكون علمهم بانه خير منه مسببا عن الابصار ﴿ قوله مقاليد الملك ﴾ اى مباديه واسبابه المتقدمة عليه بحيث تكون بمنزلة المفاتيح له فان عادة القوم حينئذ انهم اذا جعلوا واحدا رئيسا لهم سوروه بسوار من ذهب وطوقوه بطوق من ذهب فاحتج فرعون على عدم رسالته عليه الصلاة والسلام بانعدام هذا الامر فى حقه قرأ العامة فلولا ألقى على بناء المفعول وقرئ فى الشواذ ألقى على بناء الفاعل اى الله فيكون اساورة منصوبا على المفعولية وقرأ حفص اسورة على انه جمع سوار كاحمرة فى جمع حمار وهو جمع قلة والباقون اساورة على انه جمع اسوار كاعاصير جمع اعصار واصل اساورة اساوير بالياء فعوض تاء التأنيث منها بعد حذفها كما فى بطارقة وزنادقة اصلهما بطاريق وزناديق جمعا بطريق وزنديق وقيل بل هى جمع اسورة فهى جمع الجمع لا جمع اسوار وقرئ ايضا اساوير بالياء واساور بدون الياء والتاء ﴿ قوله مقرونين به ﴾ منضمين اليه يعينونه على امر النبوة او يشهدون له بصدقه ﴿ قوله او متقارنين ﴾ على أن المراد اقتران بعضهم ببعض لا اقترانهم بموسى عليه الصلاة والسلام وهو كناية عن كثرتهم واجتماعهم لانه لازم فى الاعتضاد من التفرق ومحصول كلامه انه عليه الصلاة والسلام لو كان رسولا اصطفاه الله تعالى من عباده لطوقه وسوره بطوق وسوار من ذهب ولشيعه بمن عنده من الملائكة كما هو عادة السلاطين اذا جعلوا واحدا من خواصهم رئيسا لقومهم وليس عند موسى عليه الصلاة والسلام شئ من ذلك فكيف يكون نبيا ﴿ قوله فطلب منهم الخفة ﴾ يعنى ان سين استخف اما للطلب او للوجدان اى وجدهم جهالا عديمى العقل يغترون بالتلبيسات الباطلة حيث اغتروا بقوله أليس لى ملك مصر الخ ﴿ قوله قدوة لمن بعدهم ﴾ السلف سواء كان مصدرا بمعنى المضى والتقدم من قولك سلف يسلف سلفا مثل طلب يطلب طلبا وصف به الاعيان للمبالغة او جمع سالف كحرس وحارس لا يتعدى باللام وقد عدى بها فى الآية على طريق التنازع فلذلك فسره بالقدوة مجازا لان المتقدمين يلزمهم ان يكونوا قدوة لمن بعدهم ولما ذكر قرآءة سلفا بضمتين ثلاثة اوجه الاول ان يكون جمع سليف بمعنى الفريق المتقدم كرغيف ورغف وكثيب وكثب والثانى ان يكون جمع سالف بمعنى المتقدم كصابر وصبر والثالث ان يكون جمع سلف بفتحتين كخشب وخشب ﴿ قوله وقرئ سلفا ﴾ بضم السين وفتح اللام وذكر لها وجهين الاول ان يكون اصله

سلفا بضمتين ابدلت ضمة اللام فتحة كراهة اجتماع الضمتين والثانى ان يكون جمع سلفة كغرفة وغرف والسلفة
الفرقة السالفة فمعنى قوله تعالى فجعلناهم سلفا جعلناهم ثلة سلفت اى جماعة مضت فان الثلة بالضم هى الجماعة
من الناس ﴿ قوله وعظة لهم ﴾ ليتعظوا به فلا يجترئوا على اتيان مثل افعالهم من الاصرار على مخالفة
الرسول واتباع الهوى فعلى هذا يكون المثل بمعنى الشبه والعبرة التى هى مثال يعتبر به ويستدل بتشابه الفعلين
على تشابه الجزاءين وهو معنى كونهم عظة لمن بعدهم فانهم يشبه حالهم بحال قوم فرعون اذا داموا على العصيان
فيخافون ان يعاقبوا بمثل عقابهم ﴿ قوله او قصة عجيبة ﴾ على ان يكون لفظ المثل مستعارا لها من معناه
العرفى وهو القول السائر الممثل مضربه بمورده والمثل لما كان مصدرا فى الاصل جاز اطلاقه على الواحد
والجماعة والمذكر والمؤنث ﴿ قوله اى ضربه ابن الزبعرى ﴾ وجعله مشبها للاصنام من حيث
ان النصارى تخذوه آلها وعبدوه من دون الله وانت تزعم ان آلهتنا ليست خيرا من عيسى عليه الصلاة والسلام
فاذا كان هو من حصب جهنم كان امر آلهتنا اهون قال اكثر المفسرين لما قرأ النبى صلى الله عليه وسلم على قريش
قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم امتعضوا وغضبوا من ذلك امتعاضا شديدا فقال عبدالله
بن الزبعرى يامحمد أخاصة لنا ولآلهتنا ام لجميع الامم فقال عليه الصلاة والسلام « هو لكم ولآلهتكم ولجميع
الامم » فقال خصمتك ورب الكعبة ألست تزعم ان عيسى بن مريم نبى وتثنى عليه خيرا وعلى امه وقد علمت
ان النصارى يعبدونهما وعزير يعبد والملائكة يعبدون فان كان هؤلاء فى النار فقد رضينا ان نكون نحن وآلهتنا
معهم فلما ضربه ابن الزبعرى مثلا وجادل رسول الله صلى الله عليه وسلم بعبادة النصارى اياه فرح المشركون
من هذا المثل وضحكوا وسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم توقرا عن مجادلات السفهاء فانزل الله تعالى آية
ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون ونزلت هذه الآية فالمثل على هذا التقرير بمعناه اللغوى
وقال شرف الدين الطيبى رحمه الله المثل هو قول ابن الزبعرى قوله فان كان هؤلاء يعنى المسيح وعزيرا
والملائكة فى النار فقد رضينا ان نكون نحن وآلهتنا معهم وانما سمى مثلا لما فيه من الغرابة من بعض الوجوه
ولذلك فرح المشركون وضحكوا وضجوا وسكت النبى صلى الله عليه وسلم انتهى كلامه جعل المثل مستعارا
للامر الغريب والقول العجيب الوارد فى حق عيسى عليه الصلاة والسلام تشبيها له بالقول السائر فى الغرابة
وجعل ضربه عبارة عن التكلم به فى حقه ﴿ قوله او غيره ﴾ عطف على ابن الزبعرى اى او ضربه غير
ابن الزبعرى وهم بنو مليح وهم الذين قالوا الملائكة بنات الله وعبدوهم ثم حكى ماقالوه فقال بان قال اى غير ابن
الزبعرى فانهم قالوا ان النصارى ضربوا المسيح مثلا للملائكة وعبدوه وزعموا انه ابن الله والملائكة اولى بذلك
﴿ قوله وعلى قوله ﴾ عطف على لفظ قوله فى قوله اى او قال غير ابن الزبعرى ذلك معترضا به على قوله
تعالى واسأل وهو فى محل النصب على انه حال من فاعل قال اى قال غير ابن الزبعرى ذلك معترضا به على قوله تعالى
واسأل من ارسلنا من قبلك من رسلنا فلما سمع المشركون ماقاله بنو مليح ورأوا انه صلى الله عليه وسلم سكت ولم
يجب توقرا عن مجادلات السفهاء فرحوا لظنهم انه عليه الصلاة والسلام صار ملزما به ﴿ قوله والملائكة
اولى بذلك ﴾ اى بان يعبدوا وينسبوا اليه تعالى بالجزئية فكما ان النصارى يعبدون المسيح واليهود يعبدون
عزيرا فكذا بنو مليح يعبدون الملائكة ويجعلونهم بنات الله تعالى وهم اولى بذلك من المسيح وعزير معترضين
على قوله تعالى واسأل من ارسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون بان قالوا كيف يصح
انكار وقوع عبادة غيرالله تعالى فى ملة من ملل الرسل المتقدمين مع ان بعض اهل الكتاب وهم النصارى يعبدون
عيسى عليه السلام ويقولون انه ابن الله ونحن افضل منهم قولا وفعلا لانهم عبدوا البشر وجعلوه ابن الله ونحن نعبد
الملائكة المقربين الروحانيين ونقول انهم بنات الله بناء على ان المشركين الذين يعبدون الملائكة وهم بنو مليح جعلوا
المسيح مثلا وشبها للملائكة فى كونه معبودا من دون الرحمن ويحتمل ان يكون المثل مستعارا من المثل السائر لقولهم
العجيب فى حق عيسى عليه السلام ويكون صديدهم وضجيجهم سرورا منهم بوجود من يوافقهم فى عبادة غيرالله
تعالى ﴿ قوله او ان محمدا يريد ان نعبده كما عبد المسيح ﴾ معطوف على قوله النصارى اهل كتاب يعنى ان بعض
المفسرين ذكروا فى تأويل الآية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما حكى ان النصارى عبدوا المسيح وجعلوه آلها
لانفسهم قال كفار مكة ان محمدا يريد ان نجعله آلها كما تجعل النصارى المسيح آلها لانفسهم ثم عند هذا قالوا آلهتنا

وعظة لهم او قصة عجيبة تسير مسير الامثال
فيقال لهم مثلكم مثل قوم فرعون (ولما ضرب
ابن مريم مثلا) اى ضربه ابن الزبعرى لما
جادل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله
تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب
جهنم او غيره بان قال النصارى اهل كتاب
وهم يعبدون عيسى ويزعمون انه ابن الله
والملائكة اولى بذلك وعلى قوله واسأل من
ارسلنا من قبلك من رسلنا او ان محمدا يريد
ان نعبده كما عبد المسيح (اذا قومك) قريش
(منه) من هذا المثل (يصدون) يضجون
فرحا لظنهم ان الرسول صار ملزما به

خيرام هو ذكروا ذلك لاجل انهم قالوا ان محمدا يدعونا الى عبادة نفسه و آباؤنا زعموا انه تجب عبادة هذه الاصنام و اذا كان لابد من احد هذين الامرين فعبادة هذه الاصنام اولى لان آباءنا و اسلافنا كانوا متطابقين عليها و اما محمد فانه متهم فى امرنا بعبادة نفسه فكان الاشتغال بعبادة الاصنام اولى و قيل لما نزلت ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون قالوا ما يريد محمد بهذا الا ان نعبده و انه يستأهل ان يعبد مع كونه بشرا كما عبدت النصارى المسيح و هو بشر جعل محمد عيسى شبيها لآدم صلى الله عليه وسلم و على سائر الانبياء و المرسلين فى كونه بشرا او هم كونه مستحقا للعبادة و على هذا معنى يصدّون يضجون بفتح الياء و يضجون و الضمير فى ام هو لمحمد صلى الله عليه وسلم يقال اضج القوم اضجاجا اذا جلبوا و صاحوا و اذا جزعوا من شئ و غلبوا قيل ضجوا يضجون ضجيجا كذا فى الصحاح فعلى هذا قوله يضجون فرحا ينبغى ان يكون بضم الياء من باب الافعال فلما رأى المشركون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سكت و لم يجب ابن الزبعرى صدّوا و رفعوا اصواتهم فرحا و ظنوا انه صلى الله عليه وسلم صار ملزما بجدله على ما جرت العادة به من ان احد الخصمين اذا انقطعت حجته و صار مغلوبا اظهر الخصم الآخر الفرح و الضجيج ﴿ قوله و قيل هما لغتان ﴾ فى الصحاح صدّ يصدّ صديدا اى ضج و صاح ﴿ قوله اى آلهتنا خير عندك ﴾ لما اختلف فى ان ابن مريم من ضرب مثلا فقيل انه جعل مثلا للاصنام و قيل للملائكة و قيل لمحمد عليهما الصلاة و السلام ذكر لقوله تعالى آلهتنا خير ام هو وجوها ثلاثة مرتبة على ترتيب الاقوال و جعل ضمير ام هو على الوجهين الاولين لعيسى عليه الصلاة و السلام و فى الوجه الثالث لمحمد عليه الصلاة و السلام و ضربوا المثل بينه و بين آلهتهم استهزاء لا تميزا للحق من الباطل ﴿ قوله ما ضربوا هذا المثل الا لاجل الجدل ﴾ و الغلبة فى القول يعنى ان انتصاب جدلا على انه مفعول له لضرب و قيل هو مصدر فى موضع الحال اى الا مجادلين مخاصمين بالباطل لا مميزين بين الحق و الباطل و كونه لاجل الجدل ظاهر اما على الوجه الاول فلانهم قد علموا ان المراد بقوله تعالى و ما تعبدون هؤلاء الاصنام بشهادة المقام لانهم انما يعبدون الاصنام و كذا قوله عليه الصلاة و السلام معولكم و لآلهتكم و لجميع الامم اذ المراد بجميع الامم الذين هم عباد الاصنام الا ان ابن الزبعرى بخبثه و خداعه لما رأى كلام الله تعالى و كلام رسوله يعمان العقلاء و غيرهم بحسب الظاهر مع علمه بان المراد منه الاصنام انتهز الفرصة و جادل بالباطل فصرف معناه الى الشمول و التناول لكل معبود سوى الله تعالى و توقع فى ذلك فتوقر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اجاب عنه ربه بقوله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى فدل على ان الآية خاصة بالاصنام و عبادهم على ان ظاهر قوله تعالى و ما تعبدون لغير العقلاء و اما على الثانى فلان المشركين يعلمون ان عبادة النصارى للمسيح لم تكن بحكم الله تعالى و انما تمسكوا فى كونها بحكم الله عز و جل بكونهم اهل الكتاب و لا يلزم ان يكون جميع ما يفعله اهل الكتاب موافقا للكتاب فان النصارى انما عبدوه زاعمين ان الولد لابد له من اب و اذ لم يكن اب من البشر علمنا انه ابن الله و انه يستحق لان يعبد و من المعلوم ان الولد من غير اب من البشر لا يقتضى كون الولد ابن الله تعالى كآدم و حواء عليهما الصلاة و السلام و اما على الثالث فظاهر لان شيأ من افعال رسول الله صلى الله عليه وسلم و اقواله لا يوهم كونه داعيا الى عبادة نفسه فكيف يقولون ان محمدا يريد ان نعبده كما عبد المسيح ﴿ قوله و هو كالجواب المزيح لتلك الشبهة ﴾ سواء اوردت على قوله تعالى و ما تعبدون من دون الله حصب جهنم بان المسيح قد عبد من دون الله مع انه ليس من اهل النار او على قوله تعالى و اسأل من ارسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون بان يقال انه عليه الصلاة و السلام يريد ان نعبده كما عبد المسيح فان معنى قوله تعالى ان هو الا عبد انه عبد كسائر العبيد فلا يستحق ان يعبد مع انا اصطفيناه و انعمنا عليه بالنبوة و بعثناه يدعو الناس الى توحيد الله تعالى و طاعته فكيف يصح له ان يدعو الناس الى طاعة نفسه و ان يكون من اهل النار و من عبده فانما يعبد من سوّل له عبادته و لا يعبده حتى يقال انه قد عبد فيلتمض الايراد بان محمدا يريد ان نعبده كما عبد المسيح و من جملة ما انعمنا به عليه انا جعلناه مثلا اى عبرة عجيبة و آية بديعة كالمثل السائر لبنى اسرائيل حيث خلقناه من غير اب كما خلقنا آدم من غير ابوين فهو مثل لهم يشبهون به ما يرون من عجائب صنع الله تعالى فلا ينكرونه ثم خاطب كفار مكة فقال و لو نشاء لجعلنا منكم ملائكة اى لو نشاء لولدنا منكم يا رجال مكة ملائكة كما ولدنا عيسى من غير اب او لو نشاء اهلكناكم و جعلنا بدلا منكم ملائكة فى الارض يكونون خلفا منكم كما يخلفكم اولادكم فان كلمة من قد تكون للبدل تقول اخذت هذا من ثوبى اى بدلا منه

وقرأ نافع و ابن عامر و الكسائى بالضم من الصدود اى يصدّون من الحق و يعرضون عنه و قيل هما لغتان نحو يعكف و يعكف (و قالوا ءآلهتنا خيرام هو) اى آلهتنا خير عندك ام عيسى فان كان فى النار فلتكن آلهتنا معه او آلهتنا الملائكة خيرام عيسى فاذا جاز ان يعبد و يكون ابن الله كانت آلهتنا الملائكة اولى بذلك او آلهتنا خير ام محمد فنعبده و ندع آلهتنا وقرأ الكوفيون ءآلهتنا بتحقيق الهمزتين و الالف بعدهما و الباقون بتليين الثانية (ما ضربوه لك الا جدلا) ما ضربوا هذا المثل الا لاجل الجدل و الخصومة لا لتميز الحق من الباطل (بل هم قوم خصمون) شداد الخصومة حراص على اللجاج (ان هو الا عبد انعمنا عليه) بالنبوة (و جعلناه مثلا) امرا عجيبا كالمثل السائر (لبنى اسرائيل) و هو كالجواب المزيح لتلك الشبهة (و لو نشاء لجعلنا منكم) لولدنا منكم يا رجال كما ولدنا عيسى من غير اب او لجعلنا بدلكم (ملائكة فى الارض يخلفون) ملائكة يخلفونكم فى الارض و المعنى ان حال عيسى عليه السلام و ان كانت عجيبة فالله تعالى قادر على ما هو اعجب من ذلك و ان الملائكة مثلكم من حيث انها ذوات ممكنة يحتمل خلقها توليدا كما جاز خلقها ابداعا فمن اين لهم استحقاق الالوهية و الانتساب الى الله سبحانه و تعالى

(وانه) وان عيسى (لعلم للساعة) لان حدوثه اونزوله من اشراط الساعة يعلم به دنوها اولان احياء الموتى يدل على قدرة الله عليه وقرئ لعلم اى علامة والذكر على تسمية ماتذكر به ذكرا وفى الحديث ينزل عيسى على ثنية بالارض المقدسة يقال لها افيق وبيده حربة بها يقتل الدجال فيأتى بيت المقدس والناس فى صلاة الصبح فيتأخر الامام فيقدمه عيسى ويصلى خلفه على شريعة محمد عليهما السلام ثم يقتل الخنازير ويكسر الصليب ويخرب البيع والكنائس ويقتل النصارى الامن آمن به وقيل الضمير للقرآن فان فيه الاعلام بالساعة والدلالة عليها (فلا تمترن بها) فلا تشكن فيها (واتبعون) واتبعوا هداى او شرعى او رسولى وقيل هو قول الرسول امران يقوله (هذا) هذا الذى ادعوكم اليه (صراط مستقيم) لايضل سالكه (ولا يصدنكم الشيطان) عن المتابعة (انه لكم عدو مبين) ثابت عداوته بان اخرجكم من الجنة وعرضكم للبلية (ولما جاء عيسى بالبينات) بالمعجزات اوبآيات الانجيل او بالشرآئع الواضحات (قال قد جئتكم بالحكمة) بالانجيل او بالشريعة (ولابين لكم بعض الذى تختلفون فيه) وهو مايكون من امر الدين لاما يتعلق بامر الدنيا فان الانبياء لم تبعث لبيانه ولذلك قال عليه السلام انتم اعلم بامور دنياكم (فاتقوا الله واطيعون) فيما ابلغه عنه (ان الله هو ربى وربكم فاعبدوه) بيان لما امرهم بالطاعة فيه وهو اعتقاد التوحيد والتعبد بالشرآئع (هذا صراط مستقيم) الاشارة الى مجموع الامر وهو تتمة كلام عيسى صلى الله عليه وسلم او استئناف من الله يدل على ماهو المقتضى للطاعة فى ذلك (فاختلف الاحزاب) الفرق المتحزبة (من بينهم) من بين النصارى او اليهود والنصارى من بين قومه المبعوث هو اليهم (فويل للذين ظلموا) من المتحزبين (من عذاب يوم اليم) هو القيامة (هل ينظرون الا الساعة) الضمير لقريش او للذين ظلموا (ان تأتيهم) بدل من الساعة والمعنى هل ينظرون الا اتيان الساعة (بغتة) فجأة (وهم لايشعرون) غافلون عنها لاشتغالهم بامور الدنيا وانكارهم لها

قوله تعالى ولو نشاء مرتبط بقوله وجعلناه مثلا وامرا عجيبا اى ولو نشاء لجعلنا منكم عبرة اعجب من خلق عيسى من غير اب دلالة على قدرتنا على عجائب الامور وتخصيص الملائكة بالذكر للاشعار بازدة على من يزعم ان لهم استحقاق الالوهية والعبادة وانهم بنات الله عزوجل ووجه الاشعار انهم على تقدير ان يخلقوا تولدا لايتولدون الا من اجسام والجسم لايتولد الامن الجسم فمايكون جسما متولدا من جسم كيف يستحق الالوهية والانتساب الى الله تعالى ﴿قوله لان حدوثه او نزوله الخ﴾ اشارة الى ان المعنى وان حدوثه او نزوله سبب لعلم بدنو الساعة بتقدير المضاف فى الموضعين ان كان المقدر اولا الحدوث والنزول فانهما سببان لعلم بدنو الساعة لا لنفسها وان كان المقدر اولا الاحياء لايحتاج الى تقدير المضاف الآخر لان احياء الموتى لايدل على دنو الساعة بل يدل على نفسها قرأ العامة لعلم بكسر العين وسكون اللام جعل المضاف المقدر علما لها مبالغة لكونه سببا لعلم بها او بدنوها والثنية الطريق فى الجبل ﴿قوله ثم يقتل الخنازير﴾ الظاهر انه كناية عن منع الانتفاع بجميع ماهو محرم فى شريعتنا واجرآء جميع احكام هذه الشريعة فى جميع الانام وقتل من خالفها ﴿قوله الامن آمن به﴾ اى بمحمد صلى الله عليه وسلم قال عليه افضل الصلاة والسلام «ليوشكن ان ينزل فيكم حكما عادلا يكسر الصليب ويقتل الخنزير ويدفع الجزية وتهلك فى زمانه الملل كلها الا الاسلام» ﴿قوله واتبعوا هداى او شرعى﴾ احتيج الى تقدير مايضاف الى ياء المتكلم على ان يكون قوله واتبعون قول الله تعالى لان اتباع ذات الله تعالى ممالايتصور بخلاف ما اذا كان قول النبى صلى الله عليه وسلم بان امر بان يقوله اى قل فاتبعون فلا يحتاج حينئذ الى تقدير شئ قبل المنصوب بقوله اتبعون ﴿قوله الذى ادعوكم اليه﴾ وهو الاتباع المدلول عليه بقوله واتبعون وهذا هو المعنى سوآء كان القائل هو الله تعالى او رسوله وان جعل ضمير وانه للقرآن يجوز ان يكون هذا اشارة اليه ايضا ﴿قوله تعالى ولابين﴾ اللام فيه متعلق بمحذوف اى وجئتكم بها لابين لكم بين اولا ماجاءهم به ثم بين ما لاجله جاءهم به وهو المورد ان يقال هلا بين كل الذى تختلفون فيه اشار الى جوابه بقوله وهو مايكون من امر الدين ﴿قوله الفرق المتحزبة﴾ يقال حزب قومه فتحزبوا اى جعلهم احزابا اى فرقا وطوآئف فكانوا كذلك كالنصارى فانهم اختلفوا فى امر عيسى عليه الصلاة والسلام وصاروا بعده طوائف ثلاثا منهم النسطورية وهم قالوا المسيح ابن الله ومنهم اليعقوبية وهم قالوا ان الله هو المسيح ومنهم الثلاثة وهم قالوا ان الله ثالث ثلاثة المسيح وامه ابيه فعلى هذا ضمير من بينهم للنصارى فقط من جملة بنى اسرآئيل لان كل حزب من هذه الفرق الثلاث انما هو من جملة النصارى واما ان اريد بالاحزاب اليهود والنصارى بناء على انهما تحزبا فى امره عليه الصلاة والسلام فقالت اليهود لعنهم الله زنت امه فهو ولد الزنى وقالت النصارى انه ابن الله فضمير من بينهم حينئذ لجميع بنى اسرآئيل فانه عليه الصلاة والسلام بعث اليهم بالنبوة فخاطبهم جميعا بقوله قد جئتكم بالحكمة فمنهم من صدقه ومنهم من كذبه واصر على اليهودية قائلا بتأبيد دين موسى عليه الصلاة والسلام واليه الاشارة بقوله من بين قومه المبعوث هو اليهم وقيل من زآئدة فالمعنى فاختلف الاحزاب بينهم على ان ضمير بينهم للاحزاب ﴿قوله تعالى من عذاب يوم اليم﴾ اى اليم عذابه كقوله فى يوم عاصف اى عاصف ريحه فقوله تعالى فلما جاء عيسى بالبينات الى قوله فاختلف الاحزاب من بينهم كالتفصيل لقوله ان هو الاعبد انعمنا عليه الماضر بوا ابن مريم مثلا لمن عبده من دون الله رد الله تعالى عليهم فى اتخاذهم اياه معبودا بانه عبد لامعبود غاية الامر انا انعمنا عليه بالنبوة وجعلناه مثلا يشبهون به مايرون من الامر العجيب فلا يستبعدونه من قدرة الله تعالى ثم بين مقالته حين ماجاء قومه بالبينات وهى قوله قد جئتكم بالحكمة لابين لكم ماتختلفون فيه من امر دينكم فاتقوا الله لاتخالفوا دينه واطيعون فيما ابلغه عنه وهو امران اعتقاد التوحيد والتعبد بالشرآئع فمن كان حاله ومقاله هكذا كيف يتوهم فيه مايقوله النصارى فى حقه من كونه مستحقا لان يعبد من دون الله مع ان جل همته الدعوة الى عبادة الله تعالى وتوحيده الا انا لما جعلناه مثلا بان خلقناه من غير اب اختلفوا فى امره فصاروا فرقا ثلاثا فقالوا فيه ماقالوا بزعمهم الباطل وهو برئ منه ﴿قوله الضمير لقريش﴾ فانه تعالى لما حكى عنهم ان منهم من ضرب ابن مريم مثلا ومنهم من فرح به ووقع فى الصديد ورفع الاصوات شرع فى وعيدهم بانهم استحقوا بذلك عذابا شديدا وانه لاعاصم لهم من ذلك العذاب الاعدم قيام الساعة اى الساعة التى يحاسب فيها المكلفون ويجازى كل امرئ بما كسب وانها تأتيهم لامحالة فكانوا ينتظرونها ﴿قوله غافلون عنها﴾ اشارة الى جواب مايقال مافائدة قوله وهم لايشعرون بعد قوله بغتة مع انه يؤدى مؤداه ويغنى عنه

(الاخلاء) الاحباء (يومئذ بعضهم لبعض عدو) اى يتعادون يومئذ لانقطاع العلق لظهور ما كانوا يتخالون له سببا للعذاب (الا المتقين) فان خلتهم لما كانت فى الله تبقى نافعة ابد الآباد (يا عبادى لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون) حكاية لما ينادى به المتقون المتحابون فى الله يومئذ وقرأ ابو عمرو وحمزة والكسائى وحفص بغير الياء (الذين آمنوا بآياتنا) صفة للمنادى (وكانوا مسلمين) حال من الواو اى الذين آمنوا مخلصين غير ان هذه العبارة آكد (ادخلوا الجنة انتم وازواجكم) نساؤكم المؤمنات (تحبرون) تسرون سرورا يظهر حباره اى اثره على وجوهكم او تزينون من الحبر وهو حسن الهيئة او تكرمون اكراما بالغ فيه والحبرة المبالغة فيما وصف بجميل (يطاف عليهم بصحاف من ذهب واكواب) الصحاف جمع صحفة والاكواب جمع كوب وهو كوز لا عروة له (وفيها) وفى الجنة (ما تشتهى الانفس) وقرأ نافع وابن عامر وحفص تشتهيه على الاصل (وتلذ الاعين) بمشاهدته وذلك تعميم بعد تخصيص ما يعد من الزوائد فى التنعم والتلذذ (وانتم فيها خالدون) فان كل نعيم زائل موجب لكلفة الحفظ وخوف الزوال ومستعقب للتحسر فى ثانى الحال (وتلك الجنة التى اورثتموها بما كنتم تعملون) وقرئ ورثتموها شبه جزاء العمل بالميراث لانه يخلفه عليه العامل وتلك اشارة الى الجنة المذكورة وقعت مبتدأ والجنة خبرها والتى اورثتموها صفتها او الجنة صفة تلك والتى خبرها او صفة الجنة والخبر بما كنتم تعملون وعليه تعلق الباء بمحذوف لا باورثتموها (لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون) بعضها تأكلون لكثرتها ودوام نوعها ولعل تفصيل التنعم بالمطاعم والملابس وتكريره فى القرآن وهو حقير بالاضافة الى سائر نعائم الجنة لما كان بهم من الشدة والفاقة

وتقرير الجواب ان مجيء الشيء بغتة اى فجأة يكون على وجهين الاول ان يجيء مع شعور القوم بمجيئه والاستعداد له والتفصى عن شدائده الا انهم لا يعرفون خصوص الوقت الذى يجيء فيه فهو فى اى وقت اتى يأتى بغتة والثانى انه يجيء والقوم غافلون عن اصله وقوعه مشتغلون بافعال من يكره وقوعه رأسا غير مهيئين له وجه ما والمراد باتيان الساعة بغتة ههنا اتيانها حال غفلة القوم عنها وعدم استعدادهم لوقوعها فوجب تقييد اتيانها بغتة بمضمون الجملة الحالية احترازا من اتيانها بغتة على الوجه الآخر ﴿قوله يتعادون يومئذ﴾ اشارة الى ان يومئذ معمول لقوله عدو وتنوين يومئذ عوض عن المضاف اليه اى يوم اذ تأتيهم الساعة لما ذكر الله تعالى مجيء الساعة بغتة ذكر عقيبه بعض ما يتعلق باحوال القيامة فقال الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين الذين تكون الخلة الواقعة بينهم على الايمان والتقوى فان خلتهم لا تنقلب عداوة لانهم يشاهدون ثواب ما تعاونوا عليه من الطاعات فتزداد محبة كل واحد منهم لصاحبه فضلا عن ان تنقلب عداوة بخلاف العصاة ﴿قوله حكاية لما ينادى به المتقون﴾ يعنى لفظ العباد وان كان يطلق لكل من هو مملوك مخلوق لله تعالى الا ان المراد به المتقون خاصة بقرينة ذكره عقيب الآية السابقة مع ان عادة القرآن العظيم جارية على تخصيص لفظ العباد بالمؤمنين المتقين وفى الآية تشريف عظيم لهم من وجوه الاول انه سبحانه وتعالى خاطبهم بنفسه من غير واسطة والثانى انه تعالى وصفهم بعبوديته والتذلل لوجهه الكريم والانقطاع عما سواه وهو تشريف عظيم يدل عليه قوله تعالى سبحان الذى اسرى بعبده اضافه عليه الصلاة والسلام الى نفسه بالعبودية له فى حكاية تشريفه اياه ليلة المعراج والثالث انه تعالى نفى عنهم جنس الخوف والحزن حين يفزع الخلائق روى ان الناس حين يبعثون يفزع كل احد منهم فينادى مناد يا عبادى لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون فيرجوها الناس كلهم رافعين رؤسهم منتظرين روحا وكرامة من ربهم الكريم فيتبعها قوله الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين فينكس اهل الاديان الباطلة رؤسهم فييأس الناس منها غير المسلمين فيقال لهم ادخلوا الجنة وقوله انتم اكد المرفوع المتصل فى قوله ادخلوا بالمنفصل ليصح عطف الاسم الصريح عليه وهو قوله وازواجكم وتحبرون فى موضع النصب على الحالية اى مسرورين يقال حبره يحبره بالضم حبرا وحبرة اذا سره سرورا تهلل له وجهه وظهر فيه اثره والحبار الاثر وقد احبره اى ترك به اثرا ﴿قوله او تزينون﴾ من قولك حبرته حبرا اذا حسنته وتحبير الخط والشعر وغيرهما تحسينه ويقال فلان حسن الحبر والسبر وحسن الحبر والسبر بالكسر والفتح اذا كان جميلا حسن الهيئة وقال الزجاج تحبرون اى تكرمون اكراما يبالغ فيه والحبرة المبالغة فيما وصف بجميل اى فى الوصف بالجميل ولما ذكر الجنة وانها موضع الحبور ذكر ما فيها من التنعم فذكر اولا المطاعم بقوله يطاف عليهم بصحاف من ذهب فيها الاطعمة ثم ذكر المشارب بقوله واكواب فيها الاشربة ثم انه تعالى لما فصل ما فى الجنة بعض التفصيل ذكر بيانا كليا فقال وفيها ما تشتهى الانفس وتلذ الاعين ثم ذكر تمام النعمة فقال وانتم فيها خالدون حذف العائد الى الموصول فى قوله ما تشتهى الانفس اى ما تشتهيه الانفس ومعناه ما تطلبه القلوب من شهواتها وتلذ الاعين اى تستلذه بنظرها وهذا حصر لانواع النعم لانها اما مشتهاة فى القلوب واما مستلذة فى العيون ﴿قوله تعالى وتلك﴾ مبتدأ وقوله الجنة خبره والتى اورثتموها صفة الجنة او الجنة صفة لتلك والتى اورثتموها خبر المبتدأ او التى اورثتموها صفة بعد صفة وبما كنتم تعملون الخبر والباء متعلقة بمحذوف اى مستحقة به وفى الوجه الاول تعلق الباء بمحذوف ﴿قوله لانه يخلفه عليه العامل﴾ اى لان الشأن ان العامل يخلف العمل بعد ذهابه ويستولى عليه ما ينسب الى ذلك العمل من اجزاء كما يخلف الوارث المورث ويستولى على ما ينسب اليه من امواله واملاكه بعد موته فكان العمل كالمورث والعامل كالوارث وجزاء العمل كالميراث فلما شبه الجزاء بالميراث استعير له اسم الميراث ثم اشتق منه اورثتموها استعارة تبعية ﴿قوله ولعل تفصيل التنعم بالمطاعم﴾ يعنى انه تعالى بعث رسوله صلى الله عليه وسلم الى العرب اولا ثم الى العالمين ثانيا والعرب كانوا فى ضيق شديد بسبب المأكول والمشروب والفاكهة فلهذا السبب كرر ذكر التنعم بها تكميلا لرغباتهم فى الجنة وما يؤدى اليها من الاعمال الصالحة وتقوية لدواعيهم ﴿قوله بعضها تأكلون﴾ يعنى ان كلمة من فى قوله منها تأكلون للتبعيض جيء بها للدلالة على كثرة ثمار الجنة وبقاء اعقابها فى شجرها بعد الاخذ فان اشجار الجنة مزينة بالثمار ابدا لا يرى فيها شجرة عارية من ثمرها كما فى الدنيا فان اى ثمرة من ثمار الجنة تؤخذ نبت مكانها مثلها او اكثر ثم انه تعالى لما ذكر وعده فى حق المتقين اردفه بذكر وعيد المجرمين فقال ان المجرمين فى عذاب جهنم خالدون واحتجت المعتزلة

بهذه الآية على القطع بخلود الفساق فى النار قالوا لفظ المجرم يتناول الكافر والفاسق فوجب ان يكون كل واحد من الفريقين يخلد فى عذاب جهنم لقوله لايفتر عنهم وقوله وهم فيه مبلسون وخالدون والمصنف اشار الى الجواب بان حمل المجرمين على الكافرين الكاملين فى الاجرام وعلله بانه تعالى جعل المجرمين قسيم المؤمنين بالآيات حال كونهم مخلصين فكل من آمن بالاخلاص يدخل تحت قوله تعالى ياعبادى لاخوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون والفاسق من اهل الصلاة قد آمن بالله وآياته واسلم اى اخلص فى ايمانه فوجب ان يدخل تحت ذلك الوعد وان يخرج من هذا الوعيد وهو يستلزم ان يكون المراد بالمجرمين الكفار وان يكون الوعيد المذكور مختصا بهم ويدل عليه ايضا انه تعالى حكى عنهم مايختص بالكفار وهو الكراهة للحق وقد حكاها الله تعالى عنهم بعد هذه الآية بقوله لقد جئناكم بالحق ولكن اكثركم للحق كارهون والكراهة للحق مختصة بالكفار لان المراد بالحق اما الاسلام واما الرسول واما القرآن والمسلم لايكره شيأ من ذلك فثبت ان ماقبل الآية وما بعدها يدلان على ان المراد بالمجرمين الكفار ﴿قوله آيسون من النجاة﴾ الجوهرى ابلس من رحمة الله اى يئس ومنه سمى ابليس وكان اسمه عزازيل والابلاس ايضا الانكسار والحزن يقال ابلس فلان اذا سكت غما فالمبلس اليائس الساكت سكوت يأس من الفرج ﴿قوله وهم فصل﴾ عند البصريين وفائدته ان يفرق بين الخبر والصفة فانك اذا قلت زيد القائم ربما يتوهم السامع كون القائم صفة لزيد فينتظر الخبر فاذا جئت بصيغة المرفوع المنفصل بين المبتدأ والخبر تعين كون مابعدها خبرا لاصفة لان الضمير لايوصف ولا يوصف به والكوفيون يسمونها عمادا لكونها حافظة لما بعدها من ان تسقط عن الخبرية كعماد البيت فانه يحفظ سقف البيت من السقوط ﴿قوله مكسورا ومضموما﴾ وجه الكسر جعل المحذوف لاجل الترخيم فى حكم الثابت كما ذهب اليه الاكثرون ومن جعل الباقى بعد الترخيم اسما برأسه يقول يامال بضم اللام لكونه منادى مفردا معرفة ﴿قوله والمعنى سل ربنا﴾ يعنى ان طلب القضاء وان كان متوجها اليه تعالى ظاهرا الا ان المطلوب من حيث المعنى ان يسأل مالك خازن النار منه تعالى ان يميتهم فيستريحوا عماهم فيه من العذاب والا لكان نداء مالك ضائعا خاليا عن الفائدة روى انه يلقى على اهل النار الجوع بحيث يعدل ماهم فيه من العذاب فيقولون ادعوا مالكا فيدعون يامالك ليقض علينا ربك قيل فيسكت عنهم مالك ولا يجيبهم اربعين سنة وقيل لايجيبهم مائة سنة وقيل الف سنة ثم يجيبهم ويقول انكم ماكثون مقيمون فى العذاب ويحتمل ان يكون المجيب هو الله تعالى كما قال وهو تتمة الجواب ان كان فى قال ضمير الله يعنى ان قوله لقد جئناكم بالحق كلام الله تعالى بدليل قرآءة من قرأ لقد جئتكم بالحق فان كان ماقبله مقولا له تعالى يكون هو من تتمة الجواب من حيث انه كالعلة للجواب بقوله انكم ماكثون وان كان ماقبله مقولا لمالك يكون هو جوابا منه تعالى بعد تمام جواب مالك ﴿قوله ولكن اكثركم﴾ اى كلكم لان الكفرة كلهم كارهون للحق اما طبعا او تقليدا ﴿قوله وهو لاينافى ابلاسهم﴾ جواب عما يقال قد وصفهم الله تعالى آنفا باليأس من النجاة فكيف يطمعونها وينادون مالكا بذلك وتقرير الجواب ان النداء المذكور انما ينافى وصفهم باليأس ان لو كان طلب الاماتة على وجه الترجى وليس كذلك بل هو على وجه التمنى وقيل لايبعد ان يقال انهم لشدة ماهم فيه من العذاب نسوا قضية ان لاخلاص لهم من ذلك العذاب فطلبوه على سبيل الطمع والرجاء ثم انه تعالى لما ذكر كيفية عذابهم فى الآخرة ذكر بعده كيفية مكرهم وفسادهم فى الدنيا فقال ام ابرموا امرا فانا مبرمون فام فيه منقطعة اضرب عن ذكر كيفية عذابهم فى الآخرة الى ذكر حالهم فى الدنيا والابرام احكام الامر واتقانه اى بل احكموا امرا فى تكذيب الحق ورده او فى المكر برسول الله صلى الله عليه وسلم قال مقاتل نزلت فى تدبير كفار مكة فى المكر به عليه الصلاة والسلام فى دار الندوة كما قال تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك ﴿قوله والعدول عن الخطاب﴾ يعنى انه تعالى خاطب كفار قريش حال نسبة كراهة الحق اليهم واخبر عنهم بطريق الغيبة حال نسبة ابرام المكر اليهم للاشعار بان الثانى افحش من الاول لان الالتفات الى الغيبة فى مقام المخاطبة يكون لتحقير المخاطب واسقاطه عن صلاحية المخاطبة معه فلما اوثرت هذه الطريقة فى نسبة الابرام اليهم اشعر ذلك بكونه اسوأ من كراهتهم ﴿قوله او ام احكم المشركون﴾ عطف على قوله ام ابرموا فى تكذيب الحق فاعل ابرموا على الاول الكفار الذين عبر عنهم بقوله تعالى ان المجرمين فى عذاب جهنم خالدون علل مكثهم وخلودهم فى النار اولا بكراهتهم للحق ثم اضرب عنه الى الاخبار بانهم لم يقتصروا على كراهة الحق بل ابرموا امرا فى تكذيبه ورده كانه قيل ابرم هؤلاء الذين هم للحق كارهون امرا يقتدرون انهم يكيدون به الحق ويبطلونه

(ان المجرمين) الكاملين فى الاجرام وهم الكفار لانه جعل قسيم المؤمنين بالآيات وحكى عنهم مايختص بالكفار (فى عذاب جهنم خالدون) خبران او خالدون خبر والظرف متعلق به (لايفتر عنهم) لايخفف عنهم من فترت عنه الحمى اذا سكنت قليلا والتركيب للضعف (وهم فيه) فى العذاب (مبلسون) آيسون من النجاة (وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين) مر مثله غير مرة وهم فصل (ونادوا يامالك) وقرئ يامال على الترخيم مكسورا او مضموما ولعله اشعار بانهم لضعفهم لايستطيعون تأدية اللفظ بالتمام ولذلك اختصروا فقالوا (ليقض علينا ربك) والمعنى سل ربنا ان يقضى علينا من قضى عليه اذا اماته وهو لاينافى ابلاسهم فانه جؤار وتمنى للموت من فرط الشدة (قال انكم ماكثون) لاخلاص لكم بموت ولا غيره (لقد جئناكم بالحق) بالارسال والانزال وهو تتمة الجواب ان كان فى قال ضمير الله والا فجواب منه وكأنه تعالى تولى جوابهم بعد جواب مالك (ولكن اكثركم للحق كارهون) لما فى اتباعه من اتعاب النفس وادآب الجوارح (ام ابرموا امرا) فى تكذيب الحق ورده ولم يقتصروا على كراهته (فانا مبرمون) امرا فى مجازاتهم والعدول عن الخطاب للاشعار بان ذلك اسوء من كراهتهم او ام احكم المشركون امرا من كيدهم بالرسول فانا مبرمون كيدنا بهم ويؤيده قوله

بالجدل فانا مبرمون امرا فى ابطال كيدهم باظهار الحق و اثابة من اتبعه و تعذيب من خالفه ﴿قوله تناجيهم﴾ اى التكلم فيما بينهم على وجه المسارّة وترك المجاهرة و السرّ ما حدّث به نفسه ولم يكلم به غيره لاسرّا و لاجهرا انما انه تعالى اوجب النفى المذكور فقال بلى اى بلى نسمعهما و نطلع عليهما ومع ذلك فالحفظة ملازمون يكتبون ذلك لما قال بعض المشركين الملائكة بنات الله نزل قوله تعالى قل ان كان للرحمن ولد فانا اوّل العابدين تبكيتا لهم حيث ادّعى الملازمة بين كينونة الولد له تعالى وكونه عليه الصلاة والسلام اوّل العابدين له اى ان كان ذلك وصح وثبت ببرهان صحيح فانا اوّل من يعظم ذلك الولد واسبقكم الى طاعته والانقياد له كما يعظم الرجل ولد الملك لتعظيم ابيه ومن المعلوم ان اللازم منتف فانه عليه الصلاة والسلام اشدّ الناس نفرة من ان يعظم احدا على زعم انه ولد الله تعالى فيستدل بانتفاء اللازم على انتفاء الملزوم ﴿قوله فان النبى يكون اعلم بالله الخ﴾ اثبات وتعليل للملازمة المذكورة ﴿قوله ولا يلزم من ذلك﴾ اى من تعليق كونه عليه الصلاة والسلام اوّل العابدين لذلك الولد كينونة الولد واتى بكلمة ان التى حقها ان تستعمل فى حق تعليق المحتمل بالمحتمل لكون كل واحد من كينونة الولد وعبادته له عليه الصلاة والسلام من الامور المحتملة الوقوع لان صدق الشرطية لا يستلزم صدق المقدم ولا كونه من الامور المحتملة اذ المحال قد يستلزم محالا آخر كما فى قوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وكذا كينونة الولد له تعالى مما يستحيل فى نفسه مع انه يستلزم ان يكون عليه الصلاة والسلام اوّل من يعبده من قريش ففرض وقوعها وحكم بكونها مستلزمة لمحال آخر تبكيتان لمن زعم وقوعها والحاما له ﴿قوله بل المراد نفيهما على ابلغ الوجوه﴾ فان الشرطية المذكورة تدل على نفى كل واحد من كينونة الولد له تعالى ومن عبادته عليه الصلاة والسلام لذلك الولد اما دلالتها على نفى الولد فمن حيث انها مستلزمة لعبادته عليه الصلاة والسلام له ومن المعلوم ان هذا اللازم منتف فعلم من انتفائه انتفاء الملزوم وهو كينونة الولد له تعالى فثبت به ان الشرطية قد دلت على نفى الولد بواسطة ان يضم اليها استثناء نقيض التالى فان استثناءه ينتج نقيض المقدم واما دلالتها على نفى عبادته عليه الصلاة والسلام لذلك الولد المفروض كينونته فمن حيث ان تلك العبادة قد علقت بالمحال وجعلت مسببة عنه ومن المعلوم ان الموقوف على المحال محال ﴿قوله والدلالة﴾ معطوف على قوله نفيهما اى بل المراد نفيهما والدلالة على ان انكاره الولد ليس لعناد بل مبنى على النظر والاستدلال حيث استدل على نفيه بانه لو كان له ولد لكان هو عليه الصلاة والسلام اولى الناس بتعظيمه والاعتراف به بناء على استحالة ان يكون الاعرف بالله تعالى وبما يصح له وما لا يصح والاولى بتعظيم ما يوجب تعظيمه تاركا له شديد النفرة عنه ﴿قوله وقيل﴾ اى وقيل ليس المعنى ان كان للرحمن ولد وثبت ذلك ببرهان قاطع وحجة واضحة فانا اوّل من يعظمه تعظيما لله تعالى بل المعنى ان زعمتم ان له تعالى ولدا فانا اوّل من كذبكم وخالفكم فى زعمكم الباطل ووحد الله وخصص العبادة به تعالى او فانا اوّل من انف منه ومن عبادته على ان يكون العابد من العبد بمعنى الغضب يقال عبد يعبد عبدا فهو عابد وعبدا اذا انف وغضب وفى الصحاح العبد بالتحريك الغضب والانف يقال عبد اى انف قال ابو عمرو وقوله فانا اوّل العابدين من الانف والغضب والمعنى ان كان للرحمن ولد كما تزعمون فانا اوّل من غضب للرحمن ان يقال له ولد وقيل ان نافية اى ما كان للرحمن ولد فانا اوّل من قال بذلك وعبد ووحد ولم يرض بالقولين الاوّلين لانه ليس فى زعمهم ذلك مدخل فى كونه عليه الصلاة والسلام اوّل العابدين لله تعالى الموحدين له ولا فى كونه عليه الصلاة والسلام اوّل الآنفين منه فانه عليه الصلاة والسلام سواء اثبتوا لله ولدا ولم يثبتوا عابد لله تعالى موحد له وآنف من اثبات الولد له فلم يكن للتعليق وجه وفائدة وكذا لا وجه لكون ان نافية بمعنى ما كان لان الاخبار بقوله فانا اوّل العابدين بالفاء السببية الواقعة بعد كلمة ان يستدعى ان يكون ما بعد الفاء مرتبا على ما قبلها بان تكون للشرط والجزاء فجعل ان فى مثل هذا الموضع نافية خلاف الظاهر ﴿قوله وهو دلالة﴾ اى قوله تعالى فذرهم يخوضوا دليل على ان قولهم الملائكة بنات الله وان لله ولدا على ما روى ان النضر بن عبد الدار قال ان الملائكة بنات الله فنزلت جهل باطل وقوله تعالى ويلعبوا دليل على ان ذلك القول اتباع هوى وقوله تعالى حتى يلاقوا الخ دليل على انهم مطبوع على قلوبهم والمعنى قد ذكرت الحجة القاطعة على فساد ما قالوا فلم يلتفتوا اليها لاجل استغراقهم فى اتباع الهوى وحب الرياسة فاتركهم فى ذلك الباطل واللعب حتى يصلوا الى يوم الجزاء فانهم ان لم يهتدوا بدعوتك وتبليغك فقد حصل بها الزام الحجة وازالة المعذرة فلا فائدة بعده فى تكرار الدعوة والاستمرار فلم يبق الا تخليتهم وشأنهم

(ام يحسبون انا لا نسمع سرّهم) حديث نفسهم بذلك (ونجواهم) تناجيهم (بلى) نسمعهما (ورسلنا) والحفظة مع ذلك (لديهم) ملازمون لهم (يكتبون) ذلك (قل ان كان للرحمن ولد فانا اوّل العابدين منكم) فان النبى يكون اعلم بالله وبما يصح له وما لا يصح واولى بتعظيم ما يوجب تعظيمه ومن تعظيم الوالد تعظيم ولده ولا يلزم من ذلك صحة كينونة الولد وعبادته له اذ المحال قد يستلزم المحال بل المراد نفيهما على ابلغ الوجوه كقوله لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا غير ان لو ثمة مشعرة بانتفاء الطرفين وان هنا لا تشعر به ولا بنقيضه فانها لمجرد الشرطية بل الانتفاء معلوم لانتفاء اللازم الدال على انتفاء ملزومه والدلالة على ان انكاره للولد ليس لعناد ومراء بل لو كان لكان اولى الناس بالاعتراف به وقيل معناه ان كان له ولد فى زعمكم فانا اوّل العابدين لله الموحدين له او الآنفين منه او من ان يكون له ولد من عبد يعبد اذا اشتد انفه او ما كان له ولد فانا اوّل الموحدين من اهل مكة وقرأ حمزة والكسائى ولد بالضم (سبحان رب السموات والارض رب العرش عما يصفون) عن كونه ذا ولد فان هذه الاجسام لكونها اصولا ذات استمرار تبرأت عما يتصف به سائر الاجسام من توليد المثل فما ظنك بمبدعها وخالقها (فذرهم يخوضوا) فى باطلهم (ويلعبوا) فى دنياهم (حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون) اى القيامة وهو دلالة على ان قولهم هذا جهل واتباع هوى وانهم مطبوع على قلوبهم معذبون فى الآخرة

(قوله)

﴿ قوله والظرف متعلق به ﴾ يعنى ان فى السماء متعلق بقوله اله لانه فعال بمعنى مفعول من قولهم اله بفتح اللام الاهة اى عبد عبادة وفعال بمعنى مفعول كثير نحو كتاب وامام و قولنا الله اصله الاه فلما دخلت عليه الالف واللام حذفت الهمزة تخفيفا لكثرة دورانه فى الكلام فمن قرأ وهو الذى فى السماء الله وفى الارض الله جعل الظرف متعلقا بقوله الله لان اصله اله والاله فى الاصل يقع على كل معبود ثم غلب على المعبود بالحق فهو فى الاصل بمعنى المعبود وباعتبار الغلبة متضمن معناه وعلى التقديرين يصلح باعمالهما فى الظرف

﴿ قوله والراجع مبتدأ محذوف ﴾ لما ورد ان يقال صلة الذى لابد ان تكون جملة وليس فى الآية سوى قوله فى السماء اله فان جعلت قوله فى السماء متعلقا باله ولم تقدر شيأ لم تنعقد جملة وان جعلت اله مبتدأ وفى السماء خبره تنعقد جملة لكنها تكون خالية عن العائد وتكون مثل قولك هو الذى فى الدار زيد فلا وجه لتصحيح الكلام اجاب عنه بان تقدير الكلام وهو الذى هو فى السماء اله حذف المبتدأ لدلالة المعنى عليه وذلك المحذوف هو العائد الى الموصول وحذف العائد الى الموصول لطول الصلة بمعمول الخبر فان فى السماء متعلق باله وزاد الكلام طولا لان المعطوف داخل فى حيز الصلة

﴿ قوله ولا يجوز جعله ﴾ اى لا يجوز جعل الظرف الذى حكم عليه بانه متعلق بالخبر خبرا لقوله اله لان الجملة حينئذ تبقى بلا عائد لكن لو جعل الظرف المذكور صلة للموصول وجعل اله خبر مبتدأ محذوف جاز لان الظرف لاشتماله على العائد يصلح صلة وحينئذ تكون جملة هو اله لبيان ان كونه تعالى فيهما انما هو بالالوهية والربوبية دون الاستقرار

﴿ قوله وفيه نفى الآلهة السماوية والارضية ﴾ وذلك لان الموصول مع صلته وقع خبرا لقوله وهو ومثل هذا التركيب يفيد الحصر لما تقرر من ان الخبر المعرّف تعريف الجنس قد يفيد حصر الجنس فى المبتدأ نحو عمر الشجاع اى الكامل فى الشجاعة كأنه لا اعتداد بشجاعة غيره لقصورها عن رتبة الكمال

﴿ قوله كالدليل عليه ﴾ لان قوله وهو الحكيم العليم لما دل على اختصاص الالوهية به تعالى ايضا لان اختصاص لوازم الالوهية يستلزم اختصاص نفس الالوهية به فثبت به بطلان قول من قال الملائكة الكائنون فى السماء بناته والمسيح الكائن فى الارض ابنه

﴿ قوله وقرأ نافع وابن عامر الخ ﴾ اختار قرآة ابن كثير وحمزة والكسائى فانهم قرأوا يرجعون بالياء من تحت ليوافق ماقبله فانه عبر عنهم بلفظ الغيبة من قوله ام ابرموا امرا الى هنا والباقون بالتاء من فوق وهو فى كليهما على بناء المفعول وقرئ بتاء الخطاب على بناء الفاعل ايضا وتبارك يحتمل ان يكون مشتقا من البركة بمعنى الثبات والبقاء او من البركة بمعنى كثرة الخير مثل كونه خالقا للسموات والارض وما بينهما فان من اختص به ملك السموات والارض وما بينهما يكون واجب الوجود لذاته ثابتا باقيا ازلا وابدا ويكون كثير الخير ايضا وعلى التقديرين يكون منزها عن ان يتخذ ولدا لان الولد لابد ان يكون من جنس الوالد ولا شئ فى الموجودات من هذا شأنه الا الله الواحد القهار ثم انه تعالى لما اطنب فى نفى الولد عنه تعالى اردفه بذكر ان لا شفاعة لمعبودهم عند الله فقال ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة ثم استثنى منهم عيسى وعزيرا والملائكة عليهم الصلاة والسلام فقال الا من شهد بالحق فانهم عبدوا من دون الله ولهم عند الله شفاعة ومنزلة ومعنى قوله شهد بالحق اى بانه لا اله الا الله وحده وهم يعلمون بقلوبهم ما شهدوا به بألسنتهم وفيه دليل على انه لا تحقق ايمان ولا شهادة حتى يكون ذلك من علم بالقلب لانه تعالى شرط مع الشهادة العلم وقيل معنى الآية لا يملك الشفعاء ان يشفعوا الا لمن شهد بالحق وهو المؤمن المخلص بحذف اللام او وصل الفعل او الا شفاعة من شهد بالحق بحذف المضاف

﴿ قوله ونصبه ﴾ قرأ حمزة وعاصم بكسر اللام والباقون بنصبها وذكر المصنف لنصبه ثلاثة اوجه الاول العطف على سرهم اى ايحسبون انا لا نسمع سرهم ونجواهم وقول محمد عليه افضل الصلاة والسلام شاكيا منهم والثانى العطف على محل الساعة فانها مفعول المصدر اضيف اليه كأنه قيل انه يعلم الساعة ويعلم قيله كذا والثالث كونه مفعولا مطلقا لفعله المضمر اى وقال قيله وشكا شكواه الى ربه والقال والقيل والقول بمعنى واحد ثم قيل الفعل المضمر معطوف على قولنا المضمر قبل قوله ولئن سألتهم اى فقلنا له عليه افضل الصلاة والسلام ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فانى يؤفكون وقال قولا آيسا من ايمانهم وهو قوله يارب ان هؤلاء قوم لا يؤمنون فعلى هذا يكون تقدير قوله فاصفح عنهم فقلنا له اصفح عنهم اى لما كان آيسا من ايمانهم امرناه بالمتاركة والاعراض الكلى

﴿ قوله بتقدير مضاف ﴾ اى وعنده علم الساعة وعلم قيله ثم حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه واعرب باعرابه

﴿ قوله وقيل هو قسم منصوب بحذف حرف القسم ﴾ وايصال الفعل اليه محذوفا كما فى قولك الله لأفعلن او مجرور باضماره

(وهو الذى فى السماء اله وفى الارض اله) مستحق لان يعبد فيهما والظرف متعلق به لانه بمعنى المعبود او متضمن معناه كقولك هو حاتم فى البلد وكذا فيمن قرأ الله والراجع مبتدأ محذوف لطول الصلة بمتعلق الخبر والعطف عليه ولا يجوز جعله خبرا له لانه لا يبقى له عائد لكن لو جعل صلة وقدر لاله مبتدأ محذوف يكون به جملة مبينة للصلة دالة على ان كونه فى السماء بمعنى الالوهية دون الاستقرار وفيه نفى الآلهة السماوية والارضية واختصاصه باستحقاق الالوهية (وهو الحكيم العليم) كالدليل عليه (وتبارك الذى له ملك السموات والارض وما بينهما) كالهواء (وعنده علم الساعة) العلم بالساعة التى تقوم القيامة فيها (واليه ترجعون) للجزاء وقرأ نافع وابن عامر وابو عمرو وعاصم وروح بالتاء على الالتفات للتهديد (ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة) كما زعموا انهم شفعاؤهم عند الله (الا من شهد بالحق وهم يعلمون) بالتوحيد والاستثناء متصل ان اريد بالموصول كل ما عبد من دون الله لاندراج الملائكة والمسيح فيه ومنفصل ان خص بالاصنام (ولئن سألتهم من خلقهم) سألت العابدين او المعبودين (ليقولن الله) لتعذر المكابرة فيه من فرط ظهوره (فانى يؤفكون) يصرفون عن عبادته الى عبادة غيره (وقيله) وقول الرسول ونصبه للعطف على سرهم او على محل الساعة او لاضمار فعله اى وقال قيله وجره عاصم وحمزة عطفا على الساعة وقرئ بالرفع على انه مبتدأ خبره (يارب ان هؤلاء قوم لا يؤمنون) او معطوف على علم الساعة بتقدير مضاف وقيل هو قسم منصوب بحذف الجار او مجرور باضماره او مرفوع بتقدير وقيله يارب قسمى وان هؤلاء جوابه

كما فى قولك الله لافعلن كأنه قيل واقسم قيله او بقيله و الواو فيه لعطف الجملة القسمية على الجملة الشرطية و هى قوله ان سألتهم من خلقهم ليقولن الله او مرفوع على انه من قبيل قولك لعمرك لافعلن فان تقديره لعمرك قسمى لافعلن وكذا تقدير الآية وقيله يارب قسمى و اقسام الله تعالى بقيله رفع منه تعالى و تعظيم لدعائه و التجائه و جواب القسم على الاوجه الثلاثة قوله ان هؤلاء قوم لايؤمنون و يجوز ان يكون الجواب محذوفا مثل لينصرن او لا فعلن بهم ماأريد ﴿قوله تسلم منكم ومتاركة﴾ يريد انه عليه الصلاة و السلام لم يؤمر بان يحييهم و يسلم عليهم بل انما امر بالمتاركة اى اذا ايتم القبول فامرى التسلم منكم و المتاركة ﴿قوله على انه من المأمور﴾ اى على ان قوله فسوف تعلمون من الذى امر بان يقول لهم * تم هنا ما يتعلق بسورة الزخرف و الحمد لله رب العالمين و الصلاة و السلام على من لا نبى بعده و على آله و صحبه اجمعين

﴿ سورة الدخان ست او سبع و خمسون آية مكية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿قوله و القرآن﴾ لم يفسر الكتاب المبين بجنس الكتب السماوية و لا باللوح المحفوظ لان ضمير انزلناه يرجع الى الكتاب و هذا الحكم مختص بالقرآن من بين الكتب فيكون الكلام من قبيل قوله * وثناياك انها اغريض * فى كونه من بدائع الاقسام من حيث كون المقسم به و المقسم عليه من واد واحد و ذلك لان المقصود من المقسم عليه و هو قوله انا انزلناه فى ليلة مباركة تعظيم القرآن بانه كثير البركة حتى جعل الليلة التى انزل فيها مباركة بنزوله فيها فلما اكده بجعل القرآن مقسما به فقد اثبت عظمته بعظمته فكانا من واد واحد ﴿قوله ان كان حم مقسما بها﴾ فيكون حم مجرور المحل باضمار حرف القسم و لا يجوز ان يكون منصوب المحل بحذف الجار و ايصال الفعل اليه لانهم قالوا فى الفرق بين حذف الجار و اضماره ان المضمر لايكون مذكورا لفظا و يكون اثره باقيا فى الكلام و المحذوف هو المتروك اصلا لا اعتداد به بحسب لفظه و لا بحسب اثره و ههنا اثر الجار قائم فى حم بشهادة جر المعطوف عليه و هو الكتاب ﴿قوله و الا فالقسم﴾ اى و ان لم يكن حم مقسما بها سواء جعلت تعديدا للحروف او اسما للسورة مرفوع المحل على انها خبر مبتدأ محذوف او نحو ذلك يكون واو و الكتاب المبين للقسم و وصف الكتاب بالمبين لكونه مشتملا على بيان ما بالناس حاجة اليه فى دينهم و دنياهم و هو من قبيل اسناد الحكم الى سببه لان المبين فى الحقيقة هو الله تعالى ﴿قوله فى ليلة القدر او البراءة﴾ و هى ليلة النصف من شعبان سميت ليلة البراءة و الصك لان الله تعالى يكتب لعباده المؤمنين البراءة فى هذه الليلة كما ان من يجبى الخراج اذا استوفى الخراج من اهله يكتب لهم البراءة و ذهب الاكثرون الى ان ليلة القدر تكون فى شهر رمضان فى العشر الاواخر فى اوتارها لقوله تعالى انا انزلناه فى ليلة القدر و قوله شهر رمضان الذى انزل فيه القرآن فعلم منهما ان ليلة القدر من ليالى شهر رمضان و روى ابو سعيد الخدرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سئل اى ليلة هى فقال التمسوها فى العشر الاواخر من رمضان و اطلبوها فى كل وتر و اكثرهم على انها السابعة و العشرون منه و اختلف المفسرون فى هذه الليلة المباركة فقال الاكثرون انها ليلة القدر و قال عكرمة و طائفة آخرون انها ليلة البراءة و احتج الاولون بوجوه الاول انه تعالى قال انا انزلناه فى ليلة القدر و قال ههنا انا انزلناه فى ليلة مباركة فلو لم يكن المراد بالليلتين واحدا لزم التناقض و الثانى انه تعالى قال شهر رمضان الذى انزل فيه القرآن فوجب ان تكون الليلة المباركة من ليالى رمضان لا من ليالى شعبان و لانه تعالى وصف الليلة المباركة بقوله فيها يفرق كل امر حكيم و قال فى ليلة القدر تنزل الملائكة و الروح فيها باذن ربهم من كل امر اى تنزل من اجل كل امر قضاه الله تعالى لتلك السنة الى قابل من عمل و رزق و حياة و موت و قيل بكل امر من الخير و البركة كقوله تعالى يحفظونه من امر الله اى بامره و قال ههنا رحمة من ربك و قال فى تلك الآية سلام هى و اذا تقاربت الاوصاف وجب القول بان احدى الليلتين هى الاخرى و احتج الآخرون على انها ليلة النصف من شعبان بان لها اربعة اسماء منها الليلة المباركة و ليلة البراءة و ليلة الصك و ليلة الرحمة و بما روى انها مختصة بخمس خصال منها ما قاله تعالى فيها يفرق كل امر حكيم فظهر بهذين الوجهين ان الليلة المباركة هى ليلة النصف من شعبان ﴿قوله ابتدئ فيها انزاله﴾ جواب عما يقال ما معنى انزال القرآن فى هذه الليلة مع انه تعالى انزله فى جميع الشهور و لياليها و ايامها و روى ان عطية الحرورى سأل ابن عباس من قوله تعالى انا انزلناه فى ليلة القدر و قوله انا انزلناه فى ليلة مباركة كيف يصح ذلك مع انه تعالى انزل القرآن فى جميع الشهور فقال ابن عباس يا ابن الاسود لو هلكت انا و وقع

(فاصفح عنهم) فأعرض عن دعوتهم آيسا من ايمانهم (وقل سلام) تسلم منكم ومتاركة (فسوف يعلمون) تسلية للرسول وتهديد لهم وقرأ نافع وابن عامر بالتاء على انه من المأمور بقوله * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الزخرف كان ممن يقال لهم يوم القيامة ياعبادى لاخوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون

﴿ سورة الدخان مكية الاقوله ﴾
﴿ انا كاشفوا العذاب الآية وهى ﴾
﴿ سبع او تسع وخمسون آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(حم والكتاب المبين) والقرآن والواو للعطف ان كان حم مقسما بها والا فالقسم والجواب قوله (انا انزلناه فى ليلة مباركة) فى ليلة القدر او البراءة ابتدئ فيها انزاله

هذا فى نفسك ولم تجد جوابه لهلكت نزل القرآن جملة من اللوح المحفوظ الى البيت المعمور فى سماء الدنيا ثم نزل بعد ذلك فى انواع الوقائع حالا فحالا قال قتادة وابن زيد انزل الله القرآن فى ليلة القدر من ام الكتاب الى سماء الدنيا ثم نزل به جبريل على رسول الله صلى الله عليه وسلم نجوما فى عشرين سنة ﴿قوله وبركتها لذلك﴾ اى لانها لان اجزاء الزمان متشابهة بحسب ذواتها فان الزمان عبارة عن مدة ممتدة تقدرها حركات الافلاك والكواكب وانه فى ذاته امر واحد متشابه الاجزاء فلا يكون بعض اجزائه افضل من البعض الآخر لذاته والا لزم ترجيح احد طرفى الممكن على الآخر لا لمرجح وانه محال فوجب ان يكون امتياز الليلة المباركة عن سائر اجزاء الزمان بمزيد القدر والشرف بسبب انه حصل فيها امر شريف له قدر عظيم بارادة الفاعل المختار فانه لا يبعد من الفاعل المختار ان يخصص وقتا معينا بامر شريف ويميزه بذلك عن سائر الاوقات التى قبله وبعده ومن المعلوم ان امر الدين اعز واشرف من امر الدنيا وان اعظم الاشياء قدرا من بين امور الدين هو القرآن لانه ثبت به نبوة سيد المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم وبه ظهر الفرق بين الحق والباطل فلما خص الله تعالى تلك الليلة بانزاله فيها كانت لذلك كثيرة الخير والبركة ولو لم يكن فيها الا انزال القرآن الذى فيه خير الدين والدنيا لكفى ذلك بركة وشرفا لها مع ان لها شرفا وقدرا عظيما من وجوه اخر كنزول الملائكة والرحمة واجابة الدعوة وقسم النعم والارزاق وفصل الاقضية روى ان الملائكة تنزل الى الدنيا ليلة القدر ومعهم جبريل بالرحمة من الله تعالى والسلام على اوليائه فيسلمون على كل عبد قائم او قاعد يذكر الله تعالى وروى عنه عليه الصلاة والسلام من قام ليلة القدر ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه والعمل فيها بطاعة الله افضل من العمل فى الف شهر ليس فيه ليلة القدر اى من العمل فى ثلاث وثمانين سنة واربعة اشهر وليلة القدر سميت بذلك لكونها ليلة تقدير الاعمال والارزاق والآجال ومعنى تقديرها اظهار مقاديرها واثباتها فى النسخ ودفعها الى جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل وقيل سميت بذلك لكونها ليلة العظمة وهى ليلة جليلة القدر عظيمة الامر فهى خير من الف شهر قال ابن عباس تقضى الاقضية كلها ليلة النصف من شعبان وتسلم الى اربابها من الملائكة ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان وقيل يبدأ فى ليلة البراءة باستنساخ الامور من اللوح المحفوظ وكتب الكتب بارزاق العباد وآجالهم وجميع الامور الحكمية الواقعة فى تلك الليلة الى مثلها من السنة القابلة ويقع الفراغ فى ليلة القدر فتدفع نسخة الارزاق الى ميكائيل ونسخة الحروب والزلازل والصواعق والخسف الى جبريل ونسخة الاعمال الى اسرافيل صاحب سماء الدنيا وهو ملك عظيم ونسخة المصائب الى ملك الموت قيل ليلة البراءة مخصصة بخمس خصال الاولى تفريق كل امر عظيم والثانية فضيلة العبادة فيها روى انه عليه افضل الصلاة والسلام قال من صلى فى هذه الليلة مائة ركعة ارسل الله اليه مائة ملك ثلاثون منهم يبشرونه بالجنة وثلاثون يؤمنونه من عذاب النار وثلاثون يدفعون عنه آفات الدنيا وعشرة يدفعون عنه مكايد الشيطان * والثالثة نزول الرحمة قال عليه الصلاة والسلام * ان الله تعالى يرحم امتى فى هذه الليلة بعدد شعر اغنام بنى كلب * الرابعة حصول المغفرة قال عليه الصلاة والسلام * ان الله تعالى يغفر لجميع المسلمين فى تلك الليلة الا لكاهن او ساحر او مشاحن او مدمن خمر او عاق لوالديه او مصرّ على الزنى * والخامسة انه تعالى اعطى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم تمام الشفاعة وذلك انه عليه الصلاة والسلام سأل ليلة الثالث عشر من شعبان الشفاعة فى امته فاعطى الثلث منها ثم سأل ليلة الرابع عشر فاعطى الثلث ثم سأل ليلة الخامس عشر فاعطى الجميع الا من شرد عن الله شراد البعير ومن عادة الله تعالى فى هذه الليلة ان يزيد فيها ماء زمزم زيادة ظاهرة ﴿قوله استئناف يتبين فيه المقتضى للانزال﴾ اى ان قوله تعالى انا كنا منذرين يتبين به مقتضى اصل الانزال وقوله فيها يفرق كل امر حكيم يتبين به ما يقتضى اختصاص ذلك الانزال بليلة مباركة فان جواب القسم وهو قوله تعالى انا انزلناه فى ليلة مباركة يتضمن معنيين الاول انزال القرآن والثانى وقوع ذلك الانزال فى الليلة المباركة فعلل الاول بقوله انا كنا منذرين اى نخوّف الخلق بالعذاب ردعا عن الكفر والمعصية وشوقا الى الايمان والطاعة وذلك يقتضى ارسال الرسول وانزال الكتاب وعلل الثانى بقوله فيها يفرق كل امر حكيم اى محكم متقن لا يبدّل ولا يغير على ان الحكيم بمعنى المحكم كالبديع بمعنى المبدع او كل امر ذى حكمة ملتبس بها بان يكون وقوعه على مقتضى الحكمة فان ما بين وفصل فى تلك الليلة من الامور كالآجال والارزاق وغيرهما كائن لا محالة على وفق الحكمة البالغة ومقتضاها ولما كان انزال القرآن الكريم من اجل الامور اختص انزاله بفرق

او انزل فيها جملة الى سماء الدنيا من اللوح ثم انزل على الرسول عليه السلام نجوما وبركتها لذلك فان نزول القرآن سبب للمنافع الدينية والدنيوية او لما فيها من نزول الملائكة والرحمة واجابة الدعوة وقسم النعمة وفصل الاقضية (انا كنا منذرين) استئناف يتبين فيه المقتضى للانزال وكذلك قوله (فيها يفرق كل امر حكيم) فان كونها مفرق الامور المحكمة او الملتبسة بالحكمة استدعى ان ينزل فيها القرآن الذى هو من عظائمها

الامور الحكمية والحكيم حقيقة فاعل الامر لانفسه فجعل الامر حكيما من قبيل الاسناد المجازى وقيل يلسخ من اللوح المحفوظ فى هذه الليلة مايكون فى تلك السنة من ارزاق العباد وآجالهم وجميع احوالهم من الخير والشر حتى حج الحاج فيكتب فلان لا يحج وفلان لا يحج حتى مايكون فى تلك السنة من الخصب والرخاء عن ابن عباس رضى الله عنه قال انك لتلقى الرجل يمشى فى الاسواق وقد وقع اسمه فى الموتى وعنه عليه الصلاة والسلام قال منقطع الآجال من شعبان الى شعبان حتى ان الرجل لينكح ويولد له ولقد اجرى اسمه فى الموتى ﴿ قوله وقرئ يفرّق بالتشديد ﴾ لكثرة المفرقات ويفرق على بناء الفاعل ونفرق بنون العظمة ونصب كل امر فى كل واحد من قرآءة يفرق بالياء ونفرق بالنون والفاعل فيهما هو الله تعالى ﴿ قوله اى اعنى بهذا الامر امرا حاصلا من عندنا ﴾ اشارة الى ان قوله امرا منصوب على الاختصاص اى على المدح بتقدير اعنى وان قوله من عندنا متعلق بمحذوف هو صفة امر اى اعنى امرا حاصلا من عندنا وكائنا من لدنا وصف به الامر زيادة على تفخيم الامر وتعظيمه فخمه اولا بان وصفه بقوله حكيم ثم زاد فى تفخيمه بان نكره ونصبه على الاختصاص ووصفه بقوله من عندنا واشار الى وجوه زيادة الفخامة بقوله اى اعنى بهذا الامر امرا حاصلا من عندنا ﴿ قوله لانه موصوف ﴾ تعليل لجواز كونه حالا من امر وهو نكرة ولا ينتصب الحال من النكرة المحضة الا متقدما عليها وليس تعليلا لكونه حالا من ضمير حكيم لانه معرفة ورد على كونه حالا من امر انه يلزم مجيئ الحال من المضاف اليه فى غير المواضع المذكورة ﴿ قوله وان يراد به مقابل النهى ﴾ عطف على مافهم من الوجوه المتقدمة فانها مبنية على كون الامر بمعنى الشان واحد الامور وذلك لانه لاخفاء فى ان الامر فى قوله كل امر حكيم بمعنى الشان وان المعنى كل شان ذى حكمة اى مفعول على ماتقتضيه الحكمة فيكون الامر فى قوله امرا من عندنا بمعنى الشان ايضا ان نصب بتقدير اعنى او على ان يكون حالا من امر او ضميره لانه حينئذ يكون عبارة عن الامر الحكيم المذكور اولا فذكر احتمال ان يكون منصوبا بتقدير اعنى او على الحالية من امر او ضميره فى قوة ذكر انه بمعنى الشان ايضا لان ذكر الملزوم فى قوة ذكر اللازم فلذلك عطف عليه قوله وان يكون المراد به مقابل النهى ثم بين ان انتصابه على تقدير ان يكون المراد به مايقابل النهى اما على انه مفعول مطلق ليفرق او لفعله المضمر او على انه حال من احد الضميرين وكونه مصدرا ليفرق امامبنى على ان المعنى فيها يفرق كل شان حكيم فرقا او يؤمر بكل ذلك امرا من عندنا وذلك لان معنى قوله فيها يفرق كل امر حكيم ان كل ذلك يؤخذ ويفصل ويستنسخ من اللوح المحفوظ وهو بمعنى فيها يؤمر بكل شان ذى حكمة لانه تعالى اذا قضى بالشئ وقدره اى اظهر قدره واثبته فى نسخ الملائكة فقد اوجده كأنما امر به فيكون فرقا وامرا بمعنى واحد فلذلك صح ان يوضع امرا موضع فرقا وان يوضع يفرق موضع يؤمر والمصنف اشار الى كونهما بمعنى واحد بقوله من حيث ان الفرق به اى من حيث ان فرق الشان الحكيم من اللوح واثباته فى نسخ الملائكة يكون بايجاده والامر به فيكونان بمعنى واحد وان كان حالا من فاعل انزلناه او مفعوله يكون المعنى على الاول آمرين وعلى الثانى مأمورا وعلى التقديرين لايكون من عندنا صفة لامرا بل يكون متعلقا بيفرق او يكون صفة لمصدر محذوف مؤكد لامر اى آمرين امرا كائنا من عندنا ﴿ قوله اى انا انزلنا القرآن لان من عادتنا ارسال الرسل بالكتب ﴾ ولما كان المبدل منه وهو قوله انا كنا منذرين استئنافا يقصد به تعليل الانزال كان المقصود بالبدل ايضا ذلك ولم يتعرض للبدل منه اشعارا بكونه فى حكم الساقط وان المقصود هو البدل وزاد قوله بالكتب ليصح كونه تعليلا للانزال ﴿ قوله لاجل الرحمة عليهم ﴾ اشارة الى ان انتصاب رحمة على انها مفعول له للارسال ولو جعل انتصابها على انها مفعول به لقوله مرسلين لكان له وجه وغايته ان تجعل الرسل انفسهم رحمة للمبالغة الا ان المصنف لم يلتفت اليه لان المبدل منه لما لم يعتبر فيه تعلق الفعل بالمفعول به بل كان معناه انا كنا فاعلين الانذار كان المناسب ان لا يعتبر تعلق الفعل به فى البدل ايضا ويكون معناه انا كنا فاعلين الارسال ليتطابق البدل والمبدل منه فى ان كل واحد منهما منزل منزلة اللازم ﴿ قوله او علة ليفرق او امرا ﴾ عطف على قوله بدل اى ويحتمل ان يكون قوله انا كنا مرسلين استئنافا لبيان علة فرق كل شان حكيم من اللوح اى لبيان علة الامر به فقوله او امرا معناه او لفعل الناصب لقوله امرا على المصدرية او الحالية والمعنى امرنا بكل شان حكيم امرا او انزلنا القرآن آمرين لان شأننا ارسال الرحمة وعدم امساكها وكون شانه تعالى ذلك يصلح علة لفصل الامور الحكمية ولامره بها لان كل واحد منهما من باب الرحمة اما الاول فظاهر واما الثانى فلأن المقصود الاصلى من تكليف العباد تعريضهم

ويجوز ان يكون صفة ليلة مباركة وما بينهما اعتراض وهو يدل على ان الليلة ليلة القدر لانه صفتها لقوله تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل امر وقرئ يفرّق بالتشديد ويفرق كل اى يفرقه الله ونفرق بالنون (امرا من عندنا) اى اعنى بهذا الامر امرا حاصلا من عندنا على مقتضى حكمتنا وهو مزيد تفخيم للامر ويجوز ان يكون حالا من كل او امرا وضميره المستكن فى حكيم لانه موصوف وان يراد به مقابل النهى وقع مصدرا ليفرق او لفعله مضمرا من حيث ان الفرق به او حالا من احد ضميرى انزلناه بمعنى آمرين او مأمورا (انا كنا مرسلين رحمة من ربك) بدل من انا كنا منذرين اى انا انزلنا القرآن لان من عادتنا ارسال الرسل بالكتب الى العباد لاجل الرحمة عليهم ووضع الرب موضع الضمير للاشعار بان الربوبية اقتضت ذلك فانه اعظم انواع التربية او علة ليفرق او امرا ورحمة مفعول به اى يفصل فيها كل امر او تصدر الاوامر من عندنا لان من شأننا ان نرسل رحمتنا فان فصل كل امر من قسمة الارزاق وغيرها وصدور الاوامر الالهية من باب الرحمة وقرئ رحمة على تلك رحمة (انه هو السميع العليم) يسمع اقوال العباد ويعلم احوالهم وهو بما بعده تحقيق لربوبيته وانها لا تحق الا لمن هذه صفاته

(لنافع)

للنافع والراحم لهم وهذه صفاته لان توسيط ضمير الفصل مع تعريف الخبر من جملة طرق الحصر ففيه تعريض بان آلهتهم لاتسمع ولاتبصر وليس لهم مدخل فى تربية شئ من الكائنات العلوية والسفلية فن انتفى عنه لوازم الربوبية بالكلية كيف يكون ربا ﴿ قوله خبر آخر ﴾ فان غير الكوفيين قرأوا رب السموات بالرفع على انه خبر بعد خبر او على انه خبر مبتدأ محذوف اى هو رب السموات او على انه مبتدأ ولا اله الا هو خبره ﴿ قوله اى ان كنتم من اهل الايقان فى العلوم الخ ﴾ يعنى يجوز ان يكون قوله موقنين منزلا منزلة اللازم ولا يعتبر تعلقه بمفعوله الغير الصريح وان يكون بمعنى موقنين فى اقراركم بان خالق هذه الاجرام هو الله تعالى بان يعتبر تعلقه بمفعوله ولكن حذف ذلك المفعول لدلالة المقام عليه وقوله علمتم ان الامر كما قلنا اشارة الى ان جواب الشرط محذوف مدلول عليه بما ذكر قبل الشرط وليس الجواب نفس ما ذكر قبل الشرط على رأى الكوفيين ولا مضمونه المقدر بعده على رأى البصريين لان كونه تعالى رب السموات والارض وما بينهما امر محقق على جميع التقادير وليس تحققه موقوفا على بعض التقادير والاعتبارات حتى يصح تعليقه بكونهم موقنين فلما لم يجز ان يجعل كونه تعالى ربا لما ذكر فى نفس الامر معلقا وموقوفا على كونهم موقنين جعل المعلق على ذلك علمهم بما ذكر قبل الشرط اما العلم الواقع قبل ذكر الشرطية او العلم المطلق بذكرها الا ان الايقان على الثانى يكون مجازا عن الارادة بطريق اطلاق اسم المسبب على السبب اى ان كنتم مريدين اليقين فاعلموا كونه رب السموات والارض وما بينهما او كونه واحدا لا شريك له على ان يكون الجواب المحذوف ما دل عليه ما قبل الشرط او ما بعده من قوله لا اله الا هو ﴿ قوله وقرئا بالجر ﴾ يعنى من قرأ رب السموات بالجر على انه بدل من ربك وهم الكوفيون قرأهما بالجر ايضا على انهما بدلان او عطفا بيان لرب السموات ومن رفعه رفعهما ايضا على انهما بدلان او نعتان له او خبر بعد خبر لقوله انه او خبر مبتدأ مضمر ﴿ قوله رد لكونهم موقنين ﴾ الا انه انتقل فيه الى طريق الغيبة تحقيرا لهم واعراضا عنهم حين افرطوا فى العناد ولم يقبلوا رسول من يقرون انه خالق السموات والارض وما بينهما ولا كتابه ووجه انتظام الآيات من اول السورة الى هنا انه تعالى عظم كتابه المبين بان جعله مقسما به واكده بالاخبار بانه هو الذى تفرد بانزاله فى ليلة شريفة كثيرة الخير والبركة وعلل تخصيص تلك الليلة بالانزال بكونها مفرق الامور الحكمية الحاصلة من عنده تعالى وعلل نفس الانزال بان شأنه وعادته انذار المعاندين بالعذاب بان يرسل اليهم رسلا مؤيدين بالكتاب السماوى لاجل الرحمة عليهم والقضاء الربوبية ابادهم ووصف ذاته الكريم باوصاف جليلة تحقيقا لربوبيته وارشادا الى ان الربوبية لاتحقق الا لمن هذه اوصافه وسلك فى قوله ان كنتم موقنين وقوله ربكم ورب آبائكم سبيل الخطاب ايهاما لحبهم وتوبيخا عليهم بان انزال هذا الكتاب وارسال هذا الرسول انما هو من قبل من تقرون به وتقولون انه خالق السموات والارض وما بينهما فالكم لاتقبلونهما ولاتؤمنون بهما مع انكم تدعون انكم موقنون فى هذا القول والاقرار ومن ايقن به يلزمه ان يستيقن ان ملكوت كل شئ بيده وانه يرحم من اطاعه وينتقم ممن عصاه فالكم لاتخافون عذابه لاصراركم على مخالفته وعصيانه ثم التفت من الخطاب الى الغيبة فقال بل هم فى شك يلعبون تحقيرا لشأنهم وابعادا لهم عن موقف الخطاب لكون شأنهم التزلزل والامتراء وكون افعالهم الهزؤ واللعب لعدم التفاتهم الى البراهين القاطعة وعدم تمييزهم بين الحق والباطل والضار والنافع ولما بين ان شأنهم الحماقة والطغيان وعدم قبول الحق والانتفاع به التفت الى حبيبه صلى الله عليه وسلم تسلية له واقناطا من ايمانهم وبيانا لكونهم من اهل العذاب والخذلان لا من اهل الرحمة والغفران فقال فارتقب يوم تأتى السماء بدخان مبين قابل انزال الكتاب من السماء بانزال العذاب منها عليهم على ان قوله تعالى يوم تأتى السماء مفعول به لقوله ارتقب يقال رقبته وارتقبته نحو نظرته وانتظرته واختلف اهل التفسير فى هذا الدخان فذهب ابن مسعود رضى الله عنه الى ان المراد به ما اصاب قريشا من القحط وشدة الجوع حتى اكلوا الكلاب والجيف والعظام المحرقة وذلك انهم لما عاندوا وابوا عن متابعة الحق وكذبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا عليهم فقال «اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسنى يوسف» فاصابهم ذلك بسبب دعائه عليه الصلاة والسلام والمصنف اختار هذا القول ثم اشار الى ان اطلاق الدخان على شدة القحط وغلبة الجوع اما كناية حيث اطلق اللازم واريد الملزوم او مجاز مرسل حيث اطلق المسبب واريد السبب فان شدة القحط والجوع مستلزمة وسبب لان يرى الهوآء مظلما كالدخان اما من ضعف البصر من شدة الجوع واما لتكدر الهوآء بسبب غلبة اليبس على الارض وكثرة ما تصاعد منها الى الهوآء من الغبار المكدر واما لان العرب يجعلون الدخان والظلمة استعارة للشر الغالب من حيث ان كل واحد منهما

(رب السموات والارض وما بينهما) خبر آخر او استئناف وقرأ الكوفيون بالجر بدلا من ربك (ان كنتم موقنين) اى ان كنتم من اهل الايقان فى العلوم او ان كنتم موقنين فى اقراركم اذا سئلتم من خلقها فقلتم الله علمتم ان الامر كما قلنا او ان كنتم مريدين اليقين فاعلموا ذلك (لا اله الا هو) اذ لا خالق سواه (يحيى ويميت) كما تشاهدون (ربكم ورب آبائكم الاولين) وقرئا بالجر بدلا (بل هم فى شك يلعبون) رد لكونهم موقنين (فارتقب) فانتظر لهم (يوم تأتى السماء بدخان مبين) يوم شدة ومجاعة فان الجائع يرى بينه وبين السماء كهيئة الدخان من ضعف بصره او لان الهواء يظلم عام القحط لقلة الامطار وكثرة الغبار او لان العرب تسمى الشر الغالب دخانا وقد قحطوا حتى اكلوا جيف الكلاب وعظامها واسناد الاتيان الى السماء لان ذلك يكفه عن الامطار

يمنع تمام الابصار و السماء لاتأتى بالقحط و الجاعة فاسناد اتيانهما اليها من قبيل اسناد الحكم الى سببه لانهما يحصلان بعدم امطار السماء ﴿ قوله او يوم ظهور الدخان المعدود من اشراط الساعة ﴾ عطف على قوله يوم شدة و مجاعة فعلى هذا يكون الدخان مستعملا فى معناه الحقيق و هو دخان يأتى من السماء قبل يوم القيامة فتكون الارض كلها كبيت اوقد فيه النار مع الدخان و ليس فيه فرجة يخرج منها الدخان ﴿ قوله يخرج من قعر عدن ابين ﴾ فى الصحاح ابين اسم رجل نسب اليه عدن فقيل عدن ابين و يقال فلان ابين من فلان اى افصح منه ﴿ قوله او يوم القيامة ﴾ عطف على قوله يوم شدة ايضا اى و يحتمل ان يكون المراد بالدخان نفس يوم القيامة كما يحتمل ان يراد معناه الحقيق و اطلاق الدخان على يوم القيامة من قبيل اطلاق اللازم و ارادة الملزوم و هو يوم القيامة فانه لشدة اهواله يظلم العين بحيث لايرى الانسان فيدائما توجد الا الظلمة مستولية عليه و كأن الفضاء كله مملوء دخانا و انكر ابن مسعود رضى الله عنه ان يكون المراد بالدخان غير ما اصاب اهل مكة من شدة الجوع و احتج عليه بانه تعالى حكى عنهم انهم يقولون ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون فاذا حملناه على القحط الذى وقع بمكة استقام الكلام فانه روى ان الامر لما اشتد على اهل مكة مشى ابو سفيان الى رسول الله صلى الله عليه و سلم مع نفر من اصحابه و ناشدوه الله و الرحم و قالوا يا رسول الله استسق الله لنا فقد اصابنا شدة و اوعدوه ان دعا لهم و كشف الله تعالى عنهم تلك البلية ان يؤمنوا به فلما ازالها الله تعالى عنهم استمروا على شركهم و لم يؤمنوا و اما اذا حملناه على ظهور علامة من علامات القيامة او على ظهور نفس القيامة فلا يصح ذلك لانه عند ظهور علامات القيامة او ظهور نفسها لايمكنهم ان يقولوا ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون و لايصح ايضا ان يقال لهم انا كاشفوا العذاب قليلا انكم عائدون لانه حينئذ ينقطع التكليف فلا يصح الايمان بعده فلا يبقى وجه لان يعدوا بالايمان على تقدير الكشف و يمكن ان يجاب عنه بان هذه العلامة لم لايجوز ان تكون كسائر علامات القيامة فى انها لاتوجب انقطاع التكليف و يصح الايمان بعد ظهورها ﴿ قوله مقدر بقول وقع حالا ﴾ يعنى ان قوله تعالى هذا عذاب اليم فى محل نصب على انه مقول قول مقدر اى يغشاهم قائلين هذا عذاب اليم ربنا اكشف عنا العذاب الآية فعند ذلك يقول الله تعالى كيف يتذكرون و يتعظون و يوفون بما وعدوه من الايمان عند كشف العذاب و قد جاءهم ماهو اعظم و ادخل فى وجوب الادكار من كشف الدخان و هو ما ظهر على يد رسول الله صلى الله عليه و سلم من الآيات البينات من الكتاب و المعجزة و غيره و هو قوله تعالى و قد جاءهم رسول كريم ثم تولوا عنه ﴿ قوله و من فسر الدخان بما هو من الاشراط الخ ﴾ جواب عما احتج به ابن مسعود رضى الله عنه و تقريره ان مجرد ظهور ما هو من اشراط الساعة لايوجب انقطاع التكليف و عدم اعتبار الايمان بعد ظهوره و لايوجب ايضا زوال و عدم انكشافه فلا يمتنع ان يغوث الكفار بالدعاء بان يقولوا يا ربنا اغثنا مما نحن فيه من غشيان الدخان اياًنا فيكشفه الله تعالى عنهم بعد الاربعين فريثما يكشفه عنهم يرتدون ﴿ قوله و من فسره بما فى القيامة ﴾ جواب عنه ايضا و تقريره ان نفس القيامة لاتكشف بعد ظهورها وان الايمان لايعتبر بعد ظهورها و اتيانها الا ان قولهم ربنا اكشف عنا العذاب ليس المراد بالعذاب كشف نفس القيامة و ازالتها بل معناه تمنى ان يردوا الى الدنيا فيؤمنوا كما حكى عن امثالهم انهم يقولون لو ان لنا كرة فنكون من المؤمنين و قوله تعالى انا كاشفوا العذاب قليلا انكم عائدون مأول بالشرط و التقدير و المعنى ان رددناكم اليها تعودون الى ما كنتم عليه من الكفر و التكذيب على اسلوب قوله تعالى و لو ردوا لعادوا لما نهوا عنه فالكلام مبنى على الفرض و التقدير ﴿ قوله فان ان يحجزه عنه ﴾ اى يمنع قوله منتقمون عن ان يعمل فيما قبلها لاقتضائها صدر الكلام ﴿ قوله و قرئ نبطش ﴾ بضم النون و كسر الطاء من ابطشه اذا حمله على البطش و مكنه منه و البطش الاخذ بالشدة فقوله تعالى البطشة الكبرى على هذا يجوز ان ينتصب على انه مفعول به بجعلها باطشة بهم على الاسناد المجازى نحو جد جده او على انه مفعول مطلق لنبطش على حذف الزوائد نحو انبتكم من الارض نباتا و مفعول الابطاش محذوف للعلم به اى يوم نبطش الملائكة البطشة الكبرى ثم انه تعالى لما بين ان كفار مكة ليسوا موقنين بل هم فى شك يلعبون و امره عليه الصلاة و السلام بان ينتظر يوم تأتى السماء بشدة و مجاعة بين ان كثيرا من المتقدمين ايضا كانوا كذلك و من جملتهم قوم فرعون فقال و لقد فتنا قبلهم قوم فرعون اى امتحناهم بالامر و النهى بارسال موسى اليهم او اوقعناهم فى الفتنة اى فى الشدة و البلاء فان حملت فى الآية على المعنى الاول يكون الاسناد فى قوله فتنا حقيقة عقلية لانه تعالى هو الذى اختبرهم بارسال موسى عليه الصلاة و السلام اليهم

(فاختاروا)

او يوم ظهور الدخان المعدود من اشراط الساعة لما روى انه عليه السلام لما قال اول الآيات الدخان و نزول عيسى و نار تخرج من قعر عدن ابين تسوق الناس الى المحشر قيل و ما الدخان فتلا رسول الله صلى الله عليه و سلم الآية و قال يملأ ما بين المشرق و المغرب يمكث اربعين يوما و ليلة اما المؤمن فيصيبه كهيئة الزكام و اما الكافر فهو كالسكران يخرج من منخريه و اذنيه و دبره او يوم القيامة و الدخان يحتمل المعنيين (يغشى الناس) يحيط بهم صفة للدخان و قوله (هذا عذاب اليم ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون) مقدر بقول وقع حالا و انا مؤمنون وعد بالايمان ان كشف العذاب عنهم (أنى لهم الذكرى) من اين و كيف يتذكرون بهذه الحال (و قد جاءهم رسول مبين) بين لهم ماهو اعظم منها فى ايجاب الادكار من الآيات و المعجزات (ثم تولوا عنه و قالوا معلم مجنون) قال بعضهم يعلمه غلام اعجمى لبعض ثقيف و قال آخرون انه مجنون (انا كاشفوا العذاب) بدعاء النبى صلى الله عليه و سلم فانه دعا فرفع القحط (قليلا) كشفا قليلا او زمانا قليلا و هو ما بقى من اعمارهم (انكم عائدون) الى الكفر غب الكشف و من فسر الدخان بما هو من الاشراط قال اذا جاء الدخان غوث الكفار بالدعاء فيكشفه الله عنهم بعد اربعين فريثما يكشفه عنهم يرتدون و من فسره بما فى القيامة اوله بالشرط و التقدير (يوم نبطش البطشة الكبرى) يوم القيامة او يوم بدر ظرف لفعل دل عليه (انا منتقمون) لا لمنتقمون فان ان يحجزه عنه او بدل من يوم يأتى و قرئ نبطش اى نجعل البطشة الكبرى باطشة بهم او نحمل الملائكة على بطشهم و هو التناول بصولة

(ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون) امتحناهم بارسال موسى عليه السلام اليهم او اوقعناهم فى الفتنة بالامهال وتوسيع الرزق عليهم وقرئ بالتشديد للتأكيد او لكثرة القوم (وجاءهم رسول كريم) على الله او على المؤمنين او فى نفسه لشرف نسبه وفضل حسبه (أن أدوا الىّ عباد الله) بان أدوهم الىّ وارسلوهم معى او بان أدوا الىّ حق الله من الايمان وقبول الدعوة يا عباد الله ويجوز ان تكون مخففة او مفسرة لان مجئ الرسول يكون برسالة ودعوة (انى لكم رسول امين) غير متهم لدلالة المعجزات على صدقه او لائتمان الله اياه على وحيه وهو علة الامر (وأن لا تعلوا على الله) ولا تتكبروا عليه بالاستهانة بوحيه ورسوله وأن كالاولى فى وجهيها (انى آتيكم بسلطان مبين) علة النهى ولذكر الامين مع الاداء والسلطان مع العلاء شأن لا يخفى (وانى عذت بربى وربكم) التجأت اليه وتوكلت عليه (أن ترجمون) ان تؤذونى ضربا او شتما او تقتلونى وقرئ عت بالادغام (وان لم تؤمنوا لى فاعتزلون) فكونوا بمعزل منى لا علىّ ولا لى ولا تتعرضوا الى بسوء فانه ليس جزاء من دعاكم الى ما فيه فلاحكم (فدعا ربه) بعدما كذبوه (أن هؤلاء) بان هؤلاء (قوم مجرمون) وهو تعريض بالدعاء عليهم بذكر ما استوجبوه به ولذلك سماه دعاء وقرئ بالكسر على اضمار القول (فأسر بعبادى ليلا) اى فقال أسر أو قال ان كان الامر كذلك فأسر وقرأ نافع وابن كثير بوصل الهمزة من سرى (انكم متبعون) يتبعكم فرعون وجنوده اذا علموا بخروجكم (واترك البحر رهوا) مفتوحا ذا الفجوة واسعة او ساكنا على هيئته بعدما جاوزته ولا تضربه بعصاك ولا تغير منفذا ليدخله القبط (انهم جند مغرقون) وقرئ بالفتح بمعنى لانهم (كم تركوا) كثيرا تركوا (من جنات وعيون وزروع ومقام كريم) محافل مزينة ومنازل حسنة (ونعمة) وتنعم (كانوا فيها فاكهين) متنعمين وقرئ فكهين (كذلك) مثل ذلك الاخراج اخرجناهم منها او الامر كذلك (وأورثناها) عطف على الفعل المقدر او على تركوا (قوما آخرين) ليسوا منهم فى شئ وهم بنوا اسرآئيل وقيل غيرهم لانهم لم يعودوا الى مصر

فاختاروا الكفر على الايمان وعلى الثانى يكون مجازا عقليا من باب اسناد الفعل الى سببه لان المراد بالفتنة حينئذ ارتكاب المعاصى فانه تعالى كان سببا لارتكابهم اياها بان امهلهم ووسع رزقهم ﴿ قوله وقرئ بالتشديد ﴾ فيكون صيغة التفعيل فى فتنا اما لتأكيد او المبالغة فى الفتنة او لتكثيرها لكثرة متعلقها فان لكل فرد من القوم نصيبا من الفتنة فيكون ما للقوم كثيرا ﴿ قوله بان أدوهم الىّ ﴾ على ان تكون ان مصدرية ناصبة للمضارع وهى توصل بالامر نحو امرته ان قم اى بالقيام والمعنى جاءهم بان ادوا اى ملتبسا بهذا القول وعباد الله مفعول به طلب منهم ان يؤدوا اليه بنى اسرآئيل بدليل قوله فأرسل معى بنى اسرآئيل ثم ذكر احتمال ان يكون عباد الله منادى ويكون المفعول محذوفا اى أعطونى الطاعة وقبول الدعوة يا عباد الله وعطف عليه جواز ان تكون مخففة والمعنى وجاءهم بان الشأن والحديث ادوا الىّ عباد الله وقيل عليه وقوع الخبر فى هذا الباب طلبيا نادر وحمل الآية على النادر القليل بعيد ثم جوّز ان تكون هى المفسرة لتقدم ما هو بمعنى القول لان الرسالة تتضمن القول ﴿ قوله بسلطان مبين ﴾ اى بحجة واضحة يعترف بها ويتذلل لها كل عاقل فى ذكره فى مقابلة العلاء شأن لا يخفى كما فى ذكر الامين مع الاداء قيل انه عليه الصلاة والسلام لما قال وان لا تعلوا على الله الآية توعدوه بالقتل فقال وانى عذت بربى وربكم ان ترجمون اى تقتلونى بالحجارة قال قتادة وكان ذلك عادتهم فى القتل وعن ابن عباس قال ان تشتمونى باللسان ﴿ قوله وقرئ عت بالادغام ﴾ اى بادغام الذال فى التاء قيل هى قرآءة حمزة وابى عمرو والكسائى ﴿ قوله وان لم تؤمنوا لى ﴾ اى ان لم تصدقونى فيما بلغتكم عن الله تعالى اى لاجل ما أتيتكم به من السلطان المبين فاللام فى قوله لى لام الاجل ﴿ قوله بعدما كذبوه ﴾ اشارة الى ان الفاء فى قوله تعالى فدعا ربه للعطف على مقدر اى انهم كفروا ولم يؤمنوا فدعا موسى ربه بان هؤلاء قوم مجرمون سماه دعاء مع انه ليس بدعاء صريح لانه دعاء عليهم على سبيل التعريض كأنه قيل انهم قوم تناهى امرهم فى الكفر والعصيان وانت اعلم بهم فافعل بهم ما يستحقونه قرأ العامة ان هؤلاء بفتح ان على اضمار حرف الجر ﴿ قوله اى فقال أسر او قال ان كان الامر كذلك فأسر ﴾ ولما كان عطف قوله فأسر على قوله فدعا ربه من قبيل عطف الانشاء على الاخبار بحسب الظاهر ذكر له وجهين الاول ان يضمر القول بعد الفاء اى فقال الله تعالى اسر بعبادى ليلا والثانى ان يكون فأسر جواب شرط محذوف كأنه قيل قال الله تعالى ان كان الامر كما تقول فأسر وقرئ فأسر بقطع الهمزة ووصلها على ان سرى واسرى لغتان بمعنى انه سار به ليلا ﴿ قوله مفتوحا ذا الفجوة واسعة او ساكنا ﴾ يعنى ان الرهو مصدر اما من قولك رها بين رجليه يرهو رهوا اى فتح او من قولك رها البحر اى سكن يقال افعل ذلك رهوا اى راهيا ساكنا فقوله البحر رهوا من قبيل رجل عدل اى راهيا ساكنا او وصف البحر بالمصدر للمبالغة او بتقدير ذى رهو والفجوة الفرجة المتسعة بين الشيئين اى اتركه على حاله منفتحا متفرقا بين كل فرقين منه طريق متسع يابس وكان موسى عليه الصلاة والسلام امر بضرب البحر بعصاه حتى ينفلق طرقا وقام كل فرق فى الهوآء كالطود العظيم فلما عبر هو وبنوا اسرآئيل سالما خاف ان يدخله القبط مع فرعون ويعبروا كما عبر هو واصحابه واراد ان يضربه بعصاه فينطبق كما ضربه اولا فانفلق فأمر ان يتركه منفتحا ساكنا على حاله وهيئته من انتصاب الماء فى الهوآء وكون الطريق يبسا ليدخله القبط فاذا حصلوا فيه جميعا اطبقه الله تعالى عليهم فيغرقهم اجمعين قرأ العامة انهم مغرقون بكسر همزة ان على الاستئناف اخبر الله تعالى موسى انه يغرقهم ليطمئن قلبه فيترك البحر على حاله ﴿ قوله كثيرا تركوا ﴾ يعنى ان كم خبرية للتكثير منصوبة المحل بتركوا وفى الآية اختصار والمعنى ففعل موسى ما امر به من ترك البحر رهوا فدخله فرعون وقومه فانطبق البحر عليهم فاغرقوا جميعا فحين ذلك تركوا بساتين كثيرة وكذا وكذا والنعمة بكسر النون ما انعم به عليك وبفتحها التنعم ونضارة العيش ﴿ قوله مثل ذلك الاخراج ﴾ اشارة الى ان الكاف فى محل النصب على انها صفة مصدر محذوف منصوب بفعله المحذوف المدلول عليه بقوله انكم متبعون وقوله كم تركوا وقوله اورثنا لان كل واحد من الاتباع والترك والايراث انما يحصل بعد الاخراج فعلى هذا يكون قوله تعالى واورثنا معطوفا على تلك الجملة الناصبة للكاف وعلى قوله او الامر كذلك تكون الكاف مرفوعة المحل على انها خبر مبتدأ محذوف ويكون قوله واورثنا معطوفا على تركوا والمراد بايراثها انها نقلها اليهم نقل الميراث الى الوارث لان بنى اسرآئيل ليسوا ورثة القبط حيث لم يكونوا منهم فى شئ من قرابة ولا دين ولا ولاء فنقلها اليهم يكون اشد عليهم واغيظ لهم فوق خروجهم من ايديهم ﴿ قوله وقيل غيرهم ﴾ اى وقيل المراد بالقوم الآخرين

غير بنى اسرآئيل لانهم لم يعودوا الى مصر **قوله** مجاز عن عدم الاكتراث — وهو المبالاة والاعتناء بشأن الهالك يعنى ان البكاء المدلول عليه بقوله بكت مجاز مرسل من الاكتراث بهلاك الهالك بطريق ذكر المسبب وارادة السبب فان الاكتراث المذكور سبب مؤدّ الى البكاء عادة وحمله على المجاز لان مجرّد عدم البكاء مع قطع النظر عن كونه مترتبا على عدم الاكتراث لايدل على خساسة الهالك والآية مسوقة للدلالة عليها فان المراد بها التهكم بهم والدلالة على ان حالهم منافية لما عندهم من التعظيم على الناس والافتخار بما لديهم من اسباب العز والشرف ولابدّ مع حمل نفى البكاء على عدم الاكتراث من جعل الآية استعارة بالكناية بان شبهت السماء والارض بمن يصح منه الاكتراث وجعلت نسبة الاكتراث اليهما استعارة تخييلية دالة على التشبيه المذكور لكونه من توابع المشبه به ولولا هذا لما صح نسبة الاكتراث اليهما وكانت العرب اذا مات منهم من له خطر وقدر عظيم يقولون بكت له الارض والسماء يعنون به ان المصيبة بموته عمت الخلق فبكى له الكل حتى الارض والسماء فاذا قالوا مابكت عليه الارض والسماء يعنون به ماظهر بعده ماظهر بعد موت ذوى الاقدار والشرف بمعنى انه كان بحيث لايعتنى بوجوده ولايكترث بهلاكه والتحقيق ان عدم بكاء السماء والارض عليهم كناية من انهم لم يكونوا يعملون على الارض عملا صالحا ينقطع ذلك بهلاكهم فتبكى الارض بانقطاعه وانهم لايصعد الى السماء منهم عمل صالح ينقطع ذلك بهلاكهم فتبكى السماء بانقطاعه قال مجاهد مامات مؤمن الابكت عليه السماء والارض اربعين صباحا ذكر الله تعالى ان حالهم مخالف لحال من يعظم فقده من المؤمنين **قوله** وماكانوا منظرين ممهلين الى وقت آخر — اذاجاء وقت هلاكهم اولم يمهلوا الى الآخرة بل عجل هلاكهم فى الدنيا ثم انه تعالى لما بين كيفية هلاك فرعون وقومه بين كيفية احسانه الى موسى وقومه فقال ولقد نجينا بنى اسرآئيل من العذاب المهين وهو قتل الابناء واستخدام النساء والرجال فى الاعمال الشاقة **قوله** بدل من العذاب — امامع حذف المضاف اى من عذاب فرعون واما على المبالغة بجعل فرعون نفس العذاب **قوله** تنكيرا له لنكر ما كان عليه من الشيطنة — كأنه قيل هل تعرفون من هو فى عتوّه وشيطنته ثم بين حاله فى ذلك بقوله انه كان عاليا من المسرفين **قوله** لكثرة الانبياء فيهم — علة لكونهم مختارين على جميع طوائف الناس فان بنى اسرآئيل مختارون بهذا الوجه على من عداهم من قوم كل عصر لفقد هذا المعنى فيهم **قوله** او على عالمى زمانهم — فانه تعالى اختارهم على اهل ذلك الزمان بان وفقهم للايمان بالنبى المبعوث فى ذلك الزمان والاهتداء بهداه وانجاهم مما هم عليه من العذاب المهين باهلاك اعدآئهم بالاغراق **قوله** نعمة جلية او اختبار ظاهر — البلاء حقيقة فى الاختبار وقديطلق على النعمة وعلى المحنة ايضا مجازا من حيث ان كل واحد منهما يكون سببا وطريقا للاختبار يعامل الله تعالى باصابة كل واحد منهما المكلف معاملة من يختبره ليعلم المطيع الشاكر من خلافه علم تحقق وعيان والبلاء فى الآية يحتمل ان يكون بمعنى النعمة لان الآيات التى آتاها الله تعالى بنى اسرآئيل كفلق البحر وتظليل الغمام وانزال المنّ والسلوى ونحو ذلك نعم جلية اى ظاهر كونها نعمة ولم ينفرد بها موسى عليه الصلاة والسلام بل لكل واحد من بنى اسرآئيل حظ منها وان يكون بمعنى الاختبار لانه تعالى كان يمتحن بايتائها اياهم وينظر كيف يعملون فان قيل ان كان المراد بالآيات فلق البحر وتظليل الغمام وانزال المنّ والسلوى ونحوها فلاشك انها فى انفسها نعم جلية فما معنى قوله تعالى مافيه بلاء مبين اى نعمة جلية قلت لعل الكلام من قبيل قوله تعالى لكم فيها دار الخلد من حيث ان فيه تجريد **قوله** لان الكلام فيهم — لان الله تعالى لما حكى من مشركى قريش انهم تولوا واعرضوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وطعنوا فيه حيث قال وانى لهم الذكرى وقد جاءهم رسول مبين ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون وهددهم بقوله يوم نبطش البطشة الكبرى انا منتقمون وضرب لهم مثلا قوم فرعون ومجيء رسول كريم اليهم وصدهم اياه وتدميرالله تعالى اياهم وقطع دابرهم اعتبارا واتعاظا ذكر من قبائحهم ماهو اعظم من الاوّل وهو تكذيب الله تعالى اياهم لانهم يقولون لابعث ولاحساب ولاجزآء فظهر بهذا ان الكلام فيهم وان قصة فرعون وقومه مسوقة للدلالة على انهم مثلهم فى الاصرار على الضلالة والانذار من مثل ماحل بهم **قوله** ما العاقبة ونهاية الامر الا الموتة الاولى — جواب عما يقال القوم كانوا ينكرون الحياة الثانية اى البعث بعد الموت وليس النزاع الافيه فكان من حقهم ان يقولوا ان هى الاحياتنا الدنيا ومانحن بمنشرين اى بمبعوثين بعد الموت يقال انشر الله الموتى ونشرهم اذا بعثهم وقوله ان هى الاموتتنا الاولى يؤذن ان يكون النزاع فى الموت بان يكون المسلمون يثبتون موته

(فمابكت عليهم السماء والارض) مجاز عن عدم الاكتراث بهلاكهم والاعتداد بوجودهم كقولهم بكت عليهم السماء وكسفت لهلكهم الشمس فى نقيض ذلك ومنه ماروى فى الاخباران المؤمن ليبكى عليه مصلاه ومحل عبادته ومصعد عمله ومهبط رزقه وقيل تقديره فمابكت عليهم اهل السماء والارض (وماكانوا منظرين) ممهلين الى وقت آخر (ولقد نجينا بنى اسرآئيل من العذاب المهين) من استعباد فرعون وقتله ابناءهم (من فرعون) بدل من العذاب على حذف المضاف اوجعله عذابا لافراطه فى التعذيب او حال من المهين بمعنى واقعا من جهته وقرئ من فرعون على الاستفهام تنكيرا له لنكر ما كان عليه من الشيطنة (انه كان عاليا) متكبرا (من المسرفين) فى العلوّ والشرارة وهو خبر ثان اى كان متكبرا مسرفا او حال من الضمير فى عاليا اى كان رفيع الطبقة من بينهم (ولقد اخترناهم) اخترنا بنى اسرآئيل (على علم) عالمين بانهم احقاء بذلك او مع علم منا بانهم يزيغون فى بعض الاحوال (على العالمين) لكثرة الانبياء فيهم او على عالمى زمانهم (وآتيناهم من الآيات) كفلق البحر وتظليل الغمام وانزال المنّ والسلوى (مافيه بلاء مبين) نعمة جلية او اختبار ظاهر (ان هؤلاء) يعنى كفار قريش لان الكلام فيهم وقصة فرعون وقومه مسوقة للدلالة على انهم مثلهم فى الاصرار على الضلالة والانذار عن مثل ماحل بهم (ليقولون ان هى الاموتتنا الاولى) ما العاقبة ونهاية الامر الا الموتة الاولى المزيلة للحياة الدنيوية ولاقصد فيه الى اثبات ثانية كما فى قولك حج زيد الحجة الاولى ومات

ثانية وهم ينفونها بحصر الموتة فى الاولى وليس الامر كذلك ، وتقرير الجواب ان ما ذكر انما يلزم ان لو كان المعنى ما الموتة الاولى وليس كذلك بل المعنى ما العاقبة الا الموتة الاولى يقصدون به انكار البعث بعد الموت كما لو قالوا ان هى الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين وذلك انهم لما اخبروا بان عاقبة حياتكم هذه ونهايتها امران الموت ثم البعث انكروا ذلك بحصر نهاية الامر فى الموتة الاولى المزيلة للحياة الدنيا وتوصيف الموتة بالاولى لا يستدعى ان يثبت الخصم موتة ثانية فيقصدوا بذلك انكارها لان كون الشئ اولا لا يستلزم وجود ما كان آخرا بالنسبة اليه كما فى قولك مجيء زيد الجمعة الاولى يومان وكما لو قال اوّل عبد املكه فهو حر فملك عبدا عتق سواء ملك بعده آخر ام لا ﴿ قوله وقيل لما قيل لهم انكم تموتون موتة يعقبها حياة ﴾ وذلك قوله تعالى وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم وهو جواب بوجه آخر اختاره صاحب الكشاف محصوله انهم لما اخبروا بالموتة التى تعقبها حياة انكروا ذلك بان حصروا الموتة التى من شانها ذلك فى الموتة الاولى وهى ما كانت متقدمة على الحياة الدنيا الا التى تزيل تلك الحياة كما فى الوجه الاوّل وليس مقصودهم من هذا الحصر انكار طريان الموت على الحياة الدنيا بل المقصود انكار ان يكون ذلك الموت تعقبه حياة ثانية فالحصر بهذا المعنى هو الذى يستفاد من ان يقال ما هى الا حياتنا الدنيا وما نحن بمنشرين ولما كان المتبادر من لفظ الموتة ما يزيل الحياة وكان اطلاقه على ما كان قبل الحياة الدنيا بعيدا وكان انكار البعث بهذه العبارة بعيدا ايضا لم يلتفت المصنف اليه ﴿ قوله خطاب لمن وعدهم بالنشور ﴾ يعنى ان الكفار الذين انكروا البعث والنشور قالوا لمن وعدهم بذلك ان كان ذلك ممكنا معقولا فاجعلوا لنا احياء من مات من آبائنا ليستدل به على صدقكم فى الوعد بالنشور ولما حكى الله تعالى عنهم ذلك خوّفهم بمثل عذاب الامم الخالية فقال أهم خير ام قوم تبع والذين من قبلهم اهلكناهم انهم كانوا مجرمين وهذا استفهام انكر به كون كفار قريش خيرا منهم ، فان قيل ما معنى قوله تعالى أهم خير ام قوم تبع مع انه لا خير فى كل واحد من الفريقين اما فى كفار مكة فظاهر واما فى قوم تبع فلانه تعالى ذمهم بقوله انهم كانوا مجرمين ، اشار المصنف الى جوابه بقوله أهم خير فى القوّة والمنعة اى ليس المراد الخيرية فى الدين بل المراد الخيرية فى القوّة والعدّة كما فى قوله اكفاركم خير من اولئكم اى وليس كفار قريش باقوى من قوم تبع ومن تقدّم عليهم فقد اهلكناهم بجرمهم فكيف لا يخافون ان يصيبهم مثل ما اصاب هؤلاء ﴿ قوله تبع الحميرى ﴾ حمير قبيلة من اليمن سميت باسم ابيهم وهو حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ومنهم كانت الملوك فى الدهر الاوّل قيل كل واحد من ملوك اليمن يسمى تبعا لان اهل الدنيا يتبعونه وان تبع فى الجاهلية بمنزلة الخليفة فى الاسلام فالتبع على هذا بمعنى المتبوع وقيل سموا تبعا لانهم يتبعون آباءهم ويقتدون بهم فى سيرتهم فالتبع بمعنى التابع والقيل ملك من ملوك حمير دون الملك الاعظم المسمى بالتبع واصله قيل بالتشديد فخفف كميت فى ميت كانه الذى له القول والامر والنهى ﴿ قوله وحير الحيرة ﴾ اى بنى الحيرة وهى قرية بقرب الكوفة كقولهم مدّن المدائن بناها قال قتادة ذكر لنا ان تبعا كان رجلا مسلما من حمير سار بالجنود حتى حير الحيرة ثم اتى سمرقند فبناها وكان قبل مهد النبى صلى الله عليه وسلم بار بعين عاما وكنيته ابو كرب واسمه اسعد وهو اوّل من كسا البيت وكان يعبد الاوثان ثم اسلم على يد حبرين عالمين وانه اتى البيت الحرام فطاف به ونحر عنده وحلق رأسه واقام بمكة ستة ايام ينحر بها للناس ويطعم اهلها ويسقيهم وأرى فى المنام ان يكسو البيت فكساه نوعا من الثياب ثم ارى ان يكسوه احسن من ذلك فكساه المعافرى ثم ارى ان يكسوه احسن من ذلك فكساه الملاء والوصائل فهو اوّل من كسا البيت واوصى به ﴿ قوله عطف على قوم تبع والذين من قبلهم ﴾ اشارة الى ان قوله والذين من قبلهم فى محل الرفع بالعطف على قوم تبع كانه قيل اهم خير ام هذان الجمعان ثم ما كان جوابه قوله اهلكناهم تهديدا لكفار قريش ﴿ قوله او حال ﴾ اى من الضمير المستكن فى الصلة وهى قوله من قبلهم فعلى هذا الوجه ايضا يكون الموصول معطوفا على قوم تبع ثم اشار الى جواز ان يكون قوله والذين من قبلهم اهلكناهم مرفوع المحل على الابتداء وان يكون اهلكناهم خبره ثم ذكر سبب هلاكهم فقال انهم كانوا قوما مجرمين اى فمن اين يامن هؤلاء من باسنا وهم يسيرون بسيرتهم ﴿ قوله وما بين الجنسين ﴾ يعنى ان من قرأ وما بينهما اوّل السموات والارض بالجنسين ومن قرأ بينهن فنظر الى كون المرجع اليه جمعا ﴿ قوله وهو دليل على صحة الحشر ﴾ اى على ثبوته فانه لو لم يحصل البعث والجزاء لكان هذا الخلق لهوا وعبثا لانه تعالى خلق نوع الانسان وخلق ما ينتظم به اسباب معاشهم من السقف المرفوع والمهاد المفروش وما فيهما وما بينهما من عجائب المصنوعات وبدائع الاحوال والهيئات ثم كلفهم بالايمان والطاعة على

وقيل لما قيل لهم انكم تموتون موتة يعقبها حياة كما تقدمتكم موتة كذلك قالوا ان هى الا موتتنا الاولى اى ما الموتة التى من شانها ذلك الا الموتة الاولى (وما نحن بمنشرين) بمبعوثين (فأتوا بآبائنا) خطاب لمن وعدهم بالنشور من الرسل والمؤمنين (ان كنتم صادقين) فى وعدكم ليدل عليه (أهم خير) فى القوّة والمنعة (ام قوم تبع) تبع الحميرى الذى سار بالجيوش وحير الحيرة وبنى سمرقند وقيل هدمها وكان مؤمنا وقومه كافرين ولذلك ذمهم دونه وعنه عليه الصلاة والسلام ما ادرى اكان تبع نبيا ام غير نبى وقيل لملوك اليمن التبابعة لانهم يتبعون كما قيل الاقيال لانهم يتقيلون (والذين من قبلهم) كعاد وثمود (اهلكناهم) استئناف بمآل قوم تبع والذين من قبلهم هدد به كفار قريش او حال باضمار قد او خبر من الموصول ان استؤنف به (انهم كانوا مجرمين) بيان للجامع المقتضى للاهلاك (وما خلقنا السموات والارض وما بينهما) وما بين الجنسين وقرئ وما بينهن (لاعبين) لاهين وهو دليل على صحة الحشر كما مرّ فى الانبياء وغيرها

الوجه المشروح بلسان نبيه الامين وكتابه المبين فاقتضى ذلك ان يميز المطيع من العاصي بان يكون المطيع متعلق فضله واحسانه والعاصي متعلق عدله وعقابه وذلك لا يكون فى الدنيا لقصر زمانها وعدم الاعتداد بمنافعها لكونها مشوبة بانواع الآفات والمحن فلابد من البعث والنشأة الاخرى لتجزى كل نفس بما كسبت فى دار التكليف فظهر بهذا وجه اتصال الآية بما قبلها وهو انه تعالى لما حكى مقال منكرى البعث والجزآء وهددهم ببيان مآل المجرمين الذين مضوا قبلهم ذكر الدليل القاطع الدال على صحة البعث والجزآء فقال وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين ﴿ قوله الا بسبب الحق ﴾ يعنى ان قوله الا بالحق اى ملتبسا بالحق ما خلقناهما بسبب من الاسباب الا بسبب الحق الذى هو الايمان او الطاعة او الجزآء ويجوز ان يكون فى موضع الحال من الفاعل اى ما خلقناهما فى حال من الاحوال الا فى حال كوننا محقين عاملين بالحق ملتبسين به ثم انه تعالى لما ذكر ما يدل على انه لابد من البعث والجزآء ذكر عقيبه حال يوم البعث فقال ان يوم الفصل ميقاتهم اجمعين اى وقت موعدهم على ان الميقات اسم للوقت المضروب للفصل والموعد مصدر بمعنى الموعود اى انه وقت لما وعدوا به من الاجتماع فى الحشر للحساب والجزآء سمى يوم البعث يوم الفصل لانه تعالى يفصل فيه بين الحق والباطل وبين اهل الجنة والنار وقيل لانه تعالى يفصل فيه بين المؤمن وبين ما يكرهه ويفصل بين الكافر وبين ما يوده ويريده ويوم الفصل منصوب على انه اسم ان وميقاتهم خبرها واجمعين تأكيد للضمير المجرور فى ميقاتهم واجاز الكسائى والفرآء نصب ميقاتهم على انه اسم ان ويوم الفصل ظرف واقع فى موضع خبر ان اى ان ميقاتهم واقع فى يوم الفصل ﴿ قوله او صفة لميقاتهم ﴾ فيكون مرفوع المحل او منصوبه على القرآءتين فى موصوفه لكونه مبنيا على الفتح ﴿ قوله او ظرف ﴾ اى ويجوز ان يكون يوم لا يغنى منصوبا على انه ظرف لفعل يدل عليه الفصل اى يفصل بينهم يوم لا يغنى ولا يجوز ان يكون بنفس الفصل لانه مصدر فلا يجوز ان يفصل بينه وبين معموله باجنبى وهو قوله ميقاتهم اجمعين فانه وقع فاصلا بينهما فسر يوم الفصل بقوله لا يغنى اى لا ينفع ولا يدفع ونكر مولى فى الموضعين للابهام والتعميم فان المولى يطلق على القريب والعتيق والمعتق وابن العم والجار والصديق والصهر وكل من ولى امر واحد فهو وليه ومولاه فواحد من هؤلاء اىّ واحد كان لا يغنى عن مولاه اىّ مولى كان شيأ من الاغناء اى اغناء قليلا على ان يكون انتصاب شيأ على انه مفعول مطلق ليغنى وان تنكيره للتقليل او التعميم فاذا لم ينفع بعض الموالى بعضا ولم يدفع عنه شيأ من العذاب بشفاعته له كان عدم حصوله ممن سواهم اولى ﴿ قوله الضمير للمولى الاوّل ﴾ يعنى ضمير الجمع يرجع الى ما هو مفرد اللفظ لكونه فى معنى الجمع لانه عام لكونه نكرة واقعة فى سياق النفى ولعل تخصيص المولى الاوّل بارجاع الضمير اليه من حيث ان الكلام حينئذ يكون محمولا على الافادة وان جعل الضمير للمولى الثانى يكون محمولا على الاعادة والتأسيس اولى من التأكيد وذلك انه تعالى حكم اوّلا ان احدا من الموالى لا ينفع مولاه اىّ مولى كان ولا ينصره بان يشفع فى حقه فان النصرة فى القيامة لا تكون الا بالشفاعة اما فى دفع العذاب او تحصيل البغية ورفع المنزلة فان جعل الضمير للمولى الثانى تكون الجملة الثانية تأكيدا للاولى وان جعل للاوّل يكون المعنى كما ان الموالى لا يملكون ان ينفعوا مواليهم لا ينصرون ايضا اى لا يملكون ان يغنى عنهم غيرهم ويشفع لهم وهذا معنى جديد غير الاوّل والتأسيس اولى من التأكيد ﴿ قوله ومحله الرفع ﴾ اى على انه بدل من واو لا ينصرون اى لا ينصر الا من رحم الله فينصره الله بالعفو عنه وقبول شفاعة الشافعين فى حقه بعد ان يأذن لهم فيها ويجوز ان يكون منصوب المحل على انه مستثنى متصل من واو ينصرون لما اشتهر من انه يجوز فيما بعد الا النصب على الاستثناء ويختار البدل اذا كان فى كلام غير موجب بشرط ان يكون المستثنى منه مذكورا والآية من هذا القبيل وقيل انه بدل من مولى الاوّل او مستثنى منه متصل اى لا يغنى مولى الا المؤمنون او الا المؤمنين فانه يؤذن لهم فى الشفاعة فيشفعون فى حق بعض المؤمنين والاوّل ارجح لانه اقرب لفظا ومعنى واعلم انه تعالى لما اقام الدليل على حقية البعث والقيامة ثم اردفه بوصف ذلك اليوم ذكر عقيبه وعيد الكفار بقوله ان شجرة الزقوم طعام الاثيم ثم وعد الابرار بقوله ان المتقين فى مقام امين والزقوم فى لغة العرب اسم شجرة صغيرة الورق ومرتها او ثمرتها مرة تكون بتهامة سميت به الشجرة التى وصفها الله تعالى بانها شجرة تنبت فى قعر جهنم واغصانها ترتفع الى دركاتها وثمرتها نزل اهل النار ﴿ قوله والمراد به ﴾ اى بالاثيم الكافر لا مطلق ذى الاثم كافرا كان او فاسقا لان الاصل فى المفرد الذى دخل عليه حرف التعريف ان ينصرف الى المذكور سابقا الا ان يحمل على العموم والمذكور سابقا هنا هو الكفار فينصرف اليهم فان

(ما خلقناهما الا بالحق) الا بسبب الحق الذى اقتضاه الدليل من الايمان والطاعة او البعث والجزآء (ولكن اكثرهم لا يعلمون) لقلة نظرهم (ان يوم الفصل) فصل الحق عن الباطل او المحق عن المبطل بالجزآء او فصل الرجل عن اقاربه واحبائه (ميقاتهم) وقت موعدهم (اجمعين) وقرئ ميقاتهم بالنصب على انه الاسم اى ان ميعاد جزآئهم فى يوم الفصل (يوم لا يغنى) بدل من يوم الفصل او صفة لميقاتهم او ظرف لما دل عليه الفصل لا له للفصل (مولى) من قرابة او غيرها (عن مولى) اىّ مولى كان (شيأ) شيأ من الاغناء (ولا هم ينصرون) الضمير لمولى الاوّل باعتبار المعنى لانه عام (الا من رحم الله) بالعفو عنه وقبول الشفاعة فيه ومحله الرفع على البدل من الواو او النصب على الاستثناء (انه هو العزيز) لا ينصر منه من اراد تعذيبه (الرحيم) لمن اراد ان يرحمه (ان شجرة الزقوم) وقرئ بكسر الشين ومعنى الزقوم سبق فى الصافات (طعام الاثيم) الكثير الآثام والمراد به الكافر لدلالة ما قبله وما بعده عليه (كالمهل)

المفسرين قالوا المراد بقوله لا يغني مولى عن مولى الكفار وبقوله الامن رحم الله المؤمنون لان بعضهم يشفع لبعض وكذا بين الله تعالى بعد هذه الآية انه يقال للزبانية في حقهم خذوه فاعتلوه الى قوله ان هذا ما كنتم به تمترون اى تشكون فيه ولا تؤمنون به ولا يشك فيه الا الكافر ومراد المصنف من تخصيص الاثيم بالكافر والاستدلال عليه ان يجيب عن تمسك المعتزلة بهذه الآية على وعيد الفساق بناء على ان الاثيم من صدر عنه الاثم فيكون الوعيد المذكور هنا متناولا للفساق قيل نزلت الآية في ابي جهل وقيل في الوليد بن المغيرة ويؤيد الاول ما روى ان اباجهل كان يقول انا اعز اهل هذا الوادى واكرمه فيقال له في الآخرة ذق انك انت العزيز الكريم اى المتعزز المتكرم كما قلت ذلك في الدنيا ﴿ قوله وهو ما يمهل في النار ﴾ من المهلة اى يوضع في النار ويترك فيها بالامهال والتؤدة حتى يذوب اختار ما روى عن ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهما ان المهل كل ما يذاب بالنار كالفضة والذهب والحديد والرصاص ونحوها وسمى بالمهل لانه يمهل في النار حتى يذوب وقيل المهل دردى الزيت وقيل هو عكر القطران والكاف في قوله تعالى كالمهل في محل الرفع على انه خبر ان بعد خبر او خبر مبتدأ محذوف اى هو كالمهل وكذلك قوله تعالى تغلى في البطون في قرآءة من قرأ بالتاء الفوقانية فان الجمهور قرأوا بها فحينئذ يكون ضمير تغلى للشجرة وتكون الجملة خبرا آخر او خبر مبتدأ محذوف اى هى تغلى والمصنف جعل ضميره للطعام او الزقوم بناء على قرآءته بالياء من تحت او بناء على ان الاظهر ان الجملة حال من احدهما فان كان حالا من الطعام يكون العامل معنى النسبة والاضافة كما في قولك زيد اخوك شجاعا كأنه قيل انسبه اليه غاليا الا ان الظاهر ان المراد بكون الجملة حالا من الزقوم كونها حالا من الضمير المستتر في قوله كالمهل فان ما فيه من الضمير وان كان راجعا الى شجرة الزقوم الا ان المراد منها نفس الزقوم لان اضافتها اليه للبيان غاية ما في الباب ان يكون المراد بالزقوم وهو الشجرة ثمرها فيكون العامل في الحال معنى التشبيه المستفاد من الكاف ولم يرتض بكون الجملة حالا من نفس المهل حتى يكون ضمير تغلى راجعا اليه بناء على ان الغليان في البطن انما هو فعل الطعام قائم بنفس المطعوم لا بما شبه به المطعوم وهو المهل فانه لا يوصف بانه يغلى في البطون فكان اسناد يغلى الى ضمير المهل بعيدا غير ظاهر ﴿ قوله غليانا مثل غليه ﴾ اشارة الى ان الكاف في محل النصب على انها صفة مصدر محذوف ليغلى ﴿ قوله على ارادة القول ﴾ يعني ان قوله تعالى خذوه الى آخر الآية في محل النصب على انه مقول قول مضمر اى يقال للزبانية خذوه اى الاثيم فاعتلوه اى جرّوه بغلظة وقهر يقال عتله اى ساقه بجفاء وغلظة والعتل الغليظ الجافى وفعله من باب ضرب يضرب يقال اخذ فلان بزمام الناقة فعتلها اذا قبض على اصل الزمام عند الرأس وقادها قودا عنيفا ﴿ قوله كان اصله يصب من فوق رؤسهم الحميم ﴾ الظاهر ان يقال كان اصله ثم صبوا فوق رؤسهم الحميم الا انه اختار ذلك النظم لكونه عين نظم القرآن في آية اخرى ولما ورد ان يقال ما وجه جعل العذاب مصبوبا وهو لا يصب لكونه من قبيل المعانى والصب انما يتعلق بالاجسام المائعة اشار الى جوابه بان اصل المعنى الامر بصب نفس الحميم وهو الماء الذى كان في غاية الحرارة الا ان الزبانية امروا بصب عذاب هو الحميم للمبالغة في كون الحميم سبب العذاب حيث جعل نفس العذاب مع انه سببه ﴿ قوله في موضع اقامة ﴾ فسره به بناء على انه اختار قرآءة نافع وابن عامر فانهما قرأا مقام بضم الميم وهو موضع الاقامة والباقون بفتحها والمقام بالفتح في الاصل موضع القيام خاصة ثم استعمل في مطلق الموضع والمكان حتى قيل لموضع القعود والاضطجاع مقام وان لم يقم فيه اصلا فهو من الخاص الذى استعمل في معنى العموم قال اهل السنة كل من اتقى الكفر صدق عليه انه متق فيدخل في هذا الوعد قال المصنف المتقى في عرف الشرع من يقى نفسه عما يضره في الآخرة وله ثلاث مراتب الاولى التوقى عن العذاب المخلد بالتبرى من الشرك والثانية ان يجتنب كل ما يوجب الاثم من فعل او ترك والثالثة ان يتنزه عما يشغل سره عن الخالق ويتبتل اليه بشراشره ﴿ قوله يأمن صاحبه ﴾ يعني ان الامين من قولك امن الرجل امانة فهو امين وهو ضد الخائن وصف المقام به مجاز لانه من صفة صاحبه في الحقيقة ووصف به المحل على طريق عيشة راضية بمعنى ذات رضى يرضى عنها صاحبها ﴿ قوله للدلالة على نزاهته ﴾ اى تباعده عن وجوه السوء لكونه في غاية البهجة والزينة فان الجنات والعيون من اقوى اسباب نزهة الخاطر وانشراحه من الهم كما قيل ثلاثة تنفى عن القلب الحزن الماء والخضرة والوجه الحسن ﴿ قوله من البراقة ﴾ وهى التلألؤ واللمعان ﴿ قوله الامر كذلك الخ ﴾ يعني ان الكاف اما في محل الرفع على انها خبر مبتدأ محذوف او في محل النصب على انها مفعول ثان لفعل الايتاء المدلول

وهو ما يمهل في النار حتى يذوب وقيل دردى الزيت (تغلى في البطون) وقرأ ابن كثير وحفص ورويس بالياء على ان الضمير للطعام او الزقوم لا المهل اذ الاظهر ان الجملة حال من احدهما (كغلى الحميم) غليانا مثل غليه (خذوه) على ارادة القول والمقول له الزبانية (فاعتلوه) فجرّوه والعتل الاخذ بمجامع الشيء وجرّه بقهر وقرأ الحجازيان وابن عامر ويعقوب بالضم وهما لغتان (الى سواء الجحيم) وسطه (ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم) كان اصله يصب من فوق رؤسهم الحميم فقيل يصب من فوق رؤسهم عذاب هو الحميم للمبالغة ثم اضيف العذاب الى الحميم للتخفيف وزيد من للدلالة على ان المصبوب بعض هذا النوع (ذق انك انت العزيز الكريم) اى قولوا له ذلك استهزاء به اوتقريعا على ما كان يزعمه وقرأ الكسائى انك بالفتح اى ذق لانك او عذاب انك (ان هذا) ان هذا العذاب (ما كنتم به تمترون) تشكون او تمارون فيه (ان المتقين في مقام) في موضع اقامة وهو قرآءة نافع وابن عامر والباقون بفتح الميم (أمين) يأمن صاحبه من الآفة والانتقال (في جنات وعيون) بدل من مقام جيء به للدلالة على نزاهته واشتماله على ما يستلذ به من المآكل والمشارب (يلبسون من سندس واستبرق) خبر ثان لان او حال من الضمير في الجار او استئناف والسندس مارق من الحرير والاستبرق ما غلظ منه معرّب او مشتق من البراقة (متقابلين) في مجالسهم ليستأنس بعضهم ببعض (كذلك) الامر كذلك او آتيناهم مثل ذلك

عليه بقوله ان المتقين فى مقام امين وقوله وزوجناهم معطوف على ذلك الفعل المحذوف اى مثل ذلك آتيناهم وزوجناهم وعلى الاول يكون معطوفا على يلبسون عدل الى لفظ الماضى لكون التزويج فى حكم الواقع ولدلالة على كونه نعمة جليلة وفضلا عظيما ﴿ قوله قرناهم بهن ﴾ يعنى ان تزويجهم بهن ليس معناه انشاء عقد التزويج لان التزويج بمعنى العقد لا يتعدى بالباء فلا يقال زوجته بامرأة وتزوجت بها بل يقال زوجته امرأة وتزوجتها وفى التنزيل فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها ولو لم يكن المراد عقد التزويج لقيل زوجناك بها بمعنى كنت فردا فجعلناك شفعا بها قال ابو عبيدة معنى زوجناهم بحور عين جعلناهم ازواجا بهن كما يزوج النعل بالنعل اى يجعل كل واحد منهما شفعا بالآخر ﴿ قوله والحوراء ﴾ اشارة الى ان الحور جمع الحوراء كما ان العين جمع العيناء اصله العين بضم العين كحمر فى جمع حمراء ثم كسرت العين لاجل الياء كما فى بيض واصل الحور البياض يقال احور الشئ بمعنى ابيض وتحوير الشئ تبييضه وقيل لاصحاب عيسى عليه الصلاة والسلام الحواريون لانهم كانوا قصارين وقال مجاهد سميت نساء الجنة حورا لانه يحار فيهن الطرف من بياضهن وصفاء الوانهن ثم اختلفوا فى هؤلاء الحور العين فقال الحسن انهن من نساء الدنيا ينشئهن الله خلقا آخر وقال ابو هريرة انهن لسن من نساء الدنيا ﴿ قوله يطلبون ﴾ اشارة الى ان يدعون من صفة المتقين وان وزنه يفعلون من قولهم دعا بكذا اذا استحضره فعلم منه ان الوقف على عين لازم لانه لو وصل يدعون بقوله عين لتوهم ان الدعاء فعل الحور العين وان وزنه يفعلن فان صيغتى جماعة الذكور والاناث يستويان فى باب الناقص فيقال الرجال يدعون والنساء يدعون والتقدير مختلف ﴿ قوله لا تختص شئ منها بزمان ولا مكان ﴾ مستفاد من اطلاق قوله بكل فاكهة وقوله تعالى يدعون يجوز ان يكون مستأنفا وان يكون حالا من مفعول زوجناهم ومفعول يدعون محذوف اى يدعون الخدم ويستحضرونهم بكل مايقصد تناوله تفكها اى لمجرد التنعم والتلذذ فان نعيم الجنة لا يقصد به الاغتذاء ﴿ قوله آمنين ﴾ يجوز ان يكون حالا ثانية وان يكون حالا من فاعل يدعون فيكون حالا متداخلة والضرر كالتخمة واخراج المزاج عن الاعتدال والتأدية الى الاسقام والاوجاع ﴿ قوله والاستثناء منقطع ﴾ لان الموتة الاولى ليست مما يذاق فى الجنة والمعنى لا يذوقون الموت فى الجنة ابدا لكن الموتة الاولى قد ذاقوها قبل دخول الجنة وحمل الاستثناء على الاتصال لما كان بعيدا بحسب الظاهر لان الموتة الاولى ليست من جنس ما يذاق فى الجنة ذكر ثلاثة اوجه الاول ان يكون ضمير فيها للدار الآخرة المدلول عليها بذكر ما يكون فيها من فصل الحق من المبطل بالجزاء والموت مما يذاق فى الآخرة لكونه اول احوالها والثانى ان يكون الضمير للجنة والموتة الاولى كأنها واقعة من حيث ان اهل السعادة يشاهدونها عند الموت ويرون منازلهم فيها فكانوا اذا ماتوا فى الدنيا فكأنهم ماتوا فى الجنة لكونهم مشارفين دخولها فصح بذلك ان تستثنى الموتة الاولى من موتهم فى الجنة والثالث ان الاستثناء للمبالغة فى نفى الموت عن اهل الجنة بتعليقه بالمحال وهو ان تكون الموتة الاولى مما يمكن ذوقها فى المستقبل كأنه قيل لا يذوقون فيها الموت على جميع التقادير الا على تقدير ان يستقيم ذوق الموتة الاولى فى المستقبل فانه حينئذ يجوز ان يذوقوها فى الجنة ومن المعلوم بالبداهة ان ذوقها فى المستقبل محال فيكون ذوق الموت فيها محالا لكونه موقوفا على المحال ومثله يسمى نفى الشئ بدليله ونظيره قول النابغة

ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم ۞ بهن فلول من قراع الكتائب ۞

يعنى ان كان فلول السيف من قراع الكتائب عيبا فهذا عيبهم لكنه ليس بعيب بالاتفاق فثبت انتفاء العيب عنهم لكون ثبوته لهم موقوفا على المحال ﴿ قوله وقرئ ووقاهم بالتشديد على المبالغة ﴾ اى لا لاجل التعدية لان المخفف ايضا يتعدى الى اثنين واحتج اهل السنة بقوله تعالى فضلا من ربك على ان كل ما وصل اليه العبد من الخلاص من النار والفوز بالجنة ونعيمها فانما يحصل بفضل الله تعالى ورحمته وانه لا يجب عليه شئ من ذلك كما زعمت المعتزلة ﴿ قوله وهو فذلكة للسورة ﴾ الفذلكة فى الحساب اجماله بعد التفصيل بان يذكر تفاصيل الحساب اولا ثم تجمل تلك التفاصيل ويكتب فى آخر الحساب فذلك يكون كذا وكذا مبلغا فقوله تعالى فانما يسرناه بلسانك من قبيل هذا القبيل لانه تعالى بعد ما اقسم بالكتاب المبين على انه انزله فى ليلة مباركة بين ما يقتضى انزاله بان شأنه ارسال الرسل مؤيدين بالكتب السماوية رحمة لعباده ببيان ما يسعدهم مما يشقيهم ثم فصل ذلك وشرحه الى آخر السورة ثم اجمل ذلك بما معناه ذكر بالكتاب المبين قومك فانا سهلنا عليك تلاوته وتبليغه اليهم منزلا بلغتك ولغتهم وقيل معناه سهلناه على لسانك فتقرأه من غير كتابة ولا نظر فى مكتوب استدل بعض

(المعتزلة)

(وزوجناهم بحور عين) قرناهم بهن ولذلك عدى بالباء والحوراء البيضاء والعيناء عظيمة العينين واختلف فى انهن نساء الدنيا او غيرهن (يدعون فيها بكل فاكهة) يطلبون ويأمرون باحضار ما يشتهون من الفواكه لا تختص شئ منها بمكان ولا زمان (آمنين) من الضرر (لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى) بل يحيون فيها دائما والاستثناء منقطع او متصل والضمير للآخرة والموت اول احوالها او الجنة والمؤمن يشارفها بالموت ويشاهدها عنده فكأنه فيها او الاستثناء للمبالغة فى تعميم النفى وامتناع الموت فكأنه قال لا يذوقون فيها الموت الا اذا امكن ذوق الموتة الاولى فى المستقبل (ووقاهم عذاب الجحيم) وقرئ ووقاهم على المبالغة (فضلا من ربك) اى اعطوا كل ذلك عطاء وتفضلا منه وقرئ بالرفع اى ذلك فضل (ذلك هو الفوز العظيم) لانه خلاص عن المكاره وفوز بالمطالب (فانما يسرناه بلسانك) سهلناه حيث انزلناه بلغتك وهو فذلكة للسورة (لعلهم يتذكرون) لعلهم يفهمونه فيتذكرون به

المعتزلة بقوله لعلهم يتذكرون على انه تعالى اراد من الكل الايمان ولم يرد من احد الكفر ❊ واجيب بان الضمير في لعلهم راجع الى اقوام مخصوصين وهم المؤمنون في علم الله تعالى وهذا على تقدير ان يكون الترجي مجازا عن الارادة ويجوز ان يكون على اصل معناه ويكون من قبل من شاهد نزوله مسهلا فصيح اللفظ واضح المعنى ﴿قوله فلما لم يتذكروا فارتقب﴾ اشارة الى ان الفاء فيه فاء الجواب لشرط محذوف اى ومن لم يتذكر به فارتقب فيهم ومفعول الارتقاب محذوف في الموضعين اى فانتظر ما وعدناك من النصرة والظفر والعلو في الدنيا والآخرة انهم منتظرون ما وعدناهم به من العذاب في الدنيا والآخرة اى صائرون الى ذلك وان لم يعتقدوه فينتظرونه او فانهم منتظرون ما يحل بك من دوائر الدهر كما قال تعالى خبرا عنهم نتربص به ريب المنون ولن يضرك ذلك ❊ تم هنا ما يتعلق بسورة حم الدخان ❊ بفضل الله الكريم المنان ❊ والحمد لله وحده ❊ وصلى الله على من لانبى بعده

﴿سورة الجاثية ثلاثون وسبع آيات مكية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿قوله ان جعلت حم مبتدأ﴾ على انه اسم للسورة احتجت الى اضمار مثل تنزيل حم لئلا يلزم الاخبار عن المنزل بتنزيل والتقدير تنزيل الكتاب من الله قال صاحب الكشاف فيه اقامة الظاهر مقام المضمر ايذانا بانه الكتاب الكامل ان اريد بالكتاب السورة وفيه تفخيم ليس في قوله تنزيل من الله ولهذا لما اريد في حم السجدة هذه النكتة عقب بقوله كتاب فصلت ليفيد هذه الفائدة مع التفنن في العبارة وان اريد به الكتاب كله يكون الكلام من باب التشبيه البليغ على معنى ان تنزيل هذه السورة كتنزيل الكتاب كله في ان الفائدة المترتبة على انزاله من التحدي به وكونه هدى للناس وشفاء لما في الصدور مترتبة على انزالها وحمله الطيبي ايضا على التشبيه حيث قال يعني تنزيل هذه السورة كتنزيل سائر القرآن فيكون في قوله من الله العزيز الحكيم دلالة على وجه التشبيه فكونه من الله عز وجل دل على انه حق وصدق وصواب وكونه من العزيز دل على انه معجز يغلب ولا يغلب وكونه من الحكيم دل على انه مشتمل على الحكم البالغة وعلى انه محكم في نفسه ينسخ ولا ينسخ انتهى ﴿قوله وقيل حم مقسم به﴾ فيكون في محل النصب بحذف الجار وايصال الفعل اليه والمعنى اقسم بحم الذي هو تنزيل الكتاب اى منزله ان في السموات الآية ﴿قوله وهو يحتمل ان يكون على ظاهره﴾ اى بان لا يقدر مضاف ويكون المعنى ان في نفس السموات والارض لآيات لما فيهما من احوال الدالة على وجود صانع قادر حكيم مثل مقاديرها وكيفياتها وحركاتها وكون الارض مهادا والسماء سقفا محفوظا ويحتمل ان يكون في الكلام مضاف مقدر ويكون المعنى ان في خلق السموات ويدل على هذا المحذوف قوله فيما بعد وفي خلقكم فانه لو لم يكن مبنيا على حذف المضاف لكان الظاهر ان يقال وفيكم بدل وفي خلقكم فان في خلق هذه المخلوقات على هذا النظام العجيب لآيات باهرة على كمال قدرة الله تعالى وعلمه وحكمته ﴿قوله ولا يحسن عطف ما﴾ يعني ان كلمة ما في قوله وما يبث موصولة في موضع الجر عطفا على المضاف في قوله وفي خلقكم لا على المضاف اليه لانه ضمير متصل مجرور ولا يعطف عليه الا باعادة الجار سواء كان مجرورا بحرف الجر او بالاضافة فيقال مررت بمو بزيد وهذا غلامه وغلام زيد ويقبح ان يقال مررت به وزيد وهذا غلامه وزيد لانه يشبه العطف على بعض الكلمة لان الضمير المتصل لشدة اتصاله بعامله صار كشئ واحد ثم ان قباحة العطف عليه لا تزول بتأكيده بالمنفصل مثل ان يقال مررت بك انت وزيد الا عند الجرمي فانه يقول ان التأكيد يجيز ذلك ﴿قوله باحد الاحتمالين﴾ اى المذكورين في قوله ان في السموات وهما كون الكلام على ظاهره او على حذف المضاف وكذا كلمة ما المعطوفة على المضاف يحتمل ان يكون عطفها عليه على حذف المضاف في المعطوف ويكون المعنى وفي خلق ما يبث من آيات وهو الاظهر بحسب المعنى ليتلاءم المعطوف والمعطوف عليه ويحتمل ان يكون على ظاهره على معنى في نفس ما يبث آيات كما في قوله ان في السموات والارض لآيات ولما كان كون نفس ما يبث آيات لا يخلو من خفاء بخلاف كون خلقه آية بين وجه الاول بقوله فانه بتدرج يعني ان نفس ما يبثه آيات لما فيه من وجوه الدلالة على وجود الصانع وعلمه وقدرته وحكمته من تنقله وتدرجه الخ ﴿قوله محمول﴾ اى في ارتفاعه على محل ان واسمها واعلم انه لا خلاف في كسر تاء آيات في قوله لآيات للمؤمنين لانها اسم ان وانما الخلاف فيما ذكر بعده في الموضعين وهو آيات لقوم يوقنون وآيات لقوم يعقلون فان جمهور القراء غير حمزة والكسائي قرأوا برفع آيات في الموضعين وهما قرأ بكسر التاء فيهما وبتوحيد لفظ الرياح ومبنى قراءة الرفع كونه معطوفا على محل

ولما لم يتذكروا (فارتقب) فانتظر ما يحل بهم (انهم مرتقبون) منتظرون ما يحل بك ❊ عن النبي عليه السلام من قرأ حم الدخان في ليلة اصبح يستغفر له سبعون الف ملك وعنه صلى الله عليه وسلم من قرأ حم الدخان ليلة جمعة اصبح مغفورا له

﴿سورة الجاثية مكية وهي سبع او ست وثلاثون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(حم تنزيل الكتاب) ان جعلت حم مبتدأ خبره تنزيل الكتاب احتجت الى اضمار مثل تنزيل حم وان جعلتها تعدادا للحروف كان تنزيل مبتدأ خبره (من الله العزيز الحكيم) وقيل حم مقسم به وتنزيل الكتاب صفته وجواب القسم (ان في السموات والارض لآيات للمؤمنين) وهو يحتمل ان يكون على ظاهره وان يكون المعنى ان في خلق السموات لقوله (وفي خلقكم وما يبث من دابة) ولا يحسن عطف ما على الضمير المجرور بل عطفه على المضاف باحد الاحتمالين فان بثه وتنوعه واستجماعه لما به يتم معاشه الى غير ذلك دلائل على وجود الصانع المختار (آيات لقوم يوقنون) محمول على محل ان واسمها وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب بالنصب حملا على الاسم (واختلاف الليل والنهار وما انزل الله من السماء من رزق) من مطر وسماه رزقا لانه سببه (فأحيى به الارض بعد موتها) يبسها

ان واسمها فان محلها الرفع على الابتدآء او على الفاعلية على اعمال الظرف على رأى الاخفش ووجه قرآءة الكسر ظاهر وهو العطف على لفظ اسم ان فى قوله ان فى السموات والارض لآيات للمؤمنين فانه لاخلاف فى كسر التاء فيه على انها اسم ان كأنه قيل وفى خلقكم وما يبث من دابة آيات كما تقول ان فى الدار زيدا وفى السوق عمرا وقوله يبسها على تشبيه الرطوبة الارضية بالروح الحيوانى فى كونها مبدأ التوليد والتنمية وتشبيه زوالها بزوال الروح وموت الجسد ﴿ قوله ويلزمهما العطف على عاملين ﴾ اى ويلزم كل واحدة من القرآءتين عطف معمولين على معمولى عاملين مختلفين على قرآءة الرفع واما على قرآءة نصب آيات فان لفظ آيات حينئذ يكون معطوفا على اسم ان الذى هو معمول كلمة ان ولفظ اختلاف يكون معطوفا على خلق السموات الذى هو معمول كلمة فى وعلى التقديرين فقد عطف بحرف واحد وهو الواو معمولان وهما لفظا اختلاف وآيات على معمولين قبلهما وهما لفظا خلق السموات وآيات وكل واحد منهما معمول لعامل مخالف لعامل آخر فقوله فى والابتدآء او ان معناه احد العاملين فى والآخر الابتدآء او ان ورفع آيات بالعطف على محل ان واسمها واما ان نصب فالعامل الآخر حينئذ كلمة ان ومثل هذا العطف لايجوز مطلقا عند سيبويه وجمهور البصريين لان العاطف ينوب مناب العامل فهو عامل ضعيف لايقوى ان ينوب مناب عاملين مختلفين ولو ناب رافع وناصب لكان رافعا وناصبا فى حالة واحدة وهو لايجوز ومنهم من يجوزه مطلقا ومنهم من يفصل ويقول ان كان احد العاملين جارا وكان المجرور مقدما نحو فى الدار زيد والحجرة عمرو جاز والافلا وهذا العطف غير متحقق فى قوله تعالى آيات لقوم يوقنون سوآء قرئ مرفوعا او منصوبا لتكرر كلمة فى فى قوله وفى خلقكم فلم يكن العاطف نائبا عنها وانما تحقق فى قوله لآيات لقوم يعقلون على كل واحد من قرآءتى الرفع والنصب كما ذكر ﴿ قوله الا ان يضمر فى ﴾ اشارة الى توجيه اعراب الآية على رأى من لايجوز العطف المذكور وهو ان يضمر العامل فى احد المعطوفين حتى لايلزم نيابة العاطف مناب عاملين الا ان اضمار حرف الجر وابقاء عمله نادر ضعيف جدا الاترى انه لايجوز ان يقال مررت به وزيد بجر زيد واجيب عنه بانه لما تقدم ذكر حرف الجر لفظا قويت الدلالة عليه فصار كأنه ملفوظ بخلاف المثال المذكور ونظير اضمار العامل فى احد المعطوفين قول الشاعر

أكل امرئ تحسبين امرأ ○ ونار توقد بالليل نارا ○

قدر سيبويه وكل نار واضمر كل مع نار المجرور لتقدم ذكره لئلا يلزم العطف على معمولى عاملين مختلفين فان النار المجرور معطوف على امرئ المجرور بكل ونارا المنصوب معطوف على امرأ المنصوب بتحسبين وقوله تعالى واختلاف الليل والنهار اى فى تعاقبهما على المقادير المتسقة التى لاتتفاوت فى كل سنة صيفا وشتاء وربيعا وخريفا بان يزداد طول النهار على طول الليل تارة وتارة بالعكس وما يزداد فى النهار الصيفى مثلا يزداد مثله فى الليل الشتوى اى تبدل النهار بالليل وبالعكس او باختلاف مطالع الشمس فى ايام السنة ولاخفاء فى دلالته على وجود الفاعل المختار وعلمه وقدرته وحكمته وكذا فى دلالة ارسال الرياح المختلفة الشرقية والغربية والجنوبية والشمالية واللينة والعاصفة والحارة والباردة ونحوها وانشاء تلك الرياح المختلفة والسحاب وانزال المطر منه الى الارض الميتة واحيائها بتولد النبات وتشعبه شعوبا مختلفة الانواع وهى ساق الشجرة واغصانها واوراقها وثمارها المختلفة الانواع والاصناف والهيئات والالوان والطعوم والروائح وماذلك الا بتدبير العليم الحكيم تعالى شانه ماعظم برهانه ﴿ قوله ولعل اختلاف الفواصل الثلاث ﴾ وهى قوله للمؤمنين ولقوم يوقنون ولقوم يعقلون ٭ واعلم ان العلم المستفاد من النظر فى الآيات والدلائل على ثلاث مراتب بعضها اقوى واكمل من بعض فاول المراتب مرتبة الايمان ثم مرتبة التصديق لان التصديق قد لايكون ثابتا بل يزول بالتشكيك بخلاف اليقين ثم مرتبة استحكام العلم وقوة اليقين فان مرتبة اليقين متفاوتة بالكمال والنقصان بحسب كثرة الدلائل وامعان النظر فيها فان النظر الصائب كلما تكرر وتجدد استحكم العلم وقوى اليقين وعبر عن هذه المرتبة بقوله تعالى لقوم يعقلون لان العقل المطلق ينصرف الى الكامل الذى تم استعداده للاستفاضة من المبدأ العالى الفياض ثم ان الآيات والدلائل المذكورة فى هذه الآيات الكريمة مختلفة الدقة والظهور اظهرها السموات والارض فالنظر الصحيح فيها يفيد العلم بانها مصنوعة لابد لها من صانع قادر على مايشاء فيؤدى الى الايمان بالله تعالى والاقرار بوحدانيته وادق منها خلق الانسان وانتقاله من حال الى حال ومن هيئة الى هيئة وخلق ماعلى الارض من صنوف الحيوانات والدواب من حيث ان التفكر فيها واحوالها

(وتصريف الرياح) باختلاف جهاتها واحوالها وقرأ حمزة والكسائى وتصريف الريح (آيات لقوم يعقلون) فيه القرآءتان ويلزمهما العطف على عاملين فى والابتدآء او ان الا ان يضمر فى او ينصب آيات على الاختصاص او يرفع باضمار هى ولعل اختلاف الفواصل الثلاث لاختلاف الآيات فى الدقة والظهور

(يستلزم)

يستلزم ملاحظة السموات والارض لكونها من اسباب تكوّن الحيوانات وانتظام احوالهم ولما كانت هذه الآية ادق بالنسبة الى الاولى كان التفكر فيها مؤديا الى مرتبة اليقين وادق من هذه الآية الثانية سائر الحوادث المتجددة فى كل وقت واوان من نزول المطر وحياة الارض بعد موتها وغير ذلك من حيث ان استقصاء النظر فى احوال هذه الحوادث يتوقف على ملاحظة السموات والارض لكونهما من اسباب هذه الحوادث ومحالها وعلى ملاحظة الحيوانات المبثوثة على الارض من حيث ان تجدد هذه الحوادث انما هو لانتظام احوالها وتحقق اسباب معاشها ولما كانت هذه الآية الثالثة ادق بالنسبة الى الاوليين وكانت متجددة حينا فحينا بحيث تبعث على النظر والاعتبار وكلما تجددت كان النظر فيها مؤديا الى استحكام العلم وقوة اليقين فلذلك جعل قوله للمؤمنين فاصلة للآية الاولى وقوله لقوم يوقنون فاصلة للثانية وقوله لقوم يعقلون فاصلة للآية الثالثة وظهر بهذا التقرير ان المراد بالمؤمنين والموقنين والعاقلين من يؤول حالهم الى هذه الاوصاف ونظيرها قوله تعالى هدى للمتقين فان الكتاب هدى للناس كلهم الا ان الانتفاع والاهتداء به لما كان مخصوصا بالمتقين اى الصائرين الى التقوى قيل هدى للمتقين فكذا الامر هنا فان الصائرين الى الايمان نظروا فى السموات والارض وآمنوا والصائرين الى الايقان نظروا فى انفسهم وفى الدواب المبثوثة فى الارض فايقنوا والناظرين فى اختلاف الحوادث المتجددة استحكم يقينهم بسببه ثم انه تعالى اشار الى هذه الآيات وحكم عليها بانها دلائله حال كونها متلوة على رسوله صلى الله عليه وسلم اسند التلاوة الى نفسه لكونه سببا حاملا لجبريل على تلاوته وقوله بالحق حال من الفاعل اى متلبسين بالحق او من المفعول اى متلبسة به ويجوز ان تكون الباء سببية فتتعلق بنفس نتلوها اى نتلوها بسبب الحق والفاء فى قوله تعالى فبأى حديث جزائية اى ان لم تؤمنوا بهذه الآيات المتلوة بالحق فبأى حديث بعده تؤمنون والمقصود الدلالة على انه لا بيان ازيد من هذا البيان ولا آية ادل من هذه الآيات ولما لم يمكن حمل قوله تعالى فبأى حديث بعد الله على ظاهره من حيث ان ما اضيف اليه يجب ان يكون من جنس ما قبله فى مثل هذا التركيب وهو تعالى ليس من جنس الحديث ذكر له وجهين الاول انه من باب اعجبنى زيد وكرمه فان المراد اعجبنى كرم زيد الا انه قدم ذكر زيد للدلالة على تعظيم كرمه حيث جعل ذكر نفسه وسيلة الى ذكر كرمه فكذا فى الآية قدم اسمه تعالى لتعظيم ذكر آياته وللاشعار بان التجاوز عنها تجاوز عنه تعالى والوجه الثانى ان يحمل الكلام على حذف المضاف ويجعل تقدم ذكره قرينة له والتقدير فبأى حديث بعد حديث الله اى بعد كتابه وقرآنه وقد سماه حديثا فى قوله تعالى الله نزل احسن الحديث فحينئذ يكون المراد بالآيات الدلائل المتلوة ويكون عطفه على حديث الله من قبيل عطف الخاص على العام لان آياته المتلوة هى حديث الله المفيد بكونه دلائل وحدانيته وكمال قدرته وعلمه وحكمته ويحتمل ان يكون المراد بها القرآن كما ان المراد بحديث الله ذلك ويكون عطفه عليه لتغاير الوصفين ومن قرأ يؤمنون بياء الغيبة اعتبر موافقة قوله لقوم يوقنون ولقوم يعقلون ومن قرأ بتاء الخطاب يجعل تقدير الكلام قل لهم فبأى حديث تؤمنون ﴿قوله تعالى فبأى﴾ متعلق بتؤمنون قدم عليه لان له صدر الكلام وقوله تتلى فى موضع الحال من آيات الله اى متلوة ومستكبرا حال من المنوى فى يصر وكأن لم يسمعها حال بعد حال على قول من يجوز انتصاب حالين من ذى حال واحد اى يصر على الكفر بآيات الله متعظما مشبها بغير السامع او حال من المنوى فى مستكبرا وكأن مخففة من الثقيلة واسمها مضمر وهو ضمير الشأن والحديث اى كأنه لم يسمعها ﴿قوله يرى غمرات الموت ثم يزورها﴾ اوله لا يكشف الغماء الا ابن حرة اشار بكلمة ثم الى ان زيارة غمرات الموت بعد رؤيته اياها مستبعدة مستنكرة عقلا وعادة وهو مع ذلك يزورها بعد استيقانه اياها بالغ فى مدحه بالشجاعة بانه يقدم على غمرات الموت وشدائده بعد رؤيتها وانجلاء الشدة وغمرات الموت شدائد الحرب ثم انه تعالى لما بين شناعة من لم يؤمن بآيات الله بقوله فبأى حديث بعد الله وآياته يؤمنون اى اذا لم يؤمنوا بها مع ظهور كونها من آياتنا البعد وعيد عظيم لهم فقال ويل لكل افاك اى كذاب ﴿قوله والبشارة على الاصل او التهكم﴾ فان البشارة قد تطلق على الاخبار بالخبر النافع المفيد للفرح والسرور مطلقا اى سواء قرنت بما يوجب المسرة او بما يوجب الحزن والمساءة وقد تطلق على الشر والخبر المؤلم اذا قرنت به كما فى هذه الآية فقال الجوهرى البشارة المطلقة لا تكون الا بالخير وانما تكون بالشر اذا كانت مقيدة به كقوله تعالى فبشرهم بعذاب اليم فعلى الاول تكون البشارة المذكورة فى هذه الآية محمولة على التهكم وعلى الثانى تكون على اصل

(تلك آيات الله) اى تلك آيات دلائله (نتلوها عليك) حال عاملها معنى الاشارة (بالحق) ملتبسين به او ملتبسة به (فبأى حديث بعد الله وآياته تؤمنون) اى بعد آيات الله وتقديم اسم الله للمبالغة والتعظيم كما فى قولك اعجبنى زيد وكرمه او بعد حديث الله وهو القرآن كقوله الله نزل احسن الحديث وآياته دلائله المتلوة او القرآن والعطف لتغاير الوصفين وقرأ الحجازيان وحفص وابو عمرو وروح يؤمنون بالياء ليوافق ما قبله (ويل لكل افاك) كذاب (اثيم) كثير الآثام (يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصر) يقيم على كفره (مستكبرا) عن الايمان بالآيات وثم لاستبعاد الاصرار بعد سماع الآيات كقوله

* يرى غمرات الموت ثم يزورها *

(كأن لم يسمعها) اى كأنه فخففت وحذف ضمير الشان والجملة فى موقع الحال اى يصر مثل غير السامع (فبشره بعذاب اليم) على اصراره والبشارة على الاصل او التهكم

(واذا علم من آياتنا شيأ) واذا بلغه شئ وعلم انه منها (اتخذها هزوا) لذلك من غير ان يرى فيها ما يناسب الهزؤ والضمير لآياتنا وفائدته الاشعار بانه اذا سمع كلاما وعلم انه من الآيات بادر الى الاستهزآء بالآيات كلها ولم يقتصر على ما سمعه او للشئ لانه بمعنى الآية (اولئك لهم عذاب مهين من ورآئهم جهنم) من قدامهم لانهم متوجهون اليها او من خلفهم لانه بعد آجالهم (ولا يغنى عنهم) ولا يدفع (ما كسبوا من الاموال والاولاد (شيأ) من عذاب الله (ولا ما اتخذوا من دون الله اولياء) اى الاصنام (ولهم عذاب عظيم) لا يتحملونه (هذا هدى) الاشارة الى القرآن ويدل عليه قوله (والذين كفروا بآيات ربهم لهم عذاب من رجز اليم) وقرأ ابن كثير ويعقوب وحفص برفع اليم والرجز اشد العذاب (الله الذى سخر لكم البحر) بان جعله املس السطح يطفو عليه ما يتخلخل كالاخشاب ولا يمنع الغوص فيه (لتجرى الفلك فيه بامره) بتسخيره وانتم راكبوها (ولتبتغوا من فضله) بالتجارة والغوص والصيد وغيرها (ولعلكم تشكرون) هذه النعم (وسخر لكم ما فى السموات وما فى الارض جميعا) بان خلقها نافعة لكم (منه) حال مما اى سخر هذه الاشياء كائنة منه او خبر لمحذوف اى هى جميعا منه او لما فى السموات وسخر لكم تكرير للتأكيد او لما فى الارض وقرئ منة على المفعول له ومنه على انه فاعل سخر على الاسناد المجازى او خبر محذوف (ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون) فى صنائعه (قل للذين آمنوا يغفروا) حذف المقول لدلالة الجواب عليه والمعنى قل لهم اغفروا يغفروا اى يعفوا ويصفحوا (للذين لا يرجون ايام الله) لا يتوقعون وقائعه باعدآئه من قولهم ايام العرب لوقائعهم او لا يأملون الاوقات التى وقتها الله لنصر المؤمنين وثوابهم ووعدهم بها والآية نزلت فى عمر رضى الله عنه شتمه غفارى فهم ان يبطش به وقيل انها منسوخة بآية القتال (ليجزى قوما بما كانوا يكسبون) علة للامر

معناها وهو الاخبار بالشر حيث ذكرت مقارنة له ثم انه تعالى وصف الاثيم المذكور اولا بانه يصر على الانكار والاستكبار من الايمان بالآيات معجبا بما عنده قيل نزلت الآية فى النضر بن الحارث وكان يشترى من احاديث الاعاجم ويشغل بها الناس عن استماع القرآن وسبب نزولها وان كان خاصا الا انها عامة فى كل من كان موصوفا بالصفة المذكورة ثم وصفه ثانيا بانه ينتقل من مقام الاصرار والاستكبار الى مقام الاستهزآء فقال واذا علم من آياتنا شيأ اتخذها هزوا ﴿قوله لذلك﴾ اى لعلمه انه من آياتنا ﴿قوله وفائدته﴾ اى وفائدة العدول عن الظاهر وكان الظاهر ان يقال اتخذه هزوا اى اتخذ ذلك الشئ الواحد الذى بلغه انه تعالى قال اتخذها اى اتخذ آياتنا هزوا للاشعار بانه لا يقتصر على الاستهزآء بذلك الشئ الواحد الذى بلغه بل يخوض فى الاستهزآء بجميع الآيات التى انزلها الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم ويجوز ان يكون ضمير اتخذها للشئ وتأنيثه لكون الشئ بمعنى الآية ﴿قوله من قدامهم﴾ قال صاحب الكشاف الورآء اسم للجهة التى يواريها الشخص اى يسترها من خلف كانت او قدام وجعل الورآء فى الآية بمعنى القدام لان شخص الكافر يوارى جهنم اذا نظر اليها من خلفه لانه متوجه اليها فيكون حائلا بينها وبين الناظر اليها والمصنف جوز كونه بمعنى الخلف ايضا لكون جهنم خلفه بمعنى انها بعد موته ولما ذكر ان جهنم مصيرهم يعذبون فيها بين ان ما ملكوه فى الدنيا لا ينفعهم ولا يدفع عنهم شيأ من عذابها فقال ولا يغنى عنهم ما كسبوا شيأ ثم انه تعالى لما وبخهم على كفرهم بالقرآن وذكر انواع ضلالهم فى حقه وهددهم عليها بوجوه متعددة جعله كالجبل المشار اليه بالحس ونكر خبره تنكير تعظيم وتهويل فقال هذا هدى اى كامل فى الهداية وليس علته التكذيب والاستهزآء والذين كفروا به وكذبوه لهم عذاب فوق العذاب بسبب كفرهم به وتكذيبهم اياه ﴿قوله وقرئ منة﴾ بكسر الميم وتشديد النون ونصب التاء على المفعول له او على انه مصدر مؤكد لفعله المحذوف او لقوله سخر لكم لكونه بمعناه وفى الصحاح من عليه منا اى انعم عليه ومن عليه منة اى امتن عليه امتنانا وقرئ ايضا منه بفتح الميم ورفع النون وضم هاء الضمير على ان المن مصدر مضاف الى الضمير وذكر لارتفاعه وجهين الاول انه فاعل سخر على الاسناد المجازى اى سخر جميع ذلك منه عليكم كقولك احيانى اقبالك على وسرنى امرى حسن رأيك فى والثانى انه خبر مبتدأ محذوف اى تسخير ذلك منه عليكم ثم انه تعالى لما بين دلائل التوحيد والعلم الكامل والقدرة البالغة اردفه بتعليم الاخلاق والافعال الجيدة فقال قل للذين آمنوا الآية حث المؤمنين على ترك المنازعة مع الكفار والتجاوز عما يصدر عنهم من الكلمات المؤذية والافعال الموحشة ﴿قوله تعالى يغفروا﴾ مجزوم على انه جواب الامر والقول محذوف لدلالة الجواب عليه ونظيره قوله تعالى فى سورة ابراهيم قل لعبادى الذين آمنوا يقيموا الصلاة ﴿قوله او لا يأملون الاوقات﴾ مبنى على ان الايام تطلق على اوقات النعم والمحنة جميعا ﴿قوله والآية نزلت فى عمر بن الخطاب رضى الله عنه﴾ الا انه اختلف فى سبب نزولها فيه فقال ابن عباس رضى الله عنه انهم نزلوا فى غزوة بنى المصطلق على بئر يقال له المريسيع فارسل عبد الله بن ابى غلامه ليستقى له الماء فابطأ عليه فلما اتاه قال ما حبسك قال غلام عمر قعد على طرف البئر فما ترك احدا يستقى حتى ملأ قرب النبى صلى الله عليه وسلم وقرب ابى بكر رضى الله عنه فقال عبد الله ما مثلنا ومثل هؤلاء الا كما قيل سمن كلبك يأكلك فبلغ عمر قوله فاشتمل على سيفه يريد التوجه له فانزل الله تعالى هذه الآية وروى ان فنحاص اليهودى لما نزل قوله تعالى من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا قال احتاج رب محمد فسمع بذلك عمر فاشتمل على سيفه وخرج فى طلبه فبعث النبى صلى الله عليه وسلم حتى رده وقال مقاتل ان رجلا من بنى غفار من كنانة رهط ابى ذر الغفارى شتم عمر بمكة فهم ان يبطش به فامر الله تعالى بالعفو والتجاوز وانزل هذه الآية وقال القرطبى والسدى انها نزلت فى ناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من اهل مكة كانوا فى اذى شديد من المشركين قبل ان يؤمروا بالقتال فشكوا ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله هذه الآية ثم نسختها آية القتال قال الامام اكثر المفسرين يقولون انها منسوخة وانما قالوا ذلك لانه يدخل تحت الغفران ان لا يقتلوا ولا يقاتلوا فلما امر الله تعالى بهذه المقاتلة كان ذلك نسخا ثم قال والاقرب ان يقال انه محمول على ترك المنازعة فى المحقرات وعلى التجاوز عما يصدر عنهم من الكلمات المؤذية والافعال الموحشة والمصنف اختار ما ذهب اليه الامام حيث لم يرض بقول من قال انها منسوخة بآية القتال اذ لا منافاة بين فرضية القتال مع الكفار الذين استكبروا عن الايمان وقبول الجزية وبين الامر بالاعراض عنهم وترك المنازعة معهم فى محقرات الامور ﴿قوله علة للامر﴾

اى للامر بالمغفرة كأنه قيل انما امروا بان يغفروا ليوفيهم الله جزآء مغفرتهم يوم القيامة ﴿ قوله فيكون التنكير الخ ﴾ نشر على ترتيب اللف فان اريد بالقوم المؤمنون المذكورون بقوله قل للذين آمنوا كان الظاهر ان يقال ليجزيهم او ليجزى القوم معرّفا تعريف العهد الا انه نكر لتعظيم شأنهم كأنه قيل ليجزى قوما اى قوم من شأنهم الصفح عن السيئات والتجاوز عن الاذيات وتجرّع المكاره والصبر عليها وان اريد به الكفار المذكورون بقوله للذين لا يرجون ايام الله يكون وجه التنكير تحقيرهم وان اريد به كلا الفريقين يكون التنكير للشيوع والابهام وكذا قوله والكسب المغفرة او الاساءة او ما يعمها فانه من قبيل اللف والنشر المرتب ﴿ قوله وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائى لنجزى بالنون ﴾ اى بنون العظمة كأنه قيل قل لهم اغفروا واصفحوا عن اذاكم ولا تكافئوهم باذيتهم حتى نكون نحن الذى نجازيهم ونكافيهم وباقى السبعة قرأوا ليجزى بياء الغيبة مبنيا للفاعل اى ليجزى الله وقرئ ليجزى قوم بالياء التحتية مبنيا للمفعول ورفع القوم لقيامه مقام الفاعل وليجزى قوما على بناء المفعول ونصب قوما على معنى ليجزى الخير او الشر قوما باسناد الفعل الى ضمير المفعول الثانى فان المفعول الثانى للافعال التى تتعدى الى اثنين يجوز اقامته مقام الفاعل تقول اعطى درهم زيدا وجزى يتعدى الى اثنين تقول جزيت فلانا الخير فاذا بنيته للمفعول اقمت ايهما شئت مقام الفاعل واضمر ههنا الخير او الشر لدلالة قوله بما كانوا يكسبون عليه ﴿ قوله او الجزآء اعنى ما يجزى به ﴾ اى ويجوز ان يضمر الجزآء بمعنى ما يجزى به فان الجزآء قد يستعمل بمعنى ما يجزى به كما فى قوله تعالى جزآؤهم عند ربهم جنات لا الجزآء الذى هو مصدر جزيته بما صنع لانهم قالوا اقامة المصدر مقام الفاعل ضعيف مطلقا لا سيما مع وجود المفعول به فانه اذا وجد المفعول به تعين لان يقوم مقام الفاعل وعلى تقدير اقامة المصدر مقامه فى الجملة فانما يقوم مقامه بشرط ان لا يكون لمجرد التأكيد فلا يقال ضرب ضرب لعدم الفائدة فيه فان الشئ انما يقام مقام الفاعل اذا افاد اسناد الفعل اليه فائدة جديدة زائدة على ما افاده الفعل فلا يقال ضرب ضرب وانما يقال ضرب ضربة او ضرب شديد او الضرب الفلانى ونحو ذلك واذا كان الجزآء الذى اسند اليه قوله يجزى بمعنى ما يجزى به يكون مفعولا ثانيا لا مصدرا وقوله ليجزى الخير او الشر او الجزآء من قبيل اللف والنشر المرتب ايضا فان اضمار الجزآء بمعنى ما يجزى به مبنى على انه يراد بالقوم العام المتناول للمؤمنين والكافرين ويكون تنكيره للشيوع والابهام والمراد بالكسب ما يعم العفو والاساءة ثم انه تعالى لما ذكر اجمالا ان المرء يجزى بكسبه بين ان من كسب صالحا كالعفو عن المسئ فانه يثاب وانه هو المنتفع بكسبه ومن كسب الاساءة يعاقب ويتضرر بكسبه وانه تعالى انما امر بالصالح ونهى عن السيئة رحمة للمكلف لا لنفع يعود اليه تعالى ثم لما بين ان نفع العمل الصالح للعامل وان مضرة العمل السئ عليه بين ان ذلك النفع والضر انما يكون بالمراجعة الى مقام العرض والحساب ثم بين ان طريقة قومه عليه الصلاة والسلام كطريقة من تقدم من الامم فانه تعالى انعم على بنى اسرآئيل نعما كثيرة من نعم الدين والدنيا ومع ذلك لم يشكروا والقت انهم بل اختلفوا فى امر الدين بعد ما جاءهم العلم بحقيقة الحال على سبيل البغى والحسد حيث طلب كل فريق ان يكون هو الرئيس المتبوع حسدا واتباعا للهوى فصاروا الى التعادى والتضارب وقتل الانبياء ومن حق العلم بحقيقة الحال ان يكون سببا للاتفاق على الحق وارتفاع الخلاف وكان علمهم بها سببا لحصول الاختلاف فكذا كفار قومه عليه افضل الصلاة والسلام جاءتهم ادلة واضحة دالة على حقيقة دينه عليه الصلاة والسلام ثم اصروا على الكفر واستكبروا عن الايمان والطاعة عداوة وحسدا ﴿ قوله حيث آتيناهم ما لم نؤت غيرهم ﴾ اشارة الى انه لا حاجة الى تخصيص العالمين بعالمى زمانهم بناء على ان الظاهر ان المراد تفضيلهم بما يختص بهم من الفضائل من كثرة الانبياء منهم فان عدد الانبياء فيما بين يوسف وعيسى عليه الصلاة والسلام لا يعلمه الا الله فهذه الفضيلة مختصة ببنى اسرآئيل غير موجودة فى غيرهم فهم مفضلون من هذا الوجه على سائر الامم ومما يختص بهم فلق البحر واغراق عدوهم فيه بأسرهم وانزال المنّ والسلوى والانفجار ثنتى عشرة عينا من حجر صغير الى منازل الاسباط الاثنى عشر فى مدة احتباسهم فى التيه ونحو ذلك وليس المراد تفضيلهم على العالمين بحسب الدين والثواب ونقل الامام محيى السنة فى تفسير العالمين اى عالمى زمانهم قال ابن عباس لم يكن احد من العالمين فى زمانهم اكرم على الله عز وجل ولا احب اليه منهم الى هنا كلامه ﴿ قوله انهم لن يغنوا عنك من الله شيأ ﴾ تعليل للنهى عن اتباع اهوآئهم اى انك ان اتبعت اهواءهم وملت الى اديانهم الباطلة صرت مستحقا للعذاب بسببهم وهم لا يقدرون على دفع شئ مما اراد الله بك من العذاب ان اتبعت اهوآءهم ثم بين الله

والقوم هم المؤمنون او الكافرون او كلاهما فيكون التنكير للتعظيم او التحقير او الشيوع والكسب المغفرة او الاساءة او ما يعمهما وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائى لنجزى بالنون وقرئ ليجزى قوم وليجزى قوما اى ليجزى الخير او الشر او الجزآء اعنى ما يجزى به لا المصدر فان الاسناد اليه سيما مع المفعول به ضعيف (من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها) اذ لها ثواب العمل وعليها عقابه (ثم الى ربكم ترجعون) فيجازيكم على اعمالكم (ولقد آتينا بنى اسرآئيل الكتاب) التوراة (والحكم) والحكمة النظرية والعملية وفصل الخصومات (والنبوة) اذ كثر فيهم الانبياء ما لم يكثر فى غيرهم (ورزقناهم من الطيبات) مما احل الله من اللذآئذ (وفضلناهم على العالمين) حيث آتيناهم ما لم نؤت غيرهم (وآتيناهم بينات من الامر) ادلة فى امر الدين ويندرج فيها المعجزات وقيل آيات من امر النبى عليه السلام مبينة لصدقه (فما اختلفوا) فى ذلك الامر (الا من بعد ما جاءهم العلم) بحقيقة الحال (بغيا بينهم) عداوة وحسدا (ان ربك يقضى بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) بالمؤاخذة والمجازاة (ثم جعلناك على شريعة) طريقة (من الامر) امر الدين (فاتبعها) فاتبع شريعتك الثابتة بالحجج (ولا تتبع اهوآء الذين لا يعلمون) آراء الجهال التابعة للشهوات وهم رؤساء قريش قالوا له ارجع الى دين آبائك (انهم لن يغنوا عنك من الله شيأ) مما اراد بك

تعالى ان الظالمين يتولى بعضهم بعضا فى الدنيا ولا ولىّ لهم فى الآخرة بإيصال الثواب اليهم و ازالة العقاب عنهم وهذه الجملة معطوفة على ماقبلها فتكون من تتمة العلة الثانية للنهى المذكور لان بيان ان ولىّ الظالم من هو ظالم مثله بيان ان مثلك لا يوالى ظالما فكيف تتبعه وما بين ان المتقين من الظلم لا يوالون ظالمين ان وليهم هو الله وحده وانهم لا يفعلون شيأ مما يأتون و يذرون الا ابتغاء لوجهه الكريم وطلبا لمرضاته ﴿ قوله بينات تبصرهم ﴾ اى دلائل تعرفهم وفى الصحاح البصيرة الحجة والتبصير التعريف و الايضاح جمع خبر هذا باعتبار مافيه ثم انه تعالى لما رغب فى اتباع الشريعة ونهى عن اتباع آرآء الجهال ذكر ان القرآن او اتباع الشريعة مع مافيهما من البينات الشافية و الدلائل الواضحة بمنزلة البصائر فى القلوب اذ يتوصل بكل واحد منهما الى تحصيل العرفان و اليقين ثم انه لما بين الفرق بين الظالمين و بين المتقين و ان الظالمين بعضهم اولياء بعض و لاحظ لهم من ولاية الله تعالى بخلاف المتقين فانه تعالى وليهم و ناصرهم بين الفرق بينهما من وجه آخر فقال ام حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين آمنوا و كلمة ام فيه منقطعة مقدرة ببل و الهمزة اضرب عن بيان الفرق بينهما على الوجه المذكور الى بيان الفرق بينهما وجه آخر و يحتمل ان تكون مقدرة ببل وحدها او بالهمزة وحدها قوله تعالى ان نجعلهم سادّ مسدّ مفعولى حسب لان باب حسب اذا وقع بعده ان المشددة او المخففة او الناصبة تكون هى مع ماعملت فيه سادّة مسدّ المفعولين و ههنا قد وقع بعد فعل الحسبان ان الناصبة فهى سادّة مسدّ المفعولين و نجعلهم من الجعل بمعنى التصيير فيتعدى الى مفعولين اولهما الضمير و ثانيهما الكاف فى كالذين و المعنى ان نجعلهم مثلهم وقرأ حمزة و الكسائى وحفص سوآء بالنصب و الباقون بالرفع و على قرآءة الرفع يكون محياهم مبتدأ ومماتهم عطفا عليه وسوآء خبرا لمبتدأ والجملة فى موضع النصب على انها بدل من المفعول الثانى لجعل وهو الكاف لان الجملة تقع مفعولا ثانيا نحو حسبت زيدا ابوه منطلق فلو قلت ان نجعلهم سوآء محياهم ومماتهم كان سديدا فكذا يجوز جعل الجملة بدلا من المفعول الثانى ﴿ قوله لان المماثلة فيه ﴾ اى فى استوآء المحيا و الممات علة لكون الجملة بدلا اذ لامعنى لانكار حسبان ان يستوى المسيئون والمحسنون محيا وان يستووا مماتا لافتراق احوالهم احياء و امواتا اما افتراقها امواتا فان هؤلاء عاشوا على القيام بالطاعات و اولئك على ركوب المعاصى و اما افتراقها امواتا فان هؤلاء ماتوا على البشرى بالرحمة و الرضوان وهؤلاء على اليأس من الرحمة و المصير الى الهوان و يجوز ان يكون المعنى انكار ان يستووا فى الممات كما استووا فى الحياة لان المسيئين والمحسنين مستو محياهم فى الرزق و الصحة و انما يفترقون فى الممات فان المحسنين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون وان وجوههم يوم القيامة مسفرة ضاحكة مستبشرة ولهم من الكرامات مالا يعلمها الا الله تعالى بخلاف المسيئين فانهم وان كانوا مكرمين فى حياتهم كالمؤمنين بل قد يكون حالهم فى الدنيا ارجح من حال المحسنين الا ان مماتهم ليس كحياتهم فانهم مخذولون مهانون عند الموت وبعده فممات المسيئين لا يوافق حياتهم كما توافقت حياة المحسنين ومماتهم فى البهجة و الكرامة وهذا المعنى كون جملة سوآء محياهم بدلا من الكاف انما هو على تقدير ان يكون ضمير محياهم ومماتهم للمجترحين واما على تقدير كونه للمحسنين فلا يجوز ذلك لان المجهول مثلاهم المجترحون واستوآء الحالين وصف المشبه فلا وجه للبدلية وذكر لانتصاب سوآء ثلاثة اوجه الاوّل ان يكون سوآء بدلا من الكاف بمعنى مستويا ويكون محياهم فى محل الرفع على انه فاعل سوآء بمعنى مستويا والثانى ان يكون حالا من الضمير المرفوع المستكن فى كالذين آمنوا اى احسبوا ان نجعلهم مثلهم فى حال استوآء محياهم ومماتهم وليس من الحكمة ان يستوى محيا المجترحين ومماتهم كالمؤمنين بل يقتضى ان يكون احدهما مرحوما فى الحالين ويكون الآخر مرحوما حياة ليتمكن من القيام على مقتضى التكليف ولا يكون مرحوما موتا بمقتضى العدل والثالث ان يكون سوآء هو المفعول الثانى لجعل ويكون كالذين حالا من ضمير نجعلهم اى نجعلهم حال كونهم مثلهم سوآء وليس هو بقوى من حيث المعنى وعلى القرآءة بنصب سوآء على كل واحد من هذه الاوجه الثلاثة يريد ان تكون حياة المجترحين كمماتهم لا انكار ان تكون حياة احد الفريقين كحياة الآخر ومماته كمماته فينبغى ان يكون المعنى كذلك على قرآءة الرفع ﴿ قوله وان كان للثانى ﴾ اى وان كان ضمير محياهم للموصول الثانى وهو الذين آمنوا فحينئذ يجوز ان يكون قوله سوآء حالا اى من الموصول الثانى وان يكون استئنافا على سبيل التعليل للانكار اى لم يكن الفريقان على السوآء لان المؤمنين سوآء محياهم ومماتهم من حيث انهم على الطاعات

(وان الظالمين بعضهم اولياء بعض) اذ الجنسية علة الانضمام فلا توالهم باتباع اهوآئهم (والله ولى المتقين) فوالهِ بالتقى واتباع الشريعة (هذا) اى القرآن او اتباع الشريعة (بصائر للناس) بينات تبصرهم وجه الفلاح (وهدى) من الضلال (ورحمة) ونعمة من الله (لقوم يوقنون) يطلبون اليقين (ام حسب الذين اجترحوا السيئات) ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها انكار الحسبان والاجتراح الاكتساب ومنه الجارحة (ان نجعلهم) ان نصيرهم (كالذين آمنوا وعملوا الصالحات) مثلهم وهو ثانى مفعولى نجعل وقوله (سوآء محياهم ومماتهم) بدل منه ان كان الضمير للموصول الاوّل لان المماثلة فيه اذ المعنى انكار ان يكون حياتهم ومماتهم سيين فى البهجة والكرامة كما هو للمؤمنين ويدل عليه قرآءة حمزة والكسائى وحفص سوآء بالنصب على البدل او الحال من الضمير فى الكاف او المفعولية والكاف حال وان كان للثانى فحال منه او استئناف يبين المقتضى للانكار

حياة وعلى البشرى والرضوان مماتا بخلاف المجترحين ﴿قوله وان كان لهما﴾ اى ان كان الضمير للموصولين جميعا فحينئذ يكون سواء بدلا من الكاف لان المماثلة تكون باستواء الحالين او حالا من الموصولين جميعا اى من نفس الثانى والضمير الاوّل او استئنافا مقرّرا لتساوى حالى المؤمنين بالنسبة اليهم فيكون تعليلا للانكار بحسب المعنى دالا على عدم المماثلة لا فى الدنيا ولا فى الآخرة لان هؤلاء متساووا المحيا والممات فى الرحمة وهؤلاء متساووا المحيا والممات فى النقمة فان كل واحد من المحسن والمسيء يموت على حسب ما عاش عليه فالاوّل عاش على الهدى ومات عليه والثانى عاش على الضلال ومات عليه فاى احد منهما يكون كالآخر ، والحاصل انه تعالى لما انكر حسبان ان يستوى المسيء والمحسن كان مظنة ان يقال فاذا كيف الحال ، فاجيب بان المؤمن يعيش حميدا ويموت سعيدا يعيش فى طاعة الرحمن ثم المرجع الى الرضوان والكافر يعيش فى طاعة الشيطان ثم المآب الى عذاب النيران فانى يستويان ومن قرأ محياهم ومماتهم بالنصب جعلهما ظرفى زمان كمقدم الحاج وخفوق النجم بمعنى وقت مقدم الحاج ووقت خفوق النجم والعامل اما الجعل واما سواء ، والتقدير ان نجعلهم فى هذين الوقتين سواء او نجعلهم مستويين فى هذين الوقتين ثم انه تعالى صرّح بانكار التسوية فقال ساء ما يحكمون وساء هنا يجوز ان تكون للاخبار عن قبح حكمهم فتكون ما مصدرية وما يحكمون فى محل الرفع على انه فاعل ساء وان تكون لانشاء الذم بمعنى بئس فتكون ما نكرة موصوفة بمعنى شيأ كما فى قولك مررت بما معجب لك اى بشيء معجب لك ومحلها النصب على التمييز والمميز المنوى فى ساء اى بئس الشيء شيأ حكموا به ذلك والمخصوص بالذم محذوف وهو ذلك ﴿قوله كانه دليل على الحكم السابق﴾ وهو ان الذين اجترحوا السيئات لا يساوون المحسنين بعد الممات وتقريره ان الحق هو الشيء الثابت الذى يقتضيه الدليل ويثبت كوجود الصانع الحكيم ووحدته ووجوب طاعته شكرا لاحسانه وحرمة مخالفته وعصيانه فالله تعالى لما خلق السموات والارض بسبب الحق ولاجل ظهوره ومن جملة حكمته وعدله لزم من ذلك ان ينتقم من الظالم لاجل المظلوم والتفاوت بين المسيء والمحسن وذلك يستدعى ان يحشر الخلائق ويحاسبوا ويجزى كل نفس بما عملت من خير او شر فثبت به ان حسبان جعل المسيء كالمحسن والتسوية بينهما بعد الممات امر منكر غير واقع ﴿قوله لانه فى معنى العلة﴾ بناء على ان الباء السببية اى بسبب الحق ولاجل ظهوره ﴿قوله وتسمية ذلك ظلما﴾ جواب عما يقال ظاهر الآية يدل على ان بعض مقدوره تعالى كنقص الثواب وتضعيف العقاب لو وقع لكان ظلما مع انه لو فعل الله تعالى ذلك لم يكن منه ظلما لقوله وما الله يريد ظلما للعالمين فضلا عن ان يفعله ، وتقرير الجواب ان قوله تعالى وهم لا يظلمون معناه انه لا يتحقق بهم فى الآخرة فعل لو فعله غيره تعالى لكان ظلما فان شيأ من الافعال لا يكون قبيحا ولا ظلما من حيث وقوعه منه تعالى فان اهل الملة اتفقوا على انه تعالى لا يظلم الناس شيأ الا ان اهل السنة يقولون ان شيأ من الافعال لا يكون ظلما بالنسبة اليه تعالى وانه لا يفعل بالناس فعلا لو فعله غيره لكان ظلما كما ان المراد بالابتلاء والاختبار فعل ما لو فعله غيره لكان ابتلاء واختبارا ثم انه تعالى عاد الى شرح احوال الكفار وذكر قبائحهم فقال افرأيت اى اخبرنى وفيه تجوّز ان اطلاق الرؤية وارادة الاخبار على طريق اطلاق اسم السبب وارادة المسبب لان الرؤية سبب الاخبار وجعل الاستفهام بمعنى الامر بجامع الطلب وقوله تعالى من اتخذ مفعول اوّل لقوله ارأيت ومفعوله الثانى محذوف مقدّر بعد قوله غشاوة وهو يهتدى وحذف لدلالة قوله فمن يهديه عليه وانما قدّر بعد غشاوة لئلا يفصل بين الصلات المتعاطفة اى اخبرنى يا محمد ان هؤلاء المشركين الذين اتخذوا اهواءهم آلهة يعبدونها ويطيعون امرها اى اطاعوا اهواءهم حتى صاروا كانهم يعبدونها هل يتوقع منهم ان يهتدوا ويتبعوا الهدى وقوله فمن يهديه استفهام بمعنى النفى وقوله على علم حال من الجلالة اى عالما بانه منكس البنية قد انقلب وجهه الى الجهة السفلية لا يرفع رأسه الى الفضائل الروحانية ولا يقبل هدى الله بل اخلد الى الارض واتبع هواه ، قال الامام نظيره فى جانب التعظيم الله اعلم حيث يجعل رسالاته وتحقيق الكلام فيه ان جواهر الارواح البشرية مختلفة فمنها مشرقة نورانية علوية ومنها كدرة ظلمانية سفلية عظيمة الميل الى الشهوات الحيوانية فهو تعالى يعامل كلا منهم بما يليق بجوهره وماهيته وهو المراد بقوله واضله الله على علم فى حق المردودين وبقوله الله اعلم حيث يجعل رسالاته فى حق المقبولين ﴿قوله وقرأ حمزة والكسائى غشوة﴾ بفتح الغين وسكون الشين وباقى السبعة غشاوة بكسر الغين وقرئ بفتحها ايضا وهى لغة ربيعة وقرئ بضمها ايضا وهى لغة عكلية وقرئ غشوة بكسر الغين كما قرئ بفتحها ﴿قوله تعالى أفلا تذكرون﴾ اى ايها الناس

وان كان لهما فبدل او حال من الثانى وضمير الاوّل والمعنى انكار ان يستووا بعد الممات فى الكرامة او ترك المؤاخذة كما استووا فى الرزق والصحة فى الحياة او استئناف مقرّر لتساوى محيا كل صنف ومماته فى الهدى والضلال وقرئ مماتهم بالنصب على ان محياهم ومماتهم ظرفان كمقدم الحاج (ساء ما يحكمون) ساء حكمهم هذا او بئس شيأ حكموا به ذلك (وخلق الله السموات والارض بالحق) كانه دليل على الحكم السابق من حيث ان خلق ذلك بالحق المقتضى للعدل يستدعى انتصار المظلوم من الظالم والتفاوت بين المسيء والمحسن واذا لم يكن فى المحيا كان بعد الممات (ولتجزى كل نفس بما كسبت) عطف على بالحق لانه فى معنى العلة او على علة محذوفة مثل ليدل بها على قدرته او ليعدل ولتجزى (وهم لا يظلمون) بنقص ثواب وتضعيف عقاب وتسمية ذلك ظلما ولو فعله الله لم يكن منه ظلما لانه لو فعله غيره لكان ظلما كالابتلاء (أفرأيت من اتخذ آلهه هواه) ترك متابعة الهدى الى مطاوعة الهوى فكانه يعبده وقرئ آلهة هواه لانه كان احدهم يستحسن حجرا فيعبده فاذا رأى احسن منه رفضه اليه (واضله الله) وخذله (على علم) عالما بضلاله وفساد جوهر روحه (وختم على سمعه وقلبه) فلا يبالى بالمواعظ ولا يتفكر فى الآيات (وجعل على بصره غشاوة) فلا ينظر بعين الاستبصار والاعتبار وقرأ حمزة والكسائى غشوة (فمن يهديه من بعد الله) من بعد اضلاله (أفلا تذكرون) وقرئ تتذكرون

يعقولكم ثم انه تعالى لما بين ضلالة المشركين بايثارهم متابعة الهوى على متابعة الهدى وايس رسول الله صلى الله عليه وسلم من ايمان من علم منهم انهم لايؤمنون حكى عنهم شبهتهم فى انكار القيامة وفى انكار الاله القادر اما شبهتهم فى انكار القيامة فهى قولهم ماهو آلهم التى عبدوها واطاعوها ليس مايقوله المؤمنون من الاحياء بعد الموت حقا وما الحياة الاحياتنا الدنيا التى نحن عليها واما شبهتهم فى انكار الاله الفاعل المختار فهى قولهم وما يهلكنا الا الدهر فانهم ينسبون الموت والحياة ونحوهما من الحوادث السفلية الى تأثيرات الطبائع وحركات الافلاك ويقولون لاحاجة فيها الى اثبات امر خارج عن هذا النظام المشاهد هو فاعل مختار مستند اليه الحوادث بامرها اما ابتدآء او بواسطة فهذه الطائفة جمعوا بين انكار الاله وانكار القيامة واهل الجاهلية كانوا اصنافا منهم من ينكر الصانع ويضيف الحوادث الى الدهر ومنهم من يثبت الصانع وينكر البعث والثواب والعقاب ومنهم من يشك فى البعث ولا ينكره على سبيل البت والقطع ﴿ قوله اى نكون امواتا وتحيى بعد ذلك ﴾ جواب عما يقال الحياة متقدمة على الموت عند من ينكر حياة البعث فالمناسب لهم ان يقولوا ماهى الاحياتنا الدنيا نحيى ونموت فما السبب فى تقديم ذكر الموت على الحياة ومحصل الجوابين الاولين انا سلمنا ان الاصل ان يكون الترتيب فى الذكر على وفق الترتيب فى الوجود لكن لانسلم انه قد خولف هذا الاصل فى هذه الآية وانما يلزم ذلك ان لو كان المراد بالموت مايعقب الحياة ويزيلها وليس بلازم لجواز ان يكون المراد بالموت كونهم امواتا حال كونهم نطفا وماقبلها من الاغذية وبالحياة الحالة الحاصلة بعد ذلك فى الدنيا او يكون المراد بالموت مايزيل حياتهم ويحياتهم بقاءهم فى الدنيا ببقاء اولادهم بعدهم فان بقاء اولادهم بعدهم حياة لهم مجازا ومبنى الجوابين الاخيرين منع دلالة الكلام على الترتيب فى الوجود على حسب الترتيب فى الذكر لان الواو لمطلق الجمع ومع ذلك يحتمل ان يكون المراد من تعلق به الموت غير الذى تعلق به الحياة بان يكون المعنى يموت بعضنا ويحيى بعض آخر ويحتمل ان لا يكون كذلك بان يكون المعنى يصيبنا الموت والحياة منها وليس وراء ذلك حياة وقال الامام انه تعالى قدم ذكر الحياة فقال ان هى الاحياتنا الدنيا ثم قال بعده نموت ونحيى يعنى ان تلك الحياة منها ماليطرأ عليها الموت وذلك فى حق الذين ماتوا ومنها مالم يطرأ عليها الموت بعد ذلك وهى فى حق الاحياء الذين لم يموتوا بعد ﴿ قوله ما كان حجتهم ﴾ قرأ العامة بنصب حجتهم على تقديم خبر كان على اسمها وقرئ برفعها على الاصل ﴿ قوله وانما سماه حجة ﴾ جواب عما يقال الحجة انما تطلق على الدليل القطعى وقولهم فى معرض الاحتجاج على انكار البعث ائتوا بآبائنا ان كنتم صادقين ليس بحجة بل هى شبهة ضعيفة جدا لان عدم حصول الشئ حالا لايستلزم ان يكون ممتنع الحصول مطلقا فان الحوادث كلها كانت معدومة من الازل الى اوقات حصولها وحدوثها ولو كان عدم الحصول فى وقت معين دليلا على امتناع الحصول مطلقا لكانت الحوادث كلها ممتنعة الحصول مطلقا وهو باطل بالضرورة الا انه تعالى سماه حجة بناء على حسبانهم ومساقهم فانهم يذكرون هذه الشبهة ويسوقونها فى معرض الاحتجاج بها او سماه حجة لبيان انهم لاحجة لهم البتة لان من كانت حجته هذه الشبهة الضعيفة جدا لايكون له حجة البتة فيكون الكلام على اسلوب قولهم تحية بينهم ضرب وجيع فان من ابتدئوا بالضرب الوجيع فى اول التلاقى لايكون بينهم تحية البتة فقوله تحية بينهم ضرب وجيع فى قوة ان يقال سماه حجة لدلالة على انهم لاحجة لهم على امتناع البعث البتة ﴿ قوله على مادلت عليه الحجج ﴾ وهى التى استدل بها على وجود الاله القادر العليم الحكيم فى خلق السموات والارض وحدوث الحيوانات المثبوثة فى الارض وحدوث الحوادث المتجددة كأنه جواب عما يقال قوله تعالى قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم كيف يكون جوابا لمن ينكر البعث ووجود الاله القادر على كل شئ ويقول ان هى الاحياتنا الدنيا نموت ونحيى وما يهلكنا الا الدهر فابطال كلامه بان يقال قل الله يحييكم مصادرة واثبات الشئ بنفسه وتقرير الجواب انه انما تلزم المصادرة ان لو قيل فى ابطال قول من ينكر البعث ووجود الاله لا تنكر هما فان الله يجمعكم الى يوم القيامة وليس كذلك بل يوجد كونه جوابا له بان معنى قوله قل الله يحييكم ثم يميتكم كيف تنكر البعث ووجود الاله القادر وقد ثبت وجوده بوجود الحوادث من السموات والارض والحيوان والانسان ومن قدر على الابدآء قدر على الاعادة ومن قدر على اعادة الاموات يقدر على اعادة آبائكم واتيانها فحججكم داحضة وشبهتكم ضعيفة واهية ﴿ قوله تعميم للقدرة بعد تخصيصها ﴾ فانه تعالى لما احتج بقدرته على الاحياء والاماتة على قدرته على الاعادة ثانيا وجمعهم للجزاء بين انه قادر على جميع الممكنات سواء كانت سماوية او ارضية واذا ثبت كونه قادرا على كل الممكنات

(وقالوا ماهى) ما الحياة او الحال (الاحياتنا الدنيا) التى نحن فيها (نموت ونحيى) اى نكون امواتا نطفا وما قبلها ونحيى بعد ذلك اونموت بانفسنا ونحيى ببقاء اولادنا او يموت بعضنا ويحيى بعضنا او يصيبنا الموت والحياة فيها وليس وراء ذلك حياة ويحتمل انهم ارادوا به التناسخ فانه عقيدة اكثر عبدة الاوثان (وما يهلكنا الاالدهر) الامرور الزمان وهو فى الاصل مدة بقاء العالم من دهره اذا غلبه (ومالهم بذلك من علم) يعنى نسبة الحوادث الى حركات الافلاك وما يتعلق بها على الاستقلال او انكار البعث او كليهما (ان هم الايظنون) اذلا دليل لهم عليه وانما قالوه بناء على التقليد والانكار لما لم يحسوا به (واذا تتلى عليهم آياتنا بينات) واضحات الدلالة على مايخالف معتقدهم او مبينات لهم (ما كان حجتهم) ما كان لهم متشبث يعارضونها به (الا ان قالوا ائتوا بآبائنا ان كنتم صادقين) وانما سماه حجة على حسبانهم ومساقهم او على اسلوب قولهم

* تحية بينهم ضرب وجيع *

فانه لايلزم من عدم حصول الشئ حالا امتناعه مطلقا (قل الله يحييكم ثم يميتكم) على مادلت عليه الحجج (ثم يجمعكم الى يوم القيامة لاريب فيه) فان من قدر على الابدآء قدر على الاعادة والحكمة اقتضت الجمع للجزاء على ماقرر مرارا والوعد المصدق بالآيات دل على وقوعها واذا كان كذلك امكن الاتيان بآبائهم لكن الحكمة اقتضت ان يعادوا يوم الجمع للجزاء (ولكن اكثر الناس لايعلمون) لقلة تفكرهم وقصور نظرهم على مايحسونه (ولله ملك السموات والارض) تعميم للقدرة بعد تخصيصها

قد ثبت ان حصول الحياة فى الذوات التى وجدت ابتدآء ممكن اذ لو لم يكن ممكنا لما حصلت ابتداء فقد لزم من هاتين المقدمتين كونه تعالى قادرا على الاحياء فى المرة الثانية ثم انه تعالى لما بين صحة القول بالحشر والنشر بهذين الطريقين ذكر تفاصيل احوال يوم القيامة فاولها قوله ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون اى يظهر خسران اهل الباطل لانهم لم يكونوا فى خسران قبله وانما خسروا يومئذ والخسران عبارة عن اضاعة رأس المال من غير بدل يتوب منابه ومن المعلوم ان الحياة والعقل والصحة كانها رأس المال بالنسبة الى المكلف والتصرف فيها لطلب السعادة الاخروية بمنزلة تصرف التاجر فى ماله لطلب الربح ومن صرفها ايام حياته فى الكفر والمعاصى ولم يكتسب بها ماينفعه فى الآخرة ثم انتقل الى دار الآخرة فقد ظهر له هنالك انه ضيع رأس ماله بغير شئ حيث لم يجد فى ذلك اليوم الا الخيبة والخذلان وعذاب النيران ويوم ظرف لقوله يخسر ويومئذ بدل منه وتنوين يومئذ تنوين عوض عن المضاف اليه المقدر والتقدير ويوم تقوم الساعة يوم اذ تقوم الساعة يخسر المبطلون والثانية من احوال القيامة ماذكره بقوله وترى كل امة جاثية الظاهر ان الرؤية بصرية فيكون جاثية حالا من المفعول والجثوة بالضم الشئ المجتمع واجتماع كل امة معناه عدم اختلاطهم بامة اخرى وقيل جاثية اى جالسة على الركب كما يجلس الخصماء بين يدى الحاكم ومصدره الجثو وتجلس الامة على هذه الهيئة لكونها خائفة فلا تطمئن فى جلستها يوم الحساب يقال استوفز فى قعدته اذا قعد قعودا منتصبا غير مطمئن هيبة واحتراما والجذو اشد استيفازا من الجثو لان الجاذى هو الذى يجلس على اطراف اصابعه * قال الشيخ عبدالقاهر الجرجانى فى حق تلميذه يحضر مجلسه للتعلم وقلبه متعلق بمصالحه

يجيئ من فضلة وقت له	ليس له هم خلاف الزروع
منه ترى جلسة مستوفز	قد شددت احماله بالنسوع
ماشئت من زهزهة الفتى	بمصقلاباد لسقى الزروع

النسوع جمع نسعة وهى التى تنسج عريضا للتصدير وهو الحزام الذى فى صدر البعير ويشدبها فوق الاحمال لئلا تضطرب والزهزهة التحسين معرب من قولهم عند التحسين زهزه وماابهاية ومن باثه وهو مقول قول مقدر فى موضع حال من فاعل ترى اى ترى جلسة مستوفز قائلا فى حال تعظيمى اياه زه زه وقلبه فى مصقلاباد لسقى زرعه ومصقلاباد محل بجرجان ﴿قوله وقرأ يعقوب كل﴾ اى بالنصب على البدلية من كل امة الاولى ابدال نكرة موصوفة من مثلها فان تدعى على هذه القرآءة فى موضع النصب على انه صفة لكل أو حال منه او مفعول ثان لترى على ان الرؤية قلبية فتكون جاثية ايضا كذلك والعامة على الرفع بالابتدآء وتدعى خبرها ﴿قوله اضاف صحائف اعمالهم الى نفسه﴾ مع انها اضيفت الى الامة فيما قبل حيث قيل الى كتابها وحاصل الجواب انه لامنافاة بين الاضافتين لانه كتابهم من حيث اشتماله على تفصيل اعمالهم وكتاب الله تعالى من حيث انه مكتوب بامره وقوله تعالى هذا مبتدأ وكتابنا خبره اى يقال لهم هذا كتابنا وينطق اما خبر بعد خبر او هو الخبر وكتابنا بدل من هذا او عطف بيان له ويجوز ان يكون ينطق حالا من كتابنا والعامل ما فى هذا من معنى الفعل ﴿قوله نستكتب الملائكة اعمالكم﴾ اى نأمرهم بكتبها واثباتها عليكم والنسخ فى الاصل هو النقل من اصل ويستعمل فى الكتب ابتدآء وقيل نستنسخ هذا الكتاب من اللوح المحفوظ لما روى عن ابن عباس انه قال ألستم قوما عربا هل يكون النسخ الامن كتاب وفى الخبران الملائكة اذا كتبوا اعمال العباد وصعدوا بها الى السماء امروا ان يعرضوها على اللوح المحفوظ فيوجد كذلك فالمعنى على هذا ان الملائكة كانوا يكتبون عليكم بامرنا من كتاب عندنا كتب قبل خلقكم وعملكم فلن يخفى علينا شئ ثم انه تعالى لما بين احوال القيامة من ان كل امة تدعى الى كتابها بين احوال كل واحد من المطيعين والعاصين فقال فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم فى رحمته واحتجت المعتزلة بهذه الآية على حرمان الفاسق من الجنة لانه تعالى علق الدخول فى رحمته على اتيان مجموع الايمان والعمل الصالح والمعلق على مجموع امرين يكون عدما عند عدم احدهما فعند عدم الاعمال الصالحة وجب ان لايحصل الفوز بالجنة والجواب ان تعليق الحكم على الوصف لايدل على عدم الحكم عند عدم الوصف ﴿قوله اى فيقال لهم ألم تأتكم رسلى﴾ اشارة الى ان جواب اما محذوف وهو قوله فيقال هذا القول وان المعطوف عليه بالفاء جملة مقدرة بين الهمزة والفاء واستغناء من قبيل اللف والنشر المرتب ﴿قوله عادتهم الاجرام﴾ اى من حيث

(ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون) اى يخسر يوم تقوم ويومئذ بدل منه (وترى كل امة جاثية) مجتمعة من الجثوة وهى الجماعة او باركة مستوفزة على الركب وقرئ جاذية اى جالسة على اطراف الاصابع لاستيفازهم (كل امة تدعى الى كتابها) صحيفة اعمالها وقرأ يعقوب كل على انه بدل من الاول وتدعى صفة او مفعول ثان (اليوم تجزون ما كنتم تعملون) محمول على القول (هذا كتابنا) اضاف صحائف اعمالهم الى نفسه لانه امر الكتبة ان يكتبوا فيها اعمالهم (ينطق عليكم بالحق) يشهد عليكم بما عملتم بلا زيادة ونقصان (انا كنا نستنسخ) نستكتب الملائكة (ما كنتم تعملون) اعمالكم (فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم فى رحمته) التى من جملتها الجنة (ذلك هو الفوز المبين) الظاهر لخلوصه عن الشوائب (واما الذين كفروا أفلم تكن آياتى تتلى عليكم) اى فيقال لهم ألم تأتكم رسلى فلم تكن آياتى تتلى عليكم فحذف القول والمعطوف عليه اكتفاء بالمقصود واستغناء بالقرينة (فاستكبرتم) عن الايمان بها (وكنتم قوما مجرمين) عادتهم الاجرام

انهم مع استكبارهم عن الايمان بالآيات ماكانوا عدولا فى اديان انفسهم بل كانوا فساقا فى ذلك الدين ايضا وهذا المعنى مستفاد من لفظ كنتم وبه يحسن وصف الكافر بكونه مجرما فى معرض الطعن فيه والذم له ﴿قوله تعالى واذا قيل ان وعد الله حق الآية﴾ داخل فى حكم الاستفهام المذكور عطفا على استكبرتم اى اولم يكن الشان انه اذا قيل لكم ان وعد الله بالبعث والجزآء والعقاب حق والساعة لاريب فيها وكل واحد من الوعد والموعود حق الاول انه كائن نفسه والثانى بمعنى ان متعلقه كائن لامحالة قلتم ﴿قوله وقرأ حمزة بالنصب﴾ اى والباقون برفعها على انها مبتدأ والجملة المنفية بعدها خبرها او على انها معطوفة على اسم ان لانه قبل دخول ان مرفوع بالابتدآء او على محل ان واسمها معا على رأى من يقول كلمة ان مع اسمها لهاموضع وهو الرفع بالابتدآء وما الاولى فى قوله ماندرى ما الساعة نافية والثانية استفهامية فى موضع الرفع على ان الساعة مبتدأ وهى خبرها والجملة فى موضع النصب بقوله ماندرى ﴿قوله اصله نظن ظنا الخ﴾ اشارة الى ان هذه الآية لابد فيها من تأويل لان المصدر الذى يكون للتأكيد لايجوز ان يكون مستثنى مفرغا فلا يقال ماضربت الاضربا لعدم الفائدة فيه لكونه بمنزلة ان يقال ماضربت الاضربت فانه قد تقرر فى النحو انه يجوز تفريغ العامل لمابعده من جميع معمولاته مرفوعا كان او غير مرفوع الا المفعول المطلق فانه لايفرغ له عامله فلا يقال ماضننت الا ظنا لانه لافائدة فيه لكونه بمنزلة تكرير الفعل وهو لايجوز لاتحاد مورد النفى والاستثناء وهو الظن والحصر انما يتصور حيث تغاير موردهما فالمصنف ذكر فى تأويل الآية وجهين تقرير الاول ان مورد النفى محذوف وهو كون المتكلم على فعل من الافعال ومورد الاستثناء كونه يظن ظنا كأنه قيل مانحن نفعل فعلا الا نظن ظنا فكلمة الا وان كانت متأخرة لفظا فهى متقدمة فى التقدير فمدلول الحصر اثبات الظن لانفسهم ونفى ماعداه ومن جملة ماعداه اليقين الذى هو الاعتقاد الجازم والمقصود نفى اليقين لكنه نفى ماعدا الظن مطلقا للمبالغة فى نفى اليقين ولذلك اكد بقوله ومانحن بمستيقنين وتقرير الوجه الثانى وهو ماذكره بقوله او لنفى ظنهم فيما سوى ذلك عطفا على قوله لاثبات الظن ونفى ماعداه ان متعلق الظن فى الموضعين مقدر الا ان متعلق الاول عام ومتعلق الثانى خاص كأنه قيل مالناظن فى شئ من المدركات الا ظنا فى هذا المدرك خاصة فاختلف مورد النفى والاستثناء باختلاف متعلق الظن فى الموضعين وفيه مبالغة لاتخفى وقال السكاكى التنكير فى قوله الاظنا للتحقير والمعنى لانظن بالساعة شيأ من الظن الا ظنا ضعيفا لا اعتداد به فالنفى بجميع مراتب الظن والثابت اضعف مراتبه فاختلف مورد النفى والاستثناء بهذا الوجه ﴿قوله ولعل ذلك قول بعضهم﴾ جواب عما يقال ما وجه التوفيق بين قولهم ان هى الاحياتنا الدنيا نموت ونحيى وبين قولهم ان نظن الا ظنا ومانحن بمستيقنين فان الاول يدل على انهم قاطعون بنفى البعث والثانى يدل على انهم شاكون فى امكانه وفى وقوعه وتقرير الجواب ان القوم لعلهم كانوا فرقتين فى امر البعث والقيامة فرقة منهم كانت جازمة بنفيها وهم المذكورون فى قوله تعالى ان هى الا حياتنا الدنيا وفرقة منهم كانت تشك وتتحير فيه من حيث انهم لكثرة ماسمعوه من الرسول صلى الله عليه وسلم من دلائل صحته ووقوعه صاروا شاكين فيه وهم المذكورون فى هذه الآية حتى الله تعالى اولا قول من قطع بنفيه ثم اتبعه بحكاية قول الشاكين ﴿قوله على ما كانت عليه﴾ حال من سيئات ما عملوا على ان المراد منها اعمالهم السيئة ومن ظهورها ظهورها من حيث انها سيئات وقبائح وان كانت فى الدنيا مصورة بصورة مستحسنة مشتهاة تميل اليها الطباع والنفوس ﴿قوله بان عرفوا قبحها﴾ متعلق بقوله وبدالهم ﴿قوله او جزآؤها﴾ اى ويحتمل ان يراد بسيئات اعمالهم جزآء الاعمال السيئة وتكون تسمية الجزآء سيئة من قبيل تسمية المسبب باسم سببه والا فالجزآء عدل فكيف يكون سيئة ﴿قوله نترككم فى العذاب ترك ماينسى﴾ اشارة الى انه من قبيل ذكر السبب وارادة المسبب لان من نسى شيأ تركه ويحتمل ان يكون الكلام من قبيل الاستعارة التمثيلية ﴿قوله تعالى ذلكم﴾ اشارة الى الامور الثلاثة التى جمعها الله تعالى عليهم من وجوه العذاب بقوله وقيل اليوم ننساكم ومأواكم النار ومالكم من ناصرين كأنه قيل انما صرتم مستحقين لهذه الوجوه الثلاثة من العذاب لانكم أتيتم بثلاثة انواع من الافعال القبيحة الاصرار على انكار الدين الحق والاستهزآء والسخرية والانهماك والاشتغال بلذات الدنيا اشار الى الاولين بقوله اتخذتم آيات الله هزؤا والى الثالث بقوله وغرتكم الحياة الدنيا ﴿قوله اى يرضوه﴾ بان يرجعوا عن معصية ربهم الى طاعته بالتوبة عما سلف وباصلاح الحال فيما بقى لان ذلك اليوم لايقبل فيه عذر ولاتوبة والاستعتاب طلب الاعتاب وهو الارضاء وازالة العتب

(واذا قيل ان وعد الله) يحتمل الموعود والمصدر (حق) كائن هو او متعلقه لامحالة (والساعة لاريب فيها) افراد للمقصود وقرأ حمزة بالنصب عطفا على اسم ان (قلتم ماندرى ما الساعة) اى شئ الساعة استغرابا لها (ان نظن الا ظنا) اصله نظن ظنا فادخل حرفا النفى والاستثناء لاثبات الظن ونفى ماعداه كأنه قال مانحن الا نظن ظنا او لنفى ظنهم فيما سوى ذلك مبالغة ثم اكده بقوله (ومانحن بمستيقنين) اى لامكانه ولعل ذلك قول بعضهم تحيروا بين ماسمعوا من آبائهم وماتليت عليهم من الآيات فى امر الساعة (وبدالهم) ظهر لهم (سيئات ما عملوا) على ما كانت عليه بان عرفوا قبحها وعاينوا وخامة عاقبتها او جزآؤها (وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن) وهو الجزآء (وقيل اليوم ننساكم) نترككم فى العذاب ترك ماينسى (كما نسيتم لقاء يومكم هذا) كما تركتم عدته ولم تبالوا به واضافة اللقاء الى اليوم اضافة المصدر الى ظرفه (ومأواكم النار ومالكم من ناصرين) يخلصونكم منها (ذلكم بانكم اتخذتم آيات الله هزؤا) استهزأتم بها ولم تتفكروا فيها (وغرتكم الحياة الدنيا) فحسبتم ان لاحياة سواها (فاليوم لايخرجون منها) وقرأ حمزة والكسائى بفتح الياء وضم الرآء (ولاهم يستعتبون) لايطلب منهم ان يعتبوا ربهم اى يرضوه لفوات اوانه

﴿ قوله تعالى فلله الحمد الآية ﴾ خبر في معنى الامر اي اذا ثبت وتبين في هذه السورة الكريمة ان تنزيلها تنزيل الكتاب الكامل من الله العزيز الحكيم وثبت فيها ايضا مايدل على وحدانيته وكمال قدرته وعلمه وحكمته وثواب من اطاعه فيما امر به ونهى عنه وعقاب من خالفه وعصاه ثبت انه يجب تحميده والثناء عليه وتكبيره وتعظيمه وطاعته في كل ما كلف به فاحمدوه وهو ربكم ورب كل شئ من السموات والارض والعالمين جميعا فان مثل هذه الربوبية العامة توجب الحمد والثناء على كل مربوب وكبروه فقد ظهرت آثار كبريائه وعظمته في السموات والارض وحق لمثله ان يكبر ويعظم فاصل الكلام فلله احمدوا فعدل الى هذه الصيغة للدلالة على طلب دوام تخصيص الحمد به تعالى لانه رب كل شئ فيجب على كل مربوب تخصيص الحمد به دآئما وكذا قوله وله الكبرياء اصله والله كبروا فعدل اليه لما ذكرنا قرأ العامة بجر لفظ رب في المواضع الثلاثة تبعا الجلالة بيانا او بدلا او نعتا للاشارة الى علة اختصاص الحمد به تعالى وقرئ برفع الثلاثة على المدح باضمار هو ﴿ قوله وهو العزيز الحكيم ﴾ يفيد الحصر يعني ان العزيز الذي لايغلب والحكيم فيما قدر وقضى ليس الا هو فعليكم طاعته والحذر من مخالفته والمواظبة على تخصيص التحميد والتكبير به تعالى شأنه * تم ما يتعلق بسورة الجاثية والحمد لله وحده والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وصحبه اجمعين آمين آمين

﴿ سورة الاحقاف آياتها ثلاثون وخمس آيات مكية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ قوله الا خلقا ملتبسا بالحق ﴾ يعني ان قوله تعالى بالحق متعلق بمحذوف هو صفة لمصدر محذوف اي خلقا ملتبسا بالحكمة والصواب ويجوز ان يتعلق بخلقنا اي ما خلقنا هذه المذكورات الا بسبب اقامة الحق بين الخلق ﴿ قوله وبتقدير اجل مسمى ﴾ قدر المضاف لان خلق ماذكر ليس خلقا ملتبسا بالاجل المسمى بل بتقديره فانه تعالى ما خلق هذا العالم ليبقى مخلدا مسرمدا بل انما خلقه ليكون دارا للعمل ثم يفنيه وينشئ دار الاخرى لتكون دار الجزاء فعلى هذا الاجل المسمى هذا الوقت الذي عينه الله تعالى لافناء الدنيا وهو آخر مدة بقاء هذا العالم والاجل في اللغة مدة الشئ والمراد به ههنا اما آخر مدة بقاء العالم ومنتهاها او آخر مدة بقاء كل احد وكلمة ما في قوله تعالى عما انذروا يجوز ان تكون موصولة اي عن الذي انذروه من هول ذلك الوقت وان تكون مصدرية اي عن انذارهم ذلك اليوم وعن متعلقة بالاعراض ثم انه تعالى لما ذكر ما يدل على وجود الاله العزيز الحكيم العدل رتب عليه الرد على عبدة الاصنام فقال قل ارأيتم ما تدعون من دون الله ﴿ قوله اي اخبروني عن حال آلهتكم بعد تأمل فيها ﴾ اشارة الى ان النكتة في التعبير عن الاخبار الذي هو السبب عن الرؤية هي الحث على النظر والتأمل ثم طلب الاخبار بعده وقوله تعالى أروني بعد قوله ارأيتم يحتمل ان يكون تأكيدا له لانهما بمعنى اخبروني وعلى هذا يكون المفعول الثاني لارأيتم هو قوله ماذا خلقوا ومفعول الاول هو قوله ما تدعون ويحتمل ان لايكون مؤكدا له وعلى هذا تكون المسألة من باب التنازع لان ارأيتم يطلب ثانيا وأروني كذلك وقوله ماذا خلقوا هو المتنازع فيه واعمل فيه الثاني وحذف مفعول الاول وقوله من الارض بيان للابهام الذي هو في قوله ماذا خلقوا وام في قوله تعالى ام لهم شرك منقطعة اضرب عن الاستفهام الاول الى الاستفهام عن ان لهم مشاركة مع الله في ملك السموات وخلقها فان الشرك بمعنى المشاركة والمعنى ان العبادة عبارة عن الاتيان باكمل وجوه التعظيم فلا تليق الا بمن صدر عنه اكمل وجوه الانعام وهو من تفرد بخلق الكائنات وترزيقها والتدبير فيها على اصلح الوجوه ومن لا يقدر على شئ من اجزاء هذا العالم كيف يجوز اشراكه بالله العزيز الحكيم فانه لايجوز ان يشرك به في العبادة الا من يشاركه فيما استحق به العبادة وهو خلق الكائنات وتدبير امرها ﴿ قوله وتخصيص الشرك بالسموات ﴾ يعني ان الظاهر في الاحتجاج على المشركين ان يقال اخبروني ان الذين تعبدون من دون الله هل يعقل ان يضاف اليهم خلق جزء من اجزاء هذا العالم بالاستقلال فان لم يصح ذلك فهل يجوز ان يقال انهم اعانوا خالق العالم في خلق جزء من اجزاء العالم اي جزء كان في السموات والارض فان لم يصح ذلك ايضا صح ان الخالق الحقيق لهذا العالم هو الله تعالى وانه هو المنعم بجميع اقسام النعم فيجب ان يخص العبادة به تعالى فكيف يصح ان يشرك به غيره في استحقاق العبادة لكنه عدل عن ان يقال هكذا الى ما عليه نظم التنزيل لانه لو قيل ماذا خلقوا من اجزاء هذا العالم بالاستقلال ام لهم شرك في خلق جزء من اجزائه لاحتمل ان يقولوا فشرك ما نعبده وان لم يكن خالق شئ من اجزاء هذا العالم بالاستقلال

(فلله الحمد رب السموات ورب الارض رب العالمين) اذ الكل نعمة منه ودال على كمال قدرته (وله الكبرياء في السموات والارض) اذ ظهر فيها آثارها (وهو العزيز) الذي لايغلب (الحكيم) فيما قدر وقضى فاحمدوه وكبروه واطيعوا له عن النبي عليه السلام من قرأ حم الجاثية ستر الله عورته وسكن روعته يوم الحساب

﴿ سورة الاحقاف مكية وهي اربع او خمس وثلاثون آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق) الا خلقا ملتبسا بالحق وهو ما تقتضيه الحكمة والمعدلة وفيه دلالة على وجود الصانع الحكيم والبعث للمجازاة على ما قررناه مرارا (واجل مسمى) وبتقدير اجل مسمى ينتهي اليه الكل وهو يوم القيامة او كل واحد وهو آخر مدة بقائه المقدر له (والذين كفروا عما انذروا) من هول ذلك الوقت ويجوز ان تكون ما مصدرية (معرضون) لايتفكرون فيه ولا يستعدون لحلوله (قل ارأيتم ما تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الارض ام لهم شرك في السموات) اي اخبروني عن حال آلهتكم بعد تأمل فيها هل يعقل ان يكون لها مدخل في انفسها في خلق شئ من اجزاء العالم فتستحق به العبادة وتخصيص الشرك بالسموات احتراز عما يتوهم ان للوسائط شركة في ايجاد الحوادث السفلية

الا ان له شركة و مدخلا فى ايجاد الحوادث السفلية من حيث انه تعالى جعله واسطة فى ايجاد تلك الحوادث وجعلها منوطة بتأثيره فلا يتم الاحتجاج عليهم حينئذ ﴿ قوله تعالى من قبل هذا ﴾ صفة لكتاب اى بكتاب كائن من قبل هذا الكتاب اذ لا يمكنكم الاحتجاج بالقرآن لانه ناطق بالتوحيد وبطلان عبادة غير الله تعالى يعنى ان جميع الكتب المنزلة تشهد بما انتم عليه من الشرك وتخصيص الاحتجاج عليهم اخبرونى عن دليل عقلى او ائتونى بدليل نقلى اما كتاب منزل او اثر او سنة من آثار الاولين واخبارهم و الاثارة البقية من قولهم سمنت الناقة على اثارة من شحم اى على بقية شحم كانت بها من الشحم الاول وهى مصدر على وزن فعالة كالغواية و الضلالة و قوله او بقية من علم صفة لاثارة اى بقية كائنة من علم بقيت عليكم من علوم الاولين ﴿ قوله وقرئ اثارة بالكسر ﴾ مثل الامة فى انه افعال من ثار الغبار يثور ثورا و ثورانا اى سطع واثار غيره اثارة و اطلاق لفظ الاثارة على المناظرة من قبيل اطلاق اسم المسبب على السبب لان المناظرة سبب لاثارة المعانى اى ان لم تأتونى بكتاب يشهد بصحة الشرك فأتونى بمناظرة تثير المعانى تشهد بصحة ما انتم عليه ﴿ قوله واثرة ﴾ هى بفتح الهمزة و الثاء اسم من الاستئثار يقال استأثر فلان بالشئ اى استبد به وتفرد يعنى او اثرة من علم او ائتونى بشئ اوثرتم به وخصصتم من علم لا احاطة لغيركم به والاثرة بفتح الهمزة وسكون الثاء بناء مرة من اثر الحديث ورواية كانه قيل او ائتونى بخبر واحد ورواية شاذة رويت عن او حى اليهم من الانبياء المتقدمين فانى قد قنعت فى الاحتجاج لكم بهذا القدر على قلته وعدم شهرته وشيوعه و الاثرة بكسر الهمزة بمعنى الاثرة بفتحتين وبضم الهمزة اسم للحديث المأثور اى المروى كالخطبة اسم لما يخطب به ﴿ قوله انكار ان يكون احد اضل من المشركين ﴾ وذلك لان من فى قوله تعالى و من اضل استفهامية بمعنى النفى و الانكار وهو فى موضع الرفع بالابتداء و اضل خبره ومن فى قوله من لا يستجيب له يجوز ان تكون موصولة وان تكون نكرة موصوفة وعلى التقديرين هى فى موضع النصب على انها مفعول يدعو اى يدعو من اذا دعى لا يسمع و لا يجيب لا فى الحال ولا فى المآل الى يوم القيامة وانما جعل ذلك غاية مع ان عدم استجابتهم امر مستمر فى الدنيا و الآخرة اشعارا بان معاملتهم مع العابدين بعد قيام الساعة اشد و افظع مما وقعت فى الدنيا اذ تتجدد هناك العداوة و التبرى نحو قوله تعالى و ان عليك لعنتى الى يوم الدين فانه للاشعار بانه اذا جاء ذلك اليوم لقيت ما تنسى معه اللعن ﴿ قوله لانهم اما جمادات ﴾ اى لا تسمع ابدا ان كان المراد بمن لا يستجيب الاصنام ﴿ قوله و اما عباد مسخرون ﴾ على تقدير ان يكون المراد به الملائكة او عيسى عليه الصلاة و السلام ﴿ قوله يضرونهم ﴾ لانهم سبب عذابهم لكونهم اما حصب جهنم مقرونون بهم فى العذاب واما منكرون لعبادتهم بقولهم ما كانوا ايانا يعبدون فلبسوا فى الدارين من عبادتهم و دعائهم الا على نكر و مضرة و كلمة من و هم و جمع العقلاء للتغليب ان كان المراد كل معبود سوى الله تعالى و لاسناد ما يسند الى العقلاء اليهم من الاستجابة و الغفلة ان كان المراد الاوثان و يكون وصفها بترك الاستجابة على طريق التهكم بها و بعبدتها ﴿ قوله مكذبين بلسان الحال او المقال ﴾ الاول على تقدير ان يكون المراد به العباد المسخرين و قيل الاصنام ايضا تعادى عابديهم بلسان المقال بناء على انه تعالى يحييها يوم القيامة فتبرأ من عبادتهم قائلة نحن متبرئون منكم ابدا ما امرناكم بعبادتنا و لا رضينا بها و انما فعلتم ذلك اتباعا لهواكم و لن سؤل لكم ذلك ما كنتم ايانا تعبدون و كذلك الجن و الشياطين اذا اجتمعوا فى النار مع الغاوين يكفر بعضهم بعضا و يلعن بعضهم بعضا ﴿ قوله و قيل الضمير للعابدين ﴾ عطف على المفهوم مما سبق و هو ان يكون ضمير كانوا للمعبودين اى و قيل معنى الآية اذا حشر الناس و جمعوا يوم القيامة كان من يعبد غير الله اعداء لمعبوديهم لما اصابهم من العقوبة بسبب عبادتهم غير الله و لم يرض المصنف بهذا القول اذ لا وجه له سواء اريد بمن لا يستجيب الاصنام او العباد المكرمون او ما يعم الجميع اذ لا وجه لان يعادى العبدة الجمادات او العباد المكرمين و ان كان مراد القائل ان ضمير كانوا الاولى للمعبودين و ضمير الثانية للعابدين كما هو المفهوم من تقرير المصنف كان وجه عدم رضائه به لزوم تفكيك الضمير ﴿ قوله اضراب ﴾ يعنى ان كلمة ام منقطعة بمعنى بل و الهمزة و معنى بل الاضراب عما ذكر سابقا و معنى الهمزة الانكار و التعجب كانه قيل دع هذا و اسمع قولهم المتناقض العجيب و هو انهم بتسميتهم اياه سحرا اعترفوا بانه كلام لا يقدر احد على مثله بمادة تم انهم وصفوه عليه الصلاة و السلام بانه تقوّله من عند نفسه ثم قال انه كلام الله تعالى افتراء عليه و لو كان الامر كذلك لكانت قدرته عليه دون امة العرب معجزة له لكونه خارقا للعادة فكان ذلك تصديقا له عليه الصلاة و السلام من الله تعالى فلا يكون مفتريا لان الحكيم لا يصدق الكاذب ثم انه

(ائتونى بكتاب من قبل هذا) من قبل هذا الكتاب يعنى القرآن فانه ناطق بالتوحيد (او أثارة من علم) او بقية من علم بقيت عليكم من علوم الاولين هل فيها ما يدل على استحقاقهم للعبادة او الامر به (ان كنتم صادقين) فى دعواكم وهو الزام بعدم ما يدل على الوهيتهم بوجه ما نقلا بعد الزامهم بعدم ما يقتضيها عقلا وقرئ اثارة بالكسر اى مناظرة فان المناظرة تثير المعانى وأثرة اى شئ اوثرتم به وأثرة بالحركات الثلاث فى الهمزة وسكون الثاء فالمفتوحة للمرة من مصدر أثر الحديث اذا رواه و المكسورة بمعنى الاثرة و المضمومة اسم ما يؤثر (ومن اضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له) انكار ان يكون احد أضل من المشركين حيث تركوا عبادة السميع المجيب القادر الخبير الى عبادة من لا يستجيب لهم لو سمع دعاءهم فضلا ان يعلم سرائرهم ويراعى مصالحهم (الى يوم القيامة) ما دامت الدنيا (وهم عن دعائهم غافلون) لانهم اما جمادات واما عباد مسخرون مشتغلون باحوالهم (واذا حشر الناس كانوا لهم اعداء) يضرونهم ولا ينفعونهم (وكانوا بعبادتهم كافرين) مكذبين بلسان الحال او المقال وقيل الضمير للعابدين وهو كقوله والله ربنا ما كنا مشركين (واذا تتلى عليهم آياتنا بينات) واضحات او مبينات (قال الذين كفروا للحق) لاجله وفى شأنه والمراد به الآيات ووضعه موضع ضميرها ووضع الذين كفروا موضع ضمير المتلو عليهم للتسجيل عليها بالحق وعليهم بالكفر والانهماك فى الضلالة (لما جاءهم) حين ما جاءهم من غير نظر وتأمل (هذا سحر مبين) ظاهر بطلانه (ام يقولون افتراه) اضراب عن ذكر تسميتهم اياه سحرا الى ذكر ما هو اشنع منه وانكاره وتعجيب

(تعالى)

تعالى بين بطلان شبهتهم فقال قل ان افتريته الضمير فيه للحق وجواب الشرط محذوف تقدير الكلام ان افتريته على سبيل الفرض عاجلنى الله تعالى بعقوبة الافتراء عليه حذف لدلالة قوله فلا تملكون لى من الله شيأ ومعناه لاتقدرون على دفع عقابه عنى ان افتريت عليه فكيف افترى على الله من اجلكم وانتم لاتقدرون على دفع عقابه عنى ان افتريت ﴿ قوله تندفعون فيه ﴾ الاندفاع الخوض والشروع بالسرعة وكذا الافاضة يقال اندفع الفرس اى اسرع فى مشيه ﴿ قوله بدعا منهم ﴾ يعنى ان البدع صفة بمعنى البديع كالخف بمعنى الخفيف والبديع من كل شئ المبتدع الذى لا سبق له والمخترع لا على مثال سبق ويجيئ بمعنى المبدع ايضا كما فى قوله بديع السموات والارض لما حكى الله عنهم انهم طعنوا فى الآيات المتلوة عليهم وقالوا فى شأنها هذا سحر مبين وقالوا فى شأن من تلاها عليهم انه اختلقها من عند نفسه ونسبها اليه تعالى بانها كلامه افتراء عليه وانه كاذب فى دعوى الرسالة وكانت لهم مقالات اخر باطلة مثل قولهم أبعث الله بشرا رسولا وقولهم مالهذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الاسواق وقولهم اجعل الآلهة الها واحدا ان هذا لشئ عجاب وانهم كانوا يقترحون عليه الآيات العظيمة ويسألونه عما لم يوح به اليه من الغيوب امره الله تعالى ان يقول لهم ما كنت بدعا من الرسل اى لست باول مرسل ارسل الى البشر فانه تعالى قد بعث قبلى كثيرا من الرسل وكان كل واحد منهم بشرا يأكل ويشرب ويمشى فى الاسواق وكانوا يدعون الى التوحيد وينهون عن الشرك وعبادة الاصنام وانهم لم يكونوا يأتون من الخوارق والمعجزات الا ما آتاهم الله من آياته ولا يخبرون بكل ما يسألون عنه من المغيبات وانما يخبرون بما اوحى اليهم منها وانا واحد منهم فكيف تنكرون منى ان ادعى الرسالة مع انى بشر متصف بلوازم البشرية وانا ادعو كم الى التوحيد وانهاكم عن الشرك وانا لا اقدر على ما لم يقدروا عليه من الاتيان بالمقترحات كلها فان هذه الاشياء لا تقدح فى نبوتى كما لم تكن قادحة فى نبوتهم ﴿ قوله وقرئ بفتح الدال ﴾ اما على انها صفة كالبدع بسكون الدال فان الصفة قد تجيئ على وزن فعل كقيم وزيم يقال دين قيم اى ثابت مقرر او مستقيم وزيم * روى الجوهرى عن الاصمعى انه قال اللحم الزيم المتفرق ليس بمجتمع فى مكان واما على انه جمع بدعة مقدر بمضاف اى ذا بدع والبدعة الامر المخترع الذى لم يكن موجودا قبل ﴿ قوله وما ادرى ما يفعل بى ولا بكم فى الدارين على التفصيل ﴾ اختلف فى ان المراد بما نفى عنه علمه مما يفعل به وبهم من احوال الدنيا ام من احوال الآخرة والمصنف حمله على ما هو اعم من احوال الدنيا والآخرة لعموم اللفظ وعدم المخصص * ولما ورد ان يقال كيف يصح منه عليه الصلاة والسلام ان يقول ما ادرى ما يفعل بى ولا بكم فى الدارين مع انه عليه الصلاة والسلام يعلم انه نبى معصوم من الكبائر والزلات المهلكة وانه قدوة السعداء وارفعهم منزلة فى الدنيا والآخرة وان المؤمنين هم المنصورون وان جند الله هم الغالبون وان حزب الله هم المفلحون وان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون وان مصيرهم الى النعيم المقيم ومصير الكفار الى الجحيم * اشار الى جوابه بقوله على التفصيل يعنى ان المنفى هو درايته خصوصيات ما يفعل به وبهم فى الدارين على التفصيل وذلك لا ينافى كونه عالما بما يفعل به وبهم فى الدارين على الاجمال ﴿ قوله ولا لتأكيد النفى المشتمل على ما يفعل بى ﴾ جواب عما يقال من ان قوله بكم فى قوله ولا بكم معطوف على بى وهو فى حيز الاثبات لان العامل فيه يفعل وهو مثبت فلم يكن ما عطف عليه من مواضع زيادة لا فكان القياس ان يقال ما يفعل بى وبكم * وتقرير الجواب ان ما يفعل وان كان مثبتا فى نفسه الا ان النفى المذكور فى قوله ما ادرى مسلط على ما فى قوله ما يفعل لانه مفعول الفعل المنفى فيكون مسلطا على ما فى حيزها وهو الصلة فيكون يفعل منفيا بهذا الاعتبار فصح زيادة لا على ما هو معطوف على معموله ﴿ قوله وما اما موصولة ﴾ يريد بها ما التى فى قوله ما يفعل بى لان ما التى فى قوله وما ادرى نافية لاغير واما الثانية ان كانت موصولة تكون منصوبة بقوله ادرى اى لا اعرف الذى يفعله الله بى وان كانت استفهامية تكون مرفوعة بالابتداء ويفعل بى خبره والجملة سادة مسد مفعولى ادرى وقد علق عن العمل بالاستفهام والمعنى ما ادرى اى شئ يفعل بى وقرأ العامة يفعل على بناء المفعول وقرئ مبنيا للفاعل ايضا وهو الله تعالى ﴿ قوله او استعجال المسلمين ﴾ مجرور معطوف على اقتراحهم روى انه لما اشتد البلاء باصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة رأى فى المنام انه يهاجر الى ارض ذات نخل وشجر فاخبر به اصحابه فاستبشروا بذلك ورأوا ان ذلك فرج ماهم فيه من اذى المشركين ثم انهم مكثوا برهة من الدهر لا يرون اثر ذلك فقالوا يا رسول الله ما رأينا الذى قلت متى نهاجر الى الارض التى رأيتها فى المنام فسكت النبى صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى قل ما كنت

(قل ان افتريته) على الفرض (فلا تملكون لى من الله شيأ) اى ان عاجلنى الله بالعقوبة فلا تقدرون على دفع شئ منها فكيف اجترئ عليه واعرض نفسى للعقاب من غير توقع نفع ولا دفع ضر من قبلكم (هو اعلم بما تفيضون فيه) تندفعون فيه من القدح فى آياته (كفى به شهيدا بينى وبينكم) يشهد لى بالصدق والبلاغ وعليكم بالكذب والانكار وهو وعيد بجزاء افاضتهم (وهو الغفور الرحيم) وعد بالمغفرة والرحمة لمن تاب وآمن واشعار بحلم الله عنهم مع عظم جرمهم (قل ما كنت بدعا من الرسل) بديعا منهم ادعوكم الى ما لا يدعون اليه او اقدر على ما لم يقدروا عليه وهو الاتيان بالمقترحات كلها ونظيره الخف بمعنى الخفيف وقرئ بفتح الدال على انه كقيم او مقدر بمضاف اى ذا بدع (وما ادرى ما يفعل بى ولا بكم) فى الدارين على التفصيل اذ لا علم لى بالغيب ولا لتأكيد النفى المشتمل على ما يفعل بى وما اما موصولة منصوبة او استفهامية مرفوعة وقرئ يفعل اى يفعل الله (ان اتبع الا ما يوحى الى) لا اتجاوزه وهو جواب عن اقتراحهم الاخبار عما لم يوح اليه من الغيوب او استعجال المسلمين ان يتخلصوا من اذى المشركين (وما انا الا نذير) عن عقاب الله (مبين) بين الانذار بالشواهد المبينة والمعجزات المصدقة

بدعا من الرسل وما ادري ما يفعل بي ولا بكم وهو شئ رأيته في المنام و ان الا اتبع الا ما يوحى الى فقال" ثم انه تعالى لما حكى عنهم انهم قالوا في حق القرآن هذا سحر مبين قال له عليه الصلاة والسلام قل ارأيتم ان كان من عند الله وكفرتم به اى ألستم ظالمين فحذف لدلالة قوله ان الله لا يهدى القوم الظالمين عليه ﴿ قوله وقد كفرتم به ﴾ اشارة الى ان الواو في قوله تعالى وكفرتم به حالية وقد معها مقدرة ثم جوز كونها عاطفة تعطف قوله كفرتم على فعل الشرط قبل وكذا الواو في قوله تعالى وشهد شاهد فانها ايضا عاطفة تعطف مدخولها على ما عطف عليه وهو قوله فآمن واستكبرتم اى تعطف جملة قوله شهد شاهد من بنى اسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم على جملة قوله ان كان من عند الله وكفرتم به والمعنى ان اجتمع كون القرآن من عند الله مع كفركم به واجتمع شهادة اعلم بنى اسرائيل على نزول مثله وايمانه به مع استكباركم عنه وعن الايمان به ألستم اضل الناس واظلمهم وكيفية شهادته على نزول مثله ان يقول ان مثله قد نزل على موسى عليه الصلاة والسلام فلا تنكروا نزوله على رجل مثله في كونه مصدقا بالمعجزات القاهرة فان التوراة مثل القرآن من حيث الدلالة على اصول الشرع كالتوحيد والبعث والحساب والثواب والعقاب ونحو ذلك وان اختلفا في بعض الفروع والاحكام وقيل المثل في قوله تعالى على مثله صلة والمعنى وشهد شاهد عليه اى على انه من عند الله والفاء في قوله فآمن للدلالة على ان ايمانه مسبب عن الشهادة على نزول مثله فانه لما علم ان مثله قد انزل على نبي قبله وانه من جنس الوحي لا من كلام البشر وشهد عليه واعترف به كان الايمان نتيجة ذلك فآمن عقب تلك الشهادة بلا مهلة وجعل مجموع قوله وشهد شاهد الآية معطوفا على مجموع قوله ان كان من عند الله وكفرتم به لانه لو جعل وشهد معطوفا على كفرتم لكان قوله واستكبرتم تكرارا لقوله كفرتم من حيث المعنى خاليا من الفائدة ﴿ قوله وقيل موسى عليه الصلاة والسلام ﴾ يعني اختلف في المراد بقوله وشهد شاهد من بنى اسرائيل فذهب الاكثرون الى ان المراد بهذا الشاهد هو عبد الله بن سلام لما قدم المدينة وقيل انه موسى عليه الصلاة والسلام ﴿ قوله استئناف مشعر بان كفرهم به لضلالهم المسبب عن ظلمهم ﴾ فانه تعالى لما وصفهم بالكفر بما هو من عند الله والاستكبار عن الايمان به توجه ان يقال فكيف يكون عاقبة امرهم مع هذا الكفر والاستكبار فاجيب من هذا القول المتوهم بان الله لا يهديهم ما داموا على الوصف المذكور الذى هو ظلمهم لانفسهم فاشعر بنفي هدايته اياهم انهم ضالون وبوضع الظالمين موضع ضميرهم ان سبب ضلالهم هو ظلمهم لانفسهم بالكفر والاستكبار ثم انه تعالى حكى عنهم مقالة اخرى باطلة فقال وقال الذين كفروا للذين آمنوا بعدما حكى عنهم قولهم للحق وفي شأنه لما جاءهم هذا سحر مبين وقولهم افتراه ومقصودهم بهذه المقالة انكار نبوة محمد صلى الله عليه وسلم قيل نزلت حين قال كفار مكة ان عامة من يتبع محمدا صلى الله عليه وسلم السقاط يعنون الفقراء والموالى مثل عمار وصهيب وابن مسعود وبلال رضى الله عنهم ولو كان هذا الدين خيرا ما سبقنا اليه هؤلاء وقيل لما اسلمت جهينة ومزينة واسلم وغفار قالت بنو عامر وغطفان واسد واشجع لو كان هذا خيرا ما سبقنا اليه رعاء البهم فنزلت وقيل قاله اليهود حين اسلم عبد الله بن سلام واصحابه فنزلت وقيل كانت زنيرة امرأة ضعيفة البصر فلما اسلمت كانت الاشراف من مشركى قريش يستهزؤن بها ويقولون لو كان والله ما جاء به محمد خيرا ما سبقتنا اليه زنيرة فانزل الله تعالى فيها وفي امثالها هذه الآية قيل لما قدم الرسول المدينة اتاه عبد الله بن سلام ونظر الى وجهه الشريف فعلم انه ليس بوجه كذاب وتأمل في سيرته وكلامه فتحقق عنده انه هو النبي المنتظر الذى بشرهم موسى عليه الصلاة والسلام ببعثته وشهد شاهد على مثل شهادة القرآن حيث قال اشهد انك رسول الله كشهادة القرآن في نحو قوله محمد رسول الله فآمن بالقرآن وبكونه وحيا الهيا هذا على ان يكون معنى قوله وشهد شاهد على مثله على مثل القرآن وشهادته وقيل معناه على مثل ما قلته من ان القرآن من عند الله على ان يرجع ضمير مثله الى كون القرآن من عند الله المدلول عليه بقوله عليه الصلاة والسلام ان كان من عند الله وانكر جماعة كون المراد بالشاهد المذكور في هذه الآية عبد الله بن سلام وقالوا ان حم نزلت بمكة وانما اسلم عبد الله بن سلام بالمدينة بعد الهجرة الى المدينة واجيب بان السورة مكية الا هذه الآية فانها مدنية وكثيرا ما تنزل الآية فيأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان توضع في سورة كذا في موضع كذا منها لكونه تعالى امره بذلك ومنها هذه الآية فانها نزلت بالمدينة فان الله تعالى امر رسوله صلى الله عليه وسلم ان يضعها في هذه السورة المكية في هذا الموضع المعين واجيب ايضا بان قوله وشهد شاهد عطف على الشرط المقدم فيكون ان شرطين والمقدر بعدهما وهو نحو قوله ألستم ظالمين جواب عن كل واحد منهما

(قل ارأيتم ان كان من عند الله) اى القرآن (وكفرتم به) وقد كفرتم به ويجوز ان تكون الواو عاطفة على الشرط وكذا الواو في قوله (وشهد شاهد من بنى اسرائيل) الا انها تعطفه بما عطف عليه على جملة ما قبله والشاهد هو عبد الله ابن سلام وقيل موسى عليه السلام وشهادته ما في التوراة من نعت الرسول (على مثله) مثل القرآن وهو ما في التوراة من المعاني المصدقة للقرآن المطابقة لها او مثل ذلك وهو كونه من عند الله (فآمن) اى بالقرآن لما رآه من جنس الوحي مطابقا للحق (واستكبرتم) عن الايمان (ان الله لا يهدى القوم الظالمين) استئناف مشعر بان كفرهم به لضلالهم المسبب من ظلمهم ودليل على الجواب المحذوف مثل ألستم ظالمين (وقال الذين كفروا للذين آمنوا) لاجلهم (لو كان خيرا) الايمان او ما اتى به محمد عليه السلام (ما سبقونا اليه) وهم سقاط اذ عامتهم فقراء وموال ورعاة وانما قاله قريش وقيل بنو عامر وغطفان واسد واشجع لما اسلم جهينة ومزينة واسلم وغفار وقيل اليهود حين اسلم ابن سلام رضى الله عنه واصحابه

والشرط لا يجب حصوله عند التكلم به فلا تكون شهادة عبد الله بن سلام بالمدينة بعد الهجرة منافية لكون الآية نزلت بمكة والتعليق بالشرط المترتب ثم وقوعه كما ذكر ووصف معجزة ظاهرة لكونه اخبارا عن الغيب على ماهو عليه ثم ان من انكر كون المراد بالشاهد المذكور في الآية عبد الله بن سلام قال المراد به موسى عليه الصلاة والسلام فانه عليه الصلاة والسلام شهد على التوراة وهى مثل القرآن من حيث اشتمالها على الشهادة بحقية نبوة سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم وسائر ماهو من اصول الدين من التوحيد والترغيب في الطاعة والترهيب عن المخالفة والعصيان ونحو ذلك وقال الامام قيل ليس المراد من الشاهد شخصا معينا بل المراد منه ان ذكر محمد صلى الله عليه وسلم موجود في التوراة وان البشارة بمقدمه وبعثه حاصلة فيها فتقدير الكلام لو ان رجلا منصفا عارفا بالتوراة اقر بذلك واعترف به ثم آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم لكنتم ظالمين لانفسكم ضالين عن الحق وقوله لاجلهم اى لاجل ايمان الذين آمنوا على ان اللام للعلة لا للتبليغ بان يكون المعنى وقال الذين كفروا للذين آمنوا على وجه الخطاب لهم كما تقول قال زيد لعمرو والا لكان الظاهر ان يقال ما سبقتمونا اليه ﴿ قوله ظرف لمحذوف ﴾ لان اذ لازمة الاضافة وقد اضيفت الى قوله لم يهتدوا فلا يعمل فيها لان المضاف اليه لا يعمل في المضاف وايضا هى للمضى فلا يعمل فيها قوله فسيقولون لكونه للاستقبال والعمل الاستقبالى لا يعمل في الظرف الذى للمضى فلا يقال سأكتب امس والفاء في قوله فسيقولون سببية تقتضى ان يذكر قبلها ما يكون سببا لقولهم هذا افك قديم فلذلك قدر ما يكون عاملا في الظرف وسببا للقول المذكور والمعنى واذ لم يهتدوا بالقرآن المبين والآيات البينات ظهر عنادهم فسيقولون كذلك هذا افك قديم كما قالوا انه اساطير الاولين ومعنى السين فيه انه يتحقق منهم هذا القول حينا بعد حين مسببا من العناد والاستكبار ﴿ قوله وهو خبر لقوله كتاب موسى ﴾ يعنى ان قوله كتاب موسى مبتدأ ومن قبله خبره قدم عليه وهذا الخبر المقدم ناصب لقوله اماما على الحالية كقولك في الدار زيد قائما وقال الزجاج انتصب اماما بما دل عليه قوله ومن قبله كتاب موسى لان معناه وتقدمه كتاب موسى اماما اى قدوة يؤتم به في دين الله تعالى وشرائعه كما يؤتم بالامام ورحمة لمن آمن به وعمل بما فيه * قال الامام ووجه تعلق هذا الكلام بما قبله ان القوم طعنوا في صحة القرآن وحقية الدين بقولهم لو كان خيرا ما سبقونا اليه هؤلاء الصعاليك فنزل هذا الكلام استشهادا بحقية التوراة على حقيتهما فكأنه تعالى قال والذى يدل على صحة القرآن والدين انكم لا تنازعون في ان الله تعالى انزل التوراة على موسى وجعله اماما يقتدى به فاقبلوا حكمها في حقية امر محمد صلى الله عليه وسلم وحقية كتابه ودينه ﴿ قوله اولما بين يديه ﴾ من الكتب الالهية مطلقا اى القرآن يصدق الكتب التى قبله اى كتاب كان في ان محمدا عليه الصلاة والسلام رسول من عند الله استشهد على حقية كتاب موسى بكونه اماما يقتدى به في الدين ورحمة لمن آمن به وعمل صالحا بما فيه وعلى حقية القرآن بكونه مصدقا مطابقا له او لجميع ما بين يديه من الكتب الالهية ﴿ قوله اومنه ﴾ اى اوهو حال من كتاب لتخصصه بالصفة فان الحال من النكرة الغير المخصصة يجب تقدمها عليها ﴿ قوله وفائدتها ﴾ اى وفائدة الحال او فائدة الصفة من حيث كون نسبتها الى فاعلها مقيدة بمضمون الحال للاشعار بان كون القرآن مصدقا للتوراة حال كونه لسانا عربيا يدل على كونه وحيا الهيا كما ان مجرد كونه مصدقا لها يدل على انه حق ضرورة ان ما يطابق الحق حق واما وجه دلالة التقييد على انه وحى الهى فان ما يطابق العبرانى حال كونه لسانا عربيا لا يتصور صدوره عن لا يعرف اللغة العبرانية فتعين كونه وحيا الهيا وقوله عربيا صفة لقوله لسانا وهو المسوغ لوقوع هذا الجامد حالا فان الحال لا بد ان تكون مبينة للهيئة اما بالذات او بالغير والاسم الجامد لا يبين الهيئة بالذات فلا يصح ان يقع حالا الا بما يتبعه من الصفة فتكون حالا موطئة ﴿ قوله اى يصدق ذا لسان عربى ﴾ هو النبى صلى الله عليه وسلم ﴿ قوله علة مصدق ﴾ اى متعلق به فان المفعول له يكون منصوبا بتقدير اللام اذا اشترك مع فعله في الفاعل بان يكونا فعلين لفاعل واحد ومقارنين له في الزمان فاذا فقد احد الشرطين او كلاهما يكون مجرورا بلام ملفوظة فان قرئ لينذر بياء الغيبة وكان المنوى فيه ضمير الكتاب كان الظاهر ان يقال انذارا وتبشيرا بتقدير اللام فيهما لوجود شرطى النصب فيهما واما ان قرئ بتاء الخطاب او قرئ بياء الغيبة وكان المنوى فيه ضمير البارى تعالى او ضمير الرسول صلى الله عليه وسلم فوجه اتيان اللام ظاهر لاختلاف الفاعل فقول المصنف وفيه ضمير الكتاب او الله او الرسول محل بحث وقوله وبشرى في موضع النصب عطفا على محل لتنذر لانه مفعول له وهو

(واذ لم يهتدوا به) ظرف لمحذوف مثل ظهر عنادهم وقوله (فسيقولون هذا افك قديم) مسبب عنه وهو كقولهم اساطير الاولين (ومن قبله) ومن قبل القرآن وهو خبر لقوله (كتاب موسى) ناصب لقوله (اماما ورحمة) على الحال (وهذا كتاب مصدق) لكتاب موسى اولما بين يديه وقد قرئ به (لسانا عربيا) حال من ضمير كتاب في مصدق او منه لتخصصه بالصفة وعاملها معنى الاشارة وفائدتها الاشعار بالدلالة على ان كونه مصدقا للتوراة كما دل على انه حق دل على انه وحى وتوقيف من الله سبحانه وقيل لسانا عربيا مفعول مصدق اى يصدق ذا لسان عربى بالاعجاز (لينذر الذين ظلموا) علة مصدق وفيه ضمير الكتاب او الله او الرسول ويؤيد الاخير قرآءة نافع وابن عامر والبزى بخلاف عنه ويعقوب بالتاء (وبشرى للمحسنين) عطف على محله

من المنصوبات اى للانذار و التبشير وقيل الاجود ان يكون قوله وبشرى مرفوع المحل على انه خبر مبتدأ محذوف تقديره وهو بشرى لان نصبه بالحمل على المحل انما يكون اذا كان الاصل فى المعمول له مطلقا النصب وليس كذلك بل الاصل فيه الجرّ والنصب ناشئ عنه ومتفرّع على الحذف والايصال ثم انه تعالى لما بين اختلاف احوال الناس فى قبول الدعوة الى الايمان وفى التمرّد والاصرار على الشرك والطغيان حيث قال فى اوّل السورة والذين كفروا عما انذروا معرضون ثم ساق الكلام الى ان قال ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم الآية انزل قوله ووصينا الانسان بوالديه حسنا الى آخر الآيتين وبين بهما اختلاف احوال الناس فى قبول نصيحة الابوين ودعوتهما الى الايمان وعدم قبولهما واذا كان حال الناس مع الوالدين كذلك لم يبعد ان يكون حالهم مع النبى عليه الصلاة والسلام وقومه كذلك كأنه يقول امرنا الانسان فى حق والديه بالاحسان ثم بين السبب فقال حملته امه كرها ووضعته كرها قرأ غير الكوفيين من السبعة حسنا بضم الحاء وسكون السين وهو مفعول ثان لقوله ووصينا على تضمين التوصية معنى الالزام عدّى الى مفعوله الثانى بنفسه باعتبار التضمين كأنه قيل الزمناه حسنا اى امرا ذا حسن بحذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه ثم حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه ولك ان لا تعتبر التضمين وتجعل تقدير الكلام ووصيناه بامر ذى حسن على ان يكون بدلا من قوله بوالديه بدل اشتمال ثم حذف منه ماذكر آنفا وحذف الجار ايضا على طريق الحذف والايصال وعلى قرآءة الكوفيين يكون احسانا منصوبا بفعل مقدّر اى ووصيناه بوالديه بان يحسن اليهما احسانا على ان يكون بدلا من قوله بوالديه ثم حذف الفعل واقيم المصدر مقامه ويحتمل ان يكون مفعولا ثانيا لوصينا على تضمينه معنى الزمناه وان يكون مفعولا له اى ووصيناه بهما احسانا منا اليهما ﴿ قوله وقرئ حسنا ﴾ بفتح الحاء والسين على انه صفة مصدر محذوف اى ايصاء حسنا وقيل هو مصدر ايضا كالحسن ونظيرهما البخل والبخل والشغل والشغل ﴿ قوله ذات كره او حملا ذا كره ﴾ على الاوّل يكون كرها حالا من الفاعل وعلى الثانى يكون صفة لمصدر محذوف مؤكد لفعله والكره والكره لغتان فى معنى المشقة كالشرب والشرب والضعف والضعف وقيل المضموم اسم الشئ المكروه قال تعالى كتب عليهم القتال وهو كره لكم والمفتوح مصدر كرهت الشئ اكرهه دلت الآية على ان حق الام اعظم لانه تعالى قال ووصينا الانسان بوالديه حسنا فذكرهما معا ثم خص الام بالذكر فى مقام ذكر سبب التوصية وذلك يدل على ان حقها اعظم وان حصول المشاق اليها بسبب الولد اكثر والاخبار فى هذا الباب كثيرة ﴿ قوله ومدّة حمله ﴾ قدّر المضاف ليصح الاخبار بقوله ثلاثون شهرا ولو لم يقدّر المضاف لقيل ثلاثين بالنصب على انه ظرف واقع موقع الخبر وهو خلاف الرواية وايضا دلالته على المعنى المراد لا يخلو عن خلل لان كون الحمل والفصال فى ثلاثين شهرا ليس بصريح فى ان مدّتهما تمام ثلاثين شهرا والفصل والفصال كالفطم والفطام بناء ومعنى يقال فطمت الرجل عن عادته اى قطعته عنها فطمت الام ولدها اى قطعته عن اللبن ولم ترضعه وفصلت الرضيع فصلا وفصالا اذا قطعته عنه وذكر المصنف ان الفصال قد يطلق على وقت الفطام ايضا وايدكون المراد منه فى الآية نفس الفطام بقرآءة وفصله لان الفصل لا يطلق الا على وقت الفطام ﴿ قوله والمراد به الرضاع التام المنتهى به ﴾ جواب عما يقال المراد بيان مدّة الرضاع لا الفطام فكيف عبر عنه بالفصال وتقرير الجواب انه لما كان المراد بيان مدّة الرضاع التام المنتهى بالفصل عبر به تعبيرا عن المراد باسم ما يجاوره وينتهى هو اليه وهو الفصال فيكون الفصال مجازا مرسلا عن الرضاع التام والعلاقة كون احدهما غاية للآخر ومنتهاه والنكتة فى ارتكاب المجاز التنبيه على ان المراد بالرضاع التام المنتهى الفصال ووقته ولو قيل وحمله ورضاعه ثلاثون شهرا لما كان فى العبارة دليل على كون المدّة المذكورة منتهية الى الفصال ونظيره ان الشاعر عبر مدّة عن العمر بالامد الذى هو غاية الزمان ونهايته فقال

كل حىّ مستكمل مدّة العمر ۞ ومود اذا انتهى امده

اى مدّة عمره فان الامد بمعنى الغاية ولا معنى لان يقال وهالك اذا انتهى غاية عمره فالمراد به مدّة العمر عبر به عنها للدلالة على ان المراد المدّة التامة المنتهية الى الموت ومود اسم فاعل من أودى فلان اذا هلك ﴿ قوله لانه اذا حط منه للفصال حولان ﴾ يعنى انه علم من هذه الآية ان مجموع مدّة الحمل والرضاع ثلاثون شهرا وقد عين اربعة وعشرون شهرا للفصال بقوله تعالى والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين فاذا أسقطنا الحولين الكاملين وهى اربعة وعشرون شهرا من ثلاثين شهرا بقى اقل مدّة الحمل ستة اشهر وعليه اجماع المسلمين واما اكثر مدّة الحمل فليس

(ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا) جمعوا بين التوحيد الذى هو خلاصة العلم والاستقامة فى الامور التى هى منتهى العمل وثم للدلالة على تأخر رتبة العمل وتوقف اعتباره على التوحيد (فلا خوف عليهم) من لحوق مكروه (ولاهم يحزنون) على فوات محبوب والفاء لتضمن الاسم معنى الشرط (اولئك اصحاب الجنة خالدين فيها جزآء بما كانوا يعملون) من اكتساب الفضائل العلمية والعملية وخالدين حال من المستكنّ فى اصحاب وجزآء مصدر لفعل دل عليه الكلام اى جوزوا جزآء (ووصينا الانسان بوالديه حسنا) وقرأ الكوفيون احسانا وقرئ حسنا اى ايصاء حسنا (حملته امه كرها ووضعته كرها) ذات كره او حملا ذا كره وهو المشقة وقرأ الحجازيان وابو عمرو وهشام بالفتح وهما لغتان كالفقر والفقر وقيل المضموم اسم والمفتوح مصدر (وحمله وفصاله) ومدّة حمله وفصاله والفصال الفطام ويدل عليه قرآءة يعقوب وفصله او وقته والمراد به الرضاع التام المنتهى به ولذلك عبر به كما يعبر بالامد عن المدّة قال

كل حىّ مستكمل مدّة العمر ۞

ومود اذا انتهى امده ۞

(ثلاثون شهرا) كل ذلك بيان لما تكابده الام فى تربية الولد مبالغة فى التوصية بها وفيه دليل على ان اقل مدّة الحمل ستة اشهر لانه اذا حط منه للفصال حولان لقوله حولين كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة بقى ذلك وبه قال الاطباء

فى القرآن مايدل عليه قال ابو على ابن سينا بلغنى وصح عندى ان امرأة وضعت بعد الرابعة من سنى الحمل ولدا قد نبتت اسنانه وحكى عن ارسطاطاليس انه قال ازمنة الولادة لجميع الحيوان مضبوطة سوى الانسان فربما وضعت الحبلى لتسعة اشهر وربما وضعت فى الشهر الثامن وقلما يعيش المولود فى الثامن الا فى بلاد معينة مثل مصر والغالب هو الولادة بعد التاسع واكثر مدة الرضاع ثلاثون شهرا عند ابى حنيفة خلافا لهما فانهما قالا اكثر مدة الرضاع سنتان وقال زفر ثلاث سنين واحتج ابو حنيفة بقوله تعالى وحمله وفصاله ثلاثون شهرا ووجه الاحتجاج به انه تعالى ذكر شيئين وضرب لهما مدة واحدة وذلك يقتضى ان يكون جميع المذكور مدة لكل واحد منهما كمن قال اجل الدين الذى على فلان والدين الذى على فلان سنة يفهم منه ان يكون اجل كل واحد من الدينين سنة الا انه قام الدليل على ان مدة الحمل لاتكون اكثر من سنتين وهو قول عائشة رضى الله عنها لايبقى الولد فى بطن امه اكثر من سنتين ولو بقدر فلك مغزل والظاهر انها قالت سماعا لان المقادير لايهتدى اليها الرأى فبقى مدة الفصال على ظاهره ولهما قوله تعالى والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة وزعم ان الرضيع لايمكنه التحول من الرضاع الى الطعام فى ساعة واحدة فلا بد من الزيادة على الحولين والحول يصلح لان يكون زمانا للانتقال من حال الى حال لاشتماله على الفصول الاربعة ﴿قوله ولعل تخصيص اقل الحمل واكثر الرضاع﴾ لما جعل الآية دليلا على ان اقل مدة الحمل ستة اشهر وان اكثر مدة الرضاع حولان بماذكره من الوجه * ورد ان يقال لم تعرض لبيان اكثر مدة الحمل واقل مدة الرضاع * فاجاب عنه اولا بان مالم تعرض له منضبط حيث لم تر ان المرأة تلد لاقل من ستة اشهر وما جاءت به قبلها سقط وليس بولادة وكذا ماوقع بعد الحولين من الرضاع ليس برضاع اذ الرضاع مايكون مبنيا على الضرورة ولا ضرورة بعد تمام الحولين وماوقع بعده تناول جزء الادمى من تشهى كتناول سائر المحرمات فلا يكون رضاعا ومامكث عنه غير منضبط فان النساء قد تلد لتسعة اشهر ولاقل منها ولا كثر وكذا زمان استغناء الولد عن الرضاع غير مضبوط وهو ظاهر وثانيا بان تخصيصهما بالبيان لتحقق ارتباط حكم النسب والرضاع بهما فانه اذا ثبت ان الاشهر الستة اقل مدة الحمل يثبت نسب من ولد فى هذه المدة وتكون امه مصونة عن تهمة الزنى وارتكاب الفاحشة وكذا اذا ثبت ان اكثر مدة الرضاع سنتان علم ان ماحصل بعد هذه المدة من الرضاع لايترتب عليه احكام الرضاع من كون المرضعة اما للرضيع وكون زوجها الذى لبنها منه أبا له فيحرم التناكح بينهم فى تخصيصهما بالبيان فائدة عظيمة هى دفع المضار واندفاع التهمة عن المرأة فسبحان من له تحت كل كلمة من كتابه الكريم اسرار عجيبة ولطائف نفيسة تعجز العقول عن الاحاطة بها ﴿قوله تعالى حتى اذا بلغ اشده﴾ لابد هنا من جملة محذوفة مدلول عليها بقوله وحمله وفصاله ثلاثون شهرا اى فعاش بعد الفصال واستمرت حياته او بقوله ووصينا الانسان اى اخذ ماوصيناه به حتى اذا بلغ اشده كمل عقله وقوته وقوله اشده واربعين سنة مفعولا البلوغ اى بلغ وقت اشده وتمام اربعين سنة فحذف المضاف واختلف المفسرون فى تفسير الاشد روى عن ابن عباس انه ثمانى عشرة سنة وقال اكثر المفسرين انه ثلاث وثلاثون سنة لان هذا الوقت هو الوقت الذى يكمل فيه بدن الانسان * قال الامام تحقيق الكلام فى هذا المقام ان يقال مراتب سن الحيوان ثلاث وذلك لان بدن الحيوان لايكون الا برطوبة غريزية وحرارة غريزية ولاشك ان الرطوبة الغريزية غالبة زائدة على الحرارة الغريزية فى اول العمر وناقصة فى آخر العمر والانتقال من الزيادة الى النقصان لايعقل حصوله الا اذا حصل الاستواء فى وسط هاتين المدتين فثبت ان مدة العمر منقسمة الى ثلاثة اقسام اولها ان تكون الرطوبة الغريزية زائدة على الحرارة الغريزية وحينئذ تكون الاعضاء قابلة للتمدد فى ذواتها وللزيادة بحسب الطول والعرض والعمق وهذا هو سن النشو والنماء والمرتبة الثانية وهى المرتبة المتوسطة ان تكون الرطوبة الغريزية وافية بحفظ الحرارة الغريزية من غير زيادة ولا نقصان وهذا هو سن الوقوف وهو سن الشباب والمرتبة الثالثة وهى المرتبة الاخيرة ان تكون الرطوبة الغريزية ناقصة عن الوفاء بحفظ الحرارة الغريزية ثم هذا النقصان على قسمين الاول هو النقصان الخفى وهو سن الكهولة والثانى هو النقصان الظاهر وهو سن الشيخوخة وساق الكلام الى ان قال فبلوغ الانسان الى آخر سن الاشد عبارة عن الوصول الى آخر سن النشو والنماء وان بلوغه الى اربعين عبارة عن الوصول الى آخر مدة الشباب ومن ذلك الوقت تأخذ القوى الطبيعية والحيوانية فى الانتقاص والنقص من وقت الاربعين تأخذ فى الاستكمال ﴿قوله قبل لم يبعث نبى الا بعد الاربعين﴾ اى سنة * قال الامام هذا يشكل بعيسى عليه الصلاة

ولعل تخصيص اقل الحمل واكثر الرضاع لانضباطهما وتحقق ارتباط حكم النسب والرضاع بهما (حتى اذا بلغ اشده) اذا اكتهل واستحكم قوته وعقله (وبلغ اربعين سنة) قيل لم يبعث نبى الا بعد الاربعين

والسلام فانه تعالى جعله نبيا من اول الصبي الا ان يقال الاغلب انه ماجاءه الوحي الا بعد الاربعين وهكذا كان الامر في حق نبينا صلى الله عليه وسلم ﴿قوله الهمني﴾ الجوهري استوزعت الله شكره فاوزعني اى استلهمته فالهمني الراغب اوزعني معناه الهمني وتحقيقه اولعني بكذا او اجعلني بحيث ازع نفسي من الكفران يقال وزعته عن كذا اى كففته عنه الجوهري وزعته ازعه وزعا كففته فاتزع اى كف واوزعته بالشئ اغريته به فهو موزع به اى مغرى به واولعته بالشئ واولع به فهو مولع به بفتح اللام اى مغرى به ﴿قوله وذلك يؤيده ماروى﴾ ذلك مفعول يؤيده واشارة الى ان المراد من النعمة نعمة الدين او مايعمها وغيرها والمعنى ان ماروى يؤيد كون المراد من النعمة ذلك روى ان ابابكر رضي الله عنه صحب النبي صلى الله عليه وسلم في تجارة الى الشام وهو ابن ثماني عشرة سنة وهو عليه الصلاة والسلام كان ابن عشرين فهو اقل منه عليه الصلاة والسلام سنا بسنتين فلما بلغ اربعين سنة ونبي واوحي اليه آمن به ابوبكر ثم آمن ابواه ابو قحافة عثمان بن عمرو وام الخير بنت صخر بن عمرو فدعا ربه فقال رب اوزعني ان اشكر نعمتك التي انعمت بها علي وعلى والدي بالهداية والايمان وان اعمل صالحا ترضاه قال ابن عباس اجاب الله تعالى دعاء ابي بكر فاعتق تسعة من المؤمنين يعذبون في الله عز وجل منهم بلال ولم يرد شيأ من الخير الا اعانه الله عليه ودعا ايضا بقوله واصلح لي في ذريتي فاجابه الله تعالى فلم يكن له ذرية الا آمنوا جميعا فاجتمع له اسلام ابويه واولاده جميعا ولم يكن ذلك لاحد من الصحابة رضي الله عنهم جميعا واعلم ان هذا الداعي طلب من الله تعالى ثلاثة اشياء احدها ان يوفقه الله تعالى للشكر على النعمة والثاني ان يوفقه للاتيان بالطاعة المرضية عند الله تعالى والثالث ان يصلح له في ذريته ووجه الترتيب ان مراتب السعادات ثلاث اكملها النفسانية واوسطها البدنية وادونها الخارجية والسعادة النفسانية هي اشتغال القلب بشكر آلاء الله تعالى ونعمائه والسعادة البدنية هي اشتغال البدن بالطاعة والخدمة والسعادة الخارجية هي سعادة الاهل والولد ولما كانت المراتب محصورة في هذه الثلاثة لاجرم رتبها الله تعالى على هذا الوجه ﴿قوله واجعل لي الصلاح ساريا في ذريتي﴾ لما ورد ان يقال ان اصلح يتعدى بنفسه قال تعالى واصلحنا له زوجه فما معنى تعديته في الآية بفي اشار الى جوابه بان مطلوبه ان يجعل الله تعالى ذريته محلا للصلاح بان يجعله ساريا وراسخا فيهم بحيث يتمكن فيهم تمكن المظروف في الظرف وهذا المعنى يستدعي ان يعدى الفعل اليهم بكلمة في كما عدي بها يجرح في البيت المذكور مع انه يتعدى بنفسه فيقال جرحه واول البيت قوله

◦ وان تعتذر بالمحل من ذي ضروعها ◦ الى الضيف يجرح في عراقيبها نصلي ◦

والعراقيب جمع العرقوب وهو العصب الغليظ في الساق المنتهي الى العقب وضمير تعتذر للناقة والمحل الجدب وهو انقطاع المطر ويبس الارض من الكلا وذي الضروع اللبن اي ان اعتذرت الى الضيف من قلة لبنها بسبب القحط اعقرها واذبحها واجعل نفسها بدلا من اللبن ولم يقل يجرح عراقيبها لما ذكر اي يحدث الجرح فيها ويجعلها محلا له بحيث يتمكن ويستقر فيها ثم ان الداعي استأنف بقوله اني تبت اليك واني من المسلمين للدلالة على ان الدعاء لايقع موقع القبول الامع التوبة وكون الداعي من المسلمين كانه قال انما قدمت على هذا بعد ان تبت من الكفر ومن كل قبيح وبعد ان دخلت في الاسلام والانقياد لامر الله تعالى وقضائه ﴿قوله فان المباح حسن﴾ اذلاقبح فيه وهو جواب عما يقال لم قال الله تعالى احسن ماعملوا مع انه يتقبل الاحسن ومادون ذلك وتقرير الجواب ان الحسن من الاعمال هو المباح الذي لايتعلق به ثواب ولاعقاب فلذلك يقال له لغو ﴿قوله وقرأ حمزة والكسائي وحفص بالنون فيهما﴾ اي بفتح النون مبنيا للفاعل ونصب احسن على انه مفعول به وقرأ الباقون بالياء المضمومة فيهما على بنائهما للمفعول ورفع احسن لقيامه مقام الفاعل والمعنى واحد لان الفعل وان بني للمفعول فمعلوم انه الله تعالى ﴿قوله كائنين في عدادهم﴾ اشارة الى انه في محل النصب على انه حال من ضمير عنهم ﴿قوله مؤكد لنفسه﴾ فانه لما اكد مضمون جملة لايحتمل لها من معنى المصادر غير الوعد صار تأكيدا لمعنى الوعد الذي تضمنته الجملة المتقدمة فكان تأكيدا لنفسه كما في قولك له علي الف درهم اعترافا ثم انه تعالى لما وصف الولد البار بوالديه وصف الولد العاق لوالديه فقال والذي قال لوالديه اف لكما قرأ نافع وحفص اف بالتنوين وكسر الفاء وابن كثير وابن عامر بفتح الفاء من غير تنوين والباقون بكسرها من غير تنوين وهو صوت اذا صوت به الانسان علم انه متضجر واللام في قوله لكما للبيان اي هذا التأفيف لكما خاصة ولاجلكما دون غيركما كما في نحو هيت لك ذهب اكثر

(قال رب اوزعني) الهمني واصله اولعني من اوزعته بكذا (ان اشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي) يعني نعمة الدين او مايعمها وغيرها وذلك يؤيده ماروى انها نزلت في ابي بكر رضي الله عنه لانه لم يكن احد اسلم هو وابواه من المهاجرين والانصار سواه (وان اعمل صالحا ترضاه) نكره للتعظيم او لانه اراد نوعا من الجنس يستجلب رضى الله عز وجل (واصلح لي في ذريتي) واجعل لي الصلاح ساريا في ذريتي راسخا فيهم ونحوه

◦ يجرح في عراقيبها نصلي ◦

(اني تبت اليك) عما لاترضاه او يشغل عنك (واني من المسلمين) المخلصين لك (اولئك الذين يتقبل عنهم احسن ماعملوا) يعني طاعاتهم فان المباح حسن ولايثاب عليه (ويتجاوز عن سيئاتهم) لتوبتهم وقرأ حمزة والكسائي وحفص بالنون فيهما (في اصحاب الجنة) كائنين في عدادهم او مثابين او معدودين فيهم (وعد الصدق) مصدر مؤكد لنفسه فان يتقبل ويتجاوز وعد (الذي كانوا يوعدون) اي في الدنيا (والذي قال لوالديه اف لكما) مبتدأ خبره اولئك الذين حق والمراد به الجنس وان صح نزولها في عبد الرحمن بن ابي بكر رضي الله عنه قبل اسلامه فان خصوص السبب لايوجب التخصيص وفي اف قراآت ذكرت في سورة بني اسرائيل

المفسرين الى ان الآية نزلت فى عبد الرحمن بن ابى بكر رضى الله عنهما قبل اسلامه كان ابواه يدعوانه الى الاسلام والاقرار بالبعث والحساب وهو يأبى وقيل ليس المراد منه شخص معين بل المراد منه كل من دعاه ابواه الى الايمان فأباه وانكره قال الزجاج ومن اقتفى اثره هذا القول هو الصحيح ثم قال والذى يبطل القول الاول قوله تعالى اولئك الذين حق عليهم القول الآية فانه تعالى بين ان هؤلاء حقت كلمة العذاب عليهم وعبد الرحمن مؤمن من افاضل المسلمين لا ممن حقت عليهم كلمة العذاب والذين يقولون المراد باول الآية عبد الرحمن بن ابى بكر قالوا المراد بقوله تعالى اولئك الذين حق عليهم القول هم القرون الذين خلوا من قبله من المشركين ماتوا قبله لا من ذكر بقوله والذى قال لوالديه اف لكما ومن قال ليس المراد به عبد الرحمن بل كل ولد كان موصوفا بهذه الصفة فانه يقول هذا الوعيد مختص بذلك الولد الموصوف ﴿قوله يقولان الغياث بالله﴾ كما يقال استغفر فلان اذا قال استغفر الله وفعل الاستغاثة يتعدى بنفسه تارة قال تعالى اذ تستغيثون ربكم وقال فاستغاثه الذى وفى الصحاح استغاثنى فلان فاغثته وتارة يتعدى بالباء فكان المصنف اشار الى ان الاصل يتعدى بالباء وان معنى وهما يستغيثان الله استعظاما لكفره وانكاره يقولان الغياث بالله منك ومن سوء مقالتك الا انه حذف الجار واوصل الفعل او ضمن الاستغاثة معنى السؤال فلا يحتاج الى تقدير الجار والواو فى قوله وهما واو الحال اى والذى قال لوالديه اف لكما وهما يسألان الغوث بالتوفيق للايمان ﴿قوله ويلك﴾ منصوب على انه مفعول مطلق لفعل محذوف ملاق له من حيث المعنى دون الاشتقاق مثل ويحه وويسه وويبه وهو من المصادر التى لم تستعمل افعالها اى اهلكك الله ويلا اى اهلاكا فحذف الفعل واضيف المصدر الى مفعوله وقيل انتصابه على انه مفعول به لفعل مقدر اى الزمك الله ويلك وعلى التقديرين الجملة معمولة لقول مقدر منصوب على الحالية اى يستغيثان الله قائلين ذلك وهو دعاء عليه بالثبور والمراد الحث على الايمان لا حقيقة الهلاك قال صاحب الكشف الويل فى الاصل دعاء بالثبور اقيم مقام الحث على الفعل او تركه اشعارا بان ماهو مرتكب به حقيق بان يهلك مرتكبه وان يطلب له الهلاك فاذا سمع المخاطب ذلك كان مساعدا باعثا على ترك ماهو فيه والاخذ بما ينجيه وهو هنا الايمان بالله تعالى والبعث قرأ الجمهور ان وعد الله بالكسر على الاستئناف والتعليل وقرئ ان بالفتح على ان التقدير من ان وعد الله فحذف الجار واوصل الفعل فيقول الولد لهما ماهذا الذى تقولانه من امر البعث وتدعوانى الى الايمان به الا اساطير الاولين ﴿قوله لانه يدل﴾ اى لان نزول الآية فى حقه يدل على انه من اهل النار لذلك اى لسبب اتصافه بمضمون الصلة وهو تأفيفه لوالديه وانكاره البعث وانه اساطير الاولين وقوله لذلك مستفاد من تعقيب المشار اليه بالاوصاف المذكورة من التأفيف ونحوه فان الحكم على مثل هذا المشار اليه من قبيل تعليق الحكم على الموصوف فيفهم منه علية الوصف لذلك الحكم كما ذكر فى بحث تعريف المسند اليه بالاشارة ﴿قوله وقد جب عنه﴾ حال من المنوى فى قوله من اهلها والجب القطع اى وقد قطع عن كونه من اهل النار ان كان موصوفا بمضمون ماذكر من الصلات بسبب اسلامه ﴿قوله مراتب من جزاء ماعملوا﴾ لما ورد على ظاهر الآية ان يقال كيف يجوز ان يقال فى حق اهل النار ان لهم درجات مع ان الدرجات انما تطلق على مراتب اهل الجنة واما مراتب اهل النار فانما يطلق عليها الدركات اشار الى جوابه بان الامر كذلك فى عرف الشرع الا ان المراد بالدرجات هنا مطلق المراتب على طريق عموم المجاز بقرينة قوله ولكل فانه لما حكم على الدرجات بكونها ثابتة لكل واحد من الفريقين وجب حملها على المراتب مطلقا او على انها اطلقت على جزاء الخير والشر جميعا على جهة التغليب ثم اشار الى ان كلمة ما فى قوله مما عملوا موصولة بتقدير المضاف ومن بيانية او بمعنى الاجل وقوله او الدرجات عطف على قوله مراتب ﴿قوله تعالى وليوفيهم﴾ سواء قرئ بالياء من تحت او بالنون علة متعلقة بمحذوف اى وجعل الله ذلك ليوفيهم جزاء اعمالهم فحذف المضاف او وجعلنا ذلك لنوفيهم ثم انه تعالى لما بين انه يوصل حق كل احد اليه بين احوال اهل العقاب اولا فقال ويوم يعرض الذين كفروا على النار ويوم منصوب بقول مقدر اى يقال لهم اذهبتم يوم عرضهم والعرض يتعدى باللام وبعلى يقال عرضت له امر كذا وعرضت عليه الشئ اى اظهرته له وابرزته قال تعالى وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا قال الفراء ابرزناها حتى نظر اليها الكفار فالمعروض عليه اولا يجب ان يكون من اهل الشعور والاطلاع والنار ليست منه فلابد ان يحمل العرض على التعذيب مجازا بطريق التعبير عن الشئ باسم مايؤدى اليه كما يقال عرض بنو فلان على السيف اذا قتلوا به او يجعل باقيا على اصل معناه ويكون الكلام

(أتعداننى ان اخرج) ابعث وقرأ هشام اتعداننى بنون واحدة مشددة (وقد خلت القرون من قبلى) فلم يرجع واحد منهم (وهما يستغيثان الله) يقولان الغياث بالله منك او يسألانه ان يغيثه بالتوفيق للايمان (ويلك آمن) اى يقولان له ويلك وهو دعاء بالثبور بالحث على مايخاف على تركه (ان وعد الله حق فيقول ماهذا الا اساطير الاولين) اباطيلهم التى كتبوها (اولئك الذين حق عليهم القول) بانهم اهل النار وهو يرد النزول فى عبد الرحمن لانه يدل على انه من اهلها لذلك وقد جب عنه ان كان لاسلامه (فى امم قد خلت من قبلهم) كقوله فى اصحاب الجنة (من الجن والانس) بيان للام (انهم كانوا خاسرين) تعليل الحكم على الاستئناف (ولكل) من الفريقين (درجات مما عملوا) مراتب من جزاء ماعملوا من الخير والشر او من اجل ماعملوا والدرجات غالبة فى المثوبة وههنا جاءت على التغليب (وليوفيهم اعمالهم) جزاءها وقرأ نافع وابن ذكوان وحمزة والكسائى بالنون (وهم لا يظلمون) بنقص ثواب وزيادة عقاب (ويوم يعرض الذين كفروا على النار) يعذبون بها وقيل تعرض النار عليهم فقلب مبالغة كقولهم عرضت الناقة على الحوض

محمولا على القلب والاصل و يوم تعرض النار على الذين كفروا اى تظهر وتبرز عليهم بحيث ينظرون اليها ظاهرة مكشوفة و يحضرون عندها قبل ان يلقون فيها فيقال لهم اذهبتم الخ اى استوفيتم والنكتة فى اعتبار القلب المبالغة بادعاء ان النار ذات تمييز و قهر و غلبة ﴿ قوله غيران ابن كثير يقرأ بهمزة ممدودة ﴾ لان الف الاستفهام دخلت على همزة القطع مسهلة بين الهمزة والالف ولم يدخل بينهما الف وهو مذهبه فى نحو ءانذرتهم فتكون الهمزة المسهلة بمنزلة حرف المد الهمزة المحققة ﴿ قوله وهما يقرآن بها ﴾ اى بهمزة ممدودة كابن كثير هذا على رواية هشام عن ابن عامر و يقرآن بهمزتين محققتين ايضا اى من غير تسهيل الثانية وقرأ الباقون بهمزة واحدة على الخبر دون الاستفهام الا انه من حيث المعنى كالقرآءة بهمزة الاستفهام فان معنى الاستفهام فيها التقرير و التوبيخ كما فى قوله تعالى اكفرتم بعد ايمانكم فكذا المعنى فى القرآءة على الخبر فان العرب توبخ بالخبر كما توبخ بالاستفهام ﴿ قوله فاين لكم منها شئ ﴾ استفاد معنى العموم من اضافة الطيبات لان اضافة الجمع تفيد العموم ﴿ قوله بسبب الاستكبار والفسوق ﴾ اشارة الى ان الباء فى قوله بما كنتم فى الموضعين سببية و ما فيهما مصدرية و عذاب الهون معناه العذاب الذى فيه ذل و هو ان علل الله تعالى ذلك العذاب بامرين احدهما الاستكبار عن قبول الدين الحق و الايمان بمحمد سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم وهو ذنب القلب والثانى الفسق والمعصية بترك المأمور به و فعل ما نهى عنه و هو ذنب الجوارح وقدم الاول على الثانى لان ذنب القلب اعظم تأثيرا من ذنب الجوارح لما كان اصرار كفار مكة على الشرك لانهماكهم فى لذات الدنيا كما يدل عليه قوله تعالى فى حقهم اذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا قال تعالى و اذكر اخا عاد اى و اذكر لقومك هذه القصة ليعتبروا و يخافوا مثل حالهم فان قوم عاد كانوا اكثر اموالا و قوة و جاها من قومك مع انه تعالى سلط عليهم العذاب بكفرهم فليعتبروا بحالهم و ليتركوا الاغترار بما عندهم من زخارف الدنيا وليقبلوا على طلب الدين الحق فان الفائز من اتبع الحق لا من اتبع الهوى و الشهوات ﴿ قوله يعنى هودا ﴾ عليه الصلاة و السلام فانه نسيب عاد و واحدهم ﴿ قوله اذ انذر ﴾ بدل من اخا عاد بدل اشتمال ﴿ قوله من احقوقف الشئ ﴾ يريد ان بينهما اشتقاقا لان الحقف مشتق من احقوقف وليس الامر كذلك بل الامر بالعكس ﴿ قوله بالشحر ﴾ وهو اسم موضع من بلاد اليمن والجوهرى شحر عمان و شحر عدن هو ساحل البحر بين عمان و عدن ﴿ قوله الرسل ﴾ على ان يكون النذر جمع نذير بمعنى المنذر وقيل انه فعيل بمعنى الانذار ﴿ قوله والجملة حال ﴾ من فاعل انذر او مفعوله اى انذرهم معلما اياهم بخلو النذر قبله وبعده فانه على تقدير ان يكون قوله وقد خلت حالا و قيدا لانذاره قومه لابد من اعتبار علم القوم بمضمون تلك الجملة ليكون اعتبار ذلك القيد مفيدا كما فى قوله تعالى كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم اى اتكفرون و الحال انكم عالمون بهذه القصة ٭ فان قلت ما معنى انذرهم معلما اياهم بخلو النذر قبله او بعده مع ان المنذرين الذين سيبعثون بعده لا يصح ان يقال انهم خلوا و مضوا على زمانه ٭ قلت هو امان من باب ٭ علفتها تبنا و ماء باردا ٭ و التقدير هنا وقد خلت النذر من بين يديه و تأتى من خلفه و امان قيل تنزيل الآتى منزلة الماضى لكونه محقق الوقوع و هذا هو اللائق لفصاحة الكتاب المعجز ﴿ قوله او اعتراض ﴾ اى و يجوز ان تكون الجملة معترضة بين انذر و بين ان لا تعبدوا اى انذرهم بان لا تعبدوا الا الله او ان لا تعبدوا على ان تكون ان مصدرية او مفسرة لان انذر فى معنى القول اى نهاهم عن الشرك و انذرهم عن مضرته و قد انذر من تقدم من الرسل و من يأتى بعده مثل ذلك ﴿ قوله لتصرفنا ﴾ فان الافك مصدر افكه يأفكه افكا اى قلبه و صرفه عن الشئ ﴿ قوله سحابا عرض فى افق من السماء ﴾ يعنى ان العارض السحابة التى تعرض اى تبدو و ترى من ناحية من السماء ثم تطبق السماء اى تغطيها و يصيب مطرها جميع الارض و الضمير المنصوب فى قوله تعالى فلما رأوه يرجع الى ما فى قوله بما تعدنا اى فلما رأوا الموعود به من العذاب و عارضا حال او تمييز لان قوله رأوه من رؤية العين ﴿ قوله و الاضافة فيه لفظية ﴾ لكونهما من قبيل اضافة اسم الفاعل الى مفعوله اى عارضا مستقبلا اوديتهم متوجها اليها وكذا اضافة ممطر نا فان اصله ممطر لنا اى يأتينا بالمطر فلذلك لم تفد الاضافة فيهما تعريفا للمضاف و هما مضافان الى معرفتين فصح كونهما صفتين للنكرة فان مستقبل صفة لقوله عارضا و ممطر نا صفة لقوله عارض ﴿ قوله اى قال هود بل هو ﴾ احتاج الى اضمار القول لان الاضراب المذكور لا يصح ان يكون مقولا لمن قال هذا عارض و هو ظاهر و تعين كون القائل هودا عليه الصلاة و السلام مستفاد من قرآءة ابن مسعود رضى الله عنه قال هود بل هو و لان الكلام فيما سبق

(اذهبتم) اى يقال لهم اذهبتم و هو ناصب اليوم وقرأ ابن كثير وابن عامر و يعقوب بالاستفهام غيران ابن كثير يقرأ بهمزة ممدودة وهما يقرآن بها و بهمزتين محققتين (طيباتكم) لذاتكم (فى حياتكم الدنيا) باشتغالكم (واستمتعتم بها) فما بقى لكم منها شئ (فاليوم تجزون عذاب الهون) الهوان وقد قرئ به (بما كنتم تستكبرون فى الارض بغير الحق وبما كنتم تفسقون) بسبب الاستكبار الباطل والفسوق عن طاعة الله وقرئ تفسقون بالكسر (واذكر اخا عاد) يعنى هودا (اذ انذر قومه بالاحقاف) جمع حقف وهو رمل مستطيل مرتفع فيه انحناء من احقوقف الشئ اذا اعوج وكانوا يسكنون بين رمال مشرفة على البحر بالشحر من اليمن (وقد خلت النذر) الرسل (من بين يديه ومن خلفه) قبل هود وبعده والجملة حال او اعتراض (الا تعبدوا الا الله) اى لا تعبدوا او بان لا تعبدوا فان النهى عن الشئ انذار من مضرته (انى اخاف عليكم عذاب يوم عظيم) هائل بسبب شرككم (قالوا أجئتنا لتأفكنا) لتصرفنا (عن آلهتنا) عن عبادتها (فأتنا بما تعدنا) من العذاب على الشرك (ان كنت من الصادقين) فى وعدك (قال انما العلم عند الله) لا علم لى بوقت عذابكم ولا مدخل لى فيه فأستعجل به وانما علمه عند الله فيأتيكم به فى وقته المقدر له (و ابلغكم ما ارسلت به) اليكم وما على الرسول الا البلاغ (ولكنى اراكم قوما تجهلون) لا تعلمون ان الرسل بعثوا مبلغين منذرين لا معذبين مقترحين (فلما رأوه عارضا) سحابا عرض فى افق من السماء (مستقبل اوديتهم) متوجه اوديتهم والاضافة فيه لفظية وكذا فى قوله (قالوا هذا عارض ممطرنا) اى يأتينا بالمطر (بل هو) اى قال هود عليه الصلاة والسلام بل هو (ما استعجلتم به) من العذاب وقرئ قل بل (ريح) هى ريح ويجوز ان يكون بدل ما (فيها عذاب اليم) صفتها

انما وقع بينه وبينهم ولو قدر قال الله بل هو ما استعجلتم به لاتفقت النظم ﴿ قوله هي ريح الخ ﴾ يعني ان قوله ريح يجوز ان يكون خبر مبتدأ محذوف اي هي ريح وان يكون بدلا من ما في قوله بل هو ما استعجلتم ﴿ قوله وقرئ يدمر كل شئ ﴾ بالياء التحتانية المفتوحة وسكون الدال وضم الميم ورفع كل على انه فاعل يدمر من دمر الشئ يدمر دمارا اذا هلك وعلى هذه القرآءة يكون العائد الى الموصوف محذوفا والتقدير يدمر كل شئ بهبوبها صفة ويجوز ان يكون العائد الضمير المجرور في ربها ويحتمل ان لا تكون الجملة صفة بل استئنافا وقوله كل شئ عبارة عن الكثرة لانه كم من شئ لم تدمره تلك الريح وكون التدمير بامر رب الريح معناه ان الدمار ليس بمقتضى طبيعة الريح لذاتها وليس من باب تأثيرات الكواكب والقرانات ايضا بل هو امر حدث ابتداء بقدرة الله تعالى لاجل تعذيبكم ﴿ قوله اذ لا توجد نابضة حركة ﴾ علة لكون كل ممكن ليس له قيام بنفسه يقال نبض العرق اي تحرك ﴿ قوله وفي ذكر الامر والرب واضافته الى الريح فوآئد ﴾ فان الريح ليست من العقلاء المميزين حتى تكون مأمورة بالتدمير من قبله تعالى ولانه تعالى رب كل شئ وليس ربوبيته بالنسبة الى الريح فقط حتى يضاف الرب اليها الا انه اضيف اليها الرب للدلالة على عظم شأنها بكونها منسوبة اليه تعالى ومظهرا من مظاهر قدرته وعلى عظم شأن خالقها ويكون مثل هذا الشئ العظيم مملوكا له تعالى ومنقادا لتصرفه فان تصريفه تعالى اياها من جهات مختلفة على وجوه متباينة يدل على كمال قدرته ونفاذ مشيئته واكد هذا المعنى بذكر الامر وجعلها مأمورة من قبله عز وجل تشبيها لها بالعقلاء المميزين الذين لا يتوقفون في امتثال امر الآمر المطاع من حيث كونها منقادة مطاوعة لارادة الله تعالى وتكوينه فيها ماشاء روي انه احتبس عنهم المطر اياما فبعثوا قوما الى الكعبة للاستسقاء فجزوها فاستسقوا لقومهم واظهر الله تعالى لهم ثلاث قطع من السحاب على الوان مختلفة فقيل لهم اختاروا لقومكم واحدة من هذه القطع فاختاروا قطعة سودآء منها وقالوا انها اكثر مطرا فساقها الله تعالى الى ديارهم فخرجت عليهم من واد لهم يقال له المغيث فلما رأوها استبشروا فقالوا هذا عارض ممطرنا فاجابهم هود بان قال بل هو ما استعجلتم به لقولكم فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين فرأوا ما كان خارجا من ديارهم من الرجال والمواشي تطير بهم الريح بين السماء والارض فدخلوا بيوتهم واغلقوا ابوابهم فجاءت الريح فقلعت الابواب وصرعتهم وامالت عليهم الرمال فكانوا تحت الرمل سبع ليال وثمانية ايام لهم انين ثم امر الله تعالى الريح فكشفت عنهم الرمال فاحتملتهم ورمت بهم في البحر وطريق الاهود ومن آمن به وكانوا قد اعتزلوا منهم ودخلوا في حظيرة وكانت التي تصيبهم ريحا طيبة هادية وكون الريح في حقهم بهذا الوصف وفي حق الكفرة بما ذكر من الشدة معجزة له عليه الصلاة والسلام ﴿ قوله والتقدير ولقد مكناهم في الذي او في شئ ﴾ اشارة الى ان ما يجوز ان تكون موصولة وما بعدها صلتها وان تكون موصوفة وما بعدها صفتها وذكر للكلمة ان ثلاثة اوجه الاول انها نافية بمعنى ما وعدل عنها الى ان كراهة اجتماع المثلين كما قلبت لذلك الفها هاء في مهما اصله ماما عند الخليل والثاني انها شرطية والجملة الشرطية صلة ما او صفتها وجواب الشرط محذوف والثالث انها صلة كما في قوله

يرجي المرء ما ان لا يراه ۞ ويعرض دون ادناه الخطوب

اي يؤمل ما لا يراه ولا يصل اليه والخطوب جمع خطب وهو الامر والشأن العظيم اي تعرض الخطوب بينه وبين ادنى شئ مما يؤمله فلا يمكنه الوصول الى ادنى شئ منه والمعنى حينئذ ولقد مكناهم فيما مكناكم فيه وان احوالهم كانت كاحوالكم ولستم باكثر منهم مكنة وقدرة فاذا قدرنا على اهلاكهم فنحن قادرون على اهلاككم ايضا وكونها نافية اصح الوجوه والمعنى حينئذ مكناهم فيما لم نمكنكم فيه من قوة الابدان وطول العمر وكثرة الارزاق والاموال ثم انهم مع هذه القوة والبسطة ما نجوا من عقاب الله تعالى فكيف يكون حالكم ثم انه تعالى ذكر من جملة ما انعم به عليهم ما يكون سببا لنجاتهم من عذابه ونيل رحمته واحسانه فانهم ان استعملوا اسماعهم في سماع الدلائل وابصارهم في ان ينظروا بها في ملكوت السموات والارض ويشاهدوا عجائب مصنوعاته ويستدلوا بافئدتهم على معرفة الله وكمال قدرته ودقائق حكمته حيث هيأ لهم مما ينتظم به احوالهم ما يعجز عن احاطته افكار اولي الالباب فما استعملوا هذه القوى فيما يسعدهم بل صرفوها الى طلب الدنيا ولذاتها فلا جرم ما اغنى عنهم شئ منها من عذاب الله تعالى وما في قوله فما اغنى عنهم نافية لا استفهامية لان قوله من شئ يأبى عن كونها استفهامية اذ يصير التقدير حينئذ اي شئ اغنى عنهم من شئ ﴿ قوله صلة لما اغنى ﴾ اي ظرف معمول له منصوب به اي ما اغنى عنهم وقت

وكذلك قوله (تدمر) تهلك (كل شئ) من نفوسهم واموالهم (بامر ربها) اذ لا توجد نابضة حركة ولا قابضة سكون الا بمشيئته وفي ذكر الامر والرب واضافته الى الريح فوآئد سبق ذكرها مرارا وقرئ يدمر كل شئ من دمر دمارا اذا هلك فيكون العائد محذوفا او الهاء في ربها ويحتمل ان يكون استئنافا للدلالة على ان لكل شئ ممكن فناء مقضيا لا يتقدم ولا يتأخر ويكون الهاء لكل شئ فانه بمعنى الاشياء (فاصبحوا لا يرى الا مساكنهم) اي فجاءتهم الريح فدمرتهم فاصبحوا بحيث لو حضرت بلادهم لا ترى الا مساكنهم وقرأ عاصم وحمزة والكسائي لا يرى الا مساكنهم بالياء المضمومة ورفع المساكن (كذلك نجزي القوم المجرمين) روي ان هودا عليه السلام لما احس بالريح اعتزل بالمؤمنين في الحظيرة وجاءت الريح فامالت الاحقاف على الكفرة وكانوا تحتها سبع ليال وثمانية ايام ثم كشفت عنهم واحتملتهم وقذفتهم في البحر (ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه) ان نافية وهي احسن من ما ههنا لانها توجب التكرير لفظا ولذلك قلبت الفها هاء في مهما او شرطية محذوفة الجواب والتقدير ولقد مكناهم في الذي او في شئ ان مكناكم فيه كان بغيكم اكثر او صلة كما في قوله

يرجي المرء ما ان لا يراه ۞

ويعرض دون ادناه الخطوب ۞

والاول اظهر واوفق كقوله هم احسن اثاثا كانوا اكثر منهم واشد قوة وآثارا (وجعلنا لهم سمعا وابصارا وافئدة) ليعرفوا تلك النعم ويستدلوا بها على مانحها ويواظبوا على شكرها (فما اغنى عنهم سمعهم ولا ابصارهم ولا افئدتهم من شئ) من الاغناء وهو القليل (اذ كانوا يجحدون بآيات الله) صلة لما اغنى وهو ظرف جرى مجرى التعليل من حيث ان الحكم مرتب على ما اضيف اليه وكذلك حيث

كونهم جاحدين وهذا ظرف مفيد فائدة التعليل بان يقال لانهم كانوا يجحدون اذ لا فرق بين ان يقال ضربته لاسائته وضربته اذ أساء فان الضرب لما كان مترتبا على ما اضيف اليه الظرف وهو الاسائة كان المضاف اليه بمنزلة العلة وكذلك حيث فانه ايضا ظرف جار مجرى التعليل من حيث ان ما اضيف اليه يترتب عليه الحكم ترتب المعلول على علته ﴿ قوله ما كانوا به يستهزؤن من العذاب ﴾ فان قولهم فأتنا بما تعدنا من العذاب استهزاء به ﴿ قوله كحجر ثمود ﴾ الحجر منازل ثمود في ناحية الشام وقرى قوم لوط في ارض سدوم بالشام وقرى قوم هود باليمن فانها جميعا قريب من بلاد الحجاز والمراد باهلاك القرى المهلكة باليمن والشام اهلاك اهلها ولذلك قال لعلهم يرجعون اى لكي يرجعوا عن كفرهم * فان قيل دل ذلك على انه تعالى اراد رجوعهم ولم يرد اصرارهم وهو مذهب المعتزلة القائلين بجواز تخلف مراد الله تعالى من ارادته * والجواب ان المعنى انه تعالى فعل ما لو فعله غيره لكان ذلك لاجل الارادة المذكورة كالاختبار والامتحان اذا اسند اليه تعالى والمقصود من الآية تبكيت مشركي مكة وابطال زعمهم ان الاصنام شفعاؤهم عند الله وانهم يتقربون بها اليه تعالى كأنه قيل كيف تزعمون ذلك الا ترون انا اهلكنا عبدة الاصنام الساكنين في حوالي بلاد الحجاز فهلا نصرهم اصنامهم قطع المصنف بان المفعول الاول لقوله تعالى اتخذوا محذوف وهو العائد الى الموصول ثم ذكر ان مفعوله الثاني اما قربانا واما آلهة ثم ذكر ان الثاني ان كان قربانا يكون آلهة اما بدلا من قربانا او عطف بيان له وان كان الثاني آلهة يكون قربانا اما حالا من آلهة قدم عليها لكون ذي الحال نكرة او مفعولا له على انه مصدر بمعنى التقرب كالكفران والشكران والغفران وهو في سائر الاحتمالات اسم بمعنى ما يتقرب به وقال صاحب الكشاف لا يصح ان يكون قربانا مفعولا ثانيا وآلهة بدلا منه لفساد المعنى ولم يذكر وجه الفساد ولعل وجه الفساد ان قوله من دون الله يأبى عن كون قربانا مفعولا وذلك لان المعنى يصير حينئذ اتخذوهم ما يتقرب بهم متجاوزين عن الله والمفهوم منه انه تعالى ذمهم بانهم لم يتخذوه تعالى ما يتقرب به بل عدلوا عنه واتخذوا الاصنام قربانا وهذا معنى فاسد لانه تعالى لا يتقرب به بل يتقرب اليه وهذا الفساد لا يتجه على تقدير ان يكون آلهة مفعولا ثانيا وقربانا حالا دخلت بين المفعولين لان معنى الذم حينئذ يكون متوجها الى ترك اتخاذ الله تعالى الها معبودا بالحق والعدول الى اتخاذ آلهة يتقربون اليها ولم يلتفت المصنف الى ما قاله لان معنى الذي على تقدير ان يكون قربانا مفعولا ثانيا وآلهة بدلا منه يكون متوجها الى عدولهم عن عبادة الله تعالى الى عبادة الآلهة لان قربانا لما كان بدلا منه كان في حكم الساقط وكان المفعول الثاني بحسب المعنى آلهة وكان المعنى اتخذوهم آلهة من دون الله والحال ان الاله هو الله وحده ولا فساد في هذا المعنى ﴿ قوله غابوا عن نصرهم ﴾ اى ليس المراد غيبة الالهة باعيانها عنهم ولا ضياعها وهلاكها في انفسها فان الضلال قد يكون بمعنى الهلاك كما في قوله تعالى ان المجرمين في ضلال وسعر اى في هلاك ويقال ضل الشئ يضل ضلالا اى ضاع وهلك وقد يكون بمعنى الغيبة كما في قوله تعالى أئذا ضللنا في الارض فانه بمعنى خفينا وغبنا كما في قولهم ضل اللبن في الماء وليست آلهة المشركين غائبة عنهم بذواتها هالكة في انفسها وقوله ضلوا عنهم استعارة تبعية شبهت الآلهة بالاشياء الغائبة عنهم في عدم نفعهم بها عند نزول العذاب وامتناع الاستمداد بها امتناع الاستمداد بمن ضل وغاب وهذا هو الذي اراده المصنف بقوله غابوا عن نصرهم ﴿ قوله صرفهم عن الحق ﴾ وهو التوحيد والطاعة اختار قرآءة من قرأ وذلك افكهم بالفتحات الثلاث على انه فعل ماض من افكه يأفكه بفتح العين في الماضي وكسرها في الغابر أفكا بفتح الهمزة وسكون الفاء اى قلبه وصرفه عن الامر فيكون ما في قوله وما كانوا يفترون مصدرية في موضع الرفع بالعطف على المبتدأ وهو ذلك وقيل على الضمير المرفوع في افكهم وحسن ذلك الفصل بينهما بالضمير المنصوب فقام ذلك مقام التأكيد ويكون المعنى حينئذ وذلك الاتخاذ الذي كان مؤداه امتناع ما اتخذوه قربانا عن نصرهم وامتناع ان يستمدوا به امتناع الاستمداد بالضال صرفهم عن التوحيد والطاعة وكونهم مفترين على الله باتخاذ الشركاء وقرأ الجمهور وذلك افكهم بكسر الهمزة وسكون الفاء فيكون ذلك اشارة الى امتناع النصرة وضلالهم عنهم ويكون الافك مصدر أفك يأفك بمعنى كذب يكذب ويقدر المضاف قبل الافك ويكون المعنى وذلك الذي اصابهم من امتناع النصرة وامتناع الاستمداد بما اتخذوه سبب التقرب اليه تعالى اثر كذبهم الذي هو قولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله وانهم يستحقون العبادة لكونهم قربانا واثر كونهم مفترين على الله تعالى على ان يكون قوله وما كانوا يفترون معطوفا على افكهم وقرئ افكهم بالفتحات الثلاث وتشديد الفاء للمبالغة والتكثير اى صرفهم

(وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن) من العذاب (ولقد اهلكنا ما حولكم) يا اهل مكة (من القرى) كحجر ثمود وقرى قوم لوط (وصرفنا الآيات) بتكريرها (لعلهم يرجعون) عن كفرهم (فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة) فهلا منعهم من الهلاك آلهتهم الذين يتقربون بهم الى الله حيث قالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله واول مفعولي اتخذ الراجع الى الموصول المحذوف وثانيهما قربانا وآلهة بدل او عطف بيان او آلهة وقربانا حال او مفعول له على انه بمعنى التقرب وقرئ قربانا بضم الراء (بل ضلوا عنهم) غابوا عن نصرهم وامتنع ان يستمدوا بهم امتناع الاستمداد بالضال (وذلك افكهم) وذلك الاتخاذ الذي هذا اثره صرفهم عن الحق وقرئ افكهم بالتشديد للمبالغة وآفكهم اى جعلهم آفكين وآفكهم اى قولهم الافك اى ذو الافك (وما كانوا يفترون)

صرفا بليغا وقرئ ايضا آفكهم بالمد وكسر الفاء وضم الكاف على انه اسم فاعل من افكه اى صارفهم او قولهم الافك اى الكاذب او ذو الافك ثم انه تعالى لما بين ان الانس فريقان معرضون عما انذروا به وموحدون مستقيمون فى الامور بين ان الجن ايضا فريقان منهم من آمن ومنهم من كفر وان مؤمنهم يغفر له ويتخلص من عذاب اليم وان كافرهم معرض لعقاب العظيم فقال واذ صرفنا اليك وهو منصوب باذكر فى قوله واذكر اخا عاد فانه معطوف على قوله اخا عاد اى اذكر اذ صرفنا اليك نفرا اى اقبلنا بهم نحوك ومن الجن صفة لنفرا وكذا يستمعون ويجوز ان يكون يستمعون حالا من نفرا لتخصيصه بالصفة وروعى معنى النفر حيث اعيد اليه ضمير الجمع فى يستمعون ولو روعى لفظه وقيل يستمع لجاز ﴿ قوله او الرسول ﴾ على طريق الالتفات من الخطاب فى قوله اولئك الى الغيبة فى حضروه ﴿ قوله تعالى فلما قضى ﴾ قرأ العامة على بناء المفعول اى فرغ من قرآءة القرآن وهو يؤيد كون هاء حضروه راجعا الى القرآن وقرئ على بناء الفاعل اى فلما اتم الرسول قرآءته وهى تؤيد عود الهاء الى الرسول صلى الله عليه وسلم واختلف فى عدد ذلك النفر فروى عن ابن عباس ان اولئك الجن كانوا سبعة نفر من اهل نصيبين فجعلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم رسلا الى قومهم فاستجاب لهم من قومهم نحو من سبعين رجلا من الجن فرجعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوافوه بالبطحاء فقرأ عليهم القرآن وامرهم ونهاهم وفيه دليل على انه كان مبعوثا الى الجن والانس وعن زر بن حبيش انهم كانوا تسعة احدهم زوبعة وهو رئيس من رؤساء الجن وعن قتادة انه قال ذكر لنا انهم صرفوا اليه من نينوى وقيل نصيبين اسم بلد باليمن وقيل نصيبين ونينوى كانا من توابع ديار بكر والاول قرية بالشام والثانى قريب من الموصل ﴿ قوله روى انهم وافوا ﴾ اى صادفوا ووجدوا اختلف فى انه صلى الله عليه وسلم هل هو مأمور بانذار الجن والقرآءة عليهم فعله امتثالا لذلك الامر او مروا وهو يقرأ القرآن فوقفوا مستمعين وهو لا يشعر فانبأه الله تعالى باستماعهم قرآءته وذهب الى كل واحد من القولين جماعة قال المفسرون لما مات ابو طالب وايس رسول الله صلى الله عليه وسلم من اجابة اهل مكة اياه خرج الى الطائف وحده يدعوهم الى الاسلام والتمس منهم نصرتهم اياه فى الدعوة الى الاسلام والقيام معه على من خالفه من قومه فلم يجيبوه فى ذلك وقالوا انت اعلم بامرك ومالنا رغبة فى القبول منك واغروا به سفهاء ثقيف فلما يئس من خير ثقيف انصرف الى الطائف راجعا الى مكة ووصل الى وادى النخلة وقال له بطن مكة وسمى بوادى النخلة لان فيه نخلة فقام صلى الله عليه وسلم فى ذلك الوادى يصلى العشاء الاخيرة وقيل قام فيه يصلى الفجر فمر به نفر من اشراف جن نصيبين فاستمعوا لقرآءته وآمنوا واجابوا لما سمعوا فلما فرغ صلى الله عليه وسلم من صلاته ولوا الى قومهم منذرين وهو صلى الله عليه وسلم ما قرأ عليهم القرآن امتثالا لامر الله ولا رآهم وروى ان الجن كانت تسترق السمع فلما حرست السماء ورجموا بالشهب قالوا هذا الذى حدث فى السماء انما حدث لامر ظهر فى الارض فذهبوا يطلبون السبب حتى بلغوا تهامة فمروا بوادى النخلة فوافوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قائم فى جوف الليل يصلى ويقرأ القرآن فاستمعوا لقرآءته وقيل بل امر الله رسوله ان ينذر الجن ويقرأ عليهم القرآن فصرف اليه نفرا من الجن فجمع صلى الله عليه وسلم اصحابه لذلك فقال لهم انى امرت ان اقرأ القرآن على الجن الليلة فمن يتبعنى منكم قالها ثلاثا فاطرقوا الا عبد الله بن مسعود قال لم يحضر معه صلى الله عليه وسلم ليلة الجن احد غيرى وقمت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم واخذت اداوة ولا احسبها الا ماء فانطلقنا حتى اذا كنا على مكة فى شعب الحجون رأيت اسودة مجتمعة قال فخط لى رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا وقال ههنا حتى آتيك ومضى صلى الله عليه وسلم اليهم فرأيتهم يثيرون اليه فقام معهم ليلا طويلا حتى جاءنى مع الفجر فقال لى هل معك من وضوء قلت نعم ففتحت الاداوة فاذا هو نبيذ فقال صلى الله عليه وسلم تمرة طيبة وماء طهور فتوضأ منها ثم قام يصلى وفى رواية لمسلم ان ابن مسعود قال لم اكن ليلة الجن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ووددت لو كنت معه ﴿ قوله قيل انما قالوا ذلك ﴾ يعنى قيل فى جواب ما يقال لم قالوا انزل من بعد موسى ولم يقولوا من بعد عيسى مع ان الظاهر ان يقولوا كذلك لان القرآن انزل من بعد عيسى المبعوث بعد موسى عليهما الصلاة والسلام روى عن عطاء والحسن ان من قال ذلك كان دينهم اليهودية فلذلك قالوا انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى لان فى الجن طوائف مختلفة من اليهود والنصارى والمجوس وعبدة الاصنام كما فى الانس واطبق المحققون على ان الجن مكلفون وعن ابن عباس ان الجن ما سمعت امر عيسى صلى الله عليه وسلم فلذلك قالوا ذلك ﴿ قوله تعالى مصدقا لما بين يديه ﴾ اى لكتب الانبياء وذلك ان كتب الانبياء

(واذ صرفنا اليك نفرا من الجن) املناهم اليك والنفر دون العشرة وجمعه انفار (يستمعون القرآن) حال محمولة على المعنى (فلما حضروه) اى القرآن او الرسول (قالوا انصتوا) قال بعضهم لبعض اسكتوا لنسمعه (فلما قضى) اتم وفرغ من قرآءته وقرئ على بناء الفاعل وهو ضمير الرسول (ولوا الى قومهم منذرين) اى منذرين اياهم بما سمعوا روى انهم وافوا رسول الله عليه السلام بوادى النخلة عند منصرفه من الطائف يقرأ فى تهجده (قالوا ياقومنا انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى) قيل انما قالوا ذلك لانهم كانوا يهودا او ما سمعوا بامر عيسى عليه السلام (مصدقا لما بين يديه يهدى الى الحق) من العقائد (والى طريق مستقيم) من الشرائع

(ياقومنا اجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم) بعض ذنوبكم وهو ما يكون في خالص حق الله تعالى فان المظالم لاتغفر بالايمان (ويجركم من عذاب اليم) هو معدّ للكفار واحتج ابو حنيفة رضي الله عنه باقتصارهم على المغفرة والاجارة على ان لاثواب لهم والاظهر انهم في توابع التكليف كبني آدم (ومن لايجب داعي الله فليس بمعجز في الارض) اذ لاينجي منه مهرب (وليس له من دونه اولياء) يمنعونه منه (اولئك في ضلال مبين) حيث اعرضوا عن اجابة من هذا شأنه (اولم يروا ان الله الذي خلق السموات والارض ولم يعي بخلقهن) ولم يتعب ولم يعجز والمعنى ان قدرته واجبة لاتنقص ولاتنقطع بالايجاد ابد الآباد (بقادر على ان يحيي الموتى) اي قادر ويدل عليه قرآءة يعقوب يقدر والباء مزيدة لتأكيد النفي فانه مشتمل على ان وما في حيزها ولذلك اجاب عنه بقوله (بلى انه على كل شيء قدير) تقريرا للقدرة على وجه عام يكون كالبرهان على المقصود كأنه لما صدّر السورة بتحقيق المبدأ اراد ختمها باثبات المعاد (ويوم يعرض الذين كفروا على النار) منصوب بقول مضمر مقوله (أليس هذا بالحق) والاشارة الى العذاب (قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون) بكفركم في الدنيا ومعنى الامر هو الاهانة بهم والتوبيخ لهم (فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل) اولوا الثبات والجد منهم فانك من جملتهم ومن للتبيين وقيل للتبعيض واولوا العزم اصحاب الشرائع اجتهدوا في تأسيسها وتقريرها وصبروا على تحمل مشاقها ومعاداة الطاعنين فيها ومشاهيرهم نوح وابراهيم وموسى وعيسى وقيل الصابرون على بلاء الله كنوح صبر على اذى قومه كانوا يضربونه حتى يغشى عليه وابراهيم على النار وذبح ولده والذبيح على الذبح ويعقوب على فقد الولد والبصر ويوسف على الجب والسجن وايوب على الضر وموسى قال له قومه انا لمدركون قال كلا ان معي ربي سيهدين وداود بكى على خطيئته اربعين سنة وعيسى لم يضع لبنة على لبنة صلى الله عليهم اجمعين

جميعا كانت مشتملة على الدعوة الى التوحيد والدعوة الى تصديق النبي صلى الله عليه وسلم وحقية امر النبوة والمعاد وتهذيب الاخلاق وكذلك هذا الكتاب مشتمل على هذه المعاني ﴿ قوله فان المظالم لاتغفر بالايمان ﴾ فان المسلم اذا كان ذميا ثم اسلم لاتسقط عنه حقوق العباد باسلامه ولايغفر من الحربي الحق اذا كان ماليا ﴿ قوله واحتج ابو حنيفة ﴾ يعني ان العلماء اختلفوا في ان مؤمني الجن هل يثابون بنعيم الجنة او لا فقيل لاثواب لهم الا النجاة من النار ثم يقال لهم كونوا ترابا مثل البهائم واحتجوا بقول الجن يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب اليم وهو قول الحنفية قال لان العبد لايستحق الثواب بعمله وانما ينال ذلك بمجرد الوعد الالهي تفضلا وكرما ولاوعد في حق الجن الا قوله يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب اليم فيقول بهذه المرتبة قطعا واما الاثابة بنعيم الجنة فموقوف على قيام الدليل ولم يقم عليه دليل فان قيل كيف يحتج بقول الجن اجيب بانه تعالى اذا حكاه من غير نكير فقد علم رضاه به فكان دليلا من هذه الجهة ثم انه تعالى لما ذكر من اول السورة الى هنا امر التوحيد والنبوة ذكر ههنا ما يقرر امر المعاد فقال اولم يروا ان الله الذي خلق السموات والارض الآية فان المقصود منها الاستدلال على كونه قادرا على البعث بأن خلق ما ذكر ادون من اعادة الشخص حيا والقادر على الاكمل لابد ان يكون قادرا على ما دونه ﴿ قوله ولم يتعب ولم يعجز ﴾ يقال عيي بالامر يعيى من باب علم اذا تحير فيه ولم يهتد لوجهه وعجز عنه وهو كقوله تعالى وما مسنا من لغوب وهو التعب والاعياء تقول منه لغب يلغب لغوبا من باب دخل ﴿ قوله اي قادر ﴾ اشارة الى ان قوله تعالى بقادر في موضع الرفع على انه خبر ان وزيدت الباء في خبر ان مع انها لاتزاد في الكلام الجاري الا اذا كان مشتملا على النفي بليس او بما نحو ليس زيد براكب او ما زيد براكب بناء على ان المقصود اثبات القدرة لااثبات الرؤية فان الاستفهام الانكاري في اولم يروا متوجه الى نفي القدرة لا الى نفي الرؤية وان النفي المذكور في اول الآية مشتمل على ان وما في حيزها فكأنه قيل أليس هو بقادر الا ان اداة النفي ادخلت على فعل الرؤية للدلالة على ان نفي القدرة مع كون ثبوتها ظاهرا بينا بعيد عجيب فكأنه قيل قدرة من هذا شأنه على البعث بينة محسوسة فكيف لايبصرونها وينفونها ولما كان الانكار والتعجب المطلق لنفي الرؤية ظاهرا متعلقا بنفي القدرة بحسب المعنى صح دخول الباء في خبر ان كما صح دخولها في خبر ليس في قولنا أليس هو بقادر ويدل على ان المعنى ذلك ان بلى لايجاب النفي بمعنى انها تنقض النفي المتقدم سوآء كان ذلك النفي مجردا عن اداة الاستفهام نحو بلى في جواب من قال ماقام زيد اي بلى قد قام زيد او كان مقرونا بالاستفهام فانها ايضا تنقض النفي المذكور بعد اداة الاستفهام كقوله الست بربكم قالوا بلى اي بلى انت ربنا فلولا ان النفي في قوله اولم يروا انه بقادر متعلق بالقدرة بحسب المعنى لكان الجواب ان يقال بلى انهم يرون انه قادر بان يجعل بلى لتقرير الرؤية لانها هي المنفي لفظا ومعنى حينئذ فلما جعلت مقررة للقدرة بحيث قيل بلى انه على كل شيء قدير علم ان النفي متعلق بها من حيث المعنى ﴿ قوله والمعنى ان قدرته واجبة ﴾ يعني ان قوله تعالى ولم يعي بخلقهن اشارة الى ان قدرته تعالى ذاتية لاتنقص ولاتنقطع بايجاد الاجرام العظام وغيرها وقرر ذلك بلى وما بعدها على سبيل التعميم ليكون كالبرهان على المقصود الذي هو القدرة على البعث ثم انه تعالى لما اثبت قدرته على البعث ذكر بعض احوال الكفار بعد البعث فقال ويوم يعرض الذين كفروا على النار اي يقال لهم يوم يعرضون على النار أليس هذا بالحق والمقصود بهذا الاستفهام التهكم والتوبيخ على ما كان منهم في الدنيا من الانكار بما وعده الله تعالى من البعث والجزآء والفاء في قوله فذوقوا للسببية اي اذا اقررتم انه الحق فذوقوا بسبب كفركم وتكذيبكم بوعد الله ووعيده في قولكم وما نحن بمعذبين ﴿ قوله ومعنى الامر ﴾ جواب عما يقال من ان صيغة الامر تقتضي ان يكون المأمور فاعلا للمأمور به باختياره ولا اختيار للكفار في ذوق العذاب الاليم لهم الا قبول اثر قدرة الله تعالى والطلبة فما معنى صيغة الامر ههنا فاجاب عنه بان ذلك من امر التكليف والامر ههنا ليس للتكليف بل هو للاهانة والتوبيخ والظاهر ان صيغة الامر لادخل لها في التوبيخ بل هو مستفاد من قوله بما كنتم تكفرون الا ان الاهانة الواقعة بصيغة الامر لما كانت مسببة عن كفرهم المستوجب للتوبيخ كان التوبيخ مستفادا من الامر ايضا لانه لما استفيد من الامر الاهانة المسببة عما يوجب التوبيخ استفيد منه التوبيخ ايضا والفاء في قوله تعالى فاصبر عاطفة لهذه الجملة على ما تقدم والسببية فيها ظاهرة او هي فاء الجواب لشرط محذوف اي اذا سمعت وعلمت اي متم من الذين كفروا فاصبر على اذاهم اياك ﴿ قوله اولوا الثبات والجد ﴾ والصبر على

اذى معاديهم ومكذبيهم وهم الرسل كلهم على مااختاره المصنف حيث جعل من للتبيين وقيل اولوا العزم بعض الرسل وهم المأمورون بالجهاد والصابرون على اذى اعداء الدين وقيل الصابرون على البلاء مطلقا وهم نوح حيث صبر على اذى قومه كانوا يضربونه حتى يغشى عليه وابراهيم على النار وذبح ولده واسمعيل على الذبح ويعقوب على فقد ولده وذهاب بصره ويوسف على الجب والسجن وايوب على الضر وموسى قال له قومه انا لمدركون قال كلا ان معى ربى سيهدين وداود بكى على خطيئته اربعين سنة وعيسى لم يضع لبنة على لبنة وقال انها معبرة فاعبروها ولا تعمروها قال تعالى فى حق آدم ولم نجد له عزما وفى حق يونس ولاتكن كصاحب الحوت والصحيح ان الرسل كلهم اولوا العزم ولم يبعث الله رسولا الا كان ذا عزم وحزم ورأى وكمال عقل ولفظة من فى قوله من الرسل للتبيين لا للتبعيض فكأنه قيل اصبر كما صبر الرسل من قبلك على اذى قومهم ووصفهم بالعزم بصبرهم وثباتهم وماقيل ان جميع الرسل اولوا العزم الا يونس لعجلة منه كانت لقوله تعالى ولاتكن كصاحب الحوت والا آدم لقوله تعالى ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزما ليس بصحيح لان معنى قوله ولم نجد له عزما والله اعلم لم نجد له قصدا الى الخلاف ويونس لم يكن خروجه لترك الصبر ولكن توقيا من نزول العذاب ﴿ قوله تعالى ولاتستعجل لهم ﴾ قيل انه صلى الله عليه وسلم ضجر من قومه بعض الضجر واحب ان ينزل الله العذاب على من ابى من قومه فامر بالصبر وترك استعجال نزول العذاب عليهم ثم اخبران العذاب نازل بهم فى وقته لامحالة وانه اذا نزل بهم صار طول لبثهم فى الدنيا والبرزخ كأنه ساعة من النهار لهول مايأتيهم لان الشئ اذا مضى صار كأنه لم يكن وان كان طويلا ﴿ قوله اى كفاية فى الموعظة او تبليغ ﴾ وفى الصحاح الابلاغ الايصال وكذلك التبليغ والاسم منه البلاغ والبلاغ ايضا الكفاية فقوله تعالى بلاغ معناه هذا بلغ قدر الكفاية فلن يهلك بعذاب بعد هذا البيان او البلاغ الا من فسق وخرج عن الاتعاظ بمواعظ الله تعالى والاستفهام فى قوله تعالى فهل يهلك للنفى ﴿ قوله ويؤيده ﴾ اى ويؤيد كون قوله بلاغ من الابلاغ قرآءة من قرأ بلغ على الامر ﴿ قوله وقيل مبتدأ خبره لهم ﴾ الواقع بعد قوله ولاتستعجل اى لهم بلاغ اى وقت يبلغون اليه فحينئذ يتم الكلام عند قوله ولاتستعجل ويوقف عليه ولم يرض بهذا القول لان الفصل بين المبتدأ والخبر بالجملة التشبيهية بعيد جدا مع ان الظاهر ان يتعلق لهم بالاستعجال لابالاستقرار المقدر ﴿ قوله وقرئ يهلك بفتح اللام وكسرها ﴾ قرأ الجمهور فهل يهلك على بناء المفعول وقرآءته بفتح الياء وكسر اللام على بناء الفاعل ههنا ظاهرة لان هلك يهلك من باب ضرب يضرب لغة شائعة وكونها من باب علم يعلم ليس شائعا هذا آخر مايتعلق بسورة الاحقاف والله اعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا دائما الى يوم الدين

﴿ سورة محمد صلى الله عليه وسلم ثلاثون وثمان آيات مدنية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ قوله امتنعوا عن الدخول فى الاسلام وسلوك طريقه اومنعوا الناس عنه ﴾ يعنى ان صدّ يجيء لازما ومتعديا وما فى الآية يمكن حمله عليهما وفى الصحاح صدّ عنه يصدّ صدودا اعرض وصدّه عن الامر صدّا منعه وصرفه عنه فان حمل على المتعدى يكون عطفه على قوله كفروا من قبيل عطف الخاص على العام للدلالة على ان منع الغير عن الدخول فى الاسلام اشدّ توغلا فى الكفر والضلال بحيث يكون مظنة لان يتوهم انه امر مغاير للكفر لايدل عليه قوله الذين كفروا كما فى قوله تعالى وملائكته وجبريل وان حمل على اللازم يكون عطفه عليه للبيان والتفسير لان الامتناع من الدخول فى الاسلام هو الكفر لاغير ﴿ قوله كالمطعمين يوم بدر ﴾ قيل هم ستة نفر من اقيناء قريش اطعم كل واحد منهم الجنود الذين اجتمعوا لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما واحدا الى انقضاء حادثة بدر وهم عتبة وشيبة ابنا ربيعة ونبيه ومنبه ابنا الحجاج وابو جهل والحارث ابنا هشام وقال مقاتل كانوا اثنى عشر هؤلاء الستة والباقون عامر بن نوفل وحكيم بن حزام وزمعة بن الاسود وابو سفيان بن حرب وصفوان بن امية والعباس بن عبد المطلب اطعم كل واحد منهم الاحابيش يوما ﴿ قوله اى ضائعة محبطة بالكفر ﴾ يعنى ان كان المراد باعمالهم مايعدّونه مكارم ومحاسن يكون المراد باضلالها اما جعلها ضائعة بحيث لايكون لها من يتقبلها ويثيب عليها كالضالة من الابل فانها لارب لها يحفظها ويعتنى بشأنها ويدبر امرها فكذا مكارم الكفار فان شيأ من ذلك لايعتبر الا بالاسلام واما جعلها مغلوبة مغمورة فيه اى غائبة فى كفرهم وشركهم مضمحلة مستورة بظلمة الكفر

(ولاتستعجل لهم) لكفار قريش بالعذاب فانه نازل بهم فى وقته لامحالة (كأنهم يوم يرون مايوعدون لم يلبثوا الاساعة من نهار) استقصروا من هوله مدة لبثهم فى الدنيا حتى يحسبوها ساعة (بلاغ) هذا الذى وعظتم به اوهذه السورة بلاغ اى كفاية او تبليغ من الرسول ويؤيده انه قرئ بلغ وقيل بلاغ مبتدأ خبره لهم ومابينهما اعتراض اى لهم وقت يبلغون اليه كأنهم اذا بلغوه ورأوا مافيه استقصروا مدة عمرهم وقرئ بالنصب اى بلغوا بلاغا (فهل يهلك الا القوم الفاسقون) الخارجون عن الاتعاظ او الطاعة وقرئ يهلك بفتح اللام وكسرها من هلك وهلك ونهلك بالنون ونصب القوم عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الاحقاف كتب له عشر حسنات بعدد كل رملة فى الدنيا

﴿ سورة محمد عليه الصلاة والسلام ﴾
﴿ وتسمى سورة القتال وهى مدنية ﴾
﴿ وقيل مكية وآيها سبع اوثمان ﴾
﴿ وثلاثون آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الذين كفروا وصدّوا عن سبيل الله) امتنعوا عن الدخول فى الاسلام وسلوك طريقه اومنعوا الناس عنه كالمطعمين يوم بدر اوشياطين قريش اوالمصرّين من اهل الكتاب او عام فى جميع من كفر وصدّ (اضل اعمالهم) جعل مكارمهم كصلة الرحم وفك الاسارى وحفظ الجوار ضالة اى ضائعة محبطة بالكفر او مغلوبة مغمورة فيه كما يضل الماء فى اللبن اوضلالا حيث لم يقصدوا به وجه الله

كضلال الماء في اللبن واما جعلها ضلالا وغواية لان كل ما لا يقصد به وجه الله تعالى لا يكون هدى وطاعة بل يكون ضلالا ومعصية ﴿قوله او ابطل ما عملوه الخ﴾ عطف على قوله صلى الله عليه وسلم جعل الله مكارمهم ضالة اى ان كان المراد باعمالهم ما عملوه من الكيد لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومنع عباد الله عن الدخول فى الاسلام فاضلالها جعلها بحيث لا يترتب عليها ما قصدوا منها وان يبطل سعيهم فيها ويجعلهم خائبين محرومين من مرادهم بتحقيق ما اراده من نصرة رسوله صلى الله عليه وسلم وان بالغوا فى الكيد به واظهار دينه على جميع الاديان وبالغوا فى منع الناس عن الدخول فيه ﴿قوله يعم المهاجرين والانصار الخ﴾ يعنى ان قوله والذين آمنوا وعملوا الصالحات عام فى كل من آمن وعمل صالحا كما ان قوله والذين كفروا وصدوا عام فى كل من كفر وصد وان التعريف فيهما ليس للعهد والاشارة الى قوم مخصوصين وما روى عن ابن عباس من ان الذين كفروا وصدوا مشركوا مكة وان الذين آمنوا وعملوا الصالحات الانصار تخصيص من غير مخصص اذ لا يظهر وجه التخصيص فيه الا ان جعل التعريف فى قوله (٣) والذين آمنوا كذلك وان جعل للعموم يكون التعريف فى الذين آمنوا ايضا للعموم لوجوب مقابلة الخاص بالخاص والعام بالعام ﴿قوله تخصيص للمنزل﴾ يعنى انه من عطف الخاص على العام المقدر بناء على ان قوله والذين آمنوا معناه آمنوا بجميع ما يجب الايمان به بناء على حذف المفعول للتعميم مع الاختصار كما فى قوله تعالى والله يدعو الى دار السلام اى يدعو جميع عباده ولا شك ان الايمان بالقرآن المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم من جملة افراد ما يجب الايمان به فلا بد لتخصيصه بالذكر بعد ذلك التعميم من نكتة وهى ما ذكره من التعظيم لشأنه والاشعار بانه الاصل فيه ﴿قوله ولذلك﴾ اى ولكون تخصيصه بالذكر لتعظيم شأنه اكده بالجملة الاعتراضية الواقعة بين المبتدأ والخبر الواردة على طريق الحصر مثل ذلك الكتاب وحاتم الجواد فان امثال هذه التراكيب تفيد حصر الصفة على الموصوف لكمالها فيه بحيث يكون ما عداه بالنسبة اليه كأنه ليس بمتصف بما اسند اليه من الصفة نعنى الحصر فى قوله وهو الحق ان القرآن هو البالغ فى كونه حقا منزها عن ان يشوبه شئ من وجوه البطلان لكون لطمه ومعناه بالغا الى اقصى مراتب الكمال ﴿قوله وقيل حقيته بكونه ناسخا لا ينسخ﴾ معطوف على ما سبق من حيث المعنى فان قوله ولذلك اكده يكذا اعتراضا على طريقة الحصر يشعر بان المراد بالحق ضد الباطل وان قوله وهو الحق من ربهم معناه انه الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وان وجه الحصر كون المنزل عليه فى اقصى مراتب الحقية ووجه كونه مشعرا بذلك ان كون الجملة الاعتراضية مؤكدة لما يستفاد من تخصيص المنزل عليه بالذكر انما يظهر اذا كان معنى الحقية عدم تطرق الفساد اليه بوجه ما اذ لو كان معنى حقيته كونه ثابتا لا ينسخ لما ظهر كون الجملة الاعتراضية مؤكدة لما يستفاد مما قبلها من تعظيم المنزل عليه لان النسخ عبارة عن بيان انتهاء الحكم لانتهاء علته وكون الحكم منسوخا بهذا المعنى لا يوجب نقصانا حتى يكون عدم تطرق النسخ اليه مظنة التعظيم ولما كان الكلام السابق مشعرا بان حقيته ان لا يتطرق اليه الفساد بوجه ما عطف عليه قوله وقيل حقيته بكونه ناسخا لا ينسخ ولم يرض به لان الجملة الاعتراضية لا يبقى لها فائدة يعتد بها حينئذ وهذا التقرير على ان تكون عبارة المصنف هكذا اعتراضا على طريقة الحصر وقيل حقيته بكونه ناسخا لا ينسخ الا ان العبارة فى اكثر النسخ هكذا (٧) على طريقه فحينئذ يكون الكلام محل بحث لان تلك الجملة على تقدير ان يكون الحق بمعنى الثابت كيف تكون مؤكدة لما يستفاد من تخصيص المنزل بالذكر الا ان يقال كونه ثابتا لا ينسخ كناية عن كونه حقا واجب الاتباع عاريا عن تطرق البطلان اليه بوجه ما فحينئذ يظهر وجه التأكيد الا انه يبقى ان يقال لا فائدة فى قوله على طريقه بعد قوله اكده لان الظاهر ان ضمير طريقه انما لتأكيد المدلول عليه بقوله اكده ﴿قوله وقرئ نزل﴾ الجمهور على بناء نزل للمفعول مشددا وقرئ نزل مشددا على بناء الفاعل وهو الله تعالى وما عدا قراءة الجمهور من الشواذ ﴿قوله سترها بالايمان﴾ على ان يكون بناء التفعيل للتكثير والمبالغة يقال كفرت الشئ اكفره بالكسر كفرا اى سترته فهو من باب ضرب والذى هو ضد الايمان من باب نصر ويتعدى بالباء وهذا يدل على ان قوله تعالى اضل اعمالهم بمعنى جعلها مغلوبة مستورة فى كفرهم وان المعنى ان اعمال الكفار وان كانت من قبيل المكارم والحسنات يجعلها الله تعالى غائبة مستورة فى غمرات كفرهم وترك متابعتهم الحق المنزل من عند الله تعالى وان سيئات المؤمنين يسترها الله تعالى اى يكتنف ايمانهم ومتابعتهم الحق المنزل ﴿قوله وهو تصريح بما اشعر به ما قبلها﴾ فان كل واحد من حكم الاضلال والتكفير قد رتب سابقا على الموصول

(٣) الذين كفروا للعهد والاشارة الى قوم مخصوصين ينبغى ان يجعل التعريف فى قوله
(تمت)

او ابطل ما عملوه من الكيد لرسوله والصد عن سبيله بنصر رسوله واظهار دينه على الدين كله (والذين آمنوا وعملوا الصالحات) يعم المهاجرين والانصار والذين آمنوا من اهل الكتاب وغيرهم (وآمنوا بما نزل على محمد) تخصيص للمنزل عليه مما يجب الايمان به تعظيما لهو اشعارا بان الايمان لا يتم دونه وانه الاصل فيه ولذلك اكده بقوله (وهو الحق من ربهم) اعتراضا على طريقة الحصر وقيل حقيته بكونه ناسخا لا ينسخ وقرئ نزل على البناء للفاعل وانزل على البنائين ونزل بالتخفيف (كفر عنهم سيئاتهم) سترها بالايمان وعملهم الصالح (واصلح بالهم) حالهم فى الدين والدنيا بالتوفيق والتأييد (ذلك) اشارة الى ما مر من الاضلال والتكفير والاصلاح وهو مبتدأ خبره (بان الذين كفروا اتبعوا الباطل وان الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم) بسبب اتباع هؤلاء الباطل واتباع هؤلاء الحق وهو تصريح بما اشعر به ما قبلها ولذلك تسمى تفسيرا

(٧) اعتراضا على طريقه وحقيته بكونه ناسخا
(تمت)

فاشعر ذلك بعلية مضمون الصلة له كما ان ترتيب الحكم على الموصوف يشعر بعلية الصفة له ثم ذكر صريحا سبب كل واحد من الحكمين المذكورين بعد ماذكر على سبيل الايماء ومثل هذا تسمية علماء البيان التفسير لكونه موضحا لعلة التى ذكرت ايماء واشعارا ﴿قوله مثل ذلك الضرب﴾ اشارة الى ان الكاف منصوب المحل على انها صفة مصدر محذوف وان الضرب بمعنى التبيين وان المثل فى العرف العام وان كان عبارة عن القول السائر المشبه مضربه بمورده وان ضربه استعماله فيما شبه بمورده على سبيل الاستعارة التمثيلية الا ان المراد بالمثل ههنا الحالة العجيبة تشبيهالها بالقول السائر فى الغرابة المؤدية الى التعجب وان ضمير امثالهم يحتمل ان يرجع الى فريق المؤمنين والكافرين فانه تعالى بين حال الكافر بان كفره بلغ فى كونه شرا له الى ان صارت مكارمه مغمورة فى كفره بحيث لم يرشيأ من منافعه وبين حال المؤمن بان ايمانه بلغ فى كونه خيرا له الى ان صارت سيئاته مكفرة مستورة بكنف ايمانه بحيث لم يرشيأ من تبعاتها ومضارها ولم يكتف بذلك بل انضم اليه اصلاح بالهم بان بدل الله تعالى سيئاتهم حسنات وهذه احوال عجيبة للفريقين بين بها الله تعالى (٩) للناس احوال انفسهم ليعتبروا ويتداركوا بعد ماوفقهم تعالى لصالح الاعمال والاخلاق فالمشار اليه بقوله تعالى كذلك هو معنى ماذكر من اول السورة الى قوله واصلح بالهم ﴿قوله او يضرب امثالهم الخ﴾ عطف على قوله يبين لهم احوال الفريقين او احوال الناس ويجوز ان لايكون المراد بامثالهم احوالهم العجيبة بل يراد به معناه اللغوى فان المثل فى اللغة بمعنى الشبه والامثال بمعنى الاشباه والاشكال ويراد بضرب امثالهم واشباههم بيان مايشبه به انفسهم واعمالهم فانه تعالى شبه الكافر بمن يتبع الباطل على طريق التشبيه البليغ من حيث كونه متوجها الى الباطل ساعيا فيه فكأنه يتبعه اذليس ثمة اتباع باطل حقيقة بل ليس هناك الا ارتكاب باطل والاتيان به وكذا شبه المؤمن بمن يتبع الحق من حيث كونه متوجها اليه قاصدا اياه فصار كأنه يتبعه اى انه يتبع الحق وان الكافر يتبع الباطل اى كأنه هو ولما كان المقصود من تشبيه قسميهما تشبيه عمل الكافر باتباع الباطل وتشبيه عمل المؤمن باتباع الحق قال المصنف بجعل اتباع الباطل مثلا لعمل الكفار اى شبيها شبه به حال الكافر وعمله وكذا جعل اتباع الحق مثلا لعمل المؤمن اى شبيها شبه به حال المؤمن وعمله وقال والاضلال مثلا لخيبتهم اى وشبه خيبتهم وحرمانهم من ثواب مكارمهم باضلالهم اياها وكونها كالبعير الضال الذى لايهتدى اليه صاحبه اذليس ثمة اضلال الثواب حقيقة وانما المحقق هو الحرمان منه وقال وتكفير السيئات مثلا لفوزهم اى وشبه فوزهم بسعادة الآخرة بتكفير السيئات اذليس ثمة الافوز المؤمن بفضله تعالى ورحمته وعبر عنه بتكفير السيئات واصلاح البال فظهر انه تعالى بين من اول السورة الى قوله وان الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم مايشبه به اعمال الفريقين وعاقبة امرهما من خيبة احدهما وفوز الآخر ثم قال كذلك يضرب الله للناس امثالهم اى يبين مايشبه به اعمالهم وعواقبهم ثم انه تعالى لما بين ان الذين كفروا وامتنعوا عن الدخول فى الاسلام اومنعوا الناس عنه ليس لهم من المكارم والاعمال الصالحة مايعتدبه وان بينهم وبين الذين آمنوا تباين الطريق من حيث ان احد الفريقين يتبع الباطل ويكون حزب الشيطان والفريق الآخر يتبع الحق ويكون حزب الرحمن امر المؤمنين ان يقتلوهم افضع قتلة بان يفصلوا بجمع حواسهم عن ابدانهم فقال فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب فالفاء فى قوله فاذا لقيتم فاء الجواب شرط محذوف وفى قوله فضرب الرقاب فاء جواب اذا وقوله فضرب مصدر مؤكد لفعله المحذوف لدلالة المصدر عليه وذلك الفعل المقدر هو العامل فى فاذا ومنع ابو البقاء ان يكون المصدر نفسه عاملا فيه قال لانه مؤكد وهو احد القولين فى المصدر النائب عن الفعل فقال بعضهم ناصب المفعول به فى نحو ضربا زيدا هو المصدر المؤكد وقال آخرون هو عامله ﴿قوله والتعبير به عن القتل﴾ اشارة الى ان ضرب الرقاب كناية عن القتل عبر به عنه لكونه من لوازم القتل غالبا فان قتل الانسان غالبا يكون بضرب رقبته ﴿قوله ينبغى ان يكون بضرب الرقبة حيث امكن﴾ وذلك لان قصد المؤمن فى محاربة الكفار ليس دفعهم عن نفسه حتى يقتصر على قدر مايدفعهم به عن نفسه فان من يضرب الصائل لدفعه عن نفسه لايضرب مقتله اولا بل يتدرج فيضرب اولا غير مقتله فان اندفع به فذاك والا يترقى الى درجة الاهلاك بل مقصوده رفع وجود الكافر عن وجه الارض بالكلية وتطهير الارض منهم فانه تعالى جعل الارض للمسلمين مسجدا وطهورا والمشركون نجس ويجب تطهير المسجد من النجاسة وطرح من لايعبدالله تعالى عن محل عبادته فلذلك

(٩) للناس ليعتبروا ويتعظوا بها ويحتمل ان يكون ضمير امثالهم للناس فيكون المعنى يبين (منه)

(كذلك) مثل ذلك الضرب (يضرب الله للناس) يبين لهم (امثالهم) احوال الفريقين او احوال الناس او يضرب امثالهم بان جعل اتباع الباطل مثلا لعمل الكفار والاضلال مثلا لخيبتهم واتباع الحق مثلا للمؤمنين وتكفير السيئات مثلا لفوزهم (فاذا لقيتم الذين كفروا) فى المحاربة (فضرب الرقاب) اصله فاضربوا الرقاب ضربا فحذف الفعل وقدم المصدر وانيب منابه مضافا الى المفعول ضما الى التأكيد الاختصار والتعبير به عن القتل اشعار بانه ينبغى ان يكون بضرب الرقبة حيث امكن وتصوير له باشنع صورة .

كان ينبغى لمن يحاربهم ان يقصد مقتلهم اوّلا وهو الحلقوم والاوداج لكن لا يتهيأ ذلك حال الحرب الا نادرا فيضرب رقابهم ان امكن لكون ضربها مستلزما لقطع الحلقوم والاوداج المستلزم للموت والا فيضرب اىّ عضو امكن ﴿ قوله تعالى حتى اذا اثخنتموهم ﴾ غاية للامر بضرب الرقاب وايجابه لا للبيان غاية نفس القتل اذ لو كان لبيان غاية القتل لما جاز القتل بعد الاثخان مع انه يجوز الى ان اسلموا او رضوا باعطاء الجزية وفسر اثخانهم باثخان قتلهم وتكثيره فيهم بحيث يعجز الباقين عن الاضرار بالمسلمين ويجوز ان تكون همزة اثخن للازالة فهو السلب كما فى قولك اشكيته اى ازلت عنه الشكاية اى ازلت شكواه ويكون المعنى ازلتم ثخن الاعدآء وقوتهم بالقتل ومنه قولهم اثخن الصيد اذا ازال قوته على التوحش بالجرح والوثاق وهو الاسر والشدّ لا يكون الا بعد اكثار القتل كما قال تعالى ما كان لنبىّ ان تكون له اسرى حتى يثخن فى الارض ﴿ قوله منا وفدآء ﴾ مصدر ان لفعل محذوف لا يجوز اظهاره لما تقرر فى النحو من ان المصدر متى سيق تفصيلا لاثر مضمون جملة متقدمة وعاقبتها وجب نصبه باضمار فعله والتقدير ما ذكره المصنف والمراد بالمنّ ان يطلق الاسير الكافر مجانا ويترك من غير ان يؤخذ منه شئ والفدآء ان يطلق بان يؤخذ منه مال او اسير مسلم محبوس عندهم فى مقابلته والآية محكمة عند الامام الشافعى وجماعة لاطلاق النبى صلى الله عليه وسلم ثمامة بعد عرض الاسلام عليه ثلاثة ايام فلما اطلقه فى اليوم الثالث ذهب واغتسل ثم اتى النبى صلى الله عليه وسلم واسلم وفدآء النبى رجلا من عقيل كان اسيرا عند ثقيف برجلين كانا من ثقيف اسيرين عنده صلى الله عليه وسلم فان الامام الشافعى يقول للامام ان يختار احد اربعة على حسب ما اقتضاه نظره للمسلمين وهى القتل والاسترقاق والفدآء باسارى المسلمين والمنّ وعند ابى حنيفة واصحابه الامام مخير فى الاسارى بين ان يقتلهم او يسترقهم او يتركهم اهل ذمة للمسلمين ولا يردّهم الى دار الحرب لا على وجه المنّ والاطلاق مجانا ولا على وجه الفدآء وقالوا الآية منسوخة بقوله تعالى فاما تثقفنهم فى الحرب فشرّد بهم من خلفهم وبقوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم فان هذه الآيات نسخت المنّ والفدآء بالمال وبالفدآء باسرى المسلمين عند ابى حنيفة خلافا لصاحبيه فى الفصل الاخير قال لا يجوز شئ من ذلك لئلا يعود وبالهم علينا ولئلا يكثر سوادهم قال مجاهد ليس اليوم منّ ولا فدآء انما هو الاسلام او ضرب العنق وهذا فى مشركى العرب خاصة لانهم لا يسترقون ولا تقبل منهم الجزية واما فى غيرهم ان شاء جعلهم الامام ذمة وان شاء استرقهم وان شاء قتلهم ﴿ قوله آلاتها واثقالها ﴾ فان الاوزار جمع وزر وهو الحمل والثقل فيتناول آلات الحرب كلها كما قال الاعشى

۞ واعددت للحرب اوزارها ۞ رماحا طوالا وخيلا ذكورا ۞

ومن فسر الاوزار بالآثام شبه الاثم بالحمل فسماه وزرا على طريق الاستعارة والوزر باىّ معنى كان انما هو على المحاربين لا على نفس الحرب فالمعنى حتى تضع اهل الحرب اوزارهم او حتى تضع الحرب اوزارها على حذف المضاف كما فى واسأل القرية ومحصل المعنى افعلوا ما ذكر من الاحكام الى ان تنقضى الحرب ولا يحتاج الى قتال مشرك لزوال شوكتهم بسبب اسلامهم او مسالمتهم فادام فى الدنيا مشرك يعادى الاسلام والمسلمين فالحرب قائمة وقيل حتى لا يبقى احد من المشركين ولا يبقى دين الا الاسلام وذلك يكون عند نزول عيسى صلى الله عليه وسلم كما قال صلى الله عليه وسلم ينزل عيسى بن مريم حكما عدلا يكسر الصليب ويقتل الخنازير وتضع الحرب اوزارها اى ويسلم الناس حتى لا يبقى فى الارض مشرك فعلى هذا يكون المراد بالاوزار اوزار اهل الشرك من الكفر والمعاصى ﴿ قوله اى الامر ذلك ﴾ وهو وجوب ضرب رقاب الذين كفروا على الوجه المذكور ليقطع دابر الكافرين ويكون الدين كله لله ثم انه تعالى بين ان قتالهم ليس طريقا متعينا للانتقام منهم بل لو اراد الله تعالى لاهلكهم من غير سيف ودم مهراق ومن غير تجنيد الجنود والانفاق ولو يشاء الله لانتصر منهم بجند من جنوده غيركم او ببعض اسباب الهلكة من خسف او رجفة او صيحة او غرق كما فعل بغيرهم من الامم ولكن امركم بالقتال ليبلو بعضكم ببعض اى ليختبر المؤمنين بالكافرين وبالعكس اى ليظهر منكم الطائع من العاصى فيجازى كل احد على حسب استحقاقه فان ظهور كل واحد من الاطاعة والعصيان بحسب تعلق العلم الازلى بهما لا يكفى فى استحقاق الثواب والعقاب فان مناطهما تحقق حقيقة الاطاعة والعصيان (٧) لان العلم الازلى باستعداد العبد لهما وانهما سيصدران منهما وذلك التحقق انما يكون بان يكلف الله تعالى المؤمنين بجهاد اعدآء الدين ليتحقق ما فى استعداد كل واحد من الفريقين وهذا معنى ما فى التيسير من قوله اى ليظهر منكم ما فى الازل من فعل الامر وتركه انتهى ولما كان كل واحد من امتثال الامر

(حتى اذا اثخنتموهم) اكثرتم قتلهم واغلظتموه من الثخين وهو الغليظ (فشدّوا الوثاق) فاسروهم واحفظوهم والوثاق بالفتح والكسر ما يوثق به (فاما منا بعد واما فدآء) اى فاما تمنون منا او تفدون فدآء والمراد التخيير بعد الاسرين المنّ والاطلاق وبين اخذ الفدآء وهو ثابت عندنا فان الذكر الحر المكلف اذا اسر تخير الامام بين القتل والمنّ والفدآء والاسترقاق منسوخ عند الحنفية او مخصوص بحرب بدر فانهم قالوا بتعين القتل او الاسترقاق وقرئ فدا كعصا (حتى تضع الحرب اوزارها) آلاتها واثقالها التى لا تقوم الا بها كالسلاح والكراع اى تنقضى الحرب ولم يبق الا مسلم او مسالم وقيل آثامها والمعنى حتى تضع اهل الحرب شركهم ومعاصيهم وهو غاية للضرب او الشدّ او المنّ والفدآء او المجموع بمعنى ان هذه الاحكام جارية فيهم حتى لا يكون حرب مع المشركين بزوال شوكتهم وقيل بنزول عيسى صلى الله عليه وسلم (ذلك) اى الامر ذلك او افعلوا بهم ذلك (ولو يشاء الله لانتصر منهم) لانتقم منهم باستئصال (ولكن ليبلو بعضكم ببعض) ولكن امركم بالقتال ليبلو المؤمنين بالكافرين بان يجاهدوهم فيستوجبوا الثواب العظيم والكافرين بالمؤمنين بان يعاجلهم على ايديهم ببعض عذابهم كى يرتدع بعضهم عن الكفر

(٧) بان يختار المكلف طاعة المولى على متابعة الهوى او يختار عكس ذلك (منه)

(ومما تقدم)

ومخالفته وطاعة الآمر وعصيانه متوقفا على الامر والتكليف امر المكلف ونهاه ليظهر ماقى علمه الازلى ويتحقق ويعلم بالوقوع ويستحق لان يثاب او يعاقب بسبب اختياره طاعة مولاه على متابعة هواه او بالعكس ولما كان التكليف المؤدى الى ذلك التحقق والاختبار مشابها للاختبار سمى اختبارا و بلوى واشتق منه قوله ليبلو فهو استعارة تبعية ثم انه تعالى لما امر بالجهاد وبين وجه الحكم فيه بين ثواب من امتثل به فقال والذين قتلوا فى سبيل الله الآية قرأ العامة قاتلوا وقرأ ابو عمرو ويعقوب وحفص قتلوا مبنيا للمفعول ﴿ قوله فلن يضيعها ﴾ تفسير لقوله تعالى فلن يضل اعمالهم بضم الياء وكسر الضاد على بناء الفاعل وهو قرآءة الجمهور وقرئ يضل على بناء المفعول ورفع اعمالهم لقيامه مقام الفاعل وقرئ ايضا يضل بفتح الياء ورفع اعمالهم فاعلا له والفاء فى قوله فلن يضل جزائية لتضمن المبتدأ معنى الشرط وعن قتادة ان الآية نزلت يوم احد وقد فشت فى المسلمين الجراحات والقتل ﴿ قوله او بينها لهم ﴾ فان اهل الجنة اذا دخلوها يعرف كل واحد منهم منزله منها فكانوا اعرف بمنازلهم من اهل الجنة اذا انصرفوا منها الى منازلهم قال مقاتل الملك الذى وكل بحفظ عمله يمشى بين يديه فيعرّفه ما اعطاه الله تعالى من درجات الجنة ﴿ قوله او طيبها لهم ﴾ من قولهم طعام معرّف اى مطيب ﴿ قوله او حددها لهم ﴾ من قولهم عرّف الدار اذا حددها والعرف والارف جمع عرفة وارفة وهما الحدود وقد حددها الله تعالى فى قوله وجنة عرضها السموات والارض ثم انه تعالى لما بين مايترتب على القتال من الثواب والاجر وعدهم بالنصرة فى الدنيا زيادة على الحث على القتال ليزداد اقدامهم عليه فقال ان تنصروا الله اى تنصروا دين الله ورسوله بالغزو والجهاد لاعلاء كلمة الله وقمع اعدآء الدين ومن نصرة الدين ايضاح دلائله وازالة شبهة القاصرين وشرح احكامه وفرآئضه وسننه وحلاله وحرامه ومن نصرة الله تعالى لعبده ارسال الرسل وانزال الكتب واظهار المعجزات والآيات وبيان مايؤدى الى جنة النعيم او عذاب الجحيم والامر بالجهاد الاكبر والاصغر والتوفيق للسعى فيها طلبا لمرضاة الله لا اتباعا لهواه ثم زاد فى تقوية قلوبهم فقال والذين كفروا فتعسا لهم فانه تعالى لما قال ويثبت اقدامكم جاز ان يتوهم ان الكفار ايضا تثبت اقدامهم فى قتال المؤمنين فيدوم القتال والحرب والطعان والضرب وفيه مشقة عظيمة فازال هذا الوهم بان قال لكم الثبات والاقدام وعليهم العثار والاحجام فان التعس فى اللغة العثرة وهى الزلق وزلة الرجل وهو دعاء بالانتعاس وهو عدم الارتفاع والنهوض من العثرة ويكون نقيض لعاله دعاء بالانتعاش وهو الارتفاع والنهوض من العثرة قال الاعشى

بذات لوث عفرناة اذا عثرت ❁ فالتعس اولى لها من ان اقول لعا

واللوث بالفتح القوّة وناقة عفرناة اى قوية والعفرنان الاسد سمى بذلك لشدته والالف والنون فيه للالحاق والعفر الرجل الخبيث الداهى والمرأة عفرة والعفريت من كل شئ القوى البالغ فى قوته وفى الحديث « ان الله يبغض العفرية النفرية الذى لا يرزأ فى اهل ولا مال » وماقبل هذا البيت

كلفت مجهولها نفسى وشايعنى ❁ همى عليها اذا ما آلها لمعا

الآل السراب والمعنى كلفت نفسى قطع المفازة المجهولة الاعلام اذا مالسرابها لمع وواقفنى همى على قطعها متلبسا بناقة ذات قوّة غليظة لا تتضرر من شئ فهى بحيث يكون العثار والانحطاط ابعد شئ من شأنها حتى لو فرض عثارها كانت احق بان يدعى عليها بالتعس والهلاك من حيث ان عثرتها مع كمال قوتها وسلامة اعضائها بعيدة كل البعد فتستحق لذلك ان يدعى عليها بان يقال تعسا وانما تستحق لان يدعو لها بان يقال لعا اذا عثرت من ضعفها والتعس الهلاك واصله الكب والانحطاط والسقوط على الوجه بسبب العثرة يقال للعاثر تعسا اذا لم يريدوا قيامه ولضده لعا اذا ارادوا قيامه وانتعاشه اى نهوضه من عثرته ﴿ قوله والجملة خبر الذين ﴾ يعنى ان قوله والذين كفروا مبتدأ وخبره الجملة المقدرة المركبة من الفعل الناصب لتعسا مع معموله اى فتعسوا تعسا ودخلت الفاء على الخبر لتضمن المبتدأ معنى الشرط ﴿ قوله او مفسرة لناصبه ﴾ اى ويجوز ان تكون الجملة المقدرة مفسرة لناصب الذين بان يكون قوله الذين كفروا منصوب المحل على انه من باب ما اضمر عامله على شريطة التفسير فيكون منصوبا بفعل مضمر يفسره فتعسا لهم فيكون ذلك المقدر معطوفا على قوله ويثبت اقدامكم اى يثبت الله اقدامكم ويتعس الذين كفروا فتعسوا تعسا وقوله تعالى واضل عطف على ناصب الذين وقوله لهم خبر مبتدأ محذوف اى الدعاء بالتعس والاضلال لهم واللام فيه كما فى هيت لك ﴿ قوله وهو تخصيص ﴾ اى الحكم

(والذين قاتلوا فى سبيل الله) اى جاهدوا وقرأ البصريان وحفص قتلوا اى استشهدوا (فلن يضل اعمالهم) فلن يضيعها وقرئ يضل من ضل ويضل على البناء للمفعول (سيهديهم) الى الثواب او سيثبت هدايتهم (ويصلح بالهم ويدخلهم الجنة عرّفها لهم) وقد عرّفها لهم فى الدنيا حتى اشتاقوا اليها فعملوا ما استوجبوها به او بينها لهم بحيث يعلم كل احد منزله ويهتدى اليه كأنه كان ساكنه منذ خلق او طيبها لهم من العرف وهو طيب الرآئحة او حددها لهم بحيث يكون لكل جنة مفرزة (يا ايها الذين آمنوا ان تنصروا الله) ان تنصروا دينه ورسوله (ينصركم) على عدوكم (ويثبت اقدامكم) فى القيام بحقوق الاسلام والمجاهدة مع الكفار (والذين كفروا فتعسا لهم) فعثارا وانحطاطا ونقيضه لعا قال الاعشى

« فالتعس اولى لها من ان اقول لعا »

وانتصابه بفعله الواجب اضماره سماعا والجملة خبر الذين كفروا او مفسرة لناصبه (واضل اعمالهم) عطف عليه (ذلك بانهم كرهوا ما انزل الله) القرآن لما فيه من التوحيد والتكاليف المخالفة لما الفوه واشتهته انفسهم وهو تخصيص وتصريح بسببية الكفر بالقرآن للتعس والاضلال (فاحبط الله اعمالهم) كرره اشعارا بانه يلزم الكفر بالقرآن ولا ينفك عنه بحال

(افلم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمر الله عليهم) استأصل عليهم مااختص بهم من انفسهم واهليهم واموالهم (وللكافرين) من وضع الظاهر موضع المضمر (امثالها) امثال تلك العاقبة او العقوبة او الهلكة لان التدمير يدل عليها او السنة لقوله سنة الله التى قد خلت (ذلك بان الله مولى الذين آمنوا) ناصرهم على اعدائهم (وان الكافرين لامولى لهم) فيدفع العذاب عنهم وهو لايخالف قوله وردوا الى الله مولاهم الحق فان المولى فيه بمعنى المالك (ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار والذين كفروا يتمتعون) ينتفعون بمتاع الدنيا (ويأكلون كما تأكل الانعام) حريصين غافلين عن العاقبة (والنار مثوى لهم) منزل ومقام (وكأين من قرية هى اشد قوة من قريتك التى اخرجتك) على حذف المضاف واجراء احكامه على المضاف اليه والاخراج باعتبار التسبب (اهلكناهم) بانواع العذاب (فلا ناصر لهم) يدفع عنهم وهو ﴿ ٣٤٨ ﴾ كالحال المحكية (افمن كان على بينة من ربه) حجة من عنده وهو القرآن او مايعمه والحجج العقلية كالنبى والمؤمنين (كمن زين له سوء عمله) كالشرك والمعاصى (واتبعوا اهواءهم) فى ذلك لاشبهة لهم عليه فضلا عن حجة (مثل الجنة التى وعد المتقون) اى فيما قصصنا عليك صفتها العجيبة وقيل مبتدأ خبره كمن هو خالد فى النار وتقدير الكلام أمثل اهل الجنة كمثل من هو خالد اوأمثل الجنة كمثل جزاء من هو خالد فعرى عن حرف الانكار وحذف ماحذف استغناء بجرى مثله تصوير المكابرة من يسوى بين المتمسك بالبينة والتابع للهوى بمكابرة من يسوى بين الجنة والنار وهو على الاول خبر محذوف تقديره افمن هو خالد فى هذه الجنة كمن هو خالد فى النار او بدل من قوله كمن زين ومابينهما اعتراض لبيان مايمتاز به من هو على بينة فى الآخرة تقريرا لانكار المساواة (فيها انهار من ماء غير آسن) استئناف بشرح المثل او حال من العائد المحذوف او خبر لمثل وآسن من اسن الماء بالفتح اذا تغير طعمه وريحه او بالكسر على معنى الحدوث وقرأ ابن كثير أسن (وانهار من لبن لم يتغير طعمه) لم يصر قارصا ولا حازرا (وانهار من خمر لذة للشاربين) لذيذة لايكون فيها كراهة طعم وريح ولا غائلة سكر وخمار تأنيث لذ او مصدر نعت به باضمار او تجوز وقرئت بالرفع على صفة الانهار والنصب على العلة (وانهار من عسل مصفى) لم يخالطه الشمع وفضلات النحل وغيرها وفى ذلك تمثيل لماهو من مقام الاشربة فى الجنة بانواع مايستلذ منها فى الدنيا بالتجريد عماينقصها وينغصها والتوصيف بمايوجب غزارتها واستمرارها (ولهم فيها من كل الثمرات) صنف على هذا القياس (ومغفرة من ربهم) عطف على الصنف المحذوف او مبتدأ خبره محذوف اى لهم مغفرة (كمن هو خالد فى النار وسقوا ماء حميما) مكان تلك الاشربة (فقطع امعاءهم) من فرط الحرارة (ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك) يعنى المنافقين كانوا يحضرون مجلس الرسول ويسمعون كلامه فاذا خرجوا (قالوا للذين اوتوا العلم) اى لعلماء الصحابة (ماذا قال آنفا) ماالذى قال الساعة استهزاء او استعلاما اذلم يلقوا له آذانهم تهاونا به وآنفا من قولهم انف الشئ لما تقدم منه مستعار من الجارحة ومنه استأنف وائتنف وهو ظرف بمعنى وقتا مؤتنفا او حال من الضمير فى قال وقرئ أنفا (اولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا اهواءهم) فلذلك استهزؤا بها وتهاونوا بكلامه (والذين اهتدوا زادهم هدى) اى زادهم الله بالتوفيق والالهام او قول الرسول (وآتاهم تقواهم) بين لهم مايتقون او اعانهم على تقواهم او اعطاهم جزاءها (فهل ينظرون الا الساعة) فهل ينتظرون غيرها (ان تأتيهم بغتة) بدل اشتمال من الساعة وقوله (فقد جاء اشراطها) كالعلة له وقرئ ان تأتهم على انه شرط مستأنف جزاؤه (فانى لهم اذا جاءتهم ذكراهم) والمعنى ان تأتهم الساعة بغتة لانه قد ظهر اماراتها كمبعث الرسول وانشقاق القمر فكيف لهم ذكراهم اى تذكرهم اذا جاءتهم الساعة وحينئذ لايفرغ له ولا ينفع (فاعلم انه لا اله الا الله واستغفر لذنبك)

بان ذلك التعس والاضلال بسبب كراهتهم القرآن وكفرهم به تخصيص السبب الذى اشير اليه بترتيب حكم التعس والاضلال على الموصول فانه يشعر بعلية مضمون الصلة وهو الكفر مطلقا لذلك الحكم وقدمر ان مثل هذا الاسلوب بصدد علماء البيان تفسيرا ﴿ قوله كرره ﴾ فان اضلال اعمالهم التى عملوها وحسبوها خيرا واحباطها بمعنى واحد وكرره لدفع وهم من يتوهم ان اضلالها مسبب من الكفر بجميع مايجب الايمان به ولا يتحقق بمجرد الكفر بالقرآن فلما رتبه على الكفر به علم انه لاينفك عن الكفر به سواء انضم اليه الكفر بسائر مايجب الايمان به ام لا ثم انه تعالى خوفهم عاقبة كفرهم بمانزل بالامم المكذبة قبلهم بقوله افلم يسيروا اى أجهلوا وخامة الكفر فلم يسيروا ﴿ قوله استأصل عليهم مااختص بهم ﴾ وفى الكشاف دمره اهلكه ودمر عليه اهلك عليه مايختص به من نفسه واولاده وامواله ففرق بينهما وجعل الثانى ابلغ ولعل تلك الابلغية مستفادة من حذف مفعول دمر فان حذفه يكون للتعميم ومن اتيان كلمة الاستعلاء فان اتيانها يشعر بتضمين دمر معنى اطبق واذا اطبق الله عليهم الدمار والهلاك لايخلص ممايختص بهم شئ ﴿ قوله من وضع الظاهر موضع المضمر ﴾ فان الظاهر ان يقال ولهم امثالها بارجاع الضمير الى فاعل افلم يسيروا الى الذين فى قوله عاقبة الذين من قبلهم والمعنى على الاول ولمن كذبك وكفر بك امثال ما للمتقدمين من العقوبة من حيث ان حقية دينك اظهر ودلائل صدقك اكثر بسبب تقدم الانبياء عليهم الصلاة والسلام عليك واخبارهم عنك وانذارهم عن مخالفتك وعلى الثانى دمر الله على هؤلاء المتقدمين فى الدنيا ولهم فى الآخرة امثال مااصابهم فى الدنيا لكن وضع الظاهر موضع الضمير توبيخا لهم وذما لهم على كفرهم واشعارا بعلة استحقاقهم لامثالها ﴿ قوله امثال تلك العاقبة ﴾ يريد ان ضمير امثالها اما للعاقبة المذكورة فى قوله عاقبة الذين او لمصدر دمر وهو التدمير وتأنيث مايرجع اليه لتأويله بالعقوبة او الهلكة او السنة المدلول عليها لما علم ان تدمير الله تعالى الكافرين من سنته الماضية وعادته القديمة كما قال سنة الله التى قد خلت فان قيل كيف يصح ان يكون المراد بالكافرين الكافرين بسيد المرسلين صلى الله عليه وسلم وان يكون المعنى ولهم امثال ماكان لمن تقدمهم من العقوبة مع ان من تقدمهم قد اهلكوا بامور شديدة كالاغراق فى البحر والطوفان والخسف والمسخ والصيحة ولا كذلك من كفر بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم فالجواب انه يجوز ان يكون المعنى ان لهم فى الآخرة امثال عقوبة الاولين فى الدنيا او امثال مااصاب الاولين فى الدنيا بناء على انهم قتلوا واسروا بايدى من كانوا يستخفونهم ويستضعفونهم والقتل والاسر بيد المثل آلم واشد من الهلاك بسبب عام فكيف اذا كان بيد من دونه ﴿ قوله تعالى ذلك ﴾ اشارة الى تدمير المكذبين ونصرة المؤمنين عليهم ثم انه تعالى لماقال الله ولى المؤمنين وناصرهم بين مآل الفريقين فى الآخرة اشعارا بان تمام النصرة يكون فيها فقال ان الله يدخل الذين آمنوا الآية ثم انه تعالى سلى رسوله صلى الله عليه وسلم بقوله وكأين من قرية اى من اهل قرية على حذف المضاف فيه وفى قوله من قريتك اى من اهل قريتك التى هى مكة ﴿ قوله على حذف المضاف ﴾ فان المراد اهل القرية ولذلك قال اهلكناهم وقوله وهو كالحال المحكية جواب عمايقال انه امر قد مضى ﴿ قوله افمن كان على بينة ﴾ وقرئ أمن كان على بينة من ربه وقال سوء عمله واتبعوا الحمل على لفظ من ومعناه ﴿ قوله فعرى من حرف الانكار ﴾ اشارة الى ان تعريته عن حرف الانكار فيها زيادة تصوير لمكابرة من يسوى بين المتمسك بالبينة والتابع لهواه وانه بمنزلة من يثبت التسوية بين الجنة التى تجرى فيها تلك الانهار وبين النار التى يسقى اهلها الحميم والغساق وقوله فيها انهار داخل فى حكم الصلة كالتكرير لها الاترى الى صحة قولك التى فيها انهار ويجوز ان يكون خبر مبتدأ محذوف تقديره هى فيها انهار وكأن قائلا قال ومامثلها فقيل فيها انهار ﴿ قوله آسن من أسن ﴾ يعنى قراءة آسن على صيغة فاعل هو على معنى الحدوث ﴿ قوله ولهم فيها من كل الثمرات ﴾ فى ذكر الثمرات بعد المشروب اشارة الى ان ماكول اهل الجنة للذة لا للحاجة ﴿ قوله كمن هو خالد ﴾ فى موضع رفع اى حالهم كحال من هو خالد فى الاقامة الدائمة وقيل هو استهزاء بهم وقيل هو على معنى الاستفهام اى أكمن وقيل فى موضع نصب اى يشبهون من هو خالد فيما ذكرنا وقوله والذين اهتدوا يحتمل النصب والرفع ﴿ قوله بغتة ﴾ وقرئ بغتة بوزن جربة وهى غريبة لم يرد فى المصادر مثلها وهى مروية عن ابى عمرو وما اخوفنى ان تكون غلطة من الراوى على ابى عمرو وان يكون الصواب بغتة بفتح الغين من غير تشديد ﴿ قوله تعالى فانى لهم ﴾ هو خبر ذكراهم والشرط معترض وقيل التقدير انى لهم الخلاص اذا جاءتهم ذكراهم ﴿ قوله تعالى فاعلم ﴾ قال ابو العالية وابن عيينة هو متصل بماقبله معناه اذا جاءتهم

اى اذا علمت سعادة المؤمنين وشقاوة الكافرين فاثبت على ما انت عليه من العلم بالوحدانية وتكميل النفس باصلاح احوالها وافعالها وهضمها بالاستغفار لذنبك (وللمؤمنين والمؤمنات) ولذنوبهم بالدعاء لهم والتحريض على ما يستدعى غفرانهم وفى اعادة الجار وحذف المضاف اشعار بفرط احتياجهم وكثرة ذنوبهم وانها جنس آخر فان الذنب ماله تبعة ما كترك الاولى (والله يعلم متقلبكم) فى الدنيا فانها مراحل لابد من قطعها (ومثواكم) فى العقبى فانها دار اقامتكم فاتقوا الله واستغفروه واعدوا لمعادكم (ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة) اى هلا نزلت سورة فى امر الجهاد (فاذا انزلت سورة محكمة) مبينة لا تشابه فيها (وذكر فيها القتال) اى الامر به (رأيت الذين فى قلوبهم مرض) ضعف فى الدين وقيل نفاق (ينظرون اليك نظر المغشى عليه من الموت) جبنا ومخافة (فاولى لهم) فويل لهم افعل من الولى وهو القرب او فعلى من آل ومعناه الدعاء عليهم بان يليهم المكروه او يؤل اليه امرهم (طاعة وقول معروف) استئناف اى امرهم طاعة او طاعة وقول معروف خير لهم او حكاية قولهم لقرآءة ابى يقولون طاعة (فاذا عزم الامر) اى جد وهو لاصحاب الامر واسناده اليه مجاز وعامل الظرف محذوف وقيل (فلو صدقوا الله) اى فيما زعموا من الحرص على الجهاد او الايمان (لكان) الصدق (خيرا لهم فهل عسيتم) فهل يتوقع منكم (ان توليتم) امور الناس وتأمرتم عليهم او اعرضتم وتوليتم عن الاسلام (ان تفسدوا فى الارض وتقطعوا ارحامكم) تناحرا على الولاية وتجاذبا عن الاسلام لها او رجوعا الى ما كنتم عليه فى الجاهلية من التغاور ومقاتلة الاقارب والمعنى انهم لضعفهم فى الدين وحرصهم على الدنيا احقاء بان يتوقع ذلك منهم من عرف حالهم ويقول لهم هل عسيتم وهذا على لغة الحجاز فان بنى تميم لا يلحقون الضمير به وخبره ان تفسدوا وان توليتم اعتراض وعن يعقوب توليتم اى ان تولاكم ظلمة خرجتم معهم وساعدتموهم فى الافساد وقطيعة الرحم وتقطعوا من القطع وقرئ تقطعوا من التقطع (اولئك) اشارة الى المذكورين (الذين لعنهم الله) لافسادهم وقطعهم الارحام (فاصمهم) عن استماع الحق (واعمى ابصارهم) فلا يهتدون سبيله (افلا يتدبرون القرآن) يتصفحونه وما فيه من المواعظ والزواجر حتى لا يجسروا على المعاصى (ام على قلوب اقفالها) لا يصل اليها ذكر ولا ينكشف لها امر وقيل ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها التقرير وتنكير القلوب لان المراد قلوب بعض منهم او للاشعار بانها لابهام امرها فى القساوة او لفرط جهالتها ونكرها كأنها مبهمة منكورة واضافة الاقفال اليها للدلالة على اقفال مناسبة لها مختصة بها لا تجانس الاقفال المعهودة وقرئ اقفالها على المصدر (ان الذين ارتدوا على ادبارهم) الى ما كانوا عليه من الكفر (من بعد ما تبين لهم الهدى) بالدلائل الواضحة والمعجزات الظاهرة (الشيطان سول لهم) سهل لهم اقتراف الكبائر من السول وهو الاسترخاء وقيل حملهم على الشهوات من السؤل وهو التمنى وفيه ان السؤل مهموز قلبت همزته لضم ما قبلها ولا كذلك التسويل ويمكن رده بقولهم هما يتساولان وقرئ سول على تقرير مضاف اى كيد الشيطان سول لهم (واملى لهم) ومد لهم فى الآمال والامانى او امهلهم الله ولم يعاجلهم بالعقوبة لقرآءة يعقوب واملى لهم اى وانا املى لهم فيكون الواو للحال او الاستئناف وقرأ ابو عمرو واملى لهم على البناء للمفعول وهو ضمير الشيطان او لهم (ذلك بانهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله) اى قال اليهود الذين كفروا بالنبى بعد ما تبين لهم نعته للمنافقين او المنافقون لهم او احد الفريقين للمشركين (سنطيعكم فى بعض الامر) فى بعض اموركم او فى بعض ما تأمرون به كالقعود عن الجهاد والموافقة فى الخروج معهم ان اخرجوا والتظافر على الرسول (والله يعلم اسرارهم) ومنها قولهم هذا الذى افشاه الله عليم وقرأ حمزة والكسائى وحفص اسرارهم على المصدر

الساعة فاعلم انه لا ملجأ ولا مفزع عند قيامها الا الله ﴿ قوله تعالى وللمؤمنين والمؤمنات ﴾ اكرام من الله لهذه الامة حيث امر نبيهم صلى الله عليه وسلم ان يستغفر لذنوبهم وهو الشفيع المجاب فيهم ﴿ قوله والله يعلم متقلبكم ﴾ اى والله يعلم احوالكم ومتصرفاتكم ومتقلبكم فى معايشكم ومتاجركم ويعلم حيث تستقرون من منازلكم او متقلبكم فى حياتكم ومثواكم فى القبور او متقلبكم فى اعمالكم ومثواكم من الجنة والنار وقال مقاتل وابن جرير متقلبكم متصرفكم لاشغالكم بالنهار ومثواكم مأواكم الى مضاجعكم بالليل وقال عكرمة متقلبكم من اصلاب الآباء الى الارحام ومثواكم مقامكم فى الارض ﴿ قوله محكمة مبينة ﴾ وعن قتادة كل سورة فيها ذكر القتال فهى محكمة وهى اشد القرآن على المنافقين وقيل لها محكمة لان النسخ لا يرد عليها من قبل ان القتال نسخ ما كان من الصفح والمهادنة وهو غير منسوخ الى يوم القيامة وقيل هى المحدثة لانها حين يحدث نزولها لا يتناولها النسخ ثم تنسخ بعد ذلك او تبقى غير منسوخة وفى قرآءة عبد الله سورة محدثة ﴿ قوله فهل يتوقع منكم ﴾ اشارة الى جواب ما يقال حق حرف الاستفهام أن يدخل على ما هو خبر ولا خبر مضمونه فما معنى دخول هذا على عسيتم وتقرير الجواب انها دخلت على ما تضمنه عسى من معنى التوقع قرأ نافع عسيتم بكسر السين وهو غريب وقد نقل الكلام من الغيبة الى الخطاب على طريقة الالتفات ليكون ابلغ فى التوبيخ ويجوز ان يريد بالذين آمنوا المؤمنين الخلص الثابتين وانهم يتشوفون الى الوحى اذا أبطأ عليهم فاذا انزلت سورة محكمة فى معنى الجهاد رأيت المنافقين فيما بينهم يضجرون ﴿ قوله وفيه ان السؤل مهموز ﴾ اى وشرط الاشتقاق وجود معنى المأخذ فى المشتق مع زيادة مفهوم الصيغة واجاب المصنف عن كونه مخالفا لقاعدة التصريف بان السؤال قد يستعمل معتل العين فقال سال يسال مثل خاف يخاف وهما يتساولان مثل يتقاولان وقرئ سول لهم على لفظ الماضى المبنى للمفعول على ان يكون المبتدأ مضافا محذوفا ﴿ قوله واملى لهم ﴾ قرأ العامة واملى لهم بفتح الهمزة واللام على بناء الفاعل وهو ضمير الشيطان فيكون واملى معطوفا على سول لا مستأنفا والمعنى زين وسهل لهم ركوب المعاصى واملى لهم اى مدلهم فى الآمال والامانى وغرهم بان يقول لهم فى آجالكم فسحة فتمتعوا برياستكم ثم فى آخر العمر تؤمنون وقيل فاعل أملى هو الله عز وجل فيتم الكلام عند قوله سول لهم ثم يبتدأ بقوله واملى لهم اى واملى الله لهم اى امهلهم وأخر العذاب عنهم توسعة عليهم ليتمادوا فى طغيانهم وقرأ ابو عمرو واملى بضم الهمزة وكسر اللام وفتح الياء على لفظ الماضى المبنى للمفعول ولهم هو القائم مقام الفاعل والمعنى امهلوا ومد فى عمرهم والفاعل هو الله عز وجل وقرئ واملى بضم الهمزة وكسر اللام وسكون الياء على لفظ المضارع المبنى للفاعل المسند الى ضمير المتكلم وحده وهو الله عز وجل على معنى ان الشيطان يغويهم وانا انظرهم وامهلهم ثم انه تعالى لما بين ان الشيطان هو الذى سول للذين ارتدوا على ادبارهم ارتكاب الكبائر واملى لهم بين سبب ذلك التسويل والاملاء فقال ذلك اى ذلك التسويل والاملاء بانهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله قيل القائلون هم اليهود والكارهون هم المنافقون وقيل على العكس وقيل القائلون احد الفريقين والكارهون المشركون فان كان المراد بالذين ارتدوا على ادبارهم اليهود يكون ارتدادهم كفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم بعد بعثته وقد اعتنوا بحقيقة امره قبل بعثه وان كان المراد بهم المنافقين يكون ارتدادهم رجوعهم عن طاعة الله تعالى فى الجهاد من بعد ما تبين لهم حقيقة الاسلام واحكامه وعلى التقديرين فالمراد بالذين كرهوا الفريق الآخر والمشركون فان كان التقاول جاريا بين احد الفريقين والمشركين فهم لا يتوافقون فى التوحيد والاقرار بالكتاب والنبى والحشر وما يتفرع عليه فان المشركين لا يقولون بشئ من ذلك بخلاف كل من الفريقين فان عامة المنافقين من اليهود وهم اهل كتاب فكل واحد من الفريقين لا يوافق المشركين الا فى بعض الامر كالتكذيب برسول الله صلى الله عليه وسلم والتعاون على محاربته وعداوته فان اليهود اتفقوا مع المشركين يوم الاحزاب وان كان التقاول بين احد الفريقين والآخر بان يكون القائل المنافقين فبعض الامر ما يسرونه الى اليهود مما يتعلق بعداوة الرسول وقول المنافقين كقريظة والنضير لئن اخرجتم لنخرجن معكم ولئن قوتلتم لننصرنكم والقعود عن الجهاد قالوا كل ذلك سرا فيما بينهم فاخبر الله تعالى به عنهم واعلم انه يعلم ذلك وغيره من اسرارهم فقال والله يعلم اسرارهم وقيل الاظهر ان قوله تعالى والله يعلم اسرارهم اى ما فى قلوبهم من العلم بصدق محمد صلى الله عليه وسلم فانهم كانوا مكابرين فى انكار نبوته ويعرفونه كما يعرفون ابناءهم ﴿ قوله او فى بعض ما تأمرون به ﴾ على ان يكون الامر واحد الاوامر وعلى الاول يكون واحد الامور ﴿ قوله فكيف يعملون

ويخالون حينئذ ﴾ اشارة الى ان عامل الظرف محذوف و التقدير ماذكره وقوله يضربون حال من الفاعل ويجوز كونه حالا من المفعول ايضا فانهم انما كرهوا القتال و اطاعوا من امرهم بتركه و القعود عنه خوفا من ان يضربوا من جهة وجوههم ان يثبتوا ومن جهة ادبارهم ان يفروا فكأنه قال ان كرهتم ما امرتم به من قتال الكفار خوفا من ان تضربوا من قبل وجوهكم وادباركم فكيف تحتالون في الخلاص مما تخافون منه اذا توفتكم الملائكة ضاربين وجوهكم وادباركم فان كل من يتوفى على معصية الله تعالى فلائكة العذاب لايقبضون روحه الا بان يضربوا وجهه ودبره كما روى ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما ﴿ قوله تصوير لتوفيهم ﴾ يعني ان المقصود من تقييد توفيهم بقوله يضربون وجوههم وادبارهم تصويره بالصورة التي كانوا يجبنون عن القتال خوفا من تلك الصورة ﴿ قوله مايرضاه ﴾ فسر الرضوان بالمرضى لانهم لايكرهون رضى الله تعالى بل يرغبون فيه و يزعمون ان ماهم فيه سبب رضوانه حتى ان المشرك يطلب رضوانه بشركه ويقول ما اعبد الصنم الا ليقربني الى الله زلفى ويشفع لي واستعمال المصدر في معنى المفعول شائع فلذلك فسر الرضوان بالمرضى ﴿ قوله ام حسب الذين ﴾ ام فيه منقطعة بمعنى بل والهمزة اضرب عن الحكم بانه يعلم اسرار الذين كفروا الى انكار حسبان المنافقين ان الشأن انه تعالى لن يبرز الغش الكائن في قلوبهم للمؤمنين وعداوتهم للنبي صلى الله عليه وسلم وان في قوله ان لن يخرج الله مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن المضمر ومابعدها خبرها قال الامام ويحتمل ان يقال كلمة ام هنا متصلة والكلام السابق الذي يليه همزة الاستفهام مايفهم من قوله والله يعلم اسرارهم فكأنه تعالى قال احسب الذين كفروا ان لن يعلم الله اسرارهم ام حسب المنافقون ان لن يظهرها والكل باطل لانه تعالى يعلمها ويظهرها ويؤيد ذلك ان ام المنقطعة لاتكاد تقع في صدر الكلام فلايقال ابتداء ام جاء زيد ولا ام جاء عمرو ﴿ قوله ولو نشاء لاريناكهم ﴾ كأنه جواب عما يقال لقد فهم من قوله ام حسب الذين في قلوبهم مرض ان لن يخرج الله اضغانهم ان الله تعالى يظهر ضمائرهم ويبرز سرائرهم فلم لم يظهرها فاجاب عنه بانا اخرناها لمحض المشيئة لالخوف منهم كما لاتفشى اسرار الاكابر خوفا منهم ﴿ قوله تعالى فلعرفتهم ﴾ عطف على جواب لو واللام فيه وفيما قبله لام جواب لو وفي عطفه عليه زيادة فائدة لاتحصل بدونه لان التعريف والاعلام لايستلزم ان يترتب عليه العلم والمعرفة فانه يقال عرفته ولم يعرف وعلمته ولم يعلم فلما عطف عليه قوله فلعرفتهم كان المعنى لو نشاء لعرفناكهم تعريفا يترتب عليه معرفتك اياهم باعيانهم بعلاماتهم التي نسمهم بها قال الزجاج المعنى لو نشاء لجعلنا على المنافقين علامة تعرفهم بها قال انس رضي الله عنه ماخفى على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه الآية شئ من المنافقين كان يعرفهم بسيماهم ولقد كنا في بعض الغزوات وفيها تسعة من المنافقين يشكوهم الناس فناموا ذات ليلة واصبحوا وعلى جبهة كل واحد منهم مكتوب هذا منافق واللام في قوله ولتعرفنهم لام جواب قسم محذوف كأنه قال ولتعرفنهم والله الآن وقيل تعرف سيماهم وصورهم في لحن القول اي اسلوبه في مخاطباتهم لك لايقدرون على كتمان مافي انفسهم بل يخرجون كلامهم على اسلوب يدل فحواه ومعناه على فساد باطنهم يقال لحنه بالكسر يلحنه بالفتح لحنا اي فهمه فالمراد من القول قولهم اي لتعرفنهم في لحن القول ومعناه حيث يقولون مامعناه التعليق كقولهم عند مجيئ النصر انا معكم وقولهم لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل وقولهم ان بيوتنا عورة وماهي بعورة ونحو ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما لحن القول هو قولهم قالوا ان اطعنا لنا الثواب ولايقولون ماعلينا اذا عصينا من العقاب ﴿ قوله او امالته الى جهة تعريض ﴾ من قولهم لحن اليه يلحن لحنا اي نواه ومال اليه والتعريض ان يضمن الكلام دلالة على ماليس مذكورا فيه كما تقول في محضر زيد ان البخل قبيح تريد به ان تصف زيدا بالبخل وتورية الخبر ستره واظهار غيره كقول ابي بكر رضي الله عنه حين كان يهاجر مع النبي صلى الله عليه وسلم فسأله شخص وقال من هذا يريده صلى الله عليه وسلم فقال رضي الله عنه رجل يهدي الطريق قيل كان صلى الله عليه وسلم بعد هذا لايتكلم منافق عنده الاعرفه بقوله واستدل بفحوى كلامه على فساد دخلته الا انه لايظهر امره الى ان يأذن الله في اظهار امر المنافقين ولولم يميز عنده المنافق من غيره لماصح ان يمنع من الصلاة على جنائزهم والقيام على قبورهم ثم انه تعالى لما شرح احوال الكفرة والمنافقين خاطب المؤمنين بقوله والله يعلم اعمالكم وعدا لهم وبيانا لكون حالهم على خلاف حال المنافقين فان المنافق له قول بلاعمل والمؤمن يعمل ويقول واما قوله ذكر الله تعالى ومافيه صلاح نفسه وغيره ثم قال ولنبلونكم اي

(فكيف اذا توفتهم الملائكة) فكيف يعملون ويحتالون حينئذ وقرئ توفاهم وهو يحتمل الماضي والمضارع المحذوف احدى تائيه (يضربون وجوههم وادبارهم) تصوير لتوفيهم بما يخافون منه ويجبنون من القتال له (ذلك) اشارة الى التوفي الموصوف (بانهم اتبعوا ما اسخط الله) من الكفر وكتمان نعت الرسول وعصيان الامر (وكرهوا رضوانه) مايرضاه من الايمان والجهاد وغيرهما من الطاعات (فاحبط اعمالهم) لذلك (ام حسب الذين في قلوبهم مرض ان لن يخرج الله) ان لن يبرز الله لرسوله والمؤمنين (اضغانهم) احقادهم (ولو نشاء لاريناكهم) لعرفناكهم بدلائل تعرفهم باعيانهم (فلعرفتهم بسيماهم) بعلاماتهم التي نسمهم بها واللام لام الجواب كررت في المعطوف (ولتعرفنهم في لحن القول) جواب قسم محذوف ولحن القول اسلوبه او امالته الى جهة تعريض وتورية ومنه قيل للمخطئ لاحن لانه يعدل الكلام عن الصواب (والله يعلم اعمالكم) فيجازيكم على حسب قصدكم اذ الاعمال بالنيات (ولنبلونكم) بالامر بالجهاد وسائر التكاليف الشاقة (حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين) على مشاقها

ولنعاملنكم معاملة المختبر حتى نعلم من اطاع امرنا بانه قد تحقق منهم الاطاعة كما علمناهم بانهم سيطيعون فان الثواب
والعقاب انما يترتبان على العلم الذى يكون بوجود الاطاعة والعصيان لا على العلم بانهما سيوجدان **قوله**
تعالى ونبلو اخباركم ﴾ اى ونعلم اخباركم فان البلوى وهو الاختبار سبب العلم فاطلق اسم السبب واريد العلم المسبب
عنه ولو ابقى على ظاهره لكان المعنى ولنبلونكم حتى نعلم اخباركم ولا وجه له بل المراد حتى نعلم الاخبار التى
تخبرها عنكم وعن اعمالكم اهى حسنة ام قبيحة بان تجاهدوا وتصبروا وتخبر الناس عنكم باخبار حسنة
وهى انكم مجاهدون صابرون مؤمنون مطيعون والافخلافها فالاخبار جمع خبر وهو الكلام الذى يخبر به
الناس عنهم وعن اعمالهم **قوله** فيظهر حسنها وقبحها ﴾ اى حسن الاعمال وقبحها يعنى ان المقصود من
علم الاخبار من حيث حسنها وقبحها ظهور حسن الاعمال وقبحها فان ظهور الاخبار من حيث حسنها
وقبحها من توابع حسن الاعمال وقبحها فيستدل بظهور الاخبار على ظهور الاعمال واحوالها **قوله**
او اخبارهم عن ايمانهم ﴾ اى ويحتمل ان يكون المراد باخبارهم اخبارهم عن انفسهم بانهم مؤمنون
مطيعون للمؤمنين موالون وعن الكفار معرضون لا الاخبار التى يخبرها الناس عنهم وعن اعمالهم وقد
كشف الله تعالى صدقهم فيما اخبروا به عن انفسهم بان كلفهم بالتكاليف الشاقة **قوله** وقرأ ابو بكر الافعال
الثلاثة ﴾ وهى قوله تعالى ولنبلونكم وحتى نعلم ونبلو بالياء والباقون بالنون **قوله** حذف المضاف تعظيم ﴾
صلى الله عليه وسلم بالدلالة على انه لعلو قدره ومنزلته عند الله كانت المشاقة معه مشاقة مع الله تعالى لانه رسوله
وما عليه الا البلاغ فمشاقته فى غاية القباحة * الجوهرى فظع الامر بالضم فظاعة فهو فظيع اى شديد شنيع جاوز
المقدار **قوله** ثواب حسنات اعمالهم بذلك ﴾ اى بالكفر والصد ومشاقة الرسول * فان قيل قد تقدم فى اول
السورة ان الله تعالى احبط اعمالهم فكيف يحبطها فى المستقبل * فالجواب انه يحتمل ان يكون معنى قوله فى اول
السورة اضل اعمالهم انه حكم ببطلان ثواب اعمالهم وقوله ههنا وسيحبط اعمالهم انه سيظهر بطلان ثوابها
فى الآخرة ويحتمل ان يكون المراد بقوله الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله فى اول السورة المشركين وليس لهم
اعمال مشروعة يستحقون بها الثواب فقال تعالى فى حق مكرماتهم انها ضائعة لبيان انه لا ينفع مع الكفر عمل
ويكون المراد بالذين كفروا ههنا اهل الكتاب مثل قريظة والنضير وقد كانت لهم اعمال شرعية قبل بعثة
الرسول صلى الله عليه وسلم فاحبطها تعالى بسبب تكذيبهم الرسول ولم ينفعهم ايمانهم بالتوحيد والرسول
والحشر مع كفرهم به صلى الله عليه وسلم وان كان المراد بما فى هذه الآية المطعمين يوم بدر يكون المراد باعمالهم
ههنا مكايدهم التى نصبوها لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وباحباطها عدم وصولهم بها الى مقاصدهم
واغراضهم وبما فى اول السورة ماظنوه حسنة وباحباطها عدم الاعتبار بها **قوله** وليس فيه دليل على
احباط الطاعات بالكبائر ﴾ اى على بطلانها باضياع ثوابها بسبب ارتكاب الكبائر وذلك لان عطف قوله ولا تبطلوا
اعمالكم على الاطاعتين وان كان من قبيل عطف المسبب على السبب كقولك اجلس واسترح وقم وامش وفهم منه
ان الاطاعة سبب لعدم احباط الاعمال وان المخالفة سبب لاحباطها الا انه ليس فيه دلالة على ان المخالفة بارتكاب
الكبائر مطلقا تحبطها وقد ثبت بقوله ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء ان مادون الشرك
لا يحبط العمل بل الامر فيه منوط بمشيئة الله تعالى فلا وجه للقطع بان ارتكاب الكبائر مطلقا يبطل العمل وانما
نجزم باحباط ماثبت كونه محبطا بالنصوص القاطعة والآثار الصحيحة وهو الكفر والنفاق وقد ورد ان العجب
يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب وورد فى الحديث القدسى فى حق السمعة والرياء انا اغنى الشركاء عن الشرك
فمن اشرك بى غيرى فى عمل عمله لى تركته وشركه وثبت به ان الاخلاص شرط لقبول العمل وما وقع منه رياء وسمعة
فهو مردود على صاحبه ومالم يقبل ابتداء لا يكون عملا فكيف يحبط وقد ورد فى حق المن والاذى انهما يبطلان
الصدقة فان صاحب المن كأنه يقول فى امتنانه فعلت هذا لاجلك وقصدت به اصلاح حالك ولولا ذلك لما فعلته وهذا
مناف للاخلاص فلهذا لا يثاب على صدقته ويقال له اطلب جزاءك ممن فعلته لاجله ولا يقبل الله تعالى الا ما كان
خالصا له وعن مقاتل انه قال ان اسدا وخزيمة اتوا النبى صلى الله عليه وسلم فاسلموا وقالوا اتيناك باولادنا وتركنا
اموالنا وعشائرنا وان العرب لم يؤمنوا بك الا من بعد ما قاتلوك ولم نقاتلك فلنا عليك منة فنزل ولا تبطلوا اعمالكم
اى بالمن وقالت المعتزلة الكبيرة تحبط الحسنات ولو كانت مثل زبد البحر فلهذا فسر الزمخشرى هذه الآية بقوله

(ونبلو اخباركم) ما يخبر به عن اعمالكم فيظهر
حسنها وقبحها او اخبارهم عن ايمانهم
وموالاتهم المؤمنين فى صدقها وكذبها وقرأ
ابو بكر الافعال الثلاثة بالياء ليوافق ماقبلها
وعن يعقوب ونبلو بسكون الواو على تقدير
ونحن نبلو (ان الذين كفروا وصدوا عن
سبيل الله وشاقوا الرسول من بعد ما تبين لهم
الهدى) هم قريظة والنضير والمطعمون يوم
بدر (لن يضروا الله شيئا) بكفرهم وصدهم
او لن يضروا رسول الله بمشاقته وحذف
المضاف تعظيما وتفظيع مشاقته (وسيحبط
اعمالهم) ثواب حسنات اعمالهم بذلك
او مكايدهم التى نصبوها فى مشاقته فلا يصلون
بها الى مقاصدهم ولا تثمر لهم الا القتل والجلاء
عن اوطانهم (يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله
واطيعوا الرسول ولا تبطلوا اعمالكم) بما
ابطل به هؤلاء كالكفر والنفاق والعجب
والرياء والمن والاذى ونحوها وليس فيه دليل
على احباط الطاعات بالكبائر

اى ولا تحبطوا الطاعات بالكبائر وذهب اهل السنة الى ان كل عمل صدر من اهله مستجمعا لجميع اركانه وشرائطه فارتكاب الكبائر لا يحبطه ولا يزيل ثوابه ان الله لا يظلم مثقال ذرة ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ولا يحبط العمل بعد استكمال اركانه وشرائط صحته وقبوله اذ لا دليل عليه عقلا ولا نقلا وان ارادوا باحباط الكبيرة الحسنة ان المؤمن يرى ثواب حسناته كما يرى عقاب سيئاته الا انه قد تكثر السيئات على الحسنات عند الموازنة فلا يبقى من حسناته ما يعادل تلك السيئات ولا من ثواب حسناته ما يقابل عقاب السيئات فحينئذ يصدق ان يقال ان سيئاته احبطت ثواب حسناته بمعنى انه لم يبق من ثواب الحسنات ما يدفع عقوبة السيئات فنحن نقول بهذا المعنى وليس النزاع فيه وايضا الاحباط بهذا غير لازم عندنا ولا عندهم بناء على قولهم انه تعالى يجب عليه عقاب العاصي وثواب المطيع ولا يجوز العفو والشفاعة ﴿قوله ويدل بمفهومه﴾ اى بما فهم من تقييد الحكم بنفي مغفرتهم بقولهم وهم كفار على غفران من لم يمت على الكفر ثم انه تعالى لما امر المؤمنين بالقتال بقوله فضرب الرقاب وبلغه الرسول صلى الله عليه وسلم اليهم ثم اكد وجوبه بقوله واطيعوا الرسول فان معظم المقصود منه تأكيد الامر بالجهاد والتشديد على من تركه جبنا ومخافة اذ تركه سبب لاحباط الاعمال فهذا يقتضي ان لا يتهاون المكلف في امر الجهاد بل يجتهد ويسعى فيه ما امكن ثم ان تحقق المقتضي لا يكفي في وجود المعلول بل ينبغي ان لا يتحقق هناك ما يمنع وجود المعلول فبين الله تعالى ان ليس هنا ما يمنع من القتال اصلا فان المانع اما دنيوي او اخروي والكافر لا حرمة له لا في الدنيا ولا في الآخرة اما في الآخرة فلان الله تعالى لن يغفر له فيها واما في الدنيا فلانه لا نصرة له في الدنيا بل انتم الاعلون فيها فلذلك رتب عليه قوله فلا تهنوا على انه جواب شرط محذوف اى اذا علمتم وجوب الجهاد وتأكد امره فلا تضعفوا ولا تكونوا اول الطائفتين ضرعت الى صاحبتها تطلب المصالحة ﴿قوله ولا تدعوا﴾ اشارة الى ان قوله وتدعوا في نظم الآية مجزوم بالعطف على فعل النهي قبله والخور بفتحتين الضعف يقال خار الحر والرجل يخور خورا وخورة ضعف وانكسر ويجوز كونه منصوبا باضمار ان بعد الواو في جواب النهي كما في قوله لا تنه عن خلق وتأتي مثله * واصل اعلون اعليون فأعل قال الكلبي آخر الامر لكم وان غلبوكم في بعض الاوقات والله معكم بالعون والنصرة ﴿قوله شبه به تعطيل ثواب العمل﴾ يعني ان الوتر والترة في الاصل اهلاك ما تعلق بالرجل من اهل او مال او حميم وافراد الرجل عنه فشبه به تضييع عمله بابطال ثوابه ثم استعير لجانب المشبه اللفظ المستعمل في جانب المشبه به وهو الوتر والترة فاطلق الوتر واريد تضييع العمل ثم اشتق منه يتركم فكان استعارة تبعية والضمير المنصوب فيه واقع موقع الرجل في وترت الرجل ولا بد من تضمين معنى السلب او التضييع ليتعدى الى المفعول الثاني بنفسه اى لن يتركم سالبا او مضيعا اعمالكم قال صلى الله عليه وسلم «من فاتته صلاة العصر فكأنما وتر اهله وماله» اى افرد عنهما بان قتل اهله ونهب ماله ثم ان حب الدنيا والحرص على ما فيها من اللذات والشهوات لما كان سببا للجبن عن الغزو والتخلف عنه بين الله تعالى ان الدنيا وما فيها من الحظوظ العاجلة لا يصلح مانعا من الاقدام الى الجهاد وما يؤدي الى ثواب الآخرة لكونها بمنزلة اللهو واللعب في سرعة زوالها وفي انه لا يترتب عليها بعد زوالها شيء من ثواب الآخرة التي فيها الحياة الباقية بخلاف الايمان والاتقاء من العصيان فانكم ان تؤمنوا وتتقوا يعطكم الله تعالى ثواب ايمانكم وتقواكم في الآخرة ثم بين انه لا يسألكم جميع اموالكم لايتاء الاجر وانما يسألكم غيضا من فيض وهو ربع العشر في اموال التجارة ونصف العشر في نماء الارض وخارجها فتطيبوا نفسا يقال غاض الكرام اى قلوا وفاض اللئام اى كثروا وقولهم اعطاه غيضا من فيض اى قليلا من كثير ﴿قوله تعالى فيحفكم﴾ عطف على فعل الشرط وعلامة الجزم فيه سقوط الياء وتبخلوا جواب الشرط ويخرج عطف عليه والاحفاء المبالغة في كل شيء والاستقصاء فيه يقال احفى في المسئلة اذا الح وبالغ فيها وكذا يقال الحف السائل اذا الح والفاء في قوله فيحفكم للاشارة الى ان الاحفاء يتبع السؤال وان الانسان لكونه مجبولا على الشح لا يعطي بمجرد السؤال وانما يعطي شيئا اذا اتبع السؤال بالاحفاء ووجه الاشارة ان العطف بالواو قد يكون للتباين وبالفاء لا يكون الا للمتعاقبين او للشيئين اللذين يتعلق احدهما بالآخر والمصنف فسر الاحفاء بالجهد وهو المشقة لان طلب الكل مشقة عظيمة وتحميل ما لا يطاق يقال جهد دابته واجهدها اذا حمل عليها في السير فوق طاقتها قال قتادة علم الله ان في مسئلة الاموال خروج الاضغان وعدم طيب النفس بها فلم يسألها لذلك ولو سألها وألح عليكم في الطلب لبخلتم كيف وانتم تبخلون باليسير فكيف لا تبخلون بالكثير فيخرج اضغانكم بسببه

(ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم) عام في كل من مات على كفر وان صح نزوله في اصحاب القليب ويدل بمفهومه على انه قد يغفر لمن لم يمت على كفره سائر ذنوبه (فلا تهنوا) فلا تضعفوا (وتدعوا الى السلم) ولا تدعوا الى الصلح خورا وتذللا ويجوز نصبه باضمار ان وقرئ ولا تدّعوا من ادّعى بمعنى دعا وقرأ ابو بكر وحمزة بكسر السين (وانتم الاعلون) الاغلبون (والله معكم) ناصركم (ولن يتركم اعمالكم) ولن يضيع اعمالكم من وترت الرجل اذا قتلت متعلقا له من قريب او حميم فافردته عنه من الوتر شبه به تعطيل ثواب العمل وافراده عنه (انما الحياة الدنيا لعب ولهو) لاثبات لها (وان تؤمنوا وتتقوا يؤتكم اجوركم) ثواب ايمانكم وتقواكم (ولا يسألكم اموالكم) جميع اموالكم بل يقتصر على جزء يسير كربع العشر وعشره (ان يسألكموها فيحفكم) فيجهدكم بطلب الكل والاحفاء والالحاف المبالغة وبلوغ الغاية يقال احفى شاربه اذا استأصله (تبخلوا) فلا تعطوا (ويخرج اضغانكم) ويضغنكم على رسول الله عليه الصلاة والسلام والضمير في يخرج لله تعالى ويؤيده القراءة بالنون او البخل لانه سبب الاضغان وقرئ وتخرج بالتاء والياء ورفع اضغانكم

(قوله)

﴿قوله اى انتم يا مخاطبون هؤلاء الخ﴾ اشارة الى ان انتم مبتدأ و ها فى هؤلاء للتنبيه و اولاء خبره و المعنى انتم اولاء الموصوفون الذين وصفناهم و كررت ها فى هؤلاء لتأكيد التنبيه ثم ابتدأ فقال تدعون كأنهم قالوا ما وصفنا فقيل تدعون لتنفقوا فى سبيل الله كأنه قيل انتم الذين طلبت منكم اليسير فكان منكم من بخل عليه فكيف لو طلبت منكم الكل ﴿قوله او صلة﴾ عطف على قوله استئناف ولم يذكر مفعول قوله لتنفقوا ليعم ما ينفقه الغازى على نفسه و مركبه و ما لابد له منه فى الغزاة و ما ينفقه من وجب عليه الزكاة و العشر و صدقة الفطر و نحوها ﴿قوله ناس يبخلون﴾ اشارة الى ان من موصوفة بجملة كما فى قول الشاعر

ربّ من انضجت غيظا صدره ۞ قد تمنى لى موتا لم يطع ۞

فان من فيه لا يجوز ان تكون موصولة و الا لكانت معرفة و رب تختص بالنكرات فمن مبتدأ و يبخل صفته و قوله فمنكم خبره ﴿قوله و هو كالدليل على الآية المتقدمة﴾ يعنى ان قوله تدعون لتنفقوا سوآء جعل استئنافا او صلة لهؤلاء كالدليل على انه تعالى لو احفاهم لبخلوا ﴿قوله لتضمنه معنى الامساك و التعدى﴾ و الامساك يعدى بعن و التعدى بعلى فلو عدى بعلى لكان المعنى فانما يبخل متعديا على نفسه ﴿قوله فانه امساك عن مستحق﴾ علة لكونه متضمنا لكلا المعنيين فكونه علة لتضمنه معنى الامساك ظاهر و كونه علة لتضمنه معنى التعدى مبنى على ان الامساك عن المستحق تعدى عليه فالمنفق لا ينفق على غيره و انما ينفق على نفسه فمن بخل بالانفاق فانما يمسك عن نفسه و لا يتعدى بالامساك الا على نفسه كمن يبخل باجرة الطبيب و ثمن الدوآء و هو مريض فانه لا يمسك عن الطبيب و بائع الدوآء و انما يمسك عن نفسه و لا يعود ضرر امساكه الا عليه ثم حقق ذلك بقوله و الله الغنى عما عندكم من الاموال و انتم الفقرآء الى ما عنده من الفضل و الرحمة فلا يدعوكم الى الانفاق فى سبيله لاحتياجه الى ما عندكم من المال بل لتخالفوا هواكم و تتبعوا مرضاة ربكم و تستحقوا بذلك ما عنده من الثواب الجزيل ﴿قوله تعالى و ان تتولوا﴾ معطوف على قوله و ان تؤمنوا و تتقوا و المعنى و ان تعرضوا عن الايمان و الاتقاء عن العصيان و قوله ثم لا يكونوا مجزوم معطوف على قوله يستبدل و يجوز فى المعطوف على جواب الشرط بالواو و الفاء و ثم الجزم و الرفع تقول ان تأتنى آتك فاخبرك بالجزم و الرفع جميعا و قد ورد العطف بالوجهين فى التنزيل بالجزم فى هذه الآية و بالرفع فى قوله تعالى و ان يقاتلوكم يولوكم الادبار ثم لا ينصرون فانه مرفوع لثبوت النون ﴿قوله و الزهد فى الايمان﴾ اى و فى عدم الرغبة فيه فان الزهد خلاف الرغبة تقول زهد فى الشئ و عن الشئ زهد زهدا و زهادة اى رغب عنه و لا فرق بين التعديتين فى المعنى بخلاف رغب الجوهرى رغبت فى الشئ اذا اردته و رغبت عن الشئ اذا لم ترده و زهدت فيه ﴿قوله سئل عنه﴾ اى عن القوم الذين يجيئهم الله مقام من تولى و اعرض عن الايمان و التقوى و يكونون افضل و اطوع منهم فضرب صلى الله عليه و سلم يده على فخذ سلمان و قال هذا و قومه ثم قال و الذى نفسى بيده لو كان الايمان منوطا بالثريا لتناوله رجال من فارس و ثم فى قوله تعالى ثم لا يكونوا مستعار لبعد من يستبدله عنهم فى الفضيلة ۞ هذا آخر ما يتعلق بسورة محمد صلى الله عليه و سلم و الحمد لله وحده

﴿سورة الفتح﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم و صلى الله على سيدنا محمد و على آله و صحبه و سلم﴾

﴿قوله انا فتحنا لك فتحا مبينا﴾ الفتح فى اللغة فتح المغلق كفتح الباب و القفل و المتاع و كفتح المغلق من العلوم و يطلق فى العرف على الظفر بالبلد عنوة او صلحا بحرب او بغير حرب لانه مغلق ما لم يظفر به فاذا ظفر به و حصل فى اليد فقد فتح قيل المراد فى الآية فتح مكة و قد فتحت مكة سنة ثمان من الهجرة و نزلت الآية سنة ست بين مكة و المدينة بعد رجوعه من مكة و عام الحديبية هو العام الذى صدّ المشركون فيه رسول الله صلى الله عليه و سلم و قوله تعالى فتحنا وعد له بالفتح و جئ به على لفظ الماضى لكون الفتح بمنزلة الكائن الموجود من حيث كونه محقق الوقوع و الحديبية موضع قريب من مكة و عام الحديبية هو العام الذى صدّ المشركون فيه رسول الله صلى الله عليه و سلم عن العمرة و صالحوه على ان يأتوا العام القابل روى انه صلى الله عليه و سلم خرج من المدينة سنة ست من الهجرة فى ذى القعدة يريد العمرة و معه الف و اربعمائة من المهاجرين و الانصار و غيرهما من قبائل العرب و قيل الف و ستمائة و ساق سبعين بدنة و احرم من ذى الحليفة ليعلم الناس انه ما خرج محاربا و انما خرج زائرا البيت و معظما له و لما نزل بوادى الحديبية و الحديبية اسم بئر بذلك الوادى و سمى الوادى باسم تلك البئر بعث قريش

(ها انتم هؤلاء) اى انتم يا مخاطبون هؤلاء الموصوفون و قوله (تدعون لتنفقوا فى سبيل الله) استئناف مقرر لذلك او صلة لهؤلاء على انه بمعنى الذين و هو يعم نفقة الغزو و الزكاة و غيرهما (فمنكم من يبخل) ناس يبخلون و هو كالدليل على الآية المتقدمة (و من يبخل فانما يبخل عن نفسه) فان نفع الانفاق و ضرر البخل عائد اليه و البخل يعدى بعن و على لتضمنه معنى الامساك و التعدى فانه امساك عن مستحق (و الله الغنى و انتم الفقرآء) فما يأمركم به فهو لاحتياجكم فان امتثلتم فلكم و ان توليتم فعليكم (و ان تتولوا) عطف على و ان تؤمنوا (يستبدل قوما غيركم) يقم مقامكم قوما آخرين (ثم لا يكونوا امثالكم) فى التولى و الزهد فى الايمان و هم الفرس لانه سئل عليه الصلاة و السلام عنه و كان سلمان الى جنبه فضرب فخذه و قال هذا و قومه او الانصار او اليمن او الملائكة ۞ عن النبى عليه الصلاة و السلام من قرأ سورة محمد كان حقا على الله ان يسقيه من انهار الجنة

﴿سورة الفتح مدنية نزلت فى مرجع﴾
﴿رسول الله صلى الله عليه و سلم﴾
﴿من الحديبية و آيها تسع و عشرون﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(انا فتحنا لك فتحا مبينا) وعد بفتح مكة عظمها الله و التعبير عنه بالماضى لتحققه او بما اتفق له فى تلك السنة كفتح خيبر و فدك او اخبار عن صلح الحديبية

الى رسول الله صلى الله عليه وسلم رسولا وامروه ان يقول له صلى الله عليه وسلم انا لا نرضى ان تدخل علينا مكة عامك هذا احترازا عن ان تقول العرب انه دخلها عليكم عنوة فانا لا نرضى بهذا القول ابدا فارجع عنا عامك هذا واذا جاء العام القابل نخرج منها فتدخلها باصحابك فتطوف لعمرتك معهم وتقيمون فيها ثلاثة ايام ثم ترجعون بعدها فلما انتهى الرسول الى رسول الله صلى الله عليه وسلم تكلم فاطال الكلام وتراجعا ثم جرى بينهما الصلح على ان تكون الحرب موضوعة بين الناس عشر سنين وقيل سنتين يامن فيهما الناس ويكف بعضهم عن بعض الى انقضاء مدة الصلح فامر صلى الله عليه وسلم علي بن ابي طالب رضي الله عنه فكتب كتاب الصلح وكان سبب رضاهم بالصلح انه صلى الله عليه وسلم لما نزل بالحديبية بعث عثمان الى قريش يستأذنهم في ان يدخل صلى الله عليه وسلم مع اصحابه مكة معتمرين معظمين حرمات البيت غير محاربين فذهب عثمان اليهم فاستأذنهم في ذلك فابوا ان يأذنوا له وقالوا طف انت ان شئت فقال ما كنت لافعل حتى يطوف رسول الله صلى الله عليه وسلم وحبسوه عندهم ثلاثة ايام ولم يأذنوا له ان يعود الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فبقي عندهم ثلاثة ايام فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ان عثمان قد قتل فقال صلى الله عليه وسلم حين بلغه ذلك الخبر لا ابرح حتى نأخذ القوم ودعا الناس الى البيعة وجلس تحت الشجرة فقال لاصحابه بايعوني على الموت فبايعوه عليه وقال جابر بايعناه على ان لا نفر ثم رجع عثمان رضي الله تعالى عنه فاخبرهم ابو ذلك وبلغت قضية البيعة الى قريش فكبرت عليهم وخافوا ان يحاربوا معه فقالوا لسهيل بن عمرو اذهب واردده عنا وصالحه فصالحهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم امر الناس ان يحلوا من احرامهم بان ينحروا بدنهم ويحلقوا رؤسهم ونحر هو ايضا البدن وحلق رأسه ثم انصرف متوجها الى المدينة حتى اذا كان بين مكة والمدينة نزل انا فتحنا لك فتحا مبينا الى قوله هو الذى انزل السكينة يعنى السكون والطمأنينة في البيعة في قلوب المؤمنين ليزدادوا تصديقا مع تصديقهم الذى هم عليه ثم دخلوا في العام القابل سنة سبع وقضوا عمرتهم ثم فتحت مكة سنة ثمان فحج ابو بكر سنة تسع ثم حج النبي صلى الله عليه وسلم سنة عشر فلما كان نزول الآية قبل فتح مكة كانت عدة بالفتح ﴿ قوله او بما اتفق له ﴾ عطف على قوله بفتح مكة وقوله او اخبار عطف على قوله وعد ﴿ قوله وانما سماه فتحا ﴾ مع انه ليس بفتح بالمعنى العرفي للفتح ولا بالمعنى اللغوى اما الاول فلانه ليس بظفر على البلد واما الثاني فلانه ليس بظفر المتعلق كيف وقد احصروا ومنعوا من البيت فنحروا وحلقوا بالحديبية الا انه قد آل الامر الى بيعة الرضوان وظهر عند المشركين اتفاق كلمة المؤمنين وصدق عزيمتهم على الجهاد والقتال ضعفوا وخافوا حتى اضطروا الى طلب الصلح وتحقق بذلك غلبة المسلمين عليهم مع ان ذلك الصلح كان سببا لامور اخر كانت منغلقة قبل ذلك منها ان المشركين اختلطوا بالمسلمين بسببه فسمعوا كلامهم وتمكن الاسلام في قلوبهم واسلم في مدة قليلة خلق كثير كثروا سواد اهل الاسلام الى آخر ما ذكره المصنف عن البراء بن عازب رضي الله عنه انه قال تعدون انتم الفتح فتح مكة وقد كان فتح مكة فتحا ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية حيث ترتب عليها من ظهور الاسلام وانتكاس احوال المشركين ما لا يمكن وصفه فصارت كأنها مبدأ فتح الاسلام وقد قال جابر ما كنا نعد فتح مكة الا يوم الحديبية وذلك ان المشركين اختلطوا بالمسلمين بعد الصلح فصار ذلك سببا لاسلام خلق كثير في زمان قليل ﴿ قوله او فتح الروم ﴾ عطف على صلح الحديبية فان اهل الروم غلبت على اهل فارس في تلك السنة وكانت غلبتهم عليهم من دلائل النبوة حيث كان عليه الصلاة والسلام وعد بوقوع تلك الغلبة في بضع سنين وهو ما بين الثلاث الى التسع فكانت كما وعد به فظهر صدقه عليه الصلاة والسلام فكانت بذلك فتحا له عليه الصلاة والسلام ﴿ قوله علة للفتح من حيث انه مسبب الخ ﴾ يعنى ان الغفران علة غائية للفتح متأخرة عنه في الوجود الخارجى وعلة حاملة عليه بحسب الوجود الذهنى كما في قولك اتخذت السرير لجلس عليه السلطان والعلة الغائية للحكم ينبغى ان تكون مسببة عنه وغفر ان الجرم يظهر كونه سببا للفتح الصادر منه تعالى فكيف يكون علة غائية له الا ان الفتح لما كان مسببا عن الافعال الحسنة الصادرة من العبد كالجهاد والسعى في اعلاء الدين وتخليص الضعفة من ايدى الظلمة ونحوها وكانت تلك الافعال مسببة عن الغفران من حيث كونه حاملا عليها صح ان يجعل الغفران علة للفتح بواسطة كونه علة لما هو علة للفتح وهى الافعال وجعل المصنف الغفران علة للفتح رد على صاحب الكشاف في قوله فكيف جعل فتح مكة علة للمغفرة لان العلة الغائية للحكم متأخرة عنه في الوجود الخارجى كما في قولك ضربته تأديبا فان التأديب وان كان علة للضرب متقدمة عليه في الوجود الذهنى الا انه غاية له متأخر عنه

وانما سماه فتحا لانه كان بعد ظهوره على المشركين حتى سألوا الصلح وتسبب الفتح مكة وفرغ به رسول الله عليه السلام لسائر العرب فغزاهم وفتح مواضع وادخل في الاسلام خلقا عظيما وظهر له في الحديبية آية عظيمة وهى انه نزح ماؤها بالكلية فتمضمض ثم مج فيها فدرت بالماء حتى شرب جميع من كان معه او فتح الروم فانهم غلبوا على الفرس في تلك السنة وقد عرف كونه فتحا للرسول عليه السلام في سورة الروم وقيل الفتح بمعنى القضاء اى قضينا لك ان تدخل مكة من قابل (ليغفر لك الله) علة للفتح من حيث انه مسبب عن جهاد الكفار والسعى في ازاحة الشرك واعلاء الدين وتكميل النفوس الناقصة قهرا ليصير ذلك بالتدريج اختيارا وتخليص الضعفة من ايدى الظلمة (ما تقدم من ذنبك وما تأخر) جميع ما فرط منك مما يصح ان يعاتب عليه (ويتم نعمته عليك) باعلاء الدين وضم الملك الى النبوة (ويهديك صراطا مستقيما) في تبليغ الرسالة واقامة مراسم الرياسة

بحسب الوجود الخارجي الا ان المقصود بيان كون المغفرة علة للفتح كما يقتضيه دخول لام العلة عليها لا بيان كون الفتح علة لها فالمناسب لمقام ما هو عبارة المصنف وفي قوله تبارك وتعالى انا فتحنا لك تعظيم لامر الفتح من وجهين احدهما قوله انا والثاني قوله لك اي لاجل كرامتك عندي ولاجل جهادك في فتح مكة او صلح الحديبية وفي اظهار الفاعل في قوله ليغفر لك وينصرك الله اشعار بان كل واحد من المغفرة والنصرة دليل على الوهية وكونه معبودا بالحق لا يقدر عليه غيره ﴿ قوله نصرا فيه عز ومنعة ﴾ جواب عما يقال كيف اسند العزيز الى ضمير النصر مع ان العزيز من له النصر دونه وتقرير الجواب الاول ان صيغة الفعيل هنا للنسبة فالعزيز بمعنى ذي العزة كما ان راضية في قوله تعالى في عيشة راضية بمعنى ذات رضى فالمعنى نصرا ذا عز ومنعة لا ذل معه اي لا يترتب عليه الا عز المنصور وكونه ذا منعة تمنعه عن ان يصيبه سوء ومكروه فاسناد العزيز بهذا المعنى الى ضمير النصر حقيقة وتقرير الجواب الثاني ان العزيز هو المنصور وان ما تعلق به من النصر هو سبب عزته فوصف النصر بوصف متعلقه للمبالغة في عزة المنصور كما يقال جد جده للمبالغة في جد الفاعل الحقيقي ثم انه تعالى لما قال وينصرك الله نصرا عزيزا بين وجه النصرة فقال هو الذي انزل السكينة اي انزلها تحقيقا للنصر فانه تعالى قد ينصر رسله باهلاك اعدائهم بسبب من الاسباب وقد ينصرهم بتقوية قلوب انصارهم بان يرزقهم رسوخ الاعتقاد وازدياد اليقين فيثبتون على الحق حين تضطرب ضعاف القلوب واليقين فالسكينة بمعنى السكون والثبات كما ان البهيتة بمعنى البهتان فالمعنى انزل السكون والطمأنينة في قلوبهم بتقوية يقينهم ليزدادوا يقينا او بسبب الصلح والامن ليعرفوا فضل الله عليهم باظهارهم على عدوهم فيزدادوا يقينا ﴿ قوله علة لما بعده لما دل عليه قوله ولله ﴾ ذكر في متعلق اللام وجوها الاول ان تكون متعلقة بمحذوف دل عليه قوله ولله جنود السموات والارض فانه يدل على انه تعالى جعل المؤمنين جندا متعاونين على نصرة دينه واعلاء كلمته ليدخلهم الجنة ويعذب الكفار والثاني انها متعلقة بفتحنا فقوله او فتحنا عطف على قوله ما دل في قوله علة لما دل عليه اي او هو علة لقوله انا فتحنا لما روي ان الصحابة رضي الله عنهم قالوا له عليه السلام لما نزل قوله تعالى ليغفر لك الله هنيئا لك يا رسول الله ان الله قد غفر لك فما لنا عند الله فنزل ليدخل المؤمنين الآية فكأنه تعالى قال انا فتحنا لك ليغفر لك وفتحنا للمؤمنين ليدخلهم ﴿ قوله او انزل ﴾ اي او هو علة لما بعده لقوله انزل السكينة في قلوب المؤمنين معللا بقوله ليزدادوا الآية ولو كان متعلقا بنفس انزل من غير اعتبار تعليله بقوله ليزدادوا فلا يخلو اما ان يكون كل واحد من ازدياد الايمان وادخال الجنة علة على حدة لانزال السكينة او يكون علة انزالها هي ادخال الجنة ويكون قوله ليزدادوا توطئة لذكره من غير ان يقصد بذكره التعليل بان يكون قوله ليدخل المؤمنين بدلا من قوله ليزدادوا بدل الاشتمال فان كان الاول كان المناسب ان يقال وليدخل عطفا على قوله ليزدادوا وان كان الثاني فهو عين ما نقله بعده بقوله وقيل انه بدل اشتمال فلا وجه لعطفه عليه فتعين انه انما يكون متعلقا بقوله انزل بعد اعتبار تعليله بقوله ليزدادوا ﴿ قوله او ليزدادوا ﴾ فيه ان قوله عز وجل ويعذب المنافقين عطف على قوله ليدخل فلو كان قوله ليدخل متعلقا بقوله ليزدادوا لكان علة ازدياد المؤمنين ايمانا مجموع الادخال والتعذيب ولا دخل للازدياد المذكور في تعذيب المنافقين الا ان يقال اذا كان ازدياد الايمان سببا للدخول صاحبه الجنة واستحقاقه الكرامة يكون ايضا سببا لان يعذب اعداءه لان اكرام عدو الرجل اهانة له فما يكون سببا لاكرام عدو يكون سببا لتعذيب نفسه ﴿ قوله الا اذا جعل بدلا ﴾ فان اعراب البدل ليس بعامل حتى ينوب العاطف عنه فيعمل لنيابته عنه فلا يجوز العطف على البدل فيكون ما عطف عليه ظاهرا معطوفا على المبدل منه حقيقة ﴿ قوله تبارك وتعالى الظانين ﴾ صفة للفريقين اهل النفاق واهل الشرك وظن السوء منصوب على المصدر والاضافة فيه ليست من قبيل اضافة الموصوف الى صفته فانها غير جائزة عند البصريين ولا عكسها لان الصفة والموصوف عبارتان عن شيء واحد فاضافة احدهما الى الآخر من اضافة الشيء الى نفسه فالاضافة في نحو صلاة الاولى ومسجد الجامع كالاضافة في سيف شجاع من حيث ان المضاف اليه في الحقيقة هو موصوف هذا المجرور والتقدير سيف رجل شجاع وصلاة الساعة الاولى ومسجد الوقت الجامع والمراد بالساعة الاولى اول ساعة تجدد عقيب الزوال وبالوقت الجامع يوم الجمعة فان ذلك اليوم جامع للناس في مسجده للصلاة حذف المضاف اليه في الجميع واقيمت صفته مقامه واضافة ظن السوء من هذا القبيل اذ التقدير كما ذكره المصنف ظن الامر السوء والسوء بالفتح صفة مشبهة من ساء يسوء بضم العين فيهما سوءا فهو سوء ويقابله من حيث المعنى قولك

(وينصرك الله نصرا عزيزا) نصرا فيه عز ومنعة او يعز به المنصور فوصف بوصفه مبالغة (هو الذي انزل السكينة) الثبات والطمأنينة (في قلوب المؤمنين) حتى يثبتوا حيث تقلق النفوس وتدحض الاقدام (ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم) يقينا مع يقينهم برسوخ العقيدة واطمئنان النفس عليها او انزل فيها السكون الى ما جاء به الرسول ليزدادوا ايمانا بالشرائع مع ايمانهم بالله واليوم الآخر (ولله جنود السموات والارض) يدبر امرها فيسلط بعضها على بعض تارة ويوقع فيما بينهم السلم اخرى كما تقتضيه حكمته (وكان الله عليما) بالمصالح (حكيما) فيما يقدر ويدبر (ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها) علة لما بعده لما دل عليه قوله ولله جنود السموات والارض من معنى التدبير اي دبر ما دبر من تسليط المؤمنين ليعرفوا نعمة الله فيه ويشكروها فيدخلوا الجنة ويعذب الكفار والمنافقين لما غاظهم من ذلك او فتحنا او انزل او جميع ما ذكر او ليزدادوا وقيل انه بدل منه بدل الاشتمال (ويكفر عنهم سيئاتهم) يغطيها ولا يظهرها (وكان ذلك) اي الادخال والتكفير (عند الله فوزا عظيما) لانه منتهى ما يطلب من جلب نفع او دفع ضر وعند حال من الفوز (ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات) عطف على يدخل الا اذا جعل بدلا فيكون عطفا على المبدل (الظانين بالله ظن السوء) ظن الامر السوء وهو ان لا ينصر رسوله والمؤمنين (عليهم دائرة السوء) دائرة ما يظنونه ويتربصونه بالمؤمنين لا يتخطاهم وقرأ ابن كثير وابو عمرو دائرة السوء بالضم وهما لغتان غير ان المفتوح غلب في ان يضاف اليه ما يراد ذمه والمضموم جرى مجرى الشر وكلاهما في الاصل مصدر (وغضب الله عليهم ولعنهم واعد لهم جهنم) عطف لما استحقوه في الآخرة على ما استوجبوه في الدنيا والواو في الاخيرين والموضع موضع الفاء اذ اللعن سبب

حسن يحسن حسنا فهو حسن وهو فعل لازم بمعنى قبح وصار فاسدا رديئا بخلاف ساءه يسوءه سوءا ومساءة اى احزنه نقيض سره فانه متعد ووزنه فى الماضى فعل بفتح العين ووزن ما كان لازما فعل بضم العين وفعل يأتى فاعله على فعل كصعب صعوبة فهو صعب والسوء بضم السين مصدر لهذا اللازم والسوء بالفتح لفظ مشترك بين اسم الفاعل من اللازم وبين مصدر المتعدى وقيل السوء بالفتح والضم لغتان بمعنى كالكره والكره والضعف والضعف والدآئرة فى الاصل عبارة عن الخط المحيط بالمركز ثم استعملت فى الحادثة المحيطة بمن وقعت هى عليه الا ان اكثر استعمالها فى المكروه كما ان اكثر استعمال الدولة فى المحبوب الذى يتداول ويكون مرة لهذا ومرة لذاك والاضافة فى دآئرة السوء من اضافة العام الى الخاص للبيان كما فى خاتم فضة والمعنى اكذب الله ظنهم وقلب ما يظنونه بالمؤمنين عليهم بحيث لا يتخطاهم ولم ينتفعوا بالنصرة اه ما قيل الفائدة فى اعادة قوله تعالى ولله جنود السموات والارض الاشارة الى ان لله جنود رحمة ينزلهم ليدخل بهم المؤمنين الجنة معظما مكرما اياهم وان له تعالى جنود عذاب يسلطهم على الكفار يعذبهم بهم فى جهنم ويدل على هذا الوجه انه تعالى ذكر جنود الرحمة قبل قوله ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات وذكر جنود العذاب بعد قوله واعدلهم جهنم وساءت مصيرا ويدل عليه ايضا انه تعالى قال عند ذكر الجنود ثانيا وكان الله عزيزا حكيما وقال عند ذكرهم اولا وكان الله عليما حكيما فان عادته تعالى فى كلامه المجيد ان يصف نفسه بالعزة فى مقام ذكر العذاب والانتقام كما قال تعالى اليس الله بعزيز ذى انتقام وقال فاخذناهم اخذ عزيز مقتدر وقال العزيز الجبار ثم انه تعالى لما قال له عليه السلام ما قصصناه بطريق العدة والاخبار امتنانا عليه بذلك بين فائدة ارساله شاهدا ومبشرا ونذيرا فقال انا ارسلناك شاهدا على امتك اى على تصديق من صدقه وتكذيب من كذبه اى مقبولا قوله فى حقهم عند الله تعالى سوآء شهد لهم ام عليهم كما يقبل قول الشاهد العدل عند الحاكم والخطاب فى قوله تبارك وتعالى لتؤمنوا بالله للنبى عليه الصلاة والسلام ولامته فيكون تعميما للخطاب بعد التخصيص لان خطاب ارسلناك للنبى خاصة ومثله قوله تبارك وتعالى يا ايها النبى اذا طلقتم النساء خصه عليه الصلاة والسلام بالندآء ثم عم الخطاب على طريق تغليب المخاطب على الغائبين وهم المؤمنون فدلت الآية على انه عليه السلام يجب عليه ان يؤمن برسالة نفسه كما ورد فى الحديث انه عليه افضل الصلاة والسلام قال واشهد انى عبد الله ورسوله ﴿ قوله على ان خطابه عليه السلام منزل منزلة خطابهم ﴾ جواب عما يقال كيف يجوز تخصيص الخطاب الثانى بالامة فى مقام توجيه الخطاب الاول اليه عليه الصلاة والسلام بخصوصه فاجاب عنه بان خطاب رئيس القوم بمنزلة خطاب من معه من اتباعه فجاز ان يخاطب الاتباع فى مقام تخصيص الرئيس بالخطاب ﴿ قوله وتقووه بتقوية دينه ورسوله ﴾ تصريح بان الضمائر المذكورة فى قوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه راجعة الى الله تعالى لان ضمير رسوله ليس الا له تعالى وكذا ضمير تسبحوه لان التسبيح لا يكون الا له تعالى فلا وجه لان يجعل الضمير ان الاولان للنبى صلى الله عليه وسلم وان جوزه بعض اهل التفسير وجعل الجوهرى التعزير والتوقير بمعنى حيث قال التعزير التعظيم والتوقير والمفسرون حملوا التعزير هنا على تعظيمه بنصرة دينه ورسوله وتقويتهما وحملوا توقيره على تعظيمه باعتقاد انه متصف بجميع صفات الكمال منزه من جميع وجوه النقصان قرئ لتؤمنوا الى آخر الافعال الاربعة بالياء والتاء فياء الغيبة مبنى على اسناد الافعال المذكورة الى ضمير المرسل اليهم المدلول عليه بلفظ ارسلناك وتاء الخطاب على خطاب الرسول والامة وتغليب المخاطب على الغائب وقرأ الجمهور وتعزروه بضم التاء وفتح العين وكسر الزاى مشددة وقرئ وتعزروه بضم التاء وسكون العين من اعزره بمعنى عزره وتعزروه بفتح التاء وضم الزاى وكسرها مخففة وتعززوه بزايين معجمتين من العزة ومعنى الكل واحد وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ان هذه الآية التى فى القرآن وهى يا ايها النبى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا هى ما قال فى التوراة يا ايها النبى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للاميين انت عبدى ورسولى سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب فى الاسواق ولا يدفع السيئة بالسيئة ولكن يعفو ويصفح ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بان يقولوا لا اله الا الله فيفتح بها اعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا من البخارى فى هذه السورة ثم انه تعالى لما بين انه مرسل لرسله لما ذكر من الحكم والمصالح بين ان منزلته وقدره عند الله عظيم بحيث يكون من بايعه صورة فقد بايع الله تعالى حقيقة لان من بايعه عليه الصلاة والسلام على ان لا يفر من موضع القتال الى ان يقتل او يفتح الله لهم وان كان يقصد بها رضى الرسول عليه الصلاة والسلام ظاهرا لكن انما يقصد بها حقيقة رضى الرحمن وثوابه

للاعداء والغضب سبب له لاستقلال الكل فى الوعيد بلا اعتبار السببية (وساءت مصيرا) جهنم (ولله جنود السموات والارض وكان الله عزيزا حكيما انا ارسلناك شاهدا) على امتك (ومبشرا ونذيرا) على الطاعة والمعصية (لتؤمنوا بالله ورسوله) الخطاب للنبى والامة اولهم على ان خطابه منزل منزلة خطابهم (وتعزروه) وتقووه بتقوية دينه ورسوله (وتوقروه) وتعظموه (وتسبحوه) وتنزهوه اوتصلوا له (بكرة واصيلا) غدوة وعشيا او دآئما وقرأ ابن كثير وابو عمرو الافعال الاربعة بالياء وقرئ تعزروه بسكون العين وتعزروه بفتح التاء وضم الزاى وكسرها وتعززوه بالزايين وتوقروه من اوقره بمعنى وقره

وجنته وسميت المعاهدة المذكورة بالمبايعة التى هى مبادلة المال بالمال تشبيها لها بالمبايعة فى اشتمال كل واحد منهما على معنى المبادلة وذلك فى المبايعة ظاهر وكذا فى المعاهدة المذكورة فانها ايضا مشتملة على المبادلة بين التزام الثبات على محاربة المشركين وبين ضمانه عليه السلام برضاة الله تعالى عنهم والاثابة اياهم جنة النعيم وملكا لايبلى فى مقابلة ذلك الثبات فاطلق اسم المبايعة على هذه المعاهدة على سبيل الاستعارة ثم انه لما كان ثواب ثباتهم على الحرب انما يصل اليهم من قبله تعالى كان المقصود من المبايعة معه عليه السلام المبايعة مع الله تعالى وانه عليه الصلاة والسلام هو سفير ومعبر عنه تعالى وبهذا الاعتبار صار من بايعه عليه السلام على ذلك بمنزلة من بايع الله تعالى فقيل انما يبايعون الله كأنهم باعوا انفسهم من الله تعالى بالجنة وان كان العقد معه عليه السلام ولما جعلت المبايعة مع الرسول مبايعة مع الله تعالى وشبه تعالى بالمبايع اثبت له تعالى ما هو من لوازم المبايع حقيقة وهو اليد على طريق الاستعارة التخييلية فان المبايع لابدله عند مباشرة العقد من الصفقة عادة فلما قيل ان تلك المبايعة انما هى مع الله تعالى اكد هذا المعنى بان قيل يد الله فوق ايديهم كأنه قيل لاتظن ان الامر على خلاف ذلك فان يده يد الله تعالى فلما شبه الله تعالى بالمبايع اثبت له جارحة اليد على سبيل التخييل والا فهو تعالى منزه عن الجوارح وصفات الاجسام ﴿قوله تعالى انما يبايعون الله﴾ خبران ويد الله مبتدأ وما بعده خبره والظاهر ان الجملة خبر ثان لان مجيئه تأكيدا للاول ولم يتعرض المصنف لهذا الاحتمال بل جعلها جملة حالية من ضمير الفاعل فى يبايعون او مستأنفة لتصوير المبايعة مع الله تبارك وتعالى فعلى هذا التقدير تكون اليد فى الموضعين بمعنى الاحسان والصنيعة قال الطيبى رحمة الله عليهم فى الهداية فوق ماصنعوا من البيعة كقوله تعالى بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان وعن ابن كيسان انها فى الموضعين بمعنى القوة والنصرة والمعنى قوة الله تعالى ونصرته فوق قوتهم ونصرتهم كأنه قيل ثق بنصرة الله لك لابنصرهم ومبايعتهم على النصرة والثبات فانه يقال اليد لفلان اى القوة والنصرة وقيل هى فيهما بمعنيين فى حق الله تعالى بمعنى الحفظ وفى حق المبايعين بمعنى الجارحة قال السدى كانوا يأخذون بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم ويبايعونه ويد الله اى حفظه تلك المبايعة من الانتقاض والبطلان فوق ايديهم كما ان احد المتبايعين اذا مديده الى الآخر لعقد البيع يتوسط بينهما ثالث فيضع يده على يديهما ويحفظ يديهما الى ان يتم العقد لايترك واحدا منهما لان يقبض يده الى نفسه ويتفرق عن صاحبه قبل انعقاد البيع فيكون وضع الثالث يده على يديهما سببا لحفظ البيعة فلذلك قال الله تعالى يد الله فوق ايديهم يحفظهم ويمنعهم عن ترك البيعة كما يحفظ المتوسط ايدى المتبايعين ﴿قوله نقض العهد﴾ يقال نكث العهد والحبل فانتكث اى نقضه فانتقض ويقال اوفى بالعهد ووفى بالعهد اذا اتمه ويحتمل ان يراد بنكث العهد مايتناول عدم مباشرته ابتداء ونقضه بعد انعقاده لما روى عن جابر رضى الله تعالى عنه انه قال بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة الرضوان تحت الشجرة على الموت وعلى ان لانفر فانكث احدمنا البيعة الا جد بن قيس وكان منافقا اختبأ تحت ابط بعيره ولم يسر مع القوم ﴿قوله استنفرهم﴾ اى طلب منهم ان ينفروا ويخرجوا معه حين اراد المسير الى مكة عام الحديبية معتمرا ليخرجوا معه حذرا من قريش ان يتعرضوا له بحرب فتثاقل كثير من الاعراب الكائنين حول المدينة وتخلفوا عنه وخافوا ان يكون قتال وقالوا نذهب الى قوم قدغزوه فى قعر داره بالمدينة وقتلوا اصحابه يعنون احدا فنقاتلهم فظنوا انه عليه السلام يهلك ولاينقلب الى المدينة واعتلوا بالشغل باموالهم واهليهم وانه ليس لهم من يقوم باشغالهم فاخبر الله تعالى نبيه عليه السلام عنهم بما سيقولون فى الاعتذار من تخلفهم اذا رجع الى المدينة وما بهم فى التخلف وبانهم لايكتفون بالاعتذار بل يتضرعون ويقولون ان تخلفنا وان كان مبنيا على العذر عند انفسنا الا انا نسأل ان تسأل الله تعالى ان يغفر لنا تخلفنا عنك اذ كنا حراصا على الخروج معك الا انه منعنا عنك مانع قوى ثم كذبهم فى اعتذارهم واخبر بنفاقهم فقال يقولون بالسنتهم ماليس فى قلوبهم فان الشك والنفاق هو الذى خلفهم وليس لهم عذر فيه سوى الشك ولما كان حاصل اعتذارهم ان تخلفهم عن النبى صلى الله عليه وسلم يدفع عنهم الضر وهو سوء الحال من اختلال حال الاهل والاموال ويجلب لهم النفع وهو السلامة فى انفسهم واموالهم قال الله تعالى قل فمن يملك لكم من الله شيأ الآية يعنى انكم ايها المساكين تحترزون من الضر وتتركون امر الله تعالى وامر رسوله وتقعدون طلبا للسلامة فهل ينفعكم القعود والتخلف عما اراد الله بكم ان اراد بكم الضر وقرئ بضم الضاد ايضا وهو تعريض برد قولهم شغلتنا وصلاحيته للاعتذار ثم انه تعالى اضرب

(ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله) لانه المقصود ببيعته (يد الله فوق ايديهم) حال او استئناف مؤكد له على سبيل التخييل (فمن نكث) نقض العهد (فانما ينكث على نفسه) فلايعود ضرر نكثه الاعليه (ومن اوفى بما عاهد عليه الله) وفى فى مبايعته (فسيؤتيه اجرا عظيما) هو الجنة وقرئ عهد وقرأ حفص عليه الله بضم الهاء وابن كثير ونافع وابن عامر وروح فسنؤتيه بالنون والآية نزلت فى بيعة الرضوان (سيقول لك المخلفون من الاعراب) هم اسلم وجهينة ومزينة وغفار استنفرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية فتخلفوا واعتلوا بالشغل باموالهم واهليهم وانما خلفهم الخذلان وضعف العقيدة والخوف من مقاتلة قريش ان صدوهم (شغلتنا اموالنا واهلونا) اذلم يكن لنا من يقوم باشغالنا وقرئ بالتشديد للتكثير (فاستغفر لنا) من الله على التخلف (يقولون بالسنتهم ماليس فى قلوبهم) تكذيب لهم فى الاعتذار والاستغفار (قل فمن يملك لكم من الله شيأ) فمن يمنعكم من مشيئته وقضائه (ان اراد بكم ضرا) مايضركم كقتل او هزيمة وخلل فى المال والاهل وعقوبة على التخلف وقرأ حمزة والكسائى بالضم (او اراد بكم نفعا) مايضاد ذلك وهو تعريض بالرد

(بل كان الله بما تعملون خبيرا) فيعلم تخلفكم وقصدكم فيه (بل ظننتم ان لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى اهليهم ابدا) لظنكم ان المشركين يستأصلونهم
واهلون جمع اهل وقد يجمع على اهلات كارضات على ان اصله اهلة واما اهال فاسم جمع كليال (وزين ذلك فى قلوبكم) فتمكن
فيها وقرئ على البناء للفاعل وهو الله او الشيطان (وظننتم ظن السوء) الظن المذكور والمراد التسجيل عليه بالسوء او هو وسائر مايظنون بالله ورسوله من الامور الزآئفة (وكنتم قوما بورا) هالكين عند الله لفساد عقيدتكم وسوء نيتكم (ومن لم يؤمن بالله ورسوله فانا اعتدنا للكافرين سعيرا) وضع الكافرين موضع الضمير ايذانا بان من لم يجمع بين الايمان بالله ورسوله فهو كافر وانه مستوجب السعير بكفره وتنكير سعيرا للتهويل او لانها نار مخصوصة (ولله ملك السموات والارض) يدبره كيف يشاء (يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء) اذ لا وجوب عليه (وكان الله غفورا رحيما) فان الغفران والرحمة من ذاته والتعذيب داخل تحت قضائه بالعرض ولذلك جاء فى الحديث الالهى سبقت رحمتى غضبى (سيقول المخلفون) يعنى المذكورين (اذا انطلقتم الى مغانم لتأخذوها) يعنى مغانم خيبر فانه عليه السلام رجع من الحديبية فى ذى الحجة من سنة ست واقام بالمدينة بقيتها واوآئل المحرم ثم غزا خيبر بمن شهد الحديبية ففتحها وغنم اموالا كثيرة فخصها بهم (ذرونا نتبعكم يريدون ان يبدلوا كلام الله) ان يغيروه وهو وعده لاهل الحديبية ان يعوضهم من مغانم مكة مغانم خيبر وقيل قوله لن تخرجوا معى ابدا والظاهر انه فى تبوك والكلام اسم للتكلم غلب فى الجملة المفيدة وقرأ حمزة والكسائى كلم الله وهو جمع كلمة (قل لن تتبعونا) نفى فى معنى النهى (كذلكم قال الله من قبل) من قبل تهيئهم للخروج الى خيبر (فسيقولون بل تحسدوننا) ان نشارككم فى الغنائم وقرئ بالكسر (بل كانوا لا يفقهون) لا يفهمون (الا قليلا) الا فهما قليلا وهو فطنتهم لامور الدنيا ومعنى الاضراب الاول ردمنهم ان يكون حكم الله ان لا يتبعوهم واثبات الحسد والثانى رد من الله لذلك واثبات لجهلهم بامور الدين (قل للمخلفين من الاعراب) كرر ذكرهم بهذا الاسم مبالغة فى الذم واشعارا بشناعة التخلف (ستدعون الى قوم اولى بأس شديد) بنى حنيفة او غيرهم ممن ارتدوا بعد رسول الله عليه السلام فانه قال (تقاتلونهم او يسلمون) اى يكون احد الامرين اما المقاتلة او الاسلام لا غير كما دل عليه قرآءة او يسلموا

عن تكذيبهم فى اعتذارهم الى ابعادهم بانه يجازيهم بما عملوا من التخلف والاعتذار الباطل باظهار امر واخفاء غيره فقال بل كان الله بما تعملون خبيرا ثم اضرب عن بيان بطلان اعتذارهم الى بيان ماحملهم على التخلف فقال بل ظننتم الآية ﴿ قوله الظن المذكور ﴾ يعنى التعريف فى ظن السوء اما للعهد والمعهود ظنهم المتقدم وهو ظن ان لا يغلبوا الكثرة العدو وقلة انفسهم ويكون العطف لمجرد التسجيل عليه بالسوء والافهو من عطف الشئ على نفسه او للاستغراق فيكون المراد بالمعطوف سائر ظنونهم الزآئفة لما تقرر من ان العام اذا عطف على الخاص يراد به سائر افراده ﴿ قوله هالكين ﴾ اشارة الى ان البور جمع بائر من بار بمعنى هلك كالعوذ جمع عائذ وهى من الابل والخيل الحديثة النتاج ويحتمل ان يكون مصدرا فانه يقال بار بورا مثل هلك هلاكا بناء ومعنى ولذلك يوصف به الواحد والجمع والمذكر والمؤنث ﴿ قوله وضع الكافرين موضع الضمير ﴾ جواب عما يقال من فى قوله تعالى ومن لم يؤمن سوآء كانت شرطية او موصولة فى محل الرفع على الابتدآء والجملة المصدرة بان خبرها فاين العائد منها الى المبتدأ فاجاب عنه بان الظاهر قائم مقام العائد على تقدير فانا اعتدنا لهم ثم انه تعالى لما ذكر من له اجر عظيم من المبايعين ومن له عذاب اليم فى السعير من القائلين ذكر بعد ولله ملك السموات والارض الى آخر الآية دلالة على عظم الامرين جميعا لان من عظم ملكه يكون اجره وهبته فى غاية العظمة كما يكون عذابه فى غاية الشدة ﴿ قوله تعالى يريدون ان يبدلوا كلام الله ﴾ حال من المخلفون او مستأنف لبيان مرادهم من قولهم ذرونا والمراد بكلام الله وعده بان تكون غنائم خيبر لاهل الحديبية خاصة فقال عليه الصلاة والسلام لا تخرج الى خيبر الا اهل الحديبية وجعل ذلك عوضا لهم عن غنائم اهل مكة اذ انصرفوا منها على صلح ولم يصيبوا منها شيأ وهذا القول هو الاشهر عند المفسرين والاظهر نظرا الى قوله تعالى كذلكم قال الله من قبل اى من قبل تهيئهم للخروج الى خيبر وقيل المراد بكلام الله قوله لن تخرجوا معى ابدا بناء على ان القوم لما تخلفوا واطلع الله تعالى نبيه على باطنهم واظهر نفاقهم قال تعالى له عليه الصلاة والسلام قل لن تخرجوا معى ابدا ولن تقاتلوا معى عدوا فالقوم ارادوا بقولهم ذرونا نتبعكم ان يبدلوا ذلك الكلام بالخروج معه ولم يرض المصنف بهذا القول بناء على ان ذلك الكلام ورد فى غزوة تبوك لا فى هذه الواقعة ﴿ قوله واثبات الحسد ﴾ عطف على قوله ردمنهم والمعنى فسيقولون تكذيبا لكم فيما اخبرتم وهو من انه تعالى كذلك قال من قبل ما قال الله كذلك بل تحسدوننا ان نصيب معكم من الغنائم والاضراب الثانى رد من الله تعالى لما زعموه من ان النهى عن اتباعهم لاجل الحسد واثبات لجهلهم شان النبى وما يصح ان يكون منه ومالا يصح اثبت لهم فهما قليلا وهو فهمهم بظاهر من الحياة الدنيا ﴿ قوله كرر ذكرهم ﴾ فان المراد من المخلفين هم الذين منعوا من الخروج الى خيبر فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم فانه عليه الصلاة والسلام لما قال لهم لن تتبعونا وان تخرجوا معى ابدا وهم جمع كثير من قبائل شتى دعت الحاجة الى بيان قبول توبتهم فانهم لم يبقوا على ذلك ولم يكونوا من الذين مردوا على النفاق بل منهم من رجع عنه وحسن حاله فجعل تعالى لقبول توبتهم علامة وهو انهم يدعون بعد وفاته عليه الصلاة والسلام الى قوم اولى بأس شديد اى اولى قوة فى الحرب فمن اجاب منهم دعوة امام ذلك الزمان وحاربهم فانه تقبل توبته ويعطى الاجر الحسن فلولا انه تعالى بين انهم يدعون الى حرب اولى بأس شديد فان اطاعوا اعطوا الاجر الحسن لاستقر حالهم على النفاق كما استقر حال ثعلبة عليه فانه قد امتنع من ادآء الزكاة ثم اتى بها فلم يقبل منه النبى صلى الله عليه وسلم واستقر على هذا الحال ولم يقبلها منه احد من الصحابة فعلم تعالى من ثعلبة ان حاله لا يتغير فلم يبين لتوبته علامة وعلم من احوال الاعراب انها تتغير فبين لتغيرها علامة فقال اذا طعتم من دعاكم الى حرب اولى البأس الشديد تابوا وتؤجروا فى الدنيا والآخرة وان تتولوا كما توليتم من قبل من الخروج الى الحديبية يعذبكم عذابا اليما ﴿ قوله او يسلمون ﴾ الجمهور على رفعه باثبات النون عطفا على تقاتلونهم لوجوب احد الامرين عليهم بحيث لا يكون لهما امر ثالث لان او لاحد الشيئين وينبئ عن الحصر كما فى قولك العدد زوج او فرد وقيل انه مرفوع على الاستئناف تقديره او هم يسلمون وقرئ او يسلموا بالنصب باضمار ان بمعنى الا ان يسلموا او بمعنى الى ان يسلموا فيكون مابعد او فى تأويل مصدر مجرور باو التى بمعنى الى واستدل المصنف بقوله تعالى تقاتلونهم او يسلمون وقرئ او يسلموا بالنصب اى على ان المراد بقوم اولى بأس شديد هم المرتدون والمشركون مطلقا سوآء كانوا امشركى العرب او العجم بناء على ان من عدا الطائفتين المذكورتين وهم اهل الكتاب والمجوس ليس الحكم فيهم ان يقتلوا الى ان يسلموا بل تقبل منهم الجزية بخلاف المرتدين ومشركوا العجم لا تقبل منهم الجزية بل يقاتلون حتى يسلموا وهذا

(عنه)

ومن عداهم يقاتل حتى يسلم او يعطى الجزية وهو يدل على امامة ابى بكر رضى الله عنه اذ لم تتفق هذه الدعوة لغيره الا اذا صح انهم ثقيف وهوازن فان ذلك كان فى عهد النبوة وقيل فارس والروم ومعنى يسلمون ينقادون ليتناول تقبلهم الجزية (فان تطيعوا يؤتكم الله اجرا حسنا) هو الغنيمة فى الدنيا والجنة فى الآخرة (وان تتولوا كما توليتم من قبل) عن الحديبية (يعذبكم عذابا اليما) لتضاعف جرمكم (ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج) لما اوعد على التخلف نفى الحرج عن هؤلاء المعذورين استثناء لهم من الوعيد (ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار) فصل الوعد واجمل الوعيد مبالغة فى الوعد لسبق رحمته ثم جبر ذلك بالتكرير على سبيل التعميم فقال (ومن يتول يعذبه عذابا اليما) اذ الترهيب ههنا انفع من الترغيب وقرأ نافع وابن عامر ندخله ونعذبه بالنون (لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة) روى انه عليه السلام لما نزل الحديبية بعث خراش بن امية الخزاعى الى اهل مكة فهموا به فمنعه الاحابيش فرجع فبعث عثمان بن عفان رضى الله عنه فحبسوه فارجف بقتله فدعا رسول الله عليه السلام اصحابه وكانوا الفا وثلثمائة او اربعمائة او خمسمائة وبايعهم على ان يقاتلوا قريشا ولا يفروا منهم وكان جالسا تحت سمرة او سدرة (فعلم ما فى قلوبهم) من الاخلاص (فانزل السكينة عليهم) الطمأنينة وسكون النفس بالتشجيع او الصلح (واثابهم فتحا قريبا) فتح خيبر غب انصرافهم وقيل مكة او هجر (ومغانم كثيرة يأخذونها) يعنى مغانم خيبر (وكان الله عزيزا حكيما) غالبا مراعيا مقتضى الحكمة (وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها) وهى ما يفيئ على المؤمنين الى يوم القيامة (فعجل لكم هذه) يعنى مغانم خيبر (وكف ايدى الناس عنكم) اى ايدى اهل خيبر وحلفائهم من بنى اسد وغطفان او ايدى قريش بالصلح (ولتكون) هذه الكفة او الغنيمة (آية للمؤمنين) امارة يعرفون بها انهم من الله بمكان او صدق الرسول فى وعدهم فتح خيبر فى حين رجوعه من الحديبية او وعد المغانم او عنوانا لفتح مكة والعطف على محذوف هو علة لكف او عجل مثل لتسلموا او لتأخذوا او العلة لمحذوف مثل فعل ذلك (ويهديكم صراطا مستقيما) هو الثقة بفضل الله والتوكل عليه (واخرى) ومغانم اخرى معطوفة على هذه او منصوبة بفعل يفسره قد احاط الله بها مثل قضى ويحتمل رفعها بالابتداء لانها موصوفة وجرها باضمار رب

عند الامام الشافعى رحمة الله عليه واما عند الامام ابى حنيفة رحمة الله عليه فمشركوا العجم تقبل منهم الجزية كما تقبل من اهل الكتاب والمجوس والذين لا يقبل منهم الا الاسلام او السيف انما هم مشركوا العرب والمرتدون فقط عنده ﴿قوله اذ لم تتفق هذه الدعوة﴾ اى دعوة المخلفين الى قتال اولى البأس لم تتفق لغير ابى بكر فانه دعاهم الى قتال بنى حنيفة وهم اهل اليمامة ورأسهم مسيلمة الكذاب ووجه دلالة الآية على امامة ابى بكر انها اوجبت على المخلفين طاعة من يكون اماما حقا فيكون ابو بكر اماما حقا لمن يدعوهم الى قتال اولى البأس واوعد على مخالفته حيث قال تعالى فان تطيعوا يؤتكم الله اجرا حسنا وان تتولوا كما توليتم من قبل يعذبكم عذابا اليما ومن اوجب الله تعالى طاعته يكون اماما حقا فيكون ابو بكر اماما حقا الا اذا ثبت ان المراد باولى البأس اهل حنين وهم ثقيف وهوازن فلا دلالة للآية على امامة ابى بكر لان الدعوة الى قتالهم كانت فى حياته عليه الصلاة والسلام فيكون المخلفون ممنوعين من خيبر مدعوين الى قتال اهل حنين وقيل فارس والروم فتكون الآية دليلا على امامة عمر لانه هو الذى قاتلهم ودعا الناس الى قتالهم ﴿قوله فصل الوعد﴾ اى المدلول عليه بقوله يؤتكم الله اجرا حسنا واجمل الوعيد المذكور سابقا ولاحقا ﴿قوله فمنعه الاحابيش﴾ وهو جمع احبوشة وهو الافراد من قبائل شتى تحبشوا اى تجمعوا يقال حبش قومه تحبيشا اى جمعهم والحباشة بالضم الجماعة من الناس ليسوا من قبيلة واحدة والحبش والتحبيش الجمع والتجميع يقال حبشت له حباشة اذا جمعت له شيأ قال سلمة بن الاكوع بينما نحن قائلون اى نائمون وقت الظهيرة من القيلولة اذ نادى منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم البيعة البيعة نزل روح القدس فسرنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو تحت شجرة سمرة فبايعناه وكان عثمان رضى الله عنه يومئذ بمكة فقال عليه الصلاة والسلام ان عثمان فى حاجة الله وحاجة رسوله وحاجة المؤمنين ثم وضع احدى يديه على الاخرى وقال هذه بيعة عثمان وروى عن جابر رضى الله تعالى عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يدخل النار احد ممن بايع تحت الشجرة » وقال لمن بايعه من المؤمنين وهو جالس تحت الشجرة « انتم اليوم خير اهل الارض » وقوله تعالى فعلم ما فى قلوبهم يشعر بان يكون علم الله تعالى بما فى قلوبهم من الاخلاص واقعا عقيب رضاه عنهم مع ان علمه تعالى بذلك كان واقعا موجودا قد حصل قبل الرضى قبلية ذاتية لانه تعالى علمه فرضى عنهم الا ان هذا انما يلزم اذا كانت الفاء فى قوله فعلم ما فى قلوبهم لبيان وقوع العلم عقيب الرضى وليس كذلك بل هى لبيان وقوعه عقيب البيعة ليعلم ان الرضى لم يكن لمجرد المبايعة فقط بل انما كان للمبايعة التى كان معها علم الله تعالى بصدقهم فيها والفاء فى قوله فانزل السكينة لبيان ان انزال السكينة كان عقيب رضاه عنهم فانه تعالى لما رضى عنهم وقت مبايعتهم المقرونة بالاخلاص رزقهم طمأنينة النفس اما بان شجعهم على طاعة الرسول فيما دعاهم اليه من البيعة فبايعوه على ان يقاتلوا الى الموت ولا يفروا او بان خوف المشركين والجأهم الى الصلح الموجب لسكون النفس وحصول الامن ﴿قوله يعنى مغانم خيبر﴾ وكانت ذات عقار واموال اخذوها من اليهود مع فتح بلدتهم وكان الله عزيزا غالبا حكيما فى امره حكم لهم بالظفر والغنيمة ولاهل خيبر بالسبى والهزيمة ثم ذكر سائر الغنائم التى يأخذونها فيما يأتى من الزمان الى يوم القيامة فقال وعدكم الله مغانم كثيرة ﴿قوله ايدى اهل خيبر وحلفائهم﴾ قيل كان اهل خيبر سبعين الفا وانه عليه الصلاة والسلام لما حاصر اهل خيبر هم حلفاؤهم من اسد وغطفان ان يغيروا على عيال المسلمين وذراريهم بالمدينة فكف الله ايديهم بالقاء الرعب فى قلوبهم وقيل جاؤوا لنصرتهم فقذف الله فى قلوبهم الرعب فنكصوا ﴿قوله او عنوانا لفتح مكة﴾ عطف على قوله امارة قيل رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح مكة فى منامه ورؤيا الانبياء وحى فتأخر ذلك فى السنة الآتية فجعل فتح خيبر صورة وعنوانا لما رأى فى منامه من فتح مكة ﴿قوله لتسلموا او لتأخذوا﴾ نشر على ترتيب اللف اى عجل لكم هذه الغنيمة لتأخذوها ولتكون آية او كف ايديهم عنكم لتسلموا او ليكون الكف آية ﴿قوله او العلة لمحذوف﴾ عطف على قوله والعطف على محذوف اى ويحتمل ان لا يكون الواو لعطف على العلة المحذوفة قبلها بان تكون الواو ابتدائية وتكون اللام لتعليل ما حذف بعدها اى ولتكون آية فعل ذلك ﴿قوله يفسره قد احاط الله بها﴾ فان احاط قد اشتغل عن اخرى بتعديته بحرف الجر الى الضمير ولا ينصبه لو سلط عليه لكونه لازما لا ينصب بنفسه فيضمر ما يناسبه من حيث المعنى كما فى نحو زيدا مررت به فانه مررت وان لم يصلح ناصبا للمفعول به الا انه يصلح مفسرا لما ينصبه بنفسه فان تقديره جاوزت زيدا مررت به وكذا قوله تعالى قد احاط الله بها لان الاحاطة مجاز عن الاستيلاء واستيلاء الله تعالى على الغنيمة

قضاؤه بها ويحتمل ان يكون اخرى فى محل الرفع على الابتدآء ولم تقدروا عليها صفته وهو المسوغ للابتداء بالنكرة وقد احاط الله بها خبره وان يكون مجرورا برب المضمرة بعد الواو ولم تقدروا صفة مجرور رب وقد احاط جواب رب ﴿ قوله لما كان فيها من الجولة ﴾ اى من تكرر الهزيمة والرجوع الى القتال يقال تجاولوا فى الحرب اى جال بعضهم على بعض فكانت بينهم مجاولات وبالجملة الجولة كناية عن كثرة العدو والاحتياج الى الجد القوى فى محاربتهم ﴿ قوله وهى مغانم هوازن ﴾ فانهم لم يقدروا عليها فى عام الحديبية وان قدروا عليها عقيب فتح مكة فى غزوة حنين ﴿ قوله من غلبة انبيائه سنة ﴾ اشارة الى ان سنة الله مصدر مؤكد لفعله المحذوف ﴿ قوله واستشهد به ﴾ فان ابا حنيفة رضى الله تعالى عنه استشهد بقوله تعالى هو الذى كف ايديهم عنكم الى قوله من بعد ان اظفركم عليهم اذ معناه من بعد ما سلطكم عليهم وخولكم الظفر والغلبة عليهم وذلك انما يكون بان تفتح قهرا وغلبة وقال الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه انما فتحت صلحا لما روى ان ابا سفيان طلب الامان لاهل مكة فعقد النبى صلى الله عليه وسلم الامان واستثنى رجالا مخصوصين امر بقتلهم وايضا انه عليه الصلاة والسلام لم يقتل ولم يسب ولا قسم عقارا ولا منقولا ولو فتحت عنوة لامر بخلافه ومن قال انها فتحت عنوة يقول انه عليه الصلاة والسلام دخلها مستعدا للقتال لو قوتل وبعث خالد بن الوليد والزبير بن العوام وامرهما ان يدخلاها من طرفيها فدخل خالد اسفلها عنوة ودخل الزبير اعلاها ولم يتفق فى تلك الناحية قتل وحرب من جهة اهل مكة فامتنع الزبير عن قتالهم لذلك لا لسبق عقد المصالحة قبل ذلك ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم من الجانب الذى دخل منه الزبير وسبب امتناعه من قسمة عقار مكة انها خلقت حرة لا لاجل انها فتحت صلحا فلهذا لا يجوز عند ابى حنيفة رضى الله تعالى عنه بيع دور مكة ﴿ قوله وهو ضعيف اذ السورة نزلت قبله ﴾ فيه ان نزول السورة قبل فتح مكة لا يستلزم نزول الآية قبله ولو سلم انه يستلزم ذلك فلم لا يجوز ان يكون من قبل القوة باظفارهم عليها وكف ايدى كل واحد من الفريقين عن الآخر والتعبير بلفظ الماضى لتحقق وقوعه كما فى قوله تعالى انا فتحنا لك وقيل فى وجه ضعفه ان الظفر هو الفتح مطلقا سوآء كان عنوة او صلحا كما قال صاحب الكشاف فى اول السورة ان الفتح هو الظفر بالبلد سوآء كان عنوة او صلحا فان قلت احتجاج ابى حنيفة رضى الله تعالى عنه ليس مبنيا على ورود لفظ الظفر بل على تعديته بكلمة على الدالة على الاستعلاء والغلبة ولم يعبر الزمخشرى عن فتح البلد صلحا بالظفر عليه بل قال الظفر به اجيب عنه بانه يكفى فى تحقق الاستعلاء من جهة المؤمنين انهم باشروا عقد المصالحة بالطوع والاختيار بخلاف اهل مكة فانهم صالحوا عن اضطرار فتعدية الظفر بعلى ايضا لا تدل على فتحها عنوة واستدل المصنف على ان الكف المذكور كان عام الحديبية لا يوم الفتح بقوله تعالى هم الذين كفروا الآية لان صدهم وصد الهدى معكوفا كان عام الحديبية وقوله تعالى وهو الذى كف ايديهم عنكم اى بان حملهم على الفرار منكم مع كثرة عددهم وكونهم فى بلادهم بصدد الذب من اهليهم واولادهم فالفرار من مثلهم فى غاية البعد كما ان ترك المسلمين اياهم بعد ما ظفروا عليهم بعيد وايديكم عنهم بان حملكم على الرجوع عنهم وتركهم مع ان العادة المستمرة فيمن ظفر بعدوه ان لا يتركه بل يستأصله وقد اظفركم الله عليهم حيث هزمتم جيش الكفار وادخلتموهم بيوتهم كما روى ان اصحاب خالد بن الوليد هزموا اصحاب عكرمة وهم خمسمائة نفر وادخلوهم حيطان مكة ثم رجعوا سالمين وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنه ان الله تعالى اظفر المسلمين عليهم بالحجارة ثم ادخلهم البيوت فلما كان الكف على الوجه المذكور فى غاية النعمة قال تعالى هو الذى كف الخ على طريق الحصر استشهادا به على ما تقدم من قوله سبحانه وتعالى ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا الادبار ووجه الاستشهاد ظاهر ثم انه تعالى اشار الى ان كف كل فريق عن صاحبه لم يقع من حيث انهم اصطلحوا وارتفع ما بينهم من الاختلاف والعداوة بل الاختلاف باق لبقاء سببه وهو انهم كفروا بالله وصدوكم عن المسجد الحرام ان تطوفوا به وصدوا الهدى معكوفا اى محبوسا عن ان يبلغ محله وهو الموضع الذى ينحر فيه وهو الحرم فهم مع هذه الافعال القبيحة كانوا يستحقون ان يقاتلوا ويقتلوا الا انه تعالى كف ايدى كل فريق عن صاحبه محافظة على ما فى مكة من المسلمين المستضعفين ليخرجوا منها او تدخلوها على وجه لا يكون فيه ايذاء من فيها من المؤمنين والمؤمنات فقال هم الذين كفروا الآية والجمهور على نصب قوله تعالى والهدى عطفا على الضمير المنصوب فى قوله وصدوكم ومعكوفا حال من الهدى اى صدوكم عن المسجد الحرام ان تطوفوا به وصدوا الهدى محبوسا ممنوعا عن ان يبلغ محله حذفت كلمة عن واوصل العكف الى البلوغ توسعا وذلك الجار المقدر يجوز ان يتعلق بصدوكم

(لم تقدروا عليها) بعد لما كان فيها من الجولة (قد احاط الله بها) استولى فاظفركم بها وهى مغانم هوازن او فارس (وكان الله على كل شئ قديرا) لان قدرته ذاتية لا تختص بشئ دون شئ (ولو قاتلكم الذين كفروا) من اهل مكة ولم يصالحوا (لولوا الادبار) لانهزموا (ثم لا يجدون وليا) يحرسهم (ولا نصيرا) ينصرهم (سنة الله التى قد خلت من قبل) اى سن غلبة انبيائه سنة قديمة فيمن مضى من الامم كما قال كتب الله لاغلبن انا ورسلى (ولن تجد لسنة الله تبديلا) تغييرا (وهو الذى كف ايديهم عنكم) ايدى كفار مكة (وايديكم عنهم ببطن مكة) فى داخل مكة (من بعد ان اظفركم عليهم) اظهركم عليهم وذلك ان عكرمة بن ابى جهل خرج فى خمسمائة الى الحديبية فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد على جند فهزمهم حتى ادخلهم حيطان مكة ثم عاد قيل كان ذلك يوم الفتح واستشهد به على ان مكة فتحت عنوة وهو ضعيف اذ السورة نزلت قبله (وكان الله بما تعملون) من مقاتلتهم اولا طاعة لرسوله وكفهم ثانيا لتعظيم بيته وقرأ ابو بكر بالياء (بصيرا) فيجازيهم عليه (هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدى معكوفا ان يبلغ محله) يدل على ان ذلك كان عام الحديبية والهدى ما يهدى الى مكة وقرئ الهدى وهو فعيل بمعنى مفعول

(وان)

وان يتعلق بمعكوفا و يحتمل ان يكون قوله ان يبلغ محله مفعولا له علة للصد اى صدوا الهدى كراهة ان يبلغ محله وقرئ بالجر عطفا على المسجد الحرام ولابد حينئذ من تقدير الجار اى ومن الهدى وبالرفع ايضا على انه مفعول لما لم يسم فاعله بفعل مقدر اى صد الهدى وقرئ و الهدى بكسر الدال و تشديد الياء واحده هدية مثل تمرة و تمر وهو مايهدى الى الحرم من النعم ليذبح فيه ٭ يقال عكفه عن كذا اى حبسه عنه ومنه العاكف فى المسجد لانه حبس نفسه فيه و يستعمل لازما و متعديا فيقال عكفه عكفا فعكف عكوفا ﴿ قوله ومحله مكانه الذى يحل فيه نحره ﴾ اشارة الى ان المحل اسم للمكان الذى ينحر فيه الهدى ودم الاحصار يختص بالحرم عندنا فلا يجوز ذبحه الا فى الحرم وعند الامام الشافعى لايختص به فيجوز ان يذبح فى الموضع الذى احصر به لنا قوله تعالى ولا تحلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدى محله بعد قوله فان احصرتم فما استيسر من الهدى و المراد بالمحل الحرم بدليل قوله تعالى هديا بالغ الكعبة و قوله ثم محلها الى البيت العتيق و المراد بالحرم ماعدا البيت اذ لا يراق فيه الدماء و للامام الشافعى ان دم الاحصار انما شرع رخصة التحلل من الاحرام قبل وقته و ترفها و التوقيت بالحرم يشعر بالتضييق فيعود على موضوعه بالنقض ولما ذكره المصنف من انه عليه الصلاة و السلام تحلل بنحره حيث احصر ونحن نقول ان بعض الحديبية حرم فانه قد روى ان مضارب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت فى الحل و مصلاه فى الحرم و هدى المحصر بالحج لايذبح الا فى الحرم عند الحنفية الا انه لايتوقت بالزمان بل يذبح فى اى وقت شاء عند ابى حنيفة و قالا يتوقت بالزمان وهو ايام النحر كما يتوقت بالمكان واما المحصر بالعمرة فلا يتوقت بزمان بالاجماع و المضارب جمع مضرب بفتح الميم وكسر الراء وهى المواضع التى ضرب فيها خيامه ﴿ قوله و وطئنا وطئا على حنق ٭ وطأ المقيد نابت الهرم ﴾ استشهد به على ان الوطئ عبارة عن الايقاع و الابادة على طريق ذكر الملزوم و ارادة اللازم لان الوطئ مستلزم للاهلاك يقال وطئت الشئ برجلى وطئا ووطئ الرجل امرأته يطأ فيهما جميعا و الحنق بالحاء المهملة الغيظ الشديد يقال حنق عليه بالكسر اى اغتاظ فهو حنق و أحنقه غيره فهو محنق و المقيد البعير المعقول الركبة و الهرم بكسر الزاى المعجمة ماانكسر من الضريع وبالراء المهملة ضرب من الحمض وهو مامالح من النبات كالرمث والاثل والطرفاء والخلة من النبات ماكان حلوا تقول العرب الخلة خبز الابل و الحمض فاكهتها و يقال لحمها وخص المقيد لانه وطأه اثقل كما خص الحنق لان اتقاءه و رجله اقل و المعنى اثرت فينا تأثير الحنق الغضبان كما يؤثر البعير المقيد اذا داس النبت ﴿ قوله كان آخر وقعة النبى صلى الله عليه وسلم بها ﴾ فانه عليه الصلاة و السلام لم يغز بعدها الا غزوة تبوك ولم يكن فيها قتال ﴿ قوله وهو ﴾ اى قوله تعالى ان تطأوهم بدل اشتمال من رجال اى ولولا وطؤهم رجالا مؤمنين ونساء مؤمنات غير معلومين لكم باعيانهم انهم مؤمنون فان قوله لم تعلموهم فى موضع الرفع على انه صفة لرجال ونساء وان كان قوله ان تطأوهم فى موضع النصب على انه بدل من الضمير المنصوب فى لم تعلموهم بدل الاشتمال ايضا يكون المعنى لم تعلموا وطأهم ويشكل على هذا ان يكون قوله بغير علم متعلقا بقوله ان تطأوهم حالا من الضمير المرفوع فيه لانه على تقدير ان يكون ان تطأوهم بدلا من الضمير وان يكون بغير علم حالا من فاعل تطأوا يكون المعنى لم تعلموا ان تطأوهم غير عالمين بهم وهو يستلزم ان يعتبر نفى علمهم بهم مرتين لان عدم علمهم بوطئهم المؤمنين قد استفيد من قوله لم تعلموهم ان تطأوهم فيكون قوله بغير علم تكرارا الا ان يقال معنى عدم علمهم بوطئهم اياهم غير عالمين بهم عدم علمهم بكونهم معذورين فى وطئهم اياهم بناء على كون ذلك الوطئ فى حال عدم علمهم بكونهم مؤمنين فالظاهر على هذا ان يجعل قوله بغير علم متعلقا بمحذوف على انه صفة لمعرة او يكون حالا من مفعول تصيبكم و قوله فتصيبكم معطوف على قوله ان تطأوهم ﴿ قوله وجواب لولا محذوف ﴾ وهو قوله لما كف ايديكم عنهم وفى هذا المحذوف دليل على شدة غضب الله تعالى على كفار مكة كانه قيل لولا حق المؤمنين موجود لفعل بهم مالا يدخل تحت الوصف و القياس بناء على ان الحذف للتعميم و المبالغة وخبر المبتدأ ايضا محذوف تقديره لولا رجال ونساء من اهل الايمان موجودون او بالحضرة فان مابعد لولا الابتدائية مبتدأ وخبره محذوف فقولك لولا انك منطلق انطلقت تقديره لولا انطلاقك حاصل انطلقت ﴿ قوله علة لما دل عليه كف الايدى ﴾ يعنى ان اللام فى قوله ليدخل متعلق بمحذوف دل عليه سوق الآية وهو كف ايدى المؤمنين عن اهل مكة صونا لمن بين اظهرهم من المؤمنين ليدخل الله فى رحمته فيكون تعليلا للكف بعد اعتبار تعليله بصون من بين اظهر اهل مكة من المؤمنين و الاحتراز من وطئهم بغير علم وليس علة لنفس الكف المذكور لانه قد علل بوجود رجال ونساء

و محله مكانه الذى يحل فيه نحره و المراد مكانه المعهود وهو منى لامكانه الذى لايجوز ان ينحر فى غيره والا لما نحره الرسول عليه الصلاة والسلام حيث احصر فلا ينتهض حجة للحنفية على ان مذبح هدى المحصر هو الحرم (ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم) لم تعرفوهم باعيانهم لاختلاطهم بالمشركين (ان تطأوهم) ان توقعوا بهم وتبيدوهم قال ووطئتنا وطئا على حنق ٭ وطأ المقيد نابت الهرم ٭ وقال عليه الصلاة والسلام ان آخر وطأة وطئها الله بوج وهو واد بالطائف كان آخر وقعة للنبى عليه الصلاة والسلام بها واصله الدوس وهو بدل اشتمال من رجال ونساء او من ضمير هم فى تعلموهم (فتصيبكم منهم) من جهتهم (معرة) مكروه كوجوب الدية والكفارة بقتلهم والتأسف عليهم وتعيير الكفار بذلك والاثم بالتقصير فى البحث عنهم مفعلة من عره اذا عراه مايكرهه (بغير علم) متعلق بان تطأوهم اى تطأوهم غير عالمين بهم وجواب لولا محذوف لدلالة الكلام عليه والمعنى لولا كراهة ان تهلكوا اناسا مؤمنين بين اظهر الكافرين جاهلين بهم فيصيبكم باهلاكهم مكروه لما كف ايديكم عنهم (ليدخل الله فى رحمته) علة لما دل عليه كف الايدى من اهل مكة صونا لمن فيها من المؤمنين

من المؤمنين كأنه قيل كف ايديهم عنكم لئلا تطأوا الرجال والنساء المؤمنين المختلطين بهم من غير شعور باعيانهم
فلا وجه لتعليله بشئ آخر ﴿ قوله اى فى توفيقه لزيادة الخير ﴾ اى الطاعة على تقدير ان يكون المراد بقوله
من يشاء المؤمنين بين اظهر الكفرة فانهم لما رأوا الطاف الله تعالى بهم حيث صانهم من وطئ المسلمين اياهم مع انه تعالى
اظفرهم على اهل مكة وصان من اجلهم من عداهم ممن استوجب العذاب كان ذلك سببا لمزيد الشكر والخير
والطاعة ﴿ قوله او الاسلام ﴾ هذا على تقدير ان يكون المراد بمن يشاء المشركين الذين آمنوا بعد ذلك
فان المناسب حينئذ ان يفسر الادخال فى الرحمة بالتوفيق للاسلام فان المشركين لما شاهدوا قدر المؤمنين عند الله
حيث كف ايدى المسلمين عنهم بعدان ظفروا عليهم مع استحقاقهم العذاب الشديد صونا لما بينهم من المؤمنين رغبوا
فى مثل هذا الدين والانخراط فى زمرة المؤمنين ﴿ قوله لو تفرقوا او تميز بعضهم من بعض ﴾ اشارة الى
ان ضمير تزيلوا للفريقين من المؤمنين والكافرين وجاز ان يرجع الى المؤمنين فقط وان يرجع الى الكافرين فقط
يقال زلت الشئ ازيله زيلا اى مزته وفرقته وزلته منه فلم يزل اى ومزته فلم يتميز وزيلته فتزيل اى فرقته فتفرق
﴿ قوله مقدر باذكر ﴾ فيكون مفعولا به اى اذكر وقت جعلهم كقولك اذكر اذ قام زيد اى اذكر وقت
قيامه فيكون اذ ظرفا للفعل الذى اضيف هو اليه وقوله او ظرف لعذبنا او صدوكم اى لعذبناهم حين جعلوا فى قلوبهم
الحمية او صدوكم فى ذلك الوقت وفى قلوبهم يجوز ان يتعلق بجعل على انها بمعنى القى فيتعدى الى واحد اى اذا القى
الكافرون فى قلوبهم الحمية وان يتعلق بمحذوف على انه مفعول ثان قدم على الاول على ان جعل بمعنى صير اى صيروا الحمية
حاصلة فى قلوبهم وحمية الجاهلية بدل من الحمية قبلها فانهم حين صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه عن
زيارة البيت قالوا اباء على الحمية الناشئة عن الجهل والكفر بالله عز وجل انهم قتلوا ابناءنا واخواننا ثم اتوا يريدون ان
يدخلوا علينا فى منازلنا فيتحدث العرب بانهم دخلوا علينا ثم على رغم انفنا واللات والعزى لا يدخلون علينا فهذه هى
حمية الجاهلية التى دخلت قلوبهم ومن تلك الحمية انهم استنكفوا من اشتمال كتاب الصلح على توصيفه تعالى باسم
الرحمن وعلى توصيفه عليه الصلاة والسلام بوصف انه رسول الله صلى الله عليه وسلم فاراد المؤمنون منهم هذه
الحمية الباطلة هموا ان يأبوا الا ما اختاره رسول الله صلى الله عليه وسلم اولا وان يبطشوا بهم فانزل الله تعالى السكينة
فتحملوا شناعتهم ورضوا ان يكتب الكتاب على ما ارادوا واتم الصلح بذلك قال الزهرى انما ساعدهم النبى صلى الله
عليه وسلم لانه عليه السلام لما خرج يريد مكة وبلغ الحديبية وقعت ناقته فزجرها الناس فلم تنزجر وبركت فالحوا عليها
فلم تقم فقالت اصحابه خلأت القصواء فقال عليه الصلاة والسلام ما خلأت القصواء وما ذلك لها بخلق ولكن
حبسها حابس الفيل ثم قال والذى نفسى بيده لا تدعونى قريش اليوم الى خطة يعظمون فيها حرمات الله تعالى وفيها
صلة الرحم الا اعطيتهم اياها فلذلك ساعدهم فيما قالوا وصالحهم على ما يريدون ﴿ قوله كلمة الشهادة ﴾
وهى لا اله الا الله وهى كلمة التقوى اذ بها يتوقى من الشرك ومن النار فان اصل التقوى الاتقاء عنهما وقد وصف
الله تعالى هذه الامة بالمتقين فى مواضع من القرآن العظيم باعتبار هذه الكلمة وبسم الله الرحمن الرحيم ومحمد
رسول الله من شعار هذه الامة وخواصها اختارها لهم وصار المشركون محرومين منها حيث لم يرضوا بان يكتب
فى كتاب الصلح بسم الله الرحمن الرحيم ولا بان يكتب محمد رسول الله فصارت هذه الكلمة مختصة بالمؤمنين فلذلك
قال تعالى والزمهم كلمة التقوى اى جعلها شعار المتقين وعن الحسن كلمة التقوى هى الوفاء بالعهد فان المؤمنين
ثبتوا على مقتضى الصلح ووفوا بالعهد بخلاف المشركين حيث نقضوا العهد وعادوا من حارب حليف المؤمنين
والمعنى على هذا والزمهم كلمة اهل التقوى وهو العهد الواقع فى ضمن الصلح ومعنى الزامها اياهم تثبيتهم عليها
وعلى الوفاء بها ﴿ قوله والمعنى صدقه فى رؤياه ﴾ يعنى ان صدق يتعدى الى مفعولين الى الاول بنفسه والى
الثانى بحرف الجر يقال صدقك فى كذا اى ما كذبك فيه وقد يحذف الجار ويوصل الفعل كما فى هذه الآية وفى قوله من
المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فانه عليه الصلاة والسلام لما رأى فى المنام وهو بالمدينة قبل ان يخرج
الى الحديبية انه دخل هو واصحابه مكة آمنين محلقين رؤسهم ومقصرين ومن المعلوم انه ليس من تخييل
الشيطان تعين انه من وحى الرحمن او حى اليه انك ستدخل مكة مع اصحابك على الوصف المذكور الا انه تعالى
اراه الدخول واقعا محققا لكونه فى حكم المحقق ثم انهم لما انصرفوا ولم يدخلوا مكة قال المنافقون والله
ما حلقنا ولا قصرنا ولا دخلنا المسجد الحرام فنزلت الآية ناطقة بانه تعالى لم يكذب فيما اراه من دخول مكة على

اى كان ذلك ليدخل الله فى رحمته اى فى توفيقه
لزيادة الخير او الاسلام (من يشاء) من مؤمنيهم
او مشركيهم (لو تزيلوا) لو تفرقوا او تميز
بعضهم من بعض وقرئ تزايلوا (لعذبنا الذين
كفروا منهم عذابا اليما) بالقتل والسبى
(اذ جعل الذين كفروا) مقدر باذكر او ظرف
لعذبنا او صدوكم (فى قلوبهم الحمية) الانفة
(حمية الجاهلية) التى تمنع اذعان الحق
(فانزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين)
فانزل عليهم الثبات والوقار وذلك ما روى
انه عليه الصلاة والسلام لما هم بقتالهم بعثوا
سهيل بن عمرو وحويطب بن عبد العزى ومكرز
بن حفص ليسألوه ان يرجع من عامه على ان
تخلى له قريش مكة من القابل ثلاثة ايام
فاجابهم وكتبوا بينهم كتابا فقال عليه الصلاة
والسلام لعلى رضى الله عنه اكتب بسم الله
الرحمن الرحيم فقالوا ما نعرف هذا اكتب
باسمك اللهم ثم قال اكتب هذا ما صالح عليه
رسول الله اهل مكة فقالوا لو كنا نعلم انك
رسول الله ما صددناك عن البيت وما قاتلناك
اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله
اهل مكة فقال النبى عليه الصلاة والسلام
اكتب ما يريدون فهم المؤمنون ان يأبوا ذلك
ويبطشوا بهم فانزل الله السكينة عليهم فتوقروا
وتحملوا (والزمهم كلمة التقوى) كلمة الشهادة
او بسم الله الرحمن الرحيم محمد رسول الله
اختارها لهم او الثبات والوفاء بالعهد واضافة
الكلمة الى التقوى لانها سببها او كلمة اهلها
(وكانوا احق بها) من غيرهم (واهلها)
المستأهل لها (وكان الله بكل شئ عليما) فيعلم
اهل كل شئ وييسره له (لقد صدق الله
رسوله الرؤيا) رأى عليه السلام انه واصحابه
دخلوا مكة آمنين وقد حلقوا وقصروا
فقص الرؤيا على اصحابه ففرحوا بها وحسبوا
ان ذلك يكون فى عامهم فلما تأخر قال بعضهم
والله ما حلقنا ولا قصرنا ولا رأينا البيت
فنزلت والمعنى صدقه فى رؤياه

(بالحق) ملتبسا به فان ما رآه كائن لا محالة فى وقته المقدر له وهو العام القابل ويجوز ان يكون بالحق صفة مصدر محذوف اى صدقا ملتبسا بالحق وهو القصد الى التمييز بين الثابت على الايمان و المتزلزل فيه وان يكون قسما اما باسم الله تعالى او بنقيض الباطل وقوله (لتدخلن المسجد الحرام) جوابه وعلى الاوّلين جواب قسم محذوف (ان شاء الله) تعليق للعدة بالمشيئة تعليما للعباد او اشعارا بان بعضهم لا يدخل لموت او غيبة او حكاية لما قاله ملك الرؤيا فى النوم او النبى لاصحابه (آمنين) حال من الواو و الشرط معترض (محلقين رؤسكم ومقصرين) اى محلقا بعضكم ومقصرا آخرون (لا تخافون) حال مؤكدة او استئناف اى لا تخافون بعد ذلك (فعلم ما لم تعلموا) من الحكمة فى تأخير ذلك (فجعل من دون ذلك) من دون دخولكم المسجد او فتح مكة (فتحا قريبا) هو فتح خيبر لتستروح اليه قلوب المؤمنين الى ان يتيسر الموعود (هو الذى ارسل رسوله بالهدى) ملتبسا به او بسببه او لاجله (ودين الحق) وبدين الاسلام (ليظهره على الدين كله) ليغلبه على جنس الدين كله بنسخ ما كان حقا واظهار فساد ما كان باطلا او بتسليط المسلمين على اهله اذ ما من اهل دين الا وقد قهرهم المسلمون وفيه تأكيد لما وعده من الفتح (وكفى بالله شهيدا) على ان ما وعده كائن او على نبوّته باظهار المعجزات (محمد رسول الله) جملة مبينة للمشهود به ويجوز ان يكون رسول الله صفة ومحمد خبر محذوف او مبتدأ (والذين معه) معطوف عليه وخبرهما (اشداء على الكفار رحماء بينهم) واشداء جمع شديد ورحماء جمع رحيم والمعنى انهم يغلظون على من خالف دينهم ويتراحمون فيما بينهم كقوله اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين (تراهم ركعا سجدا) لانهم مشتغلون بالصلاة فى اكثر اوقاتهم (يبتغون فضلا من الله ورضوانا) الثواب والرضى (سيماهم فى وجوههم من اثر السجود) يريد السمة التى تحدث فى جباههم من كثرة السجود فعلى من سامه اذا اعلمه وقد قرئت ممدودة ومن اثر السجود بيانها او حال من المستكن فى الجار

الوجه المذكور اذ ليس فيما اراه الدخول فى عام ست وانما اراه مجرد صورة الدخول وقد صرح على الدخول فى عام سبع ﴿قوله بالحق ملتبسا به﴾ على ان يكون بالحق متعلقا بمحذوف على انه حال من الرؤيا اى ملتبسة بالحق ﴿قوله جوابه﴾ اى جواب لقوله بالحق على ان يكون قسما باسم الله او بنقيض الباطل وان كان بالحق حالا يكون لتدخلن جواب قسم مضمر و على التقديرين يكون الجملة القسمية مستأنفة لتحقيق صدقه تعالى فيما اراه من الدخول على الوجه الموصوف ﴿قوله تعليما للعباد﴾ اشارة الى جواب ما يقال الظاهر ان قوله تعالى لتدخلن وعد الهى بالدخول وقوله ان شاء الله تعليق للموعود بالمشيئة فما وجه هذا التعليق فان المخبر انما يعلق ما اخبر به بالمشيئة اذا كان له تردد وشك فى وقوعه والله تعالى منزه عن ذلك فما وجه تعليق موعوده بمشيئته اجاب عنه اوّلا بانه تعالى علق عدته بمشيئته تعليما للعباد لكى يقولوا فى عداتهم مثل ذلك لا لكونه شاكا فى وقوع الموعود وفيه ايضا تعريض بان دخولهم مبنى على مشيئة الله تعالى ذلك لا على جلادتهم وقوتهم وهذا معنى ما قيل استثنى الله تعالى فيما يعلم ليستثنى الخلق فيما لا يعلمون وثانيا بان الموعود دخولهم جميعا وعلقه بمشيئته اشعارا بان بعضهم لا يدخل فكلمة ان ليست للشك بل للتشكيك وثالثا يمنع ان يكون التعليق من كلام الله تعالى اذ يجوز ان يكون من قبيل الملك الذى القى على النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام كلام الله تعالى وهو قوله لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين الآية فعلى هذا لا يكون لتدخلن استئنافا بل يكون تفسيرا للرؤيا فان ذلك الملك لما القى عليه عليه الصلاة و السلام فى رؤياه هذا الكلام الالهى ادخل فيه هذه الكلمة من تلقاء نفسه تبركا ثم انه تعالى لما رضى به القاه كذلك على لسان جبرائيل فالتعليق المذكور حكاية ما قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام وليس من قبله تعالى ورابعا بانه من كلام الرسول فانه عليه الصلاة والسلام لما قص رؤياه على اصحابه استأنف فقال لتدخلنه ان شاء الله ﴿قوله اى محلقا بعضكم﴾ يعنى ان واو الجمع ليست لاجتماع الامرين فى كل واحد بل لاجتماعهما فى مجموع القوم * فان قيل محلقين حال من الداخلين والداخل لا يكون الا محرما والمحرم لا يكون محلقا ولا مقصرا لان كل واحد من الحلق والتقصير يخرج به الانسان من الاحرام ولا يقارن شئ منهما الاحرام * فالجواب انه حال مقدرة * فان قيل قوله لا تخافون معناه غير خائفين وهذا المعنى قد حصل بقوله آمنين فما الفائدة فى اعادته * فالجواب ان فيه كمال الامن لان أمنهم حال الدخول يحتمل ان يكون لاجل احرامهم او لاجل كونهم فى الحرم فان اهل مكة كانوا يجتنبون عن قتال الحرم ومن هو داخل الحرم وبعد الحلق او التقصير لا يبقى الانسان محرما فقوله لا تخافون بمنزلة ان يقال يبقى أمنكم بعد خروجكم من الاحرام الا ان هذا الجواب مبنى على ان يكون لا تخافون حالا من ضمير محلقين ومقصرين على التداخل فالظاهر فى الجواب ما اشار اليه المصنف بقوله حال مؤكدة او استئناف ﴿قوله فعلم ما لم تعلموا من الحكمة فى تأخير ذلك﴾ الموعود الى السنة القابلة وهى انكم لو لم تصالحوهم فى تأخير الدخول الى السنة القابلة ودخلتم عليهم فى هذه السنة عنوة بالمقاتلة والحرب لوطئتم المؤمنين والمؤمنات بغير علم ولاصابتكم منهم معرة والفاء فى قوله تعالى فعلم عاطفة للجملة التى بعدها على جملة لقد صدق الله رسوله دالة على ان المذكور بعدها كلام مرتب على ما قبلها فى الذكر من غير ان يكون مضمون ما بعدها واقعا عقيب مضمون ما قبلها فى الزمان كما فى قوله تعالى ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين وقوله واورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم اجر العاملين فان ذكر الشئ ومدحه انما يصح بعد جرى ذكره فكذا فى هذه الآية فان التعرض لحكمة الشئ انما يصح بعد جرى ذكره ليستروح اليه اى ليسكن ويطمئن الى ذلك الفتح قلوب المؤمنين الى ان يتيسر الموعود وهو دخول المسجد او فتح مكة فكلمة الى فى قوله اليه صلة الاستروح وفى قوله الى ان يتيسر الموعود غاية له * قال الجوهرى استروح اليه اى استنام ثم قال فى فصل النون استنام اليه اى سكن اليه واطمأن ﴿قوله ملتبسا به او بسببه﴾ فالباء على الاوّل متعلق (٧) بارسل لا بالمحذوف ومحمد خبر محذوف اى هو محمد رسول الله والمبتدأ المحذوف راجع الى الرسول المذكور فى قوله هو الذى ارسل رسوله فانه تعالى لما ذكر انه بجلال ذاته وعلو شأنه اختص بارسال رسوله ملتبسا بالهدى والدين الحق لذلك الخطب الجليل والامر الخطير توجه ان يقال من ذلك الرسول فاجاب عنه على طريق الاستئناف بقوله هو محمد رسول الله ثم ابتدأ بقوله والذين معه اشداء على الكفار لتشريفهم وكرامة كقوله سبحانه وتعالى هو الذى ايدك بنصره وبالمؤمنين ﴿قوله تعالى سيماهم﴾ مبتدأ وفى وجوههم خبره ويحتمل ان يكون المراد بالعلامة الثابتة فى وجوههم ما يظهر عليها يوم القيامة من النور والبياض

(٧) بمحذوف هو حال من مفعول ارسل وعلى الثانى هى سببية متعلقة (مصحح)

كما قال تعالى نورهم يسعى بين ايديهم وقال يوم تبيض وجوه فان من توجه نحو الحق الذى هو نور السموات والارض لاجرم يقع عليه شئ من نوره كمن يحاذى الشمس يقع شعاعها على وجهه ويحتمل ان يكون المراد بها مايظهر عليها فى الدنيا من اصفرار الوجه فى النهار من طول السهر ومابقى على الجباه من تراب الارض لانهم كانوا يسجدون على التراب لاعلى الاثواب وكهيئة الخشوع والتواضع اللازمة للصلاة فانه من واظب على الصلاة يبقى عليه آثارها بعد خروجه منها (٩) كما قال عليه افضل الصلاة والسلام « من كثر صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار » الا ترى ان من سهر بالليل وهو مشغول بالشراب واللعب لايكون وجهه فى النهار كوجه من سهر وهو مشغول بالطاعة والاخلاص ولما كان السيما العلامة مطلقا وكان المراد بها ههنا العلامة الخالصة المترتبة على كثرة السجود بينها بقوله من اثر السجود فهو صفة موضحة لها او يجوز ان يكون حالا من المنوى فى الخبر ﴿ قوله اشارة الى الوصف المذكور ﴾ وهو كونهم اشداء رحماء ركعا سجدا وكون سيماهم التى هى اثر السجود ثابتة فى وجوههم فقوله تبارك وتعالى ذلك مبتدأ ومثلهم خبره وفى التوراة حال من مثلهم والعامل فيها معنى الاشارة اى ذلك الوصف مثلهم اى وصفهم العجيب الشأن فى الكتابين التوراة والانجيل فانهم وصفوا بذلك فيهما ثم ابتدأ فقال كزرع اى هم كزرع وقيل تم الكلام عند قوله فى التوراة ثم ابتدئ بان قيل ومثلهم فى الانجيل كزرع فهما مثلان اى وصفان عجيبان لهم كما ذكره المصنف بقوله او مبتدأ خبره كزرع فانه معطوف على قوله عطف عليه فان جعل معطوفا على مثلهم الاول يكون مثلا واحدا فى الكتابين ويكون قوله كزرع مثلا مستأنفا غير مافى الكتابين اى هم كزرع وان جعل ذلك اشارة الى الوصف المبهم لا الى الاوصاف المذكورة قبل يكون قوله كزرع تفسيرا لذلك المبهم لامثلا مستأنفا ومن كون ذلك للاشارة الى المبهم المفسر قوله تعالى وقضينا اليه ذلك الامر ان دابر هؤلاء مقطوع مصبحين ﴿ قوله شطأه اى فراخه ﴾ الفرخ فى الاصل ولد الطائر ويجمع فى القلة على افرخ وافراخ وفى الكثرة على فراخ كرجال يقال افرخ الطائر اذا صار ذا فرخ بان خرج فرخه من البيضة ويقال ايضا افرخ الامر اذا استبان بعد اشتباه ويقال افرخ الزرع وفرخ اذا انشق وخرج منه فروعه بعدمانبت اصله فان الزرع اوّل ماينبت فهو نبت وماخرج بعده فهو شطؤه فاوّل ماينبت بمنزلة الام ومافرع وتشعب منه بمنزلة اولاده وافراخه وعن الاخفش اخرج شطأه اى اطرافه ولعله اخذه من شاطئ الوادى بمعنى جانبه ﴿ قوله وهو لغة فيه ﴾ كالنهر والنهر والجمهور على سكون الطاء ﴿ قوله وقرئ شطاه ﴾ كعصاه نقلت حركة الهمزة الى الطاء الساكنة قبلها ثم قلبت الفاعل لغة من يقول المراة والكماة ﴿ قوله من الموازرة ﴾ فيكون آزر فاعل من الازر وهو القوة ﴿ قوله او من الايزار ﴾ اى ويحتمل ان يكون آزر على وزن افعل وهو الظاهر لانه لم يسمع فى مضارعه يوازر بل يؤزر وفى الصحاح الازر القوة وقوله تعالى اشدد به ازرى اى ظهرى وآزرت فلانا اى عاونته والعامة تقول وازرته انتهى والمنوى فى آزره ضمير الزرع اى اعان الزرع الشطئ وقواه بقرينة ان فاعل اخرج ضمير الزرع اى اعان الزرع الا ان الامام النسفى جعل المنوى فى آزر ضمير الشطئ حيث قال فآزره فقوى الشطئ اصل الزرع بالكثافة والنماء وهو صريح فى ان الضمير المرفوع للشطئ والمنصوب للزرع وقيل آزره بمعنى ساواه فيكون الضمير المرفوع للشطئ والمنصوب للزرع اى ساوى الشطئ الزرع الذى هو بمنزلة الام له فصار الشطئ مثل امه وعلى قامتها ﴿ قوله فصار من الدقة الى الغلظة ﴾ يعنى ان السين فى استغلظ للتحول كما فى استحجر الطين والظاهر ان ضمير استغلظ للزرع اى غلظ ذلك الزرع واستقام على قصبه وقوله يعجب الزراع يجوز ان يكون مستأنفا وان يكون حالا اى معجبا اى استوى هذا الزرع على سوقه حال كونه بحيث يعجب زراعه اى يسرهم بقوته وطول قامته ﴿ قوله وهو مثل ضربه الله تعالى للصحابة ﴾ اى لاصحاب محمد صلى الله تعالى عليه وسلم حيث قال تعالى فى حق الذين آمنوا معه هم كزرع قيل مكتوب فى الانجيل سيخرج قوم ينبتون نبات الزرع يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر يعنى انهم فى بدء الاسلام يكونون قليلين ثم يزدادون ويكثرون ﴿ قوله علة للتشبيه بالزرع ﴾ الموصوف فى نمائهم وتقوى بعضهم ببعض اى جعلوا كالزرع فى النماء والقوة ليغيظ بهم الكفار وهو علة لقوله تعالى وعد الله الذين آمنوا ومتعلق به اى وعدهم ذلك ليغيظ الكفار ومغتاظين بسببهم وكلمة من فى منهم لتبيين الجنس كما فى قوله تعالى فاجتنبوا الرجس من الاوثان لا للتبعيض لان ضمير منهم للذين آمنوا معه والذين آمنوا وعملوا الصالحات ليس بعضا منهم بل كلهم مؤمنون مطيعون فلا معنى للتبعيض « هذا آخر مايتعلق بسورة الفتح والحمد لله مولى النعم كلها وميسر الآمال لاهلها

(٩) كاستنارة الوجوه بالنهار من طول ماصلوا بالليل (لمحشيه)

(ذلك) اشارة الى الوصف المذكور او اشارة مبهمة يفسرها كزرع (مثلهم فى التوراة) صفتهم العجيبة الشأن المذكورة فيها (ومثلهم فى الانجيل) عطف عليه اى ذلك مثلهم فى الكتابين وقوله (كزرع) تمثيل مستأنف او تفسير او مبتدأ وكزرع خبره (اخرج شطأه) اى فراخه يقال اشطأ الزرع اذا افرخ وقرأ ابن كثير وابن عامر برواية ابن ذكوان شطأه بفتحات وهو لغة فيه وقرئ شطاه بتخفيف الهمزة وشطاءه بالمد وشطه بنقل حركة الهمزة وحذفها وشطوه بقلبها واوا (فآزره) فقواه من الموازرة وهى المعاونة او من الايزار وهى الاعانة وقرأ ابن عامر برواية ابن ذكوان فأزره كأجر فى آجر (فاستغلظ) فصار من الدقة الى الغلظة (فاستوى على سوقه) فاستقام على قصبه جمع ساق وعن ابن كثير سؤقه بالهمزة (يعجب الزراع) بكثافته وقوته وغلظته وحسن منظره وهو مثل ضربه الله تعالى للصحابة قلوا فى بدء الاسلام ثم كثروا واستحكموا فترقى امرهم بحيث اعجب الناس (ليغيظ بهم الكفار) علة لتشبيههم بالزرع فى زكائه واستحكامه او لقوله (وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة واجرا عظيما) فان الكفار لما سمعوه غاظهم ذلك ومنهم للبيان « عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الفتح فكأنما كان ممن شهد مع محمد فتح مكة

(سورة)

سورة الحجرات وهى مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿قوله او ترك﴾ عطف على قوله لحذف يعنى ان الجمهور قرأوا لا تقدموا بضم التاء وفتح القاف وتشديد الدال المكسورة وفيها وجهان احدهما انه متعد وقصد تعلقه بمفعوله ومع ذلك حذف للتعميم اى ليذهب ذهن السامع الى كل ما يمكن تقديمه من قول او فعل مثلا اذا جرت مسئلة فى مجلسه عليه الصلاة والسلام لا يسبقونه بالجواب واذا حضر الطعام لا يبتدئون بالاكل واذا ذهبوا معه عليه السلام الى موضع لا يمشون امامه الا لمصلحة دعت اليه ونحو ذلك مما يمكن فيه التقديم وثانيهما انه وان كان متعديا فى الاصل الا انه نزل ههنا منزلة اللازم ولم يقصد تعلقه بمفعوله بل ترك مفعوله رأسا فقوله تعالى لا تقدموا بهذا المعنى لا يكون فى معنى لا تتقدموا بل هو نهى عن التقديم مع قطع النظر عن ان المقدم ماهو كما لا يكون يعطى فى قولك فلان يعطى ويمنع بمعنى العطاء بل بمعنى الاعطاء مع قطع النظر عن تعلقه بالمعطى اى يفعل فعل الاعطاء فكذا معنى الآية لا تفعلوا فعل التقديم رأسا وبالكلية ﴿قوله او لا تتقدموا﴾ اى ويحتمل ان يكون التقديم لازما بمعنى التقدم فانه يقال قدم بين يديه بمعنى تقدم ومنه مقدمة الجيش للجماعة المتقدمة منهم ومنه وجه بمعنى توجه وبين بمعنى تبين فهى نهى عن التقدم لان التقدم بين يدى المرء خروج عن صفة المتابعة واشعار بالاستقلال فى الامر فيكون التقدم بين يدى الله ورسوله منافيا للايمان واشار المصنف الى هذا الاحتمال بقوله او لا تتقدموا وايده بقرآءة من قرأ لا تقدموا بالفتحات الثلاث المتوالية وتشديد الدال اصله لا تتقدموا لحذف احدى التاءين كراهة اجتماع المثلين فى اول الكلمة وقرئ لا تقدموا بفتح التاء والدال وسكون القاف من قدم من سفره يقدم قدوما من باب علم اى لا تقدموا الى امر من امور الدنيا قبل قدومه ولا تعجلوا عليه ﴿قوله مستعار مما بين الجهتين المسامتتين﴾ اى الكائنتين فى سمت يدى الانسان يريد انه استعارة مبنية على المجاز المرسل ووجه المجاز فيه انه عبر عن الجهتين باليدين لكونهما على سمت اليدين فان جهة اليمين واقعة على سمت اليد اليمنى وجهة الشمال واقعة على سمت اليد اليسرى فالتعبير باليدين من قبيل تسمية الشئ باسم ما يدانيه ويحاذيه فاذا كان لفظ اليدين بمعنى الجهتين كان بين اليدين بمعنى بين الجهتين والجهة التى بينهما هى جهة الامام فقولك جلست بين يديه بمعنى جلست امامه واذا قيل بين يدى الله امتنع ان يراد به الجهة والمكان فيكون استعارة تمثيلية شبه حال ما وقع من بعض الصحابة من القطع فى امر من امور الدين قبل ان يحكم به الله ورسوله بحال من تقدم فى المشى فى الطريق مثلا واحد على من يجب ان يتأخر عنه ويقفو اثره تعظيما له فعبر عن الحالة المشبهة بما يعبر به عن المشبه بها والمراد من الاستعارة تهجين الحالة المشبهة فان الحالة المشبه بها لما كانت قبيحة مستهجنة فى العادة ومنافية لمقتضى التعظيم والمتابعة كانت ماشبه بها مستهجنة ايضا وهذا التهجين هو النكتة فى الاستعارة المذكورة فمعنى الآية لا تقطعوا امرا قبل ان يحكما به ويأذنا فيه فتكونوا اما عاملين بالوحى المنزل واما مقتدين بالنبى المرسل عليه الصلاة والسلام قال مجاهد والحسن نزلت الآية فى النهى عن الذبح يوم الاضحى قبل الصلاة كأنه قيل لا تذبحوا قبل ان يذبح النبى عليه الصلاة والسلام وذلك ان ناسا ذبحوا قبل صلاة النبى فامرهم ان يعيدوا الذبح وهو مذهبنا الى ان تزول الشمس وعند الامام الشافعى ايضا يجوز اذا مضى من الوقت ما يسع الصلاة عن البرآء قال خطبنا النبى عليه الصلاة والسلام يوم النحر فقال ان اول ما نبدأ به فى يومنا هذا ان نصلى ثم نرجع فننحر فمن فعل ذلك فقد اصاب نسكنا ومن ذبح قبل ان يصلى فانما هو لحم عجله لاهله ليس من النسك فى شئ وعن عائشة رضى الله عنها انها نزلت فى النهى عن الصوم يوم الشك اى لا تصوموا قبل ان يصوم نبيكم قال مسروق كنا عند عائشة يوم الشك فاتى بلبن فناولتنى فقلت انى صائم قالت عائشة قد نهى عن هذا ونزلت هذه الآية فقالت هذه فى الصوم وغيره وقيل هى عامة فى كل قول وفعل وهو الظاهر ارشدهم الله الى ان يتأدبوا باتباع الشارع فى كل ما عن لهم من قول وفعل وايجاب وسلب ثم نهاهم وزجرهم عما يرتكبه بعض القاصرين من رفع اصواتهم وندآئهم اياه من ورآء الحجرات وتركهم التصبر الى ان يخرج اليهم لان من خصه الله تعالى بالمنزلة الرفيعة والكرامة العالية يجب ان يهاب منه ويخفض بين يديه الصوت ولا يجترأ على مناداته عند اختياره الاستراحة والجائه الى الخروج اليهم استعجالا ﴿قوله وذكر الله تعالى تعظيما له﴾ حيث جعل ذكر اسمه تعالى توطئة وتمهيدا لذكر اسمه عليه الصلاة والسلام ليدل على قوة اختصاصه عليه الصلاة والسلام به اذ ذكره بطريق العطف عليه يدل عليها لا محالة كما يقال اعجبنى زيد وكرمه فى موضع ان يقال اعجبنى كرم زيد للدلالة على

سورة الحجرات مدنية وآيها ثمانى عشرة آية

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يا ايها الذين آمنوا لا تقدموا) اى لا تقدموا امرا لحذف المفعول ليذهب الوهم الى كل ما يمكن او ترك لان المقصود نفى التقديم رأسا او لا تتقدموا ومنه مقدمة الجيش لتقدمهم ويؤيده قرآءة يعقوب لا تقدموا وقرئ لا تقدموا من القدوم (بين يدى الله ورسوله) مستعار مما بين الجهتين المسامتتين ليدى الانسان تهجينا لما نهوا عنه والمعنى لا تقطعوا امرا قبل ان يحكما به وقيل المراد بين يدى رسول الله وذكر الله تعظيما له واشعارا بانه من الله بمكان يوجب اجلاله (واتقوا الله) فى التقديم او مخالفة الحكم (ان الله سميع) لاقوالكم (عليم) بافعالكم (يا ايها الذين آمنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبى) اى اذا كلمتموه فلا تجاوزوا اصواتكم عن صوته

قوّة اختصاص الكريم به ويؤيد هذا القول ان الله ذكر في هذه الآية وفيما بعدها ارشاد الامة وتعليمهم ما يجب عليهم من اجلال رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعظيمه والتهيب منه والاحتراز عما ينافي ذلك كالتطلع بالامر قبل ان يحكم به ورفع الصوت بحضرته وندائهم اياه من وراء الحجرات ونحو ذلك وانه تعالى اكد النهي عن التقديم بقوله واتقوا الله فانه تصريح بان من قدم بين يدي الرسول يستحق عقابه تعالى فلولا قوة اختصاصه عليه السلام بحضرته تعالى لما كان الامر كذلك ﴿قوله ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض﴾ لما كان رفع الصوت والجهر مؤداهما واحدا فتوهم ان النهي الثاني كالتكرير للاول اشار الى الفرق بينهما بان معنى النهي الاول انه عليه الصلاة والسلام اذا نطق ونطقتم فعليكم ان لا تبلغوا باصواتكم فوق الحد الذي يبلغه صوته عليه الصلاة والسلام وان تغضوا من اصواتكم بحيث يكون صوته عليه الصلاة والسلام عاليا على اصواتكم ومعنى الثاني اذا كلمتموه وهو عليه الصلاة والسلام ساكت فلا تبلغوا بالجهر في القول الجهر الدائر بينكم بل لينوا القول لينا يقارب الهمس الذي يضاد الجهر وهذا الفرق خلاصة ما في الكشاف والمصنف فرق بينهما بان مدلول النهي الاول حرمة رفع الصوت فوق صوته عليه الصلاة والسلام ومدلول الثاني حرمة الجهر باصواتهم مع كونها ليست بارفع من صوته عليه الصلاة والسلام وهذا المعنى لا يستفاد من النهي الاول فلا تكرير والترجيب بالجيم المتقوطة التعظيم يقال رجبته بكسر الجيم اذا هبته فهو مرجوب اي معظم ومنه سمي رجب لانهم كانوا يعظمونه في الجاهلية ولا يستحلون فيه القتال وانما قيل له رجب مضر لانهم كانوا اشد تعظيما له ﴿قوله وتكرير النداء لاستدعاء مزيد الاستبصار﴾ فان النداء تنبيه للمنادي واستدعاء منه ان يستبصر اي يتحول من الغفلة الى البصيرة حتى يقبل استماع الكلام وفهمه فيكون تكريره استدعاء لمزيد الاستبصار ومبالغة في التنبيه والايقاظ واشعارا بان كل واحد من الكلامين مقصود على حدة لقصد اقبال المخاطب على استماعه فانه اذا كان مؤداهما واحدا كما في قولك يا زيد لا تنطق بالباطل ولا تتكلم الا بالحق لا يحسن تخلل النداء بينهما كما يحسن عند اختلاف المطلوب منهما ﴿قوله فيكون علة للنهي﴾ اي على طريق التنازع فان كل واحد من قوله لا ترفعوا اصواتكم ولا تجهروا له يطلبه من حيث المعنى فيكون علة للثاني عند البصريين وللاول عند الكوفيين كأنه قيل انتهوا عما نهيتم عنه لخشية حبوط اعمالكم وكراهته فحذف المضاف ولام التعليل اذ النهي عن الفعل المعلل باعتبار التأدية والفرق بين الوجهين ان المعلل هو الاول والفعل المنهي في الثاني كأنه قيل انتهوا عن الفعل الذي تفعلونه لاجل حبوط اعمالكم واللام فيه لام العاقبة كما في قوله تعالى فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا فانهم لم يقصدوا بما فعلوه من رفع الصوت والجهر حبوط اعمالهم الا انه لما كان بحيث قد يؤدي الى الكفر المحبط جعل كأنه مثله فادخل عليه لام العلة تشبيها لمؤدي الفعل بالعلة الغائية ﴿قوله وكان جهوريا﴾ اي جهير الصوت يقال جهور بالقول اي رفع صوته وجهر مثله وهو رجل جهوري الصوت اي جهير الصوت قيل ان ثابت بن قيس مات بخير حيث قتل شهيدا يوم مسيلمة الكذاب وعليه درع فرآه رجل من الصحابة بعد موته في المنام فقال له اعلم ان فلانا وهو رجل من المسلمين نزع درعي فذهب بها وهو في ناحية كذا من العسكر وعنده فرس في طوله وقد وضع على درعي برمة فأت خالد بن الوليد فاخبره حتى يسترد درعي وأت ابا بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقل له ان علي دينا يقضي ديني وفلان من رقيقي حر فاخبر الرجل خالدا فوجد درعه والفرس على ما وصفه فاسترد الدرع واخبر خالد ابا بكر بتلك الرؤيا فاجاز ابو بكر وصيته قال مالك بن انس لا اعلم وصية اجيزت بعد موت صاحبها الا هذه قال ابو هريرة وابن عباس رضي الله عنهم لما نزلت هذه الآية كان ابو بكر لا يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم الا كاخي السرار وقال ابن الزبير ما حدث عمر النبي عليه الصلاة والسلام بعد نزول قوله تعالى لا ترفعوا اصواتكم حديثا الا استفهمه مما يخفض صوته فانزل الله تعالى ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله ﴿قوله جربها للتقوى﴾ يشعر بان الامتحان ههنا مستعمل في اصل معناه وهو التجربة ومن المعلوم انه لا يجوز ارادة ذلك المعنى ههنا بل المراد امتحان القلوب بالتقوى وتمرينها عليها وجعلها صفة راسخة فيها بطريق اللزوم وارادة اللازم فان امتحان الشيء للعمل يستلزم ان يتكرر صدور ذلك العمل منه مرة بعد اخرى وذلك يستلزم تمرنه اي اعتياده واستمراره عليه والتمرن التعود على الاشياء بحيث يكون قويا فيها متعودا عليها فقوله تعالى امتحن الله قلوبهم معناه قوى قلوبهم فيها ومرنها عليها في الصحاح مرن الشيء يمرن مرونا اذا لان ومرن على الشيء يمرن مرونا ومرانة تعوده واستمر ومرنت يده على العمل اذا صلبت

(ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض) ولا تبلغوا به الجهر الدائر بينكم بل اجعلوا اصواتكم اخفض من صوته محاماة على الترجيب ومراعاة للادب وقيل معناه ولا تخاطبوه باسمه وكنيته كما يخاطب بعضكم بعضا وخاطبوه بالنبي والرسول وتكرير النداء لاستدعاء مزيد الاستبصار والمبالغة في الايقاظ والدلالة على استقلال المنادى له وزيادة الاهتمام به (ان تحبط اعمالكم) كراهة ان تحبط فيكون علة للنهي او لان تحبط على ان النهي عن الفعل المعلل باعتبار التأدية لان في الرفع والجهر استخفافا قد يؤدي الى الكفر المحبط وذلك اذا ضم اليه قصد الاهانة وعدم المبالاة وقد روي ان ثابت بن قيس رضي الله عنه كان في اذنه وقر وكان جهوريا فلما نزلت تخلف عن رسول الله عليه السلام فتفقده ودعاه فقال يا رسول الله لقد انزلت اليك هذه الآية واني رجل جهير الصوت فاخاف ان يكون عملي قد حبط فقال عليه السلام لست هناك انك تعيش بخير وتموت بخير وانك من اهل الجنة (وانتم لا تشعرون) انها محبطة (ان الذين يغضون اصواتهم) يخفضونها (عند رسول الله) مراعاة للادب او مخافة من مخالفة النهي قيل كان ابو بكر وعمر رضي الله عنهما بعد ذلك يسران حتى يستفهمهما (اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى) جربها للتقوى ومرنها عليها

او عرفها كائنة للتقوى خالصة لها فان الامتحان سبب المعرفة واللام صلة محذوف او الفعل باعتبار الاصل او حرب الله قلوبهم بانواع المحن والتكاليف الشاقة لاجل التقوى فانها لا تظهر الا بالاصطبار عليها او اخلصها للتقوى من امتحن الذهب اذا اذابه وميز ابريزه من خبثه (لهم مغفرة) لذنوبهم (واجر عظيم) لغضهم وسائر طاعاتهم والتنكير للتعظيم والجملة خبر ثان لان او استئناف لبيان ما هو جزاء الغاضين اجادا لحالهم كما اخبر عنهم بجملة مؤلفة من معرفتين والمبتدأ اسم الاشارة المتضمن لما جعل عنوانا لهم والخبر الموصول بصلة دلت على بلوغهم اقصى الكمال مبالغة في الاعتداد بغضهم والارتضاء له وتعريضا بشناعة الرفع والجهر وان حال المرتكب لهما على خلاف ذلك (ان الذين ينادونك من وراء الحجرات) من خارجها خلفها او قدامها ومن ابتدائية فان المناداة نشأت من جهة الوراء وفائدتها الدلالة على ان المنادى داخل الحجرة اذ لابد وان يختلف المبدأ والمنتهى بالجهة وقرئ الحجرات بفتح الجيم وسكونها وثلاثتها جمع حجرة وهي القطعة من الارض المحجورة بحائط ولذلك يقال لحظيرة الابل حجرة وهي فعلة بمعنى مفعول كالغرفة والقبضة والمراد حجرات نساء النبي عليه الصلاة والسلام وفيها كناية عن خلوته بالنساء ومناداتهم من ورائها اما بانهم اتوها حجرة حجرة فنادوه من ورائها او بانهم تفرقوا على الحجرات متطلبين له فاسند فعل الابعاض الى الكل وقيل ان الذي ناداه عيينة بن حصن والاقرع بن حابس وفدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبعين رجلا من بني تميم وقت الظهيرة وهو راقد فقالا يا محمد اخرج الينا وانما اسند الفعل الى جميعهم لانهم رضوا بذلك او امروا به او لانه وجد فيما بينهم (اكثرهم لا يعقلون) اذ العقل يقتضي حسن الادب ومراعاة الحشمة سيما لمن كان بهذا المنصب (ولو انهم صبروا حتى تخرج اليهم) اي ولو ثبت صبرهم وانتظارهم حتى تخرج فان ان وان دلت بما في حيزها على المصدر دلت بنفسها على الثبوت ولذلك وجب اضمار الفعل وحتى تفيد ان الصبر ينبغي ان يكون مغيا بخروجه فان حتى مختصة بغاية الشيء في نفسه ولذلك تقول اكلت السمكة حتى رأسها ولا تقول حتى نصفها بخلاف الى فانها عامة وفي اليهم اشعار بانه لو خرج لا لاجلهم ينبغي ان يصبروا حتى يفاتحهم بالكلام او يتوجه اليهم (لكان خيرا لهم) لكان الصبر خيرا لهم من الاستعجال لما فيه من حفظ الادب وتعظيم الرسول الموجبين للثناء والثواب والاسعاف بالمسئول اذ روي انهم وفدوا شافعين في اسارى بني العنبر فاطلق النصف وفادى النصف

والتمرين الثلين الا ان المصنف فسره بقوله جربها للتقوى ولم يقل عود قلوبهم التقوى وقواها لها ومرنها عليها للاشارة الى ان اللام في قوله للتقوى صلة قوله امتحن باعتبار اصل معناه لا لكون امتحن مستعملا في اصل معناه واشار بعطف قوله ومرنها عليها على قوله جربها للتقوى الى كونه تفسيرا للارادة ﴿ قوله او عرفها ﴾ اي ويحتمل ان يكون مجازا عن المعرفة على طريق اطلاق السبب وارادة المسبب لان الامتحان سبب المعرفة فعلى هذا الاحتمال تكون اللام صلة محذوف هو حال من مفعول امتحن اي امتحنها وعرفها كائنة للتقوى كما في قوله انت لها احمد من بين البشر اي انت كائن لها ﴿ قوله او حرب الله قلوبهم بانواع المحن ﴾ فيكون الامتحان على اصل معناه وهو الاختبار بالمحن والشدائد فتكون اللام حينئذ للتعليل والمعنى امتحنها بالشدائد لاجل التقوى اي لاجل ظهورها ﴿ قوله او اخلصها للتقوى ﴾ اي جعلها خالصة بان ازال عنها الملكات الردية والعادات الدنية فيكون امتحن الله قلوبهم استعارة تمثيلية من امتحن الذهب بان شبه تنقية القلوب عما سوى التقوى وجعلها خالصة لها بامتحان الذهب الابريز وتخليصه من الخبث باذابته بالنار فاطلق عليها اسم الامتحان ﴿ قوله بجملة مؤلفة من معرفتين ﴾ وهي قوله اولئك الذين فان اولئك مبتدأ والموصول بصلته خبره ومثل هذا التركيب يفيد الحصر كما في زيد المنطلق ففيه تعريض بان حال الذين لم يغضوا اصواتهم على خلاف حال هؤلاء الغاضين فيكون المبتدأ الثاني اسم اشارة يفيد ان المشار اليه جدير بما ذكر بعده من الحكم لاجل اتصافه بما ذكر قبله من مضمون جملة الصلة وهو التأدب في حضرة الرسول بغض الصوت وكون الصلة دالة على بلوغهم اقصى الكمال لان المقام مقام المدح والتعظيم كانه قيل هم الذين شرفهم الله بامتحان القلوب وتمرينها على التقوى وفيه مبالغة في الاعتداد بغضهم والارتضاء له حيث جعل ذلك سببا لاختصاص المشار اليهم بما يرد بعد اولئك من كون التقوى صفة راسخة لقلوبهم او كون قلوبهم خالصة للتقوى طاهرة عما ينافيها من الرذائل ﴿ قوله من خارجها خلفها او قدامها ﴾ لان وراء الحجرات عبارة من الجهة التي يواريها شخص الحجرة بجهتها اي من اي ناحية ولابد ان تكون تلك الجهة خارج الحجرة لان ما في داخلها من الجهة لا يوارى عمن فيها بجهة الحجرة ﴿ قوله وفائدتها الدلالة على ان المنادى داخل الحجرة ﴾ وجه دلالة من الابتدائية على ذلك ان الوراء المعنى المذكور مكان مبهم يتناول كل جزء من اجزاء المسافة التي كانت خارج الحجرة فاذا دخلت عليه من الابتدائية كانت تلك الجهة المبهمة على ابهامها مبدأ النداء والمبدأ لابد له من المنتهى ولابد ان يكون غير المكان الذي ابتدئ منه النداء وذلك لا يكون الا بان يكون المنتهى داخل الحجرة لان النداء لما ابتدئ من الجهة المسماة بالوراء وقد تقرر انها خارج الحجرة وانها مبهمة صح ان يكون كل جزء من اجزائها مبدأ النداء فلو فرض ان يكون المنادى خارج الحجرة لكانت تلك الجهة منتهى النداء ايضا وهو غير جائز لاستلزامه ان تكون تلك الجهة الواحدة مبدأ ومنتهى ولو قيل ينادونك وراء الحجرات بدون كلمة من لما دل عليه اي على كون المنادى داخل الحجرة فانه انما استفيد من جعل خارج الحجرة مبدأ النداء واذا خلا الكلام عن كلمة من لا يكون فيه دلالة على الابتداء والانتهاء ولا يفيد ما هو المقصود منه فان انكارهم ينادونه من الخارج وهو في الحجرة وانكار هذه الصورة بخصوصها موقوف على اشتمال الكلام على من الابتدائية ﴿ قوله او بانهم تفرقوا الخ ﴾ اي ويجوز ان يكون منهم من تولى لنداءه من وراء كل حجرة منها ورضي الباقون به فصاروا كانهم نادوه جميعا من ورائها قرأ الجمهور الحجرات بضمتين وهي جمع حجرة بمعنى محجورة كقبضة بمعنى مقبوضة وهي الموضع يحجره الانسان لنفسه ويمنع غيره من ان يشاركه فيه من الحجر وهو المنع والحظيرة قطعة محجورة من الارض تعمل للابل من شجر لتقيها الحر والبرد ﴿ قوله ولو ثبت صبرهم ﴾ لما كانت كلمة لو حرف شرط وجب ان يليها الفعل ظاهرا او مقدرا فلذلك جعل قوله صبروا في محل الرفع على انه فاعل فعل مقدر واوله بالمفرد وجعل اسم كان ضميرا راجعا الى هذا المفرد وجعل دلالة كلمة ان على الثبوت دليلا على تعين ثبت لكونه مقدرا من بين الافعال ثم اشار الى الفرق بين ان يقال حتى تخرج اليهم والى ان تخرج اليهم بان حتى انما تدل على ما هو غاية في نفس الامر مع قطع النظر عن الجعل والاعتبار فانها عامة في كل نهاية سواء كانت جعلية في نفس الامر فالمعنى حتى لا يجوز ان يكون لها غاية غيره دخولها لان ما هو غاية في نفس الامر لا يكون متعددا بخلاف الغايات الجعلية لجواز تعدد ما يبنى على الجعل ﴿ قوله اذ روي انهم وفدوا شافعين في اسارى بني العنبر ﴾ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية الى حي بني العنبر وامر عليهم عيينة بن حصن فلما علموا انه توجه نحوهم هربوا وتركوا عيالهم

(والله غفور رحيم) حيث اقتصر على النصح والتقريع لهؤلاء المسيئين للادب التاركين تعظيم الرسول (يا ايها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا) فتعرفوا وتفحصوا روى انه عليه الصلاة والسلام بعث وليد بن عقبة مصدقا الى بنى المصطلق وكان بينه وبينهم احنة فلما سمعوا به استقبلوه فحسبهم مقاتليه فرجع وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم قد ارتدوا ومنعوا الزكاة فهم بقتالهم فنزلت وقيل بعث اليهم خالد بن الوليد بعده فوجدهم منادين بالصلاة مجتهدين فسلموا اليه الصدقات فرجع وتنكير الفاسق والنبأ للتعميم وتعليق الامر بالتبين على فسق المخبر يقتضى جواز قبول خبر العدل من حيث ان المعلق على شئ بكلمة ان عدم عند عدمه وان خبر الواحد لو وجب تبينه من حيث هو كذلك لما رتب على الفسق اذ الترتيب يفيد التعليل وما بالذات لا يعلل بالغير وقرأ حمزة والكسائى فتثبتوا اى فتوقفوا الى ان يتبين لكم الحال (ان تصيبوا) كراهة اصابتكم (قوما بجهالة) جاهلين بحالهم (فتصبحوا) فتصيروا (على ما فعلتم نادمين) مغتمين غما لازما متمنين انه لم يقع وتركيب هذه الاحرف الثلاثة دائر مع الدوام (واعلموا ان فيكم رسول الله) ان بما فى حيزه سادّ مسدّ مفعولى اعلموا باعتبار ما قيد به من الحال وهو قوله (لو يطيعكم فى كثير من الامر لعنتم) فانه حال من احد ضميرى فيكم ولو جعل استئنافا لم يظهر للامر فائدة والمعنى ان فيكم رسول الله على حال يجب تغييرها وهى انكم تريدون ان يتبع رأيكم فى الحوادث ولو فعل ذلك لعنتم اى لوقعتم فى العنت وهو الجهد والهلاك وفيه اشعار بان بعضهم اشار عليه بالايقاع ببنى المصطلق

فساءهم عينة ثم قدم بهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء بعد ذلك رجالهم يفدون الذرارى فقدموا وقت الظهيرة فألفوا رسول الله صلى الله عليه وسلم نائما فى اهله فلما رأتهم الذرارى اكبوا على آبائهم يبكون وكان لكل امرأة من نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت وحجرة فجعلوا ينادون يا محمد اخرج الينا حتى ايقظوه من نومه فخرج عليه الصلاة والسلام اليهم فقالوا يا محمد فادنا عيالنا فنزل جبريل عليه السلام فقال ان الله يأمرك ان تجعل بينك وبينهم رجلا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أترضون ان يكون بينى وبينكم سبرة بن عمرو وهو على دينكم قالوا نعم قال سبرة انا لا احكم بينهم وعمى شاهد فقال أترضون شابة بن ضرار فرضوا فقال فادى نصفهم واعتق نصفهم فانزل الله تعالى ان الذين ينادونك من وراء الحجرات ﴿قوله مصدقا﴾ حال مقدرة من الوليد اى آخذا الصدقة وهى الزكاة فانه كما يطلق على من يصدقك فى حديثك يطلق ايضا على من يأخذ صدقات السوائم وفى الصحاح المصدّق الذى يصدّقك فى حديثك والذى يأخذ صدقات الغنم والمتصدّق الذى يعطى الصدقة وقوله تعالى ان المصدقين والمصدّقات اصله المتصدّقين والمتصدّقات قلبت التاء صادا وادغمت والاحنة الحقد والبغض الكامن ﴿قوله وقيل بعث اليهم خالد بن الوليد﴾ اى بعثه اليهم بعد رجوع الوليد بن عقبة عنهم فى عسكر وقال اخف عنهم قدومك اليهم بالعسكر وادخل عليهم ليلا مستخفيا هل ترى شعار الاسلام وآدابه فان رأيت منهم ذلك فخذ منهم زكاة اموالهم وان لم تر منهم ذلك فاستعمل فيهم ما يفعل فى الكفار ففعل ذلك خالد واتاهم وقت المغرب فسمع اذان صلاة المغرب والعشاء ووجدهم مجتهدين اى باذلين وسعهم ومجهودهم فى امتثال امر الله فاخذ منهم صدقاتهم وانصرف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واخبره الخبر فنزلت ﴿قوله وتنكير الفاسق والنبأ للتعميم﴾ اى فى الفاسق والانباء كانه قيل ان جاءكم فاسق اى فاسق كان بنبأ اى نبأ كان فتوقفوا فيه ولا تعتمدوا قول الفاسق وان من لا يتحاشى جنس الفسوق لا يتحاشى الكذب الذى هو نوع منه اخرج الكلام بلفظ الشرط المحتمل الوقوع لندرة مثله فيما بين اصحابه عليه الصلاة والسلام ﴿قوله وتعليق الامر بالتبين على فسق المخبر﴾ استدل الشافعى بهذا التعليق على ان خبر الواحد العدل شهادة مقبولة فانه تعالى لما علق الامر بالتوقف على كون المخبر فاسقا علم ان لا توقف فى خبر العدل لان خبر العدل لو لم يكن مقبولا لما بقى لترتيب الحكم على فسق المخبر فائدة وهذا من باب التمسك بمفهوم المخالفة واستدل ايضا على ان شهادة الفاسق لا تقبل بناء على انه تعالى اوجب التبين والتوقف فيما اخبر به الى ان يتبين حقيقة الحال والحكم كذلك قبل اخباره فلم يفد اخباره شيأ ونحن نستدل به على قبول شهادته فانه تعالى امر بالتأنى فى قبول شهادته لا بردها وقرئ فتثبتوا من التثبت وهو التأنى والتثبت ترك التسارع الى ان يتبين الحال ﴿قوله كراهة اصابتكم﴾ فان مثله مفعول له بتقدير المضاف عند البصريين وتقديره عند الكوفيين لئلا تصيبوا ﴿قوله بجهالة﴾ حال من الضمير فى ان تصيبوا او قوله وتصبحوا عطف على قوله ان تصيبوا ومعناه فتصيروا فان اصبح يستعمل على ثلاثة اوجه احدها انه بمعنى دخول الانسان فى الصباح والثانى بمعنى كان الامر وقت الصباح كما يقال اصبح المريض اليوم خيرا مما كان يراد به كونه فى وقت الصباح على حالة هى خير مما كان قبله والثالث انه بمعنى صار تقول اصبح زيد غنيا اى صار غنيا من غير ارادة وقت وهذا المعنى هو المراد منه فى هذه الآية وكذلك امسى واضحى وفى هذه الآية دلالة على ان الجاهل لا بد ان يصير نادما على ما فعله بعد زمان فعله وهو دائم الندم على ما وقع منه مع تمنى انه لم يقع وتركيب حروفه لا يعرى عن افادة معنى الدوام يقال ادمن الامر اذا ادامه ومدن بالمكان اى اقام به ومنه المدينة ولزومه قد يكون لعدم غيبته غيبة موجبة لبعده عن الخاطر وقد يكون لكثرة تذكره ولغير ذلك من الاسباب ﴿قوله من احد ضميرى فيكم﴾ الاول مرفوع مستتر فيه او مستقر والثانى مجرور بارز وتقدير الكلام على ان يكون حالا من الضمير المرفوع انه عليه الصلاة والسلام كائن فيكم على حالة يجب تغييرها وهى انكم تريدون منه ان يطيعكم ويتبع رأيكم ويفعل ما تستصوبونه وتقديره على ان يكون حالا من الضمير المجرور انه عليه الصلاة والسلام كائن فيكم وانتم على حالة يجب عليكم ان تغيروها وهى ما ذكر ويجب تغيير تلك الحال التى انتم عليها او هو عليه الصلاة والسلام عليها لانه عليه الصلاة والسلام لو فعل ما اردتموه منه لعنتم اى لوقعتم فى شدة وهلاك او اثم ﴿قوله ولو جعل استئنافا لم يظهر للامر فائدة﴾ اى لو لم يعتبر تقييد قوله تعالى واعلموا ان فيكم رسول الله بما بعده لم يكن لذكره معطوفا على قوله فتبينوا فائدة فان الجملة الشرطية التى عطف عليها قوله واعلموا مسوقة لتقريع من تسارع الى قبول قول الوليد حيث اشار عليه عليه الصلاة والسلام بان يوقع ببنى المصطلق

(فلابد)

فلابد ان يكون للجملة التى عطف عليها مدخل فى التفريع وذلك اما يكون بان يكون مابعدها حالا من احد الضميرين فانه لوكانت جملة مستأنفة ولم تكن قيدا لما قبلها لم يكن لما قبلها فائدة فلا يكون لها حينئذ مدخل فى افادة التفريع لانا لانسلم انه على تقدير ان يكون قوله لو يطيعكم الخ كلاما مستأنفا لايكون للامر فائدة لجواز ان يكون توبيخا لهم بتنزيلهم منزلة من لايعلم انه عليه الصلاة والسلام بين اظهرهم او منزلة من لايعلم انه رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قصر فى تعظيمه واراد ان يستتبع رأيه الصائب لا رآئه الفاسدة وطاعته عليه الصلاة والسلام له فيما استصوبه من تصديق الوليد والايقاع ببنى المصطلق ويكون قوله تعالى لو يطيعكم استئنافا لبيان فساد ماارادوه من طاعته عليه الصلاة والسلام ﴿ قوله استدراك ببيان عذرهم ﴾ اى عذر من اعتمد على كلام الفاسق واشار الى الايقاع ببنى المصطلق وهذا على تقدير ان يكون المخاطبون بقوله تعالى ولكن الله حبب اليكم الايمان هم المخاطبون بقوله لو يطيعكم ومعنى الاستدراك دفع توهم ان يكون الحامل على تصديقهم الوليد والاقدام على الايقاع ببنى المصطلق هو محبة الظلم والفساد فى الارض بغير حق ببيان انه انما نشأ من محبة الايمان وكراهة الكفر ﴿ قوله او بصفة من لم يفعل ذلك منهم ﴾ عطف على عذرهم اى او هو استدراك ببيان صفته وهذا على تقدير ان يكون المخاطبون بقوله لو يطيعكم من اعتمد على نبأ الفاسق ومال الى العمل بمقتضاه ويكون المخاطبون بقوله حبب اليكم الايمان الكاملين الذين لم يعتمدوا على كل ماسمعوه من الاخبار فسيق الكلام الثانى مدحا لهم فى مقابلة من ذمهم باضطرابهم بكل ماسمعوه فكما ان الاولين مدحوا بما فعلوه مدح المتبصرون بما فعلوا ايضا وتحبيب الايمان فعل الله تعالى والتحضيض لايحمد بما لايفعله من فعل غيره فينبغى ان يراد به ماهو فعلهم وهو ايثارهم الايمان والطاعة على الكفر والعصيان ليصلح باعثا لان يثنى عليهم بذلك كانه قيل ولكن حالكم تخالف حالهم فلذلك وقاكم الله تعالى من الوقوع فى العنت وعلى التقديرين صح الاستدراك بلكن فان الجملتين اذا عطف احداهما على الاخرى بلكن يجب ان يكون بينهما مغايرة بالنفى والاثبات وههنا وان لم يتغايرا لفظا فقد تغايرا معنى يقال بغض الرجل بضم الغين اى صار بغيضا وبغضه الله الى الناس تبغيضا فابغضوه اى مقتوه فهو مبغض وبغيض ٭ فان قيل لم اختير لفظ المضارع على الماضى فى قوله تعالى لو يطيعكم مع ان لو للماضى سوآء دخلت على الماضى او المستقبل كما ان ان للمستقبل على ايهما دخلت ٭ اجيب بانه لم يقل لو اطاعكم للدلالة على انه كان فى ارادتهم استمرار عمله عليه الصلاة والسلام على مايستصوبونه وانه كلما عن لهم رأى فى امر كان معولا عليه كما يقال فلان يقرى الضيف ويحمى الحريم ويراد انه ديدن له ومستمر عليه فكلمة لو هنا تفيد امتناع الاستمرار لان وقوعهم فى الهلاك او الاثم انما يلزم من استمراره عليه الصلاة والسلام على اطاعتهم فيما يعن لهم ويستصوبونه لان فيه انقلاب الرئيس مرؤسا لاسيما اذا كان الرئيس فى منصب لايليق به ان يقطع الامر ويحكم الا اتباعا لما نزل من الوحى النازل واستمراره على اتباع رأى اهل الضلالة وايثار طريق الضلال على طريق الهدى فلاجرم انه يكون مؤداه الهلاك واما طاعته اياهم فى بعض مايرونه فقد رخص الله تعالى فى ذلك بل امره به استمالة لقلوبهم وتعليما لهم طريق الاجتهاد فلذلك قال فى كثير من الامر وجعل الممتنع طاعته لهم فى الكثير او فى الكل ﴿ قوله والكفر تغطية نعمة الله بالجحود ﴾ وهو الانكار مع العلم واجل نعمه تعالى مايتوصل به الى الايمان والطاعة والثواب المؤبد كدلائل الوحدانية والعقل والتمييز والقوى والاعضاء السليمة وسائر الاسباب المعينة للطاعة والكافر على الاطلاق من اهمل مايتوصل به الى الايمان بالوحدانية والنبوة والكافر لسائر النعم من ترك شكرها ولم يصرفها الى ماخلق له والقصد العدل وهو ضد الجور واصل الجور ان يظلم المرء نفسه بان يتعدى حدود الله ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه فلذلك فسر الفسوق بالخروج عن القصد اى عن العدل والعصيان بمعنى الامتناع عن الانقياد شامل لجميع الذنوب والفسوق مختص بالكبائر ﴿ قوله لا للراشدين ﴾ لانعدام شرط انتصاب المفعول له وهو ان يتحد الفاعل للعلة والمعلول لان الرشد فعل القوم والفضل والانعام فعل الله تعالى ٭ ولما ورد ان يقال الرشد وان كان صفة قائمة بالقوم الا انه مسبب عن فعله تعالى وهو التحبيب والتكريه فانه تعالى لو لم يحبب الايمان ويكره اليهم الكفر والعصيان لما رشدوا فصار الرشد بهذا الاعتبار كانه فعل الله تعالى كالفضل والانعام فجاز كونه تعليلا للراشدين لتحقق شرط انتصاب المفعول له فيه ٭ اشار الى جوابه بقوله والرشد وان كان مسببا عن فعله تعالى الخ وتقريره ان المراد بالفاعل من قام به الفعل واسند هو اليه لامن اوجده ومن المعلوم ان الرشد قائم بالقوم والفضل والانعام قائمان به تعالى ﴿ قوله او مصدر ﴾ عطف على قوله

وقوله (ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه فى قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان) استدراك ببيان عذرهم وهو أنهم من فرط حبهم للايمان وكراهتهم الكفر حملهم على ذلك لما سمعوا قول الوليد او بصفة من لم يفعل ذلك منهم احمادا لفعلهم وتعريضا لذم من فعل ويؤيده قوله (اولئك هم الراشدون) اى اولئك المستثنون هم الذين اصابوا الطريق السوى وكره متعد بنفسه الى مفعول واحد فاذا شدد زاد له آخر لكنه لما تضمن معنى التبغيض نزل اليكم منزلة مفعول آخر والكفر تغطية نعم الله تعالى بالجحود والفسوق الخروج عن القصد والعصيان الامتناع عن الانقياد (فضلا من الله ونعمة) تعليل لكره او حبب وما بينهما اعتراض لا للراشدين فان الفضل فعل الله والرشد وان كان مسببا عن فعله مسند الى ضميرهم او مصدر لغير فعله فان التحبيب والرشد فضل من الله وانعام (والله عليم) باحوال المؤمنين وما بينهم من التفاضل (حكيم) حين يفضل وينعم بالتوفيق عليهم

تعليل وشرط المفعول المطلق ان يتحد مع ناصبه في المعنى والفضل متحد من حيث المعنى مع التصبيب والتكريه بمجاز كونه مفعولا مطلقا لكل واحد منهما من حيث ان كل واحد منهما افضال وانعام ﴿ قوله والجمع باعتبار المعنى ﴾ جواب عما يقال الظاهر ان يقال اقتتلتا على لفظ تثنية الغائبة لكون الفعل مسندا الى ضمير الطائفتين فلم قيل اقتتلوا على لفظ جمع المذكر الغائب • وتقرير الجواب ان كل طائفة جمع فيكون الطائفتان جماعتين الا انهما يكونان حال الاقتتال في حكم جماعة واحدة لان نسبة التقاتل تجمعهما وتمنع امتياز كل واحدة منهما عن الاخرى فصارتا في معنى القوم والناس فناسب بذلك ان يجمع الفعل المسند اليهما فلذلك قيل اقتتلوا وثنى ضمير بينهما مع كونه عبارة عما عبر عنه بضمير اقتتلوا لان كل واحدة من الطائفتين متفردة عن الاخرى حال الصلح ويظهر تثنيتهما فلذلك ثنى ضميرهما عند تعلق الصلح بهما ووجه اتصال الآية بما قبلها انه تعالى لما حذر المؤمنين عن اتباع النبأ الصادر من الفاسق بني الحكم على تقدير ان يتفق ذلك ويلزم منه اقتتال طائفتين من المؤمنين كأنه قيل اذا وقع بينكم تنازع بناء على قول الفاسق وادى الى التقاتل فعلى الامام ومن يقوم مقامه من الحكام ان يصلح بينهما بالصلح والدعاء الى حكم الشرع والعمل بمقتضى اخوة الاسلام وبان يذكرهما قوله تعالى ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى فان قبلا فحصد ورجعا من الخلاف الى الوفاق فبها والا فعليه ان يمنع الباغى منهما من ذلك باى طريق امكن فان لم يمتنع واصر على بغيه واقدم على القتال فعلى الامام ان يقاتله الى ان يرجع الى حكم الشرع واتباع الحق فقال تعالى وان طائفتان من المؤمنين ولم يقل منكم مع ان الخطاب مع المؤمنين لسبق قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ تقبيحا لفعلهم لان الايمان من حقه ان يمنع مثل هذا العدوان ويقضي بالعدل والاحسان وطائفتان مرفوع على انه فاعل فعل محذوف وجوبا لكونه مفسرا بفعل مذكور بعده وهو قوله اقتتلوا فلو ذكر الفعل الرافع لزم اجتماع المفسر والمفسر وهو غير جائز ونظيره قوله تعالى وان احد من المشركين استجارك وانما قلنا انه فاعل فعل محذوف ولم نقل انه مبتدأ وما بعده خبره لان كلمة ان حرف شرط فيجب ان تدخل على الفعل لفظا او تقديرا ﴿ قوله الى حكمه او ما امر به ﴾ يعني ان الامر مصدر امر اى حكم فاما ان يكون على اصل معناه او يكون بمعنى المأمور به وهو الاطاعة المدلول عليها بقوله اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم والباغى في الشرع هو الخارج على الامام العدل فاذا اجتمعت طائفة لهم قوة ومنعة وامتنعوا عن طاعة الامام العدل بتأويل محتمل ونصبوا اماما فالحكم فيهم ان يبعث الامام اليهم ويدعوهم الى طاعته فان اظهروا مظلمة ازالها عنهم وان لم يذكروا مظلمة واصروا على بغيهم قاتلهم الامام حتى يتوبوا عن بغيهم ويجيبوا الى طاعته ثم الحكم في قتالهم ان لا يتبع مدبرهم ولا يقتل اسيرهم ولا يجهز على جريحهم ولا يقسم فيئهم واجهاز المجروح اتمام القتل عليه والمسارعة الى قتله قبل ان يموت بسبب ما فيه من الجراحة ويعدى بعلى وما اتلفته احدى الطائفتين على الاخرى قبل ان يجتمعوا او تجندوا او حين تفرقوا وفرغوا من المقاتلة فهو مضمون على من اتلفه بالاتفاق وما اتلف حال القتال اى بعد التجند وقبل التفرق فان كانت الطائفة الباغية قليلة العدد بحيث لا منعة لها ولا قوة ضمنوا ما اتلفوه بعد ان فاؤا بالاتفاق ايضا وان كانت كثيرة ذات منعة وشوكة ثم سكنت الحرب بينهم فلا يجب عليهم ضمان ما اتلفوه حال القتال الا عند الامام محمد بن الحسن فانه يوجب الضمان مطلقا وتفسير الآية بظاهره يؤيد مذهبه فان قوله تعالى فان فاءت فاصلحوا بينهما بالعدل يدل على لزوم الضمان مطلقا اذا فاءت الطائفة الباغية عن البغى قليلة كانت او كثيرة فان المراد بالاصلاح الواقع بعد فيء اهل البغى وارتفاع المقاتلة ان يحكم الحاكم حكما متلبسا بالعدل فيما وجب على كل واحدة من الطائفتين من ضمان ما اتلفوه حال المقاتلة حتى لا يؤدى ذلك الى ثوران الفتنة بينهما مرة اخرى ومن لا يوجب عليهم الضمان يحمل الآية على كون الفائية قليلة العدد والاصلاح المذكور في الآية على معنى اصلاح ذات البين اى الحالة الواقعة بينهما من العداوة وما تؤدى هى اليه من المحاربة الى ان يتصالحا ويتوافقا ويرجعا الى ما تقتضيه الاخوة الاسلامية ﴿ قوله بعد نسخ الشمس ﴾ اى ازالتها اياه يقال نسخت الشمس الظل اى ازالته فان الشمس كلما ازدادت ارتفاعا ازدادت نقصا وزوالا وذلك الى ان توازى الشمس خط نصف النهار فاذا زالت عنه واخذت في الانحطاط اخذ الظل في الرجوع والظهور فلما كان زوال الشمس سببا لرجوع ما انتسخ من الظل اضيف الظل الى الزوال فقيل فيء الزوال ﴿ قوله والتفيئة ﴾ عطف على الظل واطلاق الفيء على كل واحد منهما من قبيل التوصيف بالمصدر كما في رجل عدل ﴿ قوله لانه مظنة الحيف من حيث انه بعد المقاتلة ﴾ اى من حيث ان الشرطية

(وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا) تقاتلوا والجمع باعتبار المعنى فان كل طائفة جمع (فأصلحوا بينهما) بالنصح والدعاء الى حكم الله (فان بغت احداهما على الاخرى) تعدت عليها (فقاتلوا التى تبغى حتى تفيء الى امر الله) ترجع الى حكمه او ما امر به وانما اطلق الفيء على الظل لرجوعه بعد نسخ الشمس والغنيمة لرجوعها من الكفار الى المسلمين (فان فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل) بفصل ما بينهما على ما حكم الله وتقييد الاصلاح بالعدل ههنا لانه مظنة الحيف من حيث انه بعد المقاتلة

القاتلة فان فاءت فاصلحوا معطوفة على الشرطية القائلة فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا بفاء التعقيب كما ان هذه الشرطية معطوفة على الشرطية الاولى وهي قوله تعالى وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فيكون مضمون الشرطية الاخيرة واقعا بعد مقاتلة الحكام معهم كما ان مضمون الثانية واقع بعد اقتتال الطائفتين فالحكام مأمورون اولا باصلاح مابين الطائفتين معا وقتالهم من بغت على الاخرى على تقدير عدم الفيء ومأمورون ثانيا باصلاح مابينهما على تقدير ان تفيء من بغت على الاخرى الى امر الله تعالى وترك المقاتلة مع خصمها فلذلك قيل بالعدل وهو دون الاول ﴿قوله واعدلوا في كل الامور﴾ اشارة الى فائدة قوله واقسطوا بعد قوله فاصلحوا بينهما بالعدل والحال ان القسط بالكسر العدل وهمزة اقسط للصيرورة والقسط بالفتح الجور وهمزته للسلب يقال اذا كان القسط ازال القسط فقوله تعالى واقسطوا على كل واحد من التقديرين امر بالعدل وقد امر به بقوله فاصلحوا بينهما فيكون تكرارا وتقرير الجواب ان المأمور به اولا هو عدل في الاصلاح الواقع بعد المقاتلة والمأمور به ثانيا هو العدل في الامور كلها والثاني ارفع درجة من الاول بكثير والسعف جمع سعفة وهي اغصان النخل اذا يبست روي انه عليه الصلاة والسلام مر يوما على ملأ من الانصار فيهم عبد الله بن ابي المنافق ورسول الله صلى الله عليه وسلم على حمار فوقف عليهم يعظهم فبال حماره فامسك عبد الله بن ابي انفه وقال نح عنا نتن حمارك فقد آذينا بنتنه فمن جاءك منا فعظه فسمع ذلك عبد الله بن رواحة فقال الحمار رسول الله صلى الله عليه وسلم تقول هذا والله ان بول حمار رسول الله صلى الله عليه وسلم لاطيب رائحة منك فمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وطال الكلام بين عبد الله بن ابي المنافق الخزرجي وبين عبد الله بن رواحة الاوسي حتى استبا وتجالدا وجاء قوم كل واحد منهما من الاوس والخزرج وتجالدوا بالعصي وقيل بالنعال والايدي وقيل بالسعف ايضا فنزل قوله تعالى وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأه عليهم واصلح بينهم * فان قيل عبد الله بن ابي كان منافقا والآية في طائفتين من المؤمنين * قلنا احدى الطائفتين هما اصحاب عبد الله بن ابي وعشيرته ولم يكن كلهم منافقين والآية تتناول المؤمنين منهم او المراد بالمؤمنين من اظهر الايمان سواء كان مؤمنا حقيقة او ادعاء وروي في سبب نزول هذه الآية روايات اخر ويحتمل ان تكون كلها صحيحة ويكون نزول الآية عقيب جميعها ﴿قوله كما جاء في الحديث﴾ وهو قوله عليه الصلاة والسلام في حق اهل البغي ولا يطلب هاربها فانه قد روي عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال * يا ابن ام عبد الله هل تدري ما حكم الله تعالى فيمن بغى من هذه الامة * قال الله ورسوله اعلم قال * لا يجهز على جريحها ولا يقتل اسيرها ولا يطلب هاربها ولا يقسم فيئها * ﴿قوله من حيث انهم منتسبون الى اصل واحد هو الايمان الموجب للحياة الابدية﴾ كما ان الاخوة من النسب منتسبون الى اصل واحد هو الاب الموجب للحياة الفانية وقوله الموجب للحياة الابدية اشارة الى ان اخوة الاسلام اقوى من اخوة النسب بحيث لا يعتبر اخوة النسب اذا خلت عن اخوة الاسلام الا ترى انه اذا مات المسلم وله اخ كافر يكون ماله للمسلمين لا لاخيه الكافر وكذا اذا مات الاخ الكافر وذلك لان الجامع الفاسد لا يفيد الاخوة وانما المعتبر الاصل الشرعي الا ترى ان ولدي الزنى من رجل واحد لا يتوارثان وهذا المعنى يستفاد من الايمان وانما للحصر فكأنه لا اخوة الا بين المؤمنين فلا اخوة بين المؤمن والكافر ﴿قوله وقرئ بين اخوتكم﴾ فان اخوة جمع اخ وكذلك الاخوان قال بعض اهل اللغة الاخوة جمع الاخ من النسب والاخوان جمع الاخ من الصداقة ويقع احدهما موقع الآخر ﴿قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم﴾ وجه اتصاله بما قبله ان هذه السورة الكريمة فيها ارشاد المؤمنين الى مكارم الاخلاق وهي اما مع الله تعالى او مع رسوله او مع غيرهما من ابناء جنسهم وهم على صنفين اما من اهل الايمان والطاعة او من اهل الفسق والمعصية والمؤمن المطيع اما حاضر عندهم او غائب عنهم فهذه خمسة اقسام احدها متعلق بجانب الله تعالى وثانيها بجانب رسوله وثالثها بجانب الفساق ورابعها بالمؤمن الحاضر وخامسها بالمؤمن الغائب فذكر الله تعالى في هذه السورة خمس مراتب بقوله يا ايها الذين آمنوا وارشدهم في كل مرة الى مكرمة هي قسم من الاقسام الخمسة فقال اولا يا ايها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله وذكر الرسول لبيان ان طاعته طاعة الله تعالى لانها لا تعلم الا بقول الرسول وقال ثانيا يا ايها الذين آمنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي لبيان احترامه عليه الصلاة والسلام وقال ثالثا يا ايها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ لبيان وجوب الاحتراز عن الاعتماد على قول الفاسق بناء على انه يريد القاء الفتنة

(واقسطوا) واعدلوا في كل الامور (ان الله يحب المقسطين) يحمد فعلهم بحسن الجزاء والآية نزلت في قتال حدث بين الاوس والخزرج في عهده عليه الصلاة والسلام بالسعف والنعال وهي تدل على ان الباغي مؤمن وانه اذا قبض عن الحرب ترك كما جاء في الحديث لانه فاء الى امر الله وانه يجب معاونة من بغي عليه بعد تقديم النصح والسعي في المصالحة (انما المؤمنون اخوة) من حيث انهم منتسبون الى اصل واحد هو الايمان الموجب للحياة الابدية وهو تعليل وتقرير للامر بالاصلاح ولذلك كرره مرتبا عليه بالفاء فقال (فاصلحوا بين اخويكم) ووضع الظاهر موضع الضمير مضافا الى المأمورين للمبالغة في التقرير والتحضيض وخص الاثنين بالذكر لانهما اقل من يقع بينهم الشقاق وقيل المراد بالاخوين الاوس والخزرج وقرئ بين اخوتكم واخوانكم (واتقوا الله) في مخالفة حكمه والاهمال فيه (لعلكم ترحمون) على تقواكم (يا ايها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى ان يكن خيرا منهن) اي لا يسخر بعض المؤمنين والمؤمنات من بعض اذ قد يكون المسخور منه خيرا عند الله من الساخر

والقوم مختص بالرجال لانه اما مصدر نعت به فشاع في الجمع او جمع لقائم كزآئر وزور والقيام بالامور وظيفة الرجال كما قال تعالى الرجال قوّامون على النساء وحيث فسر بالقبيلين كقوم فرعون وعاد فاما على التغليب او الاكتفاء بذكر الرجال عن ذكر هنّ لانهنّ توابع واختيار الجمع لان السخرية تغلب في المجامع

بينكم وقال رابعا ياايها الذين آمنوا لايسخر قوم من قوم وقال ولاتنابزوا بالالقاب لبيان وجوب ترك ايذآء المؤمنين في حضورهم بالتحقير والتنقيص وقال خامسا ياايها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن وقال ولاتجسسوا ولايغتب بعضكم بعضا لبيان وجوب الاحتراز عن اهانة جانب المؤمن في حال غيبته بذكر مالو ذكر في حضوره لتأذى به وهو ترتيب حسن حيث قدم الاهم على ماهو دونه فذكر جانب الله تعالى ثم جانب رسوله ثم ذكر مايفضي الى اقتتال طوآئف المسلمين بسبب الاصغاء الى كلام الفاسق والاعتماد عليه واما المؤمن الحاضر او الغائب فانه لايؤذى المؤمن الى حدّ يفضي الى حدّ التقاتل وهجران القتال ذكر في هذه الآية امورا ثلاثة مرتبة بعضها دون بعض وهي السخرية واللمز والنبز فالسخرية ان يحقر الانسان اخاه ويستخفه ويسقطه عن درجته ويعدّه ممن لايلتفت اليه واللمز ان يذكره في غيبته بما فيه من العيب وهذا دون الاوّل لان الساخر لايلتفت الى المسخور منه ولايعده شيأ ولايرضى ان يجريه على لسانه فضلا عن ان ينسب اليه شيأ من المعايب بل ينزله منزلة المحقرة الساقطة من درجة الاعتبار بالكلية بخلاف اللامز فانه يلتفت الى من يلمزه ويجعل فيه شيأ فيعيبه به والنبز ان يدعو الانسان احدا باللقب السوء وهو دون الثاني لان النبز بمجرّد التسمية لايقتضي وجود معناه اللغوي في المسمى كالاسماء الحسنة مثل سعيد ومحمود والالقاب المادحة مثل محيي الدين وشمس الدين بخلاف اللمز فان اللامز يضيف الى من يلمزه وصفا ثابتا فيه يوجب نقصه وحط منزلته وليس نسبة مجرّدة كانه قيل لاتتكبروا فتستحقروا اخوانكم بحيث لاتلتفتون اليهم اصلا وان عن هذا فلاتعيبوهم طالبين درجتهم واذا لم تعيبوهم ولم تضيفوا اليهم مايسوءهم فلا تسموهم بما يكرهونه ﴿ قوله لانه اما مصدر نعت به ﴾ المشهور في مصدر قام لفظ القيام يقال قام الرجل قياما وان القوم اسم جمع لاواحد له من لفظه مثل رهط ونفر الا انه يحتمل ان يكون ايضا مصدرا في الاصل بدليل قولهم قومة للمرّة من القيام وبدليل قول من قال اذا اكلت طعاما احببت نوما وكرهت قوما اى قياما فينبغي ان يجوز رجل قوم ورجال قوم الا انه غلب في ان يوصف به الجمع وحينئذ يكون اطلاقه على جماعة الرجال من قبيل توصيفهم بالمصدر مبالغة مثل رجال عدل فان المصدر لكونه اسم جنس يصح اطلاقه على الكثير من آحاده ثم توصف الجماعة الموصوفة بذلك الجنس بالمصدر الذي اطلق على الكثير من آحاده ويحتمل ان يكون جمعا لقائم مثل ركب وصحب وزور في مثل راكب وصاحب وزآئر واختار الجوهري كونه اسم جمع حيث قال الرجال دون النساء لاواحد له من لفظه لان اهل العربية لم يجعلوا فعلا من ابنية التكسير الا الاخفش فالقوم سوآء كان مصدرا نعت به الجمع او كان جمع قائم يكون معناه في الآية لايسخر جمع قائمون ويكون الجمع القائمون مختصا بالرجال لان القيام بالامور وظيفة الرجال ﴿ قوله وحيث فسر بالقبيلين ﴾ جواب عما يقال كيف يختص القوم بالرجال مع انه مفسر بما يعم الرجال والنساء في نحو قوم نوح وقوم عاد وقوم فرعون لان قوم كل واحد من الانبياء والملوك يعم الرجال والنساء والآية صريح في اختصاصه بالرجال حيث عطف عليه قوله ولانساء وكذا قول زهير

و ماادري و سوف اخال ادري ۞ اقوم آل حصن ام نساء

حيث قابل القوم بالنساء ۞ وتقرير الجواب انالانسلم ان القوم في مثله يعم القبيلين بل لايتناول الا الرجال واكتفى بذكرهم عن ذكر النساء ولو سلم انه يعم القبيلين فتناوله اياهما على سبيل التغليب لابحسب المفهوم ﴿ قوله واختيار الجمع ﴾ جواب عما يقال المنهي عنه في الآية هو ان يسخر جماعة من احد القبيلين من جماعة اخرى من ذلك القبيل لان القوم اسم جمع لرجل والنساء اسم جمع لامرأة فيلزم ان لايحرم سخرية واحد واحد والا لم يكن لاختيار اسم الجمع في كل واحد من القبيلين فائدة ۞ وتقرير الجواب ان اختيار الجمع ليس للاحتراز عن سخرية الواحد بل لبيان الواقع لان السخرية وان كانت بين اثنين الا ان الغالب ان تقع بمحضر جماعة يرضون بها ويضحكون بسببها بدل ماوجب عليهم من النهي والانكار فيكونون شركاء الساخر في تحمل الوزر ويكونون بمنزلة الساخرين حكما فنهوا من ذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما نزلت الآية في ثابت بن قيس بن شماس كان في اذنه وقر فكان اذا اتى مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد سبقوه في المجلس اوسعوا له حتى يجلس الى جنبه عليه الصلاة والسلام ليسمع مايقول فاقبل ذات يوم وقد فاته ركعة من صلاة الفجر فلما انصرف النبي عليه الصلاة والسلام من الصلاة اخذ اصحابه مجالسهم وضنّ كل رجل بمجلسه فلا يكاد يوسع احد لاحد فكان الرجل اذا جاء لايجد مجلسا ويقوم على رجليه فلما فرغ ثابت من الصلاة اقبل نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخطى رقاب الناس وهو يقول تفسحوا تفسحوا

يجعلوا ينقصون له حتى اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبينه وبينه رجل فقال له تفسح فلم يفعل فقال من هذا فقال له الرجل انا فلان فقال بل انت ابن فلانة يريد امًّا له كان يعيرها في الجاهلية فخجل الرسول صلى عليه وسلم ونكس رأسه فأنزل الله تعالى هذه الآية وقيل نزلت في استهزآء المشركين بفقرآء المسلمين وسخريتهم منهم فنهى الله المؤمنين ان يتخلقوا به تأديبا لهم وروى ان قوله تعالى ولا نسآء من نسآء نزل في نسآء النبي صلى الله عليه وسلم عيرن ام سلمة بالقصر وقيل انها نزلت في صفية بنت حيي بن اخطب قال لها النسآء يهودية بنت يهوديين ﴿قوله وقرئ عسوا﴾ اسمه الواو وان مع الفعل خبره فان المتأخرين على ان عسى يرفع الاسم وينصب الخبر مثل كان وان مع الفعل المضارع بعد اسمه في مثل عسى زيد ان يخرج في محل النصب على انه خبر عسى استدلالا بقوله عسى الغوير أبؤسا * وقوله لا تلحنى انى عسيت صائما * اى لا تلمنى يقال لحيت الرجل الحاه لحيا اى لمته ونقل من سيبويه منع كون ان يفعل خبره بناء على ان الحدث لا يكون خبرا عن الجثة وان قوله ابؤسا وصائما مبنى على اجرآء عسى مجرى كان لتضمنه معنى كان واعتذر من جعله خبرا عن لزوم كون الحدث خبرا عن الجثة بتقدير المضاف اما في الاسم نحو عسى حال زيد ان يخرج او في الخبر نحو عسى زيد صاحب ان يخرج وقال الكوفيون ان مع الفعل في مثله في محل الرفع على انه بدل مما قبله بدل الاشتمال لان عسى بمعنى ترجى وتوقع فمعنى عسى زيد ان يقوم ترجى زيد قيامه وانما غلب فيه بدل الاشتمال لان فيه اجمالا وتفصيلا كما تقرر ذلك في بحث البدل وفي ابهام الشئ ثم تفسيره وقع عظيم لذلك الشئ في النفس واذا قلت عسى ان يخرج زيد يكون ان يخرج فاعل عسى وزيد فاعل يخرج فاكتفى باسمه عن خبره لاغنا الاسم عنه ومنه قوله تعالى عسى ان يكونوا خيرا منهم وعسى ان تكرهوا شيأ وهو خير لكم وهى لغة اهل الحجاز وعسى زيد ان يخرج لغة تميم وقرآءة العامة على لغة اهل الحجاز وقرآءة عسوا وعسين على لغة تميم ﴿قوله فان المؤمنين كنفس واحدة﴾ علة بجعل اللمز نفس اللامز فان المؤمنين اذا كانوا كنفس واحدة وكانت الافراد المنتشرة بمنزلة اعضاء تلك النفس يكون ما يصيب واحدا منهم كأنه يصيب الجميع كما اذا اشتكى عضو واحد من شخص اعترى سائر الاعضاء الحمى والسهر فاذا عاب مؤمن مؤمنا فكأنما عاب نفسه كقوله تعالى ولا تقتلوا انفسكم ﴿قوله فان فعل ما استحق به اللمز فقد لمز نفسه﴾ باعتبار كونه سببا للمز غيره اياه فقوله تعالى ولا تلمزوا انفسكم من قبيل الاسناد المجازى لان الاسناد بمعنى التعلق مطلقا وقرأ يعقوب ولا تلمزوا بضم الميم والنبز بفتح البآء اللقب مطلقا اى حسنا كان او قبيحا وخص في العرف بالقبيح وبسكون البآء مصدر نبزه بمعنى لقبه ويقال تنابزوا بالالقاب اذا لقب بعضهم بعضا والتلقيب ان يدعى الانسان بغير ما سمى به مما يكره المدعو ان يدعى به وهذا التخصيص عرفى ﴿قوله اى بئس الذكر المرتفع﴾ اى ليس المراد بالاسم ما يقابل الفعل والحرف بل المراد به ما يذكر به الشخص ويسمى مطلقا والمخصوص بالذم الفسوق وهو التنابز المنهى عنه ولما كان لفظ الاسم مأخوذا من سما يسمو سموا بمعنى ارتفع ارتفاعا كان متضمنا لمعنى الارتفاع والاشتهار فان كان المراد تهجين نسبة الكفر والفسوق الى المؤمنين وتلقيبهم بهما يكون المعنى ما اقبح ذكركم اخوانكم من المؤمنين بفسق كان فيهم بعدما تابوا عنه وآمنوا بان تقولوا لهم يا يهودى يا نصرانى انهم كانوا يتنابزون بنحو ذلك كما قيل لام المؤمنين صفية فعلى هذا تكون جملة فعل الذم متعلقة بقوله ولا تنابزوا علة للنهى عنه ويؤيد هذا المعنى ما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال التنابز بالالقاب ان يكون الرجل عمل السيئات ثم تاب عنها فنهى ان يعير بما سلف من عمله وان كان المراد به الدلالة على ان ارتكاب ما نهى عنه من السخرية واللمز والنبز فسق وان الجمع بين ارتكاب ذلك وبين الايمان قبيح يكون المعنى بئس الذكر المرتفع ان يرتفع ذكركم بالفسق بسبب ارتكابكم لشئ مما نهيتم عنه من السخرية واللمز والنبز بعد ان ذكرتم بالايمان واشتهرتم به وتكون الجملة حينئذ متعلقة بجميع ما تقدم من قوله لا يسخر قوم من قوم ولا تلمزوا ولا تنابزوا علة للنهى عن جميع ذلك ويكون تخصيص التنابز بالذكر في قوله او الدلالة على ان التنابز فسق لقربه ولقصد الاختصار مع عدم الالتباس في المراد من حيث ان التنابز انما يكون فسقا من حيث ارتكابه لما نهى عنه وهذه العلة متحققة في السخرية واللمز ايضا فيكون الجميع فسقا ﴿قوله وابهام الكثير ليحتاط في كل ظن﴾ وتوضيح المقام ان كثيرا لما بين بقوله من الظن كان عبارة عن الظن فكان المأمور باجتنابه بعض الظن الا انه علق الاجتناب بقوله كثيرا لبيان انه كثير في نفسه ولابدلنا من الفرق بين تعريف الظن الكثير وتنكيره فلو عرف فقيل اجتنبوا الظن الكثير يكون التعريف الاشارة الى ما يعرفه المخاطب بانه ظن كثير غير قليل ولو نكر يكون تنكيره للافراد والبعضية ويكون المأمور

وعسى باسمها استئناف بالعلة الموجبة للنهى ولا خبر لها لاغناء الاسم عنه وقرئ عسوا ان يكونوا وعسين ان يكن فهى على هذا ذات خبر (ولا تلمزوا انفسكم) اى ولا يعب بعضكم بعضا فان المؤمنين كنفس واحدة او لا تفعلوا ما تلمزون به فان من فعل ما استحق به اللمز فقد لمز نفسه واللمز الطعن باللسان وقرأ يعقوب بالضم (ولا تنابزوا بالالقاب) ولا يدع بعضكم بعضا بلقب السوء فان النبز مختص بلقب السوء عرفا (بئس الاسم الفسوق بعد الايمان) اى بئس الذكر المرتفع للمؤمنين ان يذكروا بالفسوق بعد دخولهم الايمان واشتهارهم به والمراد به اما تهجين نسبة الكفر والفسق الى المؤمنين خصوصا اذ روى ان الآية نزلت في صفية بنت حيي رضى الله عنها اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان النسآء يقلن لى يهودية بنت يهوديين فقال لها هلا قلت ان ابى هرون وعمى موسى وزوجى محمد او الدلالة على ان التنابز فسق والجمع بينه وبين الايمان مستقبح (ومن لم يتب) عما نهى عنه (فاولئك هم الظالمون) بوضع العصيان موضع الطاعة وتعريض النفس للعذاب (يا ايها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن) كونوا منه على جانب وابهام الكثير ليحتاط في كل ظن ويتأمل حتى يعلم انه من اى القبيل فان من الظن ما يجب اتباعه كالظن حيث لا قاطع فيه من العمليات وحسن الظن بالله وما يحرم كالظن في الالهيات والنبوات وحيث يخالفه قاطع وظن السوء بالمؤمنين وما يباح كالظن في الامور المعاشية

باجتنابه بعض افراد الظن الموصوف بالكثير من غير تعيينه اى بعض هو وفى التكليف على هذا الوجه فائدة جليلة
وهو ان يحتاط المكلف ولا يجترئ على ظن ما حتى يتبين عنده انه مما يصح اتباعه ويجب الاجتناب عنه ولو عرف
لكان المعنى اجتنبوا حقيقة الظن الموصوف بالكثرة او جميع افراده لاما قل منه وتحريم الظن المعرف تعريف
الجنس او الاستغراق لايؤدى الى احتياط المكلف لكون المحرم معينا فيجتنب عنه ولا يجتنب عن غيره وهو الظن
القليل سوآء كان ظن سوء او ظن صدق ومن المعلوم ان هذا المعنى غير مراد بخلاف ما اذا نكر الظن الموصوف
بالكثرة فانه حرم حينئذ اتباع الفرد المبهم من افراد تلك الحقيقة وتحريمه يؤدى الى احتياط المكلف الى ان يتبين
عنده ان ما يخطر بباله من الظن من اى نوع من انواعه ﴿ قوله تعليل مستأنف للامر ﴾ فان تنوين كثيرا لما كان
بمنزلة تنوين ظنا لكونه بيانا للظن وعبارة عنه كانت آية الامر بمنزلة ان يقال اجتنبوا بعض الظن وهو كثير فعلل
الامر بالاجتناب عنه بقوله ان بعض الظن اثم وهو ان يظن السوء بمن لايعلم منه فسق قيل نزلت الآية فى رجلين
اغتابا سلمان وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا غزا او سافر ضم الرجل المحتاج الى رجلين موسرين
يخدمهما ويقدم لهما المنزل ويهيئ لهما طعامهما وشرابهما وضم سلمان الفارسى الى رجلين فى بعض اسفاره فتقدم
سلمان الفارسى الى المنزل فغلبته عيناه فلم يهيئ شيأ فلما قدما قالا له ماصنعت شيأ قال لا غلبتنى عيناى قالا له انطلق
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطلب منه طعاما فجاء سلمان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسأله
طعاما فقال له عليه الصلاة والسلام انطلق الى اسامة بن زيد وقل له ان كان لديه فضل من طعام فليعطك وكان
اسامة خازن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى رحله فاتاه فقال ماعندى شئ فرجع سلمان اليهما فاخبرهما فقالا
كان عند اسامة ولكن بخل به فبعثا سلمان الى طائفة من الصحابة فلم يجد عندهم شيأ فلما رجع قالوا لو بعثناه الى
بئر سميحة لغار ماؤها ثم انطلقا يتجسسان هل عند اسامة ما امر لهما به رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما أتيا رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال لهما مالى ارى خضرة اللحم فى افواهكما قالا والله يارسول الله ماتناولنا يومنا هذا لحما
قال عليه الصلاة والسلام ظللتم تأكلون لحم اسامة وسلمان فانزل الله تعالى ياايها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن
قال سفيان الثورى الظن ظنان احدهما اثم وهو ان يظن ويتكلم به والآخر ليس باثم وهو ان يظن ولايتكلم به والمراد
بقوله تعالى ان بعض الظن اثم ما اعلنته وتكلمت به من الظن وعن الحسن كنا فى زمان الظن حرام فيه وانت اليوم
فى زمان اعمل واسكت وظن بالناس ماشئت ﴿ قوله والهمزة فيه بدل من الواو ﴾ قيل عليه كيف يكون الاثم
من الوثم مع ان كل واحد منهما من باب على حدة فان وثم يثم من باب ضرب واثم يأثم من باب علم * الجوهرى الاثم
الذنب والوثم الدق والكسر يقال وثم يثم وثما ضرب يضرب ضربا ﴿ قوله تفعل من الجس باعتبار مافيه من
معنى الطلب ﴾ فان جس الخبر طلبه والتفحص عنه فاذا نقل الى باب التفعل يحدث فيه معنى التكلف منضما الى
مافيه من معنى الطلب يقال جسست الاخبار اى تفحصت عنها واذا قيل تجسسها يريد معنى التكلف فان تفعل من
الجس وهو اللمس باليد ليعرف حال الشئ كالتلمس فى انه تحدث فيه معنى التكلف والطلب مرة بعد اخرى والعورة
سوأة الانسان وكل مايستحيى منه من العثرات والعيوب والجمع عورات بالتسكين ﴿ قوله ولذلك ﴾ اى ولكون
الجس غاية الجس يقال للحس جس تسمية للشئ باسم مبداه فيقال للحواس جواس ﴿ قوله تتبع الله عورته ﴾
من باب المشاكلة اى جازاه على عثراته كقوله كما تدين تدان فان الدين الجزآء والمعنى تجازى كما تفعل ﴿ قوله
تمثيل لما يناله المغتاب من عرض المغتاب ﴾ المغتاب الاول اسم فاعل والثانى اسم مفعول والتقدير مختلف كلفظة
المختار فاعلا ومفعولا شبه الاغتياب من حيث اشتماله على تناول عرض المغتاب باكل لحم الاخ ميتا وعبر بالهيئة
المشبه بها عن الهيئة المشبهة ولاشك ان الهيئة المشبه بها الحش جنس التناول والقصد فيكون التمثيل لتصوير
الاغتياب بافحش الصور مع مبالغات فى تقبيحه احداها الاستفهام المقرر اى الحامل للمخاطبين على ان يقروا
بان احدا منا لايحب ذلك الاكل الذى هو عبارة عن تناول عرض المغتاب فان الاستفهام التقريرى انما يحسن
اذا كان الحكم مسلما عند كل احد فيكون مبالغة فى تقبيح الاكل وكذا اسناد الفعل الى احد المتناول لكل احد
يحملهم على ان يقروا بان احدا من الآحاد لايحب اكله ففيه ايضا مبالغة فى تقبيح تناول العرض وكذا تعدية
فعل المحبة الى ماهو فى غاية الكراهة وكذا ماذكر بعده ﴿ قوله تعالى ميتا ﴾ منصوب على انه حال من المفعول
وهو اللحم واللحم المنفصل من الحى وصف بانه ميت لقوله عليه الصلاة والسلام * ما ابين من حى فهو ميت * ويحتمل

(ان بعض الظن اثم) تعليل مستأنف للامر
والاثم الذنب الذى يستحق العقوبة عليه
والهمزة فيه بدل من الواو كأنه يثم الاعمال اى
يكسرها (ولا تجسسوا) ولا تبحثوا عن
عورات المسلمين تفعل من الجس باعتبار مافيه
من معنى الطلب كالتلمس وقرئ بالحاء من الحس
الذى هو اثر الجس وغايته ولذلك قيل
للحواس الجواس وفى الحديث لاتتبعوا
عورات المسلمين فان من تتبع عورات المسلمين تتبع الله
عورته حتى يفضحه ولو فى جوف بيته
(ولا يغتب بعضكم بعضا) ولا يذكر بعضكم
بعضا بالسوء فى غيبته وسئل منه عليه الصلاة
والسلام عن الغيبة فقال ان تذكر اخاك
بما يكرهه فان كان فيه فقد اغتبته وان لم يكن
فيه فقد بهته (أيحب احدكم ان يأكل لحم اخيه
ميتا) تمثيل لما يناله المغتاب من عرض المغتاب
على افحش وجه مع مبالغات الاستفهام المقرر
واسناد الفعل الى احد للتعميم وتعليق المحبة
بما هو فى غاية الكراهة وتمثيل الاغتياب باكل
لحم الانسان وجعل المأكول اخا وميتا وتعقيب
ذلك بقوله (فكرهتموه) تقريرا وتحقيقا لذلك

(ان يكون)

والمعنى ان صح ذلك او عرض عليكم هذا فقد كرهتموه ولا يمكنكم انكار كراهته وانتصاب ميتا على الحال من اللحم او الاخ وشدده نافع (واتقوا الله ان الله تواب رحيم) لمن اتقى مانهى عنه وتاب مما فرط منه والمبالغة في التواب لانه بليغ في قبول التوبة اذ يجعل صاحبها كمن لم يذنب او لكثرة المتوب عليهم او لكثرة ذنوبهم روى ان رجلين من الصحابة بعثا سلمان رضى الله عنه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يبتغى لهما اداما وكان اسامة على طعامه فقال ما عندى شئ فاخبرهما سلمان فقالا لو بعثناه الى بئر سميحة لغار ماؤها فلما راحا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهما مالى ارى خضرة اللحم في افواهكما فقالا ماتناولنا لحما فقال انكما قد اغتبتما فنزلت (يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى) من آدم وحوآء عليهما السلام او خلقنا كل واحد منكم من اب وام فالكل سوآء في ذلك فلا وجه للتفاخر بالنسب ويجوز ان يكون تقريرا للاخوة المانعة عن الاغتياب (وجعلناكم شعوبا وقبائل) الشعب الجمع العظيم المنتسبون الى اصل واحد وهو يجمع القبائل والقبيلة تجمع العمائر والعمارة تجمع البطون والبطن يجمع الافخاذ والفخذ يجمع الفصائل فخزيمة شعب وكنانة قبيلة وقريش عمارة وقصى بطن وهاشم فخذ وعباس فصيلة وقيل الشعوب بطون العجم والقبائل بطون العرب (لتعارفوا) ليعرف بعضكم بعضا لا للتفاخر بالآباء والقبائل وقرئ لتعارفوا بالادغام ولتتعارفوا ولتعرفوا (ان اكرمكم عند الله اتقاكم) فان التقوى بها تكمل النفوس وتتفاضل الاشخاص فمن اراد شرفا فليلتمس منها كما قال عليه الصلاة والسلام من سره ان يكون اكرم الناس فليتق الله وقال عليه السلام يا ايها الناس انما الناس رجلان مؤمن تقى كريم على الله وفاجر شقى هين على الله (ان الله عليم) بكم (خبير) ببواطنكم (قالت الاعراب آمنا) نزلت في نفر من بنى اسد قدموا المدينة في سنة جدبة واظهروا الشهادتين وكانوا يقولون لرسول الله أتيناك بالاثقال والعيال ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان يريدون الصدقة ويمنون (قل لم تؤمنوا) اذ الايمان تصديق مع ثقة وطمأنينة قلب ولم يحصل لكم والا لما منتم على الرسول بالاسلام وترك المقاتلة كما دل عليه آخر السورة (ولكن قولوا اسلمنا) فان الاسلام انقياد ودخول في السلم واظهار الشهادتين وترك المحاربة يشعر به وكان نظم الكلام ان يقول لا تقولوا آمنا ولكن قولوا اسلمنا او لم تؤمنوا ولكن اسلمتم فعدل عنه الى هذا النظم احترازا من النهى عن القول بالايمان والجزم باسلامهم وقد فقد شرط اعتباره شرعا

ان يكون حالا من الاخ على رأى من يجوّز انتصاب الحال من المضاف اليه وفى ميتا اشارة الى دفع وهم وهو ان يقال الشتم في الوجه يؤلم فيحرم واما الاغتياب فلا اطلاع عليه للمغتاب فلا يؤلم فدفعه بان اكل لحم الاخ وهو ميت ايضا يؤلم ومع هذا هو في غاية القبح لكونه بمراحل من رعاية حق الاخوة ﴿قوله والمعنى ان صح ذلك او عرض عليكم هذا﴾ يعنى ان قوله فكرهتموه اما جواب شرط محذوف والمعنى انه ان صح وتقرر انه يتعين لكم الاقرار بان احدا منكم لا يحب اكل جيفة اخيه فقد تحققت كراهتكم له وتقذركم منه والمقصود من تحقق استكراههم وتقذرهم من المشبه به الترغيب والحث على استكراه ما شبه به وهو الغيبة كأنه قيل اذا تحققت كراهتكم له فليتحقق عندكم كراهة نظيره الذى هو الاغتياب او هو معطوف على محذوف قبله تقديره عرض عليكم هذا فكرهتموه اى يعرض عليكم هذا فكرهتموه فاستكرهوا ايضا نظيره ﴿قوله وشدده نافع﴾ ضمير وشدده لميت فان صاحب التيسير ذكر في سورة الانعام انه قرأ نافع او من كان ميتا وفى يس الارض الميتة وفى الحجرات لحم اخيه ميتا بتشديد الياء في المواضع الثلاثة والباقون باسكانها ولم يذكر خلافا وقوله تعالى واتقوا الله عطف على ما تقدم من الاوامر والنواهى اى واجتنبوا ولا تجسسوا ولا يغتب واتقوا الله ان الله تواب رحيم ختم كل واحدة من الآيتين بذكر التوبة فقال في الاولى ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون وقال ههنا ان الله تواب رحيم اى يقبل توبة من تاب ويرحم من انابه الاب ثم انه تعالى لما بين مكارم الاخلاق بالنسبة الى المؤمن الحاضر اوّلا وبالنسبة الى الغائب ثانيا نهى عامة المكلفين من التفاخر بالانساب فناداهم نداء عاما فقال يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى الآية يعنى انكم متساوون في النسب من حيث انكم من ابناء رجل واحد وامرأة واحدة وهما آدم وحوآء عليهما الصلاة والسلام او من حيث انكم جنس واحد بحسب تولدكم من الاب والام وافراد جنس واحد لا يتفاوت بعضها على بعض كثير تفاوت يعتد به فلا تتفاخروا بالآباء والاجداد ثم بين ان مدار الفضل والشرف ماهو فقال ان اكرمكم عند الله اتقاكم اى ليس لاحد فضل الا بالتقوى والشعوب جمع شعب بفتح الشين وهو اعلى طبقات الانساب فان طبقات النسب التى عليها العرب ست الشعب والقبيلة والعمارة والبطن والفخذ والفصيلة وكل واحدة مما ذكر من هذه الطبقات داخلة فيما قبلها كما ذكره المصنف ﴿قوله تعالى لتعارفوا﴾ اصله لتتعارفوا الجمهور على تخفيف احدى التاءين بحذفها وقرئ بادغام احدى التاءين في الاخرى واظهارهما والمعنى ان الحكمة التى من اجلها جعلكم على شعوب وقبائل هى ان يعرف بعضكم نسب بعض ولا ينسبه الى غير آبائه ولا لتعارفوا بحسب غير ذلك لا لان تتفاخروا بالآباء والاجداد والنسب وان كان يعتبر عرفا وشرعا حتى لا تزوّج الشريفة بالنبطى الا انه لا عبرة به عند ظهور ماهو اعظم قدرا منه واعز وهو الايمان والتقوى كما انه لا تظهر الكواكب عند طلوع الشمس فالفاسق وان كان قرشى النسب وقارونى النشب لا قدر له عند المؤمن التقى وان كان عبدا حبشيا والامور التى يفتخر بها في الدنيا وان كانت كثيرة لكن النسب اعلاها حيث انه ثابت مستمر غير مقدور التحصيل لمن ليس له ذلك بخلاف غيره كالمال مثلا فانه قد يحصل للفقير مال فيبطل افتخار المفتخر به وكذا الاولاد والبساتين ونحوها فلذلك خص الله تعالى النسب بالذكر وابطل اعتباره بالنسبة الى التقوى ليعلم منه بطلان اعتبار غيره بطريق الاولى ثم انه تعالى لما بين ان مناط الفضيلة والشرف هو التقوى وكان اصل التقوى هو الايمان والاتقاء من الشرك بين ان الايمان لا يكون باللسان وحده بل اصل الايمان هو العقد بالجنان فقال قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا فان الايمان هو التصديق بالجنان مع الثقة بحقيقة الصدق به وبصدق من اخبر ولم يحصل ذلك لكم ولكن قولوا اسلمنا اى استسلمنا وانقدنا واخلصنا ايجازهم ان يقولوا ذلك لقيام ما يدل عليه ويشعر به وهو اظهار الشهادتين وترك المحاربة ﴿قوله وكان نظم الكلام ان يقول لا تقولوا آمنا ولكن قولوا اسلمنا الخ﴾ وذلك لان لكن للاستدراك وهو يقتضى كلامين متغايرين بالنفى والاثبات او بان يكون احدهما لطلب الفعل والآخر لطلب تركه وذلك لا يتحقق بان تكون احدى الجملتين خبرية والاخرى امرية كما في هذه وانما يتحقق بان يكونا انشائيتين احداهما ناهية والاخرى آمرة بان يقول لا تقولوا آمنا ولكن قولوا اسلمنا او بان يكونا خبريتين اولاهما نافية للايمان وثانيتهما مثبتة للاسلام بان يقال لم تؤمنوا ولكن اسلمتم الا انه عدل في الآية الكريمة عن ايرادهما انشائيتين بان تكون الاولى ناهية احترازا من هجنة ان يقول النبى المبعوث للدعوة الى الايمان لا تقولوا آمنا وينهى عن القول بالايمان وهو لا يليق باحد فكيف بالنبى وعدل عن ان يقال لم تؤمنوا ولكن اسلمتم احترازا عن الجزم باسلامهم والاعتداد بقولهم الخالى من مواطأة القلب وهو غير مقبول

فى الشرح فان صاحبه ليس بمسلم بل هو منافق ولايخفى عليك ان هذا الكلام ليس فيه بيان وجه الاستدراك بل هو بيان لما فى التعبير على مقتضى الظاهر من المحذور وان ماعدل اليه من النظم خال من ذلك المحذور فالاولى ان يتعرض لتوجيه الاستدراك بان يقال قوله تعالى قل لم تؤمنوا فى قوة ان يقال قل لاتقولوا آمنا لان نفى الايمان عنهم فى مقام ادعائهم للايمان يتضمن النهى عن ادعائه فصح الاستدراك عنه بقوله ولكن قولوا اسلمنا حملا على المعنى كأنه قيل لم تؤمنوا فلاتكذبوا ولكن قولوا اسلمنا لتكونوا صادقين ﴿ قوله توقيت لقولوا ﴾ اشارة الى جواب مايقال من ان قوله ولما يدخل الايمان فى قلوبكم معناه نفى الايمان عنكم فهو بهذا الاعتبار تكرير لقوله لم تؤمنوا فما الفائدة فى هذا التكرير * وتقرير الجواب انه وان كان باعتبار اشتماله على نفى الايمان عنهم تكريرا للاول الا انه قد انضم اليه باعتبار كونه حالا من ضمير قولوا معنى آخر خرج به عن كونه تكرارا فان الاول تكذيب لهم فى دعواهم والثانى توقيت لما امروا به من القول اى قولوا اسلمنا مادمتم على هذه الصفة وهى ان لم يدخل الايمان فى قلوبكم بعد فان الواو فى ولما واو الحال وذو الحال الضمير فى قولوا فيد كونهم مأمورين بان يقولوا اسلمنا دون آمنا بحال عدم دخول الايمان فى قلوبهم اى قولوا اسلمنا مادمتم على هذه الصفة فظهر بهذا التقرير انه توقيت لقولوا ومعنى التوقع فى لما يدل على ان حصول الايمان فى قلوبهم متوقع سيحصل عند اطلاعهم على محاسن الاسلام فانهم قد آمنوا فيما بعد فان لما فى لفعل قد يتوقع ﴿ قوله وقرأ البصريان لايألتكم ﴾ بهمزة ساكنة بين الياء واللام من ألته حقه يألته من باب ضرب ونصر والسوسى يبدل الهمزة الفا على اصله والباقون يلتكم بغير همز من لاته يليته مثل باعه يبيعه وهما لغتان معناهما لاينقصكم فالاولى لغة غطفان واسد والثانية لغة الحجاز وقيل من ولته يلته كوعده يعده فالمحذوف من يلتكم على هذا فاء الكلمة وعلى كونها من لات عينها وهما بمعنى نقصه حقه * قال الامام معنى قوله لايلتكم انكم اذا اتيتم بمايليق بضعفكم من الحسنة المعروفة بالاخلاص وترك النفاق فهو تعالى يأتيكم بمايليق بفضله من الجزاء لاينقص منه نظرا الى مافى حسناتكم من النقصان والتقصير وهذا لان من حمل الى ملك فاكهة طيبة يكون ثمنها فى السوق درهما مثلا فاعطاه الملك درهما او دينارا انتسب الملك الى قلة العطاء بل الى البخل فليس معنى الآية انه يعطى من الجزاء مثل عملكم من غير نقص بل المعنى يعطى ماتتوقعونه باعمالكم من غير نقص ويؤيد ماقاله قوله تعالى عقيبه ان الله غفور رحيم ثم انه تعالى لما نفى الايمان عن الاعراب اشار الى مايوجب نفيه عنهم وبين لهم ان حقيقة الايمان ماهو وان ادعاءه ممن يصح فقال انما المؤمنون الآية ﴿ قوله اذا اوقعه فى الشك مع التهمة ﴾ اى اذا اوقعه فى الشك فيما صدقه وآمن به وفى الاتهام لمن صدقه على ان الشك بالنسبة الى الخبر به والتهمة بالنسبة الى من اخبر بذلك بان ينسب تهمة الكذب اليه بعدما صدقه واعترف بان ماقاله حق يعنى ان المؤمن انما يكون مؤمنا بالتصديق بان يبلغ ذلك التصديق درجة اليقين بحيث لايطرأ عليه الشك والاتهام بتشكيك المشكك فيما يستقبل من الزمان ﴿ قوله وثم للاشعار الخ ﴾ جواب عمايقال من ان عدم الارتياب لاينفك من الايمان لكونه داخلا فى مفهوم الايمان لما مر من ان الايمان تصديق مع ثقة وطمأنينة قلب فكيف جعل متراخيا عن الايمان فان ثم للتراخى * وتقرير الجواب ان قوله آمنوا افاد انهم صدقوا تصديقا خاليا عن الارتياب حال الايمان من حيث ان الخلو عنه يعتبر فى مفهوم الايمان وقوله ثم لم يرتابوا افاد أنهم لم يحدث لهم الارتياب فى كل زمان وان طال كما يحدث ذلك لمن ضعف يقينه فللاشعار بهذا المعنى عطف عدم الارتياب على الايمان بكلمة ثم فالتراخى زمانى ﴿ قوله فى طاعته ﴾ فانها هى السبيل المؤدى الى مرضاة الله تعالى وثوابه ﴿ قوله والمجاهدة بالاموال والانفس ﴾ يعنى ان المجاهدة بالاموال لاتختص بتقوية الغزاة بماعنده من المال بل تعم جميع العبادات المالية وكذا المجاهدة بالانفس لاتختص بالغزو بل تعم جميع العبادات البدنية ﴿ قوله تعالى هم الصادقون ﴾ قصر افراد وتكذيب لاعراب بنى اسد حيث اعتقدوا الشركة وزعموا انهم صادقون ايضا فى دعوى الايمان ﴿ قوله لما نزلت الآية المتقدمة ﴾ وهى قوله تعالى قالت الاعراب الى قوله اولئك هم الصادقون والمراد بهذه قوله تعالى قل أتعلمون الله بدينكم والاستفهام للتوبيخ والانكار اى لاتعرفوا الله بدينكم فانه عالم به لايخفى عليه شئ ﴿ قوله وهى النعمة التى لايستثيب موليها ممن يزلها ﴾ اى لايطلب الثواب وهو العوض ومموليها اى معطيها يقال ازلت اليه نعمة اى اعطيتها وفى الحديث من ازلت اليه نعمة فليشكرها وازلت اليه شيأ اى اعطيت ﴿ قوله من المن ﴾ المن فى الاصل القطع قال تعالى فلهم اجر غير ممنون اى مقطوع ثم نقل منه الى معنى الانعام والافضال على المحتاج لمجرد قطع حاجته اى مع قطع النظر عن ان يثيبه المحتاج

(ولما يدخل الايمان فى قلوبكم) توقيت لقولوا فانه حال من ضميره اى لكن قولوا اسلمنا ولم يواطئ قلوبكم ألسنتكم بعد (وان تطيعوا الله ورسوله) بالاخلاص وترك النفاق (لايلتكم من اعمالكم) لاينقصكم من اجورها (شيأ) من لات ليتا اذا نقص وقرأ البصريان لايألتكم من الألت وهو لغة غطفان (ان الله غفور) لما فرط من المطيعين (رحيم) بالتفضل عليهم (انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا) لم يشكوا من ارتاب مطاوع رابه اذا اوقعه فى الشك مع التهمة وفيه اشارة الى ما اوجب نفى الايمان عنهم وثم للاشعار بان اشتراط عدم الارتياب فى اعتبار الايمان ليس حال الايمان فقط بل فيه وفيما يستقبل فهى كما فى قوله ثم استقاموا (وجاهدوا باموالهم وانفسهم فى سبيل الله) فى طاعته والمجاهدة بالاموال والانفس تصلح للعبادات المالية والبدنية بأسرها (اولئك هم الصادقون) الذين صدقوا فى ادعاء الايمان (قل أتعلمون الله بدينكم) أتخبرونه بقولكم آمنا (والله يعلم ما فى السموات وما فى الارض والله بكل شئ عليم) لايخفى عليه خافية وهو تجهيل لهم وتوبيخ روى انه لما نزلت الآية المتقدمة جاؤا وحلفوا انهم مؤمنون معتقدون فنزلت هذه (يمنون عليك ان اسلموا) يعدون اسلامهم عليك منة وهى النعمة التى لايستثيب موليها ممن يزلها اليه من المن بمعنى القطع لان المقصود بها قطع حاجته وقيل النعمة الثقيلة من المن

اى يعوّضه شيئا لاشتماله على معنى القطع يقال من عليه منا اى انعم عليه و افضل من غير استثابة و طلب عوض ثم انه قد يطلق و يراد به عدّ المصنوع منة و انعاما و اعتبارا بشانه فيقال من عليه صنيعه اذا اعتدّه عليه و اعتبره منة و انعاما و قيل النعمة الثقيلة من المن و هو رطلان يقال من عليه منة اذا اثقله بالنعمة ﴿ قوله على مازعمتم ﴾ دفع لما يقال من ان قوله بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان ظاهره تسليم لايمانهم وهو ينافى قوله قل لم تؤمنوا ولما كان معناه حقيقة ومعنى قوله ان هداكم للايمان اى هداكم له على زعمكم اندفعت المنافاة مع ان المنافاة انما تحقق ان لو كانت الهداية مستلزمة للاهتدآء وليست كذلك لقوله تعالى و اما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى ﴿ قوله و فى سياق الآية لطف ﴾ جواب عما يقال قوله تعالى يمنون عليك ان اسلموا يقتضى بظاهره انهم سموا ما احدثوه اسلاما وهم ما كانوا يسمونه اسلاما بل يسمونه ايمانا لقوله تعالى قالت الاعراب آمنا ففى الكلام نوع من المنافاة ، فاجاب عنه بان فيه نوعا من المطافة و محصوله انه تعالى سمى ما صدر عنهم اسلاما لكونه اسلاما فى الحقيقة وان زعموا انه ايمان و سموه به و ادرج فى تقرير المطافة جواب ما دفعه بقوله آنفا على مازعمتم حيث قال بل لو صح ادعاؤهم الايمان فلله المنة عليهم بالهداية له لا لهم ﴿ قوله لما فى الآية من الغيبة ﴾ وهى فى قوله يمنون عليك ان اسلموا و قرأ الباقون بتاء الخطاب نظرا الى قوله قل لا تمنوا على اسلامكم الخ هذا آخر ما تيسر لى بفضل الله و سعة رحمته و احسانه من ايضاح خفاء ما تعلق بسورة الحجرات و الحمد لله اولا و آخرا و الصلاة و السلام على سيد الانبياء و المرسلين و على آله و اصحابه الطيبين الطاهرين و الحمد لله على الاتمام و الصلاة و السلام على خير الانام

﴿ سورة ق مكية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم وبه الاعانة والتوفيق ﴾

الحمد لله المنعم المنان و الصلاة و السلام على سيد من ارسل بهداية نوع الانسان و على آله و اصحابه الذين هم قادة اهل الايمان ، الى سبيل السعادة والرضوان ﴿ قوله الكلام فيه كما مر فى ص و القرآن ذى الذكر ﴾ اما من حيث القرآءة فالجمهور على اسكان القاف ، بناء على ان حروف التهجى اسماء لمسمياتها و الاصل فى الاسماء العارية عن العوامل الوقف على السكون و قرئ قاف بفتح الفاء و قاف بكسرها و كلاهما لالتقاء الساكنين وجه الفتح الاتباع لصورة الالف لانها منها و وجه الكسر كونه اصلا فى تحريك الساكن و لك ان تجعل المفتوح منصوبا باضمار الفعل ان جعلت قاف اسما للسورة كأنه قيل الزم قاف و عدم تنوينه لعدم صرفه باجتماع التأنيث و العلمية و ان جعلته مقسما به بناء على انه من اسماء الله تعالى او من اسماء القرآن او السورة او على انه تعالى لما اقسم بنحو التين و الزيتون اظهارا لشرفه كان اقسامه بالحروف التى هى مبانى الكلام الشريف الذى هو منبع كل خير و سعادة اولى فوجه نصبه اما حذف حرف القسم نسيا منسيا و ايصال فعله المحذوف اليه كما فى قولك الله لافعلن او اضمار حرف القسم و عدم جعله كالمنسى و فتح المقسم به فى موضع الجر لعدم انصرافه كقولك الله لافعلن بالجر و اما من حيث الاعراب فان كان قاف مذكورا على سبيل التحدى و التنبيه على الاعجاز كذكر حروف التهجى فى اوآئل السور تنبيهات قدمت امام المقروء ايقاظا للسامع حتى يقبل على استماع ما يرد عليه من الكلام الرآئق و المعنى الفائق فحينئذ لا يكون له محل من الاعراب بل يكون موقوفا على السكون و ان كان اسما للسورة و لم يجعل مقسما به فحينئذ يكون فى محل الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف اى هذه قاف او فى محل النصب بتقدير اقرأ و نحوه و ان جعل مقسما به فهو حينئذ اما مجرور على طريق الحذف و الايصال او مفتوح فى موضع الجر روى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال قاف جبل من زمردة خضرآء و روى من زبرجدة خضرآء محيط بالعالم و عليه اطراف السماء و منه خضرة السماء لانها مقببة عليه اى كالقبة عليه اقسم الله تعالى بذلك الجبل ، قال الامام وهذا ضعيف لانه لو كان كذلك لذكر حرف جواب القسم ليعلم كونه مقسما لان يقسم به كقوله الله لافعلن كذا و يكون استغناؤه مغنيا عن ذكر حرف القسم و لا يحسن ان يقال زيد افعلن كذا لانه لا يعلم كونه مقسما به الا بذكر حرف القسم و لانه لو كان كذلك لكان يكتب قاف مع الالف و الفاء كما يكتب عين جارية و يكتب أليس الله بكاف عبده و قد كتب فى جميع المصاحف حرفا واحدا ، ثم قال فان قيل انه منقول عن ابن عباس رضى الله عنهما قلنا المنقول عنه ان قاف اسم جبل و لا يلزم منه ان يكون المراد ههنا ذلك و قيل معنى ق قضى ما هو كائن كما قالوا فى حم حم الامر اى قدر و قيل هو اسم فاعل من قفا يقفو و معناه هذا قافى جميع الاشياء بالكشف و هذه السورة تقرأ فى صلاة العيد

(قل لا تمنوا على اسلامكم) اى باسلامكم فنصب بنزع الخافض او تضمين الفعل معنى الاعتداد (بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان) على مازعمتم مع ان الهداية لا تستلزم الاهتدآء و قرئ ان هداكم بالكسر و اذ هداكم (ان كنتم صادقين) فى ادعاء الايمان و جوابه محذوف يدل عليه ما قبله اى فلله المنة عليكم و فى سياق الآية لطف و هو انهم لما سموا ما صدر عنهم ايمانا و منوا به نفى انه ايمان و سماه اسلاما بان قال يمنون عليك بما هو فى الحقيقة اسلام و ليس بجدير ان يمن عليك بل لو صح ادعاؤهم الايمان فلله المنة عليهم بالهداية له لا لهم (ان الله يعلم غيب السموات و الارض) ما غاب فيهما (و الله بصير بما تعملون) فى سركم و علانيتكم فكيف يخفى عليه ما فى ضمائركم و قرأ ابن كثير بالياء لما فى الآية من الغيبة ، عن النبى عليه الصلاة و السلام من قرأ سورة الحجرات اعطى من الاجر بعدد من اطاع الله و عصاه

﴿ سورة ق مكية وهى خمس ﴾
﴿ و اربعون آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(ق و القرآن المجيد) الكلام فيه كما مر فى ص و القرآن ذى الذكر

والمجيد ذو المجد والشرف على سائر الكتب اولانه كلام المجيد اولان من علم معانيه وامتثل احكامه مجد (بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم) انكار لتعجبهم مما ليس بعجب وهو ان ينذرهم احد من جنسهم او من ابناء جلدتهم (فقال الكافرون هذا شئ عجيب) حكاية لتعجبهم وهذا اشارة الى اختيار الله محمدا للرسالة واضمار ذكرهم ثم اظهاره للاشعار بتعينهم لهذا المقال ثم التسجيل على كفرهم بذلك او عطف لتعجبهم من البعث على تعجبهم من البعثة والمبالغة فيه بوضع الظاهر موضع ضميرهم

لاشتمالها على قوله تعالى ذلك يوم الخروج وقوله كذلك الخروج وقوله حشر علينا يسير فان العيد يوم الزينة فينبغى ان لا ينسى الانسان فيه خروجه لعرصات الحساب ولا يكون فى ذلك اليوم فرحا ولا يرتكب فسقا ولا فجورا وقد كان الشيخ الناسك البارع ابن الوفا نوّر الله مرقده يقرأ هذه السورة الكريمة فى جميع خطبه * واعلم ان هذه السورة وسورة ص يشتركان فى افتتاح الكلام فى اوّلهما بالحرف المعجم والقسم بالقرآن بعده وقوله بعد القسم بل والتعجب ويشتركان ايضا فى ان اوّل السورتين وآخرهما متناسبان لانه تعالى قال فى اوّل ص والقرآن ذى الذكر وقال فى آخرها ان هو الا ذكر للعالمين وقال فى اوّل ق والقرآن المجيد وقال فى آخرها فذكر بالقرآن من يخاف وعيد فختمهما بما افتتحهما به وايضا صدرت العناية فى اوّل السورة من ص الى تقرير الاصل الاوّل وهو التوحيد بقوله تعالى أجعل الآلهة الها واحدا وصرفت العناية فى هذه السورة الى تقرير الاصل الآخر وهو الحشر والنبوّة بقوله تعالى أئذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد وقوله بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم واختلف فى جواب القسم ما هو فقيل محذوف يدل عليه أئذا متنا والتقدير والقرآن المجيد لتبعثن حذف الجواب اعتمادا على قرينة مقالية متأخرة عن القسم به وقيل التقدير ان محمدا رسول الله فحذف اعتمادا على دلالة قوله بعده بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم وقيل التقدير ما آمنوا به بل عجبوا دل عليه معنى قوله بل عجبوا وقيل التقدير والقرآن المجيد انه كلام معجز دل عليه التحدى بقوله ق والمضروب عنه ببل محذوف ايضا مثل ان يقال ما عجبوا مما هو عجب فى نفس الامر بل عجبوا مما ليس بعجب ونقل عن الراغب ان بل ههنا لتصحيح الاوّل وابطال الثانى اى ليس امتناعكم من الايمان بالقرآن لانه لا مجد له ولكن لجهلكم ونبه بقوله بل عجبوا على جهلهم لان التعجب من الشئ يقتضى الجهل بسببه ويستلزمه ﴿قوله والمجيد ذو المجد﴾ يعنى ان المجد الشرف وتوصيف القرآن بالمجيد اما على انه من باب النسب كتامر ولابن بمعنى ذى تمر ولبن والقرآن ذو شرف على سائر الكتب باعتبار ما فيه من العلوم والاعجاز او من قبيل وصف الكلام بوصف قائله او بوصف من علمه وعمل به وقيل المجد السعة فى الكرم والقرآن كثير الكرم لان من طلب منه مقصودا فيه وجده واستغنى ببيانه وارشاده ﴿قوله انكار تعجبهم مما ليس بعجب﴾ يعنى ان بل للاضراب وهو الاعراض من الكلام الاوّل والعدول الى ما هو أهم فلما كان ما بعد بل اهم كان منكرا بشهادة مقام التوبيخ فمعنى الانكار مستفاد من بل بمعونة المقام كأنه قيل انظر الى انهم يتعجبون وانهم يتعجبون مما ليس بعجب وقوله ان جاءهم اى من ان جاءهم ووجه الانكار ان حق من كان منهم ان يكون ناصحا لهم مشفقا عليهم بحذرهم والحذر منه غاية المخاوف ونهاية المحاذر وبقى الكلام فى ان المضرب عنه بكلمة بل ما هو والظاهر انه مضمون الجملة القسمية فانه تعالى لما اقسم بالقرآن المجيد على حقية البعث او على انه عليه الصلاة والسلام رسول مبعوث للانذار وانه يجب الايمان بكل واحد منهما اضرب عن الحكم المقسم به عليه الى توبيخ الكفار بالبعث والتعجب مما ليس بعجب فقال بل عجبوا ﴿قوله او من ابناء جلدتهم﴾ اى من القوم المختص بهم ذاته وولد فيهم ونشأ بينهم وتربى بين اظهرهم وفى الصحاح الجلدة اخص من الجلد انتهى فيكون عبارة عن مزيد التعلق وكمال الاتصال ﴿قوله او عطف تعجبهم من البعث﴾ اى عطف على قوله حكاية تعجبهم وقوله تعالى فقال الكافرون على التقديرين معطوف على قوله عجبوا الا انه على الاوّل من قبيل عطف تفصيل المجمل على المجمل كما فى قوله تعالى ونادى نوح ربه فقال فلا تكون الفاء العاطفة لتعقيب الزمانى بل للدلالة على ان ما بعدها كلام مرتب على ما قبلها فى الذكر لان تفصيل الشئ انما يصح بعد جرى ذكره وتكون كلمة هذا اشارة الى كونه عليه الصلاة والسلام منبئا بالرسالة والاختيار لها وعلى الثانى يكون من قبيل عطف احد المتغايرين على الآخر فيكون هذا اشارة الى المبهم الذى يفسره قوله أئذا متنا فعلى هذا يجوز ان تكون الفاء لتعقيب الزمانى لجواز ان يكون تعجبهم من البعث عقيب تعجبهم من البعثة ﴿قوله واضمار ذكرهم ثم اظهاره﴾ جواب عما يقال كان الظاهر ان يقال بل عجب الكافرون فقالوا فلم عكس ﴿قوله والمبالغة فيه﴾ مبتدأ وقوله لانه ادخل خبره وضمير فيه للتعجب من البعث فرّق بين التعجبين بكون الثانى ادخل فى الانكار واوفق به على ان ادخل لتفضيل المفعول مثل اشغل من ذات النحيين ثم بين كونه ادخل فيه بقوله اذ الاوّل وهو تعجبهم من البعثة فلما كان الثانى ادخل فى الانكار بولغ فيه بوضع الظاهر موضع ضميرهم وحكاية تعجبهم مجملا ومبهما وابهام التعجب واجماله مبنيان على ابهام المتعجب منه واجماله فان كانت الاشارة الى ما لم يذكر صريحا ولا دلالة وهو الرجع البعيد وهما او عادة لو امكانا يكون المتعجب

(منه)

منه مبهما فيكون التعجب ايضا مبهما وان كانت الاشارة الى المجمل المذكور دلالة وهو البعث المعبر عنه بعنوان مجمل وهو المنذر به المدلول عليه بقوله منذر يكون التعجب ايضا مجملا ﴿ قوله ثم تفسيره او تفصيله ﴾ مجرور بالعطف على حكاية تعجبهم مبهما او مجملا على طريق اللف والنشر ﴿ قوله اى أرجع ﴾ يريد ان ناصب الظرف محذوف لدلالة قوله ذلك رجع بعيد عليه اى ارجع احياء اذا متنا وصرنا ترابا و الاستفهام للانكار و الاستبعاد ﴿ قوله وقيل الرجع بمعنى المرجوع ﴾ وهو الجواب ويكون من كلام الله تعالى استبعادا لانكارهم ما انذروا به من البعث الجوهرى تقول ارسلت فلانا فى رجع رسالتى اى مرجوعها ويقال ماكان من مرجوع فلان عليك اى من مردوده وجوابه ويقال هل جاء رجعة كتابك اى جوابه فعلى هذا يحسن الوقف على قوله وكنا ترابا ويكون قوله ذلك رجع بعيد من كلام الله لا من تتمة كلام الكفرة فلا يصلح دليلا ويكون ذلك اشارة الى قولهم أئذا متنا اى قولهم هذا فى جواب من انذرهم بالبعث والجزآء جواب بعيد عن الصواب * فان قيل اذا كان الرجع بمعنى المرجوع وهو الجواب يكون من كلام الله تعالى لا من كلام القوم فما الدال على عامل الظرف الواقع فى كلامهم وما العامل فى الظرف حينئذ اجيب بان ناصب الظرف حينئذ ما دل عليه المنذر من المنذر به وهو البعث كأنه قيل انبعث اذا متنا بخلاف ما اذا كان مصدرا بمعنى البعث فانه حينئذ يصلح ان يكون دالا على عامل الظرف اذ كلاهما من كلام القوم ثم انه تعالى اخبر بعلمه ليستدل به على قدرته على ما يشاء من خلقه ابدآء واعادة فقال قد علمنا ما تنقص الارض منهم فان استبعاد البعث انما نشأ من استبعاد احاطة العلم بتفاصيل اجزآء كل واحد من الموتى وتمييز اجزآء كل واحد منهم عن اجزآء الآخرين فازال هذا المنشأ ببيان انه تعالى عالم بتفاصيل ذلك قادر على الجمع والتأليف فليس الرجوع منه ببعيد ﴿ قوله واللام محذوف لطول الكلام ﴾ كما فى قوله تعالى والشمس وضحاها الى قوله قد افلح من زكاها فانه قد تقرر فى النحو أن جواب القسم اذا كان جملة فعلية مثبتة فان كان فعلها ماضيا لزمها اللام فالاول لانكار تعجبهم من امر البعثة والبعث والثانى لانكار تكذيبهم بالحق فى اول وهلة من غير تفكر وتدبر فان تكذيب مثل هذا الامر العظيم ومن جاء به من غير تفكر فى غاية القباحة ولما ظرف زمان منصوب بكذبوا وقرئ لما جاءهم بكسر اللام الجارة الداخلة على ما المصدرية وهى لام التوقيت اى وقت مجيئه اياهم كما فى قولك كتبته لعشر مضين اى عندها ﴿ قوله اذا جرج ﴾ بالجيم والراء المهملة بين الجيمين من باب علم والجرج التقلق وجرج الخاتم فى اصبعى اى اضطرب من سعته والفاء فى قوله تعالى فهم فى امر مريج جزآئية للدلالة على انهم لما عدلوا عن الحق كان كل ما يقولونه ويميلون اليه باطلا لا دليل عليه فلا يمكنهم الاقامة عليه قال قتادة معناه من ترك الحق مرج عليه امره والتبس عليه دينه ثم ان القوم لما استبعدوا امر البعث والرجع ذكر الله تعالى ما يدلهم على قدرته على البعث من عظيم خلقه فقال أفلم ينظروا انكارا على تركهم النظر والاستدلال بما يدل على صحته دلالة ظاهرة واستبعادا لاستبعادهم اياه كأنه قيل اينكرون البعث فلا ينظرون الى آثار قدرته الباهرة ليحملهم ذلك على الاعتراف بصحته وقوله فوقهم حال من السماء وقيل الى السماء باعتبار تضمين النظر معنى الانتهاء ولم يقل فى السماء للدلالة على انه بمجرد انتهاء النظر اليها كاف فى ازالة استبعادهم فان النظر فى الشئ ينبئ عن التأمل واستقصاء النظر فيه بخلاف النظر اليه فانه لا ينبئ عنه وانما يدل على مجرد انتهاء النظر اليه ﴿ قوله وهما علتان للافعال المذكورة معنى ﴾ يعنى ان قوله تعالى تبصرة وذكرى تنازع فيهما الافعال المذكورة من بناء السماء وما يتفرع على بنائها ومد الارض وما يتفرع على مدها لكنهما انتصبا عن الفعل الاخير على رأى البصريين فى باب التنازع كأنه قيل انبتنا فيهما ليتبصر ويتذكر كل عبد منيب راجع الى ربه متفكر فى آثار قدرته الباهرة فيستدل به على ان البعث اهون شئ عليه وهما من حيث المعنى علتان لجميع ما تقدم اى فعلنا ذلك كله تبصيرا منا وتذكيرا لهم والفرق بين التبصرة والتذكرة هو ان فى الاول آيات مستمرة منصوبة فى مقابلة البصائر وفى الثانية آيات متجددة مذكرة عند التناسى ﴿ قوله وحب الزرع ﴾ اشارة الى انه من باب حذف الموصوف واقامة الصفة مقامه بناء على ان الحب لا يحصد وانما يحصد النبت الذى فيه الحب ﴿ قوله تعالى والنخل ﴾ منصوب بالعطف على مفعول انبتنا وباسقات حال مقدرة من النخل لانها وقت الانبات لم تكن طوالا والبسوق الطول يقال بسق فلان على اصحابه اى طال عليهم فى الفضل ويحتمل ان يكون باسقات بمعنى حوامل من ابسقت الشاة اذا حملت * الجوهرى ابسقت الشاة اذا حملت وابسقت الناقة اذا وقع فى ضرعها اللبأ قبل النتاج فهى مبسق ونوق مباسيق ﴿ قوله فيكون من أفعل فهو فاعل ﴾ كأنه

وحكاية تعجبهم مبهما ان كانت الاشارة الى مبهم يفسره ما بعده او مجملا ان كانت الاشارة الى محذوف دل عليه منذر ثم تفسيره او تفصيله لانه ادخل فى الانكار اذ الاول استبعاد لان يفضل عليهم مثلهم والثانى استقصار لقدرة الله عما هو اهون مما يشاهدون من صنعه (أئذا متنا وكنا ترابا) اى أرجع اذا متنا وصرنا ترابا ويدل على المحذوف قوله (ذلك رجع بعيد) اى بعيد عن الوهم او العادة او الامكان وقيل الرجع بمعنى المرجوع (قد علمنا ما تنقص الارض منهم) ما تأكل من اجسادهم بعد موتهم وهو رد لاستبعادهم بازاحة ما هو الاصل فيه وقيل انه جواب القسم واللام محذوف لطول الكلام (وعندنا كتاب حفيظ) حافظ لتفاصيل الاشياء كلها او محفوظ من التغيير والمراد اما تمثيل علمه بتفاصيل الاشياء بعلم من عنده كتاب محفوظ يطالعه او تأكيد لعلمه بها على ثبوتها فى اللوح المحفوظ عنده (بل كذبوا بالحق) يعنى النبوة الثابتة بالمعجزات او النبى او القرآن (لما جاءهم) وقرئ لما بالكسر (فهم فى امر مريج) مضطرب من مرج الخاتم فى اصبعه اذا جرج وذلك قولهم تارة انه شاعر وتارة انه ساحر وتارة انه كاهن (أفلم ينظروا) حين كفروا بالبعث (الى السماء فوقهم) الى آثار قدرة الله تعالى فى خلق العالم (كيف بنيناها) رفعناها بلا عمد (وزيناها) بالكواكب (وما لها من فروج) فتوق بان خلقناها ملساء متلاصقة الطباق (والارض مددناها) بسطناها (والقينا فيها رواسى) جبالا ثوابت (وانبتنا فيها من كل زوج) من كل صنف (بهيج) حسن (تبصرة وذكرى لكل عبد منيب) راجع الى ربه متفكر فى بدائع صنعه وهما علتان للافعال المذكورة معنى وان انتصبا عن الفعل الاخير (ونزلنا من السماء ماء مباركا) كثير المنافع (فانبتنا به جنات) اشجارا وثمارا (وحب الحصيد) وحب الزرع الذى من شأنه ان يحصد كالبر والشعير (والنخل باسقات) طوالا او حوامل من ابسقت الشاة اذا حملت فيكون من افعل فهو فاعل وافرادها بالذكر لفرط ارتفاعها وكثرة منافعها

اشارة الى مرجوحية الاحتمال الثاني لان الظاهر ان يقال مبسقات ﴿قوله وقرئ باصقات لاجل القاف﴾ وهي لغة بني العنبر يبدلون السين صادا قبل القاف والغين والخاء والطاء اذا وليتها او فصل بينهما بحرف او حرفين ﴿قوله تعالى لها طلع نضيد﴾ يجوز ان تكون الجملة حالا من النخل وان تكون حالا من الضمير المنوي في باسقات ونضيد اي منضود بعضه فوق بعض يقال نضدت متاعي اذا وضعت بعضه على بعض والمراد به اما كثرة الطلع وتراكمه او كثرة مافيه من الثمر ﴿قوله علة لانبتنا﴾ اى انبتناها رزقهم او مصدر لانبتنا لان فيه معنى رزقنا قال تعالى تبصرة وذكرى لكل عبد منيب فقيد العبد بكونه منيبا وجعل خلقها تبصرة لعباده المخلصين لان الاستبصار بخلقها يختص بهم وقال رزقا للعباد مطلقا لان الخلائق كلهم مرزوقون بما يترتب على انزال الماء المبارك ولا يختص الرزق بعبد دون عبد غير ان المنيب يأكل ذاكرا شاكرا للنعمة وغير المنيب يأكل كما تأكل الانعام ﴿قوله تعالى واحيينا به﴾ عطف على قوله فانبتنا حمل منكري البعث ومستبعديه بقولهم ذلك رجع بعيد على النظر الى آثار قدرة الله تعالى في هذا العالم وساق الكلام الى ان قال واحيينا به بلدة ميتا ورتب عليه قوله كذلك الخروج والكاف في كذلك في محل الرفع على الابتداء والخروج خبره او بالعكس ﴿قوله لانهم كانوا اصهاره﴾ من حيث ان لوطا تزوج منهم والاصهار اهل بيت المرأة وقيل ان لوطا عليه الصلاة والسلام كان مرسلا الى طائفة من قوم ابراهيم عليه الصلاة والسلام وهم معارف لوط والتنوين في قوله تعالى كل عوض عن المضاف اليه وهو اما اسم ظاهر مثل واحد او قوم او ضمير المذكورين اولا اى جميعهم كذب الرسل فان كان تقدير الكلام كل واحد منهم او كل قوم كذبوا الرسل فالظاهر ان اللام في الرسل لتعريف الجنس اى كل واحد منهم كذب جميع الرسل بناء على ان من كذب رسولا لكونه منكرا للرسالة والحشر رأسا يكون مكذبا لجميع الرسل وان كان تقدير الكلام كلهم كذبوا الرسل يجوز ان تكون اللام في الرسل لتعريف العهد والمعنى كل واحد منهم كذب رسوله وجميعهم كذبوا الرسل وان يكون لتعريف الجنس والمعنى كل واحد منهم كذب جميع الرسل قيل ان الرس بئر عند اليمامة كان عليها قوم كذبوا رسولهم حنظلة بن صفوان فاهلكهم الله تعالى وقيل ان الرس بئر القى فيها حبيب النجار صاحب يس لما جاء من اقصى المدينة يسعى ونصح قومه فكذبوه وقتلوه فاهلكهم الله تعالى بصيحة واحدة وثمود كذبت صالحا وعاد هودا واصحاب الايكة وهي الغيضة كذبوا شعيبا وقوم تبع قيل انهم قوم من حمير من اهل اليمن وتبع لقب ملكهم وكانوا يعبدون النار وكان تبع اعجبه غلمان من ذلك وكان يقربهم اليه ويكرمهم فاراد الغلمان ارشاده الى التوحيد والانقياد الى حكم كتابهم وكانوا من اهل التوراة من قوم موسى عليه الصلاة والسلام فاحتالوا لذلك حتى وصلوا الى مقصودهم فدعوه الى دينهم وكتابهم فقبله وتابعه ثم دعوا من على حاشيته وخاصته فقبلوه وفشا في الناس ذلك وقالوا ان الملك تزندق فاجتمعوا اليه وقالوا انا لا نرضى بكون ملكنا على خلاف ديننا فانزل من سريرك واترك الملك وان لم تفعل ذلك فادفع الينا هؤلاء الغلمان وكانت لهم نار في اسفل الجبل يتحاكمون اليها فتحرق الظالم فتحاكموا اليها فجاء المذكورون بالتوراة وجاء الحميريون باصنامهم فخرجت نار فاحرقت الحميريين ولم تحرق احدا من اصحاب التوراة ولما بين الله تعالى ان الرسل المتقدمين كذبوا وصبروا فاهلك الله تعالى مكذبيهم ونصرهم عليهم كان ذلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتهديدا لمكذبيه ثم انه تعالى لما ارشدهم الى الاستدلال بما شاهدوا من عجائب ابدآء صنيعه على قدرته على البعث والاعادة اكد وجه الاستدلال بقوله افعيينا بالخلق الاول بالهمزة الانكارية الداخلة على الفاء العاطفة لتفيد نفي العجز عن الخلق الاول بسبب اعترافهم المستلزم للقدرة على الاعادة كأنه قيل بعدما شاهدوا ما ذكرنا من الخلق الاول وعلموا انا ما عجزنا عنه ولما لم نعجز عنه كما علموا كيف نعجز الخلق الثاني ثم اضرب عن انكار عجزه عن الخلق الاول بناء على اعترافهم بذلك كما تقرر بذكر دلائل الآفاق على منكري البعث بقوله افلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها الى قوله كذلك الخروج شرع في تقرير دلائل الانفس فقال افعيينا بالخلق الاول كأنه قال لا حاجة الى ذلك اذ في انفسهم دليل على جواز ذلك ودخوله تحت قدرتنا ولما كان معنى الاستفهام النفي والانكار كان المعنى ما عجزنا عن الابدآء حتى نعجز عن الاعادة فنحن قادرون عليها ايضا ثم اضرب عن اقامة الدليل وحملهم على النظر والاستدلال الى بيان انهم ساقطون من درجة الاستدلال ومتوغلون في الاصرار على انكار الاعادة وتلك الحالة ليست من حيث انهم ينكرون الخلق الاول اذ هو بعيد عن العقل فان من لا ينكر الخلق الاول يلزمه الاعتراف بالثاني بطريق الاولى فاذا انكر الثاني مع الاعتراف بالاول كان

(ذلك)

وقرئ باصقات لاجل القاف (لها طلع نضيد) منضود بعضه فوق بعض والمراد تراكم الطلع او كثرة مافيه من الثمر (رزقا للعباد) علة لانبتنا او مصدر فان الانبات رزق (واحيينا به) بذلك الماء (بلدة ميتا) ارضا جدبة لانماء فيها (كذلك الخروج) كما حييت هذه البلدة يكون خروجكم احياء بعد موتكم (كذبت قبلهم قوم نوح واصحاب الرس وثمود وعاد وفرعون) اراد بفرعون اياه وقومه ليلائم ماقبله ومابعده (واخوان لوط) سماهم اخوانه لانهم كانوا اصهاره (واصحاب الايكة وقوم تبع) سبق في الحجر والدخان (كل كذب الرسل) اى كل واحد او قوم منهم او جميعهم وافراد الضمير لافراد لفظه (فحق وعيد) فوجب وحل عليه وعيدي وفيه تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم وتهديد لهم (أفعيينا بالخلق الاول) أفعجزنا عن الابدآء حتى نعجز عن الاعادة من عيي بالامر اذا لم يهتد لوجه عمله والهمزة فيه للانكار (بل هم في لبس من خلق جديد) اى هم لا ينكرون قدرتنا على الخلق الاول بل هم في خلط وشبهة في خلق مستأنف لما فيه من مخالفة العادة وتنكير الخلق الجديد لتعظيم شأنه والاشعار بانه على وجه غير متعارف ولا معتاد

ذلك من اللبس والحيرة وعدم التدبر فلهذا قال بل هم فى لبس من خلق جديد من حيث ان الشيطان لبس عليهم واوقعهم فى حيرة واشتباه بان وسوس اليهم ان احياء الاجساد البالية والعظام النخرة خارج عن الوهم والعادة والامكان فان من انكر الاعادة مع اعترافه بالابدآء لايكون انكاره لها الالاجل اللبس والحيرة وعدم الاهتدآء الى النظر والعبرة وعرّف الخلق الاوّل لانه يعرف به كل احد ونكر الثانى لتعظيم شأنه وللاشعار بانه من الامور العظام اى مما لاسبيل الى تعريفه والتعبير عنه بمايشير اليه بخصوصه وتنكير لبس ايضا للتعظيم كأنه قيل فى لبس اىّ لبس «قوله تعالى ونعلم» فى محل النصب على انه حال من فاعل خلقنا على تقدير ونحن نعلم ولايجوز ان يكون نعلم بنفسه اى من غير تقدير المبتدأ حالا لانه مضارع مثبت وهو لايقع موقع الحال الابالضمير وحده نحو جاءنى زيد يركب لابالواو وكذلك قوله ونحن اقرب اليه حال من فاعل نعلم فالآية بيان لكمال علمه «قوله ماتحدّثه به نفسه» اى بطريق الوسوسة والالقاء الخفىّ مبنى على ان تجعل ماموصولة وضمير تحدثه للانسان وضمير به لما الموصولة التى هى عبارة عمايخطر بالبال ولماعدّى تحدثه الى ضمير الانسان بنفسه عدّى الى ضمير المحدّث به بباء التعدية وان جاز ان يعدّى اليه بنفسه كما فى نطق به اى نطق اياه لحين مايعدّى اليه بالباء تكون صلة كما فى صوّت بكذا ونطق به ويجوز ان يجعل الانسان مع نفسه اى قلبه شخصين يجرى بينهما مكالمة ومحادثة تارة يكلمها هو كما يقال حدّث نفسه بكذا واخرى تحدثه هى كما يقال حدثته به نفسه فلو جعلت كلمة ما فى الآية موصولة لكان ضمير به عبارة عن الصوت الخفى الذى تصوّته نفس الانسان وقد تقرّر ان فعل الوسوسة يعدّى بنفسه فتكون الباء صلة وان جعلت كلمة مامصدرية يكون الضمير للانسان وتكون الباء لتعدية وسوسة النفس اليه لان الانسان ليس نفس الصوت الموسوس بل هو الموسوس اليه فان فعل الوسوسة يتعدّى الى الصوت الخفى بنفسه والى من يلقى اليه الحديث بواسطة الى والباء «قوله تجوز بقرب الذات لقرب العلم» لماتعذر ان يحمل قرب الذات ومعيته على اصل معناهما لاستحالتهما فى حقه تعالى تعين الذهاب الى المجاز فان قرب الذات ومعيته لما كانا سببين موجبين للعلم مستلزمين له صح ان يطلقا ويراد بهما العلم المسبب اللازم لهما فكان المعنى نحن اعلم بحاله ممن كان اقرب اليه من هذا العرق «قوله والحبل العرق» يعنى انه مستعار للعرق فان الحبل هو الرسن شبه العرق به فاطلق عليه اسم الحبل المشبه به والحبل بمعنى العرق لما كان اسم جنس يتناول العروق كلها اضيف الى الوريد الذى هو نوع من انواعه اضافة بيانية على طريق اضافة العام الى الخاص للبيان كما فى خاتم فضة ويحتمل ان يكون حبل الوريد من قبيل لجين الماء فى كونه من قبيل اضافة المشبه به الى المشبه اى وريد كالحبل والوريد ان عرقان مكتنفان لصفحتى العنق فى مقدّمه متصلان بالوتين يردان من الرأس اليه والوتين عرق فى القلب اذا انقطع مات صاحبه «قوله اى يتلقى» يعنى يأخذ يقال لقنت الكلام بالكسر اى فهمته وتلقنته اى اخذته والتلقين كالتفهيم «قوله وفيه ايذان الخ» وجه الايذان انه تعالى لماكان اقرب اليه من حبل الوريد المخالط لاجزآئه الداخل فى اعضائه لزم ان يكون اعلم بحاله بالنسبة الى الملك المتخطى عنه القعيد عن يمينه وشماله ومن كان علمه بهذه المثابة كيف لايستغنى عن استحفاظ الملكين «قوله ما فيه من تشديد تثبيط العبد عن المعصية» اى تقوية اشتغاله عنها يقال ثبطه عن الامر تثبيطا اى شغله عنه «قوله اى عن اليمين قعيد» يعنى ان قوله قعيد مبتدأ ومن الشمال خبره وحذف المبتدأ من الاوّل لدلالة الثانى عليه كما حذف خبران فى الجملة المعطوف عليها لدلالة ما ذكر فى الجملة المعطوفة فى قوله

* ومن يك امسى بالمدينة رحله * فانى وقيار بها لغريب *

اى فانى بها لغريب وقيار كذلك ومنه قوله

* رمانى بامر كنت منه ووالدى * بريئا ومن اجل الطوىّ رمانى *

اى كنت منه بريئا وكان والدى منه بريئا وقيل لاحذف فى الكلام لان فعيلا يصلح للواحد والاثنين والجماعة كقوله تعالى والملائكة بعد ذلك ظهير قال مجاهد عن اليمين كاتب الحسنات وعن الشمال كاتب السيئات «قوله ولعله يكتب» اختلف فيما يكتبان قيل يكتبان كل شئ حتى انينه فى مرضه وقيل لايكتبان الامايؤجر عليه او يأثم به وروى عنه عليه الصلاة والسلام ان صاحب الشمال يرفع القلم ست ساعات عن العبد المسلم المخطئ فان ندم واستغفر الله منها ألقاها والاكتب واحدة وعنه عليه الصلاة والسلام انه قال * صاحب اليمين أمير

(ولقد خلقنا الانسان ونعلم ماتوسوس به نفسه) ماتحدثه به نفسه وهو مايخطر بالبال والوسوسة الصوت الخفىّ ومنها وسواس الحلى والضمير لما ان جعلت موصولة والباء مثلها فى صوّت بكذا او للانسان ان جعلت مصدرية والباء للتعدية (ونحن اقرب اليه من حبل الوريد) اى ونحن اعلم بحاله ممن كان اقرب اليه من حبل الوريد تجوّز بقرب الذات لقرب العلم لانه موجبه وحبل الوريد مثل فى القرب قال * والموت ادنى لى من الوريد * والحبل العرق واضافته للبيان والوريدان عرقان مكتنفان لصفحتى العنق فى مقدّمه متصلان بالوتين يردان من الرأس اليه وقيل سمى وريدا لان الروح ترده (اذ يتلقى المتلقيان) مقدر باذكر او متعلق باقرب اى هو اعلم بحاله من كل قريب حين يتلقى اى يتلقن الحفيظان مايتلفظ به وفيه ايذان بانه غنى عن استحفاظ الملكين فانه اعلم منهما ومطلع على مايخفى عليهما لكنه لحكمة اقتضته وهى مافيه من تشديد تثبيط العبد عن المعصية وتأكيد فى اعتبار الاعمال وضبطها للجزآء والزام للحجة يوم يقوم الاشهاد (عن اليمين وعن الشمال قعيد) اى عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد اى مقاعد كجليس فحذف الاوّل لدلالة الثانى عليه كقوله * وانى وقيار بها لغريب * وقيل يطلق الفعيل للواحد والمتعدد كقوله تعالى والملائكة بعد ذلك ظهير (مايلفظ من قول) مايرمى به من فيه (الالديه رقيب) ملك يرقب عمله (عتيد) معدّ حاضر ولعله يكتب عليه مافيه ثواب او عقاب وفى الحديث كاتب الحسنات امير على كاتب السيئات فاذا عمل حسنة كتبها ملك اليمين عشرا واذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال دعه سبع ساعات لعله يسبح او يستغفر

(وجاءت سكرة الموت بالحق) لما ذكر استبعادهم البعث للجزآء وازاح ذلك بتحقيق قدرته وعلمه اعلمهم بانهم يلاقون ذلك عن قريب عند الموت وقيام الساعة ونبه على اقترابه بان عبر عنه بلفظ الماضي وسكرة الموت شدته الذاهبة بالعقل والباء للتعدية كما فى قولك جاء زيد بعمرو والمعنى واحضرت سكرة الموت حقيقة الامر او الموعود الحق او الحق الذى ينبغى ان يكون من الموت او الجزآء فان الانسان خلق له او مثل الباء فى تنبت بالدهن وقرئ سكرة الحق بالموت على انها لشدتها اقتضت الزهوق او لاستعقابها له كأنها جاءت به او على ان الباء بمعنى مع وقيل سكرة الحق سكرة الله واضافتها اليه للتهويل وقرئ سكرات الموت (ذلك) اى الموت (ما كنت منه تحيد) تميل وتفر عنه والخطاب للانسان (ونفخ فى الصور) يعنى نفخة البعث (ذلك يوم الوعيد) اى وقت ذلك يوم تحقق الوعيد وانجازه والاشارة الى مصدر نفخ (وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد) ملكان احدهما يسوقه والآخر يشهد بعمله او ملك جامع للوصفين وقيل السائق كاتب السيئات والشهيد كاتب الحسنات وقيل السائق نفسه او قرينه والشهيد جوارحه او اعماله ومحل معها النصب على الحال من كل لاضافته الى ما هو فى حكم المعرفة (لقد كنت فى غفلة من هذا) على اضمار القول والخطاب لكل نفس اذ ما من احد الا وله اشتغال ما من الآخرة او للكافر (فكشفنا عنك غطاءك) الغطاء الحاجب لامور المعاد وهو الغفلة والانهماك فى المحسوسات والالف بها وقصور النظر عليها (فبصرك اليوم حديد) نافذ لزوال المانع للابصار وقيل الخطاب للنبى والمعنى كنت فى غفلة من امر الديانة فكشفنا عنك غطاء الغفلة بالوحى وتعليم القرآن فبصرك اليوم حديد ترى ما لا يرون وتعلم ما لا يعلمون ويؤيد الاول قرآءة من كسر التاء والكافات على خطاب النفس (وقال قرينه) قال الملك الموكل عليه (هذا ما لدى عتيد) هذا ما هو مكتوب عندى حاضر لدى او الشيطان الذى قيض له هذا ما عندى وفى ملكتى عتيد لجهنم هيأته لها باغوائى واضلالى وما ان جعلت موصوفة فعتيد صفتها وان جعلت موصولة فبدلها او خبر بعد خبر او خبر محذوف

على صاحب الشمال فاذا عمل حسنة كتبها صاحب اليمين بعشر امثالها واذا عمل سيئة فاراد صاحب الشمال ان يكتبها قال له صاحب اليمين امسك فيمسك عليه سبع ساعات فان استغفر الله منها لم يكتب عليه شيأ وان لم يستغفر كتب عليه سيئة واحدة » وعن ثابت البنانى عن انس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان الله تعالى وكل بعبده ملكين يكتبان عليه فاذا مات قالا يارب قد قبضت عبدك فلانا قال تعالى سمائى مملوءة من ملائكتى يعبدوننى وارضى مملوءة من خلق يطيعوننى اذهبا الى قبر عبدى فسبحانى وكبرانى واكتبا ذلك فى حسنات عبدى الى يوم القيامة » ﴿ قوله الذاهبة بالعقل ﴾ اشارة الى وجه استعارة السكرة لشدة الموت وهو مشابهتها لسكرة الشراب فى كونها سببا لذهاب العقل والمراد بالحق الذى احضرته سكرة الموت اما حقيقة الامر الذى نطق به كتاب الله تعالى واخبر به رسله انه كائن وهو سعادة الميت او شقاوته او الموعد الحق من البعث وما يترتب عليه فالحق على هذا ما قابل الباطل وعلى الاول مصدر بمعنى التحقق او الحق الذى ينبغى ان يكون من الموت والجزآء فان كلا منهما حق ثابت وهذه الوجوه على تقدير ان تكون الباء فى بالحق للتعدية وان كانت للملابسة يكون الحق ايضا اما بمعنى حقيقة الامر وجلية الحال او بمعنى الحكمة والغرض الصحيح اى جاءت ملابسة باحدهما على انه صفة مشبهة ثابتة وعبر فاخلق له الانسان من الموت والجزآء بالحق لكونه مما ينبغى له ﴿ قوله او مثل الباء فى تنبت بالدهن ﴾ فانها للصاحبة اى تنبت ومعها الدهن او ملتبسة بالدهن فالحق على هذا يجوز ان يكون بمعنى حقيقة الامر او بمعنى الموعود الحق او بمعنى ما ينبغى ان يكون اى جاءت ملتبسة بالحق باحد هذه المعانى ﴿ قوله وقرئ سكرة الحق بالموت ﴾ باضافة السكرة الى الحق للبيان لانها كائنة لا محالة كتبها الله تعالى على الانسان واوجبها له والباء فى هذه القرآءة للتعدية لانها لشدتها سبب زهوق الروح وبطلان القوى والبنية فتكون كأنها جاءت به او لان الموت يعقبها فشبهت بالجائى به ويجوز ان تكون بمعنى جاءت ومعها الموت اى جاءت ملتبسة به ﴿ قوله والخطاب للانسان ﴾ اى المذكور فى قوله ولقد خلقنا الانسان فيكون التفاتا من الغيبة الى الخطاب ويجوز ان يكون الكلام محكيا بالقول المضمر اى يقال له ذلك الموت ما كنت منه تحيد ﴿ قوله اى وقت ذلك النفخ ﴾ قدر الوقت المضاف لان ذلك اشارة الى مصدر نفخ وقد اخبر عن النفخ بانه يوم الوعيد فلو لم يقدر الوقت كان المعنى ذلك النفخ يوم الوعيد والنفخ ليس بزمان فلا يحكم عليه بالزمان فلذلك قدر المضاف ﴿ قوله ملكان احدهما يسوقه ﴾ اى يسوقه الى الموقف ومنه الى مقعده من الجنة او النار والشهيد هو الكاتب الذى يشهد عليها بما عملت والسائق لازم للبر والفاجر اما البر فيساق الى الجنة واما الفاجر فيساق الى النار ﴿ قوله او ملك جامع للوصفين ﴾ فيكون العطف من قبيل عطف الصفة على الصفة وعلى الاول من عطف الذات على الذات ﴿ قوله وقيل السائق نفسه ﴾ تشبيها لها بالسائق له من حيث جدّه فى المجئ اى جاءت مجدّة ساعية فكأنه قيل انها تسوق نفسها وسمى قرينه من الشيطان سائقا لانه يتبعه الى المحشر كالسائق الذى يتبع من يسوقه ﴿ قوله لاضافته الى ما هو فى حكم المعرفة ﴾ فان الحال من النكرة المحضة يجب تقدمها على ذى الحال وبين صاحب الكشف كون نفس فى حكم المعرفة بقوله لان كل نفس فى معنى كل النفوس انتهى كلامه فلو قيل جاءت النفوس كلها لتأخرت الحال عنها لكون ذى الحال معرفة فجاز تأخرها وكذلك اذا كان ذو الحال فى حكم المعرفة ويجوز ان يقال كل نفس تخصص بالعموم تخصص الأحد فى مثل ما احد خير منك لانه بالعموم يكون المعنى كل فرد فرد اى كل واحد غير معين الذى هو مدلول النكرة وهو الوجه فى تخصيص النكرة بالعموم ويحتمل ان يكون جملة معها سائق وشهيد فى محل الجر على انها صفة لنفس او فى محل الرفع على انها صفة لكل ﴿ قوله على اضمار القول ﴾ اى يقال له لقد كنت فى غفلة والقول المقدر اما صفة لكل نفس او حال والمعنى لقد كنت فى غفلة من هذا اليوم ومما فيه وانت فى الدنيا فكشفنا عنك غطاءك الذى كان فى الدنيا على قلبك وسمعك وبصرك فبصرك اليوم حديد نافذ تبصر به ما كنت تنكره فى الدنيا ﴿ قوله والكافات ﴾ بكسر التاء منصوب بالعطف على التاء المخاطب المذكر ﴿ قوله قال الملك الموكل عليه ﴾ جواب لما عسى ان يقال الظاهر ان الخطابات السابقة لكل نفس من النفوس المؤمنة والكافرة وقد تقرر ان النفوس المؤمنة لها قرينان احدهما يكتب حسناتها والآخر يكتب سيئاتها فلم افرد القرين فى قوله وقال قرينه » وتقرير الجواب ان افراد القرين بناء على ان المراد به الجنس ولو جعل الخطابات السابقة

(للكافر)

للكافر لكان وجه المراد القرين ظاهرا لان قرين الكافر كاتب سيئاته وليس له كاتب حسنات فالقرين سوآء اريد به الجليس او كاتب السيئات يكون قوله هذا اشارة الى ديوان عمله ويكون المعنى هذا ماهو مكتوب عندي حاضر لدى ولفظ هذا فى هذا التركيب مبتدأ وما اماموصولة بمعنى الذى وقوله هو مكتوب عندي صلتها والموصول مع صلته خبر هذا وقوله حاضر لدى خبر بعد خبر او موصوفة بمعنى شئ وقوله هو مكتوب عندي صفتها والموصوف مع صفته خبر المبتدأ وحاضر لدى خبر آخر وان كان المراد بقرينه الشيطان المقيض له لاغوآئه كما يدل عليه قوله فيما بعد قال قرينه ربنا ما اطغيته يكون هذا اشارة الى العاصى ويكون عتيد بمعنى مهيئ لجهنم ويكون المعنى ان الشيطان يقول هذا العاصى الذى هو عندى او شئ هو عندى عتيد لجهنم مهيئ لها اعددته لها بالاغوآء والاضلال ﴿ قوله او لواحد ﴾ وهو مالك خازن النار ولما كان تثنية ضمير ألقيا منافيا لكون الخطاب لواحد ذكر لتثنية وجهين احدهما الدلالة على ان تكرير الفعل للتأكيد كأنه قيل الق الق ولما لم يكن سبيل الى تثنية الفعل نزلت تثنية الفاعل منزلة تثنية الفعل وتكريره والوجه فى كون تثنية الفاعل دليلا على تكرير الفعل انه لاتثنى الفاعل مع كونه واحدا فى نفس الامر علم ان اصله الق الق ثم حذف الفعل الثانى واتى بفاعله وفاعل الفعل الاول على صورة ضمير الاثنين متصلا بالفعل الاول كما فى قوله

◦ فان تزجرانى يا ابن عفان انزجر ◦ وان تدعانى احم عرضا ممنعا ◦

وثانيهما ان ألف ألقيا ليس ضمير التثنية بل هى الف مبدلة من النون الخفيفة اصله القين فابدلت الالف من النون فى حال الوقف ثم اجرى الوصل مجرى الوقف فقيل القيا فى حالتى الوصل والوقف ﴿ قوله كثير المنع للمال ﴾ ان كان الكفار من الكفر المقابل للايمان يكون وجه بناء المبالغة فيه كما سترد لائل وحدانية الله تعالى ودلائل حقية مدعى الرسالة ستر ايضا سائر دلائل مايجب الايمان به مع ظهورها وقوتها ووجه المبالغة فى قوله مناع للخير انه مع كونه كفارا عنيدا لايقتنع بهما بل يتخطى الى ان يمنع ماله عن كل مستحق يطلب شيأ من ماله حبا للمال وبخلا به على من يستحقه ومع كونه معتديا انه كما لم يؤد الحق المالى الى مستحقه يتعدى الى ان يأخذ المال الحرام بطريق الربا ونحوه فان الكفار مخاطبون بفروع الشريعة من حيث انهم يعذبون بتركها وان لم يكونوا مطالبين بها حال الكفر لعدم اهليتهم لثوابها ويحتمل ان يكون المراد بالخير الاسلام ويكون المعنى انه لايقتنع بكفران النعمة بل يكون مناعا لغيره من الايمان ﴿ قوله وانما استؤنفت كما تستأنف الجمل ﴾ جواب عما يقال لم قيل ههنا قال قرينه بدون الواو وقيل فيما سبق وقال قرينه بالواو * وتقرير الجواب ان الجملة الاولى واردة بما يلاقونه عن قريب من تحقق البعث ومايترتب عليها من الاحوال الواقعة بعد البعث الى ان يلقى كل كفار عنيد فى جهنم ومنها قول القرين هذا مالدى عتيد فحقه ان يعطف على الجمل المذكورة قبله بخلاف الجملة الثانية فانها جملة مستأنفة فحقها ان تكون خالية عن العاطف كما فى الجمل الواقعة فى حكاية التقاول كما وقع فى قصة ابراهيم عليه الصلاة والسلام اذقال لابيه وقومه ماهذه التماثيل التى انتم لها عاكفون قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين قال لقد كنتم انتم وآباؤكم الآيات * فان قيل فاين التقاول ههنا * قلنا لما قال قرينه هذا مالدى عتيد وتبعه قوله قال قرينه ربنا ما اطغيته وتلاه قوله تعالى لاتختصموا لدى علم ان ثمة مقاولة بين الكافر وقرينه لكن طرح قول الكافر فى الذكر لدلالة قوله ربنا ما اطغيته عليه وقال الكافر اعتذارا عن كفره وعصيانه يارب ماعصيتك باختيارى بل لان الشيطان الذى قيضته لى اطغانى وحملنى على معصيتك فقال قرينه ربنا ما اطغيته فقالة الكافر وان لم يصرح بها اعتمادا على ذكر مايدل عليها وهو قول قرينه ربنا ما اطغيته الا انها لما كانت مقدرة ملحوظة فى النظم كانت موردا لان يسأل ويقال فماذا يقول قرينه حين ماقال الكافر ذلك فى حقه فاجيب عنه بان قيل قال قرينه فانه اذا حكى قول احد الخصمين اتجه ان يقال فماذا قال خصمه فيستأنف بان يقال قال خصمه كذا وهذه الآية تؤيد كون المراد بالقرين فى الآية المتقدمة هو الشيطان لا الملك الموكل عليه * فان قيل لما قال القرين اولا فى حق الكافر هذا عندى وفى ملكى عتيد لجهنم هيأته لها باغوآئى اياه كيف يصح منه ان يقول ربنا ما اطغيته اى ماجعلته طاغيا مجاوزا حده فى العصيان * قلنا اشار المصنف الى جوابه بقوله اولا باغوآئى له وآخرا بقوله فأعنته عليه لكونه فى نفسه مائلا الى الفجور والحاصل ان الاغوآء بمعنى تزيين المعصية غير الاطغاء قال صاحب الكشف وهذه الآية لاتنافى

(ألقيا فى جهنم كل كفار) خطاب من الله للسائق والشهيد او للملكين من خزنة النار او لواحد وتثنية الفاعل منزلة منزلة تثنية الفعل وتكريره كقوله

فان تزجرانى يا ابن عفان انزجر *

وان تدعانى احم عرضا ممنعا *

او الالف بدل من نون التأكيد على اجرآء الوصل مجرى الوقف ويؤيده انه قرئ القين بالنون الخفيفة (عنيد) معاند للحق (مناع للخير) كثير المنع للمال عن حقوقه المفروضة وقيل المراد بالخير الاسلام فان الآية نزلت فى الوليد بن المغيرة لما منع بنى اخيه منه (معتد) متعد (مريب) شاك فى الله وفى دينه (الذى جعل مع الله آلها آخر) مبتدأ متضمن معنى الشرط وخبره (فألقياه فى العذاب الشديد) او بدل من كل كفار فيكون فألقياه تكريرا للتأكيد او مفعول لمضمر يفسره فألقياه (قال قرينه) اى الشيطان المقيض له وانما استؤنفت كما تستأنف الجمل الواقعة فى حكاية التقاول فانه جواب لمحذوف دل عليه (ربنا ما اطغيته) كأن الكافر قال هو اطغانى فقال ربنا ما اطغيته بخلاف الاولى فانها واجبة العطف على ماقبلها للدلالة على الجمع بين مفهوميهما فى الحصول اعنى مفهوم مجيئ كل نفس مع الملكين وقول قرينه (ولكن كان فى ضلال بعيد) فأعنته عليه فان اغوآء الشيطان انما يؤثر فيمن كان مختل الرأى مائلا الى الفجور كما قال وما كان لى عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لى

قوله هذا مالدىّ عتيد على معنى اعتدته لجهنم وهيأته لها باغوآئى واضلالى على ماتوهم لان الاوّل نظير قول الشيطان ولاضلنهم ولاغوينهم اجمعين وقوله ربنا ما اطغيته نظير قوله وما كان لى عليكم من سلطان الاان دعوتكم فاستجبتم لى فلا تلومونى انتهى كلامه وقيل فى رفع المنافاة صدر القولان من القرين فى حالين قال اوّلا حين مايسوقه انا فعلت ذلك اظهارا للانتقام من بنى آدم لكونه سبب لعنة الشيطان ثم اذا رأى العذاب وقال الكافر انه الذى اطغانى رجع من قوله الاوّل وقال ما اطغيته ﴿ قوله وهو استئناف مثل الاوّل ﴾ كان قائلا قال فاذا قال الله تعالى للقرين وخصمه حين تقاولا فاجيب بانه قيل لاتختصموا لدىّ وقوله لدىّ يدل بمفهومه على ان الاختصام المنهى عنه هو الاختصام فى الموقف واما الاختصام فى الدنيا فغير منهى عنه بل هو واجب ﴿ قوله حالين بانى اوعدتكم ﴾ توجيه لكون جملة وقد قدمت اليكم حالا من فاعل لاتختصموا مع عدم مقارنة مضمونها لمضمون عاملها لان التقديم كان فى الدنيا والخصومة فى الآخرة وقد تقرر ان اجتماع مضمون الحال مع مضمون العامل شرط والمعنى لاتختصموا وقد صح عندكم الآن انى قدمت اليكم بالوعيد وزمان الصحة متحد مع زمان النهى ﴿ قوله ويجوز ان يكون بالوعيد حالا ﴾ اى ويجوز ان لاتكون الباء زآئدة ولامعدية بان تكون للملابسة ويكون المعنى بان قدمت اليكم ملتبسا بالوعيد مايبدل القول لدىّ والمراد بالقول هو الوعيد بتخليد الكافر فى النار ومجازاة العصاة على حسب استحقاقهم جزآء وفاقا وقوله تعالى لدىّ متعلق بالقول اى لاقول لى بوقوع الخلف فيه وكلمة ما فى قوله تعالى مايبدل القول لدىّ نافية يعنى لايقع الخلف فى القول لدىّ الآن بل يجز ويتحقق مضمونه فاذا اريد نفى الفعل يقال زيد مايفعل شيأ ولو اريد نفيه فى المستقبل يقال لايفعل ولن يفعل ﴿ قوله وعفو بعض المذنبين ﴾ جواب عما يقال ماوجه التوفيق بين قوله تعالى مايبدل القول لدىّ وبين آيات العفو والغفران فان الاوّل يدل على انه لايقع الخلف فى مضمون الآيات الواردة فى حق وعيد العصاة والعفو عن بعضهم ينافى مضمونها وتقرير الجواب ان العفو انما ينافيه ان لو كانت الآيات الواردة فى حق الوعيد عامة فى حق جميع العصاة وليست كذلك بل هى واردة فى حق من تعلقت المشيئة بتعذيبهم بقرينة آيات العفو الواردة فى حق من تعلقت المشيئة بالعفو عنه فانه تعالى يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء فلا تبديل فى القول بالعفو عن البعض ﴿ قوله فأعذب من ليس لى تعذيبه ﴾ اشارة الى جواب مايقال من انه تعالى دفع عنه كونه ظلاما للعبيد وهو يشعر بثبوت اصل الظلم له وهو تعالى لايظلم الناس شيأ من الظلم وما الله يريد ظلما للعباد فضلا عن ان يظلمهم * وتقرير الجواب ان نفى كونه تعالى ظلاما يستلزم نفى كونه ظالما وذلك لانه لما جرت مقاولة التخاصم بين الكافر وقرينه ونهاهم الله عن التخاصم لديه اى فى دار الجزآء وموقف الحساب فقال لاتختصموا لدىّ عالمين بانه لافائدة فيه حيث تعلمون انى اوعدتكم على الكفر والطغيان فى دار العمل والتكليف ولم تلقوا اليه سمعا ولا رفعتم اليه رأسا علل عدم كون التخاصم مفيدا بأن قال على طريق الاستئناف مايبدل القول لدىّ وما انا بظلام للعبيد اى مايبدل ماقدمته من الوعيد فى حق كل كفار عنيد بالعفو عنهم بل انتقم منهم باخلادهم فى النار وعطف عليه قوله وما انا بظلام بصيغة المبالغة والمعنى لو عذبت عبدا ضعيفا منقادا لامرى غير مستحق للتعذيب من قبلى لكان ذلك غاية الظلم ولست بظلام فاعذب من ليس لى تعذيبه فظهر بهذا ان نفى كونه ظلاما يستلزم نفى كونه ظالما وايضا تخصيص الشئ بالذكر لايدل على نفى ماعداه فنفى كونه تعالى ظلاما يستلزم نفى كونه ظالما وقيل الظلام لكونه بناء النسبة بمعنى الظالم كالتمار بمعنى التامر فالمعنى وما انا بظالم ﴿ قوله تعالى يوم نقول لجهنم ﴾ يجوز ان يكون ظرفا لظلام واذا لم يظلم فى هذا اليوم فعدم كونه ظالما فى غيره اولى او ظرف لقوله مايبدل او لمحذوف دل عليه ماقبله اى ذلك يكون يوم نقول ويجوز ان يكون منصوبا بمضمر اى اذكر او انذر يوم فيكون مفعولا به وجوز كونه معمولا لقوله ونفخ فى الصور وهو بعيد ﴿ قوله جيئ به للتخييل والتصوير ﴾ اى لتصوير امتلائها بالطلب حيث اجابت بقولها هل من مزيد وهو استفهام انكار كأنها قالت امتلأت بحيث لامزيد على ذلك الامتلاء تكثيرا لمن ادخل فيها من الجنة والناس والاظهر انه ليس ثمة سؤال وجواب حقيقة وطريق التخييل ان جهنم شبهت بمنزلة عقل وتمييز يسأل ويجيب وجعل اثبات لوازم المشبه به لها دليلا على التشبيه المضمر فى النفس والمعنى انا نملأها من الجنة والناس كما كنا وعدنا بذلك بحيث لو قيل لها ذلك وهى عاقلة ناطقة لقالت ذلك على سبيل الانكار والتعجب من كثرة العصاة ﴿ قوله او انها من السعة بحيث يدخلها من يدخلها وفيها بعد فراغ ﴾ فتطلب الزيادة

(قال) اى الله تعالى (لاتختصموا لدىّ) اى فى موقف الحساب فانه لافائدة فيه وهو استئناف مثل الاوّل (وقد قدمت اليكم بالوعيد) على الطغيان فى كتبى وعلى ألسنة رسلى فلم يبق لكم حجة وهو حال فيه تعليل للنهى اى لاتختصموا عالمين بانى اوعدتكم والباء مزيدة او معدية على ان قدّم بمعنى تقدّم ويجوز ان يكون بالوعيد حالا والفعل واقعا على قوله (مايبدل القول لدىّ) اى بوقوع الخلف فيه فلا تطمعوا ان ابدّل وعيدى وعفو بعض المذنبين لبعض الاسباب ليس من التبديل فان دلائل العفو تدل على تخصيص الوعيد (وما انا بظلام للعبيد) فأعذب من ليس لى تعذيبه (يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد) سؤال وجواب جيئ بهما للتخييل والتصوير والمعنى انها مع اتساعها تطرح فيها الجنة والناس فوجا فوجا حتى تمتلئ لقوله لاملأنّ او انها من السعة بحيث يدخلها من يدخلها وفيها بعد فراغ

تجلى بهاذلك الفراغ فالاستفهام فى قوله تعالى هل امتلأت لبيان اتساعها و انكار امتلائها و فى قولها هل من مزيد لطلب الزيادة فيكون هذا السؤال والجواب قبل دخول جميع اهلها فيها بان يدخل الكفار باسرهم و يبقى فيها موضع لعصاة المؤمنين فتطلب جهنم (٣) المؤمنين فيرد ايمانهم حرها و يسكن ايمانهم غيظها فتسكت و على هذا الحمل ماورد فى بعض الاخبار من ان جهنم تطلب الزيادة حتى يضع الجبار قدمه و المراد بالجبار المؤمن فانه جبار متكبر على سوى الله تعالى ذليل متواضع لله عزوجل و روى انه لايلقى فوج ممن استحق لدخول جهنم الاذهب فيها و لا يملأها شئ لكونها صورة قهر الله تعالى الذى لانهاية له فتقول جهنم أليس قداقسمت لتملأنى فيضع الله تعالى فيها قدمه اى ماتقدم من قوله سبقت رحمتى غضبى اى بان يضع فيها رحمته و ينظر اليها نظر الرحمة فيقول هل امتلأت فتقول قط قط اى حسبى حسبى و ليس فى مزيد فينزوى بعضها فى بعض ضرورة انها اذا جاءت الرحمة تنزوى صورة القهر ﴿قوله او انها من شدة زفيرها وحدتها﴾ فالاستفهام الاول للتقرير و الثانى اقرار بالامتلاء فى الحقيقة الا انها نزلت نفسها منزلة طالب الزيادة و الكثرة لشدة تغيظها على العصاة و اهتمامها بالانتقام منهم فتتمنى زيادة الداخلين وكثرتهم ﴿قوله وقرأ نافع وابو بكر يقول بالياء﴾ اى بياء الغيبة و اسناد الفعل الى ضمير اسم الله تعالى لتقدم ذكره فى قوله الذى جعل مع الله و الباقون بنون المتكلم المعظم نفسه لتقدم ذكره فى قوله لدى و قد قدمت و ماانا بظلام ﴿قوله فيكون ذلك﴾ اى اذا انتصب يوم بقوله نفخ يكون ذلك فى قوله ذلك يوم الوعيد اشارة الى يوم يقول لان الاشارة الى المتأخر جائزة لاسيما اذا كانت رتبته التقدم فكأنه قيل ذلك اليوم اى يوم تقول جهنم هل من مزيد يوم الوعيد فلا يحتاج الى ان يجعل تقدير الكلام وقت ذلك النفخ يوم تحقق الوعيد لان الاحتياج اليه انما هو لكون ذلك اشارة الى النفخ و عدم صحة حمل يوم الوعيد على المصدر و اذا جعل ذلك اشارة الى اليوم صح الحمل من غير تقدير المضاف ﴿قوله قربت لهم﴾ فان قيل الجنة مكان و الامكنة لاتقرب بل يقرب اليها فاوجه تقربها ه اجيب بان الجنة لاتزال ولا يؤمر المؤمن فى ذلك اليوم بالانتقال اليها مع بعدها لكنه تعالى يطوى المسافة التى بين المؤمن والجنة وهذا هو المراد بتقربها ه فان قيل اسناد الازلاف بمعنى طى المسافة بينها و بينهم الى الجنة ليس اولى من اسناده الى المؤمن فكيف قيل و ازلفت الجنة للمتقين و لم يقل و ازلفت المتقون ه اجيب بانه اختير ذلك لمافيه من اكرام المؤمن و بيان شرفه و انه مما يمشى اليه و الظاهر ان قوله تعالى و ازلفت معطوف على قوله نقول لجهنم اى و يوم ازلفت ﴿قوله مكانا غير بعيد﴾ اشارة الى ان انتصاب غير بعيد على انه ظرف مكان لازلفت كقولك اجلس غير بعيد منى اى مكانا غير بعيد و الاصل ازلفت مكانا غير بعيد ثم حذف المكان للعلم به و اقيمت صفته مقامه و ان كان غير بعيد حالا من الجنة كان الظاهر ان يقول غير بعيدة الا انه ذكر اما لكونه على زنة المصدر كالزئير و الصليل و المصادر يستوى فى الوصف بها المذكر و المؤنث و الزئير صوت الاسد فى صدره يقال زأر يزأر و يزئر زأرا و زئيرا و يقال صل السلاح و نحوه يصل صليلا اى صوت و امالغير ذلك ﴿قوله على اضمار القول﴾ مبنى على القرآءة بتاء الخطاب ولاحاجة اليه على قرآءة ابن كثير و ذلك القول امامنصوب على انه حال من المتقين اى مقولا لهم هذا الثواب و هذا الازلاف ماتوعدون و هو مع مقوله جملة معترضة بين البدل و المبدل منه (٧) ﴿قوله بدل بعد بدل﴾ يشعر بكونه بدلا ثانيا من المتقين الا ان صاحب الكشاف صرح بانه بدل من كل اواب حيث قال بدل بعد بدل تابع لكل و معنى التبعية ورود عقيب البدل من غير اتحاد المتبوع و لم يجعله بدلا ثانيا من المتقين لان تعدد البدل مع اتحاد المبدل منه لايجوز ﴿قوله و لايجوز ان يكون فى حكمه﴾ اى فى حكم اواب فان اواب صفة لمحذوف و التقدير لكل عبد اواب و لايجوز ان يكون من خشى صفة لكل اواب لان من لاتكون صفة له فلايقال الرجل من جاءنى جالس كما يقال الرجل الذى جاءنى جالس و الخشية و ان كانت تفسر بالخوف الا ان بينهما فرقا و هو ان الخشية خوف من عظمة المخشى و هيبته بخلاف الخوف فانه خشية من ضعف الخاشى و يدل على ذلك انه حيث كان الخوف من عظمة المخشى استعمل فيه الخشية و ان كان الخاشى قويا فى نفسه قال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء و قال لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله و قال وهم من خشيته مشفقون مع ان الملائكة و الجبل اقوياء فى انفسهم و حيث كان الخوف من ضعف الخاشى استعمل فيه الخوف قال لاتخافوا و لاتحزنوا و نحو ذلك ﴿قوله و بالغيب حال من الفاعل﴾ اى خشى حال كونه غائبا عن الاعين لايراه احد او من المفعول اى خشى عقاب الرحمن حال كون كل منهما غائبا

(٣) امتلائها تحقيقا لقوله تعالى لاملأن جهنم فيطرح فى ذلك الموضع عصاة المؤمنين فيردها ايمانهم حرها (منه)

او انها من شدة زفيرها و حدتها وتشبثها بالعصاة كالمستكثر لهم و الطالب لزيادتهم وقرأ نافع و ابو بكر يقول بالياء و المزيد اما مصدر كالمجيد او مفعول كالمبيع و يوم مقدر باذكر او ظرف لنفخ فيكون ذلك اشارة اليه فلايفتقر الى تقدير مضاف (و ازلفت الجنة للمتقين) قربت لهم (غير بعيد) مكانا غير بعيد ويجوز ان يكون حالا و تذكيره لانه صفة محذوف اى شيأ غير بعيد او على زنة المصدر او لان الجنة بمعنى البستان (هذا ماتوعدون) على اضمار القول و الاشارة الى الثواب او مصدر ازلفت وقرأ ابن كثير بالياء (لكل اواب) رجاع الى الله بدل من المتقين باعادة الجار (حفيظ) حافظ لحدوده (من خشى الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب) بدل بعد بدل او بدل من موصوف اواب و لا يجوز ان يكون فى حكمه لان من لايوصف به او مبتدأ خبره (ادخلوها) على تأويل يقال لهم ادخلوا فان من بمعنى الجمع و بالغيب حال من الفاعل او المفعول او صفة لمصدر اى خشية ملتبسة بالغيب حيث خشى عقابه و هو غائب او العقاب بعد غيب او هو غائب عن الاعين لايراه احد

(٧) على معنى يقال لهم و الاعتراض متعين فى قرآءة ابن كثير بالياء لاسناد الفعل الى المتقين (منه)

لايعرفه المكلف الابطريق الاستدلال ﴿قوله وتخصيص الرحمن﴾ جواب عمايقال كيف قرن الخشية بالاسم الدال على سعة الرحمة مع ان الظاهر قرنها بمايدل على العظمة والمهابة ﴿قوله ووصف القلب بالانابة﴾ مع ان الموصوف بالانابة التى هى الرجوع من المعصية الى طاعة الله تعالى هو المكلف للاشعار بان الاعتبار فى الرجوع الى الله تعالى انما هو الرجوع بالقلب ﴿قوله سالمين او مسلما عليكم﴾ يعنى ان قوله تعالى بسلام حال من فاعل ادخلوها امامن السلامة او من التسليم وعلى التقديرين هى حال مقارنة لحصول كل واحد منهما حال الدخول وان كان التسليم بعدالدخول تكون حالا مقدرة ﴿قوله تعالى ذلك يوم الخلود﴾ وقال ابو البقاء اى زمان ذلك يوم الخلود كأنه جعل ذلك اشارة الى ماتقدم من انعام الله تعالى عليهم بذلك اخبر الله تعالى اهل الدنيا ان ذلك الزمان زمان الاقامة الدآئمة وان اهل الجنة لا يرتحلون عنها فيبقى فى قلوبهم حسرتها وليس لقول الله تعالى ذلك فائدة بعدقوله ادخلوها لان المؤمنين يعلمون ان من دخل الجنة يبقى فيهاابدا فلافائدة لهم بالاخبار بذلك الان يقال ان استماع ذلك يزيد تطرية النشاط وطمأنينة القلب ﴿قوله تعالى ولدينا مزيد﴾ اى زيادة على مايشاؤن او مايؤملون او مزيد عليه على ان يكون المزيد اسم مفعول كالمبيع قال انس وجابر رضى الله عنهما هو النظر الى وجه الله الكريم والظاهر ان مرادهما ان النظر المذكور افضل مالديه من المزيد والا فى الجنة مزيد على كل مايؤملونه غير ذلك ثم انه تعالى لما انذر منكرى البعث بمايلاقونه عن قريب من الموت والبعث والقاء المشركين فى العذاب الشديد خوفهم بعذاب الدنيا ايضافقال وكم اهلكنا قبلهم من قرن هم اشدمنهم بطشا وكم منصوب بمابعده وقدم على عامله امالانها استفهامية واما لانها خبرية وهى تجرى مجرى الاستفهامية فى اقتضاء الصدارة ومن قرن تمييز وهم اشد صفة كم او صفة قرن وبطشا تمييز اشد والبطش الاخذ بشدة والجمهور على فتح القاف مع التشديد فى قوله فنقبوا والفاء فيه عاطفة على المعنى كأنه قيل اشد بطشهم فنقبوا فان كان التنقيب بمعنى الطواف وقطع المفاوز لاجل تعرج البلاد والتصرف فيها بقهرها والاستيلاء على اهلها كما فى قوله

◎ لقد نقبت فى الآفاق حتى ◎ رضيت من الغنيمة بالاياب ◎

تكون الفاء سببية للدلالة على ان شدة بطشهم وقوتهم عليه ابطرتهم وحملتهم على التنقيب وان كان بمعنى الجولان والدوران فيها حذرا من الموت كما فى قوله

◎ نقبوا فى البلاد من حذر المو ◎ ت وجالوا فى الارض كل مجال ◎

تكون الفاء لمجرد التعقيب حيث كان سبب التنقيب مجرد الاحتراز عن الموت لاشدة البطش وقرئ فنقبوا بفتح القاف مخففا والتشديد للكثرة والمبالغة وقرئ فنقبوا بكسر القاف مشددا على امر القاطنين كقوله تعالى فسيحوا فى الارض اى فسيروا فيهاهل تجدون محيصا من قهر الله تعالى او من الموت وقرئ ايضا فنقبوا بكسر القاف مخففا اى اكثروا السير فيها حتى نقبت دوابهم من النقب يقال نقب البعير ينقب نقبا من باب علم اذا رقت خفافه من كثرة السير ومنه قوله * اقسم بالله ابوحفص عمر * مامسها من نقب ولادبر * اغفرله اللهم ان كان فجر * ﴿قوله اى لهم من الله﴾ اشارة الى ان من محيص مبتدأ محذوف خبره اى ملجأ ومفر من عذاب الله او من الموت ﴿قوله اى قلب واع﴾ حمل القلب المذكور فى الآية وهو مطلق على القلب الواعى لتظهر فائدة التقييد بقوله لمن كان له قلب فان كل انسان له قلب لامحالة وايضا بقى القلب على عمومه لزم ان يكون ماذكر فى هذه السورة تذكرة لكل انسان وليس كذلك لانه مايتذكر الا اولوا الالباب والقلوب الواعية ولكنه اطلق القلب فى الآية للاشعار بان من ليس له قلب واع فكأنه لاقلب له لان المقصود من القلب الحفظ وهو فاقد من القلب الذى ليس له حفظ لانه المقصود منه وكل فاقد ماهو المقصود منه كالمعدوم وكذا حمل قوله شهيد على تقدير كونه من الشهود بمعنى الحضور على الحضور بالذهن لتظهر فائدة التقييد بالجملة الحالية لان من ألقى السمع الى مايتلى عليه يكون حاضرا بشخصه لامحالة لاستحالة الاصغاء من القلب الغائب فلو لم يحمل الحضور على الحضور بذهنه لما ظهر فائدة التقييد ايضا واطلاقه فى الآية للاشعار بان من لايحضر بذهنه فكأنه غائب وكلمة او فى قوله تعالى او ألقى السمع لتقسيم حال المتذكر الى كونه تاليا بنفسه وكونه سامعا من غيره ثم انه تعالى لما احتج على منكرى البعث بما يدل على كمال قدرته وهددهم بما يلاقونه عن قريب من عذاب الآخرة ثم خوفهم بعذاب الدنيا عاد الى دليل آخر فقال ولقد خلقنا السموات والارض ومابينهما فى ستة ايام اى فى ستة

وتخصيص الرحمن للاشعار بانهم رجوا رحمته وخافوا عذابه او بانهم ذوو اخشية مع علمهم بسعة رحمته ووصف القلب بالانابة اذ الاعتبار برجوعه الى الله (بسلام) سالمين من العذاب وزوال النعم او مسلما عليكم من الله وملائكته (ذلك يوم الخلود) يوم تقدير الخلود كقوله ادخلوها خالدين (لهم مايشاؤن فيها ولدينا مزيد) وهو مالاخطر ببالهم مالاعين رأت ولااذن سمعت ولاخطر على قلب بشر (وكم اهلكنا قبلهم) قبل قومك (من قرن هم اشد منهم بطشا) قوة كعاد وفرعون (فنقبوا فى البلاد) فخرقوا فى البلاد وتصرفوا فيها او جالوا فى الارض كل مجال حذر الموت فالفاء على الاول للتسبيب وعلى الثانى لمجرد التعقيب واصل التنقيب التنقير عن الشئ والبحث عنه (هل من محيص) اى لهم من الله او من الموت وقيل الضمير فى نقبوا لاهل مكة اى ساروا فى اسفارهم فى بلاد القرون فهل رأوا لهم محيصا حتى يتوقعوا مثله لانفسهم ويؤيده انه قرئ فنقبوا على الامر وقرئ فنقبوا بالكسر من النقب وهو ان ينتقب خف البعير اى اكثروا السير حتى نقبت اقدامهم او اخفاف مراكبهم (ان فى ذلك) فيما ذكر فى هذه السورة (لذكرى) لتذكرة (لمن كان له قلب) اى قلب واع يتفكر فى حقائقه (او ألقى السمع) اى اصغى لاستماعه (وهو شهيد) حاضر بذهنه ليفهم معانيه او شاهد بصدقه فيتعظ بظواهره وينزجر بزواجره وفى تنكير القلب وابهامه تفخيم واشعار بان كل قلب لايتفكر ولايتدبر كلا قلب (ولقد خلقنا السموات والارض ومابينهما فى ستة ايام) مر تفسيره مرارا (ومامسنا من لغوب) من تعب واعياء وهو رد لما زعمت اليهود من انه تعالى بدأ خلق العالم يوم الاحد وفرغ منه يوم الجمعة واستراح يوم السبت واستلقى على العرش

اوقات واحيان لان اليوم فى اللغة عبارة عن زمان مكث الشمس فوق الارض من الطلوع الى الغروب وقبل خلق السموات لم يكن شمس ولا قمر ومن قدر على ابدآء العالم باسره فى مدة يسيرة كيف لايقدر على البعث والاعادة وقوله تعالى وما مسنا من لغوب ردّ لما زعمت اليهود فانه روى عن ابن عباس رضى الله عنهما ان اليهود أتت النبى صلى الله عليه وسلم فسألته عن خلق السموات فقال عليه الصلاة والسلام * خلق الله الارض يوم الاحد والاثنين وخلق الجبال ومافيها من المنافع يوم الثلاثاء وخلق الشجر والماء والمدآئن والعمران والخراب يوم الاربعاء وخلق السماء يوم الخميس وخلق الشمس والقمر والنجوم والملائكة يوم الجمعة * قالت اليهود ثم ماذا قال * استوى على العرش * قالوا قد اصبت لو اتممت قال وما هو * قالوا ثم استراح يوم السبت فغضب النبى صلى الله عليه وسلم غضبا شديدا فانزل الله تعالى هذه الآية ثم قال فاصبر على مايقولون من الشرك والتشبيه * قال الامام وما قاله اليهود ونقلوه عن التوراة اما تحريف منهم او لم يعلموا تأويله وذلك لان الاحد والاثنين ازمنة متميزة بعضها عن بعض ولو كان خلق السموات ابتدئ يوم الاحد ونحوه لكان الزمان متحققا قبل الاجسام والزمان لاينفك عن الاجسام فيكون قبل خلق الاجسام اجسام اخر فيلزم القول بقدم العالم وهو مذهب الفلاسفة ومن العجب ان بين الفلاسفة والمشبهة غاية الخلاف فان الفلسفى لايثبت لله تعالى صفة اصلا ويقول انه تعالى لايقبل صفة بل هو واحد من جميع الوجوه وفعله وقدرته وحياته هو حقيقته وعينه وذاته والمشبهة يثبتون لله تعالى صفة الاجسام من الحركة والسكون والاستوآء والجلوس والصعود والنزول فبينهما منافاة ثم ان اليهود فى كلامهم هذا جمعوا بين المتنافيين واخذوا بمذهب الفلاسفة فى المسئلة التى هى اخص المسائل بهم (٩) وهو الاستوآء على العرش فاخطأوا وضلوا فى الزمان والمكان جميعا انتهى والفاء فى قوله تعالى فاصبر للسبب اى اذا لم يسمعوا قولك ولم يهتدوا بارشادك فاصبر على مايقولون من اباطيلهم واشتغل بعبادة ربك فانه عليه الصلاة والسلام له شغلان احدهما عبادة الله تعالى وثانيهما هداية الخلق فاذا هداهم ولم يهتدوا اقبل له اقبل على شغلك الآخر وهو عبادة الحق وهذا قبل الامر بقتالهم امره الله تعالى بان ينزهه فى بعض الاوقات من النهار والليل وخص ماقبل الطلوع والغروب من النهار لكونهما وقتى اجتماع ملائكة الليل وملائكة النهار ولم يعين البعض الكائن من الليل اى بعض هو للاشارة الى ان الليل كله زمان الارتفاع عن الشواغل فلا وجه لترجيح بعض اجزآئه على بعض بخلاف النهار فانه محل الاشتغال بالمصالح فينبغى ان يعين وقت العبادة منه ليبقى سائر اوقاته لسائر المصالح وهذا على ان تكون كلمة من فى قوله ومن الليل للتبعيض ويحتمل ان تكون لابتدآء الغاية فيكون المعنى ومن اول الليل فسبحه الى ان يغلب عليكم النوم ونحوه ويحتمل ان يكون المراد بقوله تعالى وسبح بحمد ربك نزهه عما يقولون ولاتسأم من اباطيلهم بل ذكرهم بعظمة الله تعالى ونزهه عن الشرك والعجز عن الممكن الذى هو امر الحشر والبعث قبل الطلوع وقبل الغروب فانهما وقتا اجتماع نومك لغلبة الحرارة فى بلدتهم ومن اوآئل الليل ايضا لانها ايضا وقت اجتماعهم والفاء فى قوله فسبحه لتأكيد الامر بالتسبيح من الليل وذلك لانها تتضمن معنى الشرط كأنه قيل واما من الليل فسبحه والتعليق بالشرط يفيد انه عند وجوده يجب وجود الجزآء ﴿ قوله تعالى وادبار السجود ﴾ قرأ نافع وابن كثير وحمزة ادبار بكسر الهمزة على انه مصدر ادبر الشئ اذا تم وانقضى وانتصابه على الظرفية لان المصدر اقيم مقام الوقت او نحوه كما فى نحو آتيك خفوق النجم اى وقت خفوقه ومعنى ادبار السجود وقت انقضاء الصلاة وتمامها وقرأ الباقون بفتح الهمزة على انه جمع دبر بمعنى آخر ودبر الصلاة آخرها وعقبها وانتصابه ايضا على الظرفية والركوع والسجود والتسبيح قد يعبر بها عن الصلاة لاشتمال الصلاة عليها فلذلك فسر ادبار السجود بقوله واعقاب الصلاة واختار المصنف ان يكون التسبيح على اصل معناه وهو التنزيه ثم نقل كونه بمعنى الصلاة فمعنى قوله وادبار السجود قبل اعقاب الصلاة روى عن ابى هريرة انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم * من سبح الله تعالى فى دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين وكبر الله ثلاثا وثلاثين وحمد الله ثلاثا وثلاثين فتلك تسعة وتسعون ثم قال تمام المائة لااله الا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير غفرت خطاياه وان كانت مثل زبد البحر ﴿ قوله واستمع لما اخبرك به ﴾ يعنى ان مفعول استمع محذوف اى استمع مااقول لك من احوال يوم القيامة ثم اخذ فى وصفه فقال يوم ينادى المنادى ويوم منصوب بفعل مضمر والتقدير يخرجون من القبور يوم ينادى المنادى وهو اسرافيل عليه السلام فانه ينفخ وينادى بما ذكره وقيل ان اسرافيل ينفخ وجبريل ينادى ويحتمل ان ينزل

(٩) وهى القدم حيث اثبتوا قبل خلق الاجسام اياما معدودة وازمنة محدودة واخذوا بمذهب المشبهة فى المسئلة التى هى اخص المسائل بهم وهى (تمت)

(فاصبر على مايقولون) مايقول المشركون من انكارهم البعث فان من قدر على خلق العالم بلا اعياء قدر على بعثهم والانتقام منهم او مايقول اليهود من الكفر والتشبيه (وسبح بحمد ربك) ونزهه عن العجز عما يمكن والوصف بما يوجب التشبيه حامدا له على ما انعم عليك من اصابة الحق وغيرها (قبل طلوع الشمس وقبل الغروب) يعنى الفجر والعصر وقد عرفت فضيلة الوقتين (ومن الليل فسبحه) وسبحه بعض الليل (وادبار السجود) واعقاب الصلاة جمع دبر وقرأ الحجازيان وخلف وحمزة بالكسر من ادبرت الصلاة اذا انقضت وانقطعت وقيل المراد بالتسبيح الصلاة فالصلاة قبل الطلوع الصبح وقبل الغروب الظهر والعصر ومن الليل العشآن والتهجد وادبار السجود النوافل بعد المكتوبات وقيل الوتر بعد العشاء (واستمع) لما اخبرك به من احوال القيامة وفيه تهويل وتعظيم للمخبر به (يوم ينادى المناد) اسرافيل او جبرآئيل عليهما السلام فيقول ايتها العظام البالية والاوصال المتقطعة واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة ان الله يأمركن ان تجتمعن لفصل القضاء (من مكان قريب) بحيث يصل نداؤه الى الكل على السوآء ولعله فى الاعادة نظير كن فى الابدآء ويوم نصب بما دل عليه يوم الخروج

استمع منزلة اللازم ولا يقصد تعلقه بمفعول معين ويكون المعنى كن مستمعا ولا تكن كهؤلاء الغافلين المعرضين ﴿ قوله بالحق متعلق بالصيحة ﴾ اى حال منها اى يسمعونها ملتبسة بالحق الذى هو البعث وذلك اشارة الى وقت النداء او الى وقت السماع اى ذلك الوقت يوم الخروج من القبور ﴿ قوله من مكان قريب بحيث يصل نداؤه الى الكل ﴾ يعنى ان المراد بقرب المكان قربه بالنسبة الى اهل القبور كلهم ولما كان قرب المكان بالنسبة الى بعض الموتى يستلزم البعد بالنسبة الى من بعد من ذلك البعض فاستعمال لذلك ان يكون مكان النداء قريبا حقيقيا بالنسبة الى الكل على السواء والمعنى يخرجون من قبورهم يوم ينادى المنادى بحيث يصل نداؤه الى الكل على السواء كأنه يناديهم من مكان قريب بالنسبة الى كل واحد منهم عن الضحاك انه قال يسمع البعيد كما يسمع القريب واكثر المفسرين على ان المراد قرب مكان النداء الى السماء وان ذلك المكان هو صخرة بيت المقدس فانها اقرب الى السماء بالنسبة الى اجزاء الارض ثم اختلفوا فى مقدار قربها اليها فمنهم من قال انها اقرب اليها من جميع الارض باثنى عشر ميلا ومنهم من قال بثمانية عشر ميلا وقيل يسمعون النداء من تحت اقدامهم وقيل من منابت شعورهم ﴿ قوله بالتخفيف ﴾ اى بتخفيف الشين يعنى ان الكوفيين وابا عمرو قرأوا ههنا وفى الفرقان تشقق بتخفيف الشين والباقون بتشديدها واصله عند الكل تتشقق بتاءين والاولون حذفوا احدى التاءين للتخفيف والباقون ادغموا التاء الثانية فى الشين ويوم تشقق يجوز ان يكون بدلا من يوم يسمعون وقيل انه بدل من يوم ينادى وفيه نظر لانه يستلزم تعدد البدل والمبدل منه واحد وقد تقدم ان الزمخشرى منعه ويجوز ان يكون ظرفا للمصير اى يصيرون الينا يوم تشقق الارض وسراعا حال من الضمير المجرور فى عنهم والعامل فيها تشقق وقيل عاملها هو العامل فى يوم تشقق المقدر اى يخرجون سراعا يوم تشقق فيكون سراعا مبينا لهيئة الفاعل وعلى الاول يكون مبينا لهيئة المفعول معه لان التشقق عدى اليه بحرف الجر كما يقال كشفت عنه فهو مكشوف عنه والسراع جمع سريع كالكرام جمع كريم وقوله ذلك يحتمل ان يكون اشارة الى التشقق عنهم وان يكون اشارة الى الاخراج المدلول عليه بفحوى الكلام او الى الحشر المذكور بعده اى ذلك الحشر حشر يسير والحشر الجمع ﴿ قوله الا كنفس واحدة ﴾ اى كخلق نفس واحدة وبعثها وهذا صريح فى ان الله تعالى لا يشغله شأن عن شأن ﴿ قوله تعالى نحن اعلم بما يقولون ﴾ اى بما يقوله كفار مكة من تكذيبك وانكار البعث والفاء فى قوله فذكر فاء جواب شرط مقدر اى اذا لم تكن جبارا لهم تجبرهم على الاسلام بل بعثت مبلغا فذكر اى فاقبل على عملك ودم عليه وذكر بالقرآن من يخاف ما اوعدت به من عصانى من العذاب وتارات الموت ما تكرر من سكرات الموت وشدائده فانها تأخذ المحتضر مرة بعد اخرى ❊ تم هنا ما يتعلق بسورة ق والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا الى يوم الدين

﴿ سورة الذاريات ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر يا كريم ﴾

اول هذه السورة مناسب لآخر ما قبلها وذلك لانه تعالى لما بين الحشر بدلائله وقال ذلك حشر علينا يسير وما انت عليهم بجبار تجبرهم وتلجئهم الى الايمان اشار الى اصرارهم على الكفر بعد اقامة البرهان وتلاوة القرآن عليهم ولم يبق الا اليمين فقال والذاريات ان ما توعدون من البعث والثواب والعقاب لصادق وكذا اول هذه السورة وآخرها متناسبان ايضا حيث قال فى اولها انما توعدون لصادق وقال فى آخرها فويل للذين كفروا من يومهم الذى يوعدون والذاريات جمع ذارية من ذرت الريح التراب وغيره تذروه وتذريه ذروا وذريا اى طيرته واذهبته والواو فيه للقسم والفاآت التى بعدها عاطفة وهذه المذكورات صفات حذفت موصوفاتها واقيمت هى مقامها والتقدير والرياح الذاريات او والنساء الذاريات للاولاد او الاسباب الذاريات للخلائق من عالم العدم الى فضاء الوجود او بالعكس فالسحب الحاملة للامطار فالسفن الجارية فى البحر جريا ذا يسر اى ذا سهولة فالملائكة المقسمات للامور من خير وشر بين الخلائق على ما امروا به ثم اشار الى جواز كون موصوف الحاملات الرياح فانها تحمل السحاب كما تذرو التراب ونحوه او النساء فانهن يحملن الاولاد كما يذرين الاولاد او الاسباب التى تؤدى ما ذكر من الحاملات الى الحمل على الاسناد المجازى ﴿ قوله وقرا وقرا ﴾ بفتح الواو وهو مصدر بمعنى الثقل على تسمية المحمول الثقيل بالثقل والجمهور على كسر الواو وهو اسم لما يوقر اى يحمل فان المطر محمول السحاب وكذا السحاب

(يوم يسمعون الصيحة) بدل منه والصيحة النفخة الثانية (بالحق) متعلق بالصيحة والمراد به البعث للجزاء (ذلك يوم الخروج) من القبور وهو من اسماء يوم القيامة وقد يقال العبد (انا نحن نحيى ونميت) فى الدنيا (والينا المصير) للجزاء فى الآخرة (يوم تشقق) وقرأ الكوفيون وابو عمرو بالتخفيف (الارض عنهم سراعا) مسرعين (ذلك حشر) بعث وجمع (علينا يسير) هين وتقديم الظرف للاختصاص فان ذلك لا يتيسر الا العالم القادر لذاته الذى لا يشغله شان عن شان كما قال ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة (نحن اعلم بما يقولون) تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتهديد لهم (وما انت عليهم بجبار) بمسلط تقسرهم على الايمان او تفعل بهم ما تريد وانما انت داع (فذكر بالقرآن من يخاف وعيد) فانه لا ينتفع به غيره ❊ عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة ق هوّن الله عليه تارات الموت وسكراته

(سورة والذاريات مكية وآيها ستون)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(والذاريات ذروا) يعنى الرياح تذرو التراب وغيره او النساء الولد فانهن يذرين الاولاد او الاسباب التى تذرى الخلائق من الملائكة وغيرهم وقرأ ابو عمرو وحمزة بادغام التاء فى الذال (فالحاملات وقرا) فالسحب الحاملة للامطار او الرياح الحاملة للسحاب او النساء الحوامل او اسباب ذلك وقرئ وقرا على تسمية المحمول بالمصدر (فالجاريات يسرا) فالسفن الجارية فى البحر سهلا او الرياح الجارية فى مهابها او الكواكب التى تجرى فى منازلها ويسرا صفة مصدر محذوف اى جريا ذا يسر

محمول الريح وموصوف الجاريات اما السفن او الرياح او الكواكب وموصوف المقسمات اما الملائكة خاصة او مايعمهم وغيرهم او الرياح ﴿قوله فان حملت على ذوات مختلفة﴾ قد اشار في تفسير الامور الاربعة المذكورة بقوله تعالى والذاريات ذروا فالحاملات وقرا فالجاريات فالمقسمات الى جواز كونها امورا مختلفة متباينة بذواتها والى جواز كونها امرا واحدا بالذات له اربعة اعتبارات والاول قول علي وابن عباس رضي الله عنهم قال علي وهو على المنبر سلوني قبل ان لاتسألوني ولن تسألوا بعدي مثلي فقام ابن الكوا فقال ما الذاريات ذروا قال هي الرياح قال فالحاملات وقرا قال السحاب قال فالجاريات يسرا قال الفلك قال فالمقسمات امرا قال الملائكة وان كانت هؤلاء الاربع صفات متغايرة لامر واحد هو الرياح يكون الموصوف في الكل واحدا ويكون العاطف لعطف الصفات كما في قوله

◦ الى الملك القرم وابن الهمام ◦ وليث الكتيبة في المزدحم ◦

وقوله

◦ يالهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالآيب ◦

ويكون تقدير الكلام والرياح الذاريات الى الجو حتى تنعقد سحابا فالرياح الحاملات للسحب التي هي اثقل من الجبال فالرياح التي تجري بالسحب بعد حملها فالرياح التي تقسم اي تفرق الامطار في الاقطار فالفاء على الاحتمال الاول لترتب الاقسام اقسم اولا بالرياح الذاريات فبالسحب الحاملات للامطار فبالسفن الجاريات في البحر فبالملائكة المقسمات للامور ولما كانت هذه الامور الاربعة متفاوتة في الدلالة على كمال القدرة قدم في الاقسام بها ماهو ادل عليه واتم وتوضيح المقام ان الايمان الواقعة في القرآن وان وردت في صورة تأكيد المحلوف عليه الا ان المقصود الاصلي منها تعظيم المقسم به لما فيه من الدلالة على كمال القدرة فيكون المقصود بالحلف به الاستدلال به على الحكم المحلوف عليه وهو ههنا صدق الوعد بالبعث والجزاء فكأنه قيل من قدر على هذه الامور العجيبة المخالفة لمقتضى الطبيعة يقدر على اعادة من انشأه اولا كقول القائل لمن انعم عليه وحق نعمك الكثيرة اني لا ازال اشكرك اتى بصورة القسم الدال على تعظيم النعم استدلالا به على انه مواظب لشكرها فاذا كان كذلك فالمناسب في ترتب الاقسام بالامور المتباينة ان يقدم ماهو ادل على كمال القدرة والرياح ادل عليه بالنسبة الى السحب لكون الرياح اسبابا لحدوثها والسحب لغرابة ماهيتها وكثرة منافعها ورقة حاملها الذي هو الريح ادل عليه بالنسبة الى السفن وهذه الثلاثة لكونها من قبيل المحسوسات ادل عليه بالنسبة الى الملائكة الغائبين عن الحس اذ الخصم ربما ينكر وجود من هو غائب عن الحس فلا يتم الاستدلال ﴿قوله والا فالفاء لترتب الافعال﴾ اي وان لم تحمل الامور الاربعة على موصوفات متباينة بالذات بل على موصوف واحد له اربعة اعتبارات تكون الفاء لترتيب الاوصاف في الوجود كما في قولك جاءني الآكل فالشارب فالصائم فقدم من الصفات المذكورة ماهو متقدم في الوجود فان الرياح تذرو الابخرة اولا فتحمل السحاب ثانيا فتجري بالسحاب جريا ذا يسر ثالثا فتقسم المطر رابعا وقوله تعالى ذروا مصدر مؤكد لقوله والذاريات وقيل ذروا مفعول به بمعنى مذروا تسمية للمفعول بالمصدر كخلق الله وضرب الامير والمعنى والذاريات ترابا مذروا والاول اشهر وقوله وقرا مفعول به للحاملات كما يقال حمل فلان عدلا ثقيلا والمصنف بين اعراب يسرا وقوله امرا مفعول به وهو عبارة عن المقسوم ايا كان • قال الامام الحكمة في الايمان الواقعة في القرآن وجوه الاول ان الكفار كانوا في بعض الاوقات ينسبونه صلى الله عليه وسلم الى المجادلة ويقولون انه عارف في نفسه بفساد مايقوله وانه يغلبنا بقوة الجدل لابصدق المقال كما ان بعض الناس اذا اقام عليه الخصم الدليل ولم يبق له حجة يقول انه غلبني لعلمه بطريق الجدل وعجزي عنه وهو في نفسه يعلم ان الحق بيدي فلا يبقى للمتكلم البرهن غير اليمين فيقول والله ان الامر كما اقول ولا اجادلك بالباطل لانه لو استدل بطريق آخر لقال خصمه فيه كقوله الاول فلا يبقى له الا السكوت او التمسك بالايمان وترك اقامة البرهان والثاني ان العرب كانت تحترز عن الايمان الكاذبة وتعتقد انها تخرب المنازل وتدع الديار بلاقع ثم انه عليه السلام كان يكثر الايمان ولم يزده ذلك الا رفعة وثباتا فعلمت العرب بذلك انه لايحلف كاذبا والا لاصابته بشؤم الايمان نكبات المكروه في بعض الازمان والثالث ان الايمان التي اقسم الله تعالى بها كلها دلائل خرجت في صورة الايمان لينبه بها على كمال القدرة على الحكم المحلوف عليه فالمقصود بها الاستدلال على المحلوف عليه ولم تخرج في صورة الدليل واخرجت مخرج الايمان لان المتكلم اذا شرع في اول كلامه باليمين يعلم السامع انه يريد ان يتكلم بكلام عظيم فيصغي اليه بتمام الاصغاء فبدأ بالحلف وادرج الدليل في صورة اليمين حتى يقبل القوم

(فالمقسمات امرا) الملائكة التي تقسم الامور من الامطار والارزاق وغيرها او مايعمهم وغيرهم من اسباب القسمة او الرياح تقسم الامطار بتصريف السحاب فان حملت على ذوات مختلفة فالفاء لترتب الاقسام بها باعتبار مابينها من التفاوت في الدلالة على كمال القدرة والا فالفاء لترتب الافعال اذ الريح مثلا تذرو الابخرة الى الجو حتى تنعقد سحابا فتحمله فتجري به باسطة له الى حيث امرت به فتقسم المطر

على سماعه فظهر لهم البرهان المبين فى صورة اليمين ﴿قوله وما موصولة﴾ محذوفة العائد اى ان ما توعدون به من البعث لصادق اى لذو صدق على ان بناء فاعل للنسب كتامر لان الوعد لا يكون صادقا بل الصادق الواعد او مصدرية على معنى ان وعدكم لصادق اى لذو صدق كما اذا كانت موصولة والمصدرية لا تحتاج الى العائد ﴿قوله ذات الطرآئق﴾ على ان الحبك بضمتين جمع حباك كمثال ومثل او جمع حبيكة كطريقة وطرق والحباك والحبيكة الطريقة فى الرمل ونحوه ﴿قوله او النجوم فانها تزينها كما تزين الوشى طرآئق وشيه بعد قوله ويتوصل بها الى المعارف فان لها طرآئق﴾ هكذا فى بعض النسخ بين كون السماء ذات طرآئق معقولة مؤدية الى المعارف بقوله فان لها طرآئق فان المعارف لها طرق تؤدى كل واحدة من تلك الطرق اليها والسماء ذات تلك الطرق ثم قال او النجوم بالجر معطفا على الطرآئق بناء على ماقاله الحسن البصرى من ان حبكها نجومها فتكون الحباك بمعنى الزينة والحسن * قال الامام محيى السنة فى تفسيره ذات الحبك قال ابن عباس وقتادة وعكرمة ذات الخلق الحسن المستوى وقال سعيد بن جبير ذات الزينة وقال الحسن حبكت بالنجوم وقال الامام ابو الليث ثم اقسم الله عز وجل بالسماء ذات الحسن والجمال وقال على بن ابى طالب رضى الله عنه ذات الخلق الحسن انتهى وفى الصحاح حبك الثوب يحبكه بالكسر حبكا اى اجاد نسجه قال ابن الاعرابى كل شئ احكمته واحسنت عمله فقد حبكته فقوله تعالى ذات الحبك بمعنى ذات الزينة التى هى النجوم فانها مزينة السماء من حيث كونها على طرآئق الوشى والوشى والشية كل لون يخالف معظم لون الحيوان والهاء فى شية عوض عن الواو الذاهبة من اوله كما فى عدة وقوله تعالى لا شية فيها اى ليس فيها لون يخالف سائر لونها يقال وشيت الثوب اشيه وشيا وشية فهو موشى وفى اكثر النسخ بعد قوله ويتوصل بها الى المعارف او النجوم فان لها طرآئق او انها تزينها كما تزين الوشى طرآئق الوشى فيكون ايضا اشارة الى ماقاله الحسن من ان حبكها نجومها وبيانا لوجه كون النجوم حبكا للسماء وهو ان الحبك ان كان بمعنى الطرآئق فالنجوم لما وقعت فى مواقعها على طرآئق كانت السماء المشتملة عليها ذات الطرآئق وان كان بمعنى الزين فوجه كون السماء ذات النجوم ذات الحبك اى ذات الزين ظاهر لان النجوم زينة لها فالسماء المشتملة على النجوم تكون مشتملة على الحبك لا محالة الا ان كون قوله او النجوم مجرورا بالعطف على الطرآئق فى قوله ذات الطرآئق يستلزم كونه قسما للطرآئق وهو ينافى قوله فان لها طرآئق وكونه مرفوعا بالعطف على الطرآئق فى قوله والمراد بالطرآئق يستلزم ان لا تكون الحبك بمعنى الزينة وهو ينافى قوله او انها تزينها ويمكن ان يختار كونه مجرورا ويجعل عطف النجوم من قبيل عطف العام على الخاص فان النجوم يجوز ان تعتبر من حيث كونها طرآئق ومن حيث كونها زينة فيصح ان تجعل النجوم حبكا للسماء بمعنى انها طرآئق فيها وبمعنى انها زينة لها ﴿قوله وقرئ الحبك﴾ بضم الحاء وسكون الباء وهو مخفف من الحبك بضمتين كرسل فى رسل والحبك بكسر الحاء والباء كالابل والحبك بكسر الحاء وسكون الباء كالسلك والحبك بفتحتين كالجبل جمع حبكة كعقبة فى عقب والحبك بكسر الحاء وفتح الباء كالنعم جمع نعمة والحبك بضم الحاء وفتح الباء كالبرق جمع حبكة بضمتين كبرقة وبرق او حبكة بضم الحاء وسكون الباء كظلمة وظلم فهذه ست قرآءت غير قرآءة الجمهور وهى بضم الحاء والباء فالمجموع سبع قرآءت ﴿قوله ولعل النكتة فى هذا القسم﴾ مع ان عدم ثباتهم على قول واحد امر مقرر لا ينكره احد حتى يؤكد بالقسم الا انه اقسم عليه تعظيما للمقسم به من حيث كونه صالحا لبيان حال اقوالهم من اختلافها وتنافى اغراضها للاشتراك بينها وبين الحبك والطرآئق فى التباعد ذاتا ومؤدى كما ان القسم الاول لتعظيم المقسم به من حيث كونه صالحا لان يستدل به على المقسم عليه ﴿قوله اذ لا صرف اشد منه﴾ تعليل لقوله يصرف عنه من صرف باعتبار ان الصرف المدلول عليه بقوله من افك مطلق والمطلق ينصرف الى الكمال كانه قيل يصرف عنه من صرف الصرف الذى لا صرف اشد منه واعظم فعلل هذا المعنى بقوله اذ لا صرف اشد من الصرف عن الرسول او القرآن او الايمان وايضا الابهام المدلول عليه باسم الموصول يفيد المبالغة فى الاتصاف بمضمون الصلة كما فى قوله تعالى فغشيهم من اليم ما غشيهم وايضا لما قيل من افك ولم يذكر المأفوك عنه دل ذلك على ان المراد من المأفوك عنه ما يعم كل خير وسعادة فكأنه قيل يؤفك عنه من افك عن كل خير وسعادة وعلى هذا التقدير يكون الصرف المدلول عليه بقوله من افك عبارة عن الصرف الذى لا صرف اشد منه ولو لم يعتبر هذا المعنى لكان قوله تعالى يؤفك عنه من افك خاليا عن الفائدة مثل ان يقال يقتل المقتول ويضرب المضروب وقيل المعنى يصرف عنه الآن من حكم عليه

(ان ما توعدون لصادق) جواب للقسم كانه استدل باقتداره على هذه الاشياء العجيبة المخالفة لمقتضى الطبيعة على اقتداره على البعث الموعود وما موصولة او مصدرية (وان الدين) الجزآء (لواقع) لحاصل (والسماء ذات الحبك) ذات الطرآئق والمراد اما الطرآئق المحسوسة التى هى مسير الكواكب او المعقولة التى تسلكها النظار وتوصل بها الى المعارف او النجوم فان لها طرآئق او انها تزينها كما تزين الوشى طرآئق الوشى جمع حبيكة كطريقة وطرق او حباك كمثال ومثل وقرئ الحبك بالسكون كالقفل والحبك كالابل والحبك كالسلك والحبك كالجبل والحبك كالنعم والحبك كالبرق (انكم لفى قول مختلف) فى الرسول وهو قولهم تارة انه شاعر وتارة انه ساحر وتارة مجنون او فى القرآن او القيامة او امر الدين ولعل النكتة فى هذا القسم تشبيه اقوالهم فى اختلافها وتنافى اغراضها بالطرآئق للسموات فى تباعدها واختلاف غاياتها (يؤفك عنه من افك) يصرف عنه الضمير للرسول او القرآن او الايمان من صرف اذ لا صرف اشد منه فكأنه لا صرف بالنسبة اليه او يصرف من صرف فى علم الله وقضائه

فى الازل بانه مأفوك عن الحق بعدم طاعته للرسول عليه الصلاة والسلام والقرآن وعدم الايمان بهما فى جميع احكامهما الى القول المختلف والوجه الاوّل اولى لان كون احوال الكائنات سابقا بالقضاء السابق معلوم ليس فى بيانه كثير فائدة وعلى الوجهين يكون المقصود ذم اصحاب القول المختلف بكونهم مصروفين عن الحق وقيل انه مدح للمؤمنين والمعنى يصرف عن القول المختلف من صرف عن ذلك القول ﴿قوله على معنى يصدر افك من افك عن القول الخ﴾ اى على ان تكون كلمة عن للسببية بمعنى من اجل اى يصرف من صرف عن الايمان من اجل هذا القول المختلف وبسببه فانهم كانوا اذا رأوا احدا يريد ان يدخل فى الايمان يقولون انه ساحر وكاهن ومجنون ومجادل يعلم طرق الجدال فيغلب من جادله وتكلم معه لالاجل انه محق وان من نازعه مبطل جاحد للحق فيصرفونه بمثل هذه الاقوال المختلفة الناشئة عن الايمان ﴿قوله ينهون عن اكل وعن شرب﴾ يقال نهى الجمل ينهى اذا كان مرتقا فى السمن بالغا نهايته وجمل نهى وناقة نهية اى ضخمة سمينة بالغة نهاية الجسامة والسمن والانهاء الابلاغ والنهاية الغاية وقرآءة الجمهور يؤفك عنه من افك على بناء كل واحد من الفعلين للمفعول وقرئ يؤفك عنه من افك على بناء الاوّل للمفعول والثانى للفاعل اى يصرف من صرف الناس عنه وقرئ يأفك عنه من افك على بناء الاوّل للفاعل والثانى للمفعول عكس ما تقدم اى يصرف الناس عنه من هو مأفوك فى نفسه ﴿قوله اجرى مجرى اللعن﴾ اى استعمل بمعنى لعن الكذابون تشبيها للملعون الذى يفوته كل خير وسعادة بالمقتول الذى تفوته الحياة وكل نعمة ﴿قوله فى جهل يغمرهم﴾ يقال غمره الماء يغمره اى علاه والغمرة الشدة جعله على شدة الجهل بشهادة المقام والخراص فى الاصل الذى لا يجزم بامر ولا يثبت عليه بل هو شاك متحير لا يقول ما قاله الا جزافا وخرصا اى ظنا وتخمينا من غير يقين ولما كانت اللام فيه للعهد والمعهودون اصحاب القول المختلف وكانوا كذابين فيما يقولونه كان المعنى لعن الكذابون فيما يقولونه ثم وصفهم بانهم فى جهالة تغمرهم ساهون لاهون وكان المعنى لعن الكذابون فيما يقولونه والسهو ذهاب القلب عن الشئ ﴿قوله ساهون﴾ يحتمل ان يكون ساهون هو الخبر وفى غمرة ظرف له كقولك زيد فى بيته قاعد ﴿قوله اى فيقولون متى يوم الجزآء﴾ قدر القول المعطوف على يسألون لان قوله ايان يوم الدين جملة اسمية منقطعة التعلق عما قبلها الا بتقدير القول وايان ظرف زمان بمعنى متى يوم الجزآء كما ان اين ظرف مكان وايان مركب من اى التى للاستفهام وآن بمعنى الزمان فلذلك كان بمعنى متى فلما ركبا وجعلا اسما واحدا بنى على الفتح كبعلبك لما سمع المشركون قوله تعالى وان الدين لواقع سألوا فقالوا يا محمد ايان يوم الجزآء اى يوم القيامة قالوا ذلك تكذيبا منهم واستهزآء فلذلك لم يذكر جواب هذا الاستفهام لانه ليس لطلب الجواب وقوله تعالى يوم هم على النار يفتنون ليس جوابا له حقيقة حيث لم يتعين به ان المسؤل عنه متى يقع لان جهلهم باليوم الثانى اقوى من جهلهم بالاوّل ولا يجوز ان يكون الجواب بما هو اخفى من السؤال بل جيئ به على صورة الجواب تهديدا لهم وتحقيرا ﴿قوله اى وقوعه﴾ لما كان ايان يوم الدين جملة ظرفية وكان يوم الدين مبتدأ وايان خبره وورد ان يقال ان ظرف الزمان لا يكون خبرا عن الزمان كما لا يقع خبرا عن الجثة فلا يقال زيد يوم الجمعة فكيف وقع ايان ظرفا لليوم والحين لا يقع ظرفا للزمان وانما يقع ظرفا للحدث فلا يقال يوم كذا فى زمان كذا أشار المصنف الى جوابه بقوله اى وقوعه وتقريره انهم لم يسألوا بايان عن نفس زمان الجزآء فى اى زمان هو بل مرادهم زمان وقوع الجزآء متى هو فجعلوا الزمان ظرفا للحدث الذى هو الوقوع لا لنفس الزمان حتى يقال كيف يقع الزمان ظرفا للزمان فان عاد السائل وقال كما لا يجوز ان يكون الزمان ظرفا لنفس الزمان فكذا لا يجوز ان يكون ظرفا لوقوعه ايضا فلا يقال زمان جلوس زيد واقع فى يوم كذا او فى وقت كذا كما لا يقال يوم كذا فى وقت كذا يجاب عنه بان الزمان لما كان ظرفا للزمانيات المتجددة وكانت الحقيقة المتعينة من مطلق الزمان باضافتها الى الحادث المتجدد منزلة منزلة ما اضيفت هى اليه من الحادث فى تجدده جاز ان يجعل الزمان ظرفا لتلك الحقيقة فيقال وقوع يوم الجزآء فى اى زمان هو كما يقال جلوس زيد اى وقت هو ومن هذا القبيل قولهم يوم العيد او النيروز واقع فى فصل كذا فى سنة كذا كما يقال الجزء فى الكل وهذا جواب تحقيق فلو اجيب به من اوّل الامر لصح وكان اقصر للكلام عن اعادة السؤال ﴿قوله اى يقع يوم هم﴾ اشارة الى ان يوم منصوب على انه ظرف لعامل مضمر دل عليه كون السؤال عن زمان وقوعه وان حركته حركة اعراب ﴿قوله او هو يوم هم﴾ اشارة الى انه فى محل الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف وان حركته حركة بناء وانما بنى لاضافته الى الجملة التى لا يظهر فيها

ويجوز ان يكون الضمير للقول على معنى يصدر افك من افك عن القول المختلف وبسببه كقوله ينهون عن اكل وعن شرب اى يصدر تناهيهم عنهما وبسببهما وقرئ افك بالفتح اى من افك الناس عنه وهم قريش كانوا يصدون الناس عن الايمان (قتل الخرّاصون) الكذابون من اصحاب القول المختلف واصله الدعاء بالقتل اجرى مجرى اللعن (الذين هم فى غمرة) فى جهل يغمرهم (ساهون) غافلون عما امروا به (يسألون ايان يوم الدين) اى فيقولون متى يوم الجزآء اى وقوعه وقرئ ايان بالكسر (يوم هم على النار يفتنون) يحرقون جواب للسؤال اى يقع يوم هم على النار يفتنون او هو يوم هم على النار يفتنون وفتح يوم لاضافته الى غير متمكن ويدل عليه انه قرئ بالرفع

الاعراب فان الكوفيين يجوّزون بناء الظرف وان اضيف الى الفعل المضارع او الجملة الاسمية وعند البصريين لايبنى الا ما اضيف الى فعل ماض كقوله على حين عاتبت وفسر يفتنون بقوله يحرقون لانه يقال فتنه بالنار اذا احرقه الجوهرى الفتن الاحراق قال تعالى يوم هم على النار يفتنون ويقال فتنت الذهب و الفضة بالنار اذا اذبتهما بالنار وعدّى بعلى لتضمنه معنى يعرضون وقوله تعالى ذوقوا فتنتكم فى موضع النصب على انه حال من ضمير يفتنون وقوله جواب السؤال اى جواب على منوال سؤالهم فكما انهم لم يسألوا سؤال مستفهم طالب لعلم كذلك لم يجابوا جواب معلّم مبين لان جهلهم باليوم الذى يحرقون فيه بالنار اقوى من جهلهم بيوم الدين وماهو اخفى من المسئول عنه كيف يصح ان يكون جوابا عنه فانهم لما قصدوا بما ذكروه فى صورة الاستفهام الاستهزآء بها او عدوا به فوبلوا بما هو فى صورة الجزآء اهانة لهم و تحقيرا ﴿ قوله هذا العذاب هو الذى كنتم به تستعجلون ﴾ يعنى ان قوله فتنتكم بمعنى عذابكم وان قوله هذا اشارة الى الفتنة لكونها بمعنى العذاب وان قوله هذا الذى كنتم به جملة اسمية ثم جوّز ان يكون هذا فى محل النصب على انه بدل من فتنتكم لكونه بمعنى عذابكم والمعنى ذوقوا هذا العذاب الذى كنتم به تستعجلون فى الدنيا تكذيبا به وهو قولهم ربنا عجل لنا قطنا و قولهم فأتنا بما تعدنا وقتاله وقوله ايان يوم الدين من قبيل الاستعجال بصريح القول و يحتمل ان يكون المراد بالاستعجال الاستعجال بالفعل وهو اصرارهم على العناد واظهار الفساد فانه يعجل العقوبة ثم انه تعالى لما بين حال المجرمين بين بعده حال المتقين فقال ان المتقين فى جنات وعيون وقد مرّ ان المتقى فى عرف الشرع اسم لمن يقى نفسه عما يضرّه فى الآخرة وله ثلاث مراتب الاولى التوقى من العذاب المخلد بالتبرى عن الشرك و الثانية التجنب عن كل ما يؤثم والثالثة ان يتنزه عما يشغل سرّه عن الحق و يتبتل اليه بشراشره ومامن متق الا و يدخل الجنة و ينعم بنعيمها ﴿ قوله تعالى آخذين ﴾ حال من المنوى فى جنات ولما كان الاخذ عبارة عن القبول عن قصد و رغبة فسره بالقبول مع الرضى ﴿ قوله انهم يهجعون فى طائفة من الليل ﴾ ولم يصرح بقيد القلة اكتفاء عنه بتنوين طائفة فانه للتقليل فعلى تقدير كون ما مزيدة يكون قوله يهجعون خبر كانوا ويكون قليلا منصوبا على الظرفية كما فى قولك قام كل الليل او بعضه او قليله ويكون من الليل صفة قليلا اى يهجعون فى طائفة قليلة كائنة من الليل وان جعلت ما مصدرية يكون المصدر الذى اوّل به الفعل مرفوعا على انه بدل من اسم كان وهو الواو بدل الاشتمال ويكون قليلا منصوبا على الظرفية اى كان فى قليل من الليل هجوعهم وان كانت موصولة يكون بدلا ايضا من ضمير كانوا ويكون من الليل حالا من الموصول مقدما عليه ويكون قليلا خبر كان اى كان المقدار الذى يهجعون فيه قليلا حال كون ذلك المقدار من الليل و يجوز ان تكون ما الموصولة فاعل قليلا كأنه قيل قد قل المقدار الذى يهجعون فيه كائنا ذلك المقدار من الليل ﴿ قوله ولا يجوز ان تكون نافية ﴾ رد لمن جعل قليلا خبر كان واتم الكلام به على معنى كانوا من الناس قليلا كقوله وقليل ماهم وقليل من عبادى الشكور ثم ابتدأ بقوله ما يهجعون اى ما يهجعون من الليل ولا ينامون فى الليل اصلا ووجه الرد ان ما النافية لها صدر الكلام فلا يعمل ما بعدها فيما قبلها فلا يبقى لقوله من الليل ما يتعلق به ﴿ قوله والليل الذى هو وقت السبات ﴾ وصف الليل به للاشارة الى وجه المبالغة فى ذكر الليل فانه اذا قلت استراحتهم فى وقت الاستراحة تكون استراحتهم فى غاية القلة لان النهار ليس وقتها وفى الصحاح الغرار النوم القليل و الهجعة النومة القليلة وكلمة ما مزاد لتأكيد مضمون الجملة التى زيدت هى فيها وهى هنا زيدت فى جملة اخبر بها عن قلة هجوعهم فهى تؤكد تلك القلة و تحققها فى ما تمّ التكون من طرق المبالغة فى تقليل نومهم ﴿ قوله وفى بناء الفعل على الضمير اشعار ﴾ وجه الاشعار ان تقديم الضمير وجعل الفعل خبرا عنه يفيد حصر الكلام اى هم الكاملون فى الاستغفار دون غيرهم وذلك انما يكون لوفور علمهم بالله وكمال خشيتهم منه واستغفارهم اما قولى او فعلى بان يأتوا بعبادة تؤدى الى المغفرة ﴿ قوله يستوجبونه على انفسهم ﴾ اى يعدونه حقا واجبا عليهم ويشبهونه به فى صدق عزيمتهم على ايصاله اليهم كما يقال يستكثرونه لما يعدونه كثيرا والمقصود من توصيف الحق بذلك دفع ما يقال كيف يمدح المرء بان يثبت فى ماله حق للفقرآء اى نصيب اوجبه الله عليه فى ماله فان اغنياء المسلمين كلهم كذلك حيث اوجب الله تعالى عليهم الزكاة والعشر ونحوهما بل وعلى الكافر ايضا ان قلنا انه مخاطب بفروع الاسلام اذ فى ماله حق معلوم للفقرآء غير انه اذا اسلم سقط عنه فان مات عوقب على ترك الاداء فكيف يكون ذلك صفة مدح لهم ووجه الدفع ان ليس المراد بالحق ما اوجبه الله تعالى عليهم فى اموالهم بل المراد ما يؤثرون به

(ذوقوا فتنتكم) اى مقولا لهم هذا القول (هذا الذى كنتم به تستعجلون) هذا العذاب هو الذى كنتم به تستعجلون و يجوز ان يكون هذا بدلا من فتنتكم و الذى صفته (ان المتقين فى جنات وعيون آخذين ما آتاهم ربهم) قابلين لما اعطاهم راضين به ومعناه ان كل ما آتاهم ربهم حسن مرضىّ متلقّ بالقبول (انهم كانوا قبل ذلك محسنين) قد احسنوا اعمالهم وهو تعليل لاستحقاقهم ذلك (كانوا قليلا من الليل ما يهجعون) تفسير لاحسانهم وما مزيدة اى يهجعون فى طائفة من الليل او يهجعون هجوعا قليلا او مصدرية او موصولة اى فى قليل من الليل هجوعهم او ما يهجعون فيه ولا يجوز ان تكون نافية لان ما بعدها لا يعمل فيما قبلها وفيه مبالغات لتقليل نومهم واستراحتهم ذكر القليل والليل الذى هو وقت السبات و الهجوع الذى هو الغرار من النوم وزيادة ما (وبالاسحار هم يستغفرون) اى انهم مع قلة هجوعهم وكثرة تهجدهم اذا اسحروا اخذوا فى الاستغفار كأنهم اسلفوا فى ليلهم الجرآئم وفى بناء الفعل على الضمير اشعار بانهم احقاء بذلك لوفور علمهم بالله وخشيتهم منه (وفى اموالهم حق) نصيب يستوجبونه على انفسهم تقربا الى الله و اشفاقا على الناس

الفقرآء على انفسهم مع احتياجهم اليه شفقة على خلق الله تعالى و رغبة فيما عند الله من الاجر الباقى كأنهم يوجبون ذلك على انفسهم و يجعلونه حقا ثابتا فى مالهم ﴿قوله للمستجدى﴾ اى لطالب الجدوى وهو العطاء و المتعفف الفقير الذى يكف نفسه عن المسئلة و يتكلفه يقال عف عن الحرام يعف اى كف نفسه عنه ﴿قوله اى فيها دلائل او وجوه دلالات﴾ يعنى ان الآية يجوز ان تكون بمعنى الدليل و ان تكون بمعنى الدلالة فعلى الاول يكون المعنى ان الارض فيها دلائل دالة على قدرة الله تعالى و حكمته و تدبيره و وحدانيته وهى المعادن و الحيوانات و الجبال و الانهار و البحار و انواع النبات وغير ذلك و على الثانى ان الارض دليل واحد فيها وجوه دلالات على ما ذكر و قوله تعالى آيات مبتدأ و فى الارض خبره قدم عليه و قوله و فى انفسكم عطف على فى الارض و المبتدأ محذوف اى و فى انفسكم آيات فالضمير المنوى فى انفسكم كالمنوى فى خبر المبتدأ و ان رفعت آيات على انها فاعل قوله فى الارض على ما ذهب اليه الاخفش فانه يجوز اعمال الظرف وان لم يعتمد كان الضمير فى قوله و فى انفسكم كالضمير فى الفعل فى نحو قولك قام زيد وقعدا و قام زيد وقعد و الآيات الثابتة فى الانفس ايضا اما بمعنى الدليل اذ ما فى العالم شئ الا و فى الانسان له نظير يدل دلالته او بمعنى وجوه الدلالات من الهيئات النافعة و المناظر البهية ﴿قوله اسباب رزقكم﴾ من الشمس و القمر و سائر الكواكب و اختلاف المطالع و المغارب الذى يترتب عليه اختلاف الفصول التى هى مبادى حصول الارزاق فعلى هذا تكون السماء بمعنى القبة الخضرآء ﴿قوله او تقديره﴾ فان الارزاق كلها مقدرة من السماء و لولا السماء لما حصل فى الارض حبة قوت بين الله تعالى قدرته التامة ليستدل بها على قدرته على البعث و رتب الآيات الثلاث ترتيبا حسنا فان الانسان لابد له من امور تسبقه فى الوجود و من امور تقارنه فى الوجود و من امور تلحقه بعد وجوده فالارض التى هى المكان لابد من سبقها ليوجد الانسان فيها فبدأ بذكرها فقال و فى الارض آيات ثم ذكر من الآيات ما يقارنه فى الوجود من الاجزآء و الاعراض فقال و فى انفسكم ثم ذكر ما يلحقه بعد وجوده و يحتاج اليه فى بقائه فقال و فى السماء رزقكم و ما توعدون من الخير و الشر فان الثواب و العقاب و الخير و الشر كل ذلك مكتوب فى اللوح و هو فى السماء و كتب فيه من الجنة و من النار فالمعنى ان ما رزقونه فى الدنيا و ما توعدونه فى العقبى كل ذلك مقدر مكتوب فى اللوح و هو فى السماء ﴿قوله اى مثل نطقكم﴾ يوهم ان ما فى مثل ما انكم مصدرية و ليست كذلك لانها انما تكون مصدرية اذا وقع بعدها فعل ليكون معها فى تأويل المصدر و لا فعل معها ههنا بل هى مزيدة للتأكيد و انكم تنطقون بعدها فى محل الجر لاضافة المثل اليها و ان مع ما فى حيزها فى تأويل المفرد لوقوعها موقع المفرد و المصنف اشار اليه بقوله اى مثل نطقكم شبه الله تعالى تحقق ما اخبر عنه بتحقق نطق الآدمى و وجوده و هذا كما تقول انه لحق كما انك ههنا و انه لحق كما انك تتكلم و المعنى انه فى صدقه و تحققه كالشئ الذى تعرفه فان قيل الفاء تستدعى كون ما بعدها واقعا عقيب امر متقدم عليها كالامر المتقدم فى قوله تعالى فورب السماء اجيب عنه اولا بان الامر المتقدم ههنا هى الآيات المذكورة كأنه قيل ان ما توعدون لحق بالبرهان المبين ثم بالقسم و اليمين و ثانيا بان الامر المتقدم هو القسم المذكور بقوله و الذاريات فالفاء ههنا هى الفاء العاطفة لوقوع الفصل بين القسمين اقسم اولا بالمخلوقات و ههنا بربها ترقيا من الادنى الى الاعلى ﴿قوله و نصبه على الحال﴾ يعنى ان نصبه اما على انه حال من الضمير فى لحق و اما على انه صفة مصدر محذوف و قيل ان حركته حركة بناء فى محل الرفع على انه صفة لحق و بنى على الفتح لاضافته الى غير متمكن كما بنيت غير لذلك فى قوله

٭ لم يمنع الشرب منها غير ان نطقت ٭ حمامة فى غصون ذات اوقال ٭

فان غير ههنا فى محل الرفع على انه فاعل لم يمنع مبنية على الفتح لاضافتها الى ان نطقت و نحوه لقد تقطع بينكم فيمن قرأ بالفتح و قيل سبب بنائه مثل تركبه مع ما و ما حرف فخرج عن كونه محل الاعراب بالتركيب فبنى لذلك ﴿قوله و هو ما ان كانت بمعنى شئ﴾ جوز فى ما امرين كونها زآئدة للتأكيد و كونها نكرة موصوفة و فى الثانى نظر لعدم كون الوصف مذكورا هنا ٭ فان قال هو محذوف و التقدير مثل شئ حق اعنى انكم تنطقون او هو انكم تنطقون على ان يكون انكم تنطقون فى موضع النصب باعنى او فى موضع الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف ٭ قلنا الاصل عدم الحذف فلا يصار اليه من غير ضرورة و ايضا قد نصوا على ان هذه الصفة لا تحذف لابهام موصوفها فالوجه ان تكون ما زآئدة للتأكيد و يكون انكم تنطقون فى موضع الجر بالاضافة ﴿قوله على انه صفة لحق﴾ فان قيل كيف يصح ان يجعل مثل صفة للنكرة مع انه معرفة بالاضافة الى المعرفة تقديرا لانه فى تقدير مثل نطقكم ٭ قلنا كلمة مثل لتوغلها

(للسائل والمحروم) للمستجدى والمتعفف الذى يظن غنيا فيحرم الصدقة (وفى الارض آيات للموقنين) اى فيها دلائل من انواع المعادن والحيوان اووجوه دلالات من الدحو والسكون وارتفاع بعضها عن الماء واختلاف اجزآئها فى الكيفيات والخواص والمنافع تدل على وجود الصانع وعلمه وقدرته وارادته ووحدته وفرط رحمته (وفى انفسكم) اى وفى انفسكم آيات اذ ما فى العالم شئ الا وفى الانسان له نظير يدل دلالته مع ما انفرد به من الهيئات النافعة والمناظر البهية والتركيبات العجيبة والتمكن من الافعال الغريبة واستنباط الصنائع المختلفة واستجماع الكمالات المتنوعة (افلا تبصرون) تنظرون نظر من يعتبر (وفى السماء رزقكم) اسباب رزقكم او تقديره وقيل المراد بالسماء السحاب وبالرزق المطر فانه سبب الاقوات (وما توعدون) من الثواب لان الجنة فوق السماء السابعة او لان الاعمال وثوابها مكتوبة مقدرة فى السماء وقيل انه مستأنف خبره (فورب السماء والارض انه لحق) وعلى هذا فالضمير لما وعلى الاول يحتمل ان يكون له ولما ذكر من امر الآيات والرزق والوعد (مثل ما انكم تنطقون) اى مثل نطقكم كما انه لا شك لكم فى انكم تنطقون ينبغى ان لا تشكوا فى تحقق ذلك ونصبه على الحال من المستكن فى لحق او الوصف لمصدر محذوف اى انه لحق حقا مثل نطقكم وقيل انه مبنى على الفتح لاضافته الى غير متمكن وهو ما ان كانت بمعنى شئ وان بما فى حيزها ان جعلت زائدة ومحله الرفع على انه صفة لحق ويؤيده قرآءة حمزة والكسائى وابى بكر بالرفع

فى الابهام لاتتعرّف بالاضافة الى المعرفة فصح وقوعها صفة للنكرة مع كونها مضافة الى المعرفة كما هو كذلك فى قرآءة من قرأ مثل ما انكم برفع مثل فانه صفة لحق وما مزيدة ويجوز ان يكون ارتفاعه على انه خبر ثان مستقل كالاوّل او على انه مع ماقبله خبر واحد كقولك هذا حلو حامض نقلهما ابو البقاء وعن الاصمعى انه قال اقبلت من جامع البصرة فطلع اعرابى على قعود فقال ممن الرجل قلت من بنى اصمع قال من اين اقبلت قلت من موضع يتلى فيه كلام الرحمن فقال اتل علىّ فتلوت والذاريات ذروا فلما بلغت قوله تعالى وفى السماء رزقكم قال حسبك فقام الى ناقته فنحرها ووزعها على من اقبل وادبر وعمد الى سيفه وقوسه فكسرهما وولى فلما حججت مع الرشيد طفقت اطوف فاذا انا بمن يهتف الىّ بصوت ضعيف رقيق فالتفت فاذا انا بالاعرابى قد نحل واصفرّ فسلم علىّ واستقرأنى السورة فلما بلغت الآية صاح وقال قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا ثم قال فهل غير هذا فقرأت فورب السماء والارض انه لحق فصاح وقال ياسبحان الله من ذا الذى اغضب الجليل حتى حلف ولم يصدقوه بقوله حتى الجأوه الى اليمين قالها ثلاثا وخرجت معها نفسه كذا فى الكشاف ﴿ قوله فيه تفخيم لشأن الحديث ﴾ حيث قرّر اتيانه بالاجمال ثم فصله بقوله اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما الى آخر القصة فان هل اتاك استفهام معناه التقريب والتعجيب والتشويق الى سماعه كما ذكره المصنف فى تفسير قوله تعالى فى ص هل اتاك نبأ الخصم اذ تسوّروا المحراب وهذا الاسلوب انما يختار اذا كان الحديث الآتى به له فخامة وشأن عجيب ﴿ قوله وتنبيه على انه اوحى اليه ﴾ اى على انه ليس مما يعلمه بنفسه بل انما عرفه بان اوحى اليه فهو صادق فى دعوى الرسالة حيث يخبر عن الامور الماضية كما وقعت من غير مطالعة كتب التواريخ ولا مصاحبة اصحابها فلا سبيل للاخبار عنها الا انه اوحى اليه ذلك فيكون كل ما اخبر به من امر البعث وغيره حقا مطابقا للواقع لان صاحب الوحى لاينطق عن الهوى فيكون اتيان ذلك الحديث اليه عليه الصلاة والسلام واخباره به من جملة الآيات الدالة على حقية البعث فعلم من هذا التقرير وجه ارتباط الآية بما قبلها كأنه قيل أفلا ينظر اصحاب القول المختلف الى مايدل على صدقه عليه السلام فى دعوى الرسالة فيؤمنوا به وبحقية جميع ماجاء به من ربه وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وايعاد لمكذبيه حيث بين فيه انه عليه الصلاة والسلام ليس اوّل من خالفه قومه من الانبياء وبين فيه ايضا هلاك قوم لوط بسبب تكذيبهم اياه عليه السلام وقال الامام النسفى وجه انتظام هذه الآية بما قبلها ان ايراد قصة الخليل ولوط عليهما السلام لكونها توطئة لما ذكر فى آخر القصة من قوله وتركنا فيها آية كأنه قيل ومن الآيات الواقعة فى الارض مابقى من آثار قوم لوط المهلكين بسبب كفرهم ومخالفة نبيهم ﴿ قوله ظرف الحديث ﴾ كما ذكره بعض الادباء من ان نحو القصة والنبأ والحديث والخبر يجوز اعمالها فى الظرف خاصة وان لم ترد بمعنى المصدر كما فى هذه الآية وفى قوله تعالى وهل اتاك نبأ الخصم اذ تسوّروا المحراب والسر فى جواز اعمالها مع انها ليست بمعنى المصدر تضمن معانيها الحصول والكون وقوله او الضيف لانه فى الاصل مصدر ضافه اى نزل به ضيفا ولذلك استوى فيه الواحد والمتعدّد او المكرمين اذا فسر بانهم مكرمون عند ابراهيم كأنه قيل اكرموا اذ دخلوا عليه ولا يجوز انتصابه باتاك لاختلاف الزمانين ﴿ قوله اى نسلم عليكم سلاما ﴾ يعنى ان مبنى النصب كونه مصدرا مؤكدا لفعله المحذوف ومبنى الرفع كونه مبتدأ حذف خبره وجاز الابتدآء بالنكرة لتخصيصها بالتقدم والسلم بكسر السين وسكون اللام بمعنى السلام ﴿ قوله وقرئ منصوبا ﴾ اى وقرئ فقالوا سلاما فقال سلما كما قرئ قال سلاما ﴿ قوله اى انتم قوم منكرون ﴾ اى قوم لانعرفكم يقال نكرت الرجل بكسر الكاف نكرا وانكرته واستنكرته اذا لم تعرفه فالكل بمعنى واحد وانما قال لهم ذلك لانه رأى لهم حالا وشكلا على خلاف حال الناس وشكلهم فدل ذلك على انهم ليسوا من قومه فقال لهم ذلك او لانه عليه السلام كان بين اظهر قوم كافرين لايحيى بعضهم بعضا بما هو علم الاسلام فلما سمع منهم مالم يسمعه من اهل زمانه نكرهم فقال لهم ذلك ويجوز ان يكون هذا منه تعرّفا عن حالهم كأنه قال انتم قوم لانعرفكم من انتم وعن ابن عباس انه عليه الصلاة والسلام قال فى نفسه هؤلاء قوم لانعرفهم * فان قيل قال تعالى فى سورة هود فلما رأى ايديهم لاتصل اليه نكرهم فدل ذلك على ان انكاره عليه السلام حصل بعد تقريب العجل اليهم وقال ههنا فقالوا سلاما قال سلام قوم منكرون ثم قال فراغ الى اهله بفاء التعقيب وذلك يدل على ان تقريب الطعام اليهم كان بعد حصول انكاره فما وجه التوفيق * فالجواب ان الانكار الذى كان قبل تقريب العجل غير الانكار الحاصل بعده فان الانكار الحاصل قبله بمعنى عدم العلم بانهم من اى بلدة ومن اى قوم والانكار الحاصل بعده

(هل اتاك حديث ضيف ابراهيم) فيه تفخيم لشأن الحديث وتنبيه على انه اوحى اليه والضيف فى الاصل مصدر ولذلك يطلق للواحد والمتعدّد قيل كانوا اثنى عشر ملكا وقيل ثلاثة جبريل وميكائيل واسرافيل وسماهم ضيفا لانهم كانوا فى صورة الضيف (المكرمين) اى مكرمين عند الله تعالى او عند ابراهيم اذ خدمهم بنفسه وزوجته (اذ دخلوا عليه) ظرف الحديث او الضيف او المكرمين (فقالوا سلاما) اى نسلم عليكم سلاما (قال سلام) اى عليكم سلام عدل به الى الرفع بالابتدآء لقصد الثبات حتى تكون تحيته احسن من تحيتهم وقرئا مرفوعين وقرأ حمزة والكسائى قال سلم وقرئ منصوبا والمعنى واحد (قوم منكرون) اى انتم قوم منكرون وانما انكرهم لانه ظنّ انهم بنوا آدم ولم يعرفهم او لان السلام لم يكن تحيتهم فانه علم الاسلام وهو كالتعرّف عنهم (فراغ الى اهله) فذهب اليهم فى خفية من ضيفه فان من ادب المضيف ان يبادر بالقرى حذرا من ان يكفه الضيف او يصير منتظرا (فجاء بعجل سمين) لانه كان عامة ماله البقر (فقربه اليهم) بان وضعه بين ايديهم

يعني عدم العلم بانهم دخلوا عليه بقصد الخير او الشر فان من امتنع من تناول طعام اهل البيت يخاف من شره ولم يؤمن من ضرره فان عادتهم ان يجيء الشر والضرر ان لا يتناول من طعام من يريد اضراره ﴿قوله اى منه﴾ لان المقصود ليس عرض جنس الاكل والحث عليه بل المقصود عرض الاكل مما قرّبه اليهم فلما كان منه مقدرا كان فيه اشعار بكون العجل حنيذا اى مشويا كما صرح به فى موضع آخر فقال بعجل حنيذ ﴿قوله فقام يدرج﴾ اى يمشى ويمضى لسبيله يقال درج درو جا اى مشى ودرج اى مضى لسبيله ﴿قوله الى بيتها﴾ لما تكلموا فى زوجها بولادتها استحيت واعرضت عنهم فذكر الله تعالى ذلك بلفظ الاقبال الى البيت ولم يذكره بلفظ الادبار عن الملائكة ﴿قوله تعالى فى صرة﴾ حال من فاعل اقبلت اى اقبلت كائنة فى صرة وقيل لم يكن هناك اقبال من مكان الى مكان بل اقبلت ههنا بمعنى اخذت وجلست يقال اقبل يفعل كذا بمعنى اخذ يفعل كذا فعلى هذا يكون فى صرة فى محل النصب على انه خبر فعل المقاربة وسماه المصنف مفعولا تشبيها بالمفعول وقدمر فى سورة الحجرات ان افعال المقاربة ترفع الاسم وتنصب الخبر مثل كان والصرة الصيحة الشديدة يقال صر يصر صرا اذا صوت ومنه صرير الباب والقلم والصرة ايضا الجماعة ويهافسرها بعضهم اى فاقبلت فى جماعة من النساء كن عندها وهى واقفة متهيئة للخدمة واختلف فى حقيقة الصك فقيل هو الضرب باليد مبسوطة وقيل هو ضرب الوجه باطراف الاصابع فعل المتعجب وهى عادة النساء اذا انكرن شيأ والصك فى الاصل ضرب الشىء بالشىء العريض والعاقر المرأة التى لا تحبل ويوصف به الرجل ايضا اذا لم يولد له والعقيم بمعناه وكانت سارة عقيما لم تلد قط فلم تلد فى صغرها وعنفوان شبابها ثم كبرسنها وبلغت سن اليأس استبعدت ذلك وتعجبت فقالت عجوز عقيم اى انا عجوز ومع ذلك كنت فى الشباب عقيما فكيف ألد وكانت يومئذ بنت ثمان وتسعين سنة وكان ابراهيم عليه الصلاة والسلام يومئذ ابن تسع وتسعين سنة وقيل لما تعجبت قال لها جبريل عليه السلام انظرى الى سقف بيتك فنظرت وكانت جذوعه من النخل اليابسة فاذاهى مورقة مثمرة فقال لها اتعجبين من امر الله ومثل هذا يكون بامر الله تعالى ﴿قوله مثل ذلك الذى بشرنا به قال ربك﴾ يعنى ان الكاف فى كذلك فى محل النصب على انه صفة لمصدر قال ربك اى لا تستبعدى ما بشرنا به فانه تعالى قال مثل ما اخبرناك به وهو العليم القدير ﴿قوله سأل عنه﴾ اى عن الامر العظيم الذى كان سببا لنزولهم مجتمعين فان الخطب انما يستعمل فى الامر العظيم والفاء فيه للتعقيب اى بعدما علمت انكم ملائكة وان الملائكة لا ينزلون الا لامر عظيم لانهم عباد مكرمون عند الله تعالى فلا يرسلهم الا لامر عظيم فما ذلك الامر وقوله تعالى لنرسل عليهم حجارة استدل به على وجوب الرجم بالحجارة على اللائط وقوله مسومة منصوب على انه صفة حجارة او على انه حال من المنوى فى قوله من طين او من حجارة وحسن ذلك لكون النكرة موصوفة بالجار والمجرور بعدها اى حال كونها مرسلة من خزائن الله تعالى او معلمة قيل مكتوب على كل حجر منها اسم صاحبه وقوله عند ربك ظرف لمسومة واللام فى المسرفين لتعريف العهد اى مسومة لهؤلاء المسرفين لا لكل مسرف فيكون من وضع الظاهر موضع الضمير للاشارة الى علة اعدادها لهم وامرائهم فاحشتهم التى قال تعالى فى حقها ما سبقكم بها من احد من العالمين ﴿قوله تعالى فاخرجنا من كان فيها﴾ اى بان كنا امرناهم بالخروج حيث قلنا له عليه الصلاة والسلام فأسر باهلك بقطع من الليل وفيه دليل على انه ببركة المحسن ينجو المسىء فان القرية مادام فيها المؤمنون لم تهلك ﴿قوله غير اهل بيت﴾ يعنى لوطا وبنيه ولما وصفهم الله تعالى بالايمان والاسلام جميعا استدل به على اتحادهما وهو ضعيف لان صدق الناطق والضاحك مثلا على الانسان لا يدل على اتحاد مفهوميهما لكن يدل على انهما صفتا مدح والايمان فى اللغة عبارة عن التصديق مطلقا قال تعالى حكاية عن اخوة يوسف وما انت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين اى بمصدق فيما حدثنا وفى الشرع عبارة عن التصديق الخاص وهو تصديق الرسول فى جميع ما علم مجيئه به ضرورة اى فى جميع ما علم كونه من الدين ضرورة وهو فعل القلب واما افعال الجوارح فهى فروع الايمان وثمراته اللازمة له المتفرعة عليه فالايمان يستتبع الاسلام الذى هو فعل الجوارح فكل مؤمن مسلم من غير عكس فان المنافق مسلم وليس بمؤمن قال تعالى قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا فظهر ان المسلم اعم من المؤمن واطلاق العام على الخاص لا يدل على اتحاد مفهوميهما ﴿قوله وتركنا فيها﴾ اى فى قرى قوم لوط معطوف على قوله فاخرجنا من كان فيها اى فاخرجناهم منها ثم اهلكناها وما ابقينا منها الا آية اى علامة تدل على انا اهلكناها واختلف فى ان الآية ماهى فقيل هى ماء اسود منتن انشقت ارضهم وخرج منها ذلك وقيل هى

(قال الا تأكلون) اى منه وهو مشعر بكونه حنيذا والهمزة فيه للعرض والحث على الاكل على طريقة الادب ان قاله اوّل ما وضعه وللانكار ان قاله حيث ما رأى اعراضهم (فاوجس منهم خيفة) فاضمر منهم خوفا لما رأى اعراضهم عن طعامه لظنه انهم جاؤه لشر وقيل وقع فى نفسه انهم ملائكة ارسلوا للعذاب (قالوا لا تخف) انا رسل الله قيل مسح جبرائيل العجل بجناحه فقام يدرج حتى لحق بامه فعرفهم وأمن منهم (وبشروه بغلام) هو اسحق صلى الله عليه وسلم (عليم) يكمل علمه اذا بلغ (فاقبلت امرأته) سارة رضى الله عنها الى بيتها وكانت فى زاوية تنظر اليهم (فى صرة) فى صيحة من الصرير ومحله النصب على الحال او المفعول ان اوّل اقبلت بأخذت (فصكت وجهها) فلطمت باطراف الاصابع جبهتها فعل المتعجب وقيل وجدت حرارة دم الحيض فلطمت وجهها من الحياء (وقالت عجوز عقيم) اى انا عجوز عاقر فكيف ألد (قالوا كذلك) مثل ذلك الذى بشرنا به (قال ربك) وانما نخبرك به عنه (انه هو الحكيم العليم) فيكون قوله حقا وفعله محكما (قال فما خطبكم ايها المرسلون) لما علم انهم ملائكة عليه وعليهم السلام وانهم لا ينزلون مجتمعين الا لامر عظيم سأل عنه (قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين) يعنون قوم لوط (لنرسل عليهم حجارة من طين) يريد السجيل فانه طين متحجر (مسومة) مرسلة من اسمت الماشية او معلمة من السومة وهى العلامة (عند ربك للمسرفين) المجاوزين الحد فى الفجور (فاخرجنا من كان فيها) فى قرى قوم لوط واضمارها ولم يجر ذكرها لكونها معلومة (من المؤمنين) ممن آمن بلوط (فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين) غير اهل بيت من المسلمين واستدل به على اتحاد الايمان والاسلام وهو ضعيف لان ذلك لا يقتضى الا صدق المؤمن والمسلم على من اتبعه وذلك لا يقتضى اتحاد مفهوميهما لجواز صدق المفهومات المختلفة على ذات واحدة (وتركنا فيها آية) علامة

مافيها من الحجارة الملقاة المنضودة التي رجموا بها وقيل الآية نفس القرية وجعل اعلاها اسفلها قال السدي ومقاتل كانوا سبعمائة الف فادخل جبريل عليه الصلاة والسلام جناحه تحت الارض فاقتلعها ورفعها حتى سمع اهل السماء صوتهم ثم قلبها ثم ارسل عليها الحجارة ثم تتبعت الحجارة شراذهم ومسافريهم واصبح ابراهيم عليه الصلاة والسلام بالساقي مسجده فرأى الدخان ساطعا وبين ابراهيم وبينهم اربعة فراسخ فلما رأى الدخان علم ان العذاب نزل بهم ﴿ قوله فانهم المعتبرون بها ﴾ علة لتخصيص الخائفين بكون تلك الآية عبرة لهم فان تلك الآية تدل على انه تعالى اهلك اهلها بشؤم كفرهم ومعصيتهم فيخافون مثل عذابهم فيجتنبون عما هو سبب لهلاكهم ﴿ قوله او وتركنا فيها ﴾ الظاهر ان يقال او على قوله فيها باعادة الجار لان المعطوف عليه ضمير مجرور وقد تقرر في النحو انه اذا عطف على الضمير المجرور اعيد الخافض مثل مررت بك وبزيد الا ان عطفه على ضمير فيها لما استلزم كون الجار الثاني متعلقا بتركنا بناء عليه بزيادة تركنا فقال او وتركنا فيها الا ان المتعلق في الحقيقة هو الجعل المحذوف المدلول عليه بقوله وتركنا لان الترك بمعنى الجعل ﴿ قوله كقوله علفتها تبنا وماء باردا ﴾ اوله لما حططت الرحل عنها واردا قوله واردا حال من فاعل حططت والمعنى علفتها تبنا وسقيتها ماء باردا حذف المعطوف وابقى العاطف اعتمادا على دلالة ما يدل عليه لان الماء لا يكون معلوفا بل هو مشروب وكذا قوله في موسى لا يصح ان يعلق بتركنا اذ لا يستقيم ان يقال تركنا في موسى كما يصح ان يقال تركنا في قرى قوم لوط آية لان ترك الشئ في الشئ يقتضي ابقاءه فيه وهو يستلزم بقاء الشئ الثاني فاذا لم يبق موسى فكيف يبقى ما ترك فيه فيجب ان يكون المعنى وجعلنا في موسى اي في قصته وارساله الى فرعون وانجائه مما لحق فرعون وقومه من الغرق آية وهذه الآية تدل على ان من خالف الرسول لا يفلح ابدا فكيف تجترئون على مخالفة نبيكم وتدل ايضا على كمال علمه تعالى وقدرته وتدبيره في خلقه على ما تقتضيه الحكمة فكيف لا تنظرون نظر من يعتبر فتعرفون قدرته على البعث وما فيه من الحكمة والظرف بجعلنا المقدر على الوجه الثاني او للآيات المقدرة على الوجه الاول اي وفي موسى آيات كافية للاعتبار في وقت ارسالنا اياه ﴿ قوله فاعرض عن الايمان به ﴾ بيان لحاصل المعنى لان التولي بمعنى الاعراض والركن بمعنى الطرف والجانب والمراد به نفسه فانه كثيرا ما يعبر بطرف الشئ وجانبه عن نفسه والباء في بركنه للتعدية كما في قوله تعالى ونأى بجانبه فانها معدية لنأى بمعنى بعد وفي الوجه الثاني يكون الركن مستعارا لجنوده تشبيها لهم بركن البناء من حيث ان كل واحد منهما يعتمد عليه ويتقوى به فعلى هذا تكون الباء للسببية او للمصاحبة اي فاعرض بسبب من كان يتقوى بهم من جنوده في ملكه او فاعرض ومعه اركان ملكه ﴿ قوله كأنه جعل ما ظهر عليه من الخوارق منسوبا الى الجن ﴾ مبني على ان يكون ما ظهر من يد الساحر ايضا من آثار الجن وافعالهم كما ان ما ظهر من يد المجنون كذلك والفرق بينهما ان الساحر بقصد الجن ويأتيهم باختياره بخلاف المجنون فان الجن يأتونه من غير مشيئته واختياره وقيل كلمة او ههنا بمعنى الواو لانه قالهما جميعا قال تعالى حكاية عنه ان هذا لساحر عليم وقال في موضع آخر ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون ﴿ قوله تعالى وفي عاد ﴾ اي وفي قوم هود آيات ان كان معطوفا على قوله وفي الارض او وجعلناهم آية ان كان معطوفا على قوله وتركنا فيها وكذا قوله وفي ثمود قوم صالح فانه ايضا على احد هذين الوجهين ﴿ قوله سماها عقيما ﴾ يعني ان العقيم هي المرأة التي لا تلد وسمي الريح التي لا تنشئ سحابا بمطر ولا تنبت نباتا ولا تلقح شجرا عقيما مالكونها سببا في هلاك من ارسلت هي عليهم فيكون تسميتها به من قبيل توصيف السبب بوصف المسبب او لتشبيهها بالمرأة العقيمة من حيث انها لا تلقح فائدة ﴿ قوله وهي الدبور ﴾ يعني اختلف في الريح العقيم التي ارسلت عليهم فقال ابن عباس رضي الله عنهما هي الدبور وقال علي رضي الله عنه هي النكباء وقال سعيد بن المسيب هي الجنوب والاول اصح لقوله عليه الصلاة والسلام نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور والرياح اربع الدبور والصبا والجنوب والشمال فالدبور ما تهب من جانب المغرب والصبا ما تهب من جانب المشرق والجنوب ما تهب عن يمين من يتوجه الى المشرق والشمال ما تهب من جانب يساره والنكباء اسم مشترك يطلق على كل ريح تهب ما بين هذه الرياح الاربع سميت نكباء لكونها ناكبة اي مائلة عن مهاب اصول الرياح والنكباء ايضا اربع فنكباء الصبا والجنوب تسمى الازيب ونكباء الصبا والشمال تسمى الصابية وتسمى النكيباء ايضا وهو من قبيل التصغير على قصد التكثير لانهم يستبردونها جدا ونكباء الشمال والدبور قرة اي باردة وتسمى الجربياء ونكباء الجنوب والدبور حارة تسمى الهيف قال ابن عباس رضي الله عنهما كانت الريح

(تحمل)

(الذين يخافون العذاب الاليم) فانهم المعتبرون بها وهي تلك الاحجار او صخر منضود فيها او ماء اسود منتن (وفي موسى) عطف على وفي الارض او وتركنا فيها على معنى وجعلنا في موسى كقوله علفتها تبنا وماء باردا (اذ ارسلناه الى فرعون بسلطان مبين) هو معجزاته كاليد والعصا (فتولى بركنه) فاعرض عن الايمان به كقوله ونأى بجانبه او فتولى بما كان يتقوى به من جنوده وهو اسم لما يركن اليه الشئ ويتقوى به وقرئ بضم الكاف (وقال ساحر) اي هو ساحر (او مجنون) كأنه جعل ما ظهر عليه من الخوارق منسوبا الى الجن وتردد في انه حصل ذلك باختياره وسعيه او بغيرهما (فاخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم) فاغرقناهم في البحر (وهو مليم) آت بما يلام عليه من الكفر والعناد والجملة حال من الضمير في فاخذناه (وفي عاد اذ ارسلنا عليهم الريح العقيم) سماها عقيما لانها اهلكتهم وقطعت دابرهم او لانها لم تتضمن منفعة وهي الدبور او الجنوب او النكباء (ما تذر من شئ اتت عليه) مرت عليه (الا جعلته كالرميم) كالرماد من الرم وهو البلى والتفتت

قوله فان الرياح اربعة

تحمل البعير والشاة والعبد والامة فتلقيه بالوادى ولم تضرّ غريبا ليس منهم وكانت العمالقة تجيء الوادى تنظر اليهم فلم يضرّهم شيأ ﴿قوله تفسيره قوله تعالى تمتعوا فى داركم ثلاثة ايام﴾ يعنى ان المراد من الحين المذكور فى هذه الآية هذه المدّة التى امهلهم الله تعالى فيها بعد ما عقروا الناقة وهى ثلاثة ايام وقد تغيرت الوانهم فى تلك المدّة فاصفرّت فى اليوم الاوّل واحمرّت فى الثانى واسودّت فى الثالث وقيل هذا ضعيف لان قوله فعتوا عن امر ربهم بحرف الفاء دليل على ان العتوّ كان بعد ماقيل لهم تمتعوا حتى حين فلو كان معنى هذا القول تمتعوا الى انقضاء ثلاثة ايام وعند انقضائها تأخذكم الصاعقة التى هى الهلاك بصيحة جبريل عليه الصلاة والسلام بسبب استكباركم عن امتثال امر ربكم وهو قوله تعالى هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل فى ارض الله ولا تمسوها بسوء فان سنة الله تعالى قد جرت على ان لا يمهل قوما اصرّوا على الكفر بعد ظهور ما اقترحوه من المعجزة وقد خرجت الناقة من الصخرة الصماء بسبب اقتراحهم اياها فلما لم يؤمنوا بعد ما عاينوا خروجها منها وجبت عليهم العقوبة العاجلة قيل لهم تمتعوا فى داركم ثلاثة ايام فكيف يصح ان يحكى عنهم انهم عتوا عن امر ربهم بعد ماقيل لهم ذلك بل الظاهر ان يفسر الحين بمنتهى الاجل المقدر للناس وان يكون المعنى تمتعوا حتى حين بشرط امتثالكم ما امركم الله تعالى به وهو ان لا تمسوها بسوء وان تتركوها على حالها ولا تزاحموها فى شربها ومرعاها فانكم ان امتثلتم هذا الامر تمتعتم وعشتم زمانا مديدا على حسب ما قدّر الله تعالى من الآجال والا يأخذكم عذاب اليم وعقاب عاجل فعقروها وعتوا عن امر ربهم فحلت عقوبتهم قال الامام ابو الليث فى تفسيره قوله تعالى اذ قيل لهم تمتعوا حتى حين يعنى قال نبيهم صالح عليه الصلاة والسلام عيشوا الى منتهى آجالكم ولا تعصوا امر الله تعالى فعتوا عن امر ربهم يعنى تركوا اطاعة ربهم فاخذتهم صيحة العذاب وهذا التضعيف والاشكال انما يرد ان لو جعل قوله تعالى فعتوا عن امر ربهم معطوفا على مجرّد قوله قيل لهم تمتعوا واما اذا جعل تفسيرا وتفصيلا لما اجمل فى قوله وفى ثمود اذ قيل لهم تمتعوا حتى حين من قصة اهلاكهم فلا ضعف ولا اشكال فان تقدير قوله تعالى وفى ثمود وفى اهلاك ثمود ايضا آية وقوله فعتوا عن امر ربهم تفسير لقصة اهلاكهم وتفصيل لها كالفاء التى فى قوله تعالى ونادى نوح ربه فقال رب ان ابنى من اهلى فانه قد مرّ مرارا ان الفاء العاطفة للجمل قد تفيد كون المذكور بعدها كلاما مرتبا على ماقبلها فى الذكر لا ان مضمون ما بعدها مرتب على مضمون ماقبلها فى الزمان فان ذكر تفصيل المجمل انما يصح بعد جرى ذكره ومن هذا الباب عطف تفصيل المجمل على المجمل كقوله تعالى ونادى نوح ربه فقال رب ان ابنى من اهلى ﴿قوله فاستكبروا عن امتثاله﴾ اشارة الى وجه تعدية فعل العتوّ بكلمة عن مع انه قد عدّى بكلمة على فى قوله تعالى ايهم اشد على الرحمن عتيا وحاصله ان فيه معنى الاستكبار فعدّى تعديته قال تعالى لا يستكبرون عن عبادته وحيث استعمل بعلى يكون كقولك فلان يتكبر علينا ﴿قوله اى العذاب﴾ الصاعقة فى اللغة نار تسقط من السماء فى رعد شديد استعيرت هنا لصيحة العذاب اى لعذاب المهلك من اى نوع كان والصعقة الغشية والموت يقال صعق الرجل صعقة اى غشى عليه وقال تعالى فصعق من فى السموات اى مات قيل المراد بها ههنا الموت بصيحة جبريل عليه الصلاة والسلام ﴿قوله وهم ينظرون﴾ حال من مفعول اخذتهم وفائدة التقييد بها بيان عدم قدرتهم على دفعها ويجوز ان يكون النظر بمعنى الانتظار فالمعنى ان العذاب اتاهم لا على غفلة بل انذروا من قبل ثلاثة ايام وانتظروه ولم يؤخذوا على غفلة اخذ العاجز القتال ﴿قوله كقوله تعالى فاصبحوا فى دارهم جاثمين﴾ اى لاصقين بمكانهم من الارض لا يقدرون على الحركة والقيام فضلا عن الهرب من العذاب وهذه الآية نزلت فى قصة ثمود ايضا فلذلك استدل بها على ان المراد بالقيام ضد الجثوم وهو التلبد بالمكان والصوق به يقال جثم الطائر بالارض اذا تلبد بها ولصق وعلى الثانى يكون القيام من قولهم قام بالامر اذا قوى عليه واقدم ولم يعجز عنه قال قتادة وجماعة فى تفسيره ما قدروا ان يقوموا بعذاب الله فيدفعوه عن انفسهم ﴿قوله اى واهلكنا قوم نوح﴾ يعنى ان قوم منصوب بعامل مضمر يدل عليه ماقبله لان ماقبله يدل على الاهلاك ﴿قوله ويؤيده﴾ اى ويؤيد كون وجه انتصاب قوم معطوفا على محل فى عاد قرآءة من قرأ وقوم بالجرّ عطفا على المجرور قبله من قوله وفى عاد وفى ثمود ذكر الله تعالى ست حكايات كل واحدة منها مشتملة على آية دالة على وجود الصانع وكمال قدرته ثلاث منها تدل عليه من حيث دلالتها على سعة رحمته واحسانه لاوليائه وهى حكاية ابراهيم عليه السلام وبشارته بان

(وفى ثمود اذ قيل لهم تمتعوا حتى حين) تفسيره قوله تمتعوا فى داركم ثلاثة ايام (فعتوا عن امر ربهم) فاستكبروا عن امتثاله (فاخذتهم الصاعقة) اى العذاب بعد الثلاث وقرأ الكسائى الصعقة وهى المرّة من الصعق (وهم ينظرون) اليها فانها جاءتهم معاينة بالنهار (فما استطاعوا من قيام) كقوله فاصبحوا فى دارهم جاثمين وقيل هو من قولهم مايقوم به اذا عجز عن دفعه (وما كانوا منتصرين) ممتنعين منه (وقوم نوح) اى واهلكنا قوم نوح لان ماقبله يدل عليه او اذكر ويجوز ان يكون عطفا على محل فى عاد ويؤيده قرآءة ابى عمرو وحمزة والكسائى بالجرّ (من قبل) من قبل هؤلاء المذكورين (انهم كانوا قوما فاسقين) خارجين عن الاستقامة بالكفر والعصيان

بولده وله من عجوز عقيم وحكاية قرى قوم لوط ونجاة من كان فيها من المؤمنين وحكاية موسى عليه السلام فان المذكور من حكايته ههنا وان كان اهلاك المعاندين لكن المقصود منها انجاء المؤمنين كما قال تعالى ولقد نجينا بنى اسرآئيل من العذاب المهين من فرعون والثلاث الاخيرة تدل عليه من حيث كونها مسوقة لاهلاك المعاندين وهم عاد وثمود وقوم نوح فلذلك لم يقل وفى هود وفى صالح وفى نوح بل اقتصر على ذكر المهلكين ولما فرغ من ذكر الحكايات الست شرع فى بيان سائر مايدل على كمال قدرته من الآيات فقال والسماء بنيناها بأيد والعامة على نصب السماء على الاشتغال وكذلك قوله والارض فرشناها والتقدير بنينا السماء بنيناها والايد والآد القوة يقال آد الرجل يئيد ايدا اى اشتد وقوى فهو ايد اى قوى وقوله وانا لموسعون معناه وانا لقادرون على خلقها وخلق ماهو ارفع منها واعظم وخصت السماء بالذكر لانه لاشئ اعظم منها مما نشاهده وقيل معناه وانا لموسعون ما اردنا اتساعه كما جعلنا السماء واسعة ولما استدل على وجوده وكمال قدرته ببناء السماء وفرش الارض استدل عليها بما بينهما فقال ومن كل شئ خلقنا زوجين اى من كل جنس خلقنا نوعين كالسماء والارض والليل والنهار والبر والبحر والموت والحياة والذكر والانثى والحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة الى غير ذلك من انواع الجواهر والاعراض وكل نوعين منها زوج لايستغنى احدهما عن الآخر ولاتتم المصلحة الا بالمجموع ثم قال فعلنا ذلك كله من بناء السماء وفرش الارض وخلق الازواج ارادة ان يتذكروا فيعلموا ان التعدد من خواص الممكنات وانه تعالى فرد واحد بالذات لايقبل التعدد والانقسام فتعرفوه بالوحدانية وتخصصوه بالعبادة والفاء فى قوله تعالى ففروا الى الله للدلالة على سببية ماذكر فى الآية السابقة لما ذكر بعدها اى فاذا علمتم ان الله تعالى فرد لانظير له ففروا اليه ووحدوه ولاتشركوا به شيأ فى طاعته وعبادته وهو قوله ولاتجعلوا مع الله الها آخر اى لاتجعلوا مع المعبود بالحق معبودا آخر ﴿ قوله او الاول مرتب ﴾ يعنى انه لاتكرير فيه بناء على ان الاول تعليل للامر والثانى تعليل للنهى فانه تعالى امر اولا بالفرار اليه بالايمان والطاعة وعقبه بقوله انى لكم منه نذير مبين تأكيدا للائتمار بالامر المذكور ثم نهى عن الشرك وعقبه ايضا كذلك تأكيدا للانتهاء عما نهى عنه ﴿ قوله اى الامر مثل ذلك ﴾ يعنى ان محل الكاف الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف والمعنى امر كل قوم بالنسبة الى رسولهم مثل امر كفار مكة معك من حيث ان الرسل قبلك كذبوا كما كذبت وقيل فيهم اقوال مختلفة كما قيل فيك فلا تأس على تكذيب قومك اياك ثم فسر ماأجمله بقوله كذلك فقال ما اتى الذين من قبلهم ﴿ قوله ولايجوز نصبه بأتى ﴾ بان يكون صفة لمصدره المحذوف اى ما اتاهم من رسول اتيانا مثل اتيانك قريشا الا قالوا او بما يفسره وهو قوله الا قالوا ساحر بأن يكون التقدير الا قالوا قولا مثل قولك لان هناك مانعا لفظيا وهو ان مابعد ما النافية لايعمل فيما قبلها والاستفهام فى قوله تعالى أتواصوا به للتعجيب والتوبيخ والضمير فى به يرجع الى القول المدلول عليه بقالوا قال المفسرون لما نزل قوله تعالى فتول عنهم فما انت بملوم حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنون بناء على ظن ان الوحى قد انقطع وان العذاب قد حضر حتى نزل قوله تعالى وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين اى تنفع من علم الله انه يؤمن وقال الكلبى معناه عظ بالقرآن من آمن من قومك فان الذكرى تنفعهم من حيث يزدادون به بصيرة ﴿ قوله لما خلقهم على صورة متوجهة الى العبادة ﴾ جواب عما يقال حق اللام ان تدخل على الغرض المطلوب من الفعل وهو العلة الغائية الحاملة للفاعل على الفعل كما يقال اكلت لدفع الجوع ولبست لدفع الم البرد ولم تدخل ههنا على الغرض لما ثبت من انه تعالى لايفعل فعلا لغرض والا لكان مستكملا بذلك الغرض وهو كامل فى نفسه يستحيل ان يكون مستكملا بغيره او ان تدخل على غايته المترتبة على الفعل من الحكم والمصالح تشبيها لها بالغرض الحامل للفاعل على الفعل من حيث كونها منفعة مترتبة على الفعل ومن حيث ان ذلك الفعل لو صدر من غيره تعالى لكانت تلك الغاية غرضا مطلوبا للفاعل كما فى قوله تعالى هو الذى خلق لكم مافى الارض جميعا فان انتفاع الناس بما خلق فى الارض لما كان غاية مترتبة على خلقه وكان حاملا للخلق فى الجملة اذا كان الخلق صادرا ممن يفعل لغرض شبه بالغاية المطلوبة من الفعل فادخل عليها لام الغرض لذلك المعنى فامعنى اللام فى هذه الآية وتقرير الجواب ثم ان العبادة ليست غرضا مطلوبا من الخلق ولاغاية مترتبة على خلق كثير من الجن والانس الا انها شبهت بالغاية المترتبة من حيث ان الجن والانس خلقوا على صورة متوجهة الى العبادة اى صالحة وقابلة

(والسماء بنيناها بأيد) بقوة (وانا لموسعون) لقادرون من الوسع بمعنى الطاقة والموسع القادر على الانفاق او لموسعون السماء او ما بينها وبين الارض او الرزق (والارض فرشناها) مهدناها لتستقروا عليها (فنعم الماهدون) اى نحن (ومن كل شئ) من الاجناس (خلقنا زوجين) نوعين (لعلكم تذكرون) فتعلموا ان التعدد من خواص الممكنات وان الواجب بالذات لايقبل التعدد والانقسام (ففروا الى الله) من عقابه بالايمان والتوحيد وملازمة الطاعة (انى لكم منه) اى من عقابه المعد لمن اشرك او عصى (نذير مبين) بين كونه منذرا من الله بالمعجزات او مبين ما يجب ان يحذر عنه (ولاتجعلوا مع الله الها آخر) افراد لاعظم ما يجب ان يفر منه (انى لكم منه نذير مبين) تكرير للتأكيد او الاول مرتب على ترك الايمان والطاعة والثانى على الاشراك (كذلك) اى الامر مثل ذلك والاشارة الى تكذيبهم الرسول وتسميتهم اياه ساحرا او مجنونا وقوله (ما اتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر او مجنون) كالتفسير له ولايجوز نصبه بأتى او ما يفسره لان مابعد ما النافية لايعمل فيما قبلها (أتواصوا به) اى كأن الاولين والآخرين منهم اوصى بعضهم بعضا بهذا القول حتى قالوه جميعا (بل هم قوم طاغون) اضراب عن ان التواصى جامعهم لتباعد ايامهم الى ان الجامع لهم على هذا القول مشاركتهم فى الطغيان الحامل عليه (فتول عنهم) فاعرض عن مجادلتهم بعدما كررت عليهم الدعوة فأبوا الا الاصرار والعناد (فما انت بملوم) على الاعراض بعد ما بذلت جهدك فى البلاغ (وذكر) ولاتدع التذكير والموعظة (فان الذكرى تنفع المؤمنين) من قدر الله ايمانه او من آمن فانها تزداده بصيرة (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) لما خلقهم على صورة متوجهة الى العبادة مغلبة لها جعل خلقهم مغيا بها مبالغة فى ذلك ولو حمل على ظاهره مع ان الدليل يمنعه لنا فى ظاهر قوله ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس

(لها)

لهما لانهما من حيث تأتي منهما العبادة وانهما هديا اليها بخلق اسبابها ودواعيها من الادلة العقلية والنقلية فيهما صارا بذلك كأنهما خلقا للعبادة وانها مترتبة على خلقهما فلذلك اطلق عليها اسم الغاية ودخلت عليها لام الغاية مبالغة في خلقهما على تلك الصورة ووصف الصورة بكونها معللة بالعبادة لكونها بحيث تصدر عنها العبادة بسهولة لتحقق اسبابها وكثرة دواعيها فصارت بذلك كأنها جعلت غالبة عليها متمكنة فيها ولما وجه الكلام باخراج اللام عن ظاهر معناها بجعلها للمبالغة في خلقهما بحيث تأتي منهما العبادة بسهولة اشار الى وجه العدول عن الظاهر فقال ولو حمل على ظاهره يعني ان المانع من حمل الكلام على ظاهره امران احدهما ان الدليل يمنع حمل الكلام على ظاهره وثانيهما ان حمله على ظاهره يستلزم تعارض الآيتين لان من خلق لجهنم لايكون مخلوقا للعبادة ولما صرف الكلام عن ظاهره بأن جعلت العبادة شبيهة بالغاية ارتفع التعارض ﴿ قوله وقيل معناه ﴾ يعني قيل ان لام الغاية وان دخلت على العبادة ظاهرا الا انها في الحقيقة داخلة على ماهو سبب للعبادة وهو الامر بها فيكون من قبيل ذكر المسبب وارادة السبب روى عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه انه قال في تفسير الآية الا لآمرهم بالعبادة وادعوهم الى عبادتي ويؤيده قوله تعالى وما امروا الاليعبدوا الها واحدا وقوله الاليعبدوا الله ﴿ قوله او ليكونوا عبادا لي ﴾ فيه ان عبد بمعنى صار عبدا غير مستعمل ولا موجود في كتب اللغة ﴿ قوله انما املكهم ليستعينوا بهم في تحصيل معايشهم ﴾ الا منهم من يحتاج الى كسب عبده في نيل الرزق ومنهم من يكون له مال وافر ورزق واسع يستغني به عن حمل عبده على الاكتساب لكنه يستعين به في قضاء حوائجه بان يستخدمه في طبخ الطعام واحضاره بين يديه وغسل اوانيه وثياب نفسه وكنس بيته والقيام على مصالح دوابه ونحو ذلك وهو تعالى مستغن عن جميع ذلك فلم يخلق عباده لينتفع بهم وانما خلقهم وكلفهم بالاوامر والنواهي ليستعدوا لفضله ورحمته ويجتنبوا عن سخطه وعقابه بالتذلل والانقياد وايثار طاعته على متابعة النفس والهوى وظهر بهذا التقرير فائدة تكرير وما اريد فان الارادة الاولى متعلقة باكتساب الرزق والثانية متعلقة باصلاحه وخص الاطعام بالذكر لكونه معظم المنافع المطلوبة من المماليك بعد اشتغالهم بالارزاق ونفي الاهم يستلزم نفي مادونه بطريق الاولى كأنه قيل ما اريد منهم من عين ولا عمل ﴿ قوله تعالى ان الله هو الرزاق ﴾ تعليل لعدم ارادته الرزق منهم بالايماء الى استغنائه عنه وقوله ذو القوة تعليل لعدم احتياجه الى استخدامهم في مهامه من اصلاح طعامه وشرابه ونحو ذلك لان من يستعين بغيره في اموره يكون عاجزا لاقوة له وقوله المتين مرفوع في قرآءة الجمهور على انه خبر بعد خبر لان او خبر مبتدأ محذوف اي هو المتين او على انه صفة لذو القوة او الرزاق وقرئ بالجر على انه صفة للقوة وتذكير وصفها لكون تأنيثها غير حقيقي او لكونها في تأويل الابداع والاقتدار وقيل هو مخفوض على الجوار كقولهم هذا جحر ضب خرب والمتانة شدة القوة ثم انه تعالى لما بين ان كفار قريش كذبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم كما كذب كفار الامم الماضية رسلهم بين جزاء تكذيبهم بقوله فان للذين ظلموا ذنوبا والفاء فيه للفصيحة اي اذا عرفت حال اولئك الكفرة المتقدمين من عاد وثمود وقوم نوح فان لهؤلاء المكذبين نصيبا مثل نصيبهم عبر عن النصيب بالذنوب تشبيها لقسط كل واحد من العذاب بذنوب السقاة فانهم يقتسمون الماء من الآبار على النوبة ذنوبا ذنوبا قال الشاعر

لنا ذنوب ولكم ذنوب ۞ فان أبيتم فلنا القليب ۞

اي البئر وفيه اشارة الى ان العذاب يصب عليهم كما يصب الذنوب قال تعالى يصب من فوق رؤسهم الحميم ثم نهاهم عن استعجال العذاب فقال فلا يستعجلون والنون المكسورة نون الوقاية وكان النضر بن الحارث يستعجل بالعذاب فيقول متى يكون هذا الوعد فهي عنه فقيل ان لكل واحد من المكذبين ذنوبا لكن أخر ذلك الى يوم القيامة ثم قال فويل للذين كفروا من يومهم الذي يوعدون اي من عذاب يوم القيامة والويل الشدة من العذاب وقيل اسم واد في جهنم ۞ تم بعون الله تعالى ما يتعلق بالذاريات

﴿ سورة الطور مكية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم ﴾

﴿ قوله وهو جبل بمدين ﴾ من الارض المقدسة اسمه زبير قال مقاتل هما طوران احدهما طور تينا والآخر طور زيتا لان احدهما ينبت التين والآخر ينبت الزيتون ﴿ قوله او ماطار ﴾ فيكون الطور صفة بمعنى الطائر كالقل

وقيل معناه الا لآمرهم بالعبادة او ليكونوا عبادا لي (ما اريد منهم من رزق وما اريد ان يطعمون) اي ما اريد ان اصرفهم في تحصيل رزقي فاشتغلوا بما انتم كالمخلوقين له والمأمورين به والمراد ان يبين ان شأنه مع عباده ليس شأن السادة مع عبيدهم فانهم انما يملكونهم ليستعينوا بهم في تحصيل معايشهم ويحتمل ان يقدر بقل فيكون بمعنى قوله قل لا اسألكم عليه اجرا (ان الله هو الرزاق) الذي يرزق كل ما يفتقر الى الرزق وفيه ايماء باستغنائه عنه وقرئ اني انا الرزاق (ذو القوة المتين) شديد القوة وقرئ المتين بالجر صفة للقوة (فان للذين ظلموا ذنوبا) اي للذين ظلموا رسول الله بالتكذيب نصيبا من العذاب (مثل ذنوب اصحابهم) مثل نصيب نظرائهم من الامم السالفة وهو مأخوذ من مقاسمة السقاة الماء بالدلاء فان الذنوب هو الدلو العظيم المملوء (فلا يستعجلون) جواب لقولهم متى هذا الوعد ان كنتم صادقين (فويل للذين كفروا من يومهم الذي يوعدون) من يوم القيامة او يوم بدر ۞ عن النبي عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة والذاريات اعطاه الله عشر حسنات بعدد كل ريح هبت وجرت في الدنيا

﴿ سورة والطور مكية وهي ﴾
﴿ اربعون وتسع او ثماني آيات ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والطور) يريد طور سينين وهو جبل بمدين سمع فيه موسى صلى الله عليه وسلم كلام الله والطور بالسريانية الجبل او ما طار من اوج الايجاد الى حضيض المواد ومن عالم الغيب الى عالم الشهادة (وكتاب مسطور) مكتوب والسطر ترتيب الحروف المكتوبة والمراد به القرآن او ما كتبه الله في اللوح المحفوظ او في الواح موسى او في قلوب اوليائه من المعارف والحكم او ما يكتبه الحفظة

والكثر بمعنى القليل والكثير يقال ماله قل ولا كثر ﴿ قوله او فى الواح موسى ﴾ لمناسبة الطور ﴿ قوله الرق الجلد ﴾ يعنى ان الرق فى الاصل مارق من الجلد ليكتب فيه ثم اطلق على سائر مارق لاجل الكتابة تشبيهاً له بما رق والمنشور منه مايبسط ويفتح لقراءة ﴿ قوله او الضراح ﴾ بضم الضاد المعجمة وبالحاء المهملة من الضرح وهو التنحية والابعاد والضريح البعيد وقيل هو من المضارحة وهى المقابلة لانه مقابل للكعبة روى عنه عليه الصلاة والسلام انه بيت فى السماء الرابعة بحيال الكعبة من الارض يدخله كل يوم سبعون الف ملك لم يدخلوه قط قبله ولا يدخلونه بعد ذلك حتى تقوم الساعة فهو معمور بكثرة زواره من الملائكة فحرمته فى السماء كحرمة الكعبة فى الارض وعن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال هو البيت الذى بناه آدم فى الارض فرفع ايام الطوفان الى السماء ووضع بحيال الكعبة وقيل انزل الله بيتا من ياقوتة فى الارض فى زمان آدم عليه السلام ووضع بمكة فكان آدم يطوف به وذريته من بعده الى زمان الطوفان فرفع الى السماء وهو البيت المعمور طوله كما بين السماء والارض قال صاحب الكشف وماجاء فى الحديث انه فى السماء السابعة لاينافيه فقد ثبت ان فى كل سماء بحيال الكعبة فى الارض بيتا واما الذى كان فى زمان آدم فرفع بعد موته فهو فى السماء الرابعة على مانقله الازرقى فى تاريخ مكة ومعنى ضراحا انه ضرح ورفع الى السماء على مامر ان الضرح هو الابعاد ﴿ قوله يعنى السماء ﴾ لقوله تعالى وجعلنا السماء سقفا محفوظا فانها بمنزلة السقف للارض ومرفوعة فوق كل شئ وقيل المراد به العرش ﴿ قوله اى المملوء ﴾ من قولك سجرت الاناء اى ملأته او الموقد المحمى بمنزلة التنور المسجور يقال سجرت التنور اسجره سجرا اذا احميته لما روى ان الله تعالى يجعل البحار كلها يوم القيامة نارا وزاد بها فى نار جهنم كما قال تعالى واذا البحار سجرت وعن كعب انه قال هو البحر يسجر فيكون جهنم وقيل يحمى البحر فيكون شراب اهل النار ﴿ قوله او المختلط ﴾ فان المسجور فى اللغة العين الذى ماؤه اكثر منه ويقال عين سجراء اذا خالطت بياضها حمرة قال الربيع بن انس البحر المسجور اى المختلط العذب بالملح فان البحار كلها تجمع يوم القيامة وتجعل بحرا واحدا او المختلط بما فيه من الحيوانات المائية وهذه الاقاويل كلها مبنية على ان يكون المراد بالبحر بحر الدنيا وقال عكرمة هو بحر تحت العرش عمقه كما بين سبع سموات الى سبع ارضين فيه ماء غليظ يقال له بحر الحيوان يمطر العباد منه بعد النفخة الاولى اربعين صباحا فينبتون فى قبورهم ﴿ قوله ووجه دلالة هذه الامور الخ ﴾ يعنى ان الايمان انما تذكر فى القرآن من حيث كون الامور المقسم بها دليلا على تحقق المقسم عليه فهو تعالى خص هذه الامور بجعلها مقسما بها لاختصاصها بمزيد الدلالة على تحقق المقسم عليه فى الاقسام بها تعظيم لشأنها من حيث دلالتها على ثبوت المدعى ولا خفاء فى دلالتها بامرها على القدرة الكاملة والحكمة البالغة ومادل عليها يدل على صدق اخباره جميعا فيكون صادقا فى الاخبار بضبط اعمال العباد ومجازاتهم على حسب اعمالهم ﴿ قوله ويوم ظرف ﴾ لم يبين ان عامله ماهو اشارة الى جواز انه واقع او دافع والظاهر ان العامل فيه واقع وان الجملة المنفية معترضة بين العامل ومعموله تأكيدا لماسبقه لان جعله ظرفا لقوله واقع يوهم ان احدا يدفع عذابه فى غير ذلك اليوم وهو باطل لان عذاب الله تعالى ماله من دافع فى كل وقت فلا وجه لتقييده فى ذلك اليوم ﴿ قوله اى اذا وقع ذلك فويل لهم ﴾ اشارة الى ان فى الكلام معنى الشرط وان الفاء فى قوله فويل جزائية جيئ بها لربط مدخولها بالشرط المحذوف والجملة الشرطية لبيان العذاب الواقع لمن هو والمعنى اذا علم ان عذاب الله واقع وانه ليس له دافع فويل يومئذ للمكذبين وهو لاينافى تعذيب غير المكذبين من اهل الكبائر لان الويل وهو العذاب الشديد انما هو للمكذبين لا لعصاة المؤمنين وقوله تعالى الذين هم فى خوض يلعبون حال من المنوى فيه ويجوز ان يكون لعوا متعلقا بيلعبون مقدما عليه ويكون يلعبون هو الخبر والموصول مع صلته صفة المكذبين لم يقصد بها تخصيص المكذبين وتمييزهم وانما هو للذم كقولك الشيطان الرجيم والخوض فى الاصل عام يطلق على الخوض فى كل شئ الا انه غلب فى الخوض فى الباطل والاندفاع فيه ﴿ قوله يدفعون اليها بعنف ﴾ يعنى ان الدع هو الدفع بعنف وشدة يقال دععته ادعه دعا اى دفعته بجفوة قال تعالى يدع اليتيم اى يدفعه قال مقاتل تغل ايديهم الى اعناقهم وتجمع نواصيهم الى اقدامهم ثم يدفعون الى جهنم دفعا على وجوههم حتى اذا دنوا منها قال لهم خزنتها هذه النار التى كنتم بها تكذبون فى الدنيا ❊ فان قيل قوله تعالى يدعون الى نار جهنم يدل على ان خزنتها يقذفونهم فى النار وهم بعداء عنها وقوله تعالى يسحبون فى النار على وجوههم يدل على انهم فيها ❊ والجواب من وجوه الاول ان الملائكة

(فى رق منشور) الرق الجلد الذى يكتب فيه استعير لما كتب فيه الكتاب وتنكيرهما للتعظيم والاشعار بانهما ليسا من المتعارف فيما بين الناس (والبيت المعمور) يعنى الكعبة وعمارتها بالحجاج والمجاورين او الضراح وهو فى السماء الرابعة وعمرانه كثرة غاشيته من الملائكة او قلب المؤمن وعمارته بالمعرفة والاخلاص (والسقف المرفوع) يعنى السماء (والبحر المسجور) اى المملوء وهو المحيط او الموقد من قوله واذا البحار سجرت روى ان الله تعالى يجعل يوم القيامة البحار نارا تسجر بها جهنم او المختلط من السجير وهو الخليط (ان عذاب ربك لواقع) لنازل (ماله من دافع) يدفعه ووجه دلالة هذه الامور المقسم بها على ذلك انها امور تدل على كمال قدرة الله وحكمته وصدق اخباره وضبط اعمال العباد للمجازاة (يوم تمور السماء مورا) تضطرب والمور تردد فى المجيئ والذهاب وقيل تحرك فى تموج ويوم ظرف (وتسير الجبال سيرا) اى تسير عن وجه الارض فتصير هباء (فويل يومئذ للمكذبين) اى اذا وقع ذلك فويل لهم (الذين هم فى خوض يلعبون) اى فى الخوض فى الباطل (يوم يدعون الى نار جهنم دعا) يدفعون اليها بعنف وذلك بان تغل ايديهم الى اعناقهم وتجمع نواصيهم الى اقدامهم فيدفعون الى النار

(يسحبونهم)

يسحبونهم فى النار ثم اذا قربوا من نار مخصوصة وهى نار جهنم يقذفونهم فيها من بعيد فيكون السحب فى نار والدفع فى نار اشد واقوى بدليل قوله تعالى يسحبون فى الحميم ثم فى النار يسجرون اى يكون لهم سحب فى حموة النار ثم بعد ذلك يكون لهم ادخال والثانى يجوز ان يكون فى كل زمان يتولى امرهم ملك فالى النار يدفعهم ملك وفى النار يسحبهم آخر والثالث يحتمل ان يكون الملائكة يدفعون اهل النار اهانة لهم واستخفافا بهم ثم يدخلون معهم النار ويسحبونهم فيها ﴿قوله فيكون دعا حالا بمعنى مدعوعين﴾ اى يكون حالا مقدرة من مرفوع يدعون والمعنى يوم يدعون اليها فيقال لهم هلموا اليها فادخلوها مقدرا فى حقهم ان يدعوا اليها فيصيرون فيدفعون اليها ﴿قوله او ظرف للقول مقدر محكيه هذه النار﴾ يعنى ان قوله تعالى هذه النار مقول قول مقدر ويوم يدعون وظرف لذلك القول اى فيقال لهم تلك المقالة يوم يدعون ثم يوبخون لما انهم كانوا يكذبون بها فيقال لهم أفسحر هذا وقوله هذا مبتدأ وقوله أفسحر خبره قدم الخبر لان الاستفهام له صدر الكلام ولان شأن البلغاء تقديم ما اهم به مزيد العناية والاهتمام وهو فى هذا المقام توبيخ المشركين بنسبته عليه الصلاة والسلام فيما جاء به من الآيات الى السحر والتغطية على الابصار ولما كانت الفاء العاطفة تقتضى معطوفا عليه حتى يصح ترتب الجملة المعطوفة عليه قدره فقال اى كنتم تقولون الوحى هذا سحر فالاحوال التى شاهدتموها اليوم مما يصدق ذلك الوحى أسحر هو ايضا ومصداق الشئ ما يصدقه واحوال الآخرة ومشاهدتها تصدق اقوال الانبياء فى الاخبار عنها وأشار بقوله فهذا المصداق الى وجه تذكير اسم الاشارة مع كونه اشارة الى النار وهو ان تكون النار فى تأويل المصداق ونظير هذا الاسلوب ان يستدل المدعى على مذهبه بحجة فيقول الخصم له ما ذكرته تمويه باطل لا يثبت به المدعى فيأتى المستدل بحجة اوضح من الاولى مسكتة للخصم ويقول أفتمويه هذا ايضا تعييرا له بالالزام وطعنا فيه بنسبته الى المكابرة والعناد فيما قاله اولا كأنه قيل انكم كنتم فى الدنيا منكرين للبعث وما يتفرع عليه من الثواب والعقاب فان كنتم صادقين فى ذلك الانكار لزم ان لا يكون ما اصابكم اليوم من عذاب النار عذابا ولا ما شاهدتموه فى صورة النار نارا ومن المعلوم انه من رأى شيئا ولم يكن المرئى فى نفس الامر ذلك الذى رآه فخطأه يكون لاجل احد امرين اما الامر عائد الى المرئى واما لامر عائد الى الرآئى فاى هذين الامرين كان سبب خطأكم فقوله أفسحر هذا اى هل فى المرئى تلبيس وتمويه حتى خيل لكم انه نار مع كونه ليس بنار فى نفس الامر ام هل فى بصركم خلل فكلمة ام متصلة والاستفهام للانكار اى ليس شئ منهما بثابت فثبت انكم قد بعثتم وحوسبتم وجوزيتم باعمالكم وان الذى ترونه حق وعذاب فهو تقريع شديد وتهكم فظيع وبعد هذا التقريع يقال لهم اصلوها اى قاسوا حرها وما فيها من العذاب الشديد اى اذا لم يمكنكم انكارها وتحقق عندكم انه ليس بسحر وانه لا خلل فى ابصاركم فاصلوها ﴿قوله اى الامران﴾ اشارة الى ان قوله سوآء خبر مبتدأ محذوف دل عليه اصبروا او لا تصبروا اى الامران سوآء عليكم اى صبركم وتركه مستويان فى عدم النفع فان الصبر انما ينفع اذا تعلق بالشدة الواقعة ابتداء لا جزآء فان الصابر عليها يثاب على صبره فينفعه الصبر لا محالة بخلاف الصبر الذى تعلق بالشدة الواقعة جزآء فانه لا ينفع الصابر البتة لان الجزآء الموعود واجب الوقوع بمقتضى الوعيد فيقع مؤبدا وقوله تعالى ان المتقين فى جنات يجوز ان يكون كلاما مستأنفا لبشارة المتقين بفوزهم بحسن العاقبة وان يكون من جملة ما يقال للكفار زيادة فى غمهم وتحسرهم ﴿قوله فى اية جنات واى نعيم﴾ يعنى ان تنكير جنات ونعيم اما للتعظيم او للنوعية والخصوص وفاكهين منصوب على انه حال من المنوى فى الظرف قيد كونهم فى جنات ونعيم بحال كونهم ناعمين متلذذين للدلالة على كمال حبورهم وسرورهم فان الجنة مع كونها دار اهل السعادة قد يتوهم ان من يدخلها وعايد خلها للعمل فيها وبصلحها كما هو شأن ناطور الكرم اى مصلحه وحافظه فلاقيل ونعيم افاد انهم فيها متنعمون كما هو شأن المتفرج بالبستان لا كالناطور والعمال ثم زاد فى بيان نزهة خاطرهم وكمال حبورهم وسرورهم بقوله فاكهين فان المتنعم قد يستغرق فى النعم الظاهرة وقلبه مشغول بامر ما فلما قال فاكهين تبين ان استقرارهم فى النعيم ليس الا فى حال كونهم متلذذين لا يشوب سرورهم وحبورهم شئ من الكدر وقرئ فكهين بالقصر وفاكهون بالرفع على انه خبر ان وحينئذ يجوز ان يكون فى جنات ظرفا لغوا متعلقا بالخبر وان يكون خبرا آخر عند من يجوز تعدد الخبر وقوله بما آتاهم متعلق بفاكهين وما موصولة حذف عائدها وهو المفعول الثانى لآتاهم اى متلذذين بسبب ما آتاهم اى اعطاهم ربهم اياه او مصدرية اى متلذذين بايتائهم ربهم ما خصهم به من الكرامة

وقرئ يدعون من الدعاء فيكون دعا حالا بمعنى مدعوعين ويوم بدل من يوم تمور او ظرف للقول مقدر محكيه (هذه النار التى كنتم بها تكذبون) اى فيقال لهم ذلك (أفسحر هذا) اى كنتم تقولون للوحى هذا سحر فهذا المصداق ايضا سحر وتقديم الخبر لانه مقصود بالانكار والتوبيخ (ام انتم لا تبصرون) هذا ايضا كما كنتم لا تبصرون فى الدنيا ما يدل عليه وهو تقريع وتهكم ام سدت ابصاركم كما سدت فى الدنيا على زعمكم حين قلتم انما سكرت ابصارنا (اصلوها فاصبروا او لا تصبروا) اى ادخلوها على اى وجه شئتم من الصبر وعدمه فانه لا محيص لكم عنها (سوآء عليكم) اى الامران الصبر وعدمه (انما تجزون ما كنتم تعملون) تعليل للاستوآء فانه لما كان الجزآء واجب الوقوع كان الصبر وعدمه سيين فى عدم النفع (ان المتقين فى جنات ونعيم) فى اية جنات واى نعيم او فى جنات ونعيم مخصوصة بهم (فاكهين) ناعمين متلذذين (بما آتاهم ربهم) وقرئ فكهين وفاكهون على انه الخبر والظرف لغو

﴿قوله عطف على آتاهم ان جعل مامصدرية﴾ والتقدير متلذذين باتيانهم ووقايتهم عذاب الجحيم ولايجوز عطفه على آتاهم ان جعلت ماموصولة لان المعطوف على الصلة يكون فى حكم الصلة فيجب اشتماله على العائد ولاعائد لها فى الجملة المعطوفة لان التقدير حينئذ فاكهين بالذى آتاهم ربهم اياه وبالذى وقاهم ربهم عذاب الجحيم وليس فى الجملة الثانية مايعود على الموصول لان وقاهم قداخذ كلامفعوليه ولو قدر العائد لبقى بلاعامل بخلاف آتاهم فان مفعوله الثانى محذوف هو العائد الى الموصول ﴿قوله او فى جنات﴾ اى او هو عطف على قوله فى جنات لان التقدير ان المتقين استقروا فى جنات ووقاهم ﴿قوله او حال﴾ معطوف على قوله عطف اى ويجوز ان تكون الواو حالية لاعاطفة فتكون كلمة قد مقدرة لما تقرر من ان الماضى المثبت اذا وقع حالا لابد من اقتران الجملة بكلمة قد ظاهرة او مقدرة وذو الحال اما المستكن فى الظرف او فى الحال او هو اما فاعل آتى او مفعوله او كلاهما وقوله تعالى كلوا واشربوا محكى بقول مقدر اى يقال لهم ذلك وهنيئا منصوب على انه صفة مصدر محذوف اى اكلا وشربا هنيئا او على انه صفة للمفعول به المحذوف اى طعاما وشرابا هنيئا وانما لم يذكر المأكول والمشروب للدلالة على تنوعهما وكثرتهما والهنئ والمرئ صفتان من هنئ الطعام ومرئ اذا كان سائغا لاتنغيص به اى اذا كان بحيث لايورث الكدر من نحو التخم والسقم يقال نغص الله عليه العيش تنغيصا اى كدره وتنغصت عيشته اى تكدرت ﴿قوله وقيل الباء زائدة وما فاعل هنيئا﴾ فلا يكون هنيئا صفة لمحذوف بل تكون من المصادر التى حذفت عواملها وجوبا لكثرة الاستعمال واقيمت هى مقامها والتقدير هنيئا ما كنتم تعملون اى جزاء ما كنتم تعملون هنيئا والمصدر على وزن فعيل كثير كالنسيب والنكير والزئير والصليل ونظيره قوله

هنيئا مريئا غير داء مخامر ۞ لعزة من اعراضنا ما استحلت ۞

فان هنيئا مصدر حذف عامله واقيم هو مقام فعله وما استحلت فاعل الفعل المحذوف اى هنئ لعزة ما استحلت من اعراضنا هنيئا قيل عليه وزيادة الباء فى الفاعل لم تسمع الا فى فاعل كفى ولاهى قياسية فلاوجه لتجويزها ههنا ﴿قوله متكئين﴾ حال من الضمير فى كلوا واشربوا وعلى سرر متعلق بمتكئين ومصفوفة اى منتظمة بعضها الى جنب بعض وتقييد الاكل والشرب بحال الاتكاء على السرر للايماء الى ان اهل الجنة فارغون من الكلفة بالكلية لان الاتكاء هيئة مخصوصة بالمتنعم الفارغ من الكلفة والتعب ﴿قوله الباء لما فى التزويج﴾ جواب عما يقال من ان فعل التزويج يتعدى الى مفعوليه بلا واسطة حرف الجر يقال زوجته امرأة ولا يقال زوجته بامرأة قال تعالى فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها فلا وجه لتعديته بالباء ههنا فاجاب عنه اولا بانه انما عدى بالباء باعتبار ما فى ضمنه من معنى الايصال والالصاق وثانيا بانها ليست للتعدية بل للسببية ثم استدل على اعتبار معنى الالصاق والقرن فى التزويج بعطف قوله تعالى والذين آمنوا على حور عين ولو لم يعتبر فيه معنى الوصل والقرن بل كان بمعنى عقد النكاح لما جاز العطف المذكور لاستحالة تحقق عقد النكاح بين المتقين واخوانهم المؤمنين واذا كان تزويجهم بالمؤمنين بطريق وصل بعضهم بعضا والصاقه به يكون تزويجهم بالحور العين ايضا بذلك الطريق لابان يعقد بينهم عقد النكاح لان الجنة ليست بدار تكليف وهذا معنى قوله ولما فى التزويج من معنى الالصاق عطف والذين آمنوا على حور هكذا فى بعض النسخ ولعلها هى النسخة الصحيحة وفى اكثر النسخ او لما فى التزويج من معنى الالصاق والقرن ولذلك عطف والذين آمنوا على حور ولا وجه له بعد قوله لما فى التزويج من معنى الوصل والالصاق وهو ظاهر واختار المصنف ان يكون قوله تعالى والذين آمنوا معطوفا على قوله بحور عين والمعنى قرناهم بحور وبالذين آمنوا وانهم يتمتعون تارة بملاعبة الحور العين وتارة بمؤانسة الاخوان المؤمنين كما قال اخوانا على سرر متقابلين فيكون قوله تعالى واتبعناهم ذريتهم معطوفا على قوله وزوجناهم اى ومن كرامة المتقين ان الله يجمع بينهم وبين ذريتهم فى الكرامة ويلحقهم بهم لتقر بها اعينهم ثم بين ان ايمان الذرية يكفى فى الحاقهم فقال بايمان الحقنا بهم ذرياتهم اى اولادهم الصغار والكبار فان الكبار يلحقون بآبائهم بايمانهم بانفسهم والصغار بايمان آبائهم فان الولد الصغير يحكم بايمانه تبعا لخير الابوين اى لمن آمن منهما فبسبب ايمانه تبعا لحق بابيه كما ان الكبير لحق به بايمانه بنفسه ثم ذكر قول من قال قوله تعالى والذين آمنوا مبتدأ خبره ألحقنا بهم فيكون قوله تعالى واتبعناهم ذرياتهم بايمان جملة معترضة بين المبتدأ والخبر لتعليل الحاق الذرية بالآباء فان تعلق الحاق الذرية بمتابعتهم الآباء فى الايمان يشعر بعلية المتابعة للالحاق فان الباء فى قوله بايمان يجوز ان تكون بمعنى فى فتعلق

(ووقاهم ربهم عذاب الجحيم) عطف على آتاهم ان جعل مامصدرية اوفى جنات او حال باضمار قد من المستكن فى الظرف او الحال او من فاعل آتى او مفعوله او منهما (كلوا واشربوا هنيئا) اى اكلا وشربا هنيئا او طعاما وشرابا هنيئا وهو الذى لاتنغيص فيه (بما كنتم تعملون) بسببه او بدله وقيل الباء زائدة وما فاعل هنيئا والمعنى هنأكم ما كنتم تعملون اى جزاؤه (متكئين على سرر مصفوفة) مصطفة (وزوجناهم بحور عين) الباء لما فى التزويج من معنى الوصل والالصاق او للسببية اذ المعنى صيرناهم ازواجا بسببهن او لما فى التزويج من معنى الالصاق والقرن ولذلك عطف (والذين آمنوا) على حور اى قرناهم بازواج حور ورفقاء مؤمنين وقيل انه مبتدأ خبره ألحقنا بهم وقوله (واتبعتهم ذريتهم بايمان) اعتراض للتعليل

بالتبعية وان تكون على اصل معناها فتتعلق بمحذوف اى ملتبسين بايمان ﴿ قوله للمبالغة فى كثرتهم ﴾ يعنى وللتصريح بما ذكره فان الذرية لو لم تقع على الواحد لما جمع لان لفظ الجمع موضوع لان يطلق على آحاد مفرده ﴿ قوله وقيل بايمان حال ﴾ عطف على قوله اى جعلناهم تابعين لهم فى الايمان يعنى ان الباء للظرفية وقيل للملابسة فتكون حالا من المفعول الاول وهو الضمير او الثانى وهو الذرية او منهما اى اتبعناهم ملتبسين بايمان ولم يرض به لان قوله تعالى واتبعناهم يكون معطوفا على زوجناهم ويكون اتبعناهم بهم عبارة عن ضمهم اليهم والحاقهم فيكون قوله بعد ذلك ألحقنا بهم ذرياتهم تكرارا ﴿ قوله وما نقصناهم ﴾ اى ما نقصنا الآباء المتقين من ثواب عملهم من شئ من النقص لما كان الحاق الذرية بالآباء يوهم ان يوزع ثواب عمل الاب بينه وبين ولده فينتقص به حظه من اجر عمله ازيل ذلك الوهم بقوله تعالى وما ألتناهم ﴿ قوله يحتمل ان يكون بالتفضل عليهم ﴾ اى على الاولاد بتبليغهم درجة الآباء بمحض التفضل الالهى من غير عمل يؤدى اليها وعلى الآباء بان يقرن بهم اولادهم وتقر بهم اعينهم من غير ان ينقص من اعمالهم شئ وذلك تفضيل عظيم فى حق الكل وقوله تعالى من شئ مفعول ثان لألتناهم ومن مزيدة فيه ومن عملهم فى محل النصب على انه حال من شئ لانها فى الاصل صفة فلما قدمت نصبت حالا ﴿ قوله بعمله مرهون عند الله ﴾ تمثيل كأن نفس العبد مرهون عند الله بعمله الذى هو مطالب به كما يرهن الرجل عبده بدين عليه فان عمل صالحا كما امر به فكها اى خلصها والا اوبقها فان العمل الصالح بمنزلة الدين الثابت على المرء من حيث انه مطالب به ونفس المرء بمنزلة الرهن المرهون عند المرتهن فكما ان المرتهن ما لم يصل اليه الدين لا ينفك من الرهن شئ كذلك العمل الصالح ما لم يصل اليه تعالى لا تتخلص نفس المرء منه قال عليه الصلاة والسلام لمعاذ حق الله تعالى على العباد ان يعبدوه ولا يشركوا به شيأ وحق العباد عليه تعالى ان لا يعذب من لا يشرك به شيأ فانه صريح فى ان التوحيد والطاعة بمنزلة الدين الثابت لله تعالى على العبد ووجه مناسبة الآية بما قبلها انه تعالى لما ذكر حال المتقين وانه وفر عليهم ما اعده اليهم من الثواب والتفضل ازل هذه الآية لتدل على انهم فكوا رقابهم وكان موضعه بحسب الظاهر آخر ما ورد فى تفضيل اجر المتقين وهو قوله هو البر الرحيم ليكون كلاما اجماليا بيان حال الفريقين وهما المدفوعون الى نار جهنم والمتقون الا انه ازلها فى خلال بيان اجزية المتقين ليدل على ان خلاص رقابهم من بعض اجزيتهم ايضا ثم ذكر ما يزيدهم على ما ذكر قبله من الكرامة فقال وامددناهم بفاكهة اى واتبعنا ما اعطيناهم من ثواب اعمالهم فانه تعالى لما قال ما ألتناهم واوهم ذلك انهم يجازون بما يساوى عملهم دفع هذا الاحتمال بقوله وامددناهم اى ليس عدم النقصان بالاقتصار على التساوى بل بالزيادة والامداد وقتا بعد وقت مايشتهونه وتنوين فاكهة للتكثير اى بفاكهة لا تنقطع كلما اكلوا ثمرة عاد مكانها مثلها وما فى قوله مايشتهون للعموم لانواع النعمان وقوله تعالى يتنازعون وقوله لا لغو فيها ولا تأثيم فى محل النصب على انه صفة كأسا وفيها اى فى شربها وقيل فى الجنة وفسر التنازع بالتعاطى على طريق التجاذب الذى يقصد به الملاعبة وفيه نوع لذة الا لا يتصور فى الجنة التنازع بمعنى التخاصم والكاس قدح فيه خمر ولا يسمى كأسا ما لم يكن فيه شراب كالانسى مائدة ما لم يكن عليها طعام ﴿ قوله اى لا يتكلمون بلغو الحديث ﴾ لان شربها لا يذهب بعقولهم حتى يتكلموا باللغو وهو الباطل من الكلام وانما يتكلمون بالحكم ومحاسن الكلام الذى يجرى بين العقلاء والحكماء متلذذين بذلك يقال اثمه اذا جعله ذا اثم واشار بهذا التفسير الى ان اللغو فى الكلام والتأثيم فى الفعل ﴿ قوله وذلك مثل قوله لا فيها غول ﴾ اى فى عدم الاعمال لانه اذا وقع بينها وبين اسمها فاصل وجب الرفع والتكرير نحو لا فى الدار رجل ولا امرأة لانها يضعف عملها بالفصل فرجل مرفوع بالابتداء وامرأة عطف عليه وفى الدار خبره فكذا غول مبتدأ وفيها خبره وقد تقرر فى النحو انه يجوز فى نحو لا حول ولا قوة رفع الاسمين على ان الاول منهما مبتدأ والثانى عطف عليه وبالله خبره ويجوز الغاء لا لضعف عملها ومن هذا القبيل قوله تعالى لا لغو فيها ولا تأثيم على قرآءة الجمهور فانهم قرأوا برفع الاسمين وتنوينهما وقرأ ابن كثير والبصريان بفتحهما من غير تنوين لان كل واحد منهما اسم ليس بمضاف ولا مشابه للمضاف فبنى على ما ينصب به ﴿ قوله تعالى كأنهم لؤلؤ ﴾ صفة ثانية لغلمان او حال منهم لانهم قد وصفوا او من المنوى فى لهم قوله يتساءلون حال من فاعل اقبل اى اقبلوا متساءلين قال ابن عباس رضى الله عنه يتذاكرون ما كانوا فيه من الدنيا من التعب والخوف وقيل يتساءلون عن اعمالهم فى الدنيا التى بها وصلوا الى دار النعيم بوعد الله تعالى ويدل عليه قول المسئولين فى جوابهم انا كنا قبل اى فى الدنيا فى اهلنا

وقرأ ابن عامر ويعقوب ذرياتهم بالجمع وضم التاء للمبالغة فى كثرتهم والتصريح بان الذرية تقع على الواحد والكثير وقرأ ابو عمرو واتبعناهم ذرياتهم اى جعلناهم تابعين لهم فى الايمان وقيل بايمان حال من الضمير او الذرية او منهما وتنكيره للتعظيم او الاشعار بانه يكفى للالحاق المتابعة فى اصل الايمان (ألحقنا بهم ذريتهم) فى دخول الجنة او الدرجة لما روى مرفوعا انه عليه السلام قال ان الله يرفع ذرية المؤمن فى درجته وان كانوا دونه لتقر بهم عينه ثم تلا هذه الآية وقرأ نافع وابن عامر والبصريان ذرياتهم (وما ألتناهم) وما نقصناهم بهذا الالحاق (من عملهم من شئ) فانه كما يحتمل ان يكون بنقص مرتبة الآباء باعطاء الابناء بعض مثوباتهم يحتمل ان يكون بالتفضل عليهم وهو اللائق بكمال لطفه وقرأ ابن كثير بكسر اللام من ألت يألت وعنه لتناهم من لات يليت وآلتناهم من آلت يؤلت وولتناهم من ولت يلت ومعنى الكل واحد (كل امرئ بما كسب رهين) بعمله مرهون عند الله فان عمل صالحا فكها والا اهلكها (وامددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون) اى وزدناهم وقتا بعد وقت مايشتهون من انواع النعم (يتنازعون فيها) يتعاطون هم وجلساؤهم بتجاذب (كأسا) خمرا سماها باسم محلها ولذلك انث الضمير فى قوله (لا لغو فيها ولا تأثيم) اى لا يتكلمون بلغو الحديث فى اثناء شربها ولا يفعلون ما يؤثم به فاعله كما هو عادة الشاربين فى الدنيا وذلك مثل قوله لا فيها غول وقرأهما ابن كثير والبصريان بالفتح (ويطوف عليهم) اى بالكأس (غلمان لهم) اى مماليك مخصوصون بهم وقيل هم اولادهم الذين سبقوهم (كأنهم لؤلؤ مكنون) مصون فى الصدف من بياضهم وصفائهم وعنه عليه السلام والذى نفسى بيده ان فضل المخدوم على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب (واقبل بعضهم على بعض يتساءلون) يسأل بعضهم بعضا عن احواله واعماله

مشفقين والخوف من العذاب اصل التقوى كلها لانه يدخل فيه خوف التقصير فى الطاعة و خوف ملابسة المعصية فيجتنب عند ذلك من كل واحد منهما باقصى ما يمكن للموصف الله تعالى اهل الجنة بانه يزوجهم بحور عين و باخوانهم المؤمنين وانه يلحق بهم ذرياتهم المشاركين لهم فى اصل الايمان وانه يمدهم فى كل وقت بما يشتهون وانهم يتناولون فيها كأسا يطوف عليهم بها الغلمان الموصوفون قال بعده وأقبل بعضهم على بعض على ما هو عادة اهل المجلس يشرعون فى التحادث ليتم به استئناسهم كما قيل

وما بقيت من اللذات الا ۞ احاديث الكرام على المدام ۞

اى الخمر ﴿ قوله عذاب السموم ﴾ السموم فى الاصل الريح الحارة التى تدخل المسام اطلق على نار جهنم على سبيل الاستعارة تشبيها لها به فى نفوذ حرّها ولما قرر فوز المتقين بالسعادة لاجل التذكير والانتفاع بالموعظة قال فذكر اى فذكر ولا تبال بما قالوا فى حقك انه كاهن او مجنون فانت بحمد الله برئ مما يقولون فان من كان ارجح عقلا وصدقا وامانة ووقارا ابعد حالا من الجنون والكهانة مع ان الجنون والكهانة متناقضان لا يجتمعان فى شخص لان الكهانة تقتضى التدبر والفراسة فاين هى من الجنون والكاهن من يخبر عن المغيبات الآتية من غير وحى وقوله تعالى بنعمة ربك حال من المنوى فى كاهن وقوله بكاهن منصوب المحل على انه خبر ما وقوله ولا مجنون عطف عليه والتقدير ما انت كاهنا ولا مجنونا متلبسا بنعمة ربك اى بانعامه عليك بجميع الاخلاق الجيدة والفضائل الشريفة التى افضلها النبوة والوحى و بحمده فهى حال لازمة لانه عليه الصلاة والسلام لم يفارق هذه الحال و يجوز ان تكون الباء فى قوله بنعمة ربك للقسم المتوسط بين اسم ما وخبرها ويكون جواب القسم حينئذ محذوفا لدلالة هذا المذكور عليه والتقدير بنعمة ربك ما انت بكاهن ولا مجنون ﴿ قوله تعالى ام يقولون ﴾ قال المصنف فى آخر الآيات ام فى هذه الآيات منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار رد الله تعالى قولهم فى حقه عليه الصلاة والسلام انه كاهن ومجنون فقال ما انت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون ثم اضرب عن انكار قولهم هذا الى انكار قولهم فيه انه شاعر فقال ام يقولون شاعر وقوله نتربص به فى موضع الرفع على انه صفة شاعر وصفوا الشاعر به لانهم كانوا يحترزون من اذاء الشعراء ويقولون الشعر يحفظ ويدوّن فلا نعارضه مخافة ان يغلبنا بقوة شعره بل نصبر ونتربص موته وهلاكه كما هلك من قبله من الشعراء وحينئذ يتفرق اصحابه فان اباه قد مات شابا ونحن نرجو ان يكون موته كموت ابيه ﴿ قوله تعالى قل تربصوا ﴾ ليس امر ايجاب او ندب او اباحة لان تربصهم هلاكه عليه الصلاة والسلام حرام لا محالة فهو امر تهديد كما يقول السيد لعبده اصنع ما شئت وافعل ما شئت فانى غير غافل عنك ﴿ قوله ما يقلق النفوس من حوادث الدهر ﴾ يريد ان الريب بمعنى الرائب من قولهم رابه الدهر وارابه اى اقلقه وان المنون هو الدهر وهو قول الكسائى والاخفش والفراء سمى به الدهر لانه يقطع قوة الانسان فان المنون من المن وهو القطع يقال منه اذا قطعه فريب المنون عبارة عن حوادث الدهر و تقلبات الزمان التى تورث قلقا واضطرابا للنفوس وقيل معبر بالتشبيه لها بالريب الذى هو الشك فى التزلزل وعدم الثبات وقال الخليل المنون الموت سمى منونا لانه يقطع العمر وريبه اوجاعه ثم اضرب عن توبيخهم والانكار عليهم بنسبة المقالات المتناقضة اليهم فى حقه عليه الصلاة والسلام الى نسبتهم الى السفه والجهل الذى حملهم عليها فقال ام تأمرهم احلامهم بهذا التناقض فى القول كأنه قيل دع تفوّههم بهذه المقالات المتناقضة وانظر الى ما فيهم مما هو اقبح من ذلك وهو انهم سفهاء ليسوا من اهل التمييز ثم اضرب عن انكار كونهم من العقلاء المتبصرين الى ما هو ادخل فى الذم بالنسبة الى نقصان العقل فقال ام هم قوم طاغون كأنه قيل دع كونهم سفهاء عديمى العقل والقول بان المؤدى الى تلك الاقوال المتناقضة سفههم وجهلهم وانظر الى طغيانهم ومجاوزتهم الحد فى العناد فانه هو الحامل لهم على تلك المقالات ثم اضرب من الانكار عليهم بمجاوزتهم الحد فى العناد الى توصيفهم بما هو ابلغ فى الذم وهو ان ينسبوا اليه عليه الصلاة والسلام ان يختلق القرآن من تلقاء نفسه ثم يقول انه من عند الله افتراء عليه وهو اقبح من الطغيان الذى هو مجاوزة الحد فى العناد لان الافتراء ابعد شئ من حاله لاشتهاره بالصدق لاسيما ان يفترى على الله تعالى مع ان كونه مفتريا مع كونهم عاجزين عن الاتيان باقصر سورة منه متنافيان ۞ و التقوّل تكلف القول ولا يستعمل الا فى الكذب ثم كذبهم فى نسبتهم التقوّل اليه عليه الصلاة والسلام وقال بل لا يؤمنون اى ليس الامر كما زعموا من احتمال تحقق شئ من المطاعن فيه بل انهم لا يؤمنون بنبوته وبالقرآن عنادا واستكبارا مع وضوح دلائل حقيقتهما ثم الزمهم الحجة وبين انهم طاغون معاندون فى

(قالوا انا كنا قبل فى اهلنا مشفقين) خائفين من عصيان الله معتنين بطاعته او وجلين من العاقبة (فمن الله علينا) بالرحمة والتوفيق (ووقانا عذاب السموم) عذاب النار النافذة فى المسام نفوذ السموم وقرئ ووقانا بالتشديد (انا كنا من قبل) من قبل ذلك فى الدنيا (ندعوه) نعبده او نسأله الوقاية (انه هو البر) المحسن وقرأ نافع والكسائى بفتح همزة انه (الرحيم) الكثير الرحمة (فذكر) فاثبت على التذكير ولا تكترث بقولهم (فما انت بنعمة ربك) بحمد الله وانعامه (بكاهن ولا مجنون) كما يقولون (ام يقولون شاعر نتربص به ريب المنون) ما يقلق النفوس من حوادث الدهر وقيل المنون الموت فعول من منه اذا قطعه (قل تربصوا فانى معكم من المتربصين) اتربص هلاككم كما تتربصوا هلاكى (ام تأمرهم احلامهم) عقولهم (بهذا) بهذا التناقض فى القول فان الكاهن يكون ذا فطنة ودقة نظر والمجنون مغطى عقله والشاعر يكون ذا كلام موزون متسق مخيل ولا يتأتى ذلك من المجنون وامر الاحلام به مجاز عن ادائها اليه (ام هم قوم طاغون) مجاوزون الحد فى العناد وقرئ بل هم (ام يقولون تقوّله) اختلقه من تلقاء نفسه (بل لا يؤمنون) فيرمون بهذه المطاعن لكفرهم وعنادهم (فليأتوا بحديث مثله) مثل القرآن (ان كانوا صادقين) فى زعمهم اذ فيهم كثير ممن عدوا فصحاء فهو رد للاقوال المذكورة بالتحدى ويجوز ان يكون ردا للتقول فان سائر الاقسام من الاقوال ظاهر الفساد

جميع ماذكروه من المطاعن فقال فليأتوا بحديث مثله والفاء فيه للسببية اى ان كان الامر كما زعموا انه كاهن او مجنون او شاعر ادّعى الرسالة وتقوّل القرآن من عند نفسه فليأتوا بحديث مثله فانه عليه الصلاة والسلام فى حدّ نفسه واحد منهم فيجب ان يقدروا على ماقدر هو عليه بنفسه فاذا لم يقدروا على اتيان مثال ماأتى به تعين ان ماأتى به كلام الهى واجب القبول وانه عليه الصلاة والسلام رسول مؤيد من عند الله ﴿قوله ام أحدثوا وقدّروا من غير محدث﴾ على ان كلمة من لابتدآء الغاية اى بل أيقولون انهم خلقوا من غير خالق خلقهم وموجد اوجدهم وعلى الثانى تكون من للسببية بمعنى خلقوا لغير شئ اى عبثا ام يدّعون انهم خلقوا انفسهم فلم يمكنهم ان يدّعوا واحدا من هذين الامرين ضرورة استحالة الخلق بل كانوا مضطرّين الى الاقرار بان لهم صانعا غيرهم فما الذى يمنعهم من افراده بالعبادة وعن اثبات القدرة له على الاعادة ووجه تعلق الآية بما قبلها انهم لما كذبوا النبى صلى الله عليه وسلم ونسبوه الى الكهانة والجنون والشعر استبعادا لما يدعوهم اليه من الاعتقاد بوحدانية الصانع وحقية امر البعث والجزآء ذكر مايزيل استبعادهم ويدل على وحدانية المبدئ وحقية امر المعاد ويستلزم ذلك صدق من يدعو الى التوحيد واخلاص العبادة له تعالى فكأنه قيل كيف يكذبونه وفى خلق انفسهم مايدل على صدقه فى دعوى الرسالة وذلك لانهم مخلوقون لامحالة والمخلوق لابدّ له من خالق غير نفسه والوحدة من لوازم الخالق كما قيل

وفى كل شئ له آية ۞ تدل على انه واحد ۞

والخلق الاوّل دليل على جواز الخلق الثانى وامكانه فلا وجه لاستبعاده واذا ثبت حقية المبدأ والمعاد ثبت حقية امر الرسالة بناء على ان خالقه يصدّقه فى دعوى الرسالة بما اظهره على يده من المعجزات التى لايقدر عليها احد الا الواحد القهار ثم اضرب عن انكار كونهم مخلوقين من غير خالق خلقهم وانكار انهم خلقوا انفسهم الى انكار انهم خلقوا السموات والارض فقال ام خلقوا السموات والارض اى ليس الامر كذلك ولما لم يمكنهم ان يدّعوا خلق شئ من ذلك واعترفوا بان خالقهم وخالق السموات والارض هو الله تعالى وجب عليهم توحيده ونفى الشركاء عنه وان يصدّقوا من صدّقه وان يؤمنوا بجميع ماجاء به من عند ربه ولما كان انكار كونهم خالقين لانفسهم وللسموات والارض متضمنا لاقرارهم بان خالقهم وخالق السموات والارض هو الله تعالى وكان الظاهر من الاقرار ان يكون عن ايقان اضرب عنه بقوله بل لايوقنون والمعنى انهم وان اعترفوا بان الخالق هو الله تعالى لكنهم غير موقنين فى ذلك الاعتراف اذ لو ايقنوا ذلك لما اعرضوا عن عبادته وتصديق رسوله والاطاعة فيما كلفهم به فظهر بهذا التقرير ان يقدّر لقوله بل لايوقنون مفعول اى لايوقنون بان الخالق الرزاق المحيى المميت القادر على كل شئ هو الله تعالى ومن شك فى مثل هذا المطلب الجلى لايبعد منه ان يصف سيد المرسلين بالجنون والكهانة وفى بعض النسخ لم توجد كلمة الواو فى قوله اذا سئلوا وقالوا الله ولاوجه له ﴿قوله على الاشياء﴾ اشارة الى ان عدم ذكر مفعول مسيطرون لقصد العموم والمسيطر المسلط القاهر الذى لايكون تحت امر احد ونهيه ويفعل مايشاء ويدبر امر الربوبية ويختار مايشاء ثم انه تعالى لما ابطل من الاحتمالات العقلية مايصلح ان يكون مبنى تكذيبهم اياه عليه الصلاة والسلام وطعنهم فيه بانه كاهن او مجنون او شاعر شرع فى ابطال قولهم نتربص به ريب المنون فقال ام لهم سلم يستمعون فيه يصعدون فيه فيستمعون كلام الملائكة ومايوحى اليهم من علم الغيب حتى يعلموا ماهو كائن من تقدّم هلاكه على هلاكهم وظفرهم عليه كما يزعمون ﴿قوله تعالى يستمعون فيه﴾ صفة لسلم وفيه متعلق بحال محذوف فتقديره يستمعون صاعدين فيه ومفعول يستمعون محذوف اشار اليه بقوله الى كلام الملائكة ومايوحى اليهم ﴿قوله فيه تسفيه لهم﴾ بيان لمناسبة تلك المقالات لهذا المقام فان مدلول الآية الانكار عليهم حين جعلوا لله تعالى مايكرهون من الاناث ولانفسهم البنين كقوله ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم مايشتهون والمقام مقام توبيخهم على اقوالهم المتناقضة ومقالاتهم الزائغة المتعلقة بتكذيبهم اياه عليه الصلاة والسلام ومن بلغ فى السفاهة الى ان جعل رب العالمين ادون حالا منه بان جعل له مالا يرضى لنفسه كما قال تعالى واذا بشر احدهم بالانثى ظل وجهه مسودّا وهو كظيم لم يستبعد منه امثال تلك المقالات الحمق ويستحيل ان يترقى روحه الى عالم الملكوت فيطلع على الغيب وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم كأنه قيل مقتضى طباعهم الفاسدة التشبث بالكلمات الخرافات فانهم كما طعنوا فيك طعنوا فى خالقهم ﴿قوله الغيب اللوح المحفوظ﴾ على ان يكون الغيب بمعنى الغائب او يكون من قبيل تسمية محل الغيب غيبا قال قتادة قوله تعالى ام عندهم الغيب جواب لقولهم نتربص به ريب المنون يقول الله تعالى أعندهم

(ام خلقوا من غير شئ) ام أحدثوا وقدّروا من غير محدث ومقدّر فلذلك لايعبدونه او من اجل لاشئ من عبادة ومجازاة (ام هم الخالقون) يؤيد الاوّل فان معناه ام خلقوا انفسهم ولذلك عقبه بقوله (ام خلقوا السموات والارض) وام فى هذه الآيات منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار (بل لايوقنون) اذا سئلوا من خلقكم ومن خلق السموات والارض وقالوا الله اذ لو ايقنوا ذلك لما اعرضوا عن عبادته (ام عندهم خزآئن ربك) خزآئن رزقه حتى يرزقوا النبوّة من شاؤا او خزآئن علمه حتى يختاروا لها من اختارته حكمته (ام هم المسيطرون) الغالبون على الاشياء يدبرونها كيف شاؤا وقرأ قنبل وحفص بخلاف عنه وهشام بالسين وحمزة بخلاف عن خلاد بين الصاد والزاى والباقون بالصاد خالصة (ام لهم سلم) مرتقى الى السماء (يستمعون فيه) صاعدين فيه الى كلام الملائكة ومايوحى اليهم من علم الغيب حتى يعلموا ماهو كائن (فليأت مستمعهم بسلطان مبين) بحجة واضحة تصدّق استماعه (ام له البنات ولكم البنون) فيه تسفيه لهم واشعار بان من هذا رأيه لايعد من العقلاء فضلا عن ان يترقى بروحه الى عالم الملكوت فيطلع على الغيوب (ام تسألهم اجرا) على تبليغ الرسالة (فهم من مغرم) من التزام غرم (مثقلون) محملون الثقل فلذلك زهدوا فى اتباعك (ام عندهم الغيب) اللوح المحفوظ المثبت فيه المغيبات (فهم يكتبون) منه (ام يريدون كيدا) وهو كيدهم فى دار الندوة برسول الله (فالذين كفروا) يحتمل العموم والخصوص فيكون وضعه موضع الضمير للتسجيل على كفرهم والدلالة على انه الموجب للحكم المذكور (هم المكيدون) هم الذين يحيق بهم الكيد او يعود عليهم وبال كيدهم وهو قتلهم يوم بدر او المغلوبون فى الكيد من كايدته فكدته (ام لهم اله غير الله) يعينهم ويحرسهم من عذابه (سبحان الله عما يشركون) عن اشراكهم او شركة مايشركون به

الغيب الذى كتب فى اللوح المحفوظ حتى علموا ان محمدا صلى الله عليه وسلم يموت قبلهم فهم يكتبون ذلك بعدما وقفوا عليه وقيل هو ردّ لقولهم انا لانبعث ولو بعثنا لم نعذب كما قال تعالى خبرا عن قول البعض ولئن رجعت الى ربى ان لى عنده للحسنى وقال لأوتين مالا وولدا أطلع الغيب فان كان قوله تعالى ام عندهم الغيب جوابا لقولهم نتربص به ريب المنون يكون وجه اتصال قوله ام يريدون كيدا بما قبله انه يكون جوابا آخر له كأنهم لما قالوا نتربص به ريب المنون قيل لهم أتعلمون الغيب فتعلمون انه يموت قبلكم ام تريدون به كيدا فتقولون نقتله فيموت فان كنتم تدعون علم الغيب فانكم كاذبون وان كنتم تظنون انكم تقدرون عليه فانكم جاهلون مجزيون بكيدكم من غير ان يتم لكم مرادكم ولا يعود ضرر مكركم الا عليكم وان كان جوابا لانكارهم باحوال الآخرة يكون المعنى بل انهم لا يكتفون بهذه المقالات الفاسدة ويريدون مع ذلك ان يكيدوا بك كيدا واساءة فهم المكيدون لا انت فانك انت المنصور المظفر الغالب عليهم قولا وفعلا حجة وسيفا فان القصر المدلول عليه بقوله هم المكيدون اضافى فان زعموا ان لهم آلهة تنصرهم وتحفظهم من ان يعود عليهم ضرر كيدهم فتعالى الله عن ان يكون له شريك يقاومه ويدفع ما اراده وفى الصحاح الكسفة القطعة من الشئ والجمع كسف وكسف ويقال الكسف والكسفة واحد وقال الاخفش من قرأ كسفا من السماء جعله واحدا ومن قرأ كسفا جعله جمعا انتهى وعلى القولين الكسف بفتح السين جمع والخلاف انما هو فى الكسف بالسكون واختار المصنف قول الاخفش وقرئ فى جميع القرآن كسفا وكسفا بالافراد والجمع الا فى هذه الآية فانه على الافراد لا غير اى بسكون السين والمعنى ان عذبناهم بسقوط كسف من السماء عليهم كما زعموا فى قولهم او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا لم ينتهوا عن كفرهم وقالوا هو قطعة من السحاب اجتمع بعضه مع بعض فتراكم فسقط علينا وليس السماء وقوله فذرهم جواب شرط محذوف اى اذا بلغوا فى المكابرة والعناد الى هذا الحدّ وتبين انهم لا يرجعون عما هم عليه من الكفر فدعهم حتى يموتوا على الكفر ﴿ قوله وقرئ يلقوا ﴾ ثلاثيا من لقى مبنيا للفاعل ووجهه ظاهر ويلقوا على بناء المفعول من باب التفعيل ويومهم مفعول به لا ظرف وقوله من صعقه اى الثلاثى او من اصعقه اى الرباعى وكلاهما بمعنى اماته فيصعقون على الاول مثل يقضون وعلى الثانى مثل يكرمون وقرأ باقى السبعة يصعقون بفتح الياء على بناء الفاعل اى يموتون يعنى ان صعق يتعدى ولا يتعدى كسعد وسعدته انا فهو مسعود قال تعالى واما الذين سعدوا ففى الجنة يقال صعق زيد اى مات وصعقه غيره اى اماته ويصعقون على قرآءة باقى السبعة من صعق اللازم ويصعقون بضم الياء يحتمل ان يكون من صعق المتعدى او من اصعقه وقوله يوم لا يغنى بدل من يومهم الذى اى حتى يلاقوا يوم موتهم الذى لا ينفعهم كيدهم فيه ولا هم ينصرون اى لا يمنعهم من العذاب مانع ﴿ قوله يحتمل العموم ﴾ بان يراد بهم كل من ظلم بعبادة غير الله ويحتمل الخصوص بان يراد بهم كفار مكة ويراد بظلمهم كيدهم نبيهم عليه الصلاة والسلام وتكذيبهم اياه فيكون قوله للذين ظلموا من ايقاع الظاهر موقع المضمر للتسجيل على ظلمهم ﴿ قوله دون عذاب الآخرة ﴾ يعنى ان ذلك اشارة الى اليوم الذى فيه يصعقون والمعنى لهم عذاب قبل ذلك اليوم وهو يوم النفخة الاولى وذلك العذاب هو عذاب القبر ان حمل الذين ظلموا على العموم والمؤاخذة فى الدنيا والقحط سبع سنين ان حمل على الخصوص ﴿ قوله فى حفظنا ﴾ يعنى ان قوله باعيننا مثل فى الحفظ والكلاءة يعبر به عنه تشبيها لحفظ الله تعالى وكلاءته بمراقبة الحافظ ما يحفظه ﴿ قوله وجمع الاعين لجمع الضمير ﴾ فانه تعالى لما عبر عن ذاته المقدسة بضمير المتكلم مع غيره تعظيما لنفسه جمع ما اضيف اليه ليطابق المضاف بالمضاف اليه الا ترى انه يجوز افراد المضاف حيث افرد المضاف اليه فى قوله ولتصنع على عينى ﴿ قوله من اى مكان قمت ﴾ متعلق بقوله تعالى تقوم اى اذا قمت من مجلس اى مجلس كان قل سبحان الله وبحمده اى سبح الله ملتبسا بحمده عن سعيد بن جبير وعطاء اى قل حين تقوم من مجلسك سبحانك اللهم وبحمدك فان كان ذلك المجلس خيرا ازددت احسانا وان كان غير ذلك كان كفارة له وعن ابى هريرة رضى الله عنه من جلس مجلسا يكثر فيه لغطه فقال قبل ان يقوم سبحانك اللهم وبحمدك اشهد ان لا اله الا انت استغفرك واتوب اليك كان كفارة لما بينهما ويحتمل ان يكون المعنى وسبح بحمد ربك حين تقوم من منامك لما قيل ان المراد به ان تقول عند القيام من النوم الحمد لله الذى احيانى بعد ما اماتنى واليه البعث والنشور فانه روى انه كان عليه الصلاة والسلام يقول ذلك عند الانتباه وقال الكلبى هو ذكر الله تعالى باللسان حين تقوم من الفراش الى ان تدخل فى الصلاة ويحتمل ان يكون المعنى حين تقوم الى الصلاة

(وان يروا كسفا) قطعة (من السماء ساقطا يقولوا) من فرط طغيانهم وعنادهم (سحاب مركوم) هذا سحاب تراكم بعضها على بعض وهو جواب قولهم فأسقط علينا كسفا من السماء (فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذى فيه يصعقون) وهو عند النفخة الاولى وقرئ يلقوا وقرأ ابن عامر وعاصم يصعقون على المبنى للمفعول من صعقه او اصعقه (يوم لا يغنى عنهم كيدهم شيأ) اى شيأ من الاغناء فى ردّ العذاب (ولا هم ينصرون) يمنعون من عذاب الله تعالى (وان للذين ظلموا) يحتمل العموم والخصوص (عذابا دون ذلك) اى دون عذاب الآخرة وهو عذاب القبر او المؤاخذة فى الدنيا كقتل بدر والقحط سبع سنين (ولكن اكثرهم لا يعلمون) ذلك (واصبر لحكم ربك) بامهالهم وابقائك فى عنائهم (فانك باعيننا) فى حفظنا بحيث نراك ونكلأك وجمع العين لجمع الضمير والمبالغة بكثرة اسباب الحفظ (وسبح بحمد ربك حين تقوم) من اى مكان قمت او من منامك او الى الصلاة

لما روى عن الضحاك و الربيع انهما قالا معناه اذا قمت الى الصلاة فقل سبحانك اللهم و بحمدك و تبارك اسمك و تعالى جدك و لا اله غيرك بعد تكبيرة الافتتاح و عن عائشة رضى الله عنها انها قالت مثل ذلك ﴿ قوله و اذا ادبرت النجوم من آخر الليل ﴾ يعنى ان الجمهور على كسر الهمزة من ادبار النجوم على انه مصدر ادبر اذا ذهب و انصرف اقيم مقام الظرف و انتصب على الظرفية اى فسبحه وقت ادبار النجوم بظهور ضوء الصبح و قرئ بفتح الهمزة على انه جمع دبر بمعنى الآخر و اعقاب النجوم غيبتها بضوء الصبح و غروبها * هذا آخر ما يتعلق بسورة الطور و الحمد لله وحده و الصلاة و السلام على من لا نبى بعده

﴿ سورة النجم ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم و به الاعانة و صلى الله على سيدنا محمد و على آله و سلم ﴾

﴿ قوله اقسم بجنس النجوم ﴾ يعنى نجوم السماء اى نجم كان سمى نجما لطلوعه فان كل طالع نجم يقال نجم السن و القرن و النبت اذا طلع و يحتمل ان يكون المراد بالنجم المقسم به الثريا لان النجم صار علما لها بالغلبة قال قائلهم

* ان بدا النجم عشيا * ابتغى الراعى كسيا *

و قال ايضا

* طلع النجم عشيه * و ابتغى الراعى كسيه *

فانها انما تطلع عشيا فى قلب الشتاء اوان شدة البرد قال ان الثريا سبعة انجم ستة منها ظاهرة و واحد خفى يمتحن الناس به ابصارهم و روى القاضى عياض فى الشفاء ان النبى صلى الله عليه و سلم كان يرى الثريا احد عشر نجما عن ابى هريرة مرفوعا ما طلع النجم قط و فى الارض من العاهة شئ الا رفع و اراد بالنجم الثريا و هوى النجم سواء اريد به نجوم السماء كلها او الثريا وحدها اما غروبه و اما انتثاره يوم القيامة كما قال تعالى و اذا الكواكب انتثرت و اما انقضاضه لرمى الشياطين عند استراقهم السمع و اما طلوعه و على الاحتمالات الثلاثة الاول بقوله فانه يقال هوى يهوى هويا بالفتح اذا سقط و غرب و على الاحتمال الرابع بقوله هويا بالضم اذا صعد فان الهوى بفتح الهاء هو السقوط من علو الى سفل و الهوى بضم الهاء الطلوع و فعلهما واحد و الاختلاف انما هو فى المصدر و كل واحد من غروب النجوم و انتثارها و انقضاضها لرمى الشياطين لكونه سقوطا من علو الى سفل يصح ان يطلق عليه الهوى بفتح الهاء كما يصح ان يطلق على طلوعها الهوى بضم الهاء و فائدة تقييد المقسم به بوقت هويه بفتح الهاء او ضمها انه اذا كان فى مرق وسط السماء يظل نفعه حيث لا يهتدى به السارى حينئذ لانه لا يعلم المشرق من المغرب و لا الجنوب من الشمال بخلاف ما اذا لم يكن فى وسط السماء بان يكون فى جانب المشرق او المغرب فانه حينئذ يتميز به جانب المشرق عن المغرب و الجنوب من الشمال ﴿ قوله او بالنجم ﴾ عطف على قوله بجنس النجوم اى او اقسم بالنجم من نجوم القرآن فان النجم فى الاصل اسم للكوكب ثم يطلق على الوقت المضروب لكون اعتباره منوطا بتعيين طلوع الكوكب و غروبه و يسمى تفريق الفعل الى الاوقات تنجيما و الفعل المفرق منجما ثم يطلق النجم على الفعل الواقع فى وقت معين بطريق اطلاق اسم المحل على الحال فنجوم القرآن القطع النازلة فى اوقات متفرقة قال ابن عباس رضى الله عنهما هو قسم بالقرآن اذا نزل نجوما متفرقة على رسول الله صلى الله عليه و سلم فى عشرين سنة فالمراد بهويه نزوله ﴿ قوله او النبات ﴾ عطف ايضا على قوله بجنس النجوم فان النجم قد يطلق على النبت الذى لا ساق له و منه قوله تعالى و النجم و الشجر يسجدان و هويه سقوطه على الارض او طلوعه منها و ارتفاعه ﴿ قوله على قوله ﴾ متعلق بقوله اقسم بجنس النجوم يعنى ان قوله تعالى ما ضل صاحبكم هو المقسم عليه و ذلك ان قريشا قالوا ضل محمد عن دين آبائه و غوى فانزل الله تعالى ما ضل صاحبكم و ما غوى بل اهتدى و رشد فان الضلال نقيض الهدى و الغى نقيض الرشد اى هو مهتد راشد و ليس كما يزعمون من انه قد ضل و غوى و ذهب اكثر المفسرين الى ان الغى و الضلال واحد و المصنف اشار الى الفرق بينهما بقوله فى تفسير ما ضل ما عدل عن الطريق المستقيم و فى تفسير و ما غوى و ما اعتقد باطلا و حاصل ما ذكره من الفرق ان الغواية هى الخطأ فى الاعتقاد خاصة و الضلال اعم منها يتناول الخطأ فى الافعال و الاقوال و العقائد فلذلك يقال ضل بعيرى و لا يقال غوى فالضلال هو العدول عن الطريق المستقيم الذى بينه الله تعالى لعباده سواء كان متعلقا بالافعال او الاقوال او العقائد او الاخلاق و الغواية هو العدول عن الطريق المستقيم فى باب العقائد فيكون قوله تعالى و ما غوى من قبيل التخصيص بعد التعميم لمزيد العناية بنفى الخاص فالمراد نفى

(و من الليل فسبحه) فان العبادة فيه اشق على النفس و ابعد عن الرياء و لذلك افرده بالذكر و قدمه على الفعل (و ادبار النجوم) و اذا ادبرت النجوم من آخر الليل و قرئ بالفتح اى فى اعقابها اذا غربت او خفيت * و عنه صلى الله عليه و سلم من قرأ سورة الطور كان حقا على الله ان يؤمنه من عذابه و ان ينعمه فى جنته

﴿ سورة و النجم مكية و آيها ﴾
﴿ احدى او ثنتان و ستون آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(و النجم اذا هوى) اقسم بجنس النجوم او الثريا فانه غلب فيه اذا غرب او انتثر يوم القيامة او انقض او طلع فانه يقال هوى هويا بالفتح اذا سقط و غرب و هويا بالضم اذا علا و صعد او بالنجم من نجوم القرآن اذا نزل او النبات اذا سقط على الارض او اذا نما و ارتفع على قوله (ما ضل صاحبكم) ما عدل محمد عليه الصلاة و السلام عن الطريق المستقيم

ماتنسبوه اليه من العدول عن سنن الصواب فى كل واحد من باب الاعتقاد و العمل فالله تعالى تولى جواب ماقالوا له عليه الصلاة و السلام فقال ماضل صاحبكم وماغوى و ماصاحبكم بمجنون و ما هو بقول شاعر و لابقول كاهن ومانطق عن الهوى وسائر الانبياء كانوا يجيبون بانفسهم فان قوم نوح لما قالوا له عليه الصلاة و السلام انا لنراك فى ضلالة اجابهم بقوله ياقوم ليس بى ضلالة و لما قال عاد لهود انا لنراك فى سفاهة قال ياقوم ليس بى سفاهة و لما قال فرعون لموسى عليه الصلاة و السلام انى لاظنك ياموسى مسحورا قال له و انى لاظنك يافرعون مثبورا و نحو ذلك ﴿قوله وما يصدر نطقه بالقرآن عن الهوى﴾ اى عن ميل نفسه و شهوته من غيران يوحى اليه شئ و هو اشارة الى ان تعدية النطق بعن مبنى على تضمنه معنى الصدور وقيل عن بمعنى الباء فان العرب تجعل عن مكان الباء تقول رميت عن القوس اى بالقوس قال اولا ماضل وماغوى بصيغة الماضى ثم قال ومانطق عن الهوى بصيغة المستقبل بيانا لحاله قبل البعثة وبعدها اى ماضل وماغوى ابدا حيث اعتزلكم وماتعبدون قبل ان بعث رسولا ومانطق عن الهوى الآن حين يتلو عليكم آيات ربه و الوحى فى الاصل مصدر اطلق ههنا على الكتاب الالهى الموحى وقوله يوحى صفة لوحى و فائدة المجئ بهذا الوصف دفع توهم المجاز اى هو وحى حقيقة لا بمجرد تسميته وحيا والوحى بالمعنى المصدرى له معان وهى الارسال و الالهام و الكتابة و الاشارة و الكلام و الافهام ﴿قوله واحتج به من لم ير الاجتهاد له﴾ قال صاحب الكشف وجه الاحتجاج ان الله تعالى اخبر بان جميع ماينطق به وحى وماكان عن اجتهاد فليس بوحى فليس مماينطق به ثم نقل جواب صاحب الكشاف بقوله واجاب بان الله تعالى اذا سوغ له الاجتهاد كان له الاجتهاد ومايستند اليه كله وحيا لانطقا عن الهوى ثم قال و اعترض عليه بانه يستلزم ان تكون الاحكام التى يستنبطها المجتهدون بالقياس وحيا والجواب انه عليه الصلاة و السلام اوحى اليه ان يجتهد بخلاف سائر المجتهدين ثم اورد اعتراض المصنف فقال و ماقيل من انه حينئذ بالوحى لا الوحى غير قادح لانه بمنزلة ان يقول الله تعالى لنبيه عليه الصلاة و السلام حيثما ظننت كذا فهو حكمى انتهى كلامه ﴿قوله ملك شديد قواه﴾ اشار الى ان شديد القوى من اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها مثل حسن الوجه وان موصوفها محذوف هو الملك وقيل هو البارى تعالى كقوله الرحمن علم القرآن وضمير علمه يجوز ان يكون للرسول اى لقوله صاحبكم اى علم محمدا صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام وحى الله تعالى وهو الظاهر فيكون المفعول الثانى محذوفا اى علمه الرسول بان نزل به عليه وبينه له و لعل مراد المصنف بقوله فانه الواسطة فى ابدآء الخوارق الاشارة الى ان ضمير علمه للرسول و ان ثانى مفعولى علم محذوف ليذهب ذهن السامع الى كل ماظهر على يده من الخوارق قرآنا كان او غيره وان طريق تعليم ذلك اياه عليه الصلاة و السلام كونه واسطة فى ابدآء تلك الخوارق و قوله تعالى ذو مرة نعت بعد نعت الموصوف المحذوف و المرة القوة و شدة العقل ايضا و رجل مرير اى قوى ذو مرة كذا فى الصحاح و الحصافة استحكام العقل و صحة الرأى و فى الصحاح الحصيف الرجل المحكم العقل يقال حصف بضم العين حصافة و احصاف الامر احكامه حمل قوله تعالى شديد القوى على قوته فى جسمه و استدل عليها بماروى من قلعه قرى قوم لوط و صيحته بثمود وحمل قوله ذو مرة على قوته فى عقله و علمه دفعا للتكرار و تساعده اللغة ايضا ﴿قوله تعالى فاستوى﴾ معطوف على قوله علمه اى علمه وهو على غير صورته الحقيقية ثم استوى على صورته التى جبل عليها و كان يتمثل بصورة دحية حين ينزل بالوحى ليتمكن النبى صلى الله عليه وسلم من ضبطه الوحى و تلقيه فلما احب النبى عليه السلام ان يراه فى صورته التى جبل عليها استوى له بتلك الصورة قيل مارآه احد من الانبياء على حقيقته الاصلية غير محمد صلى الله عليه وسلم و على سائر الانبياء و المرسلين فانه عليه الصلاة و السلام رآه على صورته مرتين رآه مرة فى الارض اى فى جبل حرا وقيل باجياد و هو جبل بمكة طلع جبريل عليه السلام عليه من جانب المشرق و هو الافق الاعلى فملأ الافق و سد الارض و ملأها فخر رسول الله صلى الله عليه وسلم مغشيا عليه فنزل جبريل فى صورة الآدمى فضمه الى نفسه و جعل يمسح الغبار عن وجهه و رآه اخرى بتلك الصورة و هو فى السماء عند سدرة المنتهى و هو قوله تعالى و لقد رآه نزلة اخرى عند سدرة المنتهى و قوله تعالى و هو بالافق الاعلى جملة اسمية فى موضع الحال من المنوى فى استوى ﴿قوله فتعلق به﴾ دفع لمايقال الظاهر ان يقال ثم تدلى اليه فدنا منه لان التدلى سبب الدنو فلا يتفرع على الدنو بل الدنو يتفرع عليه و وجه الدفع ان التدلى هو الاسترسال مع التعلق و جرد ههنا لمعنى التعلق الذى هو متفرع على الدنو و روى عن الامام الواحدى انه قال تقديره ثم تدلى

(وماغوى) وما اعتقد باطلا و الخطاب لقريش و المراد نفى ماينسبون اليه (ومانطق عن الهوى) ومايصدر نطقه بالقرآن عن الهوى (ان هو) ماالقرآن او الذى ينطق به (الاوحى يوحى) الا وحى يوحيه الله اليه و احتج به من لم ير الاجتهاد له واجيب عنه بانه اذا اوحى اليه بان يجتهد كان اجتهاده ومايستند اليه وحيا وفيه نظر لان ذلك حينئذ يكون بالوحى لا الوحى (علمه شديد القوى) ملك شديد قواه وهو جبرآئيل فانه الواسطة فى ابدآء الخوارق روى انه قلع قرى قوم لوط و رفعها الى السماء ثم قلبها و صاح صيحة بثمود فاصبحوا جاثمين (ذو مرة) حصافة فى عقله ورأيه (فاستوى) فاستقام على صورته الحقيقية التى خلقه الله تعالى عليها قيل مارآه احد من الانبياء فى صورته غير محمد عليه الصلاة و السلام مرتين مرة فى السماء ومرة فى الارض وقيل استولى بقوته على ماجعل له من الامر (وهو بالافق الاعلى) افق السماء و الضمير لجبرائيل (ثم دنا) من النبى (فتدلى) فتعلق به وهو تمثيل لعروجه بالرسول وقيل ثم تدلى من الافق الاعلى فدنا من الرسول فيكون اشعارا بانه عرج به غير منفصل عن محله تقريرا لشدة قوته فان التدلى استرسال مع تعلق كتدلى الثمرة يقال دلى رجله من السرير وادلى دلوه والدوالى الثمر المعلق

(فدنا)

فدنا من محمد صلى الله عليه وسلم حتى صار بعدما بينهما قدر قوسين على التقديم و التأخير و قيل دنا بمعنى قصد القرب منه عليه السلام و تحوّل من المكان الذى كان فيه فتدلى اى فنزل اليه لان التدلى و ان كان بمعنى الامتداد من علوّ الى سفل يستعمل ايضا فى النزول من العلوّ بالانتقال عنه ﴿ قوله كقولك هو منى معقد الازار ﴾ اى فى كونه عبارة عن غاية القرب فان قاب قوسين خبر كان فلو جعل اسم كان ضمير جبريل عليه السلام لزم منه ان يحكم عليه بانه قاب قوسين اى قدرهما والشخص لايكون مقدارا فأوّله بانه من قبيل قولك هو منى معقد الازار فى كونه عبارة عن غاية القرب فان اصل الكلام ان يقال فكان قرب جبريل من محمد عليهما الصلاة و السلام مثل قرب احدى القوسين من الاخرى لحذف المضاف وأداة التشبيه للمبالغة فى بيان قربه منه كما يقال هو منى معقد الازار والاصل ان يقال قربه منى واتصاله بى كاتصال معقد الازار بى فعدل عنه الى هذه العبارة لقصد المبالغة ﴿ قوله او المسافة بينهما ﴾ عطف على قوله جبريل والقاب المقدار وقاب قوسين عبارة عن كمال القرب وفى التيسير كانت عظماء العرب اذا أرادوا تأكيد عهد وتوثيق عقد لاينقض ولا يرفض احضر المتعاقدان قوسيهما فجمعا بينهما وقبضا عليهما و نزعا سهما جميعا و رميا عنهما سهما واحدا يشيران بذلك الاتحاد الكلى و الاجتماع الاصلى فكان بعد ذلك رضى احدهما رضى الآخر وسخط احدهما سخط الآخر فكأنهما قالا اكدنا الصحبة بيننا والزمنا القربة فقبولك مقبولى و مردودك مردودى و فى معالم التنزيل معنى قوله كان بين جبريل و محمد صلوات الله عليهما مقدار قوسين انه كان بينهما مقدار مابين الوتر والقوس كأنه غلب القوس على الوتر وهذا اشارة الى تأكيد القرب ﴿ قوله او ادنى على تقديركم ﴾ يعنى ان كلمة او فيه للشك من جهة العباد كما ان كلمة لعل كذلك فى مواضع من القرآن اى لو رآهما رآء منكم لقال هو قدر قوسين فى القرب او أدنى الا لايلتبس عليه مقدار القرب وكما فى قوله تعالى وارسلناه الى مائة الف او يزيدون فانه تعالى عالم بمقادير الاشياء فخاطبنا على ماجرت به عادة المخاطبة بيننا ﴿ قوله وفيه تفخيم للموحى به ﴾ اى فى قوله تعالى فاوحى الى عبده مااوحى على تقدير ان يكون المنوى فى كل واحد من الفعلين ضمير جبريل عليه الصلاة و السلام تفخيم لما تقرر من ان التعريف بالموصول قد يكون للتفخيم كما فى قوله فغشيهم من اليم ماغشيهم اى الذى لايكتنه كنهه ولا يقادر قدره ﴿ قوله او الله اليه ﴾ على ان يكون المنوى فى الفعل الاوّل ضمير جبريل و فى الثانى ضمير البارى اى فاوحى جبريل الى النبى صلى الله عليه وسلم مااوحى الله تعالى اليه ﴿ قوله وقيل الضمائر كلها لله ﴾ اى ثم دنا الله تعالى من محمد صلى الله عليه وسلم الى آخر الآية وكذا موصوف شديد القوى هو الله تعالى كقوله الرحمن علم القرآن و القوى جمع القوّة فقوله فاستوى الظاهر ان معناه حينئذ فاستوى القرآن فى صدره اى فى صدر محمد صلى الله عليه وسلم حين علمه ربه او فى صدر جبريل وقيل المعنى ثم دنا محمد عليه الصلاة و السلام من ربه عزوجل دنوّ الرتبة و المنزلة و اعطاء المنية واجابة الدعوة لا المكان و المسافة كقوله تعالى فانى قريب اجيب فتدلى اى هو المقصود فكان قاب قوسين و هو تمثيل لكمال دنوّه من ربه على اصطلاح العرب فان الحبيبين و الحليفين فى الجاهلية كانا اذا ارادا عقد الصفاء فى الود و الصحبة ألصقا قوسيهما يريدان بذلك ان كل واحد منهما يحامى عن صاحبه فاوحى الله عزوجل الى عبده محمد ما كذب فؤاد محمد فيما رأى و روى عنه عليه الصلاة و السلام انه قال رأيته بفؤادى ولم اره بعينى ﴿ قوله من صورة جبريل او الله تعالى ﴾ اشارة الى الاختلاف الواقع بين فضلاء الامة فى انه عليه الصلاة و السلام هل رأى ربه ليلة الاسرآء اولا فانكرته عائشة رضى الله عنها و قالت من حدثك ان محمدا رأى ربه فقد كذب ثم قرأت لاتدركه الابصار و هو يدرك الابصار و هو اللطيف الخبير و ما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من ورآء حجاب وقالت ان المرئى فى قوله تعالى ما كذب الفؤاد ما رأى هو صورة جبريل حيث قالت ولكنه رأى جبريل فى صورته مرتين ووافقها ابن مسعود رضى الله عنه فى ان المرئى هو جبريل وذهب جماعة كثيرة الى ان المرئى هو الله تعالى وانه عليه الصلاة و السلام رأى ربه ثم انهم اختلفوا فى انه عليه الصلاة و السلام هل رأى ربه بقلبه او بعين رأسه فقال بعضهم جعل بصره فى فؤاده فرآه بفؤاده و هو قول ابن عباس قال رآه بفؤاده مرتين و قال انس و الحسن وعكرمة رأى محمد ربه بعين رأسه و روى عكرمة عن ابن عباس انه قال ان الله اصطفى ابراهيم بالخلة واصطفى موسى بالكلام و اصطفى محمدا صلى الله عليه وسلم و على سائر الانبياء و المرسلين بالرؤية * واعلم ان رؤية الله تعالى فى الدنيا جائزة لان دليل الجواز غير مخصوص برؤيته فى الآخرة و لان مذهب اهل السنة ان الرؤية بالارآءة لابقدرة العبد

(فكان) جبريل كقولك هو منى معقد الازار او المسافة بينهما (قاب قوسين) مقدارهما (او ادنى) على تقديركم كقوله او يزيدون والمقصود تمثيل ملكة الاتصال وتحقيق استماعه لما اوحى اليه بنفى البعد الملبس (فاوحى) جبريل (الى عبده) عبد الله واضماره قبل الذكر لكونه معلوما كقوله على ظهرها (مااوحى) جبريل وفيه تفخيم للموحى به او الله اليه وقيل الضمائر كلها لله تعالى وهو المعنى بشديد القوى كما فى قوله هو الرزاق ذو القوة المتين ودنوّه منه رفع مكانته وتدليه جذبه بشراشره الى جناب القدس (ما كذب الفؤاد ما رأى) مارآه ببصره من صورة جبرآئيل او الله تعالى

فاذا حصل العلم بالشئ من طريق البصر كان رؤية بالارآة وان حصل من طريق القلب كان معرفة فالله تعالى قادر على ان يحصل مدرك العلوم فى البصر كما قدر على ان يحصل مدرك العلوم فى القلب و المسئلة مختلف فيها بين الصحابة والاختلاف فى الوقوع مبنى على الاتفاق على الجواز وقوله تعالى ما كذب الفؤاد قرأه هشام وابو جعفر بتشديد الذال و الباقون بتخفيفها و ما الاولى نافية و الثانية موصولة و عائدها محذوف و محلها النصب على انها مفعول كذب المشددة و على نزع الخافض فى قرآءة التخفيف اى ما كذب الفؤاد فى الذى رآه ببصره فلو قال الفؤاد الذى يراه بصرك ليس بصحيح وان الصورة المرتسمة باعمال حاسة البصر ليست مطابقة لما نشأ فى الارتسام فى الحس المشترك كما اذا ارتسمت صورة الانسان من شبح الانسان المرئى من بعيد و قال الفؤاد فى حق الصورة المرتسمة فى الحس المشترك لا اعرفك حقا مطابقا للشبح المرئى لكان كاذبا لانه قد عرفها حقا و اعتقد كونها مطابقة للشبح قال المكى من خفف كذب جعل مافى موضع النصب على نزع الخافض و اسقاطه اى ما كذب فؤاده فيما رآه بصره اى لم يقل فيه كذبا و انما يقول الكذب فيه ان لو قال له لا اعرفك و لا اعتقدك لانه قد عرفه بقلبه و اعتقده حقا كما رآه ببصره وجعله مرئيا فيكون قوله لا اعرفك كذبا فاذا لم يقل فؤاده ذلك القول صح ان يقال انه ما كذب فيما رآه ببصره من صورة المرئى ﴿ قوله اى ما كذب بصره ﴾ بنصب البصر على نزع الخافض ايضا اى وما كذب الفؤاد فى حق بصره بان يقول له حكايتك لا تطابق المحكى بان قال انه لم يحك صورة المرئى على الوجه المطابق له ﴿ قوله فان الامور القدسية ﴾ جواب عما يرد على قوله اى ما كذب بصره بما حكاه له من ان ادراك القلب لا يختص بالبصر و معرفته المتعلقة بالمحسوسات بالبصر متفرع على استعمال حاسة البصر وارتسام الصورة فى الحس المشترك فكيف يمكن للفؤاد ان يكذب فى حق البصر بان قال انه لم يحك صورة المحسوس على الوجه المطابق له وهو يستلزم ان يدرك المحسوس من غير استعانة بالبصر و تقرير الجواب ان الامور القدسية بمنزلة المعقولات الصرفة فى ان الفؤاد يدركها بنفسه و لا يستعين فى ادراكها بالقوى الحاسة من حيث انه تعالى لم يخلق فى الحواس قوة الاحساس بها ثم انه تعالى لما خلق فى حاسته عليه الصلاة والسلام قوة الاحساس بالصورة التى جبل عليها جبريل و قد عرفها قبل ذلك بفؤاده فقد عرفها من طريق البصر ايضا فيمكن له ان يصدق و يكذب فى حق البصر اى يصدق و يكذب فيما حكاه له ﴿ قوله او ما رآه بقلبه ﴾ عطف على قوله ما رآه ببصره و هذا على قول من يقول انه عليه الصلاة والسلام رأى ربه بفؤاده لا بعين رأسه فالمعنى حينئذ ما كذب الفؤاد فيما رآه الفؤاد بان قال فى حقه انه هاجس شيطانى و تخييل كاذب اذ ليس فى وسع الانسان معرفة الرب تعالى ﴿ قوله و اشتقاقه من مرى الناقة ﴾ الجوهرى مريت الناقة مريا اذا مسحت ضرعها لتدر و مريت الفرس اذا استخرجت ما عنده من الجرى بسوط او غيره و المراد به الجدال بالباطل و كان حقه ان يتعدى بفى لانه يقال جادله فى كذا لكنه ضمن معنى الغلبة فعدى تعديتها انكر الله تعالى عليهم فى جدالهم معه عليه السلام حين اسرى به فقالوا صف لنا بيت المقدس و اخبرنا عن عيرنا فى الطريق و غير ذلك مما جادلوه به فان قيل الظاهر ان يقال افتماروه على ما رأى بصيغة الماضى لانهم انما جادلوه بعد ما اسرى به فما الحكمة فى ايراده بصيغة المضارع فالجواب انه على حكاية الحال الماضية احضار الحالة البعيدة فى ذهن المخاطبين و تعجيبا لهم ﴿ قوله وقرأ حمزة الخ افتمرونه ﴾ اى بفتح التاء من غير الف بعد الميم على انه من فعله المسند الى الغالب فى باب المبالغة او من مريته حقه اذا جحدته و جحدته اياه ﴿ قوله مرة اخرى ﴾ يعنى ان نزلة لما كان اسما للمرة من الفعل اقيمت مقامها فكانت فى حكمها فى كونها منصوبة على الظرفية وقيل انها منصوبة على انها مفعول مطلق واقع موقع مايدل المحذوف المنصوب على انه حال من مفعول رآه اى رآه نازلا نزلة اخرى و الواو فى ولقد رآه يحتمل ان تكون عاطفة و يحتمل ان تكون حالية اى كيف تجادلونه فيما رآه و تقولون انه لم ير جبريل و انما رأى شيطانا كما يرى الكهنة الشياطين و هو قد رآه على وجه لاشك فيه رآه مرتين مرة بالافق الاعلى اى بناحية من السماء التى هى اعلى اطراف الكون و مرة عند سدرة المنتهى ليلة المعراج فرآه بها على صورته التى خلق عليها قال رأيته عند سدرة المنتهى و عليه ستمائة جناح يتناثر منها الدر و الياقوت و هى مقام جبريل عليه السلام ام فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ملائكة السماء كلهم فكان امام الانبياء فى بيت المقدس و امام الملائكة عند سدرة المنتهى فظهر بذلك فضله على اهل السماء و الارض قال مقاتل السدرة هى شجرة طوبى و لو ان رجلا ركب نجيبة و طاف على ساقها حتى ادركه الهرم لما وصل الى المكان الذى ركب منه يحمل

اى ما كذب بصره بما حكاه له فان الامور القدسية تدرك اولا بالقلب ثم تنتقل منه الى البصر او ما قال فؤاده لما رآه لم اعرفك ولو قال ذلك كان كاذبا لانه عرفه بقلبه كما رآه ببصره او ما رآه بقلبه والمعنى لم يكن تخيلا كاذبا ويدل عليه انه عليه الصلاة و السلام سئل هل رأيت ربك فقال رأيته بفؤادى وقرئ ما كذب اى صدقه ولم يشك فيه (أفتمارونه على ما يرى) أفتجادلونه عليه من المراء وهو المجادلة واشتقاقه من مرى الناقة كأن كلا من المتجادلين يمرى ما عند صاحبه وقرأ حمزة والكسائى ويعقوب افتمرونه اى افتغلبونه فى المراء من ماريته فمريته او أفتجحدونه من مراه حقه اذا جحده وعلى لتضمين الفعل معنى الغلبة فان المماري والجاحد يقصدان بفعلهما غلبة الخصم (ولقد رآه نزلة اخرى) مرة اخرى فعلة من النزول اقيمت مقام المرة ونصبت نصبها اشعارا بان الرؤية فى هذه المرة كانت ايضا بنزول ودنو

لاهل الجنة الحلي والحلل وجميع الوان الثمر وقيل هي شجرة غير طوبى ثابتة في يمين العرش فوق السماء السابعة تخرج انهار الجنة من اصل تلك الشجرة واضافة السدرة الى المنتهى يحتمل ان تكون من قبيل اضافة الشيء الى مكانه كقولك شجرة بلدة كذا ومكان كذا فالمنتهى حينئذ موضع لا يتعداه ملك ﴿ قوله والكلام في المرئي والدنو ما سبق ﴾ من ان المرئي هل هو جبريل او الله عز وجل فانه روى عن كعب الاحبار انه قال ان محمدا صلى الله عليه وسلم رأى ربه مرة اخرى فقال ان الله تعالى كلم موسى مرتين وادنى محمدا صلى الله عليه وسلم وعلى جميع الانبياء والمرسلين مرتين وذهب اكثر المفسرين الى ان الضمير البارز في رآه لجبريل والمعنى انه عليه الصلاة والسلام لما رجع من عند ربه ليلة الاسراء رأى جبريل على صورته عند سدرة المنتهى وقوله عند سدرة المنتهى يجوز ان يكون حالا من مفعول رآه على تقدير ان يكون المرئي جبريل واما اذا كان المرئي هو الله تعالى فلا يجوز ذلك لانه تعالى منزه عن ان يحل في زمان او مكان ويجوز ان يكون ظرفا لرأى على التقديرين على ان يكون الظرف ظرفا للرائي ورؤيته لا المرئي كما اذا قلت رأيت الهلال في بيتي وقوله تعالى اذ يغشى السدرة في محل النصب على انه بدل من قوله نزلة اخرى وقدر انه منصوب اي رأى محمد جبريل عليهما الصلاة والسلام اذ يغشى السدرة ما يغشى قيل يغشاها الملائكة حتى تغطي السدرة روى عنه عليه الصلاة والسلام انه قال « رأيت على كل ورقة من اوراقها ملكا قائما يسبح الله تعالى » وفي ابهام ما يغشى تعظيم وتكثير لما يغشاها من الخلائق والغشيان يكون بمعنى التغطية والستر ويكون بمعنى الاتيان ايضا وهو المناسب ههنا ﴿ قوله وقيل يغشاها الجم ﴾ عطف على معنى قوله ما يغشاها بحيث لا يكتنهها نعت واختلفوا فيما يغشى السدرة فقيل هو فراش من ذهب او جراد من ذهب او هو الملائكة الذين يعبدون الله عندها وقيل بل يغشاها انوار الله تعالى لان النبي صلى الله عليه وسلم لما وصل اليها تجلى ربه لها كما تجلى للجبل فظهرت الانوار الالهية عليها لكن السدرة كانت اقوى من الجبل واثبت فجعل الجبل دكا ولم تتحرك الشجرة وخر موسى صعقا ولم يتزلزل محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ قوله ولعلها شبهت بالسدرة ﴾ كأنه جواب عما يقال العالم العلوي ليس فيه شيء مما هو في هذا العالم فلا يكون فيه شجرة النبق وهي شجرة الصنوبر فما وجه قوله عند سدرة المنتهى فاجاب بان شجرة النبق لما كان لها ظل مديد وطعم لذيذ ورائحة زكية شبهت بها شجرة المنتهى فاطلق عليها اسم السدرة على سبيل الاستعارة ﴿ قوله تعالى ما زاغ البصر ﴾ اي اي شيء رآه في تلك الليلة لم يمل بصره عنه قبل ان يستيقنه ويطلع على حقيقته او قصر نظره على ما امر برؤيته ولم يلتفت يمينا ولا شمالا على انه وصفه بالتأدب ﴿ قوله لقد رأى الكبرى ﴾ على ان الكبرى مفعول رأى ومن آيات ربه حال من المفعول قدمت عليه وحذف موصوف الكبرى والتقدير ولقد رأى الآيات الكبرى من آيات ربه اي رأى من آيات ربه آيات هي اكبر الآيات ﴿ قوله وقد قيل انها المعنية بما رأى ﴾ اي في قوله ما كذب الفؤاد ما رأى « قال الامام ان هذه الآية تدل على ان محمدا صلى الله عليه وسلم لم ير الله عز وجل ليلة المعراج وانما رأى آيات الله تعالى التي من جملتها رؤية جبريل على صورته وفيه خلاف ووجه الدلالة انه تعالى ختم قصة المعراج ههنا برؤية الآيات وقال في موضع آخر سبحان الذي اسرى بعبده ليلا الى ان قال لنريه من آياتنا ولو كان عليه الصلاة والسلام رأى ربه لكان ذلك اعظم ما يمكن من الكرامة فكان حقه ان يختم به قصة المعراج ثم انه تعالى لما قرر امر الرسالة ذكر بعده ما ينبغي ان يبتدئ به الرسول صلى الله عليه وسلم وهو التوحيد ومنع الخلق عن الاشراك فقال أفرأيتم اللات والعزى ومناة كما هي عليه من العجز والهوان فكيف تشركونها بالله العزيز العليم فلو رأيتم اياها حق الرؤية لعلمتم انها لا تصلح شريكا لله تعالى في استحقاق التعظيم ﴿ قوله وهي فعلة من لوى ﴾ اي من لوى على الشيء يلوى اذا عكف عليه او من لوى الرجل رأسه اذا اماله فانهم كانوا يعكفون عليها ويميلون اعناقهم اليها اصله لوية فاسكنت الياء وحذفت لالتقاء الساكنين فبقيت لوت فقلبت الواو الفا لتحركها وانفتاح ما قبلها فصار لات والعامة على تخفيف تائها وقرئ بتشديد التاء ايضا على انه في الاصل اسم فاعل من لت السويق اذا لته بالماء قيل كان رجل يلت السويق للحاج فلما مات نحتوا على صورته حجرا وسموه باسمه وعبدوه فلم يزل كذلك الى ان اسلمت ثقيف فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا رضي الله عنه فكسرها واحرقها بالنار ﴿ قوله سمرة ﴾ هي نوع من الشجر روى ان خالدا كان يقول حين يقطعها « يا عز كفرانك لا سبحانك » « اني رأيت الله قد اهانك » فلما قطعها رجع الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال قد قطعتها فقال ما رأيت قال ما رأيت شيأ فقال عليه الصلاة والسلام ما بلغت فعاودها

والكلام في المرئي والدنو ما سبق وقيل تقديره ولقد رآه نازلا نزلة اخرى ونصبها على المصدر والمراد به نفي الريبة عن المرة الاخيرة (عند سدرة المنتهى) التي ينتهي اليها علم الخلائق واعمالهم او ما ينزل من فوقها ويصعد من تحتها ولعلها شبهت بالسدرة وهي شجرة النبق لانهم يجتمعون في ظلها وروي مرفوعا انها في السماء السابعة (عندها جنة المأوى) الجنة التي يأوي اليها المتقون او ارواح الشهداء (اذ يغشى السدرة ما يغشى) تعظيم وتكثير لما يغشاها بحيث لا يكتنهها نعت ولا يحصيها عد وقيل يغشاها الجم الغفير من الملائكة يعبدون الله عندها (ما زاغ البصر) ما مال بصر رسول الله صلى الله عليه وسلم عما رآه (وما طغى) وما تجاوزه بل اثبته اثباتا صحيحا مستيقنا او ما عدل عن رؤية العجائب التي امر برؤيتها وما جاوزها (لقد رأى من آيات ربه الكبرى) اي والله لقد رأى الكبرى من آياته وعجائبه الملكية والملكوتية ليلة المعراج وقد قيل انها المعنية بما رأى ويجوز ان تكون الكبرى صفة للآيات على ان المفعول محذوف اي شيئا من آيات ربه او من مزيدة (أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى) هي اصنام كانت لهم فاللات كانت لثقيف بالطائف او لقريش بنخلة وهي فعلة من لوى لانهم كانوا يلوون عليها اي يطوفون وقرئ اللات بالتشديد على انه سمي به لانه صورة رجل كان يلت السويق بالسمن ويطعم الحاج والعزى سمرة لغطفان كانوا يعبدونها فبعث اليها رسول الله عليه الصلاة والسلام خالد بن الوليد فقطعها واصلها تأنيث الاعز ومناة صخرة كانت لهذيل وخزاعة او لثقيف

ومعه المعول فقطعها واجتث اصلها فخرجت منها امرأة عريانة ناشرة شعرها داعية ويلها واضعة يدها على رأسها فقتلها خالد رضي الله عنه ثم رجع الى النبي صلى الله عليه وسلم واخبره بذلك فقال تلك العزى ولن تعبد ابدا ﴿ قوله من مناه اذا قطعه ﴾ وقيل من منى يمنى اى صب سميت الصخرة مناة لان دماء النساء البكر كانت تصب عندها والفها منقلبة عن ياء والتاء زائدة لتأنيث الصخرة فوزنها فعلة وميمها اصلية وقرأ ابن كثير مناءة بالمد والهمز من النوء اصله منوأة فنقلت حركة الواو الى النون قبلها فقلبت الفا ومعناه موضع الاستمطار من الانواء والنوء سقوط نجم من المنازل الثماني والعشرين في المغرب عند طلوع الفجر مع طلوع رقيبه من المشرق بمقابلة ماسقط من ساعة سقوطه وذلك في ثلاثة عشر يوما ماخلا الجبهة فان لها اربعة عشر يوما وكانت العرب تضيف الامطار والرياح والحر والبرد الى الساقط منها وقال الاصمعي الى الطالع منها فتقول مطرنا بنوء كذا والجمع انواء فوزن الكلمة حينئذ مفعلة فالفها عن واو وهمزتها اصلية وميمها زائدة فانهم كانوا يستمطرون عندها الانواء تبركا بها ﴿ قوله صفتان للتأكيد ﴾ اما كون الثالثة للتأكيد فظاهر واما الاخرى فانها وان افادت معنى زائدا على ماافاده الموصوف لانها تأنيث الآخر بفتح الخاء بمعنى المغاير مع الاشتراك مع الموصوف فيما اثبت له فالاخرى تصلح مخصصة لمناة الا انه لايصح ان تحمل الاخرى في الآية على هذا المعنى اذلا مشارك لمناة في كونها مناة ثالثة حتى توصف بالاخرى احترازا عنها فوجب ان تكون بمعنى المغاير مطلقا فتكون صفة مؤكدة ضرورة ان مناة كما تكون ثالثة اللات والعزى فهي مغايرة لهما ﴿ قوله او الاخرى من التأخر في الرتبة ﴾ اى ويجوز ان تكون الاخرى صفة مسوقة للذم لكونها بمعنى المتأخرة في الرتبة الوضيعة الذليلة في القدر كقوله تعالى قالت اخراهم لاولاهم اى ضعفاؤهم لاشرافهم ووجه كون مناة وضيعة ذليلة بالنسبة الى اللات والعزى ان اللات وان كانت صخرة الا انها على صورة الآدمي والعزى شجرة وهي لكونها من اقسام النبات اشرف من المناة التي هي صخرة فظهر ان مناة متأخرة عنهما رتبة ﴿ قوله وهو المفعول الثاني لقوله افرأيتم ﴾ اى سادّ مسدّه فان رأيتم تستدعي مفعولين اما لكونها بمعنى اعلمتم واللات وماعطف عليه مفعوله الاوّل والجملة الاستفهامية سادّة مسدّ مفعوله الثاني كأنه قيل اعلمتم هذه الاصنام مما كفيان يكون لكم الذكر وله الانثى واما لكونها بمعنى اخبروني والمعنى افتمارونه بعدما بين لكم رفعة شأنه وحقية رسالته فاخبروني ان هذه الاصنام هل هي بنات الله مع وأدكم البنات وكراهتكم اياهنّ فانه قيل كيف تكون الجملة الاستفهامية مفعولا ثانيا لافرأيتم ولم يعد منها ضمير على المفعول الاوّل قلنا استغنى عن الضمير بمريف الانثى فانه في قوّة ان يقال وله هذه الاصنام وكان الظاهر ان يقال وله هن اى تلك الاصنام الاناث ووضع الاسم الظاهر موضع الضمير رعاية الفواصل والاشارة الى علة الانكار والتوبيخ والفاء في قوله افرأيتم للتعقيب كالتي في قوله افتمارونه فانه تعالى صوّر امر الوحي اوّلا تصويرا تاما وحقق ان ماينطق به وحي اوحي اليه بواسطة ملك شديد قواه لانه رأى ذلك الملك بصورته الملكية وعرفه حق المعرفة ثم قال افتمارونه على مايرى اى اتجادلونه بعد هذه البينات على مايرى من الآيات المحققة لكونه على بينة من ربه بحيث لايتصوّر معه ان يكون له شائبة ارتياب في ان ما اوحي اليه كلام الهي يلقيه اليه ملك مقرب عنده كيف وقد رآه نزلة اخرى وعرفه حق المعرفة ثم قال لقد رأى من آيات ربه تنبيها على ان ماذكر الى هنا من الآيات الكبرى فهو ابيضا في الضلالة والغواية وتحقيق الدراية والهداية ثم عطف قوله افرأيتم على افتمارونه وادخل عليه الهمزة لزيادة الانكار فانه اذا تبين عظمة الله في ملكوته وان رسوله اى المرسل بسد الآفاق بعض اجنحته ويهلك المدائن بشدّته وقوّته ولايمكنه مع هذا ان يتعدّى السدرة في مقام جلال الله تعالى وعزته فقد تحقق واتضح ان ماذهبوا اليه من ان هؤلاء الاصنام شركاء له تعالى وبناته مع خستها وحقارة شأنها منكر غاية الانكار اى انكم مع تماراتكم فيما ليس بمظنة المراء اخبروني هل هؤلاء الاخساء بنات الله تعالى والمقصود التهكم بهم والتنبيه على انه لم يبعد مرأيهم وان من بلغ في الضلال الى ان كان معتقده مثل هذا لايبعد منه ان ينسب من هو في اعلى درجات الرشاد والسداد الى الضلالة والغواية وان يماري معه فيما اتضح كنار على علم ﴿ قوله فان فعلى بالكسر لم يأت وصفا ﴾ فان الصفات في المؤنث لاتأتي الا على فعلى بضم الفاء كحبلى وفعلى بفتح الفاء كسكرى وعطشى ولاتأتي على فعلى بالكسر الا في بناء الاسماء كالشعرى والدفلى وفي المصدر كالذكرى فظهر ان اصل ضيزى بضم الضاد من ضاز في الحكم يضيز ضيزا اى جار وضازه حقه يضيزه اى بخسه ونقصه ثم كسروا الضاد لتسلم الياء كما كسروا الباء من بيض اصله بيض

وهي فعلة من مناه اذا قطعه فانهم كانوا يذبحون عندها القرابين ومنه منى وقرأ ابن كثير مناءة مفعلة من النوء فانهم يستمطرون الانواء عندها تبركا بها وقوله الثالثة الاخرى صفتان للتأكيد كقوله يطير بجناحيه او الاخرى من التأخر في الرتبة (ألكم الذكر وله الانثى) انكار لقولهم الملائكة بنات الله وهذه الاصنام استوطنها جنيات هن بناته او هياكل الملائكة وهو المفعول الثاني لقوله افرأيتم (تلك اذا قسمة ضيزى) جائرة حيث جعلتم له ماتستنكفون منه وهي فعلى من الضيز وهو الجور لكنه كسر فاؤه ليسلم الياء كما فعل في بيض فان فعلى بالكسر لم يأت وصفا

جمع ابيض مثل سود جمع اسود ولو ابقيت الضمة على حالها وابدلت الياء واوا لزم الثقل لان الكسرة والياء اخف عندهم من الضمة والواو مع عدم اللبس اذليس في الصفات فعلى بالكسر ﴿ قوله على انه مصدر نعت به ﴾ كالذكرى ولايجوز كونه نعتا اصليا لما مرّ من انه ليس في الصفات فعلى ﴿ قوله اى ماهى باعتبار الالوهية ﴾ اى ماهى باعتبار ان يعبر عنها باسم الآلهة الا اسماء عارية عن مدلولاتها كما اذا اردت ان تحقر من هو ملقب بمايشعر مدحا فتقول ماهو الاسم وكذا اذا كان ضميرهي للصفة او للاسماء يكون المعنى ماذكره فان قيل الاسماء لاتسمى وانما يسمى بها فكيف قيل سميتموها قلنا اشار المصنف الى جوابه بقوله الااسماء تطلقونها عليها جعل سميتموها بمعنى ذكرتموها واطلقتموها عليها يقال سميت زيدا بمعنى ذكرته بهذا الاسم وان كان للاصنام يكون سميت متعديا الى مفعولين بنفسه فان الاصنام باعتبار الآلهة وكذلك الصفات التى يصفون الاصنام بها والاسماء التى يسمونها بها اسماء يطلقونها على الاصنام اطلاقا عاريا عن مدلولاتها كأنه قيل وماهذه الالفاظ الااسماء اطلقتموها عليها بهواكم وشهوتكم ليس لكم على صحة اطلاقها عليها برهان تتعلقون به فسر قوله تعالى سميتموها انتم بقوله سميتم بها اشارة الى ان انتم تأكيد للضمير المرفوع المتصل وان قوله وآباؤكم معطوف على ذلك الضمير ﴿ قوله وقرئ بالتاء ﴾ كما يقتضيه الظاهر لان المقام مقام الخطاب الا ان العامة قرأوا بياء الغيبة التفاتا من خطابهم الى الغيبة تحقيرا لهم كأنه قطع الكلام معهم وقال لنبيه صلى الله عليه وسلم انهم لايتبعون الا الظن فلا تلتفت الى قولهم فان من اتبع ظنه وماتشتهيه نفسه بعد ماجاءه الهدى والبيان الشافى لايعدانسانا ولايعتدبه وقوله تعالى ولقدجاءهم من ربهم الهدى الظاهر انه حال من فاعل يتبعون اى هم يتبعون الظن وهوى النفس فى حال تنافى ذلك وهى مجيء الهدى من عند ربهم من الكتاب والرسول والبرهان الدال على بطلان مااعتقدوه ﴿ قوله ام منقطعة ﴾ ومعناها الاضراب من اتباعهم التوهم الباطل والهوى الى انكار ماهو الحق منه وهو ان يكون لهم ماتمنوه من شفاعة آلهتهم وسائر متمنياتهم اى للانسان كل ماتمناه والدليل عليه قوله وكم من ملك الخ ﴿ قوله وكثير من الملائكة ﴾ اشارة الى ان كم خبرية للتكثير ومحلها الرفع على الابتدا وخبره لاتغنى وجمع ضمير شفاعتهم مع ان مراجع الملك حملا على معنى كم دون لفظها وليس المعنى انهم يشفعون فلاتنفع شفاعتهم بل معناه انهم لايشفعون لانه لايؤذن لهم فكيف تشفع الاصنام لعبدتهم واللام فى قوله تعالى لمن يشاء متعلقة بالاذن وقوله من يشاء يجوز ان يراد به من يشفع من الملائكة ومن يشفع له من الناس والثانى هو الظاهر لان الملائكة باجمعهم مأذونون فى الشفاعة للمؤمنين لان الكل يستغفرون للمؤمنين فلاوجه للتخصيص ثم انه تعالى لما استدل على بطلان شفاعة الاصنام لعبدتهم بان اعظم اجناس الخلق لاشفاعة لهم الا بالاذن فكيف يشفع اخس الموجودات من غيران يؤذن لهم فانهم كانوا يقولون نحن لانعبد الاصنام لانها جمادات وانما نعبد الملائكة بعبادتها فانها صور الملائكة فنضعها بين ايدينا لنذكر بالشاهد الغائب فنعظم الملائكة لتقرب رد الله تعالى عليهم بقوله ان الذين لايؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة تسمية الانثى مع انكم تحقرون الاناث وتكرهونهن وقدم الجواب عن اصل اعتذارهم بقوله وكم من ملك فى السموات لاتغنى شفاعتهم شيأ الا من بعد ان يؤذن لهم فى ان يشفعوا لمن يشاء ان يشفع لهم من المؤمنين ويراهم اهلا لان يشفع لهم ﴿ قوله تعالى تسمية الانثى ﴾ منصوب بنزع الخافض اى كتسمية الانثى والجار والمجرور فى محل النصب على انه صفة مصدر محذوف اى تسمية مثل تسمية الانثى اى ليذكرون الملائكة ذكرا كذكر الاناث حيث يذكرونهم بنات الله تعالى ﴿ قوله اى كل واحد منهم ﴾ لما كان الظاهر ان يقال تسمية الاناث بدل الانثى لان المسمى الملائكة دون الملك اوّل الملائكة بكل واحد منهم فان قيل كيف يصح ان يقال انهم لايؤمنون بالآخرة مع انهم كانوا يقولون هؤلاء شفعاؤنا عندالله وكان من عادتهم ان يربطوا مركب الميت على قبره وزعمهم انه يحشر عليه فالجواب عنه بانهم ماكانوا يجزمون بل ينكرون ويقولون لاحشر ثم يقولون فان كان فلناهم شفعاء بدليل انه تعالى حكى عنهم قولهم وماأظن الساعة قائمة ولئن رجعت الى ربى ان لى عنده للحسنى وايضا انهم لايؤمنون بالآخرة على الوجه الذى يبينه الرسل فهم لايؤمنون بحقيقة الآخرة بل بما زعموه آخرة ﴿ قوله وقرئ بها ﴾ اى وقرئ مالهم بهامن علم بدل به فيكون ضمير بها اما للملائكة او للتسمية على حذف المضاف اى مالهم بانوثة الملائكة او بمطابقة التسمية لهم من علم فانهم جاهلون بكل واحد من الامرين معتقدون اعتقادا لايطابق الواقع ﴿ قوله فان الحق الذى هو حقيقة الشئ لايدرك الا بالعلم ﴾ فسر العلم بحقيقة الشئ وهى ماعليه الشئ فى نفس الامر وحكم عليها

وقرأ ابن كثير بالهمز من ضازه اذا ظلمه على انه مصدر نعت به (ان هى الا اسماء) الضمير للاصنام اى ماهى باعتبار الالوهية الا اسماء تطلقونها عليها لانكم تقولون انها آلهة وليس فيها شئ من معنى الالوهية او للصفة التى تصفونها بها من كونها آلهة وبنانا وشفعاء او للاسماء المذكورة فانهم كانوا يطلقون اللات عليها باعتبار استحقاقها للعكوف على عبادتها والعزى لعزتها ومناة لاعتقادهم انها تستحق ان يتقرب اليها بالقرابين (سميتموها انتم) سميتم بها (وآباؤكم) بهواكم (ماانزل الله بها من سلطان) برهان تتعلقون به (ان يتبعون) وقرئ بالتاء (الا الظن) الا توهم ان ماهم عليه حق تقليدا او توهما باطلا (وماتهوى الانفس) ومااشتهته انفسهم (ولقدجاءهم من ربهم الهدى) الرسول والكتاب فتركوه (ام للانسان ماتمنى) ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار والمعنى ليس له كل ماتمناه والمراد نفى طمعهم فى شفاعة الآلهة وقولهم ولئن رجعت الى ربى ان لى عنده للحسنى وقولهم لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ونحوها (فلله الآخرة والاولى) يعطى منهما مايشاء لمن يريد وليس لاحد ان يتحكم عليه فى شئ منهما (وكم من ملك فى السموات لاتغنى شفاعتهم شيأ) وكثير من الملائكة لاتغنى شفاعتهم شيأ ولاتنفع (الا من بعد ان يأذن الله) فى الشفاعة (لمن يشاء) من الملائكة ان يشفع او من الناس ان يشفع له (ويرضى) ويراه اهلا لذلك فكيف تشفع الاصنام لعبدتهم (ان الذين لايؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة) اى كل واحد منهم (تسمية الانثى) بان سموه بنتا (ومالهم به من علم) اى بما يقولون وقرئ بها اى بالملائكة او التسمية (ان يتبعون الا الظن وان الظن لايغنى من الحق شيأ) فان الحق الذى هو حقيقة الشئ لايدرك الا بالعلم والظن لااعتبار له فى المعارف الحقيقية وانما العبرة به فى العمليات ومايكون وصلة اليها

بانها لاتدرك الا باليقين واشار الى ان المعارف قسمان حقيقية واعتبارية والحقيقية هي الاحوال الثابتة للاشياء في انفسها مع قطع النظر عن جعل جاعل واعتبار معتبر وهي التي تبحث عنها اهل الحكمة والاعتبارية هي المباحث المنوطة بالجعل والاعتبار كالمباحث الشرعية والعرفية فالاولى لايتوصل اليها الا بالعلم واليقين بخلاف الثانية فان الظن يعتبر فيها عند عدم الوصول الى اليقين * فان قيل كيف يصح ان يقال الظن لايغني شيأ من المعارف الحقيقية مع انه قد يصيب ويتعلق بحقيقة الشئ وماهو عليه في نفس الامر * فالجواب نعم ان الظن قد يتعلق بالحق الا ان الواجب على المكلف في المطالب الاعتقادية التيقن بما هو الحق ولايكفيه الظن به فالظن بالوحدانية مثلا لايغني من الحق ولاينوب منابه ولاينفع صاحبه ولاينزله منزلة المحق لان المحق من تيقن بالحق وجزم به والظان بالوحدانية لايعتبر موحدا ثم انه تعالى لما ذكر انهم تركوا الهدى الذى جاءهم من ربهم واتبعوا الظن وما تهوى الانفس فرّع عليه قوله فأعرض عن من تولى عن ذكرنا اى عن كتابنا ووعظنا فلم يصدّقه ولم يقبله وقيل عن ذكرنا بالوحدانية وصفات العظمة والكبرياء ثم جهلهم وصغر رأيهم فقال ذلك مبلغهم من العلم فان امر الدنيا وماتجمع به فيها اخس الحظوظ واوضعها لايقتصر احد من العقلاء عليه اذ هو من اخلاق البهائم التى لاترغب الا في الحاضر التافه الفاني قيل كل مافي القرءآن من قوله تعالى فاعرض منسوخ بآية القتال ورد بان الامر بالقتال لاينافي الامر بالاعراض عن الدعوة وانما يتنافيان ان لوكان المراد بالاعراض الاعراض عنهم بالكلية وليس كذلك بل المراد به الاعراض عن دعوتهم الى الايمان باقامة الدليل والبرهان فانه تعالى امر رسوله عليه الصلاة والسلام اولا بدعائهم الى الاسلام بالحكمة والموعظة الحسنة فلما عارضوه بأباطيلهم امره بازالة شبهتهم والجواب عن اباطيلهم بان قال له وجادلهم بالتى هي احسن ثم لما لم ينفع ذلك قال له ربه اعرض عنهم ولاتشتغل باقامة الدليل والبرهان اذ الطريق سبيل الى معالجتهم بالغذاء الصالح ولا بالدوآء النافع فقاتلهم واقطع دابرهم لئلا يتعدّى داؤهم الى الصالحين ويشيع الفساد في الامة فلما كان الاعراض عن دعوتهم الى الايمان شرطا لجواز المقاتلة معهم لم يكن احدهما منافيا للآخر ﴿ قوله والجملة اعتراض ﴾ حيث تخللت بين الامر بالاعراض وتعليله ﴿ قوله وهو علة لما دل عليه ماقبله ﴾ يعني ان قوله تعالى ليجزى متعلق بمحذوف هو قوله خلق العالم دل عليه قوله ولله مافي السموات ومافي الارض فان اللام فيه للملك والملك انما يكون بالخلق ويجوز ان يكون المحذوف قوله ميز الضال من المهتدى الذى هو مدلول قوله تعالى ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بمن اهتدى فجملة قوله ولله مافي السموات معترضة جيئ بها لتأكيد الجزآء وتقريره اى ميز احد الفريقين من الآخر ليجازى كل واحد من آحاد الفريقين بما يليق به من الجزآء ﴿ قوله اوبما حسن من اعمالهم ﴾ مقابل لقوله او بمثله فان من جاء بالسيئة لايجزى الا مثلها ومن جاء بالحسنة فله عشر امثالها والحسنى على الاولين صفة المثوبة الا ان الحسنى على الاول منهما من قبيل زيد الافضل وعلى الثاني من قبيل زيد افضل من عمرو والحسنى على الثالث صفة اعمالهم ﴿ قوله تعالى الذين يجتنبون كبائر ﴾ يجوز ان يكون منصوب المحل على انه بدل او بيان او نعت للذين احسنوا او بتقدير اعني ويجوز ان يكون مرفوعا على انه خبر مبتدأ محذوف اى هم الذين * فان قيل اذا كان بدلا من الذين أحسنوا فلم تخالفا في الصلة حيث كانت صلة الاول ماضيا وصلة الثاني مستقبلا * قلنا للاشعار بان ترك المعصية سوآء كانت بارتكاب المحرّمات او بترك الواجبات ينبغى ان يستمرّ عليه المؤمن ويجعل الاجتناب عنها دأبه وعادة حتى يستحق المثوبة الحسنى فان من اجتنب مرّة عنها وانهمك عليها في باقي زمانه لايستحقها بخلاف الحسنات التطوّع بها فان من اتى بها ولو مرّة يؤجر عليها فقوله الذين يجتنبون على جميع التقادير يدل على ان المحسن هو الذى لايسيئ ولايرتكب القبيح الذى فحش قبحه وافضح فالذين احسنوا هم الذين اجتنبوا ولهم الحسنى وبهذا تبين المسيئ والمحسن لان من لايجتنب الكبائر يكون مسيئا والذى يجتنبها يكون محسنا * فان قيل الكبائر جمع كبيرة وهي صفة فاين موصوفها * قلنا انها صفة الفعلة كانه قيل الفعلات الكبائر من الاثم * فان قيل لم اختصت الكبائر بالذنوب في الاستعمال وما المانع من ان يقال فعلات كبائر الحسنات * قلنا الحسنة لاتكون كبيرة لانها اذا قوبلت بما يجب ان يوجد من العبد في مقابلة نعم الله تعالى تكون في غاية الصغر ولولا ان الله عزوجل يقبلها لكانت هباء ضائعا بخلاف السيئة فانها من العبد الذى انعم الله عليه بانواع النعم تكون كبيرة ﴿ قوله كبائر الاثم ﴾ معناه الكبائر من الاثم فان الاثم جنس يدخل تحته الكبائر والصغائر وقد تقرّر ان المضاف اليه اذا كان جنس المضاف

(فاعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا) فأعرض عن دعوته والاهتمام بشأنه فان من غفل عن الله وأعرض عن ذكره وانهمك في الدنيا بحيث كانت منتهى همته ومبلغ علمه لاتزيده الدعوة الا عنادا واصرارا على الباطل (ذلك) اى امر الدنيا او كونها شهيته (مبلغهم من العلم) لايتجاوزه علمهم والجملة اعتراض مقرّر لقصور هممهم بالدنيا وقوله (ان ربك هو اعلم بمن ضلّ عن سبيله وهو اعلم بمن اهتدى) تعليل للامر بالاعراض اى انما يعلم الله من يجيب ممن لايجيب فلا تتعب نفسك في دعوتهم اذ ما عليك الا البلاغ وقد بلغت (ولله مافي السموات ومافي الارض) خلقا وملكا (ليجزى الذين أساؤا بما عملوا) بعقاب ماعملوا من السوء او بمثله او بسبب ماعملوا من السوء وهو علة لما دل عليه ماقبله اى خلق العالم وسوّاه للجزآء او ميز الضال من المهتدى وحفظ احوالهم لذلك (ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى) بالمثوبة الحسنى وهي الجنة او بما حسن من اعمالهم او بسبب الاعمال الحسنى (الذين يجتنبون كبائر الاثم) مايكبر عقابه من الذنوب وهو مارتب الوعيد عليه بخصوصه وقيل ماأوجب الحدّ وقرأ حمزة والكسائي وابن كثير كبير الاثم على ارادة الجنس او الشرك (والفواحش) وما فحش من الكبائر خصوصا

(تكون)

تكون الاضافة بمعنى من كخاتم فضة و فسر الكبائر بما يكبر عقابه من الذنوب وجعل الفواحش اخص منها وفسرها بما فحش قبحه من الكبائر فيكون عطف الفواحش على الكبائر للتغليظ و المبالغة فى الذم كعطف جبرآئيل و ميكائيل على الملائكة فى المدح كأنه قيل و الفواحش منها خاصة ﴿ قوله الا اللمم و صغر ﴾ يعنى ان اللمم الصغير من الذنب من ألم بالمكان اذا نزل نزولا من غير لبث طويل و يقال ألم بالطعام اذا اقل اكله منه و كان عليه الصلاة والسلام يقول ان تغفر اللهم فاغفر جما واى عبد لك ما ألما فيكون الاستثناء منقطعا لان اللمم و هو الصغير من الذنب لايدخل تحت الكبائر والفواحش و المعنى لكن اللمم قد غفره الله تعالى فان الصلوات الخمس و الجمعة الى الجمعة ورمضان الى رمضان مكفرات مابينهن اذا اجتنبت الكبائر قال تعالى ان الحسنات يذهبن السيئات ﴿ قوله تعالى هو اعلم بكم ﴾ يحتمل ان يكون متعلقا بقوله هو اعلم بمن ضل عن سبيله و بمن اهتدى تقريرا لاحاطة علمه باحوال الفريقين فحينئذ يكون وجه تفريع قوله فلاتزكوا انفسكم عليه ظاهرا فانه تعالى لما قال نحن اعلم بحال الفريقين و تجازيهما على حسب استحقاقهما كان ذلك مظنة ان يقول بعض الكفرة نحن نعمل امورا فى جوف الليل المظلم فى البيت الخالى فكيف يعلمها الله فرد الله تعالى عليهم وقرر احاطة علمه بها بقوله هو اعلم باحوالكم منكم حيث يعلم احوالكم حين ابتدأ خلقكم وحين صوركم فى الارحام فكيف لايعلم من احسن منكم ممن اساء و يحتمل ان يكون متعلقا بقوله ليجزى الذين اساؤا و احسنوا و تأكيدا لامر الجزآء فانه تعالى لما قال ليجزى كل واحد من الفريقين كان ذلك مظنة لان يقول من انكر الحشر و الجزآء هذا يقتضى ان يحشر من فى القبور و يجمع اجزآءهم المتفرقة بحيث لايختلط شئ من اجزآء البعض باجزآء الباقين و ذلك غير ممكن فرد الله عليهم و قرر احاطة علمه بجميع احوالهم فيعلم تفاصيل اجزآء كل شخص فيعيدها الى بدنه فحينئذ يكون وجه تفريع قوله فلاتزكوا انفسكم على ماقبله كونه نتيجة لعلمه بتفاصيل الاجزآء و المعنى فلاتزكوا انفسكم من العذاب و لاتقولوا تفرقت الاجزآء بحيث امتنع جمعها فلا حشر و لاجزآء فان العالم بكم عند الانشاء عالم بكم عند الاعادة و الاجنة جمع جنين مثل اسرة و سرير و الجنين الولد مادام فى بطن امه و هو فعيل بمعنى مفعول من جنه اذا ستره واذا خرج من بطن امه لايسمى الا ولدا و سقطا فان قيل اذا كان الجنين اسما للولد مادام فى بطن امه فما فائدة قوله فى بطون امهاتكم * قلنا فائدته المبالغة فى بيان كمال علمه و قدرته فان بطون الامهات فى غاية الظلمة و الخفاء فمن علم بحال الجنين فيها لايخفى عليه شئ من احواله و اختار الحسن البصرى كونه متعلقا بقوله هو اعلم بمن ضل حيث قال علم الله من كل نفس ماهى صانعة و ماهى اليه صائرة فلاتزكوا انفسكم و لاتطهروها من الآثام و لاتمدحوها بحسن الاعمال لان كل واحد من التخلية و التحلية انما يعتد به اذا كان خالصا لله تعالى و اذا كان هو اعلم باحوالكم منكم فاى حاجة الى التزكية ﴿ قوله اذ ابتدأ خلقكم من التراب بخلق آدم ﴾ اى ابتدأ بخلق كل واحد منكم من التراب فانه اصل كل واحد من بنى آدم من حيث ان النبات المتولد منه يصير غذآء و يصير الغذآء دما و يصير الدم نطفة و النطفة انسانا ثم انه تعالى لما امره عليه الصلاة والسلام بالاعراض عمن تولى و علل الامر المذكور باحاطة علمه بمن ضل و اهتدى و انه يجازى كل واحد على حسب حاله فرع قوله افرأيت الذى تولى تعجيبا من حاله و انكارا عليه جهله و بخله باعطاء ماالتزمه ﴿ قوله من قولهم اكدى الحافر ﴾ يعنى ان اصل الاكدآء ان يحفر الحافر فيبلغ الكدية فيمسك عن الحفر لتعذره عليه ثم استعير لكل ماتعذر على الانسان وقيل ارأيت بمعنى اخبرنى و أعنده علم الغيب مفعوله الثانى اى اخبرنى ان هذا المعطى المكدى هل عنده علم ماغاب عنه من احواله و احوال الآخرة فهو يعلم ان صاحبه يتحمل عنه اوزاره على ان قوله يرى بمعنى يعلم حذف مفعولاه لدلالة المقام عليهما ﴿ قوله تعالى ام لم ينبأ ﴾ اى لم يخبر بما فى صحف موسى يعنى اسفار التوراة و فى الكواشى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه انزل على ابراهيم عليه السلام عشر صحائف و على موسى عشر صحائف قبل التوراة و ام منقطعة اى بل لم ينبأ اضرب من انكار ان يكون عنده علم الغيب الى تقرير انه لم يخبر بما فى الصحف ﴿ قوله و ابراهيم ﴾ عطف على موسى اى و بما فى صحف ابراهيم و الجمهور على تشديد قوله وفى للتكثير و المبالغة فى الوفاء بما التزمه و بما عاهد الله تعالى عليه و بالعمل بما امره الله على التمام او هو بمعنى اوفى و فى الجوهرى اوفاه حقه و وفاه بمعنى اى اعطاه اياه تاما وافيا و من جملة وفائه بما عاهد الله تعالى عليه انه عهد ان لايسأل مخلوقا فانه جبريل عليه السلام حين القى فى النار فقال ألك حاجة فقال اما اليك فلا ﴿ قوله يرتاد ضيفا ﴾ اى يطلبه يقال ارتاده ارتيادا اى طلبه ﴿ قوله و تقديم موسى ﴾ اى مع ان ابراهيم عليه الصلاة و السلام متقدم عليه فى البعثة

(الا اللمم) الا ماقل و صغر فانه مغفور من مجتنبى الكبائر و الاستثناء منقطع و محل الذين النصب على الصفة او المدح او الرفع على انه خبر محذوف (ان ربك واسع المغفرة) حيث يغفر الصغائر باجتناب الكبائر اوله ان يغفر مايشاء من الذنوب صغيرها و كبيرها ولعله عقب به وعيد المسيئين و وعد المحسنين لئلا ييأس صاحب الكبيرة من رحمته و لايتوهم وجوب العقاب على الله تعالى (هو اعلم بكم) اعلم باحوالكم منكم (اذ أنشأكم من الارض و اذ أنتم اجنة فى بطون امهاتكم) علم احوالكم و مصارف اموركم حين ابتدأ خلقكم من التراب بخلق آدم و حين صوركم فى الارحام (فلاتزكوا انفسكم) فلاتثنوا عليها بزكاء العمل و زيادة الخير او بالطهارة من المعاصى و الرذآئل (هو اعلم بمن اتقى) فانه يعلم التقى و غيره منكم قبل ان يخرجكم من صلب آدم عليه الصلاة والسلام (افرأيت الذى تولى) عن اتباع الحق و الثبات عليه (و اعطى قليلا و اكدى) و قطع العطاء من قولهم اكدى الحافر اذا بلغ الكدية و هى الصخرة الصلبة فترك الحفر و الاكثر على انها نزلت فى الوليد بن المغيرة كان يتبع رسول الله عليه الصلاة و السلام فعيره بعض المشركين وقال تركت دين الاشياخ و ضللتهم فقال اخشى عذاب الله فضمن ان يتحمل عنه العذاب ان اعطاه بعض ماله فارتد و اعطى بعض المشروط ثم بخل بالباقى (أعنده علم الغيب فهو يرى) يعلم ان صاحبه يتحمل عنه (ام لم ينبأ بما فى صحف موسى و ابراهيم الذى وفى) وفر و أتم ماالتزمه او امر به او بالغ فى الوفاء بما عاهد الله و تخصيصه بذلك لاحتماله مالم يحتمله غيره كالصبر على نار نمرود حتى اتاه جبرآئيل عليه السلام حين القى فى النار فقال ألك حاجة فقال اما اليك فلا و ذبح الولد وانه كان يمشى كل يوم فرسخا يرتاد ضيفا فان وافقه اكرمه و الانوى الصوم و تقديم موسى لان صحفه و هى التوراة كانت اكثر و اشهر عندهم

فلذلك قدم فى قوله تعالى صحف ابراهيم وموسى ثم انه تعالى بين ما فى صحفهما فقال ان لاتزر وازرة وزر اخرى
اى لاتحمل نفس حاملة حمل اخرى ومعناه لاتؤاخذ نفس بإثم غيرها وفيه ابطال قول من ضمن للوليد بن المغيرة
ان يحمل عنه الاثم روى عن ابن عباس انه قال كانوا قبل ابراهيم عليه الصلاة والسلام يأخذون الرجل بذنب غيره
فكان الرجل يقتل بقتل ابيه وابنه واخيه وامرأته وعبده حتى جاءهم ابراهيم عليه الصلاة والسلام فنهاهم عن
ذلك وبلغهم عن الله تعالى ان لاتزر وازرة وزر اخرى وان فى ان لاتزر هى المخففة واسمها محذوف وهو ضمير الشان
والتقدير انه الشان لاتحمل نفس حاملة حمل اخرى «فان قيل الآية مسوقة لبيان ان وزر الرجل لايحمل عنه ونظم
الآية لايدل عليه لان النفس الوازرة مثقلة بوزرها فكل واحد يعلم انها لاتحمل شيأ غير ذلك الذى عليها فلو قال
لاتحمل فارغة وزر اخرى لكان اولى واظهر «فالجواب ان المراد من الوازرة هى التى يتوقع منها الحمل والوزر لا التى
وزرت وحملت ثقلا وقوله وان ليس للانسان معطوف على قوله ان لاتزر وان فيه ايضا هى المخففة من الثقيلة
وللانسان خبر ليس والا ماسعى اسمها اى الاسعيه ويجوز ان تكون ما موصولة وقوله وان سعيه سوف يرى
معطوف على ان لاتزر ايضا والمعنى ان المذكورات كلها فى الصحف وقوله يرى خبر ان وهو من رؤية العين وفيه
ضمير يعود على اسمها وهو السعى والمراد بالسعى العمل كما فى قوله تعالى ان سعيكم لشتى وعن ابن عباس عدم
انتفاع الانسان بسعى غيره وعمله منسوخ الحكم فى هذه الشريعة فالحصر المستفاد من قوله تعالى ليس للانسان
الاماسعى منسوخ الحكم فى هذه الشريعة بقوله تعالى الحقنا بهم ذرياتهم فانه يدل على ان الذريات يدخلون الجنة
بعمل آبائهم وقال عكرمة كان ذلك لقوم ابراهيم وموسى واما هذه الامة فلهم ماسعوا اى ماعملوا وسعى لهم غيرهم
لماروى ان امرأة رفعت صبيالها عليه الصلاة والسلام من المحفة فقالت يارسول الله ألهذا حج قال نعم ولك اجر
وقال رجل يارسول الله ان امى افتلتت نفسها اى ماتت فجأة واظنها انها لو تكلمت لتصدقت فهل لها اجر ان
تصدقت عنها قال نعم قال الشيخ تقى الدين ابو العباس من اعتقد ان الانسان لاينتفع الا بعمله فقد خرق الاجماع
وذلك باطل فان الامة قد اجمعوا على ان الانسان ينتفع بدعاء غيره وهو انتفاع بعمل الغير وايضا انه عليه الصلاة
والسلام يشفع لاهل الموقف فى الحساب ثم لاهل الجنة فى دخولها ثم لاهل الكبائر فى الاخراج من النار
وهذا انتفاع بسعى الغير وكذا كل نبى وصالح له شفاعة وذلك انتفاع بعمل الغير وايضا الملائكة يدعون ويستغفرون
لمن فى الارض وذلك منفعة بعمل الغير وايضا انه تعالى يخرج طائفة من النار ممن لم يعمل خيرا قط بمحض رحمته
وهذا انتفاع من غير سعيهم وايضا اولاد المؤمنين يدخلون الجنة بعمل آبائهم وذلك انتفاع بمحض عمل الغير وكذا
الميت ينتفع بالصدقة عنه وبالعتق عنه بنص السنة والاجماع وهو من عمل غيره وانه يسقط الحج المفروض
عن الميت بحج وليه عنه بنص السنة وكذا تبرأ ذمة الانسان من ديون الخلق اذا قضاها عنه قاض وذلك انتفاع
بعمل الغير وكذا الصلاة والدعاء له فيها ينتفع بها الميت وهى من عمل الغير ونظائر ذلك كثيرة لاتحصى والآيات الدالة
على مضاعفة الثواب ايضا كثيرة فلابد من توجيه قوله تعالى وان ليس للانسان الاماسعى فانه لاشتماله على النفى
والاستثناء يدل على ان الانسان لاينتفع الا بعمل نفسه ولايجزى الا على قدر سعيه ولايزاد عليه وذلك يخالف
الاقوال الواردة فى انتفاعه بعمل غيره وفى مضاعفة ثواب اعماله ولايصح ان يؤول بما يخالف صريح الكتاب
والسنة واجماع الامة فقول المصنف وماجاء فى الاخبار الى آخ جواب عن هذا الاشكال وتقرير الجواب ان معنى
الآية ان الانسان لاينتفع بسعى غيره وعمله اذا عمل الغير لنفسه ولم ينو ان يكون ثواب عمله لغيره واما اذا عمل العامل
ناويا ان يكون ثواب عمله لغيره فحينئذ ينتفع غيره بثواب ذلك العمل لان العامل اذا نوى ان يعمل لغيره صار بمنزلة
الوكيل عنه القائم مقامه شرعا فلما كان العامل بمنزلة الوكيل عن الغير صار سعيه وعمله بمنزلة عمل الغير بنفسه وصار
الغير منتفعا بعمل غيره اذ عمله كعمل نفسه بهذا الاعتبار فكأنه قيل وان ليس للانسان الاماسعى بنفسه حقيقة
او حكما فان عمل الوكيل عمل للموكل حكما وايضا ان سعى الغير انما لاينفعه اذا لم يوجد له سعى قط واذا وجد له سعى بان
يكون مؤمنا صالحا كان سعى الغير تابعا لسعيه فكأنه سعى بنفسه فان علقة الايمان وصلة وقرابة كما قال عليه
الصلاة والسلام «مثل المؤمنين فى توادهم وتعاطفهم مثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى
والسهر» وقال عليه الصلاة والسلام «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا ثم شبك بين اصابعه فاذا سعى احد
لاخيه فى الايمان والعمل الصالح فكأنه سعى فى شد عضد اخيه فكان سعيه سعيه ﴿ قوله اى يجزى العبد سعيه ﴾

(ان لاتزر وازرة وزر اخرى) ان هى
المخففة من الثقيلة وهى بما بعدها فى محل
الجر بدلا مما فى صحف موسى او الرفع على
هو ان لاتزر كأنه قيل ما فى صحفهما
فاجاب به والمعنى انه لايؤاخذ احد بذنب
غيره ولايخالف ذلك قوله كتبنا على بنى
اسرآئيل انه من قتل نفسا بغير نفس او فساد
فى الارض فكأنما قتل الناس جميعا وقوله
عليه السلام من سن سنة سيئة فله وزرها
ووزر من عمل بها الى يوم القيامة فان ذلك
للدلالة والتسبب الذى هو وزره (وان
ليس للانسان الاماسعى) الاسعيه اى كما
لايؤاخذ احد بذنب الغير لايثاب بفعله
وماجاء فى الاخبار من ان الصدقة والحج
ينفعان الميت فلكون الناوى له كالنائب عنه
(وان سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزآء
الاوفى) اى يجزى العبد سعيه بالجزآء الاوفر
فنصب بنزع الخافض ويجوز ان يكون
مصدرا والهاء للجزآء المدلول عليه بيجزى
والجزآء بدله

(يعنى)

يعنى ان فعل الجزآء يتعدى الى مفعولين كما فى قوله تعالى وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا وقولهم جزاك الله خيرا فاحد المفعولين فى الآية هو المرفوع المستتر فى يجزى وثانيهما المنصوب البارز والتقدير ثم يجزى الانسان سعيه اى جزآء سعيه فحذف المضاف والجزآء الاوفى مفعول به بواسطة حرف الجر عدى اليه الفعل بنزع الخافض ويجوز ان يكون مفعولا مطلقا مبينا لنوعه ويجوز ان تكون الهاء فى يجزاه ضمير الجزآء المدلول عليه بيجزى فيكون منصوب المحل على انه مفعول مطلق ليجزى فلا يكون الجزآء الاوفى مفعولا مطلقا ايضا لان الفعل الواحد لا ينصب مصدرين بل يكون بدلا منه او عطف بيان له او منصوبا بتقدير اعنى ﴿ قوله وقرئ بالكسر ﴾ العامة على فتح الهمزة من ان وما عطف عليها يعنى ان الجميع فى صحف موسى وابراهيم وقرئ بكسر الهمزة فى الجميع على انه ابتدآء كلام لبيان ان انتهاء رجوعهم الى موقف حساب الله تعالى فيجازيهم باعمالهم والمنتهى مصدر ميمى بمعنى الانتهاء ﴿ قوله تعالى وانه هو اضحك وابكى ﴾ قيل معناه ان ما يعمله الانسان فبقضائه وحكمه وخلقه حتى الضحك والبكاء وقال الكلبى اضحك اهل الجنة بفضله ورحمته وابكى اهل النار بعدله وسخطه وقال الضحاك اضحك الارض بالنبات وابكى السماء بالمطر وقيل اضحك قوما عند الموت باسماع وأبشروا وابكى قوما عنده باسماع لا بشرى لكم ﴿ قوله تدفق فى الرحم ﴾ يقال منى المنى وامناه اى ازله واراقه وصبه وفسره الاخفش بقوله تخلق على انه من منى المانى اى قدر المقدر وعطف يدل على كمال قدرة الله تعالى ان النطفة مع كونها جسما متناسب الاجزآء يخلق الله تعالى منها الذكر والانثى والاعضاء المختلفة والطبائع المتباينة ثم انه تعالى بعد ما خلقهم اولا من نطفة كذا يخلقهم ثانيا من تراب كما قال وان عليه النشأة الاخرى وانما قال عليه لانه فاعل لا محالة على ما تقتضيه الحكمة ثم قال وانه هو اغنى اى اعطى ما يغنى عن الغير واقنى اى اعطى القنية وهى اسم لما يقتنى اى يدخر ويتخذ رأس مال زيادة على الكفاية والتأثيل التأصيل ومال مؤثل اى متخذ اصل مال يحفظ ويدخر لقصد الاستثمار والاستنماء وفى الصحاح اقتناء المال وغيره اتخاذه وفى المثل لا تقتن من كلب سوء جروا واقناه الله اعطاه ما يقتنى من القنية والنشب قنوت الغنم وغيرها قنوة وقنوة وقنيتها قنية وقنية اذا اقتنيتها لنفسك لا للتجارة واقناه الله ايضا اى ارضاه والقنى الرضى تقول العرب من اعطى مائة من المعز فقد اعطى الغنى ومن اعطى مائة من الضأن فقد اعطى القنى ومن اعطى مائة من الابل فقد اعطى المنى ﴿ قوله يعنى العبور ﴾ اشارة الى ان الشعرى شعريان احداهما الشعرى اليمانية وتسمى ايضا الشعرى العبور وثانيهما الشعرى الشامية وتسمى ايضا الغميصاء فصلت المجرة بينهما زعم العرب ان الشعريين اختا سهيل وان الثلاثة كانت مجتمعة فانحدر سهيل نحو اليمن وتبعته العبور فعبرت المجرة ولقيت سهيلا واقامت الغميصاء فبكت لفقد سهيل فغمصت عينها اى كانت اقل نورا من العبور واخفى والغمص فى العين ما سال من الرمص يقال غمصت عينه بالكسر غمصا ﴿ قوله ولذلك كانوا يسمون الرسول عليه الصلاة والسلام ابن ابى كبشة ﴾ لا يريدون بذلك اتصال نسبته عليه الصلاة والسلام اليه وان كان الامر كذلك بل يريدون به موافقته عليه الصلاة والسلام اياه فى ترك عبادة الاوثان واحداث دين جديد وكان ابو كبشة الخزاعى جد رسول الله صلى الله عليه وسلم لامه عبدها وقال لا ارى شيئا ولا قمرا ولا نجما يقطع السماء عرضا غيرها وليس شئ مثلها فعبدها وعبدتها خزاعة والمعنى ان الشعرى مربوب فاعبدوا ربه ثم انه عليه الصلاة والسلام لما خالف العرب واظهر بينهم دينا جديدا شبهوه فى خلافه اياهم بابى كبشة وسموه بذلك لخلافه اياهم كخلاف ابى كبشة العرب فى عبادة الشعرى ﴿ قوله لانهم اول الامم هلاكا بعد قوم نوح ﴾ اشارة الى انه ليس هناك عادان احداهما اقدم زمانا من الاخرى حتى يكون وصف احداهما بالاولى للاحتراز عن عاد الاخيرة بل ليس هناك الا عاد واحدة هم اعقاب عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح عليه الصلاة والسلام وهم قوم هود عليه السلام اهلكهم الله بريح صرصر عاتية والمراد باوليتهم تقدم هلاكهم بحسب الزمان على هلاك من هلك بعد قوم نوح وقيل كان بعدهم عاد اخرى سواهم فلذا سماهم الله تعالى عادا الاولى وهو قول المصنف وقيل عاد الاولى قوم هود وعاد الاخرى ارم قال الكشاف فى تفسير سورة الفجر قيل لعقب عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام عاد كما يقال لبنى هاشم هاشم ثم قيل للاولين منهم عاد الاولى وارم تسمية لهم باسم جدهم ولمن بعدهم عاد الاخرى فارم فى قوله تعالى بعاد ارم عطف بيان لعاد وايذان بانهم عاد الاولى القديمة انتهى كلامه وهو وان كان موافقا لما قاله المصنف من ان عادا عادان عاد اولى وعاد اخرى الا انه مخالف له من حيث ان ارم هى الاولى على هذا القول وهى اخرى

(وان الى ربك المنتهى) انتهاء الخلائق ورجوعهم وقرئ بالكسر على انه منقطع عما فى الصحف وكذلك ما بعده (وانه هو اضحك وابكى وانه هو امات واحيى) لا يقدر على الاماتة والاحياء غيره فان القاتل ينقض البنية والموت يحصل عنده بفعل الله على سبيل العادة (وانه خلق الزوجين الذكر والانثى من نطفة اذا تمنى) تدفق فى الرحم او تخلق او يقدر منها الولد من منى اذا قدر (وان عليه النشأة الاخرى) الاحياء بعد الموت وفاء بوعده وقرأ ابن كثير وابو عمرو النشاءة بالمد وهو ايضا مصدر نشأ (وانه هو اغنى واقنى) واعطى القنية وهى ما يتأثل من الاموال وافرادها لانها اشرف الاموال او ارضى وتحقيقه جعل الرضى له قنية (وانه هو رب الشعرى) يعنى العبور وهى اشد ضياء من الغميصاء عبدها ابو كبشة احد اجداد الرسول عليه الصلاة والسلام وخالف قريشا فى عبادة الاوثان ولذلك كانوا يسمون الرسول ابن ابى كبشة ولعل تخصيصها للاشعار بانه عليه الصلاة والسلام وان وافق ابا كبشة فى مخالفتهم خالفه ايضا فى عبادتها (وانه اهلك عادا الاولى) القدماء لانهم اول الامم هلاكا بعد قوم نوح وقيل عاد الاولى قوم هود وعاد الاخرى ارم

وقرئ عادا الاولى بحذف الهمزة ونقل ضمتها
الى لام التعريف وعاد لولى بادغام التنوين
في اللام (وثمودا) عطف على عادا لان مابعده
لايعمل فيه وقرأ عاصم وحمزة بغير تنوين
ويقفان بغير الف (فما ابقى) الفريقين (وقوم
نوح) ايضا معطوف عليه (من قبل) من قبل
عاد وثمود (انهم كانوا هم اظلم واطغى) من
الفريقين لانهم كانوا يؤذونه ويغرون
عنه ويضربونه حتى لايكون به حراك
(والمؤتفكة) والقرى التي ائتفكت باهلها
اى انقلبت وهي قرى قوم لوط (أهوى) بعد
ان رفعها فقلبها (فغشاها ماغشى) فيه تهويل
وتعميم لما اصابهم (فبأي آلاء ربك تتمارى)
تتشكك والخطاب للرسول او لكل احد
والمعدودات وان كانت نعما ونقما لكن سماها
آلاء من قبل مافي نقمه من العبر والمواعظ
للمعتبرين والانتقام للانبياء والمؤمنين (هذا
نذير من النذر الاولى) اى هذا القرآن انذار
من جنس الانذارات المتقدمة او هذا الرسول
نذير من جنس المنذرين الاولين (أزفت
الآزفة) دنت الساعة الموصوفة بالدنو في
نحو قوله اقتربت الساعة (ليس لها من دون
الله كاشفة) ليس لها نفس قادرة على كشفها
اذا وقعت الا الله لكنه لايكشفها او الآن
بتأخيرها الا الله او ليس لها كاشفة لوقتها
الا الله اذ لايطلع عليه سواه او ليس لها من غير
الله كشف على انها مصدر كالعافية (افمن هذا
الحديث) يعني القرآن (تعجبون) انكارا
(وتضحكون) استهزاء (ولا تبكون) تحزنا
على مافرطتم (وانتم سامدون) لاهون
او مستكبرون من سمد البعير في مسيره اذا رفع
رأسه او مغنون لتشغلوا الناس عن استماعه
من السمود وهو الغناء (فاسجدوا لله واعبدوا)
اى واعبدوه دون الآلهة * عن النبي عليه
الصلاة والسلام من قرأ والنجم اعطاه الله
عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد وجحد به
بمكة

على ماقاله المصنف ﴿ قوله وقرئ عادا الاولى ﴾ اعلم انه قرأ ابن كثير وابن عامر والكوفيون عادا الاولى بكسر التنوين وسكون لام التعريف وتحقيق الهمزة بعدها على الاصل فان التنوين اذا وقع بعده ساكن يكسر لالتقاء الساكنين نحو قل هو الله احد الله وقد يحذف التنوين تشبيها له بحرف العلة كما في قراءة من قرأ احد الله الصمد وكقوله ولا ذاكر الله الا قليلا وهو قليل جدا هذا في الوصل فاذا وقفوا على عادا وابتدأوا بالاولى فقياسهم ان يقولوا الاولى بفتح همزة الوصل وسكون اللام وتحقيق الهمزة وهم صرفوا عادا اما لانه اسم الحي او الاب فليس فيه مايمنعه واما لانه وان كان مؤنثا اسما للقبيلة الا انه مثل هند ودعد فيجوز فيه الصرف وعدمه وقرأ قالون عادا لولى بادغام التنوين في لام التعريف بعد نقل حركة همزة اولى الى لام التعريف وحذف الهمزة للتخفيف وابدال واو اولى همزة فانه لما قصد التخفيف بالادغام نقل حركة الهمزة الى اللام وان لم يكن النقل من اصله ولما نقل الحركة الى اللام اعتد بتلك الحركة اذ لايمكن الادغام في ساكن ولا فيما هو في حكم الساكن وقرأ ورش وابو عمرو عادا لولى بادغام التنوين في اللام بعد طرح الهمزة ونقل حركتها الى لام التعريف كقالون الا انهما ابقيا الواو على حالها غير مبدلة همزة وروى المصنف قراءة اخرى وهي ان تحذف همزة اولى بعد نقل حركتها الى اللام وتحذف همزة الوصل استغناء عنها بحركة اللام وان لايدغم التنوين في لام التعريف لعدم الاعتداد بحركتها فان العرب اذا نقلت حركة الهمزة الى الساكن قبلها كلام التعريف مثلا تجعله في حكم الساكن ولا تعتد بحركة النقل فيكسر الساكن الواقع قبلها ولا يدغم فيها التنوين وان كان قبلها همزة وصل لايستغني عنها فتقول لم يذهب الحرور وأيت زيادا الجم من غير ادغام التنوين في اللام والحر والجم بهمزة الوصل لكون اللام في حكم الساكن فقراءة عادا الاولى مبنية على هذا الاصل ﴿ قوله عطف على عادا ﴾ فيكون منصوبا باهلك ولا يجوز كونه منصوبا بقوله فما ابقى لما تقرر من ان مابعد النفي لايعمل فيما قبله وقوله تعالى والمؤتفكة اهوى ايضا معطوف على عادا اى واهلك المؤتفكة وهي قرى قوم لوط عليه السلام ومفعول اهوى محذوف وهو ضمير المؤتفكة اى اسقطها من السماء بعدما رفعها اليها على جناح جبريل عليه السلام يقال افكه فائتفك اى قلبه فانقلب ويجوز ان تكون المؤتفكة منصوبة باهوى والمنوى فيه وفي قوله تعالى فغشاها ضمير البارى عز وجل اى ألبس الله المؤتفكة ماألبسها من العذاب الذي من جملته ماامطر عليهم من الحجارة المنضودة المسومة فمفعولاه مذكوران احدهما ضمير المؤتفكة والثاني قوله ماغشى والمنوى في قوله ماغشى ايضا ضمير البارى ومفعولاه محذوفان احدهما ضميرها والثاني ضمير المؤتفكة اى فغشاها الله ماغشاها اياها ﴿ قوله انذار من جنس الانذارات ﴾ جعل النذير مصدرا بمعنى الانذار على تقدير كون هذا اشارة الى القرآن لان القرآن مما يتعلق به الانذار باعتبار اشتماله على اقتصاص عاقبة المكذبين ولاشك ان اقتصاصها ليس بمنذر بل هو انذار وتخويف بخلاف الرسول عليه الصلاة والسلام فانه منذر ليس الا وتأنيث الاولى على تقدير كونه صفة للنذر بمعنى المنذرين لكون النذر بمعنى الجماعة اذ الاوجه ان يقال من جنس المرسلين الاولى الا بذلك التأويل ﴿ قوله دنت الساعة الموصوفة بالدنو ﴾ يعني ان الآزفة صفة لمحذوف هو الساعة او القيامة وان اللام فيها للعهد فلذلك صح الاخبار عنها بالدنو اذ لو كانت للجنس لما صح اذ لافائدة في ان يقال قرب جنس القريب فان قلت الاخبار بقرب الآزفة المعهودة لافائدة فيه ايضا قلت لانسلم ذلك لانه انما لايفيد اذا كان الكلام مخرجا على مقتضى الظاهر وليس كذلك بل هو مبني على تنزيل العالم بالشئ منزلة الجاهل لعدم جريه على مقتضى العلم ﴿ قوله او الآن ﴾ عطف على قوله اذا وقعت اى اذا وقعت الآن لم يردها الى وقتها احد الا الله قال يحيى السنة وقيل معناه ليس لها راد يعني اذا غشيت الخلق اهوالها وشدائدها لم يكشفها ولم يردها عنهم احد الا الله وبهذا قال قتادة والضحاك ويجوز ان يكون المعنى القيامة التي وصفت لك بالازوف هي آزفة في نفس الامر فكيف لاتستعد لها ﴿ قوله ليس لها نفس قادرة على كشفها ﴾ الكشف على الاول بمعنى الازالة بالكلية وعلى الثاني يكون بمعنى الازالة ايضا الا انه لايكون بمعنى الازالة بالكلية بل يكون بمعنى التأخير الى امد بعيد وعلى الثالث يكون بمعنى التبيين والاعلام اى ليس لها نفس مبينة تبين انها متى تقوم ﴿ قوله تعالى وانتم سامدون ﴾ يحتمل ان يكون مستأنفا اخبر الله تعالى عنهم بذلك ويحتمل ان يكون حالا اى انتفى منكم البكاء في حال كونكم سامدين والسمود قبل الاعراض والغفلة عن الشئ فسر السمود بثلاثة اوجه الاول كون الانسان لاهيا غافلا قال الشاعر

* الا ايها الانسان انك سامد * كأنك لاتفنى ولا انت هالك *

(والثاني)

والثاني الاستكبار والثالث الغناء قال عكرمة السمود هو الغناء بلغة اهل اليمن وكان الكفار اذا سمعوا القرآن تغنوا ولعبوا ليشغلوا الناس عن استماعه * تم هنا ما يتعلق بسورة النجم والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿ سورة القمر ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم وبه التوفيق وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم ﴾

قال ابن عباس رضي الله عنهما اجتمع المشركون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ان كنت نبيا فشق لنا القمر فرقتين فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فعلت تؤمنون قالوا نعم وكانت ليلة بدر فسأل عليه الصلاة والسلام ربه ان يعطيه ما قالوا فانشق فرقتين ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينادي يا فلان يا فلان اشهدوا وحديث انشقاق القمر رواه جماعة كثيرة من الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين وقول من قال انه سينشق يوم القيامة الا انه قيل انشق بلفظ الماضي لتحقق وقوعه قول مخالف للاجماع روى عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه انه قال ما وعد الله رسوله من اشراط الساعة كلها قد مضى الا الاربعة طلوع الشمس من مغربها ودابة الارض وخروج الدجال وخروج يأجوج ومأجوج وقال ابن مسعود رأيت حرا بين فلق القمر وهذا صريح في ان كل واحد من النصفين ذهب من موضع القمر وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال ذهب احد النصفين من موضع الآخر وبقي النصف الآخر في موضعه واول هذه السورة مناسب لآخر ما قبلها وهو قوله تعالى أزفت الآزفة فكأنه تعالى اعاد ذلك مع الدليل فان انشقاق القمر من علامات نبوته عليه الصلاة والسلام ونبوته وزمانه من أشراط الساعة وايضا ان من ينكر خراب العالم يقول ان الافلاك وما فيها من الكواكب لا تقبل الخرق والالتئام فاذا انشق بعضها ثبت بطلان ما قالوه فعلى هذا يجوز ان يراد باقتراب الساعة استبعاد الاذهان والعقول لوقوعها لا اقتراب زمان وقوعها ﴿ قوله وقوله وان يروا ﴾ مرفوع بالعطف على فاعل قوله ويؤيد الاول اي ويؤيد وقوع الانشقاق في عهده عليه السلام قوله تعالى وان يروا آية يعرضوا ووجه كونه مؤيدا لذلك انه مسوق لذمهم بان حالهم فيما يستقبل كحالهم فيما مضى وهي الاعراض عن تأمل الآيات والاعتداد بها الى الحق الصريح والذم بهذا الطريق انما يحسن اذا رأوا قبله آية عظيمة واعرضوا عنها ولم يرفعوا اليها رأسا والتنكير في قوله آية للتعظيم اي وان يروا آية عظيمة وعلامة قوية كانشقاق القمر يعرضوا الخ ﴿ قوله مطرد ﴾ اي دائم متتابع يظهر من فاعله مرة بعد اخرى يريدون به ترادف المعجزات التي نسبوها الى السحر فانه عليه الصلاة والسلام كان يأتي في كل زمان بمعجزة قولية او فعلية ارضية او سماوية فقالوا هذا سحر مستمر اي دائم لا يختص تعلقه بشيء دون شيء ولا بزمان دون زمان بخلاف سحر السحرة فان بعضهم يقدر على امر وامرين وثلاثة ويعجز عن غيرها وهو قادر على جميع الامور في جميع الازمان قال المفسرون لما انشق القمر قال المشركون سحرنا محمد عليه الصلاة والسلام فاستخبر السفار والقادمين فلما قدموا سألوهم فاخبروهم انهم رأوا ذلك فعجبوا منه ﴿ قوله او محكم ﴾ معطوف على مطرد والمرة القوة والشدة فالسحر الذي يؤثر في الاجرام العلوية كما يؤثر في الاجرام السفلية يكون قويا مستحكما يقال حبل مرير الفتل اذا اشتد فتله ويحتمل ان يكون قوله مستمر من المرارة بمعنى سحر مر مستبشع وان يكون من المرور يقال مر يمر مرا ومرورا اي ذهب واستمر مثله ويقال امر الشيء اذا صار مرا وكذلك مر الشيء يمر بالفتح مرارة فهو مر واستمر مثله على ان استفعل بمعنى فعل كطاب واستطاب وقر واستقر فقولهم انه سحر مستمر اي مار يذهب ويفنى تمنية منهم لانفسهم وتعليلا لها واطماعا في غير مطمع ﴿ قوله وذكرهما بلفظ الماضي ﴾ مع ان الظاهر ان يقال ويكذبوا ويتبعوا لكونهما معطوفين على قوله يعرضوا ويقولوا ﴿ قوله تعالى وكل امر مستقر ﴾ الجمهور على كسر قاف مستقر ورفعه على انه خبر كل الواقع مبتدأ وفسره المصنف بقوله منته الى غاية اشارة الى ان الاستقرار كناية عن ملزومه وهو الانتهاء الى الغاية فان عنده يتبين حقيقة كل شيء من الخير والشر والحق والباطل وتنكشف جلية الحال وتتضح الشبهة والالتباس فالحقائق انما تظهر عند العواقب فان لكل امر غاية في الدنيا وكذا في الآخرة ينتهي اليها لا محالة فاذا انتهى اليها يستقر ويتم امره ويتبين حاله فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم سيصير الى غاية يتبين عندها انه حق او باطل وسيظهر لهم عاقبته وكذلك امر تكذيبه فلا يقوم عبد المشركين ووعد الرسول والمؤمنين ونظيره قوله تعالى لكل نبأ مستقر وسوف تعلمون اي لكل نبأ وان طالت مدته

﴿ سورة القمر مكية وآيها خمس وخمسون ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(اقتربت الساعة وانشق القمر) روى ان الكفار سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم آية فانشق القمر وقيل معناه سينشق يوم القيامة ويؤيد الاول انه قرئ وقد انشق القمر اي اقتربت الساعة وقد حصل من آيات اقترابها انشقاق القمر وقوله (وان يروا آية يعرضوا) عن تأملها والايمان بها (ويقولوا سحر مستمر) مطرد وهو يدل على انهم رأوا قبله آيات اخرى مترادفة ومعجزات متتابعة حتى قالوا ذلك او محكم من المرة يقال امررته فاستمر اذا احكمته فاستحكم او مستبشع من استمر الشيء اذا اشتدت مرارته او مار ذاهب لا يبقى (وكذبوا واتبعوا اهواءهم) وهو ما زين لهم الشيطان من رد الحق بعد ظهوره وذكرهما بلفظ الماضي للاشعار بانهما من عادتهم القديمة (وكل امر مستقر) منته الى غاية من خذلان او نصر في الدنيا وشقاوة او سعادة في الآخرة فان الشيء اذا انتهى الى غايته ثبت واستقر وقرئ بالفتح اي ذو مستقر بمعنى استقرار وبالكسر والجر على انه صفة امر وكل معطوف على الساعة

فلابد ان ينتهى الى غايته وتنكشف حقيقته من الحقية و البطلان ﴿قوله وقرئ بالفتح﴾ اى بفتح القاف على انه مصدر ميمى بمعنى الاستقرار فلابد من تقدير مضاف اى وكل امر ذو استقرار و قرئ بكسر القاف وجر الكلمة ايضا فيكون كل امر مرفوعا بالعطف على فاعل اقتربت وهو الساعة ثم انه تعالى بعد ما اوعد كفار مكة بخذلانهم فى الدنيا وشقاوتهم فى العقبى ووعد الرسول والمؤمنين بالنصرة فى الدنيا والسعادة فى الآخرة امر رسوله عليه السلام بان يتولى عن دعوتهم ومناظرتهم بالحجة والبرهان وفرع الامر بالاعراض على قوله جاءهم من الانباء مافيه مزدجر فاتغنى النذر تعليلا للامر المذكور والانباء هى الاخبار العظام فان النبأ والانباء لم يرد فى القرآن الا لماله وقع وشان عظيم والزجر المنع والنهى وازدجر افتعل من اصله ازتجر وقد تقرر ان تاء الافتعال اذا وقعت بعد الزاى والدال والذال تقلب دالا لان الزاى حرف مجهور والتاء حرف مهموس فتقلب حرفا يناسب الزاى فى الجهر ويناسب التاء فى المخرج وهو الدال فيصير ازدجر والمزدجر فى الآية مصدر ميمى بمعنى الازدجار اى الزجر فان بناء افتعل وان شاع كونه للمطاوعة فعل نحو جمعته فاجتمع الا انه قد يكون بمعنى فعل نحو مدحته وامتدحته وهذا هو المناسب فى هذا المقام فقولنا زجره وازدجره بمعنى واحد اى نهاه ومنعه عن السوء وارتفاع مزدجر يجوز ان يكون على الابتداء وفيه خبره وان يكون على انه فاعل لقوله فيه لاعتماده على الموصول او الموصوف فان ما يجوز كونها موصولة وموصوفة فالجملة بعدها صلتها او صفتها ﴿قوله نفى او استفهام انكار﴾ اى يجوز ان تكون ما نافية فيكون مفعول تغنى محذوفا اى فاتغنى النذر شيأ وان تكون استفهامية بمعنى الانكار فتكون فى موضع النصب على انها مفعول مقدم لتغنى اى اى شئ تغنى النذر اذا خالفهم اهل مكة وكذبوهم ﴿قوله ويجوز ان يكون الدعاء فيه﴾ اى فى البعث والاعادة مثل كن فى التكوين ابتداء بان لا يكون ثم داع من اسرافيل وغيره بل يكون الكلام من قبيل الاستعارة التمثيلية بان يشبه نفاذ مشيئته تعالى وعدم تخلف مراده عن ارادته بترتب اجابة المدعو المطيع ادعاء الداعى المطاع من غير توقف وتردد كما قيل ان أمر كن فى الابتداء والتكوين كذلك ومن قال ان الدعاء والنداء على حقيقته منهم من يقول ان اسرافيل ينفخ قائما على صخرة بيت المقدس ويدعو وينادى قائلا ايتها العظام البالية واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة ان الله تعالى يأمركن ان تجتمعوا لفصل القضاء ومنهم من يقول ان اسرافيل ينفخ وجبريل عليه السلام يدعو وينادى بذلك ولما حذفت الواو من يدعو فى التلفظ لاجتماع الساكنين حذفت فى الخط ايضا تبعا للفظ وحذفت ياء الداعى اكتفاء بالكسرة والنكر بضمتين صفة على فعل وقرئ بسكون الكاف كما فى قوله تعالى لقد جئت شيأ نكرا وكلاهما بمعنى المنكر والشئ الشديد الفظيع بمعنى نكرا لان النفوس تنكره وقرئ نكر بضم النون وكسر الكاف وفتح الراء على انه فعل ماض مبنى للمفعول فى موضع الجر على انه صفة لشئ وخاشعا حال من فاعل يخرجون قدمت على عاملها لكونه فعلا اصليا فى العمل قرأ ابو عمرو وحمزة والكسائى خاشعا ابصارهم وباقى السبعة خشعا والقراءة الاولى جارية على اللغة الفصحى من حيث ان الفعل وما يجرى مجراه اذا قدم على فاعله الظاهر يفرد ويذكر فيقال تخشع ابصارهم ولا يقال تخشعن ابصارهم فان تأنيث الجمع غير حقيقى لكونه بمعنى الجماعة والفعل اذا اسند الى الظاهر المؤنث الغير الحقيقى جاز الحاق علامة التأنيث بالفعل وتركها نحو طلع الشمس وقوله تعالى فمن جاءه موعظة فكذا اذا اسند الى ظاهر الجمع مطلقا اى سواء كان جمع سلامة او جمع تكسير وسواء كان واحد المكسر حقيقى التذكير او التأنيث كرجال ونسوة او مجازى التأنيث كايام ودور وكذا واحد المجموع بالالف والتاء ينقسم الى هذه الاقسام الاربعة نحو الطلحات والزينبات والحبليات والغرفات فحكم المسند الى ظاهر هذه الجموع حكم المسند الى ظاهر المؤنث الغير الحقيقى فى جواز الحاق علامة التأنيث وتركه واما الحاق ضمير الجمع به مع كونه مسندا الى الظاهر فغير فصيح الا على لغة من يقولون اكلونى البراغيث فقراءة خشعا ابصارهم جاءت على تلك اللغة فكذا اسماء الفاعلين اذا اسندت الى الجماعة جاز فيها التوحيد مع التذكير نحو خاشعا ابصارهم وجاز ايضا التوحيد مع التأنيث نحو خاشعة ابصارهم وجاز الجمع ايضا على لغة طى نحو خشعا ابصارهم فقوله وقرئ خاشعة على الاصل وهو ان لا يجمع اذا اسند الى ظاهر الجمع وان يؤنث لكونه مسندا الى المؤنث وان كان تأنيثه غير حقيقى ولم يجعل المصنف قراءة خشعا ابصارهم مبنية على لغة اكلونى البراغيث لعدم الاحتياج الى حملها على تلك اللغة لانه انما يحتاج الى الحمل عليها فيما اذا كان المسند فعلا او مايشبه الفعل ويجرى مجراه وهو جمع السلامة مثل قائمين غلمانهم وكريمين آباؤهم واما اذا كان المسند مما لايشبه الفعل بجمع

(التكسير)

(ولقد جاءهم) فى القرآن (من الانباء) انباء القرون الخالية او انباء الآخرة (مافيه مزدجر) ازدجار من تعذيب اووعيد وتاء الافتعال تقلب دالا مع الدال والذال والزاى للتناسب وقرئ مزجر بقلبها زايا وادغامها (حكمة بالغة) غايتها لاخلل فيها وهى بدل من ما او خبر لمحذوف وقرئ بالنصب حالا منها فانها موصولة او مخصوصة بالصفة فيجوز نصب الحال عنها (فما تغنى النذر) نفى او استفهام انكار اى فاى غناء يغنى النذر وهو جمع نذير بمعنى المنذر او المنذر منه او مصدر بمعنى الانذار (فتول عنهم) لعلمك ان الانذار لايغنى فيهم (يوم يدع الداع) اسرافيل ويجوز ان يكون الدعاء فيه كالامر فى قوله تعالى كن فيكون واسقاط الياء اكتفاء بالكسر للتخفيف وانتصاب يوم بيخرجون او باضمار اذكر (الى شئ نكر) فظيع تنكره النفوس لانها لم تعهد مثله وهو هول القيامة وقرأ ابن كثير نكر بالتخفيف وقرئ نكر بمعنى انكر (خاشعا ابصارهم يخرجون من الاجداث) اى يخرجون من قبورهم خاشعا ذليلا ابصارهم من الهول وافراده وتذكيره لان فاعله غير حقيقى التأنيث وقرئ خاشعة على الاصل وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وعاصم خشعا وانما حسن ذلك ولا يحسن مررت برجال قائمين غلمانهم لانه ليس على صيغة يشبه الفعل وقرئ خشع ابصارهم على الابتداء والخبر فتكون الجملة حالا (كأنهم جراد منتشر) فى الكثرة والتموج والانتشار فى الامكنة (مهطعين الى الداع) مسرعين مادى اعناقهم اليه او ناظرين اليه (يقول الكافرون هذا يوم عسر) صعب

التكسير فجمع مثل هذا المسند اولى من افراده ليطابق فاعله ولا محذور فى كونه مخالفا الفعل فى الحكم لانه لا يشبه الفعل فكذلك خشعا ابصارهم وقبح قاعدين غلمانهم ولم يصح قعودا غلامهم والظاهر ان قوله تعالى يخرجون من الاجداث استئناف لبيان عاقبة التولى عنهم ان كان يوم منصوبا بيخرجون ولبيان مايكون فى ذلك اليوم ان كان منصوبا باذكر وقوله تعالى كأنهم جراد فى موضع الحال من فاعل يخرجون اى يخرجون مشبهين بالجراد وكذا مهطعين والاهطاع الاسراع اى مسرعين الى جهة الداعى منقادين اذلاء وقيل هو الاسراع مع مد العنق وقيل هو النظر قال الجوهرى هطع الرجل اذا أقبل ببصره على الشئ لا يقلع عنه يهطع هطوعا وأهطع اذا مد عنقه وصوّب رأسه وأهطع فى عدوه اى أسرع ثم انه تعالى شرع فى ذكر بعض الانبياء فقال كذبت قبلهم قوم نوح ﴿قوله وهو تفصيل بعد اجمال﴾ يعنى ان قوله تعالى كذبت قبلهم لايقدر له مفعول بل ينزل منزلة اللازم اى فعلوا فعل التكذيب والتكذيب لابدّ له من متعلق الا انه اجمل ثم فصل بقوله فكذبوا عبدنا فتكون الفاء فيه لتعقيب فى الذكر كما فى قوله تعالى ونادى نوح ربه فقال ﴿قوله وقيل معناه﴾ اى قيل ان الفاء ليست لعطف تفصيل المجمل على المجمل بل هى لترتيب مضمون مابعدها على ماقبلها فى التحقق والوجود وذلك بان يقصد تعلق قوله كذبت قبلهم بالمفعول الا ان ذلك المفعول لم يذكر اما لقصد التعميم واما لكونه متعينا لدلالة القرينة عليه والمعنى كذبوا نوحا تكذيبا عقيب تكذيب او كذبوه بعد ما كذبوا جميع الرسل فان قوم نوح كانوا مشركين يعبدون الاصنام ومن يعبد الصنم يكذب كل رسول وينكر الرسالة رأسا ويقول لاتعلق للبارى تعالى بالعالم السفلى وانما امره الى الكواكب والاوضاع الفلكية فكان مذهبه تكذيب الرسل جميعا فلما بعث اليهم نوح عليه الصلاة والسلام كذبوه ايضا على مقتضى ماذهبوا اليه فتكذيبهم اياه تكذيب له عقيب تكذيب الرسل عليهم السلام وقولهم فى حقه عليه السلام هو مجنون مبالغة فى تكذيبهم اياه حيث شبهوه بالمجنون زاعمين انه يقول مالايقبله العقل ويأباه وليس مرادهم انه عليه السلام مجنون حقيقة لانه مكابرة محضة ﴿قوله وزجر﴾ يعنى ان قوله تعالى وازدجر افتعل بمعنى فعل كقوله مافيه مزدجر فيكون قوله وازدجر من كلام الله تعالى اخبر عنه عليه الصلاة والسلام بانه انتهر وزجر بالسب وانواع الاذية حيث قالوا لئن لم تنته يانوح لتكونن من المرجومين ويؤيد هذا المعنى ترتب قوله فدعا ربه عليه بالفاء اى لما زجروه على دعوتهم وعلى تبليغ رسالته اليهم دعا ربه بانى غلبنى قومى بالتكذيب وانواع الاذية على طول الزمان فانتقم لى ممن كذبنى ﴿قوله وهو مبالغة وتمثيل﴾ يعنى جعل الماء آلة لفتح ابواب السماء مبالغة فى كثرة الماء هذا على ان تكون الباء فى قوله تعالى بماء منهمر للاستعانة كما تقول فتحت بالمفتاح ويحتمل ان تكون للحال اى فتحناها ملتبسة بهذا الماء المنهمر الكثير النازل بقوة وتتابع حيث قيل انه لم ينقطع اربعين يوما وجعل الكلام استعارة تمثيلية لان الظاهر ان السماء ليست لها ابواب تفتح وتغلق حتى تنزل الامطار من تلك الابواب بل هى انما تنزل من السحاب الا انه شبه نزولها من السحاب بكثرة وشدة بنزولها من السماء بان فتحت على ابوابها وانصبت منها ولم يثبت للابواب ان تسدها وقيل كل واحد من السماء والابواب وفتحها حقيقة اذ لا بعد فى ان يكون للسماء ابواب تفتح وتغلق حتى روى عن على رضى الله عنه ان ابواب السماء هى المجرة ولا بعد ايضا ان ينزل المطر من تلك الابواب ﴿قوله فغير للمبالغة﴾ اى غير العيون من المفعولية الى التمييز للمبالغة لان قولنا فجرنا عيون الارض معناه فجرنا وسيلنا مافيها من العيون ولا مبالغة فيه بخلاف قولنا فجرنا الارض عيونا فان معناه فجرنا اجزاء الارض كلها بجعلها عيون ماء ولاشك فى انه ابلغ ولما كان الماء اسم جنس صح ان يقال فالتقى الماء بدل فالتقى ماء السماء وماء الارض والظاهر ان قوله تعالى على امر حال من الماء اى فالتقى مياه السماء والارض كائنة على المقدار الذى قدره الله تعالى فى الازل ان تكون عليه او التقيا كائنا كل واحد منهما على مقدار الآخر مساويا له كما قال مقاتل قدر الله ان يكون الماآن سواء وكانا على ماقدرا او فالتقى الماء مستوليا على ماقدره الله تعالى من هلاك قوم نوح انتهى ﴿قوله جمع دسار﴾ مثل كتاب وكتب وكان الكتاب بمعنى المكتوب فكذا الدسار بمعنى المدسور فان المسمار يدفع دفعا شديدا ﴿قوله اقيمت مقامها من حيث انها شرح لها﴾ اى كالشرح يعنى ان قوله تعالى ذات الواح ودسر لما كانت صفة كاشفة للسفينة مبينة لماهيتها لكونها مركبة من الواح ودسر حسن اقامتها مقام السفينة فان تقدير الكلام وحملناه على سفينة ذات الواح ودسر فحذف الموصوف وقوله تجرى فى محل الجر على انه صفة ذات الواح وباعيننا فى موضع النصب على انه حال من الضمير فى تجرى اى بمرأى منا محفوظة بحفظنا ﴿قوله

(كذبت قبلهم قوم نوح) قبل قومك (فكذبوا عبدنا) نوحا وهو تفصيل بعد اجمال وقيل معناه كذبوه تكذيبا على عقب تكذيب كلما خلا منهم قرن مكذب تبعه آخرون مكذبون او كذبوه بعدما كذبوا الرسل (وقالوا مجنون) هو مجنون (وازدجر) وزجر عن التبليغ بانواع الاذية وقيل انه من جملة قيلهم اى هو مجنون وقد ازدجرته الجنّ وتخبطته (فدعا ربه انى) اى بانى وقرئ بالكسر على ارادة القول (مغلوب) غلبنى قومى (فانتصر) فانتقم لى منهم وذلك بعد يأسه منهم فقد روى ان الواحد منهم كان يلقاه فيخنقه حتى يخرّ مغشيا عليه فيفيق ويقول اللهم اغفر لقومى فانهم لا يعلمون (ففتحنا ابواب السماء بماء منهمر) منصب وهو مبالغة وتمثيل لكثرة الامطار وشدّة انصبابها وقرأ ابن عامر ويعقوب ففتّحنا بالتشديد لكثرة الابواب (وفجرنا الارض عيونا) وجعلنا الارض كلها كأنها عيون متفجرة واصله وفجرنا عيون الارض فغير للمبالغة (فالتقى الماء) ماء السماء وماء الارض وقرئ الماآن لاختلاف النوعين والماوان بقلب الهمزة واوا (على امر قد قدر) على حال قدرها الله فى الازل من غير تفاوت او على حال قدرت وسوّيت وهو ان قدر ما انزل على قدر ما اخرج او على امر قدره الله وهو هلاك قوم نوح بالطوفان (وحملناه على ذات ألواح) ذات اخشاب عريضة (ودسر) ومسامير جمع دسار من الدسر وهو الدفع الشديد وهى صفة السفينة اقيمت مقامها من حيث انها شرح لها تؤدى مؤداها (تجرى باعيننا) بمرأى منا اى محفوظة بحفظنا

اى فعلنا ذلك ﴾ الاشارة الى الافعال المذكورة بقوله ففتحنا وفجرنا وحملنا اى فعلنا كله جزآء للكفور وهو نوح عليه الصلاة والسلام فان انجاءه واهلاك مكذبه جزآء له على ما تحمله من اذيتهم على ان يكون المراد بالكفر هو ضد الشكر وهو جحود النعمة فان الكفر بهذا المعنى يتعدى بنفسه يقال كفره كفورا وكفرانا ويجوز ان يراد به ما هو ضد الايمان ويكون التقدير لمن كان كفر به فحذف الجار واوصل الفعل الى الضمير فان الكفر الذى هو ضد الايمان يعدى بالباء قال تعالى فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله والجمهور على ان كفر بضم الكاف وكسر الفاء على بناء المفعول وقرئ كفر على بناء الفاعل والمراد بمن كفر قوم نوح ﴿ قوله اى السفينة ﴾ يعنى الموصوفة بقوله ذات الواح ودسر ثم قيل المراد ترك عينها على الجودى من ارض الجزيرة وقيل بارض الهند وقيل المراد ترك مثلها فى الناس فانهم لم يعرفوا قبل ذلك اتخاذ السفن فلما رأوا تلك السفينة صنعوا امثالها فكانت آية باقية وعبرة باهرة تدل على قدرة الله تعالى وحكمته وعظم فضله لعباده من قتادة انه قال ابقى الله سفينة نوح على الجودى حتى ادركها اوآئل هذه الامة وكذا عن ابن عباس قال الامام او الابث قوله تعالى تركناها آية بمعنى سفينة نوح ابقيناها عبرة للخلق قال بعضهم يعنى تلك السفينة كانت باقية بعينها على الجبل الى قريب من خروج النبى صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم يعنى جنس السفينة صارت عبرة لان الناس لم يعرفوا قبل ذلك سفينة فاتخذ الناس السفن بعد ذلك فى البحر فلذلك كانت آية للناس الى هنا كلامه ﴿ قوله او الفعلة ﴾ وهى انجاء نوح ومن آمن به من اصحاب السفينة من الكرب العظيم وتدمير آخرين بعذاب اليم ﴿ قوله معتبر ﴾ يعتبر بما صنع الله تعالى بقوم نوح فيترك المعصية ويختار الطاعة والانابة ثم انه تعالى لما بين انه اجاب دعوة نوح بان فتح ابواب السماء بالماء المنهمر وفجر الارض عيونا وانه حمل من آمن من عباده على السفينة علم منه انه تعالى عذب قومه بامرهم بان اغرقهم اجمعين فقال استعظاما لذلك العذاب وايعادا لمشركى مكة فكيف كان عذابى الذى عذبتهم به وكيف كان عاقبة انذارى وعنادهم والنذر يحتمل ان يكون مصدرا كالانذار كما حكى عن الفرآء انه قال تقول العرب انذرت انذارا ونذرا كقولهم انفقت انفاقا ونفقة وايقنت ايقانا ويقينا ويحتمل ان يكون جمع نذير الذى بمعنى الانذار كالنكير بمعنى الانكار والمعنى فكيف كان عاقبة انذارى لهم بالعذاب ألم اعذبهم بمرة واحدة بعد ما تتابعت وتواترت عليهم انذاراتى التى هى آثار رحمتى ﴿ قوله باردة ﴾ على ان يكون الصرصر مأخوذا من الصر بكسر الصاد وهو برد يضر بالنبات والحرث وفى الصحاح ريح صرصر اى باردة ويقال اصلها صرر من الصر فابدلوا مكان الرآء الوسطى فاء الفعل كقولهم كبكبوا اصله كببوا وتجفجف الثوب اصله تجفف ومن المبرد ان الصرصر الريح الشديد الصوت من صر الباب او القلم اذا صوت وقيل الصرصر الدآئمة الهبوب من اصر على الشئ اذا دام وثبت ﴿ قوله تعالى فى يوم نحس ﴾ العامة على اضافة يوم الى نحس بسكون الحاء وهو عند الكوفيين من قبيل اضافة الموصوف الى صفته فانهم يجوزون ذلك خلافا للبصريين فانهم لا يجوزونها الا بتأويل حذف الموصوف من المضاف اليه فيقولون فى مسجد الجامع مثلا تأويله مسجد الوقت الجامع وتأويل الآية فى يوم عذاب نحس ويجعلون المضاف اليه صفة لموصوف محذوف وقرئ بتنوين يوم ووصفه بنحس كقوله تعالى فى ايام نحسات جعل الاستمرار اولا بمعنى الدوام وجعل الدوام صفة نحس اذ لا معنى لاستمرار اليوم بخلاف نحو ستة ايام فانه يجوز استمرارها ثم اشار الى جواز كون الدوام صفة اليوم بان يكون اليوم بمعنى الوقت مطلقا كما فى قوله تعالى حكاية عن عيسى عليه الصلاة والسلام على يوم ولدت ويوم اموت حيث قال او استمر عليهم حتى اهلكهم ويجوز ان يكون المراد به ان ذلك اليوم استحكم عليهم واشتد حتى اهلكهم على ان يكون الاستمرار من المرة وقوله او على جميعهم على ان يكون من المرور قال تعالى فى سورة الحاقة واما عاد فاهلكوا بريح صرصر عاتية سخرها عليهم سبع ليال وثمانية ايام حسوما اى متتابعة وهى كانت ايام العجوز من صبيحة اربعاء آخر الشهر الى وقت غروب الشمس فى الاربعاء الآخر وتشاءم بعض الناس بالاربعاء الذى يكون فى آخر الشهر بناء على انه تعالى قال فى حقه يوم نحس مستمر ولا وجه له لان المراد انه نحس على المفسدين بمشيئة الله تعالى الا لم يظهر نحسه فى حق هود ومن آمن به ولا فى حق سائر المفسدين والشعاب جمع شعب وهو ما انفرج بين الجبلين وقوله تعالى تنزع الناس صفة لقوله ريحا صرصرا ويجوز كونه حالا منها لكونها موصوفة وقوله تعالى كأنهم حال من الناس اى نازعة للناس مشبهين بالعجاز نخل وهى اصولها التى قلعت فروعها لان الريح كانت تبين رؤسهم عن اجسادهم فتبقى اجسادهم

(جزاء لمن كان كفر) اى فعلنا ذلك جزاء لنوح لانه نعمة كفروها فان كل نبى نعمة من الله ورحمة على امته ويجوز ان يكون على حذف الجار وايصال الفعل الى الضمير وقرئ لمن كفر اى للكافرين (ولقد تركناها) اى السفينة او الفعلة (آية) يعتبر بها اذ شاع خبرها واستمر (فهل من مدكر) معتبر وقرئ مذتكر على الاصل ومذكر بقلب التاء ذالا والادغام فيها (فكيف كان عذابى ونذر) استفهام تعظيم ووعيد والنذر يحتمل المصدر والجمع (ولقد يسرنا القرآن) سهلناه او هيأناه من يسر ناقته للسفر اذا رحلها (للذكر) للادكار والاتعاظ بان صرفنا فيه انواع المواعظ والعبر او للحفظ بالاختصار وعذوبة اللفظ (فهل من مدكر) متعظ (كذبت عاد فكيف كان عذابى ونذر) وانذاراتى لهم بالعذاب قبل نزوله او لمن بعدهم فى تعذيبهم (انا ارسلنا عليهم ريحا صرصرا) باردة او شديدة الصوت (فى يوم نحس) شؤم (مستمر) استمر شؤمه او استمر عليهم حتى اهلكهم او على جميعهم كبيرهم وصغيرهم فلم يبق منهم احدا واشتد مرارته وكان يوم الاربعاء آخر الشهر (تنزع الناس) تقلعهم روى انهم دخلوا فى الشعاب والحفر وتمسك بعضهم ببعض فنزعتهم الريح منها وصرعتهم موتى (كأنهم اعجاز نخل منقعر) اصول نخل منقلع عن مغارسه ساقط على الارض قيل شبهوا بالاعجاز لان الريح طيرت رؤسهم وطرحت اجسادهم وتذكير منقعر للحمل على اللفظ والتأنيث فى قوله اعجاز نخل خاوية للمعنى (فكيف كان عذابى ونذر) كرره للتهويل وقيل الاول لما حاق بهم فى الدنيا والثانى لما يحيق بهم فى الآخرة كما قال ايضا فى قصتهم لنذيقهم عذاب الخزى فى الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة اخزى

بلا رؤس والمنقعر المنقلع عن اصله وقعر الشئ اصله يقال قعرت النخلة اى قلعتها من اصلها فانقعرت اى انقلعت والنخل جمع نخلة وتذكيره حيث قيل فى صفة منقعر باعتبار لفظه وتأنيثه فى قوله تعالى اعجاز نخل خاوية باعتبار معناه وقيل لرعاية الفواصل والمعنى تنزعهم الريح نزعا بعنف كأنهم اعجاز نخل تقعرهم فينقعرون وفيه اشارة الى قوتهم وثباتهم فى الارض بطاماتهم فكأنهم لعظم اجسامهم وكمال قوتهم يتصدون لمقاومة الريح ثم الريح لما صرعتهم والقتهم على الارض كانت كأنها قلعت اعجاز نخل منقعر ﴿ قوله بالانذارات او المواعظ ﴾ الاول على ان يكون النذر مصدرا كالانذار والثانى على ان يكون جمع نذير بمعنى الانذار والموعظة كالنكير بمعنى الانكار والثالث على ان يكون جمع نذير بمعنى المنذر وجعلهم مكذبين الرسل مع انهم كذبوا رسولهم صالحا عليه الصلاة والسلام لان تكذيبه فيما جاء به تكذيب الرسل جميعا فى الحقيقة لانهم متفقون فى اصول الدين ﴿ قوله والاول اوجه للاستفهام ﴾ اى كونه منصوبا على الاشتغال بمعنى أنتبع بشرا منا نتبعه اوجه لانه حينئذ تكون اداة الاستفهام داخلة على الفعل على الاصل ﴿ قوله كأنهم عكسوا الخ ﴾ يعنى كأن صالحا عليه الصلاة والسلام يقول لهم ان لم تتبعونى كنتم فى ضلال عن الحق فى الدنيا ونيران هائلة فى العقبى وهى المراد بالسعر الذى هو جمع سعير وهو النار فعكسوا عليه فقالوا ان اتبعناك كنا اذا كما تقول ﴿ قوله تعالى من بيننا ﴾ حال من هاء عليه اى أخصص بالرسالة والوحى منفردا من بين آل ثمود وفيهم من هو اكثر مالا واحسن حالا والاستفهام للانكار والاشر صفة مشبهة مثل فرح وفعله أشر يأشر أشرا فهو أشر من باب علم ﴿ قوله وقرأ ابن عامر وحمزة ستعلمون ﴾ اى بتاء الخطاب وفيه وجهان احدهما انه حكاية قول صالح لقومه والثانى انه خطاب الله تعالى وكلامه لهم على سبيل الالتفات من الغيبة فى قوله فقالوا وقرأ الباقون بياء الغيبة على وفق قوله فقالوا والجمهور على كسر الشين وتخفيف الراء فى قوله من الكذاب الاشر وقرئ الاشر بضم الشين وتخفيف الراء وهما لغتان بمعنى مثل يقظ ويقظ وحذر وحذر وقرئ ايضا الاشر بفتح الشين وتشديد الراء وهو افعل تفضيل من الشر اصله اشرر كما ان خيرا اصله اخير حذفت همزة افعل منهما لكثرة دورانهما فى الكلام ثم ان ثمود لما كذبوه وتعنتوا عليه سألوه ان يخرج لهم من صخرة ناقة حمراء عشراء وهى الناقة التى اتت عليها من يوم ارسل عليها الفحل عشرة اشهر وزال عنها اسم المخاض ثم لا يزال كذلك اسمها حتى تضع فدعا صالح ربه فاوحى الله تعالى اليه فقال تعالى انا مرسلوا الناقة اى باعثوها ومخرجوها من الصخرة كما اقترحوا وقوله فتنة لهم مفعول له فان تحقق ما اقترحه القوم يشبه الامتحان اى محنة لهم واختبارا فان المعجزة فتنة لان بها يتميز المثاب من المعذب حيث يظهر بها الخلق ويتميز من يتبع الهدى والبينة ممن يتبع الهوى فمن اصر على الضلال بعدما شاهد ما اقترحه يحل عليه عذاب عظيم فان سنة الله جرت كذلك كما قال فمن يكفر بعد منكم فانى اعذبه عذابا لا اعذبه احدا من العالمين ﴿ قوله قسمة بينهم ﴾ اى مقسوم او ذو قسمة بين ثمود والناقة غلب العقلاء على غيرهم فى القسمة ﴿ قوله لها يوم ولهم يوم ﴾ اشارة الى ان كون الماء الذى يشربونه مقسوما بين القوم والناقة ليس معناه ان الماء قسمان قسم لها وقسم لهم بل المراد ان يجعل الشرب بينهم على طريق المناوبة بان يحضره القوم يوما وتحضره الناقة يوما ﴿ قوله يحضره صاحبه ﴾ اشارة الى ان حضره واحتضره بمعنى والظاهر ان قوله او يحضر عنه بمعنى او يمنع عنه الا ان استعمال الحضر بالضاد فى معنى المنع ليس بمعهود والذى بمعنى المنع هو الحظر بالظاء والفاء فى قوله تعالى فنادوا صاحبهم فصيحة تفصح ان فى الكلام محذوفا تقديره فبقوا على ذلك زمانا ثم ملوا وتحرجوا من ضيق الماء والمرعى عليهم وعلى مواشيهم فان الناقة مع فصيلها كانت تمشى فى الصيف فى مصيف مواشيهم فتهرب المواشى منهما فتبق فى موضعها الذى تمشى فيه وكانا يمشيان وقت الشتاء فى مشتى المواشى فتهرب المواشى منهما فتبقين فى الضيق فغلب عليهم الشقاوة فأجمعوا على قتلها فقال بعضهم لبعض تكمن للناقة حيث تمر اذا صدرت من الماء فتعاماها القوم وكمن لها قدار بن سالف ليقتلها وصاح به بقية الرهط اى نبهوه على صدورها ومجيئها وقدومها من مكمنه ودعوه الى قتلها وشجعوه عليه فتعاطى اى فاجترأ على تعاطى قتلها والاقدام عليه فان التعاطى عبارة عن الاقدام على الفعل العظيم وتحقيقه ان الفعل العظيم يتبرأ منه كل احد ويعطيه صاحبه اى فتعاطى صاحبهم آلة العقر فعقرها بها قيل كمن لها فى اصل شجرة على طريقها فرماها بسهم فانتظم به عضلة ساقها ثم شد عليها فكشف عرقوبها فخرت ورغت رغاة واحدة ثم نحرها والعرب تسمى الجزار قدارا تشبيها له بقدار بن سالف مشئوم آل ثمود والعقر الجرح

(ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) كذبت ثمود بالنذر بالانذارات او المواعظ او الرسل (فقالوا أبشرا منا) من جنسنا او من جملتنا لا فضل له علينا وانتصابه بفعل يفسره مابعده وقرئ بالرفع على الابتداء والاول اوجه للاستفهام (واحدا) منفردا لا تبع له او من آحادهم دون اشرافهم (نتبعه انا اذا لفى ضلال وسعر) جمع سعير كأنهم عكسوا عليه فرتبوا على اتباعهم اياه ما رتبه على ترك اتباعهم له وقيل السعر الجنون ومنه ناقة مسعورة (أألقى الذكر) الكتاب والوحى (عليه من بيننا) وفينا من هو احق منه بذلك (بل هو كذاب أشر) حمله بطره على الترفع علينا بادعائه (سيعلمون غدا) عند نزول العذاب بهم او يوم القيامة (من الكذاب الاشر) الذى حمله أشره على الاستكبار عن الحق وطلب الباطل أصالح امن كذبه وقرأ ابن عامر وحمزة ورويس ستعلمون على الالتفات او حكاية ما جاءهم به صالح وقرئ الاشر كحذر فى حذر والاشر اى الابلغ فى الشرارة وهو اصل مرفوض كالاخير (انا مرسلوا الناقة) مخرجوها وباعثوها (فتنة لهم) امتحانا لهم (فارتقبهم) فانتظرهم وتبصر مايصنعون (واصطبر) على اذاهم (ونبئهم ان الماء قسمة بينهم) مقسوم لها يوم ولهم يوم وبينهم لتغليب العقلاء (كل شرب محتضر) يحضره صاحبه فى نوبته او يحضر عنه غيره (فنادوا صاحبهم) قدار بن سالف احيمر ثمود (فتعاطى فعقر) فاجترأ على تعاطى قتلها فقتلها او فتعاطى السيف فقتلها والتعاطى تناول الشئ بتكلف (فكيف كان عذابى ونذر انا ارسلنا عليهم صيحة واحدة) صيحة جبرائيل (فكانوا كهشيم المحتظر) كالشجر اليابس المتكسر الذى يتخذه من يعمل الحظيرة لاجلها او كالحشيش اليابس الذى يجمعه صاحب الحظيرة لماشيته فى الشتاء وقرئ بفتح الظاء اى كهشيم الحظيرة او الشجر المتخذ لها (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر كذبت قوم لوط بالنذر انا ارسلنا عليهم حاصبا)

ريحا تحصبهم بالحجارة اى ترميهم (الا آل لوط نجيناهم بسحر) فى سحر وهو آخر الليل او سحرين (نعمة من عندنا) انعاما منا وهو علة لنجينا (كذلك نجزى من شكر) نعمتنا بالايمان والطاعة (ولقد انذرهم) لوط (بطشتنا) اخذتنا بالعذاب (فتماروا بالنذر) فكذبوه بالعذاب متشاكين (ولقد راودوه عن ضيفه) قصدوا الفجور بهم (فطمسنا اعينهم) فصيرناها اى سويناها كسائر الوجه روى انهم لما دخلوا داره عنوة صفقهم جبرآئيل صفقة فاعماهم (فذوقوا عذابى ونذر) قلنا لهم ذوقوا على ألسنة الملائكة او ظاهر الحال (ولقد صبحهم بكرة) وقرئ بكرة غير مصروفة على ان المراد بها اول نهار معين (عذاب مستقر) يستقر بهم حتى يسلمهم الى النار (فذوقوا عذابى ونذر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) كرر ذلك فى كل قصة اشعارا بان تكذيب كل رسول مقتض لنزول العذاب واستماع كل قصة مستدع للادكار والاتعاظ واستئنافا للتنبيه والايقاظ لئلا يغلبهم السهو والغفلة وهكذا تكرير قوله فبأى آلاء ربكما تكذبان وويل يومئذ للمكذبين ونحوهما (ولقد جاء آل فرعون النذر) اكتفى بذكرهم عن ذكره للعلم بانه اولى بذلك (كذبوا بآياتنا كلها) يعنى الآيات التسع (فأخذناهم اخذ عزيز) لايغالب (مقتدر) لايعجزه شئ (أكفاركم) يامعشر العرب (خير من اولئكم) الكفار المعدودين قوة وعدة او مكانة ودينا عند الله تعالى (ام لكم براءة فى الزبر) ام انزل لكم فى الكتب السماوية ان من كفر منكم فهو فى امان من العذاب (ام يقولون نحن جميع) جماعة امرنا مجتمع (منتصر) ممتنع لانرام او منتصر من الاعداء لانغلب او متناصر ينصر بعضنا بعضا والتوحيد على لفظ الجمع (سيهزم الجمع ويولون الدبر) اى الادبار والافراد لارادة الجنس او لان كل احد يولى دبره وقد وقع ذلك يوم بدر وهو من دلائل النبوة وعن عمر رضى الله عنه انه لما نزلت قال لم اعلم ماهو فلما كان يوم بدر رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبس الدرع ويقول سيهزم الجمع فعلمته (بل الساعة موعدهم) موعد عذابهم الاصلى وما يحيق بهم فى الدنيا فمن طلائعه (والساعة ادهى) اشد والداهية امر فظيع لايهتدى لدوائه (وامر) مذاقا من عذاب الدنيا (ان المجرمين فى ضلال) عن الحق فى الدنيا (وسعر) ونيران فى الآخرة (يوم يسحبون فى النار على وجوههم) يجرون عليها (ذوقوا مس سقر) اى يقال لهم ذوقوا حر النار وألمها فان مسها سبب التألم بها وسقر علم لجهنم

ثم استعير للقتل والحمير تصغير احمر صغر تحقيرا له وكان قدار احمر اشقر ولما استعظم الله تعالى عذابهم بين ذلك العذاب بقوله انا ارسلنا عليهم صيحة واحدة صاح فيهم جبريل عليه الصلاة والسلام والعامة على كسر الظاء من المحتظر على انه اسم فاعل وهو الذى يتخذ حظيرة من الحطب وغيره والهشيم حطام الشجر والنبت اليابس ومن اتخذ لغنمه حظيرة يقيها عن البرد والريح يتخذها من دقاق الشجر وضعيف النبات فاذا طال عليها الزمان بليت وتكسرت وصارت هشيما وقرئ كهشيم المحتظر بفتح الظاء اما على انه اسم مفعول بمعنى المتخذ حظيرة وهو نفس الحظيرة والمعنى كهشيم الحظيرة التى تمنع بها المواشى عن البرد والريح او على انه مصدر ميمى بمعنى الاحتظار سمى الشجر المتخذ للحظيرة محتظرا لكونه مادة للاحتظار او اسم مكان اطلق على مادة المحتظر باعتبار توهم المكانية فيها «قوله ريحا تحصبهم» اشارة الى ان الحاصب اسم فاعل بمعنى رامى الحصباء وهى الحجارة حذف موصوفه وهو الريح وتذكيره مع كونه مسندا الى ضمير الريح وهى مؤنث سماعى لكونها فى تأويل العذاب وقوله تعالى وامطرنا عليهم حجارة وكذا قول الملائكة لنرسل عليهم حجارة يدلان على ان الذى ارسل عليهم نفس الحجارة لا التى تحصبها الا انه قيل ههنا ارسلنا عليهم ريحا حاصبا للدلالة على ان امطار الحجارة وارسالها عليهم كان بواسطة ارسال الريح الحاصبة بالحجارة والاستثناء فى قوله تعالى الا آل لوط منقطع لانه مستثنى من الضمير فى عليهم وهو ضمير القوم المذكور بقوله كذبت قوم لوط ولا يدخل فيهم آل لوط لان المراد به من تبعه على دينه ونون سحرا لان المراد بيان وقت التنجية وهو سحر من الاسحار ولو اريد سحر يوم بعينه لقيل نجيناهم بالسحر واسناد التنجية اليه تعالى باعتبار كونه سببا آمر اله بان يخرج بهم بقطع من الليل اى يخرج قبيل مجئ العذاب قومه وقت السحر والسحر سحران الاول قبيل انصداع الفجر والآخر عند انصداعه والباء فى قوله بسحر يجوز ان تكون بمعنى فى وان تكون للحال اى ملتبسين بسحر او مسحرين اى داخلين فى وقت السحر «قوله تعالى فتماروا» تفاعلوا من المرية اى تشاركوا فى الشك فيما انذرهم به وكذبوه وقالوا كيف يقدر على اهلاكنا وحده وعدى فتماروا بالباء واصله ان يتعدى بفى لتضمنه معنى التكذيب فكأنه قيل فكذبوا بالنذر متشاركين والمراودة الطلب والارادة اى طلبوا منه وارادوا ان يسلم اليهم اضيافه ويخلى بينهم وبينهم فطمسنا اعينهم وذلك انهم لما قصدوا دار لوط وعالجوا الباب ليدخلوها قالت الرسل للوط خل بينهم وبين الدخول فانا رسل ربك لن يصلوا اليك فدخلوا الدار فصفقهم جبريل عليه الصلاة والسلام بجناحه باذن الله تعالى فتركهم عميا بحيث صارت اعينهم كسائر الوجه لايرى لها شق هذا قول اكثر المفسرين وقيل طمس الاعين عبارة عن مجرد انهم لم يروا الرسل وقالوا قد رأيناهم حين دخلوا البيت فاين ذهبوا فلم يروهم فرجعوا «قوله تعالى بكرة» قرأ العامة بالتنوين لكونها نكرة فلا وجه لمنع الصرف وقرئ غير منون على ان يراد بها بكرة نهار معين لابكرة من البكر فامتنع صرفه للتأنيث والتعريف «قوله قوة وعدة» يعنى ان الخيرية مع انه لاخير فى كل واحد من الفريقين اما باعتبار القوة وكثرة اسباب المقاومة واما باعتبار الدنيا وكثرة اسباب زينتها «قوله ام يقولون» قرأ العامة ام يقولون بياء الغيبة على الالتفات «قوله ممتنع لانرام» اى لانزال عن موضعنا يقال رامه يريمه ريما اى برحه وزال عنه وصار الى البراح وهو المتسع من الارض لازرع فيه ولا شجر روى ان اباجهل كان يعلف كل يوم فرسه له فرقا من ذرة وكان يحلف باللات والعزى ليقتلن عليه محمدا فركبه يوم بدر وجعل يطارد مطاردة الاقران فى الحرب واذ حمل بعضهم على بعض جعلوا يقولون نحن جميع منتصر ثم جاءنا فقتل على يد ابن مسعود رضى الله عنه «قوله وهو من دلائل النبوة» لان الآية نزلت بمكة واخبرها انهم سيهزمون فى الحرب فكان كما قال ولا طريق الى علم الغيب الا الوحى فعلم ان الآية وحى الهى «قوله لم اعلم ماهو» اى لم اعلم اى جمع يهزم أجمعنا ام جمع الكفار روى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال كان بين نزول هذه الآية وبين يوم بدر سبع سنين «قوله تعالى بل الساعة» اضراب عن ذكر هزيمتهم فى الدنيا «قوله تعالى يوم يسحبون» يجوز ان يكون ظرفا لقوله فى ضلال وسعر وان يكون ظرفا للقول المقدر بعده اى يقال لهم فى ذلك اليوم ذوقوا مس سقر «قوله فان مسها سبب التألم بها» علة لتفسير مس سقر بحر النار وألمها يعنى ان مس النار لما كان سببا للتألم بها صح ان يعبر عن المس بالتألم والاحتراق مجازا مرسلا روى عنه عليه الصلاة والسلام انه قال قوله تعالى ان المجرمين فى ضلال الى قوله مس سقر نزل فى حق القدرية وعنه ايضا انه قال اذا جمع الله الخلائق يوم القيامة امر مناديا فينادى نداء يسمعه الاولون والآخرون اين خصماء الله فتقوم

القدرية فيؤمر بهم الى النار و يقول الله تعالى ذوقوا مس سقر انا كل شئ خلقناه بقدر وعنه عليه الصلاة والسلام انه قال مجوس هذه الامة القدرية وهم المجرمون الذين سماهم الله تعالى فى قوله ان المجرمين فى ضلال وسعر وكثرت الاحاديث فى حق القدرية وهم الذين ينكرون القدر و ينسبون الحوادث كلها الى الاوضاع الفلكية واتصالات الكواكب و يدل عليه ماروى عن ابى هريرة رضى الله عنه انه قال جاء مشركوا قريش يخاصمون رسول الله صلى الله عليه وسلم فى القدر فانزل الله تعالى ان المجرمين فى ضلال وسعر الى قوله خلقناه بقدر رواه مسلم فى صحيحه فان مذهبهم ذلك واعلم ان المسلمين فى مسألة القدر طوائف فطائفة تقول كل ما يجرى فى العالم من الخير والشرّ والافعال والاقوال بقضاء الله تعالى وقدره لا اختيار للعبد فيه وتسمى هذه الطائفة جبرية بسكون الباء وفتحها ومعنى الجبر القهر والاكراه و يقولون اجبر الله تعالى عباده على افعالهم واقوالهم فلا اختيار لهم فيها واضافة الفعل اليهم كاضافة جرى النهر ودارت الرحى ومن ذهب الى هذا القول لاسقاط التكليف عن نفسه فقد كفر بهذا القول لانه يفضى الى ابطال الكتب والرسل لانه اذا لم يكن للعباد اختيار لم يكونوا مكلفين فلم يبق لانزال الكتب وبعثة الرسل حينئذ فائدة وان قالوا هذا القول لاعن اعتقاد بل قالوه لتعظيم الله تعالى وتحقير انفسهم واظهار عجزهم عن دفع قضاء الله تعالى لا يكفرون به بل يصيرون مبتدعين فاسقين لانهم خالفوا الاجماع فى الاعتقاد والطائفة الثانية القدرية بفتح الدال وسكونها وهم يقولون كل ما يصدر من العباد عقيب قصدهم على وفق ارادتهم يكون واقعا بقدرتهم ودواعيهم ولا تعلق به بخصوصه قدرة الله تعالى وارادته وانما نسبوا الى القدر لان بدعتهم نشأت من قولهم فى القدر لنفيه لا لاثباته وهذه الطائفة قد نفوا هذه التسمية عنهم وقالوا ان مذهب القدر هو مذهب الجبر لانهم قالوا افعال العباد بتقدير الله تعالى وخلقه لانهم اسندوا الفعل الى التقدير وقيل ان هذا المذهب باطل ايضا لانهم ان قالوا هذا القول عن اعتقاد جريان العجز وجوازه على الله تعالى صاروا بهذا القول كافرين وان قالوه لاعن اعتقاد ذلك بل من خطأ فى فهمهم واجتهادهم ولتنزيه الله تعالى عن افعالهم القبيحة فليسوا بكافرين بهذا القول ولكن كانوا مبتدعين فاسقين لانهم خالفوا الاجماع وفيه مذهب آخر وهو ان المؤثر مجموع قدرة الله تعالى وقدرة العبد وهذا المذهب وسط بين الجبر والقدر وقيل هو الاقرب الى الحق منهما لكونه مطابقا للعقل وموافقا لكتاب الله وكلام رسوله ولما نقل عن الراسخين فى العلم انه لاجبر ولا تفويض ولكن امر بين امرين وهذا القول منقول عن جعفر الصادق كذا فى شرح المصابيح للامام الخطابى وقال الامام كل فرقة فى خلق الاعمال تذهب الى ان القدرى خصمها فالجبرى يقول القدرى من يقول الطاعة والمعصية ليستا بخلق الله تعالى وقضائه وقدره فهم قدرية لانهم ينكرون القدر والمعتزلى يقول القدرى هو الجبرى الذى يقول حين يزنى العبد و يسرق الله تعالى قدّر ذلك فهو قدرى لاثباته القدر حيث قال كل واحد من الخير والشرّ بقدر الله تعالى لا اختيار للعبد فيه والفريقان متفقان على ان القائل بان الافعال بخلق الله وكسب من العبد ليس بقدرى والحق ان القدرى هو الذى ينكر القدر رأسا و ينسب الحوادث الى الاوضاع الفلكية واتصالات الكواكب كما ذهب اليه كفار قريش فانهم ما كانوا يقولون مثل ما يقوله المعتزلة من ان الله تعالى خلق لى سلامة الاعضاء وقوة الادراك ومكننى من الطاعة والمعصية وهو قادر على ان يخلق فىّ الطاعة الجاء والمعصية الجاء وعلى ان يطعم الفقير الذى اطعمه انا بفضل الله تعالى واقداره اياى عليه بل كانوا يقولون انطعم من لو يشاء الله اطعمه منكرين لقدرة الله تعالى على الاطعام انتهى ﴿ قوله اى انا خلقنا كل شئ مقدرا ﴾ اشارة الى ان قوله تعالى بقدر حال من كل شئ وانه بمعنى التقدير ثم ان التقدير اما ان يحمل على تسوية صورته وشكله وصفاته الظاهرة والباطنة على مقدار مخصوص اقتضته الحكمة وترتبت عليه المنفعة المنوطة بخلقه كما فى قوله تعالى وخلق كل شئ فقدّره تقديرا بان جعل جميع ما فيه من الاوضاع والاشكال موافقا لمقتضى الحكمة واما ان يحمل على تقديره فى علمه الازلى وكتبه فى اللوح المحفوظ وهو القدر الذى يذكر فى جنب القضاء وقال المصنف فى شرح المصابيح القضاء هو الارادة الازلية والعناية الالهية المقتضية لنظام الموجودات على ترتيب خاص والقدر تعلق تلك الارادة بالاشياء فى اوقاتها انتهى كلامه فقوله تعالى بقدر اى بتقدير وقضاء سبق من الله تعالى ﴿ قوله وعلى هذا فالاولى ان يجعل خلقناه خبرا لا نعتا ﴾ يعنى ان الجمهور على نصب كل على الاشتغال وحينئذ يتعين ان يكون خلقناه تأكيدا وتفسيرا لخلقنا المضمر

ولذلك لم يصرف من سقرته النار وصقرته اذا لوّحته (انا كل شئ خلقناه بقدر) اى انا خلقنا كل شئ مقدرا مرتبا على مقتضى الحكمة او مقدرا مكتوبا فى اللوح قبل وقوعه وكل شئ منصوب بفعل يفسره ما بعده وقرئ بالرفع على الابتداء وعلى هذا فالاولى ان يجعل خلقناه خبرا لا نعتا ليطابق المشهورة فى الدلالة على ان كل شئ مخلوق بقدر

الناصب لكل و التقدير انا خلقنا كل شئ خلقناه بقدر و لا يجوز ان يكون خلقناه صفة لشئ لان الصفة كالا تعمل فيما قبل الموصوف لا تكون تفسيرا لما يعمل فيما قبلها ايضا فاذا لم يجز كون خلقناه صفة تعين كونه تأكيدا او تفسيرا للضمير الناصب بخلاف ما اذا رفع كل شئ على الابتداء لانه حينئذ يجوز ان يكون خلقناه صفة لكل شئ و بقدر خبرا فيكون المعنى كل شئ موصوف بكونه مخلوقا لنا فهو بقدر و قضاء سابق من الله تعالى و المفهوم ان من الموجودات ما هو مخلوق لغير الله تعالى و انه ليس بقدر كما تقوله المعتزلة و يجوز ان يكون خلقناه خبرا لا نعتا و حينئذ تكون قرآءة الرفع موافقة لقرآءة النصب فى الدلالة على ان الاشياء كلها مخلوقة لله تعالى بقدر كما هو مذهب اهل السنة ﴿ قوله و لعل اختيار النصب ههنا ﴾ جواب عن ما يقال كيف اختار الجمهور قرآءة النصب مع ان التركيب من قبيل قولك زيد ضربته و المختار فيه الرفع لان النصب يحتاج الى حذف العامل او اضماره و الاصل عدمهما بخلاف الرفع فانه بعامل معنوى لا يتلفظ به حتى يقال حذف او اضمره و تقرير الجواب انه على قرآءة النصب يكون كل شئ باقيا على عمومه حيث لم يوصف و لم يخصص بالصفة فيكون الكلام نصا فى الدلالة على المقصود و هو كون الاشياء بأسرها مخلوقة لله تعالى بقدر بخلاف قرآءة الرفع فان قوله خلقناه حينئذ و ان جاز كونه خبرا فيكون الكلام دليلا على ما هو المقصود الا انه يجوز كونه نعتا لا خبرا فلا يفيد الكلام ما هو المقصود فاختير قرآءة النصب لما فيها من النصوصية على المقصود و المشهور ان قوله تعالى انا كل شئ خلقناه بقدر متعلق بما قبله كأنه قيل ذوقوا مس سقر فان كل شئ خلقناه بقدر و يجوز ان يكون متعلقا بجميع ما ذكر فى السورة من اهلاك الاشرار و انجاء الاخيار و وعيد اهل مكة من المشركين و وعد المؤمنين ثم بين ان خلق الكائنات اهون شئ عليه و ايسره فقال و ما امرنا الا واحدة كلمح بالبصر و اللمح النظر بسرعة و الاختلاس يعنى ان قضائى و خلق ايسر و اسرع من لمح البصر و المقصود تهديد المشركين بالاهلاك فلذلك عقبه بقوله و لقد اهلكنا اشياعكم ثم بين ان عقوبة الاشياع المهلكين لم تتم بهلاك الدنيا بل ينضم اليها عقاب الآخرة فقال و كل شئ فعلوه يعنى الاشياع قبلكم فى الزبر اى مكتوب فى دواوين الحفظة على الزبر جمع زبور و هو فعول بمعنى مفعول من زبره اذا كتبه و تنكير جنات للتعظيم اى فى جنات لا يوصف نعيمها و ما اعد فيها لاهلها و قرأ الجمهور و نهر بفتحتين على الاصل و قرئ بسكون الهاء للتخفيف و كلاهما واحد الانهار اكتفى بواحد لكونه اسم جنس يتناول الانهار و هو المراد ههنا بدليل ذكره بقرب جنات كأنه قيل فى جنات و انهار من الماء و الخمر و اللبن و العسل و الظاهر ان يقال فى جنات عندها انهار لان الانسان انما يلتذ بالانهار بان يكون عندها لا بان يكون فيها فالمعنى فى خلال الانهار و ما بينها من الامكنة و كذا قوله تعالى ان المتقين فى جنات و عيون معناه فى خلال العيون ﴿ قوله او سعة ﴾ عطف على قوله انهار يعنى ان النهر قد يستعمل فى نهر الماء و يستعمل ايضا بمعنى السعة يقال انهرت الطعنة اى وسعتها و استنهر الشئ اذا اتسع و يسمى النهار نهارا لسعة ضيائه و قال الضحاك ليس المراد بالنهر ههنا نهر الماء و انما المراد سعة الارزاق لان المادة تساعد هذا المعنى و يجوز ان يكون النهر بمعنى الضياء المتسع على انه من النهار و من قرأ نهر بضمتين جعله جمع نهر بفتحتين كأسد و أسد او جمع نهر بالفتح و السكون كرهن و رهن و سقف و سقف ﴿ قوله فى مكان مرضى ﴾ اشارة الى ان مقعد صدق من باب رجل صدق فى انه من اضافة الموصوف الى الصفة و ان الصدق بمعنى الجودة و الخيرية و قوله تعالى فى مقعد صدق يجوز ان يكون خبرا ثانيا و هو الظاهر و ان يكون حالا من المنوى فى قوله فى جنات لو وقع خبرا و جوز ابو البقاء ان يكون بدلا من قوله فى جنات بدل بعض لان المقعد بعضها او بدل اشتمال لانها مشتملة عليه و الاول اظهر و المراد بالعندية قرب المنزلة و المكانة دون قرب المكان و المليك من الملك و التنكير فيه و فى قوله مقتدر للتعظيم اشار اليه المصنف بقوله عند من تعالى امره انتهى ﴿ قوله فى كل غب ﴾ اى من اعتاد ان يقرأها يوما و يتركها يوما ثم هنا بحمد الله و رحمته ما يتعلق بسورة القمر و سأبدأ بكشف اسرار سورة الرحمن مستعينا به و متوكلا عليه سبحانه و تعالى

﴿ سورة الرحمن مكية ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم و به الاعانة و صلى الله على سيدنا محمد و على آله و صحبه و سلم ﴿ قوله مكية ﴾ اى عند ابن عباس و الضحاك و مدنية عند مقاتل و ابن حبان و الواقدى و قيل مكية الا آية و هى قوله تعالى يسأله من فى السموات و الارض الآية فانها مدنية ﴿ قوله تعالى الرحمن ﴾ مبتدأ و الجمل الثلاث بعده اخبار مترادفة و علم يتعدى الى مفعولين

و لعل اختيار النصب ههنا مع الاضمار لما فيه من النصوصية على المقصود (و ما امرنا الا واحدة) الا فعلة واحدة و هو الايجاد بلا معالجة و معاناة او الا كلمة واحدة و هو قوله كن (كلمح بالبصر) فى اليسر و السرعة و قيل معناه معنى قوله و ما امر الساعة الا كلمح البصر (و لقد اهلكنا اشياعكم) اشباهكم فى الكفر ممن قبلكم (فهل من مدكر) متعظ (و كل شئ فعلوه فى الزبر) مكتوب فى كتب الحفظة (و كل صغير و كبير) من الاعمال (مستطر) مسطور فى اللوح (ان المتقين فى جنات و نهر) انهار و اكتفى باسم الجنس او سعة او ضياء من النهار و قرئ بسكون الهاء و بضم النون و سكون الهاء جمع نهر كأسد و أسد (فى مقعد صدق) فى مكان مرضى و قرئ مقاعد صدق (عند مليك مقتدر) مقربين عند من تعالى امره فى الملك و الاقتدار بحيث ابهمه ذوو الافهام * عن النبى صلى الله عليه و سلم من قرأ سورة القمر فى كل غب بعثه الله يوم القيامة و وجهه كالقمر ليلة البدر

﴿ سورة الرحمن مكية او مدنية ﴾

﴿ او متبعضة و آيها ست و سبعون ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الرحمن علم القرآن) لما كانت السورة مقصورة على تعداد النعم الدنيوية و الاخروية صدرها بالرحمن و قدم ما هو اصل النعم الدينية و اجلها و هو انعامه بالقرآن و تنزيله و تعليمه فانه اساس الدين و منشأ الشرع و اعظم الوحى و اعز الكتب

(حذف)

حذف مفعوله الاول فى الآية والتقدير علم جبريل القرآن وقيل علم محمدا صلى الله عليه وسلم وقيل علم الانسان القرآن وهذا اولى لان المقصود تعداد ما انعم به على نوع الانسان مطلقا حثا على شكره وتنبيها على تقصيرهم فيه ولان قوله عقيبه خلق الانسان علمه البيان يدل عليه ﴿ قوله صدّرها بالرحمن ﴾ جواب لما قوجب ان يكون مسببا عما قبله فان الرحمن لما كان ابلغ من الرحيم باعتبار الكيفية اى باعتبار ان الرحمة المدلول عليها بلفظ الرحمن هى جلائل النعم فلذلك يقال يا رحمن الدنيا والآخرة ورحيم الدنيا لان النعم الاخروية كلها جسام فلا يقال له تعالى باعتبار تلك النعم رحيما بخلاف النعم الدنيوية فان منها ماهى جليلة ومنها مادون ذلك فيوصف تعالى باعتبار تلك النعم بالرحمن كما يوصف به باعتبار النعم الاخروية فصح ان يجعل قوله صدّرها بالرحمن مرتبا على كون السورة مقصورة على تعداد النعم الدنيوية والاخروية ﴿ قوله وقدّم ماهو اصل النعم ﴾ ليس معطوفا على قوله صدّرها بل هو جواب عما يقال كيف قدّم تعليم القرآن للانسان على خلقه مع انه متأخر عن خلقه بحسب الوجود فاجاب عنه بانه قدّم تعليم القرآن ثم اتبعه قوله خلق الانسان علمه البيان ايماء بان خلق البشر الخ يعنى ان تعليم القرآن وان كان متأخرا عن خلق الانسان الا انه قدّم عليه ايماء الى ان خلق الانسان ليس مقصودا لذاته بل المقصود الاصلى من خلقه والحكمة الداعية اليه هو استكماله بحسب قوّته النظرية العملية بمعرفة مبدئه ومعاده وان يشتغل بعبادة ربه وذلك انما يكون بتلقى الوحى وتعرّف مايستنبط من علومه فلما كان تعليم القرآن وتعرّف احكامه هو المقصود الاصلى والحكمة الداعية الى خلق الانسان استحق ان يقدّم عليه لان الاهم اقدم فلذلك قدّم تعليم القرآن على خلق الانسان وقدّم خلقه على تعليم البيان لكون التعليم مترتبا على الخلق ضرورة ان الكمالات كلها من توابع اصل الوجود ثم ذكر بعده تعليم البيان لكون تعليمه فى حكم اصل الخلق من حيث ان المقصود منه ايضا تعليم القرآن واحكام الشرع لانه لولا البيان لما تمكن من تعلم القرآن وتعليمه وقوله مصدّق لنفسه اى بالمجاز وقوله ومصداق لها اى لسائر الكتب السماوية لاشتماله على خلاصتها ﴿ قوله لمجيئها على نهج التعداد ﴾ لان المقام تعداد النعم والحث على شكرها والتنبيه على تقصير الانسان فيه يقتضى ايرادها على نهج التعداد لانه يشعر ان كل واحدة منها مستقلة فى الاعتداد والاعتناء بشأنها منفردة عن النعم الباقية ولو جيء بالعاطف صارت الكل كالنعمة الواحدة فوقت هذه الفائدة ﴿ قوله يجريان بحسبان ﴾ اشارة الى ان قوله الشمس مبتدأ والقمر عطف عليه والخبر محذوف يتعلق به قوله بحسبان وان الحسبان مصدر بمعنى الحساب كالشكران والغفران والرجحان وقيل الحسبان جمع حساب كشهاب وشهبان وكل واحد منهما يجرى بحساب فى منازل لايعدوها فالشمس تقطع بروج السماء فى ثلثمائة وخمسة وستين يوما والقمر يقطعها فى ثمانية وعشرين يوما ثم انه تعالى لما ذكر نعمة ايجاد نفس الانسان الذى هو اصل جميع النعم والمداد عليه بتعليمه البيان ذكر نعمتين عظيمتين سماويتين يترتب على نفس وجودهما وعلى كون حركتهما على حساب معلوم وقانون مقرر فوائد لاتحصى ثم ذكر فى مقابلتهما نعمتين ارضيتين وهما النجم والشجر وكلاهما من قبيل النبات الذى هو اصل الرزق من الحبوب والثمار وحشيش الدواب والنجم كل نبات ينجم من الارض ولايبقى له ساق فى الشتاء والشجر نبات يبقى ساقه ﴿ قوله تعالى يسجدان ﴾ من قبيل الاستعارة التبعية شبه انقيادهما طبعا بانقياد المكلفين طوعا اى قصدا واختيارا وهو المسمى بالسجود عند اهل اللغة فسمى المشبه باسم المشبه به ﴿ قوله وكان حق النظم فى الجملتين ﴾ يعنى ان هاتين الجملتين مثل الجمل السابقة واللاحقة فى انهما اخبار مترادفة للرحمن مثل تلك الجمل ومن حق الخبر اذا كان جملة اشتماله على الضمير الراجع الى المبتدأ كما فى تلك الجمل الا انهما جرّدتا من الضمير الرابط اعتمادا على وضوح المراد فانه من المعلوم ان الحسبان حسبانه الذى قدّره لها وان المسجود له هو الرحمن ولايذهب الوهم الى احتمال آخر ﴿ قوله وادخال العاطف بينهما ﴾ لما بين ان الجمل الثلاث الاول اخليت عن العاطف لكون المقصود منها تبكيت من انكر الرحمن وآلاءه بتعديد نعمه عليه واحدة بعد واحدة وذلك يقتضى الاخلاء عن العاطف حتى يعلم ان كل واحدة نعمة مستقلة مع قطع النظر عن النعم الباقية بين انه ادخل العاطف بين الجملة الرابعة والخامسة جريا على مايقتضيه ظاهر الحال فانه قد تقرّر فى علم المعانى انه اذا اتت جملة بعد جملة اخرى وكان للاولى محل من الاعراب فان قصد تشريك الثانية للاولى فى حكم اعراب الاولى عطفت الثانية عليها ليدل العطف على التشريك المذكور ثم ان كان العطف بالواو وجب ان يكون بين الجملتين جهة جامعة نحو زيد يكتب ويشعر او يعطى ويمنع

اذهو بالمجاز واشتماله على خلاصتها مصدّق لنفسه ومصداق لها ثم اتبعه قوله (خلق الانسان علمه البيان) ايماء بان خلق البشر وماتميز به عن سائر الحيوان من البيان وهو التعبير عما فى الضمير وافهام الغير لما ادركه لتلقى الوحى وتعرّف الحق وتعلم الشرع واخلاء الجمل الثلاث التى هى اخبار مترادفة للرحمن من العاطف لمجيئها على نهج التعداد (الشمس والقمر بحسبان) يجريان بحساب معلوم مقدّر فى بروجهما ومنازلهما وتتسق بذلك امور الكائنات السفلية وتختلف الفصول والاوقات وتعلم السنون والحساب (والنجم) النبات الذى ينجم اى يطلع من الارض ولاساق له (والشجر) الذى له ساق (يسجدان) ينقادان لله فيما يريد بهما طبعا انقياد الساجد من المكلفين طوعا وكان حق النظم فى الجملتين ان يقال واجرى الشمس والقمر واسجد النجم والشجر او الشمس والقمر بحسبانه والنجم والشجر يسجدان له ليطابقا ماقبلهما ومابعدهما فى اتصالهما بالرحمن لكنهما جرّدتا عما يدل على الاتصال اشعارا بان وضوحه يغنيه عن البيان وادخال العاطف بينهما لاشتراكهما فى الدلالة على ان مايحس به من تغيرات احوال الاجرام العلوية والسفلية بتقديره وتدبيره

لما بين النبع والاعطاء من التضاد والجهة الجامعة بين الجملتين فى الآية ان جرى الشمس والقمر بحسبان من جنس الانقياد لامر الله تعالى فهو مناسب لسجود النجم والشجر وانقيادهما طبعا فى كون الجميع من قبيل الانقياد لامر الله تعالى وحاصلا بتقديره وتدبيره فى ملكه ﴿قوله خلقها مرفوعة محلا﴾ يعنى ان المراد برفع السماء خلقها رفيعة القدر والمرتبة وقيل رفعها على الارض وعطف المرتبة على المحل بالواو دليل على انه لم يرد بالمحل مكان الحلول بل اراد به القدر والمنزلة المعنوية والالوجب ان يعطف المرتبة عليها بكلمة او احترازا عن الجمع بين الحقيقة والمجاز فان لفظ الرفع حقيقة فى رفع الشئ مكانا عليا ومجاز فى رفع مرتبته وقدره الا ان يقال الجمع بين الحقيقة والمجاز جائز عند الائمة الشافعية فالمصنف بنى العطف بالواو على مذهبه ﴿قوله العدل او مايعرف به مقادير الاشياء﴾ اى يجوز ان يراد بالميزان العدل الموجب لاستقامة امور العباد فانه اذا وفى كل ذى حق حقه ووفر على كل مستعد ما استحقه استراح الخلق وانتظم امر العالم فيكون وضع الميزان عبارة عن الامر بالعدل والجملة الخبرية موضوعة موضع الطلبية وكذا ان اريد بالميزان آلة الوزن اى وامرنا باستعمال مايعرف به مقادير الاشياء عند الاخذ والاعطاء لئلا يبخسوا الناس اشياءهم ﴿قوله كأنه لما وصف السماء الخ﴾ اشارة الى بيان التناسب بين قوله والسماء رفعها وبين قوله ووضع الميزان والمصنف جعل الخبرية باقية على حالها حيث فسر وضع الميزان بمعنى العدل بقوله بان وفر على كل مستعد الخ اى كان عادلا مجانبا عن الجور والظلم فى جميع ما ابدعه من اجزاء العالم ولم يجعل شيأ من المصنوعات الاعلى حسب ماتقتضيه الحكمة فانظر الى اجزاء وجودك كيف عدل سبحانه وتعالى ترتيبها فانه تعالى ركبك من العظم واللحم والجلد وجعل العظم عمادا مستبطنا وجعل اللحم مكتنفا اياه وجعل الجلد حافظا له محيطا به فلو عكس هذا الترتيب واظهر ما ابطن لبطل النظام ووضع كل واحد من اعضائك فى موضعه الخاص عدلا وحكمة حتى يظهر وجه حسن تخلل العاطف بينهما وذلك ان السماء والارض متناسبتان من جهة التقابل وكذا وضع الميزان فى الارض باى معنى كان مناسب لخلق السماء رفيعة القدر والرتبة من حيث ان كل واحد من الوضعين يوجب شرفة لمحله ولما وصف السماء بما هو صفة مدح لها وصف الارض وما فيها بما يتوط به مصالح اهلها ﴿قوله لان لا تطغوا﴾ يعنى ان كلمة ان هى الناصبة ولا بعدها نافية وتطغوا منصوب بان ولام العلة مقدرة قبلها متعلقة بقوله ووضع الميزان والطغيان مجاوزة الحد والتقدير وضع الميزان لئلا تجاوزوا فى الميزان اى فى العدل او فى آلة التسوية وقرأ عبد الله لا تطغوا بغير ان على اضمار القول اى قال لكم لا تطغوا فمن قال الميزان هو العدل قال الطغيان الجور ومن قال انه آلة التسوية قال طغيانه البخس عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال معناه لا تخونوا من وزنتم له ثم قال تعالى واقيموا الوزن بالقسط اى قوموا وزنكم واجعلوه مستقيما ملتبسين بالعدل فان القسط العدل وقيل معناه اقيموا لسان الميزان بالعدل وقيل هو امر بالمعاملة بالوزن ملابسا بالعدل وعدم تركه فى المعاوضات وقوله تعالى ولا تخسروا الجمهور على رفع التاء وكسر السين من اخسر بمعنى نقص كقوله تعالى واذا كالوهم او وزنوهم يخسرون اى لا تنقصوا ماتوفون به من الحقوق وقرئ ولا تخسروا بفتح التاء وكسر السين من خسر يخسر من باب ضرب يضرب بمعنى نقص فيكون فعل وافعل بمعنى يقال خسرت الشئ واخسرته اى نقصته على انهما لغتان بمعنى وقرئ بفتح التاء وضم السين بهذا المعنى ايضا وقرئ بفتح التاء والسين ايضا من باب علم وهذا البناء لازم لا يتعدى بنفسه فيكون اصله لا تخسروا فى الميزان فحذف الجار واوصل الفعل وقيل لا حاجة الى ذلك لان خسر بكسر السين قد جاء متعديا قال تعالى خسروا انفسهم وخسر الدنيا والآخرة واجيب عنه بان خسر الذى فى الآية ليس من ذلك الا ترى ان خسروا انفسهم وخسر الدنيا والآخرة معناه ان الخسران واقع لهما وانهما يعدمان وهذا المعنى ليس بمراد فى الآية قطعا وانما المراد لا تخسروا الموزون فى الميزان ﴿قوله وتكريره مبالغة﴾ جملة اسمية يعنى ان قوله ولا تخسروا الميزان تكرير لقوله لا تطغوا فى الميزان من حيث المعنى فان من فسر الميزان بآلة التسوية يقول الطغيان فى الوزن نقص الموزون فيكون قوله ولا تخسروا الميزان تكريرا له قيل ذكر الميزان فى هذا الموضع ثلاث مرات فالاول بمعنى الآلة وهو قوله ووضع الميزان والثانية بمعنى المصدر اى لا تطغوا فى الوزن والثالثة بمعنى المفعول اى لا تخسروا الموزون ﴿قوله خفضها مدحوة﴾ يعنى ان المراد بالوضع ههنا ماهو ضد الرفع اى والارض دحاها فوق الماء مخفوضة او خفضها مدحوة وقوله للانام علة للوضع والانام ما على ظهر الارض من جميع الخلق وقيل هم الجن والانس وقيل هم بنو آدم خاصة اى وضعها

(والسماء رفعها) خلقها مرفوعة محلا ومرتبة فانها منشأ اقضيته ومتنزل احكامه ومحل ملائكته وقرئ بالرفع على الابتداء (ووضع الميزان) العدل بان وفر على كل مستعد مستحقه ووفى كل ذى حق حقه حتى انتظم امر العالم واستقام كما قال عليه السلام بالعدل قامت السموات والارض اوما يعرف به مقادير الاشياء من ميزان ومكيال ونحوهما كأنه لما وصف السماء بالرفعة التى هى من حيث انها مصدر القضايا والاقدار اراد وصف الارض بما فيها مما يظهر به التفاوت ويعرف به المقدار ويسوى به الحقوق والمواجب (ان لا تطغوا فى الميزان) لان لا تطغوا فيه اى لا تعتدوا ولا تجاوزوا الانصاف وقرئ لا تطغوا على ارادة القول (واقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان) ولا تنقصوه فان من حقه ان يسوى لانه المقصود من وضعه وتكريره مبالغة فى التوصية به وزيادة حث على استعماله وقرئ ولا تخسروا بفتح التاء وضم السين وكسرها وفتحها على ان الاصل ولا تخسروا فى الميزان فحذف الجار واوصل الفعل (والارض وضعها) خفضها مدحوة (للانام) للخلق وقيل الانام كل ذى روح

(لاجل)

لاجل ماخلق فيها من الخلق او من الحيوان ثم فصل ماينتفع به الخلق مما فيها من النعم فقال فيها فاكهة ثم خص من بينها النخل بالذكر للاشارة الى فضل ثمرها على سائر الفواكه لانه مما يقتات و يتفكه به ﴿قوله جمع كم﴾ اى بكسر الكاف وتشديد الميم والكفرّى بضم الكاف والفاء وتشديد الراء وياء طلع النخلة والطلع مايطلع من النخل قبل ان ينشق والسعف جمع سعفة وهى غصن النخلة مادام عليه الخوص وهو ورق النخل واذا جرّد عنه الخوص يسمى جريدا والجمار شحمة النخل وبالفارسى ميه درخت خرما جعل الكم اوّلا مرادفا للكفرّى ثم جعله عاما لكل مايغطى من الليف الذى يغطى الجذع والسعف الذى يغطى الجمار والكفرّى الذى يغطى الثمر فكلامه من قبيل اللف والنشر المرتب لان الليف يغطى الجذع والسعف يغطى الجمار والكفرّى يغطى الثمر ﴿قوله والعصف ورق النبات اليابس﴾ وهو تبن الزرع وورقه الذى تعصفه الرياح اى تقطعه وتذهب به اوهو بقل الزرع وهو اوّل ماينبت منه وكل بقلة طيبة الريح سميت ريحانا لان الانسان يراح بها رائحة طيبة اى يشم وهو الرزق بلغة حمير والعرب تقول خرجت اطلب ريحان الله اى رزقه وفى الحديث «الولد ريحان الله» والريحان فى الاصل مصدر ثم اطلق على الرزق وهو على وزن فيعلان فى الاصل وعينه محذوفة او على وزن فعلان وهو واوى واصله روحان قلبت واوه ياء لخفة الياء ﴿قوله وقرأ ابن عامر والحب﴾ اى قرأ كل واحد من لفظ الحب وذو العصف والريحان بالنصب عطفا على قوله والارض وضعها على تقدير وخلق الحب ذا العصف والريحان او على الاختصاص اى اخص الحب وفيه بحث لانه لم يدخل فى مسمى الفاكهة والنخل حتى يخصصه من بينهما ﴿قوله فانه ينتفع به﴾ تعليل لقوله اوكل مايكم ووجه التعليل ان توصيف النخل المعدودة من جملة مافى الارض من النعم بقوله ذات الاكمام انما يحسن لكون الاكمام من جملة النعم المنتفع بها فان المقام مقام تعداد النعم الجليلة فكما ان المكموم وهو الجذع والجمار والثمر نعم جليلة فكذا مايكمها فلا وجه لتخصيص الاكمام بالكفرّى وعصف الحب ايضا من النعم الجليلة لكونه علف الدواب كما ان الحب مطعم الانسان ومن قرأ الاسماء الثلاثة منصوبة قدر فعلا ينصبها اوحمله على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه وهو يصلح ان يكون وجها لمن قرأ برفع الريحان ومن قرأ والريحان بالجرّ عطفه على العصف اى وفيها الحب ذو العصف الذى هو علف الانعام والريحان الذى هو رزق الانسان ومن قرأ برفع الثلاثة فوجه الرفع فيها انها معطوفات على المرفوع قبلها وهو فيها فاكهة اى وفيها ايضا هذه الاشياء ذكر اوّلا مايتناول للرفاهية ومحض التلذذ وهو الفاكهة وثانيا مايصلح للتلذذ والتغذى ايضا وهو ثمر النخل وثالثا مايصلح للتغذى فقط وهو الحب ﴿قوله ويجوز ان يراد وذا الريحان﴾ اى يجوز ان يكون انتصاب الريحان بناء على انه فى الاصل مجرور باضافة ذا اليه فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه واعرب باعرابه ويجوز ان يكون ارتفاع الريحان عند من قرأ بالرفع بهذا بان يكون اصله وذو الريحان وفعل به ماتقدم وقرأ حمزة والكسائى والريحان بالجرّ عطفا على العصف وماعدا ذلك بالرفع عطفا على الفاكهة ووجهه ظاهر ﴿قوله وهو فيعلان﴾ اصله ريوحان قلبت الواو ياء لاجتماعهما وسبق احداهما بالسكون ثم ادغمت الياء فى الياء ثم خفف فصار ريحان على وزن فيلان ﴿قوله وقوله ايها الثقلان﴾ مجرور بالعطف على القول المذكور قبله وكون الخطاب فيه للثقلين لايستلزم كونه لهما فى قوله ربكما تكذبان لكنه يؤيده بناء على ان السورة بمنزلة كلام واحد فتوجه الخطاب الى بعض آياتها يدل على توجهه اليهما فى البواقى فلما كان الجنّ مكلفين كالانس خوطب الجانّ بهذه الآيات حثا لهما على شكر النعم بالايمان والطاعة وتجديد النشاط من الطاعة ولازم شكر آلائه وتقريعا للمشركين الذين اتخذوا مع الله تعالى آلهة اخرى والآلاء جمع الى كمعى وامعاء روى عن جابر رضى الله عنه انه قال قرأ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة الرحمن حتى ختمها ثم قال مالى اراكم سكوتا للجنّ كانوا احسن منكم ردا ماقرأت عليهم مرة فبأى آلاء ربكما تكذبان الاقالوا ولابشئ من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد وتكذيب آلاء الرب تعالى عبارة عن الجحود بكونها من آلائه واستنادها اليه تعالى خاصة ومن اشرك بربه الذى رباه بهذه النعم الجليلة من لايقدر على شئ منها فكأنه يزعم ان من اتخذه شريكاله تعالى له مدخل فى هذه النعم وهو يجحود لاستنادها اليه تعالى خاصة وترك شكرها وكذا التقصير فيه فى قوة الجحود لانعامه تعالى بها ﴿قوله صلصلة﴾ اى صوت يسمع اذامسه ادنى شئ لغاية يبسه والصلصال اسم لهذا الطين مالم يطبخ فاذا طبخ بالنار يسمى فخارا وخزفا شبه الصلصال الذى خلق منه الانسان بالفخار فى غاية يبسه حتى اذا اصابه ادنى شئ صوّت وقيل لانه مجوف ﴿قوله وقد خلق الله تعالى آدم الخ﴾ بيان لوجه التوفيق

(فيها فاكهة) ضروب مما يتفكه به (والنخل ذات الاكمام) اوعية الثمر جمع كم اوكل مايكم اى يغطى من ليف وسعف وكفرّى فانه ينتفع به كالمكموم وكالجذع والجمار والثمرة (والحب ذو العصف) كالحنطة والشعير وسائر مايتغذى به والعصف ورق النبات اليابس كالتبن (والريحان) يعنى المشموم اوالرزق من قولهم خرجت اطلب ريحان الله تعالى وقرأ ابن عامر والحب ذا العصف والريحان اى وخلق الحب والريحان او اخص ويجوز ان يراد وذا الريحان بحذف المضاف وقرأ حمزة والكسائى والريحان بالخفض وماعدا ذلك بالرفع وهو فيعلان من الروح قلبت الواو ياء وادغم ثم خفف وقيل روحان قلب واوه ياء للتخفيف (فبأى آلاء ربكما تكذبان) الخطاب للثقلين المدلول عليهما بقوله للانام وقوله ايها الثقلان (خلق الانسان من صلصال كالفخار) الصلصال الطين اليابس الذى له صلصلة والفخار الخزف وقد خلق الله آدم من تراب جعله طينا ثم حمأ مسنونا ثم صلصالا فلا يخالف ذلك قوله خلقه من تراب ونحوه

بين هذه الآية وبين قوله تعالى في مواضع اخر خلقه من تراب ومن طين لازب ومن حمأ مسنون فانه تعالى اخذه من تراب الارض فعجنه فصار طينا ثم انتقل وتغير فصار حمأ مسنونا اى منتنا ثم يبس فصار صلصالا كالفخار * قال الجوهرى الحمأ المسنون المتغير المنتن وقال فى موضع اخر الحمأ الطين الاسود ﴿ قوله الجن او ابا الجن ﴾ يعنى ان الجان يحتمل ان يكون اسم جنس كالانسان وان يكون اسما لابى الجن وعلى كونه اسم جنس يكون المراد به اباهم كما ان المراد من الانسان ابونا آدم عليه السلام فهو تعالى خلقه من صلصال وخلق من بعده من سلبه وكذلك الجان الاول خلقه من نار وخلق ذريته من صلبه ومن فى قوله من مارج لابتدآء الغاية وفى قوله من نار للبيان كما اختاره المصنف ويجوز ان يكون للتبعيض والمارج اللهب الخالص الذى لايشوبه شئ من الدخان وقيل اللهب المضطرب من مرج اذا اضطرب واختلط بعضه ببعض من بين احمر واصفر واخضر فان النار المشتعلة تشاهد فيها الالوان الثلاثة مختلطا بعضها ببعض من قولهم مرج امر القوم اذا اختلط ﴿ قوله مشرق الشتاء والصيف ومغربهما ﴾ وقيل مشرق الشمس والقمر ومغربيهما والاول اشهر وذكر غاية ارتفاعهما وغاية انحطاطهما اشارة الى ان الطرفين يتناولان مابينهما كما اذا قلت فى وصف ملك عظيم الملك له المشرق والمغرب فانه يفهم منه ان له مابينهما ايضا وقوله تعالى رب المشرقين ورب المغربين خبر مبتدأ محذوف اى هو سبحانه رب المشرقين وقيل هو مبتدأ خبره مرج البحرين واختلاف المشارق والمغارب يترتب عليه منافع لاتحصى كما اشار اليه المصنف بقوله مما فى ذلك من الفوآئد التى لاتحصى ﴿ قوله تعالى يلتقيان ﴾ فى موضع الحال من البحرين اى متلاقيين لاحائل بينهما فى رأى العين وكذا قوله لايبغيان فى موضع الحال من مفعول مرج او من فاعل يلتقيان اى غير باغيين وقوله بينهما برزخ يجوز ان يكون جملة مستأنفة وان يكون حالا من البحرين او من فاعل يلتقيان والخليج من البحر ماانشق وانفصل منه والخليج النهر ايضا ثم ان كان المراد بالبحرين الملح والعذب يكون التقاؤهما عبارة عن اتصال احدهما بالآخر وتماس سطوحهما بانتهاء العذب الى الملح بجريانه اليه فانه حينئذ يكون بينهما حاجز من قدرة الله تعالى فلايبغى احدهما على الآخر بالممازجة وابطال الخاصية مع ان شأنهما الممازجة واتصال كل واحد منهما بالآخر وان كان المراد بهما بحرى فارس والروم يكون المراد بالتقائهما التقاءهما فى البحر المحيط وبالحاجز بينهما الارض وبالبغى مجاوزة الحد فان كل واحد منهما لايتجاوز ماحد له ولاينبسط على وجه الارض الحاجزة بينهما ولايغرقانها لتكون الارض بارزة يتخذها اهلها مسكنا ومهادا ﴿ قوله وان صح ان الدر يخرج من الملح ﴾ جواب عما يقال اللؤلؤ لايخرج الامن المالح فكيف قيل منهما وقوله وان صح اشارة الى ان خروج الدر من الملح فقط ليس بقطعى وظاهر كلام الله تعالى اولى بالاعتبار مما زعم بعض الناس فانه من المعلوم ان فى البر اشياء تخفى على التجار المترددين فيه فكيف بما فى قعر البحر وعلى تقدير تسليم انه يخرج من الملح فقوله فعلى الاول اى على ان يراد بالبحرين الملح والبحر العذب واما اذا اريد بهما بحرا فارس والروم فلاسؤال ولاتوجيه لان كلا منهما ملح ومعنى قوله تعالى يخرج منهما انه يحصل ويتكون بسبب اجتماع الملح والعذب والتقائهما بان يكون احدهما بمنزلة اللقاح للآخر فيصدق ان يقال يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان مع خروجهما من الملح دون العذب كما يقال يخرج الولد من الذكر والانثى وانما تلده الانثى فقوله لانه يخرج من مجمعهما اى من اجتماعهما على ان يكون المجمع مصدرا ميميا فان الغواصين يقولون انهما انما يخرجان من الملح فى الموضع الذى يقع فيه العذب وقيل منهما على حذف المضاف اى من احدهما كقوله تعالى نسيا حوتهما اى نسى احدهما وقوله على رجل من القريتين اى احدى القريتين ﴿ قوله وقرأ نافع وابو عمرو ويعقوب يخرج ﴾ بضم الياء وفتح الرآء والباقون بفتح الياء وضم الرآء وقرئ نخرج بضم النون ويخرج بضم الياء اى يخرج الله تعالى * واعلم ان اصول المركبات واركانها اربعة التراب والماء والهواء والنار فبين الله تعالى بقوله خلق الانسان من صلصال ان التراب اصل لمخلوق شريف مكرم وبين بقوله وخلق الجان من مارج من نار ان النار ايضا اصل لمخلوق آخر عجيب الشان وبين بقوله يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان ان الماء ايضا اصل لمخلوق آخر له قدر وقيمة ثم ذكر ان الهوآء له تأثير عظيم فى جرى السفن المشابهة للاعلام فقال وله الجوار المنشآت فى البحر وخصها بالذكر لان جريها فى البحر لاصنع للبشر فيه وهم معترفون بذلك حيث يقولون لك الفلك ولك الملك واذا خافوا الغرق دعوا الله تعالى خاصة قال تعالى فاذا ركبوا فى الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر اذاهم يشركون وسميت السفينة جارية لان شأنها ذلك وان كانت واقفة فى السواحل والمراسى كما سمى المرأة المملوكة ايضا جارية لكون شأنها الجرى

(وخلق الجان) الجن او ابا الجن (من مارج) من صاف من الدخان (من نار) بيان لمارج فانه فى الاصل للمضطرب من مرج اذا اضطرب (فبأى آلاء ربكما تكذبان) مما افاض عليكما فى اطوار خلقكما حتى صيركما افضل المركبات وخلاصة الكائنات (رب المشرقين ورب المغربين) مشرق الشتاء والصيف ومغربيهما (فبأى آلاء ربكما تكذبان) مما فى ذلك من الفوآئد التى لاتحصى كاعتدال الهوآء واختلاف الفصول وحدوث مايناسب كل فصل فيه الى غير ذلك (مرج البحرين) ارسلهما من مرجت الدابة اذا ارسلتها والمعنى ارسل البحر الملح والبحر العذب (يلتقيان) يتجاوران ويتماس سطوحهما او بحرى فارس والروم يلتقيان فى المحيط لانهما خليجان يتشعبان منه (بينهما برزخ) حاجز من قدرة الله او من الارض (لايبغيان) لايبغى احدهما على الآخر بالممازجة وابطال الخاصية اولا يتجاوزان حديهما باغراق مابينهما (فبأى آلاء ربكما تكذبان يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان) كبار الدر وصغاره وقيل المرجان الخرز الاحمر وان صح ان الدر يخرج من الملح فعلى الاول انما قال منهما لانه يخرج من مجتمع الملح والعذب اولانهما لما اجتمعا صارا كالشئ الواحد فكان المخرج من احدهما كالمخرج منهما وقرأ نافع وابو عمرو ويعقوب يخرج وقرئ نخرج ويخرج بنصب اللؤلؤ والمرجان (فبأى آلاء ربكما تكذبان وله الجوار) السفن جمع جارية

والسعى فى مصالح سيدها والجمهور على كسر الرآء فى قوله تعالى وله الجوار لما تقرر فى النحو ان كل جمع من المنقوص على وزن فواعل يائيا كان كجوار او واويا كدواع فهو فى حالتى الرفع والجر كقاض فى اسكان لام الفعل لثقل الضمة والكسرة على حرف العلة وحذفه لالتقاء الساكنين وهما التنوين وحرف العلة ونقل التنوين الى عين الكلمة واما فى حالة النصب فهو كضوارب لخفة الفتحة عليها ثم اذا اتصلت الكلمة بالساكن بعدها كما فى هذه الآية يحذف التنوين ايضا وتبقى عين الكلمة مكسورة على حالها وقرئ برفع الرآء بعد حذف الياء بناء على جعل الكلمة اسما برأسه وجعل المحذوف فى حكم المنسى كثمان فى قوله

لها ثنايا اربع حسان ۝ واربع فكلها ثمان ۝

وقد تقدم هذا البحث فى قوله تعالى ومن فوقهم غواش فى سورة الاعراف ﴿قوله المرفوعات الشرع﴾ وهو بضمتين جمع شراع السفينة وهو قلعها فسر المنشآت اولا بالمرفوعات الشرع على انها اسم مفعول من انشأه الله تعالى اذا رفعه يقال نشأت السحابة اذا ارتفعت وثانيا بقوله او المصنوعات اى المخلوقات على ان الكلمة من انشأه الله تعالى اى خلقه ويؤيد الاول ماروى عن مجاهد انه قال المنشآت هى السفن التى رفع قلعها فاما التى لم يرفع قلعها فليست من المنشآت ﴿قوله اى الرافعات الشرع﴾ اسند رفع الشرع الى السفن اسنادا مجازيا على طريق اسناد الفعل الى مكانه وفى البحر متعلق بالمنشآت وكالاعلام حال امامن المستكن فى المنشآت واما من الجوارى ﴿قوله ذاته﴾ والتعبير عن الذات الموجودة بالوجه شائع خصوصا اذا كان المعبر عنه معروفا مشهورا والعرب يخاطبون الكرام والرؤساء بقولهم ياوجه العرب تشبيها لهم بالوجه الظاهر الذى هو اشرف الاجزآء والاعضاء التى يتوجه اليها فى الشرف والظهور وكونهم متوجها اليهم فانه تعالى ظاهر باوليته ظهور الانسان بوجهه ثم اشار الى انه لاحاجة الى جعل الوجه مستعارا من العضو المخصوص بل هو فى الاصل بمعنى الجهة واصل لها كالوعد والعدة فمعنى الآية كل من عليها من الثقلين وغيرهما فان ويبقى وجه الله تعالى ﴿قوله ولو استقريت الخ﴾ اشارة الى ان الوجه يجوز ان يكون كناية عن الجهة بناء على ان كل جهة لاتخلو عن وجه يتوجه اليه كما ذكر فى قوله فى جنب الله اى كل من عليها من الثقلين وما كتسبوه من الاعمال هالك ضائع الاما توجهوا به جهة الله وعملوه ابتغاء لمرضاته فانه باق وقال الامام النسفى قيل ويبقى وجه ربك اى كل عمل يتقرب به اليه ويبتغى به وجهه اى رضاه اى يهلك الجن والانس ولايبقى لهم الاما توجهوا به اليه ﴿قوله ذو الاستغناء المطلق﴾ تفسير لكونه تعالى ذا الجلال فان الجلال عبارة عن العظمة والكبرياء والاستغناء من حيث الذات والصفات والافعال نهاية العظمة وكونه تعالى ذا الاكرام عبارة عن كونه ذا الفضل العام وقيل فى تفسيره الذى يجل ويكرم على كل ما يتصور او الذى يجله الموحدون ويكرمونه بالثناء كقولهم ما اجلك وما اكرمك او الذى يجل عن احاطة العقول والافهام به فى العزة والعلو ويكرم عباده المؤمنين بالتقرب والدنو وهذه الصفة من عظائم صفات الله تعالى روى عنه عليه افضل الصلاة والسلام انه قال ألظوا بياذا الجلال والاكرام وعنه عليه الصلاة والسلام انه مر برجل وهو يصلى ويقول ياذا الجلال والاكرام فقال قد استجيب لك واشار المصنف الى النعمة المدلول عليها بهذه الآية بقوله اى مما ذكرنا وابقاء مالايحصى فان الآية تدل على الامتنان بابقاء ما هو بصدد الفناء وفيها ايضا حث على العمل الخير وتحذير عن الهلاك وايضا يترتب على افناء الكل الاعادة والحياة الدآئمة ﴿قوله والمراد بالسؤال مايدل على الحاجة الى تحصيل الشئ﴾ اى لايستغنى عنه احد من اهلها وان لم ينطق البعض منهم بحاجته ﴿قوله تعالى يسأله من فى السموات والارض﴾ يحتمل ان يكون كلاما مستأنفا وان يكون حالا من وجه والعامل فيه يبقى اى يبقى مسؤلا من اهل السموات والارض وفيه اشكال وهو ان قوله ويبقى وجه ربك اشارة الى بقائه تعالى بعد فناء من فى الارض فكيف يكون فى ذلك الوقت مسؤلا لمن فى الارض فقول المصنف والمراد بالسؤال جواب عن هذا الاشكال مبنى على كونه حالا من فاعل يبقى واجيب عنه بوجوه الاول انهم فانون فى حد انفسهم وانما يبقون بابقاء الله تعالى اياهم فيصح كونه تعالى مسؤلا من قبلهم وان كانوا فى معرض الفناء بافناء الله تعالى اياهم والثانى انه تعالى يكون مسؤلا لهم معنى لاحقيقة لانهم اذا فنوا فهم يسألونه بلسان الحال وان تعذر عليهم ان يسألوه نطقا والثالث ان قوله تعالى ويبقى يدل على الاستمرار فيبقى ويبعد من كان على الارض فيكون مسؤلا والرابع ان السائلين هم الملائكة الذين يكونون فى الارض فانهم فيها وان لم يكونوا اهلها ولايضرهم زوالها فعندما

وقرئ بحذف الياء ورفع الرآء كقول الشاعر

لها ثنايا اربع حسان ۝
واربع فكلها ثمان ۝

(المنشآت) المرفوعات الشرع او المصنوعات وقرأ حمزة وابو بكر رحمهما الله تعالى بكسر الشين اى الرافعات الشرع او اللاتى ينشئن الامواج او السير (فى البحر كالاعلام) كالجبال جمع علم وهو الجبل الطويل (فبأى آلاء ربكما تكذبان) من خلق مواد السفن والارشاد الى اخذها وكيفية تركيبها واجرآئها فى البحر باسباب لايقدر على خلقها وجمعها غيره (كل من عليها) من على الارض من الحيوانات او المركبات ومن للتغليب اومن الثقلين (فان ويبقى وجه ربك) ذاته ولو استقريت جهات الموجودات وتفحصت وجوهها وجدتها باسرها فانية فى حد ذاتها الا وجه الله تعالى اى الوجه الذى يلى جهته (ذو الجلال والاكرام) ذو الاستغناء المطلق والفضل العام (فبأى آلاء ربكما تكذبان) اى مما ذكرنا قبل وابقاء مالايحصى مما هو على صدد الفناء رحمة وفضلا او مما يترتب على افناء الكل من الاعادة والحياة الدآئمة والنعيم المقيم (يسأله من فى السموات والارض) فانهم مفتقرون اليه فى ذواتهم وصفاتهم وسائر مايهمهم ويعن لهم والمراد بالسؤال مايدل على الحاجة الى تحصيل الشئ نطقا كان او غيره

يفنى من عليها يبقى الله تعالى ولا تفنى الملائكة فى تلك الحال فيسألونه ماذا يفعل فيأمرهم بما يريد ﴿قوله كل وقت يحدث اشخاصا ويجدد احوالا على ماسبق به قضاؤه﴾ اشارة الى جواب مايقال كيف قال كل يوم هو فى شان وقد صح ان القلم جف بما هو كائن الى يوم القيامة وتقريره انه لامنافاة بينهما لانه تعالى قضى وقدر فى الازل وجف القلم بما يكون فى كل يوم فاذا جاء ذلك الوقت تعلقت ارادته بتكوينه فيه فيوجد اشخاصا ويجدد احوالا على ماسبق به قضاؤه فهى شؤون يبديها لاشؤون يبتدئ بها ذكر ان الحجاج بن يوسف ارسل الى محمد بن الحنفية يتوعده وقال لافعلن بك كذا وكذا فارسل اليه محمد بن الحنفية يقول ان الله تعالى ينظر فى كل يوم ثلاثمائة وستين نظرة الى اللوح المحفوظ وهو فى كل ذلك يعز ويذل ويعطى ويمنع فارجو ان يرزقنى الله تعالى ببعض نظراته ان لايجعل لك على سلطانا فكتب به الحجاج الى عبد الملك بن مروان فكتب عبد الملك بهذه الكلمات ووضعها فى خزائنه فكتب اليه ملك الروم يتوعده فى شئ فكتب عبد الملك بتلك الكلمات الى صاحب الروم فكتب اليه صاحب الروم انه والله ماهذا من كنزك ولامن كنز اهل بيتك لكنه من كنز اهل بيت النبوة وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال ان مما خلق الله تعالى لوحا من درة بيضاء دفتاه ياقوتة حمراء قلمه نور وكتابه نور ينظر الله تعالى فيه كل يوم الخ ﴿قوله اى سنتجرد لحسابكم﴾ لما ورد ان يقال ماوجه قوله تعالى سنفرغ لكم مع ان عدم الفراغ عبارة عن ان يكون الفاعل فى شغل لايمكن معه فعل آخر وهذا انما يكون فى حق من يشغله شان عن شان والله تعالى منزه عن ذلك اشار الى جوابه بوجهين الاول انه من قبيل الاستعارة التمثيلية حيث شبه انتهاء الدنيا وماتعلق بها من الشؤون من الابتلاء والاختبار بالامر والنهى والاحياء والاماتة والمنع والاعطاء وتكوير الليل على النهار وبالعكس ونحو ذلك وبقاء شأن واحد وهو مجازاة المكلفين بالثواب والعقاب بفراغ من يشغله شان عن شان من اشغاله وتجرده لمهم واحد فاستعملت العبارة الموضوعة للهيئة الثانية وهى الفراغ فى الهيئة الاولى وهى انتهاء الشؤون الى شأن واحد ووجه الشبه ترتب مجازاة المكلفين على انتهاء شؤون الدنيا كما يترتب تعلق ذلك الشخص بمهمه على فراغه من سائر اشغاله وان كان بين الترتبين فرق فاحش من حيث ان الترتب فى الثانى مبنى على ارتفاع المانع حيث كان سائر اشغاله مانعا عن تعلقه بذلك المهم ولامانع فى حقه تعالى ومع ذلك أخر امر المجازاة الى قيام الساعة لحكمة اقتضته قال ابن عيينة الدهر عندالله يومان احدهما اليوم الذى هو مدة الدنيا فشأنه تعالى فيه الامر والنهى والاماتة والاحياء والمنع والاعطاء والآخر يوم القيامة فشأنه فيه الحساب والجزاء والوجه الثانى من الجواب انه تهديد ووعيد من الله تعالى للجن والانس بالمحاسبة والجزاء على الاعمال من غير ان يشغله شأن عن شان مستعار من قول الرجل لمن يهدده سأفرغ لك اى سأتجرد للايقاع بك عن كل مايشغلنى عنه حتى لايكون لى شغل سواه يريد به التوفر على النكاية فيه والانتقام منه والاستقصاء فى مجازاته فهذه العبارة اذا صدرت عمن يشغله شان عن شان تكون كناية عن التوفر فى النكاية فان من فرغ من كل شئ يعوقه عن النقمة والتعذيب تكون نكايته اشد واقوى واذا صدرت عمن لايشغله شان عن شان تعذر حملها على اصل معناها لان المفروغ منه يجب ان يكون مانعا عن الملابسة بمفروغ له ولايتصور المانع فى حقه تعالى فتعين كونها مستعملة فى التجرد للجزاء وحده من غير اعتبار الفراغ عما يمنع عنه تشبيها للتجرد المذكور بالفراغ عما يشغل عن الجزاء والانتقام والجامع التوفر فى النكاية والانتقام فاستعير اسم الفراغ لمجرد التجرد للجزاء ثم اشتق منه قوله سنفرغ لكم فهو استعارة تصريحية تبعية ﴿قوله لثقلهما على الارض﴾ الثقل ضد الخفة يقال ثقل ثقلا مثل صغر صغرا والثقل بالتحريك متاع المسافر وحشمه شبه الارض بالحمولة التى تحمل الاثقال والجن والانس جعلا اثقالا محمولة عليها ثقلا حسيا وجعل ماسواهما كالعلاوة ويجوز ان يكون اطلاق الثقلين عليهما من قبيل اطلاق القمرين على الشمس والقمر ﴿قوله اولرزانة رأيهما﴾ اى لما لهما من الثقل المعنوى فان الثقل ماله وزن وقدر ولهما زيادة قدر على غيرهما لما خصوا بالعقل والتمييز وتحمل الامانة والتكليف ويجوز ان يكون الثقل بمعنى المثقل فانهما مثقلان بالتكليف ﴿قوله الابقوة﴾ يعنى ان السلطان القوة التى يتسلط بها على الامر لما بين الله تعالى انه سيجيء وقت يتجرد فيه لمحاسبتهم ومجازاتهم وهددهم بما يدل على شدة اهتمامه لهما كان مظنة ان يقال فلم اخر ذلك مع ماله من كمال الاهتمام به اشار تعالى الى جوابه بما محصوله انهم جميعا فى قبضة قدرته وتصرفه لايفوته منهم احد فلم يتحقق باعث يبعثه على الاستعجال لان مايبعث المستعجل على الاستعجال انما هو

(كل يوم هو فى شأن) كل وقت يحدث اشخاصا ويجدد احوالا على ماسبق به قضاؤه وفى الحديث من شأنه ان يغفر ذنبا ويفرج كربا ويرفع قوما ويضع آخرين وهو رد لقول اليهود ان الله تعالى لايقضى يوم السبت شيأ (فبأى آلاء ربكما تكذبان) اى مما يسعف به سؤالكما ومايخرج لكما من مكمن العدم حينا فحينا (سنفرغ لكم ايها الثقلان) اى سنتجرد لحسابكم وجزائكم وذلك يوم القيامة فانه تعالى لايفعل فيه غيره وفيه تهديد مستعار من قولك لمن تهدده سأفرغ لك فان التجرد للشئ كان اقوى عليه واجد فيه وقرأ حمزة والكسائى بالياء وقرئ سنفرغ اليكم اى سنقصد اليكم والثقلان الانس والجن سميا بذلك لثقلهما على الارض اولرزانة رأيهما وقدرهما اولانهما مثقلان بالتكليف (فبأى آلاء ربكما تكذبان يامعشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والارض) ان قدرتم ان تخرجوا من جوانب السموات والارض هاربين من الله فارين من قضائه (فانفذوا) اى فاخرجوا (لاتنفذون) لاتقدرون على النفوذ (الابسلطان) الابقوة وقهر وأنى لكم ذلك او ان قدرتم ان تنفذوا لتعلموا مافى السموات والارض فانفذوا لتعلموا لكن لاتنفذون ولاتعلمون الابينة نصبها الله فتعرجون عليها بافكاركم (فبأى آلاء ربكما تكذبان) اى من التنبيه والتحذير والمساهلة والعفو مع كمال القدرة او مما نصب من المصاعد العقلية والمعارج النقلية فتنفذون بها الى مافوق السموات العلى

(خوف)

خوف الفوت وهو لم يخف ذلك قسم الدهر كله قسمين احدهما مدة ايام الدنيا والآخر مدة يوم القيامة وجعل المدة الاولى ايام التكليف والابتلاء والمدة الثانية للحساب والجزآء وجعل كل واحد من الدارين محل الرزايا والمصائب ومنبع البلايا والنوآئب ولم يجعل لواحد من الثقلين سبيلا للفرار منهما والهرب عما قضاه فيهما فقوله فانفذوا امر تعجيز والمراد بيان انهم لامهرب لهم من قضاء الله ولا خروج لهم عن ملكه وانهم لايفوتونه ولايعجزونه حتى لايقدر عليهم فظهر بهذا التقرير ان قوله تعالى يامعشر الجن متعلق بقوله سنفرغ لكم فكانا بمنزلة كلام واحد فلذلك فسر الآلاء في قوله فبأى آلاء ربكما تكذبان بعد قوله الاسلطان بالتنبيه والايقاظ والتحذير المستفاد من قوله سنفرغ لكم وبالمساهلة والعفو المستفاد من قوله فبأى آلاء ربكما بعد قوله سنفرغ لكم فانه يشعر بان له في موقف الحساب آلاء متعلقة بالمساهلة في الحساب والعفو عن جرآئم كثيرة ونحوها وقوله مع كمال القدرة مستفاد من قوله يامعشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والارض فيكون المذكور ثانيا من قوله فبأى آلاء ربكما تكذبان بمنزلة التأكيد للاول والآلاء المذكورة في الموضعين هي مادينه بقوله من التنبيه والتحذير والمساهلة والعفو هذا على تقدير ان يكون قوله تعالى ان استطعتم ان تنفذوا بمعنى ان قدرتم ان تخرجوا من جوانبها فرّوا من قضائه واما ان كان معناه ان قدرتم ان تخرجوا من جوانبها لتعلموا مافيها من عجائب صنع الله فحينئذ يكون المراد بالسلطان البينة المؤدية الى العلم وبالآلاء مانصبه الله من المصاعد العقلية والنقلية ويكون قوله يامعشر الجن والانس مسوقا لبيان علو شانه وسعة ملكه والامتنان بمانصبه من المصاعد الفكرية والنقلية تقريرا لكون وجهه ذا الجلال والاكرام والمعشر الجماعة العظيمة سميت به لبلوغها غاية الكثرة فان العشر هو العدد الكثير الكامل الذى لاتعدد بعده الابتركيبه بمافيه من الآحاد تقول احدعشر واثنا عشر وعشرون وثلاثون اى اثنا عشرات وثلاث عشرات فاذا قيل معشر فكأنه قيل محل العشر الذى هو الكثرة الكاملة ﴿ قوله تضئ كضوء سراج السليط الخ ﴾ استشهاد لكون النحاس بمعنى الدخان والسليط هو الزيت عند عامة العرب وعند اهل اليمن هو دهن السمسم كذا في الصحاح وفيه ايضا النحاس دخان لالهب فيه والشداليث وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان المراد به هو الصفر المعروف يذيبه الله تعالى ويصبه على رؤسهم قرأ ابن كثير شواظ بكسر الشين والباقون بضمها وهما لغتان بمعنى ﴿ قوله ونحاس بالجر عطفا على نار ﴾ اى وقرأ ابن كثير ونحاس بالجر عطفا على نار وهو ضعيف لانه لايكون شواظ من نحاس سوآء كان النحاس بمعنى الدخان او الصفر المذاب وقيل هو توجيه لقرآءة الجر وتقدير الكلام شواظ من نار وشئ من نحاس فيكون شئ مرفوعا بالعطف على شواظ ويكون من نحاس صفة لشئ كما ان من نار صفة لشواظ فحذف الموصوف وهو شئ لدلالة ماقبله عليه ثم حذف كلمة من لتقدم ذكرها في قوله من نار فبقى النحاس مجرورا بمن المحذوفة وقرأ الباقون برفع نحاس عطفا على شواظ اى يرسل هذا مرة وهذا مرة ويجوز ان يرسلا معا من غير ان يمتزج احدهما بالآخر وقرئ ونحاس بكسر النون وهو اما لغة بمعنى نحاس بضم النون واما جمع نحس بمعنى العذاب كلحاف ولحف وصحاف وصحف وقرئ ونحس بضم النون والحاء ورفع السين مع التنوين عطفا على شواظ وهو اماجمع نحاس اوجمع نحس جاء في الخبر انه يحاط على الخلق بالملائكة وبلهاب من نار ثم ينادون يامعشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والارض فانفذوا لاتنفذون الآية فذلك قوله تعالى يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس وعن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال في تفسيره ان الخلائق اذا خرجوا من القبور ساقهم شواظ من نار الى المحشر فيهربون منه الى ان يجتمعوا في موضع واحد فيكون قوله تعالى يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس متعلقا بقوله سنفرغ لكم وتفصيلا لمايكون يوم القيامة بعض التفصيل تحذيرا من هوله والتحذير نوع من الآلاء ثم زاد نوعا آخر من التفصيل فقال فاذا انشقت السماء اى بنزول الملائكة اى اذا انفرجت السماء فصارت ابوابا لنزول الملائكة اولسقوط والانتقاض والظاهر ان كلمة اذا فيه شرطية محذوفة الجزآء ليفرض السامع بعد تحقق انشقاق السماء وخرابها كل هائل اى رأيت هولا عظيما اوكان ماكان مما لايخطر بالبال من الثواب والعقاب ويحتمل ان تكون ظرفية المجردة فان جعلت الفاء الداخلة عليها للسببية والتعقيب الذهنى يكون المعنى يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فتصير السماء بسبب ذلك حمرآء مثل الورد الاحمر ورقيقة مذابة مثل الدهن بان تصل حرارة الشواظ الى السماء فتجعلها كالاسرب الاحمر المذاب ويحتمل ان تكون الفاء لتعقيب الزمانى بين الله تعالى او لانه اذا بعثر مافي القبور

(يرسل عليكما شواظ) لهب (من نار ونحاس) ودخان قال

تضئ كضوء سراج السليط ٭

لم يجعل الله فيه نحاسا ٭

او صفر مذاب يصب على رؤسهم وقرأ ابن كثير شواظ بالكسر وهو لغة ونحاس بالجر عطفا على نار ووافقه فيه ابو عمرو ويعقوب في رواية وقرئ ونحس وهو جمع كلحف (فلا تنتصران) فلا تمتنعان (فبأى آلاء ربكما تكذبان) فان التهديد لطف والتميز بين المطيع والعاصى بالجزآء والانتقام من الكفار من عداد الآلاء

(فاذا انشقت السماء فكانت وردة) اى حمراء كوردة وقرئت بالرفع على كان التامة فيكون من باب التجريد كقوله

فلئن بقيت لأرحلن بغزوة * نحو الغنائم او يموت كريم *

(كالدهان) مذابة كالدهن وهو اسم لما يدهن به كالحزام او جمع دهن وقيل هو الاديم الاحمر (فبأى آلاء ربكما تكذبان) اى مما يكون بعد ذلك (فيومئذ) اى فيوم تنشق السماء (لايسأل عن ذنبه انس ولاجان) لانهم يعرفون بسيماهم وذلك حين مايخرجون من قبورهم ويحشرون الى الموقف ذودا ذودا على اختلاف مراتبهم واما قوله فوربك لنسألنهم اجمعين ونحوه فحين يحاسبون فى المجمع والهاء للانس باعتبار اللفظ فانه وان تأخر لفظا تقدم رتبة (فبأى آلاء ربكما تكذبان) اى مما انعم الله على عباده المؤمنين فى هذا اليوم (يعرف المجرمون بسيماهم) وهى مايعلوهم من الكآبة والحزن (فيؤخذ بالنواصى والاقدام) مجموعا بينهما وقيل يؤخذ بالنواصى تارة وبالاقدام اخرى (فبأى آلاء ربكما تكذبان) هذه جهنم التى يكذب بها المجرمون يطوفون بينها) بين النار يحرقون بها (وبين حميم) ماء حار (آن) بلغ النهاية فى الحرارة يصب عليهم او يسقون منه وقيل اذا استغاثوا من النار اغيثوا بالحميم (فبأى آلاء ربكما تكذبان ولمن خاف مقام ربه) موقفه الذى يقف فيه العباد للحساب او قيامه على احواله من قام عليه اذا راقبه او مقام الخائف عند ربه للحساب باحد المعنيين فاضيف الى الرب تفخيما وتهويلا او ربه ومقام مقحم للمبالغة كقوله

ذعرت به القطا ونفيت عنه * مقام الذئب كالرجل اللعين *

وحشر الموتى من الجن والانس رسل عليهم شواظ يسوقهم الى المحشر فيهربون منه الى ان يجتمعوا فى موقف الحساب ثم بين ان هذه الحالة الثالثة فى الارض تؤدى الى انشقاق السماء ونزول من عليها من الملائكة الى الارض فقد روى ان الملائكة تنزل فتحيط بجميع الخلائق فاذا رآهم الانس والجن هربوا فلايأتون وجها الا وجدوا الملائكة احاطت به ﴿قوله تعالى فكانت وردة﴾ من باب التشبيه البليغ وقوله كالدهان يجوز ان يكون خبرا ثانيا وان يكون حالا من اسم كانت اى كانت مثل الورد الاحمر من حرارة النار ومثل الدهن فى رقة القوام والميعان واشار المصنف بقوله مذابة كالدهن الى انه صفة لوردة وان الدهان اما اسم لما يدهن به كالحزام فانه اسم لما يحزم به اى يشد او جمع دهن كرمح ورماح ﴿قوله من باب التجريد﴾ وهو ان ينتزع من امر ذى صفة آخر مثله فيها لكمالها فيه جرد من السماء سماء اخرى مسماة بالوردة كما جرد الشاعر من نفسه كريما آخر لكمال صفة الكرم فيه واللام فى قوله فلئن بقيت موطئة للقسم ولأرحلن جوابه وقوله نحو الغنائم ظرف لقوله لأرحلن وروى تحوى الغنائم صفة لغزوة وقوله او يموت بمعنى الا ان يموت ويموت منصوب بان مضمرة ويعنى بالكريم نفسه لان تحوى الكلام تدل على انه لايريد كريما آخر والظاهر ان يقال الا ان اموت كريما لانه بصدد الاخبار عن حاله وبيان انه الموصوف بالكرم الا انه بنى الكلام على التجريد لكونه ابلغ فى وصف نفسه بالكرم والتنوين فى قوله تعالى فيومئذ عوض عن الجملة اى فيوم اذا انشقت السماء لايسأل عن ذنبه هل هو مذنب اولا لان اراد احد ان يطلع على حال اهل المحشر لان كل احد من المجرمين والمتقين يخرجون من قبورهم متميزين عن الطائفة الاخرى بسيماهم وهو سواد وجوه المجرمين وزرقة عيونهم قال تعالى وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة وتحشر المتقين الى الرحمن وفدا وتحشر المجرمين يومئذ زرقا يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فلايحتاج حينئذ فى تمييز المذنب من غيره والاطلاع على حاله لمن اراد ذلك الى ان يسأل من ذنبه ويعلم حاله من جهته وهو لاينافى ان يسأل سؤال التوبيخ كما قال تعالى فوربك لنسألنهم اجمعين وايضا يوم القيامة لغاية طوله فيه مواطن كثيرة فيجوز ان يسأل فى بعض المواطن ولايسأل فى آخر * والجان ان كان اسما للجن فالامر ظاهر وان كان اسما لابى الجن فالمراد به ههنا ولده كما يطلق اسم الجد العالى على القبيلة ﴿قوله تعالى بالنواصى﴾ قائم مقام الفاعل لقوله فيؤخذ والتقدير بالنواصى منهم او بنواصيهم وليس فى قوله فيؤخذ ضمير يقوم مقام الفاعل يعود على المجرمين لان العرب تقول اخذت الناصية واخذت بالناصية ولا تكاد تقول اخذت الدابة بالناصية بان تعدى الاخذ الى مفعولين الى احدهما بنفسه والى الآخر بواسطة الباء ولانه لو كان فيه ضمير لوجب ان يقال فيؤخذون لاجل تقدم ذكرهم والنواصى جمع ناصية وهى شعر مقدم الرأس اى تأخذ الملائكة بنواصيهم اى بشعور مقدم رؤسهم واقدامهم فيقذفونهم فى النار قال الضحاك يجعل ان الاقدام مضمومة الى النواصى من خلف ويلقون فى النار وقيل تسحبهم الملائكة الى النار تارة تأخذ بالنواصى وتارة بالاقدام عن انس رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول * والذى نفسى بيده لقد خلقت ملائكة جهنم قبل ان تخلق جهنم بالف عام فهم كل يوم يزدادون قوة الى قوتهم حتى يقبضوا على من قبضوا عليه بالنواصى والاقدام * اجارنا الله تعالى منهم ومن جهنم بفضله وكرمه ثم يقال لهم على وجه التقريع هذه جهنم التى يكذب بها المجرمون اى التى كنتم تكذبون بها وتقولون انها لاتكون على ان قوله المجرمون ظاهر وضع موضع الضمير ويجوز ان يكون هذا الكلام خطابا من الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم فى الدنيا اى قل لهم هذه صفة جهنم على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه ثم انه تعالى اخبر عن حالهم فيها فقال يطوفون بينها وبين حميم آن وهو الذى انتهى حره من أنى الحميم يأنى انيا فهو آن اى يعاقبون بين التصلية بالنار وبين شرب الحميم ومن قوله تعالى كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام الى هنا مواعظ ومزاجر وقد ذكرنا ان كل ذلك نعمة من الله تعالى للانزجار به عن المعاصى وقد اكتفى المصنف بقوله آنفا فان التهديد لطف والتمييز بين المطيع والعاصى بالجزاء والانتقام من الكفار من عداد الآلاء عن بيان كون كل ماذكر من عقوبات الكفار من قبيل الآلاء ثم شرع فى بيان ثواب المتقين الخائفين فقال ولمن خاف مقام ربه جنتان ذكر المصنف اولا ان المقام اسم لمكان يقوم فيه العباد للحساب واضافة المقام اليه تعالى مع ان القيام فعل العباد لاجل الملابسة فانه تعالى مالك يوم الدين والله الذى بعث من فى القبور وجمعهم فى هذا المقام لاجل الحساب والجزاء ثم ذكر احتمال ان يكون المقام مصدرا مضافا الى فاعله بمعنى

المراقبة والحفظة اى ولمن يعلم ان الله تعالى قائم عليه مراقب لاعماله فخاف ذلك فيطيعه ويجتنب عن معصيته جنتان قيل جنة لخوفه من الله وجنة لتركه شهوته فالمقام بهذا المعنى صفة قائمة به تعالى لابالخائف وعلى الوجهين اى على تقدير كونه اسم مكان او مصدرا كما انه مضاف الى الرب لفظا فهو مضاف اليه تعالى من حيث المعنى ايضا والمعنى موقوف الرب او قيام الرب ثم ذكر احتمال ان يكون المقام مضافا الى الخائف من حيث المعنى ويكون المعنى خاف موقف نفسه عند ربه او وقوف نفسه عنده لاجل الحساب الا انه اضيف الى الرب تهويلا وتعظيما كما ان الاجل فى الحقيقة للعبد الا انه قد اضيف اليه تعالى فى قوله ان اجل الله اذا جاء لايؤخر فان الاضافة يكفى فيها ادنى الملابسة ثم ذكر احتمال ان يكون لفظ مقام مقحما ويكون تقدير الكلام ولمن خاف ربه كما فى قول الشاعر

ومادقد وردت لوصل اروى ۞ عليه الطير كالورق اللجين ۞
ذعرت به القطا ونفيت عنه ۞ مقام الذئب كالرجل اللعين ۞

اللجين الخبط وهو ماسقط من الورق عند الخبط والخبط ضرب الشجر بالعصا ليسقط ورقها واروى اسم حبيبة الشاعر ونفيت عنه اى طردت وابعدت عن ذلك الماء وخص القطا والذئب بالذكر لان القطا اهدى الطير الى الماء والذئب اهدى السباع اليه فهما السابقان الى الماء والرجل اللعين شئ ينصب فى وسط الزرع يستطرد به الوحوش ومعنى البيت ورب ماء قد وردته لاجل محبوبتى اروى وقد جاءت اليه لتغسل رأسها او ثيابها وروى ان رجلا استفتى سفيان الثورى فى رجل قال لزوجته ان لم اكن من اهل الجنة فانت طالق فافتى بانه لايحنث ان كان هم بالمعصية وتركها خوفا من الله تعالى وحياء منه استنباطا من هذه الآية ﴿ قوله وكذلك ماجاء مثنى بعد ﴾ كقوله تعالى فيهما عينان تجريان وقوله فيهما من كل فاكهة زوجان فان تثنية النعم المذكورة مبنية على ماذكر من الاحتمالات وهى ان الخطاب لما كان للثقلين صارت النعم المذكورة بلفظ المثنى لهما على سبيل التوزيع كانه قيل لكل خائفين منكما عينان وزوجان عين وزوج للخائف الانسى وعين وزوج للخائف الجنى او تقول عين وزوج بفعل الطاعات وعين وزوج بترك المعاصى لان مدار التكليف عليهما او تقول عين وزوج يثاب بهما والاخرى تضم اليها على وجه التفضل كقوله تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة او احداهما روحانية والاخرى جسمانية ثم انه تعالى وصف الجنتين بقوله ذواتا افنان فقوله تعالى ذواتا تثنية ذات تأنيث ذو والافنان جمع فن وهو النوع او جمع فنن وهو الغصن المستقيم الممتد طولا وقال المصنف الافنان التى هى جمع فنن هى الغصنة والغصنة بكسر الغين وفتح الصاد جمع غصن كقرطة فى جمع قرط ولما كانت الغصنة هى التى تورق وتثمر وتمد الظل وصف الجنتين فى مقام المدح بقوله ذواتا افنان تذكيرا لهذه النعم كانه قيل ذواتا اوراق وثمار وظلال ﴿ قوله حيث شاؤا ﴾ التعميم مستفاد من عدم ذكر مفعول تجريان وقيل معناه تجريان دائما لاتنقطعان ابدا والسلسبيل اسم عين فى الجنة قال تعالى عينا فيها تسمى سلسبيلا وكذا التسنيم سمى بذلك لانه يجرى فوق الغرف والقصور من تسنمه اذا علاه وقيل فيهما عينان تجريان لمن كانت عيناه فى الدنيا تجريان من مخافة الله ﴿ قوله تعالى متكئين ﴾ حال من قوله من خاف بجمع حملا على معنى من فى قوله ولمن خاف بعد الافراد حملا على لفظها والعامل فيها الاستقرار اى استقر لهم جنتان فى هذه الحالة وقيل حال عاملها محذوف اى يتنعمون فيهما متكئين والبطائن جمع بطانة الثوب وهو خلاف ظهارته ﴿ قوله تعالى بطائنها من استبرق ﴾ جملة اسمية فى موضع الجر على انها صفة لفرش والاستبرق ماغلظ من الديباج اى الثخين منه قيل هو معرب استوره والسندس هو الديباج الرقيق الناعم والجنى مايجتنى من الشجر سواء كان مجتنيا بالفعل او كان بصدد الاجتناء ودان من الدنو اصله دانى مثل غاز عن ابن عباس رضى الله عنهما قال تدنو الشجرة حتى يجتنيها ولى الله تعالى ان شاء قائما وان شاء قاعدا وعن قتادة لايرد يده بعد ولاشوك ﴿ قوله لم يمس الانسيات انس ﴾ يعنى ان الطمث المس فى كل شئ يمس يقال للمرتع ماطمث ذا المرتع قبلنا احد وماطمث هذه الناقة حبل قط اى مامسها عقال وقيل اصل الطمث الجماع المؤدى الى خروج دم البكر بازالة عذرتها ثم اطلق على كل جماع طمث وان لم يكن معه دم وفى قول المصنف اشارة الى ان مؤمنى الجن يدخلون الجنة ويثابون فيها بنعمها التى من جملتها الجنيات كما يثاب مؤمنوا الانس بالحور العين التى من جملتها الانسيات وتوقف ابو حنيفة رحمه الله تعالى فى هذه المسئلة بناء على ان الاثابة لاتجب عليه تعالى وانما هى تفضل الهى يتبع فيها النص ولم يرد فى حق من آمن من الجن الاسقوط عقوبة الكفر عنه فهم يبعثون ويحاسبون ويعذب من كفر منهم فى جهنم ويجعل من آمن منهم ترابا

(جنتان) جنة للخائف الانسى والاخرى للخائف الجنى فان الخطاب للفريقين والمعنى لكل خائفين منكما اولكل واحد جنة لعقيدته واخرى لعمله او جنة لفعل الطاعات واخرى لترك المعاصى او جنة يثاب بها والاخرى يتفضل بها عليه او روحانية وجسمانية وكذا ماجاء مثنى بعد (فبأى آلاء ربكما تكذبان ذواتا افنان) انواع من الاشجار والثمار جمع فن او اغصان جمع فنن وهو الغصنة التى تتشعب من فروع الشجر وتخصيصها بالذكر لانها التى تورق وتثمر وتمد الظل (فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهما عينان تجريان) حيث شاؤا فى الاعالى والاسافل قيل احدهما التسنيم والاخرى السلسبيل (فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهما من كل فاكهة زوجان) صنفان غريب ومعروف او رطب ويابس (فبأى آلاء ربكما تكذبان متكئين على فرش بطائنها من استبرق) من ديباج ثخين واذا كانت البطائن كذلك فاظنك بالظهائر ومتكئين مدح للخائفين او حال منهم لان من خاف فى معنى الجمع (وجنى الجنتين دان) قريب يناله القاعد والمضطجع وجنى اسم بمعنى مجنى وقرئ بكسر الجيم (فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهن) فى الجنان فان جنتان يدل على جنان هى للخائفين او فيما فيهما من الاماكن والقصور او فى هذه الآلاء المعدودة من الجنتين والعينين والفاكهة والفرش (قاصرات الطرف) نساء قصرن ابصارهن على ازواجهن (لم يطمثهن انس قبلهم ولاجان) لم يمس الانسيات انس والجنيات جن وفيه دليل على ان الجن يطمثون وقرأ الكسائى بضم الميم (فبأى آلاء ربكما تكذبان

قال تعالى حكاية عنهم ياقومنا اجيبوا داعى الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب اليم ومن قال بالحسن والقبح العقليين وبوجوب ثواب المطيع عليه تعالى فانه يقطع بان مؤمنى الجن يدخلون الجنة ويثابون فيها ومن لايقول بهما وذهب الى اثابتهم بالجنة والحور العين من الجنيات انما ذهب اليها استدلالا بهذه الآية فانه تعالى لما خاطب مؤمنى الجن والانس بقوله فبأى آلاء ربكما تكذبان على وجه الامتنان عليهم بحور موصوفات تارة بقاصرات الطرف واخرى بمقصورات فى الخيام وبكونهن لم يطمثهن انس قبلهم ولاجان فهم منه ان كل فريق منهم يدخلون الجنة ويثابون بنعيمها ويطمثون ما اعدلهم من الحور العين ثم قيل المراد بالقاصرات الحور العين المخلوقات فى الجنة ولم يطمثهن اصلا وقيل هن المؤمنات من نساء الدنيا والمعنى على هذا انه لم يطمثهن بعد النشأة الثانية احد وقيل هن نساء الثقلين اى لم يطمث الجنية ولا الانسية بعد النشأة احد وقاصرات الطرف من اضافة اسم الفاعل الى مفعوله للتخفيف اى قاصرات طرفهن على ازواجهن وقيل قاصرات طرف غيرهن عليهن اى اذا رآهن لم يتجاوز طرفه الى غيرهن والاصل نساء ازواج قاصرات حذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه وقوله لم يطمثهن صفة لقاصرات لان اضافتها لفظية لاتفيد تعريفا او حال لتخصيص النكرة بالاضافة وقوله كأنهن الياقوت صفة اخرى لقاصرات او حال منهن لكونهن تخصصن بالوصف اى مشبهات الياقوت فى حمرة الوجنة وصفاء اللون والمرجان الذى هو صغار اللؤلؤ فى بياض البشرة وصفاء لونها وصغار اللؤلؤ انصع بياضا ﴿ قوله ومن دون تينك الجنتين ﴾ اى دون الاولين فى الفضل والقدر على ان يكون دون بمعنى الادنى رتبة ومنزلة لابمعنى غير قال ابن جريج هى اربع جنان منها للسابقين المقربين فيهما من كل فاكهة زوجان وعينان تجريان وجنتان منها لاصحاب اليمين فيهما فاكهة ونخل ورمان وقيل قوله تعالى ومن دونهما معناه وسواهما وغيرهما فعلى هذا تكون الجنان الاربع لكل اهل الجنة قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان هاتين الجنتين للمقربين وهاتان لاصحاب اليمين ويدل على ان الاخريين ادنى من الاوليين فى الفضل والشرف انه تعالى وصف الاوليين بكثرة الاشجار والفواكه حيث قال ذواتا افنان ووصف الاخريين بكثرة النبات والرياحين المنبسطة على الارض حيث قال مدهامتان اى مائلتان الى السواد من الدهمة وهى السواد يقال ادهام الزرع ادهيماما فهو مدهام اذا علاه السواد ريا وقال فى حق الاوليين فيهما عينان تجريان وفى الاخريين نضاختان والنضخ دون الجرى لان النضخ هو الفوران بحيث كما اخذ منه شئ فار آخر مكانه ولايبلغ هذا القدر فى الجريان وقال فى الاوليين فيهما من كل فاكهة زوجان وفى الاخريين فيهما فاكهة ونخل ورمان فان فاكهة اقل من كل فاكهة زوجان وقال فى الاوليين متكئين على فرش بطائنها من استبرق وترك ذكر الظهائر لفخامتها وخروجها عن كونها مدركة بالعقول والافهام وقال فى الاخريين متكئين على رفرف خضر وعبقرى حسان وتفاوت ما بينهما يعلم مما ذكره المصنف فى تفسير الرفرف والعبقرى وفى هذا كله بيان لتفاوت ما بينهما وان الاوليين افضل من الاخريين ﴿ قوله عطفهما على الفاكهة ﴾ جواب عما يقال لم عطف النخل والرمان على الفاكهة وهما من جملتها وتقريره انه من قبيل عطف الخاص على العام بيانا لفضله وتنبيها على شرفه فكأنهما لمزيتهما جنسان آخران كقوله تعالى بعد ذكر الملائكة وجبريل وميكال وايضا النخل ثمره فاكهة وغذاء والرمان فاكهة ودواء فلم يخلصا للتفكه بهما فصارا باعتبار مافيهما من القيد الزائد كأنهما لم يدخلا تحت مطلق الفاكهة ثم انه تعالى لما ذكر جنتى السابقين المقربين وجنتى اصحاب اليمين قال فيهن خيرات حسان اى فى الجنان الاربع نساء ذوات خير روى عنه عليه الصلاة والسلام انه فسر بان قال خيرات الاخلاق حسان الوجوه وقيل فى باطنهن الخير وفى ظاهرهن الحسن وقوله حور بدل من خيرات وهو جمع حوراء وهى الشديدة بياض العين الشديدة سوادها والمقصورات المحبوسات المستورات فى الخيام لسن بالطوافات فى الطرق هذا هو المفهوم من المعالم والتيسير الا ان الظاهر ان ضمير فيهن راجع الى الجنان المدلول عليها بقوله ومن دونهما جنتان ويدل عليه قول المصنف كحور الاوليين اى فلاحاجة الى وصف الجنان الاربع بان فيهن الحور بعد قوله فى حق الاوليين فيهن قاصرات الطرف ﴿ قوله اى مخدرة ﴾ اى مستورة من الخدر وهو الستر ﴿ قوله او مقصورات الطرف على ازواجهن ﴾ لاينظرن الى غيرهم ولايردن غيرهم قيل تقول لزوجها وعزة ربى ما ارى فى الجنة شيأ احسن منك فالحمد لله الذى جعلك زوجى وجعلنى زوجتك والخيام جمع خيمة وهى اعواد تنصب وتظلل بالثياب وهى تكون لاهل البوادى ابرد من الاخبية واما خيام الجنة فروى قتادة

كأنهن الياقوت والمرجان) فى حمرة الوجنة وبياض البشرة وصفائها (فبأى آلاء ربكما تكذبان هل جزاء الاحسان) فى العمل (الا الاحسان) فى الثواب وهو الجنة (فبأى آلاء ربكما تكذبان ومن دونهما جنتان) ومن دون تينك الجنتين الموعودتين للخائفين المقربين جنتان لمن دونهم من اصحاب اليمين (فبأى آلاء ربكما تكذبان مدهامتان) خضراوان تضربان الى السواد من شدة الخضرة وفيه اشعار بان الغالب على هاتين الجنتين النبات والرياحين المنبسطة على وجه الارض وعلى الاوليين الاشجار والفواكه دلالة على ما بينهما من التفاوت (فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهما عينان نضاختان) فوارتان بالماء وهو ايضا اقل مما وصف به الاوليين وكذا ما بعده (فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهما فاكهة ونخل ورمان) عطفهما على الفاكهة بيانا لفضلهما فان ثمرة النخل فاكهة وغذاء وثمرة الرمان فاكهة ودواء واحتج به ابو حنيفة على ان من حلف لاياكل فاكهة فاكل رطبا او رمانا لم يحنث (فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهن خيرات) اى خيرات فخففت لان خير الذى بمعنى اخير لايجمع وقد قرئ على الاصل (حسان) حسان الخلق والخلق (فبأى آلاء ربكما تكذبان حور مقصورات فى الخيام) قصرن فى خدورهن يقال امرأة قصيرة وقصورة ومقصورة اى مخدرة او مقصورات الطرف على ازواجهن (فبأى آلاء ربكما تكذبان لم يطمثهن انس قبلهم ولاجان) كحور الاوليين

(من)

عن ابن عباس قال الخيمة درة مجوفة فرسخ فى فرسخ فيها اربعة آلاف مصراع من ذهب وعن عبدالله بن قيس الاشعرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الخيمة درة مجوفة طولها فى السماء ستون ميلا وفى كل زاوية منها اهل للمؤمن لا يراهم الاخرون ﴿ قوله وهم لاصحاب الجنتين ﴾ اى الضمير فى قوله قبلهم لاصحاب الجنتين المدلول عليهم بقوله ومن دونهما جنتان اى لمن دونهم وقوله تعالى متكئين على رفرف حال منهم كأنه قيل ولمن دون الخائفين المقربين وهم اصحاب اليمين جنتان متكئين فيهما على رفرف والنمارق جمع نمرقة وهى وسادة صغيرة وربما سموا الطنفسة التى فوق الرحل نمرقة قيل الرفرف الخضر فراش اذا استقر عليه الولى طاربه من فرحه وشوقه اليه يمينا وشمالا حيثما يريده الولى روى فى حديث المعراج ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بلغ سدرة المنتهى جاءه الرفرف فتناوله من جبريل وطاربه الى رب العرش فقال عليه الصلاة والسلام انه طاربى يخفضنى ويرفعنى حتى وقف بى على ربى ثم لما حان الانصراف تناوله فطاربه خفضا ورفعا يهوى به حتى اداه الى جبريل عليه السلام فالرفرف خادم بين يدى الله تعالى من جملة الخدم مختص بخواص الامور فى محل الدنو والقربة كما ان البراق تركبها الانبياء عليهم السلام وهى مخصوصة لركوبهم فهذا الرفرف الذى سخره لاهل الجنتين هو متكأهم وفراشهم يرفرف بالولى ويطيربه على حافات تلك الانهار حيث يشاء من خيامه وازواجه وقصوره وقوله تعالى خضر نعت لرفرف وعبقرى عطف على رفرف وحسان نعت لعبقرى ﴿ قوله تعالى تبارك ﴾ تفاعل من البركة وقيل اصل التبارك من البرك وهو الدوام والثبات ومنه برك البعير وبركة الماء فان الماء يكون فيها دائما والمعنى دام اسمه وثبت او دام الخير عنده لان البركة وان كانت من الثبات لكنها تستعمل فى الخير او يكون معناه علا اسم ربك اى ارتفع شأنه عن القرطبى انه قال لعل المراد بالاسم الاسم الذى افتتح به السورة فانه تعالى افتتح السورة باسم الرحمن ذكر خلق الانسان والجن وخلق السموات والارض وصنعه وذكر انه كل يوم هو فى شان ثم وصف تدبيره فيهم ثم وصف يوم القيامة واهوالها وصفة النار ثم ختمها بصفة الجنان ثم قال فى آخر السورة تبارك اسم ربك اى هذا الاسم الذى افتتح به هذه السورة كأنه تعالى يشير به الى ان هذا كله خرج لكم من رحمتى فمن رحمتى خلقتكم وخلقت لكم السماء والارض فلذلك اثنى على صفة الرحمة ثمت السورة الرحمن والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين ولا حول ولا قوة الا بالله العزيز الحكيم وحسبنا الله ونعم الوكيل

﴿ سورة الواقعة هى مكية غير قوله ثلة من الاولين وقوله أفبهذا الحديث الى آخر الآيتين فانهما ﴾
﴿ نزلتا فى سفره عليه السلام الى المدينة ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ قوله سماها واقعة ﴾ مع انها امر سيقع ولم تقع بعد لانها تحقق وقوعها كانت كأنها واقعة لكثرة ما يقع فيها من الشدائد ﴿ قوله وانتصاب اذا بمحذوف مثل اذكر ﴾ فيكون اذا بمعنى الوقت المجرد منصوبا على انه مفعول به ﴿ قوله او كان كيت وكيت ﴾ فيكون اذا ظرفا وحينئذ تكون شرطية وجوابها مقدر وهو العامل فيها ولم يجعله منصوبا بليس لوقعتها كاذبة لان ليس مثل ما النافية فى انه لا حدث فيها وما ليس فيه معنى الحدث لا يكون عاملا فى الظرف وتسميتها فعلا مجاز لعدم صدق حد الفعل عليها ﴿ قوله اى لا يكون حين تقع نفس تكذب على الله تعالى ﴾ اى تفترى عليه بان تسند اليه ما لا يصح اسناده اليه كنسبة الشريك والصاحبة والولد وان تقول انه تعالى لا يبعث الموتى ولا يجازيهم ونحو ذلك من الاباطيل وفيه اشارة الى ان كاذبة اسم فاعل وانه صفة حذف موصوفها المرفوع على انه اسم ليس واللام فى قوله لوقعتها لام التاريخ كما فى قوله تعالى قدمت لحياتى بمعنى انها بمعنى الوقت وهى مع عاملها المحذوف فى محل نصب على انها خبر ليس اى ليس نفس كاذبة حاصلة حين تقع بانكار شئ مما اخبر به الله تعالى مطلقا او انكار خصوص القيامة ونفيها لان كل نفس فيها حينئذ مؤمنة صادقة قال تعالى فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وقال لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الاليم وقال ولا يزال الذين كفروا فى مرية منه حتى تأتيهم الساعة ﴿ قوله او ليس لاجل وقعتها كاذبة ﴾ عطف على قوله واللام مثلها فى قوله قدمت لحياتى كأنه قيل واللام بمعنى الوقت او على اصل معناها فالمعنى اذا قامت القيامة بان نفخت النفخة الثانية يعترف بها كل احد ولا يمكن احد من انكارها لاجل وقوعها ومشاهدتهم اياها واقعة فكل من اخبر عنها حينئذ يتعين له ان يصدق ولا يمكنه ان يكذب بانكار وقوعها كما انكره فى الدنيا اما بلسان المقال او الحال فان من افحمك

وهم لاصحاب الجنتين فانهما يدلان عليهم (فبأى آلاء ربكما تكذبان متكئين على رفرف خضر) وسائد او نمارق جمع رفرفة وقيل الرفرف ضرب من البسط او ذيل الخيمة وقد يقال لكل ثوب عريض (وعبقرى حسان) العبقرى منسوب الى عبقر تزعم العرب انه اسم بلد الجن فينسبون اليه كل شئ عجيب والمراد به الجنس ولذلك جمع حسان حملا على المعنى (فبأى آلاء ربكما تكذبان تبارك اسم ربك) تعالى اسمه من حيث انه مطلق على ذاته فاظنك بذاته وقيل الاسم بمعنى الصفة او مقحم كما فى قوله الى الحول ثم اسم السلام عليكما (ذى الجلال والاكرام) وقرأ ابن عامر بالرفع صفة للاسم وعن النبى عليه السلام من قرأ سورة الرحمن ادى شكر ما انعم الله عليه

﴿ سورة الواقعة مكية وآيها ﴾
﴿ تسع وتسعون ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(اذا وقعت الواقعة) اذا حدثت القيامة سماها واقعة لتحقق وقوعها وانتصاب اذا بمحذوف مثل اذكر او كان كيت وكيت (ليس لوقعتها كاذبة) اى لا يكون حين تقع نفس تكذب على الله او تكذب فى نفسها كما تكذب الآن واللام مثلها فى قوله قدمت لحياتى او ليس لاجل وقعتها كاذبة فان من اخبر عنها صدق

فى اتباع الشهوات فقد كذب بالساعة وانكر وقوعها بلسان الحال ﴿ قوله او ليس لها حينئذ نفس تحدث صاحبها بالطاقة شدتها ﴾ عطف على قوله اى لا يكون حين تقع نفس تكذب فان الكذب فيه بمعنى الاخبار بالايطابق الواقع وهو فى هذا الوجه بمعنى التشجيع على مباشرة ما لايطاق تحمله فقوله لوقعتها حينئذ يجوز ان يكون متعلقا بقوله كاذبة كأنه قيل اذا قامت القيامة لا تكون نفس تشجع صاحبها فى حق وقعتها بان تقول له انك تطيقها وما هو اشد منها فلا تبال بها اى ولا تكون نفس تطيق زلزلة الساعة فانها تهلك نفس القيامة ﴿ قوله فى الخطب العظيم ﴾ متعلق بقوله من قولهم فقوله تعالى ليس لوقعتها كاذبة فى محل النصب على انه حال من الواقعة اى اذا وقعت الواقعة مصدقة فى وقوعها ومؤمنة بجميع النفوس بالله وبجميع ما اخبر به ﴿ قوله تخفض قوما ﴾ الخافض والرافع فى الحقيقة هو الله تعالى واسنادهما الى الواقعة من قبيل اسناد الفعل الى زمانه والجمهور على رفع خافضة رافعة على انه خبر مبتدأ محذوف اى هى خافضة قوما الى النار ورافعة آخرين الى مقر الكرامة وحذف المفعول لعلمه ويجوز ان ينزل الفعلان منزلة اللازم والمعنى انها ذات وضع ورفع وقرئتا بالنصب على الحال من الواقعة اى اذا وقعت الواقعة حال كونها خافضة رافعة فهذه ثلاث احوال متعاقبة الاولى قوله ليس لوقعتها كاذبة والثانية قوله خافضة والثالثة رافعة وجاز كثرة الاحوال لان الحال من الخبر فكما جاز تعدد الخبر عن مبتدأ واحد فكذا جاز تعدد الاحوال ﴿ قوله او بيان لما يكون حينئذ ﴾ الفرق بين الوجهين ان الكلام على الوجه الاول يكون كناية عن العظمة الملزومة لصريح مضمون الكلام وعلى الثانى يكون المقصود مجرد بيان مضمونه من غير ان يقصد الانتقال الى الملزوم ﴿ قوله او ازالة الاجرام ﴾ بالجر عطف على قوله خفض اعداء الله ﴿ قوله والظرف متعلق بخافضة رافعة ﴾ يشعر بانه منصوب بهما معا وذلك لا يجوز لانه لا يتوارد عاملان على معمول واحد الا ان يقال المراد ان كل واحد منهما مسلط عليه من جهة المعنى على سبيل التنازع اى ترفع وتخفض وقت رج الارض وبس الجبال او حال وقد قدرته وعاملها الفعل السابق والرج التحريك الشديد ورجت اى زلزلت وحملت على ان تضطرب بحيث لا يبقى عليها بناء ﴿ قوله تعالى فكانت ﴾ بمعنى فصارت وقوله تعالى وكنتم عطف على رجت والخطاب للخلائق باسرهم قسمهم ثلاثة اصناف اثنان منها فى الجنة وواحد فى النار ثم بين من هم فقال اصحاب الميمنة واصحاب المشأمة والسابقون ﴿ قوله من يعطيهم بالميامن ﴾ خبر مبتدأ محذوف يعنى ان اطلاق اصحاب الميمنة على اصحاب الرفعة والمنزلة السنية وكذا اطلاق اصحاب المشأمة على اصحاب الهوان والدناءة ناشئان من تيمنهم بجانب اليمين وتشاؤمهم بجانب الشمال حتى انهم يتفاءلون بالسانح من الصيد لاعطائه جهة يمينه اياهم بان يطير ويمر من جانب يسارهم الى جانب يمينهم ويتطيرون بالبارح وهو ضد السانح ويقولون فلان منى باليمين وفلان منى بالشمال اذا ارادوا ان يصفوا احدا بكونه ذا الرفعة او الدناءة عندهم وفى الصحاح المشأمة الميسرة وكذلك الشأمة يقال قعد فلان شأمة واخذ بهم شأمة اى ذات الشمال وقد قرت يمنة وشأمة والشؤم نقيض اليمن والميمنة خلاف الميسرة والايمن والميمنة خلاف الايسر والميسرة الى هنا كلامه وقيل وصف السعداء باصحاب الميمنة والاشقياء باصحاب المشأمة لانه يؤخذ باهل الجنة ذات اليمين ويؤخذ باهل النار ذات الشمال ﴿ قوله والجملتان الاستفهاميتان خبران لما قبلهما ﴾ يعنى ان قوله تعالى فاصحاب الميمنة مبتدأ وما استفهامية مبتدأ ثان وقوله اصحاب الميمنة خبره والجملة خبر الاول وكذا قوله واصحاب المشأمة ما اصحاب المشأمة واكتفى عن الراجع الى المبتدأ فيهما بصريح اسمه والمعنى اصحاب الميمنة اى شئ هم فوضع الظاهر موضع المضمر للمبالغة فى وصفهم بما دل على المدح كأنه قيل ما تدرى ما لهم من الخير والكرامة وما لاصحاب المشأمة من الشر والعذاب ومثله قوله تعالى الحاقة ما الحاقة القارعة ما القارعة ولا يكون ذلك الا فى موضع التعظيم والتعجب نحو زيد ما زيد وكذا قوله تعالى والسابقون السابقون فانه جملة اسمية اخبر عن السابقين بانهم السابقون مبالغة فى مدحهم اى والسابقون من عرف حالهم من البسط والشرح كقول ابى النجم انا ابو النجم وشعرى شعرى * كأنه قال وشعرى ما انتهى اليك وعرفت فصاحته وبراعته ﴿ قوله من غير تلعثم ﴾ اى تردد يقال تلعثم الرجل فى الامر اذا تمكث فيه وتأنى والتوانى من الونى وهو الضعف يقال ونى فى الامر ينى ونيا اى ضعف فهو وان وتوانى فى حاجته اى قصر وقد فسر المصنف قوله تعالى والسابقون بثلاثة اوجه فسره اولا بقوله هو الذين سبقوا الى الايمان والطاعة وثانيا بقوله او سبقوا فى حيازة الفضائل وثالثا بقوله او الانبياء وفسر قوله والسابقون الذى هو الخبر بقوله هم الذين عرفت حالهم ولم يعتبر التغاير بين المبتدأ والخبر بقيد من القيود حيث

(جمل)

او ليس لها حينئذ نفس تحدث صاحبها بالطاقة شدتها واحتمالها وتغريه عليها من قولهم كذبت فلانا نفسه فى الخطب العظيم اذا شجعته عليه وسولت له انه يطيقه (خافضة رافعة) تخفض قوما وترفع آخرين وهو تقرير لعظمتها فان الوقائع العظام كذلك او بيان لما يكون حينئذ من خفض اعداء الله ورفع اوليائه او ازالة الاجرام عن مقارها بنثر الكواكب وتسيير الجبال فى الجو وقرئتا بالنصب على الحال (اذا رجت الارض رجا) حركت تحريكا شديدا بحيث ينهدم ما فوقها من بناء وجبل والظرف متعلق بخافضة رافعة او بدل من اذا وقعت (وبست الجبال بسا) فتت حتى صارت كالسويق الملتوت من بس السويق اذا لته او سيقت وسيرت من بس الغنم اذا ساقها (فكانت هباء) غبارا (منبثا) منتشرا (وكنتم ازواجا) اصنافا (ثلاثة) وكل صنف يكون او يذكر مع صنف آخر زوج (فاصحاب الميمنة ما اصحاب الميمنة واصحاب المشأمة ما اصحاب المشأمة) فاصحاب المنزلة السنية واصحاب المنزلة الدنية من تيمنهم بالميامن وتشاؤمهم بالشمائل او اصحاب الميمنة واصحاب المشأمة الذين يؤتون صحائفهم بايمانهم والذين يؤتونها بشمائلهم او اصحاب اليمن والشؤم فان السعداء ميامين على انفسهم بطاعتهم والاشقياء مشائيم عليها بمعصيتهم والجملتان الاستفهاميتان خبران لما قبلهما باقامة الظاهر مقام الضمير ومعناهما التعجب من حال الفريقين (والسابقون السابقون) والذين سبقوا الى الايمان والطاعة بعد ظهور الحق من غير تلعثم وتوان او سبقوا فى حيازة الفضائل والكمالات او الانبياء فانهم مقدموا اهل الاديان هم الذين عرفت حالهم وعرفت ما لهم كقول ابى النجم

انا ابو النجم وشعرى شعرى *

او الذين سبقوا الى الجنة *

(اولئك المقربون فى جنات النعيم) الذين قربت درجاتهم فى الجنة واعليت مراتبهم

جعل متعلق السبقين واحدا ثم اشار الى جواز ان يعتبر التغاير بينهما بان يجعل متعلق السبق الاوّل ما ذكر من الاحتمالات ومتعلق السبق الثانى الجنة حيث قال او الذين سبقوا الى الجنة وهو معطوف على قوله هم الذين عرفت حالهم قبل السابقون اربعة منهم سابق امة موسى عليه الصلاة والسلام وهو حز قيل مؤمن آل فرعون وسابق امة عيسى عليه السلام وهو حبيب النجار صاحب انطاكية وسابقا امة محمد صلى الله عليه وسلم وهما ابو بكر وعمر رضى الله عنهما ويحتمل ان يكون السابقون الثانى تأكيدا للاوّل تأكيدا لفظيا واولئك المقرّبون جملة اسمية مرفوعة المحل على انها خبر الاوّل والرابط اسم الاشارة والاقرب ان يوقف على السابقون الثانى لانه تمام الجملة ويجعل قوله اولئك المقرّبون جملة مستقلة من مبتدأ وخبر ويجعل قوله فى جنات النعيم خبرا ثانيا او حالا من المنوى فى المقرّبون اى اولئك الموصوفون بالسبق هم المقرّبون عند الله تعالى فى جنات النعيم او كائنين فيها ﴿قوله اى هم كثير من الاوّلين﴾ اشارة الى ان قوله ثلة خبر مبتدأ محذوف وان الثلة بمعنى الجماعة الكثيرة وقوله من الاوّلين فى موضع الصفة لثلة اى السابقون المقرّبون جماعة كثيرة من الامم السالفة ويجوز ان تكون خبر اولئك وقوله عليه السلام «ان امتى يكثرون سائر الامم» وقوله عليه السلام «اهل الجنة مائة وعشرون صفا هذه الامة منها ثمانون صفا» لا ينافى كون سابق الامم السالفة اكثر من سابق هذه الامة لان الانبياء المتقدمين كثيرة جدا ومن ضرورة ان يكثر السابقون الى الايمان والطاعة من اممهم بالنسبة الى سابق هذه الامة ومن المعلوم ان تابعى هذه الامة اكثر من تابعى الامم السالفة بحيث يكون مجموع هذه الامة اكثر من مجموع الامم السالفة مثل ان يكون سابقوهم الفين وتابعوهم الفا فالمجموع ثلاثة آلاف ويكون سابقوا هذه الامة الفا وتابعوهم ثلاثة آلاف فالمجموع اربعة آلاف فرضا وهذا المجموع اكثر من المجموع الاوّل مع ان السابقين من المجموع الاوّل اكثر من سابق هذه الامة وزادوا على عدد من سبق من الآخرين قال الزجاج الذين عاينوا جميع النبيين وسبقوا الى الايمان بهم اكثر ممن عاين نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم وسبقوا الى الايمان به «ولما ورد ان يقال كيف يكون تابعوا هذه الامة اكثر من تابعى الامم السالفة وقد قال تعالى فى حق اصحاب اليمين ثلة من الاوّلين وثلة من الآخرين وكثرة اصحاب اليمين من الاوّلين يستلزم كثرة تابعيهم» اجاب عنه بقوله ولا يرده الخ يعنى ان اللازم كثرة تابعيهم فى انفسهم وذلك لا يرد قلتهم بالنسبة الى تابعى هذه الامة ﴿قوله وروى مرفوعا﴾ اى انه عليه الصلاة والسلام قال «الثلتان جميعا من امتى» فالمعنى ثلة من الاوّلين من سابق هذه الامة وقليل من الآخرين من آخر هذه الامة فى آخر الزمان ﴿قوله واشتقاقها من الثل وهو القطع﴾ وجماعة السابقين مع كثرتهم مقطوعة من جملة بنى آدم ﴿قوله والموضونة المنسوجة بالذهب﴾ قاله ابن عباس وقال عكرمة الموضونة المشبكة بالدرّ والياقوت وقال الراغب الوضن نسج الدرع ويستعار لكل نسج محكم وقيل اصله من وضنت الشئ اى ركبت بعضه مع بعض ومنه قيل للدرع موضونة لتركب حلقها ﴿قوله حالان من الضمير فى على﴾ اى من الضمير المنوى فى الفعل الذى تعلق به الجارّ فى على سرر كأنه قيل استقروا على سرر متكئين ﴿قوله تعالى ولدان﴾ اى غلمان وهو جمع وليد وهو الذى لم يبلغ بعد روى عنه عليه السلام ان اطفال الدنيا خدم اهل الجنة وقال سلمان هم اطفال المشركين وقال الحسن لانه لم يكن لهم حسنات يجزون بها ولا سيئات يعاقبون عليها وابو حنيفة رحمه الله تعالى توقف فيهم لان الثواب بفضل الله تعالى ووعده لا بالعمل ولا نص فيهم وقيل هم خدم خلقوا فى الجنة على صورة الغلمان ﴿قوله من خمر﴾ يعنى ان المعين فعيل بمعنى فاعل من معن الماء اذا جرى فالمعين بمعنى الجارى من الماء والخمر وقدر موصوفه الخمر بشهادة الكأس وهو القدح الذى فيه خمر وقوله تعالى لا يصدّعون عنها من التصديع وبناء فعل هنا ليس للتعدية لان الثلاثى منه متعد يقال صدع فهو مصدوع اذا اصيب رأسه بالوجع بل هو لكثرة الصداع او المصدوعين ومعنى عنها بسببها ﴿قوله تعالى لا يصدّعون عنها﴾ يجوز ان يكون مستأنفا اخبر تعالى عنهم بانهم لا ينالهم بسبب شربها صداع كما ينالهم ذلك بسبب شرب خمر الدنيا فانها لذة بلا اذى وان يكون حالا من ضمير عليهم وعن سببية بمعنى الباء ﴿قوله ولا ينزفون عقولهم﴾ اشارة الى ما ذكره فى سورة الصافات من ان اصله النفاد يقال نزف المطعون اذا خرج دمه كله ونزفت الركوة حين نزفها اذا لم تترك فيها ماء والنفاد فى الآية اما للعقل او للشراب فان نفاد الشراب مخل بنشاط اهل المجلس ﴿قوله وقرئ لا يصّدّعون﴾ اى بفتح الياء وتشديد الصاد والاصل يتصدّعون اى يتفرقون فالمعنى حينئذ لا يتفرقون كما يتفرق اهل الشرب من مجلس الشراب لهم من مهمات الدنيا وذلك التفرق يمنعهم من

(ثلة من الاوّلين وقليل من الآخرين) اى هم كثير من الاوّلين يعنى الامم السالفة من لدن آدم الى محمد عليهما السلام وقليل من الآخرين يعنى امة محمد عليه السلام ولا يخالف ذلك قوله عليه السلام ان امتى يكثرون سائر الامم لجواز ان يكون سابقوا سائر الامم اكثر من سابق هذه الامة وتابعوا هذه اكثر من تابعيهم ولا يرده قوله فى اصحاب اليمين ثلة من الاوّلين وثلة من الآخرين لان كثرة الفريقين لا تنافى اكثرية احدهما وروى مرفوعا انهما من هذه الامة واشتقاقها من الثل وهو القطع (على سرر موضونة) خبر آخر للضمير المحذوف والموضونة المنسوجة بالذهب مشبكة بالدرّ والياقوت او المتواصلة من الوضن وهو نسج الدرع (متكئين عليها متقابلين) حالان من الضمير فى على (يطوف عليهم) للخدمة (ولدان مخلدون) مبقون ابدا على هيئة الولدان وطراوتهم (باكواب واباريق) حال الشرب وغيره والكوب آناء بلا عروة ولا خرطوم له والابريق اناء له ذلك (وكأس من معين) من خمر (لا يصدّعون عنها) بخمار (ولا ينزفون) ولا ينزف عقولهم او لا ينفد شرابهم وقرأ الكوفيون بكسر الزاى وقرئ لا يصّدّعون بمعنى لا يتصدّعون اى لا يتفرقون

(وفاكهة مما يتخيرون) يختارون (ولحم طير مما يشتهون) يتمنون (وحور عين) عطف على ولدان او مبتدأ محذوف الخبراى وفيها حور اولهم حور وقرأ حمزة والكسائى بالجر عطفا على جنات بتقدير مضاف اى هم فى جنات ومصاحبة حور او على اكواب لان معنى يطوف عليهم ولدان مخلدون باكواب ينعمون باكواب وقرئ بالنصب على ويؤتون حورا (كامثال اللؤلؤ المكنون) المصون عما يضربه فى الصفاء والنقاء (جزاء بما كانوا يعملون) اى يفعل ذلك كله بهم جزاء باعمالهم (لايسمعون فيها لغوا) باطلا (ولا تأثيما) ولا نسبة الى الاثم اى لايقال اثمتم (الاقيلا) الاقولا (سلاما سلاما) بدل من قيلا كقوله لايسمعون فيها لغوا الاسلاما او صفته او مفعوله بمعنى الا ان يقولوا سلاما او مصدر والتكرير للدلالة على فشو السلام بينهم وقرئ سلام سلام على الحكاية (واصحاب اليمين مااصحاب اليمين فى سدر مخضود) لاشوك له من خضد الشوك اذا قطعه او مثنى اغصانه من كثرة حمله من خضد الغصن اذا ثناه وهو رطب (وطلح) وشجر موز او ام غيلان وله انوار كثيرة طيبة الرائحة وقرئ بالعين (منضود) نضد حمله من اسفله الى اعلاه (وظل ممدود) منبسط لايتقلص ولايتفاوت (وماء مسكوب) يسكب لهم اين شاؤا وكيف شاؤا بلاتعب او مصبوب سائل كأنه لما شبه حال السابقين فى التنعم باكمل ما يتصور لاهل المدن شبه حال اصحاب اليمين باكمل ما يتمناه اهل البوادى اشعارا بالتفاوت بين الحالين (وفاكهة كثيرة) كثيرة الاجناس (لامقطوعة) لاتنقطع فى وقت (ولاممنوعة) ولاتمنع عن متناولها بوجه (وفرش مرفوعة) رفيعة القدر او منضدة مرتفعة وقيل الفرش النساء وارتفاعها انها على الارآئك ويدل عليه قوله (انا انشأناهن انشاء)

الاستمرار على صفاء الاجتماع فى المجلس ﴿قوله تعالى وفاكهة﴾ مجرور بالعطف على اكواب اى وبفاكهة وتخير الشئ واختياره عده خيرا ومن فى قوله مما يتخيرون اماتبيين الجنس لان كل جنس من اجناسها فى الفضل سوآء او للتبعيض اى من اى جنس يتخيرونه من اجناس الفاكهة او من اجناس مايستلذونه من نعيم الجنة وكذا قوله تعالى مما يشتهون عن ابن عباس قال يخطر ببالهم لحم الطير فيصير ممثلا بين ايديهم على مايشتهونه فاذا اخذوا منه حظهم يطير فيذهب وخص لحم الطير من بين اللحوم لان توسع العرب كان بلحمان الابل ويعز عندهم لحم الطير وكانوا يشتهونه عند الملوك واحتيج فى توجيه عطف قوله حور على اكواب الى اعتبار المعنى لانه لو عطف عليه باعتبار اللفظ لكان المعنى يطوف عليهم الولدان باكواب وبحور عين وهو غير صحيح لان الولدان لايطوفون عليهم بالحور ﴿قوله باطلا﴾ الباطل من الكلام مايلغى ولايلتفت اليه لعدم الفائدة فى سماعه وخلوه عن معنى يعتد به وان لم يكن كذبا ولافحشا والتأثيم مصدر اثمته اى قلت له اثمت اى لايؤثم بعضهم بعضا وقوله الاقيلا مستثنى منقطع لانه لايندرج تحت اللغو والتأثيم وسلاما سلاما امابدل من قيلا اى لايسمعون فيها الاسلاما سلاما او صفة لقيلا اى ولكن يسمعون قولا ذاسلامة مما يكره اى قولا سالما وكلاما حسنا او مفعول لقوله قيلا والمعنى لايسمعون فيها الا ان يقولوا سلاما سلاما او مصدر مؤكد لفعله المحذوف المحكى بقوله قيلا اى الا ان يقول بعضهم لبعض اسلم سلاما او اسلم مما يكره سلاما او سلم الله عليك سلاما ومعنى التكرير فى سلاما انهم يفشون السلام بينهم او يسلمون سلاما بعد سلام ﴿قوله تعالى فى سدر مخضود﴾ اى هم فى خلال نبق خضد شوكه اى قطع والخضد وان كان قطع الشوك من الشجر ونزعه منه الا ان المصنف فسر المخضود بقوله لاشوك له على معنى انهم فى سدر خلق بلاشوك كأنه نزع منه شوكه بعد ان كان فيه وعن مجاهد من خضد الغصن اذا ثناه وهو رطب ﴿قوله او شجر موز﴾ واليه ذهب اكثر المفسرين وهو شجر له اوراق كبار وظل بارد عن السدى انه يشبه طلح الدنيا ولكن ثمره احلى من العسل كان اوراق السدر صغار وبينهما من الاشجار ماهو متوسط الاوراق وذكر الطرفين يدل على اندراج مابينهما وقال الزجاج الطلح شجر ام غيلان لها نور طيب وان كان لايؤكل منه شئ فيقصد منه النزهة والزينة دون الاكل قال مجاهد ولكن ثمرتها احلى من العسل قيل كان لاهل الطائف واد معجب فيه الطلح والسدر فنظر المسلمون اليه فقالوا ياليت لنا فى الجنة مثل هذا الوادى فنزلت هذه الآية وقد قال تعالى ولكم فيها ماتشتهى انفسكم وقال تعالى وفيها ماتشتهى الانفس وتلذ الاعين فذكر لكل قوم مايعجبهم ويحبون مثله وفضل طلح الجنة وسدرها على مافى الدنيا كفضل سائر مافى الجنة على مافى الدنيا وقرئ وطلع منضود بالعين استدلالا بقوله تعالى لها طلع نضيد قيل اشجار الجنة ليس لهاساق بادية بل ثمارها منضودة اى مقطوعة من عروقها الى افنانها كلما اخذت منها ثمرة عاد مكانها ماهو احسن منها انتهى ﴿قوله لايتقلص﴾ اى لاينقبض يقال ظل قالص اذا نقص طرف منه وهو شان ظل الدنيا ﴿قوله يسكب لهم﴾ اى يصب لهم من مكان وله خرير وصفاء وهو اعجب المياه فى مرأى العين وقيل ينصب من ساق العرش وقال سفيان يجرى من غير اخدود وقيل دآئم الجرى لاينقطع وما اشار اليه من التعميم بقوله اين شاؤا وكيف شاؤا هو مستفاد من عدم ذكر متعلق مكسوب ﴿قوله او مصبوب سائل﴾ اى جار لاينقطع يعنى كون الماء مسكوبا اما عبارة عن كونه ظاهرا مكشوفا كثيرا او عن كونه جاريا غير منقطع ابدا وروى عن الامام انه قال معناه مسكوب من فوق لان اكثر ماء العرب من الآبار والبرك ولاينسكب وقيل جار فى غير اخدود بل يجرى فى الهوآء وكانت العرب اصحاب بادية وبلاد حارة وكانت الانهار فى بلادهم عزيزة لايصلون الى الماء الا بالدلو والرشاء فوعدوا فى الجنة خلاف ذلك ﴿قوله لما شبه حال السابقين فى التنعم باكمل مايتصور لاهل المدن﴾ اى من الاستقرار على السرر شبه حال اصحاب اليمين باكمل مايتمناه اهل البوادى من خلال السدر والظل والماء الموصوف بالاوصاف المذكورة ﴿قوله لاتنقطع فى وقت﴾ اى من الاوقات حتى وقت الاخذ بل ينبت مكانها مثلها ﴿قوله ولاتمنع عن متناولها بوجه﴾ كبعد المتناول وانعدام ثمن يشترى به وشوك فى الشجر يؤذى من يقصد تناولها وحائط يمنع التوصل الى شجرها بل اذا اشتهاها العبد دنت منه حتى يأخذها بلاتعب قال تعالى وذللت قطوفها تذليلا ﴿قوله او منضدة﴾ اى مبسوطة بعضها فوق بعض يقال نضد متاعه ينضده من باب ضرب اذا وضع بعضه على بعض قيل لو طرح فراش من اعلاها الى اسفلها لم يستقر الابعد سبعين خريفا ﴿قوله ويدل عليه﴾ اى على ان المراد بالفرش النساء وجه الدلالة

(ظاهر)

ظاهر ومن حمل الفرش على ظاهرها جعل ضمير انشأناهن راجعا الى قوله وحور عين او الى النساء المدلول عليهن بذكر الفرش لانها تبسط لان يضطجع الرجل عليها مع اهله بناء على ان العرب تسمى المرأة فراشا ولباسا وازارا ﴿ قوله ابداء او اعادة ﴾ الاول على ان يكون المراد بالمنشآت الحور اللاتى انشأهن الله تعالى فى الجنة انشاء اى انشاء جديدا من غير ولادة والاعادة على ان يكون المراد بهن نساء الدنيا ومما يدل على ان المراد بهن نساء الدنيا قوله تعالى فجعلناهن ابكارا لان المنشآت فى الجنة لاشك فى كونهن ابكارا والجعل بمعنى التصيير يستدعى ان يكن قبل ذلك ثيبات ويدل عليه ايضا ان ام سلمة رضى الله عنها سألت النبى صلى الله عليه وسلم عنها فقال «يا ام سلمة هن اللواتى قبضن فى دار الدنيا عجائز شمطا رمصا» وفى رواية عمشا مكان شمطا جعلهن بعد الكبر أترابا على ميلاد واحد فى الاستواء كلما اتاهن ازواجهن وجدوهن ابكارا فلما سمعت عائشة رضى الله عنها ذلك قالت واوجعاه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ليس هناك وجع» وقالت عجوز لرسول الله صلى الله عليه وسلم ادع الله تعالى ان يدخلنى الجنة فقال عليه الصلاة والسلام «ان الجنة لا يدخلها العجائز» فولت تبكى فقال عليه الصلاة والسلام «اخبروها انها ليست يومئذ بعجوز» وقرأ الآية عربا اترابا والشمط جمع شمطاء يقال رجل اشمط وامرأة شمطاء وجمعها شمط اذا خالط بياض شعر رأسه سواده والعمش فى العين ضعف الرؤية مع سيلان دمعها فى اكثر الاوقات والرجل اعمش والمرأة عمشاء والرمص وسخ يجتمع فى الموق والرجل ارمص والمرأة رمصاء ﴿ قوله جمع عروب ﴾ كرسل ورسول من اعرب اذا بين والعروب تبين محبتها لزوجها بالغنج وحسن الشمائل وطيب النفس والملاعبة بما يشتهيه فى قربانها ﴿ قوله او صفة لابكارا او لاترابا ﴾ اى مستويات فى السن بنات ثلاث وثلاثين مثل ازواجهن وقد اشار اليه المصنف بقوله وكذا ازواجهن ﴿ قوله او لقوله ثلة من الاولين ﴾ فاللام سواء جعل لاصحاب اليمين صفة او خبرا متعلقة بمحذوف هو الصفة او الخبر ﴿ قوله فى سموم ﴾ السموم فى الاصل ريح حارة تدخل فى مسام البدن والمراد بها فى الآية حر النار تشبيها له بالسم فى نفوذه فى المسام ومسام البدن منافذه وثقبه والحمة الحمو فى الحديث «لا يستقضى احدكم بالحمة» اى بالحمو والمعنى ان الصنف الثالث من الازواج الثلاثة وهم اصحاب الشمال فى مقاساة حر نار جهنم فتحرق بها اكبادهم واجسادهم فيستغيثون بالماء فيغاثون بماء حميم شديد الحرارة فيزدادون عذابا فوق عذابهم بحر النار فيستغيثون بالظل فيغاثون بظل من يحموم فاذا اتوه لم يجدوه باردا ولا كريما بل يكون مالقوا فيه من العذاب اشد مما كانوا فيه قبل ذلك ﴿ قوله ولا نافع ﴾ فان الكرم صفة لكل مارضى ويحمد فى بابه قال الراغب وكل شئ اشرف فى بابه فانه يوصف بالكرم وعن الفراء ان العرب تنفى كل شئ غير مستحسن بنفى الكرم فيقولون الدار لا واسعة ولا كريمة وقيل الكريم ما كرم على غيره لانتفاعه به وما لا ينتفع به غيره لا يكون كريما والظل يقصد لفائدتين احداهما برودته التى يستروح بها من يأوى اليه من غير ان يقصد به دفع اذى الحر عنه وثانيتهما مجرد دفع اذى الحر عمن يأوى اليه مع قطع النظر عن ان يفيده روح البرد او من غير ان يفيده البرد اصلا كالبيوت المسدودة الاطراف بحيث لا يتحرك فيها الهواء فان من يأوى اليها يتخلص بها من اذى حر الشمس وان لم يستروح ببردها وظل اليحموم ليس فيه شئ من هاتين الفائدتين ونظير هذه الآية قوله تعالى انطلقوا الى ظل ذى ثلاث شعب لا ظليل ولا يغنى من اللهب ﴿ قوله نفى بذلك ﴾ اى بقوله لا بارد ولا كريم ما اوهم الظل من الاستروح يعنى مقتضى الظاهر ان يقال ويحموم حار ضار الا انه عدل عن ذلك الى قوله وظل لتهكم بهم من حيث ان الظل يوهم الروح والبرد ثم لما نفى عنه ما هو المطلوب من الظل وهو البرد والكرم تعين ان ذكر الظل انما هو للسخرية والتهكم بهم والتعريض بان الذين يستأهلون الظل البارد الكريم غيرهم اى غير هؤلاء ازديادا لتحسرهم وتأسفهم ثم انه تعالى ذكر اعمالهم التى اوجبت لهم هذا العذاب فقال انهم كانوا قبل ذلك اى قبل ان يصيروا الى هذا العذاب فى الدنيا مترفين يقال اترفته النعمة اذا اطغته ومن لم يتوسل بما انعم الله تعالى عليه من النعم الى رعاية مقتضى العبودية بل صرفه الى ما يشتهيه فقد اترف وطغى فعلى هذا المترف صفة ذم كالاصرار على الحنث وقيل الترفة التنعم والمترف المتنعم فهو فى حد نفسه ليس للذم وانما حصل الذم بقوله وكانوا يصرون على الحنث فان صدور المعاصى ممن كثرت النعم عليه اقبح القبائح فكأنه قيل انما استحقوا هذه العقوبة لانهم كانوا فى الدنيا متنعمين ولم يشكروا انعم الله تعالى عليهم بل اصروا على الذنب العظيم والحكمة فى ذكر سبب عذابهم مع انه لم يذكر فى اصحاب اليمين سبب ثوابهم فلم يقل انهم كانوا قبل ذلك شاكرين مطيعين التنبيه على ان ذلك الثواب منه تعالى فضل لا يستحقه المطيع بطاعته بخلاف

اى انشأناهن انشاء جديدا من غير ولادة ابداء او اعادة وفى الحديث هن اللواتى قبضن فى دار الدنيا عجائز شمطا رمصا جعلهن الله بعد الكبر أترابا على ميلاد واحد كلما اتاهن ازواجهن وجدوهن ابكارا (فجعلناهن ابكارا عربا) متحببات الى ازواجهن جمع عروب وسكن راءه حمزة وروى عن نافع وعاصم مثله (أترابا) فان كلهن بنات ثلاث وثلاثين وكذا ازواجهن (لاصحاب اليمين) متعلق بانشأنا او جعلنا او صفة لابكارا أو لأترابا او خبر لمحذوف مثل هن او لقوله (ثلة من الاولين وثلة من الآخرين) وهو على الوجه الاول خبر محذوف (واصحاب الشمال ما اصحاب الشمال فى سموم) فى حر نار ينفذ فى المسام (وحميم) وماء متناه فى الحرارة (وظل من يحموم) من دخان اسود يفعول من الحمة (لا بارد) كسائر الظل (ولا كريم) ولا نافع نفى بذلك ما اوهم الظل من الاستروح (انهم كانوا قبل ذلك مترفين) منهمكين فى الشهوات (وكانوا يصرون على الحنث العظيم) الذنب العظيم يعنى الشرك ومنه بلغ الغلام الحنث اى الحلم ووقت المؤاخذة بالذنب وحنث فى يمينه خلاف برّ فيها وتحنث اذا تأثم

العقاب فانه منه تعالى عدل بصيب المذنب جزاء المعصية فبين سبب عقابهم لئلا يتوهم ان هناك ظلما ﴿ قوله كررت الهمزة ﴾ يعني ان الهمزة الاولى دخلت لانكار البعث مطلقا والثانية لانكاره وقت كون لحومهم ترابا وعظامهم رفاتا والتي دخلت العاطف لانكار بعث آبائهم الذين هم اقدم موتا واتم اضمحلالا وكل واحد من هذه الامور اشد انكارا مما قبله فانهم اشاروا في استبعادهم البعث وتكذيبهم اياه الى امور اعتقدوها مقررة لصحة انكارهم له الاول الموت اشاروا اليه بقولهم أئذا متنا ثم لم يقتصروا عليه بل قالوا بعده وكنا ترابا وعظاما اي طال عهد موتنا بعد كوننا حيوانا حتى صارت اللحوم ترابا والعظام رفاتا والثاني طول مدة موتهم حيث صارت لحومهم ترابا ولم يبق منهم الا العظام البالية ثم زادوا وقالوا في هذه الحال يقال لنا انكم لمبعوثون بتأكيد الكلام بطرق ثلاثة احدها تصدير الكلام بان وثانيها زيادة اللام في خبرها وثالثها ترك صيغة الاستقبال والعدول عن صيغة المستقبل الى صيغة اسم المفعول لان البعث امر كائن في الحال ثم زادوا وقالوا أوآباؤنا الاولون بادخال همزة الانكار على الواو العاطفة للدلالة على ان ذلك اشد انكارا من حيث ان الآباء اقدم موتا واشد تلاشيا واضمحلالا وقولهم أوآباؤنا معطوف على الضمير المرفوع المتصل في لمبعوثون وجاز ذلك لقيام الهمزة الفاصلة مقام التأكيد كما قامت كلمة لا المؤكدة للنفي مقامه في قوله تعالى ما اشركنا ولا آباؤنا وقرئ أو آباؤنا باسكان الواو على انها او العاطفة التي هي لاحد الشيئين او الاشياء اي ايبعث نحن او آباؤنا مبالغة في الانكار وزيادة في الاستبعاد لانهم اقدم موتا فبعثهم ابعد انكارا لان يبعث كل واحد منهم ومن آبائهم وقوله مادل عليه مبعوثون اي انبعث اذا متنا لا هو لما تقرر ان ما بعد كلمة ان وما بعد همزة الاستفهام لا يعمل فيما قبلهما ﴿ قوله وقرئ لمجمّعون ﴾ بتكثير الفعل كما في قوله تعالى وغلقت الابواب قال الحسن لمجموعون في القبور الى ميقات يوم معلوم وهو يوم القيامة فتكون كلمة الى لبيان غاية اجتماعهم فيها وميقات الشيء ما وقت به ذلك الشيء اي حدّ وعين ﴿ قوله من يوم معين ﴾ بيان ما في قوله ما وقت به اشار به الى ان اضافة الميقات الى اليوم بيانية بمعنى من كما في خاتم فضة اي الى الميقات الذي هو اليوم المعلوم وهو يوم القيامة وهو ميقات منتهى الدنيا عند اول جزء منه فان بقاء الدنيا موقوت محدد بتحقق اول جزء من ذلك اليوم ويقال وقت الفعل بالتخفيف اذا بين له وقتا يفعل فيه وذلك الفعل موقوت قال تعالى ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا اي مكتوبا مبين الوقت وقيل قوله تعالى لمجموعون معناه لمحشورون فكلمة الى على هذا بمعنى في ﴿ قوله من الاولى للابتداء ﴾ اي لابتداء الغاية اي مبتدئون الاكل من شجر والمراد ثمره والثانية لبيان جنس ذلك الشجر قيل اختلف الناس في الزقوم وحاصل الاقوال يرجع الى ان ذلك في الفم مرّ وفي اللمس حارّ وفي الرائحة منتن وفي النظر اسود لا يكاد آكله يسيغه فهو طعام ذو غصة كريه من جميع الوجوه اعاذنا الله منه برحمته والفاء في قوله فمالئون المتوسطة بين الصيغتين المختلفتين لبيان ترتبهما في الوجود والتعجب من جمعهم اياهما وكذا الفاء في فشاربون الاول وكذا في قوله فشاربون شرب الهيم فان مجرد اكلهم من ذلك الشجر امر عجيب والعجب منه ان يغلب عليهم الجوع بحيث يفضي الى ان يأكل كل واحد منهم الى ان يملأ منه بطنه مع ما فيه من وجوه العذاب ﴿ قوله لغلبة العطش ﴾ اي لاجل حرارته ما اكلوه ومرارته وقوله وهو داء يشبه الاستسقاء اي داء معطش تشرب منه الابل الى ان تموت او تسقم سقما شديدا وعطف قوله فشاربون شرب الهيم على ما سبق بيان زيادة العذاب اي لا يكون شربكم ايها الضالون عن الهني كشرب من يشرب ماء حارا منتنا فانه يمسك عنه اذا وجده منتنا معذبا بخلاف شربكم فانكم تلزمون ان تشربوا منه مثل ما يشرب الجمل الاهيم فانه يشرب ولا يروى هذا على ان يكون ذكر البطون لمقابلة الجمع بالجمع لانقسام الآحاد الى الآحاد ويحتمل ان يكون المراد من البطون ما في بطن الانسان من الامعاء السبعة ويكون المعنى فمالئون بطون الامعاء والاول اظهر والثاني ادخل في التعذيب والعجب منه ان يحملهم العطش على ان يشربوا عليه الحميم المتناهي في الحرارة المقطع للامعاء والعجب من ذلك كله كونهم شاربين اياه بالحرص كما تشرب الابل الهيم الماء الطيب ﴿ قوله جمع أهيم وهيماء ﴾ فاصله هيم بضم الهاء كحمر في جمع احمر وحمراء فابدلت الضمة كسرة لتسلم الياء كما فعل ذلك في بيض جمع ابيض وبيضاء والصدى العطش وقوله ولا يقضي عليها هيامها اي لا يميتها ﴿ قوله وقيل الهيم الرمال ﴾ عطف على قوله الابل التي بها الهيام والرمل اذا لم يتماسك لا يروى من الماء اصلا وهيام يجمع على هيم بضمتين على وزن قضب في جمع قضاب فاسكنت الياء للتخفيف وقلبت ضمة الهاء كسرة لاجل الياء كما في بيض ﴿ قوله وكل من المعطوف والمعطوف عليه اخص

(وكانوا يقولون أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون) كررت الهمزة للدلالة على انكار البعث مطلقا وخصوصا في هذا الوقت كما دخلت العاطف في قوله (أو آباؤنا الاولون) للدلالة على ان ذلك اشد انكارا في حقهم لتقادم زمانهم وللفصل بها حسن العطف على المستكن في لمبعوثون وقرأ نافع وابن عامر أو بالسكون وقد سبق مثله والعامل في الظرف مادل عليه مبعوثون لا هو للفصل بان والهمزة (قل ان الاولين والآخرين لمجموعون) وقرئ لمجمّعون (الى ميقات يوم معلوم) الى ما وقت به الدنيا وحدّ من يوم معين عند الله معلوم له (ثم انكم ايها الضالون المكذبون) اي بالبعث والخطاب لاهل مكة واضرابهم (لآكلون من شجر من زقوم) من الاولى للابتداء والثانية للبيان (فمالئون منها البطون) من شدة الجوع (فشاربون عليه من الحميم) لغلبة العطش وتأنيث الضمير في منها وتذكيره في عليه على المعنى واللفظ وقرئ من شجرة فيكون التذكير للزقوم فانه تفسيرها (فشاربون شرب الهيم) الابل التي بها الهيام وهو داء يشبه الاستسقاء جمع اهيم وهيماء قال ذو الرمة

فاصبحت كالهيماء لا الماء مبرد * صداها ولا يقضي عليها هيامها *

وقيل الهيم الرمال على انه جمع هيام بالفتح وهو الرمل الذي لا يتماسك جمع على هيم كسحب ثم خففت وفعل به ما فعل بجمع ابيض وكل من المعطوف والمعطوف عليه اخص من الآخر من وجه فلا اتحاد وقرأ نافع وحمزة وعاصم شرب بضم الشين

من الاخر ﴾ جواب عما قال كيف يصح عطف الشاربين على الشاربين مع انه ليس من عطف الذوات على الذوات لاتحاد الذوات في الطرفين ولا من قبيل عطف الصفات لانهما صفتان متفقتان فكانا من عطف الشئ على نفسه وهو لايجوز * وتقرير الجواب منع اتحاد الصفتين بناء على ان بينهما عموما من وجه لان الشرب من الحميم اعم من ان يكون كشرب الهيم او غيره وكذا الشرب كشرب الهيم اعم من شرب الحميم ومادة الاجتماع ظاهرة ﴿ قوله وفيه تهكم ﴾ اى قوله تعالى هذا نزلهم من قبيل الاستعارة التهكمية وهى عبارة عن تشبيه احد الضدين بالآخر من حيث التضاد ثم اطلاق اسم المشبه به على المشبه بان شبه في الآية ماقدم للتعذيب بما اعد للتكرمة وهو النزل ثم اطلق اسم النزل على المشبه ﴿ قوله بالخلق او بالبعث ﴾ يعنى لما كان قوله تعالى فلولا تصدقون تحضيضا على التصديق بمعنى فهلا تصدقون وكان التصديق مطلقا بحسب التعلق حيث لم يبين متعلقه ذكر انه يحتمل ان يكون المراد فهلا تصدقون بانا خلقناكم * ولما ورد عليه انه مامعنى التحضيض على التصديق بالخلق وهم مصدقون بانه تعالى خلقهم وانشأهم اول مرة والتحضيض انما يتصور على مالم يحصل بعده اشار الى جوابه بقوله متيقنين محققين التصديق بذلك بان تعملوا على مقتضى ذلك فانهم لما انكروا البعث والنشأة الثانية وعملوا على حسب مايقتضيه هذا الانكار من الاصرار على الكفر والانهماك في الشهوات كانهم كانوا مكذبين بالنشأة الاولى فان المصدق اذا لم يجر على موجب تصديقه يكون بمنزلة المكذب فالتحضيض في الحقيقة تحضيض على الاعمال التى هى ثمرة التصديق بالخلق وبمرته فقول المصنف بالاعمال الدالة عليه متعلق بقوله محققين بالخلق او بالبعث يعنى ان قوله تعالى فلولا تصدقون تحضيض على التصديق بمعنى فهلا تصدقون والتصديق لابدله من مصدق ولم يذكر ذلك فيحتمل ان يكون المراد التحضيض على التصديق بالخلق الاول فانهم وان كانوا مصدقين به كقوله تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله الا انهم منزلون منزلة المكذب من حيث انهم لايجرون على مايقتضيه ذلك التصديق وهو الايمان والطاعة وقد تقرر ان العالم بالشئ ينزل منزلة الجاهل به اذا لم يجر على مقتضى علمه فهم لما اصروا على الكفر واتباع الشهوات صاروا بمنزلة من يكذب بالخلق الاول فصح تحضيضهم على التصديق به ويحتمل ان يكون المراد تحضيضهم على التصديق بالبعث استدلالا بقوله افرأيتم ماتمنون بالخلق الاول ثم انه تعالى لما قال نحن خلقناكم استدل بقوله افرأيتم ماتمنون أأنتم تخلقونه ام نحن الخالقون فانه الزام لهم على الاعتراف بان الخالق في الابتداء هو الله تعالى فان المنى امر ممكن والممكن لابد له من موجد غيره وان موجده لايكون مخلوقا آخر والا لدار او تسلسل فتعين ان خالقه هو الله الواحد القهار كانه لما قال نحن خلقناكم قال المشركون خلقنا من النطف فرد عليهم بقوله افرأيتم ماتمنون اى ان زعمتم ذلك فاخبرونى ومفعولها الاول ماتمنون والثانى الجملة الاستفهامية يقال منى الرجل النطفة وأمناها بمعنى اى صبها فقوله تعالى ماتمنون سواء قرئ بفتح التاء او بضمها معناه ماتصبونه في ارحام النساء قال القرطبى يحتمل عندى ان يختلف معناهما فيكون امنى بمعنى انزل عن جماع ومنى بمعنى انزل احتلاما وهذه الآية احتجاج عليهم وبيان للآية الاولى واذا ثبت عندكم انا خلقنا سورة الانسان من النطفة المقذوفة في الارحام فلتكن اعمالكم موافقة لهذا العلم او فاعترفوا بالبعث ايضا فان من قدر على الابداء قدر على الاعادة وقوله تعالى ألم يك نطفة من منى يمنى يحتمل ان يكون من الثانى ﴿ قوله قسمناه عليكم وأقتنا موت كل ﴾ يعنى ان تقدير الموت بين القوم يتضمن معنيين الاول جعله مقسوما عليهم والثانى جعل ما اصاب كل واحد منهم مخالفا لما اصاب الباقين منه فاختلفت اعمارهم بذلك كما اختلفت الارزاق المقسومة بينهم فمنهم من يعيش الى ان يبلغ الهرم ومنهم من يموت شابا او صبيا صغيرا ولما كان تقدير الموت متضمنا لهما كان قوله تعالى وما نحن بمسبوقين نفيا لان يعجزه احد من كل واحد منهما وبموت من تنفذ مشيئته في حقه بان يتخلص من الموت او يغير وقته المقدر ويجوز ان لايكون السبق بمعنى الفوات بل يكون بمعنى الغلبة كما يقال سبقه على الشئ اذا اعجزه عنه وغلبه ولم تمكنه منه ﴿ قوله على الاول حال ﴾ يعنى على تقدير ان يفسر قوله تعالى وما نحن بمسبوقين بقوله لايفوتنا احد بهرب من الموت او بتغيير وقته يكون قوله تعالى على ان نبدل متصلا بقوله نحن قدرنا بينكم الموت اما ان يكون حالا من فاعل قدرنا اى قدرنا بينكم الموت عازمين على ان نبدل منكم اشباهكم بان نهلككم ونأتى باشباهكم مكانكم قرنا بعد قرن الى وقت انقضاء الدنيا وعلى ان ننشئكم بعد فناء الدنيا فيما لاتعلمون من الصور والصفات فالسعداء يبعثون على احسن الصور

(هذا نزلهم يوم الدين) يوم الجزاء ماعلك مايكون لهم بعدما استقروا في الجحيم وفيه تهكم كما في قوله تعالى فبشرهم بعذاب اليم لان النزل مايعد للنازل تكرمة له وقرئ نزلهم بالتخفيف (نحن خلقناكم فلولا تصدقون) بالخلق متيقنين محققين التصديق بالاعمال الدالة عليه او بالبعث فان من قدر على الابداء قدر على الاعادة (أفرأيتم ماتمنون) اى ماتقذفونه في الارحام من النطف وقرئ بفتح التاء من منى النطفة بمعنى امناها (أأنتم تخلقونه) تجعلونه بشرا سويا (ام نحن الخالقون نحن قدرنا بينكم الموت) قسمناه عليكم وأقتنا موت كل بوقت معين وقرأ ابن كثير بتخفيف الدال (وما نحن بمسبوقين) لايسبقنا احد فيهرب من الموت او يغير وقته او لايغلبنا احد من سبقته على كذا اذا غلبته عليه (على ان نبدل امثالكم) على الاول حال او علة لقدرنا وعلى بمعنى اللام وما نحن بمسبوقين اعتراض

والاشتياد على اقصها وهم لايعلمون ماتشتى بذلك اليوم منها واما بان يكون علة لقدرنا بان تكون كلمة على بمعنى اللام وعلى هذا اى على تقدير كونه متصلا به يكونه حالا او علة يكون قوله تعالى ومانحن بمسبوقين اعتراضا حسنا لتقرير قدرته على مايشاء ﴿قوله و على الثانى صلة﴾ اى ان فسر قوله تعالى ومانحن بمسبوقين بلايغلبنا احد يكون قوله على ان نبدّل صلته اى متعلقا بمسبوقين فان السبق بمعنى الغلبة يتعدّى بعلى كما اشار اليه بقوله من سبقته على كذا اذا غلبته عليه ولان نفى المغلوبية فى اثبات القدرة وهى تتعدى بعلى فكذا ما بمعناها ﴿قوله والمعنى على ان نبدّل منكم اشباهكم﴾ اشارة الى ان احد المفعولين وهو المتعدى اليه بحرف الجرّ محذوف فان الامثال جمع مثل بكسر الميم وسكون الثاء ثم اشار الى جواز ان يكون الامثال جمع مثل بفتحتين وهو الصفة العجيبة الشان اطلق عليها لفظ المثل تشبيها لها بالمثل السائر الممثل مضربه بمورده الذى هو المعنى العرفى للفظ المثل والمعنى على ان نبدّل صفاتكم ونغيرها وننشئكم فى صفات وخلق وهيئات لاتعلمونها وماعهدتم تنازعها ﴿قوله تعالى وننشئكم﴾ عطف على نبدّل اى وعلى ان ننشئكم ثم انه تعالى قرّر امكان النشأة الثانية وحرّض على التذكر والاستدلال من العلم بالنشأة الاولى على النشأة الثانية اى هلا تذكرون ان من قدر على النشأة الاولى بلاسبق مثال ومواد اخر فهو على الثانية اقدر فقال ولقد علمتم النشأة الاولى اى الخلقة الاولى ﴿قوله وفيه دليل على صحة القياس﴾ حيث جهلهم فى ترك قياس النشأة الاخرى على الاولى بقوله فلولا تذكرون فان معناه فلولا تعلمون صحة النشأة الثانية قياسا على الاولى وترك القياس اذا كان جهلا كان القياس علما وكل ماكان من قبيل العلم فهو صحيح وفى الخبر عجبا كل العجب للمكذب بالنشأة الآخرة وهو يرى النشأة الاولى وعجبا للمصدق بالنشأة الآخرة وهو يسعى لدار الغرور واعلم انه تعالى احتج على المشركين الذين انكروا البعث بقوله نحن خلقناكم فلولا تصدقون ثم حملهم على ان يعترفوا بتفرده فى خلق النطفة التى هى مادة تكونهم فقال افرأيتم ماتمنون الخ ثم حملهم على ان يعترفوا بتفرده فى خلق مابه يعيشون ويكون سببا لبقائهم فى المأكول والمشروب وماهو سبب لاصلاح المأكول غالبا وهو النار فذكر من كل نوع ماهو الاصل فيه فذكر من المأكول الحب لانه الاصل فيه ومن المشروب الماء كذلك ومن المصلحات النار لكونها سببا لاصلاح اكثر الاغذية وادخل فى كل واحد منها ماهو دونه فقال افرأيتم ماتحرثون اى الخبرون ماتحرثونه اضيف الحرث اليهم والزرع اليه تعالى لان الحرث الذى هو القاء البذر فى الارض فعلهم من حيث ان اختيارهم له مدخل فيه بخلاف الزرع فانه خالص فعل الله تعالى فان انبات الحب واخراج الاوراق والساق والسنبل منه لامدخل لاختيار العبد فيه اصلا روى عن ابى هريرة رضى الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لايقولن احدكم زرعت ولكن ليقل حرثت فان الزارع هو الله تعالى وحده ثم قال ابو هريرة اما سمعتم قوله تعالى أأنتم تزرعونه ام نحن الزارعون قال القرطبى المستحب لكل من حرث شيأ ان يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم ثم يقرأ افرأيتم ماتحرثون الآية ثم يقول بل الله الزارع والمنبت والمبلغ اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل محمد وارزقنا ثمره وجنبنا ضرره واجعلنا لانعمك من الشاكرين يقال ان هذا القول امان لذلك الزرع من جميع الآفات الدود والجراد وغير ذلك ثم قال معناه من ثقة وجرّبناه فوجدناه كذلك والهشم كسر الشئ اليابس من النبات والهشيم من النبات اليابس المتكسر قيل هذه الآية تتضمن امرين احدهما الامتنان عليهم بان انبت زرعهم حتى عاشوا به ليشكروا على ما انعم الله عليهم والثانى البرهان الموجب للاعتبار لانه تعالى لما انبت زرعهم بعد تلاشى بذره وانتقاله الى استوحالة تحت التراب حتى صار زرعا اخضر ثم قوى واشتدّ وانبت سنابل ذوات حبوب كثيرة فمن قدر عليه فهو باعادة الموتى احق واقدر وفى هذا البرهان قناعة للناظرين والجمهور على فتح الظاء وسكون اللام فى قوله فظلتم اصله ظللتم بكسر اللام الاولى فحذفت اللام الاولى هربا من ثقل التكرار وقرئ فظلتم بكسر الظاء بان نقلت حركة اللام الاولى اليها بعد سلب حركتها وتفكهون اصله تتفكهون اى فظلتم النهار كله تتعجبون من يبسه بعد خضرته يقال ظلت اعمل كذا بالكسر ظلولا اذا عملته بالنهار دون الليل وتفكه بمعنى تعجب ويقال بمعنى تندم اى تندمون على تعبكم فيه وانفاقكم عليه او على مااقترفتم من المعاصى التى اصبتم بالحرمان من اجلها ﴿قوله لملزمون غرامة ما انفقنا﴾ اى من البذر والمؤنة على ان المغرم من ذهب ماله بغير عوض وقيل المغرم المهلك من قوله تعالى ان عذابها كان غراما اى هلاكا والجملة محكية بقول مقدر فى موضع الحال اى قائلين بهذا القول ﴿قوله او محدودون﴾ من الحدّ بمعنى المنع اى ممنوعون حرمنا ما كنا نطلبه من الريع والزرع

وعلى الثانى صلة والمعنى على ان نبدّل منكم اشباهكم فنخلق بدلكم او نبدّل صفاتكم على ان امثالكم جمع مثل (وننشئكم فيما لاتعلمون) فى خلق او صفات لاتعلمونها (ولقد علمتم النشأة الاولى فلولا تذكرون) ان من قدر عليها قدر على النشأة الاخرى فانها اقل صنعا لحصول المواد وتخصيص الاجزاء وسبق المثال وفيه دليل على صحة القياس (أفرأيتم ماتحرثون) تبذرون حبه (أأنتم تزرعونه) تنبتونه (ام نحن الزارعون) المنبتون (لونشاء لجعلناه حطاما) هشيما (فظلتم تفكهون) تعجبون او تندمون على اجتهادكم فيه او على ماصبتم لاجله من المعاصى فتحدثون فيه والتفكه التنقل بصنوف الفاكهة وقد استعير للتنقل بالحديث وقرئ فظلتم بالكسر وفظللتم على الاصل (انا لمغرمون) لملزمون غرامة ما انفقنا او مهلكون لهلاك رزقنا من الغرام وقرأ ابو بكر أئنا على الاستفهام (بل نحن) قوم (محرومون) حرمنا رزقنا او محدودون لامجدودون

﴿قوله معلقة بالاستفهام﴾ اى الداخل على المفعول الثانى من العمل فيه ولا تمنع من العمل فى المفعول الاوّل ذكر فى شرح الرضى انه اذا صدّر المفعول الثانى بكلمة الاستفهام فالاولى ان لا يعلق فعل القلب عن المفعول الاوّل نحو علمت زيدا من هو وجوّز بعضهم تعلقه عن المفعولين لان معنى الاستفهام يعم الجملة التى بعد علمت كأنه قيل علمت من زيد وليس بقوى ﴿قوله ملحا﴾ اى شديد الملوحة بحيث لا يقدر على شربه اذ الملح صفة مشبهة من ملح الماء بضم اللام ملوحة فهو ماء ملح ولا يقال مالح الا فى لغة رديئة والاجيج مصدر بمعنى تلهب النار يقال اجت النار تؤج اجيجا ﴿قوله وحذف اللام الفاصلة﴾ جواب عما يقال قد التزمت البلغاء ادخال اللام فى جواب لو للفصل بين ما يتمحض للشرط وهو كلمة ان وبين ما لا يكون كذلك بل يكون متضمنا لمعنى الشرط وشبيها باداة الشرط وهى كلمة لو فلذلك دخلت اللام فى جواب لو فى قوله تعالى لو نشاء لجعلناه حطاما فلم لم تدخل فى قوله لو نشاء جعلناه اجاجا وانما قلنا ان لو ليست متمحضة للشرط لان الشرط عبارة عن تعليق حصول شئ على حصول غيره وذلك يستدعى ان يكون المعلق امرا استقباليا ولو للمضى فلا تكون للشرط حقيقة لكنها لما دخلت على جملتين تعلقت احداهما بالاخرى بان يكون امتناع مضمون الثانية منهما منوطا بامتناع مضمون الاولى منهما كانت متضمنة لمعنى الشرط وشبيهة باداة الشرط وليس لها عمل فى شئ منهما حتى يكون العمل علامة لهذا التعليق فاحتيج الى ان ينصب ما يدل عليه فزيدت اللام فى جوابها لتكون علامة ودليلا على التعليق المذكور * وتقرير الجواب انها حذفت فى جواب لو الثانية اعتمادا على علم السامع بمكانها فان السامع لما علم انها جعلت علامة لكون الجملة الثانية مرتبطة بالاولى وانها لا بد منها فى جواب لو مطلقا واشتهر بين الناس موضعها ومكانها جاز حذفها لان الشئ اذا علم موضعه واشتهر انه لا بد منه لا يبالى باسقاطه فيحذف للاختصار اعتمادا على وجود القرينة الحالية لا سيما وقد تحققت هنا قرينة لفظية وهو سبق ذكرها فى قوله لو نشاء لجعلناه حطاما فقوله او الاكتفاء اشارة الى تحقق القرينة اللفظية وقوله لعلم السامع اشارة الى تحقق القرينة المعنوية * وقوله وتخصيص ما يقصد لذاته جواب عما يقال القرينة الحالية قائمة فى كل واحد من آيتى المطعوم والمشروب فلم اختصت آية المطعوم بذكر اللام فيها وآية المشروب بحذفها اعتمادا على القرينة الحالية ولم يعكس الامر * وتقرير الجواب ان المطعوم مقصود لذاته والمشروب انما يحتاج اليه تبعا للمطعوم فكان الاوّل اهم وفقده اصعب واشد فكان هذا مرجحا لاختصاصه بمزيد التأكيد للارتباط وعدم الاكتفاء بالقرينة ﴿قوله تقدحون﴾ اى تقدحونها وتستخرجونها من الزناد وهو جمع زند يقال ورى الزند يرى اى خرجت ناره واوريته انا والزند العود الذى يقدح به النار وهو الاعلى والزندة السفلى فيها ثقب وهى الانثى فاذا اجتمعا قيل زندان والجمع زناد والقداح الحجر الذى يورى النار والعرب تقدح بعودين تحك احدهما على الآخر ويسمون الاعلى منهما الزند والاسفل الزندة تشبيها لهما بالفحل والمطروقة عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال ما من شجر ولا عود الا فيه النار سوى العناب فان عوده لا نار فيه ولهذا تدق اهل القصارة بخشبه ويدق عليه ﴿قوله كما مرّ فى سورة يس﴾ وهو قوله فمن قدر على احداث النار من الشجر الاخضر مع ما فيه من المائية المضادة لها بكيفيتها كان اقدر على اعادة الغضاضة فيما كان غضا فيبس وبلى والتبصير والتبصرة التعريف والايضاح كما ان التبصر التأمل والتعرّف فهو تعالى جعل النار تبصرة لامر البعث او تبصرة فى ظلمة الليالى وتذكرة وانموذجا لنار جهنم حيث علق بها معظم معاش الانسان لتكون حاضرة عندهم فى اكثر الاوقات ليذكروا بها نار جهنم وقد روى عنه عليه الصلاة والسلام * ناركم هذه التى توقدونها بنى آدم جزء من سبعين جزأ من حر جهنم ﴿قوله الذين ينزلون القوآء﴾ اى من المسافرين واهل البادية فانهم اشد احتياجا الى النار يوقدونها لئلا تهرب منهم السباع ويصطلون من البرد ويجففون ثيابهم ويطبخون طعامهم اذ لا يوجد الطعام الحاضر فى البوادى الخالية من السكان فلذلك خص المقوين بالذكر مع ان المقيمين واهل المدن يتمتعون بها ايضا يقال اقوى الرجل اذا نزل فى الارض القوآء كما يقال أصحر اذا نزل فى الصحرآء ويقال ايضا اقوت الدار اذا اخلت من ساكنيها قال النابغة

* يا دارمية بالعلياء فالسند * اقوت وطال عليها سالف الابد *

قدم كونها تذكرة على كونها متاعا لانها امر دينى قد غفل الناس عنها فكانت اهم واولى بالتقديم ﴿قوله فاحدث التسبيح بذكر اسمه او بذكره﴾ كأن قائلا قال الظاهر ان يقال فسبح ربك العظيم اى نزهه عما لا يليق بشأنه

(افرأيتم الماء الذى تشربون) اى العذب الصالح للشرب (ءأنتم انزلتموه من المزن) من السحاب واحده مزنة وقيل المزن السحاب الابيض وماؤه اعذب (ام نحن المنزلون) بقدرتنا والرؤية ان كانت بمعنى العلم فمعلقة بالاستفهام (لو نشاء جعلناه اجاجا) ملحا او من الاجيج فانه يحرق الفم وحذف اللام الفاصلة بين جواب ما يتمحض للشرط وما يتضمن معناه لعلم السامع بمكانه او الاكتفاء بسبق ذكرها وتخصيص ما يقصد لذاته ويكون اهم وفقده اصعب لمزيد التأكيد (فلو لا تشكرون) امثال هذه النعم الضرورية (افرأيتم النار التى تورون) تقدحون (ءأنتم انشأتم شجرتها ام نحن المنشئون) يعنى الشجرة التى منها الزناد (نحن جعلناها) جعلنا نار الزناد (تذكرة) تبصرة فى امر البعث كما مرّ فى سورة يس او فى الظلام او تذكيرا وانموذجا لنار جهنم (ومتاعا) ومنفعة (للمقوين) الذين ينزلون القوآء وهى القفر او للذين خلت بطونهم او مزاودهم من الطعام من اقوت الدار اذا خلت من ساكنيها (فسبح باسم ربك العظيم) فاحدث التسبيح بذكر اسمه او بذكره فان اطلاق اسم الشئ ذكره والعظيم صفة للاسم او الرب وتعقيب الامر بالتسبيح لما عدد من بدائع صنعه وانعامه اما لتنزيهه تعالى عما يقول الجاحدون لوحدانيته الكافرون لنعمته او للتعجب من امرهم فى غمط نعمه او للشكر على ما عدها من النعم (فلا اقسم) اذ الامر اوضح من ان يحتاج الى قسم او فاقسم ولا مزيدة للتأكيد كما فى قوله لئلا يعلم او فلأنا اقسم فحذف المبتدأ واشبع فتحة لام الابتداء

ويدل عليه قرآءة فلا قسم او فلارد لكلام يخالف المقسم عليه (بمواقع النجوم) بمساقطها وتخصيص المغارب لما في غروبها من زوال اثرها والدلالة على وجود مؤثر لا يزول تأثيره او بمنازلها ومجاريها وقيل النجوم نجوم القرآن ومواقعها اوقات نزولها وقرأ حمزة والكسائي بموقع (وانه لقسم لو تعلمون عظيم) لما في المقسم به من الدلالة على عظيم القدرة وكمال الحكمة وفرط الرحمة ومن مقتضيات رحمته ان لا يترك عباده سدى وهو اعتراض في اعتراض فانه اعتراض بين القسم والمقسم عليه ولو تعلمون اعتراض بين الموصوف والصفة (انه لقرآن كريم) كثير النفع لاشتماله على اصول العلوم المهمة في اصلاح المعاش والمعاد او حسن مرضي في جنسه (في كتاب مكنون) مصون وهو اللوح (لا يمسه الا المطهرون) لا يطلع على اللوح الا المطهرون من الكدورات الجسمانية وهم الملائكة او لا يمس القرآن الا المطهرون من الاحداث فيكون نفيا بمعنى نهي او لا يطلبه الا المطهرون من الكفر وقرئ المتطهرون والمطهرون والمطهرون من اطهره بمعنى طهره والمطهرون اي انفسهم او غيرهم بالاستغفار لهم والالهام (تنزيل من رب العالمين) صفة ثالثة او رابعة للقرآن وهو مصدر نعت به وقرئ بالنصب اي نزل تنزيلا (أفبهذا الحديث) يعني القرآن (انتم مدهنون) متهاونون به كمن يدهن في الامر اي يلين جانبه ولا يتصلب فيه تهاونا به (وتجعلون رزقكم) اي شكر رزقكم (انكم تكذبون) اي بمانحه حيث تنسبونه الى الانواء وقرئ شكركم اي وتجعلون شكركم لنعمة القرآن انكم تكذبونه او تكذبون اي بقولكم في صفة القرآن انه سحر وشعر او في المطر انه من الانواء (فلولا اذا بلغت الحلقوم) اي النفس (وانتم حينئذ تنظرون) حالكم والخطاب لمن حول المحتضر والواو للحال (ونحن اقرب اليه) ونحن اعلم بحال المحتضر (منكم) عبر عن العلم بالقرب الذي هو اقوى سبب الاطلاع (ولكن لا تبصرون) لا تدركون كنه ما يجري عليه (فلولا ان كنتم غير مدينين) اي مجزيين يوم القيامة او مملوكين مقهورين من دانه اذا اذله واستعبده واصل التركيب للذل والانقياد (ترجعونها) ترجعون النفس الى مقرها وهو عامل الظرف والمحضض عليه بلولا الاولى والثانية تكرير للتأكيد وهي بما في حيزها دليل جواب الشرط والمعنى ان كنتم غير مملوكين مجزيين كما دل عليه جحدكم افعال الله وتكذيبكم بآياته (ان كنتم صادقين) في ابطالكم فلولا ترجعون الارواح الى الابدان بعد بلوغها الحلقوم (فاما ان كان من المقربين) اي ان كان المتوفى من السابقين (فروح) فله استراحة وقرئ فروح بالضم وفسر بالرحمة لانها كالسبب لحياة المرحوم وبالحياة الدائمة (وريحان) ورزق طيب (وجنة نعيم) ذات تنعم (واما ان كان من اصحاب اليمين فسلام لك) يا صاحب اليمين (من اصحاب اليمين) اي من اخوانك يسلمون عليك (واما ان كان من المكذبين الضالين) اي من اصحاب الشمال وانما وصفهم بافعالهم زجرا عنها واشعارا بما اوجب لهم ما اوعدهم به (فنزل من حميم وتصلية جحيم) وذلك ما يجد في القبر من سموم النار ودخانها (ان هذا) ان الذي ذكر في السورة او في شأن الفرق (لهو حق اليقين) اي حق الخبر اليقين (فسبح باسم ربك العظيم) فنزهه بذكر اسمه عما لا يليق بعظمة شأنه * عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة ابدا (روى)

الاعلى من النقائص فانه تعالى لما رد على من انكر البعث بان قالوا أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون بان ذكر ما يدل على صحة البعث وقدرته عليه وبدأ بذكر خلق الانسان لكونه اصل النعم كلها ثم ذكر تفرده بخلق ما به بقاء الانسان فبدأ بذكر ما هو اصل المطعوم وهو الحب ثم ذكر ما هو اصل المشروب وهو الماء الذي يعجن به الخبز ويشرب ثم ذكر النار التي يطبخ بها معظم المطعومات وبين بهذا كله ان من انعم بهذه النعم عليكم وتفرد بخلقها ابتداء يقدر على ان يعيدكم للحساب والجزاء فرع عليه الامر بتسبيحه وتنزيهه عما زعم منكروا البعث في حقه تعالى فانهم منكرون لقدرته الكاملة وعلمه الشامل لتفاصيل اجزاء الموتى فثبت بهذا ان الظاهر ان يقال فسبح ربك العظيم عما يقول الجاهلون فلم قال فسبح باسم ربك العظيم * وتقرير الجواب ان كون الامر بالتسبيح متفرعا على ذكر دلائل صحة البعث لا يستدعي ان يكون تعلق التسبيح بمفعوله مرادا لان المقصود حاصل بتنزيله منزلة اللازم وجعل الباء في قوله باسم ربك للآلة اما بتقدير الذكر المضاف الى الاسم وجعل الاسم بمعنى الذكر مجازا فيكون المعنى فاحدث التسبيح بواسطة ذكر اسمه تعالى او بواسطة ذكره تعالى وجاز كون الاسم مجازا عن الذكر لما اشار اليه المصنف بقوله فان اطلاق اسم الشيء ذكره فانه اراد به بيان العلاقة بين الاسم والذكر يعني ان اطلاق اسم الشيء لما كان سببا لذكره صح اطلاق الاسم وارادة الذكر مجازا قيل ويجوز ان يجري النظم على ظاهره من غير تقدير المضاف ولا ارتكاب المجاز بكون المعنى فسبح اسم ربك فانه كما يجب تنزيه ذاته وصفاته عن النقائص كذلك يجب تنزيه الالفاظ الموضوعة للدلالة على ذاته من سوء الادب وهذا ابلغ في الدلالة على تسبيح ذاته تعالى لانه يلزم منه ذلك بالطريق الاولى غاية ما في الباب ان يعدى فعل التسبيح الى مفعوله بواسطة الباء مع انه يتعدى اليه بنفسه كما في قوله سبح اسم ربك الاعلى ولا محذور فيه لانه اذا كان تعلق الفعل بالمفعول ظاهرا لا يعدى اليه بحرف

﴿ قوله ويدل عليه قرآءة فلأقسم ﴾ اي يدل على ان لام الابتداء دخلت على جملة من مبتدأ وخبر ولا يصح ان تكون اللام لام القسم لامرين احدهما ان حقها ان تقرن بها النون المؤكدة والاخلال بها ضعيف قبيح والثاني ان لأفعلن في جواب القسم للاستقبال وفعل القسم يجب ان يكون للحال ﴿ قوله تعالى بمواقع النجوم ﴾ قرأ حمزة والكسائي بموقع على التوحيد قال الحسن اراد انكدارها وانتثارها يوم القيامة وقيل مواقعها عند الرجم ﴿ قوله لما في غروبها من زوال اثرها ﴾ او لعل لله تعالى في آخر الليل اذا انحطت النجوم الى المغرب افعالا مخصوصة عظيمة او للملائكة عبادات موصوفة او لانه وقت قيام المتهجدين والمبتهلين اليه من عباده الصالحين ونزول الرحمة والرضوان عليهم ﴿ قوله تعالى في كتاب مكنون ﴾ صفة اخرى لقرآن او حال من الضمير في كريم او خبر مبتدأ محذوف وقيل المراد بالكتاب المصحف ومعنى مكنون مصون اي محفوظ من التبديل والتحريف وقوله تنزيل على قرآءة الرفع اي هو تنزيل بمعنى منزل وعلى قرآءة النصب اي نزل تنزيلا لانه نزل نجوما من بين سائر كتب الله فكأنه في نفسه تنزيل ولذلك جرى مجرى بعض اسمائه ﴿ قوله او لا يمس القرآن الا المطهرون من الاحداث ﴾ وهو قول عطاء وطاوس واكثر اهل العلم وبه قال الشافعي ومالك وقال الحكم وحماد وابو حنيفة يجوز للمحدث والجنب حمل المصحف ومسه ﴿ قوله صفة ثالثة او رابعة ﴾ اي ان كان لا يمسه خبرا اي غير نهي فتنزيل صفة رابعة وان كان نفيا بمعنى نهي فتنزيل صفة ثالثة للقرآن او ان كان لا يمسه صفة كتاب فتنزيل صفة ثالثة وان كان صفة للقرآن فتنزيل صفة رابعة ﴿ قوله تعالى فروح ﴾ جواب اما وان فاستغني بجواب اما عن جوابها لان ان قد يحذف جوابها في مواضع ويقرأ بفتح الراء وضمها فالفتح مصدر والضم اسم له وقيل هو الروح به ﴿ قوله فسلام لك ﴾ اي سلامة لك يا محمد منهم فلا تهتم بهم فانهم سلموا من عذاب الله وانك ترى فيهم ما تحب من السلامة قال مقاتل هو ان الله تعالى يتجاوز عن سيئاتهم ويقبل حسناتهم وقال الفراء وغيره فسلام لك انهم من اصحاب اليمين او يقال لصاحب اليمين سلام لك انك من اصحاب اليمين كالرجل يقول لمسافر عن قليل فتقول له انت مصدق مسافر عن قليل وقيل فسلام عليك من اصحاب اليمين ﴿ قوله فنزل ﴾ فله نزل وقوله وتصلية قرئ بالرفع عطفا على نزل وبالجر عطفا على حميم ﴿ قوله اي حق الخبر اليقين ﴾ وقيل المعنى حقيقة اليقين والعظيم صفة لربك وقيل للاسم وقوله فسبح قيل معناه فصل بذكر ربك وامره وقيل الباء زائدة * تم ما يتعلق بسورة الواقعة والحمد لله رب العالمين

﴿ سورة الحديد مدنية وقيل مكية وآيها تسع وعشرون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم ﴾

روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ المسبحات قبل ان يرقد ويقول ان فيهن آية افضل من الف آية ويعني بالمسبحات الحديد والحشر والصف والجمعة والتغابن بدأ الله تعالى سورة بني اسرآئيل بلفظ المصدر والحديد والحشر والصف بلفظ الماضي والجمعة والتغابن بلفظ المضارع وسورة الاعلى بلفظ الامر استيعابا لجميع ضروب صيغ التسبيح في كلامه المجيد واشارة الى ان المكوّنات من لدن اخراجها من العدم الى الوجود مسبحة في كل الاوقات لا يختص بتسبيحها وقت دون وقت بل هي مسبحة ابدا في الماضي والمستقبل ووجه الاشارة انه تعالى لما اخبر عن تسبيح جميع المكوّنات السماوية والارضية من العقلاء وغيرهم تارة بصيغة الماضي واخرى بصيغة المضارع دل ذلك على ان كل واحدة من الصيغتين جردت عن الدلالة على الزمان الذي هو مدلول الهيئة فاذا لم تكن خصوصية الزمان مقصودة في كل واحدة من الصيغتين بقيت دلالتهما على مطلق الزمان ولا اولوية لبعض اجزآئه على بعض فكان كل واحدة منهما لاستمرار الازمنة مع ان التسبيح لما اسند الى جميع المكوّنات كان المراد به ما يعم التسبيح بالمقال وما يكون بدلالة الحال لانه الذي يمكن تحققه من الجميع وهو الدلالة الجلية على تنزه الخالق من جميع النقائص فان كل موجود ممكن ينزه خالقه عن الامكان وقبول العدم بحسب وجوده الجلي المستفاد من المؤثر وعن العجز بحدوثه وتغير احواله وعن سائر النقائص بتنزيهه وتبليغه الى كمالاته الممكنة بالاسباب السماوية والارضية وبالجملة كل موجود ممكن مفتقر بامكانه الذاتي الجلي الى مؤثر واجب الوجود لذاته ضرورة استحالة الدور والتسلسل ووجوب الوجود كما انه معدن كل كمال مبعد عن كل نقصان فثبت ان كل موجود ممكن يسبح ويبعد مؤثره عن كل نقصان بحسب ذاته وجبلته فان الامكان الذاتي لما كان محوجا الى مؤثر واجب الوجود لذاته وكان وجوب وجوده مستلزما لتنزهه عن كل نقصان كان كل ممكن مسبحا ومنزها لخالقه عن جميع النقائص لاجل امكانه الذاتي اللازم له في جميع الازمنة فكان التسبيح المسبب عنه ايضا مستمرا في جميع الازمنة فوجب ان تجرد كل واحدة من الصيغتين عن الدلالة على الزمان الذي هو مدلول الهيئة وتحمل كل واحدة منهما على استمرار الازمنة ﴿ قوله ومجئ المصدر مطلقا ﴾ اي من الدلالة على الزمان والفاعل ﴿ قوله وهو معدى بنفسه ﴾ كما في قوله وسبحوه بكرة واصيلا وسبح اسم ربك ويسبحونه وله يسجدون وذلك لان سبح بالتشديد منقول من سبح الثلاثي وهو لازم بمعنى ذهب وبعد فتعدى بتضعيف العين فالتشديد فيه للتعدية بمعنى سبحته بعدته عن السوء ولما كان متعديا بنفسه كانت اللام فيه لام الاجل والاختصاص ويكون الفعل منزلا منزلة اللازم ويكون معنى سبح لله احدث التسبيح واوقعه لاجل الله تعالى وخالصا لوجهه من غير توقع ثواب وعوض كما يقال نصحت له للدلالة على المحاض النصح للمنصوح من غير غرض للناصح فيه ﴿ قوله حال يشعر بما هو المبدأ للتسبيح ﴾ فان العزيز هو الغالب على كل شئ بحيث لا يتصور منازعته فيكون اشارة الى كمال القدرة كما ان الحكيم اشارة الى كمال العلم لانه الذي افعاله على وفق الحكمة والصواب فيعتبر في مفهوم الحكمة كل واحد من اتقان العلم والعمل ولا شك ان من جمع بين كمال القدرة وكمال العلم يكون مسبحا منزها عن جميع النقائص ﴿ قوله تعالى له ملك السموات ﴾ جملة مستأنفة لا محل لها من الاعراب والملك عبارة من استغناء الذات في ذاته وفي جميع صفاته عن كل ما عداه واحتياج كل ما عداه اليه في ذواتهم وصفاتهم فالملك والخلق ليس الا لله الواحد القهار يفعل ما يشاء ويحكم ما يريده وقوله يحيي ويميت جواب عن سؤال كأنه قيل كيف تصرف فيها فاجيب بانه يحيي الاموات للبعث ويميت الاحياء في الدنيا وهو على كل شئ قدير ﴿ قوله ولو بالنظر الى ذواتها ﴾ يعني ان المراد باوّليته تعالى كونه سابقا على كل ما سواه من الموجودات بالذات من حيث انه موجدها ومحدثها وبآخريته بقاؤه بعد فناء الموجودات ولو بالنظر الى ذواتها ولا يلزم ان يكون فناؤها بطريان العدم على وجوداتها المستفادة من مؤثرها بل يكفي في فنائها كونها بحيث اذا نظر اليها في حد ذاتها وقطع النظر عما سواها وجدها العقل فانية عارية عن صفة الوجود بخلاف البارى تعالى فانه اذا نظر اليه في حد ذاته وقطع النظر عن جميع ما عداه يجده العقل موجودا باقيا ويحكم بان وجوده وجميع صفات كماله مقتضى ذاته فهو تعالى باق في ذاته بعد فناء سائر الموجودات مطلقا سوآء كان فناؤها بطريان العدم عليها او بكونها في حد ذاتها عارية عن الوجود وكون وجوداتها مستفادة من الغير ﴿ قوله او هو الاوّل الذي تبتدئ منه الاسباب ﴾ اي ويجوز ان تكون اوّليته تعالى عبارة عن كونه بحيث اذا نظر الى سلسلة الموجودات المرتبة في الوجود كان تعالى مبدأ سلسلة الاسباب وتكون آخريته عبارة عن كونه بحيث تنتهي اليه سلسلة المسببات فان

﴿ سورة الحديد مدنية وقيل مكية ﴾
﴿ وآيها تسع وعشرون آية ﴾
(بسم الله الرحمن الرحيم)

(سبح لله ما في السموات والارض) ذكر ههنا وفي الحشر والصف بلفظ الماضي وفي الجمعة والتغابن بلفظ المضارع اشعارا بان من شأن ما اسند اليه ان يسبحه في جميع اوقاته لانه دلالة جبلية لا تختلف باختلاف الحالات ومجئ المصدر مطلقا في بني اسرآئيل ابلغ من حيث انه يشعر باطلاقه على استحقاق التسبيح من كل شئ وفي كل حال وانما عدي باللام وهو معدى بنفسه مثل نصحت له في نصحته اشعارا بان ايقاع الفعل لاجل الله وخالصا لوجهه (وهو العزيز الحكيم) حال يشعر بما هو المبدأ للتسبيح (له ملك السموات والارض) فانه الموجد لها والمتصرف فيها (يحيي ويميت) استئناف او خبر لمحذوف او حال من المجرور في له (وهو على كل شئ) من الاحياء والاماتة وغيرهما (قدير) تام القدرة (هو الاوّل) السابق على سائر الموجودات من حيث انه موجدها ومحدثها (والآخر) الباقي بعد فنائها ولو بالنظر الى ذواتها مع قطع النظر عن غيرها او هو الاوّل الذي تبتدئ منه الاسباب وتنتهي اليه المسببات

الوجود يبتدأ منه تعالى ولا يزال ينزل فينزل حتى ينتهى الى الوجود الاخير الذى يكون سببا لكل ماعداه ولا يكون مسببا لشئ آخر فبهذا الاعتبار يكون الحق سبحانه اولا ثم اذا اخذت ترتقى من هذا الوجود الاخير درجة درجة حتى تنتهى فى آخر الترقى اليه تعالى فهو تعالى اول فى نزول الوجود منه تعالى الى الممكنات آخر عند الصعود من الممكنات اليه تعالى قال القرطبى اختلف فى معانى هذه الاسماء وقد شرحها رسول الله صلى الله عليه وسلم شرحا يغنى عن قول كل قائل فانه روى مسلم فى صحيحه عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم انت الاول فليس قبلك شئ وانت الآخر فليس بعدك شئ وانت الظاهر فليس فوقك شئ وانت الباطن فليس دونك شئ اقض عنا الدين واغننا من الفقر عنى بالظاهر الغالب وبالباطن العالم ببواطن الاشياء فقيل القول بان الباطن العالم ضعيف لانه يلزم التكرار فى قوله والله بكل شئ عليم ﴿ قوله او الاول خارجا والآخر ذهنا ﴾ فانك اذا نظرت الى ترتيب السلوك ولاحظت منازل السالكين السائرين اليه تعالى فهو تعالى آخر ما يرتقى اليه درجات العارفين وكل معرفة تحصل قبل معرفته فهى مرقاة الى معرفته والمنزل الاقصى هو معرفة الله تعالى فهو آخر بالاضافة الى السلوك فى درجات الارتقاء فى باب المعارف واول بالاضافة الى الوجود الخارجى فمنه المبدأ اولا واليه المرجع آخرا ﴿ قوله والباطن حقيقة ذاته ﴾ لان حقيقة ذاته غير مدركة لا عقلا ولا حسا باتفاق الفريقين من اهل السنة والمعتزلة ولما تعاضدت الادلة على انه تعالى يدرك بالحاسة فى الآخرة لم يفسر المصنف كونه تعالى باطنا بكونه غير مدرك بالحواس بل هو الظاهر وجوده لان الموجودات باسرها شاهدة بظهوره والباطن بكنه حقيقته وبطونه بهذا المعنى لا ينافى كونه مرئيا فى الآخرة وفسره صاحب الكشاف بانه غير مدرك بالحواس وهو تفسير بحسب التشهى تأييدا لما ذهب اليه من استحالة الرؤية والحق انه تعالى ظاهر بوجوده باطن بكنهه وانه تعالى جامع بين الوصفين ازلا وابدا والبطون بهذا المعنى لا ينافى الرؤية فى الآخرة لان الرؤية بالحاسة لا تقتضى معرفة الحقيقة وعلى هذا يكون التذييل بقوله وهو بكل شئ عليم لئلا يتوهم ان بطونه تعالى عن الاشياء يستلزم بطونها عنه تعالى كما فى الشاهد ﴿ قوله او الغالب على كل شئ ﴾ على ان يكون الظاهر من قولهم ظهر عليه اذا علاه وغلب عليه فالمعنى هو الغالب الذى يغلب كل شئ ولا يغلب عليه فيتصرف فى الكائنات على سبيل الغلبة والاستيلاء اذ ليس فوقه احد يمنعه وانه الباطن الذى يعلم بواطن الاشياء وليس تحته شئ حتى لا يصل اليه علمه ﴿ قوله والواو الاولى والاخيرة ﴾ يعنى ان الواو المتوسطة بين الاول والآخر لعطف الفرد على الفرد وكذا المتوسطة بين الظاهر والباطن واما الواو الثانية المتوسطة بين الظاهر والباطن فهى لعطف المجموع الثانى على المجموع الاول ولو جعلت لعطف الظاهر على احد الوصفين الاولين لفات التناسب بخلاف ما اذا عطف احد الوصفين المتقابلين المذكورين اولا على الآخر ثم احد المتقابلين المذكور ثانيا على الآخر ثم جمعت بين المجموع الاول والمجموع الثانى بالواو المتوسطة فان الكلام حينئذ يفيد انه تعالى كما انه متصف بكل واحد من الوصفين الاخيرين ازلا وابدا فهو ايضا متصف بكل واحد من المجموعين ازلا وابدا فامن وقت يصح اتصافه تعالى بالاولية والآخرية الا ويصح فيه اتصافه بالظاهرية والباطنية معا فمن فسر باطنيته تعالى بكونه غير مدرك بالحواس يجعل الآية دليلا على انتفاء الرؤية فى الآخرة فلذلك جعل هذه الآية حجة على من جوز ادراكه تعالى بالحاسة فى الآخرة وقوله تعالى هو الذى خلق السموات تحقيق لعزته وكمال قدرته كما ان قوله يعلم ما يلج تحقيق لحكمته وكمال علمه ﴿ قوله لا ينفك علمه وقدرته عنكم ﴾ اشارة الى انه تعالى ليس معنا بالمكان والحيز والجهة بل المعية مجاز عن العلم والقدرة على طريق ذكر السبب وارادة المسبب ﴿ قوله ولعل تقديم الخلق ﴾ اى على قوله يعلم ما يلج مع انه متأخر عن العلم تابع له تأخرا ذاتيا لان خلق العالم على هذا النظام الانيق مما يستدل به على علمه وقدرته تعالى ﴿ قوله تعالى آمنوا بالله ﴾ خطاب لكفار قريش اى قد اوضحت لكم الدلائل الدالة على انه لا تحق العبادة الا لى فاعبدونى وآمنوا بى وبرسولى وصدقوه فيما يخبر به عنى ﴿ قوله وفيه حث على الانفاق وتهوين له ﴾ اما اذا كان معنى كونهم مستخلفين ان الاموال التى فى ايديكم انما هى اموال الله تعالى حقيقة بخلقه اياها وانشائه لها وليس للعبد الا ان يتصرف فيها بسبب استخلاف الله تعالى اياه وجعله بمنزلة الوكيل فى التصرف فيها تصرفا يرضى به مالكها فيثيبه على ذلك بالجنة فلان الانفاق من مال الغير سهل هين اذا اذن فيه مالكه ولا سيما اذا اثاب عليه بالجنة واما ان كان معناه ان ما فى ايديكم من الاموال كان لمن قبلكم ثم انه تعالى نقل اموالهم اليكم على سبيل الارث ومن المعلوم ان ما انتقل عن قبلهم اليهم لابد ان ينتقل

(منهم)

او الاول خارجا والآخر ذهنا (والظاهر والباطن) الظاهر وجوده لكثرة دلائله والباطن حقيقة ذاته فلا تكتنهها العقول او الغالب على كل شئ والعالم بباطنه والواو الاولى والاخيرة للجمع بين الوصفين والمتوسطة للجمع بين المجموعين (وهو بكل شئ عليم) يستوى عنده الظاهر والخفى (هو الذى خلق السموات والارض فى ستة ايام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج فى الارض) كالبذور (وما يخرج منها) كالزروع (وما ينزل من السماء) كالامطار (وما يعرج فيها) كالابخرة (وهو معكم اينما كنتم) لا ينفك علمه وقدرته عنكم بحال (والله بما تعملون بصير) فيجازيكم عليه ولعل تقديم الخلق على العلم لانه دليل عليه (له ملك السموات والارض) ذكره مع الاعادة كما ذكره مع الابداء لانه كالمقدمة لهما (والى الله ترجع الامور يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل وهو عليم بذات الصدور) بمكنوناتها (آمنوا بالله ورسوله وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه) من الاموال التى جعلكم خلفاء فى التصرف فيها فهى فى الحقيقة له لا لكم او التى استخلفكم عمن قبلكم فى تملكها والتصرف فيها وفيه حث على الانفاق وتهوين له على النفس

منهم الى غيرهم ايضا فلأن انفاق ماهو بصدد الضوّل و الانتقال سهل هين على النفس تغتنم النفس فيه الفرصة فتنفقه اكتسابا لمرضاة الرحمن وثواب الآخرة قبل ان يخرج من يدها ثم انه تعالى ذكر ثواب من انفق فى سبيل الله وضمن لمن فعل ذلك اجرا كبيرا فقال فالذين آمنوا منكم و انفقوا لهم اجر كبير فهو فى موضع جواب الامر والفاء للدلالة على سببية الايمان و الانفاق لما ذكر من الاجر الكبير وا عيد ذكرهما صريحا للمبالغة فى الدلالة على سببيتهما ﴿قوله و بناء الحكم على الضمير﴾ اى لاعلى الاسم الظاهر بان يقول فالذين آمنوا وانفقوا اجر كبير بل جعل الموصول مبتدأ وجعل الاجر الكبير مبتدأ ثانيا ولهم خبر الثانى وجعل الجملة خبر المبتدأ الاوّل للمبالغة المذكورة ﴿قوله اى و ما تصنعون غير مؤمنين به﴾ يعنى ان قوله تعالى لاتؤمنون بالله فى موضع النصب على انه حال من الفاعل المعنوى للفعل المستنبط من ما الاستفهامية وقد تقرّر فى النحو ان عامل الحال قديكون معنى الفعل والمراد به مايستنبط منه معنى الفعل كحرف التنبيه واسماء الاشارة وحروف النداء و التمنى و الترجى والتشبيه وحرف الاستفهام فان فيها معنى الفعل نحو ها زيد قائما و يا زيد قائما و ليتك عندنا قائما و لعله فى الدار قائما و كأنه اسد صائلا ومالك قائما فان كلمة مافيه استفهامية مرفوعة المحل على الابتداء ولك خبرها و الاستفهام يطلب الفعل فيستنبط معنى الفعل من اداة الاستفهام وحرف الجرّ فى لكم وان كان يتعلق بالفعل او شبهه فلذلك يعمل فى الحال فى نحو زيد فى الدار قائما الا ان المصنف اختار ان الحال فى الآية معمول لما الاستفهامية لا لحرف الجرّ حيث قال اى وماتصنعون غير مؤمنين ولم يقل ماحصل لكم غير مؤمنين ولعله مجرّد اعتبار ﴿قوله حال من ضمير تؤمنون﴾ اى مالكم غير مؤمنين بالله مدعوين الى الايمان بالحجج و الآيات فهما حالان متداخلان حيث كانت الحال الاولى عاملة فى الثانية و اختلف ذو الحال فيهما وفى الاحوال المترادفة يتحد العامل و ذو الحال ﴿قوله قبل ذلك﴾ اى قبل دعوة الرسول اياكم الى الايمان وكون القبلية بالنسبة الى الدعوة مستفاد من كون الماضى المصدّر بقد حالا من مفعول يدعوكم ﴿قوله بنصب الادلة و التمكين من النظر﴾ لم يحمل الميثاق على الميثاق المأخوذ عليهم حين اخرجهم من ظهر آدم عليه الصلاة و السلام وقال لهم ألست بربكم لان الكلام مسوق لبيان انه لا طريق لهم عذر فى ترك الايمان بعدان دعاهم الرسول اليه بالدلائل الواضحة و اخذ الله الميثاق و ماخلقتهم وقت اخراجهم من ظهر آدم غير معلوم لهم الا بقول الرسول و مالم يعرفوا صدق الرسول لا يكون ذلك سببا لوجوب اجابتهم الرسول فيما دعاهم اليه فذكر اخذ ميثاقهم حين اخرجهم من ظهره لامدخل له فى توبيخهم و تبكيتهم بترك الايمان بخلاف الميثاق المأخوذ بنصب الادلة و التمكين من النظر فقوله تعالى و مالكم لاتؤمنون الى آخر الآية كلام خرج مخرج الاستبطاء والاخبار بارتفاع موانع الايمان وتحقيق ماوجبه على اكمل وجوه واتمه اى اى عذر لكم فى ترك الايمان بالله وآياته وقد اتضحت البراهين على حقيقة ماتؤمرون به سمعا و عقلا فان قوله و الرسول يدعوكم فى قوّة ان يقال وقد قامت البراهين السمعية وقوله وقد اخذ ميثاقكم بمنزلة ان يقال وقد نصبت الادلة العقلية المؤدية الى تصديق الرسول فى جميع ماجاء به حتى كنتم بسببها كأنكم اعترفتم بمؤدّى تلك الادلة من اجل قوّة دلالتها عليه وقوله تعالى ان كنتم مؤمنين شرط حذف جوابه وهو ما اشار اليه المصنف بقوله فان هذا موجب لامزيد عليه لانه لاموجب يزيد على تظاهر الادلة السمعية و العقلية وبهذا التأويل ظهر وجه قوله تعالى ان كنتم مؤمنين بعد قوله و مالكم لاتؤمنون و اندفع مايتوهم بينهما من المنافاة كأنه قيل ان كنتم مؤمنين بشئ لاجل دليل فمالكم لاتؤمنون الآن وقد تطابقت الادلة النقلية و العقلية و بلغت مبلغا لايمكن الزيادة عليها ثم انه تعالى ذكر بعض تلك الادلة الدالة على وجوب الايمان فقال هو الذى ينزّل على عبده آيات وهى المعجزات التى اعظمها القرآن ثم حرّض على الانفاق فى سبيله من وجه آخر فقال ومالكم ان لاتنفقوا اى فى ان لاتنفقوا فحذف الجار ﴿قوله تعالى ولله ميراث السموات﴾ جملة حالية من فاعل الاستقرار الذى تعلق به قوله لكم والمعنى كيف تبخلون بانفاق اموالكم والحال انكم تعلمون انه تعالى مهلككم ووارث اموالكم وهذه حال منافية للبخل بها لان انفاقها بحيث يستخلف عوضا يبقى خير من هلاكها بغير شئ ثم بين فضل من سبق بالانفاق فى سبيل الله فقال لايستوى منكم من انفق من قبل الفتح وقسيم من انفق من قبل محذوف اى ومن انفق من بعد الفتح حذف للعلم به و لدلالة قوله اولئك اعظم درجة من الذين انفقوا من بعد عليه قال عليه الصلاة والسلام «فوالذى نفسى بيده لو انفق احدكم مثل احد ذهبا مابلغ مدّ أحدهم ولانصيفه» وذلك لان ماقبل الفتح كان حال مساس الحاجة الى الجهاد و النفقة ثم امر الله الاسلام

(فالذين آمنوا منكم و انفقوا لهم اجر كبير) وعد فيه مبالغات جعل الجملة اسمية واعادة ذكر الايمان والانفاق وبناء الحكم على الضمير وتنكير الاجر ووصفه بالكبر (ومالكم لاتؤمنون بالله) اى وماتصنعون غير مؤمنين به كقولك مالك قائما (والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم) حال من ضمير لاتؤمنون والمعنى اى عذر لكم فى ترك الايمان والرسول يدعوكم اليه بالحجج والآيات (وقد اخذ ميثاقكم) اى وقد اخذ الله ميثاقكم بالايمان قبل ذلك بنصب الادلة و التمكين من النظر والواو للحال من مفعول يدعو وقرأ ابوعمرو على البناء للمفعول ورفع ميثاقكم (ان كنتم مؤمنين) لموجب ما فان هذا موجب لامزيد عليه (هو الذى ينزّل على عبده آيات بينات ليخرجكم) اى الله او العبد (من الظلمات الى النور) من ظلمات الكفر الى نور الايمان (وان الله بكم لرؤف رحيم) حيث نبهكم بالرسل والآيات ولم يقتصر على مانصب لكم من الحجج العقلية (ومالكم ان لاتنفقوا) واى شئ لكم فى ان لاتنفقوا (فى سبيل الله) فيمايكون قربة اليه (ولله ميراث السموات والارض) يرث كل شئ فيهما ولايبقى لاحد مال واذا كان كذلك فانفاقه بحيث يستخلف عوضا يبقى وهو الثواب كان اولى (لايستوى منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل) بيان لتفاوت المنفقين باختلاف احوالهم من السبق وقوّة اليقين وتحرّى الحاجات حثا على تحرّى الافضل منها بعد الحث على الانفاق وذكر القتال للاستطراد وقسيم من انفق محذوف لوضوحه ودلالة ما بعده عليه والفتح فتح مكة اذعز الاسلام به وكثر اهله وقلت الحاجة الى المقاتلة والانفاق

بعد الفتح وكثر ناصره ودخل الناس فى دين الله افواجا ﴿ قوله تعالى وكلا ﴾ منصوب على انه مفعول مقدم ومن قرأه مرفوعا جعله مبتدأ وجعل الجملة التى بعده خبره بحذف العائد اى وعده الله ومثله قول الشاعر

قد اصبحت ام الخيار تدعى ۞ على ذنبا كله لم اصنع ۞

برفع كله اى لم اصنعه الا ان حذف العائد من الخبر الواقع جملة قليل نادر حتى ان البصريين لا يجوزونه الا فى ضرورة الشعر بخلاف حذفه فى الصلات والصفات نحو قوله أهذا الذى بعث الله رسولا اى بعثه وقوله تعالى واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيأ اى لا تجزى فيه نفس ﴿ قوله ليطابق ما عطف عليه ﴾ وهو قوله تعالى اولئك اعظم درجة من الذين فانه جملة اسمية والاقرى كل بالرفع يكون المعطوف ايضا اسمية فيحصل التطابق بينهما ﴿ قوله فانه اوّل من آمن وانفق ﴾ روى عن ابن عمر رضى الله عنه قال كنت عند النبى صلى الله عليه وسلم وعنده ابو بكر الصديق رضى الله عنه وعليه عباءة قد خللها فى صدره بخلال فنزل عليه جبريل عليه السلام فقال يا محمد مالى ارى ابا بكر عليه عباءة قد خللها فى صدره بخلال قال يا جبريل انفق ماله قبل الفتح علىّ قال فاقرئه من الله عز وجل السلام وقل له يقول لك ربك اراض انت عنى فى فقرك هذا ام ساخط فالتفت النبى صلى الله عليه وسلم الى ابى بكر فقال يا ابا بكر هذا جبريل يقرئك من الله عز وجل السلام ويقول لك ربك اراض انت عنى فى فقرك هذا ام ساخط قال فبكى ابو بكر رضى الله عنه وقال أعلى ربى اغضب انى عن ربى راض ونزول الآية فى شأن ابى بكر لا ينافى دلالتها على تفضيل الصحابة من المهاجرين والانصار الذين انفقوا وقاتلوا من قبل الفتح على الذين انفقوا من بعده وقاتلوا معه عليه السلام وقيل هذا التفضيل لجميع الصحابة ويؤيده ما روى سفيان عن زيد بن اسلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سيأتى قوم بعدكم يحقرون اعمالكم مع اعمالهم قالوا يا رسول الله نحن افضل ام هم قال لو ان احدهم انفق مثل احد ذهبا ما ادرك فضل احدكم ولا نصيفه ففرقت هذه الآية بينكم وبين الناس وتلا لا يستوى منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل اولئك اعظم درجة كذا فى تفسير الفقيه ابى الليث ثم انه تعالى حرض على الانفاق فى سبيله بطريق آخر فقال من ذا الذى يقرض الله ﴿ قوله تعالى يقرض ﴾ استعارة تبعية حيث شبه الانفاق فى سبيل الله باقراضه فاطلق عليه اسم الاقراض والجامع اعطاء شئ بعوض واليه اشار المصنف بقوله فانه كمن يقرضه ﴿ قوله وحسن الانفاق ﴾ مبتدأ وقوله بالاخلاص خبره ولا يكون الانفاق حسنا الا بان يبتغى به وجه الله تعالى خاصة لقوله تعالى الأتقى الذى يؤتى ماله يتزكى وما لاحد عنده من نعمة تجزى الا ابتغاء وجه ربه الاعلى وبان يكون ما انفقه احب الاموال اليه واكرم عنده لقوله تعالى ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولقوله لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ولقوله عليه السلام افضل الرقاب اغلاها ثمنا وانفسها عند اهلها ولقوله عليه الصلاة والسلام افضل الصدقة ان تعطيها وانت صحيح شحيح تأمل العيش ولا تمهل حتى اذا بلغت التراقى قلت لفلان كذا ولفلان كذا وبان يتحرى افضل الجهات ويصرفه صدقة الى الاحوج فالاحوج وان جمع بين جهتى سد حاجة الفقير وصلة الرحم فهو افضل ﴿ قوله وذلك الاجر المضموم اليه الاضعاف كريم فى نفسه ﴾ اى حسن مرضى فى بابه وهو اشارة الى ان قوله تعالى وله اجر كريم جملة حالية من مفعول يضاعفه واطلاق التضعيف يدل على ان الاضعاف المنضمة الى الاجر زائدة على ما انفقه من المال كمية وكيفية ﴿ قوله وقرأ عاصم ﴾ قال صاحب التيسير فى قرض سورة البقرة قرأ عاصم وابن عامر فيضاعفه هنا وفى الحديد بنصب الفاء والباقون برفعها ووجه النصب اضمار ان بعد الفاء الواقعة فى جواب الاستفهام كما فى قولك هل تزورنا فنحسن اليك وقوله باعتبار المعنى جواب عما يقال المنصوب بان المضمرة لا بد ان يكون مترتبا على الفعل المستفهم عنه كما فى المثال المذكور فان احسان المتكلم مترتب على زيارة المخاطب اياه وههنا لم يقع الاستفهام عن اصل القرض وانما وقع عن فاعله حيث قيل من ذا الذى يقرض فكيف ينصب الفعل بعده بان مضمرة ، وتقرير الجواب ظاهر قيل هذا السؤال ممنوع الا ترى انه ينصب الفعل بعد الفاء فى جواب الاستفهام بالاسماء وان لم يتقدم فعل نحو اين بيتك فازورك ومن داع فاستجيب له ومتى سيرك فارافقك ومن ابوك فاكرمه ومن قرأ فيضاعفه مرفوعا جعله معطوفا على يقرض ﴿ قوله ظرف لقوله وله ﴾ اى ظرف للاستقرار الذى تعلق به قوله وله اى استقر له اجر فى ذلك اليوم وان كان معمولا لاذكر يكون مفعولا به لا ظرفا وقوله يسعى حال من المؤمنين لان قوله ترى من رؤية العين وبين ايديهم ظرف ليسعى ويجوز ان يكون حالا من نورهم وكذا بايمانهم وهو بفتح الهمزة جمع يمين ﴿ قوله ما يوجب نجاتهم وهدايتهم ﴾

(اولئك اعظم درجة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا) اى من بعد الفتح (وكلا وعد الله الحسنى) اى وعد الله كلا من الفقين المثوبة الحسنى وهى الجنة وقرأ ابن عامر وكل بالرفع على الابتداء اى وكل وعده الله ليطابق ما عطف عليه (والله بما تعملون خبير) عالم بظاهره وباطنه فيجازيكم على حسبه والآية نزلت فى ابى بكر فانه اوّل من آمن وانفق فى سبيل الله وخاصم الكفار حتى ضرب ضربا اشرف به على الهلاك (من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا) من ذا الذى ينفق ماله فى سبيله رجاء ان يعوضه فانه كمن يقرضه وحسن الانفاق بالاخلاص فيه وتحرى اكرم المال وافضل الجهات (فيضاعفه له) اى يعطى اجره اضعافا (وله اجر كريم) اى وذلك الاجر المضموم اليه الاضعاف كريم فى نفسه ينبغى ان يتوخى وان لم يضاعف فكيف وقد يضاعف اضعافا وقرأ عاصم فيضاعفه بالنصب على جواب الاستفهام باعتبار المعنى فكأنه قال أيقرض الله احد فيضاعفه له وقرأ ابن كثير يضعفه مرفوعا وابن عامر ويعقوب يضعفه منصوبا (يوم ترى المؤمنين والمؤمنات) ظرف لقوله وله او فيضاعف او مقدر باذكر (يسعى نورهم) ما يوجب نجاتهم وهدايتهم الى الجنة (بين ايديهم وبايمانهم) لان السعداء يؤتون صحائف اعمالهم من هاتين الجهتين

يعنى ان النور مستعار لصحائف الاعمال تشبيها لها بالنور فى كونها سبب النجاة من النار والاهتدآء الى طريق الجنة فان السعدآء يؤتون صحائف اعمالهم من قدامهم ومن جهة أيمانهم فتكون دليلا لهم الى الجنة ويستضيئون بنورها على الصراط المستقيم وهم يسعون لانهم لو مشوا الهوينا لما سعى النور بين ايديهم وبايمانهم لانه لو سعى وهم يمشون الهوينا لزم ان يفارقهم ولا يكون بين ايديهم ولا بايمانهم ثم اختلف فى النور المذكور فى هذه الآية فقال قوم المراد نفس النور على ماروى عنه عليه الصلاة والسلام قال كل مثاب يحصل له النور على قدر عمله وثوابه فى العظم والصغر فمنهم من يضيئ له نور كما بين عدن الى صنعاء ومنهم من نوره كالجبل ومنهم من لا يضيئ له نور الا موضع قدميه وادناهم نورا من يكون نوره على ابهامه ينطفئ مرة ويتقد اخرى والمنافقون ايضا يؤتون نورا خديعة لقوله تعالى يخادعون الله وهو خادعهم ثم يسلب نورهم لنفاقهم فذلك قول المؤمنين ربنا اتمم لنا نورنا اى خشية ان يسلب نورهم كما يسلب نور المنافقين فاذا بقى المنافقون فى الظلمة لا يبصرون مواضع اقدامهم قالوا للمؤمنين انظرونا نقتبس من نوركم وقد روى ان بعض الصحابة رضى الله عنهم استضاؤا فى الدنيا بما حصل لهم من النور فكيف يستبعد ان يستضيئ اهل السعادة بما ظهر لهم من النور فى العقبى فقد ذكر فى المصابيح رواية انس رضى الله عنه ان اسيد ابن حضير وعباد بن بشر تحدثا عند النبى صلى الله عليه وسلم فلما ارادا انهما ينقلبان اى يرجعان الى بيتهما وبيد كل واحد منهما عصية أضاءت عصا احدهما لهما حتى مشيا فى ضوئها حتى اذا افترقت لهما الطريق أضاءت للآخر عصاه فمشى كل واحد منهما فى ضوء عصاه حتى بلغ اهله ذكر الامام ان النور الحقيق هو معرفة الله تعالى وان العلم الذى هو نور البصيرة اولى بكونه نورا من نور البصر واذا كان كذلك ظهر ان معرفة الله تعالى هى النور فى القيامة فمقادير الانوار يوم القيامة على حسب مقادير المعارف فى الدنيا وقال آخرون المراد من النور ما يكون سببا للنجاة وهو ما اختاره المصنف ﴿ قوله تعالى بشراكم ﴾ مبتدأ واليوم ظرف وجنات خبره ولما كان البشرى مصدرا بمعنى البشارة والجنة عينا ومن المعلوم ان العين لا تكون خبرا عن الحدث والمعنى ذكر المصنف لصحة الاخبار وجهين الاول ان تكون البشرى بمعنى المبشر به والثانى تقدير المضاف فى الخبر وعلى التقديرين تكون الجملة الاسمية فى محل النصب على انها مقول قول مقدر والقول المقدر مع مقوله حال اخرى من المؤمنين اى يوم تراهم ساعيا نورهم مقولا لهم بشراكم اليوم دخول جنات وقوله تعالى خالدين نصب على الحال وذو الحال محذوف يدل عليه المصدر المقدر اذ التقدير بشراكم دخولكم جنات خالدين فيها فحذف الفاعل وهو ضمير المخاطب واضيف المصدر الى مفعوله فصار دخول جنات ثم حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه واعرب باعرابه ويجوز ان يجعل تقدير الكلام بشراكم اليوم دخول جنات تدخلونها خالدين وان اوّل المبتدأ بالمبشر به يكون عامل الحال ما دل عليه بشراكم اى تبشرون بها خالدين فيها ولا يجوز ان يكون العامل فيها بشراكم لانه مصدر قد اخبر عنه قبل ذكر متعلقاته فيلزم الفصل بينه وبين معموله باجنبى ﴿ قوله انظرونا او انظروا الينا ﴾ معنى انظرونا فى قرآءة العامة امر من النظر ثم ان النظر يجوز ان يكون بمعنى الانتظار وبمعنى التوجه وتقلب الحدقة الى جانب المرئى والنظر بالمعنى الثانى لا يتعدى بنفسه فى غير الشعر وانما يتعدى بالى فلهذا اخره المصنف عن الاحتمال الاول عن ابى امامة رضى الله عنه قال يغشى الناس يوم القيامة ظلمة شديدة ثم يقسم النور فيعطى المؤمنون نورا ويترك الكافر والمنافق ولا يعطيان شيأ فيمضى المؤمنون ويقول المنافقون للمؤمنين انظرونا نقتبس من نوركم اى انظرونا نصب منه حظا لانهم يسرع بهم الى الجنة ركبانا وهؤلاء مشاة فلا يدركونهم ﴿ قوله وقرأ حمزة أنظرونا ﴾ اى بقطع الهمزة وكسر الظاء من الانظار بمعنى الامهال ضد التضييق والحمل على العجلة فيكون قولهم انظرونا كناية عن طلب التؤدة فى مشيهم يقال اتأد فى مشيه اذا مشى مشيا هوينا على التؤدة والوقار والاتئاد افتعال من التؤدة ولما ورد ان يقال الذى يطلبه المنافقون من المؤمنين ان يتأدوا فى مشيهم ولا يسرعوا فيه لا ان يمهلوا المنافقين فما معنى قولهم انظرونا بفتح الهمزة • اجاب عنه بان امهلونا كناية عما يستلزمه وهو اتئاد المؤمنين فى مشيهم والظاهر ان قوله تعالى فضرب بينهم بسور معطوف على قوله قيل ارجعوا ورآءكم ومتفرع عليه فان المؤمنين او الملائكة لما منعوا المنافقين عن اللحوق بهم والاستضاءة بانوار معارفهم واعمالهم بقى المنافقون فى ظلمة نفاقهم وحرموا من اللحوق باصحاب الانوار والاستضاءة بانوارهم كما يحرم الاعمى من الانتفاع بنور البصر فصاروا لذلك كأنه ضرب بينهم وبين المؤمنين بسور حائل باطن ذلك السور وهو الذى يلى المؤمنين فيه الرحمة التى هى

(بشراكم اليوم جنات) اى يقول لهم من يتلقاهم من الملائكة بشراكم اى المبشر به جنات او بشراكم دخول جنات (تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم) الاشارة الى ما تقدم من النور والبشر وبالجنات المخلدة (يوم يقول المنافقون والمنافقات) بدل من يوم ترى (للذين آمنوا انظرونا) انتظرونا فانهم يسرع بهم الى الجنة كالبرق الخاطف او انظروا الينا فانهم اذا نظروا اليهم استقبلوهم بوجوههم فيستضيئون بنور بين ايديهم وقرأ حمزة انظرونا على ان اتئادهم ليلحقوا بهم امهال لهم (نقتبس من نوركم) نصب منه (قيل ارجعوا ورآءكم) الى الدنيا (فالتمسوا نورا) بتحصيل المعارف الالهية والاخلاق الفاضلة فانه يتولد منها او الى الموقف فانه من ثم يقتبس او الى حيث شئتم فاطلبوا نورا آخر فانه لا سبيل لكم الى هذا وهو تهكم بهم وتخييب من المؤمنين او الملائكة (فضرب بينهم) بين المؤمنين والمنافقين (بسور) بحائط (له باب) يدخل فيه المؤمنون (باطنه) باطن السور او الباب (فيه الرحمة) لانه يلى الجنة (وظاهره من قبله العذاب) من جهته لانه يلى النار (ينادونهم ألم نكن معكم) يريدون موافقتهم فى الظاهر (قالوا بلى ولكنكم فتنتم انفسكم) بالنفاق (وتربصتم) بالمؤمنين الدوآئر (وارتبتم) وشككتم فى الدين (وغرتكم الامانى) كامتداد العمر (حتى جاء امر الله) وهو الموت (وغركم بالله الغرور) الشيطان او الدنيا

النور الذى يؤديهم الى الجنة وظاهره اى الذى يلى المنافقين من قبله العذاب اى عذاب الظلمة التى تؤدى الى السقوط فى حفر النيران فعلى هذا يكون قوله تعالى فضرب بينهم بسور من قبيل الاستعارة التمثيلية وقيل يضرب بين الجنة والنار حائط موصوف بماذكر اوهو حجاب الاعراف وقرئ فضرب على بناء الفاعل وهو البارى تعالى او الملك الا ان الجمهور على بنائه للمفعول والقائم مقام الفاعل هو قوله بسور والباء صلة والتقدير ضرب بينهم سور وقوله له باب جملة اسمية مجرورة المحل على انها صفة سور وقوله باطنه مبتدأ وقوله الرحمة مبتدأ ثان وفيه خبره والجملة خبر المبتدأ الاول والمبتدأ الاول مع خبره مرفوع المحل على انه صفة لباب وقوله ينادونهم مستأنف اى ينادى المنافقون المؤمنين قائلين ألم نكن معكم فى الدنيا نصلى مثل ماتصلون ونقرأ مثل ماتقرأون ونفعل مثل ماتفعلون من الافعال الظاهرة فاجابهم المؤمنون بقولهم بلى ولكنكم فتنتم انفسكم اى اهلكتموها بالنفاق واصل الفتن الاحراق وغركم بالله اى بحلم الله تعالى وتأخيره العذاب عنكم والغرور بفتح الغين صفة على وزن فعول كصبور وقرئ بضم الغين وهو مصدر بمعنى الاغترار والفعل مسند الى مصدره مثل جدجده والفدية مايفتدى به مطلقا فيتناول الايمان والتوبة والمال فبسبب ماانتم عليه فى الدنيا ايها المنافقون لايقبل منكم يوم القيامة فدآء لارتفاع وقت التكليف ومجيئ يوم الجزآء وعطف الكافر على المنافق لما اوهم ان لايكون المنافق كافرا لوجوب المغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه اشار الى دفعه بان الكافر مطلقا وان كان اعم من المنافق الا ان المراد بالذين كفروا فى هذه الآية الكافر المجاهر اى المظهر لكفره وهو مباين للمنافق الذى يبطن الكفر ﴿ قوله كقول لبيد «فغدت كلا الفرجين تحسب انه ۞ مولى المخافة خلفها وامامها» ﴾ يصف بقرة وحشية اكل السبع ولدها فصارت مذعورة وقيل بل نفرت من صوت الصائد وكلابه ولم تقف تنظر أأقصدها خلفها ام امامها فغدت فزعة مذعورة لاتعرف منجاها من مهلكها والفرجان الجانبان وهما الخلف والقدام سميا فرجين لكون كل واحد منهما مفروجا مكشوفا على ان الفرج فعل بمعنى مفعول اى غدت من غلبة الخوف عليها بحيث تحسب ان كلا جانبيها وهما خلفها وقدامها مولى المخافة اى اولى موضع لان يكون فيه الخوف وقوله فغدت يروى بالعين المهملة وبالغين المعجمة وقوله كلا الفرجين مبتدأ وتحسب مع ما فى حيزه خبره والضمير فى تحسب عائد الى اسم غدت والجملة خبر غدت والضمير فى انه للمبتدأ وهو كلا لانه مفرد اللفظ وان كان مثنى المعنى ومولى المخافة خبر ان وقوله خلفها وامامها اما بدل من كلا واما خبر مبتدأ محذوف اى هما خلفها وامامها فالمولى ههنا اسم لمكان يقال فيه هو اولى لكم وكذا المحرى اسم لمكان يقال فيه انه احرى بكم واجدر فهو مفعل من اولى كالمظنة مفعلة من ان التى للتأكيد والتحقيق غير مشتقة من لفظها لان الحروف لايشتق منها بل ربما تتضمن الكلمة حروفها دلالة على تحقق معناها فيها عن ابن مسعود رضى الله عنه قال ان طول الصلاة وقصر الخطبة مئنة الرجل المسلم اى ان هذا مما يعرف به فقه الرجل ومكان يقول القائل فيه انه عالم وانه فقيه ويجوز ان يكون مفعلا من الولى اى هى مكانكم عن قريب ويجوز ان يكون المعنى ناصركم لاناصر لكم غيرها والمراد فى الناصر على طريقة قولهم تحية بينهم ضرب وجيع والمراد نفى التحية فيما بينهم قطعا ضرورة ان الضرب الوجيع ليس بتحية فيلزم ان لاتحية بينهم البتة ويجوز ان يكون مصدرا بمعنى الولاية بتقدير المضاف اى هى ذات ولايتكم بمعنى توليكم من قولهم ولى الوالى البلد وولى الرجل البيع ولاية فيهما ﴿ قوله والمايأن ﴾ اصلها ما يأن زيدت عليها ما وادغم فصارا لما وكلمة لم نفى لقوله فعل ولما نفى لقوله قد فعل يقال انى يأنى اناً مثل رمى يرمى رميا وآن يئين اينا مثل باع يبيع بيعا وكلاهما بمعنى حان وجاء اناه اى وقته وحينه قال الشاعر

۞ الما يئن لى ان تجلى عمايتى ۞ واقصر عن ليلى بلى قد انى ليا ۞

فجمع بين اللغتين واختلف فيمن نزلت فيه هذه الآية فقال بعضهم نزلت فى المنافقين الذين اظهروا الايمان وفى قلوبهم النفاق المباين للخشوع وقال آخرون نزلت فى الذين آمنوا على الحقيقة فان المؤمن قد يكون له خشوع وخشية وقد لايكون له ذلك فلعل لما تقدم من المؤمنين ما كان فيهم مزيد خشوع ولارقة قلب حثوا عليه بهذه الآية ويحتمل ان يكون قوم من المؤمنين كان فيهم مزيد خشوع ثم زال عنهم شدة ذلك الخشوع فحثوا على المعاودة اليها وروى عن الاعمش انه قال ان الصحابة لما قدموا المدينة اصابوا لينا فى العيش ورفاهية ففتروا عن بعض ما كانوا عليه فعوتبوا بهذه الآية وعن ابى بكر رضى الله عنه ان هذه الآية قرئت بين يديه وعنده قوم من اهل اليمامة فبكوا بكاء

(فاليوم لايؤخذ منكم فدية) فدآء وقرأ ابن عامر ويعقوب بالتاء (ولا من الذين كفروا) ظاهرا وباطنا (مأواكم النار هى مولاكم) هى اولى بكم كقول لبيد

فغدت كلا الفرجين تحسب انه ۞

مولى المخافة خلفها وامامها ۞

وحقيقته محراكم اى مكانكم الذى يقال فيه هو اولى بكم كقولك هو مئنة الكرم اى مكان قول القائل انه لكريم او مكانكم عما قريب من الولى وهو القرب او ناصركم على طريقة قوله تحية بينهم ضرب وجيع او متوليكم يتولاكم كما توليتم موجباتها فى الدنيا (وبئس المصير) النار (ألم يأن للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله) ألم يأت وقته يقال انى الامر يأنى انيا واناء اناً اذا جاء اناه وقرئ بكسر الهمزة وسكون النون من آن يئين بمعنى انى يأنى وألما يأن روى ان المؤمنين كانوا مجدبين بمكة فلما هاجروا اصابوا الرزق والنعمة ففتروا عما كانوا عليه فنزلت

(وما نزل من الحق) اى القرآن وهو عطف على الذكر عطف احد الوصفين على الآخر ويجوز ان يراد بالذكر ان يذكر الله وقرأ نافع ويعقوب وحفص نزل بالتخفيف وقرئ أنزل (ولا يكونوا كالذين اوتوا الكتاب من قبل) عطف على تخشع وقرأ رويس بالتاء والمراد النهى عن مماثلة اهل الكتاب فيما حكى عنهم بقوله (فطال عليهم الامد فقست قلوبهم) اى فطال عليهم الزمان بطول اعمارهم وآمالهم او مابينهم وبين انبيائهم فقست قلوبهم وقرئ الامدّ وهو الوقت الاطول (وكثير منهم فاسقون) خارجون عن دينهم رافضون لما فى كتابهم من فرط القسوة (اعلموا ان الله يحيى الارض بعد موتها) تمثيل لاحياء القلوب القاسية بالذكر والتلاوة او لاحياء الاموات ترغيبا فى الخشوع وزجرا عن القساوة (قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون) كى تكمل عقولكم (ان المصدّقين والمصدّقات) ان المتصدّقين والمتصدّقات وقد قرئ بهما وقرأ ابن كثير وابو بكر بتخفيف الصاد اى الذين صدّقوا الله ورسوله (واقرضوا الله قرضا حسنا) عطف على معنى الفعل فى المحلى باللام لان معناه الذين اصدقوا او صدّقوا وهو على الاوّل للدلالة على ان المعتبر هو التصدّق المقرون بالاخلاص (يضاعف لهم ولهم اجر كريم) معناه والقرآءة فى يضاعف مامرّ غير انه لم يجزم لانه خبران وهو مسند الى لهم او الى ضمير المصدر (والذين آمنوا بالله ورسله اولئك هم الصدّيقون والشهدآء عند ربهم) اى اولئك عند الله بمنزلة الصدّيقين او الشهداء او هم المبالغون فى الصدق فانهم آمنوا وصدّقوا جميع اخبار الله ورسله والقائمون بالشهادة لله ولهم او على الامم يوم القيامة وقيل والشهدآء عند ربهم مبتدأ وخبر والمراد بهم الانبياء من قوله فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد او الذين استشهدوا فى سبيل الله (لهم اجرهم ونورهم) لهم مثل اجر الصدّيقين والشهدآء ومثل نورهم ولكن من غير تضعيف ليحصل التفاوت او الاجر والنور الموعودان لهم (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب الجحيم) فيه دليل على ان الخلود فى النار مخصوص بالكفار من حيث ان التركيب يشعر بالاختصاص والصحبة تدل على الملازمة عرفا

شديدا فنظر اليهم فقال هكذا كنا حتى قست القلوب ﴿ قوله عطف احد الوصفين على الآخر ﴾ فان القرآن كما انه ذكر من الله تعالى وموعظة فهو ايضا حق نازل من السماء فيكون العطف هنا كما فى قوله تعالى ولقد آتينا موسى الكتاب والفرقان اى الجامع بين كونه كتابا منزلا وفرقانا يفرق بين الحق والباطل ويجوز ان يراد بالاوّل ذكر الله مطلقا وبالثانى القرآن كما فى قوله تعالى اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا ﴿ قوله وقرأ نافع ويعقوب وحفص نزل بالتخفيف ﴾ على بناء الفاعل وباقى السبعة كذلك الا انهم شدّدوا الزاى وقرئ نزّل مشدّدا مبنيا للمفعول ونزل مبنيا للفاعل وهو الله تعالى وقرأ الجمهور ولا يكونوا بياء الغيبة جريا على نسق ماقبله وقرئ بتاء الخطاب على الالتفات على ان تكون كلمة لا ناهية ويكون الفعل مجزوما بها وان تكون نافية ويكون الفعل منصوبا عطفا على تخشع كما فى قرآءة الغيبة ﴿ قوله او مابينهم وبين انبيائهم ﴾ عطف على اعمارهم وقسوة القلب غلظته ويبسه وفى الآية اشارة الى ان عدم الخشوع فى اوّل الامر يفضى الى قسوة القلب المؤدّية الى الكفر نعوذ بالله من ذلك ﴿ قوله تمثيل لاحياء القلوب القاسية بالذكر ﴾ يعنى ان قوله تعالى يحيى الارض بعد موتها استعارة تمثيلية والمعنى تلين القلوب بالذكر بعد قساوتها شبه احياء القلوب بالخشوع المسبب عن الذكر وتلاوة القرآن باحياء الارض الميتة بالغيث من حيث اشتمال كل واحد منهما على بلوغ الشئ الى كماله المتوقع بعد خلوّه عنه ثم اطلق اسم المشبه به على المشبه ترغيبا فى الخشوع المذكور فان التمثيل المذكور تضمنه تشبيه قساوة القلب بموت الارض وتشبيه طريان خشوعها المتفرّع على الذكر والتلاوة بحياة الارض الميتة ترغيب لامحالة فى تحصيل الخشوع وترك القسوة فالآية تمثيل لاثر الذكر فى القلوب بعد قسوتها وبيان انه يحييها كما يحيى الغيث الارض ويحتمل ان يكون تمثيلا لاحياء الاموات بان شبه احياؤها باحياء الارض الميتة فمن قدر على الثانى فهو قادر على الاوّل حقه ان تخشع القلوب لذكره وما نزل من آياته وانما حمل على التمثيل لترتبط هذه الآية بماقبلها فان قوله ترغيبا يحمل الآية على التمثيل دون الحقيقة ﴿ قوله عطف على معنى الفعل فى المحلى باللام ﴾ لا على لفظ المحلى لان عطف الفعل على الاسم قبيح ﴿ قوله وهو على الاوّل ﴾ اى على القرآءة بتشديد الصاد والدال وهو جواب عما يقال عطف قوله واقرضوا على المصدّقين بتشديد الصاد عطف الشئ على نفسه بحسب الظاهر لان المراد بالاقراض هو التصدق والاتفاق لاغير * اجاب عنه بان المعطوف تصدّق خاص مقيد بكونه حسنا مقرونا بالاخلاص فتغايرا وحسن العطف وعلى قرآءة تشديد الدال فقط وجه العطف ظاهر لانه فى معنى الذين آمنوا واتقوا ﴿ قوله معناه والقرآءة فى يضاعف مامرّ ﴾ اى فى سورة الفرقان فى تفسير قوله تعالى ومن يفعل ذلك يلق آثاما يضاعف له العذاب قال فيه يضاعف بدل من يلق لانه فى معناه وقرأ ابو بكر بالرفع على الاستئناف او على الحال وابن كثير ويعقوب يضعف بالجزم وابن عامر بالرفع فيهما مع التشديد وحذف الالف فى يضاعف وقرئ يضعف له العذاب ومضاعفة العذاب لانضمام المعصية الى الكفر ﴿ قوله وهو مسند الى لهم ﴾ يعنى ان القائم مقام فاعل يضاعف اما الجار والمجرور بعده او ضمير التصدق او التصديق على حذف المضاف اى يضاعف لهم ثواب التصديق ﴿ قوله اى اولئك عند الله بمنزلة الصدّيقين ﴾ جواب عما يقال كيف حكم على كل من آمن بالله ورسله بانه هو الصدّيق والشهيد مع ان الظاهر ان كل واحد منهما اخص من المؤمن لان الصدّيق هو السابق الى التصديق والشهيد من استشهد فى سيل الله * اجاب عنه اوّلا بان قوله اولئك هم الصدّيقون والشهدآء اى على سبيل التشبيه ثم بين تعالى وجه التشبيه بقوله لهم اجرهم ونورهم اى لهم اجر مثل اجر الصدّيقين والشهدآء ولهم نور مثل نورهم * ولما ورد ان يقال كيف يسوّى بينهم فى الاجر ولابدّ من التفاوت * اجاب عنه بقوله لكنه من غير تضعيف يعنى انه تعالى يعطى المؤمنين اجرهم ويضاعفه لهم بفضله حتى يساوى اجرهم مع اضعافه اجر اولئك واجاب عنه ثانيا بان المراد بالصدّيق والشهيد ليس المعنى المتعارف الذى ذكره بل الصدّيق صيغة المبالغة بمعنى كثير الصدق والشهيد من يشهد لله تعالى بالوحدانية وبالصافه بجميع صفات العظمة والكبرياء وللرسل بقيامهم بمقتضى الرسالة من الدعوة والتبليغ او من يشهد على الامم كما قال تعالى لتكونوا شهدآء على الناس والمراد انهم عدول يوم القيامة تقبل شهاداتهم للعباد وعليهم فيما عملوه وكل مؤمن كذلك ثم نقل جوابا آخر وهو ان قوله تعالى والشهدآء عند ربهم جملة اسمية والمراد بهم الانبياء او الذين استشهدوا فى سبيل الله فلا يلزم ان يكون كل مؤمن شهيدا ﴿ قوله او الاجر والنور الخ ﴾ اى ويجوز ان تكون الضمائر فى قوله لهم اجرهم ونورهم راجعة الى قوله الذين آمنوا بالله ورسله

(اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الاموال والاولاد) لما ذكر حال الفريقين فى الآخرة حقر امور الدنيا اعنى مايتوصل به الى الفوز الآجل بان بين انها امور خيالية قليلة النفع سريعة الزوال لانها لعب يتعب الناس فيه انفسهم جدًّا اتعاب الصبيان فى الملاعب من غير فائدة ولهو يلهون به انفسهم عما يهمهم وزينة كالملابس الحسنة والمراكب البهية والمنازل الرفيعة وتفاخر بالانساب وتكاثر بالعدد والعدد ثم قرر ذلك بقوله (كمثل غيث اعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرًّا ثم يكون حطاما) وهو تمثيل لها فى سرعة تقضيها وقلة جدواها بحال نبات انبته الغيث فاستوى واعجب به الحراث او الكافرون بالله لانهم اشد اعجابا بزينة الدنيا ولان المؤمن اذا رأى معجبا انتقل فكره الى قدرة صانعه فاعجب بها والكافر لايتخطى فكره عما احس به فيستغرق فيه اعجابا ثم هاج اى يبس بعاهة فاصفر ثم صار حطاما ثم عظم امور الآخرة بقوله (وفى الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان) تنفيرا عن الانهماك فى الدنيا وحثا على مايوجب كرامة العقبى ثم اكد ذلك بقوله (وما الحياة الدنيا الامتاع الغرور) اى لمن اقبل عليها ولم يطلب الآخرة بها (سابقوا) سارعوا مسارعة السابقين فى المضمار (الى مغفرة من ربكم) الى موجباتها (وجنة عرضها كعرض السماء والارض) اى عرضها كعرضهما واذا كان العرض كذلك فاظنك بالطول وقيل المراد به البسطة كقوله فذو دعاء عريض (اعدت للذين آمنوا بالله ورسله) فيه دليل على ان الجنة مخلوقة وان الايمان وحده كاف فى استحقاقها (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء) ذلك الموعود يتفضل به الله على من يشاء من غير ايجاب (والله ذو الفضل العظيم) فلا يبعد منه التفضل بذلك وان عظم قدره (ما اصاب من مصيبة فى الارض) كجدب وعاهة (ولا فى انفسكم) كمرض وآفة (الا فى كتاب) الا مكتوبة فى اللوح مثبتة فى علم الله تعالى (من قبل ان نبرأها) نخلقها والضمير للمصيبة اوللارض اوللانفس (ان ذلك) ان ثبته فى كتاب (على الله يسير) لاستغنائه فيه عن العدة والمدة

ويكون المعنى لهم الاجر والنور الموعود ان لهم فلاحاجة حينئذ الى تقدير المثل ولا يرد ايضا ان يقال كيف يسوى بينهم فى الاجر ولابد من التفاوت حتى يحتاج الى دفعه **قوله ثم قرر ذلك** فان محل الكاف فى قوله كمثل اما النصب على انه حال من الضمير فى لعب لانه بمعنى الوصف او من معنى ماذكر اى انها لعب تشبه غيثا او ثبتت بهذه الصفات مشبهة غيثا واما الرفع على انه خبر بعد خبر للحياة او خبر لمبتدأ محذوف اى مثلها او صفتها العجيبة مثل صفة غيث ونبات الغيث ماينبت بسببه والمراد بالكفار ههنا اما الحراث لانهم يكفرون البذر اى يغطونه ويسترونه بتراب الارض واما الكفار بالله تعالى **قوله ثم يهيج** اى ييبس بعد زمان قريب يقال هاج النبت هياجا اى يبس **قوله ثم عظم امور الآخرة** معطوف على قوله حقر امور الدنيا **قوله تعالى فى الآخرة** خبر مقدم ومابعده مبتدأ والجملة معطوفة على جملة قوله انما الحياة الدنيا لعب ولهو داخلة فى حيز قوله اعلموا اخبر الله تعالى بعد بيان ان الحياة العاجلة لايتوصل بها الى الفوز ان فى الآخرة عذابا شديدا ومغفرة منه ورضوانا وفيه اشارة الى سبق رحمة الله تعالى غضبه من حيث انه قابل العذاب بسبق المغفرة والرضوان الذى هو اعظم السعادات ولن يغلب عسر يسرين ثم اكد ماذكر من تحقير امور الدنيا بقوله وما الحياة الدنيا الامتاع الغرور وهو المتاع الذى يميل اليه الطبع اولا لمارآه اغترارا بمالاح فى ظاهره من جهة الحسن كالاوانى المتخذة من الزجاج والحلى المموه بماء الذهب فان اخذه احد اغترارا بما ظهر على ظاهره واراد ان ينتفع به يسارع اليه الهلاك ويتبين انه زخرف لافائدة له ولارواج فكذلك الدنيا فى حق من آثرها النفس ذاتها واراد ان تتمتع بها فان افضل مافيها من النعم هى الحياة فمن صرفها الى متابعة الهوى والحظوظ العاجلة صارت بمنزلة اللعب الذى يفعله الصبيان فانهم يتعبون انفسهم فى ذلك غاية التعب ثم تنقضى تلك المتاعب عن قريب من غير فائدة وبمنزلة اللهو الذى يفعله الشبان فان من اشتغل به لايبقى له بعد انقضائه الا الحسرة والندامة حيث يرى المال ذاهبا والعمر خائبا واللذة منقضية والنفس ازدادت شوقا وتعطشا اليها مع فقدانها فيتوالى عليه حسرات متضاعفة ومضار مجتمعة عن سعيد بن جبير قال الدنيا متاع الغرور اذا ألهتك عن طلب الآخرة واما اذا دعتك الى طلب رضوان الله وسعادة الآخرة فنعم المتاع ونعمت الوسيلة ثم انه تعالى لما حقر الدنيا وصغر امرها وعظم الآخرة وفخم شأنها حث على المسارعة الى نيل ماوعد فيها من المغفرة المنجية من العذاب الشديد والفوز بدخول الجنة وحسن المآب فقال سابقوا والمراد بالمسابقة المسارعة اللازمة لها لان موجبات المغفرة لايسابق اليها حقيقة والمضمار ماتضمر فيه الخيل وتضمير الفرس بان تعلفه حتى يسمن ثم ترده الى القوت وذلك يكون فى اربعين يوما وهذه المدة تسمى مضمارا ويسمى به الموضع الذى تضمر فيه الخيل ايضا **قوله وقيل المراد به البسطة** اى لا العرض الذى هو فى مقابلة الطول فيتناول الطول والعرض جميعا **قوله فيه دليل على ان الجنة مخلوقة** لان مالم يخلق بعد لايوصف بانه اعد وهيئ **قوله وان الايمان وحده كاف فى استحقاقها** اذ ذكر ان الجنة اعدت لمن آمن ولم يذكر مع الايمان شئ آخر وقالت المعتزلة هذه الآية لايمكن اجراؤها على ظاهرها لوجهين الاول ان قوله تعالى اكلها دائم وظلها يدل على ان من صفتها بعد وجودها ان لاتفنى لكنها لو كانت موجودة الآن لفنيت بدليل قوله تعالى كل شئ هالك الا وجهه والثانى انها لو كانت موجودة الآن لكانت فى احدى السموات السبع وماكان فى واحدة منها كيف يجوز ان يكون عرضه كعرض السموات والارض فثبت بهذين الوجهين انه لابد من التأويل وذلك بان يقال انه تعالى لما كان قادرا لايعجز عن شئ وحكيما لايصح الخلف فى وعده وقد وعد بالجنة لكل من آمن واطاع كانت الجنة كالمعدة المهيئة لهم بناء على ان كل ماسيقع قطعا كالواقع بالفعل كما يقول الرجل لصاحبه اعددت لك كذا اذا عزم عليه وان لم يحضره بعد والجواب ان قوله كل شئ هالك عام وقوله اعدت للمتقين مع قوله اكلها دائم خاص واذا وقع التعارض بين الخاص والعام فالخاص يخصص العام مطلقا اى سواء علم تاريخ نزولهما وانهما نزل اولا اولم يعلم هذا عند الشافعية وذهبت الحنفية الى ان المتأخر فى النزول عاما كان او خاصا ناسخ للمتقدم اذا علم تاريخ نزولهما ولايحملون العام على الخاص مطلقا كما ذهب اليه الشافعية واما قولهم ان الجنة لو كانت مخلوقة الآن لكانت فى احدى السموات ومايكون فى واحدة منها لايكون عرضه كعرض كل السموات والارض فالجواب عنه انها مخلوقة الآن فوق السماء السابعة كما قال عليه الصلاة والسلام سقف الجنة عرش الرحمن ولايبعد كون المخلوق فوق الشئ اعظم منه الا ترى ان العرش اعظم المخلوقات مع انه فوق السماء السابعة **قوله تعالى ما اصاب من مصيبة الآية** وان كان حثا على مكارم الاخلاق

من الصبر على الضراء والشكر على السراء وتمهيدا لرذيلتين اللتين هما الفرح بالنعمة بحيث يؤدي الى الأشر والبطر والخروج عن حد الشكر والتحزن على مافات منها تحزنا مطغيا مخرجا عن حد الصبر والرضى بالقضاء الا ان المقصود الاهم منه الحث على الجهاد كما هو المقصود بما سبق من قوله تعالى ومالكم ان لاتنفقوا فى سبيل الله وقوله لايستوى منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل الى آخر الآيات ونقل عن الزجاج انه قال انه تعالى لما قال سابقوا الى مغفرة بين ان المؤدى الى الجنة او النار مما صدر من بنى آدم لايكون الا بقضاء الله وقدره فان جميع الموجودات مثبتة فى اللوح المحفوظ اجمالا ثم انه تعالى يفصل قضاءه السابق بايجادها الى المواد الخارجية واحدا بعد واحد فالاول هو المسمى بالقضاء والثانى هو المسمى بالقدر قال الامام انه تعالى لم يقل ان جميع الحوادث مكتوبة فى الكتاب لان حركات اهل الجنة والنار غير متناهية واثباتها فى الكتاب محال وخص من الحوادث مايتعلق بالارض وبالانس ولم يدخل فيها احوال السموات ومايتعلق بها مما يكون من قبيل المصائب ولم يذكر السعادات الارضية والانفسية وفى كل ذلك اشارات واسرار وهذه الآية دالة على ان جميع الحوادث الارضية قبل دخولها فى الوجود مكتوبة فى اللوح المحفوظ قال المتكلمون انما كتب كل ذلك لتستدل الملائكة بذلك على كونه تعالى عالما بجميع الاشياء قبل وقوعها لان اثباتها فيه فرع علمه بها وليعرفوا بذلك انه حكيم فانه تعالى لما خلقهم ورزقهم مع علمه بما يقدمون عليه من المعاصى علم منه انه لم يفعل ذلك الا لحكمة ﴿قوله اى اثبت وكتب لئلا تحزنوا﴾ يعنى ان اللام فى قوله لكيلا متعلقة بما دل عليه قوله الا فى كتاب ﴿قوله ليعادل ماقاتكم﴾ فان آتاكم ذكر فى مقابلة فاتكم والفعل فى قوله فاتكم لغائبة فينبغى ان يكون فى مقابلته ايضا للآتى لا للمؤتى ووجه من قرأ آتاكم بالمد ماذكره المصنف من الاشعار بان حصول نعم الدنيا وبقاءها لابد له من سبب بخلاف فواتها وقوله وقرأ ابو عمرو بما اتاكم اى مقصورا من الاتيان اى بما جاءكم قال ابو على الفارسى لان اتاكم معادل لقوله فاتكم لغائبة فكذا ينبغى ان يكون فى مقابلة الآتى فى قوله بما اتاكم وقرأ باقى السبعة آتاكم ممدودا من الايتاء اى بما اعطاكم اياه ووجه هذه القرآءة اى القرآءة الممدودة التى بمعنى الاعطاء من الايتاء مافيها من الاشعار الذى ذكره المصنف حيث قال وعلى الاول فيه اشعار بان فواتها يلحقها الخ ﴿قوله والمراد به﴾ اى بقوله لكى لاتأسوا ولاتفرحوا اى ليس المراد به نفى الاسى والفرح على الاطلاق فانه مامن احد الا وهو يفرح بنعمة الله تعالى ويحزن على فواتها وليس بمجرد الفرح والحزن بمذموم وانما المذموم منهما مايؤدى الى مالايجوز من البطر والاختيال والافتخار بزخارف الفانية على الناس والنظر اليهم بعين الاحتقار ومن عدم الرضى بالقضاء والتسليم لامر الله واستشهد على ان المراد ذلك بقوله تعالى والله لايحب كل مختال اى فرح بخرجه فرحه عن حد الشكر الى الخيلاء والبطر فخور بما اوتى من النعم على الناس قيل لبرزجمهر ايها الحكيم مالك لاتحزن على مافات ولاتفرح بما هو آت قال لان الفائت لايتلافى بالعبرة والآتى لايستدام بالحبرة ويؤيد هذا المعنى قوله عليه الصلاة والسلام من عرف سر الله فى القدر هانت عليه المصائب وكيف لايهون عليه ذلك وقد علم ان وقوع كل ماوقع واجب وعدم كل مالم يقع واجب ايضا من حيث انه تعالى علم كل ممكن على الوجه الذى يكون عليه من الوقوع وعدم الوقوع واثبته كذلك فى اللوح المحفوظ فلو لم يكن على الوجه الذى تعلق به العلم والقضاء الازلى لانقلب العلم جهلا فمن علم ان الامر كذلك هانت عليه المحن والمصائب ولايشتد فرحه بحدوث المآرب حيث علم ان الامر منوط بمجرد المشيئة الالهية فان شاء ابقاها وان شاء سلبها ﴿قوله فان المختال بالمال يضن به غالبا﴾ علة لكونه بدلا من كل مختال على معنى لايحب الذين يبخلون فان من فرح بالمال فرحا مطغيا واختال وافتخر به على الناس فانما يفعله لحبه اياه وعزته عنده فالغالب عليه ان يبخل به عن الصرف الى حقوق الله تعالى ﴿قوله خبره محذوف﴾ وتقدير الكلام الذين يبخلون فالله غنى عنهم ﴿قوله وقرأ نافع وابن عامر فان الله الغنى﴾ اى باسقاط لفظ هو لسقوطه فى مصاحف المدينة والشام وقرأ الباقون باثباته لثبوته فى مصاحفهم فاتبع كل فريق لما فى مصحفه من المصاحف ثم انه تعالى لما حث على المسارعة الى مايوجب المغفرة والجنة ولم يفصل ان موجباتها ماهى قال ولقد ارسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان اى ليتم بهما مصالح الدين والدنيا فمن اتبع كتاب الله فى باب العقائد والاخلاق واعمال الجوارح واستعمل الميزان فى معاملة الخلق فقد سارع الى مايوجب المغفرة والجنة ﴿قوله اى الملائكة﴾ قدم هذا الاحتمال لان قوله وانزلنا معهم الكتاب والميزان يدل على ان الرسل منزلون وانهم مصحوبون الكتاب حال النزول والانبياء ليسوا منزلين فضلا عن ان ينزل معهم الكتاب وان اريد بالرسل الانبياء

(لكيلا تأسوا) اى اثبت وكتب لئلا تحزنوا (على مافاتكم) من نعيم الدنيا (ولا تفرحوا بما آتاكم) بما اعطاكم الله منها فان من علم ان الكل مقدر هان عليه الامر وقرأ ابو عمرو بما أتاكم من الاتيان ليعادل مافاتكم وعلى الاول فيه اشعار بان فواتها يلحقها اذا خليت وطباعها واما حصولها وبقاؤها فلابد لهما من سبب يوجدها ويبقيها والمراد به نفى الاسى المانع عن التسليم لامر الله تعالى والفرح الموجب للبطر والاختيال ولذلك عقبه بقوله (والله لايحب كل مختال فخور) اذ قل من يثبت نفسه حالى السراء والضراء (الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل) بدل من كل مختال فان المختال بالمال يضن به غالبا او مبتدأ خبره محذوف مدلول عليه بقوله (ومن يتول فان الله هو الغنى الحميد) لان معناه ومن يعرض عن الانفاق فان الله غنى عنه وعن انفاقه محمود فى ذاته لايضره الاعراض عن شكره ولاينتفع بالتقرب اليه بشئ من نعمه وفيه تهديد واشعار بان الامر بالانفاق لمصلحة المنفق وقرأ نافع وابن عامر فان الله الغنى (لقد ارسلنا رسلنا) اى الملائكة الى الانبياء او الانبياء الى الامم (بالبينات) بالحجج والمعجزات

يكون معهم حالا مقدرة من الكتاب اى انزلناه صائرا معهم ﴿ قوله تعالى ليقوم ﴾ متعلق بانزلنا والقسط العدل اى انزلناهما لتحقق الناس ما امروا به من العدل باتباع الكتاب واستعمال الميزان فينتظم به امر دينهم ودنياهم بسلوك الصراط المستقيم الموصل الى المغفرة والرضوان ودرجات الجنات ﴿ قوله وانزاله انزال اسبابه ﴾ يعنى ان الميزان بمعنى ما يوزن به ليس بمنزل من السماء بل هو من مصنوعات البشر فالمراد بانزاله انزال اسبابه وقيل الانزال ههنا بمعنى الانشاء والتهيئة كما فى قوله تعالى وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج وقيل هو من باب علفتها تبنا وماء باردا وتقدير الكلام انزلنا الكتاب ووضعنا الميزان ويدل على صحة هذا التوجيه قوله تعالى والسماء رفعها ووضع الميزان والمراد بوضعه الامر باستعماله وروى ان جبريل عليه السلام نزل بالميزان فدفعه الى نوح عليه السلام وقال مر قومك يزنوا به وقيل المراد بالميزان العدل وبانزاله انزال الامر به ﴿ قوله تعالى فيه بأس شديد ﴾ جملة حالية من الحديد قيل معناه فيه من خشية القتل خوف شديد وقال محيى السنة فيه قوة شديدة فى الحرب وفى الصحاح البأس العذاب والبأس الشدة فى الحرب قال مجاهد فيه جنة وسلاح والمعنى انه يتخذ منه آلتان للحرب آلة الدفع وآلة الضرب قال اهل المعانى معنى انزلنا الحديد احدثناه وانشأناه كما فى قوله وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج وقوله وانزلنا عليكم لباسا وذلك ان اوامر الله تعالى واحكامه تنزل من السماء وروى انه عليه الصلاة والسلام قال ان الله عز وجل انزل اربع بركات من السماء الى الارض انزل النار والحديد والماء والملح وعن ابن عباس رضى الله عنه قال نزل آدم من الجنة ومعه خمسة أشياء من الحديد السندان والكلبتان والميقعة والمطرقة والابرة السندان روى بفتح السين وكسرها يقال له بالتركى اورس والكلبتان آلة يؤخذ بها الحديد المحمى والميقعة المبرد وهو ما يحدّ به الحديد والمطرقة آلة يضرب بها الحدّادون الحديد المحمى يقال له بالتركى چكوچ فعلى هذا الانزال على حقيقته وقوله تعالى وانزلنا الحديد فيه بأس شديد بعد قوله وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط اشارة الى ان تمشية قوانين الكتاب واستعمال ما يوزن به يتوقفان على وال صاحب سيف يقيم به امر السياسة ويقهر به من تجاوز القسط وتعدّى وظلم فان الظلم من شيم النفوس الامارة والسيف حجة الله تعالى على من تعدّى وظلم ثم قال ومنافع للناس اشارة الى ان القيام بالقسط كما يحتاج الى القائم بالسيف يحتاج ايضا الى ما يتوقف عليه التعايش من الصنائع والآلات الحرفية ﴿ قوله والعطف على محذوف ﴾ يعنى ان قوله تعالى وليعلم الله معطوف على علة محذوفة يدل عليها قوله تعالى فيه بأس شديد ومنافع للناس فانه حال فيه معنى التعليل اى ليقاتلوا ويتنفعوا به وليعلم الله حذف ما حذف اعتمادا على قيام ما يدل عليه وللدلالة على ان المقصود الاصلى من انزال الحديد هو المذكور فعلى هذا تكون اللام متعلقة بقوله وانزلنا الحديد ويحتمل ان تكون متعلقة بمحذوف معطوف على انزلنا ﴿ قوله بالغيب حال من المستكن فى ينصره ﴾ اى ينصر دين الله ورسله وهو لم ير الله تعالى ولا احكام الآخرة ولا احدا من رسله فان العبرة فى الطاعة ما وقعت حال الغيبة عن المطاع على ان يكون المراد بالغيب الغيبة عن التصور ويجوز ان يكون المراد بها الغيبة عن الناس اى ينصر دين الله وينصر رسله باستعمال السيوف والرماح وسائر السلاح مجاهدة لاعلاء الدين بالغيب اى ملتبسا بالغيبة عمن يراه من الناس اى يفعل ما فعله عن اخلاص لا كالمنافق الذى يفعل اذا رآه الناس ولا يفعل اذا غاب عنهم واحتج من قال بحدوث علم الله تعالى بقوله وليعلم الله ونحن نقول المعنى ليعلم الله من ينصر دينه ورسله موجودا فيستحق الثواب بقيامه بالقسط كما علم فى الازل بانه سيوجد ثم انه تعالى لما اجمل ذكر الرسل الملتبسين بالبينات وبين انه انزل معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالعدل وانزل الحديد ذا البأس الشديد يستعين به الخلق فى نصرة الدين وتقوية المرسلين فصل ههنا ما اجمله من ارسال الرسل بالكتب فقال ولقد ارسلنا نوحا وابراهيم وقدم قوله فى ذريتهما وهو ثانى مفعولى جعلنا بمعنى صيرنا ليفيد الاختصاص فانه ما جاء بعدهما احد بالنبوة الا كان من اولادهما ﴿ قوله بان استنبأنا هم ﴾ اى استنبأنا بعضا من ذريتهما لان جعل الذرية ظرفا للنبوة يدل على كونها فى بعض منهم والكتاب هو الوحى المتلوّ الذى من شأنه ان يكتب وقيل هو مصدر بمعنى الكتابة يقال كتبت كتابا وكتابة وهو الخط بالقلم والفاء فى قوله فمنهم للتعقيب فى الذكر لان تفصيل المجمل حقه ان يذكر بعد ذكر الاجمال وعدل عن سنن المقابلة حيث لم يقل ومنهم فاسق لما ذكره من الامرين ﴿ قوله تعالى ثم قفينا على آثارهم برسلنا ﴾ اى اتبعنا على آثار الذرية وقيل على آثار نوح وابراهيم ومن ارسلا اليهم المدلول عليه بقوله ارسلنا ﴿ قوله او من عاصرهما ﴾ معطوف على قوله من ارسلا اليهم احتاج الى ان يعتبر معهما

(وانزلنا معهم الكتاب) ليتبين الحق ويتميز صواب العمل (والميزان) ليسوّى به الحقوق ويقام به العدل كما قال (ليقوم الناس بالقسط) وانزاله انزال اسبابه والامر باعداده وقيل انزل الميزان الى نوح عليه السلام ويجوز ان يراد به العدل ليقام به السياسة ويدفع به الاعداء كما قال (وانزلنا الحديد فيه بأس شديد) فان آلات الحروب متخذة منه (ومنافع للناس) اذ ما من صنعة الا والحديد آلتها (وليعلم الله من ينصره ورسله) باستعمال الاسلحة فى مجاهدة الكفار والعطف على محذوف دل عليه ما قبله فانه حال يتضمن تعليلا او اللام صلة لمحذوف اى انزله ليعلم الله (بالغيب) حال من المستكن فى ينصره (ان الله قوى) على اهلاك من اراد اهلاكه (عزيز) لا يفتقر الى نصره وانما امرهم بالجهاد لينتفعوا به ويستوجبوا ثواب الامتثال فيه (ولقد ارسلنا نوحا وابراهيم وجعلنا فى ذريتهما النبوّة والكتاب) بان استنبأناهم واوحينا اليهم الكتب وقيل المراد بالكتاب الخط (فمنهم مهتد) فمن الذرية او من المرسل اليهم وقد دل عليهم ارسلنا (وكثير منهم فاسقون) خارجون عن الطريق المستقيم والعدول عن سنن المقابلة للمبالغة فى الذم والدلالة على ان الغلبة للضلال (ثم قفينا على آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى بن مريم) اى ارسلنا رسولا بعد رسول حتى انتهى الى عيسى والضمير لنوح وابراهيم ومن ارسلا اليهم او من عاصرهما من الرسل لا للذرية فان الرسل المقفى بهم من الذرية

من ارسلنا اليهم او من عاصرهما لاقتضاء ضمير الجمع فى قوله على آثارهم ذلك برسلنا موسى و الياس و داود و سليمان و يونس و غيرهم و عيسى من ذرية ابراهيم من جهة الام كما انه من ذرية نوح ايضا يقال قفوت اثره اقفو قفوا اى اتبعته وقفيت على اثره بفلان اى اتبعته اياه ﴿ قوله و امره اهون ﴾ اى امر فتح همزة انجيل اهون من فتح باء برطيل لان انجيل لفظ اعجمى فلا محذور فى كونه مخالفا لاوزان العرب بخلاف برطيل فانه لفظ عربى فبفتح الباء فيه صار بحيث لم يوجد له نظير فى الاوزان العربية فكان شاذا بخلاف ما لو كسر الباء فيه فان له نظائر كثيرة فى الالفاظ العربية كالقنديل و الاحليل و الابريق و الاكسير و البرطيل حجر مستطيل يدخل فى الحلق لاجل التداوى به شبهت الرشوة به فسميت برطيلا على طريق الاستعارة و اللغة الشائعة برطيل بكسر الباء و يستعمل بفتح الباء ايضا بطريق الشذوذ و المراد بمن اتبع عيسى على دينه الحواريون و اتباعهم قيل الرأفة اللين و الرحمة الشفقة و المراد بهما فى الآية المودة فكان بعضهم يود بعضا كما وصف الله تعالى هذه الامة بقوله رحماء بينهم ﴿ قوله اى و ابتدعوا رهبانية ﴾ على ان يكون انتصاب رهبانية على انه من قبيل ما اضمر عامله على شريطة التفسير ﴿ قوله او رهبانية مبتدعة ﴾ على ان تكون معطوفة على قوله رأفة و رحمة مجعولة له تعالى و يكون ابتدعوها صفة رهبانية و جعل اما بمعنى خلق او بمعنى صير و يرد على هذا ان يقال كيف تكون الرهبانية حاصلة لهم بجعل الله تعالى و مبتدعة لهم حاصلة من جهتهم و هما متنافيان بحسب الظاهر و الجواب عنه منع التنافى بناء على ان الرهبانية و هى الفعلات المنسوبة الى الرهبان كتكثير العبادات و ترك العادات و لزوم الخلوات من الافعال التى يكون لقدرة الانسان و اكتسابه مدخل فيها بخلاف الرأفة و الرحمة فانهما من الامور الغريزية فلا مدخل لكسب الانسان فيهما فصح توصيف الكل بكونها مجعولة مخلوقة له تعالى و توصيف ما يكون بكسب الانسان و اختياره بانه مبتدع له فان جميع الافعال الاختيارية منسوبة اليه تعالى بالخلق و الايجاد و الى العبد بالكسب و الاختيار و يرد على الاعراب الاول ان يقال كيف يجوز ان تكون رهبانية منصوبة بابتدعوا المقدرة المفسر بالظاهر مع ان جعل الرهبانية مبتدعة منهم فى مقابلة كون الرأفة و الرحمة مجعولتين لله تعالى يدل على ان الرهبانية فعل العبد بحيث يستقل العبد بفعلها و هو مذهب اهل الاعتزال و الجواب عنه ما مر من ان اسناد ابتداعها اليهم لا يستلزم استقلال قدرتهم بها كما هو مذهب المعتزلة فلا محذور و الرهبان بفتح الراء صفة مشبهة كالعطشان ابلغ من الراهب بمعنى الخائف يقال رهب بكسر الهاء يرهب بفتحها رهبة و رهبا بالضم و رهبانا بالفتحات الثلاث اى خاف فهو راهب و رهبان و الرهبانية الفعلة المنسوبة الى الرهبان للمبالغة فى العبادة ﴿ قوله كانها منسوبة الى الرهبان ﴾ بضم الراء لم يجعلها منسوبة حقيقة بل جعلها مصدرا كالرهبانية لانه لا ينسب الى الجمع و هو باق على صيغته بل يرد الجمع الى واحده فينسب اليه فيقال فى النسبة الى المساجد مثلا مسجدى و لا يقال مساجدى ثم قد يكون لفظ الجمع لكونه اسما لطائفة مخصوصة بمنزلة العلم لها و ان كان جمعا فى نفسه فينسب اليه و هو باق على صيغته فيقال فى النسبة الى الانصار و الاعراب و القرآنين انصارى و اعرابى و قرآنينى قيل فى وجه ابتداع النصارى الرهبانية و اتخاذها من عند انفسهم ان الجبابرة ظهروا على المؤمنين بعد موت عيسى عليه الصلاة و السلام فقاتلوهم ثلاث مرات فقتلوا حتى لم يبق منهم الا القليل فقالوا لا نقاتلهم مرة اخرى و الا افنونا و لم يبق للدين احد يدعو اليه فتعالوا حتى نتفرق فى الارض و نتجرد فيها للعبادة فاختاروا الرهبانية فارين من الفتنة فى الدين مخلصين انفسهم للعبادة و حملوا المشاق على انفسهم بالامتناع من المطعم و المشرب و النكاح و التعبد فى الجبال و الغيران و الكهوف و الديارات و الصوامع عن ابن عباس رضى الله عنه قال ان فى ايام الفترة بين عيسى و محمد عليهما الصلاة و السلام غير الملوك التوراة و الانجيل و ساح قوم فى الارض متعبدين ﴿ قوله و قيل متصل ﴾ اى قيل انه استثناء متصل بما هو مفعول لاجله و المعنى ما كلفناهم بها و ما طلبنا منهم ان يفعلوها بشئ مما من الاشياء من دفع العقاب عنهم و حصول الثواب و الرضوان لهم الا ابتغاء رضوان الله فصار المعنى كتبناها عليهم و امرناهم بها ابتغاء مرضاة الله و هذا قول مجاهد و قوله و هو اى كونها مكتوبة عليهم ندبا و ابتغاء لمرضاة الله يخالف قوله تعالى ابتدعوها لانه يفهم منه انهم اخترعوها من تلقاء انفسهم و انها لم تكتب الا ان يقال لا تنافى بين كونها مكتوبة عليهم و بين اختراعهم اياها من تلقاء انفسهم لان التنافى انما يكون ان لو كانت الكتبة مقدمة على الاختراع و ليس بلازم و قوله او ابتدعوها و اتوا بها اولا اى قبل سائر الناس و الحديث ضد القديم و استحدثوها اى فعلوها حدثا جديدا لم يسبقهم سائر الناس

(و آتيناه الانجيل) و قرئ بفتح الهمزة و امره اهون من امر البرطيل لانه اعجمى (و جعلنا فى قلوب الذين اتبعوه رأفة) و قرئ رآفة على فعالة (و رحمة و رهبانية ابتدعوها) اى و ابتدعوا رهبانية ابتدعوها او رهبانية مبتدعة على انها من المجعولات و هى المبالغة فى العبادة و الرياضة و الانقطاع عن الناس منسوبة الى الرهبان و هو المبالغ فى الخوف من رهب كالخشيان من خشى و قرئت بالضم كانها منسوبة الى الرهبان و هو جمع الراهب كراكب و ركبان (ما كتبناها عليهم) ما فرضناها عليهم (الا ابتغاء رضوان الله) استثناء منقطع اى و لكنهم ابتدعوها ابتغاء رضوان الله و قيل متصل فان ما كتبناها عليهم بمعنى ما تعبدناهم بها و هو كما ينفى الايجاب المقصود منه دفع العقاب ينفى الندب المقصود منه مجرد حصول مرضاة الله و هو يخالف قوله ابتدعوها الا ان يقال ابتدعوها ثم ندبوا اليها او ابتدعوها بمعنى استحدثوها و اتوا بها اولا لا انهم اخترعوها من تلقاء انفسهم

فيها والابتداع بهذا المعنى لاينافى كونها مكتوبة عليهم واتيانهم بها بعد الكتبة والابتداع بناء عليها ﴿قوله استثناء منقطع﴾ لان المستثنى هو الابتداع المقارن بالابتغاء ووجه الاتصال كون الكتبة بمعنى الاستعباد والتذليل المتناول للايجاب والندب او كون الابتغاء مستثنى من اعم العلل كانه قيل ما تعبدناهم بالرهبانية لشئ من الاشياء واعتبر معه كون الكتبة متناولا للايجاب والندب ليصح حصر العلة فى الابتغاء فان كتبنا لو كان بمعنى فرضنا لما صح الحصر لان من فعل الواجب لايفعله لمجرد ابتغاء الرضوان بل يفعله لدفع العقاب المترتب على تركه ايضا وبهذا التوجيه وان صح الاتصال والحصر الا انه بقى ان يقال كون الرهبانية مندوبة لهم من قبله تعالى ينافى ابتداعهم اياها فاجاب عنه اولا بجواز ان يكون الندب بعد الابتداع وثانيا بجواز ان يكونوا ندبوا اليها من اول الامر وان يكون معنى الابتداع الانتداب اليها اولا ﴿قوله فما رعوها جميعا﴾ جعل الضمير المرفوع فى قوله فما رعوها للذين اتبعوه مقيدين بقيد الجميع لان بعضهم قد رعاها بدليل قوله فآتينا الذين آمنوا فان معناه آتينا الذين رعوها حق رعايتها وثبتوا على ما التزموه ولم يضيعوا شيأ من حقوقها التى من جملتها الايمان بنبى آخر الزمان صلى الله عليه وسلم لقوله عليه الصلاة والسلام «من آمن بى وصدقنى واتبعنى فقد رعاها حق رعايتها ومن لم يؤمن بى فاولئك هم الهالكون» وحق رعايتها منصوب على انه مفعول مطلق لقوله فما رعوها كقولك ما عرفتك حق معرفتك اى كال معرفتك وفى الآية دليل على ان من شرع فى فعل لم يكتب عليه من وجوه العبادات لزم عليه اتمامه ورعايته وان شرع فيما ليس عليه حتى لزمه ثم تركه استحق اسم الفسق والوعيد روى عن ابى امامة الباهلى انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «احدثتم قيام رمضان ولم يكتب عليكم قيامه وانما كتب عليكم صيامه فدوموا على القيام اذا فعلتموه ولا تتركوه فان ناسا من بنى اسرائيل ابتدعوا بدعا لم يكتبها الله عليهم ابتغوا بها رضوان الله فما رعوها حق رعايتها فعابهم الله تعالى بتركها فقال ورهبانية ابتدعوها الآية» ثم انه تعالى لما قال فى الآية المتقدمة فآتينا الذين آمنوا منهم اجرهم وهو وعد لمن آمن من قوم عيسى عليه الصلاة والسلام ايمانا صحيحا باعطاء الاجر اللائق الا انه عبر عنه بلفظ آتينا بناء على تحقق وقوعه ولم يبين مقدار ذلك الاجر خاطب عقبها جميع من آمن بالرسل المتقدمة من اليهود والنصارى فامرهم بتقوى الله والايمان بسيد المرسلين عليه وعليهم الصلاة والسلام ووعدهم ايتاء كفلين من رحمته بمقابلة ايمانهم به وبمن قبله فقال يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله الآية بين به ان الاجر الموعود لمن آمن به من قوم عيسى غير مختص بهم بل يعم جميع اقوام الرسل المتقدمة بشرط ان آمنوا بسيد المرسلين عليهم عليه الصلاة والسلام وبين ايضا ان الاجر الموعود كفلان «ولما ورد ان يقال هذا معقول فى حق من آمن بعيسى وراعى دينه الى ان بعث نبينا عليهما الصلاة والسلام لانه قد استقر على الدين الحق الى ان نسخ وتبين عنده حقية الدين الناسخ وحين تبين له ذلك اتبع الحق الثانى فاستحق بذلك لان يعطى كفلين من الرحمة بخلاف اليهود فان اليهود بعد ما نسخت بعثة عيسى عليه الصلاة والسلام فلم يثبت اليهود على الدين الحق حتى آمنوا بنبينا صلى الله عليه وسلم فكيف يثابون على دينهم السابق» اجاب عنه بقوله ولا يبعد الخ ولم يرتض المصنف بقول من قال الخطاب للنصارى الذين كانوا فى عصره عليه الصلاة والسلام لما ثبت ان قوله تعالى اولئك يؤتون اجرهم مرتين نزل فيمن آمن بنبينا صلى الله عليه وسلم من اليهود كعبد الله بن سلام واضرابه فانهم لم يؤمنوا بعيسى الى ان جاء الاسلام وقد ضوعف اجرهم ﴿قوله يريد المذكور فى قوله يسعى نورهم﴾ وهو النور الذى يمشون به فى الآخرة على الصراط الى ان يصلوا الى الجنة وهذا النور هو علامة المؤمنين يوم القيامة يبرز لهم من صحائف اعمالهم وقيل المراد به الهدى والبيان الذى يتبعه المؤمن ويسلك به سلوكا معنويا الى جناب القدس وهو سبيل واضح يؤدى سالكه الى مرضاة الرحمن ﴿قوله ولا مزيدة﴾ فانها تزاد كثيرا كما فى قوله تعالى ما منعك ان لاتسجد واللام فى قوله تعالى لئلا يعلم متعلقة بمعنى الجملة الطلبية المتضمنة لمعنى الشرط اذ التقدير ان تتقوا الله وتؤمنوا برسوله يؤتكم كذا وكذا ليعلم اهل الكتاب الذين ادركوا عصره عليه الصلاة والسلام ولم يؤمنوا به ان الشان لايقدرون اى ليعلموا عدم قدرتهم على شئ مما ذكر من فضله وهما الكفلان من رحمته والنور والمغفرة ويعلموا ان الفضل بيد الله يتفضل به على من يشاء من عباده فيؤتى المؤمنين منهم اجرين ونورا ومغفرة ﴿قوله وهو مشروط بالايمان به﴾ لان قوله تعالى يؤتكم كفلين مجزوم على انه جواب الامر وقد تقرر ان المضارع انما يجزم بعد الامر لتضمن الامر معنى الشرط وكون المضارع المجزوم فى موضع الجزاء له ومتوقفا على حصوله وذلك لان الفعل المطلوب بصيغة الامر

(فما رعوها) فما رعوها جميعا (حق رعايتها) بضم التثليث والقول بالاتحاد وقصد السمعة والكفر بمحمد عليه الصلاة والسلام ونحوها اليه (فآتينا الذين آمنوا) اتوا بالايمان الصحيح وحافظوا حقوقه ومن ذلك الايمان بمحمد عليه الصلاة والسلام (منهم) من المتسمين باتباعه (اجرهم وكثير منهم فاسقون) خارجون من حال الاتباع (يا ايها الذين آمنوا) بالرسل المتقدمة (اتقوا الله) فيما نهاكم عنه (وآمنوا برسوله) محمد عليه الصلاة والسلام (يؤتكم كفلين) نصيبين (من رحمته) لايمانكم بمحمد عليه الصلاة والسلام وايمانكم بمن قبله ولا يبعد ان يثابوا على دينهم السابق وان كان منسوخا ببركة الاسلام وقيل الخطاب للنصارى الذين كانوا فى عصره (ويجعل لكم نورا تمشون به) يريد المذكور فى قوله يسعى نورهم او الهدى الذى يسلك به الى جناب القدس (ويغفر لكم) الكفر والمعاصى (والله غفور رحيم لئلا يعلم اهل الكتاب) اى ليعلموا ولا مزيدة ويؤيده انه قرئ ليعلم ولكى يعلم ولان يعلم بادغام النون فى الياء (ان لا يقدرون على شئ من فضل الله) ان هى المخففة والمعنى انه لاينالون شيأ مما ذكر من فضله ولا يتمكنون من نيله لانهم لم يؤمنوا برسوله وهو مشروط بالايمان به

قد يكون مطلوبا لنفسه فلا يجزم بعده الفعل و قد يكون مطلوبا لغيره فيذكر ذلك الغير بعده مجزوما لكونه فى معنى الجزآء لما قبله و معنى كون الفعل المطلوب بصيغة الامر مطلوبا لغيره كون ذلك الغير متوقفا على حصوله و توقف غيره عليه هو معنى كونه شرطا له * روى ان اهل الكتاب و هم بنوا اسرآئيل كانوا يفضلون انفسهم على سائر اهل الاديان بسبب كونهم اهل الكتاب و يقولون الوحى و الرسالة فينا و الكتاب و الشرع ليس الا لنا و انه تعالى خصنا بهذه الفضيلة العظيمة من بين جميع العالمين فانزل الله تعالى هذه الآية فخاطب فيها من آمن بالرسل المتقدمة فقال لهم انكم ان تتقوا الله و تؤمنوا برسوله يؤتكم الله تعالى فى الآخرة كفلين من رحمته ثم قال فعلنا ذلك و بيناه لكم ليعلم اهل الكتاب ان الشأن لا اجر لهم و لا نصيب من فضل الله و ان كانوا مجتهدين فى التدين بدين من بعث قبله لانه كفر بما فرض الله عليهم فى ذلك الوقت فاحبط اعمالهم و المقصود من انزالها ان يزول عن قلوب من لم يؤمن به عليه الصلاة و السلام من اهل الكتاب اعتقاد انهم متفضلون على سائر اهل الاديان من حيث كونهم اصحاب كتاب الهى فان مجرد كون الكتاب منزلا من عنده تعالى لا يوجب بقاء حكمه ابدا و كون من تمسك به متفضلا على غيره لان الحكمة الالهية قد تقتضى كون بعض احكامه موقتا بوقت متعين فينتهى ذلك الحكم بمجيئ ذلك الوقت و يكون منسوخا فيه و يظهر بعد ذلك حكم جديد و لا فضل لمن فى اتباع الحكم المنسوخ و انما الفضل بتقوى الله تعالى و طاعته فيما كلف به فى كل وقت فلذلك كان اجر من اتبع الدين القويم و دام على اتباعه الى زمان بعثة نبينا صلى الله عليه و سلم ثم اذا علم بعثته آمن به و اتبع دينه ضعف اجر من مات قبله و اما من ادرك عصره و لم يؤمن به فليس له شئ من الاجر لكون اعماله محبطة بالكفر به ﴿ قوله او لا يقدرون على شئ من فضله الخ ﴾ فانهم كانوا لا يعدونه عليه الصلاة و السلام اهلا لان يبعث رسولا و يترل عليه الكتاب و يقولون لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم فبين تعالى بهذه الآية ان من آمن به عليه الصلاة و السلام هو الذى يضاعف اجره و يجعل له النور و المغفرة ثم قال فعلنا ذلك ليعلموا ان ليس لهم التصرف فى امر النبوة و قيل كلمة لا ليست بمزيدة و ان الضمير فى لا يقدرون ليس لاهل الكتاب بل هو للنبى و المؤمنين و المعنى فعلنا ذلك و بيناه لئلا يعتقد اهل الكتاب ان الشأن لا يقدر النبى و المؤمنون به على شئ من فضل الله * و لما ورد ان يقال كيف يصح هذا الوجه مع انه يستلزم ان يكون المعنى و لئلا يعلم اهل الكتاب ان الفضل بيد الله و من المعلوم ان انتفاء علمهم به ليس مما يصح ان يقصد فضلا عما ذكر وجه الملازمة ان قوله و ان الفضل بيد الله معطوف على مفعول العلم المنفى البتة فيلزم ان يكون المعنى ما ذكر * اشار الى دفعه بقوله فيكون و ان الفضل عطفا على ان لا يعلم اى لا نسلم كونه معطوفا على مفعول العلم المنفى بل هو علة معطوفة على العلة السابقة اى فعلنا ذلك لئلا يعلم اهل الكتاب ان المؤمنين لا يقدرون على شئ و يعتقدوا و يعلموا ان الفضل بيد الله و ليس فى هذا القول الا زيادة اضمار فى قوله و ان الفضل بيد الله بان يكون تقدير الكلام و يعتقدوا ان الفضل بيد الله و اما القول الاول فقد افتقرنا فيه الى جعل اللفظ الموجود صلة و الاضمار اولى من الحذف ﴿ قوله فيكون و ان الفضل عطفا على ان لا يعلم ﴾ اى بتقدير فعل و تقدير الكلام لئلا يعتقد اهل الكتاب ان الشأن لا يقدر النبى و من آمن به على شئ من فضل الله و ليعتقدوا ان الفضل بيد الله قيل و ليس فى هذا القول الا زيادة اضمار و هى قوله و ليعتقدوا ان الفضل و اما القول الاول فقد افتقرنا فيه الى حذف شئ موجود ملفوظ و من المعلوم ان الاضمار اولى من الحذف لان الكلام اذا افتقر الى الاضمار لم يوهم ظاهره باطلا اصلا و اما اذا افتقر الى الحذف كان ظاهره موهما لباطل فثبت ان هذا القول اولى ﴿ قوله و قرئ ليلا ﴾ بكسر اللام الاولى و اسكان الياء بعدها و الاصل لأن لا يعلم حذفت همزة ان فبقيت لن لا فادغمت النون فى اللام فبقى للا فاجتمع ثلاث لامات فثقل النطق بها فابدلت الوسطى منهن ياء تخفيفا كما قالوا ديناز فى دنار و ديوان فى دوان ﴿ قوله و قرئ ليلا ﴾ بفتح اللام الاولى و اسكان الياء بعدها اصله لان لا يعلم على لغة من يفتح لام الجر مع الظاهر كما يفتحها مع المضمر بناء على ان الاصل فى الحروف المفردة الفتح فحذفت همزة ان فصار لن لا فادغمت النون فى اللام فصار للا ثم ابدلت اللام الوسطى ياء فصار ليلا و قرأ العامة لئلا بكسر لام كى و بعدها همزة مفتوحة محققة و ورش يبدلها ياء محضة و هو تخفيف قياسى نحو مية و فية فى مئة و فئة * تم هنا ما يتعلق بسورة الحديد و الحمد لله رب العالمين و صلى الله على سيدنا محمد و على آله و صحبه اجمعين

﴿ سورة المجادلة مدنية فى قول الجميع الا فى رواية عن عطاء انه قال العشر الاول مدنى و باقيها مكى و قال ﴾

او لا يقدرون على شئ من فضله فضلا ان يتصرفوا فى اعظمه و هو النبوة فيخصوها بمن ارادوا و يؤيده قوله (و ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء و الله ذو الفضل العظيم) و قيل لا غير مزيدة و المعنى لئلا يعتقد اهل الكتاب انه لا يقدر النبى و المؤمنون به على شئ من فضل الله و لا ينالونه فيكون و ان الفضل عطفا على ان لا يعلم و قرئ ليلا و وجهه ان الهمزة حذفت و ادغم النون فى اللام ثم ابدلت ياء و قرئ ليلا على ان الاصل فى الحروف المفردة الفتح * عن النبى عليه السلام من قرأ سورة الحديد كتب من الذين آمنوا بالله و رسوله

﴿ سورة المجادلة مدنية و قيل العشر ﴾
﴿ الاول مكى و الباقى مدنى و آيها ﴾
﴿ ثنتان و عشرون ﴾

﴿ الكلبي نزل جميعها بالمدينة غير قوله تعالى ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم نزلت بمكة ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم ﴿ قوله ظاهر منها ﴾ اى قال لها زوجها اوس انت على كظهر امى وكان به لمم فاشتد به لممه ذات يوم فقال ذلك ثم ندم وكان الظهار طلاقا فى الجاهلية فقال لها ما اراك الا وقد حرمت على فقالت والله ما ذكرت طلاقا وكان ذلك اول ظهار وقع فى الاسلام ولم يتبين بعد حكمه فاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعائشة رضى الله عنها تغسل شق رأسه عليه الصلاة والسلام فقالت يا رسول الله ان زوجى اوس بن الصامت ابو ولدى وابن عمى واحب الناس الى ظاهر منى وما ذكر طلاقا وقد ندم على فعله فهل من شئ يجمعنى واياه فقال عليه الصلاة والسلام ما اراك الا وقد حرمت عليه فهتفت وشكت وذكرت فاقتها ووحدتها حيث كان اهلها منقرضين ولم يبق منهم احد وقالت ان لى صبية صغارا ان ضممتهم الى جاعوا وان ضممتهم اليه ضاعوا فاعاد النبى صلى الله عليه وسلم قوله الاول فقال ما اراك الا وقد حرمت عليه ولم اؤمر فى شأنك بشئ فجعلت تراجع رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا قال لها عليه الصلاة والسلام حرمت عليه هتفت وجعلت ترفع رأسها الى السماء وتقول اللهم انى اشكو اليك ما صنع بى زوجى حال فاقتى ووحدتى وقد طالت معه صحبتى ونفضت له بطنى يعنى انى بلغت عنده سن الكبر وصرت عقيما لا الد بعد وكانت فى كل ذلك ترفع رأسها الى السماء وتقول اللهم انزل على لسان نبيك فقامت عائشة رضى الله عنها تغسل الشق الآخر من رأسه صلى الله عليه وسلم وهى فى مراجعة الكلام معه عليه السلام وبث الشكوى الى الله تعالى فانزل الله تعالى قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها اى فى قول زوجها او فى شأنه ومجادلتها هى انه عليه الصلاة والسلام كلما قال لها حرمت عليه قالت والله ما ذكر طلاقا قالت عائشة رضى الله عنها تبارك الذى وسع سمعه كل شئ انى لاسمع كلام خولة ويخفى على بعضه وهى تحاور رسول الله صلى الله عليه وسلم اى تخاطبه فما برحت حتى نزل جبريل بهذه الآيات الاربع وفى الآية دليل على ان من انقطع رجاؤه من الخلق ولم يبق له فى مهمه احد سوى ربه كفاه الله ذلك المهم روى ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه مر بهذه المرأة فى خلافته وهو على حمار والناس معه فاستوقفته طويلا ووعظته وقالت يا عمر قد كنت تدعى عميرا ثم قيل لك عمر ثم قيل لك امير المؤمنين فاتق الله يا عمر فانه من ايقن الموت خاف الفوت ومن ايقن الحساب خاف العذاب وهو رضى الله عنه واقف يسمع كلامها فقيل له يا امير المؤمنين اتقف لهذه العجوز هذا الوقف الطويل فقال والله لو حبستنى من اول النهار الى آخره لما زلت الا للصلاة المكتوبة اتدرون من هذه العجوز هى خولة بنت ثعلبة سمع الله قولها من فوق سبع سموات أيسمع رب العالمين قولها ولا يسمعه عمر ﴿ قوله وقد تشعر بان الرسول او المجادلة يتوقع ﴾ كلمة قد لا بد ان تفيد معنى التحقيق ثم انه قد يضاف اليه فى بعض المواضع اذا دخلت على الماضى التقريب من الحال مع التوقع فتدل على ان الكلام المصدر بها المتوقع لمخاطب واقع من قريب كما تقول لمن يتوقع ركوب الامير قد ركب اى حصل من قريب ما كنت تتوقعه وكلمة قد تدل على ثلاثة معان التحقيق والتوقع والتقريب وفى الصحاح قد حرف لا تدخل الا على الافعال وهى جواب لقولك لما يفعل وزعم الخليل ان هذا لمن ينتظر الخبر تقول قد مات فلان لمن يتوقع موته ولو اخبرت به وهو لا ينتظره لم تقل قد مات فلان ولكن تقول مات وقد تكون قد بمعنى ربما انتهى واو المصنف اوفى قوله او المجادلة ايذانا بان التوقع من احدهما يكفى لمجئ قد فحينئذ تكون او لمنع الخلو دون الجمع ﴿ قوله تعالى والله يسمع تحاوركما ﴾ اى تخاطبكما ومراجعتكما الكلام والخطاب فيه لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولتلك المرأة التى ذكرت بلفظ الغيبة تغليبا للخطاب على الغيبة روى انه لما نزلت هذه الآيات ارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى زوجها وقرأ عليه الاربع آيات فقال هل تستطيع العتق قال لا والله قال هل تستطيع الصوم قال لا والله انى لو لم آكل فى اليوم مرة او مرتين لكل بصرى ولظننت انى اموت قال فاطعم ستين مسكينا قال ما اجد الا ان تعيننى منك بعون وصلة فاعانه رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمسة عشر صاعا واخرج اوس من عنده مثلها فتصدق به على ستين مسكينا قيل الظهار ليس بمشتق من الظهر الذى هو عضو من الجسد لانه ليس الظهر اولى بالذكر فى هذا الموضع من سائر الاعضاء التى هى مواضع المباضعة والتلذذ بل الظهر ههنا مأخوذ من العلو ومنه قوله تعالى فما استطاعوا ان يظهروه اى يعلوه وكل من علا شيأ فقد ظهره وبه سمى المركوب ظهرا لان راكبه يعلوه وكذلك امرأة الرجل ظهره لانه يعلوها بملك البضع وان لم يكن علوه عليها

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها وتشتكى الى الله) روى ان خولة بنت ثعلبة ظاهر منها زوجها اوس بن الصامت فاستفتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال حرمت عليه فقالت ما طلقنى فقال حرمت عليه فاغتمت لصغر اولادها وشكت الى الله تعالى فنزلت هذه الآيات الاربع وقد تشعر بان الرسول عليه السلام او المجادلة يتوقع ان الله يسمع مجادلتها وشكواها ويفرج عنها كربها وادغم حمزة والكسائى وابو عمرو وهشام عن ابن عامر دالها فى السين (والله يسمع تحاوركما) تراجعكما الكلام وهو على تغليب الخطاب (ان الله سميع بصير) للاقوال والاحوال

من ناحية الظهر فكان امرأة الرجل مركب الرجل وظهره ويدل على صحة هذا المعنى ان العرب تقول في الطلاق نزلت عن امرأتي اى طلقتها وفي قولهم انت علىّ كظهر امى حذف واضمار لان تأويله ظهرك علىّ حرام اى ملكى اياك وعلوّى عليك حرام كما ان علوّى على امى وملكى عليها حرام علىّ فذكر الظهر كناية عن معنى الركوب والآدمية انما يركب بطنها ولكن كنى عنه بالظهر لان ما يركب من غير الآدميات انما يركب ظهره فكنى بالظهر عن الركوب والاستعلاء ﴿ قوله وفى منكم تهجين لعادتهم فيه ﴾ جواب عما يقال قوله تعالى منهم لا يخلو اما ان يكون خطابا للعرب مطلقا او للمسلمين منهم وعلى كل واحد من التقديرين يلزم ان يكون حكم الظهار مختصا بالعرب او بالمسلمين منهم كما هو مقتضى مفهوم منكم ولا اختصاص له بالعرب وهو ظاهر ولا بالمسلم عند الامام الشافعى فانه يصح ظهار الذمى عنده كما يصح طلاقه ٭ وتقرير الجواب ان المفهوم انما يثبت اذا لم يكن للتخصيص فائدة اخرى وقوله تعالى منكم له فائدة اخرى في هذا الموضع وهو تهجين عادتهم وتوبيخهم بها فليس في الآية دليل على عدم صحة ظهار الذمى ونحن نقول انه تعالى خص المظاهر بكونه من المؤمنين وخص المظاهر منهن بكونهن من نساء المؤمنين فلا يصح ظهار الذمى ولا ظهار المؤمن من امته فانه قد صرّح في كتب الائمة الحنفية بان شرط الظهار ان تكون المرأة منكوحة ويكون الرجل من اهل الكفارة حتى لا يصح ظهار الذمى وحكمه حرمة الوطئ والدواعى الى وجود الكفارة وكان الظهار طلاقا في الجاهلية فقرّر الشرع اصله ونقل حكمه الى تحريم موقت بالكفارة ٭ قال صاحب الكشاف في سورة الاحزاب كان الظهار طلاقا عند اهل الجاهلية وقال في هذه السورة انه من ايمان اهل جاهليتهم ووجه التوفيق انهم كانوا يعدّونه طلاقا مؤكدا باليمين على الاجتناب ﴿ قوله واصل يظهرون يتظهرون ﴾ من الظهر بمعنى تظهر ادغمت التاء في الظاء واتى بهمزة الوصل للابتداء فصار اظهر وادغمت التاء الثانية من يتظهرون في الظاء فصار يظهرون فهو من باب التفعل واصل اظاهر تظاهر ادغمت التاء في الظاء واتى بهمزة الوصل للابتداء فصار اظاهر واصل تظاهرون تتظاهرون ادغمت التاء الثانية في الظاء فصار تظاهرون فهو من باب التفاعل ﴿ قوله وعن عاصم امهاتهم بالرفع على لغة تميم ﴾ فانهم لا يعملون ما بمعنى ليس بناء على ان اصل العوامل ان تختص بالقبيل الذى تعمل فيه من الاسم او الفعل لتكون متمكنة بثبوتها في مركزها وكلمة ما تدخل على القبيلين غير مختصة باحدهما فلا تعمل عندهم وتعمل عند الحجازيين مع عدم اختصاصها لقوة مشابهتها بليس وهى اللغة الفصيحة التى ورد عليها القرآن الكريم قال تعالى ما هذا بشرا وعليها قرآءة الجمهور ههنا حيث قرأوا امهاتهم بالنصب اى بكسر التاء ﴿ قوله بامهاتهم بزيادة الباء ﴾ في خبر ما وهذه ايضا كقرآءة امهاتهم بكسر التاء مبنية على لغة اهل الحجاز فان الباء لا تزاد في خبر ما الا اذا كانت عاملة فلا تزاد على لغة بنى تميم ﴿ قوله اذ الشرع انكره ﴾ اى انكر قوله وهو تشبيه زوجته بامه فان زوجته ليست بامه حقيقة ولا من الحقه الله تعالى بامه فكان تشبيهها بها الحاقا لاحد المتباينين بالآخر فكان منكرا شرعا والمنكر من القول ما لا يعرف في الشرع والزور الكذب والبهتان فان قيل المظاهر انما قال انت علىّ كظهر امى انشاء تحريم الاستمتاع بها فان حكم الظهار في الشرع ان يحرّم على الزوج وطأها بعد الظهار ما لم يكفر والكلام الانشائى لا يوصف بالكذب ٭ قلنا ان قوله ان كان خبرا فهو كذب لا محالة وان كان انشاء فهو متضمن لكلام كاذب وهو ان الزوجة الحلال ملحقة بالام المحرّمة ابدا ولا شك انه كلام كاذب ﴿ قوله مطلقا او اذا تيب عنه ﴾ فان مغفرة ما دون الشرك من الكبائر مشروطة بالتوبة عند المعتزلة خلافا لاهل السنة فانهم يقولون انها غير مشروطة بالتوبة بل هى موكولة الى مشيئة الله تعالى ان شاء يغفر له ابتداء وان شاء يعذبه على حسب ذنبه ثم يدخل الجنة برحمته ﴿ قوله اى الى قولهم ﴾ يعنى ان اللام في قوله تعالى لما قالوا بمعنى الى لانهما يتعاقبان كثيرا نحو يهدى للحق والى الحق واوحى لها واوحى الىّ وان كلمة ما فيه مصدرية فكأنه قيل ثم يعودون الى قولهم اى يتداركونه بمعنى يتداركونه ويصلون الى ما افسده ذلك القول والى ما فات عنهم بسببه من وجوه الانتفاع بالزوجات بالمنافع المتوقفة على قيام الزوجية يقال تدارك القوم اى تلاحقوا بان لحق آخرهم اوّلهم والذى يلوح من كلام المصنف انه فسر العود الى القول والى ما فات بسببه بالتدارك والوصول اليه على طريق اطلاق اسم السبب على المسبب فان العود الى الشئ من اسباب الوصول اليه فاذا عاد الغيث على ما افسد بهدم شئ من البنيان واغراق بعض البساتين يراد به انه تدارك ووصل الى ما افسده بان جبره جبرا يعادله بل هو افضل منه وانفع من صلاح الزرع والثمار وسمن المواشى وحصول الخصب والرخاء ونحو ذلك فلفظ العود فيه ايضا مجاز مرسل بمعنى

(الذين يظهرون منكم من نسائهم) الظهار ان يقول الرجل لامرأته انت علىّ كظهر امى مشتق من الظهر وألحق به الفقهاء تشبيهها بجزء محرم اخر وفى منكم تهجين لعادتهم فيه فانه كان من ايمان اهل الجاهلية واصل يظهرون يتظهرون وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائى يظاهرون من اظاهر وعاصم يظاهرون من ظاهر (ما هنّ امهاتهم) اى على الحقيقة (ان امهاتهم الا اللائى ولدنهم) فلا تشبه بهنّ في الحرمة الا من الحقها الله بهنّ كالمرضعات وازواج الرسول وعن عاصم امهاتهم بالرفع على لغة تميم وقرئ بامهاتهم وهذه ايضا على لغة من ينصب (وانهم ليقولون منكرا من القول) اذ الشرع انكره (وزورا) محرّفا من الحق فان الزوجة لا تشبه الام (وان الله لعفوّ غفور) لما سلف منه مطلقا او اذا تيب عنه (والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا) اى الى قولهم بالتدارك اى منه المثل عاد الغيث على ما افسد وهو بنقض ما يقتضيه وذلك عند الشافعى بامساك المظاهر منها في النكاح زمانا يمكنه مفارقتها فيه اذ التشبيه يتناول حرمته لصحة استثنائها منه وهو اقل ما ينتقض به

التدارك و الوصول و العود يستعمل على معنيين احدهما ان يصير الى شيء قد كان عليه قبل ذلك فتركه فيكون بمعنى الرجوع الى ما فارق عنه و الآخر ان يصير و يتحول الى شيء و ان لم يكن على ذلك قبل العود و العود بهذا المعنى لا يلزم ان يكون رجوعا الى ما فارق عنه و العود الذى قلنا انه سبب للتدارك و الوصول هو العود بهذا المعنى وهو التحول الى الشيء مطلقا و المثل المذكور يضرب لمن شره قليل و نفعه للناس اكثر من ضرره ومعنى الآية على هذا و القاعل و الذين يقولون قولا يقتضى بطلان وجوه انتفاعهم بمنكوحاتهم بالمنافع المتعلقة بالزوجية كالوطئ ودواعيه و الامساك على سبيل الزوجية وذلك القول هو التشبيه المعهود فانه يحرم عليهم جميع ذلك و يبطله ثم ينقضون مقتضى ذلك التشبيه بان يفعلوا شيأ مما حرموه به و فوتوه على انفسهم فعليهم تحرير رقبة الخ و فعل ذلك المحرم عليهم بسبب ذلك القول تدارك له اى لحوق لما فات منهم بسببه ونقض لما يقتضيه و هو الامتناع عنه ومعنى العود الى القول تدارك ما فات منهم بسببه فان التشبيه المذكور اقتضى ان يحرم عليهم جميع ما يتوقف على قيام النكاح من وجوه الاستمتاع بهن ونفس هذا التشبيه منكر من القول وزور وكبيرة محضة فلا يصلح سببا لوجوب الكفارة التى هى دائرة بين العبادة و العقوبة فعلق وجوبها بالظهار و العود جميعا فان العود لما فيه من معنى الامساك بالمعروف وتدارك ما افسده عليه بالقول المنكر يصلح سببا لوجوب الكفارة و التدارك و الادراك معناه اللحوق و الوصول يقال استدرك ما فات و تداركه اذا لحقه و وصل اليه و المصنف فسر تدارك المظاهر ما فات منه بسبب الظهار بقوله و هو نقض ما يقتضيه قوله المنكر فان حكمه و مقتضاه هو التحريم و فوات حل الاستمتاع فتى عاد المظاهر الى قوله و ادرك ما فات عنه بسببه تجب عليه الكفارة و نظير عود المظاهر الى القول الذى فات عنه بسببه حل الاستمتاع بالمنكوحة بنقض حكم ذلك القول و ابطاله عود الغيث على ما افسده بابطال اثره و تدارك ما فات بسببه ثم العود بالمعنى المذكور الموجب للكفارة عند الامام الشافعى هو امساكها عقيب الظهار و عدم تطليقها بطلاق بائن متصل بالظهار فان امساكها على وجه الزوجية زمانا يمكن تطليقها فيه عود الى القول ونقض لما يقتضيه فان التشبيه المذكور اقتضى ان يحرم عليه جميع ما يتوقف على النكاح من وجوه الاستمتاع بها و الامساك على وجه الزوجية فى ذلك القدر من الزمان اقل ما استمتع به اذ به يحصل دفع الوحشة و الاستئناس بها فى تلك المدة فيكون الامساك المذكور نقضا لما يقتضيه قوله المنكر و تداركا لما فات بسببه و هو المراد بالعود فتجب الكفارة به و كون التدارك المذكور متراخيا عن التشبيه كما هو مقتضى كلمة ثم من حيث الامساك المذكور لا يكون عودا ونقضا لمقتضى التشبيه الا بعد مضى زمان يمكن ان يطلقها فيه فلما توقف كونه عودا على مضى ذلك الزمان كان متراخيا عن التشبيه بذلك القدر من الزمان و عند ابى حنيفة رحمه الله تعالى العود المذكور عبارة عن استباحة شيء مما حرم عليه بالظهار من نفس الجماع و دواعيه و العزم عليه و عند الامام مالك هو عبارة عن استباحة نفس الجماع و العزم عليه و عند الحسن بنفس الجماع لانه الاصل المقصود من عقد الزوجية و ما عداه من التوابع و المقدمات فيكون حكم الظهار و مقتضاه بالذات هو تحريم هذه المنفعة و الامتناع عنها و نقض هذا الحكم انما يكون باتيان ضده الذى هو مباشرة نفس الجماع ﴿ قوله او بالظهار فى الاسلام ﴾ عطف على قوله بالتدارك يعنى انه قيل العود الى القول هو التكلم بالتشبيه المنكر فى الاسلام بعد ما تكلم به فى الجاهلية و التعبير عما سبق فى الجاهلية بلفظ المضارع لدلالة على اعتيادهم له و استمرارهم عليه فيما مضى وقتا فوقتا فانهم كانوا يعتادونه فى الجاهلية و كلمة ثم لاستبعاده فى حالة الاسلام و هذا القول يستلزم ان تجب الكفارة بمجرد التكلم بالظهار فى الاسلام حتى لو طلقها عقيب الظهار او مات المظاهر منها لزمته الكفارة لتحقق موجبها و هو مجموع الظهار و العود بالمعنى المذكور و هو تكلم لفظ الظهار فى الاسلام عودا و هو خلاف ما عليه علماء الامصار ﴿ قوله او تكراره ﴾ و هو ايضا معطوف على قوله بالتدارك يعنى ان الظاهرية قالوا العود اعادة لفظ الظهار و تكراره حتى لو لم يكرر لا كفارة عليه ثم ان التكرار لا يلزم ان يكون باعادة لفظ الظهار بل يكفى فيه اعادته معنى بان يحلف على ما قال حتى لو لم يحلف عليه لم يلزمه الكفارة لفقدان شرط وجوبها و هو العود الى الظهار لفظا او معنى ولو قال امرأتى على كظهر امى ان فعلت كذا فتى فعل ذلك حنث فتكون مباشرته لذلك الفعل تكرارا للظهار معنى حيث صار مظاهرا بمباشرته بالسبب الذى صدر منه سابقا فتجب عليه الكفارة حين حنث لان شرط وجوبها و هو مجموع الظهار و العود تحقق حينئذ و انما قلنا مجموع الظهار و العود شرط لوجوب الكفارة لما تقرر فى النحو ان المبتدأ اذا كان اسما موصولا صلته فعل

و عند ابى حنيفة باستباحة استمتاعها ولو بنظرة شهوة و عند مالك بالعزم على الجماع و عند الحسن بالجماع او بالظهار فى الاسلام على ان قوله يظاهرون بمعنى يعتادون الظهار او كانوا يظاهرون فى الجاهلية و هو قول الثورى او تكراره لفظا و هو قول الظاهرية او معنى بان يحلف على ما قال و هو قول ابى مسلم

(او ظرف)

او ظرف يتضمن معنى الشرط وقد وقع المبتدأ فى الآية اسما موصولا صلته فعل وعطف عليه فعل آخر بكلمة ثم فلزم ان يكون مجموع الفعلين شرطا لوجوب الكفارة ﴿ قوله او الى المقول فيها ﴾ عطف على قوله اى الى قولهم فى الوجوه السابقة اوّل الفعل المصدّر بما المصدرية بالمصدر ثم ابقى المصدر على اصل معناه فكان المراد بما قالوا القول حقيقة وفى هذا الوجه جعل المصدر المأوّل بمعنى المفعول اى المقول فيها وهى النساء المذكورة فى قوله تعالى والذين يظاهرون من نسائهم وحذف لفظ فيها كما قالوا مشترك بمعنى مشترك فيه ثم العود الى النساء بتدارك ما فات عنه فى حقهن ونقض حكم قوله المنكر يكون على وجوه مختلفة على حسب اختلاف المذاهب فعلى قول الامام الشافعى يكون بامساكهن مدة يمكن للمظاهر ان يطلقهن فيها وعلى قول ابى حنيفة والامام مالك بالعزم على الاستمتاع بهن وعلى قول الحسن بوطئهن وعن الفرّاء ان اللام فى قوله تعالى لما قالوا بمعنى عن والمعنى ثم يرجعون عما قالوه ويريدون الوطئ ﴿ قوله فعليهم او فالواجب اعتاق رقبة ﴾ فعلى الاول يكون قوله فتحرير رقبة مبتدأ وخبره محذوف اى فعليهم تحرير رقبة ويكون المبتدأ مع خبره فى محل رفع على ان الجملة خبر المبتدأ الاوّل وهو قوله والذين يظاهرون ودخلت الفاء على خبره لتضمنه معنى الشرط وعلى الثانى يكون قوله فتحرير رقبة خبر مبتدأ محذوف والتحرير جعل الرقيق حرّا ﴿ قوله ومن فوائدها الدلالة ﴾ وجه الدلالة ان الفاء لما دلت على سببية مجموع الظهار والعود لوجوب الكفارة دلت على وجوب تكرار الكفارة بتكرّر المجموع ضرورة ان تكرّر السبب يوجب تكرّر المسبب الاعند اتحاد المجلس كقراءة آية السجدة فى موضعين ﴿ قوله قياسا على كفارة القتل ﴾ فان الرقبة مقيدة بالايمان فى كفارة القتل قال تعالى فتحرير رقبة مؤمنة فتكون مقيدة به فى كفارة الظهار ايضا وان ذكرت فيها من غير تقييد فان الامام الشافعى رحمه الله تعالى يحمل المطلق على المقيد وان ورد كل واحد منهما فى حادثة على حدة غير الاخرى وابو حنيفة لا يحمله عليه الا عند اتحاد الحكم والحادثة ﴿ قوله لعموم اللفظ ومقتضى التشبيه ﴾ فان الآية قد اوجبت الكفارة قبل التماس فلزم ان يحرم التماس قبلها ولفظ التماس عام يتناول مس كل واحد منهما الآخر وكذا مقتضى التشبيه وحكمه ان يحرم استمتاع كل واحد منهما بالآخر فتكون الآية دليلا على حرمة التماس مطلقا وكذا المس كما يتناول المس بالوطئ يتناول سائر ضروب المسيس فيحرم جميع وجوه الاستمتاع انتهى ﴿ قوله او ان يجامعها ﴾ اشارة الى ان الامام الشافعى له قولان فى ان المحرّم بالظهار ماهو قال الامام اختلفوا فيما يحرم بالظهار فللامام الشافعى فيه قولان احدهما انه يحرّم الجماع فقط والقول الثانى وهو الاظهر انه يحرّم جميع جهات الاستمتاع وهو قول ابى حنيفة ﴿ قوله تعالى توعظون به ﴾ الوعظ النصح والتذكير بالعواقب ولما كان ايجاب الكفارة التى هى عقوبة السيئة دليلا على ان المظاهر قد ارتكب سيئة موجبة للعقوبة كان موعظة رادعة عن ارتكابها ﴿ قوله والذى غاب ماله واجد ﴾ اى والعاجز هو الذى لا يملك الرقبة ولا ثمنها ﴿ قوله وان جامع المظاهر منها ليلا لم ينقطع التتابع ﴾ اى لا يلزمه استئناف الشهرين عند الامام الشافعى لان التكفير بالصوم مشروط بالتتابع وقد وجد لان الليل ليس محلا للامساك عن المفطرات خلافا لابى حنيفة والامام مالك فانه يجب استئناف الشهرين عندهما لانه وان لم ينقطع التتابع بالمس ليلا الا انه قد فقد كون الكفارة قبل المسيس وقد شرط ذلك فى الكفارة بالصوم ايضا ومن لم يوجب الاستئناف يقول ثم ان تقديم صوم شهرين على التماس شرط الا انه على تقدير عدم الاستئناف يتحقق تقديم البعض عليه وعلى تقدير الاستئناف يتأخر الكل فالاوّل اولى ﴿ قوله ستين مدّا ﴾ المدّ ربع الصاع بالاتفاق بين اهل الحجاز واهل العراق الا ان اهل الحجاز فسروا المدّ بانه مكيال يسع رطلا وثلث رطل وفسره اهل العراق بما يسع رطلين فالصاع الحجازى خمسة ارطال وثلث رطل والعراقى ثمانية ارطال والرطل مائة وثلاثون درهما عن انس رضى الله عنه انه عليه الصلاة والسلام كان يتوضأ بالمدّ رطلين ويغتسل بالصاع ثمانية ارطال ﴿ قوله او مرض مزمن ﴾ اى ممتد لا يرجى برؤه فانه بمنزلة العاجز بسبب كبر السنّ ويجوز له العدول عن الصيام الى الاطعام والشبق شدة اشتهاء الضراب فانه عليه الصلاة والسلام امر سلمة بن صخر بان يعدل عن الصيام الى الاطعام بسبب عجزه عن التحرير والصيام لاجل شبقه ويحتمل ان يكون الشبق متناولا لشدة اشتهاء الطعام وقلة الصبر عنه لما روى انه عليه الصلاة والسلام قال لاوس بن الصامت زوج خولة هل تستطيع الصوم قال لا والله انى اذا اخطأنى ان آكل فى اليوم مرة او مرتين لكلّ بصرى ولظننت انى اموت فامره بان يطعم ستين مسكينا ﴿ قوله وهو نظير قوله ﴾ اى فى كونه من باب التغليظ

او الى المقول فيها بامساكها او استباحة استمتاعها او وطئها (فتحرير رقبة) اى فعليهم او فالواجب اعتاق رقبة والفاء للسببية ومن فوائدها الدلالة على تكرّر وجوب التحرير بتكرّر الظهار والرقبة مقيدة بالايمان عندنا قياسا على كفارة القتل (من قبل ان يتماسا) ان يستمتع كل من المظاهر والمظاهر منها بالآخر لعموم اللفظ ومقتضى التشبيه او ان يجامعها وفيه دليل على حرمة ذلك قبل التكفير (ذلكم) اى ذلكم الحكم بالكفارة (توعظون به) لانه يدل على ارتكاب الجناية الموجبة للغرامة فيردع عنه (والله بما تعملون خبير) لا تخفى عليه خافية (فمن لم يجد) اى الرقبة والذى غاب ماله واجد (فصيام شهرين متتابعين من قبل ان يتماسا) فان افطر بغير عذر لزمه الاستئناف وان افطر بعذر ففيه خلاف وان جامع المظاهر منها ليلا لم ينقطع التتابع عندنا خلافا لابى حنيفة ومالك (فمن لم يستطع) اى الصوم لهرم او مرض مزمن او شبق مفرط فانه عليه السلام رخص للاعرابى المفرط ان يعدل لاجله (فاطعام ستين مسكينا) ستين مدّا بمدّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو رطل وثلث لانه اقل ما قيل فى الكفارة فى الفطرة وقال ابو حنيفة يعطى كل مسكين نصف صاع من برّ او صاعا من غيره وانما لم يذكر التماس مع الطعام اكتفاء بذكره مع الآخرين او لجوازه فى خلال الطعام كما قال ابو حنيفة (ذلك) اى ذلك البيان او التعليم للاحكام ومحله النصب بفعل معلل بقوله (لتؤمنوا بالله ورسوله) اى فرض ذلك لتصدقوا بالله ورسوله فى قبول شرائعه ورفض ما كنتم عليه فى جاهليتكم (وتلك حدود الله) لا يجوز تعديها (وللكافرين) اى الذين لا يقبلونها (عذاب اليم) وهو نظير قوله ومن كفر فان الله غنى عن العالمين

(ان الذين يحادّون الله ورسوله) يعادونهما فان كلا من المتعادين فى حدّ غير حدّ الآخر او يضعون او يختارون حدودا غير حدودهما (كبتوا) اخزوا واهلكوا واصل الكبت الكب (كما كبت الذين من قبلهم) يعنى كفار الامم الماضية (وقد انزلنا آيات بينات) تدل على صدق الرسول او ماجاء به (وللكافرين عذاب مهين) يذهب عزهم وتكبرهم (يوم يبعثهم الله) منصوب بمهين او باضمار اذكر (جميعا) كلهم لايدع احدا غير مبعوث او مجتمعين (فينبئهم بما عملوا) اى على رؤس الاشهاد تشهيرا لحالهم وتقريرا لعذابهم (احصاه الله) احاط به عددا لم يغب عنه شئ (ونسوه) لكثرته او تهاونهم به (والله على كل شئ شهيد) لايغيب عنه شئ (الم تر أن الله يعلم ما فى السموات وما فى الارض) كليا وجزئيا (مايكون من نجوى ثلاثة) مايقع من تناجى ثلاثة ويجوز ان يقدر مضاف او يؤول نجوى بمتناجين ويجعل ثلاثة صفة لها واشتقاقها من النجوة وهى ماارتفع من الارض فان السرّ امر مرفوع الى الذهن لايتيسر لكل احد أن يطلع عليه (الا هو رابعهم) الا الله يجعلهم اربعة من حيث انه يشاركهم فى الاطلاع عليها والاستثناء من اعم الاحوال (ولا خمسة) ولانجوى خمسة (الا هو سادسهم) وتخصيص العددين اما لخصوص الواقعة فان الآية نزلت فى تناجى المنافقين او لان الله وتر يحب الوتر والثلاثة اوّل الاوتار اولان التشاور لابدّ له من اثنين يكونان كالمتنازعين وثالث يتوسط بينهما

﴿قوله تعالى وتلك حدود الله﴾ اى الاحكام التى بينها معالم فاصلة بين الحق والباطل من تخطاها فقد تعدّى وظلم نفسه والحدّ النهاية الحاجزة بين الشيئين وتحديد الدار تعيين نهاياتها يقال فلان حديد فلان اذا كان ارضه الى جنب ارضه شبه ماشرعه الله تعالى من الاحكام بالحدود الحاجزة بين الشيئين فاطلق عليه اسم الحدّ والحدّ ايضا المنع ومنه قيل للبوّاب حدّاد لانه يمنع من الدخول من غير اذن ويقال للسجان ايضا حدّاد لانه يمنع عن الخروج فالمحادّة مفاعلة من الحدّ بمعنى النهاية الحاجزة كما نقل عن الزجاج انه قال المحادّة ان تكون فى حدّ يخالف حدّ صاحبك فتكون المحادّة كناية عن المعاداة لكونها لازمة للمعاداة وقوله كبتوا اى خذلوا من قولهم كبت الله فلانا اى اذله وخذله وقيل اهلكوا وقيل اخزوا كما اخرى الله الذين من قبلهم من اعداء الرسل والكبت القاء الشخص على الارض على وجهه يقال كبه لوجهه اى صرعه فاكب هو على وجهه ومن النوادر ان يقال افعلت انا وفعلت غيرى وهو يصلح لان يكون دعاء عليهم بذلك وان يكون اخبارا عما سيكون بلفظ الماضى لتحقق وقوعه فيكون وعيدا لكفار مكة وقد انجز الله تعالى ذلك يوم بدر وقيل يوم الخندق والظاهر ان قوله تعالى وللكافرين عذاب مهين صفة ثانية لآيات فانها كما انها واضحات الدلالة فانها ايضا عذاب للكافرين تهينهم وتذهب عزهم ﴿قوله كلهم او مجتمعين﴾ يعنى ان قوله جميعا منصوب اما على انه تأكيد للضمير المنصوب فى يبعثهم او على انه حال منه بمعنى مجتمعين فى حال واحدة وقوله تعالى ألم تر ان الله يعلم الآية استفهام تقرير والمعنى انك قد علمت انه لايغيب عن علمه شئ مما فيها فلايخفى عليه ايضا نجوى المتناجين وهو تأكيد لكونه تعالى شهيدا عليهم وعلى كل شئ مطلعا عالما بكل المعلومات بحيث لايخفى عليه سرّ ولا علانية ﴿قوله مايقع من تناجى ثلاثة﴾ اشارة الى ان كان تامة وان نجوى مصدر بمعنى التناجى وهو المكالمة سرّا وان ثلاثة مجرور باضافة نجوى اليه من قبيل اضافة المصدر الى فاعله يقال نجوته نجوى اذا ساررته والقوم تناجوا اى تساروا ومن نجوى فاعل كان ومن زائدة اى مايحدث ومايقع نجوى ثلاثة نفر الا وهو تعالى رابعهم ويجوز ان يقدر مضاف ويكون التقدير مايقع من ذوى نجوى ثلاثة او اهل نجوى ثلاثة وان يأوّل المصدر وهو النجوى بالمتناجين على طريق التوصيف بالمصدر مبالغة وعلى التقديرين يكون ثلاثة مجرورا اما على الاوّل فعلى انه صفة للمضاف المقدّر واما على الثانى فعلى انه صفة لنجوى بمعنى متناجين والنجوة والنجا ما ارتفع من المكان الذى تظن انه نجاك من حيث انه لايعلوه السيل اشتق منه النجوى لما ذكر من ان السرّ امر مرفوع الى الذهن لايتيسر لكل احد ان يطلع عليه ﴿قوله الا الله يجعلهم اربعة﴾ اعلم ان الواحد من المتعدّد يعتبر على وجهين الاوّل ان يصير ذلك الواحد العدد الناقص عن عدد مأخذ ذلك الواحد باعتبار حاله ومرتبته فى التعدّد الى العدد الذى اشتق هو منه والثانى ان يصير واحدا من هذا العدد تقول فيه الثانى والثالث بمعنى واحد من الاثنين وواحد من الثلاثة اى ان اضفته الى عدد هو مأخذ هذا الواحد لا الى عدد ناقص منه بواحد فتقول ثانى اثنين وثالث ثلاثة ورابع اربعة وان اضفته الى العدد الذى هو انقص من العدد الذى اشتق منه هذا المصير بدرجة تضيف الواحد باعتبار التصيير الى العدد الناقص من مأخذه فتقول ثالث اثنين ورابع ثلاثة وتريد مصير اثنين ثلاثة ومصير ثلاثة اربعة فالمصنف جعل قوله تعالى الا هو رابعهم والا هو سادسهم من قبيل الواحد من المتعدّد باعتبار تصييره لاضافته الى العدد الذى هو انقص من العدد الذى اشتق منه هذا المصير بدرجة وهو الثلاثة والخمسة فمعنى رابع ثلاثة مصير ثلاثة اربعة ومعنى سادس خمسة مصير خمسة ستة والفرد من المتعدّد باعتبار حاله ومرتبته فى التعدّد لايضاف الا الى عدد يساوى العدد الذى اشتق منه مايدل على هذا الفرد فيقال رابع اربعة وثالث ثلاثة وثانى اثنين اى احدها ﴿قوله والاستثناء من اعم الاحوال﴾ يعنى ان قوله الا هو رابعهم والا هو سادسهم والا هو معهم كل واحد من هذه الجمل بعد الا فى موضع النصب على الحال لما تقرر ان المستثنى المفرغ يعرب على حسب العوامل فالمستثنى منه المقدّر هو الاحوال العامة اى ما يوجد شئ من هذه الاشياء فى حال من الاحوال الا فى حال من هذه الاحوال ﴿قوله وتخصيص العددين﴾ جواب عما يقال انه تعالى ذكر الثلاثة والخمسة واهمل امر الاربعة فى البين فما الحكمة فاجاب عنه اوّلا بان الآية نزلت فى قوم من المنافقين اجتمعوا على التناجى مغايظة للمؤمنين وكانوا على هذين العددين ثلاثة وخمسة فلما كان اصحاب التناجى معدودين بهذين العددين المخصوصين قال تعالى مايتناجى ثلاثة ولا خمسة كما رويتهم يتناجون كذلك ولا ادنى من ذينك العددين ولا اكثر الا والله معهم يسمع ويعلم مايقولون وثانيا بانه تعالى لم يذكر الاثنين والاربعة لانه تعالى وتر يحب

وقرئ ثلاثة وخمسة بالنصب على الحال باضمار يتناجون اوتأويل نجوى بمتناجين (ولا ادنى من ذلك) ولا اقل مما ذكر كالواحد والاثنين (ولا اكثر) كالستة وما فوقها (الا هو معهم) يعلم مايجرى بينهم وقرأ يعقوب ولا اكثر بالرفع عطفا على محل من نجوى اومحل لا ادنى ان جعلت لا لنفى الجنس (اينما كانوا) فان علمه بالاشياء ليس لقرب مكانى حتى يتفاوت باختلاف الامكنة (ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة) تفضيحا لهم وتقريرا لما يستحقونه من الجزاء (ان الله بكل شئ عليم) لان نسبة ذاته المقتضية للعلم الى الكل على سواء (الم تر الى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه) نزلت فى اليهود والمنافقين كانوا يتناجون فيما بينهم ويتغامزون باعينهم اذا رأوا المؤمنين فنهاهم رسول الله عليه الصلاة والسلام ثم عادوا لمثل فعلهم (ويتناجون بالاثم والعدوان ومعصية الرسول) اى بما هو اثم وعدوان للمؤمنين وتواص بمعصية الرسول وقرأ حمزة وينتجون وروى عن يعقوب وهو يفتعلون من النجوى (واذا جاؤك حيوك بما لم يحيك به الله) فيقولون السام عليك اوانعم صباحا والله سبحانه وتعالى يقول وسلام على عباده الذين اصطفى (ويقولون فى انفسهم) فيما بينهم (لولا يعذبنا الله بما نقول) هلا يعذبنا بذلك لوكان محمد نبيا (حسبهم جهنم) عذابا (يصلونها) يدخلونها (فبئس المصير) جهنم (يا ايها الذين آمنوا اذا تناجيتم فلا تتناجوا بالاثم والعدوان ومعصية الرسول) كما يفعله المنافقون وعن يعقوب فلا تنتجوا (وتناجوا بالبر والتقوى) بما يتضمن خير المؤمنين والاتقاء عن معصية الرسول (واتقوا الله الذى اليه تحشرون) فيما تأتون وتذرون فانه مجازيكم عليه (انما النجوى) اى النجوى بالاثم والعدوان (من الشيطان) فانه المزين لها والحامل عليها (ليحزن الذين آمنوا) بتوهمهم انها فى نكبة اصابتهم (وليس) الشيطان او التناجى (بضارهم) بضار المؤمنين (شيأ الا باذن الله) بمشيئته (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) ولا يبالوا بنجواهم (يا ايها الذين آمنوا اذا قيل لكم تفسحوا فى المجلس) توسعوا فيه وليفسح بعضكم عن بعض من قولهم افسح عنى اى تنح وقرئ تفاسحوا والمراد بالمجلس الجنس ويدل عليه قرآءة عاصم بالجمع او مجلس رسول الله عليه السلام فانهم كانوا يتضامون به تنافسا على القرب منه وحرصا على استماع كلامه (فافسحوا يفسح الله لكم) فيما تريدون التفسح فيه من المكان والرزق والصدر وغيرها (واذا قيل انشزوا) انهضوا للتوسعة او لما امرتم به كصلاة او جهاد او ارتفعوا فى المجلس (فانشزوا) وقرأ نافع وابن عامر وعاصم بضم الشين فيهما

الوتر فخص بالذكر اول الاعداد الفرد وثوثانيها اولا اكتفى بذكرهما عن ذكر الباقى تنبيها على فردانيته تعالى واشارا لما هو احب الاعداد عنده وثالثها ان اقل مالا بد منه فى المشاورة التى يكون الغرض منها تمهيد مصلحة ثلاثة حتى يكون الاثنان منهم كالمتنازعين فى النفى والاثبات ويكون الثالث كالمتوسط الحاكم بينهما فحينئذ تكمل المشورة ويتم المقصود منها وهكذا فى كل جمع اجتمعوا للمشاورة فلا بد فيهم من واحد يكون حكما مقبول القول فلهذا السبب لا بد ان يكون عدد ارباب المشاورة فردا فذكر تعالى الفردين الاولين واكتفى بذكرهما عن الباقى ﴿قوله وقرئ ثلاثة وخمسة بالنصب على الحال﴾ وذو الحال مع رافعه محذوفان والتقدير ما يكون من اهل نجوى يتناجون ثلاثة وحذف لدلالة نجوى عليه وان اول نجوى بمتناجين يكون ذو الحال المستكن فيه وقرئ ماتكون بتاء التأنيث لتأنيث النجوى والعامة على التذكير لوقوع الفاصل بين الفعل والفاعل وهو كلمة من ولان تأنيث النجوى غير حقيقى ﴿قوله ولا اقل مما ذكر﴾ اى من العددين كالواحد فدخل الواحد فى الادنى لان الواحد قد يحدث نفسه بشئ فهو تناجيه نفسه وتساره وقرآءة الجمهور فى قوله تعالى ولا ادنى فى موضع الجر بالعطف على ثلاثة على طريق الجوار لخمسة وكذا قوله ولا اكثر اى ومايكون من متناجين ادنى ولا اكثر الا هو معهم فتكون كلمة لا فى الموضعين زائدة لتأكيد النفى المعتبر فى المعطوف عليه وقرئ ولا اكثر بالرفع اما على كونه معطوفا على محل من نجوى فانه فاعل كان التامة ومن زائدة كأنه قيل ومايكون ادنى ولا اكثر فكلمة لا فيهما ايضا للتأكيد واما على كونه معطوفا على محل لا ادنى ان جعلت كلمة لا فيه لنفى الجنس وقد تقرر ان اسم لا اذا كان نكرة مفردة بنى على مايرفع به وتقرر ايضا انه يجوز فى المعطوف على المنفى بلا الرفع عطفا على محل المبنى والنصب عطفا على لفظه فيقال فلا اب وابن وابنا برفع الابن ونصبه فلهذا جاز فى لا حول ولا قوة رفع قوة ونصبها مع التنوين فيهما وبناء حول على الفتح اما الرفع فعلى ان تكون لا الثانية زائدة لتأكيد نفى الاول ويعطف قوة على محل لا حول واما النصب فبالعطف على لفظه وكون لا زائدة ايضا ﴿قوله يتغامزون باعينهم اذا رأوا المؤمنين﴾ ويوهمونهم بذلك انهم يتناجون فيما يسوؤهم فيحزنون لذلك فلما كثر ذلك شكا المسلمون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فامرهم بان لا يتناجوا عند المؤمنين فلم ينتهوا عن ذلك فنزلت هذه الآية ﴿قوله فيقولون السام عليك﴾ السام الموت وهم يوهمونه عليه السلام انهم يقولون السلام عليك وكان عليه السلام يرد عليهم بقوله عليكم بدون الواو وروى ان عائشة رضى الله عنها لما سمعت قولهم السام عليك قالت لهم عليكم السام واللعنة والغضب اى لعنة الله وغضبه فقال عليه الصلاة والسلام مه يا عائشة عليك بالرفق واياك والعنف والفحش قالت اولم تسمع ماقالوا قال اولم تسمعى مارددت عليهم يستجاب لى فيهم ولا يستجاب لهم فى فقالت اليهود فيما بينهم اذا كان رسولا كما يقول فلا يستجاب دعاؤه علينا فنزل قوله تعالى واذا جاؤك الآية وقولهم انعم صباحا من النعومة اى ليصر صباحك ناعما لينا لا بؤس فيه ولا شدة ﴿قوله وعن يعقوب فلا تنتجوا﴾ يعنى فلا تتناجوا فى القصاح النجو السر بين اثنين يقال نجوته نجوا اى ساررته وكذلك ناجيته وانتجى القوم وتناجوا اى تساروا والنجى على فعيل هو الذى تساره ﴿قوله اى النجوى بالاثم﴾ يعنى ان تعريف النجوى للعهد الخارجى من جهة الشيطان وتسويله لهم ذلك ﴿قوله توسعوا فيه﴾ الفسحة الوسعة والفسيح الواسع وفسح له فى المجلس يفسح اى وسع له وهو من باب منع يمنع وفسح يفسح فساحة مثل كرم يكرم اى صار واسعا قال القرطبى لما بين ان اليهود يحيونه بما لم يحيه به الله وذمهم على ذلك وصل به الامر بتحسين الادب فى مجالسة رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى لا يضيقوا عليه المجلس وامر المسلمين بالتعاطف والتآلف بان يفسح بعضهم لبعض وتطيب انفسهم بذلك ولا يتحرج بالمزاحمة حتى يتمكنوا من الاستماع من رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال والصحيح فى الآية انها عامة فى كل مجلس اجتمع فيه المسلمون للخير والاجر سواء كان مجلس حرب او ذكر او مجلس يوم الجمعة ولا يختص بمجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وان كل احد احق بمكانه الذى سبق اليه لقوله عليه الصلاة السلام من سبق الى من لم يسبق اليه فهو احق به ولكن يوسع لاخيه مالم يتأذ بذلك فيخرج الضيق موضعه وعنه عليه الصلاة والسلام لا يقيمن احدكم اخاه يوم الجمعة ثم يخالفه فى مقعده فيقعد فيه ولكن يقول افسحوا ﴿قوله تعالى انشزوا﴾ اى ارتفعوا وقوموا قال مجاهد والضحاك اذا نودى للصلاة فقوموا اليها ذلك ان رجالا تثاقلوا عن الصلاة فنزلت وقال الحسن ومجاهد ايضا انهضوا الى الحرب وقال ابن زيد والزجاج هذا فى بيت النبى صلى الله عليه وسلم كان كل رجل منهم يحب ان يكون آخرهم عهدا بالنبى صلى الله عليه

وسلم قال تعالى واذا قيل انشزوا عن مجلسه عليه السلام فانشزوا فان له حوائج ولا تمكثوا وقال مجاهد واكثر المفسرين معناه اذا قيل لكم انهضوا الى الصلاة والى الجهاد والى كل خير فقوموا اليها ولا تقصروا وقول المصنف انهضوا للتوسعة اى لمن جاء بعدكم يحتمل ان يكون المراد انه اذا كثرت المزاحمة وكانت بحيث لا تحصل التوسعة بتنحى احد الشخصين عن الآخر حال قعود الجماعة وقيل لكم قوموا جميعا وتفسحوا حال القيام فانشزوا ولا تثاقلوا عن القيام ويحتمل ان يراد انه اذا قيل لكم قوموا من مواضعكم وانتقلوا عنها الى موضع آخر اطيعوا من امركم به وقوموا من مجالسكم ووسعوا لاخوانكم بذلك ويؤيده ماروى عن مقاتل انه عليه الصلاة والسلام كان جالسا فى الصفة وكان فى المجلس ضيق وكان عليه الصلاة والسلام يكرم اهل بدر من المهاجرين والانصار فجاء ناس منهم وقد سبقوا الى المجلس فقاموا حيال النبى صلى الله عليه وسلم فسلموا عليه فرد عليهم السلام ثم سلموا على القوم فردوا عليهم فقاموا على ارجلهم ينتظرون ان يوسع لهم فلم يفسحوا لهم فشق ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لمن حوله من غير اهل بدر قم يافلان قم يافلان فاقام من المجلس بعدد القائمين من اهل بدر فشق ذلك على من اقيم من مجلسه وعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم الكراهية فى وجوههم فانزل الله تعالى قوله ياايها الذين آمنوا اذا قيل لكم تفسحوا الآية ﴿ قوله تعالى يرفع الله الذين آمنوا ﴾ مجزوم على انه جواب الامر وقوله والذين اوتوا العلم يجوز ان يكون معطوفا على الذين آمنوا على طريق عطف الخاص على العام وقد اختاره المصنف وقيل يجوز ان يكون من قبيل عطف الصفات بان تكون الصفات لذات واحدة كأنه قيل يرفع الله الذين آمنوا العلماء وعن ابن عباس انه قال تم الكلام عند قوله منكم وينتصب قوله والذين اوتوا العلم بفعل مضمر اى ويخص الذين اوتوا العلم بدرجات او يرفع درجات وانتصاب درجات على انه مفعول ثان ليرفع ويحتمل ان يكون حالا بمعنى ذوى درجات او ظرفا او منصوبا على اسقاط الخافض اى الى درجات بين الله تعالى فى هذه الآية انه يرفع المؤمن على من ليس بمؤمن وانه يرفع علماء المؤمنين على غير العلماء منهم فثبت ان الرفعة عند الله انما تكون بالعلم والعمل لا بالسبق الى صدور المجالس ﴿ قوله مستعار ممن له يدان ﴾ يعنى ان النجوى ليس لها يدان حتى يضاف اليها لفظ بين ويجعل مدلوله ظرفا لتقديم الصدقة فلما تعذرت الحقيقة تعين المصير الى المجاز وقد تقرر ان لفظ بين يدى فى نحو قولك جلست بين يدى فلان مجاز اريد به الجهتان الواقعتان فى سمت يديه ومابينهما هو جهة الامام اطلق لفظ اليدين عليهما على طريق اطلاق اسم الشئ على مايدانيه ويتصل به وانما حمل على المجاز لتعذر حمله على الحقيقة لان مابين اليدين حقيقة هو نفس جثة الشخص وهى ليست ظرفا للجلوس بل ظرفه هو جهة الامام الواقعة بين الجهتين المسامتتين لليدين وهما جهتا اليمين والشمال فثبت ان بين اليدين بمعنى بين الجهتين المسامتتين لليدين فاذا اضيف لفظ بين يدى الى من ليس له يدان فضلا عن ان يكون ليديه جهتان كما فى نحو بين يدى الله و بين يدى نجواكم يكون لفظ بين يدى مستعارا من بين جهتى يدى من له يدان بان ينزل مابين تينك الجهتين منزلة المعنى الاصلى للفظ بين اليدين ثم يطلق لفظ بين اليدين على مايشبه مابين تينك الجهتين فلفظ بين يدى فى قوله تعالى فقدموا بين يدى نجواكم صدقة مستعار من بين جهتى يدى من له يدان وهو جهة الامام شبه بها ماقبل زمان النجوى من حيث ملاحظة معنى التقديم فى كل واحد منهما فهى استعارة متفرعة على المجاز المرسل فقول المصنف تصدقوا قدامها فيه مسامحة والظاهر ان يقال تصدقوا قبلها لان القدام من ظروف المكان والنجوى لاقدام لها لان الجهة انما تكون للمتمكن الا انها تقع فى زمان فيكون لها قبل وبعد وان لم يكن لها قدام وخلف * قال صاحب الكشاف مستعار ممن له يدان والمعنى قبل نجواكم كقول عمر رضى الله عنه افضل ماوتيت العرب الشعر يقدمه الرجل امام حاجته فيستمطر به الكريم ويستنزل به اللئيم يريد قبل حاجته ﴿ قوله وفى هذا الامر ﴾ يعنى ان هذا التكليف يشتمل على فوآئد اولاها تعظيم الرسول صلى الله عليه وسلم وتعظيم مناجاته فان الانسان اذا وجد الشئ مع المشقة استعظمه وان وجده مع السهولة استحقره وثانيتها ان تقديم الصدقة قبل المناجاة يستلزم انتفاع كثير من الفقرآء وثالثتها مادل عليه ماروى عن ابن عباس رضى الله عنه ان المسلمين اكثروا المسائل على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى شقوا عليه فاراد الله تعالى ان يخفف عن نبيه فانزل الله هذه الآية فلما نزلت شح كثير من الناس فكفوا عن المسئلة فصار انزال هذه الآية بمنزلة النهى عن الافراط فى السؤال ومن فوآئدها ازالها الميز المذكور ﴿ قوله وهو وان اتصل به تلاوة ﴾ جواب عما يقال كيف يكون قوله تعالى ءأشفقتم ناسخا لوجوبه وهو متصل به والحكم لاينسخ بكلام متصل

(يرفع الله الذين آمنوا منكم) بالنصر وحسن الذكر فى الدنيا وايوآئهم غرف الجنان فى الآخرة (والذين اوتوا العلم درجات) ويرفع العلماء منهم خاصة درجات بماجمعوا من العلم والعمل فان العلم مع علو درجته يقتضى العمل المقرون به مزيد رفعة ولذلك تقتدى بالعالم فى افعاله ولا تقتدى بغيره وفى الحديث فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب (والله بما تعملون خبير) تهديد لمن لم يمتثل الامر او استكرهه (ياايها الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدى نجواكم صدقة) فتصدقوا قدامها مستعار ممن له يدان وفى هذا الامر تعظيم الرسول وانتفاع الفقرآء والنهى عن الافراط فى السؤال والميز بين المخلص والمنافق ومحب الآخرة ومحب الدنيا واختلف فى انه للندب او للوجوب لكنه منسوخ بقوله ءأشفقتم وهو وان اتصل به تلاوة لم يتصل به نزولا

واختلف القائلون بوجوبها في مقدار تأخر الناسخ من المنسوخ فقال الكلبي مابقي ذلك التكليف الاساعة من النهار ثم نسخ وقال مقاتل بقي ذلك التكليف عشرة ايام ﴿ قوله وهو على القول بالوجوب لايقدح في غيره ﴾ اى ماروى من على رضي الله عنه من قوله ماعمل بها احد غيرى لايوجب القدح في غيره بنسبة ترك الواجب اليهم على القول بوجوبها لان ترك الواجب انما يلزم ان لو تحقق منهم المناجاة في مدة بقائه من غير تقديم الصدقة وذلك غير معلوم فلعله لم يتفق للاغنياء مناجاة في مدة بقائه عن القرطبي انه قال ماروى عن على رضي الله عنه ضعيف لانه تعالى قال فاذلم تفعلوا وهذا يدل على ان احدا لم يتصدق بشئ ﴿ قوله وهو يشعر بالندبية ﴾ لان نحو قوله تعالى ذلكم خير لكم انما يستعمل في التطوع لافي الواجب الا ان قوله تعالى فان لم تجدوا فان الله غفور رحيم ادل على الوجوب لان ماكان مغفورا بناء على تعذره يكون واجبا عند فقدان العذر ﴿ قوله أخفتم الفقر من تقديم الصدقة ﴾ على ان يكون مفعول ءأشفقتم محذوفا ويكون قوله ان تقدموا في محل النصب على انه مفعول ءأشفقتم وعلة الخوف محذوف فقد اشار اليها بقوله لمايعدكم الشيطان ﴿ قوله بان رخص لكم ان لاتفعلوه ﴾ فان التوبة اذا اسندت اليه تعالى تكون بمعنى الرجوع من عقوبة المذنب بناء على رجوعه من الذنب فان اشفاقهم لكونه بمنزلة الاعتذار والاسترحام قام مقام توبتهم اليه تعالى فقام ترخيصه تعالى لهم في عدم التقديم مقام توبته عليهم فلذلك قال وتاب الله عليكم ﴿ قوله واذعلى بابها ﴾ يعني انها للماضي والمعنى انكم تركتم ذلك فيمامضى فتداركوه باقامة الصلاة وقيل بمعنى اذا في كونها للاستقبال كما في قوله تعالى اذ الاغلال في اعناقهم وقيل انها بمعنى ان الشرطية وهو قريب مماقبله الا ان اذا من الظروف وفيهامعنى الشرط وان من حروف الشرط ومعنى الآية فاذا لم تفعلوا ماامرتم به عجزا أو تحاوشق عليكم ذلك وتاب الله عليكم بان نسخ ذلك الحكم ورخص لكم في ان لاتفعلوه فلاتفرطوا في الصلاة والزكاة وسائر الطاعات * فان قيل قوله تعالى ءأشفقتم وقوله فاذلم تفعلوا وتاب الله عليكم يدل على تقصير المؤمنين في ذلك التكليف لحاشي من الصحابة ذلك * اجيب بمنع دلالته عليه وذلك لان القوم لم يكلفوا بان يقدموا الصدقة ويشتغلوا بالمناجاة بل امروا بانهم ان ارادوا المناجاة فلابد من تقديم الصدقة فمن ترك المناجاة وماتوقف هي عليه من تقديم الصدقة لعدم عروض مهم يقتضيها في مدة بقاء التكليف لايكون مقصرا لان هذه المناجاة ليست من الواجبات ولا من الطاعات المندوبة لذاتها بل شأنها ان تقع عند اقتضاء الحاجة اياها ولاسيما قد ذكر انهم انما كلفوا بتقديم الصدقة ليتركوا الافراط في السؤال ويقتصروا على السؤال عند طريان الحاجة اليه فلايكون ترك المناجاة مطلقا تقصيرا في التكليف وانما يكونون مقصرين فيه لو ناجوا في مدة بقاء التكليف به من غير تقديم الصدقة ولايمكنهم ذلك لانه عليه الصلاة والسلام لايمكنهم من ذلك فليس في الآية مايدل على صدور التقصير منهم والاستفهام التقريرى في قوله تعالى ءأشفقتم يجوز ان يكون مبنيا على انه تعالى علم ضيق صدر كثير منهم من بقاء هذا التكليف ابدا لكثرة مايقتضى المناجاة وعدم تيسر تقديم الصدقة في كل مرة فقال هذا القول واما قوله تعالى وتاب الله عليكم فليس معه مايدل على انه تاب عليهم من هذا التقصير بخصوصه بل يحتمل ان يكون المراد انكم اذا كنتم تائبين راجعين الى الله تعالى واقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة فقد كفاكم هذا التكليف هذا كلام الامام ولاحاجة الى هذا التكلف بما اشار اليه المصنف بقوله بان رخص لكم ان لاتفعلوه فتأمل ثم انه تعالى لما وبخ اليهود والمنافقين وهددهم بقوله الم تر الى الذين نهوا عن النجوى الى قوله حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير ثم ساق الكلام الى هنا عاد الى ذم المنافقين بموالاتهم اليهود فقال الم تر الى الذين تولوا قوما الآية انزل في مراقبة العدو فقال منه تولاه ﴿ قوله كمن يحلف بالغموس ﴾ فان المحلوف عليه فيه كذب والغموس ان يحلف على امر قدمضى بانه قد وقع اولم يقع وهو يعلم انه كاذب وان حلف على امر قدمضى وهو يظن ان الامر كماقال وهو ليس كذلك في نفس الامر فهو لغو وروى عن عائشة رضي الله عنها ان اللغو مايجرى على اللسان من غير قصد اليمين سواء كان في امر قدمضى او في امر سيكون مثل ان يقول لا والله وبلى والله وروى عن ابى حنيفة مثله وسميت الاولى غموسا لانها تغمس صاحبها في الذنب ثم في النار قال عليه الصلاة والسلام * الكبائر الاشراك بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس بغير حق واليمين الغموس * ولم يجعل حلف المنافقين على الكذب غموسا بل شبهه به في كون الحالف متعمدا للكذب لان الغموس هو الحلف على الماضي متعمدا للكذب وحلفهم ليس كذلك بل هو حلف على الحال ﴿ قوله وفي هذا التقييد دليل الخ ﴾ اعلم انه لاواسطة بين الصدق والكذب عند الجمهور فان صدق الخبر عندهم عبارة عن مطابقة

وعن على رضي الله عنه ان في كتاب الله آية ماعمل بها احد غيرى كان لى دينار فصرفته فكنت اذا ناجيته تصدقت بدرهم وهو على القول بالوجوب لايقدح في غيره فلعله لم يتفق للاغنياء مناجاة في مدة بقائه اذ روى انه لم يبق الاعشرا وقيل الاساعة (ذلك) اى ذلك التصدق (خير لكم واطهر) اى لانفسكم من الريبة وحب المال وهو يشعر بالندبية لكن قوله (فان لم تجدوا فان الله غفور رحيم) اى لمن لم يجد حيث رخص له في المناجاة بلاتصدق ادل على الوجوب (ءأشفقتم ان تقدموا بين يدى نجواكم صدقات) أخفتم الفقر من تقديم الصدقة او أخفتم التقديم لمايعدكم الشيطان عليه من الفقر وجمع صدقات لجمع المخاطبين او لكثرة التناجى (فاذلم تفعلوا وتاب الله عليكم) بان رخص لكم ان لاتفعلوه وفيه اشعار بان اشفاقهم ذنب تجاوز الله عنه لمارأى منهم مماقام مقام توبتهم واذ على بابها وقيل بمعنى اذا أوان (فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) فلاتفرطوا في ادائهما (واطيعوا الله ورسوله) في سائر الاوامر فان القيام بها كالجابر للتفريط في ذلك (والله خبير بما تعملون) ظاهرا وباطنا (الم تر الى الذين تولوا) والوا (قوما غضب الله عليهم) يعني اليهود (ماهم منكم ولامنهم) لانهم منافقون مذبذبون بين ذلك (ويحلفون على الكذب) وهو ادعاء الاسلام (وهم يعلمون) ان المحلوف عليه كذب كمن يحلف بالغموس وفي هذا التقييد دليل على ان الكذب يعم مايعلم المخبر عدم مطابقته ومالايعلم وروى انه عليه الصلاة والسلام كان في حجرة من حجراته فقال يدخل عليكم الآن رجل قلبه قلب جبار وينظر بعين شيطان فدخل عبد الله ابن نبتل المنافق وكان ازرق فقال عليه السلام على م تشتمنى انت واصحابك فحلف بالله مافعل ثم جاء باصحابه فحلفوا فنزلت

حكمه للواقع وكذبه عبارة عن عدم مطابقته له وقال النظام صدق الخبر مطابقة حكمه لاعتقاد المخبر ولو كان ذلك الاعتقاد خطأ غير مطابق للواقع وكذبه عدم مطابقته لاعتقاد المخبر ولو كان ذلك الاعتقاد خطأ فقول من يقول السماء تحتنا معتقدا ذلك صدق وقوله السماء فوقنا غير معتقد كذب عنده وعند الجمهور بالعكس وقال الجاحظ صدقه مطابقته للواقع مع الاعتقاد بانه مطابق وكذب الخبر عدم مطابقته للواقع مع اعتقاده انه غير مطابق له فالخبر انما يكون كاذبا لمجموع الامرين عنده وهما عدم مطابقة حكمه للواقع وعلم المخبر بعدم مطابقته له فاستدل المصنف على فساد قول الجاحظ بهذه الآية فقال لو اعتبر فى كذب الخبر علم المخبر بعدم مطابقة حكمه للواقع لكان تقييد قوله ويحلفون على الكذب بالجملة الحالية وهى قوله وهم يعلمون خاليا من الفائدة لان كذب المحلوف عليه اذا استلزم علم المخبر بعدم مطابقة حكمه للواقع لزم ان يكون قوله وهم يعلمون ضائعا بلا فائدة بخلاف ما اذا كان كذب الخبر عبارة عن مطابقة حكمه للواقع فقط كقول الدهرى انبت الربيع البقل معتقدا ذلك فانه خبر كاذب مع ان المخبر لا يعلم مطابقته للواقع ﴿قوله وروى﴾ عطف على قوله وهو ان ذلك الاسلام فان الكذب المحلوف عليه على هذه الرواية هو قولهم ما شتمنا وما فعلنا شيأ يوجب هتك حرمتك فانهم قد فعلوا ذلك الا انهم لما خافوا من القتل حلفوا انهم ما فعلوه وهم يعلمون انهم كاذبون فى هذا الانكار ﴿قوله متفاقما﴾ اى عظيما يقال تفاقم الامر اى عظم والنوعية مستفادة من تنكير عذابا والعظم من توصيفه بالشدة فقوله فمرّنوا اى تعودوا من قولهم مرن على الشئ يمرن مرونا ومرانة اى تعوده واستمر عليه وتمرنهم على سوء العمل مستفاد من كان الدالة على الزمان الماضى اى هذا العمل السيء دأبهم القديم والتحريش الاغراء بين القوم وهو من لوازم النفاق وكانوا يثبطون عن الدخول فى الاسلام ويضعفون امر المسلمين عندهم ﴿قوله وعيدثان﴾ اى لئلا يلزم التكرار وقيل المراد بالكل عذاب الآخرة كما فى قوله تعالى الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب ثم انه تعالى لما بين انهم انما يحلفون على الكذب لتكون ايمانهم الكاذبة جنة لهم يدفعون بها القتل عن انفسهم واولادهم والاستيلاء على اموالهم بين انه لن تغنى عنهم اموالهم ولا اولادهم التى كانوا يحموها بالنفاق والايمان الكاذبة من عذاب الله تعالى فى الآخرة شيأ قليلا وقوله يوم يبعثهم الله منصوب بقوله لن تغنى عنهم اموالهم ولا اولادهم او باصحاب النار او بالاستقرار المدلول عليه بقوله فلهم عذاب مهين او باضمار اذكر ﴿قوله ويقولون كما يحلفون لكم﴾ الظاهر ان يقال كما يحلفون لكم فى الدنيا ويقولون انهم لمنكم بين ان المحلوف عليه فى الدنيا قولهم للمؤمنين انهم لمنكم وان المحلوف عليه فى الآخرة قولهم ما كنا مشركين والمعنى انهم لشدة توغلهم فى الكذب والنفاق فى الدنيا بقوا فى الآخرة على هذا الخلق الردئ مع معاينة ما وعدوا من الاهوال وانكشاف الاحوال وانقلاب خفايا الامور ظواهر فظنوا انه يمكنهم ترويج كذبهم على علام الغيوب بالايمان الكاذبة كما استتروا بها واتخذوها جنة فى الدنيا ﴿قوله من حاذ الابل وحازها﴾ يقال حاذ الابل يحوذها ويحوزها اى يسوقها كذا فى الصحاح وليس المراد ان استحوذ بالذال مشتق من الحوز بالزاى الا ان يراد بالاشتقاق الاشتقاق الاكبر وهو ان يكون بين اللفظين تناسب فى المخرج لا فى جوهر الحروف ﴿قوله وهو مما جاء على الاصل﴾ يعنى استحوذ بالذال فصيح لموافقة استعمال الفصحاء كاستصوب واستنوق وان شذ قياسا اذ القياس ان يقال استحاذ بقلب الواو ألفا بعد نقل حركتها الى الحاء وكان استيلاء الشيطان وغلبته عليهم وسوقه حيثما اراد سببا لارتكابهم المعاصى غير ذاكرين الله تعالى ومقامهم بين يديه ومجازاتهم بما صنعوا ﴿قوله فى جملة من هو اذل خلق الله تعالى﴾ لان ذل احد الخصمين على حسب عز الآخر فلما كانت عزة الله تعالى غير متناهية ﴿قوله اى بالحجة﴾ لم يذكر الغلبة بالسيف مع ان من بعث بالحرب من الرسل غالبون بالسيف كما انهم غالبون بالحجة والبرهان لان الغلبة بالحجة ثابتة لجميع الرسل بخلاف الغلبة بالسيف فانها انما تثبت لمن امر منهم بالحرب عن الزجاج انه قال غلبة الرسل على نوعين من بعث منهم بالحرب فهو غالب بالحرب ومن بعث منهم بغير حرب فهو غالب بالحجة قيل فى سبب نزول هذه الآية ان المؤمنين لما قالوا لئن فتح الله لنا مكة والطائف وخيبر وما حولهن رجونا اى يظهرنا الله تعالى على فارس والروم فقال عبد الله ابن سلول أتظنون ان الروم وفارس كبعض القرى التى غلبتم عليها والله انهم اكثر عددا واشد بطشا من ان تظنوا فيهم ذلك فنزلت لاغلبن انا ورسلى ثم انه تعالى لما ذم المنافقين وعجب من موالاتهم قوما غضب الله عليهم بين انه لا يجتمع الايمان بالله واليوم الآخر مع توادّ اعداء الله وموالاتهم لان شرط الايمان بالله محبته وطاعته وهما

(اعد الله لهم عذابا شديدا) نوعا من العذاب متفاقما (انهم ساء ما كانوا يعملون) فمرّنوا على سوء العمل واصرّوا عليه (اتخذوا ايمانهم) اى التى حلفوا بها وقرئ بالكسر اى ايمانهم الذى اظهروه (جنة) وقاية دون دمائهم واموالهم (فصدوا عن سبيل الله) فصدّوا الناس فى خلال امنهم عن دين الله بالتحريش والتثبيط (فلهم عذاب مهين) وعيد ثان بوصف آخر لعذابهم وقيل الاول عذاب القبر وهذا عذاب الآخرة (لن تغنى عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيأ اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون) قد سبق مثله (يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له) اى لله على انهم مسلمون ويقولون (كما يحلفون لكم) فى الدنيا انهم لمنكم (ويحسبون انهم على شئ) فى حلفهم الكاذب لان تمكن النفاق فى نفوسهم بحيث يخيل اليهم فى الآخرة ان الايمان الكاذبة تروج الكذب على الله كما تروجه عليكم فى الدنيا (ألا انهم هم الكاذبون) البالغون الغاية فى الكذب حيث يكذبون مع عالم الغيب والشهادة ويحلفون عليه (استحوذ عليهم الشيطان) استولى من حاذ الابل وحازها اذا استوليت وهو مما جاء على الاصل (فأنساهم ذكر الله) لا يذكرونه بقلوبهم ولا بألسنتهم (اولئك حزب الشيطان) جنوده واتباعه (ألا ان حزب الشيطان هم الخاسرون) لانهم فوّتوا على انفسهم النعيم المؤبد وعرّضوها للعذاب المخلد (ان الذين يحادون الله ورسوله اولئك فى الاذلين) فى جملة من هو اذل خلق الله (كتب الله) فى اللوح (لأغلبن انا ورسلى) اى بالحجة وقرأ نافع وابن عامر ورسلى بفتح الياء (ان الله قوى) على نصر اوليائه (عزيز) لا يغلب عليه فى مراده

(لاتجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادّون من حادّ الله ورسوله) ان لاينبغى ان تجدهم وأن اعداءالله والمراد انه لاينبغى ان يوادّوهم (ولو كانوا آباءهم اوابناءهم او اخوانهم او عشيرتهم) ولوكان المحادّون اقرب الناس اليهم (اولئك) اى الذين لم يوادّوهم (كتب فى قلوبهم الايمان) اثبته فيها وهو دليل على خروج العمل من مفهوم الايمان فان جزء الثابت فى القلب يكون ثابتا فيه واعمال الجوارح لاتثبت فيه (وايدهم بروح منه) اى من عند الله وهو نور القلب او القرآن او النصر على العدوّ وقيل الضمير فى منه للايمان فانه سبب لحياة القلب (ويدخلهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها رضى الله عنهم) بطاعتهم (ورضوا عنه) بقضائه او بما وعدهم من الثواب (اولئك حزب الله) جنده وانصار دينه (الا ان حزب الله هم المفلحون) الفائزون بخير الدارين * عن النبى عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة المجادلة كتب من حزب الله يوم القيامة

﴿ سورة الحشر مدنية وآيها اربع وعشرون ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(سبح لله مافى السموات ومافى الارض وهو العزيز الحكيم) روى انه عليه الصلاة والسلام لما قدم المدينة صالح بنى النضير على ان لايكونوا له ولاعليه فلما ظهر يوم بدر قالوا انه النبى المنعوت فى التوراة بالنصرة فلما هزم المسلمون يوم احد ارتابوا ونكثوا وخرج كعب بن الاشرف فى اربعين راكبا الى مكة وحالفوا اباسفيان فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم محمد بن مسلمة اخا كعب من الرضاعة فقتله غيلة ثم صبحهم بالكتائب وحاصرهم حتى صالحوه على الجلاء فجلا اكثرهم الى الشام ولحقت طائفة بخيبر والحيرة فانزل الله سبح لله الى قوله والله على كل شئ قدير (هو الذى اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب من ديارهم لاوّل الحشر) اى فى اوّل حشرهم من جزيرة العرب اذلم يصبهم هذا الذل قبل ذلك

يقتضيان معاداة اعدآئه قال بعض العارفين

* تودّ عدوّى ثم تزعم اننى * صديقك ليس النوك عنك بعازب *

فقال لاتجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادّون فقوله يوادّون صفة لقوم بعد صفة او حال منه ﴿ قوله اى لاينبغى ان تجدهم الخ ﴾ اشارة الى ان المؤمن لايصير منافقا خارجا عن الايمان بان حصل فى قلبه وداد أعدآء الله تعالى لكنه يكون عاصيا صاحب كبيرة وان دل ظاهر النظم على انه لايجتمع فى القلب وداد أعدآء الله تعالى والايمان وان اى قلب حصل فيه موادة عدوّ الله تعالى يصير صاحبه منافقا خارجا عن الايمان ولايخفى انه نهى وزجر عن موالاتهم بابلغ الوجوه وحمل على التصلب ومجانبتهم والمباعدة عنهم ثم زاد ذلك تأكيدا بقوله ولوكانوا آباءهم الى قوله او عشيرتهم ثم بقوله اولئك كتب فى قلوبهم الايمان ثم بمقابلة قوله اولئك حزب الله بقوله فى حق اضدادهم اولئك حزب الشيطان وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يقول اللهم لاتجعل لفاجر ولا لفاسق عندى نعمة فانى وجدت فيما اوحيت الىّ لاتجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر الآية * فعلم منه ان الفساق واهل الظلم اذا خلون فيمن حادّ الله ورسوله اى خالفهما وعاداهما واستدل الامام مالك بهذه الآية على معاداة القدرية وترك مجالستهم ﴿ قوله اى من عند الله ﴾ يعنى ان ضمير منه لله تعالى ومن لابتدآء الغاية والروح مستعار اما لنور القلب فانه تعالى لمانوّر قلوبهم بحيث ميزوا بهاما ينجيهم عما يرديهم ورغبوا بذلك فى الارتقاء الى المدارج الروحانية والتخلص من دركات عالم الطبيعة الدنية صار نور القلب لهم سببا للحياة الابدية كالروح للحياة البدنية فاطلق عليه اسم الروح على سبيل الاستعارة واما للقرآن او النصر على العدوّ فان كل واحد منهما سبب للحياة المعنوية فكان كالروح الذى هو سبب للحياة الحسية ﴿ قوله وقيل الضمير فى منه للايمان ﴾ اى روح من الايمان فانه فى نفسه روح للقلوب من حيث كونه سببا للحياة كما قال تعالى اومن كان ميتا فاحييناه فتكون كلمة من للبيان وقيل الروح مستعار لجبريل عليه الصلاة والسلام فانه تعالى ايدهم وقوّاهم به على كثير ممن كان يحاربهم * تمت سورة المجادلة والحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لانبىّ بعده والآن اشرع بتوضيح مايتعلق بسورة الحشر مستعينا بالله سبحانه وتعالى

﴿ سورة الحشر اربع وعشرون آية مدنية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر ﴾

﴿ قوله صالح بنى النضير ﴾ رهط من اليهود من ذرية هرون عليه الصلاة والسلام نزلوا المدينة فى فتن بنى اسرآئيل انتظارا لبعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان كعب بن الاشرف سيدهم ﴿ قوله فلما ظهر ﴾ اى لماغلب عليه السلام على المشركين يوم بدر استحكم ظنهم فى حقية امره فلما كانت وقعة احد ارتابوا واظهروا العداوة له عليه الصلاة والسلام ونقضوا العهد الذى كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم وركب كعب مع اصحابه الى مكة واتوا قريشا وحالفوهم وعاقدوهم على ان تكون كلمتهم واحدة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم رجع كعب واصحابه الى المدينة فنزل جبريل فاخبر النبى صلى الله عليه وسلم بما تعاقد عليه كعب وابو سفيان فأمر عليه الصلاة والسلام محمد بن مسلمة الانصارى وكان اخا كعب بن الاشرف من الرضاعة فقتل كعبا غيلة والقتل بطريق الاغتيال ان يخدع المقتول فيذهب به الى موضع فاذا صار اليه قتله قيل خرج محمد بن مسلمة وابو نائلة ورجلان آخران فاتوه بالليل وقالوا أجئناك لنستقرض منك شيأ من التمر فخرج اليهم فقتلوه وقيل كان جلاء بنى النضير مرجع النبى صلى الله عليه وسلم من احد وكان فتح بنى قريظة مرجعه من الاحزاب وبينهما سنتان وكانت وقعة الاحزاب فى شوال سنة خمس فاجلاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان يحمل كل ثلاثة من اهل الابيات على بعير واحد ماشاؤا من غير السلاح وماتركوه فلرسول الله صلى الله عليه وسلم ولاصحابه فجلا اكثرهم الى الشام الى اريحا واذرعات الااهل بيتين منهم آل ابى الحقيق وآل حيى بن اخطب فانهم لحقوا بخيبر ولحق طائفة منهم بالحيرة وهى مدينة بقرب الكوفة والجلاء الخروج من البلد وقد جلوا عن اوطانهم وجلوتهم انا يتعدّى ولايتعدّى ويقال ايضا اجلوا عن البلد واجليتهم انا كلاهما بالالف كذا فى الصحاح ومصالحة اهل الحرب على الجلاء من ديارهم من غير شئ لايجوز الآن وانما كان كذلك فى اوّل الاسلام ثم نسخ والآن لابدّ من قتالهم وسبيهم او ضرب الجزية عليهم ﴿ قوله فى اوّل حشرهم من جزيرة العرب ﴾ اشارة الى ان اللام فى قوله تعالى لاوّل الحشر

متعلقة باخرج وانها اللام المفيدة لمعنى الظرفية كما فى قوله تعالى اقم الصلاة لدلوك الشمس وباليقين قدمت لحياتى سميت جزيرة العرب بها تشبيها لها بالجزيرة الواقعة فى خلال البحر فان بحر الحبشة وبحر فارس والفرات ودجلة قد احاطت بها وقوله انه لم يصبهم هذا الذل قبل ذلك اشارة الى ان اوّلية الاخراج لا تستدعى اخراجا ثانيا يكون هذا الاخراج اوّلا بالاضافة اليه بل اوّليته عبارة عن كون الشئ غير مسبوق بآخر مثله واخراج بنى النضير اوّل اخراج اصابهم من حيث انه غير مسبوق بحشر واخراج آخر فهم اوّل من اخرج من اهل الكتاب من جزيرة العرب بمعنى ان اخراجهم فى هذه المرّة اوّل اخراج اصابهم فان اهل الكتاب لكونهم اهل عز ومنعة لم يصبهم الاخراج قبل هذه المرّة ثم اشار الى جواب ان يكون اوّلية هذا الاخراج بالنسبة الى الاخراج الثانى الذى اصاب اهل الكتاب وهو اخراج عمر رضى الله عنه اياهم من خيبر الى الشام فقال او فى اوّل حشرهم لقتال ﴿ قوله او ان نارا تخرج من المشرق ﴾ عطف على قوله انهم يحشرون اليه اى آخر حشرهم اما حشر الناس الى الشام باى حاشر كان او الى المغرب بان تحشرهم النار اليه قال قتادة تأتى نار تحشر الناس من المشرق الى المغرب تبيت معهم حيث باتوا وتقيل معهم حيث قالوا وتأكل من تخلف منهم وذكر ان تلك النار ترى بالليل ولا ترى بالنهار ﴿ قوله تعالى ما ظننتم وظنوا ﴾ الظن الاوّل فيه على بابه والثانى بمعنى العلم واليقين بشهادة وقوع ان المشدّدة بعده فانه قد تقرّر فى النحو انه لا يعمل فى ان المشدّدة ولا فى المخففة الا فعل العلم واليقين الا ان يقال سلط فى الظن على ان المشدّدة هنا اجراء له مجرى اليقين لشدّته وقوّته حتى صار بمنزلة العلم ﴿ قوله وتغيير النظم ﴾ يعنى الظاهر ان يقال وظنوا ان حصونهم تمنعهم او مانعتهم من بأس الله لان متعلق ظنهم انما هو ان تمنعهم وثاقة الحصن من ان يظفر عليه احد والعبارة الظاهرة فى تأدية هذا المعنى ما ذكر من العبارة والذى عليه النظم مخالف للظاهر من وجهين الاوّل تقديم الخبر على المبتدأ والثانى ايراد لفظ لا حاجة اليه وهو الضمير الذى جعل اسم ان الا انه غيرت العبارة الظاهرة الى ما عليه نظم التنزيل لما ذكره المصنف من الدلالة وتوضيح المقام ان البلاغة وان كانت كناية عن مطابقة الكلام لمقتضى الحال الا ان مقتضى الحال ليس منحصرا فيما يقتضيه الحال بحسب الظاهر فان البلغاء كثيرا ما يخرجون الكلام على خلاف مقتضى ظاهر الحال لاقتضاء الحال بحسب غير الظاهر ذلك الاخراج فان شأنهم النظر الى جانب المعنى ووضوح الكلام على وجه يؤدّى الى ما قصدوه من الاغراض وان أدّى ذلك الا ما بعده الصورى خلاف الظاهر كما فى هذه الآية فانه قدم فيها الخبر على المبتدأ ليفيد قصر الموصوف على الصفة على معنى ان حصونهم ليس لها صفة غير المانعة فتقديم الخبر مع كونه خلاف الظاهر دل على فرط وثوقهم بكونها حصينة بحيث ظنوا انه لا يخرجهم منها احد وكذا اسناد الجملة الى ضميرهم فان اصل المعنى وان أدّى الى ان يجعل حصونهم اسم ان ومانعتهم خبرها الا انه لما جعل اسم ان ضميرا وجعلت الجملة خبرها حصل تقوّى الحكم بتكرار الاسناد كما حصل بكلمة ان المشدّدة فدل الكلام على اعتقادهم فى انفسهم انهم فى عزة ومنعة بسببها ويجوز ان تكون حصونهم فاعلا لمانعتهم لان اسم الفاعل يعمل عمل فعله بشرط الاعتماد وقد اعتمد ههنا على اسم ان الا ان الكلام حينئذ يخلو عن الفائدتين المذكورتين ﴿ قوله وهو الرعب ﴾ فانه عليه الصلاة والسلام لما سار اليهم بالكتائب قال لهم اخرجوا من المدينة فقالوا الموت اقرب الينا من ذلك فنادوا بالحرب والقتال فارسل اليهم المنافقون عبد الله واصحابه ان لا تخرجوا من الحصن فان قاتلوكم فنحن معكم ولا نخذلكم ولئن اخرجتم لنخرجن معكم فغلقوا الابواب على ازقة حصونهم وحصنوها مترصدين فرصة القتال فحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم احدى وعشرين ليلة وقذف الله تعالى فى قلوبهم الرعب وفل شوكتهم بقتل رئيسهم كعب بن الاشرف غيلة وبيأسهم من نصر المنافقين اياهم فاضطروا الى ان تطلبوا منه عليه الصلاة والسلام ان يصالح معهم فلم يرض الا بان يخرجوا من المدينة على ما يأمرهم به فقبلوا ذلك اضطرارا وكانوا اهل سلاح وقصور منيعة فلم يمنعهم شئ منها ﴿ قوله وقرئ فآتاهم ﴾ اى بالمد وحذف المفعول وهو العذاب ان كان الضمير لبنى النضير والنصر ان كان الضمير للمؤمنين ﴿ قوله الذى رعبها ﴾ اشارة الى ان الرعب عند اهل اللغة هو الخوف الذى رعب الصدور اى ملأها قال الجوهرى رعبت الحوض ملأته وسيل راعب يملأ الوادى وسنام رعيب اى سمين ممتلئ والآية تدل على ان الامور كلها من الله تعالى لان الآية دلت على ان وقوع ذلك الرعب صار سببا فى اقدامهم على بعض الافعال وبالجملة فالفعل لا يحصل الا عند حصول داعية متولدة فى القلب وحصول تلك الداعية لا يكون الا من الله تعالى ولا شك ان نفس الخلق ليس الا منه تعالى فكانت الافعال بامرها مسندة اليه

او فى اوّل حشرهم لقتال او الجلاء الى الشام وآخر حشرهم اجلاء عمر رضى الله عنه اياهم من خيبر اليه او فى اوّل حشر الناس الى الشام وآخر حشرهم أنهم يحشرون اليه عند قيام الساعة فيدركهم هناك أو ان نارا تخرج من المشرق فتحشرهم الى المغرب والحشر اخراج جمع من مكان الى آخر (ما ظننتم ان يخرجوا) لشدّة بأسهم ومنعتهم (وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله) اى ان حصونهم تمنعهم من بأس الله وتغيير النظم وتقديم الخبر واسناد الجملة الى ضميرهم للدلالة على فرط وثوقهم بحصانتها واعتقادهم فى انفسهم انهم فى عزة ومنعة بسببها ويجوز ان يكون حصونهم فاعلا لمانعتهم (فأتاهم الله) اى عذابه وهو الرعب والاضطرار الى الجلاء وقيل الضمير للمؤمنين اى فأتاهم نصر الله وقرئ فآتاهم اى العذاب او النصر (من حيث لم يحتسبوا) لقوّة وثوقهم (وقذف فى قلوبهم الرعب) واثبت فيها الخوف الذى رعبها اى ملأها

تعالى بهذه الطريق وقد اشار الشريف الجرجانى المحقق نوّر الله مرقده الى هذا ببيت مفرد وهو قوله

* ظفره نقام وحال الهشمى * تبيتهم لمحو كسب اشعرى *

ومن المعلوم ان القول بالجبر المحض لاوجه له الا ان مناط الامر هو الطهارة والنجاسة الفطريتين وان الخاتمة مبنية على الفاتحة ولا يكتسب الا ما ساعد عليه استعداده الفطرى آه منه تم آه ﴿قوله نكاية﴾ اى غيظا وقهرا الجوهرى نكيت فى العدوّ نكاية اذا فتكت فيه وجرحت عن ابن عباس رضى الله عنهما قال كما ظهر المسلمون على دار من دورهم هدموها ليتسع لهم المجال ويسعوا كيف شاؤا وجعل اعداء الله ينقبون دورهم من ادبارهم فيخرجون الى التى بعدها فيتحصنون فيها ففين بهذا وجه اخرابها بايدى الفريقين وذكر المصنف فى وجه اخرابها بايديهم انهم لما ايقنوا بالجلاء حسدوا المسلمين ان يسكنوا منازلهم فجعلوا يخرّبونها من داخل لئلا يتحسروا بعد جلائهم على بقائها للمسلمين ونقلوا ما امكنهم نقله من الخشب الجيدة والساج النفيس ﴿قوله وعطفها﴾ يعنى ان اسناد الاخراب بايدى المؤمنين الى انفسهم اسناد مجازى من قبيل اسناد الفعل الى السبب الحامل ﴿قوله وقيل الاخراب التعطيل﴾ عطف على ما فهم من قوله وهو ابلغ لما فيه من التكثير اى وقيل فى الفرق بين الاخراب والتخريب واو فى قوله او ترك الشئ خرابا مبنى على اختلاف العبارة لان تركه خرابا بمعنى تركه بلا ساكن وهو معنى التعطيل وبنى ابو عمرو قرآءة التشديد على هذا الفرق لان بنى النضير لم يتركوا منازلهم بغير ساكن مع بقائها على حالها بل خرّبوها بالهدم والنقض كما يدل عليه قوله تعالى بايديهم وايدى المؤمنين ﴿قوله فاتعظوا بحالهم فلا تغدروا﴾ الغدر ترك الوفاء بالعهد كما غدر كعب بن الاشرف واصحابه بمعاداتهم الرسول والمؤمنين بعد المصالحة وحالفوا ابا سفيان على المسلمين واعتمدوا على وثاقة حصونهم وكثرة عددهم وعددهم والاعتبار مأخوذ من العبور وهو المجاوزة من شئ الى شئ ومعناه النظر الى امور ليعرف بها شيأ آخر من جنسها كأنه قيل تدبروا وانظروا فيما نزل بهم بشؤم غدرهم واعتمادهم على غير الله تعالى وقيسوا عليه جميع ما فيه غدر واعتماد على غيره تعالى واجتنبوا بسوء ما قبته ﴿قوله تعالى ولولا ان كتب الله﴾ اى لولا ان قضى عليهم الخروج وان فيه مخففة من الثقيلة واسمها مضمر وهو ضمير الشان وان مع ما فى حيزها فى محل الرفع على الابتداء لان لولا اذا كانت بمعنى الامتناع لا يليها الا المبتدأ ولهذا فتحت ان بعدها لكون ما بعدها فى موقع المفرد لوجوب كون المبتدأ مفردا وخبره محذوف فقولك لولا انك منطلق انطلقت تقديره لولا انطلاقك حاصل انطلقت ﴿قوله استئناف﴾ اذ لو كان معطوفا على قوله لعذبهم فى الدنيا لزم ان ينجوا من عذاب الآخرة ايضا لان لولا تقتضى انتفاء الجزآء لحصول الشرط ﴿قوله او الى الاخير﴾ فالمعنى على الاول ذلك الاخراج والخزى واخراب بيوتهم بايديهم وايدى المؤمنين وما اعدّ لهم فى الآخرة وعلى الثانى ذلك العذاب المعدّ لهم فى الآخرة بسبب انهم شاقوا الله ورسوله اى عادوه وخالفوا امره ويجوز ان يكون منصوبا بفعل مضمر اى فعلنا بهم ذلك بسبب كذا وكذا ﴿قوله اى شئ قطعتم﴾ اشارة الى ان ما شرطية منصوبة المحل على انها مفعول قطعتم ومن لينة بيان لها وقوله فبأذن الله خبر مبتدأ محذوف اى قطعها وتركها باذن الله والجملة جواب الشرط والمصنف فسر اللينة بالنخلة مطلقا من اىّ نوع كانت كما ذهب اليه مجاهد وعطية قال الامام محيى السنة فى تفسيره اختلفوا فى اللينة فقال قوم هى النخلة كلها ما خلا العجوة واهل المدينة يسمون ما خلا العجوة من التمر الالوان واحدها لون ولينة اصلها لونة قلبت واوها ياء لسكونها وانكسار ما قبلها وقال الازهرى اللينة هى انواع النخل كلها الا العجوة والبرنية وقال مجاهد وعطية هى النخل كلها من غير استثناء وقال مقاتل هى ضرب من النخل يقال لثمرها اللون وهى شديدة الصفرة يرى نواها من خارج يغيب فيها الضرس وكان من اجود تمرهم واعجبها اليهم وكانت النخلة الواحدة منها احب عندهم من وصيف وقال الامام فان قيل لم خصت اللينة بالقطع قلنا ان كانت من اللون فليستبقوا لانفسهم العجوة والبرنية وان كانت من كرام النخل فليكون غيظ اليهود اشدّ ﴿قوله وقرئ على اصلها﴾ فيه وجهان الاول انه جمع اصل كرهن ورهن وسقف وسقف والثانى انه تخفيف اصولها حذفت الواو منه اكتفاء بالضمة كما فى قول الشاعر * فلو ان الاطبا كان حولى * اصله كانوا فحذفت الواو ولما ذكر ﴿قوله علة لمحذوف﴾ وقيل انه معطوف على قوله باذن الله لان التعليل والسببية من واد واحد ﴿قوله فنزلت﴾ اى استصوابا رأى كل واحد ممن قطعها اخزآء للكافرين وتحسيرا لهم وممن امسك عن قطعها وندم على ما فعله من القطع لتبقى غنيمة للمسلمين لحسن نية كل واحد منهم اما من قطعها فزيادة غيظا على

(يخربون بيوتهم بايديهم) ضنا بها على المسلمين واخراجا لما استحسنوا من آلاتها (وايدى المؤمنين) فانهم ايضا كانوا يخربون ظواهرها نكاية وتوسيعا لمجال القتال وعطفها على ايديهم من حيث ان تخريب المؤمنين مسبب عن نقضهم فكأنهم استعملوهم فيه والجملة حال او تفسير للرعب وقرأ ابو عمرو يخرّبون بالتشديد وهو ابلغ لما فيه من التكثير وقيل الاخراب التعطيل او ترك الشئ خرابا والتخريب الهدم (فاعتبروا يا اولى الابصار) فاتعظوا بحالهم فلا تغدروا ولا تعتمدوا على غير الله واستدل به على ان القياس حجة من حيث انه امر بالمجاوزة من حال الى حال وحملها عليها فى حكم لما بينهما من المشاركة المقتضية له على ما قررناه فى الكتب الاصولية (ولولا ان كتب الله عليهم الجلاء) الخروج من اوطانهم (لعذبهم فى الدنيا) بالقتل والسبى كما فعل ببنى قريظة (ولهم فى الآخرة عذاب النار) استئناف معناه انهم ان نجوا من عذاب الدنيا لم ينجوا من عذاب الآخرة (ذلك بانهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاق الله فان الله شديد العقاب) الاشارة الى ما ذكر مما حاق بهم وما كانوا بصدده وما هو معد لهم او الى الاخير (ما قطعتم من لينة) اى شئ قطعتم من نخلة فعلة من اللون ويجمع على الوان وقيل من اللين ومعناها النخلة الكريمة وجمعها اليان (او تركتموها) الضمير لما وتأنيثه لانه مفسر باللينة (قائمة على اصولها) وقرئ على اصلها اكتفاء بالضمة عن الواو او على انه كرهن (فبإذن الله) فبامره (وليخزى الفاسقين) علة لمحذوف اى وفعلتم او واذن لكم فى القطع ليخزيهم على فسقهم بما غاظهم منه روى انه عليه الصلاة والسلام لما امر بقطع نخيلهم قالوا يا محمد قد كنت تنهى عن الفساد فى الارض فما بال قطع النخل وتحريقها فنزلت واستدل به على جواز هدم ديار الكفار وقطع اشجارهم زيادة لغيظهم

الكافرين بسبب كفرهم ونقضهم العهد وتحالفهم مع مشركي مكة على معاداة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومحاربته واما من تركها فلتبقى غنيمة للمسلمين وقد ندم بعض من قطعها قبل نزول الآية على مافعل خشية ان يكون ذلك منه افسادا في الارض وقد قال تعالى واذا تولى سعى في الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل ولم يندم آخرون وقالوا انغيظهم بقطعها قال تعالى ولا ينالون من عدو نيلا الا كتب لهم به عمل صالح واستدل بعضهم بفعل الفريقين على جواز الاجتهاد بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم وعلى ان كل مجتهد مصيب لان كل فريق اتبع اجتهاده وانه تعالى استصوب رأى كل واحد منهما وقيل لا يجوز الاجتهاد مع وجود النبي صلى الله عليه وسلم بين اظهرهم وانما فعلوا ذلك بامره عليه الصلاة والسلام اياهم بذلك وانما يدل على اجتهاد النبي صلى الله عليه وسلم فيما لم ينزل عليه وعن ابن مسعود انهم قطعوا منها ما كان في موضع القتال ﴿قوله وما اعاده عليه﴾ يعني ان أفاء أفعل من الفيء بمعنى الرجوع يقال فاء يفيء فيئا اي رجع وافاءه غيره اي رجعه ويقال للخراج والاموال المغنومة من الكفار فيء لرجوعها الى المسلمين من الكفرة واشار بقوله بمعنى صيره له اورده عليه الى ان العود له معنيان احدهما ان يتحول الشيء الى ما فارق عنه وثانيهما مجرد ان يتحول اليه من آخر وان لم يكن ذلك التحول مسبوقا بان يحصل له قبل ذلك فقوله بمعنى صيره له اشارة الى هذا المعنى وقوله اورده عليه اشارة الى المعنى الاول ثم بين وجه كون المال المغنوم معادا اليه عليه الصلاة والسلام بعد ما فارق عنه مع انه لم يحصل له قبل ذلك بقوله فانه كان حقيقا بان يكون له فهو بهذا الاعتبار صار كانه كان في يده ثم فارق عنه ووقع في ايدي الكفرة غصبا منه فاعاده الله عز وجل عليه بعد ما ذهب منه وكلمة ما في قوله تعالى وما أفاء الله شرطية في محل النصب على انها مفعول افاء وقوله فما اوجفتم جواب الشرط او موصولة مرفوعة المحل على الابتداء وما بعدها خبرها والايجاف من الوجف وهو السير السريع يقال وجف الفرس يجف وجفا ووجيفا اذا اسرع وكذا البعير واوجفه انا اذا حركته وحملته على الاسراع ومن في قوله من خيل صلة اي خيلا ولا ركابا والركاب الابل خاصة غلب على الابل كما ان الراكب غلب على راكب الابل فانه يقال لراكب الفرس فارس وواحد الركاب راحلة ولا واحدلها من لفظها قال المفسرون ان بني النضير لما جلوا عن اوطانهم وتركوا رباعهم وضياعهم وطلب المسلمون من رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يخمسها كما فعل بغنائم بدر انزل الله تعالى هذه الآية وبين انها فيء لم يوجف المسلمون عليه خيلا ولا ركابا ولم يقطعوا اليه مسافة لان ديار بني النضير كانت من المدينة على ميلين فمشوا اليها مشيا ولم يركبوا خيلا ولا ركابا الا النبي صلى الله عليه وسلم فانه ركب جملا وقيل ركب حمارا مخطوما بليف ثم قال ولكن الله يسلط رسله عليهم وعلى ما في ايديهم بان القى رهبة في قلوبهم فهابوا ورضوا بالجلاء وترك الاموال فجرى سلطان الرسول عليهم بتسليط الله عز وجل وذلك سنته في رسله الماضين وهو قوله ولكن الله يسلط رسله على من يشاء بما يشاء ولما نزلت هذه الآية لم يقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم اموال بني النضير كما قسم غنائم بدر وانما قسمها بين المهاجرين ولم يعط الانصار منها شيأ الا ثلاثة كانت بهم حاجة وعن عمر انه عليه السلام كان ينفق مما يحصل من غلة اراضي بني النضير على اهله نفقة سنة ويجعل ما بقي منها في الكراع والسلاح عدة في سبيل الله قال الامام ومعنى الآية ان الصحابة رضي الله عنهم طلبوا من الرسول صلى الله عليه وسلم ان يقسم الفيء بينهم كما قسم الغنيمة فقال تعالى الغنيمة ما اتعبتم انفسكم في تحصيلها واوجفتم عليها الخيل والركاب بخلاف الفيء فانكم ما تحملتم في تحصيله تعبا فكان الامر فيه مفوضا الى الرسول صلى الله عليه وسلم يصرفه كيف شاء ثم قال وههنا سؤال وهو ان اموال بني النضير اخذت بعد القتال لانهم حوصروا اياما وقاتلوا وقتلوا ثم صالحوا على الجلاء فوجب ان تكون تلك الاموال من جملة الغنائم لا من جملة الفيء ولاجل هذا السؤال ذكر المفسرون ههنا وجهين الاول ان هذه الآية ما نزلت في قرى بني النضير لانهم اوجفوا عليهم بالخيل والركاب وحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون بل هو في فدك وذلك لان اهل فدك انجلوا عنه فصارت تلك الاموال والقرى في يد الرسول صلى الله عليه وسلم من غير حرب فكان عليه الصلاة والسلام يأخذ من غلة فدك نفقته ونفقة من يعوله ويجعل الباقي في السلاح والكراع فلما مات عليه الصلاة والسلام ادعت فاطمة رضي الله عنها انه عليه الصلاة والسلام كان ملكها فدك فقال ابو بكر رضي الله عنه انت اعز الناس علي فقرا واحبهم الي غنى لا اعرف صحة قولك ولا يجوز لي ان احكم بذلك فشهد لها ام ايمن ومولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فطلب منها ابو بكر الشاهد الذي

(وما أفاء الله على رسوله) وما اعاده عليه بمعنى صيره له اورده عليه فانه كان حقيقا بان يكون له لانه تعالى خلق الناس لعبادته وخلق ما خلق لهم ليتوسلوا به الى طاعته فهو جدير بأن يكون للمطيعين (منهم) من بني النضير او من الكفرة (فما اوجفتم عليه) فما اجريتم على تحصيله من الوجيف وهو سرعة السير (من خيل ولا ركاب) ما يركب من الابل غلب فيه كما غلب الراكب على راكبه وذلك ان كان المراد فيء بني النضير فلأن قراهم كانت على ميلين من المدينة فمشوا اليها رجالا غير رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه ركب جملا او حمارا ولم يجر مزيد قتال ولذلك لم يعط الانصار منه شيأ الا ثلاثة كانت بهم حاجة (ولكن الله يسلط رسله على من يشاء) بقذف الرعب في قلوبهم (والله على كل شيء قدير) فيفعل ما يريد تارة بالوسائط الظاهرة وتارة بغيرها

يجوز قبول شهادته في الشرع فلم تلق فأجرى ابو بكر ذلك على ماكان يجريه الرسول وجعل ينفق منه على من كان ينفق عليه الرسول ويجعل ما بقي في السلاح والكراع وكذلك عمر جعله في يد علي ليجريه على هذا المجرى ورد ذلك في آخر عهد عمر الى عمر وقال ان بنا غنى وبالمسلمين اليه حاجة وكان عثمان يجريه كذلك ثم صار الى علي فكان يجريه هذا المجرى فالائمة الاربعة اتفقوا على ذلك والقول الثاني ان هذه الآية نزلت في بني النضير وقراهم وليس للمسلمين يومئذ كثير خيل ولا ركاب ولم يقطعوا اليها مسافة كثيرة وانما كانوا على ميلين من المدينة فمشوا اليها مشيا ولم يركب الا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما كانت المقاتلة قليلة وايجاف الخيل والركاب غير حاصل اجراه الله تعالى مجرى مالم يحصل فيه المقاتلة اصلا فخص رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الاموال فقسمها بين المهاجرين ولم يعط الانصار منها شيأ الا ثلاثة نفر وكذلك الحكم في كل ما فتح على الائمة مما لم يوجف عليه المسلمون خيلا ولا ركابا سوآء حصل في ايدي المسلمين بان يجلوا اصحابه عن اوطانهم ويخلوه للمسلمين او يصالحوا على جزية يؤدونها عن رؤسهم او مال غير الجزية يفتدون به من سفك دمائهم كما فعله بنوا النضير حين صالحوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان لكل ثلاثة منهم حمل بعير مما شاؤا سوى السلاح وتركوا الباقي فهذا المال هو الفيء ويصرف الى ما يصرف اليه الجزية والخراج بخلاف ما فتح عنوة وقهرا فانه غنيمة يقسم بين الفقرآء بعد التخميس والمصنف اشار الى القولين اللذين نقلهما الامام عن المفسرين بقوله من بني النضير او من الكفرة وبقوله وذلك ان كان المراد فيء بني النضير اي عدم الايجاف على هذا التقدير مبني على قرب منازلهم من المدينة بحيث مشوا اليها رجالا واما ان كان المراد ما خوله الله تعالى رسوله من الكفرة من غير معاونة المسلمين وقهرهم كاموال فدك فالامر ظاهر *قال الامام ابو الليث روي عن الزهري انه قال كانت اموال بني النضير للنبي صلى الله عليه وسلم خالصة لانهم لم يفتحوها عنوة ولكن فتحوها صلحا فقسمها بين المهاجرين ﴿قوله بيان للاول﴾ اي غير اجنبي عنه بل هو متصل به فلذلك كان تخلل العاطف بينهما كتخلل شيء اجنبي بين الشيء وبيانه بين الله تعالى اولا ان ما خوله الله رسوله ليس من قبيل الغنائم المأخوذة قهرا فلا يقسم قسمتها بين له عليه الصلاة والسلام ما يصنع بما افاء الله عليه وامره بان يضعه حيث يضع الخمس من الغنائم مقسوما على الاقسام الخمسة فان الاموال المقسومة تقسم على خمسة اسهم اربعة اخماسها للغانمين ويجعل خمسها خمسة اسهم سهم منها لرسول الله صلى الله عليه وسلم وسهم لذوي القربى والمراد بهم بنوا هاشم وبنوا المطلب فانهم لما منعوا من الزكاة لكونها غسالة اموال المسلمين جعل لهم حق في الفيء وسهم لليتامى وسهم للمساكين وسهم لابناء السبيل فكذا الفيء فانه ايضا يخمس ويصرف كل خمس الى مصارف خمس الغنيمة بناء على ان ذكر الله تعالى في قوله فلله انما هو للتبرك بذكر اسمه ولتعظيم رسوله وقيل انه يسدس ويصرف سهم الله تعالى في عمارة الكعبة والمساجد ويصرف ما بقي وهو خمسة اسداس الستة الى المصارف الخمسة التي يصرف اليها خمس الغنيمة والقول الثالث في قسمة الفيء انه يخمس ويجعل اربعة اخماسه لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة يصرفها كما يشاء ثم يقسم الخمس الباقي ايضا على خمسة اسهم سهم منها له عليه الصلاة والسلام وسهم لذوي القربى وسهم لليتامى وسهم للمساكين وسهم لابناء السبيل فعلى هذا القول يكون جميع مال الفيء مقسوما على خمسة وعشرين سهما بان يخمس كل خمس منها روما للتصحيح احد وعشرون سهما منها للنبي صلى الله عليه وسلم واربعة اسهم لذوي القربى واليتامى والمساكين وابناء السبيل وبعد انتقاله عليه الصلاة والسلام الى دار الكرامة والبقاء يصرف ما كان له من الفيء الى الامام في قول والى المهاجرين المجاهدين والمترصدين للقتال في الثغور لانهم القائمون مقامه عليه الصلاة والسلام في قول آخر والى مصالح المسلمين من سد الثغور وحفر الانهار وبناء القناطر يقدم الاهم فالاهم في قول ثالث وهذا في اربعة اخماس الفيء واما القسم الذي كان له عليه الصلاة والسلام من خمس الفيء والغنيمة فهو لمصالح المسلمين بعد موته عليه الصلاة والسلام بلا خلاف لقوله عليه الصلاة والسلام *ليس لي من غنائمكم الا الخمس والخمس مردود فيكم* وكانت الغنائم في شرع من قبلنا لله تعالى خاصة لا يحل شيء منها لاحد واذا غنمت الانبياء اشياء جمعوها فتنزل نار من السماء فتأخذها فخص نبينا صلى الله عليه وسلم من بينهم بان احلت له الغنائم ثم قال عليه الصلاة والسلام احلت لي الغنائم ولم تحل لاحد قبلي ﴿قوله تعالى كيلا يكون دولة﴾ علة لقوله فلله اي تولى الله تعالى قسمة الفيء وبين كيفية قسمته لئلا يغلب الاغنياء الفقرآء على الفيء على حسب قوتهم دون الفقرآء والضعفاء كما كان في الجاهلية فان اهل الجاهلية كانوا اذا غنموا غنيمة اخذ الرئيس ربعها لنفسه وهو المرباع ثم يصطفي منها بعد

(ما افاء الله على رسوله من اهل القرى) بيان للاول ولذلك لم يعطف عليه (فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل) اختلف في قسم الفيء فقيل يسدس لظاهر الآية ويصرف سهم الله في عمارة الكعبة وسائر المساجد وقيل يخمس لان ذكر الله تعالى للتعظيم ويصرف الآن سهم الرسول الى الامام على قول والى العساكر والثغور على قول والى مصالح المسلمين على قول وقيل يخمس خمسه كالغنيمة فانه عليه السلام كان يقسم الخمس كذلك ويصرف الاخماس الاربعة كما يشاء والآن على الخلاف المذكور (كيلا يكون) اي الفيء الذي حقه ان يكون للفقرآء وقرأ هشام في رواية بالتاء

المرباع ماشاء كما قال شاعرهم لك المرباع فيها والصفايا * فبين الله تعالى مصارفه وكيفية قسمته ثم قال وما آتاكم الرسول اى ما اعطاكم من الفيء والغنيمة فخذوه او جميع ما آتاكم به من الشرآئع والاحكام فاقبلوه فان الآية وان نزلت فى اموال الفيء فهى عامة فى جميع ما امر به النبى ونهى عنه والدولة بالضم اسم لما يتداوله القوم بينهم والمعنى كيلا يكون الفيء متداولا بين الاغنياء يكون مرة لهذا ومرة لذاك وبالفتح مصدر بمعنى التداول والمعنى كيلا يكون ذا تداول بينهم كالغرفة والغرفة فانه بالضم اسم لما يؤخذ بالاغتراف وبالفتح مصدر بمعنى الاغتراف مرة وقيل الدولة بالفتح انتقال حال سارة الى قوم عن قوم ويستعمل فى نفس الحالة السارة التى تحدث للانسان فيقال هذه دولة فلان ﴿ قوله او اخذه غلبة تكون بينهم ﴾ عطف على الفيء فى قوله بمعنى كيلا يكون الفيء ذا تداول بينهم فيكون توجيها ثانيا لقرآءة دولة بالفتح وقد وجهها اولا بان جعل اسم كان ضمير الفيء وجعل دولة بمعنى التداول وقدر قبلها مايضاف اليها وجعل بينهم ظرفا للتداول وجعل اسم كان فى هذا الوجه الاخذ المضاف الى الفيء وجعل الدولة بمعنى الاستيلاء والغلبة الجاهلية منصوبا على انه خبرها وجعل بين الاغنياء ظرفا لكان التامة فى قوله كيلا يكون والدولة مرفوع على انها فاعل لكان التامة وذكره متأخرا تصريحا بكون بين ظرفا له فالمعنى على هذا الوجه كيلا يقع بين الاغنياء منكم اخذه دولة اى اخذه بجهة الاستيلاء والغلبة كما كان فى الجاهلية فان اهلها كانوا يقولون من عز بز اى من غلب سلب ويجعلون استحقاق مال الغنيمة منوطا بالغلبة عليه فكل من غلب على شيء كان يستقل به كما فى زماننا هذا وفى كثير من النسخ اى اخذه غلبة تكون بينهم اى بين اهل الجاهلية فلا يكون متعلقا بخصوص احدى القرآءتين بل يكون بيانا لوجه التعليل بقوله كيلا يكون دولة بين الاغنياء على القرآءتين كأنه قيل منع كون الفيء متداولا بين الاغنياء مأخوذا بطريق الغلبة والاستيلاء لان اخذه بهذا الطريق يكون بين اهل الجاهلية فلا ينبغى لاهل الاسلام ان يستنوا بسنتهم ويسلكوا سبيلهم ﴿ قوله لانه حلال لكم او فتمسكوا به ﴾ من قبيل اللف والنشر المرتب على قوله من الفيء او من الامر وكذا قوله من اخذه او عن اتيانه ﴿ قوله فان الرسول لايسمى فقيرا ﴾ جواب عما يقال لم لايجعل قوله تعالى للفقرآء بدلا من مجموع المصارف المذكورة بقوله تعالى فلله وللرسول الى قوله وابن السبيل بل جعلته بدلا من قوله لذى القربى وماعطف عليه خاصة مع ان الجمل المتعددة اذا عقبها قيد لايكون ذلك القيد مختصا ببعضها بل تكون كلها سوآء فى ذلك القيد الا ان يقوم الدليل على اختصاصه ببعضها فالدليل عليه فيما نحن بصدده * وتقرير الجواب انه تعالى ليس من المصارف وانما ذكر اسمه للتبرك به وتعظيم رسوله صلى الله عليه وسلم فلا يصح ادخاله فى جملة من ابدل منهم المصارف المذكورة من فقرآء المهاجرين والانصار والتابعين لهم الى يوم القيامة والرسول صلى الله عليه وسلم وان كان من المصارف الا انه لايصح ادخاله فى جملة المبدل منهم لان ادخاله فيهم يستلزم تسميته فقيرا ضرورة انه يجب ان يتحد مفهوم البدل والمبدل منه صدقا فى بدل الكل من الكل ولا يجوز تسميته عليه الصلاة والسلام فقيرا لانه يوهم الذم والنقصان من حيث ان اصله كسر فقار الظهر يقال فقرته اذا كسرت فقار ظهره كما يقال كبدته اذا ضربت كبده وسميت الحاجة والداهية فاقرة لانهما يغلبان الانسان ويكسران فقار ظهره واذا لم تصح تسميته عليه الصلاة والسلام فقيرا فعدم صحة تسميته تعالى فقيرا اولى ولانه تعالى اخرج رسوله من الفقرآء حيث وصفهم بقوله وينصرون الله ورسوله فانه ينافى دخوله عليه الصلاة والسلام فى جملة المبدل منهم والا لكان المعنى اعنى باولئك الخمسة المذكورين الذين هم الرسول وذو القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل هؤلاء الفقرآء المهاجرين الذين من جملة صفاتهم انهم ينصرون الله ورسوله ووصف المهاجرين بالفقرآء دليل على ان الكفار يملكون اموال المسلمين بالاستيلاء عليها فانه كانت لهم ديار واموال بمكة قبل استيلاء الكفار عليها فلو لم يملكها الكفار بالاستيلاء عليها لما سموا فقرآء ﴿ قوله ومن اعطى اغنياء ذوى القربى ﴾ بناء على ان ذكرهم بهذا اللفظ يشعر ان علة استحقاقهم للفيء انما هى القرابة نفسها من غير اعتبار شيء آخر معها فيكون اشتراط الفقر فيهم زيادة على الكتاب فهم لايجعلون قوله للفقرآء المهاجرين بدلا من قوله لذى القربى بل بما بعده من الاصناف الثلاثة وان جعلوه بدلا من الاصناف الاربعة يجعلون اعتبار الفقر فى ذى القربى مخصصا باستحقاقهم فيء بنى النضير فانه عليه الصلاة والسلام لم يعتبر فى قسمته غير الفقر والاحتياج حتى لم يعط الانصار شيأ منه الا ثلاثة نفر بهم حاجة ومن جعل استحقاق ذى القربى مشروطا بالفقر نظرا الى انهم استحقوه عوضا عن الصدقة التى هى غسالة

(دولة بين الاغنياء منكم) الدولة ما يتداوله الاغنياء ويدور بينهم كما كان فى الجاهلية وقرئ دولة بمعنى كيلا يكون الفيء ذا تداول بينهم او اخذه غلبة تكون بينهم وقرأ هشام دولة بالرفع على كان التامة اى كيلا يقع دولة جاهلية (وما آتاكم الرسول) وما اعطاكم من الفيء او من الامر (فخذوه) لانه حلال لكم او فتمسكوا به لانه واجب الطاعة (وما نهاكم عنه) عن اخذه او عن اتيانه (فانتهوا) عنه (واتقوا الله) فى مخالفة رسوله (ان الله شديد العقاب) لمن خالف (للفقرآء المهاجرين) بدل من لذى القربى وماعطف عليه فان الرسول عليه السلام لايسمى فقيرا ومن اعطى اغنياء ذوى القربى خصص الابدال بما بعده او الفيء بفيء بنى النضير

اموال المسلمين فوجب ان يكون استحقاقهم له مشروطا بما هو شرط في استحقاق الصدقة فلهذا ان يجعل قوله للفقراء بدلا من ذي القربى وما عطف عليه بدل الكل ﴿قوله حال مقيدة لاخراجهم﴾ يعني انه حال من واو اخرجوا توصيفا لهم بما يفيدهم فخامة الشان ﴿قوله فانهم لزموا المدينة والايمان﴾ يعني ان المراد بالدار المدينة التي هي دار الهجرة تبوأها الانصار قبل المهاجرين اي نزلوا فيها واتخذوها مباءة اي منزلا واستقروا فيها يقال تبوأت منزلا اي نزلته وبوأته منزلا اي هيأته منزلا وانزلته فيه * واشار ايضا الى جواب ما يقال كيف عطف الايمان على الدار مع ان الايمان ليس من قبيل المنازل التي تبوأوا فيها * وتقرير الجواب ان المعنى لزموا الايمان لزوم الانسان منزله ومستقره وشبه الايمان في النفس بمنزل الانسان ومستقره وجعل نسبة التبوء اليه تخييلا لتشبيه المضمر * واجاب عنه ثانيا بان المعنى تبوأوا دار الهجرة ودار الايمان لان اهلها نصروا الايمان واهله فحذف المضاف من دار الايمان واقيم المضاف اليه مقامه واعرب باعرابه كما حذف المضاف اليه من الاول وعوض عنه اللام وثالثا بان انتصاب الايمان ليس بالعطف على الدار حتى يقال الايمان ليس من قبيل المنازل حتى يتبوأ فيه بل هو منصوب بفعل مضمر معطوف على الفعل السابق حذف المعطوف وابقي العاطف كما في قوله * متقلدا سيفا ورمحا * اي وحاملا رمحا وقوله * علفتها تبنا وماء باردا * اي وسقيتها ماء ورابعا بان المراد بالدار والايمان شيء واحد وهو المدينة وسميت بالايمان على طريق تسمية المحل باسم ما حل فيه او تسمية المظهر والمصير باسم ما ظهر فيه وصار اليه ﴿قوله من قبل هجرة المهاجرين﴾ فانه قد روي انه قلت دار كانت بالمدينة الا كان الاسلام قد دخلها قبل هجرة النبي اليها صلى الله عليه وسلم حتى روي انهم قد صلوا صلاة الجمعة قبل الهجرة واشار بهذا التفسير الى جواب ما يقال كيف يصح ان يقال ان الانصار لزموا الايمان قبل المهاجرين وليس الامر كذلك * وتقرير الجواب انه ليس المعنى انهم لزموا الايمان قبل المهاجرين ليرد ما ذكر بل المعنى انهم لزموه قبل هجرتهم فلا محذور وقيل في جوابه ان الكلام محمول على التقديم والتأخير والتقدير والذين تبوأوا الدار من قبلهم والايمان فلا محذور حيث جعلت القبلية قيدا لتبوئهم الدار فقط وهذا السؤال والجواب انما يتجهان على ان يوجه قوله والايمان بالوجه الاول والثالث ولا يتجه شيء على الوجه الثاني والرابع لان المراد بالايمان فيهما هي المدينة اما بتقدير المضاف او بتسمية المدينة ايمانا مجازا فكان المعنى على الوجهين والذين استوطنوا المدينة قبل المهاجرين والامر كذلك فلا حاجة الى تقدير المضاف ﴿قوله كالطلب﴾ اي طلب ما اوتي المهاجرون مما يحتاج اليه الانصار * قال الجوهري الحزاز ايضا وجع في القلب من غيظ ونحوه اطلق اسم الحاجة على الحزازة والحسد ونحوهما على طريق اطلاق اسم الملزوم على اللازم لان جميع ذلك ينشأ من الحاجة روي انه عليه الصلاة والسلام لما غنم غنيمة بني النضير دعا ثابت بن قيس فقال له ادع لي قومك قال الخزرج يا رسول الله قال الانصار كلها فدعا له الاوس والخزرج فتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمد الله واثنى عليه بما هو اهله ثم ذكر الانصار وما صنعوا بالمهاجرين وانزالهم اياهم في منازلهم واموالهم ثم قال ان شئتم قسمت بينكم وبين المهاجرين ما افاء الله علي من بني النضير وكان المهاجرون على ما هم عليه من السكنى في منازلكم واموالكم وان ابيتم اعطيتهم وخرجوا من دوركم فتكلم سعد بن عبادة وسعد بن معاذ فقالا يا رسول الله بل تقسمه بين المهاجرين ويكونون في دورنا كما كانوا فنادت الانصار جميعا رضينا وسلمنا يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم * اللهم ارحم الانصار وابناء الانصار * فاعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم المهاجرين ولم يعط الانصار الا ابا دجانة وسهل بن حنيف وسعد بن معاذ رضوان الله عليهم اجمعين ﴿قوله حتى ان من كان الخ﴾ اشارة الى ان قوله تعالى ويؤثرون على انفسهم وان نزل بسبب ايثارهم المهاجرين على انفسهم بالفيء الا انه عام يتناول سائر ايثاراتهم منها ما روي عن ابي هريرة رضي الله عنه انه قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم وقد اصابه الجهد اي شدة الجوع فقال يا رسول الله اني جائع فاطعمني فبعث عليه السلام الى ازواجه هل عندكن طعام فاجبنه والذي بعثك بالحق ما عندنا الا الماء فقال عليه الصلاة والسلام ما عند رسول الله ما يطعمك هذه الليلة ثم قال من يضيف هذا هذه الليلة رحمه الله فقام رجل فقال انا يا رسول الله فاتى به منزله فقال لاهله هذا ضيف رسول الله فاكرميه ولا تدخري عنه شيئا فقالت ما عندي الا قوت الصبيان فقال قومي فعلليهم عن قوتهم ونوميهم حتى يناموا ولا يطعموا شيئا ثم اسرجي واردي فاذا اخذ الضيف ليأكل قومي كأنك تصلحين السراج فاطفئيه وتعالي

(الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم) فان كفار مكة اخرجوهم واخذوا اموالهم (يبتغون فضلا من الله ورضوانا) حال مقيدة لاخراجهم بما يوجب تفخيم شأنهم (وينصرون الله ورسوله) بانفسهم واموالهم (اولئك هم الصادقون) الذين ظهر صدقهم في ايمانهم (والذين تبوأوا الدار والايمان) عطف على المهاجرين والمراد بهم الانصار فانهم لزموا المدينة والايمان وتمكنوا فيهما وقيل المعنى تبوأوا دار الهجرة ودار الايمان فحذف المضاف من الثاني والمضاف اليه من الاول وعوض عنه اللام او تبوأوا الدار واخلصوا الايمان كقوله

* علفتها تبنا وماء باردا *

وقيل سمى المدينة بالايمان لانها مظهره ومصيره (من قبلهم) من قبل هجرة المهاجرين وقيل تقدير الكلام والذين تبوأوا الدار من قبلهم والايمان (يحبون من هاجر اليهم) ولا يثقل عليهم (ولا يجدون في صدورهم) في انفسهم (حاجة) ما تحمل عليه الحاجة كالطلب والحزازة والحسد والغيظ (مما اوتوا) مما اعطي المهاجرون من الفيء وغيره (ويؤثرون على انفسهم) ويقدمون المهاجرين على انفسهم حتى ان من كان عنده امرأتان نزل عن واحدة وزوجها من احدهم

تضع ألسنتنا لبطن الضيف انا نأكل معه فيأكل حتى يشبع ففعلت فباتا تلك الليلة طاويين فلما اصبحا غدوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما نظر اليهما تبسم ثم قال لقد عجب الله من فلان وفلانة هذه الليلة وانزل الله عز وجل ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة وعن انس رضي الله عنه اهدى الى رجل من الانصار رأس شاة مشوي وكان مجهودا فقال لعل جاري احوج اليه مني فبعثه الى جاره فتداوله تسعة نفر ثم عاد الى الاول فانزل الله تعالى ويؤثرون على انفسهم الآية * فان قيل كيف استحقوا المدح بايثار الغير على انفسهم عند حاجتهم وقد نطقت الاخبار بان افضل دينار ماينفقه الرجل على نفسه وعياله وبه امر عليه السلام من سأله من التصدق * قلنا الاحاديث فيمن لم يثق بالصبر على الفقر لانه يخشى عليه التعرض للمسألة والآية وردت في الانصار فانهم لم يكونوا بهذه الصفة بل كما وصفهم الله تعالى في قوله والصابرين في البأساء والضراء وايثار مثلهم افضل والايثار تقديم الغير على النفس في حظوظها الدنيوية رغبة في الحظوظ الاخروية * حكي عن ابي الحسن الانطاكي انه اجتمع عنده نيف وثلاثون رجلا بقرية من قرى الري ومعهم ارغفة معدودة لاتكفي الا قليلا فكسروا الرغفان واطفأوا السراج وجلسوا للطعام فلما فرغوا فاذا الطعام بحاله لم يأكل احد منهم شيأ منه ايثارا لصاحبه على نفسه ﴿قوله وهي فرجه﴾ شبه حالة الفقر والحاجة بفرج البناء في اشتمال كل واحدة منهما على معنى النقصان والاحتياج الى المصلح ﴿قوله حتى يخالفها فيما يغلب عليها من حب المال وبغض الانفاق﴾ اشارة الى ان الشح اشد من البخل كما اشار اليه الجوهري بقوله الشح البخل مع حرص فان البخيل يبغض الانفاق والحريص يحب المال فمن جمعهما صار شحيحا قيل ليس الشح ان يمنع الرجل ماله من مستحقه انما الشح ان تطمح عين الرجل فيما ليس له وروي عنه عليه الصلاة والسلام انه قال * اتقوا الشح فان الشح اهلك من كان قبلكم * حملهم على ان سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم وقال كسرى لاصحابه اي شئ أضر بابن آدم قالوا الفقر فقال كسرى الشح اضر من الفقر لان الفقير اذا وجد شبع والشحيح اذا وجد لايشبع ابدا وكل ذلك يدل على ان الحرص معتبر في مفهوم الشح وانما اضيف الى النفس لانه غريزة فيها ﴿قوله تعالى والذين جاؤا من بعدهم﴾ عطف ايضا على المهاجرين ولم يصرح بذلك فيه اكتفاء بذكره فيما سبق فيكون يحبون حالا من فاعل تبوأوا ويقولون حالا من فاعل جاؤا فلما كانت الآيات معطوفا بعضها على بعض وكان المراد بقوله والذين جاؤا من بعدهم التابعين لهم باحسان استوعبت الآية جميع المؤمنين الذين كانوا شركاء في الفيء كأنه قيل هذا المال لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللاصناف الاربعة الفقراء من المهاجرين والانصار والتابعين لهم قبل ويجوز ان يكون قوله تعالى والذين تبوأوا الدار في محل الرفع على الابتداء والخبر يحبون او محذوف اي افلحوا وفازوا وكذا قوله والذين جاؤا يجوز ان يكون مرفوع المحل على الابتداء ويقولون خبره عن مالك بن اوس قال قرأ عمر بن الخطاب رضي الله عنه هذه الآية انما الصدقات للفقراء فقال هذه لهؤلاء ثم قرأ واعلموا انما غنمتم من شئ فان لله خمسه فقال هذه لهؤلاء ثم قرأ ما افاء الله على رسوله حتى بلغ للفقراء المهاجرين والذين تبوأوا الدار والذين جاؤا من بعدهم ثم قال لئن عشت ليأتين الراعي وهو بسرو حمير نصيبه لم يعرق منها جبينه وهذا يدل على انه جعل هذه الآيات متعاطفة وعن عمر رضي الله عنه مايدل على ان المراد بهذه الآية الاراضي التي افتتحت عنوة دون اموال اهلها فانه روى انه لما فتح سواد العراق سأله قوم من الصحابة قسمة الاراضي بين الغانمين منهم الزبير وبلال وغيرهما فاحتج عليهم بهذه الآية الى قوله والذين جاؤا من بعدهم ثم شاور فيه عليا وجماعة من الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين فاشاروا بترك القسمة وان يقر اهلها عليها ويضع على رؤسهم الجزية وعلى اراضيهم الخراج فجعل يجعل اراضيهم خراجية ليصل نفعها الى جميع المسلمين قرنا بعد قرن وهو مذهبنا في الاراضي المأخوذة من الكفار عنوة اذ للامام ان يقسمها بين الغانمين ان رأى ذلك اصلح والا اقر اهلها عليها ويضع عليهم الجزية وعلى اراضيهم الخراج وحملوا قوله تعالى واعلموا انما غنمتم من شئ فان لله خمسه على غير الاراضي والرقاب من الاموال ولو كانت هذه الآية وهو قوله تعالى ما افاء الله على رسوله منسوخة لذكرت الصحابة ذلك لعمر واخبروه بنسخها فلتهم بذلك انها محكمة * فان قيل لم قالوا ربنا اغفر لنا ولاخواننا بتقديم الاستغفار لانفسهم على الاستغفار لاخوانهم في الدين * قلنا رجوا بذلك ان يغفر لهم فيكونوا بذلك اقرب الى الاجابة في حق غيرهم ﴿قوله ان الآية قد استوعبت جميع المؤمنين﴾ لانهم المهاجرون والانصار والذين جاؤا من بعدهم وقد بين الله تعالى ان من شأن

(ولو كان بهم خصاصة) حاجة من خصاص البناء وهي فرجه (ومن يوق شح نفسه) حتى يخالفها فيما يغلب عليها من حب المال وبغض الانفاق (فاولئك هم المفلحون) الفائزون بالثناء العاجل والثواب الآجل (والذين جاؤا من بعدهم) هم الذين هاجروا بعد حين قوي الاسلام او التابعون باحسان وهم المؤمنون بعد الفريقين الى يوم القيامة فلذلك قيل ان الآية قد استوعبت جميع المؤمنين

من جاء من بعد المهاجرين والانصار ان يذكر السابقين وهم المهاجرون والانصار بالرحمة والدعاء فمن لم يكن كذلك بل ذكرهم بسوء فقد كان خارجا عن جملة اقسام المؤمنين بمقتضى هذه الآيات * روى ان نفرا من اهل العراق جاؤا الى محمد بن على بن الحسين فسبوا ابابكر وعمر رضى الله عنهما ثم سبوا عثمان رضى الله عنه فاكثروا فقال لهم أمن المهاجرين انتم قالوا لا فقال افمن الذين تبوّأوا الدار والايمان من قبلهم قالوا لا فقال فقد تبرأتم من هذين الفريقين وانا اشهد انكم لستم من الذين قال الله عزوجل فيهم والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفرلنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان الآية لانه تعالى امر من بعدهم ان يستغفرلهم لا بان يسبهم فمن كان يسب هؤلاء كيف يدخل فيمن بعدهم قوموا عنى فعل الله بكم وفعل قال الشعبى تفاضلت اليهود والنصارى على الرافضة بخصلة سئلت اليهود من خيراهل ملتكم فقالوا اصحاب موسى وسئلت النصارى من خيراهل ملتكم فقالوا اصحاب عيسى وسئلت الرافضة من شرّ اهل ملتكم فقالوا اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم امروا بالاستغفار لهم فسبوهم فالسيف عليهم مسلول الى يوم القيامة قال المفسرون فى معنى الآية علم الله تعالى انه سيقع من الصحابة اشياء ثم ذكر ذلك لمن بعدهم فربما يقع فى قلوب بعضهم كراهية بعض ذلك فتغير قلوبهم فامروا بالاستغفار لهم وان لا يجعل الله فى قلوبهم غلا للمؤمن تنبيها على ان ذلك مما يرجى عفو الله عنه وانه يجب على من جاء بعدهم محبتهم وحسن الاعتقاد فيهم والدعاء والاستغفار لهم ثم انه تعالى عجب السامعين من شأن المنافقين مع يهود بنى النضير وذلك ان عبد الله بن ابى وعبد الله ابن نفيل ورفاعة بن زيد وغيرهم قالوا لليهود الذين بينهم وبينهم اخوّة واشتراك فى الكفر بسيد المرسلين صلى الله عليه وسلم او اخوّة الصداقة والموالاة وكانوا يدا واحدة على المؤمنين فى السر لئن اخرجتم اخ واللام فى لئن أخرجتم لام توطئة القسم وفى لنخرجنّ لام جواب القسم فان القسم مقدر قبل حرف الشرط حذف للعلم بوجودها واجيب القسم دون الشرط لسبق القسم عليه وحذف جواب الشرط لدلالة جواب القسم عليه وكذا الكلام فى قوله تعالى لئن اخرجوا لا يخرجون معهم فان قوله لا يخرجون جواب القسم فلذلك رفع ولم يجزم اخبر الله تعالى انهم قالوا لليهود هذه المقالات ثم شهد على انهم كاذبون فيها فقال والله يشهد انهم لكاذبون ولما شهد على كذبهم على سبيل الاجمال اتبعه بالتفصيل فقال لئن اخرجوا لا يخرجون معهم الآية اى لئن اخرج اليهود من المدينة لا يخرج المنافقون معهم ولئن قوتل اليهود لا ينصرهم المنافقون كما وعدوهم وكان الامر كما ذكره الله تعالى لان اليهود اخرجوا من ديارهم فلم يخرج معهم المنافقون وقوتلوا فلم ينصروهم فبان بهذا كذبهم فيما قالوه وفيه دليل على صحة النبوّة لانه عليه الصلاة والسلام اخبر بالغيب وكان كما اخبر وقيل وجه دلالته عليها ان المنافقين انما راسلوا اليهود خفية بحيث لم يطلع عليهم احد غير اليهود وظاهر انهم لم يخبروا بذلك النبى صلى الله عليه وسلم فلما تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى ألم تر الى الذين نافقوا يقولون الآية علم انه تعالى اطلع رسوله على ما اخفوه عنه ﴿ قوله على الفرض والتقدير ﴾ جواب عما يقال انه تعالى نفى ان يتحقق نصرة المنافقين لليهود وما نفى الله تعالى وجوده لا يجوز وجوده فلو وجد قوله ولئن نصروهم بكلمة ان التى من حقها ان تستعمل فيما يحتمل وجوده وتقرير الجواب ان ما نفى الله تعالى وجوده لا يمتنع فرضه وتقديره فكلمة ان ههنا لم تدخل على نصرتهم بل دخلت على فرض نصرتهم وهو مما يحتمل وجوده ﴿ قوله اذ ضمير الفعلين ﴾ وهما قوله تعالى ليولنّ وقوله ثم لا ينصرون فان كان كلا الضميرين لليهود يكون المعنى لئن نصر المنافقون اليهود لينهزمنّ اليهود ثم لا ينصرون ابدا بل يخذلهم الله وان كان الضميران للمنافقين يكون المعنى لينهزمنّ المنافقون بهلاكهم ثم لا ينصرون بعد ذلك اى يهلكهم الله ولا ينفعهم نفاقهم لظهور كفرهم بمعاداتهم المؤمنين ونصرتهم اليهود ثم انه تعالى بين ان خوف المنافقين من المؤمنين اشدّ من خوفهم من الله تعالى فقال لأنتم اشدّ رهبة اى اشدّ مرهوبا جعله مصدرا من المبنى للمفعول لان انتم خطاب للمؤمنين والخوف ليس من حالهم بل هو حال المنافقين فالمخاطبون مرهوبون غير راهبين فالرهبة امر نسبىّ قائم بالفاعل متعلق بالمفعول فباعتبار تعلقه بالفاعل يكون سببا لان يحدث فيه هيئة الراهبية وباعتبار تعلقه بالمفعول يكون سببا لان يحدث فيه هيئة المرهوبية فلفظ المصدر قد يستعمل فى اصل معناه وهو الامر النسبىّ وقد يستعمل فى الهيئة الحاصلة للفاعل بسبب تعلق المعنى المصدرى به فيقال له حينئذ انه مصدر من المبنى للفاعل وقد يستعمل فى الهيئة الحاصلة للمفعول بسبب تعلقه به فيقال انه مصدر من المبنى للمفعول كما فى هذه الآية والمعنى انهم يظهرون لكم انهم يخافون الله وانتم اهيب فى صدورهم من الله لانهم لا يخافون الله

(يقولون ربنا اغفرلنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان) اى لاخواننا فى الدين (ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا) حقدا لهم (ربنا انك رؤف رحيم) فحقيق بان تجيب دعاءنا (ألم تر الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من اهل الكتاب) يريد الذين بينهم وبينهم اخوّة الكفر او الصداقة والموالاة (لئن اخرجتم) من دياركم (لنخرجنّ معكم ولا نطيع فيكم) فى قتالكم او خذلانكم (احدا ابدا) اى من الرسول والمؤمنين (وان قوتلتم لننصرنكم) لنعاوننكم (والله يشهد انهم لكاذبون) لعلمه بانهم لا يفعلون ذلك كما قال (لئن اخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم) وكان كذلك فان ابن ابىّ واصحابه راسلوا بنى النضير بذلك ثم اخلفوهم وفيه دليل على صحة النبوّة واعجاز القرآن (ولئن نصروهم) على الفرض والتقدير (ليولنّ الادبار) انهزاما (ثم لا ينصرون) بعد بل يخذلهم ولا ينفعهم نصرة المنافقين او نفاقهم اذ ضمير الفعلين يحتمل ان يكون لليهود وان يكون للمنافقين (لأنتم اشدّ رهبة) اى اشدّ مرهوبية مصدر للفعل المبنى للمفعول (فى صدورهم) فانهم كانوا يضمرون مخافتهم من المؤمنين (من الله) على ما يظهرونه نفاقا فان استبطان رهبتكم سبب لاظهار رهبة الله

(ذلك بانهم قوم لايفقهون) لايعلمون عظمة الله حتى يخشوه حق خشيته ويعلمون انه الحقيق بان يخشى (لايقاتلونكم) اليهود والمنافقون (جميعا) مجتمعين (الا في قرى محصنة) بالدروب والخنادق (او من وراء جدر) لفرط رهبتهم وقرأ ابن كثير وابو عمرو جدار وامال ابو عمرو فتحة الدال (بأسهم بينهم شديد) وليس ذلك لضعفهم وجبنهم فانه يشتد بأسهم اذا حارب بعضهم بعضا بل لقذف الله الرعب في قلوبهم ولان الشجاع يجبن والعزيز يذل اذا حارب الله ورسوله (تحسبهم جميعا) مجتمعين متفقين (وقلوبهم شتى) متفرقة لافتراق عقائدهم واختلاف مقاصدهم (ذلك بانهم قوم لايعقلون) مافيه صلاحهم وان تشتت القلوب يوهن قواهم (كمثل الذين من قبلهم) اى مثل اليهود كمثل اهل بدر او بنى قينقاع ان صح انهم اخرجوا قبل النضير او المهلكين من الامم الماضية (قريبا) فى زمان قريب وانتصابه بمثل اذ التقدير كوجود مثل (ذاقوا وبال امرهم) سوء عاقبة كفرهم فى الدنيا (ولهم عذاب اليم) فى الآخرة (كمثل الشيطان) اى مثل المنافقين فى اغراء اليهود على القتال كمثل الشيطان (اذ قال للانسان اكفر) اغراه على الكفر اغراء الآمر المأمور (فلما كفر قال انى برئ منك) تبرأ منه مخافة ان يشاركه فى العذاب ولم ينفعه ذلك كما قال (انى اخاف الله رب العالمين فكان عاقبتهما انهما فى النار خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين) والمراد من الانسان الجنس وقيل ابو جهل قال له ابليس يوم بدر لاغالب لكم اليوم من الناس وانى جار لكم الآية وقيل راهب حمله على الفجور والارتداد وقرئ عاقبتهما على ان انهما الخبر لكان وخالدان على انه خبر لان وفى النار لغو (يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ماقدمت لغد) ليوم القيامة سماه به لدنوه او لان الدنيا كيوم والآخرة غده وتنكيره للتعظيم واما تنكير النفس فلاستقلال الانفس النواظر فيما قدمن للآخرة كانه قال ولتنظر نفس واحدة فى ذلك (واتقوا الله) تكرير للتأكيد او الاول فى اداء الواجبات لانه مقرون بالعمل والثانى فى ترك المحارم لاقترانه بقوله (ان الله خبير بما تعملون) وهو كالوعيد على المعاصى (ولا تكونوا كالذين نسوا الله) نسوا حقه (فأنساهم انفسهم) فجعلهم ناسين لها حتى لم يسمعوا ماينفعها ولم يفعلوا مايخلصها او أراهم يوم القيامة من الهول ماانساهم انفسهم (اولئك هم الفاسقون) الكاملون فى الفسوق

البتة او لايظهر فيهم شئ من آثار خوف الله بخلاف ما اضمروه فى صدورهم من خوف المؤمنين فانه اشد واقوى مايظهرونه من خوف الله تعالى فالمقصود ان قلوبهم تخلو من خوفه تعالى ﴿ قوله تعالى ذلك ﴾ اى شدة خوفهم منكم بانهم قوم لايفقهون عظمة الله وشدة نقمته حتى يخشوه حق خشيته ثم اخبر عن جبنهم ورخاوة قلوبهم فقال لايقاتلونكم الا فى قرى محصنة بالخنادق والدروب وهذا تشجيع من الله للمؤمنين وربط على قلوبهم حيث بين ان بأسهم بينهم شديد بالاذية والقول حيث يوعدونكم بانهم يفعلون بكم كذا وكذا لو قاتلوكم ولم يبق لكم ذلك البأس ﴿ قوله تعالى ذلك ﴾ اى تشتت قلوبهم بانهم قوم لايعقلون مافيه صلاحهم حتى يجتمعوا عليه ولايعقلون ايضا ان تشتت القلوب يوهن القوى الجسدية فان صلاح القلب يوجب صلاح الجسد وفساد القلب يؤدى الى فساد الجسد ﴿ قوله اى مثل اليهود ﴾ على ان قوله تعالى كمثل الذين من قبلهم خبر مبتدأ محذوف اى ماصابهم من الحال العجيبة الشأن كما اصاب من قبلهم من زمان قريب وقريبا نعت الظرف محذوف اى وقتا وزمانا قريبا والمصنف جعله تمثيلا باعتبار قيامه مقام المضاف المحذوف عن ابن عباس رضى الله عنهما قال المراد بالذين من قبلهم بنو قينقاع امكن الله منهم قبل بنى النضير وقيل هو عام فى كل من انتقم الله منهم على كفرهم قبل بنى النضير من نوح الى سيد المرسلين عليهما الصلاة والسلام مثل حال اليهود بحال اصابت من قبلهم قريبا فى ان كل واحد من الفريقين ذاقوا وبال امرهم ثم مثل حال المنافقين فى اغراء اليهود على القتال بان قالوا لهم انا معكم ولا نخذلكم فاغتر اليهود بقولهم فدربوا الازقة وتهيؤوا الحرب فخذلهم المنافقون وتبرأوا منهم بحال الشيطان حين اغرى الانسان على الكفر فاغتر الانسان باغرائه فكفر والعياذ بالله فلما كفر تبرأ منه وليس المراد ان الشيطان آمر للانسان بل هو مسلط عليه يحثه الى المعصية لان شأنه ليس الا الاغراء على المعصية بالوسوسة وتزيين المعصية اليه فقوله اكفر استعارة تبعية شبه اغراؤه على الكفر بالوسوسة باغراء الآمر المأمور فاطلق اغراء الآمر على اغرائه وقد اغرى ابليس كفار قريش يوم بدر وقد تمثل لهم بصورة سراقة ابن مالك الكنانى وحثهم على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله لاغالب لكم اليوم وانى جار لكم اى مجيركم من بنى كنانة وكانت قريش تخاف من بنى كنانة لما بينهم من الاحنة فلما رأت الفئتان ورأى الشيطان جبريل ومن معه من الملائكة خاف ونكص على عقبيه وكان يده فى يد الحارث بن هشام فقال له الى اين أتخذلنا فى مثل هذه الحالة فقال انى ارى مالاترون ودفع فى صدر الحارث وانطلق وانهزموا فلما بلغوا مكة قال انه الشيطان تمثل بصورة سراقة ﴿ قوله وقيل راهب ﴾ اسمه برصيصا روى عن ابن عباس رضى الله عنه انه قال كان فى بنى اسرائيل راهب عبد الله تعالى زمانا من الدهر حتى كان مشهورا بكونه مستجاب الدعوة فيؤتى بالمجانين فيعوذهم ويداويهم فيبرأون على يده وأتى بامرأة قد جنت وكان لها اخوة فاتوه بها فكانت عنده فلم يزل به الشيطان يزين له حتى وقع عليها فحملت فلما استبان له حملها لم يزل به الشيطان يخوفه ويزين له قتلها حتى قتلها ودفنها ثم ذهب الشيطان فى صورة رجل الى اخوتها واخبر بالذى فعله الراهب وانه دفنها فى مكان كذا فبلغ ذلك ملكهم فسار الملك فى الناس فاتوه فاستنزلوه من صومعته وهددوه ليصدقهم فاقر لهم بالذى فعله بها فامر الملك بصلبه فصلب فلما رفع على خشبته تمثل له الشيطان فقال انا الذى زينت هذا كله والقيتك فيه فهل انت تطيعنى فيما اقول لك فاخلصك مما انت فيه قال نعم قال اسجد لى سجدة واحدة فسجد له فقتل كافرا والعياذ بالله تعالى فذلك قوله تعالى كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر اى اسجد لغير الله فلما كفر اى سجد قال انى برئ منك انى اخاف الله رب العالمين ﴿ قوله وقرئ عاقبتهما ﴾ بالرفع على انها اسم كان وخبرها انهما فى النار وقرأ العامة بنصب عاقبتهما على انها خبر كان واسمها قوله انهما فى النار لان ان مع مافى حيزها اعرف من عاقبتهما فهو اولى بالاسمية وايضا قرأ العامة خالدين على انها حال من المنوى فى قوله فى النار اى فكان عاقبة الشيطان وذلك الانسان انهما ثابتان فى النار خالدين فيها وقرئ خالدان بالرفع على انه خبر ان وفى النار لغو متعلق بالخبر مقدما عليه فيكون قوله فيها تأكيدا لقوله فى النار عن المبرد انه قال نصب خالدين على الحال اولى لئلا يلغى الظرف مرتين اى فى النار وفيها ثم انه تعالى لما ذم اليهود والمنافقين بانهم قوم لايفقهون عظمة الله تعالى حتى يخشوه حق خشيته ولايعقلون مافيه صلاحهم حتى يجتمعوا عليه ويتمسكوا به مجتمعين عاد الى موعظة المؤمنين فقال يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله الآية ﴿ قوله نسوا حقه ﴾ وهو طاعته فى جميع ما كلفوا به بامتثال اوامره والاجتناب عن

نواهيه والمراد بنسيان حق الله مايلزم النسيان من الترك فالمعنى تركوا ما كلفوا به ترك الناسين له عن ابن عباس رضي الله عنه قال يريد بالناسين قريظة والنضير وبني قينقاع والفاسق قوله تعالى فانساهم انفسهم نسبية وذكر للانساء وجهين فالمعنى على الاول بسبب انهم نسوا حق الله خذلهم في الدنيا وجعلهم ناسين انفسهم بحيث لم يسعوا في عمل صالح ينجيها ولم يجتنبوا من عمل سيء يرديها ولم يخلق فيهم داعية الاهتمام لاستكمالها وعلى الثاني بسبب انهم نسوا حق الله اراهم يوم القيامة من الاهوال ماانسوا فيه انفسهم كما قال تعالى لا يرتد اليهم طرفهم وافئدتهم هواء وترى الناس سكارى وماهم بسكارى ولكن عذاب الله شديد ثم انه تعالى لما حرض المؤمنين على تقديم ماينفعهم في الآخرة وشنع على الذين نسوا حق الله وطاعته بين تباعد مابين الفريقين فقال لايستوى اصحاب النار واصحاب الجنة واشار المصنف الى ان المراد باصحاب الجنة من استأهل الجنة بملازمة طاعة الله تعالى والاجتناب عن معصيته وباصحاب النار من استحق النار بان نسي تقوى الله تعالى وطاعته فانساهم انفسهم بان خذلهم ومنع عنهم توفيقه وعونه وعبر عن الفريقين باصحاب الجنة واصحاب النار زيادة في تصوير عدم استوائهما بحسب الفضائل الاخروية فان تباعد مابين الجنة والنار وعدم استوائهما مما لايخفى على احد فالتعبير عن الفريقين باصحاب الجنة واصحاب النار يكون زيادة توضيح لعدم استوائهما يوم الدين وعدم استوائهما وان كان امرا معلوما بالضرورة الا انه تعالى تعرض لبيان التفاوت بينهما تنبيها على عظم ذلك الفرق وترغيبا للمؤمنين في استكمال نفوسهم بملازمة التقوى والطاعة بتنزيلهم منزلة من لايعرف الفرق بين الجنة والنار والبون البعيد بين اصحابهما لعدم جريهم على مايوجب العلم بايثار العاجلة واتباع الشهوات فان العالم بالشيء اذا لم يعمل على مقتضى علمه ينزل منزلة الجاهل فيلقى اليه الكلام الخبري كما تقول لمن يعق اباه هو ابوك تنزيلا له منزلة من لايعرف انه ابوه وترغيبا في رعاية حقه ﴿قوله واحتج به اصحابنا﴾ اي احتجت الشافعية بهذه الآية على ان المسلم لايقتل بالذمي اذ لو قتل المسلم به والحال ان الذمي يقتل بالمسلم لزم ان يستوى اصحاب الجنة واصحاب النار في ان كل واحد منهما يقتل بالآخر وهو خلاف مادل عليه ظاهر العموم المستفاد من قوله تعالى لايستوى اصحاب النار واصحاب الجنة فانه يدل دلالة ظاهرة على انهما لايستويان في شيء من الاحكام والحنفية يقولون انه وان كان عاما بحسب الظاهر الا ان سياق الكلام مخصصه بالاستواء في منازل الآخرة ويجوز استواؤهما في الاحكام الدنيوية فيقتل كل واحد منهما بالآخر وكذا يملك الكفار اموال المسلمين باستيلائهم عليها كما يملك المسلمون اموال الكفار بالقهر والاستيلاء حتى اذا غلب المسلمون عليهم وقد اخذوا اموال المسلمين قهرا ووجد اصحاب تلك الاموال اموالهم باعيانها في جملة مال الغنيمة فعند الامام الشافعي يرد مال المسلم الى المسلم لعدم خروجه عن ملك المسلم وعند الحنفية لايرد بل يقسم بين الغانمين كسائر الغنائم لتملك الكفار اياه بالاستيلاء على مذهبه ثم انه تعالى لما بين بانزال القرآن هذه المواعظ المرغبة في اكتساب اسباب الفوز والفلاح والتنفرة عن الانهماك في اتباع الحظوظ العاجلة عظم شأن القرآن فقال لو انزلنا هذا القرآن على جبل وكلفناه بما فيه لتشقق من خشية الله مع كمال قساوته وصلابته حذرا من ان لايؤدي حق الله تعالى في تعظيم القرآن فياعجبا من قساوة الكافر حيث لم يلن قلبه لمواعظ القرآن وقوة تأثيره واعرض عما فيه من العبر واستخف بحقها كأن لم يسمعها وانه بحيث لو خوطب به جبل مع شدته للان ﴿قوله تمثيل وتخييل﴾ الظاهر انه اراد بالتمثيل التصوير والتبيين وقوله وتخييل عطف تفسير له والمعنى ان هذه الآية تصوير لعظمة قدر القرآن وقوة تأثيره وانه بحيث لو خوطب به جبل مع شدته وصلابته لرأيته ذليلا متصدعا من خشية الله خوفا من ان لايؤدي حق الله تعالى في تعظيم القرآن واقامة ما فيه من التكاليف والاحكام والمراد منه توبيخ الانسان بانه مع ضعف بنيته ووهن قواه لايتخشع عند تلاوة القرآن بل يعرض عما فيه من عجائب الوعد وعظائم الوعيد وماجرى على الامم الماضية بمقابلة معاصيهم كأن لم يسمع شيأ منها فهذه الآية مثل اي قول غريب في بيان عظمة القرآن ودناءة حال الانسان وبيان لصفتها العجيبة فهي من جملة الامثال الواقعة في مواضع من التنزيل فقوله تعالى وتلك الامثال اشارة الى هذا المثل والى غيره من الامثال الواقعة في التنزيل وقد مر مرارا ان لفظ المثل حقيقة عرفية في القول السائر ثم يستعار منه لكل امر غريب وصفة عجيبة الشان تشبيها له بالقول السائر في الغرابة لانه لايخلو عن غرابة ﴿قوله تعالى خاشعا متصدعا﴾ حالان من الضمير المنصوب في قوله لرأيته لانه من رؤية البصر والخاشع الذليل والمتصدع المتشقق اي ذليلا بما كلفه من طاعته متشققا من خشية الله ان يعصيه فيعاقبه ثم انه تعالى لما وصف

(لايستوى اصحاب النار واصحاب الجنة) استكملوا نفوسهم فاستأهلوا الجنة والذين استمهنوها فاستحقوا النار واحتج به اصحابنا على ان المسلم لايقتل بالكافر (اصحاب الجنة هم الفائزون) بالنعيم المقيم (لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله) تمثيل وتخييل كما مر في قوله انا عرضنا الامانة ولذلك عقبه بقوله (وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون) فان الاشارة اليه والى امثاله والمراد توبيخ الانسان على عدم تخشعه عند تلاوة القرآن لقساوة قلبه وقلة تدبره والتصدع التشقق وقرئ مصدعا على الادغام

القرآن بالعظيم ومعلوم ان عظم الصفة تابع لعظم قدر الموصوف اتبع ذلك بشرح عظمة الله تعالى فقال هو الله
الذى لا اله الا هو ﴿قوله وتعلق العلم﴾ مجرور معطوف على الوجود وقوله او المعدوم والموجود مرفوع
معطوف على قوله ماغاب وماحضر وكذا قوله او السر والعلانية ﴿قوله وهو لغة فيه﴾ يعنى ان القدوس
بفتح القاف وضمها كلاهما من القدس بمعنى الطهارة ومعناهما البليغ فى النزاهة عن سمات الحدثات وعوارض
الممكنات ونظيرهما السبوح بالضم والفتح فى البناء والمعنى وفعول بالفتح قليل فى الصفات واكثر مايأتى
منه فى الاسماء نحو تنور وسمور وهبود جبل فى اليمامة ﴿قوله ذو السلامة﴾ يعنى ان السلام فى الاصل
مصدر بمعنى السلامة ونحو انت السلام من قبيل رجل عدل ويدل على كونه مصدرا فى الاصل قولهم
دار السلام وسلام عليكم ومنك السلام اى انت الذى تعطى السلامة وقيل انت الذى يسلم على عباده فى الجنة
لقوله تعالى سلام قولا من رب رحيم وقولهم واليك يرجع السلام اشارة الى معنى قوله تعالى كل من عليها فان
ويبقى وجه ربك وقولهم وحيانا ربنا بالسلام طلب السلامة منه تعالى مادامو احياء ﴿قوله واهب الامن﴾ على
ان المؤمن بكسر الميم الثانية اسم فاعل من آمنه بمعنى اعطاه الامن من كل خوف كما فى قوله تعالى وآمنهم من خوف
ويجوز ان يكون من آمن بمعنى صدق فانه تعالى كما يؤمن الناس من ان يظلمهم ويعاقبهم من غير ذنب فهو ايضا
يصدق عباده المؤمنين فى توحيدهم وطاعتهم له ومن قرأ بفتح الميم الثانية اراد انه تعالى يؤمن ويصدق به
المؤمنون فهو مؤمن به فلابد من تقدير الحال والا لامتنع الملائة وهو معنى باطل تعالى الله عن ذلك * عن ابن
عباس رضى الله عنهما انه قال اذا كان يوم القيامة اخرج اهل التوحيد من النار واول من يخرج من وافق اسمه
اسم نبى حتى اذا لم يبق فيها من يوافق اسمه اسم نبى قال الله عز وجل لباقيهم انتم المسلمون وانا السلام وانتم المؤمنون
وانا المؤمن فيخرجهم من النار ببركة هذين الاسمين كذا فى اللباب ﴿قوله مفيعل من الامن﴾ فيكون بمعنى
المؤمن اصله مؤيمن قلبت الهمزة هاء كما يقال فى ارقت هرقت ولما قلبت هاء ابقيت ولم تحذف مع ان همزة
الافعال تحذف من المضارع واسم الفاعل نحو يكرم ومكرم لان حذفها انما كان لاجتماع الهمزتين فى المضارع
للمتكلم وحمل الباقى عليه وبقلبها هاء انتفت علة حذفها فلم تحذف فبقيت وهذا مثل قولهم يهريق بفتح الهاء
فى مضارع هراق اصله اراق يريق فلما قلبت همزة الافعال هاء فى المضارع ابقيت على حالها ﴿قوله الذى جبر خلقه
على ما اراده﴾ اى اكرههم عليه وقهرهم قيل اللغة الشائعة فى هذا المعنى اجبره بهمزة الافعال وجبره على كذا
لغة تميم وكثير من الحجازيين ومن عدا هذين الفريقين جعلوا الجبار فعالا من اجبره على كذا اى قهره واستدلوا به
على مجيء صيغة المبالغة من المزيد على الثلاثى قال الفراء لم اسمع فعالا من افعل الا فى جبار ودراك فانهما من اجبر
وادرك ﴿قوله او جبر حالهم بمعنى اصلحه﴾ فان جبر بمعنى اصلح فهو تعالى يغنى الفقير ويجبر الكسير * وعن
ابن عباس قال الجبار بمعنى الملك العظيم وجبروت الله عظمته ومنه نخل جبار والعرب تسمى الملك بالجبار لكونه
عظيم الشان ﴿قوله الذى تكبر عن كل ما اوجب حاجة﴾ يعنى ان صيغة التفعل للتكلف باظهار مايحصل
باصله او باظهار الزيادة على ما كان منه ولما كان التكلف مستحيلا فى حقه تعالى جعل صيغة التكلف فى حقه
للدلالة على ان ماقام به من الفعل على اتم مايكون واكمله من غير ان يكون هناك تكلف واعمال حقيقة ومنه
مايقال ترحمت على ابراهيم بمعنى زدت الرحمة فى حقه ورحمته باحق مايتصور من الرحمة فهو تعالى متكبر بمعنى انه
البالغ فى الكبرياء اقصى المراتب ﴿قوله اذ لا يشاركه فى شيء من ذلك﴾ علة لتنزهه عن الشريك والمنوى
فى يشركه راجع الى ما الموصولة فى قوله مايشركون اى كيف يكون له شريك فى الالوهية والاله يجب ان يكون موصوفا
بما ذكر من الصفات وشيء مما سواه لا يشاركه فى شيء منها ويجوز ان تكون مامصدرية ﴿قوله الموجد لها
بريئا من التفاوت﴾ اى من العيب والخلل وحقيقة التفاوت عدم التناسب كأن بعض الشيء يفوت بعضا
ولايلائمه ومفهوم البارىء الجاعل لما يوجده بريئا من التفاوت فكان الايجاد معتبرا فى مفهومه فلذلك فسره
كثير من المفسرين بالموجد * قال الامام الخلق هو التقدير وهو تعالى خالق بمعنى انه يقدر افعاله على وجوه
مخصوصة فالخالقية راجعة الى صفة الارادة والبارىء بمنزلة قولنا صانع وموجد الا انه يستعمل فى اختراع
الاجسام دون الاعراض واما المصور فمعناه انه يخلق صورة الخلق على مايريده وقدم ذكر الخالق لان ترجيح
الارادة مقدم على تأثير القدرة وقدم البارىء على المصور لان ايجاد الذوات مقدم على ايجاد الصفات وقال الامام

(هو الله الذى لا اله الا هو عالم الغيب
والشهادة) ماغاب من الحس من الجواهر
القدسية واحوالها وماحضر له من الاجرام
واعراضها وتقدم الغيب لتقدمه فى الوجود
وتعلق العلم القديم به او المعدوم والموجود
او السر والعلانية (هو الرحمن الرحيم
هو الله الذى لا اله الا هو الملك القدوس)
البليغ فى النزاهة عما يوجب نقصانا وقرئ
بالفتح وهو لغة فيه (السلام) ذو السلامة
من كل نقص وآفة مصدر وصف به للمبالغة
(المؤمن) واهب الامن وقرئ بالفتح بمعنى
المؤمن به على حذف الجار (المهيمن) الرقيب
الحافظ لكل شيء مفيعل من الامن قلبت
همزته هاء (العزيز الجبار) الذى جبر خلقه
على ما اراده او جبر حالهم بمعنى اصلحه
(المتكبر) الذى تكبر عن كل ما اوجب حاجة
او نقصانا (سبحان الله عما يشركون) اذ لا
يشاركه فى شيء من ذلك (هو الله الخالق)
المقدر للاشياء على مقتضى حكمته (البارىء)
الموجد لها بريئا من التفاوت (المصور)
الموجد لصورها وكيفياتها كما اراد ومن
اراد الاطناب فى شرح هذه الاسماء
واخواتها فعليه بكتابى المسمى بمنتهى المنى
(له الاسماء الحسنى) لانها دالة على محاسن
المعانى (يسبح له ما فى السموات والارض)
لتنزهه عن النقائص كلها (وهو العزيز
الحكيم) الجامع للكمالات باسرها فانها
راجعة الى الكمال فى القدرة والعلم * عن
النبى عليه السلام من قرأ سورة الحشر
غفر الله له ماتقدم من ذنبه وماتأخر

فى المقصد الاقصى قد يظن ان هذه الاسماء يعنى الخالق البارئ المصور مترادفة وان الكل يرجع الى الخلق والاختراع ولا ينبغى ان تكون كذلك بل كل ما يخرج من العدم الى الوجود مفتقر الى التقدير اولا والى الايجاد على وفق التقدير ثانيا والى التصوير بعد الايجاد ثالثا فالله تعالى خالق من حيث انه مقدر وبارئ من حيث انه مخترع موجد ومصور من حيث انه مرتب صور المخترعات احسن ترتيب ❁ تم هنا ما يتعلق بسورة الحشر والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا دائما الى يوم الدين

﴿ سورة الممتحنة ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ قوله الممتحنة ﴾ بكسر الحاء الفتيرة اضيفت السورة الى الجماعة الممتحنة حيث انه ذكر فيها امر جماعة المؤمنين بالامتحان وان فتحت الحاء يكون المعنى سورة المهاجرة التى نزلت فيها آية الامتحان ﴿ قوله فان بها ظعينة ﴾ الظعينة المرأة مادامت فى الهودج واذا لم تكن فيه فهى المرأة والهودج شئ يحمل فيه النساء على ظهر البعير والعقيصة الضفيرة وقيل هى التى تتخذ من شعر المرأة مثل الرمانة واصل العقص اللى وادخال اطراف الشعر فى اصوله وسارة اسم تلك المرأة التى هى معتقة بنى المطلب ﴿ قوله ولا غششتك منذ نصحتك ﴾ النصح الخلوص وصفاء القلب والغش ضده يقال غشه يغشه اذا اظهر له خلاف ما اضمره فى قلبه ونصح رسول الله صلى الله عليه وسلم عبارة عن التصديق والاذعان لنبوته والانقياد لاوامره ونواهيه ولما اعتذر حاطب بما ذكره من العذر عذره النبى صلى الله عليه وسلم اى قبل عذره فقال اما انه قد صدقكم فقال عمر رضى الله عنه دعنى يا رسول الله اضرب عنق هذا المنافق فقال له انه شهد بدرا وما يدريك لعل الله تعالى اطلع على من شهد بدرا فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم ففاضت عينا عمر وقال الله ورسوله اعلم فنزلت اى لعل الله تعالى رضى عنهم بما فعلوا مع قلة عددهم وعددهم فغفر لهم جميع ما وجد منهم وما سيوجد من الذنوب لان ذلك قطب امر الدين واول نصرة المؤمنين روى ان حاطبا لما سمع نداء يا ايها الذين آمنوا غشى عليه من الفرح بخطاب الايمان ﴿ قوله او اخبار ﴾ عطف على قوله المودة فيكون مفعول تلقون محذوفا وتكون الباء سببية لا مزيدة اما اذا كانت المودة مفعولا به فانها قد تزاد فى المفعول به لتقوية التعدية ﴿ قوله والجملة حال ﴾ اى لا تتخذوا ملقين اليهم المودة او ملقين اليهم اسراره صلى الله عليه وسلم بسبب ما بينكم من المودة او صفة لاولياء اى اولياء تلقون اليهم انتم بالمودة اعترض على كونها حالا او صفة بانهم نهوا عن اتخاذهم اولياء مطلقا فى قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء وقوله لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء وقوله يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم والتقييد بالحال او بالوصف يوهم جواز اتخاذهم اولياء اذا انتفى الحال او الوصف بل الظاهر انها استئناف فلا محل لها من الاعراب كأنه لما قيل لا تتخذوا عدوى وعدوكم اولياء اتجه ان يقال كيف نتخذهم اولياء فقيل تلقون اليهم بالمودة واجيب بان قولك التقييد بالحال او الوصف يوهم جواز اتخاذهم اولياء اذا انتفى الحال او الوصف غير لازم لان عدم جوازه مطلقا لما علم من القواعد الشرعية تبين انه لا مفهوم للحال ولا للصفة هنا البتة ﴿ قوله جرت على غير من هى له ﴾ فان القاء المودة وان كان صفة لاولياء لفظا الا انه جار على المخاطبين قائم بهم من حيث المعنى ومثل هذه الصفة اذا عبر عنها بلفظ الفعل لا يجب ابراز ضمير الغير الذى جرت هى عليه من حيث المعنى بان يقال مثلا تلقون اليهم انتم بالمودة وانما يجب ابرازه فى الاسماء فانه اذا وقع بدل تلقون ملقين وجب ان يقال اولياء ملقين اليهم انتم بالمودة ❁ فان قيل كيف قيل لا تتخذوا عدوى وعدوكم اولياء والعداوة والصداقة لكونهما متنافيين لا يجتمعان فى محل واحد والنهى عن الجمع بينهما فرع عن امكان اجتماعهما ❁ قلنا انما يتنافيان عند اتحاد النسبة ولا اتحاد لها هنا لان الكفار اعداء المؤمنين من حيث انهم حاربوا الله ورسوله وتركوا طاعتهما ومحبتهما وقد احبهما المؤمنون واطاعوهما وكون الكفار اعداء المؤمنين من هذه الحيثية لا ينافى كونهم اولياء المؤمنين من حيثية اخرى كتظاهرتهم فى الامور الدنيوية والاغراض النفسانية فنهى الله تعالى عن ذلك ﴿ قوله حال من فاعل احد الفعلين ﴾ اى من ضمير لا تتخذوا او من ضمير تلقون اى لا تتخذوهم اولياء وهذه حالهم او تلقون اليهم مودتكم وهذه حالهم وقوله تعالى يخرجون حال من فاعل كفروا اى كفروا مخرجين الرسول واياكم من مكة عن ابن عباس قال كان حاطب ممن اخرج مع النبى صلى الله عليه وسلم او استئناف لبيان كفرهم وعتوهم

﴿ سورة الممتحنة وهى ثلاث ﴾
﴿ عشرة آية مدنية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم اولياء) نزلت فى حاطب بن ابى بلتعة فانه لما علم ان رسول الله عليه السلام يغزو اهل مكة كتب اليهم ان رسول الله عليه السلام يريدكم فخذوا حذركم وارسل مع سارة مولاة بنى المطلب فنزل جبرائيل فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا وعمارا وطلحة والزبير والمقداد وابا مرثد وقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب حاطب الى اهل مكة فخذوه منها وخلوها فان ابت فاضربوا عنقها فادركوها ثم جحدت فسل على رضى الله عنه السيف فاخرجته من عقيصتها فاستحضر رسول الله حاطبا وقال ما حملك عليه فقال ما كفرت منذ اسلمت ولا غششتك منذ نصحتك ولكنى كنت امرأ ملصقا فى قريش وليس لى فيهم من يحمى اهلى فاردت ان آخذ عندهم يدا وقد علمت ان كتابى لا يغنى عنهم شيأ فصدقه رسول الله وعذره (تلقون اليهم بالمودة) تفضون اليهم المودة بالمكاتبة والباء مزيدة او اخبار رسول الله بسبب المودة والجملة حال من فاعل لا تتخذوا او صفة لاولياء جرت على غير من هى له فلا حاجة فيها الى ابراز الضمير لانه مشروط فى الاسم دون الفعل (وقد كفروا بما جاءكم من الحق) حال من فاعل احد الفعلين (يخرجون الرسول واياكم) اى من مكة وهو حال من كفروا او استئناف لبيانه

كأنه قال لا يقول كيف كفروا فقيل يخرجون الرسول والمؤمنين من ديارهم * فان قيل لم لم يذكر ما اخرجوا منه قلنا لتناول الاخراج اخراجهم من ديارهم واموالهم وعشائرهم وما احبوه مما يتمتعون به ﴿ قوله تعالى ان تؤمنوا بالله ربكم ﴾ فى محل النصب على انه مفعول له لقوله يخرجون اى يخرجونكم لاجل ايمانكم او كراهة ايمانكم وقوله ان تؤمنوا خطاب للرسول والمؤمنين بطريق تغليبهم عليه وقوله بالله ربكم التفات من التكلم فى قوله عدوى الى الغيبة للدلالة على ما يوجب الايمان وهو الالوهية والربوبية ﴿ قوله علة للخروج ﴾ يعنى انتصاب جهادا وابتغاء على انهما مفعول لهما لخرجتم اى ان كنتم خرجتم لاجلى وطلب مرضاتى لاتتولوا اعدآئى فقد علق النهى من موالاة الكفار على خروجهم القيد بكونه للجهاد وابتغاء المرضات فيكون هذان الامران عمدتين للتعليق لما تقرر من ان التقييد هو مدار الفائدة ويعتمد عليه الحكم المقيد كأنه قيل لاتتولوا اعدآئى ان كنتم مجاهدين فى سبيلى وطالبين مرضاتى وان كان المعلق عليه صورة هو الخروج ﴿ قوله وجواب الشرط محذوف ﴾ لان نفس لاتتخذوا لا يصلح جوابا لان جواب الشرط لايتقدم عليه عند البصريين بل المتقدم دليل الجواب المحذوف ويحذف الجواب اعتمادا عليه والكوفيون يجيزون تقدمه عليه ﴿ قوله بدل من تلقون ﴾ فيكون معربا باعرابه ويشبه ان يكون من قبيل بدل الاشتمال لان القاء المودة والقاء اسراره عليه الصلاة والسلام اليهم بسبب المودة يكون سرا وجهرا فابدل منه تسرون لبيان انه باى نوع وقع الالقاء ويجوز ابدال الفعل من الفعل كما فى قوله تعالى ومن يفعل ذلك يلق اثاما يضاعف له العذاب وقول الشاعر

* متى تأتنا تلمم بنا فى ديارنا * تجد حطبا جزلا ونارا تأججا *

﴿ قوله او استئناف ﴾ اى انتم تسرون ولم يرد بالاستئناف كونه جوابا لسؤال مقدر بل اراد به كونه منقطع التعلق عما قبله لفظا وفسره بقوله اى طائل لكم فى اسرار المودة بناء على ان قوله تسرون اليهم بالمودة مسوق للانكار يعنى انه كلام منقطع التعلق عما قبله لفظا يتضمن الاستفهام الانكارى كأنه قيل اى نفع لكم فى الاسرار والحال انه لافرق بين الاسرار والاعلان بالنسبة الى وهما سيان فى علمى وانا مطلع رسولى على ماتسرون ﴿ اى منكم ﴾ على ان اعلم افعل تفضيل اى انا اعلم منكم بما تخفون وما تعلنون قيل هذا كله معاتبة لحاطب وهو يدل على فضله ونصاحته للرسول صلى الله عليه وسلم وصدقه فى ايمانه لان المعاتبة لاتكون الامن المحب لحبيبه كما قيل

* اذا ذهب العتاب فليس ود * ويبقى الود ما بقى العتاب *

ثم انه تعالى اخبر المؤمنين بعداوة اهل مكة لهم وشدة شكيمتهم فيها وانه لاينفعهم القاء المودة اليهم فقال ان يثقفوكم اى ان يظفروا بكم ﴿ قوله ويجيء ﴾ اى يجيء ودوا وحده يعنى انه معطوف على جواب الشرط وهو قوله يكونوا ويبسطوا وهو مضارع وكذا الشرط وهو يثقفوكم ولما كانت هذه الافعال الثلاثة مضارعة كان الظاهر ان يكون ودوا مضارعا ايضا ليكون الشرط والجزآء وما عطف عليه على سنن واحد الا انه جاء وحده بلفظ الماضى للاشعار بان ارتداد المؤمنين اهم الاشياء عندهم حتى كانوا يتمنونه قبل اظهار العداوة وبسط الايدى والالسن وقبل ان يثقفوكم ايضا وذلك لان العدو أهم شيء عنده ان يضيع اعز شيء عند من يعاديه وهم يعلمون ان الدين اعز عليكم من ارواحكم لانكم تبذلون انفسكم واموالكم دونه فهو اعز عليكم من الدنيا وما يتعلق بها فلما كان ارتداد المؤمنين اعز المطالب عندهم وكانوا يتمنونه قبل كل شيء جاء ودوا بلفظ الماضى للاشعار بذلك وبان ودادتهم حاصلة وان لم يثقفوهم ويجوز ان لايكون ودوا معطوفا على جواب الشرط بل يكون معطوفا على قوله وقد كفروا اى وقد كفروا واحبوا كفركم ثم انه تعالى اخبر ان القرابات والاولاد التى يوالون الكفار من اجلها ويحامون عنها لاتنفعهم فقال لن تنفعكم ارحامكم ولا اولادكم يوم القيامة على ان يكون الظرف متعلقا بقوله لن تنفعكم ثم يستأنف بقوله يفصل بينكم اى يقضى الله بينكم بالحق الا ان المفهوم من تحرير المصنف ان يكون الظرف متعلقا بقوله يفصل ويكون الفصل بمعنى التفريق بين الارحام بادخال المؤمن منهم الجنة والكافر النار وبان تفرقهم من بعض بسبب ما اعتراهم من الهول اى غشيهم ولما اعتذر حاطب فى افشائه سر رسول الله صلى الله عليه وسلم واظهاره موالاة الكفار بان له ارحاما واولادا فيما بينهم وليس لهم من يحميهن من قبلى فاردت ان اتخذ عندهم يدا الخ بين الله تعالى خطأه فى رأيه بان اخبره اولا ان من والاهم وتوقع حماية ارحامه واولاده منهم اعدآء

(ان تؤمنوا بالله ربكم) لان تؤمنوا به وفيه تغليب المخاطب والالتفات من التكلم الى الغيبة للدلالة على ما يوجب الايمان (ان كنتم خرجتم) عن اوطانكم (جهادا فى سبيلى وابتغاء مرضاتى) علة للخروج وعمدة للتعليق وجواب الشرط محذوف دل عليه لاتتخذوا (تسرون اليهم بالمودة) بدل من تلقون او استئناف معناه اى طائل لكم فى اسرار المودة او الاخبار بسبب المودة (وانا اعلم بما اخفيتم وما اعلنتم) اى منكم وقيل اعلم مضارع والباء مزيدة وما موصولة او مصدرية (ومن يفعله منكم) اى يفعل الاتخاذ (فقد ضل سوآء السبيل) اخطاءه (ان يثقفوكم) يظفروا بكم (يكونوا لكم اعداء) ولاينفعكم القاء المودة اليهم (ويبسطوا اليكم ايديهم وألسنتهم بالسوء) بما يسوءكم كالقتل والشتم (وودوا لو تكفرون) وتمنوا ارتدادكم ومجيئه وحده بلفظ الماضى للاشعار بانهم ودوا ذلك قبل كل شيء وان ودادتهم حاصلة وان لم يثقفوكم (لن تنفعكم ارحامكم) قراباتكم (ولا اولادكم) الذين توالون المشركين لاجلهم

فقال ان يثقفوكم الآية ثم اخبره ثانيا ان ارحامك واولادك الذين توالى الكفار لاجلهم سيفرون منك عن قريب فقال لن تنفعكم ارحامكم الآية ﴿قوله وقرأ حمزة والكسائى بالتشديد﴾ اى يفصل بضم الياء وفتح الفاء وكسر الصاد مشددة على بناء الفاعل من التفصيل وقرأ ابن عامر يفصل بضم الياء وفتح الفاء والصاد المشددة على بناء المفعول من التفصيل وقرأ عاصم يفصل بفتح الياء وسكون الفاء وكسر الصاد على بناء الفاعل من الثلاثى وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو يفصل بضم الياء وسكون الفاء وفتح الصاد مخففة على بناء المفعول من الفصل وهو التفريق وكذا التفصيل الا ان بناء التفعيل فيه للتكثير والتكرير والفاعل فيما بنى له هو الله تعالى والقائم مقامه فيما بنى للمفعول الظرف بعده وهو بينكم وبنى على الفتح لاضافته الى غير متمكن كقوله لقد تقطع بينكم فى احد الاوجه وهذه اربع قراآت للقراء السبعة وهناك قراآت اخر من الشواذ ثم قال تعالى والله بما تعملون من افشاء سره عليه السلام الى اهل مكة واتخاذهم اولياء ونحو ذلك بصير اى عالم ولم يقل خبير مع انه ابلغ من العليم بناء على ان الخبر بالضم هو العلم بالشئ مع طمأنينة القلب لان الخبير وان كان ابلغ من ذلك الوجه الا ان البصير فيه مبالغة من وجه آخر لدلالته على كون المعلوم فى انكشافه لعالمه بمنزلة المشاهد بحس البصر ثم انه تعالى لما نهى عن موالاة الكفار ذكر قصة ابراهيم عليه الصلاة والسلام وضربه مثلا لهم حين تبرأ من قومه ليتأسوا به فقال قد كانت لكم اسوة حسنة قرأ عاصم اسوة بضم الهمزة فى الموضعين من هذه السورة وفى سورة الاحزاب ايضا والباقون بكسرها وهما لغتان بمعنى القدوة نقل عن صاحب الكشاف انه قال القدوة والاسوة لكل واحد منهما معنيان احدهما الاقتداء والاتباع وهو الاصل والثانى المقتدى به والمؤتسى به الجوهرى ائتسى به اى اقتدى به واختار المصنف ان تكون الاسوة اسما لما يؤتسى به من الخصلة الحميدة والمراد به ههنا تبرؤه من اهل الشرك وما يعبدونه من الاصنام ﴿قوله صفة ثانية﴾ اى لاسوة فان اسوة اسم كان ولكم خبرها وفى ابراهيم صفة ثانية لاسوة او خبر كان ولكم لغو متعلق بعامل مقدر من الافعال الخاصة بناء على ان اللام فيه للبيان فلما قيل قد كانت اسوة حسنة فى ابراهيم كأنه قيل لمن تقول هذا الكلام فاجيب لكم اى اقول لكم ﴿قوله او حال﴾ عطف على قوله صفة ثانية وكذا قوله او صلة لها اى ويجوز ان يكون فى ابراهيم متعلقا بحسنة تعلق الظرف بعامله ولا يجوز ان يكون متعلقا باسوة لانها مصدر موصوف بحسنة ووصف المصدر اجنبى عنه ولا يجوز الفصل بينه وبين معموله باجنبى الا ان يقال انه ظرف وقد تقرر انه يغتفر فى الظرف ما لا يغتفر فى غيره فلا يبالى بالفصل بين المصدر ومعموله اذا كان ظرفا ﴿قوله ظرف لخبر كان﴾ وهو ما تعلق به لكم او فى ابراهيم ولا يجوز كونه ظرفا لاسوة لما ذكر آنفا ﴿قوله تعالى وحده﴾ مصدر فى موضع الحال اى واحدا منزها عن الشريك ﴿قوله استثناء من قوله اسوة حسنة﴾ فانه تعالى لما قال قد كانت فى اقوالهم وافعالهم اسوة تتأسون بهم فيها استثنى قوله لابيه لاستغفرن لك منها وبين انه لا اسوة لكم فيه كما قال تعالى ما كان للنبى والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولى قربى وكان استغفار ابراهيم قبل النهى او كان لموعدة وعدها اياه فظن ابراهيم عليه السلام انه قد انجزها فلما تبين انه مصر على الشرك تبرأ منه فلا يحل لكم ان تستغفروا للمشركين من بعد ما تبين لكم انهم اصحاب النار فلا يغفر لهم ابدا وقوله تعالى وما املك لك من الله من شئ من جملة قول ابراهيم لابيه الذى استثناه الله تعالى مما يؤتسى به من اقواله وافعاله فلما ورد ان يقال كيف يصح كونه من تمام قوله المستثنى وهو فى نفسه كلام حسن يحسن ان يؤتسى به غير حقيق بالاستثناء اشار الى دفعه بقوله ولا يلزم من استثناء المجموع استثناء جميع اجزائه يعنى ان ما ذكر انما يدل على عدم صحة كونه مقصودا بالاستثناء ومستثنى بانفراده واما اذا استثنى بمجموع مقالته وكان المقصود بالاستثناء من ذلك المجموع استثناء جميع اجزائه وقرن به ما بعده من كلام ابراهيم تحقيقا للوعد فكأنه قال لاستغفرن لك وما فى طاقتى الا هذا فهو مبذول لا محالة فلما كان هذا تابعا لما قبله ومترتبا عليه وهو من كلام ابراهيم ادخل فى المستثنى ولا يلزم من عدم صحته عدم صحة كون مجموع مقالته مستثنى لانه فى قوة ان يقال لاستغفرن لك وليس فى وسعى وطاقتى الا الاستغفار فهو مبذول لك فحكى الله تعالى هذا المجموع عنه عليه الصلاة والسلام واستثناه مما اثبت فيه من الاسوة والمقصود من الاستثناء من هذا المجموع هو وعد الاستغفار لابيه الكافر بقوله لاستغفرن لك ولما كان ما بعده مذكورا لتحقيق الوعد المذكور وبيانا لوجهه ادخل فى المستثنى ولا يلزم من استثناء المجموع استثناء جميع اجزائه

(يوم القيامة يفصل بينكم) يفرق بينكم بما عراكم من الهول فيفر بعضكم من بعض فما لكم ترفضون اليوم حق الله لمن يفر منكم غدا وقرأ حمزة والكسائى بالتشديد وكسر الصاد وفتح الفاء وقرأ ابن عامر وابو عمرو يفصل على البناء للمفعول مع التشديد هو بينكم وعاصم يفصل (والله بما تعملون بصير) فيجازيكم عليه (قد كانت لكم اسوة حسنة) قدوة اسم لما يؤتسى به (فى ابراهيم والذين معه) صفة ثانية او خبر كان ولكم لغو او حال من المستكن فى حسنة او صلة لها لا لاسوة لانها وصفت (اذ قالوا لقومهم) ظرف لخبر كان (انا برآء منكم) جمع برئ كظريف وظرفاء (ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم) اى بدينكم او بمعبودكم او بكم وبه فلا نعتد بشأنكم وآلهتكم (وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابدا حتى تؤمنوا بالله وحده) فتنقلب العداوة والبغضاء الفة ومحبة (الا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك) استثناء من قوله اسوة حسنة فان استغفاره لابيه الكافر ليس مما ينبغى ان تأتسوا به فانه كان قبل النهى او لموعدة وعدها اياه (وما املك لك من الله من شئ) من تمام قوله المستثنى ولا يلزم من استثناء المجموع استثناء جميع اجزائه

(ربنا عليك توكلنا واليك انبنا واليك المصير) متصل بما قبل الاستثناء او امر من الله للمؤمنين بان يقولوه تتميما لما وصاهم به من قطع العلائق بينهم وبين الكفار (ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا) بان تسلطهم علينا فيفتنونا بعذاب لا نحتمله (واغفر لنا) ما فرط (ربنا انك انت العزيز الحكيم) ومن كان كذلك كان حقيقا بان يجير المتوكل ويجيب الداعي (لقد كان لكم فيهم اسوة حسنة) تكرير لمزيد الحث على التأسي بابراهيم ولذلك صدّر بالقسم وابدل قوله (لمن كان يرجو الله واليوم الآخر) من لكم فانه يدل على انه لا ينبغي لمؤمن ان يترك التأسي بهم وان تركه مؤذن بسوء العقيدة ولذلك عقبه بقوله (ومن يتول فان الله هو الغني الحميد) فانه جدير بان يوعد به الكفرة (عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة) لما نزل لا تتخذوا عادى المؤمنون اقاربهم المشركين وتبرّأوا منهم فوعدهم الله بذلك وانجز اذ اسلم اكثرهم وصاروا لهم اولياء (والله قدير) على ذلك (والله غفور رحيم) لما فرط منكم في موالاتهم من قبل ولما بقي في قلوبكم من ميل الرحم (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم) اى لا ينهاكم عن مبرة هؤلاء لان قوله (ان تبروهم) بدل من الذين (وتقسطوا اليهم) تفضوا اليهم بالقسط اى العدل (ان الله يحب المقسطين) اى العادلين روى ان قتيلة بنت عبد العزى قدمت مشركة على بنتها اسماء بنت ابي بكر رضي الله عنه بهدايا فلم تقبلها ولم تأذن لها في الدخول فنزلت (انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين واخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم) كمشركي مكة فان بعضهم سعوا في اخراج المؤمنين وبعضهم اعانوا المخرجين (ان تولوهم) بدل من الذين بدل الاشتمال (ومن يتولهم فاولئك هم الظالمون) لوضعهم الولاية في غير موضعها (يا ايها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن) فاختبروهن بما يغلب على ظنكم موافقة قلوبهن لسانهن في الايمان (الله اعلم بايمانهن) فانه المطلع على ما في قلوبهن

مع ان قوله وما املك لك من الله من شيء يدل على انه لو ملك له ما هو اكثر من الاستغفار لفعل فكان ملحقا بما قبله وفي معناه فكان حقيقا بالاستثناء ﴿قوله متصل بما قبل الاستثناء﴾ اى هو داخل في جملة ما امر الله تعالى في ابراهيم ومن معه بما يؤتسى به من الاقوال والافعال الدالة على تخلقه بالاخلاق الحميدة المرضية كقولهم وما املك لك وفصل بينه وبين ما قبل الاستثناء بالاستثناء ﴿قوله او امر من الله﴾ اى ويجوز ان لا يكون من جملة مقالة ابراهيم عليه الصلاة والسلام بل يكون امرا من الله سبحانه للمؤمنين باضمار قولوا اى اظهروا لهم العداوة ولا يهولنكم كثرة عددهم وعددهم وقولوا ربنا عليك توكلنا الآية اى قولوا عليك اعتمدنا واليك رجعنا بالاعتراف من ذنوبنا واليك المرجع في الآخرة ﴿قوله بان تسلطهم علينا فيفتنونا بعذاب لا نحتمله﴾ فعلى هذا تكون الفتنة مصدرا بمعنى المفتون وعن الزجاج انه قال لا تظهرهم علينا فيظنوا انهم على حق فيفتنوا بذلك وعن مجاهد قال لا تعذبنا بايديهم ولا بعذاب من عندك فيقولوا لو كان هؤلاء على الحق لما اصابهم هذا ﴿قوله وابدل قوله لمن كان يرجو الله واليوم الآخر من لكم﴾ ليس من قبيل بدل الكل من الكل لما تقرر في النحو انه لا يبدل ظاهر من ضمير المتكلم او المخاطب بدل الكل من الكل فلا يقال في المسكين كان الامر ولا عليك الكريم المعوّل لئلا ينتقض المقصود بالنسبة من غيره في الدلالة على الذات المرادة مع اتحاد الذات والظاهر ان ما في الآية من قبيل بدل الاشتمال لان التابع لكونه اعم من المتبوع يشمله وغيره ﴿قوله تعالى لمن كان يرجو الله واليوم الآخر﴾ اى يخافه ويخاف عقابه في الآخرة او يرجو ثواب الله تعالى بالائتساء بهم فان الرجاء كما يكون بمعنى التوقع والامل يكون بمعنى الخوف ايضا قال تعالى ما لكم لا ترجون لله وقارا اى لا تخافون عظمة الله تعالى وقال الشاعر اذا لسعته النحل لم يرج لسعها اى لم يخف ولم يبال ﴿قوله فانه يدل على انه لا ينبغي لمؤمن ان يترك التأسي بهم﴾ تعليل انفهام مزيد الحث على التأسي بابراهيم من البدل ﴿قوله تعالى ومن يتول﴾ اى ومن يعرض عن الائتساء بالانبياء وسنة المؤمنين ويوال الكفار فان الله هو الغني عن خلقه وعن موالاتهم ونصرهم لاهل دينه اذ لم يخلقهم لحاجة اليهم بل هو ولي دينه وناصر حزبه والحميد المستحق للحمد في ذاته وفي جميع افعاله وهو وعيد بليغ لمن يتولى عن التأسي بهم اشار اليه المصنف بقوله فانه جدير بان يوعد به الكفرة ﴿قوله فوعدهم الله تعالى بذلك﴾ فان عسى من الله تعالى وعد ولا يخلف الله وعده وهو معنى قولهم عسى من الله واجبة ﴿قوله تعالى لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين﴾ اختلفوا في المراد من الذين لم يقاتلوكم فالاكثرون على انهم اهل العهد الذين عاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على ترك القتال والمظاهرة في العداوة وهم خزاعة كانوا عاهدوا الرسول على ان لا يقاتلوه ولا يخرجوه فامر الرسول عليه الصلاة والسلام بالبر والوفاء الى مدة اجلهم وقال مجاهد هم الذين آمنوا بمكة ولم يهاجروا وقيل هم النساء والصبيان وعن عبد الله بن الزبير انها نزلت في اسماء بنت ابي بكر رضي الله عنه وكان ابو بكر تزوج امها في الجاهلية ثم طلقها ثم قدمت مشركة على بنتها اسماء في المدة التي كانت فيها المصالحة بينه عليه الصلاة والسلام وبين كفار قريش الخ ﴿قوله بدل من الذين﴾ اى بدل اشتمال لان بينهم وبين البر ملابسة بغير الكلية والجزئية فالنهي عنه قصدا هو برهم بالقول وحسن المعاشرة والصلة بالمال لا انفسهم اذ انفسهم انما ذكرت توطئة للمقصود والقسط العدل اى المعاملة بما يعادل معاملتهم معكم فانهم اذا لم يخرجوكم من دياركم ولم يؤذوكم فهذا [illegible] فالعدل معهم ان تبروهم ايضا وبهذا استدل ابو حنيفة ومحمد رحمهما الله في دفع ما سوى الزكاة من الصدقات الى اهل الذمة واستثنى الزكاة من جملتها لحديث معاذ رضي الله عنه خذها من اغنيائهم وردها الى فقرائهم ﴿قوله فاختبروهن بما يغلب على ظنكم﴾ قيل انه كان من ارادت منهن اضرار زوجها قالت سأهاجر الى محمد صلى الله عليه وسلم فلذلك امر عليه السلام بامتحان من هاجرت اليه مظهرة للايمان واختلفوا في انه عليه الصلاة والسلام بأي شيء يمتحنهن فقال ابن عباس رضي الله عنهما كان يمتحنهن بان يستحلفهن بالله ما خرجت بغضا لزوجها ولا رغبة من ارض الى ارض ولا التماسا لدنيا ولا عشقا لرجل من المسلمين ولا لحدث احدثته وما خرجت الا رغبة في الاسلام وحبا لله ورسوله فاذا حلفت بالله الذي لا اله الا هو على ذلك اعطى النبي صلى الله عليه وسلم زوجها مهرها وما انفق عليها ولا يردها لقوله تعالى فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن الى الكفار وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال كان امتحانهن ان يشهدن ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فاذا شهدن به مع طيب النفس لا يرجعن الى الكفار وعن عائشة رضي

الله عنها انها قالت ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يمتحن الا بقوله تعالى يا ايها النبي اذا جاءك المؤمنات يبايعنك على ان لا يشركن بالله شيأ الآية اى بقبول هذه الشروط سماهن مؤمنات قبل الامتحان لمشارفتهن الايمان بالامتحان وقبول الشروط المذكورة وكانت المهاجرات اذا قدمن قعدن عنده عليه السلام فيقول عليه الصلاة والسلام لهن ابايعكن على ان لا تشركن بالله شيأ ويتلو عليهن الآية الخ فاذا اقررن بذلك قال قد بايعتكن فارتفعن قالت عائشة رضي الله عنها والله ما مست يده عليه الصلاة والسلام يد امرأة في المبايعة الا بقوله والآية التي في هذه السورة نزلت يوم الحديبية فانه عليه الصلاة والسلام صالح اهل مكة بالحديبية على ان من لحق بالكفار من المسلمين لم يردوه ومن لحق بالمسلمين منهم ردوه عليهم وكانت المصلحة فيه في ذلك الوقت فلما ختم كتاب الصلح جاءت سبيعة مسلمة فاقبل زوجها مسافر فقال اردد على امرأتي كما هو الشرط وهذه طينة الكتاب لم تجف بعد فنزلت فنسخ ذلك الحكم في حق النساء حيث الله تعالى فيهن ان لا يرددن اليهم وفي الرجال ان يردوا اليهم وذلك لضعف النساء عن الدفع عن انفسهن والعجز عن الصبر على الفتنة ثم انه تعالى نفى حل كل واحد من الزوجين للآخر اذا اسلمت المرأة والزوج كافر ثم الايمان قد ذكر في هذه الآية على ثلاثة اوجه الاول الايمان المدلول عليه بمجرد الاقرار باللسان والهجرة البتاء وهو قوله اذا جاءكم المؤمنات وصفهن بالايمان بناء على انهن اظهرن ذلك والثاني الايمان المدلول عليه بالامارات التي تفيد غلبة الظن بموافقة قلوبهن ألسنتهن وهو قوله تعالى فان علمتموهن مؤمنات اى فان غلب على ظنكم اخلاصهن في الايمان فان غلبة الظن حجة في الشرع قائمة مقام العلم والثالث الايمان الحقيق الذي هو طمأنينة القلب على الاعتقاد الحق وهو قوله الله اعلم بايمانهن وفائدة ايراد هذه الجملة مع ان مضمونها معلوم لا شبهة فيه بيان انه لا سبيل لنا الى الاحاطة بحقيقة الحال وليس في وسعنا الا الاكتفاء بالظن الغالب الذي يحصل بالامتحان ﴿ قوله والتكرير للمطابقة ﴾ اى بين الزوجين في ان كل واحد منهما لا يحل للآخر ونفي الحل من جانب وان كان مستلزما لنفيه من الجانبين لكن لم يكتف بالدلالة التزاما بل صرح بنفي الحل من الجانبين للمبالغة في ثبوت الحرمة اذا اسلمت المرأة والزوج كافر ﴿ قوله ترك مهورهن ﴾ لئلا يلحق الخسران بازواجهن من وجهين الزوجة وما دفع اليها من المال والحكم برد الصداق انما هو في نساء اهل العهد واما من لا عهد بينه وبين المسلمين فلا يرد عليهم شيء من المهر * قال الامام ابو الليث في تفسير قوله تعالى وآتوهم ما انفقوا يعني واعطوا ازواجهن الكفار ما انفقوا عليهن من المهر ثم نقل عن مقاتل انه قال يعني ان تزوجها احد من المسلمين يدفع المهر الى الزوج فان لم يتزوجها احد من المسلمين فليس لزوجها الكافر شيء واعلم انه تعالى علق رفع الجناح في تزوج هؤلاء المهاجرات بايتاء اجورهن فيجب ان يتقدم ايتاء الاجور على عقد النكاح حتى يحل النكاح ويرتفع الجناح ثم ان فسرت الاجور بالمهور التي تكون من جانب المسلمين يجب على المسلمين ان يسوقوا لهن مهورهن قبل العقد ليدفعنه الى ازواجهن من الكفار وان فسرت بالمهور التي انفقها ازواجهن الكفار فلا بد ان يدفعها المسلمون اليهن على سبيل القرض ليدفعنه الى ازواجهن الاول ثم يتزوجهن المسلمون على ما أدوا اليهن من الدين ليكون ما وجب عليهم بالعقد والدخول قصاصا عما وجب عليهن بالقرض وان دفع المسلمون اليهن مهور ازواجهن الاول بطريق الهبة وجب عليهن بعد العقد مهورهن هذا هو المفهوم من الكشاف والظاهر ان قوله تعالى فلا ترجعوهن الى الكفار نهي للائمة عن ردهن الى الكفار بعد ان علموهن مؤمنات ورجع تعدى ولا تعدى يقال رجع بنفسه رجوعا ورجعه غيره وكذا قوله وآتوهم ما انفقوا امر لهم بان يعطوا ازواجهن الكفرة ما دفعوا اليهن من المهور من بيت المال الذي لا يتعين له مصرف اذا طالب الزوج الكافر ردها فانه لما امتنع من ردها الى زوجها الكافر لحرمة الاسلام امر الامام برد المال وفاء للعهد بقدر الامكان واذا لم يطالبها زوجها الكافر او ماتت الزوجة المهاجرة قبل حضور الزوج لا يغرم الامام شيأ لعدم تحقق المنع من قبله وقوله تعالى ولا جناح عليكم ان تنكحوهن اى في ان تنكحوهن اذا آتيتموهن اجورهن المراد بالاجور فيه مهورهن الواجبة لهن على من يتزوجهن من المسلمين والمراد بايتائها الذي هو شرط انتفاء الجناح هو التزام الايتاء كما في قوله تعالى حتى يعطوا الجزية فان استحلال البضع بعقد النكاح لا ينفك عن لزوم ايتاء المال وان ما اعطى ازواجهن لا يقوم مقام المهر في نكاحهن واحتج ابو حنيفة رحمه الله تعالى بقوله ولا جناح عليكم ان تنكحوهن على ان احد الزوجين اذا خرج من دار الحرب مسلما او بذمة وبقي الآخر حربيا وقعت الفرقة بمجرد تباين الدارين ولا يرى

(فان علمتموهن مؤمنات) العلم الذي يمكنكم تحصيله وهو الظن الغالب بالحلف وظهور الامارات وانما سماه علما ايذانا بانه كالعلم في وجوب العمل به (فلا ترجعوهن الى الكفار) اى الى ازواجهن الكفرة لقوله (لاهن حل لهم ولاهم يحلون لهن) والتكرير للمطابقة والمبالغة او الاول لحصول الفرقة والثاني للمنع عن الاستئناف (وآتوهم ما انفقوا) ما دفعوا اليهن من المهور وذلك لان صلح الحديبية جرى على ان من جاءنا منكم رددناه فلما تعذر عليه ردهن لورود النهي عنه لزمه رد مهورهن اذ روى انه عليه الصلاة والسلام كان بعد بالحديبية اذ جاءته سبيعة بنت الحارث الاسلمية مسلمة فاقبل زوجها مسافر المخزومي طالبا لها فنزلت فاستحلفها رسول الله صلى الله عليه وسلم فحلفت فاعطى زوجها ما انفق وتزوجها عمر رضي الله عنه (ولا جناح عليكم ان تنكحوهن) فان الاسلام حال بينهن وبين ازواجهن الكفار (اذا آتيتموهن اجورهن) شرط ايتاء المهر في نكاحهن ايذانا بان ما اعطى ازواجهن لا يقوم مقام المهر

العدّة على المهاجرة ويجوز نكاحها بدون العدّة الا ان تكون حاملا وقال ابو يوسف ومحمد رحمهما الله تجب عليها العدّة ووجه احتجاج ابي حنيفة انه تعالى نفى الجناح من كل وجه في نكاحهنّ بعد ايتاء المهور ولم يقيد بمضيّ العدّة فلولا ان الفرقة تقع بمجرّد الوصول الى دار الاسلام لكان الجناح ثابتا في نكاحهنّ وعند الامام الشافعي رحمه الله لاتقع الفرقة بمجرّد تباين الدارين وانما تقع باسلامها او بالسبي وان سبيا معا اما الاوّل فلانّه تعالى حرّم المسلمة على الكافر واما الثاني فلأن السبي يقتضي صفاء الملك للسابي ولا تحقق صفاؤه مع بقاء النكاح بينها وبين زوجها فقول المصنف فان الاسلام حال بينهنّ وبين ازواجهنّ الكفار يشعر بان الحائل هو الاسلام دون الهجرة وتباين الدارين وذلك مبني على مذهبه ﴿قوله بما تعتصم به الكافرات من عقد وسبب﴾ يعني ان العصمة في الاصل وان كانت مصدرا بمعنى الحفظ والمنع الا ان المراد بها في هذه الآية مايكون سببا لاعتصامهنّ كما ان الفتنة في قوله تعالى ربنا لاتجعلنا فتنة للذين كفروا بمعنى سبب الافتتان والامساك والتمسك والتمسيك كلها بمعنى واحد وهو التعلق والمعنى ولاتعلقوا بعقد الكوافر ونكاحهنّ ولايكن بينكم وبينهنّ عصمة ولا علاقة زوجية بعد ما اسلمتم وهاجرتم من دار الكفر وبقيت ازواجكنّ فيها كافرات وهذا معنى قول المصنف والمراد نهي المؤمنين من المقام على نكاح المشركات عن ابن عباس رضي الله عنهما قال من كانت له امرأة كافرة بمكة فلا يعتدي بها من نسائه لان اختلاف الدارين قطع عصمتها عنه وقيل المراد بالكوافر المرتدّات اي اذا ارتدّت فلا تعلقوا بما كان بينكما من العقد فانه قد زال بارتدادها وانقطعت عصمتها منكم ولا وجه للتخصيص فان الكوافر تعم المشركات والمرتدّات بين الله تعالى بقوله ياايها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات الى قوله اذا آتيتموهنّ اجورهنّ حكم النساء اللاتي اسلمن وخرجن من دار الكفر وبين بقوله ولاتمسكوا بعصم الكوافر حكم اللاتي بقين في دار الكفر وما اسلمن ولا هاجرن بعد اسلام ازواجهنّ وهجرتهم او حكم اللاتي ارتددن على ماقيل ﴿قوله تعالى واسألوا ماانفقتم﴾ اي اذا ارتدّت امرأة احدكم ولحقت بدار الحرب فاسألوا مهرها ممن تزوّجها منهم وكذا يسأل كل حربي اسلمت امرأته وهاجرت الينا مهرها ممن تزوّجها منا وظاهر قوله تعالى وليسألوا يدل على ان الكفار مخاطبون بالاحكام الا ان المراد امر المؤمنين بالاداء بطريق اطلاق الملزوم وارادة اللازم كما في قوله تعالى وليجدوا فيكم غلظة ﴿قوله تعالى يحكم بينكم﴾ يحتمل ان يكون كلاما مستأنفا لامحل له كأنه قيل بين من يحكم الله تعالى فاجيب بان قيل يحكم بينكم وان يكون حالا من حكم الله والجملة اذا وقعت موقع الحال لابدّ ان تكون مشتملة على ضمير تربطه الجملة بذي الحال وذلك الضمير اما مستتر في يحكم عائد الى الحكم على جعل الحكم حاكما على المبالغة كما في جدّ جدّه او ضمير بارز محذوف تقديره به منصوب المحل على انه مفعول مطلق ليحكم والمستتر فيه عائد الى الحكم على جعل الحاكم الله بينكم * روى انه لما نزل قوله تعالى واسألوا ماانفقتم وليسألوا ماانفقوا ادّى المؤمنون مهور المهاجرات المؤمنات الى ازواجهنّ المشركين وأبى المشركون ان يؤدّوا شيأ من مهور الكوافر الى ازواجهنّ المسلمين اي قال المسلمون رضينا بما حكم الله وكتبوا الى المشركين قد حكم الله عز وجل بيننا بانه ان جاءتكم امرأة منا توجهوا الينا بصداقها وان جاءتنا امرأة منكم وجهنا اليكم بصداقها فكتبوا اما نحن فلانعلم لكم عندنا شيأ فان كان لنا عندكم شيء فوجهوا به وابوا الانقياد لحكم الله تعالى من اداء ماانفق المسلمون على زوجاتهم من المهر فانزل الله تعالى وان فاتكم شيء من ازواجكم الى الكفار وقال ابن زيد خرجت امرأة من المسلمين الى المشركين واتت امرأة من المشركين الى المسلمين فقال القوم هذه عقبتكم اي نوبتكم قد اتتكم فنزلت اي ان تفرّ واحدة من ازواجكم الى الكفار مرتدّة وسألتم منهم ان يؤدّوا المهر اليكم فأبوا فان هاجرت امرأة منهم اليكم مسلمة فآتوا من فرّت امرأته الى الكفار مرتدّة مثل مهرها من مهر مهاجرة جاءتكم ولا تؤتوه زوجها الكافر ليكون قصاصا جعل قوله تعالى فعاقبتم من العقبة بمعنى النوبة فان المعاقبة المناوبة يقال عاقب الرجل صاحبه في كذا اذا جاء فعل كل واحد منهما عقيب فعل الآخر واداء كل واحد من المسلمين والكفار لايلزم ان يعقب اداء الآخر لجواز ان يتوجه الاداء الى احد الفريقين مرارا متعددة من غير ان يلزم الفريق الآخر شيء وبالعكس فلا يتعاقبون اي لايتناوبون في الاداء الا انه شبه ماحكم به على الفريقين من اداء هؤلاء مهور نساء اولئك تارة واداء اولئك مهور نساء هؤلاء اخرى بامر يتعاقبون فيه فاطلق على الاداء المذكور اسم العقبة بمعنى التعاقب فيه ثم اشتق منه فعاقبتم على طريق الاستعارة التبعية ﴿قوله وقيل معناه﴾ اي معنى قوله تعالى وان فاتكم شيء الآية

(ولاتمسكوا بعصم الكوافر) بما تعتصم به الكافرات من عقد وسبب جمع عصمة والمراد نهي المؤمنين من المقام على نكاح المشركات وقرأ البصريان ولاتمسّكوا بالتشديد (واسألوا ماانفقتم) من مهور نسائكم اللاحقات بالكفار (وليسألوا ماانفقوا) من مهور ازواجهم المهاجرات (ذلكم حكم الله) يعني جميع ماذكر في الآية (يحكم بينكم) استئناف او حال من الحكم على حذف الضمير او جعل الحكم حاكما على المبالغة (والله عليم حكيم) يشرع ماتقتضيه حكمته (وان فاتكم) وان سبقكم وانفلت منكم (شيء من ازواجكم الى الكفار) احد من ازواجكم وقد قرئ به وايقاع شيء موقعه للتحقير والمبالغة في التعميم او شيء من مهورهنّ (فعاقبتم) فجاءت عقبتكم اي نوبتكم من اداء المهر شبه الحكم باداء هؤلاء مهور نساء اولئك تارة واداء اولئك مهور نساء هؤلاء اخرى بامر يتعاقبون فيه كما يتعاقب في الركوب وغيره (فآتوا الذين ذهبت ازواجهم مثل ماانفقوا) من مهر المهاجرة ولا تؤتوه زوجها الكافر روى انه لما نزلت الآية المتقدّمة ابى المشركون ان يؤدّوا مهر الكوافر فنزلت

انه ان انفلتت واحدة من ازواجكم الى الكفار وامتنعوا ان يغرموا مهرها فانبذوا اليهم عهدهم وقاتلوهم حتى اذا ظفرتم وغلبتم عليهم وغنمتم شيأً فاعطوا من انفلتت زوجته اليهم من تلك الغنيمة مثل ما انفق عليها ولعل وجه تفسير قوله تعالى فعاقبتم بان قال واصبتم من الكفار عقبى وهى الغنيمة اى فغنمتم معاقبة الكفار اى عقاب المسلمين اياهم بانواع العقوبات من الطعن بالرمح والضرب بالسيف والرمى بالسهم ونحو ذلك اذ المعاقبة سبب للاغتنام فاطلق اسم المعاقبة واريد المسبب مجازا مرسلا ﴿ قوله نزلت يوم الفتح ﴾ اى لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وجاءته النساء يبايعنه نزلت وشرط الله تعالى فى مبايعتهنّ ان يأخذ عليهنّ هذه الشرط حتى تقبل بيعتهنّ ولما نزلت صعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الصفا وعمر بن الخطاب رضى الله عنه اسفل منه وهند بنت عتبة متنقبة متنكرة مع النساء خوفا من ان يعرفها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم ابايعهنّ على ان لايشركن بالله شيأً فقالت هند انك لتأخذ علينا عهدا ما رأيناك اخذته على الرجال وكان عليه الصلاة والسلام قدبايع الرجال على الجهاد وعلى الاسلام فقط ثم قالت عبدنا الاصنام فما اغنت عنا ثم قال عليه الصلاة والسلام ولايسرقن فقالت هند ان اباسفيان رجل ممسك وانى اصبت من ماله هنات فلاادرى اتحل لى ام لا فقال ابوسفيان ما اصبت من شئ فيما مضى وفيما غبر فهولك حلال فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرفها فقال لها انك لهند بنت عتبة فقالت نعم فاعف عما سلف يانبى الله عفا الله عنك فقال عليه الصلاة والسلام خذى مايكفيك وولدك بالمعروف ثم قال ولايزنين فقالت هند أوتزنى الحرة فقال عمر لوكان قلب نساء العرب مثل هند مازنت امرأة منهنّ فقال عليه الصلاة والسلام ولايقتلن اولادهنّ اى بالوأد فقالت ربيناهم صغارا فقتلتموهم كبارا يوم بدر وكان ابنها حنظلة بن ابى سفيان قتل يوم بدر فضحك عمر رضى الله عنه حتى استلقى وتبسم النبى صلى الله عليه وسلم ثم قال عليه الصلاة والسلام ولايأتين ببهتان يفترينه بين ايديهنّ وارجلهنّ تلتقط المولود فتقول لزوجها هذا ولدى منك فالمراد بالبهتان الولد المبهوت به وليس المعنى على نهيهنّ عن ان يأتين بولد من الزنى فينسبنه الى ازواجهنّ لان ذلك قدنهى عنه بقوله ولايزنين وصف الولد الملتقط الذى تلحقه المرأة بزوجها بكونه مفترى بين يديها ورجليها لانها تقول هذا ولدى منك حملته فى بطنى الذى هو بين يدى ووضعته من فرجى الذى هو بين رجلىّ والبهتان فى الاصل مصدر يقال بهت زيد عمرا بهتا وبهتانا اى قال عليه مالم يفعله وزيد باهت وعمرو مبهوت والذى بهت به مبهوت به واذاقالت لزوجها هذا ولدى منك فقدبهتته به حيث قالت عليه مالم يفعله وجعله نفس البهتان ثم وصفه بكونه مفترى مبالغة فى وصفهنّ بالكذب فلما سمعت هند هذا قالت والله ان البهتان قبيح وماتأمرنا الا بالرشد ومكارم الاخلاق ثم قال عليه الصلاة والسلام ولايعصينك فى معروف فقالت والله ماجلسنا مجلسنا هذا وفى انفسنا ان نعصيك فى شئ فبايعهنّ عليه الصلاة والسلام بهذه الخصال الست فقبلنها ومامست يده عليه الصلاة والسلام يد امرأة قط الا امرأة تملكها غير انه بايعهنّ بالكلام عن اميمة بنت رقيقة انها بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى نسوة فقالت يارسول الله صافحنا فقال انى لااصافح النساء انما قولى لامرأة كقولى لمائة امرأة وما بايعهنّ الا بالكلام بهذه الآية وقيل بايعهنّ وعلى يده ثوب قطرى اى كتان غليظ وقيل امر عمر رضى الله عنه ان يبايعهنّ عنه ففعل وعلى يده ثوب ذكر الله تعالى فى صفة بيعتهنّ خصالا ستاهنّ اركان مانهى عنه فى الدين وكان يكثر تركها فى النساء وكانت حرمتها دائمة فى كل زمان وفى كل حال بخلاف اركان ماامر به من الصلاة والزكاة فانها منوطة باوقات مخصوصة وشرائط معينة فكان التنبيه على اشتراط مادام واستمر فى كل وقت اهم وآكد ثم انه قدم من هذه المنهيات ماهو الاقبح على ماهو أدنى منه فى القبح ثم وثم الى آخرها وكذا قدم ماهو اكثر وقوعا فيما بينهم وقوله تعالى يبايعنك فى موضع الحال من المؤمنات اى مبايعات وقوله يفترينه اما فى موضع الجرّ على انه صفة بهتان او فى موضع النصب على انه حال من فاعل يأتين وقوله بين ايديهنّ ظرف لمحذوف هو حال من الضمير المنصوب فى يفترينه اى يختلقنه مقدرا وجوده بين ايديهنّ على ان يكون المراد بالبهتان الولد المبهوت به كما ذهب اليه جمهور المفسرين ﴿ قوله فى حسنة تأمرهنّ بها ﴾ وهى تعم كل امر فيه رشدهنّ كالنهى عن النياحة والدعاء بالويل والثبور وتمزيق الثوب وحلق الشعر ونتفه وخمش الوجه وان تحدث المرأة الرجال الاذارحم محرم وان تخلو برجل غير محرم وان تسافر الامع ذى محرم ﴿ قوله تنبيه على انه لايجوز طاعة مخلوق فى معصية الخالق ﴾ ووجه التنبيه انه لم يقيده على معصيته عليه الصلاة والسلام مطلقا بل قيد النهى عنها بكونها فى المعروف فقيد كونها فى المعروف اشعر بان معصيته عليه الصلاة

وقيل معناه ان فاتكم فاصبتم من الكفار عقبى اى غنيمة فآتوا بدل الفائت من الغنيمة (واتقوا الله الذى انتم به مؤمنون) فان الايمان به يقتضى التقوى منه (ياايها النبى اذا جاءك المؤمنات يبايعنك على ان لايشركن بالله شيأ) نزلت يوم الفتح فانه عليه الصلاة والسلام لمافرغ من بيعة الرجال اخذ فى بيعة النساء (ولايسرقن ولايزنين ولايقتلن اولادهن) يريد وأد البنات (ولايأتين ببهتان يفترينه بين ايديهنّ وارجلهنّ ولايعصينك فى معروف) فى حسنة تأمرهنّ بها والتقييد بالمعروف مع ان الرسول لايأمر الا به تنبيه على انه لايجوز طاعة مخلوق فى معصية الخالق (فبايعهنّ) اذا بايعنك بضمان الثواب على الوفاء بهذه الاشياء (واستغفر لهنّ الله ان الله غفور رحيم

والسلام في المنكر غير منهى عنها مع العلم بانه عليه الصلاة والسلام لا يأمر بالمنكر ولم تجز طاعته في المنكر مع انه سيد الكائنات علم انه لاطاعة لمخلوق في معصية الخالق سميت المعاهدة مبايعة تشبيهالها بها فان الامة اذا التزموا قبول ما شرط عليهم من تكاليف الشارع طمعا في ثواب الرحمن وهربا من أليم عذابه وضمن عليه السلام ذلك بمقابلة وفائهم بالعهد المذكور صار كل واحد منهم كأنه باع ما عنده بما عند الآخر ﴿ قوله يعني عامة الكفار او اليهود ﴾ نهى الله المؤمنين في اول السورة عن موالاة المشركين الذين اخرجوا الرسول واياهم بسبب ايمانهم بالله ثم نهاهم في آخرها عن موالاة الكفرة مطلقا وعن موالاة اليهود خاصة وقوله تعالى غضب الله عليهم صفة لقوما وكذا قوله قد يئسوا وقوله من الآخرة متعلق بيئسوا اى يئسوا من البعث والحساب والجزاء لان المشركين لا يؤمنون بالآخرة واليهود وان كانوا يؤمنون بها الا انهم لما كذبوا خاتم النبيين حسدا وعنادا مع علمهم بانه رسول صادق يئسوا من ان يكون لهم في الآخرة ثواب الجنة ونعيمها وقوله من اصحاب القبور يحتمل ان يكون متعلقا بيئس الثاني فيكون الكفار من وضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على علية يأسهم فيكون المعنى لا تتولوا عامة الكفار الذين يئسوا من الآخرة يأسا مثل يأسهم من اصحاب القبور اى من ان يبعثوا ويحتمل ان يكون من لبيان الجنس لا لابتداء الغاية فيكون المعنى لا تتولوا اليهود الذين يئسوا من ثواب الآخرة كما يئس الكفار الذين هم اصحاب القبور من خير الآخرة وثوابها وذلك ان الكافر اذا وضع في قبره اتاه ملك مهيب يسأله من ربك وما دينك ومن رسولك فيقول لا ادري فيقول الملك ابعدك الله انظر الى منزلك من النار فينظر اليه فيدعو بالويل والثبور فيقول هذا لك ياعدو الله فيفتح له باب من الجنة فينظر اليه فيقول هذا لمن آمن بالله فلو كنت آمنت بربك لنزلت الجنة فيكون حسرة عليه وينقطع رجاؤه من خير الآخرة فذلك قوله تعالى للاحياء من الكفار يئسوا من الآخرة اى من خيرها كما يئس الاموات من الكفار من خيرها حين عاينوا منازلهم من النار * تمت سورة الممتحنة والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين

﴿ سورة الصف مدنية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم ﴾

﴿ قوله والاكثر حذف ألفها مع حرف الجر ﴾ اى حرف كان نحو لم وبم وفيم وعم فانما اعتنقا وصارا كلفظ واحد وضع للدلالة على المستفهم عنه وكثر استعمالهما معا اقتضى ذلك تخفيف اللفظ فحذفت لذلك الف ما الاستفهامية وليس المراد منها حقيقة الاستفهام لان الاستفهام من الله تعالى محال لانه تعالى عالم بجميع الاشياء بل المراد الانكار والتوبيخ على ان يقول الانسان من نفسه ما لا يفعله لانه ان اخبر انه فعل في الماضي او في الحال ولم يفعله كان كذبا وان وعد ان يفعل في المستقبل ولا يفعله كان خلفا وكلاهما مذموم منه وفيه دلالة على ان كل من ألزم نفسه عملا فيه قربة وطاعة لله تعالى يجب عليه الوفاء به نحو ان ينذر نذرا مطلقا كقوله لله عليّ صوم او صلاة او صدقة او مقيدا بشرط كقوله ان قدم غائبي او ان كفاني الله تعالى شر كذا فعليّ صدقة ﴿ قوله المقت اشد البغض ﴾ اشارة الى ان هذا النظم فيه مبالغة من وجوه اثار طريق التمييز وعدم الاقتصار على ان يجعل قولهم هذا بغضا كبيرا بل جعل اشد البغض والحشه ولم يقتصر ايضا على جعله اشد البغض مطلقا بل جعله اشد البغض عند الله تعالى فان ما كبر عنده مع انه يصغر عنده كل كبير يكون اكبر الكبائر ﴿ قوله ونصبه على التمييز للدلالة على ان قولهم هذا مقت خالص كبير عنده تعالى ﴾ يعني ان الكلام من قبيل طاب زيد نفسا من حيث ان كبر مسند الى قوله ان تقولوا ما لا تفعلون ومقتا تمييز رفع الابهام المستقر في نسبة المقت الى قولهم هذا محول من الفاعلية والاصل كبر مقت قولكم هذا حول الكلام عن هذا الاصل واسند الكبر الى ان تقولوا وجعل مقتا تمييزا رافعا للابهام عن الذات المقدرة في نسبة الكبر الى قولهم هذا فانه لا ابهام في مفهوم الكبر ولا في قولهم هذا بل الابهام في الذات التى اسند اليها الكبر حقيقة فان التقدير كبر شيء شيأ من نسبة الكبر الى قولهم هذا وقوله مقتا فسر ذلك الشيء ورفع الابهام عنه والحكمة في اختيار هذا الاسلوب الدلالة على ان قولهم هذا مقت خالص كبير ووجه الدلالة انه لو قيل كبر مقت ان تقولوا لم يفهم منه كون قولهم مقتا محضا وانما يفهم كونه ذا مقت عند الله تعالى لان الاضافة انما تدل على نوع من الملابسة بين المضاف والمضاف اليه لا على اتحادهما بالذات بخلاف ما اذا جعل المقت تمييزا عن ذات نشأت عن النسبة الى الفاعل فانه يدل على ان المنسوب اليه في الاصل

يا ايها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم) يعني عامة الكفار او اليهود اذ روى انها نزلت في بعض فقراء المسلمين كانوا يواصلون اليهود ليصيبوا من ثمارهم (قد يئسوا من الآخرة) لكفرهم بها او لعلمهم بانه لاحظ لهم فيها لعنادهم الرسول المنعوت في التوراة المؤيد بالآيات (كما يئس الكفار من اصحاب القبور) ان يبعثوا او يثابوا او ينالهم خير منهم وعلى الاول وضع الظاهر فيه موضع الضمير للدلالة على ان الكفر آيسهم * عن النبي عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة الممتحنة كان له المؤمنون والمؤمنات شفعاء يوم القيامة

﴿ سورة الصف مدنية وقيل مكية ﴾

﴿ وآيها اربع عشرة ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم) سبق تفسيره * (يا ايها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون) روى ان المسلمين قالوا لو علمنا احب الاعمال الى الله لبذلنا فيه اموالنا وانفسنا فانزل ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله فولوا يوم احد فنزلت ولم مركبة من لام الجر وما الاستفهامية والاكثر حذف الفها مع حرف الجر لكثرة استعمالهما معا واعتناقهما في الدلالة على المستفهم عنه (كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون) المقت اشد البغض ونصبه على التمييز للدلالة على ان قولهم هذا مقت خالص كبير عند من يحقر دونه كل عظيم مبالغة في المنع عنه

هو المقت الذى عبر عنه بقوله ان تقولوا ثم فسر ذلك القول بالمقت بناء على ادعاء ان ذلك القول هو نفس المقت للمبالغة فى تعلق المقت به وفى المنع عنه كما فى قولك رجل عدل وقوله مبالغة فى المنع عنه مفعول له لقوله ونصبه على التمييز لكن بعد تقييده بقوله لمدلالة ثم انه تعالى لما انكر على عدم ثبات المجاهدين فى موضع القتال يوم احد بعد مابين لهم انه احب الاعمال عند الله تعالى بين لهم ان مايحبه الله تعالى ورضاه هو ثبات المجاهدين كثبوت البناء المرصوص فقال ان الله يحب الذين يقاتلون الآية والمحبة لكونها كيفية انفعالية لاتسند اليه تعالى الا بتأويل وهو ان يراد بها الرضى عن الخلق او الثناء عليهم والمعنى انه تعالى يرضى عمن ثبت فى مكانه عند مجاهدة الكفار كثبوت البناء والتراص التضام والتلاصق عن سعيد بن جبير قال هذا تعليم من الله تعالى للمؤمنين كيف يكونون عند قتال عدوهم فلا يجوز الخروج من الصف الالحاجة تعرض للانسان اورسالة يرسله الامام او منفعة تظهر فى الانتقال من المقام كفرصة تنتهز ولاخلاف فيها وفى الخروج عن الصف للمبارزة خلاف فقيل انه لاباس فيه ارهابا للعدو وطلبا للشهادة وتحريضا على القتال وقيل لايبرز احد طلبا لذلك لان فيه رياء الا ان يطلب الكافر من يبارزه كما كان يوم بدر وفى غزوة خيبر ﴿ قوله حال من المستكن فى الحال الاولى ﴾ لان صفا بمعنى مصطفين فيه ضمير وقوله كأنهم بنيان حال منه على التداخل وهو ان تعمل الحال الاولى فى الثانية ويكون الحالان لشيئين مختلفين وترادف الحالين ان يكونا لشئ واحد والبنيان واحد كالبناء ولذلك وصف بقوله مرصوص ولم يقل مرصوصة ثم انه تعالى لما عير من لم يثبت فى موضع القتال بعدم الوفاء وحث المؤمنين على الثبات فيه وعلمهم بلسان الرسول كيف ينبغى ان يكونوا حال القتال ذكر بعده قصة موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام وانهما امرا قومهما باتباع دين الله تعالى وطاعة رسوله فيما دعاهم اليه وانهم زاغوا عن الحق واتبعوا اهواءهم فخذلهم الله تعالى ولم يوفقهم للاهتداء وقبول الحق جزاء على اختيارهم الباطل وعدم سعيهم فى اصابة الحق بالنظر فى الدلائل المنصوبة فقال واذ قال موسى لقومه الآية اى واذكر اذ قال او حين قال لهم ما قال كان كذا وكذا فيكون منصوبا بما دل عليه ما بعده كأنه قيل حين قال لهم زاغوا ﴿ قوله وقد تحقيق العلم ﴾ كأنه قيل تؤذوننى عالمين انى رسول الله اليكم علما يقينا لاشبهة فيه وطريق ايذائهم انهم نسبوا اليه الادرة وان قارون حمل امرأة على ان تدعى على موسى انه زنى بها وقولهم اجعل لنا الها كما لهم آلهة وقولهم اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون وقولهم انت قتلت هرون عليه الصلاة والسلام وغير ذلك والزيغ الميل يقال ازاغه عن الطريق اى اماله عنه والمعنى فلما عدلوا عن الحق امال الله قلوبهم عن قبوله جزاء على ما ارتكبوا من ايذائهم نبيهم ودل ذلك على انه تعالى خالق لافعال عباده كلها حسنها وقبيحها وانه تعالى يضل من علم منه اختيار الضلال ويهدى من علم منه اختيار الاهتداء ﴿ قوله لانه لانسب له فيهم ﴾ لان النسب المعتبر مايكون من قبل الاب ﴿ قوله لانه لغو ﴾ يعنى ان قوله اليكم متعلق برسول لانه بمعنى مرسل او ارسلت والظرف اللغو لايعمل لان حروف الجر لاتنصب بنفسها بل بما فيها من معنى الفعل فاذا كانت متعلقة بالمذكور قبلها لاتتضمن معنى الفعل فلا تعمل واحمد من جملة اسماء نبينا صلى الله عليه وسلم والظاهر انه منقول من الوصفية بناء على انه فى الاصل اسم تفضيل بمعنى احمد الحامدين لربه فان الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم كلهم حامدون لربهم ونبينا احمد اى اكثرهم حمدا وكذا محمد فانه منقول من الوصفية لكونه فى معنى محمود ولكن فيه معنى المبالغة والكثرة فانه محمود فى الدنيا بكونه سيد المرسلين وجامع فضائل الانبياء اجمعين كما قال

وانسب الى ذاته ماشئت من شرف	وانسب الى قدره ماشئت من عظم
فان فضل رسول الله ليس له	حد فيعرب عنه ناطق بفم

ومحمود فى الآخرة بما اختص به فيها من الشفاعة الكبرى والحوض المورود والمقام المحمود كما قال

هو الحبيب الذى ترجى شفاعته	لكل هول من الاهوال مقتحم

روى عنه عليه الصلاة والسلام انه قال « ان لى اسماء انا احمد وانا محمد وانا الماحى الذى يمحو الله بى الكفر وانا الحاشر الذى يحشر الناس على قدمى وانا العاقب الذى ليس بعدى نبى » رواه البخارى ﴿ قوله تعالى فلما جاءهم ﴾ اى لما جاءهم عيسى بالمعجزات من احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص ونحو ذلك من المعجزات الدالة على صدقه فى دعوى الرسالة « عن كعب ان الحواريين قالوا لعيسى يا روح الله هل بعدنا من امة قال نعم امة محمد حكماء علماء ابرار اتقياء

(ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا) مصطفين مصدر وصف به (كأنهم بنيان مرصوص) فى تراصهم من غير فرجة حال من المستكن فى الحال الاولى والرص اتصال بعض البناء بالبعض واستحكامه (واذ قال موسى لقومه) مقدر باذكر او كان كذا (يا قوم لم تؤذوننى) بالعصيان والرمى بالادرة (وقد تعلمون انى رسول الله اليكم) بما جئتكم من المعجزات والجملة حال مقررة للانكار فان العلم بنبوته يوجب تعظيمه ويمنع ايذاءه وقد لتحقيق العلم (فلما زاغوا) عن الحق (ازاغ الله قلوبهم) صرفها عن قبول الحق والميل الى الصواب (والله لايهدى القوم الفاسقين) هداية موصلة الى معرفة الحق اوالى الجنة (واذ قال عيسى بن مريم يا بنى اسرآئيل) ولعله لم يقل ياقوم كما قال موسى عليه السلام لانه لانسب له فيهم (انى رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة ومبشرا برسول يأتى من بعدى) فى حال تصديق لما تقدمنى من التوراة وتبشيرى برسول يأتى من بعدى والعامل فى الحالين مافى الرسول من معنى الارسال لا الجار لانه لغو اذهو صلة للرسول فلا يعمل (اسمه احمد) يعنى محمدا عليه السلام والمعنى دينى التصديق بكتب الله وانبيائه فذكر اول الكتب المشهورة الذى حكم به النبيون والنبى الذى هو خاتم المرسلين (فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين) الاشارة الى ماجاء به اواليه وتسميته سحرا للمبالغة ويؤيده قراءة حمزة والكسائى هذا ساحر على ان الاشارة الى عيسى عليه السلام

كما انهم من الفقد الجياء يرضون من الله باليسير والقليل من الرزق ويرضى الله عنهم باليسير من العمل ﴿قوله بمن يدعى الى الاسلام﴾ اى بمن يدعوه ربه الى الاسلام على لسان نبيه عليه الصلاة والسلام فيجعل مكان اجابته اليه افترآء الكذب على الله بتسمية نبيه ساحرا فان السحر كذب وتمويه فمن قال فى حقه انه ساحر فقد كذب ووصفه بانه كذاب وتكذيب من صدقه الله تعالى فى دعوى الرسالة باظهار المعجزات الباهرة على يده وتكذيب حقية رسالته نفى للثابت فيكون افترآء للكذب على الله وكذا تسمية المعجزات سحرا اثبات لما نفى عنه فقوله فانه يم اخ تعليل لتناول الافترآء للتكذيب والتسمية فان تكذيبه عليه الصلاة والسلام نفى للثابت وتسمية ماظهر على يده من الآيات والمعجزات سحرا اثبات للنفى وكلاهما افترآء عليه تعالى ﴿قوله وقرئ يدّعى﴾ اى بفتح الياء والدال المشددة وكسر العين على بناء الفاعل بمعنى يدعو فان فعل وافتعل قديكون بمعنى واحد نحو لمسه والتمسه فالضميران وهما قوله وهو والمستتر فى قوله يدّعى يرجعان الى الجلالة فهذه القرآءة من حيث المعنى كالقرآءة المشهورة وهى قرآءة يدعى بضم الياء وسكون الدال الخفيفة وفتح العين على بناء المفعول والضميران فى هذه القرآءة يرجعان الى من ﴿قوله واللام مزيدة﴾ اى فى مفعول الارادة فان اصله ان يطفئوا زيدت اللام مع فعل الارادة تأكيدا له فان اللام لما فيها من معنى الارادة تصلح مؤكدة لمضمون فعل الارادة فانك اذا قلت جئتك لاكرامك يفهم منه معنى الارادة كما ان اللام لما فيها من الدلالة على الاختصاص زيدت لتأكيد معنى الاضافة المقتضية للاختصاص فى نحو لا ابالك فان اصله لا اباك ﴿قوله او يريدون الافترآء ليطفئوا﴾ على ان اللام للعلة والمفعول محذوف وهو افترآء الكذب على الله تعالى والاطفاء الاخماد شبهت حالهم فى اخفاء نور الاسلام بمجرد القول بالفم بحال من ينفخ فى نور الشمس بفيه ليطفئه ﴿قوله مبلغ غايته بنشره﴾ اشارة الى جواب ما عسى ان يقال الاتمام لا يكون الا عند النقصان فامعنى نقصان نور الله الذى هو دينه او كتابه او حجته وتقريره حاشى نور الله تعالى عن النقصان فى ذاته بل المراد نقصان اثره الذى هو ظهوره فى الآفاق وعلوه على ظلمة الجهل الشائعة فى البلاد وكذا المراد بالاكمال فى قوله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم يريد به اظهاره ونشره بتكثير اهله بحيث يتمكنون من قهر اعدآء الدين وعن ابى هريرة ان ذلك يكون عند نزول عيسى عليه الصلاة والسلام من السماء وقيل سبب نزول هذه الآية انه عليه الصلاة والسلام ابطأ عليه الوحى اربعين يوما فقال كعب بن الاشرف يامعشر اليهود أبشروا فقد اطفأ الله تعالى نور محمد فما كان لينزل عليه وما كان ليتم امره فحزن عليه الصلاة والسلام لذلك فانزل الله سبحانه وتعالى هذه الآية واتصل الوحى بعده ﴿قوله وقرأ ابن كثير الخ﴾ مفهومه ان الباقين قرأوا بتنوين متم ونصب نوره فالاضافة تخفيف والتنوين هو الاصل والجملة فى محل النصب على الحالية من فاعل يريدون ولو فى قوله تعالى ولو كره الكافرون شرطية بمعنى ان وجوابها محذوف مدلول عليه بماقبلها اى وان كرهوا ذلك فان الله تعالى يتمه لامحالة وهذه الجملة حال من الحال المتقدمة وهى قوله تعالى والله متم نوره على طريق التداخل ولعل الحكمة فى ذكر لفظ الكافرين ههنا وذكر لفظ المشركين فيما بعده ان هذا المقام مقام ارغام الكافرين بنعمة الله تعالى فان اتمام النور ونشره فى الآفاق من النعم فلاجرم تكون كراهة ذلك غاية فى كفران النعمة مقتضية لتجهيلهم وارغامهم فاوثر لفظ الكافرين لكونه أليق بهذا المقام واماقوله ولو كره المشركون فانه قد ورد فى مقابلة اظهار الدين الحق الذى اوّل اركانه التوحيد والتبرئ من الشرك وكان كفار مكة انما يكرهون هذا الدين الحق من اجل توغلهم فى الشرك واصرارهم عليه فكان المناسب لهذا المقام اذلالهم وارغامهم باظهار مايكرهونه من الحق وليس المراد من اظهاره ان لايبقى فى العالم من يكفر به بل المراد ان يكون اهله غالبين على اهل سائر الاديان بالحجة والبرهان والسيف والسنان الى ان لايبقى دين آخر فى آخر الزمان لماروى انه اذا نزل عيسى عليه الصلاة والسلام لم يبق فى الارض دين سوى دين الاسلام ثم انه تعالى لماعير الصحابة الذين حضروا حرب احد بعدم الوفاء بعهدهم ثم علمهم ان العمل المرضىّ عند الله تعالى ان يقاتلوا فى سبيل الله تعالى مصطفين مشبهين بالبنيان المرصوص بين ان العمل المذكور هو التجارة الرابحة بين العبد ومولاه فقال ياايها الذين آمنوا هل ادلكم على تجارة الآية جعل الايمان والجهاد المذكورين تجارة تشبيها لهما بها فانهما عبارة عن مبادلة المال طمعا للربح ومن آمن وجاهد بماله ونفسه فقد بذل ماعنده وفى وسعه لنيل ماعند ربه من جزيل ثوابه والنجاة من أليم عقابه مع طمع الزيادة عليه بحكم

(ومن اظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى الى الاسلام) اى لا احد اظلم ممن يدعى الى الاسلام الظاهر حقيته المقتضى له خير الدارين فيضع موضع اجابته الافترآء على الله بتكذيب رسوله وتسمية آياته سحرا فانه يعم اثبات المنفى ونفى الثابت وقرئ يدّعى يقال دعاه وادعاه كلمسه والتمسه (والله لايهدى القوم الظالمين) لايرشدهم الى مافيه فلاحهم (يريدون ليطفئوا) اى يريدون ان يطفئوا واللام مزيدة لمافيها من معنى الارادة تأكيدا كما زيدت لما فيها من معنى الاضافة تأكيدا لها كما فى لا ابالك او يريدون الافترآء ليطفئوا (نور الله بافواههم) يعنى دينه او كتابه او حجته بطعنهم فيه (والله متم نوره) مبلغ غايته بنشره واعلائه وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائى وحفص بالاضافة (ولو كره الكافرون) ارغامالهم (هو الذى ارسل رسوله بالهدى) بالقرآن او المعجزة (ودين الحق) والملة الحنيفية (ليظهره على الدين كله) ليغلبه على جميع الاديان (ولو كره المشركون) لمافيه من محض التوحيد وابطال الشرك

قوله تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة ﴿قوله استئناف مبين للتجارة﴾ فان الاستفهام في قوله تعالى هل ادلكم عرض للدلالة على التجارة حثالهم وتشويقا الى طلبها واستعلام انها ماهي فكأنهم قالوا يا ربنا دلنا عليها حتى نفعلها و ننجو بسببها من العذاب الاليم فاجيبوا بان قيل تؤمنون بالله وفي التيسير لما نزل قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم لم ينزل بعد مابعده وكانوا في شوق الى معرفته ليعلوا به فبقوا على ذلك ستة عشر شهرا ثم نزل قوله تؤمنون بالله ورسوله فهو تفسير التجارة فلا محل له ويجوز ان يكون في محل الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف اى تلك التجارة تؤمنون والخبر لما كان نفس المبتدأ لم يحتج الى الرابط كخبر ضمير الشان وان يكون في محل النصب بتقدير اعني اى تؤمنون وعن الاخفش ان قوله تؤمنون عطف بيان التجارة على اصل الكلام ان تؤمنوا فلما حذف ان ارتفع الفعل كما في قوله *

الا ايهذا الزاجري احضر الوغى * اصله ان احضر فلما حذفت ان بطل عملها فارتفع الفعل لتجرده من العوامل اللفظية وكذا في الآية فكأنه قيل هل ادلكم على تجارة منجية ايمان وجهاد وهو معنى حسن لولا احتياجه الى التأويل ﴿قوله والمراد به الامر﴾ يعنى ان قوله تعالى تؤمنون في معنى آمنوا ولذلك جاء يغفر لكم مجزوما على انه جواب الامر وقيل انه مجزوم على انه جواب الاستفهام وهو هل ادلكم على تجارة على طريق قولك هل تأتيني اكرمك ورد عليه انه لو كان جواب الاستفهام لكان المعنى ان دللتكم على التجارة يغفر لكم ومن المعلوم ان مجرد دلالتهم لايوجب مغفرتهم فانها انما تترتب على الاجابة والامتثال والوجه في انفهام معنى الامر من لفظ الخبران الاستفهام عن الدلالة المتعلقة بالتجارة انما هو التشويق والاغراء على طلبها والاغراء على الشئ يستلزم ان يكون ذلك الشئ مطلوبا للمغرى فيفهم من الاستفهام كون التجارة مطلوبة للمستفهم ولما فسرت التجارة بالايمان والجهاد لزم ان يكونا مطلوبين للمستفهم مأمورا بهما من قبله فهذا وجه قوله والمراد به الامر الا انه عبر عن الامر بلفظ الخبر ايذانا بان المأمور به مما لايترك بل حقه ان يسارع اليه المكلف مع قطع النظر عن الايجاب والتكليف كما في نحو غفر الله ﴿قوله ان كنتم من اهل العلم﴾ نزله منزلة اللازم وجعل كونهم من اهل العلم شرطا لكون الايمان والجهاد خيرا لهم لان عمل الجاهل لايعتد به ولا يثاب هو عليه لان الاعمال بالنيات ﴿قوله او لشرط او استفهام دل عليه الكلام﴾ اى على كل واحد منهما فان ماقبله يدل على ان تقدير الكلام ان تؤمنوا وتجاهدوا يغفر لكم ويدل ايضا على ان تقدير الكلام هل تقبلون ان ادلكم يغفر لكم على معنى ان تقبلوا وتفعلوا مادللتكم عليه يغفر لكم ﴿قوله ولكم الى هذه النعمة المذكورة نعمة اخرى﴾ اشارة الى ان اخرى صفة لمحذوف وهو مبتدأ محذوف الخبر وهو لكم والموصوف المحذوف نحو قولك المثوبة او العدة او الخصلة او النعمة اى ولكم الى هذه المثوبة او الى هذه العدة مثوبة اخرى او عدة اخرى وقوله تحبونها صفة ثانية لذلك المحذوف ايضا ﴿قوله او تحبون﴾ اى او منصوبة باضمار تحبون الذى يفسره قوله تحبونها على انه من قبيل ما اضمر عامله على شريطة التفسير فلا يكون تحبونها حينئذ نعتا لاخرى لانه مفسر للعامل المضمر قبله ﴿قوله وهو على الاول﴾ اى قوله نصر على ان يكون قوله واخرى في موضع الرفع على الابتداء مرفوع على انه بدل من اخرى او عطف بيان له ويجوز ان يكون خبر مبتدأ محذوف اى هو نصر وتكون الجملة تفسيرا للنعمة الاخرى ولم يلتفت اليه المصنف لان التقدير لايصار اليه من غير ضرورة بخلاف ما اذا كانت اخرى منصوبة فانه لايحتاج الى تقدير المبتدأ ﴿قوله وقد قرئ بما عطف عليه بالنصب﴾ اى وقد قرئ نصرا من الله وفتحا قريبا بالنصب على البدل من اخرى المنصوبة بفعل مضمر كما مر اى يغفر لكم ويدخلكم جنات ويؤتكم نعمة اخرى ثم ابدل منها نصرا وفتحا قريبا او على الاختصاص اى بتقدير اعني او على انه مصدر فعل محذوف اى تنصرون نصرا او يفتح لكم فتحا قريبا ﴿قوله عطف على محذوف﴾ هو قل مقدر قبل يا ايها الذين آمنوا كما ذهب اليه صاحب المفتاح ﴿قوله او على تؤمنون﴾ فيه بحث وهو ان المصنف صرح بان تؤمنون استئناف مبين للتجارة التى امر بها المؤمنون معنى وهو صحيح لان ايمان المؤمنين وجهادهم يصلح بيانا وتفسيرا لتجارتهم فلو جعل قوله وبشر المؤمنين معطوفا على تؤمنون لكونه في معنى الامر لزم ان يكون بيانا لتجارة الذين آمنوا وهو بعيد لان المخاطب بقوله وبشر هو النبي صلى الله عليه وسلم وتبشيره عليه الصلاة والسلام كيف يصلح بيانا لتجارة المؤمنين الا ان يقال قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا يتناول النبي صلى الله عليه وسلم وامته لانه عليه الصلاة والسلام اول المؤمنين ايمانا واكملهم

(يا ايها الذين آمنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم) وقرأ ابن عامر تنجيكم بالتشديد (تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم) استئناف مبين للتجارة وهو الجمع بين الايمان والجهاد المؤدى الى كمال عزهم والمراد به الامر وانما جئ بلفظ الخبر ايذانا بان ذلك مما لايترك (ذلكم خير لكم) يعنى ماذكر من الايمان والجهاد (ان كنتم تعلمون) ان كنتم من اهل العلم اذ الجاهل لايعتد بفعله (يغفر لكم ذنوبكم) جواب للامر المدلول عليه بلفظ الخبر او الشرط او استفهام دل عليه الكلام تقديره ان تؤمنوا وتجاهدوا او هل تقبلون ان ادلكم يغفر لكم ويبعد جعله جوابا لهل ادلكم لان مجرد دلالته لايوجب المغفرة (ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الانهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم) الاشارة الى ماذكر من المغفرة وادخال الجنة (واخرى تحبونها) ولكم الى هذه النعمة المذكورة نعمة اخرى عاجلة محبوبة وفي تحبونها تعريض بانهم يؤثرون العاجل على الآجل وقيل اخرى منصوبة باضمار يعطكم او تحبون او مبتدأ خبره (نصر من الله) وهو على الاول بدل او بيان وعلى قول النصب خبر محذوف وقد قرئ بما عطف عليه بالنصب على البدل او الاختصاص او المصدر (وفتح قريب) عاجل (وبشر المؤمنين) عطف على محذوف مثل قل يا ايها الذين آمنوا وبشر او على تؤمنون فانه في معنى الامر كأنه قال آمنوا وجاهدوا ايها المؤمنون وبشرهم يا رسول الله بما وعدتهم عليهما عاجلا وآجلا

فلا خوطب الجميع بقوله يا ايها الذين آمنوا وقيل لهم هل ادلكم على تجارة الآية بين تجارة الامة بقوله تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله وبين تجارته عليه الصلاة والسلام بتبشير المؤمنين بما وعدهم الله بمقابلة تجارتهم المبينة بما ذكر ولا شك ان تبليغ الرسالة اربح التجارات وانفعها لان ما يترتب عليه من الثواب اجل واعظم مما يترتب على تجارة الامة فلما كان قوله وبشر صالحا لان يفسر به التجارة صح عطفه على قوله تؤمنون * فان قيل كيف يكون قوله تؤمنون بالله فى معنى الامر بالايمان وهو فى معنى الامر بتحصيل الحاصل لان المخاطبين بهذا الامر هم المخاطبون بقوله تعالى يا ايها الذين آمنوا * اجيب عنه بانه يمكن ان يكون المراد بالذين آمنوا المنافقين من حيث انهم آمنوا فى الظاهر ويمكن ايضا ان يكون المراد بهم اليهود والنصارى لانهم آمنوا بكتبهم ورسلهم كانه قيل يا ايها الذين آمنوا بالانبياء السابقة والكتب المتقدمة آمنوا بالله وبمحمد عليه الصلاة والسلام والظاهر ان يكون المراد من آمن من هذه الامة ويكون المأمور به فى حقهم الثبات على الايمان كان المأمور به فى قوله كونوا انصار الله الثبات على نصرة دين الله تعالى والمداومة عليها ﴿ قوله لان المعنى كونوا بعض انصار الله ﴾ وهذا المعنى يستفاد من تنكير انصار اذ المقصد الافراد والبعضية ولذلك قرأ نافع وابن كثير انصار الله بتنوين انصارا وباللام الجارة داخلة على لفظة الله وقرء الباقون باضافته الى لفظ الجلالة والرسم يحتمل القرآتين معا واللام يحتمل ان يكون مزيدة فى المفعول لتقوية العامل لكون العامل فرعا فى العمل اذ الاصل كونوا انصاراً لله وان تكون غير مزيدة فى المفعول ويكون الجار والمجرور نعتا لانصاراً والاول اظهر والقرآءة بالاضافة فرع القرآءة بالتنوين مخففة منها ويؤيد القرآءة بالاضافة الاجماع على الاضافة فى نحن انصار الله فانه لا يتصور جريان الخلاف هنا لكونه مرسوما بالالف وقيل فى الكلام اضمار اى قل لهم يا محمد كونوا انصار الله وقيل هو ابتدآء خطاب من الله تعالى اى كونوا انصاراً مثل كون الحواريين لدين الله انصارا ﴿ قوله ليطابق الخ ﴾ علة لتفسير الانصار بالجند وتضمين الكلام معنى التوجه فانه لو ابقى الانصار على اصل معناه وكان المعنى من ينصر دينى لما طابق جواب الحواريين سؤال عيسى عليه الصلاة والسلام لانه عليه الصلاة والسلام سأل عمن ينصره وهم اجابوا بانهم ينصرون الله ولو لم يعتبر معنى التوجه فى الكلام لزم ان يعدى فعل النصرة بالى وليس كذلك فلما جعل الانصار بمعنى الجند واعتبر معنى التوجه فى الكلام حصلت المطابقة بين السؤال والجواب لان الجند يتبع امير العسكر فى تحصيل مقصود السلطان وظهر وجه تعدية النصرة بالى وهو كونها متضمنة لمعنى التوجه فكان المنصور فى كل واحد من السؤال والجواب هو الله تعالى فكانه قيل من جندى متوجها الى الله تعالى واظهار دينه فاجاب الحواريون بقولهم نحن انصار الله متبعين اياك فتكون اضافة انصارى على خلاف اضافة انصار الله لان الاضافة فى انصارى معنوية حيث لم يضف اسم الفاعل الى معموله لان فاعل انصارى ضمير يرجع الى من ومفعوله دين الله والمعنى من الانصار الذين يختصون بى ويكونون معى فى نصرة الله تعالى واظهار دينه فالاضافة لمجرد الدلالة على اختصاص المضاف اليه بخلاف الاضافة فى انصار الله فانها لفظية من قبيل اضافة الناصر الى المنصور فتحصل المطابقة بين القولين لان محصول قول عيسى عليه الصلاة والسلام من ينصر دين الله مختصا بى وكائنا معى فاجابوه بانا نلتزم ذلك وننصر دينه ونعين رسوله ﴿ قوله والتشبيه باعتبار المعنى ﴾ فان ظاهر اللفظ يدل على تشبيه كونهم انصاراً لقول عيسى عليه الصلاة والسلام من انصارى الى الله لان اداة التشبيه دخلت على ما هو بمعنى المصدر وهو القول لان كلمة ما فى قوله كما قال مصدرية فلما لم يصح التشبيه باعتبار ظاهر اللفظ وجب المصير الى جانب المعنى وذلك اما بان يجعل الكلام خطابا من الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم بان يقدر قل قبل قوله يا ايها الذين آمنوا وتقدير الكلام قل لهم كما قال عيسى فالكاف منصوبة المحل على انها صفة مصدر محذوف اى قل لهم قولا مثل قول عيسى للحواريين واما بان يجعل الكلام ابتدآء خطابا من الله تعالى للمؤمنين فان المعنى حينئذ انصروا دين الله تعالى نصرا مثل نصر الحواريين عيسى بن مريم او كونوا انصار الله كونا مثل كون الحواريين انصار عيسى عليه الصلاة والسلام حين قال لهم من انصارى الى الله اى وقت قوله لهم من انصارى الى الله لان كما قال فى تأويل القول اقيم المصدر مقام الوقت كما فى آتيك خفوق النجم وصياح الديك ﴿ قوله والحواريون اصفياؤه ﴾ وخواصه وحوارى الرجل صفيه من الحور وهو البياض الخالص سموا حواريين لخلوص عن كل ما شان صفاء المحبة والاخلاص من العيوب روى انه تعالى قال لعيسى عليه الصلاة والسلام اذا دخلت القرية فأت النهر الذى عليه القصارون

(يا ايها الذين آمنوا كونوا انصار الله) وقرأ الحجازيان وابو عمرو بالتنوين واللام لان المعنى كونوا بعض انصار الله (كما قال عيسى بن مريم للحواريين من انصارى الى الله) اى من جندى متوجها الى نصرة الله ليطابق قوله (قال الحواريون نحن انصار الله) والاضافة الاولى اضافة احد المتشاركين الى الآخر لما بينهما من الاختصاص والثانية اضافة الفاعل الى المفعول والتشبيه باعتبار المعنى اذ المراد قل لهم كما قال عيسى او كونوا انصارا كما كان الحواريون حين قال لهم عيسى من انصارى الى الله والحواريون اصفياؤه وهم اول من آمن به من الحور وهو البياض وكانوا اثنى عشر رجلا

(فاسألهم)

فسألهم النصر فاتاهم عيسى عليه الصلاة و السلام وقال من انصارى الى الله فقالوا نحن ننصرك فصدقوه ونصروه ﴿ قوله وذلك ﴾ اى تأييد مؤمنيهم على كفارهم كان بعد مارفع عيسى عليه الصلاة و السلام فانه عليه الصلاة و السلام لما رفع الى السماء تفرق قومه اربع فرق فرقة قالوا كان الله فارتفع و فرقة قالوا كان ابن الله فرفعه اليه و فرقة قالوا كان ثالث ثلاثة و فرقة قالوا كان عبدالله و رسوله فرفعه اليه وهم المؤمنون واتبع كل فرقة منهم طائفة من الناس فاقتتلوا و ظهرت الكافرون على المؤمنين حتى بعث سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم وعلى جميع الانبياء فحينئذ ظهرت الفرقة المؤمنة على الكافرة و ذلك قوله تعالى فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين اى غالبين غالبين من قولك ظهرت على الحائط اذا علوت عليه و ظاهرين خبر اصبح بمعنى صار وقال زيد بن على فأصبحوا ظاهرين بالحجة والبرهان لانهم قالوا فيما روى ألستم تعلمون ان عيسى عليه السلام كان ينام و الله تعالى لاينام وانه كان يأكل ويشرب و الله تعالى منزه عن ذلك * تمت سورة الصف و الحمد لله رب العالمين

﴿ سورة الجمعة مدنية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر واعن ﴾

﴿ قوله تعالى الملك ﴾ صفة مشبهة دالة على الثبات اى الذى يملك كل شئ و لا يزول عنه ملكه ﴿ قوله لان اكثرهم لايكتبون ﴾ تعليل لتسمية العرب كلهم من كتب منهم ومن لم يكتب بالاميين يعنى لما كان اكثرهم اميا لايكتب و لايقرأ سمى الجميع اميا على التغليب لان الامى عبارة عمن لايقرأ وهم ليسوا باهل كتاب وقيل الاميون هم الذين لايكتبون و قريش كانت كذلك قيل بدت الكتابة بالطائف اخذوها من اهل الحيرة و اهل الحيرة من اهل الانبار والحيرة مدينة من بغداد و الامى منسوب الى امة العرب وقيل الى الام لان من بقى على ماخلق عليه لم يكتب و لم يقرأ كان منسوبا الى امه لبقائه كما ولدته امه واحتج اهل الكتاب بقوله تعالى بعث فى الاميين رسولا منهم على انه صلى الله عليه وسلم كان رسولا الى العرب خاصة لان الاميين هم العرب من بين الامم و هو ضعيف لان تخصيص الشئ بالذكر لايستلزم نفى ماعداه الا ترى الى قوله تعالى و لاتخطه بيمينك لانه لايلزم منه ان يخطه بشماله و لان تصديقه فى دعوى الرسالة يستلزم تصديقه فى جميع ماجاء به و من جملته قوله وما ارسلناك الا كافة للناس ﴿ قوله تعالى يتلو عليهم ﴾ هو و مابعده صفات لقوله رسولا و وجه الاستدلال و الامتنان بان بعث فيهم رسولا اميا موصوفا بما ذكر من الصفات كونه دليلا على كمال قدرته و حكمته و كونه لطفا عظيما للمكلفين من حيث كون ذلك برهانا قاطعا على صحة نبوته بحيث لو لم يكن له سواه عليه السلام معجزة لكفاه و فسر الحكمة بالشريعة و هى ماشرعه الله تعالى لعباده من الاحكام سواء ذكرت فى القرآن او لم تذكر و المعالم جمع معلم وهو مايستدل به على الطريق و المراد بها ههنا الدلائل التى يستدل بها على القواعد الدينية الاعتقادية و العملية و تحكم بها اى بتلك القواعد ﴿ قوله و ازاحة لما يتوهم ان الرسول تعلم ذلك من معلم ﴾ فان المبعوث فيهم اذا كانوا فى ضلال مبين قبل البعثة اضمحل توهم ان يتعلم الرسول ماجاء به من الحكمة النظرية و العملية من احد منهم ﴿ قوله و ان هى المخففة ﴾ اى من الثقيلة و اسمها ضمير الشأن المضمر و اللام فى قوله لفى ضلال هى الفارقة بين النافية و المخففة ﴿ قوله عطف على الاميين ﴾ و المعنى بعثه فى الاميين الذين كانوا فى زمان بعثه عليه الصلاة و السلام و فى آخرين منهم اى من الاميين وهم العرب و ما فى قوله لما يلحقوا زائدة لتأكيد اى لم يلحقوا بهم بعد ان لم يكونوا فى زمانهم و هو صفة لآخرين من بعد وصفه بقوله منهم و قوله و سيلحقون مبنى على ان فى لما توقعا و انتظارا لانه نفى لقولك قد لحق وقال الامام وصفت العرب بانه عليه الصلاة و السلام مبعوث فيهم و فى آخرين منهم مع انه عليه الصلاة و السلام مبعوث الى الناس كافة عربهم و عجمهم للاشارة الى شرف العرب كلهم الى قيام الساعة و من فى منهم للتبيين اذ لاوجه لجعلها للتبعيض و هو ظاهر انتهى ﴿ قوله او المنصوب فى يعلمهم ﴾ اى و يعلم آخرين منهم و على التقديرين المراد بالآخرين العرب لانهم وصفوا بقوله منهم اى من الاميين و عن ابن عباس و جماعة ان المراد بالآخرين غير العرب من العلوا آنفا اى طائفة كانت و وصفهم بكونهم من الاميين مبنى على انهم ان اسلموا صاروا منهم لان المسلمين كلهم امة واحدة و ان اختلفت اجناسهم و امامن لم يؤمن به عليه الصلاة و السلام و لم يدخل فى دينه فانه بمعزل عن الدخول فى قوله آخرين و ان كان عليه الصلاة و السلام مبعوثا اليهم بالدعوة لقوله تعالى فى الآية الاولى يزكيهم و يعلمهم الكتاب و الحكمة وغير المؤمنين ليسوا من جملة من يزكيهم و يعلمهم * روى انه عليه الصلاة و السلام قرأ قوله تعالى و آخرين منهم وعنده

(فآمنت طائفة من بنى اسرآئيل و كفرت طائفة) اى بعيسى (فايدنا الذين آمنوا على عدوهم) بالحجة او بالحرب و ذلك بعد رفع عيسى (فاصبحوا ظاهرين) فصاروا غالبين عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الصف كان عيسى مصليا عليه مستغفرا له مادام فى الدنيا وهو يوم القيامة رفيقه

﴿ سورة الجمعة مدنية وهى احدى عشرة آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يسبح لله مافى السموات و مافى الارض الملك القدوس العزيز الحكيم) و قد قرئ الصفات الاربع بالرفع على المدح (هو الذى بعث فى الاميين) اى فى العرب لان اكثرهم لايكتبون ولايقرأون (رسولا منهم) اى من جملتهم اميا مثلهم (يتلو عليهم آياته) مع كونه اميا مثلهم لم يعهد منه قرآءة ولاتعلم (و يزكيهم) من خبائث العقائد و الاعمال (و يعلمهم الكتاب و الحكمة) القرآن و الشريعة او معالم الدين من المنقول و المعقول ولو لم يكن له سواه معجزة لكفاه (و ان كانوا من قبل لفى ضلال مبين) من الشرك و خبث الجاهلية و هو بيان لشدة احتياجهم الى نبى يرشدهم و ازاحة لما يتوهم ان الرسول تعلم ذلك من معلم و ان هى المخففة و اللام تدل عليها (و آخرين منهم) عطف على الاميين او المنصوب فى يعلمهم و هم الذين جاؤا بعد الصحابة الى يوم الدين فان دعوته و تعليمه تعم الجميع (لما يلحقوا بهم) لم يلحقوا بهم بعد و سيلحقون

سلمان الفارسي فقيل يارسول الله من هؤلاء فوضع يده عليه الصلاة والسلام على سلمان ثم قال لوكان الايمان
عند الثريا لتناوله رجال من هؤلاء ﴿ قوله ذلك الفضل الذى امتاز به ﴾ اى امتاز به سيد البشر وهو كونه مبعوثا
لاهل عصره ومن جاء بعدهم الى يوم القيامة حال كونه تاليا عليهم كتاب الله ومزكيا ومعلما لهم الكتاب والحكمة
وهو امى ثم انه تعالى بعدما بين انه الذى بعث سيد المرسلين فى عصره من الاميين وفيمن سيلحق بهم الى يوم القيامة
شرع فى ذم اليهود بانهم قرأوا التوراة عالمون بما فيها وفيها آيات دالة على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ووجوب
الايمان به ولم يعملوا بها ولم ينتفعوا بما فيها بما نجيهم من شقاوة الدارين وشبههم بالحمار الذى يحمل اسفار العلم
والحكمة ولا ينتفع بها ووجه التشبيه حرمان الانتفاع بما هو ابلغ شئ فى الانتفاع به مع الكد والتعب
فى استصحابه ومن اوله فقال مثل الذين حملوا التوراة الآية والاسفار جمع سفر بكسر السين وهو الكتاب كثير
واشبار قال الفراء الاسفار الكتب العظام سميت اسفارا لانها تكشف ما فيها من المعانى اذا قرئت من قولهم
سفرت المرأة اذا كشفت عن وجهها والحمار لايدرى أسفر على ظهره ام زبل فكذلك اليهود وفى هذا التشبيه
تنبيه على انه ينبغى لمن حمل الكتاب ان يعلم معانيه ويعمل به لئلا يلحقه من الذم ما لحق اليهود ﴿ قوله ويحمل
حال ﴾ اى من الحمار اى كائنا حاملا اسفارا والعامل فيها مافى المثل من معنى الفعل وجاز ان يكون فى محل الجر
على انه صفة للحمار لان المعرف تعريف العهد الذهنى يعامل معاملة المنكر فيوصف بالجملة كما فى قوله
ولقد امر على اللئيم يسبنى ﴿ قوله اى مثل الذين كذبوا ﴾ يعنى ان قوله تعالى مثل القوم فاعل بئس لكونه مضافا
الى المعرف بلام الجنس وقوله الذين كذبوا هو المخصوص بالذم بتقدير المضاف اى بئس مثل القوم مثل الذين
كذبوا واحتيج الى تقدير المضاف لما تقرر من انه يجب فى باب نعم وبئس اتحاد الفاعل والمخصوص بالمدح او الذم
صدقا وذاتا ولا اتحاد ههنا بين مثل القوم وبين من عبر عنهم بالذين كذبوا الا بتقدير المضاف ﴿ قوله ويجوز
ان يكون الذين صفة للقوم ﴾ عطف على قوله الذين كذبوا من حيث المعنى فحينئذ يكون المخصوص بالذم محذوفا
والتقدير بئس مثل القوم المكذبين مثل هؤلاء والمراد بذم مثلهم ذم انفسهم لانك اذا ذممت الصفة فقد ذممت
الموصوف بها ﴿ قوله اذ كانوا يقولون نحن ابناء الله واحباؤه ﴾ ذكر ان اليهود كانوا يفتخرون على العرب
بقولهم نحن اهل الكتاب وانتم اميون لا كتاب لكم ونحن ابناء الله واحباؤه وانتم رعاة البهم ولنا السبت ولا سبت
لكم فرد الله عليهم طعنهم وافتخارهم على العرب بهذه الاشياء الثلاثة بعدما نزه نفسه عما لايليق بشأنه الاعلى
مثل ان يكون له الشركاء والابناء كما قالوا عزير ابن الله ونحن ابناؤه فقال يسبح لله مافى السموات ومافى الارض
وذب عن العرب ماقالوا لهم بقوله هو الذى بعث فى الاميين رسولا منهم وامر نبيه صلى الله عليه وسلم ان يجيب
عن افترائهم وافتخارهم بادعاء انهم اولياء الله واحباؤه من دون الاميين وغيرهم ممن ليس من بنى اسرائيل
بان يقول لهم ان كنتم تزعمون ذلك فادعوا الله ان يميتكم بان تقولوا اللهم امتنا وخلصنا من دار البلايا والآفات
واوصلنا الى ماعندك من الكرامات فان المراد تمنى الموت طلبه وسؤاله من الله تعالى بناء على ان اولياء الله تعالى
لهم عنده كرامة ومنزلة رفيعة لايصلون اليها الا بالموت فينبغى لهم ان يتمنوا ذلك ليصلوا اليها ثم انه تعالى بكتهم
بقوله ولايتمنونه ابدا بما قدمت ايديهم من تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم مع انهم وجدوا نعته وصحة نبوته
فى التوراة فلو تمنوه لماتوا من ساعتهم خالدين فى النار ابدا روى عنه عليه الصلاة والسلام انه قال والذى نفسى بيده
لو تمنوا الموت مابقى على ظهرها يهودى الا مات ﴿ قوله والفاء لتضمن الاسم معنى الشرط باعتبار الوصف ﴾
اى باعتبار تضمن صفته التى هى الاسم الموصول معنى الشرط فان الموصوف بالموصول فى حكم الموصول
فكما ان المبتدأ اذا كان اسما موصولا صلته فعل او ظرف جاز دخول الفاء فى خبره فكذا اذا كان موصوفا
بالموصول المذكور جاز ذلك ايضا لتضمنه معنى الشرط بواسطة تضمن صفته اياه كأنه قيل أن فررتم من الموت فانه
ملاقيكم ولما ورد ان يقال ان صح ماذكرتم من ان الموصوف بالموصول متضمن لمعنى الشرط لزم ان يكون الفرار
من الموت شرطا لملاقاته اياهم وان يتوقف عليه الملاقاة وليس كذلك فان الموت ملاقيهم فروا منه او لم يفروا اشار الى
جوابه بقوله وكان فرارهم منه يسرع لحوقه بهم وتقريره انه علق لحوق الموت بهم على فرارهم منه للمبالغة فى الدلالة
على انه لاينفعهم الفرار البتة ووجه المبالغة فيها ان الفرار عن الشئ سبب للفوات عنه عادة فلما جعل الفرار من
الموت سببا لملاقاته كان ذلك ابلغ دليل على انه لاينفع الفرار منه ولايتصور الفوات عنه ﴿ قوله وقد قرئ

(وهو العزيز) فى تمكينه من هذا الامر الخارق للعادة (الحكيم) فى اختياره وتعليمه (ذلك فضل الله) ذلك الفضل الذى امتاز به عن اقرانه فضله (يؤتيه من يشاء) تفضلا وعطية (والله ذو الفضل العظيم) الذى يستحقر دونه نعيم الدنيا ونعيم الآخرة او نعيمهما (مثل الذين حملوا التوراة) علموها وكلفوا العمل بها (ثم لم يحملوها) لم يعملوا ولم ينتفعوا بما فيها (كمثل الحمار يحمل اسفارا) كتبا من العلم يتعب فى حملها ولا ينتفع بها ويحمل حال والعامل فيه معنى المثل او صفة اذ ليس المراد من الحمار معينا (بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله) اى مثل الذين كذبوا وهم المكذبون بآيات الله الدالة على نبوة محمد عليه السلام ويجوز ان يكون الذين صفة للقوم والمخصوص بالذم محذوفا (والله لايهدى القوم الظالمين قل ياايها الذين هادوا) تهودوا (ان زعمتم انكم اولياء لله من دون الناس) اذ كانوا يقولون نحن ابناء الله واحباؤه (فتمنوا الموت) فتمنوا من الله ان يميتكم وينقلكم من دار البلية الى محل الكرامة (ان كنتم صادقين) فى زعمكم (ولا يتمنونه ابدا بما قدمت ايديهم) بسبب ماقدموا من الكفر والمعاصى (والله عليم بالظالمين) فيجازيهم على اعمالهم (قل ان الموت الذى تفرون منه) وتخافون ان تتمنوه بلسانكم مخافة ان يصيبكم فتؤخذوا باعمالكم (فانه ملاقيكم) لاحق بكم لاتفوتونه والفاء لتضمن الاسم معنى الشرط باعتبار الوصف وكان فرارهم منه يسرع لحوقه بهم وقد قرئ بغيرها

(بغيرها)

بغيرها ﴾ اى قرئ انه ملاقيكم بغير فاء اما على انه كلام مستأنف وخبر ان هو الموصول كأنه قيل ان الموت هو الشئ الذى تفرّون منه ثم استؤنف وقيل انه ملاقيكم واما على انه هو الخبر وحينئذ يكون الموصول نعتا للموت ثم انه تعالى ردّ طعنهم الثالث وهو قولهم لنا السبت ولا سبت لكم بقوله يا ايها الذين آمنوا اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة الآية فانه تعالى هدى المسلمين بهذه الآية الى ماهو سيد الايام وعيد المؤمنين والجمهور على ضم ميم الجمعة وقرئ باسكانها والضم هو الاصل والاسكان تخفيف وكلاهما مصدر بمعنى الاجتماع ﴿ قوله اى اذن لها ﴾ قالوا المراد به الاذان عند قعود الامام على المنبر للخطبة لانه لم يكن الاذان الا ذاك فى زمن النبىّ صلى الله عليه وسلم وابى بكر وعمر رضى الله عنهما ولما كثر المسلمون على خلافة عثمان رضى الله عنه احتيج الى زيادة الاعلام فامر ان زاد نداء على سطح الزوراء وهى داره واستحسنه الصحابة رضى الله عنهم اجمعين ﴿ قوله بيان لاذا ﴾ يعنى ان كلة من فى قوله تعالى من يوم الجمعة بيانية جئ بها تفسيرا لاذا وبيانا لها فقيل عليه انه يقتضى ان يكون اذا عبارة عن مجموع يوم الجمعة وليس كذلك بل هو عبارة عن وقت الاذان منه وجوابه ان ماлزم من تفسير وقت الاذان يوم الجمعة ان يكون يوم الجمعة ظرفا للاذان وهو لا يستلزم الا وقوع الاذان فى جزء منه لا محذور فيه روى عنه عليه الصلاة والسلام انه قال سميت الجمعة جمعة لان الله تعالى جمع فيها خلق آدم وقال خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه ادخل الجنة وفيه اهبط الى الارض وفيه تقوم الساعة وهو عند الله يوم المزيد وقيل سميت جمعة لان الله تعالى فرغ فيه من خلق الاشياء فاجتمع فيه جميع المخلوقات وقيل لاجتماع الناس للصلاة فيه وقيل اوّل من سمى الجمعة جمعة كعب بن لوى سماها بها لاجتماع قريش فيها اليه وكان يقال له قبل ذلك يوم العروبة وقيل اوّل من سماها جمعة الانصار وذلك انهم قالوا لليهود يوم يجتمعون فيه فى كل اسبوع وللنصارى كذلك فهلموا نجعل لنا يوما نجتمع فيه نذكر الله تعالى ونصلى فيه فاختاروا يوم العروبة لذلك واجتمعوا فيه الى اسعد بن زرارة فصلى بهم يومئذ ركعتين وذكرهم فسموه يوم الجمعة لاجتماعهم فيه وقيل ان يقدم النبى صلى الله عليه وسلم وقبل ان تنزل آية الجمعة ثم انزل الله تعالى آية الجمعة فهى اوّل جمعة كانت فى الاسلام واما اوّل جمعة جمعها النبى صلى الله عليه وسلم باصحابه فقال اهل السير قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مهاجرا حتى نزل بقباء يوم الاثنين لاثنتى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الاوّل حين امتدّ الضحاء ومن تلك السنة يعدّ التاريخ الاسلامى فاقام بها الى يوم الخميس واسس مسجدهم ثم خرج يوم الجمعة الى المدينة فادركته صلاة الجمعة فى دار بنى سالم بن عوف فى بطن واد لهم قد اتخذ القوم فى ذلك الموضع مسجدا فجمع بهم وخطب وهى اوّل خطبة جمعها بالمدينة وقال فيها الحمد لله واستعينه واستغفره واستهديه واومن به ولا اكفره واشهد ان محمدا عبده ورسوله ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله والنور والموعظة والحكمة على فترة من الرسل وقلة من العلم وضلالة من الناس وانقطاع من الزمان ودنوّ من الساعة وقرب من الاجل من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعص الله ورسوله فقد غوى وفرّط وضل ضلالا بعيدا اوصيكم بتقوى الله فان خير ما اوصى به المسلم المسلم ان يحضه على الآخرة وان يأمره بتقوى الله فمن يعمل به على وجل ومخافة من ربه كان عنوان صدق على ما يبغيه من الآخرة ومن يصلح الذى بينه وبين الله من امره كان ذخرا فيما بعد الموت حين يفتقر المرء الى ما قدم وما كان مما سوى ذلك يودّ لو ان بينه وبينه امدا بعيدا ويحذركم الله نفسه والله رؤف بالعباد وهو الذى صدق قوله وانجز وعده لا خلف لذلك فانه يقول ما يبدّل القول لدىّ وما انا بظلام للعبيد فاتقوا الله فى عاجل امركم وآجله فى السرّ والعلانية فانه من يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له اجرا ومن يتق الله فقد فاز فوزا عظيما وان تقوى الله توقى مقته وتوقى عقوبته وتوقى سخطه وان تقوى الله تبيض الوجه وترضى الرب وترفع الدرجة فخذوا بحظكم ولا تفرطوا فى جنب الله فقد علمكم فى كتابه ونهج لكم سبيله ليعلم الذين صدقوا ويعلم الكاذبين فاحسنوا كما احسن الله اليكم وعادوا اعداءه وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم وسماكم المسلمين ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حىّ عن بينة ولا حول ولا قوّة الا بالله فاكثروا ذكر الله تعالى واعملوا لما بعد الموت فانه من يصلح ما بينه وبين الله يكفه الله ما بينه وبين الناس ذلك بان الله تعالى يقضى على الناس ولا يقضون عليه ويملك من الناس ولا يملكون منه الله اكبر الله اكبر ولا حول ولا قوّة الا بالله العلى العظيم ؛ تمت الخطبة الكريمة والموعظة البليغة عنا اللهم ارزقنا بركتها والاتعاظ بها بقوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله اى الخطبة وفيه تعريض

ويجوز ان يكون الموصول خبرا والفاء عاطفة (ثم تردّون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون) بان يجازيكم عليه (يا ايها الذين آمنوا اذا نودى للصلاة) اى اذن لها (من يوم الجمعة) بيان لاذا وانما سمى جمعة لاجتماع الناس فيه للصلاة وكانت العرب تسميه العروبة وقيل سماه كعب بن لوى لاجتماع الناس فيه اليه واوّل جمعة جمعها رسول الله عليه الصلاة والسلام انه لما قدم المدينة نزل قباء واقام بها الى الجمعة ثم دخل المدينة وصلى الجمعة فى دار بنى سالم بن عوف (فاسعوا الى ذكر الله) فامضوا اليه مسرعين قصدا فان السعى دون العدو والذكر الخطبة وقيل الصلاة والامر بالسعى اليها يدل على وجوبها

اليهود بانهم ماوفقوا لما سعد به المؤمنون من اصابة ماهو سيد الايام وخير ماطلعت عليه الشمس من الايام ويوم المزيد الذى يزيد خيره وبركته للعالمين فيه وقد روى فى الحديث هذا يومهم الذى فرض عليهم فاختلفوا فيه فهدانا الله لما اختلفوا فيه من الحق باذنه فاليوم لنا وغدا لليهود وبعد غد للنصارى ولما اطلق الذكر على الخطبة ذهب ابو حنيفة رضى الله عنه الى ان الخطيب لو اقتصر على مقدار يسمى ذكر الله كقوله الحمد لله سبحان الله جاز وعن عثمان رضى الله عنه انه صعد المنبر فقال الحمد لله وارتج عليه فقال ان ابابكر وعمر كانا يعدان لهذا المقام مقالا وانكم الى امام فعال احوج منكم الى امام قوال وستأتيكم الخطب ثم نزل وكان ذلك بمحضر من الصحابة فلم ينكر عليه احد واما عندى الامام الشافعى وسائر الائمة رحمهم الله فلابد من خطبتين مشتملتين على خمسة اركان لفظة الحمد لله ثم الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم الواجبة عليهما ثم الوصية بتقوى الله ثم القرآة بشئ من القرآن آية او بعضها فى احداهما ثم الدعاء للمؤمنين فى الثانية واما الزوائد التى احدثوها فبدعة وقوله قصدا نصب على المصدر اى مسرعين اسراعا وسطا دون العدو والاسراع المفرط منهى عنه لقوله عليه الصلاة والسلام «اذا خرجت الى الجمعة فامش على هينتك» وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقرأ فامضوا الى ذكر الله كيلا يظن ان المراد من السعى الاسراع فى المشى وقرأ ابن مسعود كذلك ثم قال لو قرأت فاسعوا لسعيت حتى يسقط ردائى وليست هذه القرآة منهم قرآة القرآن المنزل بل هى تفسير منهم لمعناه وجاز قرآة القرآن بالتفسير فى موضع التفسير كما قال الفراء وغيره معنى السعى فى الآية المضى ثم قال السعى والمضى والذهاب واحد وعن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «اذا اقيمت الصلاة فلاتأتوها تسعون ولكن ائتوها وعليكم السكينة والوقار فما ادركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا» فلذلك قال الحسن اما والله ماهو بالسعى على الاقدام ولكن بالقلوب والنيات والخشوع والابتكار فانه سعى ومسارعة الى المغفرة وكانت الطرقات فى ايام السلف وقت السحر وبعد الفجر مغتصة اى مملوءة بالمبكرين الى الجمعة يمشون بالسرج وقيل اول بدعة احدثت فى الاسلام ترك البكور الى الجمعة

﴿ قوله واتركوا المعاملة ﴾ يعنى ان المراد الامر بترك كل مايشغل عن ذكر الله من شواغل الدنيا وانما خص البيع من بينها لان يوم الجمعة يوم يحضر الناس فيه من قراهم وبواديهم فاذا دنا وقت الصلاة اغتصت الاسواق بهم وتميل طباعهم الى التجارات فامروا بالاقبال على الجمعة وترك ماسواها وعامة العلماء على ان ذلك لايوجب فساد البيع بل كراهته لان البيع لم يحرم لعينه ولكن لما فيه من الذهول عن الواجب فاشبه الصلاة فى الارض المغصوبة والثوب المغصوب والوضوء بماء مغصوب وقال الامام مالك هو فاسد ﴿ قوله اطلاق لما حظر عليهم ﴾ اى اباحة لما حرم عليهم من المعاملة والاشتغال بامور الدنيا فان كل واحد من الانتشار فى الارض وطلب الرزق بالتجارة بعد الفراغ من صلاة الجمعة ليس بواجب بل هو امر مباح قال ابن عباس رضى الله عنه ان شئت فاخرج وان شئت فصل الى العصر وان شئت فاقعد ونظير هذه الآية قوله تعالى واذا حللتم فاصطادوا فانه اباحة لما حرم بقوله لاتقتلوا الصيد وانتم حرم ﴿ قوله واذكروه فى مجامع احوالكم ﴾ قال سعيد بن جبير الذكر طاعة الله تعالى فمن اطاع الله فقد ذكره ومن لم يطعه فليس بذاكر وان كان كثير التسبيح والذكر بهذا المعنى يتحقق فى جميع الاحوال قال الله تعالى لاتلهيهم تجارة ولابيع عن ذكر الله والذكر الذى امر بالسعى اليه اولا هو ذكر خاص لايجامع التجارة لان المراد منه الخطبة والصلاة امر الله تعالى به اولا ثم قال اذا فرغتم منه فلاتتركوا طاعة الله تعالى فى جميع ماتأتونه وتذرونه والذكر بهذا المعنى من قبيل ذكر السبب وارادة المسبب لان ذكر الله تعالى سبب لطاعته ﴿ قوله فخرج الناس اليهم ﴾ ذكر ابو داود ان السبب الذى رخصوا لانفسهم فى ترك سماع الخطبة وقد كان خليقا لفضلهم ان لايفعلوا ماروى عن مقاتل بن حبان انه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى صلاة الجمعة قبل الخطبة مثل مافى العيدين الى ان اتفق له عليه الصلاة والسلام انه صلى الجمعة بالناس على عادته ثم صعد المنبر فشرع فى الخطبة وهو قائم اذ دخل المدينة رجل يقال له دحية بن خليفة الكلبى قدم بتجارته من الشام وكان بالمدينة مجاعة وغلاء سعر وكان معه جميع مايحتاج اليه من بر ودقيق وغيرهما وكان دحية اذا قدم من السفر تلقاه اهله بالطبل والدفوف فلما علم الناس قدومه خرجوا اليه ولم يظنوا ان فى ترك سماع الخطبة شيأ فانزل الله تعالى واذا رأوا تجارة اولهوا انفضوا اليها اى تفرقوا عنك خارجين اليها فقدم النبى صلى الله عليه وسلم الخطبة على صلاة الجمعة بعد ذلك قيل كانت هذه الواقعة قبل ان يسلم دحية ﴿ قوله وافراد التجارة برد الكناية ﴾ يعنى انه اعيد الضمير على التجارة دون اللهو مع

(وذروا البيع) واتركوا المعاملة (ذلكم خير لكم) اى السعى الى ذكر الله خير لكم من المعاملة فان نفع الآخرة خير وابقى (ان كنتم تعلمون) الخير والشر الحقيقيين او ان كنتم من اهل العلم (فاذا قضيت الصلاة) اديت وفرغ منها (فانتشروا فى الارض وابتغوا من فضل الله) اطلاق لما حظر عليهم واحتج به من جعل الامر بعد الحظر للاباحة وفى الحديث وابتغوا من فضل الله ليس بطلب الدنيا وانما هو عيادة وحضور جنازة وزيارة اخ فى الله (واذكروا الله كثيرا) واذكروه فى مجامع احوالكم ولاتخصوا ذكره بالصلاة (لعلكم تفلحون) بخير الدارين (واذا رأوا تجارة اولهوا انفضوا اليها) روى انه عليه الصلاة والسلام كان يخطب للجمعة فمرت عير تحمل الطعام فخرج الناس اليهم الا اثنى عشر فنزلت وافراد التجارة برد الكناية لانها المقصودة فان المراد من اللهو الطبل الذى كانوا يستقبلون به العير

تقدم ذكرهما معاً لكونها اصلا مقصودا فى نفسها و اللهو كان متفرعا عليها وليس اللهو مقصودا كالتجارة فتأمل قوله وافراد التجارة يشعر كونه جوابا لما يقال كيف قال اليها ولم يقل اليهما وقد ذكر شيئين ولا اتجاه لهذا السؤال لان العطف بأو لا يثنى معه الضمير ولا الخبر ولا الحال ولا الوصف لانها لاحد الشيئين فلذلك اوّل قوله تعالى إن يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما ومن اورده مع عدم اتجاهه فحقه ان يجاب بان العطف بأو لا يثنى معه الضمير وان ماد السائل وقال لم عينت التجارة بارجاع الضمير اليها وقد ذكر احد شيئين من غير تعيين فالمناسب ان يذكر مارجع الى احدهما من غير تعيين كذلك يجاب بان تعيين التجارة برد الكناية لانها المقصودة ﴿ قوله او لدلالة ﴾ عطف على قوله لانها المقصودة وقيل الكلام مبنى على الحذف و التقدير و المراد اذا رأوا تجارة انفضوا اليها او لهوا انفضوا اليه فحذف الثانى اختصاراً لدلالة الاوّل عليه ﴿ قوله فتوكلوا عليه واطلبوا الرزق منه ﴾ روى عن بعض السلف انه كان اذا صلى الجمعة انصرف فوقف على باب المسجد وقال اللهم انى اجبت دعوتك فصليت فريضتك و انتشرت كما امرتنى فارزقنى من فضلك وانت خير الرازقين عن ابى هريرة رضى الله عنه قال خرجت الى الطور فرأيت كعب الاحبار فحدثته عن رسول الله صلى الله عليه و على آله و سلم وكان فيما حدثته ان قلت له انه عليه الصلاة و السلام قال «فى يوم الجمعة ساعة لا يصادفها عبد مسلم و هو يصلى يسأل الله شيأ الا اعطاه» قال كعب ذلك فى كل سنة يوم فقلت بل فى كل جمعة قال فقرأ كعب التوراة فقال صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابو هريرة ثم لقيت عبدالله بن سلام فحدثته بمجلسى مع كعب الاحبار و ماحدثته فى يوم الجمعة فقال عبد الله بن سلام قد علمت اى ساعة هى هى آخر ساعة فى يوم الجمعة فقلت كيف تكون هى آخر ساعة فى يوم الجمعة وقد قال عليه الصلاة والسلام «لا يصادفها عبد مسلم وهو يصلى» وتلك الساعة لا يصلى فيها فقال عبدالله بن سلام الم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم «من جلس مجلسا ينتظر الصلاة فهو فى صلاة حتى يصليها» قال ابو هريرة بلى قال فهو ذاك تمت سورة الجمعة والحمد لله رب العالمين وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿ سورة المنافقين مدنية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر وأعن ﴾

﴿ قوله الشهادة اخبار عن علم ﴾ اى عن علم يقينى لكون مستندها علما شهوديا ضروريا من جملة المشاهدات فقول من قال اشهد ان زيدا قائم فى قوة قوله اعلم علما يقينيا انه قائم و اخبر بذلك عن علم يقينى فلما كان صدق الخبر عند الجمهور عبارة عن مطابقة حكمه للواقع وكذبه عن عدم مطابقته له كان المشهود به وهو مضمون قولهم انك لرسول الله صادقا لمطابقة حكمه للواقع فلذلك صدقه الله تعالى حيث قال والله يعلم انك لرسوله وكذبهم فى تسميتهم ذلك الاخبار شهادة لان قولهم نشهد انك لرسول الله معناه نخبر به عن العلم بمضمونه وهو مواطأة القلب اللسان فى الاخبار وليس لهم علم بما شهدوا به اعتقاد بل يعتقدون خلاف ما اخبروا عنه فكانوا كاذبين فى قولهم نشهد وفى تسميتهم هذا الاخبار شهادة مجاز لان الشهادة كما تطلق على الحق تطلق على الزور مجازا كاطلاق البيع على الفاسد ولما كان ظاهر الآية دليلا على ماذهب اليه النظام من ان صدق الخبر مطابقة حكمه لاعتقاد المخبر وكذبه عدم مطابقته لاعتقاد المخبر من حيث انه تعالى حكم بان المنافقين كاذبون فى قولهم انك لرسول الله مع ان حكمه مطابق للواقع لانه تعالى انما كذبهم لاخبارهم بما يخالف اعتقادهم فقد ثبت ان الكذب باعتبار عدم مطابقة الحكم للاعتقاد كما ان الصدق باعتبار مطابقة الحكم للاعتقاد اشار المصنف الى الجواب عن استدلاله ببيان ان التكذيب راجع الى قولهم نشهد باعتبار تضمنه خبرا كاذبا وهو ان اخبارهم بانك رسول الله شهادة بمعنى كونه اخبارا عن علم يقينى ومن المعلوم ان هذا الخبر الضمنى كاذب لعدم مطابقة حكمه للواقع لكونه اخبارا بما ليس فى قلوبهم لان فى قلوبهم الخبيثة اعتقاد انك رسول الله غير مطابق للواقع والله يعلم انك لرسوله * فان قلت اى فائدة فى انه جيئ بقوله والله يعلم انك لرسوله جملة معترضة بين قوله نشهد انك لرسول الله وبين قوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون * قلنا جيئ بها لفائدة وهى انه لو قيل قالوا نشهد انك لرسول الله والله يشهد انهم لكاذبون لكان يوهم ان قولهم هذا كذب فوسط بينهما قوله تعالى والله يعلم انك لرسوله ليزول هذا الوهم ﴿ قوله اتخذوا ايمانهم حلفهم الكاذب ﴾ مثل حلفهم بالله انهم لمنكم والحال انهم ماهم من المسلمين فانهم كلما اطلع منهم على شيء من النفاق كانوا يحلفون انهم برآء منه كما قال تعالى خبرا عنهم يحلفون لكم لترضوا عنهم يحلفون بالله

والترديد لدلالة على ان منهم من انفض بمجرد سماع الطبل ورؤيته او لدلالة على ان الانفضاض الى التجارة مع الحاجة اليها والانتفاع بها اذا كان مذموما كان الانفضاض الى اللهو اولى بذلك وقيل تقديره واذا رأوا تجارة انفضوا اليها واذا رأوا لهواً انفضوا اليه (وتركوك قائما) اى على المنبر (قل ما عند الله) من الثواب (خير من اللهو ومن التجارة) فان ذلك محقق مخلد بخلاف ماتوهمون من نفعهما (والله خير الرازقين) فتوكلوا عليه واطلبوا الرزق منه * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الجمعة اعطى من الاجر عشر حسنات بعدد من يأتى الجمعة ومن لم يأتها فى امصار المسلمين

﴿ سورة المنافقين مدنية وهى احدى عشرة آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله) الشهادة اخبار عن علم من الشهود وهو الحضور و الاطلاع ولذلك صدق المشهود به وكذبهم فى الشهادة بقوله (والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون) لانهم لم يعتقدوا ذلك (اتخذوا ايمانهم) حلفهم الكاذب او شهادتهم هذه فانها تجرى مجرى الحلف فى التوكيد وقرئ ايمانهم (جنة) وقاية من القتل و السبى

ماقالوا يحلفون بالله انهم لمنكم * روى البخارى عن زيد بن ارقم انه قال كنت مع عمى فسمعت عبدالله بن ابى بن سلول يقول لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا ويقول لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل فذكرت ذلك لعمى فذكره عمى لرسول الله صلى الله عليه وسلم فارسل عليه الصلاة والسلام الى عبدالله بن ابىّ واصحابه فحلفوا ماقالوا فصدقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذبنى فاصابنى هم لم يصبنى مثله فجلست فى بيتى فانزل الله عز وجل اذا جاءك المنافقون الى قوله هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا وقوله ليخرجن الاعز منها الاذل فارسل الىّ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان الله صدقك يا زيد فالمراد بالايمان التى اتخذوها جنة هى حلفهم بانهم ماقالوا ذلك فانهم اتخذوها جنة يستترون بها من اراقة الدماء وسبى الذرارى والنساء واغتنام الاموال كما يتوقى بالجنة فى الحرب من مضرة الاعداء ويحتمل ان يكون المراد بايمانهم قولهم نشهد انك لرسول الله قال القرطبى من قال اقسم بالله او اشهد بالله او اعزم بالله او احلف بالله او اقسمت او شهدت او عزمت او حلفت وقال فى ذلك كله بالله فلا خلاف فى انها يمين وكذلك عند الامام مالك واصحابه وان قال اقسم او اشهد او اعزم او احلف ولم يقل بالله يكون يمينا اذا اراد ان يقول بالله وان لم يرد بالله فليس بيمين وقال ابو حنيفة واصحابه لو قال اشهد بالله لقد كان كذا يمين ولو قال اشهد لقد كان كذا بدون النية كان يمينا ايضا احتجاجا بهذه الآية فانه تعالى ذكر عنهم الشهادة ثم قال اتخذوا ايمانهم جنة وعند الامام الشافعى لا يكون ذلك يمينا وان نوى اليمين لان قوله تعالى اتخذوا ايمانهم ليس يرجع الى قوله قالوا نشهد وانما يرجع الى ما اخبر الله تعالى عنهم فى سورة براءة بقوله يحلفون بالله ماقالوا انتهى كلامه فقول المصنف حلفهم الكاذب مبنى على قول الامام الشافعى وما بعده مبنى على قول ابى حنيفة رضى الله عنه ﴿قوله صدا او صدودا﴾ الاول مصدر صد المتعدى والثانى مصدر اللازم يقال صده عن الامر اى صرفه عن الامر وصد عنه اى اعرض فانهم كما صدوا بانفسهم عن سبيل الله صرفوا الناس عنه ايضا ﴿قوله اشارة الى الكلام المتقدم﴾ كأنه قيل قلت فى حقهم انهم ساء ما كانوا يعملون بسبب انهم آمنوا الخ ﴿قوله تعالى فطبع على قلوبهم﴾ قرآءة العامة على بناء المفعول والقائم مقام الفاعل هو الجار بعده وقرئ على بناء الفاعل واسناده الى ضمير البارى تعالى فان قيل اذا كان الطبع مسندا اليه تعالى كان ذلك لهم على الله تعالى بان يقولوا اعرضنا عن الحق لغفلتنا عنه وغفلتنا بسبب انه تعالى طبع على قلوبنا * اجاب عنه الامام بان هذا الطبع من الله بسوء افعالهم وانهماكهم فى اتباع الشهوات فعاقبهم الله تعالى بان خذلهم وتركهم وانفسهم الامارة بالسوء ﴿قوله فى كونهم اشباحا خالية من العلم والنظر﴾ هذا هو الوصف الجامع بينهم وبين ذوات الخشب من حيث انها خشب مع قطع النظر عن اتصافها بكونها مسندة الى الحائط ونحوه والجامع بينهم وبين الخشب المسندة هو انهم مع كونهم اشباحا خالية عن العلم والعقل لا ينتفع بهم بشئ من منافع الاجسام كالخشب المسندة فان الخشب المنتفع بها ما كانت فى سقف او جدار ونحوهما من مواضع الانتفاع بها واما ما كان متروكا فارغا غير منتفع به مسندا الى الحائط فهو البطال الخالى عن المنفعة فشبهوا بها من حيث عدم الانتفاع بهم وقيل شبهوا بالمسندة منها لان الخشب المسندة الى الحائط يكون احد طرفيها الى جهة والآخر الى جهة اخرى فكذا المنافق فان باطنه الى جهة الكفرة وظاهره الى جهة المسلمين وبناء التفعيل فى قوله مسندة للتكثير فان التسنيد تكثير الاسناد بكثرة المحال اى كأنها اسندت الى مواضع ﴿قوله وقيل الخشب﴾ اى بضمتين جمع خشباء لم يرض به لان فعلاء الصفة لا يجمع على فعل بضمتين بل على فعل بضمة وسكون كحمراء وحمر قرأ قنبل وابو عمرو والكسائى خشب باسكان الشين والباقون بضمها وقرئ بفتحتين على انه جمع خشبة مثل مدرة ومدر ومن قرأه بضمتين جعله جمع خشبة ايضا نحو ثمرة وثمر ومن قرأه بضمة وسكون جعله جمع خشب كاسد واسد او جمع خشبة كبدنة وبدن او خشباء كحمراء وحمر وجعله تخفيف خشب بضمتين ﴿قوله دعر جوفها﴾ اى فسد وفى بعض النسخ نخر اى بلى والمخبر خلاف المنظر والمرئى وقوله تعالى يحسبون كل صيحة فى موضع الحال من الضمير المنصوب فى كأنهم والعامل فيها معنى التشبيه ويجوز ان يكون مستأنفا وكل صيحة مفعول اول يحسبون وعليهم المفعول الثانى اى يحسبون كل ما سمعوه من الصيحة واقعة عليهم ضارة لهم بناء على قولهم انها صيحة عدو يريدهم بسوء لفرط جبنهم وغلبة الرعب والوهم على قلوبهم او لما فى قلوبهم من الرعب ان يكشف الله اسرارهم بان ينزل فيهم ما يهتك استارهم ويبيح دماءهم واموالهم فعلى هذا يكون قوله تعالى هم العدو اى الكاملوا العداوة جملة مستأنفة اخبر

(فصدوا عن سبيل الله) صدًّا او صدودا (انهم ساء ما كانوا يعملون) من نفاقهم وصدهم (ذلك) اشارة الى الكلام المتقدم اى ذلك القول الشاهد على سوء اعمالهم او الى الحال المذكورة من النفاق والكذب والاستجنان بالايمان (بانهم آمنوا) بسبب انهم آمنوا ظاهرا (ثم كفروا) سرًّا او آمنوا اذا رأوا آية ثم كفروا حيثما سمعوا من شياطينهم شبهة (فطبع على قلوبهم) حتى تمرّنوا على الكفر واستحكموا فيه (فهم لا يفقهون) حقيقة الايمان ولا يعرفون صحته (واذا رأيتهم تعجبك اجسامهم) لضخامتها وصباحتها (وان يقولوا تسمع لقولهم) لذلاقتهم وحلاوة كلامهم وكان ابن ابىّ جسيما فصيحا يحضر مجلس رسول الله عليه الصلاة والسلام فى جمع مثله فيعجبه هياكلهم ويصغى الى كلامهم (كأنهم خشب مسندة) حال من الضمير المجرور فى لقولهم اى تسمع لما يقولونه مشبهين باخشاب منصوبة مسندة الى الحائط فى كونهم اشباحا خالية عن العلم والنظر وقيل الخشب جمع خشباء وهى الخشبة التى دعر جوفها شبهوا بها فى حسن المنظر وقبح المخبر وقرأ ابو عمرو والكسائى وروى عن ابن كثير بسكون الشين على التخفيف او على انه كبدن فى جمع بدنة (يحسبون كل صيحة عليهم) اى واقعة عليهم لجبنهم وهلعهم فعليهم ثانى مفعولى يحسبون ويجوز ان يكون صلته والمفعول (هم العدو) وعلى هذا يكون الضمير للكل وجمعه بالنظر الى الخبر لكن ترتب قوله (فاحذرهم) عليه يدل على ان الضمير للمنافقين (قاتلهم الله) دعاء عليهم وهو طلب من ذاته ان يلعنهم او تعليم للمؤمنين ان يدعوا عليهم بذلك (انى يؤفكون) كيف يصرفون عن الحق

(الله تعالى)

الله تعالى عنهم بذلك فان اعدى العدو هو من يداريك ويتبسم فى وجهك وصدره مملوء حقداً وعداوة ﴿قوله ويجوز ان يكون صلته﴾ اى ويجوز ان يكون عليهم متعلقا بيحسبون اى باعتبار كونه متعلقا بمفعوله الاول صفة لصيحة وتكون جملة هم العدو مفعولا ثانيا كما اذا طرح لفظة هم وقيل يحسبون كل صيحة واقعة عليهم العدو والظاهر ان يقال هى العدو لان الضمير للصيحة او هو العدو على ان يكون الضمير لكل الا انه قيل هم العدو نظرا الى الخبر كما فى قوله تعالى هذا ربى فان هذا اشارة الى الشمس فينبغى ان يقال هذه الا انه ذكر المبتدأ نظرا الى الخبر او على تقدير مضاف اى اهل كل صيحة ﴿قوله تعالوا يستغفر لكم رسول الله﴾ من باب تنازع الفعلين واعمال الثانى لان تعالوا يطلب رسول الله ان يتعدى اليه بالى اى تعالوا الى رسول الله ويستغفر يطلبه فاعلا فاعمل الثانى فرفع وحذف من الاول اذ التقدير تعالوا اليه ويجوز ان لا يكون من باب التنازع لان قوله تعالوا امر بالاقبال من حيث هو مع قطع النظر عن تعلقه بالمقبل اليه فانه روى عن الكلبى لما نزل من القرآن ماين نفاقهم مشى اليهم عشائرهم من المؤمنين وقالوا لهم ويلكم افتضحتم بالنفاق واهلكتم انفسكم فأتوا رسول الله وتوبوا اليه من النفاق واسألوه ان يستغفر لكم فأبوا ذلك وزهدوا فى الاستغفار فنزلت لووا رؤسهم اى امالوها واعرضوا يقال لوى الرجل رأسه اى امال واعرض قرأ نافع لووا بالتخفيف والباقون بالتشديد للتكثير لكثرة الرؤس قرأ الجمهور أستغفرت بفتح الهمزة من غير مد وهى همزة الاستفهام وهمزة الوصل محذوفة وقرئ آستغفرت لهم بالمد على انه اشبع همزة الاستفهام للاظهار والبيان لاعلى ان همزة الوصل قلبت ألفا كما فعل بالتى مع لام التعريف فى نحو آلسحر وآلله اذن لكم لان اثبات همزة الوصل غير التى تصحب لام التعريف مع همزة الاستفهام غير مستعمل عند اهل العربية وذلك لان حق همزة الوصل ان تسقط فى الدرج ولم تسقط ما تصحب منها لام التعريف بل قلبت ألفا ﴿قوله روى ان اعرابيا نازع انصاريا﴾ وكان الاعرابى اجير عمر بن الخطاب يقود فرسه وكانت منازعتهما على ماء يقال له المريسيع من مياه بنى المصطلق وهو حى من خزاعة بين مكة والمدينة ويقال لتلك الغزوة غزوة بنى المصطلق وغزوة المريسيع ايضا وكانت قبل غزوة الخندق ﴿قوله حتى ينفضوا﴾ اى يتفرقوا قرأ العامة ليخرجن بضم الياء وكسر الراء مسندا الى الاعز والاذل مفعول به وقرئ ليخرجن بفتح الياء وضم الراء ورفع الاعز فاعلا بالفعل اللازم ونصب الاذل على المصدرية بناء على ان الاصل خروج الاذل فلما حذف المصدر اقيم المضاف اليه مقامه واعرب باعرابه او على انه حال من الاعز بتقدير المضاف اى مثل الاذل وقرئ ايضا ليخرجن الاعز بضم الياء وفتح الراء على بناء المفعول ورفع الاعز قائما مقام الفاعل ونصب الاذل مصدرا اى اخراج الاذل او حالا اى مثل الاذل ولنخرجن بضم نون العظمة وكسر الراء ونصب الاعز على انه مفعول به ونصب الاذل على المصدرية اى اخراج الاذل او الحال اى مثل الاذل واللام فى لئن رجعنا موطئة للقسم المحذوف قبلها وليخرجن جواب القسم المحذوف واغنى جواب القسم عن جواب الشرط * روى ان عبدالله بن ابى لما انصرف من غزوة بنى المصطلق مع الغزاة واراد ان يدخل المدينة اعترضه ابنه عبدالله وكان مخلصا وقال وراءك والله لا تدخلها حتى تقول رسول الله صلى الله عليه وسلم الاعز وانا الاذل فلم يزل حبيسا فى يده حتى امره رسول الله صلى الله عليه وسلم بتخليته وروى انه قال له لئن لم تقر لله ولرسوله بالعزة لأضربن عنقك فقال ويحك أفاعل انت قال نعم فلما رأى منه الجد قال اشهد ان العزة لله ولرسوله وللمؤمنين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابنه جزاك الله عن رسوله وعن المؤمنين خيرا فلما بان كذب عبدالله قيل له قد نزلت فيك آى شداد فاذهب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستغفر لكم فلوى رأسه ثم قال امرتمونى ان اومن فآمنت فامرتمونى ان ازكى مالى فزكيت فما بقى الا ان اسجد لمحمد فنزل قوله تعالى واذا قيل لهم تعالوا الآية ولم يلبث بعده الا اياما قلائل حتى اشتكى ومات بعد العود من غزوة تبوك كما ذكره صاحب الكشاف فى سورة براءة وروى انه لما مات استغفر له رسول الله صلى الله عليه وسلم والبسه قميصه فنزل قوله تعالى لن يغفر الله لهم ثم انه تعالى لما ذكر شح المنافقين باموالهم ومنعهم عن صرفها الى انصار دين الله من فقراء المهاجرين بان حكى عنهم قولهم لا تنفقوا على من عند رسول الله وذكر ايضا تعززهم باولادهم وعشائرهم حيث حكى عنهم قولهم ليخرجن الاعز منها الاذل نهى المؤمنين وحذرهم عن اخلاق المنافقين فقال يا ايها الذين آمنوا لا تلهكم لا يشغلكم التصرف فى الاموال والسعى فى تدبير امرها والتلذذ بها والاستمتاع بمنافعها والسرور بالاولاد والشفقة عليهم والقيام بمؤنتهم عن طاعة الله تعالى واداء فرائضه ومن يشتغل بما يلهيه عما يعنيه من امر

(واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤسهم) عطفوها اعراضا واستكبارا عن ذلك (ورأيتهم يصدون) يعرضون عن الاستغفار (وهم مستكبرون) عن الاعتذار (سواء عليهم أستغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم) لرسوخهم فى الكفر (ان الله لا يهدى القوم الفاسقين) الخارجين عن مظنة الاستصلاح لانهماكهم فى الكفر والنفاق (هم الذين يقولون) اى للانصار (لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا) يعنون فقراء المهاجرين (ولله خزائن السموات والارض) بيده الارزاق والقسم (ولكن المنافقين لا يفقهون) ذلك لجهلهم بالله (يقولون لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل) روى ان اعرابيا نازع انصاريا فى بعض الغزوات على ماء فضرب الاعرابى رأسه بخشبة فشكا الى ابن ابى فقال لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا واذا رجعنا الى المدينة فليخرج الاعز الاذل عنى بالاعز نفسه وبالاذل رسول الله عليه السلام وقرئ لنخرجن بفتح الياء وليخرجن على البناء للمفعول ولنخرجن بالنون ونصب الاعز والاذل على هذه القراآت مصدر او حال على تقدير مضاف كخروج او اخراج او مثل (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين) ولله الغلبة والقوة ولمن اعزه من رسوله والمؤمنين (ولكن المنافقين لا يعلمون) من فرط جهلهم وغرورهم

(يا ايها الذين آمنوا لاتلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله) لايشغلكم تدبيرها والاهتمام بها عن ذكره كالصلاة وسائر العبادات المذكرة للمعبود والمراد نهيهم عن اللهو بها و توجيه النهي اليها للمبالغة ولذلك قال (ومن يفعل ذلك) اى اللهو بها وهو

الشغل (فاولئك هم الخاسرون) لانهم باعوا العظيم الباقي بالحقير الفاني (وأنفقوا مما رزقناكم) بعض اموالكم ادخارا للآخرة (من قبل ان يأتي احدكم الموت) اى يرى دلائله (فيقول رب لولا اخرتني) امهلتني (الى اجل قريب) امد غير بعيد (فأصدق) فأتصدق (واكن من الصالحين) بالتدارك وجزم اكن للعطف على موضع الفاء وما بعده وقرأ ابو عمرو وأكون منصوبا عطفا على أصدق وقرئ بالرفع على انا اكون فيكون عدة بالصلاح (ولن يؤخر الله نفسا) ولن يمهلها (اذا جاء اجلها) آخر عمرها (والله خبير بما تعملون) فمجاز عليه وقرأ ابو بكر بالياء ليوافق ماقبله في الغيبة * عن النبي عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة المنافقين برئ من النفاق

﴿ سورة التغابن مدنية اومكية ﴾
﴿ الا قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا ﴾
﴿ ان من ازواجكم وهي ثماني ﴾
﴿ عشرة آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يسبح لله مافي السموات ومافي الارض) بدلالتهما على كماله واستغنائه (له الملك وله الحمد) قدم الظرفين للدلالة على اختصاص الامرين به من حيث الحقيقة (وهو على كل شئ قدير) لان نسبة ذاته المقتضية للقدرة الى الكل على سواء ثم شرع فيما ادعاه فقال (هو الذي خلقكم فمنكم كافر) مقدر كفره وموجه اليه ما يحمله عليه (ومنكم مؤمن) مقدر ايمانه موفق لما يدعوه اليه (والله بما تعملون بصير) فيعاملكم بما يناسب اعمالكم (خلق السموات والارض بالحق) بالحكمة البالغة (وصوركم فأحسن صوركم) فصوركم من جملة ما خلق فيها باحسن صورة حيث زينكم بصفوة اوصاف الكائنات وخصكم بخلاصة خصائص المبدعات وجعلكم انموذج جميع المخلوقات (واليه المصير) فأحسنوا سرائركم حتى لايمسخ بالعذاب ظواهركم (يعلم مافي السموات والارض ويعلم ماتسرون وماتعلنون والله عليم بذات الصدور) فلا يخفى عليه ما يصح ان يعلم كليا كان او جزئيا لان نسبة المقتضى لعلمه الى الكل واحدة وتقديم تقرير القدرة على العلم لان دلالة المخلوقات على قدرته اولا وبالذات وعلى علمه بما فيهما من الاتقان والاختصاص ببعض الانحاء

(الم)

الآخرة فاولئك هم الخاسرون في تجارتهم بايثار ما يفنى على ما يبقى ﴿ قوله والمراد نهيهم عن اللهو بها ﴾ اى عن الاشتغال بها على سبيل اللعب يقال لهوت بالشئ ألهو لهوا اذا لعبت به من باب غزوت اغزو غزوا الاانه وجه النهي عن الالهاء الى الاموال والاولاد للمبالغة في نهيهم عن الاشتغال بها عن ذكر الله تعالى وطاعته فان كونهما ملهيين شاغلين اياهم عن طاعة الله لازم لكونهم لاهين مشتغلين بهما عن الطاعة والنهي عن اللازم ابلغ في الدلالة على النهي عن الملزوم من النهي عن الملزوم فيكون كناية كما في قولك لاارينك ههنا ابلغ في الدلالة على نهي المخاطب عن الحضور عندك من ان تقول لاتحضر عندي فكذا قوله تعالى لاتلهكم اموالكم ولا اولادكم ابلغ في الدلالة على نهي المؤمنين عن الاشتغال بهما من ان يقال لاتكونوا لاهين مشتغلين بهما وهذا وجه قوله وتوجيه النهي اليها للمبالغة ﴿ قوله ولذلك ﴾ اى ولكون المراد نهيهم عن اللهو لانهي الاموال والاولاد عن الالهاء توجهت مضرة ارتكاب المنهي عنه اليهم لااليهما ﴿ قوله يرى دلائله ﴾ يعني ان المراد بالموت دلائله ومقدماته لان طلب الامهال وتأخير الموت ممن مات غير معقول بخلاف المحتضر المقصر فيما وجب عليه من الحقوق المالية والبدنية فانه يتأسف على تقصيره ويسترد مدة يتدارك فيها تقصيره فاخبر الله تعالى انه لايؤخر من انقضت مدته وحضر اجله فقال ولن يؤخر الله نفسا اذا جاء اجلها ولا ينفعه التحسر بعد فوات الوقت ﴿ قوله تعالى فأصدق ﴾ مضارع منصوب بان مضمرة بعد الفاء في جواب التمني في قوله لولا اخرتني ﴿ قوله وجزم اكن للعطف على موضع الفاء وما بعده ﴾ فانه لولا الفاء في فأصدق لكان مجزوما بان مقدرة كما في قولك ليت لي مالا انفقه لان المعنى ان يكن لي مال انفقه ومثله قوله تعالى من يضلل الله فلا هادي له ويذرهم فيمن جزم يذرهم ونقل سيبويه عن الخليل انه مجزوم على توهم الشرط الذي يدل عليه التمني ولاموضع ههنا لان الشرط ليس بظاهر وانما يعطف على الموضع حيث يظهر الشرط كما في قوله تعالى من يضلل الله فلا هادي له فمن جزم عطفه على موضع فلا هادي له لانه لو وقع موقعه فعل لجزم لوجود اداة الشرط ﴿ قوله وقرئ بالرفع على انا اكون ﴾ لم يرد ان في الكلام مبتدأ محذوفا لعدم الباعث على ارتكاب الحذف بل اراد بيان ان الواو في واكون للاستئناف وانه كلام مبتدأ فصور الكلام بصورة الاسمية لكونها اظهر في الاستئناف ﴿ قوله ليوافق ماقبله ﴾ وهو الاخبار عن اتيان الموت فتمني الامهال وقول لولا اخرتني ومن قرأ بالتاء فالخطاب نظر الى قوله لاتلهكم وانفقوا مما رزقناكم

تمت سورة المنافقين والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين

﴿ سورة التغابن مدنية وقيل مكية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم ﴾

﴿ قوله للدلالة على اختصاص الامرين ﴾ اى على تأكيد الاختصاص المدلول عليه باللام في قوله له الملك فان اللام تشعر باصل الاختصاص سواء قدمت او اخرت واختصاص الملك به تعالى حقيقة ظاهر لانه مبدئ كل شئ ومبدعه ونافذ فيه مشيئته وارادته يتصرف فيه كيف يشاء وكذا اختصاص الحمد به تعالى لان اصول النعم وفروعها انما هي بخلقه وايجاده ورشحة من بحر جوده واحسانه ولولا انه تعالى انعم بها على عباده ماقدر احد على ان يبذل مقدار جناح بعوضة ولا ماهو احقر منه افتتح السورة الكريمة ببيان عظمة الله تعالى في ملكه وملكوته حيث حكم بان كل شئ ينزهه ويقدسه عما لايليق بعلو شأنه ثم خص له صفة المالكية على الاطلاق ثم خص له كل كمال وجلال وكل نعمة وافضال ثم وصف ذاته الكريمة بالقدرة على كل شئ ثم قرر ما ادعاه بما يدل عليه من دلائل الانفس فقال هو الذي خلقكم والفاء في قوله فمنكم كافر تفصيلية فان ما بعدها تفصيل لما اجمل في قوله خلقكم فكأنه قيل هو الذي تفضل عليكم باصل النعم كلها وهو نعمة الخلق والايجاد على حسب اختلاف استعداداتكم فبسبب ذلك حصل اختلافكم بالكفر والايمان فمنكم كافر ومنكم مؤمن في علم الله تعالى في الازل فمن تعلق العلم الازلي بكفره او ايمانه فخرج الى عالم الاعيان فانما يخرج اليه على حسب ما علمه الله تعالى وقدره وعلم في الازل به ثم ذيل الاستدلال المذكور ببيان انه بصير بالعباد ومجاز بهم على حسب ما عملوا كأنه جعل اثبات القدرة دليلا على صحة البعث والجزاء ثم ذكر ما يدل على ما ادعاه من دلائل الآفاق فقال خلق السموات والارض والمسخ بالخاء المعجمة تحويل الصورة الى ماهو اقبح منها ولما كان الجزاء متوقفا على شمول علمه وكونه بحيث لايعزب عن علمه شئ من احوال الخلائق وصف نفسه بالعلم المحيط ثم شرع في تهديد كفار قريش بقوله

الم يأتكم نبأ الذين كفروا واحيث خوفهم بما نزل بمن قبلهم من الكفار وجعل ما اصابهم من العقوبة فى الدنيا بالاضافة الى ما أعد لهم فى الآخرة ذوقا من معظم طعام او شراب ﴿قوله اذ البشر يطلق للواحد والجمع﴾ لانه اسم جنس والجنس يتحقق فى ضمن كل فرد من جميع الافراد وهو فى الآية بمعنى الجمع ولذلك جمع ضمير يهدوننا وقوله أبشر مرفوع على انه فاعل فعل مضمر يفسره ما بعده كما فى قوله وان احد من المشركين استجارك وهو اولى من جعله مبتدأ وما بعده خبره لان اداة الاستفهام تطلب الفعل ظاهرا او مضمرا والفاء فى قوله فكفروا سببية لا للتعقيب اى فكفروا بسبب هذا القول لانهم قالوا استصغارا للرسل ولم يعلموا الحكمة فى اختيار كون الرسل بشرا وقوله واستغنى الله تقرير لما سبق من التهديد والوعيد اى وكان الله غنيا عن ايمانهم وطاعتهم فلم ينقصوا بكفرهم ومعاصيهم شيأ من ملك الله وانما ضرر ذلك على انفسهم ثم انه تعالى لما بين ان سبب الوبال والعذاب المذكورين هو تكذيبهم الرسل وكفرهم بهم بين ان لهم معصية اخرى وهو انكارهم البعث فقال زعم الذين كفروا ان لن يبعثوا الزعم ادعاء العلم بالشئ ولا علم وأن مع ما فى حيزها قائم مقام المفعولين كأنه قيل زعموا كونهم غير مبعوثين وهى مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن المضمر اى زعموا ان الشأن لم يبعثوا وليست بناصبة لئلا يدخل ناصب على مثله وبلى ايجاب للنفى المذكور قبله اى بلى يبعثون ثم ابتدأ فقال وربى لتبعثن وليس الامر مقتصرا على البعث بل يعقبه الحساب والجزآء * فان قيل كيف يفيد القسم فى اخباره عن البعث وهم قد انكروا الرسالة * اجيب بانهم انكروا الرسالة لكنهم مع ذلك يعتقدون انه عليه الصلاة والسلام يعتقد عظمة ربه اعتقادا جازما لا مزيد عليه فيعلمون بذلك انه لا يقدم على ان يقسم بربه الا ان يكون صدق هذا الاخبار عنده اظهر من الشمس فى اعتقاده ولما ذكر ان ما نزل بالامم الماضية من العقوبة كان بسبب كفرهم بالله ورسله امرهم بالايمان بالله ورسوله والنور الذى انزل عليه كيلا يذوقوا وبال امرهم فى الدنيا والعذاب الاليم فى العقبى ﴿قوله وقرأ يعقوب نجمعكم﴾ بنون العظمة ليوافق قوله والنور الذى انزلنا والمراد بيوم الجمع يوم القيامة وهو يوم يجمع الله فيه الاولين والآخرين والجن والانس واهل السماء واهل الارض وقيل يجمع الله فيه بين كل عبد وعمله وقيل يجمع فيه بين الظالم والمظلوم وقيل يجمع فيه بين كل نبى وامته ﴿قوله يغبن فيه بعضهم بعضا﴾ اى يخدع والتغابن تفاعل من الغبن وهو اخذ الشئ من صاحبه بأقل من قيمته وهو لا يكون الا فى عقد المعاوضة ولا معاوضة فى الآخرة فاطلاق التغابن على ما يكون فيها انما يكون بطريق الاستعارة المبنية على التشبيه وهو مستعار من تغابن التجار فان حقيقة التغابن متفرعة على تحقق حقيقة التجارة ومعاملة المبادلة ليغبن احد التاجرين الآخر بان يوقعه فى الخسران ولم يتحقق بين اهل الجنة واهل النار فى الدنيا معاملة يتفرع عليها تغابنهما فى الآخرة حقيقة فحمل الكلام على الاستعارة فشبه ما عليه كل واحد من الفريقين بالتجارة والمبادلة وما يترتب عليه من حسن العاقبة وسوءها بالتغابن وذلك لان كلا الفريقين خلق الله تعالى فيهما الاستطاعة وسلامة الآلات وجعلهما قادرين على اختيار ما يؤدى الى سعادة الآخرة فاختار كل فريق ما يشتهيه مما كان قادرا عليه بدل ما اختاره الآخر وارتضاه فهذا الاختيار منهما شبه بالمبادلة والتجارة وشبه ما يتفرع عليه من نزول كل واحد منهما منزل الآخر بالتغابن قيل اشد الناس غبنا يوم القيامة ثلاثة نفر عالم علم الناس فعملوا بعلمه وخالف هو علمه فدخل غيره الجنة بعلمه ودخل هو النار بعمله المخالف لعلمه وعبد اطاع الله تعالى بعدم خيانته فى مال سيده وعصى سيده الله فدخل العبد الجنة بعدم خيانة مال مالكه ودخل مالكه النار بمعصية الله تعالى وولد ورث مالا من ابيه وابوه كان بخيلا وعصى الله فيه بعدم انفاقه فى سبيله فدخل ابوه بخله النار ودخل هو بانفاقه فى الخير الجنة قال عليه الصلاة والسلام * لا يلقى الله احد الا نادما ان كان مسيئا ان لم يحسن وان كان محسنا ان لم يزد * اما مشابهة نزول السعدآء منازل الاشقياء من الجنة لو كانوا سعدآء بالغبن فظاهرة لان السعدآء اخذوا منازل الاشقياء من الجنة من غير رضى الاشقياء ولا شعورهم به واما مشابهة نزول الاشقياء منازل السعدآء من النار لو كانوا اشقياء بالغبن فانها ليست بظاهرة لان منازل السعدآء من النار لا رغبة لهم فيها حتى يكون نزول الاشقياء فيها شبيها بغبن السعدآء اياهم الا انه شبه ذلك بالغبن ايضا تهكما بالاشقياء واستهزآء بهم ﴿قوله واللام فيه﴾ يعنى ان اللام فى التغابن لتعريف الجنس فدل هذا التركيب على حصر جنس التغابن فى ذلك اليوم كما فى قوله تعالى ذلك الكتاب وزيد الشجاع ووجه ايثار ما يفيد الحصر مع ان التغابن يكون فى دار الدنيا أشار

(ألم يأتكم) ايها الكفار (نبأ الذين كفروا من قبل) كقوم نوح وهود وصالح عليهم الصلاة والسلام (فذاقوا وبال امرهم) ضرر كفرهم فى الدنيا واصله الثقل ومنه الوبيل لطعام يثقل على المعدة والوابل للمطر الثقيل القطار (ولهم عذاب أليم) فى الآخرة (ذلك) اى المذكور من الوبال والعذاب (بانه) بسبب ان الشأن (كانت تأتيهم رسلهم بالبينات) بالمعجزات (فقالوا أبشر يهدوننا) انكروا وتعجبوا ان يكون الرسل بشرا اذ البشر يطلق للواحد والجمع (فكفروا) بالرسل (وتولوا) عن التدبر فى البينات (واستغنى الله) عن كل شئ فضلا عن طاعتهم (والله غنى) عن عبادتهم وغيرها (حميد) يدل على حمده كل مخلوق (زعم الذين كفروا ان لن يبعثوا) الزعم ادعاء العلم ولذلك يتعدى الى مفعولين وقد قام مقامهما أن بما فى حيزه (قل بلى) اى بلى تبعثون (وربى) قسم اكد به الجواب (لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم) بالمحاسبة والمجازاة (وذلك على الله يسير) لقبول المادة وحصول القدرة التامة (فآمنوا بالله ورسوله) محمد عليه الصلاة والسلام (والنور الذى انزلنا) يعنى القرآن فانه باعجازه ظاهر بنفسه مظهر لغيره مما فيه شرحه وبيانه (والله بما تعملون خبير) فمجاز عليه (يوم يجمعكم) ظرف لتنبؤن او مقدر باذكر وقرأ يعقوب نجمعكم (ليوم الجمع) لاجل ما فيه من الحساب والجزآء والجمع جمع الملائكة والثقلين (ذلك يوم التغابن) يغبن فيه بعضهم بعضا لنزول السعدآء منازل الاشقياء لو كانوا سعدآء وبالعكس مستعار من تغابن التجار واللام فيه للدلالة على ان التغابن الحقيقى هو التغابن فى امور الآخرة لعظمها ودوامها

الى جوابه بان سعادة الآخرة لكونها أجل كل سعادة وافضلها كان فقدها نهاية الغبن بحيث لايعدّ مادونه فقدا بالنسبة اليه وفقدها انما يتحقق فى ذلك اليوم فصح بهذا الوجه حصر الغبن فى ذلك اليوم فالتنبيه على هذا المعنى اوثر مادل على الحصر ﴿قوله تعالى خالدين فيها ابدا﴾ خالدين حال من الهاء فى يدخله وحده او لا جلا على معناه وابدا نصب على الظرف وكذا خالدين الثانى نصب على الحال من اصحاب النار والعامل فيهما مافى اولئك من معنى الفعل ثم انه تعالى لما حكم بان يوم القيامة هو يوم التغابن الواقع بين المؤمنين والكافرين بان يأخذ كل واحد منهما منزل صاحبه فصل ذلك بالآيتين المتين بعده وهما قوله تعالى ومن يؤمن الى قوله وبئس المصير حيث بين فيهما ان السعداء اختاروا مما هو داخل تحت وسعهم ومقدرتهم ماادّاهم فى الآخرة الى الفوز بدفع المضارّ وجلب المنافع والاشقياء اختاروا منه ماادّاهم الى اشدّ العذاب والحرمان من وجوه المنافع باسرها فغبن المؤمن الكافر باختيار مايمكن عليه الكافر من الايمان والطاعة وغبن الكافر المؤمن بان اخذ منه مايقدر عليه من الكفر والمعصية فصار كل واحد منهما مغبونا والكافر وان لم يأخذ مايمكن عليه المؤمن مما رغب فيه المؤمن حتى يكون مغبونا بفواته منه الا انه جعل مغبونا الحكما بالكافر كامر فظهر بهذا ان الدنيا لكونها زمان التجارة ومزرعة الآخرة هى موضع التغابن وانه تعالى انما جعل يوم القيامة يوم التغابن لكونه وقت ظهور الربح والخسران ووقت ظهور تغابن الفريقين فى الدنيا وبهذا الاعتبار جعلت الآيتان تفصيلا للتغابن ثم انه تعالى لما بين ان الايمان والطاعة مناط كل خير وسعادة وان الكفر والمعصية مناط كل شر وبلاء وكان هذا مظنة ان يتوهم انه لوكان الامر كذلك لسلم المؤمنون من المصائب فى اموالهم وابدانهم فقال تعالى مااصاب من مصيبة ملتبسة بشئ من الاشياء الاباذن الله اى الابتقديره وارادته وقضائه ومشيئته على ان الاذن مستعار للتقدير والارادة تشبيها لهما بالاذن من حيث ان كل واحد منهما مفض الى الفعل مسبب له فانه تعالى اذا قدّر المصيبة واراد اصابتها لاحد فكأنه اذن للمصيبة ان تصيبه بين الله تعالى بهذه الآية ان المصيبة انما تصيبهم بتقديره ومشيئته وفى اصابتها حكم لايعرفها الاهو منها حصول اليقين بان ليس شئ من الامر فى يدهم فيتبرأون بذلك من حولهم وقوتهم الى حول الله وقوته ومنها تكفير ذنوبهم وتكثير مثوباتهم بالصبر عليها والرضى بقضاء الله تعالى الى غير ذلك ﴿قوله تعالى ومن يؤمن بالله﴾ اى ومن يصدق بالله ويعلم انه لاتصيبه مصيبة الاباذن الله يهد قلبه للثبات اى لعدم الاضطراب بما اصابه بان يقول قولا او يظهر وصفا يدل على التضجر من قضاء الله تعالى وعدم الرضى به بل يسترجع ويقول انا لله وانا اليه راجعون ومن ايقن بانه مملوك لله تعالى مسخر فى قبضة قدرته وبان مرجعه الى موقف حسابه كيف لايرضى بقضائه ولايصبر على بلائه وقد اعتقد انه رب العالمين والتربية كما تكون بمايلائم الطبع تكون ايضا بماينفر عنه الطبع ﴿قوله وبالنصب﴾ عطف على قوله بالرفع يعنى من قرأ يهد مبنيا للمفعول كما قرأ قلبه مرفوعا قرأه ايضا منصوبا بنزع الخافض اى يهد فى قلبه كما فى قوله تعالى الامن سفه نفسه اى فى نفسه وقوله ولاتعزموا عقدة النكاح اى على عقدة النكاح فلما سقط حرف الجرّ نصب مابعده اى عدى الفعل بنفسه فنصب مابعده ﴿قوله حتى القلوب واحوالها﴾ يعنى ان قوله تعالى والله بكل شئ عليم تذييل لتقرير قوله ومن يؤمن بالله يهد قلبه وانما يقرره اذا دخلت احوال القلوب من الايمان والكفر فى كل شئ دخولا اوّليا وقوله تعالى واطيعوا الله واطيعوا الرسول اى فى جميع الاوقات ولاتشغلكم المصائب عن الاشتغال بطاعة الله تعالى والعمل بكتابه وعن الاشتغال بطاعة الرسول واتباع سنته وليكن جل همتكم فى السرّاء والضرّاء العمل بماشرع لكم * ولما ورد ان يقال كيف يستمرّ المرء على الطاعة حالة الضرّاء وهى تغلب على المرء * دفعه بان الايمان بالوحدانية وبان الكل من عندالله يقتضى التوكل عليه فى دفع المضارّ وجلب المنافع والتبرى من الحول والقوّة والاعتماد على حول الله تعالى وقوته والاستمرار على طاعته وطاعة رسوله فقال الله لااله الاهو الآية * روى عن عطاء انه قال نزلت سورة التغابن كلها بمكة الاهذه الآيات ياايها الذين آمنوا ان من ازواجكم واولادكم عدوّا لكم فاحذروهم فانها نزلت فى عوف بن مالك الاشجعى كان ذا اهل وولد وكان اذا اراد الغزو بكوا وقالوا الى من تدعنا فيرق فيقيم فنزلت هذه الآية الى آخر السورة بالمدينة * وقيل كان رجال يسلمون من اهل مكة ويريدون ان يأتوا النبى صلى الله عليه وسلم فيتعلق بهم ابناؤهم وزوجاتهم فيقولون انت تذهب وتذرنا ضائعين فمنهم من يطيع ويقيم فحذرهم الله تعالى طاعة نسائهم واولادهم ومنهم من لايطيع ويهاجر اليه عليه الصلاة والسلام فيرى الذين

(ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا) اى عملا صالحا (يكفر عنه سيئاته ويدخله جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا) وقرأ نافع وابن عامر بالنون فيهما (ذلك الفوز العظيم) الاشارة الى مجموع الامرين ولذلك جعله الفوز العظيم لانه جامع للمصالح من دفع المضارّ وجلب المنافع (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير) كأنها والآية المتقدمة بيان للتغابن وتفصيل له (مااصاب من مصيبة الا باذن الله) الا بتقديره وارادته (ومن يؤمن بالله يهد قلبه) للثبات والاسترجاع عند حلولها وقرئ يهد قلبه بالرفع على اقامته مقام الفاعل وبالنصب على طريقة سفه نفسه ويهدأ بالهمز اى يسكن (والله بكل شئ عليم) حتى القلوب واحوالها (واطيعوا الله واطيعوا الرسول فان توليتم) اى فان توليتم فلا بأس عليه (فانما على رسولنا البلاغ المبين) اذ وظيفته التبليغ وقد بلغ (الله لا اله الاهو وعلى الله فليتوكل المؤمنون) لان ايمانهم بان الكل منه يقتضى ذلك (ياايها الذين آمنوا ان من ازواجكم واولادكم عدوّا لكم) يشغلكم عن طاعة الله او يخاصمكم فى امر الدين او الدنيا (فاحذروهم) ولاتأمنوا غوائلهم

سبقوه فى الهجرة قد تفقهوا فى الدين فيهم فى نفسه على انه ان جمعه الله تعالى واياهم فى دار الهجرة يعاقبهم ويمنع عنهم رفده وان لا يتفضل عليهم بوجه تام ثم لما جمع الله تعالى بينه وبين اهله واولاده ومنعهم ما يتمتعون به وعظ الله من فعل ذلك بقوله وان تعفوا وتصفحوا وتغفروا فان الله غفور رحيم فامرهم بالعفو عنهم وقد علم من الآية ان العدو لا يكون عدوا بسيفه وسنانه وانما يكون عدوا بسوء افعاله فكل من شغل المرء عن طاعة الله من الازواج والاولاد والاموال وغيرها فهو عدو له ولا ينبغى له ان يأمن غوائلهم وقوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم ناسخ لقوله اتقوا الله حق تقاته ﴿قوله اى افعلوا ما هو خير لها﴾ يعنى ان خيرا منصوب بمضمر يدل عليه الاوامر السابقة فالامر بالافعال الخاصة يدل على الامر بفعل الخير مطلقا فلذلك كان هذا الكلام تأكيدا للحث على الاوامر المذكورة سابقا وبيانا لكون كل واحد من الامور المذكورة قبله خيرا وبين وجه الحث عليها بانها خير لانفسكم وهذا الوجه هو المنقول عن صاحب الكتاب ولم يجعل خيرا منصوبا بقوله انفقوا لان الانفاق لا يتعدى الا الى ما هو من جنس الاموال الا ان يفسر الخير بالمال كما فى قوله تعالى ان ترك خيرا وانه لحب الخير لشديد فحينئذ يكون منصوبا على انه مفعول لانفقوا وهو عند الكسائى والفراء صفة مصدر محذوف اى انفقوا انفاقا خيرا لانفسكم وعند ابى عبيدة خبر لكان المقدر المجزوم على انه جواب الامر اى انفقوا يكن خيرا لانفسكم ثم قال ومن يوق شح نفسه اى يقه الله من الشح الذى هو الحرص على المال وبغض الانفاق فاولئك هم المفلحون ثم بين ما يفوز به المنفق فقال ان تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم سمى صرف المال فى وجوه الخير اقراضا لله تعالى تشبيها له به فى عود مثل المصروف اليه ٭ والشكور هو الذى يقبل اليسير من العمل ويجازى به الثواب الجزيل فالشكور المطلق ليس الا الله لان زيادته فى المجازاة غير محصورة ولا محدودة ٭ تمت سورة التغابن والحمد لله على آلائه والصلاة والسلام على خير انبيائه

﴿سورة الطلاق مكية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر يا كريم﴾

﴿قوله لانه امام امته﴾ يعنى ان النداء عام كالحكم الا انه عليه الصلاة والسلام خص بالنداء صورة اظهارا لتقدمه واعتبارا لترؤسه ﴿قوله او لان الكلام معه﴾ يعنى لا نسلم ان المقام مقام تعميم النداء بل المقام يقتضى تخصيصه عليه الصلاة والسلام بالنداء لان الكلام معه وليس المراد الا تعميم الحكم ﴿قوله والمعنى اذا اردتم تطليقهن﴾ ولو كان المعنى اذا اوقعتم التطليق كما هو الظاهر من العبارة لما كان لترتيب قوله فطلقوهن لعدتهن عليه وجه والتعبير عمن هو بصدد التطليق مطلقا مجاز باعتبار ما يؤول اليه كقوله تعالى حكاية انى اعصر خمرا وقوله عليه الصلاة والسلام ٭ من قتل قتيلا فله سلبه ٭ وليس المراد به المقتول حقيقة لان قتله محال سمى من يريد التطليق ويقبل عليه مطلقا لكونه مشارفا له وجعل المشارف للشئ بمنزلة من شرع فى ذلك الشئ فان تنزيل المشارف للشئ منزلة من شرع فيه كثير الا ترى الى انه عليه الصلاة والسلام جعل الماشى الى الصلاة والمنتظر لها بمنزلة من شرع فيها حيث قال ٭ اذا اقيمت الصلاة فلا تأتوها تسعون واتوها تمشون وعليكم السكينة فان احدكم اذا كان يعمد الى الصلاة فهو فى صلاة ٭ وقال عليه الصلاة والسلام ٭ لا يزال احدكم فى الصلاة ما انتظر الصلاة ٭ ﴿قوله اى وقتها﴾ على ان اللام للتأقيت بمعنى فى كما فى قوله تعالى هو الذى اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب من ديارهم لاول الحشر فمعنى الآية فطلقوهن فى عدتهن اى فى الزمان الذى يصلح لعدتهن وهو الطهر فان المطلقة اذا كانت ممن تحيض فان عدتها لا تنقضى الا بانقضاء ثلاثة قروء لقوله تعالى والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلاثة قروء والتربص الانتظار والقرء بالفتح لفظ مشترك بين الطهر والحيض ويجمع على اقراء وقروء والائمة الحنفية حملوا القرء على الحيض بناء على ان الغرض من ايجاب العدة العلم ببراءة الرحم وذلك يحصل بالحيض لا بالاطهار ولان قوله عليه الصلاة والسلام ٭ دعى الصلاة ايام اقرائك ٭ صريح فى ان المراد به الحيض والامام الشافعى حمله على الاطهار ودلائل الفريقين مذكورة فى موضعها وثمرة الخلاف تظهر فيما اذا طلق الرجل حال طهرها فانه لا تنقضى عدتها ما لم تطهر من الحيضة الثالثة عند الحنفية وعند الشافعية لما شرعت فى الحيضة الثالثة انقضت عدتها واتفق الفريقان على ان زمان الطلاق المشروع هو زمان الطهر الخالى عن الجماع لما روى نافع ان ابن عمر طلق امرأته وهى حائض طلقة واحدة فامره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يراجعها ثم يمسكها حتى تطهر من حيضتها فان

(وان تعفوا) عن ذنوبهم بترك المعاقبة (وتصفحوا) بالاعراض وترك التثريب عليها (وتغفروا) باخفائها وتمهيد معذرتهم فيها (فان الله غفور رحيم) يعاملكم بمثل ما عملتم ويتفضل عليكم (انما اموالكم واولادكم فتنة) اختبار لكم (والله عنده اجر عظيم) لمن آثر محبة الله وطاعته على محبة الاموال والاولاد والسعى لهم (فاتقوا الله ما استطعتم) اى ابذلوا فى تقواه جهدكم وطاقتكم (واسمعوا) مواعظه (واطيعوا) اوامره (وانفقوا) فى وجوه الخير خالصا لوجهه (خيرا لانفسكم) اى افعلوا ما هو خير لها وهو تأكيد للحث على امتثال هذه الاوامر ويجوز ان يكون صفة مصدر محذوف اى انفاقا خيرا او خبرا لكان مقدر جوابا للاوامر (ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون) سبق تفسيره (ان تقرضوا الله) بصرف المال فيما امره (قرضا حسنا) مقرونا بالاخلاص وطيب قلب (يضاعفه لكم) يجعل لكم بالواحد عشرة الى سبعمائة واكثر وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب يضعفه لكم (ويغفر لكم) ببركة الانفاق (والله شكور) يعطى الجزيل بالقليل (حليم) لا يعاجل بالعقوبة (عالم الغيب والشهادة) لا يخفى عليه شئ (العزيز الحكيم) تام القدرة والعلم ٭ عن النبى عليه السلام من قرأ سورة التغابن دفع عنه موت الفجاءة

﴿سورة الطلاق مدنية وآيها اثنا عشرة﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يا ايها النبى اذا طلقتم النساء) خص النداء وعم الخطاب بالحكم لانه امام امته فنداؤه كندائهم او لان الكلام معه والحكم يعمهم والمعنى اذا اردتم تطليقهن على تنزيل المشارف له منزلة الشارع فيه (فطلقوهن لعدتهن) اى وقتها وهو الطهر فان اللام فى الازمان وما يشبهها للتوقيت

اراد ان يطلقها فليطلقها حين تطهر من قبل ان يجامعها فتلك العدّة التى امر الله تعالى ان يطلق لها النساء رواه البخارى ومسلم رحمهما الله تعالى والطلاق البدعىّ ان يطلقها فى حالة الحيض او فى طهر قد جومعت فيه او يوقع ثلاثا بكلمة واحدة فى اىّ حال كان وهو واقع وصاحبه آثم فلما كانت العدّة عند الشافعية هى الاطهار الثلاثة كان المناسب ان تكون اللام فى قوله تعالى لعدّتهنّ للتأقيت بمعنى فى عدّتهنّ اى فى الوقت الذى يصلح لعدّتهنّ وهو الطهر فعلى هذا تتعلق اللام بقوله طلقوهنّ واما من حمل القرء على الحيض وعدّ العدّة بها فانه لا يمكنه جعل اللام للتأقيت للاجماع على ان الطلاق فى حالة الحيض منهى عنه بل يجعلها متعلقة بمحذوف دل عليه معنى الكلام فيجعل تقدير الكلام فطلقوهنّ مستقبلات لعدّتهنّ اى متوجهات اليها واذا طلقت المرأة فى الطهر المتقدم على القرء الاول من اقرآئها فقد طلقت مستقبلة لعدّتها كقولك أتيته لليلة بقيت من المحرّم اى مستقبلا لها وفى قرآءة رسول الله صلى الله عليه وسلم من قبل عدّتهنّ والمراد ان يطلقن فى طهر لم يجامعن فيه ثم يتركن حتى تنقضى عدّتهنّ وهذا احسن الطلاق واجله فى السنة وهو ابعد عن الندم من تفرقة الثلاث فى ثلاثة اطهار والامام مالك رحمه الله لا يرى السنىّ الا واحدة فى طهر خلا عن الجماع ويكره الثلاث مجموعة كانت او متفرّقة وعند الامام الشافعى لا بأس بارسال الثلاث وقال لا اعرف فى الطلاق سنة ولا بدعة وهو مباح كله فى وقت السنة وعندنا يراعى التفريق والوقت ليكون سنيا والآية تدل على ايقاع الطلاق فى الطهر ودلت السنة على ان ذلك الطهر يجب ان يكون خاليا عن الجماع حتى يكون الطلاق سنيا وهى ما روى انه عليه الصلاة والسلام قال فى حق ابن عمر فان اراد ان يطلقها فليطلقها حين تطهر من قبل ان يجامعها ﴿قوله وظاهره يدل على ان العدّة بالاطهار﴾ كما ذهب اليه الامام الشافعى لانه تعالى لما قال فطلقوهنّ لعدّتهنّ اى فى زمان عدّتهنّ وهو الزمان الذى يصح ان تعتدّ فيه وهو زمان الطهر لان زمان العدّة لو كان زمان الحيض لكان معنى الآية فطلقوهنّ فى زمان الحيض والتطليق فيه بدعىّ حرام بالاجماع فعلم منه ان طلاق من تحيض ينبغى ان يكون فى الطهر وان عدّتها تكون بالاطهار لا بالحيض ﴿قوله واضبطوها وأكملوها﴾ امر الله تعالى الذين طلقوا النساء بان يضبطوا فصول عدّتها واكمالها سوآء كانت عدّتها بالاقرآء او بالاشهر ليتمكنوا من تفريق الطلاق على الاقرآء اذا ارادوا تطليقها ثلاثا وليعلموا بقاء زمان الرجعة ويتمكنوا من الرجعة ان حدثت لهم داعية الرجعة وليعلموا بقاء زمان وجوب الانفاق عليهم وانقضائه ثم امرهم بان يتقوا الله ولا يعصوه فيما امرهم به ونهاهم عنه بقوله ولا تضارّوهنّ لتضيقوا عليهنّ ومن الضرار بها ان يراجعها فى عدّتها لا لقصد الامساك بالمعروف والاحسان بل ليطلقها ثانيا لتطويل العدّة عليها ﴿قوله من مساكنهنّ﴾ اى التى يسكنها قبل الطلاق اشارة الى ان اضافة البيوت اليهنّ مع انها بيوت الازواج للاستيفاء بهنّ من حيث السكنى ﴿قوله وفى الجمع بين النهيين﴾ اى بين النهى عن الاخراج والخروج دلالة على انها تستحق على الزوج ان يسكنها فى مسكن فيه قبل الطلاق كما تستحق عليه النفقة وعلى انه يلزمها ان تلازم مسكن الفراق فان النص بعبارته لما اثبت حرمة الاخراج عليه اثبت بدلالته انها تستحق على الزوج السكنى وكذا لما اثبت حرمة الخروج عليها اثبت بدلالته ان يجب عليها ملازمة مسكن الفراق وقوله ملازمة مسكن الفراق مرفوع على انه فاعل لزومها ﴿قوله اما لو اتفقا على الانتقال جاز﴾ هذا عند الامام الشافعى رحمه الله تعالى واما عند ابى حنيفة رحمه الله تعالى فلا اثر لاذن الازواج فى اباحة خروجهنّ لان وجوب ملازمة مسكن الفرقة عليها حق الشرع بناء على ان خروجها منه حرام بصريح نهى الشارع عنه وحق الشرع لا يسقط باسقاط العبد وقال الامام الشافعى هو حق العبد فان المعتدّة تستحق على الزوج النفقة والسكنى لكونها محتبسة فى منزل الزوج لنفعة تعود اليه فان العدّة انما وجبت عليها صيانة لمائه عن الاشتباه وللانساب عن الالتباس فانه لو لم تجب العدّة عليها لربما تزوّجت بآخر واتت بولد لستة اشهر فلا يعلم ان الولد لايهما فلما كانت محبوسة لنفعة ترجع على الزوج وجبت مؤنتها عليه فاستحقت السكنى والنفقة عليه وكذا الزوج يستحق عليها ان تلازم مسكنه مادامت فى العدّة لان العدّة من توابع النكاح ومقتضياته ففى حال بقاء العدّة صار النكاح كأنه قائم فيستحق عليها ان تكون فى مسكنه حال العدّة كما تكون فيه حال قيام النكاح فلما كان الحق لا يعدوهما جاز لها الانتقال اذا اتفقا عليه ﴿قوله مستثنى من الاوّل﴾ وهو النهى عن الاخراج وحينئذ يحتمل ان يراد بالفاحشة بذآؤها على زوجها واحمائها والبذآء بالمدّ الفحش بالقول واطالة اللسان والاحماء المرأة اقارب زوجها وكل شئ من قبل الزوج مثل الاب والاخ فهم احماء واحدهم حم ويحتمل ان يراد بها الزنى فتخرج ليقام عليها

ومن عدّ العدّة بالحيض علق اللام بمحذوف مثل مستقبلات وظاهره يدل على ان العدّة بالاطهار وان طلاق العدّة بالاقرآء ينبغى ان يكون فى الطهر وانه يحرم فى الحيض من حيث ان الامر بالشئ يستلزم النهى عن ضدّه ولا يدل على عدم وقوعه اذ النهى لا يستلزم الفساد كيف وقد صح ان ابن عمر رضى الله عنه لما طلق امرأته حائضا امره عليه الصلاة والسلام بالرجعة وهو سبب نزوله (واحصوا العدّة) واضبطوها وأكملوها ثلاثة اقرآء (واتقوا الله ربكم) فى تطويل العدّة والاضرار بهنّ (لا تخرجوهنّ من بيوتهنّ) من مساكنهنّ وقت الفراق حتى تنقضى عدّتهنّ (ولا يخرجن) باستبدادهنّ اما لو اتفقا على الانتقال جاز اذ الحق لا يعدوهما وفى الجمع بين النهيين دلالة على استحقاقها السكنى ولزومها ملازمة مسكن الفراق وقوله (الا ان يأتين بفاحشة مبينة) مستثنى من الاوّل والمعنى الا ان تبذو على الزوج فانه كالنشوز فى اسقاط حقها او الا ان تزنى فتخرج لاقامة الحدّ عليها

الحدّ فضل للازواج اخراجهن من بيوتهن لبذآتهن وسوء خلقهن روى ان فاطمة بنت قيس كانت فى نساء
فاستطالت على احمائها فى عدّتها فامرها رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تعتدّ فى بيت ابن ام مكتوم واذا زنت
تخرج لاقامة الحدّ عليها ثم تردّ الى منزلها ﴿ قوله او من الثانى ﴾ وهو النهى عن الخروج فحينئذ يكون
المراد بالفاحشة خروجهن قبل انقضاء العدّة ويكون المعنى ولا يخرجن الا اذا ارتكبن الفاحشة بالخروج وهذا
ابلغ فى المنع عن الخروج من حيث دلالته على علة المنع عنه وهى كونه فاحشة وقوله تعالى الا ان يأتين حال من
فاعل لا يخرجن او من مفعول لا تخرجوهن اى لا يخرجن او لا تخرجوهن فى حال من الحالات الا فى حال كونهن
آتيات بفاحشة وان مع الفعل فى تأويل المصدر اى الا اتيانا بمعنى آتيات بفاحشة او الا ذوات اتيان بفاحشة
﴿ قوله الاشارة الى الاحكام المذكورة ﴾ وهى ان يطلق الرجل امرأته اذا شاء تطليقها وقت عدّتهن
اى فى الزمان الذى يصلح لعدّتهن وهو زمان طهر لم يجامعها فيه وما سواه من الاحكام والحدود وهى الامور
المانعة من المجاوزة شبهت احكام الله تعالى بها فاطلق عليها اسم الحدود ﴿ قوله وهو الرغبة فى المطلقة ﴾
اى بعد الرغبة عنها وتطليقها على الوجه المذكور فان المفسرين اجمعوا على ان المراد بالامر ههنا الرغبة فى الرجعة
والندامة على عزيمة الطلاق والميل الى امساكها بالمعروف والآية تعليل للمحافظة على الاحكام المذكورة
من تطليقهن لعدّتهن واحصاء العدة والتجانب عن الاخراج والخروج فان التطليق على الوجه المذكور لما لم
يقطع على الزوج سبيل الرجعة صح تعليله بقوله لعل الله يحدث بعد ذلك امرا فان العدّة اذا لم تكن مضبوطة
او انتقلت المرأة من منزل زوجها اشكل امر الرجعة وهذا يدل على ان الاحسن ان يطلقها الرجل واحدة ثم
يتركها حتى تنقضى العدّة او يفرّق تطليقها ويطلقها ثلاثا فى ثلاثة اطهار لانه حينئذ يمكن للزوج رجعتها ان ندم
على ما فعل بخلاف ما اذا اوقع الثلاث دفعة واحدة لانه حينئذ لا يمكن له ان يراجعها ولا ان يستأنف نكاحها
الا بعد التحلل بزوج آخر فانه اذا جمع الثلاث فى وقت واحد لم يبق معنى لقوله لعل الله يحدث بعد ذلك امرا
﴿ قوله شارفن آخر عدّتهن ﴾ فسر بلوغ الاجل الذى هو آخر العدّة بمقاربة انقضائه كما فسر قوله
طلقتم النساء بقوله اردتم طلاقهن لانه لا يمكن الرجعة بعد بلوغهن آخر العدّة حتى يقال اذا بلغن آخر عدّتهن
فانتم بالخيار ان شئتم الرجعة والامساك بالمعروف وان شئتم ترك الرجعة وابقاء الفراق ﴿ قوله على الرجعة
او الفرقة ﴾ لما كان الامر بالاشهاد للندب عند ابى حنيفة وعند الامام الشافعى فى احد قوليه كان معنى الآية
واشهدوا عند الرجعة والفرقة جميعا الا النزاع فى كونه مندوبا عند كل واحد منهما فاراد كلمة او فى قوله او الفرقة
بناء على ان الواقع احدهما والمعنى ان اختار الرجعة اشهد عليها وان اختار الفرقة وتركها حتى انقضت عدّتها
اشهد عليها ﴿ قوله تبريا من الريبة ﴾ علة الاشهاد على الرجعة فانه اذا راجعها ولم يشهد عليها يتهم
فى امساكها بانه امسك المطلقة وقوله وقطعا للتنازع يصح كونه علة لكل واحد من الاشهاد على الرجعة وعلى
الفرقة فانه ان لم يشهد على الرجعة ربما انكرت المرأة بعد انقضاء العدّة رجعته فيها وان لم يشهد على الفرقة
ربما يموت احدهما فيدعى الباقى منهما ثبوت الزوجية ﴿ قوله وعن الشافعى وجوبه فى الرجعة ﴾
اشارة الى ان الامام الشافعى له قولان فى قول يجب الاشهاد على الرجعة وفى قول آخر لا يجب بل هو مندوب
فى كل واحد من الرجعة والفرقة وهو قول ابى حنيفة رحمهما الله ﴿ قوله يريد الحث على الاشهاد
والاقامة ﴾ يعنى ان قوله ذلكم يجوز ان يكون اشارة الى ما ذكر من قريب وهو الاشهاد والاقامة
وان يكون اشارة الى جميع ما فى الآية من ايقاع الطلاق على وجه السنة واحصاء العدّة والامتناع عن
الاخراج والخروج والاشهاد واقامة الشهادة بادآئها على وجهها من غير تبديل وتغيير خالصا لوجه من غير
توقع جعل ورجح الاوّل افراد المشار اليه والثانى كونه اشدّ ملاءمة لقوله ومن يتق الله يجعل له مخرجا
لاسيما على تقدير كونه معترضا اى جملة اعتراضية بين قوله تعالى يا ايها النبى اذا طلقتم النساء الى قوله واليوم
الآخر وبين قوله واللائى يئسن من المحيض من نسائكم الآية فان القولين مرتبطان فانه على تقدير كونه معترضا
يكون المقصود منه تأكيد ما ذكر من اوّل السورة الى هنا مما يتعلق بطلاق النساء وامساكهن واذا كانت
الاشارة الى ذلك المجموع ايضا يتلائم الكلامان ﴿ قوله من الطلاق فى الحيض ﴾ فانه منهى عنه
فى ضمن قوله تعالى واتقوا الله ربكم ويكون المعنى ومن يتق الله وطلق للسنة ولم يضار المعتدّة ولم يخرجها من

او من الثانى للمبالغة فى النهى والدلالة على
ان خروجها فاحشة (وتلك حدود الله)
الاشارة الى الاحكام المذكورة (ومن يتعد
حدود الله فقد ظلم نفسه) بان عرّضها للعقاب
(لا تدرى) اى لا تدرى النفس او انت
ايها النبى او المطلق (لعل الله يحدث بعد
ذلك امرا) وهو الرغبة فى المطلقة برجعة
او استئناف (فاذا بلغن اجلهن) شارفن
آخر عدّتهن (فامسكوهن) فراجعوهن
(بمعروف) بحسن عشرة وانفاق مناسب
(او فارقوهن بمعروف) بايفاء الحق واتقاء
الضرار مثل ان يراجعها ثم يطلقها تطويلا
لعدّتها (واشهدوا ذوى عدل منكم) على
الرجعة او الفرقة تبريا من الريبة وقطعا
للتنازع وهو ندب كقوله واشهدوا اذا تبايعتم
وعن الشافعى وجوبه فى الرجعة (واقيموا
الشهادة) ايها الشهود عند الحاجة (لله)
خالصا لوجهه (ذلكم) يريد الحث على
الاشهاد والاقامة او على جميع ما فى الآية
(يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر)
فانه المنتفع به والمقصود تذكيره (ومن
يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث
لا يحتسب) جملة اعتراضية مؤكدة لما
سبق بالوعد على الاتقاء عما نهى عنه صريحا
او ضمنا من الطلاق فى الحيض والاضرار
بالمعتدة واخراجها من المسكن وتعدى حدود
الله وكتمان الشهادة وتوقع جعل على اقامتها
بان يجعل الله له مخرجا مما فى شأن الازواج
من المضايق والغموم ويرزقه فرجا وخلفا
من وجه لم يخطر بباله او بالوعد لعامة المتقين
بالخلاص من مضار الدارين والفوز بخيرهما
من حيث لا يحتسبون

مسكنها واحتاط فأشهد يجعل الله له مخرجا فى شأن الازواج من الغموم والوقوع فى المضايق ويفرج عنه ويرزقه من وجه لايخطر بباله ان اعطاها مهرها وافيا وأدى الحقوق قل ماله او كثر وقوله بان يجعل الله له مخرجا متعلق بقوله بالوعد على الاتقاء وقوله او بالوعد لعامة المتقين معطوف على قوله بالوعد فان وعد عامة المتقين يؤكد ماسبق من قوله واتقوا الله ربكم كان الوعد على الاتقاء عمانهى عنه صريحا او ضمنا مما ذكر من اول السورة الى هنا يؤكد ذلك ﴿ قوله او كلام جيء به ﴾ عطف على قوله جملة اعتراضية ووجه الاستطراد فيه عدم تعلقه بماسبق عليه لكونه تأكيدا له او بيانا او نحو ذلك وانما ذكر فى هذا الموضع من حيث انه تعالى امر المؤمنين بامساكهن او تطليقهن بالمعروف وذكر امورا شتى ثم اشار الى جميع ذلك بطريق الفذلكة وحكم عليه بانه موعظة وتذكير للمتقين الذين يذكرون الله تعالى واليوم الآخر فى جميع شؤنهم فلما انجر الكلام الى ذكرهم اردف الكلام بذكر الوعد على ايمانهم واتقائهم بالخلاص من مضار الدارين والفوز بخيرهما من حيث لايحتسبون استطرادا اى من غير ان يقصد به تعلقه بما كلف به المؤمنون فى حق امساك النساء وتطليقهن وان دخل فيهم الذين يتقون عمانهى عنه بالآية المتقدمة صريحا او ضمنا بماسبق من الآيات ﴿ قوله وعنه عليه الصلاة والسلام الخ ﴾ تأييد لكونه استطرادا ﴿ قوله تغفل عنها العدو ﴾ اى اغتنم غفلتهم عنها واخذها منهم على غفلة وفى الصحاح تغفلته اذا اهتبلت غفلته والاهتبال الاغتنام ووجد ان الفرصة ﴿ قوله وقرأ حفص بالاضافة ﴾ اى برفع بالغ من غير تنوين وجر امره على اضافة اسم الفاعل الى مفعوله للتخفيف وقرأ الباقون بالتنوين والنصب على الاصل لان بالغ اسم فاعل بمعنى الاستمرار المتناول للحال والاستقبال فيعمل عمل الفعل فينصب مفعوله كما ينصبه بلغ فى قوله فاذا بلغن اجلهن وقرئ بالغ امره بتنوين بالغ ورفع امره اى على انه فاعل بالغ بمعنى نافذ والمعنى ان الله امره نافذ ويحتمل ان يكون ارتفاع امره على الابتداء وبالغ خبره والجملة خبر ان وبالغا حال من فاعل قدجعل فيكون لفظ الجلالة فى قوله قدجعل الله من وضع الظاهر موضع الضمير ﴿ قوله وهو بيان لوجوب التوكل ﴾ فلذلك لم يعطف على قوله ومن يتوكل على الله ووجه كونه بيانا له ان من كان بالغا امره ولايعجزه شيء من المطالب وجعل لكل شيء من الشدة والرخاء وغيرهما من الحوادث المتجددة تقديرا ومقدارا احدا معينا او اجلا ونهاية ينتهى اليه البتة ولايتأتى تغييره لاجرم يجب على كل عاقل ان يتوكل عليه ولايبق له سوى التسليم والاعتماد على تقديره والرضى بقضائه ووجه كونه تقريرا لما تقدم وتمهيدا لماسيأتى ظاهر ﴿ قوله تعالى واللائى ﴾ مبتدأ ويئسن من المحيض صلته ومن الاولى لابتداء الغاية متعلقة بيئسن والثانية للتبيين متعلقة بمحذوف وقوله ان ارتبتم شرط وقوله فعدتهن مبتدأ وثلاثة اشهر خبره والجملة الاسمية جواب الشرط والفاء فيها فاء الجواب والجملة الشرطية فى محل الرفع على انها خبر اللائى ومتعلق الارتياب محذوف والتقدير ان ارتبتم فى عدتهن فعدتهن كذا وواحد اللائى التى وقوله واللائى لم يحضن مبتدأ حذف خبره لدلالة خبر المبتدأ الاول فقدره الزمخشرى جملة حيث قال والمعنى فعدتهن ثلاثة اشهر ايضا والاولى ان يقدر مفردا كما فعله المصنف حيث قال واللائى لم يحضن بعد كذلك او مثلهن وقوله واولات الاحمال مبتدأ واجلهن مبتدأ ثان وان يضعن حملهن خبر الثانى والجملة خبر الاول ويجوز ان يكون اجلهن بدل اشتمال من اولات وان يضعن خبره واولات واحدتها ذات ولا واحد لها من لفظها روى انه لما نزلت عدة ذوات الاقراء والمتوفى عنها زوجها فى سورة البقرة قال بعضهم يارسول الله ان ناسا يقولون قدبقى من النساء مالم يذكر فيه شيء قال ماهو قال الصغار والكبار وذوات الاحمال فنزلت الآيات الثلاث لبيان عدتهن ﴿ قوله وهو حكم يعم المطلقات والمتوفى عنهن ازواجهن ﴾ يعنى ان الحكم بانقضاء العدة بوضع الحمل حكم كل من كانت ذات حمل سواء كانت مطلقة او متوفى عنها زوجها لماروى عن عمر رضى الله عنه انه قال لو وضعت مافى بطنها وزوجها المتوفى على سريره لم يدفن بعد لانقضت عدتها وحلت للازواج وعن على وابن عباس رضى الله عنهما عدة الحامل المتوفى عنها زوجها ابعد الاجلين اما وضع الحمل او بانقضاء اربعة اشهر وعشر فايهما ابعد من الآخر تعتد به لانه لما وقع التعارض بين قوله تعالى واولات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن وبين قوله تعالى فى سورة البقرة والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا واقتضت الآية الاولى ان تنقضى عدتها بوضع الحمل وان وضعت عقيب موت زوجها بيوم او ساعة واقتضت الآية الثانية ان لاتنقضى عدتها الا بمضى اربعة اشهر وعشر فجمع بينهما احتياطا

او كلام جيء به للاستطراد عند ذكر المؤمنين وعنه عليه الصلاة والسلام انى لأعلم آية لو اخذ الناس بها لكفتهم ومن يتق الله فمازال يقرأها ويعيدها روى ان سالم بن عوف بن مالك الاشجعى اسره العدو فشكا ابوه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اتق الله واكثر قول لاحول ولاقوة الا بالله ففعل فبينا هو فى بيته اذ قرع ابنه الباب ومعه مائة من الابل تغفل عنها العدو فاستاقها فنزلت (ومن يتوكل على الله فهو حسبه) كافيه (ان الله بالغ امره) يبلغ مايريده ولايفوته مراد وقرأ حفص بالاضافة وقرئ بالغ امره اى نافذ وبالغا على انه حال والخبر (قدجعل الله لكل شيء قدرا) تقديرا او مقدارا او اجلا لايتأتى تغييره وهو بيان لوجوب التوكل وتقرير لما تقدم من تأقيت الطلاق بزمان العدة والامر باحصائها وتمهيد لماسيأتى من مقاديرها (واللائى يئسن من المحيض من نسائكم) لكبرهن (ان ارتبتم) شككتم فى عدتهن اى جهلتم (فعدتهن ثلاثة اشهر) روى انه لما نزل والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلاثة قروء قيل فما عدة اللائى لم يحضن فنزلت (واللائى لم يحضن) اى واللائى لم يحضن بعد كذلك (واولات الاحمال اجلهن) منتهى عدتهن (ان يضعن حملهن) وهو حكم يعم المطلقات والمتوفى عنهن ازواجهن

وعامة الصحابة على ان عدتها انما تنقضى بوضع الحمل واختاره المصنف حيث قال والمحافظة على عمومه اولى من محافظة عموم قوله والذين يتوفون منكم وتفصيل المقام ان كل واحدة من اولات الاحمال والمتوفى عنها زوجها عام من الآخر من وجه وخاص منه من وجه آخر لتصادقهما فى الحامل المتوفى عنها زوجها وصدق الاولى بدون الثانية فى الحامل المطلقة وصدق الثانية بدون الاولى فى المتوفى عنها زوجها وقد حكم على كل واحدة منهما بحكم يخالف حكم الاخرى فتعارضت الآيتان بحسب الظاهر اذ المراد بالتعارض ان يكون اقتضاء احد الدليلين من الحكم فى مادة معينة خلاف ما يقتضيه الدليل الآخر والآيتان كذلك فى مادة تناولهما وهى الحامل المتوفى عنها زوجها وانما قلنا انهما متعارضتان بحسب الظاهر بناء على ما تقرر من امتناع التعارض الحقيقى بين الادلة الشرعية لان التعارض الحقيقى بينها ان يكون بان ينزل الشارع دليلين متناقضين فى زمان واحد وهو تكليف بما لا يطاق وهو وان كان جائزا عند الاشاعرة الا انه غير واقع بالاتفاق فلابد ان يكون نزول احد المتعارضين سابقا على نزول الآخر فيكون المتأخر نزوله ناسخا للمتقدم ان علم تاريخ نزولهما وان جهل توهم تعارضهما بالنسبة الينا وان لم يتعارضا فى الواقع وما نحن فيه من الآيتين من هذا القبيل فانهما متعارضتان بحسب الظاهر فى مادة تناولهما ﴿ قوله والحكم معلل هنا ﴾ وذلك ان الحكم بان اجلهن وضع حملهن رتب على الموصوفات بكونهن اولات احمال وتعليق الحكم بالوصف الصالح لعلية مشعر بالعلية لذلك الحكم كما اذا قلت المسكر حرام بخلاف حكم يتربصن اذ لا تعرض فيه لعلية الحكم فاختار المصنف ان يحافظ على عموم آية سورة الطلاق ويعمل بحكمها فى جميع من يصدق عليها انها ذات حمل حرة كانت او امة مطلقة او متوفى عنها زوجها ويلزم من ذلك ان يخصص عموم قوله ازواجا فى قوله ويذرون ازواجا بحملها على غير الحامل المتوفى عنها زوجها واستدل عليه بوجوه الاول ان اولات الاحمال عام بذاته اى بالنظر الى نفس لفظ اولات الاحمال مع قطع النظر عن امر خارج عن نفس مفهوم اللفظ بخلاف عموم ازواجا فانه نكرة فى سياق الاثبات ولا عموم لها بذاتها عند الجمهور بل هو عام بالعرض فان عموم ازواجا انما يستفاد من وقوعه فى حيز صلة الموصول اى بالنظر الى نفس لفظ ازواجا وقولهم ان ازواجا فى آية المتوفى عنها ثم لاولات الاحمال وغيرها لم يريدوا به نفس لفظها بل المراد عمومها بواسطة كونها فى حيز صلة الموصول العام بذاته ولما كان عموم ازواجا بالعرض لم يصلح معارضا لعموم العام بذاته فلذلك حملت الازواج فى آية المتوفى عنها زوجها على غير الحوامل والثانى ان الحكم فى آية سورة الطلاق معلل بكون المعتدة ذات حمل لما اشتهر من ان تعلق الحكم على الوصف الصالح لعلية تعليل لذلك الحكم به ولا شك ان كون الرحم مشغولا بحق الغير يصلح لان يكون علة لكون المرأة ممنوعة عن التزوج الى فراغ رحمها منه وهذه العلة متحققة فى كل واحدة من الحامل المطلقة والحامل المتوفى عنها زوجها فوضع حملها يكون علة لفراغ رحمها منه وعدم وضعها يكون علة لممنوعيتها عن التزوج الى فراغ رحمها منه كالحامل المطلقة وان يكون الاعتداد بالتربص المذكور فى سورة البقرة مختصا بمن لم تكن ذات حمل لان الحكم بان عدة المتوفى عنها زوجها التربص المذكور غير معقول المعنى بل هو امر تعبدى لا تعرض فيه لعلة والحكم المعلل اقوى فهو بالاعتبار اولى وعدم تخلفه عما تخلفت العلة فيه اجدر واحرى والثالث انه عليه افضل الصلاة والسلام حكم بانقضاء عدة الحامل المتوفى عنها زوجها بمجرد وضع حملها من غير ان يمضى عليها بعد وفاة زوجها اربعة اشهر وعشر فهذا الحديث صريح فى اعتبار عموم اولات الاحمال للمطلقات والمتوفى عنهن ازواجهن وتخصيص ازواجا بغير الحامل كما فعله عمر رضى الله عنه فيما روينا عنه آنفا والرابع يتوقف بيانه على مقدمة وهى ان الائمة الحنفية والشافعية رحمهم الله اختلفوا فيما اذا تعارض الخاص والعام فذهب الشافعية الى ان الخاص يخصص العام مطلقا اى سواء علم تاريخ نزولهما او لم يعلم والحنفية ذهبوا الى ان المتأخر فى النزول عاما كان او خاصا ناسخ للمتقدم اذا علم تاريخ نزولهما ولا يحملون العام على الخاص مطلقا كما ذهب اليه الشافعية اذا مهدت هذه المقدمة فنقول آية سورة الطلاق نزلت بعد آية سورة البقرة لقول عبد الله بن مسعود رضى الله عنه من شاء باهلته عند الحجر الاسود ان سورة النساء القصرى يعنى سورة الطلاق نزلت بعد الآية التى فى سورة البقرة ولما تعارض الدليلان وكانت آية الطلاق متأخرة فى النزول فلا يخلو اما ان تقدم آية الطلاق ويعمل بها فى حق المتوفى عنها زوجها ايضا او بالعكس فاللازم من الاول تخصيص عموم الازواج المذكورة فى سورة البقرة بمن لم تكن ذات حمل وهو صحيح

والمحافظة على عمومه اولى من محافظة عموم قوله والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا لان عموم اولات الاحمال بالذات وعموم ازواجا بالعرض والحكم معلل هنا بخلاف ثم ولانه صح ان سبيعة بنت الحارث وضعت بعد وفاة زوجها بليال فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قد حللت فتزوجى ولانه متأخر النزول فتقديمه تخصيص وتقديم الآخر بناء العام على الخاص والاول راجح لوفاق عليه (ومن يتق الله) فى احكامه فيراعى حقوقها (يجعل له من امره يسرا) تسهل عليه امره ويوفقه للخير

على كل واحد من المذهبين اما على مذهب الامام الشافعى فلأن الخاص الذى هو اولات الاحمال خصص العام وهو المتوفى عنها زوجها بمن لم تكن ذات حمل كما هو مقتضى مذهب الامام الشافعى واما على مذهب ابى حنيفة فلأن آية سورة الطلاق لتأخر نزولها نسخت عموم الازواج المذكورة فى سورة البقرة وخصصتها بمن لم تكن ذات حمل فثبت ان العمل بآية سورة الطلاق موافق واحد من المذهبين بخلاف العمل بآية سورة البقرة فانه لا يوافق مذهب الحنفية لانهم يجعلون مقدم النزول منسوخا بالمتأخر فلا يعملون به وانما يوافق مذهب الشافعية وقيل هو بناء العام على الخاص وحاصله تخصيص العام بالخاص وهو ان يخصص العام بالخاص لانه ان حكم بالتربص فى حق الحامل المتوفى عنها زوجها فقد لزم ان يخصص عموم اولات الاحمال بحملها على المطلقات مع انها بحسب مفهومها تعم المتوفى عنها زوجها قال المصنف فى اصوله المسمى بالمنهاج الخاص اذا عارض العام يخصصه عند الشافعى تقدم او تأخر وابو حنيفة يجعل المتقدم منسوخا ويوقف حيث جهل لنا اعمال الدليلين اولى انتهى كلامه يعنى اذا خصص العام بالخاص يعمل الخاص فى جميع افراده والعام فى بعض افراده ولو جعل العام ناسخا للخاص كان ابطالا للخاص بالكلية مثلا اذا كان المتوفى عنها زوجها خاصا بمن لم تكن ذات حمل وجعل حكم اولات الاحمال ناسخا لحكم المتوفى عنها زوجها وقد فرضنا كونها خاصا بمن لم تكن ذات حمل لزم ابطال حكمها فى حق جميع افرادها واعمال الدليلين بقدر الامكان اولى من ابطال احدهما بالكلية هذا ما تيسر لى فى توضيح المقام بعون الله تعالى ولى الانعام والاطعام فان اصبت الحق فبفضل الله واحسانه وان اخطأت فمن قصور فهمى ونقصانه ثم انه تعالى لما حث على التقوى فى عامة احكامه التى يدخل فيها حكم المعتدات دخولا اوليا بين كيفية التقوى فى حكمين على طريق الاستئناف فكأنه قيل كيف يتق الله تعالى فى حق المعتدات فاجيب بان قيل اسكنوهن من حيث سكنتم الى آخر الآيات ﴿ قوله اى مكانا من مكان سكناكم ﴾ اشارة الى ان من فى قوله من حيث سكنتم للتبعيض والمبعض محذوف فكأنه قيل اسكنوهن مكانا هو بعض من مكان سكناكم ثم فسر مكان سكناهم بقوله من وجدكم اى مما تطيقونه والوجد بالحركات الثلاث فى الواو الوسع والطاقة وقرئ بهن جميعا قال قتادة ان لم يكن الا بيت واحد اسكنها فى بعض جوانبه ﴿ قوله وهو عطف بيان ﴾ نوقش فيه بانه لم يعهد فى عطف البيان اعادة العوامل وانما عهد هذا فى البدل ولذلك اعربه ابو البقاء بدلا من حيث سكنتم كأنه قيل اسكنوهن من وجدكم اى مكانا مما تطيقونه ﴿ قوله تعالى ولا تضاروهن ﴾ اى لا تؤذوهن فى شأن السكنى بسبب من الاسباب كانزال من لا يوافقهن فيه او شغل مكانهن باصحابكم ونحو ذلك لتضيقوا امر السكنى عليهن ﴿ قوله وهذا يدل على اختصاص استحقاق النفقة بالحامل من المعتدات ﴾ وذلك انه تعالى لما ذكر السكنى اطلقها الكل معتدة ولما ذكر النفقة قيدها بالحمل فدل على ان غير الحامل من المعتدات لا نفقة لها وهو مذهب الامام الشافعى فان تعليق الحكم بالشرط يدل على عدمه عند عدم الشرط عنده وعند ابى حنيفة تجب النفقة والسكنى لكل معتدة سوآء كانت مطلقة ثلاثا او واحدة رجعية او بائنة مادامت فى العدة اما المطلقة الرجعية فلأنها منكوحة كما كانت وانما يزول النكاح بمضى المدة وكونه فى معرض الزوال بانقضاء العدة لا يسقط النفقة كما لو آلى او علق طلاقها بمضى شهر مثلا فالمطلقة الرجعية لها النفقة والسكنى بالاجماع واما المبتوتة فعندنا لها النفقة والسكنى جميعا وعند الامام الشافعى لها السكنى ولا نفقة لها الا ان تكون حاملا لهذه الآية ﴿ قوله بعد انقطاع علقة النكاح ﴾ اى بوضع حملهن فان حكمهن بعد انقطاعها حكم الاماء فيجوز استئجارهن لارضاع ولدهن عند الحنفية خلافا للامام الشافعى فانه لا يجوز استئجارها لارضاع ولدها بناء على انه لما لم يجب عليها ارضاع ولدها صارت كالاجنبية فقول المصنف بعد انقطاع علقة النكاح لا يناسب مذهبه فان استئجار الام للارضاع يجوز عنده حال قيام علقة النكاح وبعد انقطاعها لا يجوز الا ان يقال انه ليس للاحتراز بل هو تفسير لمعنى الفاء فى قوله فان ارضعن لكم ﴿ قوله وليأمر بعضكم بعضا ﴾ يعنى ان الائتمار افتعال من الامر يقال ائتمر القوم وتآمروا اذا امر بعضهم بعضا والخطاب للازواج من الرجال والنساء والمراد نهيهم عن ان يحمل بعضهم بعضا على المعسرة والضيق فيما يتعلق بارضاع الولد بان يكلف كل واحد منهما الآخر فوق ما يليق وما يعتاد ثم انه لما ذكر فى هذه السورة حدودا ونهى عن تعديها ذكر الذين تعدوا حدوده من الامم الماضية وما حل بهم تأكيدا لايجاب المحافظة على ما ذكر من الحدود والاحكام وتخويفا من التقصير فى رعايتها فقال وكأين

(ذلك) اشارة الى ما ذكر من الاحكام (امر الله انزله اليكم ومن يتق الله) فى احكامه فيراعى حقوقه (يكفر عنه سيئاته) فان الحسنات يذهبن السيئات (ويعظم له اجرا) بالمضاعفة (اسكنوهن من حيث سكنتم) اى مكانا من مكان سكناكم (من وجدكم) من وسعكم اى مما تطيقونه وهو عطف بيان لقوله من حيث سكنتم (ولا تضاروهن) فى السكنى (لتضيقوا عليهن) فتلجئوهن الى الخروج (وان كن اولات حمل فانفقوا عليهن حتى يضعن حملهن) فيخرجن من العدة وهذا يدل على اختصاص استحقاق النفقة بالحامل من المعتدات والاحاديث تؤيده (فان ارضعن لكم) بعد انقطاع علقة النكاح (فآتوهن اجورهن) على الارضاع (وأتمروا بينكم بمعروف) وليأمر بعضكم بعضا بجميل فى الارضاع والاجر (وان تعاسرتم) تضايقتم (فسترضع له اخرى) امرأة اخرى وفيه معاتبة للام على المعاسرة (لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله) اى فلينفق كل من الموسر والمعسر ما يبلغه وسعه (لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها) فانه تعالى لا يكلف نفسا الا وسعها وفيه تطييب لقلب المعسر ولذلك وعده باليسر فقال (سيجعل الله بعد عسر يسرا) اى عاجلا او آجلا

(من)

من قرية اى وكثير من اهل قرية عتت والعتو بمعنى العناد وهو لا يتعدى بعن وعدى بها فى الآية لتضمنه معنى الاعراض كأنه قيل اعرضت عنه بسبب عتوها وكأين بمعنى كم الخبرية فى كونها للتكثير ﴿ قوله لا ريع فيها اصلا ﴾ مبنى على ان تنوين خسرا للتعظيم ﴿ قوله تعالى الذين آمنوا ﴾ منصوب باضمار اعنى بيانا للمنادى فى قوله يا اولى الالباب او عطف بيان للمنادى او نعت له ﴿ قوله يعنى بالذكر جبريل عليه الصلاة والسلام ﴾ على ان يكون اطلاق الذكر عليه من قبيل التوصيف بالمصدر للمبالغة فى كونه ذكرا او على انه مجاز مرسل من قبيل تسمية الملك المنزل باسم القرآن المنزل والقرآن يطلق عليه الذكر لاشتماله على ذكر الله تعالى او لكونه آمرا به فيكون اطلاقه على الملك مجازا فى المرتبة الثانية او على ان يكون الذكر بمعنى المذكور كضرب الامير فانه عليه الصلاة والسلام مذكور فى السموات او على ان الذكر بمعنى ذى الذكر الذى هو الشرف ﴿ قوله او اطبته على تلاوة القرآن ﴾ يعنى انه عليه الصلاة والسلام شبه بالذكر وهو القرآن لشدة ملابسته به تلاوة او تبليغا فاستعير له اسم الذكر وقرن به ما يلائم المستعار منه وهو الانزال ترشيحا للاستعارة ويجوز ان يكون الانزال مجازا مرسلا عن الارسال بطريق اطلاق اسم السبب على المسبب فان انزال الوحى اليه صلى الله عليه وسلم سبب لارساله ﴿ قوله او اراد به ﴾ اى بالذكر القرآن فيكون رسولا منصوبا بفعل محذوف دل عليه انزل اى انزل الله اليكم القرآن وارسل اليكم رسولا فان انزال الذكر يدل على ارسال الرسول ﴿ قوله او ذكرا مصدر ورسولا مفعوله ﴾ فان المصدر المنون لكونه فى تأويل ان مع الفعل يعمل عمل فعله كما فى قوله تعالى او اطعام فى يوم ذى مسغبة يتيما فكأنه قيل قد انزل الله اليكم ان ذكر رسولا ويكون ذكره الرسول قوله محمد رسول الله ولكن رسول الله ونحوهما ﴿ قوله او بدله على انه بمعنى الرسالة ﴾ والمعنى حينئذ قد انزل اليكم رسالة اى ما يدل على حقية الرسالة فعلى هذا يكون قوله يتلو عليكم حالا من اسم الله ﴿ قوله تعالى مبينات ﴾ قرأه الجمهور على لفظ اسم المفعول اى بينها الله كما قال قد بينا لكم الآيات وقرأ ابن عامر وحفص وحمزة والكسائى بكسر الياء على لفظ اسم الفاعل اى تبين لكم ما تحتاجون اليه من الاحكام وعلى التقديرين هو حال من الآيات واللام فى ليخرج متعلق بانزل لا بقوله يتلو لانه مذكور على سبيل التبعية بخلاف انزل وفاعل انزل اما ضمير البارى تعالى او ضمير الرسول او الذكر ولفظ الماضى فى قوله تعالى يا اولى الالباب الذين آمنوا مبنى على انهم كانوا مؤمنين قبل نزول هذه الآية وقبل خطابهم بما فيها من النداء ﴿ قوله والمراد بالذين فى قوله ليخرج الذين آمنوا ﴾ يعنى ان المراد بالموصول الذى هو تابع المنادى السابق هو الموصول المذكور فى قوله ليخرج الذين آمنوا فيكون الموصول الثانى من وضع الظاهر موضع الضمير اشعارا بان المراد بالنور الذى اخرجوا اليه هو الايمان والعمل الصالح ولما ورد ان يقال الامتنان على الذين آمنوا قبل نزول الآية بان يقال يا أيها الذين آمنوا الآن قد انزلنا اليكم ذكرا رسولا ليخرجكم من ظلمة الكفر والمعاصى الى نور الايمان والطاعة بلام الغاية ولفظ المضارع المشعرين بانهم غير خارجين عنها حال نزول الآية فاسد لانه يستلزم ان يكونوا حال نزول الآية خارجين عن الكفر وغير خارجين عنه * اشار الى جوابه بقوله اى ليحصل لهم ما هم عليه الآن وتقريره ان اللازم من جعل الاخراج غاية للانزال ان لا يكون الاخراج حاصلا زمان الانزال وهو لا ينافى كونه حاصلا زمان الخطاب فالمعنى ايها المؤمنون الآن قد انزلنا اليكم ذكرا قبل هذا الآن ليحصل لكم ما انتم عليه الآن من الايمان والعمل الصالح ﴿ قوله او ليخرج من علم الخ ﴾ عطف على قوله ليخرج الذين آمنوا اى ويحتمل ان يكون المراد بالموصول الثانى ما هو اعم من الاول لان المراد بالموصول الاول هم الذين اتصفوا بالايمان وقت النداء وهو وقت نزول الآية ولا محذور فى ان يخاطبهم الله على سبيل الامتنان ويقول قد انزل الله اليكم ذكرا ليخرج من علم انه يؤمن او قدر انه يؤمن ولا شك ان من علم الله انه يؤمن او من قدر ايمانه اعم من الموجودين المؤمنين وقت النداء ﴿ قوله تعالى خالدين فيها ﴾ حال من الضمير المنصوب فى يدخله وافرد ضمير يدخله حملا على لفظ من وجمع خالدين حملا على معناه ووحد ضميره حملا على اللفظ والحمل على اللفظ بعد الحمل على المعنى قليل وقوله تعالى قد احسن الله له رزقا حال من ضمير يدخله على الترادف لان ذا الحال واحد وقد انتصب عنه حالان او من المنوى فى خالدين على التداخل ﴿ قوله فيه تعجب وتعظيم ﴾ فان الجملة الخبرية الغير الموضوعة لانشاء التعجب قد يقصد بها التعجب كما فى قول الشاعر

○ وجارة جساس أبأنا بنابها ○ كليبا غلت ناب كليب بواؤها ○

(وكأين من قرية) اهل قرية (عتت عن امر ربها ورسله) اعرضت عنه اعراض العاتى المعاند (فحاسبناها حسابا شديدا) بالاستقصاء والمناقشة (وعذبناها عذابا نكرا) منكرا والمراد حساب الآخرة وعذابها والتعبير بلفظ الماضى للتحقيق (فذاقت وبال امرها) عقوبة كفرها ومعاصيها (وكان عاقبة امرها خسرا) لا ربح فيها اصلا (اعد الله لهم عذابا شديدا) تكرير للوعيد وبيان لما يوجب التقوى المأمور بها فى قوله (فاتقوا الله يا اولى الالباب) ويجوز ان يكون المراد بالحساب استقصاء ذنوبهم واثباتها فى صحائف الحفظة وبالعذاب ما اصيبوا به عاجلا (الذين آمنوا قد انزل الله اليكم ذكرا رسولا) يعنى بالذكر جبريل عليه السلام لكثرة ذكره او لنزوله بالذكر وهو القرآن او لانه مذكور فى السموات او ذا ذكر اى شرف او محمدا عليه الصلاة والسلام لمواظبته على تلاوة القرآن او تبليغه وعبر عن ارساله بالانزال ترشيحا او لانه مسبب عن انزال الوحى اليه وابدل منه رسولا للبيان او اراد به القرآن ورسولا منصوب بمقدر مثل ارسل او ذكرا مصدر ورسولا مفعوله او بدله على انه بمعنى الرسالة (يتلو عليكم آيات الله مبينات) حال من اسم الله او صفة رسولا والمراد بالذين فى قوله (ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات) الذين آمنوا بعد انزاله اى ليحصل لهم ما هم عليه الآن من الايمان والعمل الصالح او ليخرج من علم او قدر انه يؤمن (من الظلمات الى النور) من الضلالة الى الهدى (ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا) وقرأ نافع وابن عامر ندخله بالنون (قد احسن الله له رزقا) فيه تعجب وتعظيم لما رزقوا من الثواب

جملة خبرية قصد بها التعجب وكان كل واحد من جساس وكليب رئيس القبيلة على حدة وجارة جساس امرأة اسمها بسوس يقال انها خالة جساس وكان لها ناقة مسنة فرآها كليب في حماه فرماها بسهم فقتلها فشكت بسوس صاحبة الناقة الى ابن اختها جساس فغضب فقتل كليبا قصاصا الناقة بسوس فهاجت حرب بين بكر وهى قبيلة جساس ووائل وهى قبيلة كليب اربعين سنة حتى ضرب بها المثل في الشؤم وقيل اشأم من بسوس وبها سميت حرب بسوس وضرب لكل ما يعتنى بشأنه ويبالغ في حفظه اعز من حمى كليب والاباءة الاقتصاص وأبأت القتيل بالقتيل اذا قتلته من البواء وهو السواء والناب الناقة المسنة وجعل قوله تعالى قد احسن الله رزقا من قبيل ما قصد به التعجب لانه لو جعل خبرا محضا لما كان في ذكره كثير فائدة لان المراد بالرزق ما رزقوه في الجنة ومعلوم انه حسن وان حسنه خارج عما تدركه العقول والاوهام ﴿ قوله اى وخلق مثلهن في العدد من الارض ﴾ اشارة الى ان مثلهن منصوب بفعل مقدر بعد الواو دل عليه الفعل الناصب لسموات ولم يجعله معطوفا على سبع سموات كما ذهب اليه صاحب الكشاف لانه يستلزم الفصل بين حرف العطف والمعطوف بالجار والمجرور وهو مكروه في غير موضع الضرورة وقرئ مثلهن بالرفع على الابتداء وخبره من الارض قدم عليه ذهب الجمهور الى ان الارض سبع ارضين طباقا بعضها فوق بعض بين كل ارض وارض مسافة كما بين السماء والسماء وفي كل ارض سكان من خلق الله وقال الضحاك ان الارضين ايضا سبع لكنها مطبقة بعضها فوق بعض لا فتوق بينها بخلاف السموات قال القرطبي والاول اصح لان الاخبار دالة على ذلك ﴿ قوله اى يجرى امر الله وقضاؤه بينهن ﴾ وهو ما يدبر فيهن من عجائب تدبيره على ايدي الملائكة والثقلين * تمت سورة الطلاق بعون الله الملك الخلاق ومنه وكرمه

﴿ سورة التحريم مدنية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم وبه الاعانة ﴾

﴿ قوله فواطأت ﴾ اى فوافقت روى عن عائشة رضى الله عنها انها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب الحلوى ويحب العسل وكان اذا صلى العصر دار على نسائه فيدنو منهن فدخل على حفصة بنت عمر رضى الله عنهما فاحتبس عندها اكثر مما كان يحتبس فسألت عن ذلك فقيل لى اهدت اليها امرأة من قومها عكة عسل فسقت رسول الله صلى الله عليه وسلم منه شربة فقلت والله لنحتالن له فاتفقت انا وسودة وصفية على ان نقول اذا دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ودنا منا يا رسول الله اكلت مغافير فانه سيقول لا فنقول عند ذلك فما هذه الرائحة الكريهة وكان عليه الصلاة والسلام يشتد عليه ان توجد منه الرائحة الكريهة ويحبه ان يوجد منه الرائحة الطيبة لمناجاته الملك فانه سيقول سقتني حفصة شربة عسل فنقول جرست نحله العرفط وهو نبت له رائحة كرائحة الخمر ثم انه عليه الصلاة والسلام لما خرج من عند حفصة ودخل علينا قالت كل واحدة منا ما اتفقنا عليه فقال عليه الصلاة والسلام لن اعود الى شرب العسل ﴿ قوله تفسير تحرم ﴾ اى عطف بيان له فان حقيقة الاستفهام لما لم يتصور منه تعالى حمل على المعاتبة في ارتكابه التحريم وعد ذلك منكرا منه عليه الصلاة والسلام ولما لم يوجد كون التحريم منكرا فسره بما اظهر كونه منكرا فان ابتغاء مرضاة الازواج من مثله عليه الصلاة والسلام بعيد لانهن احق بابتغاء مرضاته عليه الصلاة والسلام منه بابتغاء مرضاتهن فانه عليه الصلاة والسلام متفضل بذاته وفضيلتهن انما هي بالانتساب اليه وعلى تقدير كونه حالا من فاعل تحرم يكون الانكار راجعا الى القيد وتقدير كونه استئنافا ببيان الداعى الى الانكار انه تعالى لما انكر عليه التحريم اتجه له ان يسأل ويقول لم تنكر على يا رب فيما حرمته على نفسي وقد وجد ذلك من الانبياء قبلي كما قلت في كلامك المجيد الا ما حرم اسرائيل على نفسه فقيل له لانك تبتغى مرضاة ازواجك ومثلك لا ينبغى له ذلك فهو استئناف لبيان الداعى الى الانكار ببيان ما دعاه الى التحريم وانه لا يصلح داعيا اليه ﴿ قوله لانه لا يجوز تحريم ما احله الله ﴾ فان ما احله الله تعالى لا يحرم الا بتحريم الله تعالى اياه بوحى منزل متلو او غير متلو فان من اعتقد من عند نفسه حرمة شئ قد احله الله تعالى فقد كفر فان قيل اذا لم يجز ذلك فما وجه تحريمه عليه الصلاة والسلام ذلك قلنا المراد بهذا التحريم هو الامتناع عن الانتفاع به مع اعتقاد كونه حلالا له لا اعتقاد كونه حراما بعدما احله الله تعالى فان ذلك لا يتصور من عوام المسلمين فكيف من الانبياء ولكنه يجوز ان يعد ذلك زلة يعاتب عليها

(الله الذى خلق سبع سموات) مبتدأ وخبر (ومن الارض مثلهن) اى وخلق مثلهن فى العدد من الارض وقرئ بالرفع على الابتداء والخبر (يتنزل الامر بينهن) اى يجرى امر الله وقضاؤه بينهن وينفذ حكمه فيهن (لتعلموا ان الله على كل شئ قدير وان الله قد احاط بكل شئ علما) علة لخلق او يتنزل او مضمر يعمهما فان كلا منهما يدل على كمال قدرته وعلمه عن النبى عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة الطلاق مات على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم

﴿ سورة التحريم مدنية وهى ثنتا عشرة آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يا ايها النبى لم تحرم ما احل الله لك) روى انه عليه السلام خلا بمارية فى يوم عائشة او حفصة فاطلعت على ذلك حفصة فعاتبته فيه فحرم مارية فنزلت وقيل شرب عسلا عند حفصة فواطأت عائشة سودة وصفية فقلن له انا نشم منك رائحة المغافير فحرم العسل فنزلت (تبتغى مرضاة ازواجك) تفسير لتحرم او حال من فاعله او استئناف ببيان الداعى اليه (والله غفور) لك هذه الزلة فانه لا يجوز تحريم ما احله الله (رحيم) رحمك حيث لم يؤاخذك به وعاتبك محاماة على عصمتك

لان الامتناع من الانتفاع باحسان المولى الكريم يشبه عدم قبول احسانه فيه شائبة سوء الادب فلذلك عاتبه الله على ذلك بالاستفهام الانكارى ﴿ قوله قد شرع لكم تحليلها ﴾ فسر قوله تعالى فرض بذلك لان الفرض بمعنى الايجاب لايعدى باللام واشار بقوله تحليلها الى ان تحلة مصدر حلل بتضعيف العين اصله تحللة نحو تكرمة من كرم والتحليل حل ماعقدته فان الحالف كانه عقد على نفسه البر ومحافظة اليمين وتحليل اليمين يكون على وجهين الاول ان يستثنى بان يقول ان شاء الله متصلاً بيمينه فان الاستثناء لما كان مانعا من انعقاد اليمين صار بمنزلة تحليلها فان كلمة ان شاء الله اذا اتصلت بالكلام السابق رفع حكمه من اى جنس كان فان موسى عليه الصلاة والسلام لما وصل ان شاء الله بوعده فى قوله ستجدنى ان شاء الله صابرا ثم لم يصبر لم يكن بعدم صبره مخلف وعده فان خلف الوعد من امارة النفاق لقوله عليه الصلاة والسلام « آية النفاق ثلاث وان صام وصلى وزعم انه مسلم اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا ائتمن خانه » حاشا من الانبياء ان يكون فيهم آية النفاق فعلم بذلك ان اقتران الاستثناء بالوعد يخرج الوعد من كونه منعقدا فكذا اقترانه باليمين يخرجها عن الانعقاد فلذلك جعل بمنزلة التحليل فان كان المراد بتحلة الايمان فى الآية الاستثناء يكون المعنى قد شرع الله لكم تعقيب ايمانكم بالاستثناء كيلا تنعقد فيحنث الحالف باتيان المحلوف عليه والوجه الثانى من وجهى تحليل اليمين الحنث فمن حنث فى يمينه باتيان المحلوف عليه فقد انحلت يمينه ويجب عليه الكفارة لازالة عقوبة الحنث فان الحسنات يذهبن السيئات فالكفارة تشعر ان يكون انحلال اليمين بها وليس كذلك بل هى موجب انحلالها بالحنث الا ان التزام الكفارة لما كان طريقا الى تحليلها بالحنث صار بمنزلة السبب للتحليل فقال ذلك ﴿ قوله واحتج به من رأى التحريم مطلقا ﴾ اى سواء حرم نحو الثوب والدابة او حرم امرأته فمن حرم على نفسه شيأ منها لايصير محرما عليه لانه قلب المشروع والعبد لايقدر عليه الا ان الحنفية اعتبروه يمينا فى كل شئ واعتبروا الامتناع من المنفعة المقصودة مما حرمه على نفسه فمن حرم على نفسه الطعام او الشراب ثم اكل او شرب لزمه كفارة يمين ومن حرم امته او امرأته ثم وطئها او اقدم على شئ من دواعى الوطئ لزمته الكفارة وعند الامام الشافعى تحريم الحلال ليس بيمين مطلقا ولايجب عليه الكفارة بذلك اصلا الا فى النساء والجوارى فان حرم عليه زوجته او امته لايكون ذلك يمينا عنده الا انه يجعله سببا لوجوب الكفارة عليه بمجرد تحريمه اياها سواء قربها او لم يقربها لما ذكره المصنف من انه تعالى انكر نفس التحريم واوجب نقضه وتحليله بالكفارة وهو لايستلزم كونه يمينا وان توقف وجوب الكفارة على الحنث بالقربان كما ذهب اليه الحنفية فانه عليه الصلاة والسلام كفر عن تحريمه بان اعتق رقبة الا انه لم يثبت انه عليه الصلاة والسلام اعتق بعد استباحة ماحرمه عليه او قبل الاستباحة ﴿ قوله مع احتمال انه عليه الصلاة والسلام اتى بلفظ اليمين كما قيل ﴾ ذكر الامام محيى السنة نقلا عن المفسرين انه عليه الصلاة والسلام كان يقسم بين نسائه فلما كان يوم حفصة بنت عمر بن الخطاب رضى الله عنهما استأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى زيارة ابيها فلما خرجت ارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ام ولده مارية القبطية فادخلها بيت حفصة فوقع عليها فلما رجعت حفصة وجدت الباب مغلقا فرجعت فجلست عند الباب فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجهه يقطر عرقا وحفصة تبكى فقال عليه الصلاة والسلام مايبكيك فقالت انما اذنت لى من اجل هذا ادخلت امتك بيتى ثم وقعت عليها فى يومى على فراشى ما رأيت لى حرمة وحقا ما كنت تصنع هذا بامرأة منهن فقال عليه الصلاة والسلام اليس هى جاريتى احلها الله لى اسكتى فهى حرام على التمس بذلك رضاك فلا تخبرى بهذا امرأة منهن فلما خرج عليه الصلاة والسلام قرعت حفصة الجدار الذى بينها وبين عائشة رضى الله عنها فقالت الا ابشرك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حرم عليه امته مارية وقد اراحنا الله منها واخبرت عائشة بما رأت وكانتا متصافيتين متظاهرتين على سائر ازواج النبى صلى الله عليه وسلم فغضبت عائشة فلم يزل بنبى الله حتى حلف ان لايقربها فنزلت فهذه الرواية صريحة فى انه عليه الصلاة والسلام اتى بلفظ اليمين بعد التحريم فوجوب الكفارة مبنى عليه ولفظ التحريم لااثر له فيها وذكر الامام محيى السنة ايضا انه عليه الصلاة والسلام لما رأى الكراهية فى وجه حفصة اراد ان يرضيها فاسر اليها شيئين تحريم الامة على نفسه وتبشيرها بان الخلافة بعده فى ابى بكر وبعده فى ابيها عمر رضى الله عنهما فاخبرت به حفصة عائشة فاطلع الله تعالى نبيه على افشاء حفصة اياه وعرف النبى حفصة بعض مااخبرت به عائشة وهو تحريم الامة واعرض عن بعض

(قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم) قد شرع لكم تحليلها وهو حل ما عقدته بالكفارة او الاستثناء فيها بالمشيئة حتى لاتحنث من قولهم حلل فى يمينه اذا استثنى فيها واحتج به من رأى التحريم مطلقا او تحريم المرأة يمينا وهو ضعيف اذ لايلزم من وجوب كفارة اليمين فيه كونه يمينا مع احتمال انه عليه الصلاة والسلام اتى بلفظ اليمين كما قيل (والله مولاكم) متولى اموركم (وهو العليم) بما يصلحكم (الحكيم) المتقن فى افعاله واحكامه (واذ اسر النبى الى بعض ازواجه) يعنى حفصة (حديثا) تحريم مارية او العسل او ان الخلافة بعده لابى بكر وعمر رضى الله عنهما (فلما نبأت به) اى فلما اخبرت حفصة عائشة بالحديث (واظهره الله عليه) واطلع النبى عليه السلام على الحديث اى على افشائه (عرف بعضه) عرف الرسول عليه السلام حفصة بعض ما فعلت

يعني ذكر الحلاقة كرمه عليه الصلاة والسلام ان ينتشر ذلك في الناس تكرماً منه عليه الصلاة والسلام وحلماً فانه قيل ما استقصى كريم قط وكلمة اذ في قوله تعالى واذ اسرّ النبيّ الى بعض ازواجه مفعول به لاذكر المقدر فهو مفعول به لاظرف والمعنى اذكر اذ اسرّ النبي وفاعل نبأت مستتر فيه يرجع الى بعض ازواجه والاصل في نحو نبأ وأنبأ ان يتعدى الى مفعولين الى الاوّل بنفسه والى الثاني بحرف الجرّ وقد يحذف الجار تخفيفاً وقد يحذف الاوّل اعتماداً على مايدل عليه وقد جاءت الاستعمالات الثلاثة في هذه الآيات فان قوله تعالى فلما نبأت به تعدى الى اثنين وحذف اوّلهما والثاني مجرور بالباء وهو ضمير الحديث اى نبأت حفصة صاحبتها التي هي عائشة بالحديث الذي أسرّه اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم والضمير المنصوب في اظهره للنبي صلى الله عليه وسلم وضمير عليه راجع الى الحديث بتقدير المضاف اى على افشائه فعلى هذا يكون اظهر متضمناً معنى اطلع من ظهر فلان السطح اذا علاه واظهره السطح اى رفعه عليه فاستعير للاطلاع على الشيء اى اطلع الله النبي على افشاء حفصة ذلك الحديث على لسان جبريل عليه الصلاة والسلام والمرفوع المستتر في عرّف للنبي ومفعوله الاوّل محذوف اى عرّف النبي صلى الله عليه وسلم حفصة بعض ماافشته الى صاحبتها بان قال لها على طريق العتاب الم آمرك ان تكتمي سرّي ولاتبديه لاحد وذكرلها بعض الذي افشته وقال لها انك قد ذكرت كذا وسكت من بعض ولم يذكره لها تكرماً من الاستقصاء وقد قيل ان الكريم لايبالغ في العتاب وهذا المعنى على قرآءة التشديد في عرّف وهي قرآءة الجمهور وقرأ الكسائي بتخفيف الراء قال الفرآء معناه غضب فيه وجازى عليه وهو من قول العرب انا اعرف الاحسان اى اجازى عليه وفي التنزيل وماتفعلوا من خير يعلمه الله اى يجازى عليه وانما احتيج الى هذا التأويل على قرآءة التخفيف لان تلك القرآءة لاتحتمل غيره لانه تعالى اعلمه بجميع ماانبأت به حفصة صاحبتها لقوله تعالى واظهره الله عليه قال المفسرون انه عليه الصلاة والسلام جازى حفصة بان طلقها طلقة واحدة فلما بلغ ذلك عمر رضي الله عنه قال لوكان في آل الخطاب خيرلما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم طلقك فامره جبريل بمراجعتها وشفع فيها وقيل هم بطلاقها حتى قال له جبريل لاتطلقها فانها صوّامة قوّامة وانها من نسائك في الجنة فلم يطلقها ﴿ قوله لكن المشدّد من باب اطلاق اسم السبب على المسبب ﴾ يعني ان كل واحد من قرآءتي التشديد والتخفيف تدل على معنى المجازاة الا انه في قرآءة التشديد ذكر المسبب وهو التعريف واريد السبب الذي هو المجازاة فان عتاب المسيء ومجازاته سبب لتعريف اساءته كما ان معرفة اساءة المسيء سبب لمجازاته فان مجازاة المسيء بها تعرف اساءته كما ان معرفة اساءته سبب لمجازاته * روى انه عليه الصلاة والسلام اعتزل نساءه وحلف ان لايدخل عليهنّ شهراً من شدّة غضبه عليهنّ حين عاتبه الله تعالى بسببهنّ وقعد في مشربة مارية ام ابراهيم عليه الصلاة والسلام وعن عمر رضي الله عنه قال سمعت الناس يقولون انه عليه الصلاة والسلام طلق نساءه فدخلت على حفصة وهي تبكي فقلت لها أطلقكِ رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت لاادري هو معتزل في هذه المشربة فأتيته فدخلت فسلمت عليه فقلت أطلقت نساءك يارسول الله فقال لافقلت الله اكبر وفيه تفصيل كثير ذكره في المعالم فقعد رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت مارية حتى نزلت آية التخيير قالت عائشة فلما مضت تسع وعشرون ليلة دخل عليّ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله انك كنت اقسمت ان لاتدخل علينا شهراً وانك قد دخلت مع تسع وعشرين اعدهنّ فقال عليه الصلاة والسلام ان الشهر تسع وعشرون وكان ذلك الشهر كذلك ثم قال لي ياعائشة اني ذاكرلك امراً فعليك ان لاتعجلي فيه حتى تستأمري ابويك ثم قال ان الله عز وجل قال ياايها النبي قل لازواجك ان كنتنّ تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين امتعكنّ واسرّحكنّ سراحاً جميلا وان كنتنّ تردن الله ورسوله والدار الآخرة فان الله اعدّ للمحسنات منكنّ اجراً عظيما فخيرني بمقتضى هذه الآية الكريمة فاخترت الله ورسوله ثم خير سائر نسائه فقلن كلهنّ مثل ماقلت رضي الله عنهنّ اجمعين وكانت تحته يومئذ تسع نسوة خمس من قريش عائشة وحفصة وام حبيبة بنت ابي سفيان وام سلمة بنت امية وسودة بنت زمعة وغير القرشيات زينب بنت جحش الاسدية وميمونة بنت الحارث الهلالية وصفية بنت حيي ابن اخطب الخزومية وجويرية بنت الحارث المصطلقية رضي الله عنهنّ وعن سائر الصحابة اجمعين والمستتر في قوله تعالى فلما نبأها به ضمير النبي صلى الله عليه وسلم والبارز في نبأها به ضمير حفصة والمجرور في به ضمير الحديث الذي افشته حفصة اى فلما اخبر النبي حفصة بما اظهره الله عليه من انها افشت سرّه عليه الصلاة والسلام

(واعرض عن بعض) عن اعلام بعض تكرماً او جازاها على بعضه بتطليقه اياها وتجاوز عن بعض ويؤيده قرآءة الكسائي بالتخفيف فانه لايحتمل ههنا غيره لكن المشدد من باب اطلاق اسم المسبب على السبب والمخفف بالعكس ويؤيد الاوّل قوله (فلما نبأها به قالت من أنبأك هذا قال نبأني العليم الخبير) فانه اوفق للاعلام

قالت حفصة له عليه الصلاة والسلام من اخبرك هذا بناء على انها ظنت ان عائشة اخبرته بذلك ثم انه تعالى لما ذكر ان بعض ازواج رسول الله افشت سره صلى الله عليه وسلم ونبأت به صاحبتها خاطبهما على سبيل الالتفات وعاتبهما بان اخبرهما ان قلوبكما زاغت عن الحق واوجب عليهما التوبة فقال ان تتوبا الى الله اى من التعاون وايذائه عليه الصلاة والسلام * روى عن ابن عباس انه قال لم ازل حريصا على ان اسأل عمر عن المخاطب بقوله تعالى ان تتوبا منهما حتى حج او حججت معه فلما كان ببعض الطريق عدل وعدلت معه بالاداوة فسكبت الماء على يده فتوضأ فقلت له من هما فقال عجبا يا ابن عباس كأنه كره ما سألته عنه قال هما حفصة وعائشة ﴿قوله فقد وجد منكما ما يوجب التوبة﴾ اشارة الى ان قوله تعالى فقد صغت قلوبكما ليس جزاء الشرط من حيث ان صغو قلوبهما كان سابقا على الشرط فلا يصح كونه جزاء له لان الجزاء يجب ان يكون مرتبا على الشرط مسببا عنه بل جزاء الشرط محذوف والمذكور يدل عليه من حيث انه علته اى ان تتوبا فقد اتيتما بما وجب عليكما اذ وجد منكما ما يوجب التوبة وهو ميل قلوبكما عن الواجب حيث احببتما ما كرهه رسول الله صلى الله عليه وسلم من اجتناب جاريته واجتناب العسل وكان عليه افضل الصلاة واشرف التسليم يحب العسل والنساء اى ان صغو القلب الى اجتناب جاريته عليه الصلاة والسلام ذنب موجب لتوبته وجمع القلوب مع ان الشخصين لا يكون لهما اكثر من قلبين لبعد الالتباس والاحتراز عن الجمع بين تثنيتين فى لفظ واحد ﴿قوله وقرأ الكوفيون بالتخفيف﴾ اصله تتظاهرا فحذفوا احدى التاءين وقرأ الباقون بتشديد الظاء بادغام التاء فيها والمعنى وان تعاونا على ما يسوءه من الافراط فى الغيرة وافشاء سره عليه الصلاة والسلام وجوابه ايضا محذوف وقد اشار اليه بقوله فلن يعدم من يظاهره وكيف يعدم المظاهرة والله مولاه اى وليه وناصره ولفظ هو فى قوله تعالى هو مولاه يجوز ان يكون فصلا لا محل له ومولاه خبر ان ويجوز ان يكون مبتدأ ومولاه خبره والجملة خبر ان وهذا الوجه هو الاولى لان المقام مقام الدلالة على تقوى الحكم والايذان بان نصرته عزيمة من عزائمه تعالى وانه يتولى ذلك بذاته وفى جعله فصلا بحث لانه قد تقرر ان توسط ضمير الفصل بين المبتدأ والخبر المعرفتين يفيد الحصر واذا انحصرت الولاية له عليه الصلاة والسلام فى الله تعالى كيف يصح عطف جبريل وما بعده عليه فانه لا يقال زيد هو المنطلق وعمرو بل يقال لا غير ﴿قوله ورئيس الكروبيين﴾ اشارة الى وجه تعظيم جبريل بتخصيصه بالذكر وعدم الاكتفاء عن ذكره بذكر الملائكة والكروبيون بتخفيف الراء بمعنى المقربين من كرب الشئ اذا دنا وقرب قيل فى هذا اللفظ ثلاث مبالغات احداها ان كرب ابلغ من قرب والثانية انه على وزن فعول وهو من اوزان المبالغة والثالثة زيادة الياء فيه وهى تزاد للمبالغة كاحمرى ﴿قوله متظاهرون﴾ يعنى ان الظهير بمعنى الجمع ليطابق الملائكة وافراده بناء على ان فعيلا يطلق على الواحد والكثير كفعول وفى التنزيل خلصوا نجيا وحسن اولئك رفيقا ﴿قوله ولذلك عم بالاضافة﴾ اى ولكون المراد بالصالح جنس من آمن وعمل صالحا عم باضافته لكل فرد من افراد الجنس المذكور فان اضافة اسم الجنس تفيد العموم ﴿قوله وبقوله بعد ذلك﴾ اى والمراد بقوله بعد ذلك تعظيم لمظاهرة الملائكة ﴿قوله من جملة من ينصره الله به﴾ يعنى ان المراد بالبعدية البعدية بحسب الرتبة والاشارة الى نصرة الله تعالى بتوسط صلحاء المؤمنين ولا شك ان مظاهرة الملائكة اعظم من نصرة سائر ما يكون واسطة فى نصرة الله تعالى اياه عليه الصلاة والسلام لانه تعالى مكن الملائكة على ما لم يمكن الانسان عليه وليس المراد البعدية الزمانية لان تظاهر الملائكة على موالاته عليه الصلاة والسلام ليس بعد موالاة صلحاء المؤمنين زمانا ثم انه تعالى لما عاتبهما بانه قد صغت قلوبكما وانه يجب عليكما ان تتوبا شرع فى تخويفهما بان ذكر لهما انه عليه الصلاة والسلام يحتمل ان يطلقكما ثم انه عليه الصلاة والسلام ان طلقكما لا يعود ضرر ذلك الا عليكما فانه تعالى يبدله حينئذ ازواجا خيرا منكما الا انه تعالى خاطب جميعهن مع ان الخطاب السابق ليس الا مع اثنتين منهن على تغليب المخاطب على غيره حيث عبر عن الجميع بما يعبر به عن الحاضرين فان الخطاب السابق انما كان مع حفصة وعائشة فكذا هذا الخطاب الا انه ادخل الغائبات فى الخطاب وخوطبن جميعا بطريق تغليب الحاضر على الغائب ويحتمل ان يكون التعبير عن الجميع بقوله طلقكن بناء على قصد تعميم الخطاب للجميع قيل كل عسى فى القرآن واجب الا هذا وقيل هو ايضا واجب ولكن الله تعالى علقه بشرط وهو التطليق ولم يطلقن فان المذهب انه ليس على وجه الارض نساء خيرا من امهات المؤمنين الا انه عليه الصلاة والسلام اذا طلقهن لعصيانهن له وايذائهن اياه كان غيرهن من

(ان تتوبا الى الله) خطاب لحفصة وعائشة على الالتفات للمبالغة فى المعاتبة (فقد صغت قلوبكما) فقد وجد منكما ما يوجب التوبة وهو ميل قلوبكما عن الواجب من مخالصة الرسول عليه السلام بحب ما يحبه وكراهة ما يكرهه (وان تظاهرا عليه) وان تتظاهرا عليه بما يسوءه وقرأ الكوفيون بالتخفيف (فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير) فلن يعدم من يظاهره من الله والملائكة وصلحاء المؤمنين فان الله ناصره وجبريل رئيس الكروبيين قرينه ومن صلح من المؤمنين اتباعه واعوانه والملائكة متظاهرون وتخصيص جبريل لتعظيمه والمراد بالصالح الجنس ولذلك عم بالاضافة وبقوله بعد ذلك تعظيم لمظاهرة الملائكة من جملة من ينصره الله به (عسى ربه ان طلقكن ان يبدله ازواجا خيرا منكن) على التغليب او تعميم الخطاب وليس فيه ما يدل انه لم يطلق حفصة وان فى النساء خيرا منهن لان تعليق طلاق الكل لا ينافى تطليق واحدة والمعلق بما لم يقع لا يوجب وقوعه

الموصوفين بهذه الصفات مع الطاعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم خيرا منهن" وهذه الخيرية لما علقت بما لم يقع لم تكن واقعة فى نفسها وكان الله تعالى عالما بانه عليه الصلاة والسلام لا يطلقهن" ولكن اخبر عن قدرته على انه ان طلقهن" ابدله خيرا منهن" تخويفا لهن" كقوله تعالى وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا امثالكم وقوله وقرأ نافع وابو عمرو بالتخفيف هذا مخالف لما ذكر فى التيسير فى فرش سورة الكهف من انه قرأ نافع وابو عمرو ان يبدلهما وفى التحريم ان يبدله وفى ن والقلم ان يبدلنا فى الثلاثة بالتشديد وقرأ الباقون بالتخفيف فينبغى ان يكون مافى الكتاب سهوا من الناسخين وقوله تعالى ان طلقكن" شرط معترض بين اسم عسى وخبرها وجوابه محذوف او متقدم اى ان طلقكن" فعسى ربه ان يبدله وازواجا مفعول ثان لقوله ان يبدله وخيرا صفة للازواج وكذا مابعده من قوله مسلمات الى قوله ثيبات واخليت هذه الصفات كلها عن العاطف وجئ" به بين الثيبات والابكار وهما صفتان ايضا لانهما صفتان متنافيتان لا يجتمعان فى واحد بخلاف سائر الصفات ﴿ قوله مقرات مخلصات ﴾ فرق بين الاسلام والايمان اولا بان الاسلام هو الاقرار باللسان والايمان هو الاخلاص وثانيا بان الاسلام هو الانقياد الظاهر بالجوارح والايمان هو التصديق القلبى والاسلام بهذا المعنى لا يستلزم الايمان بالمعنى المذكور فلذلك ذكر كل واحد منهما على حدة ﴿ قوله مصليات ﴾ هكذا فسره الحسن وفى الصحاح القنوت فى الاصل هو الطاعة ومنه قوله تعالى والقانتين والقانتات ثم سمى القيام فى الصلاة قنوتا وفى الحديث « افضل الصلاة طول القنوت » ومنه قنوت الوتر وفيه ايضا اصل العبودية الخضوع والذل والتعبيد التذليل يقال طريق معبد اى مذلل والعبادة الطاعة والتعبد التنسك ثم انه تعالى لما عاتب نساء النبى صلى الله عليه وسلم ودلهن" على رشدهن" امر الناس جميعا بطاعة الله تعالى والانتهاء عما نهاهم عنه وبان يأمروا ازواجهم واولادهم بذلك ويعلموهم الخير فقال يا ايها الذين آمنوا قوا انفسكم قوله قوا امر لجماعة الحاضرين من وقاه يقيه اى حفظه قال عمر رضى الله عنه يارسول الله نقى انفسنا فكيف لنا باهلينا قال عليه الصلاة والسلام « تنهونهم عما نهاكم الله عنه وتأمرونهم بما امركم الله به » وقوله تعالى نارا مفعول ثان لقوله قوا لان وقى يتعدى الى مفعولين كما فى قوله تعالى فوقاه الله سيئات مامكروا وقوله تعالى وقودها الناس صفة لنارا والوقود بفتح الواو الحطب وبالضم مصدر بمعنى التوقد وقرئ" به فلابد من تقدير مضاف اى ذو وقودها ﴿ قوله تلى امرها ﴾ اى ليس المراد بالاستعلاء المدلول عليه بقوله عليها الاستعلاء الحسى الحقيقى بل المراد الاستعلاء المعنوى وهو الاستيلاء والغلبة على مافيها من الامور ﴿ قوله او غلاظ الخلق شداد الخلق ﴾ لا يرحمون اذا استرحموا خلقوا من الغضب مقتضى جبلتهم تعذيب الخلق كما ان مقتضى الحيوان الاكل والشرب مابين منكبى احدهم مسيرة سنة لو ضرب احدهم بمقمعته ضربة واحدة سبعين الفا لهووا فى النار وقال عليه الصلاة والسلام فى حق خزنة جهنم « مابين منكبى احدهم كما بين المشرق والمغرب ﴿ قوله فيما مضى وفيما يستقبل ﴾ لما توهم اتحاد الجملتين من حيث المعنى لان العصيان عبارة عن مخالفة الامر وترك المأمور به فيكون انتفاء العصيان باتيان المأمور به فيكون عطف قوله ويفعلون مايؤمرون على ماقبله كعطف الشئ" على نفسه اشار بما ذكره الى الفرق بين الجملتين بان اتيان المأمور به علق اولا بقوله ماامرهم وثانيا بقوله مايؤمرون فاختلفت الجملتان باختلاف التعلق وتقرير الوجه الثانى ان المراد بعدم العصيان تقبل ما امروا به والالتزام باتيانه من غير استثقال وتردد وبفعل ما امروا به اتيانه حسبما التزموه ثم انه تعالى لما امر المؤمنين بترك المعاصى وفعل الطاعات بين لهم ان العذر لا يقبل يوم القيامة فقال يا ايها الذين كفروا الآية ثم نبه المؤمنين على ان طريق وقاية الانفس من النار هو التوبة النصوح فقال يا ايها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا ﴿ قوله اى بالغة فى النصح ﴾ اشارة الى ان نصوحا من ابنية المبالغة مثل صبور وشكور والنصح والنصاحة خلوص الود وصفاء المحبة قال الاصمعى الناصح الخالص من العسل وغيره وكل شئ" خلص فقد نصح وقيل النصح الصدق من قولهم نصحت الابل الشرب تنصح نصوحا اى صدقته وانصحتها انا اى اروتيها ومنه التوبة النصوح وهى الصادقة التى يقلع بها صاحبها عن المعصية قلبا وقالبا ويندم على ماصدر منه كل الندامة ونصح التوبة بمعنى صدقها يستلزم كون صاحبها ناصحا نفسه خالصا فى ارادة الخير لها فان التائب اذا صدق الله تعالى فى توبته بان توجه اليه بكليته راجعا عن المعصية باتم وجوهه فقد نصح وخلص نفسه بتوبته على الوجه المذكور فلذلك لم يتعرض المصنف لتفسير النصح بالصدق وقال وهو صفة التائب وجعل اسناد النصح

وقرأ نافع وابو عمرو وان يبدله بالتخفيف (مسلمات مؤمنات) مقرات مخلصات او منقادات مصدقات (قانتات) مصليات او مواظبات على الطاعة (تائبات) عن الذنوب (عابدات) متعبدات او متذللات لامر الرسول عليه السلام (سائحات) صائمات سمى الصائم سائحا لانه يسيح فى النهار بلا زاد اومهاجرات (ثيبات وابكارا) وسط العاطف بينهما لتنافيهما ولانهما فى حكم صفة واحدة اذ المعنى مشتملات على الثيبات والابكار (يا ايها الذين آمنوا قوا انفسكم) بترك المعاصى وفعل الطاعات (واهليكم) بالنصح والتأديب وقرئ" اهلوكم عطفا على واو قوا فيكون انفسكم انفس القبيلين على تغليب المخاطبين (نارا وقودها الناس والحجارة) نارا تتقد بهما اتقاد غيرها بالحطب (عليها ملائكة) تلى امرها وهم الزبانية (غلاظ شداد) غلاظ الاقوال شداد الافعال او غلاظ الخلق شداد الخلق اقوياء على الافعال الشديدة (لا يعصون الله ما امرهم) فيما مضى (ويفعلون ما يؤمرون) فيما يستقبل او لا يمتنعون عن قبول الاوامر والتزامها ويؤدون ما يؤمرون به (يا ايها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم انما تجزون ما كنتم تعملون) اى يقال لهم ذلك عند دخولهم النار والنهى عن الاعتذار لانه لا عذر لهم او العذر لا ينفعهم (يا ايها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا) اى بالغة فى النصح وهو صفة التائب فانه ينصح نفسه بالتوبة وصفت به على الاسناد المجازى مبالغة

او في النصاحة وهي الخياطة كأنها تنصح ما خرق الذنب وقرأ ابو بكر بضم النون وهو مصدر بمعنى النصح كالشكر والشكور او النصاحة كالثبات والثبوت تقديره ذات نصوح او تنصح نصوحا او توبوا نصوحا لأنفسكم وسئل علي رضي الله عنه عن التوبة فقال يجمعها ستة اشياء على الماضي من الذنوب الندامة وللفرائض الاعادة ورد المظالم واستحلال الخصوم وان تعزم على ان لا تعود وان تربي نفسك في طاعة الله كما ربيتها في المعصية (عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار) ذكر بصيغة الاطماع جريا على عادة الملوك واشعارا بانه تفضل والتوبة غير موجب وان العبد ينبغي ان يكون بين خوف ورجاء (يوم لا يخزي الله النبي) ظرف ليدخلكم (والذين آمنوا معه) عطف على النبي عليه الصلاة والسلام احمادا لهم وتعريضا لمن ناواهم وقيل مبتدأ خبره (نورهم يسعى بين ايديهم وبايمانهم) اي على الصراط (يقولون) اذا طفئ نور المنافقين (ربنا اتمم لنا نورنا واغفر لنا انك على كل شيء قدير) وقيل تتفاوت انوارهم بحسب اعمالهم فيسألون اتمامه تفضلا (يا ايها النبي جاهد الكفار) بالسيف (والمنافقين) بالحجة (واغلظ عليهم) واستعمل الخشونة فيما تجاهدهم اذا بلغ الرفق مداه (ومأواهم جهنم وبئس المصير) جهنم او مأواهم (ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط) مثل الله حالهم في انهم يعاقبون بكفرهم ولا يحابون بما بينهم وبين النبي عليه الصلاة والسلام والمؤمنين من النسبة بحالهما (كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين) يريد به تعظيم نوح ولوط عليهما السلام (فخانتاهما) بالنفاق (فلم يغنيا عنهما من الله شيئا) فلم يغن النبيان عنهما بحق الزواج اغناء ما (وقيل) اي لهما عند موتهما او يوم القيامة (ادخلا النار مع الداخلين) مع سائر الداخلين من الكفرة الذين لا وصلة بينهم وبين الانبياء (وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون) شبه حالهم في ان وصلة الكافرين لا تضرهم بحال آسية رضي الله عنها ومنزلتها عند الله مع انها كانت تحت اعدى اعداء الله (اذ قالت) ظرف للمثل المحذوف (رب ابن لي عندك بيتا في الجنة) قريبا من رحمتك او في اعلى درجات المقربين (ونجني من فرعون وعمله) من نفسه الخبيثة وعمله السيء (ونجني من القوم الظالمين) من القبط التابعين له في الظلم

الى التوبة اسنادا مجازيا كما في جد جده ﴿قوله او في النصاحة﴾ عطف على قوله في النصح اي وقيل كون التوبة نصوحا عبارة عن كونها بالغة في خياطة ما خرقه الذنب واصلاحه * الجوهري النصح بالفتح مصدر قولك نصحت الثوب خطته ومنه رفأت الثوب ارفؤه رفأ اذا اصلحت ما وهي منه وربما لم يهمز ﴿قوله تقديره ذات نصوح﴾ ذكر لانتصاب نصوحا على تقدير كونه مصدرا ثلاثة اوجه الاول انه صفة توبة بتقدير المضاف ويجوز ان يكون من باب التوصيف بالمصدر للمبالغة مثل رجل عدل والثاني انه مصدر مؤكد لفعله المحذوف والجملة صفة توبة اي تنصحهم نصوحا والثالث انه مفعول له اي لاجل النصوح لانفسكم ﴿قوله يجمعها ستة اشياء﴾ زاد الكشاف سابعا وهو قوله وان تذيقها مرارة الطاعات كما اذقتها حلاوة المعاصي فالمذكور على نقله سبعة اشياء لكن رد المظالم واستحلال الخصوم في حكم شيء واحد من حيث اشتراكهما في كون الذنب الذي تاب عنه من حقوق العباد كما ان قوله وللفرائض الاعادة على تقدير ان يكون الذنب حقا لله تعالى كترك صلاة او صوم او تفريط في زكاة فان التوبة عن امثالها لا تصح حتى ينضم الى الندم قضاء ما فات منها كأنه قيل ان كان الذنب من حقوق الله تعالى فالتوبة عنه تكون بالاعادة والقضاء وان كان من حقوق العباد فلا يخلو اما ان يكون ماليا او متعلقا بالعرض فاذا كان ماليا فالواجب رده ان كان باقيا ورد عوضه ان كان تالفا وان كان متعلقا بالعرض كالسفاهة والغيبة فالواجب استحلال الخصم ﴿قوله عطف على النبي﴾ اي ولا يخزي الذين آمنوا فعلى هذا يكون نورهم يسعى مستأنفا او حالا وان جعل الموصول مبتدأ ونورهم يسعى خبره يكون قوله يقولون خبرا بعد خبر ثم انه تعالى لما عاتب ازواج النبي صلى الله عليه وسلم ودعاهن الى ما هو اصلح لهن ثم خوف المؤمنين بعذاب الآخرة ودعاهم الى التوبة النصوح دعا النبي صلى الله عليه وسلم الى الجهاد ودعا كل طائفة الى ما هو الاصلح لها فقال يا ايها النبي جاهد الكفار ثم انه تعالى لما حكم بان مأوى الكفار والمنافقين جهنم زعم الذين بينهم وبين النبي صلى الله عليه وسلم او بينهم وبين المؤمنين نسبة او وصلة بنسب ان ينتفعوا بها فابطل الله تعالى زعمهم بان مثل حالهم بحال امرأتين كافرتين كانتا تحت نبيين فانهما لم ينتفعا بالانتساب الى ذينك العبدين المكرمين عند الله تعالى لتحقق المخالفة بينهما وبين زوجيهما في الطريقة والسيرة فكذلك الكفار والمنافقون لا ينتفعون بالانتساب الى المقربين عند الله تعالى وفي ضرب هذا المثل نوع تعريض بأمي المؤمنين حفصة وعائشة رضي الله عنهما بان وصلتهما بالنبي صلى الله عليه وسلم لا تغني عنهما من الله شيئا اذا عصتا وتظاهرتا على ما يسوءه ولذلك ذكر امرأتين تحت نبيين ﴿قوله تعالى كانتا تحت عبدين﴾ جملة مستأنفة لبيان حال المرأتين حتى يتضح التمثيل ﴿قوله يريد به﴾ اي بنظم الكلام على هذا الاسلوب حيث وضع الظاهر موضع الضمير فان الظاهر ان يقال كانتا تحتهما لتقدم ذكر نوح ولوط عليهما الصلاة والسلام ﴿قوله بالنفاق﴾ وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان خيانتهما لم تكن بالبغي لانه ما بغت امرأة نبي قط وانما خانتا بسبب انهما على غير دين زوجيهما بالشرك والنفاق قطع الله بهذه الآية طمع من يرتكب المعصية ثم طمع ان ينفعه صلاح غيره ثم انه تعالى لما مثل حال الكفار بحال امرأة نوح وامرأة لوط في انهما لم ينتفعا بصلاح زوجيهما مثل ايضا حال المؤمنين بحال امرأة فرعون في انها لم تضرها وصلة الكافر وجوزيت على حسب اخلاصها وصبرها على اذية الكفار لثباتها على دينها وبحال مريم ام عيسى عليه الصلاة والسلام في انه تعالى اكرمها بمجرد صلاحها في نفسها مع كونها ارملة لا زوج لها صالح ولا طالح فقال وضرب الله مثلا للذين آمنوا الآية وضرب بمعنى جعل وصير ومثلا مفعوله الاول وامرأة فرعون مفعوله الثاني بتقدير المضاف اي جعل الله مثلا للذين آمنوا مثل امرأة فرعون والمثل المقدر بمعنى الحال او القصة الغريبة وهذا تصريح بان المثل اريد به معناه المجازي وهو الحال او القصة الغريبة فلذلك تعلق به الظرف وهو قوله اذ قالت اي شبه ومثل حالهم بحالها وقت قولها رب ابن لي عندك بيتا وليس المراد بالعندية فيه عندية المكان وهو ظاهر بل انها طلبت القرب من رحمة الله تعالى والبعد من عذاب اعدائه ثم بينت مكان القرب فقالت في الجنة ويحتمل ان يكون قولها عندك كناية عن ارتفاع درجتها في الجنة كأنها قالت رب ابن لي عندك بيتا رفيعا في جنة المأوى التي هي اقرب الجنان الى العرش * روي انه لما غلب موسى عليه الصلاة والسلام السحرة آمنت آسية امرأة فرعون وقيل هي عمة موسى آمنت به فلما تبين لفرعون اسلامها اوتد يديها ورجليها باربعة اوتاد والقاها في الشمس قيل امر فرعون بان يلقى عليها صخرة وهي في الاوتاد فدعت الله تعالى بقولها رب ابن لي عندك بيتا في الجنة فرفع

روحها الى الجنة فالقيت الصخرة على جسد لاروح فيه وقيل استأنفت ومتت صحبة فرعون فسألت ذلك فكشف الله تعالى عن بيتها فى الجنة حتى رأته قبل موتها ﴿ قوله فى فرجها ﴾ قال المفسرون المراد بالفرج ههنا الجيب فان جبريل عليه الصلاة و السلام قدجيب درعها باصبعه ثم نفخ فى جيبها فحبلت بعيسى فعلى هذا يكون قوله تعالى فيه من باب الاستخدام لان الظاهر ان المراد بلفظ الفرج فى قوله تعالى احصنت فرجها هوالعضو واريد بضميره معنى آخر للفرج وهو جيب القميص فان كل خرق فى الثوب يطلق عليه لفظ الفرج ومنه قوله تعالى ومالها من فروج * قال صاحب الكشاف ومن بدع التفاسير ان الفرج هو جيب الدرع واختار ان يحمل على اصل معناه العرفى وصفها الله تعالى بقوله احصنت فرجها ابطالا لقول من قذفها بالزنى والعياذ بالله تعالى وقوله فنفخنا من باب اسناد الفعل الى السبب الآمر والاصل نفخ جبريل بامرنا من روحنا اى روحا من ارواحنا وهو روح عيسى عليه الصلاة والسلام ﴿ قوله اى فى مريم ﴾ قيل فعلى هذا يدل الكلام على احياء مريم لان نفخ الروح فى الجسد عبارة عن احيائه وليس المراد احياء مريم بل المراد احياء عليه الصلاة والسلام فى بطن مريم فينبغى ان يكون تقدير الكلام حينئذ نفخنا الروح فى عيسى فيها بمعنى احييناه فيها ﴿ قوله كفضل الثريد على سائر الطعام ﴾ فان العرب لايؤثرون على الثريد شيأ من الطعام وذلك لان الثريد مع اللحم جامع بين الغذاء واللذة وسهولة التناول ونحو ذلك * تمت سورة التحريم والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه اجمعين وحسبنا الله ونعم الوكيل آمين آمين آمين

﴿ سورة الملك مكية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ قوله تعالى تبارك ﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما اى تعالى وتعاظم عن صفة المخلوقين الذى بيده الملك اى على كل موجود لامتصرف فى العالم غيره لان تقديم الظرف يفيد الاختصاص وقيل انه تفاعل من البركة وهى النماء والزيادة اى كثرت بركات اسمائه وصفاته ووصلت صنوف احسانه الى جميع خلقه وقيل من البروك وهو الثبات والقرار يقال برك البعير يبرك بروكا اى استناخ وكل شئ ثبت واقام فقد برك اى دام بره ودام خيره ﴿ قوله بقبضة قدرته التصرف ﴾ يعنى ان اليد مجاز بمعنى القدرة وهى الصفة المؤثرة على وفق الارادة شبهت هذه الصفة فى الغالب بالجارحة التى هى معظم مبادى التأثير فى الشاهد فعبر عنها باسم هذه الجارحة والملك الاستيلاء على التصرف فى الموجودات كلها ويدل عليه اطلاق الملك وتعريفه باللام للاستغراق ولان الكلام مسوق لمدح ذاته وتعظيم شأنه ومقام المدح والتعظيم يستدعى الحمل على العموم ﴿ قوله على كل مايشاء ﴾ اشارة الى ان الشئ مصدر شاء بمعنى المفعول كضرب الامير ومعنى مشئ الوجود مايشاء الله وجوده وان كان موجودا فى الجملة الا ان مشيئة الوجود تستدعى سبق العدم فيكون معدوما ممكنا ولايتناول الواجب والممتنع بين الله تعالى بقوله بيده الملك انه مستول على التصرف فى الموجودات كلها وبقوله وهو على كل شئ قدير قدرته على المعدومات الممكنة باسرها وانه لايخرج شئ من المعدومات والموجودات عن ملكه وقدرته فيكون قوله وهو على كل شئ قدير تكميلا لقوله بيده * فان قلت ماذكرته يدل على ان الشئ اعم من الموجود والمعدوم الممكن ونحن لانقول به بل هو مذهب المعتزلة وايضا قولك الشئ لايتناول الواجب والممتنع ينافى قوله قل اى شئ اكبر شهادة قل الله فانا نسمى الله شيأ لا كالاشياء * قلنا كون المعدوم الممكن شيأ بمعنى مشئ الوجود لاينافى كون الشئ مختصا بالوجود لان ماشاء الله وجوده موجود فى الجملة لان مراد الله تعالى لايتخلف عن ارادته وقولنا الشئ لايتناول الواجب هو الشئ بمعنى مشئ الوجود لا الشئ بمعنى الشائى فان الشئ اذا اطلق على البارى تعالى يكون بمعنى الشائى واما فى قوله تعالى خالق كل شئ وهو على كل شئ وكيل فان الشئ فيهما بمعنى مشئ الوجود فلا حاجة الى ان يقال انه من قبيل المخصص بدليل العقل واحتج بعضهم بهذه الآية على انه تعالى ليس بشئ فقال لوكان شيأ لكان قادرا على نفسه وخالقا لنفسه وهو محال ونحن نقول انه تعالى ليس بشئ بمعنى مشئ الوجود ولايلزم منه ان لايكون شيأ اصلا لانه تعالى شئ بمعنى انه شائى ﴿ قوله او اوجد الحياة وازالها ﴾ جواب عما يقال الحياة صفة وجودية زائدة على نفس الذات مغايرة للعلم والقدرة مصححة لاتصاف الذات بهما وبالاحساس والحركة الارادية فكونها متعلقا للخلق ظاهر واما الموت فهو صفة عدمية لكونه عبارة عن عدم هذه الصفة عن محل يقبلها فكيف

(يكون)

(ومريم ابنة عمران) عطف على امرأة فرعون تسلية للارامل (التى احصنت فرجها) من الرجال (فنفخنا فيه) فى فرجها وقرئ فيها اى فى مريم او الحمل (من روحنا) من روح خلقناه بلا توسط اصل (وصدقت بكلمات ربها) بصحف المنزلة او بما اوحى الى انبيائه (وكتابه) وما كتب فى اللوح او جنس الكتب المنزلة ويدل عليه قرآءة البصريين وحفص بالجمع وقرئ بكلمة الله وكتابه اى بعيسى والانجيل (وكانت من القانتين) من عداد المواظبين على الطاعة والتذكير للتغليب والاشعار بان طاعتها لم تقصر عن طاعة الرجال الكاملين حتى عدت من جملتهم او من نسلهم فتكون من ابتدائية * عن النبى عليه الصلاة والسلام كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء الا اربع آسية بنت مزاحم امرأة فرعون ومريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام * وعنه عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة التحريم آتاه الله توبة نصوحا

﴿ سورة الملك مكية ثلاثون آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(تبارك الذى بيده الملك) بقبضة قدرته التصرف فى الامور كلها (وهو على كل شئ قدير) على كل مايشاء قدير (الذى خلق الموت والحياة) قدرهما او اوجد الحياة وازالها حسبما قدره

يكون متعلقا للخلق وهو عبارة عن الايجاد و التكوين فلا يتعلق الا بما يقبل الايجاد فاجاب عنه اولا بان الخلق وان كان يستعمل فى الايجاد الا انه فى الاصل بمعنى التقدير يقال خلقت الاديم اذا قدرته قبل القطع قال الحجاج ماخلقت الافريت ولاوعدت الاوفيت والخلق ههنا بمعنى التقدير وثانيا بان لانسلم ان الموت صفة عدمية بل هو صفة وجودية مضادة للحياة كالحرارة والبرودة يقبل كل منهما الايجاد و التكوين الاان ايجاد احد الضدين لما كان مستلزما لازالة الآخر عن محله عبر عن ايجاد الموت بازالة الحياة واحتج اهل السنة بهذه الآية على ان الموت صفة وجودية وقالوا انه لوكان امرا عدميا لما تعلق به الخلق و التكوين ﴿قوله وقدم الموت﴾ مع ان الحياة متقدمة على الموت امالان المراد بالموت الحالة القائمة بالنطفة و العلقة و المضغة وبالحياة الحالة المرتبة على نفخ الروح فى الجنين وامالان المقصود من سوق الآية تحريض المكلفين على حسن العمل و الموت ادعى الى هذا المقصود بالنسبة الى الحياة فان نصب الموت بين العينين اقوى الزواجر عن المعاصى و اقوى الدواعى الى حسن العمل ولاشك ان ماهو ابلغ فى التأدية الى الغرض المسوق اليه الكلام اهم فقدم على الثانى ﴿قوله ليعاملكم معاملة المختبر﴾ يعنى ان البلوى وهو الاختبار و الامتحان ليس على حقيقته لانه انما يتصور ممن يخفى عليه عاقبة الامر بل هو وارد على سبيل الاستعارة التمثيلية وهى ان يشبه صورة منتزعة من عدة امور بصورة اخرى مثلها ويدعى دخول الاولى فى جنس الثانية للمبالغة فيطلق على الاولى اللفظ المركب الدال على الثانية فيعتبر التجوز فى مجموع ذلك اللفظ المركب لافى مفرداته بل هى باقية على حالها من كونها حقيقة او مجازا كما فى قولك انى اراك تقدم رجلا وتؤخر اخرى فكذا فى هذه الآية الكريمة شبهت حالة تعالى مع المخاطبين الذين كلفهم بالاوامر والنواهى بعد ما مكنهم من فعل الطاعة و المعصية وبين لهم عاقبة كل واحدة منهما حتى يظهر منهم ماثبت فى علمه الازلى من طاعة المطيع ومعصية العاصى ليجازيهم على حسب علمه بما يصدر عنهم فانهم لايستحقون الثواب والعقاب بما فى علمه تعالى بل بما كسبوه باختيارهم بحال المختبر مع المختبر فاستعيرت العبارة الموضوعة للدلالة على حال المختبر مع المختبر لحالة تعالى مع المخاطبين و مايظهر من خلق المكلفين وتكليفهم من طاعتهم ومعصيتهم باختيارهم غير ماتعلق به العلم الازلى منهما فان العلم الازلى يتعلق بهما قبل وقوعهما باعتبار انهما سيقعان اولايقعان لان ذلك لايكون علما ومايظهر من خلقهم و تكليفهم هو تحققهما ووقوعهما بالفعل فمعنى قوله تعالى ليبلوكم ايكم احسن عملا ليعلم هذا المعنى واقعا بعدما علم انه سيحصل ولايلزم منه تجدد علمه تعالى وحدوثه بل التجدد انما هو فى جانب المعلوم وزعمت الفلاسفة انه تعالى يعلم الجزئيات على وجه كلى هربا من تجدد علمه تعالى وذهبت المسلمون الى انه تعالى يعلم الجزئيات على وجه جزئى فيعلم عند وجودها انها وجدت وعند عدمها انها عدمت كما انه تعالى يعلم فى الازل انها ستوجد فى وقت وتعدم فى آخر فلا يتغير علمه الازلى بل المتغير تعلقاته على حسب تغير المعلوم واللام فى قوله تعالى ليبلوكم تدل على ان افعاله تعالى معللة بمصالح العباد كما زعمت المعتزلة وعند اهل السنة ليس الكلام محمولا على ظاهره لقيام الدليل على انه تعالى لايفعل لغرض بل المقصود بيان الحكمة المترتبة على فعله تشبيها لها بالعلة الغائية فى ان كل واحدة منهما مترتبة على وجود الفعل فان قيل الابتلاء انما يكون بالاحياء و التكليف فما معنى خلق الموت للابتلاء والجواب عنه يعلم من قوله آنفا ولانه ادعى الى حسن العمل فان معنى الآية انه تعالى اعطاكم الحياة التى تقدرون بها على العمل و تتمكنون بها منه وسلط عليكم الموت الذى هو داعيكم الى اختيار العمل الحسن على القبيح من حيث ان وراءه البعث والجزاء الذى لابد منه لبقاء حكمه وملكه ليعاملكم معاملة المختبر ويظهر مافى علمه الازلى ويتميز المطيع من العاصى فيجازى كل احد بما يستحقه ﴿قوله اصوبه واخلصه﴾ فان احسن الاعمال ماكان اصوب بان يكون موافقا للسنة واخلص بان لايشوبه شئ سوى ابتغاء وجه الله والعمل اذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل واذا كان صوابا ولم يكن خالصا لوجه الله تعالى لم يقبل ايضا وفسر حسن العمل بحسن العقل لان حسن العمل يترتب على العقل فمن كان اتم عقلا كان احسن عملا فان من تم عقله يكون اشد خوفا من الله تعالى و اكثر للموت ذكرا واحسن له استعدادا ﴿قوله جملة واقعة﴾ يعنى ان قوله تعالى ايكم مبتدأ واحسن خبره و عملا تمييز والجملة الاسمية سادة مسد المفعول الثانى لفعل البلوى وقوله المتضمن الخ دفع لما يقال من ان فعل البلوى يتعدى الى مفعول واحد بنفسه وانما يتعدى الى الثانى بواسطة الباء وقد اخذ ههنا مفعوله وهو الضمير المنصوب المتصل فكيف يصح ان يقال انه يستدعى مفعولا ثانيا يتعدى

وقدم الموت لقوله وكنتم امواتا فاحياكم ولانه ادعى الى حسن العمل (ليبلوكم) ليعاملكم معاملة المختبر بالتكليف ايها المكلفون (ايكم احسن عملا) اصوبه واخلصه وجاء مرفوعا احسن عقلا واورع عن محارم الله واسرع فى طاعته جملة واقعة موقع المفعول ثانيا لفعل البلوى المتضمن معنى العلم وليس هذا من باب التعليق لانه يخل به وقوع الجملة خبرا فلا يعلق الفعل عنها بخلاف ما اذا وقعت موقع المفعولين (وهو العزيز) الغالب الذى لايعجزه من اساء العمل (الغفور) لمن تاب منهم

اليه بنفسه وان الجملة الاسمية واقعة موقعه * وتقرير الدفع ثم ان الامر كذلك الا انه متضمن لمعنى العلم فكأنه قيل ليعلم ايكم احسن عملا وبذلك الاعتبار استدعى مفعولا ثانيا سدّت الجملة الاسمية التى بعده مسدّه ثم ان فعل البلوى لما كان فى قوّة افعال القلوب التى من خصائصها ان تعلق بحرف الاستفهام نحو علمت أزيد افضل ام عمرو وبالاسم المتضمن للاستفهام كقوله تعالى لنعلم اىّ الحزبين احصى احتمل ان يكون معلقا عن مفعوله الثانى باىّ لكونه متضمنا لمعنى الاستفهام فانك اذا قلت اىّ اعلم ايكم افضل كان المعنى اعلم أزيد افضل ام عمرو واعلم لايعمل فيما بعد الف الاستفهام فكذا لايعمل فى اىّ لاتحاد المعنى فالمصنف دفع هذا الاحتمال بقوله وليس هذا من باب التعليق وتقرير دليله انه اذا سبق احد المفعولين والمفعول الثانى جملة مصدّرة بكلمة الاستفهام لايكون الفعل معلقا عن الجملة الاستفهامية اذيلزم منه وقوعها خبرا والانشاء لايقع خبرا كما هو المشهور عند النحويين وبيان الملازمة انه على تقدير التعليق يكون اعراب الجملة المعلق عنها كاعرابها اذا لم يتقدم عليها فعل القلب فيلزم ماذكر من كون الانشاء خبرا بخلاف ما اذا وقعت الجملة الاستفهامية موقع المفعولين فان التعليق حينئذ لايستلزم وقوع الانشاء خبرا وهو ظاهر واستدل الزمخشرى على ان الفعل لايعلق عن الجملة الاستفهامية الواقعة موقع المفعول الثانى بان الفعل لا اثر له فى لفظ الجملة بل فى محلها فاذا سبق احد المفعولين والمفعول الثانى جملة وجب ان لايفرق بين كونها مصدّرة باداة التعليق وغير مصدّرة بها صورة او لفظا كما فى قولك علمت زيدا ابوه قائم وعلمت زيدا لابوه قائم فان عمل علمت ليس الا فى محل ابوه قائم سوآء صدّرت الجملة باداة التعليق ام لافلا وجه لجعل الاوّل من باب الاعمال والثانى من باب التعليق بل يجب ان يكون كلاهما من باب الاعمال نقل عن الزمخشرى انه قال اذا قلت علمت ازيد منطلق فهذا تعليق لفعل عن العمل فى اللفظ والصورة فكذا يمنع الفعل عن العمل فى الصورة اذا وقع بعده مايستوجب صدر الكلام فلايعمل الفعل المعلق فيما بعده لفظا محافظة على صدارته ويعمل تقديرا لان معنى قولك علمت ازيد منطلق علمت انطلاق زيد كما كان كذلك عند انتصاب الجزءين ومن شرط التعليق عند النحويين ان لايذكر شئ من المفعولين كما فى قولك علمت ايهم اخوك وعلمت ازيد منطلق اما اذا قلت علمت القوم ايهم افضل فهذا الكلام صحيح فى نفسه لكنه ليس من باب التعليق عندهم واذا كان كذلك فليس مانحن فيه وقوله تعالى ليبلوكم ايكم احسن عملا ليس من باب التعليق فى شئ لسبق المفعول وهو الضمير المنصوب وذكر فى شرح الرضى انه اذا صدّر المفعول الثانى بكلمة الاستفهام فالاولى ان لايعلق فعل القلب عن المفعول الاوّل نحو علمت زيدا من هو وعلمت بكرا ابو من هو وجوّز بعضهم تعليقه عن المفعولين جميعا لان معنى الاستفهام يعم جميع ماوقع بعد علمت كأنه قيل علمت من زيد وعلمت ابو من بكر وليس بقوى لاتفاقهم على النصب فى علمت زيدا ماهو قائما مع ان المعنى علمت مازيد قائما ﴿قوله اذا خصفتها طبقا على طبق﴾ اى اذا خرزتها واضعا طبقاتها بعضها على بعض قال تعالى وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة اى يلصقان بعضه على بعض ليستر ابه عورتهما وقوله تعالى طباقا اما مصدر بمعنى المطابقة وصفت به سبع سموات للمبالغة فى مطابقة بعضها بعضا او مصدر مؤكد لفعله المحذوف والجملة صفة سبع ﴿قوله او ذات طباق﴾ عطف على قوله مطابقة اى يجوز ان يكون طباقا جمع طبق كجبل وجبال او جمع طبقة كرحبة ورحاب فلابدّ من تقدير المضاف اى ذات طباق فهو ايضا صفة لسبع ورحبة المسجد بالتحريك ساحته والجمع رحب ورحاب ورحبات ﴿قوله صفة ثانية﴾ اشارة الى ان طباقا صفة على التقادير كلها كما قرّرناه ولما جعله صفة ثانية وقد تقرّر ان الجملة الواقعة صفة لابد من كونها مشتملة على مايعود الى الموصوف بها جعل خلق الرحمن من وضع الظاهر موضع الضمير للتعظيم لان موضوع العظيم عظيم والاصل ماترى فيهن وقوله من تفاوت مفعول ترى ومن مزيدة فيه ﴿قوله والاشعار بانه تعالى يخلق مثل ذلك﴾ وجه الاشعار ان اضافة المصدر تفيد العموم فخلق الرحمن يعم كل مخلوق فيشعر ذلك بعمومه ﴿قوله وان فى ابداعها نعما﴾ ووجه الاشعار به ان اضافة خلقها الرحمن يدل على ان خلقها رحمة بالعقد ونعمة جليلة ﴿قوله متعلق به﴾ اى بقوله ماترى على وجه التسبب اخبر انه لاتفاوت فى خلقهن ثم قال فارجع البصر اى ارفع نظرك الى السماء مرّة بعد اخرى حتى يصح عندك مااخبرت به بطريق المعاينة اذليس الخبر كالمعاينة فالفاء سببية تدل على ان الاخبار بعدم التفاوت سبب لان يؤمر المخاطب برجع البصر ليتحقق عنده حقيقة الحال ورجع يجئ لازما ومتعديا يقال رجع بنفسه رجوعا ورجعه غيره ﴿قوله فى ارتياد الخلل﴾

(الذى خلق سبع سموات طباقا) مطابقة بعضها فوق بعض مصدر طابقت النعل اذا خصفتها طبقا على طبق وصف به او طوبقت طباقا او ذات طباق جمع طبق كجبل وجبال او طبقة كرحبة ورحاب (ماترى فى خلق الرحمن من تفاوت) وقرأ حمزة والكسائى من تفوّت ومعناهما واحد كالتعاهد والتعهد وهو الاختلاف وعدم التناسب من الفوت فان كلا من المتفاوتين فات عنه بعض مافى الآخر والجملة صفة ثانية لسبع وضع فيها خلق الرحمن موضع الضمير للتعظيم والاشعار بانه تعالى يخلق مثل ذلك بقدرته الباهرة رحمة وتفضلا وان فى ابداعها نعما جليلة لاتحصى والخطاب فيها للرسول او لكل مخاطب وقوله (فارجع البصر هل ترى من فطور) متعلق به على معنى التسبب اى قدنظرت اليها مرارا فانظر اليها مرّة اخرى متأملا فيها لتعاين مااخبرت به من تناسبها واستقامتها واستجماعها ماينبغى لها والفطور الشقوق والمراد الخلل من فطره اذا شقه (ثم ارجع البصر كرّتين) اى رجعتين اخريين فى ارتياد الخلل

(اى)

اى فى طلبه يقال راده يروده رودا وريادا وارتاده ارتيادا بمعنى طلبه ﴿قوله كما فى لبيك وسعديك﴾ فان اصلهما ألب لك البابين اى اقيم بخدمتك اقامة بعد اقامة ولا ابرح عن مكان الخدمة ابدا واسعدك اى اعينك اسعادين فان اسعد يتعدى بنفسه بخلاف ألب فانه يتعدى باللام وتثنية المصدر فيهما للتكثير كما فى نحو كرتين ومرتين وقوله كرتين منصوب على المصدرية للفعل السابق من غير لفظه فان المعنى ثم ارجع البصر رجعتين آخرتين وليس المراد رجعتين اثنتين فقط بل المراد ان تكرر النظر اليها مرارا كثيرة بشهادة قوله وهو حسير فان فعيلا بمعنى الفاعل من الحسور وهو الاعياء فقوله وهو حسير معناه انه بلغ غاية الاعياء والكلال ومن المعلوم ان البصر لايبلغ غاية الكلال برجعه كرتين اثنتين فقط ﴿قوله طردا بالصغار﴾ تنبيه على ان قوله خاسئا اسم فاعل من خسأ اللازم بمعنى تباعد وهرب مع الصغار والذلة فاذا قيل خسأ الكلب بنفسه فمعناه تباعد من هو انه وخوفه كأنه زجر وطرد عن مكانه بالذلة وخسأ يستعمل لازما ومتعديا يقال خسأت الكلب اى طردته وخسأ الكلب بنفسه ولايجوز ان يكون خاسئا فى الآية مشتقا من المتعدى الا ان يكون بمعنى المفعول اى مبعدا مطرودا روى عن ابن عباس انه قال الخاسئ الذى لم ير مايهواه وقوله تعالى ينقلب جواب الامر وخاسئا حال من البصر وقوله وهو حسير جملة حالية من البصر او من الضمير المستتر فى خاسئا فتكون حالا متداخلة واعلم انه تعالى لما قال وهو العزيز الغفور ومن المعلوم ان كونه عزيزا غفورا لايتم الابعد كونه قادرا على كل المقدورات عالما بكل المعلومات استدل اولا على كمال قدرته بقوله الذى خلق سبع سموات طباقا ثم استدل على شمول علمه بقوله ماترى فى خلق الرحمن من تفاوت ثم ذكر مايدل على كونه قادرا عالما فقال ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح فان الكواكب من حيث كونها مشتملة على حكم ومصالح لاتحصى تدل على كون صاحبها عالما حكيما ﴿قوله اقرب السموات الى الارض﴾ اشارة الى ان الدنيا تأنيث الادنى بمعنى الاقرب وان كون السماء قربى انما هو بالنسبة الى ماتحتها من الارض لان القربى بالنسبة الى العرش هى السماء السابعة والمصابيح السرج استعيرت منها للكواكب تشبيها لها بها فى الاضاءة والتنور ﴿قوله ولا يمنع ذلك﴾ جواب عما يقال قد اتفق اهل الهيئة على ان الكواكب الثابتة مركوزة فى الفلك الثامن فعلى تقدير صحة ماذهبوا اليه كيف يوجد قوله تعالى ولقد زينا السماء الدنيا وتقرير الجواب ان كون الثوابت زينة السماء الدنيا لايقتضى كونها مركوزة فيها لجواز كونها مركوزة فيما فوقها من السموات وتكون ظاهرة فيها وزينة لكون السموات شفافة لايحجب بعضها ماكان مركوزا فيما فوقها ﴿قوله رجوما لاعدائكم بانقضاض الشهب المسببة عنها﴾ اى بسقوطها يقال انقض الحائط اذا سقط وكذا انقض الطائر والشهب جمع شهاب وهى شعلة نار ساقطة تنفصل من نار الكواكب وليس مايرجم به الشياطين نفس الكواكب بل هى قارة ثابتة فى مواضعها لم ينقص شئ منها بالرجم مع ان هذه الشهب يرمى بها من قديم الزمان وهذا معنى قوله بانقضاض الشهب المسببة عنها فان الشهب التى تنقض لرمى المسترقة من الشياطين منفصلة من نار الكواكب التى هى قارة فى الفلك على حالها كقبس يؤخذ من النار والنار ثابتة بكمالها فى موضعها . روى ان السبب فى جعلها رجوما ان الجن كانت تستمع خبر السماء فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم حرست السماء ومنعت من تقرب الشياطين اليها فمن جاء منهم مسترقا للسمع رمى بشهاب فاحرقه لئلا ينزل به الى الارض فيلقيه الى الناس فيلتبس على الناس امر النبوة بامر الكهانة وهذا لايستلزم ان لاتكون هذه الشهب موجودة قبل بعثه صلى الله عليه وسلم البتة بل يجوز ان توجد قبلها لاسباب أخر حتى ان قدماء الفلاسفة ذكروا وقوعها واسبابه فى كتبهم وانما يدل على ان الذى جعل بعد البعثة مايرجم به الشياطين عن ابن عباس قال بينما النبى صلى الله عليه وسلم جالس فى نفر من الصحابة اذ رموا بنجم فانار الجو منه فقال ما كنتم تقولون اذا حدث فى الجاهلية مثل هذا قالوا كنا نقول يولد عظيم او يموت عظيم قال صلى الله عليه وسلم فانها لاترمى لموت احد ولا لحياته ولكن ربنا تعالى اذا قضى الامر فى السماء سبحت حملة العرش ثم سبح اهل كل سماء حتى ينتهى التسبيح الى هذه السماء ويستخبر اهل السماء حملة العرش ماذا قال ربكم فيخبرونهم ولايزال ينتهى ذلك الخبر من سماء الى سماء الى ان ينتهى الى هذه السماء وتخطفه الجن فيرمون فماجاؤا به فهو حق ولكنهم يزيدون فيه ﴿قوله وقيل معناه وجعلناها رجوما وظنونا﴾ اى قيل انه ليس من الرجم بمعنى الرمى بل هو من الرجم الذى هو ان يتكلم الرجل بالظن كما فى قوله تعالى رجما بالغيب عن قتادة قال خلق الله تعالى النجوم لثلاث كونها زينة السماء ورجوما للشياطين وعلامات يهتدى بها فى ظلمات البر

والمراد بالتثنية التكرير والتكثير كما فى لبيك وسعديك ولذلك اجاب الامر بقوله (ينقلب اليك البصر خاسئا) بعيدا عن اصابة المطلوب كأنه طرد عنه طردا بالصغار (وهو حسير) كليل من طول المعاودة وكثرة المراجعة (ولقد زينا السماء الدنيا) اقرب السموات الى الارض (بمصابيح) بكواكب مضيئة بالليل اضاءة السرج فيها ولايمنع ذلك كون بعض الكواكب مركوزا فى السموات فوقها اذ التزيين باظهارها عليها والتنكير للتعظيم (وجعلناها رجوما للشياطين) وجعلنا لها فائدة اخرى هى رجم اعدائكم بانقضاض الشهب المسببة عنها وقيل معناه وجعلناها رجوما وظنونا لشياطين الانس وهم المنجمون والرجوم جمع رجم بالفتح وهو مصدر سمى به مايرجم به (واعتدنا لهم عذاب السعير) فى الآخرة بعد الاحراق بالشهب فى الدنيا (وللذين كفروا بربهم) من الشياطين وغيرهم (عذاب جهنم) وقرئ بالنصب على ان للذين عطف على لهم وعذاب على عذاب السعير (وبئس المصير اذا القوا فيها سمعوا لها شهيقا) صوتا كصوت الحمير (وهى تفور) تغلى بهم غليان المرجل بما فيه

والبصر ومعرفة الاوقات فمن تأوّل فيها غير ذلك فقد تكلف مالاعلم له به وتعدّى وظلم ولماذكر ان الكواكب من جملة منافعها ان يرجم بها الشياطين فى الدنيا بين انلهم فى العقبى عذابا فوق ذلك وهو مااعدّه الله لهم من عذاب السعير قال المبرد سعرت النار فهى مسعورة وسعير كقولك مقتولة وقتيل واحتج اصحابنا بهذه الآية على ان النار مخلوقة الآن لان قوله تعالى اعتدنا اخبار عن الماضى ثم ان الله تبارك وتعالى لما اثبت كال قدرته وعلمه بما ذكره من الدلائل وبين بذلك صحة اثابة من احسن عملا وعقاب من اساء ساق الكلام الى ان ذكر انه اعدلهم اى للرجومين بالشهب من الشياطين عذاب السعير وذكر بعدها ان عذابها لايختص بهم بل يعم الكفرة فقال والذين كفروا بربهم الخ وعذاب جهنم فى قرآءة الجمهور مرفوع على الابتدآء وقوله وللذين كفروا خبره قدم عليه وقرئ بنصب عذاب على طريق عطف المنصوب على المنصوب والمجرور على المجرور شبه صوت لهب جهنم بشهيق الحمار فاطلق عليه اسم الشهيق وهو آخر صوت الحمار والزفير اوله وقيل الشهيق فى الصدر والزفير فى الحلق قال مقاتل اذا طرحوا فيها كما يطرح الحطب فى النار العظيمة سمعوا لجهنم شهيقا وقال عطاء سمعوا لاهلها ممن تقدم طرحهم فيها شهيقا فهو على حذف المضاف ﴿ قوله وهو تمثيل لشدة اشتعالها بهم ﴾ جواب عما يقال ليست النار من الاحياء التى من شأنها الغيظ فكيف وصف به فاجاب عنه اوّلا بحمل الكلام على التمثيل حيث شبه اشتعالها بهم فى قوة تأثيرها فيهم وايصال الضرر اليهم باهتياز المغتاظ على غيره المبالغ فى ايصال الضرر اليه فاستعير اسم الغيظ لذلك الاشتعال والتمثيل بمعنى التشبيه ويحتمل ان يكون بمعنى التخييل بان شبهت جهنم فى النفس لشدة غليانها باهلها وقوة صوت اهلها بالانسان المغتاظ على غيره واثبت لها لازم المشبه به وهو الغيظ دليلا على التشبيه المضمر فى النفس والغيظ اشد الغضب والغضب ثوران دم القلب ارادة الانتقام والتغيظ اظهار الغيظ وقد يكون ذلك مع صوت مسموع قال تعالى سمعوا لها تغيظا وزفيرا فقد ورد فى بعض الاخبار اتقوا الغضب فانه جمرة فى قلب ابن آدم ألم تروا الى انتفاخ اوداجه ﴿ قوله قالوا بلى قدجاءنا نذير ﴾ جمعوا بين حرف الجواب ونفس الجملة المجاب بها مع انهم لواقتصروا على قولهم بلى لفهم مرادهم زيادة التحسر والاغتمام على تفريطهم فى قبول قول النذير ﴿ قوله وبالغنا فى نسبتهم الى الضلال ﴾ اشارة الى ان قوله ان انتم الافى ضلال كبير من مقالة الكفار اى وقلنالهم ما نزل الله من شئ على ألسنتكم ان انتم يامعشر الرسل الافى ضلال كبير اعترفوا بعدل الله تعالى واقرّوا بانه تعالى ازاح عذرهم ببعثة الرسل وانذارهم ماوقعوا فيه بتكذيبهم الرسل ثم اعترفوا بجهلهم حيث قالوا وهم فى النار لوكنا نسمع او نعقل ما كنا اليوم فى اصحاب السعير وروى عنه عليه الصلاة والسلام انه قال لكل شئ دعامة ودعامة المؤمن عقله فبقدر عقله يعبد ربه وقال عليه الصلاة والسلام ان الرجل ليكون من اهل الصلاة والصيام وممن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وما يجزى يوم القيامة الاعلى قدر عقله وقال عليه الصلاة والسلام الاحمق يصيب بحمقه اعظم من فجور الفاجر وانما يرتفع العباد غدا فى الدرجات وينالون الزلفى من ربهم على قدر عقولهم ﴿ قوله والنذير امابمعنى الجمع ﴾ اى على تقدير ان يكون قوله تعالى ان انتم الافى ضلال كبير من جملة كلام الكفار وخطابهم للنذرين لابدّ ان يكون النذير بمعنى الجمع ليصح خطاب النذير بقوله ان انتم او يكون مصدرا بمعنى الانذار كالرجيف والانين على حذف المضاف او على انه مصدر وصف به المنذرون للمبالغة كأنهم لكثرة انذارهم وغلوّهم فى ذلك واتفاقهم فيه كانوا انذارا واحدا ﴿ قوله او الواحد ﴾ عطف على قوله الرسل فى قوله اى فكذبنا الرسل اى ويجوز ان يكون نذير بمعنى منذر واحد ويكون قوله ان انتم خطاباله ولامثاله ﴿ قوله او اقامة تكذيب الواحد ﴾ عطف على التغليب ﴿ قوله ويجوز ان يكون الخطاب ﴾ عطف على مافهم من قوله وبالغنا فى نسبتهم الى الضلال فانه يدل على ان قوله ان انتم من جملة قول الكفار وخطابهم للرسل وان كان الخطاب من الزبانية يكون مرادهم من ضلال الكفرة ما كانوا عليه فى الدنيا من ضلالهم فى باب الاعتقاد والعمل او ما كانوا عليه فى جهنم من العقاب بطريق تسمية عقاب الضلال ضلالا او على ان يكون الضلال بمعنى الضياع والهلاك يقال ضل الشئ اذا ضاع وهلك ﴿ قوله فاسحقهم الله سحقا ﴾ يعنى ان سحقا منصوب على انه مصدر مؤكد لفعله المحذوف ناب المصدر مناب عامله فى موضع الدعاء كما فى رعيا وسقيا وجدعا وهذا من المواضع التى يجب فيها حذف المفعول المطلق سماعا واختلف النحاة فى انه مصدر لفعل ثلاثى او لفعل رباعى جاء على حذف الزوآئد فذهب اكثر النحاة الى انه مصدر اسحقه الله اى ابعده

(تكاد تميز من الغيظ) تتفرق غضبا عليهم وهو تمثيل لشدة اشتعالها بهم ويجوز ان يراد غيظ الزبانية (كلما القى فيها فوج) جماعة من الكفرة (سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير) يخوّفكم هذا العذاب وهو توبيخ وتبكيت (قالوا بلى قدجاءنا نذير فكذبنا وقلنا مانزل الله من شئ ان انتم الافى ضلال كبير) اى فكذبنا الرسل وافرطنا فى التكذيب حتى نفينا الانزال والارسال رأسا وبالغنا فى نسبتهم الى الضلال والنذير اما بمعنى الجمع لانه فعيل او مصدر مقدر بمضاف اى اهل انذار او منعوت به للمبالغة او الواحد والخطاب له ولامثاله على التغليب او اقامة تكذيب الواحد مقام تكذيب الكل او على ان المعنى قالت الافواج قدجاء الى كل فوج منا رسول فكذبناهم وضللناهم ويجوز ان يكون الخطاب من كلام الزبانية للكفار على ارادة القول فيكون الضلال ماكانوا عليه فى الدنيا او عقابه الذى يكونون فيه (وقالوا لوكنا نسمع) كلام الرسل فنقبله جملة من غير بحث وتفتيش اعتمادا على مالاح من صدقهم بالمعجزات (او نعقل) فنتفكر فى حكمه ومعانيه تفكر المستبصرين (ماكنا فى اصحاب السعير) فى عدادهم ومن جملتهم (فاعترفوا بذنبهم) حين لاينفعهم والاعتراف اقرار عن معرفة والذنب لم يجمع لانه فى الاصل مصدر والمراد به الكفر (فسحقا لاصحاب السعير) فاسحقهم الله سحقا اى ابعدهم من رحمته

والسحق البعد وكان القياس ان يقال اسحاقا الا انه جاء المصدر على الحذف كما في قوله فان اهلك فذلك كان قدرى اى تقديرى ومن جعله مصدرا الفعل ثلاثى بنى كلامه على انه سمع سحقه الله ثلاثيا ولم يلتفت المصنف اليه لان استعمال الثلاثى متعديا فى غاية الندرة وانما يستعمل لازما فيقال سحق الشئ بضم العين فهو سحيق اى بعيد واسحقه الله اى ابعده وقرأ العامة سحقا بسكون الحاء وقرئ بضمتين وهما لغتان والاحسن ان يكون المثقل اصلا للمخفف واللام فى قوله لاصحاب السعير للبيان كما فى رعيالك وسقيالك ﴿ قوله والتغليب للايجاز والمبالغة ﴾ هكذا فى اكثر النسخ ووجد فى بعضها والتغيير بدل التغليب وليس فى نظم الآية تغليب بالمعنى المتعارف لان جميع ابواب التغليب من باب المجاز لاشتراك الجميع فى كون اللفظ مستعملا فى غير ما وضع له وليس فى قوله تعالى فسحقا لاصحاب السعير لفظ مستعمل فى غير ما وضع له غاية ما فى الباب ان يطلق اصحاب السعير على الكفرة الذين كذبوا الرسل واستعمال العام فى الخاص وان سلم كونه مجازا فليس من باب التغليب مع انه ليس بمستعمل فى الخاص بل هو مستعمل فى اصل معناه وهو من يلابس السعير ويدخلها سواء كان خالدا فيها او لا كما فى قوله تعالى حكاية عن يوسف عليه الصلاة والسلام يا صاحبى السجن فاطلاق اصحاب السعير واهل السعير على من يدخلها من الكفرة وعصاة المؤمنين حقيقة لكونه استعمالا للفظ فيما وضع له فلا يكون من باب التغليب العرفى فاذا كانت عبارة التغليب بعيدة كل البعد وبعض السلف من المحققين اعتمد على النسخة التى وقع فيها عبارة التغيير بدل التغليب حيث قال قوله فى سورة الملك والتغيير للايجاز والمبالغة والتعليل يريد ان الاصل ذكر الفعل والاتيان بالضمير لكن غير الاسلوب لحذف الفعل للايجاز وهو ظاهر وللمبالغة بان ذكر السحق اولا مبهما من غير بيان من يستحقه وانه لمن هو ثم جاء بقوله لاصحاب السعير بيانا للمعنى بالدعاء ولو ذكر الفعل لفات هذا المعنى وكثيرا ما يترك البيان للعلم كما يقال حمدا وشكرا وعدل عن ذكر الضمير للتعليل فان علة اللعن ليس هو اعترافهم بذنوبهم بل كونهم من اصحاب السعير باختيار الكفر والتكذيب ووقع فى بعض النسخ والتغليب بدل قوله والتغيير وهو سهو من قلم الناسخ اذ لا وجه له اصلا هذا كلامه بعبارته وذكر قدوة المحققين وعمدة المشايخ السالكين الشيخ عبد الرحيم المعروف بحاجى چلبى حفظه الله انه سمع من لفظ المولى خواجه زاده رحمه الله انه استصوب عبارة التغيير وقطع بان عبارة التغليب خطأ والله اعلم ﴿ قوله غائبا عنهم ﴾ على ان يكون بالغيب حالا من المضاف المقدر وعلى الثانى يكون حالا من فاعل يخشون وعلى قوله او بالخفى عنهم تكون الباء للآلة وتكون متعلقة بيخشون وتكون الالف واللام فى قوله بالغيب بمعنى الذى وقوله تعالى ان الذين يخشون ربهم اما جملة استئنافية اوردت جوابا لسؤال الناشئ من بيان حال الكفرة فكأنه قيل فاذا حال من احسن عملا فاجيب به ثم انه تعالى لما ذكر وعيد الكفار ووعد المؤمنين على سبيل الغاية رجع بعد ذلك الى خطاب الكفار فقال واسروا قولكم او اجهروا به قيل انهم كانوا ينالون من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيخبره جبريل صلى الله عليه وسلم فيقول بعضهم لبعض أسروا قولكم كى لا يسمع اله محمد فنزلت الآية واسروا قولكم او اجهروا به وظاهره الامر باحد الامرين الاسرار والجهر ومعناه الاخبار بانه لا فرق بين اسرار ما تخوضون فيه من الاقوال والافعال واعلانه فى علم الله بذلك واحذروا من ارتكاب ما يكون معصية سرا كما تحذرون منه جهرا ثم علل استواء الامرين فى علمه تعالى بذلك فقال انه عليم بذات الصدور قبل ان يعبر بها اصلا لا سرا ولا جهرا فعلمه تعالى بها بعد التعبير عنها اولى ثم انكر ان يعزب عن علمه شئ من مضمرات الصدور ثم اعبر عنه سرا وجهرا فقال ألا يعلم من خلق والحال انه هو اللطيف الخبير وقوله من خلق يجوز ان يكون مرفوع المحل على انه فاعل يعلم ومفعوله محذوف وان يكون منصوب المحل على المفعولية وفاعله مستتر فيه اشار الى الاول بقوله الا يعلم السر والجهر من اوجد الاشياء والى الثانى بقوله او ألا يعلم الله من خلقه وهو بهذه المثابة ﴿ قوله المتوصل علمه الى ما ظهر من خلقه وما بطن ﴾ الظاهر انه ليس مراده ان كونه تعالى عالما بما ظهر من خلقه مفهوم من عبارة اللطيف بل المراد انه مفهوم منه بطريق الدلالة لان مدلوله هو العالم بالخفيات كما صرح به فى شرح المواقف ومن يعلم الخفايا يلزمه العلم بالجلايا بطريق الاولوية فلذلك اعتبر فى مفهوم اللطيف وصول علمه الى ما ظهر ايضا قال الامام حجة الاسلام الغزالى نور الله مرقده انما يستحق اسم اللطيف من يعلم دقائق المصالح وغوامضها وما دق منها وما لطف ثم يسلك فى ايصالها الى المستصلح سبيل الرفق دون العنف فاذا اجتمع الرفق فى الفعل واللطف

والتغليب للايجاز والمبالغة والتعليل وقرأ الكسائى بالتثقيل (ان الذين يخشون ربهم بالغيب) يخافون عذابه غائبا عنهم لم يعاينوه بعد او غائبين عنه او عن اعين الناس او بالخفى عنهم وهو قلوبهم (لهم مغفرة) لذنوبهم (واجر كبير) يصغر دونه لذائذ الدنيا (وأسروا قولكم او اجهروا به انه عليم بذات الصدور) بالضمائر قبل ان يعبر عنها سرا او جهرا (ألا يعلم من خلق) ألا يعلم السر والجهر من اوجد الاشياء حسبما قدرته حكمته (وهو اللطيف الخبير) المتوصل علمه الى ما ظهر من خلقه وما بطن او ألا يعلم الله من خلقه وهو بهذه المثابة

فى الادراك ثم معنى اللطيف ولا يتصوّر كمال ذلك فى العلم والفعل الا لله تعالى والخبير هو الذى لا تعزب عنه الاخبار الباطنة فلا يجرى فى الملك والملكوت شئ ولا تتحرك ذرة ولا تسكن الا ويكون عنده خبرها وهو بمعنى العليم لكن العلم اذا اضيف الى الخفايا الباطنة يسمى خبرة ويسمى صاحبه خبيرا انتهى فاللطيف اخص من الخبير الذى هو اخص من العليم ❊ وقال الامام الرازى واعلم انهم اختلفوا فى اللطيف فقال بعضهم المراد العالم وقال آخرون بل المراد من يكون فاعلا للاشياء اللطيفة التى تخفى كيفية عملها على اكثر الفاعلين ولهذا يقال ان لطف الله بعباده عجيب ويراد به خلق تدبيره لهم وفيهم وهذا الوجه اقرب والا لكان ذكر الخبير بعده تكرارا انتهى واذا فسر اللطيف بما ذكره الغزالى اندفع التكرار ﴿ **قوله** والتقييد بهذا الحال يستدعى ان يكون ليعلم مفعول ليفيد ﴾ جواب عما يقال من انه لم يذكر فى نظم الآية لفظان يكون احدهما فاعلا ليعلم والآخر مفعوله فما الذى دعاك الى اعتبار تعلقه بالمفعول ولم لا تجعله من باب يعطى ويمنع بان ينزّل منزلة اللازم ويعرب النظم بوجه ثالث وهو ان تجعل من خلق فاعل يعلم ولا يقدّر له مفعول ويكون المعنى ألا يكون عالما من هو خالق والخلق انما يكون بالعلم وتقرير الجواب انه لو لم يعتبر تعلقه بالمفعول لخلا التقييد بالحال عن فائدة يعتد بها لانه فى قوة تقييد الشئ بنفسه وذلك لان قوله الا يعلم لانكار عدم العلم فيكون فى معنى دعوى العلم على تقدير ان لا يقدّر ليعلم مفعول مع ان قوله وهو اللطيف حال من فاعل يعلم يكون حاصل المعنى يعلم وهو عالم اى يعلم فى حال علمه ولا فائدة فى هذا التقييد لانه تقييد لمطلق العلم بنفسه ❊ فان قيل لا نسلم ذلك بل هو فى معنى الا يعلم وهو عالم بما ظهر من خلقه وما بطن وقد فسره المصنف بذلك فالعلم المدلول عليه بالعامل هو مطلق العلم والمدلول عليه بالحال مستغرق فيفيد التقييد لانه ليس من قبيل الا يعلم وهو عالم بل من قبيل الا يعلم وهو عالم بكل شئ ❊ قلنا اذا نزّل قوله الا يعلم منزلة اللازم بان يجعل من قبيل فلان يعطى ويمنع يكون الحدث الذى هو مدلول الفعل عاما شاملا لجميع افراده بحسب تفاهم العرف فى المقام الخطابى كما صرح به صاحب المفتاح كان العلم المدلول عليه بقوله اللطيف الخبير كذلك على تفسير المصنف فهما متساويان فى العموم فيلزم تقييد الشئ بنفسه بمنزلة ان يقال الا يعلم كل شئ من هو عالم بكل شئ ثم انه تعالى لما بين استواء الاسرار والاعلان بالنسبة اليه واستدل عليه ببيان تفرّده فى خلق الكائنات كلها من الجواهر والاعراض وان الخلق متفرّع على العلم فكيف يتصوّر ان لا يعلم ما خلقه قال بعده هو الذى جعل لكم الارض ذلولا فلا تفترّوا بذلها وانقيادها لكم ولا تجترأوا على معصيته سرّا بناء على زعم انه تعالى لا يعلم ما تسرّون ولا تأمنوا ان يصيبكم عذابه من حيث لا تحتسبون فان الارض التى هى مأمنكم وموضع استقراركم انما الذى ذللها لكم وجعلها مسكنا لكم وسببا لمعاشكم اذ لو شئت لحوّلت ذلها صعوبة وما فيها من الامن خوفا بان تخسف بكم الارض كما خسف بقارون وبداره الارض او تنزل عليها من السماء انواع المحن والآفات كما نزل على اصحاب الفيل وقوم لوط واطيعوا الله سرّا وعلانية لعلكم تفلحون ❊ والذلول من كل شئ المنقاد الذى يذل اى ينقاد ومصدره الذُلّ وهو الانقياد واللين ومنه دابّة ذلول اذا زالت صعوبتها وانقادت لصاحبها ووجه كونها ذلولا انه يمكن المشى عليها والحفر للآبار وشق العيون والانهار فيها وبناء الابنية وزرع الحبوب وغرس الاشجار فيها ولو كانت صخرة صلبة لما تيسّر شئ منها ولو كانت مثل الذهب او الحديد لكانت تسخن جدا فى الصيف وتبرد فى الشتاء وايضا ثبتها الله تعالى بالجبال الراسيات كيلا تميل وتنقلب باهلها ولو كانت مضطربة متمايلة لتعذر الاستقرار عليها ولكانت صعبة غير ذلول ومنقادة لنا ﴿ **قوله** جوانبها او جبالها ﴾ شبهت جوانب الارض او جبالها بمناكب الانسان من حيث ان مناكب الانسان اطرافه وجوانبه ومن حيث انها ارفع المواضع منه فاطلق عليها اسم المناكب على طريق الاستعارة وعلى التقديرين يكون قوله تعالى فامشوا فى مناكبها مثلا لفرط التذليل اى بيانا عجيبا وتصويرا غريبا لفرط التذليل على ان المثل مستعار من معناه العرفى الذى هو القول السائر لبيان العجيب تشبيهاله به فى الغرابة والوجه فى كونه بيانا غريبا لفرط التذليل ما ذكره من انه اذا امكن المشى فى جوانب الارض او جبالها التى بمنزلة المناكب من البعير كان امكانه فى اواسطها او سهولها اتم واولى ﴿ **قوله** وهو بدل من من ﴾ يعنى ان قوله تعالى من فى السماء فى موضع النصب على انه مفعول ءامنتم وان يخسف بدل اشتمال منه اى ءامنتم من فى السماء خسفه وكذا قوله ان يرسل بدل من من اى ءامنتم من فى السماء ارساله ﴿ **قوله** او على زعم العرب ﴾ عطف على قوله على تأويل من فى السماء امره يعنى ان قوله من فى السماء لا يجوز ان يكون المراد به البارى عز شأنه

والتقييد بهذه الحال يستدعى ان يكون ليعلم مفعول ليفيد روى ان المشركين كانوا يتكلمون فيما بينهم باشياء فيخبر الله بها رسوله فيقولون أسرّوا قولكم لئلا يسمع اله محمد فنبه الله على جهلهم (هو الذى جعل لكم الارض ذلولا) لينة يسهل لكم السلوك فيها (فامشوا فى مناكبها) فى جوانبها او جبالها وهو مثل لفرط التذليل فان منكب البعير ينبو عن ان يطأه الراكب ولا يتذلل له فاذا جعل الارض فى الذل بحيث يمشى فى مناكبها لم يبق شئ لم يتذلل (وكلوا من رزقه) والتمسوا من نعم الله (واليه النشور) المرجع فيسألكم عن شكر ما انعم عليكم (ءامنتم من فى السماء) يعنى الملائكة الموكلين على تدبير هذا العالم او الله تعالى على تأويل من فى السماء امره وقضاؤه او على زعم العرب فانهم زعموا انه تعالى فى السماء وقرأ ابن كثير وامنتم بقلب الهمزة الاولى واوا لانضمام ما قبلها وروايه البزى ءامنتم بتسهيل الثانية بلا فصل وقرأ قالون وابو عمرو بتسهيل الثانية مع الفصل وورش بابدالها ألفا او بتسهيلها بلا فصل والباقون بتحقيق الهمزتين (ان يخسف بكم الارض) فيغيبكم فيها كما فعل بقارون وهو بدل من من بدل الاشتمال

لاستحالة كونه تعالى فى مكان وجهة فلا يجوز ان يراد به البارى تعالى الا على تأويل من فى السماء سلطانه وامره او على ان يكون الخطاب لقوم يزعمون التشبيه فخوطبوا على حسب اعتقادهم كقوله لامثالهم اين شركائى كأنه تعالى قال لهم أتأمنون من اعتقدتم انه اله متمكن فى السماء وانه قادر على مايشاء ان يخسف بكم الارض الجوهرى خسف المكان يخسف خسوفا غاب وذهب فى الارض وخسف الله به الارض خسفا اى غيبه فيها ﴿قوله والمور التردد فى المجيئ والذهاب﴾ وقد قالوا ان الله يحرك الارض عند الخسف بهم حتى تضطرب وتتحرك فتعلوا عليهم وهم يخسفون فيها ويذهبون والارض فوقهم تمور فتلقيهم الى اسفل السافلين ﴿قوله ان يمطر عليكم حصباء﴾ اى حصى عن ابن عباس رضى الله عنه قال اى حجارة من السماء كما ارسلها على قوم لوط واصحاب الفيل وفى الصحاح يقال حصبت الرجل احصبه بالكسر اى رميته بالحصباء وحصب فى الارض ذهب فيها والحاصب الريح الشديدة التى تثير الحصباء وهى الحصى ومعنى الآية هل حصل لكم امان من هذين واذ لا امان لكم منهما فالمعنى تماديكم فى الشرك والتكذيب وهذا اعتاد شديد والعياذ بالله ﴿قوله وتهديد لقومه﴾ اى تأكيد للتهديد السابق بايراد مثال ومصداق له كأنه قيل او لم تروا الى كيف انكرت على المكذبين قبلكم بتغير حالهم بالتدمير والاستئصال فكيف تأمنون مما اصابهم بسبب اصرارهم على الكفر والتكذيب ثم اورد برهانا يدل على قدرته على ايقاع ماهددهم وخوفهم به فقال اولا او لم يروا الى الطير فوقهم صافات وثانيا قل هو الذى انشأكم وجعل لكم السمع والابصار وثالثا قل هو الذى ذرأكم فى الارض ومتى ثبت كمال قدرته ثبت كونه قادرا على الانتقام منهم بما يشاء والطير جمع طائر وقوله فوقهم ظرف ليروا او حال من الطير اى كائنات فوقهم وصافات حال اما من الطير او من المنوى فى الظرف ان جعلته حالا ﴿قوله تعالى ويقبضن﴾ عطف على صافات عطف الفعل على الاسم لكونه بمعنى قابضات الا انه عدل به الى صيغة الفعل للدلالة على ان الهوآء للطائر بمنزلة الماء للسابح فكما ان الاصل فى السباحة هو مد الاطراف بسطها وقبضها وقتا بعد وقت لايقصد لذاته وانما يفعل ليتوصل به الى ماهو الاصل فى السباحة وهو البسط فكذا الطيران فان الاصل فيه هو صف الاجنحة والقبض يطرأ على الاصل للاستظهار به على التحرك فجيئ بما هو طارئ غير اصل بلفظ الفعل لان الفعل يدل على التجدد وقتا بعد وقت والمعنى انهن صافات ويكون منهن القبض تارة بعد تارة ومفعول كل واحد من قوله صافات ويقبضن محذوف اى صافات وقابضات اجنحتهن كما اشار اليه بقوله اى باسطات اجنحتهن ثم اشار الى ان الصف الواقع حال البسط انما هو بالقوادم حيث قال فانهن اذا بسطنها صففن قوادمها وقوادم الطير مقادم ريشه وهى عشر فى كل جناح والحصر المدلول عليه بقوله مايمسكهن الا الرحمن لاينافى توصيفهن بقوله صافات وقابضات لان امساكهن مع ثقلهن وضخامة اجسامهن مسند اليه تعالى بلا واسطة وكذا جريهن فى الهوآء مسند اليه تعالى الا انه بواسطة خلقهن على اشكال وخصائص هيأتهن له او الهامهن كيفية البسط والقبض على الوجه الطابق للمنفعة فان رحمة الرحمن وسعت كل شيئ ويصل بعضها الى المرحوم بلا واسطة وبعضها بالواسطة ﴿قوله يعلم كيف يخلق الغرائب﴾ اشارة الى ان البصير بمعنى العالم بالاشياء الدقيقة الغريبة من حذاقة واتقان كأنه يبصرها ويشاهدها ﴿قوله عديل لقوله او لم يروا﴾ يعنى ان كلمة ام الداخلة على من الاستفهامية متصلة معادلة لهمزة أولم يروا والمعنى او لم ينظروا الى آثار قدرتنا فيعلموا بذلك قدرتنا على تعذيبهم ام نظروا وعلموا لكنهم اعتمدوا على مالهم من الجند الذى يمنعهم من عذاب الله تعالى الا انه اخرج الكلام مخرج الاستفهام عن تعيين من ينصرهم اشعارا بانهم كانوا يعتقدون انهم يحفظون من النوآئب ببركة آلهتهم فكأنهم الجند لهم قيل كان الكفار الممتنعون عن الايمان معتمدين على شيئين احدهما اعتمادهم على مالهم من الانصار والاعوان والثانى اعتقادهم ان الاوثان توصل اليهم الخيرات وتدفع عنهم جميع الآفات فابطل الله تعالى مازعموه اولا بقوله ام من هذا الذى هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن وابطل الثانى بقوله ام من هذا الذى يرزقكم ان امسك رزقه فاستبان الحق وحصل الالزام فقال اولا ان الكافرون الا فى غرور وقال ثانيا بل لجوا فى عتو ونفور واللجاج التمادى فى العناد ولما وصفهم بالعتو والنفور نبه على مايدل على قبح هذين الوصفين فقال افمن يمشى مكبا على وجهه الآية فقوله تعالى مكبا حال من فاعل يمشى وكذا سويا حال منه ايضا وعلى وجهه تأكيد لان الكب لايكون الا على الوجه والمشى مكبا يكون بصعوبة المسلك وعدم استوآئه باشتماله على ارتفاع

(فاذا هى تمور) تضطرب والمور التردد فى المجيئ والذهاب (ام امنتم من فى السماء ان يرسل عليكم حاصبا) ان يمطر عليكم حصباء (فستعلمون كيف نذير) كيف انذارى اذا شاهدتم المنذر به ولكن لاينفعكم العلم حينئذ (ولقد كذب الذين من قبلهم فكيف كان نكير) انكارى عليهم بانزال العذاب وهو تسلية للرسول عليه الصلاة والسلام وتهديد لقومه المشركين (او لم يروا الى الطير فوقهم صافات) باسطات اجنحتهن فى الجو عند طيرانها فانهن اذا بسطنها صففن قوادمها (ويقبضن) ويضممنها اذا ضربن بها جنوبهن وقتا بعد وقت للاستظهار به على التحرك ولذلك عدل به الى صيغة الفعل للتفرقة بين الاصل فى الطيران والطارئ عليه (ما يمسكهن) فى الجو على خلاف الطبع (الا الرحمن) الشامل رحمته كل شيئ بان خلقهن على اشكال وخصائص هيأتهن للجرى فى الهوآء (انه بكل شيئ بصير) يعلم كيف يخلق الغرآئب ويدبر العجائب (أمن هذا الذى هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن) عديل لقوله او لم يروا على معنى او لم ينظروا فى امثال هذه الصنائع فلم يعلموا قدرتنا على تعذيبهم بنحو خسف وارسال حاصب ام لكم جند ينصركم من دون الله ان ارسل عليكم عذابه فهو كقوله ام لهم آلهة تمنعهم من دوننا الا انه اخرج مخرج الاستفهام من تعيين من ينصرهم اشعارا بانهم اعتقدوا هذا القسم ومن مبتدأ وهذا خبره والذى بصلته صفته وينصركم وصف لجند محمول على لفظه (ان الكافرون الا فى غرور) لامعتمد لهم (امن هذا الذى يرزقكم) ام من يشار اليه ويقال هذا الذى يرزقكم (ان امسك رزقه) بامساك المطر وسائر الاسباب المحصلة والموصلة له اليكم (بل لجوا) تمادوا (فى عتو) فى عناد (ونفور) وشراد عن الحق لتنفر طباعهم عنه

والمخاض ومزالق فيعثر سالكه فى كل ساعة ويخرّ على وجهه فى كل خطوة فحاله عكس حال من يمشى على صراط مستقيم فانه يمشى سويا اى مستويا سالما من العثور والخرور ﴿قوله يقال كببته فأكب﴾ اى يقال اكب مطاوع كبه على وجهه كما ان اقشع مطاوع قشعه يقال قشعت الريح السحاب فاقشع اى كشفته فانكشف ولم يرض المصنف بكون بناء افعل مطاوعا لفعل حيث قال والتحقيق ان اكب واقشع من باب انفض فى ان الهمزة فيه للصيرورة وليس من هذه الابنية المطاوعة فان مطاوع اكب انكب ومطاوع قشعه انقشع بل همزة افعل فيهما للصيرورة كما فى قولهم اجرب الرجل اى صار ذا جرب واراب اى صار ذاريبة والام اى فعل مايلام عليه كأنه صار ذا ملامة وكذا اكب معناه وقع فى الكب اى صار ذا كب، الجوهرى يقال أنفض القوم اى هلكت اموالهم وفنى زادهم ﴿قوله والمراد تمثيل المشرك والموحد﴾ اى تشبيههما بالسالكين اى تمثيل المشرك فيه بمن سلك طريقا يعثر سالكه فى كل ساعة ويخر على وجهه فى كل خطوة وتشبيه دينه بالطريق الموصوف وتشبيه الموحد بمن سلك طريقا مستوى الاجزآء مستقيما عديم الانحراف سالما من المزالق والمهالك يمشى سالكه سويا قائما سالما عن العثور والخرور وتشبيه دينه بالطريق المذكور فكل واحد من قوله افمن يمشى مكبا وامن يمشى سويا استعارة تبعية شبه كل واحد من التدين بدين الشرك والتوحيد بالمشى على الصراط الموعر المنحرف والمشى على الصراط السهل المستقيم واطلق اسم المشى على التدين المذكور واشتق منه يمشى فصار استعارة تبعية وقوله على صراط مستقيم استعارة تصريحية ولم يذكر مسلك المشرك واحواله واكتفى بدلالة الكب على احواله المذكوره من الاشعار بان ما عليه المشرك لايستأهل ان يسمى طريقا ﴿قوله فى مكان متعاد﴾ اى غير مستوى الاجزآء كأن بعضه يعادى بعضا، الجوهرى نمت على مكان متعاد اذا كان متفاوتا ليس بمستو وهذه ارض متعادية ذات حجر وهى المكان ذوات الاخاقيق وهى شقوق فى الارض واحدها اخقوق وهو الشق فيها ﴿قوله وقيل المراد بالمكب الاعمى﴾ عطف على قوله ومعنى مكبا انه يعثر كل ساعة ويخر على وجهه او عورة طريقه واختلاف اجزآئه اى وقيل انه يكب على وجهه لا لوعورة طريقه بل لخلل فى بصره فيكون المكب كناية عن الاعمى والماشى سويا كناية عن البصير المهتدى والمراد من جعلهما كنايتين عن الاعمى والبصير تمثيل الكافر بالاعمى وتمثيل المؤمن بالبصير تقبيحا لحال الاول وتحسينا لحال الثانى وكذا اذا كان المراد بالمكب من يحشر على وجهه الى النار وبالماشى سويا من يحشر على قدميه الى الجنة فان الاول انما يحشر مكبا على وجهه لانكبابه فى الدنيا على المعاصى والثانى يحشر على قدميه لكونه على الصراط السوى فى الدنيا ثم انه تعالى لما مثل المشرك بالماشى مكبا او بالاعمى او بمن يحشر على وجهه الى النار امر رسوله صلى الله عليه وسلم بان يقبح حالهم ويعيبهم بكفران نعم الله تعالى حيث مكنهم الله تعالى من اصابة الحق وسلوك سبيله بان اعطاهم السمع والبصر والفؤاد ولم يشكروا امامها ولم يستعملوها فيما خلقت لاجله ولم يقبلوا ماسمعوه ولم يعتبروا اما ابصروه ولم يتفكروا فيما نصب من الدلائل والمراد بقلة الشكر عدمه فان القلة قد تستعمل بمعنى العدم فيقال قلما افعل هذا اى لا افعله ولما كان المقصود من ذكر مايدل على كمال قدرة الله تعالى وعلمه اثبات صحة البعث والجزآء ختم الآية بقوله واليه تحشرون اشارة به الى ان جميع ماتقدم ذكره من الدلائل لاثبات هذا المطلوب ولما انتهه حكى عن الكفار انهم يقولون متى هذا الوعد استهزآء وسخرية وايهاما لضعفه انه لا اصل له كيلا يستعجلوا فى القبول ولعل قوله تعالى ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين من قبيل يستهزئ بهم فى ان لفظ المضارع للاستمرار التجددى فامر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بان يجيبهم بان العلم بالوقوع امر مغاير لعلم بوقت الوقوع فالعلم الاول حاصل عندى وهو كاف فى الانذار به واما العلم الثانى فهو مختص بالله تعالى لم يعلمنى به لاخبركم ثم انه تعالى بين حالهم عند نزول العذاب الموعود لهم ان لم يؤمنوا فقال فلما رأوه زلفة والزلفة مصدر بمعنى القربة منصوب على الحالية من مفعول رأوه فانه من رؤية العين اى ذا زلفة اى قريبا منهم او جعل نفس الزلفة للمبالغة واصل سيئت وجوه الذين كفروا ساء الموعود رؤيته وجوههم ثم بنى للمفعول عن ابن عباس رضى الله عنه انه قال سيئت اى اسودت وعلتها الكآبة والغبرة يقال ساء الشئ اى قبح وسئ يساء اى قبح فهو يستعمل لازما ومتعديا خص الوجوه بالحزن لان اثر السرور والكآبة يظهر فيها ﴿قوله تطلبون﴾ اى تتمنون وتسألون مستعجلين وقوعه بكم قال الفرآء تدعون وتدعون

(افمن يمشى مكبا على وجهه اهدى) يقال كببته فأكب وهو من الغرآئب كقشع الله السحاب فأقشع والتحقيق انهما من باب أنفض بمعنى صار ذا كب وذا قشع وليسا بمطاوعى كب وقشع بل المطاوع لهما انكب وانقشع ومعنى مكبا انه يعثر كل ساعة ويخر على وجهه لوعورة طريقه واختلاف اجزآئه ولذلك قابله بقوله (امن يمشى سويا) قائما سالما من العثور (على صراط مستقيم) مستوى الاجزآء او الجهة والمراد تمثيل المشرك والموحد بالسالكين والدينين بالمسلكين ولعل الاكتفاء بما فى الكب من الدلالة على حال المسلك للاشعار بان ما عليه المشرك لايستأهل ان يسمى طريقا كمشى المتعسف فى مكان متعاد غير مستو وقيل المراد بالمكب الاعمى فانه يتعسف فينكب وبالسوى البصير وقيل من يمشى مكبا هو الذى يحشر على وجهه الى النار ومن يمشى سويا هو الذى يحشر على قدميه الى الجنة (قل هو الذى أنشأكم وجعل لكم السمع) لتسمعوا المواعظ (والابصار) لتنظروا صنائعه (والافئدة) لتتفكروا وتعتبروا (قليلا ماتشكرون) باستعمالها فيما خلقت لاجله (قل هو الذى ذرأكم فى الارض واليه تحشرون) للجزآء (ويقولون متى هذا الوعد) اى الحشر او ماوعدوا من الخسف والحاصب (ان كنتم صادقين) يعنون النبى عليه الصلاة والسلام والمؤمنين (قل انما العلم) اى علم وقته (عند الله) لايطلع عليه غيره (وانما انا نذير مبين) والانذار يكفى فيه العلم بل الظن بوقوع المحذر منه (فلما رأوه) اى الوعد فانه بمعنى الموعود (زلفة) اى ذا زلفة اى قرب منهم (سيئت وجوه الذين كفروا) بان علتها الكآبة وساءتها رؤية العذاب (وقيل هذا الذى كنتم به تدعون) تطلبون وتستعجلون تفتعلون من الدعاء او بسببه تدعون ان لابعث فهو من الدعوى

(يعنى)

بمعنى واحد فكذا تفتلون وتفتلون ﴿قوله وقرأ الكسائى بالياء﴾ اى فسيعلمون بياء الغيبة على وفق قوله تعالى فمن يجير الكافرين من عذاب اليم اى يعطيهم الجوار وهو الامان من العذاب والباقون بتاء الخطاب على الالتفات من الغيبة ﴿قوله غائرا فى الارض﴾ اى ذاهبا ناضبا فيها بحيث لا يرى ولا يستنبط يقال غار الماء يغور غورا اى نضب وغورا خبر اصبح وكان لاهل مكة بئران بئر زمزم وبئر ميمون ﴿قوله جار او ظاهر﴾ فالمعين على الاول فعيل بمعنى فاعل من معن الماء معونا اذا جرى والميم اصلية وعلى الثانى اسم مفعول من العين كمبيع من البيع يقال عنت الشئ اعينه اى اصبته بعينى فانا عائن وهو معين والميم على هذا مزيدة * تمت سورة الملك والحمد لله رب العالمين حمدا يوافى نعمه

﴿سورة القلم مكية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿قوله وقيل اسم الحوت﴾ قال محيى بمعنى السمكة كما فى قوله تعالى فى حق يونس عليه الصلاة والسلام وذا النون فالمراد بالحوت الذى يسمى بالنون اما جنس الحوت او فرد معين منه وهو البهموت الذى بسطت الارض على ظهره فتحرك فمادت الارض فاثبتت بالجبال او الدواة فانه يطلق عليها اسم النون على سبيل الاستعارة تشبيها لها بالحوت فى انها يستخرج منها مايكتب به كما يستخرج ذلك من جنس الحوت فقوله او الدواة مرفوع بالعطف على الجنس اى او المراد بالحوت مايشبه الحوت وهو الدواة وقوله فان بعض الحيتان بيان لوجه اطلاق النون على الدواة وهو انه من قبيل اطلاق اسم المشبه به على المشبه وكأنه جواب عن قول الزمخشرى واما قولهم هو الدواة فالادرى اهو وضع لغوى ام شرعى اى لم يثبت ذلك المعنى لغة ولا شرعا فتصدى لتوجيه اطلاق النون على الدواة لان تفسيره بها مروى عن الاكابر * وقال الامام روى عن ابن عباس وهو اختيار الضحاك والحسن وقتادة ان النون هو الدواة فيكون هذا قسما بالدواة والقلم فان المنفعة بهما عظيمة بسبب الكتابة ومن فضل القلم وجلالته انه لم يكتب الله تعالى كتابا الا به ولذلك اقسم الله تعالى به قيل البيان اثنان بيان اللسان وبيان البنان ومن فضل بيان البنان ان ماتثبته الاقلام باق على الايام وبيان اللسان تدرسه الاعوام ولولا القلم والدواة ماقام دين ولما صلح عيش ﴿قوله ويؤيد الاول﴾ وهو كون ن من اسماء الحروف انه جئ به على سبيل التعداد فقط فانه لو كان اسما لغير حروف الهجاء لكان حقه ان يلى العامل ويعرب على حسب ما اقتضاه العامل كما اعرب القلم وان يكون مكتوبا بصورة لفظه فانتفاء كل واحد من الامرين يدل على انه من اسماء حروف الهجاء وقف عليه لان الاصل فيما سيق على سبيل التعداد ان يوقف عليه ﴿قوله هو الذى خط اللوح﴾ اى يحتمل ان يكون المراد بالقلم المقسم به المعهود وهو ماجاء فى الخبر خلق الله تعالى القلم ونظر اليه فانشق نصفين ثم قال له اجر بما هو كائن الى يوم القيامة فجرى على اللوح المحفوظ بما هو كائن الى ان تقوم الساعة من الآجال والاعمال والارزاق ثم جف القلم فلم ينطق الى يوم القيامة وهو قلم من نور طوله كما بين السماء والارض ويحتمل ان يراد به جنس القلم القول على كل قلم يكتب به فى السماء والارض من القلم الاعلى وقلم الملائكة من الحفظة والكرام الكاتبين وقلم الانسان ﴿قوله واخفى ابن عامر﴾ فانه ادغم النون فى الواو فى يس والقرآن وفى ن والقلم وقرئ باظهارها على الاصل فان الاصل فى اسماء حروف التهجى ان يوقف على كل واحد منها وينفصل عما بعده فان وقف عليه حقيقة فقد انفصل عما بعده فيقدر الادغام فانه لا يتصور مع الانفصال وانما يتصور مع الاتصال وان لم يوقف عليه فهو فى حكم الموقوف عليه نظرا الى الاصل فوجب التبيين والاظهار على التقديرين ومن ادغم نظر الى ان هذه الحروف متصلة بما بعدها صورة وحكما اما صورة فظاهر لانه لم يوقف عليها حقيقة واما حكما فلأن همزة الوصل لاتقطع مع هذه الحروف نحو الم الله وقولهم فى العدد واحد اثنان ولما لم تقطع همزة الوصل معها علمنا انها فى تقدير الوصل ولما اتصلت صورة وحكما ادغمت فى الواو وقال الفراء واظهارها اعجب الى لانها حروف هجاء وهى كالموقوف عليها وان اتصلت صورة لان الاصل فى المسوق على سبيل التعداد ان يوقف على كل واحد منه ﴿قوله وقرئت بالفتح﴾ وهى اما فتحة بناء كما فى اين وكيف واما حركة اعراب بان تكون منصوبة بفعل محذوف مثل اقرأ نون ثم يبتدأ بالقسم بقوله والقلم او تكون منصوبة بنزع الخافض وهو حرف القسم وايصال فعل القسم اليه ومنع الصرف للعلمية والتأنيث لانها علم السورة وقرئ بالكسر ايضا لالتقاء الساكنين او لانها مقسم بها اضمر قبلها حرف القسم نحو الله

(قل ارأيتم ان اهلكنى الله) اماتنى (ومن معى) من المؤمنين (او رحمنا) بتأخير آجالنا (فمن يجير الكافرين من عذاب اليم) اى لاينجيهم احد من العذاب متنا او بقينا وهو جواب لقولهم نتربص به ريب المنون (قل هو الرحمن) الذى ادعوكم اليه مولى النعم كلها (آمنا به) لعلمنا بذلك (وعليه توكلنا) لوثوقنا عليه وعلمنا ان غيره بالذات لايضر ولا ينفع وتقديم الصلة للتخصيص والاشعار به (فستعلمون من هو فى ضلال مبين) منا ومنكم وقرأ الكسائى بالياء (قل ارأيتم ان اصبح ماؤكم غورا) غائرا فى الارض بحيث لاتناله الدلاء مصدر وصف به (فمن يأتيكم بماء معين) جار او ظاهر سهل المأخذ * عن النبى عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة الملك فكأنما احيى ليلة القدر

﴿سورة القلم وهى ثمان وخمسون﴾

﴿آية مكية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(ن) من اسماء الحروف وقيل اسم الحوت والمراد به الجنس او البهموت وهو الحوت الذى عليه الارض او الدواة فان بعض الحيتان يستخرج منه شئ اشد سوادا من النفس يكتب به ويؤيد الاول سكونه وكتبه بصورة الحرف (والقلم) هو الذى خط اللوح او الذى يخط به اقسم به لكثرة فوائده واخفى ابن عامر والكسائى ويعقوب النون اجراء للواو المنفصل مجرى المتصل فان النون الساكنة تخفى مع حروف الفم اذا اتصلت بها وقد روى ذلك عن نافع وعاصم وقرئت بالفتح والكسر كصاد

لا فعلن" وهذا الوجه ضعيف لان حذف حرف الجر وابقاء عمله مختص بالجلالة الكريمة ونادر فيما عداها ﴿قوله على التعظيم﴾ لان القلم الذى خط اللوح قلم واحد متشخص لا يصح ارجاع ضمير الجمع اليه الا بذلك التأويل وان اريد به جنس القلم يكون فى معنى الجمع فيصح الضمير العائد اليه لذلك الا انه بقى الكلام فى وجه اسناد الفعل الى الآلة وفى التعبير عنها بلفظ العقلاء واجاب عنه بان ذلك مبنى على تشبيهها بالعقلاء الفاعلين من حيث انها تظهر المراد وتبين المقصود مثلهم ﴿قوله او لاصحابه او الحفظة﴾ الظاهر ان الاول مبنى على ان يراد بالقلم الجنس والثانى على ان يراد به قلم الحفظة وعلى التقديرين ذكر القلم يدل على من يستعمله فصح ارجاع الضمير اليه ﴿قوله ومامصدرية﴾ فيكون القسم به نفس الكتابة وان كانت موصولة يكون المقسم به المسطور والمكتوب ﴿قوله والمعنى ماانت بمجنون منعما عليك بالنبوة وحصافة الرأى﴾ اشارة الى ان قوله انت اسم ما وبمجنون خبره والباء مزيدة لتأكيد النفى والباء فى قوله بنعمة متعلقة بمحذوف هو فى موضع النصب على انه حال من المنوى فى بمجنون اى ماانت بمجنون ملتبسا بنعمة ربك والحصافة بالمهملتين صحة الرأى واستقامته والحصيف الرجل المحكم العقل واحصاف الامر احكامه ﴿قوله والباء لاتمنع عمله فيما قبله﴾ جواب عما يقال كيف يعمل مجنون منفيا فيما قبل الجار مع ان المعمول لايقع الا حيث يصح وقوع العامل فيه والمجرور لا يصح وقوعه قبل الجار وان جاز ان يعمل فيما قبله بناء على كون الباء مزيدة الا ان فيه خللا معنويا وهو ان المنفى حينئذ هو الجنون المقيد بتلك الحال ونفى المقيد من حيث انه مقيد لايلزم ان يكون بانتفاء نفس المقيد بل اللازم هو مجرد انتفاء القيد سواء كان انتفاؤه بانتفاء مجموع القيد والمقيد او بانتفاء نفس القيد فقط كما قيل من ان نفى المقيد يرجع الى نفى قيده فكون الحال قيد المجنون يستلزم ثبوت اصل الجنون مع انتفاء الحال وهو باطل ولا يلزم هذا المحذور على تقدير ان يكون العامل معنى النفى للفرق بين قولنا الجملة المقيدة بكونها فى حال كذا منفية وبين قولنا الجملة منتفية فى حال كذا فان القيد فيه للنفى * روى عن ابن عباس رضى الله عنه انه قال غاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن خديجة رضى الله عنها الى حراء فلم تجده فاذا به ووجهه متغير فقالت له مالك فذكر نزول جبريل عليه صلى الله عليه وسلم وانه قال له اقرأ باسم ربك فهو اول مانزل من القرآن قال ثم نزل بى الى قرار الارض فتوضأ وتوضأت ثم صلى وصليت معه ركعتين وقال هكذا الصلاة يامحمد فذكر صلى الله عليه وسلم ذلك لخديجة فذهبت خديجة الى ورقة بن نوفل وهو ابن عمها وكان قد خالف دين قومه ودخل فى النصرانية فسألته فقال لها ارسلى الى محمدا فارسلته فاتاه فقال هل امرك جبريل ان تدعو احدا فقال لا فقال والله لئن بقيت الى دعوتك لانصرنك نصرا عزيزا فمات قبل دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فوقعت تلك الواقعة فى ألسنة كفار قريش فقالوا انه مجنون فاقسم الله تعالى على انه ليس بمجنون فى خمس آيات منها اول هذه السورة ثم قال ابن عباس ان اول مانزل قوله تعالى سبح اسم ربك وهذه الآية هى الثانية رواه الامام فى الكبير ﴿قوله على الاحتمال او الابلاغ﴾ اى على احتمال طعنهم فيك بالجنون وسائر اقوالهم القبيحة او على تبليغ احكام رسالتك اليهم ودعائهم الى التوحيد والطاعة والممنون اما من من الشئ" اذا قطعه فتكون الآية نظير قوله تعالى عطاء غير مجذوذ ومن من" عليه منة اى امتن عليه اى وان لك لاجرا غير مكدر عليك بسبب المنة عليك من الناس وهو رد على صاحب الكشاف حيث فسر قوله غير ممنون به عليك لانه ثواب تستوجبه على عملك وليس بتفضل ابتداء وانما تمن" الفواضل لا الاجور على الاعمال ووجه الرد انه غير مستقيم على كل واحد من المذهبين اما على مذهب اهل السنة فلان الثواب عندهم محض تفضل وانما سمى اجرا لتشبيهه بالاجر من حيث كونه موعودا بمقابلة العمل واما عند المعتزلة فلان الثواب وان كان اجرا عندهم الا ان الاقدار والتمكين على العمل تفضل منه تعالى ابتداء فيصح ان يمن" به على العبد فاذا صح ان يمن على العبد بنفس العمل يصح ان يمن" عليه بالاجر المترتب عليه وكلمة على فى قوله تعالى وانك لعلى خلق عظيم للاستعلاء المجازى فدلت على انه عليه الصلاة والسلام مشتمل على الاخلاق الجميلة المرضية ومجبول عليها حتى صارت بمنزلة الامور الطبيعية والخلق ملكة نفسانية يسهل على المتصف بها الاتيان بالافعال الجميلة فنفس الاتيان شئ" وسهولة اتيانها شئ" آخر فالحالة التى باعتبارها تحصل تلك السهولة هى الخلق وسمى خلقا لرسوخه وثباته وصيرورته بمنزلة الخلقة التى جبل عليها الانسان وان توقف حصولها على امتثال وطول رياضة ومجاهدة ﴿قوله فقالت كان خلقه القرآن﴾ يعنى انه عليه الصلاة والسلام كان متحليا بمافى القرآن من مكارم الاخلاق ومتخليا

(وما يسطرون) وما يكتبون والضمير للقلم بالمعنى الاول على التعظيم وبالمعنى الثانى على ارادة الجنس واسناد الفعل الى الآلة واجراؤه مجرى اولى العلم لاقامته مقامه اولاصحابه اوالحفظة ومامصدرية او موصولة (ماانت بنعمة ربك بمجنون) جواب القسم والمعنى ما انت بمجنون منعما عليك بالنبوة وحصافة الرأى والعامل فى الحال معنى النفى وقيل بمجنون والباء لاتمنع عمله فيما قبله لانها مزيدة وفيه نظر من حيث المعنى (وان لك لاجرا) على الاحتمال او الابلاغ (غير ممنون) مقطوع او ممنون به عليك من الناس فانه تعالى يعطيك بلا توسط (وانك لعلى خلق عظيم) اذ تحتمل من قومك ما لا يحتمله امثالك وسئلت عائشة رضى الله عنها عن خلقه فقالت كان خلقه القرآن ألست تقرأ القرآن قد افلح المؤمنون

عما زجر عنه القرآن من سيئاتها ﴿ قوله ايكم الذى فتن بالجنون ﴾ اشارة الى ان ايكم مبتدأ والمفتون بمعنى المجنون خبره وسمى المجنون مفتونا لانه فتن اى محن بالجنون وان الباء مزيدة فى المبتدأ كما فى قولك بحسبك زيد وقيل هذا الوجه ضعيف لان الباء لاتزاد فى المبتدأ الا فى لفظ حسب فقط ﴿ قوله او بايكم الجنون ﴾ على ان تكون الباء للالصاق كما فى قولك به داء ويكون المفتون مصدرا بمعنى الفتون وهو الجنون ومجيئ المصدر على وزن المفعول نحو معقول وميسور ومجلود يقال مالفلان معقول ولا مجلود اى ماله عقل ولا جلادة وعلى قوله او باى الفريقين منكم الجنون تكون الباء بمعنى فى وفسر ضمير الخطاب فى قوله بايكم بالفريقين مع ان الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولجماعة قريش والا لعبر عن الفرد بالفريق ويدل على كون الخطاب له صلى الله عليه وسلم ولفريق قريش ماسبق من قوله تعالى فستبصر ويبصرون فان خطاب تبصر له عليه الصلاة والسلام خاصة ولا تدخل فيه الامة فينبغى ان لاتدخل الامة فى خطاب ايكم ايضا الا انه ادخلت الامة فيه وجعل عليه الصلاة والسلام مع امته فريقا وجماعة قريش فريقا آخر لئلا يرد ان يقال كيف يصح ان يقال لجماعة وفرد آخر يقابلهم فى ايكم زيد وهذا الوجه اوجه من الوجهين الاولين لافادته التعريض وسلامته من حمل اللفظ على الاستعمال النادر وهو زيادة الباء فى المبتدأ وجعل صيغة المفعول بمعنى المصدر ﴿ قوله وهم المجانين على الحقيقة ﴾ يعنى ان الظاهر ان يقال وهو اعلم بالمجانين والعقلاء لانه هو المناسب لقوله فستبصر ويبصرون الا انه وضع الضال والمهتدى موضع المجانين والعقلاء اشعارا بان المجنون فى الحقيقة هو من عصى ربه وضل عن سبيله والعاقل من اطاع ربه واتبع سبيله ﴿ قوله تهييج للتصميم على معاصاتهم ﴾ اى على عصيان رؤسائهم فان معاصاة بمعنى عصاة فانهم كانوا يدعونه عليه الصلاة والسلام الى ان يكف عنهم ويكفوا عنه فنهاه الله تعالى عن ذلك وامره بالتشديد مع قومه وقوى قلبه عليهم مع قلة العدد وكثرة الكفار فان هذه السورة من اوآئل مانزل ﴿ قوله تلاينهم ﴾ لان الادهان عبارة عن اللين والمصانعة وهى المداراة ﴿ قوله والفاء للعطف ﴾ جواب عما يقال لم رفع فيدهنون ولم ينصب باضمار ان لانه جواب التمنى كما فى قوله تعالى فلو ان لى كرة فاكون وتقرير الجواب انه معطوف على تدهن فيكون داخلا فى التمنى وليس جوابا للتمنى حتى ينصب ويسقط نونه اى تمنوا لو فعلت فيفعلون عقيبه فعلى هذا الظاهر ان يكون كلمة لو مصدرية فان بعض النحاة نصوا على جواز كونها مصدرية ﴿ قوله او للسببية ﴾ اى لسببية ادهانه عليه الصلاة والسلام لادهانهم وهذا المعنى كما يحصل بنصب المضارع الواقع موقع جواب التمنى باضمار ان يحصل ايضا بان يجعل المضارع خبر مبتدأ محذوف اى فهم يدهنون بسبب ادهانه عليه الصلاة والسلام فعلى هذا يتعين الرفع واذا كان لمعنى واحد طريقان فللبليغ ان يختار ايهما شاء ونظيره قوله تعالى فمن يؤمن بربه فلا يخاف اى فهو لايخاف لاسيما ان الاسمية تدل على العدة بقائهم على الملاينة والموافقة وقوله اى ودوا لو تدهن فهم يدهنون يحتمل ان يكون للاستقبال بمعنى فيدهنون حينئذ وان يكون بمعنى الحال يعنى فهم يدهنون الآن طمعا فى ادهانك معهم ﴿ قوله حقير الرأى ﴾ وكفى دليلا على حقارة رأيه كونه حلافا فانه يدل على انه لايعرف عظمة الله تعالى حتى يحلف به تعالى فى ادنى شئ وكفى بهذه الآية زاجرا من الاعتياد بالحلف ﴿ قوله عياب ﴾ اى على سبيل الاغتياب فان الهماز صيغة مبالغة من الهمز وهو فى اللغة الضرب طعنا باليد او العصا او نحوهما واستعير للبالغ الذى يذكر الناس بالمكروه ويظهر عيوبهم تشبيها للطعن باللسان بالطعن بنحو اليد او العصا وقيل الهماز هو الذى يضرب الناس ويطعنهم بيده واللماز الذى يطعنهم بلسانه وقيل الهماز من يسب الناس فى وجوههم واللماز الذى يسبهم فى غيبتهم وقيل بالعكس ﴿ قوله يمنع الناس عن الخير من الايمان والانفاق والعمل الصالح ﴾ بعض المفسرين فسروا الخير بالمال وقالوا اى مناع للمال اى ان ينفق لاجل دفع حاجة الفقرآء وفسر بالايمان ايضا وقيل كان للوليد بن المغيرة عشرة ابناء واهل وعشيرة وابناء عم وكان يمنعهم عن الاسلام ويقول لهم من اتبع منكم دين محمد صلى الله عليه وسلم لاانفق عليه شيأ ابدا والمصنف عمم الخير اذ لادليل يخصصه ببعض وجوه الخير ﴿ قوله جاف غليظ ﴾ وقيل العتل الشديد الخصومة وقيل الفاحش اللئيم وقيل هو الاكول الشروب القوى الذى وضع فى الميزان فلا يزن شعرة يدفع الملك من اولئك فى جهنم بالدفعة الواحدة سبعين الفا ﴿ قوله من مثالبه ﴾ اى معايبه جمع مثلبة وهى العيب وقوله بعدما عدّ من مثالبه يدل على ان كونه عتلا زنيما اقبح معايبه لانه اذا كان عتلا اى جافيا غليظ الطبع قسا قلبه واجترأ على كل

(فستبصر ويبصرون بايكم المفتون) ايكم الذى فتن بالجنون والباء مزيدة او بايكم الجنون على ان المفتون مصدر كالمعقول والمجلود او باى الفريقين منكم الجنون أبفريق المؤمنين ام بفريق الكافرين اى فى ايهما يوجد من يستحق هذا الاسم (ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله) وهم المجانين على الحقيقة (وهو اعلم بالمهتدين) الفائزين بكمال العقل (فلا تطع المكذبين) تهييج للتصميم على معاصاتهم (ودوا لو تدهن) تلاينهم بان تدع نهيهم عن الشرك او توافقهم فيه احيانا (فيدهنون) فيلاينونك بترك الطعن والموافقة والفاء للعطف اى ودوا التداهن وتمنوه لكنهم اخروا ادهانهم حتى تدهن او للسببية اى ودوا لو تدهن فهم يدهنون حينئذ او ودوا ادهانك فهم الآن يدهنون طمعا فيه وفى بعض المصاحف فيدهنوا على انه جواب التمنى (ولا تطع كل حلاف) كثير الحلف فى الحق والباطل (مهين) حقير الرأى من المهانة وهى الحقارة (هماز) عياب (مشاء بنميم) نقال للحديث على وجه السعاية (مناع للخير) يمنع الناس عن الخير من الايمان والانفاق والعمل الصالح (معتد) متجاوز فى الظلم (اثيم) كثير الاثم (عتل) جاف غليظ من عتله اذا قاده بعنف وغلظة (بعد ذلك) بعد ما عدّ من مثالبه

معصية والزنيم تولد من النطفة الخبيثة والغالب ان النطفة اذا خبثت خبث الولد ولذلك قال عليه الصلاة والسلام « لا يدخل الجنة ولد الزنى ولا ولده ولا ولد ولده » وفى الحديث « حرام على النطفة الخبيثة ان تخرج من الدنيا حتى تسى الى من احسن اليها » وقال عليه الصلاة والسلام « ان اولاد الزنى يحشرون يوم القيامة فى صورة القردة والخنازير » وقال عليه الصلاة والسلام « لا تزال امتى بخير مالم يفش فيهم ولد الزنى فاذا فشا فيهم ولد الزنى فيوشك ان يعمهم الله تعالى بعقاب » وقال عكرمة اذا كثر اولاد الزنى قل المطر وقوله تعالى بعد ذلك ههنا نظير ثم فى قوله تعالى ثم كان من الذين آمنوا من حيث انها للتراخى الرتبى والدعى من كان ملصقا بالقوم وليس منهم قال حسان بن ثابت رضى الله عنه

وانت زنيم نيط فى آل هاشم ۞ كما نيط خلف الراكب القدح الفرد

وقيل الزنيم من لا يعرف من ابوه كما قيل

زنيم ليس يعرف من ابوه ۞ بغى الام ذو حسب لئيم

وكان الوليد دعيا فى قريش ليس من سنخهم اى اصلهم ادعاه ابوه بعد ثمانى عشرة سنة من مولده وقيل بغت امه ولم يعرف ذلك حتى نزلت هذه الآية « روى انه دخل على امه شاهرا السيف وقال ان محمدا ذمنى بعشر صفات وجدت منها التسعة فى نفسى فاما الزنيم فلا علم لى به فان اخبرتنى بحقيقة الحال والا ضربت عنقك فقالت امك وانا صدقك وتأمل ان تمتنك بما فعلت والافعاقبنى اعلم ان اباك كان عنينا وخفت ان يموت فينقطع ذكره ويتفرق فى غير ولده ماله فدعوت راعيا الى نفسى فانت من ذلك الراعى والزنمة من كل شئ الزيادة وزنمة الشاة شئ يقطع من اذنها فيترك معلقا ويصير لذلك كالشئ المعلق من خارج وهى فى الاصل الهنة النابتة فى عنق المعز ﴿ قوله قال ذلك حينئذ لانه كان متمولا ﴾ اشارة الى ان قوله ان كان مفعول له وان المصدرية مع ما فى حيزها مجرورة بلام مقدرة لكنها غير متعلقة بقوله قال اساطير الاولين لما ذكره بل هى متعلقة بمحذوف دل عليه الجملة الشرطية بعدها والتقدير يكفر ويكذب لان كان ذا مال ووجه دلالتها على هذا المحذوف ان قوله فى حق الآيات انها اساطير الاولين كفر وجحود وتكذيب ﴿ قوله ويجوز ان يكون علة للا تطع ﴾ اى للاطاعة المنهى عنها اى لا تطعه مع هذه المثالب ليساره وكثرة اتباعه ﴿ قوله ءان كان ﴾ اى بهمزتين مفتوحتين وعدم ادخال الف بينهما ﴿ قوله على ان شرط الغنى فى النهى عن الطاعة كالتعليل ﴾ لما ورد على قرآءة ان الشرطية انه كيف يصح منه تعالى ان يعلق النهى عن الاطاعة على كونه ذا مال واعوان مع انه يدل على جواز الاطاعة عند انتفاء الامرين اشار الى دفعه اولا بانه ليس المراد تعليق النهى عن الاطاعة على يسار المطاع حقيقة الا انه اورد صورة التعليق بكون شرط اليسار قريبا من التعليل به فكما جاز التعليل فى النهى عن الشئ جاز فيه التعليق ايضا فقوله لا تطعه ان كان ذا مال وبنين فى قوة ان يقال لا تطعه لان كان ذا مال وبنين من حيث ان الشرط سبب الحكم فكأنه قيل لا تجعل يساره سببا لاطاعته وثانيا بان الشرط ليس من قبل الناهى بل من قبل المخاطب كأنه قيل لا تجعل الغنى شرطا للاطاعة مع ما فيه من المثالب التى تقتضى هجره بالكلية ونظير حرف الشرط الى المخاطب هنا حرف الترجى اليه فى نحو قوله تعالى لعلكم تتقون لعلكم تذكرون لعله يتذكر او يخشى ﴿ قوله سبحانه وتعالى سنسمه ﴾ اى سنجعل له سمة اى علامة يعرف بها وعبر عن انفه بالخرطوم استهانة له وتحقيرا لان الخرطوم لا يستعمل الا فى الفيل والخنزير ﴿ قوله وقد اصاب انف الوليد جراحة يوم بدر ﴾ قال صاحب الكشف هذا ضعيف لان ابا جهل قتل يوم بدر والثلاثة الاخر وهم الوليد والاسود والاخنس ماتوا قبله فلم يسم احد بذلك الوسم الذى بقى اثره مدة حياته ﴿ قوله وقيل هو عبارة عن ان يذله غاية الاذلال ﴾ وذلك لان الوجه اكرم موضع فى الجسد والانف ابين عضو منه والوسم على الانف فيه غاية الاذلال والاهانة لان السمة على الوجه شين فكيف اذا كانت على اظهر موضع منه ﴿ قوله او نسود وجهه يوم القيامة ﴾ فعلى هذا يكون الخرطوم مجازا عن الوجه على طريق ذكر الجزء وارادة الكل اى سنجعل له فى الآخرة علامة يعرف بها اهل القيامة انه كان بالغا فى عداوة سيد المرسلين عليه الصلاة والسلام اقبح العداوة ﴿ قوله بلونا اهل مكة ﴾ لما وصفهم الله تعالى بالجنون والضلال حيث قال فستبصر ويبصرون بايكم المفتون وهو اعلم بمن ضل عن سبيله بين انه اذاقهم بعض وبال امرهم فى الدنيا حيث ابتلاهم بالجوع والقحط سبع سنين حتى اكلوا الجيف والعظام المحرقة لتمردهم وكفرهم ثم الله تعالى فقال انا بلوناهم كما بلونا اصحاب الجنة الى قوله

(زنيم) دعى مأخوذ من زنمتى الشاة وهما المتدليتان من اذنها وحلقها قيل هو الوليد بن المغيرة ادعاه ابوه بعد ثمانى عشرة من مولده وقيل الاخنس بن شريق اصله من ثقيف وعداده فى زهرة (ان كان ذا مال وبنين اذا تتلى عليه آياتنا قال اساطير الاولين) اى قال ذلك حينئذ لانه كان متمولا مستظهرا بالبنين من فرط غروره لكن العامل مدلول قال لا نفسه لان ما بعد الشرط لا يعمل فيما قبله ويجوز ان يكون علة للا تطع اى لا تطع من هذه مثالبه لان كان ذا مال وقرأ ابن عامر وحمزة ويعقوب وابو بكر ءان كان على الاستفهام غير ان ابن عامر جعل الهمزة الثانية بين بين اى ألأن كان ذا مال كذب او أتطيعه لان كان ذا مال وقرئ ان كان بالكسر على ان شرط الغنى فى النهى عن الطاعة كالتعليل بالفقر فى النهى عن قتل الاولاد او ان شرطه للمخاطب اى لا تطع شارطا يساره لانه اذا اطاع للغنى فكأنه شرطه فى الطاعة (سنسمه) بالكى (على الخرطوم) على الانف وقد اصاب انف الوليد جراحة يوم بدر فبقى اثرها وقيل هو عبارة عن ان يذله غاية الاذلال كقولهم جدع انفه ورغم انفه لان السمة على الوجه سيما على الانف شين ظاهر او نسود وجهه يوم القيامة (انا بلوناهم) بلونا اهل مكة بالقحط (كما بلونا اصحاب الجنة) يريد بستانا كان دون صنعاء بفرسخين وكان لرجل صالح وكان ينادى الفقراء وقت الصرام ويترك لهم ما اخطأه المنجل او ألقته الريح او بعد عن البساط الذى يبسط تحت النخلة فيجتمع لهم شئ كثير فلما مات قال بنوه ان فعلنا ما كان يفعل ابونا ضاق علينا فحلفوا ليصرمنها وقت الصباح خفية عن المساكين كما قال (اذ أقسموا ليصرمنها مصبحين) ليقطعنها داخلين فى الصباح

(ولعذاب)

ولعذاب الآخرة اكبر لو كانوا يعلمون والكاف فى كما فى موضع النصب على انها نعت لمصدر محذوف وما مصدرية اى بلوناهم ابتلاء مثل ابتلاء اصحاب الجنة واذ ظرف لبلونا وليصرمنها جواب للقسم وجاء على خلاف قولهم ومنطوقهم ولو جاء عليه لقيل لنصرمنها بنون المتكلم ومصبحين حال من فاعل ليصرمنها والصرم والصرام قطع ثمار النخيل من صرمه اذا قطعه ولا يستثنون جملة مستأنفة او حال ثانية من ضمير ليصرمنها او من المنوى فى مصبحين قيل كونه حالا من احدهما ضعيف لان المضارع المنفى بلا كالمثبت فى عدم دخول الواو عليه واضمار مبتدأ قبله كما فى قولهم قمت واصك وجهه ولا حاجة اليه وسمى قوله ان شاء الله استثناء وهو شرط لما ليس فيه اداة الاستثناء لما فيه من الاخراج غير ان المخرج بان شاء الله خلاف المذكور بان شاء الله بخلاف المخرج بالاستثناء فانه عين المذكور بالاستثناء مثلا اذا قيل جاءنى القوم الا زيدا فالمخرج من القوم بالاستثناء عين زيد واما اذا قيل يجيء زيد ان شاء الله تعالى فالمراد به اخراج ما لا تتعلق به المشيئة من المجيء وهو خلاف المذكور بان شاء الله لان المذكور ما يتعلق به مشيئة الله تعالى لان التقدير ان شاء الله مجيئه او لان قول ان شاء الله يؤدى معنى الاستثناء فسمى ما يؤدى معناه باسمه والفرق بين الوجهين ما اشار اليه بقوله غير ان المخرج به خلاف المذكور ومحصول الوجه الاول سمى استثناء تشبيها له بالاستثناء من حيث كونه مؤديا لمعنى الاخراج وان كان هذا الاخراج مغايرا للاخراج المعتبر فى الاستثناء ومحصول الثانى سمى استثناء على طريق تسمية ما يؤدى معنى الشيء باسم ذلك الشيء فان قولك لاخرج ان شاء الله يؤدى معنى قولك لا اخرج فى حال ما الا حال ان شاء الله خروجى فانه استثناء متعارف المخرج فيه عين المذكور على اعم الاحوال ﴿قوله او لا يستثنون حصة المساكين﴾ عطف على قوله ولا يقولون ان شاء الله فالاستثناء على هذا المعنى الاخراج مطلقا ﴿قوله كالبستان الذى صرم ثماره﴾ شبهت به من حيث هلاك ثماره وعدم بقاء شيء منها فيه كما روى عن مقاتل انه قال بعث الله نارا بالليل على جنتهم فاحرقتها حتى صارت سوداء الا ان تشبيهها بالجنة المصرومة تشبيه الكامل بالناقص وحق التشبيه ان يشبه الناقص ويكون وجه الشبه فى المشبه به بالنسبة الى المشبه كما قيل

* ظلمناك فى تشبيه صدغيك بالمسك * وقاعدة التشبيه نقصان ما يحكى *

ويطلق الصريم على الليل المظلم وعلى النهار ايضا لانصرام كل واحد منهما عن الآخر فهما من الاضداد ويقال لهما الصريمان فيحتمل ان يكون المراد بالصريم فى الآية الليل المظلم لان الجنة لما احترقت واسودت صارت كالليل ويحتمل ان يراد به النهار لانها لما يبست وذهبت خضرتها لم يبق فيها شيء من قولهم ابيض الاناء اذا فرغ او كالرمال فان الصريم يطلق ايضا على قطعة ضخمة من الرمل منصرمة عن سائر الرمل وقيل الصريم رملة معروفة باليمن لا تنبت شيأ وعلى التقديرين شبهت الجنة وهى محرقة بالرملة التى لا تنبت شيأ ولا يتوقع منها نفع ولا اصلاح نقل عن القرطبى انه قال فى الآية دليل على ان العزم على المعصية مما يؤاخذ به الانسان لانهم عزموا على ان يفعلوا فعوقبوا قبل فعلهم ونظيرها قوله تعالى ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم وقد صح انه عليه الصلاة والسلام قال « اذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول فى النار » قيل يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول قال « انه كان حريصا على قتل اخيه » وعن الراغب قال اول ما يعرض من حديث النفس السانح ثم الخاطر ثم الارادة ثم الهم ثم العزم والسانح والخاطر متجاوز عنهما بكل وجه وانه متى صار اهما او ارادة او عزما فقلت يحمل على ما أخوذ به وعلى هذا قال تعالى وذروا ظاهر الاثم وباطنه وقال ان الله يعلم ما فى انفسكم فاحذروه فهذا وجه التوفيق بينها وبين قوله عليه الصلاة والسلام « ان الله تجاوز لامتى ما حدثت به نفسها » وقوله عليه الصلاة والسلام « من هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب عليه » هكذا وجدت والاشكال بعد باق لانه لم يظهر التوفيق بين الآيات وبين قوله عليه الصلاة والسلام « ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب عليه » والله اعلم ﴿قوله اى اخرجوا﴾ على ان تكون ان مفسرة حيث تقدمها ما هو بمعنى القول وقوله او بان اخرجوا اليه غدوة على ان تكون ان مصدرية اى تنادوا بهذا الكلام ﴿قوله وتعدية الفعل بعلى﴾ مع ان اصل غدا ان يتعدى بالى اما لتضمنه معنى الاقبال او معنى الاستيلاء حيث انهم غدوا للصرم وتوهموا اقتدارهم واستيلاءهم عليه وغفلوا عما اراد الله تعالى بهم

(ولا يستثنون) ولا يقولون ان شاء الله وانما سماه استثناء لما فيه من الاخراج غير ان المخرج به خلاف المذكور والمخرج بالاستثناء عينه او لان معنى لا اخرج ان شاء الله ولا اخرج الا ان يشاء الله واحد ولا يستثنون حصة المساكين كما كان يخرج ابوهم (فطاف عليها) على الجنة (طائف) بلاء طائف (من ربك) مبتدأ منه (وهم نائمون فاصبحت كالصريم) كالبستان الذى صرم ثماره بحيث لم يبق فيه شيء فعيل بمعنى مفعول او كالليل باحتراقها واسودادها او كالنهار بابيضاضها من فرط اليبس سميا بالصريم لان كلا منهما ينصرم من صاحبه او كالرمال (فتنادوا مصبحين ان اغدوا على حرثكم) اى اخرجوا او بان اخرجوا اليه غدوة وتعدية الفعل بعلى اما لتضمنه معنى الاقبال او لتشبيه الغدو للصرام بغدو العدو المتضمن لمعنى الاستيلاء (ان كنتم صارمين) قاطعين له

وجواب قوله ان كنتم صارمين محذوف لدلالة ما قبله عليه ﴿قوله وخفى وخفت وخفد بمعنى الكتم﴾
يقال اخفيت الشئ اخفيه كتمته وخفيته ايضا اظهرته وهو من الاضداد ويقال خفت الصوت خفوتا اى
سكن والخفت والمخافتة والتخافت اسرار النطق واخفدت الناقة فهى مخفد اذا اظهرت انها حملت ولم يكن بها
حمل ﴿قوله ان مفسرة﴾ لان التخافت فى معنى القول ويحتمل ان تكون مصدرية اى يتخافتون بهذا
الكلام وهو قول بعضهم لبعض على وجه الاخفاء والمسارّة لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين وهو فى صورة
نهى المسكين عن الدخول والمراد نهى انفسهم عن تمكين المسكين من الدخول كقولك لا ارينك ههنا فان دخول
المساكين عليهم لازم تمكينهم اياهم من الدخول كما ان رؤية المتكلم المخاطب لازم لحضوره عنده فذكر اللازم
لينتقل منه الى الملزوم على سبيل الكناية التى هى ابلغ من التصريح لان انتفاء اللازم يدل على انتفاء الملزوم
ولا يخفى ان ذكر الشئ بدليله ابلغ من مجرد ذكره وقرأ ابن مسعود وجها آخر فى كلمة ان على اضمار القول اى
وهم يتخافتون يقولون لا يدخلنها اليوم ﴿قوله وغدوا قادرين على نكد لا غير﴾ على ان يكون قادرين
حالا من فاعل غدوا او يكون خبر غدوا على تضمنه معنى اصبحوا وعلى حرد متعلق بقادرين قدم عليه للحصر
والتخصيص والحرد مصدر حرد يحرد من باب علم ومعناه نكد واشتد غيظه ﴿قوله او وغدوا حاصلين على
النكد والحرمان﴾ فعلى هذا لا يكون قوله على حرد متعلقا بقادرين بل بمحذوف هو حال من فاعل غدوا او خبره
لكونه بمعنى اصبحوا وقوله قادرين حال ثانية او حال من المنوى فى قوله على حرد اى وغدوا واقعين فى النكد
وقد كانوا عند انفسهم فى ظنهم انهم قادرون على غلة جنتهم والانتفاع بها فالمقدور عليه فى الوجه الاول هو الحرد
والنكد ﴿قوله وقيل الحرد بمعنى الحرد﴾ بتحريك وهو الغيظ والحنق عطف على ما فهم مما قبله وهو كون
الحرد بمعنى النكد والحرمان فيكون على حرد متعلقا بقادرين مقدما عليه للحصر او بمحذوف كما فى الوجه الاول
﴿قوله وقيل الحرد القصد والسرعة﴾ يقال حرد يحرد من باب ضرب اذا قصد واقبل فيكون على حرد
فى محل النصب على انه حال من فاعل غدوا اى غدوا كائنين على قصد وقادرين حال ثانية او حال من المنوى فى قوله
على حرد ﴿قوله وقيل الحرد علم للجنة﴾ اى لجنتهم اى اقبلوا على جنتهم وقت الغدوة قادرين عند انفسهم
على صرامها ﴿قوله بجنايتنا على انفسنا﴾ بسوء نيتنا وظلمنا على انفسنا بمنع حق المساكين ﴿قوله
ويدل على هذا المعنى﴾ اى على ان المراد بتسبيح الله ان يذكروه ويتوبوا اليه ما حكى عنهم من قولهم سبحان
ربنا انا كنا ظالمين فانهم نزهوا الله تعالى وقدسوه عن كل سوء ونقصان لا سيما عن ان يكون ظالما فيما فعل بهم واعترفوا
على انفسهم بكونهم ظالمين فى قصدهم حرمان المساكين اتباعا لشح انفسهم فكأنهم قالوا نستغفر الله من سوء صنعنا
ونتوب اليه من خبث نيتنا حيث قصدنا عدم اخراج حق المساكين من غلة بستاننا واعترفوا بذنبهم حيث قالوا
انا كنا ظالمين وان كان المراد بالتسبيح الاستثناء يكون معنى قول الاوسط هلا تنزهون الله من ان يجرى فى ملكه
ما لا يريده بان تقولوا لنصرمنها مصبحين ان شاء الله ومعنى قولهم سبحان ربنا تنزه ربنا من ان يجرى فى ملكه شئ
الا بارادته ومشيئته وهو فى معنى الاستثناء واختلف اهل التفسير فى ان ما قاله اهل تلك الجنة الى قوله انا الى ربنا
راغبون هل هو توبة منهم فمنهم من توقف فى ذلك وقال يحتمل ان يكون هذا الكلام منهم من قبيل ما يكون
من المشركين اذا اصابتهم الشدة وذهب الاكثرون الى انهم قالوا ذلك بطريق التوبة والاخلاص * روى عن
ابن مسعود رضى الله عنه انه قال بلغنى ان القوم اخلصوا وعرف الله منهم الصدق فابدلهم بها جنة يقال لها الحيوان
فيها عنب يحمل البعير منه عنقودا كذا فى معالم التنزيل وفى التيسير والكشاف وقال ابو خالد اليمانى دخلت تلك
الجنة فرأيت كل عنقود منها كالرجل القائم ﴿قوله او لولا تستثنون﴾ عطف على قوله لولا تذكرونه اى
بالتسبيح والتهليل تائبين عما فرط منكم من قصد العصيان يعنى ان المفسرين قد اختلفوا فى ان المراد بالتسبيح ما هو
فقال بعضهم المراد به الاستثناء فان لفظ القرآن يدل على ان القوم حين اقسموا ليصرمنها مصبحين وتركوا الاستثناء
بان يقولوا ان شاء الله انكر عليهم اوسطهم فى تركهم الاستثناء وعدم خوفهم من عذاب الله تعالى على تركهم اياه
ثم لما عاينوا وقوع ما حذرهم الاوسط به قال لهم الاوسط الم اقل لكم لولا تسبحون اى هلا تستثنون فتقولون ان شاء الله
وقال آخرون ان القوم حين عزموا على منع زكاة ما خرج من جنتهم قال لهم اوسطهم توبوا عن هذه المعصية
قبل نزول العذاب واعزموا على استثناء حصة المساكين كما كان يخرجها ابوكم فلم يغيروا عزمهم فلما رأوا العذاب

(فانطلقوا وهم يتخافتون) يتسارّون فيما
بينهم وخفى وخفت وخفد بمعنى الكتم ومنه
الخفدود للخفاش (ان لا يدخلنها اليوم عليكم
مسكين) ان مفسرة وقرئ بطرحها على
اضمار القول والمراد بنهى المسكين عن
الدخول المبالغة فى النهى عن تمكينه
من الدخول كقوله لا ارينك ههنا (وغدوا
على حرد قادرين) وغدوا قادرين على
نكد لا غير من حاردت السنة اذا لم يكن فيها
مطر وحاردت الابل اذا منعت درّها والمعنى
انهم عزموا على ان يتنكدوا على المساكين
فتنكد عليهم بحيث لا يقدرون فيها الا على
النكد او وغدوا حاصلين على النكد
والحرمان مكان كونهم قادرين على الانتفاع
وقيل الحرد بمعنى الحرد وقد قرئ به اى
لم يقدروا الا على حنق بعضهم لبعض كقوله
يتلاومون وقيل الحرد القصد والسرعة
قال الشاعر
اقبل سيل جاء من امر الله *
يحرد حرد الجنة المغله *
اى غدوا الى جنتهم بسرعة قادرين عند
انفسهم على صرامها وقيل الحرد علم للجنة
(فلما رأوها) اول ما رأوها (قالوا انا لضالون)
طريق جنتنا وما هى بها (بل) اى بعد ما تأملوا
وعرفوا انها هى قالوا بل (نحن محرومون)
حرمنا خيرها بجنايتنا على انفسنا (قال
اوسطهم) رأيا او سنا (الم اقل لكم لولا
تسبحون) لولا تذكرونه وتتوبون اليه
من خبث نيتكم وقد قاله حينما عزموا على
ذلك ويدل على هذا المعنى (قالوا سبحان
ربنا انا كنا ظالمين) او لولا تستثنون فسمى
الاستثناء تسبيحا لتشاركهما فى التعظيم او لانه
تنزيه عن ان يجرى فى ملكه ما لا يريده (فاقبل
بعضهم على بعض يتلاومون) يلوم بعضهم
بعضا فان منهم من اشار بذلك ومنهم
من استصوبه ومنهم من سكت راضيا ومنهم
من انكره (قالوا يا ويلنا انا كنا طاغين)
متجاوزين حدود الله (عسى ربنا ان يبدلنا
خيرا منها) ببركة التوبة والاعتراف
بالخطيئة وقد روى انهم بدلوا خيرا منها
وقرئ يبدلنا بالتخفيف

ذكرهم ما قال لهم سابقا فقال لهم الم اقل لكم لولا تسبحون الله وتتوبون اليه فلاجرم اشتغل القوم بالتوبة والتسبيح فقالوا سبحان ربنا انا كنا ظالمين قيل انهم لو تكلموا به قبل نزول العذاب لنجوا من نزوله لكنهم تكلموا به بعد خراب البصرة ﴿ قوله والى لانتهاء الرغبة ﴾ لما كان المشهور ان تعدى الرغبة بكلمة فى او بكلمة عن ولم يشتهر تعديها بالى ذكر المصنف لها وجهين احدهما ان تضمن الرغبة معنى الرجوع والآخر ان معنى الرغبة الرجاء والطلب وان كلمة الى لبيان انه تعالى هو منتهى رجائهم وطلبهم ﴿ قوله مثل ذلك العذاب ﴾ يعنى ان قوله تعالى كذلك العذاب جملة اسمية قدم فيها الخبر على المبتدأ ثم انه تعالى لما خوف الكفار بعذاب الدنيا وبما هو اكبر منه وهو عذاب الآخرة ذكر بعده احوال اهل السعادة فقال ان للمتقين عند ربهم جنات النعيم وعند يجوز ان يكون ظرفا معمولا للاستقرار الذى تعلق به للمتقين وان يكون متعلقا بمحذوف منصوب على الحالية من المنوى فى قوله للمتقين ولا يجوز ان يكون حالا من جنات لعدم العامل ﴿ قوله اى فى الآخرة ﴾ لما استحال كون عندية الجنة بالنسبة الى الله تعالى مكانية جعل المصنف عنديتها عبارة عن عندية الدار الآخرة بمعنى انها لا ملك ولا حاكم فيها الا الله عز وجل او عندية قدسه تعالى وطهارته فان الجنة يقال لها دار القدس وحضرة القدس لكونها مظهر قدس الله تعالى ودليلا عليه فالمجاورة بمعنى الملابسة المتبذلة قال النحويون الفرق بين عند ولدى انه اذا قيل المال عند زيد يصدق ذلك سواء كان المال حاضرا عنده او غائبا كائنا فى شئ يلايسه كبيته وصندوقه وامينه ونحو ذلك بخلاف ما اذا قيل المال لدى زيد فانه لا يصدق الا اذا كان المال حاضرا عنده ﴿ قوله ليس فيها الا التنعم الخالص ﴾ اى لا يشوبها شئ مما يكدر ما فيها من وجوه التنعم كما يشوب ذلك جنات الدنيا والحصر المذكور مستفاد من اضافة جنات الى النعيم فانها تفيد اختصاص المضاف بالمضاف اليه وذلك لا يكون الا بان لا يكون فيها الا النعيم الخالص ففيه تعريض بان جنات الدنيا مشوبة بما يكدر العيش وينغص التنعم والاستراحة «عن مقاتل قال لما نزلت هذه الآية قال كفار مكة للمسلمين ان الله فضلنا عليكم فى الدنيا فلا بد وان يفضلنا عليكم فى الآخرة فان لم يكن التفضيل فلا اقل من المساواة فاجاب الله تعالى فيه على وجه الانكار بقوله أفنجعل المسلمين كالمجرمين ثم وبخهم بقوله ما لكم كيف تحكمون وكيف فى موضع الحال من المنوى فى لكم الراجع الى ما ﴿ قوله واصله ان لكم بالفتح ﴾ جواب عما يقال ان الجمهور قرأوا بكسر همزة ان والحال ان كلمة ان مع ما فى حيزها واقعة موقع مفعول تدرسون والمعنى تدرسون فى الكتاب ان لكم ما تختارونه لانفسكم وان يكون العاصى كالمطيع بل يكون ارفع حالا منه فأتوا بكتابكم ان كنتم صادقين» وتقرير الجواب نعم ان الاصل الفتح الا انها كسرت لدخول لام الابتداء فى اسمها فان لام الابتداء لا تدخل على ما فى حيز ان المفتوحة تقول علمت انك عاقل بالفتح وتقول علمت انك لعاقل بالكسر وكسر ان بعد تدرسون لانه علق عنه لما فيه من معنى العلم ﴿ قوله ويجوز ان يكون حكاية للمدروس او استئنافا ﴾ وجهان آخران لكسر ان تقرير الاول ان جملة ان لكم فيه لما تخيرون يجوز ان يكون كسر ان فيها لعدم وقوعها موقع المفرد لحكاية الله تعالى فى القرآن بصورتها وان كانت فى تأويل المفرد فى هذا النظم لكونها مفعول تدرسون وهذا الوجه لا يخلو عن بعد لان كلمة فيه فى قوله تعالى ان لكم فيه لما تخيرون تأبى ان يكون هذا النظم بصورة هذا المدروس الواقع فى الكتاب المفروض الا ان يقال انها مقحمة فيه تأكيدا لما ذكر اولا وليست واقعة فى النظم المحكى وتقرير الثانى انه يجوز ان يتم الكلام عند قوله فيه تدرسون بان ينزل تدرسون منزلة اللازم ويكون المعنى توقعون القرآءة فيه كما فى قوله «يجرح فى عراقيبها نصلى» ثم يبتدأ ويقال ان لكم فيه لما تخيرون اى ليس لكم ذلك ﴿ قوله عهود مؤكدة بالايمان ﴾ يقال لفلان على يمين بكذا اذا ضمنت وكفلت له به وحلفت له على الوفاء به اى بل ضمنا لكم واقسمنا بايمان مغلظة فثبت لكم علينا عهود مؤكدة بالايمان ﴿ قوله متناهية فى التوكيد ﴾ يعنى كون الايمان بالغة عبارة عن كونها فى غاية القوة والصحة وكل شئ يكون فى نهاية الجودة وغاية الصحة يوصف بانه بالغ ﴿ قوله حتى نحكمكم فى ذلك اليوم ﴾ اى حتى نجعلكم حكاما فى ذلك اليوم ونطيعكم فيما تحكمون او هو متعلق ببالغة اى تبلغ الى يوم القيامة بمعنى انها فى لزومها وتأكدها بحيث تنتهى الى ذلك اليوم تامة ولا يبطل منها شئ الى ان يحصل المقسم عليه الذى هو التحكيم واتباعنا لحكمكم ﴿ قوله بذلك الحكم قائم ﴾ اشارة الى ان قوله بذلك متعلق بزعيم وان الزعيم ههنا بمعنى القائم بالدعوى واقامة الحجة عليها اى سل الذين يدعون ان لهم علينا عهودا مؤكدة بالايمان على ان نحكمهم

(انا الى ربنا راغبون) راجعون العفو طالبون الخير والى لانتهاء الرغبة او لتضمنها معنى الرجوع (كذلك العذاب) مثل ذلك العذاب الذى بلونا به اهل مكة واصحاب الجنة العذاب فى الدنيا (ولعذاب الآخرة اكبر) اعظم منه (لو كانوا يعلمون) لاحترزوا عما يؤديهم الى العذاب (ان للمتقين عند ربهم) اى فى الآخرة او فى جوار القدس (جنات النعيم) جنات ليس فيها الا التنعم الخالص (أفنجعل المسلمين كالمجرمين) انكار لقول الكفرة فانهم كانوا يقولون ان صح انا نبعث كما زعم محمد ومن معه لم يفضلونا بل نكون احسن حالا منهم كما نحن عليه فى الدنيا (ما لكم كيف تحكمون) التفات فيه تعجب من حكمهم واستبعاد له واشعار بانه صادر من اختلال فكر واعوجاج رأى (ام لكم كتاب) من السماء (فيه تدرسون) تقرأون (ان لكم فيه لما تخيرون) ان لكم ما تختارونه وتشتهونه واصله ان لكم بالفتح لانه المدروس فلما جيئ باللام كسرت ويجوز ان يكون حكاية للمدروس او استئنافا وتخير الشئ واختاره اخذ خيره (ام لكم ايمان علينا) عهود مؤكدة بالايمان (بالغة) متناهية فى التوكيد وقرئت بالنصب على الحال والعامل فيها احد الظرفين (الى يوم القيامة) متعلق بالمقدر فى لكم اى ثابتة لكم علينا الى يوم القيامة لا تخرج عن عهدتها حتى نحكمكم فى ذلك اليوم او ببالغة اى ايمان تبلغ ذلك اليوم (ان لكم لما تحكمون) جواب القسم لان معنى ام لكم ايمان علينا ام اقسمنا لكم (سلهم ايهم بذلك زعيم) بذلك الحكم قائم يدعيه ويصححه

يوم القيامة ونطيعهم فيما يحكمون به من ان يجعلهم كالمسلمين او تفضلهم عليهم ايهم قائم بهذه الدعوى وبالاحتجاج على صحتها كما يقوم زعيم القوم باصلاح امورهم وايهم معلق بسلهم لان السؤال فى معنى العلم لكونه سببا له ثم انه تعالى لما انكر عليهم ان يكون حكمهم بالتسوية بين المسلمين والمجرمين مستندا الى دليل عقلى حيث قال مالكم كيف تحكمون او الى دليل نقلى حيث قال ام لكم كتاب انكر عليهم ايضا ان يكون لهم شركاء يوافقونهم فيما ذهبوا اليه من التسوية بين المحسن والمسيء حتى يقلدوهم لكونهم من العقلاء الذين يصح التقليد بهم فقال ام لهم شركاء فثبت ان مازعموه باطل من كل الوجوه ﴿ قوله وقيل المعنى ﴾ قال الامام قوله تعالى ام لهم شركاء فى تفسيره وجهان الاول ان المعنى ام لهم اشياء يعتقدون انها شركاء الله تعالى ويعتقدون ان اولئك الشركاء يجعلونهم فى الآخرة مثل المؤمنين فى الثواب والخلاص من العقاب وانما اضاف الشركاء اليهم لانهم جعلوها شركاء لله تعالى وهذا كقوله تعالى هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شئ الوجه الثانى ان المعنى ام لهم ناس يشاركونهم فى هذا المذهب وهو التسوية بين المسلم والمجرم فليأتوا بهم ان كانوا صادقين فى دعواهم والمراد بيان انه كما ليس لهم دليل عقلى فى اثبات هذا المذهب ولا دليل نقلى وهو كتاب يدرسونه فليس لهم من يوافقهم من العقلاء على هذا القول وذلك يدل على انه باطل من كل الوجوه ثم انه تعالى لما ابطل قولهم وبين انه لا وجه لصحته اصلا شرع بعد ذلك فى بيان عظمة يوم القيامة فقال يوم يكشف عن ساق ويوم ظرف منصوب بقوله فليأتوا فكأنه تعالى قال ان كانوا صادقين فى انها شركاء فليأتوا بها يوم يشتد الامر ويصعب الخطب لتنفعهم او تشفع لهم او منصوب باذكر المقدر ويجوز ان يكون العامل المحذوف غير اذكر ويكون تقدير الكلام يوم يكشف عن ساق كان كيت وكيت فحذف للتهويل البليغ واشعارا بان ثم من الكوائن مالا يوصف لعظمته ﴿ قوله وكشف الساق مثل فى ذلك ﴾ يعنى انه استعارة تمثيلية فى اشتداد الامر وصعوبته فمعنى الآية يوم يشتد الامر ويتفاقم ولا كشف ثم ولا ساق كما تقول للاقطع الشحيح يده مغلولة ولا يد ثمة ولا غل وانما هو مثل فى البخل بان شبهت حال الشدة عليهم من الامر فى الموقف بحال المخدرات اللاتى اشتد عليهن الامر فاحتجن الى تشمير سوقهن فى الهرب فاستعمل فى حق اهل الموقف من الاشقياء مايستعمل فى حقهن من غير تصرف فى مفردات التركيب بل التصرف انما هو فى الهيئة التركيبية * روى انه سئل ابن عباس عن هذه الآية فقال اذا خفى عليكم شئ من القرآن فابتغوه فى الشعر فانه ديوان العرب اما سمعتم قول الشاعر

* سن لنا قومك ضرب الاعناق * وقامت الحرب بنا على ساق *

ثم قال هو يوم كرب وشدة ﴿ قوله او يوم يكشف عن اصل الامر ﴾ معطوف على قوله يشتد الامر اى ويجوز ان يكون من باب التخييل بان يشبه اصل الامر وحقيقته بساق الشجر ويطلق عليه اسم المشبه به على سبيل استعارة التصريحية وتنكير ساق للتهويل والدلالة على انها شدة خارجة عما يتخيله الانسان كأنه قيل يوم يكشف عن شدة واى شدة لا يمكن وصفها ﴿ قوله او للتعظيم ﴾ على ان يكون الساق مستعارا لاصل الامر وحقيقته وقرأ الجمهور يكشف بياء تحتية على بناء المفعول وعن ساق قائم مقام الفاعل وقرئ بالتاء الفوقية على بناء الفاعل واسناد الفعل الى ضمير الساعة وعلى بناء المفعول ايضا واسناده الى ضمير الحال ﴿ قوله ان كان اليوم يوم القيامة ﴾ شرط لقوله توبيخا يعنى انهم اختلفوا فى هذا اليوم الذى يكشف فيه عن ساق اهو يوم القيامة او آخر ايام الرجل فى دنياه او يوم مرضه او هرمه وعجزه عن اداء الصلاة فذهب الجمهور الى انه يوم القيامة فان الكفار والمنافقين يدعون الى السجود فيه لكن على سبيل التكليف لان يوم القيامة لا يكون فيه تعبد ولا تكليف بل على سبيل التوبيخ والتخجيل على تركهم السجود فى الدنيا ثم انه تعالى حال مايدعوهم الى السجود يسلب عنهم القدرة على السجود ويحول بينهم وبين الاستطاعة ويجعل ظهورهم مثل صياصى البقر يريدون السجود فلا يستطيعون كأن ظهورهم ادخلت فيها السفافيد فلا تنحنى فيبقون قياما كما كانوا على حالهم حتى تزداد حسرتهم وندامتهم على مافرطوا فيه حين دعوا الى السجود وهم سالموا الاعضاء والمفاصل وذهب آخرون الى انه ليس المراد منه يوم القيامة لانه تعالى وصف ذلك اليوم بانهم يدعون فيه الى السجود ويوم القيامة ليس فيه تعبد وتكليف بل المراد به يوم الذى يعجز فيه عن اداء الصلاة من ايام الدنيا اما من الشدة النازلة بهم من هول مايعاينوه عند النزع واما بسبب العجز الحاصل لهم بسبب المرض او الهرم وقد كانوا يدعون الى السجود

(ام لهم شركاء) يشاركونهم فى هذا القول (فليأتوا بشركائهم ان كانوا صادقين) فى دعواهم اذ لا اقل من التقليد وقد نبه سبحانه فى هذه الآيات على نفى جميع ما يمكن ان يتشبثوا به من عقل او نقل يدل عليه لاستحقاق او وعد او محض تقليد على الترتيب تنبيها على مراتب النظر وتزييفا لما لا سند له وقيل المعنى ام لهم شركاء يجعلونهم مثل المؤمنين فى الآخرة كأنه لما نفى ان يكون التسوية من الله نفى بهذا ان يكون مما يشركون الله به (يوم يكشف عن ساق) يوم يشتد الامر ويصعب الخطب وكشف الساق مثل فى ذلك واصله تشمير المخدرات عن سوقهن فى الهرب قال حاتم

اخو الحرب ان عضت به الحرب عضها * وان شمرت عن ساقها الحرب شمرا *

او يوم يكشف عن اصل الامر وحقيقته بحيث يصير عيانا مستعار من ساق الشجر وساق الانسان وتنكيره للتهويل او للتعظيم وقرئ تكشف بالتاء على بناء المفعول والفاعل والفعل للساعة او الحال (ويدعون الى السجود) توبيخا على تركهم السجود ان كان اليوم يوم القيامة او يدعون الى الصلوات لاوقاتها ان كان وقت النزع (فلا يستطيعون) لذهاب وقته او زوال القدرة عليه (خاشعة ابصارهم ترهقهم ذلة) يلحقهم ذل (وقد كانوا يدعون الى السجود) فى الدنيا او زمان الصحة (وهم سالمون) متمكنون فيه مزاحوا العلل فيه

زمان الصحة يقول المؤذن حى على الصلاة فلا يجيبون وهم اصحاء معافون وقال كعب الاحبار والله مانزلت هذه الآية الا فى الذين يتخلفون عن الجماعات وقوله تعالى خاشعة ابصارهم حال من مرفوع يدعون وابصارهم مرفوع على انه فاعل خاشعة ونسب الخشوع للابصار وان كانت الاعضاء خاشعة ذليلة متواضعة لظهور اثر خشوع الجميع فيها وقوله وهم سالمون حال من مرفوع يدعون الثانية ثم انه تعالى لما خوف الكفار بعظمة يوم القيامة زاد فى تخويفهم بذكر وعيده وماله من القهر فقال فذرنى ومن يكذب بهذا الحديث وهو القرآن وقيل القيامة والمعنى كل امره الى فانى اكفيكه اى اذا علمت يوم القيامة واشتداد الاهوال الآتية فيه فكل امر المكذبين الى وهذه تسلية له عليه الصلاة والسلام وتهديد لمن كذبه ﴿قوله ومن﴾ منصوب بالعطف على ضمير المتكلم او انه مفعول معه وهو مرجوح لامكان العطف من غير ضعف ﴿قوله سندنيهم من العذاب درجة درجة﴾ اى حتى نوقعهم فيه ﴿قوله وهو الانعام عليهم﴾ اى ادناؤهم من العذاب من حيث لا يعلمون انه استدراج هو الانعام عليهم لانهم يحسبونه تفضيلا لهم على المؤمنين وهو فى الحقيقة سبب لاهلاكهم فان العبد اذا كان بحيث كلما ازداد ذنبا جدد الله له نعمة وانساه التوبة والاستغفار كان ذلك منه استدراجا بحيث لا يشعر العبد انه استدراج * روى ان رجلا من بنى اسرائيل قال يارب كم اعصيك وانت لا تعاقبنى فاوحى الله تعالى الى نبى زمانه ان قل له كم من عقوبة لى عليك وانت لا تشعر كونها عقوبة ان جمود عينك وقساوة قلبك استدراج منى وعقوبة لو عقلت وعنه عليه الصلاة والسلام انه قال اذا رأيت الله تعالى ينعم على عبد وهو مقيم على معصيته فاعلم انه مستدرج وتلا هذه الآية ﴿قوله لانه فى صورته﴾ اى فى صورة الكيد وهو المكر والاحتيال لان ظاهره احسان وانعام وحقيقته اهلاك وعذاب ولا خفاء ان الاهلاك بما فى صورة الاحسان فى صورة الكيد والاحتيال ﴿قوله تعالى ام تسألهم اجرا﴾ معطوف على قوله ام لهم شركاء اى لا تلتمس منهم اجرا على ماتدعوهم اليه من الايمان والطاعة حتى يثقل عليهم تحمل الغرامات فى بذل المال فيثبطهم ذلك عن الايمان والطاعة والمعنى ليس عليهم كلفة فى متابعتك بل هى سبب سعادتهم فى الدنيا والآخرة والغرم الغرامة ثم انه تعالى لما بالغ فى تزييف طريق الكفار وفى زجرهم عما هم عليه قال له عليه الصلاة والسلام فاصبر لحكم ربك اى لقضائه اولما حكم به من امهالهم وتأخير نصرتك عليهم ﴿قوله تعالى اذ نادى﴾ منصوب بمضاف محذوف اى لا يكن حالك كحاله او قصتك كقصته فى وقت ندائه ربه وتوبته وهو فى بطن الحوت وهو فى ذلك الوقت كان مكظوما اى مملوأ غما وغيظا وحزنا من كظم السقاء اذا ملأه والمعنى لا يوجدنك مايوجد منه من الضجر والمغاضبة فتبتلى ببلائه فان يونس عليه الصلاة والسلام لم يصبر على اذى قومه وخرج مغاضبا فضيق الله تعالى عليه فالتقمه الحوت وندآؤه ما اخبر الله تعالى به عنه وهو قوله لا اله الا انت سبحانك انى كنت من الظالمين فذكر توبته ههنا ولم يذكر زلته تصريحا بل ذكرها تعريضا حيث ذكر نداءه وتوبته فلا يرد ان يقال كيف يصح ان ينهى احد عن ان يكون حاله كحال يونس اذ نادى فى بطن الحوت مع ان ماله وقت ندائه هو التوحيد والتسبيح والاعتراف بالذنب والتوبة عنه وكل ذلك طاعة والطاعة لا ينهى عنها وذلك لان المراد بحاله وقت ندائه الحالة التى اقتضت الطاعة المذكورة المدلول عليها تعريضا بذكر هذه الطاعة تصريحا وقد ذكرت تلك الحال صريحا فى قوله تعالى وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن ان لن نقدر عليه فنادى فى الظلمات ان لا اله الا انت سبحانك انى كنت من الظالمين فاستجبنا له ونجيناه من الغم نقل صاحب التيسير عن الحسين بن الفضل انه قال اذ نادى لا يتعلق بلا تكن اذ النداء طاعة فلا ينهى عنها فالوجه ان يكون مفعولا به لاذكر مقدرا ﴿قوله وحسن تذكير الفعل﴾ مع كونه مسندا الى النعمة الفصل بينه وبين فاعله بالضمير المنصوب مع ان تأنيث النعمة غير حقيقى وفيما استدل ظاهر غير حقيقى يجوز الامران ولان النعمة والانعام بمعنى واحد وتداركه فعل ماض بمعنى ادركه ويدل عليه قرآءة من قرأ تداركته بزيادة تاء التأنيث فى آخره وقرئ ايضا لولا ان تداركه بتشديد الدال وهو مضارع اصله تتداركه ادغمت التاء الثانية فى الدال بعد قلبها دالا وجعل هذه القرآءة مبنية على حكاية الحال الماضية ومعنى حكاية الحال الماضية ان تقدر ان تلك الحال واقعة فى حال التكلم فيعبر عنها بلفظ يدل على وقوعها فى حال التكلم ولا يفعل هذا فيما وقع سابقا الا اذا كان امرا غريبا فتقصد بسلوك هذه الطريق ان تحضره للمخاطب وتصوره له حتى يطلع عليه فيتعجب من غرابته مثل ان يقول رأيت الاسد فآخذ السيف فاقتله فظهر بهذا التقرير ان ما يكون على حكاية الحال الماضية لا يدخله معنى الاستقبال لان دخوله عليه ينافى الغرض

(فذرنى ومن يكذب بهذا الحديث) كله الى فانى اكفيكه (سنستدرجهم) سندنيهم من العذاب درجة درجة بالامهال وادامة الصحة وازدياد النعمة (من حيث لا يعلمون) انه استدراج وهو الانعام عليهم لانهم حسبوه تفضيلا لهم على المؤمنين (واملى لهم) وامهلهم (ان كيدى متين) لا يدفع بشئ وانما سمى انعامه استدراجا بالكيد لانه فى صورته (ام تسألهم اجرا) على الارشاد (فهم من مغرم) من غرامة (مثقلون) يحملها فيعرضون عنك (ام عندهم الغيب) اللوح او المغيبات (فهم يكتبون) منه مايحكمون ويستغنون به عن علمك (فاصبر لحكم ربك) وهو امهالهم وتأخير نصرتك عليهم (ولا تكن كصاحب الحوت) يونس عليه السلام (اذ نادى) فى بطن الحوت (وهو مكظوم) مملوء غيظا من الضجرة فتبتلى ببلائه (لولا ان تداركه نعمة من ربه) يعنى التوفيق للتوبة وقبولها وحسن تذكير الفعل للفصل وقرئ تداركته وتداركه اى تتداركه على حكاية الحال الماضية بمعنى لولا ان كان يقال فيه تتداركه

المذكور فكان دخول ان الاستقبالية على قوله تداركه مانعا من حمله على حكاية الحال الماضية فلذلك قال المصنف فى تصوير المعنى حينئذ لولا ان كان يقال فيه تداركه فادخل علامة الاستقبال على القول المقدر فصح بذلك ان يحمل قوله تداركه على حكاية الحال وليس مراده بتقدير القول بيان ان حكاية الحال تقتضى تقديره لما عرفت من ان حكايتها لاتقتضى تقدير القول بل يكفى فيها ان يقدر وقوعها فى حال التكلم ويعبر عنها بمايدل على وقوعها فيه ﴿قوله مليم﴾ اسم فاعل من الام الرجل بمعنى اتى بمايلام عليه ﴿قوله وهو حال﴾ اى من مرفوع قوله لنبذ يعتمد عليها الجواب بمعنى ان جواب لولا فى الحقيقة مفهوم قوله وهو مذموم وان كان فى الظاهر هو قوله لنبذ وذلك لان لولا الامتناعية تقتضى ان يكون جوابها منتفيا والمنتفى ههنا ليس نفس النبذ بالعراء لان ذلك قد وقع بقوله تعالى فى الآية الاخرى فنبذناه بالعراء بان طرحنا الحوت لان يلقيه فيها بل المنتفى هو نبذه فيها مذموما فانه تعالى نبذه بالعراء محمودا وارسله الى مائة الف او يزيدون من حيث انه ادركته نعمة التوفيق للتوبة عن زلته وقبول تلك التوبة ولولا ان ادركته تلك النعمة لنبذ مذموما مليما وقيل معنى الآية لولا هذه النعمة لبقى فى بطن الحوت الى يوم القيامة ثم نبذ بعراء عرصة القيامة مذموما حين يحشر الناس ولكن منّ الله عليه بالنعمة المذكورة فنبذه بعراء الدنيا ويدل على هذا القول قوله تعالى فلولا انه كان من المسبحين للبث فى بطنه الى يوم يبعثون ﴿قوله بان ردّ الوحى اليه او استنبأه﴾ يؤيد الاول ماروى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال ردّ الله تعالى اليه الوحى وشفعه فى نفسه وقومه اى قبل شفاعته فى نفسه وقومه وقبل توبته ومن انكر الكرامات والارهاص لابدّ له ان يختار هذا القول لان احتباسه فى بطن الحوت وعدم موته هناك لما لم يكن ارهاصا ولا كرامة لابدّ ان يكون معجزة وذلك يقتضى ان يكون رسولا قبل هذه الواقعة وقال قوم لعل صاحب الحوت ماكان رسولا قبل هذه الواقعة ثم جعله الله رسولا بعد هذه الواقعة وهو المراد من قوله تعالى فاجتباه ربه ﴿قوله وفيه دليل على خلق الافعال﴾ فان افعال العباد لو لم تكن بخلق الله تعالى لما قيل فجعله من الصالحين فانه صريح فى ان ذلك الصلاح انما حصل بجعل الله تعالى وخلقه ﴿قوله ينظرون اليك شزرا﴾ الشزر نظر الغضبان بمؤخر عينه او على وجه يؤذن بالغضب والعداوة ﴿قوله اذروى انه كان فى بنى اسد عيانون﴾ وكان الرجل منهم يتجوّع ثلاثة ايام فلا يمر به شئ من الابل او الغنم او غيرهما فيقول لم ار كاليوم ابلا او غنما احسن من هذه او مثلها الا ياه فلا تذهب الا قليلا حتى تسقط طائفة منها هالكة فسأل الكفار بعض من كان له هذه الصفة ان يقول فى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك فعصمه الله تعالى من شرّهم ومن الناس من انكر اصابة العين وقال انها لاحقيقة لها لان تأثير الجسم فى الجسم لايعقل الا بواسطة المماسة ولامماسة ههنا فامتنع حصول التأثير والمصنف اشار الى جوابه بقوله يكون من خصائص بعض النفوس فان النفوس مختلفة فى جواهرها وهيئاتها واذا كان كذلك لايمتنع ايضا اختلافها فى لوازمها وآثارها فلا يستبعد ان يكون لبعض النفوس خاصية التأثير المذكور ﴿قوله وقرأ نافع ليزلقونك﴾ بفتح الياء على ان زلق بفتح اللام متعدّ وبالكسر لازم يقال زلقته فزلق اى اسقطته فسقط مثل حزنته فحزن والباقون بضم الياء من ازلقه اى ازل رجله ﴿قوله وقرئ ليزهقونك﴾ من زهقت نفسه اى هلكت وازهقها غيره اى اهلكها ﴿قوله يتبعث عند سماعه بغضهم﴾ يعنى ان لما ظرفية منصوبة بيزلقونك ﴿قوله بين انه ذكر عام﴾ اى للجنّ والانس يعقلون به ويستنبطون منه صلاح احوالهم المتعلقة بالدين والدنيا وفيه من الآداب والحكم ومن سائر العلوم مالاحدّ له ولاحصر فمن يظهر مثل هذا الكلام ويتلوه ويدعو الناس الى العمل بما فيه كيف يقال فى حقه انه مجنون والحال انه من ادل الامور على كمال عقله وعلوّ شأنه فمن نسب اليه القصور فانما هو من جهله وخبثه فان ذا الفضل لايعرفه الاذووه

اذا لم يكن للمرء عين صحيحة ۞ فلا غروان يرتاب والصبح مسفر ۞

تمت سورة نون والحمد لله رب العالمين

﴿سورة الحاقة﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿قوله اى الساعة او الحالة التى يحق وقوعها﴾ اى يجب والحاقة اسم فاعل من حق الشئ يحق بكسر الحاء اى وجب حذف موصوفها وهو الساعة او الحالة وكذا على قوله او التى تحق فيها الامور الا انه من حققته احقه بالضم

(فنبذ بالعراء) بالارض الخالية من الاشجار (وهو مذموم) مليم مطرود من الرحمة والكرامة وهو حال يعتمد عليها الجواب لانها المنفية دون النبذ (فاجتباه ربه) بان ردّ الوحى اليه او استنبأه ان صح انه لم يكن نبيا قبل هذه الواقعة (فجعله من الصالحين) من الكاملين فى الصلاح بان عصمه من ان يفعل ماتركه اولى وفيه دليل على خلق الافعال والآية نزلت حين همّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدعو على ثقيف وقيل باحد حين حلّ به ماحلّ فاراد ان يدعو على المنهزمين (وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم) ان هى المخففة واللام دليلها والمعنى انهم لشدة عداوتهم ينظرون اليك شزرا بحيث يكادون يزلون قدمك ويرمونك من قولهم نظر الىّ نظرا يكاد يصرعنى اى لو امكنه بنظره الصرع لفعله اوانهم يكادون يصيبونك بالعين اذروى انه كان فى بنى اسد عيانون فاراد بعضهم ان يعين رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وفى الحديث ان العين لتدخل الرجل القبر والجمل القدر ولعله يكون من خصائص بعض النفوس وقرأ نافع ليزلقونك من زلقته فزلق كحزنته فحزن وقرئ ليزهقونك اى ليهلكونك (لما سمعوا الذكر) اى القرآن اى ينبعث عند سماعه بغضهم وحسدهم (ويقولون انه لمجنون) حيرة فى امره وتنفيرا عنه (وما هو الا ذكر للعالمين) لما جننوه لاجل القرآن بين انه ذكر عام لايدركه ولايتعاطاه الا من كان اكمل الناس عقلا وامتنهم رأيا عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القلم اعطاه الله ثواب الذين حسن الله تعالى اخلاقهم

﴿سورة الحاقة مكية وآيها احدى وخمسون﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الحاقة) اى الساعة او الحالة التى يحق وقوعها او التى تحق فيها الامور اى يعرف حقيقتها

اذا عرفت حقيقته و صرت منه على يقين فعلى هذا الحاقة بمعنى العارفة للامور بحقيقتها سميت الساعة بها مع ان الفعل لاهلها على الاسناد المجازى على طريق ليله قائم و نهاره صائم فان الاخلاق هم الذين يعرفون الامور على حقيقتها يوم القيامة فاسند العرفان الى الوقت مجازا ﴿ قوله او يقع فيها حواق الامور ﴾ اى ثوابتها على ان الحاقة بمعنى الثابتة من حق الشئ يحق بالكسر اى ثبت و الثبوت وصف لما يقع فى الساعة من الحساب و الجزآء وصف به نفس الساعة على الاسناد المجازى ايضا فقوله على الاسناد المجازى متعلق بكل واحد من الوجهين الاخيرين ﴿ قوله خبرها ما الحاقة ﴾ يعنى ان ما مبتدأ ثان و الحاقة خبره و الجملة خبر الاول و لما ورد ان يقال الجملة الواقعة خبر المبتدأ لا بد فيها من العائد و لا عائد فى هذه الجملة اجيب بانه صح ذلك لاشتمالها على الظاهر الذى اقيم مقام الضمير العائد فان اصلها الحاقة ما هى اى اى شئ هى وضع الظاهر موضع المضمر تفخيما لشأنها و تعظيما لهولها فان معنى التفخيم و ان كان مستفادا من الجملة الاستفهامية الا انه اذا وضع الظاهر موضع المضمر يكون ذلك ادل عليه و آكد فان البلغاء يضعون الظاهر موضع الضمير فى كلامهم و نثرهم لقصد التعظيم و التفخيم فيقولون زيد ما زيد بدل ان يقال ما هو لتعظيم شأنه و تفخيم امره فان دلالة الظاهر على ما هو منشأ التعظيم و التهويل اكثر من دلالة الضمير عليه فقول المصنف على التعظيم لشأنها بيان المعنى الاستفهام و قوله لانه اهول لها اشارة الى نكتة وضع الظاهر موضع الضمير ﴿ قوله و اى شئ اعلمك ما هى ﴾ اشارة الى ان ما الاولى استفهامية و معناها التفخيم و التعظيم و كذا ما الثانية و كل واحدة منهما مبتدأ و ما بعدها خبر و الجملة الثانية فى محل النصب على انها مفعول ثان لا درى بل هى سادة مسد المفعول الثانى و الثالث له لانه بمعنى اعلم و هو يتعدى الى ثلاثة و ادراك خبر عامل فيها لما فيها من معنى الاستفهام ﴿ قوله تقرع الناس بالافزاع ﴾ اى تصيبهم بها كانها تقرعهم بها شبهت الاصابة بالقرع فسميت باسمه ثم اشتق منه فهى استعارة تبعية و كان مقتضى الظاهر ان يقال كذبت ثمود و عاد بها اى بالحاقة من حيث انه تعالى لما ذكر الحاقة و فخم شأنها شرع فى ذكر من كذب بها و ما حل لهم بسبب التكذيب تذكيرا لاهل مكة و تخويفا لهم من عاقبة تكذيبهم الا انه وضع لفظ القارعة موضع ضمير الحاقة لما فى القارعة من الدلالة على الشدة و الهول ما ليس فى ضمير الحاقة و ثمود قوم صالح عليه الصلاة و السلام و كانت منازلهم بالحجر فيما بين الشام و الحجاز و عاد قوم هود عليه الصلاة و السلام و كانت منازلهم بالاحقاف و الاحقاف رمل بين عمان الى حضرموت و اليمن كله ﴿ قوله بالواقعة المجاوزة للحد ﴾ يعنى ان الطاغية صفة لمحذوف هى الواقعة و ان الطغيان مجاوزة الحد فى اى شئ كان و ان الباء فيها للاستعانة كما فى كتبت بالقلم و تلك الواقعة هى الصيحة المجاوزة فى قوتها و شدتها عن حد الصيحات بحيث لم يتحملها قلب احد منهم كما قال الله تعالى انا ارسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتظر او الرجفة اى الزلزلة العظيمة لقوله تعالى فاخذتهم الرجفة انتهى ﴿ قوله او بسبب طغيانهم ﴾ على ان تكون الطاغية مصدرا بمعنى الطغيان كالكاذبة و العافية و تكون الباء سببية فان طغيانهم حملهم على التكذيب و عقر الناقة و نحوهما فاهلكوا بسببه كما قال تعالى كذبت ثمود بطغواها الى قوله فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها ﴿ قوله و هو لا يطابق قوله و اما عاد فاهلكوا ﴾ اى جعل الطاغية بمعنى الطغيان و جعل الباء سببية لا يلائم قوله فاهلكوا بريح لان الباء فيه للاستعانة لا سببية فجعلها فى الجملة الاولى سببية لا يلائم ما بعدها ﴿ قوله من الصر او الصر ﴾ الاول بفتح الصاد و هو الصوت يقال صر الجندب صريرا و صر القلم و الصر بكسر الصاد برد يضر بالنبات و الحرث ﴿ قوله كانها عتت ﴾ اى عصت و تمردت و غلبت على خزانها فجعل قوله تعالى عاتية استعارة تبعية بان شبهت شدة عصف الريح بعتوها على خزانها فسميت باسمه ثم اشتق منه لفظ عاتية حملها على المجاز لتعذر الحقيقة لان حقيقة العصيان من صفات العقلاء و قال الكلبى عتت الريح على خزانها فلم تطعهم و لم يستطيعوا ضبطها من شدة هبوبها غضبا لله تعالى و لم يخرج قبل ذلك و لا بعد شئ منها الا بقدر معلوم و قال عليه الصلاة و السلام طغى الماء على خزانه يوم نوح و عتت الريح على خزانها يوم عاد فلم يكن لهم عليها سبيل و عن ابن عباس رضى الله عنه انه قال المراد بعتوها غلبتها عليهم فانهم لم يقدروا على ردها بحيلة من الاستتار بناء او الاستناد الى جبل لانها كانت تنزعهم عن اماكنهم و تهلكهم ﴿ قوله اذ لو كانت ﴾ علة لوجه كون قوله تعالى سخرها عليهم نافيا لوهم المذكور و تقريرها ان تلك الريح الصرصر العاتية لو كانت مقتضى الاتصال النجومى الفلكى لكان اقتضاؤه اياها بتقدير الفاعل المختار و جعله سببا لها الا ان الاتصال المذكور يقتضى اياها لذاته اذ لو كان كذلك لما حصل منه تخويف قريش و تحذيرهم عن التكذيب بسبب

او يقع فيها حواق الامور من الحساب و الجزاء على الاسناد المجازى و هى مبتدأ خبرها (ما الحاقة) و اصله ما هى اى اى شئ هى على التعظيم لشأنها و التهويل لها فوضع الظاهر موضع المضمر لانه اهول لها (و ما ادراك ما الحاقة) و اى شئ اعلمك ما هى اى انك لا تعلم كنهها فانها اعظم من ان تبلغها دراية احد و ما مبتدأ و ادراك خبره (كذبت ثمود و عاد بالقارعة) بالحالة التى تقرع الناس بالافزاع و الاجرام بالانفطار و الانتثار و انما وضعت موضع ضمير الحاقة زيادة فى وصف شدتها (فاما ثمود فاهلكوا بالطاغية) بالواقعة المجاوزة للحد فى الشدة و هى الصيحة او الرجفة لتكذيبهم بالقارعة او بسبب طغيانهم بالتكذيب و غيره على انها مصدر كالعافية و هو لا يطابق قوله (و اما عاد فاهلكوا بريح صرصر) اى شديدة الصوت او البرد من الصر او الصر (عاتية) شديدة العصف كانها عتت على خزانها فلم يستطيعوا ضبطها او على عاد فلم يقدروا على ردها (سخرها عليهم) سلطها عليهم بقدرته و هو استئناف او صفة جئ به لنفى ما توهم من انها كانت من اتصالات فلكية اذ لو كانت لكان هو المقدر لها و المسبب

كونه مؤديا الى عداوته تعالى ﴿ قوله متتابعات ﴾ بين الله تعالى اولا زمان تعذيبهم بتسخير الريح عليهم فقال سبع ليال وثمانية ايام ثم بين ان ذلك التعذيب لم يكن متفرقا فى تلك المدة بل كان على التتابع والتوالى بحيث لم تخل يوما من تلك الايام ولا ليلة من لياليها عن ذلك فقال حسوما اى متتابعة من غير فتور ولا انقطاع فى تلك المدة وقوله تعالى سبع ليال منصوب على الظرفية وحسوما حال من مفعول سخرها اى ارسلها عليهم بقدرته فى حال كونها متتابعة الهبوب فى تلك المدة من غير فتور ولا انقطاع الى ان تستأصل القوم وتقطع دابرهم وهو جمع حاسم كشهود وعهود جمع شاهد وعاهد فقوله حسوما بمعنى حاسمات عبر عن الريح الصرصر بلفظ الجمع لكثرتها باعتبار وقوعها فى تلك الليالى والايام ومعنى الحسم فى اللغة القطع بالاستئصال وسمى السيف حساما لانه يحسم العدوّ عما يريده من بلوغ عداوته وسمى كى الدابة ذات الدآء الى ان يزول عنها الدآء باصله وتقطع مادة الدآء بالكلية حسما لان الفاعل يعيد الكى على الدابة كرة بعد اخرى الى ان يستأصل المادة ويقطعها بالكلية ولما كانت الرياح متتابعة ما سكنت ساعة حتى اهلكتهم جميعا شبه تتابعها عليهم بتتابع فعل الحاسم فى اعادته الكى على الدابة مرة بعد اخرى حتى ينحسم ما بها فسمى ذلك التتابع حسما وسميت الرياح من حيث تتابع هبوبها الى ان تهلك القوم بالكلية حاسمات على سبيل الاستعارة والحاصل ان تلك الرياح فيها ثلاث حيثيات الاولى تتابع هبوبها والثانية كونها قاطعة لكل خير ومستأصلة لكل بركة اتت عليها والثالثة كونها قاطعة دابرهم فسميت حسوما بمعنى حاسمات اما تشبيها لها بمن يحسم دآء الدابة فى تتابع الفعل واما لان الحسم فى اللغة القطع والاستئصال ﴿ قوله ويجوز ان يكون مصدرا ﴾ عطف على قوله جمع حاسم اى ويجوز ان يكون مصدرا بمعنى الحسم على وزن الشكور والكفور منصوبا على انه مفعول له اى سخرها عليهم لاجل حسمهم واستئصالهم او على انه مصدر مؤكد لفعله المقدر اى يحسمهم حسما وتستأصلهم استئصالا وتكون الجملة فى محل النصب على انها حال من الضمير المنصوب فى سخرها ويؤيده القرآءة بفتح الحاء فان حسوما فى هذه القرآءة حال بمعنى سخرها عليهم قاطعا مستأصلا ﴿ قوله وهى كانت ايام العجوز ﴾ وهى ايام فى آخر الشتاء ذات برد ورياح شديدة تسميها العرب ايام العجوز اما لانها فى عجز الشتاء او لان عجوزا من قوم عاد دخلت سربا وهو بتخفيف بيت فى الارض فانتزعتها الريح واهلكتها ﴿ قوله تعالى صرعى ﴾ حال من القوم لان الرؤية بصرية اى لو كنت عندهم فى ذلك الوقت رأيتهم فى مهابها مصروعين والكاف فى كأنهم فى موضع الحال ايضا اما من القوم على قول من جوز حالين من ذى حال واحد او من المنوى فى صرعى عند من لم يجوز ذلك اى مصروعين مشبهين بالجاز نخل خاوية الاجواف لا شئ فيها شبهوا بها من حيث ان ابدانهم خوت اى خلت من ارواحهم كالنخل الخاوية وفيه اشارة الى عظم خلقهم وضخامة اجسامهم والى ان الريح ابلتهم فصاروا كالنخل البالية قيل كانت الريح تدخل فى افواههم فتخرج ما فى اجوافهم من ادبارهم فصاروا كالنخل الخاوية البالية ﴿ قوله من بقية الخ ﴾ يعنى يجوز ان تكون الباقية اسما بمعنى البقية وان تكون صفة فيقدر لها موصوف وان تكون مصدرا بمعنى البقاء كالعاقبة وعلى التقادير كلها قوله من باقية مفعول ترى ومن زآئدة ثم انه تعالى لما ذكر قصة ثمود وعاد من جملة المكذبين تخويفا لاهل مكة شرع فى ذكر قصص سائر المكذبين فقال وجاء فرعون ومن قبله بفتح القاف وسكون الباء بمعنى ومن تقدمه وكان قبله من الكفرة وقرئ بكسر القاف وفتح الباء بمعنى عنده من اتباعه ﴿ قوله قرى قوم لوط ﴾ سميت مؤتفكات لانه تعالى قلبها على قوم لوط عليه الصلاة والسلام من أفكه على الشئ اذا قلبه وأتفكت البلدة باهلها اى انقلبت ﴿ قوله بالخطأ ﴾ على ان تكون الخاطئة مصدرا كالعافية وما بعده على ان تكون صفة لمحذوف هو الفعلة او الافعال والتاء للنسب كتامر ولابن اى بالفعلة ذات الخطأ او الافعال ذات الخطأ ﴿ قوله زآئدة فى الشدة ﴾ اى على عقوبات سائر الكفار كما ان افعالهم القبيحة كانت زآئدة فى القبح على افعال سائر الكفرة يقال ربا الشئ يربو اذا زاد ومنه الربا الشرعى وهو الفضل الذى يأكله آكل الربا زآئدا على ما اعطاه ﴿ قوله جاوز حده المعتاد ﴾ يعنى ان الطغيان مجاوزة الحد فالماء قد جاوز حده المعتاد حقيقة حتى قيل انه ارتفع على كل شئ خمسمائة ذراع ويجوز ان يكون المراد مجاوزة حده فى المعاملة مع خزانه من الملائكة حيث قيل ان الماء طغى على خزانه فلم يقدروا على ضبطه ﴿ قوله وهو يؤيد من قبله ﴾ بفتح القاف وسكون الباء لان الآية امتنان على المؤمنين بانجائهم مما اخذ به الجائين بالخاطئة من اغراقهم بالطوفان ﴿ قوله تشبيها بكتف ﴾ يعنى ان تعى تشبه كتف وفخذ والعرب تخفف مثلهما باسكان الوسط فلذلك اسكن فى تعيها

(سبع ليال وثمانية ايام حسوما) متتابعات جمع حاسم من حسمت الداية اذا تابعت بين كيها او نحسات حسمت كل خير واستأصلته او قاطعات قطعت دابرهم ويجوز ان يكون مصدرا منتصبا على العلة بمعنى قطعا او المصدر لفعله المقدر حالا اى تحسمهم حسوما ويؤيده القرآءة بالفتح وهى كانت ايام العجوز من صبيحة اربعاء الى غروب الاربعاء الآخر وانما سميت عجوزا لانها عجز الشتاء او لان عجوزا من عاد توارت فى سرب فانتزعتها الريح فى الثامن فاهلكتها (فترى القوم) ان كنت حاضرهم (فيها) فى مهابها او فى الليالى والايام (صرعى) موتى جمع صريع (كأنهم اعجاز نخل) اصول نخل (خاوية) متآكلة الاجواف (فهل ترى لهم من باقية) من بقية او نفس باقية او بقاء (وجاء فرعون ومن قبله) ومن تقدمه وقرأ البصريان والكسائى ومن قبله اى ومن عنده من اتباعه ويدل عليه انه قرئ ومن معه (والمؤتفكات) قرى قوم لوط عليه السلام والمراد اهلها (بالخاطئة) بالخطأ او بالفعلة او الافعال ذات الخطأ (فعصوا رسول ربهم) اى فعصى كل امة رسولها (فاخذهم اخذة رابية) زآئدة فى الشدة زيادة اعمالهم فى القبح (انا لما طغى الماء) جاوز حده المعتاد او طغى على خزانه وذلك فى الطوفان وهو يؤيد من قبله (حملناكم) اى آباءكم وانتم فى اصلابهم (فى الجارية) فى سفينة نوح عليه السلام (لنجعلها لكم) لنجعل الفعلة وهى انجاء المؤمنين واغراق الكافرين (تذكرة) عبرة ودلالة على قدرة الصانع وحكمته وكمال قهره ورحمته (وتعيها) وتحفظها وعن ابن كثير وتعيها باسكون العين تشبيها بكتف

(قوله)

﴿ قوله والوعى ان تحفظ الشئ ﴾ فيقال وعيت العلم ووعيت ماقلته ويقال اوعيت المتاع فى الوعاء
﴿ قوله وان من هذا شأنه ﴾ اى ان معنى التنكير فيه التقليل مع التعظيم وان من وعى هذه القصة انما يعيها ويحفظها
لاجل ان يذكرها للناس ويرغبهم عن الاعمال الباطلة بما يقضى ويحذرهم عن الكفر المردى فيكون سببا لنجاة
جم غفير ودوام نسلهم فتكون الاذن التى هذا شأنها اذنا معظمة ﴿ قوله وقرأ نافع اذن بالتخفيف ﴾ اى
بسكون الذال والباقون بضمتين وهى مؤنثة وتصغيرها اذينة ﴿ قوله وتنبيها على امكانها ﴾ فان ماذكره فى شرح
حال المكذبين بعد مابالغ فى تهويل الحاقة يدل على القدرة الكاملة والحكمة البالغة فكان ذلك تنبيها على امكان القيامة
لان القدرة على هذه الامور العظام تدل على القدرة على البعث والنشور كما ان حكمة القادر تدل على
وقوعها وشرع بعد ذلك فى تفاصيل احوال القيامة فذكر اولا مقدماتها فقال فاذا نفخ فى الصور الآية
﴿ قوله وانما حسن اسناد الفعل الى المصدر الخ ﴾ يعنى ان المصدر المبهم وهو الذى يكون لمجرد التأكيد نحو
ضربت ضربا لايجوز اقامته مقام الفاعل فلايقال ضرب ضرب وانما يقال ضرب ضربة او الضرب الفلانى لان
مايقوم مقام الفاعل يجب ان يكون مثله فى افادة مايفيده والمصدر المبهم لايفيد امرا زائدا على مدلول الفعل
فلايقام مقام الفاعل ونفخة فى هذه الآية ليست من قبيل المصادر المبهمة لانها لاتطلق على مجرد النفخ بل تطلق
على النفخ المقيد بقيد المرة وحسن تذكير الفعل المسند الى نفخة الفصل بينهما وجواز التذكير مبنى على كون تأنيث النفخة
غير حقيقى ﴿ قوله وقرئ نفخة بالنصب ﴾ اى على المصدرية واسناد الفعل الى الجار والمجرور لانه
اذا لم يوجد المفعول به فجميع المفاعيل سواء فى جواز اقامتها مقام الفاعل وحمل المصنف النفخة على النفخة
الاولى وهى التى لايبقى عندها حيوان الاامات ويكون عندها خراب العالم بقرينة قوله عقيبه وحملت الارض
والجبال فدكتا دكة واحدة وهذه الحالة تكون عند النفخة الاولى وقوله بعد ذلك فيومئذ وقعت الواقعة
هى صيحة القيامة قال الامام المراد من هذه النفخة الواحدة هى النفخة الاولى لان عندها خراب العالم ثم قال
فان قيل انما قال بعد ذلك يومئذ تعرضون والعرض انما يكون عند النفخة الثانية فاجاب عنه بقوله جعل اليوم
اسما للحين الواسع الذى تقع فيه النفختان والصعقة والنشور والوقوف والحساب فلذلك قال يومئذ تعرضون
كما تقول جئته يوم كذا وانما كان مجيئك فى وقت واحد من اوقاته ﴿ قوله فضربت الجملتان ﴾ اشارة الى وجه
تثنية ضمير دكتا والظاهر ان يقال دككن لاسناد الفعل الى الارض والجبال وهى امور متعددة الا انه جعل
الجبال كلها جملة واحدة والارض جملة اخرى فعبر عنهما بضمير التثنية ونظيره قوله تعالى فى حق السموات والارض
كانتا رتقا حيث لم يقل كن ﴿ قوله فيومئذ وقعت الواقعة ﴾ جواب لقوله تعالى فاذا نفخ فى الصور ويومئذ بدل
من اذا وتكرير لمعناه كرره لطال الكلام والبدل مع متبوعه منصوبان بوقعت يومئذ فى قوله فهى يومئذ واهية
ظرف لواهية اى فالسماء يوم النفخ فى الصور وقامت القيامة حقيقة مسترخية ساقطة القوة كالعهن المنفوش
بعدان كانت محكمة شديدة يقال وهى البناء يهى وهيا فهو واه اذا ضعف جدا ﴿ قوله تعالى والملك على ارجائها ﴾
قال الضحاك اذا كان يوم القيامة امر الله تعالى السماء الدنيا فتشققت وتكون الملائكة على ارجائها حتى يأمرهم
الرب فينزلون الى الارض فيحيطون بالارض ومن عليها وقيل ان الناس اذا رأوا جهنم يفزعون فيندون كما تند الابل
فلايأتون قطرا من اقطار الارض الا رأوا ملائكة فيرجعون الى حيث جاؤا ﴿ قوله ولعله تمثيل لخراب الدنيا ﴾
الظاهر انه اشارة الى ماأورده الامام الرازى بقوله فان قيل الملائكة يموتون فى الصعقة الاولى لقوله تعالى
ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الارض الا من شاء الله ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون
فكيف يقال انهم يقفون لحظة على ارجاء السماء يومئذ واجاب عنه بقوله قلنا الجواب من وجهين الاول انهم
يقفون على ارجاء السماء ثم يموتون والثانى ان المراد بالملائكة هم الذين استثناهم الله تعالى بقوله تعالى الا من شاء الله
واشار المصنف الى جوابه الاول بقوله وان كان على ظاهره فلعل هلاك الملائكة اثر ذلك بعد مااجاب عنه
من قبل نفسه بان الكلام ليس على ظاهره حتى يرد ماذكر بل هو من قبيل الاستعارة التمثيلية بان شبه خراب السماء
بتشققها واسترخائها والتجاء اهلها الى اطرافها الباقية على حالها بخراب البنيان فعبر عن الهيئة المشبهة بما
يعبر به عن الهيئة المشبه بها من غير ان يكون فى جانب الهيئة المشبهة اهل واطراف والتجاء الاهل اليها حتى يرد
ان يقال ان اهل السماء يموتون عند النفخة الاولى فكيف يقفون على ارجائها ﴿ قوله او فوق الثمانية ﴾ يعنى

والوعى ان تحفظ الشئ فى نفسك والايعاء ان تحفظه فى غيرك (اذن واعية) من شأنها ان تحفظ مايجب حفظه لتذكره واشاعته والتفكر فيه والعمل بموجبه والتنكير للدلالة على قلتها وان من هذا شأنه مع قلته سبب لانجاء الجم الغفير وادامة نسلهم وقرأ نافع اذن بالتخفيف (فاذا نفخ فى الصور نفخة واحدة) لما بالغ فى تهويل القيامة وذكر مآل المكذبين بها تفخيما لشأنها وتنبيها على امكانها عاد الى شرحها وانما حسن اسناد الفعل الى المصدر لتقيده وحسن تذكيره للفصل وقرئ نفخة بالنصب على اسناد الفعل الى الجار والمجرور والمراد بها النفخة الاولى التى عندها خراب العالم (وحملت الارض والجبال) رفعت من اماكنها بمجرد القدرة الكاملة او بتوسط زلزلة او ريح عاصفة (فدكتا دكة واحدة) فضربت الجملتان بعضها ببعض ضربة واحدة فيصير الكل هباء او فبسطتا بسطة واحدة فصارتا ارضا لاعوج فيها ولا امتا لان الدك سبب للتسوية ولذلك قيل ناقة دكاء للتى لاسنام لها وارض دكاء للمتسعة المستوية (فيومئذ) فحينئذ (وقعت الواقعة) قامت القيامة (وانشقت السماء) لنزول الملائكة (فهى يومئذ واهية) ضعيفة مسترخية (والملك) والجنس المتعارف بالملك (على ارجائها) جوانبها جمع رجى بالقصر ولعله تمثيل لخراب الدنيا بخراب البنيان وانضواء اهلها الى اطرافها وحواليها وان كان على ظاهره فلعل هلاك الملائكة اثر ذلك (ويحمل عرش ربك فوقهم) فوق الملائكة الذين هم على الارجاء او فوق الثمانية لانها فى نية التقديم (يومئذ ثمانية) ثمانية املاك لما روى مرفوعا انهم اليوم اربعة فاذا كان يوم القيامة ايدهم الله باربعة اخرى

ان ضمير فوقهم راجع الى الجملة الثمانية والمعنى انهم يحملون العرش فوق انفسهم يومئذ فكل واحد من قوله فوقهم ويومئذ ظرف لقوله يحملون حينئذ واما على تقدير ان يكون ضمير فوقهم للملائكة الذين هم على الارجاء فالظاهر حينئذ ان يكون فوقهم حالا من ثمانية قدمت عليها لكونها نكرة ﴿قوله ولعله ايضا تمثيل﴾ جواب عن استدلال المشبهة بهذه الآية على انه تعالى حاضر فى العرش متمكن فيه ووجه الاستدلال انه تعالى لو لم يكن متمكنا مستقرا فى العرش لكان حمله عبثا عديم الفائدة لاسيما وقد اكد ذلك بقوله يومئذ تعرضون والعرض انما يكون ان لو كان الاله حاضرا فى العرش وقال الامام اجاب اهل التوحيد عن هذا الاستدلال بانه لا يمكن ان يكون المراد منه انه تعالى جالس فى العرش وذلك لان كل من كان حاملا للعرش كان حاملا لكل ما كان فى العرش فلو كان الاله فى العرش لزم ان تكون الملائكة حاملين له تعالى وذلك محال لانه يقتضى احتياج الله تعالى اليهم وان يكونوا اعظم قدرة من الله تعالى وكل ذلك كفر صريح فعلمنا انه لا بد فيه من التأويل فذكر فى تأويله ما ذكره المصنف من انه تمثيل لعظمة الله بما يشاهد من احوال السلاطين يوم بروزهم لقضاء العام فكما ان الملك اذا اراد محاسبة رعيته وعماله جلس لهم على سرير ووقف الاعوان حوله كذلك اخبر الله تعالى انه يحضر يوم القيامة عرشا محفوفا بالملائكة تصويرا لهم عظمة نفسه بما يتعارفونه فى التعبير عن عظيم العظماء لا ان له عرشا يقعد عليه ويحتاج الى حمله فى وقت محاسبة الخلق والقضاء ﴿قوله تشبيها للمحاسبة بعرض السلطان العسكر﴾ اى باعراضه اياهم عليه ليعرف حالهم يعنى قوله تعرضون استعارة تبعية بمعنى تحاسبون تشبيها للمحاسبة بالعرض المذكور قال الجوهرى عرضت الجيل على عينى اذا امررتهم عليك ونظرت حالهم ﴿قوله هذا وان كان بعد النفخة الثانية﴾ جواب عما يقال كيف قلت ان المراد بهذه النفخة هى النفخة الاولى التى عندها خراب العالم مع ان قوله تعالى يومئذ تعرضون يفهم منه ان المراد بالنفخة النفخة الثانية لان العرض والحساب انما يكون عندها ومحصول جوابه ان تعقيب النفخة بما يتعلق بخراب العالم لما دل على ان المراد بها النفخة الاولى قلنا بذلك وقوله تعالى بعد ذلك يومئذ تعرضون لا ينافى ذلك لان اليوم قد يطلق على الزمان الممتد ﴿قوله سريرة﴾ والمعنى لا يخفى عليه تعالى فعلة خفية حال كونها واقعة منكم وتسرونها من اعمالكم فان السر والسريرة الذى يكتم ويخفى والجملة مستأنفة لبيان ان العرض المذكور ليس لخفاء شئ من اعمالكم عليه كما قال لا يخفى على الله منهم شئ بل المراد به افشاء الحال وتحقيق انه تعالى ليس بظلام للعبيد ﴿قوله او على الناس﴾ عطف على قوله على الله فعلى هذا يتعلق قوله منكم بقوله لا يخفى اى لا يخفى منكم يوم القيامة ما كان يخفيه الانسان من الطاعة والمعصية فى الدنيا فانه يظهر فيه احوال المؤمنين فيتكامل بذلك سرورهم وتظهر احوال اهل العذاب فيظهر بذلك خزيهم وفضيحتهم وهو المراد من قوله تعالى يوم تبلى السرائر فما له من قوة ولا ناصر فقوله تعالى لا يخفى منكم خافية زجر عظيم عن المعصية لتأديتها الى الافتضاح على رؤس الاشهاد ﴿قوله تبجحا﴾ بالجيم ثم الحاء ومعناه الفرح يقال بجحته فتبجح اى فرحته ففرح فانه لما اوتى كتابه بيمينه علم انه من الناجين والفائزين بالنعيم المؤبد فاحب ان يظهر ذلك لغيره حتى يفرحوا بما ناله وقيل ذلك لاهل بيته وقرابته ﴿قوله وفيه لغات اجودها هاء يا رجل﴾ بفتح الهمزة وهاء يا امرأة بكسر الهمزة وتصريفها هاء هاؤما هاؤم وهاء هاؤما هاؤن ﴿قوله ومفعوله محذوف﴾ يعنى ان قوله تعالى هاؤم لكونه بمعنى خذوا وتناولوا يقتضى مفعولا يتعدى اليه بنفسه وكذا قوله اقرأوا يقتضى ذلك فتنازعا فى قوله كتابيه واعمل الثانى لكونه اقرب العاملين واعمال الاقرب فى مثله جائز بالاتفاق بين البصريين والكوفيين الا ان الكوفيين يجوزون اعمال الابعد ايضا لكونه متقدما فى الوجود على العامل الثانى والبصريون لا يجوزون اعمال الابعد لان بعده من الاسم الظاهر الذى بعده يجعله مرجوحا ضعيفا ولا اثر لضعيف عند وجود ما هو اقوى منه وايضا لو كان العامل هو الابعد لكان التقدير هاؤم كتابى فكان يجب ان يقول اقرأوه لما تقرر فى النحو انه ان اعمل الفعل الاول والحال ان الثانى يطلب مفعولا فالمختار ان لا يحذف مفعول الثانى بل يجعل ضميرا بارزا وذلك لان الثانى مع كونه اقرب الطالبين اذا لم يحظ بمطلوبه مع الامكان فقد ان يشتغل بما يقوم مقام مطلوبه لئلا يلزم حرمانه عنه بالكلية فلما لم يبرز مفعول اقرأوا علمنا انه هو العامل فى كتابيه ومفعول هاؤم محذوف والتقدير هاؤم كتابى اقرأوا كتابى فحذف الاول لدلالة الثانى عليه ﴿قوله تثبت فى الوقف وتسقط فى الوصل﴾ بيان لما هو الاصل فى هاء السكت لان هاء السكت انما جيء بها تحصينا لحركة الحرف الموقوف عليها

وقيل ثمانية صنوف من الملائكة لا يعلم عدتهم الا الله تعالى ولعله ايضا تمثيل لعظمته بما يشاهد من احوال السلاطين يوم خروجهم على الناس للقضاء العام وعلى هذا قال (يومئذ تعرضون) تشبيها للمحاسبة بعرض السلطان العسكر ليتعرف احوالهم هذا وان كان بعد النفخة الثانية لكن لما كان ذلك اليوم اسما لزمان متسع يقع فيه النفختان والصعقة والنشور والحساب وادخال اهل الجنة الجنة واهل النار النار صح جعله ظرفا للكل (لا تخفى منكم خافية) سريرة على الله تعالى حتى يكون العرض للاطلاع عليها وانما المراد افشاء الحال والمبالغة فى العدل او على الناس كما قال يوم تبلى السرائر وقرأ حمزة والكسائى بالياء للفصل (فاما من اوتى كتابه بيمينه) تفصيل للعرض (فيقول) تبجحا (هاؤم اقرأوا كتابيه) ها اسم لخذ وفيه لغات اجودها هاء يا رجل وهاء يا امرأة وهاؤما يا رجلان او امرأتان وهاؤم يا رجال وهاؤن يا نسوة ومفعوله محذوف وكتابيه مفعول اقرأوا لانه اقرب العاملين ولانه لو كان مفعول هاؤم لقيل اقرأوه اذ الاولى اضماره حيث امكن والهاء فيه وفى حسابيه وماليه وسلطانيه للسكت تثبت فى الوقف وتسقط فى الوصل واستحب الوقف لثباتها فى الامام ولذلك قرئ باثباتها فى الوصل

وياتالها فانه لو لم يجأ بها ووقف على الياء لسكنت فجيء بالهاء حفظا لحركتها فثبت انه لا حاجة اليها حال الوصل فلذلك كان حقها ان تثبت فى الوقف وتسقط فى الوصل الا ان القرآء السبعة اتفقوا فى كتابيه وحسابيه على اثبات هاء السكت فيهما فى الوصل ايضا اجرآء للوصل مجرى الوقف واتباعا لرسم الامام فانها ثابتة فى المصحف فى هذه المواضع وماكان ثابتا فيه لابدّ ان يكون ثابتا فى اللفظ الا ان اثباته فى اللفظ انما يحسن عند الوقف فعلم منه ان المستحب ان يوقف عليها وان من وصلها يثبتها حال الوصل ايضا اتباعا للرسم لان ماثبت فى الرسم لابدّ ان يثبت فى اللفظ ولذلك اتفقوا فى ماليه وسلطانيه وماهيه فى القارعة على اثباتها فى الحالتين الاحمزة فانه اسقط الهاء من هذه الكلم الثلاث وصلا واثبتها وقفا على الاصل ولم يعمل بالاصل فى كتابيه وحسابيه واثبتها فى الحالتين جمعا بين اللغتين والهاء التى فى قاضية وفى هاوية وفى خاوية وثمانية وعالية ودانية والخالية فانها فيهن للتأنيث فيوقف عليهن بالهاء ويوصلن بالتاء وقيل لابأس باسقاط هاء السكت حال الوصل فى جميع هذه المواضع مع اجماع السبعة على خلافه بناء على ان الوقف والابتدآء وماهو من قبيل الآرآء ليس مما يعتمد على النقل المتواتر ﴿قوله اى علمت﴾ فسر الظنّ بالعلم لانه لو ابقى على اصله لكان يعنى انه ظننت انى احاسب فى الآخرة والاعتقاد بالبعث والحساب من جملة العقائد الدينية التى يجب الايمان بها والايمان لا يحصل بالشك والظن بل لابدّ للمؤمن ان يتيقن بحقية البعث والحساب وماتفرّع عليهما فلذلك فسره به فالمعنى انى علمت وتيقنت فى الدنيا ان الله تعالى يبعثنى ويحاسبنى فاجتهدت فى الطاعات وجانبت السيئات ما استطعت فنجانى الله تعالى برحمته وفضله من اهوال هذا اليوم وجعلنى من الآمنين فيه كما وقنى فى الدنيا للايمان به والخوف من اهواله والعمل له عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال اوّل من يعطى كتابه بيمينه من هذه الامة عمر بن الخطاب رضى الله عنه وله شعاع كشعاع الشمس قيل له فاين ابوبكر رضى الله عنه فقال هيهات زفته الملائكة الى الجنة ﴿قوله ذات رضى﴾ اى رضى بها صاحبها والنسبة قدتكون بالحرف نحو رومى وبصرى وقدتكون بصيغة نحو تامر ولابن وراضية من هذا القبيل ويجوز ان تكون من قبيل الاسناد المجازى حيث اسند الرضى الى ضمير العيشة وهو لصاحبها ﴿قوله وذلك﴾ اى كون العيشة راضية باحد الوجهين لاشتمالها على ثلاثة امور فان مآل الوجهين كون العيشة مرضية والشيء انما يكون مرضيا من جميع الوجوه اذا اجتمع فيه ثلاثة امور الاوّل كونه منفعة صافية من الشوآئب والثانى كونه دائما لايرقب زواله وانقطاعه والثالث كونه بحيث يقصد به تعظيم من رضى به واكرامه والا كان استهزآء واستدراجا وعيشة من اعطى كتابه بيمينه جامعة لهذه الامور فتكون مرضيا بها كال الرضى قال ابن عباس رضى الله عنهما انهم يعيشون فلا يموتون ابدا ويصحون فلا يمرضون ابدا وينعمون فلا يرون بأسا ابدا ويشبون فلا يهرمون ابدا ﴿قوله فى جنة عالية﴾ بدل من عيشة باعادة الجار ويجوز كونه متعلقا بعيشة راضية اى يعيش عيشا مرضيا فى جنة عالية والعلو ان اريد به العلوّ فى المكان فهو حاصل لان الجنة فوق السموات وان اريد به العلوّ فى الدرجة والشرف فالامر كذلك وان اريد علوّ ابنيتها ومافيها من الاشجار فالامر كذلك فهى عالية من جميع الجهات ﴿قوله جمع قطف﴾ بكسر القاف وسكون الطاء وهو العنقود والقطف بالفتح مصدر يقال قطفت العنب قطفا والقطاف وقت القطف والمصنف غلب القطاف فى جميع مايجتنى من الثمر عنبا كان او غيره ومعنى السرعة انه اذا اراد ان يأخذها يده قائما او جالسا او مضطجعا انقادت له وكذا ان اراد ان تدنو الى فيه دنت ﴿قوله باضمار القول﴾ اى يقال لهم كلوا وهذا امر امتنان واباحة لا امر تكليف ضرورة ان الآخرة ليست بدار تكليف ﴿قوله وجمع الضمير﴾ اى بعد قوله فهو فى عيشة راضية للمعنى فانه راجع الى من فى قوله فامامن اوتى كتابه وهو فى معنى الجمع ﴿قوله اكلا وشربا هنيئا﴾ على ان يكون قوله هنيئا صفة مصدر محذوف وقوله او هنئتم هنيئا على ان يكون مصدرا مؤكدا للفعل المحذوف وكل شيء يأتيك من غير تعب فهو هنيء اى لاتكدير فيه ولا تنغيص ومعنى الاسلاف فى اللغة تقديم مال رجوان يعود عليك بخير فهو كالاقراض ومنه يقال اسلف فى كذا اذا قدّم فيه ماله والمعنى بما عملتم فى الدنيا والباء اما سببية او للمقابلة اى بدل ما اسلفتم ﴿قوله ياليت الموتة التى متها﴾ الموتة وان لم تكن مذكورة الا انها فى حكم المذكور بدلالة المقام والقاضية القاطعة للحياة اى ياليت الموتة التى متها لم احى بعدها تمنى عند مطالعة كتابه ان تدوم عليه الموتة الاولى وان يبعث للحساب ولا يلقى ما اصابه من الخجالة وسوء العاقبة ﴿قوله او ياليت هذه الحالة﴾ اى او يكون ضمير ليتها للحالة التى شاهدها عند مطالعة الكتاب اى ليت هذه الحالة كانت الموتة التى قضت علىّ تمنى

(انى ظننت انى ملاق حسابيه) اى علمت ولعله عبر عنه بالظن اشعارا بانه لايقدح فى الاعتقاد مايهجس فى النفس من الخطرات التى لاتنفك عنها العلوم النظرية غالبا (فهو فى عيشة راضية) ذات رضى على النسبة بالصيغة او جعل الفعل لها مجازا وذلك لكونها صافية عن الشوآئب دآئمة مقرونة بالتعظيم (فى جنة عالية) مرتفعة المكان لانها فى السماء او الدرجات او الابنية والاشجار (قطوفها) جمع قطف وهو مايجتنى بسرعة والقطف بالفتح المصدر (دانية) يتناولها القاعد (كلوا واشربوا) باضمار القول وجمع الضمير للمعنى (هنيئا) اكلا وشربا هنيئا او هنئتم هنيئا (بما اسلفتم) بما قدّمتم من الاعمال الصالحة (فى الايام الخالية) الماضية من ايام الدنيا (واما من اوتى كتابه بشماله فيقول) لما يرى من قبح العمل وسوء العاقبة (ياليتنى لم اوت كتابيه ولم ادر ما حسابيه ياليتها) ياليت الموتة التى متها (كانت القاضية) القاطعة لامرى فلم ابعث بعدها او ياليت هذه الحالة كانت الموتة التى قضت علىّ كأنه صادفها امرّ من الموت فتمناه عندها او ياليت حياة الدنيا كانت الموت ولم اخلق حيا

ان يكون بدل تلك الحالة الموتة القاضية لانه رأى تلك الحالة اشنع وامرّ مماذاقه من مرارة الموت وشدته فتمناه عندها و الوجه الثالث ان يكون ضمير ليتها لحياة الدنيا وهو ظاهر ﴿ قوله ومااغنى ﴾ اى يجوز ان تكون ما فى مااغنى نافية وما فى ماليه موصولة وفى صلتها لحينئذ يكون مفعول اغنى محذوفا و التقدير لم يدفع عنى الذى كان لى فى الدنيا من الاموال و الاتباع شيأ من عذاب الآخرة ويحتمل ان يكون ماله مضافا الى ياء المتكلم و المعنى لم يغن عنى المال الذى كان لى فى الدنيا شيأ من العذاب بل ألهانى عن امر الآخرة وضرّنى فضلا عن ان ينفعنى ويجوز ان تكون استفهامية منصوبة المحل على انها مفعول اغنى و الاستفهام للانكار و المعنى اى شئ اغنى عنى ماجمعته من الاموال و الاتباع اى لم ينفعنى ولم يدفع عنى شيأ من العذاب • و السلطان من السلاطة وهى القهر و الغلبة يطلق على الوالى لاتصافه بها و على الحجة و البرهان ايضا لكونه سببالها وفسر فى الآية بكل واحد من المعنيين كأنه يتحسر ويقول كان لى فى الدنيا ملك وتسلط على الناس اوحجة أحتج بها عليهم فالآن بطل ذلك ولم يثبت دليلا مبهوتا فحينئذ يقول الله تعالى لخزنة النار خذوه فغلوه اى اجعلوا يده الى عنقه وشدوه بالغل وهو جمع اليدين الى العنق بالقيد ﴿ قوله ثم لاتصلوه ﴾ اى لاتدخلوه الا الجحيم اى لاتحرقوه الافيها يقال صليت الرجل نارا اذا ادخلته النار وجعلته يصلاها فان القيته فيها القاء كانك تريد الاحراق قلت اصليته النار اصلاء و صليته تصلية و السلسلة حلق منتظمة كل حلقة فيها حلقة ﴿ قوله تعالى سبعون ذراعا ﴾ فى محل الجر على انه صفة سلسلة و ذراعا تمييز و قوله فى سلسلة متعلق بقوله فاسلكوه اى ثم اسلكوه فى سلسلة من صفتها كيت و كيت اى أدخلوه فيها و السلك هو الادخال فى الطريق و الخيط و القيد و غيرها وتقديم فى سلسلة على عامله كتقديم الجحيم على قوله صلوه فى الدلالة على قصر الفعل عليه ﴿ قوله بان تلفوها على جسده ﴾ يعنى ان المراد بادخال العاصى فى السلسلة جعله محاطابها على طريق ادخال الخيط فى اللؤلؤة كما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما ان اهل النار يكونون فى السلسلة كما يكون الثعلب فى الجبة و الثعلب طرف الرمح الداخل فى جبة السنان وهى الزج و ذلك انما يكون بلفها على جسده بحيث يكون فيما بينهما مرهقا محاطا مضيقا عليه • الجوهرى رهقه بالكسر يرهقه رهقا اى غشيه قال تعالى لا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة و المرهق الذى ادرك ليقتل ﴿ قوله وثم لتفاوت ما بينهما فى الشدة ﴾ يعنى ان قوله فغلوه عطف على ما قبله بفاء التعقيب و عطفت الجملتان اللتان بعدها بكلمة ثم الدالة على التراخى و ظاهر ان التراخى الزمانى غير مراد لان المقام مقام التهديد و التهويل و لاشك ان التهديد بتوالى العذاب اشد و افظع من التهديد بتفرقه فى الازمنة فتعين ان المراد التراخى الرتبى ثم ان كلمة ثم و الفاء الواقعتين فى الجملة الاخيرة ان كانتا لعطف جملة فاسلكوه لزم اجتماع حرفى العطف و تواردهما على معطوف واحد ولا وجه له فينبغى ان تكون كلمة ثم لعطف قول مضمر على قول اضمر قبل قوله خذوه اى قيل لخزنة النار خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه ثم قيل لهم فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه و تكون الفاء لعطف المقول على المقول مع افادة معنى التعقيب و كلمة ثم لعطف القول على القول مع الدلالة على ان الامر الاخير اشد و اهول مما قبله من الاوامر مع تفاوت المأمور بها من الاخذ و جعل يده مغلولة الى عنقه و تصليته الجحيم و سلكهم اياه فى السلسلة الموصوفة و اشير بكلمة ثم الى ان امرهم بالاخير اشد من امرهم بما امروا به قبله ﴿ قوله تعليل على طريقة الاستئناف ﴾ اى بيان لسبب استحقاقه لهذا العذاب الشديد للمبالغة فى عظم جريمته كأنه قيل ماباله يعذب هذا العذاب الشديد فاجيب بذلك لازالة استعظام الجزاء فان السائل لما استفظع الجزاء واستهوله سأل عن السبب الذى اوجب هذه العقوبة الهائلة كان الواجب ان يبالغ فى عظم الجريمة و قبحها و يقال كيف لايشتد عذابه وانه قد ارتكب هذه الجريمة التى هى اقبح الجرائم و اشنعها كيف لا وقد تقدم مرارا ان مدار التكليف امران احدهما تعظيم امر الله و الثانى الشفقة على خلق الله فمن لايصدق بوحدانية الله تعالى ولم يؤمن بوحدانيته فقد ترك تعظيم امره ومن لم يحض غيره على طعام المسكين فقد ترك الشفقة على خلق الله فمن اخل بهما فقد خلع ربقة العبودية من عنقه وفى قوله ولا يحض على طعام المسكين دليلان قويان على عظم هذه الجريمة احدهما عطفه على الكفر وجعله قرينا له والثانى ذكر الحض دون الفعل ليعلم ان تارك الحض اذا كان بهذه المنزلة فكيف بتارك الفعل و الحض الحث على الفعل و اظهار الرغبة فى ايقاعه و اتباعه وهو لا يتعلق بما هو من قبيل الاعيان و انما يتعلق بما هو من قبيل الافعال و الطعام عين لانه اسم لمايطعم و يؤكل وليس بفعل حتى يحث عليه فاشار المصنف الى توجيه نظم الآية بقوله ولا يحث على بذل طعامه او على اطعامه يعنى ان نظم الآية

(مانى عنى ماليه) مالى من المال و التبع ومااغنى و المفعول محذوف او استفهام انكار مفعول لاغنى (هلك عنى سلطانيه) ملكى وتسلطى على الناس اوحجتى التى كنت احتج بها فى الدنيا (خذوه) يقول الله تعالى لخزنة النار (فغلوه ثم الجحيم صلوه) ثم لاتصلوه الا الجحيم وهى النار العظمى لانه كان يتعظم على الناس (ثم فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعا) اى طويلة (فاسلكوه) فادخلوه فيها بان تلفوها على جسده وهو فيما بينها مرهق لا يقدر على حركة وتقديم السلسلة كتقديم الجحيم للدلالة على التخصيص و الاهتمام بذكر انواع مايعذب به وثم لتفاوت ما بينهما فى الشدة (انه كان لايؤمن بالله العظيم) تعليل على طريقة الاستئناف للمبالغة و ذكر العظيم للاشعار بانه هو المستحق للعظمة فمن تعظم استوجب ذلك (ولا يحض على طعام المسكين) ولا يحث على بذل طعامه او على اطعامه فضلا ان يبذل من ماله

(مبنى)

مبني على تقدير المضاف اي لايحث على بذل طعامه او على ان الطعام فيه اسم اقيم مقام الاطعام واستعمل بمعناه كما اقيم العطاء مقام الاعطاء في كلامهم ﴿ قوله ويجوز ان يكون ذكر الحض ﴾ كأنه جواب عما يقال الظاهر ان يقال ولايبذل طعام المسكين اي ولايطعم المسكين فلم عدل عنه الى قوله ولايحض على بذل طعامه او اطعامه وانما قلنا الظاهر ان يقال ذلك لان الكلام مسوق لبيان عظم جريمته ولاشك ان ترك الفعل اعظم جريمة من ترك الحث عليه ﴿ قوله وفيه دليل على تكليف الكفار بالفروع ﴾ على معنى انهم يعاقبون على ترك الامتثال بها كعدم اقام الصلاة وايتاء الزكاة والانتهاء عن الفواحش والمنكرات لا على معنى انهم يطالبون بها حال كفرهم فانهم غير مكلفين بالفروع بهذا المعنى لانعدام اهلية الاداء ولاثواب لاعمال الكفار واهلية الوجوب لاتستلزم اهلية الاداء كما تقرر في الاصول ﴿ قوله تعالى فليس له اليوم ههنا حميم ولاطعام ﴾ حميم اسم ليس وقوله ولاطعام عطف عليه وله خبره وقوله اليوم وههنا ظرفان لما تعلق به له والمعنى فليس له يوم يقال في حقه خذوه فغلوه ههنا اي في الآخرة قريب وصديق يرق لما ناله ويدفعه عنه او يخفف عليه لقوله تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين وليس له طعام يأكله لخلوه عن الاطعام الامن غسلين وهو ما ينفصل من ابدانهم من القيح والدم مروي انه لو وقعت قطرة منه على الارض لافسدت معايشهم فالياء والنون زائدتان في غسلين ﴿ قوله من خطئ الرجل الخ ﴾ يقال خطئ الرجل يخطأ خطأ فهو خاطئ على وزن علم يعلم علما فهو عالم اذا تعمد الخطيئة بمعنى الذنب فان الخطأ المضاد للصواب لايقال في الفعل منه خطئ فهو خاطئ بل يقال اخطأ فهو مخطئ او تخطأ فهو متخطئ اي اراد الصواب فصار الى غيره من غير ان يتعمده ويقصده ثم انه تعالى لما ذكر مايدل على امكان القيامة ثم على وقوعها ثم ذكر احوال السعداء ختم الكلام بتعظيم القرآن فقال فلا اقسم بما تبصرون وكلمة لافيه يجوز ان تكون نافية للقسم على ان هذا القول قول رسول كريم اي لااقسم عليه لانه لوضوحه يستغني عن تأكيده بالقسم ويجوز ان تكون صلة ويكون المعنى فاقسم بالاشياء كلها مما في الدنيا والآخرة فان منها مايبصر ومنها مالايبصر وان يكون ردا لانكارهم البعث واستئناف قسم على حقية القرآن ﴿ قوله وهو محمد او جبريل عليهما الصلاة والسلام ﴾ فان قيل لاشك ان القرآن كلام الله تعالى فكيف يصح ان يكون الكلام الواحد كلام الله تعالى وكلام جبريل ومحمد عليهما الصلاة والسلام • اجيب بان الاضافة يكفي فيها ادنى ملابسة فالقرآن كلام الله تعالى حقيقة اظهره في اللوح المحفوظ ورتبه ونظمه وهو ايضا كلام جبريل عليه الصلاة والسلام من حيث انه انزله من السموات الى الارض وتلاه على خاتم النبيين وهو ايضا كلام سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم من حيث انه اظهره للخلق ودعا الناس الى الايمان به وجعله حجة النبوة ﴿ قوله لما ظهر لكم صدقه ﴾ مستفاد من كون المقام مقام اللزوم والتوبيخ بعدم الايمان وقوله تصديقا قليلا اشارة الى انتصاب قليلا هنا وفيما بعده على انه صفة مصدر محذوف للفعل الذي بعده وان ما مزيدة للتأكيد ﴿ قوله المنافية لطريقة الكهنة ومعاني اقوالهم ﴾ من قبيل اللف والنشر المرتب فان الكاهن من تأتيه الشياطين ويلقون اليه ماسمعوه من اخبار السماء فيخبر الناس بما سمعه منهم وطريقه عليه الصلاة والسلام منافية لطريق الكاهن من حيث ان مايلقيه من الكلام مشتمل على ذم الشياطين وسبهم فكيف يمكن ان يكون ذلك بالقاء الشياطين اليه فانهم لايلقون فيه ذمهم وسبهم لاسيما على من يلعنهم ويطعن فيهم وكذا معاني مابلغه عليه الصلاة والسلام منافية لمعاني اقوال الكهنة فانهم لايدعون الى تهذيب الاخلاق وتصحيح العقائد والاعمال المتعلقة بالمبدأ والمعاد بخلاف معاني اقواله عليه الصلاة والسلام فلو تذكر اهل مكة معاني القرآن ومعاني اقوال الكهنة لما قالوا بانه قول كاهن ﴿ قوله وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب بالياء ﴾ اي بالغيبة فيهما اي في قوله يؤمنون ويذكرون على الالتفات وقرأ الجمهور بتاء الخطاب على وفق قوله بما تبصرون ومالاتبصرون ﴿ قوله كأنها جمع افعولة ﴾ اشارة الى وجه كون هذه التسمية تحقيرا للاقوال المفتراة فان صيغة افعولة انما تطلق على محقرات الامور غير انها كالاعجوبة لما يتعجب منه والاضحوكة لما يضحك منه والاقوولة ليس بمستعمل فلذلك لم يقطع بكون الاقاويل جمعا له بل قال كأنها جمع افعولة للاشعار بان كونه على صورة جمع افعولة كاف في التحقير والظاهر ان الاقاويل جمع اقوال واقوال جمع قول كالاناعيم جمع انعام وانعام جمع نعم ﴿ قوله نياط قلبه ﴾ الجوهري النياط عرق ابيض غليظ كالقصبة علق به القلب من الوتين فاذا قطع مات صاحبه وقال ايضا الوتين عرق في القلب متصل بالرأس اذا انقطع مات صاحبه

ويجوز ان يكون ذكر الحض للاشعار بان تارك الحض بهذه المنزلة فكيف بتارك الفعل وفيه دليل على تكليف الكفار بالفروع ولعل تخصيص الامرين بالذكر لان اقبح العقائد الكفر بالله واشنع الرذائل البخل وقسوة القلب (فليس له اليوم ههنا حميم) قريب يحميه (ولاطعام الامن غسلين) غسالة اهل النار وصديدهم فعلين من الغسل (لاياكله الاالخاطئون) اصحاب الخطايا من خطئ الرجل اذا تعمد الذنب لامن الخطأ المضاد للصواب وقرئ الخاطيون بقلب الهمزة ياء والخاطون بطرحها (فلا اقسم) لظهور الامر واستغنائه عن التحقيق بالقسم او فاقسم ولامزيدة او فلارد لانكارهم البعث واقسم مستأنف (بما تبصرون ومالاتبصرون) بالمشاهدات والمغيبات وذلك يتناول الخالق والمخلوقات باسرها (انه) ان القرآن (لقول رسول) يبلغه عن الله فان الرسول لايقول عن نفسه (كريم) على الله وهو محمد او جبرائيل عليهما السلام (وماهو بقول شاعر) كما تزعمون تارة (قليلا ماتؤمنون) تصدقون لما ظهر لكم صدقه تصديقا قليلا لفرط عنادكم (ولابقول كاهن) كما تزعمون تارة اخرى (قليلا ماتذكرون) تذكرا قليلا فلذلك يلتبس الامر عليكم وذكر الايمان مع نفي الشاعرية والتذكر مع الكاهنية لان عدم مشابهة القرآن للشعر امر بين لاينكره الامعاند بخلاف مباينته للكهانة فانها تتوقف على تذكر احوال الرسول صلى الله عليه وسلم ومعاني القرآن المنافية لطريقة الكهنة ومعاني اقوالهم وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب بالياء فيهما (تنزيل) هو تنزيل (من رب العالمين) نزله على لسان جبريل (ولو تقول علينا بعض الاقاويل) سمى الافتراء تقولا لانه قول متكلف والاقوال المفتراة اقاويل تحقيرا بها كأنها جمع افعولة من القول كالاضاحيك (لاخذنا منه باليمين) بيمينه (ثم لقطعنا منه الوتين) اي نياط قلبه بضرب عنقه

﴿ قوله وهو تصور لاهلاكه بافظع ما الخ ﴾ يعنى انه تعالى لم يكتف بان يقول لو تقسب الينا قولا لم نقله لاهلكناه او لضربنا عنقه بل عدل الى ما يدل على سخط الله تعالى عن من افترى عليه فدلالة على ان الافترآء عليه موجب لذلك والوجه فى كون الاهلاك بان يأخذ الجلاد يمين الجانى فيضرب عنقه افظع وجوه الاهلاك ان الجلاد حينئذ يضرب بالسيف فى جيده مواجهة من جهة امامه وهو اشد على المقتول من ان يضرب عنقه من جهة قفاه لانه ينظر الى السيف حينئذ فان الجلاد اذا اراد ان يضرب قفا المقتول اخذ بيساره فيضرب عنقه من خلفه واذا اراد ان يوقع الضرب فى جيده مواجهة يأخذ يمين المقتول ويضرب بالسيف فى جيده من جهة امامه ولاشك انه اشد على المقتول وافظع ﴿ قوله وقيل اليمين بمعنى القوة ﴾ فالمعنى لانتقمنا منه بقوتنا وقدرتنا كما فى قوله

اذا ما راية رفعت لمجد ۞ تلقاها عرابة باليمين

اى بالقوة وقيل المعنى حينئذ لاخذنا منه اليمين وسلبنا عنه القوة والقدرة على التكلم بذلك القول على ان الباء صلة وعبر عن القوة باليمين لان قوة كل شئ فى ميامنه فيكون من قبيل ذكر المحل وارادة الحال او ذكر الملزوم وارادة اللازم ﴿ قوله وصف لاحد ﴾ مبنى على اصل بنى تميم فان كلمة ما فى قوله تعالى فما منكم المشبهة بليس وبنوا تميم لا يعملونها لدخولها على القبيلين فاعراب الآية على اصلهم ان من احد فى موضع الرفع بالابتدآء ومن زآئدة لتأكيد النفى ومنكم خبره وحاجزين صفة لاحد مجرور حملا على لفظ احد ولكنه جمع حملا على معناه فانه يعم كل احد لكونه نكرة واقعة فى سياق النفى كأنه قيل فما منكم قوم يحجزون اى يمنعون عن المقتول او عن قتله او اهلاكه المدلول عليه بقوله ثم لقطعنا منه الوتين وقوله من احد على اصل الحجازيين اسم ما وخبرها حاجزين وجمع الخبر لما تقدم ومنكم حال لانه فى الاصل كان صفة لاحد ولما تقدم عليه امتنع كونه صفة له لامتناع تقدم الصفة على الموصوف فتعين كونه حالا مثل موحشا فى قوله لمية موحشا طلل وقوله عنه يتعلق بقوله حاجزين على القولين وضميره للمقتول او لقتله او اهلاكه المدلول عليه بقوله لاخذنا ثم لقطعنا ثم انه تعالى لما بين حقية القرآن وانه لتنزيل رب العالمين بين الحكمة فى تنزيله فقال وانه لتذكرة للمتقين اى عظة لمن اتقى الشرك وحب الدنيا فانه يتذكر بهذا القرآن وينتفع به بخلاف من مال اليها وغلبه حبها فانه يكذب به لكون الايمان به يستدعى ايثار الآخرة على الدنيا وهو عكس ما يحبه ويهواه فيكون نفس القرآن او تكذيبه حسرة وندامة عليه يوم القيامة اذا رأى ثواب من آمن به وعمل بمقتضاه وفى الدنيا ايضا اذا رأى دولة المؤمنين والضمير فى قوله تعالى وانه لحسرة اما للقرآن او للتكذيب المدلول عليه بقوله مكذبين ﴿ قوله اليقين الذى لاريب فيه ﴾ اشارة الى ان الحق واليقين لفظان بمعنى واحد اضيف احدهما الى الآخر للتأكيد فان الحق هو الثابت الذى لا يتطرق اليه الريب وكذا اليقين * قال الامام وانه لحق اليقين معناه انه حق يقين اى حق لابطلان فيه ويقين لاريب فيه ثم اضيف احد الوصفين الى الآخر للتأكيد وقال صاحب الكشاف فى المفصل يقال هذا العالم حد العالم وحق العالم ويراد به البليغ الكامل فى شأنه وفى تفسير القاشانى لحق اليقين اى محض اليقين وصرف اليقين كقولك هو العالم حق العالم وجد العالم اى خلاصة العالم وحقيقته من غير شوب بشئ آخر انتهى واليقين اسم لعلم الذى زال عنه اللبس ولهذا لا يوصف علم رب العزة باليقين وعن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال انما هو كقولك علم اليقين ومحض اليقين وقيل انه من قبيل اضافة الشئ الى نفسه اذا اختلف اللفظان

فقلت انجوا عنها نجا الجلد انه ۞ سيرضيكما منها سنام وغارب

والنجا هو الجلد من قولك نجوت جلد البعير عنه وانجيته اذا سلخته والشاعر يخاطب ضيفين طرقاه اى أتياه ليلا ﴿ قوله فسبح الله بذكر اسمه العظيم ﴾ على ان مفعول سبح محذوف والباء فى باسم ربك للاستعانة كما فى ضربته بالسوط فهو مفعول ثان بواسطة حرف الجر على حذف المضاف والمعنى نزه ذات الله تعالى عن الرضى بالتقول عنه بان تقول سبحان الله * تمت سورة الحاقة والحمد لله رب العالمين

﴿ سورة المعارج مكية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ قوله ولذلك ﴾ اى ولكون سأل بمعنى دعا عدى بالباء مثل دعا يقال دعوت الله تعالى بكذا اى استدعيته

وهو تصوير لاهلاكه بافظع ما يفعله الملوك بمن يغضبون عليه وهو ان يأخذ القتال بيمينه ويكفحه بالسيف ويضرب جيده وقيل اليمين بمعنى القوة (فما منكم من احد عنه) عن القتل او المقتول (حاجزين) دافعين وصف لاحد فانه عام والخطاب للناس (وانه) وان القرآن (لتذكرة للمتقين) لانهم المنتفعون به (وانا لنعلم ان منكم مكذبين) فنجازيهم على تكذيبهم (وانه لحسرة على الكافرين) اذا رأوا ثواب المؤمنين به (وانه لحق اليقين) لليقين الذى لاريب فيه (فسبح باسم ربك العظيم) فسبح الله بذكر اسمه العظيم تنزيها له عن الرضى بالتقول عليه وشكرا على ما اوحى اليك * عن النبى عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة الحاقة حاسبه الله حسابا يسيرا

﴿ سورة المعارج مكية وآيها ﴾
﴿ اربع واربعون ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(سأل سائل بعذاب واقع) اى دعا داع به بمعنى استدعاه ولذلك عدى الفعل بالباء والسائل نضر بن الحارث فانه قال ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم او ابو جهل فانه قال فأسقط علينا كسفا من السماء سأله استهزآء او الرسول صلى الله عليه وسلم استعجل بعذابهم

وطلبته قال تعالى يدعون فيها بكل فاكهة اى يطلبون فى الجنة كل فاكهة وسأل يتعدى بنفسه اذا كان بمعنى الدعاء والطلب يقال سألته الشئ ونقل الطيبى عن الامام الواحدى ان الباء فى بعذاب زائدة للتأكيد كما فى قوله تعالى وهزى اليك بجذع النخلة والمعنى سال سائل عذابا واقعا وفى الصحاح سألته الشئ وسألته عن الشئ سؤالا ومسئلة وقوله تعالى سأل سائل بعذاب واقع اى عن عذاب قال الاخفش يقال خرجنا نسأل عن فلان وبفلان وقد تخفف همزته فيقال سال سائل والامر منه سل ومن الاول اسأل ﴿قوله وقرأنافع وابن عامر سال﴾ اى بغير همز والباقون بالهمز وذكر المصنف لقرآءة الالف الساكنة وجهين الاول ان يكون من السؤال الا انه نقلت همزته قلبت ألفا للتخفيف على غير القياس كما قالوا فى هنأه هناه ولا هناك المرتع والقياس فى مثله ان تسهل الهمزة بجعلها بين بين اى بين الهمزة والالف وهى لغة قريش قال حسان بن ثابت رضى الله عنه

سالت هذيل رسول الله فاحشة ۞ ضلت هذيل بما سالت ولم تصب

فعلى هذا يكون سال الهمزة من سأل مهموز العين وتكون همزة سائل اصلية وقيل قوله وهو اما من السؤال معناه انه منه من جهة المعنى لا من جهة اللفظ والبناء فان السؤال مهموز العين وسال اجوف وان زادفا من حيث المعنى لما روى ان لغة قريش ان يقولوا سال يسال كخاف يخاف وان الف سال منقلبة عن الواو وانهم يقولون هما يتساولان فهمزة سائل على هذا منقلبة عن الواو كهمزة خائف والوجه الثانى ماذكره بقوله او من السيلان فعلى هذا تكون الف سال وهمزة سائل منقلبة عن الياء كما فى باع فهو بائع والمعنى جرى واد فى جهنم بعذاب يقع بالكافرين يوم القيامة او يوم بدر فقد روى ان النضر بن الحارث وعقبة بن ابى معيط قتلا يوم بدر صبرا ولم يقتل صبرا غيرهما ﴿قوله للكافرين صفة اخرى لعذاب﴾ وصف العذاب اولا بانه واقع اى نازل لامحالة سوآء طلبه اولم يطلبه وثانيا بانه معد للكافرين لاختصاصهم وان كان متعلقا بقوله واقع تكون اللام فيه بمعنى على او على بابها اى بعذاب نازل عليهم اولاجلهم ﴿قوله وان صح ان السؤال كان عمن يقع به العذاب كان جوابا﴾ روى انه تعالى لما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا الناس الى التوحيد وخوف المشركين بالعذاب قال المشركون بعضهم لبعض سلوا محمدا لمن هذا العذاب وبمن يقع فاخبر الله تعالى عنهم بقوله سأل سائل بعذاب واقع فالسؤال على هذا لايكون من سألته الشئ وطلبته منه حتى يعدى بالباء لتضمنه معنى الدعاء بل يكون من سألته عن الشئ ماهو وبمن يقع فحقه ان يعدى بعن الا انه عدى بالباء لتضمنه معنى اهتم واعتنى فعدى تعديته فعلى هذه الرواية يكون قوله تعالى للكافرين جوابا عنه بقال لمن سأل ان ذلك العذاب لمن هو وعلى من يقع اى هو للكافرين على انه خبر مبتدأ محذوف ﴿قوله ذى المصاعد﴾ اشارة الى ان العروج بمعنى الصعود والمعارج جمع معرج بفتح الميم وهو موضع الصعود لا بكسرها لانه آلة الصعود وهو غير مناسب لهذا المقام ثم ان المراد بالمعارج اما معارج الاعمال الصالحة فانها تتفاوت على حسب تفاوت انفس الاعمال فى استجماع الآداب والسنن وخلوص النية وحضور القلب ونحوها واما معارج المؤمنين فى سلوكهم فى مراتب المعارف الالهية المكاشفات والتجليات ولاشك فى تفاوت طبقات اولياء الله تعالى فى ذلك او معارجهم فى دار ثوابهم وهى الجنة ولاشك ايضا فى تفاوتها واما معارج الملائكة ومنازل ارتقائهم بحسب الامكنة وهى السموات فانهم يعرجون فيها ولكل واحد منهم مقام معلوم فيها او بحسب الفضائل الروحانية والمعارف الالهية وبحسب تفاوت قوتهم فى تدبير هذا العالم فان الظاهر ان درجاتهم واحوالهم متفاوتة فى جميع ذلك فتلك المعارج سوآء كانت للاعمال او للمؤمنين او للملائكة بيد الله تعالى يختص برحمته من يشاء فلذلك وصف نفسه بقوله ذى المعارج ﴿قوله استئناف لبيان ارتفاع تلك المعارج وبعد مداها﴾ فيه اشارة الى ان ضمير اليه للمعارج بتأويل المكان او المصدر بناء على ان الجمع المحلى باللام يضمحل عنه معنى الجمعية ويراد به الجنس وقوله اليه وفى يوم متعلقان بتعرج وخمسين خبر كان والف سنة تمييز الخمسين وكان مع مافى حيزها فى موضع الجر على انه صفة ليوم ﴿قوله على التمثيل والتخييل﴾ متعلق بقوله لبيان يعنى ان القول بان عروج الملائكة والروح الى تلك المعارج فى مبدأ الصعود يكون فى المدة المذكورة ليس على التحقيق بل هو جملة مستأنفة جيئ بها تمثيلا وتصويرا لارتفاع تلك المعارج والمعنى انها فى ارتفاعها وبعد مداها بحيث لو كان حركة الملائكة والروح مثل حركة الانسان لما عرجوا اليها فى خمسين الف سنة وان كانوا يعرجون اليها فى اثناء يوم واحد من ايام الدنيا لغاية سرعتهم وقوتهم على الطيران فى ملك الله تعالى ﴿قوله وقيل

وقرأ نافع وابن عامر سال وهو اما من السؤال على لغة قريش قال

سالت هذيل رسول الله فاحشة ۞

ضلت هذيل بما سالت ولم تصب ۞

او من السيلان ويؤيده انه قرئ سال سيل على ان السيل مصدر بمعنى السائل كالغور والمعنى سال واد بعذاب ومضى الفعل لتحقق وقوعه اما فى الدنيا وهو قتل بدر اوفى الآخرة وهو عذاب النار (للكافرين) صفة اخرى لعذاب او صلة لواقع وان صح ان السؤال كان عمن يقع به العذاب كان جوابا والباء على هذا لتضمن سأل معنى اهتم (ليس له دافع) يرده (من الله) من جهته لتعلق ارادته به (ذى المعارج) ذى المصاعد وهى الدرجات التى يصعد فيها الكلم الطيب والعمل الصالح او يترقى فيها المؤمنون فى سلوكهم اوفى دار ثوابهم او مراتب الملائكة او السموات فان الملائكة يعرجون فيها (تعرج الملائكة والروح اليه فى يوم كان مقداره خمسين الف سنة) استئناف لبيان ارتفاع تلك المعارج وبعد مداها على التمثيل والتخييل والمعنى انها بحيث لوقدر قطعها فى زمان لكان فى زمان يقدر بخمسين الف سنة من سنى الدنيا

تعرج الملائكة والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين الف سنة ﴿ كمقدار خمسين الف سنة ﴾ اى على ان يكون ضمير اليه راجعا اليه تعالى فمعنى الآية تعرج الملائكة والروح الى موضع لايجرى لاحد سواه تعالى فيه حكم وتدبير فجعل عروجهم الى ذلك الموضع عروجا اليه تعالى كقول ابراهيم عليه الصلاة والسلام انى ذاهب الى ربى اى الى حيث امرنى بالذهاب اليه وقوله في يوم كان مقداره كذا من باب التشبيه البليغ اى كان مقداره بالنسبة الى الملائكة كمقدار تلك المدة بالنسبة الى الانسان ووجه الشبه ماذكر بقوله من حيث انهم يقطعون فيه مايقطعه الانسان فيها لو فرض وقوله لان عطف على قوله والمعنى اى ان المعنى على تشبيه مقدار اليوم بمقدار خمسين الف سنة والظاهر ان المراد بهذا اليوم يوم وقوف الخلائق في موقف الحساب حتى يفصل بين الناس فان مقداره كمقدار خمسين الف سنة ثم انه تعالى يتم ذلك القضاء والحكومة في مقدار نصف يوم من ايام الدنيا فالمعنى في يوم كان مقداره خمسين الف سنة لوولى الحساب غير الله تعالى ويدل عليه قوله تعالى اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا واحسن مقيلا واتفقوا على ان ذلك هو الجنة والقيلولة هى النوم في الظهيرة وروى عن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه انه قال قيل يارسول الله في يوم كان مقداره خمسين الف سنة ماأطول هذا اليوم فقال عليه الصلاة والسلام « والذى نفس محمد بيده انه ليخفف على المؤمن حتى يكون اخف عليه من صلاة مكتوبة يصليها في الدنيا » ولايلزم من وجود هذا اليوم من عروج الملائكة في اثنائه الى العرش ان يكون مابين اسفل العالم واعلى شرفات العرش مسيرة خمسين الف سنة ﴿ قوله وحيث قال في يوم كان مقداره الف سنة ﴾ بيان لوجه التوفيق بين الآيتين وقد روى عن ابن عباس رضى الله عنه انه قال في آية هذه السورة وفي قوله تعالى في سورة السجدة ثم يعرج اليه في يوم كان مقداره الف سنة وقوله وان يوما عند ربك كالف سنة يوما ن ذكرهما الله تعالى في كتابه اكره ان اقول في كتاب الله تعالى بمالااعلم اى لااعلم وجه التوفيق بينهما وتوضيح ماذكره المصنف في وجه التوفيق ان المراد بالف سنة هو زمان عروجهم من الارض الى محدب السماء خمسمائة سنة منها زمان عروجهم من الارض الى مقعر السماء وخمسمائة اخرى زمان عروجهم من مقعرها الى محدبها والاظهر ان يقال المراد بالف سنة زمان نزولهم من السماء الى الارض وعروجهم منها الى السماء خمسمائة للنزول وخمسمائة اخرى للصعود لانه تعالى قال يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه في يوم كان مقداره الف سنة فقدر بها مدة الصعود والنزول جميعا ﴿ قوله وقيل في يوم متعلق بواقع ﴾ عطف على مافهم مماتقدم من كونه متعلقا بقوله تعرج وهو الاظهر وعلى تقدير كونه متعلقا بواقع يكون جملة قوله تعرج الملائكة معترضة بين الظرف وعامله اى سأل سائل بعذاب واقع في يوم كان مقداره خمسين الف سنة ﴿ قوله لان السؤال كان عن استهزآء او تعنت ﴾ الاول مبنى على ان يكون السؤال بمعنى الطلب والدعاء فان النضر وابا جهل انما سألاه عن استهزآء برسول الله صلى الله عليه وسلم وتكذيب بالوحى والثانى على ان يكون السؤال بمعنى السؤال عن الشئ ماهو ومتى يقع ومتى يقع فان كفار مكة انما سألوه عن العذاب على طريق التعنت وطلب ازلة وكل ذلك مما يضجر رسول الله صلى الله عليه وسلم فامر بالصبر عليه ﴿ قوله من تضجر ﴾ مبنى على ان يكون السائل هو النبى صلى الله عليه وسلم ﴿ قوله او بسال ﴾ عطف على قوله يسأل يعنى ان قرئ سأل سائل او سال سائل بالالف الساكنة يكون قوله فاصبر متفرعا عليه والضمير في قوله تعالى انهم لاهل مكة فانهم كانوا يستبعدون العذاب او البعث والقيامة عن الامكان فرد الله تعالى عليهم بانا نراه قريبا من الامكان اومن الوقوع لان كل ماهوآت قريب ﴿ قوله اى يمكن يوم تكون ﴾ فيه ان تقييد الامكان بالزمان المعين لاوجه له لان الممكن ممكن في جميع الازمنة الا ان يقال الظرف ليس لتقييد الامكان بل لمجرد بيان الامور الواقعة قبل وقوع هذا الممكن كأنه قيل ونراه قريبا من الامكان يوم يكون كذا وكذا انتهى ﴿ قوله او لمضمر دل عليه واقع ﴾ اى يقع في ذلك اليوم ويحتمل ان يكون ظرفا لمحذوف اى يوم تكون السماء كالمهل كان مالا يدخل تحت الوصف وان علق في يوم بقوله واقع يكون هذا اليوم بدلا منه بخلاف ما اذا كان متعلقا بقوله تعرج فانه حينئذ لايكون بدلا منه لان يوم تكون السماء كالمهل هو يوم القيامة بخلاف يوم عروج الملائكة لما مر ان قوله تعرج الملائكة والروح الآية استئناف لبيان ارتفاع تلك المعارج بانها بحيث لوكانت حركة الملائكة والروح مثل حركة الانسان لما عرجوا اليها الافى مدة خمسين الف سنة وذلك لايتوقف على كون المراد به يوم القيامة واذا لم يكن المراد به يوم القيامة لايصح ابدال هذا اليوم منه الابان يكون بدل غلط وهو لايقع في القرآن

وقيل معناه تعرج الملائكة والروح الى عرشه في يوم كان مقداره كمقدار خمسين الف سنة من حيث انهم يقطعون فيه مايقطعه الانسان فيها لو فرض لان مابين اسفل العالم واعلى شرفات العرش مسيرة خمسين الف سنة لان مابين مركز الارض ومقعر السماء الدنيا على ماقيل مسيرة خمسمائة عام وثخن كل واحدة من السموات السبع والكرسى والعرش كذلك وحيث قال في يوم كان مقداره الف سنة يريد به زمان عروجهم من الارض الى محدب السماء الدنيا وقيل في يوم متعلق بواقع او بسال اذا جعل من السيلان والمراد به يوم القيامة واستطالته اما لشدته على الكفار او لكثرة مافيه من الحالات والمحاسبات اولانه على الحقيقة كذلك والروح جبرآئيل وافراده لفضله او خلق اعظم من الملائكة (فاصبر صبرا جميلا) لايشوبه استعجال واضطراب قلب وهو متعلق بسأل لان السؤال كان عن استهزآء او تعنت وذلك مما يضجره اوعن تضجر واستبطاء النصر او بسال لان المعنى قرب وقوع العذاب فاصبر فقد شارفت الانتقام (انهم يرونه) الضمير للعذاب اوليوم القيامة (بعيدا) من الامكان (ونراه قريبا) منه او من الوقوع (يوم تكون السماء كالمهل) ظرف لقريبا اى يمكن يوم تكون السماء اولمضمر دل عليه واقع او بدل من في يوم ان علق به

قوله كالفلزات جمع فلز بالكسر وتشديد الزاى وهو ماينفيه الكير مما يذاب من جواهر الارض قيل هذا يدل على صحة ماروى من ان السماء الدنيا من حديد **قوله ولا يسأل قريب قريبا عن حاله** اى لايكلمه لان لكل احد مايشغله عن السؤال فالسؤال من سأله عن الشئ ومفعوله بالواسطة محذوف اى لايسأله عن حاله **قوله او لا يسأل منه حاله** اشارة الى جواز ان يكون حميما منصوبا باسقاط من اى لايسأل حميم من حميم ليعرف حاله من جهته كما يعرف خبر الصديق من جهة صديقه بل كل احد يسأل من عمل نفسه **قوله استئناف** فى جواب من قال لعله لايبصره فكيف يسأل من حاله فقال يبصرونهم اى يعرفونهم اى يعرّف الحميم الحميم حتى يعرفه ولا يمنعه عن المسألة خفاء مكانه ومع ذلك لايسأل عن حاله لشغله بنفسه او لاستغنائه عن السؤال بسبب انه تعالى ميز اهل الجنة من اهل النار وبالعكس بالعلامات الدالة عن حاله من السعادة والشقاوة فاستغنوا بذلك عن السؤال وفى الصحاح البصر العلم وبصرت بالشئ اى علمته وعرفته قال تعالى يبصرونهم عدى بالتضعيف الى ثان وقام الاول مقام الفاعل والشائع المتعارف تعديته الى الثانى بحرف الجر فيقال بصرته به وقد يحذف الجار فيقال بصرته اياه ومافى الآية من هذا القبيل ويجوز ان يكون يبصرونهم حالا من حميم الاول اى لايسأل حميم عن حاله حميمه فى حال كونه معرّفا اياه وان يكون صفة حميما اى حميما مبصرين لان معناه العموم لا التثنية لان كل واحد من الحميمين نكرة فى سياق النفى **قوله او استئناف** كأن السائل عاد فقال كيف لايسأل مع تمكنه من السؤال فقيل يود المجرم **قوله لانه بمعنى تعذيب** والمصدر المنون ينصب المفعول وكذا لو قد تكون مصدرية ومنه مافى الآية **قوله وعشيرته** وهى القبيلة وهم بنو اب واحد والفصيلة فى الاصل القطعة المفصولة ويطلق على الآباء الاقربين وعلى الام لان الولد يكون مفصولا من الابوين فلما كان الولد مفصولا منهما كانا مفصولين منه ايضا فسميا فصيلة لهذا السبب والمراد بالفصيلة فى الآية هو الآباء الاقربون لتقدم قوله وبنيه **قوله الضمير للنار** ولم يجر لها ذكر الا ان ذكر العذاب يدل عليها ولظى يجوز ان يكون خبران اى ان النار لظى ونزاعة خبر ثان او خبر مبتدأ مضمر اى هى نزاعة ويجوز ان يكون لظى بدلا من الضمير المنصوب ونزاعة خبران وان كان ضميرا لها القصة يكون قوله لظى نزاعة جملة اسمية خبر ان **قوله او الحال المؤكدة** اى من لظى لان لظى بمعنى جهنم لاتكون الا نزاعة فلا معنى للحال الا على وجه التأكيد كقوله تعالى وهذا صراط ربك مستقيما **قوله او المنتقلة على ان لظى بمعنى متلظية** اى متلهبة وهو معناه فى اصل اللغة والنار المتلهبة لايلزمها ان تكون نزاعة فيجوز ان تكون حالا منتقلة **قوله والشوى الاطراف** اى الاعضاء التى ليست بمقتل كالايدى والارجل ومنه يقال للرامى اذا رمى الصيد ولم يصب مقتله رماه فأشواه اى اصاب الشوى فقوله نزاعة للشوى اى قلاعة للاعضاء الواقعة فى اطراف الجسد ثم تعود كما كانت وهكذا ابدا **قوله كقول ذى الرمة** استشهاد لكون الدعوة مجازا عن الجذب والاحضار وصف الثور الوحشى بقوله

أمسى بوهبين مجتازا لمرتعه ۞ من ذى الفوارس تدعو انفه الربب

وهبين اسم موضع وكذا ذو الفوارس ومجتازا عدى باللام لتضمنه معنى الطلب اى طالبا لمرتعه وروى مختارا بالخاء المعجمة ورواية الصحاح بالجيم والربب جمع ربة بكسر الراء وهى اول ماينبت من الارض وفى مجمل اللغة الربة نبات يبقى فى آخر الصيف وتدعو انفه اى تجذبه ليأكل وكذا دعوة لظى من فرّ عنها مجاز عن جذبها واحضارها اياه وقيل انها تدعوهم بلسان الحال وقيل انه تعالى يخلق النطق فى جرم النار فتدعو كل كافر ومنافق باسمائهم بلسان فصيح فتقول الىّ يا كافر الىّ يا منافق فان مستقرك فى ثم تلتقطهم كما يلتقط الطير الحب وليس ذلك ببعيد من قدرة الله تعالى وقيل تدعو زبانية النار على حذف المضاف او على الاسناد المجازى حيث اسند فعل الداعى الى المدعوّ اليه وقوله تدعو يجوز ان يكون مستأنفا وان يكون صفة لقوله نزاعة وان يكون حالا من الشوى فيها وان يكون خبرا بعد خبر لان او خبرا لمبتدأ محذوف **قوله حرصا وتأميلا** الاول علة لجمع المال والثانى لابقائه على طريق اللف والنشر المرتب فان جمع المال مبنى على الحرص وحب الدنيا وابقاءه مبنى على طول الامل فقوله ادبر وتولى اشارة الى الاعراض عن معرفة الله وطاعته وقوله وجمع فاوعى اشارة الى حب الدنيا وترك الشفقة على عباد الله تعالى ولا شك ان مجامع آفات الدين ليست الا هذه وقد مر ان الوعى ان تحفظ الشئ

والمهل المذاب فى مهل كالفلزات او دردى الزيت (وتكون الجبال كالعهن) كالصوف المصبوغ ألوانا لان الجبال مختلفة الالوان فاذا بست وطيرت فى الجو أشبهت العهن المنفوش اذا طيرته الريح (ولا يسأل حميم حميما) ولا يسأل قريب قريبا عن حاله وقرأ ابن كثير ولا يسأل على بناء المفعول اى لايطلب من حميم حميم او لايسأل منه حاله (يبصرونهم) استئناف او حال يدل على ان المانع عن السؤال هو التشاغل دون الخفاء او مايغنى عنه من مشاهدة الحال كبياض الوجه وسواده وجمع الضميرين لعموم الحميم (يود المجرم لو يفتدى من عذاب يومئذ ببنيه وصاحبته واخيه) حال من احد الضميرين او استئناف يدل على ان اشتغال كل مجرم بنفسه بحيث يتمنى ان يفتدى بأقرب الناس واعلقهم بقلبه فضلا ان يهتم بحاله ويسأل عنها وقرئ بتنوين عذاب ونصب يومئذ لانه بمعنى تعذيب (وفصيلته) وعشيرته الذين فصل عنهم (التى تؤويه) تضمه فى النسب وعند الشدائد (ومن فى الارض جميعا) من الثقلين او الخلائق (ثم ينجيه) عطف على يفتدى اى ثم لو ينجيه الافتداء وثم للاستبعاد (كلا) ردع للمجرم عن الوداد ودلالة على ان الافتداء لاينجيه (انها) الضمير للنار او مبهم يفسره (لظى) وهو خبر او بدل او للشأن او القصة ولظى مبتدأ خبره (نزاعة للشوى) وهو اللهب الخالص وقيل علم للنار منقول من اللظى بمعنى اللهب وقرأ حفص عن عاصم نزاعة بالنصب على الاختصاص او الحال المؤكدة او المنتقلة على ان لظى بمعنى متلظية والشوى الاطراف او جمع شواة وهى جلدة الرأس (تدعو) تجذب وتحضر كقول ذى الرمة ۞ تدعو أنفه الربب ۞ مجاز عن جذبها واحضارها لمن فرّ عنها وقيل تدعو زبانيتها وقيل تدعو تهلك من قولهم دعاه الله اذا اهلكه (من ادبر) عن الحق (وتولى) عن الطاعة (وجمع فاوعى) وجمع المال فجعله فى وعاء وكنزه حرصا وتأميلا

فى تعسف والابعاد ان تحفظه فى غيرك ثم انه تعالى لما ذكر ان من الناس من ادبر عن طاعة الحق والاشفاق على الخلق بين ان الغالب على احوال نوع الانسان الهلع وانه مجبول عليه بحيث صارت هذه الرذيلة كأنها غرزت فيه كسائر الغرائز الطبيعية التى خلق الانسان عليها فقال ان الانسان خلق هلوعا والهلع صفة مركبة من صفتين ذميمتين وهما الجزع البالغ عند اصابة المكروه والبخل والامساك البالغ عند اصابة الخير قيل اصل الهلع فى اللغة اشد الحرص واسوأ الجزع وفعله هلع يهلع مثل عزم يعزم هلعا فهو هالع وهلوع والجزع ضد الصبر وانتصاب هلوعا على انه حال من المنوى فى خلق وهى حال مقدرة فان الهلع ليس خصلة ضرورية حاصلة بخلق الله تعالى الانسان عليها والا لما قدر الانسان على ازالتها بالرياضة والمجاهدة غاية ما فى الباب ان الانسان اذا خلى وطبعه لايظهر عليه الا مقتضى نفسه الامارة بالسوء من ايثار العاجل على الآجل لكونها فى عالم الظلمات فلا يميل الانسان الا الى مايلائمها من لذات عالم الطبيعة والاجسام الظلمانية ولايلزم من ذلك ان تكون تلك الرذائل مما خلق الانسان عليها وان لاتكون من العوارض المكتسبة بالقصد والاختيار فظهر بهذا انه يجوز ان يكون قوله تعالى هلوعا وجزوعا ومنوعا من الاحوال المقدرة الا ان المصنف جوز كونها من الاحوال المحققة فقال او محققة لانها طبائع جبل الانسان عليها ورد به على صاحب الكشاف فانه زعم ان خلق الانسان هلوعا قبيح لايصح اسناده اليه تعالى فليس بكلام على حقيقته بل المعنى ان الانسان لايثار الجزع والمنع ورسوخهما فيه كأنه مجبول عليهما وكأنه امر خلقى ضرورى غير اختيارى كقوله تعالى خلق الانسان من عجل اى عجولا فى اكثر اموره واغلب احواله ولو كان المعنى انه تعالى خلقه كذلك لكانت الاوصاف المذكورة لازمة له غير منفكة عنه لكنها تنفك عنه فانه حين كان جنينا فى البطن وصبيا فى المهد لم يكن به هلع ولأن قوله تعالى ان الانسان خلق هلوعا ذم والله تعالى لايذم فعله ويدل على كونه ذما استثناء المؤمنين الموصوفين بثمانية اوصاف وهو ما ذكره الى قوله والذين هم على صلاتهم يحافظون واشار المصنف الى جواز ان تكون الاوصاف المذكورة صفات غريزية جبل عليها الانسان وانه اذا خلى وطبعه لايظهر منه الا آثار تلك الصفات ومقتضياتها من الافعال والاقوال الا انه لما اعطى العقل وميزان الشرع وبين له غوائل الاخلاق الذميمة ومحاسن الاخلاق الحميدة تخلق بمخالفة طبعه وموافقته لشرعه ومجاهدة نفسه الامارة حتى تحلى بالصفات المضادة لتلك الاحوال والامور الجبلية يجوز تبديلها بالرياضة والمجاهدة فان لكل داء دواء متى اصاب الداء ازاله وارتكاب القبيح انما يتصور ممن يكلف باتباع المأمور به واجتناب المنهى عنه لاممن يفعل مايشاء بقدرته ويحكم مايريد بعزته ولايسأل عما يفعل فلايكون شئ من افعاله تعالى قبيحا فلايصح ان يقال خلق الانسان هلوعا قبيح * فان قيل حاصل معنى الهلع ان يكون الشخص نفورا عن المضار طالبا للراحة وهذا وصف ملائم لمقتضى العقل فلم ذمه الله تعالى * فالجواب ان المذموم هو كون الشخص بحيث يقصر نظره على الاحوال الجسمانية منهمكا فى حب الحظوظ العاجلة راغبا فيها نافرا عما يكون شرها بالنسبة اليها وكان الواجب عليه ما ذكره المصنف من الاستغراق فى طاعة الحق والاشفاق على الخلق والرضى بجميع ما اصابه من الفقر والمرض ونحوهما وصرف مارزقه الله تعالى من النعم كالمال والصحة ونحوهما الى مايؤدى الى سعادة الآخرة ولايطلب شيأ منها لكونها منفعة عاجلة ﴿قوله لمضادة تلك الصفات لها﴾ علة لاستثناء هؤلاء الموصوفين من المطبوعين على الاحوال المذكورة سابقا فان الصفات المذكورة بعد لما كانت مضادة لاحوال المطبوعين بحيث يمتنع اجتماعها فى موضع واحد وجب ان يكون الموصوفون بتلك الصفات مستثنيات من المطبوعين على الاحوال المذكورة سابقا والا لزم اجتماع الامور المضادة ﴿قوله لايشغلهم عنها شاغل﴾ اى عن ادائها فى اوقاتها * قال الامام فان قيل كيف قال على صلاتهم دائمون ثم قال على صلاتهم يحافظون واجاب عنه بقوله معنى داومهم عليها ان لايتركوها فى وقت من الاوقات ومحافظتهم عليها ترجع الى الاهتمام بحالها حتى يؤتى بها على اكمل الوجوه وهذا الاهتمام انما يحصل تارة بامور سابقة على الصلاة وتارة بامور لاحقة لها وتارة بامور متراخية عنها اما الامور السابقة فهى ان يكون المؤمن قبل دخول وقتها متعلق القلب بدخول اوقاتها وبالوضوء وستر العورة وطلب القبلة ووجدان الثوب والمكان الطاهرين والاتيان بالصلاة فى الجماعة وفى المساجد المباركة وان يجتهد قبل الدخول فى الصلاة فى تفريغ القلب عن الوساوس والالتفات الى ماسوى الله تعالى وان يبالغ فى الاحتراز عن الرياء والسمعة واما الامور المقارنة فهى ان لايلتفت يمينا ولاشمالا

(ان الانسان خلق هلوعا) شديد الحرص قليل الصبر (اذا مسه الشر) الضر (جزوعا) يكثر الجزع (واذا مسه الخير) السعة (منوعا) يبالغ فى الامساك والاوصاف الثلاثة احوال مقدرة او محققة لانها طبائع جبل الانسان عليها واذا الاولى ظرف لجزوعا والاخرى لمنوعا (الا المصلين) استثناء للموصوفين بالصفات المذكورة بعد ذكر المطبوعين على الاحوال المذكورة قبل لمضادة تلك الصفات لها من حيث انها دالة على الاستغراق فى طاعة الحق والاشفاق على الخلق والايمان بالجزاء والخوف من العقوبة وكسر الشهوة وايثار الآجل على العاجل وتلك ناشئة من الانهماك فى حب العاجل وقصور النظر عليه (الذين هم على صلاتهم دائمون) لايشغلهم عنها شاغل

(وان)

وان يكون حاضر القلب عند القرآءة فانهما للاذكار مطلقا على حكم الصلاة واما الامور المتراخية فهى ان لايشتغل بعد اقامة الصلاة باللهو واللعب وان يحترز كل الاحتراز عن الاتيان بشئ من المعاصى والمنكرات ﴿قوله تصديقا باعمالهم﴾ فان مجرّد التصديق بالجنان واللسان وان كان ينجى من الخلود فى النار لكن لايؤدّى الى ان يكون صاحبه مستثنى من المطبوعين على الاحوال المذكورة ﴿قوله خائفون على انفسهم﴾ فلا يتركون واجبا ولا يرتكبون محظورا وتكون جميع شؤنهم طاعة ربهم ومع ذلك لايأمنون عذابه ﴿قوله تعالى فمن ابتغى ورآء ذلك﴾ وهو الاستمتاع بالنكاح وملك اليمين فاولئك هم العادون اى المتعدّون عما احلّ لهم ودخل فى هذا حرمة وطئ الذكران والبهائم والزنى وقيل يدخل فيه الاستمناء ايضا روى ان العرب كانوا يستمنون فى الاسفار فنزلت الآية ﴿قوله وقرأ ابن كثير لامانتهم﴾ اى بالافراد لان الامانة اسم الجنس مايؤتمن عليه الانسان سوآء كان من جهة البارى تعالى او من جهة الخلق فيتناول ما ائتمن الله تعالى عليه عباده من الشرآئع وامانات الدين كما يتناول ما حملوه من امانات الناس فلا حاجة الى لفظ الجمع ومن قرأه بلفظ الجمع نظر الى اختلاف الانواع وكذا الكلام فى افراد الشهادة وجمعها واكثر المفسرين على ان القيام بالشهادة ادآؤها عند الحكام على من كانت هى عليه من قريب او بعيد شريف او وضيع وعدم كتمها والقيام بها عند الحكام وان كان من جملة الامانات الا انه تعالى عطفها على ماقبلها عطف الخاص على العام اظهارا لفضلها وان فى اقامتها احياء الحقوق وفى تركها ابطالها وتضييعها وعن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال المراد بالشهادة شهادة ان الله واحد لاشريك له وان محمدا عبده ورسوله ﴿قوله لايخونون﴾ اى لايضيعون الامانة فان عدم رعايتها يكون بالاهلاك وبالانكار يقال اخنى عليه الدهر اى اتى عليه واهلكه ﴿قوله واناتها﴾ اى اعلاء قدرها يقال اناف على كذا اذا اشرف عليه ﴿قوله وفى نظم هذه الصلاة مبالغات لاتخفى﴾ مثلا فى قوله تعالى والذين هم على صلاتهم يحافظون مبالغات من حيث تعريف المسند اليه بالموصول فانه يقتضى ان يكون ذات المسند اليه معلوما للمخاطب حاضرا فى ذهنه بكونه متصفا بما نسب اليه من مضمون الصلة ولا يخفى ان اشتهار المصلين بالمحافظة على صلاتهم مبالغة فى المحافظة عليها ومن تكرير المسند اليه لتقوية الحكم وتقريره فى ذهن السامع كما فى قولك زيد هو يعطى الجزيل قصدا الى تحقيق انه يفعل اعطاء الجزيل ومن تقديم قوله على صلاتهم المفيد للاختصاص الدال على ان محافظتهم مقصورة على صلاتهم لا تتجاوز الى امور دنياهم ومن صيغة المفاعلة فانها ان كانت بمعنى الثلاثى تكون للمبالغة فى ملابسة اصل الفعل وان كانت على بابها تدل على التعاون على البرّ وهو ابلغ من مجرّد حفظ الصلاة ورعاية ما يناسبها واذا تقرّر ان الموصول مع صلته افاد هذه المبالغات تقرّر أن توصيف المصلين به يفيد مدحا عظيما لهم كل ذلك يعرف بالتأمل وقس عليه البواقى والظاهر ان قوله تعالى مكرمون خبر اولئك وفى جنات متعلق به قدم عليه للحصر ويجوز ان يتعلق بمحذوف ويكون خبرا آخر لاولئك ولما ذكر ان المستغرقين فى طاعة الحق والمشفقين على الخلق مكرمون فى جنات بثواب الله تعالى ذكر بعده قبائح الكفار فقال فما للذين كفروا قبلك مهطعين روى ان المشركين كانوا يحتفون حول النبى صلى الله عليه وسلم حلقا حلقا وفرقا فرقا يستمعون كلامه ويستهزؤن به عليه الصلاة والسلام وبالقرءان ويقولون ان دخل هؤلاء الجنة كما يقول محمد فلندخلها قبلهم فنزلت هذه الآية الى قوله ايطمع كل امرئ منهم ان يدخل جنة نعيم وكلمة ما فى قوله تعالى فما للذين كفروا استفهامية بمعنى الانكار فى موضع الرفع على الابتدآء وللذين كفروا خبرها وقبلك ظرف مكان للاستقرار الذى تعلق به للذين او ظرف لمهطعين وهو حال من المنوى فى الذين اى اى شئ ثبت لهم حولك حال كونهم مهطعين او اى شئ ثبت لهم حال كونهم مهطعين حولك وقوله عن اليمين يجوز ان يتعلق بعزين لانه بمعنى متفرقين وان يتعلق بمهطعين اى مسرعين من هاتين الجهتين وعزين حال بعد حال من المنوى فى للذين او حال من المنوى فى مهطعين فتكون حالا متداخلة والعزة الفرقة من الناس والهاء عوض من الواو او الياء الساقطة قال الاصمعى يقال فى الدار عزون من الناس اى اصناف منهم سميت كل فرقة عزة لاعتزآئها الى غير من تعزى اليه الاخرى من قولهم عزوته الى ابيه وعزيته لغة فيه اذا نسبته اليه فاعتزى هو وتعزى اى انتمى وانتسب ﴿قوله اوانكم مخلوقون من اجل ما تعلمون﴾ اى ويحتمل ان يكون المعنى على تقدير كونه تعليلا للردع هكذا ان تكون كلمة من بمعنى الاجل كما فى قوله تعالى مما خطاياهم اغرقوا ﴿قوله او استدلال﴾ عطف على قوله تعليل وقوله بعد ردعهم ظرف لقوله استدلال

(والذين فى اموالهم حق معلوم) كالزكوات والصدقات الموظفة (للسائل) الذى يسأل (والمحروم) الذى لايسأل فيحسب غنيا فيحرم (والذين يصدّقون بيوم الدين) تصديقا باعمالهم وهو ان يتعب نفسه ويصرف ماله طمعا فى المثوبة الاخروية ولذلك ذكر الدين (والذين هم من عذاب ربهم مشفقون) خائفون على انفسهم (ان عذاب ربهم غير مأمون) اعتراض يدل على انه لاينبغى لاحد ان يأمن عذاب الله وان بالغ فى طاعته (والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى ورآء ذلك فاولئك هم العادون) سبق تفسيره فى سورة المؤمنين (والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون) حافظون وقرأ ابن كثير لامانتهم (والذين هم بشهاداتهم قائمون) لاينكرون ولايخفون ما علموه من حقوق الله وحقوق العباد وقرأ يعقوب وحفص بشهاداتهم لاختلاف الانواع (والذين هم على صلاتهم يحافظون) فيراعون شرآئطها ويكملون فرآئضها وسننها وتكرير ذكر الصلاة ووصفهم بها اوّلا وآخرا باعتبارين للدلالة على فضلها واناقتها على غيرها وفى نظم هذه الصلاة مبالغات لاتخفى (اولئك فى جنات مكرمون) بثواب الله (فما للذين كفروا قبلك) حولك (مهطعين) مسرعين (عن اليمين وعن الشمال عزين) فرقا شتى جمع عزة واصلها عزوة من العزو كان كل فرقة تعتزى الى غير من تعتزى اليه الاخرى وكان المشركون يحلقون حول رسول الله صلى الله عليه وسلم حلقا حلقا ويستهزؤن بكلامه (أيطمع كل امرئ منهم ان يدخل جنة نعيم) بلا ايمان وهو انكار لقولهم لو صح ما يقوله لنكون فيها افضل حظا منهم كما فى الدنيا (كلا) ردع لهم عن هذا الطمع (انا خلقناهم مما يعلمون) تعليل له والمعنى انكم مخلوقون من نطفة قذرة لاتناسب عالم القدس فمن لم يستكمل بالايمان والطاعة ولم يتخلق بالاخلاق الملكية لم يستعد دخولها او انكم مخلوقون من اجل ما تعلمون وهو تكميل النفس بالعلم والعمل فمن لم يستكملها لم يتبوّأ فى منازل الكاملين او استدلال بالنشأة الاولى على امكان النشأة الثانية التى بنوا الطمع على فرضها فرضا مستحيلا عندهم بعد ردعهم عنه

لما كان قولهم لو صح ما يقول لنكون فيها افضل حظا مشتملا على امرين دعوى استحالة النشأة الثانية والطمع الفاسد المبنى على فرض وقوعها منعهم الله تعالى عن ذلك الطمع اوّلا بقوله كلا ثم استدل على امكانها بقوله خلقناهم مما يعلمون كأنه قال من قدر على خلق البشر السوىّ من النطفة المستقذرة ألا يكون قادرا على بعثه ثم انه تعالى هدّدهم بقوله فلا اقسم وكلة لاصلة اورد لقولهم المذكور وما بعدها قسم مستأنف ويحتمل ان يكون اصله فلأقسم فاشبعت الفتحة فحصل الف وقوله على ان نبدّل خيرا منهم اصله على ان نبدلهم بدلا خيرا منهم فحذف المفعول الاوّل وموصوف خيرا وجمع المشارق والمغارب امالان المراد بها مشرق كل يوم من السنة ومغربه او مشرق كل كوكب ومغربه او المراد بالمشرق ظهور حياة كل شئ وبالمغرب موته ﴿ قوله تعالى فذرهم ﴾ متفرع على قوله وما نحن بمسبوقين اى اذا تبين انه لا يفوتنا ما نريد منهم وبهم من خير وشر وانه ليس تأخير عقابهم لعجز بل لحكمة داعية اليه فدعهم فخاضهم فيه من الاباطيل واشتغل انت بما امرت به فانهم ملاقون عن قريب اليوم الذي وعدوا به وهو يوم يكون الناس كالمهل وكذا وكذا وقوله تعالى يوم يخرجون يجوز ان يكون بدلا من يومهم وان يكون منصوبا باضمار اعنى والاجداث جمع جدث وهو القبر وسراعا حال من الضمير فى يخرجون وكأنهم حال ثانية منه او من المنوى فى سراعا فتكون حالا متداخلة ﴿ قوله منصوب للعبادة او علم ﴾ يعنى ان نصب بفتح النون وسكون الصاد كما هو قراءة غير ابن عامر وحفص من السبعة بمعنى المنصوب سوآء نصب لان يعبد من دون الله او نصب علامة لموضع الملك فى نزوله ومسيره وهو المراد بالعلم والمعنى انهم يسرعون الى الموقف كاسراعهم الى صنمهم الذى يعبدونه ويسرعون اليه ايهم يستلمه اوّلا قيل كانوا يبتدرون اذا طلعت الشمس الى نصبهم التى كانوا يعبدونها من دون الله لايلوى اوّلهم على آخرهم او كأنهم قد نصب لهم علم فهم يسعون اليه ليبلغوه فهم يتبادرون فى السبق اليه والنصب بضمتين واحد الانصاب وقيل هو جمع نصاب نحو كتاب وكتب وقيل جمع نصب بمعنى المنصوب كرهن ورهن وسقف وسقف والنصب بالضم والسكون اما تخفيف نصب بضمتين مثل عسر وعسر أو جمع نصب بالفتح والسكون ﴿ قوله تعالى خاشعة ﴾ حال من فاعل يوفضون والمعنى ذليلة خاضعة لا يرفعونها لما يتوقعونه من العذاب وكذا قوله ترهقهم ذلة فى موضع الحال منه ايضا اى يغشاهم هوان الذلين ويجوز ان يكون استئنافا يقال رهقه اى غشيه وهو من باب علم ﴿ قوله تعالى كانوا يوعدون ﴾ اى يوعدونه فى الدنيا وانلهم فيه العذاب فحذف العائد من الصلة الى الموصول ❊ تمت سورة المعارج والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه اجمعين

﴿ سورة نوح عليه الصلاة والسلام مكية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ قوله بان انذر اى بالانذار ﴾ يجعل ان مصدرية ناصبة للفعل المضارع ولما كان فعل الارسال لا يتعدى الى مفعول ثان بدون توسط حرف الجرّ قدّر الباء الجارة فحذف الجار واوصل الفعل فمحل ان انذر النصب على نزع الخافض او الجرّ على ارادته وقوله او بان قلنا له انذر اشارة الى ان النحاة اختلفوا فى ان صلة ان المصدرية هل يجوز ان يكون شيأ مما فيه معنى الطلب كالامر والنهى ونحوهما او لا يجوز سيبويه وابو علىّ ومنعه غيرهما قال ابو علىّ فى قوله تعالى ماقلت لهم الا ما امرتنى به ان اعبدوا الله كلة ان فيه يجوز ان تكون مصدرية فتكون بدلا من ما او من الهاء فى به او خبر مبتدأ محذوف اى هو أن اعبدوا الله وان تكون مفسرة كذا فى شرح الرضى وفيه ايضا ان صلة ان المخففة لا تكون امرا ولا نهيا ولا غيرهما مما فيه معنى الطلب اجماعا فكذا صلة ان المصدرية على الاصح فقول المصنف بان انذر اى بالانذار مبنى على مذهب سيبويه وابى علىّ وقوله او بان قلنا له انذر مبنى على مذهب غيرهما فان غيرهما يقولون ان ان المصدرية مع صلتها تكون فى تأويل المصدر فيكون قوله تعالى ان انذر فى تأويل ارسلناه بالانذار والمصدر ليس فيه دلالة على الطلب فيكون تصدر صيغة الامر بأن المصدرية مستلزما لابطال معنى الصيغة واخلائها عن مدلولها الوضعى فحيثما صدّرت صيغة الطلب بأن المصدرية للايذان يقدر بعدها القول ليبقى معنى الصيغة على حاله فيكون تقدير الآية ارسلناه بأن قلنا له انذر اى ارسلناه ارسالا ملتبسا بهذا القول الموضوع لطلب الانذار ﴿ قوله وقرئ بغيرها ﴾ اى بغير ان فلابدّ من اضمار القول اى قائلا أنذر وان فى قوله ان اعبدوا الله كالتى فى قوله ان أنذر قومك فى جواز كونها مصدرية ومفسرة ثم انه عليه الصلاة والسلام امر

(فلا اقسم برب المشارق والمغارب انا لقادرون على ان نبدّل خيرا منهم) اى نهلككم ونأتى بخلق امثل منهم او نعطى محمدا صلى الله عليه وسلم بدلكم من هو خير منكم وهم الانصار (وما نحن بمسبوقين) بمغلوبين ان اردنا (فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون) مرّ فى آخر الطور (يوم يخرجون من الاجداث سراعا) مسرعين جمع سريع (كأنهم الى نصب) منصوب للعبادة او علم (يوفضون) يسرعون وقرأ ابن عامر وحفص نصب بالضم على انه تخفيف نصب او جمع (خاشعة ابصارهم ترهقهم ذلة) مرّ تفسيره (ذلك اليوم الذى كانوا يوعدون) فى الدنيا ❊ عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة سأل سائل اعطاه الله ثواب الذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون

﴿ سورة نوح مكية وآيها تسع ﴾

﴿ او ثمان وعشرون ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(انا ارسلنا نوحا الى قومه ان انذر) بان انذر اى بالانذار او بان قلنا له انذر ويجوز ان تكون مفسرة لتضمن الارسال معنى القول وقرئ بغيرها على ارادة القول (قومك من قبل ان يأتيهم عذاب اليم) عذاب الآخرة او الطوفان

قومه بثلاثة اشياء بعبادة الله تعالى وتقواه وطاعة نفسه فالامر بالعبادة يتناول الامر بجميع الواجبات والمندوبات من افعال القلوب والجوارح والامر بتقواه يتناول الزجر عن جميع المحظورات والمكروهات وقوله واطيعون يتناول الامر بطاعته فى جميع المأمورات والمنهيات وهذا وان كان داخلا فى الامر بعبادة الله تعالى وتقواه الا انه خصه بالذكر بعد ذكر الامر بهما تأكيدا لذلك الامر ومبالغة فى تقريره وايجابا عليهم ان يؤمنوا به ويصدقوه فى دعواه الرسالة ﴿قوله بعض ذنوبكم وهو ماسبق﴾ اى على الايمان اشارة الى ان فائدة ذكر من التبعيض انه لو قال يغفر لكم ذنوبكم لكان قد وعد قومه بمقابلة امتثالهم لما امرهم به من الاشياء الثلاثة مغفرة جميع ذنوبهم تقدمت على الايمان او تأخرت عنه لان اضافة الجمع تفيد الاستغراق وليس كذلك فان الذنوب المتأخرة عن الايمان لاتكون مغفورة بمجرد الايمان فلذلك اورد حرف التبعيض وقيل المراد ببعض الذنوب بعض ماسبق على الايمان وهو مالايتعلق بحقوق العباد ﴿قوله وهو اقصى ماقدر لكم بشرط الايمان والطاعة﴾ جواب عما قال انه عليه الصلاة والسلام وعدلهم بمقابلة امتثالهم لما امروا به ان يؤخرهم الله تعالى الى اجل مسمى مع اخباره بامتناع تأخير الاجل وهما متناقضان بحسب الظاهر * وتقرير الجواب ان الله تعالى جعل فى الاجل حكمين محتوما ومعلقا كقوله تعالى ثم قضى اجلا واجل مسمى عنده فالمحتوم هو المسمى وهو الذى لايمكن تأخيره والمعلق هو الحكم بان قوم نوح مثلا ان لم يؤمنوا اهلكهم الله تعالى قبل ذلك بماشاء من اسباب الاهلاك كقوله عليه الصلاة والسلام «ان استقامت امتى فلهم يوم وان لم يستقيموا فلهم نصف يوم» فاليوم هو الذى لايمكن التجاوز عنه بوجه والنصف وهو الموقوف على عدم الاستقامة وأىّ الاجلين قضى به وحكم فلا يمكن تأخيره وذلك هو الذى عبر عنه بالمجيئ فى قوله ان اجل الله اذا جاء لايؤخر اى لايؤخر اذا حكم به وتعلقت به الارادة فبادروا بحيئه بالايمان واشار المصنف اليه بقوله اذا جاء على الوجه المقدر به اجلا واضيف هذا الاجل اليه تعالى لكونه تعالى هو الذى قدره وتعلقت به ارادته وان صح اضافته الى العبد لكونه نهاية عمره فالاجل المعلق اذا تحقق شرط كونه اجلا وتعلقت به ارادته تعالى لايؤخر الا انه يؤخر اذا فقد شرط كونه اجلا بخلاف الاجل المقطوع به فانه لايؤخر بوجه ﴿قوله وقيل اذا جاء الاجل الاطول﴾ عطف على قوله ان الاجل الذى قدره اى وقيل المراد باجل الله هو المسمى الذى لايمكن تأخيره بوجه من الوجوه اى الوقت الذى سماه الله تعالى اجلا اذا جاء لايؤخر كما يؤخر هذا المعلق فبادروا فى اوقات الامهال والتأخير فان المسمى ضرورى الوقوع لايمكن تأخيره ﴿قوله لعلمتم ذلك الخ﴾ اشارة الى ان جواب لو محذوف وكلمة لو دلت على انهم لايعلمون ذلك مع انه تعالى خلقهم مشتملين على اسباب العلم وآلات تحصيله الا انهم ضيعوها بتوغلهم فى حب الدنيا وانهماكهم فى الالتذاذ بها ﴿قوله واسناد الزيادة الى الدعاء﴾ من قبيل اسناد الفعل الى السبب والمعنى دعوتهم دائما من غير فتور فازدادوا فرارا عند دعوتى ويجوز اسناد الزيادة الى السورة فى قوله تعالى واذا ماانزلت سورة فمنهم من يقول ايكم زادته هذه ايمانا فاما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون واما الذين فى قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم وماتوا وهم كافرون فان ضمير زادتهم يعود الى السورة والمعنى ان الله تعالى يزيدهم ذلك عند نزول السورة ﴿قوله والتعبير بصيغة الطلب﴾ مع ان معنى الطلب ليس بمقصود ههنا بل الاستغشاء ههنا بمعنى التغطى والستر كما فسر به للمبالغة فى الاهتمام بالتغطى كأنهم طلبوا من الثياب ان تغشاهم لئلا يروا الداعى بفضائله ولمالمحبايه ﴿قوله مستعار من أصرّ الحمار على العانة﴾ وهى القطيع من حمر الوحش يقال صرّ الفرس اذنيه اذا سوّاهما وضمهما واذا نقل الى باب الافعال وقيل أصرّ الفرس يكون لازما وهو من النوادر شبه الاقبال على الكفر والمعاصى باصرار الحمار على العانة بكدمها ويطردها فسمى الاقبال عليه اصرارا واشتق منه اصرّ ولو لم يكن فى ارتكاب المعاصى الا التشبيه بالحمار لكفى به مزجرة فكيف والتشبيه فى اسوأ الاحوال وهو حال الكدم والطرد للسفاد ﴿قوله اى دعوتهم مرّة بعد اخرى﴾ يعنى انه عليه الصلاة والسلام عطف بكلمة ثم اوّلا دعوته اياهم مجاهرة وهى الدعوة على رؤس الاشهاد فى المحافل ثم عطف بها دعوته اياهم على وجه الاعلان والاسرار بان يخلو بالواحد فالواحد منهم فيعلن ويسرّ اليه فى الدعوة وماعطف عليه هذان المعطوفان ليس الا قوله كلما دعوتهم من غير تقييد تلك الدعوة بشئ فهذا الاسلوب يدل على ان مراتب دعوته كانت ثلاثة فبدأ اوّلا بالمناصحة فى السرّ فعاملوه بالامور الاربعة ثم ثنى بالمجاهرة فلما لم يؤثر جمع بين الاعلان

(قال ياقوم انى لكم نذير مبين ان اعبدوا الله واتقوه واطيعون) مرّ نظيره فى الشعراء وفى أن يحتمل الوجهان (يغفر لكم من ذنوبكم) بعض ذنوبكم وهو ماسبق فان الاسلام يجبه فلا يؤاخذكم به فى الآخرة (ويؤخركم الى اجل مسمى) وهو اقصى ما قدر لكم بشرط الايمان والطاعة (ان اجل الله) ان الاجل الذى قدره (اذا جاء) على الوجه المقدر به اجلا وقيل اذا جاء الاجل الاطول (لايؤخر) فبادروا فى اوقات الامهال والتأخير (لو كنتم تعلمون) لو كنتم من اهل العلم والنظر لعلمتم ذلك وفيه انهم لانهماكهم فى حب العاجل كأنهم شاكون فى الموت (قال رب انى دعوت) الى الايمان (قومى ليلا ونهارا) اى دائما (فلم يزدهم دعائى الافرارا) عن الايمان والطاعة واسناد الزيادة الى الدعاء على السببية كقوله تعالى فزادتهم ايمانا (وانى كلما دعوتهم) الى الايمان والطاعة (لتغفر لهم) بسببه (جعلوا اصابعهم فى آذانهم) سدّوا مسامعهم عن استماع الدعوة (واستغشوا ثيابهم) تغطوا بها لئلا يرونى كراهة النظر الىّ من فرط كراهية دعوتى اولئلا اعرفهم فأدعوهم والتعبير بصيغة الطلب للمبالغة (وأصرّوا) واكبوا على الكفر والمعاصى مستعار من اصرّ الحمار على العانة اذا صرّ اذنيه واقبل عليها (واستكبروا) عن اتباعى (استكبارا) عظيما (ثم انى دعوتهم جهارا ثم انى اعلنت لهم واسررت لهم اسرارا) اى دعوتهم مرّة بعد اخرى وكرّة بعد اولى على اىّ وجه امكننى وثم لتفاوت الوجوه فان الجهار اغلظ من الاسرار والجمع بينهما اغلظ من الافراد او لتراخى بعضها من بعض وجهارا نصب على المصدر لانه احد نوعى الدعاء او صفة مصدر محذوف بمعنى دعاء جهارا اى مجاهرا به او الحال فيكون بمعنى مجاهرا

والاسرار فكان حاصل الكلام ماذكره المصنف بقوله اى دعوتهم مرّة بعد اخرى وكرّة بعد اولى على اى وجه امكنني وثم اما للدلالة على تراخى بعض هذه المراتب عن بعض بحسب الرتبة وبحسب الزمان ﴿قوله وكأنهم لما امرهم بالعبادة قالوا﴾ اشارة الى وجه قوله عليه الصلاة والسلام استغفروا ربكم وبيان فائدته بعد ما امرهم بعبادة الله تعالى وتقواه وطاعة رسوله فيما بلغ من قبله اليهم ﴿قوله ولذلك﴾ اى ولكون الاستغفار من الذنوب والمعاصى كما يمحو الذنوب والمعاصى يجلب للمستغفر منافع الدنيا من الخصب والغنى وعد عليه الصلاة والسلام لهم على ماهو اوقع فى قلوبهم من الخيرات العاجلة فقال يرسل السماء عليكم مدرارا فانه مجزوم على انه جواب الامر فانهم لما قالوا ان كنا على باطل فكيف يقبلنا من عصيناه قال نوح عليه السلام انكم وان كنتم قد عصيتموه ولكن استغفروا من تلك الذنوب والمعاصى فان شأنه تعالى الغفارية وبين لهم ان الاستغفار والتوبة عن الكفر والمعاصى يجمع لهم مع الحظ الوافر فى الآخرة منافع الدنيا وخيراتها ﴿قوله وقيل لما طالت الخ﴾ عطف على قوله كأنهم لما امرهم الخ فيكون وجها آخر لارتباط هذه الآية بما قبلها ﴿قوله فوعدهم بذلك﴾ اى بما هو اوقع فى قلوبهم * والمدرار من اوزان المبالغة بمعنى كثير الدرور وهو الانصباب ومدرارا حال من السماء ﴿قوله والسماء يحتمل المظلة﴾ على ماقيل من ان المطر ينزل منها الى السحاب ويطلق السماء ايضا على كل ما علاك كالسحاب وسقف البيت فعلى التقديرين يكون المعنى يرسل ماء السماء بحذف المضاف ويطلق على نفس المطر ايضا كما فى قوله

اذا نزل السماء بأرض قوم ❊ رعيناه وان كانوا غضابا

فحينئذ لا حاجة الى تقدير المضاف ﴿قوله لاتأملون له توقيرا﴾ على ان الرجاء على اصله وهو الامل والطمع والوقار اسم بمعنى التوقير كالسلام بمعنى التسليم ﴿قوله ولله بيان للموقر﴾ اى للذى يفعل التوقير والتعظيم فكأنهم لما سمعوا قوله مالكم لاترجون ان توقروا وتعظموا على بناء المفعول قالوا لمن التوقير والتعظيم اى من الذى يعظمنا ويوقرنا فقيل لله اى التوقير لله واصل لله ان يكون مؤخرا عن وقارا على انه صفة له فلما قدم امتنع ان يكون صفة له ولا متعلقا به لان معمول المصدر لايتقدم عليه فتعين كونه للبيان ﴿قوله مبالغة﴾ اى فى عدم اعتقادهم له عظمة فان من لايكون له الرجاء التابع لادنى ظن ذاتى يكون له الاعتقاد الجازم والمعنى على هذا مالكم لاتعلمون حق عظمته فتوحدوه وتطيعوه وقد جعل لكم فى انفسكم آية تدل على كمال عظمته من القدرة البالغة والعلم والحكمة وهو انه خلقكم اطوارا وخلق السموات طباقا وغير ذلك فعلى هذا قوله تعالى لله بيان للموقر كما انه على الاول بيان للموقر ﴿قوله تعالى طباقا﴾ اما جمع طبق كجمل وجمال او جمع طبقة كرحبة ورحاب او مصدر طابق يقال طابق مطابقة وطباقا وعلى التقادير فهو صفة سبع سموات اما على كونه جمعا فظاهر واما على تقدير كونه مصدرا فعلى طريق التوصيف بالمصدر للمبالغة او على حذف المضاف اى ذات طباق ويجوز ان ينتصب على انه مصدر لفعل مقدّر اى طوبقت طباقا بمعنى انها جعلت طبقة فوق اخرى * قال الامام قوله تعالى خلق سبع سموات طباقا يقتضى كون بعضها مطبقا على الآخر وهذا يقتضى ان لايكون بينها فرج فالملائكة كيف يسكنون فيها فاجاب بان الملائكة ارواح ثم قال وايضا فلعل المراد من كونها طباقا كونها متوازية لامماسة وهو المروى عن المبرّد ثم قال كيف قال وجعل القمر فيهنّ نورا والقمر ليس فيها باسرها بل فى السماء الدنيا فأجاب بان هذا كما يقال السلطان فى العراق ولا يراد أن ذاته حاصلة فى جميع احياز العراق بل يراد ان ذاته حاصلة فى حيز من جملة احياز العراق فكذا هنا وهذا هو المراد بقول المصنف لما بينهنّ من الملابسة كالبلدان المتباينة حيث جاز ان يقال فى حق ما فى واحدة منها انه فيهنّ واشار صاحب الكشاف الى الجواب بوجه آخر حيث قال وعن ابن عباس وابن عمر رضى الله عنهم ان الشمس وجهها مما يلى السماء وظهرها مما يلى الارض فاذا كان وجه كل واحد منهما متوجها الى جهة السموات وقفاه الى جهة الارض ظهر وجه قوله فيهنّ من حيث ان كل واحدة منها منوّرة بنور القمر ونوره ثابت فيها باسرها فعلى هذا ينبغى ان يكون تقدير مابعده وجعل الشمس فيهنّ سراجا لاهل السموات والارض وقيل انه نور لاهل الارض ﴿قوله مثلها به﴾ يعنى ان قوله تعالى وجعل الشمس سراجا من باب التشبيه البليغ شبهت به من حيث ان كل واحد منهما يزيل ظلمة الليل عن وجه الارض فان الليل عبارة عن ظل الارض الحاصل فى الجوّ بسبب حيلولة الارض بينه وبين الشمس وبطلوع الشمس تزول الحيلولة ومايستند اليها

(فقلت استغفروا ربكم) بالتوبة من الكفر (انه كان غفارا) للتائبين وكأنهم لما امرهم بالعبادة قالوا ان كنا على حق فلا نتركه وان كنا على باطل فكيف يقبلنا ويلطف بنا من عصيناه فأمرهم بما يجب معاصيهم ويجلب اليهم المنح ولذلك وعدهم عليه ما هو أوقع فى قلوبهم وقيل لما طالت دعوتهم وتمادى اصرارهم حبس الله عنهم القطر اربعين سنة واعقم ارحام نسائهم فوعدهم بذلك على الاستغفار عما كانوا عليه بقوله (يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم باموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم انهارا) ولذلك شرع الاستغفار فى الاستسقاء والسماء يحتمل المظلة والسحاب والمطر والمدرار كثير الدرور يستوى فى هذا البناء المذكر والمؤنث والمراد بالجنات البساتين (مالكم لاترجون لله وقارا) لاتأملون له توقيرا اى تعظيما لمن عبده واطاعه فتكونون على حال تأملون فيها تعظيمه اياكم ولله بيان للموقر ولو تأخر لكان صلة للوقار او لاتعتقدون له عظمة فتخافون عصيانه وانما عبر عن الاعتقاد بالرجاء التابع لادنى الظن مبالغة (وقد خلقكم اطوارا) حال مقررة للانكار من حيث انها موجبة للرجاء بان خلقهم اطوارا اى تارات اذ خلقهم اوّلا عناصر ثم مركبات تغذى الانسان ثم اخلاطا ثم نطفا ثم علقا ثم مضغا ثم عظاما ولحوما ثم انشأهم خلقا آخر فانه يدل على انه يمكن ان يعيدهم تارة اخرى فيعظمهم بالثواب وعلى انه تعالى عظيم القدرة تام الحكمة ثم اتبع ذلك ما يؤيده من آيات الآفاق فقال (الم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا وجعل القمر فيهن نورا) اى فى السموات وهو فى السماء الدنيا وانما نسب اليهن لما بينهن من الملابسة (وجعل الشمس سراجا) مثلها به لانها تزيل ظلمة الليل عن وجه الارض كما يزيلها السراج عما حوله

من القتل كما يزول ذلك بضوء السراج والتشبيه لا يقتضي المماثلة بين المشبه والمشبه به من جميع الوجوه حتى يقال ضوء السراج عرضي كضوء القمر بخلاف ضوء الشمس فانه ذاتي فتشبيه القمر بالسراج اولى من تشبيه الشمس به ﴿ قوله فاستعير الانبات للانشاء ﴾ استعارة اصلية ثم اشتق من الانبات المستعار لفظ انبتكم فصار استعارة تبعية حمل الكلام على الاستعارة لتعذر حمله على الحقيقة لان الانبات اخراج فروع ما رسخ عروقه في الارض ولا شك ان ايجاد الانسان ليس على هذا الوجه وانشاء بني آدم من الارض اما بواسطة انشاء ابيهم آدم عليه السلام منها او من حيث انه تعالى خلق كل واحد منهم من النطفة المتولدة من الغذاء المتولد من النبات المتولد من الارض والنكتة في العدول الى المجاز كون الانبات ادل على الحدوث لانهم اذا كانوا انباتا كانوا محدثين لاستحالة حدوث النبات ﴿ قوله واصله انبتكم انباتا فنبتم نباتا ﴾ يعني ان نباتا منصوب بفعل مقدر وهو نبتم وحذف لدلالة انبتكم عليه التزاما فان النبات لازم للانبات ومطاوع له والملزوم يدل على لازمه وقد شكا نوح عليه السلام الى ربه سبب عصيان قومه اياه فقوله بعد ذلك رب انهم عصوني تمهيد لما ذكره بعد بيان سبب عصيانهم اياه وهو تقليد رؤسائهم البطرين بالاموال والاولاد ﴿ قوله بحيث صار ذلك سببا ﴾ اشارة الى ان اسناد الزيادة الى المال والولد من قبيل اسناد الفعل الى سببه فان الاموال والاولاد وان كانت من الاسباب التي يكتسب بها سعادة الآخرة بصرفها فيما خلقت لاجله الا انها اذا جعلت ذريعة لقضاء الشهوات النفسانية واستيفاء اللذات العاجلة صارت اسبابا لزيادة خسارة الآخرة ﴿ قوله وفيه انهم انما اتبعوهم لوجاهة حصلت لهم الخ ﴾ وذلك يستفاد من توصيف مفعول اتبعوا بقوله لم يزده ماله وولده الا خسارا فان توصيف متعلق اتباعهم بكونهم اصحاب اموال واولاد أدّت بهم الى الخسار يشعر بعلية الوصف المذكور للاتباع ﴿ قوله ابلغ من كبار ﴾ يعني ان كبارا بالضم والتشديد من اوزان المبالغة ابلغ من كبارا بالضم والتخفيف كما ان المخفف ابلغ من كبير ونظيره الطويل ثم الطوال والمكر الكبار هو احتيالهم بصد السفلة عن قبول دعوة نوح والايمان به وتحريش الناس على اذاه وعلى الثبات على دين اسلافهم الاقدمين ويجوز ان يكون المراد بمكر الرؤساء قولهم لاتباعهم لاتذرن آلهتكم ولاتذرن ودا ولا سواعا اي عبادتها لاسيما هذه الآلهة الخمسة التي هي ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر فان اضافة الآلهة اليهم من جملة الحيلة الموجبة لاستمرارهم على عبادتها كأنهم قالوا هذه الاجسام آلهة لكم وكانت آلهة لآبائكم فلو قبلتم قول نوح لاعترفتم على انفسكم وعلى آبائكم بانكم كنتم جاهلين ضالين واعتراف الانسان على نفسه وعلى جميع اسلافه بالجهل والضلال سفاهة شديدة لايجترئ عليها عاقل فلما كان في لفظ آلهتكم اشارة الى هذه المعاني كان صارفا لهم عن الدين وطاعة نوح بالحيلة الخفية فلهذا سمى الله تعالى قولهم هذا مكرا او حيلة خفية ﴿ قوله خصوصا ﴾ اشارة الى ان قوله تعالى ولاتذرن ودا ولا سواعا من قبيل عطف الخاص على العام تعظيما لهذه الاصنام الخاصة بناء على انها اكبر اصنامهم ﴿ قوله فلما ماتوا صوّروا ﴾ قيل لما مات هؤلاء الصلحاء اختار خلص اصحابهم ان يسلكوا سبيلهم في باب العبادة فقال لهم ابليس لو صوّرتموهم ونظرتم اليهم احيانا كان انشط لكم واشوق الى العبادة ففعلوا ثم نشأ بعدهم قوم فقال لهم ابليس ان الذين كانوا قبلكم قد كانوا يعبدونها فعبدوها فابتداء عبادة الاوثان من ذلك الوقت فلما كانت ايام الطوفان والغرق دفنت تلك الاوثان فلم تزل مدفونة حتى اخرجها الشيطان لمشركي العرب فكان ود لكلب وسواع لهمدان ويغوث لمذحج بفتح الميم وسكون الذال المعجمة وكسر الحاء المهملة بعدها جيم معجمة على وزن مسجد وهو ابو قبيلة من اليمن ويعوق لمراد وهو ايضا ابو قبيلة من اليمن ونسر لحمير وهو ايضا ابو قبيلة من اليمن. قال الامام قولهم انتقلت هذه الاصنام الخمسة الى العرب فيه اشكال لان الدنيا قد تخربت في زمان الطوفان فكيف بقيت تلك الاصنام وكيف انتقلت الى العرب ولا يمكن ان يقال ان نوحا عليه السلام وضعها في السفينة وامسكها لانه عليه السلام انما جاء لنفيها وكسرها فكيف يمكن ان يقال انه وضعها في السفينة سعيا وغيرة في حفظها هذا كلامه ويزول اشكاله بما ذكر في التيسير ومعالم التنزيل وغيرهما من ان تكون تلك الاصنام الخمسة قد دفنها الطين والتراب والماء ايام الطوفان فلم تزل مدفونة حتى اخرجها الشيطان لمشركي العرب وكان للعرب اصنام اخر اللات لثقيف وهو ابو قبيلة من هوازن مضر ويقال له مضر الحمراء ولاخيه ربيعة الفرس لانهما اقتسما الميراث اعطى مضر الذهب واعطى ربيعة الخيل والعزى لسليم وغطفان وجشم ونضر وسعد بن بكر ومناة لهذيل واساف ونائلة وهبل

(والله انبتكم من الارض نباتا) انشأكم منها فاستعير الانبات للانشاء لانه ادل على الحدوث والتكوّن من الارض واصله انبتكم انباتا فنبتم نباتا فاختصر اكتفاء بالدلالة الالتزامية (ثم يعيدكم فيها) مقبورين (ويخرجكم اخراجا) بالحشر واكده بالمصدر كما اكد به الاوّل دلالة على ان الاعادة محققة كالبدء وانها تكون لامحالة (والله جعل لكم الارض بساطا) تتقلبون عليها (لتسلكوا منها سبلا فجاجا) واسعة جمع فج ومن لتضمن الفعل معنى الاتخاذ (قال نوح رب انهم عصوني) فيما امرتهم به (واتبعوا من لم يزده ماله وولده الا خسارا) واتبعوا رؤساءهم البطرين باموالهم المغترين باولادهم بحيث صار ذلك سببا لزيادة خسارهم في الآخرة وفيه انهم انما تبعوهم لوجاهة حصلت لهم باموال واولاد أدّت بهم الى الخسار وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي والبصريان وولده بالضم والسكون على انه لغة كالحزن او جمع كالاسد (ومكروا) عطف على لم يزده والضمير لمن وجمعه للمعنى (مكرا كبارا) كبيرا في الغاية فانه ابلغ من كبار وهو من كبير وذلك احتيالهم في الدين وتحريش الناس على اذى نوح (وقالوا لاتذرن آلهتكم) اي عبادتها (ولاتذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا) ولاتذرن هؤلاء خصوصا قيل هي اسماء رجال صالحين كانوا بين آدم ونوح عليهما السلام فلما ماتوا صوّروا تبركا بهم فلما طال الزمان عبدوا وقد انتقلت الى العرب وكان ود لكلب وسواع لهمدان ويغوث لمذحج ويعوق لمراد ونسر لحمير وقرأ نافع ودا بالضم

لاهل مكة وكان اساف حيال الحجر الاسود ونائلة حيال الركن اليماني وهبل في جوف الكعبة ﴿قوله للتناسب﴾ لان ماقبلها اسمان منصرفان منوّنان وهما ودا وسواعا وكذا مابعدهما وهو نسرا فنوّنا ايضا للتناسب كانوّن سلاسلا كذلك ﴿قوله عطف على رب انهم عصوني﴾ يعني ان قوله لاتزد الظالمين الاضلالا مقول ثان لنوح عطف الله تعالى احد مقوليه على الآخر وان الواو فيه من كلامه تعالى لامن كلام نوح لاستلزامه عطف الانشاء على الاخبار فهو عليه السلام قال كل واحد من القولين من غير عطف احدهما على الآخر فأحدهما قوله رب انهم عصوني وثانيهما قوله لاتزد الظالمين الاضلالا فحكى الله تعالى احد قوليه بتصديره بلفظ قال وحكى قوله الآخر بعطفه على قوله الاوّل بكلمة الواو النائبة من لفظ قال ﴿قوله ولعل المطلوب﴾ جواب عمايقال لايليق بالنبي المبعوث للهداية ان يدعو على امته بالضلال في امر دينهم وزيادتهم فيه مع انه عليه السلام قدبعث اليهم ليصرفهم عنه ﴿قوله ومامزيدة﴾ يعني انها زيدت بين الجار والمجرور لتأكيد الحصر المستفاد من تقديم قوله مماخطيئاتهم فانه يدل على ان اغراقهم بالطوفان لم يكن الامن اجل خطيئاتهم تكذيبا لقول المنجمين من ان ذلك كان لاقتضاء الاوضاع الفلكية اياه فانه كفر لكونه مخالفا لصريح هذه الآية وزيادتها فائدة اخرى وهي تعظيم قبح خطاياهم لانها ابهامية وابهام الشئ يدل على انه مما لايمكن وصفه ولايقادر قدره ﴿قوله وقرأ ابوعمرو مما خطاياهم﴾ كل واحد من لفظي الخطايا والخطيئات جمع خطيئة الاان الاوّل جمع تكسير والثاني جمع سلامة وقدتقرر ان الجمع المكسر غير الاوزان الاربعة التي هي افعل وافعال وافعلة وفعلة جمع كثرة لايطلق على مادون العشرة الابالقرينة والمقام مقام تكثير خطاياهم فلعل اباعمرو انما قرأ خطاياهم بلفظ جمع الكثرة لذلك ومن اختار لفظ جمع السلامة نظر الى ان جمع السلامة سواء كان بالواو والنون او بالالف والتاء لمطلق الجمع كماذكر في شرح الرضي وهو قوله والظاهر ان كل واحد من جمعي السلامة لمطلق الجمع من غير نظر الى القلة والكثرة فيصلحان لهما فلذلك قيل انهما مشترك بينهما واستدلوا عليه بقوله تعالى ماانفدت كلمات الله ﴿قوله المراد عذاب القبر﴾ تمسك اصحابنا في اثبات عذاب القبر بقوله تعالى اغرقوا فادخلوا نارا وذلك من وجهين الاوّل ان الفاء في قوله تعالى اغرقوا فادخلوا نارا تدل على ان الادخال حصل عقيب الاغراق فلايمكن حمل الادخال على عذاب الآخرة لئلايلزم اخلاء الفاء عن مدلوله الوضعي من غير دليل والوجه الثاني ان قوله تعالى فادخلوا اخبار عن الماضي وهو انما يصدق بوقوع المخبر به قبل نزول الآية وقال مقاتل والكلبي معنى الآية انهم سيدخلون في الآخرة نارا وعبر عن المستقبل بلفظ الماضي لانه كائن لامحالة فكأنه قدكان كقوله تعالى ونادى اصحاب النار ونادى اصحاب الجنة ولانه لما تحقق سبب الادخال ومن حق المسبب ان يتحقق عقيب السبب جعل كالمتحقق وعبر عنه بلفظ الماضي ولايخفى ان ماذكر انما يصحح التعبير عن المستقبل بلفظ الماضي ولايكون دليلا على ترك الظاهر ومن المعلوم ان العدول عن الظاهر من غير دليل لاوجه له فالوجه ان يراد به عذاب القبر ومن مات في ماء او نار واكلته السباع والطير اصابه مايصيب المقبور من العذاب كقوله تعالى في آل فرعون النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون اشد العذاب وعن الضحاك انهم كانوا يغرقون من جانب ويحرقون من جانب وهو يؤيد كون المراد به عذاب القبر ﴿قوله فيعال من الدار او الدور﴾ يعني ان ديارا على الاوّل احد ينزل الدار ويسكنها على الثاني احد يدور في الارض بان يذهب ويجيئ وانكر بعضهم كونه من الدوران وقال لو كان من الدوران لم يبق على الارض جنّي ولاشيطان وليس كذلك فينبغي ان يكون من الدار ويكون المعنى اهلك كل نازل دارا وساكنها من الكفار اي كل النبي منهم ﴿قوله لافعال والالكان دوّارا﴾ اي لكان ينبغي ان تجتمع واوه ولاتقلب ياء لان اصل دار دور قلبت واوه ألفا فلما ضعفت عينه كان دوّارا بواو صحيحة مشددة اذلاوجه لقلبها ياء وكذا الحال اذا كان فعالا من الدور ﴿قوله قال ذلك لما جرّبهم﴾ جواب عمايقال كيف عرف انهم لايلدون الافاجرا كفارا حتى دعا في حقهم بان يهلكهم الله تعالى جميعا واخبر عنهم بانهم لايلدون الافاجرا كفارا اي الامايكون فاجرا كفارا اذا بلغ مبلغ التكليف فهو من قبيل تسمية الشئ بمايؤول اليه وتقرير الجواب انه عليه السلام عرف ذلك بالتجربة والاستقراء فانه لبث فيهم الف سنة الاخمسين عاما فعرف طباعهم واستقرى احوالهم واخلاقهم حتى قيل كان الرجل منهم ينطلق بابنه ويقول احذر هذا فانه كذاب وان ابي اوصاني بمثل هذه الوصية فيموت الكبير وينشأ الصغير على مذهب الكبير في العتوّ والعناد وكأنه عليه السلام عرف ذلك بالاستقراء عرفه بالنص ايضا قال

وقرأ يغوثا ويعوقا للتناسب ومنع صرفهما للعلمية والعجمة (وقد اضلوا كثيرا) الضمير للرؤساء او للاصنام كقوله انهن اضللن كثيرا (ولاتزد الظالمين الاضلالا) عطف على رب انهم عصوني ولعل المطلوب هو الضلال في ترويج مكرهم ومصالح دنياهم لافي امر دينهم او الضياع والهلاك كقوله ان المجرمين في ضلال وسعر (مما خطيئاتهم) من اجل خطيئاتهم ومامزيدة للتأكيد والتفخيم وقرأ ابوعمرو مماخطاياهم (اغرقوا) بالطوفان (فادخلوا نارا) المراد عذاب القبر او عذاب الآخرة والتعقيب لعدم الاعتداد بما بين الاغراق والادخال اولان المسبب كالمتعقب للسبب وان تراخى عنه لفقد شرط او وجود مانع وتنكير النار للتعظيم اولان المراد نوع من النيران اعدلهم (فلم يجدوا لهم من دون الله انصارا) تعريض لهم باتخاذهم آلهة من دون الله لاتقدر على نصرهم (وقال نوح رب لاتذر على الارض من الكافرين ديارا) اي احدا وهو ممايستعمل في النفي العام فيعال من الدار او الدور واصله ديوار ففعل به مافعل باصل سيد لافعال والالكان دوّارا (انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولايلدوا الافاجرا كفارا) قال ذلك لما جرّبهم واستقرى احوالهم الف سنة الاخمسين عاما فعرف شيمهم وطباعهم

قتادة انه عليه السلام دعا عليهم بعدان اوحى الله تعالى اليه انه لن يؤمن من قومك الامن قدآمن فحينئذ دعا عليهم بذلك لماأيس من ايمانهم وتيقن باطراد النجاسة فى جميعهم وانه يجب تطهير وجه الارض منهم فاجاب الله تعالى دعاءه واهلكهم جميعا * فان قيل مابال صبيانهم اغرقوا * قلنا اغرقوا لاعلى وجه التعذيب كما يموتون بسائر الاسباب فكم من صبى يموت بالغرق والحرق والهدم وغيرها وكان ذلك زيادة فى تعذيب الآباء والامهات اذا ابصروا اطفالهم يغرقون ومنه قوله عليه السلام فى مثله يهلكون مهلكا واحدا ويصدرون مصادر شتى وقيل لم يكن فيهم صبى وقت العذاب لانه تعالى اخرج كل من يؤمن من اصلابهم وارحام نسائهم ثم اعقم ارحام نسائهم وايبس اصلاب رجالهم قبل الطوفان باربعين سنة وقيل بسبعين سنة فلم يكن معهم صبى حين اغرقوا ويؤيده قوله تعالى وقوم نوح لما كذبوا الرسل اغرقناهم ولم يوجد التكذيب من الاطفال ﴿قوله لمك بن متوشلخ﴾ فانه عليه السلام هو نوح بن لمك بن متوشلخ بن اخنوخ وهو ادريس عليه السلام ابن يزد بن مهلائيل بن يونس بن قينان بن انوش بن شيث بن آدم عليه السلام قال وهب وكلهم مؤمنون ارسل عليه السلام الى قومه وهو ابن خمسين سنة وقال ابن عباس ابن اربعين سنة وقيل بعث وهو ابن ثلاثمائة وخمسين سنة * روى عنه عليه السلام انه قال اول نبى ارسل نوح وارسل الى جميع اهل الارض ولذلك لما كفروا اغرق الله تعالى اهل الارض جميعا ثم انه عليه السلام لما دعا باهلاك من علم انه لا يرجى منه الايمان على وجه العموم والاستغراق دعا بالمغفرة لجميع المؤمنين والمؤمنات الا انه خص نفسه اولا بالدعاء ثم ذكر من هو اشد اتصالا به ثم ذكر من هو دونه فى الاتصال به لكونهم اولى واحق بدعائه لهم ثم ذكر عامة المؤمنين والمؤمنات الى يوم القيامة ثم ختم الكلام بالدعاء على الكافرين مرة اخرى فقال ولاتزد الظالمين الاتبارا اى هلاكا فاستجاب الله تعالى دعاءه فاهلكهم بالكلية ونجاه ومن معه من المؤمنين بسبب السفينة قال مقاتل حمل نوح فى السفينة ثمانين نفسا اربعين رجلا واربعين امرأة وفيهم اولاده الثلاثة وروى انس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان الداعى للمؤمنين والمؤمنات يغفر له بعدد كل مؤمن فى الارض حى اوميت ورد عليه مثل الذى دعالهم من كل مؤمن فى الارض وعن انس انه عليه الصلاة والسلام قال ان الداعى للمؤمنين والمؤمنات يقام يوم القيامة فيثنى الله تعالى عليه فى الاولين والآخرين خيرا بدعائه لهم فيؤجره مثل اجورهم اجمعين ولاينقص من اجورهم شئ كذا فى التيسير * تمت سورة نوح عليه افضل الصلاة والسلام والحمد لله رب العالمين

﴿سورة الجن مكية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿قوله وقرئ احى﴾ يعنى ان القرآءة المشهورة اوحى على لفظ الماضى المبنى للمفعول من باب الافعال وقرئ وحى بضم الواو وكسر الحاء وهما لغتان بمعنى يقال وحى اليه واوحى اليه اذا كلمه كلاما بخفية والايحاء القاء المعنى الى النفس فى خفاء كالالهام وانزال الملك وقرئ احى بضم الهمزة من غير واو واصله وحى قلبت الواو همزة كما فى اقتت واخرت وهذا القلب جائز فى كل واو مضمومة وجوزه المازنى فى المكسورة ايضا كاشاح واعاء اخيه ﴿قوله تعالى انه استمع﴾ لاخلاف فى فتح همزة انه فيه لوقوعها موقع المفرد من حيث انه قائم مقام الفاعل لاوحى وضمير انه للشأن اى اوحى الى ان الشأن استمع القرآن نفر من الجن حذف مفعول استمع لدلالة مابعده عليه وهو قوله انا سمعنا قرآنا ﴿قوله والجن اجسام عاقلة خفية﴾ كثير من الفلاسفة ينكرون وجود الجن فى الخارج روى ان اباعلى بن سينا حد الجن بانه حيوان هوآئى يتشكل باشكال مختلفة ثم قال وهذا شرح للاسم اى بيان لمدلول هذا اللفظ مع قطع النظر عن انطباقه على حقيقة خارجية سوآء كان معدوما فى الخارج او موجودا ولم يعلم وجود فيه فان التعريف الاسمى لايكون الا كذلك بخلاف التعريف الحقيقى فانه عبارة عن تصور ماله حقيقة خارجية فى الذهن وجمهور ارباب الملل المصدقين بالانبياء قد اعترفوا بوجوده واعترف به جمع عظيم من قدماء الفلاسفة ايضا واختلف المثبتون على قولين الاول ان الجن اجسام عاقلة خفية والقول الثانى انهم ليسوا اجساما واللا جسمانية لايقتضى مشاركتها لذاته تعالى فى ذاتى مشترك ليلزم امتيازها عنه بفصل مميز ويلزم تركب الواجب ثم ان تلك الجواهر المجردة مختلفة بالماهية وان كانت متشاركة فى بعض الاوصاف العرضية فبعضها خيرة كريمة مائلة الى الخيرات وبعضها دنيئة خسيسة مائلة الى

(رب اغفرلى ولوالدى) لمك بن متوشلخ وشمخا بنت انوش وكانا مؤمنين (ولمن دخل بيتى) منزلى او مسجدى او سفينتى (مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات) الى يوم القيامة (ولاتزد الظالمين الاتبارا) هلاكا * عن النبى عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة نوح كان من المؤمنين الذين تدركهم دعوة نوح عليه السلام

﴿سورة الجن مكية وآيها ثمان وعشرون﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(قل اوحى الى) وقرئ أحى واصله وحى من وحى اليه فقلبت الواو همزة لضمتها ووحى على الاصل وفاعله (انه استمع نفر من الجن) والنفر مابين الثلاثة الى العشرة والجن اجسام عاقلة خفية تغلب عليهم النارية والهوآئية وقيل نوع من الارواح المجردة

الشرور والآفات والخيرة قد تكون منزهة بالية عن تدبير الاجسام بالكلية وهى الملائكة المقربون وقد تكون متعلقة بتدبير الاجسام واشرفها حملة العرش ثم الحافون حول العرش ثم ملائكة الكرسى ثم ملائكة السموات طبقة طبقة ثم الملائكة المتعلقة بتدبير عالم البسائط العنصرية ثم ملائكة عالم المركبات المعدنية والنباتية والحيوانية ثم صلحاء الجن فانها حسنة مشرقة خيرة والكدرة الشريرة السيئة هى المسماة بالشياطين والماردين من الجن وكل نوع من هذه الانواع المختلفة بالماهية يقدر على افعال شاقة عظيمة تعجز عنها قوة البشر وقيل الجن نفوس بشرية مفارقة عن ابدانها فانها حال تعلقها بابدانها ان استكملت بالفضائل العلمية والعملية ثم فارقت عنها ازدادت قوة وكمالا بسبب مافى ذلك العالم الروحانى من انكشاف الاسرار الروحانية وان تخلت وتعطلت عن الفضائل والكمالات وانهمكت فى قضاء الشهوات النفسانية وسلكت سبيل الغواية فى كل باب من ابواب الاعمال والعقائد تكون بعد مفارقتها عن بدنها باقية على غوايتها فاذا اتفق ان حدث بدن آخر مشابه للبدن الذى فارقت تلك النفس عنه فبسبب تلك المشابهة تحصل لتلك النفس المفارقة تعلق ما بهذا البدن وتصير تلك النفس المفارقة كالمعاونة لنفس ذلك البدن فى افعالها وتدبيرها فى ذلك البدن فان الجنسية علة الضم فان اتفقت هذه الحالة فى النفوس الخيرة سمى ذلك المعين ملكا وتلك الاعانة الهاما وان اتفقت فى النفوس الشريرة سمى ذلك المعين شيطانا وتلك الاعانة وسوسة ﴿ قوله وفيه دلالة على انه عليه الصلاة والسلام مارآهم ﴾ كما ذهب اليه ابن عباس حيث قال انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فى طائفة من اصحابه عامدين الى سوق عكاظ وادركهم وقت صلاة الفجر وهم بنخلة فاخذ هو عليه السلام يصلى باصحابه صلاة الفجر فمر عليهم نفر من الجن وهم فى الصلاة فلما سمعوا القرآن استمعوا له ثم رجعوا الى قومهم فقالوا ياقومنا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدى الى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا احدا فانزل الله تعالى على نبيه قل اوحى الى انه استمع نفر من الجن اى استمع القرآن نفر منهم ووجه دلالة الآية على انه عليه الصلاة والسلام لم يرهم انه عليه السلام لو رآهم لما استندت معرفة هذه الواقعة الى الوحى فان ماعرف وجوده بالمشاهدة لايستند اثباته الى الوحى وذهب ابن مسعود رضى الله عنه الى انه عليه الصلاة والسلام امر بالمسير الى الجن ليقرأ القرآن عليهم ويدعوهم الى الاسلام حيث قال عليه السلام امرت ان اتلو القرآن على الجن فمن يذهب معى فسكتوا ثم قال الثانية فسكتوا ثم قال الثالثة فقلت انا اذهب معك يارسول الله قال فانطلق حتى اذا جاء الحجون عند شعب ابن ابى دب خط على خطا فقال لاتجاوزه فانك ان فعلت لم ترنى ولم ارك ابدا ثم مضى الى الحجون فانحدروا عليه امثال الحجل كانهم رجال الزط حتى غشوه فغاب عن بصرى فقمت فاومى الى بيده ان اجلس ثم تلا القرآن فلم يزل صوته يرتفع ولصقوا بالارض حتى صرت لااراهم * قال الامام واعلم انه لاسبيل الى تكذيب الروايات وطريق الجمع بين مذهب ابن عباس ومذهب ابن مسعود رضى الله عنهم من وجوه احدها لعل ماذكره ابن عباس وقع اولا فاوحى الله تعالى اليه بهذه السورة ثم امره بالخروج اليهم بعد ذلك كما روى ابن مسعود وثانيها بتقدير ان تكون واقعة الجن مرة واحدة ويجوز ان يؤمر عليه السلام بالذهاب اليهم ويقرأ القرآن عليهم ويدعوهم الى الاسلام الا انه صلى الله عليه وسلم مارآهم وماعرف انهم ماذا قالوا واى شئ فعلوا فالله سبحانه وتعالى اوحى اليه انه كان كذا وكذا وقالوا كذا وكذا وثالثها ان تكون الواقعة مرة واحدة وهو عليه الصلاة والسلام رآهم وسمع كلامهم وهم آمنوا به ثم لما رجعوا الى قومهم قالوا لقومهم على سبيل الحكاية انا سمعنا قرآنا عجبا وكان كذا وكذا فاوحى الله تعالى الى رسوله ماقالوه لاقوامهم وقيل ان الجن اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم دفعتين احداهما بمكة وهى التى ذكرها ابن مسعود والثانية بنخلة وهى التى ذكرها ابن عباس ثم قيل ان الجن الذين اتوه بمكة جن نصيبين وهى قرية باليمن غير التى بالعراق والذين اتوه بنخلة جن نينوى ﴿ قوله بديعا مباينا ﴾ اشارة الى ان العجب وان كان مصدرا فى الاصل الا انه ههنا بمعنى العجيب للمبالغة وهو الذى يتعجب منه لحسن نظمه وصحة معانيه من حيث انه يدعو الى الرشد وهو التوحيد والطاعة وانه وضع موضع العجيب للمبالغة وهو ماخرج عن حد اشكاله ونظائره ﴿ قوله وقرأ ابن كثير والبصريان بالكسر ﴾ لكونه معطوفا على قوله انا سمعنا وهى مكسورة اتفاقا لكونها محكية بعد القول وقد اتفق القراء على كسر الهمزة اذا وقعت بعد القول او بعد فاء الجزاء وقد اتفقوا على فتح الهمزة فى قوله تعالى قل اوحى الى انه استمع وعلى كسرها فى قوله تعالى انا سمعنا والبواقى محمول عليهما فما كان من الموحى مفتوح

وقيل نفوس بشرية مفارقة عن ابدانها وفيه دلالة على انه عليه الصلاة والسلام مارآهم ولم يقرأ عليهم وانما اتفق حضورهم فى بعض اوقات قراءته فسمعوها فاخبر الله به رسوله (فقالوا) لما رجعوا الى قومهم (انا سمعنا قرآنا) كتابا (عجبا) بديعا مباينا لكلام الناس فى حسن نظمه ودقة معناه وهو مصدر وصف به للمبالغة (يهدى الى الرشد) الى الحق والصواب (فآمنا به) بالقرآن (ولن نشرك بربنا احدا) على مانطق به الدلائل القاطعة على التوحيد (وانه تعالى جد ربنا) وقرأ ابن كثير والبصريان بالكسر على انه من جملة المحكى بعد القول وكذا مابعده الا قوله وان لو استقاموا وان المساجد وانه لما قام عبد الله فانه من جملة الموحى به

(وما)

وما كان من قول الجن" مكسور فابن كثير والبصريان جعلوا الجميع من قول الجن" فكسروا الهمزة فيها الا اربعة مواضع وهى قوله تعالى قل اوحى الى" انه استمع وان لو استقاموا وان المساجد لله وانه لما قام عبدالله فانهم فتحوا الهمزة فيها بناء على انها من جملة الموحى به وان فى قوله وان لو استقاموا مخففة من الثقيلة معطوفة على معمول اوحى كأنه قيل اوحى اليه انه استمع وان لو استقاموا والضمير للشأن فيها وكذا قوله وان المساجد لله معطوفة عليه ففتحت الهمزة لذلك وقيل لان التقدير ولان المساجد لله فلا تدعوا وحذف الجار فى مثله شائع كثير ﴿قوله ووافقهم نافع﴾ اى فى القرآءة بالكسر فى غير المواضع المستثناة من تلك المواضع وكذا فى قوله وانه لما قام اما على الاستئناف او على كونها من قول الجن" ﴿قوله وفتح الباقون الكل﴾ لفظ الكل على ظاهره لانه لاخلاف فى كسر ما كان محكيا بعد القول فينبغى ان يكون مراده بالكل كل ما كان مقترنا بالواو العاطفة وقرينة التخصيص قوله على ان ما كان من قولهم فعطوف على محل الجار والمجرور ولم يجعله معطوفا على لفظ الجار والمجرور لعدم ذكر الجار فى المعطوف ولا على لفظ المجرور لان البصريين لايجوزون العطف على الضمير المجرور من غير اعادة الجار فى المعطوف وان اجازه الكوفيون ولما كان محل الجار والمجرور النصب على انه مفعول به غير صريح لآمنا كان ما عطف عليه ايضا كذلك فكان فى موضع المفرد ففتح فكأنه قيل صدقناه وصدقنا انه تعالى جد ربنا ﴿قوله مستعار من الجد الذى هو البخت الخ﴾ يعنى ان الجد" فى اللغة يكون بمعنى العظمة ومنه حديث عمر رضى الله عنه كان الرجل منا اذا قرأ البقرة وآل عمران جد" فينا وفى رواية جد" فى اعيننا اى جل قدره وعظم ويكون بمعنى الدولة والغنى والبخت ايضا ومنه حديث لاينفع ذا الجد" منك الجد" اى لاينفع ذا الغنى غناه وانما تنفعه الطاعة منك وكذلك الحديث الآخر قمت على باب الجنة فاذا عامة من يدخلها الفقرآء واذا اصحاب الجد" محبوسين يعنى اصحاب الغنى فى الدنيا فالجد" فى الآية يجوز ان يراد به العظمة وهو ظاهر وان يراد به ملك الله تعالى وسلطانه او استغناؤه المطلق الذاتى تشبيها لكل واحد منهما ببخت الملوك والاغنياء وغناهم لان الملوك والاغنياء هم المجدودون فسمى المشبه باسم الجد والبخت على سبيل الاستعارة ﴿قوله والمعنى﴾ اى المراد الاخبار بتعالى جده سوآء كان الجد" بمعنى العظمة او السلطان او استغنائه تعالى عن الصاحبة والولد اكتفى بذكر الملزوم عن ذكر اللازم ثم بين كون المراد ذلك بقوله ما اتخذ صاحبة ولا ولدا فهو استئناف لبيان ان المعنى ذلك كأنه قيل وما امارة تعاليه تعالى الجد فقيل ما اتخذ صاحبة ولا ولدا وقرئ تعالى جدا ربنا بنصب جدا على التمييز من النسبة ورفع ربنا على الفاعلية والمعنى تعالى ربنا جدا ثم قدم التمييز كما فى قولك حسن وجها زيد وقرئ جد ربنا ايضا بكسر الجيم وهو ضد الهزل وضد التوانى فى الامور ايضا فالمعنى تعالى صدق ربوبيته وحق الاهيته عن اتخاذ الصاحبة والولد والالهية لايشوبها شئ من سمات الاحتياج والحدوث فان الصاحبة والولد انما يتخذ ان للحاجة اليهما فى الاستئناس والذكر وبقاء النسل بعد فوت الوالد وكل ذلك من توابع الامكان والحدوث تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا تبرأوا اولا من الشرك وثانيا من دين النصارى واليهود ﴿قوله تعالى وانه كان يقول سفيهنا﴾ ضمير انه للشان واسم كان مضمر فيها وهو ضمير الشان ايضا والجملة التى بعد كان مفسرة لاسم كان لانه مضمر لم يتقدمه ظاهر يعود هو اليه فلابد من جملة تفسره فهى فى موضع خبر كان ﴿قوله قولا ذا شطط﴾ يعنى ان الشطط فى نظم الآية صفة مصدر محذوف ولما كان الشطط عبارة من مجاوزة الحد" والقدر فى اى شئ كان احتيج الى تقدير المضاف لان القول لايوصف بانه فى نفسه بعد عن الحق ومجاوزة الحد" الا على طريق المبالغة كما فى رجل عدل وانما يقال قول شاط او ذو شطط فقدر المضاف لذلك ثم اشار الى جواز كونه من قبيل التوصيف بالمصدر للمبالغة لفرط ما اشط اى ابعد ذلك السفيه فى ذلك القول الدال على نسبة الصاحبة والولد اليه تعالى ﴿قوله اعتذار﴾ كأنهم قالوا ظننا ان الشان لن تقول الانس والجن" على الله كذبا فلذلك صدقنا سفهاءنا فى ان لله شريكا وصاحبة وولدا فلما سمعنا القرآن وتبين لنا انه الحق علمنا انهم قد كذبوا عليه تعالى وهذا منهم اقرار بانهم انما وقعوا فى تلك الجهالة بسبب التقليد وانهم انما تخلصوا من تلك الظلمات ببركة الاستدلال والتفكر فى آيات الله تعالى ﴿قوله جعله مصدرا﴾ اى مصدرا مؤكدا لفعله لان كذبا بمعنى تقولا كأنه قيل لن تقول تقولا ولايجوز ان يكون صفة لتقولا المحذوف المؤكد لفعله لان التقول لايكون الا كذبا فلا فائدة فى توصيفه بالكذب وان فيه مخففة من الثقيلة اى ظننا انه والضمير للشأن وكذا ضمير انه فى قوله وانه كان رجال اى وان الشأن كان رجال من الانس ورجال

ووافقهم نافع وابوبكر الا فى قوله وانه لما قام على انه استئناف او مقول وفتح الباقون الكل الا ما صدر بالفاء على ان ما كان من قولهم فعطوف على محل الجار والمجرور فى به كأنه قيل صدقناه وصدقنا انه تعالى جد" ربنا اى عظمته من جد" فلان فى عينى اى عظم ملكه وسلطانه او غناه مستعار من الجد" الذى هو البخت والمعنى وصفه بالتعالى عن الصاحبة والولد لعظمته او لسلطانه او لغناه وقوله (ما اتخذ صاحبة ولا ولدا) بيان لذلك وقرئ جدا بالتمييز وجد بالكسر اى صدق ربوبيته كأنهم سمعوا من القرآن ما نبههم على خطأ ما اعتقدوه من الشرك واتخاذ الصاحبة والولد (وانه كان يقول سفيهنا) ابليس او مردة الجن" (على الله شططا) قولا ذا شطط وهو البعد ومجاوزة الحد" او هو شطط لفرط ما اشط فيه وهو نسبة الصاحبة والولد الى الله تعالى (وانا ظننا ان لن تقول الانس والجن" على الله كذبا) اعتذار عن اتباعهم السفيه فى ذلك بظنهم ان احدا لايكذب على الله وكذبا نصب على المصدر لانه نوع من القول او الوصف لمحذوف اى قولا مكذوبا فيه ومن قرأ لن تقول كيعقوب جعله مصدرا لان التقول لايكون الا كذبا (وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن") فان الرجل كان اذا امسى بقفر قال اعوذ بسيد هذا الوادى من شر سفهاء قومه

اسم كان ومن الانس صفة لرجال وكذا من الجنّ ويعوذون خبر كان ورهقا مفعول ثان لزاد واختلفوا فى فاعله فقيل الانس اى فزاد الانس الجنّ باستعاذتهم بهم كفرا وعتوّا حتى قالوا سدنا الجنّ والانس وقطعوا بذلك من كفرهم وقيل بل فاعله هو الجنّ اى فزاد الجنّ الانس بذلك طغيانا فى الكفر فان الانس اذا عاذوا بهم وأمنوا فى منازلهم ظنوا ان ذلك من الجنّ فازدادوا رغبة فى طاعة الشياطين وقبول وساوسهم والمصنف اشار الى جواز الوجهين وتقديم الوجه الاوّل قال مقاتل اوّل من تعوّذ بالجنّ قوم من اهل اليمن ثم قوم من بنى حنيفة ثم فشا ذلك فى العرب فلما جاء الاسلام عاذوا بالله وتركوهم روى عن رجل انه قال خرجت مع ابى الى المدينة اوّل ماذكر مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فآوانى المبيت الى راعى غنم فلما انتصف الليل جاء ذئب فحمل حملا من الغنم فقال الراعى ياعامر الوادى جارك الله فنادى مناد ياسرحان ارسله فاتى الحمل يشتدّ حتى دخل فى الغنم ولم يصبه كدمه فانزل الله تعالى على رسوله بمكة وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجنّ فزادوهم رهقا اى زاد الانس الجنّ خطيئة والرهق الاثم فى كلام العرب واضيفت الزيادة الى الجنّ اذ كانوا سببها او زاد الانس الجنّ كفرا وغيا فان الانس باستعاذتهم بالجنّ كانوا اسبابا لزيادة غيهم ﴿ قوله والرهق فى الاصل غشيان الشئ ﴾ اى اتيانه على وجه الاستيلاء والاحاطة بالمأتى قال تعالى ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة استعمل فيما يأتى من نحو الاثم والشرّ والكبر والغى نقل عن الامام الواحدى انه قال الرهق غشيان الشئ ومنه قوله تعالى ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة ورجل مرهق اى يغشاه السائلون والمعنى ان رجال الانس انما استعاذوا بالجنّ خوفا من ان يغشاهم الجنّ ثم انهم زادوا فى ذلك الغشيان فانهم لما تعوّذوا بهم ولم يتعوّذوا بالله تعالى استذلوهم واجترأوا عليهم فزادوهم ظلما وعلى هذا القول زادوا من فعل الانس والقول الاوّل هو اللائق بسياق الآية والموافق لنظمها ﴿ قوله والآيتان من كلام الجنّ بعضهم لبعض او استئناف كلام من الله ﴾ الآية الاولى هى قوله تعالى وانهم ظنوا كما ظننتم فمعناها على ان تكون من كلام الجنّ ماقال مقاتل ان مؤمنى الجنّ لما رجعوا الى قومهم منذرين كذبوهم فقال مؤمنوا الجنّ لكفارهم وانهم يعنون كفار الانس ظنوا ظنّا مثل ظنكم يامعشر الجنّ ان الشأن لن يبعث الله احدا بالرسالة بعد عيسى او بعد موسى او لن يبعث الله احدا بعد الموت للحساب والجزاء ثم انهم لما بعث الله اليهم سيد المرسلين محمدا صلى الله عليه وسلم بالقرآن المعجز آمنوا به وصدّقوه فى جميع ما اخبر به فافعلوا انتم يامعشر الجنّ مثل مافعله الانس ومعناها على ان تكون من جملة الوحى اى وان الجنّ ظنوا كما ظننتم يا كفار قريش ان لن يبعث الله رسولا الى خلقه يقيم به الحجة عليهم او لن يبعث الله الخلق بعد موتهم فالمقصود تأكيد الحجة على قريش بانه اذا آمن هؤلاء الجنّ بمحمد النبى الامى وبما اخبر به فانتم احق بذلك وكونهما من كلام الجنّ اظهر واولى لان ماقبلهما ومابعدهما من كلام الجنّ وادخال كلام اجنبى بين كلامهم غير مناسب واشار بقوله ومن فتح ان فيهما جعلهما من الموحى به الى ان جريان الاحتمالين انما هو على تقدير القراءة بكسر انّ فيهما واما على تقدير القراءة بالفتح فالاحتمال الثانى هو المتعين ﴿ قوله سادّة مسدّ مفعولى ظنوا ﴾ اعمال الفعل الاوّل وهو ظنوا مع ان ظننتم ايضا يقتضى مفعولين والمختار فى مثله عند البصريين اعمال الثانى ولعل الوجه فى اختيار اعمال الاوّل ان ما فى قوله كما ظننتم مصدرية فكان الفعل بعدها فى تأويل المصدر والفعل اقوى من المصدر فى العمل فلا يتنازعه المصدر فيه فتعين اعمال الفعل الاوّل ﴿ قوله طلبنا بلوغ السماء ﴾ بان يكون اللمس مستعارا للطلب بتقدير المضاف اى بلوغ السماء وخبرها شبه الطلب باللمس من حيث ان كل واحد منهما يؤدّى الى غاية مطلوبه فان اللمس يؤدّى الى ادراك مايدرك باللمس كما ان الطلب يؤدّى الى ادراك المطلوب فسمى الطلب باسم اللمس ثم اشتق منه لمسنا بمعنى طلبنا فهو استعارة تبعية ﴿ قوله اسم جمع ﴾ يعنى ان الحرس بفتحتين اسم مفرد فى معنى الجمع وهو الحرّاس فانه جمع حارس وهو الحافظ كما ان الخدم اسم مفرد بمعنى الخدّام جمع خادم ولكونه مفرد اللفظ وصف بشديد وقوله فوجدناها بمعنى اصبناها وصادفناها فيتعدّى الى مفعول واحد وهو ها وجملة ملئت حال ولابدّ فى مثلها من قد فقد ظاهرة او مقدرة وان لم تكن ظاهرة ههنا فهى مقدرة ويحتمل ان تكون من افعال القلوب المتعدية الى اثنين فيكون جملة ملئت فى موضع المفعول الثانى اى فعلمناها مملوءة وحرسا تمييز نحو امتلأ الاناء ماء وشهبا عطف على حرسا وهو فى الاعراب حكمه وهى جمع شهاب وهو الشئ المضئ الذى يتولد من نار الكواكب التى هى زينة السماء يرى كأنه كوكب انقض ويرجم به الشياطين لابانفس الكواكب ومردة الجنّ كانوا يقعدون فى مواضع القعود من السماء لاستماع الاخبار من اهل السماء

(فزادوهم) فزادوا الجنّ باستعاذتهم بهم (رهقا) كبرا وعتوّا او فزادا الجنّ الانس غيا بان اضلوهم حتى استعاذوا بهم والرهق فى الاصل غشيان الشئ (وانهم) وان الانس (ظنوا كما ظننتم) ايها الجنّ او بالعكس والآيتان من كلام الجنّ بعضهم لبعض او استئناف كلام من الله ومن فتح انّ فيهما جعلهما من الموحى به (ان لن يبعث الله احدا) سادّة مسدّ مفعولى ظنوا (وانا لمسنا السماء) طلبنا بلوغ السماء او خبرها واللمس مستعار من المس للطلب كالجس يقال لمسه والتمسه وتلمسه كطلبه واطلبه تطلبه (فوجدناها ملئت حرسا) حراسا اسم جمع كالخدم (شديدا) قويا وهم الملائكة الذين يمنعونهم عنها (وشهبا) جمع شهاب وهو المضئ المتولد من النار

(وانا كنا)

والقائها الى الكهنة فحرسها الله تعالى حين بعث رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم بان رمى المسترقة منهم بالشهب المحرقة فلذلك قالوا فمن يستمع الآن يجد لهاشهابا رصدا اى كنا قبل هذا الوقت نستمع فالآن متى حاولنا الاستماع رمينا بالشهب ﴿ قوله مقاعد خالية عن الحرس ﴾ على ان يكون للسمع صلة لنقعد وقوله او صالحة للترصد على ان يكون صفة لمقاعد ﴿ قوله اى شهابا راصداله ﴾ على ان يكون الشهاب بمعنى المضيء المتولد من نار الكواكب ويكون رصدا مصدرا بمعنى فاعل ومنصوبا على انه صفة شهابا اى شهابا راصداله ولاجله فان الشهاب لما كان معدا له صار كانه راصد له مراقب اياه ليهلكه ﴿ قوله او ذوى شهاب راصدين ﴾ على ان يكون رصدا اسم جمع لراصد كالحرس ويكون شهابا بمعنى ملائكة ذوى شهاب بتقدير المضاف ويكون رصدا صفة له والمعنى يجد له ملائكة ذوى شهاب راصدين اياه ليرجموه ويمنعوه من الشهب ، فان قيل قوله تعالى فمن يستمع الآن يدل على ان الرجم لم يكن قبل بعثته صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى وجعلناها رجوما للشياطين يدل على انه كان قبل ذلك لانه لما ذكر خلق الكواكب فائدتين التزيين ورجم الشياطين وكانت فائدة التزيين حاصلة قبل البعثة وجب ان تكون الفائدة الاخرى حاصلة قبلها ايضا ، اجيب عنه بان ذكر تينك الفائدتين لا يقتضى اقترانهما بحسب الزمان ويجوز ان يكون المعنى وجعلناها بحيث تصلح لان يرجم بها فان الرجم مصدر سمى به ما يرجم به ويؤيد هذا المعنى ماروى عن جماعة من المفسرين ان السماء لم تكن تحرس فى الفترة بين عيسى وبين خاتم النبيين عليهما الصلاة والسلام خمسمائة عام فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم منعوا من السماء وحرست بالملائكة والشهب قال ابى بن كعب كان ذلك موجودا قبل عيسى عليه الصلاة والسلام وبعده الى ان رفع الى السماء ولم يرم بنجم بعدما رفع حتى بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما بعث رمى بها فرأت قريش امرا مارأوه قبل ذلك فجعلوا يسيبون انعامهم ويعتقون رقابهم يظنون انه فناء العالم فبلغ ذلك بعض اولى رأيهم فقال لم فعلتم ماارى قالوا رمى بالنجوم فرأيناها تتهافت من السماء فقال اصبروا فان تكن نجوما معروفة فهو وقت فناء العالم وان كانت نجوما لاتعرف فهو امر حدث فنظروا فاذا هى نجوم لاتعرف فاخبروه فقال فى الامر مهلة وهذا يكون عند ظهور نبى فما مكثوا الا يسيرا حتى ظهر واشتهر بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم والاقرب الى الصواب ان هذه الشهب كانت موجودة قبل البعثة الا انها زيدت بعد البعثة زيادة ظاهرة ومنعت الجن عن استراق خبر السماء رأسا لئلا تلتبس على الناس احوال الرسول المستندة الى الوحى باقوال الكهنة المأخوذة من الشياطين مما استرقوا من اقوال اهل السماء وهذا القول يؤيده نظم القرآن وهو قوله فوجدناها ملئت حرسا فانه يدل على ان الحادث الآن هو الملء والكثرة وقوله تعالى نقعد منها مقاعد اى كنا نجد فيها بعض المقاعد خالية عن الحرس والشهب والآن ملئت المقاعد كلها عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما قال ماقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجن ومارآهم ولكنه عليه الصلاة والسلام انطلق فى طائفة من اصحابه عامدين الى سوق عكاظ وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء فرجعت الشياطين الى قومهم فقالوا مالكم قالوا حيل بيننا وبين خبر السماء وارسل علينا الشهب قالوا ماذاك الا من شئ حدث فاضربوا فى مشارق الارض ومغاربها فمر النفر الذين اخذوا نحو تهامة بالنبى صلى الله عليه وسلم وهو بنخل يصلى باصحابه صلاة الصبح فلما سمعوا القرآن استمعوا له وقالوا هذا الذى حال بيننا وبين خبر السماء فرجعوا الى قومهم وقالوا انا سمعنا قرآنا عجبا الآية فأوحى الله تعالى الى نبيه عليه الصلاة والسلام قل اوحى الى انه استمع نفر من الجن رواه الشيخان فى صحيحيهما ﴿ قوله تعالى أشر ﴾ يجوز ان يكون مبتدأ واريد بمن فى الارض خبره وان يكون فاعل فعل محذوف يدل عليه مابعده اى اريد شر وهذا احسن لتقدم طلب الفعل وهو اداة الاستفهام ﴿ قوله المؤمنون الابرار ﴾ فسر الصالحين بهم اى بالابرار الكاملين فى الصلاح لانه جعل دون ذلك مرفوع المحل على انه صفة مبتدأ محذوف اى ومنا قوم دون ذلك فى الصلاح وهم مقتصدون ومايكون ارفع من المقتصدين الابرار ويجوز ان لايكون ظرفا بل يكون بمعنى غير ويكون مرفوع المحل على الابتداء وبنى على الفتح لاضافته الى غير متمكن اى ومنا غير الصالحين وهذا قول الجن اى قال بعضهم لبعض لما دعوا اصحابهم الى الايمان بسيد المرسلين انا كنا قبل استماع القرآن دون الصالحين اى مؤمنين دون الطبقة الاولى فى اعمال الخير اذ المؤمنون بالانبياء المتقدمين متقدمون فى اعمال الخير وماحدثنا بايماننا بمحمد عليه الصلاة والسلام مالم يكن فى جنسنا ويدل عليه انه كان فى زمن موسى وعيسى

(وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع) مقاعد خالية عن الحرس والشهب او صالحة للترصد والاستماع وللسمع صلة لنقعد او صفة لمقاعد (فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا) اى شهابا راصداله ولاجله يمنعه من الاستماع بالرجم او ذوى شهاب راصدين على انه اسم جمع لراصد وقد مر بيان ذلك فى الصافات (وانا لاندرى اشر اريد بمن فى الارض) بحراسة السماء (ام اراد بهم ربهم رشدا) خيرا (وانا منا الصالحون) المؤمنون الابرار (ومنا دون ذلك) اى دون ذلك فحذف الموصوف وهم المقتصدون

عليهما الصلاة والسلام منهم المؤمنون حتى قالوا انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى فهذا ترغيب منهم فى الايمان لمن رجعوا اليهم منذرين ﴿ قوله ذوى طرآئق ﴾ لما لم يمكن حمل الكلام على حقيقته لامتناع كون انفس الذوات طرآئق ومذاهب اوّله بثلاثة اوجه الاوّل تقدير ما اضيف الى طرآئق والثانى حمل الكلام على التشبيه البليغ والثالث تقدير ما اضيف الى اسم كان وتقدير موصوف قددا اى كانت طرآئقنا طرآئق قددا وقيل تقدير الكلام كنا فى طرآئق مختلفة كقوله * كما عسل الطريق الثعلب * فحذف الجار واوصل الفعل قال سعيد بن المسيب معنى الآية كنا مسلمين ويهودا ونصارى ومجوسا وقال الحسن الجن امثالكم فمنهم قدرية ومرجئة ورافضة وشيعة ﴿ قوله علمنا ﴾ يعنى ان الظن هنا بمعنى اليقين لان الاعتقاد بان العبد لا يفوت الله تعالى ولن يسبقه سوآء كان مستقرا فى الارض او هاربا منها الى السماء من العقائد الدينية التى يجب الايمان بها والايمان لا يحصل بالظن فلذلك فسره باليقين وقوله بالارض وهربا حالان من فاعل نعجز اى لن نعجزه كائنين فى الارض اينما كنا فيها وهاربين منها الى السماء ولن نعجزه عن امضاء ما اراد بنا سوآء كنا ساكنين مستقرين فى الارض او هاربين فيها من موضع الى آخر ومحصول المعنى على الوجه الثانى ان الفرار وعدمه سيان فى ان شيأ منهما لا يفيد فواتنا عن نفاذ ارادته فينا وفائدة ذكر الارض حينئذ الاشارة الى ان الارض مع سعتها وانبساطها ليست منجى منه تعالى ولا مهربا ويحتمل ان تكون اللام على الوجه الثانى للعهد اى لن نعجزه سوآء كنا فى ارضنا التى نسكن فيها ام هربنا منها الى موضع آخر واللام على الاوّل لاستغراق اجزآء الارض والمهروب اليه العالم العلوى المباين للارض ﴿ قوله فهو لا يخاف ﴾ قدر المبتدأ وجعل قوله لا يخاف خبرا عنه وجعل الجملة الاسمية المصدرة بالفاء جزآء الشرط والجزآء اذا كان جملة اسمية يجب دخول الفاء عليها لان حرف الشرط لما لم يؤثر فى الجزآء من حيث الاعراب لكون الجملة لا يظهر فيها الاعراب وجب دخول الفاء لتدل على انها جزآء الشرط ﴿ قوله وقرئ فلا يخف ﴾ على ان لا ناهية وصحبت الفاء الدالة على الجزآئية لما تقرر ان الجزآء اذا كان جملة طلبية كالامر والنهى يجب مقارنتها لعلامة الجزآء ولا يجوز كونها نافية والا لاستغنى عن الفاء بجزم الجزآء ودلالته على الجزآئية ﴿ قوله والاوّل ادل على تحقيق نجاة المؤمن واختصاصها به ﴾ جواب عن قول صاحب الكشاف * فان قلت اى فائدة فى رفع الفعل وتقدير مبتدأ قبله حتى يقع خبرا له ووجوب ادخال الفاء وكان ذلك كله مستغنى عنه بان يقال لا يخف كما فى قوله تعالى ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم * وتقرير الجواب تم انه كذلك الا انه التزم ذلك لانه يفيد تقوى الحكم وتقرره فى ذهن السامع بسبب تكرار الاسناد الحاصل بسبب تقديم المسند اليه وتخصيص الخبر الفعلى بالمسند اليه المتقدم بحيث لا يشاركه فيه غيره وليس المراد بقوله واختصاصها به ان تقدير المبتدأ يفيد مجموع التقوى والتخصيص لان اجتماعهما فى مثل هو عرف وانت عرفت خلاف ما ذهب اليه الشيخ عبد القاهر والسكاكى وانما يفيد التخصيص اذا اعتبر ان المقدم كان مؤخرا على انه فاعل معنى ثم قدم ليفيد التخصيص وانما لم يعتبر ذلك بل اعتبر كونه مبتدأ محضا فلا يفيد الا التقوى ﴿ قوله او جزآء بخس ﴾ بتقدير المضاف اى لا يخاف جزآء بخس ولا جزآء رهق على ان البخس والرهق من افعال المكلف لا من افعال البارى تعالى كما فى الاوّل ﴿ قوله وانا منا المسلمون الآية ﴾ من كلام الجن لاصحابهم تحريضا لهم على الاسلام ببيان احوال الفريقين اى منا بعد استماع القرآن من اسلم ومنا من كفر والقاسط الجائر لانه عادل عن الحق والمقسط العادل لانه عادل عن الجور يقال قسط اذا جار واقسط اذا عدل * روى ان الحجاج قال لسعيد بن جبير ما تقول فى قال انت قاسط عادل فقال الحاضرون ما احسن ما قال حسبوا انه يصفه بالقسط والعدل فقال الحجاج يا جهلة يجعلنى جائرا كافرا وتلا قوله تعالى واما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا ثم الذين كفروا بربهم يعدلون وههنا تم اقوال الجن وقوله تعالى وان لو استقاموا على الطريقة من جملة الموحى به اى اوحى الى ان الشأن استمع نفر من الجن وان الشأن لو استقاموا على طريقة الاسلام لوسعنا عليهم فى الدنيا وبسطنا لهم فى الرزق وكلفناهم بالشكر فيه لنعلم كيف يشكرون والغدق بفتح الدال مصدر غدق الماء يغدق بكسر العين فى الماضى وفتحها فى المضارع اذا غزر وصف به الماء للمبالغة فى غزارته كرجل عدل ﴿ قوله تعالى يسلكه عذابا ﴾ اصله يسلكه فى عذاب لقوله تعالى ما سلككم فى سقر وقولهم سلكت الخيط فى الابرة فحذف الجار واوصل الفعل كما فى قوله تعالى واختار موسى قومه والصعد مصدر صعد يصعد صعدا وصعودا وصف به العذاب لانه يصعد المعذب اى يعلوه ويغلبه فلا يطيقه

(كنا طرائق) ذوى طرآئق اى مذاهب او مثل طرآئق فى اختلاف الاحوال اوكانت طرآئقنا طرآئق (قددا) متفرقة مختلفة جمع قدة من قدّ اذا قطع (وانا ظننا) علمنا (ان لن نعجز الله فى الارض) كائنين فى الارض اينما كنا فيها (ولن نعجزه هربا) هاربين منها الى السماء اولن نعجزه فى الارض ان اراد بنا امرا ولن نعجزه هربا ان طلبنا (وانا لما سمعنا الهدى) اى القرآن (آمنا به فمن يؤمن بربه فلا يخاف) فهو لا يخاف وقرئ فلا يخف والاوّل ادل على تحقيق نجاة المؤمن واختصاصها به (بخسا ولا رهقا) نقصا فى الجزآء ولان ترهقه ذلة او جزآء بخس ولا رهق لانه لم يبخس حقا ولم يرهق ظلما لان من حق الايمان بالقرآن ان تجتنب ذلك (وانا منا المسلمون ومنا القاسطون) الجائرون عن طريق الحق وهو الايمان والطاعة (فمن اسلم فاولئك تحروا رشدا) توخوا رشدا عظيما يبلغهم الى دار الثواب (واما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا) توقد بهم كما توقد بكفار الانس (وان لو استقاموا) اى ان الشأن لو استقام الجن او الانس او كلاهما (على الطريقة) المثلى (لاسقيناهم ماء غدقا) لوسعنا عليهم الرزق وتخصيص الماء الغدق وهو الكثير بالذكر لانه اصل المعاش والسعة ولعزة وجوده بين العرب (لنفتنهم فيه) لنختبرهم كيف يشكرونه وقيل معناه ان لو استقام الجن على طريقتهم القديمة ولم يسلموا باستماع القرآن لوسعنا عليهم الرزق مستدرجين لهم لنوقعهم فى الفتنة ونعذبهم فى كفرانه (ومن يعرض عن ذكر ربه) عن عبادته او عن موعظته او وحيه (يسلكه) يدخله (عذابا صعدا) شاقا يعلو المعذب ويغلبه مصدر وصف به

(فقول)

فقوله عذابا صعدا بمعنى ذا صعد و مشقة او عذابا صاعدا شاقا قدمر ان القرآء السبعة اتفقوا على فتح ان فى قوله تعالى وان المساجد لله على انه من جملة الموحى به والفاء فى قوله فلا تدعوا سببية اى اذا كان الامر كذلك فلا تعبدوا فيها غيره وذهب الخليل الى ان تقدير الآية ولان المساجد لله فلا تدعوا على ان اللام متعلقة بلا تدعوا اى فلا تدعوا مع الله احدا فى المساجد لانها لله خاصة ولعبادته فالمصنف اشار الى ضعفه بانه حينئذ يلزم الغاء فائدة الفاء السببية لان معنى السببية يستفاد حينئذ من لام التعليل عن قتادة قال كانت اليهود والنصارى اذا دخلوا كنائسهم وبيعهم اشركوا فامر الله تعالى ان يخلص المسلمون له الدعوة اذا دخلوا مساجدهم ﴿قوله لانه قبلة المساجد﴾ تعليل لاطلاق لفظ المساجد وهو جمع على المسجد الحرام او المساجد فى قوله قبلة المساجد جمع مسجد بفتح الجيم وهو مصدر ميمى بمعنى السجود او اسم مكان بمعنى موضع السجود يعنى ان المسجد الحرام وان كان مكانا معينا الا انه تعداد اعتبارا من حيث ان كل جزء منه قبلة لسجدة الساجدين يتوجه كل ساجد فى سجدته الى جزء من اجزآئه فكان المسجد الحرام مساجد باعتبار كون اجزآئه جهات السجود ﴿قوله ومواضع السجود﴾ على ان المراد النهى عن السجود لغير الله تعالى مرفوع بالعطف على قوله المسجد الحرام وكذا قوله وآرابه السبعة وقوله والسجدات ووجد فى بعض النسخ بدل هذا النظم بعد قوله لانه قبلة المساجد هكذا وفسرت بمواضع السجود على ان المراد النهى عن السجود لغير الله تعالى وبآرابه السبعة وبالسجدات وقوله على انه جمع مسجد اى بفتح الجيم متعلق بالتفاسير الاربعة المذكورة بقوله وقيل المسجد الحرام الى آخره فان المسجد بالفتح يصح ان يكون مصدرا بمعنى السجود واسما لمكان السجود اى ما يسجد عليه من الآراب السبعة فانها مواضع السجود من الجسد قال عطاء مساجد اعضائك التى امرت بالسجود عليها لا تذللها لغير خالقها قال عليه الصلاة والسلام امرت ان اسجد على سبعة آراب وهى الوجه واليدان والركبتان والقدمان والآراب الاعضاء جمع ارب وهو العضو واصله مأراب بهمزتين كجمل واجمال والمساجد على تقدير كونه جمع مسجد بمعنى السجود جمع مع ان الاصل فى المصدر ان لا يثنى ولا يجمع لقصد الانواع فان انواع السجود مختلفة باختلاف اوقات الصلوات الخمس وتلاوة آيات السجود ﴿قوله وانما ذكر لفظ العبد﴾ يعنى ان الظاهر ان يقال وان الشأن لما قمت ادعوه اى اعبده كادوا يكونون على لبدا لان هذا الكلام من جملة الموحى به الا انه عدل من الضمير الى الاسم الظاهر لفائدتين التواضع والاشعار بما هو سبب قيامه وعبادته لله تعالى وهو كونه عبدا له ﴿قوله او كاد الجن والانس﴾ عطف على قوله كاد الجن الاول على ان يقرأ وانه بفتح الهمزة ويكون الكلام من جملة الموحى به والثانى على ان يقرأ بكسر الهمزة وهى قرآءة نافع وابى بكر على انه ابتداء كلام من الله تعالى او على انه من قول الجن لقومهم بان قالوا حين رجعوا اليهم لما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى كاد كفار الانس والجن يتلبدون ويتظاهرون عليه ليبطلوا الحق الذى جاءبه ويطفئوا نور الله فابى الله الا ان ينصره ويظهره على من عاداه يريدون بهذا القول تقبيح حال الكفرة والطعن عليهم فى اجتماعهم على الناصح الامين وطلب منعه عن اظهار ما جاء به من الحق المبين مع كونه موافقا لقانون العقل ومقتضى الحكمة ومؤيدا بالشواهد والمعجزات الباهرة واصل المقصود ترغيب قومهم فى قبوله والانقياد له ﴿قوله وهو جمع لبدة﴾ يعنى ان الجمهور قرأوا لبدا بكسر اللام وفتح الباء المخففة وهو جمع لبدة كقربة وقرب واللبدة الشئ المتلبد اى المتراكب المتلاصق بعضه فوق بعض والمعنى كادوا يكونون عليه جماعة متراكبة مزدحمة وقرئ لبدا بضم اللام وفتح الباء مشددة وهو جمع لابد كسجدا فى جمع ساجد وقرئ لبدا بضم اللام والباء خفيفة وهو جمع لبود كصبر فى جمع صبور ﴿قوله يوجب تعجبكم او اطباقكم على مقتى﴾ لف ونشر مرتب فاذا كان معنى الآية المتقدمة واوحى الى لما قام عبد الله كاد الجن يتلبد على وتعجب مما رأوا من عبادتى لله تعالى وحده متبرئا من الشرك والاوثان كما هو دأبهم لانهم رأوا ما لم يروا مثله وسمعوا ما لم يسمعوا نظيره فلا جرم ازدحموا عليه متعجبين يكون معنى قوله قال انما ادعو ربى انه عليه السلام قال للجن عند ازدحامهم عليه متعجبين مما رأوا وسمعوا ليس ما ترون من عبادتى لله تعالى ورفضى الاشراك به بمتعجب منه وانما يتعجب ممن يدعو غير الله ويجعل له شريكا وان كانت الآية المتقدمة ابتداء كلام من الله تعالى او من قول الجن وكان معناها كاد الانس والجن يزدحمون عليه ويتظاهرون لابطال امره يكون معنى الثانية انه عليه السلام قال للمتظاهرين عليه انما ادعو ربى اى ما اتيتكم بامر منكر انما اعبد ربى وحده ولا اشرك به احدا وليس ذلك مما يوجب اطباقكم على مقتى وعداوتى

(وان المساجد لله) مختصة به (فلا تدعوا مع الله احدا) فلا تعبدوا فيها غيره ومن جعل ان مقدرة باللام علة للنهى ألغى فائدة الفاء وقيل المراد بالمساجد الارض كلها لانها جعلت للنبى صلى الله عليه وسلم مسجدا وقيل المسجد الحرام لانه قبلة المساجد ومواضع السجود على ان المراد النهى عن السجود لغير الله وآرابه السبعة والسجدات على انه جمع مسجد (وانه لما قام عبد الله) اى النبى وانما ذكر لفظ العبد للتواضع فانه واقع موقع كلامه عن نفسه والاشعار بما هو المقتضى لقيامه (يدعوه) يعبده (كادوا) كاد الجن (يكونون عليه لبدا) متراكبين من ازدحامهم تعجبا مما رأوا من عبادته وسمعوا من قرآنه او كاد الجن والانس يكونون عليه مجتمعين لابطال امره وهو جمع لبدة وهى ما تلبد بعضه على بعض كلبدة الاسد وعن ابن عامر لبدا بضم اللام جمع لبدة وهى لغة وقرئ لبدا كسجدا جمع لابد ولبدا بضمتين كصبر جمع لبود (قال انما ادعو ربى ولا اشرك به احدا) فليس ذلك ببدع ولا منكر يوجب تعجبكم او اطباقكم على مقتى

وقيل سبب نزول هذه الآية ان كفار قريش قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم انك جئت بامر عظيم وقد عاديت الناس كلهم فارجع عن هذا ونحن نجيرك فانزل الله تعالى قل انما ادعو ربي على قرآءة حمزة وعاصم ومن قرأ قال حمل ذلك على ان القوم لما قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ذلك اجابهم بقوله ادعو ربي فحكى الله تعالى عنه بقوله قال ﴿قوله ولا نفعا﴾ اي يجوز ان يفسر الرشد بالنفع على طريق اطلاق اسم السبب وارادة المسبب ويجوز ان يكون الرشد بمعناه ويكون الضرّ بمعنى الكفر والغى على طريق اطلاق اسم المسبب وارادة السبب فان الرشد سبب النفع والضرّ مسبب عن الغى وعبر به حتى يكون في تقدير الكلام اشعار بالمعنيين الاوّل لا املك لكم ضرّا ولا نفعا والثاني لا املك لكم غيا ولا رشدا وكلا المعنيين مناسب للمقام فان النافع والضارّ والمرشد والمغوى هو الله تعالى وان احدا من الخلق لا قدرة له عليه فانى وان اردت منكم الاهتداء والرشد بالايمان والطاعة ونهيكم من الغى بالكفر والعصيان فانكم فاتحون بالمخالفة والتظاهر على عداوتى وبغضى فليس في يدى ادخالكم في الرشد ولا ابقاؤكم في الكفر والغى وليس في يدى ايضا اضراركم بالعقوبة على الكفر والغى ولا نفعكم بالاثابة على الرشد والايمان ﴿قوله منصرفا وملتجأ﴾ يقال ألحد في دين الله والتحد فيه اى مال عنه وعدل ويقال للملجأ ملتحد لان اللاجى يميل اليه اى لن يقذنى مما قدّره الله تعالى علىّ من السوء احد ان استغفته ولن اجد من دونه ملتحدا لاعدل اليه الاهو ﴿قوله فان التبليغ ارشاد وانفاع﴾ يعنى انه استثناء متصل من قوله لا املك لكم ضرّا ولا رشدا بناء على ان تبليغ الرسالة من جنس الرشد وفائدة الاعتراض تأكيد نفى الاستطاعة المدلول عليه بقوله لا املك ﴿قوله او من ملتحدا﴾ اى لن اجد موضعا اميل اليه في الالتجاء الابلاغا اى لا ينجيني ولا يجيرني الا ان ابلغ من الله ما ارسلت به ﴿قوله او معناه ان لا ابلغ بلاغا﴾ على ان لا يكون الكلام استثناء بل شرط والاصل ان لا ادغم فان شرطية فعلها محذوف وهو ابلغ حذف لدلالة مصدره عليه ولا نافية والمعنى ان لا ابلغ بلاغا من الله فلن يجيرني منه احد وهذا الوجه ضعيف لان حذف فعل الشرط وابقاء اداته قليل جدا وقد انضم اليه في الآية حذف الجزآء لان نفس الجزآء لا يتقدم على الاداة عند البصريين ﴿قوله عطف على بلاغا﴾ كأنه قيل لا املك الا التبليغ والرسالة ومن الله صفة بلاغا اى بلاغا كائنا من الله تعالى وليست كلمة من متعلقة بقوله بلاغا لان صلة التبليغ في المشهور انما هي كلمة عن دون من ﴿قوله في الامر بالتوحيد﴾ اشارة الى الجواب عن استدلال المعتزلة بهذه الآية على ان عصاة المؤمنين مخلدون في النار ووجه الاستدلال ان العصيان المذكور فيها عام يتناول كل ما يصدق عليه انه عصيان ومخالفة للامر سوآء كان عصيان الكفر او عصيان الفسق وقد حكم على العاصي بهذا المعنى العام بانه مخلد في النار ابدا فثبت مذهب جمهور المعتزلة وتقرير الجواب عن استدلالهم ان العصيان وان كان يتناول كل ما يصدق عليه انه عصيان الا انه قد تقرّر ان العام يجوز تخصيصه بامور منها تخصيصه بالقرآئن المتعاقبة والعصيان المذكور في الآية من هذا القبيل فان المقصود من امره عليه الصلاة والسلام بان يقول لمشركي قريش ايها المصرّون على الشرك قد اوحى الىّ ان الشأن استمع هذا القرآن نفر من الجنّ فآمنوا به وبوحدانيته تعالى وتنزهه عن الشرك والصاحبة والولد ثم دعوا قومهم الى ان يؤمنوا به هو توبيخ مشركي مكة باصرارهم على الشرك كأنه قيل ما لكم تصرّون على الشرك والعناد مع طول ما دعوتكم الى التوحيد وتلوت عليكم من القرآن ما يدل على بطلان الشرك والجنّ قد آمنوا بالقرآن وتبرأوا من الشرك اوّل استماعهم اياه ثم ولوا الى قومهم منذرين من الشرك وسوء عاقبته فظهر ان المقصود المهم في هذه السورة الدعوة الى التوحيد والامر به والنهي عن الشرك والاصرار عليه فهذا قرينة واضحة على ان المراد بالعصيان المذكور فيها العصيان في الامر بالتوحيد فكأنه قيل ومن يعص الله ورسوله فيما امر به من التوحيد واصرّ على الشرك والضلال فانه مخلد في النار ابدا فليس في الآية دليل على ما ادّعاه جمهور المعتزلة من خلود عصاة المؤمنين ﴿قوله والغاية لقوله يكونون عليه لبدا بالمعنى الثاني﴾ اى المشار اليه بقوله او كاد الجنّ والانس يكونون عليه مجتمعين لابطال امره والمعنى كاد المشركون من الجنّ والانس يتظاهرون عليه بالعداوة ويستضعفون انصاره ويستقلون عددهم حتى اذا رأوا ما يوعدون في الدنيا من وقعة بدر واظهار دين الله تعالى عليهم او من يوم القيامة فسيعلمون حينئذ من اضعف ناصرا واقل عددا وان فسر قوله يكونون عليه لبدا بالمعنى الاوّل وقيل اى يزدحمون عليه تعجبا مما رأوا وسمعوا تعين كون ما بعد حتى غاية لمحذوف دلت عليه الحال من استضعاف الكفار له واستقلالهم

(بعددهم)

وقرأ عاصم وحمزة قل على الامر للنبي عليه السلام ليوافق ما بعده (قل انى لا املك لكم ضرّا ولا رشدا) ولا نفعا او غيا ولا رشدا عبر عن احدهما باسمه وعن الآخر باسم سببه او مسببه اشعارا بالمعنيين (قل انى لن يجيرنى من الله احد) ان اراد بى بسوء (ولن اجد من دونه ملتحدا) منحرفا وملتجأ (الا بلاغا من الله) استثناء من قوله لا املك فان التبليغ ارشاد وانفاع وما بينهما اعتراض مؤكد لنفى الاستطاعة او من ملتحدا او معناه ان لا ابلغ بلاغا وما قبله دليل الجواب (ورسالاته) عطف على بلاغا ومن الله صفته فان صلته عن كقوله بلغوا عنى ولو آية (ومن يعص الله ورسوله) فى الامر بالتوحيد اذ الكلام فيه (فان له نار جهنم) وقرئ فان على فجزاؤه ان (خالدين فيها ابدا) جمعه للمعنى (حتى اذا رأوا ما يوعدون) فى الدنيا كوقعة بدر او فى الآخرة والغاية لقوله يكونون عليه لبدا بالمعنى الثانى او لمحذوف دل عليه الحال من استضعاف الكفار له وعصيانهم له (فسيعلمون من اضعف ناصرا واقل عددا) هو ام هم

بعددهم والمعنى لايزالون على هذه الحال حتى اذا رأوا ما يوعدون يتبين حينئذ ان المستضعف من هو ومن في قوله تعالى من اضعف يجوز ان تكون موصولة في موضع النصب بقوله فستعلمون ويكون اضعف خبر مبتدأ محذوف اى فستعلمون الذى هو اضعف وان تكون استفهامية مرفوعة المحل على الابتدآء واضعف خبرها والجملة في موضع النصب سادّة مسدّ مفعولى العلم لانها معلقة بعلم قبلها وناصرا وعددا منصوبان على التمييز قال مقاتل لما سمعوا قوله تعالى حتى اذا رأوا ما يوعدون فسيعلمون من اضعف ناصرا واقل عددا قال النضر بن الحارث متى يكون هذا الذى توعدنا به فانزل الله تعالى قل ان ادرى أقريب ما تعدون الآية والمعنى ان وقوعه متعين متيقن به واما وقت وقوعه فغير معلوم لنا ﴿ قوله تعالى أقريب ﴾ خبر مقدم وما توعدون مبتدأ ويجوز ان يكون أقريب مبتدأ وان لم يكن مسندا اليه لوقوعه بعد الف الاستفهام وما توعدون فاعل له سدّ مسدّ الخبر وما موصولة والعائد محذوف اى أقريب الذى توعدونه نحو أقائم الزيدان فان قيل أليس قال عليه السلام بعثت انا والساعة كهاتين فكان عالما بقرب وقوع القيامة فكيف قال ههنا لاادرى اقريب هو ام بعيد والجواب ان المراد بقرب وقوعه هو ان ما بقى من الدنيا اقل مما انقضى فهذا القدر من القرب معلوم واما قربه بمعنى كونه بحيث يتوقع وقوعه في اى ساعة فغير معلوم ﴿ قوله على الغيب المخصوص به علمه ﴾ اخذه من اضافة الغيب الى ذاته المقدس فان الاضافة تفيد اختصاص المضاف اليه بين لولا انه تعالى عالم بجميع ما غاب عن حس الخلق بناء على ان اللام في الغيب للاستغراق ثم بين انه لايطلع على الغيب الذى يختص به علمه الا المرتضى الذى يكون رسولا للاشارة الى ان ما لايختص به علمه تعالى يطلع عليه غير الرسول اما بواسطة الانبياء عليهم الصلاة والسلام او بنصب الدلائل وترتيب المقدمات او بان يلهم الله تعالى بعض الاولياء وقوع بعض المغيبات في المستقبل بواسطة الملك والحمل على هذا المعنى متعين للقطع بان ليس مراد الله تعالى بهذه الآية انه تعالى لايطلع احدا على شئ من المغيبات الا الرسل لظهور انه تعالى قد يطلع على شئ من الغيب غير الرسل كما اشتهر ان كهنة فرعون اخبروا بظهور موسى عليه الصلاة والسلام وزوال ملك فرعون على يده وان بعض الكهنة اخبر بظهور نبينا صلى الله عليه وسلم قبل ظهور زمانه ونحو ذلك من المغيبات وكانوا صادقين وارباب الملل والاديان مطبقون على علم التعبير والمعبر قد يخبر عن وقوع الوقائع الآتية في المستقبل ويكون صادقا به ﴿ قوله ويستدل به على ابطال الكرامات ﴾ وجه الاستدلال انه تعالى خص الرسل من بين الخلائق بالاطلاع على الغيب واصحاب الكرامات من الاولياء ليسوا برسل فلا يطلعون على الغيب فلا كرامة لهم بالاطلاع على ما سيقع في المستقبل من المغيبات * وتقرير الجواب ان المراد بالرسول الملك وبالاظهار ما يكون بغير واسطة فاللازم من الاستثناء ان يختص الاظهار بغير واسطة بالملك وذلك لاينافى اطلاع الاولياء على بعض من الغيوب تلقيا من الملائكة او الهاماتهم الصادقة وفيه بحث لان تخصيص الرسول بالملك يستلزم ان لايكون اطلاع كل واحد من الاولياء والرسل على الغيب بواسطة الملك فلايكون اخبار الانبياء عن المغيبات معجزة لهم وقد اشتهر بين العلماء انه تعالى يطلع رسله على ما يشاء من الغيب ليستدل على نبوتهم بالآية المعجزة وهى الاخبار عن الغيب على ما هو به والاظهر في الجواب ان يقال الرسول من البشر يتلقى من الملك بالذات والولى لايتلقى بالذات بل بواسطة تصديقه بالنبى فلا حاجة الى تخصيص الرسول بالملك لان معنى الآية لايطلع على الغيب المخصوص به علمه الا الرسول من البشر فانه تعالى يطلعه عليه بواسطة ان يتلقاه من الملك وبالذات ولايطلع الولى عليه بان يتلقاه من الملك بالذات وذلك لاينافى ان يتلقاه من الملك بواسطة تصديقه بالنبى صلى الله عليه وسلم مع انه يجوز ان يتلقى النبى الغيب من غير واسطة الملك كما صرح به المصنف في قوله تعالى آخر حمعسق وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا حيث قال ان المراد بالوحى ما يعم المشافه به كما روى في حديث المعراج والاسرآء فانه يدل على انه تعالى قد اظهر النبى على بعض المغيبات بلا واسطة فكيف يجوز تخصيص الرسول بالملك وقوله على الغيب المخصوص به علمه قسيم ما نصب عليه دليل كالصانع وصفاته واليوم الآخر واحواله وهو المراد بقوله يؤمنون بالغيب ثم انه تعالى ذكر انه يحفظ ذلك الذى يطلع عليه الرسول وهو جبريل عليه الصلاة والسلام فقال فانه يسلك اى يدخل من بين يديه اى يدى الرسول ومن خلفه رصدا اى حرسا من الملائكة يحفظون الوحى من ان يسترقه الشيطان فيلقيه الى الكهنة فيخبرون به قبل اخبار الرسول ﴿ قوله اى ليعلم النبى الموحى اليه ﴾ قوله ليعلم متعلق بمحذوف دل عليه الكلام كأنه قيل

(قل ان ادرى) ما ادرى (أقريب ما توعدون ام يجعل له ربى أمدا) غاية تطول مدتها كأنه لما سمع المشركون حتى اذا رأوا ما يوعدون قالوا متى يكون انكارا فقيل قل انه كائن لامحالة ولكن لا ادرى وقته (عالم الغيب) هو عالم الغيب (فلا يظهر) فلا يطلع (على غيبه أحدا) اى على الغيب المخصوص به علمه (الا من ارتضى) لعلم بعضه حتى يكون له معجزة (من رسول) بيان لمن ويستدل به على ابطال الكرامات وجوابه تخصيص الرسول بالملك والاظهار بما يكون بغير واسطة وكرامات الاولياء على المغيبات انما تكون تلقيا من الملائكة كاطلاعنا على احوال الآخرة بتوسط الانبياء (فانه يسلك من بين يديه) من بين يدى المرتضى (ومن خلفه رصدا) حراسا من الملائكة يحرسونه من اختطاف الشياطين وتخاليطهم (ليعلم أن قد أبلغوا) اى ليعلم النبى الموحى اليه ان قد ابلغ جبرآئيل والملائكة النازلون بالوحى

اخبرناه بحفظ الوحي عن اختطاف الشياطين ليعلم رسول البشر ان رسل الملائكة ابلغوا رسالات ربهم كما هي ﴿قوله ليعلم الله﴾ اى ليعلم ان الانبياء قد ابلغوا رسالات ربهم كما هي اى يعلم تبليغهم الرسالات كما هي موجودة واصل المعنى ليبلغ الانبياء رسالات ربهم كما هي محروسة عن الزيادة والنقصان وعبر عن هذا المعنى بعلمه تعالى تبليغهم اياها كما هي لكونه ابلغ في الدلالة على تحقق التبليغ على الوجه المذكور كناية عن وجوده لكونه لازما له ومتفرعا عليه وقد تقرر ان ذكر الشئ كناية ابلغ من التصريح به وقوله ليتعلق علمه به موجودا مبنى على ان نفس علم الله تعالى ليس مما يتفرع على وجود شئ من الحوادث بل المتفرع عليه هو تعلقه بالاحوال الحادثة على حسب ما هي عليه والتبدل والتغير انما هو في المعلوم لا في العلم فانه تعالى يعلم جميع الجزئيات على وجه جزئى فعند وجودها يعلم انها وجدت وعند عدمها يعلم انها عدمت وقبل ذلك يعلم انها ستوجد وتعدم ولما كان المراد من العلم بالتبليغ العلم الذى يتعلق به الجزاء وذلك هو العلم بكونه موجودا قيد التبليغ بقوله موجودا فقال ليتعلق علمه به موجودا والعلم انما يتعلق بالتبليغ موجودا حال وجود التبليغ واما قبل وجوده فانما يعلم بانه سيوجد لا بانه موجود فان ذلك لا يكون علما بل هو جهل والعلم بانه سيقع لا يتعلق به الجزاء * تمت سورة الجن والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه اجمعين

﴿ سورة المزمل مكية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿قوله وبالمزمل﴾ اى بتخفيف الزاى وفتح الميم على لفظ اسم المفعول وهو الذى زمله غيره وبكسر الميم وتخفيف الزاى ايضا اى المزمل نفسه بحذف المفعول من زمله في ثوبه اى لفه فيه وتزمل في ثيابه اى تدثر وتلفف فيها وازدمله اى احتمله والزمل الحمل ﴿قوله لانه كان نائما او مرتعدا﴾ قيل كان عليه الصلاة والسلام نائما بالليل متزملا في قطيفة فنبه ونودى بما يهجن اليه تلك الحالة التى كان عليها من التزمل والنوم كما يفعل من لا يهمه امر ولا يعنيه شأن وقيل يا ايها النائم المتزمل بثوبه قم واشتغل بالعبودية امره عليه الصلاة والسلام ان يختار التهجد على التزمل ويؤيد هذا المعنى امره عليه الصلاة والسلام بالقيام الى الصلاة بعده وهو قوله تعالى قم الليل اى قم للصلاة وقيل كان في اول ما اوحى اليه لما سمع صوت الملك ونظر اليه اخذته الرعدة والحمى فاتى اهله وقال زملونى دثرونى فبينما هو كذلك اذ ناداه جبريل عليه السلام وناداه وقال يا ايها المزمل تهجينا لما كان عليه وقيل ليس بتهجين لحاله بل كان تهوينا عليه وتحسينا لحاله اذ روى انه عليه الصلاة والسلام كان متزملا في مرط لعائشة رضى الله عنها وهو يصلى قيل عليه ان هذه السورة مكية وهذه الرواية تدل على انها مدنية لانه عليه الصلاة والسلام لم يبن بها الا بالمدينة واجيب بانه يجوز ان يكون عليه الصلاة والسلام قد بات في بيت ابى بكر الصديق رضى الله عنه ذات ليلة وكان بعض المرط على عائشة وهى طفلة والباقى على النبى صلى الله عليه وسلم وليس في هذه الرواية ما يدل على ان هذه الواقعة كانت بعد البناء بها وروى انه تزوجها في شوال سنة عشر من النبوة قبل الهجرة بثلاث ولها ست سنين واعرس بها بالمدينة وهى بنت تسع سنين فنداؤه صلى الله عليه وسلم بالمزمل تحسين لحاله التى كان عليها وجعل هذا النداء ذريعة الى الامر بالمداومة على تلك الحال الحسنة ﴿قوله اى قم الى الصلاة او داوم عليها﴾ الاول على ان يكون اشارة على ان تسميته بالمزمل للتهجين والثانى على ان يكون للتحسين ﴿قوله وقرئ بضم الميم﴾ يعنى قرأ العامة قم الليل بكسر الميم لالتقاء الساكنين وقرئ بضمها اتباعا لحركة القاف وبفتحها لخفة الفتحة والليل ظرف للقيام ان استغرقه الحدث الواقع فيه وحد الليل من غروب الشمس الى طلوع الفجر وضمير نصفه على تقدير كونه بدلا من قليلا راجع الى الليل وضمير منه وعليه راجعان الى النصف والمعنى قم الى الصلاة في الزمان المحدود المسمى بالليل لا في الجزء القليل منه وهو نصفه او انقص القيام من نصفه او زد عليه كأنه قيل قم نصف الليل او انقص من النصف او زد عليه وهو تخيير بين قيام النصف بتمامه والزائد عليه والناقص منه ﴿قوله وقلته بالنسبة الى الكل﴾ اى لا بالنسبة الى النصف الآخر لان كل واحد من النصفين يجب ان يكون مساويا للنصف الآخر ولا يتصور ان يكون اقل منه ﴿قوله او نصفه بدل من الليل﴾ بدل البعض من الكل وقوله الا قليلا مستثنى من قوله نصفه مقدم عليه كأنه قيل قم اقل من نصف الليل كالثلث ثم ان كان ضمير منه وعليه لما هو اقل من النصف يكون المعنى حينئذ النقص من ذلك الاقل والزيادة عليه ويكون التخيير بين ان يقوم فيما هو اقل من

او ليعلم الله تعالى ان قد ابلغ الانبياء يعنى ليتعلق علمه به موجودا (رسالات ربهم) كما هي محروسة من التغيير (واحاط بما لديهم) بما عند الرسل (واحصى كل شئ عددا) حتى القطر والرمل * عن النبى عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة الجن كان له بعدد كل جنى صدق محمدا او كذب به عتق رقبة

﴿ سورة المزمل مكية وآيها تسع ﴾
﴿ عشرة آية او عشرون ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يا ايها المزمل) اصله المتزمل من تزمل بثيابه اذا تلفف بها فادغم التاء في الزاى وقد قرئ به وبالمزمل مفتوحة الميم ومكسورتها اى الذى زمله غيره او زمل نفسه سمى به النبى صلى الله عليه وسلم تهجينا لما كان عليه لانه كان نائما او مرتعدا مما دهشه بدأ الوحى متزملا في قطيفة او تحسينا له اذ روى انه عليه الصلاة والسلام كان يصلى متلففا بمرط مفروش على عائشة فنزل او تشبيها له في تثاقله بالمتزمل لانه لم يتمرن بعد في قيام الليل او من تزمل الزمل اذا تحمل الحمل اى الذى تحمل اعباء النبوة (قم الليل) اى قم الى الصلاة او داوم عليها فيه وقرئ بضم الميم وفتحها للاتباع او التخفيف (الا قليلا نصفه او انقص منه قليلا او زد عليه) الاستثناء من الليل ونصفه بدل من قليلا وقلته بالنسبة الى الكل والتخيير بين قيام النصف والزائد عليه كالثلثين والناقص عنه كالثلث او نصفه بدل من الليل والاستثناء منه والضمير في منه وعليه للاقل من النصف كالثلث فيكون التخيير بينه وبين الاقل منه كالربع والاكثر منه كالنصف

النصف كالثلث و بين ان يقوم فيما هو انقص من ذلك الاقل كالربع و بين ان يقوم فيما هو ازيد منه كالنصف ﴿قوله او انصف﴾ عطف على قوله للاقل من النصف اى على تقدير ان يكون نصفه بدلا من الليل و يكون الاقليلا مستثنى من نصفه يجوز ان يكون ضميرمنه و عليه للنصف و يكون المعنى حينئذ قم اقل من نصف الليل كالثلث او انقص من النصف قليلا بان تقوم الثلث مثلا اوزد على النصف و يفهم من ظاهر النظم ان يكون التخيير بين ثلاثة امور لان فيه حرفى عطف وليس كذلك اذليس ههنا الا امران فقط و هما اما القيام فى اقل من النصف او فى ازيد منه لان مدلول قولنا قم نصف الليل الاقليلا و قولنا او انقص من نصفه واحد فلم يبق الا الامران فقط فلذلك جعل احد شق التخيير ان يقوم فيما هو اقل من نصف الليل على البت و جعل شقه الآخر ان يختار احد الامرين و هما القيام فيما هو اقل من النصف و القيام فيما هو اكثر منه ﴿قوله او الاستثناء من اعداد الليل﴾ عطف على قوله والاستثناء من الليل جوز اولا ان يكون الاستثناء من ساعات الليل واجزآئه بان يكون تعريف الليل لاستغراق اجزآئه ثم جوز ان يكون من افراده واعداده كانه قيل قم فى جميع الليالى الاقليلا من افرادها يقع لك فيها عذر يمنعك من القيام فيها ثم بين ما يقوم به من اجزآء الليل بان خيره بين قيام النصف و الناقص منه و الزآئد عليه قيل هذا التخيير على حسب طول الليالى و قصرها فالنصف اذا استوى الليل و النهار و النقص منه اذا قصر الليل و الزيادة عليه اذا طال الليل قال ابن عباس رضى الله عنهما ان قيام الليل كان فريضة على رسول الله صلى الله عليه و سلم لقوله تعالى قم الليل فظاهر الامر انه للوجوب ثم نسخ و اختلفوا فى سبب النسخ فقيل انه كان فرضا قبل ان تفرض الصلوات الخمس ثم نسخ بها وقيل ان قيام الليل كان فريضة عليه و على المؤمنين مع كونهم مخيرين بين المقادير المذكورة فكان الرجل لايدرى فى اى مقدار من الليل صلى و كم بقى منه فكان يقوم الليل كله مخافة ان لايحفظ القدر الواجب وشق عليهم ذلك حتى انتفخت اقدامهم فرحم الله تعالى و خفف عنهم فنسخ فريضته بقوله فى آخر هذه السورة فاقرأوا ماتيسر من القرآن وكان بين ايجاب قيام الليل و بين نسخه سنة كاملة وقيل سنتان ﴿قوله ثغر رتل و رتل﴾ هو بفتح التاء و كسرها و ثنايا مفلجة متباعد مابينها يقال ثغر رتل اذا كان بين الثنايا افتراق قليل و ترتيلا مصدر مؤكد لفعله الدال على ايجاب الترتيل اكد ايجابه بالمصدر ليعلم انه لابد للقارئ منه ليتمكن هو و من حضره من التأمل فى حقائق الآيات و يستشعر عظمة الله تعالى و جلاله عند الوصول الى ذكر الله و يقع فى الخوف و الرجاء عند الوصول الى آية الوعد و الوعيد فحينئذ يستنير القلب بنور معرفة الله تعالى و ينفتح عليه اسرار الكلام الالهى ﴿قوله والجملة اعتراض﴾ اى بين قوله ياايها المزمل قم الليل الاقليلا و بين قوله ان ناشئة الليل فانه متعلق بالاول مناسبة فوسطت هذه الجملة بينهما ليسهل عليه تكليفه بالتهجد فكانه تعالى قال انما امرتك بقيام الليل لانا سنلقى عليك قولا ثقيلا فلابد لك ان تسعى فى صيرورة نفسك مستعدة لتلقى ذلك القول العظيم و ذلك الاستعداد لاتحصل الابصلاة الليل فان النفس تستعد بها لقبول الفيض الالهى من حيث ان الشواغل الحسية و العوآئق الجسمانية تكون ساكنة فى الليلة الظلماء فاذا اشتغل الانسان فيها بعبادة ربه و ترتيل كلامه يتنور قلبه و يتقوى روحه فيزداد مناسبة و اتصالا بعالم الغيب فيستعد لتلقى المعارف الالهية و الالهامات الربانية ﴿قوله و يدل على انه﴾ اى التهجد عطف على قوله يسهل يعنى ان الفائدة الثانية للاعتراض الدلالة على ان التكليف بقيام الليل من جملة التكاليف الثقيلة التى يشتمل عليها القرآن فعليك بملازمة هذا التكليف و الاستئناس به لئلا يثقل عليك امثاله ﴿قوله مشق﴾ باسم الفاعل الظاهر انه تحريف من الناسخين و الاصل شق بكسر الشين و هى المشقة قال تعالى لم تكونوا بالغيه الابشق الانفس يقال شق على الشئ يشق شقا و مشقة و الاسم الشق بالكسر و لم يسمع اشق على فهو مشق ﴿قوله اورصين﴾ اى محكم ثابت وهو عطف على قوله ثقيل على المكلفين و الرزانة الوقار و الثقل يعنى او ان ثقله عبارة عن بلاغته و اعجازه بحسب النظم و دقة المعانى فالثقل على الاول راجع الى ثقل العمل به و على هذا الى ان جهات حسنه و كماله ثابتة مستقرة لاتزول ابدا كثبوت الشئ الثقيل فى محله ﴿قوله فيفصم﴾ اى يقلع يقال افصم المطر اى اقلع و انجلى ﴿قوله ليرفض﴾ اى يرشح عرقا ﴿قوله و على هذا﴾ اى على ان يكون قولا ثقيلا صفة للمصدر لاللمفعول به اى سنلقى القاء ثقيلا و قول الشاعر

نشأنا الى خوص برى نيها السرى ۞ وألصق منها مشرفات القماحد ۞

نشأنا اى قمنا و الخوصاء الناقة الغائرة العينين و الذكر اخوص و جمعهما خوص و النى بفتح النون الشحم و اللحم

او النصف و التخيير بين ان يقوم اقل منه على البت و ان يختار احد الامرين من الاقل و الاكثر او الاستثناء من اعداد الليل فانه عام و التخيير بين قيام النصف و الناقص منه و الزآئد عليه (ورتل القرآن ترتيلا) اقرأه على تؤدة و تبيين حروف بحيث يتمكن السامع من عدها من قولهم ثغر رتل و رتل اذا كان مفلجا (انا سنلقى عليك قولا ثقيلا) يعنى القرآن فانه لما فيه من التكاليف الشاقة ثقيل على المكلفين سيما على الرسول صلى الله عليه و سلم اذ كان عليه ان يتحملها و يحملها امته و الجملة اعتراض يسهل عليه التكليف بالتهجد و يدل على انه مشق مضاد للطبع مخالف للنفس او رصين لرزانة لفظه و متانة معناه او ثقيل على المتأمل فيه لافتقاره الى مزيد تصفية السر و تجريد النظر او ثقيل فى الميزان او على الكفار و الفجار او ثقيل تلقيه لقول عائشة رضى الله عنها رأيته ينزل عليه الوحى فى اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وان جبينه ليرفض عرقا و على هذا يجوز ان يكون صفة للمصدر و الجملة على هذه الاوجه للتعليل مستأنف فان التهجد يعد للنفس ما به يعالج ثقله (ان ناشئة الليل) ان النفس التى تنشأ من مضجعها الى العبادة من نشأ من مكانه اذا نهض قال

نشأنا الى خوص برى نيها السرى ۞

وألصق منها مشرفات القماحد ۞

يقال ناقة ناوية اى سمينة ونوى اى سمين ورى اى اذهب والاذاب من ورى القلم ريا وريت البعير اذا حسرته والاذهبت لحمه والسرى سير الليل والصق اى طأطأ وتكس وفاعله ضمير السرى والقماحد جمع قمحدوة وهى القفا الذى هو مؤخر الرأس ومعقد الازار والمعنى فنا الى نوق تارات الاعين اذاب لحمها وشحمها سير الليل وجعلها مهزولة ضعيفة وجعل السرى فاحدها المشرفة المرتفعة من السمن لاصقة منخفضة من الهزال اى فنا اليها ورحلناها والناشئة على هذا صفة لمحذوف اى النفس القائمة من مضجعها بالليل للعبادة ﴿قوله او قيام الليل﴾ على ان الناشئة مصدر كالعاقبة من نشأ اذا قام ﴿قوله او ساعات الليل﴾ على ان تكون الناشئة صفة ساعات الليل الناشئة اى الحادثة شيأ بعد شئ « الجوهرى ناشئة الليل اول ساعاته يقال نشأ يفعل كذا اذا ابتدأ واقبل شيأ بعد شئ فهو ناشئ » وانشأه الله فنشأ قال زين العابدين ناشئة الليل مابين المغرب الى العشاء لان ناشئة الليل هى الساعة التى منها يبتدأ انشاء الليل وقيدها ابن عباس والحسن بما كان بعد العشاء وما كان قبلها فليس بناشئة وخصصتها عائشة بما كان بعد النوم فلولم يتقدمها نوم لم تكن ناشئة وقيل الليل كله ناشئة ﴿قوله اى كلفة او ثبات قدم﴾ تفسير ان لوطئا بفتح الواو وسكون الطاء وقصر الالف وهو مصدر قولك وطئ الشئ اذا داسه برجله او جعل عليه ثقله فان النفس القائمة بالليل الى العبادة اشد وطئا من التى تقوم بالنهار على ان يكون الوطئ عبارة عن الكلفة والثقلة كما يقال اشتدت على القوم وطأة سلطانهم اذا ثقل عليهم معاملته معهم وفى الحديث « اللهم اشدد طأتك على مضر » والمقصود من الحكم بان النفس التى تنشأ بالليل من مضجعها اشد كلفة بيان انها اكثر ثوابا لان ثواب العبادة على قدر شدة الوطأة وثقلها كما قال عليه الصلاة والسلام « افضل العبادات احزها » اى اشقها او على ان تكون عبارة عن ثبات القدم فان النهار زمان التقلب للمعاش وتكثر فيه الشواغل الموجبة لاضطراب القلب للمعاش فلا يكون القائم بالعبادة فيه ثابت القدم عليها فيكون المقصود حينئذ بيان وجه اختيار الليل وتخصيصه بالامر بالقيام به فانه تعالى جعل الليل لباسا يستر الناس ويمنعهم من الاضطراب والانقلاب الى اكتساب المعاش وجعل النهار معاشا يباشرون فيه امور معاشهم فلا تثبت فيه اقدامهم للعبادة ﴿قوله اى مواطأة القلب﴾ تفسير لقرآءة ابى عمرو وابن عامر وطاء بكسر الواو وفتح الطاء ومد الالف لان المواطأة هى الموافقة يقال واطأت فلانا على كذا مواطأة ووطاء اذا وافقته فان فسرت ناشئة الليل بالنفس الناشئة بالليل من مضجعها يكون المعنى انها اشد من جهة مواطأة القلب اللسان لها وان فسرت بقيام الليل او بالعبادة الناشئة بالليل او بالساعات الناشئة بالليل بمعنى الحادثة او المبتدأة يكون المعنى ان الناشئة باحد المعانى اشد من جهة موافقة قلب القائم لسانه فى تلك الناشئة ﴿قوله واسد مقالا او اثبت قرآءة﴾ يعنى انه يجوز ان يكون اقوم اسم تفضيل من القيام بمعنى السداد والاستقامة وان يكون من القيام بمعنى الثبات والاستمرار وهدوء الاصوات سكونها يقال هدأ هدأ وهدوءا سكن واهدأه غيره اسكنه والسبح التصرف فى المعاش والتقلب فى الامور ومنه السباحة فى الماء وسبح الصوف والقطن جعله منفوشا لتفتت اجزآئه وتبديد غزله ﴿قوله وجرد نفسك عما سواه﴾ اشارة الى ان تبتيلا مصدر مؤكد لفعله المحذوف المدلول عليه بالالتزام لان التبتل لا يكون الا بالتبتيل وتقدير الكلام تبتل اليه وبتل نفسك عما سواه تبتيلا ﴿قوله ولهذه الرمزة﴾ يعنى ان الظاهر ان يقال وتبتل اليه تبتلا او يقال بتل نفسك عما سواه تبتيلا لكن لم يرد النظم هكذا لرمزة خفية وهى ان المقصود بالذات انما هو التبتل والانقطاع اليه تعالى وذلك لا يحصل الا بتبتيل النفس وقطعها عن التعلق بما سواه فذكر اولا التبتل اشعارا بانه المقصود بالذات وذكر التبتيل ثانيا اشعارا بانه لابد منه وان كان مقصودا بالعرض لا بالذات لانه نوع تعلق بغير الله فلا يكون مقصودا لذاته وفى وضع التبتيل مقام التبتل رعاية الفواصل ايضا ﴿قوله فان توحده بالالوهية يقتضى ان يوكل اليه الامور﴾ لان جميع ماسواه يكون ممكنا محدثا محتاجا الى غيره فكيف يصلح ان يكون موكولا اليه الامور ومن عرف انه لا اله الا هو لا جرم يفوض جميع الامور اليه ومن لا يفوض ذلك اليه فهو لا يعلم حقيقة لا اله الا هو ومن اتخذه وكيلا يسترح من معارضة زيد وعمرو والاهتمام على ما فاته من المقاصد لانه يتحقق عنده ان قيام الله تعالى باصلاح امره احسن من قيامه باصلاح امور نفسه فيقع فى دائرة التسليم والرضى فيستريح ثم انه تعالى لما ارشد رسوله صلى الله عليه وسلم الى كيفية معاملته مع ربه من اول السورة الى هنا اتبعه بيان كيفية معاملته مع الخلق فقال واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا لان من يخالط الناس كثيرا ما يجد منهم الايذآء والمنافرة فيعتريه بسبب ذلك الغموم

او قيام الليل على ان الناشئة له او العبادة التى تنشأ بالليل اى تحدث به او ساعات الليل لانها تحدث واحدة بعد اخرى او ساعاتها الاول من نشأت اذا ابتدأت (هى اشد وطئا) اى كلفة او ثبات قدم وقرأ ابو عمرو وابن عامر وطاء اى مواطأة القلب اللسان لها او فيها او موافقة لما يراد من الخضوع والاخلاص (واقوم قيلا) واسد مقالا او اثبت قرآءة لحضور القلب وهدوء الاصوات (ان لك فى النهار سبحا طويلا) تقلبا فى مهامك واشتغالا بها فعليك بالتهجد فان مناجاة الحق تستدعى فراغا وقرئ سبخا اى تفرق قلب بالشواغل مستعار من سبخ الصوف وهو نفشه ونشر اجزآئه (واذكر اسم ربك) ودم على ذكره ليلا ونهارا وذكر الله يتناول كل ما يذكر به من تسبيح وتهليل وتمجيد وتحميد وصلاة وقرآءة قرآن ودراسة علم (وتبتل اليه تبتيلا) وانقطع اليه بالعبادة وجرد نفسك عما سواه ولهذه الرمزة ومراعاة الفواصل وضع موضع تبتلا (رب المشرق والمغرب) خبر محذوف او مبتدأ خبره (لا اله الا هو) وقرأ ابن عامر والكوفيون غير حفص ويعقوب بالجر على البدل من ربك وقيل باضمار حرف القسم وجوابه لا اله الا هو (فاتخذه وكيلا) مسبب عن التهليلة فان توحده بالالوهية يقتضى ان يوكل اليه الامور (واصبر على ما يقولون) من الخرافات (واهجرهم هجرا جميلا) بان تجانبهم وتداريهم ولا تكافئهم وتكل امرهم الى الله

فلابد لاهل الاختلاط من الصبر الجميل وترك المخالطة بان يخالفهم فى افعالهم السيئة ولا يخاصمهم ولا يسمعهم القبيح و بنصحهم لمن رجا منهم القبول وذلك هو الهجر الجميل فقد استراح منهم ثم لما خطر بالبال ان من بعث لدعوة الخلق وارشادهم كيف يهجر المكذبين مع ان تهديدهم بالمجازاة على الكذب ادخل فى ظهور آثار الرسالة دفع ذلك الخاطر بقوله وذرنى والمكذبين يعنى ثم ان الامر كذلك الا انه ينبغى ان تكل امر مجازاتهم الىّ وان لا تهتم بهم وانا اكفيكهم وقوله تعالى والمكذبين يجوز ان يكون انتصابه على انه مفعول معه او على انه معطوف على ياء المتكلم فى ذرنى والاول هو الانسب بالمقام والثانى اوفق بصناعة العربية لان المتبادر من نحو قولك ضربت زيدا وعمرا انما هو مجرد مشاركة الواو لما قبلها فى ملابسة معنى العامل بكل واحد منهما وهو معنى العطف ولا يفهم منه كون تلك الملابسة بطريق المعية واصطحابهم ذلك اذا كان الفعل المذكور قبلها لازما فانه اذا كان لازما يكون مابعد الواو على تقدير العطف مرفوعا ويكون العدول الى النصب نصا على قصد المعية والمصاحبة فى ملابسة الفعل فان العطف لا يدل الا على ان مابعد الواو مشارك لما قبلها فى ملابسة الفعل لكل واحد منهما والنصب كما يدل على تلك المشاركة يدل ايضا على كون تلك الملابسة فى زمان واحد مثلا اذا قلت سرت وزيدا بالنصب يكون زيد مشاركا للمتكلم فى ملابسة السير لكل واحد منهما وفى وقوعهما معا بخلاف ما اذا قلت سرت انا وزيد بالعطف فانه انما يدل على مشاركتهما فى السير فقط ولا يدل على المعية فيه فظهر ان النصب انما يكون نصا على المعية والمصاحبة اذا كان الفعل لازما وذرنى فى الآية متعد والنعمة بفتح النون التنعم وهو مطاوع نعم يقال نعمه الله وناعمه فتنعم والنعمة بالكسر ما انعم به عليك ﴿قوله تعليل للامر﴾ اى بالامهال فان تعداد ماعنده من اسباب التعذيب بيان لاقتداره على الانتقام منهم والجحيم كل نار عظيمة فى مهواة وهى مابين الجبلين والغصة الشجى ومايقف فى الحلق ولا يتساغ فيه والطعام ذو الغصة هو الطعام الذى يقف فى الحلق لا ينزل ولا يخرج وتنكير عذابا وابهام كيفيته يدل على كونه فى نهاية الهول والشدة بالنسبة الى ماتقدم عليه من الامور الثلاثة وكونه للتهويل لا ينافى كونه للنوعية ﴿قوله فان النفوس العاصية المنهمكة فى الشهوات﴾ بيان لكون تلك العقوبات مما يصح ان يعاقب بها الارواح ولم يتعرض لبيان كونها عقوبات للاشباح لظهوره واستغنائه عن البيان وكون الارواح العاصية بعد مفارقتها عن الابدان باقية على التقيد بحب الشهوات والتعلق بها المانع من التخلص الى عالم المجردات بمنزلة الانكال والقيود المانعة عن الوصول الى ما مرّ من المشتهيات ثم يتولد عن تلك القيود الروحانية روحانية شبيهة بالجحيم فان شدة ميلها الى مافارقت عنه من الشهوات الدنيوية وعدم تمكنها من الوصول اليها يوجب حرقة شديدة روحانية شبيهة بالاحراق بنار الجحيم وهى حرقة فراق المشتهيات ويصير تألم الروح بألم هذا الفراق على الاستمرار والدوام بمنزلة طعام ذى غصة لا يسوغ ولا يخرج من الحلق ثم حرمانه من ان يتجلى له نور جمال الله تعالى ويتلذذ بالمعارف الالهية والاسرار الربانية وينخرط فى سلك المقربين عذاب اليم اشد عليه من جميع العقوبات الثلاث ﴿قوله فسر العذاب﴾ جواب لما اشار به الى ان اللائق بهذا المفسر ان يفسر العقوبات الثلاث الاول بما يعم العقوبات الروحانية وان يكون ماذكره من تفسير العذاب بالحرمان من لقاء الله تعالى للاشارة الى كون العذاب متناولا له كما يتناول العذاب الجسمانى ﴿قوله منثورا﴾ اشارة الى ان مهيلا اسم من هلت الشئ اذا صببته من غير كيل وحساب اى تكون الجبال بعدما كانت اوتاد الارض قطعة مجتمعة كالرمل المهيل لا تتماسك اجزآؤها بل تصير شيأ منثورا اى متفرق الاجزآء بان ينسف الله تعالى اجزآءها اى يقلع بعضها من بعض ويجعلها كالعهن المنفوش فعند ذلك تصير كالكثيب ثم انه تعالى يحركها كما قال ويوم نسير الجبال فعند ذلك تصير مهيلا اى رملا سائلا متناثرا ثم انه تعالى لما خوّف المكذبين اولى النعمة باهوال القيامة خوفهم بعد ذلك باهوال الدنيا فقال انا ارسلنا اليكم رسولا الآية فان المقصود تهديد اهل مكة بالاخذ الوبيل وان فى اعادة فرعون والرسول مظهرين تفظيعا لشأن عصيانه وان ذلك لكونه عصيان الرسول لا لكونه عصيان موسى وفيه ان عصيان المخاطبين افظع وادخل فى الذم اذ زاد لهذا الرسول وصفا آخر اعنى شاهدا عليكم وادمج فيه انهم لو آمنوا لكانت الشهادة لهم لا عليهم ﴿قوله تعالى فكيف تتقون﴾ مرتب على الارسال الذى رتب عليه عصيانهم اى فكيف تتقون اهوال القيامة وما اعدّ لكم من الانكال ونحوها ان دمتم على ماانتم عليه ومتم على الكفر وقوله ان كفرتم الخ اى بحرف الشرط اشارة الى ان ارسال هذا الرسول

كما قال (وذرنى والمكذبين) دعنى واياهم وكل الىّ امرهم فانى فيه غنية عنك فى مجازاتهم (اولى النعمة) ارباب التنعم يريد صناديد قريش (ومهلهم قليلا) زمانا او امهالا (ان لدينا انكالا) تعليل للامر والنكل القيد الثقيل (وجحيما وطعاما ذا غصة) طعاما ينشب فى الحلق كالضريع والزقوم (وعذابا اليما) ونوعا آخر من العذاب مؤلما لا يعرف كنهه الا الله ولما كانت العقوبات الاربع مما يشترك فيها الاشباح والارواح فان النفوس العاصية المنهمكة فى الشهوات تبقى مقيدة بحبها والتعلق بها عن التخلص الى عالم المجردات متحرقة بحرقة الفرقة متجرعة غصة الهجران معذبة بالحرمان من تجلى انوار القدس فسر العذاب بالحرمان من لقاء الله تعالى (يوم ترجف الارض والجبال) تضطرب وتتزلزل ظرف لما فى لدينا انكالا من معنى الفعل (وكانت الجبال كثيبا) رملا مجتمعا كأنه فعيل بمعنى مفعول من كثبت الشئ اذا جمعته (مهيلا) منثورا من هيل هيلا اذا نثر (انا ارسلنا اليكم) يا اهل مكة (رسولا شاهدا عليكم) يشهد عليكم يوم القيامة بالاجابة والامتناع (كما ارسلنا الى فرعون رسولا) يعنى موسى عليه الصلاة والسلام ولم يعينه لان المقصود لم يتعلق به (فعصى فرعون الرسول) عرّفه لسبق ذكره (فأخذناه اخذا وبيلا) ثقيلا من قولهم طعام وبيل لا يستمرئ لثقله ومنه الوابل للمطر العظيم (فكيف تتقون)

لا يبق لاحد شبهة تغيه من الكفر كيف وهو النور المبين فكيف بقاؤهم على الكفر بعد ارسال الرسول الذى حقه ان يحرز الامور المشكوك فى وجودها ﴿ قوله تتقون انفسكم ﴾ فسر تتقون بتقون انفسكم فعداه بذلك الى مفعولين اولهما انفسكم المقدر وثانيهما يوما فانه مفعول به لتتقون كما اشار اليه المصنف بقوله عذاب يوم اى بتقدير المضاف فان وقى يتعدى الى مفعولين قال تعالى ووقاهم عذاب الجحيم وفيه بحث لان تتقون مضارع اتقى وهو ليس بمعنى وقى فكيف يصح تفسيره به وتعديته مثله بل هو متعد الى واحد فتقدير قوله انفسكم لا يظهر له وجه صحة الا ان يقال ذكره بيانا لحاصل المعنى فان اتقاء العذاب بمعنى وقاية النفس منه ﴿ قوله تعالى يجعل الولدان شيبا ﴾ صفة ليوما والعائد الى الموصول ضمير يجعل واسناد الجعل الى اليوم من قبيل اسناد الفعل الى زمانه للمبالغة والشيب جمع أشيب بمعنى ذى الشيب وهو بياض الشعر ﴿ قوله وهذا على الفرض ﴾ اى لا على الحقيقة لان يوم القيامة ليس فيه ولدان حتى يصيروا شيبا حقيقة بل الكلام مبنى على الفرض والمعنى ان هول ذلك اليوم بحال لو كان هناك صبى لكان اشيب ويرى انه شيخ والحال انه طفل صغير والاصل فيه ان الهموم اذا تعاقبت على الانسان اسرع فيه الشيب روى ان رجلا نام وهو حالك الشعر ثم اصبح ورأسه كالثغامة فقيل له فى ذلك فقال رأيت القيامة فى المنام والجنة والنار ورأيت الناس يقادون فى السلاسل الى النار فمن هول ذلك اصبحت كما ترون ﴿ قوله او على التمثيل ﴾ بان شبه يوم القيامة من شدة هوله بزمان يجعل الولدان شيبا فوصف بوصف ذلك الزمان وان لم يكن فيه ولدان ﴿ قوله ويجوز ان يكون وصف اليوم بالطول ﴾ لا لكثرة اهواله فيكون المعنى انه فى طوله بحيث يبلغ الاطفال فيه اوان الشيخوخة والشيب وهو لا ينقضى بعد وهذا الوجه وان كان يشارك الوجه الاول فى ان الكلام مبنى على الفرض الا ان المراد من الوجه الاول وصف اليوم بكثرة الهموم مع قطع النظر عن التعرض لطوله والمراد من الوجه الاخير وصفه بالطول مع قطع النظر عن التعرض لما فيه من الهموم واعترض على الوجه الاخير بان ذلك اليوم اطول من مدة بلوغ الطفل اوان الشيخوخة فلا يوصف طوله بهذه العبارة ويمكن ان يجاب عنه بانه مبنى على عادة العرب فانهم يعبرون بمثل هذه العبارة عن نهاية الطول مع قطع النظر عن ملاحظة خصوص المدة المدلول عليها بالعبارة كما يعبرون عن التأبيد وعدم الانقطاع بقولهم ما ناحت حمامة وما لاح كوكب وما تعاقبت الايام والشهور وقال تعالى خالدين فيها ما دامت السموات والارض ذكر الله تعالى من هول ذلك اليوم امرين الاول قوله يجعل الولدان شيبا والثانى قوله السماء منفطر به فان السماء على عظمها وشدتها اذا انشقت بسبب ذلك اليوم فما ظنك بغيرها من الخلائق ﴿ قوله الضمير لله تعالى ﴾ وان لم يجر له ذكر للعلم به فيكون المصدر مضافا الى فاعله اى وان وعده تعالى بكون يوم القيامة على ما وصف به من الشدائد كائن لا محالة لانه تعالى لا يخلف الميعاد وان كان من اضافة المصدر الى مفعوله فالمعنى كان وعده تعالى اياه مفعولا ﴿ قوله هذه الآيات الموعدة ﴾ بكسر العين اى الناطقة بالوعيد وهى قوله تعالى ان لدينا انكالا وجحيما الى هنا وفسر اتخاذ السبيل اليه بالتقرب اليه والتوسل بالطاعة والاتقاء مجاز ثم لكونه طريقا الى رضاه ورحمته ﴿ قوله استعار الادنى للاقل لان الاقرب الى الشئ اقل بعدا منه ﴾ الظاهر ان المراد من الاستعارة المجاز المرسل لانه جعل العلاقة بين الاقرب والاقل كون القرب الى الشئ مستلزما لقلة ما بينهما من البعد فيكون اطلاق الادنى على الاقل من قبيل اطلاق الملزوم على اللازم ووجه اتصال هذه الآية بما قبلها ما فهم من قول عائشة رضى الله عنها ان الله تعالى فرض القيام فى اول هذه السورة فقام نبى الله واصحابه حولا حتى انتفخت اقدامهم وامسك الله تعالى آخر هذه السورة اثنى عشر شهرا فى السماء ثم انزل الله التخفيف فى آخر السورة فصار قيام الليل تطوعا بعد كونه فرضا ﴿ قوله عطفا على ادنى ﴾ والمعنى يعلم انك تقوم ادنى من ثلثى الليل وتقوم نصفه وثلثه وهو مطابق لما فرض اول السورة من التخيير بين قيام النصف بتمامه وبين قيام الناقص منه وهو الثلث وبين قيام الزائد عليه زيادة مطلقة كالثلثين على ان يكون الا قليلا استثناء من الليل ويكون نصفه بدلا من قليلا وقرأ نافع وابو عمرو وابن عامر بجرهما عطفا على المجرور قبلهما وهو قوله ثلثى الليل والمعنى يعلم انك تقوم اى تصلى اقل من ثلثى الليل واقل من نصف الليل واقل من ثلث الليل والاقل من الثلثين هو النصف والاقل من النصف هو الثلث والاقل من الثلث هو الربع وهو مطابق لان يكون التخيير بين قيام الثلث والربع والنصف بان يكون قوله نصفه بدلا من الليل ويكون الا قليلا استثناء من النصف ويكون ضمير منه وعليه للاقل على معنى قم اقل من نصف الليل

(وهو)

تتقون انفسكم (ان كفرتم) بقيتم على الكفر (يوما) عذاب يوم (يجعل الولدان شيبا) من شدة هوله وهذا على الفرض او على التمثيل واصله ان الهموم تضعف القوى وتسرع بالشيب ويجوز ان يكون وصف اليوم بالطول (السماء منفطر) منشق والتذكير على تأويل السقف او اضمار شئ (به) بشدة ذلك اليوم على عظمها واحكامها فضلا عن غيرها والباء للآلة (كان وعده مفعولا) الضمير لله عز وعلا او لليوم على اضافة المصدر الى المفعول (ان هذه) الآيات الموعدة (تذكرة) عظة (فمن شاء) ان يتعظ (اتخذ الى ربه سبيلا) اى يتقرب اليه بسلوك التقوى (ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثى الليل ونصفه وثلثه) استعار الادنى للاقل لان الاقرب الى الشئ اقل بعدا منه وقرأ ابن كثير والكوفيون ونصفه وثلثه بالنصب عطفا على ادنى

وهو الثلث والنقص مما هو اقل من النصف بقيام الربع اوزد على ذلك الاقل من النصف بقيام النصف **قوله** وبقوم ذلك بجماعة ـ يعني ان قوله وطائفة مرفوع بالعطف على المرفوع المتصل في يقوم وجاز ذلك للفصل بالظرف وما عطف عليه ـ **قوله** فان تقديم اسمه تعالى مبتدأ مبنيا عليه يقدر يشعر بالاختصاص ـ علة لقوله لا يعلم مقادير ساعاتهما كما هي الا الله فان بناء الفعل على المبتدأ يفيد الحصر عند صاحب الكشاف مطلقا اي سواء كان المبتدأ معرفا او منكرا مظهرا او مضمرا مقدما او على نية التأخير على انه فاعل معنى فانه تعالى لما كان هو الذي يزيد في ساعاتهما وينقص من غير ان يكون لنا مدخل في شيء من ذلك فبالضرورة صار هو العالم بمقاديرهما على الحقيقة واما نحن فانما نعلم ذلك بالتحري والاجتهاد الذي يؤدي الى الخطأ احيانا ـ **قوله** ولن تستطيعوا ضبط الساعات ـ فان الاحصاء قد يكون بمعنى العد وقد يكون بمعنى الاستطاعة قال عليه الصلاة والسلام استقيموا ولن تحصوا اي ولن تطيقوا ذلك على الوجه الذي امرتم به قال الحسن قاموا حتى انتفخت اقدامهم فنزل قوله تعالى علم ان لن تحصوه اي لن تطيقوا معرفة القدر الذي يجب قيامه وقال مقاتل كان الرجل يصلي الليل كله مخافة ان لا يصيب ما امر به من القيام فخفف الله عنهم وقال علم ان لن تحصوه واحتج بعضهم بهذه الآية على وقوع التكليف بما لا يطاق فانه تعالى قال لن تحصوه اي لن تقدروا ولن تطيقوا تعيين القدر الذي فرض عليكم القيام به ثم انه تعالى قد كلفهم بتقدير ساعات الليل والقيام في المقدار الذي فرض عليهم القيام فيه حيث قال قم الليل الا قليلا نصفه الخ ويمكن ان يجاب عنه بأن المراد بعدم استطاعتهم على تقدير ساعاتهما وضبطهما كون ذلك شق عليهم بعض المشقة لانهم لا يقدرون عليه اصلا كما يقال لا اقدر ان انظر الى فلان اذا استثقل النظر اليه وصعب عليه ذلك ـ **قوله** ورفع التبعة فيه ـ رخصها من التائب اشارة الى ان قوله تعالى فتاب عليكم استعارة تبعية شبه الترخيص في ترك ما قدر من قيام الليل بقبول التوبة من المذنب التائب في رفع التبعة في تركه كما رفعت عن التائب ثم استعمل لفظ المشبه به وهو قبول التوبة في المشبه الذي هو الترخيص ثم اشتق من لفظ المشبه به قوله فتاب بمعنى فرخص ـ **قوله** قيل كان التهجد واجبا على التخيير المذكور ـ وهو التخيير بين القيام في احد المقادير المعينة فلما عسر عليهم اصابة تلك المقادير المعينة نسخت فرضيته رعاية للاقدار المنصوص عليه وبقي اصل الوجوب فان الامر في قوله تعالى فاقرأوا ماتيسر من القرآن يدل على ان ماتيسر من وجوب صلاة الليل غير مقدر بكونه في ثلث الليل او ربعه او نحوهما ثم نسخ اصل وجوبها ايضا بالصلوات الخمس والتطوع ـ **قوله** او فاقرأوا القرآن بعينه كيفما تيسر ـ عطف على قوله فصلوا ماتيسر يعني ان قوله فاقرأوا اما مجاز بمعنى فصلوا على اطلاق اسم الجزء على الكل واما حقيقة على ان المعنى ايجاب تلاوة القرآن في غير الصلاة كيفما تيسر لتحصل الامن من النسيان والفوز برضى الرحمن والوقوف على الاعجاز بتلاوته ومافيه من دلائل التوحيد والبعث والجزاء ونحوها من العقائد الدينية ثم قيل الامر بتلاوته خارج الصلاة للوجوب وقيل للندب والاستحباب روى عن انس بن مالك انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قرأ خمسين آية في كل يوم او في كل ليلة لم يكتب من الغافلين ومن قرأ مائة آية كتب من القانتين ومن قرأ مائتي آية لم يحاجه القرآن يوم القيامة ومن قرأ خمسمائة آية كتب له قنطار من الاجر وعن عبدالله بن عمر قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرأ القرآن في كل شهر مرة قال قلت اني اجد قوة على ان اقرأه في اقل من ذلك قال فاقرأه في عشرين ليلة قال قلت اني اجد قوة على ان اقرأه في اقل من عشرين قال فاقرأه في سبع ولا تزد على ذلك وقيل قوله تعالى فاقرأوا ماتيسر ايجاب للقراءة في صلاة الليل لا ايجاب نفس الصلاة في الليل وقيل انه لايجاب القراءة في كل صلاة واختلف العلماء في قدر مايلزمه في الصلاة فقال الامام مالك والامام الشافعي هو فاتحة الكتاب بخصوصها لا يجوز العدول عنها ولا الاقتصار على بعضها وقدره ابو حنيفة بآية واحدة من اي آيات القرآن كانت وعنه ثلاث آيات لانها اقل سورة ـ **قوله** المسافرة للتجارة ـ سوى الله تعالى في هذه الآية بين درجة المجاهدين في سبيل الله والمكتسبين للمال الحلال للنفقة على نفسه وعياله والاحسان الى ذوي الحاجات حيث جمعهما في قرن واحد فدل على ان التجارة بمنزلة الجهاد قال عليه السلام ما من جالب يجلب طعاما من بلد الى بلد فيبيعه بسعر يومه الا كانت منزلته عندالله بمنزلة الشهداء ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم وآخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون في سبيل الله ـ **قوله** وآتوا الزكاة الواجبة ـ قال الامام وقيل زكاة الفطر لانه لم يكن بمكة زكاة

(وطائفة من الذين معك) ويقوم ذلك جماعة من اصحابك (والله يقدر الليل والنهار) لا يعلم مقادير ساعاتهما كما هي الا الله فان تقديم اسمه مبتدأ مبنيا عليه يقدر يشعر بالاختصاص ويؤيده قوله (علم ان لن تحصوه) اي لن تحصوا تقدير الاوقات ولن تستطيعوا ضبط الساعات (فتاب عليكم) بالترخيص في ترك القيام المقدر ورفع التبعة فيه (فاقرأوا ماتيسر من القرآن) فصلوا ماتيسر عليكم من صلاة الليل عبر عن الصلاة بالقرآءة كما عبر عنها بسائر اركانها قيل كان التهجد واجبا على التخيير المذكور فعسر عليهم القيام به فنسخ به ثم نسخ هذا بالصلوات الخمس او فاقرأوا القرآن بعينه كيفما تيسر عليكم (علم ان سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون في سبيل الله) استئناف يبين حكمة اخرى مقتضية للترخيص والتخفيف ولذلك كرر الحكم مرتبا عليه وقال (فاقرأوا ماتيسر منه) والضرب في الارض ابتغاء للفضل المسافرة للتجارة وتحصيل العلم (واقيموا الصلاة) المفروضة (وآتوا الزكاة) الواجبة

غيرها وانما وجبت بعد ذلك ومن فسرها بالزكاة الواجبة جعل آخر السورة مدنيا على ماروى انه تعالى افترض قيام الليل فى اوّل هذه السورة فقام نبى الله صلى الله عليه وسلم واصحابه حولا مع مشقة عظيمة من حيث انه يعسر عليهم تمييز القدر الواجب حتى قام اكثر الصحابة الليل كله خوفا من الخطأ فى اصابة القدر المفروض وامسك الله تعالى خاتمة السورة اثنى عشر شهرا فى السماء حتى انزل الله تعالى فى آخر السورة التخفيف بنسخ تقدير القيام بالمقادير المذكورة مع بقاء فرضية اصل التهجد حسبما تيسر ودام الامر على ذلك مادام عليه الصلاة والسلام بمكة حتى نسخت فرضية أصله فى المدينة بالصلوات الخمس ﴿قوله او بأدآء الزكاة على احسن وجه﴾ وهو اخراجها من اطيب الاموال واكثرها نفعا للفقرآء ومراعاة النية وهى ان يقصد باخراجها مجرّد التعبد وابتغاء وجه الله تعالى والصرف الى احوج الفقرآء الصالحين ووجه هذا التفسير ان قوله تعالى وآتوا الزكاة امر بمجرّد ادآئها على اىّ وجه كان وقوله واقرضوا الله قرضا حسنا ليس كذلك بل هو امر بالاعطاء المقيد بكونه حسنا وتسمية الانفاق على الوجه المذكور قرضا حسنا من قبيل الاستعارة حيث شبه بالاقراض من جهة ان ما انفقه يعود اليه على احسن الوجوه ﴿قوله والترغيب﴾ منصوب بالعطف على الامر والمعنى يريد به الامر بسائر الانفاقات او الامر بادآء الزكاة على احسن وجه او الترغيب فيه اى فى سائر الانفاقات او فى ادآء الزكاة على احسن وجه والتعبير عن كل واحد منها بالاقراض يتضمن وعد العوض وقد صرّح به عقيبه وقوله تعالى تجدوه مجزوم على انه جواب الشرط ولفظ هو تأكيد للمفعول الاوّل لتجدوه او فصل بينه وبين المفعول الثانى فان ضمير الفصل كما يتوسط بين المبتدأ والخبر قبل دخول العوامل يتوسط بينهما ايضا بعد دخولها وشرطه ان يكون الخبر معرفة او افعل من كذا لان افعل من كذا يشبه المعرفة فى امتناعه من حرف التعريف وليس معنى كون تعريف الخبر شرطا لتوسط ضمير الفصل ان الفصل انما يحتاج اليه عند كون الخبر معرفة فانه انما يتوسط بينهما لئلا يلتبس الخبر بالوصف والالتباس انما يقع اذا كان كل واحد من المبتدأ والخبر معرفة وتوسطه يندفع الالتباس لان الخبر اذا كان صفة كان الموصوف هو الضمير والضمير لا يوصف ولا يوصف به وجاز توسطه فيما لا لبس فيه وذلك عند اختلاف الاعراب وعند كون المبتدأ ضميرا وكون الخبر أفعل من كذا اسنادا وحملا لصورة عدم اللبس على صورة الالتباس مع ان الفصل له فائدة اخرى وهى انه يفيد ضربا من التأكيد لانه عبارة عن المبتدأ وتكرير له والتكرير يفيد التأكيد ومعنى الآية وماتقدّموا لانفسكم من المال تجدوه اى تجدوا ثوابه عندالله اى فى الآخرة خيرا من ثواب ما اخرتموه الى حضور الموت واسبابه وما تقدّموا لانفسكم من طاعة من الطاعات كلها تجدوا ثوابه خيرا مما اخرتم من الطاعة ﴿قوله وقرئ هو خير﴾ على ان هو مبتدأ وخير خبره والجملة مفعول ثان لتجدوه وهذا على مذهب من يجعل لضمير الفصل موضعا من الاعراب كما اشار اليه صاحب الكافية بقوله وبعض العرب يجعله مبتدأ ومابعده خبرا ولاموضع له عند الخليل

﴿ سورة المدّثر ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿قوله وهو لابس الدثار﴾ الدثار الثوب الذى يلبس فوق الشعار والشعار مايلبس مماسا للجلد سمى به لانه يلى الجسد وشعر البدن والمدّثر المتغشى بالدثار لينام فيستدفئ ﴿قوله ولذلك﴾ اى ولاجل ماذكر من الرواية قال صاحب الكشف وهذه الرواية لاتدل على انها اوّل سورة نزلت والظاهر انها اقرأ الى قوله مالم يعلم للاحاديث الصحاح فى ذلك ولانها كانت فى حرآء وهذه بعد الهبوط ولقوله عليه الصلاة والسلام «لست بقارئ» فانه لا يتصوّر الا اذا انزل ذلك اوّلا والا لكان الامتناع عنه معصية والوجه ان يراد بالسورة فى قول من قال انها اوّل سورة نزلت السورة الكاملة انتهى * اعلم انهم اختلفوا فى ان المراد بالدثار المدلول عليه بالمدّثر ماهو فقال اكثر المفسرين المراد به الدثار الحقيقى ثم اختلفوا فى سبب تدثره عليه الصلاة والسلام بذلك فمنهم من قال انه عليه الصلاة والسلام تدثر به بناء على اقشعرار جلده وارتعاد فرائصه رعبا من الملك الذى رآه على سرير بين السماء والارض كالنور المتلألئ من حيث انه رأى مالم يره قبل ولم يستأنس به بعد فظن ان به مساس الجن فخاف على نفسه لذلك ومنهم من قال انه عليه الصلاة والسلام تدثر اغتماما لما سمع ان قريشا قداجتمعوا فقالوا قداختلفت كلمتنا فى الاخبار عن حال محمد فمن قائل انه مجنون ومن قائل هو كاهن ومن قائل هو شاعر اوساحر ووفود

(واقرضوا الله قرضا حسنا) يريد به الامر بسائر الانفاقات فى سبيل الخير او بادآء الزكاة على احسن وجه والترغيب فيه ووعد العوض كما صرّح به فى قوله (وماتقدّموا لانفسكم من خير تجدوه عندالله هو خيرا واعظم اجرا) من الذى تؤخرونه الى الوصية عند الموت او من متاع الدنيا وخيرا ثانى مفعولى تجدوه وهو تأكيد او فصل لان افعل من كالمعرفة ولذلك يمتنع من حرف التعريف وقرئ هو خير على الابتدآء والخبر (واستغفروا الله) فى مجامع احوالكم فان الانسان لايخلو من تفريط (ان الله غفور رحيم) عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المزمل رفع الله عنه العسر فى الدنيا والآخرة

﴿ سورة المدّثر مكية وآيها ست وخمسون ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(ياأيها المدّثر) اى المتدثر وهو لابس الدثار روى انه عليه الصلاة والسلام قال كنت بحرآء فنوديت فنظرت عن يمينى وشمالى فلم أرشيأ فنظرت فوقى فاذا هو على العرش بين السماء والارض يعنى الملك الذى ناداه فرعبت ورجعت الى خديجة فقلت دثرونى فنزل جبريل وقال ياأيها المدّثر ولذلك قيل هى اوّل سورة نزلت وقيل تأذى من قريش فتغطى بثوبه مفكرا اوكان نائما متدثرا فنزلت

العرب يجتمعون فى ايام الحج ويسألون من امره واذا سمعوا منكم هذه الاجوبة المختلفة لايصدقونكم بعلمهم بان هذا كله لايجتمع فى رجل واحد فيحملون تكذيبكم اياه على التعصب والحسد فسموه باسم واحد تجتمعون عليه يكون اشبه بحاله فقال الوليد بن المغيرة انى فكرت فيه واخترت ان اسميه ساحرا لان الساحر من شأنه ان يفرق بين الاب وابنه وبين الاخ واخيه وبين المرأة وزوجها وشأنه ذلك فقبلوا منه ذلك واتفقوا عليه فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك اشتد عليه ورجع الى بيته محزونا فتدثر بثوبه مفكرا كما يفعله المغموم وقال بعضهم انه عليه الصلاة والسلام انما تدثر لانه غلب عليه النوم فتدثر واضطجع نائما فجاءه جبريل عليه الصلاة والسلام وايقظه وقال ان الدنيا اليوم مملوءة من الكفار وانت وحدك بانفرادك قد ارسلت لتدعوهم الى الاسلام وتنذرهم بسوء عاقبة الكفر والطغيان ومن هذا شأنه كيف يليق به التفرغ للاستراحة والتلفف بالدثار فأزل عنك الغفلة وكن على جد وصدق عزيمة فى القيام على مقتضى منصبك وانذر قومك وقال آخرون ليس المراد بالدثار ماهو دثار حقيقة بل المراد به خلعة النبوة والكمالات النفسانية تشبيها لها بما هو دثار حقيقة من حيث ان كل واحد منهما زينة وشرف لصاحبه كما قال ألبسه الله تعالى لباس التقوى وزينه برداء العلم فكأنه قيل يا أيها المبعوث للانذار المدثر بدثار الرسالة قم لما بعثت له وقيل المراد بالدثار جبل حراء ومعنى تدثره عليه الصلاة والسلام اختفاؤه فيه اعتزالا عن الخلق شبه اختفاؤه فيه بالدثار فكأنه قيل يا أيها المدثر بدثار الاختفاء قم من زاوية الخمول واشتغل بالانذار وقيل فى هذه العبارة لطيفة من جهة المعنى وهى ان المنذر اذا انذر عن شدة الامر وهجوم العدو عن قريب يرتفع لاعلى المواضع ويتجرد عن ثيابه وينادى قومه باعلى صوته النجاة النجاة ولما كان عليه الصلاة والسلام متدثرا خاطبه الله تعالى بيا أيها المدثر فكأنه تعالى يقول بعثتك نذيرا فالتدثر لاينبغى لشأنك وانما اللائق ان تكون عريانا كما قال عليه الصلاة والسلام انا المنذر العريان ﴿قوله وقرئ المدثر﴾ اى بفتح الدال الخفيفة وفتح الثاء المشددة على لفظ اسم المفعول من دثره غيره اى غطاه به فهو مدثر اى مغطى والامر فى قوله دثر هذا الامر منصوب بنزع الخافض اى دثر بهذا الامر وعصب به اى احيط به يقال عصب القوم بفلان اى احاطوا به ﴿قوله قم من مضجعك﴾ هذا على تقدير ان يكون المراد تدثره عليه الصلاة والسلام بالدثار الحقيقى واضطجاعه فى مضجعه باحد الاسباب المذكورة وقوله او قم قيام عزم وجد على ان يراد تدثره عليه الصلاة والسلام بدثار النبوة والاصطفاء او بدثار الاختفاء بجبل حراء ﴿قوله فانذر مطلق﴾ يعنى انه منزل منزلة اللازم حيث لم يقصد تعلقه بالمفعول ولم يذكر اصلا ولاتقديرا التعميم والاختصار كما فى قوله تعالى والله يدعو الى دار السلام اى يدعو العباد كلهم وهذا التعميم وان امكن ان يستفاد من ذكر المفعول بصيغة العموم لكنه يفوت الاختصار ﴿قوله او مقدر بمفعول﴾ اى عام او خاص حسبما تعين القرينة عمومه او خصوصه فان وجدت قرينة دلت على خصوص المفعول قدر خاصا فيقال تقديره قم فانذر عشيرتك الاقربين العذاب ان لم يوحدوا ربك وان وجد مايدل على عمومه قدر عاما فيقال تقديره قم فانذر البشر كافة والمقدر بحسب دلالة القرينة عليه كالمذكور الذى قيد به الفعل صريحا فانه لما اعتبر تعلقه بمن وقع عليه سواء كان عاما او خاصا على حسب تعيين القرينة فقد قيد بتعلقه به واما فيما مطلقا فلم يعتبر تعلقه به اصلا وكان المعنى فافعل الانذار من غير تخصيص له باحد فكون الانذار حينئذ مطلقا ظاهر وكذا كونه مفيدا التعميم فى المفعول ﴿قوله وخصص ربك﴾ مستفاد من تقديم المفعول ﴿قوله عقدا﴾ بان تعتقد انه تعالى منزه عن الشركاء والاضداد وعن مشابهة الممكنات والمحدثات ﴿قوله وقولا﴾ بان تقول الله اكبر ﴿قوله والفاء فيه وفيما بعده لافادة معنى الشرط﴾ فان حق الفاء السببية ان يكون مابعدها مسببا لازما لما قبلها فلما لم يذكر قبلها شئ يترتب عليه مابعدها علم ان مابعدها جواب شرط محذوف وان المعنى وما يكن فكبر ربك اى اى شئ يكن فلاتدع تكبيره اى وصفه بالكبرياء وهذا آكد فى افادة الاختصاص بالنسبة الى مجرد تقديم المفعول فى نحو زيدا ضربت من جهة التعلق بالشرط العام الذى هو وقوع شئ ما فان قلت كيف يكون ربك مفعول كبر مع الفاء القاطعة عن العمل فيما قبلها قلنا الفاء فى الحقيقة داخلة على الاسم اى مايكن فربك كبر ﴿قوله او للدلالة على ان المقصود الاول من الامر بالقيام ان يكبر ربه﴾ عطف على قوله لافادة معنى الشرط اى او هى فاء جواب الامر بالقيام المتعقب للانذار فان الامر بالقيام لما صح ان يكون سببا لتكبيره تعالى عن ان يكون له شريك وصاحبة وولد ونحو ذلك مما يزعم المشركون فى حقه تعالى تحقق معنى الفاء من غير

وقيل المراد بالمدثر المدثر بالنبوة والكمالات النفسانية او المختفى فانه كان بحراء كالمختفى فيه على سبيل الاستعارة وقرئ المدثر اى الذى دثر هذا الامر وعصب به (قم) من مضجعك او قم قيام عزم وجد (فأنذر) مطلق للتعميم او مقدر بمفعول دل عليه قوله وأنذر عشيرتك الاقربين او قوله وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا (وربك فكبر) وخصص ربك بالتكبير وهو وصفه بالكبرياء عقدا وقولا روى انه لما نزل كبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وايقن انه الوحى وذلك لان الشيطان لايأمر بذلك والفاء فيه وفيما بعده لافادة معنى الشرط وكأنه قال وما يكن فكبر ربك او للدلالة على ان المقصود الاول من الامر بالقيام ان يكبر ربه عن الشرك والتشبيه فان اول ما يجب معرفة الصانع واول ما يجب بعد العلم بوجوده تنزيهه والقوم كانوا مقرين به

تقدير شرط آخر فكأنه قيل قم للانذار والتحذير من عذاب الله فكبر ربك عما يقول الظالمون في حقه ﴿ قوله وذلك بغسلها او بحفظها عن النجاسة بتقصيرها ﴾ فيكون لفظ الثياب على حقيقتها و يحمل لفظ التطهير على المجاز او الكناية حيث ذكر اللازم واريد الملزوم فان التقصير مستلزم للطهارة قال عليه الصلاة والسلام ازار المؤمن الى انصاف ساقيه لا جناح عليه فيما بينه وبين الكعبين وما كان اسفل من ذلك ففي النار ﴿ قوله او طهر نفسك من الاخلاق الذميمة والافعال الدنيئة ﴾ اى انه تعالى شبه النفس بالثوب لكونه يلابس نفس الانسان ويشتمل عليه فعبر به عن النفس مجازا ﴿ قوله او فطهر دثار النبوة ﴾ على ان الثياب مجاز مستعار لحلة النبوة والكمالات النفسانية كالدثار امر عليه الصلاة والسلام بتطهيره دثار النبوة عما يدنسه من الحقد والضجر فان الكفار لما اغيظوه بالساحر شق ذلك عليه جدا حتى رجع الى بيته وتدثر بثيابه فكان ذلك منه عليه الصلاة والسلام اظهار جزع وقلة صبر فقيل له عليه الصلاة والسلام قم فانذر ولا تحملنك سفاهتهم على ترك انذارهم بل حسن خلقك ووسع صدرك ﴿ قوله تعالى والرجز ﴾ قرآءة جمهور القرآء بكسر الرآء وهو العذاب كما في قوله تعالى حكاية عن قوم موسى لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك اى لئن كشفت عنا العذاب ﴿ قوله ولا تمنن مستكثرا ﴾ اى لا تعط شيأ من مالك لتأخذ اكثر منه فالمنّ بمعنى الاعطاء ﴿ قوله نهى عن الاستغزار ﴾ اى نهى تنزيه في حق جميع المكلفين فان الاستغزار ليس بحرام في حق الجميع لقوله عليه الصلاة والسلام المستغزر يثاب من هبته اى يعوض منها والغزارة الكثرة يقال غزر الشئ يغزر بالضم فيهما غزارة فهو غزير اى كثر يكثر فهو كثير ﴿ قوله او نهيا خاصا به عليه الصلاة والسلام ﴾ اى نهى تحريم فان حرمة ذلك من خواصه عليه السلام لما فيه من الحرص والبخل فان اصل البخل الالتذاذ بامساك المال وجمعه ﴿ قوله او لا تمنن على الله بعبادتك ﴾ على انه من باب منّ عليه منة اذا امتن عليه واعتد بما فعله وعلى الاول كان من منّ عليه اذا انعم واعطى وقوله تستكثر على الوجهين مرفوع لفظا لتجرده عن الناصب والجازم ومنصوب محلا على انه حال من فاعل لا تمنن كقوله تعالى فذرهم في خوضهم يلعبون اى لاعبين والسين فيه على الاول للطلب وعلى الثاني للوجدان وان قرئ تستكثر بالسكون ففيه ثلاثة اوجه الاول انه مرفوع لكنه سكن اعتبارا بحال الوقف واجرآء للوصل مجرى الوقف والثاني انه بدل من تمنن بدل الاشتمال كأنه قيل ولا تمنن ولا تستكثر فان شأن اهل الامتنان ان يستكثر ما يعطيه وان يعتد به فصح ابداله منه بدل اشتمال والثالث ما ذكره بقوله وتستكثر بمعنى تجده كثيرا مع انه يجوز ان يكون تستكثر مجزوما على انه جواب النهى على ان يكون المنّ بمعنى المنة والمعنى لا تمنن بعطيتك تستكثر وتتزود من الثواب الجزيل سلامة عطيتك من الابطال بالمنّ قال تعالى لا تبطلوا صدقاتكم بالمنّ والاذى وذكر صاحب الكشاف وجها آخر لقرآءة السكون وهو قوله وان تشبه ثرو بعضد فيسكن تخفيفا ﴿ قوله وبالنصب على اضمار ان ﴾ ويؤيده قرآءة ابن مسعود رضي الله عنه ولا تمنن ان تستكثر اى لان تستكثر فيكون المنّ بمعنى الاعطاء اى لا تعط للاستكثار ونظير النصب باضمار ان قول الشاعر الا ايهذا الزاجري احضر الوغى * برواية على النصب ﴿ قوله وعلى هذا ﴾ اى وعلى تقدير ان يكون اصل الآية ولا تمنن ان تستكثر جاز ان يكون ارتفاع تستكثر لخلوه عن العوامل اللفظية بسبب حذف ان وابطال عملها لان ان لا تعمل مضمرة الا في مواضع مخصوصة وهذا الموضع ليس منها وعليه رواية رفع احضر في قوله الا ايهذا الزاجري احضر الوغى ﴿ قوله فاستعمل الصبر او فاصبر على مشاق التكاليف ﴾ الاول على ان يجعل فاصبر منزلا منزلة اللازم بان لا يعتبر تعلقه بما يصبر عليه من الطاعات وما يصبر عنه من المعاصي والثاني ان يعتبر تعلقه بهذا المفعول العام المتناول لكل مصبور عليه وكل مصبور عنه لكنه ترك ذكره اعتمادا على القرينة لقصد التعميم مع الاختصار كأنه قيل اذا سمعت هذه التكاليف من الافعال والتروك فاصبر عليها لاجل امر ربك او لوجهه الكريم ثم انه تعالى بعد ما ارشد رسوله صلى الله عليه وسلم الى ما هو اللائق بشأنه ومنصبه شرع في شرح وعيد الاشقياء وبيان ما هو المنذر منه في حقهم فقال فاذا نقر في الناقور والنقر في الاصل بمعنى القرع والنكت الذي هو سبب لحدوث الصوت ومعلوم ان مباشرة ما هو سبب لحدوث الصوت راجع الى معنى التصويت وجعل الشئ بحيث يظهر منه الصوت فلذلك فسر المصنف النقر بالتصويت واتفق المفسرون على ان الناقور الصور وهو القرن الذي ينفخ فيه اسرافيل عليه الصلاة والسلام مرة للاصعاق ومرة للاحياء وسماه الله تعالى باسمين احدهما الصور والآخر الناقور وهو فاعول من النقر بمعنى ما ينقر فيه ﴿ قوله والفاء للسببية ﴾ بمعنى

(انها)

(وثيابك فطهر) من النجاسات فان التطهير واجب في الصلاة محبوب في غيرها وذلك بغسلها او بحفظها عن النجاسة بتقصيرها مخافة جر الذيول فيها وهو اول ما امر به من رفض العادات المذمومة او طهر نفسك من الاخلاق الذميمة والافعال الدنيئة فيكون امرا باستكمال القوة العملية بعد امره باستكمال القوة النظرية والدعاء اليه او فطهر دثار النبوة عما يدنسه من الحقد والضجر وقلة الصبر (والرجز فاهجر) واهجر العذاب بالثبات على هجر ما يؤدي اليه من الشرك وغيره من القبائح وقرأ يعقوب وحفص والرجز بالضم وهو لغة كالذكر (ولا تمنن تستكثر) ولا تعط مستكثرا نهى عن الاستغزار وهو ان يهب شيأ طامعا في عوض اكثر نهى تنزيه او نهيا خاصا به لقوله عليه السلام المستغزر يثاب من هبته والموجب له ما فيه من الحرص والضنة او لا تمنن على الله بعبادتك مستكثرا اياها او على الناس بالتبليغ مستكثرا به الاجر منهم او مستكثرا اياه وقرئ تستكثر بالسكون للوقف او الابدال من تمنن على انه من منّ بكذا وتستكثر بمعنى تجده كثيرا وبالنصب على اضمار ان وقد قرئ بها وعلى هذا يجوز ان يكون الرفع بحذفها وابطال عملها كما روى احضر الوغى بالرفع في قول الشاعر

الا ايهذا الزاجري احضر الوغى *
وان اشهد اللذات هل انت مخلدي *

(ولربك) ولوجهه او امره (فاصبر) فاستعمل الصبر او فاصبر على مشاق التكاليف واذى المشركين (فاذا نقر) نفخ (في الناقور) في الصور فاعول من النقر بمعنى التصويت واصله القرع الذي هو سبب الصوت والفاء للسببية كأنه قال اصبر على اذاهم فبين ايديهم زمان صعب تلقى فيه عاقبة صبرك واعداؤك عاقبة ضرهم

انها فاء جواب الامر كما فى قوله تعالى اخرج منها فانك رجيم وقولك اكرم زيدا فانه فاضل فان الفاء السببية قد تكون بمعنى لام التعليل وذلك اذا كان مابعدها سببا لما قبلها كما فى الامثلة المذكورة وقد يكون ماقبلها سببا لما بعدها فتدخل على المسبب نحو زيد فاضل فاكرمه فانها دخلت على ماهو جزاء فى المعنى لان المعنى اذا كان كذا فاكرمه كما ان الاولى داخلة على ماهو شرط فى المعنى ومابعد الفاء فى الآية شرط فى المعنى اى اذا كان بين ايديهم يوم عسير يلقون فيه عقوبة أذاهم وتلقى انت ثواب صبرك عليه فاصبر والفاء فى قوله فذلك فاء الجزاء فان اذا شرطية وجواب الشرط قوله فذلك يومئذ يوم عسير وذلك الجزاء دل على عسر وهو العامل فى اذا والمعنى اذا نقر فى الناقور عسر الامر على الكافرين وذلك مبتدأ ويوم عسير خبره ويومئذ مرفوع المحل على انه بدل من ذلك وبنى على الفتح لاضافته الى اذ وهو غير متمكن كأنه قيل فيوم اذ نقر فى الناقور يوم عسير ﴿قوله اذ التقدير فذلك الوقت وقوع يوم عسير﴾ جواب عما يرد على قوله ويومئذ ظرف لخبر المبتدأ وهو يوم عسير من ان يومئذ كيف يكون ظرفا ليوم عسير والزمان لايكون ظرفا للزمان وانما يكون ظرفا للحدث فاجاب بان المراد من اليوم العسير وقوعه وان يومئذ ظرف لوقوعه لالنفس اليوم ويرد على هذا الجواب ان يومئذ كيف يكون ظرفا للوقوع ومعمول المصدر لايتقدم عليه فينبغى ان يكون مراده بكون يومئذ ظرفا لوقوع يوم عسير كونه حالا من يوم عسير مقدما عليه والمعنى وقت النقر يوم عسير وانما ذلك اليوم العسير يوم النقر فاليوم الذى عبر عنه بيومئذ عبارة عن الزمان الممتد الطويل والزمان الذى حكم عليه بانه يوم عسير جزء من ذلك الزمان الممتد واقع فى ذلك الزمان الممتد ولما كان يومئذ ظرفا واقعا موقع الحال من يوم عسير بمعنى واقعا فيه عبر عن هذا المعنى بقوله اذ التقدير فذلك الوقت وقوع يوم عسير ﴿قوله تأكيد يمنع ان يكون عسيرا عليهم من وجه دون وجه﴾ جواب عما يقال ما فائدة قوله غير يسير مع ان قوله عسير مغن عنه ووجه كونه تأكيدا ظاهر ووجه كونه نافيا لليسر بالكلية ان قوله يسير نكرة فى سياق النفى فيعم جميع افراده ووجه كونه مشعرا بيسره على المؤمنين انه لما أكد كونه عسيرا على الكافرين كان المعنى انه غير يسير بالنسبة الى الكافرين فكان تعريضا بانه يسير على المؤمنين كما ان قوله تعالى وظل من يحموم لابارد ولاكريم تعريض بظل الجنة وهذا افيد للكافرين بجمعه بين وعيد الكافرين وزيادة غيظهم وبشارة المؤمنين وتسليتهم وقوله تعالى على الكافرين متعلق بعسير لابيسير لانه لما لم يجز تقدم المضاف اليه على المضاف كان عدم جواز تقدم معمول المضاف اليه عليه اولى ثم انه تعالى لما بين ان اليوم الذى ينفخ فيه فى الناقور يوم عسير على الكافرين قال له عليه الصلاة والسلام خل بينى وبين الوليد المغيرة الذى نعت فى قومه بالوحيد زعما منهم انه لانظير له فى وجاهته ولا فى ماله وكان ينعت نفسه ويقول انا الوحيد ابن الوحيد ليس لى فى العرب نظير ولا لأبى نظير ايضا فسماه الله تعالى بذلك تهكما واستهزاء كقوله تعالى ذق انك انت العزيز الكريم هذا على تقدير كون قوله وحيدا منصوبا على الذم بتقدير اعنى ﴿قوله او ارادة انه وحيد﴾ عطف على قوله تهكما اى سماه به على ارادة انه وحيد فى الكفر والخبث وانواع الشرارة او على ارادة انه وحيد من ابيه اى لااب له والزنيم من ألحق بالقوم وليس منهم ﴿قوله مبسوطا كثيرا﴾ وصف بان ماله ممدود لامتداد مكانه وتكثيره ايضا فان المال الكثير اذا عد يمتد عدده والمال الذى يمتد مكانه يوصف بالامتداد لامتداده بحسب امتداد مكانه قال ابن عباس كان له مال ممدود مابين مكة الى الطائف الابل والخيل والغنم والبساتين الكثيرة بالطائف والاشجار والانهار والنقد الكثير وقال مقاتل كان له بستان لاينقطع نفعه صيفا ولاشتاء فالممدود هنا كما فى قوله وظل ممدود اى لاينقطع او ممدود بالنماء بان يكون نماء ماله ممدا لاصله يقال مددنا القوم اى صرنا مددهم وامددناهم بغيرنا وامددناهم بفاكهة ولما ذكر الله تعالى كثرة امواله وبنيه بين انبساط جاهه ورياسته فان الاولين لايستلزمان الثالث فقال ومهدت له تمهيدا حذف مفعول مهدت للتعظيم مع الاختصار فاتم الله تعالى فيه نعمة المال والجاه والبنين واجتماع هذه الثلاث هو الكمال عند اهل الدنيا وكان الوليد من اكابر قريش ولذلك لقب بالوحيد وريحانة قريش والريحان نبت معروف ويطلق على الرحمة والراحة وعلى الرزق ايضا قال عليه الصلاة والسلام « الولد ريحان الله تعالى » اى رزقه ﴿قوله ان ازيد على مااوتيه﴾ اى ان ازيد عليه فى الدنيا لانه مشرك والمشرك لايؤمن بالبعث والجزاء حتى يطمع ان يثاب فى الآخرة زيادة على مااوتى فى الدنيا فيكون قوله تعالى كلا ردعا له عن طمعه وطلب الزيادة فى الدنيا ويؤيده

واذا ظرف لما دل عليه قوله (فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين) فان معناه عسر الامر على الكافرين وذلك اشارة الى وقت النقر وهو مبتدأ خبره يوم عسير ويومئذ بدله او ظرف لخبره اذ التقدير فذلك الوقت وقوع يوم عسير (غير يسير) تأكيد يمنع ان يكون عسيرا عليهم من وجه دون وجه ويشعر بيسره على المؤمنين (ذرنى ومن خلقت وحيدا) نزل فى الوليد بن المغيرة ووحيدا حال من الياء اى ذرنى وحدى معه فانى اكفيكه او من التاء اى ومن خلقته وحدى لم يشركنى فى خلقه احدا او من العائد المحذوف اى ومن خلقته فريدا لامال له ولا ولد او ذم فانه كان ملقبا به فسماه الله تعالى به تهكما او ارادة انه وحيد ولكن فى الشرارة او عن ابيه لانه كان زنيما (وجعلت له مالا ممدودا) مبسوطا كثيرا او ممدا بالنماء وكان له الزرع والضرع والتجارة (وبنين شهودا) حضورا معه بمكة يتمتع بلقائهم لايحتاجون الى سفر لطلب المعاش استغناء بنعمته ولايحتاج ان يرسلهم فى مصالحه لكثرة خدمه او فى المحافل والأندية لوجاهتهم واعتبارهم قيل كان له عشرة بنين او اكثر كلهم رجال فأسلم منهم ثلاثة خالد وعمارة وهشام (ومهدت له تمهيدا) وبسطت له الرياسة والجاه العريض حتى لقب ريحانة قريش والوحيد اى باستحقاق الرياسة والتقدم (ثم يطمع ان ازيد) على مااوتيه وهو استبعاد لطمعه اولانه لامزيد على مااوتى اولانه لايناسب ماهو عليه من كفران النعم ومعاندة المنعم ولذلك قال (كلا انه كان لآياتنا عنيدا)

ماروى انه بعد مانزل قوله تعالى كلا انه كان لآياتنا عنيدا مازال فى نقصان من ماله وولده ومات فقيرا وعن الحسن انه قال ثم يطمع ان ازيد فما عليه مالا وولدا كما قال تعالى افرأيت الذى كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا ﴿قوله ردع له عن الطمع وتعليل﴾ يعنى ان قوله كلا ردع وقوله انه كان لآياتنا عنيدا تعليل للردع على سبيل الاستئناف كأنه قيل لم حرم عما طمع فيه وانعكس حاله فاجيب بان شأنه ان يعاند آيات الله فكيف يبقى ماانعم به عليه فضلا عن ان يزيد عليه ﴿قوله سأغشيه عقبة﴾ فسر الارهاق بالاغشاء والتكليف كما فى قوله تعالى فخشينا ان يرهقهما طغيانا وكفرا وفسر الصعود بالعقبة الشاقة المصعد والمعنى سأكلفه مشقة العذاب روى عنه عليه الصلاة والسلام ان الصعود جبل من نار يكلف ان يصعده فاذا وضع عليه يده ذابت فاذا رفعها عادت فاذا وضع عليه رجله ذابت فاذا رفعها عادت ﴿قوله او بيان للعناد﴾ اى ويجوز ان يكون قوله تعالى انه فكر وقدر بدلا من قوله انه كان لآياتنا عنيدا لبيان كنه عناده فيكون قوله سأرهقه صعودا جملة معترضة بين البدل والمبدل منه لبيان انه مع كونه محروما عما طمع فيه من ان يزاد على ماعنده من الاموال والابناء فهو من اشد اهل النار عذابا يوم القيامة ﴿قوله استهزآء به او لانه اصاب اقصى مايمكن ان يقال عليه﴾ اى على القرآن يعنى ان لفظة قتل كيف قدر انما يذكر عند التعجب والاستعظام وماتخيله طعنا فى القرآن فى غاية الركاكة والسقوط ويحتمل ان يكون تعجبا من قوة خاطره فى نفس الامر اى اصاب مالم يبلغ اليه ذهن امثاله من المعاندين ﴿قوله روى انه مر بالنبى صلى الله عليه وسلم﴾ اشارة الى كونه معاندا فى انكار آيات الله تعالى حيث اعترف بانه يعلو ولايعلى وبيان لما حمله على التفكير والتقدير وهو انه لما رأى ان القرآن لايشبه كلام الشعرآء ولا كلام الكهنة ولا كلام المجانين ولاشيأ من كلام الانس والجن قال ان له حلاوة لاشتماله على المعانى اللطيفة والاحكام الموافقة لمقتضى الحكمة وان عليه لطلاوة وهى بفتح الطاء وضمها بمعنى الحسن والقبول والماء الغدق اى الكثير ومكان غدق اى كثير مخصب وقوله ان اعلاه لمثمر واسفله لمغدق استعارة بالكناية شبه القرآن العظيم فى نفسه بشجرة غضة طرية استحكم اصلها بكثرة الماء فى اسفلها وعلا فرعها فى السماء واثبت له الاعلى والاسفل واثبت لاعلاه ثمارا ولاسفله غدقا على طريق التخييل ولما رآه كما وصفه وكان مجبولا على المكابرة والعناد والتعصب والحسد لاجرم حمله خبث طبعه على ان يتفكر فيما تخيل طعنا فى القرآن وان يقدر فى نفسه مايقول فى حقه ﴿قوله فقام فأتاهم﴾ اى فقام الوليد واتى قريشا فقال لهم ماتقولون فى هذا الرجل فقالوا نقول انه شاعر فعبس عندها فقال قد سمعنا قول الشعر فمايشبه قوله الشعر فقالوا نحن نقول انه كاهن فقال كيف تقولون ذلك وانكم لما تجدونه يحدث بما يحدث به الكهنة فقالوا نحن نقول انه مجنون فقال كيف تنسبون اليه الجنون وما رأيتموه يخنق قال ذلك بناء على زعمهم ان الجن والشياطين تخنق المجنون فقالوا له فماتقول فى حقه فأخبرهم بماقدر فى نفسه ان يقول فى حقه عليه الصلاة والسلام فقال ماهو الاساحر وما كلامه الاسحر يفرق بين الاحبة فقبلوا منه ذلك ورضوا به فخرجوا من عنده يجعل مايلقى احد منهم النبى صلى الله عليه وسلم الاقال ياساحر ياساحر واشتد على النبى صلى الله عليه وسلم فرجع الى منزله فتدثر فاضطجع حزينا متفكرا فى امره فانزل الله ياايها المدثر الى قوله ان هذا الاسحر يؤثر ان هذا الاقول البشر يعنى انه كلام الانس وليس من عند الله ﴿قوله تكرير للمبالغة﴾ اى للمبالغة فى المعنى الذى قصد بايراده اولا وهو استعظام حسن تقديره استهزآء واستعظاما لقوة تخيله فى نفس الامر بعد الدعاء عليه باللعن حتى جيء بكلمة ثم للدلالة على ان الكرة الثانية ابلغ فى الاستعظام واللعن من الكرة الاولى يعنى ان كلمة ثم فى قوله ثم قتل للتراخى بحسب الرتبة وفيمابعده على اصلها اى للتراخى بحسب الزمان اى ثم اعاد النظر والتأمل فى طلب مايدفع به القرآن ورد مرة بعد اخرى مرجيا ان يتضح له مالم يطلع عليه فى المرة الاولى فلم يتهيأ له ذلك فلذلك عبس اى كلح وقطب مابين عينيه وقبض قبضا من عدم وجدانه مايدفع به القرآن فاضطر الى ان قال ان هذا الاسحر يؤثر اى يتعلم ويؤخذ من الغير وليس هو عين سحره بنفسه من قولك اثرت الحديث آثره اثرا اذا حدثت به عن قوم فى آثارهم اى بعد ما ماتوا هذا هو الاصل فى اطلاقه ثم صار بمعنى الرواية عن الغير مطلقا ﴿قوله والفاء للدلالة﴾ يعنى انه تعالى لم يقل ثم قال ان هذا للدلالة على ان الكلمة الشنعاء لما خطرت بباله بعد طلب مايطعن به فى القرآن ولم يتمالك ان تفوه بها من غير تلبث حيث لم يجد غير ذلك قالها عتوا وعنادا لا عن اعتقاد لما روى انه قال حين سمع حم السجدة لقد سمعت من محمد آنفا كلاما ماهو من كلام الانس والجن فكيف يقول

فانه ردع له عن الطمع وتعليل للردع على سبيل الاستئناف بمعاندة آيات المنعم المناسبة لازالة النعمة المانعة عن الزيادة قيل مازال بعد نزول هذه الآية فى نقصان ماله حتى هلك (سأرهقه صعودا) سأغشيه عقبة شاقة المصعد وهو مثل لما يلقى من الشدآئد وعنه عليه الصلاة والسلام الصعود جبل من نار يصعد فيه سبعين خريفا ثم يهوى فيه كذلك ابدا (انه فكر وقدر) تعليل للوعيد او بيان للعناد والمعنى فكر فيما تخيل طعنا فى القرآن وقدر فى نفسه مايقول فيه (فقتل كيف قدر) تعجب من تقديره استهزآء به او لانه اصاب اقصى مايمكن ان يقال عليه من قولهم قتله الله ماأشجعه اى بلغ فى الشجاعة مبلغا يحق ان يحسد ويدعو عليه حاسده بذلك روى انه مر بالنبى صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ حم السجدة فأتى قومه وقال لقد سمعت من محمد آنفا كلاما ماهو من كلام الانس والجن ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق وانه ليعلو ولايعلى فقال قريش صبأ الوليد فقال ابن اخيه ابوجهل انا اكفيكموه فقعد اليه حزينا وكلمه بما احماه فقام فأتاهم فقال تزعمون ان محمدا مجنون فهل رأيتموه يخنق وتقولون انه كاهن فهل رأيتموه يتكهن وتزعمون انه شاعر فهل رأيتموه يتعاطى شعرا فقالوا لا فقال ماهو الاساحر أمارأيتموه يفرق بين الرجل واهله وولده ومواليه ففرحوا بقوله وتفرقوا متعجبين منه (ثم قتل كيف قدر) تكرير للمبالغة وثم للدلالة على ان الثانية ابلغ من الاولى وفيمابعد على اصلها (ثم نظر) اى فى امر القرآن مرة بعد اخرى (ثم عبس) قطب وجهه لما لم يجد فيه طعنا ولم يدر مايقول او نظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقطب فى وجهه (وبسر) اتباع لعبس (ثم ادبر) عن الحق او الرسول (واستكبر) عن اتباعه (فقال ان هذا الاسحر يؤثر) يروى ويتعلم والفاء للدلالة على انه لما خطرت هذه الكلمة بباله تفوه بها من غير تلبث وتفكر (ان هذا الاقول البشر) كالتأكيد للجملة الاولى ولذلك لم يعطف عليها

بعدذلك ان هذا الاقول البشر عن اعتقاداتهى ﴿قوله بيان لذلك﴾ اى لما اجل من فخامة شانها اى لاتبق لهم لحما الا اكلته ولاتذرهم اذا اعيدوا خلقا جديدا الا اكلتهم مرة اخرى وهكذا ابدا ﴿قوله والعامل فيها معنى التعظيم﴾ اى المستفاد من ما الاستفهامية فى قوله ما سقر فانه يستنبط منها معنى التعظيم والمعنى استعظم امرها فى كونها لاتبق ولاتذر ﴿قوله لاتبق على شئ يلق فيها﴾ اى لاترحم عليه وفى الصحاح ابقيت عليه اذا ارعيت عليه ورحمته يقال لاابق الله عليك ان ابقيت على وفيه ايضا يقال ارعيت عليه اذا ابقيت عليه ورحمته ﴿قوله ولاتدعه حتى تهلكه﴾ يعنى انها لاتقنع بمجرد التعذيب بنوع من انواع العذاب بل تبالغ فى تعذيبه الى ان تهلكه وقيل قوله لاتبق ولاتذر لفظان مترادفان بمعنى واحد كررا تأكيدا كقولك صد عنى واعرض ﴿قوله مسودة لاعالى الجلد﴾ فسر قوله لواحة بمسودة ومغيرة للبشرة واعالى الجلد اى ظواهره اشارة الى ان لواحة اسم فاعل مبنى للمبالغة من لاحه السفر والعطش اى غيره وسوده وهى لواحة اى مغيرة ومسودة قيل تلفح وجوههم النار لفحة تدعها اشد سوادا من الليل والبشر جمع بشرة وهى ظاهر الجلد وتوصيفها بتسويد البشرة لاينافى قوله تعالى لاتبق ولاتذر لان ذلك بعد الالقاء فيها والتسويد قبله ﴿قوله او لائحة للناس﴾ على ان لواحة اسم فاعل من لاح يلوح بمعنى ظهر وقيل لواحة للتهويل والبشر بمعنى الناس قيل انها تلوح للناس من مسيرة خمسمائة عام قال الله تعالى وبرزت الجحيم لمن يرى وقال لترون الجحيم ثم لترونها عين اليقين ﴿قوله وقرئت بالنصب﴾ اى بتقدير اعنى وقيل منصوبة على انها حال من سقر والعامل معنى التعظيم او من المنوى فى لاتبق ولاتذر وقرأ الجمهور لواحة بالرفع بتقدير هى لواحة ﴿قوله ملكا او صنفا﴾ يعنى ان تمييز تسعة عشر يحتمل ان يكون الاشخاص الذين يلون امر سقر ويسلطون على اهلها من الملائكة وان يكون اصنافا منهم ولايعلم عدد كل صنف منهم الا الله وقيل هذه التسعة عشر عدد الرؤساء والنقباء واما جملة اشخاصهم فكما قال تعالى ومايعلم جنود ربك الا هو * روى ان خزنة النار تسعة عشر ملكا مالك ومعه ثمانية عشر اعينهم كالبرق الخاطف وانيابهم كالصياصى واشعارهم تمس اقدامهم يخرج لهب النار من افواههم ما بين منكبى الواحد منهم مسيرة سنة يسع كف احدهم مثل ربيعة ومضر نزعت منهم الرحمة والرأفة يرفع الواحد منهم سبعين الفا فى كفه فيرميهم حيث اراد فى جهنم ﴿قوله والمخصص لهذا العدد﴾ قال ارباب الحكمة فى وجه اختصاص خزنة النار بهذا العدد ان سبب فساد النفوس الانسانية فى قواها النظرية والعملية هو القوى الحيوانية والطبيعية اما القوى الحيوانية فهى الخمس الظاهرة والخمس الباطنة والشهوة والغضب بمجموعها اثنتا عشرة واما القوى الطبيعية فهى الجاذبة والماسكة والهاضمة والدافعة والغاذية والنامية والمولدة وهذه سبع قوى والمجموع تسع عشرة فلما كان منشأ الآفات هو هذه التسع عشرة لاجرم كان عدد الزبانية هكذا فاستولى على الانسان ملك او صنف من الزبانية بمقابلة كفرانه بكل واحدة من هذه القوى التى كل واحدة منها نعمة آلهية يتوصل بها الى الاستكمال بحسب القوى النظرية والعملية وقد توصل بها الى معصية من انعم بها عليه والمراد بالقوى الحيوانية القوى التى تخص الحيوان من بين المولدات الثلاث الحيوان والنبات والمعدن وهى قسمان مدركة وفاعلة فالمدركة عشر وهى التى لها مدخل فى الادراك بالمشاهدة او الحفظ وهى الحواس الظاهرة والباطنة والفاعلة اثنتان الشهوة والغضب والقوى الطبيعية وهى التى لاتختص بالحيوان بل توجد فى النبات ايضا سبع ثلاث منها مخدومة وهى الغاذية والنامية والمولدة واربع منها خوادم وهى الجاذبة والهاضمة والماسكة والدافعة ﴿قوله ست منها لاصناف الكفار﴾ وهم اليهود والنصارى والمجوس وعبدة الاوثان وعبدة الملائكة وعبدة الشمس واهل كل دركة من دركات جهنم يعذبون فيها لامور ثلاثة ترك الاعتقاد وترك الاقرار وترك العمل فيكون فى كل دركة ثلاثة انواع من العذاب كل نوع يناسب امرا من تلك الامور الثلاثة التى هى اسباب تعذيبهم فيها فيكون فى ست دركات جهنم ثمانية عشر نوعا من العذاب يلى امر كل نوع من هذه الانواع شخص من الزبانية او صنف منهم فيكون مجموع اشخاص الزبانية او اصنافها ثمانية عشر واما دركة الفساق فانهم لايعذبون فيها الا بترك العمل فيكون فيها نوع واحد من العذاب يناسب تلك الجريمة يتولى على ذلك النوع الواحد من العذاب ملك او صنف واحد من الزبانية فيكون المجموع تسعة عشر ﴿قوله او ان الساعات اربع وعشرون﴾ يعنى خصت اعداد الزبانية بكونها تسعة عشر بناء على ان الساعات التى خصت لتصرف فى المعصية كذلك فكان اعداد من يتولى تعذيب العصاة ايضا تسعة عشر على عدد ساعات المعصية فيتولى كل واحد منهم مجازاة المعصية الواحدة

(سأصليه سقر) بدل من سأرهقه صعودا (وما ادراك ما سقر) تعظيم لشأنها وقوله (لاتبق ولاتذر) بيان لذلك او حال من سقر والعامل فيها معنى التعظيم والمعنى لاتبق على شئ يلق فيها ولاتدعه حتى تهلكه (لواحة للبشر) مسودة لاعالى الجلد او لائحة للناس وقرئت بالنصب على الاختصاص (عليها تسعة عشر) ملكا او صنفا من الملائكة يلون امرها والمخصص لهذا العدد ان اختلال النفوس البشرية فى النظر والعمل بسبب القوى الحيوانية الاثنى عشرة والطبيعية السبع او ان لجهنم سبع دركات ست منها لاصناف الكفار وكل صنف معذب بترك الاعتقاد والاقرار والعمل انواعا من العذاب يناسبها وعلى كل نوع ملك او صنف يتولاه وواحدة لعصاة الامة يعذبون فيها بترك العمل نوعا يناسبه ويتولاه ملك او صنف او ان الساعات اربع وعشرون خمس منها مصروفة فى الصلاة فبقى تسع عشرة قد تصرف فيما يؤاخذ به بانواع من العذاب يتولاها الزبانية

الواقعة في ساعة واحدة من تلك الساعات ﴿ قوله فيما هو كاسم واحد ﴾ فان تسعة عشر ليس اسما واحدا في الاصل وانما جعل اسما واحدا بالتركيب فان اصله تسعة وعشرة فحذفوا الواو وجعلوا الاسمين اسما واحدا ولذلك بني الاسم الاول على الفتح لكون آخره وسط الكلمة بسبب التركيب وبني الاسم الثاني ايضا لتضمنه معنى حرف العطف وهذا الاسم المركب في الآية في محل الرفع على الابتداء وعليها خبره وكثرة الحركات فيما هو كالكلمة الواحدة توجب الثقل فلذلك اسكن اول الاسم الثاني للتخفيف وجعل ذلك امارة لقوة اتصال احد الاسمين بالآخر انتهى ﴿ قوله وتسعة أعشر جمع الخ ﴾ يعني ان تسعة اسم عدد اضيف الى مميزه وهو أعشر جمع عشير بمعنى معاشر ومصاحب كأنه قيل عليها تسعة ملائكة كل واحد منهم معاشر جماعة ومدبر امرهم ومعينهم ومبلغ الجماعة غير معلوم ﴿ قوله ولا يستروحون ﴾ اى لا يميلون ولا يلاينون مع المعذبين وفي الصحاح استروح اليه اى استنام وفيه ايضا استنام اليه اى سكن اليه واطمأن روى انه لما نزل قوله تعالى عليها تسعة عشر قال ابو جهل لقريش ثكلتكم امهاتكم قال ابن ابي كبشة ان خزنة النار تسعة عشر تخوفكم بهم وانتم الجمع العظيم وروى وانتم البهم اى الشجعان الاقوياء أيعجز كل مائة منكم ان يبطشوا بواحد منهم ثم تخرجوا من النار فقام ابو الاسود بن اسيد بن كلدة وهو رجل من بني جمح وكان من شجعان العرب واقويائهم وكان يقوم على اديم ويجتمع جماعة على ان يجزوه من تحت رجليه ويزيلوا رجليه عنه فلم يستطيعوا ويتقطع الاديم قطعا قطعا ورجله ثابتة على حالها فقال يا معشر قريش اذا كان يوم القيامة فانا امشي بين ايديكم على الصراط فارفع عشرة بمنكبي الايمن وعشرة بمنكبي الايسر عن النار ونمضي حتى ندخل الجنة وروى انه قال انا اكفيكم سبعة عشر منهم فاكفوني انتم اثنين منهم فلما قال ابو جهل وابو الاسود ذلك قال المسلمون ويحكم لا تقاس الملائكة بالحدادين يجري هذا مثلا في كل شيئين لا تساوي بينهما والمعنى لا تقاس الملائكة بالسجانين والحداد السجان الذي يحبس الناس ويمنعهم من الخروج من السجن فانزل الله تعالى وما جعلنا اصحاب النار الا ملائكة اى لم نجعلهم من جنسكم فتساووهم فان قوة واحد منهم اعظم من قوة الانس والجن جميعا فلا يطيقهم البشر ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا والجنسية لما كانت مظنة الرأفة والرحمة جعل الله تعالى خزنة النار مخالفين للمعذبين فيها بحسب الجنس لئلا يرقوا لهم ﴿ قوله وما جعلنا عدتهم الا العدد الذي اقتضى فتنتهم ﴾ جواب عما يقال ان جعل من نواسخ الابتداء فوجب ان يكون مفعوله الثاني مما يصح ان يحمل على مفعوله الاول ولا يصح ان يحمل فتنة الكفار على عدد الزبانية * وتقرير الجواب ان المراد بقوله تعالى وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا وما جعلنا عدتهم الا تسعة عشر الا انه وضع قوله فتنة للذين كفروا موضع تسعة عشر لكون افتتان الكفار اثر العدد المذكور فعبر عن المؤثر باللفظ الدال على الاثر تنبيها على ان الاثر من لوازم ذلك المؤثر ثم بين ان الكفار افتتنوا بالعدد المذكور من جهة استقلالهم اياه واستبعادهم ان يكون هذا العدد وافيا بتعذيب اكثر خلق العالم ومن جهة استهزائهم به قائلين لم لم يكونوا عشرين وكانوا اقل منه بواحد ﴿ قوله ولعل المراد الجعل بالقول ﴾ جواب عما يقال كيف يصح جعلهم في نفس الامر على هذا القدر معللا وسببا لاستيقان اهل الكتاب وازدياد المؤمنين ايمانا واستبعاد اهل الشك والنفاق وليس ايجادهم واحداثهم تسعة عشر سببا لشيء من ذلك وانما السبب ما ذكر من الامور هو الاخبار من عددهم بانه تسعة عشر * وتقرير الجواب ان الجعل يطلق على معنيين احدهما جعل الشيء متصفا بصفة في نفس الامر وثانيهما الاخبار باتصافه بها ويقال له الجعل بالقول كما في قوله تعالى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا ولعل المراد بالجعل المذكور في الآية الجعل بالمعنى الثاني والمعنى وما جعلنا عدتهم بالاخبار عنها الا عددا يلزم افتتان الكفار به لاستيقان اهل الكتاب وازدياد المؤمنين ايمانا واستبعاد اهل الشك والنفاق اياه فحينئذ يظهر وجه السببية وعبر عن الاخبار عن العدد بالجعل للمشاكلة لوقوعه في صحبة قوله وما جعلنا اصحاب النار الا ملائكة كقوله قلت اطبخوا لي جبة وقميصا ﴿ قوله لما رأوا ذلك موافقا لما في كتابهم ﴾ فان العدد المذكور لما كان موجودا في كتابهم وانه عليه الصلاة والسلام اخبر عنه على وفق ذلك من غير سابقة دراسة وتعلم ظهر لهم انه عليه الصلاة والسلام انما عرف ذلك بسبب الوحي الالهي فيستيقنون بنبوته عليه الصلاة والسلام وبكون القرآن كلاما الهيا ﴿ قوله بالايمان به او تصديق اهل الكتاب له ﴾ فعلى الاول يكون المراد بالازدياد الازدياد بحسب الكمية لازدياد متعلقه فان الايمان قد كان يزداد به يوما فيوما في زمان الوحي بحسب ازدياد ما يجب الايمان به فان من آمن بجميع ما جاء من عند الله

وقرئ تسعة عشر بسكون العين كراهة توالي الحركات فيما هو كاسم واحد وتسعة اعشر جمع عشير كيمين وايمن اى تسعة كل عشير جمع يعني نقيبهم او جمع عشر فيكون تسعين (وما جعلنا اصحاب النار الا ملائكة) ليخالفوا جنس المعذبين فلا يرقون لهم ولا يستروحون اليهم ولانهم اقوى الخلق بأسا واشدهم غضبا لله تعالى روى ان ابا جهل لما سمع عليها تسعة عشر قال لقريش أيعجز كل عشرة منكم ان يبطشوا برجل منهم فنزلت (وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا) وما جعلنا عددهم الا العدد الذي اقتضى فتنتهم وهو التسعة عشر فعبر بالاثر عن المؤثر تنبيها على انه لا ينفك منه وافتتانهم به استقلالهم له واستهزاؤهم به واستبعادهم ان يتولى هذا العدد القليل تعذيب اكثر الثقلين ولعل المراد الجعل بالقول ليحسن تعليله بقوله (ليستيقن الذين اوتوا الكتاب) اى ليكتسبوا اليقين بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم وصدق القرآن لما رأوا ذلك موافقا لما في كتابهم (ويزداد الذين آمنوا ايمانا) بالايمان به او تصديق اهل الكتاب له

قبل نزول مايدل على عدد الزبانية اذا نزل عليهم قوله تعالى عليها تسعة عشر فآمنوا به ايضا فلاشك انه يزداد ايمانهم بحسب الكمية لازدياد متعلقه وعلى الثانى يكون المراد بالازدياد ازدياد يقينهم قوة تصديق اهل الكتاب به وبموافقة كتابهم لكتابه او لانه كالمستيقن او لانه لموافقة كتابهم لكتابنا ﴿قوله وهو تأكيد للاستيقان وزيادة الايمان﴾ جواب عما يقال لما اثبت الاستيقان لاهل الكتاب واثبت زيادة الايمان للمؤمنين فما الفائدة فى قوله بعد ذلك ولا يرتاب الذين اوتوا الكتاب والمؤمنون • وتقرير الجواب الاول كونه تأكيدا وتقرير الجواب الثانى ان المتيقن قد يعتريه شك وارتياب بسبب غفلته عن مقدمة من مقدمات دليله او طريان مايتوهم كونه واقعا او معارضا لتلك المقدمة فثبوت اليقين فى بعض الاحوال لاينافى طريان الارتياب بعد ذلك فالمقصود من ذكر هذا الكلام بعد ذلك بيان ان المراد من الاستيقان والازدياد المذكورين قبل ان يكونا بحيث لايطرأ عليهما شك وارتياب اصلا ﴿قوله فتكون الآية اخبارا بمكة﴾ جواب عما يقال كيف يصح ان يفسر المرض بالنفاق والحال ان السورة مكية من اوآئل مانزل فيها ولم يكن بمكة نفاق لان اهلها امامكذب قاطع بالتكذيب او شاك غير مصدق ولامكذب واما مؤمن حقا والنفاق انما حدث بالمدينة بعد الهجرة اليها • وتقرير الجواب ان قوله تعالى وليقول المنافقون والكافرون لايقتضى تحقق النفاق وقت النزول بل يجوز ان يكون مبنيا على انه قد تقرر فى علم الله تعالى انه سيحدث قوم منافقون يقولون ذلك فعلى هذا تكون هذه الآية معجزة له عليه الصلاة والسلام حيث اخبر عن غيب سيقع وقد وقع على وفق اخباره • فان قيل كيف يصح ان يكون قول الكافرين والمنافقين ماذا اراد الله بهذا مثلا مقصودا من الاخبار عن عدد الزبانية والقول المذكور كفر وضلال فكيف يصح ان يريده الله تعالى فالجواب انه لااشكال فيه على اصلنا لانه تعالى يهدى من يشاء ويضل من يشاء ﴿قوله المستغرب استغراب المثل﴾ اشارة الى ان اطلاق المثل على هذا العدد على سبيل الاستعارة حيث شبهه بالمثل المضروب الذى هو القول السائر فى الغرابة حيث لم يكن عقدا تاما كعشرين او ثلاثين وكان ناقصا عنه بواحد والاستفهام فيه للانكار والمراد بانكاره انكار انه من عندالله وقوله مثلا تمييز لهذا او حال منه كقوله هذه ناقة الله لكم آية ﴿قوله وقيل لما استبعدوه﴾ اى لما كان هذا العدد عددا عجيبا ظن القوم ان ليس مراد الله تعالى منه ما اشتهر به ظاهره بل جعله مثلا لشئ آخر وتنبيها على مقصود آخر كسائر الامثال السائرة فسموه مثلا بالمعنى العرفى • فان قيل القوم كانوا منكرين كون القرآن من عندالله تعالى فكيف قالوا ماذا اراد الله بهذا مثلا • اجيب بان الذين فى قلوبهم مرض ان كان المراد بهم المنافقين فهم كانوا مقرين فى الظاهر بان القرآن من عندالله فلا جرم قالوا ذلك باللسان وان كان المراد بهم الكفار فيجوز ان يقولوا ذلك على سبيل التهكم او على سبيل الفرض والاستدلال بان القرآن لوكان من عندالله لما كان فيه مثل هذا الكلام ﴿قوله مثل ذلك المذكور من الاضلال والهدى﴾ اشارة الى ان محل الكاف فى كذلك النصب على انه نعت لمصدر محذوف اى يضل اضلالا مثل ذلك وان ذكره اشارة الى ماتقدم ذكره من الاضلال والهدى فى قوله وليقول الذين فى قلوبهم مرض والكافرون وفى قوله ليستيقن الذين اوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا ايمانا اى كاضلال الله اباجهل واصحابه المنكرين لخزنة جهنم وعددهم يضل ويخزى من يشاء ويهدى ويرشد من يشاء كارشاد الصحابة ثم ان اباجهل لما استقل خزنة جهنم وقال ليس لتعذيب العصاة من الجنود الا تسعة عشر قال تعالى ومايعلم جنود ربك الا هو والمراد من بيان كثرتها التنبيه على انه تعالى لايعسر عليه تتميم الخزنة عشرين ولكن له تعالى فى اختيار هذا العدد حكمة لايعلمها الا هو ويحتمل ان يكون المعنى ومايعلم عدد الملائكة الذين خلقهم الله تعالى لتعذيب اهل النار الا هو وكون خزنة النار تسعة عشر لاينافى ان يكون لهم من الاعوان مالايعلم عددهم الا الله ﴿قوله وماسقر او عدة الخزنة او السورة الاذكرى﴾ فان سقر بما ذكر من صفاتها من كونها لاتبقى ولاتذر الخ تذكرة للبشر اى انذار لهم بسوء عاقبة الكفر والعناد وكذا ذكره عدة الخزنة تذكرة لهم ليتذكروا ويعلموا كمال قدرة الله تعالى وان يحتاج فى تعذيب الكفار والعصاة الى اعوان وانصار وكذا السورة تذكرة لهم لاشتمالها على الانذار وغيره ﴿قوله وحفص اذ أدبر﴾ اى بسكون الذال وأدبر على وزن افعل والباقون اذا دبر بفتح الذال والف بعدها ودبر على وزن فعل ودبر وادبر بمعنى ذهب ومضى كاقبل وقبل ومن اختار اذا قال لان مابعده اذا اسفر وايضا هى فى مصحف عبد الله مكتوبة بالفين بعد الذال احدهما الف اذا والاخرى همزة ادبر وايضا ليس فى القرآن قسم يعقبه اذ بسكون وانما يعقبه اذا

(ولا يرتاب الذين اوتوا الكتاب والمؤمنون) اى فى ذلك وهو تأكيد للاستيقان وزيادة الايمان اونفى لما يعرض المتيقن حيثما عراه شبهة (وليقول الذين فى قلوبهم مرض) شك اونفاق فتكون الآية اخبارا بمكة عما سيكون فى المدينة بعد الهجرة (والكافرون) الجازمون فى التكذيب (ماذا اراد الله بهذا مثلا) اى شئ اراد بهذا العدد المستغرب استغراب المثل وقيل لما استبعدوه حسبوا انه مثل مضروب (كذلك يضل الله من يشاء ويهدى من يشاء) مثل ذلك المذكور من الاضلال والهدى يضل الكافرين ويهدى المؤمنين (ومايعلم جنود ربك) جموع خلقه على ماهم عليه (الا هو) اذ لاسبيل لاحد الى حصر الممكنات والاطلاع على حقائقها وصفاتها وما يوجب اختصاص كل منها بما يخصه من كم وكيف واعتبار ونسبة (وماهى) وماسقر او عدة الخزنة او السورة (الا ذكرى للبشر) الا تذكرة لهم (كلا) ردع لمن انكرها اوانكار لأن يتذكروا بها (والقمر والليل اذ ادبر) اى ادبر كقبل بمعنى أقبل وقرأ نافع وحمزة ويعقوب وحفص اذ أدبر على المضى

واختار ابن عباس اذ بالسكون ويحكى عنه انه لما سمع دبر قال انما يدبر ظهر البعير واختلف اهل اللغة فى ان دبر
وادبر هل هما بمعنى واحد او لا فقال الفرآء والزجاج انهما بمعنى واحد والادبار نقيض الاقبال وكذا الدبور والقبول
يقال مضى امس الدابر وامس المدبر وقيل قول العرب دبر فلان معناه جاء من خلف وقولهم ادبر الليل النهار بمعنى
خلفه وجاء بعده فعلى هذا معنى اذا ادبر اذا اقبل بعد مضى النهار ﴿قوله اى البلايا الكبر كثيرة﴾ تعريف البلايا
الكبر للعهد والمعهود دركات جهنم ويجوز ان يكون للجنس ويكون المعنى ان جنس البلايا الكبيرة كثيرة وسقر
واحدة منها ومعنى كونها واحدة منها انها من بينهن واحدة فى العظم لانظير لها كما تقول هو احد الرجال وهى
احدى النساء ويؤيد الاول ماروى عن مقاتل والكلبى انهما قالا اراد بالكبر دركات جهنم وابوابها وهى سبعة
جهنم ولظى والحطمة والسعير وسقر والجحيم والهاوية نعوذ بالله من جميعهن ﴿قوله وانما جمع كبرى على كبر﴾
يعنى ان فعلى يجمع على فعال كحبلى وحبالى ولا يجمع على فعل بل هو جمع فعلة نحو ركبة وركب فينبغى ان لا يجمع
كبرى على كبر لكنه جمع على كبر تنزيلا لكبرى منزلة كبرة بتنزيل الف فعلى منزلة تاء فعلة كما جمع قاصعاء على قواصع
تنزيلا لها منزلة قاصعة مع ان فاعلاء لا يجمع على فواعل انما هو جمع فاعلة لا جمع فاعلاء وفى الصحاح شبهوا فاعلاء
بفاعلة وجعلوا ألف التأنيث بمنزلة الهاء ﴿قوله والجملة﴾ اى جملة قوله انها لاحدى الكبر جواب القسم
فان القسم فى قوله والقمر مقسم به مجرور بواو القسم والليل والصبح معطوفان عليه كانه قيل بحق هذه الامور ان
سقر لاحدى الكبر فيكون القسم مع جوابه جوابا لمن انكر سقر وكونها احدى الكبر بعد ردعه عن انكاره بقوله كلا
فان القسم وان واللام انما يصدر بها الكلام مع المنكر ﴿قوله او تعليل لكلا﴾ اى للامر بالارتداع كانه قيل
ارتدع عن انكار سقر لانها احدى الكبر وتأكيد الجملة بان واللام لوقوعها جوابا للمنكر لا لوقوعها جوابا للقسم
وجواب القسم محذوف كانه قيل والقمر ان الامر كذلك والقسم وجوابه جملة وقعت معترضة بين الامر بالارتداع
وعلته وهذا على تقدير كون قوله تعالى كلا ردعا لمن انكر سقر وكونها من احدى الكبر فانه حينئذ يجوز ان يكون
قوله انها لاحدى الكبر جوابا وتعليلا كما قررنا واما ان كان قوله كلا انكارا من الله تعالى لان يتذكروا بها فلا وجه
حينئذ لان يكون قوله انها لاحدى الكبر تعليلا لكلا بالمعنى المذكور ويتعين كونه جوابا للقسم ويكون تصدير
الجملة بالمؤكدات مبنيا على تنزيل من لم يتذكر بها منزلة المنكر لسقر ﴿قوله تمييز﴾ اى من نسبة احدى الكبر الى
اسم ان فيصح ان ينتصب على التمييز كانه قال انها من معظمات الدواهى من جهة كونها نذيرا كما تقول هى احدى
النساء زمانا على قول من يقول النار هى المنذرة وحذفت التاء من نذيرا كما فى قوله ان رحمة الله قريب من المحسنين
اى شئ قريب او ذات قرب منهم على معنى النسب كقولهم امرأة طالق وطاهر او لتأويل النار بالعذاب ﴿قوله
او حال مما دلت عليه الجملة﴾ لم يجعله حالا من ضمير انها لان الحروف المشبهة لا تنصب الحال ﴿قوله بدل من
للبشر﴾ باعادة الجار كقوله تعالى لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم والذين استضعفوا لمن آمن وقوله تعالى ان يتقدم
مفعول شاء والمعنى ان العبد متمكن من السبق الى الخيرات بالايمان والطاعة ومن التخلف عنها بالكفر والعصيان اى
نذيرا لمن شاء التقدم الى الخير والجنة بالطاعة او التأخر عنه بالمعصية فمن اراد الخير فهو متمكن منه فليفعل ومن اراد
الشر فهو متمكن منه ايضا فليفعل وفيه نوع تهديد كما فى الوجه الثانى * فان قلت قد تقرر ان مفعول شاء واراد
لا يذكر فى الكلام الفصيح الا ان يكون فيه غرابة فاى غرابة فيه حتى ذكر فى هذا الوجه دون الوجه الثانى * والجواب
ان اختيار التأخر والحرمان من الخير مع التمكن من التقدم والفوز بالخير امر غريب وان المعنى انها لاحدى الكبر
نذير المكلفين المتمكنين من فعل الخير مع التمكن من فعل الطاعة والمعصية فعبر عنه بقوله لمن شاء منكم ان يتقدم
او يتأخر ﴿قوله او لمن شاء خبر لان يتقدم﴾ فلا يكون ان يتقدم مفعول شاء بل يكون فى محل الرفع على الابتداء
ولمن شاء خبر قدم عليه ومحصول المعنى انه لا قسر ولا الجاء بل المكلف مختار فى كل ما اتاه او تركه فليفعل ما اراد
وفيه نوع تهديد كما فى قوله تعالى فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ﴿قوله ولو كانت صفة لقيل رهين﴾ لان
فعيلا اذا كان بمعنى مفعول يستوى فيه المذكر والمؤنث فعلم ان التاء فيه ليست للفرق بين المذكر والمؤنث بل هو
اسم للمصدر الكائن بمعنى المفعول اى اسم لما يرهن والتاء التى فيه للدلالة على كونه منقولا من الوصفية الى
الاسمية فان الصفة اذا غلبت الاسمية عليها وكانت بحيث لا تحتاج الى الموصوف ولا يذكر معها الموصوف تلحقها
التاء دليلا على النقل كالنطيحة والذبيحة اسمان لما نطح وذبح فيصح ان يقال كل امرئ رهينة كما يقال

(والصبح اذا اسفر) أضاء (انها لأحدى
الكبر) اى لأحدى البلايا الكبر اى البلايا
الكبر كثيرة وسقر واحدة منها وانما جمع كبرى
على كبر الحاقا لها بفعلة تنزيلا للالف منزلة
التاء كما الحقت قاصعاء بقاصعة فجمعت على
قواصع والجملة جواب القسم او تعليل لكلا
والقسم معترض للتأكيد (نذيرا للبشر) تمييز
اى لأحدى الكبر انذارا او حال مما دلت عليه
الجملة اى كبرت منذرة وقرئ بالرفع خبرا
ثانيا او خبرا لمحذوف (لمن شاء منكم ان يتقدم
او يتأخر) بدل من للبشر اى نذير للمتمكنين من
السبق الى الخير والتخلف عنه او لمن شاء خبر
لأن يتقدم فيكون فى معنى قوله فمن شاء فليؤمن
ومن شاء فليكفر (كل نفس بما كسبت رهينة)
مرهونة عند الله مصدر كالشتيمة اطلق
للمفعول كالرهن ولو كانت صفة لقيل رهين

(الا اصحاب اليمين) فانهم فكوا رقابهم بما احسنوا من اعمالهم وقيل هم الملائكة والاطفال (في جنات) لايكتنه وصفها وهي حال من اصحاب اليمين او من ضميرهم في قوله (يتساءلون عن المجرمين) اى يسأل بعضهم بعضا او يسألون غيرهم عن حالهم كتولت تداعيناه اى دعوناه وقوله (ماسلككم في سقر) بجوابه حكاية لما جرى بين المسئولين والمجرمين اجابوا بها (قالوا لم نك من المصلين) الصلاة الواجبة (ولم نك نطعم المسكين) مايجب اعطاؤه وفيه دليل على ان الكفار مخاطبون بالفروع (وكنا نخوض مع الخائضين) نشرع في الباطل مع الشارعين فيه (وكنا نكذب بيوم الدين) اخره لتعظيمه اى وكنا بعد ذلك كله مكذبين بالقيامة (حتى اتانا اليقين) الموت ومقدماته (فما تنفعهم شفاعة الشافعين) لو شفعوا لهم جميعا (فما لهم عن التذكرة معرضين) اى معرضين عن التذكير يعني القرءآن او ما يعمه ومعرضين حال (كأنهم حمر مستنفرة فرت من قسورة) شبهم في اعراضهم ونفارهم عن استماع الذكر بحمر نافرة فرت من قسورة اى اسد فعولة من القسر وهو القهر وقرأ نافع وابن عامر مستنفرة بفتح الفاء (بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى صحفا منشرة) قراطيس تنشر وتقرأ وذلك انهم قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم لن نتبعك حتى تأتي كلا منا بكتاب من السماء فيه من الله الى فلان ان اتبع محمدا (كلا) ردع لهم عن اقتراحهم الآيات (بل لا يخافون الآخرة) فلذلك اعرضوا عن التذكرة لالامتناع ايتاء الصحف (كلا) ردع لهم عن اعراضهم (انه تذكرة) واى تذكرة (فمن شاء) ان يذكره (ذكره وما يذكرون الا ان يشاء الله) ذكرهم او مشيئتهم كقوله وما تشاؤن الا ان يشاء الله وهو تصريح بان فعل العبد بمشيئة الله وقرأ نافع تذكرون بالتاء وقرئ بهما مشددا (هو اهل التقوى) حقيق بان يتقى عقابه (واهل المغفرة) حقيق بان يغفر عباده سيما المتقين منهم * عن النبي عليه السلام من قرأ سورة المدثر اعطاه الله عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد وكذب به بمكة

﴿ سورة القيامة مكية وآيها تسع وثلاثون آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(لا اقسم بيوم القيامة) ادخال لا النافية على فعل القسم للتأكيد شائع في كلامهم

كل نفس رهينة اى محبوسة من قولهم رهن الشيء اى دام وثبت وارهنته كذا اى تركته ثابتا مقيما عنده والمرتهن هو الذى يأخذ المرهون ونفس المكلف محبوسة والحابس الله تعالى بمقابلة ما اوجبه عليه من التكاليف التى هى خالص حقه فان اداها المكلف كما وجبت عليه فك رقبته وخلص نفسه والا بقى نفسه محبوسة عنده تعالى ﴿ قوله وقيل هم الملائكة او الاطفال ﴾ فانهم ليسوا بمكلفين بالاعمال حتى يكونوا محبوسين بما عليهم من حق الله تعالى فعلى هذا يكون الاستثناء منقطعا لان النفوس المرهونة هى نفوس المكلفين والملائكة والاطفال المسلمين ليسوا بمكلفين فلا يدخلون فى المستثنى منه الا ان تعم النفس الكل ﴿ قوله او من ضميرهم ﴾ عطف على اصحاب اليمين ﴿ قوله تعالى يتساءلون ﴾ يجوز ان يكون من التساؤل الواقع بين اثنين على معنى ان اصحاب اليمين يسأل بعضهم بعضا عن احوال المجرمين ويجوز ان يكون بمعنى يسألون اى يسألون غيرهم عن احوال المجرمين فان تفاعل قد يجيء بمعنى فعل كما يقال تداعينا اى دعونا وعلى التقدير ين ليس المجرمون مسئولا عنهم بل هم المسئول منهم فلابد من توجيه يجيء عن ان قوله ماسلككم فى سقر سؤال المجرمين وقوله يتساءلون عن المجرمين سؤال عنهم فلا يتطابقان وانما يتطابقان لو قيل يسألون المجرمين ماسلككم فى سقر وتوجيه الكلام ان قوله ماسلككم فى سقر مع جوابه حكاية من قبل المسئولين لما جرى بينهم وبين المجرمين من السؤال والجواب والمعنى ان اصحاب اليمين لما تساءلوا بان سأل بعضهم بعضا او بان سألوا غيرهم عن المجرمين قال المسئولون فى جواب من سألهم قلنا لهم ماسلككم فى سقر فاجابوا بان قالوا لم نك من المصلين الخ الا ان الكلام يجيء على الحذف والاختصار كما هو نهج التنزيل فى غرابة نظمه ﴿ قوله تعالى فما تنفعهم ﴾ الفاء فيه سببية دخلت على المسبب اى اذا ثبت انهم اعترفوا بذنبهم من ترك الاعتقاد والعمل ثبت انه لو فرض اجتماع الشفعاء على شفاعتهم لما نفعهم شفاعتهم ثم انه تعالى لما بين ان من ترك الاعتقاد والعمل يعذب لامحالة بحيث لا ينفعه شفاعة الشافعين باسرهم تعجب من اصرار كفار مكة على الكفر والعناد واعراضهم عن التذكير بالقرءآن فقال فما لهم عن التذكرة معرضين وكلمة ما فى محل الرفع بالابتداء ولهم خبره ومعرضين حال من الضمير المجرور فى لهم وعن التذكرة متعلق بمعرضين والعامل فى الحال معنى الاستقرار المدلول عليه باللام الجارة فى لهم وكأنهم حمر حال بعد حال والاستفهام فى ما لهم للانكار اى اى شيء ثبت لهم معرضين عن وعظه مشابهين حمرا ومستنفرة بكسر الفاء بمعنى نافرة فان استنفر ونفر بمعنى كعجب واستعجب وسخر واستسخر واستنفر ابلغ من نفر كأنه يطلب من نفسه النفار وقرئ بفتح الفاء ايضا اى مذعورة منفرة نفرها الصائد كأنه طلب منها النفار ﴿ قوله اى اسد ﴾ عن ابن عباس رضى الله عنه ان القسورة هو الاسد بلسان الحبشة سمى بالقسورة لانه يغلب السباع ويقهرها والحمر الوحشية اذا عاينت الاسد تهرب فكذا المشركون اذا سمعوا القرءآن ورأوا من يذكرهم به وقوله تعالى بل يريد اضراب عن اعراضهم الى ما هو اقبح من ذلك وهو الاقتراح على سبيل الاستهزاء ﴿ قوله فيه من الله تعالى الى فلان ﴾ اى لن نتبعك حتى يصبح عند رأس كل واحد منا كتاب عنوانه هذا كتاب من عند الله رب العالمين الى فلان ابن فلان ان اتبع محمدا فانه رسول من قبلى اليكم ثم اضرب وابطل ان يكون ابتاعهم اياه عليه الصلاة والسلام لعدم ايتاء الصحف وبين ان ذلك لعدم خوفهم من الآخرة فقال بل لا يخافون الآخرة ثم قال كلا ردعا لهم عن الاعراض عن التذكرة ثم اثبت كونه تذكرة بليغة فقال انه تذكرة ﴿ قوله شاء ان يذكره ﴾ اى ان يجعله على ذكر منه ويتعظ به ذكره اى جعله نصب عينه لان نفع ذلك راجع اليه وانه ممكن من ذلك قرأ الجمهور وما يذكرون بياء الغيبة وتخفيف الذال والكاف على وفق ما تقدم فى قوله فما لهم عن التذكرة معرضين وقرأ نافع بتاء الخطاب على طريق الالتفات من الغيبة الى الخطاب وقرئ بتشديد الذال والكاف بالتاء والياء ايضا بمعنى تتذكرون ويتذكرون ﴿ قوله وهو تصريح بان فعل العبد بمشيئة الله تعالى ﴾ كما هو مذهب اهل السنة وقالت المعتزلة المعنى الا ان يقسرهم على الذكر ويلجئهم اليه ونحن نقول تخصيص المشيئة بالمشيئة القسرية ترك للظاهر بلا دليل * تمت سورة المدثر والحمد لله رب العالمين

﴿ سورة القيامة اربعون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ قوله ادخال لا النافية على فعل القسم للتأكيد ﴾ اى لتأكيد القسم شائع اراد بلا النافية ما هو فى صورة النافية

بشهادة قوله للتأكيد فان ماتكون للتأكيد لاتكون نافية كما ان النافية لاتكون مؤكدة وكلمة ماولا كثيرا ماتكون صلة زائدة كقوله تعالى لئلا يعلم اهل الكتاب وقوله مامنعك ان لاتسجد وقوله فبما رحمة من الله وقول امرئ القيس

لاوابيك ابنة العامرى ۞ لايدعى القوم انى افر ۞

والمعنى وابيك لايدعى القوم فكذا معنى الآية اقسم بيوم القيامة ﴿قوله ابنة العامرى﴾ منادى حذف منه حرف النداء اى ياابنة العامرى انا لاافر من الحرب وانا مشهور متميز بذلك حتى لايدعى ذلك احد ويجوز ان يكون مراده ان كلمة لافى الآية لنفى ماينافى المقسم عليه ورد من قال بذلك فكأنه قيل ليس الامر كما زعم منكروا البعث ثم استأنف القسم فقال اقسم بيوم القيامة انكم لتبعثن ومعنى قوله للتأكيد اى لنفى ماينافى المقسم عليه تأكيدا للقسم وجواب القسم فى الآية محذوف يدل عليه قوله ايحسب الانسان ان لن نجمع عظامه اذهو لايصلح جوابا لكونه جملة انشائية كأنه قيل اقسم بيوم القيامة انكم لتبعثن ثم أكد هذا المعنى بالانكار على حسبان انه تعالى لايقدر على احياء من فى القبور بجمع عظامهم النخرة واجسادهم البالية المتلاشية ويحتمل ان يكون مراده ان كلمة لاههنا لنفى القسم والمعنى لااقسم بيوم القيامة على حقية البعث والقيامة لان هذا المطلوب اعظم واجل من ان يقسم عليه ويكون المقصود تأكيد المقسم عليه وتفخيم شأنه وبيان استغنائه عن الاقسام عليه ﴿قوله اوبالجنس﴾ يعنى ان قوله تعالى اللوامة اماصفة مخصصة لجنس النفس المتقية خصصها بالتى تلوم المقصرين فى التقوى واما مؤكدة بناء على ان تعريف الجنس وان كان للعهد والمعهود النفس المتقية الا انها تلوم نفسها ابدا ثم ذكر احتمال ان يكون المعهود النفس المطمئنة اى المستقرة الثابتة على الحق المتقية بحيث لاتلتفت عنه الى ماسواه فان القوة العاقلة اذا اخذت فى سلسلة الاسباب والمسببات وانتهت فى مدارج الارتقاء الى واجب الوجود لذاته الذى هو مستغن عن جميع ماسواه فى ذاته وصفاته وافعاله وان جميع ماسواه يحتاج اليه فى جميع شؤونه فلاجرم تقف عنده وتطمئن اليه ولاتنتقل عنه الى غيره فتثبت فى مقام العبودية فلا يزعجها عنه شئ من حظوظ عالم الطبيعة ولذاته الفانية فهذه النفس المعهودة لوامة للنفس الامارة والمطمئنة الى الحق المستغرقة فى بحار معرفته وملاحظة جلاله وجماله اخص من المتقية مما يؤثم ثم ذكر احتمال ان يكون تعريف النفس للاستغراق وتكون اللوامة صفة مؤكدة ﴿قوله وضمها الى يوم القيامة﴾ جواب عما يقال ماالمناسبة بين القيامة وبين النفس اللوامة حتى جمع الله تعالى بينهما فى القسم ۞ وتقرير الجواب انه تعالى اقسم بيوم القيامة وهو يوم يقوم الناس من القبور لرب العالمين اى لامره وحكمه بذلك اظهارا لعظمته فانه امر عظيم الشأن تظهر فيه الاشياء بحقائقها فصح لذلك ان يجعل مقسما به وجعلت النفس اللوامة ايضا مقسما بها لمابينهما من المناسبة من حيث ان المقصود من البعث واقامة القيامة مجازاة النفوس وتمييز المطيعة والعاصية منها وهو من بدائع القسم من حيث تناسب القسم والمقسم عليه حيث اقسم بيوم البعث وبالنفوس المجزية فيه على حقية البعث والجزاء كقول ابى تمام وثناياك انها اغريض كما مر فى سورة الزخرف ﴿قوله اويجمع الله﴾ بفتح الواو العاطفة بعد همزة الاستفهام اى أيبعث ويجمع وان فى قوله تعالى ان لن نجمع عظامه مخففة من الثقيلة اى ايحسب الانسان انه لن نجمع عظامه وبلى ايجاب لماذكر بعد النفى وهو الجمع كأنه قيل بلى نجمعها وقادرين حال مؤكدة من الضمير المستكن فى نجمع المقدر بعد بلى اى بلى نجمع العظام قادرين على تأليف جمعها واعادتها الى التركيب الاول والسلاميات عظام الاصابع واحدتها سلامى والبنانة واحدة البنان وهى اطراف الاصابع ومن قدر على جمع صغارها فهو على جمع الكبار اقدر او ومن قدر على جمع الحواشى والاطراف فهو على جمع الاصول والاساس اقدر ﴿قوله فيجوز ان يكون استفهاما وان يكون ايجابا﴾ يعنى على تقدير ان يكون قوله بل يريد معطوفا على أيحسب يجوز امران الاول ان يكون المعطوف استفهاما انكاريا كالمعطوف عليه وتقدير الكلام بل اريد استفهم عن شئ اولا ثم اضرب عن الاستفهام عنه الى الاستفهام عن امر آخر كأنه قيل منشأ انكار البعث هل هو حسبان عجزنا عن البعث وجمع الاجزاء اوارادة ان يدوم على مااعتاده من المعاصى وانواع الفجور امامه اى فيما يستقبله من الزمان وهو قول المصنف لجواز ان يكون الاضراب عن المستفهم اى مع بقاء اصل الاستفهام على حاله

(والامر)

قال امرؤ القيس

لاوابيك ابنة العامرى ۞

لايدعى القوم انى افر ۞

وقد مر الكلام فيه فى قوله فلااقسم بمواقع النجوم وقرأ قنبل لأقسم بغير الف بعد اللام وكذا روى عن البزى (ولااقسم بالنفس اللوامة) بالنفس المتقية التى تلوم النفوس المقصرة فى التقوى يوم القيامة على تقصيرها او التى تلوم نفسها ابدا وان اجتهدت فى الطاعة او النفس المطمئنة اللائمة للنفس الامارة او بالجنس لماروى انه عليه الصلاة والسلام قال ليس من نفس برة ولافاجرة الا وتلوم نفسها يوم القيامة ان عملت خيرا قالت كيف لم ازدد وان عملت شرا قالت ليتنى ماكنت قصرت او بنفس آدم فانها لم تزل تلوم على ماخرجت به من الجنة وضمها الى يوم القيامة لان المقصود من اقامتها مجازاتها (أيحسب الانسان) يعنى الجنس واسناد الفعل اليهم لان منهم من يحسب او الذى نزل فيه وهو عدى بن ابى ربيعة سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن امر القيامة فاخبره به فقال لو عاينت ذلك اليوم لم اصدقك او يجمع الله هذه العظام (ان لن نجمع عظامه) بعد تفرقها وقرئ ان لن يجمع على البناء للمفعول (بلى) نجمعها (قادرين على ان نسوى بنانه) نجمع سلامياته ونضم بعضها الى بعض كما كانت مع صغرها ولطافتها فكيف بكبار العظام او على ان نسوى بنانه التى هى اطرافه فكيف بغيرها وهو حال من فاعل الفعل المقدر بعد بلى وقرئ بالرفع اى نحن قادرون (بل يريد الانسان) عطف على أيحسب فيجوز ان يكون استفهاما وان يكون ايجابا لجواز ان يكون الاضراب عن المستفهم او عن الاستفهام

(ليفجر امامه) ليدوم على فجوره فيما
يستقبله من الزمان (يسأل ايان يوم القيامة)
متى يكون استبعادا واستهزآء (فاذا برق
البصر) تحير فزعا من برق الرجل اذا نظر
الى البرق فدهش بصره وقرأ نافع بالفتح
وهو لغة او من البريق بمعنى لمع من شدة
شخوصه وقرئ بلق من بلق الباب اذا
انفتح (وخسف القمر) وذهب ضوءه وقرئ
على بناء المفعول (وجمع الشمس والقمر)
فى ذهاب الضوء او الطلوع من المغرب
ولا ينافيه الخسوف فانه مستعار للمحاق

والامر الثانى ان يكون المعطوف ايجابا استفهم اوّلا على سبيل الانكار على حسبانه ثم اضرب من اصل الاستفهام الى الاخبار عن حاله بماهو ادخل فى اللوم عليه من الاوّل كانّه قيل دع الانكار على حسبانه امرا باطلا فى حقنا فان فيه ماهو اقبح من ذلك وهو انه يحب اللذات العاجلة والحياة الفانية وانهماكه فى قضاء شهواته النفسانية يصرفه عن النظر فى الدلائل المؤدية الى تعيين الحق من الباطل وتمييز الصواب من الخطأ فان انكار البعث قد ينشأ من الشبهة وقد ينشأ من حب العاجل ومتابعة الهوى فالله تعالى اشار الى الاوّل بقوله أيحسب الانسان ألّن نجمع عظامه اى ان لن نقدر على جمع ماتفرّق من اجزآئه غرقا وحرقا وتفريق الرياح واكل السباع اياها وما اختلط من اجزآء كل شخص باجزآء غيره حتى يبعث كل احد بعينه بجميع اجزآئه ويحاسب ويجازى بماعمل فى الدنيا ثم انه تعالى ردّ هذه الشبهة بقوله بلى قادرين اى نجمع عظامه ونركبها كما كانت بناء على انه تعالى عالم بالجزئيات بأسرها فيكون عالما باجزآء كل شخص مميزة من اجزآء غيره وقادر على كل الممكنات فيلزم ان يكون قادرا على تركيبها ثانيا واشار الى المنشأ الثانى لانكار البعث بقوله بل يريد الانسان ليفجر امامه يعنى ان الانسان الذى هو عبد بطنه وفرجه واسير قاله وجاهه فان فكرة البعث تكدّر عليه انهماكه فى استيفاء هذه اللذات الطبيعية وتقتضى حبس نفسه الامارة بالسوء عن اطلاقها فى قضاء شهواتها وتقييدها بالقيود الشرعية فيجد امر البعث ثقيلا مخالفا لمقتضى طبعه فينكره لذلك فلا ينتهى عن المعاصى ولا يخطر بباله ان يتوب عنها وان خطر يقول سوف اتوب حتى يأتيه الموت وهو على شر احواله واسوأ افعاله وقوله تعالى امامه ظرف ليفجر والفجور التكذيب وما يتفرع عليه ومفعول يريد محذوف والمعنى بل يريد الانسان الثبات على ما هو عليه من عدم التقيد بقيود الايمان والطاعة ليدوم على فجوره فيما بقى من عمره وفسّر قوله تعالى ليفجر بقوله ليدوم على فجوره لانه فى هذه الحالة متلبس بالفجور وهو حسبان مالايجوز فى حقه تعالى وارادة الفجور كانه قيل ليس انكاره البعث لاشتباه الامر عليه وعدم قيام الدليل على صحة البعث بل يريد ان استمر على فجوره فى حال كونه سائلا على طريق الاستهزآء والسخرية ايان يوم القيامة فيوم القيامة مبتدأ وايان خبره ثم انه تعالى ذكر من علامات القيامة ههنا امورا ثلاثة اوّلها قوله فاذا برق البصر وثانيها قوله وخسف القمر وثالثها قوله وجمع الشمس والقمر وقرأ نافع برق بفتح الرآء من باب نصر والباقون بكسرها قيل هما لغتان فى التحير والدهشة وقيل برق بالكسر بمعنى تحير فزعا لا يطرف وبرق بالفتح من البرق اى لمع وتلألأ من شدة شخوصه اى ارتفاعه يقال شخص شخوصا اى ارتفع ﴿ قوله من برق الرجل اذا نظر الى البرق فدهش بصره ﴾ يعنى ان الاصل فيه ان الرجل اذا اكثر من النظر الى لمعان البرق فدهش بصره لذلك وتحير يقال برق الرجل ثم يستعمل ذلك فى كل حيرة سوآء نشأت من النظر الى البرق ام لا كما يقال قمر الرجل يقمر قمرا اذا تحير بصره من كثرة النظر الى القمر ثم استعير فى كل حيرة عرضت له من كثرة النظر من كل مايحرّق البصر كالثلج ونحوه ثم اختلفوا فى ان هذه الحالة التى هى برق البصر متى تكون وتحصل فقيل عند الموت وقيل عند البعث وقيل عند رؤية جهنم والقولان الاخيران ظاهران لارتباط السؤال عن يوم القيامة بقولهم ايان اى متى يوم القيامة كانه قيل يوم القيامة اذا تحير البصر واما اذا اريد به الحالة الحادثة عند الموت فحينئذ لابدّ من بيان وجه ارتباط الآية بالسؤال عن يوم القيامة لانه لماسئل بان يقال ايان يوم القيامة كان المناسب ان يقع الجواب بما يحصل عند قيامها والجواب بما يحصل عند الموت لايطابقه ظاهرا ولعل وجه الارتباط حينئذ ان من قال ايان يوم القيامة انما يقوله على سبيل الاستهزآء والسخرية فقيل فى جوابه ان من استهزأ اذا قرب موته وبرق بصره يتيقن حينئذ ان ماكان عليه من الانكار والاستهزآء خطأ عظيم مستوجب للعذاب الاليم الدآئم فيقول حينئذ اين المفرّ ﴿ قوله ولا ينافيه الخسوف ﴾ ورد على تفسير جمع الشمس والقمر بجمعهما فى الطلوع من المغرب ان يقال الجمع بينهما بهذا الطريق ينافى خسوف القمر لان خسوفه يقتضى المقابلة بينه وبين الشمس لتحقق حيلولة الارض بينهما فلا يتأتى للقمر ان يستفيد النور من الشمس فيبقى اسود عديم النور الذى هو معنى خسوف القمر ولما كان اجتماعهما فى الطلوع من المغرب منافيا للمقابلة بينهما كان منافيا لخسوفه ايضا لان ماينافى الملزوم ينافى اللازم ايضا واجاب عنه بانه ليس المراد بالخسوف الا المحاق وذهاب النور مطلقا سواء كان ذهابه بحيلولة الارض بينهما او بغير ذلك فالله تعالى قادر على كل الممكنات فيقدر على ازالة الضوء من القمر باىّ طريق شاء وقرأ العامة وخسف القمر على بناء الفاعل وقرئ وخسف على بناء المفعول لان خسف

يستعمل لازما ومتعديا يقال خسف القمر وخسفه الله والخسوف يكون بمعنى غيبة الشيء وذهابه بنفسه ومنه قوله تعالى فخسفنا به وبداره الارض ﴿قوله ولمن حمل ذلك على امارات الموت﴾ الاشارة بذلك الى برق البصر فمن حمله على مايلحق البصر عند البعث او عند رؤية جهنم تيسر له ملاحظة ارتباط الكلام بما قبله ووجه عطف قوله وخسف القمر وجمع الشمس والقمر بالواو الجامعة على قوله فاذا برق البصر كون كل واحد منهما مما يتحقق يوم البعث والجزاء واما من حمل برق البصر على ماهو من امارات الموت فيعسر عليه ملاحظة ارتباط الكلام بما قبله وملاحظة وجه العطف بالواو الجامعة لان ذهاب ضوء القمر واجتماعه مع الشمس في ذلك لايكون في زمان البروق الذي هو من امارات الموت فلا يصح عطفهما عليه بالواو الجامعة وتقرير الجواب نعم ان الامر كذلك ولا يبعد ان يفسر خسف القمر والجمع بينهما بما يكون من امارات الموت ايضا بان يجعل القمر استعارة لحاسة البصر تشبيها لها بالقمر في ان نورها مستفاد من الروح بواسطة تصرفه واستخدامه قواه الطبيعية السبع التي هي الجاذبة والماسكة والهاضمة ونحوها فيما يليق كل واحدة منها لها وبان يجعل الشمس استعارة للروح تشبيها للروح بالشمس في ان كمالات عالم الارض تحتاج الى تأثير الشمس وحركاتها ويفسر قوله خسف القمر بان يقال ذهب ضوء البصر عند الموت وقوله وجمع الشمس والقمر بان يقال اجتمعا في حكم الذهاب وان اختلف طريق الذهابين وان ذهاب ضوء القمر بمعنى بطلانه واضمحلاله وطريق ذهاب الروح بطلان تعلقه بالبدن وانتقاله الى عالم المجردات ﴿قوله او بوصوله﴾ اشارة الى تفسير آخر للجمع بان يجعل الشمس مستعارة للارواح العالية والعقول المجردة التي يستفاد منها انوار العقول الانسانية وادراكاتها وان يجعل القمر مستعارا للروح الانساني فحينئذ يكون جمعهما عبارة عن وصول الروح الانساني الى الارواح العالية ﴿قوله وتذكير الفعل﴾ حيث لم يقل وجمعت الشمس لتقدمه اي لكونه مسندا الى ظاهر المؤنث الغير الحقيقي وهي الشمس وفي مثله يجوز تذكير الفعل وتأنيثه مع ان فعل الجمع لم يسند الى الشمس وحدها بل هو مسند الى القمر ايضا بواسطة الواو العاطفة والقمر مذكر فغلب جانب التذكير على التأنيث وهذا الوجه لا يصلح بانفراده دليلا على التذكير فانك اذا قلت قام هند وزيد لم يجز عند الجمهور الا انه يصلح مؤيدا للوجه الاول فكأنه قيل ذكر الفعل لاسناده الى ظاهر المؤنث الغير الحقيقي مع انه قد عطف عليه مذكر فغلب على المؤنث الغير الحقيقي ﴿قوله تعالى يقول الانسان﴾ جواب اذا في قوله فاذا برق واذا ظرف معمول له واين المفر منصوب المحل بالقول اي يقول هذا الانسان المنكر للقيامة اذا عاين هذه الاحوال وايقن سوء عاقبة انكاره اين الفرار من حيث انه لايرى شيأ من امارات تمكنه من الفرار والمفر بفتح الميم وكسر الفاء اسم المكان المفر اليه ﴿قوله مستعار من الجبل﴾ فان الوزر في الاصل الجبل المنيع ثم اطلق لكل ماالتجأ اليه وتحصن به تشبيها له بالجبل المنيع والمعنى لاشئ يتحصن به من امر الله وخبر لا محذوف اي لاملجأ ثمة او في الوجود ﴿قوله اليه وحده استقرار العباد﴾ على ان تقديم قوله الى ربك يفيد الاختصاص واللام في المستقر عوض عن المضاف اليه وانه بمعنى الاستقرار والمراد اما استقرار نفس العباد اي لايقدرون ان يستقروا الى غيره تعالى ولا يتوجهون الا اليه واما استقرار امورهم على معنى لاترجع امور العباد الا الى حكمه لايحكم فيها غيره ويجوز ان يكون المستقر بمعنى مكان الاستقرار فيكون المعنى موضع قرار العباد من الجنة والنار يومئذ مفوض الى مشيئة ربك وحده من شاء ادخله الجنة ومن شاء ادخله النار والمستقر مرفوع على الابتداء والى ربك خبره ويومئذ ظرف معمول لمتعلق به الى ربك ولا يجوز ان يكون معمولا للمستقر لانه ان كان مصدرا بمعنى الاستقرار فلا يتقدم عليه معموله وان كان اسم مكان فلا يعمل اصلا وكذا الكلام في نحو قوله الى ربك يومئذ المساق ﴿قوله اي بما قدم من عمل عمله او بما اخر من سنة حسنة او سيئة عمل بها بعده﴾ فما قدمه هو ما عمله بنفسه من الاعمال خيرا كان او شرا او لم تتعد نتيجته الى من بعده وما اخره سواء عمله هو بنفسه من ذلك او ابقاه سنة حسنة او سيئة لمن بعده وعلى الاول ماقدمه وأخره ماعمله من عمل طاعة كان او معصية ومالم يعمله من طاعة وعلى الثالث ماقدم وأنفق من امواله ايام حياته وماخلفه للورثة وعلى الرابع ماعمله في حياته مقدما ومؤخرا اي اول عمله وآخره ثم انه تعالى لما قال ينبأ الانسان يومئذ باعماله قال بل لا يحتاج الى ان يخبر بذلك بناء على ان نفسه شاهدة عليه تخبر بجميع مافعله من الافعال وتشهد عليه جوارحه بذلك قال تعالى يوم تشهد عليهم ألسنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون قيل هذا في حق الكفار فانهم ينكرون ماعملوه فيختم على افواههم وتنطق جوارحهم ﴿قوله حجة بينة على اعمالها﴾

ولمن حمل ذلك على امارات الموت ان يفسر الخسوف بذهاب ضوء البصر والجمع باستتباع الروح الحاسة في الذهاب او بوصوله الى من كان يقتبس منه نور العقل من سكان القدس وتذكير الفعل لتقدمه وتغليب المعطوف (يقول الانسان يومئذ اين المفر) اي الفرار يقوله قول الآيس من وجدانه المتمني وقرئ بالكسر وهو المكان (كلا) ردع عن طلب المفر (لا وزر) لاملجأ مستعار من الجبل واشتقاقه من الوزر وهو الثقل (الى ربك يومئذ المستقر) اليه وحده استقرار العباد او الى حكمه استقرار امرهم او الى مشيئته موضع قرارهم يدخل من شاء الجنة ومن شاء النار (ينبأ الانسان يومئذ بما قدم واخر) بما قدم من عمل عمله وبما اخر منه لم يعمله او بما قدم من عمل عمله وبما اخر من سنة حسنة او سيئة عمل بها بعده او بما قدمه من مال تصدق به وبما اخر فخلفه او باول عمله وآخره (بل الانسان على نفسه بصيرة) حجة بينة على اعمالها

اشارة الى ان الانسان مبتدأ و بصيرة خبره و على نفسه متعلق ببصيرة اى على اعمال نفسه وان تأنيث البصيرة مع كونها خبرا عن الانسان وهو مذكر مبنى على انها صفة موصوف محذوف اى الانسان حجة بصيرة او مثل بصيرة على التشبيه البليغ شبه الانسان بالحجة من حيث كونه شاهدا بالاعمال على نفسه لان جوارحه تنطق بها فيكون شاهدا على نفسه بشهادة جوارحه كما ان الحجة شاهدة لمدعى فالانسان لما شابه الحجة من حيث كون كل واحد منهما شاهدا قيل انه حجة بينة على اعماله على التشبيه البليغ فقوله لانه شاهد بها اى شاهد بالاعمال على نفسه علة لحمل المشبه به على المشبه واشارة الى وجه الشبه ﴿ قوله وصفها بالبصارة على المجاز ﴾ اراد بالمجاز المجاز العقلى كأنه قيل سلمنا ان تقدير الكلام بل الانسان على نفسه حجة على التشبيه البليغ فما معنى توصيف الحجة بكونها بصيرة والبصير انما هو صاحبها • أجاب عنه بانه من قبيل الاسناد المجازى وصف الحجة بوصف صاحبها للدلالة على كونها واضحة الدلالة سهلة الاهتدآء بها فان الهادى الى الطريق اذا كان بصيرا غير اعمى سهل عليه أمر الدلالة وسهل على غيره الاهتدآء به فوصف الحجة بكونها بصيرة للاشارة الى كونها سهلة الدلالة وسهلة الاهتدآء بها فالمصنف اشار الى هذا المعنى بقوله حجة بينة بدل حجة بصيرة وان جعل تقدير الكلام بل الانسان على نفسه عين بصيرة بها يكون الانسان مبتدأ و بصيرة مبتدأ ثانيا وعلى نفسه خبر الثانى والجملة خبر الاول كقولك زيد على رأسه عمامة والعائد من الجملة الى المبتدأ الاول ضمير نفسه والمراد بالبصيرة على هذا هو الملك الموكل او الجوارح فان الحافظ والرقيب يطلق عليه العين البصيرة وجواب لو فى قوله تعالى ولو ألقى معاذيره محذوف اى لم يقبل منه المعذرة ولو جاء بكل ما يعتذر به فان العذر لا رواج له يومئذ لانه يوم تبلى السرآئر وتظهر حقائق الاشياء كما هى ﴿ قوله وذلك اولى ﴾ اى كون المعاذير جمع معذار اولى من كونه جمع معذرة لان بناء الجمع حينئذ يكون على وفق القياس كمفتاح ومفاتيح ومثقال ومثاقيل بخلاف ما اذا كان جمع معذرة فانه يجمع على معاذر كمحمدة ومحامد ولا يجمع على معاذير الا على وجه الشذوذ كمنكر ومناكير ﴿ قوله وفيه نظر ﴾ اى فى كون هذا الوجه اولى لعل وجه النظر ان كون البناء على وفق القياس انما يكون وجها لاولوية كون معاذير جمع معذار ان لو كان معذار بمعنى العذر لفظا مستعملا مسموعا وليس كذلك وكونه جمع معذرة وان كان على خلاف القياس الا انه على وفق الاصل فان الاصل ان يكون بناء الجمع بناء مغيرا عن مفرد ملفوظ مستعمل ولفظ معذرة كذلك فالوجهان متعارضان متساويان لا اولوية لاحدهما على الآخر والى كل واحد من الوجهين ذهب جماعة من النحويين فان منهم من ذهب الى ان مثل هذا الجمع لفظ مستعمل على خلاف القياس وقالوا المذاكير جمع ذكر وهو العضو المعروف ومناكير جمع منكر ومنهم من ذهب الى ان مثله اسم جمع لغير الملفوظ به بل للمقدر فقال ان نحو مذاكير جمع مذكار وان لم يسمع ﴿ قوله قبل ان يتم وحيه ﴾ اخذه من قوله تعالى فى سورة اخرى ولا تعجل بالقرآن من قبل ان يقضى اليك وحيه وقل رب زدنى علما • روى انه عليه الصلاة والسلام كان يشتد عليه حفظ التنزيل وكان عليه السلام اذا نزل عليه الوحى يحرك لسانه وشفتيه قبل فراغ جبريل مخافة ان لا يحفظ فانزل الله تعالى لا تحرك به لسانك اى بالقرآن وجاز هذا الاضمار وان لم يجر له ذكر لدلالة الحال عليه كما اضمر فى قوله تعالى انا انزلناه فى ليلة القدر ﴿ قوله تعالى لتعجل به ﴾ اى باخذه دلت الآية على انه عليه الصلاة والسلام كان يقرأ مع قرآءة جبريل عليه السلام وكان يسأله فى اثناء قرآءته عن مشكلات معانيه لغاية حرصه على العلم فنهى عن الاول بقوله لا تحرك به لسانك الى قوله فاذا قرأناه فاتبع قرآنه وعن الثانى بقوله ثم ان علينا بيانه فضمن له عليه الصلاة والسلام بيان المشكل منه كما ضمن له الحفظ واثبات قرآءته فى لسانه عليه الصلاة والسلام بحيث يقرأه متى شاء على ان القرآن مصدر بمعنى القرآءة مضاف الى مفعوله وان ثمة مضافا مقدرا ﴿ قوله بلسان جبريل ﴾ اشارة الى ان قوله قرأناه من قبيل اسناد فعل المأمور الى الآمر والمعنى اذا اقرأه جبريل عليك بامرنا وفرغ من قرآءته فاقرأه حينئذ وكرر كيلا يتفلت منك ولا تكن تابعا له فى القرآءة ولا تقرأ معه ﴿ قوله وهو دليل على جواز تأخير البيان عن وقت الخطاب ﴾ وجه الدلالة انه تعالى ذكر البيان بكلمة ثم وهى للتراخى وانما قال عن وقت الخطاب لانه لا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة الى العمل لانه تكليف بما لا يطاق والاعتراض عليه بما روى من ان قوله تعالى فكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود نزل ولم ينزل معه قوله من الفجر فكان بعض الصحابة اذا اراد الصوم وضع عقالين ابيض

لانه شاهد بها وصفها بالبصارة على المجاز او على عين بصيرة بها فلا يحتاج الى الاباء (ولو ألقى معاذيره) ولو جاء بكل ما يمكن ان يعتذر به جمع معذار وهو العذر او جمع معذرة على غير القياس كالمناكير فى المنكر فان قياسه معاذر وذلك اولى وفيه نظر (لا تحرك) يا محمد (به) بالقرآن (لسانك) قبل ان يتم وحيه (لتعجل به) لتأخذه على عجل مخافة ان يتفلت منك (ان علينا جمعه) فى صدرك (وقرآنه) واثبات قرآءته فى لسانك وهو تعليل للنهى (فاذا قرأناه) بلسان جبريل عليك (فاتبع قرآنه) قرآءته وكرر فيه حتى يرسخ فى ذهنك (ثم ان علينا بيانه) بيان ما اشكل عليك من معانيه وهو دليل على جواز تأخير البيان عن وقت الخطاب

واسود وكان يأكل ويشرب حتى يتبين له احدهما من الآخر فقد تأخر البيان عن وقت حاجتهم الى الصوم مدفوع بان مافعله الصحابة كان فى صوم التطوع ووقت الحاجة انما هو وقت الفرض من الصوم كذا فى التلويح ويجوز تأخيره عن وقت الخطاب مطلقا اى سواء كان البيان تفصيليا او اجماليا بان يقترن باللفظ مايشعر بانه ليس المراد من اللفظ مايقتضيه ظاهره بل ان يقترن بما يشعر ان المراد بهذه النكرة فرد متعين وبهذا العام خاص وبهذا المطلق مقيد وبهذا اللفظ المعنى المجازى ونحو ذلك ﴿ قوله وهو اعتراض بما يؤكد التوبيخ على حب العجلة ﴾ يعنى ان قوله تعالى لاتحرك به لسانك اعتراض وقع بين قوله تعالى بل يريد الانسان ليفجر امامه وبين قوله تعالى بل تحبون العاجلة * قال الامام زعم قوم من قدماء الروافض ان هذا القرآن قد غير وبدل وزيد فيه ونقص منه واحتجوا عليه بانه لامناسبة بين هذه الآية وماقبلها والجواب عن ذلك من وجهين احدهما ان الاستعجال المنهى عنه انما اتفق للرسول صلى الله عليه وسلم عند انزال هذه الآيات عليه فلاجرم نهى عن ذلك الاستعجال فى هذا الوقت وقيل له لاتحرك به لسانك لتعجل به وهذا كما ان المدرس اذا كان يلقى على تلميذه شيأ فاخذ التلميذ يلتفت يمينا وشمالا فيقول المدرس فى اثناء ذلك الدرس لاتلتفت يمينا ولا شمالا ثم يعود الى الدرس فاذا نقل ذلك الدرس مع توسط هذا الكلام فى اثنائه فمن لم يعرف السبب يقول ان وقوع تلك الكلمة فى اثناء ذلك الدرس غير مناسب لكن من عرف الواقعة علم انه حسن الترتيب وثانيهما انه تعالى نقل عن الكفار انهم يحبون العاجلة حيث قال بل يريد الانسان ليفجر امامه ثم بين ان التعجيل مذموم مطلقا حتى التعجيل فى امور الدين فقال لاتحرك به لسانك لتعجل به وقال فى آخر الآية كلا بل تحبون العاجلة فان كل واحد من الكلامين يتضمن التوبيخ على حب العاجلة فوسط هذا الكلام بينهما وبين به ان العجلة مذمومة حتى فى امر الدين تأكيدا لما تضمناه من التوبيخ على حب العاجلة وتضمن الكلام الاخير اياه ظاهر واما تضمن الاول له فلما مر من ان المعنى ان انكار الكفرة البعث ليس من جهة اشتباه الحق عليهم لعدم قيام الدليل على صحته ووقوعه بل لان شدة حرصهم على قضاء الشهوات العاجلة صرفتهم عن النظر فى ذلك الدليل فانكروا البعث لذلك فظهر به ان مؤداه التوبيخ على الاهتمام بعاجل الامر مع فنائه وتأديته الى خسران الابد كأنه قيل لاتقتف آثارهم بان تهتم بعاجل الحال وتستعجل فى اخذ القرآن خوفا من فوات حفظه وقرآءته متى شئت ﴿ قوله وقيل الخطاب الخ ﴾ اى وقيل فى وجه ارتباطه بما قبله ان الخطاب فى قوله تعالى لاتحرك به لسانك ليس مع الرسول صلى الله عليه وسلم حتى يتوهم عدم مناسبته بموقعه بل هو خطاب مع الانسان المذكور فى قوله تعالى ينبأ الانسان يومئذ بما قدم وأخر كأنه اذا عرض عليه كتابه وقيل له اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا فاخذ فى القرآءة يتلجلج لسانه من شدة الخوف ومن سرعة القرآءة فيقال له فاذا قرأناه فاتبع قرآءته بالاقرار بانك قد فعلت تلك الافعال ثم ان علينا بيان مراده وشرح مراتب خيراته فالله تعالى يقدر على بيان جميع الاعمال الكافر على سبيل التفصيل وهذا الوجه ذكره القفال ثم قال فهذا وجه حسن ليس فى العقل مايدفعه وان كانت الآثار غير واردة به وقوله تعالى بل تحبون العاجلة اضراب عن الردع المدلول عليه بكلا للدلالة على ان الاستعجال لكونه بمنزلة الامر الطبيعى الذى جبل عليه الانسان ليس مما يستحق الانسان بسببه كثرة لوم وتوبيخ لان اللائق للانسان ان يجاهد نفسه ولايخلى بينها وبين ماجبلت هى عليه ولذلك عم الخطاب لكل من يصلح ان يخاطب بعد تخصيصه المخاطب دون غيره ﴿ قوله وان كان الخطاب للانسان ﴾ اى بطريق الالتفات من الاخبار عن الجنس المتقدم والاقبال عليه بالخطاب فعلى هذا لايكون الكلام محمولا على تعميم الخطاب فانه اذا حمل على تعميم الخطاب لايكون فيه التفات بل يكون من قبيل تغليب المخاطب على غيره ﴿ قوله ويؤيده القرآءة بالياء فيهما ﴾ وجه التأييد ان الفعل فى هذه القرآءة يتعين كونه مسندا الى ضمير الانسان المذكور قبل فدل ذلك على انه اذا قرئ بتاء الخطاب يكون الخطاب للانسان ايضا بطريق الالتفات ثم انه تعالى لما وبخ على حب العاجلة ذكر اختلاف حال المؤمن العامل للآجلة وحال الكافر العامل للعاجلة يوم القيامة فقال وجوه يومئذ ذكر الوجوه واراد بها اربابها لان الوجه مما يعبر به عن الكل كذا قيل الاانه لامانع من ان يراد بالوجه معناه الحقيقى فلا وجه للعدول عنه مع انعدام مايصرفه عن ارادته ثم قيل قوله وجوه مبتدأ وناضرة نعت له ويومئذ منصوب بناضرة وناظرة خبره والى ربها متعلق بالخبر والمعنى ان الوجوه البهية اى الحسنة المتلألئة من كثرة التنعم بنعيم الجنة يومئذ اى يوم القيامة ناظرة الى الله تعالى والنضرة طراوة البشرة

وهو اعتراض بما يؤكد التوبيخ على حب العجلة لان العجلة اذا كانت مذمومة فيما هو اهم الامور واصل الدين فكيف بها فى غيره اوبذكر ما اتفق فى اثناء نزول هذه الآيات وقيل الخطاب مع الانسان المذكور والمعنى انه يؤتى كتابه فيتلجلج لسانه من سرعة قرآءته خوفا فيقال له لاتحرك به لسانك لتعجل به فان علينا بمقتضى الوعد جمع مافيه من اعمالك وقرآءته فاذا قرأناه فاتبع قرآءته بالاقرار او التأمل فيه ثم ان علينا بيان امره بالجزآء عليه (كلا) ردع للرسول صلى الله عليه وسلم عن عادة العجلة اوللانسان عن الاغترار بالعاجل وقوله (بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة) تعميم للخطاب اشعارا بان بنى آدم مطبوعون على الاستعجال وان كان الخطاب للانسان والمراد به الجنس لجمع الضمير للمعنى ويؤيده قرآءة ابن كثير وابن عامر والبصريين بالياء فيهما (وجوه يومئذ ناضرة) بهية متهللة

(وجمالها)

وجمالها وذلك من اثر التنعم والناضر الناعم والنضرة الحسن من كل شئ والبهاء الحسن يقال بهى الرجل وبهو ايضا
فهو بهى ﴿ وقيل وجوه مبتدأ وناضرة خبره ويومئذ منصوب بالخبر وسوّغ الابتداء بالنكرة لكون تنكير التوعية
نازلا منزلة الوصف فى نحو ولعبد مؤمن وقوله الى ربها ناظرة خبر بعد خبر ﴿ قوله تراه مستغرقة فى مطالعة
جماله ﴾ مستفاد من تقديم قوله الى ربها ﴿ قوله وليس هذا فى كل الاحوال ﴾ جواب عما يقال كيف تكون
مستغرقة فى مطالعة جماله بحيث تغفل عما سواه مع ان اهل السعادة ينظرون فى الموقف وفى الجنة الى امور
لاتحصى ✽ وتقرير الجواب ظاهر وفيه بحث لان التقييد ببعض الاحوال تقييد بلا دليل ومناف لمقام المدح المقتضى
لعموم الاحوال وغير مناسب لقوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة لعمومه فى الاحوال والاولى ان يقال التقديم لايتعين
كونه للاختصاص لاحتمال كونه للاهتمام ورعاية الفاصلة ولوسلم فالمعنى ان النظر الى غيره من حيث النظر اليه
لايعد نظرا كما فى قولهم زيد الجواد ﴿ قوله وقيل منتظرة ﴾ اذمن المعتزلة المنكرين للرؤية من فسر النظر بالانتظار
كما فى قوله تعالى فناظرة بم يرجع المرسلون اى منتظرة وقوله انظرونا نقتبس من نوركم وقوله ماينظرون الا صيحة
واحدة وقوله النعامه اشارة الى ان من فسّره بالانتظار جعل قوله الى اسما مفردا بمعنى النعمة مضافا الى الضمير مقدما
لقوله ناظرة بمعنى منتظرة ﴿ قوله ورد ﴾ اى ورد هذا القول بوجهين الاول ان الانتظار لايسند الى الوجه
فان قيل نعم انه لايسند الى الوجه بمعنى العضو الا ان القائل به يجوّز ان يفسره بالذات وجملة الشخص ولايخفى انه
يصح اسناد الانتظار الى الكل ✽ اجاب عنه المصنف بقوله وتفسيره بالجملة خلاف الظاهر والوجه الثانى من وجهى
الرد ان النظر بمعنى الانتظار لايعدّى بالى بل يعدّى بنفسه فيقال نظرته ولايخفى ان هذا الوجه من الرد انما يتوجه
على تقدير ان تكون كلمة الى حرف جرّ واما اذا كانت اسما بمعنى النعمة كما اشار اليه بقوله منتظرة انعامه فلايتوجه
﴿ قوله وقول الشاعر ﴾ جواب عما يقال لانسلم ان النظر بمعنى الانتظار وقد عدى بالى ✽ وتقرير الجواب ان النظر
فيه ليس بمعنى الانتظار لانه لايستوجب العطاء بل هو بمعنى السؤال والتوقع ومن فى قوله من ملك تجريدية كما فى
قولك رأيت من زيد اسدا بمعنى انه اسد ﴿ قوله والبحر دونك ﴾ اى اقل منك فى الجود والمعنى ان رجوت
عطاءك وتوقعت معروفك وانت ملك والحال ان البحر دونك فى الجود زدتنى نعما اى تعطينى فوق مارجوته والظاهر
ان كون النظر بمعنى السؤال مبنى على كونه من نظر العين والنظر الى الملك وان كان لايوجب الانعام ظاهرا
الا انه مقدمة طلب المعروف وهو الذى يوجب ملوكيته من مقدماته ويعضد ذلك انه ينزّل منزلته ويعبر به عنه
كما تنزل زيارة الاغنياء من الفقراء وتسليمهم عليهم منزلة التوقع منهم كما قيل ✽ وحسبك بالتسليم منى تقاضيا ✽ عن
ابن عمر رضى الله عنهما انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ✽ ان ادنى اهل الجنة منزلة من ينظر الى جنانه
وازواجه ونعمه وخدمه وسرره مسيرة الف سنة واكرمهم على الله من ينظر الى وجهه غدوة وعشية ✽ ثم قرأ عليه
الصلاة والسلام وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة فسر النظر بنظر العين والرؤية فمن فسره بالانتظار فقد اتبع
هواه وروى عنه عليه الصلاة والسلام ايضا انه نظر الى القمر ليلة البدر فقال انكم سترون ربكم كما ترون هذا
لاتضامون فى رؤيته وهو تشبيه الرؤية بالرؤية لاتشبيه المرئى بالمرئى والاحاديث فى هذا الباب كثيرة ﴿ قوله شديدة
العبوس ﴾ كون البسر ابلغ من العبوس لاينافى ماسبق ان البسر اتباع العبس والمعنى انها يابسة كالحة قد اظلمت
الوانها وعدمت آثار السرور والنعمة منها لما سوّدها الله تعالى حين ميز بين اهل الجنة والنار فايست من رحمة الله
تعالى وايقنت ان العذاب نازل بها وهى تظن ان يفعل بها فاقرة وهى الداهية العظيمة بحيث فاقرة لانها تكسر عظام
الظهر اى فقاره يقال فقرت الرجل اذا ضربت فقار ظهره كما يقال رأسته وبطنته اذا ضربت رأسه وبطنه
والفقارة واحدة فقار الظهر ومنه سمى الفقير لانه فعيل بمعنى مفعول فان الفقر كسر فقار ظهره فجعله مفقورا وتظن
مرفوع المحل على انه خبر وجوه او خبر بعد خبر وباسرة على الاول صفة وجوه ويومئذ منصوب بها ذهب
جمهور المفسرين الى ان الظن ههنا بمعنى اليقين بناء على ان اليوم الذى تفوز فيه اهل السعادة بمشاهدة جمال ذى
الجلال والاكرام تيقن فيه الاشقياء مايفعل بهم من الدواهى الفاقرة اذ يتبدل فيه الظنون بالعيان وتنكشف فيه
الامور بحقائقها الا ان القياس النحوى يقتضى ان يكون الظن ههنا على معناه لابمعنى العلم واليقين لانه قد وقع بعده
ان الناصبة وهى لاتقع بعد العلم وانما تقع بعده ان المشددة وذلك ان العلم من مواضع التقرير والتحقيق والظن
ونحوه من الرجاء والتوقع من مواضع الشك والتردد وان المشددة تفيد التأكيد وان الناصبة لاتفيده فلذلك

(الى ربها ناظرة) تراه مستغرقة فى مطالعة
جماله بحيث تغفل عما سواه ولذلك قدم
المفعول وليس هذا فى كل الاحوال حتى
ينافيه نظرها الى غيره وقيل منتظرة انعامه
ورد بان الانتظار لايسند الى الوجه وتفسيره
بالجملة خلاف الظاهر وان المستعمل بمعناه
لايعدى بالى وقول الشاعر
واذا نظرت اليك من ملك ✽
والبحر دونك زدتنى نعما ✽
بمعنى السؤال فان الانتظار لايستعقب
العطاء (ووجوه يومئذ باسرة) شديدة
العبوس والباسل ابلغ من الباسر لكنه
غلب فى الشجاع اذا اشتد كلوحه

وجب ان تقترن المشددة بما يفيد التحقيق و المخففة الناصبة بما يدل على الشك و التردد فيقال علمت انك قائم وظننت ان تخرج واطمع ان يغفر لى ربى ولو قلت علمت ان يخرج زيد و اظن ان زيدا يخرج كان قلبا للعادة المتعارفة من حيث انه اقترن ماهو علم التأكيد بما لا تقرر فيه وما هو عار من التأكيد بما فيه تقرر فاذا قيل ارجو انك تعطينى فذلك لاجل الدلالة على قوة الرجاء و اذا قلت اخشى ان يفعل فهو لقوة الخشية و تقررها فلذلك فسر المصنف الظن بالتوقع حيث قال تتوقع اربابها اشارة الى ان الظن ليس بمعنى العلم و اليقين كما ذهب اليه الجمهور و المعنى ان ارباب الوجوه الباسرة مع ماهم فيه وهم يقاسون شدة اشد الدواهى وافظعها يظنون و يتوقعون بعده ماهو اشد منه و اهول لانهم حينئذ تيقنوا بعظم جرمهم و بكمال سخط الملك الجبار عليهم و تيقنوا ايضا بانه كما لانهاية للطفه ورحمته لانهاية ايضا لقهره وأليم عذابه فكلما فعل بهم فاقرة من الدواهى ظنوا ان يفعل بهم ماهو اشد منها وهكذا ابدا فكما ان ارباب الوجوه الناضرة فى غاية الرحمة و النعمة وهو الاستغراق فى مشاهدة جمال ربهم الكريم فكذلك ارباب الوجوه الباسرة فى غاية النقمة و العناء وهو ان يتوقعوا فى كل لحظة ان يفعل بهم ماهو اشد عاهم فيه و افظع ﴿قوله ردع عن ايثار الدنيا على الآخرة﴾ كأنه قيل لما عرفتم صفة سعادة السعداء وشقاوة الاشقياء فى الآخرة و علمتم انه لانسبة لها الى الدنيا فارتدعوا عن ايثار الدنيا على الآخرة وتهيئوا لما بين ايديكم من الموت الذى تنقطعون به عن العاجلة و تنتقلون به الى الآجلة التى تبقون فيها مخلدين و التراقى جمع ترقوة وهى عظم وصل بين ثغرة النحر و العاتق و العاتق موضع الرداء من المنكب و بلوغ النفس التراقى كناية عن الاشراف على الموت و العامل فى اذا بلغت معنى قوله الى ربك يومئذ المساق اى اذا بلغت النفس الحلقوم رفعت وسيقت الى الله تعالى اى الى موضع امر الله تعالى ان ترفع اليه فترفع اليه كما فى قوله تعالى انى ذاهب الى ربى معناه انى ذاهب الى حيث امرنى ربى ﴿قوله تعالى وقيل من راق﴾ معطوف على بلغت اى وقال من حضر المحتضر عند موته من الاحبة و الاقارب هل من طبيب يرقى ويشفى برقيته فلا يلتفون له اطباء يغنون عنه من قضاء الله تعالى شيأ و الرقية هى التعويذ بما يحصل به الشفاء كما يقال بسم الله ارقيك وفعلها من باب ضرب و الاستفهام يحتمل ان يكون بمعنى الطلب كأن الذين كانوا حول المحتضر طلبوا له طبيبا يعالجه و راقيا يرقيه و يحتمل ان يكون استفهاما بمعنى الانكار بان يغلب عليهم اليأس من صحته فيقولون من الذى يقدر ان يرقى هذا الانسان المشرف على الموت ﴿قوله ايكم يرقى بروحه﴾ اى يصعد على انه من الرقى وفعله من باب علم يقال رقيت السلم ارقاه رقيا ورقيا اذا صعدت وارتقيته فرقانى برقينى رقية اى داوانى بها عن ابن عباس قال ان الملائكة يكرهون القرب من الكافر فيقول ملك الموت من يرقى بروح هذا الكافر وقيل يحضر العبد عند الموت سبعة املاك من ملائكة الرحمة وسبعة من ملائكة العذاب مع ملك الموت فاذا بلغت نفس العبد التراقى نظر بعضهم الى بعض ايهم يرقى بروحه الى السماء أمن ملائكة الرحمة ام من ملائكة العذاب ﴿قوله وظن المحتضر﴾ وذلك حين عاين ملائكة الموت قال المفسرون المراد ان المحتضر ايقن انه فارق الدنيا و عبر عن المعرفة التى حصلت له حينئذ بالظن لان الانسان مادامت روحه بدنه متعلقة فانه يطمع فى الحياة لشدة حبه لهذه التى ابى الله ان تسوى جناح بعوضة وهى الحياة العاجلة و لا ينقطع رجاؤه عنها فلا يحصل له يقين الموت بل ظنه الغالب على رجاء الحياة و يحتمل ان يكون وجه التعبير به التهكم ﴿قوله او شدة فراق الدنيا بشدة خوف الآخرة﴾ على ان يكون التفاف الساق بالساق كناية عن تتابع الشدة و الصعوبة فان الساق كثيرا ما يكنى به عن الشدة و يجعل مثلا فيه كما فى قوله تعالى يوم يكشف عن ساق و قولهم كشفت الحرب عن ساقها اى اشتدت و وجه المجاز ان الانسان اذا دهمته شدة شمر لها عن ساقه فقيل للامر الشديد ساق من حيث ان ظهوره لازم لظهور ذلك الامر ﴿قوله سوقه الى الله وحكمه﴾ يعنى ان المساق مصدر ميمى بمعنى السوق و ان الالف و اللام فيه عوض عن المضاف اليه و ان قوله الى ربك تقديره الى حكم ربك و المعنى ان هؤلاء فى ذلك اليوم مفوض امرهم الى حكمه يساقون الى حيث امر الله ان يساقوا فالسائق هو الله تعالى يسوق كل احد الى حيث شاء و يجوز ان يكون المراد ان المسوق اليه هو الرب تعالى ﴿قوله والضمير فيهما للانسان المذكور فى أيحسب الانسان﴾ اى فى قوله أيحسب الانسان ان لن نجمع عظامه و يدل عليه قوله فيما بعد أيحسب الانسان ان يترك سدى فكأنه قيل لم يؤمن بالبعث و لاصدق بالرسول و القرآن ولاصلى وقيل فلاصدق ماله اى فلازكاه على ان فعل بمعنى تفعل و يأباه قوله و لكن كذب و تولى وجعله

(تظن) تتوقع اربابها (ان يفعل بها فاقرة) داهية تكسر الفقار (كلا) ردع عن ايثار الدنيا على الآخرة (اذا بلغت التراقى) اذا بلغت النفس اعالى الصدر واضمارها من غير ذكر لدلالة الكلام عليها (وقيل من راق) وقال حاضروا صاحبها من يرقيه مما به من الرقية او قال ملائكة الموت ايكم يرقى بروحه ملائكة الرحمة او ملائكة العذاب من الرقى (وظن انه الفراق) وظن المحتضر أن الذى نزل به فراق الدنيا ومحابها (والتفت الساق بالساق) والتوت ساقه بساقه فلا يقدر تحريكها او شدة فراق الدنيا بشدة خوف الآخرة (الى ربك يومئذ المساق) سوقه الى الله تعالى وحكمه (فلا صدق) ما يجب تصديقه او فلا صدق ماله اى فلا زكاه (ولا صلى) ما فرض عليه و الضمير فيهما للانسان المذكور فى أيحسب الانسان (ولكن كذب وتولى) عن الطاعة

(صاحب)

صاحب الكشاف معطوفا على قوله يسأل ايان يوم القيامة وهو حال من الانسان اى أيحسب كذا بل أريد كذا فى حال كونه منكرا البعث فلا صدّق ولا صلى شرح الله تعالى كيفية اعماله المتفرعة على انكار البعث مما يتعلق باصول الدين وبفروعه فاما ما يتعلق بفروع الدين فهو ما صلى ولكنه تولى واعرض واما ما يتعلق بدنياه فهو انه ذهب الى اهله يتمطى اى يتبختر ويختال فى مشيه فدلت الآية على ان الكافر يستحق الذم والعقاب بترك الصلاة كما يستحقهما بترك الايمان ﴿ قوله من المط ﴾ وهو المد يقال مطه يمطه اى مده وتمطط اى تمدد وابدلت الطاء الاخيرة من تمطط الفا لكراهة اجتماع الامثال كما فى تقضى البازى وان كان من المطا مقصورا وهو الظهر كانت الفه مبدلة من الواو يقال للمتبختر يتمطى لانه يلوى مطاه ويحركه فى تبختره ويتمطى جملة حالية من فاعل ذهب ﴿ قوله ويل لك ﴾ يريد ان اولى لك كلمة مستعملة فى موضع ويل لك لقرب معناه من معناه وانه مشتق من الولى بمعنى القرب واصله اولاك الله ما تكرهه على ان اولى فعل مثل اكرم من وليه يليه اى قربه نقل الى باب افعل فعدى به الى مفعولين الاول الكاف والثانى محذوف وهو ما تكرهه واللام زائدة فى المفعول كما فى ردف لكم وهو تهديد من الله تعالى لابى جهل قاله النبى اولى لك فاولى ثم اولى لك فاولى ان لم تؤمن فقال ابو جهل باى شئ تهددنى لا تستطيع انت ولا ربك ان تفعلا بى شيأ وانى لأعز اهل هذا الوادى فانزل الله تعالى كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يرد به الدعاء بالشدة اربع مرات بل مرة بعد مرة كما فى قوله تعالى ثم ارجع البصر كرتين ﴿ قوله او اولى لك الهلاك ﴾ اى ويجوز ان يكون اولى اسم تفضيل بمعنى احق واحرى ويكون خبر مبتدأ محذوف اى الهلاك اولى لك من كل شئ وقيل انه افعل من الويل بعد القلب اصله اويل فقدم اللام على الياء فصار اولى كما فى شاكى وهارى اصلهما شائك وهائر والمعنى ويل لك وهو دعاء عليه بان يليه ما يكرهه وقيل انه فعلى من آل يؤول لانه بعد القلب صار علما للويل وهو غير منصرف للعلمية والوزن ومعناه المصير والمرجع واللام صلة والتقدير اولاك اى مرجعك وعقباك الهلاك والنار وكرر اولى لك تأكيدا وحذف لك من الثانى لدلالة الاول عليه ثم انه تعالى بعد ما انكر على عدى بن ربيعة واضرابه من منكرى البعث بقوله أيحسب الانسان ان لن نجمع عظامه كرر الانكار عليه فقال أيحسب الانسان ان يترك سدى اى مهملا لا يؤمر ولا ينهى ولا يكلف فى الدنيا ولا يحاسب بعمله فى الآخرة ولا يثاب ولا يعاقب عليه وتكرير الانكار بحسبانه يتضمن تكرير انكاره للحشر ويتضمن ايضا الاستدلال على صحة البعث وتقريره ان اعطاء القدرة والآلة والعقل بدون التكليف والامر بالمحاسن والنهى عن المفاسد يقتضى كونه تعالى راضيا بقبائح الافعال وذلك لا يليق بحكمته فاذا لا بد من التكليف فى الدنيا ولا يليق بالحكيم الكريم الرحيم ان يكلف ثم يسوى بين المطيع والعاصى ولا يميز بينهما بالثواب والعقاب والمجازاة لا تتأتى فى الدنيا فلا بد من البعث والقيامة ثم استدل على صحة البعث بدليل ثان وهو الاستدلال بالابتداء على الاعادة فقال ألم يك نطفة اى ألم يكن هذا الانسان نطفة فى صلب ابيه تمنى بمعنى انه يصب فى الرحم ويمنى بالياء صفة منى وبالتاء صفة نطفة وهى الماء القليل يقال نطف الماء اى قطر نبه الله تعالى بهذا على خسة قدر الانسان اولا وعلى كمال قدرة نفسه حيث صير مثل هذا الشئ الدنئ بشرا سويا ﴿ قوله فعدله ﴾ اى جعل كل عضو من اعضائه زوجا معادلا لزوجه وجعل كل واحد من ذوات اعضائه واوضاعها وهيئاتها معادلا لما تقتضيه الحكمة

﴿ سورة الانسان مكية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ قوله استفهام تقرير وتقريب ﴾ يعنى ان هل لا تستعمل الا فى الاستفهام لا بمعنى انها بنفسها علم الاستفهام بل لا بد من ملاحظة اداة الاستفهام قبلها اما ملفوظة كما فى البيت او مقدرة كما فى الآية قال صاحب الكشاف فى المفصل ناقلا عن سيبويه ان هل فى قولهم أهل بمعنى قد الا انهم تركوا الالف قبلها لانها لا تقع الا فى الاستفهام يعنى انها مختصة بالاستفهام ولا تستعمل الا فى موضع الاستفهام فكأنها بنفسها علم الاستفهام فلم يذكر معها اداة الاستفهام ﴿ قوله ولذلك ﴾ اى ولكون هل موضوعة لتقريب ما مضى وتوقعه من الحال فسرت بقد كما ذكر فى المفصل ولما كانت كلمة هل مختصة بالاستفهام التقريرى وتقريب الماضى من الحال كان اصل هل اتى أهل اتى وكان معناه قد اتى على الانسان قبل زمان قريب من خلقه حين من الدهر لم يكن شيأ مذكورا بالانسانية

(ثم ذهب الى اهله يتمطى) يتبختر افتخارا بذلك من المط فان المتبختر يمد خطاه فيكون اصله يتمطط او من المطا وهو الظهر فانه يلويه (اولى لك فاولى) ويل لك من الولى واصله اولاك الله ما تكرهه واللام مزيدة كما فى ردف لكم او اولى لك الهلاك وقيل افعل من الويل بعد القلب كادنى من دون او فعلى من آل يؤول بمعنى عقباك النار (ثم اولى لك فاولى) اى يتكرر ذلك عليه مرة بعد اخرى (أيحسب الانسان ان يترك سدى) مهملا لا يكلف ولا يجازى وهو يتضمن تكرير انكاره للحشر والدلالة عليه من حيث ان الحكمة تقتضى الامر بالمحاسن والنهى عن القبائح والتكليف لا يتحقق الا بمجازاة وهى قد لا تكون فى الدنيا فتكون فى الآخرة (ألم يك نطفة من منى يمنى) وقرأ حفص بالياء (ثم كان علقة فخلق فسوى) فقدره فعدله (فجعل منه الزوجين) الصنفين (الذكر والانثى) وهو استدلال آخر بالابداء على الاعادة على ما مر تقريره مرارا ولذلك رتب عليه قوله (أليس ذلك بقادر على ان يحيى الموتى) وعن النبى صلى الله عليه وسلم انه كان اذا قرأها قال سبحانك بلى وعنه من قرأ سورة القيامة شهدت انا له وجبريل يوم القيامة انه كان مؤمنا به

﴿ سورة الانسان مكية وآيها احدى ﴾
﴿ وثلاثون ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(هل اتى على الانسان) استفهام تقرير وتقريب ولذلك فسر بقد واصله أهل

على معنى انه وان كان شيأ الا انه كان شيأ لايعرف ولا يذكر ولا يدرى ما اسمه ولا ما يراد به وذلك من حين خلقه من تراب الى ان نفخ فيه الروح ونظيره قوله تعالى ولقد علمتم النشأة الاولى فلولا تذكرون اى فهلا تذكرون فتعلمون ان من انشأ الانسان بعد ان لم يكن قادر على اعادته بعد موته ﴿ قوله كقوله ﴾ اى الشاعر واصل البيت

سائل فوارس يربوع بشدتنا ٭ أهل رأونا بسفح القاع ذى الاكم

ويربوع ابو حى من تميم وقوله بشدتنا بفتح الشين وهى الحملة ويروى بكسرها وهى القوة وسفح الجبل اسفله حيث يسفح فيه الماء من الجبل اى الحضيض والقاع المستوى من الارض اى الصحراء والاكم جمع اكمة وهى التل اى الجبل الصغير يقول سائل هذه القبيلة عن حال شدتنا كانت قوية جلبت لنا العز والغلبة ام كانت دونها فجلبت الذل والمغلوبية ﴿ قوله طائفة محدودة من الزمان ﴾ فسر الحين بالطائفة المحدودة من مطلق الزمان ولم يعين حدها تنبيها على انها محدودة فى نفسها ومبهمة الحد فى علمنا وفسر الدهر بمطلق الزمان وهو الزمن الممتد الوهمى كما هو المشهور واختلفوا فى الانسان المذكور ههنا فقال جماعة من المفسرين المراد به آدم عليه السلام فمن ذهب الى هذا قال ان الله تعالى ذكر خلق آدم فى هذه الآية ثم عقب بذكر خلق جنس الانسان من ذريته فقال انا خلقنا الانسان من نطفة امشاج وقال آخرون المراد بالانسان بنو آدم بدليل قوله تعالى انا خلقنا الانسان من نطفة اذ المناسب ان يكون المراد بالانسان فى الموضعين واحدا وعلى هذا القول يكون المراد بالحين تسعة اشهر مدة الحمل لانه ما دام فى بطن امه لم يكن شيأ مذكورا لانه نطفة او علقة او مضغة ولا قدر لشئ منها حتى يذكر ويعتنى بشأنه واذا كان المراد به نفس آدم عليه السلام فقد اختلف فى تعيين المراد بالحين حينئذ فقيل انه اربعون سنة لما روى انه اتى عليه اربعون سنة وهو جسد ملق من طين قبل ان ينفخ فيه الروح بين مكة والطائف والطين وان كان شيأ موجودا لكن لم يكن شيأ مذكورا ثم نفخ فيه الروح بعد اربعين سنة وروى ايضا انه خلق من طين فقام عليه اربعين سنة ثم من حمأ مسنون اربعين سنة ثم تم خلقه بعد مائة وعشرين سنة وروى ايضا انه خلق من طين فقام عليه اربعين سنة ثم من حمأ مسنون اربعين سنة ثم من صلصال اربعين سنة ثم تم خلقه بتمام اربع اربعينات اعنى مائة وستين سنة ثم نفخ فيه الروح فلاجل هذه الاختلافات فسر الحين بالطائفة المحدودة ولم يعين حدها ﴿ قوله بل كان شيأ منسيا ﴾ اشارة الى ان المنفى ليس اصل كونه شيأ بل المنفى هو كونه شيأ شريفا مذكورا بالانسانية فانه فى ذلك الحين كان شيأ خاملا لايعرف ولا يذكر ولا يدرى ما اسمه ولا ما يراد به وذلك من حين خلقه من تراب الى ان نفخ فيه الروح وكذا جنس الانسان من ذرية آدم كان فى الرحم شيأ تافها حقيرا كالنطفة فان قيل ان الطين والصلصال والحمأ المسنون قبل نفخ الروح فيه ما كان انسانا والآية تقتضى ان يمضى على الانسان حال كونه انسانا حين من الدهر مع انه فى ذلك الوقت ما كان شيأ مذكورا بالانسانية فالجواب ان الطين والصلصال اذا كان مصورا بصورة الانسان وكان محكوما عليه بانه سينفخ فيه الروح ويصير انسانا صح تسميته انسانا باعتبار ما يؤول اليه وان كان غير مذكور بالانسانية ومن قال ان الانسان هو النفس الناطقة وانها موجودة قبل وجود الابدان فلا يتوجه عليه الاشكال ﴿ قوله والجملة حال من الانسان ﴾ تقديره اتى عليه حين من الدهر حالة كونه لم يكن شيأ مذكورا او وصف حين بحذف الراجع مع الجار وهو فيه تقديره حين لم يكن الانسان فيه شيأ مذكورا ﴿ قوله اخلاط ﴾ جمع خلط وهو المادة التى يركب منها الشئ يقال اخلاط الطيب اى اجزاؤه ومواده والامشاج واحدها مشج بفتحتين كمثل وامثال او مشج بكسر الميم وسكون الشين كعدل واعدال او مشيج كشريف واشراف يقال مشجت الشيئين مشجا اذا خلطتهما ﴿ قوله ووصف النطفة به ﴾ اى بجمعه ووصف الهامع كونها مفردا والامشاج جمعا ولا مطابقة بينهما وتقرير الجواب ان لفظ النطفة وان كان مفردا الا ان المراد به هو المجموع المؤلف من منى الرجل والمرأة وكل واحد منهما منى مغاير للآخر بالذات وايضا لما كانت اجزاء كل واحد منهما مختلفة كأنها نطف متفرقة عن بعضها صار المجموع المؤلف منهما كأنه نطف شتى فجمع وصفه لذلك ﴿ قوله وقيل مفرد ﴾ عطف على قوله جمع مشج اى وقيل ان قوله تعالى من نطفة امشاج مثل قولهم برمة اعشار وبردة اكياش فان صيغة افعال فيه لفظ مفرد ولذلك وقعت صفة لمفرد لكنه يدل على تحقق معنى الكثرة فيه لا جمع مكسر مثل اشراف وايتام يقال برمة اعشار اذا انكسرت قطعا وبرد اكياش وهو ما يغزل غزله مرتين وهو برد من برود اليمن ﴿ قوله وقيل الوان ﴾ عطف على قوله اخلاط قال مجاهد الامشاج الوان النطفة نطفة الرجل بيضاء ونطفة المرأة صفراء وقيل الامشاج

كقوله «أهل رأونا بسفح القاع ذى الاكم» (حين من الدهر) طائفة محدودة من الزمان الممتد الغير المحدود (لم يكن شيأ مذكورا) بل كان شيأ منسيا غير مذكور بالانسانية كالعنصر والنطفة والجملة حال من الانسان او وصف لحين بحذف الراجع والمراد بالانسان الجنس لقوله (انا خلقنا الانسان من نطفة) او آدم عليه السلام بين اولا خلقه ثم ذكر خلق بنيه (امشاج) اخلاط جمع مشج او مشيج من مشجت الشئ اذا خلطته ووصف النطفة به لان المراد بها مجموع منى الرجل والمرأة وكل منهما مختلفة الاجزاء فى الرقة والقوام والخواص ولذلك يصير كل جزء منهما مادة عضو وقيل مفرد كأعشار واكياش وقيل الوان فان ماء الرجل ابيض وماء المرأة اصفر

هى الاطوار المختلفة التى ينتقل الجسم من بعضها الى بعض وقيل ان الله تعالى جعل فى النطفة اخلاطا من الطبائع التى تكون فى الانسان من الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة والتقدير من نطفة ذات امشاج فحذف المضاف ﴿ قوله بمعنى مريدين اختباره ﴾ اى بالامر والنهى والمحنة بالرخاء والشدة يعنى انه حال مقدرة لا مقارنة اذ لا اختبار وقت خلقه او مقارنة ان كان الابتلاء مستعارا للنقل بان شبه النقل من حال الى حال بفعل من يفعل افعالا مختلفة للامتحان من حيث انه يظهر بعد النقل امر آخر كما يظهر بعد الافعال الكائنة للامتحان العلم المتفرع عليها فهو كالمسبب من الابتلاء فانه لما خلق الانسان للابتلاء والتكليف اعطاه ما يصح معه التكليف والابتلاء وهو السمع والبصر وسائر ما يتوقف عليه الفهم والتمييز فلذلك دخلت الفاء على اعطائه الذى هو مسبب له والمراد بالفعل المقيد بالابتلاء هو قوله خلقنا وقوله نبتليه قيد له لما تقرر من ان الحال قيد لعاملها والمراد بترتيب الهداية على اعطاء الحواس ما ذكره بعد ذكر جعله سميعا بصيرا لكون الهداية وبيان سبيل الهدى وتعريفه بنصب الادلة وبعث الرسل متأخرة عن خلق الحواس واسباب الفهم والتعقل فان المراد بالسبيل سبيل الخير والشر والنجاة والهلاك ومعنى هدايته تعريفه وتبيين كيفية كل واحد منها وذلك انما يكون بعد اعطاء العقل واعطاء الحواس متقدم على اعطاء العقل لان الانسان فى مبدأ الفطرة خال عن جميع العلوم والمعارف الا ان الحواس الظاهرة والباطنة آلات تعينه على تحصيل العلوم الاولية من المبادى التصورية والتصديقية فانه اذا احس بها المحسوسات وتنبه لما بينها من المشاركات والمباينات حصل له المبادى التصورية بالضرورة ثم اذا تحرك فيها على طريق الحركة فى الكسب الى ان يجد المبادى المناسبة لمطالبه ورتبها على الوجه المخصوص يحصل له المطالب التصورية المكتسبة واذا تصور بها نسبا حكمية وحكم عليها بالايجاب والانتزاع يحصل له مباد تصديقية بالضرورة ثم اذا تحرك فيها الى ان يجد المبادى المناسبة لمطالبه التصديقية يحصل بالاكتساب الكفرى مثل الحكم بان هذا الاعتقاد وهذا العمل سبيل السعادة والنجاة وذاك سبيل الشقاوة والهلاك فثبت ان مرتبة التحلى بالحواس الظاهرة والباطنة متقدمة على مرتبة تعقل حقائق الاشياء والتصديق باحوالها وتعيين سبيل الخير وتمييزه عن سبيل الشر ولهذا السر رتب قوله انا هديناه السبيل على اعطاء الحواس ﴿ قوله تعالى اما شاكرا واما كفورا ﴾ حالان من الضمير المنصوب فى هديناه اى بينا له سبيل الهدى شاكرا او كفورا اى فى حاليه جميعا على ان تكون كلمة اما للتفصيل اى لتفصيل ذى الحال فانه مجمل من حيث الدلالة على الاحوال اذ لا يعلم ان المراد هدايته فى حال كفره او فى حال ايمانه وطاعته لله تعالى فلما دخلت كلمة اما على كل واحد من الحالين فصل وذكر فى شرح الرضى ان كلمتى او واما لهما ثلاثة معان فى الخبر الشك والابهام والتفصيل وفى الامر لهما معنيان التخيير والاباحة فالشك اذا اخبرت عن احد الشيئين ولا تعرفه بعينه والابهام اذا عرفته بعينه وقصدت ان تبهم الامر على المخاطب فاذا قلت جاءنى زيد او عمرو او جاءنى اما زيد واما عمرو ولم تعرف الجائى منهما بعينه فللشك واذا عرفته وقصدت الابهام على السامع فهما للابهام واذا لم تشك ولم تقصد الابهام على السامع فهما للتفصيل هذا محصل ما فيه ﴿ قوله او التقسيم ﴾ بان يفرد ذو الحال من حيث انه مطلق وهو اللفظ الدال على الماهية من حيث هى ويجعل كل واحد من مدخول كلمة اما قيدا له فيحصل بتقييده لكل واحد منهما قسم منه والمعنى هديناه مطلق الانسان منقسما الى الانسان الشاكر وهو الموحد المطيع والى الانسان الكفور المشرك فالمعنى على التفصيل هديناه فى حاليه جميعا وعلى التقسيم هديناه السبيل ثم جعلناه تارة شكورا وتارة كفورا كما هو مذهب اهل السنة ﴿ قوله او من السبيل ﴾ عطف على قوله من الهاء اى انهما حالان من الهاء او انهما حالان من السبيل على معنى عرفناه السبيل اما سبيلا شاكرا او سبيلا كفورا ووصف السبيل بالشكر والكفر مجاز من حيث ان السبيل وصف بوصف من سلكه ﴿ قوله وقرئ اما بالفتح ﴾ اى بفتح الهمزة على اما التفصيلية وجوابها محذوف والمعنى اما كونه شاكرا فبتوفيقنا واما كونه كفورا فبخذلانه وسوء اختياره ثم انه تعالى لما ذكر فريق الشاكر والكفور اتبعه الوعد والوعيد لهما فقال انا اعتدنا للكافرين قدم وعيد الكافرين ثم ذكر ما اعد للشاكرين لما ذكره المصنف والاعتاد الاعداد والتهيئة وهى جعل الشئ عتيدا حاضرا زمان الاحتياج اليه ﴿ قوله هو جمع بر ﴾ وهو من اطاع الله تعالى وامتثل امره وقيل البر الموحد وقيل البر الذى لا يؤذى الذر ولا يضمر الشر وقيل الابرار هم الذين بروا الناس واشفقوا عليهم وقيل هم الذين بروا انفسهم بترك المعاصى

فان اختلفا اخضرا او اطوارا فان النطفة تصير علقة ثم مضغة الى تمام الخلقة (نبتليه) فى موقع الحال اى مبتلين له بمعنى مريدين اختباره او ناقلين له من حال الى حال فاستعار له الابتلاء (فجعلناه سميعا بصيرا) ليتمكن من مشاهدة الدلائل واستماع الآيات فهو كالمسبب من الابتلاء ولذلك عطف بالفاء على الفعل المقيد به ورتب عليه قوله (انا هديناه السبيل) اى بنصب الدلائل وانزال الآيات (اما شاكرا واما كفورا) حالان من الهاء واما للتفصيل او التقسيم اى هديناه فى حاليه جميعا او مقسوما اليهما بعضهم شاكر بالاهتداء والاخذ فيه وبعضهم كفور بالاعراض عنه او من السبيل ووصفه بالشكر والكفر مجاز وقرئ اما بالفتح على حذف الجواب ولعله لم يقل كافرا ليطابق قسيمه محافظة على الفواصل واشعارا بان الانسان لا يخلو عن كفران غالبا وانما المؤاخذ به التوغل فيه (انا اعتدنا للكافرين سلاسل) بها يقادون (واغلالا) بها يقيدون (وسعيرا) بها يحرقون وتقديم وعيدهم وقد تأخر ذكرهم لان الانذار اهم وانفع وتصدير الكلام وختمه بذكر المؤمنين احسن وقرأ نافع وهشام والكسائى وابو بكر سلاسلا للمناسبة (ان الابرار) جمع بر كارباب او بار كاشهاد

﴿قوله من خمر فسر الكأس بالخمر﴾ على طريق ذكر المحل وارادة الحال المروى عن قتادة والضحاك وابن عباس انهم فسروا بذلك ولعل الباعث عليه قوله تعالى كان مزاجها كافورا والكافور لايمزج بالكأس بل يمزج بما فيها من الخمر فالظاهر على هذا ان تكون كلمة من صلة والكأس عند اهل اللغة الاناء الذى فيه الخمر وان لم يكن فيه خمر فهو قدح ومزاج الشئ اسم لما يمزج به اى يخلط كالقوام اسم لما يقام به الشئ ومنه مزاج البدن وهو ما يمازجه من الصفرآء والسودآء والبلغم والكيفيات المناسبة لكل واحد منها والكافور طيب معروف واشتقاقه من الكفر وهو الستر لانه يغطى الاشياء برائحته ولانه ماء مكنور فى جوف ضيق من الشجرة فيغرزونه بالحديد فيخرج الى ظاهر الشجر فيضربه الهوآء فيجمد وينعقد كالصمغ المتجمد على الاشجار قيل فى الآية سؤال هو ان مزج الكافور بالمشروب لايجعله لذيذا فالسبب فى ذكره ههنا والجواب عنه من وجوه احدها ان الكافور اسم عين فى الجنة ماؤها ابيض مثل الكافور فى لونه ورائحته وبرده ولكن لايكون فيه طعمه ولامضرته فالمعنى ان ذلك الشراب يكون ممزوجا بماء هذه العين وثانيها ان رائحة الكافور عرض لايكون الافى جسم فاذا خلق الله تعالى تلك الرائحة فى جرم ذلك الشراب سمى ذلك الجسم كافورا تشبيها له بالكافور فى رائحته وان كان طعمه طيبا وثالثها لابأس فى ان يخلق الله الكافور فى الجنة لكن مع طعم طيب لذيذ ويسلب مافيه من المضرة ثم انه تعالى يمزجه بذلك المشروب فالمصنف اشار الى هذا الجواب بقوله لبرده وعذوبته وطيب عرفه يعنى ان كافورها وان شارك كافور الدنيا فى البياض والبرودة وطيب الرائحة لكنه يخالفه فى طعمه فانه حلو لذيذ والى الجواب الاول بقوله وقيل الكافور اسم ماء فى الجنة يشبه الكافور فى بعض اوصافه فسمى باسمه على سبيل الاستعارة والى الثانى بان المراد بالكافور الممزوج بخمر الجنة كيفيات كافور الدنيا وسميت كافورا بطريق تسمية الحال باسم المحل ﴿قوله ان جعل اسم ماء﴾ واما ان كان المراد بالكافور الطيب المعروف او كيفيته فلايصح حينئذ ابدال عينا منه الاغلطا وبدل الغلط لايقع فى القرآن فعينا حينئذ بدل من محل من كأس على تقدير المضاف والتقدير يشربون خمرا خمر عين او منصوب بتقدير اعنى او باضمار يشربون يفسره مابعده ولم يجعل عينا مفعول يشربون ومن صلة فلانصب مفعولا آخر ﴿قوله على تقدير مضاف﴾ لابد من تقديره على كل حال من التقديرين اما على تقدير كونه بدلا من كافورا فلان كونه بدلا منه مبنى على ان يجعل الكافور اسم ماء والعين التى هى منبع الماء لاتبدل من نفس الماء الابتقدير مضاف اى ماء عين واما على تقدير كونه بدلا من محل من كأس فلانه فسر الكأس بالخمر والعين لاتبدل من الخمر الابان يكون التقدير خمر عين فقول المصنف اى ماء عين او خمرها لف ونشر مرتب ﴿قوله ملتذا او ممزوجا بها﴾ على ان تكون الباء فى بها متعلقة بمحذوف هو حال من مفعول يشرب وهو ايضا محذوف وهو ضمير العين ثم ان كان العين بدلا من الكافور الممزوج بالخمر كان تقدير الكلام عينا يشرب بها عباد الله فى حال كونها ملتذا بها وان كان بدلا من محل من كأس كان تقدير الكلام عينا يشرب بها عباد الله فى حال كونها ممزوجا بها ﴿قوله وقيل الباء مزيدة﴾ فيكون الضمير المجرور مفعولا به ليشرب اى عينا يشرب بها والجملة على جميع التقادير صفة لقوله عينا وقوله يفجرونها صفة ثانية لها او حال من عباد الله بمعنى مفجرين والتفجير الاجرآء يقال فجرت الماء افجره بالضم فجرا فانفجر اى بثقته واجريته فجرى وفجرته شدد للكثرة وقوله حيث شاؤا مستفاد من عدم ذكر المفعول وقوله اجرآء سهلا مستفاد من المصدر المؤكد فانه يدل على انه لايمتنع عليهم كاجرآء انهار الدنيا وعيونها واعلم ان الله تعالى لما وصف ثواب الابرار فى الآخرة شرح اعمالهم التى استوجبوا بها ذلك الثواب فقال على طريق الاستئناف يوفون بالنذر الآية كأنه قيل مالهم حتى رزقوا مثل ذلك الثواب الجزيل فاجيب بانهم كانوا يوفون ما اوجبوه على انفسهم ابتغاء لوجه الله ومن وفى بما اوجبه على نفسه كان بما اوجبه الله تعالى عليه اوفى والايفاء بالشئ هو الاتيان به تاما وافيا ﴿قوله وفيه اشعار بحسن عقيدتهم﴾ حيث يؤمنون بالبعث والجزآء فان الاعتقاد به اصل يدور عليه مراعاة جميع الوظائف الاعتقادية والعملية من مقاتل قال فشا شره فى السموات فانشقت وتناثرت الكواكب وكورت الشمس والقمر وفزعت الملائكة وفى الارض فنسفت الجبال واندكت الارض وغارت المياه وتكسر كل شئ على الارض من جبل وبناء واطلق الشر على اهوال القيامة مع انها عين حكمة وصواب لكونها مضرة وشدة بالنسبة الى من تنزل عليه فلذلك فسره المصنف بقوله شدآئده ومن خاف من مثل ذلك اليوم فلاجرم يجتنب المعاصى ﴿قوله حب الله﴾ يحتمل

(يشربون من كأس) من خمر وهى فى الاصل القدح تكون فيه (كان مزاجها) ما يمزج بها (كافورا) لبرده وعذوبته وطيب عرفه وقيل اسم ماء فى الجنة يشبه الكافور فى رائحته وبياضه وقيل يخلق فيها كيفيات الكافور فتكون كالممزوجة به (عينا) بدل من كافورا ان جعل اسم ماء ومن محل من كأس على تقدير مضاف اى ماء عين او خمرها او نصب على الاختصاص او بفعل يفسره مابعده (يشرب بها عباد الله) ملتذا او ممزوجا بها وقيل الباء مزيدة او بمعنى من لان الشرب مبتدأ منها كما هو (يفجرونها تفجيرا) يجرونها حيث شاؤا اجرآء سهلا (يوفون بالنذر) استئناف ببيان مارزقوه لاجله كأنه سئل عنه فأجيب بذلك وهو ابلغ فى وصفهم بالتوفر على ادآء الواجبات لان من وفى بما اوجبه على نفسه لله كان أوفى بما اوجبه الله عليه (ويخافون يوما كان شره) شدآئده (مستطيرا) فاشيا منتشرا غاية الانتشار من استطار الحريق والفجر وهو ابلغ من طار وفيه اشعار بحسن عقيدتهم واجتنابهم عن المعاصى (ويطعمون الطعام على حبه) حب الله او الطعام او الاطعام (مسكينا ويتيما واسيرا) يعنى اسارى الكفار فانه عليه الصلاة والسلام كان يؤتى بالاسير فيدفعه الى بعض المسلمين

وجهين الاول ان يكون المصدر مضافا الى المفعول و الفاعل متروك اى حبهم الله تعالى و الثانى ان يضاف الى الفاعل و المفعول متروك اى على حب الله تعالى الاطعام و على تقدير ان يكون ضمير حبه للطعام المذكور او للاطعام المدلول عليه بقوله ويطعمون يكون المصدر مضافا الى مفعوله و الفاعل متروك اى على حبهم الطعام او الاطعام اى وهم يحبونه على ان يكون الجار و المجرور فى موضع الحال من فاعل يحبون و قوله مسكينا و ما عطف عليه مفعول ثان لقوله ويطعمون فان مجامع الطاعات محصورة فى امرين التعظيم لامر الله و اليه الاشارة بقوله يوفون بالنذر و الشفقة على خلق الله تعالى و اليه الاشارة بقوله ويطعمون الطعام فان الاطعام الذى هو جعل الغير طاعما كناية عن الاحسان الى المحتاجين و المواساة معهم باى وجه امكن و ان لم يكن ذلك بالطعام بعينه الا ان الاحسان بالطعام لما كان اشرف انواع الاحسان عبر عن جنس الاحسان باسم هذا النوع ﴿ قوله فيقول أحسن اليه ﴾ وذلك لانه يجب الاطعام الى ان يرى الامام رأيه فيهم من قتل او منّ او فدية او استرقاق «فان قيل اذا كان الاسير الكافر ممن يكون عاقبة امره القتل كيف يجب اطعامه «قلنا القتل فى حال لا ينافى وجوب الاطعام فى حال اخرى ولا يجب اذا عوقب بوجه ان يعاقب بوجه آخر ولذلك لا يحسن فيمن يلزمه القصاص ان يفعل به غير القتل ثم هذا الاطعام يجب على الامام فان لم يطعمه الامام وجب على المسلمين ثم انه تعالى لما ذكر اصناف من تجب مواساتهم وهم ثلاثة احدهم المسكين وهو العاجز عن الكسب بنفسه و الثانى اليتيم وهو الذى مات كاسبه وهو صغير و الثالث الاسير وهو الذى اخذ من قومه فلا يملك لنفسه نصرا و لا حيلة بين ان لهم فيه غرضين احدهما تحصيل رضى الله تعالى وهو المراد بقوله انما نطعمكم لوجه الله و الثانى الاحتراز عن خوف يوم القيامة وهو المراد من قوله انا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا و العبوس صفة من يحضر اليوم حقيقة ووصف اليوم به مجازا كما يقال صام نهاره ﴿ قوله فلذلك نحسن اليكم او لا نطلب المكافأة منكم ﴾ يعنى ان قوله تعالى انا نخاف من ربنا يوما عبوسا جملة مسوقة لتعليل ما سبق فيحتمل ان يكون علة لقوله لا نريد منكم جزاء و لا شكورا اى لا نريد منكم المكافأة لخوف عقاب الله تعالى على طلب المكافأة ﴿ قوله او يشبه الاسد العبوس فى ضراوته ﴾ عطف على تعبس يعنى ان اسناد العبوس الى اليوم اما من قبيل اسناد فعل اهل ذلك اليوم الى زمان فعلهم مثل صام نهاره او من قبيل اثبات لازم المشبه به للمشبه ليكون دليلا على التشبيه المضمر فى النفس بان شبه اليوم بالاسد العبوس الكريه المنظر فى شدة عبوسه لمن رآه تشبيها مضمرا فى النفس وجعل اثبات لازم المشبه به له وهو العبوسة دليلا على ذلك التشبيه المضمر على سبيل الاستعارة بالكناية و التخييلية و الضراوة هى السطوة و الاقدام على ايصال الضرر بالعنف و الحدة لكل من رآه و القمطرير الشديد العبوس بحيث يجمع ما بين عينيه وهو ايضا من صفة من يحضر اليوم على الحقيقة يقال وجه قمطرير اى منقبض من شدة العبوس ﴿ قوله و جمعت قطريها ﴾ يقال جمع فلان بين قطريه اذا تغير مغضبا كأنه جمع جوانبه لان يصول على من يغضبه و القطر هو الجانب و الناحية يقال طعنه فقطره تقطيرا اى ألقاه على احد قطريه اى على احد جانبيه فتقطر اى سقط و يقال اقطرّت الناقة اذا رفعت ذنبها و جمعت قطريها على ان اقطرّ فى اللغة بمعنى جمع فعلى هذا وصف اليوم بالقمطرير لكونه سببا لعبوس اهله و جمعهم ما بين اعينهم و على ما ذكره المصنف يكون تشبيهه بالعبوس الذى يجمع ما بين عينيه استعارة بالكناية ﴿ قوله و الميم زائدة ﴾ لم يتعرض لزيادة الراء مع ان قاعدة الصرف تقتضى زيادتها ايضا بناء على ان الراء ليست من حروف الزيادة وهى حروف «هويت السمان» بخلاف الميم قال الاخفش القمطرير اشد ما يكون من الايام و اطوله فى البلاء ﴿ قوله و ايثار الاموال ﴾ اشارة الى ان المراد بقوله تعالى انما نطعمكم لوجه الله ليس هو الاطعام فقط بل جميع طرق المواساة باهل الحاجات من الطعام و الكسوة و يدل عليه عطف قوله و حريرا على جنة عند ذكر مجازاتهم على صبرهم على الجوع و المجازاة بالحرير تناسب صبرهم على العرى ﴿ قوله بستانا يأكلون منه ﴾ اشارة الى انه ليس المراد بالجنة ما يقابل النار وهى دار الكرامة المشتملة على جميع آثار رحمة الله تعالى و فضله حتى يقال اى حاجة الى ذكر الحرير بعد ذكر الجنة مع انها مشتملة عليه فى جملة ما اعد فيها للمؤمنين بل المراد بها بستان المأكولات فذكرها لا يغنى عن ذكر الملبس ﴿ قوله و اختبزت ﴾ فلما وضعوها بين ايديهم وقف عليهم مسكين من المسلمين و قال اطعمونى اطعمكم الله من موائد الجنة فآثروه على انفسهم وآثروا اليتيم فى الليلة الثانية و الاسير فى الليلة الثالثة فلما آثروه اصبحوا اخذ علىّ بيد الحسن و الحسين رضى الله

فيقول احسن اليه او الاسير المؤمن ويدخل فيه المملوك و المسجون وفى الحديث غريمك اسيرك فاحسن الى اسيرك (انما نطعمكم لوجه الله) على ارادة القول بلسان الحال او لمقال ازاحة لتوهم المنّ وتوقع المكافأة المنقصة للاجر وعن عائشة رضى الله عنها انها كانت تبعث بالصدقة الى اهل بيت ثم تسأل المبعوث ما قالوا فان ذكر دعاء دعت لهم بمثله ليبقى ثواب الصدقة لها خالصا عند الله (لا نريد منكم جزاء ولا شكورا) اى شكرا (انا نخاف من ربنا) فلذلك نحسن اليكم او لا نطلب المكافأة منكم (يوما) عذاب يوم (عبوسا) تعبس فيه الوجوه او يشبه الاسد العبوس فى ضراوته (قمطريرا) شديد العبوس كالذى يجمع ما بين عينيه من اقطرّت الناقة اذا رفعت ذنبها وجمعت قطريها مشتق من القطر و الميم مزيدة (فوقاهم الله شر ذلك اليوم) بسبب خوفهم وتحفظهم عنه (ولقاهم نضرة وسرورا) بدل عبوس الفجار وحزنهم (وجزاهم بما صبروا) بصبرهم على اداء الواجبات واجتناب المحرمات وايثار الاموال (جنة) بستانا يأكلون منه (وحريرا) يلبسونه وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان الحسن و الحسين مرضا فعادهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فى اناس معه فقالوا يا ابا الحسن لو نذرت على ولدك فنذر علىّ و فاطمة وفضة جارية لهما رضى الله عنهم صوم ثلاثة ايام ان برئا فشفيا وما معهم شئ فاستقرض علىّ كرم الله وجهه من شمعون الخيبرى ثلاثة اصوع من شعير فطحنت فاطمة صاعا واختبزت خمسة اقراص فوضعوا بين ايديهم ليفطروا فوقف عليهم مسكين فآثروه وباتوا لم يذوقوا الا الماء واصبحوا صياما فلما امسوا ووضعوا الطعام وقف عليهم يتيم فآثروه ثم وقف عليهم فى الثالثة اسير ففعلوا مثل ذلك فنزل جبريل بهذه السورة وقال خذها يا محمد هناك الله فى اهل بيتك

عنهم ودخل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما ابصرهم وهم يرتعشون كالفراخ من شدة الجوع قال عليه الصلاة والسلام ما اشد ما يسوءني ما ارى بكم فقام وانطلق معهم فرأى فاطمة رضي الله عنها في محرابها قد التصق بطنها بظهرها وغارت عيناها فساءه ذلك فنزل جبريل عليه الصلاة والسلام بهذه السورة الى آخرها ولا يلزم من هذا ان يكون المراد من الابرار اهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله واصحابه اجمعين غاية ما في الباب انها نزلت عند صدور هذه القربة منهم فان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فانه تعالى ذكر في اول السورة انه انما خلق الخلق للابتلاء والامتحان ثم بين انه هدى الكل وازاح علتهم ثم بين انهم انقسموا الى شاكر والى كفور ثم ذكر وعيد الكفور ثم اتبعه بذكر وعد الشاكرين والابرار وهذا الاسلوب يأبى ان يخص الابرار باهل بيت معين وان كانوا يدخلون فيهم دخولا اوليا كما يدخلون في جميع الآيات الدالة على شرح احوال المطيعين وكذا غيرهم من اتقياء الصحابة والتابعين فلا وجه لان يقال انها نزلت في حق علي بن ابي طالب خاصة رضي الله عنه وكرم وجهه ﴿ قوله او صفة لجنة ﴾ اي لقاهم واعطاهم جنة متكئين هم فيها وفيه بحث لان متكئين حينئذ تكون جارية على غير من هي له فيجب ابراز الضمير عند البصريين فان اسم الفاعل اذا جرى صفة او خبرا او حالا او صلة على غير من هو له لا يستتر فيه ضمير الفاعل بل يجب ابرازه ولا كذلك الفعل فانه يجوز استتار الضمير فيه حينئذ فقوله تعالى لا يرون فيها شمسا يجوز ان يكون صفة لجنة مع استتار الضمير فيه بخلاف متكئين ودانية فانهما لا يكونان صفة له لعدم الابراز ومنهم من لا يفرق بين الفعل واسم الفاعل في جواز الابراز حينئذ ولا يجوز ان يكون متكئين حالا من فاعل صبروا لان صبرهم كان في الدنيا واتكاؤهم انما هو في الآخرة الا ان تجعل حالا مقدرة والارائك جمع اريكة وهي السرير في الحجلة بالتحريك واحدة حجال العروس وهي بيت يزين بالثياب والاسرة والستور والسرير لا يسمى اريكة الا اذا كان في الحجلة كالسجل وهو الدلو المملوء بالماء واذا كان فارغا لا يسمى سجلا وكذا الكأس لا تسمى كأسا الا اذا كانت مملوءة من الخمر ومثله كثير ﴿ قوله يمر عليهم فيها هواء معتدل ﴾ يعني ان ذكر الشمس في الآية من قبيل ذكر اسم الملزوم وارادة اللازم لان المقصود توصيف الجنة باعتدال الهواء وخلوها عن الهواء الحار المؤذي بحره وعن الهواء البارد المؤذي ببرده فذكر الشمس والزمهرير واريد ما يلزمهما من خروج الهواء بسببهما عن الاعتدال وعدم رؤية نفسهما لا يفيد هذا المعنى فقوله تعالى لا يرون بمعنى لا يجدون لان الهواء ليس بمرئي وفي الحديث هواء الجنة سجسج لا حر فيه ولا قر والسجسج بسينين مهملتين وجيمين هو الهواء المعتدل والقر بالفتح بمعنى البارد وبالضم بمعنى البرد ﴿ قوله قد اعتكر ﴾ يقال اعتكر الظلام اي اختلط كأنه تراكم بعضه على بعض من بطء انجلائه وزهرت النار زهورا اضاءت وروى والزمهرير ما ظهر بدل ما زهر اي وقمرها ما طلع ﴿ قوله والمعنى ﴾ يعني ان المعنى على تقدير ان يكون المراد بالزمهرير القمر ان الجنة يكون هواؤها مضيئا بذاته لا يحتاج الى شمس ولا الى قمر وان اهلها في ضياء مستديم لا ليل فيها ولا نهار لانهما انما يحصلان بطلوع الشمس وغروبها وعبر بعدم رؤية الشمس والقمر عن انعدام الاحتياج اليهما ﴿ قوله اي وجنة اخرى ﴾ على ان دانية صفة موصوف محذوف والمعنى وجزاهم بصبرهم على الطاعة وعن المعصية جنة وحريرا وجنة اخرى دانية فالابرار المذكورون لما كانوا خائفين بدليل قولهم انا نخاف من ربنا وعدوا جنتين كما في قوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان ﴿ قوله والجملة حال او صفة ﴾ اي على تقدير ان يكون ظلالها مبتدأ ودانية خبره مقدما عليه تكون الجملة الاسمية اما حالا من فاعل لا يرون فتكون الواو فيها حالية لا عاطفة والمعنى لا يرون فيها حرا ولا قرا والحال ان ظلالها دانية عليهم واما صفة لجنة فتكون الواو لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف كما في قوله تعالى سبعة وثامنهم كلبهم * فان قيل كيف توصف الجنة بان ظلال ما فيها من الاشجار دانية اي قريبة من الابرار والحال ان الظل انما يوجد حيث توجد الشمس ولا شمس في الجنة حتى يظل اهلها ما فيها من الاشجار * فالجواب ان المراد بان اشجار الجنة تكون بحيث لو كان هناك شمس لكانت تلك الاشجار مظللة منها والقطوف جمع قطف بالكسر وهو العنقود والمراد به في الآية الثمر مطلقا والقطف بالفتح مصدر قولك قطفت العنب اي قطعتها وسمي الثمر قطفا لانه يقطف كما سمي جنى لانه يجنى ﴿ قوله معطوف على ما قبله ﴾ فيكون تابعا له في حكم اعرابه فان نصبت دانية على الحالية تكون جملة ذللت ايضا حالا اي ودانية ومذللة قطوفها لهم وان نصبتها على الوصف يكون ذللت ايضا صفة اخرى اي جزاهم جنة ذللت ﴿ قوله او حال من دانية ﴾ بتقدير قد وهذا الوجه مبني على ان يكون دانية منصوبا

(بالعطف)

(متكئين فيها على الارائك) حال من هم في جزاهم او صفة الجنة (لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا) يحتملهما وان يكون حالا من المستكن في متكئين والمعنى انه يمر عليهم فيها هواء معتدل لا حار محم ولا بارد مؤذ وقيل الزمهرير القمر في لغة طي قال الشاعر

وليلة ظلامها قد اعتكر *

قطعتها والزمهرير ما زهر *

والمعنى ان هواءها مضيء بذاته لا يحتاج الى شمس وقمر (ودانية عليهم ظلالها) اما حال او صفة اخرى معطوفة على ما قبلها او عطف على جنة اي وجنة اخرى دانية على انهم وعدوا جنتين كقوله ولمن خاف مقام ربه جنتان وقرئت بالرفع على انه خبر ظلالها والجملة حال او صفة (وذللت قطوفها تذليلا) معطوف على ما قبله او حال من دانية وتذليل القطوف ان تجعل سهلة التناول لا تمتنع على قطافها كيف شاؤا

بالعطف على جنة بتقدير الموصوف حتى يكون حالا من المفعول به اى وجزاهم جنة اخرى دانية وقد ذللت قطوفها لهم الا ان يكون المراد او حال من فاعل دانية كأنه قيل تدنو ظلالها عليهم فى حال تذليل قطوفها لهم ثم انه تعالى لما وصف طعامهم ولباسهم ومسكنهم وصف شرابهم وقدّم عليه وصف الاوانى التى يشربون بها فقال ويطاف عليهم اى ويدور على هؤلاء الابرار الخدم اذا ارادوا الشرب بآنية من فضة وآنية جمع اناء واصلها أانية بهمزتين الاولى همزة افعلة مزيدة للجمع والثانية فاء الكلمة فقلبت الثانية ألفا لسكونها وانفتاح ماقبلها وقوله من فضة نعت لآنية والاكواب جمع كوب وهو كوز لاعروة له ولا خرطوم وافرادها بالذكر بعد ذكر الآنية لشرفها بالنسبة الى غيرها كقوله تعالى من المؤمنين والمهاجرين ويحتمل ان يكون ان المراد بالآنية مايشرب فيه كالقدح وبالكوب مايصب منه فى الاناء كالابريق كما اشار اليه بقوله واباريق ﴿ قوله اى تكوّنت ﴾ اشارة الى ان كان تامّة بمعنى حدثت فيكون قوارير الاوّل حالا من فاعل كان ولعل الوجه فى اختيار كونها تامة دفع جواز كونها ناقصة وقوارير الاوّل خبرها انها اذا جعلت بمعنى تكوّنت وحدثت ينتقل الذهن الى المكوّن المحدث وحيث لايكون الا الله كان المعنى تكوّنت حال كونها قوارير بتكوين الله تعالى فتكون اشارة الى تفخيم الآنية بكونها اثر قدرة الله تعالى ، ولما ورد ان يقال كيف تكون الاكواب المذكورة من فضة ومن قوارير زجاجية ، اشار الى جوابه بانه ليس المعنى انها قوارير زجاجية متخذة من الفضة بل الحكم عليها بانها قوارير وانها من فضة من باب التمثيل للتفهيم فانها فى نفسها ليست فضة ولا زجاجية لما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال ليس فى الدنيا مما فى الجنة الا الاسماء فثبت به ان آنية الجنة مباينة بالحقيقة لقارورة الدنيا وفضتها الا انها لما كانت جامعة بين صفاء الزجاجة ولطفها وبين بياض الفضة ولينها وصفت بانها من فضة تكوّنت حال كونها قوارير والاصل فى مثل سلاسل وقوارير ان لاينصرف لانه على صيغة منتهى الجموع الا ان من صرفه ونوّنه شبهه بالمفرد من حيث انه جمع بجمع السلامة كما يجمع الآحاد المنصرفة حيث يقال صواحبات يوصف فى جمع صواحب فلما جمع كما يجمع الالفاظ المفردة جعل فى حكمها وصرف مع ان ابا الحسن حكى عن بعض القوم انهم صرفوا جميع مالاينصرف الا افعل من بناء على ان الاصل فى الاسماء ان تكون منصرفة ولهذا يصرفها الشعراء فى الشعر واعلم ان القراء فى كلمتى قوارير على خمس مراتب الاولى تنوينهما معا والوقف عليهما بالالف بدل التنوين كنافع والكسائى وابى بكر والثانية عكس هذا وهو عدم تنوينهما وعدم الوقف عليهما بالالف كحمزة وحده والثالثة تنوين الاوّل دون الثانى والوقف على الاوّل بالالف وعلى الثانى بدونها وهو لابى عمرو وابن ذكوان وحفص ووجه القول الاخير ان الاوّل لما رأس آية فناسب ان يوقف عليه بالالف والثانى ليس برأس آية فلم يوقف عليه بالالف ومن لم ينوّنهما وقف عليهما بالالف نظرا الى ان الاوّل رأس آية وحمل الثانى على الاوّل لمناسبة بينهما ونصب قوارير الاوّل على انه خبر كان ان جعلت ناقصة وعلى الحال ان جعلت تامة والجملة صفة لاكواب واما نصب قوارير الثانى وهو قراءة الجمهور فعلى انه بدل من الاوّل للايضاح والبيان حيث بين انه من الفضة ﴿ قوله اى قدروها فى انفسهم ﴾ على ان يكون فاعل قدروها ضمير اهل الجنة لا ضمير الطائفين وقدروها فى محل النصب على انه صفة قوارير والمعنى قدّر الشاربون فى انفسهم وتمنوا كون تلك القوارير على مقادير واشكال على حسب مايريدون ويشتهون فجاءت كما قدروها فان منتهى مايريده الرجل فى الآنية التى يشرب منها الصفاء والنقاء والشكل اما الصفاء فقد ذكره الله تعالى بقوله كانت قوارير واما النقاء فقد ذكره بقوله من فضة واما الشكل والمقدار فقد ذكره بقوله قدروها تقديرا ﴿ قوله او قدر الطائفون بها ﴾ على ان ضمير قدروها للخدام الطائفين ولابدّ من تقدير المضاف حينئذ اى قدّر الخدام شراب القوارير على قدر ريّ الشارب من غير زيادة ولا نقصان وهو ألذ للشارب لكونه على مقدار حاجته فان كل واحد من طرفى الاعتدال مذموم وقرئ قُدِّروها بضم القاف وكسر الدال المشدّدة على بناء المفعول منقولا الى بناء التفعيل من قدرت الشئ وقدّرنيه فلان اذا جعلك قادرا له والمعنى جعلوا قادرين لها كما شاؤا ﴿ قوله مايشبه الزنجبيل ﴾ كلمة ما فى قوله مايشبه الزنجبيل يحتمل ان تكون بألف ممدودة ويشبه صفتها وبألف مقصورة ويشبه صلتها وعلى التقديرين لايكون الزنجبيل على حقيقته بل يكون اسم ماء فى الجنة يشبه الزنجبيل فى بعض اوصافه يمزج به شراب الابرار كما قيل ان الكافور اسم ماء فيها يشبه الكافور فيكون عينا بدلا من زنجبيل بتقدير المضاف اى ماء عين وان كان الزنجبيل على حقيقته يكون عينا بدلا من كأسا اى

(ويطاف عليهم بآنية من فضة واكواب) واباريق لاعروة لها (كانت قوارير قوارير من فضة) اى تكوّنت جامعة بين صفاء الزجاجة وشفيفها وبياض الفضة ولينها وقد نوّن قوارير من نوّن سلاسلا وابن كثير الاولى لانها رأس الآية والباقون لم ينوّنوا اصلا وقرئ قوارير من فضة على هى قوارير (قدروها تقديرا) اى قدروها فى انفسهم فجاءت مقاديرها واشكالها كما تمنوها او قدروها باعمالهم الصالحة فجاءت على حسبها او قدر الطائفون بها المدلول عليهم بقوله يطاف شرابها على قدر اشتهائهم وقرئ قُدِّروها اى جعلوا قادرين لها كما شاؤا من قدر منقولا من قدرت الشئ (ويسقون فيها كأسا كان مزاجها زنجبيلا) مايشبه الزنجبيل فى الطعم وكانت العرب يستلذون الشراب الممزوج به

و يسقون فيها خمرا خمر عين فيها وصف الله تعالى اوانى مشروبهم فقال و يسقون فيها الآية وصف مشروبهم بانه ممزوج بالزنجبيل لان العرب كانوا يحبون جعل الزنجبيل فى المشروب ولما توهم من تسمية تلك العين بالزنجبيل ان ليس فيها سلاسة الانحدار فى الحلق وسهولة مساغها كما هو مقتضى اللذع ازال ذلك الوهم بانها تسمى سلسبيلا لسلاسة انحدارها اى نزولها فى الحلق وانتفاء لذع الزنجبيل عنها فان السلاسة هى ضد اللذع وهو الاحراق يقال لذعته النار اى احرقته ﴿ قوله ولذلك ﴾ اى ولكون السلسبيل بمعنى السلسال والسلسل اللذين هما من صفات الماء بمعنى سهل الدخول فى الحلق لعذوبته وصفائه قيل زيدت الباء على السلسال لدلالة على غاية السلاسة والحلاوة ﴿ قوله وقيل اصله سل سبيلا ﴾ على انه كلام مركب من فعل امر من سألته الشئ وفاعل مستتر فيه ومفعول بارز والتقدير سل انت سبيلا اليها ثم جعل هذا الكلام المركب علما للعين فى الجنة او لانها كما سمى الرجل تأبط شرا واعلم انه تعالى مزج شراب الابرار اولا كافورا وثانيا زنجبيلا لان المقصود الاهم حال الدخول البرودة لهجوم العطش عليهم من حر عرصات القيامة وعبور الصراط وبقدر استيفاء حظوظهم من انواع نعيمها ومطعوماتها تميل طباعهم الى الاشربة التى تهيج الاشتهاء وتعين على تشهيه ثانيا الوان المطعومات ويلتذ الطبع بشربها فلعل الوجه فى تأخير ذكر ما يمزج به الزنجبيل عما يمزج به الكافور ذلك والله اعلم ثم انه تعالى شرع فى ذكر اوصاف الخدم الذين يطوفون عليهم بذلك المشروب فى تلك الاوانى فقال ويطوف عليهم ولدان فانهم اخف فى الخدمة مخلدون دائمون على ما هم عليه من الشباب والغضاضة فى الحسن لا يهرمون ولا يتغيرون ويكونون على سن واحد على مر الازمنة ﴿ قوله وانبثاثهم ﴾ اى تفرقهم فى محل الخدمة عند اشتغالهم بانواع الخدمة وطوافهم على الابرار المخدومين مسارعين فى الخدمة ولو اصطفوا على وتيرة واحدة لشبهوا باللؤلؤ المنظوم واللؤلؤ اذا كان متفرقا كان احسن من المنظوم لوقوع شعاع بعضه على بعض فيكون مخالفا للمجتمع منه فى اللمعان والبريق وشبهت الحور العين باللؤلؤ المكنون اى المحفوظ المخزون لانهن لا يمتهن فى الخدمة فلا ينتشرن انتشار الولدان ثم انه تعالى لما فصل بعض ما فى الجنة من وجوه النعم وصنوف العزة والاكرام اتبعه بما يدل على ان ما فيها من آثار الله تعالى ورحمته ليس مما يحصيه العد والتفصيل فقال واذا رأيت ثم اى فى الجنة فان ثم منصوب على الظرفية ورأيت من رؤية البصر فتعدى الى مفعول واحد الا انه فى الآية لم يقصد تعلقه بالمفعول فليس له مفعول ظاهر ولا مقدر ليشيع فى جميع ما وقعت الرؤية عليه كانه قيل اذا وجدت الرؤية منك ثم اى فى الجنة لا يحصل لك بتلك الرؤية الا ادراك نعيم كثير لا توصف عظمته وملك كبير لا يعرف كنهه وقيل مفعوله ثم وهو اسم لا ظرف والمعنى اذا رأيت ذلك الموضع وقيل تقديره واذا رأيت ما ثم على ان ما موصولة فى موضع النصب على انه مفعول رأيت وثم صلته ثم حذف ما واقيم ثم مقامه وهذا خطأ عند البصريين لانه لا يجوز عندهم حذف الموصول واقامة الصلة مقامه ثم قيل الخطاب فى رأيت للنبى صلى الله عليه وسلم وقيل عام لكل من يصح ان يخاطب والنعيم ما يتنعم به والملك الكبير ما ذكر فى الحديث الذى اورده المصنف وزاد المصنف ان العارف له اكثر من ذلك وهو ان تنكشف له صور عالم الغيب والشهادة بحقائقها فتستضئ مرآة قلبه بانوار العلوم اللدنية والمعارف الالهية بسبب ارتفاع الحجب النفسانية والطبيعية وحصول قوة الاتصال بقدس الجبروت كما قيل تجوع ترانى تجرد تصل انتهى ﴿ قوله ونصبه على الحال ﴾ اختار قرآءة الجمهور وهم غير نافع وحمزة فانهم قرأوا عاليهم بفتح الياء وضم الهاء على الاصل فان الاصل فى هاء الضمير هو الضم مطلقا اى سواء كان ضمير المفرد او المثنى او المجموع نحو منه وعنه ومنهما وعنهما ومنهم وعنهم ومنهن وعنهن وفتحت فى منها وعنها لاجل الالف وكسرت اذا وقع قبلها كسرة او ياء ساكنة نحو بهم او فيهم للمجانسة الا ان حمزة قرأ الالفاظ الثلاث وهى عليهم واليهم ولديهم بضم الهاء فى جميع القرآن حيثما وقعت فيه نظرا الى ان الياء فيها بدل من الالف ولو نطق بالالف لم يكن فى الهاء الا الضم فكذا الحال اذا نطق ببدلها فمن قرأ عاليهم بالنصب جعله حالا من الضمير المجرور فى قوله يطوف عليهم اى يطوف عليهم ولدان عاليا المطوف عليهم ثياب سندس وقوله ثياب سندس مرفوع على انه فاعل اسم الفاعل المنصوب على الحالية فان عاليهم نكرة تكون اضافته لفظية لانه اسم فاعل بمعنى الاستقبال اضيف الى معموله فلاجل كونه نكرة جاز نصبه على الحال فان حق الحال ان يكون نكرة ويجوز بحسب العربية ان يكون عاليهم حالا من الولدان ويكون ضمير الجمع فيه للولدان لا للابرار الا ان المصنف لم يلتفت اليه من حيث ان المقام مقام تعداد نعيم الابرار وكرامتهم

(فالمناسب)

(عينا فيها تسمى سلسبيلا) لسلاسة انحدارها فى الحلق وسهولة مساغها يقال شراب سلسل وسلسال وسلسبيل ولذلك حكم بزيادة الباء والمراد ان ينفى عنها لذع الزنجبيل ويصفها بنقيضه وقيل اصله سل سبيلا فسميت به كتأبط شرا لانه لا يشرب منها الا من سأل اليها سبيلا بالعمل الصالح (ويطوف عليهم ولدان مخلدون) دائمون (اذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا) من صفاء ألوانهم وانبثاثهم فى مجالسهم وانعكاس شعاع بعضهم الى بعض (واذا رأيت) ليس له مفعول ملفوظ ولا مقدر لانه عام معناه ان بصرك اينما وقع (ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا) واسعا وفى الحديث ادنى اهل الجنة منزلة ينظر فى ملكه مسيرة الف عام يرى اقصاه كما يرى ادناه هذا وللعارف اكبر من ذلك وهو ان تنتقش نفسه بجلايا الملك وخفايا الملكوت فيستضئ بانوار قدس الجبروت (عاليهم ثياب سندس خضر واستبرق) يعلوهم ثياب الحرير الخضر مارق منها وما غلظ ونصبه على الحال من هم فى عليهم

فالمناسب له ان تكون الثياب المذكورة لهم لا للولدان الطائفين ﴿قوله او حسبتهم﴾ اى ويجوز ان يكون انتصاب عاليهم مبنيا على كونه بدلا من الضمير المنصوب فى حسبتهم اى حسبت الولدان لؤلؤا منثورا فى حال كونهم بحيث يعلوهم ثياب سندس فعلى هذا تكون الثياب للطائفين لا للطوف عليهم او من الاهل المقدّر بعد رأيت اى رأيت اهل نعيم وملك كبير عاليهم ثياب سندس ﴿قوله وقرأ نافع وحمزة بالرفع﴾ اى بسكون الياء من عاليهم لثقل الضمة عليها وجعل المصنف قرآءة الرفع مبنية على ان يكون ثياب سندس مبتدأ وعاليهم خبره على خلاف ما اختاره الزمخشرى من ان يكون عاليهم مبتدأ وثياب سندس خبره بمعنى ما يعلوهم من اللباس ثياب سندس لانه رد على ما اختاره الزمخشرى ان اضافة عاليهم لفظية فيكون نكرة ولا يجوز الابتدآء بالنكرة وان امكن ان يجاب عنه بانها مخصصة باضافتها الى المعرفة فجاز الابتدآء بها ﴿قوله حملا على سندس بالمعنى﴾ اى قرئ خضر بالجرّ على انه صفة سندس وقوله بالمعنى جواب عما يقال كيف يجوز ان يكون خضر وهو جمع الخضر صفة لمفرد وتقرير الجواب ان سندسا وان كان مفردا بحسب اللفظ لكن لما اريد به الجنس كان فى معنى الجمع فيصح ان يوصف بالجمع كما فى قوله تعالى وينشئ السحاب الثقال واعلم ان القرآء السبعة فى خضر واستبرق على اربع مراتب الاولى رفعهما لنافع وحفص صفة الثياب كما فى قوله تعالى ويلبسون ثيابا خضرا واستبرق بالرفع معطوف على ثياب لكن على حذف مضاف اى وثياب استبرق كما فى قولك على زيد ثوب خز وكتان اى وثوب كتان والثانية خفضهما لحمزة والكسائى خضر صفة السندس واستبرق عطف عليه لان المعنى ثياب من سندس وثياب من استبرق والثالثة رفع الاوّل وخفض الثانى لابى عمرو وابن عامر رفع خضر على انه نعت الثياب وجرّ استبرق عطف على سندس والرابعة عكس الثالثة اى خفض الاوّل ورفع الثانى جرّ خضر على انه نعت السندس ورفع استبرق عطف على ثياب بحذف مضاف اى وثياب استبرق والسندس الديباج الرقيق الفاخر الحسن والاستبرق الديباج الغليظ الذى له بريق وقيل عاليهم ظرف مكان بمعنى يعلوهم فهو منصوب على الظرفية ثم منهم من قدر مضافا اى فوق حجالهم المضروبة عليهم ثياب سندس والمعنى ان حجالهم من الحرير والديباج لان كل واحد من الاستبرق والسندس داخل فى اسم الحرير فى قوله ولباسهم فيها حرير ﴿قوله عطف على ويطوف عليهم﴾ على طريق عطف فعلية على فعلية وحلوا وان كان ماضيا لفظا فانه مستقبل معنى وعبر بلفظ الماضى لتحقق وقوعه واساور مفعول ثان لحلوا بمعنى ويحلون ﴿قوله ولا تخالفه﴾ جواب عما يقال انه تعالى قال فى سورة الكهف يحلون فيها من اساور من ذهب وفى سورة الحج يحلون فيها من اساور من ذهب ولؤلؤا فكيف قيل ههنا من فضة واجاب عنه بثلاثة اوجه الاوّل انه يجوز ان يجمع فى ايديهم سواران سوار من فضة وسوار من ذهب ولؤلؤ او يجوز ان يجمع لايديهم محاسن الجنة كما روى عن سعيد بن جبير رضى الله عنه انه قال ليس من اهل الجنة احد الا وفى يده ثلاثة اسورة واحد من فضة وآخر من ذهب والثالث من لؤلؤ واحتج عليه بهذه الآيات والثانى يجوز ان يكون ذلك بحسب التعاقب فى الاوقات اى يلبسون تارة الذهب وتارة الفضة والثالث يجوز ان يكون ذلك بحسب اختلاف اعمالهم ﴿قوله او حال من الضمير فى عاليهم﴾ عطف على قوله عطف على ويطوف عليهم اى يعلوهم ذلك وقد حلوا وعلى هذا الوجه يمكن ان تدفع المخالفة بين الآيتين بوجه آخر وهو ان يكون اسورة الذهب للمخدومين واسورة الفضة للخدم وانما قال وعلى هذا لما مرّ ان ضمير عاليهم يجوز ان يكون مسندا الى ضمير الولدان بان يكون حالا من ضمير حسبتهم فعلى هذا اذا كان قوله تعالى وحلوا حالا من ضمير عاليهم يكون مسندا الى ضمير الولدان ايضا بخلاف ما اذا كان حالا من ضمير عليهم او من ملكا كبيرا على تقدير المضاف فان قوله حلوا على التقديرين يكون مسندا الى ضمير الابرار فيكون اسورة الفضة لهم لا للولدان ﴿قوله فانه يطهر شاربه﴾ يعنى ان الطهور بمعنى المطهر كما روى عن مقاتل انه قال هو عين ماء اى على باب الجنة ينبع من ساق شجرة منها من شرب منه نزع الله تعالى ما كان فى بطنه من غش وغل وحسد وما كان فى جوفه من قذر واذى واشير الى هذا المعنى بقوله تعالى طبتم فادخلوها خالدين فانه صريح فى ان الطهور بمعنى المطهر حيث قال ان الاشربة تطهر باطنهم من الاخلاق الذميمة والاخلاط المؤذية وعن علىّ رضى الله عنه انه قال فى هذه الآية اذا توجه اهل الجنة الى الجنة مرّوا بشجرة يخرج من تحت ساقها عينان فيشربون من احداهما فتجرى عليهم نضرة النعيم فلا تتغير ابشارهم ولا تشعث شعورهم ابدا ثم يشربون من الاخرى فيخرج ما فى بطونهم من الاذى ثم تستقبلهم خزنة

او حسبتهم او ملكا على تقدير مضاف اى واهل ملك كبير عاليهم وقرأ نافع وحمزة بالرفع على انه خبر ثياب وقرأ ابن كثير وابو بكر خضر بالجرّ حملا على سندس بالمعنى فانه اسم جنس واستبرق بالرفع عطفا على ثياب وقرأ ابو عمرو وابن عامر بالعكس وقرأهما نافع وحفص بالرفع وحمزة والكسائى بالجرّ وقرئ واستبرق بوصل الهمزة والفتح على انه استفعل من البريق جعل علما لهذا النوع من الثياب (وحلوا اساور من فضة) عطف على ويطوف عليهم ولا تخالفه قوله اساور من ذهب لامكان الجمع والمعاقبة والتبعيض فان حلىّ اهل الجنة تختلف باختلاف اعمالهم فلعله تعالى يفيض عليهم جزآء لما عملوه بايديهم حليا وانوارا تتفاوت تفاوت الذهب والفضة او حال من الضمير فى عاليهم باضمار قد وعلى هذا يجوز ان يكون هذا للخدم وذاك للمخدومين (وسقاهم ربهم شرابا طهورا) يريد به نوعا آخر يفوق على النوعين المتقدّمين ولذلك اسند سقيه الى الله تعالى ووصفه بالطهورية فانه يطهر شاربه عن الميل الى اللذات الحسية والركون الى ما سوى الحق فيتجرّد لمطالعة جماله ملتذا بلقائه باقيا ببقائه وهو منتهى درجات الصدّيقين ولذلك ختم به ثواب الابرار

الجنة فيقولون لهم سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين وقيل الطهور مبالغة الطاهر من حيث انه ليس بنجس كخمر الدنيا لان كونها رجسا ثبت شرعا لا عقلا وليست الدار دار تكليف ثم انه تعالى لما أتم شرح ثواب الابرار قال ان هذا اى يقال لهم بعد دخولهم الجنة ومشاهدتهم لما فيها من انواع البهجة والنعيم ان هذا كان لكم جزآء لاعمالكم التى قدمتموها فى الدنيا فانه تعالى يقال لهم ذلك ليزداد سرورهم ويحتمل ان يكون ذلك اخبارا من الله تعالى لعباده فى الدنيا بعد شرح ثواب اهل الجنة لهم بان يقول هذا الذى شرحته لكم كان فى علمى وحكمى جزآءكم يامعشر عبيدى لكم خلقتها ولاجلكم اعددتها والشكر اذا استند الى العبد يكون عبارة عن قبول طاعة العبد وتوفير ثوابه يقال شكر الله سعيك اى جزاك الله خيرا على ماسعيت واطلاق الشكر عليه مجاز تشبيها له بالشكر من حيث كونه فعلا واقعا بمقابلة العمل كالشكر الواقع بمقابلة الانعام ثم انه تعالى لما ذكر فى القرآن العظيم اصناف الوعد والوعيد فى حق الشاكر والكفور وكان التذكر والاتعاظ به موقوفا على صدق المبلغ وحقية رسالته بين ان مابلغه اليهم ليس بسحر ولا شعر ولا كهانة بل هو وحى الهى تفرد الله تعالى بتنزيله مفرقا منجما آية بعد آية ولم ينزل جملة واحدة فقال انا نحن نزلنا ولم يقل انزلنا للمبالغة فى تأكيد كونه وحيا الهيا بتصدير الكلام بان وتكرير الضمير الذى هو اسم ان وتأكيده بالضمير المنفصل تأكيدا على تأكيد فكأنه تعالى يقول ان هؤلاء الكفار يقولون انه سحر او كهانة او نحو ذلك وانا الله رب العالمين اقول على سبيل التأكيد والتحقيق ان ذلك وحى حق وتنزيل صدق من قبلى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فلا تكترث بما قالوا فى حقه وفى شأنك فان ماقالوه صادر عن المكابرة والعناد بمنزلة قول من ينكر زوجية الاربعة وكون الواحد نصف الاثنين فأنت لامحالة رسول مبعوث بالهدى ودين الحق وان المقصود من بعثك ان تظهر الدين الحق على الاديان كلها فاصبر بتأخير نصرك على اعدآء الدين فانه كائن لامحالة ﴿قوله واو للدلالة على انهما سيان فى استحقاق العصيان﴾ يعنى ان كلمة او سوآء وقعت فى سياق الاثبات او النفى فمعناها احد الامرين او الامور الا ان ثبوت الشئ لاحد الامرين او الامور لايستلزم ثبوته للجميع فهى اذا وقعت فى سياق الاثبات تكون للاباحة او التخيير فان كان الجمع بين الامرين مما فيه فضيلة وشرف غالبا كما فى قولك جالس الحسن او ابن سيرين تكون للاباحة فيجوز الجمع بينهما والاقتصار على احدهما والا فهى للتخيير نحو اضرب زيدا او عمرا ولايجوز الجمع بينهما بل يجب الاقتصار على احدهما بخلاف نفى احد الامرين او الامور والنهى عن احدهما فانه يستلزم نفى الجمع والنهى عنه لان كل واحد منهما يصدق عليه مفهوم احدهما ونفى مايصدق عليه هذا المفهوم يستلزم نفى الجميع فاذا قلت لاتضرب زيدا او عمرا فالتقدير لاتضرب احدهما فيكون ضرب كل واحد منهما منهيا عنه لكونه ضرب احدهما وقد نهى عنه وكذا لو قيل لاتطع احدهما كان المعنى لاتطع كل واحد منهما فيكون كلمة او للدلالة على انهما سيان فى استحقاق العصيان * فان قيل فعلى ماذكرت يكون معنى او فى الآية النهى عن طاعة احدهما فهلا جيئ بالواو ليكون نهيا عن طاعتهما جميعا * فالجواب انه لو قيل ولاتطعهما او ولاتطع آثما وكفورا لاحتمل جواز ان تطيع احدهما بخلاف مااذا قيل لاتطع احدهما فانه حينئذ يعلم ان النهى عن طاعة احدهما هو نهى عن طاعتهما ﴿قوله والتقسيم باعتبار مايدعونه اليه﴾ اى من الاثم والكفر لاباعتبار انقسامهم فى انفسهم الى الآثم والكفور لان القوم كلهم كفرة ومن كان كافرا يكون آثما لامحالة لان الكفر اخبث انواع الاثم فكلهم كفرة وأثمة فلامعنى لتقسيمهم فى انفسهم الى القسمين وانما التقسيم باعتبار مايدعونه اليه من الكفر والاثم فالمعنى لاتطع من يدعوك من الكفرة الى الاثم ولامن يدعوك منهم الى الكفر والتقسيم بهذا الاعتبار افاد تعليل النهى بوصفى الكفر والاثم القائمين بهم فدل على ان مطاوعتهما فيما ليس باثم ولا كفر غير محظور وفى نهيه عليه الصلاة والسلام عن اطاعة من يدعوه الى الاثم والكفر مع انه عليه الصلاة والسلام لايتصور فى حقه ان يطيع احدا منهم اشارة الى ان الناس محتاجون الى مواصلة التنبيه والارشاد من حيث ان طبيعتهم التى جبلوا عليها ركب فيها الشهوة الداعية الى السهو والغفلة ولو ان احدا استغنى عن توفيق الله تعالى وامداده وارشاده لكان احق الناس به هو الرسول المعصوم صلى الله عليه وسلم فظهر منه انه لابد لكل مسلم ان يرغب اليه تعالى ويتضرع اليه فى ان يحفظه عن الفتن والآفات فى جميع الامور والحالات ثم قيل المراد بالآثم عتبة بن ربيعة وبالكفور الوليد بن المغيرة لان عتبة كان متعاطيا لانواع الفسق

(ان هذا كان لكم جزآء) على اضمار القول والاشارة الى ماعد من ثوابهم (وكان سعيكم مشكورا) مجازى عليه غير مضيع (انا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا) مفرقا منجما لحكمة اقتضته وتكرير الضمير مع ان مزيد لاختصاص التنزيل (فاصبر لحكم ربك) بتأخير نصرك على كفار مكة وغيرهم (ولا تطع منهم آثما او كفورا) اى كل واحد من مرتكب الاثم الداعى لك اليه ومن الغالى فى الكفر الداعى اليه وأو للدلالة على انهما سيان فى استحقاق العصيان والاستقلال به والتقسيم باعتبار مايدعونه اليه فان ترتب النهى على الوصفين مشعر بانه لهما وذلك يستدعى ان يكون المطاوعة فى الاثم والكفر محظورا فان مطاوعتهما فيما ليس باثم ولا كفر غير محظور

(والوليد)

والوليد كان متوغلا فى الكفر * روى ان عتبة بن ربيعة قال له عليه الصلاة والسلام ارجع عن هذا الامر حتى ازوّجك ولدى فانى من اجمل قريش ولدا وقال الوليد انا اعطيك من المال حتى ترضى فانى من اكثرهم مالا فقرأ عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر آيات من اوّل حم السجدة الى قوله فان اعرضوا فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فانصرفوا عنه وقال احدهما ظننت ان الكعبة ستقع علىّ وقيل المراد بهما شخص واحد هو ابو جهل وقيل المراد بهما الآثم والكفور مطلقا اى شخص كان وهو الاقرب الى اطلاق اللفظ ثم انه تعالى لما ذكر هذا النهى عقبه بالامر فقال واذكر اسم ربك ثم قيل ليس المراد من الذكر الصلاة بل المراد به التسبيح الذى هو القول والاعتقاد اى وكن ذاكرا الله تعالى دآئما ليلا ونهارا بقلبك ولسانك كما هو المراد من قوله تعالى يا الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة واصيلا وقيل المراد به الصلوات الخمس لان التقييد بالبكرة والاصيل يدل على ان المراد به ذلك فالبكرة هى صلاة الصبح والاصيل صلاة الظهر والعصر لان الاصيل اسم للوقت الذى يكون بعد الزوال الى الغروب وقيل لما بعد العصر الى الغروب ثم انه تعالى لما خاطب رسوله بالتعظيم والنهى والامر عدل الى شرح احوال الكفار والمتمردين فقال ان هؤلاء اى الكفرة يحبون العاجلة اى يؤثرونها على الآخرة يعنى ان الذى حمل هؤلاء الكفار على الكفر والاعراض عن اتباع ماتدعوهم اليه ليس هو اشتباه الحق عليهم لعدم كفاية ما انزلنا عليك من الآيات والدلائل الدالة على التوحيد وحقية امر النبوة فان فيما بلغته اليهم كفاية فى بيان الحق والارشاد اليه وانما الذى حملهم عليه غلبة الشهوة والمحبة لهذه اللذات العاجلة ﴿قوله امامهم او خلف ظهورهم﴾ فان الورآء يستعمل فى كل واحد من المعنيين وفى الصحاح ورآء بمعنى خلف وقد تكون بمعنى قدّام فهى من الاضداد فهو ان كان بمعنى القدّام يكون حالا من قوله يوما ثقيلا وهو مفعول يذرون لا ظرف له وان كان بمعنى خلف يكون ظرفا ليذرون كأنه قيل ويذرونه خلف ظهورهم فحينئذ يكون قوله ويذرون ورآءهم يوما ثقيلا استعارة تمثيلية بان شبهت حالهم فى عدم اهتمامهم بيوم القيامة واعراضهم عنه بجعلهم اياه ورآء ظهورهم فاستعمل مايدل على الحال المشبه بها فى الحال المشبهة ﴿قوله مستعار من الثقل﴾ الثقيل من صفات الاجسام الكثيفة ولا يوصف به الزمان حقيقة الا انه شبه يوم القيامة لشدّته وهوله بالشئ الثقيل الذى يتعب حامله ﴿قوله وهو كالتعليل لما امر به ونهى عنه﴾ يعنى ان توصيف اليوم بالثقل والشدة وان وقع لتهديد الكفار وتجهيلهم الا انه يصلح ان يكون تعليلا لما جرى بينه تعالى وبين رسوله صلى الله عليه وسلم من ثقل ذلك اليوم وشدّته والظفر فيه بجميع السعادات والكرامات ﴿قوله واحكمنا ربط مفاصلهم﴾ فسر الاسر بالربط كما ثبت ذلك عند اهل اللغة وقدر بعده مضافا وهو المفاصل فكان المعنى احكمنا ربط اوصالهم بعضها ببعض كالعروق والاعصاب لما ذكر الله تعالى ان الذى دعاهم الى الاستمرار على ماهم عليه من الكفر والعناد حب العاجلة اتبعه بهذه الآية فكأنه قيل لهم هبوا ان حبكم لهذه اللذات العاجلة طريقة مستحسنة الا ان ذلك الحب يوجب عليكم الايمان والطاعة ايضا من حيث ان جميع ما انتم عليه من النعم وما تتمكنون به من الانتفاع بها فانما هو بخلق الله تعالى وحده لا شريك له فى خلق شئ منها كما يدل عليه تقديم المسند اليه فى قوله نحن خلقناهم وشددنا اسرهم وحق هذا المنعم ان يطاع فى جميع ما كلف به ولا يعصى بوجه ما وانتم اسأتم بكمال العصيان مع كمال رغبتكم فى احسانه وفى ان يزيد عليكم ماتؤملونه ومثل هذه الرغبة تنافى العصيان ثم اشار بقوله واذا شئنا الآية الى ان من قدر على اعطاء هذه النعم قادر على ان يهلكهم ويسلب عنهم جميع ماانعم به عليهم وان يلقيهم فى كل محنة وبلية ان لم تطيعوا هذا المنعم القادر على كل شئ شكرا لانعامه ورغبة فى مزيد احسانه فلم تطيعوه خوفا من نقمته وقهره فقيه توبيخ عظيم على كفرهم ﴿قوله ولذلك جئ باذا﴾ فان حقها ان تستعمل فيما هو محقق الوقوع استدل به على ان المراد بالتبديل الاعادة والبعث فان المعاد مثل المبدأ من حيث اشتماله على الاجزآء الاصلية المبتدأة وان خالفه باختلاف العوارض وان التبديل بمعنى الاعادة محقق الوقوع لا ريب فيه فكلمة اذا حينئذ تكون فى موقعها ويحتمل ان يكون المراد بتبديل امثالهم انشاء امثالهم فى الدنيا لا بالبعث بل باتيان اشباههم بدلا منهم ممن يطيع كما قال ان يشأ يذهبكم ايها الناس ويأت بآخرين فحينئذ لا يكون اذا مناسبا للمقام لان اهلاكهم وايجاد امثالهم فى الدنيا ليس معلوم الوقوع فالمناسب للمقام ايراد كلمة ان والجواب ان ايجاد امثالهم فى الدنيا بمنزلة متحقق الوقوع من حيث كونه داخلا تحت قدرة الله تعالى وقوة ما يدعو اليه من كفرهم وعنادهم وعدل الله تعالى وكونه شديد العقاب ﴿قوله تقرب اليه بالطاعة﴾ فسر

(واذكر اسم ربك بكرة واصيلا) وداوم على ذكره او دم على صلاتى الفجر والظهر او العصر فان الاصيل يتناولهما (ومن الليل فاسجد له) وبعض الليل فصل له ولعل المراد به صلاة المغرب والعشاء وتقديم الظرف لما فى صلاة الليل من مزيد الكلفة والخلوص (وسبحه ليلا طويلا) وتهجد له طائفة طويلة من الليل (ان هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون ورآءهم) امامهم او خلف ظهورهم (يوما ثقيلا) شديدا مستعار من الثقل الباهظ للحامل وهو كالتعليل لما امر به ونهى عنه (نحن خلقناهم وشددنا اسرهم) واحكمنا ربط مفاصلهم بالاعصاب (واذا شئنا بدلنا امثالهم تبديلا) واذا شئنا اهلكناهم وبدلنا امثالهم فى الخلقة وشدة الاسر يعنى النشأة الثانية ولذلك جئ باذا او بدلنا غيرهم ممن يطيع واذا لتحقيق القدرة وقوة الداعية (ان هذه تذكرة) الاشارة الى السورة او الآيات القريبة (فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا) تقرب اليه بالطاعة

السبيل الى مرضاة الرب بالطاعة وفسر اتخاذها بالتقرب بها اليه اى اذا اتضح هذا التذكير فمن شاء النجاة من
تقل ذلك اليوم وشدته اختار سبيلا مقربا الى مرضاة ربه وهو الطاعة ﴿قوله الا وقت ان يشاء الله﴾ اشارة
الى ان ان مع الفعل فى حكم المصدر الصريح فى قيامه مقام ظرف الزمان وانتصابه بالظرفية فى نحو قولك آتيك
خفوق النجم وصياح الديك فهو استثناء مفرغ اى ما تشاؤن الطاعة والتقرب بها وقتا من الاوقات الا وقت ان
يشاء الله تعالى مشيئتكم فان جميع ما يجرى على الانسان من الطاعة والمعصية والكفر والايمان انما يجرى عليه
بخلق الله تعالى وما يخلقه الا بمشيئته فلا يشاء ان يخلق فيكم مشيئة الطاعة الا اذا علم منكم اختيار ذلك قرأ نافع
والكوفيون تشاؤن على الخطاب العام او على الالتفات من الغيبة فى قوله نحن خلقناهم الى الخطاب والباقون
بياء الغيبة على وفق قوله خلقناهم ﴿قوله ليطابق الجملة المعطوف عليها﴾ فانها معطوفة على جملة يدخل
من يشاء فى رحمته والظالمين وقع منصوبا على انه من قبيل ما اضمر عامله على شريطة التفسير فتطابقت الجملتان
فى الفعلية بخلاف ما اذا رفع والظالمون على الابتداء فانه حينئذ تفوت المطابقة بين المعطوف والمعطوف عليه
ولم يضمر ناصب الظالمين بما يوافق لفظ المفسر وهو اعدلهم بل اضمر ما يناسبه فى المعنى مثل اوعد وكافأ لان لفظ
اعد لا يتعدى بنفسه * تمت سورة الانسان والحمد لله رب العالمين

﴿ سورة والمرسلات ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿قوله تعالى والمرسلات﴾ جمع مرسلة بمعنى الطوائف المرسلات بالالف والتاء لكونها عبارة عن الطائفة
المرسلة لمصلحة ومن حق جمع المؤنث من العقلاء ان يجمع بالالف والتاء ولا يكفى فى صحة جمع المرسلات بالالف والتاء
ان يقدر كونها صفة الملائكة لانه يستلزم ان يكون مفردها مرسلا بمعنى ملك مرسل وليس كذلك بل هى جمع
مرسلة بمعنى طائفة مرسلة فتكون المرسلات بمعنى الطوائف المرسلات من الملائكة ﴿قوله متتابعة﴾ اشارة
الى ان عرفا حال من المنوى فى المرسلات وانه من باب التشبيه البليغ بان شبهت الملائكة المرسلة فى تتابعهم وتلو
بعضهم بعضا بشعر عرف الفرس من قولهم جاؤا كعرف الفرس اى متتابعين وفى الصحاح العرف عرف الفرس
وقوله تعالى والمرسلات عرفا يقال هو مستعار من عرف الفرس اى يتتابعون كعرف الفرس انتهى ﴿قوله باوامره﴾
اى بتنفيذ ما حكم به وامرهم بامضائه كتعذيب قوم وانجاء آخرين وليس المراد من ارسالهن بالاوامر ايصال
اوامر الله الى الانبياء لانه لا يبقى حينئذ التخصيص بالاوامر فائدة ويكون قوله والناشرات تكرارا وعصفا مصدر
مؤكد وكذلك نشرا وفرقا وعصوف الريح شدة هبوبها شبهت الطوائف المرسلات من الملائكة فى سرعة جريهن
فى نزولهن وهبوطهن بالرياح الشديدة الهبوب والفاء للدلالة على اتصال جريهن فى نزولهن بالارسال من غير
مهلة وهو من عطف الصفة على الصفة لاتحاد موصوف المرسلات والعاصفات وعطف قوله والناشرات على
المرسلات بالواو لعدم كون نشر الشرائع مترتبا على الارسال ومتعقبا له فان الملائكة اول ما يلقون
الوحى الى الرسل لا يصير ذلك الدين فى الحال مشهورا منتشرا بل اكثر الخلق يكذبون الرسل مكابرة وعنادا فلم يعطف
النشر على ما قبله بفاء التعقيب بل عطف بالواو الدالة على الاجتماع فى الوجود مع قطع النظر عن افادة معنى التعقيب
والتراخى ثم اذا حصل النشر رتب عليه حصول الفرق بين الحق والباطل والقاء الذكر الى الانبياء عليهم الصلاة
والسلام الى ان يتم مراسم الدين وما يتعلق بمكارم الاخلاق ومحاسن الاعمال الى ان ينزل قوله تعالى اليوم اكملت
لكم دينكم فلذلك عطف هذين الامرين بفاء التعقيب وهذا وجه الترتيب على تقدير ان تكون الصفات الخمس
لطوائف الملائكة وبه يعرف وجه الترتيب على ان تكون الصفات المذكورة لغير الملائكة ﴿قوله او بآيات
القرآن﴾ عطف على قوله بطوائف من الملائكة فعلى هذا يكون المقسم بها آيات القرآن الموصوفة بتلك الصفات
الخمس ﴿قوله بكل عرف﴾ اشارة الى ان انتصاب عرفا حينئذ بنزع الخافض ﴿قوله فعصفن سائر الكتب
والاديان﴾ اى غلبتها وقهرتها يقال عصف الشئ اى اباده واهلكه وعصفت الحرب بالقوم اى ذهبت بهم
﴿قوله او برياح عذاب ورياح رحمة﴾ فعلى هذا يكون قوله والناشرات قسما مستأنفا برياح الرحمة بعد ان اقسم
برياح العذاب التى ارسلت عرفا اى متتابعة كشعر العرف فعصفن وحمل المرسلات العاصفات على رياح العذاب بقرينة
توصيفها بالعصف الذى هو شدة الهبوب وهى امارة كونها مرسلة للعذاب وحمل ما بعدها على رياح الرحمة اخذا

(وما تشاؤن الا ان يشاء الله) وما تشاؤن ذلك
الا وقت ان يشاء الله مشيئتكم وقرأ ابن كثير
وابو عمرو وابن عامر يشاؤن بالياء (ان الله
كان عليما) بما يستأهل كل احد (حكيما)
لا يشاء الا ما تقتضيه حكمته (يدخل من يشاء
فى رحمته) بالهداية والتوفيق للطاعة
(والظالمين اعد لهم عذابا اليما) نصب الظالمين
بفعل يفسره اعد لهم مثل اوعد وكافأ ليطابق
الجملة المعطوف عليها وقرئ بالرفع على
الابتداء * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ
سورة هل اتى كان جزاؤه على الله جنة
وحريرا

﴿ سورة والمرسلات مكية وآيها ﴾

﴿ خمسون ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا
والناشرات نشرا فالفارقات فرقا فالملقيات
ذكرا) اقسم بطوائف من الملائكة ارسلهن
الله باوامره متتابعة فعصفن عصف الرياح
فى امتثال امره ونشرن الشرائع فى الارض
او نشرن النفوس الموتى بالجهل بما اوحين من
العلم ففرقن بين الحق والباطل فالقين الى
الانبياء ذكرا (عذرا) للمحقين (او نذرا)
للمبطلين او بآيات القرآن المرسلة بكل عرف
الى محمد عليه الصلاة والسلام فعصفن سائر
الكتب والاديان بالنسخ ونشرن آثار الهدى
والحكم فى الشرق والغرب وفرقن بين الحق
والباطل فالقين ذكر الحق فيما بين العالمين
او بالنفوس الكاملة المرسلة الى الابدان
لاستكمالها فعصفن ما سوى الحق ونشرن
اثر ذلك فى جميع الاعضاء ففرقن بين الحق
بذاته والباطل فى نفسه فيرون كل شئ
هالكا الا وجهه فالقين ذكرا بحيث لا يكون
فى القلوب والالسنة الا ذكر الله او برياح
عذاب ارسلن فعصفن ورياح رحمة نشرن
السحاب فى الجو ففرقن فالقين ذكرا اى
تسببن له فان العاقل اذا شاهد هبوبها وآثارها
ذكر الله تعالى وتذكر كمال قدرته

من توصيفها بنشر السحاب اى بسطه فى الجو وتفريق اجزآئه بعضها عن بعض ضد نشره قال الله تعالى الله الذى يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه فى السماء كيف يشاء ويجعله كسفا فترى الودق يخرج من خلاله فقوله تعالى والناشرات نشرا فالفارقات فرقا على هذا التفسير فى معنى قوله فيبسطه فى السماء كيف يشاء ويجعله كسفا اى قطعا فان الكسف جمع كسفة وهى القطعة من الشئ والرياح الموصوفة بصفات القهر والعطف لما كانت سببا لتمسك العاقل بذكر الله تعالى والالتجاء الى عفوه ورحمته وبذل الجهد فى شكر نعمه صارت تلك الرياح كأنها القت الذكر فكان الاسناد اليها مجازيا ﴿ قوله وعرفا مانقيض النكر ﴾ يعنى ان عرفا امابمعنى المعروف والاحسان والخير كما فى قوله تعالى وأمر بالمعروف وهو نقيض المنكر واما بمعنى الاجتماع والتتابع من عرف نحو الفرس والضبع وهو شعر الرقبة يقال جاؤا عرفا واحدا وهم عليه كعرف الضبع اذا تألبوا عليه اى اجتمعوا ﴿ قوله مصدران لعذر وانذر ﴾ كون عذرا مصدر عذر ظاهر لان فعلا نحو شكرا وكفرا من مصادر الثلاثى واما كون نذرا مصدر انذر فليس بظاهر فلعل المراد انه اسم مصدر له وفى الصحاح الانذار الابلاغ ولايكون الافى نحو التخويف والاسم النذر ومنه قوله تعالى فكيف كان عذابى ونذرى اى انذارى فانه صريح فى ان النذر اسم لمصدر انذر ﴿ قوله او جمعان لعذير بمعنى المعذرة ونذير بمعنى الانذار ﴾ فان لفظ فعيل كثيرا مايستعمل بمعنى المصدر كالنكير بمعنى الانكار قال ابو على العذر والعذير والنذر والنذير مثل النكر والنكير ويجوز ان يجمع المصدر لاختلاف اجناسه فان المعذرة تختلف بحسب اختلاف الاساءة ووجوه محوها وكذا الانذار ويجوز تثنية المصدر وجمعه عند اختلاف اجناسه وانواعه ثم ذكر احتمال ان يكون العذر والنذر جمعى العذير والنذير بمعنى العاذر والمنذر كما فى قوله تعالى هذا نذير من النذر الاولى اى منذر من قبيل المنذرين الاولين ﴿ قوله ونصبهما على الاولين ﴾ اى على ان يكونا مصدرين او جمعى ماهو بمعنى المصدرين بالعلية اى بان يكونا مفعولا لهما اى فالملقيات ذكرا للاعذار والانذار اى لمحو ذنوب المحقين المعتذرين الى الله تعالى بالتوبة والاستغفار وتخويف المبطلين المصرين ﴿ قوله او البدلية ﴾ اى ويجوز ان يكون انتصاب عذرا او نذرا على البدل بان يكونا معمولين على البدلية من قوله ذكرا اى فالملقيات عذرا او نذرا ثم ان كان الذكر المبدل منه بمعنى جميع الوحى يكون عذرا او نذرا بدل البعض من الكل فان مايتعلق بمغفرة المطيعين وتخويف المعاندين بعض من جملة الوحى وان اريد بالذكر المبدل منه مايتعلق بسعادة الموحد وشقاوة المشرك خاصة من جملة الوحى يكون بدل الكل من الكل فان ماالقى الى الانبياء من الآيات المتعلقة بمحو الاساءة وتخويف المصر عليها متحد بالذات مع الذكر المخصوص المتعلق بسعادة الموحد وشقاوة المشرك فقوله او مايعم الموحد والمشرك معناه او ما يتناول احوال اهل التوحيد والشرك خاصة ﴿ قوله وعلى الثالث ﴾ وهو ان يكونا جمعى عذير ونذير بمعنى العاذر والمنذر يكون انتصابهما على الحالية من المنوى فى الملقيات اى فالملقيات ذكرا حال كونهم عاذرين او منذرين ﴿ قوله بالتخفيف ﴾ اى باسكان الذال فيهما وقرأ الباقون بتحريكها بالضم ﴿ قوله تعالى انما توعدون لواقع ﴾ اى ان الذى توعدونه من امر القيامة على أن ماموصولة فى محل النصب على انها اسم ان وتوعدون صلتها والعائد محذوف ولواقع خبرها وكان من حقها ان تكتب منفصلة عن الموصول ولكنهم كتبوها متصلة وخص الموعود بمجئ القيامة لان المذكور عقيب هذه الآية علامات القيامة فدل ذلك على ان المراد بالموعود هو القيامة فقط وقال الكلبى المراد ان كل ماتوعدونه من الخير والشر لواقع نظرا الى عموم لفظ الموصول ﴿ قوله محقت ﴾ فى الصحاح الطموس الدروس والانمحاء يقال طمس الطريق وطمس اى انمحى ودرس والطمس محو الاثر الدال على الشئ فيحتمل ان يكون المراد بقوله تعالى طمست محقت ومحيت ذواتها فقوله واذا النجوم انكدرت وان يكون المراد محقت انوارها والاول اولى لعدم احتياجه الى الاضمار وقوله النجوم مرتفعة بفعل مضمر يفسره مابعده عند البصريين من غير الاخفش وبالابتدآء عند الكوفيين والاخفش وطمست خبره والاول اولى لان اذا فيها معنى الشرط والشرط بالفعل اولى ومحل الجملة على المذهبين الجر باذا وجواب اذا محذوف والتقدير فاذا طمست النجوم وقع ماتوعدون او بعثتم او جوزيتم على اعمالكم وحذف لدلالة قوله انما توعدون لواقع عليه وقيل جوابه ويل يومئذ للمكذبين وقيل تقدير الكلام واذكر اذا النجوم طمست ﴿ قوله صدعت ﴾ اى انشقت والفرج الشق يقال فرجه الله تعالى فانفرج وصدعته فانصدع اى انشق ﴿ قوله كالحب ينسف ﴾ اى يطير فى الهوآء

وعرفا مانقيض النكر وانتصابه على العلة اى ارسلن للاحسان والمعروف او بمعنى المتتابعة من عرف الفرس وانتصابه على الحال وعذرا او نذرا مصدران لعذر اذا محا الاساءة وانذر اذا خوف او جمعان لعذير بمعنى المعذرة ونذير بمعنى الانذار او بمعنى العاذر والنذر ونصبهما على الاولين بالعلية اى عذرا للمحقين ونذرا للمبطلين او البدلية من ذكرا على ان المراد به الوحى او مايعم التوحيد والشرك والايمان والكفر وعلى الثالث بالحالية وقرأهما ابو عمرو وحمزة والكسائى وحفص بالتخفيف (انما توعدون لواقع) جواب القسم ومعناه ان الذى توعدونه من مجئ القيامة كائن لامحالة (فاذا النجوم طمست) محقت او اذهب نورها (واذا السماء فرجت) صدعت (واذا الجبال نسفت) كالحب ينسف بالمنسف

(واذا الرسل اقتت) عين لها وقتها الذي يحضرون فيه للشهادة على الامم بحصوله فانه لا يتعين لهم قبله او بلغت ميقاتها الذي كانت تنتظره وقرأ ابو عمرو وقتت على الاصل (لأيّ يوم اجلت) اي يقال لأيّ يوم اخرت وضرب الاجل للجمع وهو تعظيم لليوم وتعجيب من هوله ويجوز ان يكون ثاني مفعولي اقتت على انه بمعنى اعلمت (ليوم الفصل) بيان ليوم التأجيل (وما ادراك ما يوم الفصل) ومن اين تعلم كنهه ولم تر مثله (ويل يومئذ للمكذبين) اي بذلك وويل في الاصل مصدر منصوب باضمار فعل عدل به الى الرفع للدلالة على ثبات الهلاك للمدعوّ عليه ويومئذ ظرفه او صفته (ألم نهلك الاوّلين) كقوم نوح وعاد وثمود وقرئ نهلك من هلكه بمعنى اهلكه (ثم نتبعهم الآخرين) اي ثم نحن نتبعهم نظراءهم ككفار مكة وقرئ بالجزم عطفا على نهلك فيكون الآخرين المتأخرين من المهلكين كقوم لوط وشعيب وموسى عليهم السلام (كذلك) مثل ذلك الفعل (نفعل بالمجرمين) بكل من اجرم (ويل يومئذ للمكذبين) بآيات الله وانبيائه فليس تكريرا وكذا ان اطلق التكذيب او علق في الموضعين بواحد لان الويل الاوّل لعذاب الآخرة وهذا للاهلاك في الدنيا مع ان التكرير للتوكيد حسن شائع في كلام العرب (ألم نخلقكم من ماء مهين) نطفة مذرة ذليلة (فجعلناه في قرار مكين) هو الرحم (الى قدر معلوم) الى مقدار معلوم من الوقت قدره الله تعالى للولادة (فقدرنا) على ذلك او فقدرناه ويدل عليه قرآءة نافع والكسائي بالتشديد (فنعم القادرون نحن) (ويل يومئذ للمكذبين) بقدرتنا على ذلك او على الاعادة

ليتخلص من نتنه قال تعالى لنحرقنه ثم لننسفنه في اليم نسفا يقال حرقت الشيء حرقا اي بردته بالمبرد وشدد للكثرة والمبالغة ﴿ قوله عين لها وقتها ﴾ فسر توقيت الرسل بان يعين لهم وقتهم الذي يحضرون فيه للشهادة على اممهم وذلك الوقت ما اشير اليه بقوله تعالى يوم يجمع الله تعالى الرسل فيقول ماذا اجبتم ﴿ قوله بحصوله فانه لا يتعين لهم قبله ﴾ جواب عما يقال كيف يكون تعين ذلك الوقت لهم من مقدمات القيامة وامارتها كالثلاثة المتقدمة وهي الطمس والفرج والنسف مع ان الرسل قد عين لهم ذلك الوقت وبين حياتهم في الدنيا فكيف يكون ذلك من مقدمات القيامة وعلاماتها وتقرير الجواب ان ما بين لهم في الدنيا ليس الا انهم يجمعون يوم القيامة ويسألون ماذا اجبتم ولم يبين لهم فيها ذلك الوقت بعينه ولا يتعين لهم ذلك الا بحصوله ومجيئه وفسر توقيت الرسل بتعيين وقت حضورهم للشهادة لا بتعيين وقت انفسهم وذواتهم لان توقيت الشيء بمعنى تعيين وقته انما يعتبر بالنسبة الى الزمانيات المتجددة لا بالنسبة الى الذوات القارة فاذا اضيف التوقيت بهذا المعنى الى الذوات القارة فلا بد من اضمار الحدث فذلك الحدث هو الذي عد من علامات القيامة وفسر التوقيت ثانيا بقوله او بلغت ميقاتها الذي كانت تنتظره فان التوقيت قد يستعمل بمعنى جعل الشيء بالغا الى وقته المحدود بمجيء ذلك الوقت وحصوله فكما ان تسويد الشيء وتحريقه عبارتان عن تحصيل حقيقة السواد والحرقة فيه فكذا التوقيت عبارة عن تحصيل وقت الشيء وتبليغه اليه والتوقيت بهذا المعنى ايضا في الحقيقة مضاف الى حضور الرسل للشهادة على اممهم وسؤال الرسل عما اجيبوا به وسؤال الامم عما اجابوهم كما قال تعالى فلنسألن الذين ارسل اليهم ولنسألن المرسلين ﴿ قوله اي يقال لأيّ يوم اخرت ﴾ يعني أن الجملة الاستفهامية في محل النصب بالقول المضمر وهذا القول المضمر يجوز ان يكون جوابا لاذا اي اذا كان كذا وكذا يقال لأيّ يوم اخرت هذه الامور التي هي طمس النجوم ونسف الجبال وتأقيت الرسل وان يكون حالا من مرفوع اقتت اي اقتت مقولا فيها لأيّ يوم اجلت اي اخرت الرسل والامور المتعلقة بجمعهم واحضارهم وهي تعذيب من كذبهم وتعظيم من آمن بهم وصدقهم ونحو ذلك ومعنى الاستفهام تعظيم ذلك اليوم والتعجيب من قوله ﴿ قوله ويجوز ﴾ عطف على قوله اي يقال وتقدير الكلام حينئذ واذا الرسل اعلمت وقت تأجيلها ﴿ قوله وويل في الاصل مصدر منصوب باضمار فعل ﴾ لا من لفظه فان اصله اهلكه الله اهلاكا وهلك هو هلاكا والويل موضوع موضع الاهلاك او الهلاك اشار به الى وجه وقوع ويل مبتدأ مع انه نكرة فانه لما كان مصدرا سادّا مسدّ الفعل المخصص بصدوره عن فاعل معين كانت النكرة المذكورة مخصصة بذلك الفاعل فساغ الابتداء لذلك كما قالوا في سلام عليكم والمصنف قدر المفعول المكذبين المذكورين اوّلا فقال المكذبين بذلك اي بيوم الفصل وبكل ما اخبر به الانبياء عنه وثانيا قدره بان قال المكذبين بآيات الله وانبيائه ليكون كل واحد من المكذبين مغايرا للآخر بتغاير متعلقهما هربا من التكرار * واعلم ان المقصود من هذه السورة تخويف الكفار وتحذيرهم من الكفر فخوفهم اوّلا بان اقسم على ان اليوم الذي يوعدونه وهو يوم القيامة لواقع ثم هول فقال وما ادراك يوم الفصل ثم زاد في التهويل فقال ويل يومئذ للمكذبين فهذا نوع من التخويف ثم ذكر نوعا آخر منه فقال الم نهلك الاوّلين وهو يعم الكفار والذين هلكوا قبل بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم خوف اهل عصره من الكفار بان اخبرهم بانه اهلك الكفار المتقدمين بسبب كفرهم فلما كان سبب اهلاك الاوّلين حاصلا فيهم لزمهم ان يخافوا منه ﴿ قوله ثم نحن نتبعهم ﴾ اختار قرآءة الجمهور وهي القرآءة برفع قوله نتبعهم على القطع عما قبله واستئناف الاخبار بما يفعله في المستقبل باضمار المبتدأ اي نحن نتبعهم ويعضده قرآءة ابن مسعود رضي الله عنه ثم نتبعهم بزيادة سين التسويف وقرآءة الرفع متعينة على ان يكون المراد بالآخرين الذين كذبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه لو قرئ بالجزم لكان المعنى حينئذ اهلكنا الاوّلين ثم اتبعناهم الآخرين في الاهلاك لكون الاتباع واقعا في حيز لم التي تقلب معنى المضارع الى الماضي وتنفيه فيه والآخرون ليسوا من المهلكين وقت نزول السورة بمكة بل يجب ان يكون المراد بالآخرين على قرآءة الجزم الذين تأخر هلاكهم من اهلاك المتقدمين كقوم لوط وشعيب وموسى عليهم الصلاة والسلام ثم انه تعالى خوفهم بنوع ثالث فقال ألم نخلقكم من ماء مهين الآية وهو استفهام تقرير فمن اقرّ بقدرته تعالى على الابتداء لزمه ان يقرّ بقدرته على الاعادة ثم انه لما انكر الاعادة ناقض نفسه مكابرة وعنادا فاستحق ان يقال له ويل يومئذ للمكذبين ﴿ قوله فقدرنا على ذلك او فقدرناه ﴾ يعني ان فقدرنا بتخفيف الدال يجوز ان يكون من القدرة ويعضده قوله فنعم القادرون اي قدرنا على

(خلقه)

خلقه وتصوره كيف شئنا واردنا من مثل تلك المادة الحقيرة فنعم القادرون حيث خلقناه فى احسن الصور والهيئات ويجوز ان يكون من التقدير فان قدر المخفف لغة فى قدر المشدد فان قوله تعالى قدرنا بينكم الموت قرئ بالتخفيف والتشديد مع انه بمعنى التقدير ويدل على كون مافى الآية من التقدير قرآءة نافع والكسائى بالتشديد فيكون قوله فنعم القادرون ايضا بمعنى فنعم المقدرون والمراد تقدير خلقه وجوارحه وألوانه واشكاله ومدة حمله وحياته والقرار المكين الموضع المستقر الحصين وهو الرحم فان الماء الذى يخلق منه الولد لابد وان يثبت فى الرحم ويتمكن فيه الى قدر معلوم اى مقدار من الوقت معلوم لله تعالى لايعلمه غيره وذلك المقدار تسعة اشهر او اقل او اكثر ومالا يخلق منه الولد لايستقر فى الرحم ثم انه تعالى لما شرع فى النوع الرابع من تخويفهم بان ذكر ماانعم به عليهم من نعم الآفاق فقال الم نجعل الارض كفاتا الآية وقد ذكر قبل هذه الآية ماانعم به عليهم من نعم الانفس وهو ان اوجدهم من المادة الخبيثة بعدما ابقاها فى الزاوية الخسيسة الى وقت الولادة وصورهم باحسن الصور واحكم الخلقة وقدم ماذكر فيه نعم الانفس على ماذكر فيه نعم الآفاق لكون مافى الانفس اصلا بالنسبة الى مافى الآفاق فانه لولا الوجود ومايتفرع عليه من القوى والآلات لايتيسر الانتفاع بشئ من النعم التى فى الآفاق حملهم على ان يقرّوا بانه الذى خصهم بهذه النعم التى كل واحدة منها اعجب من البعث وأدل على كمال قدرته وبديع حكمته ليستدلوا به على الاعادة ويستعدوا لذلك اليوم فهذا هو وجه التخويف بهذه الآية وقوله كفاتا مفعول ثان لقوله نجعل لان المعنى الم نصيرها كافتة تضم الاحياء الى ظهرها والاموات الى بطنها ولهذا كانوا يسمون الارض امّا للناس تشبيها لها بالام فى ضمها الناس الى نفسها احياء وامواتا كالام التى تضم اولادها اليها وتضبطهم ولما كانوا ينضمون اليها جعلت كأنها تضمهم الى نفسها وكان الارض كفاتا لهم بمعنى انهم ينضمون اليها ويسكنون فيها فهم ينضمون اليها ايضا من حيث انها تجمع لهم جميع مايحتاجون اليه فى معاشهم من المأكل والمشرب والملبس والمركب والآية الجامعة للمصالح الدافعة للمضار وغير ذلك وايضا انها تكفت ماينفصل من الاحياء من الامور المستقذرة ومعنى الكفت فى اللغة الضم والجمع يقال كفت الشئ يكفته كفتا اذا ضمه وجمعه وفى الحديث «اكفتوا صبيانكم بالليل فان للشيطان خطفة» ويقال جراب كفيت وكفت اذا كان لايضيع شيأ مما يجعل فيه وذكر المصنف فى كفاتا اربعة اوجه الاول انه اسم لمايكفت كالضمام والجماع اسمان لمايضم ويجمع يقال هذا الكتاب جماع الابواب وضمام اصول الكتاب كما يقال الخيط الذى يشد به الشئ شداد والثانى انه مصدر كالكتاب والحساب وصفت الارض به للمبالغة نحو رجل عدل والثالث انه جمع كافت كصيام جمع صائم والرابع انه جمع اسم غير مشتق وهو كفت بمعنى الوعاء فيكون الكفات بمعنى الاوعية ويكون على الوجه الثالث بمعنى الاشياء الكافتة «ولما ورد على الوجهين الاخيرين ان الارض شئ واحد فكيف يطلق عليها لفظ الجمع «اجاب عنه بقوله اجرى اى لفظ الجمع عليها باعتبار اقطارها ﴿ قوله منتصبان على المفعولية ﴾ فان كفاتا سوآء جعل مصدرا منوّنا او جمع اسم الفاعل ينصب المفعول به والمعنى على التقدير بن الم نجعلها كافتة احياء وامواتا ﴿ قوله وتنكيرهما للتفخيم ﴾ جواب عما يقال ان النكرة لفرد المنتشر فيكون المعنى ان الارض تكفت بعض الاحياء والاموات وليس كذلك بل هى كفات لجميع الاحياء والاموات «وتقرير الجواب ان التنكير فيهما للتفخيم لا للافراد ولا للنوعية حتى يرد ماذكر وتنكير اسم الجنس لقصد التفخيم لاينافى كونه عاما مستغرقا لجميع الافراد لانه فى معنى تكفت احياء لايعدّون وامواتا لاينحصرون واجاب ثانيا بانالانسلم كون الارض كفاتا لجميع الاحياء والاموات بل هى كفات لبعض الذى هو احياء الانس واموانهم فان الاحياء والاموات مطلقا غير منحصرة فى احياء الانس واموانهم لان بعض الحيوان يكفته الهوآء والبعض الآخر يكفته الماء فجاز ان يكون التنكير فيهما للافراد او النوعية ﴿ قوله او الحالية من مفعوله ﴾ اى ويجوز ان يكون انتصاب احياء وامواتا على انهما حالان من المفعول المحذوف اى الم نجعلها كافتة للانس والجن فى حال كونهم احياء وامواتا وعلى التقدير بن فهما منصوبان بكفاتا على ان يكون مصدرا او صفة او جمع كافتة واما على تقدير كونه اسما لمايكفت او جمعا لكفت بمعنى الوعاء فلا يكون عاملا لما تقرر فى النحو ان الاسماء الجامدة وكذا اسماء الزمان والمكان والآلة مع كونها مشتقة لاتعمل وفى اسم المصدر خلاف واما المصدر واسم الفاعل مفردا كان او جمعا فهما من الاسماء العاملة انتهى ﴿ قوله او بنجعل ﴾ اى ويحتمل ان يكونا منصوبين بنجعل اما على انهما مفعولان له وكفاتا حال من الارض بمعنى كافتة واما على انهما حالان من الارض وكفاتا

(الم نجعل الارض كفاتا) كافتة اسم لمايكفت اى يضم ويجمع كالضمام والجماع لمايضم ويجمع او مصدر نعت به او جمع كافت كصائم وصيام او كفت وهو الوعاء اجرى على الارض باعتبار اقطارها (احياء وامواتا) منتصبان على المفعولية وتنكيرهما للتفخيم اولان احياء الانس وامواتهم بعض الاحياء والاموات او الحالية من مفعوله المحذوف للعلم به وهو الانس او بنجعل على المفعولية وكفاتا حال او الحالية فيكون المعنى بالاحياء ماينبت وبالاموات مالاينبت

مفعوله و على التقدير ين يكون المراد بحياة الارض كونها منبتة و بموتها كونها مواتا لاتنبت ﴿ قوله جبالا ثوابت ﴾ على ان رواسى بمعنى ثوابت صفة لمحذوف هو الجبال فانها ثوابت على الارض لاتزول وشامخات صفة ثانية لذلك المحذوف و الشامخ العالى المرتفع ﴿ قوله والتنكير ﴾ اى و تنكير رواسى شامخات للتفخيم اذ من جملتها مالم يعرف و لم ير فان مايرى على ظهر الارض من الجبال بعض منها فالتنكير فيها و كذا فى قوله ماء فراتا للتبعيض فان السماء فيها جبال ايضا لقوله تعالى من جبال فيها من برد و فى السماء ايضا ماء فرات بل هى معدنه و مصبه و الفرات الماء العذب لما عدّ الله تعالى انواع ماانعم به عليهم و امتنهم عن افاضه عليهم بها استفهام تقرير كانه قال قد انعمنا بها عليهم ثم هدّد بالويل على تكذيبهم و كفرانهم بها تعريضا بانهم قابلوا تلك النعم الموجبة للشكر بالكفر و العصيان و تخويفا لهم بسوء عاقبة صنيعهم هذا يوم الحساب و الجزآء شرع فى تخويفهم و الوعيد عليهم ببيان مايقال للكفرة المكذبين للبعث و الجزآء يوم القيامة فقال انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون و الظاهر ان القائل هم خزنة النار او زبانية جهنم ﴿ قوله خصوصا ﴾ يعنى ان المأمور به اوّلا هو انطلاقهم الى انواع عذاب الآخرة عموما و المأمور به ثانيا هو انطلاقهم الى نوع مخصوص منه و اختلف فى انطلقوا الثانى هل هو على لفظ الامر او الماضى فقرأ الجمهور انطلقوا على لفظ الامر و عن يعقوب انه قرأ انطلقوا بفتح اللام على لفظ الماضى اخبارا عن انقيادهم للامر لاجل انهم مضطرّون اليه لايستطيعون الامتناع منه كانّه قيل كانوا يؤمرون فى الدنيا بالايمان و الطاعة فلا يلتفتون اليه و يكذبون من امر به فلما امروا فى العقبى بالانطلاق الى ما كذبوا به سمعوا و اطاعوا اضطرارا فلو اطاعوا فى الدنيا لكان خيرا لهم قيل هو بعيد لانه كان ينبغى ان يقال فانطلقوا ليرتبط الكلام باوّله على طريق قولك قلت له قم فقام و يمكن ان يقال ترك الفاء بناء على ان الكلام استئناف لبيان امتثالهم كرها بعد مايقال لهم بلفظ الامر ﴿ قوله كقوله و ظل من يحموم ﴾ و هو الدخان الغليظ الاسود استشهد به المصنف على ان ظل المكذبين هو دخان نار جهنم ﴿ قوله يتشعب لعظمه ﴾ اشارة الى ان قوله تعالى ذى ثلاث شعب كناية عن كون ذلك الدخان عظيما بناء على ان الشعب من لوازم عظمته و استشهد قتادة على ذلك اى على ان المراد بظل المكذبين هو دخان نار جهنم بقوله تعالى احاط بهم سرادقها و قال سرادق النار هو الدخان تشبيها له بالسرادق و هو واحد السرادقات التى تمدّ فوق صحن الدار ثم قال ان شعبة من ذلك الدخان على يمينه و شعبة اخرى على يساره و شعبة اخرى فى جوفه قال المفسرون ان الشمس تقرب يوم القيامة من رؤس الخلائق و ليس عليهم يومئذ لباس و لا اكنان فتلفحهم الشمس و تسفعهم و يأخذ كرب ذلك اليوم انفاسهم و عند ذلك اليوم ينجى الله تعالى برحمته من يشاء الى ظل ظليل من ظله فهنالك يقولون فمنّ الله علينا و وقانا عذاب السموم و يقال للمكذبين انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون من عذاب الله تعالى و عقابه و قيل يخرج لسان من النار فيحيط بالكفار كالسرادق يتشعب منه دخانها ثلاث شعب فيقال لهم كونوا فيه الى ان يفرغ من الحساب و المؤمنون فى ظل العرش تحت شجرة طوبى و لما كان عظم دخان جهنم مستلزما لتشعبه تشعب لامحالة و كون تلك الشعب ثلاثا لازيد منها و لاانقص فلعل الوجه فيه ان حجب النفس عن الاستنارة بانوار القدس ثلاثة الحس و الخيال و الوهم فان كل واحد منها سبب تعلق النفس بعالم الطبيعة الظلمانية فلكل واحد منها نوع من الظلمة يخصه فلاجرم تشعبت شعب العذاب على حسب تعددها فان جميع مايصدر من الانسان من العقائد الفاسدة و الاعمال الباطلة لايصدر منه الا بواسطة القوّة الواهمة و الغضبية و الشهوية فلذلك تشعب العذاب ثلاث شعب على عدد القوى المؤدّية اليه ﴿ قوله و غير مغن ﴾ اى و غير مبعد عنهم يعنى ان قوله و لايغنى فى موضع الجرّ بالعطف على قوله لاظليل فانه مجرور على انه صفة للظل اى ظل غير ظليل و غير مغن و ان مفعول يغنى من اللهب محذوف و هو شيأ و من فى من اللهب لبيانه و ان قوله و لايغنى من اللهب من قول العرب أغن عنى وجهك اى ابعده لان الغنى عن الشئ يباعده كما ان المحتاج اليه يقاربه فصح ان يعبر باغناء شئ عن شئ عن ابعاده عنه فكان المعنى ان هذا الظل لايظلكم من حرّ الشمس و لايدفع عنكم لهب النار و اللهب مايعلو على النار اذا اضطرمت من احمرار و اصفرار و اخضرار ثم انه تعالى وصف النار التى كان هذا الظل دخانها بانها ترمى بشرر عظيمة شبيهة بشيئين الاوّل القصر و الثانى الجمالات الصفر و المقصود بيان ان تلك النار عظيمة جدّا و قوله كل شررة كالقصر اشارة الى ان شررا جمع شررة و هى ماتطاير من النار فى الجهات متفرّقا كالنجوم و القصر هو البناء العالى و وصف به الجمع باعتبار كل واحد من آحاده

(وجعلنا فيها رواسى شامخات) جبالا ثوابت طوالا و التنكير للتفخيم و الاشعار بان فيها مالم يعرف و لم ير (واسقيناكم ماء فراتا) بخلق الانهار و المنابع فيها (ويل يومئذ للمكذبين) بامثال هذه النعم (انطلقوا) اى يقال لهم انطلقوا (الى ما كنتم به تكذبون) من العذاب (انطلقوا) خصوصا و عن يعقوب انطلقوا على الاخبار عن امتثالهم بالامر اضطرارا (الى ظل) يعنى ظل دخان جهنم كقوله تعالى و ظل من يحموم (ذى ثلاث شعب) يتشعب لعظمه كما ترى الدخان العظيم يتفرّق ذوائب و خصوصية الثلاث اما لان حجاب النفس عن انوار القدس الحس و الخيال و الوهم او لان المؤدّى الى هذا العذاب هو القوّة الواهمة الحالة فى الدماغ و الغضبية التى فى يمين القلب و الشهوية التى فى يساره و لذلك قيل شعبة تقف فوق الكافر و شعبة عن يمينه و شعبة عن يساره (لاظليل) تهكم بهم ورد لما اوهم لفظ الظل (ولايغنى من اللهب) و غير مغن عنهم من حرّ اللهب شيأ

(قوله)

﴿قوله ويؤيده﴾ اى ويؤيدان شررا جمع وان وصفه بكونه كالقصر باعتبار كل واحد من آحاده انه قرئ بشرار بفتح الشين والف بين الرآءين وهو جمع شرارة كما ان الشرر جمع شررة ﴿قوله وقيل هو جمع قصرة﴾ بالفتحات الشجرة وشجر ﴿قوله وهى﴾ اى القصرة اصل العنق ﴿قوله والهاء للشعب﴾ اى ضمير انها فى قوله انها ترمى بشرر ضمير الشعب وقيل هى ضمير النار المدلول عليها باللهب ﴿قوله جمع جمل﴾ اى كل واحد من جمال وجمالة جمع جمل الاوّل مثل جبال فى جمع جبل والثانى مثل حجارة فى جمع حجر ثم يجمع جمال على جمالات كما يجمع رجال على رجالات وبيوت على بيوتات وكذا يجمع جمالة على جمالات فجمالات على التقرير جمع الجمع قرأ حمزة والكسائى وحفص جمالة والباقون جمالات ﴿قوله وقيل سود﴾ يعنى قيل ان المشبه به هو الجمالات السود وعبر عنها بالصفر لكون سواد الابل يشوبه شئ من الصفرة ضعفه بناء على ان تسمية الاسود بالاصفر باعتبار مايشوبه بشئ قليل من الصفرة لاتخلو عن بعد ﴿قوله والاوّل﴾ اى قوله كالقصر تشبيه للشرر بالقصر فى عظمته وقوله كأنه جمالات تشبيه له بالجمالات فى لونه وكثرته وتتابع بعضه بعضا واختلاطه وسرعة حركته ﴿قوله وقد قرئ بها﴾ اى قرئ جمالة بضم الجيم كما قرئ جمالات بالضم وكلاهما من الشواذ ﴿قوله بما يستحق﴾ اى لان ينطق به لكونه مما ينتفع فانه اراد به دفع ما يتوهم من كون هذه الآية مخالفة للآيات الدالة على انهم ينطقون يوم القيامة كقوله تعالى ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون وقوله تعالى حكاية عنهم والله ربنا ما كنا مشركين وقوله ولا يكتمون الله حديثا وذلك لانهم وان نطقوا وتخاصموا الا انهم لما لم ينتفعوا بنطقهم بل كان جميع مانطقوا به حجة عليهم موجبا لالجامهم وافتضاحهم جعل نطقهم كلا نطق لانه لاينفع ولا يسمع وهذا كما يقال لمن جاء بما لا ينتفع به ماجئت بشئ ثم اشار الى دفع المخالفة بوجه آخر حيث قال او بشئ وحاصله ان يوم القيامة يوم طويل ذو مواقيت ومواقف ينطقون فى بعضها ولا ينطقون فى بعض فقوله فى هذه الآية لا ينطقون بشئ اصلا حكاية حالهم فى بعض تلك المواقف ولا ينافيه ان يختصموا وينطقوا فى موقف آخر من مواقفه والجمهور على رفع قوله يوم فى قوله هذا يوم لا ينطقون على انه خبر هذا والاشارة الى اليوم وقرئ يوم بالنصب ونصبه عند البصريين على الظرفية والاشارة الى غير اليوم اى هذا الذى تقدم من الوعيد واقع يوم لا ينطقون لانه انما يبنى عندهم اذا اضيف الى مبنى نحو يومئذ والفعل هنا معرب وعند الكوفيين هو مبنى والفتحة فتحة بناء وهو خبر لهذا كما تقدم واجمع القرآء على رفع قوله فيعتذرون عطفا على يؤذن ولم ينصبوه على انه جواب النفى لانه لو كان جوابا لكان عدم اعتذارهم مسببا عن عدم الاذن لان المضارع انما ينتصب بعد الفاء فى جواب النفى اذا كانت الفاء سببية وذلك يوهم ان لهم عذرا لكنهم منعوا من ذكره لعدم الاذن وليس كذلك فرفعوه عطفا على يؤذن وجعلوا الفاء لمجرد العطف من غير ملاحظة السببية لئلا يتوهم ذلك فيكون النفى متوجها الى اذن يعقبه الاعتذار مطلقا اى مع قطع النظر عن كون عدم الاعتذار مسببا عن عدم الاذن فلا يوهم الرفع ما اوهمه النصب فانه ليس لهم عذر فى الحقيقة ولكن ربما تخيلوا خيالا فاسدا ان لهم فيما ارتكبوه من القبائح عذرا فلا يؤذن لهم فى ذكر العذر الباطل واى عذر لمن اعرض عن منعمه وكفر بآيات الله ونعمه ولم يتفكر فيما نصبه من الدلائل الهادية الى سبيل الرشاد وهذه الآية تخويف للكفار وتشديد للامر عليهم بوجه آخر وذلك لانه تعالى بين فيها انه ليس لهم عذر ولا حجة فيما اتوا به من القبائح ولا لهم قدرة على دفع العذاب عنهم فيجتمع عليهم فى هذا الموقف انواع من العذاب منها العذاب الروحانى الذى هو عذاب الخجالة والافتضاح على رؤوس الاشهاد وهو اشد من العذاب الجسمانى ﴿قوله تقرير وبيان للفصل﴾ اشارة الى فائدة قوله جمعناكم والاوّلين والخطاب فيه لمكذبى خاتم النبيين والمراد بالاوّلين مكذبوا من قبله من الانبياء المرسلين على نبينا وعليهم افضل الصلاة والسلام ووجه كونه تقريرا للفصل بين المحق والمبطل بالاثابة والعقاب ان الفصل يستلزم الجمع بينهم ليمكن الفصل بينهم فلما قيل جمعناكم والاوّلين كان ذلك تقريرا لما فهم من قوله هذا يوم الفصل ﴿قوله تقريع﴾ اى تخجيل لهم بانهم كانوا فى الدنيا يدفعون الحقوق عن انفسهم بضروب الحيل والتلبيسات فقال فان كان لكم كيد فكيدون لزيادة التخجيل والتقريع وهذا من قبيل العذاب الروحانى ولاظهار عجزهم عن الكيد فان مثل هذا الكلام لا يتكلم به الامن تيقن بعجز مخاطبه عن الكيد بالكلية تبكيتا له ﴿قوله لانهم فى مقابلة المكذبين﴾ يعنى ان المراد بالمتقين هم الذين اتصفوا بالمرتبة الاولى من مراتب التقوى وهو التوقى من العذاب المخلد بالتبرى من الشرك وذلك لان السورة من

(انها ترمى بشرر كالقصر) اى كل شررة كالقصر فى عظمها ويؤيده انه قرئ بشرار وقيل هو جمع قصرة وهى الشجرة الغليظة وقرئ كالقصر بمعنى القصور كرهن ورهن وكالقصر جمع قصرة كحاجة وحوج والهاء للشعب (كأنه جمالات) جمع جمال او جمالة جمع جمل (صفر) فان الشرار لما فيه من النارية يكون اصفر وقيل سود فان سواد الابل يضرب الى الصفرة والاوّل تشبيه فى العظم وهذا فى اللون والكثرة والتتابع والاختلاط وسرعة الحركة وقرأ حمزة والكسائى وحفص جمالة وعن يعقوب جمالات بالضم جمع جمالة وقد قرئ بها وهى الحبل الغليظ من حبال السفينة شبهه بها فى امتداده والتفافه (ويل يومئذ للمكذبين هذا يوم لا ينطقون) اى بما يستحق فان النطق بما لا ينفع كلا نطق او بشئ من فرط الدهشة والحيرة وهذا فى بعض المواقف وقرئ بنصب اليوم اى هذا الذى ذكر واقع يومئذ (ولا يؤذن لهم فيعتذرون) عطف فيعتذرون على يؤذن ليدل على نفى الاذن والاعتذار عقيبه مطلقا ولو جعله جوابا لدل على ان عدم اعتذارهم لعدم الاذن واوهم ذلك ان لهم عذرا لكن لم يؤذن لهم فيه (ويل يومئذ للمكذبين هذا يوم الفصل) بين المحق والمبطل (جمعناكم والاوّلين) تقرير وبيان للفصل (فان كان لكم كيد فكيدون) تقريع لهم على كيدهم المؤمنين فى الدنيا واظهار لعجزهم (ويل يومئذ للمكذبين) اذلا حيلة لهم فى التخلص من العذاب (ان المتقين) من الشرك لانهم فى مقابلة المكذبين (فى ظلال وعيون وفواكه مما يشتهون) مستقرون فى انواع الترفه

اوّلها الى آخرها نازلة فى تقريع الكفار على كفرهم و تخويفهم من سوء عاقبته فيجب ان تكون هذه الآية ايضا نازلة لهذا المقصود و الاتفككت آيات السورة فى نظمها و ترتيبها و هذا المقصود انما يتم بان تكون الآية مذكورة لوعد المؤمنين بسبب ايمانهم و توقيهم من الشرك ليكون هذا نوعا آخر من تعذيبهم من حيث انه كان بينهم و بين المؤمنين كمال العداوة و البغضاء فلما بين الله تعالى فى هذه السورة اجتماع انواع العذاب على الكفار بين فى هذه الآية اجتماع انواع السعادة و الكرامة فى حق المتقين عن الشرك لتضاعف حسرة الكفار و اخزائهم فانهم اذا رأوا ذلك ازدادوا غما الى غمهم و عذابا روحانيا الى ماهم فيه من العذاب الجسمانى و الظلال جمع ظل و تنوينه للتعظيم و هو فى مقابلة ما انطلق اليه الكفار من ظل ذى ثلاث شعب ﴿ قوله اى مقولا لهم ذلك ﴾ اى يعنى ان الجملة الامرية و ما فى حيزها فى موضع النصب على انها مقول قول مضمر منصوب على انه حال من المنوىّ فى قوله فى ظلال اى هم مستقرّون فى ظلال مقولا لهم ذلك و كذا قوله كلوا و تمتعوا فى موضع الحال من المنوىّ فى قوله للمكذبين اى الويل ثابت لهم فى حال ما يقال لهم كلوا و تمتعوا ﴿ قوله تذكيرا لهم بحالهم فى الدنيا ﴾ جواب عما يقال كون قوله كلوا و تمتعوا حالا من المنوىّ فى المكذبين يقتضى ان يقال لهم هذا القول فى الآخرة لان ثبوت الويل لهم انما هو فى الآخرة فيكون هذا القول مقولا لهم فى الآخرة ايضا و هو بعيد لان الكفار لانصيب لهم فى نعيم الآخرة و تقرير الجواب ان هذا القول يقال لهم فى الآخرة الا انه ليس المقصود منه اباحة الاكل و التمتع لهم فى الآخرة حقيقة بل انما يقال لهم ذلك تذكيرا لهم ماهم عليه فى الدنيا من ايثار الفانى على الباقى و انهماكهم فى حب اللذة البشرية و الاعراض عن السعادة الابدية فيكون الامر امر توبيخ و تحسير و تحزين ثم علل المأمور به و هو الاكل و التمتع اياما قلائل بقوله انكم مجرمون للدلالة على ان كل مجرم ماله الا الاكل و التمتع اياما قلائل ثم الهلاك و العذاب الابدىّ و يجوز ان يكون قوله كلوا و اشربوا كلاما مستأنفا خطابا للمذكورين فى الدنيا ثم خوفهم بان اخبر ان شأنهم العصيان و ترك المأمور به و هو اما الركوع بمعنى الانقياد و الخضوع بالايمان و الطاعة و ترك الاستكبار و العناد و اما الركوع بمعنى الصلاة على طريق ذكر الجزء و ارادة الكل ﴿ قوله لانجبى ﴾ التجبية ان يقوم الانسان قيام الراكع وفى حديث ابن مسعود فى ذكر القيامة حين ينفخ فى الصور فيقومون فيجبون تجبية رجل واحد قياما لرب العالمين وقيل التجبية تكون فى حالين احدهما ان يضع يديه على ركبتيه و هو قائم و الآخر ان ينكب على وجهه باركا و هو السجود كذا فى الصحاح ﴿ قوله فانها مسبة ﴾ اى ان هيئة التجبية هيئة تشهر و ترفع فيها الست و هى الاست اى الدبر او انها زمان ظهور السه و ارتفاعها و فى التيسير فقالوا لانجبى اى لانحنى للركوع و السجود فنعلوا أستاهنا فقال عليه الصلاة و السلام لاخير فى دين لايكون فيه ركوع و لاسجود ﴿ قوله وقيل هو يوم القيامة ﴾ فانه يقال لهم اركعوا يوم القيامة كشفا لحال الناس فى الدنيا فمن كان يسجد لله تعالى فى الدنيا ابتغاء لوجهه تمكن من السجود و من كان يسجد رياء لغيره صار ظهره طبقا واحدا فلا يستطيع ان ينحنى فضلا عن ان يسجد فان يوم القيامة ليس زمان تكليف حتى يكون اركعوا امر تكليف و ايجاب بل هو صيغة ايجاب قصد بها كشف حالهم ﴿ قوله واستدل به على ان الامر للايجاب ﴾ وجه الاستدلال انه تعالى ذمّهم على مجرّد ترك المأمور به فلو لم يكن تعلق الامر به سببا لوجوبه لما استحقوا الذم بتركه فدل ذلك على ان مجرّد الامر للايجاب فان قيل انما ذمّهم على كفرهم فالجواب انه تعالى قد ذمّهم على كفرهم سابقا من وجوه كثيرة و انما ذمّهم فى هذه الآية لتركهم المأمور به فقط فدل ذلك على ان ترك المأمور به لايجوز ﴿ قوله و ان الكفار مخاطبون بالفروع ﴾ وجه الاستدلال به عليه انه تعالى ذمّهم على حال كفرهم بترك الصلاة فانه قد روى عن ابن عباس ان المراد بالركوع فى هذه الآية الصلاة و قد دل عليه سبب نزولها ايضا فدل ذلك على ان الكفار مخاطبون بفروع الايمان بمعنى انهم كما يستحقون الذم و العقاب بترك الايمان فكذلك يستحقونه على ترك الصلاة ثم انه تعالى لما بالغ فى زجر الكفار و وعيدهم و تخوفهم بانواع من التخويف ختم السورة بالتعجب من حالهم و بين انهم فى اقصى درجات التمرّد و العناد حيث لم يؤمنوا بهذا القرآن مع اعجازه و حسن نظمه فقال فبأىّ حديث بعده يؤمنون و هو جواب شرط محذوف يعنى اذا لم يؤمنوا به فبأىّ كتاب يؤمنون وقرئ بالتاء على خطاب الكفار والله اعلم

﴿ سورة النبأ العظيم ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(كلوا و اشربوا هنيئا بما كنتم تعملون) اى مقولا لهم ذلك (انا كذلك نجزى المحسنين) فى العقيدة (ويل يومئذ للمكذبين) يمحض لهم العذاب المخلد ولخصومهم الثواب المؤبد (كلوا و تمتعوا قليلا انكم مجرمون) حال من المكذبين اى الويل ثابت لهم فى حال مايقال لهم ذلك تذكيرا لهم بحالهم فى الدنيا و بما جنوا على انفسهم من ايثار المتاع القليل على النعيم المقيم (ويل يومئذ للمكذبين) حيث عرّضوا انفسهم للعذاب الدائم بالتمتع القليل (و اذا قيل لهم اركعوا) اطيعوا و اخضعوا او صلوا او اركعوا فى الصلاة اذ روى انه نزل حين امر رسول الله صلى الله عليه و سلم ثقيفا بالصلاة فقالوا لانجبى فانها مسبة وقيل هو يوم القيامة حين يدعون الى السجود فلا يستطيعون (لا يركعون) لايمتثلون واستدل به على ان الامر للايجاب و ان الكفار مخاطبون بالفروع (ويل يومئذ للمكذبين فبأىّ حديث بعده) بعد القرآن (يؤمنون) اذا لم يؤمنوا به و هو معجز فى ذاته مشتمل على الحجج الواضحة و المعانى الشريفة * قال عليه الصلاة و السلام من قرأ سورة و المرسلات كتب انه ليس من المشركين

(قوله)

﴿ قوله اصله عن ما ﴾ ادغمت النون في الميم لقرب مخرجهما فان اجتماع الحرفين المتجانسين و المتقاربين في الكلام يوجب ضربا من الثقل فيدفع بطريق من الطرق ومن جملة طرق دفعه الادغام لانه يورث ضربا من الخفة وأحد المتقاربين لا يدغم في الآخر الا بعد قلبه بالآخر تحقيقا للالة الموجبة للادغام ﴿ قوله لما مر ﴾ اى من ان حروف الجر اذا دخلت على ما الاستفهامية تحذف ألفها تخفيفا لفظ الكثير التداول وفرقا بين ما الاستفهامية و الاسمية نحو لم وبم والى م وعم وعلى م ونحوها وقرئ عن ما باثبات الالف على الاصل كما في قول حسان

* على ما قام يشتمني لئيم * كخنزير تمرغ في رماد *

وطرح الالف اكثر استعمالا من اثباتها فان قلت الميم حرف شفوى ومخرج النون ما بين طرف اللسان و مافوق الثنايا العليا فلا تقارب بينهما في المخرج فما سبب الادغام فقلنا لم الا ان فيهما غنة و الغنة قد جعلتهما كالمتقاربين في المخرج والغنة مرة تخرج من الخيشوم ومرة تخرج من الفم وقيل الغنة صوت في الخيشوم و الاغن الذى يتكلم من قبل خياشيمه ﴿ قوله كأنه لفخامته خفى جنسه فيسأل عنه ﴾ يعنى ان كلمة ما سواء كانت لشرح المفهوم او كشف الشئ المعلوم الوجود اداة للطلب والسؤال يطلب بها شرح المفهوم او كشف الحقيقة العينية والمطلوب لابد ان يكون مجهولا عند الطالب لئلا يلزم تحصيل الحاصل هذا اصل تلك الكلمة ثم انها قد تطلق على الشئ العظيم الشان المعظم القدر وان لم يكن مجهولا عند المتكلم على طريق الاستعارة تشبيها له بالمجهول المسئول عنه من حيث انه لفخامته و عظم شأنه صار كأنه عجز العقل عن ان يحيط بكنهه فيسأل عنه كالاشياء التى جهلت مفهوماتها او حقائقها فطلبت بما و لاجل هذه المشابهة استعمل فيه كلمة ما ايضا مجازا حيث جردت عن معنى الاستفهام و لم تستعمل فيه ومنه قوله تعالى الحاقة ما الحاقة القارعة ما القارعة ما يجيبن ما العقبة و نحوها فان كلمة ما فيها لمجرد التفخيم ﴿ قوله او يسألون ﴾ يعنى يجوز ان تكون صيغة التفاعل في الآية على اصلها من الدلالة على ان اصل الفعل بين اثنين فصاعدا بان يكون كل منهما فاعلا له من وجه و مفعولا من وجه كالتخاصم و التقاتل وان يكون بمعنى الفعل الثلاثى بان يكون المرفوع بها فاعلا ليس الا مثل يتداعونهم بمعنى يدعونهم وقال الامام التساؤل هو ان يسأل بعضهم بعضا كالتقاتل و قد استعمل ايضا في ان يتحدثوا به و ان لم يكن من بعضهم لبعض سؤال قال تعالى و اقبل بعضهم على بعض يتساءلون قال قائل منهم انى كان لى قرين يقول أئنك لمن المصدقين فهذا على معنى التحدث فيكون معنى الكلام عم يتحدثون وهذا قول الفراء انتهى كلامه ولم يتعرض لكونه بمعنى يتساءلون ﴿ قوله او الناس ﴾ عطف على قوله لاهل مكة و الظاهر ان المراد بالناس اهل ذلك العصر من الكفار و المؤمنين اما المؤمنون فيتساءلون ويسألون عنه ليزدادوا يقينا في ايمانهم بالبعث واما الكفار فعلى سبيل السخرية وايراد الشكوك والشبهات الا ان قول المصنف فيما بعد كلا سيعلمون ردع للمتسائل او وعيد عليه يستدعى ان يحمل الناس على ما يعم اهل مكة و غيرهم من الكفار فقط فان قلت فما تصنع حينئذ بقوله فيه مختلفون مع ان الكفار كانوا متفقين في انكار الحشر فان منهم من يقطع بعدم بعثه ويقول ان هى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيى و مانحن بمبعوثين ومنهم من يشك فيه و يقول ما نظن الساعة قائمة ولئن رجعت الى ربى ان لى عنده للحسنى وجمهور النصارى بعد اختلافهم على الوجه المذكور يثبتون المعاد الروحانى والمشركون لا يثبتونه و يختلفون في المعاد الجسمانى ﴿ قوله بيان لشأن المفخم ﴾ فتكون عن الاولى متعلقة بيتساءلون المذكورة و الثانية متعلقة بمضمر يدل عليه هذا الظاهر فالمعنى على اى شئ يتساءلون على سبيل تفخيم المسئول عنه و تعظيمه ثم بين ذلك المفخم فقال عن النبأ العظيم اى يتساءلون عن النبأ العظيم حذف متعلق الثانى لدلالة الاول عليه ﴿ قوله او صلة يتساءلون ﴾ اى و يجوز ان تكون عن الثانية متعلقة بيتساءلون المذكور فحينئذ تكون عم متعلقة بيتساءلون المضمر الذى يفسره الظاهر فيتم الكلام بقوله عم مع متعلقه المضمر ويكون مابعده مفسرا له ويكون التعرض لفخامة شأن المسئول عنه مقصودا بالعرض و يدل على هذا الوجه قرآءة من قرأ عمه بهاء السكت فان هذه القرآءة تدل على انه وقف على عمه و ابتدأ يتساءلون عن النبأ فهو يقتضى ان يتم الكلام عند قوله عم بان تكون كلمة عن متعلقة بمضمر يفسر بما بعده فيكون مابعده كلاما مبتدأ و انما وقف بهاء السكت لان ألف ما الاستفهامية لما حذفت جعلت فتحة الميم دليلا على الالف المحذوفة فوقف عليها بالهاء حفظا لتلك الفتحة عن السقوط حال الوقف وهذه هى القاعدة المطردة في جميع ما وقف عليه بهاء السكت ﴿ قوله بجزم النفى والشك فيه ﴾ متعلق بيختلفون وهذا على تقدير ان يكون

﴿ سورة النبأ مكية وآيها اربعون ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(عم يتساءلون) اصله عن ما فحذف الالف لما مر ومعنى هذا الاستفهام تفخيم شأن ما يتساءلون عنه كأنه لفخامته خفى جنسه فيسئل عنه والضمير لاهل مكة كانوا يتساءلون عن البعث فيما بينهم او يسألون الرسول صلى الله عليه وسلم و المؤمنين عنه استهزاء كقولهم يتداعونهم ويتراأونهم اى يدعونهم ويرونهم او للناس (عن النبأ العظيم) بيان لشأن المفخم او صلة يتساءلون وعم متعلق بمضمر مفسر به ويدل عليه قرآءة يعقوب عمه (الذى هم فيه مختلفون) بجزم النفى والشك فيه او بالاقرار والانكار

ضمير يتساءلون لاهل مكة فانهم كما مرّ ليسوا بمتفقين على انكار الحشر بل منهم من ينفيه جزما ومنهم من يشك فيه وقوله او بالاقرار والانكار على تقدير ان يكون الضمير للناس كافة فانهم مختلفون فيه يقرّ به المسلمون وينكره الكافرون ﴿ قوله ردع ووعيد ﴾ يعنى ان كلا ردع عن التساؤل هزؤا وسيعلمون وعيد للمتسائلين بانهم سوف يعلمون عاقبة استهزائهم ﴿ قوله وثم للاشعار بان الوعيد الثانى اشدّ ﴾ يعنى ان لفظة ثم موضوعة للتراخى الزمانى وقد تستعمل فى التراخى الرتبى اى التباعد مابين المعطوف والمعطوف عليه فى الرتبة تشبيها لتباعد الرتبة بالتباعد زمانا والمعنى المجازى هو المراد ههنا لان المقام مقام التهديد والتشديد وزيادة التهديد انما تكون بالحمل على التراخى الرتبى ثم انه تعالى لما هددهم على استهزائهم بامر البعث والجزاء وبخهم بقلة الدين ومخالفة العقل بان ذكرهم بعض مايانوا مما يدل على كمال قدرته ووفور علمه وحكمته كأنه قيل من بلغ علمه وحكمته وقدرته الى هذه الغاية كيف يصح ان يفعل فعلا عبثا وماينكرونه من البعث والجزاء يستلزم كونه تعالى عابثا فى كل فعل ﴿ قوله مصدر سمى به مايمهد ﴾ اى يبسط يقال مهدت الفراش مهدا اذا بسطته ووطأته وسمى به مهد الصبى تسمية للمفعول بالمصدر كضرب الامير والمراد الفراش وهو فى الاصل مصدر ماهدت بمعنى مهدت كسافرت بمعنى سفرت الماق على الارض الممهدة اى ألم نجعل الارض بساطا ممهودا يتقلبون عليها كما يتقلب الرجل على بساطه ومهادا مفعول ثان لجعل ان كان الجعل بمعنى التصيير وحال مقدرة ان كان بمعنى الخلق واوتادا ايضا يحتملهما ومعنى جعل الجبال اوتادا للارض ارساؤها بالجبال لتسكن ولاتميل باهلها كما يرسى البيت بالاوتاد فهو من باب التشبيه البليغ ﴿ قوله قطعا عن الاحساس والحركة ﴾ لما طعن بعض الملاحدة فى هذه الآية بان قالوا السبات هو النوم والمعنى وجعلنا نومكم نوما اجاب عنه بوجهين الاوّل ان السبت فى اللغة يجيء لمعان منها الراحة ومنها القطع يقال سبت شعره سبتا اى قطعه وحلقه ومنه سمى يوم السبت لانقطاع الايام عنده وسمى النوم سباتا لكونه مقطوعا عن الاحساس والحركة ولان النوم يقطع التعب والكلال فكان نعمة عظيمة لذلك حسن ذكره فى اثناء تعداد النعم الجليلة والثانى الاانسلم ان السبات هو النوم بل هو الموت وفى الصحاح والمسبوت الميت والمغشى عليه فالمعنى وجعلنا النوم موتا واستدل على صحة هذا المعنى بقوله لانه احد التوفيين لقوله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها قال الامام وهذا القول عندى ضعيف لان الاشياء المذكورة فى هذه الآيات من جلائل النعم فلايليق ذكر الموت فى اثنائها ولعل المصنف اشار الى دفعه بقوله لانه احد التوفيين فان الذى لايليق ذكره فى هذا المقام هو التوفى بمعنى الموت حقيقة ولايمكن ان يكون المراد بالآية على تقدير ان يفسر السبات بالموت مايفهم من ظاهرها بل هى من قبيل التشبيه البليغ وذلك لان الموت انما يكون بانقطاع الروح عن البدن والنوم يكون بانقطاع اثر الحواس الظاهرة واستراحة القوى الحيوانية مع بقاء الروح فى البدن فهما متباينان فكيف يكون احدهما هو الآخر فلابد من حملها على التشبيه البليغ والحال ان التشبيه بالموت نعمة جليلة يليق ذكرها فى مقام تعداد النعم وكذا الكلام فى قوله تعالى وجعلنا الليل لباسا فانه ايضا من قبيل التشبيه البليغ ﴿ قوله وقت معاش ﴾ يعنى ان قوله تعالى معاشا اسم زمان بمعنى وقت التعيش ولفظ معاش فى عبارة المصنف مصدر ميمى يقال عاش يعيش عيشا ومعاشا ومعيشة وعيشة والكل بمعنى ثم فسر وقت التعيش بوقت التقلب لتحصيل مايعاش به فقولنا النهار وقت تعيش معناه وقت تحصيل اسباب التعيش وهذا التفسير مبنى على ان يفسر السبات بالقطع عن الاحساس والحركة فتحصل المقابلة بين السبات والمعاش فانه لما فسر السبات بالقطع عن الحركة فسر المعاش بما يتضمن الحركة لتحصل المقابلة ﴿ قوله او حياة تبعثون فيه عن نومكم ﴾ مبنى على ان يفسر السبات بالموت رعاية للمطابقة بينهما وقضية المطابقة انما تتم ان لو قيل وجعلنا يقظتكم حياة الا انه عبر عن اليقظة بالنهار لكونه مستلزما لها غالبا ﴿ قوله السحائب ﴾ ان فسرت المعصرات بالسحائب تكون اسم فاعل من اعصرت السحائب اذا حان لها ان تعصرها الرياح فتمطر ولم تعصرها بعد وهمزة اعصر للحينونة كما فى احصد الزرع اى حان له ان يحصد واعصرت الجارية اى حان لها ان تعصر الطبيعة رحمها للحيض والالكان ينبغى ان يقرأ المعصرات بفتح الصاد على انه اسم مفعول لان الرياح تعصرها وان فسرت المعصرات بالرياح يكون ايضا اسم فاعل من اعصرت الرياح اذا حان لها ان تعصر السحاب والهمزة للحينونة ايضا لا للتعدية لانه يتعدى بنفسه واما اذا كانت بمعنى الرياح ذوات الاعاصير فهمزة افعل حينئذ تكون للصيرورة فيكون اسم فاعل

(كلا سيعلمون) ردع عن التساؤل ووعيد عليه (ثم كلا سيعلمون) تكرير للمبالغة وثم للاشعار بأن الوعيد الثانى اشدّ وقيل الاوّل عند النزع والثانى فى القيامة او الاوّل للبعث والثانى للجزاء وعن ابن عامر ستعلمون بالتاء فيهما على تقدير قل لهم ستعلمون (ألم نجعل الارض مهادا والجبال اوتادا) تذكير ببعض ماعاينوا من عجائب صنعه الدالة على كمال قدرته ليستدلوا بذلك على صحة البعث كما مرّ تقريره مرارا وقرئ مهدا اى انها لهم كالمهد للصبىّ مصدر سمى به مايمهد للنوم عليه (وخلقناكم ازواجا) ذكرا وانثى (وجعلنا نومكم سباتا) قطعا عن الاحساس والحركة استراحة للقوى الحيوانية وازاحة لكلالها او موتا لانه احد التوفيين ومنه المسبوت للميت واصله القطع ايضا (وجعلنا الليل لباسا) غطاء يستتر بظلمته من اراد الاختفاء (وجعلنا النهار معاشا) وقت معاش تتقلبون فيه لتحصيل ماتعيشون به او حياة تبعثون فيه عن نومكم (وبنينا فوقكم سبعا شدادا) سبع سموات اقوياء محكمات لايؤثر فيها مرور الدهور (وجعلنا سراجا وهاجا) متلألئا وقادا من وهجت النار اذا اضاءت او بالغا فى الحرارة من الوهج وهو الحرّ والمراد الشمس (وانزلنا من المعصرات) السحائب اذا اعصرت اى شارفت ان تعصرها الرياح فتمطر كقولك احصد الزرع اذا حان له ان يحصد ومنه اعصرت الجارية اذا دنت ان تحيض او من الرياح التى حان لها ان تعصر السحاب او الرياح ذوات الاعاصير

من اعصرت الريح اى صارت ذات اعصار وهى الريح التى تستدير فى الارض ثم ترتفع الى السماء كالعمود وقيل هى ريح تثير سحابا فيه رعد وبرق ﴿ قوله وانما جعلت مبدأ للانزال ﴾ اى انزال الماء * جواب عما يقال كيف جاز ان تفسر المعصرات بالرياح وهى ليست مبدأ لانزال الماء بل المبدأ لانزاله هو السحاب * وتقرير الجواب ان الرياح وان لم تكن مبدأ قريبا لانزال الماء الا انها سبب لتكون مبدئه الذى هو السحاب لانه انما يتكون وينشأ وتمتلئ اخلافه بالمطر بهبوب الرياح فصح ان تجعل مبدأ للانزال بهذا الاعتبار ﴿ قوله ويؤيده ﴾ اى يؤيد كون المعصرات بمعنى الرياح وان كونها مبدأ للانزال باعتبار كونها سببا لتكون مبدئه القريب قراءة من قرأ بالمعصرات بدل من المعصرات ووجه التأييد ان الباء للسببية والسببية فى المبدأ الاول الذى هو الريح اظهر منها فى المبدأ المادى وهو السحاب ﴿ قوله يقال ثجه وثج بنفسه ﴾ يعنى ان ثج قد يكون لازما بمعنى انصب بنفسه وقد يكون متعديا بمعنى صبه غيره كما فى الحديث فان معناه افضل اعمال الحج رفع الصوت بالتلبية وصب دم الهدى واختار المصنف كون ثجاجا فى الآية مبالغة اسم الفاعل من ثج اللازم حيث قال فى تفسيره منصبا بكثرة واختار الزجاج كونه من المتعدى حيث قال معناه صبابا كانه يثج نفسه اى يصبها وايا ما كان فالمراد تتابع القطر حتى يكثر الماء فيعظم النفع به ﴿ قوله وقرئ ثجاحا ﴾ بالجيم ثم بالحاء قراءة الاعرج وفهم من قوله ومثاجح الماء مصابه ان ثجح متعد بمعنى صب لا بمعنى انصب ومضارعه يثجح ويقال انثجح الماء فى الوادى اى سال فقوله ثجاحا بالحاء مرادف الثجاج المأخوذ من المتعدى كما اختاره الزجاج ﴿ قوله ما يقتات به ﴾ القوت بالضم ما يقوم بدن الانسان كالحنطة والشعير ونحوهما اى لنخرج به حبا يكون قوتا للانسان كالحنطة والشعير ونحوهما ونباتا يكون علفا للحيوان كالبقل والحشيش وجنات ألفافا ليتفكه بها الانسان والجنات الحدائق الملتفة الاشجار قدم الحب لانه هو الاصل فى الغذاء وثنى بالنبات لاحتياج سائر الحيوانات اليه واخرت الجنات فى الذكر لانعدام الحاجة الضرورية الى الفواكه ﴿ قوله جمع لف ﴾ اختلفوا فى الالفاف فذهب صاحب الكشاف الى انه لا واحد له كالاوزاع والاخياف فان الاوزاع الجماعات المتفرقة وكذا الاخياف للاخوة من آباء شتى وام واحدة وكثير من اهل اللغة اثبتوا له واحدا ثم اختلفوا فى واحده قال الاخفش والكسائى واحدها لف بالكسر كجذع واجذاع وقيل واحده لف بالضم وهو جمع لفاء كخمر فى جمع حمراء فيكون ألفافا جمع الجمع كخضراء وخضر واخضار واستبعد صاحب الكشاف هذا الاحتمال بناء على ان الجموع التى جاءت على وزن فعل لا تجمع على افعال فلا يقال فى جمع حمر احمار ولا فى خضر اخضار فالقول بان ألفافا جمع لف مخالف للقياس وفى هذا الاستبعاد نظر لان الجمع لا يجمع بالقياس الى نظائره من الجموع بل يكون له نظير فى المفردات فلفظ لف لما كان نظير كقفل وشغل من حيث الوزن صح ان يجمع على الفاف ولا يضره عدم استعمال احمار واخضار ثم قال صاحب الكشاف ولو قيل هو جمع ملتفة بتقدير حذف الزوائد لكان قولا وجيها وقال صاحب الكشف وفيه انه لا نظير له ايضا لان تصغير الترخيم ثابت واما جمعه فلا انتهى يعنى ان القول بان ألفافا جمع ملتفة بتقدير حذف الزوائد لا نظير له ايضا وكانه قاس بناء الجمع على تصغير الترخيم وهو ان تحذف الزوائد كلها من الاسم ثم تصغره على ما بقى نحو ان يقال حميد فى احمد ومحمد ومحمود ولا يبالى بالالتباس اعتمادا على دلالة القرينة ويقال سويد فى اسود وخريج فى مخرج ومثل هذا التصغير يسمى تصغير الترخيم لما فيه من الحذف التخفيف فشبهوه بالترخيم المصطلح ولم يسمع من النحاة ان تحذف زوائد الاسم ثم يجمع ما بقى منه ﴿ قوله كان فى علم الله تعالى او فى حكمه ﴾ لما كان الاصل فى كان الناقصة الدلالة على ثبوت خبرها لفاعلها فى الزمان الذى يدل عليه الفعل بصيغته ماضيا كان او حالا او استقبالا لان كان للماضى ويكون للحال او الاستقبال وكن للاستقبال ومعلوم ان ثبوت الميقاتية ليوم الفصل غير مقيد بالزمان الماضى لانه امر مقدر قبل حدوث الزمان ايضا ولما لم يصح ان يكون المعنى كان ميقاتا فى زمان كذا فسره بقوله كان ميقاتا فى علم الله تعالى او فى حكمه ولعل المراد بالحكم القضاء الازلى والتقدير الالهى فهو غير العلم عند الاشاعرة لانه عبارة عن الارادة الازلية المتعلقة بالاشياء على ما هى عليه فيما لا يزال ﴿ قوله حدا توقت به الدنيا ﴾ اى نهاية ينتهى عندها بقاء الدنيا ووقتا يبتدأ فيه احوال الآخرة وتوصيف الحد بما ذكر اشارة الى ان الميقات اخص من الوقت حيث قيده بكونه حدا ينتهى عنده بقاء الدنيا وبكونه حدا ينتهى اليه الخلائق من الجن والانس كالميعاد والميلاد فان كل واحد منهما اخص من مطلق الوقت لتقيد الاول بكونه زمان الوعد والثانى بكونه

وانما جعلت مبدأ للانزال لانها تنشئ السحاب وتدر اخلافه ويؤيده انه قرئ بالمعصرات (ماء ثجاجا) منصبا بكثرة يقال ثجه وثج بنفسه وفى الحديث افضل الحج العج والثج اى رفع الصوت بالتلبية وصب دماء الهدى وقرئ ثجاحا ومثاجح الماء مصابه (لنخرج به حبا ونباتا) ما يقتات به وما يعتلف من التبن والحشيش (وجنات ألفافا) ملتفة بعضها ببعض جمع لف كجذع قال جنة لف وعيش مغدق * او لفيف كشريف او لف جمع لفاء كخضراء وخضر واخضار او ملتفة بحذف الزوائد (ان يوم الفصل كان) فى علم الله او فى حكمه (ميقاتا) حدا توقت به الدنيا وتنتهى عنده او حدا للخلائق ينتهون اليه

(يوم ينفخ فى الصور) بدل اوبيان ليوم الفصل (فتأتون افواجا) جماعات من القبور الى المحشر روى انه عليه السلام سئل عنه فقال تحشر عشرة اصناف من امتى بعضهم على صورة القردة و بعضهم على صورة الخنازير و بعضهم منكوسون يسحبون على وجوههم و بعضهم عمى و بعضهم صم بكم و بعضهم يمضغون ألسنتهم فهى مدلاة على صدورهم يسيل القيح من افواههم يتقذرهم اهل الجمع و بعضهم مقطعة ايديهم و ارجلهم و بعضهم مصلبون على جذوع من نار و بعضهم اشد نتنا من الجيف و بعضهم ملبسون جبابا سابغة من قطران لازقة بجلودهم ثم فسرهم بالقتات واهل السحت وأكلة الربا والجائرين فى الحكم و المعجبين باعمالهم و العلماء الذين خالف قولهم فعلهم و المؤذين جيرانهم و الساعين بالناس الى السلطان و التابعين للشهوات المانعين حق الله و المتكبرين الخيلاء (وفتحت السماء) وشقت وقرأ الكوفيون بالتخفيف (فكانت ابوابا) فصارت من كثرة الشقوق كأن الكل ابواب وفصارت ذات ابواب (وسيرت الجبال) اى فى الهواء كالهباء (فكانت سرابا) مثل سراب الاترى على صورة الجبال ولم تبق على صورة حقيقتها لتفتت اجزآئها وانبثاثها (ان جهنم كانت مرصادا) موضع رصد يرصد فيه خزنة النار الكفار او خزنة الجنة المؤمنين ليحرسوهم من فيحها فى مجازهم عليها كالمضمار فانه الموضع الذى يضمر فيه الخيل او مجدّة فى ترصد الكفرة لئلا يشذ منها واحد كالمطعان و قرئ ان بالفتح على التعليل لقيام الساعة (للطاغين مآبا) مرجعا ومأوى

زمان الولادة وقيل الميقات زمان مقيد بكونه وقت ظهور ما وعدالله من الثواب والعقاب او بكونه وقتا لاجتماع الخلائق فى موقف الحساب لما فصل مايدل على صحة البعث وامكانه اتبعه بذكر ان يوم الفصل حدّ ينتهى عنده هذا النظام المحسوس ﴿قوله او بيان ليوم الفصل﴾ يحتمل ان يكون المراد به انه عطف بيان ليوم الفصل وانه منصوب بتقدير اعنى و افواجا حال من فاعل تأتون وهذا النفخ هى النفخة الاخيرة التى عندها يكون الحشر والنفخ فى الصور اما بمعنى نفخ الارواح فى اجساد الاموات فيكون الصور جمع صورة نحو بسر فى جمع بسرة واما بمعنى نفخ اسرافيل عليه الصلاة والسلام فى القرن والصور حينئذ اسم مفرد بمعنى القرن الذى ينفخ فيه للبعث ﴿قوله تحشر عشرة اصناف من امتى﴾ فان قيل لم يذكر هيئة حشر المتقين من امته عليه الصلاة والسلام حتى يكون الاصناف المحشورون احد عشر صنفا قلت لعل الوجه فيه انه لايخفى على احد ان المتقين يحشرون على الصور الحسنة ثم انهم وان كانوا اصنافا كثيرة على حسب اختلاف الاعمال الحسنة والاخلاق المرضية الا ان اهتمام السائل لايتعلق ببيان تفصيلهم بحسب صورتهم الحسنة وتفصيل ما ادّى الى ان يحشروا عليها من الاعمال الصالحة والاخلاق المرضية بل مطمح نظره ونهاية قصده واهتمامه معرفة هيئاتهم القبيحة المنكر ومعرفة ما كان سببا لان يحشروا عليها فلذلك فصل هيئات اهل المعاصى مع بيان الاسباب المؤدية اليها ولم يتعرض لهيئات الصالحين تفصيلا بل اكتفى بالاشارة الاجمالية بقوله من امتى بمن التبعيضية ﴿قوله منكوسون﴾ النكس مقابل هيئة القيام على الرجل بان يجعل الرجل اعلى والرأس اسفل ﴿قوله ثم فسرهم بالقتات﴾ جمع قات وهو النمام وهو تفسير الذين يحشرون على صورة القردة والثانى والثالث وهكذا على ترتيب اللف والنشر وبيان المناسبة بين معاصيهم وبين الصور التى يحشرون عليها يفضى الى تطويل الكلام فيطلب بيانها من علم التفسير ﴿قوله وشقت﴾ اى تصدعت بعد ان كانت شدادا لافطور فيها فيكون قوله وفتحت السماء ههنا بمعنى اذا السماء انشقت واذا السماء انفطرت بناء على ان الفتح والتشقيق والتفطير متقاربة المعنى ﴿قوله فصارت من كثرة الشقوق كأن الكل ابواب﴾ لما لم يمكن حمل قوله تعالى فكانت ابوابا على ظاهره لان نفس السماء اذا كانت بكليتها ابوابا لم يبق فيها ما يعقد تلك الابواب عليها حمله اوّلا على التشبيه البليغ للمبالغة فى كثرة ابوابها فان تلك الابواب لما كثرت جدا صارت السماء كأنها ليست الا ابوابا مفتوحة كقوله تعالى وفجرنا الارض عيونا اى كثرنا العيون فى الارض بحيث صارت كأنها بكليتها عيون تتفجر وثانيا حمله على حذف المضاف اى فكانت ذوات ابواب ﴿قوله مثل سراب﴾ ووجه الشبه ما اشار اليه بقوله الاترى على صورة الجبال فان من يرى السراب من بعيد يحسبه ماء فاذا جاء الموضع الذى رآه فيه لم يجده شيأ فكذلك الجبال تصير فى عين الرائى كأنها جبال وليست كذلك فى نفس الامر لتفرق اجزآئها وانبثاث جواهرها وصيرورتها كالعهن المنفوش ثم تتقطع وتبدد فتصير هباء بامتناع استقرارها فى مواضعها ثم تنسف وتقلع من مواضعها كما قال تعالى فقل ينسفها ربى نسفا ثم ترفعها الرياح عن وجه الارض فتطيرها فى الهوآء كأنها غبار كما قال وهى تمر مر السحاب واعلم ان الاحوال المذكورة الى هنا احوال طامة القيامة ومن ههنا شرع فى وصف احوال جهنم واهوالها فقال ان جهنم كانت مرصادا والمرصاد يحتمل ان يكون اسما للمكان الذى يرصد فيه الراصد العدوّ اى يرقبه كالمضمار فانه اسم للمكان الذى تضمر فيه الخيل ويطلق على المدة التى تضمر فيها الخيل ايضا وهى اربعون يوما والضمر الهزال وخفة اللحم وتضمير الفرس ان يعلفه حتى يسمن ثم يرده الى القوت وذلك يتم فى اربعين يوما وفى الصحاح الراصد للشئ الراقب له تقول رصده يرصده رصدا ورصدا والترصد الترقب والرصد ايضا القوم الذين يرصدون كالحرس يستوى فيه الواحد والجمع والمؤنث والمرصاد الطريق انتهى مافيه ويحتمل ان يكون المرصاد من ابنية المبالغة كالمعطار والمطعان والمعمار فالمعنى ان جهنم تبالغ وتجدّ فى ترصد اعداء الله تعالى لئلا يشذ منها واحد والمصنف اشار الى هذا الاحتمال بقوله او مجدّة فى ترصد الكفرة ويجوز ان تكون العبارة او محدّدة بالحاء المهملة من احددت النظر اذا توجهت ونظرت بالحدّ والاحكام فيكون المرصاد بمعنى المبالغ فى النظر الى الكفار لئلا يشذ منهم احد وقوله كانت معناه انها كانت فى حكم الله تعالى مرصادا اى موضع ترصد او مجدّة فيه وقيل انها بمعنى صارت مرصدا ﴿قوله على التعليل لقيام الساعة﴾ المدلول عليه بقوله يوم ينفخ فى الصور فتأتون افواجا كأنه قيل ان يوم الفصل وقت تنتهى عنده الدنيا وتقوم الساعة فيه اووقت تنتهى اليه الخلائق لان جهنم مرصاد لتجزى كل نفس بما كسبت لان الترقب لايكون الا لاقامة الجزاء

(وقوله)

وقوله مرصادا خبر كانت وما آبا يجوز ان يكون خبرا بعد خبر وان يكون بدلا من مرصادا اى انها كانت مرصادا لهم وحدا لايتجاوزونه ثم ان كان مرصادا بمعنى مجدّا فى ترصد الكفرة يكون قوله للطاغين متعلقا بمرصادا وان كان اسم مكان بمعنى كانت موضع ترصد خزنة النار الكفار يجوز ان يكون للطاغين صفة لمرصادا وان يكون حالا من مآبا وكان فى الاصل صفة فلما قدّم عليه انتصب حالا وعلى التقديرين يكون متعلقا بمحذوف وان كان بمعنى كانت موضع ترصد خزنة الجنة المؤمنين ليحرسوهم من فيحها لايجوز ان يكون للطاغين صفة لمرصادا بل يكون حالا من مآبا ليكون قوله تعالى ان جهنم كانت مرصادا كلاما تاما يصح الوقف عليه ويكون قوله للطاغين مآبا كلاما مبتدأ ولعل المصنف اختار هذا الاحتمال حيث وصل قوله تعالى للطاغين بقوله مآبا ثم انه تعالى لما بين ان جهنم كانت مآبا للطاغين بين كيفية استقرارهم هناك فقال لابثين فيها احقابا وهو حال من المقدر المنوى فى قوله للطاغين اى مقدرين اللبث فيها واحقابا ظرف زمان لقوله لابثين ومعموله والاحقاب جمع حقب بضمتين وهو الدهر ومنه قوله تعالى او امضى حقبا نقل الامام عن الفرآء انه قال اصل الحقب من الترادف والتتابع يقال احقب اذا اردف ومنه الحقيبة واحتقبه واستحقبه بمعنى اى احتمله ومنه قيل احتقب فلان الاثم كأنه يجمعه واحتقبه من خلفه فلذلك فسر المصنف قوله احقابا بقوله دهورا متتابعة اى يتبع بعضها بعضا والحقب بالضم والسكون ثمانون سنة قال الحسن لم يجعل الله تعالى لاهل النار مدة بل قال احقابا فوالله ماهو الا انه اذا مضى حقب دخل آخر ثم آخر كذلك الى الابد وقال المفسرون الحقب الواحد بضع وثمانون سنة السنة ثلاثمائة وستون يوما اليوم الف سنة من ايام الدنيا ﴿ قوله وان كان فيه الخ ﴾ اى وان كان فيه مايدل على خروجهم منها فذلك الخروج من قبيل المفهوم ﴿ قوله ولو جعل قوله تعالى لايذوقون فيها الخ ﴾ جواب ثان عما يرد على قوله تعالى لابثين فيها احقابا وهو دلالته على خروج الكفار منها وتقرير الجواب ههنا ان احقابا المنكر يدل على التناهى وعدم التتابع الى ما لا نهاية له لكن تناهى الاحقاب انما يستلزم تناهى اللبث المقيد بمضمون الحال وتناهى اللبث المقيد لايستلزم تناهى مطلق اللبث حتى يستلزم الخروج ﴿ قوله او نصب احقابا بلايذوقون ﴾ جواب رابع تقريره ماذكرتم من ان تناهى الاحقاب يدل على تناهى اللبث فيها المستلزم لخروجهم منها موقوف على قول من يرى تقديم معمول مابعد فلا لاعلها لجبئذ لايكون فيه دلالة على تناهى اللبث والخروج حيث لم يكن احقابا ظرف اللبث ﴿ قوله ويجوز ان يكون جمع حقب ﴾ اى بكسر القاف وهو جواب خامس عنه وتقريره ان ماذكرتم مبنى على ان يكون احقابا ظرفا للابثين وليس بلازم لجواز ان لايكون ظرفا اصلا بل يكون حالا من الضمير المستكنّ فى لابثين بمعنى حقبين اى مجدبين يقال حقب عامنا اذا قل مطره وخيره وحقب فلان اذا اخطأه الرزق فهو حقب فعلى هذا يكون قوله لايذوقون فيها بردا ولا شرابا تفسيرا لتكذيبهم ولا يتوهم حينئذ تناهى مدة لبثهم فيها حتى يحتاج الى التوجيه ﴿ قوله والمراد بالبرد مايروّحهم ﴾ كأنه اشار الى جواب ما يقال انهم يذوقون فيها برد الزمهرير فكيف قيل انهم لايذوقون فيها بردا ولا شرابا وتقرير الجواب انّ بردا وان كان نكرة واقعة فى سياق النفى المقتضى العمومية فى كل برد الا انه خص بالبرد النافع المروّح لقيام المخصص وقوله ولا شرابا اى ولا ماء باردا تخصيص بعد التعميم لكمال الماء البارد فى الترويح وقوله الا حميما وغساقا استثناء منقطع لان الحميم والغساق ليسا من جنس الشراب المروّح فى تسكين العطش فى شئ والحميم الماء الحار الذى انتهى حرّه والغساق صديد اهل النار ﴿ قوله او النوم ﴾ سمى النوم بردا لانه يبرد صاحبه الا ترى ان العطشان اذا نام سكن عطشه ومن امثال العرب منع البرد البرد اى اصابنى من البرد مامنعنى من النوم ﴿ قوله اى جوزوا بذلك جزآء ذا وفاق ﴾ على ان جزآء مصدر مؤكد لفعله المحذوف وقوله وفاقا صفة لجزآء بتقدير المضاف اى جزآء ذا وفاق او بان وصف الجزآء بنفس الوفاق للمبالغة فى وفاقه لاعمالهم ﴿ قوله او وافقها وفاقا ﴾ على ان يكون وفاقا مصدرا مؤكدا لفعله المحذوف بجزآء فتكون الجملة صفة جزآء والتقدير جوزوا بذلك جزآء وافق اعمالهم وفاقا وجه الموافقة بينهما انهم أتوا بمعصية عظيمة وهى الكفر فعوقبوا عقابا عظيما وهو التعذيب بالنار ابدا ﴿ قوله بيان لما وافقه هذا الجزآء ﴾ اى بيان للاعمال القبيحة الناشئة عن فساد القوة العملية فان من لايخاف البعث والحساب يرخى عنان هواه فلا يمتنع عن ارتكاب المنكرات ولا يرغب فى التحلى بالطاعات ولما كان الحساب من اشق الامور واصعبها على الانسان وكان الشئ الصعب الشاق لايقال فيه انه يرجى بل يقال انه يخشى ويخاف قال كثير من المفسرين ان قوله تعالى انهم كانوا

(لابثين فيها) وقرأ حمزة وروح لبثين وهو ابلغ (احقابا) دهورا متتابعة وليس فيه مايدل على خروجهم منها اذ لو صح ان الحقب ثمانون سنة او سبعون الف سنة فليس فيه مايقتضى تناهى تلك الاحقاب لجواز ان يكون المراد احقابا مترادفة كلما مضى حقب تبعه آخر وان كان فمن قبيل المفهوم فلا يعارض المنطوق الدال على خلود الكفار ولو جعل قوله تعالى (لايذوقون فيها بردا ولا شرابا الا حميما وغساقا) حالا من المستكنّ فى لابثين او نصب احقابا بلا يذوقون احتمل ان يلبثوا فيها احقابا غير ذائقين الا حميما وغساقا ثم يبدلون جنسا آخر من العذاب ويجوز ان يكون جمع حقب من حقب الرجل اذا اخطأه الرزق وحقب العام اذا قل مطره وخيره فيكون حالا بمعنى لابثين فيها حقبين وقوله لايذوقون تفسير له والمراد بالبرد مايروّحهم وينفس عنهم حرّ النار او النوم وبالغساق مايغسق اى يسيل من صديدهم وقيل الزمهرير وهو مستثنى من البرد الا انه اخر ليتوافق رؤوس الآى وقرأ حمزة والكسائى وحفص بالتشديد (جزآء وفاقا) اى جوزوا بذلك جزآء ذا وفاق لاعمالهم او موافقا لها او وافقها وفاقا وقرئ وفاقا فعال من وفقه كذا (انهم كانوا لايرجون حسابا) بيان لما وافقه هذا الجزآء

لا يرجون حسابا معناه لا يخافون وكذا قوله تعالى مالكم لا ترجون لله وقارا معناه مالكم لا تخافون عظمة الله تعالى ثم بين فساد قوتهم النظرية فقال وكذبوا بآياتنا كذابا ولا شك ان من فسدت كل واحدة من قوتيه النظرية والعملية وتباعد من كل واحد من الاعتقاد الصحيح والعمل الصالح كان في غاية الرداءة ونهاية الفساد فاستحق ان يعاقب باهول العقاب جزاء وفاقا فان مدة عمره وان كانت متناهية الا ان قبح حاله لما كان غير متناه كان تعذيبه بالنار ابدا موافقا لحاله في عدم التناهي فان ماجوزي به من العذاب وان كان متناهيا من حيث انه تعالى قادر على ما فوقه من مراتب العذاب الا انه غير متناه بحسب المدة لانه مؤبد فكل واحد منهما موافق للآخر في مطلق عدم التناهي ﴿ قوله مطرد شائع ﴾ مثل كلم كلاما وفسر فسارا قال صاحب الكشاف وكنت افسر به فقال بعضهم لقد فسرتها فسارا ما سمع بمثله ﴿ قوله قال فصدقتها وكذبتها ❊ والمرء ينفعه كذابه ﴾ استدل به على ان الكذاب مصدر كذب الثلاثي وان معناه الكذب ووجه الاستدلال ان كذابه فيه وقع بعد الفعل الثلاثي فدل ذلك على انه مصدر لذلك الثلاثي ﴿ قوله او المكاذبة ﴾ عطف على الكذب في قوله وهو بمعنى الكذب ثم ذكر لكونه بمعنى المكاذبة وجهين الاول ان يكون بناء المفاعلة للمشاركة كما هي الاصل فيه والثاني ان يكون للمبالغة تنبيها على كونهم مبالغين في الكذب مبالغة المغالبين فيه فيكون كذابا مصدر كاذب بمعنى بالغ في الكذب فانه قد يخرج الفعل الواقع من واحد على زنة المفاعلة تنبيها على قوة الفعل وكماله ووجه التنبيه ان الفعل الصادر عن اثنين على طريق مغالبة كل واحد منهما الآخر لابد ان يكون اتم واقوى مما يصدر عن واحد لا مغالب له فيه فاذا اخرج الفعل الصادر ممن لا مغالب له فيه على زنة المفاعلة كان مبناه على تشبيه ذلك الفعل بما صدر من المغالبين في القوة والكمال ﴿ قوله وعلى المعنيين ﴾ وهما كونه بمعنى الكذب والمكاذبة يجوز ان يكون كذابا المخفف حالا من فاعل كذبوا على طريق استعمال المصدر في معنى اسم الفاعل ويؤيده قراءة من قرأ كذابا بضم الكاف وتشديد الذال فانه جمع كاذب كنصار جمع ناصر منصوب على الحال والجملة معطوفة على قوله وانما اقيم مقام التكذيب بمعنى ان كذابا المخفف يجوز ان يكون منصوبا على انه مفعول مطلق لكذبوا المشدد لتضمنه معنى الكذب بناء على ان كل من كذب الحق فهو كاذب ويجوز ان يكون منصوبا على الحالية ﴿ قوله ويجوز ان يكون للمبالغة ﴾ عطف على قوله جمع كاذب اى ويجوز ان يكون كذابا بالضم والتشديد صيغة مبالغة بمعنى الواحد البليغ في الكذب نحو رجل كبار وشاب حسان وذلك الواحد البالغ في الكذب هو مصدر كذبوا والمعنى وكذبوا بآياتنا كذابا اى تكذيبا مفرطا كذبه ﴿ قوله وقرئ بالرفع على الابتداء ﴾ وقراءة الجمهور بالنصب على انه من باب ما اضمر عامله على شريطة التفسير وهو الاولى في هذا المقام بتقديره جملة فعلية ❊ قال ابن الحاجب ويختار النصب بالعطف على جملة فعلية للتناسب نحو جاءني زيد وعمرا اكرمته ثم انه تعالى لما بين ان ما يوجب الجزاء المذكور وهو فسادهم بحسب قوتيهم العلمية والنظرية بين ان تفاصيل احوالهم الفاسدة عملا واعتقادا معلومة له فقال وكل شئ احصيناه كتابا وهذه الجملة معترضة بين السبب ومسببه فان قوله فذوقوا مسبب عن تكذيبهم والاصل وكذبوا بآياتنا كذابا فذوقوا وفائدة الاعتراض تقرير ما ادعاه من قوله جزاء وفاقا كأنه قال انا عالم بجميع ما فعلوه على وجه جزئي فاجازيهم جزاء وفاقا لاعمالهم وما انا بظلام للعبيد ﴿ قوله وفي الحديث هذه الآية اشد ما في القرآن على اهل النار ﴾ لانها تدل على انهم كلما استغاثوا من نوع من العذاب اغيثوا باشد منه فتكون كل مرتبة منه متناهية في الشدة وان كانت مراتبه غير متناهية بحسب العدد والمدة كما اشرنا اليه سابقا ثم انه تعالى لما ذكر وعيد الكفار اتبعه ذكر ما وعد للابرار فقال ان للمتقين مفازا وهو يحتمل ان يكون مصدرا ميميا بمعنى الفوز بما يبتغى ويطلب فيكون حدائق بدل اشتمال منه وان يكون اسما لمكان الفوز وهو الجنة فيكون حدائق بدل البعض والحدائق جمع حديقة وهي كل بستان محوط عليه من قولهم احدقوا به اى احاطوا به وتنكير اعنابا لتعظيم حالها ﴿ قوله فلكت ثديهن ﴾ اى استدارت فصارت كالكعب في النتو يقال فلكت ثدي الجارية تفليكا اى استدارت كفلكة المغزل ﴿ قوله لدات ﴾ اى مستويات في السن واحدتها ترب وواحدة لدات لدة والهاء فيها عوض عن الواو الذاهبة من اوله لانها من الولادة ﴿ قوله ملأى ﴾ فدهاقا مصدر على وزن فعال بمعنى مدهق اى ممتلئ وصف به الكأس للمبالغة في امتلائها ﴿ قوله تعالى لا يسمعون فيها لغوا ﴾ اللغو هو ما يصدر من الكلام في اثناء الشرب بخلاف اهل الجنة فانهم اذا شربوا لا تتغير عقولهم فلا يتكلمون بلغو من نحو الهذيان والصياح والعربدة ولا يكذب

(وكذبوا بآياتنا كذابا) تكذيبا وفعال بمعنى تفعيل مطرد شائع في كلام الفصحاء وقرئ بالتخفيف وهو بمعنى الكذب كقوله
فصدقتها وكذبتها ❊
والمرء ينفعه كذابه ❊
وانما اقيم مقام التكذيب للدلالة على انهم كذبوا في تكذيبهم او المكاذبة فانهم كانوا عند المسلمين كاذبين وكان المسلمون كاذبين عندهم فكان بينهما مكاذبة او كانوا مبالغين في الكذب مبالغة المغالبين فيه وعلى المعنيين يجوز ان يكون حالا بمعنى كاذبين او مكاذبين ويؤيده انه قرئ كذابا وهو جمع كاذب ويجوز ان يكون للمبالغة فيكون صفة المصدر اى تكذيبا مفرطا كذبه (وكل شئ احصيناه) وقرئ بالرفع على الابتداء (كتابا) مصدر لاحصيناه فان الاحصاء والكتبة يتشاركان في معنى الضبط او لفعله المقدر او حال بمعنى مكتوبا في اللوح او في صحف الحفظة والجملة اعتراض وقوله (فذوقوا فلن نزيدكم الا عذابا) مسبب عن كفرهم بالحساب وتكذيبهم بالآيات ومجيئه على طريقة الالتفات للمبالغة وفي الحديث هذه الآية اشد ما في القرآن على اهل النار (ان للمتقين مفازا) فوزا او موضع فوز (حدائق واعنابا) بساتين فيها انواع الاشجار المثمرة بدل من مفازا بدل الاشتمال او البعض (وكواعب) نساء فلكت ثديهن (اترابا) لدات (وكأسا دهاقا) ملأى وادهق الحوض ملأه (لا يسمعون فيها لغوا ولا كذابا) وقرأ الكسائي بالتخفيف اى كذبا او مكاذبة اذ لا يكذب بعضهم بعضا

بعضهم بعضا فان كذابا بالتشديد بمعنى التكذيب فلا يسمع فيها شئ من ذلك ﴿ قوله يقتضى وعده ﴾ جواب عما يقال انه تعالى جعل ما وعده للمتقين جزآء وعطاء وهو كالجمع بين المتنافيين لان كونه جزآء يستدعى ثبوت الاستحقاق وكونه عطاء يستدعى عدم ثبوته وتقرير الجواب ان ذلك تفضل وعطاء فى نفس الامر وجزآء مبنى على الاستحقاق من حيث انه تعالى وعد به لاهل الطاعة وقوله عطاء بدل الكل من الكل من قوله جزآء لاتحادهما بالذات واختلافهما بحسب المفهوم وفى ابداله منه نكتة لطيفة وهى الدلالة على ان بيان كونه عطاء وتفضلا منه تعالى هو المقصود وبيان كونه جزآء وسيلة اليه وقيل انتصاب عطاء على انه مفعول به لجزآء بمعنى جزاهم عطاء على ان العطاء بمعنى المعطى قيل يلزم عليه انتصاب جزآء على انه مصدر مؤكد لفعله المحذوف كما صرح به المصنف فى مثله والمصدر انما يعمل اذا كان بمعنى ان مع الفعل والمفعول المطلق لا يكون كذلك لان الفعل لا يؤكد بان مع الفعل وانما يؤكد بالمصدر الصريح صرح به سيبويه فى كتابه حيث قال ويعمل عمل فعله ماضيا كان او غيره اذا لم يكن مفعولا مطلقا واجيب عنه بانه لا يلزم من عدم جواز تأكيد الفعل بان مع الفعل لفظا عدم كون المفعول المطلق بمعنى ان مع الفعل فاذا جاز ان يكون المفعول المطلق بمعنى ان مع الفعل جاز ان يكون عاملا وفيه ان هذا الجواب يدفعه قول سيبويه ويعمل عمل فعله اذا لم يكن مفعولا مطلقا ﴿ قوله كافيا ﴾ يعنى ان قوله تعالى حسابا صفة لقوله عطاء على انه مصدر اقيم مقام محسبا بمعنى كافيا من قولهم اعطانى مااحسبنى اى ما كفانى واحسبت فلانا اذا اعطيته مايكفيه حتى قال حسبى ومنه قول ابرهيم عليه الصلاة والسلام حسبى من سؤالى علمه بحالى اى كفانى من سؤالى ﴿ قوله او على حسب اعمالهم ﴾ فيكون ايضا صفة لعطاء اى عطاء كائنا بحسب اعمالهم ومقدارها فحذف الجار ونصب الاسم فحسابا على هذا مصدر حسبته بمعنى عددته وقدرته وفى الصحاح حسبه يحسبه بالضم حسبا وحسابا اذا عده وقدره والظاهر ان يقال على حسب ما وعد للعاملين من اصل الثواب واضعافه فى مقابلة اعمالهم فان الجزآء وقع فى القرآن على ثلاثة اوجه الاول من جاء بالحسنة فله عشر امثالها والثانى مادل عليه آية السنبلة وهو سبعمائة ضعف والثالث مايدل عليه قوله تعالى انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب وقول المصنف او على حسب اعمالهم يفهم منه كون الجزآء مثل العمل وذلك انما يكون فى السيئة لا فى الحسنة والكلام فى جزآء المتقين وجزآؤهم لا يكون مماثلا لاعمالهم البتة فلا بد ان يكون مراده بقوله على حسب اعمالهم كون الاضعاف الموعودة التى هى المراد بالعطاء على حسب اعمالهم بان يجازى كل عمل بما وعد له من الاضعاف ﴿ قوله وقرئ حسابا ﴾ بفتح الحاء وتشديد السين على انه صيغة مبالغة من احسبه كذا اى كفاه وقياس فعال ان يبنى من الثلاثى كصبار وعلام وان يكون مبالغة فاعل وحساب هنا فعال بنى من افعل فى مبالغة مفعل كما يقال اجبره فهو جبار اى مجبر وادرك فهو دراك اى مدرك ثم انه تعالى لما بالغ فى وصف وعيد الكفار ووعد المتقين ختم الكلام بوصف نفسه بسعة الملك وكمال القدرة والسلطنة ونهاية الفضل والرحمة فقال رب السموات والارض ومابينهما ﴿ قوله بدل من ربك ﴾ اختار قرآءة من قرأ بجر لفظى الرب والرحمن على ان الاول بدل من ربك والثانى صفة للاول او لمتبوعه وهذه القرآءة قرآءة ابن عامر وعاصم ثم ذكر ان اباعمرو وابن كثير المكى ونافعا المدنى قرأوا برفع الاول وان اباعمرو برفع الثانى ايضا ثم ذكر ان حمزة والكسائى قرأ بجر الاول ورفع الثانى ولم اعلم مراد المصنف ماهو لاختلاف النسخ فى بيان اعراب هذه الآية وقد ذكر شهاب الدين فى معربه قرأ نافع وابن كثير وابو عمرو برفع رب السموات والرحمن وابن عامر وعاصم بخفضهما والاخوان بخفض الاول ورفع الثانى ويوافقه مافى التفسير للامام النسفى وهو قوله قرأ عاصم وابن عامر رب بالخفض والرحمن كذلك وصفا لقوله جزآء من ربك والباقون كليهما بالرفع على معنى هو رب السموات والارض ومابينهما الرحمن وقرأ حمزة والكسائى رب بالخفض نعتا للاول والرحمن رفعا لتباعده من الاول فرفع على تقدير هو الرحمن وقال الامام الرازى رب السموات والرحمن فيهما ثلاثة اوجه احدها الرفع فيهما وهى قرآءة ابن كثير ونافع وابى عمرو والجر فيهما وهى قرآءة عاصم وابن عامر والجر فى الاول مع الرفع فى الثانى وهو قرآءة حمزة والكسائى وكذا فى شرح الشاطبية ﴿ قوله اى لا يملكون خطابه والاعتراض عليه ﴾ اى لا يملكون من جهته تعالى ان يخاطبوه على سبيل الاعتراض عليه فيما حكم به بين العباد من اثابة بعض وعقاب آخرين على ان تنكير خطابا للتنويع ولا يلزم من عدم تمليكه تعالى اياهم ان يخاطبوه على سبيل الاعتراض ان لا يأذن لهم فى الشفاعة والاعتراض على

(جزآء من ربك) بمقتضى وعده (عطاء) تفضلا منه اذ لا يجب عليه شئ وهو بدل من جزآء وقيل منتصب به نصب المفعول به (حسابا) كافيا من احسبه الشئ اذا كفاه حتى قال حسبى او على حسب اعمالهم وقرئ حسابا اى محسبا كالدراك بمعنى المدرك (رب السموات والارض ومابينهما) بالجر بدل من ربك وقد رفعه الحجازيان وابو عمرو على الابتدآء (الرحمن) بالجر صفة له فى قرآءة ابن عامر وعاصم ويعقوب وبالرفع فى قرآءة ابى عمرو وفى قرآءة حمزة والكسائى بجر الاول ورفع الثانى على انه خبر محذوف او مبتدأ خبره (لا يملكون منه خطابا) والواو لاهل السموات والارض اى لا يملكون خطابه والاعتراض عليه فى ثواب او عقاب لانهم مملوكون له على الاطلاق فلا يستحقون عليه اعتراضا وذلك لا ينافى الشفاعة باذنه

(يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا) تقرير وتوكيد لقوله لا يملكون فان هؤلاء الذين هم افضل الخلائق واقربهم من الله اذا لم يقدروا ان يتكلموا بما يكون صوابا كالشفاعة لمن ارتضى الا باذنه فكيف يملكه غيرهم ويوم ظرف للا يملكون او لا يتكلمون والروح ملك موكل على الارواح او جنسها او جبرائيل او خلق اعظم من الملائكة (ذلك اليوم الحق) الكائن لا محالة (فمن شاء اتخذ الى ربه) الى ثوابه (مآبا) بالايمان والطاعة (انا انذرناكم عذابا قريبا) يعنى عذاب الآخرة وقربه لتحققه فان كل ما هو آت قريب ولان مبدأه الموت (يوم ينظر المرء ما قدمت يداه) يرى ما قدمه من خير او شر والمرء عام وقيل هو الكافر لقوله انا انذرناكم فيكون الكافر ظاهرا وضع موضع الضمير لزيادة الذم وما موصولة منصوبة بينظر او استفهامية منصوبة بقدمت اى ينظر اى شئ قدمت يداه (ويقول الكافر يا ليتنى كنت ترابا) فى الدنيا فلم اخلق ولم اكلف او فى هذا اليوم فلم ابعث وقيل يحشر سائر الحيوانات للاقتصاص ثم ترد ترابا فيود الكافر حالها عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة عم سقاه الله برد الشراب يوم القيامة

﴿ سورة والنازعات مكية وآيها ﴾
﴿ خمس او ست واربعون ﴾
(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والنازعات غرقا والناشطات نشطا والسابحات سبحا فالسابقات سبقا فالمدبرات امرا) هذه صفات ملائكة الموت فانهم ينزعون ارواح الكفار من ابدانهم غرقا اى فى النزع فانهم ينزعونها من اقاصى الابدان او نفوسا غرقة فى الاجساد وينشطون اى يخرجون ارواح المؤمنين برفق من نشط الدلو من البئر اذا اخرجها ويسبحون فى اخراجها سبح الغواص الذى يخرج الشئ من اعماق البحر فيسبقون بارواح الكفار الى النار وبارواح المؤمنين الى الجنة فيدبرون امر عقابها وثوابها بأن يهيئوها لادراك ما اعدلها من الآلام واللذات

الحاكم عبارة عن ان يتكلم فضولى فى اثناء حكمه على قصد تغيير ما حكم به والمتكلم بالاذن ليس فضوليا قاصدا لتغيير الحكم ﴿ قوله فان هؤلاء الذين هم افضل الخلائق ﴾ اشارة الى ان هذه الآية فيها دلالة على ان الملائكة افضل من البشر وذلك لان المقصود منها ان الملائكة والروح مع انهم افضل المخلوقات لم يقدروا ان يتكلموا فى موقف القيامة اجلالا لربهم وخوفا منه وخضوعا له فكيف يكون حال غيرهم اى عدم قدرة غيرهم عليه اولى ومعلوم ان هذا المقصود يستدعى كونهم افضل الخلائق ﴿ قوله تعالى الا من اذن ﴾ يجوز ان يكون فى موضع الرفع على البدلية من واو لا يتكلمون وهو المختار لكونه غير موجب والمستثنى منه مذكور وفى مثله يختار البدل وان يكون منصوبا على اصل الاستثناء والمعنى لا يشفعون الا من اذن له الرحمن فى الشفاعة وقال ذلك الشفيع المأذون له فى الشفاعة صوابا بان يشفع لمن ارتضى او بان كان من اهل الايمان والاقرار بالشهادتين فان المؤمنين لهم الشفاعة كما للانبياء عليهم الصلاة والسلام وقيل المعنى لا يتكلمون بالشفاعة لاحد الا لمن اذن له اى الا فى حق شخص اذن له الرحمن فى شفاعته وكان ذلك الشخص ممن قال صوابا اى حقا بان يقر بالتوحيد والرسالة وحقية جميع ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس رضى الله عنه يشفعون لمن قال لا اله الا الله فعلى هذا يكون من اذن له الرحمن فى موضع الجر باضمار حرف الجر اى الا لمن اذن له وضمير قال راجع الى من الذى اريد به المشفوع له وذلك فى قوله تعالى ذلك اليوم الحق مبتدأ واليوم الحق خبره والاشارة الى اليوم الذى تقدم ذكره لما قرر الله تعالى عظمة يوم القيامة قال ان ذلك اليوم يوم ثابت وكائن لا محالة والخطاب فى قوله تعالى انا انذرناكم عذابا قريبا لمشركى العرب وكفار قريش لانهم كانوا ينكرون البعث ويوم ظرف لمحذوف اى انذرناكم عذابا كائنا يوم ينظر المرء عمله الذى قدمه والمرء عام لكل احد مؤمنا كان او كافرا لان كل احد يرى عمله فى ذلك اليوم مثبتا فى صحيفته خيرا كان او شرا * تمت سورة النبأ والله سبحانه وتعالى اعلم

﴿ سورة والنازعات ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ قوله صفات ملائكة الموت ﴾ توصيف الملائكة بالنازعات مثلا يستدعى ان يصح توصيف الملك بالنازعة وليس كذلك لان الملك لا يوصف بالذكورة ولا بالانوثة وانما يصح توصيف الملائكة بمجموع النازعات والناشطات باعتبار كونهم طائفة وكل طائفة منهم نازعة وناشطة اقسم الله تعالى بطوائف الملائكة فان اعوان ملك الموت طوائف مختلفة وجماعات متكثرة وصف الله تعالى تلك الجماعات بخمس صفات لان الواو الاولى للقسم وما بعدها للعطف فالصفات المذكورة لموصوف واحد هو طوائف الملائكة الموكلين بقبض الارواح والعطف لتغاير الصفات والنزع جذب الشئ بشدة والنشط جذبه واخراجه برفق ولين والاغراق فى النزع التوغل فيه والبلوغ الى اقصى درجاته يقال اغرق النازع فى القوس اذا بلغ غاية المد حتى انتهى الى النصل والغرق اسم مصدر للاغراق كالسلام للتسليم فلذلك فسره المصنف بقوله اى اغراقا فى النزع وهو منصوب على انه مفعول مطلق للنازعات من غير لفظها لاتفاقهما من حيث المعنى فان النزع نوع من الغرق والمصنف خص طائفة النازعات بالتى تنزع ارواح الكفار بالقهر لشدة تعلقها بالابدان وذلك انه ليس من كافر يحضره الموت الا عرضت عليه جهنم فيراها قبل ان تخرج روحه ويرى فيها اقواما مرة يغمسون ومرة يرفعون فعند ذلك يغرق روحه فى جسده فينزعه الملك الموكل بقبض روحه بعنف وشدة من اقاصى بدنه حتى من انامله واظفاره فقوله غرقا على هذا مفعول مطلق للنازعات كما اشار اليه بقوله او نفوسا غرقة فى الاجساد فانه معطوف على قوله ارواح الكفار والمراد بالنفوس الغرقة نفوس الكفار ايضا بقرينة النزع والنشط ولان نفوس المؤمنين ليست غرقة فى اجسادهم بل اجسادهم محض سجن لارواحهم وخص طائفة الناشطات بالتى تنزع ارواح المؤمنين فان تلك الطائفة تخرج ارواح المؤمنين برفق ولين لكون ارواحهم راغبة فى الطيران الى عالم القدس وذلك انه ما من مؤمن يحضره الموت الا ويرى منزلته فى الجنة ويرى فيها اقواما من اهل معرفته وهم يدعونه الى انفسهم فعند ذلك ترغب روحه فى الخروج من ظلمة البدن وسجنه فيخرج الملك روحه برفق لسهولة تعلقه ببدنه ﴿ قوله يسبحون فى اخراجها سبح الغواص ﴾ يعنى ان قوله تعالى والسابحات سبحا استعارة تبعية شبه اخراجهم لارواح المؤمنين برفق ولطف باخراج الغواص ما التقطه من قعر البحر فكما ان من سبح فى الماء يتحرك فيه بلطف ورفق بحيث لا يتأذى نفسه ولا يدرى بالحركة فكذلك الملك

الذي ينشط روح المؤمن بخرجه برفق لئلا يصل اليه ألم وشدة فاطلق اسم المشبه به على المشبه واستعار منه لفظ الساجات ﴿ قوله فيسبقون ﴾ فان قيل السبق لابد له من المسبوق فما المسبوق ههنا * قلنا لعل السبق هنا كناية عن الاسراع لكون السبق من لوازم الاسراع والفاء في قوله فالسابقات فالمدبرات يدلالة على ان السبق يعقب الصفات السابقة وكذا تدبير الثواب والعقاب يعقب ادخال كل طائفة في منزلتها والظاهر ان تدبير امور الثواب والعقاب في الجنة والنار من وظائف خزنة الجنة والنار لامن وظائف الملائكة الموكلين بقبض الارواح الذين هم الموصوفون بالصفات المذكورة هنا لقول المصنف هذه صفات ملائكة الموت ولعل قول المصنف ان يهيئوها لادراك ما اعدلها من الثواب والعقاب اشارة الى ذلك ﴿ قوله او الاوليان ﴾ وهما النازعات والناشطات لهم اى لملائكة الموت والثلاث الباقية لطوآئف اخرى فيكون قوله والسابحات قسما ثانيا والواو التي فيها تكون للقسم لا للعطف وتكون الكلمتان اللتان بعدها عطفا عليها على طريق عطف القصة على القصة كما ان قوله والنازعات قسم ابتدآئي وقوله والناشطات عطف عليه اقسم الله تعالى اولا بطوآئف ملائكة الموت وثانيا بطوائف اخرى ينزلون من السماء مسرعين مشبهين في سرعة نزولهم بمن سبح في الماء واستعارة السبح للاسراع شايع كما يقال في الفرس الجواد انه سابح ﴿ قوله او صفات النجوم ﴾ عطف على قوله صفات ملائكة الموت وقوله تنزع من المشرق الى المغرب يدل على ان النازعات على هذا بمعنى السائرات كأنه مشتق من نزع الى اهله ينزع نزعا اى اشتاق فكأن النجوم في سيرها الى جانب المغرب اشتاقت اليه واغراقها في النزع ان تقطع الفلك كله حتى تنحط في اقصى المغرب واسناد النزع بمعنى السير الى النجوم يشعر ان النجوم تتحرك حركة ذاتية من المشرق الى المغرب كما تتحرك كذلك من برج الى برج وكذا اسناد السبح اليها يشعر بذلك والظاهر ان الامر ليس كذلك بل حركتها الى مغاربها عرضية تابعة لحركة الفلك الاعظم فينبغي ان يحمل قوله بان تقطع الفلك مبنيا على انها كذلك وان كانت هي في انفسها مركوزة في افلاكها متحركة تبعا لافلاكها ﴿ قوله وتنشط من برج الى برج ﴾ نقل الامام هذا الوجه عن صاحب الكشاف ثم قال واقول مرجع حاصل هذا الكلام الى ان قوله تعالى والنازعات غرقا اشارة الى حركتها اليومية وقوله والناشطات نشطا اشارة الى انتقالها من برج الى برج وهو حركتها المخصوصة بها في افلاكها الخاصة والعجب ان حركتها اليومية قسرية وحركتها من برج الى برج ليست قسرية بل ملائمة لذواتها فلا جرم عبر من الاول بالنزع ومن الثاني بالنشط فتأمل ايها المسكين في هذه الاسرار ﴿ قوله فتدبر امرا نيط بها ﴾ اسند التدبير اليها مع ان الامر كله لله من حيث ان الامور المنوطة بها المترتبة عليها مستندة اليها بحسب الظاهر وان كانت في الحقيقة مستندة اليه تعالى من حيث انه تعالى خلق الاشياء كلها بحيث يترتب عليها المصالح المتعلقة بها * فان قيل لم قال فالمدبرات امرا ولم يقل امورا مع ان المصالح المترتبة عليها امور كثيرة * قلنا المراد بالامر الجنس فصح ان يعبر به عن الجمع ﴿ قوله فانها تنزع من الابدان ﴾ اى تقلع تعلقها عن الابدان قلعا شديدا شبه قلع التعلق بالنزع لانه تعلق من كثرة الاتصال بالشيء فان نفس الميت توصف بالنزع فيقال لمن هو في صدد الموت فلان في النزع اى في قلع تعلق روحه ببدنه وتلك النفوس الفاضلة كانها تنزع اى تقلع تعلقها بالابدان عنها تنشط اى تخرج منها الى عالم الملكوت ثم انها لاشتياقها الى الاتصال بالعالم العلوى ترتقي الى عالم الملائكة ومنازل القدس على اسرع الوجوه في روح وريحان بعد خروجها من ظلمة الاجساد فعبر عن ذهابها على هذه الحالة بالسباحة ثم لاشك ان مراتب النفوس الفاضلة في النفرة عن الدنيا ومحبة الاتصال بعالم القدس مختلفة فكلما كانت اتم في هذه الاحوال كان سيرها الى ذلك العالم اسبق وكلما كانت اضعف كان سيرها اليه ابطأ ولاشك ان الارواح السابقة اشرف فلاجرم وقع القسم بها حيث قال والسابقات سبقا ثم ان هذه النفوس الشريفة لعلو همتها في تكميل النفوس القاصرة ولشرفها وقوتها لايبعدان يظهر فيها آثار وتدبيرات في هذا العالم فتكون من المدبرات الاترى ان الانسان قد يرى في المنام ان بعض الاموات يرشده الى مطلوبه ﴿ قوله او حال سلوكها ﴾ عطف على حال المفارقة عن الابدان اى او هي صفات النفوس الفاضلة حال سلوكها ﴿ قوله اقسم الله بها على قيام الساعة ﴾ يعني ان جواب القسم محذوف وهو لتبعثن ويدل عليه ما حكى الله تعالى عنهم انهم قالوا أئذا كنا عظاما نخرة اى انبعث اذا صرنا عظاما نخرة واما لتنفخن في الصور نفختين ويدل عليه ذكر الراجفة والرادفة وهما النفختان واما ان القيامة واقعة لانه تعالى قال والذاريات ذروا ثم قال انما توعدون لصادق وقال

او الاوليان لهم والباقيات لطوآئف من الملائكة يسبحون في مضيها اى يسرعون فيه فيسبقون الى ما امروا به فيدبرون امره او صفات النجوم فانها تنزع من المشرق الى المغرب غرقا في النزع بان تقطع الفلك حتى تنحط في اقصى المغرب وتنشط من برج الى برج اى تخرج من نشط الثور اذا خرج من بلد الى بلد وتسبح في الفلك فيسبق بعضها في السير لكونه اسرع حركة فتدبر امرا نيط بها كاختلاف الفصول وتقدير الازمنة وظهور مواقيت العبادات ولما كانت حركاتها من المشرق الى المغرب قسرية وحركاتها من برج الى برج ملائمة سمى الاولى نزعا والثانية نشطا او صفات النفوس الفاضلة حال المفارقة فانها تنزع من الابدان غرقا اى نزعا شديدا من اغراق النازع في القوس فتنشط الى عالم الملكوت وتسبح فيه فتسبق الى حظائر القدس فتصير لشرفها وقوتها من المدبرات او حال سلوكها فانها تنزع عن الشهوات وتنشط الى عالم القدس وتسبح في مراتب الارتقاء فتسبق الى الكمالات حتى تصير من المكملات او صفات انفس الغزاة او ايديهم تنزع القسى باغراق السهام وينشطون بالسهم للرمي ويسبحون في البر والبحر فيسبقون الى حرب العدو فيدبرون امرها او صفات خيلهم فانها تنزع في اعنتها نزعا تغرق فيه الاعنة لطول اعناقها وتخرج من دار الاسلام الى دار الكفر وتسبح في جريها فتسبق الى العدو فتدبر امر الظفر اقسم الله تعالى بها على قيام الساعة وانما حذف لدلالة ما بعده عليه

والمرسلات عرفا ثم قال انما توعدون لواقع فكذا ههنا فان القرآن كالسورة الواحدة وقيل الجواب مذكور وهو اما قوله تعالى قلوب يومئذ واجفة ابصارها خاشعة والتقدير والنازعات غرقا ان يوم ترجف الراجفة يحصل قلوب واجفة وابصارها خاشعة واما قوله تعالى هل اتاك حديث موسى فان هل ههنا بمعنى قد كما في قوله تعالى هل اتاك حديث الغاشية فانه بمعنى قد اتاك واما قوله تعالى ان في ذلك لعبرة لمن يخشى ﴿ قوله وهو منصوب به ﴾ اى بالجواب المحذوف الذى هو قيام الساعة والتقدير والنازعات لتبعثن يوم ترجف الراجفة فان قيل كيف يصح هذا مع ان القيامة لاتقع يوم تضطرب الاجرام الساكنة الذى هو يوم النفخة الاولى وانما تقع عند النفخة الثانية ويدل عليه قوله تعالى تتبعها الرادفة وبينهما اربعون سنة اجيب عنه بان المراد بيوم ترجف الراجفة الوقت الواسع الذى يحصل فيه النفختان ولاشك انها تقع في بعض ذلك الوقت الواسع وهو وقت النفخة الثانية ويدل عليه ان قوله تعالى تتبعها الرادفة جعل حالا من الرادفة فانه يستلزم كون الرجفان واقعا في حال كون الرادفة تابعة له وان يكونا في زمان واحد لان الحال يجب ان يكون حصولها مقارنا لحصول الفعل المقيد بها وذلك لايكون الا بان يكون المراد باليوم الوقت الواسع والرجفة والرجيف الحركة والاضطراب ولفظ ترجف لكونه فعلا مضارعا يقتضى ان يكون قيام مدلوله بفاعله حادثا بعد نزول الآية والرجفة انما تحدث في الاجسام الساكنة فلذلك فسر الراجفة بالاجرام الساكنة ليتصور عروض الحركة لها ﴿ قوله او الواقعة ﴾ عطف على الاجرام الساكنة والمراد بالواقعة النفخة الاولى سميت راجفة لكونها سببا لاضطراب الاجرام الساكنة واسندت الرجفة اليها على طريق اسناد الفعل الى سببه والاصل ان يقال يوم ترجف الارض والجبال بسبب حدوث الواقعة التى هى النفخة الاولى وان فسرت الراجفة بنحو الارض والجبال من الاجرام الساكنة يكون اسناد الرجفة اليها حقيقة وحينئذ يكون المراد بالرادفة الاجرام المتحركة التى هى السماء والكواكب سميت رادفة لانها في تغير احوالها الى الانشقاق والانتثار تتبع الاجرام الساكنة في الرجفة والاضطراب ﴿ قوله او النفخة الثانية ﴾ هذا على تقدير ان تفسر الراجفة بالنفخة الاولى فان الرادفة كل ما كان بعد شئ آخر يقال ردفه اى جاء بعده والنفخة الثانية تجيء بعد الاولى وكذا تغير احوال الاجرام المتحركة كانفطار السماء وانتثار الكواكب فانها ايضا تكون بعد رجفة السواكن وتزلزلها ﴿ قوله وهى صفة القلوب ﴾ اشارة الى وجه الابتداء بقلوب وهى نكرة يعنى انها وان كانت نكرة لكنها موصوفة بقوله واجفة والنكرة الموصوفة يجوز الابتداء بها فقلوب مبتدأ ويومئذ ظرف لواجفة وابصارها مبتدأ ثان وخاشعة خبره وهو مع خبره خبر الاول واضيفت الابصار الى ضمير القلوب مع ان القلوب لا ابصار لها بتقدير المضاف واشار المصنف اليه بقوله اى ابصار اصحابها ويدل على تقدير الاصحاب ايضا قوله يقولون قال الامام خصص قوله قلوب بقوله واجفة ولم يعرفها بلام الاستغراق بان يقول القلوب يومئذ واجفة لانه ثبت بالدليل ان اهل الايمان لايخافون بل المراد قلوب الكفرة ومما يؤيد ذلك انه تعالى حكى عنهم انهم يقولون أئنا لمردودون في الحافرة وهذا لايقوله الا الكفار ﴿ قوله ولذلك ﴾ اى ولكون خشوع الابصار وذلتها ناشئا من الخوف بحيث يرقبون اى شئ ينزل عليهم من الامور العظام اضاف الابصار الى القلوب التى هى محل الخوف وهو من احوالها وخواصها واضافة الابصار لما كانت في معنى توصيفها بتلك الاضافة اشعرت بكونها علة الحكم بالذلة وبان سببه ذلها ما في القلوب من الخوف والوجفة والوجيف خفقان القلب واضطرابه ومنه وجيف الفرس والبعير في العدو والايجاف هو حمل الدابة على السير السريع وللمفسرين عبارات كثيرة في تفسير الواجفة ومعناها واحد قالوا في تفسيرها خائفة وجلة زائلة عن اماكنها قلقة شديدة الاضطراب غير ساكنة ونحو ذلك ثم انه تعالى حكى عن منكرى البعث والقيامة اقوالا ثلاثة اولها قولهم أئنا لمردودون في الحافرة وثانيها قولهم أئذا كنا عظاما نخرة وثالثها قولهم تلك اذا كرة خاسرة وهذه الاقوال صدرت عنهم في الدنيا استبعادا للبعث وتعجبا منه والحافرة في الاصل عبارة عن الطريقة التى سلكها المرء اولا واثر فيها قدمه بمشيه عليها بجعل اثر القدم حفرا وسميت الطريقة حافرة على التشبيه بمعنى انها ذو حفر كالبئر ثم اطلقت الحافرة على الحالة الاولى واول الامر حتى قال الواحدى الحافرة عند العرب اسم لاول الشئ وابتداء الامر قال الشاعر

أحافرة على صلع وشيب ۞ معاذ الله من سفه وعار

يقول ارجع الى ما كنت عليه في شبابى من الغزل والتصابى بعدان شبت وصلعت ثم قال معاذ الله هذا سفه ظاهر

(يوم ترجف الراجفة) وهو منصوب به والمراد بالراجفة الاجرام الساكنة التى يشتد حركتها حينئذ كالارض والجبال كقوله تعالى يوم ترجف الارض والجبال او الواقعة التى ترجف الاجرام عندها وهى النفخة الاولى (تتبعها الرادفة) التابعة وهى السماء والكواكب تنشق وتنتثر او النفخة الثانية والجملة في موقع الحال (قلوب يومئذ واجفة) شديدة الاضطراب من الوجيف وهى صفة القلوب والخبر (ابصارها خاشعة) اى ابصار اصحابها ذليلة من الخوف ولذلك اضافها الى القلوب (يقولون أئنا لمردودون في الحافرة) في الحالة الاولى يعنون الحياة بعد الموت من قولهم رجع فلان في حافرته اى طريقته التى جاء فيها فحفرها اى اثر فيها بمشيه على النسبة كقوله عيشة راضية او تشبيه القابل بالفاعل

(وعار)

ومار شديد فمعنى الآية أنرد الى اول احوالنا فنصير احياء كما كنا ﴿ قوله وقرئ في الحفرة ﴾ على وزن الكلمة وهو صفة مشبهة من قولهم حفرت اسنانه فحفرت حفرا اى فسدت اصول اسنانه وتقشرت بالاوساخ وركبها الوسخ من ظاهرها وباطنها مرة بعد اخرى والمراد بالحفرة على القراءة بها الارض المنتنة المتغيرة بما فيها من الاخباث واجساد الموتى والمعنى أئنا ونحن في الارض المتغيرة بما انضم اليها من القاذورات لمردودون فقوله في الحفرة في موضع الحال من فاعل لمردودون وقيل يجوز ان تكون الحفرة بمعنى الحافرة ومقصورة منها ﴿ قوله وقرأ نافع اذا كنا على الخبر ﴾ فكلمة اذا حينئذ معمول لقوله لمردودون بخلاف ما اذا قرئ أئذا على الاستفهام فان عاملها حينئذ يكون محذوفا مدلولا عليه بقوله لمردودون والتقدير أنرد اذا كنا عظاما نخرة وفيه زيادة استبعاد للبعث وانما قلنا ان العامل حينئذ يكون محذوفا لان حرف الاستفهام يمنع ان يكون ما بعده معمولا لما قبله والنخرة والناخرة تنبئ كل واحدة منهما عن البلى والفساد الا ان النخرة ادل على الثبوت والناخرة على الحدث وقيل النخرة هي التي تبلى من البلى والتفتت والناخرة هي العظام الفارغة المجوفة التي يحصل فيها صوت عند هبوب الريح كنخير النائم لان النخر بمعنى البلى ﴿ قوله ذات خسران او خاسرة اصحابها ﴾ يعني ان اسناد الخسران الى الكرة والحال انهم الخاسرون والكرة مخسور فيها اما على ان يكون بناء الفاعل للنسبة كتامر ولابن واما على طريق اسناد الفعل الى ظرفه وقوله تلك مبتدأ اشير بها الى الردة والرجعة في الحافرة وكرة خبرها واذا جواب وجزاء والمعنى ان كان البعث بعد الموت حقا فتلك الرجعة رجعة خاسرة والكر الرجوع يقال كره وكر بنفسه يتعدى ولا يتعدى كما يقال رجعه ورجع بنفسه والكرة المرة من الرجوع وقوله وهو استهزاء منهم اى بأمر الحشر حيث ابرزوا ما قطعوا بانتفائه واستحالته في صورة المشكوك المحتمل الوقوع ثم انه تعالى لما حكى عنهم هذه الكلمات اجاب بقوله فانما هي زجرة واحدة ﴿ قوله متعلق بمحذوف ﴾ يعني ان الفاء تعليلية لجملة محذوفة والتقدير لا تستبعدوا تلك الكرة ولا تستصعبوها فانما هي سهلة هينة في قدرة الله تعالى فانما هي الاصيحة واحدة يقال زجر البعير اذا صاح عليه والمراد من هذه الصيحة النفخة الثانية وهي نفخة اسرافيل عليه الصلاة والسلام قال المفسرون يحييهم الله تعالى في بطون الارض فيسمعونها فيقومون ﴿ قوله لان السراب يجري فيها ﴾ يجعل جريان السراب فيها بمنزلة جريان الماء عليها فقيل انها ساهرة تشبيها بالعين الساهرة اى الجارية الماء واختلفوا في ان الساهرة هل هي ارض الدنيا ام ارض الآخرة فقال بعضهم هي ارض الدنيا وقال آخرون هي ارض الآخرة لانهم عند الزجرة والصيحة ينقلون افواجا الى ارض الآخرة فقال ابو سعيد الساهرة هي صحراء على شفير جهنم ثم انه تعالى لما حكى عن الكفار اصرارهم على انكار البعث حتى انتهوا في ذلك الانكار الى حد الاستهزاء فقالوا تلك اذا كرة خاسرة وكان ذلك يشق على رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر له قصة موسى عليه الصلاة والسلام وما تحمله من المشاق العظيمة في دعوة فرعون وبين عاقبة من اطاعه ومن عصاه ليكون ذلك تسلية له عليه الصلاة والسلام وتهديدا لمكذبيه كما اشار اليه المصنف بقوله فيسليك على تكذيب قومك ويهددهم عليه انتهى ﴿ قوله أليس قد اتاك حديثه ﴾ اشارة الى ان هل بمعنى قد وان همزة الاستفهام قبلها محذوفة استغناء عنها بلفظة هل لكثرة وقوعها في الاستفهام بحيث صارت كأنها علم استفهام بنفسها فاستغنى بها عن الهمزة والجئ مقامها فكانت هل متضمنة معنى الاستفهام وتقريب الحكم المستفهم عنه من الحال فلذلك اتى المصنف في تفسير هل اتاك بهمزة الاستفهام وكلمة قد اى أقد اتاك وبلغك حديثه عن قريب ومعنى الاستفهام حمل المخاطب على الاقرار بما يعرفه قبل ذلك كما في ألم نشرح لك صدرك وألم يجدك يتيما وأليس الله بكاف عبده وزاد كلمة ليس في قوله أليس قد اتاك لكونها اظهر في الدلالة على ان الاستفهام للتقرير لان انكار النفي اثبات وهذا المعنى مبني على ان يكون قد اتاه ذلك الحديث قبل هذا الاستفهام واما ان لم يكن اتاه قبل ذلك فحينئذ يكون الاستفهام لحمل المخاطب على طلب الاخبار اذ لا وجه لحمله على الاقرار حينئذ ﴿ قوله قد مر بيانه ﴾ ذكر فيه ان طوى بالضم اسم للوادي المقدس فيكون عطف بيان له لكون الاسم اوضح وقيل ان طوى بالضم مثل طوى بالكسر في انهما بمعنى ثنى بكسر الثاء مقصورا وهو الشئ المثنى اى الامر يعاد مرتين يقال ناديته طوى وثنى اى مرتين وعلى هذا يحتمل ان تعلق بنودي اى نودي نداءين وان تعلق بالمقدس اى قدس مرتين وثنيت فيه البركة والتقديس وقال الفراء طوى واد بين المدينة ومصر فمن صرفه قال ليس فيه الا العلمية وهو اسم للمكان وهو

وقرئ في الحفرة بمعنى الفخورة يقال حفرت اسنانه فحفرت حفرا وهي حفرة (أئذا كنا) وقرأ نافع وابن عامر والكسائي اذا كنا على الخبر (عظاما ناخرة) بالالف وقرأ الحجازيان وابو عمرو والشامي وحفص وروح نخرة وهي ابلغ (قالوا تلك اذا كرة خاسرة) ذات خسران او خاسرة اصحابها والمعنى انها ان صحت فنحن اذا خاسرون لتكذيبنا بها وهو استهزاء منهم (فانما هي زجرة واحدة) متعلق بمحذوف اى لا تستصعبوها فما هي الا صيحة واحدة يعني النفخة الثانية (فاذا هم بالساهرة) فاذا هم احياء على وجه الارض بعدما كانوا امواتا في بطنها والساهرة الارض البيضاء المستوية سميت بذلك لان السراب يجري فيها من قولهم عين ساهرة للتي يجري ماؤها وفي ضدها نائمة او لان سالكها يسهر خوفا وقيل اسم جهنم (هل اتاك حديث موسى) أليس قد اتاك حديثه فيسليك على تكذيب قومك ويهددهم عليه بان يصيبهم مثل ما اصاب من هو اعظم منهم (اذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى) قد مر بيانه في سورة طه

مذكر ومن لم يصرفه جعله معدولا عن صيغته كعمر وزفر ثم قال والصرف احب الى الا لم اجده فى المعدول نظيراً اى لم اجد اسما من الوادى عدل عن فاعل غير طوى وقيل طوى يعنى يارجل بالعبرانية فكأنه قيل يارجل اذهب الى فرعون وهذا قول ابن عباس رضى الله عنهما انتهى واذ فى قوله اذناداه ظرف منصوب بحديث اى اتاك حديثه الواقع حين ناداه ربه لابقوله اتاك لاختلاف وقتى الاتيان والندآء ضرورة ان الاتيان لم يقع فى وقت الندآء وقوله اذهب مقول قول مضمر اى اذناداه ربه فقال اذهب والطغيان مجاوزة الحد ثم انه تعالى لم يبين فى اى شئ تعدى ولهذا قال بعض المفسرين معناه انه تكبر على الله تعالى وكفر به وقال آخرون انه طغى على بنى اسرآئيل بان استذلهم غاية الاذلال والتحقير والاول ان يحمل على الاطلاق والتعميم ويكون المعنى انه طغى على الخلق بان تكبر عليهم واستعبدهم فكما ان كمال العبودية لايكون الا بالصدق مع الحق وحسن الخلق مع الخلق فكذا كمال الطغيان يكون بسوء المعاملة معهما ﴿ **قوله** هل لك ميل ﴾ اشارة الى ان لك خبر مبتدأ محذوف وان كلمة الى متعلقة بذلك المحذوف ومثل هذا الحذف شائع فى الكلام يقال هل لك فى الخير والتقدير هل لك رغبة فى الخير ومن قرأ تزكى بتشديد الزاى ادغم احدى التائين فى الزاى لقرب مخرجهما ومن قرأ بالتخفيف حذف احدى التائين للتخفيف لان اجتماع المثلين يوجب الثقل والتخفيف كما يحصل بالادغام يحصل بالحذف ايضا والتزكى عن النقائص لما توقف على الهداية والارشاد عطف عليه قوله واهديك الى ربك فتخشى قدم الهداية الى معرفة الله تعالى لكونها اوّل مايجب على المكلف فى باب الاعتقاد ثم رتب عليها ماهو ملاك الخيرات ومبنى السعادات كلها وهو خشية الله تعالى فان من خشى الله تعالى يسارع الى الخيرات ومن أمن تجرأ على المعاصى والمنكرات قال عليه الصلاة والسلام « من خاف ادلج ومن ادلج بلغ المنزل » يقال ادلج القوم اذا ساروا من اوّل الليل وان ساروا من آخر الليل يقال انهم ادّلجوا بتشديد الدال ﴿ **قوله** اذ الخشية انما تكون بعد المعرفة ﴾ تعليل لكون المضاف المقدّر فى قوله الى ربك هو المعرفة حيث قال وارشدك الى معرفته ﴿ **قوله** وهذا كالتفصيل ﴾ وذلك لان المأمور به فى قوله تعالى لموسى وهرون اذهبا الى فرعون فقولا له قولا لينا مفهومه مجمل يحتمل صورا شتى والمأمور به فى هذه الآية صورة جزئية من محتملات القول اللين فيكون بمنزلة التفصيل له ووجه كونه لينا انه عليه الصلاة والسلام ابتدأ فى مخاطبة فرعون بالاستفهام عن ميله الى كونه زاكيا عما لايليق به ومتطهرا عنه ولم يخرج كلامه على صورة الامر والالزام ولم يصرّح بما هو فيه من الجهل والشرك وكفران نعمة خالقه ورازقه وكونه متوغلا فى الضلالة والطغيان بسبب ذلك ونحو ذلك مما فيه عنف وغلظة ووجه كونه كالتفصيل ظاهر وظهر منه انه لابد فى الدعوة الى معرفة الله تعالى وطاعته من سلوك سبيل الرفق واللين وترك الخشونة والعنف ولذلك قال الله تعالى لسيد المرسلين صلى الله عليه وسلم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ﴿ **قوله** فذهب وبلغ فأراه ﴾ اشارة الى ان الفاء فى قوله فأراه للعطف على محذوف يدل عليه قوله تعالى اذهب الى فرعون فقال له كذا وكذا ونظيره قوله تعالى ان اضرب بعصاك الحجر فانفجرت اى فضرب فانفجرت وامثال هذا الايجاز كثير فى القرآن ﴿ **قوله** وهى قلب العصا حية ﴾ اعلم انهم اختلفوا فى الآية الكبرى على ثلاثة اقوال الاوّل انها اليد البيضاء لقوله تعالى فى سورة طه وأدخل يدك فى جيبك تخرج بيضاء من غير سوء آية اخرى لنريك من آياتنا الكبرى قاله مقاتل والكلبى وقال عطاء هى قلب العصا حية وقال مجاهد هى مجموع اليد البيضاء والعصا وذلك لان سائر الآيات دلت على ان اوّل ما اظهره موسى عليه الصلاة والسلام لفرعون هو العصا ثم اتبعه باليد فوجب ان تكون مجموعهما واختار المصنف القول الثانى ثم استدل على ما اختاره بانها كانت مقدّمة فى الارادة حيث ابتدأ موسى عليه الصلاة والسلام بها وهذه دعت الى الاخرى فان العصا لما انقلبت حية اضمر موسى عليه الصلاة والسلام فى نفسه خيفة منها وقصد ان يضرب الحية بيده فقيل له حين رفع يده واضمم يدك الى جناحك تخرج بيضاء بحيث تبرق كالشمس من غير سوء آية اخرى لنريك من ذلك الصنيع آية اخرى من حيث انه تعالى لم يرض بان يخاف مما اظهر الله تعالى على يده معجزة له فلما كانت الآية الاولى هى الداعية الى الاخرى كانت الاولى اصلا والثانية تابعة لها فسميت الاولى لذلك كبرى وذلك لانه ليس فى اليد الا انقلاب لونها الى لون آخر وهذا المعنى كان حاصلا فى العصا ثم جعل فيها امورا اخر ازيد من ذلك منها حصول الحياة فى الجرم الجامد ومنها تزايد كميته وكبر جرمه وبطشه ومنها ابتلاعها اشياء كثيرة بحيث تغيب فيها وغير ذلك وكل واحد

(اذهب الى فرعون انه طغى) على ارادة القول وقرئ ان اذهب لما فى الندآء معنى القول (فقل هل لك الى ان تزكى) هل لك ميل الى ان تطهر من الكفر والطغيان وقرأ الحجازيان ويعقوب تزكى بالتشديد (واهديك الى ربك) وارشدك الى معرفته (فتخشى) بأدآء الواجبات وترك المحرّمات اذ الخشية انما تكون بعد المعرفة وهذا كالتفصيل لقوله تعالى فقولا له قولا لينا (فأراه الآية الكبرى) اى فذهب وبلغ فأراه المعجزة الكبرى وهى قلب العصا حية فانه كان المقدم والاصل

من هذه الوجوه كان معجزا مستقلا في نفسه فعلم ان الآية الكبرى هي العصا ﴿قوله او مجموع معجزاته﴾ وجعلها آية واحدة نظرا الى وحدتها الاعتبارية وهي كون الجميع معجزة دالة على صدق من ظهر هذا المجموع على يده فصار الجميع باعتبار وحدة القدر المشترك بينها كالآية الواحدة وجعلها كبرى بالاضافة الى سائر الآيات التي اعطيها النبيون قبل موسى عليه الصلاة والسلام ﴿قوله وعصى الله بعد ظهور الآية وتحقق الامر﴾ اي امر رسالة موسى عليه الصلاة والسلام من قبله تعالى من حيث انه قد اعتقد بقلبه ان ما ظهر على يده عليه الصلاة والسلام من المعجزة يمتنع ان يعارضه البشر وانه ليس الا فعل الله تعالى خلقه في يد موسى تصديقا له في دعوى الرسالة وما روي من انه جمع السحرة وقال لهم انه ساحر فعارضوه بالسحر ليظهر للناس كونه ساحرا او كاذبا في دعوى الرسالة انما هو تعلل بالباطل ودفع للمحاسن وتلبيس للامر على الناس لا لاعتقاده بانه يمكن معارضته واشار المصنف بقوله بعد ظهور الآية الى فائدة عطف العصيان على التكذيب وهي ان مطلق التكذيب لا يلزم كونه معصية لاحتمال كونه تكذيب من لم يتحقق صدقه وانما يكون معصية اذا كان ناشئا عن التمرد والعناد لكونه مقرونا باعتقاد كون من كذبه صادقا في دعواه مصدقا من قبله تعالى فكأنه قيل فكذب على وجه يستلزم معصية الله تعالى وقوله تعالى يسعى حال من فاعل ادبر سواء كان السعي بمعنى السعي في ابطال امره عليه الصلاة والسلام او بمعنى الاسراع في المشي هاربا من الثعبان وسواء اريد بالادبار الادبار عن الطاعة او الادبار عن الثعبان وكلمة ثم في قوله تعالى ثم ادبر لاستبعاد الادبار المقيد بحال كونه ساعيا في ابطال امره بعد ظهور الآية لا لمجرد الادبار عن الطاعة لكونه عبارة عن العصيان فلا وجه لعطفه عليه بكلمة ثم ﴿قوله اعلى كل من يلي امركم﴾ يريد انه لم يرد بقوله انا ربكم انه خالق السموات والارض وما بينهما وما فيهما فان العلم بفساد ذلك ضروري ومن شك فيه وجوزه كان مجنونا والمجنون لا يبعث اليه رسول يدعوه الى الحق بل الرجل كان دهريا منكرا الصانع والحشر والجزاء وكان يقول ليس للعالم اله حتى يكون له عليكم امر ونهي او يبعث اليكم رسولا ولا يحتاج الخلق الا الى من يلي امرهم ويحكم بينهم على امر ينتظم به معاشهم ومعادهم ولا يجري بينهم البغي والاعتساف وذلك الذي يلي امركم انا لا غيري ﴿قوله اخذا منكلا﴾ يعني ان نكالا مصدر بمعنى التنكيل كالسلام بمعنى التسليم والكلام بمعنى التكليم وان التنكيل بمعنى المنكل على طريق رجل عدل وانه منصوب على انه صفة مصدر محذوف لاخذه الله وان اضافته الى الآخرة والاولى بمعنى في كضرب اليوم اي في اليوم والظرف للاخذ الموصوف لا لنفس التنكيل بمعنى المنكل لان معنى الاخذ المنكل ان يفعل بالمسيء فعل يمنع غيره عن الاتيان بمثل ذنبه ويمنعه ايضا عن المعاودة الى مثل ذلك الذنب والفعل المذكور لا ينكل في الدار الآخرة بخلاف ما فعل به من العقوبة في الدنيا او في الآخرة فان ما فعل في الدنيا ينكل من رآه ومن سمعه عن اتيان مثل تلك الاساءة وما فعل في الآخرة ينكل من سمعه وصدق به وان لم يكن منكلا لمن رآه في الآخرة فقوله لمن رآه مخصوص بالذات المنكل الواقع في الدنيا وقوله او سمعه يتناول للاخذ الواقع في الدنيا والواقع في الآخرة فان من سمع في الدنيا بما عوقب به المذنب في الآخرة وصدق بذلك يمتنع بسبب سماعه عن ارتكاب ذلك الذنب ولفظ النكال والتنكيل ينبي عن الامتناع عن الشيء وعدم الاقدام عليه ومنه نكل عن اليمين اذا امتنع عن ان يحلف ونكل عن العدو اذا امتنع عن معارضته ومحاربته حسا ومخافة ونكل به على ذنبه تنكيلا اي عاقبه على ذنبه عقابا يحمل المعاقب على الامتناع من المعاودة الى ذلك الذنب ويحمل غيره ايضا على الامتناع عن اتيان مثل ذنبه لان المعاقب لما عوقب على ذلك الذنب كان ذلك عبرة لغيره يعتبر بحاله فيمتنع عن اتيان مثل ما اتى به وقيل نكال الآخرة منصوب على انه مصدر مؤكد لفعل المذكور حملا على المعنى لان الاخذ في قوله تعالى فاخذه الله نكال الآخرة والاولى عبارة عن العقوبة فكأنه قيل نكل الله به نكال الآخرة اي تنكيلها ﴿قوله او على كلمته الآخرة وهي هذه﴾ عطف على قوله في الآخرة بالاحراق وفي دار الدنيا بالاغراق وعلى هذا التفسير هما صفتان لكلمتي فرعون اللتين اولاهما قوله ما علمت لكم من اله غيري واخراهما قوله انا ربكم الاعلى قالوا وكان بينهما اربعون سنة فلما ذكر الثانية اخذه بهما وهذا ينبي عن انه تعالى يمهل ولا يهمل واضافة النكال على هذا من قبيل اضافة المسبب الى سببه فان كل واحدة من الكلمتين سبب لما اضيف اليه من النكال ﴿قوله او للتنكيل فيهما او لهما﴾ عطف على قوله اخذا منكلا اي ويجوز ان يكون انتصاب نكال الآخرة على انه مفعول له لقوله فاخذه الله نكال الآخرة سواء كانت الآخرة والاولى صفتين

او مجموع معجزاته فانها باعتبار دلالتها كالآية الواحدة (فكذب وعصى) فكذب موسى وعصى الله بعد ظهور الآية وتحقق الامر (ثم ادبر) عن الطاعة (يسعى) ساعيا في ابطال امره او ادبر بعد ان رأى الثعبان مرعوبا مسرعا في مشيه (فحشر) فجمع السحرة او جنوده (فنادى) في المجمع بنفسه او بمناد (فقال انا ربكم الاعلى) اعلى كل من يلي امركم (فاخذه الله نكال الآخرة والاولى) اخذا منكلا لمن رآه او سمعه في الآخرة بالاحراق وفي الدنيا بالاغراق او على كلمته الآخرة وهي هذه وكلمته الاولى وهي قوله ما علمت لكم من اله غيري او للتنكيل فيهما او لهما

بدار المحذوفة وكانت اضافة النكال اليهما بمعنى فى او كانا سببين للكلمتين وكانت الاضافة من قبيل اضافة المسبب الى سببه ﴿ قوله ويجوز ان يكون مصدرا مؤكدا مقدرا بفعله ﴾ نحو وعدالله و صبغة الله كانه قيل نكل الله نكال الآخرة والاولى وقد مرّ انه يجوز ان يكون مصدرا مؤكدا لفعله المذكور لان معنى اخذه الله نكله الله نكال الآخرة فان اخذه و نكله متقاربان معنى كانه قال دعه تركا شديدا ثم انه تعالى ختم هذه القصة بقوله ان فى ذلك لعبرة اى فيما قصصناه عليك من نصرة موسى عليه الصلاة والسلام وخزى فرعون لعبرة لمن يخشى اى شأنه الخشية فانه يدع التمرّد على الله تعالى وتكذيب انبيائه خوفا من ان ينزل به مثل مانزل بمنكرى بعثة موسى عليه الصلاة و السلام وعلما بانه تعالى ينصر رسله واوليائه وانبياءه كما نصر موسى عليه الصلاة والسلام فاعتبروا معاشر مكذبى سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم بما ذكرنا لكم واعلموا انكم ان شاركتموهم فيما اوجب عقابهم شاركتموهم ايضا فى حلول العقاب بكم ثم انه تعالى لما ختم هذه القصة رجع الى مخاطبة منكرى البعث فقال أأنتم اشد خلقا اقسم الله تعالى اوّلا على قيام الساعة وبين مقدماتها الهائلة وذلة الكفرة فيها ثم التفت عن خطابهم الى ان حكى عنهم بطريق الغيبة مقالاتهم المتعلقة بانكار البعث ثم اجابهم بقوله فانما هى زجرة واحدة اى لاتستصعبوها فانها سهلة هينة فى قدرة الله تعالى والآن شرع فى بيان سهولته فقال أأنتم اشد خلقا وفسر المصنف الشدّة بالصعوبة لا الصلابة لانه لايلائم المقام اى اخلقكم بعد الموت مع صغر جثتكم و ضعف تأليفكم اصعب ام خلق السماء بلا مادة مع عظم جرمها وقوّة تأليفها وهو استفهام تقرير ليقرّوا بأن خلق السماء اصعب فيلزمهم بان يقول لهم ايها السفهاء من قدر على الاصعب الاعسر كيف لايقدر على اعادتكم وحشركم وهى ايسر واسهل فاعادتكم اولى بان تكون مقدورة له تعالى فكيف تنكرون ذلك والتفاوت بين الامرين بان يكون احدهما اصعب من الآخر انما هو بالنسبة الى المخاطبين وقدرتهم وتقديرهم فان كلا الامرين بالنسبة الى قدرة الله تعالى واحد لاتفاوت بينهما بالصعوبة والسهولة ﴿ قوله تعالى أأنتم ﴾ مبتدأ واشدّ خبره وخلقا تمييز والسماء عطف على انتم وحذف خبره لدلالة خبر انتم عليه اى ام السماء اشدّ خلقا وبناها مستأنف لبيان كيفية خلقها فيتم الكلام عند قوله ام السماء ويبتدأ من قوله بناها استعمل لفظ البناء فى موضع ذكر السقف فان السماء سقف مرفوع والبناء انما يستعمل فى اسافل البيت لافى الاعالى للاشارة الى انه وان كان سقفا لكنه فى البعد عن الاختلال والانحلال كالبناء وان البناء ابعد من تطرّق الاختلال اليه بالنسبة الى السقف فلهذه الدقيقة اختير لفظ البناء فى هذا الموضع ﴿ قوله ثم بين البناء ﴾ اى لمابين كيفية خلق السماء بقوله بناها بين كيفية البناء بوجوه اربعة الاوّل ماتعلق بالارتفاع فقال رفع سمكها واعلم ان امتداد الشئ اذا اخذ من اسفله الى اعلاه سمى سمكا واذا اخذ من جانب اعلاه الى اسفله سمى عمقا والمراد برفع سمكها هو جعل مقدار ارتفاعها من الارض او ثخنها الذاهب فى العلوّ رفيعا حتى ذكروا ان مابين الارض وبينها مسيرة خمسمائة عام وثخن كل واحدة منها كذلك والثانى من وجوه كيفية البناء ما اشار اليه بقوله فسوّاها وفسره المصنف بوجوه ثلاثة الاوّل قوله فعدّلها اى جعلها متعادلة الاجزاء فى سلامتها من العيوب وفى مشابهة اللون وفى سائر الاوصاف والثانى قوله او فجعلها مستوية اى متساوية غير مختلفة الاجزاء بالارتفاع والانخفاض بان يكون بعض اجزائها اقرب الى المركز بالنسبة الى البعض الآخر بل جعل جميع اجزائها متساوية البعد بالنسبة الى المركز فيكون ذلك اشارة الى كونها كرة قالوا لما ثبت كونها محدثة مفتقرة الى فاعل مختار فأىّ ضرر فى الدين ينشأ من كونها كرة ويحتمل ان يكون المراد باستوائها كونها مسطحة ملساء والثالث قوله او فتممها واستعمال التسوية فى معنى الاتمام والاصلاح شائع والثالث من وجوه كيفية البناء ما اشار اليه بقوله واغطش ليلها وانما اضافه اليها وحق حق الليل ان يضاف الى الارض لكونه اسما لزمان الظلمة الحاصلة فى الهواء بسبب حيلولة الارض بينها وبين الشمس فهو فى الحقيقة ظل الارض الا انه اضيف الى السماء للملابسة بينهما من حيث ان الليل يحدث بسبب غروب الشمس اى يحصل بسبب حركة الفلك والاضافة يكفى فيها ادنى الملابسة بين المضاف والمضاف اليه والظلمة الحاصلة فى الليل لما حصلت بتدبير الله تعالى وتقديره لم يرد ان يقال قوله اغطش ليلها بمنزلة ان يقال جعل المظلم مظلما فلا وجه له والرابع من وجوه كيفية بناء السماء ما اشار اليه بقوله واخرج ضحاها فسر المصنف الاخراج بالابراز وهو ظاهر والضحى بالضوء وحمل الكلام على تقدير المضاف اى واخرج ضحى شمسها لان الضحى هو ضوء الشمس لقوله تعالى والشمس وضحاها وحذف

(لدلالة)

ويجوز ان يكون مصدرا مؤكدا مقدرا بفعله (ان فى ذلك لعبرة لمن يخشى) لمن كان من شأنه الخشية (ءأنتم اشدّ خلقا) اصعب خلقا (ام السماء) ثم بين كيف خلقها فقال (بناها) ثم بين البناء فقال (رفع سمكها) اى جعل مقدار ارتفاعها من الارض او ثخنها الذاهب فى العلوّ رفيعا (فسوّاها) فعدلها او فجعلها مستوية او فتممها بما يتم به كمالها من الكواكب والدوائر وغيرهما من قولهم سوّى فلان امره اذا اصلحه (واغطش ليلها) اظلمه منقول من غطش الليل اذا اظلم وانما اضافه اليها لانه يحدث بحركتها

لدلالة الضحى عليه ﴿ قوله يريد النهار ﴾ اى يريد بضحى الشمس وضوئها النهار وانما عبر عن النهار بضوء الشمس تسمية للمحل باسم اشرف ما حل فيه فان فضل النهار على الليل انما هو لاشتماله على نور الشمس وضوئها فهو اشرف مافيه فسمى النهار به اذلك لما بين الله تعالى كيفية خلق السماء اتبعه بكيفية خلق الارض فقال والارض بعد ذلك دحاها والجمهور على نصب الارض والجبال بفعل مضمر مفسر بما بعده اى ودحا الارض وارسى الجبال وقرئ بالرفع والنصب هو المختار هنا لكون هذه الجملة معطوفة على الفعلية التى قبلها وبتقدير النصب يحصل التناسب بينهما وكلمة بعد تقتضى ان يكون دحو الارض بعد خلق السماء ولايعارضه قوله تعالى فى سورة حم السجدة ثم استوى الى السماء بعد قوله خلق الارض فى يومين وجعل فيها رواسى من فوقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها فى اربعة ايام لما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال خلق الله الارض باقواتها من غيران يدحوها قبل السماء فسواهن سبع سموات ثم دحا الارض بعد ذلك وقد ذكر اختلاف الناس فى خلق السماء والارض انهما كان اولا فى سورة البقرة وسورة فصلت وقيل كلمة بعد ههنا بمعنى مع كأنه تعالى قال والارض مع ذلك دحاها كقوله تعالى عتل بعد ذلك زنيم اى مع ذلك وقيل انها هنا بمعنى قبل كما فى قوله تعالى ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر اى من قبل الفرقان ﴿ قوله ورعيها ﴾ اى كلأها فان الرعى بكسر الراء الكلأ وبالفتح المصدر والمرعى فى اصل اللغة يطلق على موضع الرعى بفتح الراء وعلى زمانه وعلى نفس المعنى المصدرى الا انه لم يسمع استعماله فى المعنيين الاخيرين ويطلق ايضا على الرعى بكسر الراء وهو الكلأ وهو مجاز فى هذا المعنى مبنى على تشبيه الكلأ بموضع الرعى بالمعنى المصدرى فى تعلق الرعى بالفتح بكل واحد منهما ويجوز ان يكون المرعى اذا اريد به الكلأ مصدرا ميميا بمعنى المفعول ﴿ قوله تمتيعا لكم ﴾ على ان المتاع بمعنى التمتيع كالسلام بمعنى التسليم وانتصابه اما على انه مصدر لفعله المحذوف المدلول عليه بسياق الكلام اى متعناكم بها تمتيعا او على انه مفعول له اى فعلنا ذلك تمتيعا لكم ﴿ قوله وتجريد الجملة عن العاطف ﴾ جواب عما يقال لم جرد قوله اخرج عن العاطف مع كون الجمل المتقدمة مصدرة به فاجاب عنه اولا بان هذه الجملة فى موضع الحال من مفعول دحاها باضمار قد فان الماضى المثبت اذا وقع حالا لابد له من قد ظاهرة او مقدرة لمنافاة الظاهرى بين لفظ الماضى والحالية وباضمار قد يكون الماضى قريبا من الحال فيرتفع التنافى وفى مثله يجوز ترك الواو كما فى قوله تعالى او جاؤكم حصرت صدورهم فلذلك جرد قوله اخرج منها ماءها ومرعاها عن العاطف وثانيا بانها جردت عن العاطف لكونها جملة مستأنفة لبيان قوله دحاها فان معناه بسطها ومهدها للسكنى ودحو الارض وتمهيدها لسكنى الحيوان لايكون الا باشتمالها على ما لابد منه فى تأتى السكنى فيها من تهيئة امر المأكل والمشرب باخراج الماء والمرعى ومن ارساء الجبال عليها اوتادا لها لتستقر فيتأتى السكون والقرار عليها والكلام المستأنف لايعطف على ماقبله فلذلك جردت عن العاطف ثم انه تعالى لما بين ان بعث الاموات هين عليه تعالى حيث قال ءانتم اشد خلقا ام السماء بناها اخبر عن وقوعه وبين ما يكون وقت وقوعه من تذكر الانسان ما عمله وابراز الجحيم لجميع اهل الساهرة بحيث لايخفى على احد فقال فاذا جاءت الطامة الكبرى اى بعد ما بين لكم امكان البعث وسهولته فاعلموا انه اذا جاءت الطامة اى الحادثة التى تعلو على ماسواها وتقهره يقال جاء السيل فطم الركية اى دفنها وسواها وكل شئ كثر حتى علا وغلب فقد طم ﴿ قوله وما موصولة ﴾ اى الذى سعاه وعمله فى الدنيا من خير او شر او مصدرية اى يتذكر سعيه ﴿ قوله لكل راء ﴾ هذا العموم مستفاد من لفظة من لانها من الفاظ العموم وبرى منزل منزلة اللازم وهذا العموم لاينافيه قوله تعالى فى سورة الشعراء وازلفت الجنة للمتقين وبرزت الجحيم للغاوين لان اظهارها انما هو لتهديد الغاوين خاصة ولكن المؤمنون يرونها انها مأوى الكفار ومثواهم والمؤمنون يمرون عليها حال مجاوزة الصراط ويؤيده قوله تعالى وان منكم الا واردها الى قوله ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا ويحتمل ان يكون اظهارها لكل راء عبارة عن اظهارها اظهارا بينا لانها صور اعمال المبطلين ابرزها تعالى يوم البعث بصور الحقيقة ليجازوا بها جزاء وفاقا ولايلزم منه ان يراها كل راء بل يجوز ان لايراها الا اصحاب تلك الاعمال كما لايرى جنة الاعمال الصالحة الا اهلها ﴿ قوله دل عليه يوم يتذكر ﴾ اى اذا جاءت يتذكر الانسان سعيه وما عمله ويعرف كل ما يستحقه ومأواه ﴿ قوله او ما بعده ﴾ اى يجوز ان يكون جواب اذا محذوفا دل عليه قوله تعالى فاما من طغى الى آخر الآية كأنه قيل فاذا جاءت الطامة فان الامر كذلك اى فان الطاغى للجحيم وهى مأواه وان الخائف للجنة

(واخرج ضحاها) وابرز ضوء شمسها كقوله تعالى والشمس وضحاها يريد النهار (والارض بعد ذلك دحاها) بسطها اومهدها للسكنى (اخرج منها ماءها) بتفجير العيون (ومرعاها) ورعيها وهو فى الاصل لموضع الرعى وتجريد الجملة من العاطف لانها حال باضمار قد اوبيان للدحو (والجبال ارساها) اثبتها وقرئ والارض والجبال بالرفع على الابتداء وهو مرجوح لان العطف على فعلية (متاعا لكم ولانعامكم) تمتيعا لكم ولمواشيكم (فاذا جاءت الطامة) الداهية التى تطم اى تعلو على سائر الدواهى (الكبرى) التى هى اكبر الطامات وهى القيامة او النفخة الثانية او الساعة التى يساق فيها اهل الجنة الى الجنة واهل النار الى النار (يوم يتذكر الانسان ماسعى) بان يراه مدونا فى صحيفته وكان قد نسيها من فرط الغفلة اوطول المدة وهو بدل من اذاجاءت وماموصولة اومصدرية (وبرزت الجحيم) واظهرت (لمن يرى) لكل راء بحيث لايخفى على احد وقرئ وبرزت ولمن رأى ولمن ترى على ان فيه ضمير الجحيم كقوله تعالى اذا رأتهم من مكان بعيد او انه خطاب الرسول صلى الله عليه وسلم اى لمن تراه من الكفار وجواب فاذا جاءت محذوف دل عليه يوم يتذكر الانسان او مابعده من التفصيل

وهي مأواه فان قيل على ماذكرت يكون الجواب هو الجملة الشرطية المصدرة باما التفصيلية الدالة على تفصيل ما اجمل سابقا ولم يسبق في الكلام مجمل حتى تكون كلة اما تفصيلا له فيكون لغوا خاليا عن الفائدة قلنا انها ليست للتفصيل هنا بل هي حرف جيء بها لتوكيد ترتب الجزاء على الشرط وبيان ان الحكم ثابت البتة كما في قولك اما زيد فمنطلق فان معناه مهما يكن من شيء فزيد منطلق اي ان يقع في الدنيا شيء يقع انطلاق زيد مرتبا عليه والمقصود القطع بوقوع الانطلاق حيث جعل وقوعه لازما لوقوع شيء ما في الدنيا وفي شرح الرضي جواز السكوت على مثل قولك اما زيد فقائم برفع دعوى لزوم التفصيل فيها ويحتمل ان يكون قوله او مابعده معطوفا على قوله يوم يتذكر والمعنى او دل على الجواب المحذوف مابعد قوله يوم يتذكر الانسان من التفصيل وتقدير الكلام فاذا جاءت الطامة الكبرى يقع مالايدخل تحت الوصف والبيان ويكون قوله فامامن طغى تفصيلا لذلك المحذوف ﴿قوله واللام فيه سادة مسد الاضافة﴾ اي الى مايعود الى المبتدأ يعني انه لابد في الخبر من رابط يربطه بالمبتدأ اذا كان جملة وكلة من في قوله من طغى موصولة في موضع الرفع على الابتداء وقوله طغى صلتها وقوله فان الجحيم هي المأوى خبره ولاضمير فيه يعود الى المبتدأ فذهب البصريون الى ان تقدير الكلام فان الجحيم هي المأوى له وانما حذف لطول الكلام وذهب الكوفيون الى ان تقديره فان الجحيم هي مأواه فسد الالف واللام مسد العائد لعدم الالتباس يعني ان ترك التعريف بالاضافة لعدم الحاجة الى تعريف المأوى بالاضافة الى صاحبها لان كل احد علم ان صاحب المأوى هنا هو الطاغي فلما لم يحتج الى الرابط لعدم الالتباس ترك العائد ولم يضف الاسم بل عرّف تعريف الحقيقة للدلالة على ان حقيقة المأوى في حقه هو الجحيم ليس الا وليست اللام في المأوى لتعريف العهد اذلم يسبق حصة من الحقيقة معهودة بين المتكلم والمخاطب لاصريحا ولا كناية فقوله واللام فيه سادة مسد الاضافة ليس معناه انه ترك الاضافة الى الضمير العائد واقيم حرف التعريف مقامها من حيث ان حرف تعريف العهد يغني غناء الاضافة الى الضمير في افادة الربط بل معناه انه ترك الاضافة الى الضمير لعدم الاحتياج الى مايدل على الربط وعرف الاسم تعريف الجنس مع توسيط ضمير الفصل بينه وبين اسم ان لافادة الحصر ومثل هذا الضمير لاموضع له عند الخليل وبعض العرب يجعله مبتدأ ومابعده خبره ﴿قوله مقامه بين يدي ربه﴾ يعني ان المقام انما هو للعبد واضيف اليه تعالى للابتداء له تعالى من حيث كونه بين يديه ومقاما لحسابه والعبد انما يخاف من ذلك المقام لعلمه بالمبدأ والمعاد فان الخشية من الله تعالى نتيجة العلم به والخشية من مقام الحساب نتيجة العلم بالمعاد ولما كان الخوف من الله تعالى سببا وعلة لمخالفة الهوى ونهي النفس عن الهوى قدمه عليه ضرورة تقدم العلة على المعلول وكما ان الطغيان وايثار الحياة الدنيا والذهول عن الآخرة اصل لجميع القبائح والسيئات فكذلك الخوف من الله تعالى ومخالفة الهوى اصل جميع الطاعات والحسنات ولذلك كان الوصفان الاولان سببا لكون صاحبهما من اهل الجحيم وكان الوصفان الاخيران سببا للسعادة الابدية ﴿قوله متى ارساؤها﴾ على ان ايان ظرف زمان بمعنى متى مبني على الفتح لتضمنه معنى حرف الاستفهام وان المرسى مصدر بمعنى الارساء وهو الاثبات فان المصدر الميمي واسمي الزمان والمكان مما زاد على الثلاثي يكون على لفظ اسم المفعول فيه وقوله تعالى مرساها مبتدأ وايان خبره ﴿قوله او منتهاها ومستقرها﴾ على ان يكون المرسى اسم مكان ينتهي اليه المتحرك ويستقر فيه كمرسى السفينة كأن الساعة شيء متحرك يجري الى جانب الوقوف مثل جريان السفينة الى مستقرها وكان المشركون يسمعون اخبار القيامة واوصافها الهائلة مثل انها طامة كبرى وصاخة وقارعة فيسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وقت وقوعها فنزل ايان مرساها استعجالا لها واستهزاء بمن يخبر عنها وايهاما لاتباعهم انه لااصل لها كما قال تعالى يستعجل بها الذين لايؤمنون بها ﴿قوله من ان تذكر وقتها لهم﴾ اشارة الى ان قوله من ذكراها فيه مضاف محذوف وهو الوقت وصلة محذوفة هي لهم والقرينة الدالة عليهما ذكره في مقابلة حكاية سؤال الكفار عن وقت اتيانها فان ايان مرساها سؤال منهم عن وقت اتيانها وفيم انت في مقابلة حكاية سؤالهم وهي قرينة دالة على ذينك المحذوفين والمعنى ما انت في شيء من تبيين وقتها لهم لانك لاتعلم وقتها لان الاستفهام في قوله فيم انت للانكار اي ان تبيين وقتها لهم لايزيدهم الا غيا فعلى هذا انت مبتدأ وفيم خبره قدم عليه ومن ذكراها متعلق بما تعلق به الخبر ﴿قوله وقيل فيم﴾ عطف على نحو كلامه السابق اي وقيل قوله فيم ليس خبرا مقدما لمابعده بل هو خبر مبتدأ محذوف اي فيم هذا السؤال الواقع من الكفرة فتم الكلام عنده ثم استأنف

(فامامن طغى) حتى كفر (وآثر الحياة الدنيا) فانهمك فيها ولم يستعد للآخرة بالعبادة وتهذيب النفس (فان الجحيم هي المأوى) هي مأواه واللام فيه سادة مسد الاضافة للعلم بان صاحب المأوى هو الطاغي وهي فصل او مبتدأ (واما من خاف مقام ربه) مقامه بين يدي ربه لعلمه بالمبدأ والمعاد (ونهى النفس عن الهوى) لعلمه بانه مرد (فان الجنة هي المأوى) ليس له سواها مأوى (يسألونك عن الساعة ايان مرساها) متى ارساؤها اي اقامتها واثباتها او منتهاها ومستقرها من مرسى السفينة وهو حيث تنتهي اليه وتستقر فيه (فيم انت من ذكراها) في اي شيء انت من ان تذكر وقتها لهم اي ما انت من ذكراها لهم وتبيين وقتها في شيء فان ذكراها لايزيدهم الا غيا ووقتها مما استأثره الله تعالى بعلمه وقيل فيم انكار لسؤالهم وانت من ذكراها مستأنف معناه انت ذكر من ذكراها اي علامة من اشراطها فان ارساله خاتما للانبياء امارة من اماراتها

بجملة انت من ذكراها بيانا لسبب الانكار على سؤالهم كأنه قيل انها قريبة غير بعيدة لانك علامة من علاماتها فارسالك بكيفهم دليلا على دنوها والاهتمام بتحصيل الاعتداد لها فلامعنى لسؤالهم عنها ﴿قوله وقيل انه متصل بسؤالهم﴾ اى وقيل انه ليس من كلامه تعالى على احد الوجهين بل هو من تتمة قول المشركين ايان مرساها والمعنى يسألونك عن الساعة قائلين متى ارساؤها وفى اى شئ انت متحاشيا من ان تذكر وقتها لنا فقال تعالى فى جوابهم الى ربك منتهى علمها ﴿قوله وهو لايناسب تعيين الوقت﴾ اى كون حالك مقصورا على الانذار لايناسب تعيين الوقت اذ لامدخل لتعيين وقتها فى الانذار وان محض الانذار لايتوقف على علم المنذر بوقت قيامها بل المناسب لذلك تعيين مايكون حاملا للمبعوث اليهم على الخشية وتحصيل الاستعداد لها بالايمان والطاعة ﴿قوله على الاصل﴾ فان الاصل فى اسم الفاعل اذا كان بمعنى الحال او الاستقبال الاعمال والاضافة انما هى للتخفيف ثم انه تعالى لمابين كونه عليه الصلاة والسلام مبعوثا لمجرد الانذار من الساعة وشدآئدها بين ان شدتها بحيث انهم يوم يعاينونها يستقصرون مدة لبثهم فى الدنيا او فى قبورهم ويزعمون انهم لم يلبثوا فيها الاآخر يوم او اوله يوم ظرف لمافى كأن من معنى التشبيه * ولما ورد ان يقال ماوجه اضافة الضحى الى ضمير العشية والعشية لاضحى لها وانما الضحى لليوم * اشار الى جوابه بقوله اى عشية يوم او ضحاه يعنى ان تنوين عشية عوض عن المضاف اليه وهو يوم منكر ومعنى قوله او ضحاها او ضحى ذلك اليوم الذى اضيف اليه العشية الا ان الضحى والعشية لما كانا من يوم واحد تحققت بينهما ملابسة مصححة لاضافة احدهما الى الآخر فلتلك الملابسة اضيف الضحى الى العشية والمراد اضافته الى يوم تلك العشية ومثله شائع فى كلام العرب يقولون آتيك الغداة او عشيتها وآتيك العشية او غداتها يريدون آتيك غداة النهار او عشية النهار الذى تلك الغداة اوله فحذف ماحذف للاختصار ﴿قوله كان ممن حبسه الله فى القيامة حتى يدخل الجنة قدر صلاة مكتوبة﴾ عبارة عن استقصار مدة لبثه فيها بمايلق من البشرى والكرامة فى البرزخ والموقف * تمت سورة والنازعات بفضل الله تعالى وكرمه واحسانه ومنه ولطفه

﴿ سورة عبس مكية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿قوله تعالى عبس﴾ يقال عبس اى كلح بوجهه يعنى ان النبى صلى الله عليه وسلم عبس وتولى اى اعرض بوجهه والصناديد جمع صنديد وهو السيد الشجاع وكان عليه الصلاة والسلام يدعوهم الى الاسلام تبليغالهم ورجاء ان يسلم باسلامهم غيرهم لان عادة الناس انه اذا مال اكابرهم الى امر مال اليه الاصاغر ﴿قوله على اختلاف المذهبين﴾ اى فى تنازع الفعلين فان الفعلين المذكورين تنازعا واستدعى كل واحد منهما ان ينصب قوله ان جاءه على انه مفعول له فأعمل البصريون الفعل الثانى لقربه منه اى تولى لان جاءه الاعمى والكوفيون اعملوا الفعل الاول اى عبس لان جاءه وام مكتوم كنية ام ابيه وكان ابن ام مكتوم معروفا بجدته لابيه * وروى انه لما نزلت الآية خرج عليه الصلاة والسلام فى طلبه وهو يقول من رأى الاعمى فالقيه بانقه وقال لن تزال فى عيالى مابقيت عيال محمد صلى الله عليه وسلم وروى انه عليه الصلاة والسلام ماعبس فى وجه فقير بعد نزول هذه الآيات ﴿قوله وقرئ أآن بهمزتين وبالف بينهما﴾ اى بهمزتين فقط وبهمزتين بينهما الف للفصل بين همزة الاستفهام وهمزة ان ومعنى الاستفهام الانكار وعلى هاتين القرآءتين يوقف على تولى ثم يبتدأ بقوله أان جاءه على معنى ألان جاءه الاعمى فعل ذلك فقوله أان على هاتين القرآءتين ليس متعلقا بماقبله ﴿قوله وذكر الاعمى للاشعار الخ﴾ جواب عما يقال انه تعالى لما عاتب سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم على مجرد انه عبس فى وجه ابن ام مكتوم كان ذلك تعظيما عظيما منه تعالى لابن ام مكتوم واذا كان كذلك فكيف يليق بمثل هذا التعظيم ان يذكره باسم الاعمى مع ان ذكر الانسان بهذا الوصف يقتضى تحقير شأنه * اجاب عنه اولا بان ذكره بلفظ الاعمى ليس لتحقير شأنه بل للاشعار بعذره فى الاقدام على مافعله والدلالة على انه احق بالكرامة وثانيا بانه كان لزيادة الانكار على مافعله من العبوس والتولى فان اهل الاعذار وسع الله فى حقهم مالم يوسع فى حق غيرهم كأنه يقول انه بسبب عماه استحق مزيد الرفق والرأفة فكيف يليق بك ان تخصه بالغلظة والتولى وانماقال لزيادة الانكار لان اصل الانكار مستفاد من قوله عبس وتولى باسناد الفعلين الى ضميره عليه الصلاة والسلام بصيغة الغيبة فان مقتضى الظاهر ان يقال عبست وتوليت عمن جاءك بصيغة الخطاب

وقيل انه متصل بسؤالهم والجواب (الى ربك منتهاها) اى منتهى علمها (انما انت منذر من يخشاها) انما بعثت لانذار من يخاف هولها وهو لايناسب تعيين الوقت وتخصيص من يخشى لانه المنتفع به وعن ابى عمرو منذر بالتنوين والاعمال على الاصل لانه بمعنى الحال (كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا) اى فى الدنيا او فى القبور (الاعشية او ضحاها) اى عشية يوم او ضحاه كقوله تعالى الاساعة من نهار ولذلك اضاف الضحى الى العشية لانهما من يوم واحد * عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والنازعات كان ممن حبسه الله فى القيامة حتى يدخل الجنة قدر صلاة مكتوبة

﴿ سورة عبس مكية وهى احدى ﴾

﴿ واربعون آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(عبس وتولى ان جاءه الاعمى) روى ان ابن ام مكتوم اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده صناديد قريش يدعوهم الى الاسلام فقال يارسول الله علمنى مما علمك الله وكرر ذلك ولم يعلم تشاغله بالقوم فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم قطعه لكلامه وعبس واعرض عنه فنزلت فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكرمه ويقول اذا رآه مرحبا بمن عاتبنى فيه ربى واستخلفه على المدينة مرتين وقرئ عبس بالتشديد للمبالغة وان جاءه علة لتولى او عبس على اختلاف المذهبين وقرئ أآن بهمزتين وبالف بينهما بمعنى ألان جاءه الاعمى فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر الاعمى للاشعار بعذره فى الاقدام على قطع كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقوم والدلالة على انه احق بالرأفة والرفق

فالسلوك الى طريق الغيبة يشعر ان العابس والمتولى غير المخاطب وانه يشكى الى المخاطب من فعله وذلك يدل على ان ذلك الفعل منكر لا يتصور وقوعه ممن جبل على خلق عظيم وبعث رحمة للعالمين وانما المتصور ان يقع ذلك من غيره وان يشكو المتكلم الى المخاطب منه وهو انكار عظيم لو قوعه فيكون ذكر ذلك المستهزأ به بوصف الاعمى مفيداً زيادة الانكار عليه كأنه قيل قد استحق ذلك المسكين عندك العبوس والاعراض عنه وكان من حقه ان تزيد لعماه التعطف والاهتمام بامره كما ان وجه الالتفات من الغيبة الى الخطاب فى قوله تعالى وما يدريك هو زيادة الانكار على فعله فانه تعالى صوّر فعله مع الرسول صلى الله عليه وسلم فى صورة من يشكو الى احد جانيا جنى عليه ويقبل على الجانى حين التهب غضبه وحمى رأسه مواجها اياه بالتوبيخ والزام الحجة فكان الالتفات الواقع فى الآية لمزيد الانكار فان قيل ان ابن ام مكتوم كان قد استحق التأديب والزجر لانه وان كان لا يرى القوم لعماه لكنه لصحة سمعه كان يسمع مخاطبة الرسول صلى الله عليه وسلم مع اولئك الكفار ويعرف بذلك شدة اهتمامه صلى الله عليه وسلم بشأنهم فيكون اقدامه على قطع كلامه عليه الصلاة والسلام ايذاء له ولاشك ان ايذاءه عليه الصلاة والسلام معصية عظيمة وايضا الاهم مقدم على المهم وقد كان ابن ام مكتوم اسلم وتعلم ما يحتاج اليه من امر الدين بخلاف الصناديد المذكورة فانهم لم يسلموا بعد وقد كان اسلامهم سببا لاسلام جمع عظيم فكان الاصرار على دعوتهم وتقرير الدلائل لهم والزام الحجة عليهم اهم وأليق بحاله عليه الصلاة والسلام وكان قطع الكلام معهم والاقبال على ابن ام مكتوم تقديما للنفع القليل على الخير العظيم ولا وجه له فثبت بهذين الوجهين ان ابن ام مكتوم كان يستحق التأديب والزجر فكيف عاتب الله تعالى رسوله على التأديب بترك الاقبال عليه والتولى عنه والحال انه عليه الصلاة والسلام انما بعث ليؤدب المؤمنين ويعلمهم محاسن الآداب * واجيب عنه بوجهين احدهما ان الامر كما ذكر الا انه عليه الصلاة والسلام عوتب بناء على ان ما فعله يوهم ظاهره تقديم الاغنياء على الفقراء وقلة المبالاة بانكسار قلوب الفقراء وهو لا يليق بمنصب النبوة وثانيهما ان ابن ام مكتوم وان كان قد استحق التأديب والتولى الا انه تعالى لم يعاتبه عليه الصلاة والسلام على ذلك بل على ما كان فى قلبه من الميل اليهم بسبب قرابتهم وعلو منصبهم وشرفهم وان لم ينفر طبعه من الاعمى بسبب عماه وعدم قرابته وقلة شرفه فما كان العبوس والتولى لهذه الداعية لا لاجل تأديبه على ما ارتكبه من الذنب عوتب على ذلك ﴿ قوله واى شئ يجعلك داريا بحاله ﴾ اى بحال هذا الاعمى قدّر لفعل الدراية مفعولا تنبيها على ان قوله لعله يزكى ليس مفعوله بل تم الكلام عند قوله وما يدريك فيوقف عليه ويبتدأ بما بعده على معنى وما يطلعك على امره وعاقبة حاله على ان الاستفهام بمعنى النفى اى لا يدريك شئ ثم ابتدأ فقال لعله يزكى على ان ضمير لعله للاعمى ولعل فى كلامه تعالى مستعمل فى معنى القطع والتحقق مجازا فان لعل ونحوه فى كلام العظماء يرادبها ذلك وتلقف الشئ تناوله بسرعة والمراد به ههنا الاستفادة والتعلم ﴿ قوله وقيل الضمير فى لعله للكافر ﴾ فعلى هذا كلمة لعل على اصل معناها الذى هو الترجى الكائن من قبله صلى الله عليه وسلم ولذلك قال انك طمعت فى اسلامه الخ ﴿ قوله وقرأ عاصم ﴾ اى قرأ فتنفعه بالنصب والباقون بالرفع فمن رفعه جعله معطوفا على يذكر ومن نصبه نصبه على انه جواب لعل بالفاء فان الفعل المضارع ينتصب بان مقدرة بعد الفاء بشرطين احدهما السببية وثانيهما ان يكون قبلها احد الاشياء الستة الامر والنهى والاستفهام والنفى والتمنى والعرض ولاشبهة فى تحقق الشرط الاول ههنا بخلاف الشرط الثانى فانه غير متحقق بحسب الظاهر الا انه حمل الترجى على التمنى من حيث ان متعلق كل واحد منهما غير موجود بل مطموع الحصول بعد فقدرت ان بعد الترجى كما قدرت بعد التمنى ليكون الفعل معها فى تأويل المصدر فعطف المصدر على المصدر الاول هربا من عطف الاخبار على الانشاء فتقدير الآية فلعله يكون منه تذكر فانتفاع ونظيره قوله تعالى لعلى ابلغ الاسباب ثم قال فأطلع بالنصب على قرآءة حفص والمعنى لعله يكون منى بلوغ الاسباب فالاطلاع الى اله موسى ويحتمل ان تكون كلمة لعل ههنا بمعنى التمنى كما يدل عليه عبارة الكواشى حيث قال ونصب على جواب التمنى قال صاحب المفتاح وسبب مجئ لعل بمعنى التمنى فى قولهم لعلى ساحج فأزورك بالنصب هو بعد المرجو عن الحصول ﴿ قوله تعالى اما من استغنى ﴾ اى عن الله تعالى وعن الايمان وعن التزكى بماله من المال كذا روى عن ابن عباس رضى الله عنه وقول المصنف فيما بعد يسرع طالبا للخير يدل على ان المعنى هنا من استغنى عن طلب الخير مطلقا والتصدى للشئ عبارة عن التعرض له والتقيد به والاهتمام بشأنه بالقلب والقالب بان تقبل عليه بوجهك وتميل اليه بقلبك وضده التشاغل عنه بالميل الى

اوزيادة الانكار كأنه قال تولى لكونه اعمى كالالتفات فى قوله (وما يدريك لعله يزكى) اى واى شئ يجعلك داريا بحاله لعله يتطهر من الآثام بما يتلقف منك وفيه ايماء بان اعراضه كان لتزكية غيره (او يذكر فتنفعه الذكرى) او يتعظ فتنفعه موعظتك وقيل الضمير فى لعله للكافر اى انك طمعت فى تزكيه بالاسلام وتذكره بالموعظة ولذلك اعرضت عن غيره فما يدريك ان ما طمعت فيه كائن وقرأ عاصم بالنصب جوابا للعل (اما من استغنى فانت له تصدى) تتعرض بالاقبال عليه واصله تتصدى وقرأ ابن كثير ونافع تصدى بالادغام وقرئ تصدى اى تعرض وتدعى الى التصدى

غيره ويقال له التلهي والتغافل واصل تصدّى تصدّى يقال تصدّد لشئ تصدّد اذا كان في صدده وقربه ومواجهته والصدد ما استقبلك وصار في قبالتك وفي الصحاح الصدد القرب يقال دار صدد داري اي قبالها نصب على الظرف وحذف تاء التفعل من تصدّد للتخفيف وابدلت الدال الاخيرة ياء كما في تقضي البازي ومن قرأ تصدّى بتشديد الصاد ادغم تاء التفعل في الصاد بعد قلبها صادا وقرئ تُصدّى بضم التاء وتخفيف الصاد اي تحمل وتدعى الى التعرّض والتصدّي له اي يدعوك داع الى التعرّض والتصدّي له من الحرص والتهالك على اسلامه ﴿ قوله وليس عليك بأس ﴾ اشارة الى ان ما في وما عليك نافية بمعنى ليس حذف اسمها وعليك خبرها وقوله ألا يزكى في موضع الجرّ بكلمة في المقدّرة المتعلقة باسم لا وهو بأس المقدّر والجملة في موضع النصب على انها حال من فاعل تصدّى مقرّرة لجهة الانكار ويجوز ان تكون كلمة ما استفهامية على معنى اي شئ عليك ان لا يزكى بالاسلام من تدعوه اي لا شئ عليك فيه فيؤول المعنى الى كونها نافية وقوله يسعى حال من فاعل جاءك وقوله وهو يخشى جملة حالية من فاعل يسعى على التداخل اي يسعى حال كونه خائفا من الله تعالى ان يقصر في اداء شئ من تكاليفه وما اوجبه عليه ﴿ قوله للاشعار بان العتاب على اهتمام قلبه بالغنيّ وتلهيه عن الفقير ﴾ لا عن مجرّد تعبيس الوجه والتولي عنه ووجه الاشعار انه تعالى ذكر المتصدّى له بوصف الاستغناء فأشعر ذلك ان سبب العتاب على تصدّيه عليه الصلاة والسلام هو جعل تصدّيه متعلقا بالمستغني وكذا وصف المتلهى عنه بالسعي الى الخير والافتقار والخشية يدل على ان سبب العتاب هو التلهي عن من اتصف بالوصف المذكور والظاهر ان المراد بالغنيّ المستغني عما دعى اليه من التزكي بالايمان والطاعة وبالفقير الطالب المحتاج الى ذلك فانه عليه الصلاة والسلام حاشاه ان يكون تصدّيه لصناديد لاجل شدّتهم وكثرة اموالهم وتلهيه عن الاعمى لعدمه وفقد ماله ﴿ قوله ردع عن المعاتب عليه ﴾ وهو تلهيه عليه الصلاة والسلام عمن جاءه يسعى وهو يخشى وتصدّيه لمن استغنى عن الحسن انه قال لما تلا جبريل عليه الصلاة والسلام على النبيّ صلى الله عليه وسلم هذه الآيات عاد وجهه كأنما اسف فيه الرماد ينتظر ماذا يحكم الله تعالى عليه فلما قال كلا سرّي وانكشف ﴿ قوله والضميران ﴾ اي ضمير انها وضمير ذكره فان كانا للقرآن يكون وجه ارتباط هذه الآية بما قبلها انه تعالى لما ذكر استغناء الصناديد عن قبول ما دعاهم اليه عظم شأن القرآن ووصفه بانه هدى للناس وتذكرة لهم وليس شرفه وعلوّ قدره بقبول الصناديد اياه حتى تتهالك على قبولهم اياه بل ان شرف الخلق بقبولهم اياه واتعاظهم به فمن شاء اتعظ به فاقتصر على تبليغه اليهم ودع الحرص على قبولهم وايمانهم واياك ان تعرض عمن آمن به تطييبا لقلوب من استغنى عنه وان كان الضميران للعتاب يكون وجه الارتباط انه تعالى لما عاتب النبيّ صلى الله عليه وسلم على ما وقع منه من الاهتمام باسلام الصناديد المتضمن قلة المبالاة بشأن ضعفاء المسلمين مع جلالة قدره الشريف عنده تعالى عقبه بقوله ان هذه المعاتبة تذكرة اي موعظة للسامعين فاتعظوا بها يا معاشر من يطلب تحلية النفس بالاخلاق الحميدة والآداب المرضية والزموا باجلال الفقراء الطالبين تزكية نفوسهم عن المعاصي وتحليتها بالطاعات ﴿ قوله صفة لتذكرة ﴾ فيكون قوله فمن شاء ذكره جملة معترضة بين الصفة وموصوفها وان كان في صحف خبرا ثانيا لقوله انها تكون الجملة معترضة بين الخبرين ونقل عن صاحب الكشاف انه انكر كونها اعتراضا وقال شرط الاعتراض ان يكون بالواو او مجرّدا عنها واما الاعتراض بالفاء فغير مفهوم واجيب بان هذا النقل منه ينافي ما صرّح به الزمخشري في قوله تعالى فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون في سورة النحل من انه من الاعتراض على بعض الوجوه ويحتمل ان يكون في صحف حالا من ضمير انها وعلى التقديرين لا يوقف على قوله فمن شاء ذكره ويوقف عليه ان جعل في صحف خبر مبتدأ محذوف اي هي في صحف وهو جمع صحيفة وهي الصحف التي انتسخها الملائكة من اللوح وهي مكرّمة عند الله مرفوعة في السماء ويحتمل ان يكون المراد بالصحف صحف الانبياء عليهم الصلاة والسلام لقوله تعالى انّ هذا لفي الصحف الاولى وهي صحف الانبياء المتقدّمين اشار المصنف الى الاحتمالين بقوله كتبة من الملائكة او الانبياء ينسخون الكتب من اللوح او الوحي والسفرة كالكتبة لفظا ومعنى جمع سافر وهو الكاتب من سفر اذا كتب والسفر بالكسر الكتاب وبالفتح مصدر بمعنى الكتابة ﴿ قوله او سفراء ﴾ عطف على قوله كتبة اي ويحتمل ان يكون سفرة جمع سافر بمعنى سفير وهو الرسول الذي شأنه السفارة والتبليغ والى المعنيين اشار المصنف بقوله جمع سافر من السفر او السفارة وهي الرسالة امامن الله تعالى الى الرسل فيكون السفرة الملائكة واما من الله تعالى

(وما عليك ألا يزكى) وليس عليك بأس في ان لا يزكى بالاسلام حتى يبعثك الحرص على اسلامه الى الاعراض عمن اسلم ان عليك الا البلاغ (واما من جاءك يسعى) يسرع طالبا للخير (وهو يخشى) الله واذية الكفار في اتيانك او كبوة الطريق لانه اعمى لا قائد له (فأنت عنه تلهى) تتشاغل يقال لهى عنه والتهى وتلهى ولعل ذكر التصدّي والتلهي للاشعار بانّ العتاب على اهتمام قلبه بالغنيّ وتلهيه عن الفقير ومثله لا ينبغي له ذلك (كلا) ردع عن المعاتب عليه او عن معاودة مثله (انها تذكرة فمن شاء ذكره) حفظه او اتعظ به والضميران للقرآن او العتاب المذكور وتأنيث الاول لتأنيث خبره (في صحف) مثبتة فيها صفة لتذكرة او خبر ثان لانّ او خبر محذوف (مكرّمة) عند الله (مرفوعة) مرفوعة القدر (مطهرة) منزهة عن ايدي الشياطين (بأيدي سفرة) كتبة من الملائكة او الانبياء ينسخون الكتب من اللوح او الوحي او سفراء يسفرون بالوحي بين الله تعالى ورسله او الامة جمع سافر من السفر او السفارة

الى الامة فالسفرة بهذا المعنى هم الرسل من البشر ﴿ قوله و التركيب للكشف ﴾ اى تركيب حروف السفرة سوآء كان من السفر بمعنى الكتابة او من السفارة بمعنى الرسالة و التبليغ ينبئ عن معنى الكشف و التبيين اما على الاول فلأن فى الكتابة معنى الكشف و التوضيح و يقال للكتاب سفر و للكاتب سافر لان كل واحد منهما يبين الشئ و يوضحه و اما على الثانى فلأن السفير يعبر عن مرسله و يكشف عنه حكمه و لما ذكر السفرة اثنى عليهم بوصفين الاول انهم كرام اى يكرمون عند الله تعالى و الثانى انهم بررة اى اتقياء مطيعون فان كل واحد من الملائكة و الانبياء عليهم الصلاة و السلام كذلك « قال الامام قوله تعالى مطهرة بأيدى سفرة يقتضى ان تكون طهارة تلك الصحف انما حصلت بأيدى هؤلاء السفرة فقال القفال فى وجهه انها لما كانت لا يمسها الا الملائكة مطهرون قيل ذلك وهو قصر اضافى و المراد تزهد عن ايدى الشياطين كما اشار اليه المصنف بقوله منزهة عن أيدى الشياطين و ما ذكر من قول الامام مبنى على ان تكون الباء فى قوله تعالى بأيدى سفرة متعلقة بمطهرة و ليس بلازم لجواز تعلقها بمحذوف هو صفة الصحف اى صحف كائنة بأيدى سفرة و يجوز ايضا تعلقها بما تعلق به كلمة فى فى قوله فى صحف اى انها مثبتة فى صحف كذا بأيدى سفرة كذا ﴿ قوله دعاء عليه باشنع الدعوات ﴾ فان القتل اشنع و أشنعه « فان قيل الدعاء على الانسان انما يليق بالعاجز و القادر على كل شئ كيف يليق به ذلك « اجيب بان ذلك ورد على اسلوب كلام العرب فانهم اذا انكروا فعل احد يقولون قاتله الله و المقصود بيان انهم استحقوا اعظم انواع العقاب حيث اتوا باشنع القبائح فانه تعالى لما وصف الصناديد بالاستغناء عن الهدى و التمادى فى الاغترار بما لهم من اسباب الردى و هددهم بقوله فمن شاء ذكره عجب عباده المؤمنين من ترفع الكفار عن التذكر و الاتعاظ بهذه التذكرة البليغة و الذكر الحكيم كأنه قيل اى سبب فى هذا الاستغناء و الترفع مع ان اوله نطفة قذرة و آخره جيفة مذرة و هو فيما بين الوقتين حامل العذرة فقال قتل الانسان ما اكفره و هو صيغة تعجب و التعجب حالة انفعالية تعرض للنفس عند مشاهدة ما خفى سببه فهو تعالى منزه عن ذلك فذلك تعجيب من الله تعالى لخلقه اى اعجبوا من كفره بالله تعالى مع وضوح دلائل الوهيته و وحدانيته و كمال قدرته و نفاذ مشيئته و من كفر بجلائل نعمه مع معرفته بكثرة احسانه اليه من بدء خلقه الى ان يتوارى فى قبره و يحتمل ان تكون كلمة ما فى ما اكفره استفهامية و يكون معنى الاستفهام فيه التقريع و التوبيخ اى اى شئ حمله على الكفر قال المفسرون نزلت الآية فى عتبة بن ابى لهب و قيل المراد بالانسان الصناديد الذين اقبل عليه السلام عليهم و ترك ابن ام مكتوم بسببهم و قيل المراد ذم كل كافر ترفع بسبب غناه على الفقرآء لفقرهم لانه تعالى انما ذمهم لعتوهم فوجب ان يعم الحكم بسبب عموم العلة ﴿ قوله بيان لما انعم عليه ﴾ ليتضح كفرانه بنعم الله تعالى و ابتدأ باول ما انعم به عليه من مبدأ حدوثه وهو خلق مثل هذه الصورة البهية من مثل تلك المادة الحقيرة لكون هذه النعمة اصلا لجميع النعم المتعلقة به الى آخر عمره و الخصوصية و صف النعمة التى بينها بقوله من مبدأ حدوثه فان حدوث من هو فى احسن تقويم من مثل تلك المادة نعمة جليلة و لا وجد جلالها و صفا لنعم عليه لان النعمة المذكورة ليست مخصوصة بالانسان الذى دعى عليه بقوله قتل الانسان ضرورة ان ما فيه من التعريف ليس للاستغراق و لا لنفس الحقيقة فلابد ان تكون الاشارة الى حصة معينة تعيينا نوعيا او شخصيا ﴿ قوله و الاستفهام للتحقير ﴾ اى تحقير اصله للاشعار بان كل من كان اصله مثل هذا الشئ الحقير كيف يليق به التكبر و الكفران بحق من انعم عليه بهذه النعمة الجليلة كما قال الحسن كيف يتكبر من خرج من سبيل البول مرتين ﴿ قوله فهيأه لما يصلح له من الاعضاء و الاشكال ﴾ لما كان خلق الشئ عبارة عن احداثه على وفق التقدير كان مترتبا على التقدير و قد جعل التقدير فى الآية مترتبا على الخلق حيث قيل خلقه فقدره « فلذلك فسر التقدير المعطوف على الخلق بالتهيئة فان التقدير قد يستعمل بمعنى التهيئة ايضا فيقال قدره تقديرا بمعنى هيأه فهيأ فالمعنى احدثه احداثا راعى فيه التقدير الازلى فى حقه بما يتعلق باعضائه و اشكاله و كمياته و كيفياته فهيأه لما يصلح له من الاحوال العارضة له و المصالح المتعلقة به فى بابى الدين و الدنيا ﴿ قوله او فقدره اطوارا ﴾ اى و يجوز ان تكون الفاء للترتيب فى الذكر بان يكون قوله فقدره تفصيلا لما اجمل بقوله من نطفة خلقه فانه و ان وقع جوابا لقوله من اى شئ خلقه الا انه اجمل فيه كيفية خلقه من النطفة ففصل ذلك المجمل بقوله فقدره اى قدر فى حق ذلك المخلوق اطوارا نطفة ثم علقة الى آخر خلقه ذكرا او انثى شقيا او سعيدا و انما عطفه بالفاء لان التفصيل يعقب الاجمال ﴿ قوله و الحمد ان ينكس ﴾ اى ينقلب من الهيئة التى كان الجنين عليها فى بطن امه فان رأسه و هو فى بطن امه كان الى جانب

و التركيب للكشف يقال سفرت المرأة اذا كشفت وجهها (كرام) اعزآء على الله تعالى او متعطفين على المؤمنين يكلمونهم و يستغفرون لهم (بررة) اتقياء (قتل الانسان ما اكفره) دعاء عليه باشنع الدعوات و تعجب من افراطه فى الكفران و هو مع قصره يدل على سخط عظيم و ذم بليغ (من اى شئ خلقه) بيان لما انعم عليه خصوصا من مبدأ حدوثه و الاستفهام للتحقير و لذلك اجاب عنه بقوله (من نطفة خلقه فقدره) فهيأه لما يصلح له من الاعضاء و الاشكال او فقدره اطوارا الى ان اتم خلقته (ثم السبيل يسره) ثم سهل مخرجه من بطن امه بان فتح فوهة الرحم و الهمه ان ينكس

صدر امه و رجليه الى جانب رجليها وكانت فوهة الرحم غير مفتوحة قبل وقت الولادة فاذا جاء وقت الولادة انفتحت فوهة الرحم و انتكس المولود بان ينقلب و تصير رجلاه الى جانب صدر امه و رأسه الى جانب الفرج فيخرج رأسه اولا ولا يخفى ان ما ذكر تسهيل لسبيل الخروج فانه لولا الانفتاح و الانتكاس لما تأتى الخروج ﴿قوله او ذلل له سبيل الخير والشر﴾ اى ويجوز ان يكون المراد تسهيل الذى يختار سلوكه من طريق الخير والشر و تيسيره الاقدار على سلوكه و تمكنه منه و الهداية الى عاقبة كل واحد منهما ببعثة الانبياء و انزال الكتب و اعطاء العقل المميز و القوى و الاعضاء المستوية ﴿قوله وتعريفه باللام﴾ يعنى ان الكلام فى الانسان المدعو عليه و بيان ماانعم عليه فالمناسب للمقام ان يقال ثم يسر سبيله باضافة السبيل اليه الا انه عرف باللام للاشعار بانه غير مختص به بل هو سبيل عام لجميع المكلفين من الانس والجن على المعنى الثانى و للحيوانات ايضا على المعنى الاول ﴿قوله وفيه على المعنى الاخير ايماء﴾ وجه الايماء انه لما فسر السبيل بسبيل الخير و الشر فهم ان المكلف مادام فى هذه الدار فهو ابن السبيل و ان سبيله يؤديه اما الى خير و اما الى شر اى الى دار الجزاء بالثواب و العقاب و الدار الآخرة هى الدار التى يقربها ويؤيد حمل السبيل على هذا المعنى انه حينئذ يحسن انتظام مابعد هذه الآية بها ﴿قوله وعد الاماتة و الاقبار فى النعم﴾ لما جعل قوله تعالى من اى شئ خلقه الى قوله كلا مسوقا لبيان ما انعم الله تعالى به على الانسان وكفرانه به و خفى وجه كون الاماتة و الاقبار نعمة بين وجه ذلك بان الاماتة وصلة فى الجملة الى الحياة الابدية و بان الاقبار تكرمة و صيانة للميت من كونه طعمة للسباع و انما قال وصلة فى الجملة لان كونها وصلة الى ما ذكر انما هو بالنسبة الى المؤمن لا الكافر ه لايقال الكلام ههنا فى الكافر بقرينة قوله قتل الانسان ما اكفره فكيف تعد الاماتة نعمة فى حقه مع ان الموت فى حقه مفتاح لكل بلاء و محنة ه لانا نقول الاماتة فى نفسها شأنها ان تكون نعمة للميت يتخلص بها من سجن الدنيا الى سعة عالم الآخرة و كونها نقمة فى حق الكافر انما هو من سوء اعتقاده و سيئات اعماله ﴿قوله و الامر بالقبر﴾ منصوب بالعطف على الاماتة ه فان قيل من اى شئ استفيد الامر بالقبر و الحال انه ليس ههنا صيغة للامر ه قلنا هو مستفاد من قوله تعالى فأقبره فانه يقال قبر الحى الميت يقبره من باب نصر اذا دفنه بيده و القابر هو الدافن بيده و لا يقال اقبر الميت الا اذا امر غيره بان يجعله فى القبر فالمقبر هو الله تعالى لانه هو الآمر بان يدفن اموات بنى آدم فى القبور اكراما لهم و انهم لو ألقوا على وجه الارض كسائر الحيوانات لصاروا جزراً للطير و السباع و المراد بالانشار الاحياء و البعث منقول من نشر الميت ينشر نشورا اذا عاش بعد الموت ﴿قوله غير متعين فى نفسه﴾ اى كما انه غير متعين فى علمنا و لعل الوجه فيه ان تعين الوقت فى نفسه متفرع على بقاء الافلاك و حركاتها و تكور الليل و النهار و نشور الاموات انما يكون بعد خراب العالم فلا سبيل لنا ان نقول ان وقت النشور متعين فى نفسه و ان لم نعلمه بخصوصه لان تعين الوقت فى نفسه فرع تحققه و مالم يتحقق فى نفسه كيف يحكم عليه بانه متعين فى نفسه بخلاف الامور الواقعة حال بقاء العالم على حاله فان الموت مثلا و ان لم يتعين وقت وقوعه بالنسبة الينا الا انه متعين فى نفسه من حيث انه لايقع الا فى حد معين من حدود الزمان ﴿قوله لم يقض بعد من لدن آدم عليه الصلاة و السلام الى هذه الغاية﴾ اشارة الى ان فى لما توقعا و انتظارا و لذلك قال تعالى لما يقض و لم يقل لم يقض لان قضاء المأمور به كان متوقعا فى زمن كل احد لتعاضد دلائل وجوبه عليه و تحقق ما هو مناط التكليف فيه من العقل و التمييز و سلامة القوى الظاهرة و الباطنة و معنى بعد فى مثل هذا الموضع بالفارسية « هنوز » و كان اصله بعد ما مضى من الزمان الى هذا الوقت ثم حذف المضاف اليه فبنى بعد على الضم و قوله من لدن آدم الخ بدل من قوله بعد جئ به ابرازا لمعنى التوقع المدلول عليه بلفظ لما ه نقل الامام عن مجاهد انه قال فى تفسير الآية لايقضى احد جميع ما كان مفروضا عليه ابدا و هو اشارة الى ان الانسان لا ينفك عن تقصير البتة ثم قال و هذا التفسير عندى فيه نظر لان قوله لما يقض الضمير فيه عائد الى المذكور السابق و هو الانسان فى قوله قتل الانسان ما اكفره و ليس المراد من الانسان ههنا جميع الناس بل الانسان الكافر المترفع المتكبر فانه لم يقض ما امره الله تعالى به من ترك الكفر و التكبر بان يتأمل فى دلائل الله تعالى و يتدبر فى عجائب خلقه و بدائع حكمته فكيف يصح ان يقال فى تفسير الآية لا يقضى احد ما كان مفروضا عليه و كلمة ما فى قوله ما امره موصولة و عائدها يجوز ان يكون محذوفا و التقدير ما امره به فحذف الجار اولا فبقى ما امره هو ثم حذف العائد ثانيا و يجوز ان يكون باقيا و يكون المحذوف من الهاءين هو العائد الى الانسان و الباقى هو العائد الى الموصول فامره

او ذلل له سبيل الخير و الشر و نصب السبيل بفعل يفسره الظاهر للمبالغة فى التيسير و تعريفه باللام دون الاضافة للاشعار بانه سبيل عام و فيه على المعنى الاخير ايماء بان الدنيا طريق و المقصد غيرها و لذلك عقبه بقوله (ثم أماته فأقبره ثم اذا شاء انشره) و عد الاماتة و الاقبار فى النعم لان الاماتة وصلة فى الجملة الى الحياة الابدية و اللذات الخالصة و الامر بالقبر تكرمة و صيانة عن السباع و فى اذا شاء اشعار بان وقت النشور غير متعين فى نفسه و انما هو موكول الى مشيئته تعالى (كلا) ردع للانسان عما هو عليه (لما يقض ما امره) لم يقض بعد من لدن آدم الى هذه الغاية ما امره الله بامره اذ لا يخلو أحد من تقصير ما

وقس عليه امثاله ثم انه تعالى لما ذكر خلق ابن آدم من شئ حقير قليل و هو اوّل ما انعم به عليه فى مبدأ حدوثه ثم ذكر بعض مايترتب عليه من النعم الموجبة للشكر ليتضح ان تكذيبهم و كفرانهم فى غاية القباحة و الشناعة ذكر بعده ماانعم به عليه من النعم الخارجية و امره بالنظر اليه و التأمل فيه فقال فلينظر الانسان الى طعامه الذى يعيش به كيف دبرنا امره و لاشك انه موضع للاعتبار ﴿قوله اتباع النعم الذاتية بالنعم الخارجية﴾ فان ماذكر الى هنا من النعم الموجبة للشكر نعم ذاتية متحققة فى نفس الانسان و هى خلقه بانزال النطفة من صلب الآباء الى ارحام الامهات وتصويره بأحسن الصور و الهيئات وماتعاقب عليه من الاطوار و الحالات الى ان ينتهى الى دار الابد وماذكره ههنا نعم خارجة عنه يحتاج اليها الانسان فى معاشه و بين انه كيف دبر فى خلق طعامه الذى هو قوام حياته و اقوى اسباب معاشه التى يستعد بها لمواده و ذكر ان ذاته كما تكون بنزول ماء الرجل الى رحم المرأة كذلك طعامه انما يحصل بنزول الماء من السماء الى الارض و بما يتبعه من التدبيرات المتعلقة بتولده من الارض و بلوغه الى اقصى كماله ، قرأ ماعدا الكوفيين انا صببنا بكسر الهمزة على الاستئناف وقرأ الكوفيون بفتحها على ان الجملة بدل من الطعام كأنه قيل فلينظر الانسان الى انا صببنا الماء فان تكوّن الطعام وحدوثه من الارض بالاسباب المذكورة وكيفية حدوث المطر وبقائه معلقا فى جوّ السماء مع كثرته و غاية ثقله و غير ذلك مما يعجز العقل عن ادراكه و المعنى فلينظر كيف حوّلنا احوال طعامه كما حوّلنا احوال نفسه فى بدء خلقه و جعله من بدل الاشتمال لان انصباب الماء وانشقاق الارض سبب لحدوث الطعام فيكون بينهما اشتمال السببية فان الواجب فى بدل الاشتمال ان يكون بينهما ملابسة بغير الكلية و الجزئية وقد حصلت ، والكراب قلب الارض للحرث ﴿قوله واسند الشق الى نفسه﴾ اى جعل اسناد الشق بمعنى الكراب اليه تعالى مجازا مع انه تعالى هو الموجد لجميع الاشياء من الجواهر و الاعراض لكونه اسنادا الى غير ماهو له لان المراد بماهو له مايكون معنى الفعل قائما به و صفة له وحقه ان يسند اليه سواء كان مخلوقا لله او لغيره و سواء كان صادرا عنه باختياره كضرب او لا كمرض ومات فاسناد نحو الضرب الى من قام به حقيقة والى موجده الذى هو البارى تعالى مجاز و لاشك ان شق الارض قائم بمن حرثها وقلبها ﴿قوله لانها تقضب مرة بعد اخرى﴾ فصارت لكثرة قضبها كأنها عين القضب فسميت قضبا للمبالغة فيه ﴿قوله عظاما﴾ الغلب جمع اغلب او غلباء كحمر فى جمع احمر أو حمراء و اصله فى وصف الرقاب يقال رجل اغلب واسد اغلب اى غليظ العنق و امرأة غلباء اى غليظة العنق و جماعة غلب اى غلاظ الاعناق ذكر المصنف فى وجه توصيف الحدائق بالغلب قولين الاوّل ان الحديقة الواحدة سميت غلباء توصيفا لها بوصف مجموع اشجارها الملتفة المتكثرة بحيث صارت كأنها شئ واحد ضخم عظيم يشبه الرقبة الغلباء فالحديقة الواحدة لما وصفت بالغلباء بهذا الوجه وصفت الحدائق بالغلب والقول الثانى انه وصفت الحدائق بالغلب لكونها ذوات الاشجار الغلاظ الرقاب فوصفت بوصف اشجارها ﴿قوله ومرعى﴾ المرعى الذى لم يزرعه الناس سمى أبا امالانه يؤب اى يؤم و يقصد بجزه لاجل الدواب و الاب و الام اخوان و النجعة بالضم طلب الكلأ فى موضعه و اما لانه يؤب ويهيأ للرعى على انه من ابّ لكذا اذا تهيأ له ﴿قوله تعالى متاعا لكم و لانعامكم﴾ اى تمتيعا منصوب على انه مفعول له لقوله فانبتنا اى انبتنا ذلك كله تمتيعا لكم ﴿قوله وصفت بها مجازا﴾ فان الصاخة اسم فاعل من قولهم صخ لحديثه اى اصغى واستمع فهو صاخ اى مصغ ومستمع و النفخة ليس من شأنها ان تصغى وتسمع بل الناس هم الذين يصخون لها فاسند الاصغاء والاستماع الى النفخة المسموعة مثل عيشة راضية اى مرضية وقيل سميت صيحة القيامة صاخة لانها تصخ الاذان اى تصمها لشدة صوتها يقال صخ الصوت الاذن يصخها صخا فهو صاخ اذا اصمها فعلى هذا يكون الاسناد حقيقيا و وجه ارتباط الآية بماقبلها انه تعالى لمابين ما انعم به على الانسان من النعم الذاتية و الخارجية توبيخا وتقريعا لمن كفر بها وحثا على شكرها بالايمان و الطاعة شرح بعده احوال القيامة المناسبة بين شرحها و بين تعداد النعم المذكورة فى كونها داعية الى الايمان و الطاعة فان الانسان اذا سمع احوال القيامة خاف فيدعوه الخوف منها الى التأمل فى دلائل الحق فقال فاذا جاءت الصاخة وجواب اذا محذوف يدل عليه قوله يوم يفرّ المرء الى قوله لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه و التقدير فاذاجاءت الصاخة اشتغل كل احد بنفسه و قوله يوم يفرّ المرء بدل من اذا ولايجوز ان يكون يغنيه عاملا فى اذا ولافى يوم لانه صفة لشأن و معمول الصفة لايتقدم على الموصوف ﴿قوله او للحذر من مطالبتهم بما قصر فى حقهم﴾ بان يقول الاخ لم تواسنى بمالك ويقول الابوان قصرت فى برّنا

(فلينظر الانسان الى طعامه) اتباع للنعم الذاتية بالنعم الخارجية (انا صببنا الماء صبا) استئناف مبين لكيفية احداث الطعام وقرأ الكوفيون بالفتح على البدل منه بدل الاشتمال (ثم شققنا الارض شقا) بالنبات او بالكراب واسند الشق الى نفسه اسناد الفعل الى السبب (فانبتنا فيها حبا) كالحنطة و الشعير (وعنبا وقضبا) يعنى الرطبة سميت بمصدر قضبه اذا قطعه لانها تقضب مرة بعد اخرى (وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا) عظاما وصف به الحدائق لتكاثفها و كثرة اشجارها او لانها ذات اشجار غلاظ مستعارا من وصف الرقاب (وفاكهة وأبا) ومرعى من أبّ اذا امّ لانه يؤم و ينتجع او من ابّ لكذا اذا تهيأ له لانه متهيئ للرعى او فاكهة يابسة تؤب للشتاء (متاعا لكم ولانعامكم) فان الانواع المذكورة بعضها طعام وبعضها علف (فاذا جاءت الصاخة) اى النفخة وصفت بها مجازا لان الناس يصخون لها (يوم يفرّ المرء من اخيه وامّه وابيه وصاحبته وبنيه) لاشتغاله بشأنه وعلمه بانهم لاينفعونه او للحذر من مطالبتهم بما قصر فى حقهم

(والصاحبة)

والصاحبة اطعمتني الحرام وفعلت وصنعت والبنون لم تؤدّبنا ولم تعلمنا وقيل اوّل من يفرّ من اخيه هابيل من قابيل لانه العاصي ومن ابويه ابراهيم ومن صاحبته نوح ولوط ومن ابنه نوح عليه الصلاة والسلام ﴿ قوله وتأخير الأحب فالأحب للمبالغة ﴾ اى في بيان اشتغال كل احد بنفسه فانه بدأ بالاخ لانه شقيقه ثم بالابوين لانهما اقرب اليه من الاخ ثم بالصاحبة والبنين لانهم ألصق بالصلب واعلق بالنفس كأنه قيل يفرّ من اخيه وكيف لا يفرّ منه وهو يفرّ من ابويه وكيف لا يفرّ منهما وهو يفرّ ممن هو أحب اليه منهما وهو الصاحبة والبنون ﴿ قوله وقرئ يعنيه ﴾ بفتح الياء والعين المهملة من قولهم عناني الامر اى أهمني وقصدني ثم انه تعالى لما ذكر احوال يوم القيامة واهوالها بين ان المكلفين فيه على قسمين وميز احدهما من الآخر بما يعرض لوجوههما يومئذ يقال اسفر الصبح اذا اضاء والغبرة الغبار والقترة سواد كالدخان ولا ترى اوحش من اجتماع الغبرة والسواد في الوجه كما اذا اغبرّ وجه الزنجي فكأنه تعالى يجمع في وجوههم بين السواد والغبرة كما جمعوا بين الكفر والفجور وفي الحديث ان البهائم اذا صارت ترابا يوم القيامة يذرى ذلك التراب في وجوه الكفار * تمت سورة عبس بحمد الله وعونه

﴿ سورة التكوير مكية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ قوله من كوّرت العمامة ﴾ التكوير التلفيف على وجه الاستدارة كتكوير العمامة تقول كرت العمامة على رأسي اكورها كورا وكوّرتها تكويرا اذا لففتها فالطي واللف والكور والتكوير واحد وجعل تكويرها بمعنى لفها وطيها عبارة عن رفعها عن مكانها لكون الرفع من توابع التكوير لان الثوب اذا اريد رفعه لف ﴿ قوله او لف ضوءها ﴾ عطف على قوله لفت اى ويجوز ان يكون معنى كوّرت كوّر ضوءها بتقدير المضاف او على اسناد فعل الحال الى المحل لان تكوير الضوء وذهاب انبساطه في الآفاق انما يكون باذهاب نفسها لانها ما دامت باقية يكون ضوءها منبسطا غير ملفوف ثم فسر التكوير بالالقاء والاسقاط ويؤيده ما روى عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال يكوّر الله تعالى الشمس والقمر والنجوم يوم القيامة في البحر ثم يبعث عليها ريحا دبورا فتضربها فتصير نارا وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشمس والقمر ثوران مكوّران في النار يوم القيامة ولما ذكر هذا الحديث عند الحسن قال وما ذنبهما قال اني احدثك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فسكت الحسن قال الامام سؤال الحسن ساقط لان الشمس والقمر جمادان والقاؤهما في النار لا يكون سببا لمضرتهما ولعل ذلك يصير سببا لازدياد الحر في جهنم فلا يكون هذا الحديث على خلاف العقل ذكر الله تعالى ههنا اثنى عشر شيأ وقال اذا وقعت هذه الاشياء فهنالك علمت كل نفس ما احضرت فكلمة اذا في قوله اذا الشمس كوّرت وفيما عطف عليه عاملها وناصبها قوله تعالى في آخر المعطوفات علمت نفس وارتفاع الاسماء الواقعة بعد اذا على انها مفاعيل ما لم يسم فاعله المفسرة بما بعدها عند البصريين فانهم لا يجوزون ان يلى اذا غير الفعل وقال الكوفيون انها مرفوعة بالابتداء والافعال التي بعدها اخبار عنها بناء على ان التقدير خلاف الاصل والجملة على المذهبين في محل الجر باضافة اذا اليها ﴿ قوله انقضت ﴾ اى تساقطت وتناثرت قال الجوهري انكدر اى اسرع وانقض قال تعالى واذا الكواكب انتثرت فان السماء تمطر يومئذ نجومها فلا يبقى في السماء نجم الا وقع على وجه الارض قال عطاء وذلك انها كانت في قناديل معلقة بين السماء والارض بسلاسل من نور وتلك السلاسل بايدي ملائكة من نور فاذا مات من في السموات ومن في الارض تساقطت تلك الكواكب من ايدي الملائكة لانه قد مات من يمسكها ﴿ قوله ابصر خربان فضاء فانكدر ﴾ الخربان بكسر الخاء المعجمة جمع خرب بفتحتين وهو ذكر الحبارى والبيت للعجاج بن عمر التميمي واوّله

اذا الكرام ابتدروا الباع بدر	تقضي البازي اذا البازي كسر
دانى جناحيه من الطور فمر	ابصر خربان فضاء فانكدر

الباع قدر مد اليدين يعبر به عن الكرم يقول اذا الكرام ابتدروا وتسارعوا فعل المكارم بدر اى اسرع اليه كانقضاض البازي على الحبارى يقال كسر الطائر جناحيه اذا ضمهما حين ينقض وقوله تقضي البازي مصدر منصوب بنزع الخافض اصله تقضض لما كثرت الضادات ابدلت الاخيرة ياء ﴿ قوله من كدرت الماء فانكدر ﴾ الكدر خلاف الصفو يقال كدر الماء يكدر كدرا فهو كدر من باب علم وكدر يكدر كدورة بضم العين فيهما بمعنى وكدره غيره فانكدر وتكدر النجم عبارة عن زوال نوره وضوئه ﴿ قوله سيرت عن وجه الارض ﴾

وتأخير الاحب فالاحب للمبالغة كأنه قيل يفرّ من اخيه بل من ابويه بل من صاحبته وبنيه (لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه) يكفيه في الاهتمام به وقرئ يعنيه اى يهمه (وجوه يومئذ مسفرة) مضيئة من اسفر الصبح اذا أضاء (ضاحكة مستبشرة) بما ترى من النعيم (ووجوه يومئذ عليها غبرة) غبار وكدورة (ترهقها قترة) يغشاها سواد وظلمة (اولئك هم الكفرة الفجرة) الذين جمعوا الى الكفر الفجور فلذلك يجمع الى سواد وجوههم الغبرة * قال عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة عبس جاء يوم القيامة ووجهه ضاحك مستبشر

﴿ سورة التكوير مكية وآيها تسع وعشرون ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(اذا الشمس كوّرت) لفت من كوّرت العمامة اذا لففتها بمعنى رفعت لان الثوب اذا اريد رفعه لف اولف ضوؤها فذهب انبساطه في الآفاق وزال اثره او ألقيت عن فلكها من طعنه فكوّره اذا ألقاه مجتمعا والتركيب للادارة والجمع وارتفاع الشمس بفعل يفسره ما بعدها اولى لان اذا الشرطية تطلب الفعل (واذا النجوم انكدرت) انقضت قال * ابصر خربان فضاء فانكدر * او اظلمت من كدرت الماء فانكدر (واذا الجبال سيرت) عن وجه الارض او في الجو

اى قلعت فصارت هباء منبثا وسيرت فى الجو كالسحاب لقوله تعالى وهى تمر مر السحاب وقيل سيرها تحويلها من صفة الجرية بجعلها كثيبا مهيلا اى رملا سائلا وكالعهن وهباء منبثا • والعشار جمع عشراء كنفاس جمع نفساء وهى الناقة التى اتى على حملها عشرة اشهر من يوم ارسل عليها الفحل ثم هو اسمها الى ان تضع لتمام السنة وقيل هو اسمها بعدما وضعت ايضا ومن عادة العرب ان يسموا الشئ باسمه المتقدم وان كان قد جاوز حده أن يسمى به وخص العشار بالذكر لانها اعز الاموال عند العرب وانها معظم اسباب معاشهم وتعطيلها تركها واهمالها من غير راع اشتغالا بانفسهم عند مجيء امارات قيام الساعة ﴿ قوله او السحائب ﴾ اى ويجوز ان يراد بالعشار السحائب تشبيها لها بها والعشار وان كان مجازا فى هذا المعنى الا ان حمله عليه يوجب كثرة مناسبة هذه القرينة لما قبلها وشاع عند العرب تشبيه السحاب بالحامل لقوله تعالى فالحاملات وقرا كما مر فى سورة والذاريات والتعطيل الاهمال ومنه قيل للمرأة عاطل اذا لم يكن عليها حلى والوحوش جمع وحش وهو اسم لما لا يستأنس من حيوان البر وفسر حشرها بثلاثة اوجه الاول ان يجمعها هول ذلك اليوم من كل ناحية بحيث تختلط بعضها ببعض وبالناس مع كمال النفرة بينهما وتفرقها فى الصحارى والقفار والثانى ان تجمع احياء بعد الموت ليقتص لبعضها من بعض فانه قد ثبت ان الله تعالى يحشر الوحوش كلها فيقتص للجماء من القرناء ثم يقال لها موتى فتموت والثالث ماروى عن ابن عباس ان حشر البهائم موتها ﴿ قوله اذا اجحفت السنة ﴾ يقال اجحف به اى ادهبه واستأصله والسنة القحط وبناء التفعيل هنا يحتمل ان يكون لتكثير الفعل وتكريره والتعرض لحشر الوحوش بالمعنى الاول للدلالة على هول ذلك اليوم فان اجتماع الاضداد مع كمال النفرة بينها انما يكون لهول عظيم وبالمعنى الثانى لتأييد حشر المكلفين فان الحيوانات اذا بعثت للقصاص تحقيقا لمقتضى العدل فحشر المكلفين من الانس والجن يكون اولى ﴿ قوله احميت او ملئت ﴾ فان السجر فى اللغة يكون بمعنى الملء وبمعنى الاحماء ايضا يقال سجرت الاناء وسجرت التنور قيل فى احماء البحار ان الله تعالى يكور الشمس والقمر والنجوم فى البحر يوم القيامة ثم يبعث عليها رياحا دبورا فتنفخه فيصير نارا وهو قوله تعالى واذا البحار سجرت وفى وجه امتلائها ان الله تعالى خلق الآن بين البحار حاجزا لايصل بعضها الى بعض كما قال تعالى مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لايبغيان اى لايتجاوزان حدهما باغراق مابينهما فاذا رفع الله ذلك الحاجز فاض البعض فى البعض واختلط العذب بالملح وبالعكس فصارت البحور كلها بحرا واحدا فعمت الارض كلها ثم ارتفاع الحاجز الكائن بينهما يحتمل ان يكون بان اندكت الجبال وتفتت اجزاؤها وصارت كالتراب الهائل الغير المتماسك فلا جرم تنصب اجزاؤها الرفيعة فى اسافلها فتميل فى المواضع الغائرة من الارض فيصير وجه الارض مستويا غارقة تحت البحار وتصير الكل بحرا واحدا مستعليا على الارض وهذه الاحوال الست تكون فى مبادى قيام الساعة على ماروى عن ابى بن كعب رضى الله عنه انه قال ست آيات تكون قبل القيامة بينا الناس فى اسواقهم اذ ذهب ضوء الشمس فبينماهم كذلك اذ تناثرت النجوم فبينماهم كذلك اذ وقعت الجبال على وجه الارض فتحركت واضطربت الجن الى الانس والانس الى الجن واختلطت الدواب والوحوش والطير وماج بعضهم فى بعض فحينئذ تقول الجن للانس نحن نأتيكم بالخبر فينطلقون الى البحر فاذا هو نار متأججة قال فبينماهم كذلك اذ تصدعت الارض صدعة واحدة من الارض السابعة السفلى الى السابعة العليا فبينماهم كذلك اذ جاءتهم الريح فأماتتهم والله اعلم كذا فى المعالم ثم اعلم انه تعالى شرع فى ذكر الاحوال التى تكون بعد قيام الساعة فقال واذا النفوس زوجت بالابدان بان ردت اليها او بان يضم كل احد الى من يشاكله ويماثله فى الخير والشر قيل ذلك حين تكون الناس ازواجا ثلاثة اى اصنافا ثلاثة السابقون زوج واصحاب اليمين زوج واصحاب الشمال زوج والشكل بفتح المثل ﴿ قوله تبكيتا لوآئدها ﴾ اى لمن دفنها فى القبر وهى حية وهو جواب عما يقال مامعنى سؤال الموءودة عن ذنبها الذى قتلت به مع ان الظاهر ان يسأل الوائد عن ذلك اياها وتقرير الجواب ان هذه الطريقة افظع فى ظهور جناية الوائد والزام الحجة عليه فانه اذا قيل للموءودة ان القتل لايجوز الابذنب عظيم فماذنبك وباى ذنب قتلت فلاجرم كان جوابها انى قتلت بغير ذنب فيفتضح الوائد ويصير مبهوتا وهذا كقوله تعالى لعيسى بن مريم ءأنت قلت للناس اتخذونى وامى الهين من دون الله فانه عليه الصلاة والسلام لما اجاب بقوله سبحانك مايكون لى ان اقول ماليس لى بحق ماقلت لهم الا ماامرتنى به ان اعبدوا الله ربى وربكم كان ذلك اشد فى تبكيت النصارى وفى توبيخهم ﴿ قوله وقرئ سألت ﴾ اى بفتح السين والهمزة على لفظ

(واذا العشار) النوق اللاتى اتى على حملهن عشرة اشهر جمع عشرآء (عطلت) تركت مهملة او السحائب عطلت عن المطر وقرئ بالتخفيف (واذا الوحوش حشرت) جمعت من كل جانب او بعثت للقصاص ثم ردت ترابا او اميتت من قولهم اذا اجحفت السنة بالناس حشرتهم وقرئ بالتشديد (واذا البحار سجرت) احميت او ملئت بتفجير بعضها الى بعض حتى تعود بحرا واحدا من سجر التنور اذا ملأه بالحطب ليحميه وقرأ ابن كثير وابو عمرو وروح بالتخفيف (واذا النفوس زوجت) قرنت بالابدان اوكل منها بشكلها او بكتابها وعملها اونفوس المؤمنين بالحور ونفوس الكافرين بالشياطين (واذا الموءودة) المدفونة حية وكانت العرب تئد البنات مخافة الاملاق او لحوق العار بهم من اجلهن (سئلت باى ذنب قتلت) تبكيتا لوآئدها كتبكيت النصارى بقوله تعالى لعيسى عليه الصلاة والسلام ءانت قلت للناس اتخذونى وقرئ سألت اى خاصمت عن نفسها وانما قيل قتلت على الاخبار عنها وقرئ قتلت على الحكاية

الماضي المبني للفاعل المسند الى ضمير الواحدة الغائبة على ان الموءودة هي السائلة تسأل الله تعالى او تسأل قاتلها قائلة باي ذنب قتلت بضم تاء المتكلم وحده فانه هو المناسب لكون الموءودة هي السائلة لان الظاهر ان يحكى كلامها بعبارتها وهذه القرآءة ذكرها المصنف بقوله وقرئ قتلت على الحكاية اى على حكاية قول الموءودة كامر اى بعبارتها حين سألت وقرئ ايضا سألت باي ذنب قتلت على لفظ الاخبار عن الواحدة الغائبة على بناء المفعول كقرآءة الجمهور والظاهر ان يقرأ قتلت على لفظ حكاية قول الموءودة كامر لانها هي السائلة كما ان الظاهر على قرآءة الجمهور ان يقال قتلت على لفظ خطاب الواحدة لان السائل حينئذ هو الله تعالى فالظاهر حينئذ ان يحكى قوله تعالى بعبارته ولما ذكرت الموءودة بالاسم الظاهر جاز الامران اسناد الفعل الى ضمير الغائب الذي هو عبارة عنها وحكاية قول السائل بعبارته بان يقال في قرآءة سألت قتلت بضم التاء وفي قرآءة سئلت قتلت بكسر التاء ﴿ قوله وتنشر وقت الحساب ﴾ اى تفتح بعدما كانت مطوية فتعطاها الناس منشورة باعمالهم وشمائلهم فيقف الانسان على مافيها ويحصي عليه جميع احواله فيقول مالهذا الكتاب لايغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها ﴿ قوله للمبالغة في النشر الخ ﴾ يعني ان التشديد لتكثير الفعل وتكريره او لتكثير محله او للمبالغة في شدة التطاير اى تطاير الصحف وتفريقها بين الاصحاب فالتشديد للمبالغة في النشر بمعنى التفريق بحسب الكيفية انتهى ﴿ قوله قلعت وازيلت ﴾ بحيث ظهر ماورآءها وهو الجنة والعرش ﴿ قوله وانما صح الخ ﴾ اى صح ان تكون اذا المضافة الى الخصال الواقعة قبل قيام الساعة معمولة لقوله علمت نفس مع ان كونها معمولة له يستلزم ان تكون النفس عالمة بما احضرته من الاعمال في زمان وقوع الخصال الست المتقدمة وليست كذلك وانما تكون عالمة بها بعد قيام الساعة وتوضيح الجواب ان المراد بما هو المعمول لعلمت هو الزمان المتسع المحيط بتلك الخصال الاثنتي عشرة وابتدآء ذلك الزمان المتسع هو زمان النفخة الاولى الذي هو زمان التكوير وما بعده الى أن يتم موقف الحساب وتعلم كل نفس جزآء عملها وفي ذلك الزمان المتسع تعلم كل نفس ما احضرت في صحيفة عملها او ما احضرته في موقف المحاسبة وعند الميزان من آثار تلك الاعمال لان نفس الاعمال اعراض لايمكن احضارها كأنه قيل الزمان الذي يقع فيه هذه الامور الاثنتا عشرة باسرها علمت فيه كل نفس ما احضرت ﴿ قوله ونفس في معنى العموم ﴾ جواب عما يقال من ان النكرة في سياق الاثبات للافراد او النوعية لا للاستغراق والعموم والمقام مقام الاستغراق والعموم لان العلم بما أحضرت حاصل لكل نفس حينئذ لقوله تعالى يوم تجد كل نفس ماعملت من خير محضرا وماعملت من سوء تود لو أن بينها وبينه امدا بعيدا فما معنى قوله علمت نفس بالتنكير في موضع الاثبات وحصول الجواب ان ماذكر اكثري لاكلي مطرد وان النكرة في سياق الاثبات قد يقصد بها العموم بمعونة المقام كما في قولهم تمرة خير من جرادة ونفس في الآية من هذا القبيل ثم انه تعالى لما فصل مايكون في مبادي قيام الساعة قبل فناء الدنيا وبعده اقسم على ان القرآن العظيم قول رسول كريم فقال فلا اقسم بالخنس الآية ترهيبا للمشركين المنكرين للبعث والجزآء اى تأملوا ماذكر لتعلموا انه كلام الهي منزل من عندالله تعالى على رسوله بواسطة رسول كريم موصوف بما ذكر من الاوصاف وكلمة لا في قوله فلا اقسم يحتمل ان تكون صلة مؤكدة وان تكون ردا لكلام سابق اى ليس الامر كما تزعمون انها الكفرة ثم ابتدأ جل ذكره فقال اقسم بالخنس وان تكون لنفي القسم بناء على انه لايحتاج اليه لوضوح الحق وهو ان القرآن كلام الهي منزل به الروح الامين وبلغه الى سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم وعلى سائر الانبياء والمرسلين وعلى الملائكة المقربين ﴿ قوله والليل ﴾ عطف على الخنس وكذا قوله والصبح والعامل في اذا معنى القسم واذا مع مابعده في موضع الحال اى اقسم بالليل مدبرا ومقبلا وبالصبح مضيئا وجواب القسم قوله انه لقول رسول وضمير انه للقرآن وان لم يجر له ذكر لحصول العلم به والخنس جمع خانس والخنوس الانقباض والاختفاء وفي الحديث « الشيطان يوسوس الى العبد فاذا ذكر الله تعالى خنس » اى انقبض ولذلك سمي بالخناس والكنس جمع كانس وهو الداخل في الكناس الذي هو مقر الوحش والجواري جمع جارية اى الكواكب التي تجري في افلاكها وماسوى الشمس والقمر من الكواكب السبعة السيارة وهي المريخ ويسمى بهرام وزحل وعطارد والزهرة والمشتري خنس وكنس وخنوس هذه النجوم الخمسة رجوعها من اول البرج الى آخره وكنوسها اختفاؤها وغيبتها عن البصر تحت ضوء الشمس والنيران لايكنسان لان المراد بكنوس الكواكب استتارها واختفاؤها وغيبتها عن البصر تحت ضوء الشمس كالظبي المستتر بالكناس

(واذا الصحف نشرت) يعني صحف الاعمال فانها تطوى عندالموت وتنشر وقت الحساب وقيل نشرت فرقت بين اصحابها وقرأ ابن كثير وابو عمرو وحمزة والكسائي بالتشديد للمبالغة في النشر اولكثرة الصحف او لشدة التطاير (واذا السماء كشطت) قلعت وازيلت كما يكشط الاهاب من الذبيحة وقرئ قشطت واعتقاب القاف والكاف كثير (واذا الجحيم سعرت) اوقدت ايقادا شديدا وقرأ نافع وابن عامر وحفص ورويس بالتشديد (واذا الجنة ازلفت) قربت من المؤمنين (علمت نفس ما احضرت) جواب اذا وانما صح والمذكور في سياقها اثنتا عشرة خصلة ست منها في مبادي قيام الساعة قبل فناء الدنيا وست بعده لان المراد زمان متسع شامل لها ولمجازاة النفوس على اعمالها ونفس في معنى العموم كقولهم تمرة خير من جرادة (فلا اقسم بالخنس) بالكواكب الرواجع من خنس اذا تأخر وهي ماسوى النيرين من السيارات ولذلك وصفها بقوله (الجوار الكنس) اى السيارات التي تختفي تحت ضوء الشمس من كنس الوحشي اذا دخل كناسه وهو بيته المتخذ من اغصان الشجر (والليل اذا عسعس) اقبل ظلامه او ادبر

ولا كنوس لهما بهذا المعنى والخمسة الباقية من السيارات جوار وكنس وهو ظاهر وخنس ايضا من حيث انها ترجع وتستقيم فانها تتأخر فى آخر البرج اذ كرّت راجعة الى اوّله فرجوعها من آخر البرج الى اوّله هو الخنوس كما ان اختفاءها تحت ضوء الشمس كنوسها ﴿ قوله وهو من الاضداد ﴾ لان العسعسة رقة الظلام وذلك يكون فى كل واحد من طرفى الليل فلذلك يقال عسعس الليل اذا اقبل ويقال ايضا عسعس اذا ادبر فمنهم من قال المراد به فى الآية اقبال الليل لتناسب قوله تعالى والصبح اذا تنفس لان القسم حينئذ يكون باقبال كل واحد من الليل والنهار وان اريد بعسعسة الليل ادباره يكون القسم بادبار الليل واقبال النهار فتفوت المناسبة ويتضمن الكلام تكرار القسم به لان ادبار احدهما يستلزم اقبال الآخر ﴿ قوله اى اذا اضاء غبرته عند اقبال روح ونسيم ﴾ النسيم الريح الطيبة ويقال لها روح لكونها للاستراحة وتنفس الصبح عبارة عن اقبال النسيم الروّح المتحرّك عند طلوع الصبح فالذاهب ذلك النسيم عند طلوعه قيل تنفس والنفس المروّح للقلب انبساطا وانقباضا جعل ذلك تنفسا للصبح على المجاز ثم ذكر المشبه به واريد المشبه ثم اشتق منه تنفس بمعنى اقبل النسيم مع طلوعه ثم لما كان التنفس من لوازم ذهاب ظلمة الليل بطلوع الصبح وزوال غبرته كنى بتنفسه عن طلوعه وانبساط ضوئه بحيث زالت معه عسعسة الليل وهى الغبرة الحاصلة فى آخره وهى كناية متفرّعة على الاستعارة والغبرة لون الاغبر وهو الشئ الملوّن بلون يشبه الغبار واضاء يجئ لازما ومتعديا وكلاهما يصح ههنا وفى بعض النسخ اذا تنفس اى اذا اضاء عبر به عن اقبال روح ونسيم والمعنى واحد اى شبه اقبال النسيم وقت طلوع الصبح بتنفسه فعبر عنه بالتنفس ثم اشتق منه تنفس وجعل تنفسه كناية عن اضاءته كما اشار اليه بقوله اى اذا اضاء ﴿ قوله فانه قاله عن الله تعالى ﴾ يعنى ان كون القرآن قول جبريل عليه السلام لا ينافى كونه كلام الله تعالى حقيقة لانه عليه السلام قاله وبلغه عن الله تعالى ه واعلم انه تعالى وصف جبريل عليه السلام ههنا بست صفات اولاها انه رسول فانه لاشك انه رسول منه تعالى الى الانبياء عليهم السلام وثانيتها انه كريم على ربه حيث جعله امين وحيه وواسطة بينه وبين رسله وهذا من اجل المناصب واشرف المراتب ومن كرمه انه وسيلة لنيل افضل العطايا واقصى الكرامات وهو المعرفة والهداية وثالثتها انه ذو قوة اى ذو قدرة على ما يكلف به لا يعجز ولا يضعف عن شئ مما يكلف به ه روى انه عليه الصلاة والسلام قال لجبريل ذكر الله تعالى قوتك وامانتك وانى عليك بهما فما كانت قوتك وما كانت امانتك قال اما قوتى فانى بعثت الى مدآئن لوط وهى اربع مدآئن وفى كل مدينة اربعمائة الف مقاتل سوى الذرارى فحملتهم من الارض السفلى حتى سمع اهل السماء الدنيا اصوات الدجاج ونبح الكلاب ثم هويت بهن فقلبتهن واما امانتى فانى لم اومر بشئ فعدوته الى غيره وروى ان شيطانا يقال له الابيض صاحب الانبياء قصد ان يتعرض للنبى صلى الله عليه وسلم فدفعه جبريل دفعة دقيقة رفعه بها من مكة الى اقصى الهند ورابعتها قوله تعالى فى حقه عند ذى العرش مكين اى ذى منزلة ومكانة عند الله ومن مكانته عنده تعالى انه تعالى جعله ثانى نفسه فى قوله فان الله هو مولاه وجبريل وهذه العندية كناية عن كونه ذا منزلة رفيعة وقدر عظيم عنده تعالى وخامستها انه مطاع فى ملائكته تطيعه الملائكة المقربون لعظم منزلته عند الله وسادستها انه امين على وحى الله تعالى ورسالته قد عصمه الله تعالى من الخيانة والزلل وقوله ثم بفتح الثاء اشارة الى الظرف المذكور وهو عند ذى العرش ثم انه ان اتصل بما قبله بان يكون ظرفا له يكون المعنى انه عند الله مطاع فى ملائكته المقربين يصدرون عن امره ويرجعون الى رأيه وان اتصل بما بعده يكون المعنى انه مؤتمن عند الله على وحيه ورسالته الى الانبياء وان قرئ ثم بضم الثاء تكون للتراخى الرتبى على طريق الترقى من صفاته الفاضلة الى ما هو افضل واعظم وهو الامانة ﴿ قوله تعالى وما صاحبكم بمجنون ﴾ عطف على جواب القسم وكذا قوله ولقد رآه بالافق المبين اقسم الله على ان القرآن كلامه نزل به جبريل رسوله الكريم الامين وعلى ان محمدا صلى الله عليه وسلم ليس بمجنون وعلى انه قد رأى جبريل بالافق المبين ﴿ قوله وهو ضعيف ﴾ يعنى ان ما ذكره المستدل انما يدل على مقصوده ان لو كان المقصود من سوق الآية تعداد خصالهما الشريفة وبيان ان من ازدادت خصاله الشريفة فهو افضل وليس كذلك بل المقصود اثبات ان القرآن لا سيما هذه السورة المصدّرة بما يدل على مقدمات القيامة واهوالها وحى الهى نزل به الملك المقرّب عند ذى العرش نفيا لقول الكفرة انما يعلمه بشر وانه لمجنون وترغيبا للسامعين فى استماع القرآن وتصديق جميع ما ذكر فيه وهذا المقصود يستدعى ان يوصف الملك المتوسط بين يدى الله تعالى ورسوله بما وصف به من صفات الشرف والقربة وذلك لا يستلزم كونه افضل من رسل البشر

(بل)

وهو من الاضداد يقال عسعس الليل وسعسع اذا ادبر (والصبح اذا تنفس) اى اذا اضاء غبرته عند اقبال روح ونسيم (انه) ان القرآن (لقول رسول كريم) يعنى جبريل عليه السلام فانه قاله عن الله تعالى (ذى قوة) كقوله تعالى شديد القوى (عند ذى العرش مكين) عند الله ذى مكانة (مطاع) فى ملائكته (ثم امين) على الوحى وثم يحتمل اتصاله بما قبله وبما بعده وقرئ ثم تعظيما للامانة وتفضيلا لها على سائر الصفات (وما صاحبكم بمجنون) كما بهته الكفرة واستدل بذلك على فضل جبريل على محمد عليهما الصلاة والسلام حيث عدّ فضائل جبريل واقتصر على نفى الجنون عن النبى صلى الله عليه وسلم وهو ضعيف اذ المقصود منه نفى قولهم انما يعلمه بشر افترى على الله كذبا ام به جنة لا تعداد فضلهما والموازنة بينهما

بل الظاهر ان وصف جبريل عليه السلام بهذه الصفات و بماهو ازيد منها و افضل مما يدل على شرف رسول الله صلى الله صلى الله عليه وسلم بالنسبة اليه من حيث ان جبريل مع اتصافه بهذه المناقب و الفضائل الشريفة مبلغ الرسالة اليه فاى مرتبة اعلى من مرتبته بعد ما ثبت ان السفير بينه و بين ذى العرش مثل هذا الملك المقرب ﴿ قوله بمطلع الشمس الاعلى ﴾ افق السماء ناحيتها و الآفاق النواحى الا ان المفسرين اتفقوا على ان المراد بالافق ههنا حيث تطلع الشمس استدلالا بوصفه بالمبين فان نفس الافق لامدخل له فى ابانة الاشياء واظهارها و انما يكون له ذلك من حيث كونه مطلعا لكوكب نير يبين الاشياء بضيائه و ذلك الكوكب هو الشمس و اسند الابانة الى مطلعها مجازا باعتبار تسببه لها فى الجملة فان الابانة فى الحقيقة لضياء الطالع منه ثم خص من بين المطالع ماهو اعلى المطالع وارفعها و هو المطلع الذى اذا طلعت الشمس منه تكون فى غاية الارتفاع و يكون النهار فى غاية الطول و انما فعل ذلك حملا للمبين على كمال الابانة فانه كما كان الكوكب الطالع ارفع و اعلى وكان النهار اطول كانت الابانة و الاظهار اتم و اكمل * روى انه عليه الصلاة و السلام سأل جبريل عليه السلام ان يتراآى له فى صورته التى خلقه الله تعالى عليها فقال ما اقدر على ذلك و ما ذاك الى ثم استأذن له فأتاه عليها فرآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ملأ الافق بكلكله اى بصدره و رجلاه فى الارض و رأسه فى السماء جناح له بالمشرق و جناح له بالمغرب فغشى عليه فتحول جبريل عليه السلام الى صورة بنى آدم الى آخر الكلام فقيل له عليه السلام ما رأيناك منذ بعثت احسن منك اليوم فقال عليه الصلاة و السلام جاءنى جبريل اليوم فى صورته فاعترانى هذا من حسنه ﴿ قوله من الظنة و هى التهمة ﴾ اى و ليس من الظن الذى يتعدى الى مفعولين اى هو ثقة فى جميع ما يخبر به لا يتوهم فيه انه يخبر بشئ من ذلك عن الهوى و هذه القرآءة اعنى القرآءة بالظاء هى قرآءة ابن كثير و ابى عمرو و الكسائى فالظنين الرجل المتهم وقرأ نافع و حمزة و عاصم و ابن عامر بضنين بالضاد اى ببخيل يقال ضننت بالشئ بكسر العين أضن به ضنا و ضنانة فأنا ضنين اى بخيل و هو من باب علم فالمعنى بأنه عالم الغيب فلا يبخل به عليكم بل يعلمكم و يخبركم به و لا يكتمه كما يكتم الكاهن ما عنده حتى يأخذ عليه حلوانا و اختار ابو عبيدة القرآءة الاولى لوجهين احدهما ان الكفار لم يبخلوه و انما اتهموه فنفى التهمة اولى من نفى البخل و الآخر قوله على الغيب فان البخل و ما بمعناه لا يتعدى بكلمة على و انما يتعدى بالباء فيقال فلان ضنين بكذا و لا يقال ضنين على كذا ﴿ قوله حافة اللسان ﴾ اى جانبه و الثنايا من الاسنان جمع ثنية و هى اربع اسنان فى مقدم الفم اثنتان منها عليا و اثنتان منها سفلى و وراء الثنايا اسنان اربع يقال لها رباعيات اثنتان منها عليا و اثنتان منها سفلى و وراءها الانياب الاربع ثنتان من فوق و ثنتان من تحت و وراءها الضواحك و هى اربع كذلك و وراءها الاضراس ثمانية من فوق و ثمانية اخرى من تحت ﴿ قوله استضلال لهم فيما يسلكونه فى امر الرسول صلى الله عليه وسلم و القرآن ﴾ فان أين ظرف مكان مبهم منصوب بتذهبون و الاستفهام فيه للانكار شبهت حالهم فى تركهم ماهو الصواب و الحق فى باب الاعتقاد و العمل و عدولهم الى ماهو الباطل فى ذلك بحال من يترك الجادة و هى معظم الطريق و يتعسف الى ما ليس بسبيل قط فانه يقال له الى اين تذهب استضلالا له و انكارا على تعسفه فقيل ذلك القول لمن ترك الدين الحق و عدل عنه الى الباطل على سبيل الاستعارة و المعنى اى طريق تسلكون أبين من هذا الطريق الذى ظهرت حقيته و وضحت استقامته و ان فى قوله ان هو نافية بمعنى ماهو و التذكير بمعنى التذكر و العظة و العالمين يعم جميع ما سوى الله تعالى ممن يعلم و ممن لا يعلم و خص ههنا بمن يعلم من الانس و الجن حيث قيل لمن يعلم و المخصص هو العقل و قوله تعالى لمن شاء بدل من قوله للعالمين باعادة الجار بدل البعض من الكل و ان يستقيم مفعول شاء كانه قيل ماهو الايمان و هداية للخلق اجمعين ماهو الا هداية لمن شاء الاستقامة منكم بتحرى الحق و اتباع البرهان و الدليل و ابدله من العالمين مع انه ذكر شامل لجميع المكلفين لانهم هم المنتفعون به دون غيرهم فكان بذلك كأنه مختص بهم و لم يوعظ به غيرهم ثم بين ان مشيئة الاستقامة موقوفة على ان يعطى الله تلك المشيئة لان تلك المشيئة صفة محدثة فلابد فى حدوثها من مشيئة اخرى فظهر من مجموع هذه الآيات ان فعل الاستقامة موقوف على ارادة الاستقامة و هذه الارادة موقوفة الحصول على ان يريد الله تعالى اعطاء تلك الارادة و الموقوف على الموقوف على الشئ موقوف على ذلك الشئ فافعال العباد ثبوتا و انتفاء موقوفة على مشيئة الله تعالى و هذا قول اصحابنا ﴿ قوله بامن يشاءها ﴾ اشارة الى ان الخطاب فى قوله و ماتشاؤن ليس للمخاطبين بقوله فأين تذهبون بل البعض منهم و هم الذين

(ولقد رآه) ولقد راى رسول الله جبريل عليه السلام (بالافق المبين) بمطلع الشمس الاعلى (وماهو) وما محمد (على الغيب) على ما يخبره من الوحى اليه وغيره من الغيوب (بظنين) بمتهم من الظنة وهى التهمة وقرأ نافع وعاصم وحمزة وابن عامر بضنين من الضن وهو البخل اى لا يبخل بالتعليم والتبليغ والضاد من اصل حافة اللسان وما يليها من الاضراس من يمين اللسان او يساره والظاء من طرف اللسان واصول الثنايا العليا (وماهو بقول شيطان رجيم) بقول بعض المسترقة للسمع وهو نفى قولهم انه لكهانة وسحر (فأين تذهبون) استضلال لهم فيما يسلكونه فى امر الرسول والقرآن كقولك لتارك الجادة اين تذهب (ان هو الا ذكر للعالمين) تذكير لمن يعلم (لمن شاء منكم ان يستقيم) بتحرى الحق وملازمة الصواب وابداله من العالمين لانهم المنتفعون بالتذكير (وماتشاؤن) الاستقامة يامن يشاءها (الا ان يشاء الله) الاوقت ان يشاء الله مشيئتكم فله الفضل والحق عليكم باستقامتكم (رب العالمين) مالك الخلق كله * قال عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة التكوير اعاذه الله من ان يفضحه حين تنشر صحيفته

عبر عنهم بقوله لمن شاء منكم فان قوله لمن شاء منكم يدل على ان منهم من يشاء الاستقامة ومنهم من لايشاءها فالخطاب لمن يشاءها منهم وجعل المصنف قوله تعالى الا ان يشاء الله من اقامة المصدر مقام الزمان كما في نحو آتيك خفوق النجم * روى انه لما نزل قوله تعالى لمن شاء منكم ان يستقيم قال ابو جهل وكل الامر الينا ان شئنا استقمنا وان شئنا لم نستقم فانزل الله تعالى وما تشاؤن الا ان يشاء الله رب العالمين * تمت سورة التكوير والله اعلم بالصواب

﴿ سورة الانفطار مكية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

ذكر الله تعالى في اوّل هذه السورة اربعة اشياء من اشراط الساعة اثنان منها يتعلقان بالعلويات واثنان منها يتعلقان بالسفليات وقال اذا وقعت هذه الاشياء علمت كل نفس ماقدمت من خير وشرّ ووقوعها عبارة عن خراب العالم وفناء الدنيا والسماء في هذا العالم كالسقف والارض كالبناء ومن اراد تخريب دار فانه اوّلا يبدأ بتخريب السقف وذلك هو قوله تعالى اذا السماء انفطرت وانتقض تركيبها وذلك يستلزم انتثار مافيها من الكواكب وتساقطها متفرّقة ثم بعد تخريب السماء وانتثار كواكبها تخرّب كل ماعلى وجه الارض وبتفجر بعض البحار الى بعض بارتفاع الحاجز الذى جعله الله تعالى برزخا بينهما فحينئذ يصير الكل بحرا واحدا وانما يرتفع ذلك الحاجز لتزلزل الارض وتصدّعها ﴿ قوله قلب ترابها واخرج موتاها ﴾ يعني ان بعثرة الشئ عبارة عن تفريق اجزآئه وتقليبها ظهر البطن وبطنا الظهر وفي الصحاح بعثر الرجل متاعه وبحثره اذا فرّقه وبدّده وقلب بعضه على بعض ويقال بعثرت الشئ وبحثرته اذا استخرجته وكشفته وقال ابو عبيدة في قوله تعالى بعثر مافي القبور اثير واخرج مافيها انتهى وقيل ان بعثر مركب من بعث ورآء مأخوذة من الاثارة كبسمل فانه مركب من بسم ولام مأخوذة من لفظة الله وكذا بحثر فانه بمعنى بعثر وهو مركب من البحث والرآء المضمومة اليه والمعنى بحث واخرج موتاها ومنه سميت سورة برآءة المبعثرة لانها بحثت عن احوال المنافقين ﴿ قوله من عمل او صدقة ﴾ اى يجوز ان يكون المراد بما قدّمته ماعمله بنفسه من الاعمال الصالحة والسيئة مقدّما على موته وبما اخّرته ماعمله بعد موته بان سنه لمن بعده سنة حسنة كانت او سيئة فان الاعمال الصادرة بمباشرة من بعده يصدق عليها انها اعمال الميت أخرها عن موته اذ كان له مدخل في مباشرة من بعده بان سنه له واسناد الفعل الى سببه شائع كثير مثل بنى الامير ويجوز ايضا ان يراد بما قدّمته الاموال التى تصدّق بها قبل موته لتكون ذخيرة له في النشأة الاخرى وبما اخّرته الاموال التى خلفها لمن بعده من ورثته ﴿ قوله ويجوز ان يراد بالتأخير التضييع ﴾ فيكون المعنى علمت نفس ماعملته من الطاعات وما اضاعت العمل به ولم تعمل وقد مرّ ان تنكير نفس في الآيات لاينافي ارادة العموم والعلم بجميع ذلك كناية عن المجازاة عليه والمقصود من الكلام تقرير امر البعث والجزآء والزجر عن المعصية والترغيب في الطاعة * فان قيل في اىّ موقف من مواقف القيامة يحصل له هذا العلم * قلنا اما العلم الاجمالي فيحصل له في اوّل زمان الحشر لان المطيع يرى آثار السعادة والعاصي يرى آثار الشقاوة في اوّل الامر واما العلم التفصيلي فانما يحصل عند قرآءة الكتب والمحاسبة ﴿ قوله اى شئ خدعك ﴾ اشارة الى ان ما في قوله ماغرّك استفهامية مرفوعة المحل على الابتدآء وغرّك خبره وان غرّك بمعنى خدعك وجرّأك على عصيانه يقال غرّه فلان يغرّه غرورا اذا خدعه وجرّأه عليه وآمنه من ان يصل اليه المكروه من قبله مع انه غير مأمون والمعنى ما الذي خدعك وسوّل لك معصية ربك وآمنك من عقابه والاستفهام فيه بمعنى الاستجهال والتنكيل والتوبيخ ﴿ قوله وذكر الكريم للمبالغة في المنع عن الاغترار ﴾ جواب عما يقال قد سيقت الآية لاستجهال العصاة وتوبيخهم على اغترارهم بربهم فكيف يلائم لهذا السوق وصفه تعالى بالكرم والحال ان الاغترار بكرمه تعالى وجوده مما يدعو الى الاغترار به لان الكرم والجود عبارة عن قضاء حاجة المحتاج لالعوض فلما لم يكن الكريم مستعيضا ما عنده استوى عنده طاعة المطيع وعصيان المسيء وهذا يوجب الاغترار به وقد روى ان عليا رضي الله عنه دعا غلامه مرّات فلم يجبه فنظر فاذا هو بالباب فقال له لم لم تجبني فقال لثقتي بحلمك وأمني من عقوبتك فاستحسن جوابه واعتقه ولولا ان كرم الكريم يوجب الاغترار به لما استحسن جواب الغلام * وتقرير الجواب انا لانسلم ان كرم الكريم يقتضي الاغترار به بل هو يقتضي الخوف والحذر من مخالفته وعصيانه من حيث ان اهمال الظالم يأبى كونه كريما بالنسبة الى المظلوم وكذا التسوية بين المطيع والعاصي وبين الموالي والمعادي

﴿ سورة الانفطار مكية وآيها تسع عشرة ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(اذا السماء انفطرت) انشقت (واذا الكواكب انتثرت) اى تساقطت متفرّقة (واذا البحار فجرت) فتح بعضها الى بعض فصار الكل بحرا واحدا (واذا القبور بعثرت) قلب ترابها واخرج موتاها وقيل انه مركب من بعث ورآء الاثارة كبسمل ونظيره بحثر لفظا ومعنى (علمت نفس ماقدّمت) من عمل او صدقة (واخرت) من سنة او تركة ويجوز ان يراد بالتأخير التضييع وهو جواب اذا (يا ايها الانسان ماغرّك بربك الكريم) اىّ شئ خدعك وجرّأك على عصيانه وذكر الكريم للمبالغة في المنع عن الاغترار فان محض الكرم لايقتضي اهمال الظالم وتسوية الموالي والمعادي والمطيع والعاصي فكيف اذا انضم اليه صفة القهر والانتقام والاشعار بما به يغرّه الشيطان فانه يقول له افعل ماشئت فربك كريم لايعذب احدا ولايعاجل بالعقوبة والدلالة على ان كثرة كرمه تستدعي الجدّ في طاعته لا الانهماك في عصيانه اغترارا بكرمه

فثبت ان محض الكرم لايقتضى الاغترار به فكيف اذا انضم اليه وصف كونه قهاراً منتقما ذابطش شديد ثم اشار الى فائدتين اخريين لذكر الكريم فقال والاشعار بما به يغره الشيطان وقال ثانيا والدلالة على ان كثرة كرمه تستدعى الجد فى طاعته فان كل واحد منهما معطوف على قوله المبالغة فكأنه قيل ايها العاصى كيف تجرأ على معصيته مع ان كرمه يستدعى ان لايسوى بين المطيع والعاصى ولم تغتر بما به يغرك الشيطان من كثرة كرمه مع انها تستدعى الجد فى الطاعة قضاء لحق شكره على كرمه وفيه اشارة الى ان سبب اغترار بنى آدم تسويل الشيطان بقوله افعل ماشئت فان ربك كريم ثم انه تعالى لما وصف نفسه بالربوبية والكرم اتبعه بقوله الذى خلقك فسوّاك فعدلك ليكون كالدليل على ربوبيته وكرمه ودلالته على الربوبية ظاهرة لان من فعل هذه الامور الثلاثة فى المخلوق لاجرم يكون ربا مالكا له وكذا دلالته على الكرم لانه لاشك ان اصل الخلق والايجاد كرم وجود لان الوجود محض كرم وكذا تسوية الاعضاء وتعديل البنية فان سلامة الاعضاء كونها مسوّاة اى تامة الخلق سالمة عن النقصان فى خلقتها بحيث يكون الشخص بها بشرا سويا تام الخلق سليم الاعضاء انتهى ﴿قوله والتعديل جعل البنية معتدلة متناسبة الاعضاء﴾ الظاهر انه اراد باعتدال البنية اعتدال كيفياتها المتضادة لكون كل واحدة منها منكسرة بحصول الفعل والانفعال بينها وبتناسب الاعضاء كون كل عضو منها معادلا للآخر لئلا يتفاوت بعضها عن بعض مثل ان تكون احدى اليدين اطول من الاخرى وكذا الرجلان والاذنان ومثل ان تكون احدى العينين اوسع من الاخرى قال علماء التشريح انه تعالى ركب جانبى هذه الجثة على التساوى حتى لاتفاوت بين نصفيه لافى العظام ولافى اشكالها ولافى الاوردة والشرايين والاعصاب النافذة فيها والخارجة عنها فكل مافى احد الجانبين مساو لما فى الجانب الآخر كانه عدل له ﴿قوله اومعدّلة بما يستعدها من القوى﴾ عطف على قوله معتدلة والمنوى فى يستعدها ضمير البنية بتقدير المضاف وهو الاعضاء اى والتعديل جعل كل عضو من اعضاء البنية معادلا مناسبا لما بنى له من القوة كاليد للبطش والرجل للمشى واللسان للتكلم والعين للابصار الى غير ذلك فالتعديل على هذا بين الاعضاء ومنافعها التى هى القوى المودعة فيها والبارز المنصوب فى يستعدها راجع الى ما وانث العائد اليها لكونها عبارة عن القوى وذكر لقرآءة عدلك بالتخفيف وجهين الاوّل انه بمعنى المشدد اى عدل بعض اعضائك ببعض حتى اعتدلت والثانى انه من العدول اى فصرفك عن الخلقة المكروهة التى لسائر الحيوانات الى احسن تقويم والفاء فى قوله فسوّاك فعدلك لافادة ان مابعدها كلام مرتب على ماقبلها فى الذكر لانها بالفاء لتفصيل المجمل على المجمل وموضع ذكر التفصيل بعد ذكر المجمل كما فى نحو قولك اجبته فقلت لبيك والتسوية فى الآية تفصيل للخلق والتعديل تفصيل للتسوية ﴿قوله اى ركبك فى اى صورة شاءها﴾ اى الله تعالى على ان قوله فى اى صورة متعلق بركبك وان شاء فى موضع الجر على انه صفة لصورة فلذلك قدر الضمير الراجع اليها بعد شاء ليربط به جملة الصفة بالموصوف ولم تعطف جملة ركبك على ماقبلها لانها بيان لقوله فعدلك اى فعدلك بان ركبك فى اى صورة اقتضتها مشيئته وحكمته من الصور المختلفة فى الحسن والقبح والطول والقصر والذكورة والانوثة ومن الصور التى تشبه الاب والام او اقارب الاب او اقارب الام او لاتشبه واحدا منهم ﴿قوله وقيل شرطية﴾ اى قيل ما شرطية وشاء فعل الشرط وركبك جزاء الشرط فيكونان فى موضع الجزم والمعنى ماشاء من الصور ركبك عليها والجملة الشرطية فى موضع الجر على انها صفة لصورة ايضا والعائد محذوف وهو عليها فعلى هذا يكون قوله فى اى صورة متعلقا بعدلك ولايجوز ان يتعلق بركبك لان ماكان فى حيز الشرط لايتقدم عليه فان قيل كيف يجوز ان يكون الظرف صلة عدلك مع ان ايا اسم استفهام فلها صدر الكلام فلا يعمل فيها ماقبلها قلنا من جعله متعلقا بعدلك جعل قوله فى اى صورة بمعنى التعجب كما فى قولك مررت برجل اى رجل كأنه قيل فعدلك فى صورة اى صورة اى فى صورة عجيبة ثم حذف الموصوف لزيادة التفخيم والتعجب ﴿قوله اضراب﴾ اى اعراض عن ايجاب الارتداع من الاغترار بكرم الله تعالى عليهم بجعله كالمسكوت عنه الى بيان ماهو السبب فى اغترارهم بالكرم وهو تكذيبهم بيوم الحساب والجزاء على ان يكون المراد بالدين الجزاء يقال دانه دينا اى جازاه وان اريد بالدين الاسلام كما قال ان الدين عند الله الاسلام يكون المعنى كيف ترتدعون من الاغترار بالكريم وانتم مصرّون على تكذيب الاسلام الذى هو السبب الاصلى للاغترار به تعالى والجرآءة على عصيانه فان كل واحد من تكذيب الجزاء ومن تكذيب الاسلام والاصرار عليه سبب

(الذى خلقك فسوّاك فعدلك) صفة ثانية مقرّرة للربوبية مبينة للكرم منبهة على ان من قدر على ذلك اوّلا قدر عليه ثانيا والتسوية جعل الاعضاء سليمة مسوّاة معدّة لمنافعها والتعديل جعل البنية معتدلة متناسبة الاعضاء اومعدّلة بما يستعدها من القوى وقرأ الكوفيون فعدلك بالتخفيف اى عدل بعض اعضائك ببعض حتى اعتدلت او فصرفك عن خلقة غيرك وميزك بخلقة فارقت خلقة سائر الحيوانات (فى اى صورة ماشاء ركبك) اى ركبك فى اى صورة شاءها ومامزيدة وقيل شرطية وركبك جوابها والظرف صلة عدلك وانما لم تعطف الجملة على ماقبلها لانها بيان لعدلك (كلا) ردع عن الاغترار بكرم الله تعالى وقوله (بل تكذبون بالدين) اضراب الى بيان ماهو السبب الاصلى فى اغترارهم والمراد بالدين الجزآء او الاسلام

اصلى فى الاغترار والجرآءة ﴿ قوله تعالى وان عليكم لحافظين ﴾ يجوز ان يكون حالا من فاعل تكذبون اى تكذبون والحالة هذه ويجوز ان تكون جملة مستأنفة اخبرهم الله تعالى بذلك ليزجروا عماهم عليه من الاصرار على الكفر والتكذيب فان من وكل به ملائكة كرام على الله يكتبون اعماله ليحاسب يوم البعث والجزآء من عظائم الامور عندالله تعالى فانه لولا ذلك لما وكل بضبط الاعمال مثل هذه الملائكة الكرام وصف الملائكة بكونهم حافظين لحفظهم الاعمال وبكونهم كراما لكرامتهم عندالله تعالى بجدهم فى طاعته وبكونهم كاتبين لانهم يكتبون اعمال بنى آدم على علم منهم بجميع اعمالهم * فان قيل قوله تعالى ماتفعلون يعم افعال القلوب وهو من المغيبات التى لايعلمها الا الله تعالى فكيف يكتبها الملائكة وقد دلت الآية على انهم يكتبون جميع افعال المكلفين من افعال القلوب ومن افعال الجوارح * اجيب بان ماتفعلون عام مخصوص بافعال الجوارح وتخصيص العام كثير شائع وسئل سفيان الثورى كيف تعلم الملائكة ان العبد هم بحسنة او بسيئة قال اذاهم العبد بحسنة وجدوا منه ريح المسك واذاهم بسيئة وجدوا منه ريح النتن ومحصول كلامه انا لانسلم ان افعال القلوب بالنسبة الى الملائكة من قبيل الغيبات التى لايعلمها الا الله بل هى بالنسبة اليهم مما نصب عليه دليل ثم انه تعالى بعدان وصف الكرام الكاتبين لاحوال العباد ذكر العاملين فقال ان الابرار لفى نعيم وان الفجار لفى جحيم والمراد نعيم الجنة وجحيم النار الموقدة ويصلونها اى يدخلونها صفة لجحيم او حال من المنوى فى الخبر ويوم الدين ظرف ليصلونها ولما بين انهم يقاسون حرها يوم القيامة بين انهم مخلدون فيها ولا يخرجون منها فقال وماهم عنها بغائبين ويجوز ان يكون معناه يصلونها يوم الدين وما يغيبون عنها قبل ذلك فى قبورهم ﴿ قوله تعجيب وتفخيم ﴾ يعنى ان قوله تعالى وماادراك مايوم الدين تعظيم لذلك اليوم ثم كرر تعجيبا للمخاطب وتفخيما لشأن اليوم وقوله لاتدركه دراية دار اشارة الى ان ماادراك خطاب عام وقيل انه خطاب له عليه الصلاة والسلام خاطبه بذلك لانه ما كان عالما بذلك قبل الوحى وقيل الخطاب للكافرين زجرا لهم وتهديدا ﴿ قوله تقرير لشدة هوله وفخامة امره اجمالا ﴾ فان اليوم الذى لاينفع المرء فيه الا الايمان والطاعة ولا تستطيع نفس ان تنفع نفسا ولا ان تدفع عنها ضررا كيف يكون فيه حال من خالف الملك الجبار وعصاه قرأ الجمهور يوم لاتملك بفتح الميم ثم اختلفوا فى انها فتحة اعراب او فتحة بناء فمن قال انها حركة اعراب ذكر لنصبه وجوها احدها ان تكون بدلا من يوم الدين فى قوله يصلونها يوم الدين وثانيها ان تكون ظرفا لفعل محذوف يدل عليه الدين اى يدانون ويجازون فى ذلك اليوم وثالثها ان يكون منصوبا باذكر او أعنى فيكون مفعولا به ومن قال انها فتحة بناء قال انما بنى لاضافته الى الجملة وما اضيف الى غير المتمكن يبنى على الفتح وقوله او الخبر اى انه فى موضع الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف اى هو يوم لاتملك فانه لما قيل وما ادراك مايوم الدين اخبر عنه بانه يوم لاتملك * تمت سورة الانفطار بحمدالله وعونه وحسن توفيقه

﴿ سورة المطففين ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

قال مقاتل هى اول سورة نزلت بالمدينة وقيل هى مدنية الاثمان آيات وهى من قوله تعالى ان الذين اجرموا الى آخر السورة وقيل مكية وقال الكلبى قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وهم يسيئون كيلهم ووزنهم لغيرهم ويستوفون لانفسهم فنزلت الآيات فخرج عليه السلام فقرأها عليهم وقال خمس بخمس * الى آخر الحديث فاحسنوا الكيل بعد ذلك وقال السدى قدمها وبها رجل يسمى ابا جهينة ومعه صاعان يكيل باحدهما لغيره ويكتال بالآخر لنفسه فنزلت فاحسنوا الكيل انتهى ﴿ قوله تعالى ويل ﴾ مبتدأ وللمطففين خبره وجاز الابتدآء به اما لانه اسم لواد مخصوص فى جهنم لو ارسلت فيه الجبال لماعت من حره اى لذابت واما لكونه دعاء فانه فى الاصل مصدر منصوب باضمار فعل لامن لفظه فان اصله اهلكهم الله تعالى ويلا او هلكوا ويلا فلما حذف الفعل وسد الويل مسده عدل الى الرفع للدلالة على الثبات والدوام كما فى سلام عليك فلما كان الويل فى الاصل مصدرا سادا مسد الفعل المختص بصدوره من فاعل معين كانت النكرة المذكورة مخصصة بذلك الفاعل فساغ الابتدآء بها لذلك وفى الصحاح التطفيف القليل والتطفيف نقص المكيال وهو ان لايملأ الى اصباره اى رأسه وفيه ايضا البخس الناقص قال تعالى وشروه بثمن بخس وقد بخسه حقه بخسا اذا نقصه وسمى البخس فى الكيل والوزن تطفيفا اى تقليلا لكون مايبخس شيأ طفيفا اى قليلا حقيرا فان من لايملأ المكيال الى جوانبه وكذا من لايسوى عمود الميزان

(وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ماتفعلون) تحقيق لما يكذبون به ورد لما يتوقعون من التسامح والاهمال وتعظيم الكتبة بكونهم كراما عندالله لتعظيم الجزآء (ان الابرار لفى نعيم وان الفجار لفى جحيم) بيان لما يكتبون لاجله (يصلونها) يقاسون حرها (يوم الدين وماهم عنها بغائبين) لخلودهم فيها وقيل معناه ومايغيبون عنها قبل ذلك اذكانوا يجدون سمومها فى القبور (وماادراك مايوم الدين ثم ماادراك مايوم الدين) تعجيب وتفخيم لشأن اليوم اى كنه امره بحيث لاتدركه دراية دار (يوم لاتملك نفس لنفس شيأ والامر يومئذ لله) تقرير لشدة هوله وفخامة امره اجمالا ورفع ابن كثير والبصريان يوم على البدل من يوم الدين او الخبر لمحذوف قال صلى الله عليه وسلم * من قرأ سورة انفطرت كتب الله له بعدد كل قطرة من السماء حسنة وبعدد كل قبر حسنة

﴿ سورة التطفيف مختلف فيها ﴾

﴿ وآيها ست وثلاثون ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(ويل للمطففين) التطفيف البخس فى الكيل والوزن لان مايبخس طفيف اى حقير روى ان اهل المدينة كانوا اخبث الناس كيلا فنزلت فاحسنوه وفى الحديث خمس بخمس مانقض العهد قوم الاسلط الله عليهم عدوهم وماحكموا بغير ماانزل الله الافشا فيهم الفقر وماظهرت فيهم الفاحشة الافشا فيهم الموت ولا طففوا الكيل الامنعوا النبات واخذوا بالسنين ولامنعوا الزكاة الاحبس عنهم القطر

لاينقص الاشياء قليلا من حق المشترى لان نقص الكثير يظهر فيمنع منه ﴿قوله اى اذا اكتالوا من الناس﴾ يعنى ان الاكتيال اخذ الحق من الغير بالكيل كما ان الاتزان اخذه منه بالوزن فهما اخذ الحق لنفسه والكيل والوزن اعطاؤه لغيره بالمكيال والميزان فحق الاكتيال ان يتعدى بكلمة من حيث يقال كلت من فلان ولا يقال كلت على فلان الا ان كلمة على اجيبت فى الآية مقام من لوجهين الاول الدلالة على ان المأخوذ الحق الثابت له على الناس فانه اذا قيل اكتلت منه لايفهم منه الا انه اخذته بالكيل مع قطع النظر عن كون المأخوذ هل هو حق له عليه اولا والثانى الدلالة على ان اكتيالهم من الناس اكتيال فيه اضرار لهم وتحامل عليهم فان كلمة على تدل على الاضرار والظلم يقال تحامل عليه اى ظلمه فقولهم اكتال عليه يفهم منه انه اخذ منه اخذا متضمن التحامل عليه والوجه الاول اظهر ﴿قوله اى اذا كالوا الناس اووزنوا لهم﴾ يعنى ان الكيل والوزن عبارتان عن الاعطاء للغير بالمكيال والميزان فاللغة الشائعة فيهما ان يقال كالوا لهم اووزنوا لهم ولا يقال كاله اووزنه وتظم الآية اما من قبيل حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه والاصل كالوا مكيلهم اووزنوا موزونهم واما من قبيل الحذف والايصال كما فى قوله

* ولقد جنيتك اكمؤا وعساقلا * ولقد نهيتك عن بنات الاوبر *

والاصل جنيت لك اى لاجلك نوعين من الكمأة من اجودها فان اكمؤا جمع قلة واحدها كمء والكمأة جمع كثرة للكمء ايضا على غير القياس والتنوين فى اكمؤا للتعظيم والعساقل ضرب من الكمأة الواحدة عسقول وهى الكمأة الكبار البيض التى يقال لها شحمة الارض وبنات الاوبر كمأة صغار مزغبة على لون التراب وهى اردأ انواع الكمأة والزغب الشعرات الصغار من ريش الفرخ ﴿قوله ولايحسن جعل المنفصل تأكيد المتصل﴾ اى لايحسن ان يكون كلمة هم فى الموضعين ضميرا مرفوعا منفصلا مؤكدا للضمير المتصل فى كالوا اووزنوا العائدين الى المطففين لوجهين الاول ان المقصود من الآية بيان اختلاف حالهم فى الاخذ والدفع وانهم حال الاخذ يستوفون وحال الدفع يخسرون وينقصون وعلى تقدير ان يجعل المنفصل تأكيدا لمرفوع المتصل يفوت هذا المقصود ويكون اول الكلام دالا على انهم يستوفون حال الاخذ ويكون مابعده دالا على انهم اذا تولوا الكيل والوزن هم بأنفسهم على الخصوص اخسروا وهو كلام متنافر لان الحديث واقع فى الفعل وهو الاكتيال والكيل لافى المباشر والوجه الثانى ان الضمير لو كان مرفوعا مؤكدا للمتصل لوجب ان يكتب الالف بعد واو الجمع فى امام المصاحف كما هو الاصل فى امثاله مثل قعدوا هم وقاموا هم وهذا الوجه ضعيف لان رسم المصحف كثيرا مايخالف القياس المقرر فى علم الخط ﴿قوله وفيه انكار وتعجب من حالهم﴾ فى الاجتراء على التطفيف والانكار مستفاد من صورة الاستفهام فان ألا هنا ليست للتنبيه بل هى همزة الاستفهام دخلت على لا النافية فأفادت الانكار على انتفاء ظنهم والتعجب مستفاد من ذكر الظن فى موضع ذكر اليقين والانكار على انتفائه فان الواجب على العاقل ان يتيقن البعث والجزاء لتعاضد الدلائل العقلية والنقلية عليه وان لايتجاسر على مايوجب الافتضاح والخجالة على رؤس الاشهاد فى يوم الحساب وان لم يتيقن به فلا اقل من ان يظنه ومن تجاسر عليه يرى من ظاهر حاله انه لايظن البعث والحساب ولايخطر بباله فضلا عن التيقن به فان الظن كاف فى حصول الخوف الموجب للامتناع عن التطفيف ونحوه وعدم امتناعه عنه يدل على انه لايظن ذلك وذلك امر عجيب حيث كان أسوأ حالا من الكفار فانهم يظنون البعث ويقولون ان نظن الا ظنا وما نحن بمستيقنين ﴿قوله او بدل من الجار والمجرور﴾ فانه منصوب المحل ﴿قوله لحكمه﴾ قدر المضاف لان ذاته تعالى لاتكون علة لقيامهم الا باعتبار كونه حاكما وآمرا بذلك ﴿قوله وذكر الظن﴾ فان ذكره ليس لاجل ان امر البعث والقيام من القضايا التى يكفى المؤمن ان يظن بوقوعها لانه مما يجب ان يعتقده المؤمن اعتقادا جازما ثابتا بل انما ذكر للمبالغة فى المنع عن التطفيف لدلالته على ان الظن بالبعث والقيام يكفى فى الامتناع والارتداع عن امثاله فضلا عن الجزم واليقين به وكذا وصف اليوم بالعظم فان مايستعظمه الله تعالى لاشك انه يكون فى غاية العظمة وقد مر ان عظمته لعظم مايكون فيه من الاهوال وكذا ذكر قيام الناس فيه لله الكبير المتعال اى لحكمه يدل على المبالغة فى المنع عن ذلك وكذا ذكر وصف نفسه بالربوبية للعالمين فان من كان مالكا للعالمين وكان العالم بأسره مسخرا فى قبضته وقدرته كيف يمتنع عنه الظالم القوى وكيف يضيع حق المظلوم الضعيف فان مقتضى الربوبية ان لايضيع شيأ من حقوق

(الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون) اى اذا اكتالوا من الناس حقوقهم يأخذونها وافية وانما ابدل على بمن للدلالة على ان اكتيالهم لما لهم على الناس او اكتيال يتحامل فيه عليهم (واذا كالوهم اووزنوهم) اى اذا كالوا الناس اووزنوا لهم (يخسرون) فحذف الجار واوصل الفعل كقوله * ولقد جنيتك اكمؤا وعساقلا * بمعنى جنيت لك او كالوا مكيلهم فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه ولايحسن جعل المنفصل تأكيد المتصل فانه يخرج الكلام عن مقابلة ماقبله اذ المقصود بيان اختلاف حالهم فى الاخذ والدفع لا فى المباشرة وعدمها ويستدعى اثبات الالف بعد الواو كما هو خط المصحف فى نظائره (الايظن اولئك انهم مبعوثون) فان من ظن ذلك لم يتجاسر على امثال هذه القبائح فكيف بمن تيقنه وفيه انكار وتعجب من حالهم (ليوم عظيم) عظمه لعظم مايكون فيه (يوم يقوم الناس) نصب بمبعوثون او بدل من الجار والمجرور ويؤيده القرآءة بالجر (لرب العالمين) لحكمه وفى هذا الانكار والتعجب وذكر الظن ووصف اليوم بالعظم وقيام الناس فيه لله والتعبير برب العالمين مبالغات فى المنع عن التطفيف وتعظيم اثمه

المستحقين و اصل المنع من التطفيف قد حصل بقوله اولا ويل للمطففين فانها كلمة تقال لمن استحق ان ينزل عليه بلية و آفة فيقال ويل لك زجرا له عما هو فيه فدل بذلك على ان المطففين ينزل بهم بسبب تطفيفهم بلية و عذاب هائل فما ذكر بعده يكون للمبالغة فى المنع *قال اعرابى لبعض الملوك انك قد سمعت ما قال الله عز و جل فى المطففين اراد بذلك ان المطفف قد توجه عليه الوعيد العظيم فى اخذ القليل فما ظنك بنفسك و انت تأخذ اموال المسلمين بغير كيل و لا وزن ﴿قوله مايكتب من اعمالهم او كتابة اعمالهم﴾ جواب عما يقال اخبر الله تعالى بان كتاب الفجار فى سجين ثم فسر السجين بقوله كتاب مرقوم فصار كأنه قيل ان كتابهم فى كتاب مرقوم فما معناه * اجاب عنه المصنف اولا بان الكتاب فى قوله كتاب الفجار مصدر كتب يقال كتب كتبا و كتابا و كتابة اطلق فى الآية بمعنى المكتوب كضرب الامير و الكتاب الذى فسر به السجين بمعنى السفر الذى كتب فيه الاعمال و المعنى الاعمال المكتوبة للفجار مثبتة فى الكتاب الجامع لجميع اعمال الفجرة و ثانيا بان الكتاب الاول مصدر مستعمل فى اصل معناه و هو فى النظم مصدر مضاف و التقدير ان كتابة اعمال الفجار ثابتة فى السجين الذى هو كتاب جامع لاعمال الفجرة ﴿قوله اى مسطور بين الكتابة﴾ وفى الصحاح الرقم الكتابة و الختم فان فسر المرقوم بالمكتوب يكون توصيف الكتاب به للدلالة على انه بين الكتابة بحيث كل من نظر اليه يطلع على مافيه بلا دقة نظر و امعان و جهد و ان فسر بالمختوم يكون المقصود الدلالة على ان ذلك الكتاب مشتمل على علامة دالة على شقاوة صاحبه و كونه من اصحاب النار لان الختم علامة و كونه علامة الشر مستفاد من المقام لانه مقام الذم و التهويل ﴿قوله فعيل من السجن﴾ اختلف فى ان السجين علم لشئ معين او اسم مشتق فمن ذهب الى الثانى قال انه فعيل من السجن و هو الحبس كما ان الفسيق مشتق من الفسق فهو فى الاصل من اسماء الصفة و موضوع للمبالغة ثم نقل من الوصفية و جعل لقبا للكتاب لكونه سببا لحبس صاحبه و معنى صيغة المبالغة الدلالة على المبالغة فى كونه سبب الحبس و التضييق فانه يؤول الى حبس لايجد صاحبه فيه شيأ من الروح و السعة ﴿قوله اولانه مطروح﴾ اى و يجوز ان يكون السجين مبالغة المسجون ثم نقل من الوصفية و جعل لقبا للكتاب لكونه مطروحا فى اسفل المواضع و اوحشها و هو اسفل سبع ارضين و فيه ابليس و ذريته لعنه الله فيطرح فيه الكتاب الجامع لاعمال الفجرة الملقب بالسجين ليكون ذلك علامة لخسارهم و خفة مقدارهم و لا يصعد به الى السماء كما يصعد بكتاب المؤمنين كما قال ان كتاب الابرار لفى عليين ﴿قوله وقيل هو اسم مكان﴾ اى و قيل انه ليس بمشتق بل هو اسم علم لشئ معين هو الارض السابعة السفلى او حية فى جهنم او صخرة تحت الارض السابعة تقلب فيجعل كتاب الفاجر تحتها فعلى تقدير ان يكون السجين اسم مكان لايصح ان يحمل عليه كتاب مرقوم الا بان يقدر المضاف فى قوله ماسجين او فى قوله كتاب مرقوم ليصح الحمل و اليه اشار المصنف بقوله و التقدير مكان السجين او محل كتاب مرقوم ﴿قوله المكذبين بالحق﴾ اى بما يجب تصديقه من الحق اى حق كان و قوله او بذلك اى ذلك اليوم الذى يقوم فيه الناس لرب العالمين و لم يذكر صلة المكذبين اما للتعميم لكل مايجب ان يصدق به و اما للدلالة القرينة عليه و هو يوم يقوم الناس فيه فعلى الاول يكون قوله تعالى الذين يكذبون بيوم الدين صفة مخصصة لكون مفهومه اخص من مفهوم موصوفه و على الثانى صفة موضحة ان كان ذات الموصوف معلوما للمخاطب بوجه ما و مجهولا من حيث انه يصدق عليه مفهوم الصفة و ان كان معلوما له من هذه الحيثية ايضا تكون الصفة للذم فان الصفة الموضحة لابد ان يكون مفهومها عين مفهوم موصوفها و لا يكون بينهما فرق الا بالاجمال و التفصيل باشتمال مفهومها على زيادة تفصيل و بيان ليس فى مفهوم الموصوف بحيث يصلح ان يكون معرفا له كما فى قولك الجسم الطويل العريض العميق يحتاج الى فراغ يشغله ﴿قوله الخديجة﴾ اى النتيجة نتيجة باطلة لايعتد بها من اخدجت الناقة اذا جاءت بولدها ناقص الخلق و الاعتدآء هو التجاوز للحد من النهج الحق و حمله المصنف على اهمال القوة النظرية التى كاد أن يعرف الانسان بها الحق لذاته كوجود الصانع و وحدته و استكماله لجميع صفات الجلال و الجمال و من يكذب بالبعث و القيامة انما يكذب لاستقصاره قدرة الله تعالى و عدم اعتقاده بكونه تعالى قادرا على جميع الممكنات او لاستقصاره علمه تعالى و عدم اعتقاده بكونه تعالى عالما بجميع المعلومات من الكليات و الجزئيات ليعلم انه تعالى عالم بتفاصيل اجزآء كل شخص متميزة عن اجزآء غيره و انه تعالى قادر على جمعها و اعادة الحياة فيها و لا شك ان من وصف الله تعالى بما لايجوز ان يوصف به فقد اهمل قوته النظرية و لم يستعملها ليكتسب بها العقائد الحقة و يعتقد بها و الاثيم يدل على المبالغة فى ارتكاب الاثم

(كلا) ردع عن التطفيف و الغفلة عن البعث و الحساب (ان كتاب الفجار) مايكتب من اعمالهم او كتابة اعمالهم (لفى سجين) كتاب جامع لاعمال الفجرة من الثقلين كما قال (و ما ادراك ماسجين كتاب مرقوم) اى مسطور بين الكتابة او معلم يعلم من رآه انه لاخير فيه فعيل من السجن لقب به الكتاب لانه سبب الحبس او لانه مطروح كما قيل تحت الارضين فى مكان وحش و قيل هو اسم مكان و التقدير مكان السجين او محل كتاب مرقوم فحذف المضاف (ويل يومئذ للمكذبين) بالحق او بذلك (الذين يكذبون بيوم الدين) صفة مخصصة او موضحة او ذامة (و مايكذب به الا كل معتد) متجاوز عن النظر غال فى التقليد حتى استقصر قدرة الله و علمه فاستحال منه الاعادة (اثيم) منهمك فى الشهوات المخدجة بحيث اشغلته عما ورآءها و حملته على الانكار لما عداها

(و المعصية)

والمعصية بسبب الاتباع للشهوة والغضب فانه يستلزم اهمال القوة العملية التى كمالها ان تعرف الحق لاجل العمل به ثم انه تعالى وصف المكذب بيوم الدين بوصف ثالث فقال اذا تتلى عليه آياتنا قال اساطير الاولين وهذا من الاعتداء عن النظر فى شواهد النقل بانكار النبوة والقدح فى كون القرآن من عندالله تعالى والاعتداء بهذا الوجه وان كان مندرجا فى الاعتداء المذكور اولا الا انه خص بالذكر للمبالغة فى ذم من اتصف به فان امر الارسال والانزال اشرف آثار رحمة الله تعالى وفضله على عباده ومن انكر شيأ منها فهو فى غاية الطغيان فلا يستبعد منه تكذيبه بيوم الدين وفى الصحاح السطر بسكون الطاء الصف من الشئ ويجمع على اسطر وسطور مثل افلس وفلوس فى جمع فلس والسطر بفتح الطاء مثله ويجمع على اسطار مثل سبب واسباب ثم يجمع على اساطير والاساطير الاباطيل جمع اسطورة بالضم او اسطارة بالكسر فأساطير الاولين احاديثهم واخبارهم الباطلة ﴿ قوله ردع للقائل ﴾ من ان ما يتلى عليهم اساطير يعنى ان كلمة بل ههنا للاضراب عن قولهم ذلك بعد ردعهم عنه وانه وجه الاضراب عنه ابطاله وقد يكون الاضراب لمجرد الاعراض عما سبق وجعله فى حكم المسكوت عنه مع الشروع فيما هو أهم وههنا اضرب عنه لبطلانه فى نفسه وشرع فى بيان ما ادى بهم اليه كأنه قيل ليس الامر كما يقولون من انه اساطير بل كان ما كسبوه من الافعال القبيحة سببا لحصول الرين وهو الدنس والصدأ فى قلوبهم فلذلك اضرب عن ذلك القول الباطل ﴿ قوله فان كثرة الافعال سبب لحصول الملكات ﴾ تعليل لكون الانهماك فى المعاصى سببا لغلبة حب المعاصى عليهم فان الانسان كلما تكرر عليه مباشرة المعصية حصلت فى قلبه ملكة نفسانية يزول بسببها انفاقه من ارتكابها بل يزداد ميله ورغبته فيها فتلك رين ودنس وظلمة على القلب مانعة من ادراك الحق والباطل كما ان الطاعات لها انوار وضياء معينة لمعرفة الحق والباطل فكلما كثرت الذنوب ازداد القلب ظلمة واسودادا وبحسب اسوداده يزداد المرء وقاحة حتى اذا اسود القلب كله والعياذ بالله تعالى لم يبق فى قلبه شئ من المعرفة والحياء ويرتفع بالكلية ما يمنعه عن ارتفاع الشهوة والغضب فيغلب عليه حب المعاصى بحيث لا يقدر على الامتناع عنها وكلمة ما فى قوله تعالى ما كانوا يكسبون يجوز ان تكون مصدرية وان تكون موصولة وراجعها محذوف ومحلها على التقديرين الرفع على الفاعلية اى غلب على قلوبهم كسبهم الذى كانوا يكسبونه ﴿ قوله فلا يرونه بخلاف المؤمنين ﴾ وهذه الآية من جملة ادلة الرؤية فان المؤمنين لو لم يروه فى الآخرة كالكفار لما كان لتخصيص الكفار بانهم محجوبون من الله تعالى فائدة وايضا انه ذكر الحجاب هنا فى معرض الوعيد والتهديد للكفار وما يكون وعيدا وتهديدا لهم لا يجوز حصوله فى حق المؤمن فوجب ان لا يحصل هذا الحجاب فى حق المؤمن

◦ يراه المؤمنون بغير كيف ◦ وادراك وضرب من مثال ◦
◦ فينسون النعيم اذا رأوه ◦ فيا خسران اهل الاعتزال ◦

واجاب المعتزلة عن هذا الاستدلال بان الحجاب المختص بالكفار ليس بمعنى عدم الرؤية حتى يقال انه تعالى لما خص الحجاب بالكفار دل ذلك على انه مرفوع عن الابرار بل هو مجاز عن كونهم أذلاء مهانين عند الله تعالى شبهت حالهم تلك بحال من كان محجوبا عن بعض السلاطين لحقارته وعدم استحقاقه الدخول عليه فاطلق عليهم اسم المشبه به ومنهم من اجاب بان تقدير الكلام انهم عن رحمة ربهم او عن قرب ربهم لمحجوبون فليس لهم نصيب من ذلك ﴿ قوله تكرير للاول ﴾ وهو قوله كلا ان كتاب الفجار لفى سجين فيكون ردعا عن التطفيف والغفلة عن البعث والحساب مثله لما ذكر حال الفجار المطففين اتبعه بذكر حال الابرار الذين لا يطففون ﴿ قوله الكلام فيه ما مر ﴾ فالمعنى الاعمال المكتوبة للابرار او كتابة اعمالهم لفى عليين اى لفى كتب جامعة لجميع اعمال الابرار على ان عليين فى الاصل جمع علي وهو فعيل من العلو للمبالغة فيه ثم نقل عن الوصفية وجعل علما للكتاب الجامع لكونه سببا للعلو صاحبه غاية العلو وقيل عليون اسم مكان اعرابه كاعراب الجمع لكونه على لفظ الجمع ثم اختلفوا فى ذلك المكان فقيل هو السماء الرابعة وقيل هو السماء السابعة وقيل هو قائمة العرش اليمنى فوق السماء السابعة وقيل هو سدرة المنتهى فعلى تقدير كونه اسم مكان لا يحمل عليه كتاب مرقوم الا بان يحمل الكلام على تقدير المضاف فى الاول او فى الثانى ويكون التقدير وما ادراك ما كتاب عليين او هو محل كتاب مرقوم ﴿ قوله على الاسرة فى الحجال ﴾ وهى جمع حجلة بالتحريك وهى بيت العروس يزين بالاسرة والثياب والستور فان الاسرة لا تسمى اريكة الا اذا كانت فى الحجال عن الحسن قال كنا لا ندرى

(اذا تتلى عليه آياتنا قال اساطير الاولين) من فرط جهله واعراضه عن الحق فلا تنفعه شواهد النقل كما لم تنفعه دلائل العقل (كلا) ردع عن هذا القول (بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) رد لما قالوه وبيان لما ادى بهم الى هذا القول بان غلب عليهم حب المعاصى بالانهماك فيها حتى صار ذلك صدأ على قلوبهم فعمى عليهم معرفة الحق والباطل فان كثرة الافعال سبب لحصول الملكات كما قال عليه السلام ان العبد كلما اذنب ذنبا حصل فى قلبه نكتة سوداء حتى يسود قلبه والرين الصدأ وقرأ حفص بل ران باظهار اللام وقرأ حمزة والكسائى وابو بكر بل رين بالامالة (كلا) ردع عن الكسب الرائن (انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) فلا يرونه بخلاف المؤمنين ومن انكر الرؤية جعله تمثيلا لاهانتهم باهانة من يمنع عن الدخول على الملوك او قدر مضافا مثل رحمة ربهم او قرب ربهم (ثم انهم لصالوا الجحيم) ليدخلون النار ويصلون بها (ثم يقال هذا الذى كنتم به تكذبون) تقوله لهم الزبانية (كلا) تكرير للاول ليعقب بوعد الابرار كما عقب بوعيد الفجار اشعارا بان التطفيف فجور والايفاء بر او ردع عن التكذيب (ان كتاب الابرار لفى عليين وما ادراك ما عليون كتاب مرقوم) الكلام فيه ما مر فى نظيره (يشهده المقربون) يحضرونه فيحفظونه او يشهدون على ما فيه يوم القيامة (ان الابرار لفى نعيم على الارائك) على الاسرة فى الحجال (ينظرون) الى ما يسرهم من النعم والمتفرجات (تعرف فى وجوههم نضرة النعيم) بهجة التنعم ورونقه وقرأ يعقوب تعرف على بناء المفعول ونضرة بالرفع

(يسقون من رحيق) شراب خالص (مختوم ختامه مسك) اى مختوم اوانيه بالمسك مكان الطين ولعله تمثيل لنفاسته او الذى له ختام اى مقطع هو رائحة المسك وقرأ الكسائى خاتمه بفتح التاء اى ما يختم به ويقطع (وفى ذلك) يعنى الرحيق او النعيم (فليتنافس المتنافسون) فليرتغب المرتغبون (ومزاجه من تسنيم) علم لعين بعينها سميت تسنيما لارتفاع مكانها او رفعة شرابها (عينا يشرب بها المقربون) فانهم يشربونها صرفا لانهم لم يشتغلوا بغير الله ويمزج لسائر اهل الجنة وانتصاب عينا على المدح او الحال من تسنيم والكلام فى الباء كما فى يشرب بها عباد الله (ان الذين اجرموا) يعنى رؤساء قريش (كانوا من الذين آمنوا يضحكون) كانوا يستهزؤن بفقراء المؤمنين (واذا مرّوا بهم يتغامزون) يغمز بعضهم بعضا ويشيرون باعينهم (واذا انقلبوا الى اهلهم انقلبوا فاكهين) ملتذين بالسخرية منهم وقرأ حفص فكهين (واذا رأوهم قالوا ان هؤلاء لضالون) واذا رأوا المؤمنين نسبوهم الى الضلال (وما ارسلوا عليهم) على المؤمنين (حافظين) يحفظون عليهم اعمالهم ويشهدون برشدهم وضلالهم (فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون) حين يرونهم اذلاء مغلولين فى النار وقيل يفتح لهم باب الى الجنة فيقال لهم اخرجوا اليها فاذا وصلوا اليه غلق دونهم فيضحك المؤمنون منهم (على الارائك ينظرون) حال من يضحكون (هل ثوب الكفار) هل اثيبوا (ما كانوا يفعلون) وقرأ حمزة والكسائى بادغام اللام فى التاء * قال النبى عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة المطففين سقاه الله من الرحيق المختوم يوم القيامة

سورة الانشقاق مكية وآيها خمس وعشرون

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(اذا السماء انشقت) بالغمام كقوله تعالى يوم تشقق السماء بالغمام وعن علىّ رضى الله عنه تنشق من المجرة (وأذنت لربها) واستمعت له اى انقادت لتأثير قدرته حين اراد انشقاقها انقياد المطواع الذى يأذن للآمر ويذعن له

ما الاريكة حتى لقينا رجل من اهل اليمن اخبرنا ان الاريكة عندهم ذلك ولما عظم الله تعالى كتاب الابرار فى الآية المتقدمة عظم بهذه الآية منزلتهم فقال ان الابرار لفى نعيم والرحيق من الشراب ما لا غش فيه ولا شئ يفسده ﴿قوله اى مختوم اوانيه﴾ من الاكواب والاباريق اى هو ممنوع من ان تمسه يد الى ان يفك ختمه الابرار وذلك يشعر بعزة الشراب ومرسله والمرسل اليه ﴿قوله او الذى له ختام﴾ عطف على قوله اى مختوم اوانيه بالمسك اى يجوز ان يكون قوله ختامه مسك بمعنى مقطعه اذا شرب رائحة مسك بان توجد رائحة المسك عند خاتمة شربه فان ختام الشئ وخاتمه آخره ﴿قوله والكلام فى الباء كما الخ﴾ اى كما مرّ فى سورة الانسان من انها ما صلة الالتذاذ اى يشرب المقربون متلذذين بها او بمعنى من لان الشرب يبتدأ منها او مزيدة اى يشربها بتقدير يشرب ماءها لان العين لا تشرب وانما يشرب ماؤها ويحتمل ان تكون بمعنى فى اى يشربون وهم فيها والجملة فى موضع الصفة لقوله عينا ﴿قوله يعنى رؤساء قريش﴾ اشارة الى ان سبب النزول ان اكابر المشركين كابى جهل والوليد بن المغيرة وامثالهما كانوا يضحكون من فقراء المسلمين ويستهزؤن بهم كعمار بن صهيب وبلال فنزلت ووجه ارتباطها بما قبلها انه تعالى لما وصف كرامة الابرار فى الآخرة ذكر بعد ذلك قبح معاملة الكفار معهم فى الدنيا من استهزائهم وضحكهم منهم ثم بين ان ذلك سينقلب على الكفار فى الآخرة والمقصود منه تسلية المؤمنين وتقوية قلوبهم وذكر من معاملاتهم القبيحة اربعة اشياء اولها قوله ان الذين اجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون اى يستهزؤن بهم وبدينهم وثانيها قوله واذا مرّوا بهم يتغامزون والتغامز تفاعل من الغمز وهو الاشارة بالجفن والحاجب ويكون الغمز ايضا بمعنى العيب والمعنى انهم يشيرون اليهم بالاعين استهزاء بهم ويعيبونهم ويقولون انظروا الى هؤلاء يتعبون انفسهم ويتركون اللذات ويتحملون المشقات لما يرجونه فى الآخرة من المثوبات مع ان امر البعث والجزاء ليس بمتيقن بل هو بعيد كل البعد وثالثها قوله واذا انقلبوا الى اهلهم انقلبوا فاكهين اى معجبين فرحين بما فعلوا بالمؤمنين وهو حال من فاعل انقلبوا كما ان حافظين حال من فاعل ارسلوا قيل فاكهين وفكهين لغتان بمعنى ناعمين متلذذين وقيل فاكهين اى متنعمين مشغولين بما هم فيه من الكفر واتباع الشهوات وفكهين معجبين ورابعها قوله تعالى واذا رأوهم قالوا ان هؤلاء لضالون اى هم على ضلال فى تركهم التنعم الحاضر بسبب طلب ثواب لا يدرى هل له وجود اولا ثم قال وما ارسلوا عليهم حافظين يعنى ان الله تعالى لم يبعث هؤلاء الكفار رقباء على المؤمنين يحفظون عليهم احوالهم ويتفقدون ما يصنعونه من حق او باطل فيعيبون عليهم ما يعتقدونه ضلالا وانما امروا باصلاح انفسهم واى نفع لهم فى تتبع احوال غيرهم * تمت سورة المطففين والحمد لله رب العالمين

سورة الانشقاق مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قوله انشقت بالغمام﴾ الانشقاق التصدع وذلك من علامات القيامة والغمام السحاب والباء فيه للآلة كما فى قولهم انشقت الارض بالنبات والمعنى ان السماء تتصدع بغمام يخرج منها قيل يكون فى ذلك الغمام ملائكة العذاب وكان ذلك اشدّ واوجل من حيث انه مجئ العذاب من موضع الخير فعلى هذا يكون انشقاق السماء لنزول الملائكة وقيل تنشق للسقوط والانتقاض ويؤيد الاول ما روى من انها تنشق من المجرة وهى باب السماء يقال لها بالفارسية * راه كهكشان * وهى ترى فى الشتاء فى اول الليل فى ناحية السماء وفى الصيف فى اول الليل فى وسط السماء وتنتقل فى آخر الليل الى غير موضعها وقال ان النجوم تقاربت فى المجرة فطمس بعضها فصارت كالسحاب ﴿قوله واستمعت له﴾ الجوهرى اذن له اذا استمع وانشد

ان يسمعوا ريبة طاروا بها فرحا ۞ وكل ما سمعوا من صالح دفنوا
صم اذا سمعوا خيرا ذكرت به ۞ وان ذكرت بشرّ عندهم اذنوا

وعن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم * ما اذن الله لشئ كاذنه لنبى يتغنى بالقرآن * اى ما استمع الى شئ كاستماعه الى صوت نبى يقرأ القرآن المنزل عليه وهو مجاز عن الاعتداد بذلك والاستحسان له اى لا يعتدّ بشئ كاعتداده بذلك فان حقيقة الاصغاء والاستماع لما لم تتصوّر فى حقه تعالى حملت على غايتها التى هى الاعتداد والرضى واذا اسند الى نحو السماء مما ليس من اهل الاعتداد والاستحسان يكون مجازا عن المطاوعة لتأثير قدرة الله تعالى وعدم الامتناع عنه بان شبهت حال السماء فى انقيادها لتأثير قدرته تعالى حين اراد انشقاقها

(بانقياد)

بانقياد المستمع المطواع للآمر فاستعير لانقيادها لفظ الاذن والاستماع المستعمل فى غايته التى هى انقياد المأمور المطيع فهو مجاز فى المرتبة الثانية * قال الامام انه لم يوجد فى جرم السماء ما يمنع من تأثير قدرة الله تعالى فى شقها وتفريق اجزآئها فكانت فى قبول ذلك التأثير كالعبد الطائع الذى اذا ورد عليه الامر من جهة المالك انصت له واذعن ولم يمتنع كقوله تعالى اتينا طائعين وكذا قوله واذنت لربها وحقت عبارة من نفوذ القدرة فى الايجاد والاعدام وتفريق الاجزآء من غير ممانعة اصلا ﴿قوله فهو محقوق وحقيق﴾ اى جدير بان يستمع وينقاد لانها ممكنة لذاتها والممكن لذاته يحق له ان ينقاد للقدرة من يؤثر فى وجوده وصفاته واحواله ﴿قوله واكامها﴾ جمع أكم بضمتين مثل جبل وجبال والأكم بضمتين مثل عنق واعناق والأكم جمع اكام مثل كتب وكتاب والاكام جمع أكم مثل جبل وجبال والأكم جمع اكمة مثل ثمر وثمرة والاكمة الجبل الصغير فان زلزلة الساعة تزيل جبال الارض واكامها وينسفها ربى نسفا فيذرها قاعا صفصفا لاترى فيها عوجا ولا امتا فيستوى ظهر الارض ويبسط والمدّ بمعنى البسط مأخوذ من مددت الشئ فامتدّ ويؤيده ماروى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال مدّت مدّ الاديم العكاظى فان الاديم اذا مدّ زال كل انثناء فيه واستوى وقيل انه مأخوذ من مدّه اذا أمدّه اى يزاد سعتها يوم القيامة لوقوف الخلائق عليها للحساب * واعلم انه لابدّ من الزيادة فى وجه الارض سوآء كان ذلك بتمديدها او امدادها لان الخلائق بأسرهم من الاوّلين والآخرين لما كانوا واقفين على ظهرها يوم القيامة لابدّ من الزيادة فى طولها وعرضها عن على بن الحسين انه قال قال رسول الله عليه الصلاة والسلام * اذا كان يوم القيامة مدّت الارض مدّ الاديم حتى لايكون لبشر من الناس الاموضع قدميه * يعنى لكثرة الخلائق فيها ﴿قوله وتكلفت﴾ اى خلت غاية الخلوّ حتى لم يبق فى باطنها شئ * فصارت بذلك كأنها تكلفت فى الخلوّ اقصى وسعها وطاقتها فان حقيقة التكلف غير متصوّرة فى الارض والجهد بضم الجيم الطاقة وبالفتح المشقة وقوله واذنت لربها وحقت ليس بتكرار لان الاوّل فى حق السماء وهذا فى الارض ثم انه تعالى لما ذكر من مقدمات القيامة ومباديها امورا وجعلها شروطا ولم يذكر جزآءها ليكون ابهامه ادخل فى التهويل كأنه قيل اذا وقعت هذه الامور كان مالا يدخل تحت الوصف والبيان خاطب جنس الانسان خطابا منزلا منزلة مخاطبة كل واحد منهم على التعيين فقال له انك كادح الى ربك كدحا والكدح فى اللغة السعى الشديد فى العمل وذلك العمل اما الذهاب اليه تعالى بان يفارق البدن بالموت ويصل الى عالم الارواح واما اعماله التى عملها فى الدنيا من الخير والشرّ فانه يسعى بها الى ربه فيصاحبه بها فالمعنى على الاوّل انك ساع مجتهد تسير مع انفاسك كما قيل انفاسك خطاك سيرا مسرعا الى ربك اى الى لقائه بالموت فملاقيه عند مجيئ اجلك فانظر بأىّ عمل تلقاه اى فالقه بعمل يجيئك لا بعمل يرديك وعلى الثانى انك كادّ بعملك فى دنياك كدّا وسعيا تسير الى ربك فيحاسبك ويجازيك به فانظر بأىّ عمل تسير اليه ﴿قوله او الاكتفاء﴾ عطف على التهويل يعنى ان المحذوف امامبهم يذهب ذهن السامع كل مذهب لابهامه لكون ذلك ادخل فى التهويل او متعين وهو قوله علمت نفس ماتسعى فيه من خير وشرّ ولم يذكر اكتفاء بما مرّ ﴿قوله او بدلالة قوله﴾ عطف على قوله بما مرّ وقوله عليه اى على الجواب المحذوف وهو متعلق بالدلالة ﴿قوله لاقى الانسان كدحه﴾ اى عمله الذى كدح فيه وتعب وفيه اشارة الى ان ضمير ملاقيه راجع الى الكدح الا ان الكدح لكونه عرضا لا يبقى يمتنع تلاقيه فلابدّ من تقدير المضاف اليه اى فلاق حسابه وحكمه لامفرّ لك منه ﴿قوله اى جهدا يؤثر فيه﴾ بفتح الجيم وهو المشقة والتعب وهو تفسير لقوله كدحا لاتضمنها ولذلك عطف عليه الكدّ فى الكشاف حيث قال الكدح جهد النفس فى العمل والكدّ فيه حتى يؤثر فيها من كدح جلدة وجهه اذا خدشها ﴿قوله او فلاقيه﴾ عطف على قوله محذوف واذا كان قوله فلاقيه جواب اذا يكون قوله يا ايها الانسان انك كادح معترضا بين الشرط والجزآء والمعنى اذا كان يوم القيامة لقى الانسان عمله اى جزآء عمله واليه اشار بقوله والكدح اليه السعى الى لقاء جزآئه ﴿قوله لايناقش فيه﴾ يعنى ان الحساب اليسير هو العرض بان تعرض عليه اعماله ويعرف ان الطاعة منها هذه وان المعصية هذه ثم يثاب على الطاعة ويتجاوز عن المعصية فهذا هو الحساب اليسير لانه لاشدّة فيه على صاحبه ولامناقشة ولايقال له لم فعلت هذا ولايطالب بالعذر ولابالحجة عليه فانه متى طولب بذلك لم يجد عذرا ولاحجة فيفتضح كما قال عليه الصلاة والسلام من نوقش فى الحساب فقد هلك * والحساب اليسير هو العرض وسوف من الله تعالى واجب ﴿قوله اى يؤتى كتابه بشماله من ورآء ظهره﴾ يعنى ان قوله تعالى فى هذه السورة واما من اوتى كتابه ورآء ظهره لاينافى قوله فى سورة

(وحقت) اى وجعلت حقيقة بالاستماع والانقياد يقال حق بكذا فهو محقوق وحقيق (واذا الارض مدّت) بسطت بان تزال جبالها واكامها (وألقت ما فيها) ما فى جوفها من الكنوز والاموات (وتخلت) وتكلفت فى الخلوّ أقصى جهدها حتى لم يبق شئ فى باطنها (وأذنت لربها) فى الالقاء والتخلية (وحقت) للأذن وتكرير اذا لاستقلال كل من الجملتين بنوع من القدرة وجوابه محذوف للتهويل بالابهام او الاكتفاء بما مرّ فى سورتى التكوير والانفطار او بدلالة قوله (يا ايها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه) عليه وتقديره لاقى الانسان كدحه اى جهدا يؤثر فيه من كدحه اذا خدشه او فملاقيه ويا ايها الانسان انك كادح الى ربك اعتراض والكدح اليه السعى الى لقاء جزآئه (فاما من اوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا) سهلا لايناقش فيه (وينقلب الى اهله مسرورا) الى عشيرته المؤمنين او فريق من المؤمنين او اهله فى الجنة من الحور (واما من اوتى كتابه ورآء ظهره) اى يؤتى كتابه بشماله من ورآء ظهره قيل يغل يمناه الى عنقه ويجعل يسراه ورآء ظهره

الحاقة وامامن اوتى كتابه بشماله لامكان الجمع بينهما بان تخلع يده اليسرى من موضعها فتجعل وراء ظهره فيعطى كتابه بشماله خلف ظهره قيل ويحتمل ان يكون بعضهم يعطى كتابه بشماله وبعضهم من وراء ظهره ولما اوتى كتابه من غير يمينه علم انه من اهل النار فيقول واثبوراه قيل الثبور مشتق من المثابرة على الشئ وهى المواظبة عليه وسمى هلاك الآخرة ثبورا لانه لازم لايزول ﴿ قوله وقرأ الحجازيان ﴾ وهما نافع وابن كثير والشامى وهو ابن عامر يصلى بضم الياء وفتح الصاد وتشديد اللام وقرأ ابو عمرو البصرى وعاصم وحمزة يصلى بفتح الياء واسكان الصاد مخففا وقرئ يصلى بضم الياء وسكون الصاد وتخفيف اللام اى يدخله غيره لقوله تعالى ونصليه جهنم ﴿ قوله فارغا عن الآخرة ﴾ وعما فيها من الحساب والثواب والعقاب فتقاعد لذلك من تعب المجاهدة فى الطاعات واجتناب المعاصى والمنكرات فابدله الله تعالى من ذلك السرور والامن غما واثما بخلاف المؤمن فانه لما كان متقيا من المعاصى مجتهدا فى الطاعات غير آمن من العذاب ولم يكن فى الدنيا مسرورا بالمال والجاه ولم يكن له فيها الاهم الآخرة والخوف من اهوالها ابدله الله تعالى من غم ذلك سرورا ابديا لاينقطع ﴿ قوله ظن ان لن يحور ﴾ ان فيه مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن المضمر ولن يحور خبرها والجملة سدت مسد مفعولى الظن والمعنى ان هذا الكافر ظن ان الامر والشأن لن يحور الى الله تعالى بان يبعث بعد الموت والحور الرجوع والمحار المرجع وقيل الحور الرجوع الى خلاف ماكان عليه المرء كما فى قولهم نعوذ بالله من الحور بعد الكور والمعنى على هذا انه ظن ان لن يرجع الى خلاف ماهو عليه فى الدنيا من السرور والتنعم ثم قال تعالى بلى اى ليبعثن وعلى الثانى ليبدل سروره بغم لاينقطع وبلاء لايزول ان ربه كان به بصيرا عالما بما يعمله من الكفر والمعاصى فلم يكن يجوز فى حكمته ان يهمله ولايعاقبه على سوء اعماله كى يعلم تعالى عن بعثه ومجازاته عليها وكلمة لا فى قوله تعالى فلا اقسم يجوز ان تكون ردا للكلام السابق وابطاله فانه تعالى حكى عن المشرك انه ظن ان لن يحور اى يبعث فأبطل الله تعالى ذلك الظن بقوله لاثم قال بعد اقسم بالشفق والفاء للتعقيب فانه تعالى لما اوجب الحور والبعث بقوله بلى فرع عليه رد قوله وابطال ظنه ويجوز ان تكون كلمة لاصلة وقد مر مرارا واتفق العلماء غير عكرمة ومجاهد على ان الشفق اسم للاثر الباقى من الشمس فى الافق بعد غروبها ثم اختلفوا بعد ذلك فذهب بعضهم الى انه هو الحمرة التى ترى فى المغرب بعد غروب الشمس واليه ذهب ابو يوسف ومحمد رحمهما الله وظاهر قول ابى حنيفة رحمه الله ان الشفق البياض الذى يعقب الحمرة الا ان اسد بن عمرو قال ان اباحنيفة رجع عن هذا القول واختار ان الشفق هو الحمرة كما قال به صاحباه والشفق فى الاصل الرقة ومنه ثوب شفق اذا رق لطول اللبس والشفقة على الانسان رقة القلب عليه واذا كان هذا اصله فهو بالبياض اولى منه بالحمرة لان اجزاء الضياء فى البياض ارق وفى الحمرة اكثف فان اثر الشمس اعنى ضوءها يأخذ فى الرقة والضعف من غيبة الشمس الى ان يستولى سواد الليل على الآفاق كلها وقال عكرمة ومجاهد ان الشفق هو النهار بناء على ان الشفق اثر الشمس وهو كوكب نهارى واثرها هو النور ويؤيده انه تعالى عطف عليه الليل وهو يستدعى ان يكون المذكور قبله النهار فيكون القسم واقعا بالليل والنهار اللذين احدهما معاش والآخر سكن وبهما قوام امور العالم ﴿ قوله وماجمعه ﴾ اى ماكان منتشرا بالنهار فان الليل اذا اقبل اوى كل شئ الى مأواه والوسق ضمك الشئ بعضه الى بعض يقال وسقه فاتسق واستوسق كوسعه فاتسع واستوسع وما فى قوله تعالى وما وسق موصولة او موصوفة بمعنى الذى جمعه اوشئ جمعه اشار اليه المصنف بقوله وماجمعه بتقدير العائد فانه لابد من العائد على التقديرين بخلاف ما اذا كانت مصدرية واشار ايضا الى ان جمع الليل للمخلوقات عبارة عن ستره اياها بالظلمة واحاطة الظلمة بها فان ظلمة الليل كأنها تجلل الجبال والبحار والاشجار والحيوانات فكأنه تعالى اقسم بجميع المخلوقات كما قال تعالى فلا اقسم بما تبصرون ومالاتبصرون وهذا المعنى لايحصل على تقدير أن تكون مامصدرية لان المقسم به حينئذ يكون وسق الليل وجمعه لا مايجمعه الليل من المخلوقات وقيل يحتمل ان يكون المراد بما جمعه العباد المجتهدين بالليل لانه تعالى مدح المستغفرين بالاسحار فيجوز ان يحلف بهم ﴿ قوله مستوسقات لو يجدن سائقا ﴾ اوله ان لنا قلائصا حقائقا والقلوص الناقة الشابة والحقائق جمع حقاق جمع حقة وهى الناقة التى استكملت ثلاث سنين ودخلت فى الرابعة وصف الشاعر قلائصه الحقاق بكونها مستوسقات اى مجتمعات وتمنى ان يكون لها سائق ﴿ قوله او طرده الى اماكنه ﴾ عطف على قوله جمعه وستره يعنى ان الوسق فى اللغة كما يكون بمعنى الجمع يكون بمعنى الطرد والابعاد

(فسوف يدعو ثبورا) يتمنى الثبور ويقول واثبوراه وهو الهلاك (ويصلى سعيرا) وقرأ الحجازيان والشامى والكسائى ويصلى كقوله تعالى وتصلية جحيم وقرئ ويصلى كقوله ونصليه جهنم (انه كان فى اهله فى الدنيا (مسرورا) بطرا بالمال والجاه فارغا عن الآخرة (انه ظن ان لن يحور) لن يرجع الى الله تعالى (بلى) ايجاب لما بعد لن (ان ربه كان به بصيرا) عالما باعماله فلا يهمله بل يرجعه ويجازيه (فلا اقسم بالشفق) الحمرة التى ترى فى افق المغرب بعد الغروب وعن ابى حنيفة رضى الله تعالى عنه انه البياض الذى يليها سمى به لرقته من الشفقة (والليل وما وسق) وماجمعه وستره من الدواب وغيرها يقال وسقه فاتسق واستوسق قال * مستوسقات لو يجدن سائقا * او طرده الى اماكنه من الوسيقة

(ايضا)

ايضا كما يقال الابل المسروقة وسيقة لان السارق طردها من اماكنها وفي الصحاح الوسيقة من الابل كالرفقة من الناس فاذا سرقت طردت معا ﴿ قوله اجتمع وتم بدرا ﴾ مبني على ماقال من ان اتسق واستوسق مطاوعان لوسقه بمعنى جمعه يقال امور فلان متسقة اى مجتمعة على الصلاح كما يقال منتظمة ثم انه تعالى لما ذكر ما اقسم به ذكر بعده ما اقسم عليه فقال لتركبن طبقا عن طبق واختار المصنف قرآءة من قرأ بضم الباء على خطاب الجنس الذى هو فى معنى الجمع لان النداء فى قوله ياايها الانسان انك كادح للجنس ومن قرأ ليركبن بالياء وفتح الباء جعل الكلام اخبارا عن الغائب وهو الانسان المذكور بالاسم الظاهر المنزل منزلة الغائب اى ليركبن الانسان ومعنى الآية ان الناس يلقون يوم القيامة اهوالا وشدآئد حالا بعد حال وشدة بعد شدة كأنهم لما انكروا البعث اقسم الله تعالى ان البعث كائن لامحالة وان الناس يلقون فيه الشدآئد والاهوال الى ان يفرغ من حسابهم فيصير كل احد الى ما اعدله من جنة او نار فهى نظير قوله تعالى بلى وربى لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم ﴿ قوله وهو لما يطابق غيره ﴾ يعنى ان الاصل اسم لما طابق غيره يقال ماهذا بطبق هذا اى لايطابقه ومنه قيل لغطاء الطبق ثم قيل للحال المطابقة لغيرها طبق ﴿ قوله او مراتب من الشدة بعد المراتب ﴾ عطف على قوله حالا بعد حال لان طبقا على الاول اسم مفرد اطلق على الحال المطابقة لغيرها وعلى هذا جمع طبقة بمعنى مرتبة يقال طبقات البيت اى مراتبه فالمراد بها فى الآية طبقات الشدة ومراتبها التى بعضها اشد من بعض وهى الموت ومابعده من اهوال القيامة ﴿ قوله او هى وماقبلها ﴾ اى او هى هذه المذكورات وما كان قبلها من الدواهى العارضة للانسان من ابتدآء وجوده الى ان يموت ﴿ قوله باعتبار اللفظ ﴾ فان لفظ الانسان مفرد فخوطب خطاب المفرد المذكر ولو اعتبر معناه لضم الباء على طريق خطاب جماعة الذكور وعلى تقدير ان يكون الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم يكون قوله طبقا اسما مفردا لما طابق غيره وهى اما احواله التى يترقى عليه السلام فيها من الظفر والغلبة على المشركين المكذبين بالبعث واظهار دينه على الاديان كلها او امامراتبه عليه الصلاة والسلام فى القرب من الله تعالى والاستحقاق لانواع فضله وزجته بحيث لايعلم كنه ذلك غيره تعالى واما مراكبه من طبقات السماء كأنه تعالى يقول اقسم يامحمد على انك لتركبن حالا بعد حال حتى يختم لك بعاقبة جميلة فلا يحزنك كفرهم وتماديهم فى الكفر والتكذيب او لتركبن درجة بعد درجة فى القرب من الله تعالى والكرامة عنده او لتركبن السموات طبقا بعد طبق فانها سبع سموات طباقا فهى بشارة له عليه الصلاة والسلام بصعوده الى السموات لمشاهدة ملكوتها واجلال الملائكة اياه فيها وقد فعل الله تعالى به ذلك ليلة الاسرآء وقوله بعد حال وبعد المراتب اشارة الى ان عن بمعنى بعد ووجه ذلك ان الانسان اذا صار الى الشئ مجاوزا عن شئ آخر فقد صار الى الثانى بعد الاول فصح ان يستعمل فيه بعد وعن معا وايضا لفظة عن تفيد البعد والمجاوزة فكانت مشابهة لفظة بعد فصح استعمال احداهما بمعنى الاخرى ﴿ قوله وعن طبق صفة لطبقا ﴾ اى لتركبن طبقا كائنا بعد طبق او حال من الضمير فى لتركبن وقوله مجاوزا الطبق على قرآءة لتركبن بفتح البـاء وقوله او مجاوزين له على القرآءة بضم البـاء ﴿ قوله يوم القيامة ﴾ خص يوم القيامة بانتفاء ايمانهم به مع انهم لايؤمنون باكثر مايجب الايمان به بل بكله من حيث ان الكلام مسوق لتوبيخ منكرى البعث والقيامة وتشنيع حالهم لانه تعالى حكى عن الكافر انه ظن ان لن يحور ثم حكم بانه يحور البتة ثم اقسم بالحوادث المتغيرة الطارية على الافلاك والعناصر على ان الناس يلقون بعد البعث طبقا بعد طبق الى ان يستقر كل احد فيما اعدله فان الشفق حالة مخالفة لماقبلها وهو ضوء النهار ولمابعدها وهو ظلمة الليل وكذا الليل حالة حادثة بعد انبساط ضوء النهار بتغير احوال الحيوانات من التفرق الى الاجتماع ومن اليقظة الى النوم وكذا اتساق القمر وكونه بدرا حالة حادثة بعد كونه ناقصا فهو تعالى اقسم بهذه المذكورات على انهم يبعثون ويركبون طبقا عن طبق فتخصيص هذه المذكورات بجعلها مقسما بها من حيث ان لها دلالة على ثبوت الدعوى فان من قدر على تغيير الاجرام العلوية والسفلية من حال الى حال على حسب المصالح ومقتضى الحكمة لابد ان يكون قادرا على جميع الممكنات عالما بجميع المعلومات فيكون قادرا على البعث والقيامة فلذلك فرع عليه استبعاد عدم ايمانهم بالقاء الدالة على السببية فقال فالهم لايؤمنون بالبعث والجزآء فان عدم ايمانهم بذلك بعد ظهور الحجة وزوال الشبهة منكر مستبعد جدا وعطف عليه استبعاد عدم خضوعهم وانقيادهم للقرآن عند سماعهم اياه من حيث انهم بلغوا فى امر الفصاحة والبلاغة الى اقصى المراتب الممكنة لنوع البشر عند

(والقمر اذا اتسق) اجتمع وتم بدرا (لتركبن طبقا عن طبق) حالا بعد حال مطابقة لاختها فى الشدة وهو لما يطابق غيره فقيل للحال المطابقة او مراتب من الشدة بعد المراتب هى الموت ومواطن القيامة واهوالها او هى وماقبلها من الدواهى على انه جمع طبقة وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائى لتركبن بالفتح على خطاب الانسان باعتبار اللفظ او الرسول صلى الله عليه وسلم على معنى لتركبن حالا شريفة ومرتبة عالية بعد حال شريفة ومرتبة عالية او طبقا من اطباق السماء بعد طبق ليلة المعراج وقرئ بالكسر على خطاب النفس وبالياء على الغيبة وعن طبق صفة لطبقا او حال من الضمير بمعنى مجاوزا لطبق او مجاوزين له (فالهم لايؤمنون) بيوم القيامة

سماعه لابد ان يجزموا بكونه معجزا خارجا عن طوق البشر وكونه كلاما الهيا ويعلموا بذلك صدق مبلغه عليه السلام فى دعوى الرسالة فيؤمنوا به ويقبلوا جميع ما كلفهم به * فسر السجود اولا بالخضوع والانقياد ثم جوز ان يراد به نفس السجود عند تلاوة آية السجود على ان يكون المراد بالقرآن آية السجدة بخصوصها لا مطلق القرآن وايد هذا الاحتمال بما روى فى سبب النزول ﴿قوله واحتج به﴾ اى بهذه الآية وتذكير الضمير لكونها فى معنى المنزل ووجه الاحتجاج ان الذم انما يتوجه على من ترك الواجب ﴿قوله استهزاء بهم﴾ لان البشارة هى الاخبار بالخبر السار وقد استعملت فى الخبر المؤلم ﴿قوله استثناء منقطع﴾ اى من الضمير المنصوب فى قوله فبشرهم الراجع الى الذين كفروا ولا شك ان الذين آمنوا ليسوا من جنسهم فيكون الاستثناء منقطعا بمعنى لكن الذين آمنوا ويجوز ان يكون متصلا والمعنى الا من تاب منهم وآمن بعد ما نزلت هذه الآية فانهم وان كانوا فى الحال كفارا الا انهم متى تابوا واستحقوا لان تابوا وآمنوا وعملوا الصالحات تخلصوا من استحقاق العذاب الاليم واستحقوا لان تابوا بأجر غير منقوص ولا مقطوع لان نعيم الآخرة لا ينقطع * تمت سورة الانشقاق والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿سورة البروج مكية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿قوله البروج الاثنى عشر شبهت بالقصور﴾ اى اطلق اسم القصور التى تنزل فيها الاكابر والاشراف على بروج السماء الاثنى عشر استعارة تصريحية تشبيها لها بالقصور لكونها منازل السيارات او مقر الثوابت وقيل المراد بالبروج ههنا النجوم التى هى منازل القمر وهى ثمانية وعشرون نجما ينزل القمر كل ليلة فى واحد منها لا يتخطاها ولا يتقاصر عنها واذا صار القمر الى آخر منازله دق واستقوس واستتر ليلتين ان كان الشهر ثلاثين يوما وان كان تسعة وعشرين فليلة واحدة واطلاق البروج على هذه النجوم ايضا مبنى على تشبيهها بالقصور من حيث ان القمر ينزل فيها ولظهورها ايضا بالنسبة اليها لان البروج تنبئ عن الظهور وقيل المراد بالبروج عظام الكواكب سميت بروجا لظهورها وقيل المراد بها ابواب السماء وسميت بروجا لظهورها بالنسبة الى من ينزل من السماء ولان النوازل تخرج منها كما تخرج من القصور ﴿قوله واصل التركيب للظهور﴾ اى للظهور والامتياز بحسب الرفعة والاشتمال على المحاسن فان القصور لرفعتها وما فيها من المحاسن ظاهرة للاعين فلذلك سميت بروجا يقال برجت المرأة اى شبهت بالبرج فى اظهار المحاسن وهو معنى قولهم التبرج اظهار المرأة زينتها ومحاسنها للرجال قال تعالى غير متبرجات بزينة ﴿قوله ومن يشهد﴾ اى ومن يحضر فى ذلك اليوم من الخلائق الاولين والآخرين من الجن والانس والملائكة والانبياء عليهم الصلاة والسلام فانه سبحانه وتعالى لما اقسم باليوم الموعود الذى هو يوم القيامة تنبيها على عظيم قدره وشرفه من حيث كونه يوم الفصل والجزاء ويوم تفرده فيه تعالى بالملك والحكم عطف عليه الشاهد وهو من يحضر فى ذلك اليوم من الخلائق والمشهود فيه الذى هو ما فى ذلك اليوم من العجائب ﴿قوله او النبى وامته﴾ عطف على قوله ومن يشهد فى ذلك اليوم اى ويجوز ان يكون الشاهد من الشهادة لا من الشهود وهو الحضور فعلى هذا يكون المشهود بمعنى المشهود عليه لان الشهادة لا تتعدى بنفسها بل بحرف الجر يقال شهد به وشهد عليه الا انه حذف الصلة كما حذف من المشترك واصله مشترك فيه وعلى تقدير ان يكون الشاهد والمشهود من الشهادة ذكر وجوها فى تعيين المراد بهما الاول ما ذكره بقوله او النبى وامته ويدل عليه قوله تعالى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله ولا شك ان تبشيره وانذاره ودعوته عليه الصلاة والسلام انما هو بالنسبة الى امته فكذا شهادته تكون بالنسبة اليهم كما قال تعالى فى حق امته عليه الصلاة والسلام ويكون الرسول عليكم شهيدا والثانى ما ذكره بقوله او امته وسائر الامم لقوله تعالى فى حق امته عليه الصلاة والسلام وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس والثالث ما ذكره بقوله او كل نبى وامته لقوله تعالى فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد فانه يدل على ان كل نبى شاهد على امته والرابع ما ذكره بقوله او الخالق والخلق لقوله تعالى وكفى بالله شهيدا اى شاهدا مطلعا على احوال خلقه والخامس ما ذكره بقوله او عكسه فان كل جزئى من جزئيات العالم شاهد على ان له صانعا وعلى التقديرين يكون القسم واقعا بجميع الكائنات وخالقها قال الشاعر

فيا عجبا كيف يعصى الاله ... ام كيف يجحده الجاحد

(واذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون) لا يخضعون او لا يسجدون لتلاوته لما روى انه عليه الصلاة والسلام قرأ واسجد واقترب فسجد بمن معه من المؤمنين وقريش تصفق فوق رؤسهم فنزلت واحتج به ابو حنيفة رضى الله عنه على وجوب السجود فانه ذم لمن سمعه ولم يسجد وعن ابى هريرة رضى الله عنه انه سجد فيها وقال والله ما سجدت فيها الا بعد ان رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يسجد فيها (بل الذين كفروا يكذبون) اى بالقرآن (والله اعلم بما يوعون) بما يضمرون فى صدورهم من الكفر والعداوة (فبشرهم بعذاب اليم) استهزاء بهم (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) استثناء منقطع او متصل والمراد من تاب وآمن منهم (لهم اجر غير ممنون) مقطوع او ممنون به عليهم * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة انشقت اعاذه الله ان يعطى كتابه من وراء ظهره

﴿سورة البروج مكية وآيها اثنتان وعشرون﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والسماء ذات البروج) يعنى البروج الاثنى عشر شبهت بالقصور لانها تنزلها السيارات وتكون فيها الثوابت او منازل القمر او عظام الكواكب سميت بروجا لظهورها او ابواب السماء فان النوازل تخرج منها واصل التركيب للظهور (واليوم الموعود) يوم القيامة (وشاهد ومشهود) ومن يشهد فى ذلك اليوم من الخلائق وما احضر فيه من العجائب وتنكيرهما للابهام فى الوصف اى وشاهد ومشهود لا يكتنه وصفهما او للمبالغة فى الكثرة كما قيل ما افرطت كثرته من شاهد ومشهود او النبى وامته او امته وسائر الامم او كل نبى وامته او الخالق والخلق او عكسه فان الخالق مطلع على خلقه وهو شاهد على وجوده او الملك الحفيظ والمكلف او يوم النحر او عرفة والحجيج او يوم الجمعة والجمع فانه يشهد له او كل يوم واهله

وفى كل شئ له آية ۞ تدل على انه واحد

والسادس ماذكره بقوله او الملك الحفيظ والمكلف لقوله تعالى وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد فتكون كل نفس مشهودا عليها من حيث ان حفظة اعمالها تشهد عليها بها والسابع ماذكره بقوله او يوم النحر فقد روى عن ابن عمر وابن الزبير والنخعى والثورى رضى الله عنهم ان الشاهد يوم الاضحى فانه يوم عظيم يشهد لمن حج بالاعمال واستحقاق الرحمة والثامن ماذكره بقوله او عرفة فانه ايضا يوم عظيم يشهد للحجيج وهو جمع حاج كالغزاة جمع غاز غزى والعادين على اقدامهم عدى والتاسع ماذكره بقوله او يوم الجمعة والمجتمع فانه يشهد على كل عامل بما عمل فيه من خير وشر والعاشر ماذكره بقوله اوكل يوم واهله روى عن الحسن انه قال مامن يوم الا وينادى انا يوم جديد وانى على ماتعمل فى شهيد فاغتنمنى فلو غابت شمسى لم تدركنى الى يوم القيامة ﴿قوله قيل انه جواب القسم على تقدير لقد قتل﴾ احتيج الى التقدير لان جواب القسم اذا كان جملة فعلية وكان الفعل ماضيا مثبتا تصدر الجملة بلام الابتداء الداخلة على كلمة قد نحو والله لقد خرج ولا يجوز الاقتصار على احدهما الا عند طول الكلام كما فى قوله تعالى والشمس وضحاها الى قوله قد افلح من زكاها فانه لم يؤت فيه باللام لطول الكلام او فى ضرورة الشعر كما فى قوله

حلفت لها بالله حلفة فاجر ۞ لناموا وما ان من حديث ولا صالى

ويجب فى مثله تقدير قد بعد اللام لان لام الابتداء لا تدخل على الماضى المجرد فمن قال ان قوله تعالى قتل اصحاب الاخدود جواب القسم قال ان اصله لقد قتل اى لقد لعن فحذف اللام كما فى قوله قد افلح من زكاها ثم حذف كلمة قد وقيل فى توجيه خلو الجملة عنهما ان الكلام محمول على التقديم والتأخير كأنه قيل قتل اصحاب الاخدود والسماء ذات البروج ﴿قوله والاظهر انه دليل جواب محذوف﴾ جعله اظهر بالنسبة الى كونه جواب القسم بناء على ما اشار اليه من ان السورة وردت لبيان شدة عداوة كفار قريش للمؤمنين واستحقاقهم بذلك لعنة الله تعالى وعظيم سخطه وان ذكر قصة اصحاب الاخدود والتعرض لحديث الجنود وفرعون وثمود المقصود منه تسلية النبى صلى الله عليه وسلم واصحابه على ايذاء الكفار ببيان ان احوال المؤمنين مع الكفار فى جميع الازمنة مستمرة على هذا المنهج وانه تعالى ينتقم من الكفار المعاندين لاولياء المؤمنين فان ذلك يتضمن وعد المؤمنين ووعيد المشركين فاذا كان كذلك ظهر ان جعل كفار مكة على طرف وتوجيه القسم على تحقيق لعن اصحاب الاخدود لاوجه له ولاسيما ان ذلك يؤدى الى تقدير قد واللام وتقدير الكلام والسماء ذات البروج ان كفار قريش لملعونون لعنا مثل لعن اصحاب الاخدود والقتل لكونه اغلظ العقوبات لايقع الا عن سخط عظيم يوجب الابعاد عن الخير والرحمة الذى هو اللعن فكان اللعن من لوازم القتل فلذلك عبر به عن اللعن لكونه ابلغ فى التصريح باللعن من حيث انه بمنزلة اثبات اللعن بالبينة والاخبار بان اصحاب الاخدود ملعونون لقوة عنادهم ومبالغتهم فى ايذاء المؤمنين يدل على ان كفار مكة ايضا ملعونون للاشتراك فى العلة وهى الاصرار على الكفر والعناد والمبالغة فى ايذاء المؤمنين وسلوك طريق الكناية ابلغ من التصريح وادخل فى افادة التسلية ﴿قوله فمال قلبه اليه﴾ فكان الغلام يطيل عنده القعود بسبب ميله اليه فاذا أبطأ عن الساحر ضربه واذا ابطأ عن اهله ضربوه فشكا ذلك الى الراهب فقال يابنى اذا استبطأك الساحر فقل حبسنى اهلى واذا استبطأك اهلك فقل حبسنى الساحر فبينما هو بالطريق ذات يوم ظهرت حية قد حبست الناس الخ ﴿قوله فاقتلها﴾ اى بان يخلق فى قوة ارمى بها هذا الحجر اليها واضربها به فرماها فقتلها فصار ذلك سببا لاعراض الغلام عن السحر والتدين بدين الراهب والاشتغال بعبادة الله تعالى فصار الى حيث يبرئ الاكمه والابرص ويشفى من الادواء وهو جمع داء الى آخر القصة والرجفة الزلزلة ويقال كفأت الاناء اى كببته وقلبته وتقاعست اى تأخرت فكأنها ارتدت وكان لهذه المرأة ثلاثة اولاد احدهم رضيع فقال لها الملك ارجعى عن دينك والا القيتك واولادك فى النار فأبت فأخذ ابنها الاول فالقاه فى النار ثم قال لها ارجعى عن دينك فأبت فالقى الثانى ثم قال لها ارجعى فأبت فأخذ الصبى منها ليلقيه فى النار فهمت بالرجوع فقال الصبى يا أماه لا ترجعى عن الاسلام فانك على الحق ولا بأس عليك فالقى الصبى فى النار وألقيت امه على اثره ٭ عن عكرمة قال تكلم فى المهد اربعة عيسى ويحيى وصاحب جريج وصاحب الاخدود وقال عطاء خمسة هؤلاء وابن ماشطة بنت فرعون وقال الضحاك ستة هؤلاء وشاهد يوسف عليه الصلاة

(قتل اصحاب الاخدود) قيل انه جواب القسم على تقدير لقد قتل والاظهر انه دليل جواب محذوف كأنه قيل انهم ملعونون يعنى كفار مكة كما لعن اصحاب الاخدود فان السورة وردت لتثبيت المؤمنين على اذاهم وتذكيرهم بما جرى على من قبلهم والاخدود الخد وهو الشق فى الارض ونحوهما بناء ومعنى الخق والاخقوق روى مرفوعا ان ملكا كان له ساحر فلما كبر ضم اليه غلاما ليعلمه السحر وكان فى طريقه راهب فمال قلبه اليه فرأى فى طريقه ذات يوم حية قد حبست الناس فأخذ حجرا وقال اللهم ان كان هذا الراهب احب اليك من الساحر فاقتلها فقتلها وكان الغلام بعد يبرئ الاكمه والابرص ويشفى من الادواء وعمى جليس للملك فابرأه فسأله الملك عن ابرأه فقال ربى فغضب فعذبه فدل على الغلام فعذبه فدل على الراهب فقده بالمنشار وارسل الغلام الى جبل ليطرح من ذروته فدعا فرجف فهلكوا ونجا واجلسه فى سفينة ليغرق فدعا فانكفأت السفينة بمن معه فغرقوا ونجا فقال للملك لست بقاتلى حتى تجمع الناس وتصلبنى وتأخذ سهما من كنانتى وتقول بسم الله رب الغلام ثم ترمينى به فرماه فوقع فى صدغه فمات فآمن الناس فأمر باخاديد واوقدت فيها النيران فمن لم يرجع منهم طرحه فيها حتى جاءت امرأة معها صبى فتقاعست فقال الصبى يا أماه اصبرى فانك على الحق فاقتحمت

والسلام ﴿قوله وعن على رضى الله عنه﴾ عن سعيد بن جبير رضى الله عنه انه قال اختلف فى احكام
المجوس فقال عمر رضى الله عنه ماهم يهود ولا نصارى ولا لهم كتاب وقال على رضى الله عنه قد كان لهم كتاب
وحرّم عليهم فى كتابهم الاخوات والبنات وكانت الخمر قد احلت لهم فتناولها ملك من ملوكهم فغلبت على عقله
فوقع على ابنته وعلى اخته فلما ذهب عنه السكر ندم وقال لهما ويحكما ماهذا الذى اتيت وما المخرج قالتا المخرج
منه ان تخطب الناس وتقول ان الله قد احل نكاح الاخوات والبنات فقام خطيبا فقال ان الله قد احل نكاح
الاخوات والبنات فقالت له الجماعة معاذ الله ان نؤمن بهذا او نقرّ به ماجاءنا به رسول ولا انزل علينا كتاب فبسط
فيهم السوط فابوا ان يقرّوا به فجرّد عليهم السيف فابوا ان يقرّوا فخدّ لهم اخدودا واوقد فيه النيران وعرضهم
عليها فمن ابى قذفه فى النار ومن اجاب خلى سبيله ﴿قوله وقيل لما تنصر نجران﴾ اى اهل نجران اليمن روى
انه وصل الى نجران رجل ممن كان على دين عيسى عليه السلام فدعاهم الى التنصر فأجابوه فسار اليهم ذو نواس
اليهودى بجنوده من حمير فخيرهم بين النار واليهودية فأبوا فأحرق منهم اثنى عشر ألفا فى الاخاديد وقيل سبعين
ألفا فان قيل تعارض هذه الروايات يدل على كذبها اجيب بانه لاتعارض لما روى عن مقاتل انه قال كانت الاخاديد
ثلاثة واحد بنجران اليمن وآخر بالشام والثالث بالعراق ﴿قوله صفة لها بالعظمة وكثرة ماير تفع به لهبها﴾
حطبا كان او غيره فان الوقود بالفتح وان شاع فى الحطب الا انه يطلق على مطلق ما تتقد به النار اى شئ كان قال
تعالى وقودها الناس والحجارة فالمقصود من توصيف النار بكونها ذات الوقود تعظيم شأنها بالدلالة على كثرة
مايكون سببا لاتقادها واشتعالها ولولم يقصد به هذا المعنى لما بقى لتوصيف فائدة فانه من الظاهر المكشوف
ان النار لاتخلو من الوقود وكلمة اذ فى قوله تعالى اذهم عليها قعود ظرف لقتل والمعنى لعنوا وقت كونهم قاعدين
على حافة النار لالقاء المؤمنين فيها وحافة الشئ جانبه والظاهر أن المراد باصحاب الاخدود الجبارة الذين يقعدون
على شفير النار ويخيرون المؤمنين بين الارتداد وبين الوقوع فى النار فمن ترك الاسلام تركوه ومن كان يصبر عليه
ألقوه فى النار وأن ضميرهم فى قوله اذهم لهؤلاء الجبارة وقعود جمع قاعد وعبر عن القعود على حافة النار وشفيرها
بالقعود على نفس النار للدلالة على انهم حال قعودهم على شفيرها مستولون عليها يقذفون فيها من شاؤا ويخلون
سبيل من شاؤا ﴿قوله وما انكروا﴾ يقال نقم الامر اذا عابه وكرهه اى وماعابوا منهم وما انكروا الاايمانهم
وانما قال الا ان يؤمنوا بلفظ المستقبل مع ان الايمان وجد منهم فى الماضى لدوامهم عليه فى الآتى حتى لو كفروا
فى المستقبل لما عذبوهم على مامضى فكأنه قيل الا ان يستمرّوا على ايمانهم ﴿قوله استثناء على طريقة قوله
ولا عيب فيهم﴾ فان كل واحد منهما من قبيل تأكيد المدح بمايشبه الذم فان كون سيوف الشجعان متفللة على
كسور فى حدها من مصادمة الجيوش من اعز المحامد واجل المفاخر فكذا الايمان بالله تعالى اشرف جميع فضائل
المكلفين وهم لغاية غوايتهم عدّوه قبحا وعاقبوهم به والمقصود من الآية بيان ان اصحاب الاخدود يستحقون
لعنة الله تعالى وسخطه وذلك ان من الصفة بكونه عزيزا غالبا قادرا يخشى عقابه وحميدا اى محمودا لجميع المخلوقات
بلسان المقال او بلسان الحال فان كل ذرة من ذرات الكائنات يثنى على صانعه بكمال العلم والقدرة والحكمة
ويحمده على ماانعم به عليه من نعمة الايجاد وماتفرع عليها من سائر النعم وبكونه بحيث تحت له ملك السموات
والارض بحيث لايشاركه احد فى تصرف فى شئ منهما يستحق ان يؤمن ويصدق بانه رب العالمين ويخص بالعبادة
فالجاهل الذى نقم الايمان به وتخصيصه بالعبادة يكون فى نهاية الغواية ويستحق اللعن والسخط العظيم واخر
ذكر اختصاصه تعالى بالملك التام عن كونه تعالى عزيزا حميدا لان الصفة الاولى دالة على كمال القدرة والثانية
دالة على كمال العلم ولاشك ان اختصاصه بالملك التام بحيث يكون موجدا لجميع الكائنات ويكون ابقاؤها وجودة
وافناؤها مفوّضا الى محض مشيئته انما يكون عند حصول الكمال فى القدرة والعلم وقوله تعالى على كل شئ
شهيد وعيد لهم لان من لايخفى عليه شئ يجازى كل احد على وفق عمله فهو وعد عظيم للمطيعين ووعيد شديد للمجرمين
ثم انه تعالى لما ذكر قصة اصحاب الاخدود وما فعلوا بالمؤمنين اذهم عليها قعود اتبعها بذكر عقاب من آذى المؤمنين
وبذكر ثواب اهل الايمان والطاعة ﴿قوله بلوهم بالاذى﴾ اشارة الى ان اصل الفتنة الابتلاء والامتحان
وذلك قد يكون بالمسرّة وقد يكون بالاذى والمراد بها فى الآية الابتلاء بالاذى بقرينة المقام فان اولئك الكفار
امتحنوا المؤمنين بعرضهم على النار واحراقهم بها والى ان المراد بالذين فتنوا المؤمنين كل من فعل ذلك من اصحاب

وعن على رضى الله عنه ان بعض ملوك
المجوس خطب بالناس وقال ان الله احل
نكاح الاخوات فلم يقبلوه فامر باخاديد النار
وطرح فيها من أبى وقيل لما تنصر نجران
غزاهم ذو نواس اليهودى من حمير فأحرق
فى الاخاديد من لم يرتد (النار) بدل من
الاخدود بدل الاشتمال (ذات الوقود) صفة
لها بالعظمة وكثرة مايرتفع به لهبها واللام فى
الوقود للجنس (اذهم عليها) على حافة النار
(قعود) قاعدون (وهم على مايفعلون
بالمؤمنين شهود) يشهد بعضهم لبعض عند
الملك بانه لم يقصر فيما امر به او يشهدون على
مايفعلون يوم القيامة حين يشهد عليهم
ألسنتهم وايديهم (وما نقموا) وما انكروا
(منهم الا ان يؤمنوا بالله العزيز الحميد) استثناء
على طريقة قوله
ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم *
بهن فلول من قراع الكتائب *
ووصفه بكونه عزيزا غالبا يخشى عقابه حميدا
منعما يرجى ثوابه وقرن ذلك بقوله (الذى له
ملك السموات والارض والله على كل شئ
شهيد) للاشعار بما يستحق ان يؤمن به ويعبد
(ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات) بلوهم
بالاذى (ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم)
بكفرهم

الاخدود و غيرهم لان كل واحد من اللفظ و الحكم عام فالتخصيص ترك للظاهر من غير دليل و قال بعض المفسرين الفتنة هي الاحراق لقوله ثم بالنار يفتنون ﴿ قوله العذاب الزآئد في الاحراق ﴾ يعني ان الفاتنين يعذبون في الآخرة بنوعين من عذاب الاحراق الاول جزآء كفرهم والثاني جزآء فتنتهم وايذائهم المؤمنين والحريق اسم كالحرقة بمعنى الاحتراق وفي الصحاح تحرّق الشيء بالنار واحترق و الاسم الحرقة والحريق والنوع الثاني وان كان من قبيل عذاب الاحراق بالنار الا انه خص باسم الحريق للدلالة على انه عذاب زآئد على النوع الاول من العذاب من حيث ان كل واحد منهما وان كان عذابا عظيما في نفسه الا ان الثاني لما اجتمع مع الاول قوي واشتد وصار كأنه هو عذاب الحريق وان الاول ليس بالنسبة اليه بعذاب الحريق ﴿ قوله وقيل المراد الخ ﴾ عطف من حيث المعنى على قوله بلوهم بالاذى فانه قد فهم منه ان قوله الذين فتنوا يتناول اصحاب الاخدود و غيرهم و ان المراد بالمؤمنين المؤمنون المفتونون مطلقا وان المراد بفتنة المؤمنين ايذاؤهم مطلقا وان المراد بعذاب الحريق عذاب الآخرة و عطف عليه ماقيل من ان المراد بالذين فتنوا اصحاب الاخدود والمعنى فلهم عذاب جهنم في الآخرة ولهم عذاب الحريق بنار الاخدود في الدنيا فانه روي انهم لما ألقوا المؤمنين في النار ارتفعت من الاخدود الى الملك واتباعه نار فأحرقتهم فاهلكوا بنفس ما فعلوه بايديهم لاجل هلاك غيرهم ونجى الله تعالى المؤمنين الذين ألقوا في النار بقبض ارواحهم قبل ان تمسهم النار فيكون قوله تعالى قتل اصحاب الاخدود دالا على انهم كانوا ملعونين في تلك الحالة وانهم خسروا الدنيا والآخرة ثم انه تعالى ذكر ما اعده للمؤمنين فقال ان الذين آمنوا الآية ٭ قال الامام انما قال ذلك الفوز ولم يقل تلك لدقيقة لطيفة وهي ان قوله ذلك اشارة الى اخبار الله تعالى بحصول هذه الجنات لهم و قوله تلك اشارة الى الجنات واخبار الله تعالى بذلك يدل على كونه راضيا عنهم والفوز الكبير هو رضى الله تعالى لاخصوص الجنة ثم انه تعالى لما ذكر وعيد المجرمين و وعد المؤمنين اكد كل واحد منهما فقال لتأكيد الوعيد ان بطش ربك لشديد و البطش هو الاخذ بعنف فاذا وصف بالشدة فقد تضاعف عنفه ثم استدل على شدة بطشه بذكر اقتداره على الابدآء والاعادة بحيث لايقدر عليهما غيره فقال انه هو يبدئ ويعيد ويجوز ان يكون المقصود المبالغة في الوعيد لبيان ان بطشه لايختص بالدنيا ولا بالآخرة بل ان شاء بطش فيها وان شاء يمهل العاصي ويؤخر امر المجازاة الى يوم القيامة و عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال ان اهل جهنم تأكلهم النار حتى يصيروا لحما ثم يعيدهم خلقا جديدا فذلك هو المراد بقوله تعالى انه هو يبدئ ويعيد ثم قال لتأكيد الوعد وهو الغفور الودود و ذكر من صفات جلاله وكبريائه خمس صفات اولها الغفور ٭ قال الامام حكاية عن المعتزلة انهم قالوا هو الغفور لمن تاب و قال اصحابنا انه غفور مطلقا لمن تاب ولمن لم يتب لقوله تعالى ان الله لايغفر ان يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء ولان الآية مذكورة في معرض التمدح و التمدح بكونه غفورا مطلقا أتم و اكمل فالحمل عليه اولى انتهى كلامه ولان الغفور صيغة مبالغة فالمناسب ان يحمل على الاطلاق ٭ قال الامام الغزالي الفعال يني عن كثرة الفعل و الفعول يني عن جودته وكماله و شموله فهو تعالى غفور بمعنى انه تام الغفران كامله حتى يبلغ اقصى درجات المغفرة انتهى كلامه ولاشك ان الغافرية مطلقا اجود واكمل واحمل حمل صيغة المبالغة عليها اولى لاسيما في مقام التمدح فقول المصنف الغفور لمن تاب ينبغي ان يكون المراد به لمن تاب عن الكفر ﴿ قوله المحب لمن اطاع ﴾ على ان الودود فعول بمعنى فاعل و المحبة في حقه تعالى يرادبها ارادة الكرامة و الاحسان و الانعام لمن اطاعه وهي صفة مدح له تعالى لانه لايجب عليه شيء وانما هو بمجرد فضل منه و احسان وقيل يجوز ان يكون الودود فعولا بمعنى مفعول نحو ركوب و حلوب ومعناه ان عباده الصالحين يودونه لما عرفوه من فضله وجلالة ذاته ولما اسبغ عليهم من فنون بره و احسانه و الودود بهذا المعنى ايضا صفة مدح له تعالى لانهم انما يحبونه لفضله و افضاله ﴿ قوله وقيل المراد بالعرش الملك ﴾ فانهم يكنون بالعرش عن الملك لكونه من لوازم الملك يقال استوى فلان على العرش وان لم يجلس عليه وثل عرش فلان اذا ذهب سلطانه ﴿ قوله لايمتنع عليه مراد من افعاله و افعال غيره ﴾ فهذه الآية من جملة ما استدل به الاشاعرة في مسألة خلق الافعال قالوا للمعتزلة انكم تقولون انه تعالى يريد الايمان و الطاعة من كل مكلف فيجب ان يكون فاعلا لهما بمقتضى هذه الآية واذا كان فاعلا لهما وجب ان يكون فاعلا للكفر والمعصية ايضا اذ لاقائل بالفصل ٭ وروي انه دخل على ابي بكر قوم يعودونه فقالوا ياخليفة رسول الله ألاندعو لك طبيبا ينظر اليك قال قد نظر الي قالوا فأي شيء قال لك قال قال اني فعال لما اريد ثم انه تعالى لما ذكر

(ولهم عذاب الحريق) العذاب الزآئد في الاحراق بفتنتهم وقيل المراد بالذين فتنوا اصحاب الاخدود خاصة و بعذاب الحريق ما روي ان النار انقلبت عليهم فأحرقتهم (ان الذين آمنوا و عملوا الصالحات لهم جنات تجري من تحتها الانهار ذلك الفوز الكبير) اذ الدنيا وما فيها تصغر دونه (ان بطش ربك لشديد) مضاعف عنفه فان البطش اخذ بعنف (انه هو يبدئ ويعيد) يبدئ الخلق ويعيده او يبدئ البطش بالكفرة في الدنيا ويعيده في الآخرة (وهو الغفور) لمن تاب (الودود) المحب لمن اطاع (ذو العرش) خالقه وقيل المراد بالعرش الملك وقرئ ذي العرش صفة لربك (المجيد) العظيم في ذاته وصفاته فانه واجب الوجود تام القدرة و الحكمة وجر حمزة و الكسائي صفة لربك او للعرش ومجده علوه و عظمته (فعال لما يريد) لايمتنع عليه مراد من افعاله و افعال غيره

قصة اصحاب الاخدود واوعد بذكرها كفار قريش تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولمن تأذى من المؤمنين من قبل المشركين ردف التسلية والايعاد بقوله هل اتاك حديث الجنود اى قد اتاك يا محمد خبر الجموع الكافرة المكذبة لانبيائهم ثم بينهم بقوله فرعون وثمود ﴿قوله ابدلهما من الجنود﴾ جواب عما يقال كيف ابدل فرعون من الجنود والبدل يجب ان يطابق المبدل منه فى الجمعية * واجاب عنه بان المراد فرعون وقومه واستغنى بذكره عن ذكر قومه لكونهم اتباعه فيكون ذكره فى حكم ذكر الجميع ﴿قوله لا يرعوون﴾ اى لا يمتنعون من التكذيب يقال ارعوى يرعوى اى كف ومنع وارعوى عن القبيح اى امتنع ﴿قوله وكذبوا اشد من تكذيبهم﴾ على ان تنكير قوله فى تكذيب للتهويل والتعظيم ثم انه تعالى سلاهم بوجه آخر حيث بين اقتداره على المكذبين وانهم فى قبضته وحوزته كالشئ الذى احيط به من ورآئه فسد عليه مسلكه فلا يجد مهربا فقوله والله من ورآئهم محيط من باب التشبيه البليغ اى كأنه محيط بهم فى انهم لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط المحيط ثم زاد فى التعجب من حالهم فقال بل هو قرآن مجيد ومعنى الاضراب عنده ان ما كذبوا به ليس مثل ما كذب به الجنود بل هذا الذى كذبوا به قرآن معجز بنظمه مجيد شريف عالى الطبقة من بين الكتب وحيد فى نظمه واعجازه ﴿قوله وقرأ نافع محفوظ بالرفع على انه صفة للقرآن﴾ فالتقدير بل هو قرآن مجيد محفوظ فى لوح واللوح بالفتح الذى يكتب فيه وبالضم الهوآء بين السماء والارض كذا فى الصحاح ومن قرأ بالضم فسره بما فوق السماء السابعة الذى فيه اللوح قال تعالى ههنا فى لوح محفوظ وقال فى آية اخرى انه لقرآن كريم فى كتاب مكنون فيحتمل ان يكون الكتاب المكنون واللوح المحفوظ واحدا وهو محفوظ عند الله تعالى وهو ام الكتاب منه نسخ القرآن وسائر الكتب ثم كونه محفوظا يحتمل ان يكون المراد به كونه محفوظا من التغيير والتبديل ويحتمل ان يكون المراد به كونه محفوظا من اطلاع الخلق عليه سوى الملائكة المقربين * روى انه تعالى خلق اللوح المحفوظ من درة بيضاء دفتاه ياقوتة حمرآء قلمه نور وكتابه نور طوله ما بين السماء والارض وعرضه ما بين المشرق والمغرب وفى صدر اللوح لا اله الا الله دينه الاسلام ومحمد عبده ورسوله فمن آمن بالله عز وجل وصدق بوعده واتبع رسله ادخله الله الجنة وقيل اللوح المحفوظ هو صدر العبد المؤمن وقيل اللوح شئ يلوح للملائكة فيقرأونه ولما كانت الاخبار والآثار واردة بذلك وجب التصديق به وعلم كيفيته عند الله تعالى * تمت سورة البروج والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿سورة الطارق مكية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿قوله والسماء والطارق﴾ اعلم انه تعالى اكثر فى كتابه الكريم ذكر السماء والشمس والقمر لان احوالها فى اشكالها وسيرها ومطالعها ومغاربها وكثرة منافعها عجيبة ثم انه تعالى لما عطف الطارق على السماء ولا يعرف المراد منه بدون التفسير والبيان قال وما ادراك ما الطارق توطئة لبيان المراد منه وتفخيما لشأنه واعلاء لقدره ثم بينه بالنجم المضئ الذى يطرق اى يبدو بالليل ويخفى بالنهار فان ذكر الشئ مجملا ثم تفصيله وتعيينه ينبئ عن فخامة شأنه واختلفوا فى ان تعريف النجم للاستغراق او للعهد الخارجى فقال بعضهم انه للاستغراق كما فى قوله تعالى ان الانسان لفى خسر وقال آخرون انه نجم بعينه ثم قال ابو زيد انه الثريا وقال الفرآء انه زحل لانه يثقب بنوره سمك السموات السبع وقال آخرون انها الشهب التى ترجم بها الشياطين لقوله تعالى فأتبعه شهاب ثاقب اى نافذ او مضئ يقال ثقبه يثقبه ثقبا اى جعل فيه منفذا ومسلكا ونفذ فيه وثقبت النار تثقب ثقوبا اى اتقدت واشتعلت ويقال لصاحب النار اثقب نارك اى اشعلها حتى تضئ وثقب النجم اى اضاء وشهاب ثاقب اى مضئ فلعل المعنى الاصلى للثاقب الذى يفتح المنفذ واطلاقه على المضئ لوجود معنى فتح المنفذ فيه من حيث انه يثقب الظلام او الافلاك واطلاقه على من يوقد النار لكونه سببا لحدوث الضوء الثاقب ﴿قوله وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة لما﴾ اى بالتشديد بمعنى الا والباقون بتخفيفها واختار المصنف قرآءة التخفيف فكلمة ان على هذه القرآءة مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن واللام فى لما هى الفارقة بين المخففة والنافية وما صلة كما فى قوله تعالى فبما رحمة من الله وان المخففة مع ما فى حيزها جواب القسم اى اقسم ان الشان كل نفس لعليها حافظ ومن قرأ لما بالتشديد جعل ان نافية وجعل لما فى معنى الا والجملة ايضا جواب القسم اى اقسم ما كل نفس الا عليها حافظ يحفظ عملها ورزقها واجلها واذا

(هل اتاك حديث الجنود فرعون وثمود) ابدلهما من الجنود لان المراد بفرعون هو وقومه والمعنى قد عرفت تكذيبهم للرسل وما حاق بهم فتسل واصبر على تكذيب قومك وحذرهم مثل ما اصابهم (بل الذين كفروا فى تكذيب) لا يرعوون عنه ومعنى الاضراب ان حالهم اعجب من حال هؤلاء فانهم سمعوا قصتهم ورأوا آثار هلاكهم وكذبوا اشد من تكذيبهم (والله من ورآئهم محيط) لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط المحيط (بل هو قرآن مجيد) بل هذا الذى كذبوا به كتاب شريف وحيد فى النظم والمعنى وقرئ قرآن مجيد بالاضافة اى قرآن رب مجيد (فى لوح محفوظ) من التحريف وقرأ نافع محفوظ بالرفع على انه صفة القرآن وقرئ فى لوح وهو الهوآء يعنى ما فوق السماء السابعة الذى فيه اللوح * عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة البروج اعطاه الله بعدد كل يوم جمعة وعرفة يكون فى الدنيا عشر حسنات

﴿سورة الطارق مكية وآيها سبع عشرة﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والسماء والطارق) والكوكب البادى بالليل وهو فى الاصل لسالك الطريق واختص عرفا بالآتى ليلا ثم استعمل للبادى فيه (وما ادراك ما الطارق النجم الثاقب) المضئ كأنه يثقب الظلام بضوئه فينفذ فيه او الافلاك والمراد الجنس او معهود بالثقب وهو زحل عبر عنه اولا بوصف عام ثم فسره بما يخصه تفخيما لشأنه (ان كل نفس لما عليها) اى ان الشأن كل نفس لعليها (حافظ) رقيب فان هى المخففة واللام الفاصلة وما مزيدة وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة لما على انها بمعنى الا وان نافية والجملة على الوجهين جواب القسم

استوفت جميع ذلك قبضها الى ربها فعلى هذا الحافظ هو الملك الموكل بالانسان كما قال تعالى وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ماتفعلون روى عنه عليه الصلاة والسلام انه قال « وكل بالمؤمن مائة وستون ملكا يذبون عنه كما يذب عن قصعة العسل الذباب ولو وكل العبد الى نفسه طرفة عين لاختطفته الشياطين » والظاهر ان المراد بالحافظ هو الله تعالى كما قال الله تعالى وكان الله على كل شئ رقيبا فان الممكنات كما تحتاج الى الواجب لذاته فى ترجيح وجودها على عدمها تحتاج اليه فى بقائها ايضا فهو تعالى هو القيوم الذى بحفظه وابقائه يبقى الكائنات كما قال ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا فكأنه تعالى اقسم على ان كل ماسواه ممكن محدث يحتاج فى اصل وجوده وبقائه الى حافظ يوجده ويبقيه ويوصله الى الكمال اللائق به وتربيته بان يخلق له ماينتفع به ويدفع عنه مايضره وعدى الحفظ بعلى فى قوله تعالى عليها حافظ لتضمنه معنى القيام فانه تعالى قائم على خلقه بعلمه واطلاعه على احوالهم واستيلائه وقدرته عليها وتصرفه فيها حسبما يشاء ﴿ قوله لماذكر ان كل نفس عليها حافظ ﴾ اشارة الى وجه ترتيب هذه الآية على ماقبلها وذلك لان اجمال ماقبلها متضمن لمعنى قولنا ان الانسان ماترك سدى بل له حافظ مطلع على اعماله وارزاقه وآجاله واذا استوفى جميع ماقدرله من ذلك يقبضه اليه ويمهله فى البرزخ مدة ثم يبعثه ويحاسبه ويجازيه على حسب اعماله لكمال قدرته وحكمته واحاطة علمه بالكليات والجزئيات فلن يفوت من حفظ الاعمال شئ من ذلك ولما كان ماقبلها متضمنا لهذه المعانى وكانت هذه المعانى سببا لتوصية الانسان بالنظر فى مبدئه ليعرف كمال قدرة المهيمن عليه وسائر صفات كماله ويستدل به على صحة البعث والجزاء ويجتهد فى ان لايكتب عليه حافظ اعماله سوى مايفرح به يوم العرض والجزاء ظهر بهذا التقرير ان ماذهب اليه شرف الدين الطيبى من ان الفاء فى قوله تعالى فلينظر الانسان فاء فصيحة تفصح عن انبناء الكلام على الحذف والتقدير غير موجه اذلا حاجة فى ارتباط الكلام واستقامته الى ارتكاب الحذف لكفاية المذكور قبله فى كونه سببا للتوصية من غير ارتكاب الحذف ﴿ قوله بمعنى ذى دفق ﴾ فان الدافق عند البصريين بمعنى ذى دفق كلابن وتامر وعند الكوفيين بمعنى مدفوق كسر كاتم وعيشة راضية بمعنى مكتوم ومرضية ﴿ قوله والمراد الممتزج من الماءين ﴾ يعنى قيل خلق من ماءبتأويل الوحدة مع ان الولد انما يخلق من ماءين ماء الرجل الذى يخرج من صلبه وماء المرأة الذى يخرج من ترائبها وهى عظام صدرها حيث تكون القلادة وكل عظم منها تريبة بناء على ان الولد انما يتكون بعد اجتماع ذينك الماءين فى الرحم وامتزاجهما وصيرورتهما شيأ واحدا فلذلك قيل من ماء واحد ولم يقل من ماءين وذلك المجموع الممتزج يصدق عليه انه خارج من بينهما ﴿ قوله ولو صح ان النطفة تتولد الخ ﴾ جواب عما طعن به بعض الملاحدة فى هذه الآية فقال ان كان المراد من قوله تعالى يخرج من بين الصلب والترائب ان المنى انما ينفصل عن ذينك الموضعين فليس الامر كذلك لانه انما يتولد من فضلة الهضم الرابع وينفصل عن جميع اجزاء البدن حتى يأخذ من كل عضو طبيعة وخاصية فيصير مستعدا لان يتولد منه تلك الاعضاء ولذلك ترى المفرط فى الجماع يستولى الضعف على جميع اعضائه وان كان المراد ان معظم اجزاء المنى يتولد هناك فهو ضعيف بل معظم اجزائه انما يتربى ويتولد فى الدماغ والدليل عليه ان المنى يشبه الدماغ فى صورته ولان المكثر من الجماع يظهر الضعف اولا فى عينيه وان كان المراد ان مستقر المنى هناك فضعيف ايضا لان مستقره هو اوعية المنى وهى عروق يلتف بعضها ببعض عند البيضتين وان كان المراد ان مخرج المنى هو الصلب والترائب فليس كذلك بل مخرجه هو الاحليل كذا نقل الامام شبهتهم ثم اجاب عنها بقوله لاشك ان معظم الاعضاء معونة فى توليد المنى هو الدماغ وللدماغ خليفة وهى النخاع وهو فى الصلب وله شعب كثيرة نازلة الى مقدم البدن وهى التريبة فلهذا السبب خص الله تعالى هذين العضوين بالذكر على ان كلامهم فى كيفية تولد الاعضاء من المنى كلام بمحض الوهم والظن الضعيف وكلام الله تعالى اولى بالقبول انتهى كلامه والحاصل ان الملاحدة نعى عليهم وجه قوله تعالى يخرج من بين الصلب والترائب بناء على زعمهم ان المنى ينفصل عن جميع اجزاء البدن فيأخذ من كل عضو طبيعة وخاصية فيستعد لأن يتولد منه مثل تلك الاعضاء فأشار المصنف اولا الى منع زعمهم بانه محض وهم وظن ضعيف والله تعالى اصدق القائلين واعلم باحوال ماخلقه على اى وجه يتولد ومن اى موضع يخرج فكلامه المجيد هو المعول عليه واجاب ثانيا بانا لو سلمنا صحة مازعموه نقول وجه تخصيص الصلب والترائب الذين تتصل بهما معظم مايتولد منه المنى المستقر فى الاوعية كونهما اقرب الى تلك الاوعية ولذا خصا بالذكر وجعلا مخرجا له وان كان معظم

(فلينظر الانسان مم خلق) لما ذكر ان كل نفس عليها حافظ اتبعه توصية الانسان بالنظر الى مبدئه ليعلم صحة اعادته فلا يملى على حافظه الا مايسره فى عاقبته (خلق من ماء دافق) جواب الاستفهام وماء دافق بمعنى ذى دفق وهو صب فيه دفع والمراد الممتزج من الماءين فى الرحم لقوله (يخرج من بين الصلب والترائب) بين صلب الرجل وترائب المرأة وهى عظام صدرها ولو صح ان النطفة تتولد من فضل الهضم الرابع وتنفصل عن جميع الاعضاء حتى تستعد لان يتولد منها مثل تلك الاعضاء ومقرها عروق ملتف بعضها بالبعض عند البيضتين فالدماغ اعظم الاعضاء معونة فى توليدها ولذلك تشبهه ويسرع الافراط فى الجماع بالضعف فيه وله خليفة وهى النخاع وهو فى الصلب وشعب كثيرة نازلة الى الترائب وهما اقرب الى اوعية المنى فلذلك خصا بالذكر وقرئ الصلب بفتحتين والصلب بضمتين وفيه لغة رابعة وهى صالب

المخرج هو الدماغ والنخاع ولاضرورة الى تخصيص الترائب بالنساء فانه قد ذهب قوم الى ان الولد مخلوق من الماء الذى يخرج من بين الصلب والترائب للرجل واحتج على ماذهب اليه بأن الله تعالى بين ان الانسان مخلوق من ماء دافق وان الموصوف بذلك الوصف هو ماء الرجل ثم انه تعالى وصف ذلك الماء الدافق بانه يخرج من بين الصلب والترائب فدل ذلك على ان الترائب ترائب الرجل وعدم التعرض لماء المرأة لاينافى ان يكون لمائها مدخل فى تكوّن الولد واجاب القائلون بان الترائب ترائب المرأة عن هذا الاحتجاج بان توصيف هذا الماء الممزوج بالدافق من قبيل توصيف المجموع بوصف بعض اجزائه ﴿ قوله والضمير ﴾ اى ضمير انه للخالق اى ان من خلقه من مثل ذلك الشئ الحقير لقادر على رجعه واعادته حيا بعد موته وقوله على رجعه متعلق بقادر * فان قيل ماوجه الحصر المستفاد من تقديم الجار والمجرور الذى هو قوله على رجعه على عامله الذى هو لقادر مع انه تعالى قادر على كل شئ * قلنا التقديم قد لايكون للحصر بل قد يكون لمجرد الاهتمام والتبرك والاستلذاذ ونحو ذلك وقدم ههنا للاهتمام بالعلم فان الكلام فيه بخصوصه بناء على الامر بالنظر فى مبدأ خلقه انما هو لكونه وسيلة ومؤديا الى العلم بصحة الرجع والاعادة والسرائر جمع سريرة بمعنى السر وهو مايكتم ويخفى والمراد بها فى الآية ماأسر فى القلوب من العقائد والنيات وماخفى من الاعمال * والابلاء والابتلاء الاختبار * الجوهرى بلوته بلوا جربته واختبرته وبلاه الله بلاء وابتلاه ابتلاء اى اختبره واطلاق الابتلاء على الكشف والتمييز من قبيل اطلاق اسم السبب على المسبب لان الاختبار يكون للتعريف والتمييز وابتلاء الله تعالى عباده بالامر والنهى يكون لكشف ماعلم منهم فى الازل ﴿ قوله وهو ظرف لرجعه ﴾ قيل عليه لايجوز ان ينتصب به للفصل بين المصدر ومعموله بأجنبى وهو خبر ان اعنى لقادر ولاينتصب ايضا بقوله لقادر لانه تعالى قادر فى كل الاوقات لاتختص قدرته بوقت دون وقت الا ان يراد انه منتصب بمضمر دل عليه رجعه اى يعيده يوم تبلى السرائر * واجيب بان الفصل غير مانع من كونه ظرفا لرجعه لانه مؤخر تقديرا وانما قدم مراعاة للفاصلة على ان الظرف يتسع فيه مالايتسع فى غيره ﴿ قوله فى نفسه ﴾ مستفاد من عطف قوله ولاناصر على قوة فانه يدل على ان المراد بالقوة المنفية القوة الثابتة له فى نفسه لاالقوة مطلقا والالماتبق لعطفه فائدة لان القوة المستفادة من الغير قوة ايضا وقد نفيت اولا والمعنى اذا رجع الانسان فى ذلك اليوم فحينئذ لايكون له شئ من القوة يدفع بها عن نفسه ماحل به من العذاب ولاناصر ينصره فى دفعه ولاشك انه يرجع معناه الى التعذر عما يؤذى اليه ﴿ قوله سمى به كما سمى اوبا لان الله يرجعه ﴾ اى يرجع نوعه بازال مثل الاول سمى المطر بمصدر رجع وآب بمعنى ذى رجوع وأوب او لانه لكثرة رجوعه وأوبه جعل نفس الرجوع والاوب مبالغة او لان الرجع بمعنى الراجع فان المطر النازل من السماء هو الذى صعد من البحار بان حمله السحاب منها ثم رجع الى جانب الارض ورجع يستعمل لازما ومتعديا يقال رجع هو بنفسه ورجعه غيره قال تعالى فرجعناك الى امك وهذيل تقول ارجعه غيره ﴿ قوله من النبات ﴾ بيان مافى قوله ماتصدع عنه الارض فعلى هذا يكون المراد بالصدع نبات الارض سمى به لكونه صادعا للارض والارض تتصدع به ولما رأت خروجه من الارض الابصدعها اياها جعل كأنه نفس الصدع فسمى به ﴿ قوله او الشق ﴾ عطف على قوله ماتصدع فان الصدع فى اللغة الشق والارض ذات الشق بالنبات والعيون فعلى هذا يكون الصدع على اصل معناه الا ان الصدع بهذا المعنى لما لم يكن نعمة فى نفسه بل وسيلة الى خروج ماهو نعمة فى نفسه وهو النبات والعيون اخره فى الذكر لفوات الملاءمة بين هذه القرينة وبين قوله والسماء ذات الرجع حينئذ لان الرجع باى معنى كان نعمة فى نفسه ثم انه تعالى لما اقسم فى اول هذه السورة الكريمة على ان من آذى المؤمنين ملعونون وسلى رسوله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وثبتهم على اذى المشركين وصبرهم عليه وبين عقاب الكافرين وثواب المؤمنين اقسم قسما آخر بقوله والسماء ذات الرجع على ان القرآن الذى بين هذه الامور لقول فصل يفصل بين الحق والباطل واشار الى كيفية خلقه النبات فى هذا القسم كما اشار فيما قبل الى كيفية خلقه الحيوان فان السماء ذات الرجع كالاب والارض ذات الصدع كالام يتولد من اجتماعهما انواع النباتات ثم انه تعالى بعدما اخبر بحقية القرآن واقسم عليه بين انهم يكيدون كيدا فى ابطاله بالقاء الشبهات لابطال بعض ما اخبر به القرآن كقولهم ان هى الاحياتنا الدنيا وقولهم من يحيى العظام وهى رميم وقولهم أجعل الآلهة الها واحدا وقولهم لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين وقولهم فهى تملى عليه بكرة واصيلا وبالطعن فى مبلغه بقولهم

(انه على رجعه لقادر) الضمير للخالق ويدل عليه خلق (يوم تبلى السرائر) تتعرف ويميز بين ماطاب من الضمائر وما خفى من الاعمال وماخبث منهما وهو ظرف لرجعه (فاله) فالانسان (من قوة) من منعة فى نفسه يمتنع بها (ولاناصر) يمنعه (والسماء ذات الرجع) ترجع فى كل دورة الى الموضع الذى تتحرك منه وقيل الرجع المطر سمى به كما سمى اوبا لان الله تعالى يرجعه وقتا فوقتا او لماقيل من ان السحاب يحمل الماء من البحار ثم يرجعه الى الارض وعلى هذا يجوز ان يراد بالسماء السحاب (والارض ذات الصدع) ماتتصدع عنه الارض من النبات او الشق بالنبات والعيون (انه) ان القرآن (لقول فصل) فاصل بين الحق والباطل (وماهو بالهزل) فانه جد كله

(ساحر)

ساحر وشاعر ومجنون وبقصد قتله عليه الصلاة والسلام كما قال تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك وتسمية ما كان من قبله تعالى فى حق المشركين من استدراجهم والانتقام منهم من حيث لا يحتسبون كيدا من باب المشاكلة لوقوعه فى مقابلة كيدهم وجزآئه كما اشار اليه المصنف بقوله واقابلهم بكيدى وذلك لان الكيد وهو المكر والاحتيال لا يجوز اسناده اليه تعالى مرادا به معناه الحقيقى وتسمية جزآء ذلك الشئ باسم ذلك الشئ على سبيل المشاكلة كثير فى القرآن كقوله نسوا الله فنسيهم ويخادعون الله وهو خادعهم والله يستهزئ بهم بعد ما حكى عنهم قولهم انما نحن مستهزؤن ﴿قوله امهالا يسيرا﴾ اشارة الى ان رويدا ههنا صفة مصدر محذوف لا اسم فعل لانه لو كان كذلك لكان المعنى فمهل الكافرين امهلهم اروِدهم فيكون الامر بالامهال تكرر ثلاث مرات فان مهل وامهل وارود بمعنى واحد وفائدة التأكيد قد حصلت بالثانى فبقى الثالث بلا فائدة واما اذا كان صفة مصدر محذوف فانه حينئذ يكون تصغير رود بضم الرآء وهو المهل ويكون التصغير للتقليل ﴿قوله والتكرير﴾ اى تكرير الامر بالامهال حيث قيل امهلهم بعد قوله مهل لزيادة التسكين والتصبير وكذا تغيير البنية حيث بنى احد لفظى الامر من باب التفعيل والآخر من باب الافعال فانه ايضا لزيادة التسكين لان الواحد اذا عبر عنه بعبارتين مختلفتين يرى كأنهما معنيان مختلفان يتعلق بكل واحد منهما قصد على حدة * واعلم ان رويدا فى كلام العرب يستعمل على ثلاثة اوجه احدها ان يكون اسما لفعل الامر فيعمل عمل الافعال يقال رويدا زيدا اى اَروِد زيدا وامهله ولا يتصرف فيه على هذا الوجه لانه حينئذ يكون من الاسماء الغير المتمكنة والثانى ان يكون بمنزلة سائر المصادر فيضاف الى ما بعده كما تضاف المصادر تقول رويد زيد كما تقول ضرب زيد قال تعالى فضرب الرقاب والثالث ان يكون نعتا منصوبا كقولك ساروا سيرا رويدا ويقولون ايضا ساروا رويدا يحذفون المنعوت ويجعلون رويدا مقامه وما فى الآية من هذا القبيل والله اعلم * تمت سورة الطارق

﴿ سورة الاعلى مكية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿قوله نزه اسمه﴾ يعنى ان الامر الالهى ورد بتسبيح اسمه تعالى الذى هو اللفظ الدال على ذاته المقدس عن الالحاد فيه اى عن الميل عن الحق والصواب فى تفسيره بان يفسر الاعلى مثلا بالعلو فى المكان ويفسر الاستوآء على العرش بالاستقرار عليه فان الاعلى من العلو بمعنى الاقتدار والقهر والاستوآء بمعنى الاستيلاء والتسلط وقيل الامر الالهى ورد بتنزيه ذاته تعالى لان الاسم لكونه من قبيل الالفاظ المؤلفة من الحروف المقطعة لا يجب تنزيهه لكن المسمى اذا كان فى غاية العظمة والجلالة يعبر عنه بشئ مما يلابسه كما يقال سلام على المجلس السامى والمعروض الى الحضرة السامية فيكون لفظ الاسم صلة مقحمة لتعظيم المسمى وقد وقع الخامه مع قطع النظر عن قصد التعظيم فى قول لبيد * الى الحول ثم اسم السلام عليكما * ولكن الخامه لقصد التعظيم يكون اولى ومن الناس من تمسك بهذه الآية مستدلا على ان الاسم والمسمى واحد وقال لان احدا لا يقول سبحان اسم الله سبحان اسم ربنا بمعنى سبح اسم ربك سبح ربك والرب ايضا اسم فلو كان غير المسمى لكان المأمور به تسبيح غيره تعالى وهو استدلال ضعيف لانه اذا وجب تسبيح اسمه تعالى فوجوب تسبيح ذاته يكون اولى ويجوز ان يكون لفظ الاسم صلة على ما قيل وعلى كل واحد من التقديرين لا دلالة فى الآية على اتحاد الاسم والمسمى * قال الامام ههنا دقيقة وهى ان قولنا اسم لفظ وضع لكل ما دل على معنى غير مقترن بزمان والاسم كذلك فيلزم ان يكون الاسم اسما لنفسه فههنا الاسم نفس المسمى فلعل العلماء الاولين ذكروا ذلك فاشتبه الامر على المتأخرين وظنوا ان الاسم فى جميع المواضع نفس المسمى انتهى كلامه فقوله فههنا الاسم نفس المسمى محل بحث وتحقيق المقام ان للاشياء وجودا فى الاعيان ووجودا فى الاذهان ووجودا فى اللسان اما وجودها فى الاعيان فهو الوجود الاصلى الحقيقى والوجود فى الاذهان هو الوجود العلمى الصورى والوجود فى اللسان هو الوجود اللفظى الدال على ما فى الذهن من الصورة العلمية وتلك الصورة هى المنطبعة فى النفس من الوجود العينى الخارجى فلو لم يكن وجود فى الاعيان لم تنطبع الصورة فى الاذهان ولو لم تنطبع الصورة فى الاذهان لما عبر عنها اللسان فاذن اللفظ والعلم والعلوم ثلاثة امور متباينة لكنها متطابقة متوازية وهذا مما يشهد به الذوق السليم بعد المراجعة الى ما ذكره علماء الكلام فى مباحث الكيف وبحث الوجود الذهنى وظهر بهذا ان الاسم غير المسمى الذى هو الموجود فى الاعيان بالوجود

(انهم) يعنى اهل مكة (يكيدون كيدا) فى ابطاله واطفاء نوره (واكيد كيدا) واقابلهم بكيدى فى استدراجى لهم وانتقامى منهم بحيث لا يحتسبون (فمهل الكافرين) فلا تشتغل بالانتقام منهم او لا تستعجل باهلاكهم (أمهلهم رويدا) امهالا يسيرا والتكرير وتغيير البنية لزيادة التسكين * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الطارق اعطاه الله بعدد كل نجم فى السماء عشر حسنات

﴿ سورة الاعلى مكية وآيها تسع عشرة ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(سبح اسم ربك الاعلى) نزه اسمه عن الالحاد فيه بالتأويلات الزآئغة واطلاقه على غيره زاعما انهما فيه سوآء وذكره لا على وجه التعظيم

الاصلى كانه غير الصورة الذهنية التى عبرعنها بالعلم وكذا لفظ الاسم الذى عبر به عن المفهوم الكلى الذى هو نوع من انواع الكلمة مغاير من الافراد الخارجية لذلك المفهوم وكذا كل لفظ وضع بازآء معنى اسما كان او فعلا او حرفا فانه اسم علم يعبر به نفس ذلك اللفظ من حيث دلالته على ذلك الاسم او الفعل او الحرف كما تقول فى قولنا خرج زيد من البصرة خرج فعل ماض وزيد اسم ومن حرف فتجعل كل واحد من الثلاثة محكوما عليه مع استحالة كون الفعل والحرف مخبرا عنه ومحكوما عليه فلفظ زيد فى المثال المذكور وان كان اسما لنفسه بحسب الظاهر الا ان بينهما تغايرا اعتباريا فان الشخص الخارجى مسمى بزيد باعتبار وضعه بازآئه وهذا الاسم الموضوع بازآء الشخص مسمى بلفظ زيد باعتبار دلالته على ذلك الاسم الموضوع فالاسم هنا ايضا غير المسمى ﴿قوله وقرئ سبحان ربى الاعلى﴾ قيل ان عليّ بن ابى طالب وابن عمر رضى الله عنهما قرأها كذلك والظاهر انهما قرأها امتثالا للامر لاعلى انها من القرآن لما روى انه عليه الصلاة والسلام كان اذا قرأها قال سبحان ربى الاعلى وروى ايضا ان عليّ ابن ابى طالب رضى الله عنه قرأ فى الصلاة سبح اسم ربك الاعلى ثم قال سبحان ربى الاعلى فلما انقضت الصلاة قيل ياامير المؤمنين اتزيد هذا فى القرآن قال ماهو قيل سبحان ربى الاعلى قال لا انما امرنا بشئ فقلته امتثالا للامر وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال من قرأ سبح اسم ربك الاعلى فليقل سبحان ربى الاعلى وهذه الآثار والاخبار تؤيد قول من يقول المأمور به تنزيه ذاته تعالى وان لفظ الاسم صلة ذكر كناية عن الذات لكون الاسم من لوازمها كما قال سلام على المجلس العالى قيل اوّل من قال سبحان ربى الاعلى ميكائيل وروى انه عليه الصلاة والسلام قال لجبريل عليه السلام « ياجبريل اخبرنى عن ثواب من قالها فى صلاته او فى غير صلاته » فقال يامحمد مامن مؤمن ولامؤمنة يقولها فى سجوده او فى غير سجوده الا كانت له فى ميزانه اثقل من العرش والكرسى وجبال الدنيا ويقول الله تعالى صدق عبدى انا الاعلى وفوق كل شئ وليس فوقى شئ واشهدوا ياملائكتى انى قد غفرت لعبدى وادخلته جنتى فاذا مات اتاه ميكائيل كل يوم فاذا كان يوم القيامة حمله على جناحه فيوقفه بين يدى الله عزوجل فيقول يارب شفعنى فيه فيقول قد شفعتك فيه اذهب به الى الجنة ﴿قوله خلق كل شئ فسوّى خلقه﴾ اشارة الى ان حذف مفعول كل واحد من خلق فسوّى لقصد التعميم وان تسوية خلق المخلوقات عبارة عن خلقها موضوعة على وجه الاحكام والاتقان سالمة عن الخلل والنقصان جامعة لجميع مايتوقف عليه كمالها فى ذاتها ويتقوم به اسباب معاشها ﴿قوله اى قدر اجناس الاشياء﴾ اى جعل اجناسها بمقدار معلوم وكذا جعل انواع كل جنس واشخاص كل نوع بمقدار معلوم وجعل ايضا مقدار كل شخص فى جثته واشكاله واوصافه من الحسن والقبح والسعادة والشقاوة والهداية والضلالة والارزاق والآجال وغير ذلك بمقدار معلوم كما قال تعالى وان من شئ الا عندنا خزآئنه وماننزله الا بقدر معلوم « قال صاحب الكشاف قدر لكل حيوان مايصلحه فهداه به اليه وعرّفه وجه الانتفاع به ثم قال يحكى ان الافعى اذا اتى عليها ألف سنة عميت وقد ألهمها الله تعالى ان مسح العين بورق الرازيانج الغض يردّ اليها بصرها فربما كانت فى برّية بينها وبين الريف مسيرة ايام فتطوى تلك المسافة على طولها وعلى عماها حتى تلتطم فى بعض تلك البساتين على شجرة الرازيانج فتحك بها عينيها فترجع باصرة باذن الله تعالى وهدايات الله تعالى للانسان الى مالايحد من مصالحه وحوائجه فى اغذيته وادويته وفى ابواب دنياه ودينه والهامات البهائم والطيور وهوام الارض باب واسع لايحيط به وصف واصف فسبحان ربى الاعلى ﴿قوله انبت ماترعاه الدواب﴾ روى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال المرعى الكلأ الاخضر وفى الصحاح الرعى بالكسر الكلأ وبالفتح المصدر والمرعى زمان الرعى والموضع والمصدر والظاهر ان المرعى اسم مشتق اطلق على الكلأ تشبيها له بمكان الرعى ﴿قوله يابسا اسود﴾ الاوّل تفسير قوله تعالى غثاء والثانى تفسير احوى فان الغثاء مايبس من النبات وصار هشيما تقذفه السيل على جوانب الوادى واحوى افعل من الحوّة وهى السواد والاحوى الاسود وهو صفة لغثاء وسبب كونه اسود اما احتراقه لشدة الحرّ او ان السيل يحمله فتعلق به اجزآء كدرة فيسودّ لذلك او ان الريح تحمله فيلصق به الغبار فيسودّ بذلك ﴿قوله وقيل احوى حال من المرعى﴾ وصف المرعى بكونه احوى اى اسود لشدة خضرته كما قيل فى وصف الجنتين مدهامتان اى سوداوان من شدة خضرتهما فعلى هذا يكون فى الآية تقديم وتأخير والتقدير الذى اخرج المرعى احوى فجعله غثاء ﴿قوله سنقرئك على لسان جبريل﴾ اى سنعلمك بان يقرأ عليك جبريل القرآن مرّات الى ان تحفظ حفظا لاتنساه بعد ذلك او سنجعلك قارئا بالهام

وقرئ سبحان ربى الاعلى وفى الحديث لما نزل فسبح باسم ربك العظيم قال عليه الصلاة والسلام اجعلوها فى ركوعكم فلما نزل سبح اسم ربك الاعلى قال اجعلوها فى سجودكم وكانوا يقولون فى الركوع اللهم لك ركعت وفى السجود اللهم لك سجدت (الذى خلق فسوّى) خلق كل شئ فسوّى خلقه بأن جعل له مابه يتأتى كماله ويتم معاشه (والذى قدّر) اى قدر اجناس الاشياء وانواعها واشخاصها ومقاديرها وصفاتها وافعالها وآجالها (فهدى) فوجهه الى افعاله طبعا او اختيارا بخلق الميول والالهامات ونصب الدلائل وانزال الآيات (والذى اخرج المرعى) انبت ماترعاه الدواب (فجعله) بعد خضرته (غثاء احوى) يابسا اسود وقيل احوى حال من المرعى اى اخرجه احوى من شدة خضرته (سنقرئك) على لسان جبريل عليه السلام او سنجعلك قارئا بالهام القرآءة

(القرآءة)

القرآءة بان تشرح صدرك وتقوى خاطرك حتى تحفظه بالمرة الواحدة حفظا لاتنساه فيكون حفظه عليه السلام لهذا الكتاب المطوّل من غير دراسة ولاتكرار ولا كتبة امرا خارقا للعادة ولاسيما هو امىّ فيكون معجزا وايضا ان هذه السورة من اوآئل مانزل بمكة وقد اخبرالله انه سيظهر على يده امرا عجيبا غريبا مخالفا للعادة وهو انه تعالى سيقرئه وهو امىّ لايكتب ولا يقرأ فيحفظه ولاينساه الا ماشاءالله ان ينساه فيذهب به عن حفظه برفع حكمه وتلاوته كما قال تعالى ماننسخ من آية او ننسها فان الانساء نوع من النسخ وهذا اخبار عن الغيب وقد وقع كما اخبر فيكون معجزا قيل كان عليه الصلاة والسلام اذا نزل عليه القرآن اكثر تحريك لسانه مخافة ان ينسى وكان جبريل عليه السلام لايفرغ من آخر الوحى حتى يتكلم عليه السلام باوّله مخافة النسيان فأنزل الله سبحانه وتعالى سنقرئك فلا تنسى فلم ينس بعد ذلك شيأ لانه لايخلف وعده ولا فى قوله تعالى فلا تنسى نافية وعليه الجمهور لاللنهى لان الانسان لاينهى عن النسيان لانه لامدخل فيه للاختيار فلاينهى عنه فلذلك ثبت الالف فى فلا تنسى فى الخط والتلفظ ومن جعله نهيا عن النسيان احتاج الى التكلف فى توجيه ورود النهى عما ليس باختيارى فقال ان النهى وان كان عن النسيان صورة لكنه فى الحقيقة نهى عن سببه وهو الغفلة عن دراسته وتكريره فكأنه قيل لاتغفل عن قرآءته وتكراره فتنساه واحتاج فى توجيه ثبوت الالف الى ان يقول انها مزيدة رعاية لفواصل الآى كما فى الظنونا والسبيلا وحمله على الخبر اولى لعدم احتياجه الى التكلف وقوله فلا تنسى اصلا اى لابطريق النسخ ولابغيره ذكره ليظهر كون الاستثناء متصلا ﴿قوله وقيل المراد به القلة﴾ اى قلة المنسى الذى يعقبه التذكر عطف من حيث المعنى على قوله بان تنسخ تلاوته فان المراد بنسيان ماشاء الله نسيانه حينئذ النسيان المستمر بحيث لايعقبه التذكر بعده فان النسيان الذى هو احد طريق النسخ لابدّ ان يكون مستمرا واما ان حمل الاستثناء على القلة فحينئذ يكون المراد بالنسيان النسيان المتعارف الذى يعقبه التذكر بعده ويكون المقصود من الاستثناء تقليل المنسىّ بهذا المعنى فانه عليه الصلاة والسلام قد عرض له النسيان بهذا الوجه كما ذكره المصنف ووجه افهام معنى القلة من هذا الاستثناء ان المستثنى هو المنسىّ الذى تعلقت المشيئة بنسيانه ولاشك ان تعلق المشيئة بنسيان شئ منه غير معلوم اذيجوز ان لاتتعلق بشئ منه اصلا وعلى تقدير تعلقها بنسيان شئ منه فلاشك ان ماتعلقت المشيئة بنسيانه اقل من الباقى بعد الاستثناء فدار أمر المستثنى بين ان ينفى رأسا وبين القلة والندرة وماكان كذلك يكون فى غاية القلة فهذا وجه من حمل الاستثناء على القلة ﴿قوله اونفى النسيان﴾ مرفوع معطوف على قوله القلة والندرة والنسيان المنفى على القولين الاخيرين هو النسيان الذى يعقبه التذكر الا انه على القول الاوّل يقصد استثناء القليل منه كأنه قيل فلا تنسى شيأ مما علمناك وقرأناه عليك نسيانا متعارفا وهو الذى يعقبه التذكر بعد الا قليلا منه وعلى القول الثانى لايقصد استثناء شئ منه ويكون قوله الا ماشاء الله لنفى النسيان المتعارف رأسا وكل واحد من القسمين قسيم لقوله فلا تنسى شيأ مما اقرأناك اصلا الا ماشاء الله نسيانه بان تنسخ تلاوته ولما كان قوله الا ماشاء الله مما يدل على القلة جاز ان يراد منه نفى النسيان رأسا فان استعمال القلة بمعنى النفى رأسا وارد فى كلامهم كما فى قوله تعالى وقليل من عبادى الشكور فان قضاء حق الشكر بكماله غير مقدور للبشر ﴿قوله فيعلم مافيه صلاحكم من ابقاء او انساء﴾ تفريع على التفسيرين واشار الى ان قوله تعالى انه يعلم الجهر ومايخفى تعليل للحكم السابق المشتمل على الاستثناء بان يجعل علمه تعالى بما ظهر من احوال عباده وبما يخفى منها او علمه بجهره عليه الصلاة والسلام بالقرآن مع جبريل وبما يخفى فى نفسه مما يدعوه اليه من مخافة النسيان مجازا عن علمه بما فيه صلاح العباد فلا ينسى ماانساه من الوحى ولا يبقى ماابقاه الا لمصلحة تعود اليهم ﴿قوله ونعدّك للطريقة اليسرى﴾ ضمن قوله نيسرك معنى الاعداد والتوفيق بالوجه تعدية قوله نيسرك بدون اللام فان العبارة الشائعة ان يقال جعل الفعل الفلانى ميسرا لفلان ولايقال جعل فلان ميسرا للفعل الفلانى فالظاهر ان يقال نيسر اليسرى لك الا انه جعل الفاعل ميسرا للفعل فى هذا الموضع وكذا فى سورة الليل ايضا وفى قوله عليه الصلاة والسلام « اعملوا فكل ميسر لماخلق له » باعتبار التضمين ومعناه موفق له والمراد بالطريقة اليسرى اعمال الخير سميت يسرى لكونها مؤدّية الى اليسر والراحة وقوله تعالى ونيسرك معطوف على سنقرئك وقوله انه يعلم الجهر ومايخفى اعتراض والتقدير سنقرئك فلا تنسى ونوفقك للطريقة التى هى اسهل وايسر فى حفظ

(فلا تنسى) اصلا من قوة الحفظ مع انك امىّ ليكون ذلك آية اخرى لك مع ان الاخبار به عما يستقبل ووقوعه كذلك ايضا من الآيات وقيل نهى والالف للفاصلة كقوله السبيلا (الا ماشاء الله) نسيانه بان تنسخ تلاوته وقيل المراد به القلة والندرة لماروى انه عليه الصلاة والسلام اسقط آية فى قرآءته فى الصلاة فحسب ابىّ انها نسخت فسأله فقال نسيتها اونفى النسيان رأسا فان القلة تستعمل فى النفى (انه يعلم الجهر ومايخفى) ماظهر من احوالكم ومابطن اوجهرك بالقرآءة مع جبريل وماد عاك اليه من مخافة النسيان فيعلم مافيه صلاحكم من ابقاء اوانساء (ونيسرك لليسرى) ونعدك للطريقة اليسرى فى حفظ الوحى اوالتدين ونوفقك لها ولهذه النكتة قال تعالى نيسرك لا نيسر لك عطفا على سنقرئك وانه يعلم الجهر اعتراض

القرآن او فى باب التدين و الطاعة و نون العظمة فى قوله تعالى نيسرك ليستدل بعظمة المعطى على عظمة المعطا وكيف لا وقد كان عليه الصلاة و السلام صبيا لا اب له و لا ام نشأ فى قوم جهال ثم انه تعالى جعله فى افعاله و اقواله قدوة للعالمين و هاديا للخلائق اجمعين الى شرع لم يهد الى مثلها احد من الاولين فكان بذلك سيد المرسلين و خاتم النبيين و اى عطاء اجل و اعظم من هذا ﴿ قوله بعد ما استتب لك الامر ﴾ بيان لمعنى فاء التعقيب فى قوله فذكر يقال استتب له الامر اذا تهيأ و استقام فانه تعالى لما تكفل له بتعليم القرآن و تيسير حفظه له بحيث لا ينسى شيأ منه الا ما شاء الله تعالى نسيانه او تيسير سبيل الرشد و التدين امره بتذكير الخلق و دعوتهم الى الحق ليكون جامعا بين منصبى الهدى و الهداية و دولتى الكمال و التكميل ﴿ قوله لعل هذه الشرطية انما جاءت الخ ﴾ جواب عما يقال انه عليه الصلاة و السلام مبعوث الى الناس كافة لينذرهم بسوء عاقبة الكفر و العصيان و يذكرهم ثواب الطاعة و الايمان فعليه ان ينذر الكل و يذكرهم سواء قبلوا منه التذكير و انتفعوا به ام لا فان نفعتهم الذكرى فيها و الا فلا اقل من تزايد مثوباته عليه الصلاة و السلام بتكرار الانذار و التذكير و انقطاع حجة المعاندين حيث لا يمكنهم ان يقولوا بعد الانذار و التذكير انا كنا عن هذا غافلين او لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع آياتك و نكون من المؤمنين فلو جب عليه ان يذكر الخلائق اجمعين ان نفعتهم الذكرى و المصنف اجاب عنه بثلاثة اجوبة تقرير الاول ان ما ذكره من كون التذكير واجبا عليه مطلقا انما هو قبل الزام الحجة عليهم و اتمام دعوتهم بتكرير التذكير بأوضح البيان و ابلغ التقرير الى ان يتضح الحق و يتبين الرشد من الغى بحيث يظهر ان من أصر على الكفر و الضلال بعده انما يصر لمحض العناد و ايثار الهوى على الهدى و اما بعد ذلك فلا يجب الا لا فائدة له بعد ذلك سوى اتعاب النفس و التلهف على من آثر الشقاوة الابدية على السعادة الدائمة و تقرير الجواب الثانى ان قوله تعالى ان نفعت الذكرى و ان كان تقييدا للايجاب بحسب الظاهر الا انه لم يؤت به فى هذا الموضع لتقييد الحكم به و انما اتى به ذما للمذكورين و تنبيها له عليه الصلاة و السلام يعنى ان هؤلاء لا تنفعهم الذكرى كما يقال فى حق رجل ادع فلانا ان اجابك و المعنى ما اراه يجيبك فكأنه قيل فذكرهم و ما اظن اتعاظهم و قبولهم منك و اذا لم يكن التعليق و التقييد مرادا بقى الامر بالتذكير على اطلاقه غير مقيد بشرط رجاء نفعه و تقرير الثالث ان التقييد و التعليق بالنسبة الى طائفة معينة علم النبى صلى الله عليه و سلم ان الذكرى لا تنفعهم لشدة اعراضهم عن الهدى و نظيره قوله تعالى فذكر بالقرآن من يخاف وعيد و يلزم من هذا الجواب انه عليه الصلاة و السلام اذا علم بنور النبوة او الوحى الالهى ان الضال لا يؤمن و لا تنفعه الذكرى لا يجب عليه التذكرة ﴿ قوله و هو يتناول العارف و المتردد ﴾ فان الناس فى امر المعاد على ثلاثة اقسام منهم من قطع بصحته و منهم من جوز وجوده و لكن لم يقطع فيه لا بالنفى و لا بالاثبات و منهم من قطع بانكاره و القسمان الاولان يتناولهما مفهوم من يخشى الله دون الثالث فان من كان عارفا بالله تعالى و بكمال قدرته و علمه و حكمته يقطع لذلك بصحة المعاد و يخشى الله تعالى و ينتفع بالذكرى و كذا من تردد و توقف الى ان يتبين الحق له و لا يكون من اهل العناد و الاصرار فانه اذا سمع آية التخويف مثل ان يقال من كفر و تولى فانه يصلى النار الكبرى ثم لا يموت فيها و لا يحيى ينكسر قلبه فيحمله ذلك على استماع الحق و قبوله بخلاف من غلبه هواه و حمله ذلك على العناد و الاصرار فان قلبه يقبل عليه فلا يصل اليه خوف الله تعالى و خشيته فلا ينتفع بالذكرى لان الانتفاع بها مبنى على خشية القلب و لم تحصل فلا جرم يتجنب الذكرى و لا يقبلها و لا ينتفع بها و هو المراد بالاشقى الذى هو القسم الثالث من اقسام الناس ﴿ قوله الاشقى الكافر ﴾ يعنى ان المراد بالاشقى اما جنس الاشقى و هو الكافر او فرد معين منه كالوليد بن المغيرة و عتبة بن ربيعة و المفضل عليه على الاول جنس الفاسق و على الثانى سائر الكفرة و ثم فى قوله تعالى ثم لا يموت للتراخى فى الرتبى لان هذه الحالة افظع و اعظم من نفس الصلى فهى متراخية عنه فى مراتب الشدة و الكبرى اسم تفضيل لانه تأنيث الاكبر فيقتضى مفضلا عليه و هو نار الدنيا ان كان المراد بالنار الكبرى نار جهنم و ان كان المراد بها ما فى اسفل دركات جهنم من النار يكون المفضل عليه ما فى الدركات التى فوقها فان فى جهنم نيرانا و دركات متفاوتة كما ان فى الدنيا ذنوبا و معاصى متفاوتة فالكافر اشقى العصاة فلذلك يصلى اعظم النيران ثم انه تعالى لما ذكر وعيد من اعرض عن الذكرى و لم يتأمل فى دلائل الله تعالى اتبعه بالوعد لمن تزكى و تطهر من دنس الشرك بان قال لا اله الا الله محمد رسول الله على ان يكون التزكى من الزكاء بمعنى الطهارة و قيل من الزكاء بمعنى النماء اى من صار زاكيا ناميا من جهة الاعمال الصالحة

(فذكر) بعد ما استتب لك الامر (ان نفعت الذكرى) لعل هذه الشرطية انما جاءت بعد تكرر التذكير و حصول اليأس من البعض لئلا يتعب نفسه و يتلهف عليهم كقوله تعالى و ما انت عليهم بجبار الآية او لذم المذكرين و استبعاد تأثير الذكرى فيهم او للاشعار بان التذكير انما يجب اذا ظن نفعه و لذلك امر بالاعراض عن تولى (سيذكر من يخشى) سيتعظ و ينتفع بها من يخشى الله تعالى فانه يتفكر فيها فيعلم حقيتها و هو يتناول العارف و المتردد (و يتجنبها) و يتجنب الذكرى (الاشقى) الكافر فانه اشقى من الفاسق او الاشقى من الكفرة لتوغله فى الكفر (الذى يصلى النار الكبرى) نار جهنم فانه عليه السلام قال ناركم هذه جزؤ من سبعين جزأ من نار جهنم او فى الدرك الاسفل منها (ثم لا يموت فيها) فيستريح (و لا يحيى) حيوة تنفعه (قد افلح من تزكى) تطهر من الكفر و المعصية او تكثر من التقوى من الزكاء او تطهر للصلاة او ادى الزكاة

(يقال)

يقال زكا الزرع يزكو زكاء اى نما وكثر والزاكى النامى الكثير ويقال ايضا تزكى بمعنى تصدق وادى الزكاة ﴿ قوله ويجوز ان يراد بالذكر تكبيرة التحريم ﴾ عطف على قوله مايفهم من قوله ذكر اسم ربه بقلبه ولسانه فدعاه ذلك الى ان يصلى تعظيما له تعالى واجلالا ومن استدلاله على ذلك بقوله أقم الصلاة لذكرى فان من ذكر الله تعالى بكمال عظمته وكبريائه وبانواع فضله واحسانه دعاه ذلك الى الاشتغال بخدمته وطاعته وذهب الامام ابو حنيفة رحمه الله الى ان المراد بذكر اسم ربه تكبيرة الاحرام فيكون المعنى وذكر اسم ربه لافتتاح الصلاة وصلى عقيبه واحتج بهذه الآية على وجوب تكبيرة الاحرام حيث عدّت فى جملة ماعلق به الفلاح وعلى انها ليست من اركان الصلاة من حيث ان الصلاة عطفت عليها بفاء التعقيب والملابسة بالكل انما تكون بملابسة ركن من اركانها لاعقيبها وعلى ان افتتاح الصلاة والشروع فيها غير مختص بلفظ التكبير بل هو جائز بكل اسم من اسمائه تعالى فالمناسب على هذا ان يحمل التزكى على التطهر للصلاة لتكون الآية مسوقة لكل من حصل هذين الشرطين الطهارة وتكبيرة الاحرام وصلى عقيبهما والائمة الشافعية قالوا هذه الآية وان دلت على مدح كل من ذكر اسم الله تعالى وصلى عقيبه لكن ليس فيهما مايدل على ان ذلك الذكر هو تكبيرة الافتتاح لجواز ان يكون بمعنى أنّ من ذكر الله تعالى بقلبه ولسانه وذكر ثوابه وعقابه ودعاه بعد ذلك الى فعل الصلاة فحينئذ يأتى بالصلاة التى احد اركانها واجزائها تكبيرة الافتتاح كما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال فى تفسير هذه الآية ذكر معاده وموقفه بين يدى ربه فصلى له قال الامام واقول هذا التفسير متعين وذلك لان مراتب اعمال المكلف ثلاث اولاها ازالة العقائد الفاسدة عن القلب وثانيتها استحضار معرفة الله تعالى بذاته وصفاته وافعاله وثالثتها الاشتغال بخدمته وطاعته فالمرتبة الاولى هى المرادة بقوله قد افلح من تزكى وثانيتها هى المرادة بقوله وذكر اسم ربه فان الذكر بالقلب هو المعرفة وثالثتها وهى الخدمة هى المرادة بقوله فصلى فان الصلاة عبارة عن التواضع والخشوع فمن استنار قلبه بمعرفة جلال الله تعالى لابدّ وان يظهر فى جوارحه واعضائه اثر الخضوع والخشوع انتهى كلامه واذا حمل التزكى على اداء الزكاة المفروضة تكون الآية نظير قوله تعالى واقام الصلاة وايتاء الزكاة قيل هذا التفسير بعيد من حيث ان عادة الله تعالى جارية على تقديم الصلاة على الزكاة اذا ذكرا معا وهذا التفسير يستلزم مخالفة العادة وتركها ﴿ قوله فلا تفعلون ما يسعدكم ﴾ اشارة الى ان المضروب عنه قوله تعالى قد افلح من تزكى اى لاتفعلونه بل تؤثرون فان بل موضوعة لنفى ماتقدم وتحقيق غيره ﴿ قوله والخطاب للاشقين ﴾ اشارة الى ان المراد بالاشقى جنس الكافر فهو فى معنى الجمع ونكتة الالتفات المبالغة فى الذم فان الذم مواجهة ابلغ فى الذم مما يكون فى الغيبة وفى اضمار قل تحقير لشأنهم بالاشارة الا انهم لايستحقون لخطابه تعالى ﴿ قوله وقرأ ابو عمرو بالياء ﴾ على الاخبار عن الاشقين وهم غيب ﴿ قوله فان نعيمها ملذ بالذات ﴾ اى لايتناول الا لاجل الالتذاذ والتفكه ولايقصد به التغذى ودفع ألم الجوع والعطش يقال لذذت الشئ اى وجدته لذيذا والتذذت به وفى بعض النسخ تلذذا اى كأنه محض التلذذ بخلاف نعيم الدنيا فانه يقصد لا لذاته بل لما يترتب عليه من التقوى ونحوه والغوائل جمع الغائلة وهى الشر والمضرة ﴿ قوله والاشارة الى ماسبق من قد افلح ﴾ والمعنى ماذكر من قوله قد افلح الى آخر الآيات الاربع مذكور فى صحف الانبياء المتقدمين بمعناه وان لم يكن مذكورا باللفظ المذكور هنا ﴿ قوله فانه جامع امر الديانة ﴾ فان قوله قد افلح من تزكى اشارة الى تطهير النفس عن كل مالاينبغى من العقائد الفاسدة والاخلاق الذميمة وقوله وذكر اسم ربه اشارة الى تكميل الروح بمعرفة الله تعالى وقوله فصلى اشارة الى تكميل الله تعالى الجوارح وتزيينها بطاعة الله تعالى وقوله بل تؤثرون الحياة الدنيا اشارة الى الزجر عن ايثار الحظوظ العاجلة على السعادة الابدية وقوله والآخرة خير وابقى اشارة الى الترغيب فى طلب الآخرة ومافيها من الروح والثواب الجزيل وهذه امور لاتختلف باختلاف الشرائع فلهذا قال تعالى ان هذا لفى الصحف الاولى صحف ابراهيم وموسى * تمت سورة الاعلى بحمد الله وعونه وحسن توفيقه وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿ سورة الغاشية مكية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ قوله تعالى الغاشية ﴾ الغطاء هو الغشاء والغشاء هو الغطاء يقال غشيه يغشاه اى غطاه وكل ما احاط بالشئ

(وذكر اسم ربه) بقلبه ولسانه (فصلى) لقوله تعالى أقم الصلاة لذكرى ويجوز ان يراد بالذكر تكبيرة التحريم وقيل تزكى تصدق للفطر وذكر اسم ربه كبره يوم العيد فصلى صلاته (بل تؤثرون الحياة الدنيا) فلا تفعلون مايسعدكم فى الآخرة والخطاب للاشقين على الالتفات او على اضمار قل او للكل فان السعى للدنيا اكثر فى الجملة وقرأ ابو عمرو بالياء (والآخرة خير وابقى) فان نعيمها ملذ بالذات خالص عن الغوائل لا انقطاع له (ان هذا لفى الصحف الاولى) الاشارة الى ماسبق من قد افلح فانه جامع امر الديانة وخلاصة الكتب المنزلة (صحف ابراهيم وموسى) بدل من الصحف الاولى * قال عليه السلام من قرأ سورة الاعلى اعطاه الله عشر حسنات بعدد كل حرف انزله الله على ابراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام

﴿ سورة الغاشية مكية وآيها ست وعشرون ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(هل اتاك حديث الغاشية) الداهية التى تغشى الناس بشدائدها يعنى يوم القيامة او النار من قوله تعالى وتغشى وجوههم النار

من جميع جهاته فهو غاش له وسميت القيامة غاشية لانها تغشى الناس جميعا من الاولين والآخرين او لانها تغشى الناس بالاهوال والشدائد ويجوز ان تكون الغاشية صفة النار بقرينة قوله تعالى وتغشى وجوههم النار وهل بمعنى قد اى قد اتاك خبر القيامة فتنبه لهولها وما فيها من معنى الاستفهام للتقرير وتعظيم المستفهم عنه لانه تعالى عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من احوال الغاشية وحال الناس فيها مالم يكن هو ولا قومه عالمين به على التفصيل ﴿ قوله تعالى وجوه ﴾ مبتدأ وخاشعة خبره ويومئذ ظرف الخبر اى ذليلة يوم اذ غشيت تلك الداهية الناس ولعل وجه صحة الابتداء بالنكرة كون تقدير الكلام اصحاب وجوه بالاضافة الا ان اثر الخشوع والذلة لما كان يظهر فى الوجه اولا حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه قال الامام المراد بالوجوه اصحاب الوجوه وهم الكفار بدليل انه تعالى وصف الوجوه بانها عاملة ناصبة وذلك من صفات المكلف لكون الخشوع انما يظهر فى الوجه فاسند الى ضميره لذلك ﴿ قوله تعمل ماتتعب فيه ﴾ اشارة الى ان ارتفاع كل واحد من الاسمين على انه خبر بعد خبر لوجوه وان ناصبة وان كان خبر وجوه من حيث الاعراب الا انه من حيث المعنى تقييد للعمل بانه من قبيل ماتعبت فيه الوجوه فان ناصبة بمعنى تعبة يقال نصب الرجل ينصب نصبا من باب علم اذا تعب فى العمل واذا كان كل واحد منهما خبر الوجوه يكون قوله يومئذ ظرفا لكل واحد من الاخبار الثلاثة وتكون الاخبار بامرها حاصلة فى الآخرة فان الكفار لما تكبروا فى الدنيا عن عبادة الله تعالى وطاعته كانوا يوم القيامة خاشعين اى ذليلين وعاملين فى النار اعمالا يتعبون فيها * والتلال جمع تل وهو الجبل الصغير والوهاد جمع وهدة وهو المكان المطمئن والوحل بفتح الحاء الطين الرقيق والتسكين لغة رديئة ﴿ قوله او عملت ونصبت ﴾ اشار بلفظ الماضى الى ان المراد بالعمل والنصب ماصدر عنها فى الدنيا والمعنى انها خاشعة فى الآخرة وقد كانت فى الدنيا عاملة ناصبة ولم تنتفع بشئ من عملها ونصبها الصادرين عنها فى الدنيا لكونهما فى غير طاعة الله تعالى فالظاهر على هذا الاحتمال ان يكون قوله عاملة ناصبة خبر مبتدأ محذوف وتكون الجملة فى موضع الحال من ضمير خاشعة والتقدير وهى عاملة تعبة فى الدنيا فيما لم ينتفع به يوم اذ غشيت الداهية الكبرى ﴿ قوله وقرأ ابو عمرو تصلى ﴾ بضم التاء وسكون الصاد على بناء مالم يسم فاعله والباقون بفتح التاء على بناء الفاعل والمنوى فيه على كلتا القراءتين الوجوه وقرئ بضم التاء وفتح الصاد وتشديد اللام ﴿ قوله بلغت اناها ﴾ اى بالغة غايتها فى الحر يقال آن الحميم يأنى اناى انتهى حره والاناء نهاية الحر ﴿ قوله ولعله طعام هؤلاء ﴾ جواب عما يقال قوله تعالى فى هذه السورة ليس لهم طعام الا من ضريع ينافى قوله تعالى فى سورة الحاقة فليس له اليوم ههنا حميم ولا طعام الا من غسلين فان احد الحصرين ينافى الآخر لان الضريع غير الغسلين وايضا كل واحد منهما ينافى قوله تعالى ان شجرة الزقوم طعام الاثيم * وتقرير الجواب ان الدركات متفاوتة على حسب اختلاف المعاصى واهلها من اهل النار فمنهم من طعامه الزقوم ومنهم من طعامه الغسلين ومنهم من طعامه الضريع ومنهم من شرابه الحميم ومنهم من شرابه الصديد لكل باب منهم جزء مقسوم ثم اشار الى جواب آخر بقوله او المراد بهذه الآية حصر طعامهم المقيد بكونه مما تتحاماه الابل وتكرهه ولا تتناوله لمرارته فى الضريع وذلك لاينافى ان يكون لهم نوع آخر من الطعام كالزقوم والغسلين ﴿ قوله ذات بهجة ﴾ اى حسن على ان ناعمة من نعم الشئ بالضم نعومة اى صار ناعما لينا وتكون نعومة الوجوه اى غضاضتها ونضارتها كناية عن التنعم وطيب الحال او على ان بناء ناعمة للنسبة بمعنى ذات نعمة والنعمة فى حق الوجه هو الحسن والبهجة ﴿ قوله رضيت بعملها ﴾ اشارة الى ان السعى بمعنى العمل يقال سعى يسعى سعيا اذا عدا وكذا اذا عمل وكسب والى ان اللام فى قوله لسعيها راضية متعلقة براضية والتقدير راضية لسعيها فلما تقدم المعمول ضعف العامل فجئ باللام فى قوله لسعيها ويجوز ان تكون لام التعليل اى لاجل سعيها فى طاعة الله تعالى راضية جزاءه وثوابه ﴿ قوله والتاء نافع ﴾ لتأنيث لفظ لاغية وقرأ ابن كثير وابو عمرو بالياء لان التأنيث غير حقيقى ولان اللاغية بمعنى اللغو على انها مصدر كالعاقبة ﴿ قوله او كلمة ذات لغو ﴾ على ان تكون لاغية بمعنى النسبة مثل تامر صفة لمؤنث هى الكلمة او النفس واللاغية حينئذ للحدث لا للنسبة ﴿ قوله والتنكير للتعظيم ﴾ اى رفعة شأنها من حيث انها تجرى على وجه الارض من غير اخدود وتجرى بلا انقطاع وتجرى لهم حيث ارادوا اجراءها وماؤها اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل ﴿ قوله رفيعة السمك ﴾ اى عالية الى جهة الفوق فان السمك هو الامتداد الآخذ من اسفل الشئ الى اعلاه اذا جلس المؤمن عليها يرى جميع ما اعطى له فى الجنة من الملك والنعيم او رفعة قدرها من حيث

(وجوه يومئذ خاشعة) ذليلة (عاملة ناصبة) تعمل ماتتعب فيه كجر السلاسل وخوضها فى النار خوض الابل فى الوحل والصعود والهبوط فى تلالها ووهادها او عملت ونصبت فى اعمال لاتنفعها يومئذ (تصلى نارا) تدخلها وقرأ ابو عمرو ويعقوب وابو بكر تصلى من اصلاه الله وقرئ تصلى بالتشديد للمبالغة (حامية) متناهية فى الحر (تسقى من عين آنية) بلغت اناها فى الحر (ليس لهم طعام الا من ضريع) يبس الشبرق وهو شوك ترعاه الابل مادام رطبا وقيل شجرة نارية تشبه الضريع ولعله طعام هؤلاء والزقوم والغسلين طعام غيرهم او المراد طعامهم مما تتحاماه الابل وتتعافاه لضرره وعدم نفعه كما قال (لا يسمن ولا يغنى من جوع) والمقصود من الطعام احد الامرين (وجوه يومئذ ناعمة) ذات بهجة او متنعمة (لسعيها راضية) رضيت بعملها لما رأت ثوابه (فى جنة عالية) علية المحل او القدر (لا تسمع) يا مخاطب او الوجوه وقرأ على بناء المفعول بالياء ابن كثير وابو عمرو ورويس والتاء نافع (فيها لاغية) لغوا او كلمة ذات لغو او نفسا تلغو فان كلام اهل الجنة الذكر والحكم (فيها عين جارية) تجرى ماؤها ولا ينقطع والتنكير للتعظيم (فيها سرر مرفوعة) رفيعة السمك او القدر (واكواب) جمع كوب وهو اناء لاعروة له (موضوعة) بين ايديهم (ونمارق) وسائد جمع نمرقة بالفتح والضم (مصفوفة) بعضها الى بعض (وزرابى) وبسط فاخرة جمع زربى (مبثوثة) مبسوطة

اشتمالها على جميع جهات الحسن و الكمال فى ذواتها و اوصافها لما قرّر الله تعالى امر الغاشية و حكم بان بعض اهلها اشقياء معذبون اشدّ العذاب و بعضهم سعداء منعمون و معلوم ان ذلك يتوقف على ثبوت الصانع القادر على مايشاء اتبع ذلك ذكر مايدل على ثبوته و كمال قدرته فقال أفلا ينظرون الى الابل انكارا على تركهم النظر الى عجائب المخلوقات وحثالهم على النظر و الاعتبار ليتحقق عندهم كمال قدرة الخالق و علمه و حكمته فلا ينكروا اقتداره تعالى على البعث و الفاء فى قوله تعالى أفلا ينظرون للعطف على مقدر بعد همزة الاستفهام اى أيعرضون عن النظر الى مايدل على صحة البعث و قدرته تعالى عليه او الى ماذكر من حديث الغاشية فلا ينظرون الى الابل الخ ﴿ قوله باركة الحمل ﴾ اى باركة لان يحمل عليها ناهضة بالحمل و هو بالكسر ما كان على الظهر و الباء فيه للتعدية اى رافعة له و نهض بمعنى قام و ناء ينوء نوءا اى نهض بجهد و مشقة و ناء بالحمل اذا نهض به و الوقر بالكسر الحمل و يجمع على اوقار كحمل و احمال يعنى ان الحكمة فى طول اعناقها امران احدهما اقتدارها على القيام بالاحمال الثقيلة فانها اذا امالت عنقها الى جانب خلفها ليسهل عليها رفع مقدمها ﴿ قوله الى عشر ﴾ وهو بكسر العين و سكون الشين مابين الوردين و هو ثمانية ايام لانها ترد اليوم العاشر كذا فى الصحاح ﴿ قوله و قيل المراد بها السحاب ﴾ تشبيها بالابل فى كثرة ماينط بها من حاجة الناس كالابل و اطلق الاسم المشبه به عليه مجازا و قرينة المجاز ذكره فى جنب ذكر السماء و الجبال و قوله كيف منصوب بخلقت على حدّ نصبها فى قوله تعالى كيف تكفرون و الجملة بدل من الابل بدل اشتمال لتكون فى محل الجرّ وقد دخلت الى على كيف فى قولهم انظر الى كيف تصنع فيجوز ابدالها مما دخلت عليه كلمة الى قرأ العامة خلقت و رفعت و نصبت و سطحت بضم فاء الفعل و كسر عين الفعل و تاء التأنيث الساكنة مبنيا للمفعول و القائم مقام الفاعل فى كل واحد منها منوى فيه عائد الى ماقبله و قرئ كل واحد منها بفتح الفاء و العين على بناء الفاعل و هو ضمير المتكلم وحده و حذف ضمير المفعول الراجع الى ماقبلها للعلم به و التقدير خلقتها و رفعتها و نصبتها و سطحتها ﴿ قوله و لذلك ﴾ اى و لكون المقصود من حثهم على النظر الى انواع المخلوقات ان يتحقق عندهم اقتداره تعالى على البعث اورده عقيب ذكر امر المعاد و رتب عليه الامر بالتذكير فانه عليه الصلاة و السلام انما ذكرهم بحثهم على النظر فيما يدل على كمال قدرة الله تعالى و علمه و حكمته ثم انه تعالى حصر امره عليه السلام فى التذكير لانه عليه السلام لم يؤمر حينئذ الا بالتذكير و يؤيده قوله لست عليهم بمصيطر فتقتلهم و تكرههم على الايمان ثم نسخها آية القتال و يحتمل ان يكون المراد بالتسلط المنفى التسلط على قلوبهم بان تدخل الايمان فى قلوبهم كرها فلا نسخ ﴿ قوله و عن الكسائى بالسين ﴾ هكذا فى بعض النسخ و هو خطأ لان الكسائى ممن يقرأ بالصاد الخالصة و الصواب و عن هشام و هو ممن يروى عن ابن عامر الشامى فانه قرأ بمسيطر بالسين على الاصل لانه من السطر قال الجوهرى سطر يسطر سطرا اى كتب و المسيطر و المصيطر المسلط على الشئ يشرف عليه و يتعهد احواله و يكتبها عليه و اصله من السطر لان الكتاب مسطر و الذى يفعله مسطر و مسيطر انتهى و قرأ حمزة بخلاف عن خلاد بالصاد و الزاى اى يخلط صوت الصاد بصوت الزاى بحيث يمتزجان فيتولد منهما حرف ليس بصاد و لا زاى و الخلط المذكور اى خلط حرف بحرف احد معانى الاشمام فى عرف القرآء و الباقون بالصاد خالصة ﴿ قوله لكن ﴾ اشارة الى ان الاستثناء منقطع لان المقصود منه اثبات ولاية الله عز و جل و اقتداره على تعذيب من تولى و اعرض عن اجابة دعوته عليه الصلاة و السلام بعد ماننى تسلطه عليه السلام و ليس فيه اخراج بعض من دخل فى المستثنى منه عن حكمه فعلى هذا تكون كلمة من شرطية جزاؤها قوله فيعذبه اى فهو يعذبه الله اذلو كان الجزاء هو نفس الفعل الواقع بعد الفاء لكان مجزوما ﴿ قوله و قيل متصل ﴾ على انه استثناء من الضمير فى عليهم اى لست عليهم بمسيطر الا على من تولى عن الايمان و كفر فانك مسلط عليه بما يؤذن لك من قبله * ولما استشعر ان يقال ان الايمان من اعمال القلب فتسلطه عليه السلام عليهم باكراههم على الايمان تسلطا على القلب بان يقبل الايمان و ذلك ليس فى وسع البشر اذ لا يستولى على القلب احد غير الله * اجاب عنه بان الاستيلاء على جهاد الكفار و قتلهم بمنزلة الاستيلاء عليهم لقبول الايمان لكونه من الاسباب المؤدية الى الايمان ﴿ قوله و كأنه او عدهم بالجهاد فى الدنيا ﴾ جواب عما يقال من ان السورة مكية و انه عليه الصلاة و السلام ما كان مأذونا بالقتال الا بعد الهجرة فكيف يصح حمل الكلام على الاستثناء المتصل المستلزم لان يكون المعنى انت مسلط على من تولى عن الايمان منهم * و محصل الجواب ان الكلام وارد على طريق الوعد له عليه الصلاة و السلام

(أفلا ينظرون) نظر اعتبار (الى الابل كيف خلقت) خلقا دالا على كمال قدرته و حسن تدبيره حيث خلقها لجرّ الاثقال الى البلاد النائية فجعلها عظيمة باركة للحمل ناهضة بالحمل منقادة لمن اقتادها طوال الاعناق لتنوء بالاوقار و ترعى كل نابت و تحتمل العطش الى عشر فصاعدا ليتأتى لها قطع البرارى و المفاوز مع مالها من منافع اخر و لذلك خصت بالذكر لبيان الآيات المنبثة فى الحيوانات التى هى اشرف المركبات و اكثرها صنعا و لانها اعجب ما عند العرب من هذا النوع و قيل المراد بها السحاب على الاستعارة (و الى السماء كيف رفعت) بلا عمد (و الى الجبال كيف نصبت) فهى راسخة لا تميل (و الى الارض كيف سطحت) بسطت حتى صارت مهادا و قرئ الافعال الاربعة على بناء الفاعل المتكلم و حذف الراجع المنصوب و المعنى أفلا ينظرون الى انواع المخلوقات من البسائط و المركبات ليتحققوا كمال قدرة الخالق فلا ينكروا اقتداره على البعث و لذلك عقب به امر المعاد و رتب عليه الامر بالتذكير فقال (فذكر انما انت مذكر) فلا عليك ان لم ينظروا و لم يذكروا اذ ما عليك الا البلاغ (لست عليهم بمصيطر) بمسلط و عن الكسائى بالسين على الاصل و حمزة بالاشمام (الا من تولى و كفر) لكن من تولى و كفر (فيعذبه الله العذاب الاكبر) يعنى عذاب الآخرة و قيل متصل فان جهاد الكفار و قتلهم تسلط و كأنه اوعدهم بالجهاد فى الدنيا و عذاب النار فى الآخرة

باذنه بالقتال والوعيد بالكفار المعاندين لا على طريق الاخبار بانه عليه الصلاة والسلام مسلط عليهم فى الحال
﴿ قوله اى فذكر الامن تولى واصر فانه يستحق العذاب الاكبر ﴾ الظاهر ان من هذه موصولة وتولى صلتها
وكفر عطف عليه والفاء فى فيعذبه سببية دالة على ان التعذيب مرتب على التولى والكفر فسر قوله تعالى فيعذبه
بقوله فانه يستحق العذاب الاكبر وهذا التولى عن الاجابة لما لم ينفعه التذكير صار بمنزلة من لم يذكره عليه الصلاة
والسلام فلذلك استثنى من جملة من امر عليه الصلاة والسلام بتذكيره ﴿ قوله ويؤيد الاول ﴾ وهو ان يكون
الاستثناء منقطعا على معنى لكن الله هو المسيطر عليهم فيعذبهم ووجه التأييد ظاهر وهو يوافق المعنيين حينئذ
بخلاف ما اذا كان الاستثناء متصلا ﴿ قوله وقرئ بالتشديد ﴾ والجمهور على تخفيف ياء ايابهم على انه مصدر
آب يؤوب اذا رجع وقرئ بتشديد الياء وذكر لها وجهين الاول كونه مصدرا على وزن فيعال من أيب على وزن
فيعل نحو حوقل حيقالا وبيطر بيطارا اصله ايواب فلما اجتمعت الواو والياء وسبقت احداهما بالسكون قلبت
الواو ياء وادغمت الياء فى الياء فصار ايابا والثانى كونه مصدرا على وزن فعال نحو كلم كلاما اصله اوواب قلبت
الواو الاولى ياء لسكونها وانكسار ما قبلها كما فى ديوان اصله دووان فصار ايوابا ثم فعل ما مر فصار ايابا وقوله تارة
من الاياب وتارة من الاوب لمجرد التفنن لان كل واحد من الاوب والاياب مصدر آب بمعنى رجع يقال آب يؤوب
اوبا واوبة وايابا * تمت سورة الغاشية والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد النبى الامى وعلى آله
وصحبه وسلم

﴿ سورة الفجر مكية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ قوله اقسم بالصبح او فلقه ﴾ الاول على ان يكون الفجر اسما بمعنى الصبح وهو اول وقت ظهور ضوء الشمس
فى جانب المشرق ويطلق الفجر ايضا على نفس ذلك الضوء وهو قول الجوهرى الفجر فى آخر الليل كالشفق فى اوله
والثانى على ان يكون الفجر مصدرا بمعنى انفجار الظلمة عن النهار وانشقاقها عنه بان يشقها الضوء المذكور يقال
فلقت الشئ فلقا اى شققته اقسم الله تعالى بما يحصل من انقضاء الليل وظهور الضوء وانتشار الناس وسائر
الحيوانات فى طلب الارزاق وذلك مشاكل لنشور الموتى وفيه عبرة عظيمة لمن تأمل فيه فان الشئ انما يقسم به
اذا كان فيه فائدة دينية مثل كونه دليلا باهرا على التوحيد او على صحة البعث والجزاء ونحوهما او فائدة دنيوية
تحمل المكلف على شكر نعمة الله تعالى او مجموعهما كالفجر فانه مشتمل على مجموع الفائدتين المذكورتين شبه قوله
تعالى والفجر بقوله والصبح اذا تنفس من حيث ان الصبح جعل مقسما به فى كل واحد منهما واشار به الى ان المختار
عنده كون الفجر بمعنى الصبح لا بمعنى الفلق والشق ﴿ قوله او بصلاته ﴾ اما بتقدير المضاف او بان يراد بالفجر
ما وقع فيه على طريق اطلاق اسم المحل وارادة الحال اقسم بصلاة الفجر لكونها ما وقع فى اول اليوم من اعمال المكلفين
وبادروا اليها والى مقدماتها اول يومهم ولان ملائكة الليل والنهار يجتمعون لاستماع ما فيها من القرآن كما قال تعالى
ان قرآن الفجر كان مشهودا اى تشهده ملائكة الليل والنهار لاستماع القرآن فيه واقسم بعشر ذى الحجة لانها
ايام الاشتغال بمناسك الحج واعماله والحج المبرور من افضل الاعمال وانه كفارة لذنوب العمر وفى الخبر ما يوم من ايام
العمل الصالح افضل من ايام التشريق ﴿ قوله ولذلك ﴾ اى ولاجل ان فسر الليالى العشر بعشر ذى الحجة
لم يفسر الفجر بفجر كل يوم بل فسر بفجر يوم معين وهو فجر عرفة او فجر يوم النحر لان الحجاج يقفون بعرفات يوم عرفة
متوجهين الى الرب الكريم راجين عفوه وغفرانه وان يتفضل عليهم بانواع فضله ورحمته وهو موقف عظيم لا يخيب
فيه الآملون وفى الحديث الحج عرفة وكذا يوم النحر يوم عظيم يريق الحجاج فيه الدماء فداء لانفسهم ويطوفون
فيه طواف الزيارة الذى هو باقى اركان الحج بعد الحلق ورمى الجمار وروى ان يوم النحر يوم الحج الاكبر فاستحق
كل واحد من اليومين لان يقسم به وكان ذكر الفجر بجنب الليالى العشر قرينة تخصيصه باحد اليومين
﴿ قوله او عشر رمضان ﴾ عطف على عشر ذى الحجة فانها ايضا ليال شريفة لما فيها من ليلة القدر التى هى خير
من الف شهر فانه قد ورد فى الخبر المطبوع هاى العشر الاخير من رمضان وكان عليه الصلاة والسلام اذا دخل العشر
الاخير من رمضان شد المئزر وايقظ اهله وكف عن قربانهن وامرهن بالتهجد ﴿ قوله وتنكيرها للتعظيم ﴾
جواب عما يقال ما بال الليالى العشر جاءت منكرة من بين ما اقسم به مع حصول الجواب انها لو وقعت بلام العهد لكونها

(معلومة)

وقيل هو استثناء من قوله فذكر اى فذكر الا
من تولى واصر فانه يستحق العذاب الاكبر وما
بينهما اعتراض ويؤيد الاول انه قرئ الا على
التنبيه (ان الينا ايابهم) رجوعهم وقرئ
بالتشديد على انه فيعال مصدر أيب فيعل من
الاياب او فعال من الاوب قلبت واوه الاولى
قلبها فى ديوان ثم الثانية للادغام (ثم ان علينا
حسابهم) فى المحشر وتقديم الخبر للتخصيص
والمبالغة فى الوعيد * عن النبى عليه الصلاة
والسلام من قرأ سورة الغاشية حاسبه الله
حسابا يسيرا

﴿ سورة الفجر مكية وآيها تسع وعشرون ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والفجر) اقسم بالصبح او فلقه كقوله
والصبح اذا تنفس او بصلاته (وليال عشر)
عشر ذى الحجة ولذلك فسر الفجر بفجر عرفة
او النحر او عشر رمضان الاخير وتنكيرها
للتعظيم

معلومة معهودة فى نفسها لما تضمنت الفضيلة التى تستفاد من التنكير ﴿ **قوله** على ان المراد بالعشر الايام ﴾ الا ان الظاهر على هذا ان يقال عشرة ايام لان الايام مذكر قال تعالى سبع ليال وثمانية ايام ﴿ **قوله** والاشياء كلها ﴾ عبر عنها بالشفع والوتر لان اجناس الاشياء وانواعها واشخاصها اما شفع او وتر ولا يتصور خلوها عنهما معا فصح ان يعبر بمجموع الشفع والوتر عن الاشياء كلها وكذا صح ان يعبر به عن المخلوقات بأسرها وعن خالقها لانه تعالى خلقها زوجين ذكرا وانثى ناطقا وصامتا كافرا ومؤمنا قادرا وعاجزا باردا وحارا رطبا ويابسا فلكيا وعنصريا الى غير ذلك وخالقها فرد واحد لاتعدد فيه بوجه تما ﴿ **قوله** ومن فسرهما الى قوله او اكثر منفعة موجبة للشكر ﴾ لما فسر بمجموع الاشياء بالشفع والوتر اولا ثم فسر الشفع بالمخلوقات كلها والوتر بذات الخالق وكان ماذكره المفسرون فى تفسير الشفع والوتر تخصيصا بلا مخصص اشار الى انهم لايدعون بما ذكروه انحصار مدلولهما فى ذلك وانما خصوا بالذكر من انواع مدلولهما مارأوه اظهر دلالة على التوحيد كالعناصر والافلاك والبروج والسيارات اذ لامدخل فيها لغيرها اومدخلا فى الدين كالصلوات شفعها ووترها اومناسبة لما قبلها كيومى النحر وعرفة او اكثر منفعة موجبة للشكر كالاعضاء والقلب والشفتين واللسان وكالعناصر والافلاك والبروج والسيارات فان منافعها اكثر من ان تحصى الاترى ان انتظام احوال الحيوانات بأسرها منوط بالفصول الاربعة وان ثبت من الشارع تفسير الشفع والوتر ببعض ماذكره المفسرون فالظاهر انه ليس مبنيا على تخصيص مدلول اللفظ به بل انه وارد على طريق التمثيل بما رأى فى تخصيصه بالذكر فائدة معتدا بها فلنذكر بعض ماذكره المفسرون فى تفسيرهما فان منهم من فسر الشفع بالعناصر الاربعة والوتر بالافلاك التسع ومنهم من فسر الشفع بالبروج الاثنى عشر والوتر بالسيارات السبع ومنهم من فسر الشفع بما كان شفعا من الصلوات وهو ماعدا صلاة المغرب والوتر بما كان وترا منها وهو صلاة المغرب والوتر على قول ومنهم من فسر الشفع بيوم النحر لانه عاشر ايام الليالى العشر والوتر بيوم عرفة لانه تاسع تلك الايام وقد روى عنه عليه الصلاة والسلام انه فسرهما بذلك حيث قال العشر عشر الاضحى والوتر يوم عرفة والشفع يوم النحر وقال عليه الصلاة والسلام « بعضها شفع وبعضها وتر » ومنهم من فسرهما بغير ماذكر ثم اختلفوا فى ذلك الغير فقال بعضهم الشفع اليومان اللذان بعد يوم النحر والوتر هو اليوم الثالث بعدهما ثم قال حمل الشفع والوتر على ماقلنا اولى من حملهما على يومى النحر وعرفة لان يومى النحر وعرفة قد اقسم بهما فى قوله وليال عشر اذا فسرت بعشر ذى الحجة فحمل الشفع والوتر عليهما يستلزم التكرار فى القسم بهما ولان بعض اعمال الحج انما تحصل فى هذه الايام التى بعد يوم النحر وقال البعض الآخر الشفع آدم وحوآء والوتر مريم وقال آخرون الشفع العيون الاثنتا عشرة التى فجرها الله تعالى من حجر موسى عليه الصلاة والسلام للاسباط والوتر الآيات التسع المذكورة بقوله تعالى ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات وقيل الشفع ايام عاد والوتر لياليهم كما قال تعالى سخرها عليهم سبع ليال وثمانية ايام حسوما وقيل الشفع الاعضاء والوتر القلب قال الله تعالى ماجعل الله لرجل من قلبين فى جوفه وقيل الشفع الشفتان والوتر اللسان قال ولسانا وشفتين وقيل الشفع السجدتان والوتر الركوع وقيل فى تفسيرهما غير ذلك ولاوجه لتطويل الكلام بذكره قرأ حمزة والكسائى والوتر بكسر الواو والباقون بفتحها قيل فتحها لغة اهل الحجاز والكسر لغة تميم ﴿ **قوله** والتقييد بذلك لما فى التعاقب من قوة الدلالة على كمال القدرة ووفور النعمة ﴾ فان اصل الدلالة عليهما تحصل بمجرد ذكر الليل بدون التعرض لانقضائه بظهور ضوء النهار وذلك لان سلخ ضوء النهار من الليل وادخال الخلق تحت لباس الظلام بغروب الشمس آية دالة على كمال القدرة وفيه ايضا نعمة جليلة للناس حيث يستترون بظلمة الليل ويستريحون بالنوم وبالتعرض لانقضاء الليل وتعاقب النهار عليه تقوى تلك الدلالة فان آية الليل اذا محيت مع كونها محيطة بجميع اقطار العالم بانبساط آية النهار وشيوعها تجدد البرهان القاطع الدال على كمال القدرة والاحسان الشامل لجميع الحيوانات لانهم يصيرون بذلك كأنهم اعيد لهم الحياة بعد الموت ويمشون بذلك لطلب الارزاق الممدة للحياة الفانية التى يتوسل بها الى سعادة الدارين * فان قيل القسم بالليل اذا يسر يغنى عن القسم بليال عشر * قلنا المقسم به فى قوله والليل اذا يسر هو الليل باعتبار سيره ومضيه وفى قوله وليال عشر هو الليالى بلا اعتبار مضيها بل باعتبار خصوصية اخرى فلا يغنى احدهما عن الآخر ﴿ **قوله** او يسرى فيه ﴾ فيكون الكلام من قبيل ما اسند فيه الفعل الى زمانه مثل صام نهاره اى صام هو فيه وقام ليله اى قام فيه وتقييد الليل بالسرى بهذا المعنى لان السير

وقرئ وليال عشر بالاضافة على ان المراد بالعشر الايام (والشفع والوتر) والاشياء كلها شفعها ووترها او والخلق كقوله تعالى ومن كل شئ خلقنا زوجين والخالق لانه فرد ومن فسرهما بالعناصر والافلاك والبروج والسيارات اوشفع الصلوات ووترها اويومى النحر وعرفة وقد روى مرفوعا اوبغيرها فلعله افرد بالذكر من انواع المدلول مارآه اظهر دلالة على التوحيد اومدخلا فى الدين اومناسبة لما قبلها او اكثر منفعة موجبة للشكر وقرأ حمزة والكسائى والوتر بفتح الواو وهما لغتان كالحبر والحبر (والليل اذا يسر) اذا يمضى كقوله والليل اذا ادبر والتقييد بذلك لما فى التعاقب من قوة الدلالة على كمال القدرة ووفور النعمة اويسرى فيه من قولهم صلى المقام وحذف الياء للاكتفاء بالكسرة تخفيفا

وقد خصه نافع وابو عمرو بالوقف لمراعاة الفواصل ولم يحذفها ابن كثير ويعقوب اصلا وقرئ يسر بالتنوين المبدل من حرف الاطلاق (هل فى ذلك) القسم او المقسم به (قسم) حلف او محلوف به (لذى حجر) عقل سمى به لانه يحجر عما لا ينبغى كما سمى عقلا ونهية وحصاة من الاحصاء وهو الضبط والمقسم عليه محذوف وهو لتعذبن يدل عليه قوله (ألم تر كيف فعل ربك بعاد) يعنى اولاد عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح قوم هود سموا باسم ابيهم كما سمى بنوا هاشم باسمه (ارم) عطف بيان لعاد على تقدير مضاف اى سبط ارم او اهل ارم ان صح انه اسم بلدتهم وقيل سمى اوآئلهم وهم عاد الاولى باسم جدهم ومنع صرفه للعلمية والتأنيث (ذات العماد) ذات البناء الرفيع او القدود الطوال او الرفعة والثبات وقيل كان لعاد ابنان شداد وشديد فملكا وقهرا ثم مات شديد فخلص الامر لشداد وملك المعمورة ودانت له ملوكها فسمع بذكر الجنة فبنى على مثالها فى بعض صحارى عدن جنة وسماها ارم فلما تمت سار اليها باهله فلما كان منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله عليهم صيحة من السماء فهلكوا وعن عبد الله بن قلابة انه خرج فى طلب ابل له فوقع عليها (التى لم يخلق مثلها فى البلاد) صفة اخرى لارم والضمير لها سوآء جعلت اسم القبيلة او البلدة (وثمود الذين جابوا الصخر) قطعوه واتخذوه منازل كقوله وتنحتون من الجبال بيوتا (بالواد) وادى القرى (وفرعون ذى الاوتاد) لكثرة جنوده ومضاربهم التى كانوا يضربونها اذا نزلوا او لتعذيبه بالاوتاد

فيه حافظا لمسار من حر الشمس فان السفر مع مقاساة حر الشمس اشد على النفس ومن شر قطاع الطريق غالبا لانهم مشغولون بالنوم فى الليل غالبا وقيل المراد بالليل اذا يسرى فيه ليلة النحر فان الحاج تسرى فيها الى المزدلفة بعد الافاضتهم من عرفات حين غربت الشمس وهم فيها والعامل فى اذا معنى القسم اى اقسم بالليل اذا مضى او يسرى فيه ﴿قوله وقد خصه نافع الخ﴾ ههنا ثلاث قرآءات الاولى حذف الياء وصلا ووقفا وهى قرآءة الكوفيين وابن عامر الشامى والثانية حذفها وقفا لا وصلا وهى قرآءة نافع وابى عمرو والثالثة عدم حذفها فى الحالين وهى قرآءة ابن كثير ويعقوب وجه الحذف مطلق التخفيف ومراعاة الفواصل مع الاكتفاء بدلالة كسرة الرآء عليها ووجه الاثبات مطلقا ان الياء لام الفعل لا تحذف فى الفعل حال الوقف فضلا من حال الوصل فيقال هو يقضى ويغزو والارض ووجه الحذف فى الوقف مراعاة الفواصل مع التخفيف والاكتفاء بالكسرة دون الوصل لانها لام الفعل والاصل فيها ان لا تحذف ﴿قوله وقرئ يسر بالتنوين المبدل الخ﴾ فان تنوين الترنم يلحق القوافى فى الاسم والحرف والفعل بدلا من حرف الاطلاق اى من حرف المد واللين لترك الترنم فان الالف والواو والياء الواقعة فى القوافى يترنم بها لما فيها من المد فيبدل منها التنوين اذا قطع الترنم لخلو التنوين من المد فاضافة هذا التنوين الى الترنم لادنى الملابسة لانها ليست لاجل الترنم بل لقطعه ❊ فان قيل فما فائدة قوله تعالى هل فى ذلك قسم لذى حجر بعد ان اقسم بالاشياء المذكورة ❊ قلنا هى زيادة التأكيد والتحقيق للمقسم عليه كمن ذكر حجة باهرة ثم قال هل فيما ذكرته حجة ﴿قوله يدل عليه قوله الم تر كيف فعل﴾ فانه لما اقسم الله تعالى بامور عظام ولم يذكر المقسم عليه ذهب الوهم الى كل مذهب ثم ذكر على طريق الاستفهام التقريرى ما يدل على تعذيب المعاندين المغرورين بما اوتوا من الحظوظ العاجلة دل ذلك على ان المقسم عليه المحذوف هو مثل قوله لتعذبن الكافرين وقيل جواب القسم هو قوله تعالى ان ربك لبالمرصاد ﴿قوله تعالى الم تر﴾ ليس من رؤية البصر لانه عليه الصلاة والسلام لم يربصره ما فعل بهم بل هو بمعنى الم تعلم وعبر عن العلم بالرؤية لان اخبارهم لما كانت منقولة بالتواتر الذى يفيد العلم الضرورى بالخبر عنه نزل ذلك العلم منزلة العلم الحاصل بالمشاهدة ﴿قوله على تقدير مضاف﴾ لان القبيلة المسماة بعاد انما يصح تسميتها بارم اذا كان ارم اسم جدها فلا بد من كون التقدير سبط ارم فان السبط اولاد الاولاد فعلى هذا يكون عاد وارم عبارتين عن طائفة واحدة هى قوم هود عليه السلام غاية ما فى الباب انهم سموه تارة باسم ابيهم وتارة باسم جدهم وعطف عليه قوله وقيل سمى اوائلهم يعنى قبيل الاولين من اولاد عاد بن عوص بعاد الاولى وارم تسمية لهم باسم جدهم وقيل لمن بعدهم عاد الاخيرة فارم فى قوله تعالى بعاد ارم عطف بيان لعاد ايذانا بانهم عاد الاولى القديمة كقوله وانه اهلك عادا الاولى ﴿قوله ذات البناء الرفيع﴾ وهو ما بناه شداد بن عاد زاعما انه على مثال الجنة بناه فى ثلاثمائة سنة وكان عمره سبعمائة سنة وهى مدينة عظيمة رفيعة لم يخلق مثلها فى البلاد قصورها من الذهب والفضة واساطينها من الزبرجد والياقوت وفيها اصناف الاشجار والانهار وجاز وصف ارم بذات القدود الطوال ايضا لما روى ان قد احدهم اثنا عشر ذراعا واكثر من ذلك وفى تفسير الكواشى قالوا كان طول الطويل منهم اربعمائة ذراع وكان احدهم يأخذ الصخرة العظيمة فيقلبها على الحى فيهلكهم وجاز وصفها ايضا بذات الرفعة والثبات لسيادتهم وكونهم عمادا لقومهم يقال فلان عماد القوم وعمودهم اى سيدهم وثبات اعمارهم وسعة ارزاقهم ﴿قوله بعث الله تعالى عليهم صيحة من السماء فهلكوا﴾ ولم يدخل ارم احد منهم ولا من غيرهم حتى الساعة غير عبد الله بن قلابة فانه خرج فى طلب ابل له فوصل الى جنة شداد فدخلها فحمل ماقدر على حمله مما هناك من الجواهر وغيرها وبلغ خبره معاوية فاستحضره فقص عليه ما رأى فبعث معاوية الى كعب فسأله فقال هى ارم ذات العماد وسيدخلها رجل من المسلمين فى زمانك احمر اشقر قصير على حاجبه خال وعلى عقبه خال يخرج فى طلب ابل له ثم التفت فأبصر ابن قلابة فقال هذا والله ذلك الرجل ﴿قوله والضمير لها سوآء جعلت اسم القبيلة او البلدة﴾ فالمعنى على الاول لم يخلق مثل تلك القبيلة فى القوة وطول العمر وهم الذين قالوا من اشد منا قوة وعلى الثانى لم يخلق مثل مدينة شداد فى جميع بلاد الدنيا ﴿قوله ومضاربهم﴾ جمع مضروبة خيمة مضروبة كما ان فى جمع مقصورة ومن كثرت خيامه كثرت اوتاده ﴿قوله او لتعذيبه بالاوتاد﴾ روى عن ابن عباس رضى الله عنه ان خازن فرعون كان رجلا مؤمنا يكتم ايمانه وكذا امرأته فبينما هى ذات يوم تمشط رأس بنت فرعون اذ سقط المشط من يدها فقالت تعس من كفر بالله تعالى

فقالت بنت فرعون وهل لك اله غير ابي فقالت الهي واله ابيك واله السموات والارض واحد لاشريك له فقامت البنت فدخلت على ابيها وهي تبكي فقال ما يبكيك قالت الماشطة امرأة خازنك تزعم ان الهك والهها واحد لاشريك له فأرسل اليها فسألها عن ذلك فقالت صدقت فقال ويحك اكفري بالهك وأقري بأني الهك قالت لاافعل فمدها بين اربعة اوتاد ثم ارسل عليها الحيات والعقارب وقال لها اكفري بالهك والاعذبنك بهذا العذاب شهرين فقالت لو عذبتني سبعين شهرا ما كفرت برب العالمين وكان لها ابنتان فجاء بابنتها الكبرى فذبحها على صدرها وقال لها اكفري بالهك والاذبحت الصغرى على فيك وكانت رضيعة فقالت لو ذبحت جميع من على الارض على فيّ ما كفرت بالله تعالى فأتى بابنتها فلما اضجعت على صدرها وارادوا ذبحها جزعت المرأة فأطلق الله تعالى لسان ابنتها فتكلمت وقالت يا اماه لاتجزعي فان الله تعالى قد بنى لك بيتا في الجنة اصبري فانك تفضي الى رحمة الله تعالى وكرامته فذبحت فلم تلبث ان ماتت فاسكنها الله تعالى الجنة وكان فرعون قد تزوج امرأة من اجمل نساء بني اسرائيل يقال لها آسية بنت مزاحم فرأت ماصنع فرعون بالماشطة فقالت في نفسها كيف يسعني ان اصبر على مايفعل فرعون وانا مسلمة وهو كافر فبينما هي تؤامر نفسها اذ دخل عليها فرعون فجلس قريبا منها فقالت يافرعون انت شر الخلق واخبثهم عمدت الى الماشطة فقتلتها قال فلعل بك الجنون الذي كان بها قالت مابي من جنون وانما المجنون من يكفر بالله الذي له ملك السموات والارض ومابينهما وحده لاشريك له وهو على كل شئ قدير فمدها بين اربعة اوتاد يعذبها ففتح الله تعالى لها بابا الى الجنة ليهوّن لها مايصنع بها فرعون فعند ذلك قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة ﴿قوله صفة للمذكورين﴾ فيكون مجرور المحل لكون بعض المذكورين قبله مجرورا بالباء وبعضه معطوفا عليه وتقديم هذا الوجه يدل على انه المختار عنده من حيث ان الوجه الثاني يحتاج الى حذف العامل وهو اعني والوجه الثالث يحتاج الى حذف المبتدأ فما اختاره المصنف احسن بحسب اللفظ واختار صاحب الكشاف كونه منصوبا على الذم بتقدير اعني لكونه صريحا في الذم والمقام مقام الذم فهو احسن من حيث المعنى ﴿قوله ماخلطلهم من انواع العذاب﴾ فسر سوط العذاب بانواع العذاب المختلف بعضها بمعنى التفاف طاقات السوط الذي يضرب به فسوط عذاب من باب التشبيه البليغ والعذاب بمعنى مايعذب به والاضافة بمعنى من اي فصب عليهم ماهو كالسوط من العذاب ﴿قوله وقيل شبه بالسوط ماحل بهم﴾ فاضافة السوط الى العذاب من قبيل اضافة المشبه به الى المشبه كما في لجين الماء والصب مستعار للانزال والمعنى انزل عليهم عذابا في الدنيا بالنسبة الى عذاب الآخرة كالسوط بالنسبة الى السيف ﴿قوله يترقب فيه الرصد﴾ وهو بفتحتين جمع راصد كالحرس جمع حارس والراصد الراقب والمترصد المترقب وصيغة مفعال قد تكون اسم مكان كالمضمار فانه اسم للمكان الذي يضمر فيه الخيل والمنهاج اسم للمكان الذي ينهج فيه وقد تكون للمبالغة كالمعطار والمطعان لمن يكثر من هذه الافعال والمرصاد ههنا يتعين ان يكون اسما للمكان الذي يترقب فيه الرصد بقرينة الباء الدالة على الظرفية قيل لبعض العرب اين ربك فقال بالمرصاد ﴿قوله وهو تمثيل لارصاده العصاة بالعقاب﴾ اي لاعداده لعصاة العقاب على ان الارصاد بمعنى الاعداد وهو يتعدى الى مفعولين الى احدهما بنفسه والى الآخر باللام يقال اعدّ العقاب لعصاة وههنا لماعدّي الارصاد الى العصاة بنفسه حيث قال لارصاده العصاة بنصب العصاة عدّي الى العقاب بالباء * الجوهري رصدته ارصده اي رقبته ارقبه وارصدت له اي اعددت له والحاصل ان قوله تعالى ان ربك لبالمرصاد استعارة تمثيلية شبه حاله تعالى في كونه حفيظا لاعمال العباد ومجازيا عليها على النقير والقطمير ولا محيد للعباد عن موقف حسابه الا اليه بحال من قعد على طريق السابلة يترصدهم ليظفر بالجاني اولاخذ المكس اونحو ذلك ولامخلص لهم عن المرور عليه فاطلق على الحالة المشبهة مايعبر به عن الحالة المشبه بها ﴿قوله كأنه قيل انه بالمرصاد من الآخرة﴾ اي من اجل الآخرة وجزائها فيجب ان يهتم الانسان بامر الآخرة ويسعى لها لكنه لايهتم الابامر الدنيا ولايخطر بباله امر الآخرة بالكلية مع انه تعالى تكفل برزقه واعدّ لعصاة عذابا اليما وكل واحد من الغنى والفقر ابتلاء منه تعالى اما الاوّل فبأنه أيشكر ام يكفر واما الثاني فبأنه أيصبر ام يجزع ويقول الانسان اذا افتقر به اكرمني ربي بما اعطاني يظن ان مااعطاه ربه من الدنيا لكرامته عليه ويقول اذا افقره اهانني ربي وهذا من صفة الكافر فانه يظن ان الكرامة والهوان بكثرة الحظ من الدنيا وقلته بخلاف المؤمن فان الاكرام عنده هو توفيق الله تعالى

(الذين طغوا في البلاد) صفة للمذكورين عاد وثمود وفرعون او ذم منصوب او مرفوع (فاكثروا فيها الفساد) بالكفر والظلم (فصب عليهم ربك سوط عذاب) ماخلطلهم من انواع العذاب واصله الخلط وانما سمي به الجلد المضفور الذي يضرب به لكونه مخلوط الطاقات بعضها ببعض وقيل شبه بالسوط ماحل بهم في الدنيا اشعارا بانه بالقياس الى مااعدلهم في الآخرة من العذاب كالسوط اذا قيس الى السيف (ان ربك لبالمرصاد) المكان الذي يترقب فيه الرصد مفعال من رصده كالميقات من وقته وهو تمثيل لارصاده العصاة بالعقاب (فأما الانسان) متصل بقوله ان ربك لبالمرصاد كأنه قيل انه لبالمرصاد من الآخرة فلايريد الا السعي لها فأما الانسان فلايهمه الا الدنيا ولذاتها (اذا ماابتلاه ربه) اختبره بالغنى واليسر (فأكرمه ونعمه) بالجاه والمال (فيقول ربي اكرمني) فضلني بما اعطاني وهو خبر المبتدأ الذي هو الانسان والفاء لما في أمّا من معنى الشرط والظرف المتوسط في تقدير التأخير كأنه قيل فأما الانسان فقائل ربي اكرمني وقت ابتلائه بالانعام وكذا قوله

(واما اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه) اذ التقدير واما الانسان اذا ما ابتلاه اى بالفقر والتقتير ليوازن قسيمه (فيقول ربى اهانن) لقصور نظره وسوء فكره فان التقتير قد يؤدى الى كرامة الدارين اذ التوسعة قد تفضى الى قصد الاعداء والانهماك في حب الدنيا ولذلك ذمه على قوليه وردعه بقوله (كلا) مع ان قوله الاول مطابق لأكرمه ولم يقل فأهانه وقدر عليه كما قال فاكرمه ونعمه ولان التوسعة تفضل والاخلال به لا يكون اهانة وقرأ ابن عامر والكوفيون اكرمن واهانن بغير ياء فى الوصل والوقف وعن ابى عمرو مثله ووافقهم نافع فى الوقف وقرأ ابن عامر فقدر بالتشديد (بل لا يكرمون اليتيم ولا يحضون على طعام المسكين) اى بل فعلهم اسوء من قولهم وادل على تهالكهم بالمال وهو انهم لا يكرمون اليتيم بالتفقد والمبرة ولا يحثون اهلهم على طعام المسكين فضلا عن غيرهم وقرأ الكوفيون ولا تحاضون (وتأكلون التراث) الميراث واصله وراث (اكلا لما) ذا لم اى جمع بين الحلال والحرام فانهم كانوا لا يورثون النساء والصبيان ويأكلون انصباءهم او يأكلون ماجمعه المورث من حلال وحرام عالمين بذلك (وتحبون المال حبا جما) كثيرا مع حرص وشره وقرأ ابو عمرو وسهل ويعقوب لا يكرمون الى ويحبون بالياء والباقون بالتاء (كلا) ردع لهم عن ذلك وانكار لفعلهم وما بعده وعيد عليه (اذا دكت الارض دكا دكا) دكا بعد دك حتى صارت منخفضة الجبال والتلال او هباء منبثا (وجاء ربك) اى ظهرت آيات قدرته وآثار قهره مثل ذلك بما يظهر عند حضور السلطان من آثار هيبته وسياسته (والملك صفا صفا) بحسب منازلهم ومراتبهم (وجيء يومئذ بجهنم) كقوله وبرزت الجحيم وفى الحديث يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها (يومئذ) بدل من اذا دكت والعامل فيهما (يتذكر الانسان) اى يتذكر معاصيه او يتعظ لانه يعلم قبحها فيندم عليها (وأنى له الذكرى) اى منفعة الذكرى لئلا يناقض ما قبله واستدل به على عدم وجوب قبول التوبة فان هذا التذكير توبة غير مقبولة (يقول ياليتنى قدمت لحياتى) اى لحياتى هذه او وقت حياتى فى الدنيا اعمالا صالحة وليس فى هذا التمنى دلالة على استقلال العبد بفعله فان المحجور عن الشئ قد يتمنى ان كان ممكنا منه (فيومئذ لا يعذب عذابه احد ولا يوثق وثاقه احد) الهاء لله تعالى اى لا يتولى عذاب الله ووثاقه يوم القيامة سواه اذ الأمر كله له او للانسان اى لا يعذب احد من الزبانية مثل ما يعذبونه وقرأهما الكسائى ويعقوب على بناء المفعول

(المتحات)

لشقاعته والهوان حرمانه منها والعياذ بالله تعالى والانسان مبتدأ وقوله فيقول خبره واذا لمجرد الظرفية معمول للخبر لكونه مؤخرا عنه تقديرا ﴿قوله والانهماك فى حب الدنيا﴾ فان كثرة الممارسة بالشئ تورث تأكد المحبة به فان من احب شيأ اشتغل به واعرض عما يقطعه عنه فالتوسعة تؤدى الى الاعراض عن اكتساب ما يؤدى الى سعادة الآخرة فكان كل واحد من قوليه وهما قوله التقتير اهانة وقوله التوسعة اكرام مذموما مع ان قوله التوسعة اكرام صادق فى نفسه لانه تعالى صدقه حيث قال فأكرمه ﴿قوله ولم يقل فأهانه﴾ عطف على قوله ذمه على قوليه يعنى انه تعالى لما قال فى الجملة الاولى فأكرمه ونعمه كان الظاهر ان يقول فى قسيمه فأهانه وقدر عليه ولم يقل كذلك لما ذكره من ان التقتير والتضييق ليس باهانة بل قد يؤدى الى كرامة الدارين بخلاف التوسعة والتفضيل بالمال والجاه فانه اكرام فى نفسه وهو صادق فى قوله ربى اكرمنى ولكنه ذمه على قول ذلك لا لكونه كاذبا فيه بل لسوء فكرته حيث ظن انه تعالى انما فضله بذلك لكرامته عليه ولم يعلم انه تعالى كثيرا ما يوسع على العصاة والكفرة لانه يفعل ما يشاء ويكون ذلك استدراجا ومكرا الهيا فى حقهم ﴿قوله ولان التوسعة تفضل﴾ عطف على قوله ولذلك ذمه على قوليه وحاصله ان الانكار والذم لا يتوجه الى قوله ربى اكرمنى وانما يتوجه الى قوله ربى اهانن كأنه قيل الانسان اذا اكرمه ربه وتفضل عليه اعترف بالاكرام واذا لم يتفضل عليه سمى ترك التفضل هوانا وليس بهوان ﴿قوله وقرأ ابن عامر فقدر بالتشديد﴾ تقدير الرزق ترك التوسع فيه بجعله على مقدار البلغة ﴿قوله اى بل فعلهم اسوأ من قولهم﴾ يعنى ان بل هنا للاضراب عن ذمهم على قولهم الى ما هو ادخل فى الذم كأنه قيل دع ذكر قولهم فان عندهم ما هو شر منه وهو انه تعالى يكرمهم بتكثير المال وهم لا يتفقدون احوال الايتام وعبر عن التروك والافعال بقوله بل فعلهم اسوء تغليبا للافعال على التروك ﴿قوله وقرأ الكوفيون ولا تحاضون﴾ اصله تتحاضون فحذفت احدى التاءين اى لا يحض ولا يحث بعضكم بعضا على الطعام جنس المسكين ومن لا يحض غيره على اطعام المسكين فان لا يطعمه بنفسه اولى ﴿قوله اى جمع بين الحلال والحرام﴾ فان من جمع فى الاكل بين نصيبه ونصيب النسوان والصبيان فقد جمع بين الحلال والحرام فى الاكل ﴿قوله قرأ ابو عمرو وسهل ويعقوب الخ﴾ اى قرأوا الافعال الاربعة بياء الغيبة على اسنادها الى ضمير الانسان المقدم ذكره وجمع الضمير الراجع اليه مع انه افرد فى قوله اذا ما ابتلاه ربه من حيث انه مفرد لفظا وهو ظاهر وجمع معنى لان المراد به الجنس فبالنظر الى الثانى جمع وقرأ الباقون بتاء الخطاب للانسان على طريق الالتفات للمبالغة فى الذم فان الذم مواجهة ابلغ من الذم فى الغيبة ويحتمل ان يكون مبنى القراءة بتاء الخطاب على تقدير قل اى قل لهم يا محمد كذا وكذا تحقيرا لهم وتنزيلا عن مقام الخطاب ثم انه تعالى ردعهم عن هذه الافعال الذميمة بقوله كلا ثم اوعدهم عليها بقوله اذا دكت الارض الى قوله يا أيتها النفس فانه اذا جاء يوم موصوف بصفات ثلاث فانه تحصل له حينئذ الندامة على ما صدر منه ويتمنى ان لو كان افنى عمره فى التقرب الى الله تعالى بالاعمال الصالحة والمواساة بالمال قال الجوهرى الدك الدق ويقال دككت الشئ ادكه دكا اذا ضربته وكسرته حتى سويته بالارض والدك سنام البعير اذا افترش فى ظهره فمعنى الآية اذا كسر ما على الارض من جبل وبناء وشجر حين زلزلت فاستوت جبالها وما كان مرفوعا عليها دكا بعد دك ﴿قوله مثل ذلك﴾ لما تعذرت الحقيقة حمل الكلام على التمثيل بان مثل حاله تعالى فى ظهور آيات قدرته وآثار قهره وسلطانه بحال السلطان اذا حضر بنفسه فانه حينئذ يظهر من آثار هيبته وسياسته ما لم يظهر بحضور وزرائه وسائر خواصه فاستعمل فى الحال الاولى ما استعمل فى الثانية ﴿قوله يجرونها﴾ الظاهر انها لا تنفك عن مكانها فالمراد بقوله وبرزت واظهرت حتى رآها الخلق وعلم الكافر ان مصيره اليها فالحديث محمول على التمثيل وبيان لكثرة الملائكة الموكلين عليها ﴿قوله وليس فى هذا التمنى دلالة على استقلال العبد بفعله﴾ كما زعمه المعتزلة من ان افعاله لو لم تكن بقصده واختياره بل كانت واقعة بخلق الله تعالى وقدرته وارادته لما كان لهذا التمنى وجه ﴿قوله الهاء لله﴾ لما ورد ان يقال كيف يصح ان يرجع ضمير عذابه ووثاقه اليه تعالى مع انه يوهم ان يكون يوم القيامة معذب سوى الله تعالى لكنه لا يعذب ذلك المعذب مثل عذابه تعالى وهذا المعنى غير صحيح اشار المصنف الى دفعه بان المعنى حينئذ انه لا يتولى عذاب الله تعالى ووثاقه يوم القيامة سواه اذ الامر كله يومئذ لله ولا امر فيه لغيره اصلا والعذاب والوثاق اسمان وضعا موضع التعذيب والايثاق كما وضع العطاء موضع الاعطاء والمعنى لا يعذب احد التعذيب والايثاق فى ذلك اليوم الا الله تعالى وحده ﴿قوله او للانسان﴾ اى الكافر المتوغل فى عناده

المنهمك فى شهواته فتكون اضافة عذابه ووثاقه من قبيل اضافة المصدر الى مفعوله ويكون المعنى لا يعذب احد من الزبانية احدا من العصاة مثل ما يعذب ذلك الانسان ولا يوثق بالسلاسل والاغلال مثل وثاقه ثم انه تعالى لما وصف حال من اطمأن الى الدنيا وصف بعده حال من اطمأن الى الحق بحيث سكن الى اليقين فلا يخالطه الشك والاضطراب فاستقر على الطاعة ومقتضى العبودية فقال يا أيتها النفس على اضمار القول اى يقال لها عند الموت او عند البعث او عند دخول الجنة فاما ان يكلمه الله بنفسه اكراما للمؤمن المطمئن كما كلم موسى عليه السلام فى الدنيا او على لسان ملك والاطمئنان عبارة عن الثبات والاستقرار وذكر المصنف فى بيان كيفيته ثلاثة اوجه الاول استقرار النفس عند معرفته والاستغناء بمعرفته عن طلب غيره كما قال تعالى ألا بذكر الله تطمئن القلوب وذلك ان القوة العاقلة اذا اخذت تترقى فى سلسلة الاسباب والمسببات فكلما وصلت الى سبب يكون هو ممكنا لذاته محتاجا الى علة توجده وتبعثه طلب العقل له سببا آخر ثم اذا ترقى الى ممكن آخر اعلى منه لا يقف عنده ايضا بل لا يزال ينتقل من علة الى ما هو اعلى الى ان ينتهى الى واجب الوجود لذاته المستغنى عن جميع ما سواه فحينئذ يقف العقل ويطمئن اليه ولا ينتقل عنه الى غيره لعلمه بان الامر كله يرجع الى ارادته وقدرته وانه رب العالمين ﴿ قوله فتستقر دون معرفته ﴾ اى عندها وتستغنى به عن غيره اى لا تطلب له سببا آخر والوجه الثانى ما اشار اليه بقوله او الى الحق وهو عطف على قوله بذكر الله اى او هى التى اطمأنت الى الحق وتيقنت به بحيث لم يخالطها شك والوجه الثالث ما ذكره بقوله او الآمنة اى هى النفس الآمنة التى لا يستفزها اى لا يحركها خوف وهذا الوجه يؤيده قرآءة ابى بن كعب رضى الله عنه يا أيتها النفس الآمنة فعلى هذا يكون الاطمئنان عبارة عن سكون الامن فى مقابلة قلق الخوف والحزن وعلى الثانى يكون عبارة عن سكون اليقين فى مقابلة قلق الشك والريبة ﴿ قوله الى امره او موعده ﴾ لما تمسكت المجسمة بقوله تعالى الى ربك على ما زعموا فى حقه تعالى بناء على ان كلمة الى لانتهاء الغاية ومنتهى الحركة الآتية هو المكان ومن تمكن فيه رد المصنف تمسكهم بان معنى الآية ارجعى الى حكم ربك او ثوابه بالموت او بالبعث وهذا الخطاب تخاطب به النفس عند الموت او عند البعث فان خوطبت به عند الموت يكون المعنى ارجعى الى امر ربك وحكمه بالموت وان خوطبت به عند البعث يكون المعنى ارجعى الى ثوابه بالبعث ﴿ قوله ويشعر ذلك ﴾ اى قوله تعالى ارجعى الى ربك يشعر بكون النفوس موجودة قبل الابدان لان هذا القول انما يقال لما كان موجودا قبل هذا البدن ووجودها قبل الابدان لا يستلزم كونها ازلية كما ذهب اليه بعض القدماء وقوله راضية مرضية حالان من فاعل ارجعى اى راضية من الله تعالى بما اعطيت مرضية عنده بما عملت ﴿ قوله فى جملة عبادى الصالحين ﴾ يعنى يجوز ان يكون المراد بالمتشرفين باضافة التشريف الى ياء المتكلم عباده الصلحاء المتحلين بحلية الايمان والطاعة او الذين هم اخص واشرف منهم وهم المقربون والفريقان هما اللذان ذكرا فى قوله تعالى فاما ان كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم واما ان كان من اصحاب اليمين فسلام لك من اصحاب اليمين والخطاب على التقدير للمؤمن المحتضر لا لمجرد روحه ولما عبر عنه بالنفس قيل ارجعى وادخلى وقوله فتستضيئ بنورهم متفرع على كل واحد من التفسيرين جواب للامر فان الميت سواء انضم الى اصحاب اليمين او الى المقربين يكون فى حالة شريفة وهى انعكاس انوار علومهم وكمالاتهم اليه فان الارواح الشريفة كالمرايا المصقولة المجلوة فاذا انضم بعضها الى بعض ينعكس الى كل واحدة ما فى مقابلتها من الفضائل والكمالات فيكون ذلك الانضمام سببا لتكامل السعادات الروحانية ثم قوله وادخلى جنتى اشارة الى السعادة الجسمانية ولما كانت السعادة الروحانية غير متراخية عن الموت فى حق السعداء قال فادخلى فى عبادى بالفاء الدالة على التعقيب ولما كان الجنة الجسمانية لا تحصل الفوز بها الا بعد القيامة الكبرى قال وادخلى جنتى بالواو لا بالفاء كذا فى التفسير الكبير وفيه بحث لانه معطوف على مدخول الفاء فيجر اليه معنى الفاء ﴿ قوله او ادخلى فى اجساد عبادى ﴾ على ان يكون الخطاب للروح * تمت سورة الفجر والله اعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿ سورة البلد مكية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ قوله اقسم سبحانه بالبلد الحرام ﴾ قد اجمع المفسرون على ان المراد بالبلد الحرام مكة وان السورة نزلت بها اقسم بها

(يا أيتها النفس المطمئنة) على ارادة القول وهى التى اطمأنت بذكر الله فان النفس تترقى فى سلسلة الاسباب والمسببات الى الواجب لذاته فتستقر دون معرفته وتستغنى به عن غيره او الى الحق بحيث لا يريبها شك او الآمنة التى لا يستفزها خوف ولا حزن وقد قرئ بها (ارجعى الى ربك) الى امره او موعده بالموت ويشعر ذلك بقول من قال كانت النفوس قبل الابدان موجودة فى عالم القدس او بالبعث (راضية) بما اوتيت (مرضية) عند الله (فادخلى فى عبادى) فى جملة عبادى الصالحين (وادخلى جنتى) معهم او فى زمرة المقربين فتستضيئ بنورهم فان الجواهر القدسية كالمرايا المتقابلة او ادخلى فى اجساد عبادى التى فارقت عنها وادخلى دار ثوابى التى اعددت لك * عن النبى عليه السلام من قرأ سورة الفجر فى الليالى العشر غفر له ومن قرأها فى سائر الايام كانت له نورا يوم القيامة

﴿ سورة البلد مكية وآيها عشرون ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(لا اقسم بهذا البلد وانت حل بهذا البلد) اقسم سبحانه بالبلد الحرام

لشرفها بانه تعالى جعلها حرما آمنا وفيها البيت العظيم الذى هو قبلة اهل الشرق والغرب ونزل فى حقه واذ جعلنا البيت مثابة للناس وامنا وجعل البيت المعمور بازائه ودحيت الارض من تحته ومقام ابراهيم الذى نزل فى حقه واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وقال عليه الصلاة والسلام فى حق مكة «ان الله تعالى حرم مكة يوم خلق السموات والارض فهى حرم الى ان تقوم الساعة لم تحل لاحد قبلى ولن تحل لاحد بعدى ولم تحل لى الا ساعة من نهار» الحديث وفضائلها لا تحصى فلذلك اقسم الله تعالى بها على ان الانسان لا يخلو عن كبد ومقاساة مشقة والظاهر ان كلمة لا فى لا اقسم صلة كما فى قوله ما منعك الا تسجد اى ما منعك ان تسجد وقول الشاعر

تذكرت ليلى فاعترتنى صبابة ۞ وكاد صميم القلب لا يتقطع ۞

اى يتقطع ولا صلة وقيل انها نافية والمعنى لا اقسم به وانت حل اى حال مقيم به نازل فيه بل اقسم بك ﴿قوله وقيده بحلوله عليه الصلاة والسلام فيه﴾ على ان تكون الواو حالية لا اعتراضية وتكون الجملة الاسمية حالا من المقسم به فالحال قيد لعاملها اقسم الله تعالى بالبلد مقيدا بانه عليه الصلاة والسلام حال فيه اظهارا لمزيد فضله فعلى هذا قوله تعالى حل نعت بمعنى الحال كالسقط بمعنى الساقط والحرم بمعنى الحرام وقد قرئ وحرم على قرية اهلكناها اى وحرام يقال حل بالمكان يحل من باب نصر حلا وحلولا اى نزل ﴿قوله وقيل حل مستحل تعرضك فيه﴾ فعلى هذا يكون الحل بمعنى الحلال من قولهم حل الشئ يحل حلا وحلالا وهو حل بل اى حلال مطلق والجملة على هذا معترضة بين القسم والمقسم عليه اقسم الله تعالى على ان الانسان خلق مغمورا فى مكابدة المشاق والشدائد واعترض بين القسم والمقسم عليه بقوله وانت حل بهذا البلد اى حلالا يستحلون ايذاءك ولو تمكنوا من اخراجك منه لاخرجوك بل قتلوك مع انهم لا ينتهكون فيه الحرمات فلا يقتلون فيه صيدا ولا يعضدون به شجرا واى مكابدة لك مع عظم حرمته من ان تستحل بهذا البلد الحرام كما يستحل الصيد فى غيره وفيه تثبيت لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتصبير على ما كان يكابده من اهل مكة وتعجب من جرآتهم وشدة عداوتهم له عليه الصلاة والسلام ﴿قوله او حلال لك﴾ على ان الحل بمعنى الحلال له اى ذو حل وحلال لك ان تقتل بمكة من شئت وتقاتل من قاتلك والجملة على هذا ايضا اعتراض اقسم ببلده عليه الصلاة والسلام على ان الانسان لا يخلو من مقاساة شدة واعترض بينهما بان وعده فتح مكة باى طريق امكنه فتحها تتميما للتسلية وتنفيسا له عما لحقه من اذاهم فانه تعالى فتح على يده مكة واحلها له وجعله فى حل عما يصنع فيها من القتل والاسر فقتل ابن خطل وهو متعلق باستار الكعبة ومقيس بن ضبابة وغيرهما وخرب دار ابى سفيان فقوله تعالى وانت حل بهذا البلد معناه وانت حل به فيما يستقبل ونظيره فى كونه بمعنى الاستقبال قوله انك ميت وانهم ميتون وذلك لان السورة مكية بالاتفاق وفتح مكة وقع فى سنة ثمان بعد الهجرة فاين فتحها من الهجرة فضلا عن وقت نزول الآية ﴿قوله وما ولد ذريته﴾ اى ذرية آدم عليه السلام ان كان هو المراد بالوالد وذرية ابراهيم عليه الصلاة والسلام ان كان هو المراد بالوالد فعلى الاول يكون القسم بجميع افراد نوع البشر صالحهم وطالحهم لكونهم اشرف ما خلق الله على وجه الارض لما فيهم من النطق والبيان وحسن الصورة والتدبير الغريبة واستخراج العلوم البديعة وفيهم الانبياء والصلحاء الداعون الى الله تعالى والناصرون لدينه وكل ما فى الارض خلق لاجلهم وقد قال تعالى فى حقهم ولقد كرمنا بنى آدم وقيل المراد بقوله وما ولد الصالحون من اولاد آدم بناء على ان الطالحين كانهم ليسوا من اولاده بل هم بهائم فى صورة البشر وعلى الثانى يكون القسم بابراهيم وبجميع اولاده من العرب والعجم ويحتمل ان يكون المراد بابراهيم واولاده المؤمنين ويؤيد الثانى انه شرع ان يقال فى التشهد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم ومعلوم ان المراد بآله المؤمنون لا مطلق اولاده ﴿قوله او محمد صلى الله عليه وسلم﴾ عطف على قوله ذريته اى سوآء اريد بالوالد آدم او ابراهيم عليهما الصلاة والسلام يجوز ان يراد بما ولد محمد صلى الله عليه وسلم فانه عليه الصلاة والسلام آخر اولاد كل واحد منهما من الانبياء اقسم ببلده وباول آبائه وبنفسه او اقسم بمكة وابراهيم بانى البيت الذى فيها وبولده الذى هو خاتم النبيين والمرسلين ومطهر ذلك البيت من الاصنام والمشركين ﴿قوله وايثار ما على من﴾ جواب عما يقال لو كان المراد بما ولد العقلاء لكان الظاهر ان يقال ومن ولد فكيف اوثر ما على من وتقرير الجواب يتوقف على بيان الفرق بينهما وهو ان من لا تستعمل الا فى ذات من يعقل بخلاف ما فانها قد تستعمل فى صفة من يعقل للاشارة الى انها مما لا يكتنه كنهها والبلوغ الى اقصى مراتب الفضل والشرف بحيث يكون الموصوف بها عجيب الشان

(بحسب)

وقيده بحلوله عليه السلام فيه اظهارا لمزيد فضله واشعارا بان شرف المكان بشرف اهله وقيل حل مستحل تعرضك فيه كما يستحل تعرض الصيد فى غيره او حلال لك ان تفعل فيه ما تريد ساعة من النهار فهو وعد بما احل له عام الفتح (ووالد) عطف على هذا البلد والوالد آدم او ابراهيم (وما ولد) ذريته او محمد صلى الله عليه وسلم والتنكير للتعظيم وايثار ما على من لمعنى التعجب كما فى قوله والله اعلم بما وضعت

بحسب اتصافه به كما في قوله تعالى والله اعلم بما وضعت اى باى شئ وضعت اى يعلم انها وضعت موضوعا عجيب الشأن بديع الاوصاف فكذا قوله تعالى وما ولد اى ومولود اى مولود عجيب الشأن وفى شرح الرضى وتستعمل ما فى الغالب فى صفات العالم نحو زيد ماهو وماهذا الرجل فهو سؤال عن صفته والجواب عالم او زاهد ونحوهما وقول فرعون وما رب العالمين يجوز ان يكون سؤالا عن الوصف ولهذا قال موسى عليه الصلاة والسلام رب السموات الآية ويجوز ان يكون سؤالا عن الماهية واجاب عليه الصلاة والسلام ببيان الاوصاف تنبيها لفرعون على انه تعالى لا يعرف الا بالاوصاف وان ماهيته غير معلومة للبشر انتهى وقال المفسرون قوله تعالى فانكحوا ماطاب لكم من النساء تقديره فانكحوا الطيب من النساء فجعلوا كلمة ما مستعملة فى صفة من يعقل ومن لا تستعمل هكذا ثم ان كلمة ما لشدة ابهامها تدل على ان الوصف الذى دل بها عليه بالغ الى اقصى غاية الكمال فتفيد فى مقام المدح تعظيم شأن الموصوف بانه مما لا يكتنه كنهه فى اتصافه بذلك ﴿ قوله تعالى فى كبد ﴾ منصوب المحل على انه حال من الانسان اى مكابدا مهيئا لان تعتريه انواع الشدآئد والمصائب وهو جواب القسم قال الامام حرفا فى واللام متقاربان تقول انما انت فى الغناء وانما انت للغناء والنصب وفيه وجه آخر وهو ان قوله فى كبد يدل على ان الكبد قد احاط به احاطة الظرف بالمظروف والكبد فى الاصل مصدر بمعنى توجع الكبد وتألمه يقال كبد الرجل يكبد كبدا فهو كبد اذا وجعته كبده وانتفخت ثم اتسع فيه حتى استعمل فى كل تعب ومشقة ومنه المكابدة والآية تسلية له عليه الصلاة والسلام مما كان يكابده من قريش فالمراد من الكبد اما شدآئد الدنيا فقط او شدآئد التكاليف فقط او شدآئد الآخرة فقط او الكل والظاهر من كلام المصنف انه حمله على الكبر ثم البعث والعرض على رب العالمين مالك يوم الدين الى ان يصل الى موضع الاستقرار اما فى الجنة واما فى النار ولا شك ان ما بينهما كما يتناول شدآئد الدنيا يتناول شدآئد التكاليف ايضا وهو الشكر على السرآء بقضاء حقها والصبر على الضرآء بالانقياد لمن ساقها ثم انه تعالى لما سلى رسوله صلى الله عليه وسلم وحمله على الصبر على اذى قريش بان اقسم على انه خلق الانسان فى كبد اخذ فى وعيد من كان عليه الصلاة والسلام يكابد منه اكثر المكابدة او يغتر هو بقوته اشد الاغترار وفى وعيد كل واحد من الفريقين فان قوله تعالى لقد خلقنا الانسان فى كبد لما كان تسلية له عليه الصلاة والسلام مما كان يكابده من اشقياء قريش باعتبار كونه عليه الصلاة والسلام من جملة افراد الجنس المذكور كان هؤلاء الاشقياء فى حكم المذكور فصح ان يرجع اليهم ضمير قوله أيحسب ويحتمل ان يرجع الى جنس الانسان المذكور سابقا اى أيظن ان لن يقهره قاهر ولن يغلبه غالب بان يبعثه ويجازيه على سوء اعماله مع علمه بانه خلق فى كبد ولا يمكنه دفع ضيق الحال وتعب العيش وما اصابه من انواع المحن والآفات من نفسه وذلك ظن فاسد وخيال باطل والمقصود من وعيد الجنس تهديد الاشقياء المغترين بكثرة اموالهم وشدة قوتهم وأن فى قوله تعالى ان لن يقدر وان لم يره مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن المضمر اى انه الشأن لن يقدر ولم يره وهى بجملتها سادة مسد مفعول الحسبان والوقف على قوله احد لازم لئلا يتوهم كونه موصوفا بقوله يقول اهلكت مالا لبدا فان الظاهر انه مستأنف لبيان ما يقوله فى موقف الحساب والانتقام فانه يقول فيه انفقت مالا كثيرا فى وجوه المكارم والمبرات او فى عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ينفعنى شئ من ذلك سمى الانفاق اهلاكا من حيث انه لما لم ينتفع به كان ما انفقه هالكا ضائعا ثم قال أيحسب ان لم يره احد حين كان ينفق ما ينفق رياء وسمعة ومفاخرة او معاداة له صلى الله عليه وسلم بلى انه تعالى قد رآه وعلمه وكان رقيبا عليه يعلم قصده ويتحقق الانفاق ﴿ قوله او بعد ذلك فيسأله عنه ﴾ من اين كسبه وانى انفقه اشارة الى جواز ان يكون لم يره بمعنى لن يراه بقرينة لن يقدر عليه ﴿ قوله يعنى ان الله تعالى يراه ﴾ بيان لمعنى انكار حسبانه انه لم يره بمعنى لم يره احد حين كان ينفق ولم يقل ان القرآن يدفعه او يجازيه على انه هو الظاهر لدلالة على الدوام والاستمرار وقوله او بعده فيحاسبه بيان لمعنى انكار حسبانه انه لن يرى ذلك منه احد بعد ذلك ولم يوجد ذلك فى كتابه الذى كتبه حفظة اعماله اى بل يرى ذلك منه ويجده فى كتابه يوم العرض والحساب فيجازيه ويحاسبه عليه ﴿ قوله ثم قرر ذلك ﴾ اى بين انه يعلمهم ويجازيهم بما عملوا ببيان انه تعالى انعم عليهم نعما جليلة وهم لم يشكروا تلك النعم ﴿ قوله واصله المكان المرتفع ﴾ وسمى طريق الخير والشر نجدين لانه لما اتضحت الدلالة على كونهما طريق الخير والشر صارا كالمكانين المرتفعين الظاهرين للابصار من مكان بعيد بسبب كونهما واضحين للعقول بتلك الدلائل

(لقد خلقنا الانسان فى كبد) تعب ومشقة من كبد الرجل كبدا اذا وجعت كبده ومنه المكابدة والانسان لا يزال فى شدآئد مبدأها ظلمة الرحم ومضيقه ومنتهاها الموت وما بعده وهو تسلية للرسول عليه الصلاة والسلام مما كان يكابده من قريش والضمير فى (أيحسب) لبعضهم الذى كان يكابد منه اكثر او يغتر بقوته كابى الاشد بن كلدة فانه كان يبسط تحت قدمه اديم عكاظى ويجذبه عشرة فينقطع ولا تزل قدماه او لكل احد منهم او للانسان (ان لن يقدر عليه احد) فينتقم منه (يقول) اى فى ذلك الوقت (اهلكت مالا لبدا) كثيرا من تلبد الشئ اذا اجتمع والمراد ما انفقه سمعة ومفاخرة او معاداة للرسول (أيحسب ان لم يره احد) حين كان ينفق او بعد ذلك فيسأله عنه يعنى ان الله يراه فيجازيه او يجده فيحاسبه عليه ثم قرر ذلك بقوله (ألم نجعل له عينين) يبصر بهما (ولسانا) يترجم به عن ضمائره (وشفتين) يستر بهما فاه ويستعين بهما على النطق والاكل والشرب وغيرها (وهديناه النجدين) طريق الخير والشر او الثديين واصله المكان المرتفع (فلا اقتحم العقبة) اى فلم يشكر تلك الايادى باقتحام العقبة وهو الدخول فى امر شديد والعقبة الطريق فى الجبل استعارها لما فسرها به من الفك والاطعام (وما ادراك ما العقبة فك رقبة او اطعام فى يوم ذى مسغبة يتيما ذا مقربة او مسكينا ذا متربة)

لما فيهما من مجاهدة النفس وتعدد المراد بها حسن وقوع لا موقع لم فانها لا تكاد تقع في الماضي الا مكررة اذ المعنى فلا فك رقبة ولا اطعم يتيما او مسكينا والمسغبة والمقربة والمتربة مفعلات من سغب اذا جاع وقرب في النسب وترب اذا افتقر وقرأ ابن كثير وابو عمرو والكسائي فك رقبة او اطعم على الابدال من اقتحم وقوله وما ادراك ما العقبة اعتراض معناه انك لم تدر كنه صعوبتها وثوابها (ثم كان من الذين آمنوا) عطف على اقتحم او فك بثم لتباعد الايمان من العتق والاطعام في الرتبة لاستقلاله واشتراط سائر الطاعات به (وتواصوا بالصبر) واوصى بعضهم بعضا بالصبر على طاعة الله (وتواصوا بالمرحمة) بالرحمة على عباده او بموجبات رحمة الله (اولئك اصحاب الميمنة) اليمين او اليمن (والذين كفروا بآياتنا) بما نصبناه دليلا على حق من كتاب وحجة او بالقرآن (هم اصحاب المشأمة) الشمال او الشؤم

﴿ قوله لما فيهما من مجاهدة النفس ﴾ بيان لوجه مشابهتهما بالعقبة فان مخالفة النفس وترك مقتضاها يشبه العقبة في صعوبة اقتحامها والدخول فيها وفك الرقبة عبارة عن تخليصها من اسر الرق ﴿ قوله وتعدد المراد بها ﴾ لما تقرر في النحو ان كلمة لا اذا دخلت على الماضي لا بد من التكرر كقوله تعالى فلا صدق ولا صلى وفي الآية لم تتكرر حيث قيل فلا اقتحم العقبة اجاب عنه بانها وان لم تتكرر لفظا فهي متكررة معنى لان معنى فلا اقتحم العقبة فلا فك رقبة ولا اطعم مسكينا لانه فسر اقتحام العقبة بهما ﴿ قوله مفعلات ﴾ اى كل واحدة منها مصدر ميمي على وزن مفعلة من سغب يسغب سغبا فهو ساغب وسغبان من باب علم بمعنى جاع يجوع جوعا ومجاعة فقوله تعالى ذي مسغبة بمعنى ذي مجاعة وقرب في النسب قرابة ومقربة وترب الرجل اى افتقر بحيث كأنه لصق بالتراب ومتربة اى مسكنة وفاقة قيد الاطعام بكونه في يوم جاع فيه الناس فقحط لان اخراج المال في ذلك الوقت اثقل على النفس واوجب للاجر وقيد اليتيم بان يكون بينه وبين المطعم قرابة نسبية لانه يجتمع في الاطعام حينئذ جهتا الصلة والصدقة وقرئ فك رقبة او اطعم على لفظ الفعل الماضي فيهما ونصب رقبة على انها مفعول فك والفعل في هذه القرآءة بدل من قوله اقتحم على سبيل البيان والتفسير كأنه قيل فلا فك رقبة ولا اطعم وقوله وما ادراك ما العقبة اعتراض بين البدل والمبدل والمعنى انك لم تدر كنه صعوبتها وثوابها وفي قرآءة فك رقبة برفع الاسم المضاف الى رقبة يكون الاسم خبر مبتدأ محذوف اى هو فك اى اقتحام العقبة فك رقبة لان قوله وما ادراك ما العقبة تقديره وما ادراك ما اقتحام العقبة فيكون المبتدأ راجعا الى المضاف المقدر وانما احتيج الى تقدير مضاف لانه لو لم يقدر وجعل فك رقبة تفسير النفس العقبة لزم تفسير احد المتباينين بالآخر لان الفك مصدر والعقبة ليست كذلك وبتقدير المضاف يندفع المحذور وقال الامام نقلا عن الفراء اذا قرئ فك واطعم على لفظ الفعل الماضي كان من عطف الفعل على الفعل واذا قرئ على لفظ المصدر على تقدير هي فك رقبة او اطعام كان من عطف الفعل على الاسم وهو غير حسن في قانون العربية وفيه بحث لان القرآءة على لفظ المصدر لا تستلزم عطف الفعل على الاسم لجواز ان يكون قوله ثم كان في تلك القرآءة معطوفا على اقتحم لا على الفك كما اشار اليه المصنف بقوله عطف على اقتحم او على فك بثم لتباعد الايمان عن العتق والاطعام في الرتبة اى لا في الزمان لان الايمان شرط للانتفاع بما اقتحم فيه من الطاعات فيجب ان يكون مقدما عليها ومستقلا في الانتفاع به لكونه معتبرا في نفسه غير متوقف على شئ من الطاعات وقيل هي للتراخي في الزمان بناء على ان المعنى ثم كان في غاية امره من الذين آمنوا بان يموت على الايمان فان موافاة الموت على الايمان شرط للانتفاع بالطاعات وفي عد عدم التواصي بالصبر وبالمرحمة من وجوه كفرانه وسيئات خصاله دليل على انه يجب على المرء ان يدل غيره على طريق الحق كالصبر على الانتهاء عن المعاصي والمنكرات وعلى الامتثال بالاوامر وملازمة الطاعات فقوله تعالى وتواصوا بالصبر اشارة الى تعظيم امر الله تعالى وقوله وتواصوا بالمرحمة اشارة الى الشفقة على خلق الله تعالى ومدار امر الطاعة ليس الا على هذين الاصلين وهو الذي قاله بعض المحققين ان الاصل في التصوف امران صدق مع الحق وصدق مع الخلق ﴿ قوله او بموجبات رحمة الله تعالى ﴾ يعني ان المرحمة مصدر بمعنى الرحمة والشفقة الا انه يجوز ان يكون المراد بالمرحمة نفس الرحمة على عباد الله تعالى باى طريق امكن وان يراد بها ما يوجب رحمته تعالى ويقتضي وعده على طريق اطلاق اسم المسبب على السبب تنبيها على كماله في السببية والمرحمة بهذا المعنى اعم من المرحمة بالمعنى الاول وهي الشفقة لمن يستحقها من العباد وهو ظاهر واعم ايضا من الطاعة التي اوجب التواصي بالصبر عليها بقوله وتواصوا بالصبر على طاعة الله تعالى لان الطاعة لكونها منبئة عن الانقياد لتكليف الشارع انما تتناول فعل الواجبات وترك المحرمات وما يوجب رحمة الله كما يتناولهما يتناول السنن والمستحبات والآداب ايضا فلذلك لم يكتف بذكر التواصي بالصبر على طاعة الله بل ذكر بعده التواصي بما يوجب رحمة الله تعالى ايضا تكميلا للترغيب في جميع ما هو من معالم الدين ثم انه تعالى بين ان اصحاب هذه الاوصاف المذكورة هم اصحاب الميمنة في القيامة وقد بين الله تعالى ثوابهم في سورة الواقعة بقوله في سدر مخضود وطلح منضود وظل ممدود وماء مسكوب وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة وفرش مرفوعة والميمنة اما بمعنى اليمين واصحاب اليمين هم الذين يعطون كتبهم بايمانهم ويسلك بهم على طريق اليمين الى الجنة واما بمعنى اليمن والخير والسعادة فان السعداء ميامين على انفسهم بطاعتهم وكذا اصحاب المشأمة اما بمعنى اصحاب الشمال الذين يعطون كتبهم بشمائلهم ويسلك بهم على جانب الشمال الى النار او بمعنى اصحاب الشؤم والشر الذين هم

مثائيم على انفسهم بمعصيتهم ﴿قوله وتكرير ذكر المؤمنين باسم الاشارة﴾ اى الموضوع للاشارة الى الحاضر المشاهد والكفار بالضمير اى ضمير الغائب شأن لا يخفى وذلك لان ذكرهم باسم الاشارة تكريم لهم بانهم حاضرون عنده تعالى فى مقام كرامته وذكرهم بما يشار به الى البعيد تعظيم لهم بالاشارة الى علو درجاتهم وارتفاعها على درجة اضدادهم فان درجة من حضر عنده تعالى كيف لا تعلو على درجة من غاب عنه وذكر الكافرين بضمير الغائب اشارة الى انهم غيب عن مقام كرامته تعالى وشرف الحضور عنده ﴿قوله من اوصدت الباب اذا طبقته﴾ او صد فعل من المعتل الفاء الواوى مثل اوعد يوعد وآصد ايضا افعل الا انه من المهموز الفاء مثل امن يؤمن وهما لغتان بمعنى اطبق واغلق يقال آصدت الباب واوصدته اذا اغلقته فمن قرأ مؤصدة بالهمز جعلها اسم مفعول من آصدت ويجوز ان يكون من اوصدت ولكنه همز الواو الساكنة لضم ما قبلها على لغة من يقول مؤسى ويقرأ بالسؤق والاعناق وكان ابو بكر يكره الهمز فى هذا الحرف ويقول لنا امام يهمز مؤصدة فاشتهى ان أسد اذنى اذا سمعته فكأنه لم يحفظ من شيخه وهو عاصم الا ترك الهمزة وقد حفظه حفص عنه بالهمزة وهو اضبط حفظا منه من ابى بكر على ما نقله القراء وان كان ابو بكر اكبر واتقن واوثق عند اهل الحديث ومن لم يهمز اخذها من اوصدت قيل فى قوله تعالى نار مؤصدة ان نار مبتدأ ومؤصدة خبره وعليهم متعلق بالخبر والوجه ان يكون مؤصدة صفة لها والخبر عليهم والجملة اما مستأنفة لا محل لها او خبر ثان والمعنى عليهم نار ابوابها مؤصدة مغلقة فلا يفتح لهم باب ولا يخرج منها غم ولا يدخل فيها روح ابد الآباد نعوذ بالله تعالى منها ومن موجباتها برحمة منه وفضل * تمت سورة البلد والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿سورة والشمس مكية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿قوله تعالى والشمس الخ﴾ اقسم الله تعالى بما ذكره من انواع المخلوقات المتضمنة للمنافع العظيمة على فلاح من زكى نفسه اى اصلحها وانما هما بالعلم والعمل وجنبها من نقصها بالجهل والمعصية ترغيبا فى الطاعات وتحذيرا من المعاصى ﴿قوله وضوئها اذا اشرقت﴾ اى ارتفعت وانبسط نورها لان الاشراق يكون بعد الشروق الذى هو الطلوع يقال شرقت الشمس تشرق شروقا اى طلعت واشرقت اشراقا اى اضاءت بان ارتفعت وانبسط نورها والضحوة بعد الاشراق قال مجاهد والكلبى ضحى الشمس ضوءها اى نورها المنبسط على وجه الارض وهو نقيض الليل والمشهور عند العرب ان الضحوة وقت ارتفاع الشمس بعد الطلوع والضحى فوق ذلك والضحاء بالفتح والمد فوق ذلك وهو وقت امتداد النهار وقرب ان ينتصف واختار المبرد الاول حيث قال ان الضحاء والضحوة مشتقان من الضحى وهو نور الشمس المنبسط على وجه الارض أضحاء قيل وفى الحديث لا يقعدن احدكم بين الضحى والظل فانه مقعد الشيطان فعلى هذا الضحى هو الضوء المشرق لا الوقت ويدل عليه اضافة الوقت اليه حيث يقال وقت الضحى اى وقت اشراق الضوء ﴿قوله تلاها طلوعه طلوع الشمس اول الشهر﴾ الظاهر ان يقال بدل هذه العبارة تلاها غروبه بغروب الشمس وذلك فى ليلة الهلال فان تبعية القمر للشمس فى الطلوع لا تظهر للحس لكونه مغلوبا مضمحلا بنور الشمس بخلاف تبعيته لها فى الغروب فانها ظاهرة محسوسة ﴿قوله او غروبها﴾ منصوب معطوف على قوله طلوع الشمس فان القمر يبقى طالعا عند غروب الشمس ليلة البدر ﴿قوله او فى الاستدارة﴾ عطف على ما قبله فى المعنى فكأنه قيل اذا تلاها فى الطلوع او فى الغروب او فى الاستدارة ﴿قوله فانها تجلى اذا انبسط النهار﴾ اشارة الى ان اسناد جلى الى ضمير النهار من قبيل اسناد الفعل الى زمانه كما فى نحو صام نهاره لان انجلاء الشمس يقع حين انبساط النهار وليس انبساطه مجليا لها ﴿قوله او الظلمة﴾ منصوب بالعطف على الشمس فى قوله جلى الشمس اى ويجوز ان يكون ضمير جلاها راجعا الى الظلمة واخويها للعلم كما جاز رجوعه الى الشمس لذكرها آنفا واسناد يغشى الى ضمير الليل من قبيل الاسناد فى صام نهاره لان الذى يغطى ضوء الشمس فى الليل هو حيلولة الارض بين الشمس وبين ما وقع عليه ضوءها لا نفس الليل الذى هو زمان تلك الحيلولة ﴿قوله ولما كانت واوات العطف﴾ جواب عما قال من ان الواوات الواقعة بعد قوله تعالى والشمس وضحاها الظاهر انها عاطفة لان كونها قسمية يستلزم تعدد القسم مع كون المقسم عليه واحدا وقد اتفق الخليل وسيبويه على استكراهه وقال الاستقرائى استقرينا ما استقرينا وتتبعنا كلام العرب فلم نر موضعا تعدد فيه القسم الا وقد كان كل واحد من القسم

وتكرير ذكر المؤمنين باسم الاشارة والكفار بالضمير شأن لا يخفى (عليهم نار موصدة) مطبقة من اوصدت الباب اذا اطبقته واغلقته وقرأ ابو عمرو وحمزة وحفص بالهمزة من آصدته * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ لا اقسم بهذا البلد اعطاه الله تعالى الامان من غضبه يوم القيامة

﴿سورة الشمس مكية وآيها﴾

﴿خمس عشرة﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والشمس وضحاها) وضوئها اذا اشرقت وقيل الضحوة ارتفاع النهار والضحى فوق ذلك والضحاء بالفتح والمد اذا امتد النهار وكاد ينتصف (والقمر اذا تلاها) تلا طلوعه طلوع الشمس اول الشهر او غروبها ليلة البدر او فى الاستدارة وكمال النور (والنهار اذا جلاها) جلى الشمس فانها تجلى اذا انبسط النهار او الظلمة او الدنيا او الارض وان لم يجر ذكرها للعلم بها (والليل اذا يغشاها) يغشى الشمس فيغطى ضوءها او الآفاق او الارض ولما كانت واوات العطف نوائب للواو الاولى القسمية الجارة بنفسها النائبة مناب فعل القسم من حيث استلزمت طرحه معها ربطن المجرورات والظروف بالمجرور والظرف المتقدمين ربط الواو ما بعدها فى قولك ضرب زيد عمرا وبكر خالدا على الفاعل والمفعول من غير عطف على عاملين مختلفين

واقعا قيد على مقسم عليه على حدة فتعين كونها عاطفة وذلك يستلزم ان يعطف معمولان على معمول عاملين مختلفين وهو لايجوز لان الحرف الواحد لاينوب عن عاملين مختلفين وبيان الملازمة ان النهار المجرور فى قوله تعالى والنهار اذا جلاها معطوف على معمول واو القسم الجارة وهو الشمس وقوله اذا جلاها معطوف على قوله اذا تلاها وهو معمول فعل القسم ومما اجاب به ظهر انه من قبيل العطف على معمولى عامل واحد كما فى قولك ضرب زيد عمرا وبكر خالدا فان الواو فيه لعطف بكر وخالدا على معمولى ضرب وهما الفاعل والمفعول فكذا هنا وذلك لان الواو الاولى القسمية كما تعمل الجر لنيابتها عن الباء القسمية فكذلك تعمل النصب فى الظرف الذى بعدها لنيابتها عن فعل القسم واصل الكلام اقسم بالشمس فحذف الفعل وحرف الجر واثبت الواو منابهما فسدت مسدهما معا فهى عامل واحد عمل عملين مختلفين الجر والنصب فكان المجرور والظرف اللذان بعدها معمولى عامل واحد واذا عطف على هذين المعمولين بالواو لم يلزم العطف على معمولى عاملين وهذا الجواب لايجرى فيما اذا كان فعل القسم مصرحا به كما فى قوله تعالى والليل اذا عسعس والصبح اذا تنفس بعد قوله فلا اقسم بالخنس الجوار الكنس فان الواو هنا عاطفة عطف بها المجرور على معمول الباء والظرف على معمول فعل القسم المصرح به وهو الظرف الاول فيحتاج فيه الى جواب آخر نحو أن يقال لانسلم ان الظرف المنصوب معمول لفعل القسم او للواو النائبة منابه لان تقييد القسم بالزمان غير مناسب سواء كان الزمان حالا او مستقبلا بل هو معمول لمضاف مقدر مدلول عليه بالقسم نحو العظمة فان الاقسام بالشئ تعظيم له كأنه قيل اقسم بعظمة الشمس وضحاها وبعظمة القمر اذا تلاها فالقمر المجرور وكذا الظرف بعده معمولان لذلك المقدر فيكون المجرور والظرف فى قوله تعالى والصبح اذا تنفس معطوفين على معمول عامل واحد * فان قيل ماذكره فى تقرير جواب المصنف من ان الواو العاطفة لنيابتها عن فعل القسم تنصب الظرف بعدها محل بحث لان فعل القسم المضمر بمعنى الحال لانه لانشاء القسم فى الحال فلا يعمل فى اذا لانه ظرف لما يستقبل والفعل الحالى لايعمل فى الظرف المستقبل لان الفعل الحال لايصير استقباليا واذا لم يصلح فعل القسم المضمر ناصبا لظرف الزمان المستقبل فكيف تصلح الواو النائبة منابه ناصباله * قلنا فرق بين اقسم بالشمس غدا واقسم بها اذا اشرقت غدا فالذى لايجوز هو الاول لا الثانى فانه يجوز ان يقسم الآن باشراق الشمس وسائر مايترقب وجوده بعد زمان القسم ﴿قوله وانما اوثرت على من لارادة معنى الوصفية﴾ لم يرد ان كلمة ما يوصف بها نعتا نحو يا كما يوصف بالذى فان ما ومن الموصولتين لايوصف بهما بخلاف الذى بل المراد ان ما قد تستعمل فى الصفات فيقال اذا اريد ان يسأل عن صفة زيد مازيد فيجاب عنه بانه فقيه او طبيب واذا اريد ان يسأل عن ذاته يقال من هذا والجواب عنه ان يقال هذا زيد ﴿قوله ولذلك افرد ذكره﴾ اى ولكون المقصود من ايثار ما على من الدلالة على معنى الوصفية والقدرة الكاملة افرد ذكر البناء الدال على القادرية وجعل صلة مابدل عليها لان شان الصلة ان يميز الموصول وتعينه ﴿قوله تعالى وماطحاها﴾ الطحو الدحو وهو البسط وابدال الطاء من الدال جائز قال عطاء والكلبى بسطها على الماء وقيل طحاها من تحت الكعبة والنفس ان حملت على الجسد فتسويتها عبارة عن تعديل اعضائها بعضها ببعض كما يشهد به علم التشريح وان حملناها على القوة المدبرة فتسويتها تكميل امرها باعطائها من القوى مايتم به جميع احوالها وبعض تلك القوى محركة وهى اثنان شهوية وغضبية وبعضها مدركة وهى عشر الحواس الخمس الظاهرة والخمس الباطنة وبعضها لامحركة ولامدركة وهى سبع الغاذية والنامية والمولدة والجاذبة والهاضمة والماسكة والدافعة ﴿قوله وجعل الماآت مصدرية بجرد الفعل عن الفاعل﴾ اى يجرد المنوى فى الهمها عما يرجع هو اليه فان الماآت التى فى قوله ومابناها وماطحاها وماسواها ان كانت مصدرية لايكون مذكورا الا السماء والارض والنفس ومايتعلق بها من المعانى المصدرية وهى البناء والطحو والتسوية وشئ منها لايصلح لان يرجع اليه المنوى فى الهمها وقوله الا ان يضمر فيها اسم الله لعلم به استثناء من قوله بجرد الفعل عن الفاعل واشارة الى ان سبق الذكر ليس شرطا فى ارجاع الضمير اذا كان المرجوع اليه لنباهة شأنه مما لايغيب عن العقل كقوله انا انزلناه وقوله ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ماترك على ظهرها ﴿قوله ويخل بنظم قوله فالهمها بقوله وماسواها﴾ وذلك انه على تقدير ان تكون مامصدرية يلزم عطف الفعل على الاسم لانه يكون تقدير الكلام حينئذ ونفس وتسويتها فالهمها ولاخفاء فى ركاكة هذا النظم ويمكن ان يقال لابعد فى ان تجعل مامصدرية ويكون فالهمها عطفا على سواها بان يكون هو ايضا فى تأويل المصدر

(والسماء ومابناها) ومن بناها وانما اوثرت على من لارادة معنى الوصفية كأنه قيل والشئ القادر الذى بناها ودل على وجوده وكمال قدرته بناؤها ولذلك افرد ذكره وكذا الكلام فى قوله (والارض وماطحاها ونفس وماسواها) وجعل الماآت مصدرية بجرد الفعل عن الفاعل ويخل بنظم قوله (فالهمها فجورها وتقواها) بقوله وماسواها الا ان يضمر فيها اسم الله للعلم به وتنكير نفس للتكثير كما فى قوله علمت نفس او التعظيم والمراد نفس آدم والهام الفجور والتقوى افهامهما وتعريف حالهما والتمكين من الاتيان بهما

على معنى ونفس وتسويتها فالهامها فجورها غاية ما في الباب ان يكون فالهمها كالافعال السابقة وهى بناها وطحاها وسوّاها في تجرّدها عن الفاعل ويلزم ان يضمر فيها اسم الله تعالى للعلم به * فان قيل الفاء تدل على الترتيب من غير مهلة والتسوية تكون قبل نفخ الروح والالهام يكون بعد البلوغ فيختل انتظام الالهام المصدّر بالفاء عاقبله على تقدير ان تكون مامصدرية * قلنا التسوية عبارة عن تعديل الاعضاء والقوى الادراكية وذلك انما يكون بعد البلوغ ويدل عليه كون الصبيّ محجورا عليه غير مقبول الشهادة وغير مكلف بالاحكام الشرعية والهام الفجور والتقوى عبارة عن افهامهما واعقالهما وتعريف حالهما من حيث ان احدهما حسن والآخر قبيح فهو مرتب على التسوية بالمعنى المذكور من غير مهلة ﴿ قوله وحذف اللام لطول ﴾ اى لطول الكلام بين القسم وجوابه قيل لما طال الكلام صار طوله عوضا من اللام وقيل لما كانت اللام للتأكيد وقد ايضا تفيد التأكيد استغنى بها عن اللام ﴿ قوله وكأنه لما اراد به ﴾ اى بقوله قد افلح من زكاها وهو بيان لوجه الاقسام عليه فانه تعالى لما اقسم بالشمس التى هى اعظم المحسوسات شرفا ونفعا ووصفها باوصافها الاربعة التى هى ضوءها وكونها متبوعة للقمر ومتجلية عند ارتفاع النهار ومختفية منغطية بالليل ثم اقسم بالسماء التى هى مسير الشمس واعظم منهما ومن المعلوم انهما لطركاتهما الوضعية والاينية وتغير احوالهما من الاجسام الممكنة المحتاجة الى صانع واجب الوجود لذاته دفعا للدور او التسلسل موصوف بصفات الجلال والجمال ﴿ قوله ويذكرهم ﴾ عطف على قوله يدلهم ولاشك ان هذه الامور المقسم بها من عظائم الآلاء ﴿ قوله وقيل استطراد ﴾ عطف على قوله جواب القسم والدمدمة اهلاك باستئصال وقيل هو التعذيب على اتم الوجوه ولم يجعل قوله تعالى كذبت ثمود جوابا لان اقسام الله تعالى انما يؤكد به الوعد والوعيد وهو ليس منهما بل ذكر استشهادا لقوله قد خاب من دساها بخلاف قوله تعالى قد افلح من زكاها وقد خاب من دساها فان الاول وعد لاهل التزكية بالظفر بكل خير والثانى وعيد لاضدادهم بالخيبة والخسران ﴿ قوله بسبب طغيانها ﴾ يعنى ان الطغوى مصدر كالدعوى بمعنى الطغيان الا ان الطغوى لما كانت اشبه برؤس سائر الآيات اختيرت على لفظ الطغيان وان كان هو المشهور والباء فيه سببية ومفعول كذبت محذوف للعلم به والمعنى كذبت ثمود نبيها صالحا عليه السلام بسبب طغيانها وقوله او بما اوعدت به اى ويجوز ان يكون الطغوى اسما لعذابهم الذى اهلكوا به فتكون الباء للتعدية ومتعلقة بكذبت كما في قوله تعالى كذبت ثمود وعاد بالقارعة اى بالعذاب الذى حصل بهائم قال فاما ثمود فاهلكوا بالطاغية فسمى ما اهلكوا به من العذاب طاغية لكونه مجاوزا عن القدر المعتاد فجاز أن يراد بالطغوى في هذه ما اوعدوا به من العذاب لكونه مجاوزا عن القدر المعتاد فان الطغيان في اللغة عبارة عن مجاوزة الحدّ ﴿ قوله تفرقة بين الاسم والصفة ﴾ وذلك ان فعلى اذا كانت من ذوات الياء وكانت اسما قلبت ياؤها واوا وان كانت صفة ابقيت الياء على حالها تفرقة بينهما تقول في الصفة خزيا وريا وصديا فان خزيا صفة بمعنى مستحية من خزى الرجل اذا استحيى وريا من روى وصديا من صدى اى عطش فهو صديان وهى صديا مثل عطشان وعطشى وزنا ومعنى وتقول في الاسم تقوى وبقوى في اسمى الاتقاء والانتظار من بقى الله تعالى اى خافه وبقيته اى انتظرته وابقاء الياء على حالها في الصفة اولى من ابقائها في الاسم لان الصفة اثقل من الاسم والياء اخف من الواو وان قرئ بطغواها بضم الطاء يكون ايضا مصدرا كالرجعى والحسنى الا ان قلب يائه واوا حينئذ يكون مخالفا للقياس اذ القياس بقاؤها على حالها كالسقيا ﴿ قوله حين قام ظرف لكذبت ﴾ اى كذبوا نبيهم حين نهض اشقاهم لعقر الناقة امتثالا لامر من بعثه اليه فان انبعث مطاوع ابعث يقال بعثت فلانا على الامر فانبعث له وامتثل وان كان اذ ظرفا للطغوى يكون بمعنى كذبوا نبيهم بسبب طغيانهم حين انبعث او كذبوا بعذابهم ذى الطغوى حين انبعث واختلفوا في الاشقى الذى هو عاقر الناقة هل هو شخص معين او جماعة فمن ذهب الى الاول قال اسمه قدار بن سالف وهو اشقى الاولين ويؤيده قوله تعالى في سورة القمر فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر ومن ذهب الى الثانى قال انما جاء الاشقى بلفظ الواحد بناء على ان افعل التفضيل اذا اضيف يستوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث ويؤيده قوله تعالى فكذبوه فعقروها ﴿ قوله ومن مالأه ﴾ اى صاحبه وعاش معه ملاوة من الدهر اى حينا وسهله وفي بعض النسخ ومن والاه اى صادقه وهو من الولى بمعنى الصديق ﴿ قوله فقال لهم ﴾ عطف على قوله انبعث فان ثمود لما اقترحوا الناقة واخرجها لهم صالح من الصخرة على الوجه الذى وصفوها له عليه الصلاة والسلام جعل لهم شرب يوم من شربهم

(قد افلح من زكاها) انماها بالعلم والعمل جواب القسم وحذف اللام لطول وكأنه لما اراد به الحث على تكميل النفس والمبالغة فيه اقسم عليه بما يدلهم على العلم بوجود الصانع ووجوب ذاته وكمال صفاته الذى هو اقصى درجات القوّة النظرية ويذكرهم عظائم آلائه ليحملهم على الاستغراق في شكر نعمائه الذى هو منتهى كمالات القوّة العملية وقيل استطراد بذكر بعض احوال النفس والجواب محذوف تقديره ليدمدمنّ الله على كفار مكة لتكذيبهم رسوله كما دمدم على ثمود لتكذيبهم صالحا (وقد خاب من دساها) نقصها واخفاها بالجهالة والفسوق واصل دسى دسس كتقضى وتقضض (كذبت ثمود بطغواها) بسبب طغيانها او بما اوعدت به من عذابها ذى الطغوى كقوله فاهلكوا بالطاغية واصله طغياها وانما قلبت ياؤه واوا تفرقة بين الاسم والصفة وقرئ بالضم كالرجعى (اذ انبعث) حين قام ظرف لكذبت او طغوى (اشقاها) اشقى ثمود وهو قدار بن سالف او هو ومن مالأه على قتل الناقة فان افعل التفضيل اذا اضفته صلح للواحد والجمع وفضل شقاوتهم لتوليهم العقر (فقال لهم رسول الله ناقة الله)

ولها شرب يوم معلوم فقال لهم ذروها وشربها اى نصيبها من الماء فاستقروا على ما امرهم به صالح عليه الصلاة والسلام الى ان استضروا بذلك فى امر مواشيهم فهموا بعقرها فلما علم صالح ما عزموا عليه ابلغهم الوصية فقال هذه ناقة الله لكم آية دالة على وحدانية الله تعالى وكمال قدرته وعلى نبوّتى فاحذروا ان تمسوها بسوء واحذروا ايضا ان تمنعوها من سقياها اى شربها ونصيبها من الماء فانكم ان تفعلوا ذلك تعذبوا فكذبوه فى انهم يعذبون ان فعلوا ذلك فعقروا الناقة فاطبق عليهم العذاب بحيث لم يبق منهم احد الا اهلكه ﴿ قوله اى ذروا ناقة الله ﴾ اشارة الى ان ناقة الله منصوب بعامل مضمر على التحذير واضمار الناصب هنا واجب لوجود العطف فان اضمار الناصب يجب فى ثلاثة مواضع احدها ان يكون المحذر نفس اياك وبابه الثانى ان يوجد فيه عطف الثالث ان يوجد فيه تكرير نحو الاسد الاسد والطريق الطريق ﴿ قوله وهو من تكرير قولهم ناقة مدمومة ﴾ يقال دمت الناقة بالشحم اى طليت به بحيث لم يبق منها شئ لم يمسه الشحم ثم كرّر الدال بين عين الفعل ولام الفعل للمبالغة فى الاحاطة وهذه قاعدة مطردة فى كل مضاعف من الثلاثى كرّر فاؤه بين العين واللام نحو زول فى زل ﴿ قوله او ثمود بالاهلاك ﴾ على ان يكون ضمير سوّاها راجعا الى ثمود باعتبار تأويله بالقبيلة كما عاد اليه ضمير بطغواها بذلك الاعتبار وعلى الاول يكون راجعا الى الدمدمة والعقوبة المذكورة معنى كما فى قوله تعالى اعدلوا هو اقرب فانهم قد هلكوا بصيحة واحدة من جبريل عليه الصلاة والسلام وتلك الصيحة اهلكتهم جميعا بحيث لم يبق منهم احد لا صغير ولا كبير ﴿ قوله اى عاقبة الدمدمة او عاقبة هلاك ثمود ﴾ يعنى ان ضمير سوّاها ان رجع الى الدمدمة يرجع اليها ضمير عقباها الا انه حينئذ لابد من تقدير ما يضاف اليه العقبى ﴿ قوله فيبق بعض الابقاء ﴾ اى فيترحم بعض الترحم وفى الصحاح ابقيت على فلان اذا ارعيت عليه ورحمته يقال لا ابقى الله عليك ان ابقيت علىّ والاسم منه البقوى بفتح الباء وكذلك البقوى بفتح التاء ﴿ قوله والواو للحال ﴾ فقوله ولا يخاف عقباها فى محل النصب على انه حال من النوى فى فسوّاها الراجع الى الله جل ذكره اى فسوّاها غير خائف عقبى ما صنع بهم من الاهلاك اى عاقبتها وتبعتها كما يخاف الملوك والولاة لانه تعالى فعل بهم ما فعل بحق وحكمة وكل من كان فعله على وفق الحكمة ومقتضاها فانه لا يخاف عاقبة فعله وان قرئ فلا يخاف بالفاء يكون معطوفا على قوله فسوّاها ومتفرعا عليها تمت سورة الشمس بحمد الله وعونه وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿ سورة الليل مكية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ قوله اى يغشى الشمس او النهار ﴾ يدل على الاول قوله تعالى فى السورة السابقة والليل اذا يغشاها وعلى الثانى قوله تعالى يغشى الليل النهار فالمفعول المقدر على التقديرين ليس بعام الا انه حذف اعتمادا على ما يدل عليه وان كان تقدير الكلام اذا يغشى كل ما يواريه ويستره بظلامه كان عدم ذكره للتعميم ﴿ قوله ظهر بزوال ظلمة الليل ﴾ هذا المعنى يناسب لكون المفعول المقدر ليغشى النهار وقوله او تبين بطلوع الشمس هو المناسب لكون المفعول المقدر الشمس اقسم الله تعالى بالليل ثم بالنهار لما فى تعاقبهما من مصالح لا تحصى فانه لو كان الدهر كله ليلا لتعذر المعاش ولو كان كله نهارا لاختل امر الاستراحة والمصالح المتعلقة بالليل فمقتضى الحكمة ليس الا تعاقبهما فلذلك امتن سبحانه وتعالى بذلك وقال هو الذى جعل الليل والنهار خلفة ﴿ قوله صنفى الذكر والانثى ﴾ على ان تعريف الذكر والانثى للجنس وعلى الثانى العهد ﴿ قوله ان مساعيكم الخ ﴾ اشارة الى وجه الاخبار عن السعى وهو مفرد بشتى وهو جمع شتيت كريض ومرضى وجريح وجرحى وبيانه ان السعى مصدر قولك سعى الرجل يسعى اذا عمل وكسب والمصدر جنس يشمل جميع افراده لا سيما وقد اضيف الى الجمع فهو جمع فى المعنى الا ان المقصود بالاخبار عنه ليس هو السعى والعمل بالمعنى المصدرى بل المقصود الاخبار عن الاعمال الصالحة بالسعى فالمصدر ههنا بمعنى المفعول فلذلك فسره بالمساعى والاعمال المكتسبة والشتيت المتباعد المتفرق يقال تشتت الامر تشتتا وشتاتا اى تفرق وامر شت وشتيت اى متفرق وحكم على الاعمال المكتسبة المختلفة بكون بعضها هدى وبعضها ضلالا بالتهاشتى لتباعد ما بين بعضها وبعض فان بعضها يؤدى الى الجنان وبعضها الى عذاب النيران وقد روى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال فى تفسير الآية ان اعمالكم مختلفة عمل للجنة وعمل للنار ﴿ قوله تفصيل مبين لتشتت المساعى ﴾ اى مبين لاختلاف الاعمال من حيث اختلاف اجزيتها فان اختلاف انفس المساعى والاعمال فى انفسها معلوم لا فائدة

(فى الاخبار)

اى ذروا ناقة الله واحذروا عقرها (وسقياها) فلا تمنعوها عنها (فكذبوه) فيما حذرهم منه من حلول العذاب ان فعلوا (فعقروها فدمدم عليهم ربهم) فاطبق عليهم العذاب وهو من تكرير قولهم ناقة مدمومة اذا البسها الشحم (بذنبهم) بسببه (فسوّاها) فسوّى الدمدمة بينهم او عليهم فلم تفلت منها صغير ولا كبير او ثمود بالاهلاك (ولا يخاف عقباها) اى عاقبة الدمدمة او عاقبة هلاك ثمود وتبعتها فيبقى بعض الابقاء والواو للحال وقرأ نافع وابن عامر فلا على العطف ❊ عن النبى عليه السلام من قرأ سورة والشمس فكأنما تصدق بكل شئ طلعت عليه الشمس والقمر

﴿ سورة الليل مكية وآيها احدى وعشرون ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والليل اذا يغشى) اى يغشى الشمس او النهار او كل ما يواريه بظلامه (والنهار اذا تجلى) ظهر بزوال ظلمة الليل او تبين بطلوع الشمس (وما خلق الذكر والانثى) والقادر الذى خلق صنفى الذكر والانثى من كل نوع له توالد او آدم وحوّاء وقيل ما مصدرية (ان سعيكم لشتى) ان مساعيكم لاسباب مختلفة اشتى جمع شتيت (فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى) تفصيل مبين لتشتت المساعى

فى الاخبار عنه ﴿ قوله والمعنى من اعطى الطاعة واتقى المعصية ﴾ اشارة الى ان عدم ذكر متعلقات هذه الافعال للتعميم ليذهب ذهن السامع كل مذهب مما يصح تعلق الفعل به فتعلق الاعطاء جميع مايتقرب بفعله واتيانه من العبادات القلبية والبدنية والمالية واعطاؤها صرف القوى والآلات فى تحصيلها وكذا متعلق الاتقاء جميع ماكان ملابسته معصية وكل واحد منهما لما لاينفع صاحبه بدون التصديق والايمان عقبه بقوله وصدق بالحسنى اى بالكلمة الحسنى ونظيره قوله تعالى او اطعام فى يوم ذى مسغبة يتيما الى قوله ثم كان من الذين آمنوا والخلة بالفتح الخصلة واليسرى اعمال الخير بناء على ان الاعمال بالعواقب فكل ماادّى الى يسر وراحة فهو خصلة يسرى ومعنى تيسير المكلف لها ان يوفقه لاتيانها ويسهلها له من غير ان يعتريه من التثاقل والكسل مايعترى المرائين والمنافقين وكذا المراد بالعسرى اعمال الشرّ المؤدّية الى العسر والعذاب وتيسير المكلف لها ان يخذله ويخليه وشأنه لعلمه باختيار المكلف ذلك ﴿ قوله نفى او استفهام انكار ﴾ اذا كانت كلمة ما نافية يكون مفعول يغنى محذوفا اى ليس يغنى عنه ماله شيأ وان كانت استفهامية تكون فى محل النصب على انها مفعول يغنى اى اىّ شئ يغنى عنه ماله اى لايغنى شيأ ﴿ قوله تعالى تردّى ﴾ يحتمل ان يكون من التردّى بمعنى الهلاك والموت يقال ردى يردى من باب علم اى هلك واردأه غيره وهو ردىّ اى هالك وتردّى تفعل منه للمبالغة ويجوز ان يكون من ردى فى البئر وتردّى فيه اى سقط فيه او تهوّر من جبل ومنه المتردّية والمعنى اذا يسرناه للعسرى المؤدّية الى دخوله النار وتردّى فيها فمايغنى عنه ماله الذى يبخل به وتركه لوارثه ولم يصحبه شئ منه الى آخرته التى هى موضع فقره وحاجته يعنى ان الذى ينتفع به الانسان هو ماقدّمه من اعمال البرّ واعطاء الاموال فى حقوقها دون المال الذى يخلفه على ورثته ثم انه تعالى لما عرّفهم ان سعيهم لشتى بحسب الجزآء وبين انه من آثر الهدى يهوّن عليه طريق الهدى ومن آثر الضلال واستغنى بشهوات الدنيا يهوّن عليه مايؤدّى الى العسر والعناء اخبر انه قد قضى ماعليه من الهدى والبيان والترغيب فيما ينفعهم والترهيب عما يضرّهم فقال ان علينا للهدى اى للارشاد الى الحق بنصب الدلائل وبيان الشرآئع بمقتضى حكمتنا او موجب قضائنا ويجوز ان تكون الآية من قبيل قوله تعالى وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر اى علينا طريقة الهدى التى تؤدّى سالكها الينا والهدى على الاوّل بمعنى الهداية والارشاد وعلى الثانى بمعنى الطريقة المبينة لهداية الله تعالى وارشاده سميت باسم ماهو سبب لتبينها مجازا ﴿ قوله فنعطى فى الدارين ماشاء لمن نشاء ﴾ فيكون قوله ان لنا للآخرة والاولى فى معرض التأكيد والتحقيق لقوله ان علينا للهدى ولما يلزمه من الضمان لثواب الاهتدآء فى الآخرة فان من تفرّد بمالكية الدارين يملك ارشاد الانام الى الحق فى الدنيا ويملك اثابتهم على الاهتدآء فى العقبى ﴿ قوله او ثواب الهداية للمهتدين ﴾ فيكون ذلك تتميما لقوله ان علينا للهدى على معنى ان علينا ان نهديه فى الاولى الى الحق وان نثيبه على اهتدآئه فى الآخرة ﴿ قوله او فلا يضرّنا تركّكم الاهتدآء ﴾ فيكون استئنافا لبيان انه تعالى انما يهديهم ويرشدهم الى الحق رحمة لهم لا لمنفعة تعود اليه كأنه قيل علينا ان نهديكم الى صراط مستقيم ومن اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن اساء فعليها لاتعود منفعة اهتدآئه ولا مضرّة عدم اهتدآئه الينا وان اهتدآءكم لايزيد فى ملكنا شيأ لان لنا الآخرة والاولى فالوجوه الثلاثة لبيان وجه ارتباط الآية بماقبلها لالبيان معناه لانه معلوم ﴿ قوله لايلزمها مقاساة شدّتها ﴾ لما دل ظاهر قوله تعالى لايصلاها الا الاشقى الذى كذب وتولى على انه لايدخل النار الا الكافر وهذا الحصر تردّه النصوص الدالة على وعيد العصاة والفساق حمل صلى النار على لزومها والخلود فيها ومقاساة شدّتها وحرّها لكون الصلى بهذا الوجه كمال الصلى فيحمل عليه عند الاطلاق ولاشك ان الصلى بهذا المعنى منحصر فى الكافر وامر الفاسق مفوّض الى مشيئة الله تعالى فاما ان لايدخلها رأسا او يدخلها ولكن لايلزمها ويجعل حمله صلى النار على لزومها وسيلة الى دفع مايتوهم من ان منطوق قوله لايصلاها الا الاشقى يخالف مفهوم قوله وسيجنبها الاتقى فانه بمفهومه يدل على ان غير الاتقى لايجنبها بل يصلاها ويدخلها ودخول عصاة المؤمنين النار يخالف الحصر السابق فلما حمل صلى النار بمعنى لزومها كان منطوق الاوّل خلود الكافر فيها ومفهوم الثانى دخول العصاة وهو لايخالف انحصار الخلود فى الكافر لان دخول العصاة لايستلزم خلودهم ﴿ قوله لقوله يتزكى ﴾ استدل به على ان الايتاء ليس المراد به صرف المال مطلقا بل المراد به صرف المال فى مصارف الخير وان كان يتزكى بدلا من يؤتى لايكون له محل من الاعراب لانه لما كان بدلا من صلة الذى كان داخلا فى حكم الصلة والصلات لامحل لها من الاعراب لان الصلة بمعنى الاسم

والمعنى من اعطى الطاعة واتقى المعصية وصدّق بالكلمة الحسنى وهى مادلت على حق ككلمة التوحيد (فسنيسره لليسرى) فسنهيئه للخلة التى تؤدّى الى يسر وراحة كدخول الجنة من يسر الفرس اذا هيأه للركوب بالسرج واللجام (واما من بخل) بما امر به (واستغنى) بشهوات الدنيا عن نعيم العقبى (وكذب بالحسنى) بانكار مدلولها (فسنيسره للعسرى) للخلة المؤدّية الى العسر والشدّة كدخول النار (ومايغنى عنه ماله) نفى او استفهام انكار (اذا تردّى) هلك تفعل من الردى او تردّى فى حفرة القبر او قعر جهنم (ان علينا للهدى) للارشاد الى الحق بموجب قضائنا او بمقتضى حكمتنا او ان علينا طريقة الهدى كقوله وعلى الله قصد السبيل (وان لنا للآخرة والاولى) فنعطى فى الدارين مانشاء لمن نشاء او ثواب الهداية للمهتدين او فلا يضرّنا تركّكم الاهتدآء (فأنذرتكم نارا تلظى) تتلهب (لايصلاها) لايلزمها مقاساة شدّتها (الا الاشقى) الا الكافر فان الفاسق وان دخلها لم يلزمها ولذلك سماه اشقى ووصفه بقوله (الذى كذب وتولى) اى كذب الحق واعرض عن الطاعة (وسيجنبها الاتقى) الذى اتقى الشرك والمعاصى فانه لايدخلها فضلا ان يدخلها ويصلاها ومفهوم ذلك ان من اتقى الشرك دون المعصية لايجنبها ولا يلزم ذلك صليها فلا يخالف الحصر السابق (الذى يؤتى ماله) يصرفه فى مصارف الخير لقوله (يتزكى) فانه بدل من يؤتى او حال من فاعله (وما لاحد عنده من نعمة تجزى) فيقصد باتيانه مجازاتها

وبعض الاسم لامحل له وان كان حالا من المنوى في يؤتى كان المعنى يؤتيه متزكيا اى متطهرا من الذنوب او متزايدا في الخير زاكيا رفيع القدر عند الله تعالى لا للرياء والسمعة ﴿ قوله استثناء منقطع ﴾ لان ابتغاء المرضاة ليس من جنس النعمة التى يجازى عليها فيكون منصوبا على الاستثناء المنقطع وتكون الا بمعنى لكن اى لكن فعل ذلك ابتغاء وجه ربه اى لابتغاء التوجه الى ربه ﴿ قوله او متصل من محذوف ﴾ يدل عليه قوله وما لاحد عنده من نعمة تجزى فانه يدل على ان المراد لايؤتى ماله لامر من الامور الا ابتغاء وجه ربه الاعلى فعلى هذا يكون المستثنى داخلا في المستثنى منه ويكون الاستثناء متصلا ﴿ قوله والآيات نزلت في ابى بكر رضى الله عنه ﴾ هذا ما ذهب اليه جمهور المفسرين والشيعة ينكرون ذلك ويقولون انها نزلت في حق على بن ابى طالب ويستدلون عليه بان قوله تعالى ويؤتون الزكاة وهم راكعون نزلت في حقه فقوله الاتقى الذى يؤتى ماله يتزكى اشارة الى ما في تلك الآية ونحن نقول لايمكن حمل الاتقى المذكور في هذه الآية على على رضى الله عنه لانه تعالى قال في صفة هذا الاتقى وما لاحد عنده من نعمة تجزى وهذا الوصف لايصدق على على رضى الله عنه لانه كان في تربية النبى صلى الله عليه وسلم اخذه من ابيه وكان يطعمه ويسقيه ويكسوه ويربيه فكان عليه السلام منعما عليه بنعمة يجزى عليها بخلاف ابى بكر فانه لم يكن لاحد عنده من نعمة دنيوية نعم كان للرسول صلى الله عليه وسلم عنده نعمة الهداية والارشاد الى الدين الا ان هذه النعمة لا يجزى عليها لقوله تعالى حكاية عنه عليه السلام ما اسألكم عليه من اجر والمذكور ههنا ليس مطلق النعمة بل نعمة تجزى فظهر ان هذه الآية لاتصلح ان تكون نازلة في حق على رضى الله عنه فتعين انها نزلت في ابى بكر لان الامة اجمعوا على ان افضل الخلق واكرمهم واتقاهم ابو بكر رضى الله عنه روى ان بلالا كان مولى عبد الله بن جدعان فسلح اى تغوط على الاصنام وكان صادق الاسلام طاهر القلب فاطلع المشركون عليه فشكوه الى عبد الله فوهبه لهم ومائة من الابل ينحرونها لآلهتهم فاخذوا يعذبونه في الرمضاء اشد العذاب وهو يقول احد احد فمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ينجيك احد احد ثم اخبر عليه السلام ان بلالا يعذب لاجل دينه فحمل ابو بكر رطلا من ذهب فابتاعه به فاعتقه فقال المشركون ما فعل ذلك ابو بكر الا ليد كانت لبلال عنده فنزل قوله تعالى وما لاحد عنده من نعمة تجزى الا ابتغاء وجه ربه الاعلى وقال ابن الزبير وهو على المنبر كان ابو بكر يشترى الضعفة من العبيد فيعتقهم فقال ابوه يا بنى لو كنت تبتاع من يمنع ظهرك فقال يمنع ظهرى ربه فنزلت هذه الآية ثم وعده الله بان يرضيه في الآخرة بثوابه فقال ولسوف يرضى • تمت سورة الليل والحمد لله رب العالمين حمدا دائما ابدا وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿ سورة الضحى مكية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

فسر الضحى اولا بصدر النهار حين ترتفع الشمس بقرينة العطف عليه بقوله والليل وفسر قوله تعالى والشمس وضحاها بضوء الشمس ونورها الكائن وقت ارتفاع الشمس واشراقها بقرينة اضافة الضحى الى الشمس لان اضافة صدر النهار اليها لامعنى له بخلاف اضافة النور اليها وفسره ثانيا بالنهار كله وقد ارده بالضحى النهار كله في قوله تعالى افأمن اهل القرى ان يأتيهم بأسنا بياتا وهم نائمون او أمن اهل القرى ان يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون اى نهارا بقرينة وقوعه في مقابلة قوله بياتا اى بائتين داخلين المساء ﴿ قوله سكن اهله ﴾ يعنى ان الاسناد مجازى من قبيل اسناد الفعل الى زمانه مثل صام نهاره وكذا الحال اذا فسر بقوله ركد ظلامه اى ثبت وكان بحيث لا يزداد بعد ذلك وكل ما ثبت في مكان فهو راكد فيه ﴿ قوله وتقديم الليل في السورة المتقدمة ﴾ يعنى ان كل واحد منهما له تأثير عظيم في صلاح العالم فلذلك اقسم به الا ان الليل له فضيلة السبق والاصالة بالنسبة الى النهار فانه يحدث بطلوع الفجر وبالغروب يعود الهواء الى الحالة الاصلية ولذلك قدم الظلمة في قوله وجعل الظلمات والنور وللنهار فضيلة الشرف والاستنارة بالنسبة الى الليل فلذلك قدم هذا تارة وذاك اخرى • فان قيل ما السبب في انه تعالى ذكر الضحى وهو ساعة من النهار وذكر الليل بكليته • اجيب بانه وان كان ساعة منه الا انه لكونه اشرف ساعاته نازل منزلة الكل ﴿ قوله لترك الاستثناء ﴾ روى ان مشركى قريش ارسلوا الى يهود المدينة وسألوهم عن امر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم اليهود اسألوه عن قصة اصحاب الكهف وعن قصة ذى القرنين وعن الروح فان اخبركم بقصة اهل الكهف وعن قصة ذى القرنين ولم يخبركم عن امر الروح فاعلموا انه صادق فجاءه المشركون

(الا ابتغاء وجه ربه الاعلى) استثناء منقطع او متصل من محذوف مثل لا يؤتى الا ابتغاء وجه ربه لا لمكافأة نعمة (ولسوف يرضى) وعد بالثواب الذى يرضيه والآيات نزلت في ابى بكر حين اشترى بلالا في جماعة تولاهم المشركون فاعتقهم ولذلك قيل المراد بالاشقى ابو جهل وأمية بن خلف قال عليه السلام من قرأ سورة والليل اعطاه الله حتى يرضى وعافاه من العسر ويسر له اليسر

﴿ سورة والضحى مكية وآيها ﴾
﴿ احدى عشرة آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والضحى) ووقت ارتفاع الشمس وتخصيصه لان النهار يقوى فيه او لان فيه كلم موسى ربه او القى السحرة سجدا او النهار ويؤيده قوله ان يأتيهم بأسنا ضحى في مقابلة بياتا (والليل اذا سجى) سكن اهله او ركد ظلامه من سجا البحر سجوا اذا سكنت امواجه وتقديم الليل في السورة المتقدمة باعتبار الاصل وتقديم النهار ههنا باعتبار الشرف (ما ودعك ربك) ما قطعك قطع المودع وقرئ بالتخفيف بمعنى ما تركك وهو جواب القسم (وما قلى) وما ابغضك وحذف المفعول استغناء بذكره من قبل ومراعاة للفواصل روى ان الوحى تأخر عنه اياما لتركه الاستثناء كما مر في سورة الكهف

(وسألوه)

وسألوه عنها فقال عليه الصلاة والسلام لهم ارجعوا اسأخبركم غدا ولم يقل ان شاء الله فاحتبس الوحي عنه اثني عشر يوما وقيل عشرين يوما وقيل خمسة وعشرين يوما وقيل اربعين يوما حتى نزل جبريل عليه السلام بقوله تعالى ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله فأخبره بما سئل عنه ونزل ايضا بقوله ما ودعك ربك وما قلى فان قيل ما ذكر من كون سبب احتباس الوحي ترك الاستثناء لا يدل على انه كان عن قلى فما وجه قوله تعالى وما قلى اجيب بان اقصى ما في الباب انه عليه الصلاة والسلام وقع منه ما هو ترك الافضل والاولى فظن انه صار ممقوتا روي انه عليه الصلاة والسلام قال لجبريل ما جئتني حتى اشتقت اليك فقال جبريل بل كنت اليك اشوق ولكني عبد مأمور وتلا وما نتنزل الا بامر ربك والتوديع اصله الودع وهو الترك وبناء التفعيل للمبالغة فيه لان من ودعك عند الرحيل مفارقا فقد بالغ في تركك وقرئ ما ودعك بتخفيف الدال وهو قليل الاستعمال فانهم اماتوا ماضي يدع ويذر فلا يكادون يقولون ودع ولا وذر لثقل الواو في اول الكلمة واستغنوا عنهما بترك واستعملوا مضارعهما لعدم الثقل **قوله او زجره سائلا ملحا** روي ان عثمان بن عفان رضي الله عنه اهدى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم عنقود عنب فجاء سائل فاعطاه اياه ثم اشتراه عثمان بدرهم فقدمه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثانيا ثم عاد السائل فاعطاه ذلك فاشتراه عثمان ايضا وقدمه له فعاد السائل ثالثا فقال عليه الصلاة والسلام ملاطفا له لا غضبان عليه أسائل أنت يا فلان ام تاجر فتأخر عنه الوحي اياما لذلك فنزلت واما السائل فلا تنهر وروي ايضا ان خولة كانت تخدم النبي صلى الله عليه وسلم فجاء جرو الى البيت فدخل تحت السرير فمات هناك فمكث رسول الله صلى الله عليه وسلم اياما لا ينزل عليه الوحي فقال يا خولة ما حدث في بيتي حتى ان جبريل لا يأتيني قالت خولة فهيأت البيت فكنسته فاهويت بالمكنسة تحت السرير فاذا جرو ميت فاخذته فالقيته خلف الجدار فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ترعد لحياه وكان اذا نزل عليه الوحي استقبلته الرعدة فقال يا خولة دثريني فانزل الله تعالى هذه السورة فلما نزل جبريل عليه السلام سأله عن تأخيره فقال اما علمت أنا لا ندخل بيتا فيه كلب ولا صورة **قوله النهاية امرك خير من بدايته** على ان لا يراد بالآخرة ما يقابل الدنيا بل يراد بها الحالة الآتية فالمعنى لا تظنن ان ربك ودعك وقلاك فلذلك قطع عنك وحيه اياما بل كل حال يأتي عليك فيما بعد من الازمنة والايام فانها خير لك من احوالك الماضية ومن جملة احوالك انه احتبس عنك الوحي احيانا بعد تتابعه وتعاقبه عليك فقال الاعداء فيك ما قالوا وقلنا في ردهم مؤكدا بالقسم ما ودعك ربك وما قلى ولسوف يعطيك ربك فترضى وهذه الكرامة والموعدة خير لك مما كان قبل من تواتر الوحي وتتابعه **قوله واللام للابتداء الخ** لانها لا تدخل الا على الجملة الاسمية فلا بد من تقدير مبتدأ اي ولانت سوف يعطيك ربك لا لام جواب القسم لان لام القسم لا تدخل على المضارع الا مع نون التوكيد نحو والله لاضربن **قوله وجمعها مع سوف** فان لام الابتداء لما تجردت للتأكيد وكانت السين تدل على التأخير والتنفيس حصل من اجتماعهما ان العطاء المتأخر لحكمة كائن لا محالة **قوله من الوجود بمعنى العلم** اي ألم يعلمك يتيما فآوى اي فجعل لك مأوى تأوي اليه يقال اوى فلان الى منزله يأوي أويا على فعول وآويته انا ايواء وكان يتمه عليه الصلاة والسلام ان اباه عبد الله بن عبد المطلب توفي وامه عليه السلام حامل به ثم ولد عليه السلام فكان مع جده عبد المطلب ومع امه آمنة فماتت امه آمنة وهو ابن ست سنين ثم مات جده بعد امه بسنتين وهو عليه السلام ابن ثمان سنين ولما اشرف عبد المطلب على الموت اوصى عليه عليه السلام ابا طالب لان عبد الله وابا طالب كانا من ام واحدة فكان ابو طالب هو الذي يكفل رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد جده الى ان بعثه الله تعالى فقام بنصره مدة مديدة ثم توفي ابو طالب بعد ذلك فلم يظهر عليه السلام من اثر اليتم شيأ فذكره الله تعالى هذه النعمة بقوله ألم يجدك يتيما فآوى **قوله من علم الحكم والاحكام** اي وجدك غافلا عن علوم النبوة والاحكام الشرعية فهداك اليها كقوله ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان وقيل وجدك ضالا في الطريق روي انه عليه الصلاة والسلام خرج مع عمه ابي طالب في قافلة ميسرة غلام خديجة فبينما هو راكب ناقة ذات ليلة ظلماء وهو نائم فجاء ابليس فأخذ زمام الناقة فعدل به عن الطريق فجاء جبريل عليه السلام فنفخ ابليس نفخة وقع منها الى ارض الحبشة وقيل الى ارض الهند ثم رده الى القافلة وقيل انه عليه السلام ضل عن مرضعته حليمة حين فطمته وارادت ان ترده الى جده حتى دخلت الى هبل وشكت ذلك اليه فتساقطت الاصنام وسمعت صوتا اتاهلاكنا بيد هذا الصبي وفيه حكاية طويلة وعن ابن عباس رضي الله عنه انه قال انه عليه الصلاة والسلام

او زجره سائلا ملحا او لان جروا ميتا كان تحت سريره او لغيره فقال المشركون ان محمدا ودعه ربه وقلاه فنزلت ردا عليهم (وللآخرة خير لك من الاولى) فانها باقية خالصة عن الشوائب وهذه فانية مشوبة بالمضار كأنه لما بين انه تعالى لا يزال يواصله بالوحي والكرامة في الدنيا وعده ما هو أعلى واجل من ذلك في الآخرة او ولنهاية امرك خير من بدايته فانه لا يزال يتصاعد في الرفعة والكمال (ولسوف يعطيك ربك فترضى) وعد شامل لما اعطاه من كمال النفس وظهور الامر واعلاء الدين ولما ادخر له مما لا يعرف كنهه سواه واللام للابتداء دخل الخبر بعد حذف المبتدأ والتقدير ولانت سوف يعطيك لا للقسم فانها لا تدخل على المضارع الا مع النون المؤكدة وجمعها مع سوف للدلالة على ان العطاء كائن لا محالة وان تأخر لحكمة (ألم يجدك يتيما فآوى) تعديد لما انعم عليه تنبيها على انه كما احسن اليه فيما مضى يحسن اليه فيما يستقبل ويجدك من الوجود بمعنى العلم ويتيما مفعوله الثاني او المصادفة ويتيما حال (ووجدك ضالا) عن علم الحكم والاحكام (فهدى) فعلمك بالوحي والالهام والتوفيق للنظر وقيل وجدك ضالا في الطريق حين خرج بك ابو طالب الى الشام او حين فطمتك حليمة وجاءت بك لتردك على جدك فأزال ضلالك عن عمك او جدك

ضل فى شعاب مكة وهو صغير ومازال ضالا حتى كاد الجوع يقتله فرآه ابوجهل وهو منصرف عن اغنامه فرده الى جده عبد المطلب وهو متعلق بأستار الكعبة يتضرع الى الله تعالى فى ان يرد اليه محمدا ويقول يا رب البيت رد لى محمدا اردده ربى واصطنع بذا يدا فلا زال يردد هذا الكلام حتى اتاه ابوجهل على ناقة ومحمد صلى الله عليه وسلم بين يديه فقال له لا تدرى ماذا ارى من ابنك فقال عبد المطلب مارأيت قال انى انخت الناقة واركبته من خلفى فأبت الناقة ان تقوم فلما أركبته أمامى قامت الناقة كأن الناقة تقول يا احمق هو الامام فكيف يقوم خلف من وجب عليه ان يقتدى به ﴿ قوله ذا عيال ﴾ صفة كاشفة لقوله فقيرا يقال عال يعيل عيلا وعيلة وعيولا اى افتقر وأعال الرجل اذا كثر عياله اى من ينفق عليه قيل العائل ذو العيال ثم اطلق على الفقير وان لم يكن له عيال والمشهور ان المراد بالعائل فى الآية الفقير * تمت سورة الضحى بحمد الله تعالى وعونه وحسن توفيقه وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿ سورة ألم نشرح مكية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الشرح التوسعة والفسحة السعة ومكان فسيح اى واسع وفسح له فى المجلس اى وسع له وقد شرح الله تعالى صدره عليه الصلاة والسلام بحيث وسع مناجاة الحق ودعوة الخلق بعد ماضاق عنهما جميعا فان مقام حضور الحق ومناجاته مقام شهود الحق والغيبة عن الخلق ومن كان غائبا عن الخلق كيف يتأتى له دعوة الخلق ومعاناتهم فان دعوتهم تستلزم الحضور معهم والحضور مع المخلوق ينافى الحضور مع الخالق ظاهرا فيضيق الصدر عن الجمع بينهما فكان حاضرا مع الحق مستغرقا فى مقام مناجاته دائما وهو غائب عنه مشتغل بدعوة الخلق ظاهرا فكان غائبا حاضرا ﴿ قوله أو ألم نفسح بما أودعنا فيه الخ ﴾ فانه تعالى ما فسح صدر احد من بنى آدم كفسحه لصدره المنير عليه الصلاة والسلام حتى وسع علم الاولين والآخرين وقال اوتيت جوامع الكلم ﴿ قوله وقيل انه ﴾ اى ان قوله تعالى ألم نشرح لك صدرك اشارة الى ماروى ان جبريل عليه السلام اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صباه اى حين كان عند حليمة فى السنة التى اعادته فيها الى عبد المطلب وشق صدره واخرج قلبه وغسله وانقاه مما كان فيه من الدم الاسود ثم جاء بطست من ذهب قد ملئ علما وايمانا فوضعه فى صدره ﴿ قوله او يوم الميثاق ﴾ الظاهر ان المراد يوم الميثاق ليلة المعراج ويؤيده ماذكره الامام النسفى ناقلا عن الكلبى ان جبريل عليه السلام اتاه فشق صدره وأخرج من قلبه ثم جاء بدلو من ماء زمزم فغسله وانقاه مما فيه ثم جاء بطست من ذهب قد ملئ علما وايمانا فوضعه فيه ثم قال كان هذا حين جاءه بالبراق ليلة المعراج او حين كان عند حليمة فى السنة التى اعادته فيها الى عبد المطلب والقاضى عبد الجبار طعن فى هذه الرواية من وجوه احدها انه قد روى ان هذه الواقعة وقعت فى حال صغره عليه الصلاة والسلام وهى من المعجزات فلا يجوز ان تتقدم نبوته وثانيها ان تأثير الغسل فى ازالة الاجسام ولا شك ان الاخلاق والمعاصى ليسا من قبيل الاجسام فلا يؤثر فيهما الغسل وثالثها ان القلب لا يصح ان يملأ علما وايمانا بل الله تعالى يخلقهما فى القلب واجيب عن الاول بان تقديم المعجزة عن البعثة يجوز عندنا وذلك هو المسمى بالارهاص ومثله كثير فى حقه عليه الصلاة والسلام وعن الثانى فى قوله ان الغسل له تأثير فى ازالة الاجسام بان مافى القلب من الدم الاسود لا يبعد ان يكون حصوله فيه علامة مقربة للقلب الى ميله الى المعاصى وابعاده عن الطاعات وتكون ازالته عنه سببا لمواظبة صاحبه على الطاعات واحترازه من الشهوات المنبعثة عن توجه القوة الطبيعية اليها فتكون ازالته عنه مستلزمة لامتلائه بالعلم والايمان فصح ان يعبر عن تطهير قلبه عليه الصلاة والسلام من ذلك الدم بامتلائه بالعلم والايمان واشار المصنف الى الجواب عن طعن القاضى فى هذه الرواية بما حاصله ان المراد بما روى ليس ظاهره بل هو رمز الى توسيع الصدر فقال ولعله اى ولعل ماروى اشارة الى نحو ماسبق من تفسيح الصدر ﴿ قوله مبالغة فى اثباته ﴾ وجه المبالغة ان الانكار فى معنى النفى ونفى النفى اثبات فكان المعنى قد شرحنا لك صدرك واثبات الشرح بنفى النفى اثبات له فكان ابلغ من اثباته ابتداء ﴿ قوله ولذلك ﴾ اى ولاجل ان معنى ألم نشرح قد شرحنا عطف عليه ووضعنا لانه بهذا الاعتبار يكون العطف من قبيل عطف الجملة الخبرية على مثلها والعبء بالكسر الحمل والنقيض صوت الانتقاض والانفكاك ونقيض الرحل صوته عند تداعى اجزائه الى الانفكاك وشبه خطاءه من ترك الافضل والاولى بالعبء الثقيل فاطلق عليه اسم المشبه به وهو الوزر

(ووجدك عائلا) فقيرا ذا عيال (فأغنى) بما حصل لك من ربح التجارة (فأما اليتيم فلا تقهر) فلا تغلبه على ماله لضعفه وقرئ فلا تكهر اى فلا تعبس فى وجهه (وأما السائل فلا تنهر) فلا تزجر (وأما بنعمة ربك فحدث) فان التحدث بها شكرها وقيل المراد بالنعمة النبوة والتحدث بها تبليغها قال عليه السلام من قرأ سورة والضحى جعله الله فيمن يرضى لمحمد ان يشفع له وكتب له عشر حسنات بعدد كل يتيم وسائل

﴿ سورة ألم نشرح مكية وآيها ثمان ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(ألم نشرح لك صدرك) ألم نفسحه حتى وسع مناجاة الحق ودعوة الخلق فكان غائبا حاضرا او ألم نفسحه بما اودعنا فيه من الحكم وأزلنا عنه ضيق الجهل او بما يسرنا لك تلقى الوحى بعد ما كان يشق عليك وقيل انه اشارة الى ماروى ان جبريل اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صباه او يوم الميثاق فاستخرج قلبه فغسله ثم ملأه ايمانا وعلما ولعله اشارة الى نحو ماسبق ومعنى الاستفهام انكار نفى الانشراح مبالغة فى اثباته ولذلك عطف عليه (ووضعنا عنك وزرك) عبأك الثقيل (الذى انقض ظهرك) الذى حمله على النقيض وهو صوت الرحل عند الانتقاض من ثقل الحمل وهو ماثقل عليه من فرطاته قبل البعثة

ثم قرن بما يلائم المستعار منه وهو الوضع والحط فالوزر استعارة والوضع ترشيح ﴿قوله او وجهله بالحكم والاحكام﴾ لعله اراد بالحكمة العلم المتعلق بتهذيب الاخلاق وتحلية النفس بالفضائل السنية وتخليتها عن الرذائل الدنية وفي التلويح الحكمة هي العلم النافع المعبر عنه بمعرفة النفس مالها وما عليها المشار اليه بقوله تعالى ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيراً كثيراً وبالاحكام العلم المتعلق باصلاح الاعمال والمعاملات التي يتوقف عليها حسن المعاشرة بين الانام ويدور عليها انتظام احوالهم ﴿قوله او حيرته﴾ اي او المراد من الحمل الثقيل الحيرة التي كانت له عليه الصلاة والسلام قبل البعثة وذلك انه عليه السلام كان ينظر بكمال عقله الى عظم نعم الله تعالى عليه حيث اخرجه من العدم الى الوجود واعطاه الحياة والعقل وسائر ماينبعهما من النعم فتثقل عليه تلك النعم ولا يدري كيف يشكرها فيغلب عليه الحياء والحيرة فلما جاءته النبوة والتكاليف وعرف انه كيف يعبد ربه ويشكر نعمه زالت حيرته فان اللئيم لا يبالي بما اسبغ عليه من النعم المتظاهرة ولا يستحيي من مقابلتها بالخدمة والطاعة بخلاف الانسان الكريم النفس فانه اذا توارت النعم عليه وهو عاجز عن مقابلتها بنوع من انواع الخدمة فان ذلك يثقل عليه جداً بحيث يكاد يموت من الحياء فاذا كلفه المنعم بنوع من الخدمة سهل ذلك عليه فطاب قلبه ﴿قوله او تلقي الوحي﴾ اي او المراد من الوزر ما اصابه من الهيبة والفزع في اول ملاقاة جبريل عليه السلام حتى كان تأخذه الرعدة ويستولي عليه العرق عند نزول الوحي ويقول زملوني ودثروني ثم انه تعالى وضع عنه هذه الهيبة وقوى قلبه حتى الفه وصار يأتي بنفسه على شاهق الجبل لشدة اشتياقه اليه ﴿قوله وانما زاد لك﴾ جواب عما يقال ما الفائدة في زيادة قوله لك في قوله الم نشرح لك ورفعنا لك وفي زيادة عنك في قوله ووضعنا عنك مع ان المعنى يتم بدونهما ولو بعد زيادتهما فأي فائدة في تقديمهما على مفعول ما معناه وتقرير الجواب ان زيادتهما مقدمين على المفعول تفيد ابهام المشروح والموضوع والمرفوع ثم تبيينه وتوضيحه ومن المعلوم ان الايضاح بعد الابهام والتفصيل بعد الاجمال اوقع في الذهن وابلغ في البيان وذلك يدل على تعظيم المشروح والموضوع والمرفوع ﴿قوله فلا تيأس من روح الله اذا عراك ما يغمك﴾ يعني ان قوله تعالى فان مع العسر يسرا من قبيل تفريع الحكم على الدليل في صورة الاستدلال بالجزئي على الكلي كانه قيل اذا وجدت وعلمت يسر الشرح والوضع والرفع مع عسر الضيق والثقل والحزن فتحقق ان المطلق العسر يسرا اي يسر وتيقن ان العسر الذي انت فيه لا ينفك عن يسر عظيم وقس ما سيأتي عليك فيما بعد من وجوه العسر على ما مضى من احوالك فاني زهر لا يعقبه ربيع ﴿قوله والمعنى﴾ بما في ان مع من المصاحبة المبالغة في معاقبة اليسر للعسر﴾ يعني انهما متضادان لا يتصور معيتهما فلا بد من توجيه ذكر كلمة مع في هذا المقام ﴿قوله تكرير للتأكيد﴾ اي لتقرير معنى الجملة المتقدمة وتمكينها في القلوب فكما يكرر المفرد في مثل جاءني زيد زيد كذلك كررت الجملة ههنا ايضا ويحتمل ان تكون الجملة الثانية مستأنفة بان العسر المذكور اولا متبوع بيسر آخر فان الاسم اذا ذكر معرفا ثم اعيد معرفا كان الثاني عين الاول فيكون العسر واحدا مع كونه مذكورا مرتين وذلك العسر اما العسر المعهود الذي كانوا فيه او جنس العسر الذي يعلمه كل واحد والنكرة اذا اعيدت مع الالف واللام كان الثاني عين الاول ايضا كما في قوله تعالى كما ارسلنا الى فرعون رسولا فعصى فرعون الرسول واذا اعيدت نكرة لا يلزم ان يكون الثاني عين الاول ويسرا الثاني ههنا منكر فيحتمل ان يكون عين الاول والحال ان العسر الثاني ايضا هو العسر الاول فيكون قوله تعالى ان مع العسر يسرا تكريرا للاول وتأكيدا له وان يكون غيره فيكون الثاني كلاما مستأنفا مفيدا لان يكون مع عسر واحد يسران وهذا الاحتمال ارجح لما علم من فضل التأسيس على التأكيد وكلام الله تعالى ينبغي ان يحمل على ابلغ الاحتمالين واولاهما والمقام مقام التسلية والتنفيس والحمل عليه اولى * وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال يقول الله تعالى خلقت عسرا واحدا وخلقت يسرين فلن يغلب عسر يسرين وكل هذا يؤيد كون الجملة الثانية كلاما مستأنفا ﴿قوله تعالى فاذا فرغت فانصب﴾ جواب شرط محذوف اي اذا تقرر عندك ما عددناه عليك وما وعدناك من النعم فاتعب في العبادة اذا فرغت من التبليغ شكراً لذلك فان الشكر يربط العتيد ويجلب المزيد والنصب التعب يقال نصب في الشيء ينصب من باب علم اي تعب فيه وروي ان شريحا مر برجلين يتصارعان فقال ما امر الله بهذا انما قال فاذا فرغت فانصب يعني انه تعالى امر ان يواصل بين بعض العبادات وبعضها وان لا يخلي وقتا من اوقاته منها فاذا فرغ من عبادة اتبعها باخرى ﴿قوله ولا تسأل غيره﴾ الحصر مستفاد من تقديم الظرف

او جهله بالحكم والاحكام او حيرته او تلقي الوحي او ما كان يرى من ضلال قومه مع العجز عن ارشادهم او من اصرارهم وتعديهم في ايذائه حين دعاهم الى الايمان (ورفعنا لك ذكرك) بالنبوة وغيرها واي رفع مثل ان قرن اسمه باسمه في كلمتي الشهادة وجعل طاعته طاعته وصلى عليه في ملائكته وامر المؤمنين بالصلاة عليه وخاطبه بالالقاب وانما زاد لك ليكون ابهاما قبل ايضاح فيفيد المبالغة (فان مع العسر) كضيق الصدر والوزر المنقض للظهر وضلال القوم وايذائهم (يسرا) كالشرح والوضع والتوفيق للاهتداء والطاعة فلا تيأس من روح الله اذا عراك ما يغمك وتنكيره للتعظيم والمعنى بما في ان مع من المصاحبة المبالغة في معاقبة اليسر للعسر واتصاله به اتصال المتقارنين (ان مع العسر يسرا) تكرير للتأكيد او استئناف وعدة بان العسر مشفوع بيسر آخر كثواب الآخرة كقولك ان للصائم فرحتين اي فرحة عند الافطار وفرحة عند لقاء الرب وعليه قوله عليه السلام لن يغلب عسر يسرين فان العسر معرف فلا يتعدد سواء كان للعهد او للجنس ويسرا منكر فيحتمل ان يراد بالثاني فرد يغاير ما اريد بالاول (فاذا فرغت) من التبليغ (فانصب) فاتعب في العبادة شكرا لما عددنا عليك من النعم السابقة ووعدنا بالنعم الآتية وقيل فاذا فرغت من الغزو فانصب في العبادة او فاذا فرغت من الصلاة فانصب بالدعاء (والى ربك فارغب) بالسؤال ولا تسأل غيره فانه القادر وحده على اسعافه وقرئ فرغب اي رغب الناس الى طلب ثوابه * عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة ألم نشرح فكأنما جاءني وانا مغتم ففرج عني

﴿ سورة والتين مختلف فيها وآيها ثمان ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والتين والزيتون) خصهما من بين الثمار بالقسم لان التين فاكهة طيبة لافضل لها وغذاء لطيف سريع الهضم ودوآء كثير النفع فانه يلين الطبع ويحلل البلغم ويطهر الكليتين ويزيل رمل المثانة ويفتح سدة الكبد والطحال ويسمن البدن وفى الحديث انه يقطع البواسير وينفع من النقرس والزيتون فاكهة وادام ودوآء وله دهن لطيف كثير المنافع مع انه قد ينبت حيث لادهنية فيه كالجبال وقيل المراد بهما جبلان من الارض المقدسة او مسجدا دمشق وبيت المقدس او البلدان (وطور سينين) يعنى الجبل الذى ناجى عليه موسى عليه السلام ربه وسينين وسيناء اسمان للموضع الذى فيه (وهذا البلد الامين) اى الآمن من امن الرجل امانة فهو امين او المأمون فيه يأمن فيه من دخله والمراد به مكة (لقد خلقنا الانسان) يريد به الجنس (فى احسن تقويم) تعديل بان خص بانتصاب القامة وحسن الصورة واستجماع خواص الكائنات ونظائر سائر الممكنات (ثم رددناه اسفل سافلين) بان جعلناه من اهل النار او الى اسفل سافلين وهو النار

تمت سورة الم نشرح لك والحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لانبى بعده

﴿ سورة التين مكية وقال ابن عباس وقتادة مدنية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ قوله وقيل المراد بهما جبلان ﴾ روى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال هما جبلان من الارض المقدسة يقال لهما بالسريانية طور زيتا لانهما منبتا التين والزيتون ﴿ قوله او مسجدا دمشق وبيت المقدس ﴾ قال ابن زيد التين مسجد دمشق والزيتون مسجد بيت المقدس عبر عنهما بما كثر فيهما من التين والزيتون ﴿ قوله او البلدان ﴾ الكوفة والشام وسينين وسيناء اسمان للبقعة وهو الجبل الذى كلم الله تعالى موسى عليه السلام عليه اضيف ذلك الجبل الى البقعة التى حصل هو فيها والمعنى وجبل الموضع المسمى بسينين وعن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال الطور الجبل وسينين الحسن بلغة الحبشة وعن مجاهد سينين المبارك وقال الكلبى هو الجبل ذو الشجر وقال مجاهد ومقاتل كل جبل ذى شجر مثمر سينين وسيناء بلغة النبط ﴿ قوله من امن الرجل ﴾ يأمن بضم الميم فيهما فهو امين اى آمن بمعنى ذى أمن وهو الامانة يقال أمنت فانا آمن فالامين فعيل بمعنى فاعل وامانته ان يحفظ من دخله كما يحفظ الامين مايؤتمن عليه ﴿ قوله او المأمون فيه ﴾ عطف على قوله اى الآمن فالامين فعيل بمعنى المفعول فيه كالمشترك بمعنى المشترك فيه اقسم الله تعالى بهذه الاشياء لانه شرفها وبركها ولانها مساكن الانبياء والصالحين ومهاجر ابراهيم ومولد اسماعيل عليه الصلاة والسلام ومنشأه بمكة موضع البيت العتيق ومولد خير الانبياء ومبعثه وجواب القسم قوله لقد خلقنا الانسان فى احسن تقويم اى تعديل لشكله وصورته وتسوية لاعضائه فان التقويم تصيير الشئ على ماينبغى ان يكون عليه فى تأليف الاجزآء وتعديل الاعضاء والهيئات والاشكال وتكميله بالقوى الباطنة التى يتوصل بها الى الفضائل العلية والآداب والاخلاق المرضية يقال قومته تقويما فاستقام وتقوم * روى ان ملكا من الملوك خلا بزوجته فى ليلة قمرآء فقال لها ان لم تكونى احسن من القمر فانت كذا فافتى الكل بالحنث الا يحيى قال لايحنث فقال الملك خالفت شيوخك فقال الفتوى بالعلم لابكبر السن ولقد افتى من هو اعلم منا وهو الله تعالى فقال لقد خلقنا الانسان فى احسن تقويم وكان بعض الصالحين يقول الهنا اعطيتنا فى الاولى احسن الاشكال فاعطنا فى الآخرة احسن الفعال وهو العفو عن الذنوب والتجاوز عن العيوب وقيل كان عيسى بن موسى الهادى يحب زوجته حبا شديدا فقال لها يوما انت طالق ثلاثا ان لم تكونى احسن من القمر فنهضت واحتجبت وقالت طلقتنى فباتا بليلة عظيمة فلما اصبح غدا الى دار المنصور فاخبره الخبر واظهر له جزعا عظيما فاحضر المنصور فقهاء زمانه واستفتاهم فقال جميع من حضر قد طلقت الا رجلا من اصحاب ابى حنيفة رضى الله عنه فانه كان ساكتا فقال المنصور مالك لاتتكلم فقال بسم الله الرحمن الرحيم والتين والزيتون الى قوله لقد خلقنا الانسان فى احسن تقويم ثم قال ياامير المؤمنين فالانسان احسن المخلوقات ولاشئ احسن منه فلم تطلق امرأة الرجل فقال المنصور لعيسى بن موسى الامر كما قال الرجل فاقبل على زوجتك وارسل الى زوجته ان اطيعى زوجك لاتعصيه فما طلقك ﴿ قوله ونظائر سائر الممكنات ﴾ اى وبان خص باجتماعه مثال كل ممكن قال الفلاسفة انه العالم الاصغر اذ كل مافى المخلوقات حاصل فيه ﴿ قوله بان جعلناه من اهل النار ﴾ على ان يكون اسفل حالا من مفعول رددناه ويكون المراد بكونه اسفل كونه فى غاية الانحطاط والقباحة من حيث الصورة والتقويم كناية عن كونه من اهل النار والمعنى ثم كان عاقبة امره حين لم يشكر تلك النعمة وهى نعمة الخلقة الحسنة ان رددناه اى صرفناه عن طريقه فى احسن الصور حال كونه اسفل من سفل خلقا وتركيبا واقبح من قبح صورة وخلقة وهم اصحاب النار ﴿ قوله او الى اسفل سافلين وهو النار ﴾ على ان يكون اسفل صفة مكان محذوف اى الى مكان اسفل الامكنة السافلين عن مجاهد ثم رددناه الى النار التى هى اسفل السافلين وعلى الوجهين يكون الاستثناء فى قوله الا الذين آمنوا متصلا والمستثنى منه الضمير المنصوب فى قوله ثم رددناه لانه فى معنى الجمع لرجوعه الى الانسان المراد منه الجنس وتكون الفاء فى قولهم فلهم اجر التعليل كون المستثنى خارجا عن حكم المستثنى منه كانه قيل لايحولون عن كونهم فى احسن تقويم الى ان يكونوا من اسفل السافلين من حيث الصورة لانهم مثابون فى الجنة تعرف فى وجوههم نضرة النعيم واما اذا اريد باسفل السافلين ارذل العمر بناء على ان من رد الى ارذل العمر يحول من احسن التقويم الى اسفل السافلين من حيث الصورة والشكل حيث

يتقوس ظهره ويضعف سمعه وبصره ويتداعى جميع قواه واعضائه الى الانحلال والاضمحلال فحينئذ يكون الاستثناء منقطعا لان اهل الايمان والطاعة الخرجين عن كونهم مردودين الى ارذل العمر قد اثبت لهم حكم توهم عدم ثبوته لهم بسبب بلوغهم الى ارذل العمر وعجزهم عما فعلوه زمان الاقتدار عليه فيكون الا بمعنى لكن وقوله الذين آمنوا وعملوا الصالحات اسمه وقوله فلهم اجر غير ممنون خبره ودخول الفاء لتضمن اسمه معنى الشرط والمعنى ولكن الصالحين من الهرمى فلهم اجر وثواب دائم غير ممنون اى غير منقطع بسبب طاعتهم وصبرهم على ابتلاء الله تعالى اياهم بالشيخوخة والهرم فان المؤمن اذا عمل فى حال شبابه وقوته وحياته فاذا مرض او هرم او مات فانه يكتب له حسناته بتمامها كما كان يعمل فى حياته وقوته الى يوم القيامة روى عنه عليه الصلاة والسلام انه قال ان المؤمن اذا مات صعد ملكاه الى السماء فيقولان يارب ان عبدك فلانا قد مات فأذن لنا حتى نعبدك على السماء فيقول الله تعالى سمواتى مملوءة بملائكتى ولكن اذهبا الى قبره واكتبا له حسناته الى يوم القيامة» كذا فى تفسير الامام ابى الليث وعن انس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «المولود حين لم يبلغ الحلم ماعمل من حسنة كتبت لوالديه فان عمل سيئة لم تكتب عليه ولا على والديه واذا بلغ الحنث وجرى عليه القلم امر الله تعالى ملكين ان يحفظاه ويسدداه فاذا بلغ سنه فى الاسلام اربعين آمنه الله تعالى من البلايا الثلاث من الجنون والجذام والبرص فاذا بلغ خمسين سنة ضعف الله تعالى حسناته فاذا بلغ ستين رزقه الله تعالى الانابة اليه فيما يحب واذا بلغ سبعين احبه اهل السماء فاذا بلغ ثمانين سنة كتب الله تعالى حسناته وتجاوز عن سيئاته فاذا بلغ تسعين غفر الله ماتقدم من ذنبه وماتأخر وشفعه فى اهل بيته وكان اسمه اسير الله فى ارضه فاذا بلغ ارذل العمر كيلا يعلم من بعد علم شيأ كتب الله له مثل ماكان يعمل فى يوم صحته من الخير وان عمل سيئة لم تكتب عليه» كذا وجدته فى بعض التفاسير ووجدته ايضا معلقا على ظاهر التفسير الكبير نقلا من تفسير الثعلبى من غير تفاوت بين عبارتهما انتهى

﴿قوله فأى شئ يكذبك يا محمد﴾ صلى الله عليك وسلم يعنى ان ما استفهامية مرفوعة المحل على الابتداء ويكذبك خبرها والخطاب له عليه الصلاة والسلام والمعنى اى شئ ينسبك الى الكذب فيما اخبرت به من البعث والجزاء بعد هذا البيان والباء فى قوله تعالى بالدين ليست صلة للتكذيب بل هى مثلها فى قوله تعالى والذين هم به مشركون فان تقديره والذين هم بسبب الشيطان مشركون بالله فحذف بالله فكذا تقدير هذه الآية فما يكذبك بعد بسبب تكذيب الجزاء والحساب فان من كذب بالجزاء وانكره فهو مكذب لمن اخبر به لامحالة ووجه كون ماذكر فى هذه السورة بيانا لحقية الدين حتى يصح ان يفرع عليه قوله فما يكذبك بعد بالدين انه تعالى اقسم بالامور المذكورة على انه خلق الانسان المسوى من الماء المهين وحسن ظاهره وباطنه بأحسن تقويم ودرّجه فى مراتب الازدياد والنماء الى ان استكمل واستوى ثم نكسه وردّه الى ارذل العمر وبين به كمال قدرته ليستدل به على ان من قدر على الابداء على الوجه المذكور فهو قادر على الاعادة والجزاء ثم حقق انه عليه الصلاة والسلام غير مكذب بسبب الدين فقال على سبيل الاستفهام الانكارى أليس الله بأحكم الحاكمين وانكار عدم كونه تعالى احكم الحاكمين اثبات له فيما ذكر من الخلق والرد كونه احكم الحاكمين صنعا وتدبيرا واذا ثبتت القدرة والحكمة بما ذكر من البيان صح القول بامكان البعث والجزاء وبوقوع ذلك اما الامكان فبالنظر الى القدرة واما الوقوع فبالنظر الى الحكمة فان عدم ذلك يقدح فى الحكمة كما قال تعالى وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا وذلك انه تعالى ان كان خلقها لا لحكمة كان ذلك عبثا وهو لايجوز على الحكيم وان كان خلقها لحكمة عائدة اليه تعالى يلزم كونه مستكملا بغيره تعالى عن ذلك علوّا كبيرا فتعين انه تعالى خلق ماخلق لحكمة عائدة الى الانسان وهى اثابة المطيع وعقاب العاصى وتلك الحكمة لاتظهر فى الدنيا لانها دار ابتلاء وامتحان فثبت انه لابد من دار اخرى غير هذه الدار ليثاب فيها الانسان ويسترح فالقول بوجود الاله القادر الحكيم يستلزم القطع بالقيامة والجزاء كما مرّ غير مرة وان الحكيم هو المتقن للامور ويلزم بذلك كونه تام القدرة كامل العلم ومن هذا شأنه كيف يستبعد عليه البعث والجزاء والمعنى أليس من فعل ذلك ببالغ اتقان الامور وقيل معناه أليس الله تعالى بأقضى القاضين يحكم بينك وبين من يكذبك بالحق والعدل من قولهم حكم بينهم اذا قضى فالآية حينئذ وعيد للكذبين * تمت سورة التين والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

وقيل هو ارذل العمر فيكون (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) منقطعا (فلهم اجر غير ممنون) لاينقطع او لايمنّ به عليهم وهو على الاول حكم مرتب على الاستثناء مقرّر له (فما يكذبك) اى فأى شئ يكذبك يا محمد دلالة او نطقا (بعد بالدين) بالجزاء بعد ظهور هذه الدلائل وقيل ما بمعنى من وقيل الخطاب للانسان على الالتفات والمعنى فما الذى يحملك على هذا الكذب (أليس الله بأحكم الحاكمين) تحقيق لما سبق والمعنى أليس الذى فعل ذلك من الخلق والرد بأحكم الحاكمين صنعا وتدبيرا ومن كان كذلك كان قادرا على الاعادة والجزاء على مامرّ مرارا * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والتين اعطاه الله العافية واليقين مادام حيا فاذا مات اعطاه من الاجر بعدد من قرأ هذه السورة

﴿ سورة العلق مكية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

قال اكثر المفسرين هذه السورة اوّل مانزل من القرآن نزل بها جبريل على النبيّ صلى الله عليه وسلم وهو قائم على حرا فعلمه خمس آيات من اوّل هذه السورة الى قوله مالم يعلم عن الزهريّ انه قال اخبرني عروة عن عائشة رضي الله عنها انها قالت اوّل مابدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم الرؤيا الصادقة فكان لايرى رؤيا الاجاءت مثل فلق الصبح ثم حبب اليه الخلاء يعني العزلة فكان يأتي حرا ويمكث هناك ثم يرجع الى خديجة فجاءه ملك وهو على حرا فقال له اقرأ فقال له صلى الله عليه وسلم ماانا بقارئ قال فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم ارسلني فقال اقرأ فقلت ماانا بقارئ فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم ارسلني فقال اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان مالم يعلم فرجع بها يرجف بردآئه واخذته الرعدة حتى دخل على خديجة فقال زملوني زملوني فزملوه حتى ذهب عنه الروع فذلك قوله تعالى اقرأ باسم ربك يعني اقرأ بعون ربك ووحيه اليك كذا في تفسير الامام ابي الليث وفيه ايضا انه عليه الصلاة والسلام لما بلغ اربعين سنة كان يسمع صوتا فناداه يامحمد ولا يرى شخصه وكان يخشى على نفسه الجنون حتى رأى جبريل عليه السلام يوما في صورته فغشي عليه فحمل الى بيت خديجة فقالوا انها تزوجت مجنونا فلما افاق اخبر بذلك خديجة فجاءت الى ورقة ابن نوفل وكان يقرأ الانجيل ويفسره ثم جاءت الى عداس كان راهبا فقال ياخديجة انه نبا وشأنا يظهر امره فخرج عليه الصلاة والسلام يوما الى الوادي فجاءه جبريل عليه السلام بهذه السورة وامره بان يتوضأ ويصلي ركعتين فلما رجع دخل على خديجة وعلمها الصلاة وقال جابر بن عبدالله اوّل مانزل ياأيها المدثر وقيل اوّل مانزل فاتحة الكتاب وقال عليّ بن ابي طالب رضي الله عنه اوّل مانزل من القرآن قل تعالوا اتل ماحرّم ربكم عليكم ﴿ قوله اي اقرأ القرآن مفتتحا باسمه ﴾ يعني ان مفعول اقرأ محذوف وهو القرآن حذف لعلمه اذ القرآءة في عرف الشرع لاتستعمل الا في قرآءة القرآن وان محل باسم ربك النصب على انه حال من فاعل اقرأ والتقدير اقرأ القرآن مفتتحا باسم ربك او مبتدئا به اي قل بسم الله الرحمن الرحيم ثم اقرأ فالآية على هذا التوجيه تدل على انه يجب قرآءة التسمية في ابتداء كل سورة وهي حجة للامام الشافعي رحمه الله تعالى في جهره بالتسمية في اوّل كل سورة مع ماجاء من الاحاديث المروية في هذا الباب ﴿ قوله او مستعينا به ﴾ على ان الباء للاستعانة كما في قولك كتبت بالقلم فانه عليه الصلاة والسلام لما امر بالقرآءة وتعسرت هي عليه فقال لست بقارئ قيل له اقرأ باسم ربك اي استعن باسم ربك واجعله بمنزلة الآلة في تحصيل الذي عسر عليك فان ربك يعينك عليها بان يوحي اليك ويعلمك مالم تكن تعلم والباء على الاوّل للالصاق والملابسة ﴿ قوله اي الذي له الخلق ﴾ على ان ينزل خلق منزلة اللازم فلا يقدر له مفعول بناء على ان المقصود بيان تفرّده بالخلق وانه لاخالق سواه فاقتصر على المقصود ولم يتعرّض لبيان متعلق الخلق يعني الذي خلق الذي حصل منه الخلق وتفرّد به لاخالق سواه ووصفه تعالى بكونه متفرّدا بالخالقية تعليل لامره عليه الصلاة والسلام بالقرآءة التي هي اصل جميع العبادات لان من تفرّد بالخالقية يجب على المخلوق ان يعبدوه ويتذللوا له ﴿ قوله او الذي خلق كل شئ ﴾ وجه ثان لعدم ذكر مفعول خلق الاوّل اي ويجوز ان يقدر له مفعول ويكون تعلقه به مرادا الا انه حذف قصدا للتعميم ولما ورد ان يقال لماحكم بانه تعالى خلق كل شئ فقد علم ان خلق الانسان في جملة ماخلق فلم افرد بالذكر بعد ذلك التعميم اجاب عنه بقوله ثم افرد ماهو اشرف يعني ان كثيرا مايفرد ذكر الخاص بعد العام اظهارا لشرفه كما خص جبريل بالذكر بعد ذكر الملائكة دلالة على انه لغاية شرفه صار كأنه حقيقة منفردة خارجة من عداد ماسبق ولان المقصود من توصيفه تعالى بالخالقية تعليل الامر بالقرآءة التي في معنى الامر بالعبادة فقوله الذي خلق كل شئ وان كان كافيا في بيان كونه تعالى مستحقا للعبادة لان خالق الاشياء كلها يجب ان يعبد ويعظم الا ان التعرّض لكونه تعالى خالقا للانسان بخصوصه ادل على وجوب العبادة المقصودة من القرآءة ﴿ قوله او الذي خلق الانسان ﴾ وجه ثالث لعدم ذكر مفعول خلق الاوّل اي ويجوز ان يقدر له مفعول خاص ابتدآء الا انه ابهم اوّلا ثم فسر بقوله خلق الانسان تفخيما لخلق الانسان فان هذا الاسلوب انما يكون فيما يقصد تفخيم شأنه ﴿ قوله جمعه ﴾ فان علق جمع علقة كثمر وثمرة والعلقة الدم الجامد ومالايكون جامدا فهو المسفوح ومقابلة الجمع بالجمع تقتضي انقسام الآحاد الى الآحاد فافادانه تعالى خلق كل

﴿ سورة العلق مكية وآيها ﴾
﴿ تسع عشرة ﴾
(بسم الله الرحمن الرحيم)

(اقرأ باسم ربك) اي اقرأ القرآن مفتتحا باسمه او مستعينا به (الذي خلق) اي الذي له الخلق او الذي خلق كل شئ ثم افرد ماهو اشرف واظهر صنعا وتدبيرا وادل على وجوب العبادة المقصودة من القرآءة فقال (خلق الانسان) او الذي خلق الانسان فأبهم اوّلا ثم فسر تفخيما لخلقه ودلالة على عجيب فطرته (من علق) جمعه لان الانسان في معنى الجمع

فرد من افراد الانسان من علقة على حدة ﴿ قوله نزل اولا مايدل على وجوده ﴾ فانه تعالى لما اراد ان يبعثه رسولا الى المشركين كان الظاهر ان يقال اقرأ باسم ربك الذى لا شريك له الا انه لو قيل ذلك لأبوا ان يقبلوا ذلك لاستحكام اعتقاد الشرك عندهم فدبر سبحانه وتعالى لاجل ان يسمعوا كلامه بان قدم لهم مايدل على وجوده وفرط قدرته وكمال حكمته حيث وصف نفسه بما لا سبيل لهم الى انكاره فانه لايمكنهم ان ينكروا كونهم مخلوقين من علق ولا ينكروا ان ذلك الخالق لابدّ له من خالق ولا ان يدّعوا ان ذلك الخالق هو الصنم لعلمهم بان الصنم لايخلق شيأ ومن المعلوم بداهة ان مالايخلق شيأ لايصلح الها فهذا الاسلوب يستلزم اعترافهم بوجود اله قادر حكيم فهو اسلوب لطيف فى الزام المشركين ودعوتهم الى التوحيد ونظيره مايحكى ان زفر لما بعثه ابو حنيفة الى البصرة لتقرير مذهبه فيهم فوصل اليهم وذكر أبا حنيفة منعوه من ذكره اكتفاء بانفسهم واستغنائهم بهم عنه ولما لم يلتفتوا اليه ولم يسمعوا له رجع الى ابى حنيفة واخبره بذلك فقال له ابو حنيفة انك لم تعرف طريق التبليغ لكن ارجع اليهم واذكر فى المسئلة اقاويل (٩) أبى حنيفة فانهم حينئذ يستحسنون فلا يردونها ﴿ قوله تكرير للمبالغة ﴾ يعنى ان اقرأ الثانى تكرير للامر بالقرآءة تاكيدا ومبالغة فى الامر بها فيتم الكلام عند اقرأ الثانى ويكون مابعده كلاما مستأنفا بان يكون وربك مبتدأ والاكرم صفته والذى مع صلته خبره وقوله علم الانسان مالم يعلم بدلا من قوله علم بالقلم لكونه بيانا له ﴿ قوله او الاول مطلق ﴾ اى امر بمطلق القرآءة سواء كانت على طريق التعلم من جبريل عليه الصلاة والسلام او على طريق تكرارها لنفسه طلبا للثواب او على طريق التعليم والتبليغ للامة واقرأ الثانى امر بان يقرأ للتبليغ وتعليم الامة او بأن يقرأ فى الصلاة ﴿ قوله ولعله لما قيل له ﴾ اشارة الى جواز ان يكون اقرأ الثانى جوابا لقوله عليه الصلاة والسلام ما انا بقارئ اى اقرأ فان ربك الاكرم يعطك القرآءة وان لم تكن قارئا الا انه على هذا ينبغى ان تكون العبارة فقيل له اقرأ وربك الاكرم بدون الفاء لان قوله فقيل له على هذا التوجيه جواب لما ولا تدخل الفاء على جواب لما وليس فى الكلام مايصلح ان يكون جوابا لها غيره ﴿ قوله بل هو الكريم وحده على الحقيقة ﴾ فان الكرم افاضة ماينبغى لالغرض فان من اعطى مالاينبغى لايكون كريما ومن اعطى ماينبغى توقعا لغرض لايكون كريما ايضا فظهر ان الكرم مختص به تعالى وانه لايتم عالنوبه الاخص الكرم بخلاف غيره تعالى فانه يعطى طلبا للغرض والغرض لايجب ان يكون من قبيل الاعيان بل المدح والثواب والتخلص من المذمة ونحوها كلها غرض ﴿ قوله اى الخط بالقلم ﴾ يعنى مفعول علم محذوف يتعلق به قوله بالقلم وتقدير الكلام علم الخط بالقلم وقرأ ابن الزبير كذلك ﴿ قوله لتقيد به العلوم ويعلم به البعيد ﴾ بيان لوجه كرمه ازآءه فى تعليم الكتابة بالقلم فان الغرض المسوق له الكلام بيان اكرميته تعالى والاشعار بان اشرف النعم واجلها هو العلم لان الاكرمية انما تكون بافاضة اجل الاشياء وهو العلم بحقائق الاشياء فانه اشرف المواهب وعلم الخط والكتابة والقلم وسيلة يتوسل بها الى حفظ العلوم المهمة وتقييدها فلذلك قيل العلم صيد والكتابة قيده روى ان سليمان عليه الصلاة والسلام سأل عفريتا عن الكلام فقال ريح لايبقى قال فاقيده قال الكتابة والقلم وان كان لاينطق الا انه يسمع اهل المشرق والمغرب فانه مادونت العلوم ولاقيدت الحكم ولا ضبطت اخبار الاولين ومقالاتهم ولا كتب الله المنزلة الا بالكتابة ولولاهى لما استقامت امور الدين والدنيا وصف الله تعالى نفسه اولا بوصف الربوبية ورتب عليه كونه خالقا للانسان من علق تنبيها على ان الخالقية لاسيما خالقية اشرف المخلوقات من دلائل الربوبية ولوازمها ثم وصفها بانه الرب الاكرم ورتب عليه تعليم الانسان الخط بالقلم وتعليمه غير ذلك مما لايعلمه الانسان تنبيها على ان اجل المواهب واعز المطالب هو افادة الفوائد العلمية ومايؤدى الى تقييدها وضبطها لان الاكرمية انما تكون باعطاء اعز العطايا وفيه تشريف بليغ لشأن العلم فانه لو كان فى جملة المطالب ماهو اشرف منه لكان ذكره اولى فى مقام بيان اكرميته ﴿ قوله وقد عدد سبحانه الخ ﴾ يعنى انه لامناسبة بحسب الظاهر بين ان يصف الله تعالى نفسه بانه الذى خلق الانسان من علق وبانه الذى علم بالقلم لكنه فى التحقيق فى غاية الحسن وذلك لانه تعالى بين اول احوال الانسان وهو كونه علقة وهى أخس الاشياء وبين ايضا آخر امره وهو صيرورته عالما بحقائق الاشياء وقادرا متمكنا على ضبط تلك العلوم وتقييدها وعلى تعليمها وتبليغها الى اهل البلدان البعيدة وهو امتنان عظيم بنقله من أخس الاحوال الى أعز المراتب واشرفها ودليل باهر على وجود الاله الكريم وفرط قدرته وكمال حكمته وهو قوله ولما كان اول الواجبات معرفة الله تعالى نزل اولا مايدل على وجوده الخ واشار اولا الى مايدل على معرفته عقلا فان قوله تعالى باسم ربك الذى خلق خلق الانسان

ولما كان اول الواجبات معرفة الله تعالى نزل اولا مايدل على وجوده وفرط قدرته وكمال حكمته (اقرأ) تكرير للمبالغة او الاول مطلق والثانى للتبليغ او فى الصلاة ولعله لما قيل له اقرأ باسم ربك فقال ما انا بقارئ فقيل له اقرأ (وربك الاكرم) الزائد فى الكرم على كل كريم فانه ينعم بلا غرض ويحلم من غير تخوف بل هو الكريم وحده على الحقيقة (الذى علم بالقلم) اى الخط بالقلم وقد قرئ به ليقيد به العلوم ويعلم به البعيد (علم الانسان مالم يعلم) بخلق القوى ونصب الدلائل وانزال الآيات فيعلمك القرآءة وان لم تكن قارئا وقد عدد سبحانه مبدأ امر الانسان ومنتهاه اظهارا لما انعم عليه من ان نقله من اخس المراتب الى اعلاها تقريرا لربوبيته وتحقيقا لاكرميته واشار اولا الى مايدل على معرفته عقلا ثم نبه على مايدل سمعا

(٩) اقتحم ثم بين ضعفها ثم قل بعد ذلك ههنا قول آخر فاذكر قولى وحجتى فاذا تمكن ذلك فى قلبهم قل هذا قولى (منه)

من علق يدل دلالة عقلية على معرفته تعالى بصفات كماله من وجوب وجوده وكمال قدرته وعلمه وحكمته وقوله الذى علم بالقلم علم الانسان مالم يعلم تنبيه على مايدل على معرفته تعالى سمعا فان ماحصل بنظر العقل من المعرفة عقلى وماحصل بالتعليم سمعى فان الاحكام التى لاسبيل الى معرفتها الا السمع هى حاصلة بالتعليم ﴿ قوله ردع لمن كفر بنعمة الله تعالى لطغيانه وان لم يذكر لدلالة الكلام عليه ﴾ فان الآية لما كانت مشتملة على اصول النعم ومباديها وهو خلق الانسان من علق وعلى كمالها وغاياتها وهو قوله علم الانسان مالم يعلم تضمنت جميع النعم واستلزمت معرفة النعم وشكر لمعتمد ولما كان الرسول الذى بلغ هذه الآية لابدله من الرسل اليهم وهم جهال لايعرفون النعمة ولا المنعم فضلا عن القيام بشكرها ردعهم وزجرهم عماهم عليه من الكفر والجهل فقال كلا وبين ان سبب ذلك انما هو الطغيان قال مقاتل معنى طغيانه انه اذا اصاب مالا زاد فى ثياب ومركبه وطعامه وشرابه ونحو ذلك وقال الكلبى يرتفع من منزلة الى منزلة فى اللباس والطعام ﴿ قوله ولذلك ﴾ اى ولكونه بمعنى علم جاز ان يكون فاعله ومفعوله ضميرين لشئ واحد فان ذلك من خصائص افعال القلوب فقالوا رأيتنى وعلمتنى ولوكانت الرؤية ههنا بمعنى الابصار لامتنع فى فعلها الجمع بين الضميرين وقوله تعالى ان رآه اصله لان رآه اى رؤيته نفسه استغنى اى مستغنيا فكان فاعله ومفعوله ضميرين لشئ واحد فحذفت اللام كما فى قوله انكم لتطغون ان رأيتم غناكم فمحله النصب على انه مفعول له واول السورة يدل على مدح العلم وشرفه وآخرها يدل على مذمة المال وكفى بذلك مرغبا فى الدين والعلم ومنفرا عن الدنيا والمال والظاهر ان كون الغنى سببا للطغيان انما هو فى حق المحجوبين الذين يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة غافلون بخلاف اولى البصائر واصحاب العرفان فان عرض الدنيا لايلهيهم عن ذكر المولى وطاعته كسليمان عليه السلام فانه قد نال من الملك مالم ينله احد من العالمين مع انه لم يزدد بذلك الا تواضعا واستكانة وكان يجالس المساكين ويقول مسكين جالس مسكينا وكعبد الرحمن بن عوف فانه رضى الله عنه ماطغى مع كثرة امواله بل العاقل يعلم انه عند الغنى يكون اكثر حاجة اليه تعالى منه حال فقره لانه فى حال فقره لايتمنى الا سلامة نفسه وفى حال الغنى يتمنى سلامة نفسه وماله ومماليكه ﴿ قوله نزلت فى ابى جهل ﴾ مبنى على ماروى عن ابن عباس ومجاهد رضى الله عنهما انهما قالا هذه السورة اول مانزل الى قوله تعالى ان الى ربك الرجعى ومابعده نزل فى ابى جهل الى آخر السورة فيكون المراد من الانسان فى قوله تعالى ان الانسان ليطغى جنس الانسان وجملته ووجه ارتباط بعضها ببعض انه تعالى بين انه خلق الانسان من علق ثم بين انه رفعه من اخس المراتب الى اعز مفاخر الموجودات وهو التحلى بفضيلة العلم والعرفان ثم اشار بقوله كلا الى انه لم يشكر تلك النعمة الجليلة بل كفر وطغى اذا اغناه ربه وزاده جاها ومالا فردعه عنه وقبح حاله ثم بين سبب كفرانه وطغيانه فقال ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى ثم اكد الردع والزجر فقال ان الى ربك الرجعى على الالتفات للمبالغة فى التحذير والتهديد من عاقبة الطغيان وذهب اكثر المفسرين الى ان اول مانزل قد انتهى عند قوله تعالى علم الانسان مالم يعلم ثم نزل باقى السورة بعد زمان مديد فى حق ابى جهل لعنه الله ثم انه عليه الصلاة والسلام امر بان يضع فى هذا الموضع ويضم الى آخر الآيات الخمس التى هى اول مانزل من القرآن لان تأليف الآيات انما كان بامر الله تعالى الا ترى ان قوله تعالى واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله آخر مانزل عند المفسرين ثم هو مضموم الى مانزل قبله بزمان طويل وما ذكره صاحب الكشاف يؤيد هذا القول وهو قوله روى ان اباجهل قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم أتزعم انه من استغنى طغى فاجعل لنا جبال مكة ذهبا وفضة لعلنا نأخذ منها فنطغى فندع ديننا ونتبع دينك فنزل جبريل عليه السلام فقال ان شئت فعلنا ذلك ثم ان لم يؤمنوا فعلنا بهم مافعلنا باصحاب المائدة فكف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدعاء ابقاء عليهم ورحمة وعن ابى هريرة رضى الله عنه قال ابوجهل هل يعفر محمد وجهه بين اظهركم قالوا نعم قال فبالذى تحلف به لئن رأيته يفعل ذلك لاطأن على رقبته قال فقيل له هاهو ذاك يصلى فانطلق ليطأ على رقبته فماجاءهم الا وهو ينكص على عقبيه ويتقى بيديه فأتوه فقالوا مالك يا ابا الحكم قال ان بينى وبينه لخندقا من نار فنزل قوله ارأيت الذى ينهى عبدا اذا صلى قال عليه الصلاة والسلام والذى نفسى بيده لو دنا منى لاختطفته الملائكة عضوا عضوا (٧) والهول الخوف والاجنحة اجنحة الملائكة ابصر اللعين اجنحتهم ولم يبصر اصحابها ﴿ قوله ولفظ العبد وتنكيره للمبالغة فى تقبيح النهى ﴾ فانه لو قيل ينهاك بضمير الخطاب بدل لفظ العبد لدل الكلام على تقبيح النهى الا ان ايراد لفظ العبد ابلغ فى تقبيح النهى لان نهى العبد عن تعظيم

(كلا) ردع لمن كفر بنعمة الله لطغيانه وان لم يذكر لدلالة الكلام عليه (ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى) اى رأى نفسه واستغنى مفعوله الثانى لانه بمعنى علم ولذلك جاز أن يكون فاعله ومفعوله ضميرين لواحد (ان الى ربك الرجعى) الخطاب للانسان على الالتفات تهديدا وتحذيرا من عاقبة الطغيان والرجعى مصدر كالبشرى (ارأيت الذى ينهى عبدا اذا صلى) نزلت فى ابى جهل قال لو رأيت محمدا ساجدا لوطئت عنقه فجاءه ثم نكص على عقبيه فقيل له مالك فقال ان بينى وبينه لخندقا من نار وهولا واجنحة فنزلت ولفظ العبد وتنكيره للمبالغة فى تقبيح النهى والدلالة على كمال عبودية المنهى

(٧) واول القصة ان اللعين قال هل يعفر محمد وجهه بين اظهركم قالوا نعم قال لو رأيت الخ والعفر بالتحريك التراب وتعفير الوجه كناية عن السجود على الارض وكان ابوجهل يكنى فى الجاهلية بابى الحكم لانهم يزعمون انه عالم ذو حكمة ثم سمى اباجهل فى الاسلام (منه)

مولاه اقبح من نهى فرد من افراد الانسان عنه وتنكير لفظ العبد يدل على تعظيمه وكماله فى العبودية فيكون نهيه عن تعظيم مولاه ابلغ من نهى عبد ما اى عبد كان فكأنه قيل ينهى اكمل الخلق فى العبودية عن عبادة ربه ﴿قوله والشرطية مفعوله الثانى﴾ ان جعل رأيت من رؤية القلب المقتضية للمفعولين وجعل قوله الذى ينهى مفعوله الاول وجعلت الشرطية الاولى مفعوله الثانى وهى قوله ان كان على الهدى اوامر بالتقوى مع جوابها المحذوف وهو قوله ألم يعلم بأن الله يرى ويطلع على احواله من كونه على هدى فى نهيه عن طاعة الله تعالى وعبادته اوكونه آمرا بالتقوى فيما يأمر به من عبادة الاوثان على زعمه الباطل وحذف جواب الشرط الاول اكتفاء عنه بجواب الشرط الثانى فان الشرط الثانى وهو قوله ان كذب وتولى مقابل للشرط الاول فان ذلك الناهى عن التكذيب للحق والتولى عن الصواب مقابل لكونه على هدى فى امره وآمرا بالتقوى فيما يأمره فلما اجيب الشرط الثانى بقوله ألم يعلم بان الله يرى احواله علم ان جواب الشرط الاول من هذا القبيل ايضا وجاز ان تكون الجملة الاستفهامية وهى قوله ألم يعلم الخ جوابا للشرط كما جاز فى قولك ان اكرمتك أتكرمنى وان احسن اليك فلان هل تحسن اليه وجعل كل واحد من رأيت الثانى والثالث تكريرا للاول لاجل التأكيد فعلى هذا يجب ان يكون الخطاب فى قوله تعالى ارأيت لكل من يصلح ان يكون مخاطبا ممن له فطنة وعقل سليم اوللانسان على الالتفات كما فى قوله ان الى ربك الرجعى وهذا هو الاظهر لا للنبى صلى الله عليه وسلم ولا لابى جهل لان كل واحد منهما متوسط بين المتكلم والمخاطب عبر عنه المصنف بلفظ الغيبة حيث قال عن ينهى بعض عباد الله فان من عبارة عن الكافر الناهى والبعض عبارة عنه عليه الصلاة والسلام فكأنه تعالى جعل الثالث حاكما بين الناهى وبينه عليه الصلاة والسلام فقال اخبرنى الحكم عمن ينهى بعض عباد الله عن طاعته وزعم انه على الحق فى ذلك النهى وفى امره بعبادة الاوثان واخبرنى ايضا عمن يقول فى حقه انه على التكذيب للحق والتولى عن الدين الصحيح فما حكمك فى حقه الم تعلم بان الله يراه ويطلع على احواله من هداه وضلاله فيجازيه على حسب ذلك فهو وعيد بليغ ﴿قوله وقيل المعنى﴾ يعنى ان الضمائر كلها للكافر الناهى الا انه قيل ضمير ينهى وكذب وتولى عبارة عن الكافر الناهى وضمير كان وامر للعبد المنهى وان قوله تعالى ارأيت كلمة تعجيب يعجب الله تعالى عباده من ابى جهل فى منعه العبد اذا صلى على ثلاثة اوجه الاول انه ينهى عبدا عن طاعة ربه والثانى ان المنهى عن الصلاة مهتد بصلاته وتعظيم ربه آمر غيره بتقوى الله تعالى بفعله والثالث ان الناهى عن الصلاة مكذب للحق متول عنه غير قائل به والفرق بين القول الثانى والثالث مع ان ضمير ينهى وكذب وتولى فيهما للكافر وضمير كان على الهدى اوامر للعبد المنهى هو ان الخطاب فى المواضع الثلاثة على القول الثانى للانسان على الالتفات وأرأيت للتعجب وعلى القول الثالث يكون الخطاب الاول له عليه الصلاة والسلام والخطاب الثانى للكافر الناهى خاطبه توبيخا له على قبح فعله ٭ ولما ورد على القولين الاخيرين ان يقال لم ذكر الامر بالتقوى بعد أرأيت الثانى على تقدير ان لايكون تكريرا للاول بل يكون للتعجب كما فى القول الثانى اوللتوبيخ كما فى القول الثالث ولم يتعرض له فى النهى ٭ اجاب عنه اولا بان الذى يشق على ابى جهل من افعاله عليه الصلاة والسلام وان كان فى حق نفسه عبادة الا انه فى حق غيره امر بالتقوى والطاعة لانه عليه الصلاة والسلام كان كل من رآه وهو فى الصلاة يرق قلبه فيميل الى الايمان والطاعة فكانت صلاته عليه الصلاة والسلام امرا بالتقوى بلسان الحال والفعل فكان النهى عن الصلاة نهيا عنها وعن الامر بالتقوى فلذلك اقتصر على ذكر الصلاة فى مقام حكاية نهيه عن الامرين جميعا لحصول المقصود به ولم يقتصر على ذكر الصلاة فى مقام التعجب من حال الناهى وفى مقام توبيخه لان التعجب من جميع قبائحه والتوبيخ على كل واحد منها ابلغ وادخل فى الذم ثم اجاب عنه ثانيا بان ماذكر من انه كما ينهى عن الصلاة ينهى عن الامر بالتقوى ايضا لم اقتصر على ذكر الصلاة انما يتوجه ان لو قيل ينهى عبدا عن الصلاة فقط ولم يقل كذلك بل قيل ينهى عبدا اذا صلى وليس فيه تصريح بان المنهى عنه أهو الصلاة ام غيرها فهو يتناول نهيه عن الامرين جميعا فليس فى الكلام اقتصار على ذكر النهى عن الصلاة فقط بل عدم ذكر المفعول به الغير الصريح لينهى يدل على ارادة العموم اى ينهى عن عامة افعاله المحصورة فى تكميل نفسه بالعبادة وغيره بالدعوة وهذه الآية وان نزلت فى حق ابى جهل لكن كل من نهى عن طاعة الله تعالى يشاركه فيما تعلق به من الذم والوعيد حتى روى عن على بن ابى طالب رضى الله عنه انه رأى فى المصلى

(ارأيت ان كان على الهدى اوامر بالتقوى) ارأيت تكرير للاول وكذا الذى فى قوله (ارأيت ان كذب وتولى ألم يعلم بان الله يرى) والشرطية مفعوله الثانى وجواب الشرط محذوف دل عليه جواب الشرط الثانى الواقع موقع القسيم له والمعنى اخبرنى عمن ينهى بعض عباد الله عن صلاته ان كان ذلك الناهى على هدى فيما ينهى عنه او آمرا بالتقوى فيما يأمر به من عبادة الاوثان كما يعتقده اوان كان على التكذيب للحق والتولى عن الصواب كما نقول ألم يعلم بأن الله يرى ويطلع على احواله من هداه وضلاله وقيل المعنى ارأيت الذى ينهى عبدا يصلى والمنهى على الهدى آمر بالتقوى والناهى مكذب متول فما اعجب من ذا وقيل الخطاب فى الثانية مع الكافر فانه تعالى كالحاكم الذى حضره الخصمان يخاطب هذا مرة والآخر اخرى وكأنه قال ويا كافر اخبرنى ان كان صلاته هدى ودعاؤه الى الله امرا بالتقوى أتنهاه ولعله ذكر الامر بالتقوى فى التعجب والتوبيخ ولم يتعرض له فى النهى لان النهى كان عن الصلاة والامر فاقتصر على ذكر الصلاة لانه دعوة بالفعل اولان نهى العبد اذا صلى يحتمل ان يكون لها ولغيرها وعامة احوالها محصورة فى تكميل نفسه بالعبادة وغيره بالدعوة

اقواما يصلون قبل صلاة العيد فقال ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك فقيل له ألا تنهاهم فقال اخشى ان ادخل فى وعيد قوله تعالى ارأيت الذى ينهى عبدا اذا صلى فلم يصرح بالنهى عن الصلاة احتياطا واخذ ابو حنيفة هذا الادب الجميل حين قال له ابو يوسف رحمهما الله أيقول المصلى حين يرفع رأسه من الركوع اللهم اغفر لى حيث قال له يقول ربنا لك الحمد ويسجد ولم يصرح بالنهى احتياطا من ان يقول ذلك ﴿قوله ولنسحبنه بها الى النار﴾ وذلك فى الآخرة ويحتمل ان يكون المراد من هذا السفع سحبه على وجهه فى الدنيا يوم بدر وتكون الآية بشارة بانه تعالى يمكن المسلمين من ناصيته حتى يجروه على وجهه اذا عاد الى النهى فلما عاد اليه مكنهم الله تعالى من ناصيته يوم بدر • روى انه لما نزلت سورة الرحمن علم القرآن قال عليه الصلاة والسلام من يقرأها على رؤس قريش فتثاقلوا فقام ابن مسعود رضى الله عنه وقال انا فأجلسه عليه الصلاة والسلام ثم قال ذلك ثانيا فلم يقم الا ابن مسعود ثم ثالثا الى ان اذن له وكان عليه السلام يبقى عليه لما كان يعلم من ضعفه وصغر جثته ثم انه وصل اليهم فرآهم مجتمعين حول الكعبة فافتتح قراءة السورة فقام ابو جهل فلطمه فانشقت اذنه وأدماها فانصرف وعينه تدمع فلما رآه النبى صلى الله عليه وسلم رق قلبه واطرق رأسه مغموما فاذا جبريل عليه السلام جاء ضاحكا مستبشرا فقال ياجبريل أتضحك ويبكى ابن مسعود فقال سيعلم فلما ظفر المسلمون يوم بدر التمس ابن مسعود ان يكون له حظ فى الجهاد فقال له عليه السلام • خذ رمحك والتمس فى الجرحى من كان به رمق فاقتله فانك تنال به ثواب المجاهدين • فاخذ يطالع القتلى فاذا ابو جهل مصروع يخور فخاف ان يكون به قوة فيؤذيه فوضع الرمح على منخره من بعيد فطعنه ولعل هذا معنى قوله سنسمه على الخرطوم ثم لما عرف عجزه لم يقدر ان يصعد على صدره لضعفه فارتقى عليه بحيلة فلما رآه ابو جهل قال يارويعى الغنم لقد ارتقيت مرتقى صعبا فقال ابن مسعود الاسلام يعلو ولا يعلى عليه فقال له ابو جهل بلغ صاحبك انه لم يكن احد أبغض الى منه فى حال مماتى فروى انه عليه السلام لما سمع ذلك قال فرعونى اشد من فرعون موسى عليه السلام • فانه قال آمنت وهذا قد زاد عتوا ثم قال لابن مسعود اقطع بسيفى هذا لانه احد وأقطع فلما قطع رأسه لم يقدر على حمله فشق اذنه وجعل الخيط فيها وجعل يجره الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجبريل بين يديه يضحك ويقول يامحمد اذن باذن لكن الرأس هنا مع الاذن واللام فى قوله تعالى لئن لم ينته لام توطئة القسم والقسم بعدها مضمر اى لئن لم ينته والله لنسفعن والجمهور على تخفيف هذه النون والوقف عليها بالالف لانفتاح ماقبلها تشبيها لها بالمنون المنصوب وقد كتبت فى مصحف عثمان رضى الله تعالى عنه بالالف على حكم الوقف واللام فى قوله بالناصية بدل من الاضافة اى لنسفعن بناصيته اكتفاء بلام العهد عنها لعلم بان المراد ناصية المذكور ثم وصفها بانها ناصية كاذبة خاطئة قولا وفعلا ووصفها بالكذب والخطأ على الاسناد المجازى لانهما فى الحقيقة لصاحبها وقوله ناصية بدل من الناصية وجاز ابدالها من المعرفة وهى نكرة لانها وصفت بقوله كاذبة والنكرة الغير الموصوفة لاتبدل من المعرفة لئلا يلزم كون المقصود بالنسبة انقص دلالة على الذات المراد بالنسبة من غير المقصود وكل واحدة من قرآتى رفع ناصية ونصبها مبنية على الشتم والذم قال ابن الحاجب سئلت لم جمع بين الناصية وبين ناصية كاذبة خاطئة وهلا اقتصر على احداهما فاجبت بان الاولى ذكرت للتنصيص على ناصية الناهى بناء على ان اللام فيها للعهد والثانية ذكرت للتنبيه على علة السفع المتحمل بظاهرها كل ناصية هذه صفتها ﴿قوله اى اهل ناديه﴾ قدر المضاف لان نفس المجلس والمكان لايدعى ﴿قوله يتندى فيه القوم﴾ اى يجتمع ومنه دار الندوة بمكة كانوا يجتمعون فيها للتشاور ولا يسمى المكان ناديا حتى يكون فيه اهله والشرط جمع شرطة بالسكون والحركة وهم كبار الجند واول كتيبة تحضر الحرب من الشرط وهو العلامة وسموا شرطا لانهم جعلوا لانفسهم علامة يعرفون بها ﴿قوله او زبنى على النسبة﴾ اى على انه ياء النسبة الى الزبن وهو الدفع وجمع على زبانى ثم غير هذا اللفظ الى زبانية بان عوضت تاء التأنيث عن احدى اليائين بعد حذفها كالاشاعثة فى جمع اشعثى وبالجملة فالمراد بالزبانية ملائكة العذاب وهم خزنة جهنم أرجلهم فى الارض ورؤسهم فى السماء سموا زبانية لانهم يزبنون الكفار اى يدفعونهم فى جهنم وحذفت الواو من سندع فى الامام اتباعا للخط باللفظ فان الواو لما سقطت فى اللفظ لاجتماع الساكنين سقطت فى الخط ايضا اتباعا والمعنى ليفعل ماخطر باله من دعوة اهل ناديه واستعانته بهم فى مناصبته عليه السلام فانه ان فعل ذلك فنحن ندعو الزبانية الذين لاطاقة لاهل ناديه وقومه بهم قال ابن عباس رضى الله عنهما لو دعا اهل ناديه لاخذته الزبانية من ساعته عيانا وقيل بل هذا اخبار بان الزبانية يجرونه فى الآخرة

(كلا) ردع للناهى (لئن لم ينته) عما هو فيه (لنسفعا بالناصية) لنأخذن بناصيته ولنسحبنه بها الى النار والسفع القبض على الشئ وجذبه بشدة وقرئ لنسفعن بنون مشددة ولأسفعن وكتبته فى المصحف بالالف على حكم الوقف والاكتفاء باللام عن الاضافة لعلم بان المراد ناصية المذكور (ناصية كاذبة خاطئة) بدل من الناصية وانما جاز لوصفها وقرئت بالرفع على هى ناصية والنصب على الذم ووصفها بالكذب والخطأ وهما لصاحبها على الاسناد المجازى للمبالغة (فليدع ناديه) اى اهل ناديه ليعينوه وهو المجلس الذى يتندى فيه القوم روى ان ابا جهل مر برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلى فقال الم انهك فاغلظ له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أتهددنى وانا اكثر اهل الوادى ناديا فنزلت (سندع الزبانية) ليجروه الى النار وهى فى الاصل الشرط واحدها زبنية كعفرية من الزبن وهو الدفع او زبنى على النسبة واصلها زبانى والتاء معوضة عن الياء (كلا) ردع ايضا للناهى (لاتطعه) واثبت انت على طاعتك (واسجد) ودم على سجودك (واقترب) وتقرب الى ربك وفى الحديث اقرب مايكون العبد الى ربه اذا سجد • عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة العلق اعطى من الاجر كانما قرأ المفصل كله

الى النار وكلة ما فى قوله عليه السلام اقرب مايكون العبد الى ربه اذا سجد مصدرية واقرب مبتدأ حذف خبره ويكون من كان التامّة اى اقرب وجود العبد الى ربه حاصل وقت سجوده فانه قد تقرّر فى علم النحو انه يجب حذف خبر المبتدأ اذا كان المبتدأ افعل التفضيل مضافا الى مصدر مذكور بعده الحال او الظرف مثل اكثر شربى السويق ملتوتا واخطب مايكون الامير قائما والظرف فى معنى الحال

﴿ سورة القدر قيل انها اوّل سورة نزلت بالمدينة وقيل انها مكية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ قوله بالنباهة ﴾ النباهة الشهرة فى رفعة القدر وكمال الشرف وكونها كذلك قائم مقام سبق ذكرها صريحا فصح ارجاع الضمير اليها يقال شئ نبه ونبيه اى مشهور ونبه الرجل بالضم نباهة اى شرف واشتهر ﴿ قوله تعالى وما ادراك ماليلة القدر ﴾ اى ماغاية فضلها ومنتهى علو قدرها ثم بين له ذلك بقوله ليلة القدر خير من ألف شهر قال مجاهد قيامها والعمل فيها خير من قيام ألف شهر ليس فيه ليلة القدر وذلك لان الاوقات انما يفضل بعضها على بعض بما يكون فيه من الخير والنفع فلما جعل الله تعالى الخير الكثير فى ليلة القدر كانت خيرا من ألف شهر لايكون فيها من الخير والبركة مايكون فى هذه الليلة ﴿ قوله وانزاله فيها ﴾ جواب عما يقال القرآن لم ينزل جملة واحدة فى وقت واحد بل انزل منجما مفرّقا فى ثلاث وعشرين سنة فما وجه قوله تعالى انا انزلناه فى ليلة القدر * وأجاب عنه بثلاثة اوجه الاوّل ان المراد ابتدأنا بانزاله على طريق التنجيم والتفريق فى ليلة القدر بناء على ان البعثة كانت فى رمضان والثانى ان السؤال انما يرد ان لو كان المراد انزاله الى الارض والى الرسول عليه الصلاة والسلام فانه الذى كان منجما فى ثلاث وعشرين سنة وليس المراد ذلك بل المراد والله اعلم ماروى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان جبرآئيل عليه السلام نزل به جملة واحدة فى ليلة القدر من اللوح المحفوظ على السفرة عليهم السلام وهم الملائكة فى سماء الدنيا ثم كان ينزله على النبى عليه السلام منجما مفرّقا على حسب المصالح فى ثلاث وعشرين سنة والثالث ان السؤال انما يرد ان لو كان ليلة القدر ظرفا لنفس الانزال على معنى ان الانزال وقع فى ذلك الزمان المعين وليس كذلك بل المعنى انا انزلناه فى حق فضل ليلة القدر وبيان شرفها وقدرها وهذا المعنى لاينافى كون الانزال مفرّقا فى ثلاث وعشرين سنة واختلف فى تعيين ليلة القدر بعد اختلافهم فى انها هل هى باقية تتكرر فى كل سنة او انها كانت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم رفعت وانقطعت فمن قال ان فضلها كان لنزول القرآن فيها يقول انها كانت مرّة ثم انقطعت * قال الامام النسفى رحمه الله تعالى قول من قال انها رفعت بعد وفاة النبى عليه السلام قول مردود والجمهور على انها باقية ثم اختلفوا هل هى مختصة برمضان او لا فعن ابى حنيفة رحمه الله تعالى انها غير مختصة برمضان بل هى تدور فى كل السنة وبه قال بعضهم حتى روى عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه انه قال من يقم الحول يصبها وقال عكرمة المراد بليلة القدر ليلة البركة المذكورة فى قوله تعالى انا انزلناه فى ليلة مباركة وهى ليلة النصف من شعبان والجمهور على انها مختصة برمضان لقوله تعالى شهر رمضان الذى انزل فيه القرآن مع قوله انا انزلناه فى ليلة القدر فوجب ان تكون ليلة القدر فى رمضان لئلا يلزم التناقض ثم قيل انها تدور فى ليالى شهر رمضان مرّة تكون فى العشر الاوّل وتارة فى العشر الاوسط واخرى فى العشر الآخر وهى اشهر الروايتين عن ابى حنيفة رحمه الله تعالى وذهب صاحباه الى انها تدور فى العشر الآخر من شهر رمضان استدلالا بما روى ابو سعيد الخدرى رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال سئل أىّ ليلة هى فقال التمسوها فى العشر الاواخر من رمضان فاطلبوها فى كل وتر فى احدى وعشرين او ثلاث وعشرين او خمس وعشرين او سبع وعشرين او تسع وعشرين * وذهب اكثر العلماء الى انها الليلة السابع والعشرين وذكروا فيه كرامات منها ان هذه السورة ثلاثون كلمة وشهر رمضان ثلاثون يوما والكلمة السابعة والعشرون منها هى لفظ هى وتلك اشارة اليها ومنها ان ليلة القدر تسعة احرف وذكرها الله تعالى فى هذه السورة ثلاث مرات فيبلغ عدد حروفها سبعة وعشرين ففيه اشارة الى انها هى الليلة السابعة والعشرون ومنها انه كان لعثمان بن ابى العاص غلام فقال يامولاى ان البحر يعذب ماؤه ليلة واحدة من الشهر قال اذا كانت تلك الليلة فأعلمنى فاذا هى السابعة والعشرون من رمضان وقال عبيد بن عمير كنت فى السابع والعشرين من رمضان فى البحر فأخذت من مائه فوجدته عذبا سلسبيلا وقيل انها هى الليلة الاخيرة من رمضان استدلالا بقوله عليه الصلاة والسلام * ان الله

﴿ سورة القدر مختلف فيها وآيها خمس ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(انا انزلناه فى ليلة القدر) الضمير للقرآن فخمه باضماره من غير ذكر شهادة له بالنباهة المغنية عن التصريح كما عظمه بان اسند انزاله اليه وعظم الوقت الذى انزل فيه بقوله (وما ادراك ماليلة القدر ليلة القدر خير من ألف شهر) وانزاله فيها بان ابتدأ بانزاله فيها او انزله جملة من اللوح الى السماء الدنيا على السفرة ثم كان جبريل ينزله على رسول الله صلى الله عليه وسلم نجوما فى ثلاث وعشرين سنة وقيل المعنى انزلناه فى فضلها وهى فى أوتار العشر الاواخر من شهر رمضان ولعلها السابعة منها والداعى الى اخفائها ان يحيى من يريدها ليالى كثيرة

تعالى في كل ليلة من رمضان عند الافطار الف الف عتيق من النار كلهم استوجبوا العذاب فاذا كان آخر ليلة من شهر رمضان اعتق الله تعالى في ذلك اليوم بعدد من اعتق من اول الشهر الى آخره * وقيل انها الليلة الاولى من رمضان لما روى ان صحف ابراهيم عليه الصلاة و السلام انزلت في الليلة الاولى من رمضان والتوراة انزلت لست ليال مضين من رمضان بعد صحف ابراهيم بسبعمائة سنة وانزل الزبور على داود لثنتى عشرة ليلة خلت من رمضان بعد التوراة بخمسمائة عام وانزل الانجيل على عيسى لثمان عشرة ليلة خلت من رمضان بعد الزبور بستمائة عام وعشرين عاما وقيل كان جبريل عليه الصلاة والسلام ينزل من القرآن ليلة القدر من بيت العزة الى السماء السابعة قدر ما ينزل به على النبي صلى الله عليه وسلم في السنة كلها الى مثلها من القابل حتى نزل القرآن كله في ليلة القدر ﴿ قوله وتسميتها بذلك لشرفها ﴾ اى على سائر الليالى على ان القدر بمعنى العظمة والشرف من قولهم لفلان قدر عند فلان اى منزلة وشرف ثم ان شرفها يحتمل ان يكون راجعا الى العامل فيها على معنى ان من اتى فيها بالطاعة صار ذا قدر وشرف ويحتمل ان يرجع الى نفس العمل على معنى ان الطاعة الواقعة فيها لها قدر وشرف زائد على شرف ما وقع في سائر الليالى ﴿ قوله او لتقدير الامور فيها ﴾ عن الواحدى ان القدر في اللغة بمعنى التقدير وهو جعل الشئ على مقدار معين من غير زيادة ولا نقصان وقال سميت بها لانها ليلة تقدير الامور والاحكام لما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال ان الله تعالى قدر فيها كل ما يكون في تلك السنة من مطر ورزق واحياء واماتة الى مثل هذه الليلة من السنة الآتية وسلمه الى مدبرات الامور من الملائكة وهم اسرافيل وميكائيل وعزرائيل وجبرائيل عليهم الصلاة والسلام ونظيره قوله تعالى فيها يفرق كل امر حكيم واعلم ان تقدير الله تعالى لا يحدث في تلك الليلة فانه تعالى قدر المقادير قبل خلق السموات والارض في الازل بل المراد اظهار تلك المقادير للملائكة في تلك الليلة بان يكتبها في اللوح المحفوظ وهذا القول اختيار عامة العلماء قيل للحسين ابن الفضل أليس قد قدر الله المقادير قبل ان يخلق السموات والارض قال نعم قيل فما معنى ليلة القدر قال سوق المقادير الى المواقيت وتنفيذ القضاء المقدر ﴿ قوله وذكر الالف اما للتكثير ﴾ فان العرب تذكر الالف ولا تريد حقيقتها وانما تريد المبالغة في الكثرة كما في قوله تعالى يود احدهم لو يعمر الف سنة واما لما روى انه ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من بنى اسرائيل حمل السلاح على عاتقه في سبيل الله الف شهر وهى ثلاث وثمانون سنة واربعة اشهر فعجب لذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم عجبا شديدا وتمنى ان يكون ذلك في امته فقال يارب جعلت امتى اقصر الامم اعمارا واقلها اعمالا فاعطاه الله ليلة القدر فقال ليلة القدر خير من ألف شهر الذى حمل الاسرائيلى فيها السلاح في سبيل الله لك ولامتك من بعد ذلك الى يوم القيامة في كل رمضان وقيل كان الرجل فيما مضى لا يقال له عابد حتى يعبد الله ألف شهر فأعطوا ليلة القدر ان احيوها كانوا احق بان يسموا عبادا من اولئك العباد ﴿ قوله تعالى والروح فيها ﴾ يجوز ان يكون جملة اسمية في محل النصب على انه حال من فاعل تنزل وضمير فيها للملائكة ويجوز ان يكون الروح مرفوعا بالعطف على الملائكة ويكون فيها متعلقا بقوله تنزل وضمير فيها لليلة ﴿ قوله بيان لماله فضلت على ألف شهر ﴾ يعنى ان قوله تنزل الملائكة جملة مستأنفة لبيان كونها خيرا من الف شهر كأنه قيل لم ارتقى فضلها الى هذه الغاية فاجيب بان ذلك لما وجد فيها من تنزل الملائكة فيها ومعهم جبريل عليه السلام بالرحمة من الله والسلام على اوليائه فيسلمون على كل عبد قائم او قاعد يذكر الله تعالى وهذا غير ما ذكره مجاهد في بيان كونها خيرا من الف شهر الا ان يقال انهم انما ينزلون الى الارض رأفة ورحمة للمؤمنين والمؤمنات لا تبقى بقعة من الارض الا وعليها ملك ساجد او قائم يدعو ويستغفر للمؤمنين والمؤمنات وظاهر ان من يشفع له الملائكة بالدعاء والاستغفار ينال من الخير ما لا يناله بعبادته في الف شهر فيؤول الى ما ذكره مجاهد روى عنه عليه الصلاة والسلام انهم ينزلون يسلمون علينا ويستغفرون لنا فمن اصابته التسليمة غفر له ذنبه وعن كعب ان سدرة المنتهى فيها ملائكة لا يعلم عددهم الا الله يعبدون الله ومقام جبريل في وسطها ليس فيها ملك الا وقد اعطى الرأفة والرحمة للمؤمنين ينزلون مع جبريل ليلة القدر فلا تبقى بقعة من الارض الا وعليها ملك ساجد او قائم يدعو للمؤمنين والمؤمنات وجبريل لا يدع احدا من الناس ممن يقوم فيها الا ويصافحه وعلامة ذلك ان يقشعر جلده ويرق قلبه وتدمع عيناه فان ذلك من علامة مصافحة جبريل عليه السلام فان نظر الملائكة الى الارواح ونظر البشر الى الاشباح فكما ان البشر اذا رأوا صورة حسنة قبلوها ومالوا اليها فكذا الملائكة اذا رأوا في ارواح

وتسميتها بذلك لشرفها او لتقدير الامور فيها كقوله فيها يفرق كل امر حكيم وذكر الالف اما للتكثير او لما روى انه عليه الصلاة والسلام ذكر اسرائيليا لبس السلاح في سبيل الله الف شهر فعجب المؤمنون وتقاصرت اليهم اعمالهم فأعطوا ليلة هى خير من مدة ذلك الغازى (تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم) بيان لماله فضلت على الف شهر

المؤمنين صورة حسنة وهي معرفة الله تعالى وطاعته احبوهم ورغبوا في زيارتهم وتمنوا لقاءهم لكنهم كانوا ينتظرون الاذن كما قال الله تعالى عنهم وماتنزل الا بامر ربك وقال تعالى في هذه الآية باذن ربهم فانه يدل على انهم استأذنوا او لا فاذنوا وذكر في الروح اقوال احدها انه ملك عظيم لو التقم السموات والارض كانت كلها لقمة واحدة له وفي التيسير ينزل الروح في تلك الليلة وهو ملك من تحت العرش رجلاه في تخوم الارض السابعة ورأسه تحت عرش الملك الجبار وله الف رأس كل رأس اعظم من الدنيا وفي كل رأس الف وجه وفي كل وجه الف فم وفي كل فم الف لسان يسبح الله تعالى بكل لسان الف نوع من التسبيح والتحميد لكل لسان لغة لا تشبه الاخرى فاذا فتح افواهه بالتسبيح خرت ملائكة اهل السموات السبع سجدا مخافة ان يحرقهم نور افواهه وانما يسبح الله غدوة وعشية فينزل تلك الليلة فيستغفر للصائمين والصائمات من امة محمد صلى الله عليه وسلم بتلك الافواه كلها الى طلوع الفجر وقيل انه طائفة من الملائكة لا تراهم الملائكة الا ليلة القدر كالزهاد الذين لا تراهم الا يوم العيد وقيل انه خلق من خلق الله تعالى يأكلون ويلبسون ليسوا من الملائكة ولا من الانس ولعلهم خدم اهل الجنة وقيل يحتمل انه هو عيسى عليه الصلاة والسلام لانه اسمه ثم انه ينزل في موافقة الملائكة ليطالع امة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل انه القرآن لقوله تعالى وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا وقيل انه الرحمة لما قرئ ولا تيأسوا من روح الله بالضم كأنه تعالى يقول الملائكة ينزلون وروحي تنزل في اثرهم فيجدون سعادة الدنيا وسعادة الآخرة والاصح ان الروح ههنا جبريل وتخصيصه بالذكر لزيادة شرفه ﴿قوله وتنزلهم الى الارض﴾ هو الاظهر لان الاحاديث دلت على ان الملائكة ينزلون في سائر الايام الى مجالس الذكر والدين فلأن يحصل ذلك في هذه الليلة مع علو شأنها اولى ولان مطلق النزول لا يفهم منه الا النزول من السماء الى الارض وقيل ان الملائكة بأسرهم ينزلون الى السماء الدنيا في ليلة القدر * فان قيل كل واحدة من السموات مملوءة بما فيها من الملائكة بحيث لا يوجد في واحدة منها موضع قدم يخلو من ملك فكيف تسع جميع ملائكة السموات الارض او السماء الدنيا * قلنا انما يرد ما ذكرت لو كان نزولهم على سبيل الاجتماع وليس بلازم لما روي انهم ينزلون فوجا فوجا ينزل بعضهم ويصعد آخرون كأهل الحج فانهم على كثرتهم يدخلون الكعبة ومواضع النسك بأسرهم لكن الناس بين داخل وخارج ولهذا السبب مدت الى غاية طلوع الفجر ولذلك ايضا ذكر لفظ تنزل ليفيد التدريج مدة بعد مدة ﴿قوله ماهي الاسلامة﴾ اشارة الى ان قوله هي مبتدأ وسلام خبره ومعناه السلامة وقدم الخبر ليفيد الحصر كما في نحو تميمي انا اي لا تحدث فيها داء ولا شيء من الشرور والآفات كالرياح والصواعق ونحو ذلك مما يخاف منه بل كل ما نزل فيها انما هو سلامة وخير وفي الحديث * ان الشيطان لا يخرج في هذه الليلة حتى يضيء فجرها * والليلة ليست نفس السلامة بل ظرف لها ومع ذلك وصفت بالسلامة على طريق التوصيف بالمصدر للمبالغة ثم اشار الى جواز ان يكون سلام اسما بمعنى التسليم والمعنى ان ليلة القدر من غروب الشمس الى طلوع الفجر سلام اي تسلم فيها الملائكة على اهل الطاعة ﴿قوله من اجل كل امر قدر في تلك السنة﴾ اي من خير وشر او مما فيه صلاح المكلف في دينه ودنياه والظاهر ان هذا الاحتمال مبني على ان يكون المراد بالليلة المباركة في قوله تعالى انا انزلناه في ليلة مباركة ليلة القدر وسميت مباركة لما فيها من البركة والمغفرة للمؤمنين لانه ان كان المراد بها ليلة النصف من شعبان كما ذهب اليه الاكثرون فالا يظهر ان يكون وجه تسميتها بليلة القدر تقدير الامور لانه يستلزم ان يكون تقدير الاعمال والارزاق والآجال والمصائب وغيرها واقعا في ليلة القدر وفي ليلة النصف من شعبان اما الاول فلقوله وتسميتها بذلك لتقدير الامور فيها واما الثاني فلقوله تعالى فيها يفرق كل امر حكيم فان ضمير فيها يرجع الى الليلة المباركة وقد فسرت بليلة النصف وكون كل واحدة من الليلتين ليلة التقدير لا يخلو عن بعد الا ان يقال ههنا ثلاثة امور الاول نفس تقدير الامور والاحكام اي تعيين مقاديرها واوقاتها وذلك في الازل قبل ان يخلق الله السموات والارض والثاني اظهار تلك المقادير للملائكة بان تكتب في اللوح المحفوظ وذلك يكون في ليلة النصف والثالث اثبات تلك المقادير في النسخ وتسليمها الى اربابها من المدبرات فتدفع نسخة الارزاق والنباتات والامطار الى ميكائيل ونسخة الريح والجنود والزلازل والصواعق والخسف الى جبرائيل ونسخة الاعمال الى اسرافيل صاحب سماء الدنيا ونسخة المصائب الى ملك الموت وقيل يقدر في ليلة البراءة الآجال والارزاق وفي ليلة القدر تقدر الامور التي فيها الخير والبركة والسلامة وقيل يقدر في ليلة القدر ما يتعلق به اعزاز الدين وما فيه النفع

وتنزلهم الى الارض او السماء الدنيا وتنزلهم الى المؤمنين (من كل امر) من اجل كل امر قدر في تلك السنة وقرئ من كل امرئ اي من اجل كل انسان (سلام هي) اي ماهي الاسلامة اي لا يقدر الله فيها الا السلامة ويقضي في غيرها السلامة والبلاء او ماهي الاسلام لكثرة ما يسلمون فيها على المؤمنين

العظيم للمسلمين و امالية البراءة فيكتب فيها اسماء من يموت وتسلم الى ملك الموت ﴿ قوله على انه كالمرجع ﴾ اى على انه مصدر ميمى على خلاف القياس فان قياس المصدر الميمى من الثلاثى ان يجيء على مفعل بفتح العين وكذا اذا كان اسم زمان فان كسر عينه مخالف للقياس لان قياس اسم الزمان من يفعل ويفعل بفتح العين وضمها ان يكون على مفعل بفتح العين ومايكون سواء حمل على المصدر او اسم الزمان ولامعنى لكون مطلع الفجر اسم مكان وهو ظاهر ويفهم من تقرير المصنف ان قوله تعالى من كل امر متعلق بقوله تنزل اى تنزل من اجل كل امر قضاه الله تعالى لتلك السنة الى قابل من عمل ورزق وحياة وموت او من اجل كل امر من الخير والبركة وقيل تم الكلام عند قوله باذن ربهم ثم ابتدئ فقيل من كل امر سلام هى اى من كل امر محدث سلامة هى حتى مطلع الفجر اى هى الى وقت طلوع الفجر * تمت سورة القدر بحمد الله وعونه وحسن توفيقه وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿ سورة البينة ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ قوله فانهم كفروا بالالحاد فى صفات الله تعالى ﴾ بيان لوجه توصيفه تعالى اهل الكتاب بالكفر قبل بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك ان طريق الكفر غير منحصر فى انكار الدين الناسخ وتكذيبه بل قديكون به مثل كفر اليهود وتكذيب عيسى عليه السلام وانكار دينه وقديكون بانكار حكم من احكام اصل الدين والعدول فيه عن الحق مثل كفر النصارى قبل بعثة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بالالحاد فى صفات الله تعالى والعدول فيها عن الحق والصواب كما قالوا فى صفة العلم انها اقنوم من الاقانيم الثلاثة انقلبت الى بدن عيسى عليه الصلاة والسلام ونحو ذلك فان عامة النصارى مثلثة وعامة اليهود مشبهة يقولون عزير ابن الله كما تقول النصارى المسيح ابن الله واشتراك الجميع فى تحريف كتاب الله تعالى ودينه وسائر ماوجب الكفر قبل بعثة سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم وقيل المراد من الكفر ههنا هو الكفر بنبينا والمعنى لم يكن الذين كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم منفكين من اليهود والنصارى الذين هم اهل الكتاب ولم يكن المشركون من العرب وغيرهم وهم الذين ليس لهم كتاب منفكين اى منفصلين زائلين وفيه انه يبعد ان يقال لم يكن الذين كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم منفكين عماهم عليه حتى يأتيهم محمد ولا وجه للكفر بمن لم يبعث بعد ولم يعلم خبر بعثته ﴿ قوله ومن للتبيين ﴾ لان كونها للتبعيض يستلزم ان يكون البعض من المشركين كافرا والبعض الآخر غير كافر لان تقدير الآية يكون حينئذ لم يكن الذين كفروا بعض اهل الكتاب وبعض المشركين فينبغى ان تكون للتبيين بان يذكر جنس الكفار بقوله تعالى الذين كفروا على الاجمال ثم يفصل ذلك المجمل بقوله من اهل الكتاب والمشركين اخبر الله تعالى انهم قد اتفقوا على ما كانوا عليه من دينهم او خبر الوعد باتباع الحق اذا جاءهم الرسول الى ان تأتيهم البينة وكلمة حتى تقتضى ان ينتهى الاتفاق المذكور عند اتيان البينة بان يحدث منهم الاختلاف والتفرق عند اتيانها لان حكم مابعد كلمة الغاية يكون مخالفا لحكم ماقبلها لوجوب انتهاء الحكم المذكور قبلها عند تحقق الغاية فذلك قوله تعالى وماتفرق الذين اوتوا الكتاب الامن بعد ماجاءتهم البينة جعل كل واحد من الرسول والقرآن بينة امالكونه حجة مبينة لنبوته عليه الصلاة والسلام باعتبار كونه معجزة فانه عليه الصلاة والسلام معجز باخلاقه الزاكية حيث بلغ فيها الى اقصى درجات الكمال واعجز الحكماء المهذبين عن ان يتشبهوا به فى شيء من مكارم اخلاقه وكذا القرآن اعجز فصحاء العرب عن ان يأتوا بسورة من سوره فقوله او معجزة الرسول من اضافة الصفة الى موصوفها اى الرسول المعجز باخلاقه العظام والقرآن المعجز بافحامه من تحدى به اى باسكاته من طلب منه ان يأتى بمثله يقال فحم الصبى بفحم بفتح الحاء فيهما فحوما وفحاما اذا بكى حتى ينقطع صوته وكلمه حتى افحمه اى اسكته فى خصومة او غيرها ويقال تحديته اذا باريته اى عارضته فى فعله ونازعته الغلبة ﴿ قوله بدل من البينة بنفسه ﴾ على ان يكون المراد بالبينة الرسول باعتبار كونه مبينا للحق او كونه معجزا باخلاقه ﴿ قوله او بتقدير مضاف ﴾ على تقدير ان يكون المراد بالبينة القرآن المبين للحق او المبين لنبوته عليه الصلاة والسلام باعتبار اعجازه والتقدير وحى رسول او كتاب رسول ﴿ قوله صفته او خبره ﴾ نشر على ترتيب قوله بدل من البينة اومبتدأ ﴿ قوله والرسول وان كان اميا ﴾ جواب عما يقال كيف نسب تلاوة الصحف المطهرة اليه عليه الصلاة والسلام وهو امى لايكتب ولايقرأ

(من)

(حتى مطلع الفجر) اى وقت مطلعه اى طلوعه وقرأ الكسائى بالكسر على انه كالمرجع اواسم زمان على غير قياس كالمشرق * عن النبى عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة القدر اعطى من الاجر كمن صام رمضان واحيى ليلة القدر

﴿ سورة البينة مختلف فيها وآيها ثمان ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب) اى اليهود والنصارى فانهم كفروا بالالحاد فى صفات الله ومن للتبيين (والمشركين) وعبدة الاصنام (منفكين) عما كانوا عليه من دينهم او الوعد باتباع الحق اذا جاءهم الرسول (حتى تأتيهم البينة) الرسول او القرآن فانه مبين للحق او معجزة الرسول باخلاقه والقرآن بافحامه من تحدى به (رسول من الله) بدل من البينة بنفسه او بتقدير مضاف اومبتدأ (يتلو صحفا مطهرة) صفته اوخبره والرسول وان كان اميا لكنه لما تلا مثل ما فى الصحف كان كالتالى لها وقيل المراد جبرائيل وكون الصحف مطهرة ان الباطل لايأتى ما فيها او انها لايمسها الا المطهرون

من كتاب وانما يقرأها يوحى اليه عن ظهر القلب وتقرير الجواب انه عليه السلام وان كان انما يتلو ما اوحى اليه عن ظهر القلب الا ان متلوه الذى هو القرآن لما كان مصدقا مطابقا لصحف الاولين فى اصول الشرآئع والاحكام صار متلوه كانه هو صحف الاولين فعبر عن متلوه بها بطريق الاستعارة والصحف جمع صحيفة وهى ظرف المكتوب ومحله فلذلك فسره الزمخشرى بقوله قراطيس والمراد ما رسم فيها او قيل المراد بقوله رسول يتلو صحفا جبريل عليه الصلاة والسلام فلا اشكال فى نسبة التلاوة اليه ولم يرض به لان من اتى الكفار والمشركين هو الرسول لا جبريل عليهما الصلاة والسلام ﴿ قوله تعالى فيها كتب قيمة ﴾ جملة اسمية منصوبة المحل على انها صفة لقوله تعالى صحفا وتلك المكتوبات التى تضمنتها الصحف هو المتلو دون نفس الصحف ﴿ قوله عما كانوا عليه او عن وعدهم ﴾ نشر على ترتيب قوله عما كانوا عليه من دينهم او الوعد وقوله بالاصرار على الكفر متعلق بالتفرق من الوعد والمعنى وما تفرقوا من الوعد بان الرسول الموعود اذا بعث يجتمع على تصديقه واتباع دينه بان اخلفوا الوعد وصمموا على الكفر القديم وقوله فيكون كقوله وكانوا من قبل الآية تفريع على الوجه الثانى ووجه المشابهة بين الآيتين حينئذ اشتراكهما فى كونهما مسوقتين لتوبيخ من كفر بمن صدقه وعظم قدره قبل فان من استفتح به عليه عليه الصلاة والسلام اى طلب الفتح والظفر على اعدآئه بحرمة النبى الموعود ومكانته عنده بان قال اللهم انصرنا عليهم بحرمة النبى الموعود ثم كفر بعد بعثته حاله مثل حال من وعد باتباعه عليه الصلاة والسلام اذا بعث بصدقه وبتبعه ثم كفر بعد بعثته عليه الصلاة والسلام فانه كفر بمن صدقه قبل ﴿ قوله لدلالة على شناعة حالهم ﴾ فان افراد احدى الطائفتين المتفقتين على الضلالة بالذكر فى مقام الذم يدل على كونها اشنع حالا من الاخرى مع ان بيان تفرق اهل الكتاب يدل على تفرق المشركين بطريق الاولى لان اهل الكتاب عالمون بحقية امره عليه السلام من حيث ان نعوته وبعثته عليه السلام مذكورة فى كتبهم فاذا تفرقوا مع علمهم بحقية امره كان غير العالم بامره اولى بالتفرق ﴿ قوله اى فى كتبهم بما فيها ﴾ كل واحد من حرفى الجر متعلق بامروا وقدر المفعول الاول لدلالة على ان المراد بالامر الامر الوارد عليهم بألسنة انبيائهم وان المعنى واما امر اهل الكتاب على لسان سيد المرسلين عليه الصلاة والسلام الا بهذه الاشياء وقدر المفعول الثانى لان تعدية فعل الامر الى مفعوله الثانى بالباء دون اللام والمعنى ما امر اهل الكتاب بما امروا به فى الكتابين لشئ من الامور الا لاجل ان يعبدوا الله واهل السنة وان احالوا ان يكون شئ من افعاله تعالى معللا بالغرض بناء على ان الفاعل لغرض يكون ناقصا فى ذاته مستكملا بذلك الغرض تعالى الله عن ذلك الا انهم قالوا ان افعاله تعالى لابد ان تكون مغياة بالحكم والمصالح وكثيرا ما تستعمل لام الغرض فى الحكمة المرتبة على الفعل تشبيها لها به فى ترتبها على الفعل فى الوجود ونبه الله تعالى اهل الكتاب على تعكيس الامر ببيان ان الحكمة الاصلية فى جميع ما امروا به فى كتابهم هى العبادة المقرونة بالاخلاص ثم انهم تركوا ذلك وخالفوا حكمه واوامره بان قال بعضهم عزير ابن الله وقال بعضهم عيسى ابن الله وقال بعضهم عيسى هو الله وقال آخرون ثالث ثلاثة وعامة اليهود مشبهة وكل ذلك شرك مخالف للتوحيد واخلاص العبادة لله تعالى فجاز ان يكون الشرك من اوصاف اهل الكتاب ايضا ويكون عطف قوله تعالى والمشركين فى اول السورة من قبيل عطف الصفة على الصفة مع اتحاد الذات وقيل ليست اللام هنا لام الغرض بل هى صلة وان الناصبة مضمرة بعدها والتقدير وما امروا الا ان يعبدوا اى بان يعبدوا ويروى عن ابن مسعود رضى الله عنه انه قرأ كذلك بناء على ما نقل عن الفرآء فانه قال العرب تجعل اللام فى موضع ان بعد فعل الامر والارادة كثيرا كما فى قوله تعالى يريدون ليطفئوا نور الله بافواههم اى ان يطفئوا ويريد الله ليبين لكم اى ان يبين وامرنا لنسلم اى ان نسلم بمعنى بان نسلم ولم يلتفت اليه المصنف لان جعل اللام صلة واضمار ان بعدها واضمار الباء الجارة قبلها خلاف الظاهر ﴿ قوله تعالى مخلصين ﴾ حال من الفاعل فى ليعبدوا وحنفاء حال ثانية منه او من المنوى فى مخلصين وفى انتصاب مخلصين على الحالية من فاعل ليعبدوا اشارة الى انه يجب تحصيل الاخلاص من ابتدآء العبادة الى انتهائها والاخلاص ان يأتى بفعله خالصا لداعية واحدة وهى قضاء حق الربوبية ومقتضى العبودية ولا يكون لغيرها من الدواعى تأثير فى الحمل على ذلك الفعل وجعل جميع ما يأتى به من الافعال خالصا له ان لا يستثنى شيأ منها لنفسه كان يطلب به الجنة او النجاة من النار فضلا عن ان يستثنى شيأ منها لغيره مثل ان يفعله رياء وسمعة واستدل بهذه الآية على انه لا يجوز دفع الزكاة الى الوالدين والمولودين والعبيد

(فيها كتب قيمة) مكتوبات مستقيمة ناطقة بالحق (وما تفرق الذين اوتوا الكتاب) عما كانوا عليه بان آمن بعضهم او تردد فى دينه او عن وعدهم بالاصرار على الكفر (الا من بعد ما جاءتهم البينة) فيكون كقوله وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وافراد اهل الكتاب بعد الجمع بينهم وبين المشركين للدلالة على شناعة حالهم وانهم لما تفرقوا مع علمهم كان غيرهم بذلك اولى (وما امروا) اى فى كتبهم بما فيها (الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين) لا يشركون به

و الاماء لانتفاء الاخلاص فى دفعها اليهم واذا كان انضمام صلة الوالدين و الاولاد الى نية اصل القربة منافيا للاخلاص فكيف يبقى الاخلاص اذا انضم اليها طلب حظ نفسك وقضاء شهواتك ولهذا ذهب اهل السنة الى ان العبادة ما وجبت لكونها مفضية الى ثواب الجنة او الى النجاة من عذاب النار و انما وجبت لكون العابد عبدا والمعبود ربا ولو لم يحصل فى الدين لاثواب ولا عقاب البتة بل امرنا ربنا بالعبادة لمحض العبودية ومقتضى الربوبية والعبادة عبارة عن الاتيان بالفعل المأمور به على سبيل التعظيم و التذلل له ولذلك قيل صلاة الصبى ليست بعبادة لانه لايعرف عظمة الله فلا يكون فعله تعظيما لله تعالى وقيل ايضا فعل اليهودى مثلا ليس بعبادة وان فعله قصدا لتعظيم ربه لكون مافعله غير مأمور به ﴿ قوله مائلين عن العقائد الزائغة ﴾ قال الجوهرى اصل الحنف الميل و الانقلاب و الاحنف هو الذى قلبت احدى ابهاميه رجليه على الاخرى وعن ابى زيد الحنف انقلاب ظهر القدم حتى يصير بطنا فالاحنف هو الذى يمشى على ظهر قدميه من شقها الذى يلى خنصرها وقيل الحنف الاستقامة فقوله تعالى حنفاء اى مستقيمين وانما سمى مائل القدم احنف على سبيل التفاؤل كقولك للريض مطبوب وللهلكة مفازة والمصنف راعى القولين حيث اعتبر فى مفهوم الحنف كل واحد من معنى الميل والاستقامة لان الميل عن العقائد الزائغة انما يكون بالاستقامة ﴿ قوله دين الملة القيمة ﴾ جعل القيمة نعتا لموصوف محذوف لئلا يلزم اضافة الموصوف الى صفته التى هى بمنزلة اضافة الشئ الى نفسه فان دين القيمة مثل صلاة الاول ومسجد الجامع فكما انهما فى تأويل صلاة الساعة الاول ومسجد الوقت الجامع فكذا الآية فى تأويل الملة القيمة او دين الشريعة القيمة او الكتب القيمة والملة والدين متحدان بالذات ومتغايران بالاعتبار فان الشريعة التى يبلغها الرسول الى الامة تسمى ملة باعتبار انها تكتب وتمل ودينا باعتبار انها تطاع فان الدين الطاعة يقال دان له اى اطاعه والدين ايضا العادة والشأن كما فى قوله * وهذا دينه ابدا ودينى * وكل واحد منهما اعم من الاسلام لانه يستعمل فى الحق والباطل والاسلام لايستعمل الا فى الحق ولما كان بينهما مغايرة اعتبارية جازت اضافة احدهما الى الآخر وايضا هو من قبيل اضافة العام الى الخاص لان الملة المستقيمة اخص من الدين لما مر من ان الدين يستعمل فى الباطل ايضا والقيمة بمعنى المستقيمة فان قام الامر بمعنى استقام يقال قام الدليل على كذا اذا ظهر واستقام وقوله تعالى وذلك اشارة الى ماامروا به وهى الاعمال الصالحة التى معظمها اقام الصلاة وايتاء الزكاة المقرونة بالاخلاص المستلزم للعلم والاعتقاد المطابق فان بعض اهل الاديان كاليهود والنصارى يتعبون انفسهم فى الطاعات من غير ان يحصلوا الاعتقاد المطابق وبعضهم يحصلون الاعتقاد الحق ولا يعملون الاعمال وهم المرجئة الذين يقولون لاتضر المعصية مع الايمان فهو تعالى خطأ كل واحد من الفريقين فى هذه الآية وبين انه لابد من كل واحد من العلم والعمل فقال وماامروا الخ ثم قال وذلك دين القيمة ثم ذكر مآل كل واحد من اهل الكتاب والمشركين ثم بين مآل اهل الحق والتوحيد الى آخر السورة ﴿ قوله او فى الحال بملابستهم ما يوجب ذلك ﴾ فيكون من باب الاسناد المجازى حيث اسند اليهم كونهم فى النار وليسوا فيها فى الحال باعتبار كونهم فيما يوجبها ﴿ قوله واشتراك الفريقين فى جنس العذاب الخ ﴾ جواب عما يقال لاشك ان كفر المشركين اشد واغلظ بالنسبة الى كفر اهل الكتاب لان المشركين ينكرون التوحيد والرسالة والكتاب والبعث وما يتفرع عليه واهل الكتاب يؤمنون باكثرها واذا كان كذلك فكيف يجوز تسويتهما فى العذاب والجواب ان الفريقين لما اشتركا فى اعظم الجنايات وهو الكفر استحقوا اعظم العقوبات وهو الخلود فى نار جهنم واشتراكهما فى جنس عذابها لايستلزم اشتراكهما فى جميع انواعه ﴿ قوله وقرأ نافع البريئة بالهمز ﴾ على الاصل لانها فعيلة من برأ الله الخلق اى ابتدأه واخترعه وقرأ الباقون بياء مشددة بدون همزة كالنبى والذرية فان اصلهما الهمز والقراءة بالهمزة وان كانت موافقة للقياس والاصل الا ان القراءة بدون الهمزة اجود من حيث ان جمهور العرب قد استمروا على ترك الهمزة فيه وفى النبى والذرية فكانت القراءة بالهمزة كالشئ المرفوض المخالف للاستعمال وتوسيط ضمير الفصل فى قوله اولئك هم شر البرية لافادة الحصر اى شر البرية هم دون غيرهم وكيف لا وهم شر من السراق لانهم سرقوا من كتاب الله تعالى نعوت سيد المرسلين عليه الصلاة والسلام وشر من قطاع الطريق لانهم قطعوا طريق الدين الحق على الخلق وشر من الجهال الاجلاف لان الكفر مع العلم يكون كفر عناد وهو اقبح من كفر الجهال فظهر منه ان وعيد العلماء السوء اعظم من وعيد الجهال ﴿ قوله تعالى جزاؤهم ﴾ مبتدأ خبره جنات وفى الكلام حذف مضاف اى دخول جنات

(حنفاء) مائلين عن العقائد الزائغة (ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة) ولكنهم حرفوه وعصوا (وذلك دين القيمة) دين الملة القيمة (ان الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين فى نار جهنم خالدين فيها) اى يوم القيامة او فى الحال لملابستهم ما يوجب ذلك واشتراك الفريقين فى جنس العذاب لا يوجب اشتراكهما فى نوعه فلعله يختلف لتفاوت كفرهما (اولئك هم شر البرية) اى الخليقة وقرأ نافع وابن ذكوان البريئة بالهمز على الاصل فى الموضعين (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا)

وعند ظرف الجزآء و خالدين حال و ذو الحال و عاملة كلاهما محذوف فان الدلالة قوله جزاؤهم عليهما و التقدير يجزون بها خالدين ولا يجوز ان يكون حالا من الضمير المجرور في قوله جزآؤهم لئلا يلزم الفصل بين المصدر و معموله باجنبي وهو الخبر ﴿ قوله فيه مبالغات ﴾ اى فى الكلام المسوق لبيان مآل المؤمنين الموصوفين مبالغات فى اعلاء قدرهم و اجلال شأنهم منها تقديم مدحهم على بيان مآلهم فان الكلام لما كان مسوقا لبيان مآل الفريقين كان الظاهر ان يقدم بيان مصيرهم على قوله اولئك هم خير البرية كما قدم بيان مصير الكفار على قوله اولئك هم شر البرية فلما عكس هكذا الترتيب احتجنا الى طلب النكتة فى ذلك وكانت المبالغة المذكورة صالحة لان تكون نكتة فحكمنا بانها هى النكتة فيه ومنها جعل المثوبة الموصوفة جزآء فانه يتضمن الاعتناء بشأن ما وصفوا به من الايمان والاعمال الصالحة ومنها الحكم على ذلك الجزآء بانه من عند ربهم فانه يدل على علو قدر الجزآء و ذلك يدل على علو قدر صاحبه عند ربه ومنها جمع جنات فانه يدل على ان لكل واحد منهم جنات كما يدل عليه قوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان ثم قال ومن دونهما جنتان فذكر لكل واحد اربع جنات وقيل انه تعالى قابل الجمع بالجمع فى قوله جزآؤهم عند ربهم جنات وهو يقتضى انقسام الآحاد الى الآحاد فيكون لكل واحد منهم جنة واحدة لكن ادنى تلك الجنان مثل الدنيا بما فيها عشر مرات كما روى مرفوعا ومنها تقييدها اضافة فانه يدل على انهم لا يخرجون من تلك الجنات فان العدن بمعنى الاقامة يقال عدن بالمكان اذا اقام به ومنها تقييدها وصفا بما يزداد لها نعيما من جرى الانهار المذكورة فى القرآن من تحتها وهى نهر الماء ونهر اللبن ونهر العسل ونهر الخمر ولعل المصنف اراد بالوصف فى قوله ووصفا بما يزداد لها نعيما الوصف المعنوى الذى هو اعم من الوصف النحوى لئلا يخرج كون تلك الجنات بالنسبة اليهم دار الخلود عن الوجوه الدالة على المبالغة فان الخلود فى الجنة خير من دخولها كما ان رضى الله تعالى فيها خير من الخلود فيها والله سبحانه وتعالى اعلم

﴿ سورة الزلزلة مكية وقيل مدنية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ قوله اضطرابها المقدر لها ﴾ لما دلت اضافة الزلزال الى الارض على اختصاصه بها وتعرّفه بسببها بين معنى تعريف الاضافة بثلاثة اوجه وهى على الوجه الاول والثانى للعهد وعلى الثالث للعموم والاستغراق فان المصدر المضاف اذا لم يقصد به المعهود يحمل على العموم والمعنى اذا زلزلت جميع ما يمكن فى حقها من الزلزال وجميع ما يحتمله المحل من خصوصيات الاضطراب والمعهود على الاول الاضطراب الذى قدره الله تعالى للارض عند احد النفختين فانه قد سبق فى علم الله تعالى وقضائه ان تحرك الارض تحريكا شديدا عند النفخة الاولى لفناء الدنيا وعند النفخة الثانية لبعث الموتى احياء من بطن الارض كما يخرج الولد من بطن امه والمعهود على الوجه الثالث هو القدر اللائق بها فى الحكمة وما تقتضيه مشيئة الله تعالى وهو الزلزال الشديد الذى ليس بعده زلزال وتكون الارض بسببه قاعا صفصفا بانكسار ما عليها من الابنية والاشجار والجبال والتلال ويصير جميع ذلك نظير الهباء المنبث حتى تمهد الارض وتتسع لاهل الموقف من الجن والانس وصفوف الملائكة فان الارض لا تصير كذلك الا بزلزال شديد ونظيره قولك اكرم التقى كرامة واهن الفاسق اهانة تريد ما يستحقانه ويليق بهما من الاكرام والاهانة والزلزال بالكسر مصدر وبالفتح اسم بمعنى المصدر وفعلال بالفتح لا يوجد فى غير المضاعف كالصلصال والقلقال الا نادرا نحو قسطال وهو الغبار ﴿ قوله من الدفائن والاموات ﴾ فان اريد بزلزال الارض اضطرابها عند النفخة الاولى يكون المراد بالاثقال الدفائن والكنوز فان الارض حينئذ تخرج جميع ما فيها من الكنوز فيمتلئ ظهر الارض ذهبا ولا يلتفت اليه احد وان اريد به الزلزلة الواقعة عند النفخة الثانية يفسر الاثقال بالاموات وعلى التقديرين تكون الاثقال استعارة بان شبه ما فى جوف الارض من الدفائن والاموات بامتعة البيت فعبر عنه بالاثقال مجازا ﴿ قوله لما يبهرهم من الامر الفظيع ﴾ اى لما يغلبهم من الامر الهائل اشار به الى ان الاستفهام فى قوله مالها للتفظيع والتهويل فان كل من رأى تلك الزلزلة بغتة سوآء كان ممن آمن بالبعث او كفر به يجوز ان يقول هذا القول لما يغلبه من الهول وفرط التحير الا ان المؤمن يقول بعدما تدارك الامر ورجع اليه عقله وفكره هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون واما الكافر فانه يحشر اعمى كما عاش اعمى فيستمر على السكرة والحيرة وقوله مالها جملة اسمية معناها التعجب اى اى شئ حدث فيها وعرض لها حتى زلزلت

فيه مبالغات تقديم المدح وذكر الجزآء المؤذن بان ما منحوا فى مقابلة ما وصفوا به والحكم عليه بانه من عند ربهم وجمع جنات وتقييدها اضافة ووصفا بما يزداد لها نعيما وتأكيد الخلود بالتأبيد (رضى الله عنهم) استئناف بما يكون لهم زيادة على جزآئهم (ورضوا عنه) لانه بلغهم اقصى امانيهم (ذلك) اى المذكور من الجزآء والرضوان (لمن خشى ربه) فان الخشية ملاك الامر والباعث على كل خير * عن النبى عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة لم يكن كان يوم القيامة مع خير البرية مبيتا ومقيلا

﴿ سورة الزلزلة مختلف فيها وآيها ﴾

﴿ تسع ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(اذا زلزلت الارض زلزالها) اضطرابها المقدر لها عند النفخة الاولى او الثانية او الممكن لها او اللائق بها فى الحكمة وقرئ بالفتح وهو اسم الحركة وليس فى الابنية فعلال بالفتح الا فى المضاعف (واخرجت الارض اثقالها) ما فى جوفها من الدفائن والاموات جمع ثقل وهو متاع البيت (وقال الانسان مالها) لما يبهرهم من الامر الفظيع وقيل المراد بالانسان الكافر فان المؤمن يعلم مالها

هذه الزلزلة الشديدة فان التعجب لما كان عبارة عن كيفية انفعالية تعرض للانسان عند ادراك ما خفي سببه صح ان يكون السؤال عن السبب طريقا لانشاء التعجب واظهاره وكلمة اذا في قوله تعالى اذا زلزلت الارض شرطية وجوابها تحدث وهو الناصب لها عند الجمهور ويومئذ اي يوم اذ زلزلت بدل من اذا ﴿ قوله تحدث الخلق ﴾ اشارة الى ان المفعول الاول لتحدث محذوف وهو الخلق واخبارها مفعوله الثاني حذف اوّلهما لان المقصود ذكر تحديثها الاخبار لا ذكر الخلق بناء على ان السورة نازلة لبيان هول يوم القيامة فنزل قوله تعالى تحدث في حق تعلقه بمفعوله الاول منزلة اللازم ولم يقصد الاتيان تعلقه بمفعوله الثاني فانه لا مدخل لذكر الخلق في بيان هوله وانما يستحق التهويل بذكر ما تحدث به الا ان الارض لكونها جمادا لا يمكن لها ان تحدث بلسان المقال وانما تحدث بلسان الحال فان الارض لما بطلت حالتها الاولى واضمحل جميع ما عليها بسبب الزلزلة دل ذلك على ان الدنيا قد انقضت مدتها وان الآخرة قد اقبلت بما فيها من البعث والحساب والجزاء فلذلك وقعت هذه الزلزلة والاخراج وهذه الدلالة قد اقيمت مقام التحديث فعبر به عنها ﴿ قوله وقيل ينطقها الله تعالى ﴾ فتشهد على كل عبد وامة بما عمل على ظهرها روي عنه عليه الصلاة والسلام انه قال « حافظوا على الوضوء وخير اعمالكم الصلاة لوقتها وتحفظوا من الارض فانها امكم وليس فيها احد يعمل خيرا ولا شرا الا وهي تخبر به » ﴿ قوله او اصل ﴾ عطف على قوله بدل ذكر لانتصاب اذا وجهين الاول انها منصوبة بجوابها او هو تحدث ويومئذ بدل منها والعامل فيه هو العامل فيها والثاني انها منصوبة بمضمر نحو اذكر اذا زلزلت واذا زلزلت يظهر جميع احوال الخلق فيجازى كل واحد بما يستحقه فحينئذ يكون يومئذ اصلا معمولا لتحدث ظرفا له ﴿ قوله الانقال حدثته كذا وبكذا ﴾ جواب عما يقال كيف يكون بدلا من اخبارها وهو مفعول ثان لتحدث عدى اليه الفعل بلا واسطة حرف الجر وقوله بان ربك ان جعل بدلا منه كان هو المقصود بالمفعولية وقد عدى اليه الفعل بواسطة الباء « واجاب عنه بان كل واحد من الاستعمالين فصيح فعدى الفعل الى المبدل منه بنفسه والى البدل بواسطة الحرف كأنه قيل تحدث ان ربك أوحى لها بان أحدث عليها احوالا دالة على انه لاي شئ زلزالها واخراجها واللام قد تستعمل بمعنى الى كافي قوله « وشدها بالراسيات الثبت » او حى لها القرار فاستقرت « ويجوز ان تكون اللام على اصل معناها اي فعلنا ذلك لاجلها فانها تتوسل بذلك الى التشفي من العصاة ﴿ قوله ولعل حسنة الكافر ﴾ جواب عما يقال ان حسنات الكافر محبطة بكفره وسيئات المؤمن مغفورة اما ابتداء واما بسبب اجتنابه الكبائر فما معنى الجزاء بمثاقيل الذر من الخير والشر « وحاصل الجواب الاول ان حسنات الكافر وان كانت محبطة بمعنى انه لا يستحق بها ثوابا الا ان ذلك لا ينافي ان يرى جزاء تلك الحسنات بان ينقص من عقاب كفره بمقدار تلك الحسنات وكذا سيئات المؤمن وان كانت مغفورة بان لا يعذب بسببها الا ان ذلك لا ينافي ان يرى جزاءها بان ينقص من ثواب ايمانه وصالح اعماله بمقدار تلك السيئات وحاصل الجوابين الاخيرين ظاهر ﴿ قوله او من الاولى ﴾ وهي التي في قوله فمن يعمل مختصة بالسعداء وهم الذين لم يعملوا سيئة قط والاشقياء هم الذين لم يعملوا حسنة اصلا وقرأ هشام باسكان هاء يره في الموضعين وصلا ووقفا وباقي السبعة قرأوا بضمها باشباع ضمة الهاء اي موصولة بالواو وصلا وسكونها وقفا كسائر هاء الكناية وهذه الآية نزلت ترغيبا في الخير ولو كان قليلا وتحذيرا من الشر والذنب وان قل فلا ينبغي للمرء ان يتهاون في الذنب اليسير ويزعم ان المرء لا يؤاخذ بمثله كما لا ينبغي له ان يجتنب عن اعطاء شئ قليل نحو تمرة وكسرة استقلالا به ولهذا قال عليه الصلاة والسلام « اتقوا النار ولو بشق تمرة فمن لم يجد فبكلمة طيبة ﴿ قوله والذرة النملة الصغيرة او الهباء ﴾ قال الكلبي الذرة اصغر النمل وقال ابن عباس رضي الله عنهما اذا وضعت راحتك على الارض اي كفك ثم رفعتها فكل واحد مما لزق بها من التراب ذرة وعلى الوجهين مثقال ذرة بمعنى زنة ذرة فان مثقال الشئ ميزانه ومثله والله سبحانه وتعالى اعلم « تمت سورة الزلزلة والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم

﴿ سورة العاديات مدنية وقيل مكية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ قوله تعالى والعاديات ﴾ جمع عادية وهي الجارية بسرعة من العدو وهو المشي بسرعة والياء التي فيها منقلبة من الواو لكسر ما قبلها لانها من العدو كالغازيات من الغزو والضبح صوت يسمع من افواه الخيل وصدورها اذا عدت وهو غير الصهيل والحمحمة وذكر لانتصاب ضبحا ثلاثة اوجه الاول انه مصدر مؤكد لفعله المحذوف اي تضبح ضبحا

(يومئذ تحدث اخبارها) تحدث الخلق بلسان الحال اخبارها ما لاجله زلزالها واخراجها وقيل ينطقها الله فتخبر بما عمل عليها ويومئذ بدل من اذا وناصبها تحدث او اصل واذا منتصب بمضمر (بان ربك اوحى لها) اى تحدث بسبب ايحاء ربك لها بان احدث فيها ما دلت على الاخبار او انطقها بها ويجوز ان يكون بدلا من اخبارها اذ يقال حدثته كذا وبكذا واللام بمعنى الى او على اصلها اذ لها في ذلك تشفي من العصاة (يومئذ يصدر الناس) عن مخارجهم من القبور الى الموقف (اشتاتا) متفرقين بحسب مراتبهم (ليروا اعمالهم) جزاء اعمالهم وقرئ بفتح الياء (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره « ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) تفصيل ليروا ولذلك قرئ يره بالضم ولعل حسنة الكافر وسيئة المجتنب من الكبائر تؤثر ان في نقص الثواب والعقاب وقيل الآية مشروطة بعدم الاحباط والمغفرة او من الاولى مخصوصة بالسعداء والثانية بالاشقياء لقوله اشتاتا والذرة النملة الصغيرة او الهباء « عن النبي عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة اذا زلزلت اربع مرات كان كمن قرأ القرآن كله

﴿ سورة والعاديات مختلف فيها ﴾

﴿ وآيها احدى عشرة ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والعاديات ضبحا) اقسم بخيل الغزاة تعدو فتضبح ضبحا وهو صوت انفاسها عند العدو ونصبه بفعله المحذوف او بالعاديات فانها تدل بالالتزام على الضابحات او ضبحا حال بمعنى ضابحة (فالموريات قدحا) فالتي توري النار والايراء اخراج النار يقال قدح الزند فأورى

على تأويل العاديات بالجماعة او تضبحن ضبحا على وفق لفظ العاديات وهذا الفعل المقدّر فى موضع النصب على انه حال من العاديات والثانى انه مصدر مؤكد لعاديات لان الشرط فى عامل المفعول المطلق ان يوافقه معنى لا لفظا والتوافق المعنوى متحقق ههنا لان الضبح لكونه من لوازم العدو صار مداولا التزاميا له فكان ذكر العاديات بمنزلة ذكر الضابحات فصح انتصاب ضبحا بها على انه مفعول مطلق لها والثالث انه مصدر فى موضع الحال من المنوىّ فى قوله والعاديات اى ضابحات او ذوات ضبح او على انها انها فى انفسها ضبح للمبالغة كما فى رجل عدل وكذا الكلام فى انتصاب قدحا فانه يجوز ان يكون مصدرا مؤكدا لفعله المحذوف اى فالتى تورى النار حال كونها تقدح قدحا والقدح ضرب الحجر بالقدحة فان الخيل تضرب بحوافرهنّ وسنابكهنّ الحجارة فتخرجن منها نارا ويجوز ان يكون مصدرا للموريات لان الايراء لكونه من لوازم القدح وتوابعه دلت الموريات على القادحات التزاما ويجوز ان يكون حالا من المنوىّ فى الموريات على معنى فالتى تورى النار قادحة او ذات قدح ﴿قوله يغير اهلها﴾ يعنى ان اسناد المغيرات الى ضمير العاديات التى هى خيل الغزاة اسناد مجازى فان الاغارة فى اللغة هى الاسراع على العدوّ للقتل عليهم وهو فعل اصحاب الخيل ﴿قوله اى فى وقته﴾ يريد ان صبحا منصوب على انه ظرف للمغيرات وكانوا يغيرون على العدوّ صباحا لانهم فى الليل يكونون فى الظلمة فلا يبصرون شيأ وفى النهار يكون الاعداء متهيئين للوقعة والمحاربة واما وقت الصباح فالناس يكونون فيه على الغفلة وعدم الاستعداد فلذلك اختاروه للاغارة ﴿قوله تعالى فأثرن﴾ معطوف على اسم الفاعل قبله حملا على المعنى فان المعنى واللاتى عدون فاورين فاغرن فأثرن اصله فأثورن نقلت حركة الواو الى الثاء قبلها وقلبت الواو ألفا لتحرّكها فى الاصل وانفتاح ماقبلها الآن فصار أثارن فحذفت الالف لالتقاء الساكنين فبقى أثرن بوزن افلن يقال ثار الغبار اذا هاج وارتفع واثرته انا هيجته والنقع يطلق على الغبار وعلى الصياح وهو رفع الصوت يقال نقع الصوت واستنقع اى ارتفع وضمير به يرجع الى الزمان الذى وقعت الاغارة فيه وهو الصبح والباء بمعنى فى اى فهيجن فيه صياح النوائح وارتفاع اصواتهنّ ويجوز ان يكون ضميره للمكان المدلول عليه بلفظ المغيرات لان الاغارة لابدّ لها من مكان والباء للظرفية ايضا وان يكون للعدو المدلول عليه بلفظ العاديات اى فأثرن بسبب عدوهنّ نقعا فالباء سببية وما اختاره المصنف اظهر الا انه جوّز ان يكون ضمير وسطن به للعدو فتكون الباء سببية وان يكون للنقع لقربه ذكرا فتكون الباء متعلقة بمحذوف منصوب على الحالية من المنوى فى قوله فوسطن * روى عن مقاتل انه عليه الصلاة والسلام بعث سرية الى حىّ من كنانة وامّر عليهم المنذر بن عمرو احد النقباء فمكث ماشاء الله ان يمكث ولم يأته خبرها فقال المنافقون قتلوا جميعا فاخبر الله تعالى عنها بقوله والعاديات ضبحا الى آخرها وبين بذلك سلامتهم وانهم توسطوا فى وقت الصبح جماعة الاعداء فأغاروهم وظفروا عليهم سالمين غانمين وان المنافقين كاذبون فى قولهم انهم قتلوا اجمعا فعلى هذا تكون السورة مدنية لانه عليه الصلاة والسلام لم يؤذن له فى القتال وهو بمكة وايضا الظاهر حينئذ ان يكون تعريف العاديات للعهد ويكون المقسم به خيل تلك السرية ويجوز ان يكون التعريف للجنس ويكون القسم به كل خيل عدت فى سبيل الله بالصفات المذكورة فانها تستحق لان يقسم بها لاتصافها بتلك الصفات الشريفة ﴿قوله العادية اثر كالهنّ﴾ اى الساعية المسارعة فى طريق الارتقاء الى درجات الكمالات الروحانية وضبحهنّ ماطرأ عليهنّ اثر تعبهنّ بالسعى فى مباشرة اسباب ذلك الارتقاء ﴿قوله اذا ظهر لهنّ﴾ ظرف لقوله المغيرات على الهوى اى الماحيات لرسوم البشرية والعادات الطبيعية وقت ان طلع عليهم صبح العرفان وتجلى لهم انوار القدس ﴿قوله تعالى لربه﴾ متعلق بكنود وقدم عليه رعاية للفواصل اى انه لكنود لنعمة ربه قيل اصل الكنود منع الحق والخير والكنود الذى يمنع ماعليه والارض الكنود هى التى لاتنبت شيأ روى عنه عليه الصلاة والسلام انه قال « الكنود » الكفور الذى يمنع رفده ويأكل وحده ويضرب عبده » والمراد بالانسان الجنس والمعنى ان طبع الانسان يحمله على ذلك الا اذا عصمه الله تعالى من ذلك بلطفه ورحمته وقيل المراد به الكافر ﴿قوله لظهور اثره عليه﴾ يعنى ليس المراد بشهادة الانسان على نفسه بالكنود الشهادة بلسان المقال بل المراد الشهادة بلسان الحال فان آثار الكنود تظهر عليه بحيث لايمكنه ان يسلب ذلك عن نفسه فصار بذلك كأنه شهد بذلك على نفسه ويجوز ان يكون ضمير وانه للبارى تعالى لكونه اقرب المذكورين فتكون الآية وعيدا وزجرا له عن المعصية من حيث انه تعالى يحصى عليه اعماله وعلى الاوّل يكون تأكيدا لكنوده وكفرانه ويؤيد الاوّل رجوع ضمير قوله وانه لحب الخير لشديد الى

(فالمغيرات) يغير اهلها على العدوّ (صبحا) اى فى وقته (فأثرن به) فهيجن بذلك الوقت (نقعا) غبارا او صياحا (فوسطن به) فتوسطن بذلك الوقت او بالعدو او بالنقع اى ملتبسات به (جمعا) من جموع الاعداء روى انه عليه الصلاة والسلام بعث خيلا فمضى شهر لم يأته منهم خبر فنزلت ويحتمل ان يكون القسم بالنفوس العادية اثر كمالهنّ الموريات بافكارهنّ انوار المعارف المغيرات على الهوى والعادات اذا ظهر لهنّ مبدأ انوار القدس فأثرن به شوقا فوسطن به جمعا من جموع العليين (ان الانسان لربه لكنود) لكفور من كند النعمة كنودا او لعاص بلغة كندة او لبخيل بلغة بنى مالك وهو جواب القسم (وانه على ذلك) وان الانسان على كنوده (لشهيد) يشهد على نفسه لظهور اثره عليه او وان الله على كنوده لشهيد فيكون وعيدا (وانه لحب الخير) المال من قوله تعالى ان ترك خيرا (لشديد) لبخيل او لقوىّ مبالغ فيه

الانسان اى وان الانسان من اجل حبه للمال لبخيل ممسك او انه لقوى مطيق لحب المال مبالغ فى ايثار الدنيا وطلبها وهو فى حب الله وشكر نعمته ضعيف على ان اللام معدية لقوله لشديد يقال هو شديد لهذا الامر اى مطيق له قوى عليه ﴿ قوله جمع محصلا فى الصحف ﴾ يعنى ان تحصيل الشئ جعله حاصلا مجموعا فى غيره او جعله متميزا عن غيره فتحصيل مافى الصدور اما جمعه واثباته فى الصحف او تمييز ما اظهر منه ان بعث فى الصدور ﴿ قوله وتخصيصه لانه هو الاصل ﴾ جواب عما يقال لم خص اعمال القلوب بالذكر فى قوله وحصل مافى الصدور واهمل ذكر اعمال الجوارح ، واجاب عنه بان اعمال الجوارح تابعة لاعمال القلوب فانه لولا تحقق البواعث والارادات فى القلوب لما حصلت افعال الجوارح وذكر مبدأ الشئ بمنزلة ذكر نفسه ﴿ قوله اذا بعثر ﴾ لايجوز ان يكون ظرفا ليعلم لان الانسان لايراد منه العلم فى ذلك الوقت وانما يراد منه ذلك وهو فى الدنيا فلابد ان يؤول النظم ويجعل يعلم بمعنى اى أفلا يعلم الانسان الآن انه تعالى عالم بجميع ما عمله سرا وجهرا من خير وشر فيجازيه على حسب ذلك ولايجوز ايضا ان يكون ظرفا ليعلم لان المضاف اليه لايعمل فى المضاف لانه بمنزلة ان يعمل بعض الكلمة فى بعضها ولا لقوله لخبير لان مابعد ان لايعمل فيما قبلها فتعين ان يكون العامل فيه مادل عليه قوله ان ربهم بهم يومئذ لخبير اى افلا يعلم الانسان فى الدنيا انه تعالى يجازيه اذا بعثر ومعنى علم الله تعالى بهم يوم القيامة مجازاته لهم على مقادير اعمالهم وكسر ان فى قوله ان ربهم بهم يومئذ لخبير مع انه فى حيز مفعول يعلم لوجود اللام فى خبرها كقوله والله يعلم انك لرسوله ومن فتح همزة ان قرأ خبير بلا لام ﴿ قوله وانما قال ماثم قال بهم الخ ﴾ اشارة الى جواب مايقال عبر عن اهل القبور اولا بكلمة ما وهى فى الاغلب لاتطلق الا على غير اولى العلم ولاتطلق على اولى العلم الا نادرا كما حكى ابو زيد سبحان ما سخركن لنا سبحان ما سبح الرعد بحمده وفى التنزيل وما ملكت ايمانكم ثم انه تعالى عبر عن ضمير اهل القبور بضمير العقلاء حيث قال ان ربهم بهم ولم يقل ان ربها بها فما الحكمة فى ذلك ، واجاب عنه بان ذلك لاختلاف شأنهم فى الحالين فانهم ماداموا فى القبور اموات وجمادات فعبر عنهم فى تلك الحال بما يعبر به عن غير العقلاء ثم انهم يوم القيامة احياء عقلاء فلذلك عبر عنهم عند حكاية حالهم بضمير العقلاء توفية للحالين حقهما ونظير الآية قوله عليه الصلاة والسلام «ليس للنساء من الولاء الا ما اعتقن او اعتق من اعتقن» الحديث فانه عليه الصلاة والسلام عبر عن المعتق بفتح التاء بلفظ ما وعن المعتق بكسر التاء بلفظ من لحالة الرقيق الذى يتعلق به العتق بالبهائم لانه يستخدم ويحجر عن التصرف ويباع فى الاسواق كالبهائم بخلاف المعتق بكسر التاء فانه بحريته عاد الى الحالة الاصلية التى هى الانسانية فعبر عنه بمن ، تمت سورة العاديات والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿ سورة القارعة مكية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

القرع الضرب بشدة واعتماد ثم سميت الحادثة العظيمة قارعة قال تعالى ولايزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة واتفقوا على ان القارعة من اسماء يوم القيامة سمى بها لان الاجرام العلوية والسفلية يصطكان اصطكاكا شديدا عند تخريب العالم فبسبب ذلك الاصطكاك سمى يوم القيامة بالقارعة اى الساعة القارعة اسند الفعل اليها وهو لاهلها اسنادا مجازيا قال المصنف فى سورة الحاقة فى تفسير قوله تعالى كذبت ثمود وعاد بالقارعة اى بالحالة التى تقرع الناس بالافزاع والاجرام بالانفطار والانتثار يعنى انه سمى زمان الحالة القارعة باسم القارعة ﴿ قوله تعالى القارعة ﴾ مبتدأ وما مبتدأ ثان والقارعة خبره والجملة خبر المبتدأ الاول ووضعت القارعة موضع الضمير العائد الى المبتدأ الاول تعظيما لشأنها وافادة لزيادة التهويل وتقدير الكلام القارعة اى شئ هى ثم زادها تعظيما فقال وما ادراك ما القارعة يعنى انك لاعلم لك بكنهها لانها من العظم والشدة بحيث لاتبلغه دراية احد ولا وهمه وما فى قوله وما ادراك مبتدأ وما الثانية مبتدأ ثان والقارعة خبر الثانى والجملة فى محل النصب على انها مفعول ثان لادرى ومفعوله الاول الكاف وادراك لايعمل فى مفعوله الثانى وهو قوله ما القارعة لتضمنه معنى الاستفهام وادرى مع مافى حيزه فى محل الرفع على انه خبر المبتدأ الاول والفراش جمع فراشة وهو مايتهافت فى النار ليلا والمبثوث المفرق يقال بثه اذا فرقه ﴿ قوله فى كثرتهم ﴾ لانه تعالى شبه الخلق وقت البعث بالكثير من الفراشة لان الفراش جمع فراشة ويوم منصوب بما يدل عليه القارعة اى تقرع يوم يكون

(أفلا يعلم اذا بعثر) بعث (مافى القبور) من الموتى وقرئ بحثر وبحث (وحصل) جمع محصلا فى الصحف او ميز (مافى الصدور) من خير او شر وتخصيصه لانه الاصل (ان ربهم بهم يومئذ) يوم القيامة (لخبير) عالم بما اعلنوا وما اسروا فيجازيهم واعاد الضمير جمعا نظرا لمعنى الانسان الخ ما ثم قال بهم لاختلاف شأنهم فى الحالين وقرئ ان وخبير بلا لام ، عن النبى عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة والعاديات اعطى من الاجر عشر حسنات بعدد من بات بالمزدلفة وشهد جمعا .

﴿ سورة القارعة مكية وآيها عشر ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(القارعة ما القارعة وما ادراك ما القارعة) سبق بيانه فى الحاقة (يوم يكون الناس كالفراش المبثوث) فى كثرتهم وذلهم وانتشارهم واضطرابهم وانتصاب يوم بمضمر دلت عليه القارعة

الناس كالفراش ولا يجوز ان يكون ظرفا للفظ القارعة المذكور اولا لاستلزامه تخلل الفاصل بين العامل الذي هو من صلة لام التعريف وبين معموله بأجنبي وهو الخبر هذا على تقدير ان تكون القارعة اسم فاعل وان جعل علما للقيامة فلا يعمل ايضا ولا المذكور ثانيا وثالثا اذ لا وجه لكونه ظرفا لشيء منهما ويحتمل ان يكون معمولا لاذكر مضمرا وقيل القارعة مرفوع على انه فاعل فعل مضمر ويوم منصوب به تقديره ستقوم القارعة يوم يكون ﴿ قوله كالصوف ذي الالوان ﴾ فان الجبال مع كونها مختلفة الالوان كما قال تعالى ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها اذا تفرقت اجزاؤها وانحل تركيبها تصير شبيهة بالعهن وهو الصوف الملون بألوان مختلفة اذا جعل منفوشا متبدد الاجزاء ﴿ قوله بان رجحت مقادير انواع حسناته ﴾ على ان الموازين جمع موزون وهو العمل الذي له وزن وحظ عند الله وان ثقله عبارة عن رجحان مقداره على مقدار ما يقابله من العمل القبيح واختيار موازينه على موزونه مع ان اضافة جنس الموزون ايضا تفيد العموم للدلالة على ان المراد احاطة انواع ذلك الجنس لا احاطة نوع واحد من انواعه فان انواع الاعمال الموزونة اما ان تكون ثقيلة اى راجحة على الاعمال التي لا وزن لها ولا قدر او تكون خفيفة مرجوحة بان لا يوجد لها عمل صالح او يوجد ولكن تكون سيئاته راجحة عليه فسكن المكلف على الاول هو الجنة وعلى الثانى هو الهاوية وقيل الموازين جمع ميزان واحده لسان وكفتان يوزن به اعمال المكلفين وذكره بلفظ الجمع مع انه ميزان واحد تعظيما له الا انه لا وجد لان يراد بثقل الميزان وخفته ثقل احد كفتيه بالنسبة الى الاخرى وخفتها بالنسبة اليها مطلقا لان ثقل احدى الكفتين على الاطلاق مستلزم لخفة الاخرى بالنسبة اليها وغير قسيم لها الا ان يكون المراد بثقل الميزان وخفته ثقل كفة الحسنة بما فيها من الحسنات وخفتها عنها بان لا يكون فيها عمل صالح ولا يخفى ان جعل ثقل الميزان وخفته عبارة عن ثقل كفة الحسنة وخفتها فى قوة ان يجعل الموازين جمع موزون وان يكون ثقل الموازين عبارة عن رجحان الحسنات على السيئات فلذلك لم يلتفت المصنف الى ان يكون الموازين جمع ميزان ذكر الامام فى الكبير ان المتكلمين قالوا ان نفس الحسنات والسيئات لا يصح وزنها بل المراد ان الصحف المكتوب فيها الحسنات والسيئات توزن او يجعل النور علامة الحسنات والظلمة علامة السيئات فيوزن بالظلمة النور فمن ازداد نوره فهو فى عيشة راضية ومن ازدادت ظلمته فهو من اهل النار او تصور صحيفة الحسنات بالصورة الحسنة وصحيفة السيئات بالصورة القبيحة فيظهر بذلك الثقل والخفة وتكون الفائدة فى ذلك ظهور حال صاحب الحسنات فى الجمع العظيم فيزداد سرورا وظهور حال صاحب السيئات فيكون ذلك كالفضيحة له عند الخلائق الى هنا كلامهم وقال بعض العلماء لا توزن اعمال الكافر وانما توزن الاعمال التى بازائها الحسنات وليس للكافر حسنات لان حسناته محبطة بكفره وقيل قد ذكر الله تعالى الوزن فنؤمن به ولا نعرف كيفيته قيل قد ذكر الله تعالى من رجحت حسناته على سيئاته ومن رجحت سيئاته على حسناته ولم يذكر من تساوت حسناته مع سيئاته فلعله من اصحاب الاعراف ﴿ قوله ذات رضى ﴾ بان يرضاها صاحبها او مرضية الاول على ان البناء للنسب والثانى على ان يكون الاسناد مجازيا فان حق الرضى ان يسند الى صاحب العيشة وقد اسند الى نفس العيشة المرضية ﴿ قوله فمأواه النار ﴾ على ان الهاوية من اسماء النار وان قوله تعالى فأمه هاوية من قبيل التشبيه شبهت النار بالام للعصاة لكونها تهوى بهم وتضمهم الى نفسها كما تضم الام الاولاد اليها ولانهم يلتجئون اليها ﴿ قوله تعالى ماهيه ﴾ جملة اسمية سادة مسد مفعول أدراك علقت هى عنها لتضمنها معنى الاستفهام وهيه ضمير الهاوية والاصل هى دخلت الهاء عليها للسكت وقرأ حمزة والكسائى ويعقوب ماهى بغير هاء على الاصل ووقفوا بالهاء فقوله نار خبر مبتدأ محذوف اى هى نار شديدة الحرارة فان بناء حامية للنسبة كتابه تامر ولابن والحمى اشتداد الحرارة يقال حمى التنور بكسر الميم اى اشتد حره وتوصيف النار بها فى مقام المبالغة فى بيان هولها يدل على ان سائر النيران بالنسبة اليها ليس فيها شيء من الحرارة * تمت سورة القارعة والحمد لله وحده وصلى الله وسلم على من لا نبي بعده

﴿ سورة التكاثر مكية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ قوله واصله الصرف الى اللهو ﴾ اراد الذى يدعو اليه اللهو والصرف الى اللهو واللعب لما كان مستلزما للشغل والانفعال عن المهم اطلق الالهاء الذى هو الصرف الى اللهو على الانفعال عن المهم كقول امرئ القيس

(وتكون الجبال كالعهن) كالصوف ذى الالوان (المنفوش) المندوف لتفرق اجزآئها وتطايرها فى الجو (فأما من ثقلت موازينه) بان رجحت مقادير انواع حسناته (فهو فى عيشة) فى عيش (راضية) ذات رضى او مرضية (وأما من خفت موازينه) بان لم يكن له حسنة يعبأ بها اورجحت سيئاته على حسناته (فأمه هاوية) فمأواه النار والهاوية من اسمائها ولذلك قال (وما ادراك ماهيه نار حامية) ذات حمى * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ القارعة ثقل الله بها ميزانه يوم القيامة

﴿ سورة التكاثر مختلف فيها ﴾
﴿ وآيها ثمان ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(ألهاكم) شغلكم واصله الصرف الى اللهو منقول من لهى اذا غفل

فألهيتها عن ذي تمائم محول * فان جعلها معرضة عنه من لوازم كونها منصرفة الى اللهو ﴿قوله التباهي بالكثرة﴾ اى بكثرة الاعداد والعشائر كما يدل عليه سبب النزول فتعريف التكاثر للعهد والمعهود التكاثر فى الامور الدنيوية الفانية فالآية تقريع لهم على سوء فعلهم حيث اشتغلوا بما لا يعنيهم عن امر الدين والآخرة والعمل لها ﴿قوله اذا استوعبتم عدد الاحياء صرتم﴾ اى انتقلتم الى ذكر الاموات والتكاثر بهم يعنى ان قوله تعالى حتى زرتم غاية لقوله ألهاكم وانه عطف عليه اى شغلكم التباهي والتفاخر بكثرة الاعوان حتى انتقلتم الى ذكر الاموات بعد ان استقصيتم فى ذكر الاحياء شبه الانتقال الى ذكر الموتى بزيارة القبور فعبر بها عنه تهكما بهم فان التفاخر بالمواضع التى تدفن فيها الاموات غاية الجهالة لان من فنى وصار بحيث يعبر عنه بالمقبرة كيف يصلح لان يفتخر به وفى هذا التعبير ايضا تعريض لهم بانهم عكسوا الامر من حيث ان المقصود من زيارة المقابر تذكر الموت والاعراض عن الدنيا والمباهاة بها فمن توسل بزيارتها الى المباهاة بالدنيا فقد عكس الامر وتردى فى وادى الجهالة والضلالة ﴿قوله فكثرهم بنوا عبدمناف﴾ اى غلبوهم بالكثرة من قولهم كاثرناهم فكثرناهم اى غلبناهم بالكثرة على ما ذكر فى باب المغالبة انهم اذا ارادوا الاخبار بالغلبة فى فعل نقلوا الافعال اللازمة من باب فعل بضم العين الى باب نصر ويذكرونه بعد فاعل مسندا الى الغالب فيه نحو كارمنى زيد فكرمته اى غالبنى فى الكرم فغلبته فيه ومثله كاثرناهم فكثرناهم فلما غلب بنوا عبد مناف على بنى سهم بالكثرة قال بنوا سهم ان البغى أهلكنا اى ان بغى الاعداء والقتال معهم اهلكنا فعدوا مجموع احيائنا وامواتنا مع مجموع احيائكم وامواتكم ففعلوا ذلك فزاد بنوا سهم فنزلت الآية والمقابر جمع مقبرة ومقبرة بضم الباء وفتحها والقبور جمع قبر وهو مصدر قبرت الميت اقبره واقبره قبرا اى دفنته فى المقبرة واقبرته اى امرت بان يقبر ﴿قوله وانما حذف الملهى عنه﴾ ضمير عنه راجع الى الالف واللام فى الملهى والمعنى وانما حذف الذى ألهى عنه وعلل الحذف بعلتين الاول تعظيم الملهى عنه وهو ما يعنيهم من امر الدين فان حذف الشئ قد يجعل ذريعة الى تعظيمه فان الحذف بمنزلة التنكير من حيث ان كل واحد منهما يفيد الابهام فكما ان التنكير يفيد التعظيم فكذا ما هو بمنزلته فكأنه قيل ألهاكم التكاثر عن امر عظيم وهو ما يعنيكم من امر الدين والعلة الثانية المبالغة فى التعرض لكل ما حقه ان يشتغل به فانه اذا لم يذكر الملهى عنه يذهب الوهم فيه كل مذهب فيدخل فيه جميع ما يناسب المقام مثل ألهاكم التكاثر عن الايمان بالله تعالى ورسوله وبجميع ما جاء به من عنده وعن الطاعة التى يقتضيها الايمان ﴿قوله وقيل معناه﴾ اى قيل ليس المراد بالتكاثر التكاثر بالقبائل والاعوان ولا بزيارة القبور الانتقال من ذكر الاحياء الى ذكر الاموات بل المعنى ألهاكم التكاثر بالاموال والاولاد الى ان متم وقبرتم فانه كثيرا ما يعبر عن الموت بزيارة القبر فقال لمن مات زار قبره فكأنه قيل شغلكم التفاخر بكثرة الاموال والاولاد حتى ادرككم الموت وانتم على ذلك ولقائل ان يقول انها نزلت فى اليهود حين قالوا نحن اكثر من بنى فلان وبنوا فلان اكثر من بنى فلان شغلهم ذلك عن الايمان حتى ماتوا على الضلال وقرأ ابن عباس أألهاكم التكاثر ويجوز ان يكون الاستفهام للتقرير وان يكون للتقريع ﴿قوله كلا ردع﴾ اى عما اشتغلوا به من التكاثر اى ليس الامر كما تتوهمون من ان السعادة الحقيقية منوطة بكثرة العدد والاموال والاولاد فان من مات وحده وبعث وحده وحوسب وحده لا يكون سعيه للدنيا وبالا وحسرة عليه ﴿قوله تكرير للتأكيد﴾ اى لتكرير الردع والانذار المذكورين فهو ردع بعد ردع ووعيد بعد وعيد الا ان الثانى لما كان اشد من الاول وابلغ جئ بينهما بكلمة ثم ﴿قوله او الاول عند الموت﴾ فى وقت ما يبشر به المحتضر من جنة او نار او فى القبر حين سؤال منكر ونكير بقولهما من ربك وما دينك ومن نبيك والثانى عند النشور حين ينادى المنادى شقى فلان شقاوة لا يسعد بعدها ابدا وحين يقال وامتازوا اليوم ايها المجرمون والظروف المذكورة فى هذا الاحتمال متعلقة بقوله سوف تعلمون كما ان قوله اذا عاينتم فى الاحتمال الاول متعلق به فيكون كل واحد منهما تأسيسا على حدة لا تكريرا للتأكيد لان كل واحد من العلمين مغاير للآخر باختلاف الزمان ثم انه تعالى كرر الردع فقال كلا لو تعلمون وتعلمون فى المواضع الثلاثة بمعنى تعرفون اشار اليه المصنف بان قدر له مفعولا واحدا وهو قوله خطأ رأيكم وقوله ما بين ايديكم ﴿قوله علم الامر اليقين الخ﴾ يعنى ان علم منصوب بنزع الخافض وان اليقين بمعنى الامر المتيقن به وصف الامر المذكور بانه اليقين للمبالغة فى كونه متيقنا به وقيل علم منصوب على المصدرية والاصل لو تعلمون علما يقينا فاضيف الموصوف الى صفته كما فى قوله تعالى ولدار الآخرة خير ومسجد

(التكاثر) التباهي بالكثرة (حتى زرتم المقابر) اذا استوعبتم عدد الاحياء صرتم الى المقابر فتكاثرتم بالاموات عبر عن انتقالهم الى ذكر الموتى بزيارة المقابر روى ان عبد مناف وبنى سهم تفاخروا بالكثرة فكثرهم بنوا عبد مناف فقال بنوا سهم ان البغى اهلكنا فى الجاهلية فعادونا بالاحياء والاموات فكثرهم بنوا سهم وانما حذف الملهى عنه وهو ما يعنيهم من امر الدين للتعظيم والمبالغة وقيل معناه ألهاكم التكاثر بالاموال والاولاد الى ان متم وقبرتم مضيعين اعماركم فى طلب الدنيا عما هو اهم لكم وهو السعى لاخراكم فيكون زيارة القبور عبارة عن الموت (كلا) ردع وتنبيه على ان العاقل ينبغى له ان لا يكون جميع همه ومعظم سعيه للدنيا فان عاقبة ذلك وبال وحسرة (سوف تعلمون) خطأ رأيكم اذا عاينتم ما وراءكم وهو انذار ليخافوا وينتبهوا من غفلتهم (ثم كلا سوف تعلمون) تكرير للتأكيد وفى ثم دلالة على ان الثانى ابلغ من الاول او الاول عند الموت او فى القبر والثانى عند النشور (كلا لو تعلمون علم اليقين) اى لو تعلمون ما بين ايديكم علم الامر اليقين اى كعلمكم ما تستيقنونه لشغلكم ذلك عن غيره او لفعلتم ما لا يوصف ولا يكتنه فحذف الجواب للتفخيم

الجامع وعلم اليقين ادراك الامر على ماهو عليه وعين اليقين مشاهدته كما هو وحق اليقين الفناء في الحق والبقاء به علما وشهودا وحالا لاعلما فقط واتفقوا على ان جواب لو محذوف اى لو تعلمون مابين ايديكم من الامر كعلمكم ماتستيقنونه لشغلكم ذلك عن غيره لا التفاخر بكثرة العدد والاموال والاولاد لكنكم لاتعلمون ذلك فلذلك غفلتم عن الاستعداد والتهيؤ له بالطاعة فحذف الجواب للتفخيم فان الوهم حينئذ يذهب كل مذهب فيكون التهويل اعظم كأنه قيل لو علمتم علم اليقين لفعلتم مالايوصف ولايكتنه ولكنكم ضلال وجهلة ﴿قوله لانه محقق الوقوع﴾ فان قوله لترون الجحيم لو كان جوابا له لوجب ان لايحصل لهم رؤية الجحيم وذلك باطل وذلك لان جواب لو اذا كان مثبتا يكون معنى الكلام انتفاءه لانتفاء الاوّل بناء على ما اشتهر من ان لو تفيد امتناع الثانى لامتناع الاوّل وقوله تعالى لترون الجحيم مثبت فلو جعل جواب لو لكان المعنى انكم لاترونها لكونكم جهالا وهو غير صحيح ومما يدل على ان قوله تعالى لترون الجحيم لايصح ان يكون جواب لو أن قوله تعالى ثم لتسألن يومئذ عن النعيم عطف على قوله لترون وهو اخبار عن امر كائن لامحالة ولايخفى ان عطف ماهو كائن لامحالة على مالايقع ولايوجد قبيح في النظم ولما لم يجز كونه جواب لو تعين كونه جواب قسم محذوف او عدهم بذلك بعد توصيفهم بالجهل بما بين ايديهم من الامر فاللام في لترون لام جواب القسم والقسم لتأكيد الوعيد المدلول عليه بقوله سوف تعلمون أبهم الوعيد اوّلا ثم فصله بقوله والله لترون الجحيم لما في ايضاح الشئ بعد ابهامه من التفخيم والتعظيم ﴿قوله تكرير لتأكيد﴾ اى لتأكيد الوعيد بعد توكيده بالقسم ونون التوكيد دلالة على ان تلك الرؤية والعقوبة لامحالة شاؤا او أبوا ويجوز ان لايكون تكريرا للاولى بل تكون كل واحدة منهما تأسيس رؤية غير الاخرى بان يراد بالاولى رؤيتهما من مكان بعيد فان الغاوين يرونها وهم في الموقف كما قال تعالى وبرزت الجحيم لمن يرى قيل انهم يرونها من مسيرة خمسمائة عام والرؤية الثانية اذا وردوها وشاهدوا مافيها من الاهوال التى كانت من بعيد كرؤيتها بعض خواصها واحوالها مثل لهبها ودخانها ولما كانت الثانية اجلى واكشف من الاولى قيل ثم لترونها عين اليقين وهو الادراك بمشاهدة الشئ كما هو وجاز ان تكون مغايرة الرؤيتين بان يكون المراد بالاولى رؤية القلب وهى المعرفة وبالثانية الابصار وهذه المعرفة لاتحصل لمن ألهاه التكاثر عن النظر في امر دينه واحوال معاده الا عند الموت وفي القبر وعند البعث قبل ان يبصروها ويشاهدوها ﴿قوله اى الرؤية التى هى نفس اليقين﴾ اشارة الى ان انتصاب عين اليقين على انه صفة مصدر لترونها اى لترونها رؤية هى عين اليقين وصفت الرؤية التى هى سبب اليقين بكونها نفس اليقين مبالغة ﴿قوله الذى ألهاكم﴾ اشارة الى ان تعريف النعيم للعهد لا للاستغراق وخص الخطاب بكل من ألهاه دنياه عن دينه من الكفار والفساق وخص النعيم بما يشغل صاحبه عن اداء شكره وطاعته بشهادة القرينة فان ماسبق من الخطاب كله لمن ألهاه دنياه عن دينه وذلك يدل على كون هذا الخطاب ايضا مخصوصا به وذلك يقتضى ان يكون النعيم الذى يسأل عنه انه هل الذى شكره بان تقوّى به على طاعة المنعم او كفر به بان قصر همه على ان يأكل الطيب ويلبس اللين ويقطع اوقاته باللهو والطرب ولايلتفت الى تحلية النفس بالفضائل العلمية والعملية فيكون مخصوصا بالنعيم الذى ضيع شكره والتمتع به كما تمتع الانعام وبشهادة النصوص الدالة على ارادة الخصوص منها ماروى ان ابابكر رضى الله عنه قال لما نزلت هذه الآية يارسول الله ارأيت اكلة اكلتها معك في بيت ابى الهيثم الانصارى من خبز شعير ولحم ضأن وبسر قد ذنب في ماء عذب أتكون من النعيم الذى يسأل عنه فقال عليه الصلاة والسلام انما ذلك للكفار ثم قرأ وهل نجازى الا الكفور وقال الحسن لايسأل عن النعيم الا اهل النار فان الحكمة الالهية تقتضى ان يسأل كل من ألهاه دنياه عن دينه عن شكر ما كان فيه من الخير والنعمة ثم يعذب على ترك الشكر ليظهر له ان الذى ظنه سببا لسعادته هو الذى كان من اعظم اسباب الشقاوة له في الآخرة ووجه الاستدلال على التخصيص بنحو قوله تعالى قل من حرم زينة الله التى اخرج لعباده والطيبات من الرزق انه لايليق بكرم الله تعالى ان ينعم على عبده الشاكر ثم يسأله اذ لاوجه لسؤال التوبيخ من حيث ان العبد اطاع ربه فيما انعم عليه ولا لسؤال الامتنان لان من ادخل احدا بيته واطعمه وسقاه لايمنّ عليه بذلك فكيف يليق بكرمه تعالى ان يطعم عبده الشاكر ويسقيه ثم يمنّ عليه ويسأله عن شكر نعمته ﴿قوله وقيل يعمان﴾ اى يعم كل واحد من الخطاب والنعيم فيسأل كل واحد عن كل ماانعم الله تعالى به عليه انه هل شكر او كفر لقوله عليه الصلاة والسلام اوّل مايسأل العبد يوم القيامة من النعيم ان يقال له ألم نصحح لك جسمك ونروك من الماء البارد وقوله عليه الصلاة والسلام

ولايجوز ان يكون قوله (لترون الجحيم) جوابا له لانه محقق الوقوع بل هو جواب قسم محذوف اكد به الوعيد واوضح به ماانذرهم منه بعد ابهامه تفخيما (ثم لترونها) تكرير للتأكيد او الاولى اذا رأتهم من مكان بعيد والثانية اذا وردوها او المراد بالاولى المعرفة وبالثانية الابصار (عين اليقين) اى الرؤية التى هى نفس اليقين فان علم المشاهدة اعلى مراتب اليقين (ثم لتسألن يومئذ عن النعيم) الذى ألهاكم والخطاب مخصوص بكل من ألهاه دنياه عن دينه والنعيم مخصوص بما يشغله للقرينة والنصوص الكثيرة كقوله قل من حرم زينة الله كلوا من الطيبات وقيل يعمان اذ كل يسأل عن شكره وقيل الآية مخصوصة بالكفار ❊ عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ ألهاكم التكاثر لم يحاسبه الله بالنعيم الذى انعم عليه في دار الدنيا واعطى من الاجر كأنما قرأ الف آية

لا تزال قدما العبد يوم القيامة حتى يسأل عن اربع عن عمره فيم افناه وعن شبابه فيم ابلاه وعن ماله من اين اكتسبه وفيم انفقه وعن علمه ماذا عمل به وكل ما وصل منه تعالى الى العبد من النعم داخل فيما ذكره عليه الصلاة والسلام وروى انه عليه الصلاة والسلام خرج ذات ليلة الى المسجد فى ساعة لا يخرج فيها ولا يلقاه فيها احد فلم يلبث ان جاء ابو بكر رضى الله عنه فقال عليه الصلاة والسلام ما اخرجك يا ابا بكر قال الجوع قال والله ما اخرجنى الا الذى اخرجك ثم دخل عمر رضى الله عنه فانطلقوا الى منزل ابى الهيثم الانصارى رضى الله تعالى عنه فدق رسول الله صلى الله عليه وسلم الباب وسلم ثلاث مرات فلم يجب احد فانصرف عليه السلام فخرجت امرأته تصيح كنا نسمع صوتك يا رسول الله لكن اردنا ان تزيد من سلامك فقال به خيرا ثم قالت بابى انت وامى ان ابا الهيثم خرج يستقى لنا الماء ثم عمدت الى صاع من شعير فطحنته وخبزته ورجع ابو الهيثم بقربة من ماء فوضعها ثم جاء يلتزم رسول الله صلى الله عليه وسلم ويفديه بابيه وامه ثم انطلق بهم الى حديقة فبسط لهم بساطا ثم انطلق الى نخلة فجاء بقنو فقال عليه الصلاة والسلام أفلا تنقيت لنا من رطبه فقال يا رسول الله انى اردت ان تخيروا من رطبه وبسره فاكلوا وشربوا من ذلك الماء فقال عليه الصلاة والسلام هذا والذى نفسى بيده من النعيم الذى تسألون عنه يوم القيامة اكل شهى ورطب طيب وماء بارد * قال الامام واعلم ان الاولى ان يقال السؤال يعم المؤمن والكافر ولكن سؤال الكافر سؤال توبيخ لانه ترك الشكر وسؤال المؤمن سؤال تشريف لانه شكر واطاع واختلفوا فى ان السؤال عن النعيم اين يكون والمختار انه يكون فى موقف الحساب * فان قيل كيف يستقيم ان يكون فى موقف الحساب وقد اخبر الله تعالى ان هذا السؤال متأخر عن مشاهدة جهنم حيث قال ثم لتسألن وظاهر ان موقف الحساب متقدم على مشاهدة جهنم حيث * قلنا كلمة ثم فيه ليست للتراخى زمان السؤال عن زمان مشاهدة الجحيم بل هى للترتيب فى الاخبار كأنه قيل ثم اخبركم انكم لتسألن يوم القيامة ونظيرها قوله تعالى فك رقبة او اطعام فى يوم ذى مسغبة الى قوله ثم كان من الذين آمنوا وقيل ان السؤال عن النعيم يكون اذا دخلوا النار فانهم حينئذ يسألون عن النعيم توبيخا لهم ليضطروا الى الاعتراف بالتقصير فى شكره فيقال لهم انما حل بكم هذا العذاب لانكم اشتغلتم فى الدنيا بالنعم عن العمل الذى ينجيكم من النار ولو صرفتم عمركم الى طاعة ربكم لكنتم اليوم من اهل النجاة والفائزين بالدرجات فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا انا نسيناكم فبقيتم فى عذاب الهون والله اعلم

﴿ سورة العصر مكية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ قوله اقسم بصلاة العصر لفضلها ﴾ اطلق العصر واراد ما يقع فيه من الصلاة وهو كثير فانه يقال الآن العصر اى اصلاة العصر وصليت العصر اى صلاته ودليل فضلها على غيرها قوله عليه الصلاة والسلام الوسطى صلاة العصر * فثبت انها افضل الصلاة لان تخصيص الصلاة الوسطى بعد قوله تعالى حافظوا على الصلوات يدل على فضلها لانه المقصود من التخصيص بعد التعميم وقوله عليه الصلاة والسلام * من فاته صلاة العصر فكانما وتر اهله وماله * اى فهو كمن صار موتورا بان قتل اهله واصيب ماله فلم يدرك بدم قتيله وضمان ماله * قال الجوهرى الموتور الذى قتل له قتيل فلم يدرك بدمه قال الخطابى وتر اى نقص وسلب فبقى وترا فردا بلا اهل ومال والمراد فليكن حذره من فوتها كحذره من ذهاب اهله وماله وروى بنصب الاهل ورفعه فمن نصبه جعله مفعولا ثانيا لوتر واضمر فيه مفعول ما لم يسم فاعله عائدا الى الذى فاته الصلاة ومن رفعه لم يضمر واقام الاهل مقام ما لم يسم فاعله لانهم المصابون المأخوذون فمن رد النقص الى الرجل نصبهما ومن رده الى الاهل والمال رفعهما وروى ان امرأة كانت تصيح فى سكك المدينة وتقول دلونى على النبى صلى الله عليه وسلم فرآها رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألها ماذا حدث فقالت يا رسول الله ان زوجى غاب عنى فزنيت فولدت ولدا من الزنى فالقيت الولد فى دن من خل حتى مات ثم بعنا ذلك الخل فهل لى من توبة فقال عليه الصلاة والسلام اما الزنى فعليك الرجم بسببه واما القتل فجزاؤه جهنم واما بيع الخل فقد ارتكبت به كبيرة لكن ظننت انك تركت صلاة العصر وفيه تفخيم بليغ لشأن هذه الصلاة ومما يدل على فضلها ان اسواق العرب انما تقوم وقت العصر لكونه وقت ارتفاع الحرارة بسبب انبساط ظل الحيطان على الارض فلما كان ذلك وقت تجارتهم والاشتغال بتحصيل اسباب معاشهم كان أداء

﴿ سورة العصر مكية وآيها ثلاث ﴾
(بسم الله الرحمن الرحيم)
(والعصر) اقسم بصلاة العصر لفضلها

صلاة العصر اشق عليهم وقد ثبت ان افضل الاعمال اشقها وفى الحديث * من حلف بعد العصر كاذبا لايكلمه الله ولا ينظر اليه ولا يزكيه ﴿ قوله او بعصر النبوة ﴾ وهو من زمان بعثته عليه الصلاة والسلام الى انقراض امته فى آخر الزمان ومن ذهب الى هذا القول احتج عليه بقوله عليه الصلاة والسلام انما مثلكم ومثل من كان قبلكم من الامم مثل رجل استأجر اجيرا فقال من يعمل من الفجر الى الظهر بقيراط فعملت اليهود ثم قال من يعمل من الظهر الى العصر بقيراط فعملت النصارى ثم قال من يعمل من العصر الى المغرب بقيراطين فعملتم انتم فغضبت اليهود والنصارى وقالوا نحن اكثر عملا واقل اجرا فقال وهل نقصت من اجركم شيأ قالوا لا فقال هذا فضلى اوتيه من اشاء فكنتم اقل عملا واكثر اجرا فهذا الخبر كما دل على ان العصر هو الزمان المختص به عليه الصلاة والسلام وبامته فلا جرم اقسم الله تعالى به ايذانا بشرفه فاذا كان الزمان الذى هو كالظرف له ولجريان شرعه ودينه بهذه الغاية من الشرف فقس عليه شرف نفس المظروف ﴿ قوله او بالدهر ﴾ اطلاق لفظ العصر على مطلق الزمان وهو الدهر كثير شائع ويجوز ان يقسم به لشرفه من حيث اشتماله على انواع العجائب بحسب اختلاف فصوله وتعاقب ليله ونهاره واختصاص كل واحد منها بحكم يختص به مما يتعلق به انتظام احوال المخلوقات ومن جملة مافيه من العجائب ان بقية عمر المرء لاقيمة له فانه لو ضيع ألف سنة ثم تاب واناب اليه ثم توفى فى اللحظة الاخيرة من العمر بقى فى الجنة ابد الآباد فالدهر بحسب اشتماله على تلك اللحظة بالنسبة الى كل احد من اشرف الاشياء واجل النعم فجاز ان يقسم به لشرفه * نقلست كه بيش شقيق بلخى پيرى آمد وكفت بسيار معصيتها كردم اكنون آمدم كه توبه كنم شقيق كفت كه دير آمدى پير كفت زود آمدم شقيق كفت چكونه پير كفت هر كه پيش از مرك آيد زود آمده باشد شقيق كفت زود آمدى ونيك كفتى * فقد ثبت بهذه الرواية ايضا ان اللحظة الباقية من عمر المرء اجل النعم لمن تاب فيها ﴿ قوله والتعريض بنفى مايضاف اليه من الخسران ﴾ اى والتعريض بنفى ماينسبون اليه من الآفات مثل قولهم ومايهلكنا الا الدهر ووجه التعريض بالنفى المذكور ان الاقسام بالشئ اعظام له ومايضاف اليه الخسران ويكون من شأنه ذلك لايعظم بادنى لانه او نسب اليه شئ من الحوادث كما زعم الدهرية لكان شريكاله تعالى ومبغوضا عنده فلا يقسم به والخسر والخسران بمعنى واحد كالكفر والكفران ومعناهما النقصان وذهاب رأس مال الانسان وهو نفسه وعمره فهو فى جميع سعيه وصرفه عمره فى اشتغاله مهلك نفسه ومضيع عمره الا المؤمن العامل بطاعة ربه فانه غير مضيع نفسه التى هى رأس ماله بل اكتسب به سعادة الابد وربح فى تجارته حيث ظفر بالشرف الباقى بمقابلة الخسيس الفانى ﴿ قوله والتعريف للجنس ﴾ بشهادة الاستثناء فانه قد تقرر ان صحة الاستثناء من جملة دلائل العموم والاستغراق ﴿ قوله والتنكير للتعظيم ﴾ اى لفى خسر عظيم لايعلم كنهه الا الله عز وجل وعظم الذنب اما لعظم من فى حقه الذنب او لانه فى مقابلة النعم العظيمة وكل واحد من الوجهين حاصل فى ذنب العبد ومعصية ربه فلا جرم كان ذلك الذنب فى غاية العظم ﴿ قوله وهذا من عطف الخاص على العام ﴾ اى عطف التواصى بالامرين على العمل الصالح مع ان العمل الصالح كما يتناول مايتعلق بتكميل نفسه يتناول ايضا مايتعلق بتكميل غيره من قبيل عطف الخاص على العام للمبالغة فى بيان فضله وشرفه من حيث ان عطفه عليه يؤذن بكونه امرا مغايراله غير مندرج تحته كما عطف جبريل على الملائكة عليهم السلام الذات ﴿ قوله ولعله سبحانه الخ ﴾ جواب عما يقال ما الحكمة فى انه تعالى ذكر الحكم فى جانب الخسر ولم يذكر السبب وذكر فى جانب الربح السبب وهو الامور الاربعة الايمان والعمل الصالح والتواصى بالامرين ولم يذكر الحكم وهو الربح * واجاب عنه بان المقصود من انزال القرآن بيان اسباب سعادة الانسان ومايؤدّيه الى مرضاة الرحمن فاقتصر على بيان المقصود وساق بيانه على وجه علم منه اسباب الخسران حيث جعل على ان من لم يباشر هذه الامور الاربعة فهو فى خسران وايضا تعداد مثالب القاصرين ليس من دأب الكريم فلذلك لم يفصل اسباب الخسران * تمت سورة العصر والحمد لله رب العالمين

﴿ سورة الهمزة مكية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ قوله تعالى ويل ﴾ هى كلمة تهديد ووعيد وقيل هو اسم وادفى جهنم والهمز العيب واصله الاشارة بالعين وغيرها

او بعصر النبوّة او بالدهر لاشتماله على الاعاجيب والتعريض بنفى مايضاف اليه من الخسران (ان الانسان لفى خسر) ان الانسان لفى خسران فى مساعيهم وصرف اعمارهم فى مطالبهم والتعريف للجنس والتنكير للتعظيم (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) فانهم اشتروا الآخرة بالدنيا ففازوا بالحياة الابدية والسعادة السرمدية (وتواصوا بالحق) بالثابت الذى لايصح انكاره من اعتقاد او عمل (وتواصوا بالصبر) عن المعاصى او على الحق او مايبلو الله به عباده وهذا من عطف الخاص على العام للمبالغة الا ان يخص العمل بما يكون مقصورا على كماله ولعله سبحانه انما ذكر سبب الربح دون الخسران اكتفاء ببيان المقصود واشعارا بان ماعدا ماعدّ يؤدّى الى خسر ونقص حظ او تكرما فان الابهام فى جانب الخسر كرم * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة العصر غفر الله له وكان ممن تواصى بالحق وتواصى بالصبر

﴿ سورة الهمزة مكية وآيها تسع ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(ويل لكل همزة لمزة)

يقال لمزه يلمزه بضم العين وكسرها من المضارع وقرئ بهما قوله تعالى ومنهم من يلمزك فى الصدقات ورجل لماز ولمزة
اى عياب والهمزة مثل اللمزة والهامز والهماز العياب والهمز مثل الهمز الطعن يقال همزه بالرمح طعنه فى صدره
ولهز الفصيل امه اذا ضربها برأسه عند الرضاع والهمز كالهزم الكسر يقال تهزم السقاء اذا يبس وتكسر
وهزمت الجيش هزما وهزيمة فانهزموا كذا فى الصحاح وللمفسرين اقوال فى تفسير اللفظين قال ابن عباس رضى
الله عنهما الهمزة المغتاب واللمز العياب وقيل الهمز الطعن باليد واللمز باللسان وقيل الهمز بالمواجهة واللمز
بظهر الغيب وقيل الهمز مايكون جهرا واللمز مايكون سرًّا بالحاجب والعين وقيل لابن عباس رضى الله عنهما
من الهمزة واللمزة الذين يهددهم الله تعالى بالويل فقال هم المشاؤون بالغيبة والنميمة المفرقون بين الاحبة
الناعتون للناس بالعيب وجميع هذه الوجوه متقاربة راجعة الى اصل واحد هو الطعن واظهار العيب فما ذكره
المصنف خلاصة هذه الوجوه فقوله تعالى لمزة بدل من همزة والتاء فيهما للمبالغة فى الوصف كالتى فى علامة وراوية
ولذلك يقال رجل همزة لمزة كما يقال امرأة همزة لمزة وقد اطرد ان بناء فعلة بضم الفاء وفتح العين لمبالغة الفاعل
اى المكثر المتعود لمأخذ الاشتقاق وان اسكنت العين يكون لمبالغة المفعول يقال رجل لعنة بفتح العين لمن
كان يكثر لعن غيره ولعنة بسكون العين اذا كان ملعونا للناس يكثرون لعنه ويقال ضحكة بالسكون اذا كان الناس
يضحكون منه بان يكون مسخرة لهم فمفتوح العين هو الذى يفعل بغيره وساكن العين هو الذى يفعل به غيره ﴿ قوله
بدل من كل ﴾ اى ويل للذى جمع او منصوب باضمار اعنى او مرفوع بتقدير هو الذى جمع وعلى التقادير هو وصف
معنوى لكل من وصفه الله تعالى بهذا الوصف لانه يجرى مجرى السبب للهمز واللمز من حيث انه اعجب بنفسه
لما جمع من المال وظن ان كثرة المال سبب لعز المرء وفضله فلذلك استنقص غيره ولم يجعله وصفا نحويا لكل لانه نكرة
والنكرة وان تخصصت بالاضافة الى النكرة لا يصح توصيفها بالموصولات ﴿ قوله وجعله عدة ﴾ وهو الذخيرة
المعدة لحوادث الدهر كالمال والسلاح يقال اعددت الشئ لكذا وعددته له اذا جعلته عدة وذخيرة ﴿ قوله او عده
مرة بعد اخرى ﴾ على ان يكون عدده من العدد بمعنى الاحصاء الا انه نقل الى باب فعل لتكثير الفعل كما فى جمع على
قرآءة التشديد فانه يدل على كثرة الجمع وتكرره بان جمع من ههنا وههنا فى ازمنة متعددة متطاولة ويؤيد كون عدده
بالتشديد مأخوذا من العد بمعنى الاحصاء قرآءة من قرأ وعدده بالتخفيف باضافة لفظ العدد الى ضمير المال ونصبه
بالعطف على قوله مالا فالمعنى الذى جمع مالا وضبط عدده واحصاه على ان يكون جمع عدد المال عبارة عن ضبط
عدده وكناية عن كثرته وقيل قوله وعدده بفك الادغام فعل اتصل به الضمير المنصوب بمعنى وعده فيكون معطوفا
على جمع وعلى التقديرين تؤيد هذه القرآءة كون عدده بالتشديد مأخوذا من العد لا من العدة ﴿ قوله تركه خالدا
فى الدنيا ﴾ يعنى ان قوله تعالى اخلده ليس بمعنى يخلده كما قيل انه من قبيل قولهم دخل فلان النار اذا اتى معصية
والمعنى سيدخلها وهلك فلان اذا حدث به سبب الهلاك من غير ان يقع هلاكه بل لفظ اخلده هنا على اصل معناه
ويحسب يحتمل ان يكون حالا من المنوى فى جمع وان يكون مستأنفا لبيان سبب اهتمامه بجمع المال وعده كانه قيل
ماباله يجمع المال ويهتم به ويترك سبب الاستعداد لما بعد الموت فقيل انه زعم ان بقاء الحياة والسلامة من
الامراض والآفات يدور على مراعاة الاسباب الظاهرة والتشبث بها بحسب حقيقة ان المال سبب لخلوده
فى الدنيا وانه الذى تركه خالدا فيها زاعما انه كلما تأتيه حادثة من حوادث الدنيا قابلها بما يدفعها فاحبه كما يحب
سببه الذى هو الخلود فى الدنيا فالحسبان على هذا حقيقة ثم اشار الى جواز ان يكون قوله تعالى ايحسب ان ماله
اخلده من قبيل الاستعارة التمثيلية بان لا يكون الكلام فيمن يحسب حقيقة ان المال مخلد بل يكون فيمن يكون
حاله شبيهة بحال من يحسب كونه مخلدا فقال او حب المال اغفله الخ وتلك الحالة الشبيهة اما الغفلة عن الموت وعما
بعده من قوارع الآخرة او طول الامل النسيان عن حب المال والاشتغال بجمعه وضبط عدده فان كل واحد من
تينك الحالين شبيهة بحال من يحسب ان المال مخلده فيعمل عمل من لا يظن الموت ﴿ قوله وفيه تعريض ﴾ اى وفى
قوله تعالى يحسب ان ماله اخلده وترتيب الوعيد بالويل والهلاك عليه تعريض بان الخلد فى النعيم المقيم هو السعى
للآخرة لانه قد تقرر انه ليس للانسان الا ماسعى واذا كان حب الدنيا والاهتمام بها مؤديا الى الويل والهلاك تعين
ان الخلد فى الحياة الابدية والنعيم المقيم هو السعى للآخرة ﴿ قوله التى من شأنها ان تحطم كل ما يطرح فيها ﴾ اى
تكسره وتأكله ويقال للرجل الاكول انه لحطمة وفى الحديث شر الرعاء الحطمة وهو الذى من عادته من ان يضرب

الهمز الكسر كالهزم واللمز الطعن كاللهز
فشاعا فى الكسر من اعراض الناس والطعن
فيهم وبناء فعلة يدل على الاعتياد فلا يقال
ضحكة ولعنة الا للمكثر المتعود وقرئ همزة
ولمزة بالسكون على بناء المفعول وهو المسخرة
الذى يأتى بالاضاحيك فيضحك منه ويشتم
ونزولها فى الاخنس بن شريق فانه كان
مغتابا او فى الوليد بن المغيرة واغتيابه
رسول الله صلى الله عليه وسلم (الذى جمع
مالا) بدل من كل او ذم منصوب او مرفوع
وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائى بالتشديد
للتكثير (وعدده) وجعله عدة للنوازل
او عده مرة بعد اخرى ويؤيده انه قرئ
وعدده على فك الادغام (يحسب ان ماله
اخلده) تركه خالدا فى الدنيا فاحبه كما
يحب الخلود او حب المال اغفله عن الموت
او طول امله حتى حسب انه مخلد فعمل
عمل من لا يظن الموت وفيه تعريض بان الخلد
هو السعى للآخرة (كلا) ردع له عن
حسبانه (لينبذن) اى ليطرحن
(فى الحطمة) فى النار التى من شأنها ان تحطم
كل ما يطرح فيها (وما ادراك ما الحطمة)
ما النار التى لها هذه الخاصية

(ويكسر)

ويكسر وقد مرّ ان صيغة فعلة بفتح العين للمبالغة الفاعل جوزى الهمزة اللمزة بان يلقى فى الحطمة جزاء وفاقا لكونها ان من شان المطروح وعادته الطعن فى الاعراض فكذا من شأن المطروح فيه ان يحطم ويكسر كل مايطرح فيه ﴿ قوله وما اوقده لا يمكن غيره ان يطفئه ﴾ يعنى ان اضافة النار اليه تعالى لتفخيمها و الدلالة على انها تتقد ابدا وليست كسائر النار تتقد تارة و تخمد اخرى ﴿ قوله من اوصدت الباب ﴾ قد مرّ فى سورة البلدان آصدتها واوصدتها لغتان بمعنى اطبقتها واغلقتها وان الاوّل افعل من مهموز الفاء مثل آمن والثانى افعل من معتل الفاء مثل اوعد يوعد وكونها مطبقة عليهم كونها بحيث لا فرجة فيها حتى يخلص اليهم منها روح و يخفف عنهم كرب ﴿ قوله تحنّ ﴾ اى تشتاق و الاجبال جمع جبل و موصدة اى مطبقة مغلقة ﴿ قوله اى موثقين فى اعمدة ﴾ يعنى ان قوله تعالى فى عمد فى محل النصب على انه حال من الضمير المجرور فى عليهم اى ان الحطمة مطبقة عليهم حال كونهم موثقين فى اعمدة و العمد بفتحتين جمع كثرة لعمود البيت وكذا عمد بضمتين فانه ايضا جمع عمود كرسول و رسل ويجوز ان يكون جمع عماد مثل كتاب وكتب و جمع القلة اعمدة و المقاطر جمع مقطرة و هى خشبة فيها خروق يدخل فيها ارجل المحبوسين يقال لها بالفارسية « كنده » وبالتركى « طومرق » ﴿ قوله يقطر فيها اللصوص ﴾ اى يجعلون فيها قطارا كقطار الابل * تمت سورة الهمزة و الحمد لله رب العالمين

﴿ سورة الفيل مكية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

اختلفوا فى تاريخ عام الفيل فقيل كان قبل مولد النبى صلى الله عليه وسلم باربعين سنة وقيل بثلاث و عشرين سنة وقيل ولد عليه الصلاة و السلام بعد يوم الفيل بخمسين يوما و الاكثرون على ان عام الفيل هو العام الذى ولد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ قوله وهو عليه الصلاة و السلام وان لم يشهد تلك الواقعة ﴾ جواب عما يقال ما وجه قوله تعالى الم تر مع ان الاصل فى الرؤية ان تكون بصرية وان يكون الاستفهام للتقرير فيكون المعنى قد رأيت و شاهدت مع انه عليه الصلاة و السلام لم يشاهده و تقرير جوابه ان المراد بالرؤية ههنا رؤية القلب وهى العلم عبر عنه بالرؤية لكونه علما ضروريا مساويا فى القوة و الجلاء للمشاهدة والعيان وانما قلنا انه علم ضرورى لان طريق العلم بها الخبر المتواتر وهو يفيد علما ضروريا لا سيما وقد تأيدت تلك الاخبار الضرورية المتواترة بمشاهدة آثار تلك الواقعة روى عن ابن عمر رضى الله عنهما انه رأى من الحجارة التى اهلك الله بها اصحاب الفيل عند ام هانى نحو قفيز منها وهى مخططة بحمرة كالجزع الظفارى و عن عائشة رضى الله عنها انها قالت رأيت قائد الفيل و سائسه اعميين مقعدين يستطعمان وكان عبد المطلب جدّ النبى صلى الله عليه وسلم و ابو مسعود الثقفى يشاهد ان من فوق الجبل عسكر ابرهة الاشرم حين رماهم الطير بالحجارة فهلكوا فقال عبد المطلب لصاحبه صار القوم بحيث لا يسمع لهم ركز فانحطا من الجبل فدخلا العسكر و اذا هم موتى فجمعا من الذهب و الجواهر و حفر كل واحد منهما لنفسه حفرة و ملأها من المال وكان ذلك سبب غناهما و هذا كله من آثار تلك الواقعة التى شاهدها رسول الله صلى الله عليه وسلم فحصل له بذلك علم ضرورى بما يؤدى الى العيان فكأنه تعالى قال الم تعلم بالحد بالاخبار المتواترة المؤيدة بمشاهدة الآثار علما يوازى العيان فى الايقان ﴿ قوله لان المراد تذكير مافيها من وجوه الدلالة الخ ﴾ يعنى ان الاشياء لها ذوات ولها هيئات ولها كيفيات باعتبارها تدل على مدلولاتها و كلمة ما تدل على الاولى وكيف على الثانية و المقصود فى هذا المقام ليس نفس تذكير مافعل بهم من الاهلاك لانه باعتبار نفسه لا يدل على كمال علمه تعالى و قدرته وعزة نبيه و شرف رسوله و انما يدل عليه باعتبار مافيه من وجوه الدلالة و كيفيات الاهلاك فلذلك اختير مايدل على الكيفيات على مايدل على نفس الذوات ﴿ قوله فانها من الارهاصات ﴾ بيان لوجه دلالتها على شرف نبيه عليه الصلاة و السلام و الارهاصات هى الخارقة للعادة الجارية على يد نبى قبل بعثته وقبل التحدى مأخوذ من الرهص بكسر الراء وهو الصف الاسفل من احجار الحائط فانه يجوز عندنا تقدم خوارق العادة على زمان البعثة تأسيسا للنبوّة و تقدمة عليها كاظلال الغمام و تكلم الحجر و المدر لنبينا صلى الله عليه وسلم قبل البعثة و دعوى النبوّة ومن هذا القبيل اهلاك من قصد تخريب الكعبة المعظمة حال كونها موضع الشرك و عبادة الاوثان اذ فيه دلالة على بعثة من يعظم البيت و يطهره من الرجس و الاوثان و يدعو الناس الى عبادة الرحمن لان تعظيم البيت ليس لكونه موضع الشرك و العصيان بل لكونه بناء خليل الرحمن بناه لتأتى اليه الناس افواجا من كل فج عميق طائفين

(نار الله) تفسير لها (الموقدة) التى اوقدها الله وما اوقده لا يقدر غيره ان يطفئه (التى تطلع على الافئدة) تعلو اوساط القلوب و تشتمل عليها و تخصيصها بالذكر لان الفؤاد الطف ما فى البطن واشده تألما اولانه محل العقائد الزائغة ومنشأ الاعمال القبيحة (انها عليهم موصدة) مطبقة من اوصدت الباب اذا اطبقته قال

تحنّ الى اجبال مكة ناقتى *

ومن دونها ابواب صنعاء موصده *

وقرأ حفص و ابو عمرو وحمزة بالهمزة (فى عمد ممددة) اى موثقين فى اعمدة ممدودة مثل المقاطر التى تقطر فيها اللصوص وقرأ ابو بكر وحمزة و الكسائى بضمتين وقرئ عمد بسكون الميم مع ضم العين * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الهمزة اعطاه الله عشر حسنات بعدد من استهزأ بمحمد واصحابه

﴿ سورة الفيل مكية وهى خمس آيات ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل) الخطاب للرسول وهو وان لم يشهد تلك الواقعة لكن شاهد آثارها وسمع بالتواتر اخبارها فكأنه رآها ولذا قال كيف ولم يقل ما لان المراد تذكير ما فيها من وجوه الدلالة على كمال علم الله وقدرته وعزة نبيه وشرف رسوله صلى الله عليه وسلم فانها من الارهاصات اذ روى انها وقعت فى السنة التى ولد فيها الرسول عليه الصلاة و السلام

وما كثين وراكعين وساجدين ومكبرين ومهللين مخلصين له الدين وقد جعله الله تعالى في علمه الازلي مولد سيد المرسلين ومسكنه الى ان هاجر منه بامر رب العالمين ومهبط ماوحي اليه وقبلة امته الى يوم القيامة فكان لذلك متبعا عن استعلاء الظلمة عليه وتخريبهم اياه فكان اهلاك اصحاب الفيل من جملة الارهاصات الدالة على شرفه ونبوته عليه الصلاة والسلام فان ابرهة لو سلط على مكة وسبى اهلها وقتلهم وخرب مافيها من البيت لاختل ماقدره الله تعالى من الامور المتعلقة بها ء والشرم الشق يقال شرمه اى شقه وسمى ابرهة بن الصباح الاشرم لانه كان مشقوق الانف والشفة وسببه ان اباه ضربه بحربة فهشم انفه وجبينه او سببه ان ارياطا ضربه بالسيف فشرم انفه وشفته فجاء غلام ابرهة من خلفه فقتله ء والاصحمة اسم النجاشي ملك الحبشة وكان الاصحمة قد لبث فيها زمانا ثم نازعه رجل من الحبشة الى ارض اليمن فغلب عليها واستقر امره فيها زمانا ثم نازعه رجل من الحبشة يقال له ابرهة بن الصباح فتفرقت الحبشة فرقتين فكانت فرقة مع ارياط وفرقة مع ابرهة فكان الامر على ذلك الى ان قتل ابرهة ارياطا واجتمعت الحبشة من اعوان ارياط لابرهة وغلب على اليمن كلها واقره النجاشي على عمله ثم ان ابرهة رأى الناس يتجهزون أوان الموسم الى مكة لحج البيت الحرام فبنى كنيسة بصنعاء لم ير الناس مثلها وسماها القليس واراد أن يصرف اليها حج العرب ووجوههم فسمع بها رجل من كنانة فخرج اليها فدخلها ليلا فقعد فيها الى ان قضى حاجته ولطخ بالنجاسة قبلتها فبلغ ذلك ابرهة فقال من اجترأ على هذا فقيل لعل ذلك فعل رجل من اهل مكة سمع بالذي قلت في حق البيت الذي يعظمونه فحلف ابرهة عند ذلك ليهدمن الكعبة وقيل أججت اى اشعلت رفقة من العرب نارا فحملتها الريح فأحرقتها فحلف ليهدمن الكعبة فخرج بالحبشة ومعه فيل اسمه محمود وكان قويا عظيما وثمانية اخر وقيل اثنا عشر وقيل الف فلما بلغ المغمس وهو موضع بقرب مكة بينه وبين مكة ميل خرج اليه عبد المطلب وعرض عليه ثلث اموال تهامة ليرجع فأبى وعبأ اى هيأ جيشه وقدم الفيل فكانوا كلما وجهوه الى الحرم برك ولم يبرح واذا وجهوه الى اليمن والى سائر الجهات هرول اى اسرع في المشي ثم ان ابرهة كان قد اخذ لعبد المطلب مائتي بعير فخرج اليه في حق تلك المائتين من العير فعظم في عين ابرهة وكان رجلا جسيما وسيما وقيل له هذا سيد قريش وصاحب عير مكة فلما ذكر حاجته قال له ابرهة سقطت من عيني جئت لاهدم البيت الذي هو دينك ودين آبائك فألهاك عنه ذود اخذتها فقال انا رب الابل وللبيت رب يمنعه وامر قريشا ان يتفرقوا في الجبال والشعاب تحرزا عليهم من مضرة الجيش ففعلوا ثم خرج من عنده واتى البيت واخذ بحلقته وجعل يقول

❁ يارب لاارجو لهم سواكا ❁	يارب فامنع منهمو حماكا ❁
❁ ان عدو البيت قد عاداكا ❁	فامنعهمو ان يخربوا قراكا ❁

فالتفت وهو يدعو واذا بطير من نحو اليمن فقال والله انها الطير غريبة ماهي بنجدية ولا تهامية وكان مع كل طير حجر في منقاره وحجران في رجليه اكبر من العدسة واصغر من الحمصة فكان الحجر يقع على رأس الرجل فيخرج من دبره وعلى كل حجر اسم من يقع عليه فهلكوا في كل طريق وسهل ودوى ابرهة اى اصابه داء ومرض فتساقطت انامله وما مات حتى انصدع صدره عن قلبه اى انشق صدره وخرج قلبه منه وانفلت وزيره ابو مكتوم وطائر يحلق خلفه فوقه حتى بلغ النجاشي فقص عليه القصة فلما اتمها وقع عليه الحجر فخر ميتا بين يديه اراه الله تعالى النجاشي كيف كان هلاك قومه عيانا كما سمع اخبارا ﴿ قوله وقرئ الم تر ﴾ اى بسكون الراء جدا في اظهار اثر الجازم فان سقوط الالف يكفي في ظهور اثره واسكان الراء بعد سقوط الالف جدا في اظهار اثر الجازم وهذا الجد انما يليق بالشعر وكلام من احوجته الضرورة الى العدول من العبارة الفصيحة ولايليق بفصاحة القرآن وكيف منصوب بقوله فعل لابقوله تر لان كيف فيه معنى الاستفهام وله صدر الكلام فلا يعمل فيه ماقبله والكيد ارادة المضرة بالغير على سبيل الخفية فانهم كادوا البيت اولا ببناء القليس وارادة صرف وجوه الحاج اليه فضلل كيدهم بايقاع الحريق فيه وكادوه ثانيا بارادة هدمه فضلله بارسال الطير عليهم ء فان قيل انما سماه كيدا وهو كان لايخفى ماارادة من المضرة بالبيت بل كان يصرح بانه انما يريد هدم البيت وتخريبه ء فالجواب انه وان كان يظهر ان مقصوده هدم البيت واضراره انتقاما ممن قعد في كنيسته الا ان الذي كان يضمره في قلبه هو الحسد للعرب فان اصل مقصوده من هدم البيت ان يصرف عنهم الشرف الحاصل لهم بسبب الكعبة الى نفسه والى كنيسته

وقصتها ان ابرهة بن الصباح الاشرم ملك اليمن من قبل اصحمة النجاشي بنى بيعة بصنعاء وسماها القليس واراد أن يصرف اليها الحاج فخرج رجل من كنانة فقعد فيها ليلا فأغضبه ذلك فحلف ليهدمن الكعبة فخرج بجيشه ومعه فيل قوى اسمه محمود وفيلة اخرى فلما تهيأ للدخول وعبأ جيشه قدم الفيل وكان كلما وجهوه الى الحرم برك ولم يبره واذا وجهوه الى اليمن او الى جهة اخرى هرول فأرسل الله طيرا كل طير في منقاره حجر وفي رجليه حجران اكبر من العدسة واصغر من الحمصة فترميهم فيقع الحجر على رأس الرجل فيخرج من دبره فهلكوا جميعا وقرئ الم تر جدا في اظهار اثر الجازم وكيف نصب بفعل لابتر لما فيه من معنى الاستفهام (ألم يجعل كيدهم) في تعطيل الكعبة وتخريبها (في تضليل) في تضييع وابطال بان دمرهم وعظم شانها

(وبلدته)

وبلدته فكان هدمه كيدا فى حق العرب ﴿ قوله تعالى وارسل ﴾ عطف على قوله ألم يجعل لان الاستفهام فيه للتقرير فكان المعنى قد جعل ذلك وارسل وابابيل صفة للطير اى جماعات متفرقة لانها كانت افواجا فوجا بعد فوج يتبع بعضها بعضا قيل ابابيل جمع لا واحد له يقال جاء ابلك ابابيل اى فرقا وترميهم صفة اخرى لطيرا و حال منها لانها قد تخصصت بالصفة والطير اسم جنس اطلق ههنا على آحاد الجنس وجماعته فمن قرأ ترميهم بالتاء نظر الى كونه بمعنى الجماعة ومن قرأ بالياء نظر الى انه اسم جمع مذكر وانما يؤنث لكونه فى تأويل الجماعة او اعتبر كون الفعل مسندا الى ضمير ه تعالى اى يرميهم الله ﴿ قوله معرب سنك كل ﴾ ذكر فى بيان اخذ السجيل اربعة اوجه الاول انه كلمتان بالفارسية جعلتهما العرب كلمة واحدة وهما سنج وجيل فالسنج الحجر والجيل الطين اى ترميهم بحجارة متخذة من هذين الجنسين والثانى انه من السجل وهو الدلو الكبير الذى فيه ماء يقال سجلت الماء سجلا فانسجل اى صببته بالدلو فانصب وقوله تعالى بحجارة من سجيل اى بحجارة كائنة مما صبه الله تعالى من خزائن قهره والثالث انه من الاسجال اى الارسال يقال اسجلت البهيمة مع امها اذا ارسلتها معها وهذا يجعل مسجل اى مطلق مرسل والمعنى ان تلك الحجارة مما ارسله الله تعالى عليهم والعذاب يوصف بالارسال كما فى قوله تعالى وارسل عليهم طيرا ابابيل وقوله تعالى وارسلنا عليهم الطوفان والرابع انه مأخوذ من السجل الذى هو الكتاب اخذ منه لفظ سجيل وجعل علما للديوان الذى كتب فيه اعمالهم فكأنه قيل بحجارة كانت من جملة العذاب المكتوب فى الكتاب المسمى بجيل ﴿ قوله كورق زرع ﴾ كما نقل من الفراء انه قال العصف بقل الزرع وكونه مأكولا عبارة عن ان يقع فيه الاكال فيفنيه ويخرجه عن ان ينتفع به شبه به اصحاب الفيل من حيث انهم فنوا وضاعوا او من حيث ان الحجارة التى ارسلت عليهم خرقتهم واحدثت فيهم منافذ وشقوقا كالزرع الذى اكله الدود او عبارة عن ان يؤكل حبه ويبقى تبنه فالمعنى جعلهم كعصف مأكول الحب كما تقول زيد حسن بمعنى حسن وجهه اجرى الحسن على زيد مع انه حال وجهه اعتمادا على ظهور المراد شبهوا بزرع اكل حبه فى ذهاب ارواحهم وبقاء اجسادهم ﴿ قوله او كتبن ﴾ عطف على قوله كورق زرع اى ويجوز ان يراد بالعصف التبن من حيث انه تعصف به الريح عند التذرية وتفرقه عن الحب من قولهم الحرب تعصف بالقوم اى تذهب بالقوم وتهلكهم وناقة عصوف اى سريعة السير تعصف براكبها فتمضى به ويكون المراد بالتبن المأكول حينئذ التبن الذى اكله الدواب ثم ألقته روثا فيبس وتفرقت اجزاؤه شبه به القوم فى تقطع اوصالهم وتفرق اجزائهم وفيه مبالغة حسنة وهو انه لم يكتف بجعلهم اهون شئ فى الزرع وهو التبن الذى لا يجدى حتى جعلهم رجيعا الا انه عبر عن الرجيع بالمأكول على طريق اطلاق الملزوم وارادة اللازم رعاية للادب واستهجانا لذكر الروث كما عبر بقوله تعالى كانا يأكلان الطعام عما يلزم اكل الطعام من البول والتغوط لذلك وروى انه تعالى لما رد الحبشة عن مكة بهذه الكيفية عظمت قريش فى اعين الناس وقالوا هم اهل الله تعالى قاتل عنهم وكفاهم مؤونة دفع عدوهم فكان ذلك نعمة عظيمة من الله عليهم * تمت سورة الفيل والحمد لله على كل حال

﴿ سورة قريش مكية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

قريش قبيلة وابوهم النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر وكل من كان من ولد النضر فهو قرشى دون ولد كنانة ومن فوقه وربما قالوا قريشى والقرش دابة تكون فى البحر من اعظم دوابه لا تمر بشئ من الغث والسمين الا اكلته ويطلق القرش ايضا على الكسب وعلى الجمع يقال فلان يقرش لعياله اى يكسب فهو قارش وقرشهم اى جمعهم وتقرش القوم اى اجتمعوا واختلفوا فى سبب تسمية القبيلة المذكورة قريشا فقيل سموا بتصغير القرش الذى هو دابة عظيمة تكون فى البحر وروى ان معاوية سأل ابن عباس رضى الله عنه لم سميت قريش قريشا فقال سموا باسم دابة فى البحر تأكل ولا تؤكل وتعلو ولا يعلى عليها اى تشبيههم بها من حيث اتصافهم بهذه الصفات قال الشاعر

وقريش هى التى تسكن البحـ ۞ ـر بها سميت قريش قريشا
تأكل الغث والسمين ولا تتـ ۞ ـرك فيه لذى الجناحين ريشا
هكذا فى البلاد حى قريش ۞ يأكلون البلاد اكلا كميشا

(وارسل عليهم طيرا ابابيل) جماعات جمع ابالة وهى الحزمة الكبيرة شبهت بها الجماعة من الطير فى تضامها وقيل لا واحد لها كعباديد وشماطيط (ترميهم بحجارة) وقرئ بالياء على تذكير الطير لانه اسم جمع او اسناده الى ضمير ربك (من سجيل) من طين متحجر معرب سنك كل وقيل من السجل وهو الدلو الكبير او الاسجال وهو الارسال او من السجل ومعناه من جملة العذاب المكتوب المدون (فجعلهم كعصف مأكول) كورق زرع وقع فيه الاكال وهو ان يأكله الدود او اكل حبه فبقى صفرا منه او كتبن اكله الدواب وراثه * قال عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة الفيل عافاه الله ايام حياته من الخسف والمسخ

﴿ سورة قريش مكية وآيها اربع ﴾

ولهم آخر الزمان نبيّ ۞ يكثر القتل فيهم والخموشا

فتصغير قريش للتعظيم كما فى قول الحباب بن المنذر ۞ انا جذيلها المحكك ۞ وعذيقها المرجب ۞ يصف نفسه بالحذاقة فى الامور بحيث يرجع اليه فى معضلات الامور والجذيل تصغير جذل وهو اصل حطب عظيم ينصب فى المعاطن لتحتك به الابل الجرباء والعذيق تصغير العذق بالفتح وهو النخلة ذات الحمل والترجيب ان تدعم الشجرة الاكثر حملها لئلا تتكسر اغصانها وربما يبنى لها جدار تعتمد عليه لضعفها وقيل سميت قريشا لانهم كانوا كسابين بتجاراتهم وضربهم فى البلاد ولم يكونوا اهل زرع ولا ضرع فهو مأخوذ من القرش بمعنى الكسب تصغير قارش والقياس ان يقال قويرش غير انه رخم وصغر كقولهم حريث فى تصغير حارث وقيل انه مأخوذ من القرش بمعنى الجمع فانهم كانوا متفرقين فى غير الحرم فجمعهم قصيّ بن كلاب فى الحرم حتى اتخذوه مسكنا لهم فسموا قريشا لذلك اى لتجمعهم فى الحرم وسمى قصيّ مجمعا شعر ۞ ابوكم قصيّ كان يدعى مجمعا ۞ به جمع الله القبائل من فهر ۞ وقرأ ابن عامر لئلاف قريش بغير ياء قبل اللام الثانية والباقون لايلاف بياء قبلها واجمع الكل على اثبات الياء فى الثانى وهو ايلافهم واختلاف القرّاء فى سقوط الياء وثبوتها فى الاصل مع اتفاق المصاحف على سقوطها فيه خطا دليل على انهم انما يتبعون الاثر والرواية لا مجرّد الخط والرسم اما قرآءة ابن عامر ففيها وجهان الاوّل انه مصدر الف الثلاثى يقال ألفته الافا نحو كتبته كتابا ويقال الفت الشئ الافا وألفا وقد جمع الشاعر بينهما فى قوله

زعمتم ان اخوتكم قريش ۞ لهم الف وليس لكم الاف ۞

والثانى انه مصدر آلف رباعيا نحو قاتل قتالا بمعنى الاف قريش الفة قريش رحلة الشتاء واما على قرآءة الباقين فهو مصدر آلف الرباعى ثم قيل الايلاف هو الالف بناء على ان اهل اللغة قالوا ألفت الشئ وآلفته ألفا وايلافا بمعنى واحد اى لزمته ودمت عليه فمعنى الآية لالف قريش هاتين الرحلتين ولزومهم اياهما واتيانهم عليهما بحيث اذا فرغوا من احداهما اخذوا فى الاخرى وبالعكس والظاهر على هذا المعنى ان تكون اللام فى قوله تعالى لايلاف متعلقة بما قبلها والتقدير فعل ربك باصحاب الفيل مافعل من تضليل كيدهم وتضييعه وارسال الطير الابابيل عليهم وجعلهم كعصف مأكول لايلاف قريش بالرحلتين وبقائهم عليهما فانه لو تم للحبشة ماعزموا عليه من هدم الكعبة وتخريبها لما امكن لهم ان يثبتوا على ماالفوه من الرحلتين اللتين يتوقف عليهما انتظام امر معاشهم فان اهل مكة ليس لهم زرع ولا ضرع فليس لهم طريق معاش سوى التجارة وانها انما تتأتى لهم بسبب ان ملوك تلك النواحى كانوا يعظمونهم ويقولون هؤلاء جيران بيت الله وسكان حرمه فكانوا بذلك آمنين فى اسفارهم لايتخطفون ولا يتعرّض لهم فى نفوسهم ولا فى اموالهم فلولم يفعل الله تعالى باصحاب الفيل مافعل بهم ومكنهم من هدم الكعبة لزال عن اهل مكة هذا العز والشرف وانقطع عنهم تعظيم الملوك واحترامهم اياهم ولصار سكان مكة كسكان سائر البلاد يتخطفون من كل جانب بسلب اموالهم وقتل نفوسهم فلما اهلك الله تعالى اصحاب الفيل ازداد رفع قدر اهل مكة وهيبتهم فى القلوب فاستمروا وداموا على ماالفوا به من رحلتهم فى الشتاء الى اليمن وفى الصيف الى الشام والظاهر ان الايلاف ليس بمعنى الالف بل همزة آلف انما زيدت لتعدية الفعل منه الى المفعولين والاصل ألفت الشئ وآلفته غيرى بمعنى لزمته والزمته غيرى كأنه تعالى قال فعلنا ذلك باصحاب الفيل لنؤلف قريشا رحلتيها ونبقيهم على ماالفوا به ۞ روى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال كان السبب فى الفهم بالرحلتين ان قريشا كانوا اذا اصاب واحدا منهم مخمصة خرج هو وعياله الى موضع وخبؤا على انفسهم جناية حتى يموتوا وكانوا على ذلك الى ان جاء هاشم بن عبد مناف وكان سيد قومه فقام خطيبا فى قريش فقال انكم احدثتم حدثا تقلون فيه وتذلون وانتم اهل حرم الله تعالى واشرف ولد آدم والناس لكم تبع قالوا نحن تبع لك فليس عليك منا خلاف فجمع كل بنى اب على الرحلتين فى الشتاء الى اليمن وفى الصيف الى الشام لان بلاد اليمن حامية حارّة وبلاد الشام رطبة باردة ليتجروا فيجاد لهم من التجارات فاربح الغنى منهم قسمه بينه وبين فقرائهم حتى كان فقيرهم كغنيهم فجاء الاسلام وهم على ذلك فلم يكن فى العرب بنو أب اكثر مالا ولا اعز من قريش حتى قيل فيهم

الخالطون فقيرهم بغنيهم ۞ حتى يكون فقيرهم كالكافى ۞

﴿ قوله تعالى ايلافهم ﴾ بدل من الاوّل وانتصاب رحلة على انه مفعول به للمصدر كما نصب يتيما بقوله او اطعام فيكون الايلاف مصدرا من المبنى للفعول مضافا الى مفعوله الاوّل والملق عن مفعوله الثانى حيث لم يقيد بتعلقه به ثم

(بسم الله الرحمن الرحيم)
(لايلاف قريش) متعلق بقوله فليعبدوا رب هذا البيت

جعل المقيد به بدلا من ذلك المطلق تفخيما لامر الايلاف وتذكيرا لعظم المنة فيه لكونه نعمة عظيمة كما تقول عجبت من احسانك احسانك الى زيد ﴿ قوله والفاء لما فى الكلام من معنى الشرط ﴾ جواب عما قال كون اللام متعلقة بقوله فليعبدوا يستلزم ان يتوسط فاء التعقيب بين العامل ومعموله ولا وجه له وتقرير الجواب ان قوله فليعبدوا مع ما فى حيزه جواب شرط محذوف غاية ما فى الباب انه قدم عليه معموله لافادة الحصر ولزم منه توسط الفاء بينهما صورة ولفظا والرحلة بكسر الراء الارتحال وبالضم الجهة التى يرتحل اليها واصل الرحلة السير على الراحلة وهى الناقة القوية ثم استعمل فى كل سير وارتحال ﴿ قوله فيمتارون ﴾ اى يحملون الميرة وهى الطعام ﴿ قوله او بمحذوف ﴾ اى ويجوز ان لا تكون اللام متعلقة بقوله فليعبدوا بأن تكون متعلقة بمحذوف مثل اعجبوا قال الامام محيى السنة فى تفسيره حاكيا عن الكسائى والاخفش اللام فى قوله تعالى لايلاف هى لام التعجب كأنه قيل اعجبوا لايلاف قريش رحلة الشتاء والصيف وتركهم عبادة رب هذا البيت ثم امرهم بعبادته فقال فليعبدوا وهذا كما تقول لزيد وا كرامنا اياه على وجه التعجب اى اعجبوا لزيد والعرب اذا جاءت بهذه اللام اكتفت بها دليلا على التعجب من غير اظهار فعل التعجب الى هنا كلامه ووجه التعجب انه تعالى سهل لهم طريق معاشهم وحفظهم فى اسفارهم الى مواضع تجاراتهم من ان يتعرض لهم قطاع الطريق كما يتعرضون لسائر المسافرين مع اصرارهم على الشرك وعبادة الاوثان والظاهر على هذا الوجه ان يكون قوله تعالى فليعبدوا معطوفا على مقدر اى لينتهوا عن هذا الكفر فليعبدوا ﴿ قوله كالتضمين فى الشعر ﴾ وهو ان يتعلق معنى البيت بالبيت الذى قبله تعلقا لا يصح المعنى الا به وكون هذه اللام متعلقة بما قبلها كذلك لان المعمول يتوقف فى تمام معناه على عامله وعلى تعلقه به فان قيل تغاير البيتين ليس كتغاير السورتين فان حق كل سورة ان تكون مستقلة بنفسها ولا يتعلق ما فى احدى السورتين بما فى الاخرى فكيف جاز ان تتعلق هذه اللام بما فى السورة المتقدمة قلنا السؤال ساقط على مذهب من يقول انهما سورة واحدة احتجاجا بما روى ان ابى بن كعب جعلهما سورة واحدة فى مصحفه وبما روى ان عمر رضى الله عنه قرأ فى الركعة الاولى من صلاة المغرب بسورة والتين وفى الثانية الم تر ولايلاف قريش من غير ان يفصل بينهما بقوله بسم الله الرحمن الرحيم واما على ما ذهب اليه الاكثرون وهو ان تكون كل واحدة منهما سورة منفصلة عن الاخرى فوجه سقوطه على مذهبهم ان تعلق اول هذه السورة بما قبلها لا ينافى استقلالها عن الاول لان القرآن كله كالسورة الواحدة او كالآية الواحدة يصدق بعضها بعضا ويبين بعضها بعضا وقولهم ان ابيا رضى الله عنه لم يفصل بينهما معارض باطباق الكل على الفصل بينهما ﴿ قوله وقرئ لِيأْلف قريش الفهم ﴾ على لفظ امر الغائب باللام ﴿ قوله بالرحلتين ﴾ اشارة الى ان المراد بالجوع هو المجاعة الشديدة التى حملهم هاشم على الرحلتين بسببها لا المجاعة التى اصابتهم بدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم حين كذبوه وهى قوله اللهم اشدد وطأتك عليهم واجعلها عليهم سنين كسنى يوسف فاشتد عليهم القحط حتى اكلوا الجيف والعظام المحرقة فقالوا يا محمد ادع لنا فانا مؤمنون فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم فاخصبت البلاد واخصب اهل مكة بعد القحط وهذا الاطعام لم يحصل بالرحلتين بل بدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن على بانها اى اطعمهم من اجل جوع شديد كانوا فيه قبل الرحلتين وقيل بمعنى بعد اى اطعمهم بعد الجوع الذى اصابهم من سيبويه قال الفرق بين من ومن ان من تقتضى حصول جوع قد زال بالاطعام ومن تقتضى المنع من مخافة الجوع والمعنى على هذا اطعمهم فلم يلحقهم جوع وآمنهم فلم يلحقهم خوف فتكون من لابتداء الغاية والمعنى اطعمهم من بعد جوعهم قبل طاقة ايامهم وآمنهم من بعد خوفهم قبل اللحاق

﴿ سورة الماعون مكية وقيل مدنية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ قوله استفهام معناه التعجب ﴾ يعنى انه وان كان فى صورة الاستفهام الا انه يقصد به المبالغة فى التعجب يقال ارأيت فلانا ماذا قال ولماذا مرتين تقدم ثم قيل انه خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم وقيل هو خطاب لكل عاقل ورأيت هنا يجوز ان تكون من رؤية البصر وان تكون بمعنى عرفت كأنه قيل أبصرت المكذب او أعرفته وان تكون بمعنى العلم فتكون بمعنى اخبرنى فتتعدى الى اثنين الاول الموصول والثانى محذوف قدره

والفاء لما فى الكلام من معنى الشرط اذ المعنى أن نعم الله عليهم لا تحصى فان لم يعبدوه لسائر نعمه فليعبدوه لاجله (ايلافهم رحلة الشتاء والصيف) اى الرحلة فى الشتاء الى اليمن وفى الصيف الى الشام فيمتارون ويتجرون او بمحذوف مثل اعجبوا او بما قبله كالتضمين فى الشعر اى جعلهم كعصف مأكول لايلاف قريش ويؤيده انهما فى مصحف أبىّ سورة واحدة وقرئ لالاف قريش الافهم وقرئ ليألف قريش الفهم رحلة الشتاء وقريش ولد النضر بن كنانة منقول من تصغير قرش وهو دابة عظيمة فى البحر تعبث بالسفن ولا تطاق الا بالنار شبهوا بها لانها تأكل ولا تؤكل وتعلو ولا تعلى وصغر الاسم للتعظيم واطلاق الايلاف ثم ابدال المقيد منه للتفخيم (فليعبدوا رب هذا البيت الذى اطعمهم من جوع) بالرحلتين والتنكير للتعظيم وقيل المراد به شدة اكلوا فيها الجيف والعظام (وآمنهم من خوف) خوف اصحاب الفيل او التخطف فى بلدهم ومسايرهم او الجذام فلا يصيبهم ببلدهم * قال عليه السلام من قرأ سورة لايلاف اعطاه الله عشر حسنات بعدد من طاف بالكعبة واعتكف بها

﴿ سورة الماعون مختلف فيها ﴾

﴿ وآيها سبع ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(أرأيت) استفهام معناه التعجب

الزمخشري من هو وقدره القرطبي أمصيب هو ام مخطئ والمعنى ارأيت ياعاقل هذا الذي يكذب بالدين بعد ظهور دلائل ووضوح براهينه أيفعل ذلك لاالغرض فكيف يجترئ العاقل على ان يلقي نفسه في العقوبة الابدية من غير غرض اولاجل الدنيا فكيف يجترئ العاقل على قبول العذاب المؤبد طمعا في اللذة اليسيرة الفانية ﴿قوله سهل امرها﴾ اى امر هذه القرآءة يعنى ان وقوع حرف الاستفهام فى اوّل الكلمة جعل امر حذف الهمزة سهلا يسيرا مع كونه مخالفا للقياس والاستعمال فان ريت فى رأيت لم يسمع من العرب ووجه التسهيل ان الماضى بسبب دخول حرف الاستفهام عليه شابه المضارع لان فى الطلب معنى الاستقبال فأخذ حكم المضارع لذلك مع ان وقوع الهمزة اوّل الكلام اوجب ثقل وقوع همزة اخرى بعدها فسهل امر حذفها لذلك ايضا وحذفها فى الآية اسهل من حذفها فى البيت الذى ذكره الزمخشرى وهو قوله

صاح هل ريت او سمعت براع ۞ ردّ فى الضرع ماقرى فى العلاب

لان البيت وان كان فيه حرف الاستفهام لكن ذلك الحرف ليس بهمزة فلولم تحذف همزة رأيت لم يلزم الثقل الحاصل من اجتماع الهمزتين بخلاف الآية وقوله صاح اصله ياصاحب فحذف حرف النداء ورخم المنادى فصار صاح قوله ماقرى اى ماجمع يقال قريت الماء فى الحوض اى جمعت والعلبة مايحلب فيه من جلد او خشب وجمعه علب وعلاب ﴿قوله زيادة الكاف﴾ الضمير المرفوع فى ارأيتك هو التاء والكاف انما زيدت لتدل على احوال المخاطب تقول ارأيتك زيدا وارأيتكما زيدا وارأيتكم زيدا بمعنى اخبرزيدا واخبرا واخبروا ﴿قوله بالجزآء او الاسلام﴾ فان الدين يستعمل بمعنى الجزآء كما فى قوله تعالى مالك يوم الدين وبمعنى الاسلام كما فى قوله تعالى ان الدين عند الله الاسلام وتكذيب الاسلام كما يكون بتكذيب الصانع والنبوّة والمعاد يكون ايضا بانكار شئ من الشرآئع ﴿قوله والذى يحتمل الجنس﴾ اى جنس من كان مكذبا بالدين اى شخص كان ويحتمل العهد ايضا حتى قيل انها نزلت فى ابى سفيان كان ينحر جزورين فى كل اسبوع فأتاه يتيم فسأله لحما فقرعه بعصاه وقيل نزلت فى العاص بن وآئل وكان يجمع بين التكذيب بيوم القيامة والاتيان بالافعال القبيحة جعل علم تكذيبه بالجزآء منعه الواجب والمعروف وتركه التحريض على اطفاء نائرة الجوع عن المحتاجين وقيل نزلت فى الوليد بن المغيرة وقيل نزلت فى ابى جهل روى انه كان وصيا ليتيم فجاءه عريانا يسأله من مال نفسه فدفعه ولم يعبأ به فأيس الصبى فقال له اكابر قريش قل لمحمد صلى الله عليه وسلم يشفع لك وكان غرضهم الاستهزآء به ولم يعرف اليتيم ذلك فجاء الى النبى صلى الله عليه وسلم والتمس منه ذلك وهو عليه السلام ماكان يردّ محتاجا فذهب معه الى ابى جهل فقام ابوجهل ورحب به وبذل المال لليتيم فعيره قريش وقالوا اصبوت قال لا والله ماصبوت ولكن رأيت من يمينه ومن شماله حربة خفت ان لم اجبه يطعنها فىّ والدع الدفع بعنف وجفوة واذى قال تعالى يوم يدعون الى نار جهنم دعا ﴿قوله ولايحض اهله وغيرهم﴾ يعنى ان مفعول يحض محذوف والمعنى انه لايحض نفسه ولايأمر به غيره ولابدّ ايضا من تقدير المضاف الى طعام اى لايحث غيره على اطعام طعام المسكين لتكذيبه بالدين فانه لو اعتقد بالبعث والجزآء لسارع الى مايؤدّى الى سعادة الآخرة بمباشرته بنفسه ودلالة غيره عليه واضيف الطعام الى المسكين للاشعار بان ذلك حق المسكين وبانه لم يمنع من المسكين الاما هو حقه وذلك نهاية البخل وخساسة الطبع فان عدم مواساة الايتام والمساكين وترك قضاء حوآئجهم الضرورية وكذا عدم حث غيره على مواساتهم واعانتهم وان لم يكن فى نفسه اثما وحراما لكنه يصلح علامة لعدم اعتقاده بالجزآء وتكذيبه من حيث ان السبب فى ذلك كله هو التكذيب بالجزآء فلذلك رتب قوله فذلك الذى يدع اليتيم على قوله يكذب بالدين بالفاء السببية للايذان بأن دع اليتيم وعدم حث غيره على قضاء حاجة المضطرّ من سببه التكذيب بالجزآء وجعل الزمخشرى قوله تعالى فذلك جواب شرط محذوف والتقدير ان لم تعرف ذلك الذى يكذب بالدين واردت ان تعرفه فاعلم انه ذلك الذى يكذب بالجزآء وهو الذى يدع اليتيم ﴿قوله يرون الناس اعمالهم﴾ بيان معنى المفاعلة فى قوله يرآؤن فانه مفاعلة من الارآءة فالمرآئى يرى الناس عمله وهم يرونه الثناء عليه والاعجاب به فان قيل ماالفرق بين ان يقال عن صلاتهم وبين ان يقال فى صلاتهم وما الحكمة فى اختيار العبارة الاولى على الثانية فالجواب ان العبارة الثانية انما تقال اذا كان الانسان شارعا فى الصلاة خالصا لوجه الله تعالى ومتذللا بين يديه بالتضرّع والابتهال ولكنه يعتريه شئ من السهو والغفلة فى اثنائها بوسوسة الشيطان او بحديث النفس وذلك لايخلو

وقرئ أريت بلاهمزة الحاقا بالمضارع ولعل تصدّره بحرف الاستفهام سهل امرها وارأيتك بزيادة الكاف (الذى يكذب بالدين) بالجزآء او الاسلام والذى يحتمل الجنس والعهد ويؤيد الثانى قوله (فذلك الذى يدع اليتيم) يدفع دفعا عنيفا وهو ابوجهل كان وصيا ليتيم فجاءه عريانا يسأله من مال نفسه فدفعه او ابوسفيان نحر جزورا فسأله يتيم لحما فقرعه بعصاه او الوليد بن المغيرة او منافق بخيل وقرئ يدع اى يترك (ولا يحض) اهله وغيرهم (على طعام المسكين) لعدم اعتقاده بالجزآء ولذلك رتب الجملة على يكذب بالفاء (فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون) غافلون غير مبالين بها (الذين هم يرآؤن) يرون الناس اعمالهم ليروهم الثناء عليها (ويمنعون الماعون) الزكاة او ما يتعاور فى العادة

عند البشر ومعنى السهو عن الصلاة الغفلة عن اداء الصلاة على ماهى فيؤدى ذلك الى عدم المبالاة بها والاعتناء بشأنها رعاية شروطها واركانها واوقاتها وسننها وآدابها فيقوم ويقعد ولا يدرى ما يفعل وذلك فعل المنافقين وهو شر من ترك الصلاة لانه استهزاء بالدين فثبت ان السهو فى الصلاة من افعال المؤمن لانه شرع فيها بنية صحيحة واعتقاد صادق والسهو عن الصلاة من افعال الكافر فانه وان باشرها صورة لكنه ساه غافل عن حقيقتها لانعدام قصده ونيته عن انس رضى الله عنه قال الحمد لله على انه لم يقل فى صلاتهم لان السهو فيها قد يعترى بوسوسة الشيطان وحديث النفس وذلك لا يكاد يخلو عنه مسلم وكان عليه الصلاة والسلام يقع له السهو فى صلاته فضلا عن غيره ﴿قوله او للسببية﴾ اى للدلالة على ان ما وصف به المكذب بالدين من دع اليتيم وترك حث غيره على الخير سبب للدعاء عليه بالويل والظاهر على هذا ان يقال فويل لهم الا انه وضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على معاملتهم مع الخالق والخلق وذهب كثير من الصحابة والتابعين الى ان المراد من الماعون فى الآية الزكاة ويؤيده انه تعالى ذكره عقيب ذكر الصلاة وما روى عنه عليه الصلاة والسلام انه قال من قرأ سورة الماعون غفر له ان كان للزكاة مؤديا فان كل واحد منهما يدل على ان المراد بالماعون الزكاة وذهب اكثر المفسرين الى ان المراد بالماعون اسم لما لا يمنع فى العادة ويسأله الغنى والفقير وينسب مانعه الى سوء الخلق ولؤم الطبيعة كالفاس والقدر والدلو والمقدحة والغربال والقدوم ويدخل فيه الملح فعلى هذا القول الماعون فاعول من المعن وهو الشئ القليل وسميت الزكاة ماعونا لانها ربع العشر وهو قليل من كثير والمقصود من الآية على هذا القول الزجر عن البخل بهذه الاشياء القليلة فان البخل بها فى غاية الدناءة ونهاية الخساسة والخيانة ومن اوصاف المنافقين قال الله تعالى فى حقهم الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل وقال مناع للخير معتد اثيم قالت العلماء ومن الفضائل ان يستكثر الرجل فى منزله ما يحتاج اليه الجيران فيعيرهم ذلك ولا يقتصر على اتخاذ ما يحتاجه فقط

﴿ سورة الكوثر مكية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿قوله تعالى انا﴾ اصله اننا فحذفت احدى النونات كراهة اجتماع الامثال * والانطاء الاعطاء بلغة اهل اليمن قال اهل اللغة الكوثر فوعل من الكثرة كنوفل من النفل والعرب تسمى كل شئ كثير العدد او كثير القدر والخطر كوثرا فهو بناء يفيد المبالغة فى الكثرة والافراط فيها قيل لاعرابية رجعت ابنها من السفر بم آب ابنك قالت آب بكوثر اى بالعدد الكثير من الخير وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال هو الخير الكثير ﴿قوله وقيل﴾ يعنى ان المفسرين ذكروا فى تفسير الكوثر اقوالا كثيرة منها ان المراد بالكوثر اولاده عليه الصلاة والسلام ويدل عليه ان هذه السورة نزلت ردا على من قال فى حقه عليه الصلاة والسلام انه ابتر ليس له من يقوم مقامه قال ذلك لما مات ابناه القاسم وعبد الله بمكة وهما ابناه عليه الصلاة والسلام من خديجة رضى الله عنها ومات ابراهيم بالمدينة فوعده الله تعالى فى اول السورة ان يعطيه نسلا يبقون على مر الزمان فانظر كم قتل من اهل البيت ثم ان العالم ممتلئ منهم والحمد لله ثم قال فى آخر السورة ان شانئك هو الابتر وقيل الكوثر اتباعه واشياعه الى يوم القيامة ولاشك ان له من الاتباع ما لا يحصيهم الا الله عز وجل وقيل الكوثر علماء امته وهو لعمرى الخير الكثير لانهم كانبياء بنى اسرائيل وانهم يدعون عباد الله الى اتباع ما شرع لهم من اتيان ما يسعدهم والاجتناب عما يرديهم وذلك وظيفة الانبياء عليهم السلام روى ان اتباع علماء هذه الامة تكثر على اتباع كثير من الانبياء وقيل انه يجاء يوم القيامة بالرسل والانبياء وتبعهم انهم فربما يجيء الرسول ومعه الرجل والرجلان ويجاء بكل عالم من علماء امته ومعه الالوف الكثيرة فيجتمعون عند الرسول صلى الله عليه وسلم فربما يزيد عدد متبعى بعض العلماء على عدد متبعى ألف من الانبياء عليهم الصلاة والسلام وذكر فى الطبقات الحنفية انه روى عن ابى حنيفة رحمه الله ان نقلة مذهبه من الشيوخ واكابر العلماء نحو من اربعة آلاف نفر فضلا عن اقتدى به واهتدى باتباعه وقس عليه سائر الائمة المجتهدين رضوان الله عليهم اجمعين فكل ذلك خير كثير له صلى الله عليه وسلم وقيل الكوثر القرآن وفضائله لا تحصى ولعل المصنف انما لم يرض بهذه الاقوال لان الكوثر الذى هو الخير الكثير يتناول جميع ما انعم الله تعالى به عليه عليه الصلاة والسلام وليس حمله على البعض اولى من حمله على الباقى فيجب ابقاؤه على ما يعم خيرى الدنيا والآخرة لان حمله على البعض تخصيص من غير مخصص ثم انه تعالى لما ذكر رسوله وما انعم به عليه من الخير الكثير امره بشكر تلك النعمة العظيمة فقال

والفاء جزائية والمعنى اذا كان عدم المبالاة باليتيم من ضعف الدين الموجب للذم والتوبيخ فالسهو عن الصلاة التى هى عماد الدين والرياء الذى هو شعبة من الكفر ومنع الزكاة التى هى قنطرة الاسلام احق بذلك ولذلك رتب عليها الويل او للسببية على معنى فويل لهم وانما وضع المصلين موضع الضمير للدلالة على معاملتهم مع الخالق والخلق * عن النبى عليه السلام من قرأ سورة أرأيت غفر له ان كان للزكاة مؤديا

﴿ سورة الكوثر مكية وآيها ثلاث ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(انا اعطيناك) وقرئ انطيناك (الكوثر) الخير المفرط الكثير من العلم والعمل وشرف الدارين وروى عنه عليه السلام انه نهر فى الجنة وعدنيه ربى فيه خير كثير أحلى من العسل وابيض من اللبن وابرد من الثلج وألين من الزبد حافتاه الزبرجد وأوانيه من فضة لا يظمأ من شرب منه وقيل حوض فيها وقيل اولاده او اتباعه او علماء امته او القرآن

فصل لربك وانحر بفاء التعقيب المؤذنة بالسببية اى اذا تقرر عندك ما فضلت به من الكوثر قدم على الصلاة الجامعة لانواع العبادة ﴿ قوله خلاف الساهى عنها المرآئى فيها ﴾ اشارة الى ان قوله تعالى فصل مقابل لقوله فى السورة المتقدمة الذين هم عن صلاتهم ساهون وقوله لربك مقابل لقوله فيها الذين هم يرآؤن ﴿ قوله شكرا لانعامه ﴾ اى لانعامه عليه بقوله دم على الصلاة فان كثرة الانعام توجب مداومة المنعم عليه على شكر المنعم فكأنه قيل انا اعطيناك الكوثر فدم على الشكر فان الصلاة جامعة لاقسام الشكر وهى ثلاثة الاول الشكر بالقلب وهو ان يعتقد ان تلك النعم منه تعالى انعم بها عليه تفضلا وكرما والثانى الشكر باللسان وهو ان يمدح المنعم ويثنى عليه بما هو اهله والثالث الشكر بالجوارح وهو ان يخدمه ويتواضع له بالطرق التى بينها الشارع والصلاة جامعة لهذه الاقسام كلها ﴿ قوله خلافا لمن يدعهم ﴾ يعنى ان قوله تعالى وانحر مقابل لما ذكر من اوصاف المنافقين بقوله الذى يدع اليتيم ويمنعون الماعون فان ذبح البدن التى هى خيار الاموال والتصدق بلحومها على المحتاجين مقابل لدعهم ومنع الماعون عنهم ﴿ قوله ان من ابغضك ﴾ يعنى ان الشانئ بمعنى المبغض الذى هو ضد المحب يقال شنأه شنأ وشنأنا بفتح النون وسكونها اى ابغضه فالمعنى ان من ابغضك اى من لا يحبك بل يعاديك مخالفة له هو الابتر لبغضه لك فقوله لبغضه لك علة لكون الشانئ هو الابتر فانه يفيد كون بغضه علة لكونه ابتر اى مقطوع العقب روى ان عاص بن وآئل كان يمر بالنبى صلى الله عليه وسلم ويقول انى لاشنؤك وانك الابتر من الرجال فنزلت * تمت سورة الكوثر وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿ سورة الكافرين مكية ويقال لها ولسورة الاخلاص المقشقشتان اى المبرئتان من النفاق ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ قوله يعنى كفرة مخصوصين ﴾ روى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال سبب نزول هذه السورة ان الوليد بن المغيرة والعاص بن وآئل والاسود بن عبد المطلب وامية بن خلف لقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد هلم فلنعبد ما تعبد وتعبد ما نعبد ونشترك نحن واياك فى امرنا كله فان كان الذى جئت به خيرا مما بايدينا كنا قد شركناك واخذنا بحظنا منه وان كان الذى بايدينا خيرا من الذى بيدك كنت قد شركتنا فى امرنا واخذت بحظك منه فانزل الله تعالى قل يا أيها الكافرون ونزل قوله تعالى قل أفغير الله تأمرونى اعبد ايها الجاهلون فغدا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المسجد الحرام وفيه الملأ من قريش فقام على رؤسهم فقرأها عليهم حتى فرغ من السورة فأيسوا منه عند ذلك فالالف واللام فى قوله تعالى الكافرون وان كانت للجنس بحسب الظاهر حيث وقع الكافرون صفة لاى الا ان ما فيه من التعريف للاشارة الى المعهود بقرينة سبب النزول ولان قوله تعالى لا اعبد ما تعبدون لا يجوز ان يكون خطابا مع كل الكفرة لان فيهم من يعبد الله تعالى كاليهود والنصارى ولا يجوز ان يقال لهم لا اعبد ما تعبدون ولا يجوز ايضا ان يكون قوله ولا انتم عابدون ما اعبد خطابا مع الكل لان فى الكفار من آمن وصار بحيث يعبد الله تعالى فعلنا بهذه القرينة ان الخطاب لكفرة مخصوصين الذين سبق فى علمه تعالى انهم يموتون او يقتلون على كفرهم ﴿ قوله فان لا لا تدخل الا على مضارع بمعنى الاستقبال ﴾ لانها لا تدخل ابدا الا على المضارع الموصوف فان لا قد تدخل على الماضى بشرط التكرير نحو قوله تعالى فلا صدق ولا صلى وقد تدخل على الاسم كقوله تعالى ولا انتم عابدون وكذا قوله كما ان ما لا تدخل الا على مضارع بمعنى الحال فان معناه انها اذا دخلت على المضارع يكون المضارع بمعنى الحال فمعنى القرينة الاولى لا افعل فى المستقبل ما تطلبونه منى من عبادة آلهتكم لما ذكره من ان المضارع المصدر بكلمة لا يكون للاستقبال ومعنى القرينة الثانية ولا انتم عابدون فى المستقبل ما اطلب منكم من عبادة الهى لان اسم الفاعل وان كان صالحا للحال والاستقبال الا انه ههنا للاستقبال لوقوعه فى مقابلة لا اعبد ثم انهم اختلفوا فى ان القرينة الثالثة هل هى تأكيد للاولى اولا وكذا الرابعة هل هى تأكيد للثانية اولا واختار المصنف ان كل قرينة من القرينتين الاخيرتين لافادة معنى على حدة بان جعل كل قرينة مقيدة بزمان غير زمان القرينة الاخرى فحمل القرينة الاولى على الاستقبال بشهادة كلمة لا وحمل القرينة الثالثة على الحال والماضى فكان المعنى لا افعل فى المستقبل ما تطلبونه من عبادة الاصنام ولست فى الحال او فى الماضى بعابد لما عبدتم من الاصنام وحمل القرينة الثانية وهى قوله ولا انتم عابدون ما اعبد على الاستقبال لوقوعها فى مقابلة الاولى وحمل القرينة الرابعة على استغراق النفى وشموله

(فصل لربك) فدم على الصلاة خالصا لوجه الله خلاف الساهى عنها المرآئى فيها شكرا لانعامه فان الصلاة جامعة لاقسام الشكر (وانحر) البدن التى هى خيار اموال العرب وتصدق على المحاويج خلافا لمن يدعهم ويمنع منهم الماعون فالسورة كالمقابلة للسورة المتقدمة وقد فسرت الصلاة بصلاة العيد والنحر بالتضحية (ان شانئك) ان من ابغضك لبغضه لك (هو الابتر) الذى لا عقب له اذ لا يبقى منه نسل ولا حسن ذكر واما انت فيبقى ذريتك وحسن صيتك وآثار فضلك الى يوم القيامة ولك فى الآخرة ما لا يدخل تحت الوصف * عن النبى عليه السلام من قرأ سورة الكوثر سقاه الله من كل نهر له فى الجنة وكتب له عشر حسنات بعدد كل قربان قربه العباد فى يوم النحر

﴿ سورة الكافرين مكية وآيها ست ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(قل يا ايها الكافرون) يعنى كفرة مخصوصين قد علم الله منهم انهم لا يؤمنون روى ان رهطا من قريش قالوا يا محمد تعبد آلهتنا سنة ونعبد الهك سنة فنزلت (لا اعبد ما تعبدون) اى فيما يستقبل فان لا لا تدخل الا على مضارع بمعنى الاستقبال كما ان ما لا تدخل الا على مضارع بمعنى الحال (ولا انتم عابدون ما اعبد) اى فيما يستقبل لانه فى قران لا اعبد (ولا انا عابد ما عبدتم) اى فى الحال او فيما سلف (ولا انتم عابدون ما اعبد) اى وما عبدتم فى وقت ما انا عابده

لجميع الازمنة بناء على ان الجملة الاسمية تفيد الدوام واذا دخل عليها حرف النفي تفيد دوام النفي ثم قال ويجوز ان تكونا تأكيدين على طريقة ابلغ اى ويجوز ان تكون القرينة الثالثة تأكيدا للاولى على طريقة ابلغ لان القرينة الاولى لنفي الاستقبال والثالثة تفيد دوام النفي في جميع الازمنة كما عرفته فتفيد ما افادته الاولى مع زيادة فكانت تأكيدا لها على طريقة ابلغ وكذا القرينة الرابعة يجوز ان تكون تأكيدا الثانية على ابلغ وجه لان الثانية حملت بقرينة المقابلة على نفي الاستقبال والرابعة محمولة على عموم النفي فتكون ابلغ منها والفائدة على تقدير ان تحمل القرينتان على التأكيد قطع اطماع الكفار وتحقيق الاخبار بانهم يموتون على الكفر ولا يسلمون ابدا ورد على تجويزه ان يكون قوله تعالى ولا انا عابد محمولا على الماضي كما اشار اليه بقوله او فيما سلف ان عابدا اسم فاعل وهو لا يعمل الا اذا كان بمعنى الحال او الاستقبال فكيف يصح ان يعمل في قوله ما عبدتم وهو بمعنى الماضي الا ان يقال اعماله مبنى على كونه بمعنى حكاية الحال الماضية كما في قوله تعالى وكلبهم باسط ذراعيه وقوله تعالى والله مخرج ما كنتم تكتمون ونحوهما وهو لا ينافي كون مدلوله واقعا في الماضي في نفس الامر ﴿قوله وهو عليه الصلاة والسلام لم يكن موسوما بعبادة الله تعالى﴾ اى قبل البعثة لان العبادة عبارة عن اعمال الجوارح الواقعة امتثالا لامر الله تعالى وقصدا لتعظيمه وما وقع منه عليه الصلاة والسلام قبل البعثة من توحيد الله تعالى وتنزيهه عن كل ما لا يليق بجلال ذاته ومن مناسك الحج وافعاله على حسب ما تواتر من مشاعر ابراهيم عليه الصلاة والسلام وان كان عبادة بمعنى المعرفة والايقان بالحق الا انه ليس بعبادة بالمعنى المذكور لانه يجب كونها مسبوقة بامر الشارع ومأمورا بها من قبله ولا امر قبل البعثة لان الشرائع السابقة على شريعة عيسى عليه الصلاة والسلام صارت منسوخة بشريعة عيسى واما شريعة عيسى فقد صارت منقطعة بسبب ان الناقلين عنه هم النصارى وهم كفار قبل بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبب قولهم بالتثليث والذين بقوا على التوحيد قلوا بغاية القلة وتفرقوا في البلدان فلم يكن قولهم حجة شرعية فثبت انقطاع شريعة عيسى عليه الصلاة والسلام فما وقع بعد انقطاعها لا يكون على طريق الامتثال للشرع فلم يكن عليه الصلاة والسلام قبل البعثة موسوما بعبادة الله تعالى فلذلك لم يكن نظم الآية ولا انتم عابدون ما عبدت وان كان هو المطابق لقوله ما عبدتم ﴿قوله وانما قال ما دون من﴾ جواب عما يقال المراد بقوله ما اعبد في القرينة الثانية والرابعة هو الله تعالى فكيف عبر عنه بكلمة ما والاصل فيها ان لا تطلق على اولى العلم اذا اريد بهم نفس ذواتهم واما اذا اريد ان يعبر عنهم بما يدل على غاية التعظيم والتحقير فحينئذ يعبر عنهم بكلمة ما فان ما الموصولة لا تستعمل في ذوي العلم الا باعتبار الوصفية فيه وتعظيم شأنه كقوله سبحان ما سخركن لنا اى سبحان العظيم الشأن الذي سخر امثالكن لنا فكذا معنى الآية ولا انتم عابدون الاله العظيم الشأن الذي لا يستحق العبادة غيره وما حمل ما في ما اعبد على المعبود بالحق حمل قوله تعالى ما عبدتم وما تعبدون على الباطل تحقيقا للتقابل والثاني انه لما عبر عن المعبودات الباطلة بما على الاصل عبر عن المعبود الحق ايضا بها للمقابلة والمشاكلة فان رعاية المقابلة تحسن ما لا يحسن حال الانفراد ثم اشار الى جواب ثالث بقوله وقيل ما مصدرية ومحصوله انه انما يحتاج الى الاعتذار باحد الوجهين ان لو كانت ما موصولة وليست كذلك بل هي مصدرية والمعنى لا اعبد عبادتكم اى مثل عبادتكم ولا بد من هذا التقدير لان الشخص لا يفعل نفس فعل غيره ولكن يفعل مثل فعله فكذا الكلام في اخواتها ﴿قوله وقيل الاوليان بمعنى الذي﴾ فالمعنى لا اعبد الاصنام التي تعبدونها ولا انتم تعبدون الله الذي اعبده والاخريان مصدريتان والمعنى ولا انا عابد مثل عبادتكم المبنية على الشك والتقليد ولا انتم عابدون مثل عبادتي المبنية على اليقين والبرهان والظاهر ان مقصود القائل بحمل هذه القرائن الاربع على التأسيس بيان التغاير بينها بهذا الوجه ولا دخل له في الجواب الذي تعرض لوجه التعبير عنه تعالى بكلمة ما في القرينة الثانية وانما اخره الى هنا من حيث ان له تعلقا بهذا المقام ايضا ﴿قوله فليس فيه اذن في الكفر ولا منع عن الجهاد﴾ جواب عما يقال كيف امر عليه الصلاة والسلام ان يقول لهم لكم دينكم وهو اذن لهم في الكفر وقد بعث عليه الصلاة والسلام للمنع عن الكفر وايضا انه عليه الصلاة والسلام لما امر بان يأذن لهم في الكفر والثبات عليه لزم ان يكون ممنوعا عن الجهاد وهو عليه الصلاة والسلام مأمور به وتقرير الجواب ان قوله تعالى لكم دينكم لما كان معناه انكم لا تتركونه ابدا فلا اختيار في ذلك عنكم كان ذلك مثل قوله تعالى ولا انتم عابدون ما اعبد ويا ايها الكافرون معناه فليس فيه اذن في الكفر بل هو تقريع وذم لهم بالاصرار على الكفر والضلال ولا منع عن

ويجوز ان تكونا تأكيدين على طريقة ابلغ وانما لم يقل ما عبدت ليطابق ما عبدتم لانهم كانوا موسومين قبل المبعث بعبادة الاصنام وهو لم يكن حينئذ موسوما بعبادة الله تعالى وانما قال ما دون من لان المراد الصفة كأنه قال لا اعبد الباطل ولا تعبدون الحق او للمطابقة وقيل ما مصدرية وقيل الاوليان بمعنى الذي والاخريان مصدريتان (لكم دينكم) الذي انتم عليه لا تتركونه (ولي دين) الذي انا عليه لا ارفضه فليس فيه اذن في الكفر ولا منع عن الجهاد ليكون منسوخا بآية القتال اللهم الا اذا فسر بالمتاركة وتقرير كل من الفريقين الآخر على دينه

الجهاد ايضا وقيل هذه السورة نزلت قبل الامر بالجهاد فهي منسوخة بآية القتال وان فسر الدين بالحساب كان المعنى لكم حسابكم ولي حسابي ولا يرجع الى كل واحد منا من عمل صاحبه اثر البتة فالامر ظاهر وكذا ان فسر بالجزآء وقد يستعمل الدين بمعنى الدعاء كما في قوله تعالى ادعوا الله مخلصين له الدين وان فسر الدين بالدعاء يكون معنى قوله لكم دينكم ان دعاءكم لايسمع ولايقبل وما دعاء الكافرين الا في ضلال اي عن طريق قبول الله تعالى اياه ولا تقبله الاصنام ايضا لقوله تعالى وان تدعوهم لايسمعوا دعاءكم وانما يقبل ويستجاب دعاء من آمن بالله تعالى واتبع سبيله كما قال تعالى ويستجيب الذين آمنوا ادعوني استجب لكم ﴿ قوله والعبادة ﴾ لعله تصحيف من الناسخين والعبارة الفصيحة العادة فان الدين قد يستعمل بمعنى العادة والشان والمعنى لكم عادتكم المأخوذة من اسلافكم من الشياطين ولي عادتي المأخوذة من الملائكة ومن الوحي ثم يجزى كل واحد مني ومنكم على حسب عادته فالحق الملائكة والجنة وتلحقون الشياطين والنار اذ لاوجه لاطلاق لفظ العبادة على اعمال المشركين الا ان يقال اطلق عليها الدين والطاعة لوقوعها في صحبة قوله ولي دين والمشاكلة من صنائع اهل البلاغة والله اعلم ٭ تمت سورة الكافرين والحمد لله رب العالمين

﴿ سورة النصر مكية وقيل مدنية فانه روى انه عليه الصلاة والسلام عاش بعد نزولها سنتين ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ قوله اظهاره اياك ﴾ يعني ان نصر الله مصدر مضاف الى فاعله ومفعوله محذوف للعلم به اي نصر الله اياك وان المراد بنصره تعالى اياه عليه الصلاة والسلام اظهاره وجعله غالبا على اعدآئه من قريش وسائر العرب يقال ظهرت على فلان اذا غلبت عليه وكذا الفتح فانه مصدر ايضا وما فيه من حرف التعريف عوض عن الاضافة ومفعوله محذوف وهو مكة فان فتحها هو الذي يقال له فتح الفتوح والتقدير وفتح مكة وجواب اذا وعامله هو قوله تعالى فسبح وقد اشتهر ان الجواب هو العامل فيه اي اذا جاءك النصر والفتح وكثرت الاتباع والامم فاشتغل انت بالتسبيح والحمد والاستغفار وقيل اذا منصوب بجاء وقيل جوابه محذوف والتقدير اذا جاءت هذه الاشياء فقد عظمت نعمة الله تعالى عليك وقيل حضرا جلك وعطف الفتح على النصر من قبيل عطف المسبب على السبب لان النصر الالهي سبب الفتح وتقييد النصر بالاضافة اليه تعالى مع ان النصر لايكون الا من الله تعالى كما قال تعالى وما النصر الا من عند الله لتعظيم المضاف اي اذا جاءك نصر لايليق الا بالله ولا يفعله الا هو فسبح وقيل المفعول المقدر لكل واحد من النصر والفتح ليس امرا مخصوصا هو اياك ومكة بل الآية من قبيل ماحذف فيه المفعول للتعميم والمعنى اذا جاء نصر الله لمن آمن به وفتحه ديار الكفر عليه ﴿ قوله وانما عبر عن الحصول بالمجيء ﴾ جواب عما يقال من ان المجيء من خواص مايصح عليه الانتقال من الجواهر والنصر والفتح ليسا من قبيل الجواهر فكيف اسند المجيء اليهما والظاهر ان يقال اذا وقع او حصل نصر الله عز وجل ٭ وتقرير الجواب انه عبر عن حصولهما بالمجيء تشبيها لهما بما يصح الانتقال في حقه من حيث ان الحوادث قدر وجودها في الازل فالله سبحانه قدر لحدوث كل واحد منها اسبابا معينة واوقاتا مقدرة لايحدث شيء منها الا اذا تحققت اسبابه وحضرت اوقاته فشبه كونها مربوطة معلقة بتلك الاسباب والاوقات بكونها متوجهة اليها بحيث تقرب منها شيأ فشيأ وشبه وقوعها عند حضور اوقاتها بمجيئها اليها فاطلق اسم المجيء على ذلك الوقوع ثم اشتق منه لفظ جاء فكانت استعارة تبعية وكلمة اذا ظرف لما يستقبل فالآية بظاهرها تدل على ان هذه السورة نزلت قبل ان نصره الله تعالى نصرا تسبب عنه فتح مكة ودخول الناس في دين الله افواجا ولهذا قيل انها مكية وعده الله تعالى وهو فيها انه سيهاجر منها ثم انه تعالى يفتحها له ويدخل الناس في دين الله افواجا بنصره له واظهاره على اعدآئه وقيل كلمة اذا هنا لمجرد الوقت وان فتح مكة كان سنة ثمان ونزلت هذه السورة سنة عشر وروى انه عليه الصلاة والسلام عاش بعد نزول هذه السورة سبعين يوما ولذلك سميت سورة التوديع لما فيها من الدلالة على توديع الدنيا والتوجه الى دار البقاء وروى انه عليه الصلاة والسلام عاش بعد نزولها ستين يوما مستديما للتسبيح والاستغفار وعن عائشة رضي الله عنها انه عليه الصلاة والسلام كان بعد نزول هذه السورة يكثر ان يقول سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لي وقال مقاتل انه عليه السلام عاش بعد نزولها حولا ٭ واعلم ان صفات الحق تعالى منحصرة في قسمين سلبية وثبوتية والسلوب متقدمة على الايجابات والتسبيح

وقد فسر الدين بالحساب والجزآء والدعاء والعبادة ٭ عن النبي عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة الكافرين فكأنما قرأ ربع القرآن وتباعدت عنه مردة الشياطين وبرئ من الشرك

﴿ سورة النصر مدنية وآيها ثلاث ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(اذا جاء نصر الله) اظهاره اياك على اعدآئك (والفتح) فتح مكة وقيل المراد جنس نصر الله للمؤمنين وفتح مكة وسائر البلاد عليهم وانما عبر عن الحصول بالمجيء تجوزا للاشعار بان المقدرات متوجهة من الازل الى اوقاتها المعينة لها فتقرب منها شيأ فشيأ وقد قرب النصر من وقته فكن مترقبا لوروده مستعدا لشكره

اشارة الى التعرض لصفات السلبية لواجب الوجود وهى صفات الجلال و التحميد اشارة الى الصفات الثبوتية له تعالى وهى صفات الاكرام و لما امره الله تعالى بالاشتغال بذكره بصفاته السلبية و الثبوتية امره بعده بالاستغفار لأن الاستغفار فيه رؤية قصور النفس وكمال وجود الحق و فيه ايضا طلب لما هو الاصلح و الاكمل للنفس من حضرة وهاب العطايا و هذا الطريق اعنى النزول من المؤثر الى الاثر اشرف طرق السائرين فان لهم طريقين فى سيرهم منهم من يقول مارأيت شيأ الا ورأيت الله بعده و منهم من يقول مارأيت شيأ الا ورأيت الله قبله و لاشك ان النزول من المؤثر الى الاثر اجل من الصعود من الاثر الى المؤثر لان الاستدلال بالاصل على التبع اقوى من الاستدلال بالتبع على الاصل ولكون هذه الطريقة اشرف الطريقتين قدم الاشتغال بالخالق على الاشتغال بالخلق وهو النفس فذكر فى حق الاشتغال بالخالق امرين التسبيح و التحميد وفى حق الاشتغال بالنفس الاستغفار وهو حالة ممزوجة من الالتفات الى الخالق و الى الخلق ﴿قوله تعالى يدخلون﴾ فى موضع النصب على انه حال من الناس ان جعلت الرؤية بصرية او بمعنى المعرفة وان جعلت بمعنى العلم كان مفعولا ثانيا لها و افواجا حال من الضمير فى يدخلون و الفوج الجماعة الكثيرة روى انه عليه الصلاة و السلام لما فتح مكة اقبلت العرب بعضها على بعض فقالوا أما اذا ظفر بأهل الحرم فليس لاحد به طاقة وقد كان الله تعالى اجارهم من اصحاب الفيل و من كان من ارادهم بسوء ثم اخذوا يدخلون فى دين الاسلام افواجا من غير قتال و قصة فتح مكة انه لما وقع صلح الحديبية و انصرف عليه الصلاة و السلام اغار بعض من كان فى عهد قريش على خزاعة و كانوا فى عهده عليه الصلاة و السلام فجاء سفير ذلك القوم و اخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فعظم ذلك عليه عليه الصلاة و السلام ثم قال اما ان هذا العارض ليخبرنى ان النصر يجيء من عند الله تعالى ثم قال لاصحابه انظروا فان اباسفيان يجيء و يلتمس ان يجدد العهد فلم يمض ساعة الا جاء الرجل ملتمسا لذلك فلم يجبه الرسول صلى الله عليه وسلم ولا احد من اكابر الصحابة رضى الله عنهم و رجع الى مكة آيسا فتجهز عليه الصلاة و السلام للسير الى مكة فخرج اليها و فتحها و وقف على باب المسجد و قال « لا اله الا الله وحده صدق وعده و نصر عبده و هزم الاحزاب وحده » ثم قال يا اهل مكة ماترون انى فاعل بكم قالوا خيرا اخ كريم فقال اذهبوا فانتم الطلقاء فأعتقهم ثم انهم بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاسلام و السمع و الطاعة ثم صار الناس يدخلون فى دين الاسلام فوجا بعد فوج ﴿قوله جماعات كثيفة﴾ اى كثيرة ﴿قوله فتعجب﴾ اى قل سبحان الله و الحمد لله تعجبا مما اراك من عجيب انعامه عليك وهو الغلبة على اهل الحرم فان هذه الكلمة تقال عند التعجب عادة فصح ان يفسر الامر بالتسبيح بالامر بالتعجب لذلك ولاسيما ان المقام مقام التعجب ولعل الوجه فى ذكر هذه الكلمة عند التعجب هو ان الانسان عند مشاهدة الامر العجيب يستبعد وقوعه كأنه يستقصر قدرة الله تعالى عليه و يخطر بباله ان يقول من يقدر عليه و يوجده ثم يتدارك انه فى هذا الزعم مخطئ فيقول سبحان الله تعالى تنزيها لله تعالى من العجز عن خلق مثله من العجائب واعتقادا بانه تعالى على كل شئ قدير ﴿قوله او فصل له﴾ يعنى يجوز ان يكون المراد بالتسبيح الصلوة تسمية للمحل باسم ما حل فيه لان الصلاة لاتخلو عنه فكأنه جزء منها وقد عبر بلفظ التسبيح عن الصلاة فى مواضع من القرآن قال تعالى فسبحان الله حين تمسون و حين تصبحون و قال فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس و حمل اللفظ على المجاز لما وجب ان يستند الى قرينة تعين المعنى المجازى ايد هذا الاحتمال بما روى انه عليه الصلاة و السلام صلى ثمانى ركعات يوم فتح مكة داخل البيت ثم قيل انه عليه الصلاة و السلام صلاها شكرا لله تعالى و قال آخرون هى صلاة الضحى وقيل اربع للشكر واربع للضحى ﴿قوله او فنزهه﴾ لما روى انه عليه الصلاة و السلام سئل ما المراد بالتسبيح فى قوله تعالى فسبح بحمد ربك فقال تنزيه الله تعالى عن كل سوء فانه تعالى منزه فى ذاته و صفاته وافعاله عن كل ما لايليق بشأنه الاعلى ﴿قوله او فأثن على الله تعالى﴾ اى و يجوز ان يكون التسبيح لا بمعنى التنزيه بل يكون بمعنى الثناء عليه تعالى بصفات الجلال و يكون التحميد بمعنى الثناء عليه بصفات الاكرام وصفات الجلال صفات دالة على عظمة الذات وكماله من غير كونها متعلقة بالمخلوق بالافضال والانعام عليه كالعظمة و الكبرياء والملك و التقديس والعز والجبروت و العلو والسمع والبصر ونحوها وصفات الاكرام صفات لها آثار فى الخلق كالرحمن والرحيم و الغفار و الرزاق والوهاب و الباسط و الغنى و نحوها وقوله بحمد ربك حال من المنوى فى فسبح اى سبحه حامدا له اى مقدرا ان تحمده بعد التسبيح ﴿قوله هضما لنفسك﴾ اشارة الى ان الحكمة الداعية الى امر النبى

(ورأيت الناس يدخلون فى دين الله افواجا) جماعات كثيفة كاهل مكة و الطائف و اليمن و الهوازن و سائر قبائل العرب و يدخلون حال على ان رأيت بمعنى ابصرت او مفعول ثان على انه بمعنى علمت (فسبح بحمد ربك) فتعجب لتيسير الله مالم يخطر ببال احد حامدا له عليه او فصل له حامدا على نعمه روى انه لما دخل مكة بدأ بالمسجد فدخل الكعبة و صلى ثمانى ركعات او فنزهه عما كانت الظلمة يقولون حامدا له على ان صدق وعده او فأثن على الله بصفات الجلال حامدا له على صفات الاكرام (واستغفره) هضما لنفسك و استقصارا لعملك و استدراكا لما فرط منك بالالتفات الى غيره وعنه عليه الصلاة و السلام انى استغفر الله فى اليوم و الليلة مائة مرة وقيل استغفره لامتك وتقديم التسبيح ثم الحمد على الاستغفار على طريقة النزول من الخالق الى الخلق كما قيل مارأيت شيأ الا ورأيت الله قبله

المعصوم من الذنب بالاستغفار هضم النفس وكسرها بان يعدها قاصرة عن البلوغ الى درجة الكمال فى المعرفة والعبادة ويقول ماعرفناك حق معرفتك وماعبدناك حق عبادتك ولما كانت مراتب السير الى الله تعالى غير متناهية كانت كل مرتبة من مراتب العرفان فوقها مراتب اخر وعلى حسب تفاوت مراتب العرفان تتفاوت مراتب العبادة المتفرعة على معرفة عظمة المعبود فاذا وصل العبد الى مرتبة فى العبودية ثم تجاوز عنها فبعد تجاوزه عنها يرى ذلك المقام قاصرا فيستغفر الله تعالى منه وهذا القدر انما يحتاج اليه على تقدير ان يكون معنى قوله تعالى واستغفره واستغفر الله لذنبك اما اذا كان معناه واستغفره لذنب امتك فالامر ظاهر ﴿قوله كان توابا لمن استغفره منذ خلق المكلفين﴾ يعنى ان لفظ كان ههنا للدلالة على استمرار ثبوت خبرها لفاعلها منذ خلق المكلفين ومن كان هذا شأنه أفلا يقبل استغفارك وتوبتك فلا يرد ان يقال ان الافعال الناقصة انما تدل على زمان ثبوت خبرها لفاعلها فلفظ كان فى الآية يدل على ان ذلك الثبوت فى الماضى وكونه تعالى توابا فى الماضى كيف يكون علة للاستغفار فى الحال او فى المستقبل ووجه سقوط هذا الوهم على توجيه المصنف ظاهر ومعنى كونه تعالى توابا انه يكثر منه قبول التوبة الكثيرة من التوابين او لكثرة ما تابوا منه من الذنوب ﴿قوله ولعل ذلك﴾ اى ولعل الوجه فى كون نزول هذه السورة نعيا له عليه الصلاة والسلام ان كونه عليه السلام منصورا غالبا على اعدائه وحصول الفتح ودخول الناس فى الدين افواجا يدل على تمام الدعوة والتبليغ وتمامه يدل على ارتحاله عليه الصلاة والسلام من هذه الدنيا او لان الامر بالاستغفار تنبيه على قرب الاجل كأنه قيل قرب الوقت ودنا الرحيل فتأهب للامر فيه تنبيه على ان العاقل يجب عليه ان يستكثر من التوبة والاستغفار اذا قرب اجله ولهذا سميت السورة سورة التوديع لما فيها من الدلالة على توديع الدنيا

﴿ سورة المسد مكية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿قوله هلكت او خسرت﴾ فان التباب يكون بمعنى الهلاك كما فى قولهم تابة ام تابة اى ام هالكة ومنه قوله تعالى وما كيد فرعون الا فى تباب اى فى هلاك ويكون بمعنى الخسران ايضا كما فى قوله تعالى وما زادوهم غير تتبيب اى غير تخسير بدليل انه يقال تب لفلان كذا اى استمر وتبت يدا ابى لهب اى استمرتا فى الخسران والمراد بقوله تعالى يدا ابى لهب نفسه كما فى قوله تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة وما قدمت يداه اى نفسه فعلى هذا يكون قوله تعالى تبت يدا ابى لهب دعاء عليه بهلاك نفسه ﴿قوله وقيل انما خصتا الخ﴾ يعنى قيل المراد باليدين نفس الجارحتين المخصوصتين والمقصود من الكلام الدعاء عليه بهلاك يديه وخصتا بالدعاء بهلاكهما لقصده بهما رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين انذره بعذاب الآخرة كأنه قيل شلت يداه كيف قصد ان يرمى بهما سيد الكائنات وهو يدعوه لينجيه من شقاوة الابد الى سعادة الدارين وابو لهب هو ابن عبد المطلب عم النبى صلى الله عليه وسلم وكان شديد المعاداة له روى انه عليه الصلاة والسلام خرج الى سوق ذى المجاز يدعو الناس الى التوحيد ويقول يا ايها الناس قولوا لا اله الا الله تفلحوا وابو لهب خلفه يرميه وكان قد ادمى ساقه وعرقوبه ويقول ايها الناس انه كذاب فلا تصدقوه وروى انه اخذ حجرا ليرمى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فمنعه الله تعالى من ذلك حيث لم يستطع ان يرميه وهو قوله تعالى وتب ﴿قوله وقيل المراد بهما دنياه وآخرته﴾ تشبيها باليدين من حيث انه يتسبب بهما لما اصابه من الحوادث كما يتسبب الانسان بيديه لما يكسبه ﴿قوله لاشتهاره بكنيته﴾ دون اسمه فان الرجل قد يكون مشهورا باحدهما دون الآخر ولهذا يجعل اللقب عطف بيان للاسم اذا اشتهر الرجل بلقبه وقد ينعكس الامر اذا اشتهر باسمه ويؤيد هذا الوجه انه قرأ عليه الصلاة والسلام تبت يدا ابو لهب بالواو مع ان القياس ان يقرأ ابى لهب بالياء لكونه مضافا اليه ووجه التأييد ان الشخص لما كان مشهورا بهذه الكنية وهى ابو لهب بالواو صارت بمنزلة اسم العلم لم تتغير فى شئ من الاحوال لان الاعلام لا تتغير بخلاف المضاف فى التركيب الاضافى فان اعرابه يتغير على حسب اختلاف العوامل فيقال هذا ابو لهب ورأيت ابالهب كما يقال على بن ابو طالب ومعاوية بن ابو سفيان بالواو فيهما لان كل واحدة من الكنيتين لما كانت بمنزلة العلم لم تتغير لئلا يشكل فيهما المراد على السامع ﴿قوله او لانه لما كان من اصحاب النار كانت الكنية اوفق بحاله﴾ فان مرجعه لما كان نارا ذات لهب وافقت حاله كنيته فكان جديرا بأن يذكر بابى لهب كما يقال

(انه كان توابا) لمن استغفره منذ خلق المكلفين والاكثر على ان السورة نزلت قبل فتح مكة وانه نعى لرسول الله صلى الله عليه وسلم لانه لما قرأها بكى العباس فقال عليه الصلاة والسلام ما يبكيك قال نعيت اليك نفسك فقال انها لكما تقول ولعل ذلك لدلالتها على تمام الدعوة وكمال امر الدين فهى كقوله اكملت لكم دينكم او لان الامر بالاستغفار تنبيه على دنو الاجل ولهذا سميت سورة التوديع * وعنه عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة اذا جاء اعطى من الاجر كمن شهد مع محمد يوم فتح مكة

﴿ سورة ابى لهب مكية وآيها خمس ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(تبت) هلكت او خسرت والتباب خسران يؤدى الى الهلاك (يدا ابى لهب) نفسه كقوله ولا تلقوا بايديكم وقيل انما خصتا لانه عليه السلام لما نزل عليه وأنذر عشيرتك الاقربين جمع اقاربه فأنذرهم فقال ابو لهب تبا لك ألهذا دعوتنا واخذ حجرا ليرميه به فنزلت وقيل المراد بهما دنياه وآخرته وانما كناه والتكنية تكرمة لاشتهاره بكنيته ولان اسمه عبد العزى فاستكره ذكره او لانه لما كان من اصحاب النار كانت الكنية اوفق بحاله او للتجانس قوله ذات لهب وقرأ ابن كثير ابى لهب بسكون الهاء وقرئ ابو لهب كما قيل على بن ابو طالب

ابو الشر واو الخير لشر ر والخير ﴿قوله وتب اخبار بعد دعاء﴾ يعنى ان الجملة الاولى دعاء عليه بالهلاك كقوله تعالى قتل الانسان ما اكفره والمقصود بيان استحقاقه لان يدعى عليه بالهلاك فان حقيقة الدعاء شأن العاجز وتعالى الله عن ذلك علوا كبيرا والجملة الثانية اخبار من تحقق المدعو ووقوع المطلوب على نهج قول الشاعر وقد فعل على سبيل التفاؤل والعاويات فى البيت روى بالواو من عوى الكلب يعوى اذا صاح وبالدال من عدا فى المشى اى اسرع فلعل المراد بها الكلاب الكلبة وهى التى يأخذها شبه الجنون يسرى مرضها الى من تعضه ووجه قرآءة وقد تب على كون الجملة الثانية اخبارا بعد دعاء ان قد لاتدخل على الدعاء وانما تدخل على جملة خبرية مضمونها متوقع الحصول مثل قد خرج الامير لمن ينتظر خروجه فهذه القرآءة دلت على ان مابعدها ليس دعاء كما قبلها ﴿قوله او الاول اخبار عما كسبت يداه﴾ اى اخبار بهلاك عمله وانه محروم عما يترتب عليه من المنافع والثانى اخبار بهلاك نفسه فانه هالك ضائع فى الدنيا والآخرة وانما عبر عن عمله باليدين لان اكثر الاعمال انما تحصل بمباشرة اليدين ﴿قوله نفى لاغناء المال عنه﴾ اى ويجوز ان تكون كلمة ما حرف نفى لامحل لها من الاعراب فعلى هذا يكون مفعول اغنى محذوفا اى لم يغن عنه ماله شيأ وهو استئناف جوابا عما كان يقول اللعين ان كان مايقوله ابن اخى حقا فانا افتدى منه نفسى بمالى وولدى ويجوز ان تكون استفهامية بمعنى الانكار فتكون فى موضع النصب باغنى اى اى شئ اغنى عنه ماله حين نزل به التباب والعذاب ﴿قوله وكسبه﴾ على ان كلمة ما فى قوله وما كسب مصدرية وقوله او مكسوبه على ان تكون ما موصولة او موصوفة اى والذى كسبه او شئ كسبه والموصول وكذا الموصوف عبارة عن المكسوب فلذلك فسرها به فالكسب بمعنى المكسوب ثم انه يحتمل ان يكون المراد بماله رأس المال من اى نوع كان وبمكسوبه ما اكتسبه باصل ماله من النتائج والارباح ويحتمل ان يكون المراد بماله المال الذى ورثه من ابيه وبما كسب المال الذى كسبه بنفسه ويحتمل ان يكون المراد بماله مافى يده من المال مطلقا وبكسبه ما اكتسبه من الاعمال والاولاد والوجاهة والاتباع روى عن ابن عباس رضى الله عنه انه قال ما كسب ولده وقد ورد فى الحديث تسمية الولد كسبا حيث قال عليه الصلاة والسلام ان اطيب مايأكل الرجل من كسبه وان ولده من كسبه ﴿قوله وقد افترسه اسد﴾ اى اهلكه وكان ذلك بدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا عليه لشدة عداوته له عليه الصلاة والسلام روى عن عروة بن الزبير ان عتبة بن ابى لهب كان تحته بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما اراد ان يسافر الى الشام قال لآتين محمدا فلأوذينه فأتاه فقال يا محمد انى كافر بالنجم اذا هوى وبالذى دنا فتدلى ثم تفل فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ورد عليه ابنته وطلقها فقال عليه الصلاة والسلام اللهم سلط عليه كلبا من كلابك وكان ابو طالب حاضرا عنده فوجم لها اى اشتد حزنه لاجل تلك الدعوة حتى امسك عن الكلام لاجل حزنه وقال ما اغناك يا ابن اخى من هذه الدعوة فرجع عتبة الى ابيه فأخبره بما وقع له ثم خرج الى الشام فنزلوا منزلا فأشرف عليهم راهب من دير فقال ان هذه ارض مسبعة فقال ابو لهب لاصحابه اغيثونا يا معاشر قريش هذه الليلة فانى اخاف على ابنى من دعوة محمد فجمعوا جمالهم وانا خوها حولهم واحدقوا بعتبة فسلط الله تعالى الاسد وألقى السكينة على الابل فجعل الاسد يتخللهم ويشم وجوههم حتى وجد عتبة وافترسه فقال حسان بن ثابت رضى الله عنه

من يرجع العام الى اهله	فما اكيل السبع بالراجع
كان لكم فى هذه عبرة	لسيد المتبوع والتابع

فعلى هذه الرواية احتمل ان يكون قوله تعالى تبت يدا ابى لهب اخبارا من هلاك نفسه وقوله وتب اخبارا عن هلاك ولده عتبة وكون نزول هذه السورة متقدما على هلاكهما لاينافيه كون الاخبار بلفظ الماضى لان وروده بلفظ الماضى مبنى على انه محقق الوقوع فى علمه تعالى ﴿قوله ومات ابو لهب بالعدسة﴾ وهى بثرة تخرج بالانسان وربما قتلت روى عن ابى رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال كنت غلاما للعباس بن عبد المطلب وكان الاسلام دخل بيتنا فاسلم العباس واسلمت ام الفضل وكان العباس يهاب القوم ويكتم اسلامه وكان ابو لهب تخلف عن بدر فبعث مكانه العاصى بن هشام ولم يتخلف رجل منهم الابعث مكانه رجلا آخر فلما جاء الخبر عن واقعة اهل بدر وجدنا فى انفسنا قوة وكنت رجلا ضعيفا اعمل القداح فى حجرة زمزم فكنت جالسا وعندى

(وتب) اخبار بعد دعاء والتعبير بالماضى لتحقق وقوعه كقوله

جزانى جزاه الله شر جزآئه •

جزآء الكلاب العاويات وقد فعل •

ويدل عليه انه قرئ وقد تب او الاول اخبار عما كسبت يداه والثانى عن نفسه (ما اغنى عنه ماله) نفى لاغناء المال عنه حين نزل به التباب او استفهام انكاره ومحله النصب (وما كسب) وكسبه او مكسوبه بماله من النتائج والارباح والوجاهة والاتباع او عمله الذى ظن انه ينفعه او ولده عتبة وقد افترسه اسد فى طريق الشام وقد احدق به العير ومات ابو لهب بالعدسة بعد وقعة بدر بأيام معدودة وترك ميتا ثلاثا حتى انتن ثم استأجروا بعض السودان حتى دفنوه فهو اخبار عن الغيب طابقه وقوعه

ام الفضل جالسة وقد سرنا ماجاءنا من الخبر اذ أقبل ابولهب يجر رجليه فجلس على طنب الحجرة فكان ظهرى الى ظهره فبينما هو جالس اذقال الناس هذا ابوسفيان بن الحرث بن عبد المطلب فقال ابولهب كيف الخبر يا ابن اخى فقال لقينا القوم ومنحناهم اكتافنا يقتلوننا كيف ارادوا وايم الله ومع ذلك قالت الناس لقينا رجالا بيضا على خيل بلق بين السماء والارض فقال ابورافع فرفعت طنب الحجرة ثم قلت اولئك والله الملائكة فأخذنى وصرعنى على الارض ثم برك على يضربنى وكنت رجلا ضعيفا فقامت ام الفضل الى عمود فضربته على رأسه فشجته وقالت تستضعفه اذغاب سيده والله نحن مؤمنون منذ كذا وقد صدق فيما قال فانصرف ذليلا فوالله ماعاش الاسبع ليال حتى رماه الله تعالى بالعدسة فقتلته ولقد تركه ابناه ليلتين او ثلاثا فلم يدفناه حتى أنتن فى بيته وكانت قريش تتقى العدسة وعدواها كما تتقى الناس الطاعون ويقولون نخشى هذه القرحة ثم دفنوه فهذا معنى قوله تعالى مااغنى عنه ماله وما كسب والله اعلم فهو من جملة معجزاته عليه الصلاة والسلام حيث اخبر عن الغيب وطابقه وقوعه لان السورة مكية وكان هلاكه بعد الهجرة بزمان ﴿قوله وليس فيه مايدل على انه لايؤمن﴾ اى حتى يستدل به على وقوع التكليف بمالايطاق بناء على انه لاشك ان ابالهب مكلف بان يؤمن بجميع ماجاء به عليه الصلاة والسلام من عند الله تعالى ومن جملة ماجاء به انه لايؤمن وهذا تكليف بالجمع بين النقيضين وذلك مما لايطاق فالآية دليل على وقوع التكليف به مع ان العلماء اتفقوا على عدم وقوعه استدلالا بقوله تعالى لايكلف الله نفسا الاوسعها فانه يدل على عدم وقوع ذلك وان لم يدل على عدم جوازه والامر فى قوله تعالى انبئونى باسماء هؤلاء للتعجيز لاللتكليف وقوله تعالى حكاية عن المؤمنين ربنا ولاتحملنا مالاطاقة لنابه ليس المراد بالتحميل التكليف بما لاطاقة لهم به بل ايصال مالايطاق من العوارض اليهم واذ قد تبين ان التكليف بما لايطاق غيرواقع باتفاق العلماء فاعلم انهم اختلفوا فى الجواز فمنعه الحنفية والغزالى من الشافعية والمعتزلة وجوزه الاشعرى ومن تابعه والمراد بما لايطاق اعم مما يكون ممتنعا فى نفسه كالجمع بين الضدين او ممكنا فى نفسه خارجا عن قدرة العبد كخلق الاجسام واما ما يمتنع بناء على انه تعالى علم خلافه واراد خلافه كايمان الكافر وطاعة الفاسق فلا نزاع فى جواز التكليف به ووقوعه لكونه مقدورا للمكلف فى نفسه ﴿قوله عطف على المستكن فى سيصلى﴾ وهى ام جميل بنت الحارث اخت ابى سفيان عمة معاوية كانت شديدة العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ عاصم حمالة بالنصب على الشتم والذم

وقد اتى بجميل ۞ من سب ام جميل ۞

وقرأ الباقون بالرفع اما على ان قوله وامرأته حمالة الحطب جملة اسمية سيقت للاخبار عنها بذلك واما على ان وامرأته عطف على المستكن فى سيصلى وحمالة صفة لامرأته وجاز ذلك لكون اضافتها معنوية لكونها بمعنى الماضى او بدل او عطف بيان لها او خبر مبتدأ محذوف اى هى حمالة او مبتدأ خبره فى جيدها ﴿قوله يعنى حطب جهنم﴾ جواب عما يقال انها كانت من بيت العزة اخت ابى سفيان فكيف يصح لها ان تكون حمالة الحطب واجاب عنه بثلاثة اوجه الاول انه ليس المراد بالحطب الحطب المتعارف بل المراد به ماجناه من الآثام والاوزار بسبب معاداتها رسول الله صلى الله عليه وسلم وحملها زوجها على ايذائه عليه الصلاة والسلام استعير الحطب لتلك الآثام تشبيها لها بالحطب فى ان كل واحد منهما سبب لايقاد النار واشتعالها اذتوقد بها نار جهنم كما ان الحطب يوقد به نار الدنيا والثانى ان الحطب مستعار للنميمة فانها توقد بها نار الفتنة والخصومة كما ان الحطب توقد به النار فان النمام يعمل فى ساعة مالا يعمل الساحر فى شهر وعلى التقديرين يكون قوله فى جيدها حبل من مسد ترشيحا للاستعارة والاستعارة المرشحة ماقرن بها مايلائم المستعار منه وهو ههنا الحطب الحقيق ويلائمه ان يلقى حامله الحبل على جيده بان يجعله حزمة ويحمله على ظهره بالحبل المرسل على الجيد والثالث ان الحطب على حقيقته الا انها لاتحمله لمصلحة بيتها حتى يقال انها من بيت الشرف والسعة فكيف تحتطب بنفسها بل المراد انها لشدة عداوتها لرسول الله صلى الله عليه وسلم تحمل بنفسها حزمة من الشوك والحسك والحطب والسعدان فتنثرها بالليل فى طريقه صلى الله عليه وسلم ليتأذى به عند خروجه للصلاة فكان عليه الصلاة والسلام يطأه كما يطأ الحرير قيل كانت ام جميل تأتى كل يوم بابالة من الحسك فتطرحها فى طريق المسلمين فبينما هى حاملة حزمة ذات ليلة اعيت فقعدت على حجر لتستريح فجذبها الملك من خلفها فاهلكها بان خنقها بذلك الحبل فقوله تعالى فى جيدها

(سيصلى نارا ذات لهب) اشتعال يريد نار جهنم وليس فيه مايدل على انه لايؤمن لجواز ان يكون صليه للفسق وقرئ سيصلى بالضم مخففا ومشددا (وامرأته) عطف على المستكن فى سيصلى او مبتدأ وهى ام جميل اخت ابى سفيان (حمالة الحطب) يعنى حطب جهنم فانها كانت تحمل الاوزار بمعاداة الرسول عليه السلام وتحمل زوجها على ايذائه او النميمة فانها توقد نار الخصومة او حزمة الشوك والحسك كانت تحملها فتنثرها بالليل فى طريق رسول الله صلى الله عليه وقرأ عاصم بالنصب على الشتم

(حبل)

حبل من مسد تصورلها بصورة الحطابة التى تحتطب لنفسها تحقيرا لشأنها لان الحطب لو حمل على الحقيقة لم يكن فى الكلام استعارة حتى يكون قوله فى جيدها ترشيحا لها ﴿ قوله او بيانا لحالها ﴾ عطف على قوله تحقيرا لشأنها اى ويجوز ان يكون المقصود من تصويرها بصورة الحطابة بيان ان حالها فى نار جهنم تكون على نحو ما كانت عليه فى الدنيا جزآء وفاقا بعملها فلا يزال على ظهرها حزمة من حطب جهنم من شجر الزقوم ونحوه وفى جيدها سلسلة من النار كما انها فى الدنيا على هذه الصورة ﴿ قوله والظرف ﴾ وهو قوله فى جيدها فى موضع الحال من قوله وامرأته وقدر انه مستكن فى سيصلى فيكون فى معنى الفاعل وحبل فاعل الظرف لاعتماده على ذى الحال وقوله او الخبر اى او هو فى موضع الخبر لقوله وامرأته على ان يكون مرفوعا بالابتدآء وحبل فاعل بالظرف ايضا لاعتماده على المبتدأ روى عن أسماء رضى الله عنها انها قالت لما نزلت سورة تبت يدا ابى لهب جاءت ام جميل ولها ولولة وبيدها حجر فدخلت المسجد ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس ومعه ابو بكر رضى الله عنه وهى تقول

مذمما قلينا ۞ ودينه أبينا ۞ وحكمه عصينا ۞

فقال ابو بكر رضى الله عنه يا رسول الله قد أقبلت اليك وانا اخاف ان تراك فقال عليه الصلاة والسلام انها لن ترانى وقرأ واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا فلما انتهت الى ابى بكر رضى الله عنه قالت له قد ذكر لى ان صاحبك هجانى فقال ابو بكر لا ورب الكعبة ما هجاك فولت وهى تقول قد علمت قريش انى بنت سيدها وانما حلف ابو بكر بانه عليه الصلاة والسلام ما هجاها بناء على انه من باب المعاريض لان القرآن لا يسمى هجوا ولانه كلام الله تعالى لا كلام الرسول ففيه دليل على جواز المعاريض والله سبحانه وتعالى اعلم

﴿ سورة الاخلاص مكية وقيل مدنية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ قوله الضمير للشان او لما سئل عنه ﴾ يعنى ان ضمير هو فيه وجهان الاول انه ضمير الشأن لانه فى موضع التفخيم وتفسير الشئ بعد ذكره مبهما يفيد ذلك فيكون مبتدأ والجملة الاسمية بعده خبره والخبر الجملة لما كان عبارة عن المبتدأ متحدا معه بالذات استغنى عن العائد والثانى انه بما لما المسئول عنه المدلول عليه بالسؤال الصادر منهم قبل نزول هذه السورة قال الضحاك ان المشركين ارسلوا عامر بن الطفيل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا قل له شققت عصانا وسببت آلهتنا وخالفت دين آبائك فان كنت فقيرا أغنيناك وان كنت مجنونا داويناك وان هويت امرأة زوجناكها فقال عليه الصلاة والسلام لست بفقير ولا مجنون ولا هويت امرأة انا رسول الله ادعوكم من عبادة الاصنام الى عبادة رب الانام فارسلوه ثانيا وقالوا قل له بين جنس معبودك أمن ذهب ام فضة فأنزل الله تعالى هذه السورة فقالوا انا ثلاثمائة وستون صنما لا تقوم بحوائجنا فكيف يقوم الواحد بحوائج الخلق فنزلت والصافات صفا الى قوله ان الهكم لواحد ﴿ قوله واحد بدل او خبر ثان ﴾ يعنى ان هو اذا لم يكن ضمير الشان بل كان ضمير ما سئل عنه وكان لفظ الجلالة خبره يحتمل ان تكون لفظة احد بدلا من الخبر وان تكون خبرا ثانيا والمشهور عند النحاة ان النكرة الغير الموصوفة لا تكون بدلا من المعرفة لئلا يكون ما هو المقصود بالنسبة وما هو أتم فيها توطئة لذكره واحد نكرة غير موصوفة فجعله بدلا من لفظ الجلالة مخالف لهذه القاعدة الا ان هذه القاعدة لما لم تكن متفقا عليها فان أبا على جوز ابدال النكرة الغير الموصوفة من المعرفة جوز المصنف ابدال احد من لفظ الجلالة بناء على مذهب من جوز مثل ذلك ﴿ قوله يدل على مجامع صفات الجلال ﴾ مجامع بفتح الميم الاول جمع مجموعة التأنيث ماهى عبارة عنه وهو صفات الجلال اى الصفات السلبية وسميت صفات الجلال لكونها من الفضائل اللازمة ﴿ قوله اذ الواحد ﴾ اشارة الى ان الاحد بمعنى الواحد وان اصله وحد قلبت همزته واوا للتخفيف واكثر ما يفعلون هذا فى الواو المضمومة والمكسورة الواقعتين اول الكلمة نحو أجوه واشاح فى وجوه ووشاح وقيل بينهما فرق بان الاحدية عبارة عن تفرد الذات وعدم تركيبها بشئ من انحاء التركيب اى لا تركيبا خارجيا ولا عقليا والواحدية عبارة عن انتفاء المشاركة فى الصفات وكون لفظة الله دالة على جميع صفات الكمال ظاهر لانه اسم للذات الواجب الجامع لجميع الصفات الذاتية والفعلية ولجميع الفضائل الذاتية والفواضل المتعدية وأما كون احد دالا على جميع صفات الجلال فلان احدية الشئ عبارة عن كونه واحدا حقيقيا لا تعدد فيه لا فى ذاته ولا فى صفاته وافعاله ومعنى كونه واحدا فى ذاته ان لا يكون منقسما الى أبعاض واجزآء خارجية ولا عقلية

(فى جيدها حبل من مسد) اى مما مسد اى فتل ومنه رجل ممسود الخلق اى مجدوله وهو ترشيح للمجاز او تصوير لها بصورة الحطابة التى تحمل الحزمة وتربطها فى جيدها تحقيرا لشأنها او بيانا لحالها فى نار جهنم حيث يكون على ظهرها حزمة من حطب جهنم كالزقوم والضريع وفى جيدها سلسلة من النار والظرف فى موضع الحال او الخبر وحبل مرتفع به * عن النبى عليه السلام من قرأ سورة تبت رجوت ان لا يجمع الله بينه وبين ابى لهب فى دار واحدة

﴿ سورة الاخلاص مختلف فيها ﴾

﴿ وآيها اربع ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(قل هو الله احد) الضمير للشان كقولك هو زيد منطلق وارتفاعه بالابتدآء وخبره الجملة ولا حاجة الى العائد لانها هى هو او لما سئل عنه اى الذى سألتم عنه هو الله اذ روى ان قريشا قالوا يا محمد صف لنا ربك الذى تدعونا اليه فنزلت واحد بدل او خبر ثان يدل على مجامع صفات الجلال كما دل الله على جميع صفات الكمال اذ الواحد الحقيقى ما يكون منزه الذات عن انحاء التركيب والتعدد وما يستلزم احدهما كالجسمية والتحيز والمشاركة فى الحقيقة وخواصها كوجوب الوجود والقدرة الذاتية والحكمة التامة المقتضية للالوهية

والله تعالى يجب ان يكون كذلك لانه لو كان مركبا في الخارج لكان مفتقرا الى كل واحد من اجزآئه وكل واحد من اجزآئه غيره فيكون مفتقرا الى غيره والمفتقر الى الغير ممكن في نفسه ومبدأ الممكنات يمتنع كونه ممكنا في نفسه ولو كان مركبا في العقل لكان مشاركا لغيره في ماهية ذلك الغير فيحتاج الى فصل يميزه عنه وذلك يستلزم امكان الواجب ايضا لان كل ماهية لماسواه تقتضي الامكان فلو كانت تلك الماهية ماهية الواجب لزم امكانه ومعنى كونه واحدا في صفاته ان لا يكون له نظير ولا شبيه يضاهيه في شيء من صفاته وليس له تعالى نظير يضاهيه في شيء من صفاته اذ لو كان له نظير كذلك لاشتركا في ذلك الوصف وتميز الواجب عنه بحسب التعين العارض له ولو كان كذلك لكان مركبا بما به المشاركة والممايزة وقد مر ان التركيب يستلزم الامكان وينافي الوجوب الذاتي فوجب كونه تعالى واحدا في صفاته ومعنى كونه واحدا في افعاله ان لا يكون له شريك في افعاله فانه اذا كان له شريك في افعاله لا يخلو اما ان يحتاج اليه في فاعليته او كان كل واحد منهما مستقلا في الفاعلية والتأثير والاول يستلزم الامكان والثاني يبطله برهان التمانع فقد ثبت ان الواحد الحقيقي ما يكون منزه الذات عن التركيب الخارجي والعقلي وعن انحاء التعدد ايضا بان يكون له من يشاركه في صفاته وافعاله وذلك يستلزم ان لا يكون جسما لان الجسمية تستلزم التركيب الخارجي لان كل جسم مركب في ذاته من الاجزآء وان لا يكون متحيزا لان التحيز ايضا يستلزم التركيب الخارجي فان كل متحيز يمينه مغاير لشماله فيكون منقسما وان لا يشاركه احد في نفس حقيقته ولا في خواص تلك الحقيقة لان المشاركة فيهما اي في الحقيقة الواجبة وخواصها المقتضية للالوهية تستلزم كونه تعالى متميزا عما يشاركه بحسب التعين العارض للماهية وذلك يستلزم كونه تعالى مركبا مما به المشاركة وما به الامتياز وقد مر ان التركيب مناف للوجوب الذاتي فثبت ان الاحدية دالة على جميع صفات الجلال كما ان لفظ الله دال على جميع صفات الكمال فاذا تقرر هذا ثبت ان الاخبار عن مسئولهم بانه الله احد مع وجازة لفظه اتم بيان واكمل تعريف له بالنسبة الى البشر اذ لا سبيل لهم الى معرفة كنه ذاته وانما الذي في وسعهم معرفته بصفاته الذاتية والفعلية وبصفاته السلبية وهذا الاخبار كافل لمعرفته تعالى بهذا الوجه لمن كان له قلب او ألقى السمع وهو شهيد ﴿قوله ولعل ذلك﴾ اي ولعل وجه الفرق بين السور الثلاث بان وقع الاتفاق على تصدير واحدة منها بكلمة قل وعلى عدم التصدير بها في الاخرى وجواز القرآءة بها وبدونها في الثالثة ان سورة الكافرين مشاقة الرسول صلى الله عليه وسلم ومخالفته لقومه في امر العبادة بان يفرد كل واحد منهما بعبادة معبود غير معبود الآخر ومن المعلوم ان المشاقة لا تناسب ان تقع منه عليه الصلاة والسلام من عند نفسه من غير ان يكون مأمورا بها من قبله تعالى لانه عليه الصلاة والسلام ارسل لدعوة الخلائق الى اتباعه وطاعته في جميع ما جاء به من عند الله تعالى فكيف يليق به ان يقول لقومه من عند نفسه لا يجمعنا دين واحد ولا نتفق على عبادة معبود بل لكل واحد منى ومنكم معبود على حدة او ان يوادعهم اي يتركهم وما يدينون ولانه كيف يليق بالمؤمن ان يحكم على احد ويقول له من عند نفسه انك ممن ختم الله على قلبه فلا تؤمن ابدا ولا تعبد الله لحظة وانما يأتي له ذلك اذا بين الله تعالى ان الامر كذلك وامره ان يخبره بذلك وان سورة تبت معاتبة عمه عليه السلام ومن المعلوم ايضا ان معاتبة العم ومشافهته بهذا التغليظ الشديد لا يناسب ان تقع منه عليه السلام لا من عند نفسه ولا بأن يكون مأمورا بها من قبله تعالى لان للعم حرمة كحرمة الاب لان اب الرجل وعمه شعبتان من اصل واحد كما قال عليه الصلاة والسلام «عم الرجل صنو أبيه» وكل من كان في منصب الرسالة والدعوة الى الحق يجب ان يكون معاملته مع احاده باللطف واللين كما قال تعالى لموسى وهرون عليهما الصلاة والسلام فقولا له قولا لينا وقال لسيد المرسلين صلى الله عليه وسلم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاذا وجب مراعاة اللين مع عامة القوم فكيف بالعم الذي هو كالاب في استحقاق التعظيم والتكريم لاسيما ممن هو على خلق عظيم ومبعوث رحمة للعالمين فلهذا لم تصدر سورة تبت بكلمة قل صونا له عليه السلام من ان يشافه عمه بالشتم والتغليظ وان شتمه عمه الخبيث بقوله تبا لك ألهذا دعوتنا فكأنه تعالى يقول اسكت انت وتخلق بما نزل عليك من قولي واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما فانا اجيب عنك واشتمه فانزل قوله تبت يدا ابي لهب ففيه تنبيه على ان من لم يشافه السفيه كان الله تعالى ذابا عنه وناصرا له ومعينا فقد روي ان ابا بكر رضي الله عنه كان اذا آذاه احد يبقى ساكتا ولم يكافئه بسوء فجاء رجل فشتمه فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يدفع ذلك الشاتم ويزجره فلما شرع ابو بكر في الجواب سكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابو بكر ما السبب في ذلك قال

(لانك)

وقرئ هو الله بلا قل مع الاتفاق على انه لابد منه في قل يا ايها الكافرون ولا يجوز في تبت ولعل ذلك لان سورة الكافرين مشاقة الرسول عليه السلام وموادعته لهم وتبت معاتبة عمه فلا يناسب ان يكون منه واما هذا فتوحيد يقول به تارة ويؤمر بان يدعو اليه اخرى

لانك مادمت ساكتا فالملك يجيب عنك فلما شرعت فى الجواب انصرف الملك وجاء الشيطان واما سورة الاخلاص فانها توصيف له تعالى بالوحدة والصمدية وتنزيه له تعالى عن الاولاد والاكفاء فصح ان يصدر عنه عليه الصلاة والسلام من تلقاء نفسه وان يؤمر بان يدعو اليه فجاز لذلك كونها مصدرة بقل وكونها غير مصدرة به وهذا ماافهمته من قول المصنف ولعل ذلك الى آخره الاانه محل تأمل لان قوله وتبت معاتبة عمه فلا يناسب ان يكون منه يدل على انه عليه الصلاة والسلام لامدخل له فى هذا الكلام على تقدير عدم تصدير السورة بقل سوى كونه تاليا لكلام الله المنزل اليه وقوله يقول به يدل على انه عليه الصلاة والسلام يتكلم به من قبل نفسه على تقدير عدم تصديرها بقل فبينهما تدافع ولان تعليل وجوب تصدير احدى السورتين بقل وعدم جواز التصدير به فى الاخرى بقوله فلا يناسب ان يكون منه تعليل للحكمين المختلفين بعلة واحدة بحسب الظاهر وقوله ومواداعته لهم معطوف على المشاقة بالواو فى اكثر النسخ والظاهر ان يعطف عليها بكلمة او ويكون المعنى لان السورة من اولها الى آخرها امامشاقة معهم بان يكون قوله تعالى لكم دينكم ولى دين فذلكة للمسبق وتقريرا له وتكون اللام فى قوله تعالى لكم ولى متعلقة بالثبات والدوام المقدر كما اختاره المصنف واما ان آخر السورة موادعتهم ومتاركتهم وماقبله تمهيد له كما اشار اليه بقوله اللهم الااذا فسر بالمتاركة وكلا التقديرين لايناسب ان يكون منه عليه الصلاة والسلام وعطفه بالواو يشعر ان كون السورة مشاقة وموادعة وجه آخر فى تفسيرها والجمهور كسروا تنوين احد الله الصمد حال الوصل لالتقاء الساكنين التنوين ولام التعريف وعن ابن عمر انه قرأ احد الله الصمد بضم الدال من غير تنوين بناء على ان التنوين نون ساكنة والنون تشابه حروف اللين فى انها من حروف الزيادة فلمشابهتها حذفت عند اتصالها بالساكن كما يحذف حرف اللين عنده فى نحو يغزو القوم ويرمى القوم ولهذا الوجه ايضا حذفت النون الساكنة فى الفعل المجزوم فقيل فزيك يتعهم اعانهم ولاتك فى مرية وعن ابن عمر ايضا احد الله الصمد باسكان الدال وقطع همزة الوصل من غير سكت بينهما على اجراء الوصل مجرى الوقف لاستمرار الوقف عليه وكثرته فى ألسنتهم وفرارا من ثقل الحركة والتنوين وقال ادركت القراء تقرأها كذلك وصلا على السكون ﴿قوله السيد المصمود اليه﴾ على ان الصمد فعل بمعنى مفعول كنفض بمعنى مقبوض من صمده اذا قصده روى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال لما نزل الله الصمد قالوا وما الصمد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الصمد الذى يصمد الناس اليه فى الحوائج اى تقصده والصمد بالسكون القصد ولاشك ان من يقصد اليه فى جميع المهمات ويرجع اليه فى جميع الحاجات يكون مستغنيا عن كل ماعداه وكاملا فى جميع صفاته وأفعاله فهو غاية السيادة ونهاية رفعة الشأن وعلو القدر ﴿قوله وهو الموصوف به على الاطلاق﴾ قال حجة الاسلام الغزالى نور الله مرقده ومن جعله الله تعالى مقصدا لعباده فى مهمات دينهم ودنياهم واجرى على لسانه ويده حوائج خلقه فقد انعم عليه بحظ من هذا الوصف لكن الصمد المطلق هو الذى يقصد اليه فى جميع الحوائج وهو الله تعالى جل جلاله ﴿قوله وتعريفه لعلمهم بصمديته﴾ فان العرب بل اكثر الخلق تعرف انه تعالى هو الذى يقصد اليه فى الحوائج وان جميع ماسواه مفتقر اليه كما قال تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله فلذلك جاء لفظ الصمد معرفا بخلاف احديته فانه لايخطر ببال اكثر الخلق ان فى الوجود ذاتا لاتركيب ولاانقسام فيه بوجه من الوجوه فضلا عن كونه واحدا فى صفاته بان لايكون له نظير وشبيه يضاهيه فى شئ من صفاته وواحدا فى افعاله بان لايكون له شريك فيها وذلك لانهم لايعرفون من الموجودات غير المحسوسات وكل محسوس منقسم فتبين انهم لايعرفون موجودا هو واحد فى ذاته لاتعدد فيه بوجه فنكر لفظ احد لذلك ﴿قوله للاشعار﴾ وجه الاشعار ان قوله تعالى الله الصمد جملة اسمية طرفاها معرفتان فتدل على انحصار الصمدية فيمن اتصف بالالوهية وعدم تحققها فيمن سواه وكونها من توابع الالوهية يشعر بان من لايكون صمدا لايستحق ان يكون الها لان انتفاء التابع يشعر بانتفاء المتبوع وهذا الاشعار يكون بتكرير اسم الله وجعل الصمد خبرا عنه اذ لوقيل هو الله احد الصمد من غير تكرير اسم الله لكان بمعنى ان الشأن الله احد الصمد او ان المسئول عنه هو الله ومابعده بدل من الجلالة او خبر ثان وعلى تقدير ان يكون الكلام خاليا عن الاشعار المذكور وكرر مع عدم الاحتياج اليه لابد ان يكون ذلك لنكتة والاشعار المذكور يصلح ان يكون نكتة تحمل عليها ﴿قوله لانها كالنتيجة للاول او الدليل عليها﴾ وجه كون الجملة الثانية كالنتيجة للاول ان من كان واحدا حقيقيا منزها عن أنحاء التركيب والتعدد فى ذاته وصفاته وافعاله يكون مبدأ

(الله الصمد) السيد المصمود اليه فى الحوائج من صمد اذا قصد وهو الموصوف به على الاطلاق فانه يستغنى عن غيره مطلقا وكل ماعداه محتاج اليه فى جميع جهاته وتعريفه لعلمهم بصمديته بخلاف احديته وتكرير لفظ الله للاشعار بان من لم يتصف به لم يستحق الالوهية واخلاء الجملة عن العاطف لانها كالنتيجة للاول او الدليل عليها

للكائنات بامرها حافظا لها ومدبرا فلاجرم لايصمد فى الحوائج الااليه فظهر به ان كونه تعالى صمدا نتيجة متفرعة على احديته ووجه كونها كالدليل على الاول ان من كان صمدا وملجأ لارباب الحاجات لابدّ وان يكون فى اعلى درجات الكمال منزها عن جميع وجوه النقصان قادرا على جميع الممكنات عالما بجميع المعلومات وذلك يستلزم الاحدية ﴿ قوله لانه لم يجانس ﴾ حتى يكون له من جنسه صاحبة فيتولد منهما من يجانسهما والحمار وان لم يكن من نوع الفرس لكنه من جنسه وان القوة المولدة تكون وسيلة الى توليد المماثل والمجانس ولا تكون وسيلة الى توليد المباين ونفى المجانسة يستلزم نفى المماثلة لان انتفاء العام يستلزم انتفاء الخاص علل المصنف نفى كونه تعالى والدا بعلتين الاولى ان الولد لابدّ ان يكون من جنس والده بصاحبة من يجانسه ولا مجانسة فلا ولادة والثانية ان الولادة مبنية على الاحتياج الى مايعينه فى حياته ويخلف عنه بعد وفاته ولا احتياج ولا فناء فلا ولادة تتفرع عليهما فكلمة او فى قوله او يخلف عنه بعد وفاته لتقسيم احوال الوالد وقدم نفى كونه والدا على نفى كونه مولودا من حيث ان الكفرة ادّعوا ان له ولدا ولم يدّعوا ان له والدا فان مشركى العرب قالوا الملائكة بنات الله وقالت اليهود عزيز ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله فبدأ بالاهم فقال لم يلد ثم اتبعه بقوله ولم يولد تعليلا لقوله لم يلد لانه لما وقع الاتفاق على انه تعالى لم يكن ولداً لغيره ثبت انه لم يلد غيره ﴿ قوله ولعل الاقتصار على لفظ الماضى ﴾ وعدم التعرض بانه لايلد فى المستقبل مبنى على ان المقصود من الآية تكذيبهم فى قولهم ولد الله وان الملائكة بنات الله وان المسيح ابن الله وكذا عزيز ومرجع الجميع انه تعالى ولد فى الزمان الماضى ولو كان المقصود بيان زعمهم انه لايلد فى شئ من الازمنة الثلاثة لما صح الاقتصار على لفظ الماضى ﴿ قوله وذلك ﴾ اى وبيان وجه كونه تعالى منزها عن كونه مولودا لغيره ان المولودية تقتضى النقصان من وجهين الاول كونه معلولا لوالده مفتقرا اليه والثانى كونه حادثا مسبوقا بالعدم تعالى شأنه عن كل واحد من الامرين ﴿ قوله اى ولم يكن احد يكافئه اى يماثله ﴾ اشارة الى ان احدا اسم يكن وكفوا خبره وله متعلق بكفوا لما فيه من معنى الفعل وهو المماثلة والكفو المثل والشبيه والمعنى لم يكن احد كفوا له اى مثلا له ٭ ولما ورد على هذا التوجيه ان يقال على تقدير ان يكون قوله له ظرفا لغوا متعلقا بكفوا كان حقه ان يؤخر عن اسم كان وخبره لان الظرف اللغو فضلة يتم الكلام بدونه والاصل فى الكلام الفصيح ان يؤخر الظرف اللغو عن فاعل الفعل ومفعوله لانهما مقصودان بالنسبة وتقديم المقصود اولى وافصح ويكون تقديم اللغو قبيحا مخلا بالفصاحة لكونه خلاف الاصل فكيف قدّمه فى الآية مع انه ظرف لغو تم الكلام بدونه باسم كان وخبره ٭ اشار الى جوابه فقال وكان اصله ان يؤخر الظرف لانه صلة اى لغو وفضلة لايفتقر اليه الكلام فى تمامه والظرف المستقر يفتقر تمام الكلام اليه لكونه خبرا فيه كما فى قولك لم يكن فيها احد خير منك فان الظرف فيه مستقر لانه خبر كان وتقرير الجواب ان الظرف اللغو وان كان الاصل فيه ان يؤخر الا ان هذا الاصل قد يترك اذا عرض للظرف اللغو ما يجعله مهما بالنسبة الى عامله فيقدّم عليه لكونه اهم بالنسبة اليه كما يقدّم المفعول على الفاعل اذا عرض له ما يجعله مهما بالنسبة الى الفاعل والمقصود فى الآية ليس نفى ان يكون احد كفوا لشئ ما مطلقا بل المقصود نفى كونه كفوا لذاته تعالى ﴿ قوله ويجوز ان يكون حالا ﴾ عطف من حيث المعنى على قوله اى ولم يكن احد يكافئه فانه يفهم منه ان له ظرف لغو متعلق بكفوا اى ويجوز ان لايكون الظرف لغوا بان يكون حالا من المستكن فى كفوا على انه صفة له فى الاصل فلما قدم عليه انتصب حالا فاحد اسم يكن وكفوا خبره وله حال او بان يكون الظرف خبرا ويكون كفوا منصوبا على انه حال من احد لانه كان صفة له فى الاصل فلما تقدّم عليه انتصب حالا ٭ قال ابو البقاء قوله احد اسم كان وفى خبرها وجهان احدهما ان الخبر كفوا فعلى هذا يجوز ان يكون له حالا من كفوا لان التقدير ولم يكن احد كفوا له وان يتعلق بيكن والوجه الثانى ان يكون الخبر له وكفوا حال من احد اى ولم يكن له احد كفوا فلما قدم على النكرة انتصب حالا منها ﴿ قوله ولعل ربط الجمل ﴾ كأنه جواب عما يتوهم من ان الجمل الثلاث فى الآية من قبيل قولك زيد شاعر وعمرو طويل فان عطف الجملة الثانية على الجملة الاولى فيه لايصح مطلقا اى سواء كان بين زيد وعمرو مناسبة كالاخوة والصداقة ونحوهما اولم يكن لعدم المناسبة بين المسندين اعنى الشعر وطول القامة فينبغى ان لايصح ربط الجمل الثلاث فى الآية بالعطف لعدم المناسبة بين ماوقع مسندا فيها وهو الوالدية والمولودية والكفاءة فانها امور متباينة ٭ وتقرير الجواب منع انتفاء المناسبة بينها فانها امور متناسبة من حيث ان كل واحدة منها قسم من اقسام المثل فان المقصود من قوله لم يلد

(لم يلد) لانه لم يجانس ولم يفتقر الى مايعينه او يخلف عنه لامتناع الحاجة والفناء عليه ولعل الاقتصار على لفظ الماضى لوروده ردّا على من قال الملائكة بنات الله او المسيح ابن الله اوليطابق قوله (ولم يولد) وذلك لانه لايفتقر الى شئ ولايسبقه عدم (ولم يكن له كفوا احد) اى ولم يكن احد يكافئه اى يماثله من صاحبة وغيرها وكان اصله ان يؤخر الظرف لانه صلة كفوا لكن لما كان المقصود نفى المكافأة عن ذاته تعالى قدّم تقديما للاهم ويجوز ان يكون حالا من المستكن فى كفوا اوخبرا ويكون كفوا حالا من احد ولعل ربط الجمل الثلاث بالعطف لان المراد منها نفى أقسام الامثال فهى كجملة واحدة منبه عليها بالجمل

ان ينفى عنه تعالى القسم المخصوص من اقسام المثل وهو الولد ومن قوله ولم يولد ان ينفى عنه تعالى القسم الآخر منها وهو الوالد ومن قوله ولم يكن له كفوًا احد أن ينفى عنه باقى الاقسام كالصاحبة والشركاء ونحوهما فضلق الجامع بين تلك الجمل الثلاث باعتبار اتحاد المسند اليه وتناسب المسند عطف بعضها على بعض ﴿ قوله قرأ حمزة ويعقوب ونافع فى رواية كفؤا بالتخفيف ﴾ اى بسكون الفاء مهموزا وقرأ حفص كفوا بضم الكاف والفاء غير مهموز وقرأ الباقون بضمتين مهموزا وفى التيسير قرأ حفص بضم الكاف والفاء منونا من غير همزة وحمزة باسكان الفاء مع الهمزة فى الوصل فاذا وقف ابدل الهمزة واوا مفتوحة اتباعا للخط والباقون بضم الفاء مع الهمزة منونا وقد تقرر ان كل اسم على ثلاثة احرف اوله مضموم فانه يجوز فى عينه الضم والاسكان الافى قوله تعالى وجعلوا له من عباده جزؤا ﴿ قوله فان مقاصده محصورة ﴾ اى فى ثلاثة وهذه السورة الكريمة كافلة بواحد منها وهو بيان العقائد فلما كانت كافلة بثلث مقاصد القرآن كانت معادلة لثلثه * روى عن سهل بن سعد انه جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم وشكا اليه الفقر فقال اذا دخلت بيتك فسلم ان كان فيه احد وان لم يكن فيه احد فسلم على نفسك واقرأ قل هو الله احد مرة واحدة ففعل ذلك فأدر الله تعالى عليه رزقا حتى افاض على جيرانه وروى انه عليه الصلاة والسلام دخل المسجد فسمع رجلا يدعو ويقول اسألك بالله يا احد يا صمد يا من لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا احد عفوك عفوك عفوك ثلاث مرات فقال عليه الصلاة والسلام غفرلك غفرلك غفرلك ثلاث مرات

﴿ سورة الفلق مكية وقيل مدنية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الفلق بسكون اللام الشق يقال فلقت الشئ فلقا فانفلق وتفلق اى شققته فانشق وتشقق والفرق بمعنى التمييز والتبيين قال الله تعالى وقرآنا فرقناه اى بيناه والفرق بين الشيئين فيه معنى الشق اذ به يصير كل واحد منهما فرقة متميزة من الاخرى والمصنف حكم بان كل واحد من لفظى الفلق والفرق بفتح العين فيهما فعل بمعنى مفعول اى بمعنى المفروق عنه والفلوق عنه وذلك انما يكون بان يكون الشئ مستورا محجوبا فيشق الحجاب الساتر عن وجه ذلك الشئ المستور فيظهر ذلك المستور وينكشف بانشقاق ماستره من الحجاب وزواله وذلك الحجاب المنشق مفلوق والمحجوب المنكشف بانشقاقه مفلوق عنه والظاهر ان يبقى الفلق بمعنى المفلوق عنه على عمومه فيتناول كل ما يفعل الله تعالى من الممكنات وان شاع تفسيره بالصبح يقال انفلق والفرق الصبح ويقال للشئ الجلى انه أبين من فلق الصبح ومن فرق الصبح لان الليل يفلق عنه ويفرق عنه فان الممكنات باسرها اعيان ثابتة فى علم الله تعالى مستورة تحت ظلمة العدم فان ظلمات العدم غير متناهية لعدم تناهى المعدومات الممكنة وسائرة لجميع الممكنات والله تعالى فالق تلك الظلمات بنور التكوين والايجاد ومظهر ما فى علمه من المكونات فكانت بأسرها مفلوقا عنها كالصبح صار مفلوقا عنه بفلق ظلمة الليل عنه فظهر ان مفهوم الفلوق عنه يعم جميع الممكنات الا انه مقول عليها بالتشكيك فانه اظهر واولى فيما يخرج من اصل كالعيون من الارض والامطار من السحاب والنبات من الحب والنوى والارض والاولاد من الارحام فان معنى المفلوق عنه اظهر فيها بالنسبة الى المخلوق على وجه الابداع ﴿ قوله ويخص عرفا بالصبح ﴾ هذا الفرق مبنى على ان يكون نور الصبح وضوء النهار اصلا سابقا يطرأ عليه ظلمة الليل فتستره تارة وتنفلق عنه اخرى وهو عكس ما يدل عليه قوله تعالى وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذاهم مظلمون فانه يدل على ان ظلمة الليل اصل يغشاها ضوء النهار عند طلوع الشمس فتصير كزنجى لبس ثوبا شفافا وينسلخ عنها عند غروبه ويؤيده تقديم الظلمات على النور فى قوله تعالى وجعل الظلمات والنور ويشهد عليه العقل ايضا ولا ضير اذ لكل وجهة ﴿ قوله وتخصيصه لما فيه من تغير الحال ﴾ جواب عما عسى ان يقال مقام الاستعاذة والاعتصام يقتضى تعظيم المستعاذ به ولا شك ان تعظيمه على تقدير تعميم الفلق لجميع الممكنات اعظم واقوى منه على تقدير تخصيصه بالصبح فان المعنى على الاول قل يا محمد اعوذ واعتصم برب جميع الممكنات البارزة من تحت ظلمة العدم ولا يخفى ان الصبح من جملة الامور الداخلة فى هذا العام فيكون التعظيم فى حمل الفلق على جميع الممكنات اتم واعظم فلا وجه لتخصيصه بالصبح وتقرير الجواب ان التعميم وان كان فيه مناسبة لهذا المقام الا ان التخصيص يناسب مقام الاستعاذة من وجه

قرأ حمزة ويعقوب ونافع فى رواية كفؤا بالتخفيف مهموزا وحفص كفوا بالحركة وقلب الهمزة واوا والباقون بالحركة مهموزا ولاشتمال هذه السورة مع قصرها على جميع المعارف الالهية والرد على من ألحد فيها جاء فى الحديث انها تعدل ثلث القرآن فان مقاصده محصورة فى بيان العقائد والاحكام والقصص ومن عدلها بكله اعتبر المقصود بالذات من ذلك وعن النبى عليه السلام انه سمع رجلا يقرأها فقال وجبت قيل يا رسول الله وما وجبت قال وجبت له الجنة

﴿ سورة الفلق مختلف فيها وآيها خمس ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(قل اعوذ برب الفلق) ما يفلق عنه اى يفرق عنه كالفرق فعل بمعنى مفعول وهو يعم جميع الممكنات فانه تعالى فلق ظلمة العدم بنور الايجاد عنها سيما ما يخرج من اصل كالعيون والامطار والنبات والاولاد ويخص عرفا بالصبح ولذلك فسر به وتخصيصه لما فيه من تغير الحال وتبدل وحشة الليل بسرور النور ومحاكاة فاتحة يوم القيامة والاشعار بان من قدر ان يزيل ظلمة الليل عن هذا العالم قدر ان يزيل عن العائذ ما يخافه

آخر من حيث ان مقصود العائذ من الاستعاذة ان يتغير حاله بان يخرج من حال ضيق الخوف والخشية الى فضاء الامن والسعة ويتخلص من وحشة الهم والحزن بقبل الفرح والسرور وتخصيص الصبح ادل على هذا المقصود لما فيه من تغير الظلمة وزوالها باشراق انوار الصبح وضيائها وتبدل وحشة الليل وثقله بسرور الصبح وخفته فان الليل له ثقل يكون الانسان فيه كلحم على وضم وهو الخشب الذى يقطع القصاب عليه اللحم فاذا طلع الصبح تبدل ذلك بالخفة والسرور ولهذا تجد لكل مريض ومهموم خفة فى وقت السحر * روى ان يوسف عليه الصلاة والسلام لما القى فى الجب وجعت ركبته وجعا شديدا فبات ليلته ساهرا فلما قرب طلوع الصبح نزل جبريل عليه الصلاة والسلام باذن الله تعالى يسأله ويأمره بان يدعو ربه فقال يا جبريل ادع انت وانا اؤمن فدعا جبريل وامّن يوسف عليه الصلاة والسلام فكشف الله تعالى ما كان به من الضر فلما طاب وقت يوسف قال يا جبريل وانا ادعو ايضا وانت تؤمن فسأل الله ان يكشف الضر عن جميع اهل البلاء فى ذلك الوقت فلاجرم ما من مريض الا ويجد نوع خفة فى آخر الليل روى ان دعاءه فى الجب كان هذا * يا عدتى فى شدتى * ويا مؤنسى فى وحشتى * ويا راحم غربتى * ويا كاشف كربتى * ويا مجيب دعوتى * ويا الهى واله آبائى ابراهيم واسحق ويعقوب ارحم صغر سنى * وضعف ركنى * وقلة حيلتى يا حى يا قيوم يا ذا الجلال والاكرام وفى وقت الصبح ايضا محاكاة لاختلاف احوال الناس فى فاتحة يوم القيامة حيث ان الخلق فى الليل كالاموات ودورهم كالقبور ثم منهم من يخرج من داره مفلسا عريانا لا يلتفت اليه ومنهم من كان مديونا فيجر الى الحبس ومنهم من كان ملكا مطاعا فيقدم اليه المركب وتقوم الناس بين يديه فكذا الحال فى يوم القيامة بعضهم مفلس من الثواب عار عن لباس التقوى ومنهم من عليه من حقوق الله تعالى وحقوق عباده ما لا يطاق حمله فيجر الى الملك الجبار ومنهم من كان عبدا مطيعا لربه فى الدنيا فصار ملكا مطاعا فى العقبى يقدم اليه البراق ولما اشتمل وقت الصبح على هذا التغير والتبدل وكان حاكيا لاختلاف احوال الناس فى فاتحة يوم القيامة كان تخصيص الفلق به مناسبا لمقام الاستعاذة لاشعاره بان من قدر على التغيرات الدالول عليها بالصبح يقدر ايضا على ان يدفع من العائذ كل ما يخافه ويحترز منه ﴿ قوله ولفظ الرب ههنا اوقع ﴾ اى أليق وأنسب واوقعها جواب عما يقال ما السبب فى انه تعالى حين امر بالاستعاذة عند افتتاح قراءة القرآن قال فاستعذ بالله وقال ههنا قل اعوذ برب الفلق فعبر عن المستعاذ به باسم الرب ولم يقل قل اعوذ باسم الله مع ان اسم الله اشرف الاسماء واجاب عنه بان الشر المستعاذ منه فى هذه السورة الكريمة هو الشر المضاف الى عالم الخلق وهو عالم المحسوسات والاجسام والجسمانيات وانما سمى عالم الاجسام والجسمانيات بعالم الخلق لان الخلق هو التقدير والمقدار من لواحق الجسم وشرور عالم الخلق مضار بدنية والاعاذة من المضار البدنية تربية فناسب ذلك ان يعبر عمن يعيذ من تلك المضار باسم الرب فكأنه امر بان يقول يا رب كما ربيتنى من اول زمان تكوينى الى هذا الوقت بانواع التربية فادم تلك التربية بأن تحفظنى فيما بقى من عمرى ولا تقطعها عنى بالتقصير فى شكر نعمتك وكلمة ما فى قوله تعالى من شر ما خلق يجوز ان تكون موصولة وعائدها محذوف اى من شر الذى خلقه مما يكون له شر وضرر وان تكون مصدرية اى من شر خلقه بمعنى مخلوقه على ان يكون المصدر بمعنى المفعول ﴿ قوله وشره اختيارى الخ ﴾ قسم الشرور المضافة الى عالم الخلق الى الاختيارى والطبيعى وقسم الاختيارى الى اللازم والمتعدى اى الى ما لا يتعدى اثره الى غير فاعله بل يلزمه كالكفر وسائر الآثار اللازمة والى ما يتعدى اثره الى فاعله كالظلم سواء تعلق بالمال او بالبدن او بالعرض ويدخل فيه افتراس السباع وعضها واكلها ولدغ الحيات والعقارب ﴿ قوله ليل عظم ظلامه ﴾ يعنى ان الغاسق بمعنى عظيم الظلام صفة لمحذوف وهو الليل كأنه لشدة ظلامه وتكاثفه ظرف امتلأ ظلمة قال ابن عباس رضى الله عنهما الغاسق الليل اذا اقبلت ظلمته واجتمعت وتكاثفت من قولهم غسقت العين اذا امتلأت دمعا وغسق الجرح اذا امتلأ قيحا واسند الشر الى الليل الغاسق وان لم يكن من فعله لالابسته له واشتماله عليه من حيث وقوعه فيه ﴿ قوله وقيل السيلان ﴾ عطف على قوله الامتلاء يقال غسق الجرح غسقا اى سال منه الصديد وسمى الليل غاسقا لانصباب ظلامه على الارض ﴿ قوله وتخصيصه ﴾ جواب عما يقال قوله تعالى من شر ما خلق يتناول جميع الشرور المتعلقة بعالم الخلق سواء كانت طبيعية او اختيارية وشر الليل الغاسق مندرج فيه فما معنى تخصيصه بالذكر والاستعاذة منه بخصوصه * وتقرير الجواب ان تخصيصه بالذكر مع اندراجه فيما ذكر قبله للاشارة الى تعظيم شره لكثرة وقوعه فيه وعسر دفعه اما كثرته فلان السباع

ولفظ الرب ههنا اوقع من سائر اسمائه لان الاعاذة من المضار تربية (من شر ما خلق) خص عالم الخلق بالاستعاذة منه لانحصار الشر فيه فان عالم الامر خير كله وشره اختيارى لازم ومتعد كالكفر والظلم وطبيعى كاحراق النار واهلاك السموم (ومن شر غاسق) ليل عظم ظلامه من قوله الى غسق الليل واصله الامتلاء يقال غسقت العين اذا امتلأت دمعا وقيل السيلان وغسق الليل انصباب ظلامه وغسق العين سيلان دمعها (اذا وقب) دخل ظلامه فى كل شئ وتخصيصه لان المضار فيه تكثر ويعسر الدفع ولذلك قيل الليل اخفى للويل

تخرج في الليل من آجامها والهوام من مساكنها وكذا السراق وسائر مترصدي الفرصة ينتشرون فيه لقصد الاضرار ومن عكرمة ان عفاريت الجن ترسل في تلك الساعة واما عسر دفع ما وقع فيه من الشر فلان ظلمة الليل أستر للقاصد بالسوء فيظفر بمن قصده على غرة وغفلة فلا يمكن من دفعه بنفسه ولا بالاستعانة بغيره لان الغوث يقل فيه ولذلك يقال الليل أخفى للويل بمعنى انه أستر لما يؤدي الى الويل والهلاك فيكثر الاضرار فيه بما يؤدي اليه ﴿ قوله وقيل المراد به ﴾ اي بالغاسق اذا وقب هو القمر سمي به لانه يكسف فيغسق اي يذهب ضوؤه ويسود ووقوبه دخوله في الكسوف واسوداده ودليله ما روي انه عليه الصلاة والسلام اخذ بيد عائشة رضي الله عنها فأشار الى القمر وقال استعيذي بالله من شر هذا فانه الغاسق اذا وقب * قال الامام وعندي فيه اي في تسمية القمر غاسقا وجه آخر وهو ان صح ان القمر في جرمه غير مستنير بل هو مظلم فهو المراد من كونه غاسقا واما وقوبه فهو انمحاق نوره في آخر الشهر والمنجمون يقولون انه في آخر الشهر يكون منحوسا قليل القوة لانه لا يزال ينتقص نوره ولا يزداد وبسبب ذلك تحوسته ولذلك لا تشتغل السحرة بالسحر الذي يورث التمريض الا في ذلك الوقت وهذا مناسب لسبب نزول السورة فانها نزلت لاجل انهم سحروا النبي صلى الله عليه وسلم لاجل التمريض واذا في قوله تعالى اذا وقب منصوب بأعوذ اي اعوذ بالله من كذا في وقت كذا ﴿ قوله والنفث النفخ مع ريق ﴾ وقيل انه النفخ فقط اي بلا ريق ومنه قوله عليه الصلاة والسلام ان روح القدس نفث في روعي ان نفسا لن تموت حتى تستكمل أجلها ورزقها * الجوهري النفل شبيه بالبزق وهو اقل منه اوله البزق ثم التفل ثم النفث ﴿ قوله وتخصيصه ﴾ اي وتخصيص النفث بالذكر والاستعاذة من شره بخصوصه مع اندراجه تحت شر عالم الخلق وقد استعيذ منه مطلقا فلم يبق حاجة الى الاستعاذة من شره بخصوصه الا انه خص بالذكر لما ان السورة نزلت للاستعاذة من شر السواحر النفاثات فاقتضت الحكمة ان تذكر النفاثات بخصوصهن ويستعاذ من شرهن لتكمل آيات السورتين احدى عشرة آية بعدد العقد التي عقدها لبيد بن اعصم اليهودي * روي ان غلاما من اليهود كان يخدم النبي صلى الله عليه وسلم فأغوته اليهود حتى اخذ لهم مشاطة رأس النبي صلى الله عليه وسلم وعدة اسنان من مشطه واعطاهم اياها فسحروه فيها وكان الذي تولى ذلك رجل منهم يقال له لبيد بن اعصم ثم دسها في بئر لبني زريق يقال لها ذروان فمرض النبي صلى الله عليه وسلم وانتثر شعر رأسه واشتد عليه ذلك ثلاث ليال فجعل ينام ولا يدري ما عراه فبينما هو نائم اذ أتاه ملكان فقعد احدهما عند رأسه والآخر عند رجليه فقال الذي عند رجليه للذي عند رأسه ما بال الرجل قال طب قال وما طب قال سحر قال ومن سحره قال لبيد بن اعصم اليهودي قال وبم طبه قال بمشط ومشاطة قال واين هو قال في جف طلعة تحت راعوفة في بئر ذروان والجف وعاء الطلع وقشره والراعوفة حجر من اسفل البئر يترك هنالك اذا احتفرت البئر يجلس عليه من ينقي البئر عند الاحتياج الى تنقيتها فانتبه النبي صلى الله عليه وسلم مذعورا وقال يا عائشة اما شعرت ان الله تعالى اخبرني بدائي ثم بعث عليه الصلاة والسلام عليا والزبير وعمار بن ياسر فنزحوا ماء تلك البئر كأنه نقاعة الحناء ثم رفعوا الصخرة فأخرجوا الجف فاذا فيه مشاطة رأسه عليه الصلاة والسلام واسنان من مشطه واذا وتر معقد فيه احدى عشرة عقدة مغروزة بالابر فأنزل الله تعالى هاتين السورتين فقال جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم اقرأ آية وحل عقدة فجعل عليه الصلاة والسلام كلما قرأ آية انحلت عقدة ووجد عليه الصلاة والسلام بعض خفة حتى اذا انحلت العقدة الاخيرة قام صلى الله عليه وسلم كأنما نشط من عقال وجعل عليه الصلاة والسلام يقول * بسم الله ارقيك من كل شيء يؤذيك من حاسد وعين والله يشفيك * والمعتزلة انكروا صحة هذه الرواية وتأثير السحر فيه عليه الصلاة والسلام وقالوا كيف يمكن القول بصحتها وهو تعالى يقول والله يعصمك من الناس وقال ولا يفلح الساحر حيث اتى ولان تجويزه يفضي الى القدح في النبوة ولان الكفار كانوا يعيرونه بانه مسحور ولو وقعت هذه الواقعة لكان الكفار صادقين في ذلك التعيير ومعلوم ان ذلك غير جائز وقال اهل السنة هذه القصة قد صحت عند جمهور اهل النقل وصحتها لا تستلزم صدق الكفرة في قولهم انه عليه الصلاة والسلام مسحور وذلك لانهم كانوا يريدون بكونه عليه الصلاة والسلام مسحورا انه ازيل عقله بسبب السحر فلذلك تركوا دين آبائهم فاما ان يكون مسحورا بألم يجده في بدنه فذلك مما لا ينكره احد وبالجملة فالله تعالى ما كان يسلط عليه شيطانا ولا انسيا ولا جنيا يؤذيه فيما يتعلق بنبوته وعقله واما الاضرار به من حيث انه انسان وبشر فانه يعرض له من حيث بشريته وبدنه فلا بعد فيه وتأثير السحر فيه عليه الصلاة

وقيل المراد به القمر فانه يكسف فيغسق ووقوبه دخوله في الكسوف (ومن شر النفاثات في العقد) ومن شر النفوس او النساء السواحر اللاتي يعقدن عقدا في خيوط وينفثن عليها والنفث النفخ مع ريق وتخصيصه لما روي ان يهوديا سحر النبي عليه الصلاة والسلام في احدى عشرة عقدة في وتر دسه في بئر فمرض عليه الصلاة والسلام فنزلت المعوذتان واخبره جبرائيل بموضع السحر فارسل عليا كرم الله وجهه فجاء به فقرأهما عليه فكان كلما قرأ آية انحلت عقدة ووجد بعض الخفة ولا يوجب ذلك صدق الكفرة في انه مسحور لانهم ارادوا به انه مجنون بواسطة السحر

والسلام لم يكن من حيث انه نبي وانما اثر في بدنه من حيث انه انسان وبشر فانه يعرض له من حيث بشريته ما يعرض لسائر البشر الا ترى ان ما عرض له من كسر ثنايا يوم احد لم يقدح فيما ضمن الله تعالى له من عصمته بقوله والله يعصمك من الناس لان المراد من العصمة هي العصمة عما يخل بامر نبوته ﴿قوله وقيل المراد بالنفث في العقد الخ﴾ عطف على قوله من شر النفوس السواحر او النساء السواحر فيكون معنى الآية من شر جنس النساء اللاتي شأنهن ان ينفثن في عزائم الرجال المعقودة على امور بكلمات لطيفة او محاولات خفية فيغلبن عليهم ويحولنهم عن آرائهم وعزائمهم التي صمموا على امضائها بانواع المكر والحيلة فان كيدهن عظيم ويؤيد هذا التفسير قوله عليه الصلاة والسلام يا معشر النساء تصدقن فاني رأيتكن اكثر اهل النار فقلن وبم يا رسول الله قال عليه الصلاة والسلام تكثرن اللعن وتكفرن العشير ما رأيت من ناقصات عقل ودين اذهب للب الرجل الحازم من احداكن والحازم الضابط لامره المتبصر في سيره شبهت عزائم الرجال وآراؤهم بعقد الحبال فاطلق عليها اسم العقد وشبه ابطال تلك العزائم بانواع المكر والحيلة بحل عقد الحبال بتليينها بنفث الريق عليها ليسهل حلها فان النساء يملن طباع الرجال اليهن يتصرفن فيهم ويحولنهم من رأي الى رأي ومن عزيمة الى اخرى فأمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بالتعوذ من شرهن ولذلك قال الامام الشافعي رحمه الله تعالى

٭ ان النساء شياطين خلقن لنا ٭ نعوذ بالله من شر الشياطين ٭

وقال بعض الظرفاء في جوابه

٭ ان النساء رياحين خلقن لكم ٭ وكلكم يشتهي شم الرياحين ٭

﴿قوله وافرادها بالتعريف﴾ جواب عما يقال لم عرف النفاثات ونكر غاسق وحاسد مع اشتراك الجميع في كونه مستعاذا منه وجوابه ان كل نفاثة شريرة فعرف النفاثات تعريف الاستغراق ليفيد الاستعاذة من جميع آحادها وليس كل حاسد وغاسق شريرا فنكر تنكير النوعية ﴿قوله لاغتمامه بسروره﴾ تعليل لاختصاص ضرر الحسد بالحاسد قبل عمله بمقتضى حسده اي لاغتمام الحاسد وتحزنه بسرور المحسود بما فيه من النعمة ٭ وروي عن علي رضي الله عنه انه قال لله در الحسد ما اعدله يقتل الحاسد قبل ان يقتل المحسود ﴿قوله وتخصيصه لانه العمدة في اضرار الانسان بل الحيوان غيره﴾ ذكر المصنف لتخصيص كل واحد من الغاسق والنفاثات والحاسد بالذكر مع ان الشرور المضافة اليها مندرجة تحت شر ما خلق لانها اما من قبيل الاجسام او الجسمانيات وجها مستقلا مناسبا له وتقرير الوجه المذكور لتخصيص الحسد بالذكر ان الحسد لما كان معظم الاسباب الحاملة للحيوان على اضرار غيره فانه انما يضر غيره غالبا طمعا فيما عنده واستكراها لرؤية غيره كان كأنه كل السبب لشر الحيوان واضراره غيره فلذلك لم يكتف باندراجه تحت ما خلق بل خص بالذكر واستعيذ من شره بخصوصه ﴿قوله ويجوز أن يراد بالغاسق ما يخلو عن النور وما يضاهيه كالقوى﴾ فسر الغاسق اولا بالليل العظيم الظلمة وفسر وقوبه بدخول ظلامه في كل شئ وفسره ثانيا بالقمر ووقوبه بدخوله في الكسوف ثم فسر النفاثات اولا بالسواحر ثانيا بجنس النساء اللاتي يبطلن عزائم الرجال ثم فسر الحاسد بالانسان المتصف بالحسد اذا اظهر حسده وعمل بمقتضى حسده واشار ههنا الى تفسير كل واحد من هذه الاوصاف الثلاثة بتفسير آخر ففسر الغاسق بما يخلو عن حقيقة النور وعما يضاهيها كالقوى النباتية والحيوانية فانها تشبه النور في كونها سببا لظهور الاشياء كالنور فان القوة النامية النباتية تزيد بها النبات في الطول والعرض والعمق وكذا القوى الحيوانية وهي الحواس الظاهرة والباطنة والشهوة والغضب فان كل واحدة منها سبب لظهور ما يختص بها من الآثار في الحيوان فشابهت النور بذلك والجمادات العنصرية خالية عن حقيقة النور وعما يضاهيه من القوى فهي المرادة بالغاسق وشرورها ما يترتب عليها بحسب طبائعها من المضرات وفسر الحاسد بالحيوان بان جعله كناية عنه بناء على ان الحيوانية لازمة للحاسد ومبنى هذه التفاسير ان الانسان لا يتضرر عن الاجسام الفلكية وانما يتضرر عن الاجسام العنصرية وهي اما جمادات او نباتات او حيوانات فامر الله تعالى بالاستعاذة من كل واحدة منها بكلام على حدة ﴿قوله فانه انما يقصد غيره غالبا طمعا فيما عنده﴾ جواب عما يرد على تفسير الحاسد بالحيوان من ان التعبير بلفظ الحاسد من الحيوان في مقام الامر بالاستعاذة من شر الحيوان يدل ان منشأ شر الحيوان منحصر في وصف حسده وليس كذلك ٭ وتقرير الجواب ان باقي الاوصاف الذميمة والاخلاق الرديئة وان جاز ان يكون منشأ شر الحيوان

(وحاملا له)

وقيل المراد بالنفث في العقد ابطال عزائم الرجال بالحيل مستعار من تليين العقدة بنفث الريق ليسهل حلها وافرادها بالتعريف لان كل نفاثة شريرة بخلاف كل غاسق وحاسد (ومن شر حاسد اذا حسد) اذا اظهر حسده وعمل بمقتضاه فانه لا يعود ضرره منه قبل ذلك الى المحسود بل يخص به لاغتمامه بسروره وتخصيصه لانه العمدة في اضرار الانسان بل الحيوان غيره ويجوز أن يراد بالغاسق ما يخلو عن النور وما يضاهيه كالقوى وبالنفاثات النباتات فان قواها النباتية من حيث انها تزيد في طولها وعرضها وعمقها كأنها تنفث في العقد الثلاث وبالحاسد الحيوان فانه انما يقصد غيره غالبا طمعا فيما عنده

و حاملاله على اضرار غيره الا ان غالب ما يحمله على الاضرار هو الحسد بذاته كأنه يحمل الحامل عليه فالتنبيه على هذا المعنى يضيف الشر الى اللفظ المشتق المشعر بعلية المأخذ له ﴿ قوله ولعل افرادها ﴾ اى افراد الاجسام العنصرية التي هي الجماد والنبات والحيوان مع اندراجها في عالم الخلق للتنبيه على ان لها مزيد مدخل في الاضرار من حيث كونها اسبابا قريبة للضرة والله اعلم بالصواب

﴿ سورة الناس مكية وقيل مدنية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الناس عند صاحب الكشاف اصله اناس بشهادة قوله تعالى انهم اناس يتطهرون فحذفت منه الهمزة التي هي فاؤه فبقي ناس فهو من قولهم آنست الشئ بمعنى ابصرته والقياس يقتضي ان يجوز اطلاقه على كل مبصر الا انه خص بالبشر عرفا وعند غيره لم يحذف منه شئ واصله نوس لقولهم في تصغيره نويس فهو من النوس بمعنى الحركة فكان القياس ان يطلق على كل متحرك الا انه خص بالبشر عرفا وقال آخرون هو من الانس الذي هو ضد الوحشة لانه يؤنس به وقيل هو من النسيان واصله الناسي بياء في آخر الكلمة على انه اسم فاعل من نسي ينسى فحذفت الياء من آخره اكتفاء بالكسرة وقرئ قل اعوذ رب بحذف الهمزة ونقل حركتها الى اللام ونحوه فخذ اربعة من الطير وقد افلح وأجمع القرآء على ترك الامالة في الناس وروى عن الكسائي الامالة فيه ان كان في موضع الجر ﴿ قوله لما كانت الاستعاذة الى قوله عم الاضافة ثمة وخصصها بالناس ههنا ﴾ جواب عما يقال ما الفرق بين السورتين حتى اضيف لفظ الرب في السورة المتقدمة الى الفلق بمعنى جميع الممكنات المفلوق عنها واضيف ههنا الى الناس وهو رب العالمين ومليكهم والههم وليست ربوبيته بالنسبة الى الناس خاصة وتقرير الجواب ان ما وقع مضافا اليه في السورتين مظهر واقع موقع المضمر لانه عليه الصلاة والسلام هو المأمور بالاستعاذة وحق المستعيذ ان يستعيذ بسيد نفسه ومالكه ومدبر امره فمقتضى الظاهر ان يقال في السورتين اعوذ بربي الا انه لما كان الشر المستعاذ منه في السورة المتقدمة ليس شر عالم الخلق بل شر عالم العنصريات من الاجسام والجسمانيات فان الغاسق والنفاثات والحاسد كلها من عالم العنصريات وشر هؤلاء مضار بدنية متعلقة بالاجسام والشر المستعاذ منه في هذه السورة وهو الوسوسة يختص بالنفس الانسانية ناسب للمستعيذ في السورة الاولى ان يدرج نفسه في جملة من يتضرر بشر عالم الخلق ويعبر عمن يستعيذ به بربوبيته لمن يتضرر بالشر المستعاذ منه فلذلك قيل في تلك السورة برب الفلق بدل ان يقول بربي فان الفلق يعم جميع الممكنات فضلا عن العنصريات ولذا ناسب في هذه السورة ان يدرج المستعيذ نفسه في جملة من يتضرر بالوسوسة ويعبر عمن يستعيذ به بربوبيته لمن يتضرر بها وهو نوع البشر ويقول اعوذ برب الناس في موضع ان يقول بربي فلذلك اضيف لفظ الرب ثمة الى ما يعم الناس وغيرهم واضيف ههنا الى الناس خاصة الا ان هذا التوجيه مبني على ان يفسر الفلق بما يعم جميع الممكنات كما اختاره المصنف فينبغي ان يكون تقرير السؤال هكذا لم عدل من ضمير المتكلم الى الاسم الظاهر ثم لم اوثر لفظ رب الفلق في احدى السورتين ولفظ رب الناس في الاخرى ويكون تقرير الجواب ان المستعيذ لما كان امام امته كان اللائق بمنصبه وخلقه العظيم ان يدرج نفسه عند الاستعاذة من شر عالم الخلق في جملة من يتضرر من جهتهم انسانا كان او غيره وعند الاستعاذة من شر الوسواس الى الناس في جملة من يتضرر منه وهو الناس خاصة اشعارا بان الاستعاذة في السورة الاولى ليست لاجل نفسه خاصة بل لكل ما يدخل تحت مفهوم الفلق من الممكنات المادية كأنه قيل اعوذ برب من يتضرر بشر عالم الخلق من شره ورب من يتضرر بشر الوسواس الى الناس من شره واما على قول من فسره بالصبح فوجه اضافة لفظ الرب اليه في تلك السورة ان الشر المستعاذ منه فيها شرور خفية بناء على ان معظم المستعاذ منه فيها هو شر الغاسق والنفاثات والحاسد ولا يخفى ان شرورها خفية فكان المناسب ان يعبر عن المستعاذ به فيها برب النور والظهور لان شأن المستعيذ ان يلتجئ الى من يخرجه عما هو فيه الى ما يضاده ويدفعه وعبر عنه في هذه السورة برب الناس لكون المستعاذ منه شرا مختصا بالنفوس الانسانية ﴿ قوله فان الرب قد لا يكون ملكا ﴾ يعني ان المقصود من عطف البيان ايضاح متبوعه اما بتعيينه او بتقليل اشتراكه ومفهوم رب الناس اعم من مفهوم ملك الناس لان التربية بمعنى السياسة والفوقية وهي لا تستلزم الملك وقد تكون بالتعليم والارشاد قال تعالى اتخذوا أحبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله ٭ الجوهري ربيت القوم

ولعل افرادها من عالم الخلق لانها الاسباب القريبة للضرة ٭ عن النبي عليه الصلاة والسلام لقد انزلت على سورتان ما انزل مثلهما وانك لن تقرأ سورتين احب ولا ارضى عند الله منهما يعني المعوذتين

﴿ سورة الناس مختلف فيها ﴾

﴿ وآيها ست آيات ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(قل اعوذ) قرأ ورش في السورتين بحذف الهمزة ونقل حركتها الى اللام (رب الناس) لما كانت الاستعاذة في السورة المتقدمة من المضار البدنية وهي تعم الانسان وغيره والاستعاذة في هذه السورة من المضار التي تعرض للنفوس البشرية وتخصها عمم الاضافة ثمة وخصصها بالناس ههنا فكأنه قيل اعوذ من شر الوسواس الى الناس بربهم الذي يملك امورهم ويستحق عبادتهم (ملك الناس اله الناس) عطف بيان له فان الرب قد لا يكون ملكا والملك قد لا يكون الها

اى ستهم وكنت فوقهم ومنه قول صفوان بن امية لأن يربنى رجل من قريش احب الىّ من ان يربنى رجل من هوازن فلما كان ملك الناس اخص من رب الناس صح ان يكون موضحاله وان يخلل اشتراكه الا انه لم يصح ان يكون مبيناله لان ملك الناس قد يطلق على من يدبر امرهم مع كونه بمعزل عن الالوهية فبينه بقوله اله الناس وهو نهاية البيان وغاية التوضيح والتعيين لان لفظ اله مفردا كان او مضافا لا يطلق على غيره تعالى لان الالوهية مختصة به تعالى ﴿قوله وفى هذا النظم دلالة على انه تعالى حقيق بالاعاذة﴾ وجه الدلالة ظاهر لان من كان رب الناس بأن كان مولى نعمهم الظاهرة والباطنة وملكهم الغالب عليهم القادر على التصرف فيهم فان الملك هو الذى يفتقر اليه غيره ويكون غنيا عن غيره والههم الذى يستحق العبادة لذاته لكونه خالق العالمين ورازقهم ومدبر امورهم حيثما شاء كيف لا يكون حقيقا بالعبادة قادرا عليها ﴿قوله واشعار على مراتب الناظر فى المعارف﴾ ضمن الاشعار معنى الاطلاع فعدّى بعلى فان الاشعار لا يتعدى بعلى يقال شعرت بالشئ اشعر شعرا اى فطنت له ومنه قولهم ليت شعرى اى ليتنى علمت واشعرته فشعر اى ادريته فدرى ويقال اطلعتك على سرّى فان الاستعاذة اوّلا بلفظ الرب ثم توضيحه بلفظ الملك ثم بلفظ الاله تطلع السامع على ان اوّل ما يعرفه الناظر بنظره انه له ربا ثم يترقى فى باب المعرفة فيتحقق انه ملك ثم ينتهى الى معرفة انه اله فان الناظر فى المعارف يعلم اوّلا بسبب ما يرى عليه من النعم انه له ربا ربيه بأنواع النعم ثم يتغلغل اى يتعمق فى النظر حتى يتحقق اى يتيقن انه غنى عن الكل وان جميع ما سواه يفتقر اليه وهو المعنى بالملك فانه اذا علم ان جميع ما عليه من النعم الظاهرة والباطنة انما يفاض عليه من ربه يترقى الى معرفة ان وجود كل موجود وما يتفرع على اصل وجوده من انواع الفضل ووجوه الاحسان انما يفاض عليه من خزائن رحمته التى وسعت كل شئ ويتحقق عنده انه غنى عن الكل وانه ملكهم ﴿قوله وبدرج فى وجوه الاستعاذة المعتادة﴾ اى يمشى من قولهم درج الرجل والضب يدرج دروجا اى مشى فان عادة المستعيذ ان يلتجئ اوّلا الى ما يتيسر مما يظنه مأمنا ثم يترقى منه الى ما هو اكمل واقوى فى كونه مأمنا ثم يترقى الى منتهى المطالب والملجأ الحقيق ولما كانت صفة الالوهية منتهى معارف الناظر وصفة الملكية دونها وكانت صفة الربوبية مبدأ معارفه ذكر من اوصاف المستعاذ به اوّلا صفة الربوبية ثم صفة الملكية ثم صفة الالوهية تنزيلا لهذه الصفات منزلة الذوات المتفاوتة فى الملجئية فقوله وبدرج عطف على قوله ويستدل اى يستدل الناظر ويمشى فى طريق نظره مشى من يمشى فى وجوه الاستعاذة المعتادة والظاهر ان العبارة وتدرّج بالعطف على قوله واشعار والمعنى وفى هذا النظم دلالة على كذا واطلاع على مراتب الناظر فى المعارف وتدرّج اى ترقّ على سبيل التدريج الى منتهى معارف الناظر على وجوه تدرّج المستعيذ على ان تكون كلمة فى بمعنى على ويكون قوله تنزيلا علة للتدرج اليه على وجوه تدرّج المستعيذ ويكون قوله اشعارا بعظم الآفة علة للتدرج المذكور بعد تعليله بقوله تنزيلا ووجه الاشعار ان المستعيذ المامر بان يتدرّج فى الاستعاذة بمن لا يدرك بكنه ذاته بل انما يدرك بحسب اوصافه بان يصفه اوّلا بأوّل ما يحصل للناظر من اوصافه ويذكره بذلك الوصف ثم يذكره بما يحصل له ثانيا ثم بما يحصل له ثالثا وينزل اختلاف الصفات منزلة اختلاف الذات دل ذلك على عظم الشر المستعاذ منه لا محالة ﴿قوله وتكرير الناس﴾ جواب عما يقال لم لم يكتف باظهار المضاف اليه الذى هو الناس مرة واحدة بأن يقال برب الناس ملكهم والههم اجاب عنه بوجهين الاوّل ان عطف البيان انما يؤتى به لايضاح المتبوع وتبيينه واظهار الاسم ادخل فى ايجاب الايضاح بالنسبة الى اضماره والثانى ان فى اظهار المضاف اليه فى كل واحد من هذه التراكيب الاضافية اشعارا بشرفه وذلك لانه تعالى لم يكتف فى مقام بيان كونه حقيقا لان يستعاذ به باضافة لفظى الملك والاله الى ضمير الانسان بل عرف ذاته بكونه ربا للناس ملكا للناس واولا ان الناس اشرف مخلوقاته واعز مظاهر ملكيته والهيته لما ذكرهم بالاسم الظاهر فى كل مرة ﴿قوله اى الوسوسة﴾ يعنى ان الوسواس بالفتح اسم بمعنى الوسوسة كالزلزال اسم بمعنى الزلزلة والوسواس بالكسر مصدر كالزلزال واطلاق الوسوسة على الشيطان من قبيل توصيف العين بالمصدر للمبالغة فى الاتصاف كما يقال رجل عدل للدلالة على بلوغه فى الاتصاف بالعدالة الى حيث صار كأنه نفس العدالة ويجوز ان يحمل الكلام على تقدير المضاف اى من شر ذى الوسواس والخناس صفة مبالغة من الخنوس وهو الرجوع والتأخر وهو مجرور على انه صفة الوسواس بمعنى الموسوس وصف به لان شأنه وحرفته وشغله الذى هو عاكف عليه ان يخنس اذا ذكر العبد ربه والوسوسة والخنس

وفى هذا النظم دلالة على انه تعالى حقيق بالاعاذة قادر عليها غير ممنوع منها واشعار على مراتب الناظر فى المعارف فانه يعلم اوّلا بما يرى عليه من النعم الظاهرة والباطنة ان له ربا ثم يتغلغل فى النظر حتى يتحقق انه غنى عن الكل وذات كل شئ له ومصارف امره منه فهو الملك الحق ثم يستدل به على انه المستحق للعبادة لا غير وبدرج فى وجوه الاستعاذة المعتادة تنزيلا لاختلاف الصفات منزلة اختلاف الذات اشعارا بعظم الآفة المستعاذ منها وتكرير الناس لما فى الاظهار من مزيد البيان والاشعار بشرف الانسان (من شر الوسواس) اى الوسوسة كالزلزال بمعنى الزلزلة واما المصدر فبالكسر كالزلزال والمراد به الموسوس وسمى بفعله مبالغة (الخناس) الذى عادته ان يخنس اى يتأخر اذا ذكر الانسان ربه

صفتان للشيطان على حسب حالى الانسان كما ورد فى الخبر ان الشيطان جاثم على قلب ابن آدم فاذا غفل وسوس واذا ذكر الله تعالى خنس اى تأخر وولى والوسوسة الدعوة الى الشر من خفية واصل الوسوسة الصوت الخفى ومنه وسواس الحلى فان صوته سمى وسوسة لخفائه وسميت دعوة شياطين الجن والانس الى الشر بالوسوسة لان شياطين الجن تدعو الى المعصية وتزينها باخفاء ضررها اما بأن تغر العبد بسعة رحمة الله تعالى وعفوه او بأن تخيل اليه ان فى العمر سعة فتتوب بعدما قضيت شهوتك منها او لانهم يدعون الى المعصية بكلام خفى يفهمه القلب من غير ان يسمع صوته وكذا شياطين الانس يدعون اليها باخفاء ضررها وارآة المنافع والمصالح فى مباشرتها واظهار أنه ناصح له فى ذلك وليس مراده الا المكر والخيانة او يجعله مغرورا بأن يذكر له سعة رحمة الله تعالى وعفوه او امكان التوبة بعد مباشرتها ﴿قوله وذلك كالقوة الوهمية﴾ شبه الشيطان بها من حيث انه يساعد الانسان فى اتباع المعاصى والمنكرات واذا آل امره الى طاعة الله تعالى خنس واعرض عنه واخذ فى المكر والحيلة ليصرفه عنها كما ان القوة الوهمية تساعد العقل فى المقدمات فاذا آل الامر الى النتيجة خنست واخذت توسوسه وتشككه ﴿قوله ومحل الذى الجر﴾ على انه صفة الوسواس او النصب او الرفع على الذم وعلى الوجهين الاخيرين يحسن للقارى ان يقف على الخناس ويبتدى بقوله الذى يوسوس لطول الكلام ﴿قوله من الجنة والناس بيان للوسواس او للذى﴾ على معنى ان الشيطان الوسوس ضربان جنى وانسى كما قال تعالى شياطين الانس والجن ٭ عن ابى ذر رضى الله تعالى عنه انه قال لرجل هل تعوذت بالله من شر شيطان الانس فقيل له هل للانس من شيطان قال نعم واستدل بالآية ﴿قوله او متعلق بيوسوس﴾ فيكون من لابتداء الغاية اى يوسوس فى صدورهم من جهة الجن ومن جهة الناس مثل ان يوقع فى القلب من جهة المنجمين والكهان انهم يعلمون الغيب ومن جهة الجن انهم يضرون وينفعون ﴿قوله وقيل بيان للناس﴾ اى المذكور فى قوله تعالى فى صدور الناس بناء على جواز ان يطلق اسم الناس على الجن كما يطلق على الانس استدلالا بتسمية الجن نفرا ورجالا كما فى قوله تعالى واذ صرفنا اليك نفرا من الجن وقوله يعوذون برجال من الجن وكل واحد منهما من الالفاظ المستعملة فى الانس والمصنف رحمه الله تعالى عد هذا القول تعسفا بناء على ان اطلاقه على الثقلين بعيد عن اللغة فان اهل اللغة اتفقوا على ان كل واحد من لفظى الجن والانس موضوع بازاء حقيقة مباينة للحقيقة التى وضع بازائها اللفظ الآخر وعلى ان احدى الحقيقتين سميت جنا لاجتنانها اى تسترها عن اعين الناس والاخرى ناسا لظهور افرادها للبصر على ان الناس من الايناس وهو الابصار قال تعالى آنس من جانب الطور نارا اى ابصر فكما لا يطلق اسم الجن على بنى آدم لعدم اجتنانهم عن اعين الناس فكذلك ينبغى ان لا يطلق اسم الناس على الجن لعدم تعلق الايناس والابصار بهم الا ان يكون الناس من النسيان ويكون اصله الناسى وحذفت ياؤه اكتفاء بالكسرة فحينئذ يمكن ان يطلق اسم الناس على الثقلين لان نسيان حق الله تعالى متحقق فيهما ولا يجوز ان يقرأ فى هذه السورة مالك الناس كما يقرأ مالك يوم الدين فى سورة الفاتحة والفرق ان المالك بمعنى الرب فقوله رب الناس اذا ذكر كونه تعالى مالكا لهم فلو قرئ بعده مالك الناس لزم التكرار بخلاف سورة الفاتحة فانه لم يذكر فيها ما يدل على كونه تعالى مالك يوم الدين بغير هذه العبارة حتى يلزم التكرار ٭ واعلم ان فى هذه السورة لطيفة بالغة وهى ان المستعاذ به قد ذكر فى السورة المتقدمة بصفة واحدة وهى انه رب الفلق وان المستعاذ منه فيها ثلاثة انواع من الآفات وهى الغاسق والنفاثات والحاسد بخلاف هذه السورة فان المستعاذ به ذكر فيها بثلاثة اوصاف وهى الرب والملك والاله والمستعاذ منه آفة واحدة وهى الوسوسة ومن المعلوم ان المطلوب كلما كان اهم والرغبة فيه اتم كان ثناء الطالب قبل طلبه اكثر واوفر وقد تقرر ان المطلوب فى السورة المتقدمة هو سلامة البدن من الآفات المذكورة وفى هذه السورة هو سلامة الدين من وسوسة الشيطان فظهر بما ذكرنا ان فى نظم السورتين الكريمتين تنبيها على ان سلامة الدين من وسوسة الشيطان وان كانت امرا واحدا الا انه اعظم مرادا واهم مطلوبا وان سلامة البدن من تلك الآفات وان كانت امورا متعددة ليست بتلك المثابة فى كونها مطلوبا مهما لمن استعاذ منها اللهم اجعل امر الدين اهم مطلوب لنا وثبتنا على نهج استقامته ٭ واعذنا فى الدنيا من موجبات الندامة يوم القيامة ٭ نسألك العفو والعافية والمعافاة الدائمة فى الدين والدنيا والآخرة برحمتك يا ارحم الراحمين ٭ والحمد لله رب العالمين ٭ والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وآله وصحبه

(الذى يوسوس فى صدور الناس) اذا غفلوا عن ذكر ربهم وذلك كالقوة الوهمية فانها تساعد العقل فى المقدمات فاذا آل الامر الى النتيجة خنست واخذت توسوسه وتشككه ومحل الذى الجر على الصفة او النصب او الرفع على الذم (من الجنة والناس) بيان للوسواس او للذى او متعلق بيوسوس اى يوسوس فى صدورهم من جهة الجنة والناس وقيل بيان للناس على ان المراد به ما يعم الثقلين وفيه تعسف الا ان يراد به الناسى كقوله يوم يدعو الداع فان نسيان حق الله يعم الثقلين ٭ عن النبى عليه الصلاة والسلام من قرأ المعوذتين فكأنما قرأ الكتب التى انزلها الله تعالى والله سبحانه وتعالى اعلم

اجمعين * وعلى سائر الانبياء والمرسلين * وعلى الملائكة المقربين * من اهل السموات واهل الارضين *
سبحان ربك رب العزة عما يصفون * وسلام على المرسلين * والحمد لله رب العالمين

تمت الحواشي المتعلقة بحل مغلقات انوار التنزيل * واسرار التأويل * الذي صنفه الامام العالم العلامة * حبر الائمة سيد العلماء علي بن عمر البيضاوي تغمده الله برحمته ورضوانه * واسكنه اعلى جنانه *

نحمدك اللهم على ماهديتنا به من انوار التنزيل * وارشدتنا اليه من اسرار التأويل * ونصلي ونسلم على رسولك خاتم الانبياء * وعلى آله الاتقياء واصحابه الاصفياء * وبعد * لما من الله تعالى علينا بطبع هذه الحاشية الجامعة لما تفرق في سائر الكتب من التفاسير مبينا بعبارات سهلة * وافادات واضحة مشحونة * بالواردات القدسية والغرائب الغيبية * مطابقا طبعه لما في النسخ الصحيحة التي علقها القطب الرباني * والغوث الصمداني * المولى (محمد محي الدين) المشهور بشيخزاده * رزقه الله الحسنى وزيادة * على التفسير المسمى بانوار التنزيل * واسرار التأويل * الذي صنفه الامام العالم العلامة * والفاضل المقتدى الفهامة * (علي بن عمر) البيضاوي * تجاوز الله تبارك وتعالى عما له من المساوي * فاستدارت بتمام طبعها وحسن ختامها المطبعة النفيسة العثمانية * الكائنة في دار الخلافة العلية * حفظهما الله تعالى من النوب والبلية * في ميامن ايام دولة مولانا المؤيد من الله تعالى بالسلطنة العظمى * والخلافة الكبرى * السلطان الاعظم * مالك رقاب الامم * ظل الله تعالى على كافة الانام * الممتاز من لدن رب حكيم بفضل جسيم * وخلق عظيم ولطف عميم * كأنه كوكب دري * طالع من افق علي * المتمسك باحكام القرآنية * المتوسل باسرار الفرقانية * ناصر الدين المتين * والشرع المبين * كهف الانام * ملاذ العلماء الاعلام * خادم الحرمين المحترمين الجليلين * الا وهو السلطان ابن السلطان السلطان الغازي
﴿ عبد الحميد ﴾ خان الثاني * خلد الله ملكه ودولته * وايد وشيد مجده وسلطنته *
مادام الشمس متحركة في فلكه * ومد ظل عواطفه على الانام مادام الكوكب
طالعا من افقه * وقد تصادف ختام طبعها لخمسة عشر ليال بقين من رجب
الفرد * رابع الاشهر الحرم الثلاثة السرد * لسنة ست وثلاثمائة
بعد الالف * من هجرة اسعد جميع الانبياء والمرسلين
محمد الذي كان برئ من الامام والخلف *
صلى الله وسلم عليه وعلى آله *
واصحابه المكملين بكماله *
مالاح بدر وهو تام *
وفاح مسك
في ختام
آمين

﴿ طبع في المطبعة النفيسة العثمانية لازال شرفها الى يوم القيامة ﴾

١٣٠٦

